
Shiabooks.net

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

نحمدك اللهم ونشكرك ونؤمن بك ايمانا لا يتزعزع عن علم ومعرفة وعقل . ونسترحمك ان تتوب علينا وتغفر لنا آثامنا وذنوبنا ، وشرور جهالنا الذين غرر بهم الكبار والمجرمون وساقوهم من حيث لا يدرون ولا يدرون الى تحويل نعيمهم الى جحيم ، واخضرهم الى يابس ، وعمارهم الى خراب . وبقي اكثر اللبنانيين مدة سنة ونصف يحملون بيوتهم على ظهورهم ولم يزل قسم للآن ونحن منهم ينشدون قول الشاعر :

مشردون نفوا من عقر دارهم   كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر

وتضررت « العرفان » كثيرا بهذه الحرب القذرة والنكبة النكباء والفتنة العمياء ، والمحنة القاسية ، ويا ما أمرها محنة لم يعرف تاريخ البشرية لها مثيلا .

فلم يبق لنا بيت ولا مكتب ولا ، ولا الخ ، ومع ذلك فنحن ننشد مع الشاعر اللبناني داود عمون قوله :

هجم الدهر علينا هجمة   فلقيناه بالعزم الاكيد
بدد المال فلم نحفل به   انما المال لنقص ومزيد
أننا من قوم صلاب عرفوا   بمضاء العزم في الخطب الشديد
عركوا الدهر بشطريه فما   غيرت منهم نحوس او سعود

والحكومة اللبنانية التي كانت يومذاك عدا ضفها لا تحكم وليست ذات سيادة ، هزيلة في تصرفاتها وجيشها وغير ذلك .

نأمل الان ونتمنى بعد تسلم الرئيس الجديد الاستاذ الياس سركيس وتولي الحكومة الجديدة ان لا يبقى الوطن متجرا والسيادة امتيازا لفئات

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

نحمدك اللهم ونشكرك ونؤمن بك ايمانا لا يتزعزع عن علم ومعرفة وعقل . ونسترحمك ان تتوب علينا وتغفر لنا آثامنا وذنوبنا ، وشرور جهالنا الذين غرر بهم الكبار والمجرمون وساقوهم من حيث لا يدرون ولا يدرون الى تحويل نعيمهم الى جحيم ، واخضرهم الى يابس ، وعمارهم الى خراب . وبقي اكثر اللبنانيين مدة سنة ونصف يحملون بيوتهم على ظهورهم ولم يزل قسم للآن ونحن منهم ينشدون قول الشاعر :

مشردون نفوا من عقر دارهم   كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر

وتضررت « العرفان » كثيرا بهذه الحرب القذرة والنكبة النكباء والفتنة العمياء ، والمحنة القاسية ، ويا ما أمرها محنة لم يعرف تاريخ البشرية لها مثيلا .

فلم يبق لنا بيت ولا مكتب ولا ، ولا الخ ، ومع ذلك فنحن ننشد مع الشاعر اللبناني داود عمون قوله :

هجم الدهر علينا هجمة   فلقيناه بالعزم الاكيد
بدد المال فلم نحفل به   انما المال لنقص ومزيد
أنا من قوم صلاب عرفوا   بمضاء العزم في الخطب الشديد
عركوا الدهر بشطريه فما   غيرت منهم نحوس او سعود

والحكومة اللبنانية التي كانت يومذاك عدا ضفها لا تحكم وليست ذات سيادة ، هزيلة في تصرفاتها وجيشها وغير ذلك .

نأمل الان ونتمنى بعد تسلم الرئيس الجديد الاستاذ الياس سركيس وتولي الحكومة الجديدة ان لا يبقى الوطن متجرا والسيادة امتيازا لفئات

واشخاص وحالات وان لا يبقى الشعب بين نعاج وذئاب وخارجين على القانون .

كما تتمنى ان مثل الذين اضاعوا الدولة والخلافة ايام الامين حيث قال الشاعر :

أضاع الخلافة غش الوزير وفعل الامام ورأي المشير
وما ذاك الا طريقا غرور وشر المسالك طرق الغرور
فعال الخليفة اعجوبة وأعجب منه فعال الوزير

لا يبقى اهم خبز في هذا العهد .

ولولا هذه الظروف القاسية وهذه الازمة التي عصفت بلبنان وبالعرفان، فقد كان بودنا ان ننهض بالعرفان نهضة قوية ونضع جوائز لمن يضع احسن مؤلف عن قسم من العلماء والمجاهدين ممن جاهدوا في سبيل الدين والعلم والثقافة والادب والوطن ، فعسى ان يكشف الله هذه الغمة ، وتنفرج الازمة فيرى القاريء ما يسره وينفعه .

نزار الزين

* * *

سريع الحفظ

* جلس المتنبي يوما بسوق الوراقين فمر به دلال بيده دفتر فيه اكثر من عشرين ورقة ، فاستعرضه المتنبي حتى طال تأمله فيه . فقال له الدلال متضجرا : ان كنت تريد شراءه فعجل بالثمن ، وان كنت تريد ان تحفظ ما فيه فهذا لا يكون الا في اكثر من شهر . فقال المتنبي : ان كنت قد حفظته آخذه بغير ثمن ؟ فقال الدلال نعم . فشرع المتنبي يسرده عليه حتى اتمه ثم وضعه في كمه وانصرف به .

الاستقلال الاقتصادي

بقلم : مؤسس العرفان

يقول الكاتب الصحفي المشهور الاستاذ زهير مارديني في كلمته عن مؤسس العرفان في كتابه « عشرة من الناس » الذي حواه العدد الثالث من العرفان اذار سنة ١٩٧٥ ما نصه :

« وعلى الجمهور العربي ان ينتظر نصف قرن او اكثر بعد الشيخ ليقرأ بالعربية ما كان ينشره الشيخ من افكار لو ترجمت الى جميع اللغات لما فقدت سحرها !

لقد صدق الاستاذ زهير ، فها هو مقال في السياسة والاقتصاد كتبه الشيخ سنة ١٩٢٧ في المجلد الرابع عشر من العرفان اي منذ خمسين سنة . فهل يرى القارىء في برامج الاحزاب التقدمية اليوم التي يفاخرون بها ويتمسكون بتنفيذها افضل من هذا البرنامج الذي يحويه هذا المقال ، الذي هو من اعداد الآنسة سلمى محي الدين وقد نقلته عن مجلد قديم وجدته عند والدها ، كما طلب منا الكثير من القراء اعادة نشر مقالات مؤسس العرفان كلما سنحت الفرصة .

ومع ذلك فقد اعترض علينا احدهم مدحنا والدنا كثيرا بنشرنا نفحة العرفان في كل عدد عنه . فالذي خدم « العرفان » خمسين سنة ، الا يحق له ان يحتل نصف صفحة في كل عدد منها ؟! قاتل الله الحسد .

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالناس اعداء له وخصوم

***

وهذا هو المقال :

الاستقلال كلمة محببة للنفوس ، خفيفة على الارواح ، لطيفة على السمع ، تدخل الآذان بلا استئذان ، وتحل حبات القلوب ولا يؤثر الاستعباد على الاستقلال والعبودية على الحرية الا كل سفيه جدير ان يحجر عليه ، ولا ينظر له بعين الاحترام فجزيرة العرب وما اليها من اقصاها الى اقصاها تحن لهذا الاستقلال وتصبو اليه ولسان كل عربي ينشد :

الا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي النقا اني اذا لسعيد

وقد قام منا فئة كبيرة ينشدون الاستقلال ويتطلبونه من مظانه ويسعون له سعيه ، سواء اكان ذلك في القلم او في السيف ولئن خابت جل المساعي اليوم فلعلها وعساها تثمر غداً :

وقل من جد في أمر يحاوله وحاول الصبر الا فاز بالظفر

بيد انا وجدنا بعد الاستقرار والتجاريب ان سعينا للاستقلال الاقتصادي افضل من سعينا للاستقلال السياسي الان لان الاخير بعيد التناول يحتاج لكثير من التضحية التي لم يقدم عليها الا الاقلون الذين لا مال لهم ولا نشب . على ان كل امرىء ميسر لما خلق له فليسع اولئك الافذاذ سعيهم ولتصرف باقي الامة جهودها في سبيل الاستقلال الاقتصادي الذي يرفه العيش ويوفر المال ، ويحسن الحال ، ويكون نواة صالحة لغيره والمستقبل كفيل بتحقيق الآمال وانجاح الاعمال .

ورب معترض يعترض ويقول واني لنا بالاستقلال الاقتصادي اذا لم ننل الجمركية المتواصلة التي ضاع معها كل اقتصاد واودت او كادت تودي بموارد البلاد ، فأجيب اني اعرف ذلك حق المعرفة واعرف ان الذين بيدهم السلطة من اجانب واقارب يمتصون دماء الشعب ويقضون على اقتصادياته قضاء مبرما وهل الاقتصاد الاوسط بين البخل والاسراف وهم قد اسرفوا واسرفوا كثيرا في الضرائب وبخلوا بل بخلوا كثيرا في الاصلاح فعملهم قضاء مبرم على الاقتصاد لكن كل ذلك لا يجعلنا نقع في هوة اليأس ولا نعد للامر عدته وها أنا ذاكر امام القاريء الكريم بعض الاقتراحات الموصلة للاستقلال الاقتصادي فان صادفت اذنا صاغية ونفسا واعية فهو القصد والا فما هي اول الصيحات التي ذهبت في واد ، وما أدراك ان تذهب غدا بالاوتاد ، وهاك الاقتراحات :

١ ــ ترويج البضائع والمنسوجات الوطنية والتعاهد والتضامن على الامتناع من مشترى سلعة اجنبية او طعام او شراب اجنبي يمكن الاستغناء عنه بمصنوعات الوطن ومحصولاته .

٢ ــ تنشيط ارباب الصنائع والحرف وتجديد الانوال التي كانت في بعض القرى بتأمين رأس مال لها وابتياع ما تصنعه بأسعار تعادل نظيرها من المصنوعات الاجنبية .

٣ ــ التذرع بالوسائل الممكنة لايجاد معامل للسكر بزرع الاراضي الواسعة من الشوندر وايجاد معمل للعطورات في الاكثار من زرع الورود والبنفسج والياسمين والعنبر وغيرها من الرياحين ذات الرائحة العطرة .

٤ ــ ايجاد بنك اهلي على نحو البنك المصري الاهلي يتقاضى ربحا معتدلا ويستغنى بواسطته عن البنك السوري اللبناني الذي يبتز اموال اهل البلاد ويتحكم بهم تحكيم السيد بالمسود وهو يأخذ في الظاهر في المائة ٩ ــ ١٢ ــ لكن في الحقيقة تبلغ مئته غالبا العشرين لما يجري من التصعبات والتحكمات ومع ذلك فالمضطر لا مندوحة له عنه ويراه أسهل من غيره من المرابين الطماعين وجل تعنت هذه المؤسسة من بعض المديرين الجاهلين والمستفيدين النفعيين ولو تأمل اغنياء البلاد بعين البصيرة لسعوا للبنك الاهلي سعيه ليكون نواة طيبة للاستقلال الاقتصادي وليدر عليهم الارباح الطائلة ويخلصهم من مخالب ذاك البنك الاجنبي وتعنت مستخدميه

٥ ــ المدارس الوطنية وهي ان كانت أعم من موضوعنا فلها أتم التماس فيه وكيف لا تكون كذلك وقد أصبح تعليم ابنائنا في مدارس الاجانب حتما مقضيا فبدلا من ان تتسرب اموالنا لجيوب الاجنبي مع تسميمه لاولادنا ورجال مستقبلنا ومع عدم عنايته التامة بشؤونهم وطعامهم وراحتهم وهو مع ذلك يتقاضى منا الاجور الباهظة التي تثقل الكاهل فلماذا لا ينشيء اغنياؤنا المدارس الوطنية لا بقصد نشر العلم بل بقصد الربح والتجارة وأي تجارة رابحة خير من المدرسة وحبذا لو جربوا ليعرفوا صدق كلامنا لكن بشرط تجويد العمل وتسليم الادارة والتعليم للجنة امينة مستقيمة واذا لم يفعلوا فالذنب ذنبهم وماذا بعد الحق الا الضلال .

٦ ــ ايجاد مصرف عقاري زراعي لاعانة الفلاح وجلب الآلات الحديثة له وحثه على غرس الاشجار وتربية الماشية والطيور والا فبقاؤه على هذه

الحالة ليس من الاقتصاد في شيء •

٧ ــ تأليف لجنة من رجال ونساء لحث الناس على ترك الاسراف ولا سيما في الملابس التي تذهب هدرا وحملهم على ترك شرب المسكرات والتدخين واستعمال انواع المنبهات فان في تركها اقتصادين اقتصادا ماليا واقتصادا صحيا •

٨ ــ ايجاد صناديق للتوفير او الاقتصاد في كل بلدة يضع بها كل فرد خمسة بالمئة من مدخوله لتكون عونا له حال فقره وعجزه او تبقى ذخيرة لولده بعد موته او يعود نفعها على امته وبني جلدته •

٩ ــ تطبع النشرات التي تحث على الاقتصاد وتبين فوائده وتنشر في كل صقع وناد وتعطى كل رائح وغاد •

١٠ ــ تؤلف جمعية للاستقلال الاقتصادي ويكون مركزها دمشق او بيروت ويجعل لها فروع في كل مدينة وقصبة بل في كل بلد وقرية ومزرعة ويسهل الدخول بها لكل احد وتكون عاملة على بث روح الاقتصاد في البلاد والتذرع بالوسائل اللازمة لتنفيذ المواد المتقدمة ولا تدخل بها السياسة العالمية ولا السياسات المذهبية •

هذا ما رأينا ان نعرضه على الرأي العام ولعل الرصفاء الكرام أصحاب الصحف يعيرونه جانبا من التفاتهم ، ويولونه بعض ثقتهم ويفسحون له حقلا واحد من صحفهم فأنه خيرا وابقى مما يطيلون به الجدال ، والقيل والقال ، من مباحثات النواب العقيمة واعمال الوزارة ، وحوادث السياسة المفؤودة ، وهم مما تصطك لهوله المسامع وتقشعر لفظاعته الابدان ، ولئن كنا نرى آثار النعمة واليسار ومتابعة البناء والعمار في بيروت مثلا فتلك موروثة او امال جلب من بلاد المهجر ولولا الهجرة لوقعت البلاد في هوة من الافلاس لا تقوى على النجاة منها ومع كل ذلك فسوق الافلاس رائجة والحالة الاقتصادية في اغلب الاماكن تدعو لليأس والقنوط وتوجب علينا ان نعد لهذا الامر عدته فقد استفحل لعمر ابيك الداء وصعب على الناس تجرع الدواء لانه مر ، وكم من

مرارة اعقبتها حلاوة الغنى والثروة الطائلة ولو نظرنا الى بلاد الغرب لوجدناها سالكة سبيل الاقتصاد جادة في زيادة ثروتها وتكثير دخلها وما مثلنا ومثلهم الا مثل الساقية الصغيرة والنهر الكبير ، هم يجدون في انماء ثروتهم الطائلة ونحن نجد في تبديد ثروتنا القليلة الزائلة فهل نسعى للاستقلال الاقتصادي سعيهم ونعد له عدته ، ونبذل في سبيل تحقيقه ما عز وهان ام نبقى مستسلمين لحكم القدر اجراء للافرنج نكد ونجد ونسعى ونبذل عرق الجبين لتحصيل فلس او قرش سوري لنضعه في جيوب الاوروبيين ثمن خرقة قماش او كأس شراب او كيس تراب او ساعة خلاعة ورقاعة • طفح لعمرك الكيل ولم يعد في قوس الصبر منزع ولا في حسن الحال مطمع • فالى الاستقلال الاقتصادي أيتها الامة الاسيرة المستعبدة المغلوبة على امرها فقد كفاك تأخرا وتقهقرا فأصدعي بما يجب عليك لتكوني من الامم التي يكتب لها الحياة في صفحة العزة والعظمة وأباء الضيم •

اذا أنت لم تزرع وابصرت حاصدا
ندمت على التفريط في زمن البذل

احمد عارف الزين

حيلة ظريفة

* فكر احد الادباء في طريقة للتخلص من زيارات الثقلاء فكان يحتفظ بعمامته وعصاه بالقرب من باب مسكنه ، فاذا دق الباب اسرع ووضع عمامته على رأسه ، وامسك بعصاه ، ثم يفتح الباب فاذا ظهر ان الزائر غير مرغوب فيه قال : كم انا سيء الحظ لانني خارج لمقابلة متفق على موعدها من قبل ؛ اما اذا كان الزائر محبوبا لديه فيقول : كم انا سعيد الحظ لقد عدت من الخارج الان •

بعد ١٩ شهراً من « المذبحة » :
هل ينطلق لبنان من نقطة الصفر ؟!

بقلم : زهير مارديني

ماذا يخبىء القدر للبنان الكيان ، ولبنان الحاضر ، لكــي لا نقول لبنان المستقبل ؟

ومع اننا نؤمن بالمثل الــذي يقول : اذا قامت القيامـــة فسوف أغـــرس شجرة ... !

ومع انه لا معنى للغرس ، ولا معنى للشجرة ، لانــه لن يستفيد منهــا احد ... فاننا لا نزال نصر على تفاؤلنا الطفولي المنطلق مـــن غريزة العمـــل و .... الامل ..! العمل حتى اخر رمق من الحياة ، والامل حتى لو لم يعــد هناك معنى للامل ..!

انها (غريزة) النحل الذي يمتص الرحيق مـــن كـــل زهرة ، ثم يفرزها عسلا لا يتذوقه بعد ذلك ... بل ان الانسان يجيء ويستولي عــــلى هــذا العسـل ... ولم يتعلم النحل في مئات الالوف من السنين ان يكف عن هــذا العمل المجنون ..!

ان الاجتماع الذي عقده المجلس النيابي في قصر منصور لمنـــح حكومة الدكتور سليم الحص الثقة هو الشجرة التي علينــا ان نسقيها ونرعاها لكـــي تنبت حبا وسنابل بعد ان قامت القيامة ، وانتصب الميزان ، وتحول لبنان الــى فوضى ... لا امن ، ولا من يشفقون ... بلد يحكمه القتلــة ، واللصوص ، وشريعة الغاب .

فما جرى في لبنان على مدى تسعة عشر شهرا ، ليس له مثيل في العالم ، سواء كان ذلك في التاريخ القديم ، او التاريخ الحديث ..! ان كل الاوصاف التي اطلقتها الصحافة العالمية عــلى احداث لبنان ، مـــن حرب اهلية ، الــى اقتتال ، الى حرب قذره ، الى غير ذلك من التعبيرات ، لا يمكن ان تعبر عـــن

الواقع ، لان ما جرى في هذا البلد الآمن، هو الجنون بعينه، بل هو الوحشية، والهمجية ، والبربرية ..!

ان الذين راهنوا على هدم الانسان في لبنان ليقيموا عـــلى الانقاض مجتمع الغابة ، قــد نجحوا الى ابعد الحــدود ... لقــد عقد هؤلاء تحالف جهنمي مع الدم ، والخراب ، والبغض ...! لدرجة ان منظر الجثث التي كانت تلقى بالعشرات على الارصفة في المعرض والتباريز وامـام سينما الريفولــي و ... و ... منها المحترق ، ومنها المشوه تماما .. شيء لم يكن يلفت النظر كثيرا ... فمن وراء النوافذ كنا ننظر الى هذه الجثث ، فنجد اعدادها تزيــد ساعة بعد ساعة ... منا من كان ينظر اليها في بلاهة .. ومنا مــن يضع يده على عينيه محاولا اخفاء هذا المشهد عن نظره ...

واذكر هنا حادثة عشتها بنفسي ... فامـام مستشفى البربــير ، وكنا ننقل عائلة من مبنى الامن العام الى المطار ، شاهدنــا رجــلا يطلــق رصاص (الكلاشنكوف) بغزارة على المارة ، وكان يقود سيارتنا ضابط من امن الثورة الفلسطينية ، فسرعان ما اوقف موتور السيارة والقى بنفسه علــى المجنــون مطلق النار ، ولكن المجنون افلت من يديه واندفع الى الامام مواصلا اطــلاق النار ... واستطاع الضابط ان يلحقه ويقبض عليه بعد ان قتــل اربعة شبان من المارة ... واقتاده الى مركز امن الثورة .. وهناك عرفنا ان المجنون عــاد الى بيته فوجد ان شقيقته وابنه قد قتلا في البيت دون سابــق انذار ، فحمل سلاحه واندفع يقتل الناس دون تمييز .. حين عدنا الـــى السيارة لنستأنف طريقنا وجدنا انفسنا في حالة اغماء ... وكــان الجميع يتقيأون بما فيهــم الضابط ...

ولكن ، هل ارتوى القتلة والسفاحون من كل هذه الدماء التــي اغرقت شوارع بيروت والسهل والجبل ، ام انهم لم يرتووا حتى الان ...؟

من المؤكد ان الذي مارس القتل والقنص على مدى شهور السنة ما يزال متعطشا للدماء ، لهذا لا بد في عهد الرئيس سركيس مــن زرع شجرة التفاؤل والامل ... لعل وعسى ...!

لقد شاءت الظروف (كما قالت جريدة لوموند الفرنسية) ان تبدأ هذه الحرب يوم ١٣ نيسان من عام ١٩٧٥ ، ولم يكن هناك احد يتصور على الاطلاق في يوم ١٣ نيسان ان حادثة (باص) عين الرمانة مهما بلغت حدتها ـ حيث اسفرت عن مصرع ٢٧ فلسطينيا ولبناني واحد ـ ستقود لبنان بلا رحمة الى الحالة التي آلت اليها ! ...

ففي خلال ١٩ شهرا سقط اكثر من خمسين الف قتيل وثلاثة اضعافهم من الجرحى ، وبمقارنة هذه الارقام مع مجموع تعداد الشعب نجد ان نسبة الضحايا الى عدد السكان تبلغ واحد الى ٣٨ ، واذا اخذنا بعين الاعتبار ان ـ ٨٠٪ ـ من الضحايا سقطوا في بيروت وحدها ، وبالمقارنة الى عدد السكان الحاليين في العاصمة اللبنانية (عددهم ٦٠٠) الف نسمة ، بعد ان كانوا مليونا قبل اندلاع المعارك ، فان هذه النسبة المروعة والمذهلة ، تصل الى ضحية واحدة بين كل (١١) شخصا بما فيهم الاطفال والنساء والعجائز ...

ان هذه الحصيلة من الضحايا رافقها حصيلة افجع من الدمار ...

ذبح جماعي ... عائلات باكملها ذبحت كالنعاج .. وليت الامر انتهى عند الذبح ، بل شوهت الجثث بعد ذلك ...

بيوت تهدمت على اصحابها ... وما زالت قوات الردع تخرج الجثث من تحت الانقاض !

اطفال ابرياء ، اعمارهم لا تزيد عن السنة الواحدة ، اصبحوا لقطاء في الشوارع ... لا احد يدري ان كان اباؤهم وامهاتهم على قيد الحياة ام ماتوا ، بل لا احد يدري من هم هؤلاء الاطفال لانهم لا يستطيعون الكلام !

مدافع من عيار ـ ١٢٠ ـ و ـ ١٥٥ ـ ، وصواريخ من كل الانواع ، تطلق على الاحياء السكنية ، والمناطق ، تهدم وتقتل وتبيد ، دون رحمة او شفقة ...!

حصار تمويني يفرضه كل شارع على الاخر ... وكأن القنابل التي

اما القصور ومنها قصور الامراء في المصايف فلم تنج من الهدم والنهب .
قصر امير الكويت وصل اليه اللصوص ... لقد داهمه عشرون مسلحا ، وبدأوا في نقل محتوياته ... وعلمت قيادة الجيش بذلك فبعثت بثلاث مدرعات ، وحاصرت القصر والقت القبض على اللصوص ... وفي اليوم الثاني جاءت عناصر اخرى مسلحة ، وطوقت بيت الضابط الذي قاد الحملة وطلبت من سكان البيت ومنهم زوجته وابنه العمل على اطلاق سراح رفاقهم والا فانهم ينسفون المنزل بما فيه ومن فيه ، وفي هذه الاثناء مر مصادفة شقيق هذا الضابط ، وشاهد المسلحين الذين يحاصرون منزل شقيقه فأسره مستنجدا بالقيادة العسكرية ، فجاءت قوات من الجيش ، والقت القبض على هذه العناصر الذين اعترفوا في التحقيق انهم يشكلون عصابة مع زملائهم مهمتها السطو القتل والتخريب ، حتى تظل البلاد فريسة الخوف والفوضى ...

ومن يطالع الصحف الاجنبية خاصة يقرأ تفاصيل سرقة قصور امراء الخليج ، واخبار العصابات الدولية التي أمت لبنان لمشاركة المجرمين في عملية السلب والنهب والفتك بالابرياء ...

لقد اصدرت الغارديان البريطانية ملحقا خاصا عن القتلة والسفاحين ، تحدثت فيه عن هرب المجانين من (العصفورية) الذين راحوا يفرون من القنابل صارخين :

(اهربوا ... لقد وصل الينا المجانين) ..!

على هذا النحو قتل الوطن ، واجتمع المجلس النيابي في قصر العسيلي ومنح حكومة الدكتور سليم الحص ثقته وكان معنى هذا ان الحل العسكري قد فشل وان الحل السياسي هو البديل المتوفر ... ولكن ... هل استقامت الامور ، وقنع الجميع بان فوهة البندقية لا تحل المشاكل بل تعقدها وتزيدها اضطرابا ؟ الكل يرددون الآن :

هدأت ... ولم تهدأ ..!

ولاول مرة منذ ١٩ شهرا ينام الناس على الامل !!.

والذين لا يملكون السلاح ارفقوا املهم بالاكثار في الصلوات ... ذلك انه لم يحدث في التاريخ الحديث ان حصلت (مذبحة) كهذه المذبحة التي دخلت شهرها التاسع عشر ...

ان دخول السنة الثانية على هذه (المذبحة) يطــرح السؤال الكبير مــا الذي ستلده المذبحة ؟

هل هو لبنان جديد خارج من الدمار اكثر تماسكا من ذي قبل ؟

ان اعادة لبنان القديم يكاد يكون من المستحيلات ••• ولا بــد مــن الاتفاق على اي لبنان يريدون ؟

وقبل الاتفاق على هذا يظل شبح (المذبحة) مخيما فوق الرؤوس ••• خاصة بعد ان سقط الوطن •••

صحيح ان المجلس النيابي هــو الذي انتخب رئيس الجمهوريــة الا ان المسألة في هذا الاطار تبقى شكلية ، او اقــرب الــى الشكليات منهــا الــى الحقيقة •••

فقبل الانتخاب هناك الاختيار ••• وفــي الماضي القريب ، وبالتحديد حتى انتهاء ولاية فؤاد شهاب كانت القوى والجهات التي شاركت فــي اختيار رئيس الجمهورية هي حسب الاهمية والتأثير :

امريكا ، مصر ، البطريركية المارونية ، اصحاب المصارف ، اقطاب الطائفة الاسلامية ، الجيش •••

وبعد ذلك حدث تداخل في هذه القوى والجهات نتيجــة ابتعاد البعض لاسباب مختلفة ، وبروز مراكز قوى جديدة تملــك السلاح والنفوذ والدعم الدولي •••

منذ ايام والتكهنات تجزم بان هناك شبه اتفاق على حصر المعركة داخل الاطار اللبنانية ، وانه لولا هذا لما اجتمع المجلس وانتخب رئيسا للجمهورية •• ولكن ما هو موقف القوى الجديدة التي افرزتها (المذبحة) ؟

نلاحظ هنا ان القوى والجهات الجديدة التي يقع علــى عاتقها استمرار الهدوء لا تزال في مرحلة تفجير التناقضات ، ولكنها في النهاية ستجد القاسم المشترك بعد ان مل الحرب منها •

نقول هذا من باب الامل فقط ، ونحن نزرع الشجرة مــع بداية العــام الثالث للمذبحة ••• لقد سقط النظام وبقي اطاره ، وتلك معادلة جديدة فــي تاريخ لبنان ••• ظاهرة جديدة لم تحدث وقد ماتت في شعوب اخرى •

مات الشعر
.. وبقي عار ، المذبحة ، !

بقلم : زهير مارديني

اضرب هـنا اخـوك ... واطعن فـذاك أبـوك
الست فناص حـي ... اقـام فيـه ذووك ؟
بني عمومتك الاقربـون ... بـل هـم بنـوك !
سلط عليهم رصاصاتك ... واسحق فهـم اهلوك
ويرحم اللـه مـن ... اذ رحمت لـم يرحموك

هذه الابيات من الشعر هي اخر كلمات الشاعر ... قبل ان يلفظ انفاسه الاخيرة !

فعلى دوي رصاص المذبحة في لبنان ... كان فم الشاعر يقذفها في كلمات ساخرة متنطمة مع الآهات والدموع والحرقة ..!

قائل هذه الابيات من الشعر هو الاديب العربي الذي اصدر قبل اكثر من نصف قرن (٦٠ عاما) جريدة (لسان العرب) ثم شارك في اصدار عدة صحف منها :

(المفيد ، الحياة ، الدفاع) ، واذا لم تخنـي الذاكرة فانه كان من المساهمين في تحرير جريدة (ام القرى) التي بشرت بالثورة العربية في عهد شريف مكة الملك حسين الكبير ..

قائل هذه الابيات كان من الشخصيات العربية اللامعة ، ومن افراد العصبة التي قادت النضال العربي منذ مطلع القرن الحالي ... ولانه كان كذلك حكم عليه بالاعدام مرتين من جانب فرنسا ، الاولى عام ١٩٢٠ بعد موقعة ميسلون ، والثانية عام ١٩٢٥ وقت انتفاضة الشعب العربي في سورية ضد الاحتلال ...

قائل هذه الابيات هو الاديب الذي اصدر ـ ٨ ـ دواوين شعرية ، وذلك غير ديوان (عبث الشباب) الذي اعده ثم احترق ، ففرح واستراح مما

قائل هذه الابيات من الشعر الحزين ... الحزين ... هو الشاب الذي ولد في دمشق مع ولادة البراكين المتفجرة في كل صقع من اصقاع العروبة .. ولد مع الثورات الآخذ بعضها باعناق بعض كأنما هـي سلسلة محكمة الوضع لا تكاد تخبو في بلد عربي محتل حتى يندلع لهيب غيرها فـي بلـد اخر ... فمن ثورة في العراق ، الى ثورة في المشائر ، ومن ثورة في الريف الـى ثورة في الشام ، وبين هذا القطر وذاك جمرات يسترها رماد ، وايد تمتد ولا بد لها من مس الزناد ... والاجنبي يقلب وجوه الرأي فيعمد الى اساطيله ومدافعه وطياراته تارة ... ويعمد على الاخذ بالترغيب والحيلة طـورا ... وما هـو بالحالين ببالغ من نفوس هذه الشعوب غافية ... اما الاجسام فالتسلط عليها بالنفي والاعدام والاحراق ...

بهذه الروح تـسعر وقد الثورة في نفوس ابناء العروبة (الابلة في ذلـك الوقت) ... ومن هؤلاء شاعرنا الذي آمن مع طلائـع ثوار العربية بمبـدأ التخلص من الاجنبي الغاصب مهما بلغ الثمن ... فخرج مـع الخارجين حين اطلقت الرصاصة الاولى وهوى الشهيد الاول ...

هكذا تعرف شاعرنا على ثورة العرب الاولى ... ورأى بام عينيه روح الضراوة والبغي والطماعية تغلي في مرجل سلطـة الاجنبي المحتـل ، وعاش باكورة شبابه تلك المرحلة من حياة عرب ما قبل البترول ، يوم هب الاجنبي في وجه الثورة يقتاد الجيوش ويقذف المدمرات ويأخـذ المسالم بأسم المقاوم ، ويقتل الرضيع والامنة في خدرها انتقاما من الثائرين علـى الظلم واهله ... فاذا المظالم تمتد امتدادها القطيع في المـدن والقرى ... وتتناول رجالهـا ونساءها واطفالها وشيوخها بالقتل والتغريب والفتك والتعذيب ...

ورأى الشاعر المعارك في دنيا العرب بكل هولها ... رأى المدن تتهدم ، وخيرة الرجال تقتل .. فانطلق يصف المعارك ويرثي الشهداء ، ويعتب عـلى المتخاذلين ، ويلعن الظالمين ، ويستصرخ الهمم ... فاذا بجيل عرب مـا قبـل البترول المتعلق بالحرية وشرفها ، والاستقلال وعزتـه ، والنضال وبراءته ... اذا بهذا الجيل يتعلق بالشاعر وشعـره فيحفظه فـي الصدور ، ويتدارسه

الناشئون في المدارس ، ويتناشده الفتيان في انديتهم ومحافلهم ، ويستشهد به الكتاب والادباء في مقالاتهم اللاهبة ...

وكان عرب ما قبل البترول يتكلمون لغة واحدة ، ويؤمنون بفكرة واحدة هي العروبة ، ويناضلون من اجل هدف واحد هو الحرية بمعناها ومبناها ...

فحين تتعرض سورية الى طغيان الاجنبي المحتل اثر ثورتها الاولى ، تقام في القاهرة حفلة لاغاثة منكوبيها فيقف امير الشعراء احمد شوقي ويقول :

سلام من صبا بردى ارق ... ودمع لا يكفكف يا دمشق

اما شاعرنا فيقف ليقول :

الاهل اهلي والديار دياري ... وشعار وادي النيرين(١) شعاري
ما كان من الم بجلق نازل ... واري الزناد فزنده بي واري
ان الدم المهراق في جنباتها ... لدمي وان شفارها لشفاري
دمعي لما منيت به جار هنا ... ودمي هناك على ثراها جاري

ويرثي الشاعر الشهيد فؤاد سليم بقوله :

صدقت والله وعدك ... لاجف دمعي بعدك
فؤاد ما مات من جد ... للاماتي جدك
قد كنت لي الف هم ... وكان سهدي سهدك
عودتني القرب حتى ... ما كنت احذر بعدك
وبت ابكيك وحدي ... وانت في القفر وحدك
يا ليت انك عندي ... او انني كنت عندك
اذا لخففت ما بي ... او كنت اسكن لحدك
قضيت حق العوالي ... وانت تقتاد جندك
عانت المجد حتى ... ادركت بالموت مجدك

وتمر سورية في محنة دامية اثر ثورتها الاولى فلا يثور لبنان من اجل الجار الجريح ، فيعاتب الشاعر لبنان بهذه الابيات :

لا تاس جرحك ما للجرح من اسي ... قد يعدل الامل الاغراق في الياس
كان الرضى وظلال الحب وارفة ... واوحشتك الليالي بعد ايناس

عشنا تلـــذ بها الكاس مــن شبم دهرا ونجرع مـا الهم مـــن كاس !
اخوان مـا تلــد الايــام مــن كدر ومــــن صفاء ومـن امــن وايجاس
لظبي لبنان مرعى في دمشق وفي مروج لبنان مرعى ظبـــي (داماس)
صلات حب عراها غيـــر واهيــة وفي الزمان لهـــا اركـــان آساس
صلات محيا وانساب زكت ، ودم شــــاب انفـاسـا بانفـاس
جنى علينـا فاض الحـقد مثلمـا ناس كانهــم ليسوا مــن النــاس
تناولتها عـــوادي غــاشم شرس صغـار تقلب فـي الآثـام دساس
لارهطه رهط قومـي حين تنسبه ولا ذووه بمـــرضيبيـــن اكيـــاس
من معشر قبس الناس الهدى وابوا الا الضـلال فرامـــوه بمقيـــاس
مستذئبين عتـاة لا قلوب لهـــم كانما خلقــــوا مــن جلمـد قاس !
اذا انتحيت امرءا منهـم بواضحة اشـــباح يضرب اخماسا لاسـداس
كانما خلـق اللـه العبـاد ضحى وكان خلقهم فــي حالــك عـاس !
تحرروا مــن رباق النيل وانقلبوا عبـدان اطمـاع افاقيـــن انكاس !
يا جيرة الشام اقضضتم مضاجعنا بغيـا علينـا وتازيـــرا لمجتـاس !
ان كان سركم ماساة غيركم .... ! فللحوادث صبح بعــد اغــلاس !
ثرنا على الظلم خوضا فـي غياهبه مسترشدين مـــن البلوى بنبراس
صدعا بحق وذودا عن تراث عـلا اميــة اورثتـــه آل عبـــاس ..
نشري بحر الدم استقلالنا ونقـي مواطن الطهـر مــن عـاب وادنـاس
.. لا ننكس الراس والارزاء قائمة يابى الحرار علينـــا نكسة الــراس
ونركب المـوت للغايـات نائيـــة ان فات ادراكها ركبـــان افـراس
من كان يحفزه للحــــق حافزه .. لــم يـــدرع بمجنــات واتـراس
والحـق مطلبـه بالغصب منصلتا لا بالحـوار ولا تخطيـط قرطـاس

الى ان يقول :

الله يعلم انـــا كلنـا عرب .... وان ابيتم فما في الامر مــــن باس !
كونوا سلائل (فينيق) او انتسبوا الى عناصر لــم تخلـق واجناس !
وانكروا ما استطعتم نطـق ناسكم ان كان ينكـــر فيكم نطـــق نياس
لا يبلغ الخطب فينا صوت مأذنـة يومـا ولا يتناول قـرع اجـراس !
مـا كان للدين مـا تدعوكم فئـــة اليه مـــا الدين الا عـدل قسطاس
الشيخ معتكف فـي بطن مسجـده فمـــا لمطـران اقــوام وشمـاس
قيسوا الامور بمقياس لكـم ودعوا سواكـــم ليقيسوهـــا بمقيـاس

في عام ١٩٢٢ وفي عمان ينشد الشاعر هذه الكلمات :

متى ترى تبسم لـي يا زمان !
الا جنـــــان ؟

اسلمتني ! لا انس لي لا امان !
الحـــدثـــان !

عيناي لــا تبرحـــا تجريــان
تصـــاختـــان

ابكـي ربوعا لا تطيق الهـوان
رهــن امتحــان !

ابكـي ديــارا خلقت للجمــال
ابهـــى مثـــال

ابكي نفوسا قصـــدت بالرجال
عـــن النضــال !

ابكي جــلال الملك والملك جل
ظـــي خيـــال !

* * *

مـا فرحابـي وجنان الرحاب
اضنت بيـــاب !

مـــا البنيهـا فـي اكتـئـاب
اسـرى عـــذاب

ما بال شيب عربهـا والشباب
غيـــر غضـــاب ؟

الناس يبنـون وما في الديار
غيـــر الدمـــار

اما ترى الغرب تعلى وطار ...
فـــوق البحــار ؟

وامتـي هاويـة فـي انحدار
بئـس القـــرار

* * *

ايـن بنـو هاشـــم الاولـون
ايـــن البنـــون

ايـن بنـو اميـة القاتحــون
يتقمصـــون

ايـن بنـو العباس اهل الفنون
يحتكمــــون ؟
ايـن بنـو فاطمة الغابرون ؟
هـل يبعثـون

★ ★ ★

يا زمن الشؤم . سقيت الشآم
كـأس حمـام
القبلتـان اشتكتـا والمقـام
ممـا نسـام !
الى متى نبقى اسارى انقسام
ونستضـام !

ويشاء زمن الشؤم ان يعيش الشاعر حتى يـرى كأس الحمام يسقـي للاقطار العربية قطرا بعد قطر ولا يبتسم الزمان لا للشاعر ولا لامتـه فيقضي ايامه الاخيرة في منزله القريب من البحر (الروشة) يبكي الانقسام ، ويبكـي ما هو اهم من الانقسام ... يبكي الاقتتال الوحشي ...!

في شبابه البكر انشد للثوار ، وفي شيخوخته لعن اشباههم ...

ما حل بالشاعر حل بكل عربي عاش المذبحة فـي لبنان وتعايش مـع مآسيها وجرائمها ... وما حل بهذه الامة فـي لبنان شيء فظيع ... فليس سهلا على الشاعر ان يرى امانيه تتبخر ، واحلامه تدفن ، ومعتقداته تذبح ...

ثمانون ... تسعون ... عاما مضت والشاعر يعتلي المنابر مدافعا عـن العرب ومجد العرب وتراث العرب ، وحين يقعده المرض يسمع باذنيـه شتيمة العرب من افواه بعض العرب فيحترق من داخله ... ويصرخ :

اضرب هنا اخوك   واطعن فذاك ابـوك
ويرحم الله مـن   اذا رحمت لم يرحموك

ثم غاب عنا والى الابد في هدوء ودون ضجيج ...

غاب عنا شاعر الشام خير الدين الزركلي دون ان يودعه احد ، ودون ان يدري احد انه مات ...

وحتى الصحف اللبنانية التي كانت تصدر وسط الدمار والخراب لم تكتب عنه سطرا واحدا لانه لم يحمل (البازوكا) ولم يطلق مدفعه على الابرياء ...

ولا اعتقد ان الجيل الجديد الذي اشترك في المذبحة او لعنها يعلم اي شيء عن هذا الشاعر الذي سطر في التاريخ العربي صفحات خالدة ستبقى ما بقي لعروبة ما قبل البترول اسم في عالم الوجود ...

فمنذ ظهور البترول في دنيا العرب اختفت سير الرجال ، وجهلت الاجيال ايات عظات الوطنية ومنار الاخلاص في سبيل الحرية والاستقلال ... وغاب عن الوجود حكايات شعراء الثورات العربية ، شهداء الحق في دفع الباطل ... وقصص شهداء الحرية في خلع انيار العبودية ... فكانت النتيجة ما جرى في دنيا العرب من مجازر كان اخرها (مذبحة لبنان) ومات الشاعر ..! الذي صرخ مرة في وجه المندوب السامي الفرنسي « ساراي » :

اجهر برايك لا ياخذك ترويع لا ينفع الصوت الا وهو مسموع

زهير ماريني

عمود الجمال

* قالت امرأة خالد بن صفوان له يوما : ما اجملك ؟ قال : كيف تقولين ذاك ، ومالي عمود الجمال ، ولا علي رداؤه ولا برنسه ؟ قالت : ما عمود الجمال وما رداؤه وما برنسه ؟ قال : اما عمود الجمال ، فطول القوام وفي قصر . واما رداؤه فالبياض ، ولست بأبيض . واما برنسه فسواد الشعر ، وانا اصلع . ولكن لو قلت : ما أحلاك وما املحك كان اولى .

١ ـ « النيربين » وادي النيربين : موضع فيه بساتين ورياض كان مدخل دمشق للقادم عليها من غربها .

مطلوب إنشاء مؤسسة لدراسات الوحدة العربية

بقلم: الدكتور جورج جبور

ـ ٢ ـ

كتاب يقظة العرب لجورج انطونيوس يخضع منذ اوائل الستينات لهجوم مركز يشنه عليه ايلي خدوري وزوجته سيلفيا حاييم (وكلاهما صهيونيان اخصائيان في القومية العربية ، مقيمان في لندن) . محاور الهجوم : عاطفية الكتاب وعدم علميته وجديته اكاديميا ، وبريطانية ولاء مؤلفة (١) الخ ...

غياب التمييز العنصري في الاسلام يتعرض لعملية « اعادة تقييم » كبرى احدى ابطالها برنادرد لويس . في اختصاص من يدخل « برنامج » الحصول على كتابه الجديد بعنوان الاسلام والعنصر ، والرد عليه ليس بالعربية فقط ؟ (٢) .

اعلانات في صحف الغرب يبدو فيها « بدو النفط » يتلالئون اشعاعات ذهبية وهم يودعون اموالهم في حسابات سرية بمصارف سويسرا . ولنتذكر ان جهود اللجان المعروفة باسم « لجان مناهضة السامية » ، قد توصلت الى تحريم استعمال الانف الاقنى في الاعلانات للدلالة على الاهتمام بالمال .

ـ وثمة مهمة كتابتنا لتاريخنا ، وهي المهمة التي كتب فيها الكثير .

ـ وثمة مهمة زيادة معرفتنا بأنفسنا معرفة نقدية . وانني لاعجب

---

١ ـ في مجلات :

Dic WELT Der Islam
Middle Eastern Affairs

(من الذاكرة ، وليس بين يدينا في دمشق نسخ من هذه المجلات لذكر المرجع بدقة) .

٢ ـ انظر مثلا ردا على لويس بالعربية نشره عبد الجليل حسن في مجلة الكاتب المصرية (نيسان ١٩٧١) ، الموجه الى قراء نجزم ان قليلين منهم راوا باعينهم تهجمات لويس في مجلة انكاونتر . وانظر ملاحظات لنا على مقال حسن في الكاتب (حزيران ١٩٧١) بعنوان « اساسيات من اجل ثقافة عربية منظمة » .

اذا افكر بالصدى الذي يتركه لدى العرب نشر كتيب احصائي صغير يظهر منه ــ مثلا ــ ان الامة العربية اكثر امم الارض تمثيلا خارجيا ، فلدينا حاليا ــ تقديرا ــ ما يقرب من ستمائة سفير ، كذلك لدينا ما يقرب من ٤٠٠/ وزير راهن وآلاف من الوزراء السابقين تعاقبوا في جيل واحد . ولا تقتصر المعرفة النقدية طبعا على أمر هذه الاحصاءات الطريفة .

ــ وثمة مهمة الاعداد ، مهمة اعداد أجيال من العرب يحيطون بالشؤون العربية ويكرسون انفسهم لها . وانني لاتساءل أحيانا : لو كان ثمة في أية عاصمة عربية « كلية » للدراسات العربية ــ لدراسات المجتمع العربي الراهن ــ يتخرج منها مسؤولون عن الاعلام والخارجية والثقافة وغيرها : أفما كان بامكان هؤلاء الخريجين ان يقوموا بأعباء مسؤولياتهم على نحو أحسن مما يقوم به حاليا خريجو الحقوق والآداب ؟

تلك بعض مهمات ليست سهلة التحقيق ، وليس تحقيقها مرهونا حصرا بانشاء المؤسسة ، ولكن انشاء المؤسسة المقترحة يساهم في تحقيقها على نحو لا شك فيه . يكفي ان نبدأ بالحد الادنى ، ولن يكون الانجاز متواضعا حتى لو لم نتجاوز ذلك الحد .

د ــ الشكل التنظيمي وكيفية بدء العمل :

من الممكن تصور اشكال تنظيمية كثيرة للمؤسسة المقترحة ، كأن تكون مرتبطة مثلا بجامعة او وزارة ما ، او كأن تقوم مستقلة عن غيرها ــ وهو الافضل ــ حتى لا تتعرض لاحتمال ان تنعكس عليها تقاليد عمل (او لا عمل) تطورت في مؤسسات اخرى ، تقاليد قد لا يكون للمؤسسة المقترحة حاجة اليها .

ومن المهم ان تتمتع المؤسسة بالمرونة الادارية والاكاديمية ، وان تولد متحررة من الضيق القطري .

ولعل من غير المفيد في البداية ان نحاول وضع صيغة قانونية للمؤسسة حتى لا يستنفد الجهد في « الحذلقات » القانونية . واذا كنا لن

تقوم بعملية تقويم للمؤسسات الثقافية في القطر ، ولن نقارن بين ما انعقد عليها من آمال وما تحقق من افعال ، فان هذا لا يمنع من ملاحظة ان التشريعات التي أوجدت كثيرا من المؤسسات كانت دائما « أكبر » مما تم انجازه فعلا من قبل المؤسسات المنشأة ، وهذه وضعية تساعد على خلق نوع من أزمة الثقة ، أزمة نرجو ان تتجنبها المؤسسة المقترحة •

واذا كان من المسلم به ان انشاء المؤسسة المقترحة بدعم حكومي سيكون أفضل من انشائها بدونه ، فان من الممكن ــ في رأيي ــ قيام المؤسسة بأعمال أولية دون دعم حكومي ، اعمال تثبت بها نفعها ، وتثبت أن لديها تصورا واضحا وبرنامجا يوميا لما ستقوم به •

والحق ان المؤسسة يمكن ان تبتدىء عملها ــ سواء بدعم حكومي أو بدونه ــ كما يلي :

١ ــ وضع قوائم بيبلوغرافية موسعة ومشروحة بالكتب والدراسات الاجنبية والعربية التي صدرت عن الشرق الاوسط • هذه المهمة ليست صعبة بالنسبة للكتب والدراسات الاجنبية بسبب تقدم نظم الفهرسة والتصنيف الاجنبية • مجلات كمجلة الشرق الاوسط الامريكية وتقارير الرابطة الدولية للعلوم السياسية والمجلة الفرنسية للعلوم السياسية ومجلدات ملخصات الرسائل الجامعية وما اشبه ــ وكثير منها متوفر في المكتبات الشخصية لعدد من باحثينا وغير متوفر في مكتبات المؤسسات الثقافية في القطر ــ يصح أن تكون بداية منظمة للعمل • اما الكتب والدراسات العربية فلا بد من القيام بجهد أصيل لتصنيفها • وضع مثل هذه القوائم ونشرها يساعد على توجيه سياسة مكتبة المؤسسة المقترحة في استحصال الكتب وفي وضع اسبقيات للكتب المنوي تحصيلها •

٢ ــ وضع قوائم بيلوغرافية بالوثائق العربية المطلوب تحصيلها • يتم وضع هذه القوائم باستخراجها عموما من القوائم الاولى • ثم يمكن بدء العمل في تحصيل هذه الوثائق عن طريق طلبها خطيا من مراجعها : كأن تطلب

المؤسسة من الجبهة القومية في عدن برسالة بريدية عادية ارسال نسخ عن وثائقها (بياناتها السياسية ، برامجها الخ) • ولا نظن ان نسبة عدم الجواب على مثل هذه الرسائل ــ لا سيما حين تكتب مفصلة ومستوعبة وتطلب وثائق ومعلومات محددة سوف تتجاوز النصف •

٣ ــ نشر دراسات متخصصة دقيقة حول وضعية دراسات الشرق الاوسط في بلدان العالم الكبرى : وضعية الدراسات عن الشرق الاوسط في امريكا ، واخرى عن وضعية تلك الدراسات في الاتحاد السوفييتي ، وثالثة عن الوضعية في فرنسا وهكذا • مثل هذه الدراسات يمكن توزيعها على نطاق واسع ، ويمكن ارسالها الى كل الجهات السياسية والثقافية في الوطن العربي لاذكاء حماستها من جهة ، وللتأكيد على جدية عمل المؤسسة من جهة ثانية ؛ بالاضافة الى ذلك ، تساعدنا هذه الدراسات على ان نصبح أكثر خبرة في وضع اسبقيات برامج بحثنا •

٤ ــ وضع قوائم بيلوغرافية بأسماء اختصاصيي الشرق الاوسط في العالم مع لمحة عن كتاباتهم ونشاطاتهم والجهات الممولة لهم واتجاهاتهم السياسية • هذه أيضا مهمة ليست صعبة التحقيق لان كثيرا من مؤسسات دراسات الشرق الاوسط تنشر مثل هذه المعلومات عن اعضائها والنشطين في صفوفها • كذلك من الممكن بدء وضع قوائم بيلوغرافية مشابهة بأسماء اختصاصيي الشرق الاوسط من العرب ، وان كان هذا الامر يحتاج طبعا لجهد مضاعف اذ لم تقم أية مؤسسة ثقافية عربية بمثل هذه العملية من قبل •

٥ ــ تستطيع المؤسسة ان تنطلق في القيام ببحوث أصلية حالما تتوفر لها أول مجموعة كاملة او شبه كاملة من الوثائق • مثلا حين تستطيع المؤسسة وضع يدها على كل أو معظم الدساتير العربية الراهنة يمكن لباحث متخصص أن يكتب ــ وينشر ويوزع ــ دراسة خاصة بكيفية تجلي مفهوم الوحدة العربية في هذه الدساتير ، وبالمقارنة بينها في هذا الصدد (٣) •

---

٣ ــ ما اظن ان كثيرين في الشرق العربي مثلا يعرفون ان الدستور الجديد للمغرب نص على الالتزام بالعمل للوحدة الافريقية ، وان العروبة ورد النص عليها في الدستور لدى القول بان اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمملكة •

كذلك يمكن ان يتم أمر شبيه بذلك يعتمد البيانات السياسية للاحزاب الحاكمة ، والاخرى غير الحاكمة في الوطن العربي •

٦ ـ ثم يستطاع التقدم نحو دراسة مقارنة للمفاهيم الكبرى التي تتبناها الاقطار والحركات السياسية العربية مثل مفاهيم الاشتراكية والديموقراطية والحرية والعلمية والعلمانية والعالمية وطبيعة المواجهة ضد الصهيونية والاستعمار • مثل هذه الدراسات يمكن توزيعها على نطاق عام او خاص ، حسب الحال •

٧ ـ كذلك يمكن التقدم نحو نشر تقارير حول كيفية تغطية القضايا العربية في برامج التعليم العربية : ما هو مفهوم القومية العربية الذي يخرج به طالب الدراسة الثانوية في الجزائر ؟ او في السعودية ؟ •

٨ ـ ويمكن بعد ذلك التقدم نحو دراسة التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي لكل قطر واقليم (كامارات الخليج) عربي بعد الاستقلال ، وعلى الاخص دراسة تطور القوى المتجة في هذه الاقطار والاقاليم ، تلك القوى التي يراها الكثيرون صاحبة المصلحة في الوحدة والقادرة على تحقيقها •

مثل هذا البرنامج الاولي ليس بالسهل ، وتستغرق تغطية بنوده ـ حتى الانتهاء من الخامس منها ـ ما لا يقل عن السنة اذا مارس العمل حالا فريق لا يقل مثلا عن خمس اختصاصيين • اما تغطية بقية ما ذكرنا من البرنامج ، من البند السادس وما بعد ، فأمر مؤجل حاليا والى ما بعد تحقيق البنود الخمسة الاولى . كما ان تطوير البرنامج بتغييره او تغيير أولوياته فهو من حيث الاساس واجب وصلاحية المؤسسة بعد ان تقف على قدميها •

واذا قلنا ان تنفيذ البنود الخمسة الاولى من هذا البرنامج ليس بالامر السهل ، فان من الحق أيضا ان نقول انه ليس بالامر المتعذر او بالغ الصعوبة • وربما كان بامكاننا ان نزود صفحات هذه المجلة بعد بضعة أشهر بقائمة بيبليوغرافية مفصلة عن الدراسات المنشورة باللغتين الانجليزية والفرنسية عن مفهوم القومية العربية •

هـ ـ معوقات وتوقعات :

المعوق الاول والاساسي هي تلك النظرة التي ترى انه ليس بالامكان أبدع مما كان .

وتتفرع عن هذه النظرة جملة حجج كما يلي :

ـ ان ما ستقوم به المؤسسة المقترحة متضمن في تشريعات منشئة لعدة مؤسسات : تجميع الوثائق مهمة عدد من المؤسسات في وزارات عديدة . كذلك فان تنشيط الدراسات العربية والرد على الاتجاهات الثقافية المعادية للعرب مهمة لكل الوزارات الثقافية (بما فيها أيضا الخارجية والاعلام) ومؤسساتها . اما العمل الوحدوي فهو مهمة المواطن والجماهير ومنظماتها .

الرد على هذه الحجة ليس صعبا فواقع الامر يشهد ان الجهود المبذولة في تجميع الوثائق ـ على الرغم من أهميتها ـ لم تعط ثمارها المرجوة ، وليس لها توجه عربي واضح وتقتصر في الغالب على أرشفة ما هو يسير التناول من مصادر كالصحف اما الدراسات العربية فمن الواضح شبه انعدامها وانعدام متطلبها الاول وهو متابعتها من قبل كل الوزارات الثقافية . اما ان العمل الوحدوي مهمة الجميع فهذا لا يتنافى مع الوضع الخاص للدارسين ، والاسهام الخاص الذي يستطيع ان يأتي به هؤلاء ليس بالامر الذي يمكن المرور به سريعا . وفي الحقيقة ان انصار هذه الحجة يصلون بالنتيجة الى « تأجيل » المؤسسة المقترحة عن طريق توجيه الاهتمام الى « اصلاح » الاجهزة الموجودة ، فتصبح القضية قضية القضاء على الروتين وقضية اعادة تنشيط الاجهزة الموجودة لتأخذ حجمها الذي كان مطلوبا منها في الاصل ، ولكن هذه القضية ـ كما هو معلوم ـ اصعب بكثير وتحتمل وقتا أطول بكثير من انشاء مؤسسة جديدة بدم جديد .

ـ ان من المستحيل في قطر له توجه ثوري خاص تجميع وثائق وكتب ونشر دراسات تخالف ذلك التوجه من قريب او بعيد .

هذه الحجة ترتدي عموما طابع المبالغة . ولعلنا لا نخطىء اذا قلنا ان

المثقفين العرب ــ عموما ــ كانوا أقسى في الرقابة على أنفسهم مما كانته عليهم أجهزة الدولة • ليس مطلوبا من شخص ما ــ بالطبع ــ ان يكون جاليليه جديدا ؛ ولكنه مطلوب من المثقف ان يكون واثقا بثقافته الى الحد الذي يدافع به عن آرائه ، فلا يهجرها مجانا دون وقبل ان يعبر عنها ، لقاء مكاسب سريعة او اتقاء لشرور متوهمة اكثر الاحيان ، وليس مطلوبا منه ان يبارك دائما ممارسات ثقافية يعلم هو في قرارة نفسه انها غير مجدية •

والحق ان كون المؤسسة المقترحة مؤسسة لدراسات الوحدة ؛ وهي الهدف المجمع عليه لدى الجميع ؛ يسهل اجتياز هذه العقبات التي يتذرع بها البعض •

ــ ثمة قناعة لدى كثيرين من مثقفينا ــ لاتقال جهارا أكثر الاحيان ــ وهي اننا دون المستوى الثقافي لاختصاصيي الشرق الاوسط في العالم ، واننا لا يمكن ان نرتفع الى المستوى العالمي ، اي الى مستوى « اساتذتنا » في الغرب • الشق الاول من هذه القناعة صحيح كتعبير عن واقع ، اما الشق الثاني ــ وهو أكثر ما يكون انتشارا لدى اولئك الذين مضت على قدومهم من « ديار الغربة والعلم » مدة طويلة ــ فينبغي ان يقود الى العمل لا الى الاستكانة • اهم سبب لهذه القناعة ــ في رأيي ــ هو تضخم الشعور بالتلمذة على الغرب لدى كثير من المثقفين • ان كثيرا من مثقفينا قنعوا من أساتذتهم بنيل الشهادة ؛ ولم يمارسوا التدريس في الجامعات الاجنبية ؛ ولم يشتركوا في مؤتمرات علمية يثبتون بها كانداد لاساتذتهم ، ويبرهنون بها لانفسهم ــ قبل أي أحد ــ أنهم تجاوزوا مرحلة التلمذة • وبمقدار ما يقل احتكاكهم اليومي بمصادر شهاداتهم بعد عودتهم الى وطنهم بمقدار ما يتأصل فيهم شعور بأنهم يستطيعون ان يكونوا اساتيذا هنا ، لا هناك ، وانهم بذلك لا يمكن لهم ان يطمحوا الى ممارسة تأثير عالمي •

ومن الطريف ان هذا الشعور بالتلمذة يعبر عن نفسه اكثر الاحيان باسم « الموضوعية » ؛ أي التواضع لعلم الغرب • فاذا بحث استاذ أجنبي في الادب

العربي ووجد في تعلق العرب به « سر » تخلفهم ، وصاغ تلك النتيجة في قالب « موضوعي » ، سادنا شعور غريب بأن الموضوعية تعني ادانة الادب العربي ادانة اثبتها « العلم » •

وتتفتق عن هذا النوع من التفكير « نظريات » عالية الوقع من مثل ان العالم الاجتماعي همه العلم وليس السياسة (أي تغيير المجتمع) ، وان من الواجب ان تحافظ على أصالة العالم ، وتتمسك بالعلم لوجه العلم • ويغيب عن بالنا ـ في هذا النوع من التفكير ـ ان واقع الامر في اكاديميات الغرب البورجوازي والشرق الاشتراكي هو خلاف ذلك ، وان مؤسسات دراسات الشرق الاوسط في العالم (وليس فقط تلك المؤسسات) نشأت وما تزال في أحضان الحكومات ولاغراض عملية وسياسية •

يكفينا هنا هذا القدر من تتبع الحجج المفترضة لاصحاب نظرة انه ليس بالامكان ابدع مما كان ، ومن الرد على تلك الحجج • وعلينا على كل حال ان نشير الى معوقين آخرين اكثر جدية مما ذكر وان كانا لا يثاران جديا أكثر الاحيان •

ـ المعوق الاول هو اختلاف ثقافات الباحثين العرب باختلاف مصادر ثقافاتهم ، وعجز كل فريق من هؤلاء الباحثين حتى الآن عن استيعاب اهتمامات ووجهات نظر الفريق الآخر • بعض الباحثين العرب درسوا في أمريكا وغيرهم في فرنسا وغيرهم في الاتحاد السوفييتي (الخ) • لكل فريق من هؤلاء « أبطاله » العلميون وهو لا يعرف شيئا عن أبطال زملائه • في حقل دراسات التغيير الاجتماعي ـ الاقتصادي ثمة منا من تتلمذ على ريمون ارون أو على غالبريث وعلى كولمان ، وثمة من تتلمذ على اوليانوفسكي وعلى راتمان • في حقل القانون الدولي منا من يحارب بنظريات كلسن واوبنهايم وشارل روسو وماكدوغال ، ومنا من يحارب بنظريات تونكين بوربوف واوشاكوف • كل فريق لا يعرف « أبطال » الفريق الآخر ولا يعترف بهم : فكيف « بتلاميذهم » ، ثم كيف يمكن ان يتعاون معا هؤلاء التلاميذ ؟

لن اقترح بالطبع حلولا لهذه المشكلة في هذا المكان ، ولا يغيب عن ذهني ان هذا الاختلاف يمكن ان يصبح مجال غنى ثقافي • ما ألح عليه هو ان علينا ــ في هذه المرحلة من تطورنا الثقافي ــ ان نحاول جديا استيعاب التقاليد الثقافية لكل فريق ، والمجال المفضل لذلك هو اهتمامنا بالدراسات العربية اهتمام الواثق بقدرته لا اهتمام التلميذ بالبرهنة على صحة الاطارات النظرية لاستاذه •

ــ المعوق الثاني هو معوق القطرية او البلقنة : ان واقع التجزئة المخيف قد انعكس على الثقافة ــ والثقافة السياسية خاصة ــ التي كانت دائما احد اهم مقومات القومية العربية • ومن المؤلم ان المثقفين السياسيين العرب يلتقون اكثر الاحيان في بلاد اجنبية وعن طريق الهيئات المهنية الاجنبية حتى اذا عادوا الى بلادهم فقدوا اقنية الاتصال ، كلها او معظمها ، ولم تعوضهم عنها الا قليلا اقنية الاتصال العربية •

ومن هنا يصبح بالغ الاهمية استقطاب المثقفين السياسيين العرب في نطاق مؤسسة عربية لدراسات الوحدة • ايجاد بعد قومي للمؤسسة المقترحة ، وانماؤه ، يصبح هو نفسه عملا توحيديا من الطراز الاول •

ربما طال حديث المعوقات ، مع انه لم يستنفذ • ولعل من المناسب موازنته بحديث التوقعات ذات المدى البعيد والقريب :

ــ ففي المدى البعيد ليس ثمة من شك في انه ستقوم لدينا مؤسسات للدراسات العربية على الاقل جريا على سنة التطور مهما كان بطيئا ومترددا ، واستجابة لمشورات « الخبراء » العالميين (من الامم المتحدة) الذين تطلب مشورتهم والذين ــ فلنلاحظ بأسى او بدون عواطف ــ كانوا وراء انشاء كثير من المؤسسات العربية (الاقليمية) المهنية كمركز النظائر المشعة في القاهرة ، ومركز التدريب التربوي في سرس الليان •

ــ وفي المدى البعيد لا بد الا ان نكتشف عدم امكان استمرارنا في أخذ علمنا بأنفسنا عن غيرنا ، وفي مناقشة قضايانا المصيرية خارج وطننا في

ندوات تعقد باوروبا وامريكا .

ـ وفي المدى البعيد لا بد الا ان تنتبه الى ضرورة تطبيق الشعار المطروح دائما من ان العلم عليه واجب تبين سبل التنمية والتكامل العربيين ، أي واجب المشاركة في صنع المصير ، وصنع القرار السياسي عن طريق تقديم عناصره .

أما على المدى القريب فلا أشك لحظة في أن ما يجري تنفيذه بعد فشل مؤتمر الرباط من تقارب وحدوي (ميثاق طرابلس ، ثم اتحاد الجمهوريات العربية ، ثم اعلان الوحدة الكاملة بين الجمهوريتين العربيتين المصرية والليبية) سوف يكتشف ـ تجريبيا على الاقل ـ الحاجة الى قيام مؤسسة ما تكرس وقتها لدراسات الوحدة العربية .

فهل يمكننا ان نسارع بعقد ندوة عربية ـ عربية فعلا تضم دارسين من كل الاقطار العربية ـ موضوعها هو ذلك الموضوع الذي يشغل كل عربي مهما كان موقعه السياسي ، اي موضوع سبل الوحدة العربية ؟

وفي الختام لا بد من التأكيد على اننا لا نظن ان أحدا لا يشاركنا في وجاهة المداخل التي رأينا فيها دعوة الى ضرورة انشاء مؤسسة لدراسات الوحدة العربية . قد يكون ثمة خلاف في تحديد المدخل بالشكل الذي حددت به ، وفي ترتيبها في سلم الاولويات ، كما انه ليس ثمة من شك في أن كثيرين ستكون لديهم تحفظات جدية ـ ورفض كلي ـ ازاء بعض مما ورد أعلاه من افتراضات كبرى ، وتصورات مخالفة لاسلوب انشاء هذه المؤسسة المقترحة .

فاذا أثار هذا الاقتراح شعورا بجدية المبررات ، أمكن بالنقاش ، التوصل الى تصور عملي مشترك .

جورج جبور دمشق

بجائزة من بلاد الأمن والأمانة
مشاهدات وانطباعات في السعودية
بقلم : روكس بن زائد العزيزي

وما راء كمن سمعا !

الاصالة العربية ، والكرم العربي ، والقلب الكبير المفتوح ، والابتسامة العذبة ، والضحكة الصافية التي تنم علــى نقاء السريرة ، والامــن العجيب ، والامانة المذهلة ، كلها تراها مجسمة في المملكة العربية السعودية !

التواضع ، وعدم التكلف الذي تلمسه في المسؤولين السعوديين يوحيان اليك بهؤلاء القوم مدرسة من مدارس الخلق العالي ! ..

***

فما كنت أظن ان قدمي ــ يومــا ــ ستطأ تلك الديــار ، التــي صهر المغفور له (عبد العزيز آل سعود) قبائلها في بوتق (١) الحــب والتصافي ، واوجد فيها دولة تعدل من غير ان تتكلم ، وتحب العرب من غــير ان تتبجح ، الى ان جاءتني دعوة وزير الاعلام السعودي الدكتــور العالم (محمد عبــده يماني) مؤلف كتاب (الجيولوجيا الاقتصادية) (٢) .

***

لبيت الدعوة معتزا ، مشتاقا الى الديار التي انطلق منها مجد العــرب ، يوم وقفت الدنيا كلها خاشعة ، تحت سنابك خيولهــم ، يفتحون العالــــم ، ويشيعون فيها العدل والرحمة ، حتى قال (غوستاف لوبون) : « لــم يــر

١ ــ من أوهام اللغويين قولهم بوتقة ، والصواب ما ذكرنا . راجع كتاب اغلاط اللغويين الاقدمين .

٢ ــ مرجع هذه المادة في جامعة الرياض .

العالم فاتحا أرحم من العرب ! (٣) » .

***

وها هي ذه الطيارة تدوي في مطار عمان ، بعد ان تأخر نهوضها عن موعده المقرر أربع ساعات كاملة !..

وتهبط في مطار (جدة) الدولي في الساعة الخامسة وربع السادسة من صباح الجمعة الى ١٤/٥/١٩٧٦ الخامس عشر من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٩٦ ، وتنتهي معاملات :

أ ــ الصحة ،
ب ــ الجوازات ،
ج ــ والجمارك ،

لكل من تحمل الطيارة ــ وهم كثيرون ــ في أقل من ساعة ، من غير أن تسمع صوتا يرتفع ، او كلمة زجرنابية !

***

اجيل بصري ، لعلي أرى مندوب وزارة الاعلام في المطار ، فلا أجده ، فأسأل ضابطا برتبة ملازم أول ، عن مندوب الوزارة الفاضل ، فيجيب : « ان هذا الاستاذ قد تحول من مكتبه ، منذ بضع دقائق ، عندما يئس من وصول الطيارة ! » .

***

قلت لهذا الضابط : « أفي استطاعتي ان أجد فندقا محترما أرتاح فيه ؟» ابتسم وقال : « لعلك تطلب المستحيل ، ان لم يكن مندوب الوزارة ، قد سبق وحجز لك ما تطلب ! »

وفيما ان اهم بأن أقعد على كرسي في مكتب الجمرك ، اذا بالاخ الاستاذ (سالم الكيال) ــ مندوب وزارة الاعلام ــ يلقاني بابتسامة مشرقة

---

٣ ــ حضارة العرب ترجمة المرحوم عادل زعيتر .

ــ مع الرغم من النعاس الذي اثقل جفنيه ــ قال لقد قطعت الرجاء من وصول الطيارة ، بعد ان تأخرت عن موعدها كل هذا التأخر ، وكنت مشغول البال من نحوك ، فالحمد لله على سلامتك !

***

استدعى سائقا ، أقلنا بسيارته الى فندق (قصر الكندرة (١)) الفخم القريب من المطار .

سأل عن الشقة المحجوزة لي ، فاجابه المسؤول : « لقد سبقك سيد اردني ادعى انه ضيف وزارة الاعلام السعودية الذي حجزت له الشقة ! »

ضحكت وقلت : « الحمد لله ان الاحتلال كان اردنيا ، والرجل عمل بالحكمة القائلة ــ ابدأ بنفسك ، ثم تن بمن تحب ــ وعاد الى ما قاله بطل احدى مقامات اليازجي في (مجمع البحرين) :

« والصدق ان القاك تحت العطب ، لا خير فيه فاعتصم بالكذب
بمثل هذا كان يوصيني أبي !

فلا حول ولا قوة الا بالله !

***

لقد حاول المسؤول في (قصر الكندرة) ان يصرف المحتل من الشقة ، فطلبت منه ان لا يفعل ، وقلت : « لعل احد الضيوف نزلاء الفندق يتحول ، فأحل محله ! »

وفي أقل من نصف ساعة ، كان المسؤول في (قصر الكندرة) قد أعد لي الشقة المقابلة ا (التي) احتلت ! وقد قال وهو يضحك : ــ « هذا

---

١ ــ الكندرة في اللهجة الاردنية وفي اللهجة السعودية تعني الجمال والتنظيم ، فاذا قالوا كندرة عنوا بذلك انه رتبه (العزيزي)

الواجب ، أن يتقابل الصدق والكذب ! »

❊❊❊

وبعد ان ارتحت قليلا ، زارني صديقي الاديب التونسي (الحبيب شيبوب) الذي دعي معي الى السعودية . فأحسست وأنا أسلم عليه بحقيقة فرحة الاديب بلقاء الاديب ! ..

وما ان دقت الساعة التاسعة ونصف العاشرة صباحا ، حتى كان مندوبا وزارة الاعلام :

أ ـ الاستاذ عايض الردادي ،

ب ـ والاستاذ سالم الكيال .

قد حضرا يدعواننا الى وزارة الاعلام في (جدة) ، لزيارة الاستاذ عزت المفتي) مدير الصحافة في مكتب (جدة) ، فلقينا أخا كريما ، بادي البشر والايناس فرحب بنا اجمل ترحيب ، فاغتنمت الفرصة ، لاطلب منه قائمة باسماء الادباء السعوديين الذين يرغبون في متابعة ما تنشره دائرة الثقافة والفنون الاردنية ، فوعدني خيرا ؟

أشعرهم امير المؤمنين

❊ اجتمع جماعة من الشعراء عند عبد الملك بن مروان فتذاكروا بيت نصيب وهو قوله :

أهيم بدعد مـا حييت فان أمت أوكل بدعد مـن يهيم بهـا بعدى

فما في القوم الا من عابه وازرى على نصيب فيه . فقال عبد الملك : فما كنتم تقولون انتم : فقال الاقيشر وكان احد الحاضرين :

اهيم بدعد مـا حييت فان أمت فيا ليت شعري من يهيم بهـا بعدي

فقال له عبد الملك : انت اسوأ رأيا من نصيب . فقالوا : فما كنت تقول انت يا امير المؤمنين ؟ قال كنت اقول :

اهيم بدعد مـا حيت فان أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

علم الجمال

واسهام البلاد العربية والاسبانية في نشوئه وتطوره

بقلم: بشير زهدي

محافظ متحف الآثار اليونانية والرومانية والبيزنطية
استاذ محاضر في مقرر (علم الجمال) في جامعة دمشق .

١ ــ قد يتساءل المرء : وهل للجمال علم ، وما موضوعه وبحوثه ؟ وهل ظهر هذا العلم في عصرنا الحاضر ، ام ان الاجيال السابقة أسهمت في تأسيسه وتطوره وذلك بابداعها في مجالات الفكر الجمالي وميادين تنظيم المدن وفنون العمارة والنحت ، والرسم والتصوير والحفر والنقش ، والفسيفساء والخط ، والموسيقى والغناء ، والشعر والنثر ، والرقص والمسرح ..؟ وما مدى اسهام البلاد العربية والاسبانية في نشوء علم الجمال وتطوره ؟

٢ ــ للجمال علم يعرف باسم (علم الجمال ــ الاستطيقا) وهو أحد العلوم المعيارية الثلاثة التي يسميها (رويه) بالثالوث المدرسي ، تدرس القيم الانسانية (الحق والخير والجمال) وتتصف بأنها تستعين بالعقل ، وتتجاوز الوقائع الجزئية الى البحث فيما ينبغي ان يكون عليه ، وتصدر أحكاما قيمية ، وتصوغ قواعد أو معايير يعتمد عليها في دراسة قضايا الجمال ومقاييسه ، ونظرياته وقيمه ، وعلاقته بالحق والخير ، والمثل الاعلى والسرور الجمالي ، والفائدة والحياة ، والحب والتصوف ، والطبيعة والفن ، والقيم العددية والنور ، واللغة والانسان ... الخ . ويطمح علم الجمال في وضع قواعد للفن وقوانين للجمال ومعيار للذوق ... ويعرف بعضهم (علم الجمال) بأنه (كل تفكير فلسفي في الفن) .

★ ــ محاضرة القيت في الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء الواقع في ٣ ــ ٢ ــ ١٩٧٦ بحضور سيادة سفير اسبانيا في المركز الثقافي الاسباني بدمشق .

★★ ــ اهدي هذا البحث الجمالي الى (لبنان الحبيب) الذي امضيت اياما من طفولتي في فردوسه .

٣ ــ واذا كان (الكسندر بولجارتن ١٧١٤ ــ ١٧٦٢) اول من تبنى لفظ Esthetiyue المشتق من اللفظ اليوناني ــ الذي يفيد معنى الاحساس ــ وجعله عنوانا لكتابة AE Sthetica عام ١٧٥٠ بمعنى دراسة الجمال . او علم الجمال او فلسفة الجمال ، فان الانسان تحسس بالجمال قبل ان يكون للجمال علم يعرف به ويعالج طبيعته ويسهم في تنمية الذوق .. كما أبدع آثارا فنية خالدة منذ أقدم العصور وذلك قبل أن يكون للفن فلسفة تبحث في طبيعته وتعاريفه ؛ ووظائفه ومعاييره ، وعناصره وصلته بالانسان والطبيعة والتاريخ والصناعة ، والاخلاق والدين ، والعلم واللعب ؛ والحب والحياة ، والتربية والمجتمع ، والالهام والعبقرية ، والنقد والذوق والتذوق الفني ...

٤ ــ وتعتبر البلاد العربية والاسبانية من البلاد التي أسهمت في نشوء (علم الجمال) وتطوره تميزت أراضيها بالجمال ، واتصف سكانها بالاحساس الجمالي ، وتميزوا بابداع أقدم الاثار الفنية ، ومعاناة التجربة الجمالية والاسهام في تدوين الفكر الجمالي .

ان وقتنا لا يتسع للحديث عن تلك الاثار الفنية التي تشكل جزءا هاما من تراث الانسانية وممتلكاتها الثقافية ، كما لا يتسع للتعمق في معالجة الآراء البديعية والافكار الجمالية لهذا أرجو ان تسمحوا لي بذكر لمحة موجزة جدا عنها .

٥ ــ تذكر كتب تاريخ الفن أقدم المباني المعمارية التي تعود الى عصور ما قبل التاريخ في اسبانيا وأقدم المجمعات السكنية في البلاد العربية . ويؤكد المؤرخون دور العرب الفينيقيين في اقامة منشآت معمارية على السواحل الاسبانية وغيرها . كما أظهرت التنقيبات الاثرية منشآت معمارية هامة في مصر والعراق وسورية واليمن وغيرها تؤكد نشوء مفهوم معماري يعتمد على أقدم الدراسات الرياضية في مراحلها الاولى .

ورأى (جورج سارتون) ان (المقاييس التي تطلبها بناء هيكل او منزل

ربما كانت منبع الايحاء بأوائل الافكار الملهمة الهندسية) . واعتبر (حب الجمال) فطريا في الانسان ، وهو الذي مهد لظهور الهندسة . وقد (احتاجت الابعاد الى التعبير عنها فاستلزم هذا التعبير اختيار وحدات من جسم الانسان المكتمل النمو كالذراع والقدم والشبر ...) . وان اهرامات مصر تعتبر احدى معجزات العالم ، كما أن أبراج بابل وقصور الاشوريين في العراق وقصري ماري واوغاريت وقصور الامويين في سورية وفلسطين والاندلس ، ومعابد تدمر وبعلبك ، ودير القديس سمعان العمودي ، والمساجد الاموية في سورية وفلسطين والقيروان وقرطبة ودير القديس جاك دو كومبستل ؛ ومسارح سورية وتونس وليبيا وغيرها من المنشآت المعمارية العسكرية والمدنية والدينية والجنازية تعتبر من روائع فن العمارة وتدل على مدى ما أحرزه هذا الفن من تقدم في مجالات الدراسات المعمارية والجمالية التي توارثتها الاجيال المتعاقبة . وقد اطلع الرومان على التراث المعماري الذي ورثه عصرهم فأفادوا منه . وقد نبغ في عصرهم عدد من المهندسين الموهوبين من القطر العربي السوري وغيره نذكر منهم (ابولدور الدمشقي ٦٠ ـ ١٣٠) الذ قدر الرومان مواهبه الفنية وخبرته المعمارية فعهد اليه الامبراطور (تراجان ٥٢ ـ ١١٧) بمهمة تنظيم (فوروم) في روما عرف باسم (فوروم تراجان) كما عهد اليه القيام ببناء جسور على نهر الدانوب .

وكانت الاروقة الجميلة تحيط بطرفي الشوارع الرئيسية في المدن السورية ، وقد ظهرت الرغبة في الحد من النظر الى البعد اللامتناهي وذلك ببناء قوس يحقق هذه الرغبة الجمالية وهكذا شيدت أقواس النصر والتراتيل التي أصبحت عنصرا معماريا يحدد نقطة يستريح عندها البصر . وان ضخامة المباني تجسد المفاهيم الجمالية السائدة وقتئذ .

وان تحويل أحد مساكن مدينة (دورا أوروبوس) في سورية الى كنيسة سكنية عام ٢٣٢ ثم انتشار بناء أقدم الكنائس والاديرة في سورية وفلسطين ومصر وتونس أسهم في نشوء فن العمارة المسحية ومفاهيمه الجمالية .

وبعدما تحررت سورية وفلسطين ومصر من الحكم البيزنطي في القرن السابع الميلادي ظهرت مفاهيم جمالية جديدة لفن جديد . وقد أسهم فنانو الاندلس في مختلف مجالات الابداع الفني في القرن الثامن حتى نهاية القرن الخامس عشر في قرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطة وغيرها ... وترك المؤرخون أجمل وصف لمدينة (الزهراء) ـ التي ينسب بناؤها الى (عبد الرحمن الداخل) عام ٣٢٥ هـ ـ وتقع في الشمال الغربي من قرطبة ـ وهناك مدينة (الزاهرة) في ضواحي قرطبة وينسب بناؤها الى (الحاجب المنصور) عام ٣٧٠ هـ ، ومدينة (الحمراء) مقابل غرناطة وينسب بناؤها الى (محمد بن يوسف ابن الاحمر) . وقد قام خلفاؤه من بعده بتوسيعها وتجميلها . وان أشهر آثارها قصر الحمراء وأشهر ما فيه (قاعة الاسود) ... تعتبر من روائع فن العمارة وتبدو كآثار رائعة تتحدث بلغة الصمت عن خلود الابداع الانساني ومفاهيم الجمال عند أولئك الفنانين الاندلسيين المبدعين .

وقد ترك الفن الرومانسكي والقوطي أثره في كل من سورية واسبانيا . فاذا كانت (قلعة الحصن) تعتبر من روائع فن العمارة العسكرية ، فان كنيسة القديس (جاك دو كومبوستيل) تعتبر من لآلىء فن العمارة الدينية في اسبانيا .

واذا كانت كل من سورية ومصر ازدانت بعدد كبير من مباني القلاع والمساجد والقصور التي تعود الى عهود الفاطميين والايوبيين والمماليك والعثمانيين ، فان اسبانيا شهدت ازدهار فن Flamboyant وفنون عصر النهضة الايتالة . ويعتبر (دير الاسكوريال) من أجمل ما أبدعه فن ذلك العصر . كما ساد الطراز (الباروكي) كمدرسة فنية محلية هامة في القرن الثامن عشر . وأكد الدكتور عبد الكريم اليافي في كتابه (دراسات فنية في الادب العربي ص ٦٣ ـ ٦٨) أن لفظ (باروك) منحدر من اللفظ العربي (براق) . وبعد منتصف القرن الثامن عشر ظهر في اسبانيا (الاسلوب الكلاسيكي الجديد) ومن روائعه المعمارية Sanfrancisco في مدريد ، وواجهة كاتدرائية Pampelvne Flgransi

٦ ــ واذا استعرضنا تاريخ النحت في البلاد العربية والاسبانية منذ عصور ما قبل التاريخ أدركنا مدى تجسيد المنحوتات لمفاهيم الجمال عند الانسان عبر التاريخ • وان (غزال آلتاميرا) المكتشف في اسبانيا يمثل الاسلوب الواقعي في عصور ما قبل التاريخ • وقد عثر على تماثيل (الربة الام) في مختلف أنحاء العالم القديم واتخذت رمزا للخصب •

ورأى بعض الباحثين في تمثال (سيدة الشه) الجمال الاسباني ، وفي حليها التأثير الشرقي الفينيقي •

وأسهمت البلاد العربية عبر التاريخ بتقدم فن النحت وزينت آثار مصر والعراق أشهر متاحف العالم بأجمل المنحوتات الفنية • ويعتبر تمثال (أبو الهول) من روائع الفن العالمي رأى فيه (ايلي فور) رمزا للمعنى الخالد ، ويبدو كأنه ظهر مع فجر الفكر ، وتابع بتأمله الصامت جهود الانسان الكبرى وسيظل الى ما لا نهاية يعايش طموحنا وتطلعنا • ولاحظت الاستاذة الفرنسية (كريستيان دوروش نوبلوكور) في الفن المصري القديم الفكرة التشريحية لجسم الانسان ، واسلوب فن أكاديمي يعالج الاشكال ويميل دائما الى السمو والصفاء والاهتمام بمحاكاة الطبيعة في تصوير الاشكال وترجمة الانفعال الذي يرضي المشاعر ، والتصوير الواقعي الذي يرضي النفس ، واقتران الروحانية بالجمال ، والتوفيق بين التعبير والشكل • واستنتج (آرنولد هاوزر) مدى العناية والمهارة التربوية التي كان قدماء المصريين يبدونها في تعليم الجيل الناشيء من الفنانين • واعتبر (أخناتون ١٣٧٠ ــ ١٣٤٩) ق • م في مقدمة المجددين الواعين في الفن ، بشر بحب جديد للحقيقة ، فظهرت صور شخصية تعبر عن احساس مرهف ، كما ظهرت رسوم الطبيعة الجميلة • ونجد في منحوتات مدينة (ماري) الامورية السورية حرص الفنان على التعبير الباطني بملامح الوجه وكأنهم يؤكدون (ان الوجه مرآة الروح) • كما نجد في (رأس أميرة اوغاريت) الجمال الانساني النسائي المثالي ، وتدل المنحوتات التدمرية على أهمية مركز المرآة

الاجتماعية وميلها الى التجمل بالحلي المختلفة • وتتميز الرؤوس الجصية التدمرية بقوتها التعبيرية • ويجسد فن النحت العراقي في العصر الاشوري المفهوم الجمالي للقوة ••• الخ كل ذلك مما يفسر اعجاب (دولاركوا) بفنون العصور القديمة وتذوق ابداع مصر والعراق ، ووعيه أكثر من لون للجمال الفني حتى انه قال : ليس للفن ان يحصر في مدرسة واحدة •

واذا كانت المنحوتات القديمة تمثل الآلهة كما تخيلها ذلك الانسان القديم ، وتزين قصور الملوك في تلك العصور مدونة أعمالهم الفنية التي خلدتهم ، فان فن النحت أخذ منذ القرن السابع يتصف بطابع زخرفي ويبدو بديعا بقيمه التزيينية • وقد أسهم فنانو الاندلس في تطوير فن (الارابسك) وانتشاره •

٧ ـ وتعالج كتب تاريخ الفن في فصولها الاولى (الرسوم) الجميلة المكتشفة في كهوف (آلتاميرا) الاسبانية وما تمثله بألوانها الحارة والغنية أحيانا من حيوانات رسمها ذلك الفنان بدقة واقعية واسلوب يدل على ذوق فني ومهارة تتجلى في جمال الخطوط واستعمال الالوان وحسن التعبير عن الحركة ••• أضف الى ذلك الرسوم المكتشفة في اسبانيا وما تمثله من مشاهد صيد وحرب وحياة عائلية واجتماعية • واعتبر الاستاذ (اتيين سوريو) مثل هذه المنجزات الفنية لا بد أن تكون تعبيرا عن لون من ألوان الضرورة أو استجابة لحاجة ما أو جوابا على نداء • ورأى في الجهد الفائق الذي بذله فنانو ما قبل التاريخ ما يدل على الثقة بالفن وهدفه الماورائي وقدرته على توفير ملكية الخيرات المادية والروحية وما لازم الانسان عصرئذ من الاحساس بالرهبة والدهشة والخوف مما كان يحيط به • واكد ان (النفس البشرية ـ التي كانت لا تزال بكليتها تبحث عن ذاتها وقد بدأت تكتشفها ـ هي الحافز الحقيقي الى ذلك الاشباع السحري المثير للحاجة الجمالية) •

كما نجد في الرسوم الجوازية في قصر (ماري) الاموري ما لفت أنظار مؤرخي الفن فذهبوا الى القول بوجود مدرسة فنية ذات تقاليد خاصة في

حوض الفرات الاوسط انتقلت الى (دورا)في العصر الهلنستي والروماني وتركت آثارها الخالدة على جدران المعابد ورسوما جدارية تمثل اسطورة (آشيل) في مدفن الاخوة الثلاثة في تدمر ، ورسوما مسيحية على جدران معبد بل التدمري • ويعتقدون بانتقال تقاليد هذه المدرسة الفنية الى (انطاكية) ومنها الى أوروبا وذلك لما وجدوه من تشابه بين آثار هذه المدرسة ورسوم الكنائس الرومانسكية والقوطية من حيث الالوان الحارة واهمال المنظور ••• الخ •

كما نجد في مصر أقدم الرسوم الجدارية وأجمل ما تمثله من مناظر طبيعية وطيور مائية ووصف دقيق للحياة اليومية أضف الى ذلك ملفات البردي وأهميتها الفنية وقيمها الجمالية • وتعتبر الصور المكتشفة في (الفيوم) من أجمل ما أبدعه فن الصور الشخصية لما تتميز به من واقعية وصدق في التعبير • ووجد فيها بعض مؤرخي الفن أحد جذور وأصول (الايقونات) والصور الدينية المقدسة ، في حين أن هناك من يعتبر سورية موطن هذا الفن وان القديس (لوقا) الانطاكي كان مصورا •

٨ ـ تأثرت اسبانيا بمدرسة (سيينا Sienne) الايطالية في القرن الرابع عشر ، وبالمدرسة الفلورنسية في أواخر القرن الرابع عشر كما تأثرت بالمدرسة الفلمندية في القرن الخامس عشر ، ثم ضعف هذا التأثير في القرن السادس عشر ، وقد ظهر فنانون مثل yanez de almedina و (فرناندو ليانوس) من تلاميذ (ليونارد دوفنسي ١٤٥٢ ـ ١٥١٩) ونقل الفنان (لويس دو فارجاس) الى (اشبيلية) رقة الفنان الايطالي (كوريجيو ١٤٩٤ ـ ١٥٣٤) وظهر فنانون نسقوا ووفقوا بين التأثيرات الايطالية والفلمندية والابداعات الشعبية ، وكان الملك (شارلكان) قد عهد الى الفنان (تيتيان ١٤٧٧ ـ ١٥٧٦) ببعض الاعمال الفنية • وقام الفنانون الايطاليون بتزيين (الاسكوريال)والعمل في اسبانيا الى جانب الفنانين الاسبانيين وفي مقدمتهم (نافاريت المودو) • ورغم استمرار الملك على تكليف بعض الفنانين الفلمنديين ببعض الاعمال الفنية فان الفنان الاسباني

Sanchez Coelit كان بمثابة رئيس مدرسة الصور الشخصية، وبظهور الفنان الكبير (الجريكو) بدأ فعلا مجد التصوير الاسباني في القرن السابع عشر • ففي لوحته (عيد الفصح) لا يقتصر دور الضوء على بناء التصميم بل يتناول تمثيل المظهر الكامل للصورة ، وتتبين الشخصيات فيها عن طريق مجموعة المشاعل المرفوعة فوق رؤوسها وقد بدا بعضها في حالة الجلوس منفعلة ، وعبر (الجريكو) عن هذا الانفعال واللمسة الروحانية بواسطة ذبذبات النور ، وبدت الاجسام في أشكال عفوية باستطالتها غير الواقعية • وشكل ظهور الاجسام واستطالتها عقبة حالت دون فهم القيمة الجمالية لاعماله الفنية ،وفسر بعض الاطباء هذه الظاهرة بمرض كان يعاني منه الفنان ، ونسوا ان الفن نتاج خيال حسب تعبير (ليونيللو فينتوري) • وكان (الجريكو) ولد في كريت عام ١٥٤١ (وتلقى فيها مبادىء الدراسة الفنية على الطراز البيزنطي المولع بتكرار الاشكال التقليدية من خلال دراسة الواقع) • ثم مضى الى البندقية وتشبع في مرسم (تيتسيانو) بما كان يعد قمة معرفة الضوء واللون ، ثم تعرف في روما على الاشكال الاصطلاحية التي أشاعها (ميكلانجلو) ووصل أخيرا الى طليطلة التي أسست فيها القديسة (تيريزا) مركزا للرهبنة • فأحسن الفنان بما تلقاه من معرفة بالضوء واللون ان يعبر عن الواقع ويجعل من الدوافع الروحانية التي تلقاها من رهبان طليطلة مضمونة ومضوع فنه وقد تلاءمت تجاربه الروحانية مع أسلوب تلوينه الذي وصل فيه الى حالة من التناغم الرائع • وان قوة أضوائه وألوانه تثير في نفس المشاهد الاحساس بالمضمون الروحي ، وقال (ليونيللو فينتوري) حقا لقد كان يوما نادرا في تاريخ الانسانية يوم ولد مصور قوي الخيال مثل (الجريكو) عرف كيف ينشر النغم والمشاركة بين أذواق بيزنطية ورومانية واسبانية وانا ندين لهذه القدرة الخلاقة التي استطاعت أن تضع خبرات عصر النهضة للايحاء بروحانية سامية كانت في فنه تعبيرا عن عظمة الخالق •

ثم تابع الفنانون الاسبانيون في حمل مشعل الفن مثل (ريبالتا

١٥٥١ ـ ١٦٢٨) ومن بعده (ريبيرا ١٥٩١ ـ ١٦٥٢) الذي جعل المواضيع المقدسة اكثر انسانية . وان لوحته (عبادة الرعاة للطفل يسوع) تعتبر من روائع متحف اللوفر يبدو النور مشعا من الطفل والى يمينه امه بأنبل المشاعر والعواطف وحولهما الرعاة الاقوياء . وهناك لوحة (الطفل عاري القدمين) التي تجسد فقر الطفل وسط طبيعة فاتنة أحسن الفنان في استخدام اللون والتعبير عن الفضاء الواسع والابتسامة التي تزين ملامح الطفل . اضف الى ذلك لوحة (القديس بابلو) في (متحف برادو) في مدريد . وحرص الفنان على تأكيد الطابع الانساني وسط الجمال الطبيعي ، والاعتماد على الضوء والظل ومعرفة خصائص الالوان .

اما الفنان (زوربا ران ١٥٩٨ ـ ١٦٦٤) فقد بلغت شهرته درجة جعلته يعرف بـ (كارافاجيو) اسبانيا مع انه لم يعرف الفنان الايطالي (كارافاجيو) الا من خلال اعمال الفنان (ريبيرا) . وقد اعتبر (زورباران) كصوفي ومبدع في عالم الالوان الجميلة ، ومن لوحاته في متحف اللوفر لوحة (دفن القديس بون آفتور) حيث تشاهد فيها الصور الشخصية تفيض بالحياة حول جثمان القديس وسط اجواء عاطفية ومشاعر انسانية . ويبدو الضوء عنصرا جماليا منسجما مع غنى الالوان . اضف الى ذلك لوحته العذراء المحفوظة في (متحف برادو) حيث تبدو السيدة العذراء واقفة تحيط برأسها دالة نور ويداها مضمومتان وهي متدثرة بثوب فضفاض وقد انحسر رداؤها عن كتفها الايسر . وهناك لوحة (العذراء) تبدو واقفة ويداها مضمومتان وتفيض ملامح وجهها بأنبل المشاعر .

اما (فيلاسكيز ١٥٩٩ ـ ١٦٦٠) فقد اعتبر كأحد رواد الفن الحديث . ابدع في رسم الصور الشخصية والمواضيع الفنية . وان ما يتميز به اسلوبه الفني من قوة وتعبير عن احساس مرهف مباشر جعله يعتبر بمثابة مبشر بظهور المدرسة الانطباعية . ولاحظ (ليونيللو فينتوري) ان (فيلاسكيز) كان يهتم بالمظهر الطبيعي للاشياء حتى ان فنه يتلخص في اهتمامه بابراز حجم

الكتلة اللونية بدا فيها من صلابة وما تشتمل عليه من جوهر حي • وكان (فيلاسكيز) بدأ حياته الفنية برسم مظاهر الحياة الشعبية ، وعندما بلغ الرابعة والعشرين من عمره اتاحت له شهرته ان يصبح مصور ملك اسبانيا ، فأخذت لوحاته الطابع الاجتماعي لحياة النبلاء ، فسجل بريشته صور المضحكين الذين كانوا احد مصادر الهامه ، وكان يمتزج في صوره نبض الضوء والابتسامة الصارخة ، وقد تجلى في فنه نداء الحياة • ورأى (ليونيللو فينتوري) فيهم ان (فيلاسكيز) كان يؤثر القبح على الجمال لانشاء احدى الروائع الفنية ، وكان يعتمد على الواقعية المستمدة من تأثير النور والظل ، واعتبر هذا التأثير مظهر المثالية الواقعية ، فعبر عن الروح الانساني في عمق • ومن لوحاته المحفوظة في (متحف برادو) لوحة (مينيناس) حيث يشاهد حول طفلة صغيرة قزمة وكلب ومربية ومصور ، وتوزيع هؤلاء الاشخاص في مجموعات تنبض بالحياة والحركة وقد جعل الفنان الكلب يبدو في مقدمة اللوحة باسطا قائمتيه الاماميتين في حالة سكون كما نجد تقابل النور المشع في مقدمة اللوحة مع ضعفه الظاهر في عدم وضوح لوحات الجدار ، ويعبر الشخص الصاعد على الدرج عن منظور اللوحة •

اما الفنان (موريللو ١٦١٧ ــ ١٦٨٢) فقد تميز فنه بواقعية شعبية تتجلى في مشاهد اقتبسها من الحياة ، نذكر منها لوحة (الفقير الصغير) التي تجلى فيها اسلوبه الواقعي ونقده الاجتماعي • وقد جعل من هذه المشاهد روائع فنية ، كما اشتهر بمواضيعه الدينية كلوحة (ولادة العذراء) المحفوظة في (متحف اللوفر) التي تجلى فيها ابداعه وعبقريته الفنية في لقاء العالم الواقعي بالعالم الماوراء الواقعي ، ولوحة (صعود العذراء وحولها الملائكة)• وهكذا اسهم بصوره للسيدة العذراء في رفع النموذج الى درجة المثالية • ورأى بعض النقاد تأثره بالفنان (فان ديل) •

وبمجيء الفنان (جويا ١٧٤٦ ــ ١٨٢٨) ظهرت مفاهيم جمالية جديدة

في عصر ازداد الاهتمام بالتاريخ ، واصبح تمثيل الاحداث الانسانية في

الآثار الفنية اكثر اتصالا بالطبيعة التاريخية مما لم يكن معروفا فيما مضى ، مما جعل لفن القرن التاسع عشر طابعه الفني الواقعي • وقد اكتشف (جويا) مضمونا جديدا لآثاره • وكان فنه من القوة ما جعله مصدرا للتأثر في احسن ما ابدعه الفن في القرن التاسع عشر • وان لوحة (تنفيذ الاعدام) في ٢ مايس ١٨٦٤ تعتبر من الاعمال الفنية الخالدة ، عرض فيها الفنان نخبة من المناضلين الاسبانيين ينفذ فيهم جنود نابليون حكم الاعدام يوم ٣ مايس ١٨٠٨ ، وعبر الفنان في لوحته عن الاحساس بالرعب والشعور باليأس في اللحظات الاخيرة التي يجتازها أولئك المناضلون في رحلتهم الى عالم الخلود • بينما كانت فرقة ثانية من الجنود تدفع بجماعة اخرى من المناضلين نحو ساحة الاعدام ، وقد وصفها (ليونيللو فينتوري) بانها (صورة من الجحيم) باستثناء منظر القرية التي تظهر على احد المرتفعات التي تشهد هذه الكارثة الانسانية • وقد اتبع (جويا) في تصميم لوحة الاعدام الاساس المحوري ليضاعف الاحساس ببشاعة الفاجعة عن طريق الفراغ الحافل بتلك المجموعات البشرية ــ حسب تعبير فينتوري ــ • وان الضوء يكشف عن شكل التصميم كما تسهم الظلال في الايحاء به وعرضه في دينامية يسودها روح العنف • وقد تركز الضوء على شاب رافع ذراعيه معبرا بحركته ومظهره بقميصه عن الكارثة وقرب وقوعها • ورأى (ليونيللو فينتوري) هذه اللوحة بمثابة فتح في تاريخ الفن ، وان عنصرها التاريخي يؤكد ولادة عقيدة جديدة تقوم على حق الانسان بالحياة والحرية • وان هذا المشهد يجسد القضاء على القيم الانسانية بأداة غاشمة • وهكذا عبر (جويا) عن مشاعر شعب متطلع الى المجد فاعتبرت لوحته رمزا لثورة شعب على السيطرة الاجنبية • وقد وجه الفنان اهتمامه الى ابراز التأثير الدرامي دون الاهتمام بالمثاليات الجمالية المتوارثة ، وعبر عن حبه لبلاده وشعبه بهذه الصورة الفاجعية ، فالتقى في هذه اللوحة الواقعة التاريخية التي تمثل العنصر الموضوعي فيها مع الاحساس الفني والتعبير الذاتي في وحدة العمل الفني •

٩ ـ اما في البلاد العربية ـ التي مارس فنانوها الرسم منذ عصور ما قبل التاريخ على سطح الاواني الفخارية والسطوح الجدارية وغيرها ـ فقد أدركت اهمية الصور في التعبير عن الافكار ، واصبحت هذه الصور بمثابة مصطلحات ثم كلمات ذات مضمون فكري وقيمة تشكيلية •

وقد اشتهر الفنان (رابولا) بصوره التي تزين الانجيل المحفوظ في فلورنسا والمعروف باسمه •

واخذ الفنانون يزينون المخطوطات الادبية والعلمية بصور فنية • وقد اشتهر (يحيى بن محمود الواسطي) في القرن الثالث عشر بمهارته الفنية وحسه البديعي واسلوبه الأصيل المتمثل في صوره الجميلة التي زين بها كتاب (مقامات الحريري) عام ٦٣٤ هـ • مما جعل هذا المخطوط يعتبر من أهم مخطوطات (المكتبة الوطنية في باريس) • ووجد الجماليون في صوره (التعبير الاجتماعي في الفن) • وهناك مخطوطات عديدة علمية وادبية مزينة بصور توضيحية ذات قيمة فنية وجمالية ، وتؤكد صلة العلم بالفن ، وحاجة كل منهما الى الآخر ومن هذه المخطوطات المصورة تذكر كتاب (البيطرة واتناج الخيل وتربيتها وتدريبها) وكتاب في (تركيب العين وعللها وعلاجها على رأي أبقراط وجالينوس) لـ (حنين بن اسحق) وكتاب (الاغاني) لـ (ابي الفرج الاصبهاني) •••

١٠ ـ وتذوق ذوو الذوق جمال الخط العربي ، وأدركوا امكاناته في مجالات الزخرفة فاتخذوه ليضفي على السطوح التي يزينها مظهرا زخرفيا له قيمة جمالية ، وتحضرني بهذه المناسبة قصة فنان فرنسي عاد من الاندلس معجبا بجمال فنونها الاندلسية وزخارفها الفنية وكتاباتها العربية ، فزين باب كنيسة بلدته بكتابات عربية اعجبه جمال تكوينها واهمية قيمتها الزخرفية مما يؤكد انسانية الفن العربي الاسلامي • وقد نبغ عدد من الخطاطين المبدعين مثل (ابن مقلة) • وأوجد الاستاذ المرحوم (محمود جلال) طريقة جديدة في الرسم اعتمادا على الحروف العربية التي لاحظ فيها قيمتها التشكيلية

والجمالية ، فرسم جسم الانسان من تأليف الحروف العربية .

كما ادرك عدد من الفنانين العرب المعاصرين القيمة التشكيلية للحروف العربية فأبدعوا لوحات تعتمد على قيمها التشكيلية .

١١ ـ واذا كانت مدينة (اورول ـ الوركاء) اول المدن التي ابتكر سكانها فن الفسيفساء من الاصابع الطينية المختلفة الالوان ، فان الاجيال المتعاقبة ورثت تقاليد هذا الفن وجعلت من المربعات الحجرية الصغيرة لوحات فسيفساء في العصر الهلنستي تمثل مواضيع ميثولوجية . ورغب الفنان في الحصول على مكعبات مختلفة الالوان اتخذها من الزجاج .

وان لوحات الفسيفساء المكتشفة في سورية وفلسطين وليبيا وتونس والاسكندرية تدل على مدى اسهام فناني البلاد العربية في تقدم هذا الفن الذي شهد في العصر الاموي عصره الذهبي . وما زالت لوحات فسيفساء الجامع الاموي بدمشق وقبة الصخرة في القدس في فلسطين تثير اعجاب المشاهدين من متذوقين وفنانين وتساعد الباحثين في دراسة فردوس الارض كما تخيله فنانو ذلك العصر من قصور وجنات تجري من تحتها الانهار اضف الى ذلك القيم الجمالية للعناصر النباتية والزخارف الهندسية .

١٢ ـ واذا كانت سورية وفلسطين والعراق ومصر شهدت اقدم الاختام الاسطوانية والاختام المبسطة التي تدل على مدى رقي فن الحفر عصرئذ . فان الاجيال المتعاقبة ورثت تقاليد هذا الفن ، وابدعت اجمل الصور الميثولوجية والشخصية على بعض فصوص الخواتم . وكانت قيمة هذه الخواتم تتناسب مع اهمية احجارها وجمالية المشاهد المنقوشة عليها .

١٣ ـ ولن اهمية للآثار الزجاجية والفخارية والخزفية والحلي الذهبية والفضية والبرونزية والسيوف الدمشقية واليمانية والمنسوجات والمسكوكات وغيرها من الآثار المكتشفة في البلاد العربية والاسبانية تدل على اهمية هذه الفنون الصناعية .

دمشق

بشير زهدي

الأستاذ أحمد مظهر العظمة
في شعره ونثره
بقلم : حسان الكاتب

— ٢ —

وعرض بخيانة الخائنين واهمال المهملين فقال مخاطبا امته :

ايه يا أمتـي ويـا نبض قلبي … كـم ظلـوم مجـرب طغيانـه
يدعـي ثـم يعتلـي ثم يشكو … شعب هـم أمضـه تأثانـه
يكتفي بادعـاء مجـد عظيـم … ليس يدري ماركنه مـا جمانـه
لا ترجـى عروبـة تتجافـى … عـن عـلاء رصينـة اركانـه

ومن قول الاستاذ العظمة اذ ولي وزارة الزراعة :

ضـل يـا نفس جهـول … حسـب الحكـم تجـاره
انمـا الحكـم جهـاد … وابـاء وحـراره
اذكـري الفـاروق عـدلا … بـم يهتـم نهـاره

ولشاعرنا الكبير في وصف الاشياء المادية والمعانـي المجردة آيات بديعة بعد انعكاس صورها في نفسه الصافية الواعيـة ، فاسمعه وهـو يقول فـي قصيدته (قلبي) وهي واحد وعشرون بيتا :

عاش فيـه الاسى فكـان لسانه … وقلوب الشباب مهـوى لبانـه
ليس مثـل القلوب يشدو طروبا … وزمـان الاحزان ليس زمانـه

ولم هذا الاسى ، لان الحياة تؤلمه بما حـل فيها وهـو يعشق الكمال والمجد :

هازيء بالحياة وهـي خضوع … ودمـوع وخدعـة ومجانـه
عاشق والكمـال خيـر غوانيـ … ـه وغيـد الفساد لـن حسانـه

مولـع بالمآثـر الغـر والسؤ دد ، والعلم ، والعلا والصيانـه
مغـرم بالخيـام وهـي بيـان وسخـاء وعـزة وامانـه
مغرم بالسيوف يلمعن في الفتـ ح وراء الهدى لتعلـي شانـه

وفي خطابه لنفسه يقول :

يـا نفس يـا لغـز الحيـا ة ، ومنبـع العجب الكبيـر
اقنعـت بالعيـش المبـض وكنـت فـي عيش نضيـر

وفي وصف « خيال » يقول :

جال فـي مسرح الزمان القديم جولـة الحاذق اللبيب الحكيم
ورأى عيشـه سعـودا ونحسا حول تلك الضوى وقصر سليم
وسعى في مسارح العصر برقـا في الدجى فـوق ماجن وظلوم
ثم راح الخيال يعرج فـي الجو الـى عالـم السمو العظيـم
مثلـه النسـر قـوة ورجـاء في رحاب الفضاء بين النجـوم

وفي قصيدته في وصف البحر يقول :

ايها البحر الذي يهـوى الطماح وتوازيـه السمـوات الفساح
ويسيـر الطرف فـي آلائـه ثم لا ينفك فـي بعض النـواح
ويطيـر القلب مشغوقـا بـه وهـو حسن وجـلال وكفـاح
وصبـاح الشمس بسام لـه ومساها خاشع حتـى الـرواح

وفي وصف سفح جبل قاسيون المشرف على دمشق يقول مـن قصيدة ٢٣ مكرر :

غبـط السمـاء وليلهـا جبـل هـواه جمالهـا
تلـك النجـوم الساطعـا ت كـأنهـا آمالهـا
نـثـرت عليهـا مثلمـا نـثـر الفضائـل آلهـا
واللؤلـؤ المنثـور فـي أفـواهـه امثـالهـا

وفي خضرة الربيع يقول :

ابتسام الربيع فضضت اصبا حي وذهبت في الاصيل مسائي
ووهبت الخيال في الفجر آيا كلما رتلت اعادت صفائي
داعبتني الصبا وماجت بأطيا ف لطاف من المعاني الوضاء ...

(ويشخص) النبات ويقول بعنوان «حديث وردة» :

ووردة حدثتني عند الصباح الجميل
قالت ودمع أساها في جفن عين كحيل
بعدت عن ورد داري فيا لرزئي الجليل
وهاج دمعي لما لست معنى الاقول
فقلت يا ورد صبرا فأنت حقا مثيلي
قالت فانت لوصلي وانني للقبول (٢٥)

ويضيق ذرعا بعالم الزور والبهتان ، ويأنس بعالم الرياض ويقول فيه من قصيدة (عالم الرياض) :

رفت الارض في بدائعها الخضـ ـر وغنى الاغصان للافنان
وشدت كل زهرة بنشيد والنسيم الرقيق كالزعفران
كل أخت تميس تيها بأخت وتشيع الوفاء في كل آن

الى ان يقول في عظته للناس :

ايها الناس خففوا من عناء وعناد ومطمع وتفاني
انتم اخوة فكونوا سلاما ووئاما يطيب كالريحان
وعصي الآمال بالرفق يعطى حين يصفو الانسان للانسان (٢٦)

وفي حكاية وصف (آثار مقن) في لوحات روائع يقول :

وشيخ جليل القدر ذلك ابو العهد ومن حوله الافكار وهي قصائد
يحاكيهم ظلامنا يهتدون امة ومن خبثهم قامت تعالت مكائد (٢٩)

وشبيه بهذا قوله من قصيدة في وصف مفن المغربي :

اية (للاخويدن) في ابداعه ذلك الرسم بالهام عجيب
انه دعي من الفن الذي يخبط الناظر في شك مريب
قال لي خلني وقد ابصرته دلني أي المثالين القريب
حسب الالوان في ابداعها أفقا حقا ، وكم من مستريب
هكذا الفن اذا خالطه ذلك الالهام والسحر المهيب(٣٠)

ومما قاله في (التلفاز) (٣٢) :

ما أخيلاه للهموم طروبا ما اخيلاه ناصحا وشفيعا
النهى والمنى تطوف تباعا ثم تطوى وكم تعود رجوعا
وتجوب الدنيا وانت مقيم وتروم العلا وتلقى الجموعا
ولو ان المصار صانوه حقا لتسامي فما يكون خليعا
وغدا منبرا وامسى رياضا وتغنى وظل دوما رفيعا
أيهذا العلم الدؤوب الليالي والكسول النؤوم يحيا وضيعا
انت شمس تنير درب المعالي وتناجي العلا وترجي القطيعا
ضل سعي الجناة عاثوا فسادا باسم علم ما كان يوما فظيعا

وقد استغرق الوصف في ديوان (نفحات) اربعا وثلاثين صفحة (٣٧ — ١١٠) وصف فيها دمشق وغوطتها وجلنة من مصايفها وبعض الحدائق والبحر وجملة من المخترعات الحديثة . وفيه تسجيلات وتعليقات وصرخات من آلام وآمال بعد وقائع واحداث في الوطن العربي والاسلامي في الصفحات ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٣ ... الخ .. وفي ديوانه الاول « دعوة المجد » في الصفحات ٣٥ و٦٢ ومنها اشادة بذكر ابطال وعظماء ، خالد بن الوليد وطارق وعمر بن عبد العزيز وصلاح الدين ... وغيرهم قديما وحديثا . ومن ذلك قوله من قصيدة عمر بن عبد العزيز في ديوان دعوة المجد :

ان السلام الذي قد كنت تنشده اضحى موارى فلا ظل ولا أثر

والراحمين نجوم الامس قد بلغوا ... من المهانة ما لا يبلغ البشر
كل « ابي » وكل في ارومته ... مجد وعز وآمال لها سير
من كل اصيد لو بلغت ذلته ... لقمت تمنعه معوانك القدر
كم يستجير وكم تغريه السنة ... حمراء من دم مظلومين قد غدروا
لعهدك النور حقا جل عن شبه ... بعصر عدوان اهل الغرب يا عمر(٣٢)

وللاستاذ العظمة عبرات واعيات وقصائد دامعات ، فقد رثى بعض الاهل والاصدقاء والعلماء والادباء ودعاة الاصلاح والتوجيه ، ويلمس من يقرأ شعره في ذلك صدقه وحبه وتقديره . ومن قصائده في ذلك قصيدة في رثاء امه ومنها :

أمي يرن بسمعي صوتها ولها ... ذكرى يعبر عنها صامت الالم
لم اغش غرفتها ولهان مكتئبا ... الا ولاح محياها بلا حلم
كأن كل متاع حين المسه ... او حين أبصره قربى من الرحم
وكم سمعت نداء هزني فاذا ... صوت المنى والمنايا واهم الكلم
وهكذا العيش أعمار واخيلة ... والمرء من بعدها في قبضة الحكم(٣٣)

ويقول في رثاء الزعيم المغربي الاستاذ محي الدين القليبي في حفلة تأبينية في ربيع الاول ١٣٧٧ (تشرين الثاني ١٩٥٥) :

مصابك من عام تصرم دامع ... وعيشك للحق الدؤوب (وقائع)
محي الدين يا قلبا من الخير نابضا ... وسيفا على مر العصور يقارع
كأني القاك العشية مدرها ... تدافع عن ماض بـه المجد ذائع
تحدث عن فتك الفرنسيس بالاولى ... ارادوا العلا والغرب بالظلم بارع

الى ان يقول :

حسامك ما ذاك الهوان وهوله ... وقلبك وضاء ورأسك رافع
يلوح لنا في كل افق كأنه ... هلال له بين النجوم مطالع (٣٤)

وفي تأبين العلامة الاستاذ محمد كرد علي عنـد قبره بعـد كلمة فـي مآثره يقول (٣٥) :

محمد كنت الجد والفضل والعلا فبت ضجيعا شيعتك المدامـع
وللشام احـزان وللعرب لوعـة فيا لفقيد قـد بكتـه المجامـع

وفي رثائه البحاثة الاديب الاستاذ عباس محمود العقاد يقول (٣٦) :

يا يراعا قـد كان شمسا وطورا كان رمحا على صدور الاعادي
قـد حبيت البلاد نورا مبينـا بشعاع مـن العـلا والرشاد
ومنحت الشبـاب علمـا يقينـا لا ارتيابا وضلـة فـي اعتقـاد
فأدلـوا عـلى العصور بديـن وبمجـد محمـدي الجهـاد
ورميت العـدا بنقـد جـريء رب نقـد اشد مـن اصفـاد
ثم قريرا فالغمـد روض ونـور وحبـور للراحـل العقـاد

وشعر الاستاذ العظمة مع نفسه واهله واخوانه يفيض ودا وصفاء ورقة وحنينا ومرحا ، ومن ذلك قوله في قصيدته (حنان قلب) (٣٧) :

مالـه كالضيـاء بين جنوحـي بعد ما غاب عـن ظلام المعانـي
ان يكـن غـادر الزمان ابـاه فلقد عاش فـي جنوح الحنـان
حسن للبيـد ، للفتوح ، لعهـد سار فيـه الاسلام سير البيـان
حن للصيـد مـن غطارفة المجد دعـاة الهدى ، رعـاة الزمـان
كـل شهم منهم رياض المعالـي عبق الذكر مـن شذى الايمان

وقوله مازحا في رسالة الى صديق اهدى الـى مكتبة التمدن الاسلامي غثا وسمينا من كتب وصحف (٣٨) :

اهديتم كتبا من خير ما سكبت قرائح الفضل من علم ومن ادب
وسوف يغنم منها كـل مكتسب نورا ينال بـه كنزا من الحقب
لكن فيها وقودا يصطلي فرحـا به (التمدن) دون الزيت والحطب

اكرم بها حين كانون سيرجفنيا ... بيرده وهي (للكانون) خير أب
فارسلوا بغيـة الاحراق نافلـة ... كبرى تباهي بهـا حبالة الحطب
وارسلوا من مجاني العلم ما ابتهجت ... به العقول ابتهاج النور بالسبب

وأخيرا لا يفوتني ان اقول : انما يكون المرء شاعرا حقـا بدقة ملاحظته ورقة عاطفته وسلامة ذوقه وروعة بيانه الفصيح الكلمات ، الحسن الرصف ، الجميل الوصف الذي لم يخلق باسلوبه ركاكه ، ولم يشبتـه تعقيد ، ويجمع الاستاذ العظمة ذلك كله في اكثر شعره السهل الصادق الذي يذكرنا بما رواه ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات الشعراء (٣٩) عن ابن عباد قال ، قال لي عمر : أنشدني لاشعر شعرائكم ، قلت ، من هو يا امير المؤمنين ؟ قال : زهير قلت : وكان كذلك ؟ (٤٠) قال : كان لا يعاظل (٤١) بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل الا بما فيه •

وهكذا نجد شعر الاستاذ العظمة في ديوانيه من اصدق الشعر واسهله واعذبه واتمه • حفظ الله شاعر الايمان والمجد للعلم والادب ومكانه مـن الأخلاق •

نثر الاستاذ العظمة :

والأستاذ احمد مظهر العظمة ـ مع ما اشرنا اليه من شاعرية اصيلة ـ كاتب كبير ، سخر ادبه للعلم والاصلاح منـذ اول عهـده بالتأليف وكتابـة المقالات في مجلة التمدن الاسلامي التي يرأس تحريرها منذ اربعين علما وفي غيرها من المجلات والصحف الكثيرة •

كتب في التفسير والسنة والعقيدة والعبادة والمعاملة والاخلاق والتشريع والتربية والحضارة والمدنية والعلم والثقافـة والمجتمـع والتراجم والشعـر والنثر والخطابة ••• الخ •

ـ وهو يرى ان الامة بحاجة الى ادب الاصلاح ، وكان يحمل عـلى ادب المتعة واللهو (٤٢) ومن قوله ردا لزعم ادباء اللهو والمتعة : (المطلوب مـن الاديب ان ذهب هذا المذهب او ذاك ان يثبت ان الاديب صدى الجمال بالفاظه

المختارة وجملة الفنية واسلوبه الاخاذ ، يوحي ذلك كلـه ذوق صهلر وطبـع متمكن ، فيعمل في النفوس عمله ، فاذا بالآذان والقلوب تسموه ـ ولو كان في موضوع اجتماعي ـ فتهتز له او قل به كما تطرب بتغريـد البلبل ، وتسر بخرير الجدول ، وتأنس بساعة الفجر ، ونشوة النصر ، وفرحة اللقاء ... ان الادب لا يحرص كل الحرص على موضوع دون موضوع ـ وان كان الصق ببعض الموضوعات ببعض ـ ولكنه يحرص علـى الفن البياني الجميـل ذي القوة الاخاذة التي لا يملك مثلها الكلام العادي ، لان هـذا الكلام للتفاهم الضروري ، والكلام الادبي وسيلة تعبير رفيع ان كان ادبـا صرفا ، او وسيلة تأثير قوي لن كاد ادبا تطبيقيا ...) (٤٣) .

آ ـ للاستاذ العظمة اسلوبا من قوي فحل انيق حسن الايقاع في الاسماع والقلوب ، جزل الالفاظ الفصيحة ، موجز العبـارة ، واضح الدلالة ، فيـه صناعة محمودة لا اسراف فيها ولا تكلف ، يبدو ذلـك فـي كثير مما يصنفه مجملا في مقدمات مجلة التمدن الاسلامي التـي رأس تحريرها منـذ اربعين عاما ولا يزال .

ب ـ واسلوب علمي رقيق دقيق ، رشيق الالفاظ ، لين الجمل ، سهـل العبارات ، مشرق المعاني ، بعيد عن المحسنات اللفظية ، الا ما سقط منها عفوا في مواضعه . وهو يعتمد على هذا الاسلوب فـي معرض البحث والتفصيل والتحقيق .

فمن الاسلوب الاول مقاله منذ اربعين عاما يصف فيـه الامير خالـدا الجزائري يوم وفاته في ١١ ـ ١٠ ـ ١٣٥٤ هـ وهـو حفيـد المجاهد الكبير الامير عبد القادر الجزائري الحسني ؛ وفيه يقول مشيرا الى طلبه مبارزة معتد طعن في الاسلام والرسول العربي (ص) .

(... لم اكن للامير قريبا او حميما فاكتب عنه مليا) ، وانما كنت لـه على بعد وانقطاع صديقا وفيا ، منذ كتب في احدى الصحف عن احد البوغاء الاعاجيم من ذوي الدخلة الخبيثة للشريعة السمحة ، مقالا اصاب بـه عن غير

علم ولا هدى ، كرامة الرسول العربي صلى الله عليـه وسلم فاذا الامير يضج ضجيج ذي دنف من ألمه ، ويهب هبوب الاسد بوغت فـي عرينـه ، ويلسنه قوله : البراز البراز ، بالسلاح الذي تختاره ، او اعتذرت واستغفرت ••• ؟ فكانت صيحة بطل تناقلتها الصحف والجماعات الغضبى ، اعقبهـا غسل عار ، واعتذار ، واستغفار •

وكتبت ـ وكتب الناس ـ الـى الامير اشكره علـى الغيرة والمروءة ، فاجابني : (لم افعل الا واجبي الديني ، اشكركم على مؤازرتكم وحميتكم)•

وقد ذاد عن الاسلام في مواقف يستحق بها ان يكون في التاريخ مـن الخالدين • وساعده في جهاده ان كان ليسنا باللغة الفرنسية ، مشجعا ، تحسبه وهو يخطب (ميرابو) خطيب ثورة الفرنسيس ••• (٤) •

ومن اسلوب الاستاذ العظمة الثاني قولـه فـي اهم مزايـا الحضارة الاسلامية ما يلي :

(شمولها نواحي الحضارة جميعاً ، خلافا لمـا هي عليه حضارات الامم ، فحضارة اليونانين الاثينين فلسفيـة فنيـة ، والاسبارطيين مدنيـة جندية ، والرومان اشتراعية وحربية ، والفرس صناعية وفنية ، والهند فلسفية روحية•• اما الحضارة الاسلامية فهي روحية وخلقية واشتراعية وادبية وفلسفية وعلمية وعملية •••) •

واكثر مؤلفاته ومقالاته في المجلات والصحف كتبها باسلوبـه الثاني ، اغتناما للوقت ، ومراعاة للبحث وزيادة في السهولة •

اما خطبه ، فقد قواها التدريس ، والعمل في التمدن الاسلامي والتنقل من بعد الترشيح للنيابة • في احياء دمشق وغوطتها عـام ١٩٤٧ م وارتجالـه الخطب السياسية والاجتماعية التوجيهية التي وصلت بينـه وبين الجماهير ، وجاءت خطبة سهلة واضحة قصيرة الجمل والعبارات قوية الفواصل ، عميقة الاثر ، وكثيرا ما اطال فيها مراعاة لمقتضى الحال مع فصاحة قول وتدفق بيان وقوة استشهاد ومن خطبة ارتجلها الاستاذ العظمة افتتح بهـا مدرسة التمدن

الاسلامي الثانوية بصفته مديرها ــ عام ١٣٦٤ هـ ١٩٤٥ م قوله :

(... هذا يوم من ايام الله له ما بعد ، انه يوم مدرسة الوطن وليدة الضرورة المبرمة التي كان بعض الناس في شك منها ، ثم آمنوا بها جميعا حين وقعت الواقعة ، فشارك اساتذة المدارس الفرنسية زبانية العدوان الاثيم فاصلونا حميما وبارودا ، ازهق النفوس البريئة ، وهدم المساكن الآمنة ، حتى اهتز الثقلان على ما اصابنا من ظلم لا يرحم ، واستعباد لا يألم ، ووحشية لا تستغني عن قرونها ، وانيابها واظفارها ... الخ) .

دمشق حسان الكاتب

مهرجان اسلامي في لندن للتعريف بالحضارة الاسلامية

قال رئيس لجنة مهرجان العالم الاسلامي ان هذا المهرجان الذي سيستمر ثلاثة اشهر وتفتتحه الملكة اليزابيث هو حدث لا دخل له في الشؤون السياسية .

وقال السير هارولد بيلي رئيس اللجنة في مؤتمر صحفي ان المهرجان الذي تقدر نفقاته بمليوني جنيه استرليني يهدف الى التعريف بالثقافة والحضارة الاسلاميتين من خلال الادب والموسيقى والفن .

وقال السير هارولد ان اعداد المهرجان استغرق ثلاث سنوات . وقد وصلت بالفعل كنوز اثرية من ٣٠ بلدا وحوالي ٢٥٠ متحفا لعرضها خلال المهرجان .

ويقول المنظمون ان المهرجان سيقدم للعالم الغربي الحضارة والثقافة الاسلاميتين .

وقالوا ان معارض وحفلات موسيقية ومحاضرات ستعقد في لندن ومقاطعات بريطانيا الاخرى .

وسيعرض التليفزيون البريطاني سلسلة من افلام اعدت خصيصا للمهرجان .

العرفان : كان المهرجان موفقا .

عبد الحميد بن باديس

باني نهضة ومنقذ أمة

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

البلاد العربية كائن حي :

موقع يتيم ـ احياه الاسلام ، واحيا به ـ كائن تعددت اسماؤه .

موقع يتيم

البلاد العربية شامة في وجه العالم ، تزيده جمالا ووضاءة ، قد تستغني عن مجموعة ولا تستغني عن مجموعها ، إذ هي مصباحه الحضاري والروحي، وهمزة وصله . فازت بموقع يتيم ، خلق الحضارات القديمة : المصرية ـ العراقية ـ الشامية ، اليمنية ـ وتحتل طليعة امبراطوريات التاريخ واحتفظ بما يلمع صناعة يقظة وزراعة متطورة .

غاصت البحار بيد ابنائها الكنعانيين (الفينيقيين) والحضارة ، ولم تعرف فوضى الطبقات التي فتكت بقدماء الفرس واليونان والرومان ... ولم تفارق فرنسا منذ وقت قصير !!! هي ، قطعة من ذهب ، تخللها بقيرون الغفوة، بعض الاثرية ، فحاول الطامعون طرحها بأتون التجربة ، لكن لتخرجن ناصعة، تنشد مع ابي زيد السروجي :

وطاعا أصيلي الياقوت جمر غضى ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

حياها الله كنوزا ، فأخذ الطامعون يظفرون ببعضها ، وكان هذا سبب تمزيق أوصالها ، وبعثرة اجزائها ، ولعلها هي الممزق المبعثر الوحيد ، في هذا العصر ، لكن هذا لن يفضي لموتها اذ بها مقومات وحصانات تكفل يقظتها .

احياها الاسلام واحيا بها

ما كاد هذا الكائن ، يغفو لحظة ، بين عمر الزمن ، ويتقاسمه قدماء

المستعمرين ـ من يونان وفرس وروم وأحباش ، حتى جاء الاسلام فأقال عثرته ، واطلقه حاملا عقيدة تخالف المنطق وتشريعا يكفل سلم العالم .

لقد زاد الاسلام هذا الكائن الحي صقلا ، ونجاه من تجارب ومحن ، وسينجو من هذه المحنة ، اذا حشد امكاناته واكتشف طاقاته .

اما الاثرية التي علقت به ، وكادت تواري بعض خصائصه الاصيلة ، فليست خافية هي ذوي ، البصائر والانوف السليمة .

ولئن تسلل الطامعون من فجوات انقساماتنا الداخلية ، وفرحوا بمعاركنا الجانبية ، وما زالوا يفرون بعضا ببعض ، حتى اشرفوا على استنزاف طاقاتنا ، فقد وضعنا ـ او كدنا نضع لهذه الدهورة حدا وأخذنا من الدهر درسا .

هذا الكائن وان تعددت اسماؤه ، فرأيناها في العراق اشوريين وكلدانيين ، وفي الشام ـ سورية ولبنان كنعانيين وفيظيين وارامبين وفينيقيين ، وفي مصر هكسوس وفي المغرب بربر هو كان واحد ، ذو اسم واحد ، هو العرب الابطال المسلمون الخالدون .

ولئن تجرعنا من كأس تجزءتنا ، هذا العلقم الفتاك ، فعادت دولتنا الكبرى دويلات ووطننا الكبير اوطانا ، فقد آن ان تتخذ التعاون المخلص مقدمة لوحدة كبرى ترفع لواء الاسلام لا سيما بعد ان أصبحت هذه الاجواء تفرضها .

تعليق على حضارة ديار عاد وثمود

السدود والتابعة ـ خط التجارة من حضرموت للشام ـ الحيرة اليمانية ـ

ولئن أوجزنا الآن البحث عن رقعة من بلاد العرب فلا ينبغي ان يفوتنا ان العرب وديار العرب ولذا وان أوجزنا البحث على بعضها الآن ، المنطقة العربية وحدة منذ قرون غارقة في القدم بل ان الديار التي تتكلم العربية الآن هي عربية منذ قرون لا نستطيع تحديدها .

قصص الرسل دعوة للاقتداء بهم واتخاذ سيرتهم درسا نستفيد به من المثابرة على الدعوة المخلصة لها ولو افضت لجهد ومشقة ٠

وقصص رسل العرب نافذة نطل منها على الديار التي عاشوا بها ونلتفت لما تمتعت به من حضارات ونلمس النواميس التي تميز ارتفاع الامم وانخفاضها ونضع الكف على الاسباب التي أحالت تلك الحضارات اخبارا ٠ حدثنا القرآن عن قوم هود وصالح وشعيب ولوط وايوب فأرانا باليمن والحجاز والاردن (العقبة الاغوار معان) وحوران قصورا وبساتين وتجارات ومعادن ومياها جوفية ٠ واذا اضفنا هذا لسدود اليمن ودولها وتبابعتها (أباطرتها او ولاياتها المتعددة) رأينا الديار الممتدة من اليمن لدمشق متفوقة على ما عاصرها أبنية وزراعة وصحة سكان وطول أعمار وانخفاض نسبة وفاة الاطفال ٠

ولئن اصبح بعض تلك الديار صحراء وبعضها مغمورا بالمياه كالبحر الميت مثلا فعلينا

تعليق على بلاد العرب كائن حي :

نحن العرب اخذنا مفتاح المعرفة ، فلم ندخل ومنعنا الداخلين ٠٠٠ تشريع خاتم الرسل عالمي ، تكفل بشفاء الانسان ، مما عاناه ويعانيه وسوف يعانيه ، بلغه رسول الله العرب اولا ووضع على عاتقهم مهمة نشره ٠

اتخذوه دستورا لحظة من عمر الزمن ، ثم تخلوا عنه منذ تخلوا عن الشورى ، فأفلت شمسهم واظلم مجتمعهم ، واشتركوا ، ملوكا وشعوبا ، بتشويهه ـ اي عرضه على العالم مشوها ـ فوقف سيل امتداده ، واجترأت عليه الاقلام الحاقدة والمأجورة والطفلة ٠٠

لقد ابتعدنا عنه ، فعدنا جاهليين نجتر كلمة التوحيد ، ونمارس عبادات لانكاد ندرك حكمتها ، فضللنا واضللنا ، بل هلكنا واهلكنا ، ورمينا البشرية بنكسة لن تقال الا اذا غيرنا ما تاتعسنا ٠٠

ابتعدنا ، حتى نحن الذين تتناول طعامنا بملاعق الدين ، وشاطرونا

الجمهور مفاهيمه ، جهلا منا او مجاملة ، ومن الانصاف ان تنظر الجمهور بعين المذرة ، اذا انجرف بتيارات متضاربة ومغريات مخيفة اجرجته وحاولت استئصال الايمان من صدوره ، بل ومن الانصاف ان نعترف انا ـ بتشديد النون ـ نحمل الدواء الواقي ، لكن لم تتناوله ..

لقد تركنا الناس يلتهمون معرفة الاسلام من سيرتنا وواقعنا وكتبنا المحشوة بالاترية والجدل ، ناسين ان العميان اذا قادوا عميانا ، انجرفوا في هاوية ...

على اني ـ والحق يقال ـ المس الفرق بل عدم التكافؤ بيننا نحن الشيوخ وبين الماديين والذين استعذبوا الصولة على الاسلام كالاب يوسف درة الحداد مثلا ، اذ يستغل هؤلاء تفريطنا وعدم دراستنا المنظمة ويرموننا بسهام ، قد يخالونها لجهلهم الاسلام قاتلة ، اما نحن فقد تتجاهل السهام او نقابلها بدريئة مرتجلة ، قد لا تعدو جملا نرصع بها خطبة الجامع ، ولا تلبث ان تتبخر من اذهان السامعين ..

قد نملك الرد فكريا ، لكن لا نجد من ينشره ، لان اجواء التوجيه والنشر ليست معنا ، ولان الذين يصمدون على اكتاف المسلمين ويزورون احياءهم مرة في البضع سنوات هم بواد آخر ، ولعل الذين وصفوا الفكر الديني بالبائس نظروه من نافذة بؤسنا نحن . الا ان السياسة المبيتة منذ قرون سهرت على هزالنا ، لتخلو الساحة ، وقهرت بعضنا على الاحتماء بمن اعدتهم لتنفيذ مبيتاتها ، ومما يخزي ويؤلم ، ان بعضنا يبرر مطلق نظام قائم ، ويسدل على التبرير ثوبا دينيا كان الاسلام صابون تغسل به انحراف المنحرفين ..

لقد ظلمتم الاسلام ـ أيها الناس ـ حين نظرتموه من نافذة المرتزقة باسمه، كما ظلمتموه حين خلتوه يؤجج نزاعا بين الناس..وظلمتموه اكثر واكثر حين حشرتم الذين لا يتقنون الدفاع عنه ، في زمرة حماته .

لقد تعلمنا التوحيد كمقدمات ونتائج ، ولم نتعلمه بدراسة الطبيعة والاستدلال من قوانينها الدقيقة على قوة تنظيمها بعناية وتقدير .

وتعلمنا الدفاع عن الاسلام ، رداً على المرضيات والتأريخيات ، ولم نتعلمه تصحيحاً للفكر المادي او المذاهب الاقتصادية المتغايرة التي اختلفت بكل شيء الا بالصولة على جوهرنا ، او صولة الاستشراق المختفية تحت رداء البحث المنهجي الموضوعي ، أو المدارس التي سلبتنا اطفالنا وما زالت تتخمهم بالشبهات حتى تبنوها كحقائق ، وخرجوا يلهثون وراء الزعامات التي دفعت سفينتنا لليم المبيد ..

لقد فاتكم ـ أيها الناس ـ ان الاسلام امرنا باحالة ارضنا فردوساً ، لنتخذها جواز مرور للفردوس السماوي ، اما نحن فقد غرقنا بالمفاهيم الملتوية ، وقذفنا بنفوس الجمهور ان الاسلام اختصنا بفردوس السماء حتى لو تركنا ارضنا بوراً .

امرنا ان نقيم انفسنا مقام الطبيب ، ونصف لكل سائل ما يناسبه ، لكننا ، وصفنا للناس دواءاً واحداً فأصبنا منهم مقتلاً .

امرنا ان نتخذ من العلم حجتنا ، فأخذنا نلتهم دون حجبة ، كأننا جسم اعرض عن وسائل الدفاع ففتكت به الامراض السارية .

فارقنا نقطة الوسط التي اعدنا لها الاسلام ، واخذنا بمهماز الغلو نجنح لمستنقع المتناقضات فبعضنا ينظر الاسلام من نافذة خيالات الباطنية التي حمل رايتها الحلاج ، وابنى بها ماسينيون ، كخرافة مأساة ابليس ، ويرى قصة الطوفان رمزية كأنه يرى مستحيلاً ان يطوفه نهر فيغرق قوما ، ويرى تكوين الانسان الاول من تراب متناقضاً مع العلم ، وبعضنا يبرر التخلف بل والطرد من فلسطين بالقضاء والقدر ، وبعضنا يرى ـ ترديداً للتوجيه الاستشراقي ـ الاسلام عثرة في طريق حياتنا كأمة ...

مسكين هذا الاسلام لقد وضعنا على عاتقه ما يبرىء منه ، فاشتركنا بتشويهه ، وحلنا دون سطوع نوره ، وعرضنا محاسنه مآخذ ..

لقد فاتنا ان الشمس ، تأفل ، لكن ليس افولا ابديا . وفاتنا ان اعمال المنحرفين ليست من تأثير اديانهم ، ولذا لا نضع تبعة انحراف دول الغرب على عاتق دينه ولا نضع جرائم الدول المعاصرة على عاتق سيدنا المسيح اذ لم يأمر باعداد قنبلتي هيروشيما وناغازاكي ولم يقل : امنحوا فلسطين ابناء الافاعي ..

بيروت محمد علي الزعبي

الشاعر أمين نخله

بقلم : وديع ديب

جاءت اطلالة الشاعر الامين الى الدنيا واطلالة القرن العشرين في موعد واحد . فقد توفاه الله الى رحمته عن خمسة وسبعين عاما . ولقد كان في شعراء الطليعة من أبناء هذا العصر . فهو يرقى في المستوى الشعري الى منزلة شوقي ومطران والرصافي وأبي ماضي والقروي والمعلوف والاخطل الصغير . الا أنه لم ينظم في جميع الاغراض المعروفة التي ألفها شعراء هذه الحقبة من الزمن . وكأني به يعيش للجمال وحده ، كما يعيش للنغم الساحر والصوت الآسر بما يشابه ابن الرومي في الكثير من شعوره الوجداني . وينفرد عن غيره من الشعراء في أنه لم يكن في شعره أبرع منه في نثره . فكأنهما يسكبان في بوتقة فريدة واحدة . مرد ذلك الى ما توفر له في حداثته من مناخ شاعري وحسب عربي . حسبه ان يكون ربيب رشيد نخلة ، الذي جعل للزجل اللبناني أجنحة من الخيال ترقى به الى سدة الشعر الوجداني الرفيع ، وحسبه أن يكون ابن من قال في النشيد الوطني :

سهلنا والجبل ... منبت للرجال

ففي هذا المنبت العربي الاصيل نشأ الامين عزيزا مباهيا في عشيرته ووطنه . ولطالما سمعته يحدثنا باعتزاز عن شرف أرومته التي تمت الى الدوحة الهاشمية بصلة قربى . هذا ، ولم يكن حرصه على شرف نجاره بأشد من حرصه على أصالة الفاظه وشرف معانيها . من أجل ذلك ، كان كلما أطل على العالم العربي بكتاب من نثر أو شعر ، يتناوله أساطين اللغة بالنقد من أمثال الشيخ مصطفى الغلاييني ، والشيخ ابراهيم المنذر . وكان كلما أخذ عليه مأخذ لغوي يقرع الحجة بالحجة ولا يرضى بغير الاقناع دليلا . أقول هذا وأرجو أن لا يفهم من كلامي ، أنه كان مشدودا الى الحرف بأسباب لا

تنفصم ولا تقبل التحرك في مضمار البيان . ولولا هذا الميل فيه الى الابداع والتجديد ، لما انحنى أمام مدرسة بودلير مكبرا خاشعا :

ليت شعـري أي خـزي يعتري — شعراء الارض ان قاموا لديـك
أنا لـو بلغت جئت القبر فـي — حرمـة المـوت وقبلت يديـك

وغني عن البيان أن كبار النقاد لم يتناولوا قصائده بالنقـد الا بدافـع الاكبار والتقدير . ومجمل القول فان أمين نخلة ، كان ممن يدينون بالمذهب الارستقراطي في اختيار ألوان الكلم . لذلك ألبس معانيـه الديباج الموشى على غير اسراف في الزخرف ، علما منه ان المعاني الجميلة ، هـي كالغوانـي الحسان اللواتي أغناها الله عن طلب الجمال فـي غير وجوهها ، وأجسادها . وهنا ليسمح لي القارىء الكريم ، باختيار فريدتين من فرائـده في « دفتـر الغزل » على سبيل المثال . لعل فيهما ما يعيـد الرضى والاطمئنان الـى النفوس بعد أن عصفت بها رياح المآسي والمحن ، التي نعانيها في أيامنا هذه . القصيدة الاولى بموضوع « الحبيب الاول » والثانيـة بموضوع « سـيد درويش » وكلتاهما على غاية من الطرافة والابداع .

الحبيب الاول :

أحبك في القنوط وفـي التمني — كأني منك صرت وصرت منـي
أحبك فوق مـا وسعت ضلوعي — وفوق مدى يدي ، وبلوغ ظني
هـوى مترنـح الاعطاف ، طلق — عـلى سهـل الشباب المطمئن
أبوح اذن ، فكل هبوب ريـح — حديث عنك فـي الدنيا وعنـي
سينشرنا الصباح علـى الروابي — على الوادي ، على الشجر الاغن
أبوح اذن ، فهل تدري الدوالي — بأنـك أنت أقداحـي ودنـي
اتمتم باسم ثغرك فـوق كأسي — وأرشفهـا كأنـك أو كأنـي
كأن الصحو يلمع فـي ظنوني — ويخفق فـي ضلوعي ألف غصن
على الوتر الحنون خلعت شوقي — وماج هواي فـي آه المغنـي
ففي النغم العميق اليك أمشي — وأسايك جانب الوتـر [illegible]

سيد درويش :

يا واحد الفن ، والآفاق مصغية ... جرى العشية ، حمراء الاسارير
اهتف ، تجد شفقا يمشي الى شفق ... معجل الخطو بين الوهج والنور
في الغيب منك جناحا طائر غرد ... مغلغل الصوت، خلف الحجب،مأسور
أدرت عيني فما زفا ، ولا خفقا ... لما انطلقت ، فأذني في فم الزور
من أي بشدو سحيق أنت مرسله ... على ذرى غرف الولدان والخور
عاشت اغانيك كهفا يستعاذ بـه ... من الحياة ، ومـن صمم المقادير
وروضةغضة، خضراء، قد سقطت ... ظمئى القلوب عليهـا كالعصافير
يا ليت صيحة «آه» منك طوع يدي ... حتى اقول لها : طيري بناء طيري
فتى الاغاني ، وما ناديت مستمعا، ... ونـي الربيع بسلطان الشحارير
لو أنصفتك الغصون الخضر مارقصت ... يوما، ولا صفقت يوما، لعصفور

قاموس عربي يدرس فـي جامعة امريكية

كتبت الدكتورة الشاعرة سلمى الخضرا الجيوسي ، استـاذة التـراث العربي في جامعة يوتا الى الاستاذ طلال حكمت المديـر العام لدائـرة الثقافة والفنون تقول : ان قاموس العـادات واللهجات والاوابـد الاردنيـة تأليف الاستاذ روكس بن زائد العزيزي الذي طبعته الدائرة يدرس في جامعة يوتـا فـي امريكا .

ومما يذكر ان قاموس العزيزي ، قد صدر في ثلاثـة مجلدات ضخمة . اجتهد فيه مؤلفه ان يكون شامـلا وملما بشرح مفصل عـن كـل العادات واللهجات والاوابد الاردنية .

ولعل تدريس هذا المعجم النادر فـي احدى الجامعات الاجنبية ، يـدل بوضوح الى المكانة الادبية المرموقة التي يمتاز بها العزيزي ، كما يـدل ايضا الى مكانة قاموسه بين المؤلفات الاردنية الاخرى ، التـي حاول اصحابها ان يبحثوا في هذا المجال .

مؤشرات الحرب الخامسة بين العرب وإسرائيل

بقلم: حيدر العربي

تقوم في لبنان أحداث دامية تأمل ان تنتهي بشكل يحفظ وحدة لبنان ويحقق العدل لمواطنيه وتتعرض الضفة الغربية المحتلة لاجراءات قاسية من العدو الصهيوني ظهرت بوادرها بالسماح لليهود بالصلاة بالمسجد الاقصى المبارك/اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين/وبمصادرة الاراضي من اصحابها لاقامة مستوطنات للصهاينة ، وقد قابلتها انتفاضة مباركة آمل ان تكلل بالنجاح .

وبعد فك الارتباط بدأت المناورات السياسية الى حالة انهاء الحرب بين العرب والصهاينة او حل مسألة فلسطين بشكل سلمي في مؤتمر جنيف او مجلس الامن وغيرهما ، وتدور في أروقة بعض المحافل الدولية مناقشات تخص بعض جوانب القضية وتنتهي بعضها بقرارات لصالح العرب .

لكن ذلك كله يجب ان لا يجعلنا نغفل عن أن العدو الصهيوني لنا بالمرصاد وانه يتحين الفرصة لشن عدوان غادر خاطف كما فعل عام ١٩٦٧ ـ ذلك ان عدونا شرس طامع متوحش لا يفقه اي معنى من معاني الانسانية وان أهم سلاح لدى هذا العدو هو الحقد الاسود الدفين على البشرية والاديان ويلاحظ ان النظام الشيوعي بقسوته والنظام الرأسمالي برفاهيته لم يستطيعا ان يغيرا من مفاهيم اليهود المعكوسة او يقضيان على تجمعاتهم فيذيبهم ويكسر تفوقهم ـ لذلك فان صراعنا معه صراع بقاء ـ وقد نبهنا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم الى حقد اليهود وخبثهم في كثير من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة التي لم يكررها الشارع الا ليبين لنا خطورة اليهود ويؤكد على تصميمهم الماكر بمحاربة الفضيلة ومحو الاديان ونشر الضلال والرذيلة وعبادة المادة والهوى والشيطان .

وبالرغم من انني لست من أرباب السياسة او ممن له معرفة بالعلوم العسكرية او اطلاع على ما تريده الدول الكبرى من تأمين لمصالحها او نشر لافكارها في البلاد النامية مثل منطقة الشرق الاوسط .

وبالرغم من اخذي بنصيحة المرحوم عدنان مدريس رئيس وزراء تركيا الاسبق حيث يقول (اياك أن تشتغل بالسياسة في بلد تدار سياسته من الخارج) .

فانني وبدافع من حبي لديني وامتي وعلي أقوم ببعض الواجب الملقى علي ـ اذكر الحكام العرب والشعب العربي بالامور التالية التي هي في الحقيقة بدهيات فرضها الواقع ومن الواجب ان نوليها العناية الكافية والدراسة الوافية لانها مؤشرات حقيقية تدل على قرب وقوع الحرب الخامسة بيننا وبين الصهاينة . وقبل ان اذكر مجملها احب ان ابين ان (ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة) .

واليك ايها القارىء الكريم خلاصة هذه الاسباب :

اولا ـ ان اليهود سيعمدون للثأر من حرب رمضان عام ١٣٩٣ هـ المصادف تشرين اول ١٩٧٣ م لان هذه الحرب انتجت نتائج ايجابية لصالح العرب بالرغم مما رافقها من اخطاء وسوء تصرف بالاعداد والتخطيط والتنفيذ فهي أ : حطمت اسطورة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر واليهود الصهاينة لا يريدون تصديق ان هذه الاسطورة قد تحطمت والى الابد لان غرورهم وحلفهم ؛ يجعلانهم معرضون عن الواقع .

ب : حطمت أسطورة أمن اسرائيل المزعوم باحاطتها بحدود من انهار او صحراء او جبال .

جـ : اظهرت كفاءة الجندي العربي كمقاتل جيد بالرغم من سوء تغذيته وسوء تدريبه وقلة امكاناته المادية وتسيبه المحطمة « وقد ظهرت بطولات من بعض الضباط والجنود في حرب رمضان هي بحق مجال الفخر والاعتزاز » .

د : اثبتت ان العرب قادرون على شن الحرب والقتال اذا سمح لهم بذلك

وان هذه الامة لم ولن تموت مصداقا لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : الخير في وفي أمتي الى يوم القيامة •

هـ : اثبتت مع فائدة فتح اكثر من جبهة وبآن واحد • وفعلا فقد عبرت القوات المصرية قناة السويس وحطمت خط بارليف بسرعة قصوى وبخسائر قليلة مستغلة التفات جيش الصهاينة وطيرانهم لصد الزحف الهائل الذي قام به الجيش السوري والذي يشكل خنجرا من قلب المنطقة المحتلة لقرب حدود سورية بعكس الجيش المصري الذي لا يشكل خطرا مباشرا وضربة موجعة للعدو كونه يواجه صحراء سيناء ، ومن بعدها صحراء النقب •

و : اثبتت فائدة الوحدة العربية والتكاتف العربي حين قامت البلاد العربية والاسلامية مشكورة وعلى اختلاف نزعاتها واتجاهاتها بواجبها أفضل قيام وهذا يجعلنا نرفع رأسنا عاليا ، فمنهم من قدم المال ومنهم من قدم السلاح ومنهم من قدم الرجال « والجود بالنفس اقصى غاية الجود » وانه ليوم مشهود حين امتزج الدم العربي الطاهر على ثرى الجولان الحبيبة وفي رمال سيناء الغالية فعانق الشهيد السوري أخاه الشهيد المغربي والاردني والعراقي والكويتي والسعودي والمصري •

ز : حركت قضية فلسطين ودفعت العالم لايجاد الحلول « كما يقول بعض أرباب السياسة » ولست هنا بصدد بحث سلاح البترول ونتائجه ، لكن الحقيقة التي لا تنكر انه جعل المواطن الامريكي والاوروبي يشعر بوجود قضية اسمها قضية فلسطين ويشعر بوجود العرب • وبقي على المسؤولين ووسائل الاعلام العربية ان تفهمه ان العرب اصحاب حق وان اليهود غزاة غاصبون وان هناك اكثر من مليون فلسطيني مشرد وهؤلاء يطلق عليهم اسم « اللاجئين الفلسطينيين » وان هؤلاء هم اصحاب البلاد الاصليين وان الصهاينة دخلاء طامعون •

ثانيا ـ وجود الاعداد الكثيفة من الصهاينة في المنطقة المحتلة واستمرار الهجرة اليها من روسية بحيث بلغ تعدادهم اكثر من ثلاثة ملايين نسمة حتى ان

المنطقة المحتلة لم تعد تكفي لاعاشتهم خاصة وان كل كيانهم قائم على أساس عسكري •

ثالثا ــ وجود الاسلحة الضخمة المخيفة التي تكدست في مستودعات الصهاينة والتي هي بازدياد مستمر حتى ان المنطقة المحتلة بأكملها اصبحت مستودعا للاسلحة المتنوعة ومن كافة المصادر والجهات وجميع صنوف الاسلحة من البرية والبحرية والجوية وقد بلغت قيمتها أرقاما خيالية تبلغ عشرات المليارات من الدولار هذا عدا الاسلحة التي حصل عليها الصهاينة كمساعدات مجانية عينية من امريكا وغيرها •

رابعا ــ الاحوال الاقتصادية السيئة التي يعاني منها العدو فقد عمد الصهاينة الى تخفيض عملتهم مرات في أوقات متقاربة اضافة الى موجة الغلاء الفاحش المستحكم في المواد الغذائية والضرورية وقد عمد المسؤولون الصهاينة الى رفع سعر البترول وبعض المواد الاخرى ومعلوم ان البطالة وسوء الاحوال الاقتصادية من الاسباب الرئيسية لقيام الحروب والثورات •

خامسا ــ سيعمد الصهاينة الى استغلال قوتهم في الولايات المتحدة فالرئيس فورد ونائبه اللذين وصلا الى الرئاسة عن غير طريق الانتخاب وانما بالتعيين ووجود كسينجر اليهودي وزيرا للخارجية وتعودهم في الكونغرس الاميركي كما سيعمدون لاستغلال وجود حزب العمال البريطاني كحزب حاكم في انكلترة يتعاطف مع اليهود الصهاينة •

ولكن من الصعب جدا فهم سياسة الانكليز وحقيقة مرادهم خاصة بعد ان تم تلقين مصالحهم النفطية في المنطقة وفتح قناة السويس ولا ندري اذا كان الجانب الاقتصادي قد يدفع باوروبا الى اتخاذ مواقف معينة • وكذلك مواقف شركات النفط ورجال الاعمال في الولايات المتحدة الامريكية وتنبيه المواطن الامريكي الى خطر الصهاينة قد تدفع ساسة الولايات المتحدة الى اتخاذ مواقف ربما لا تكون في صالح الصهاينة الذين لا زالوا يعيشون بعقلية المتسلطين الذين يأملون بالتوسع في الوطن العربي وبحل قضية

فلسطين عن طريق « الوطن البديل » اي سكان اللاجئين الفلسطينيين في الضفة الشرقية .

سادسا ـ خوف الصهاينة من التقارب بين البلاد العربية والاتحاد والوحدة التي هي أمل الامة العربية المنشود ومصيرها المحتوم ذلك ان التقارب بين البلاد العربية يؤدي الى فوائد عديدة في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية وآمل ان يكون التقارب بين المملكة الاردنية الهاشمية وسورية نواة للوحدة ومثالا يحتذى به من بقية الدول العربية الاخرى .

واذا تتبعنا تاريخ المسألة الفلسطينية نجد ان الصهاينة كان سلاحهم الفتاك هو « فرق تسد » ، فقد كانوا يستغلون الخلافات بين العرب والتفكك الحاصل بينهم فيتسللون لتحقيق مطامعهم الاستيطانية والتوسعية ولا زالوا يعملون على زعزعة الصف العربي وزرع بذور الشقاق وفساد المجتمع ومحاربة الفضيلة ونشر الفساد والرشوة ومناصرة الرذيلة حتى استطاعوا ان يدنسوا المسجد الاقصى اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين . ولا تعكس الاستعدادات العسكرية الضخمة التي جهز بها الغزاة الصهاينة لكنها ليست هي السبب الرئيسي لانتصاراتهم لانه لم يثبت لدى المحققين العسكريين ان جيش الصهاينة انتصر في اية معركة تصادمية مع أي جيش من الجيوش العربية منذ عام ١٩٤٨ حتى يومنا هذا . وان سلاحهم القوي هو تفكك الشعب العربي وفساد اخلاقه وقتل مثله العليا واماناتها ، فعلى العرب ان يعملوا على وحدتهم وان يتمسكوا بدينهم الحنيف وان يمدوا ايديهم الى اخوانهم في الدول الاسلامية . والنصر لنا باذن الله وصدق الله عز وجل القائل : وكان حقا علينا نصر المؤمنين .

حيدر محمد سعيد العرفي　　　　سورية

حبات اللؤلؤ

قصة : بقلم ـ أم عصام

الشمس ترتمي على صدر الافق البعيد دامية باكيـــة ••• اثواب المساء تزحف ببطء تغطي البيوت والاشجار والشوارع الملأى بالدمـــى البشرية • الصبية الصغار تضيق بهم الازقة فيخرجون الى الشوارع الكبيرة ينهمون من هوائها اللطيف ويهرعون مذعورين الى الارصفة المشجرة حين تفاجئهم سيارة مسرعة الى موعد ما • عينـــا سحر السوداوان تتفرسان فـــي وجـــه الشمس الراحل ••• وجه بائس حزين يجمع بـين الاثنين ، الشمس والسحر •• لكن لوعة الوداع التي اعتادت الشمس تجرعها لم تهب سحر الاحرقة تنسكب في اغوارها ودموعا تتراقص في مآقيها •• ولهفة الـــى مشاعـــر يعتصر قلبهـــا فقدانها •• قلبها الساكن في أعماق صدر لاهث متعب •

تتساءل سحر :

ـ ترى زوجي مع من الآن ؟ •• مع ندى ام نادية ؟ •• مـــع جانيت أم فيوليت ؟ تراه من نصيب من هذا اليوم ؟ •• تراه مع من يتقن تمثيلية الحب ؟

ويداهم وجه سحر الغض البريء انفعالات قاسية حينمـــا تتذكر كلمـــة حب مجاهل عينيها تنطق بأسى فظيع •• تتذكر اول يوم أحبته فيه ••• كـــان جسيلا ولا يزال يزهو بشخصية نادرة الوجود •• يتحلى برجولة تتجلى فـــي نظراته الحادة وبسمته الهادئة وصوته الاجش الساكن الف واد عميق •

خيل اليها وهي تخطو مسحورة الى دنياه بأنه ناسك فـــي المغـــارات الاسطورية رفيق الافاق وصديق الهزار وأخ الطبيعة الخيرة • هكذا كان وما زال في رأيها •• وفي قلبها •• منذ أول لقاء جمع بينهما في حفلة عيـــد ميلاد صديقتها • لقاء طبع في جنباتها ملامحه الحبيبـــة وهـــدوءه العميق • خمس سنوات مرت على ذلك اليوم ، وهي لا تـــزال تستعيد دفء حبهـــا ودفـــن

عواطفها التي تمازجت مع عواطفه . وتزوجا .. وكانت أسعد انسانـة ... تلمظت نكهة الحب المعتقة . تلك الاسطورة الابدية والملحمـــة الخالـدة . وتتحرق سحر وتتمتم !

يا للخدعة التي ابتدعوها لنا .. الحب ترى ما هو الحب ؟ لم لا يقولون نزوة عابرة تغزو قلب الرجل ؟ لم لا يقولون لهفة تعذبه قيمتها في صك يوقعه موظف مسؤول في الدولة وضع خصيصا لتغذية وهم البشر ؟

يعلو صوتها متضاحكا يمزق الصمت .. تكرر بسخرية : الزواج تعود الى صمتها الحزين ... ووجهها ينهم آخر قطرة من الخط الصغير الباقي مـن وجه الشمس الراحلة .. تزحف في رحـاب السماء الواسعة غيمـات شاردة تتدافع الدماء الى وجناتها الخجول . تتراكض العصافير الى اشجار الحديقة الصامتة ، يبحث كل منها عن مأوى .. عن فرع صغير في شجرة كبيرة يحتمي به من وحشة فلول الظلام الزاحف . يقف عصفور أليف عـلى طرف الشرفـة بالقرب من سحر .. يتلوى رأسه على الجانبين .. يبحث عـن ألف ضـاع منه .. يأمل عودته .

تتحسر (سحر) :

يا للامل كم يعذبنا وكم يغذينا ؟ حتى ذلك العصفور الصغير يحيا به .. تراها انثى ام الذكر في الطيور يختلف عـن البشر ؟ تراهـا عشرة تجمعها ام صداقة ام زواج ؟

وتهزأ مرددة :

ــ زواج ؟ يجب ان اعترف بأنني فشلت فـي الاحتفـاظ بزوجـي ؟ ما السبب؟ لست ادري فشلت في جذبه الى بيته .. اصبحت قطعـة أثريـة يمتلكها ، ضاعت قيمتها حين غدت ملك يديه ..

لقد روت لها زوجة صديق ناصحة غيور حين هتفت فـي سمعهـا :
ــ حافظي على زوجك ستخطفه منك لعوب .. انه ساحر ورائـع .. تـرى

استكانتها هذه أماتت جذور الحياة لديه ، فراح يبحث عنها في الحفلات ؟ ..
تراها اخطأت حين اقتنعت به رجلا يملأ حياتها وبيتها ؟

ولم تطلب مشاركته الضياع والتشرد في الليالي السوداء بين بيوت الاصدقاء وزوايا الكهوف الحمراء ، او في المنعطفات الصامتة والسيارات التائهة في غفوة الليل تحمل في طياتها المتعة والخداع ، وشيئا يتنكرون وراءه ... شيئا خدعها وجرفها .. شيئا يسمونه الحب وتغيب الشمس .. ويجتذب (سحر) صمت واستلام مطلق .. ويصطبغ الافق البعيد بلوعة الرحيل وتندي خدود الغيمات دماء تنزف في أعطاف (سحر) وتغدو السماء لوحة فنية رائعة ... لوحة لا يحدها وصف ولا تستوعبها عين .. حتى ولا عين تسكن فيها لوعة ووحشة وشبح وداع لامنيات تيهت وتبهت .

وتستفيق (سحر) على رنين هاتفها المتواصل .. فتهرع اليه تحس بعذاب ... بخوف من المجهول .. وتنسكب المفاجأة في اذنها .

ـ زوجك في المستشفى .. صدمته سيارة .. لكنه نجا بأعجوبة والحمد لله .. تعالي حالا يطلبك يكرر طلبه لك .

تتخلص من ذهول المفاجأة مسرعة الى الخارج وهي تعتصر بين اصابعها حبات من اللؤلؤ كانت قد وجدتها في سريرها حين عادت من زيارة أمها .

وترمي بالحبات في سلة المهملات وتهرع الى سيارة تقلها الى زوجها في المستشفى وهي تردد :

ـ رباه احفظه لي انني أحبه .

أم عصام

البطة البيضاء

قصة : تأليف : ج . د . باغنول
ترجمة : عيسى فتوح

كانت بطة صغيرة بيضاء تنام تحت شجرة في احدى الغابات ، وكان على الشجرة بعض ثمار الجوز . وبينما كانت البطة مستغرقة في النـوم ، سقطت جوزة من الشجرة وأصابتها على رأسها ، فاستفاقت البطة مذعورة .

قالت : « آه . يبدو ان ثمة شخصا يطلق علي النـار . يجب ان أذهب لاخبر الملك » .

وهكذا غادرت البطة الغابة ، وأخذت سمتها اليه ، فالتقت اثنـاء سيرها بالدجاجة .

قالت الدجاجة : « الى أين انت ذاهبة ؟ » .

« انني ذاهبة الى الملك ، لان شخصا رديئا يطلق النار علي » .

قالت الدجاجة : « انني أسرع منك في الجري ، ولذلك سأمضي بسرعة لاخبر الملك » . وهكذا خفت الدجاجة ، تطوي الطريق طيا ، تاركة البطـة خلفهـا .

في الطريق قابلت الدجاجة القطة ، فقالت القطة : « مـا الامر أيتهـا الدجاجـة ؟ » .

قالت الدجاجة : « انني ذاهبة الى الملك ، لان احد الاشرار دخل بلادنا وقتل جميع الناس » .

قالت القطة : « آه . دعيني أذهب اولا ... سأجري بسرعـة وأخبـر الملك » . وهكذا ركضت القطة طيلة الطريق ، مخلفة الدجاجة وراءها .

وبينما كانت القطة تركض مسرعة ، صادفت الكلب الذي كان يضطجع الى جانب الطريق • لم يكن الكلب يحب القطة • فقفز ثم صاح : « قفي » •

قالت القطة : « لا تستوقفني ، لقد حدث شيء مؤلم جدا » •

قال الكلب : « ما الذي حدث ؟ » •

أجابت القطة : « لقد دخل بلادنا مئة جندي ، وقتلوا الناس جميعا » •

قال الكلب : « ذلك مؤلم جدا ، ابقي هنا ، لانني استطيع ان أركض أكثر منك ، سأسرع وأخبر الملك » • وهكذا طفق الكلب يجري طيلة الطريق ، مخلفا القطة وراءه •

في الطريق قابل الكلب الحصان الذي كان يرعى العشب الى جانب الطريق •

سأل الحصان : « ما الامر ايها الكلب ؟ لماذا تركض بسرعة فائقة ؟ » •

« اركض كي أخبر الملك ان جيشا كبيرا قد عبر تخوم بلادنا ، وراح ألف من الجنود يقتلون المواطنين كافة » •

قال الحصان : « ذلك مؤلم جدا • يجب ان ينقل الخبر الى الملك بسرعة • انني أسرع منك في الجري ، انتظر هنا ريثما أركض وأخبر الملك »• وهكذا راح الحصان يجري طيلة الطريق مخلفا الكلب وراءه •

كان الملك الاسد ينام في حديقته الجميلة ، فأيقظه وقع الحوافر وهي تجري • نظر حوله فرأى الحصان يقف أمامه •

قال الملك الاسد : « ما الامر ؟ » •

كان الحصان تعبا جدا ، حتى انه ما استطاع ان يتكلم •••

قال الملك : « اذهب واشرب قليلا من الماء ، ثم عد واخبرني » • وهكذا ذهب الحصان ليشرب بعض الماء ، وعندما رجع تمكن من الكلام • انحنى بين يدي الملك حتى صافح رأسه الارض ، ثم قال : « أيها الملك ان آلافا من الجنود دخلوا بلادنا ، وراحوا يقتلون الناس أجمعين » •

قال الملك : « اقرع الاجراس ، وادع جنودي » •

قرعت الاجراس ، فدخل جنود الملك من فيلة وثعالب ودببة وذئاب الى الحديقة ، وطارت ست حمامات فوق رؤوسهم •

صاح الملك : « اغدوا السير » • حينئذ انطلق الجنود كلهم من الحديقة • سار الملك الاسد والحصان في مقدمتهم ؛ وحلقت فوق رؤوسهم ست حمامات •

صاح الملك الاسد بالحمامات فوق رأسه : « هل تستطيعين رؤية أي شيء ؟ » •

قال الملك الاسد للحصان : « هل رأيت الجنود الشريرين يقتلون شعبنا ؟ » •

أجاب الحصان : « كلا ، ان الكلب هو الذي أخبرني » •

عندما جاؤا الى الكلب ، صاح الملك : « مكانكم » • حينئذ توقف الجميع •

قال الملك : « تعال الى هنا يا حضرة الكلب ، اين الناس الاشرار ؟ » •

فأشار الكلب بقدمه قائلا : « هناك » •

سأل الملك : « هل رأيتهم بنفسك ؟ » •

أجاب الكلب : « كلا ، لم أرهم بنفسي » •

صاح الملك : « استأنفوا السير بسرعة » • فاستأنف الجميع سيرهم : « الملك والحصان والكلب في المقدمة ؛ وخلفهم الفيلة والدببة والذئاب والثعالب ، وفوق رؤوسهم تطير الحمامات » •

هتف الملك بالحمامات : « هل ترين اي شيء ؟ » •

أجابت احدى الحمامات : « قطة واحدة فقط تستلقي الى جانب الطريق » •

سأل الملك الاسد الكلب : « هل رأيت اولئك الجنود الارديا. يقتلون شعبنا ؟ » •

أجاب الكلب : « كلا لم أرهم بنفسي ، لكنني اعرف أن ذاك حقيقـة ، لان القطة أخبرتني » ٠

قال الملك : « لا تصدق كل ما تسمعه » ٠ حينما جـاءوا الى القطـة ، وقفوا جميعا ، فقال الملك : « أين اولئك الجنود الارداياء ؟ » ٠

فأشارت القطة بقدمها قائلة : « هناك » ٠

سأل الملك : « هل رأيتهم بنفسك ؟ » ٠

أجابت القطة : « كلا ، لم أرهم بنفسي ، لكنني أعرف انه حقيقة ، لان الدجاجة أخبرتني » ٠

قال الملك : « لا تصدقي كل ما تسمعينه ، استأنفوا السير » ٠ عندمـا ساروا حينا من الزمن صاح الملك بالحمامات ، وهن يطرن في الهواء فوقـه : « هل تستطعن رؤية أي شيء ؟ » ٠

أجابت احدى الحمامات : « دجاجة واحدة فقـط تجلس الـى جانب الطريـق » ٠

عندما وصلوا الى الدجاجة توقفوا جميعا ٠

سأل الملك : « اين أولئك الجنود الارداياء ؟ » ٠

أجابت الدجاجة مشيرة برجلها : « هناك » ٠

سأل الملك : « كم مرة رأيتهم ؟ » ٠

أجابت الدجاجة : « لم أر أي واحد بنفسي ، لكنني اعرف انه حقيقة ، لان الكلب أخبرني » ٠

قال الملك : « لا تصدقي كل ما تسمعينه ، استأنفوا السير » ٠ بعد حين من الزمن سأل الملك الحمامات ما اذا كن يستطعن رؤية أي شيء ؟

أجابت احدى الحمامات :« بطة بيضاء فقط ، تقف الى جانب الطريق »٠

عندما ادركوا البطة البيضاء توقفوا جميعا ٠

قال الملك : « تعالي الى هنا ايتها البطـة » ٠ فنهضت البطـة وانحنت أمام الملك حتى لامس رأسها الارض ٠

سأل الملك : « أين اولئك الجنود الاردياء ؟ » .

قالت البطة : « لم أر أي واحد منهم » .

« من ذا الذي قتل اذن ؟ » .

« لم يقتل أي انسان ، الا ان شخصا ما اطلق على النار من بندقيته » .

سأل الملك : « وهل مسك بأذى ؟ » .

« نعم ، شيء ما لطمني على رأسي » .

قال الملك : « اعتقد بأنك حمقاء جدا ، اقتربي مني ودعيني انظر الى رأسك » .

عندما نظر الملك الى رأس البطة ، لم يستطع ان يجد أية علامة .

قال الملك : « أخبريني الآن ما الذي حدث ؟ » .

« كنت نائمة تحت شجرة في احدى الغابات ، فشعرت بأن شيئا ما لطمني على رأسي » .

قال الملك : « أرني الشجرة » .

حينئذ قادت البطة الجميع الى داخل الغابة وأرتهم الشجرة التي كانت تنام تحتها . وبينما هم يقفون تحتها سقطت جوزة على رأس الملك . نظر الملك الى الاعلى فرأى جوزا آخر كثيرا .

قال : « هذه شجرة جوز ، والجوز يتساقط منها ، انك أيتها البطة لحمقاء جدا . لقد اخبرت الدجاجة ان النار قد اطلقت عليك » . نقرت الدجاجة البطة .

البطة للدجاجة : « انك حمقاء جدا ، لقد أخبرت القطة ان بعض الاشرار دخلوا بلادنا وراحوا يطلقون النار على الناس » . عضت القطة الدجاجة .

الدجاجة للقطة : « انك حمقاء جدا ، أخبرت الكلب ان مئة جندي راحوا يقتلون شعبنا » . عض الكلب القطة .

القطة للكلب : « انك أكثر حمقا مني ، لانك أخبرت الحصان ان جيشا كبيرا قد عبر تخوم بلادنا » . لبط الحصان الكلب لبطة كبيرة .

قال الملك : « وانت أيها الحصان أحمق أيضا ، لانك قلت ان آلاف الجنود دخلوا بلادنا ، ولذا سأعض بنفسي » •

عض الاسد الحصان •

قال الملك الاسد : « تذكر الآن ، لا تصدق كل ما تسمعه ، بل صدق ما تراه ••• سنعود الآن أدراجنا ، استأنفوا السير » •

حينئذ انطلق الملك تتبعه الفيلة والدببة والذئاب والثعالب ، وفوق رؤوسهم تحلق الحمامات •

هنا حاولت الدجاجة ان تدرك البطة ، والقطة ان تدرك الدجاجة ، والكلب ان يدرك القطة والحصان ان يدرك الكلب ، لكن البطة غاصت في الماء ، في حين لم تستطع الدجاجة ان تلحق بها •

طارت الدجاجة فوق الاشجار ، بينما لم تستطع القطة ان تمسكها وتسلقت القطة الشجرة ، بينما لم يستطع الكلب ان يتبعها ، وشرد الكلب بين الاشجار ، بينما لم يستطع الحصان ان يلحق به ، لذلك قفل راجعا ، يطوي الطريق طيا •

جوامع النسب في قبائل العرب

ـ جوامع النسب في قبائل العرب ـ • معجم يضم انساب قبائل العرب ، وصلاتها بعضها ببعض ، يقع في مجلدين ، وهو من تأليف الاستاذ علي نصوح الطاهر ويقوم الاستاذ روكس العزيزي بدراسة هذا المعجم ، بالاشتراك مع خمسة اساتذة اخرين من الثقافة والفنون والجامعة الاردنية من اجل اعطاء تقرير حول امكانية نشر المعجم •

ومخطوطة هذا المعجم ، يقع جزآه في ٧٥٤ صفحة من القطع الكبير الكامل •

السيدة وداد سكاكيني

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

الاستاذة السيدة الاديبة الكبيرة وداد سكاكيني من حاملات القلم الواعي الحي ، ومن صاحبات البلاغة الواضحة ، والاسلوب العربي الاصيل.

جمعت في يراعها بين جمال لبنان ، وعظمة الشام ، وتاريخ القاهرة ، وامجاد بغداد • وكانت من امهات الادب الحر ، والثقافة النيرة ، والصراحة الهادفة •

لا تقليد في كتاباتها ومؤلفاتها . ولا اقتباس في مقالاتها وآرائها • بحيث انها تملك مدرسة خاصة بها تجعلها في طليعة اديبات العالم العربي من اللواتي يتباهى بذكرهن الرجال ، وتتفاخر بترديد اسمائهن المحافل ، وتتسامى بكلماتهن الاحرف العربية ••

والسيدة وداد سكاكيني ليست بحاجة الى تقديم ، وتعريف ، واطراء ، وتقريظ • مثلما تقوم به بعض الاقلام لبعض المتباهيات المتزلفات النكرات في عالم الصحافة ومدعيات الكتابة والادب •

عرفتها كاتبة قاصة منذ عام ١٩٣٨ يوم ان كانت « الطليعة » من ابرز مجلات العالم العربي في دمشق • ترجو منها المساهمة في كتابة (القصة) المتكاملة النافعة ، والنقد الهادف البناء • ويوم ان كانت بعض الاديبات والصحفيات والشاعرات يكتب لهن رجال في بلادهن باسمائهن او باسماء مستعارة •

قال عنها الاستاذ الفاضل والصحافي المتتبع انور الجندي : « انها تمثل المثل الاعلى للمرأة الكاتبة فهي تشترك اشتراكا فعليا بارزا في معارك القومية العربية ، وتؤدي دورها في حركة المقاومة والتجمع •

كاتبة لها طابعها الواضح ، ولونها الصريح ، وتعنى بشؤون المرأة العربية على اوسع نطاق » . واردف يقول :

و « انها مجادلة ضخمة ، ومساجلة قوية ، وكتاباتها مثالية النهج قائمة على القيم ذات الهدف الواضح في التربية والفضيلة والخلق .

وهي تقاوم دعوى الاقليمية في الادب العربي كما تحارب الدعوة الى العامية » .

وليست شهادة الاستاذ الكريم انور الجندي هي الوحيدة بحقها ، بل هناك شهادات اخرى في نظري شهادة المنابر التي اعتلتها السيدة وداد سكاكيني ، وشهادة الصحائف التي سجلتها في كبريات المجلات والصحف العربية والمهجرية .

وشهادة الاثير الذي حمل صوتها المدوي بالعزة والكرامة ، والحرية ، والنهضة ، والتحرر السليم ، والجمال والعذوبة في الافكار والعبارة .

وشهادة المؤتمرات التي حضرتها مندوبة وممثلة عن بلادها سورية ، واخواتها العربيات ، في الندوات والمؤتمرات النسوية والادبية .

اذا ذكرت الشام ونهضتها الادبية والنسائية فان الاديبة الكبيرة وداد سكاكيني تأتي الزهرة العطرة في نسائم ادبها ومحافلها العلمية . واذا تحدث الادباء والنقاد والقصاصون عن الحركة الادبية النسوية ، فان السيدة الفاضلة وداد تأخذ الصدارة في ساحات كتاباتهم ، وتمجيدهم واطرائهم .

كانت مجلات الرسالة والاديب والعرفان والكاتب والآداب من المجلات التي تعتز بكتابة الاخت وداد سكاكيني ، ويرجع اليها كلما درست قضايا المرأة العربية المعاصرة .

ولو كان هناك بعض الانصاف في تقييم الناس من الادباء والاديبات لرأيت بان وداد سكاكيني هي النموذج الحي الصادق البديع للمرأة العربية الفاضلة الواعية المرشدة في قلمها وكتاباتها ومؤلفاتها .

فهذه « خطراتها » و « مراياها » للناس ، وتاريخها « لامهات المؤمنين » وسفرها « بين النيل والنخيل » وحبهـا « لاروى بنت الخطوب » ونقدهـا « للحب المحرم » و « انصافها للمرأة » وايضاحها « للستار المرفوع » وحبها « للعاشقة المتصوفة » ومعرفتهـا للحرف « بين سواده وبياضه » ، وتحليلها « لعمر فاخوري » وهو ابن بلدها القديم •

كل هذه الاضمامة من الورود والرياحين تلمت عقدهـا الاستاذة وداد سكاكيني •

وتشاء الحياة ان تجمع بينها وبين الشعـر السلسل المنطلق كمياه بردى وهو في عزه وافتخاره وجريانه • يوم ان جمعت مائدة الحياة والادب والروح والصلة الزوجية بينها وبين المرحـوم الصديق الاستـاذ الشاعـر الموهوب الدكتور زكي المحاسني • رحمة الله عليه •

واذا اردت ان اقتطف للقارىء العربـي نماذج كثيرة مـن مقالاتهـا ، ومؤلفاتها فيكون في رأيي كمن يقوم بنشر اعلان للدعاية • وهذا ما لا تحتاج اليه وداد وربما قد يفقد المقالة رونقها ، والكتاب جوهـره • واعتقد ان بيانها لا يحتاج الى تدليل ، او دعاية • ومع هذا فاني اعرض لهـا بعض المقتطفات الادبية من كتبها ، وبعض اللمحات العبقرية من افكارها • استمع اليها فـي قولها عن (عمر فاخوري) ومنبت اسرته في لبنان :

« فمن دأب لبنان ان يختص توابغه بطوابع مـن صنعه وابداعه ، وان يعدهم لايام عصيبة واحداث طارئة •

فاذا ضاق على نفوسهم الكبيرة وطموحهم البعيـد فلقـوا بكفاحهـم وآمالهم الى اقصى الارض ، لكن قلوبهم الممتلئة بالوفاء والحنين تبقـى عالقة بتراب الوطن وطبيعته وتراثه » •

وقالت تصف عمر فاخوري الكاتب المبدع صاحب « اديب في السوق » ابن بيروت الساحرة قولها : « لقد حمل من البحر عمقا وانطلاقا ، ومن الجبل الملهم الذي ترتفع قممه وتمتد سفوحه نضرة وقوة وتساميا • »

وقالت تصف دمشق وطبيعتها الجميلة بقولها : « وكأنما منحة البقاء في دنيا الفناء يلونها النهار في البكـور والآصال ، بتلاوين الخمائـل الخضر

والافواف الحمر ، والغلائل البيض » •

وذكرت عن المرآة المعاصرة قولها :

« وما احرانا ونحن على وصيد حيـاة جديدة حسرة بان تتخذ المـرأة المعاصرة من هذه السيرة المثالية نشيدا تحدو بـه نهضتها واهزوجة تهدهد طفلها وتمضي في بيتها وبين الناس على هذا النور المنبعث من صوب الجزيرة ودائرة الوحي مستلهمة من امهات المؤمنين واخوات الشهداء • معاني الايثار والوفاء وآيات التقوى والفداء » •

وها هي ترسم بريشتها البارعة المرأة وتتحدث عـن مشكلة انصافها ، قالت :

« وما كانت المرأة في كل عصر ومصر ، الا ريحانـة الوجود ، ووسيلة الخلود ، فلنرو مغارسها بماء من صفاء القلب والروح • وتتعهد نماءها بعناية وتمحيص واخلاص • وعندئذ نكون قد انصفنا المـرأة وصنعنا مـن اجلهـا الجميل الذي لا يفنى » •

وذكرت لنا عن الذين يسدون نوافذ الحرية والمعرفة بقولها :

« الى من يسدون النوافذ ليطفئوا نور الله ، والى من يفتحونها بأدبهم ليملأوا القلوب من هذا النور • ولو كره الذين في تموسهم ظلام •

والى اللواتي يزيفن الكلمة كمـا يزيف الدينـار ، والذيـن يموهون الحروف ليتقدموا الصفوف » •

ثم اشارت عن الكتابة بتعريفها اللطيف :

« فالكتابة حبر على ورق لكنه سواد يشع بالنور ، ومـا جدوى مداد ينسحب لونه على الورق فلا يترك اثرا في حس او نفس او ذكر في بال » •

وتحدثت لنا عن مقالاتها المطوية والحبيسة بين الاوراق قالت :

« لو انها تحمل انفاسا من روحي ووجداني وصفحات مـن قلبي مرت باطوار من التأمل والنقد وحدة الاحساس بالواقع لما استجبت لها » •

ومن حسن تعليلها عن الهواجس والذكريات قولهـا : « وان الهواجس والذكريات ارواحا كارواحنا فهي تنفصل عنا تحمل منا نصيبها مـن الحياة • وكم يسيء الادباء الى انفسهم وخواطرهم حين يحكمـون عليهـا بالسجـن والاهمال » •

هذه المقتطفات الخالدة من كتابات اديبة الشام الكبيرة الاخت السيدة وداد سكاكيني ذكرتني في خاطرة وهي موجهة الى اتحادات النساء العربيات في الشرق ، وديار المغرب العربي تدعوهن هذه الخاطرة في قيامهن لتكريم اديبتنا العربية البارعة ، والاشادة بخدماتها الاجتماعية والثقافية ـ وهي لا زالت والحمد لله ـ ذات القلم السيال الحار الكلمات والتوجيه في خدمة المجتمع العربي ، اسرة ، وامرأة ورجلا وطفلا .

ولعل خدماتها في سبيل المجتمع النسوي العربي ، بمؤلفاتها الرصينة ، واحاديثها البديعة ، وافكارها المبتكرة الجديدة ، ما يساوي عشرات الاجتماعات في اتحاداتهن التي تقضى عادة وغالبا في الاحاديث المعادة ، والمظاهر الجوفاء ، والتي تفتقد دائما الى آراء ومشورة وحكمة السيدة وداد سكاكيني .

فهل ترى ـ نحن الرجال ـ انصاف الاتحادات النسوية ، لاختهن المحترمة في تكريمها بمهرجان نسوي عربي عام ، واعادة طبع مؤلفاتها المطبوعة النافذة وتوزيعها على عضوات الاتحادات وفي مكاتبهن ، ودور المعاهد الثقافية والاجتماعية ، كما تسعى الاتحادات العربية في نشر مؤلفاتها المخطوطة التي تنتظر الناشر المنصف ، والموزع العادل .

واذا كانت هذه الفكرة لا تروق النساء الاتحاديات ، لانها صادرة من رجل ، فارجو الا تطمس الغيرة من بعضهن معالمها ، وتذهب من سمو مقصدها ، واحرى بهن الا يدعين بانهن مظلومات دائما من الرجال ، يحتاج لهن من ينصفن الكريمات النابغات من بنات جنسهن في دنيا العالم العربي .

تلك هي كلمة صغيرة توخيت فيها الحقيقة التي شعت من بين آثار الاديبة المحترمة السيدة وداد سكاكيني ، الحقيقة التي يراها الانسان وهي بادية في مؤلفاتها الرائعة وفي كتاباتها النافعة .

ولي فيما تسنح به الفرصة القابلة ان ارد ما علي من دين ادبي تجاه هدايا الاديبة الكبيرة ، والكتابة عنها ، وعن اخوتها العزيزة المحترمة ، وشمائلها العربية المعروفة ، ووفائها لوطنها العربي الكبير ، وامتها المجيدة الخالدة ، واخوتها المخلصين ، واخواتها الكريمات ، واسرتها الفاضلة .

الاديب
جامعة بغداد ـ كلية الآداب
محسن جمال الدين

التقريظ والانتقاد

كتاب جديد: حاضر العالم الإسلامي

بقلم: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

تأليف لوثروب ستودارد الامريكي ــ ترجمة عجاج نويهض ــ تعليق شكيب ارسلان ــ الطبعة الثالثة ــ نشر دار الفكر اللبنانية ــ اربعة اجزاء صفحاتها ٣٧٥ و٤٠٨ و٤٠٠ و٤٠٨ من القطع المتوسط
عرض وتقديم الاستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي
الاستاذ بالازهر الشريف

ــ ١ ــ

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب النفيس في القاهرة منذ ثمانية واربعين عاما عن المطبعة السلفية (عام ١٩٢٥) .

وفي عام ١٩٣٢ صدرت الطبعة الثانية منه عن مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .

وهذه هي الطبعة الثالثة اصدرتها مؤسسة دار الفكر في بيروت ومؤلف الكتاب في عالم الاموات (توفي عام ١٩٥٠) والمعلق على الكتاب وهو الامير شكيب ارسلان توفي قبله بسنوات (عام ١٩٤٦) .

وقد كتب المترجم العلامة عجاج نويهض مقدمة ضافية لهذه الطبعة تحدث فيها عن الكتاب وتاريخه معه وصلة الامير شكيب به حديثا ضافيا .

وفي صدر هذه الطبعة مقدمتا المعلق امير البيان للطبعة الثانية والطبعة الاولى من الكتاب والمقدمة التي كتبها المترجم للطبعة الاولى كذلك .

ــ ٢ ــ

ان الكتاب موسوعة كبيرة في ماضي الاسلام وحاضره وفي كل ما يتصل بسيطرة الحضارة الغربية الحديثة على العالم الاسلامي وفي اليقظة الاسلامية التي قامت في بلاد الاسلام في اخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين وفي تاريخ الاسلام واحداثه الكبرى قديما وحديثا .

انه بفصوله وتعليقاته التي كتبها الامير شكيب وبدقة المترجم ومشاعره النبيلة وشفافية روحه وعمق ثقافته ليعد من آهم ما ظهر عن الاسلام من مراجع حديثة .

وفي الكتاب صور رائعة للحضارة الاسلامية العربية وتاريخ مفصل للاسلام الحديث في افريقية وآسية واوروبة . وهو ولا ريب كتاب قديم جديد موسوعي وموضوعي . فيه غزارة المادة وسعة الاطلاع وعمق الفكرة يشترك فيها جميعا المؤلف المتصف والمحقق المعلق والمترجم الطويل الباع الذكي النظرات .

ـ ٣ ـ

ان عجاج نويهض ليسدي الى الفكر العربي الحديث أجل يد باصراره على اصدار هذه الطبعة الجديدة النفيسة الانيقة الضخمة . وهو يقوم وحده بعبء كبير كان يجب ان يلقى على الهيئات والجامعات العربية والمعاهد الاسلامية في كل مكان من بلاد العروبة والاسلام . والدارس لحاضر العالم الاسلامي اليوم يجب ان يعي كل الدروس عن حاضره بالامس منذ خمسين عاما من الزمان .

ـ ٤ ـ

ولا يمكن فصل احداث الماضي في كتاب يصدر عن الاسلام عن حاضر العالم الاسلامي اليوم . ومن ثم فقد وصف صديقنا المفكر وديع فلسطين الكتاب بأنه تراث عربي باق بناسه واحداثه ووقائعه ودقائقه (العدد ٢٣٩ من « الاخاء » السنة الثانية عشرة) .

ان عجاج نويهض لمفخرة من مفاخرنا العربية حقا ونحن ـ في بلاد العروبة والاسلام ـ مدينون له بديون كثيرة لا يستطاع لها عد .

لقد نقل عجاج نويهض فكر مستشرق امريكي مشهور وآرائه في الاسلام وحاضر بلاده الى اللغة العربية بأسلوب ساحر وعبارة جميلة جليلة ودقة متناهية واضاف الى ذلك كله ثروة واسعة من فكر امير البيان شكيب ارسلان وثقافته الضخمة في التاريخ الاسلامي وفي الحضارة العربية .

وماذا أقول عن الكتاب وجهد مترجمه ومحققه فيه ؟ والكتاب شاهد بنفسه على نفسه ، وهو مع ذلك خالد مع التراث العربي خلود الزمن وسيظل مصدرا لكل باحث ومرجعا لكل دارس ومادة خصبة في تاريخ العالم الاسلامي وشعوبه وحضارته وجميع أحواله وشؤونه في الامس واليوم وغدا ٠

وأنا اذ أكتب هذه الكلمات القصار عن الطبعة الثالثة للكتاب أجدني عاجزا كل العجز عن البيان عن أهمية هذه الطبعة والجهد الذي بذل في اخراجها وعاجزا كذلك عن ايفاء المترجم العلامة حقه من التقدير والثناء والحمد ٠

وليس مثل عجاج نويهض وجهده الكبير مما يجهل أو يتجاهل٠ فالرجل بصدقه ومشاعره وروحه وانسانيته قد بذل من الجهد في هذا الكتاب ما ينوء بالعصبة أولي القوة من العلماء ٠

ـ ٥ ـ

أخي نويهض : تحية تقدير واكبار لما بذلت ، ولك الحمد والشكر على ما صنعت ٠

واليوم وأنا أختتم قراءتي للكتاب وقد امتدت نحو ثلاثة اشهر أجدني مضطرا للاعتراف بفضلك ، وللاغتراف من نبعك ٠ ان بحوث كتابك عن اليقظة الاسلامية والجامعة الاسلامية والحضارة العربية والحركة العلمية في هذه الحضارة وعن أعلام الاسلام المعاصرين من أمثال الافغاني ومحمد عبده وشكيب أرسلان ومحمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز آل سعود وأحمد السنوسي وغيرهم وعن الاسلام في الصين والهند وجاوه وفارس وتركيا وأوربة وافريقية ، هذه البحوث لتعد من أهم الكتابات عن العالم الاسلامي ٠

وجزاك الله على ما قدمت للعرب والعروبة والاسلام وبلاد الاسلام من أياد تذكر وتشكر على امتداد الزمان ٠

مع خزائن الكتب

خزانة السيد سلمان هادي آل طعمة بكربلاء ـ العراق

بقلم : سلمان هادي الطعمة
عضو رابطة الادب الحديث في القاهرة

آل طعمة أقدم البيوتات العلوية في مدينة كربلاء ، يرجع تاريخ استيطانها الى اواسط القرن الثالث الهجري (٢٤٧ هـ) ويرتقي نسبها الى السيد ابراهيم المجاب بن محمد العابد بن الامام موسى الكاظم (ع) • وقد انجبت هذه الطائفة ، رجالا أماثل في العلم والادب والزعامة الوطنية ، احتلوا مكانة مرموقة في التاريخ العربي المعاصر ، وتركوا آثارا حسنة خلدت لهم شهرة طائلة وذكرا جميلا ومآثر حميدة لا يمحوها كر الجديدين وتصرم الاعوام •

وكانت خزائن اعلام هذه السلالة حافلة بما تضمه من الذخائر والكنوز والمطبوعات النادرة والمخطوطات النفيسة ، ولا تزال بقايا آثارها شاخصة للابصار في قماطر افاضل العلماء من آل طعمة ومن بين هذه الخزائن : خزانة العالم الفاضل السيد عبد الحسين الكليدار بن السيد علي الكليدار بن السيد جواد الكليدار (١٢٩٩ ــ ١٣٨٠ هـ) وخزانة الدكتور السيد عبد الجواد الكليدار (١٣١٠ ــ ١٣٧٩ هـ) وخزانة السيد عبد الرزاق آل وهاب (١٣١٥ ــ ١٣٧٨ هـ) وخزانة الشاعر الكبير الدكتور صالح جواد الطعمة • وان اصغر تلكم الخزائن خزانة كاتب هذا الفهرس السيد سلمان بن السيد هادي بن السيد محمد مهدي بن السيد سليمان بن السيد مصطفى بن السيد احمد بن السيد يحيى آل طعمة من آل فائز الموسوي الحائري المولود في كربلاء ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م • وهذا ثبت بأسماء المخطوطات المحفوظة في خزانتي حاولت التعريف بها ، وآثرت نشرها رغبة في الافادة منها والاطلاع عليها •

١ ــ الحاشية الخليلية • خليل الله القزويني • نسخة محمد شريف بن

محمد رضا اللاهيجاني بخط تعليقي ١٩ جمادي الاولى ١٠٨٦ هـ ــ ٨١ ورقة . المقاس ١٩ سم × ١١سم . مسطرتها ١٧ سطرا .

٢ ــ كلمات قصار أمير المؤمنين (ع) . نسخة محمد حجة الاسلام زادة الرشتي الجاردهي . بخط لا بأس به ٦ ربيع الثاني ١٣٣٣ هـ مع ترجمة للمعاني باللغة الفارسية بين السطور . الترجمة بخط دقيق ١٨ ورقة . المقاس ٢٠ سم × ١٥ سم . مسطرتها ٩ أسطر .

٣ ــ منتخب الدعوات . نسخة الوالد السيد محمد هادي بن السيد محمد مهدي آل طعمة الموسوي . بخط نسخ جيد ١٥ ذي الحجة ١٣٨٠ هـ ١٨٥ ورقة . المقاس ١٢ سم × ٧ سم مسطرتها ٧ أسطر . على الصفحة الاولى تعليق بخط الشيخ اغا بزرك الطهراني صاحب ــ الذريعة ــ تاريخه ٦ محرم ١٣٨٦ هـ .

٤ ــ الاربعون حديثا .

تأليف الشيخ محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي الشهير ببهاء الدين العاملي (٩٥٣ ــ ١٠٣١ هـ) بخط نسخ جيد ١٠١٠ هـ ، ١٣٦ ورقة . المقاس ٢٣ سم × ١٢ سم ، مسطرتها ٢٠ سطرا ، ورقه صقيل .

٥ ــ شعر السيد جواد الهندي

للسيد جواد بن محمد على الحسيني الاصفهاني الحائري الشهير بالهندي المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ بخط لا بأس به (دون تاريخ) . ١١٠ ورقة المقاس ٢٠ سم × ١٦سم . مسطرتها ٢٠ سطرا .

٦ ــ المطول .

شرح تلخيص المفتاح . لسعد الدين (مسعود) بن عمر بن عبد الله التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ هـ ، نسخة في ١٢ رمضان ٧٤٢ هـ ، ١٣٥ ورقة المقاس ٢٨ سم × ٢٠ سم مسطرتها ٢٧ سطرا . خطه لا بأس به الهوامش مملوءة بالتعليقات .

٧ ــ شواهد الغيب

للسيد احمد بن كاظم الحسيني الرشتي الحائري المقتول سنة ١٢٩٥ هـ خط نسخ جيد ، قلم متوسط بخط المؤلف ، ٢ شهر ربيع الاول ١٢٧٤ هـ . بعض الكلمات بالحبر الاحمر ، ١٤٠ ورقة ، المقاس ١٩ سم × ١٥ سم

مسطرتها ٢٢ سطراً • على الصفحة الاولى منه تمليك باسم المؤلف • تجليده حديث ، ورقه أبيض صقيل •

٨ ـ فصوص الحكم

تأليف الشيخ محيي الدين بن عربي ابو بكر محمد بن علي الاندلسي (٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ) نسخ في ٢٥ ربيع الاول ٨١٧ هـ بخط نسخ جيد ٢٩٦ ورقة المقاس ٢٢ سم × ١٤ سم • مسطرتها ٢١ سطرا • الهوامش مملوءة بالتعليقات •

٩ ـ تنبيه العقول

نسخة عبد الرضا الخراساني ١٣ محرم ١٣٢٢ هـ ، خط فارسي جميل جدا ، ٢٤٨ ورقة ، المقاس ٢١ سم × ١٣ سم ، مسطرتها ١٨ سطرا •

١٠ ـ ديوان الشيخ محمد تقي الحائري

نسخة الشيخ محمد تقي بن محمد حسن المازندراي الحائري في شهر رجب ٣٤٧ هـ بخط نسخ جيد ، ٨٤ ورقة • المقاس ٢٣ سم × ١٦ سم • مسطرتها ١٠ أسطر •

١١ ـ نسخة أخرى

بخط لا بأس به ، ٢٤ ورقة المقاس ٢٢ سم × ١٧ سم مسطرتها ١٨ سطرا (دون تاريخ) •

١٢ ـ المنظومة المرجانية

نسخة السيد كلب باقر بن كلب حسين المولوي النقوي الحائري في شهر ذي القعدة ١٣٢٣ هـ بخط لا بأس به ، ١٢ ورقة ، المقاس ٣٢ سم × ١٦ سم مسطرتها ١٧ سطرا •

١٣ ـ شرح قانونچه

المنسوب الى محمود بن محمد الجغميني ، نسخة الحسين بن محمد بن

علي الاسترابادي بخط معتاد (دون تأريخ) عليه تمليك بتاريخ ١٢٩١ هـ ١٠٤ ورقات المقاس ١٩ سم × ١٢ سم ، مسطرتها ٢٠ سطرا الهوامش مملوءة بالتعليقات .

١٤ ـ مذكرات آغا خان الاول

تعريب الحاج مصطفى أسد خان ، كتب بالآلة الطابعة ١٣٨٦ هـ ، ٤٩ ورقة ، المقاس ٢١ سم × ١٧ سم مسطرتها ٢١ سطرا .

١٥ ـ نهاية التحرير

نسخ السيد محمد تقي القزويني المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ خط نسخ جيد بخط المؤلف سنة ١٢٢٣ هـ ، ١٧٠ ورقة ، المقاس ٢٩ سم × ٢٠ سم مسطرتها ٢٠ سطرا . في الصفحة الاولى منه تمليك مؤرخ في شهر شوال ١٢٤٣ هـ . مجلد تجليده حديث ، ورقه أبيض صقيل .

١٦ ـ نزهة الاخوان في وقعة البلد المقتول العطشان

لمؤلف مجهول (١٢٤٤ هـ)

نسخ بخط دقيق حسن ، ٢٧ ورقة ، المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم مسطرتها ٢٠ سطرا . نسخة منقولة عن نسخة السادة آل النقيب .

١٧ ـ روح البيان في الاجازة للسيد سلمان

اجازة السيد محمد مهدي الموسوي الاصفهاني الكاظمي (١٣١٩ ـ ١٣٩١ هـ) للسيد سلمان هادي آل طعمة بخط نسخ جيد ، نسخة في شهر رجب ١٣٨٨ هـ ، ١٧ ورقة . المقاس ٢١ سم × ١٦ سم مسطرتها ١٨ سطرا .

١٨ ـ كشكول

نسخ الشيخ محسن بن الشيخ محمد حسن ابو الحب الحائري (١٣٠٥ ـ ١٣٦٩ هـ) بخط دقيق حسن في ١ شهر رجب ١٣٦٥ هـ ، ٢٤ ورقة ، المقاس ١٥ سم × ١٠ سم . مسطرتها ١٤ سطرا .

١٩ ـ في أخبار غيبة الامام الثاني عشر

للشيخ محمد علي الحائري السنقري المتوفى ٦ محرم ١٣٧٨ هـ نسخة

السيد محمد رضا بن المرحوم السيد محمد مهدي آل طعمة الموسوي سنة ١٣٥٥ هـ ٦ ورقات المقاس ٢٢ سم × ١٤ سم ، مسطرتها ١٤ سطرا .

٢٠ – معشر العشاق

شعر شعبي . نسخ محمود عبود الكربلائي ، بخط رديء ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م ٨٧ ورقة . المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم . مسطرتها ٨ أسطر .

٢١ – ذكريات

شعر . نسخ عباس مهدي ابو الطوس (١٣٥٠ – ١٣٧٧ هـ) بخط لا بأس به في ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ، ٦٥ ورقة . المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم ، مسطرتها ١٢ سطرا .

٢٢ – من اغاني الشباب

شعر . نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط لا بأس به في ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ٦٥ ورقة . المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم ؛ مسطرتها ١٢ سطرا .

٢٣ – النشيد الظافر

شعر : نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط لا بأس به في ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ، ٥٩ ورقة المقاس ٢٠ سم × ١٧ سم مسطرتها ٨ أسطر .

٢٤ – رباعيات

شعر : نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط لا بأس به في ١٩٥٦ م / ١٣٧٦ هـ ، ١٤٠ ورقة . المقاس ٢١ سم × ١٦ سم ، مسطرتها ٩ أسطر .

٢٥ – في محراب باخوس

شعر : نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط لا بأس به في ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ، ١٤٠ ورقة ؛ المقاس ٢١ سم × ١٦ سم مسطرتها ٨ أسطر .

٢٦ – سواغ عابرة

نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط لا بأس به في ١٩٥٧م/١٣٧٧هـ ، ٣٨ ورقة المقاس ٢٠ سم × ١٧ سم مسطرتها ١٦ سطرا .

٢٧ ــ زئير العاصفة

شعر : نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط لا بأس به في ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ؛ ١٢ ورقة ؛ المقاس ٢١ سم × ١٦ سم ، مسطرتها ١٢ سطرا .

٢٨ ــ مذكرات

نسخ عباس مهدي ابــو الطوس ، بخط لا بأس بــه فــي ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ؛ ٦٥ ورقة ، المقاس ١٥ سم × ١٠ سم مسطرتها ١٦ سطرا .

هدير الشلال

شعر : نسخ عباس مهدي ابو الطوس ، بخط نسخ جيد في ١٩٥٧ م / ١٣٧٧ هـ ؛ ٤٢ ورقة : المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم مسطرتها ١٨ سطرا .

٣٠ ــ الشعب والسلطان

شعر : نسخة مهدي جاسم الشناسي بخط جيد في ١٩٦٧م/١٣٩٧هـ ؛ ٤٣ ورقة . المقاس ١٣ سم × ٩ سم . مسطرتها ٨ أسطر .

٣١ ــ شعر السيد حسين العلوي

للسيد حسين بن السيد محمد على الموسوي الشهير بالعلــوي المتوفى ١٣٦٤ هـ ؛ ١٢ ورقة ؛ المقاس ٢١ سم × ١٦ سم . مسطرتهــا ١٨ سطــراً . نسخ بخط دقيق جيد سنة ١٣٦٩ هـ .

٣٢ ــ زيارات

نسخ السيد محمد مهدي بن سليمان بن مصطفى بن احمد آل طعمــة الموسوي بخط جيد في ١٣٢٢ هـ ، ١٤٩ ورقة . المقــاس ١٨ سم × ١١ سم مسطرتها ٦ أسطر .

٣٣ ــ التاريخ الاساسي للولايات المتحدة الامريكية

تأليف جادل بيرد وماري بيرد . تعريب السيد مصطفى السيد سعيــد آل طعمة المتوفى ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م بخط لا بأس به في ٥ ــ ١٠ ــ ١٩٣٣م؛ ٤٨٦ ورقة المقاس ٣٤ سم × ٢٢ سم مسطرتها ٢٤ سطرا .

٣٤ ـ نسخة اخرى

بخط رديء (دون تاريخ) ٢٦٧ ورقة ٢٠ سم × ١٣ سم ، مسطرتها ١٨ سطرا .

٣٥ ـ عظماء العلم

تأليف كرود ويلسن . تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة ، بخط لا بأس به في ٢٥ ـ ١٠ ـ ١٩٤٦ م ، ١٥٩ ورقة ، المقاس ٣٤ سم × ٢٣ سم مسطرتها ٣٠ سطرا .

٣٦ ـ النظرية الذرية

تأليف سرور وتيلر . تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة ، بخط لا بأس به في ١٦ ـ ١١ ـ ١٩٤٦ م ، ٢٤ ورقة ، المقاس ١٨ سم × ١١ سم مسطرتها ١٥ سطرا .

٣٧ ـ لم نحطم الذره ؟

تأليف : آرثر . كي سليمان . تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة ، بخط معتاد في ٢ ـ ١٠ ـ ١٩٤٧ ، ١٨٠ ورقة المقاس ٢٠ سم × ١٣ سم ، مسطرتها ١٨ سطرا .

٣٨ ـ اقوال كونفوشيوس

تأليف يوتل جيتز . تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة ، بخط لا بأس به في ٢١ ـ ٤ ـ ١٩٤٧ م ، ٧٢ ورقة ، المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم ، مسطرتها ١٨ سطرا .

٣٩ ـ التعاليم الطارئة

تأليف ليه تزو . تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة ، بخط معتاد في ٢٧ ـ ٤ ـ ١٩٢٧ م ، ٦٠ ورقة ، المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم

٤٠ ـ نسخة اخرى

بخط لا بأس به ، في ١٥ ـ ٥ ـ ١٩٢٧ م ، ٦٢ ورقة ؛ المقاس ٢١ سم × ١٤ سم ؛ مسطرتها ٢٠ سطرا .

٤١ ـ ديانة السيك

تأليف دوروثي فيلد . تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة ، بخط لا بأس به (دون تاريخ) ٦٠ ورقة ، المقاس ٢١ سم × ١٤ سم مسطرتها ٢٠ سطرا .

٤٢ ـ منطق العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية

تأليف نورث شبروت . تعريب السيد مصطفى السيد سعيد آل طعمة . بخط رديء في ٢٠ ـ ٤ ـ ١٩٥٠ ، ٨٠٨ ورقة (جزءان) المقاس ١٧ سم × ١٢ سم مسطرتها ١٣ سطرا .

٤٣ ـ مجموع فيه :

١ ـ ملحمة الحاج جواد بدقت الشاعر الكربلائي المتوفى ١٢٨١ هـ عدتها ١٣٦١ بيتا .

٢ ـ قصائد متفرقة

نسخ بخط جيد في ١٨ جمادي الثانية ١٣٩٢ هـ ، ٢٠٥ ورقة المقاس ٢٧ سم × ٢١ سم مسطرتها ٢٢ سطرا .

الكتاب مجلد بجلد سميك من المقوى

٤٤ ـ منتخبات البحار

نسخ بخط جيد في ١٤ رمضان ١٣٩١ هـ على يد السيد محمد هادي بن السيد محمد مهدي آل طعمة ، ٣٢ ورقة . المقاس ٢٥ سم × ١٨ سم مسطرتها ١٥ سطرا ، مجلد تجليده حديث ، ورقه سميك جيد .

٤٥ ـ قصيدة

للشيخ حسين نجف المتوفى ١٢٥٤ هـ نسخ بخط جيد في ٦ صفر ١٣٩١ هـ ١٨ ورقة . المقاس ١٨ سم × ١٣ سم ، مسطرتها ١٠ أسطر .

٤٦ ـ مجموع شعري

نسخ بخط جيد في ٢٢ شوال ١٢٩٣ هـ ، ٤٤ ورقة المقاس ١٩ سم × ١١ سم مسطرتها ١٠ أسطر .

٤٧ ـ مجموع شعري

نسخ بخط جيد في ٢٠ جمادي الاولى ١٣٨٨ هـ ، ٢٧ ورقة المقاس ١٩ سم × ١٠ سم ، مسطرتها ١٠ أسطر .

٤٨ ـ مجموعة آل ابي الحب

بخط السيد محمد هادي بن السيد محمد مهدي آل طعمة في ١٥ جمادي الثانية ١٣٨٨ هـ ١٤ ورقة . المقاس ٢١ سم × ١٦ سم ، مسطرتها ٢٠ سطرا .

٤٩ ـ تعليقات على تراث كربلاء

نسخ السيد صالح بن السيد ابراهيم الشهرستاني الموسوي الحائري نزيل طهران ١٨ جمادي الاولى ١٣٨٦ هـ / ٣ ايلول ١٩٦٦ م ، ٢١ ورقة المقاس ٢٨ سم × ١١ سم مسطرتها ٢٥ سطرا .

٥٠ ـ مجموع شعري

نسخ بخط جيد في ٢٩ شوال ١٣٨٣ هـ ، ٣٥ ورقة ، المقاس ٢٢ سم × ١٧ سم مسطرتها ٢٠ سطرا ، مجلد بجلد سميك من المقوى . يضم بين طياته شعرا لطائفة من شعراء كربلاء وهم : كاظم الهر ، قاسم الهر ، محسن ابو الحب الكبير ، الحاج جواد بدقت ، الحاج محمد علي كمونة ، السيد جواد الهندي ، السيد عبد الوهاب آل الوهاب ، الشيخ احمد درويش علي الحائري ، عبد الحسين الحويزي ، جعفر الهر ، جواد الهر ، حسين الكربلائي ، السيد حسين العلوي ، السيد محمد علي آل خير الدين .

٥١ ـ زيارة الحسين

نسخ بخط جيد بتاريخ ٢ ذي القعدة ١٣٩٢ هـ (١٩ ورقة) المقاس ١٨ سم × ١٤ سم مسطرتها ٩ اسطر ، مجلد تجليده حديث ورقه سميك جيد .

٥٢ ـ شعر السيد مرتضى الوهاب

للسيد مرتضى بن محمد بن حسين الوهاب الموسوي الحائري المتوفي ٣ رجب ١٣٩٣ هـ نسخ بخط جيد في ١٦ شوال ١٣٩٢ هـ (٧٨ ورقة) المقاس ٢١ سم × ١٦ سم مسطرتها ٢٠ سطرا .

٥٣ ــ مجموعة آل كمونة

نسخ محمد سعيد بن محمد كاظم الطريحي بخط دقيق حسن في ١٥ ربيع الاول ١٣٩١ هـ (١٩ ورقة) المقاس ٢١ سم × ١٥ سم مسطرتها ١٩ سطرا

٥٤ ــ أهازيج من الجنوب

يضم طائفة من قصائد الشاعر هادي بن محمد بن حسن الشريتي الكربلائي بخط حسن في ٢ محرم ١٣٩٢ هـ (٤٨ ورقة) المقاس ٢٠ سم × ١٥ سم مسطرتها ١٠ اسطر .

٥٥ ــ الركب الضائع

شعر علي بن محمد بن محمد علي الحائري نسخ بخط جيد في ٥ شوال ١٣٨٥ هـ ٣٠٢ ورقة ، المقاس ٢١ سم × ١٦،٥ سم مسطرتها ٢٠ سطرا .

٥٦ ــ أين حقي ؟

شعر السيد محمد صالح آل بحر العلوم نسخ عباس مهدي ابو الطوس في ١٥ ــ ٥ ــ ١٩٥٤ (١٢ ورقة) المقاس ٢٠ سم × ١٧ سم مسطرتها ١٨ سطرا .

٥٧ ــ كتاب في النحو

مجهول المؤلف وكذلك تاريخ النسخ يبدو انه قديم (٧٥ ورقة) المقاس ١٨ سم × ١١ سم مسطرتها ١٧ سطرا ، ورقه ابيض مصقول خطه نسخي جميل ناسخه مجهول ، الهوامش مملوءة بالتعليقات .

٥٨ ــ لمعة تاريخية في بيوتات كربلاء والفاخرية

للشيخ محمد علي القصير الحائري المتوفي ١٣٥٤ هـ نسخه منقولة عن نسخة المصنف ١١ ورقة المقاس ٢٠ سم × ١٦ سم مسطرتها ٢١ سطرا .

٥٩ ـ زيارة الامامين الكاظمين

مجهول الناسخ ، خط نسخي جيد بتاريخ ١٥ جمادي الثانية ١٣٣٧ هـ ١٤ ورقة المقاس ٢٣٫٥ سم × ١٦ سم مسطرتها ١٤ سطرا مع ترجمة للمعاني باللغة الفارسية بين السطور •

٦٠ ـ هداية العقول الى غاية السؤول

في علم الاصول ، مجهول المؤلف ، بخط نسخي جيد ، عناوينه بالمداد الاحمر ، تاريخ نسخه ١٣٦٥هـ (٧٨ ورقة) المقاس ٢٣ سم × ١٤ سم مسطرتها ٢٦ سطرا ، الهوامش مملوءة بالتعليقات •

٦١ ـ شرح الفية بن مالك

للشيخ بدر الدين ابي عبد الله محمد ويعرف بـ (شرح ابن الناظم) بخط نسخي جيد ، مجهول الناسخ والتاريخ ١٧٢ ورقة المقاس ٢١٫٥ سم × ١٤ سم مسطرتها ١٩ سطرا •

سلمان هادي آل طعمة　　　(كربلاء ـ العراق)

في المشورة

❋ استشار هارون الرشيد وزراءه فقال يحيى بن خالد البرمكي ، لا ينبغي للخليفة ان يستشير منا احدا الا خاليا به ، فانه أموت للسر واقدم للرأي ، واجدر بالسلامة ، واعفى لبعضنا من غائلة بعض ، فان افشاء السر الى رجل واحد اوثق من افشائه الى اثنين ، وافشاءه الى ثلاثة كافشائه الى العامة• لان الواحد رهن بما افشي اليه ، والثاني يطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فيه •

فاذا كان سر الرجل عند واحد كان أحرى الا يظهره رهبة منه ورغبة اليه ، واذا كان عند اثنين دخلت على الخليفة الشبهة ، واتسعت على الرجلين المعاريض ، فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد ، وان اتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم • وان عفا عنهما كان العفو عن احدهما ولا ذنب له وعن الاخر ولا حجة معه •

المجلات الأدبية في الساحل السوري

بقلم : المحامي هاشم عثمان

لا بد من القول ، ان صحافة الساحل السوري هي من مواليد مرحلة ما بعد الانقلاب العثماني ، أي ما بعد عام ١٩٠٨ . ثم هي ولدت اهلية بعكس صحافة دمشق وحلب التي كانت في بداياتها الاولى رسمية نشأت بعناية الولاة وتحت رعايتهم .

ولئن كان حظ الساحل السوري من الصحافة الجيدة قليلا ، فان حظه من المجلات الفكرية والادبية ، كبيراً . بحيث يمكن القول ، ولا حرج ، ان المجلات التي ظهرت في الساحل كانت بمستوى مثيلاتها في سائر المحافظات السورية ، ان لم تكن أرقى ...

* واول مجلة عرفها الساحل هي « العلوي » صدرت في الخامس عشر من ايلول ١٩٢٣ باللغتين العربية والافرنسية . مجلة سياسية ادبية حرة تبحث في « منافع البلاد العلوية المستقلة » مديرها المسؤول وصاحبها ورئيس الكتاب بالقسم الفرنسي : مصري زاده برهان الدين بك . ورئيس الكتاب بالقسم العربي « عندليب الوادي » عبد الكريم الخير .

عدد صفحاتها (٢٤) منها (١٦) باللغة العربية والباقي باللغة الفرنسية. مواضيع المجلة موزعة على الابواب التالية : الادبيات ـ السياسيات ـ اخبار نصف الشهر ـ الكلمة الاولى ..

* بعد سنتين ، جاءت « النور » (حزيران ـ يونية ١٩٢٥) لصاحبيها نصر الله طليع وجاد كومين الذين رغبا في ان تكون « مثالا من الفكر الحر الطليق » لذلك كانت « ميدان البحث الاخلاقي والادبي تتبارى فيه اقلام الكتاب والباحثين في عزلة عن السياسة » .

والمجلة شهرية يقع الجزء الواحد في نحو الثمانين صفحة . ابوابها كما

يلي : المقال الافتتاحي ــ خمائل الافكار ــ تطور المجتمع ــ حراب وسهام ، اوراق الخريف ــ حوادث الشهر ــ زهر وشوك ٠

* ما كادت ذبالة النور تخبو ، بعد فترة وجيزة مـــن اشتعالها ، حتـــى توقدت شعلة « التجدد » (مطلع اذار ١٩٢٧) مجلة « ادب وفـــن واجتماع وفكاهة » لصاحبها اديب الطيار ٠

عدد صفحات الجزء (٦٤) صفحة ، ابواب المجلـــة هـــي : فـــي رياض الشعر ، من هنا وهناك ، في عالـــم الكتب ، فكاهات ، ســـير العلم ، روايـــة العـــدد ٠

ميزة التجدد انها اهتمت بالقصة فافردت لها بابا خاصا ٠ وهذا مـــا لـــم تفعله العلوي ولا النور ٠

* بعد سنتين تقريبا من ظهور التجـــدد ، صدرت « المرشد العربـــي » (١٠ نيسان ١٩٢٩) لمنشئها والمسؤول عنهـــا الشريف عبد اللـــه آل علـــوي الحسني ٠ مجلة « دينية علمية خلقية تاريخية ادبية » ٠٠٠ « مولية وجهها نحو البحث عما يبين حقيقة الدين ويفنـــد مزاعم المبطلين ، ويفضح دعاوي المبدعين والمحدثين متبـــسطة تبسطا لائقا بها فيما يهذب النفوس ويثقف العقول ويغذي الافكار باحثة بدورها في الاخلاق والعـــادات والاداب والتاريـــخ والتراجم والعلوم النظرية والاجتماعية ٠٠٠ »

* ثم بزغ نجم « الاماني » (مطلع تشرين الاول ١٩٣٠) « مجلة علمية ادبية اجتماعية تاريخية » ارادها منشئها ابراهيم عثمان ان تكون « صرخات الشباب الصاخبة لتحطيم الاغلال ومحاربة الجمود ، وحكمة الشيوخ المتروية الهادئة في جو بعيد عن السياسة واساليبها ٠٠٠ »

مجموع صفحات العدد (٥٦) صفحة ٠ والمواضيع التي تناولتها المجلة متنوعة : قصائد ودراســات ادبية وتاريخية واجتماعية ٠

مما يسجل للاماني سبقها في الاهتمام بالنقد ٠

بعد غروب شمس الاماني ، بقي الساحل ما يقرب مـــن خمس سنوات

بدون اي مجلة • ثم في عام ١٩٣٦ ظهرت « الصاعقة » لوصفي حداد « مجلة ادبية روائية انتقادية اسبوعية مصورة » هزيلة المحتوى •

* وفي العام التالي ١٩٣٧ اصدر المرحوم الدكتور وجيه محي الدين مجلة « النهضة » « علمية ادبية طبية اجتماعية » صدر العدد الاول منها في غرة شهر تشرين الثاني ١٩٣٧ •

مبدأ المجلة كان « الكفاح ضد الرجعية ، ونبذ الطائفية الممقوتة والسير وراء المجد والسؤدد بتضامن واخلاص ؛ وبث روح التآلف والاخاء بين مختلف ابناء هذا الشعب ؛ فتكون هذه الصحيفة كمنبر حر يتبارى عليه كل من اعطاه الله نصيبا وافرا من حسن الذوق الادبي والثقافة العالية، والتضحية في سبيل المثل العليا •• »

ويلاحظ على هذه المجلة انها استعارت ممن الاماني زاوية « الرسائل الممزقة » كما اخذت عنها ايضا باب النقد •

هاته المجلات السبع ، هي كل ما صدر في فترة ما قبل الاستقلال •

اما في فترة ما بعد الاستقلال فقد انكمش العدد انكماشا كبيرا • وما صدر خلال هذه الفترة يكاد لا يذكر •

اول مجلة ظهرت بعد الاستقلال هي « القيثارة » (حزيران ١٩٤٦) اصدرتها « جماعة الشعر الجديد » شعارها « سلسلة شعر وفن » •

حددت كلمة العدد الاول اتجاه المجلة « رأينا ان نخصص للناحية الفنية الاكثر وضوحا واستقرارا في بلادنا وهي الشعر ، أرحب حقل من حقولها تمرح فيه عرائس الشعراء وخيالات القراء طليقة هائمة ، فليس في صحفنا الادبية الفنية على كثرتها صحيفة تزرت القسم الاكبر من صفحاتها لاظهار الفن الشعري بحلة جديدة وهو التراث الاول ويكاد يكون الوحيد في تاريخ امتنا الفني » •

ابواب المجلة هي :

ـ في رياض الشعر : ويشغل حيزا كبيرا من المجلة

ــ لآلىء منثورة : وما ينشر تحت هذا الباب عبارة عن شعر منثور

ــ الحان الريف : عبارة عن قصائد زجلية

ــ باقات من الشعر العالمي : هذا الباب عبارة عن دراسة حول شاعر اجنبي مع عرض نماذج من شعره

ــ تطواف الفراش : منتخبات من الشعر الحديث واخرى من القديم

ــ الفنون الجميلة

ــ آراء وخواطر

الملفت للنظر ان القيثارة لم تدل فني القصة والنقد اي اهتمام .

لم تعش القيثارة الا قليلا ثم احتجبت عن الصدور وباحتجابها فقد الساحل السوري اخر مجلة راقية .

لان المجلة التي صدرت بعدها لم تكن على المستوى المأمول .

* بعد احتجاب القيثارة ، ظل الساحل مدة طويلة بلا اي مجلة حتى صدرت « المنبر » (ايار ١٩٥٠) مجلة ادبية اسبوعية لصاحبيها خالد شاكر وغازي ابو عقل .

وفي منتصف شهر كانون الثاني ١٩٥٤ تبدل اسمها الى « الغد » وجعلت شعارها « المدب في سبيل الشعب » مجلة فكرية ادبية جامعة .

وعلى الرغم من انه كتب عليها مجلة اسبوعية . الا انها لم تكن تصدر بانتظام واحيانا كثيرة يتأخر العدد عن موعده هذا من جهة . ومن جهة اخرى ، كانت طباعتها سيئة كثيرة الاغلاط فضلا عن ان مواد المجلة لم تكن موزعة على ابواب ثابتة ...

في عام ١٩٧٣ قام مكتب الثقافة والاعلام لاتحاد شبيبة الثورة (فرع اللاذقية) بمحاولة فاشلة لاصدار مجلة شهرية باسم « الموجة » صدر العدد الاول منها في مطلع اذار ١٩٧٣ وتلاه عدد ثان في نيسان من السنة نفسها ثم توقفت عن الصدور .

تلك هي كل المجلات التي صدرت في الساحل قديما وحديثا .

ولا بد لنا من توضيح بعض النقاط :

اولا ـ ان هذه المجلات كلها تقريبا صدرت في مدينة اللاذقية ما عدا : التجدد (صافيتا) والنهضة (طرطوس) .

ثانيا ـ من حيث مواقيت الصدور . كانت غالبيتها شهرية ، وسنتها عشرة اشهر فقط (النور ، التجدد ، المرشد العربي ، الاماني ، النهضة) .

واحدة فقط هي (العلوي) كانت نصف شهرية . اما الصاعقة والمنبر فكانتا اسبوعيتين ...

ثالثا ـ ثم كانت اعمارها قصيرة جدا جدا . فبعضها توقف عن الصدور بعد بضعة اعداد كالموجة والعلوي . وبعضها الاخر لم يكمل عامه الثاني او توقف بعد العام الثاني ..

والحق ، انها برغم قصر مدتها ، استطاعت ان تنفخ روحا في جسد الحركة الادبية والفكرية في الساحل ، بعد ان كانت هذه الحركة مشلولة .. شبه ميتة .

واليوم ، مما يدعو للاسف الجديد ، خلو الساحل في اي صحيفة او مجلة تستقطب اقلام شبابه وادبائه ومفكريه .

اللاذقية **هاشم عثمان**

وصية غريبة

※ لما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له : أوص قال بم أوصي ، مالي للذكور دون الاناث ، فقالوا : ان الله لم يأمر بهذا . فقال : لكني آمر به . ثم قال : ويل للشعر من رواية الشعر . فقيل له أوص يا أبا مليكة للمساكين بشيء ، قال : اوصيهم بالمسألة ما عاشوا فانها تجارة لن تبور . قيل : اعتق عبدك يسارا . قال : اشهدوا انه عبد ما بقي . قيل : فلان اليتيم ما توصي فيه؟ قال : أوصي ان تأكلوا ماله . قيل أوص يا أبا ملكية قال : احملوني على حمار فانه لم يمت عليه كريم . !!

رسائل الادباء

من الشاعر الكبير الاستاذ جورج صيدح الذي بايعه صديقنا الاديب الكبير الدكتور صفاء خلوصي بامارة الشعر للاستاذ حسان الكاتب صاحب الموسوعة الموجزة .

يا كاتب الخير انـي قارىء عان ... اوشكت أقرأ وجه العالم الثاني
تراجع الموت عنـي بعـد غارته ... كأنه لم يشأ اسكات شيطانـي
او انه احتـرم البيت العتيق فما ... أوهـى دعائمـه الا بميـزان
أو أنه كاد لـي مستمهلا أجلي ... للنيل من حرمتي من بعد جثماني
أصبحت افتقد الاشجان اشدها ... منـذ اختبرتك معينا بأشجانـي
لم تنسني حين صرف الدهر حجبني ... بل انتشلت من النسيان ديواني
آلات فضلك وافتني مخمسة (١) ... لم تنتظم حولهـا هالات عرفاني
أعيت لساني فاستنطقت عاطفتي ... أحدوثة الشكر وجدانا لوجدان
عذري اذا لـم اعددها علانيـة ... أن البقية تأتي .. بعـد اعلاني
«حسان» (٢) مدح رسول الله شرفه ... والآن شرفني مدحي (لحسان(٣))

باريس ... جورج صيدح

---

١ ـ الإستاذ حسان بدر الدين الكاتب كتب دراسة مطولة عني ونشرها فـي خمس دوريات .
٢ ـ حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم . ٣ ـ حسان بن بـدر الديـن الكاتب ـ صاحب الموسوعة الموجزة بدمشق ـ .

حاجز... وهوية

شعر : حسن الزين

انا مزقت الهويــه
وتمردت على الاقدار والتاريخ
من أجــل قضيه
لم يعد في خلدي شيء من الوهم القديم
والاكاذيب التي لطخت الماضي بأثقال الجحيم
لم تعد تخدع احلامي بمعسول المظاهر
فتسلقت الى المستقبل المجهول ارجاء المخاطر
لا تقولي كيف ؟ لا ادري ، ولكني أجاهر
بعدائــي
للذين اصطنعوا الحقد وخاضوا الحرب
تنفيذا لادنى الرغبات
وأحط الامنيات
وأذل الخطط الرعناء يبنيها عداء
ومجــازر
صاغهــا مستعمرون
وبناهــا ظالمــون
صمموها من دماء الابرياء
وأمانــي السفهــاء
يومها لم يبق في لبنان غير الموت والحقد ،
وقطــاع الطريق ،
يبــذرون
في عيون الشعب أكداس الرماد
كي يموت النور في عيني كي يفنى الضياء

غير أن الحق أقوى
ونـداء الخير أبقى ،
من أكاذيب وأوهام سوافر
أرسلت فوق جبالي الخضر نارا ودخانا
واقامت في ربى لبنان للموت رهانا
ثـم مـاذا ؟
واليد الشقراء تقطع
بعد أن فجر كيد الاغبياء
ألف مبضع
وصواريخ ومدفـع
في وجوه الابرياء
مـن بـلادي
واليد البيضاء ليست يا فؤاد
لـك وحـدك
انها من قلب لبنان من التاريخ تنزع
ولو أن الحاجز المجنون ادرك
عندما فتش في متن الهويـة
عـن ضحيـة
ان لبنان وكل الكون يصغي
خجلا من ذلك العار
ومن تلـك المساخر
لانزوى في حقده وارتد
حتـى لا يقامـر
بقضايا ليس يملك
ولما امتدت يد منه بسكين وخنجر
تزرع العنف وتصطاد البراءة

لا ارتجاف الخوف يثنيها ولا دمع يفيض
من فتى لم يعرف الحقد ولم يسمع نداءه
غير أن اليـــد تقطع
ودمـــاء
تصبـــغ الارض ...
وصوت يتدافع !
قبل أن يمحو ظل البغي آثار الحياة
عـــن جبين مشرق
صرخة أصفر منها كل آلام البشر !
صوت أم !!
صوت آلام ثقيلة ... وحنان
فيه شيء من صلاة ...
وكأن الصوت أقوى كان من كيد الجناة
فتقهقـــر
لا تقولي بعد هذا كيف مزقت الهوية
انها تحتاج للتغيير كي تحمل روح الزمن
والوئـــام
ليس للحاجز فيها أي شأن
والظـــلام
لا يعشش
في زواياها الفسيحة

بيـــروت حسن الزين

١ ـ نظمت بمناسبة قطع يد طالب على حاجز اثناء الفتنة في لبنان .

في ربوع السماوة

شعر : خضر عباس الصالحي

هذي السماوة ذات الموقع الحسن — وانها جنة فيحاء في وطني
ومجد تاريخها يعلو على زحل — ما طأطأ الهام للاحداث والمحن
دخلتها والاسى في القلب متقد — فحررتني من الآلام والشجن
وكفكف اللطف دمعا كان منسكبا — على الخدود انسكاب العارض الهتن
وزرتها والربيع السمح يحضنها — والطير يصدح جذلانا على الفنن
وللحقول أخضرار في مشارفها — وقد تمنيت في أفيائها سكني
أجول جولة هيمان الرؤى ثملا — بين الربوع ، وأخطو خطو مفتتن
فيها الطبيعة تجلو في مفاتنها — ما في النفوس من الاحقاد والضغن
تخذت في ظلها للقلب منتجعا — اليه اهرب من همي ومن حزني

* * *

هذا الفرات وفي واديه منسرب — يضفي النعيم على الارياف والمدن
يسيل بين الرياض الغين قد رشفت — منه الازاهر خمرا دونما ثمن
وقفت أرنو الى مجراه في شغف — فأستيقظت عين اشواقي من الوسن
وانساب في عمق اعماقي رحيق ندى — وغلغل العطر في روحي وفي بدني
رويت من مائه الصافي لظى ظمأ — فانه منهل للشاعر الفطن
ورفرف الطيف، طيف الحب في نغمي — فرحت أبدي الهوى في السر والعلن
وعاد للجسم احساس الشباب فما — أصبحت أحمل أعباء من الوهن
أحسست اني ولدت اليوم فانطلقت — دنياي من عالم الاوضار والدرن

* * *

مدينة تزدهي دوما بكل فتى — بالنبل متشح ، بالفضل مقترن
في أهلها الضيف يحيا ناعما جذلا — يلقى المحبة منهم دونما منن
ولم يزل أهلها الاحرار في دأب — يحيون ما بات مدفونا من السنن
الذكريات وأطياف الهوى رسخت — في لحن قيثارتي حتى مدى الزمن

السماوة ــ العراق — خضر عباس الصالحي

عبيد الكراسي

شعر : حسين شعبان

طفح الكيل يا عبيد الكراسي ... يا ضعاف النفوس والاحساس
قد ملأتم أجواء لبنان افكا ... وانغمستم بالشر ، أي انغماس
فخفضتم جبينه بالمخازي ... وهدمتم كيانه بالمآسي
ومنار الاشعاع والرغد أمسى ... بؤرة للفساد والافلاس
وقديما مناخه كان مهوى ... كل من فر من مناخ قاس
كاد يهوى برأسه من حياء ... ذلك الشامخ الاشم الراسي
قد ظهرتم بمظهر مستعار ... فخدعتم به جميع الناس
ونحوتم بالطائفية نحوا ... كان ضربا من النفاق السياسي
وادعيتم زورا حراسة قطر ... كل آفاته من الحراس
فأقمتم دعوى بغير دليل ... وبنيتم صرحا بغير أساس
سفسطات يمجها كل ذوق ... كامل الوعي مرهف حساس
سمتم الشعب ذلة وهوانا ... فاحذروا الشعب ، فهو صعب المراس
وظننتم ان المواطن عبد ... تتولاه قبضة النخاس
ساء ما تزعمون يا رهط ابليس ... وسؤتم يا عصبة الخناس
قد غلوتم بغيكم ، وضربتم ... بالاضاليل ، كل رقم قياسي
وتعدى شذوذكم كل حد ... فاتقوا الله يا عبيد الكراسي

شحيم ... حسين شعبان

سوق السياسة

سوق السياسة بابـه لا يغلـق ... وقديمـه كجديـده لا يغلـق
تجـاره كثـر فمنهـم جاهـل ... غـر ومنهـم عالـم لا يلحـق
ورجال ديـن منهـم وعقائـد ... شتى وباسم الشعب كـل ينطق
والشعب يلهو بالوعود فمزهـر ... منهـا لديـه ويابس لا يورق
ويبيت موعـود عـلى آمالـه ... وتغيب آمـال وأخـرى تشرق
ويدور دولاب السياسة مسرعا ... الغـرب يدفـع سيره والمشرق
وتعلقـت بيمينـه ويسـاره ... أيـد تكـاد لضعفها لا تعلـق
شدت اليه وأوثقت فغدت كما ... يهوى يحركها الولـي المؤثـق
هذي سياستنا وهـذي حالنا ... لم يبـق فينـا واثق او موثـق

خربة سلم ... **احمد حسن الامين**

انصار العرفان والوفيـات

ضاق نطاق هذا العدد عن ذكر انصار العرفان وان كانوا قليلين للآن مع الاسف وعلى رأسهم سماحة الاخ العلامة العبقري السيـد حسن الشيرازي وهو دائما في جميع الظروف بمقدمة انصار العرفان .

كما ضاق عن ذكر الوفيات ، وسنستدرك كل ذلك فـي الاعداد القادمة ان شاء الله .

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

صاحبها:
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

مجلة علمية أدبية اجتماعية سياسية شهرية

العدد الثاني مجلد ٦٥ شباط « فبراير » ١٩٧٧ ، صفر – ربيع الاول ١٣٩٧

الصفحة	الموضوع	الكاتب

علم، أدب، فكر، سياسة

ابحاث اجتماعية

ابحاث علمية


Shiabooks.net

الافتتاحية

ـ لبنانكم لبناننا
وعروبتنا عروبتكم ـ

« يا جنة الله لا « عدن » تماثلها ولا تماثلها في الخلد جنات
أ آية انت يا صنين منزلة ام كل ما فيك يا لبنان آيات
الدهر عندك ايام محببة والعمر عندك يا لبنان ساعات
ضاعف جهودك يا لبنان مقتحما حواجزا بالغت فيها السياسات »

كلنا نحب لبنان وكلنا نهيم به ولا نفضل وطنا عليه ، واي وطن يمكن ان يعيش فيه الانسان احسن من لبنان ، لقد جمع كل محسنات الحياة من جمال وحرية وغيرها وغيرها مما لا تجده في اي وطن آخر ، وان الذي لا يعشق لبنان كوطن ، يكون منحرفا ، او له اغراض خاصة ، اذا لا يجب ان يتهم المسيحي المسلم بانه لا يحب لبنان ، او يفضل وطنا آخر عليه ، وحين وقعت الوقيعة باللبنانيين وهربوا من القذائف والصواريخ ، ادركوا وزادوا معرفة ان لبنان لا يعادله وطن آخر ، لانه ربما كان في محنته افضل من غيره في نعيمه ، ولذلك نقول لكم ان لبنان ليس لكم وحدكم ولا تنفردون انتم بحبه بل نحن واياكم في هواه سواء ، وهو لا يعيش الا بجناحيه ، اذا ان لبنانكم لبناننا ، لا يستأثر احد به ، ولكن المهم المحبة فيما بيننا ، وتأمين العدالة والمساواة ، بحيث لا يشعر المواطن بظلم احيه فيحقد عليه وكنا قد كتبنا كثيرا في اعداد العرفان الماضية حول هذا الموضوع .

وكذلك يا اخواننا « عروبتنا هي عروبتكم » فقد جاء في الحديث : « ليست العربية لاحدكم باب ولا أم ، وانما من تكلم العربية فهو عربي » اي ليست العربية او العروبة للمسلمين دون المسيحيين ، وانما هي لكلاهما ولولا ذلك لما حضنها ودافع عنها المسيحيون قبل المسلمين بعد عصر الانحطاط .

وقد كانت العروبة مع الاسف اثناء الكارثة محنة ثانية ، تاجر فيها الفريقان تجارة غير موفقة . فهي ليست لهؤلاء وحدهم ولا لهؤلاء بل هي لكليهما ، وهناك دائما من يدافع عنها مخلصا دون ضجيج . على انه اذا قال

احد بوحدة ، او اتحاد مع الآخرين ، فلا يعد ذلك جريمة نكــراء ، فربما تقع الاتحاد المسيحيين اكثر من المسلمين ، على ان العرب وهم على ما هم عليه مــن خلاف ، اية وحدة او اتحاد ينفع ، ثم ان لبنــان وهــو صاحب المــوارد غــير المنظورة ، لا يمكنه ان يعيش الا بالحرية السياسية والحرية الاقتصادية ، على ان لا يكون ذلك فوضى طبعا ، اما ما تأتينا بــه الاحزاب المستوردة فيجب ان يبقى لغيرنا ، ونحن لا ينقصنا الذكاء ولا العلم لتصريف امورنا .

ولكن ما العمل اذا كنا قد ذهبنا ضحية كما قال احد قراء مجلةالعربي في عدد كانون الثاني « يناير » من هذه المجلة ما نصه :

ثمن اختلاف العرب

عندما عادت روح التضامن الى العرب استطاعوا ان يصلوا الى اتفــاق بشأن لبنان ... واستطااعوا الى حد كبير ان يوقفوا نزيف الدم فوق ارضه . هل يعلم الزعماء العرب كم دفع لبنان بسبب استمرار خلافاتهم . أي اعداد من البشر قتلوا في أسوأ مجزرة في تاريخ العرب الحديث ... وأي خراب حــل بهذا البلد الذي كان مفخرة كل عربي .

هل يعي العرب الدرس مستقبلا ويدفنون خلافاتهم بسرعة ، ويضمدون جراحهم على الفور ، حتى لا يقتل شعب عربي اخر .. وحتى لا يفتح مزيد من الحدود مع عدونا الاول اسرائيل .

هل نتعلم ونعتبر ؟

ونحن نضيف الى هذا اميركة وروسية .

على ان ما قاله « فالدهايم » ليس مستغربا باعتبار « ما اصابك من سيئة فمن نفسك » فلو رجعنا الى اخطائنا التي ارتكبتها الحكومات من سنة ١٩٤٣ اي من زمن الاستقلال الى سنة ١٩٧٥ اي بدء الكارثة ، لنبحث عــن المسئول الاول عن المحنة : اضف الــى الجشع ، وانا في ظروف متفاوتة لــم نستعمل عقولنا التي خلقها الله لنا لتدفع عنا السيئات والنكبات ، نجــد ان المســئول الاول هم اللبنانيين قبل غيرهم .

فيا اخواننا من هؤلاء وهؤلاء ، فكروا بعقولكم لا بعواطفكم، وانصفوا انفسكم من انفسكم لتعيشوا بمحبة وهناء وليسعد بكم لبنان .

حكم ومواعظ

ـ يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن .

« قرآن كريم »

* * *

ـ المتكبر والمتجبر بالنار .

« حديث شريف »

* * *

ـ لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم .

« حديث شريف »

* * *

ـ ان من احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا : وان ابغضكم الي ، وابعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون .

« حديث شريف »

* * *

ـ المؤمن بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، اوسع شيء صدرا ، واذل شيء نفسا يكره الرفعة ويشنأ السمعة ؛ شكور صبور ؛ سهل الخليقة ؛ لين العريكة نفسه اصلب من الصلد وهو أذل من العبد .

علي بن ابي طالب

ـ عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي اياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء وعجبت المتكبر الذي كان بالامس نطفة ، ويكون غدا جيفة، وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله ، وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموتى وعجبت لمن أنكر النشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى ، وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء .

علي بن ابي طالب

ارفعوا ايديكم عن العروبة !

بقلم : زهير مارديني

اعترف ان قصة المذبحة في لبنان طويلة ... وستكون تاريخا طويلا لم يكتب بعد ، ومن الوفاء لهذه الامة ان يكتب قبل الفوات ، وقبل ان يتمكن دعاة الثورة ، والثورة المضادة من تشويهه ...

لقد كتبوا ونشروا واذاعوا وتلفزوا هجوما على العرب والعروبة لم يسبق ان عرفته الامة العربية على كثرة ما عرفت من تجن ... ولم يوفروا حتى الاديان في هجومهم ... فاذا الجرح الدامي يصل الى وطنية العربي .. وما كانت هذه الوطنية قط اعتداء اثيما ... ولا حقدا لئيما ..!

نشأت رسالة تكبير وتوحيد ... ودعوة تعاون على البر ... ومشت في حالك العصور .. في يمينها قسطاس العدل .. وفي يسارها نبراس الهدى .. وما زالت تعطي باختيارها اضعاف ما اخذت بانتصارها ، حتى ملأت دنيا الناس حكمة وفنا وعمرانا ورفاها ... كانت تتخدر احيانا وتنام ، ثم سرعان ما تعود طيبة الخبر .. جليلة الاثر .. مبكية في تاريخ من فارقت.. مشكورة من اعقاب من حكمت ..

انها ــ وطنية العربي ــ نهضة من كبوة .. واصلاح من فساد .. واستعداد للجهاد .. تأديبا للسفاحين من امثال الذين ظهروا في لبنان اثناء المذبحة .. واستردادا للسلب .. وارضاء للاباء .. واطمئنانا الى العزة .. فكف بعد ذا وعفة .. ونسيان للخصومة .. ومصافحة للمغلوب .. وعود الى المعروف .. وضرب المثل الاعلى في مكارم الاخلاق ...

تلك روح العروبة وهذه تقاليدها .

سلمها أمن وايمان وخير عميم ... وحربها شجاعة نادرة ... وفروسية باهرة وتقدير للبطولة ، وعفو عند المقدرة .. ورفق بالجرحى .. ورحمة لليتامى ... وتأمين لمن التمس السلم ...

حرب اشبه بالمباراة الرياضية منها بالعداء .. وفـي قديم تاريخ العروبة امثلة للجاهلين .. وحجج للجاحدين .. اما وقد جاوز المتقاتلون فـي المذبحة كل حد .. فانهم جميعا بدون استثناء لا يمتون الى هذه الامة بصلة ..

ان جميع الذين ساهموا في مذابح عين الرمانـة ، والمسلـخ ، والسبت الاسود ، والدامور ، والجية ، ودير عشاش ، وبيت مـلات ، وشكا ، وتـل الزعتر .. وغيرها وغيرها .. كل هؤلاء حرموا نفوسهم فعل الخير وغرقوا في مستنقع الجريمة ...

كانوا يصرخون وهم يتقاتلون كابشع ما يكون القتال واحقره ... أهذه هي العروبة ؟

وكانوا يكتبون وينشرون ويذيعون ويتلفزون : مـا العروبة وما برنامج العروبة ... ؟

ولم يظهر في الساحة من يرد عليهم ، ويلقمهم حجرا ولو من بعيد ...

نحن سنرد عليهم ، وعلى الشعوبيين الهازئين ، والمؤلفة قلوبهم ، والمنفوخة جيوبهم من المال الحرام ، والسلاح الحرام .

العروبة شعار هذه الامة .. وروحها .. وشمس اوطانهـا .. ومهـوى افئدتها .. وملتقى ما تعدد من اقاليمها ولهجاتها ..

العروبة التي أمنا بها ، ان يشعر اللبناني ان لـه زحلة فـي الطائف ... والعراقي ان له فراتا في النيل ...

العروبة دم زكي يجري في عروق جسد واحد اعضاؤه الاقطار العربيـة وكل ما يعوق دورة هذا الدم يعرض الجسد كله للاخطار ..!

ويقولون بعد ان يستعيروا عبارات لينين وقبيله :

ها هي العروبة تفشل في لبنان ..!

كلا .. لم تفشل العروبة في لبنان ، ولكنها جرحت وسال دمها .. واما الفاشلون فكانوا للاجنبي حطبا .. قبل الثورة الافرنسية وقبل شريعة تحريـر

العبيد في امريكا بأكثر من الف سنة جهر مشرعنا العربي الاعظم بمبدأ الحرية والاخاء والمساواة فجعل فك الرقاب كفارة عن الذنوب وزلفى الى الله ...
وقال في حديثه :

الانسان اخو الانسان أحب ام كره ...

لم يكتفوا اثناء حربهم السوداء بتهشيم العروبة.. بل امعنوا في افترائهم على الله والتاريخ ، وزجوا بالاسلام والمسيحية في الاتون وراحوا يرقصون..

قالوا وارجفوا بان المسلم قد ابتعد عن المسيحي .. ولا ادري من اين جاءوا باقوال يدفعون بها لكي يصدقهم من يسمعهم ..

ان الاسلام دين يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، ويوجه الى الخير ويصد عن الشر ، ويريد ان تقوم امور الناس على العدل وتبرأ من الجور ، ثم يخلي بعد ذلك بينهم وبين امورهم يدبرونها كما يرون ما داموا يرعون هذه الحدود، ولا تزيد المسيحية على هذا ولا تنقص منه ، ولامر ما قال يسوع للذين جادلوه من بني اسرائيل :

(اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ..

وما اشك في ان الناصري لم يرد ان يعطي ما لقيصر لقيصر بغير حقه ، او ان تقوم الصلة بين قيصر وبين الناس على الظلم والجور والخوف ...

ان الاسلام لم يقدم احدا على احد بمولده ولا مكانه الاجتماعي ، وانما فاضل بين الناس عند الله بالتقوى ، وفاضل بين الناس عند الناس بالتقوى والكفاية وحسن البلاء ...

حادثة واحدة نسوقها الى الذين جاءوا بالتاريخ الاسلامي وراحوا يشوهونه من وراء المذياع .. عل في هذا الذكر ما ينفع الذين صدقوا ما اذيع اثناء حمى الاقتتال ...

كان اول ما عرض للخليفة الثالث عثمان بن عفان في الايام الاولى من خلافته ، قصة عبيد الله بن عمر بن الخطاب الذي قتل الهرمزان وجفينة وبنت ابي لؤلؤة ... وهي قصة امتحن بها المسلمون امتحانا عسيرا .. فابو

لؤلؤة هو قاتل الخليفة عمر ... طعنــه بخنجــر ذي رأسين حــين كان يتقدم للصلاة ، فتكاثر الناس على ابي لؤلؤة فاخذوه ، ولكنه قتل نفسه قبل ان يسأل في ذلك او يجيب .. وقال بعض الناس : انه رأى ابا لؤلؤة والهرمزان ، وكان قد اسلم ، وجفينه وكان نصرانيا ، قد خلصوا نجيا وفي ايديهم هــذا الخنجر يقلبونه ... فلما اقبل عليهم قاموا وسقط الخنجر مــن ايديهم ... فلما قضى عمر اقبل ابنه عبيد الله شاهرا سيفه حتى اتى الهرمزان فقتله ..

فيقول الرواة انه لما احس عض السيف قال :

لا اله الا الله ...

ثم اتى جفينة النصراني فقتله ...

فيقول الرواة انه لما احس الموت صلب بين عينيه ...

ثم اتى عبيد الله منزل ابي لؤلؤة فقتل ابنته ... وبلــغ الخبر صهيبـا وكان على صلاة الناس ، فارسل من يكفه من المسلمين وقد انتهى اليه سعد بن ابي وقاص فساوره وما زال به حتى اخذ منه السيف ، ثم حبس حتــى يقضي الخليفة في امره ..

فلم تكد بيعة عثمان تتم حتى شاور المسلمين الذين حضروه في امر عبيد الله هذا الذي ثأر لنفسه بنفسه وثأر لنفسه عــن غير بينة ... فقتــل رجــلا مسلما ، وقتل ذميين بغير الحق ودون ان يخوله السلطان قتلهما ، وقــد اختلف الرواة في الحكم الذي امضاه عثمان في هذه القضية ، فقوم يزعمون ان عثمان قضى بالقود ودفع عبيد الله الى الهرمزان ليقتله بابيــه ... واكثــر المؤرخين يزعمون ان عثمان قال :

انا ولي الهرمزان وولي من قتل عبيد الله ، وقد عفوت وادفع ديــة مــن قتل من مالي ...

ولم يعدم من قال من المسلمين :

يقتل عمر امس ويقتل ابنه اليوم ...

هذه الحادثة كانت سبب خلاف شديد وعميق بين المسلمين وصحابة النبي ، منهم لم يرض عن قضاء عثمان هذا ، فكان من الانصار من لبث يذكر عبيد الله بقتل الهرمزان وجفينة النصراني وبنت ابي لؤلؤة وينذره بالاقتصاص منه ... وكان زياد بن لبيد كلما لقيه قال له :

ألا يا عبيد الله مالك مهرب ولا ملجأ من ابن اروى ولا خفر
اصبت دما والله في غير حله حراما ، وقتل الهرمزان له خطر
على غير شيء غير ان قال قائل اتهمون الهرمزان على عمر
فقال سفيه والحوادث جمة نعم اتهمه قد اشار وقد امر
وكان سلاح العبد في جوف بيته يقلبه والامر بالامر يعتبر

فلما كثر ذلك من زياد شكاه عبيد الله الى الخليفة عثمان ، فدعا عثمان زيادا فنهاه عن ذلك فلم ينته ، وانما قال في عثمان نفسه :

ابا عمرو عبيد الله رهن ــ فلا تشكك ــ بقتل الهرمزان
فانك ان غفرت الجرم عنه واسباب الخطا فرسا رهان
أتعفو اذ عفوت بغير حق فما لك بالذي تخلى يدان

وكان الامام علي كرم الله وجهه يقول : لو قدر على عبيدالله اثناء خلافته لاقاد منه .

هذه حادثة تعمدت الاشارة اليها هنا ليقرأها الذين يريدون ان يطمسوا جرائمهم التي ارتكبوها اثناء المذبحة ... عل في ذكرها ما ينفعهم ...

ان من اسباب المذبحة جهلنا بالحقائق ، وهي مشكلة الصديق الجاهل ..
وما دام الجهل مشكلتنا الاولى ...
والفواصل بيننا كبيرة والحيطان اضحت بيننا منيعة ...
انه الصدق وحده الذي يجعلنا نرى اعمق وابعد ...

محمد جميل بيهم

من اعلام الفكر والتاريخ

بقلم : وداد سكاكيني

في طليعة المفكرين الدائبين في القضايا العربية والباحثين في تاريخنا الحديث تبرز شخصية الاستاذ محمد جميل بيهم بكل ما أوتي من زاد علمي وخلقي زادته الايام والتجارب عدة ضخمة من ثقافته العربية والغربية ، ومن خصال الثقات في التمحيص والاستقصاء للحقيقة والتاريخ .

لقد وهب هذا المفكر الكبير عمره وقلمه للعالم العربي عامة وللشعب الذي انبثق منه ويعيش فيه خاصة متمرسا بهمومه وأحداثه منذ الربع الاول من هذا العصر ، مشاركا أنداده في بلاده من رواد الفكرة العربية والحركات التحريرية في جهاده الطويل ، لكن على طريقته العلمية في مكافحة الظلم والظلمات والقاء النور بالحجة والمعرفة على كل ناحية فيهما ، ومنهما خفايا الاستعمار على اختلاف أسمائه وأشكاله ، ومن أجل هذا الطريق الشائك الذي اختاره الاستاذ بيهم للكفاح أخذ يتجول في الشرق والغرب ويتغلغل في المجتمعات العربية والاجنبية ليرى من قريب ومن بعيد أثر الوباء الاستعماري الذي تسلل من حضارة المطامع الطاغية الى آفاق المستضعفين والمتخلفين بشتى الوسائل والاسباب حتى سيطر باسم الانتداب على سورية ولبنان فمزق وفرق وباعد وقرب ، وكان نفوذه وتأثيره أدهى وأمر في لبنان حيث توارث أحد جناحيه من تقاليده القديمة المرة أوهاما ومحاذير ، لم تستطع ثقافته وحضارته على ترادف السنين والاجيال وتطور الفكر والحياة ، أن تنتزعها من النفوس أو تغيرها وتحررها ليجاري غيره من البلاد العربية في بناء حياته وقوميته على وعي سليم وقواعد راسخة في التربية القومية التي تجمع العقول على طوايا صافية وأهداف واحدة وكان الاستاذ بيهم عالق الفكر والقلم فيما أصاب لبنان من بلبلة ومغالطة على يد (الانتداب) فأخذ ينشر مقالات للتوعية الفكرية والوحدة الوطنية ويدفع بالتي هي أحسن ما يزحزح الوهم والمكابرة عن الحقيقة الجاثمة ولم يكن في أسلوب بيهم أي

عنف أو جدل ، بل كان دأبه اللباقة في أي حوار أو اقناع ؛ وقد تجرد لهذه الوسيلة ميسرا لما خلق له مطمئن القلب والبال ولم يعرف القلق في المعيشة شأن أمثاله في بيروت من الميسورين الذين آثروا الاعمال الحرة الخيرة ؛ اذ كان أبناؤهم يتخرجون من المعاهد والجامعات ثم ينضمون اليهم فلا يلتمسون المناصب الا اذا كانت علمية أو لخيرة الانسانية ، وكانت دراسة بيهم تمكنه من المشاركة في تنمية الروح القومية والوطنية ولا تصرفه عن متابعة هذه الدراسة حتى أعد نفسه لما بعدها ، وكتب بحثا (١) عن (الانتداب) مقارنا في موضوعه بين استعمارين وفي منطقتين ؛ وكان المشرف عليه الاستاذ المشهور (ديمونبين) بجامعة السوربون وقد حسب الباحث الطموح أن البيئات العلمية بعيدة عن السياسة معتصمة بحرية الرأي ففاته أن أساتذة الجامعات والمستشرقين منهم كانوا أقرب الناس الى السياسة وأحبهم الى زعمائها ، وطالما مهدوا لها بوسائلهم وأيدوها في مستعمراتهم ، ولم يكن رفض البحث الذي تقدم به الطالب البيروتي محمد جميل بيهم ليقنعه بتجربة في غيره لعله لا يحرم (الدكتوراه) لكن نزعته الحرة أبت عليه مطاوعة الآراء التي تعزز بحثه وتضمن قبوله ، فارتد الى وطنه عازما على الرجوع الى تاريخه القديم فعكف على المطالعات والمراجعات وقام بشتى الرحلات ليقدم مؤلفا بعد مؤلف في القضايا العربية ، وفي تاريخ لبنان الذي تنازعته الاهواء والاحداث ، فكانت مؤلفاته تلقي الاضواء على حقائق مجهولة وملابسات متشابكة رفع الستار عما خفي منها ليكون جهده العلمي حافزا للمناضلين عن حق بلادهم في الحرية والسيادة القومية فاكتسب بوطنيته الصادقة ثقة الذين عرفوه في شخصيته المحببة وفي مؤلفاته القيمة لكن (الانتداب) الذي ضاق بالاحرار وان وقر العلماء منهم وقدرهم فانه أقصاهم عن مناصب النيابة والقيادة لينصرفوا الى ما هو أجدى على الوطن من السياسة التي قيدها الانتداب بمراميه ، فازداد الاستاذ محمد جميل بيهم همة في المجالات الفكرية والثقافية ونشر من مؤلفاته التاريخية هذه الكتب :

---

١ ـ نشرت هذا البحث مسلسلا مجلة (الايجبسيان) الفرنسية في القاهرة عام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٩

١ ـ الانتدابان في سورية والعراق
٢ ـ قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور في جزئين
٣ ـ الحلقة المفقودة في تاريخ العرب
٤ ـ العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب
٥ ـ العهد المخضرم في سورية ولبنان من ١٩١٨ ـ ١٩٢٤
٦ ـ العروبة والشعوبيات الحديثة
٧ ـ عالم حر جديد في آسية وأفريقية والوطن العربي
٨ ـ عروبة لبنان
٩ ـ لبنان بين مشرق ومغرب
١٠ ـ الوحدة العربية بين المد والجزر ١٨٦٨ ـ ١٩٧٢
١١ ـ دراسة وتحليل للعهد العربي الاصيل ١٩٧٤

هذه بعض المؤلفات التاريخية التي قدمها الاستاذ بيهم في جهاده الوطني الطويل وعلى طريقته العلمية التي عرفت بالتجرد للحقيقة واستجلاء التطور في الاتجاهات الفكرية والسياسية في الواقع اللبناني الذي كانت تتنازعه الحيرة والمرارة منذ أعوام الانتداب حتى بعد الاستقلال ، وكأن هذا المؤرخ الثقة كان يسبق الزمن في دراسته المبنية على الحقيقة في الواقع والحجة في كل رأي أو بحث ، فقد دعا للوحدة الوطنية واقامتها على قواعد قومية صريحة لا تزعزعها الاعاصير ، فان رياح العروبة كانت تمر بحياة لبنان فيصدها المتوجسون خيفة من عواصفها ويحاول المرجفون أن يتبرأوا منها وينتموا الى ما يقصيهم عنها ، فبادر الاستاذ بيهم الى دراسة نقدية حولها زاد في قيمتها العلمية أنه عاصر حوادثها وشارك فيما يتعلق بها زهاء خمسين عاما ، فكانت دعوة صادقة لعروبة أصيلة في لبنان وحقيقة جاثمة بآرائها وأخبارها وقد حمل فيها الاستاذ بيهم على الكتب المدرسية في التاريخ قبل الاستقلال وبعده لما اندس بين سطورها من تحريف ، مؤكدا كل التأكيد على أن مصلحة لبنان في عروبته ، ومصلحة العرب في طابعه الخاص ...

ومن المآثر الوطنية للمؤرخ الاديب محمد جميل بيهم مساعيه القديمة لقيام مجمع علمي في لبنان أسوة بمجامع دمشق والقاهرة وبغداد اذ كان يرى مع علماء اللغة في وطنه من أمثال البستاني عبد الله ــ والمحمصاني أحمد عمر ووديع عقل وعبد الرحمن سلام وغيرهم أن العناية بالضاد وتراثها الذي صانه ونماه أعلام اللغة في لبنان ، قديمة وحديثه ، هي من رسالته وأصالته ، لكن أيدي المتخوفين على أحلامهم وأوهامهم من خطر العربية قد امتدت الى اهمال المجمع ، وقد فاتهم أن أعلام اللغة في ثقافتها وبيانها لا تزال رفافة شامخة في أقلام الشعراء والادباء الذين أنبتهم لبنان في جنوبه وشماله ، وقد ضمت مجامع البلاد العربية فئة من هؤلاء الى أعضائها ، كان بينهم الاستاذ محمد جميل بيهم كما انتخبته المجامع العلمية في الغرب عضوا عاملا ومراسلا .

لقد تعددت الجوانب والخصائص في الجهاد الوطني الذي تفرغ له هذا المؤرخ الاديب كان منها جانب بارز في النهضة النسائية بلبنان والعالم العربي منذ الربع الاول من هذا القرن ولطالما اعتزت الحركات التحررية بنصير المرأة محمد جميل بيهم الذي تفقد المتعلمة والواعية فيها ودعا للاخذ بأسباب النهضة عن طريق المدرسة والكتاب والتلاقي في ندوات التوعية والثقافة لترد للمرأة الثقة بنفسها ، وشخصيتها وتفرض تقديرها على الذين ضاقوا بوعيها وظهورها بما يليق بأمومتها وكرامتها فكان الاستاذ بيهم يشجع صحافتها ويؤيد منشئاتها وتجاربها ، ويشارك في المؤتمرات النسائية التي أقيمت في لبنان والعواصم العربية بقلمه ومحاضراته ويكرم من قريب ومن بعيد أقلاما ناشئة في الادب ومرجوة للصحافة والتأليف وكان يستطلع بوادر الموهوبات في التعبير وهن على مقاعد المدرسة ، فيهدي اليهن الكتب النافعة والمجلات النسائية وكنت من هؤلاء اللاتي شجعهن الاستاذ بيهم في نشر التجارب الادبية قبل الاوان ، فكلفهن تعبا في اتقان الكلمة المكتوبة لتبقى أقلامهن الجديدة دليلا على المواهب الصادقة اذا أتيحت لها أسباب التفوق والظهور ، ولكم فتح نصير المرأة في بيروت صدره وداره لتكريم الرائدات المجاهدات

في النهضة النسائية والمساعي الانسانية ومن هذا التكريم تأييد المرأة الحديثة في تطورها لحياة البيت والمجتمع فألف من أجلها الكتب الآتية :

١ ـ المرأة في التاريخ والشرائع سنة ١٩٢١
٢ ـ المرأة في التمدن الحديث سنة ١٩٢٧
٣ ـ فتاة الشرق في حضارة الغرب سنة ١٩٥٢
٤ ـ المرأة في حضارة العرب
والعرب في تاريخ المرأة سنة ١٩٦٢

ولا بد للقارىء المتتبع لمواقف الاستاذ بيهم في قضايا العروبة والتحرر يتساءل عن جهده في سبيل فلسطين ، عقدة العقد التي أعدها الاستعمار لتحول دون انطلاق العرب في بناء حياتهم ووحدتهم بعد مدحرة للطغاة من ممثليه ، فكانت فلسطين مدار الخواطر العربية التي توقعت خطرا مبيتا على فلسطين من الصهيونية الباغية حذرت منها أقلام عربية سبقت الى البحث في موضوعها منها قلم المفكر المبكر محمد جميل بيهم الذي كان يتتبع في بواكير مطالعته مطامع الصهيونية وتأييد الاستعمار فنشر في جريدة (الرأي العام) في بيروت عام ١٩١٤ مقالا عنوانه : (الخطر على فلسطين : أماني الصهيونية كيف نكافحها ؟) .

وقد بقي الاستاذ محمد جميل بيهم موزع التفكير في هذه النكبة الاستعمارية التي دهمت العالم العربي وهو يتأهب لحياة جديدة فأخذ يكتب المقال تلو المقال حول هذه النكبة ، وفي خلال الثورة العربية على الصهيونية الطاغية عهد اليه زعماء فلسطين بالانطلاق مع المجاهد الاستاذ الغوري الى الامريكتين وذلك عام ١٩٣٨ لشرح القضية الفلسطينية في مقابلات ومحاضرات كانت أجدى على القضية من جهود غيره ولولا بوادر الحرب العالمية الثانية ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ لطال تجوال الموفدين المجاهدين أكثر من تسعة أشهر ، على ان الاستاذ بيهم وضع بعد وقوفه على خفايا الامور كتابا في موضوع فلسطين المهددة جعل عنوانه (فلسطين أندلس الشرق) وقد تنبأ فيه المؤلف بما وقع

لها بعد قليل ، فكانت الحكومة اللبنانية تعهد اليه بتمثيلها في كل لجنة أو مؤتمر يعقد من أجل فلسطين حتى وقعت الواقعة غدرا وقهرا ولجأ المشردون الى لبنان فسارع الاستاذ بيهم وزوجته الرائدة الدمشقية نازك العابد الى انشاء مؤسسات تعليمية وانسانية بمعونة الحكومة لتأمين العمل للاجئين وتعليم المهن النسائية لمن اخترنها وآثرنها على المدرسة لضمان المعيشة على أن المتتبع للمؤلفات الاخيرة لعلامة بيروت محمد جميل بيهم يحس الحوافز الوطنية وراء دراساته للفكرة القائمة في الوجود اللبناني منذ دهمه الانتداب حتى بعد الاستقلال اذ كان يدور حولها تمحيص المؤلف للواقع بحرارة ولهفة وهذا ما يتبينه القارىء في كتاب : « لبنان بين مشرق ومغرب » فقد آسفت المؤلف هذه الحيرة في أهله على الرغم من ايمانهم بأصالتهم العربية وحقيقتهم اللبنانية فان التقاليد القديمة التي غدت من الذكريات المرة في جيل بعد جيل كانت تعاود المتخوفين مما تقتضي العروبة في الحياة الجديدة التي أقبلوا عليها متحفظين ، ولم يعملوا لما يتطلب التطور والتحرر من منازع متضاربة يأباها لبنان في تجاوبه مع اخوته العرب في قضايا التحرير والمصير ولهذا تصدى الاستاذ بيهم لتحليل الاسباب في هذا الموضوع الشائك جاء في كتابه : « لبنان بين مشرق ومغرب » وقد كشف فيه الستار عن صور لبنان في عهد الانتداب وبعد الاستقلال ، وهي صور لا يراها الذين هم فيها ، فناشد المؤلف المسؤولين والاهلين بأن يتعاونوا على مسحها لتبقى السمعة العالمية لوطنهم هي الصورة الوحيدة لرسالته وحقيقته .

هذه لمحة (١) متحفظة من مسيرة طويلة حافلة لخبير كبير في قضايا الفكرة العربية والدعوة التحررية هو الاستاذ محمد جميل بيهم الذي عرفه لبنان والعالم العربي في كفاحه العلمي الثبت ، وعرفه قراؤه من جيلين في مؤلفاته وآثاره ، وقد جئت بهذه اللمحة ولبنان في معاناة فادحة أنذر بأسبابها الاستاذ بيهم ودل عليها في بحوثه ومقالاته ، ولعله يخرج من الفتنتين اللتين عصفتا بلبنان مؤلفين بعد حين يودع كلا منهما حقائق ووثائق مطوية بين أوراقه ليقدمها أمانة لتاريخنا الحديث .

دمشق وداد سكاكيني

١ ـ لكاتبة المقال مؤلف عن الاستاذ بيهم تعده في دراسة لعصره ولآثاره .

احمد الصّافي النجفي

غادر العراق يرى ببصره وعاد إليه يرى ببصيرته

بقلم: زهير مارديني

ما اكثر الاشياء التي كانت تشدني الى الشاعر العربي احمد الصافي النجفي ...

طفولتي ، صباي ، شبابي ، ذكرياتي الطيبة ... فقد كان بالنسبة الي اكثر من مجرد شاعر أحبه ويحبني ... فقد كان يعرف كل شيء عن نزواتي وأسراري ، ولا يبوح بأي منها لاحد .

كنت أراه في طفولتي فأفرح بلقياه ... وحين أصبحت شابا فرضت عليه صخبي وضوضائي ومشاكلي فلم يكن يضيق بها وان كان يعاقبني باسلوبه الشاعري الذي لا يخلو من القسوة أحيانا ... وكان يفرض علي هذه القسوة بأبوة حانية ... وكنت اتقبلها بقلب مفتوح ...

اذكر الآن لقائي الاول مع الشاعر ...

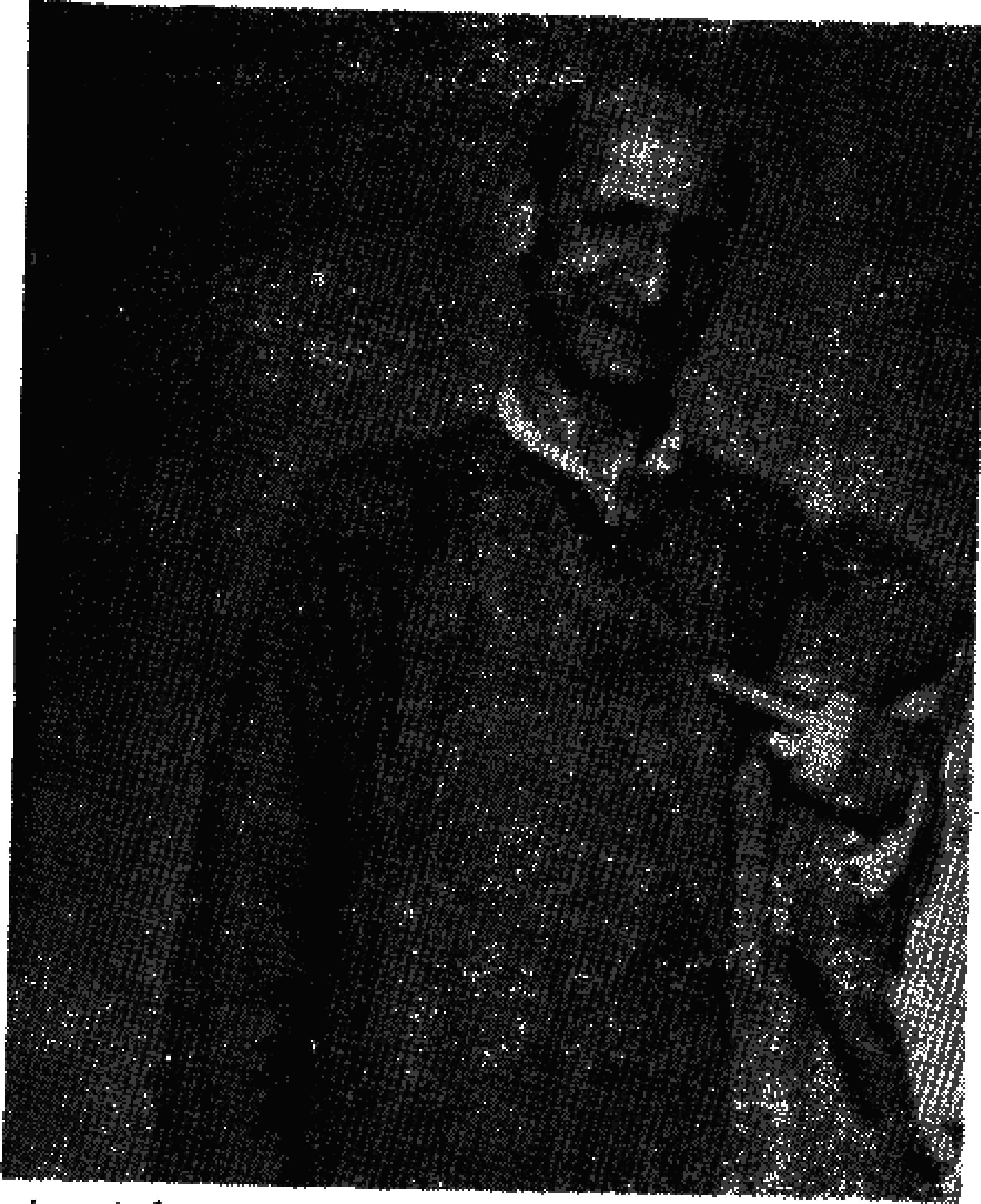
كان ذلك في منزلنا الملتصق بالمسجد الاموي الى جانب مقام صلاح الدين الايوبي ... وفي عام ١٩٤٤ .

منذ ذلك الوقت وانا ملتصق به ، افتش عنه اذا غاب ، واداري نزواته اذا حضر ... واذا كان الاستاذ نزار الزين صاحب العرفان صديقه الاول في غربته ، فأعتقد انني صديقه الثاني في هذه الغربة التي جمعتنا .

وآخر مرة لقيت الصافي كانت في مستشفى المقاصد ... وكان يروي للمحقق قصة أصابته أثناء الاقتتال الدامي في لبنان ... فقد كان يسكن قريبا من (اوتيل ديو) على خط المواجهة هناك ... قال الصافي :

(... كنت اسمع صوت الرصاص في البداية قلت : انهم يضربون الاعداء ... مضت الايام الخمسة الاولى لبداية الاحداث ، سألني جاري :

احمـــد الصافي النجفـــي



أين كنت تنام ؟ قلت في الصالون .. قال : اما كنت تعلم مـــاذا أصاب بيتك ؟ وأراني خمسة ثقوب اخترقت الرصاصات منها الجدار ... وحين خف اطلاق النار غادرت المنزل مفتشا عن رغيف خبز أسد به جوعي ، لقد مضى علي ثلاثة أيام بدون أكل ... وعلى بعد خطوات من منزلي أحسست ببعض السخونـــة في جسمي ، فاعتقدت ان الحمى قد عاودتني ، وسرعان ما وقعت على الارض فحملني جاري الى منزله وهو يقول : استـــاذ انت مصـــاب برصاص ... الا تحس ؟ وأغمي علي ثم صحوت فاذا بي فـــي هـــذا المستشفى .. والفضـــل

يعود الى جاري الذي هتف الى السفارة العراقية وأعلمها بالخبر فاهتمت بي ، واستطاعت ان توصل سيارة اسعاف الى المنزل ، وهذه السيارة نقلتني الى المستشفى ... وقد قلت في ذلك شعرا :

بين الرصاص نفذت ضمن معارك فبرغم أنف الموت ها أنا سالم
ولها ثقوب في جداري خمسة قد اخطأت جسمي وهن علائم

بعد هذا اللقاء الاخير في كانون الثاني ١٩٧٦ علمت ان الصافي قد انتقل الى وطنه العراق الذي غادره فتى ثائرا يرى عيوب امته فيكشفها وعاد اليه بعد ٤٦ عاما شيخا فقد بصره :

يا عودة للدار ما أقساها اسمع بغداد ولا أراها

ويقول :

سني بروحي لا بعد سنين فلاسخرن غدا من التسعين
عمري الى السبعين يركض مسرعا والروح ثابتة على العشرين

لم أستطع ان أودعه ..!

خشيت ان يحس بدموعي فيبكي ... خشيت من ذراعي ان تطوقه ... بكل ما في صدري من حنان ... خفت من الفراق ... فهربت من الفراق .. بالفراق ..!

ذلك لانني عشت عمرا مع هذا الشاعر .. عشت عمري كله .. ترى هل سألقاه ؟

«هذا الشاعر هل تعرفتم عليه ؟

صورته الاولى التي رسمتها في شاشة ذهني كانت :

(عصاتان) فوقهما صفان من الضلوع ، يضمان قلبا يتمرد على سعة الكون ، يغلف هذا قطعة من وبر الجمال في شكل عباءة ... ويعلو الهيكل جمجمة تسترها كوفية وعقال يظهر منها الجبهة التي تتحدى ، والانف المتشامخ كانف ابليس ..!

كان هذا الطيف يلوح أحيانا في شوارع بيروت وصيدا ، او في شوارع دمشق ... يجلس أحيانا على مقعد منعزل من منتزهات الربوة الشعبية ، او مقهى البحرين ... ما ان يراه الانسان حتى يتوقف ويطلق لخياله العنان ...

ففي هذا الطيف تاريخ من التشرد ، والصبر الطويل ••• وفيه أيضاً عالم شعري قائم بذاته ، يجر خلفه عشرة دواوين من الشعر ، طبعوا وتفدوا ••• وخمسة دواوين ما تزال مخطوطة ••• يضاف الى هذا ترجمة رائعة لرباعيات الخيام رفض الشاعر ان يعيد طبعها رغم المغريات بعدما سمع بأن الشباب يقرأون شعر الخيام ولا يفهمونه فيوغلون في الضلال •••

عشت مع هذا الطيف الاعوام الطوال هناك في دمشق ، وهنا في بيروت ، وألفني وألفته ••• شاهدته يداوي أمراضه بالصبر و •• **الجهل !**

رأيته في صخبه وصمته ••• رأيته في مرضه وصحته ••• وسأحاول هنا ان أرسم صورة الطيف ، مقيما هيكلها من شعره الذي هو حياته ، علني أستطيع أن أكشف الغطاء عن سيرة انسان يطلقون عليه في بلادي اسم (شاعر) ، عل الصورة تأتي واضحة الملامح ، بينة الحدود ، واقعية الدلالة••• حتى اذا ما اطلع عليها القارىء بدت الصورة في ظلها وبروزها ، ولونها ، كما هي على فطرتها ، وبدا صاحبها عريان بنابه وقرمه ، بذاته وجولاته ، بسره وعلنه ••!

هذا العائد الى وطنه •!

كان القرن التاسع عشر يلف آخر شراع له حين بدا يظهر في شوارع النجف صبي فارع الطول يتلقى علومه على فقهاء البلدة ••• كانت هوايته المفضلة الذهاب الى بساتين أهله في ضاحية النجف ، والاستلقاء تحت ظل النخيل المتجاور •••

هناك كان الصبي يتمدد على قفاه ، ويغمض عينيه ، ويطلق العنان لمشاعره ، متلذذا بسماع حفيف الاوراق والاغصان ، كان يسمع خلال هذه الغيبوبة الحلوة جوقة موسيقية تعزف له فيطرب ، ويسعد بمرور النسمات الطبيعة على وجهه وكأنها تدغدغه وتنعشه ، وطالما أصغى الى أصوات الطيور ، وتمنى لو يمضي أيامه كلها تحت شجرات النخيل ••• كان يحس أنه من هناك ، من السماء ، فمن على الارض رماه ••؟ ولكن نداء رفاقه يعلو ، ويعلو •• حتى يضطره الى مرافقتهم في العودة ••

في منزل الشاب كثر الحديث عن الثورة ، والاستقلال ، كما كثرت

اجتماعات أخيه الاكبر بالشيخ عبد الكريم الجزائري ، رائد الاحرار العراقيين ...

في هذا المنزل وضعت الخطط السرية الاولى للمقاومة ، وفيه نظمت حركات التحرير ... ومنه انطلقت الشرارة الاولى للثورة العربية الكبرى...

اجتماعات متوالية يحضرها الجزائري ، وجعفر ابو الشمن ، ويوسف السويدي ، ونخبة من الاحرار .

كان الشاب يصغي الى أقوالهم ، ويشارك في بعض المهمات التي توكل اليه ، والى رفيق عمره سعد صالح .

وفشلت الثورة العربية الاولى ، وزحف الانكليز الى النجف بعد نضال دام ستة أشهر .

كانت البلدة تعج بالهاربين ؛ فامتلأت الشوارع بالنساء : والاطفال ، وثغاء الحيوانات ...

الغاصب على الابواب بسلاحه وجنده ... واستقط في أيدي الجميع .

تحت ستار الليل كان بضعة شباب يتخطون صراخ النساء والاطفال ، وينطلقون الى الصحراء يتقدمهم الفتى وصديقه سعد صالح ..

على طريق الغربة ..!

مشى الركب في الصحراء يطوي البيد طي حتى وصل الى حدود بلدة (الحي) ، من أطراف دجلة ، وهناك افترق الفتى عن صديقه : فذهب سعد الى الكويت . اما الفتى فاستأنف السير وحده الى الحدود الايرانية ... وحين وصل الى جبال (حلوان) كان قد قطع اثني عشر يوما سيرا على الاقدام ... وتابع الفتى السير مشيا الى بلدة (كرمان شاه) ومنها الى طهران ... وهكذا أمضى ثلاثين يوما بين الرمال ، والجبال ، والوديان ، والخوف ، والرعب .. وهناك في طهران قرأ في الصحف الايرانية نبأ القاء القبض على أخيه الاكبر وزجه في السجن . وبلغ الامر بالغزاة ان نصبوا المشنقة لارهاب شقيقه ؛ فما كان من الشقيق الا ان خاطبهم بأبيات من الشعر المخمس ارسلها بعد ذلك الى أخيه الفتى وهي :

اننا في سوى العلى مـا رغبنـا   نملأ الكون رهبـة ان غضبنـا
ما جزعنـا للسجن يوم غلبنـا   ان من رام مثلمـا قـد طلبنـا
لا يبالي ان سيق للسجن سوقـا

نحن قوم عن العلى مـا قصرنـا   حينمـا دار كوكب العـز درنـا
واذا جار حارس الدهـر جرنـا   رخصت عندنـا النفوس فثرنـا
نطلب العـز والعلـى لنبقـى

قـد خلقنا دون الورى أحرارا   وامتلكنا التيجـان والامصـارا
وجعلنـا لنـا المعالـي شـعارا   ولقد سامنـا العـدو احتقـارا
فرآنا نسابق المـوت سبقـا

ان ذلي موتي ، وعزي حياتـي   ما انثنت للعـدو يومـا قناتـي
انا فرع مـن دوحة المكرمـات   انـا مـن أسرة كـرام أبـاة
لا يرون الحيـاة في الذل أبقى

انا لمـا اسرت لم أبـد ضعفـا   لا ولم أرج مـن عـدوي عطفـا
ولقـد قات والردى بـي حفـا   شرع ان يكـون موتـي حتفـا
او أرانـي يكـون موتـي شنقـا

كانت هذه الابيات سلوى الفتى العربي ،و قـد قـام بنشرها في مجلة (العرب) التي يصدرها الاستاذ انسطاس الكرمي .

... وتعلم الفارسية .!

لم يهدر الفتي وقته وهو يواجه حياة التشرد ، بل بادر في طهران الـى تعلم الفارسية ، وأخذ يدرس الادب العربي في ثلاث مدارس ثانويـة ، ثـم انتقل بعدها الى الكتابة ، بالفارسية في الصحف الايرانية ... فانتخب عضوا في النادي الادبي الفارسي ، وتوج هذه الفترة باجراء خطوة أدبية حين أقـدم من دون كبار شعراء الفرس على ترجمة رباعيـات الخيـام ... واعترفـت الاوساط الادبية العالمية بأن ترجمته هذه هي أصدق ترجمة للخيام .

هذا المجد الادبي الذي سجله الفتى في طهران نقله الى عضوية دار الترجمة والتأليف الفارسية ، فأخذ يترجم الكتب العربية للفارسية ، وأول كتاب ترجمه كان في علم النفس لمؤلفيه على الجارم وأحمد أمين ..

نداء من العراق .!

واشتد الطلب على الشاب من أهله واخوانه في العراق ، وخاصة من الشيخ عبد الكريم الجزائري بعد ان استقل العراق ... وفي عام ١٩٢٧ وصل الفتى الى حدود بلاده ، فاستقبله شرطة الحدود الذين بادروا الى تفتيش حقيبته فانهالت الدموع من عينيه ، وراح يقبل تراب وطنه ، وما ان عرفه رجال الشرطة حتى امتزجت ابتسامتهم بدموعهم ، ورحبوا به .. ثم واصل السير الى بغداد فالنجف .

اقترح البعض تعيينه قاضيا شرعيا ، واقترح آخرون الاستفادة من مواهبه الشعرية ... ولكن حر العراق الشديد والامراض التي غزته ، وحساسيته المرهفة ... كل هذا حال دون بقائه في العراق ..

لقد اشار عليه طبيب انقذه من براثن الموت بالذهاب الى سورية للاستشفاء ، فقصدها عام ١٩٣٠ ، وعاش فيها شابا ورجلا وشيخا ...

زار خلال السنوات التي قضاها في سوريا ولبنان المستشفيات والاطباء، ولكن احمد الصافي النجفي ظل شاعرا يكره المستشفيات ويبتعد عن الاطباء لهذا بدأ يعايش امراضه ويداويها على طريقته البدائية ...

استقبلت دمشق الفتى القادم من النجف حين اطل عليها بعمامته السوداء وعباءته الفضفاضة ، واستقر فيها يتداوى حتى لم يبق من قواه غير خمسة بالمئة ... اما الباقي فقد التهمه المرض ، او على الاصح تجاهل المرض ..

ليتني استطيع ..!

لغيري ان يقول رأيه في مكانة شعره ... فما انا بالشاعر ولا بالناقد ، ولكني مجرد انسان أحب أحمد الصافي النجفي ولازمه ... واذكر قوله :

بادلت هــذا الوجــود حبــي والسر فــي الحــب لــم تبحــه
اعطيت روحــي لكــل شــيء وكــل شــيء أخــذت روحــه

لقد أخلص الصافي للحياة بكل نواحيها من أعاليهــا وأدانيهــا ، وتغلغل فيها ، وعكس احاسيسه عليها فأتانا بشعر يشبه أرواح اولئك الشعراء وان لم يشبه افكارهم .. يقول :

الا تبــا لمجتمــع دنــيء تكــون جنسه من كــل رجس
اتيت لانشــر الاصــلاح فيــه فلم أصلحه بــل أفسدت نفسي

عاش الشاعر في دمشق المدينة الملول التي طالما هرب منها الشعراء فــي الماضي وسلاحه كبرياء جاء بها من الصحراء وأنف شامخ وانا يطلقها فــي وجه كل من يحاول النيل منه ...

أنا ... أنا ... يطلقها في وجوه الشعراء والادباء والصحفيين ..

أنا ... أنا ... يطلقها في وجوه الزعماء ورجال السياسة والوطنيين حين يحاولون معاملته كشاعر ...

أنا اكتفي من الحياة بغرفة اثاثها من الصحف القديمــة ، ورياشها بساط قديم بانت خيوطه ... ففي غرفته لا يوجد منضدة لانها تشغل فراغا بــدون فائدة ... والشاعر ينظم في المقهى ، وفي كل مكان يغشاه ... كما انه ليس في الغرفة سرير .. بل هناك الفراش وحده الذي جاء به من العراق وظــل في موضعه ... لقد الف الشاعر حياة التشرد ، واصبحت غرفته وارديته جــزءا منــه .

النفوس الكبيرة ..!

لقد عرف الادب العربي نفوسا كبيرة ، ولكنه فيما قرأت لم يعرف نفسا كنفس هذا الشاعر نأت بها نبالتها ان تذل.. وتخشع امام الاطماع والرغبات.. وأبت عليها عزتها ان تتمرغ في اوحال الضعــة ، او تغشى مسالــك المذلــة والهــوان ...

لقد عرف الادب المعري ذلك الفيلسوف الفقير الذي عاش مع نفسه في فاقته ، في حين ان قصور الامراء والملوك كانت تشتهي خفق نعاله في ابهائها..

وها هو الصافي يدب على الارض بنصف حذاء ، وثلثي قنباز ، وثلاثة ارباع عباءة ... يقيم بين الهوان وبين رغائبه سياجا من العزة التي جرت في دمه ، حتى اصبح وجوده جزءا منها ... واصبح شعره لسانها الذي لا يلوك سؤالا ولا يطيق ان ينطق بالبيت الضارع ، او الشطر الذليل ، او القصيدة المأجورة ... وهو القائل :

اغليت نفسي لكوني على النفيس حريصا
أعطيت شيئا ثمينا فهل ابيع رخيصا

وهو القائل :

لي في الشعر عالم مستقل انا فيه فرد بدون خلاف
لم أشارك غيري لاني كريي واحد لا شريك لي في القوافي

***

نظمت الشعر مبتكرا مفيدا كتبت له التفرد والخلودا
ومن اصغى لاشعاري مليا ساضمن خلقه خلقا جديدا

الصافي والمتنبي وبالعكس .!

لم اسمع الصافي يمدح احدا من الشعراء ، كانت (الانا) وما تزال هاجسه تسيطر على وجدانه وهو القائل :

يا وضيعا في طموحي طعنا قائلا فيك أرى داء الانا
كنت يا هذا واوعا بالانا عابدا للذات لو كنت أنا

ويختلف حال النجفي اذا ذكر المتنبي امامه ... انه يقول :

(... الحقيقة ان لابي الطيب قوة طاغية على عقله وقلبه ، ولكن قوته تلك كانت تذهب بددا امام شهواته في الحكم ، وتذوب امام صولة المال ، وتتلاشى في برق الذي ذهب بكبريائه ، وانساه العظمة الحقيقية وهي اكبر من ان تركع للغنى) ...

هذه الآفة لم تقترب من الصافي ؛ فلقد نبع فنه من اغوار نفسه، وتفجرت مواهبه من اعماق وجدانه ، فما عرفته في شعره الا صادقا مع نفسه ، وما ألفيته حين ينظم القريض يتلفت الى آفاق غير آفاقه وهو القائل :

احجب نفسي من حياء وعفة   وابصر قوما خشما هيبة ليا
وكانوا لنور الحق يهوون سجدا   لو اني أبديت نفسي كما هيا

سألته مرة كيف تكونت شخصيتك ، فأجاب :

(... تكونت شخصيتي من أمور عديدة أهمها :

١ ـ الثقافة القديمة والحديثة ... فقد درست في مدى عشر سنوات العلوم القديمة من نحو ، وصرف ، ومنطق ، وبيان وأصول فقه ... ثم أخذت اطالع ما ينشر عن الفكر الحديث ، العربي منه ، والفارسي ؛

٢ ـ الوحدة ... لقد قضيت عمري وحيدا ، وطالما تلذذت بهذه الوحدة ، وكان تأففي من الوحدة قلما يمر في مخيلتي ... وقلت :

سئمت من وحدتي غريبا   الا صديق ... الا عدو ...!؟

ولكن هذه الوحدة أصبحت جزءا مني وقلت فيها الكثير من الاشعار :

انا ان جلست الى الطبيعة مفردا   لم أخش من ملل ومن أحزان
الكائنات جميعهن خلائق   يتحدثون معي بألف لسان

٣ ـ الامراض والآلام التي أعانيها منذ الطفولة ... وقد وصفت هذه الامراض بمناسبات كثيرة منها :

استلذ الحزن المذيب كما قد   لذ للسامع الغناء الشجي
ان للحزن سكرة كالحميا   خص في نيلها الفؤاد الذكي
سكرة الحزن تملأ القلب وحيا   فهل الحزن للقلوب نبي
يا شوكاتك تسدي الوحي بالالم   فأنت وردي حتى لو أسلت دمي

٤ ـ حياة التشرد : لقد كان لهذه الحياة فضل كبير في تكوين شخصيتي ، ففيها عرفت حقيقة الالم والعذاب ، والغربة ، والبعد عن الوطن والاهل ، وقلت :

عذبت في نفس يعز قنوعها   يقظاتها تلد البلى وهجوعها
ابدا تطوف فلا تفوز براحة   ومعيشة الآلام لا تسطيعها
أقسمت لي يا رب عيش تشرد..   لا طوف اسرار الدنا فاذيعها

٥ ـ التلذذ في التغلغل بالمجتمع ، وكان من نتائج هذا التلذذ دراسة عميقة لمجتمعي العربي ... لقد عشت مع الدراويش والمؤمنين ، عشت مع الكفار ومع العابدين ... عشت في الخمارات وفي المعابد ، كل هذا ساعدني على فهم المجتمع من أعماقه دون ان افقد شخصيتي المشرفة عليهم ، والناقدة لهم :

اخلصت فكرتي الى الحق حتى   كدت اغدو لو جئت قدما نبيا
انا لا اقرب الدناءة يوما   احتراما لجوهر الله فيا

سألته مرة لماذا لم تتزوج فأجابني : سامح الله اخي ، لقد عشت في دنيا الحب ستة أشهر فقط ، وحين طلبت الزواج فرض علي ان اتزوج ابنة عمي فرفضت ... وهكذا أمضيت حياتي عازبا ..

هكذا عاش الصافي ينشد الحياة ويغنيها باسلوبه ... عاش في الغربة والتشرد ٤٦ عاما يرى ببصره ، وحين أراد له القدر ان يعود الى وطنه ، عاد اليه يرى ببصيرته فقط ..!

بيروت   **زهير ماrديني**

خصم سوء

* بينما كان عبد الله بن جعفر راكبا اذ تعرض لـه أعرابـي ، وأمسك بعنان فرسه ، وقال : أيها الامير سألتك بالله ان تضرب عنقي ، فقال له الامير : أمعتوه أنت ؟ فقال الاعرابي : لا ورب البيت ، ولكن لي خصم سوء ليس بـه طاقة . فقال الامير : ومن خصمك هذا ؟ فقال له الاعرابي : الفقر .

فالتفت الامير الى مرؤوس له ، وقال : ادفع اليه ألف دينار ، ثم قال له : خذها ونحن مسئولون ، واذا عاد اليك فأتنا منصفوك منـه . فقال الاعرابي : أطال المولى بقاءك ان معي من جودك ما أدحض به حجة خصمي بقية عمري .

عائد من بلاد الأمن والأمانه
مشاهدات وانطباعات في السعودية
بقلم : روكس بن زائد العزيزي

رن الهاتف ، ونحن في مكتب الاستاذ (عزت المفتي) وكان الذي يسأل عنا ، هو الاستاذ العلامة ، الاديب المبدع (عبد العزيز الرفاعي) كتوم رئاسة الوزراء في المملكة العربية السعودية ، صاحب المشروع الثقافي (المكتبة الصغيرة) وصاحب الندوة (١) الادبية التي تعقد في دارته ليلة كل جمعة من العشاء الى الساعة الثانية عشرة ، يحضرها نخبة من الادباء يتناقشون في قضايا العلم والادب • فبعد التحية الهاتفية ، طلب ان نتوجه الى (الرياض) ، فرتبت لنا رحلة اضافية ، ولما وصلنا الى مطار (الرياض) كان الاستاذ الرفاعي في انتظارنا ، فابى لطفه الا ان يوصلنا بسيارته الخاصة ، الى فندق (الانتركونتيننتال) في الرياض !

* * *

وفي صباح الاحد ١٦/٥/١٩٧٦ زارنا الاستاذ الرفاعي يتفقدنا بما عرف عنه من لطف ، ومعه مجموعة من الصحف والمجلات التي في المملكة والتي تصل اليها • ودعنا ليقوم بمهام منصبه في رئاسة الوزراء !

وكان قد رتب لنا لقاء في وزارة الاعلام ، فواجهنا الدكتور الجليل (عبد العزيز محيي الدين خوجه) وهو عالم جليل ، رحب بنا ، وذكر لنا ان معالي وزير الاعلام الدكتور العالم (محمد عبده يمني) في انتظارنا وهو رجل ممتاز كان قبل ان يتسلم الوزارة استاذا للجيولوجيا الاقتصادية ، فعميدا لجامعة الرياض •

---

١ ـ سنتكلم على هذه الندوة في سير لاحقة (العزيزي)

ومن مزايا الوزير النبيل ، انه يشعرك عند الوهلة الاولى انه صديق لك ، لما طبع عليه من اللطف . وقد طلب من الاستاذ عزت المفتي ان يرسل لنا بالكتب التي تبحث عن الحركة الادبية في المملكة العربية ، وعن تاريخ المملكة . بالبريد لتسبقنا الى ديارنا !

* * *

وبعد ان ودعنا الوزير ، صحبنا الاستاذ (عايض محمد الردادي) مدير التنسيق في اذاعة الرياض ، فعقد معنا لقاء تحدثنا فيه عن الادب في ديارنا !

ونحو الساعة الخامسة ، ونصف السادسة صحبنا مندوب وزارة الاعلام الاستاذ (عطية ابراهيم ابو حمود) الى (الدرعية) فمررنا بحي (المعذر) الحي الذي فيه قصر جلالة الملك والامراء .

والدرعية هي البلدة التي انطلق منها الحكم السعودي ، وقد لاحظنا ان الحكومة تحافظ على الآثار كما هي ، وقيل لنا انها تنوي ترميم تلك الآثار ، لتقوم بعد ذلك ، ببناء الدرعية الحديثة . وفي هذا حكمة ، تكون درسا للابناء والاحفاد ، ليعلموا ان كل هذا التقدم صنعه قوم كانوا يقيمون في تلك البيوت المصنوعة من لبن التراب !

* * *

وفي الدرعية ابصرنا شيخا ، يقعد عند دار قديمة من دور الدرعية ، اسمه (ناصر بن عبد الله بن اسعيد) قيل لنا ان عمره في حدود المائة والخامسة والاربعين (١٤٥) وهو صحيح السمع . قال لنا انه عاصر نشأة الدرعية ، وعرف راعي الدرعية (سعود بن محمد) ، وعرف (الهزاني) و (عيسى بن خليفة) و (مبارك الصباح) ، وقال لنا ان الحياة في زمنه كانت شديدة الشظف ، وان الناس ما كانوا يعرفون الارز ، وان دية الرجل ، كانت سبعين ريالا ، وان اغلى المهور لم تكن تزيد على مائتي ريال !

وان الافراح كانت متصورة على يومين قبل العرس ، والطعام الذي يقدم للضيوف كان العيش (١) والجريش !

---

١ ـ العيش هو الخبز .

وجاء ابنه ، واسمه (زيد بن ناصر بن عبد الله بن سعيد) فلما سألت الابن عن عمره ، اجاب انه في حدود الخامسة والخمسين ، لكني اعتقد انه فوق الخامسة والسبعين !

* * *

ثم قصدنا مؤسسات التلفزيون بدعوة من الدكتور (عبد الرحمن الشبيلي) والاستاذ سليمان العيسى ، والاستاذ فوزان الفوزان ، والشبيلي هو المدير العام للتلفزيون وفوزان الفوزان مدير محطة الرياض ، فاطلعنا على اقسام المحطة وما فيها من آلات حديثة ، ودقة في العمل ، وبعد ذلك اجرى الاستاذ سليمان العيسي معنا حوارا دام عشرين دقيقة .

وقد لمسنا التقدم في هذه المؤسسة ، ورأينا الاستعداد لانشاء التلفزيون الملون ، ولانشاء المبنى الجديد . وقد تعرفنا الى المخرج السيد منذر القوري ، وهو رجل دمشقي نشيط !

* * *

وفي طريقنا الى الدرعية وعودتنا منها مررنا بوادي حنيفة ومسافات شاسعة من الاراضي معدة لبناء جامعة الرياض .

وقيل لنا ان الدولة تنوي انشاء درعية جديدة عصرية شمالي الدرعية القديمة .

حيلة طريفة

* قال الاصمعي . دخلت البادية ومعي كيس فيه دنانير فاودعته عند اعرابية ، فلما طلبته انكرته ، فقدمتها الى شيخ منهم فأصرت على انكارها . فقال الشيخ : قد علمت انه ليس عليها الا اليمين . فقلت ايها الشيخ كأنك ما سمعت قوله تعالى :

ولا تقبل لسارقة يمينا ولو حلفت برب العالمينا

فقال : صدقت ايها الرجل ، وهددها فاقرت وردت الي مالي ، ثم التفت الشيخ الي وقال : في اي سورة تلك الآية فقلت في قوله تعالى :

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الا ندرينا

فقال الشيخ: يا سبحان الله لقد كنت اظن انها في : فتحنا لك فتحا مبينا

عبد الحميد بن باديس

باني نهضة ومنقذ أمة

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

سنن الله الثابتة او تنازع البقاء :

الاستعداد للحرب يمنع الحرب •••• قانون السببية :

الاستعداد للحرب يمنع الحرب

لا داعي للوقوف طويلا عند اسمي ولدي آدم المتنازعين ، والكيفية التي نفذ بها القتل ، والمكان والزمان اللذين شهدا الجريمة ، اذ ليس هذا كله من مقاصد القرآن •

ذكر الله قصتهما بهذا النص :

(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ، اذ قربا قربانا ، فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال : لاقتلنك : قال : انما يتقبل الله من المتقين • لئن بسطت الي يدك لتقتلني ، ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك ، اني أخاف الله رب العالمين • اني اريد ان تبؤ باثمي واثمك من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين • فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين • فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال : يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي ، فأصبح من النادمين) •

الآيات الكريمة ، تعرض خصمين ، احدهما ضعيف منهار مستسلم ، ينادي بلسان حاله : ان أقابل الاعتداء حتى ولا بدفاع ولو افضى الاعتداء لقتلي ، والآخر عات مريد ، اعطى نفسه هواها ، ولم يزده استسلام خصمه الا تمردا وتماديا •

الآيات الكريمة تضع كفنا على قانون التنازع ، المفضي لما يدعونه السلم

المسلح وترينا الانسان الشاذ عن خط الانسانية ، خطـرا يهون أمامـه خطـر الحيوان المفترس •

الآيات الكريمة تحرم على أمة ارتداء ثوب الاستسـلام اعتمادا على مـا تقرره عصبة كذا او هيئة كذا او لجنة كذا ؛ اذ الوحوش الناطقـة اذا شاهدت مستسلما ضربت بالمثل التي تتاجر بها عرض الحائط •

الآيات الكريمة ، تعرض المستسـلم حاملا اثم المعتدي ، لان استسلامـه يغري المعتدي ويدفعه لتحقيق احلام الشره والجشع !!!

مثلا ، لو قال ولد آدم المستسلم لاخيه ، الذي مزق صلـة الرحم وسخر بعصبة النسب (لئن بسطت الي يدك بضربة خفيفة لاقابلنك بصفعة قاسية لما وقعت الجريمة) • قصة ولدي آدم ، درس تجاهلته الشعوب الغافلة ، التـي جهلت ان اللغة الناعمة تغري الطامعين بتنفيذ مـا تضمره نفوسهـم وتمليـه اهواؤهم وتستلزمه مبيتاتهم وتتطاول للفوز به نفوسهم • (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله) •

ندم وأحاطت بـه خطيئته ولفه ثعبان الضمير ونهشتـه أفعـى الوجدان وأصبح لا يدري كيف يواري جثمان أخيه (فبعث الله غرابا •••) •

ندم ولو درى ان بعض ذراريه ، سيستسلمون ويخسرون قدسهـم ولا يندمون لما ندم !!!

انفرد القرآن بالحديث عن هذا القانون ، وعـلى ضوئه علـل ارتفاع او انخفاض الامم دختم التعليل بكلمة (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) •

لندرك ان النصر والمجد يستلزمان جهدا ، ولنبني حضارتنا عـلى هـذه الزاوية ، سنة الله هذه نظام مطرد من ظفر بتعليله لمس الخوافي ، التي صمدها فلان او تردى بها فلان •

سنة الله هذه تعلل بها نجاح افراد او جماعات او امـم بلغت الشغاف ،

واخفاق افراد او جماعات او امم حنت عنقها حذر الموت فماتت موت الذل والاهانة .

سنة الله هذه تعني اسبابا تشبه المقدمات المنطقية ، ما كان منها سليما اثمر نتائج سليمة ، وما جاء مريضا اثمر نتائج فاسدة .

سنة الله هذه ، ادركها المسلمون منذ سمعوا كلمة (اعقل وتوكل) أي استعدوا وتفاءلوا .

ربى الاسلام قوما عرفوا معنى سنة الله هذه ، ادركوا ثم خلف من بعدهم خلف خال النصر خطبة يلقيها او ابياتا يرددها ، او دعاءا يبتهل به : بل خال الله ينصر المسلمين لانهم يحملون اسم مسلمين) !!!!!

سنة الله هذه ترينا ارتباط بعض الحوادث ببعض ، او بعضها نتائج بعض . وهذا ما يدفعنا لنلمس العلل لتفادي السقوط ، (على الاقل) كيلا يتكرر السقوط .

سنة الله قانون ثابت قاطع لا تمسه يد الاستثناء والمحاباة ، اذ لا يفرق بين شعب وشعب وشخص وشخص واسرة واسرة وطرف وطرف. وما على على الاحياء الا التدرع لناموس السقوط بدرع اليقظة ، كما تدرع اصحاب رسول الله لناموس الاوباء . الطاعون ، الافات الصحية ـ الكوليرا ـ الامراض السارية ، بناموس الحجر الصحي بقيادة ابي عبيدة المعسكر في (عمراس) اغوار الاردن .

سنة الله نواميس منها ما يدخل في دائرة مقدرتنا وعلينا مناهضته كالهزيمة مثلا ، ومنها ما لا يدخل بها وعلينا الرضا والصبر ، كقتل المجاهدين مثلا . اذ هو ناموس ثابت ونحن عاجزون عن ايقافه ، اما الانحراف فليس ناموسا ولسنا عاجزين عن مقاومته اذ نستطيع ابدال الكسل بنشاط والتبذير باقتصاد والجهل بعلم .

بل هناك نواميس اجتماعية يدخل القضاء عليها في دائرة مقدرتنا ونستطيع تغييرها حين نلد ولادة جديدة لان الله نفسه أمرنا بالتغيير فقال :

(وما كان مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) •

بسنة الله تصحو العقول من غفوة الانحراف الفردي والجماعي ، وتدرك ان الآلام ليست ارتجالا او ظلما بل نتائج مريرة لمقدمات انحراف مريرة •

دوام النعم ناموس ثابت لا يوقف امتداده الا الانحراف (لئن شكرتم) وضعتم النعمة في موضعها (لازيدنكم) من نعمة الاطمئنان والاستقرار والرغد • (ولئن كفرتم) بالنعمة وذبحتموها على محارق الشهوات والانانيات وتحقيق الوجود الفردي فـ (ان عذابي لشديد) ومن اشده ان يغزوكم الـذر الذي لم يتهجى ولن يتهجى معنى كلمة انسانية •

سنة الله هذه ، ترى ما يصيب الغافلين تنفيذا للسنن العادلة ، والنواميس المنصفة ليشحذوا همتهم ويضاعفوا قوتهم وجلدهم ، بهذا وحده يخرجون من محنة التجربة اصلب عودا •

سنة الله هذه تعني استعانة بالاسباب الدنيوية ، وتطوير اوائل المقاومة وحرب القنوط وقتل الانانية •

سنة الله هذه تدفعنا لاستخدام الاسباب ، المفضية للنجاح ، اذ هو نابع من انفسنا او كامن بنا ، وما علينا الا اثارته والتقاطه •

اما عدم استخدام تلك الاسباب وتعليل الاخفاق بالقدر ، فيذكرني بقصة السائق الذي لم يجهز سيارته بالحابس ، وما ان اصيب بالكارثة حتى اخذ يردد (الحق على بياع البنزين) • ناسيا ان البنزين طاقة قادرة على دفع السيارة في احدى طريقين متغايرين ، وليس تبعة اندفاعها في احداهما موضوعة على عاتق البنزين او الحابس ، اذ هما مسخران وليسا مكلفين بـل على عاتق المكلف اذ التكاليف يستلزم القدرة على التنفيذ ويستلزم المسؤولية •

اما من فهم المعنى البعيد الكامن وراء كلمة (التكاليف) فقد اصاب مـا يصيبه الناجحون والا قطف ثمار المفاهيم السقيمة واشواكا تخدش حلقومه •

سنة الله هذه عرفها الناس باسم قانون وناموس ، ولا يحتفظ بها الا

القرآن تقول هذا بتحد واصرار وجزم ، لكنا نحن المسلمين اخذنا منذ جهلنا سنن الله تعالى اخطاءنا الاجتماعية وقصورنا وتفريطنا تعليلا صبيانيا !!!

سنن الله عبر ، تتجسد حيوانا مفترسا يعتب على الذين رأوها في سابقيهم او معاصريهم فلم يعتبروا وتلوا قوله تعالى : (قد خلت من قبلكم سنن ، فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين) ولم يفهموا وكلمة انظروا هنا ، تعني البصيرة والاستبصار ، بل ومحاولة الوقوع على العليل تشخيصا للداء ، وحرصا على الظفر بالدواء .

تعني ، ادرسوا الامم الخالية والمعاصرة ، وانظروا ــ ولو من عين الاثار ــ الانظمة التي كانت سبب ارتفاعها ، لتتخذوها اسوة ، او التي كانت سبب دفنها ، لتتخذوها عبرة !!!

سنن الله ثابتة ، ترتفع بها الامم بمقدار يقظتها او تنخفض بمقدار غفلتها .

سنن الله محكمة ثابتة موقظة عادلة ، ولئن سبق لتهيئتها كوارث واجتياحات فهي نعم لانها موقظات ومنبهات ومحذرات وانذار للمحنطين الذين اغمضوا عيونهم وبرروا غفلتهم بكلمة :

(لم نكن ندري ان عاقبة الانحراف الاجتماعي ذل اجتماعي وان النواميس الاجتماعية ثابتة ثبات نواميس الطبيعة) .

جميع الامم معرضة ليد قانون السببية ، لكن تتفاوت سهام الاصابة . او وسام التقدم بتفاوت يقظة او غفلة القادة ، وثقافة او جهل السواد ، لان الصعود والهبوط ، لاينبتان الا من جذور وضع الناس بذورها .

قانون السببية الحتمي ، دفع عقلاء الامم لمحاولة انقاذ مستقبل ديارها من فم غوله المخيف .

فمن اعتصم منهم بالكتمان والاعداد المتقن ، نجى نفسه ودياره من سيف القيامة المصلت ومن استعجل الشيء قبل اوانه ، او دل عليه الدخان قبل ان تتأجج النار وتحدى من حاول اطفاءها ، فقد كفر عن اخطاء تسرعه بدمه .

اذن ، ما يعتري الافراد والاسر والامم من خير او شر ، لـم يأت صدفة او رمية من غير رام ، بل ثمرة لبذور ، ولا يزول الا بزوالها ، لان الله لا يهب دون جدارة ، ولا يسلب دون حيثيات •

ولذا علينا ان نجزم ان سنن الكون نافذة لكنها فـي الامم الواعيـة ، ليست حتمية اما الذين يحنون اعناقهم لما يخالونه حتميـة فتدهسهم سيـارة السنن المهرولة •

القرآن وحده اعلن ان الحوادث قائمـة عـلى اسباب ومسببات ، وان للنجاة ولو كانت فردية ـ كالفقر والجهل ـ طريقا سليما من ظفر به انقذ نفسه من غول الكوارث •

وهذا الاعلان يفرض الفكر السليم ويرينا سقوط بلد مـا فـي هاويـة الطامعين ، ليس امرا من الله بل نتيجة انحرافات دنيوية، اذا تداركها المنحرفون او ورثتهم استدار الزمن ، ذلك لان البلاء لا يأتي بغتة ولا يذهب صدفة ، بل يأتي مستندا لقانون السببية مذكرا بتنازع البقاء •

لقد خفى قانون السببية او تنازع البقاء عـلى كثيرين فلم يدروا القنوط هو الغول الذي ابتلع امما وافقر ديارا •

لم يدروا ان الطامعين يستعينون بقاعدة (الغايـة تبـرر الوسيلة) وان جهل قانون السببية مدخل للجبر والالجاء وهذان من اشر الوسائل !!!

انفرد القرآن بالحديث عن هذا القانون ، وعلى ضوئه علـل ارتفاع او انخفاض الامم ، وختم التعليل بكلمة (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) •

الدنيا ترقص لمن اثبت جدارته وتغنى بقوته الذاتية ، امـا الترجيح دون مرجح فأمنية خادعة • اذ يستحيل ان يخدش بعض الناس عزة بعض او ينـال بعضهم من ارتفاع جبين بعض ، الا اذا شاهد الخادش ساحة المخدوش خالية من الدفاع • كما انه يستحيل ان يعول الذئب على اجمة الا اذا مات اسودها وضوي جراميزها !!!

سنن الله شمس يحرم منها الذين جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا على البقاء في قبر جهلهم ، ويشفى بشعاعها مريدو الحياة لا سيما في هذا الظرف الذي اخذ به قانون التغيير يطارد الناس في عقر دارهم .

والمشيئة التي يملكها الانسان تمكنه من الحرمان والتعرض للشعاع فليغتنم الفرصة ولا يحفر حتفه بظلفه . قال اللـه تعالى : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم وهم فيها لا يبخسون) .

القرآن يأمر بالاعتبار وينادي : (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين) .

وكلمة انظروا هنا ، لا تعني نظر البصر ، بل البصيرة والاستبصار ومحاولة الوقوع على العلل او تشخيص الداء حرصا على الظفر بالدواء .
تعني : ادرسوا تاريخ الامم الخالية وانظروا اثارها واعرفوا السنن والطرق والانظمة والنواميس التي كانت سبب ارتفاعها، واقتدوا بها لترتفعوا، والسنن التي كانت سبب ابادتها فتنكبوها كيلا تبادوا .

تعليق تفرضه الاجواء

الى القادة الذين جهلوا قوانين التغيير ونواميس تنازع البقاء واحلوا قومهم دار البوار لا استطيع قبول معذرتكم ـ ككل وبظروف زمان ومكان متعددة ـ اذ الطبيب الذي يصف ما يميت او يجهل ما يشفي ليس جديرا بحشر انفه في زمرة الاطباء .

لا تخدعوا انفسكم وتظنوا ان اليهود كسواهم من الدول يسمحون لكم بالحياة ولو عبيدا لاننا نراهم في البروتوكولات والعهد القديم والتلمود مصممين على تنفيذ حكم الاعدام بجميع الناس ـ ولو لحد ما ـ لا تخدعوا انفسكم بكلمة (الوقت في صالحنا) لان اليهود يفتعلون ما يشغلكم ويختلس الوقت وهم كما نعرف من تاريخهم ـ لا ينتظرون الفرص بل يخلقونها ليبتروا كل يد تمتد محاولة تضميد جراحنا ؟ !!!

لا امل في تأجيل مصيركم ، ان تغسلوا خطيئاتكم بدمكم !!!

لا تخدعوا انفسكم بكلمة (سنصالح اليهــود ، وبنفس الوقت نعبــيء طاقاتنا بتكتم ومهارة ودهاء) لان موقفكم بعد الصلح سيكون اكثــر حرجا ، اذ سيصبحون دولة (ذرية) وتصبحون سوقــا لصناعاتهم ولــو رأيتم فــي البروتوكولات هذا النص (يستحيل ان يتفقوا علينا لاننا فتحنا بينهم جراحات وثغرات) لقابلتم هذا التحدي بما يحبطه •

ان التلمود يعدهم بدياركم ، ولا نجــاة لكم الا بالاخلاص والتضحيــة والاكتفاء بالسلاح والقميص والرغيف وطلب الموت •

اما قولكم وراءهم الدول ، فان الدول نفسها وراء مــن يثبت جدارتــه للحياة ويتغنى بقوته الذاتية ، اذ من رجحت كفتــه رقصت لــه الدنيا ، امــا ترجيحها دون مرجح فأمنية خادعة •

ان موقفنا تجاه فلسطين كرجال ، يحمل الدول علــى الاعتراف باخطائها والحذر على مصالحها اذ هي مهمــا ضخمنا تحيزها لليهــود ـ عابدة مصالح خاصة وستندفع لمصافحة القادر على رعاية تلك المصالح •

ان اليهود هزيلون ، اما هزالهم هذا فمنبثق من داخلهم ، لانهم مجرمون لاديان الناس واخلاقهم واقتصادهم وامنهم ، والمجرم كما تعلمون اسير جرمه•

ان معركة واحدة ، يذوق بها العدو حر النار ، ستعيد الى ذاكرته (مــا كل مرة تسلم الجرة) •

هــو لــك لا عليــك

❋ كان سليمان بن عبد الملك مهيبا لا يجرؤ امــرؤ ان يكلمه ، وكــان وزراؤه قد استأثروا بشئون الدولة ، مما أغضب العامة ، فدخل عليه أعرابــي فصيح اللسان ، جريء الفؤاد ، فقال له : يا أمير المؤمنين اني مكلمك بكــلام فاحتمله ان كرهته ، فان وراءه ماتحب ان قبلته • قال : هات يا أعرابي • فقال: سأطلق لساني بما سكتت عنه الالسن ، أداء لحق الله وحق أمانتك • أنت قد أحاطت بك وزراء اشتروا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فــي الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فلا تصلح دنياك بفساد آخرتك ، فقال له سليمان: اما أنت فقد نصحت ، الا أنك جردت لسانك فهو سيفك • فقال : أجــل يــا أمير المؤمنين ، هو لك لا عليك •

الرّحلة في الأدب العربي

بقلم: حسّان الكاتب

الحديث عن الرحلة .. حديث ممتع لما يجده السائح من عوالم جديدة خلال تجوابه في العوالم الجديدة التي لم يعهدها .. وخاصة حين يكون السائح اديبا حساسا شفاف النفس والاحاسيس فهو يستطيع بذلك ان ينقلنا الى الاجواء التي عاشها والى الروائع التي شاهدها خلال رحلته وان الرحلة تتيح الالتقاء ببيئات وطبائع واجناس وانماط ومفاهيم وعادات لا عهد للمشاهد بها من قبل فلا تلبث ان تترك آثارها على نفس الكاتب المشاهد وقلمه وتختلف هذه الاثار باختلاف احساس الكاتب وثقافته وطابعه الادبي في كثير من الاحيان . لهذا نجد ان هذا النوع من الادب يختلف في مؤلفاته باختلاف عصر الكاتب وثقافته وغرضه وهدفه من الكتابة .

وفي ادبنا العربي القديم والحديث ما يجذبنا للحديث عن هذا المضمار في هذه الدراسة .

يقول الشاعر صالح جودت : « لا شك ان الرحلة لها اثرها على الكاتب . فهي انفتاح على دنيا جديدة بكل اجوائها وألوانها وحضاراتها ، وثقافتها وفنها وهزلها وجدها ، والاسفار مادة للكاتب لا تغني ، وقد كانت هي الالهام الاول لكثير من الكتاب العالميين مثل سومرست موم ، وارنست همنجواي وغيرهما » .

ويقول ايضا « أجمل مدائن العالم في اعماقي هي القاهرة ، وتليها بالترتيب سان فرانسيسكو ، ثم طوكيو ، ثم باريس » .

فاذا شاءت قسوة القدر يوما ان اعيش خارج القاهرة ، فالمدينة التي اختارها بغير تردد ، هي سان فرانسيسكو فان جوها ربيع دائم ، والخضرة والازهار فيها مستمران طول السنة ، هذا فضلا عن انها اربع مدائن في قلب مدينة ، الاولى امريكية ، والثانية زنجية ، والثالثة صينية ، والرابعة ايطالية ، فالاقامة فيها هي في الواقع رحلة بين عدة قارات .

ويقول الدكتور سيد نوفل : « من اروع احاديث الادب العربي ، قديمه وحديثه ووسيطه : احاديث الرحلات •• فشعراء الجاهلية وحكماؤهم قد رحل فريق منهم الى الاكاسرة في بلاد فارس والقياصرة في بلاد الروم واسمعوهم من اشعارهم ، والقوا عليهم من آيات حكمتهم ونالوا اعجابهم وتقديرهم وعطاءهم • وكذلك استمعوا الى بلغائهم مثلما اسمعوهم وتبادلوا وإياهم التأثير والتأثر في فنون البيان » ثم يقول : « وكانت الرحلات من اقوى الدعائم لوحدة الفكر العربي لعصور الاسلام الاولى ، رغم الشقة بين ارجاء العالم العربي الاسلامي وصعوبة وسائل الانتقال ومخاطرها البالغة في ذلك الزمان •• وكان حج بيت الله الحرام ، وكان طلب العلم ، من اسباب هذه الرحلات المحببة الى النفوس رغم وعورتها الشديدة وعذابها الاليم ••• والرحلات في الأدب العربي نوعان : الاول رحلات الخيال والاخر رحلات الحقيقة • وفي الاول يخترع الاديب قصة ذات شخصيات فريدة ، يطوف بها عوالم مجهولة او غيبية بين بني الانس او الجن ، ويسودها الجو الروائي البديع •• وهي تزخر بالمعاني الدينية والاجتماعية » •

ولو استعرضنا تاريخ الرحلة لوجدنا ان الانسان مال الى الاستطلاع رغبة منه في السيطرة على العالم الخارجي مما دفعه منذ أقدم الازمنة الى التنقل والتجواب ، فاندفع من اقليمه الى الاقاليم المجاورة يكتشف آفاقها ، ويرتاد مجاهلها ، وكانت له في كل عهد من العهود سفرات ومغامرات دلت عليها الرسوم البارزة والنقوش • وها ان التاريخ يحدثنا أن المصريين كانت لهم منذ حوالي منتصف الالف الثالث قبل الميلاد رحلات متعددة في عهد الاسرة السادسة بالبر والبحر الى بلاد بنت (ساحل الصومال) وأن الملكة (حتشبسون)جهزت حملة الى هذه البلاد عام ١٤٩٥ قبل الميلاد سيرت فيها خمس سفن كبيرة في البحر الاحمر ، وان النقوش البارزة في « الدير البحري » بمصر العليا تخبرنا كيف سيرت هذه السفن ، وكيف استقبلت ُبنت المصريين ، وكيف عادوا •

وبعد المصريين جاء الشعب الفينيقي ، وكان هو الذي أصبح قائما على أمر الملاحة في البحار ، فقام هذا الشعب برحلاته البحرية الخارقة التي استحوذ

فيها على مرافىء بحر الروم ، وشواطىء أوربا الغربية ، وخاض عباب المحيط الاطلسي واكتشف بعض سواحل أفريقية الغربية ووصل الى أميركة نفسها كما يستدل من أحدث الاكتشافات ، وقد سجلت رحلاته هذه في مضيقين اثنين هما :

رحلة حنون القرطاجي حول القارة الافريقية ، ورحلة عملقون الى سواحل أوربا الغربية ، وخصوصا جزائر بريطانيا العظمى التي كان يذهب اليها الفينيقيون لجلب معدن القصدير ، غير أنه لم يصلنا من هذين الكتابين الا نتف مبعثرة في كتب اليونان والرومان .

خلف الاغريق الفينيقيين برحلاتهم في أقطار الارض المعروفة ، وأنشأوا مستعمرات لهم في سواحل آسيا الصغرى وايطاليا ، وقد تركوا لنا معلومات ومعارف جغرافية واسعة تطلعنا على وصف الاقاليم والبلدان التي زاروها ، وتقول ان الارض كروية ، ووراء البحر والمحيط عوالم أخرى مسكونة ، وقد اشتهر منهم بالرحلات هوميروس الذي أغري ركوب البحر ، وطالت فيه رحلته ، ولما عاد الى بلاده نظم الألياذة والاوديسة ، وخص النشيد الثاني من الياذته بوصف البلدان والجبال والوهاد والبحار والانهار . كما اشتهر كذلك هيرودوت الذي بنى علمه على المشاهدة والعيان فقام برحلة طويلة الى مصر وبابل وبلاد الفرس والفينيقيين والطليان وسواحل البحر الاسود ، مكتشفا خلالها طرقا كانت قبله مجهولة ، ومدونا معلوماته هذه في تاريخه الكبير . وغير هذين العلمين اشتهر أيضا سيلاكس البحار الذي ألف رحلة في القرن الرابع قبل الميلاد ، واصفا لنا سواحل افريقيا والمغرب وسواحل مراكش على المحيط الاطلنطي واشتهر ارتيميذورس الرهاوي (القرن الاول قبل الميلاد) الذي زار ايطاليا وأقام فنعملا بروما وزار اسبانيا وسواحل الاطلسي الاوربية ثم شمال أفريقيا ومصر . وألف « رحلة مطولة » جعلها شبه موسوعة جغرافية حشر اليها ما سبقه به غيره من العلماء ، وما اكتسبه هو من خلال ترحاله وتطوافه . واشتهر كذلك اثنان آخران هما : يودوكسوس وهبالوس اللذان كانا يقومان برحلات ساحلية الى الهند ، ويظن مؤلف بريبلوس أن يودكسوس هو أول يوناني قام برحلة ساحلية من هذا القبيل ثم جاء هبالوس فيما بعد ،

وهو الذي اكتشف كيفية الافادة من الرياح الموسمية في رحلة الذهاب الى الهند . ولن ننسى هنا أن نشير الى فتوحات الاسكندر التي رافقه فيها علماء وجغرافيون رحالة سجلوا مشاهداتهم حتى غدت هذه السجلات جغرافية لبلاد آسيا .

ثم خلف اليونان الرومان وأصبحوا سادة الدنيا بعدهم ، فغذوا السير في الآفاق يضربون في أرجاء الامبراطورية الواسعة حتى وصلوا الى جزائر كناري ، وطافوا بدولتهم في أفريقيا وفي آسيا ، وبلغوا الهند والشرق الاقصى . وقد وصلتنا من أنباء هذه السفرات والرحلات جملة من الروايات التي قصها مؤرخوهم في كتبهم ، وأشهر هذه الكتب « التعليقات » ليوليوس قيصر ، و « جرمانيا » لتاسيت و « العشريات » لطيطش ليوش .

وجاء من بعد الرومان العرب المسلمون الذين بسطوا فتوحاتهم في مشارق الارض ومغاربها ، وكونوا لهم علائق تجارية مع الصين وبعض البقاع الروسية وبعض مجاهل أفريقيا ، ولم تمنعهم صعوبة المواصلات وسوء الاستعدادات من الرحلات الى أقصى الارض فأموا الموانيء الصينية يتعلمون فيها استعمال البوصلة ، واخترقوا بحر الظلمات ، وحاولوا الكشف مرتين عن أرض جديدة عبر المحيط الاطلنطي (١) (أميركا) وقد ضمت رحلاتهم وثائق عظيمة الشأن في تاريخ الانسانية ، ساهمت في التعريف بالشرق الاقصى وأفريقيا فضلا عن آفاق دولتهم ، وساعدت الرحالة الغربيين فكانت دليلا لهم في هذه المجاهل التي كانت أقدام العرب أسبق اليها من أقدام السائحين الغربيين بعشرة قرون .

هذا وقد ظل العرب هم الحائزين قصب السبق في ميدان الرحلات والاكتشافات حتى القرن الخامس عشر الميلادي حين انطلقت في أوربا حركات الاستكشاف الحديثة فاكتشف هنري المعروف بالملاح اقساما مجهولة من

---

١ ـ ورد ذكر المحاولة الاولى في كتاب الادريسي « نزهة المشتاق » وورد ذكر الثانية في « صبح الاعشى للقلقشندي » وسياتي الحديث عنهما .

الشاطيء الافريقي (١٤٤١) ، ووصل بارتولوميو دياز (١٤٨٦) الى « رأس الاعاصير » في الطرف الجنوبي من القارة الافريقية ، ثم اقتحم فاسكو دي غاما بحر الهند عام (١٤٩٧) بهداية أحد الملاحة العرب ، وبلغ كولومبوس اميركا عام (١٤٩٢) واستطاع ماجلان أن يطوف لاول مرة حول الكرة الارضية (١٥١٩) فيثبت بالدليل العلمي ان الارض كروية .

وكان من نتائج هذه الكشوف ان أذكت روح المغامرة في أوربا كلها ، فاقتحم الغربيون غمار المحيطات ، واكتشفوا أوستراليا وجزر المحيط الهادي ، ولم يبق موضع على الارض لم يرحلوا اليه ، او يرسلوا البعوث لكشف أسراره . وها هم يفكرون اليوم في رحلات الى القمر والمريخ بواسطة ما اخترعوه من قذائف وسفن فضائية وصواريخ . هذا هو تاريخ الرحلات ، وحسبنا ان نعرض لتفصيل تاريخها عند العرب وفنونها وأشهر من قام بها .

الرحلات في العصر الجاهلي : أما رحلات العرب في العصر الجاهلي فكانت رحلات في سبيل التجارة ، ومن أجل طلب العلم ، كان يقوم بها نفر ممن كانوا يسكنون أطراف الجزيرة وحواضرها ، ونجاحه في اليمن . ففي اليمن كان العرب يتجرون ، منذ أقدم الازمنة ، مع مدن الساحل البعيد (ارتيريا والصومال) ومع بريجازا (٢) ، ويبعثون بسفنهم اليها . وكانوا يقصدون الى ساحل مالابار ، طوال عدة قرون ، للحصول على الخشب الذي كانت تبنى منه سفنهم ، كما كانوا يركبون البحر على طول سواحل أفريقيا الشرقية حتى رهابتا (٣) قرب زنجبار ، يمدون هذه البلاد بالذهب والنحاس والاحجار الكريمة ، فضلا عن السلع الاخرى التي كانت تستعمل في صناعة العطور والمراهم وبخور المعابد . وان كل شيء يقع تحت اسم النقل من آسيا وأوربا في خلال القرن الثالث قبل مولد المسيح ، يقول المؤرخ اليوناني :

---

٢ ـ بريجازا : ميناء هندي يدعى اليوم (بروش) .

٣ ـ رهابتا : هي الان كويليمين على الفرع الشمالي من دلتا الزمبيزي .

أجاثار خيديس ، ان السبئيين وأهل جرها (٤) هم الذين كانوا مسؤولين عنه ، وهم الذين جعلوا سورية البطلمية غنية بالذهب ، وأتاحوا للتجار الفينيقيين تجارة رابحة وآلافا من الاشياء الاخرى ، هذا في اليمن .

وأما في الحجاز ومكة وسائر مدن الشمال فقد ساح المكيون في الولايات البيزنطية الشرقية ، بل زاروا عاصمتها ليقتبسوا من الثقافة اليونانية والرومانية ويقضوا فيها على الحركة الدينية التي كان يبلغهم صداها . وكان لتجار مكة رحلتان في الصيف والشتاء احداهما الى سورية وفلسطين ، والاخرى الى جنوبي جزيرة العرب ، كما كان للمتعرضين منهم لعطاء السادة والملوك ، وللمترحلين في سبيل العلم والهداية رحل واسفار تزودوا فيها بالجديد الطريف من ألوان الحضارة المتباينة ، واستقوا ما أفادهم علما ، وأكسبهم يقينا وطمأنينة نذكر منهم على سبيل المثال : النابغة الذبياني والاعشى وعلقمة الفحل ، والمرقش الاكبر الذين وفدوا على ملوك الحيرة وغسان ، ونذكر منهم زيد بن عمرو بن نفيل الذي شك في الاوثان ، ورحل يطلب دين ابراهيم حتى بلغ الموصل والجزيرة ثم جال في الشام ، ونذكر كذلك الحارث ابن كلدة الثقفي الذي تعلم الطب وضرب العود بفارس واليمن .

هذه هي الرحلات العربية في العصر الجاهلي وهي رحلات ، لم يترك فيها العرب آثارا مكتوبة تستحق الدرس في ميدان الرحلة كفن أدبي لذلك نضرب عنها الصفح ونكتفي بهذه الالمامة التي نوطىء بها لدراسة الرحلات في الاسلام .

الرحلات في الاسلام :

لقد كان الاسلام نقطة تحول في تاريخ العرب المديد ، استطاعوا في

---

٤ ـ جرها او الجرعا وكانت قائمة بالقرب من ميناء العقير الحالي . يقول سترابون : « وقد أصبح السبئيون واهل جرها اغنى القبائل جميعا لاشتغالهم بالتجارة وكانوا يمتلكون كميات ضخمة من الادوات المصنوعة من الذهب ، ويعيشون في مساكن فخمة ابوابها ونوافذها وجدرانها مطعمة بالعاج والذهب والاحجار الكريمة .

حكم فتوحاتهم ولعوامل تتصل بالتجارة وبطلب العلم وبالحج ان يجوبوا شتى أقطار المسكونة ؛ وينساحوا في البلاد متعرفين الى أكثر المناطق التي لم يكن لهم بها صلة من قبل • فمنذ السنة/٦١٠/للميلاد ، قامت في البلاد العربية دعوة دينية بشر بها فتى من قريش ؛ استطاع ان يجتذب العرب اليه ، وأن يجمع شملهم ، ويضمهم في نطاق دولة لها وحدتها ومميزاتها ، فمضوا يفتحون تحت رايته المدن والاقطار حتى تم لهم النصر ، وأصبحت الجزيرة ، بمختلف مراكزها ، تدين بالتوحيد •

ولما قبض النبي صلى الله عليه وسلم عام (٦٣٢) خلفه من بعده الخلفاء الذين وجهوا جيوشهم الى الشام ، وفارس ، والعراق ، فافتتحوها وافتتحوا ارمينية والقوقاز ، وتوغلوا في بلاد الروم • ثم استولوا على تركستان ، وهاجموا أرض الهند ، مواصلين زحفهم حتى ضفاف سيحون وجيحون (٥) ووادي مهران بالسند • وفي الغرب احتلوا أفريقيا الشمالية اثر فتح مصر ونوبيا وبرقة ، وهاجموا جبل طارق فاجتازوه ، ودخلوا ملاقة وغرناطة وطليطلة ، وأمعنوا في الارض الاسبانية حتى جبال البيرنه ، ثم اجتازوا هذه الجبال ، وأخذوا قسما من جنوب الغال ، وعبروا وادي الرون مواصلين زحفهم الى مقاطعة الصون ، ولولا خسارتهم في معركة (بواتية) لكانوا توغلوا في أوربا كلها ، ولكانت لهم السيادة على العالم كله •

هذه الفتوحات أتاحت للمسلمين وسائل السفر في امبراطوريتهم المترامية الاطراف ، وهيأت لهم أسبابه ، ومكنتهم من أن ينشروا لغتهم ومبادىء دينهم ومدنيتهم في كل ناحية ، فلم يبق التجوال ضربا من التغرب لان العربي كان يجد أينما حل قوما يفهمون لغته ، ويعتبرونه ضيفا يحتفون به ••• وكان للحج أثر واضح في تشجيع الرحلات اذ أن تأدية هذه الفريضة أوجبت على المسلمين ان يسافروا من أقاصي الارض الى مكة لزيارة كعبتها ، والتعريف الى مهد النبوة • وكثيرا ما كان القيام بهذه الفريضة نقطة انطلاق للرحالة

٥ ــ نهر الاكسزس واليا كسارات حاليا .

الحجاج يندفع على اثرها الى الضرب في البلاد وتفقد عادات أهلها واستقصاء أحوالهم وأمزجتهم .

يضاف الى هذين العاملين (الحج والفتوح) عاملا التجارة والسفر وقيام نظام البريد وجباية الخراج . فالتجارة عند العرب منذ العصر الجاهلي كانت عاملا له أهميته في ازدياد حركة الاتصال بينهم وبين البلدان المعروفة لهم آنئذ . ولما ظهر الاسلام تعاظمت التجارة الى حد تجاوز حدود فتحهم ، فرأينا التجار المسلمين ينهضون الى أطراف الارض ، ينقلون البضائع ، ويشترون السلع ، وقد بلغوا في ذلك الى أقصى بحار الصين ، وسواحل البلطيق ، وصحارى افريقيا الداخلية ، وبلاد الاندلس والمحيطين الاطلسي والهندي . وخلفوا في هذه الممالك نقودا وآثارا يكتشفها الباحثون يوما بعد يوم وعليها أثر من هؤلاء التجار (٦) أما التوسع السياسي وانتشار رقعة الدولة في مساحات شاسعة من أنحاء العالم القديم فقد أديا الى زيادة أهمية المعلومات عن أطراف العالم الاسلامي ، وجعلا العرب في أمس الحاجة الى أن يعينوا الحدود ، ويعرفوا المسالك ومواقع المدن لحفظ حقوق بيت المال وتنظيم طرق البريد ، وساعدا بذلك على الرحلة والسفر ، فرأينا العرب يضربون بسهم وافر في هذا السبيل ، ويسافر الكثيرون منهم لدراسة البلاد وطرقها وتعيين مسافاتها . فاذا أضفنا الى هذه العوامل كلها شوق العربي الى المجهول ، واندفاعه الى الرحلة في طلب العلم الذي نشأ أمره في القرنين التاسع والعاشر للميلاد ، استطعنا ان نلم بالعوامل الاساسية التي حفزت العرب الى الاهتمام بالرحلة وتسطيرهم أخبارها في كتب دونوا فيها مشاهداتهم ، ورووا ما حدث لهم في

٦ ـ امتد ملك العرب في داخل افريقيا شمالا وغربا وشرقا حتى بلاد الكونغو والزولو . ولم تزل آثارهم هناك الى الان . وقد عثر بعض الاثريين الانكليز في سنة ١٩٠٢ شمال الترانسفال بالقرب من بلاد « كفرة » على قبر عربي قديم عليه كتابة بالحروف الحميرية تنبيء ان اسم الميت « سلام » وانه توفي سنة ـ ٩٥ ـ هجرية (٧١٤) م وينتظر العلماء كشف آثار اخرى عربية هامة في تلك الاصقاع النائية . وكشف الالمان منذ بضع سنوات بالقرب من « دانفا » تحت انقاض مدينة « فيماكو » القديمة في داخل افريقيا الشرقية كتابات عربية قديمة فنقلوها الى متحفهم في برلين . وفي خرائب محبسة ومليتة وقلاعهما اثار كثيرة ، وكتابات عربية لا تزال محفوظة الى الان .

مختلف النواحي والاقطار . وقد أخذت طلائع هذه الكتب في الظهور منذ القرن التاسع للميلاد واستمرت في تضخم وازدياد طوال القرون الخمسة التالية ، حيث احتلت على ايدي فئة من الرحالين درجة أدبية رفيعة وتبوأت مكانة سامية بين غيرها من كنوز التراث العربي .

وفي أدبنا المعاصر ارتبط أدب الرحلات بمعالم حركة النهضة الحديثة .. بل ان الدارس لهذا اللون من الادب في أدبنا الحديث يدهش أو يكتشف أنه من أهم معالم مرحلة اليقظة الاولى التي صاحبت حركة التمرد على التخلف الذي عاشته أمتنا تحت جهل الحكم العثماني ، كما صاحبت حركة التمرد على محاولات الاستعمارين الفرنسي والانكليزي السيطرة على الفعلية العربية ووضعها في القالب الذي يسير في فلكها ويؤيد وجودها وهي بالتالي قد صاحبت حركة المخاض الهائلة التي استطاعت ان تخرج الى النور هذا الشعب العربي الجديد الذي يكافح ليأخذ مكانا له في عالم سمته الاولى التقدم المستمر والتطور الدائم والمعرفة التي لا حد لها .

كريم وهـو في الحرب

* كان معن بن زائدة يتصيد في أحد الايام فعطش ، ولم يكن في تلك الحال ماء مع غلمانه . فبينا هو كذلك ، اذ مرت به جاريتان من حي هناك ، في جيد كل واحدة قربة من الماء ، فشرب منهما . وقال لغلمانه : هل معكم شيء من نفقتنا ؟ فقالوا : ليس معنا شيء . فدفع لكل منهما عشرة أسهم من سهامه ، وكانت نصالها من ذهب . فقالت احداهما للاخرى : ويحك ما هذه الشمائل الا لمعن بن زائدة ، فلتقل كل منا في ذلك شيئا . فقالت احداهما :

يركب في السهام نصال تبر ... ويرميها العدا كرما وجودا
فللمرضى علاج من جراح ... واكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الاخرى :

ومحارب من فرط جود بنانه ... عمت مكارمه الاقارب والعدا
صيغت نصال سهامه من عسجد ... كي لا يعوقه القتال عن الندى

تلاؤم الأسماك مع البيئة والوظائف الحياتية

بقلم: رغيد النحاس

لقد تطورت المظاهر الحياتية لدى الكائنات الحية تبعا لمقتضى حاجة الكائن الحي للعيش بصورة تتلاءم مع البيئة التي يوجد فيها ، ان وجود أي كائن حي في بيئة معينة يستلزم بالضرورة جملة من العمليات الحياتية والفيزيائية التي تتم بواسطة تفاعل مشترك بين الكائن الحي وتلك البيئة التي يتواجد فيها ، وعلى هذا فان الكائن الحي يتطور وفقا للظروف البيئوية المحيطة به ، كما أن البيئة نفسها تتطور وفقا لتأثيرات مجموعة الكائنات الحية المتواجدة فيها ، وعلى هذا فان لكل كائن حي حيزا يشغله في هذا الكون ، ولكل بيئة من هذا الكون مجموعة تختص بها من الكائنات ، فالسمك مثلا لا يستطيع العيش على اليابسة ، والبيئة البحرية مثلا غير مهيئة لاحتواء أشجار التفاح ، وهكذا ، واذا ما استطاع نوع من السمك مثلا ان يعيش في بيئة تختلف في درجة حرارتها عن بيئته الاصلية فان ذلك يعني أن هناك تبدلات حيوية تطرأ على جسم السمك فتجعله قادرا على التلاؤم مع الوضع الجديد ، هذا مع العلم بأن السمك ذا حرارة متغيرة ، واذا ما تفحصنا بقعة من التربة ووجدنا فيها بعض الاخاديد او الثقوب فاننا نستنتج ان هناك حيوانا ما قد اتخذ له وكرا او مسكنا وهو بهذا يؤثر على نوعية البيئة وقد يخرب الوضع الحياتي للكثير من الكائنات الحية التي لا ترى بالعين المجردة .

ان حياة الاسماك في المحيط تتطلب نمطا معينا من التلاؤم ، فهذه الاسماك عليها ان تتكيف مع الوسط المائي المحيط بها ، ان هذا الوسط يتطلب نوعا معينا من الحركة ومن التغذية ، ويجب ان تتوافر فيها خواص معينة لتستطيع مواجهة عوامل هذه البيئة الفيزيائية والكيميائية والحياتية ، فعليها ان تواجه حرارة المحيط وكثافته وملوحته وكل ما ينجم عن ذلك من آثار ، وعليها التكيف مع نوعية الضوء والصوت في المحيط ، وعليها ان تعرف كيف تهاجم فريستها وكيف ترد خطر مفترسيها .

تصنيف الاسماك وفق التلاؤم الغذائي

يحتوي المحيط على كائنات حية عديدة ، وأهم الكائنات هي تلك النباتات المجرية العائمة (phytoplankton) التي تستطيع ان تحول طاقة الشمس الى قدرة غذائية بواسطة عملية التركيب الضوئي (photosynthesis) فتحول بذلك الماء وثاني اكسيد الكربون المحلول في الماء الى سكريات ، ومن ثم فان هذه السكريات تدخل في عملية التخليق الحيوي (Biesynthesis) فتتحول السكريات الى بروتينات وشحوم وفيتامينات وغيرها من المواد الاساسية اللازمة لبناء جسم الكائن الحي ، وهكذا فان النباتات هي المخلوقات الحية الوحيدة القادرة على انتاج غذائها بنفسها ، أما الحيوانات فهي لا تستطيع القيام بعملية التركيب الضوئي ولذلك فهي بحاجة لان تأخذ المواد الغذائية الاساسية جاهزة وهي تفعل ذلك بالتغذية المباشرة على النباتات او بالتغذية المباشرة على حيوانات في مرتبة اقل منها في السلسلة الغذائية البحرية ، او على الاثنين معا ،

بالنسبة لنوعية التغذية ، يمكن تقسيم الاسماك على الشكل التالي : (weatherly, 1972)

١ ـ اسماك عاشبة ـ وهي لا تملك اسنانا ولكنها تملك مصاف خيشومية خادمة تستطيع بواسطتها ان تصفي النباتات المجهرية لتأكلها ، وتتميز الامعاء هنا بأنها ذات جدار رقيق ولا توجد معدة بكل معنى الكلمة ،

٢ ـ أسماك لاحمة ـ وتملك أسنانا متطورة لها القابلية على القبض والمسك والتمزيق ، أما الخياشم (gill-rakers) فقد تطورت بحيث تستطيع القبض على الفريسة واستبقائها وبردها وسحقها ، والامعاء قصيرة وتوجد معدة حقيقية على شكل قارورة ،

٣ ـ أسماك لاحمة عاشبة (Omnivores) هنا تكون الاجهزة الهضمية وسطا بين الحالتين السابقتين ،

كما أن عادات الهضم قد تتغير مع تغير شكل الاسماك وفقا لنموها ،

وعلى سبيل المثال فان صغار سمك الكراكي (pike) تمر في ست مراحل من التغيرات من وقت فقسها وهي بطول ٦ مليمترات ، الى وقت بلوغها حيث تصل الى ١٧٫٥ مليمتر •

التمركز ، الحركة ، السباحة

تعتمد بعض الاسماك على ركائز لتدعم نوعية حياتها وحركتها • فالاسماك التي تدفن نفسها تختار أرضية لينة ، والاسماك التي تمشي ، لها زعنفة متطورة لهذا الغرض •

ان اكثر الاسماك تتحرك في الماء بواسطة ثني أجسامها كالموجة • وبعض الاسماك تستعمل التوتر في زعانفها ليتوجه الجسم دونما انحناء •

ولحركة المياه تأثير كبير على حياة السمك لان سرعة التيار قد تقرر توزع الاسماك • فعلى سبيل المثال ان التيارات السريعة المتواجدة عادة في أعالي الانهار تجتذب الاسماك القادرة على السباحة بصورة جيدة • أما التيارات البطيئة فتجتذب الاسماك الضعيفة غير القادرة على السباحة بصورة جيدة • وتتحسس الاسماك حركة الماء بواسطة خلايا متواجدة على الخط الجانبي في السمكة وهو يشكل جهازا هاما من اجهزة الحس لدى الاسماك (lateral line) بيد ان التأثيرات غير المباشرة للتيارات البحرية على الاسماك هي أهم بكثير من التأثيرات المباشرة • وتكون هذه التأثيرات غير المباشرة بتغيير البيئة حول السمك • فعلى سبيل المثال تقوم التيارات الباردة المتوجهة من الشمال الى الجنوب بسحب الانواع القطبية من الاسماك الى المناطق المعتدلة • وتؤثر التيارات أيضا على طبيعة البيئة الفيزيائية والكيميائية مثل تأثيرها على درجة الحرارة وعلى الملوحة •

وبالنسبة للسمك فان الحصول على سرعة عالية اثناء السباحة ليس شيئا بذي بال • بل الاهم من هذا هو قدرة السمكة على احداث انبجاسة مفاجئة تمكنها من الهروب من الحيوانات المفترسة ، أو أنها تحتاج هي بدورها للانقضاض على فريستها بسرعة (Gray, 1957)

فهناك بعض الاسماك الصغيرة التي تستطيع ان تبدأ قوة دافعة شديدة من بعد سكون ، وهكذا تحصل على تسارع (التسارع هو معدل تغير السرعة في وحدة زمنية معينة) اكبر أربع مرات من تسارع الجاذبية الارضية • وفي الحالات الاضطرارية فان السمكة قد تكابد قوة دافعة الى الامام تعادل ربع او نصف وزنها وذلك لمدة محدودة • هذا وان أقصى ما يمكن أن تصل اليه عضلة السمكة من قوة فاعلة هو اثنين بالالف (٠٠٠٢ر٠) حصان لكل رطل من وزن السمكة •

الحرارة ، الكثافة ، الملوحة

هناك فرق بسيط بين حرارة الاسماك والوسط المحيط • وتستطيع الاسماك أن تعيش في درجات حرارة تتراوح بين درجتين مئويتين تحت الصفر وحتى اثنين وخمسين درجة فوق الصفر ولهذا فلدينا تصنيفان أساسيان •

١ ــ أسماك تعيش في مجال ضيق من التغيرات الحرارية (stenothermal)

٢ ــ أسماك تستطيع العيش ضمن مجال واسع جدا من التغيرات الحرارية (eurythermal)

ان أي تغير في الحرارة يكون مصحوبا بتغير في معدل التمثيل الغذائي (metabolism) ، فيزداد معدل الهضم مع ازدياد الحرارة طالما أن السمك موجود في حدود الحرارة الاكثر ملاءمة لنوع السمك (optimum temperature)

كما أن التغير في الحرارة قد يكون السبب وراء توزع الاسماك على مناطق المحيطات المتغايرة في درجات حرارتها • ووفقا لذلك فان الاسماك تغير من شكلها بما يتلاءم مع هذا التغير في البيئة • فمثلا ان عدد الفقرات في منطقة الذيل في السمكة يتغير من منطقة لاخرى وفقا لتغير القوة المائية وفق كثافة المياه وهذه العوامل ذات علاقة وثيقة بتغيرات الحرارة •

كما أن الملوحة تتعلق بالحرارة بشكل كبير • ويمكننـا هنـا أن نقسم الاسماك الى تلك التي تستطيع تحمل نطاق ضيق من التغيرات فـي الملوحـة (Stenohaline) ، والى أسماك تستطيع تحمل نطاق واسع جدا من التغيرات في الملاحـة (euryhaline)

ان أهمية الاملاح والمعادن (وهي تقرر مقدار الملوحة) تكمن في أنهـا تستطيع التأثير على النمو بصورة مباشرة عن طريق تمشيها من خلال الجسم أو الغلاصم ، أو بصورة غير مباشرة عن طريق تغيير طرائق النمـو فـي تلـك الحيوانات التي تستهلكها الاسماك •

الضغط الحلولي او التناضح (osmosis)

التناضح عملية تتم بين سوائل مختلفة الكثافة مفصولة عـن بعضهـا بغشاء عضوي وتستمر العملية حتى يتم التعادل في الكثافة بين هذه السوائل أو ـ بعبارة أصح ـ حتى يتم نوع مـن التوازن تفرضـه ظروف الحيـوان والبيئة • وهذه العملية مهمة جدا لاستمرارية حيـاة الحيوان ، اذ أن اكثـر الحيوانات تتلاءم مع ضغط حلولي معين وهي بذلك تموت اذا ما انتقلت الـى وسط يختلف في ضغطه الحلولي عن وسطها الاصلي • وهذا ما يحدث أحيانا حين تنقل اسماك المياه المالحة فجأة الى مياه عذبة •

وتقسم الاسماك الى أربعة أقسام وفقا لمميزات عمليـة التناضح داخـل جسم السمكة (Nikolsky, 1963)

١ ـ أسماك تتميز بسوائل داخل جسمها تتعادل مع البيئـة الخارجيـة وهي تقع تحت فئة الـ (Myxinoids)

٢ ـ أسماك تناضحها الداخلي أقل من ذلك النـدى فـي الوسـط الخارجي بسبب املاح البوليك • وهي الاسماك الغضروفية (cartilaginous)

٣ ـ التناضح الداخلي أقل من ذلك الذي في الوسط الخارجي ، وهي الاسماك البحرية العظمية (bony fish)

٤ ــ التناضح الداخلي اكثر من الوسط الخارجي وهي اسماك المياه العذبة التي تحتوي على كمية من الاملاح المعدنية .

وبصورة عامة : فان الكثافة تزيد بازدياد نسبة الاملاح الذائبة في الوسط ، وتقل بازدياد درجة الحرارة .

العوامة ، التنفس

ان عوامة السمك (swim-bladder) تنظم العمق الذي تريد السمكة ان تتواجد فيه . ففي بعض الانواع مثل سمك القرش (shark) لا توجد عوامة فيستعيض عنها القرش بحركة الزعانف التي تنظم ارتفاعه في المحيط .

في معظم الاسماك القديمة تكون العوامة متصلة بالامعاء بقناة خاصة (ductus pneumaticus) تدخل من خلالها الغازات الى العوامة أو تغادرها . وفي الاسماك ذات العوامات المغلقة تطرأ تطورات خاصة على تركيب الغازات بعد دخولها من الخارج الى العوامة ؛ وتحصل هذه التغيرات بواسطة الافراز او الامتصاص من قبل الدم . ولهذا السبب يوجد ما يسمى بالجسم الاحمر (Red body) ملاصقا للعوامة وهو عبارة عن طبقة كثيفة من الاوعية الدموية .

وتمتاز بعض الاسماك بوجود فتحة أخرى في العوامة بالاضافة الى القناة السابق ذكرها . وهذه الفتحة تفتح مباشرة خلف الشرج . وهي تجعل السمكة قابلة للتخلص من الغاز الزائد عندما تغوص او ترتفع بسرعة . فعندما تغوص السمكة ، فان الغاز يظهر داخل العوامة ؛ وعندما ترتفع ، فان كثافة المحيط الخارجي تقل (تزداد الكثافة والضغط كلما زاد العمق) وبذلك يحاول الغاز أن يملأ اكبر حجم ممكن داخل العوامة) يتناسب حجم الغازات عكسا مع الضغط ، فعندما يقل الضغط يزداد الحجم (مما يجبر السمكة على طرد هذا الغاز . وهنا من الممتع ان نلاحظ ان فوجا من الاسماك الصاعدة مثل الرنجة (herring) يمكن معرفة مكانه عن طريق فقاعات الغاز الصاعدة الى سطح الماء .

ان معظم الاسماك قد تلاءمت بشكل تستطيع معه امتصاص الاكسجين المحلول في الماء • ولكن قلة من الاسماك تأخذ الاكسجين من الهواء ولذلك فان هذه الاخيرة قد طورت عوامتها لتستطيع القيام بهذه المهمة ، او انها باتت تتنفس بطرق أخرى •

خلال عملية التنفس العادي للاسماك يدخل الماء الى الفم ويخرج عن طريق الغلاصم • ولكن هناك بعض التغيرات التي تحصل والتي تستلزمها ظروف حياتية معينة • فمثلا ، ان الحياة شبه الطفيلية لنوع من السمك (hagfish) تتطلب ان يصل الماء الى اكياسه الغلصمية عن طريق منخر يتصل بالفجوة البلعومية •

كما أن الجلد يشارك في التنفس خاصة في طرح ثاني اكسيد الكربون الناتج عن عملية التنفس •

ان ماء البحر مشبع على الاغلب بالاكسجين او أنه اكثر من مشبع • ولهذا فان السمك ليست لديه آية مشكلة في هذا المجال خصوصا اذا كانت السمكة تتطلب كميات كبيرة من الاكسجين من أجل تنفسها •

وفي الحالات التي تقل فيها كمية الاكسجين ، فان السمك يتجمع على مصاب الانهار أو يبحث عن أي مكان يتوافر فيه هذا الغاز •

الحساسية تجاه الضوء

يتحسس السمك للضوء بعينيه وببقعة حساسة للضوء • هـذا وان طبيعة تركيب العين وعملها يتقرران وفقا لنوع الاضاءة المتوافرة في بيئة معينة•

وتتأثر العيون بنوعية الاضاءة فتغير الاسماك من لونها وفقا للون الخلفية المتواجدة حولها • ومن امثلة التلون تلك التي تحصل في حال تجمع الاسماك في أفواج بحيث يساعد اللون الناتج بقية الاسماك على اللحاق بالفوج والتوجه توجها صحيحا •

ويؤثر الضوء على نمو السمك كما يحدث في حالة تأثيره على نضوج الغدد التناسلية لدى الاسماك •

وحتى ان بعض الاسماك الموجودة في اعماق المحيطات ماتت مضيئة هي بذاتها •

الحساسية تجاه الصوت

يمكن للسمك أن يحس بصوت ذي توتر مقداره من خمسة الى خمسة وعشرين هرتز وذلك عن طريق الجهاز الخطي الجانبي السالف ذكره • أما الوترات الصوتية من ست عشرة الى ثلاث عشرة الف فتستقبلها أعضاء سمعية خاصة •

وتستطيع بخض الاسماك احداث أصوات خاصة وقد تقوم العوامة السمكية باحداث مثل هذه الاصوات عن طريق العضلات المحيطة بها في بعض الحالات •

ان هذه التطورات لها مبرراتها الهامة خاصة تلك التي تتعلق ببعض حالات السلوك الحيواني ، فمثلا تحدث بعض الاسماك أصواتا اثناء وضع بيوضها •

الكهربائية لدى الاسماك

هناك تيارات كهربائية طبيعية ضعيفة في البحر تنتج في جزء منها عن طريق المغناطيسية الارضية ، وفي أجزائها الاخرى عن طريق الاشعاعات الشمسية •

ان الكثير من الاسماك قادرة على احداث شحنات كهربائية وعلى ايجاد حقل كهرمغناطيسي حول أجسامها • وتكون الشحنات على نوعين : قوية وضعيفة • أما القوية فهي للهجوم والدفاع • وأما الخفيفة فهي لاعطاء الاشارات • وتستطيع اعضاء اللمس لدى الاسماك تقدير هذه الشحنات وتحريها •

ان رد الفعل الاول الذي تبديه السمكة تجاه التيار الكهربائي هو في أن السمكة تضع نفسها في محازاته ومن ثم فانها تدير برأسها نحو القطب الموجب للتيار وتسبح باتجاهه ، وأخيرا فانها تموت نتيجة لتشكل مواد سامة في الدم (الاستيلكولين) • ولهذا فان الصيد بالوسائل الكهربائية يعتمد على توجيه حركة الاسماك باتجاه وسيلة الصيد ، او ان التيار يستعمل لاحداث صدمة كهربائية تقضي على الاسماك مباشرة •

أثــر الذرات المعلقة (Suspended particles)

ان الذرات العالقة في الماء ذات تأثير كبير على السمك لانها تساهم في تعكير الماء اذا ما ازدادت نسبة تركيزها • وأعظم تلك الآثار تظهر عندما تصل كمية الذرات الى أربعة بالمئة من حجم الماء •

وللذرات المعدنية تأثير ميكانيكي على تصرفات الاسماك • ففي حال انتشار هذا النوع من الذرات ، تعمد السمكة الى تصغير حجم أعينها ، وفي المياه العكرة تفرز الاسماك مخاطا يرسب الذرات بسرعة وبذلك تتمكن السمكة من أن تكون محاطة بوسط صاف على الدوام •

ان الاسماك من نفس الفصيلة قد تختلف في تلاؤمها مع البيئة • والتلاؤم لا يؤدي فقط الى تعديلات شكلية ولكنه يتعدى ذلك بتأثيره على السلوك التناسلي • فمثلا ، تكون بيوض الاسماك ، التي تطرح بيوضها في أماكن التيارات السريعة ، من طبيعة لاصقة • كما تعمد أنواع اخرى من الاسماك الى دفن بيوضها تحت الرمال •

* * *

المراجــع :

Gray, J. 1957. How Fishes Swim. SC. Am. Aug.

Nikolsky, G. V. 1963.The Ecology of Fishes. Academic Press, London and N. Y.

Weatherly, A. H. 1972, Growth and Ecology of Fish Populations. Academic Press, London and N. Y.

علم الجمال
واسهام البلاد العربية والاسبانية في نشوئه وتطوره

بقلم: بشير زهدي

– ٢ –

وتجسد المفاهيم الجمالية عند صناعها المبدعين ومستوى ذوقهم الفني ومهارتهم اليدوية وخبرتهم المهنية ... وتؤكد من جديد مدى اسهامهم في اغناء التراث الفني والممتلكات الثقافية .

١٤ – وتذوق الانسان جمال أزهار الطبيعة في البلاد العربية والاسبانية، وانتشرت شهرة (الحدائق المعلقة) البابلية في الآفاق . وارتبطت أهمية الورود والازهار بحياة الانسان ومختلف مناسباته الحياتية وأعياده المختلفة . وبدت زهرة (اللوتس) في صور الحدائق على جدران المدافن المصرية ، وبلغ شغف قدماء المصريين بجمال الورود والازهار درجة جعلتهم يستوردون الغريب منها من النوبة والسودان . وأخذ الفنانون يتغنون في تمثيل الورود والازهار على تيجان الاعمدة والمنحوتات والرسوم الجدارية المختلفة .

وتأثر فنان (أوغاريت) الكنعانية بجمال الورود والازهار فجعل أحد مشاهد خلفية العرش الملكي العاجي يمثل **(ربة تمسك بيدها زهرة اللوتس)**. وكانت زهرة (السوسن) في سورية من الصادرات السورية الى مصر . واتخذ الفنان التدمري لمنحوتة (عشتار وتيكه) التدمرية اطارا جميلا مؤلفا من وحدات متكررة تمثل اغصان وعناقيد العنب وهناك منحوتات تمثل أشجار النخيل وقد عثر على منحوتة تمثل (ربة النصر تحمل بيمناها سعفة النخيل) والجدير بالذكر ان سعفة النخيل هو من التأثيرات الشرقية في الفنون اليونانية .

وان ما تمثله لوحات فسيفساء الجامع الاموي بدمشق من حدائق غناء وجنات تجري من تحتها الانهار تدل على مدى اهتمام ذلك الفنان العربي في

تمثيل طبيعة بلاده وتذوقه جمالها ورغبته في محاكاتها • وليس هناك من يجهل أهمية (وردة دمشق) الشهيرة التي انتقلت الى اوروبا في فترة الحروب الصليبية ، فذاعت شهرتها لما تتميز به من جمال اللون ورقة العبير في عصر اعتبرت الورود والازهار فيه رمز الفرح ودليل الرقة كما اعتبرت عطورها مصدر سرور •

١٥ ـ اما فيما يتعلق بالفكر الجمالي ، فان (لوقيانوس السميساطي الفراتي ١٢٥ ـ ١٩٠) يعتبر في طليعة من تحدث عن الفن وتاريخ الفن والنقد الفني وقضايا الجمال • كان أهله يطمحون ان يكون نحاتا لما كان لهذا الفن من أهمية تعود على صاحبها بربح كثير ، ولكن (لوقيانوس) كان يشعر بميل الى دراسة الادب ، فاطلع على تراث الاغريق ، وأخذ يتجول ويحاضر في عدد من بلاد العالم القديم في آسيا الصغرى ومكدونيا واليونان وايطاليا وفرنسا • ومن المؤلفات القيمة الاثنين والثمانين المنسوبة اليه كتاب (المحاورات) • وذكر (اميل جيميه) كيف كان (لوقيانوس) يعلم الشباب فن الكلام ، ويعتقد بأن جمال المكان والصدى في القاعات الجديدة من شأنه ان يسهم في جمال الخطاب ونجاح مهمة الخطيب او المحاضر •

كان (لوقيانوس) ناقدا فنيا ، وصف لوحة الرسام الاغريقي (زوكسيس) بعدما شاهد نسخة عنها في أثينا ، واعتبر اعجابه الشديد بها مما سهل عليه وصفها وصفا دقيقا • وقال بأن بقية النواحي الجمالية فيها لا يستطيع اي كان معرفتها كدقة الرسم ، وانسجام الالوان ، وأثر النور والظل ، والتناسب وغيره فانه يترك مديح كل هذا لابناء الرسامين الذين عليهم مهمة فهمها • ولكن هذا الكلام اعتبر تواضعا منه وذلك بعدما شرح تفاصيل اللوحة بطريقة تدل على ثقافته الجمالية ونظرته النقدية •

وكان (لوقيانوس) عندما يتحدث عن تمثال من ابداع (فيدياس) أو (براكسيتيل) يلاحظ تأثره به وغبطته الجمالية بشكل يجعل الجميع يشاركونه اعجابه به وتذوقه لذلك العمل الفني • واكد (اندره ريشار) ان منهج التشابه ادى الى الوصف الادبي وانه منذ (لوقيانوس) حتى (تيوفيل جوتييه) كان

وصف الآثار الفنية معمولا به في تجربة نقدية ٠

وكان (لوقيانوس) كتب عن (فن الرقص الشعبي) وزودنا بمعلومات علمية وآراء جمالية تدل على مدى اهتمام مجتمع ذلك العصر بهذا الفن ، وشروح فائدة الرقص الشعبي الذي يجعل المحاربين جريئين وسريعي الحركة ٠ وان (اللاكيديمونيين) كانوا يذهبون الى الحرب على صوت المزمار ، ويسيرون لخطوات منتظمة ٠ وان شبابهم كانوا يتعلمون هذه الرياضة كما يتعلمون على الاسلحة ، وانهم عندما كانوا ينهون صراعهم بالايدي ويضرب بعضهم بعضا كان تمثيل هذه الحركة ينتهي برقص شعبي فيجلس نافخ المزمار في الوسط ويتخذ الشباب في سيرهم كل أوضاع المحاربين ٠٠٠ وتحدث (لوقيانوس) عن (رقصة الطوق) التي تعتبر بمثابة (باليه) للشباب والشابات يتخذ فيها شكل طوق وتبدأ بقفز الشباب بالشكل الذي سيقوم به في الحرب ٠ وكانت (رقصة الطوق) تمثل القوة مع التواضع ٠ وبلغ من اعجاب (لوقيانوس) بفن الرقص درجة جعلته يعتبره ليس أحد الفنون السهلة وانما كنوع متمم لعلوم الموسيقا والايقاع والهندسة ٠٠٠ يطبع العادات ، ويسمو بالعواطف ، وان له صلة بفن الرسم والنحت ، ويقلد النسب الموفقة فيهما ٠٠٠ واعتبر ثقافة الراقص لا نهاية لها ، وان دماغه بمثابة مكتبة عليها ان تضم كل القصص والاساطير والتواريخ ٠ وملأ (لوقيانوس) صفحات حول المواضيع التي يستطيع الممثل ان يقصها بواسطة الحركات والاوضاع المختلفة، وذلك بعدما ذكر الخصائص الواجب توفرها في الفنان الراقص من جمال وحركة وقوة ورشاقة ٠ وانهى الى القول بأن (فن الرقص أجمل الفنون) ٠ وتحدث (لوقيانوس) عن المواضيع المصورة التي كانت تزين جدران قصور وفيلات (بومبيي) الايطالية قبل اندلاع بركان (فيزوف) الذي هدمها وقضى على روائعها الفنية مما جعل (لوقيانوس) من أوائل من تحدث عن (تاريخ الفن) و (النقد الفني) و (قضايا الجمال)٠

ويعتبر الفيلسوف الحمصي (لونجينوس) من أعلام رجال الفكر الجمالي ، ينسب اليه كتاب (في السمو)

١٦ ـ واذا كان (ديدرو) اعتبر الاشياء التي نتحدث عنها بكثرة هي

الاشياء التي نعرفها أقل من غيرها وذكر مثالا على ذلك لفظ (الجمال) فاننا نجد عند قدماء المفكرين العرب محاولات في تحديد معنى (الجمال) (والحسن) و (الملاحة) • وقد استنتج الدكتور اليا في معنيين للجمال عند العرب هما : ١ ـ معنى عام : يتعلق بأنواع مختلفة للمحاسن ، منها الملاحة وتقترن بها الحلاوة ، ومنها الروعة ••• ٢ ـ ومعنى خاص : هو التناسب التام المتسع •

وكان (ابن حزم) حدد معنى ١ ـ الحلاوة بدقة المحاسن ، ولطف الحركات ، وخفة الاشارات ، وقبول النفس لاعراض الصور ••• ٢ ـ ومعنى الروعة ببهاء الاعضاء الظاهرة ••• ٣ ـ ومعنى الحسن : بأنه شيء ليس في اللغة اسم يعبر عنه ، ولكنه محسوس في النفوس •

وهناك من اعتبر (الصباحة) في الوجه ، و (الاضاءة) في البشرة ، و (الجمال) في الانف ، (والحلاوة) في العينين ، و (الملاحة) في الفم ، و (الظرف) في اللسان ، والرشاقة في القد ، و (اللباقة) في الشمائل ••الخ•

واعتبر الدكتور (جميل صليبا) الجمال صفة تلحظ في الاشياء ، وتبعث في النفس سرورا ورضى دون تصور ، ويحدث في النفس تسمى بعاطفة الجمال ، والجمال مرداف للحسن ويفيد معنى التناسب •

ورأى الدكتور (عادل العوا) ان الجمال بالمعنى الذائع هو (انتظام الاشكال الحسية وتناغمها وانسجامها ؛ وينطلق ادراكه من الحواس ، ولكنه يقوم بالاعتماد على الذهن والفكر من أجل تقدير النسب والاشكال المتناسبة والصور المنسجمة والالوان المتناغمة وهي كلها تخلق الشعور البديعي ، وتثير العاطفة الجمالية في النفوس •••) ولكننا (اذا نظرنا الى الجمال بالمعنى الاصطلاحي ، ألفينا نعت الجمال يصف كل ما هو مرتب منظم يتفق مع القاعدة ؛ أو يتسق مع المثل الاعلى ، وبهذا المعنى نتحدث عن الجمال الاخلاقي •••) •

ونجد في الشعر العربي ما يشير الى (روحانية الجمال) وفي ذلك أنشد الشاعـر :

صونى جمالك عنـا اننـا بشر   من التراب ، وهذا الحسن روحاني

١٧ ـ وأثار موضوع (طبيعة الجمال) خلاف المفكرين الجماليين الذين انقسموا الى اتجاهين فكريين أحدهما (ذاتي) والآخر (موضوعي) •

اعتبر أنصار (المذهب الذاتي) الجمال ظاهرة نفسية وخبرة ذاتية ، وان الشيء يكون جميلا عندما نراه بمنظار الجمال ، لان الجمـال موجود فـي شعورنا ، وفي ذلك أنشد الشاعر (ايليا أبو ماضي) :

والـذي نفسـه بغـير جمـال   لا يرى في الوجود شيئا جميـلا

كما ردد قائلا :

أيهـا الشاكـي ومـا بـك داء   كن جميلا تـر الوجود جميـلا

واعتبر المفكر (سلامة موسى) الجمال ظاهرة ذاتيـة ، وان الانسان لا يستجمل العالم وكائناته الا بمقدار ما في نفسـه من جمال ، وان أجملنـا نفسا هو أكثرنا استمتاعا وتذوقا •

أما أنصار (المذهب الموضوعي) فقد اعتبروا الجمال قائما بذاته ، ولـه كيانه المستقل ، وموجود خارج النفس الشاعرة مما يؤكد تحرر الجمـال مـن التأثر بالمزاج الشخصي • واعتبر (زكي نجيب محمود) من الذين تجاوبوا مع هذه التيارات الفكرية الجمالية الحديثة التي ارادت أن يكون علم الجمال علما موضوعيا قائما بذاته •

وكان الاستاذ (أحمد حسن الزيات) رأى ان الخصائص المميزة للجمال هي : ١ ـ القوة ٢ ـ الوفرة ٣ ـ الذكاء • فالقوة هي شدة العمل وحدتـه ، والوفرة هي كثرة الوسائل وخصوبتها والذكاء هو الطريقة الرشيدة المفيـدة لتطبيق هذه الوسائل •••

واعتبر (ماهر كامل) للجمال جانبا موضوعيا قائما بذاته ، وجانبا ذاتيا يؤثر في احساسنا بالجمال الذي يقدم عناصره كلها من الطبيعة والمجتمع •

١٨ ـ وكان الجماليون تساءلوا عن صلة الجمال بالحق والحقيقة ؛ وما هو الصدق الذي ينشده الفنان في عمله الفني ؟ وهل يتجرد الشيء من الجمال اذا تجرد من الصدق ؟

ان (الجمال هو روعة الحق) وان (من الجمال ان نحكم الحق) وان (الفن بمثابة اسهام في الحقيقة العامة التي على الفنان ان يعبر عنهما وعن وحدتها بانسجام الخصائص والنهائية بالجمال) • وان (هدف الفن هو التعبير عن الحق والحقيقة) • ونحن في تراث الفكر العربي آراء كثيرة تعتبر (خير الشعر ما كان مطابقا للصدق وموافقا للوصف) وفي ذلك قول الشاعر :

وان أحسن بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وذهب بعض الجماليين الى القول بأن الصدق الفني الذي ننشده في الفنون ليس صدقا تاريخيا •••) (و لايمكن أن يكون الجمال هو المحاكاة الصادقة) او ان (الصدق الذي ننشده هو صدق الشعور) • وهذا ما يذكرنا بتصوير الشاعر ابي فراس الحمداني حالته النفسية بقوله :

هو في الروم مقيم وله بالشام قلب

وذكر (ابو هلال العسكري) في كتاب (الصناعتين) انه قيل لاحد الفلاسفة لان فلانا يكذب في شعره ، فأجابه : يراد من الشاعر حسن الكلام ، والصدق يراد من الانبياء •

١٩ ـ واعتبر المفكرون الجماليون مفهوم الجمال مطابقا لمفهوم الخير ، وان الجمال الحقيقي هو جمال الخير ، واذا كانت حاسة البصر تميز جمال الاشياء المرئية كما تميز حاسة السمع جمال الاصوات المسموعة ، فان (حاسة الانسان الخلقية تميز الافعال الخيرة) وبلغ الامر ببعضهم درجة جعلتهم يعالجون مواضيع الفن وكأنها جزء من (علم الاخلاق) أو يعالجون

مواضيع علم الاخلاق كأنها فرع من (علم الجمال • ونجد في تراث الفكر العربي ما يؤكد صلة الجمال بالخير • وقد أنشد (المتنبي) :

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له اذا لم يكن في فعله والخلائق

ففي حب الفضيلة ما يدل على جمال الروح ، وان النفوس الجميلة خيرة دائما • (والاحسان صورة نفسية للجمال) لهذا فان النفوس الجميلة تحب الخير وتقوم بالاحسان لكل انسان وفي كل مكان ، وفي ذلك أنشد الشاعر :

بث الصنائع لا تحفل بموقعها من آمل شكر الاحسان أو كفرا

فالغيث ليس يبالي أينما انسكبت منه الغمائم تربا كان أو حجرا

واعتبرت رؤية الجمال كانعكاس للجمال الروحي ، وفي ذلك يقول الشاعر (ايليا ابو ماضي)

والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئا جميلا

كما نجد جمال فضيلة الصبر في قول (أبي فراس الحمداني) :

أوصيك بالصبر الجميـ ... ... ل فانه خير الوصية •

٢٠ ــ وذهب بعض المفكرين الى توضيح علاقة تقدير الجمال برقي السلوك الانساني ، وان الاحساس بالجمال يسهم في التربية الاجتماعية ، كما أن التربية الاجتماعية تسهم في تقدير الجمال ، وان من مهمات (علم الجمال) ان يجعل منا بشرا أرقى أخلاقيا ، وأفضل اجتماعيا وذلك لما للجمال من أثر فعال في النفوس وتربيتها مما جعل بعض المفكرين يعتبرون (علم الجمال أعظم مرب للانسانية) • فجمال الاناشيد يوحد مشاعر المواطنين ويحدد أهدافهم لسعادة مجتمعهم الانساني ، واعتبر الشاعر (الزهاوي) حفظ الاخلاق من مهمات فن الشعر ، وفي ذلك يقول :

ويحفظ الاخلاق أن تمسها يد العطب

وقد بلغ اعجاب (عمر بن الخطاب) بلامية العرب للشاعر العربي (الشنفري ــ ٥١٠ م) درجة جعلته يقول : (علموا أولادكم لامية العرب فانها

تعلم مكارم الاخلاق) مما يؤكد مسؤولية المفكر والاديب والشاعر والموسيقار والتزامهم ...

٢١ ـ وبحث الجماليون في صلة الجمال بالسرور الجمالي الذي يثيره نتيجة تأثيره في العقل بواسطة الحواس الراقية (السمع والبصر) التي تنقل الى المراكز العصبية كل التأثيرت لتي يحدثها التأمل في اللون والشكل والهيئة والحركة والسماع ... الخ . ويرافق هذه التأثيرات شعور بلذة جمالية أو سرور جمالي ينتج عنه انشراح . وان علم الجمال يبحث في هذه الاحساسات الجمالية مما جعل بعضهم يعتبرون (علم الجمال) علم الشعور والانفعالات .

واعتبرها (اخوان الصفا) كلها (لذات تجدها النفس بتوسط الجسد مرتين احداهما عند مباشرة الحواس لها ، والاخرى عند ذكرها بعدها) . وذكروا مثالا على ذلك : (اذا رأى المرء وجها حسنا او زينة من محاسن الدنيا ، فان النفس تجد عند رؤيتها لها سرورا ولذة ثم اذا غابت عن رؤية العين بقيت رسوم تلك المحاسن مصورة في فكر النفس ، وكلما لمحت هي لذاتها ونظرت في جوهرها رأت تلك الرسوم المصورة في فكرها ، فسرت بها والتذت ، وتذكرت تلك المحسوسات التي انطبعت فيها من هذه الرسوم ...)

فالمتعة الفنية الصافية تصل باللذة الجمالية او السرور الجمالي الى درجة من درجات التجلي والاشراق وذلك عندما يستمتع بالجمال لا بالحس وحده بل وبالقلب أيضا .

٢٢ ـ واذا كان الادراك الصوفي يسقط الحاجز الفاصل بين الذات والموضوع ، فان الادراك الجمالي احساس ينكشف لنا من خلاله معنى الموضوع الجمالي بما فيه من اتحاد وثيق بين المادة والصورة ونجد في أقوال الصوفيين الاسبانيين (القديسة تيريزا دافيلا) والقديس (يوحنا دولاكروا) آراء جمالية ورؤى بديعة . (فالفن أفضل المناسبات لاظهار الضياء وحقيقة المعنى السامي) وان (الطبيعة معجزة الخلق الالهي) وان (الغبطة الصافية خاصة بالنفوس المقدسة) وان (الروح روضة حب) و (عندما تناجي الروح الخالق العظيم يبدو لها الكون كجمال الخالق) و (الصورة مثيرة ومنبهة

للفكر الثقافي) ... وكان القديس (اوغسطين) التوني اعتبر جمال نفس الانسان الذي ينتقل الى يديه الماهرتين هو من الجمال الاسمى الذي تحن اليه نفوسنا ليلا نهارا ، وان التعساء يفتنون بالملذات الحسية ، ولا يرون حقيقة النور الذي يضيء كل انسان في هذا العالم .

وتميز الادب العربي الصوفي بجمعه جمال الحقيقة مع روعة الخيال ، وهو يفيض بآراء جمالية وأفكار بديعية . لقد قامت الصوفية على الذوق الذي يعتبر أساسا هاما للابداع ، وتميز الصوفيون برقة الحس ، واعتبروا الجمال بمثابة نفحة من النفحات الالية ، وان الاحساس بروعة الجمال سبيل من سبل تهذيب النفس وسمو الوجدان ، ونتيجة من نتائج رغبة الانسان في معرفة الكمال ، وظمئه الى الكشف عن السر الابداعي الاول ... كل ذلك جعل المتصوف يرى الوجود بمثابة لحن الهي .

وتغنى الصوفيون بأشعار عبروا بها عن جمال الآفاق الروحية ، واستخدموا المرئيات كشارات حقائق ، واتخذوا الجمال المحسوس لاهداف روحية وأغراض وجدانية . وينسب الى (رابعة العدوية) قولها :

يا عاذلي اني أحب جماله ... تالله ما أذني لعذلك سامعه

والجدير بالذكر أن (رابعة العدوية) كانت تحيا حياة روحية جعلتها ترى الحياة كلها جمالا ونورا ومحبة ، واتجهت في سبل الايمان لتصل الى رياض الجمال ، فتحسست بوجودها في فردوسها الروحي ، وأخذت ترى في كل شيء جمال الخالق وكماله بعدما ملأ حبها الالهي كل وجودها . وينسب اليها قولها :

حيثما كنت أشاهد حسنه ... فهو محرابي اليه قبلتي

وتدل الدراسة المقارنة بين (القديسة تيريزا) الاسبانية و (رابعة العدوية) المسلمة على ان التصوف تجربة روحية ، والتجربة شعور ، والشعور الصوفي نبع متدفق من عالم الجمال والكمال .

وأبدع الصوفيون في التعبير عن جمال المعاني والصور بألفاظ حسية ، وأساوب رمزي جعل تعابيرهم فنا طريفا في التصوير . ففي (ترجمان الاشواق) للشيخ (محي الدين بن العربي) تصويرا رقيقا لحيرة العاشق ، وفي ذلك ينشد :

ليت شعري هل دروا   أي قلب ملكوا ؟
وفؤادي لو درى   اي شعب سلكوا
أتراهم سلموا   أم تراهم هلكوا ؟
حار ألباب الهوى   في الهوى وارتبكوا

٢٣ ـ واعتبر بعض الجماليين الجمال يعتمد على الحب كما يعتمد الحب على الجمال ، وتنسب للشيخ محي الدين قصيدة ينشد في آخرها :

أدين بدين الحب أنى توجهت   ركائبه ، فالحب ديني وايماني

ويعتبر الادب العربي في مقدمة الآداب التي تطرقت الى موضوع الجمال والحب العذري وكان وفاء الشاعر في ذكر حبيبة في الغدو والآصال ، والحل والترحال ، والنوم واليقظة ، والشدة والرخاء ، والوصال والجفاء ، وكان يصف الحبيبة كجمال كامل برقة في اللفظ ، ودقة في التصوير ، وبلاغة في التعبير ، وغنى بالخيال ، فكانت أشعاره تنبع من حس مرهف ، وتفيض من قلب مسه جناح الحب العذري ، وتنساب في قصائد رقيقة تعبر عن صبابة الهوى ، وتصور حرقة الهيام . وفي ذلك أنشد (عنترة بن شداد ٥٢٥ ـ ٦١٥) قائلا :

أعاتب دهرا لا يلين لناصح   وأخفي الهوى في القلب والدمع فاضحي

وكان (عمر بن أبي ربيعة) تحدث عن المرأة ومحاسنها ، وزينتها واغرائها وفتنتها وأنوثتها ... فكان في ذلك بمثابة المصور البارع في رسم أجمل صور الحسن والجمال النسائي . وقد عبر عن ولعه برؤية الجمال ، وتميزت رؤيته الجمالية بطابع التجرد وفي ذلك أنشد :

اني امرؤ مولع بالحسن أتبعه   لا حظ لي فيه الا لذة النظر

وعبرت (ليلى الاخيلية) عن جمال الوفاء بقولها :

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخليل

ونجد في قول (مجنون ليلى) أجمل وصف لحب قدر لغيره :

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير (ليلى) ابتلانيا

٢٤ ـ ورأى الدكتور (زكي نجيب محمود) وحدة الحقيقة الانسانية . وان بخيل (الجاحظ) كبخيل (موليير) ، صورة انسانية لا تقيدها قيود اللغة التي رسمت بها ، ولا الاوضاع الاجتماعية التي نشأت في ظلها . كما ان (قيس) هو (روميو) ، وتبدو (ليلى) و « جولييت » كأختين في المصير . وان للامام (الغزالي) اعترافات ، وللقديس (اوغسطين) اعترافات ، وكلا المتصوفين يصدقان القول كيف أوشكا على الضلال قبل أن يتجلى لهما (جمال الهوى) ، ورأى ان على الفنان (مخاطبة الحقيقة الانسانية في صميمها) . واعتبر التفاهم سهلا بين الجميع وهم في (دولة الفن) .

٢٥ ـ ان جمال الآثار المكتشفة يؤكد ادراك أولئك الفنانين صلة الجمال بالتناسب ، وان الجمال يعتمد على نسق معين وكم محدد ، ويقوم على نوع من العلاقة بين الابعاد والمقاييس وحجم الشيء . وان الفن بمثابة تأليف بين أصوات منسجمة وأبعاد متناسبة .

وقد اكتشف في (تل حرمل) في العراق رقيم يتعلق (بتشابه المثلثات) مما يؤكد مدى اهتمام قدماء سكان بلاد ما بين النهرين بالرياضيات . واذا كان (الفيثاغوريون) فسروا الكون بأنه نغم وعدد ، وان للكون وجها كميا هو العدد ، ووجها كيفيا هو النغم فان (اخوان الصفا) اهتموا بالبحث في العدد وقيمه وخواصه وخصائصه لما للعدد من مقام خطير في فلسفتهم وثقافتهم الجمالية . كما نجد عند (الفارابي) صلة الجمال الموسيقي بالقيم العددية ، وفي عصرنا الحاضر اهتم بهذا الموضوع (ميخائيل خليل الله ويردي) في كتابه القيم (فلسفة الموسيقى الشرقية) .

٢٦ ـ واهتم الجماليون بدراسة صلة الفن بعلم النفس والعلاقة بين ما يبعث السرور الجمالي والتكوين الفسيولوجي والنفسي للمرء . وقد تحدث (اخوان الصفا) في الرسالة الرابعة من رسائلهم عن موضوع (النغم والالحان الموزونة التي لها تأثيرات في نفوس المستمعين لها كتأثير الادوية) . وتحدث (التوحيدي) في كتابه (المقايسات) عن (السماع والغناء وأثرهما في النفس ...) وأدرك الفنان المرحوم (أدهم اسماعيل) الدلالات النفسية للالوان . واذا كانت الالوان مواد خام فانها بالنسبة للمشاهد المتأمل مثيرات . فالاحمر يقترن بلون الدم ، ولاقترانه بلون الورود والشفاه والخدود كان له اثر في اثارة الغرائز . ويخشى هذا اللون ذوو المزاج العصبي السريع الانفعال لما له من أثر خفي في حياتهم اللاشعورية واحياء حالاتهم النفسية الباطنية ؛ ولهذا اللون أثره في اثارة الثيران .. الخ كما يقترن اللون الاصفر بنضوب الدم ويتمثل في أوراق الخريف اليابسة وحالات المرض لهذا يثير في النفس حالات مماثلة من الشعور بالضعف في حين أن اللون الازرق هادىء يمثل صفاء السماء والماء والسعة والعمق مما يجعله يثير في النفس هذا الشعور . وما يقال عن الالوان يقال أيضا عن الخطوط والزخارف والالحان . وتذكر كتب التاريخ قصة (الفارابي) وقوة ألحانه في التأثير في نفوس مستمعيها باضحاكهم أو جعلهم يميلون الى النوم ... الخ كما ذكر (محي الدين بن محمود اللازقي) ان من الالحان ما يؤثر في النفس الانسانية قوة وشجاعة وانبساطا تاما . ولا شك ان المواضيع الموسيقية المكتشفة في العراق وسورية ومصر تؤكد أهمية الموسيقا ودورها الاجتماعي منذ أقدم العصور . وان لوحة الفسيفساء المكتشفة في بلدة (مريمين) والمحفوظة حاليا في (متحف حماه) وما تمثله من مشهد موسيقيات مع آلاتهن الموسيقية المختلفة من صنجات وطاسات واورغن ... قد زودتنا بمعلومات هامة عن كيفة استخدام (الاورغن) . كما ان الرقيم الطيني المكتشف في (اوغاريت) الكنعانية وما يمثله من رقم طينية مكتشفة في العراق تدل على مدى اهتمام القدماء بالتدوين

الموسيقي • وينسب الى (ابن ريحان الرهاوي) وضعه علم الترانيم وادخاله الموسيقا الى الكنيسة وتأليفه أناشيد ذات ألحان مطربة كانت تثير السرور بانشادها من قبل فتيات مدينة (الرها ـ اديسا) وفتيانها •

٢٧ ـ وتذكر كتب الادب مجالس الادباء والشعراء واسهام المرأة في عالم الشعر والنثر • وان الشعراء كانوا يتفننون بمجالس الشاعرة (ولادة بنت المستكفي بالله ـ ١٠٩١) التي كان (ذكاؤها يضيء كل مجتمع ، وكانت بمثابة صاحبة مدرسة جمالية في الادب النسوي وتفتح امام السامع عالما من الجلال والجمال •)

٢٨ ـ واعتبر الشاعر العربي كل شيء فان وان الخلود للابداع ، وبهذه النظرة العدمية يقول :

يهرم الدهر ، وهو غض ، وتبلى جـدة الدهر ، وهـو زاه نضير

٢٩ ـ واذا كان الضحك من القيم الجمالية ، فان (الجاحظ) يعتبر بمثابة (أمير الضحك) كما يعتبر (ابن رشيق) في مقدمة من تحدث عن (النقد الادبي) •

٣٠ ـ وتابع المفكرون العرب والاسبانيون اسهامهم في تطور علم الجمال في القرن العشرين وقد خصص الاستاذ (ريمون باير) فصلا خاصا لاساتذة علم الجمال في اسبانيا مثل (اورتيجاي جاسيت ١٨٨٣ ـ ١٩٥٥) الذي (اعتبر الترجمان الاستطيقي هو المجاز ، وفي المجاز تصطدم حقيقتان وتتنازعان البقاء وتحصل على صقور عجائبية لا توجد في عالـم آخر ، وان الشكل الكامل للهروب يوجد في الفنون الجميلة التي أحسنها هو المسرح في أوقات نجاحه ، وان الانسان مرتبط بشكل خاص بالحياة والعقلانية •••)•

وكانت أعمال هذا المفكر الادبية والفلسفية طورت مفهوم الحياة والنزعة الانسانية في التاريخ والفلسفة والفن وقد درس هذا المفكر الاتجاهات السائدة في الفن المعاصر وأعرب عن تشجيعه للفن التجريدي •

اما (بينا فينت ١٨٦٦ ـــ ١٩٥٤) فكان مفهومه الجمالي ذا نزعة مثالية وطابع تشاؤمي مرتبط بعصره • في حين ان (اوجينو دورس ١٨٨٢ ـــ ١٩٥٤) جذبته مفاهيم جمال الشكل التي تستطيع ان تولد طرزا مختلفا • ولاحظ التعارض بين الطراز البراق والطراز الكلاسيكي • فالطراز البراق سجل لسيادة الشكل الذي يقلد منتجات الفكر • وقد عرض آراءه الجمالية والذاتية عن الفن البراق ، واعتقد ان تفتح وتطور هذا الفن هما من منتجات عصور تاريخية مختلفة جدا وفي أماكن متباعدة أحدها عن الآخر ، وهو في العمارة والنحت بل وفي الشعر والعلم والعادات وكل مظاهر الثقافة الاخرى • وفهم هذا الفن كحالة فكر تتميز بالحلولية والدينامية كما فهمه كطراز متصف باستمرارية الاشكال وتعددها •

وكتب (فرانسيسكو ميرابنت ١٩٨٨ ـــ ١٩٥٢) رسالة عن (الاستطيقا الانكليزية في القرن الثامن عشر) واعتبر النقد الفني كعلم مستقل متميز ، وان علم الجمال ظهر من تاريخ الفن ، وان الطبيعة كثيرا ما تثير في نفوسنا الفرحة الجمالية ، وان الفن يمكن ان يتفرع من الطبيعة ، واننا نميل الى البحث عن أمثلة في الفن اكثر مما نبحث عنها في الطبيعة وان الجمال يتلقى منابعه الثلاثة : ١ ـــ الاعجاب بالمشاهد الطبيعية ٢ ـــ الاعجاب بالاعمال الفنية ٣ ـــ تحقيق الانسجام الاخلاقي والشخصي والاجتماعي • وان التجربة الجمالية ليست فقط في تأمل شيء جميل او تحقيق عمل فني وانما هي أيضا في ابداع فكرة وبناء طراز ورعاية ايقاع ، والشعور بخفقان ارواح الآخرين •

وفسر الاستاذ (خوزه كامون أزنار ١٨٩ ـــ) الاشكال الفنية من وجهة نظر ظاهر فينومينولوجية ، واعتقد بأن الموقف النقدي أمام العمل الفني لا يجب ان يكون جوابا على نية أو غاية ، وانما هو قد جعل لذاته ، واننا عندما نصل إلى معنى العمل الفني نصل الى سر لا يمكن سبر غوره • وان الامكان الوحيد لمعرفة العمل الفني هو التعاطف معه • ومن دراساته الجمالية ما خصصه لمفاهيم الجمال عند (الجريكو) و (بيكاسو) و (التكعيبية) • وقد أعطى تعبيرا جديدا لعاطفة التعبير الفني • واعتبر الاشكال لا تشاهد بحسب السطح وانما بحسب المكان وليس بحسب الزمان التاريخي والدائري

وانما بحسب الزمن الداخلي الذي هو أصل الاشكال واشتهرت نظريته عن (التفسير الزمني للفن) • وفسر الفن غير التمثيلي في عصرنا الحاضر بالذاتية المطلقة • وان كل كائن يحمل معه سطحه وزمنه ومسافته وبعده •

واعتبر الاستاذ (خوزه ماريا سانتش دو مونيان ١٩٩٠ ــ) من أنصار التعاطف الصوفي • اعتبر الطبيعة كوحدة استطيقية لعالم يحيط بنا ، وحدد تعريف المنظر الطبيعي كرؤية جزئية او تحليلية للطبيعة • وان التأمل في الطبيعة ليس حادث حواس فقط وانما هو أيضا حادث فكري روحي • وان هناك نوعا من التعاطف واللطف بين المتأمل والطبيعة ، واعتقد بوجود تناظر بين الحياة الاستطيقية والصوفية • وعرف (ماريا فالفيردي) بكتاب عن فلسفة الحوار ودراسة عن (فرلين) والاسهام في اعمال المجلة الاسبانية

واشتهر (كارلوس بوزونو) كنا قد فني • واشتهر (فرمان دو اورميتا) بدراسته في (تاريخ الاستطيقا) والموقف الجمالي لبعض الكلاسيكيين الاسبانيين ولا سيما (لويس بيبس) الذي كان يعتبر (الجمال من اتحاد وتناسب الاجزاء) • وفي مقاله عن (مفاهيم الذوق والفن) حاول اعطاء أساس مزدوج للاستطيقا أحدهما ذاتي والآخر موضوعي •

واهتم الاستاذ (داماسو آلو نسو) بعلم الجمال الادبي ، واعتبر العمل الفني كعالم مغلق ، ووجد علاقة الشكل بالمضمون علاقة جدلية فاعتبر كمفكر جمالي جدلي •

ان اهتمام الاساتذة الاسبانيين بدراسات علم الجمال جعل الاستاذ الفرنسي (ريمون باير) يقول : ان القرن العشرين يسجل لاسبانيا انطلاقة هامة في مجال الاستطيقا ، وظهور المذاهب الفنية والفكرية المختلفة •

كما أسهم الاساتذة العرب في تطوّر علم الجمال في القرن العشرين حتى يمكن القول بظهور مكتبة جمالية ضخمة تمثل احد ميادين النهضة العربية المعاصرة • ويعتبر (العقاد) في طليعة المهتمين بفلسفة الفن وعلم الجمال في

القرن العشرين في القطر المصري اعتبر الجمال والحرية شيئا واحدا ، وان ما نراه يكون جميلا بمقدار ما هو حر ، وهذا ما يفسر جمال مياه الينابيع والانهار ••• ووجد في الفنون الجميلة ما يرضي في النفس حاسة الحرية ويتخطى بها حدود الضرورة والحاجة ، ورأى صلة الفن بالحياة عبر الحرية التي هي غاية الحياة وان الشيء لا يكون جميلا الا بقدر ما يستجيب لهذه الغاية التي تنشدها الحياة فالصوت الجميل هو الصوت السالك الذي يصدر عن حنجرة صافية ، والرشاقة تعبر عن تلاؤم اعضاء الجسم مع وظائفها وتأديتها لهذه الوظائف بسهولة •

وحاول (سلامة موسى) فهم الجمال اعتمادا على الطبيعة وتأصيل جذور الفن في صميم الواقع ••• وعالج (أحمد حسن الزيات) مفهوم الجمال في الطبيعة والفن والجمال الطبيعي والجمال الصناعي • وتطرق (زكي نجيب محمود) الى موضوع الصورة في الفلسفة والفن وتحليل الذوق الفني ورسالة الفنان • ويعتبر الدكتور زكريا ابراهيم من المهتمين جديا بعلم الجمال ومشكلة الفن •

وفي القطر العربي السوري عالج الدكتور عبد الكريم اليافي موضوع القيم الجمالية وفكرة الزمان والمكان في الشعر العربي والشموع والقناديل في الادب العربي • ولا يتسع المجال لاستعراض جميع أسماء المفكرين الجماليين في الوطن العربي واسهامهم في نشر الثقافة الجمالية وتطور علم الجمال في القرن العشرين وفي مقدمة هؤلاء المفكرين نذكر من القطر العربي السوري السادة سامي الدروبي وعبد الكريم اليافي وعادل العوا وبديع الكسم وجميل صليبا ، وفؤاد مرعي ونايف بلوز والطيب تيزيني ••• وغيرهم

ومن القطر المصري السادة زكريا ابراهيم ورمسيس يونان وعز الدين اسماعيل وبدر الدين أبو غازي ومحمد مندور وحسن سليمان وفؤاد زكريا ومحمود البسيوني وغيرهم ••• من المفكرين الذين أغنوا ـ مشكورين ـ المكتبة الجمالية العربية ببحوث تعالج مختلف قضايا الجمال والفن نذكر منها : الاسس الجمالية في النقد الادبي ، والاصول الجمالية للفن الحديث ، والنقد

الجمالي وأثره في النقد الادبي وفلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ، وجماليات اللون في السينما ، وعلم الجمال في تفسيره الماركي ، وفلسفة الفن في الفكر المعاصر ... الخ .

كما أسهم في تعريب مراجع في علم الجمال من تأليف السادة (اتيين سوريو) و (جان بارتلمي) و (سيجموند فرويد) و (بندتو كروتشه) و (برنار مايرز) و (شارل لالو) و (ليونيللو فيتوري) و « ارنست فيشر » و (جان ماري جويو) و (روجيه جارودي) و (الكسندر اليوت) و « بول فاليري » و (بليخانوف) و (هنري برغسون) و (بارسادا نوف) و « جون ديوي » ... الخ .

والخلاصة : حاولت في هذه الامسية السعيدة ان اذكر لمحة عن (علم الجمال واسهاك البلاد العربية والاسبانية في نشوئه وتطوره) واذا كان بعض المتشائمين يتساءلون بقلق عن مستقبل الحضارة ومصير الانسان والانسانية ، فاننا معشر المتفائلين الجماليين نعمل لمستقبل أفضل وغد أجمل ، ونعتقد بأن مستقبل الحضارة كمستقبل علم الجمال المرتبط بجمال المستقبل .

دمشق — **بشير زهدي**

صراحة بليغة

※ خرج الشعبي مع ابن الاشعث علي الحجاج ، فظفر الحجاج بابن الاشعث فاستشار الشعبي أصحابه ، فأشاروا عليه بالاعتذار .

قال الشعبي : فلما دخلت على الحجاج خالفت مشورتهم ، ورأيت غير الذي قالوا : فسلمت عليه بالامرة ، ثم قلت : أيد الله الامير ، ان الناس قد أمروني ان أعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق ، ولك الله ان لا أقول في مقامي هذا الا الحق : قد جهدنا وحرصنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا الاتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا ، واظفرك بنا ، فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك ، والحجة لك علينا . فقال الحجاج : أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ، ويقول والله ما فعلت ولا شهدت . أنت آمن يا شعبي . فقلت : أيها الامير اكتحلت واللـه بعدك السهر ، واستحلست الخوف ، ولم أجد من الامير خلفا . قال : صدقت . وانصرف .

اللغة العربية
رابطة الشعوب الإسلامية

بقلم : السيد محمد سعيد العرفي

محاضرة القاها المغفور له العلامة العرفي بالقاهرة ، وهو مفتي دير الزور وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق . والاصح ان نقول انها رابطة الشعوب الاسلامية كما انها رابطة الشعوب العربية .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الاخيار

أيها السادة :

جاءت الشريعة الاسلامية رحمة للبشر عامة شاملة فلم تخص بنور هدايتها أمة دون أخرى ولا دعت شعبا دون آخر ولا خاصة بزمن بل هي خالدة بخلود الدهر ، وليست مختصة في مكان بعينه ولا كانت لاقليم دون غيره فهي ليست مقيدة في موطن ولا محصورة في بلد وانما وطنها الكرة الارضية بأسرها وهذا ما يفيده قول الله تعالى لنبيه « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ١٠٧ سورة الانبياء .

ومما لا نزاع فيه ان هذا الوطن الواسع مشتمل على أمم كثيرة ولغات مختلفة وقبائل متعددة وأقاليم متباينة وبلدان متسعة وارجاء شاسعة ولا بد لهؤلاء طبعا من لغة تجمع هذا المتفرق وتقرب هذا المتباعد وتسهل التفاهم مع جماعات يدينون بدين واحد ويؤمنون بعقيدة واحدة ويصدقون بكتاب واحد ويتبعون رسولا واحدا ، لان معرفة جميع لغات المسلمين لشخص واحد ليست بالامر الهين أو الشيء السهل بل تكاد تكون غير مقدور عليها نظرا لعمر الانسان القصير اذ انه لا يفي بتعلم تلك اللغات كلها تعلم اتقان واحاطة واجادة .

فاختار الشارع لهم لغة واحدة يتعارفون بها ويتفاهمون ، هي لغة عاصمة ذلك الوطن العظيم . اللغة العربية لان العاصمة تكون دائما مبعث الدعوة واكمل امورها وقد كان هذا الدين الانساني العام ابتدأ في البلدان العربية وترعرع فيها ونشأ فيها ثم سطعت شمسه المضيئة على العالم جميعه على أن

الشارع لم ينس مبدأ الدعوة الاسلامية وهي مكة المكرمة فجعل فيها بيته الحرام قبلة المسلمين .

اللغــة العربيــة

اختارها لما تشتمل عليه من البلاغة والفصاحة التي لا توجد في غيرها من اللغات بمقدار تفاوتها فيها ووصولها الى حد الاعجاز ، ولما فيها من التعبير عن الشعور الانساني والامور الذوقية والدقائق النفسية والحقائق المعنوية بصورة بذت غيرها من اللغات فضلا عن امكــان مجاراتهــا او مضاهأتهــا أو مزاحمتها في ميدان هذه الفضيلة .

اللغة العربية هي الجامعة بين انواع التعبير : من شدة وسهولة ، وقسوة ولين ، وايجاز واطناب ، واختصار واسهاب بحيث يقدر العالم بهـا على التفنن في اسلوبه حسب ما يقتضيه الحال : من وعد ووعيد ، وبشارة وانذار ، وزجر والتماس ، وامر ودعاء ، وطلب ورجاء ، ووعظ وتشويق ، وجد وهزل ، وبكاء وضحك ، وتنبه غفلة ، وذكر نسيان ، وصراحة وكناية ، وقصص وحكم وأمثال وغير ذلك .

يظن من لا معرفة له باللغة العربية انها مشتملة حقيقة علـى كثير مــن المترادفات بصورة قطعية تبعث على اليقين ولا تحتمل الشك فتمشدق بالنقد الباطل وتمحك بالاعتراض الفاسد مع انه لو درى الصواب لعلم انها خلو عـن ذلك كله ؛ وانما هو تباين دقيق افقده مرور الايام وعدم التدوين مكانته تلك ؛ ولم يزل اثر ذلك الفرق الدقيق شاهدا في بعض الكلمات عند البـدو الذيـن لا زالت في لغتهم بقية حافظت على مادة الكلمة وان فسد الشكل وتطــورت اللهجة واعراب الالفاظ .

والسبب في ذلك ان معاجم اللغة لم تشتمل الا على النزر اليسير مـــن اللغة العربية لان علماءها لم يفكروا في جمع الكلمات الا بعدمــا دب الفساد في اللغة حتى ان اول كتاب بلغنا انه ألف في اللغة هو كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي الحميدي المتوفي سنة ١٧٤ هجرية ، ولكن هذا لم يبق لدينا

منه الا تقليده كتاب الجمهرة لابن دريد الازدي المتوفي سنة ٣٢١ هـ الـذي قال في حقه معاصره نفطويه الازدي النحوي المتوفي سـنة ٣٢٣ هـ :

ابـن دريـد بقـرة وفيـه عـي وشـره
ابـن دريـد بقـرة وفيـه عـي وشره
وهـو كتـاب العـين الا انـه قـد غيـره

على ان الجمهرة كان لها من النذور سهم وافر الى ان اكملت حيدر ابـاد الهند طبعها في هذا العام • ثم لم يصلنا من كتب العرب الخلص الاقدمين شيء بل ان الموجود في يدنا معظمه من تأليف الموالي والاعاجم لاعتنائهم بالتدوين احتياجا اليه وتسهيلا لمعرفة اللغة العربية بعد ان كانوا سبب فسادها كما نقله صاحب العقد الفريد عن ابي عبيدة اللغوي سنة ٢٠٩ هـ • قال :

من عبد الله بن الاهتم بقوم مـن الموالي يتذاكرون اللحن فقـال : ان أصلحتموه انكم أول من أفسده •

فريق يناصر اللغة الغربية الفصحى ويعطف عليها ولكنه يعتبرها محصورة في الموجود المطبوع من كتب اللغة كالمصبـاح والصحاح والقاموس واللسان فكل كلمة لا وجود لها في تلك الكتب فانها غير عربية يجب ان تهجر وتلغى ، ويقف عند الوارد حتى انه لو صحت المادة لا يبيح الاشتقاق منها عـلى حسب قواعد الصرف العامة ولا يرضى ان يقع لفظ في موقع آخر •

وهذا رأي يحفظ لنا البقية الباقية من هجمات الاعـداء والمتألبين عـلى اللغة العربية ولكنه يفتح مجالا للطعن فيها واباحة القول : بأن اللغة العربية لا تتسع للفنون الحديثة والصنايع والادوات في حين انهـا اتسعت لكـلام رب العالمـين •

وفريق آخر يعاكسه تماما فهو يريد مسخ اللغة العربية وجعلها ألعوبة بيد خصومها كي يتمزق شملها فتصبح عبارة عن مجموعة لغـات أعجمية وكتلـة رطانة أو بعبارة أصح أن هذا الفريق لهادم لبناء اللغة العربية اذا ما كثر انصاره ومروجوه لا قدر الله تعالى •

وأصوب الآراء عندي مـا كان عـن اعتدال وتوسط فلا يضيع القديم ولا يتقاعس عن افساح مجال للآلات والادوات والعلوم الحديثة اما بايجـاد مصطلحات توافق الاسلوب العربي وتركيبه واما باستعمال ما صيره الدهـر من المرادفات • لان هذه اللغة العربية القيمة بسبب المزايا التي ذكرناها سابقا قد جعلها الله اللسان العام للذين يدينون بالشرع الاسلامي ويتبعون محمـدا صلى الله عليه وآله وسلم •

لذلك اوجب الله تعلم جزء منها على جميع المسلمين وهذا يدلك على ان لها مكانة سامية عند الشارع ولقد بلغ من اهتمامه بها ان افترض لاجلها قراءة القرآن في الصلوات الفرائض والمندوبات ومن المعلوم ان القرآن لا يصح ان يقرأ بغير اللغة العربية كما ان مما لا يجهله أحد ان كـل مسلم عاقل بالغ تجب عليه الصلاة لا فرق بين ذكر وبين انثى وسواء أكان حرا أم عبدا •

فاذا تعلم المسلم مقدارا من القرآن فان ذلك يسوقه الى تعلم القرآن كله فمعرفة اللغة العربية تعلم الاحكام الالهية وخطاب اللـه تعالـى لـه بالاوامر والنواهي لان هذا هو المقصود من قراءة القرآن ولذلك عاب الله على مـن اغفل تدبر آياته فقال :

« أفلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين » ٦٩ المؤمنون بل حث الله على التدبر الذي جعله سببا لنزول القرآن قال تعالى (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب) ٣٠ ص ومما لا نزاع فيـه ان تدبر قوله أو فهمه يقتضي معرفة تلك اللغة التي صدر فيها فاذن يستفاد من هذه الآية الكريمة صراحة وجوب تعلم اللغة العربية نطقا وفهما ومـا ذاك الا لأن لغة القرآن هي اللغة الجامعة للشعوب الاسلامية والمقربة بينهم في التفاهم والتخاطب لما قلناه •

ان الدين الاسلامي جاء لدعوة جميع الخلق لا فرق بين شعب وآخر ولا بين عنصر وغيره وان في الدعوة اليه والدخول فيـه والاستفادة مـن مزاياه

السامية يتساوى فيها الابيض والاسود كما يتساوى في احكامه العادلة ابناؤه واعداؤه .

لذلك الزم الداخلين فيه المؤمنين به القائمين باحكامه تعلم اللغة العربية والنطق بها في اعز الاماكن واشرفها وهو الوقوف بين يدي الله تعالى لاداء العبودية ولم يتقبل عبادته ـ ما دام قادرا على النطق والتعلم ـ الا بقراءة كلامه تعالى الذي كان برهانا ساطعا على شرف اللغة العربية التي اتسعت له .

وانما جعل الشارع للمسلمين لغة واحدة عامة ـ مع عدم اجبارهم على ترك لغتهم الاصلية طبعا ـ كي يتحقق الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن النعمان بن بشير قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى « ولمسلم » المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى كله .

والحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث ابي موسى الاشعري: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

فلاجل الوصول الى هذا المقام الشريف الذي كان اعظم سبب لنجاح الاسلام وتفوق المسلمين على غيرهم من الامم واخضاعهم كل شعب وقف عقبة في سبيل الدعوة الاسلامية او قام بالخصام ضدها يجب ان يكون لذلك الجسد لغة خاصة تكون سبب تقارب تلك الاعضاء في التفكير وتوحيد المسعى اذا ما ابعد بينهما المكان او اللغة او غير ذلك .

ادرك اعداء الاسلام حكمة وجوب قراءة القرآن في الصلاة وهي ما قلناه : إن اللغة العربية لغة المسلمين كلهم فارادوا أن يضاهوها بعملهم هذا

الذي اظهروه اخيرا وهو ايجاد لغة عامة للبشر أجمع وسموها لغة « الاسبرانتو » يزعمون انهم يريدون تقريب التفاهم بين الشعوب الانسانية .

ولكن من عرف مبادئها يفهم ان المطلب عبارة عن احياء اللغة اللاتينية القديمة التي كانوا يسمونها لغة العلوم وهي اللغة الدينية المسيحية وانما جعلوا عنوانها لغة البشر كي يوجهوا المسلمين كغيرهم الى الاهتمام بها وبذل العناية فيها علما منهم ان للغة تأثيرا كبيرا في التغيرات الفردية والانقلابات الجماعات والافراد ولا سيما اذا اتقنها الشخص اكثر من لغته الاصلية فان اعجابه بها لا يلبث ان يكون سبب اندماجه فيها بسرعة اذا لم يقف في سبيله مرشدون يهدونه ويبينون له الغث من السمين والخطأ من الصواب .

غير ان هذه الفكرة ـ فكرة لغة الاسبرانتو ـ لم تـرج حتى الآن ، ولن تروج .

ولما كان المسلمون منذ عدة قرون في رقدة طويلة وما فتئوا في سباتهم فقد تفنن اعداؤهم في الهجوم على أقوى روابطهم ـ اللغة العربية ـ فلم يكفهم ما ذكرناه من تشويقهم لهم بالتمسك بلغة البشر المذكورة حتى الفوا جبهتين حربيتين ولكنهما مع الاسف تحت قيادة من يدعي الاسلام وبعضهم يزعم الزعامة الدينية وانه حامي الدين وبطله الماجد عند حصول المنافع وتقسيم المطامع وهذا لعمري اعظم مصيبة على المسلمين ودين الاسلام .

نعم لقد الفوا جبهتين عظيمتين :

الاولى ترجمة القرآن العظيم .

والثانية الاستعاضة عن اللغة العربية الفصحى باللغة العامية .

وكلا الرأيين يدعو اليه اعداء الاسلام وان تستروا بغيرهم كما قلنا ولكن على لسان من يعلنوه ؟

لا ريب ان الامر لا يحتاج الى تدبر وتفكير طويل ، لانهم يعلنونه على لسان زنديق يظهر الاسلام أو مغفل لا يدري من الدين الا انه مسلم ، او حفظ بعض احكام سطحية ولم يفقه حكمة التشريع ولم يتشرب بروح الدين اصلا .

وما ذاك الا لعلمهم بان هذه الدسائس وامثالها لا تروج الا بواسطة مدعي الاسلام ، والاسلام بريء منهم وهذا ثابت باعتراف المبشرين انفسهم فقد نشرت جريدة المؤيد المصرية بتاريخ ١١ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ بعدد ٦٦٦٤ ترجمة عن مجلة العالم الاسلامي الافرنسية من بعض مقالاتها تحت عنوان : « الغارة على العالم الاسلامي » .

ان المبشرين اذاعوا خلاصة مؤتمر مصر التبشيري المسيحي الذي انعقد بتاريخ ٤ إبريل ، نيسان سنة ١٩٠٦ في دار اعرابي باشا في باب اللوق في قاهرة مصر بكتابهم : العالم الاسلامي اليوم .

فمن اقوالهم :

ثالثا ــ تبشير المسلمين يجب ان يكون بواسطة رسول من انفسهم ومن بين صفوفهم لان الشجرة يجب ان يقطعها احد اعضائها .

رابعا ــ ينبغي للمبشرين ان لا يقنطوا اذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة اذ من المحقق ان المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد الى علوم الاوروبيين وتحرير النساء ، وان تنصير امثال كامل في بيروت وعماد الدين في الهند ، ومرزا ابراهيم في تبريز ، واعمالا اخرى من هذا القبيل ، من شأنها ان تولد مجهودات جديدة يجب علينا ان نحمد بسببها نعمة الله علينا أ هـ .

هذا جزء من مقرراتهم قبل اربع وعشرين سنة ويوم كانت للاسلام صولة ومنعة فلا بد انهم الآن قد نشطت قواهم وازدادت اعمالهم اتساعا وانتشارا .

فاذا كانوا قد وجدوا طبقة من المسلمين في ذلك الزمن فمن يدري الآن ماذا وجدوا وماذا فعلوا وماذا احدثوا من تغيير في العقائد والتفكير ؟

اذ يجوز بعد ان اصبحت معظم البلدان الاسلامية مستعمرة وصار أهلها عبيدا أرقاء ولم يبق للاسلام حام ولا ناصر وانما هو تحت سلطة ورحمة الدول التي تنتمي للمسيحيين ان هؤلاء المبشرين قد نفذوا شطرا كبيرا من برامجهم في تغيير وتحويل المسلمين عن عقائدهم واستطاعوا ان يدسوا الدسائس على لسان اشخاص مشهورين قد يظن بعضنا فيهم الصلاح ويتبرك بهم وبالتماس دعواتهم وتقبيل ايديهم وهم اعداء الاسلام الالداء ولكنهم يخدعون ابناءه المؤمنين بالانتماء اليه والاتصاف بالعلم واظهار الصلاح والتقوى ٠

ولا يرد على الذهن ان هذا يؤثر على المؤمن فيلتبس عليه الصالح بالطالح ، كلا ، فان عندنا مقياسا صحيحا جيدا وميزانا لا يخطيء وهو ان الشارع بين لنا الاحكام وحد لنا الحدود فمن تجاوز ذلك بنفسه او شوق الى نقضه او دعا الى مخالفته او حث الغير على التعدي وخرق ذلك الحد وانتهاك حرمته أو حسنه في عين أحد فانه عدو للاسلام وان كان في ثياب ابنائه المخلصين ٠

فدعوى ترجمة القرآن من هذا القبيل بلا نزاع ولا اختلاف بين العلماء المؤمنين غير الجامدين فانه لو كان جائزا لامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلمان ان يترجم القرآن بالفارسية وبلالا بالحبشية وصهيبا بالرومية ولكنه كتب الى كسرى وقيصر والمقوقس الكتب باللغة العربية مع وجود من يحسن لغاتهم ، وان كتبه كانت انذارا لهم ليسلموا ويعبدوا الله وحده ٠ فهي دينية محضة ٠

نعم ان اعداء الدين الاسلامي يعلمون ان القرآن بتلاوته معجز للبشر تحدى به الله تعالى الناس كي يأتوا بمثله ثلاث مرات ٠

به كله قال تعالى « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ٨٨ الاسراء ثم بعشر سور : قال تعالى « ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » ١٣ ــ هود ــ ٠

ثم بسورة واحدة مرتين :

قال تعالى « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » ٢٣ ـ البقرة ٠

وقال تعالى « ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » ٣٨ ـ يونس ٠

فما وسعهم الا العجز في زمن نضوج اللغة العربية وبلوغها أوج الكمال لذلك تراهم قد عدلوا عن المناظرة بالكلام والاتيان بمثله الى المقارعة بالسنان والمحاكمة الى الحسام لان هذا ايسر عليهم من ان يصدموا الحق بالباطل والباطل في كل عصر كان ولم يزل زهوقا ؛ فاذا قامت له دولة فلا تلبث الا يسيرا حتى تتلاشى وتضمحل ولا تبقى الا ذكريات للاتعاظ والاعتبار ٠

فعلى هذا لا نرى مانعا من اظهار عقيدتنا واعلان رأينا وما ندين به من ان الطعن الموجه الى اللغة العربية في عصرنا الحاضر هو طعن في الدين الاسلامي تحت شعارها وستارها بدافع العداوة والبغضاء أو انه جاهل ارعن والجاهل عدو نفسه فضلا عن غيره ٠

لذلك تجد اعداء الاسلام يتفننون في تحسين الطرق المهلكة ويستعملون وقايات السوء من المنتمين للاسلام عن غير ايمان صادق وبدون فهم لاحكامه الصحيحة وعقائده الثابتة كي يعموا بهؤلاء على العوام يريدون من وراء ذلك الفساد والافساد ٠

فاذا فحصت كل داع : لترجمة القرآن العظيم تجده من النمط الذي اشرنا اليه مدفوعا من جمعية عدوة للدين الاسلامي رأسا أو بالواسطة أو بوسائط كثيرة قد اتخذته تلك الجمعية آلة للاعلان عن فكرتها الخبيثة فنشرها ٠

فمن ذلك قولهم : ان ترجمة القرآن فيها منافع بها يطلع الناس على روح هذا الدين وتعاليمه ويقفوا على حقيقته وما يرمي اليه فلا يبقى محصورا في

الشعب العربي وحده .

لا ادري متى انحصر الدين الاسلامي في شعب كما يزعمون وهذه الملايين الكثيرة من شعوب مختلفة وعناصر متعددة قد دخلت في الدين الاسلامي قبل ان تختلق فكرة ترجمة القرآن فضلا عن مجاهرة الدساسين بها.

من المعلوم ان الترجمان يعبر عن فكر المترجم له . فهل في استطاعة احد من البشر ان يقول : ان هذا المعنى هو مراد الله تعالى ؟

فاذا كان الله تعالى قد تحدى العالم كله بأن يأتوا بسورة من مثل القرآن وعجزوا عن ذلك أفليس من يعجز عن اتيان مثل تركيبه وفصاحته هو أشد عجزا واين ضعفا ممن يبتغي الاتيان بمعناه كاملا وفق علم الله تعالى ومشيئته؟

شراب الحمير

* دخل الاخطل على عبد الملك بن مروان فاستنشده فأنشده تتفا من قصائده فلما انتهى قال : يا مولاي قد يبس حلقي فمر من يسقيني . فقال اسقوه ماء . فقال شراب الحمار وهو عندنا كثير !

قال : اسقوه لبنا . قال : عن اللبن فطمت !

قال : فاسقوه عسلا . قال : شراب المريض .

قال : فتريد ماذا ؟ قال : أريد خمرا يا امير المؤمنين .

قال : ويلك أعهدتني اسقي الخمر لا أم لك ، لولا حرمتك بنا لفعلت بك ما فعلت .

فخرج فلقي فراشا لعبد الملك فقال له : ويلك ان امير المؤمنين استنشدني وقد يبس حلقي فاسقني شربة خمر ، فسقاه رطلا . فقال : أعد لي آخر . فسقاه آخر . فقال : تركتهما يعتركان في بطني ، اسقني ثالثا . فسقاه . فقال: تركتني امشي على ثلاث أعدل ميلي برابع فقال : قد عدلناك برابع وجعلناك تمشي على اربع فأرجع الى شراب الحمار خير لك .

العروس المؤدبة

تأليف : ديمتري جوليا

(١٨٧٤ - ١٩٦٠)

ترجمة : عيسى فتوح

كان في أدزيوبزها مواطن معروف يدعى لامشاتس ، تزوج فتاة من قرية تاميش . ولم يكونوا في تاميش ، كما يعرف كل الناس ، يصنعون النبيذ في تلك الايام ، بينما كان أهل أدزيوبزها على العكس تماما : غالبا ما يشربون النبيذ بدلا من الماء .

أثناء احتفالات العروس ، كانت عروس لامشاتس في غرفة منفصلة ، جريا على العادة هناك . فجأة أرادت أن تشرب فطلبت ماء .

همس الادزيوبزهيون بعضهم في آذان بعض ، وقرروا بالاجماع أن يقدموا ماء للعروس . اذ أن تقديم الماء لعروس اجتازت عتبة بيتهم ، يعتبر خرقا لآداب اللطف والمجاملة ؛ ولذلك جلبوا لها كأسا طافحة من أحسن النبيذ .

كذلك شعرت العروس ، من جهتها أيضا ، أنه من عدم اللباقة أن ترفض ، ولا سيما بعد أن اجتازت عتبة بيتها الجديد ، ولم تكن ترغب في أن تشيع عنها سمعة العناد وحب المعاكسة ما عسى أن يحدث فليحدث ؛ فكرت في نفسها قليلا ، ثم كرعت كأس النبيذ .

فجأة شعرت بالمرض ، على غير مألوف عادتها ، وبدأ رأسها يغزل ويدور ، وظهر الكون سابحا أمام ناظريها . صاحت : « ماء ! » .

قرر الادزيوبزهيون مرة ثانية أنه من غير المناسب أن يقدموا ماء عاديا

بسيطا لمن قد دخلت عتبة بيتهم ، وأصبحت فعلا عضوا من أعضاء أسرتهم ، لكنه بدا واضحا للعيان أنها لم تعد على ما يرام .

صارت العروس حينئذ أبعد من أن تميز ماذا تعطى ، فدفعت في حلقها كل ما في الكأس . ومع شعورها بأنها لم تزل في حالة سيئة ، فقد لهثت : « ماء ! » ، فأتوها بالنبيذ مرة أخرى .

وهكذا تألمت طوال الليل ، وتألم معها جميع سكان أدزيوبزها .

عندما طلع الصباح ، اقترح أحدهم قائلا :

« دعونا نجرب أن نعطيها ماء »

وبكثير من الاعتذارات ، جلب لها الادزيوبزهيون كأسا من الماء ، وبعد ألف اعتذار شربته .... فشعرت فورا بأنها أحسن حالا .

كيف سرق حصان خليل ؟

سافر خليل من دال الى أدزيوبزها ليشاهد بعض أصدقائه القدامى ، وعندما أظلم الليل وكان تعبا ، فقد استلقى ليأخذ قسطا من النوم ، تاركا حصانه في الفناء الخارجي .

عندما استيقظ المضيفون في صباح اليوم التالي ، وجدوا أن حصان خليل قد اختفى : مسروق !! يا لهذا الحادث الجلل !! .

أيقظوا خليلا وأخبروه أن بعض اللصوص قد اقتادوا حصانه من الفناء تلك الليلة . آه ، لكن خليلا غضب غضبا شديدا وراح يصرخ :

« لا أريد أي عفو ، كل ما أريد أن يعيد لي لصوصكم الحقيرون حصاني حالا . واذا كانوا لا يفعلون ذلك ، فانني سأعامل أبناء هؤلاء اللصوص أسوأ مما عامل والدي آباءهم الذين كانوا لصوصا من قبلهم » .

صرخ وهدد ، فنظر الادزيوبزهيون بعضهم الى بعض ، لكن أحدا منهم لم يعرف ماذا كان والد خليل قد فعل في أدزيوبزها .

سألوا خليلا :

« اسمع يا خليل ، ماذا فعل والدك في أدزيوبزها ؟ » .

« لستم بحاجة لان تعرفوا ذلك . كل ما تحتاجون أن تدخلوا في عقولكم السميكة أنه ليس اللصوص مصدر الازعاج فحسب ، بل جميع سكان أدزيوبزها » .

استغرب سكان أدزيوبزها الامر جدا ، ولذلك قرروا أن يعثروا على حصان خليل المسروق مهما كلفهم ذلك من جهد : كان عليهم فقط أن يعرفوا ماذا فعل والده في أدزيوبزها .

عند المساء أعاد اللصوص حصان خليل . وقيل انه وجد في الغابة يرعى بين الشجيرات . حينئذ تجمعوا حوله وألحوا قائلين :

« والآن ألا تريد أن تخبرنا ماذا فعل والدك في أدزيوبزها ؟ » .

هنا يجب ان نقول ان والد خليل كان معروفا جدا بأنه مثال الرجل البليد الكسول .

أجاب خليل : « ماذا فعل والدي في أدزيوبزها ؟ اليكم ما فعله : سافر يوما الى أدزيوبزها ، فسرق حصانه ، ولهذا وضع السرج على ظهره وعاد الى البيت . وقد أوشكت أن أفعل الشيء نفسه » .

فانفجر الجميع ضاحكين .

الرجل الذي ربط الشيء الخاطىء

كان لتاغوا الوسيم شاربان أسودان طويلان ، وكانا مصدر فخر العائلة . ولذلك كان من الطبيعي أن يعتني بهما عناية فائقة .

كل يوم ، وقبل الذهاب الى الفراش ، كان يمشطهما ، ويعقصهما بأناقة ،

يزيتهما بزيت شعر خاص يأتي به من المدينة ، ويربطهما بشريط أبيض لكي لا يتشعث شعرهما أثناء النوم . وفي الصباح ، عندما يحل الشريط ، يبدو شارباه في أحسن نظام : أملسين ، واخزين كشوك الاكاسيا .

نهضت زوجته مرة أبكر مما اعتادت ، فماذا رأت ؟ رأت ساحة الدار خالية ، ولا أثر للحصان . فبدأت تبكي وتندب بأعلى صوتها . وما هي الا لحظات حتى أقبل سكان القرية راكضين .

سألوا : « ما الامر ؟ » .

« لقد سرق حصاننا » ... كانت زوجة تاغوا تشرق بالدمع ، وتتلجلج بالكلام .

في هذه اللحظة ظهر تاغوا في المدخل ، نصف نائم والشريط الابيض ما يزال على شاربيه .

تجمع الجيران حوله سائلين .

« أين كان حصانك أمس ؟ » .

« في باحة الدار ، ماذا بشأنه ؟ » .

« هل كان مقيدا ؟ » .

« كلا ، لكن لماذا ؟ » .

« ولا مربوطا بعمود ؟ » .

قال أحد الجيران : « تهانينا اذا . لقد ربطت شاربيك بعناية فائقة، لكنك نسيت أن تربط حصانك . يمكنك أن تعود الآن الى النوم يا تاغوا : على الاقل ليبقى شارباك كما هما عندما تستيقظ » .

تحية صافيتا

شعر : عبد الحميد علي ـ صافيتا

للحب نغمة اوتاري واشعاري وما اخبيء من عطر وازهار
للحب نشوة صهبائي معتقها كجذوة الطور اصفى من سنا نار
سكبتها وبأكواب مزخرفة تدار ما بين احباب وسمار
فللمحبين منها والهوى سكر وهل على بما أهواه من عار
ذكرى الاحبة كم حنت الى خلدي وهدهدت من شعوري كل تذكار
غنيت عزة « صافيتا » فرنخها شعر يعبر عن صدقي واسراري
وما ادخرت لغير الحسن غالية وما هززت لغير الحب اوتاري
يا ربة الحسن والدنيا مدوية والكون باسمك احلى رجع اخبار
لولاك ما اتقدت في الجيل جذوته وألهبته لاخذ الثأر بالثار
ورد الحضارة «صافيتا» وسلسلها ويعرف الشهد مناكل مشتار
تباركت خمرة الخلاق يسكبها على المحبين من بدو وحضار
شربتها فاستقر الحب في خلدي فضم قلبي صراع النور والنار
آمنت بالعلم يغزو الجهل مؤتلقا والشمس يخفي سناها كل انكار
كبرت للعزة القعساء منحنيا لهيبة البرج يوري كل تيار
أذوى من الدهر جبارا بقوته يستلهم الوحي لم يرضخ لجبار
مالي أراه وفي عينيه معلمة كأنها قبس من جوهر الباري
يبشر الشرق فيها بعد فرقته غدا سيجمع حب الجار للجار

صافيتا — عبد الحميد علي

التجديد والتقليد

شعر : خضر عباس الصالحي

هو الفن روض عشت بين ظلاله هزارا بأوزان « الخليل » أزغرد
لزمت عمود الشعر دوما وانني على الرغم منهم شاعر متجدد
واني أرى التجديد في كل محتوى بديع الرؤى فيه الاديب يجود
وليس بشكل فوضوي مزخرف وفيه غموض الفكر غيم ملبد

* * *

هو الشعر وزن، والقوافي تزينه وفيه صبابات الهوى تتنهد
وفيه الشعور الحي نار تسعرت حرائقها هيهات تخبو وتخمد
يسمون بعض الشعر حرا وشعرنا على شعرهم رغم التبجح سيد
لقد حطموا الاوزان عمدا لعجزهم وبالادب الموروث شكوا ونددوا
وما شعرهم الا ضباب مكثف وفي معميات الفكر أمسى يصفد
فدعهم يتيهوا في دروب غواية فان لنا حتما سيبتسم الغد
ودعهم يخوضوا في خضم تشدق ففي شعرهم للغرب مالوا وقلدوا

* * *

يقولون تيار التطور جارف الى كل رجعي سهاما يسدد
اذا كان في التطوير وأد أصالة فذلك زعم باطل ومفند
وما غيمة التزييف الا ستنجلي عن الافق يوما والاصالة سرمد
وشعر لهم حر دعوه سينطوي واشعارنا عبر الزمان تخلد

بغداد — خضر عباس الصالحي

حسناء

حسنـــاء قـــد عـزت مكانتها   فـــي قومهـــا تبكـــي وتنتحب
وتقـــول لمـــا جئـــت أسألهـــا   عـــن امرهـــا أمري هو العجب
بنت البلاد ــ أنـــا مصالحها   والكـــل أهلـــي حـــين أنتسب
تقضى بـــي الحاجات أجمعهـــا   وحوائجي مـــن دونهـــا الحجب
وأعيش فـــي فقـــر ومسكنـــة   ويصاغ باسمي الـــدر والذهب

خربة سلم   احمد حسن الامين

اعراضة من حبيب

شعر : صالح هادي الخفاجي

ثنـــا عطفـــه وانبرى معرضا   حبيبـــي كالمعجب النافـــر
وصد فألهب قلبـــي الجريـــح   وأحسست بالالـــم الثائـــر
وظـــل يلـــح علـــى صبـــه   بأعـــراضة المفـــزع الجائـــر
وغـــادر للهم نـــارا تجيـــش   وتلهب فـــي القلب والخاطـــر
فما استعطفت قلبـــه حالتـــي   ولا رق للعاشـــق الحائـــر
لقد ضن حتـــى بلفظ الســـلام   كما غض مـــن صوته الساحر
يخـــال بأنـــي اعمـــى فـــلا   أحـــس بمحضره الباهـــر
شذاه يـــدل عليـــه اذا   تغيب عـــن بصـــري الناظـــر

كربلاء ــ العراق   صالح هادي الخفاجي

مرثية شيخ الاسلام
الحاج ابراهيم نياس رضي الله عنه

هطل الدمع بعـد طول احتباس ... وانجلى الامر بعـد ليل التباس
فأتتنـا الانباء تتـرى وباحت ... ذبذبـات الأثير بعـد انتكاس
فعلمنـا أن المنايـا تمـادت ... يـوم جاست ديارنـا لاختلاس
ففجعنا والخطب خطـب جسيم ... عـاد طير الاحزان عدنـا نقاسي
غـاب شيـخ الاسـلام فغابت ... يانعات الاثمار فـوق الغـراس
من رعانا بالعطف دهـرا طويلا ... مطعما ساقيا ومـن ثـم كاس
ليتـه غاب بعـد عمـر مديـد ... ثم أغفـى فـي راحـة للنعاس
كي يرى مـا بنـاه للـه يومـا ... كاملا حافـلا بكـل الاناس
غـير ان الأقدار تردي الاماني ... اذ حرمنا من وجه ذاك النطاسي
فكـأن الحيـاة أمست خريفـا ... يحمل المـوت للورى والمآسي
وكان الشعـوب ثكلـى تنادي ... فـي رجـاء ولهفـة والتماس
ان يعيـد الالـه شهمـا تقيـا ... كان نور الابصار في الانعكاس
كـم نجونـا بهديه فـي دروب ... وانتفعنا مـن علمـه باقتبـاس
حيث صار الشقي منـا سعيدا ... باعتناق الاسلام بعـد ارتكاس
فعبرنـا والعصـر عصـر أثيم ... عصر فسـق وشهوة وانغماس
نحو ارض النجـاة فيهـا عيون ... ينعش الروح نبعها فـي انبجاس
عب منهـا الظمآن بـردا وريـا ... فـي ظلال القرآن بعـد اتناس
أي (سنباي (١)) غبت عنا فبتنا ... كاليتامى والدهـر عات وقاس
حيث صار الالحاد وحشا قويـا ... يتغـذى بالناس بعـد افتراس
لـوث الطهـر قربـة للخطايـا ... والمبادي فـي غربـة وانطماس
وحقوق الانسان امست هبـاء ... فـي (فلسطين) عرضة للتناسي
(أرتيريا) تأوهت مـن جـراح ... مات اطفالها ومـا جـاء آسي
كـل آن نمشـي بـراع أثيم ... يتجنى مـن خشية واحتراس
ونمـادي اخواننـا باعتساف ... في سبيل الجلوس فوق الكراسي



الشيخ ابراهيم نيياس في الوسط الذي علامة × على صدره

كلما هب أشوس للاعادي ... قيل يأتي الجهاد بعد النفاس
خاب فأل الكفار بعد اتحاد ... فيه بات الاسلام فوق المساس
وأطلت (عكا) علينا بشوق ... بعد (حيفا) كظبية من كناس
ودعانا (الاقصى) فطرنا خفاقا ... وهبطنا من فوقه بالشماسي
فقد الشرك وعيه مذ رآنا ... فسحقناه تحت كعب المداس
وسنمضي من ساحة نحو اخرى ... في ثبات كما الجبال الرواسي
شهد الخلق أننا ما هزمنا ... يوم كنا من أمة ذات باس
أيها المسلم الحزين المعنى ... أنت تهفو للشيخ أم انت ناس
حي ذكراه فهي دين علينا ... وتذكر كم كان نعم المواسي
واذا زرت (كولخا) فاصطحبنا ... كي نأم المزار بعد الاماسي
فهو رمس في كوخ (زنك) صغير ... لا يوازي نزيله بالقياس
كان ملأ الانظار قدرا وجاها ... وهو صرح ما زال فذ الاساس
قام مثل الضمير قرب المصلى ... أو كنفس يقظانة بالحواس
كلما نام عابد عن صلاة ... حثه الشيخ دائما في حماس

السنغال ... **منير صالح**

(١) سنباي : في اللغة ألولو فيه تعني يا والدنا

مختارات الصحف

جيمي كارتر - ورجاله

لم أذهب الى مكان في لندن وباريس ، ولم ألتق في العاصمتين الكبيرتين بأحد - الا وتطرق الحديث على نحو او آخر الى « جيمي كارتر » ...

... « كارتر » وفوزه برئاسة الولايات المتحدة الامريكية والطريقة التي فاز بها ؟

... « كارتر » وشخصيته والمفاتيح الى فهمها حتى يمكن فتح أبواب التعامل معه ؟

... « كارتر » وحكومته ومن يشترك فيها ومن لا يشترك ... وفي أي موقع ؟

... « كارتر » وسياساته واولوياته وأساليبه في العمل ، ونظرته الى الدنيا الواسعة ، والى القضايا المتشابكة ، والى الازمات الواقعة او المحتملة !



وكان لي رأي طرحته وناقشته مع كثيرين ، بالذات في لندن ، فقد كنت فيها يوم انتخابات الرئاسة الامريكية وبعده لعدة أيام ، وكان الموضوع ساخنا ... ضاغطا ... فارضا نفسه على كل الناس .

كان رأيي كما يلي :

- ان الطريق الذي يختاره اي سياسي للوصول الى السلطة ، هو نفسه الطريق الذي سينتهجه في ممارسة الحكم ، ولا يمكن ان يكون هناك خلاف بين الاثنين .

وكنت أشرح رأيي مستشهدا بنماذج من رؤساء الولايات المتحدة في

الفترة الاخيرة ، فأقول :

ــ ان الطريقة المتحفظة التي أدار بها ايزنهاور معركته الانتخابية معتمدا على أساطين رجال المال والاعمال في شرق الولايات المتحدة هي نفسها الطريقة المتحفظة التي حكم بها ايزنهاور .

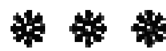
والطريقة « الفوارة » التي ادار بها كنيدي معركته الانتخابية هي نفسها الطريقة « الفوارة » التي حكم بها .

والطريقة « الملتوية » التي ادار بها نيكسون معركته الانتخابية هي نفسها الطريقة « الملتوية » التي حكم بها .

وفي حالة « جيمي كارتر » فان الطريقة التي سيحكم بهـا ليست بعـد أمامنا ، ولكن أمامنا الطريقة التي وصل بها الى السلطة . وتلك ، وليس أي شيء غيرها ، هي المقدمة الطبيعية لنظام حكمه وأساليبه وممارساته .

كنت أقول ذلك

ثم كنت بعده احاول ان اطبق !



لقد لفت نظري في حملة « كارتر » الانتخابية انه بدأ مبكرا جدا ، وانه بدأ من الصفر ، وانه اختار لنفسه طابعا مميزا وصفته من قبل بأنه طابع « رسولي » يستجيب لحنين الشعب الامريكي نحو التطهير والتغيير خصوصا في أعقاب فضائح ووترجيت ، ثم اعتمد خمسة او ستة من غلاة المتحمسين له الى درجة التعصب ، وشق طريقه في الانتخابات الاولية ولاية بعد ولاية بأصرار غريب كأنه اصرار رجل لا يعرض نفسه على النـاس ، وانمـا يفرض نفسه عليهم وكأنه صاحب حق شرعي خرج للمطالبة به !!

وكان من حوله في ذلك الوقت ثلاثة رجال ، كلهم من « اتلانتا » عاصمة ولاية جورجيا التي كان « كارتر » حاكما لها في جنوب الولايات المتحدة .

كان الثلاثة هم :

١ ــ « تشارلي كيربو » ، وهو محام من اتلانتا ، وقصته مع « كارتر » قصة غريبة .

كان « كيربو » اصغر الشركاء في مكتب كبير للمحاماة في اتلانتا ... وكان هو الشريك الخامس .

وكان الاربعة الكبار في المكتب يتولون القضايا الهامة ــ المالية والاقتصادية بالذات ــ واما « كيربو » فقد خصصوه للقضايا التي يتمنع الكبار تناولها كقضايا الجرائم والاحتيال وما الى ذلك .

وفي سنة ١٩٦٢ تقدم كارتر لعضوية مجلس النواب في ولاية جورجيا ، ولم يقبل نتيجة الانتخابات كما اعلنت ؛ فقد اظهرته النتيجة مهزوما بينما كان هو واثقا انه فاز ، وقدم طعنا بالتزوير في صحة عملية فرز الأصوات ولم يجد محاميا يقبل قضيته غير « كيربو » الذي تولى القضية بالفعل واستطاع ان يكسبها وتمكن من خلع منافس كارتر من مقعده في مجلس النواب ودفع كارتر بدلا منه الى المقعد ، واعتبر « كارتر » ان « كيربو » هو الذي فتح له ابواب العمل السياسي ، فقد انتقل من عضوية مجلس النواب في الولاية الى منصب حاكم الولاية ، ثم الى مرشح لرئاسة الولايات المتحدة الامريكية ، ثم رئيسا .

و « تشارلي كيربو » اليوم هو اقرب الناس الى « جيمي كارتر » وكان المدير العام لحملته الانتخابية ، واعتقد انه سيكون المدير العام لنظام حكمه .

٢ ــ « بول اوستن » ، وهو رئيس مجلس ادارة شركة كوكا كولا ، ومقرها الرئيسي في اتلانتا ، وهي اكبر الشركات في الولاية ، ومن اكبر الشركات في الويات المتحدة .

و « اوستن » خبير في التنظيم ، وتتجلى مهاراته في تنسيق عمليات التوزيع .

ومما يلفت النظر ان « كاندال » رئيس مجلس ادارة « بيبسي كولا » كان من أقرب المقربين الى « نيكسون » بمقدار ما ان « اوستن » رئيس مجلس ادارة « كوكا كولا »من اقرب المقربين الى « كارتر » .

وكان بعض المتابعين « لمعسكر كارتر » قد ذهبوا الى انه قد يعين « بول اوستن » وزيرا للخارجية في حكومته ، وهو اهم منصب بعد الرئيس ، وحين تشكك بعض المراقبين في صواب تعيين رئيس مجلس ادارة « كوكا كولا » وزيرا لخارجية الولايات المتحدة ، كان الرد :

ــ ان « جيمي كارتر » يعتقد ان السياسة الخارجية لامريكا في حاجة الى عملية تنظيم علمي بعد الطريقة الانفرادية التي اتبعها « هنري كيسنجر » •

ان « جيمي » لا يريد خبيرا في السياسة الخارجية على رأس وزارة الخارجية ، وانما يريد كفاءة تنظيمية وادارية ، خصوصا وانه يريد ان يكون هو بنفسه المتحدث الرسمي باسم الولايات المتحدة في الخارج ، ولا يريد ان يكو الوضع الشاذ الذي كان « لهنري كيسنجر » مع « نيكسون » او مع « فورد » •

وصحيح ان « كيسنجر » استفاد من عزلة « نيكسون » بسبب فضيحة ووترجيت ، وملأ حيز الرئيس في السياسة الخارجية ••• ثم قام بنفس الشيء مع « فورد » لان « فورد » كان رجلا قفز من « الفراغ » الى رئاسة الولايات المتحدة بعد سقوط نيكسون ، ولكن مهما كانت الاسباب فان « كارتر » مصمم على ان يكون هو وجه السياسة الخارجية لامريكا ، وليس أي وجه آخر •

واستبعد آخرون اختيار « بول أوستن » لوزارة الخارجية ، فقد بدا لهم ان اختياره ــ مهما كانت أسباب « كارتر » ــ سيكون صدمة للعالم الخارجي الذي لا بد للولايات المتحدة ان تتعامل معه باسلوب يستطيع هذا العالم فهمه ، واعتقد ان اختيار « سيروس فانس » لوزارة الخارجية اخيرا جاء مصداقا لذلك التقدير ، وبعده فليس هناك ما يمنع من ترشيح « اوستن » لوزارة اخرى او احتمال بقائه في « كوكا كولا » يشير على الرئيس من وراء ستار •

٣ ــ « هاملتون جوردان » ، وهو شخصية تستحق الاهتمام في معسكر

« كارتر » ، فهو شاب لا يتجاوز عمره الثلاث والثلاثين سنة، وهو مليء بأفكار ومطامح لا حدود لها ، وقد عمل من قبل في السياسة واشترك في الحملة الفاشلة لترشيح السناتور « ماكجفرن » الديمقراطي لرئاسة الولايات المتحدة سنة ١٩٧٢ ، ثم ذهب ذات يوم من سنة ١٩٧٤ الى مقابلة « جيمي كارتر » وهو بعد حاكم لاتلانتا يقدم اليه تقريرا من عشر صفحات عنوانه « لماذا يجب ان يصبح كارتر رئيسا للولايات المتحدة ؟ » . ثم عاد اليه بعد اسبوع بتقرير آخر من ثلاثين صفحة عنوانه « كيف يمكن » ان يصبح كارتر رئيسا للولايات المتحدة ؟ »

ومن يومها التصق « هاملتون جوردان » « بجيمي كارتر » ، واصبح صفيه الذي ينقل الوحي عنه الى بقية العاملين في حملته الانتخابية ، ثم اصبح المدير التنفيذي لهذه الحملة ،وكل التكهنات ترشحه الآن ليكون رئيس أركان حرب البيت الابيض في النظام الجديد .



وفي ربيع السنة الماضية ــ ١٩٧٦ ــ وقبل ان يحصل « كارتر » على ترشيح الحزب الديمقراطي له ، بدأ ينظم جهازه السياسي لعملية الانتخابات ، ولعملية الانتقال الى السلطة ، ولعملية الحكم بعد انتقال السلطة .

وكان تنظيم الجهاز السياسي لعلمية الانتخابات معقولا ومفهوما ، ولكن التنظيم لعملية الانتقال الى السلطة ولعملية الحكم بعد انتقال السلطة بدا نوعا من استباق الحوادث لا ضرورة له خصوصا وأنه سيكلف أموالا باهظة تحتاجها الحملة الانتخابية نفسها .

ولكن « كارتر » رفض كل نصيحة قدمت اليه في هذا الشأن .

قيل له :

أليس من المناسب ان تنتظر في تنظيم عملية انتقال السلطة حتى تحصل على ترشيح الحزب الديمقراطي اولا ؟

وكان رده :

سوف نحصل عليه !

وقيل له :

أليس من المناسب ان تنتظر في عملية الحكم بعد انتقال السلطة الى ما بعد نتيجة الانتخابات ؟

وكان رده :

انني سوف أصبح رئيسا ، ويجب ان أكون مستعدا من أول لحظة !

وأنشأ « كارتر » منذ ذلك الوقت ثلاثة مكاتب رئيسية •

مكتب لادارة مشروع الحملة الانتخابية نفسه ، وقد تولاه « هاملتون جوردان » تحت اشراف « تشارلس كيربو » •

مكتب للمواقف والقضايا ، وقد تولاه « ستيوارت ايزنستات » ، وهو محام شهير من أتلانتا ، وقد جمع « ايزنستات » في هذا المكتب عددا كبيرا من الخبراء وأساتذة الجامعات ، ولخص مهمة مكتبه في قوله :

ـ « ان مهمتنا كلها ان نجعل فكر كارتر موصولا بأوسع وأحسن الفكر المتاح في امريكا » •

ثم يستطرد « ايزنستات » :

ـ ماذا نفعل ؟ نحن نحاول تحديد « رأي كارتر » في كل المواقف والقضايا المثارة وقت الحملة الانتخابية ، ولذلك فلدينا خبراء في كل شأن من الشؤون الداخلية والخارجية •

ونحن لا نفرض عليه آراءنا ، وانما نفعل ما يلي في كل مسألة :

ـ ندرس اذا كان له فيها رأي سابق •

ـ ندرس رأي الحزب الديمقراطي فيها وتطوره •

يضيف خبراء مجموعتنا الى ذلك خير ما عندهم •

ـ نحاول عرض ما توصلنا اليه على مجموعة اوسع من العقول في امريكا •

ثم نعطيه على هذا الاساس رأينا مجددا ؛ والى جانبه مجموعة بدائل اخرى غير ما توصلنا اليها ؛ ثم يكون له ان يختار ، وفي هذه الحالة فان اختياره يصبح معبرا عنه .

ثم يجيء المكتب الثالث ، وهو المختص بانتقال السلطة ؛ ومهمته ان يحاول ان يحدد سياسات وقرارات كارتر في الشهور الاولى من حكمه ؛ ويحاول أيضا ان يرشح له قوائم بأسماء الرجال الذين يمكن ان يعاونوه في حكمه ، ويلاحظ ان الرئيس الامريكي عليه ان يعين مع بدء فترة رئاسته اكثر من ألفي مسؤول لاكثر من ألفي منصب هي في الحقيقة قيادة امريكا السياسية والتنفيذية .

واختيار كارتر لرئاسة هذا المكتب محاميا شابا من أتلانتا هو « جاك واطسون » ، وكان مساعدا « لكيربو » في مكتب المحاماة الشهير في عاصمة جورجيا .

وقد نسق هذا المكتب ــ الذي أطلق عليه فيما بعد اسم « مجموعة العمل » ــ نشاطه مع « مكتب المواقف والقضايا » تطبيقا لقول كارتر نفسه :

ــ ان هناك صلة مباشرة بين ما قلته كمرشح وبين ما سوف أفعله كرئيس ... لان وعودا قطعتها هي وعود سأنفذها .

وقد جند هذا المكتب بدوره مجموعة من أكبر عقول امريكا وفي جميع المجالات من الدفاع الى السياسة الخارجية الى الازمة المالية الدولية الى مشكلة البطالة في الولايات المتحدة .

ويمكن ان نتصور ان قيادات امريكا الجديدة لن تكون ترشيحات واطسون وحده ، فنحن نستطيع ان نتصور ان بعضا من الذين أداروا المشروع الانتخابي نفسه ؛ والذين أشرفوا وشاركوا في أعمال مكتب المواقف والقضايا ، والذين تكونت منهم مجموعة العمل الخاصة ــ لن تتوقف أدوارهم عند دخول كارتر الى البيت الابيض .

وفي الغالب فانه من المتصور ان يجري تدعيمهم بشخصيات جديدة يكتشفها « كارتر » ، وبأعضاء في الحزب الديمقراطي يريد كسب ولائهم ، وبنجوم من رجال المال والاعمال والادارة من بين أفراد ما يعرف باسم « المؤسسة الشرقية » وهي الارستقراطية العريقة التقليدية على مدن الساحل الشرقي للولايات المتحدة •

* * *

وغير المكاتب المعروفة التي تشير على « كارتر » وتعد له ، فان هناك أصدقاء قريبين منه واصلين الى اذنه كما يقولون وهؤلاء خليط واسع •

على سبيل المثال هناك « دين راسك » الذي كان وزيرا للخارجية مع كنيدي وجونسون ، ثم ترك الحكم وعليه ظلال من مأساة حرب فيتنام التي كان واحدا من اكبر مؤيدي التورط الامريكي فيها •

وعندما خرج « راسك » من وزارة الخارجية أراد ان يعود الى التدريس في الجامعة ، ولم يجد جامعة تفتح له ابوابها الا جامعة جورجيا ، واستقر « راسك » في اتلانتا ، وهناك تعرف على الحاكم « جيمي كارتر » ثم نمت بينهما صداقة قوية : الدبلوماسي الدولي الذي يعرف الدنيا ، والسياسي المحلي الذي لم يخرج من الجنوب •

ولفترة طويلة كان « راسك » هو دليل « كارتر » الى مجاهل السياسة الدولية •

وكانت الصلة بين الاثنين وثيقة الى الحد الذي دفع بعض السفراء الاجانب في واشنطن الى التخمين بأن « كارتر » قد يختار « راسك » وزيرا لخارجيته ولو للسنة الاولى ، ولم يكن يدعوهم الى التحفظ في هذا التخمين الا سجل « راسك » في حرب فيتنام ، واحتمال استغلاله ضد « راسك » وضد « كارتر » ، والاثنان في غنى عن ذلك الآن ، وأفضل منه ان يظل « راسك » قريبا من اذن « كارتر » •

وهناك على سبيل المثال ــ وعلى نقيض من شهرة « راسك » ــ رجل لم يسمع العالم باسمه من قبل وهو « بيل شنيدر » ، وكان « شنيدر » صاحب مطعم صغير عرف « كارتر » منذ سنوات طويلة .

وحين بدأ « كارتر » حملته الانتخابية وأصبح يتنقل مع بعض مساعديه من ولاية الى ولاية ترك « شنيدر » مطعمه والتحق « بكارتر » وتولى الاشراف على الاعاشة اليومية للمرشح واعوانه ، اي ان عمله كان حجز الفنادق ونقل الحقائب والتأكد ان « كارتر » واعوانه سوف يكون لديهم ما يأكلونه .

وشيئا فشيئا فان « شنيدر » بدأ يأخذ دورا اكبر في حياة « كارتر » الى درجة انه أصبح شبه سكرتير خاص له ، ويبدو الآن انه سيصبح سكرتيره الخاص في البيت الابيض فعلا ، وسيجلس في مكتب مجاور لمكتبه بحيث لا يمر أحد الى المكتب البيضاوي ــ مكتب الرئيس ــ الا اذا مر على « شنيدر » وسمح له « شنيدر » بالدخول !

ويلاحظ ــ رغم ذلك ــ ان « كارتر » يفرض نظاما حديديا على الذين يعاونونه ويتعامل معهم جميعا من بعد ، وكأن طابعه « الرسولي » يفضل التعامل عن طريق حواريين .

وربما كان خطابه الى جميع مكاتبه بعد ترشيحه للرئاسة نموذجا لاسلوب تفكيره ، فقد شعر ان بعضهم قد يتجاوز حدوده فيخلط بين آرائه الشخصية وآراء الحملة الانتخابية ، وهكذا جاءهم خطاب منه نصه كما يلي :

« الى العاملين في الحملة الانتخابية

اريدكم ان تعرفوا انني اقدر رغبتكم في تقديم توصياتكم من أجل رسم سياستي العامة .

ولكنني أريدكم في نفس الوقت ومن الآن أن لا تدعوا مجالا للبس بين

آرائكم الخاصة وبين ما يمكن ان تقبله حملتي الانتخابية منكم •

ليس بينكم من هو مخول ان يتكلم او يكتب باسمي أو باسم الحملة الانتخابية •

جيمي »

وكان لهذا الحزم أثره حتى على بعض النجوم كرجل مثل « ريتشارد هولبروك » •

كان « هولبروك » دبلوماسيا ممتازا في وزارة الخارجية الامريكية وفي مجلس الامن القومي الامريكي ، ثم اختلف مع سياسات « هنري كيسنجر » خصوصا في عملية غزو كمبوديا ، فاستقال وخرج ليشترك في اصدار مجلة من أنجح المجلات الامريكية عن « السياسة الدولية » •

وكان « هولبروك » من اوائل السياسة الدولية الذين انضموا لحملة « كارتر » لسياسات « كيسنجر » •

وسألت صديقا مشتركا في لندن عن « هولبروك » ، وقال لي :

ـ فور نجاح « كارتر » في الانتخابات ترك « هولبروك » الحملة الانتخابية وعاد الى مجلته •

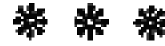
ولما سألته لماذا ابتعد ، كان رده :

ـ ان « جيمي كارتر » لن يعطي اي منصب لرجل يريد هذا المنصب •

سوف يعطي منصبا لاي رجل لانه يريد ان يعطيه هذا المنصب ، وليس لان هذا الرجل يريد ان يأخذ لنفسه هذا المنصب !

هذه طريقته ، ولست أريد ان أتلكأ أمامه بحيث يتصور انني انتظر شيئا ••• وحتى لو كنت انتظر شيئا فان الحصول عليه بالابتعاد وليس

بالاقتراب !



هذه لمحات عن طريقة « كارتر » اثناء الانتخابات .

فماذا تقول لنا هذه اللمحات عن طريقته في ممارسة السلطة .

ـ رجل أعطى نفسه ـ بحق او بغير حق ـ مسحة من « الرسولية ... بعيد او متباعد يفضل التعامل عن طريق حواريين ، وحواريوه فرق ودرجات ، والسمة الغالبة عليهم هي الشباب ، فكلهم بين الثلاثين والخامسة والثلاثين ومعظمهم من الجنوب ولكن مطامعهم تمتد الى الجهات الاربع ... ارادته اكبر من خبرته ، وهو يريد ان يتعلم ولكن بأسلوبه الخاص ... عنيد لكنه مفتوح للتأثير عليه عن طريق من يثق فيهم ... لا تغلبه عواطفه ولكن تحكمه مطامحه ... كلامه اثناء الحملة الانتخابية يستحق ان يدرس بعناية ودقة ، لان « وعودا قطعتها هي سياسات انفذها » !!

الانــوار محمد حسنين هيكل

اذا فسد نساؤكم وفسق شبابكم

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف بكم اذا فسد نساؤكم ، وفسق شبابكم . ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قيل له : ويكون ذلك يا رسول الله . فقال : نعم ، وشر من ذلك . كيف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قيل : يا رسول الله ويكون ذلك ؟ قال : نعم . وشر من ذلك . كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا .

العرفان : اهذا هو الزمان الذي تنطبق عليه هذه الاوصاف .

الثورة الخضراء

محصول القمح للفدان يتضاعف أضعافاً وكذا الذرة وكذا الأرز

انها قصة رجل ، وقصة أمم . أما الرجل فهـو الدكتور نرمان بورلنـج وهو مدير البرنامج الدولي لتحسين انتاج القمح ، ذلك البرنامج الـذي تنفق عليه مؤسسة روكفلر ، ومكانه المكسيك . هذا الرجل هو الذي قاد الثـورة الى غايتها ونال في شهر اكتوبر الماضي من اجل ذلك جائزة نوبـل للسـلام ، ومعنى السـلام هنا ان احلال الشبع محل المجاعات في العالم يؤدي الى الرخاء فالى الرضا فالى السـلام .

وأما الامم فهي كل أمة متخلفة لا يكفيها الغذاء ، فتهددها المجاعة مـن عام لعام . ونضرب مثلا لذلك بالهند وباكستان في عام ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩ ، ففي هذا العام جاء موسم الرياح والامطار المعروف بالمنسون ، فكان اقصر طـولا من عادته ، وأمطار الشتاء قلت حتى انعدمت او كادت ، ودرجة حرارة الاجوار في شهر مارس ، وهو الشهر الذي يمتليء فيه حب القمح ، هذه الدرجة زادت ما بين ٥ الى ٨ درجة عن معدلها . وكل هذا الحاسبين يقدرون ان العام لا شك عام مجاعـة .

ولكن لم تقع مجاعة . وعلى العكس من ذلك كـان محصول القمـح بباكستان ١٤ في المائة اعلى من محصول العام السابق ، وكان في الهند أعـلى كذلك وبنحو ٨ في المائة .

وفي المكسيك ، وفي تركيا ، وفي افغانستان ، كانـت محاصيل القمـح تتزايد من عام لعام ، جاء مطر او لم يجيء ، وارتفعت حرارة او لم ترتفع .

وتبدأ القصة من يوم تراءى للدكتور بولنج ، منذ سنوات مضت ، عدم رضائه عن الزراعة التي كانت قائمة في البلاد المتخلفة ، ولا عن الجهـود التي كانت تبذل لتحسين الانتاج تحسينـا لم يكن الا بطيئـا لا يسايـر الحاجـة الشديدة الملحة بتزايد السكان . تراءى له ان المطلـوب ثورة عارمـة فـي

الانتاج • وبدأ يخطط لها ؛ وكان من نتيجة ذلك اليوم ان كلا من الباكستان والمكسيك ، صارتا دولتين مستكفيتين من حيث ما تنتجان من قمح بعد ان كانتا دولتين لا تستكفيان • وكذلك الهند فهي سائرة في هذا الطريق • وباطراد هذا الحال سينتهي العالم بأن يكون ، لا عالما يكفيه قمحه فحسب ؛ ولكن عالما فائضا قمحه عن حاجته فتصبح مشكلة زيادة بعد ان كانت مشكلة نقص وجوع •

اما القصة العلمية فتبدأ من عام ١٩٤٣ ، حيث بدأ الدكتور بورلنج ، وهو من مواليد ولاية أيووا بالولايات المتحدة ، حين بدأ يجرب في صنوف عدة من القمح • لقد علم ان كل هذه الصنوف التقليدية بها مشاكل عدة ، تختلف من صنف الى صنف • علم ان منها ما يتعرض للاصابة بالفطر ، مثل صدأ الجذع الاسود • وعلم ان مقدار البروتين الذي بحبها ليس بالقدر الذي يرجى ، وعلم ان منها ما يتأهل للزرع في فصل قصير من الزمن معين لو خرجوا به عنه فسد ، وعلم ان صنفا قد تزرعه في مكان فينجح ، ثم تزرعه في مكان آخر اختلف عنه أوان زراعة ، فلا يصح • وعلم أن من هذه الاصناف ما لم يستجب للتسميد ، وتزيد سماده فتتناقص زيادة نموه حتى تتوقف ، ثم يميل النبات بعنقه ويتدلى •

جمع الدكتور بورلنج صنوفا للقمح من كل الدنيا ، وبدأ يزاوج بينها تهجينا ، واخذ ينتج منها في المختبرات طفرات اصطناعا • وكان اهم هذه الصنوف الصنوف اليابانية القزمة تلك التي اكتشفها الدكتور سلمون بوزارة الزراعة بالولايات المتحدة •

ومن بحوث الدكتور بورلنج خرجت الاصناف الجديدة المسماة اليوم بالاقماح الاقزام او القصيرة ، وهي عماد هذه الثورة الزراعية الكبرى •

والاقماح الاقزام ثنائية الجينات او ثلاثيتها تحتوي جينين أو ثلاثة جينات للقصر ولصلابة الجذع ــ لا تتدلى اعناقها بزيادة السماد ، وهي تحتمل زيادة السماد حتى ١٢٠ رطلا من السماد الآزوتي لكل فدان ، بدل

المائة رطل التي كانت •

وهذه الصنوف تقاوم الامراض ، وتقبل الزرع في فصول مديدة ؛ ونسبة البروتين في حبها كبيرة •

اما المحصول في الهند وباكستان ، فقد ارتفع ارتفاعا باغتا ، من المتوسط المعتاد الذي هو نحو ١١ بوشيل للفدان الواحد الى ٥٠ بوشيل • ودلت التقارير على انه في بعض البقاع ارتفع المحصول الى ٥٠ بوشيل •

والاردب يساوي ٥ر٩١٦ بوشيل •

وأقبل الفلاحون على الزراعة الجديدة •

ففي الهند زاد المزروع قمحا جديدا من ١٥ فدان فقط في عام ١٩٦٤ — ١٩٦٥ الى ١١ مليونا في عام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ ، وفي باكستان زاد في نفس تلك الفترة من ١٠ فدادين الى ٥ر٦ مليون فدان •

وكثورة في القمح ، ثورة أخرى عالمية في الذرة والارز ، ولكن لهذه قصة أخرى •

الشر والخير !

❋ قالوا للمؤرخ البريطاني برتراند رسل : « انك تدعو الى الخير والى السلام بين الشعوب ، ولكن دعوتك كثيرا ما تضيع وسط صليل السيوف ؛ فما تعليلك لهذه الظاهرة ، لماذا ينتصر الشر على الخير في كثير من الاحيان ؟ » •

قال : « الحقيقة التي لا مفر من الاعتراف بها ، هي ان الاشرار يتحدون ويقفون صفا واحدا ، رغم ما في نفوسهم من كراهية بعضهم بعضا ، اما دعاة الخير ، فهم موزعون متفرقون ، وهذا هو سر ضعفهم ! » •

التدخين نكبة : هكذا يقول علماء بريطانيا

من بين كل تسعة مدخنين يزيد استهلاك ما يدخنونه على ٢٤ سيجارة في اليوم ، يتعرض واحد منهم على الاقل للاصابة بسرطان الرئة .. !

هذه هي احدى النتائج التي توصلت اليها كلية الاطباء الملكية ، وهي اكبر هيئة طبية في انجلترا ، بعد سلسلة من الابحاث والدراسات الجديدة التي قاموا بها حول علاقة التدخين بسرطان الرئة .

وقد وضع الاطباء الذين قاموا بهذه الابحاث تقريرا اكدوا فيه ان التدخين لا يسبب سرطان الرئة فحسب ، بل يؤدي أيضا الى الاصابة بعدة امراض خطرة مثل سدة الشريان التاجي للقلب وارتفاع ضغط الدم ، وسرطان المثانة ، وكذلك قرحة المعدة .

وقال التقرير ايضا ان الابحاث قد اثبتت ان المدخنين اكثر عرضة للاصابة بالالتهابات الرئوية وغيرها من أمراض الجهاز التنفسي .

وفند التقرير لاول مرة المزاعم القائلة بأن مدخني السيجار والغليون أقل عرضة للاصابة بهذه الامراض عن مدخني السجائر .. فقد اكد الباحثون أن المدخنين سواء كانوا من مدخني السجائر او السيجار او الغليون يستوون جميعا في التعرض للاصابة بهذه الامراض الخطرة .

دعا التقرير بعد هذا الى فرض حظر شامل على الاعلانات التي تنشرها شركات السجائر والتبغ في مختلف الصحف والمجلات ، كما طالب الباحثون في الوقت نفسه كخطوة للحد من استهلاك هذه السموم ، تحريم التدخين في الشوارع والطرقات والاماكن العامة ودور اللهو والسينما ، حتى نقلل من فرص التدخين عند الناس .

ويقول التقرير ان الباحثين اولوا اهتماما خاصا بمنع الدعاية للسجائر والتبغ التي تمتلىء بها الصحف والمجلات وبقية اجهزة الاعلام ، لما لهذه الاعلانات من اثر في زيادة الاقبال على التدخين .. فقد ثبت ان اكثر من ١٤ مليون جنيه استرليني ، قد انفقت في بريطانيا وحدها في العام الماضي ، على الدعاية لمختلف انواع السجائر والتبغ ، وكان من نتيجة ذلك ان ارتفع استهلاك السيجار مثلا من ٣٩٦ مليون سيجار في عام ١٩٦٢ الى ١١٣٣ مليونا في العام الماضي .

العربي

انصار العرفان وصاحبها ايام المحنة

السادة :

١ ـ السيد حسن الشيرازي العلامة العبقري وهذا السيد « السيد » لم يتخل عن العرفان في الايام العادية فكيف بأيام المحنة .

٢ ـ السيد فخر الدين ابو الحسن « خير خلف لخير سلف » وانه لمن المؤسف ان يظلم مثل هذا الطراز من حملة الدين والعلم العاملين الفاهمين المخلصين .

٣ ـ صهرنا الحبيب الحاج مصطفى النحاس و « ابو رغيد » شهم كريم في الحالات العادية فكيف لا يكون اريحيا ايام المحنة .

٤ ـ محمود الزين « مختار شحور » .

٥ ـ الدكتور اسماعيل عباس وهو من الذين يعملون الخير بصمت ومحبة .

٦ ـ السيد يونس صفي الدين . وهو من انصار العرفان القدامى وحين كان وكيلها في دكار ارتفع عدد المشتركين هناك .

٧ ـ والى العدد القادم .

الجنس بعد الخمسين

منذ اللحظة التي يتحقق فيها للانسان النضج الجسماني الكامل ــ وهذا يحدث بين الخامسة والعشرين والثلاثين ــ يبدأ التدهور التدريجي في جميع اعضاء الجسم بما في ذلك الاعضاء التناسلية . ان عملية التدهور هذه بطيئة الى الحد الذي لا نشعر به حتى يحدث شيء ما يفتح اعيننا فجأة على الحقيقة التي نجهلها .

تختلف نسبة التدهور باختلاف الافراد ، وقـد تزداد تعقيـدا بسبب الامراض التي تؤدي في معظم الاحوال الى تسارع مطرد في عملية التدهور . وهكذا فان انسانا سليم الجسم قـد يشعر بادراك الشيخوخة لـه فـي سن الستين ، في حين ان انسانا آخر في نفس حالة الانسان الاول يظـل محتفظا بصحته العامة وبنشاطه حتى سن الثمانين . وقـد نرى امـرأة منهكة القوى زرية الشكل خائرة العقل في الخامسة والخمسين بينما نجـد امـرأة ثانية لا ينقصها النشاط والمرح في الخامسة والسبعين . ومن جهة اخرى قد نقع على رجال ونساء تبدو عليهم بسبب اعتلال الصحة المبكـر او الارهـاق الذهني جميع اعراض الشيخوخة والهرم في الاربعينات .

غير ان سن الخمسين هي بوجه عام السن التي يدخل فيها معظم الرجال والنساء الطور المعروف بمنتصف العمر . فعند تجاوز الانسان لهـذه السن يشعر بأن الشيخوخة قد اخذت تحاول اللحاق به . وعلى كـل حال فان كلمة الخمسين لا تعني الخمسين على وجه الدقة بل ان هذه الكلمة تصلح فقط لان تكون مشجبا تعلق عليه مفهومنا لكلمة الجنس في منتصف العمر .

الشيخوخة الجنسية تختلف بين رجل وآخـر وبين امـرأة واخـرى . وبالنسبة للمرأة هنالك الحد الفاصل الواضح الذي يقال لـــه سن اليأس . فعند دخول المرأة هذه السن تتضاءل قدرتها على انجاب الاطفال حتى تتلاشى

تماما ، وتضعف الغدد التناسلية تدريجيا عند المرأة فلا يعود المبيضان قادرين على انتاج البويضات الناضجة داخل قناة فالوبيان ، وبسبب هــذا يضطرب الطمث في بدء سن اليأس عند بعض النساء ، وقــد تطول المسافة حتى تبلــغ احيانا ستة اشهر .

وليست هذه هي الاضطرابات الوحيدة التي تشعر بها كثير من النساء. ففي بعض الاوقات قد تصاب المرأة بموجات متناوبة من الحرارة والقشعريرة يرافقها شيء من التعرق . وكثير من النساء يصبن اثنــاء سن اليأس بخفقان شديد في القلب وصداع وبحالات من الانقباض الذهني والتوتر . وفي مثل هذه الحالة يصبحن سريعات التوتــر والشعور بالارهــاق الجسمي الدائــم وعاجزات عن التغلب على البطء في الحركة وفي ردود الفعل . وأشد ما يؤلم المرأة ملاحظتها ان الشحم قد اخذ يتراكم عــلى اجزاء مختلفة مــن جسمهــا بسرعة مخيفة وبكمية لا تستطيع ان تخفيها عن انظار الناس .

ان التبدلات التي تصيب جسم الانسان في هذه المرحلة خفية ولكنهــا مخيفة . ان في أجسام الناس رجالا ونساءا عددا كبيرا من الغدد وهي اعضاء دقيقة الحجم تأخذ من الدم بعض المواد الكيميائية وتحولها الى مواد جديدة تنشط وتنظم مختلف وظائف الجسم مثل عملية الاستقلاب والنمو .

ومن الغدد ما يفرز محتوياته في فجوة من الجسم او عــلى سطحه مثل غدد الدمع واللعاب والعرق ومنها ما يفرغ هذه المحتويات داخل الدم او العقد الليمفاوية وهي الغــدد الصم ، ومنها ما يؤثــر عــلى النشاط الجنسي : فالهورمونات التي تفرزها الغدة الدرقية مثلا تؤثر عــلى السلوك الجنسي ، فاذا ازداد نشاط هذه الغدة ازدادت الرغبــة الجنسية واذا نقص هذا النشاط ضعفت الرغبة الجنسية . وهنالك غدة اخرى تؤثر على السلوك الجنسي وهي الغدة النخامية . وهناك أيضا غــدد الكظــر الملتصقــة بشحم الكليتين ، والهورمونات التي تفرزها هذه الغدد تنشط وظيفة القلب والعضلات وتساعد

على المحافظة على الضغط الاعتيادي للدم في الشرايين .

ان مجموعة الغدد التي تؤثر تأثيرا مباشرا على الوظائف الجنسية عند الرجال والنساء هي المجموعة المعروفة باسم الغدد الجنسية . وهي في الرجل الخصيتان وفي المرأة المبيضان وبالاضافة الى وظائف هذه الغدد المتعلقة باتتاج النطف عند الرجل والبويضات عند المرأة ؛ فان الخصيتين والمبيضين تنتج عددا من الافرازات التي تؤثر على طول الانسان ووزنه وشحمه وتوزيع شعره. وتنتج الخصيتان الهورمون المذكر الذي يؤثر على نضج الاعضاء الجنسية . وهناك هورمون مؤنث ينتجه مبيضا المرأة يسمى ثيلين والمعتقد ان هذا الهورمون يؤثر على نمو الرحم والمهبل والثديين ، كما يؤثر على الرغبة الجنسية عند المرأة .

من المدهش ان نعلم ان اكتشاف الهورمونات هو اكتشاف جديد . ولم يتمكن الباحثون ـ بدافع من الاهمال الذي لم تعرف اسبابه ـ من اكتشاف هذه الهورمونات المذكرة والمؤنثة ومعرفة تركيبها الكيميائي الا في عام ١٩٣٤ . والهورمونات كما قلنا تؤثر على السلوك الجنسي عند الرجل والمرأة. ويظن بان زيادة انتاج هورمونات جنسية معينة عند بعض الاشخاص يجعلهم متمتعين بنشاط جنسي عظيم .

ولما كانت سن اليأس عند المرأة تؤثر على افرازاتها الهورمونية فلا بد من حدوث تبدلات هامة في نشاط المرأة الجنسي بعد بلوغها هذه السن .

ومع ان هناك علماء يقولون ان للرجل مرحلة تمكن مقارنتها بمرحلة سن اليأس عند المرأة فانني شخصيا أشك فيما يقوله هؤلاء الاشخاص عن حدوث تبدلات في جسم الرجل شبيهة بالتبدلات التي تصيب المرأة في سن اليأس .

ان سن اليأس عند المرأة يعني انتهاء خصبها وهذا امر يصيب النساء جميعا بدون استثناء . ولا يعني هذا ان المرأة تتجرد في هذه السن عن الرغبة الجنسية ، فسن اليأس لا تجردها من القدرة على ممارسة الجنس والرغبة فيه

شريطة ان تظل متمتعة بصحة عامة جيدة • وتلازمها هذه الرغبة حتى السبعينات • والحقيقة هي ان بعض النساء يصبحن اكثر تمتعا بالجنس بعد سن اليأس • ومما يزيد من هذا التمتع شعورهن بالطمأنينة بان ممارستهن للجنس لا تؤدي الى الحمل •

من الحقائق المعروفة ان معظم الرجال لدى تجاوزهم الخمسين من العمر يصابون بضعف تدريجي في قدرتهم الاخصابية • وبعبارة اخرى فان سائلهم الحيوي لا يعود يحتوي على عدد كاف من النطف او على نطف سليمة تسبب الحمل في كل مرة يزاول فيها هؤلاء الرجال عملية الجنس في ظروف مواتية للحمل عادة في غير هذه السن • ومع ذلك فما اكثر الرجال الذين ينجبون الاطفال في سن متأخرة • ومقابل ذلك يستحيل ان تحمل المرأة في سن الستين او حتى أقل من ذلك بكثير •

ولكن عجز الرجل عن انتاج النطف وانجاب الاطفال بسبب التقدم في السن ، لا يعني زوال رغبته الجنسية وانقطاع شعوره بالنشوة الجنسية فهذا امر يعتمد على قدرة الرجل على تحقيق انتصاب عضوه التناسلي •

ان هذا هو العامل الاساسي في الموضوع وبسببه يشعر كثير من الرجال بالضعف الجنسي اذا لم يستطيعوا تحقيق مثل هذا الانتصاب •

وبالرغم من الحقيقة الماثلة وهي ان بعض التبدلات الهورمونية تحدث عند الرجل بين الخمسين والستين من العمر فتؤثر على وظائف البروستات والخصيتين ، فان معظم هذه المشاكل ينشأ عن اسباب نفسية لا جسدية صحيح ان الرغبة الجنسية تخف حدتها فلا يعود الرجل راغبا او قادرا على الاكثار من الجنس ، غير ان الرجل المكثر في شرخ شبابه (سليقة وبدون شعور بالوهن بسبب اكثاره للجنس) يظل قادرا على ممارسة الجنس مرة او مرتين في الاسبوع بين الخمسين والستين من عمره • ولكن من المخف ان يصاب مثل هذا الرجل بالاضطراب والضياع اذا شعر بخور في قوته الجنسية •

ان الخوف من العنة عند الكبار والصغار ينشأ عن مؤثرات نفسية ، وهكذا يقع الكثيرون فرائس حلقة مفرغة : اذ يصابون باضطراب نفسي يؤدي الى اصابتهم بالعنة وهذه تزيد من اضطرابهم النفسي وتفاقم شعورهم بالضعف الجنسي وهلم جرا •

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

صاحبها :
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

العددان ٣ و ٤ مجلد ٦٥ اذار « مارس » ونيسان « ابريـل » ١٩٧٧ م
ربيع الاول وربيع الثاني ١٣٩٧ هـ

هذا الكتاب

شاهد على المذبحة

زهير ماريني

يقوم مقام العددين الثالث والرابع من العرفان لسنة ١٩٧٧م ١٣٩٧هـ ، فالى اللقاء مع القاريء الكريم في العدد الخامس في منتصف شهر ايار « مايو » حيث يطالع القاريء المقالات العلمية والادبية والتاريخية الرائعة لمشاهير كتاب العالم العربي مع تدارك ما لم ينشر للاق عن اخبار العرفان والوفيات وغيرهما .





هذا الكتاب

في صبيحة يوم الاحد ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٧٦ امسكت بالقلم وبدأت اكتب عن (المذبحة) في لبنان وفي ذهني خطوط عريضة للمسرحية التي الفها اديب الماني شاب اسمه (رنير فسباندر) وعنوانها (الزبالـة •• والموت •• والمدينة) •

بطل هذه المسرحية واحد من تجار السياسة يقول عن نفسه :

(انا تاجر سياسة اريد ان انتقم من الناس •• من كل الناس •• لماذا ؟ انها حسابات قديمة بيننا •• ولم يفلح الزمن في ان يشفي احـدا منها •• ان الناس يقبلون على السياسيين الذيـن يتاجرون بهم •• وقـد حاولت عبثـا ارشادهم فضلوا ، انهم بطبعهم يتعلقون بالمهرجين ، وفاقدي المروءة والشرف •• فرأيت ان افضل وسيلة للانتقام من هؤلاء الاغبياء تسليط اشرار السياسة عليهم •• لهذا رحت اشتري تجار السياسة ثم اهدمهم •• والغريب ان هـذا العمل اكسبني الملايين واراحني •• لا يهمني ان كان صوت الضحايا الـذي احب سماعه في الليل او عند الفجر صوت طفل مذبوح •• او فتاة اغتصبت •• او عجوز ينتحب •• كل هذا لا يهمني •• بـل يهمني ان يعـرف الناس حقيقة تجار السياسة الذيـن يذيبـون شحم الابريـاء ولحمهم ويكدسون الاموال !! •• فهؤلاء ، كل الـذي يهمهم الجاه والمنصب والمـال ولا يرون امامهم سوى الجماجم والعظام) •

هذه المسرحية تعرضت لاعنف هجوم شهدته اوربـا ، واختلف الناس حولها •

اناس قالوا :

ولكنها الحقيقة •• فما الذي ضايق القراء من ذلك ؟

واخرون قالوا :

انها الحقيقة ، فلا داعي لذكرها عارية ...

من المؤكد ان ما ذكره الكاتب الالماني عن تجار السياسة ينطبق على الذين امتهنوا المتاجرة بهذه السلعة البشرية في الساحة العربية .. لقد اثبتت التجارب ان تجار السياسة في الوطن العربي يصح فيهم القول : « انهم يحبون رشاش الدماء وريح القتر » .. ولا بد من تعريتهم امام انظار مؤيديهم بذكر حقائقهم ..

فما جرى في لبنان شيء فاضح، ولا يفيدنا في شيء ان ننكر او نتجاهل بان ما جرى ايام (المذبحة) يمكن ان ينسى بسهولة .. فالكراهية التي تفجرت وقتلت ودمرت واغتالت وفتكت ستصبح اشد خطرا اذا بقيت في النفوس والاعماق ..!

ان الذين عاشوا المذبحة بكل هولها وبشاعتها لديهم ما يروونه ، ولكنهم في خوف من سرد الحقائق . لهذا لا بد من ان نستعيد القدرة على الكلام بصوت عال لنتحدث عن انهار الدماء التي سالت ظلما .

الكتابة ..! كم نتساءل الآن ما هي ؟ ونتعثر ..!! ذلك ان الكلمة قد ذبحت ، وعلينا ان نعطي الحبر زخم الدم اذا اردنا لكلامنا ان يقرأ .. فما لم نعط الحبر الذي به نكتب مرتبة الشرف فان كل كلام سيسفح .. كما سفح الدم .

لنعترف اولا ان كل كاتب الان متهم ...

كلنا تاجرنا بالكلمة سلبا أو ايجابا ...

صحيح ان الذي سيحاول المحافظة على شرف الكتابة سيدمر .. ولكن الصحيح ايضا ان الارض في لبنان التي تقيأت من جوفها دماء الابرياء تريد ان تتطهر ، ولا يطهرها سوى دماء شهداء الكلمة ..

فاذا سقط شهيد قلم فان هذا السقوط وحده سيكون الهدية ، النجم ، لكل الابرياء الذين هدر دمهم ظلما ...

لقد فقدنا جميعا كل شيء حين وقفنا أمام (المذبحة) عـراة من كـــل فضيلة ••• ومن حق الناس اتهام الذين تاجروا بالكلمة الحرام •••

ان السواد أمامي وانا اكتب عن المذبحة كثير ••• ودم الابرياء من ابناء وطني يلون كل حرف •• كل سطر مما اخط •••

ان قصة المذبحة طويلة ••• وستكون تاريخا حافـلا بالفضائح التـي يندى له جبين الانسانية ، ولكن لا بد لهذه « المذبحة » أن تكتب في يوم ما• لا بد ان تذكر الحقائق مجردة بدون اصباغ وتلوين •

اعترف انني مضطر لان أتكلم عن القصص التي شاهدتها ، وعن الذين ارتكبوا الجرائم ، وفيهم من تشف حساسيته حتى لتضيق بهمسة نقـد ••• وفيهم الشباب الذين ظهروا بسلاحهم على الطريق كقطاع الطريق ••• وفيهم من تجمد قلبه وجفت مروءته ••• ثم علي ان أكون الراوية المحيط ، والناقد الذي لا يحابي ••• والمتنبيء الذي لا يكذبه الغد • • وعلي أن أرقص على الصراط فلا أهوى ، وان أعمل المبضع في بضع من كنت أحب وأحترم فـلا تسيل المحابر والدماء ••• أوليست هذه بالصعوبة الكبرى ؟

على اني سأحاول ، رغم الصعوبات ، ان اظفر بشيء لا أخجل بـه اذا قدمته ••• ولا تضيق به ، او تتسع عنه ، موازين المتقاتلين على الضفتين ••• وسأحاول الموضوعية ما استطعت ••• ولو اني أعرف أنها في الافق البديعي (الاستيتيكي) زئبقية الملامح كألاعيب الجن على المـوج ••• واعرف انـي لست بناج من متعصب يجرحني لمجرد اني قفزت من فوق افكاره ••• ولا من مخالف ينكر علي رأيا او أكثر من رأي ولو ذبحت الجهد ••• ومع ذلك فقد أقدمت رغم المخاطر ••• لقناعتي ان من اسباب المذبحة جهلنا بالحقائق ، وهي مشكلة الصديق الجاهل ••• وما دام الجهل مشكلتنا الاولى ••• والفواصل بيننا كبيرة والحيطان اضحت بيننا منيعة فلا بد من اقتحام غابـة المذبحة ••• ترى ما الذي جرى في لبنان ؟ ترى ما الذي سوف يجري ؟ هذا مـا سيرويه شاهد على المذبحة •

زهـير ماردينـي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

البداية

في ٢٦ شباط ١٩٧٥ ، جرت في مدينة صيدا تظاهرة قام بهـا صيادو السمك احتجاجا على شركة (بروتيين) فوقع اشتباك بين المتظاهرين وقوى الامن اصيب فيه النائب السابق معروف سعد برصاصة ادت الى استشهاده في ٦ آذار . فجرى تشييعه في جو حماسي خلا من وجود اية قوة لبنانية .

وفي ١٣ نيسان ١٩٧٥ وقع حادث كان بمثابة بدايـة (المذبحـة) ، فحوالي الساعة الحادية عشرة صباحا ، وكان نهار احد ، وبينما كان جمع غفير يتقدمه رئيس حزب الكتائب اللبنانية الشيخ بيار الجميل ، يحتفـل بتدشين كنيسة للروم الكاثوليك في شارع مار مارون ، في عين الرمانة ، قام اربعة مسلحين باطلاق النار على الواقفين خارج الكنيسة فقتل (جوزف ابو عاصي) مع ثلاثة آخرين . وبعد ربع ساعة ، وصل اوتوبيس يقل عناصر من الكفاح الفلسطيني المسلح وغيره .. فانهالت عليه النار من كـل جانب ، فقتل ٢٧ شخصا من ركابه ..

وتوالت ، بعد ذلك الاصطدامـات والاشتباكات ، واتسعت في بيروت وضواحيها ، وفي سائر المناطق اللبنانية ، حتى غـدت معارك حقيقية ، استمرت على مدى ١٩ شهرا .

نحن
الذين
نصنع
الفساد،
والفساد
هو
الذي
يقتلنا!

[redacted] مروا من هنا!

جميع الذين عاشوا (المذبحة) في لبنان عن قرب وتعايشوا معهـا لـم يستطيعوا اطلاق اسم معين عليها ... كانت الحيرة تمزق كيانهـم ... فلـم يسبق في العالم أن جرت مثل هذه المذبحة على مدى تسعة عشر شهرا دون ان تهز الوجدان العالمي او حتى تحركه ... وحتى الوجدان المحلي قـد تجمـد وسيطر عليه الجنون الجماعي ... من هنا كانت الحيرة في التسمية ...

هل نسمي ما جرى ـ مثلا ـ حربا أهلية مثل تلـك التي نشبت عـام ١٩٣٦ بين قوى الجمهورية ، وقوى الجيش الاسباني بقيادة الجنرال فرانكو ، ووقوف الفاشيين في ايطاليا والنازيين في ألمانيـا الى جانب فرانكو ، ووقوف الاتحاد السوفييتي الى جانب الحكومة الجمهوريـة ... بينمـا الحكومتان البريطانية والفرنسية تدعيان الالتزام بسياسة عدم التدخـل رغم انهما كانتا تساعدان بسياسة عدم التدخل ـ من طرف خفي ـ كلا من الاطراف المتنازعة لان هدفهما واحد وهو استمرار القتال الى أن يضعف كل من الفريقين فلا ينتصر على الآخر ؟ هل يمكن ـ مثلا ـ ان نعتبر ما جرى ويجري في لبنان حربـا كتلك التي كانت الى عهد قريب ، تجري في الهنـد الصينية بـين القـوات اليسارية في فيتنام وكمبوديا ولاوس .. وبين القوات المتحالفة مع الولايات المتحـدة الامريكية .!؟

هل يمكن ان يكون ذلك الذي جرى في لبنان من طراز ونسق الحرب الكونغولية التي كانت تستهدف استقلال (كاتنغا) ، او النيجيرية التي كانت تستهدف انفصال (بيافرا) ؟

ان جميع الدراسات القانونية والتاريخية ، ودراسات الحروب الشعبية لا تندرج بالمقارنة مع الحرب التي جرت في لبنان ... فالمذبحة في لبـنان لا تشبه اي نوع من تلك الحروب التي جرت في الساحة العالميـة على مـدى

القرون المتعاقبة ..

كما أنه لا يمكن بشكل من الاشكال وبصورة من الصور ان تدرج (المذبحة) تحت اي نوع من الحروب التي يمكن ان تسمى حربا بمفهوم القانون الدولي والدراسات التاريخية .

لقد أتاحت لي ظروف حياتي الصحفية ان أشهد جانبا من حرب الجزائر التي كانت تدور بين جبهة التحرير الجزائرية والقوات الفرنسية ... وأتيح لي ان اغطي بعض أخبار حرب التحرير التي قامت بين قوات اليمن ضد القوات البريطانية المتمركزة أساسا في عدن ... كما أتيح لي كصحفي ان أشهد الثورات والانقلابات والانتفاضات التي جرت في الساحتين الآسيوية والعربية ...

واقسم ان ما شاهدته بأم عيني في لبنان من مجازر وحشية ، لم أره ولم أسمع به ، ولم أقرأ عن مثيل له في كل ما شاهدته من حروب وثورات وانقلابات وانتفاضات ، وفي كل ما قرأت عن الحروب البربرية ، حتى عن الحروب الصليبية التي بلغت الذروة في البشاعة واللاانسانية ...

لم تعرف حروب التتر والمغول أبدا ما يمكن ان يطلق عليه (القتل بالهوية) ... لقد شاهدت العديد من بني البشر بينهم الشيخ والشاب والطفل يذبحون كما تذبح النعاج بعد ان ابرزوا بطاقاتهم الشخصية ؟

أحد هؤلاء وكان شابا لا يتجاوز العشرين ربيعا لم يكن يحمل هويته ، فأمروه بخلع ملابسه كلها بما فيها ستار العورة .. وعن طريق مشاهدة العورة تم قتله لان عورته دلت على هويته !!

وكان القتل يجرى بالرصاص والسكاكين والارجل ، والذين مارسوا هذه الوحشية كانوا من الشباب الذين لا يمكن ان يطلق عليهم وصف التخلف ... كان منهم طبيب الاطفال ـ اي والله طبيب أطفال ـ ومنهم

المهندس المرموق ومنهم مدير فرع لمصرف أجنبي ... ومنهم ايضا وايضا من لم يعرف في حياته سوى التهريب ، وامتهان القتل بالاجرة ،

لم يعرف تاريخ الحروب أبدا ما يمكن ان يطلق عليه (القتل بالهوية) .. ولم يعرف هذا التاريخ على كثرة ما عرف فئة من المقاتلين يحتمون بين الدور ويطلقون مدافع الميدان التي لا تستعمل الا في الحروب النظامية ، يطلقونها على المدنيين الآمنين ، فاذا القتلى بالعشرات والجرحى بالمئات ...

كما انه لم يعرف تاريخ الحروب ان الانسانية قد انعدمت بصورة مطلقة ونهائية كما انعدمت عند المتقاتلين ، في لبنان ..

فلقد ثبت بكل الادلة المانعة القاطعة ، ان وحوش الغاب أرحم وأنبل بكثير من هؤلاء الذين حملوا السلاح في لبنان وانطلقوا يقتلون ويدمرون..

ولو ذكرت القصص التي شاهدتها ، والحكايات التي سمعتها ، والروايات التي رويت عن هذه الوحشية لاحتجت الى ألف كتاب وكتاب ، ولو نشرت الصور التي التقطتها بنفسي ، والتي أخذتها من الصحفيين الاجانب الذين شهدوا المذابح عن قرب ، لملأت قلوب القراء رعبا وهلعا ...

ويكفي ان أقول ان حرب الابادة الجماعية التي عشتها في لبنان ، لم يعرف أحد في العالم العربي ، بل ولا في العالم كله بشرقه ومغربه مثيلا لها في وحشيتها وفظاعتها ...

ويكفي للتدليل على ان ما جرى في لبنان قد فاق الحد في العنف واللاانسانية واللاأخلاقية ...

يكفي أن أحدا من قادة المقاتلين على كثرتهم وتنوعهم ، لم يستنكر علنا ما فعله رجاله ، ولو من باب (رفع العتب) ... لقد مارس الجميع ، ابادة قطاعات كبيرة من قطاعات الشعب في لبنان ، فقتلوا ، وعن عمد ، الابرياء ، مستخدمين أفظع الوسائل وأكثرها وحشية وجبنا ونذالة . والذين اتيحت لهم

فرصة الاطلاع على ما تنقله أجهزة الاستماع العربية عن الصحف اليهودية ، وما تذكره نشرات أجهزة الاستماع نقلا عن الاذاعات الصهيونية ، أدركوا أن اسرائيل لم تسعد بشيء منذ وجودها الاغتصابي في عام ١٩٤٨ كما سعدت وتسعد بما يجري في لبنان من مذابح وحرب ابادة ..

وأي شيء يسعد العدو الصهيوني أكثر من رؤيته لبنان : « دما مسفوحا وعرضا مباحا » !!

(لبنان) الذي عرفه العرب ـ قبل المذبحة ـ لم يعد موجودا ..
بعضه دمرته (المذبحة) ..

عشرات الآلاف من أبنائه سقطوا قتلى وجرحى !

عشرات الآلاف من أبنائه أصبحوا بلا مأوى تضمهم المساجد والكنائس والاديرة ...

الهاربون من بيروت وحدها ، يبلغ عددهم نصف سكان المدينة الضحية ..

تسعمائة ألف لبناني ، كما تقول الاحصاءات الرسمية ، عبروا حدود لبنان جوا وبحرا وبرا هاربين تحت الأخطار الى البلدان الاجنبية والعربية .. هذا عدا ما قيل بأن سورية ضمت نصف مليون لبناني هربوا اليها !!

ولا أحد يعرف بالدقة كم عدد القتلى ... فهناك من يقدر هذا العدد بأربعين ألف قتيل ... وهناك من يزيد ويزيد ..

لكن الحقيقة الثابتة ، ان لبنان دفع أغلى ثمن في تاريخه من دماء أبنائه ...

أما أبناء النازحين الفلسطينيين ، فليس هناك من رقم حقيقي للضحايا من الشيوخ والنساء والاطفال والرجال والشباب ... لقد دفع الفلسطينيون بدورهم ثمنا فادحا في الحرب الوحشية .. (تقرير ياسر عرفات الى اللجنة المركزية به يروي أن عدد الضحايا الفلسطينيين/٣٩/ألفا) !!

أما خسائر لبنان المادية فتصل الى أرقام قياسية لا يمكن حصرها ، فما يقارب نصف لبنان نهب ودمر ...

انها (المذبحة) المروعة ، التي أشعلها اولئك الذين يضعون على وجوههم الاقنعة ، والدمى التي تتحرك بخيوط رفيعة لا تكاد ترى في العين المجردة.. كان الهدف وما زال نقل السرطان الى الجسم اللبناني ... لكي تطفأ آخر شمعات الحرية في الوطن العربي ... ونجح الهدف !!

لقد أمضيت قرابة الاشهر الثلاثة دون ان استطيع الاقتراب من القلم والورق والحبر ، فما شاهدته في لبنان على مدى ١٩ شهرا يتجاوز كل وصف اصطلح عليه الانسان منذ ان قتل قابيل أخاه هابيل ، مرورا بكل الفتن الدينية والطائفية والعشائرية على مر العصور ...

(مليشيا) بطابعها المذهبي ، تقاتل ميليشيا مضادة ... فصائل هذا الحزب تقاتل فصائل ذاك الحزب ، مسلحو قرية يقاتلون مسلحي القرية المجاورة ...

فصيلة من الجيش تنضم الى هذا الفريق ... وسرايا أخرى من الجيش تنضم الى ذاك ، وبعض الجيش يفضل الحياد ...

قائد عسكري يصدر بيان انقلابه الاول من اذاعة ومحطة تلفزيون تأتمران بأمره ، او بأمر غيره ، لا فرق ، فيرد عليه قائد عسكري آخر ببيان انقلاب مضاد يذيعه من محطة اذاعته وتلفزيونه ...

وينبري ملازم للجيش ليتحدى هذا وذاك من محطة ثالثة يعلن منها عن نفسه انه قائد . رئيس الدولة يتبرأ من رئيس حكومته ، ورئيس حكومة يتبرأ من رئيس دولته وجميع الاجراءات التي يتخذها ...

... منظمات (تحرير) مرابطة وغير مرابطة يستعصي على المراقب الحيادي حصر عددها او مسمياتها المثيرة ، تمتلك كل واحدة منها جيشا خاصا بها ، له قناصته ، ودورياته المدرعة ... واذاعته !!

وتحولت معاهد العلم والمكتبات الوطنية الـى أماكن لتدريب المجرمين على السرقة والقتل وهتك الاعراض !!

نواب في البرلمان يعلنون على الملا ويقسمون بالشيطان الرجيم أن أرباحهم من تجارة السلاح التي يجهزون بها المقاتلين دونما تحزب ولا تمييز ، لم تـزد على ١٢٪ لا كما يدعي منافسوهم ، وهم اعضاء فـي المجلس النيابي ، انهـا تجاوزت الربح المشروع …

ورجال الاحزاب ـ يا لرجال الاحزاب ـ مشغولـون بسوق السياسة السوداء … لكسب تأييد هذا الفريق المحارب وذاك … ورضا هذه الدولة وتلك ، لقبض ما يفتح به الله من رزق (حلال) …

وصحف صفراء وحمراء وسوداء تصدر في مواعيدها مـن بين الحرائق والانقاض وجثث الموتى المتعفنة ، ومن تحت سماء مظلة الصواريخ ومدافـع الهاون والقنابل والرشاشات ، وهي تشحذ همم المقاتلين الذين يدافعون عـن (حرية) الموت ، وتشيد ببطولات وتضحيات الذين يغامرون بأرواحهم لنسف او حرق ممتلكات الابرياء ..

… حكومات عربية ، وغير عربية ، أقامت الجسور الجوية والبحريـة والبرية ، تمد (المذبحة) بالوقود كلما أوشكت على الانطفاء .. تغذي جنون المقاتلين بالذهب والدولار والدينار لتظل نفوسهم مستعرة بلذة تجارة الموت وعمارة الخراب والتدمير …

والناس … او الطوائف … سكارى وما هم بسكارى من عـذاب حافة اخرة الدنيا ، لا يدرون ماذا يفعلون … يهاجر من يمتلك منهم المـال بعيدا عن الجحيم ، ليجدوا أنفسهم في جحيم أشـد وأقسى الا وهو جحيـم الغربة … هربوا تاركين وراءهم ما ملكت أيديهم وما جنوه طيلة حياتهم .. ويعتصم آخرون في الجبال في حمى هذا الفريق وذاك مقابل ديـة ترتفـع أسعارها وتنخفض حسب العرض والطلب … فـاذا الصواريخ تزورهـم

مؤكدة لهم ان حال الهارب الى الجبل كحال المقيم في السهل والمدينة !

وبينما يلهو الآخرون بلعبة الموت ... ويستكين العاجزون في بيوتهم ليموتوا تحت الانقاض ، ينفرط العقد الذي ينظم المجتمع اللبناني ، فلا روابط بين العائلة الواحدة ، وكل يهرب برأسه وهو يود ان تطاح جميع الرؤوس دونه ...

وشعوب تقرأ وتسمع ما استجد من جنون الاقتتال ، ووحشية وبربرية التقتيل والتخريب واشعال الحرائق ... ومنع اطفاء الحريق ، وتعمد قتل الناس بالجوع والعطش ...

وتدير هذه الشعوب أجهزة راديواتها على الاذاعات الاجنبية لتستمع الى ما يقوله العالم عن لبنان الجريح وهي اقوال لا يجرؤ قلم عربي واحد : يمتلك ذرة من الحياء والشرف ، ان يأتي على ذكرها ، أو حتى يفكر فيها ...

***

رب سائل يسأل هنا كيف كنتم تعيشون وسط هذا الجحيم ؟

كيف تحملتم الجوع والعطش والخوف ؟

من الصعب على أي كاتب مهما بلغت قدرته في التعبير ان يصف تلك الحالة التي كنا نعيشها وسط دوامة الرعب ...

اذا نظر الناس بعضهم الى بعض ... وحاول كل واحد ان يفرك عينيه اللتين اضناهما التحديق في المجهول .. ثم حاول ان يسمح اذنيه اللتين خف سمعهما من دوي القنابل والمتفجرات والصواريخ وطلقات الرصاص الحارق. وانتفض بعضهم وراحوا يضربون رؤوسهم في الحائط كان رؤوسهم ساعة حائط قديمة وقفت وفي حاجة الى هزة عنيفة ... فلا بد أنهم معذورون ... لان ما يشاهدونه من أصناف الفواجع على الارض اللبنانية شيء غريب .. وشيء مختلف عن كل المذابح التي سمعوا بها ..

فهؤلاء الناس الذين رأوا الصواريخ تزورهم في الليل والنهار تدمر وتقتل، ورأوا أطفالهم يصرخون نريد ان نأكل ••• ونساءهم تطالب بالماء ، ولا ماء ، من حقهم ان يتساءلوا ••• لماذا كل هذا ؟

وحين لا يأتيهم الجواب يقولون :

من هو المسؤول عن كل هذا ؟

شيء من هذا ••• او مثل هذا ••• حدث للمقيمين في لبنان ••• فخلال ما يقرب من سنة ونصف سنة هزم الانسان في لبنان •••

هدم المتقاتلون مقاييس الحرب والقتال ••• والنصر والهزيمة ••• دم ••• دم ••• وسقط كل شيء ، بل انهار كل شيء ••• ولم يعد أمام الانسان الا الاستسلام لليأس ••

كنا نقف أمام الاحداث التي تفتت الصخر ، كما يقف الانسان امام ميت •• وفقدت الارقام دلالتها ••• كان رقم سقوط مئة قتيل وثلاثمئة جريح والعثور على ثلاثين جثة في يوم واحد لا يهز الناس ، حتى ان الصحافة عادت لا تنشر مثل هذه الارقام في صفحاتها الاولى ، بل تركتها للصفحات الداخلية كانها اعلانات مبوبة ، لقد تجمد التاريخ عند هذه الاحداث ، وتجمدنا نحن••

لم يكن لدينا ما نفعله أمام ما نراه ونسمعه ••• وانقسم الناس الى قسمين :

الاول يتهم المقاومة الفلسطينية وحلفاءها بافتعال هذه (المذبحة) ••

والقسم الثاني يتهم الكتائب وحلفاءها ••

وضاعت الحقيقة ••• ولم يقل أي من الطرفين ، او القسمين بأننا هزمنا حين هزمنا الانسان فينا ، واننا فشلنا لاننا سحقنا العقل واطلقنا للغرائز البدائية العنان !!

نحن نعرف الآن الكثير مما كنا نجهله قبل المذبحة ... فهل الذي نعرفه يكفي ؟

هذه مشكلة ...

أو هل من الممكن ان نهرب من مثل هذا العار القومي الذي لحق بالجميع ، وأدان الجميع ... فنشغل أنفسنا بأشياء أخرى ... ونغرق همومنا في انفعالات أخرى ...

او نقبل باعلان افلاسنا ؟

كنت أسأل جميع من أعرف من المفكرين والكتاب : هل تكتب اي شيء ؟ هل تفكر ؟ فيدير سامعي نظراته حولي كأنه يرى معتوها ؟

ذلك ان الكلمات قد فقدت معناها ... والكلمات مثل عملات انكشفت ... لم يعد لها غطاء ذهبي ... فالناس بعد ان رأوا ما رأوه من وحشية وفظائع تندى لها جبين الوحوش الضارية عادوا لا يعرفون معنى الغطاء ... معنى العملات ... معنى الذهب ... انه نفس الشعور الذي يغمر المعتوه..

فلم يسبق لاي شعب في الدنيا ان شاهد دولته تنهار بمثل هذه البشاعة ...

لم يسبق لاي شعب في الدنيا ان أحرق بيديه مؤسساته العامة والخاصة وهو يرقص .!!

وكان هناك ما هو أفظع من كل هذا ، وهو ذاك الشعور الآخر المؤلم : وهو الارتياح لهذا الشعور ، فكان المقاتلون يروون بفخر واعتزاز كيف اقتحموا دور الحكومة والمكتبات ودمروا وأحرقوا ما فيها على من فيها ...

وفقدنا الامل بكل شيء ...

فقدنا الامل بالسياسيين ، وبرجال الاحزاب ، وبكل ما انتجته المذبحة

وما أفرزته من قيادات ... وفقدنا الامل بوقف اطلاق النار بعد ان رأينا القرار رقم ٥٤ من قرارات وقف القتال ينتحر على مصباحه كالفراش !!

والاهم من فقدنا الامل بالحاضر ، فقدنا الامل بالمستقبل ... ووقفنا أمام الجثث الملقاة تحت الجسور ونحن أتعس حالا من الجثث التي عادت لا تشعر وتحس ...

والقينا بالايام والاسابيع والشهور الى البحر ... فلا أيام ولا شهور ولا سنوات بعد ذلك ..!

وجاء بعض الحكام العرب الينا يسألون ، ولكن بعد فوات الاوان ..

كنا حين وصلت بعثة الجامعة العربية مع قواتها الرمزية الى بيروت كنا نستكثر على انفسنا حتى ان نعيش ..

فنحن لا نريد ان نضحك ... لقد نسينا الضحك أصلا ، ونسينا البكاء ، وما بين الضحك والبكاء ...

نحن لا نريد ان نرى اي شيء جميلا ... لقد طبعت صور الجثث المشوهة على جباهنا ...

وفي أي مكان نتجه اليه نكنش من فوق وجوهنا ذباب الخزي ، ونمسح من وجوهنا طين العار .

***

ان تعيش في مجتمع مجنون لم تعد الارض فيه ملكا لبني الانسان شيء مرعب حقا ، خاصة بعد أن أصبح الناس لا يتصرفون تصرف البشر ... فلأول مرة في تاريخ هذه المنطقة العربية يصبح الخيال أضحوكة والواقع يمد لسانه للاسطورة ... ان القاتل الذي مارس الاجرام المتعمد لم يكن يعيش في الغابات ولا في الادغال ولكن وراء المتاريس وعلى أسطحة المنازل ، يقتنص الابرياء وهو أشد قسوة من وحوش الادغال ، صحيح ان وجوههم تشبه وجوه الانسان بل وان المرء ليخلط غالبا بين الانسان وبينهم ، لكنه بعد ان

يسمع حديثهم لا يلبث ان يعرف انهم تحولوا بحكم ممارسة القتل اليومي الى نوع جديد من البشر . انهم لا يتصرفون تصرف بني الانسان ، ولكن تصرف البنادق ... لقد أصبح لهم مقاييس زمنية لتحركاتهم بـدلا من القلوب ... وكانت المأساة البشرية متشابهة في السهل والجبل ... لقد استل المقاتلون الروح من الشعب ، ووقع المجتمع اللبناني بين أيدي الوحوش ... يتقن فيه المقاتل افناء أخيه ... لكن هذه في الحقيقة ليست الا وصفا غبيا لما كان يجري في لبنان ، فالمأساة كانت أعمق من كل الالفاظ والنعوت ، قشة اعصار هائل ثار وانطلق ... وليس هنالك في الافق ما يدل على ان الله قد اشفق على الانسان في لبنان ، كما حدث في سفينة نوح فوق الامواج ، فطفا البعض من بني الانسان الذين ظلوا على انسانيتهم ، فوق دوامات ذلك الخراب الجماعي الهائل ، وعملوا على الإنقاذ ... ان كلمة الانقاذ هي الاشعاع الوحيد الذي ظل يتضاءل على مدى ١٩ شهرا . ولكن هذه الكلمة بدورها قد سحقت لكثرة ما رددها سدنة الجريمة ومضغوها في افواههم ..

ترى هل بامكان الذين نجوا مؤقتا ان ينقلوا للناس بعض المشاهد التي عاشوها ، والتي تشبه اعماق جحيم انسانية معذبة ؟

ان آلوف الافكار تدوي في رأسي وتموج وأنا أحاول الاقتراب من المأساة لاروي بعض تفاصيلها ، غير انني ما ان أبدأ في الكتابة حتى ارى لهب النار يتراقص أمام عيني ، فأشعر ان يدا خفية تعتصر قلبي . . ذلك أنني كنت أخاف من المتعصبين ، والمتعصبون لا يحترمون قوانين المنطق ، وكل محاولة لاستعمال الكلمة الصادقة تجابه لقائلها المزيد من الاراجيف ... وبما انني اعتدت على هذه الاراجيف والفتها والفتني صممت على اقتحام غابة الوحوش الضارية ... وحين بدأت أخط السطور الاولى على الورق كان جسمي كله عبارة عن جرح عميق ، وظل عقلي وحده متيقظا ...

كنت أرى المجتمع اللبناني يتمزق ، وكنت أتمزق معه ، وكنت على ثقة بأن مجتمعا يتكون افراده ، من وزيرهم الى أدناهم على نحو مخجل لا يمكن الا ان ينهار ... وحين بدأ ينهار لم يطف على السطح مسؤول واحد لديه

الجرأة كي يقول الحقائق ! وأطل الخوف بهوله يتحكم في الاقوال والافعال. وكان خوفا جديدا لم يسبق ان ألفته ...

لقد عرفت الخوف القديم الذي عاشته شعوب الانقلابات والانتفاضات والثورات ... ولكن الخوف الذي عشته في لبنان كان جديدا على الانسان. كنت أخاف من الارض والكلمات والهواء ... لقد عرفت سجون الانقلابات ومع ذلك لم أكن أشعر بالخوف ... حتى حين رأيت الاجساد تتقطع أمامي تحت السياط لم أكن أشعر بكل هذا الخوف الذي كنت أشعر به في بيروت.. ولم أرتعد مرة امام انسان لاني اعرف ان بني الانسان يتمتعون بطيب النفس وخبثها معا ، فكان بعضهم ميالا للطيبة والبعض الآخر للخبث ، لكنهم جميعا يجمعون بين الاثنين ... اما في بيروت فقد ارتعدت فعلا في يوم (السبت الاسود) حين رأيت رشيشا يحصد العديد من البشر لمجرد انهم كانوا من طائفة غير طائفة القتلة ... وكنت أطل على هذا المنظر من نافذة عالية فأغمي علي ... ومنذ ان افقت وأنا أخاف ... فقد كنت أشعر باحساس غامض ينذرني بانني سأؤخذ ذات يوم واذبح لانني من طائفة معينة ... وكان معنى ذلك ان كل عدالة هنا قد اختنقت بعد ان خافت .. وبهذا لم يعد المخلوق من لحم وعظم القادر على الشعور بالفرح والالم موجودا ... وأصبحنا جميعا لا وجود لنا و لاأثر ... اننا عديمو الوجود ... ان وجودنا مقتصر على اعتباره كسرا في الحسابات ... كان واحدنا حين يحصل على رغيف الخبز يود لو يأكله وحده ... وحين يعثر على ابريق ماء يتمنى ان يشربه وحده من دون الناس ... وكان على الجميع ان يواجهوا المقاتل الوحش الذي يختبىء في زوايا البنايات ويبعث بصواريخه الموجهة الى الابرياء دون تمييز ... حتى الهرب من مجتمع الشيطان لم يعد متوفرا ، واسقط في يد الفقراء خاصة ...

سألني مرة قريبي وكان عمره يتجاوز التسعين عاما ، وكان يزورني :

ـ هل سأراك غدا ؟

قلت : اذا بقيت حيا ستراني فمن يدري ماذا سيحل بي بعد ذهابك ..؟

في اليوم التالي لم أقتل أنا بل قتل قريبي ... دخلوا عليه وأمطروه ١٥ رصاصة وتركوه يغرق في دمائه ثم اندفعوا ينقلون أثاث المنـزل ... وقد تفضلوا بتشويه وتحطيم كل ما لم يستطيعوا حمله ... كان منظرا بشعا حقا رؤية شيخ في التسعين يسبح في بركة دماء وعلى وجهه جواز سفره مغموسا بالدماء لانه كان من جنسية غضب عليها فجأة في ذلك اليوم ...

لم يكن هدفهم قتل قريبي بل نهب منزله ، فبعد ان نهب نصف لبنان صعدوا الى (الشنق) لنهبها . هذه صورة من الصور التي كانت تطالعنا صباح مساء ... صور تمثل رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا بين قتلى في الشوارع وتحت الجسور وفي غرف المنازل ، وظلام في الليل ، وجوع وعطش في النهار ، وسيارات شحن تنقل الجثث مع الزبالة ...

وكان على الجميع ان يعيشوا مع الوحوش البشرية ..

ان الرجال يستطيعون ترويض الثعابين ، والسيطرة على الاسود والنمور ... لقد كان لدى موسوليني نمران في مكتبه ... لقد حولهما من وحشين ضاريين الى حيوانين أليفين ... ان الانسان يستطيع السيطرة على كل الحيوانات المفترسة ... غير ان حيوانا جديدا ظهر في لبنان بين عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ، وهذا الحيوان الجديد اسمه (القناص) ، انسان من لحم ودم لا يعيش في الغابات ، ولا في الادغال ، ولكن بين الناس ، ومع ذلك فانه أشد قسوة ووحشية من الحيوانات المتوحشة في الادغال ... ان لهم رغبات الوحوش الضارية ، مع أنهم ليسوا وحوشا ضارية ... بل ان بعضهم كان حتى الامس القريب من النخبة المثقفة التي تحتل المناصب ، وتتلقى العلم في الجامعات ... واعتقد أنهم كانوا يتصرفون في حالة من حالات اللاوعي ... كان الافضل ان يتحدث الانسان الى الحجارة بدلا من ان يتحدث اليهم ، ان اي عاقل او حتى مشروع عاقل لا يستطيع ان يوفق في اثارة اشفاقهم ... او اثارة فضولهم ، او في ايقاظ العواطف فيهم ، او حتى في ايجاد اي رد فعل في نفوسهم ... لقد أصبحوا بلا شعور ... والشفقة غريبة عنهم ... ولو اقتطع اسيرهم جزءا من جسده ، وكتب عليه بدمه الساخن ، مستجديا

رحمتهم لن يقرأوا شكايته ؛ بل انهم لن يعرفوا انها قطعة من اللحم ، اللحم البشري الساخن ...

ان الذي يدعو الى المرارة هو انك تحت وطأة الظروف مضطر الى ان ترى هؤلاء صباح مساء بأسلحتهم وثيابهم ، في الشوارع ، وداخل السيارات المصفحة ... وأحيانا فأنت مجبر على استقبالهم . أن الزمن الذي كنا نعيش تحت مظلته يشبه الى حد بعيد تلك الصورة التي رسمها الشاعر (ت . س اليوت) بريشته حين قال :

ان كل رعب يمكن ا نيحدد
وكل حزن له نهاية ما :
ليس في الحياة وقت نكرسه للاحزان الطويلة ،
لكن هذه ، انها خارج نطاق الحياة ، خارج نطاق الزمن .
انها خلود مستمر للشر والطغيان .
لقد تلوثنا بقذارة لا نعرف كيف نغسلها ،
قذارة متحدة بالهوام الخارقة للطبيعة ،
لسنا وحدنا ، وليس البيت ، وليست
المدينة التي تلوثنا ...
بل ان المجتمع كله هو الذي تلوث ..

هذا هو الوضع الذي كنا نعيشه في بيروت حيث لا كهرباء ، ولا ماء ، ولا هاتف ، وكان في جعبة كل منا مئات القصص الحية التي تكفي احداها لكتابة رواية كاملة ...

حدث مرة انني ذهبت بعد يوم خرست فيه القنابل لتفقد قريب لي يسكن على بعد أمتار قليلة من مستديرة الطيونه على طريق مطار بيروت الدولي ... ذهبت سيرا على الاقدام لانني لم أعثر على مجنون واحد يقبل

ينقلني في سيارته ... وهناك داهمتني القنابل والصواريخ فلجأت الى (كعب بناية) فاذا بي وجها لوجه أمام قريبي الذي أصيب بثلاث رصاصات فـي جسده وراح يزحف قرابة ألف متر حتى وصل الى حيث وصلت ... لم يكن قد فتح عينيه قبل وصولي ، وما ان سمع صوتي حتى رأيته يباعد بين شفتيه ليتساءل :

ــ عطشان ..!

قلت له وأنا أبلع ماء دموعي :

من أين لي أن آتيك بالماء وأنا لا أستطيع الحراك من هذا الرصاص المنهمر ...

وأخذت أتساءل عما يمكنني تقديمه الى الجريح .. لم يكن حولي ما يشرب ... تذكرت اني قرأت ذات مرة ان جنود جنكيز خان كانوا عندما يجتازون الهضاب والقفار دون ان يجدوا ماء يشربونه ، ينزلون عن صهوات جيادهم ، فيفصدون بخناجرهم شريانا من شرايين الحصان ــ عرق الحافر ــ ويمتصون الدم . ثم يضمدون الجرح ، ويسيرون الى الامام .

وهكذا كان جنود جنكيز خان ، لا يأكلون ولا يشربون طيلة أيام وأسابيع الا تلك القطرات من الدم الحار ... وسوس هذا الخاطر في نفسي فأردت أن أمنح الجريح قطرات من دمي لاروي عطشه ، ولعل الدم يفيده .. وارتفع صوت الجريح :

ــ عطشان ..!

وأعدت له العبارة بأن ليس عندي الآن ما يشرب ، فالبناء الذي يحمينا ليس فيه أثر للحياة ، فجميع السكان قد غادروه ، وان السائل الوحيد الذي استطيع ايجاده والذي أقدمه بكل سرور هو قطرات من دمي ، من دمي الشخصي ...

ــ عطشان ..!

وأبلغت الجريح عن عزمي فانتفض وصاح :

الشيطان وحده هو الذي يشرب دم الانسان ... فأجبته :

ان الذين أطلقوا عليك الرصاص هم من الشياطين الذين شقوا الارض واندفعوا بأسلحتهم يقتلون ويفتكون بدون هدف ...

ـ عطشان ..!

هذه آخر لفظة انطلقت من فم الجريح ... وحين وضعت رأسه على الارض لكي أذهب فأبحث له عن جرعة ماء كان الجسد بـاردا ... ولاول مرة أعرف ان الميت تفارقه الحرارة ويتيبس !!

ومع كل هذا كنا نستأنف الحياة اليومية ... كانت حياتنا المتبقية في أجسادنا قد تحولت كلية الى حركات آلية تقوم بها العضلات ... اما الغرائز والعقل والارادة فكانت ميتة ... لم يكن باقيا من اجسادنا الا الانعكاسات الآلية وحدها ، وقد اتسعت وعمت الجسد على شكل تشنج ، كذلك الذي يسبق النزع ويرافقه ، وتحولت الحياة الى حركة رتيبة ، لا تفكير فيها ولا ارادة ... وأضحى تفكيرنا مطبوعا بطابع الشذوذ .. نشعر ان جميع المقاتلين والسياسيين والقادة والمسؤولين يرقصون على ايقاع تقلصات أجسادنا ، رقصة شيطانية يشارك فيها الرئيس والوزير والقائد وكل الآخرين الذين يملكون وحدهم تحريك القطيع البشري ودفعه الى المسلخ ! يرقصون على ايقاع صرخات الاطفال وأنين الشيوخ وبكاء النساء ... ويستمر الرقص على أنغام أصوات المذيعين الذين (يجعرون) من خلف المذياع بما سرقوه من الكتب المترجمة !!

* * *

من المؤكد انه قد كتب ، وسوف يكتب الكثير عن تلك الايام من حياة لبنان التي يسميها البعض بالحرب الاهلية ، او الحرب الطائفية ، او (المذبحة) ... وأول ما تجب ملاحظته هو ان هذه الاحداث التي جرت على امتداد تسعة عشر شهرا لم تكن حربا بالمعنى المفهوم التقليدي لكلمة حرب . فالواقع انها كانت عمليات تدمير وتمزيق مأساوي للمجتمع العربي كله ، كانت

فضيحة كبرى كشفت للعالم الخارجي عن حقيقة المأساة التي يعيشها المواطن العربي ••• وسيبقى جرح لبنان حيا ••• وستستمر المأساة كالسوط لا يهدأ في أيدي النخاسين حتى يزول السوط والنخاس ••• تراها باقية ؟

••• وتمطت من الجاهلية الاولى صورة ابي قابوس المنذر ويؤم بؤسه السنوي لتتصل بيوم حادثة (باص) عين الرمانة ، ويوم السبت الاسود ، والاحد الاغبر •• ويوم المسلخ والدامور والنبعة وتل الزعتر والقاع ودير عشاش وتل عباس وبنت ملات •• شهر اثر شهر ، أيام بعد أيام تحولت بعبقرية شيطان عجيب من محرضات تلامس نخوة المعتصم الى أيام بؤس مكرورة تنتشلها دورة الارض حول الشمس ، من مستقرها ثم لتعود فترميها في غيابة المحفوظات العربية ••! الذين انغرست الفضيحة في لبنان كاللعنة الابدية ، سكينا جائعة وراء الشغاف والاعصاب يخشون على هذا الجرح ان يهدأ ••• ان ابتلعه الحذر فقد يعني ذلك بعض الموت ••• ورحم الله الموتى يوم (ما لجرح بميت ايلام) •••

ان اليوم الذي وضع العرب وجها لوجه ولاول مرة امام المعضلة الشكسبيرية المصيرية : ان نكون او لا نكون ، لم يكن يوم وعد بلفور ، ويوم التقسيم ، ويوم الاسكندرونة ، ويوم ١٥ (مايو) ـ أيار ـ ١٩٤٨ ، ويوم دير ياسين ، وقبية ، وكفر قاسم ، ويوم (الخاموس) من حزيران ١٩٦٧ ، ثم أيلول بعد حزيران ••• ولكنه أيضا وأيضا يوم عين الرمانة ، والسبت الاسود ، والدامور ، وتل الزعتر ، وبيت ملات ••• وكما اعتاد الناس على أيام دير ياسين وقبية و ••• و ••• فيجب ان لا نعتاد على الايام التي تلت ••• يجب ان لا يصبح المصير معه مصير ذلك الرجل التعس الطالع الذي عرف المنجم سوء حظه في كفه فرفض ان يكشف له خبايا قدره ، فلما ألح والحف قال له عندك عشر سنوات من التعاسة والشقاء والبؤس والمهانة والمتربة ••• وقال الرجل في لهفة :

وبعد ذلك ؟

قال المنجم : تكون قد اعتدت ...

هذا الاعتياد على الفضائح العربية التي لم يكن آخرها فضيحة لبنان هو ما ينتظره العدو على الجانب الآخر من الجبهة ، لانه يعرف انها صور أخرى من العجز والكساح أمام القدر (الاوديبي) المحتوم ... ستتكرر !!

(كما اعتادوا سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ سوف يعتادون سنة ١٩٧٥ و ١٩٧٦) بهذا الامل ينتظر رابين وينتظرون ، ويلعب ويلعبون جميع الاوراق معا ...

قبل أن اقترب من غابة الاحداث التي عاشها لبنان مع أسبابها ومسبباتها لا بد من التوقف لحظات لاقول بأن العرب أيام (المذبحة) كانوا في مقاعد النظارة يتفرجون على القتال الدموي ... من العرب من يقتل ... ومن العرب من يتفرج !! أما القوى الكبرى قبل المذبحة وأثناءها فانما كانت تلهو بالشرق العربي وتتحداه وتستغله لانها رغم حرب رمضان ، وحرب البترول لم تجد فيه خطين يلتقيان في طريق ...

سورية ضد العراق وبالعكس ..

المغرب وموريتانيا ضد الجزائر وبالعكس ...

ليبيا ضد مصر ... ومصر ضد ليبيا ومعها السودان وثلاثة أرباع العالم العربي سرا ...

منظمة التحرير الفلسطينية يصعب حصر خصومها العلنيين ، وأعدائها السريين ...

اما الكويت فانها لم تذبح ولكنها شاهدت ذبح لبنان فتحفزت !!

وعندما بدأت (المذبحة) ضد لبنان وفي لبنان كان المواطن العربي المسحوق غريبا عنها غربة كاملة لانه كان مبعدا عن الاحداث التي تجري في وطنه وخارج وطنه الابعاد الكامل ...

بدل الاسلحة الفاسدة عام ١٩٤٨ كانت هناك الادمغة الفاسدة والقوى

الفاسدة ... أما الشعوب ، عفو الشعوب ، فلم تكن بحاجة الى تلك الأزمة السوداء في لبنان عام ١٩٧٥ لتعرف ما بينها وبين الانظمة من انقطاع وغربة . كانت قد انقطعت عنها منذ زمن طويل ... وعلى التحديد منذ ان قفز حسني الزعيم ، عام ١٩٤٩ على السطح وقبض على عنق سورية وحكم على سبيل التجربة/١٣٥/يوما .. وبعدها كرت المسبحة في أرجاء الوطن العربي ...

منذ ذلك اليوم الاسود من حياة الامة العربية ١٩٤٩ والانظمة لا تتخلى عن دورها المسرحي الاحتكاري للقضايا العربية ... والا فما الذي يفسر لنا أسباب الصمت حيال ما كان يجري في لبنان من ذبح شعب بكامله .. ومـا مداه ؟ أليس من الغريب ان جميع البعثات العربية التي جاءت لتسأل في لبنان عن أسباب ما كان يجري فيه انما كانت تتظاهر بانسانيتها كأن الامر لا يعنيها، ولا يعني الانظمة العربية ...

استطيع ان اؤكد ، ولدي الدليل والبرهان انه مـا من مسؤول عربـي جمع شخصين معتمدين من قبله فعهد اليهما ببحث هـذه (المذبحة) وأسبابها وطرق تفادي مثلها او أشد منها نكرا ... يظهر ان « ازلامهم » ليس لديهـم الوقت لتبليغهم ــ او لعلهم لا يعلمون ولا يهمهم ان يعلموا ــ ان العدو جمع خير خبرائه والعلماء في لجان ومؤسسات لدراسة تلك المذبحة ...

وأستطيع أن اجزم ، ولا ألقي الكلمات دون تمييز ، ان منظمة التحرير الفلسطينية ، بكل فكرها لم يكن حالها بأحسن من حال الانظمة التي تحالفت معها ، والانظمة التي خاصمتها !! وهذا الكـلام سبق لي أن رددتـه أمـام العديد من القادة الفلسطينيين قبل (المذبحة) وأثناءهـا ... وقلت لهـم ان الثورة الفلسطينية لم تتمكن من أن تضع نظرية للثورة التي تواجهها ...

الذين يحلو لهم ان يتسطلقوا بلينين يأتون به من أذنه كلما بحثوا هـذا الموضوع فينصبونه على الاسطر ليكرر عبارته (لا ثورة بدون نظرية ثورية) هم انفسهم الذين يأتون بماوتسي تونغ ليقول (من ينقل النظريات فانه كالذي يبري قدمه ليلائم الحذاء ...) او كما قال : (فانهم مع ذلك يبرون أدمغتهم

والاقدام لملاءمة الحذاء الغريب) ... لقد أثبتت الايام اننا نستعير قضايانا الغير لتكون لدينا قضية ... ومع القضية نستعير الفلسفات !

كانت المذبحة تجري في لبنان والمطابع تتدفق بفيض من الحديث عن (الطبقة) و (الاستراتيجية) و (اليسار) وما وراء الجدلية ومما تحت « هيجل » وما قال (هوشه منه) .. فاذا الناس يدخلون طائعين او كارهين في السديمية الايديولوجية ... حتى باتت تلك الالفاظ تمارس الدور السحري الذي كانت تمارسه ، في الطقوس البدائية الاولى ، تعاويذ السحرة ... مع الرقص والبخور والارهاب الفكري أيضا بكل عنفه وضراوته ...

كل ما رموه في ساحة الاعلام لا يتعدى استبدالا في الشعارات مع استمرار الاختفاء ... كالذي يحول الماء من اناء مكعب الى اسطوانة مستديرة ، او زجاجة سوداء الى بلور أحمر ... أبدا لم تستطع أي حركة لدينا ان ترتفع عن مستوى الطفولة الثورية ومنهج التجربة والخطأ والبدء مع تجارب الامم من الف باء تلك التجارب ومن الادب الثوري الذي أفرزه القرن التاسع عشر قبل لينين بكثير . ولا أريد أن أضيف الى ذلك : الغرور والجهل وتزييف التحليل والتجارب ... فالحديث ذو شجون وليس هنا مكانه ...

ولست أريد ان انتصر هنا لنظرية معينة .. بعد أن انتحرت كل النظريات على أرض الدم .! ان اخطاء الثورة الفلسطينية كانت من بين الاسباب التي جرت الاقتتال الى (الصحن) .. وهناك ايضا خناجر الليل والقنابل كانت لها دوافع اخرى .. هل تذكرون ما الذي فعله ادم وحواء يوم وقعا في الخطيئة ؟.. بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليها من ورق الجنة .. يوم بدت السوءات في يوم عين الرمانة والسبت الاسود والدامور ، وتل عشاش ، وهكذا كانت الثورة الفلسطينية ورقة التوت لبعض الانظمة العربية لان هذه الانظمة ليس لديها الستر والثياب .. وخرج الجميع الى العراء حتى بدون ورقة التوت .

• الأرض مسرح تمثل عليه مأساة واحدة متعددة الأسماء •

[redacted] من احرق بيروت وسرقها ؟

هناك في احدى ناطحات السحاب بمدينة واشنطن ... وفي الطابق الثاني عشر حيث يعقد (مركز اللعب) اجتماعاته رسمت الخطة في أوائل ١٩٧٤ لتبديل النظام في لبنان بأسلوب (النفس الطويل) عن طريق احداث قيادات شابة تحل محل القيادات الهرمة التي لم تستطع ان تتكيف، او تكيف النظام على ضوء متطلبات سياسة (الوفاق) ـ الاميركوسوفيتية ـ .

ولتحقيق هذا الهدف الكبير كان لا بد من حدث كبير ... وهذا الحدث الكبير هو بالتحديد احراق قلب لبنان وهو مدينة بيروت العاصمة ... هكذا قرروا ..! واشنطن قررت ، وموسكو لزمت الصمت !

وقد سبق ان عقد (مركز اللعب) اجتماعات مماثلة قبل ذلك وفي مطلع الخمسينات ، وبحث المجتمعون تبديل النظام في مصر ... وكانت المقدمة لذلك الحدث الكبير احراق مدينة القاهرة .!

في ٢٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٢ احرقت مدينة القاهرة ، وقيدت الجريمة ضد مجهول ..

وفي أيلول ١٩٧٥ بدأ احراق مدينة بيروت ، ولا يدري أحد حتى الآن هل سنعرف اسماء المجرمين الحقيقين الذين أقدموا على هذه الجريمة عن سابق تصور وتصميم ... ام ان الجريمة ستقيد بدورها ضد مجهول ؟

لن ننتظر ظهور نجمة الصبح للكشف عن العوامل التي أدت الى حريق بيروت ثم سرقتها ... ذلك لان الاسباب التي من أجلها احرقت القاهرة انما هي نفس الاسباب التي أدت الى حريق بيروت وسرقتها . .

وليس الهدف من وراء الكشف عن الملابسات التي أدت الى الحريقين

الجري وراء شهوة في النقد او المادية ، او الدفاع عن يسين ضجت الارض والسماء من جهله وغبائه الاسطوري ، او الهجوم على يسار تعلم الارض والسماء انه يفكر بعقل غيره وينفذ بأدوات سواه ... ذلك لان الهدف أكبر من هذا .. وارفع ..! ملاك الامر الا تتكرر المأساة التي وقعت بعد حريق القاهرة حين انهارت واجهات الحكم الدستورية الوطنية واستبدلوا بها واجهات ديكتاتورية ، لملموها من هنا وهناك ونصبوها لتحكم فنبتت الخطايا التي أدت الى احراق بيروت وسرقتها ، وهنا تكون المواجهة ضرورية..!

ان هذه الكلمات لا تعدو صيحة في وجه هواة التزييف ، ورافعي شعارات السفه ... صيحة في وجه من ينظمون الكواكب عقود مديح لهذه الايديولوجية او تلك .. صرخة لتوقظ . انها لا تعدو كونها شمعة لتضيء الطريق أمام الذين لا يعلمون ... انها حصيلة لقاءات مع شخصيات مصرية كريمة مسؤولة شهدت حريق القاهرة وسرقتها ... وقد أخرجها الاعصار المدمر الذي لف الوطن العربي على مدى ربع قرن من دائرة الضوء الى دائرة الظلام ، وحين عاد من بقي منها حيا الى دائرة الضوء من جديد جوبهت بحريق بيروت وسرقتها .

شخصيات من أمثال الاستاذ فؤاد سراج الدين السكرتير العام لحزب الوفد المصري (المنصب الذي يلي زعامة الحزب مباشرة) ، حزب الاكثرية ، وحزب الجماهير ، وحزب الدفاع عن الدستور والقانون والمؤسسات ..

والاستاذ مصطفى مرعي رجل القانون وحارسه ، ورجل الدستور الذي رفض ان يداس وفيه عرق حياة ينبض ، والرجل الذي حمل لواء الدفاع عن الحقيقة في جميع عهود الطغيان التي جابهتها مصر العربية ...

والاستاذ مرتضى المراغي ، الرجل القوي الذي أوصلته احداث حريق القاهرة الى وزارة الداخلية ليحقق في الحريق فكان الشاهد الثاني بعد الاستاذ فؤاد سراج الشاهد الاول ...

وعشرات من الضباط الاحرار الذيـن يعرفون الاسرار ويدفنونها فـي صدورهم ...

وما كنت لاسمح لنفسي ان اكشف النقاب عما سمعته من هؤلاء حـول أسباب حريق القاهرة وسرقتها لولا حريـق بيروت وسرقتها ... فحين سكت أحرار العرب عن الحريق الاول واستكانوا كانت الخطايا ... الخطايا التـي أغرقت الامة العربية بالاكاذيب ، فكانت الهزيمة والتمزق . فاذا كان حريـق القاهرة قد تبعه حريق الوطن العربي ، فان حريق بيروت يراد من ورائه احراق النفوس ... وخاصة نفوس الجيل الجديد الذي أخذ يتحسـس مواقع أقدامه لينطلق بدون أكاذيب وعهر اعلامي فاضح ...

ويخطيء من يظن ان الذين أحرقوا بيروت وسرقوها انما يهدفون الـى اسقاط النظام في لبنان فقط ... ان أهدافهم أبعد من ذلك بكثير ... ولعل من بعض أهدافهم لا كلها صنع حكـام في الوطن العربـي يأتمرون بأمـر الدبلوماسية الحديثة ، دبلوماسية (الوفاق) ، وينفذون الاوامـر بـدون مناقشة بعيدا عن البرلمانات والاحزاب ، و .... حرية الصحافـة . وعندمـا يصلون الى هذا تصبح الثورة الفلسطينية قد أينعت وحان قطافها . فاذا كان الهدف من وراء حريق القاهرة انما هو اسقاط دور الشعب لكي يتم التفاوض باسمه مع زعماء الصهيونية مباشرة دون (وجع راس) ، فان احراق بيـروت وسرقتها انما يهدف اول ما يهدف الى الاعتراف النهائـي بالكيان الصهيوني ، وجعله حقيقة معترف بها ، وممهورة بشهادة شهود عـدول يختمون مقابـل البقاء في مناصبهم يحكمون ...

وحين نقول هذا لا يعدمنا الدليل ... فما رأيناه مـن وقائـع صارخة تشهد على ان حريق القاهرة مر بسلام ، والتخطيط هو ان يمر حريق بيروت بسلام ...

ومن كانت له أذنان فليسمع .!

احترقت القاهرة وسرقت في ٢٦ يناير (كانون الثانـي) ١٩٥٢ كمـا

أسلفنا ... واقال الملك فاروق حكومة الوفد التي أخطأت ولا شك باعلان الاحكام العرفية ... ذلك أنها اقيلت بعد اصدارها قرار اعلان الاحكام العرفية .

كان حريق القاهرة حافزا لنشاط الامريكيين في المنطقة ... فقد أرسل (دين اشيسون) وزير الخارجية الامريكية مندوبا عنه استعارة من وكالة المخابرات المركزية هو (كيرميت روزفلت) لدراسة الاحوال في مصر ... وبدأت الاتصالات السرية تجرى بين الامريكيين والضباط الاحرار ، تارة عن طريق الاستاذ (محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة في ذلك الوقت ورئيس تحرير الاهرام فيما بعد قبل ان يخرجه الرئيس السادات من هذا المنصب) وأخرى عن طريق رسلهم الذين بدأوا يتعرفون على حركة الضباط الاحرار ..

وكيرميت روزفلت هو حفيد الرئيس الامريكي الاسبق (تيودور روزفلت) .

ولم يكن من قبيل المصادفة ان يكون الامريكيون رأس الحربة في حريق القاهرة وفي حريق بيروت معا ، فالمخابرات المركزية الامريكية بدأت تتدخل في قضايا الشرق العربي تدخلا مباشرا منذ خروج بريطانيا من المنطقة ، وبدأت نشاطاتها التنفيذية بتدبير انقلاب حسني الزعيم في سورية ١٩٤٩ ، وكانت أول محاولة لنقل أسلوب الحكم المفضل لدى أمريكا والذي مارسته لزمن طويل في أمريكا اللاتينية ... وهو حكم العسكريين الذين يقمعون الاضطرابات والقلاقل الداخلية بقسوة ، ويخرسون اصوات المعارضة ، ويعملون مباشرة لحساب واشنطن سرا ، ويعملون لحساب موسكو جهرا . ومنذ ذلك الحين وواشنطن تركز اهتمامها على مصر بعد أن دفعت بسورية الى العسكريين وتركتهم يتذابحون على الحكم ...

عينت واشنطن (جيفرسون كافري) سفيرا لها في القاهرة ، وهو من أشهر مدبري الانقلابات في وزارة الخارجية ، ويضم سجله سلسلة طويلة من

النشاط الانقلابي ، منها تقارب الثلاثين في أمريكا الجنوبية والوسطى ، وكان كافري أول سفير امريكي في فرنسا بعد التحرير ، في الفترة التي أزيح فيها ديغول عن الحكم ، وتم طرد الشيوعيون من الائتلاف الوزاري ، كما تم جذب الاشتراكيين للتعاون مع واشنطن ، وأصبحت فرنسا قاعدة لمشروع مارشال ثم لحلف الاطلسي .. ومن المفارقات العجيبة في التفكير الامريكي اقدام واشنطن على ارسال السفير غودلي الى بيروت وهو الخبير العتيق في تدبير الانقلابات في الشرق الاقصى ؛ والوزير الامريكي المفوض في طهران الذي شهد الانقلاب على الشاه ، وشهد عودة الشاه ... وقد شاء القدر أن يجعله يدفع الثمن فأصيب اثناء المذبحة وهو في بيروت بمرض السرطان ؛ فسحب الى واشنطن .

جوبه جيفرسون كافري سفير أمريكا في مصر بصخرة حزب الوفد الصامدة وشعبية الحكم الراسخة ، مما أضعف من فرص القدرة على احداث انقلاب مشابه لما حدث في سورية ، وقد أسرع كافري عقب وصوله الى القاهرة هو وسفراء انكلترا وفرنسا وتركيا لتقديم مذكرتهم المشتركة الى محمد صلاح الدين (باشا) وزير الخارجية المصرية التي تدعو الى اقامة دفاع مشترك فور الغاء المعاهدة المصرية البريطانية من قبل حكومة الوفد ؛ وهي المذكرة التي أعلن مجلس الوزراء المصري رفضها أمام البرلمان ... وقد روى الاستاذ محمد صلاح الدين فيما بعد ان هذه المواقف الوطنية لحزب الوفد وحكومته هي التي دفعت بواشنطن الى التخطيط لاحداث حدث ضخم في مصر فكان حريق القاهرة ...

جاء حريق القاهرة بمثابة الفرصة المواتية التي أنعشت أمريكا للتسرب في أجهزة الحكم في مصر ، وأمريكا لا تضرب الا بعد ان تشعر بأن نفوذها قد يواجه بصمود شعبي ، او بتمرد من قبل الحكام الوطنيين الذين يستندون الى قواعد شعبية ثابتة ... وليس سرا على أحد ؛ ان في مقدمة اسباب حريق بيروت انما يعود الى المواقف التي اتخذها الرئيس سليمان فرنجية حيال القضية الفلسطينية خاصة وحيال قضايا محلية لبنانية لم ترق لحكام واشنطن؛

ومنها حرص الرئيس اللبناني على عدم المساس بحرية الصحافة ... فجميع الذين كانوا الى جانبه أيام ولايته كانوا يسمعون الهمس الامريكي ، وبعض الهمس من هنا وهناك وهنالك بأن حرية الصحافة في لبنان ستقضي على عهد فرنجية اذا لم يبادر الى الوقوف بوجهها ، ولكن فرنجية رفض ، وبعناد ان يمس من هذه الحرية بالرغم من أنه ـ على الصعيد الشخصي ـ كان الخاسر الاول حيال هذه الحرية (المفلوشة) ... وحين كان الرئيس يفاتح بشأن الصحافة وتجاوزاتها التي فاقت حدود المعقول كان يجب سائليه بمرارة :

(أنا أعرف عن تجاوزات الصحافة أكثر منكم بكثير ، ولدي الوثائق التي تدين العديد من الصحفيين الذين يتاجرون بوطنهم عربيا ودوليا ، ولكن أرفض أن يقول التاريخ أنه في عهد سليمان فرنجية قيدت حرية الصحافة .. حسابي مع الصحافة سيكون بعد انتهاء ولايتي) ...

وكان من الطبيعي أن تصل هذه الاقوال الى السفارات الاجنبية ، وفي طليعتها السفارة الامريكية التي تعني بأزمة الشرق الاوسط وتريد انهاءها وفق الاسلوب الامريكي الكيسنجري ... ولعل الكثيرون يجهلون ان الرئيس فرنجية قد بدأ عهده باغلاق باب المساعدات المالية على الصحافة اللبنانية (بالقفل والمفتاح) ، والذين انتقدوا موقفه هذا سمعوا منه أنه لا يريد مديحا من أحد ، فاذا وجدت الصحافة ما يمس العهد ورجاله بامكانها ممارسة النقد ... ولكن بعض الصحفيين مارسوا التشهير ... فاذا كان الرئيس أوقف المخصصات السرية العائدة للصحافة ، فان العديد من الصحفيين وقعوا في الخطأ الاكبر حين جعلوا من تشهيرهم بالعهد وأهله مادة للاستغلال العربي والدولي ...

أحد السفراء العرب في عهد فرنجية بعث الى حكومته بأول تقرير منذ تسلمه منصبه قال فيه :

(من المؤسف ان اؤكد لكم ان اي دبلوماسي في بيروت لا يستطيع معرفة حقيقة اتجاهات رئيس الجمهورية وحكومته ، ذلك لان جميع الصحف

اللبنانية لا تعترف بالعهد ورجاله ، وانما تمارس المعارضة غير المسؤولة ..) هذا الوضع الصحفي هو الذي أعطى الدبلوماسية الامريكية الحبل لتطويق العهد منذ بدايته ... فما ان بدأ الرئيس فرنجية خطواته في رسم السياسة لبلده بعيدا عن النفوذ الامريكي ، حتى أعطي الضوء الاخضر للصحفيين المرتبطين بشكل او بآخر بالعدائدات (الحرام) للهجوم على فرنجية وعهده . ولو عدنا بالذاكرة قليلا الى الوراء لوجدنا ان ذروة الهجوم على فرنجية وتقليب الرأي العام العربي والمحلي والاجنبي ضده شخصيا ، وضد عائلته وأنصاره انما بدأ منذ ان كان مؤتمر الرباط يجتمع بملوكه ورؤسائه لاقرار خطة السير بالقضية الفلسطينية على ضوء استراتيجية عربية ... فكان الاعتراف بمنظمة التحرير الممثلة الشرعية للشعب الفلسطيني ... وكان قرار الرئيس فرنجية تلبية لرغبة منظمة التحرير ، بالذهاب الى نيويورك وهو المسيحي الماروني للتكلم باسم العرب في هيئة الامم المتحدة دفاعا عن القضية الفلسطينية . والذين شهدوا مؤتمر الرباط رأوا القيادة الفلسطينية تتوجه بكاملها الى مقر الوفد اللبناني لتشكر الزعيم فرنجية ـ وفق وصف ياسر عرفات يومها ـ على هذا الموقف البطولي الذي يقفه رجل قضية وليس رئيسا للجمهورية ... وحين خرج ياسر عرفات من مقر الوفد اللبناني كان يردد :

(كيف أخاف على الثورة الفلسطينية في لبنان ولدينا مثل الزعيم سليمان فرنجية يدافع عنها في أكبر هيئة دولية) ..!

وهنا بلغ الغضب الامريكي ذروته ... فكيف يخرج بلد صغير كلبنان على الجبروت الامريكي ، وأعطيت الاوامر الى (مركز اللعب) في واشنطن للتحرك فورا ... وكانت هذه الاوامر بمعرفة موسكو ورضاها !

وهنا نلاحظ الشبه الواضح بين موقف حزب الوفد المصري بزعامة مصطفى النحاس يوم قرر عدم الرضوخ للضغط الامريكي فكان حريق القاهرة ، وبين موقف سليمان فرنجية الذي أدى الى حريق بيروت .. وحين نقول هذا لا نعدم الدليل ...

أعلن (دين اتشيسون) وزير الخارجية الامريكية في ٣١ يناير (كانون الثاني) ١٩٥١ ان قيادة الشرق الاوسط ليست اقتراحا يمكن قبوله او رفضه، والحكومة الامريكية لا تعترف بالغاء مصر لمعاهدة ١٩٣٦ ••• ويقول تشرشل وترومان في بلاغ مشترك فيما بعد :

(ان أفضل وسيلة لازالة التوتر الراهن في مصر هي في قبول القيادة الغربية للشرق الاوسط) •

ولزمت موسكو جانب الصمت حيال هذا الموقف الامريكي البريطاني السافر •

هنا لا بد ان نلاحق بامعان موقف كل من واشنطن وموسكو أثناء وبعد حريق بيروت وسرقتها ••• فالى جانب الصمت السوفييتي أثناء المذبحة عاد سفير موسكو الى بيروت اثر دخول قوات الردع ، وبدأ يفتح النوافذ التي كانت مغلقة على حزب الكتائب و •• حلفاء هذا الحزب !

أما الموقف الامريكي فكان بمثابة عامل مؤشر على ان سياسة الوفاق بين الدولتين العظميين قد توصلتا الى موقف موحد حيال الشرق الاوسط وقيادته ، والفرق الوحيد بين احداث حريق القاهرة ، واحداث حريق بيروت ان بريجنيف حل محل تشرشل ، وفورد محل ترومان، بعد أن أخرجت بريطانيا من المنطقة بتعاون أمريكي سوفييتي •••

جميع الدلائل تشير الى أن واشنطن كانت تختفي وراء حريق القاهرة ، وها هي ذي الدلائل تشير الى أن واشنطن هي المدبرة والمنفذة لحريق بيروت وسرقتها ••• ولم يكن من قبيل المصادفة ان يبدأ حريق القاهرة من سينما أوبرا وكذلك بدأ حريق بيروت ••• كما ان حريق القاهرة جرى والسلطة غائبة كما سنرى ، وكذلك جرى في بيروت ••• لقد منع الذين نفذوا حريق القاهرة وصول الماء الى مكان الحريق ، أما في بيروت فقد أطلقوا النار على رجال الاطفاء والسيارات التي تحمل المياه •••

يضاف الى هذا بأن جميع مصادر الاخبار في أوربا ، وخاصة في أمريكا ، قد أشارت بأصابع الاتهام في حريق بيروت الى هنري كيسنجر ، ووصفته الصحف الفرنسية بأنه الرجل الخفي الذي يقف وراء المؤامرة الكبرى على لبنان ، وقالت الصحف الفرنسية الذي أعطته لقب (الدكتور نو) بأنه هو الذي ألهب النار في بيروت وهو الذي يذكيها كلما خبت ... وأنه هو الذي أرسل دين براون (لتظبيط) سير الخطة عندما تعثرت ، وأنه هو الذي أشار على سكراتون مساعده بوجوب بحث القضية اللبنانية قبل بحث القضية الفلسطينية ... وفي رأي كيسنجر أنه لا يمكن تأجيل البحث في أزمة الشرق الاوسط ، الا اذا وجدت قضية مستعجلة تقف من حيث الاهمية والخطورة ، قبالة القضية الفلسطينية ، فتعمل على امتصاصها ، وارهاقها وتحويل أنظار الرأي العام الدولي عنها . وكان من الضروري ان تكون هذه القضية من صلب العالم العربي لا من خارجه ... أي ليس من اسرائيل ..

ولقد نشرت جريدة (النيويورك تايمس) خبرا عن اجتماع السفير الاسرائيلي بواشنطن (سيمحا دينتس) وهنري كيسنجر ، ذكرت فيه بأن وزير الخارجية الامريكي قال له صراحة بأن اسرائيل يجب ان تبقى متدرجة على حرب العرب ... وانه يجب الا تعطيهم الفرصة ـ بحربها الخامسة ـ لكي يتحدوا كما اتحدوا في حرب تشرين ... وردد كيسنجر ما كان قد ذكره مرة بأنه (ليس المهم في أزمة الشرق الاوسط ، ان يكون جميع الاطراف أقوياء . المهم ان يكونوا ضعفاء بحيث يعجزون عن الحرب ، وبذلك يسهل معهم الوصول الى حل) . وهذا ما فعلته الحرب اللبنانية التي انطلقت من حريق بيروت وسرقتها ، عندما امتصت طاقات جميع الاطراف ، وبعثرت جهودهم ، وبدأت تهيىء لمساعي السلام في المنطقة .. على الطريقة الامريكية !!

ولعل أقرب ما نستشهد به للدلالة على اضطلاع واشنطن بالاحداث اللبنانية هو ما جاء في خطاب الرئيس حافظ الاسد الملقى بتاريخ ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٧٦ حيث قال :

(لقد وقف القتال بعد وصول (ديـن براون) الـى بيروت ، لنعـد بذاكرتنا الى الوراء ... وقف القتال بعـد وصول دين براون الـى بيروت ، بالتأكيد أنا كمواطن عربي سأشكر اي انسان فـي هـذه الدنيا يستطيع ان يعمل على ايقاف اطلاق النار في لبـنان ، المهـم ان تقف المأساة وان تقف المؤامرة .. لكن استغرب ان لا يقف اطلاق النار الا بعد وصول دين بـراون الى بيروت ، أريد من كلامي هذا ان أقول : اذا كانت أمريكا ترغب فـي وقف اطلاق النار ، وتعمل على ايقافه ، فنحن نرحب بذلك) ..

واذا كان الرئيس حافظ الاسد قـد اختار القاطه بصفته المسؤول الاول في بلده ، فان الدبلوماسية الامريكية التي شعرت بنجاح مخططها فـي لبنان قد كشفت عن نفسـها بنفسها حين أوعزت الى أجهزتها بصياغة أنبـاء معينـة تعمدت نشرها في صحيفة (النهار) البيروتية للدلالة على انها لم تعد تريـد تغطية دورها ...

فعشية العمل على تأليف وزارة الدكتور سليم الحص ، وبعـد استلام الرئيس الياس سركيس صلاحياته الدستورية اثر دخول قوات الردع ، وفـي صباح الجمعة ٣ كانون الاول (١٩٧٦) قالت (النهار) :

كشفت أوساط ديبلوماسية فـي بيروت ان وزارة الخارجية الفرنـسيـة تلقت اخيرا من وزارة الخارجية الامريكية مذكرة ، هـي واحدة مـن سلسلة مذكرات متبادلة بين وزارتي الخارجية فـي الولايات المتحـدة وفرنسا حول الازمة اللبنانية ومتابعة حكومتي البلديـن خطوات الرئيس الياس سركيس الخروج من هذه الازمة .

وأوضحت هذه المصادر ان الخارجية الاميركية ، بعدما استهلت مذكرتها باهداء التحية الى زميلتها الفرنسـية ، اعربت عن ارتياحها الـى « الخطـوات الامنية الثابتة والمرنة » التي يخطوها الرئيس سركيس لاقرار الامن والسلام في لبنان .

ثم تذكر الخارجية الاميركية زميلتها الفرنسية بمذكراتها السابقة التـي

تتضمن انتقادات شديدة لمن تسميهم الخارجية الفرنسية « الامراء الذين يحكمون لبنان » •

ويظهر ان المذكرات الفرنسية تنطوي على انتقادات شديدة لهؤلاء « الامراء الذين يحكمون لبنان ويتحكمون به ، ويريدون العودة الى حكمه والتحكم به » •

وتشاطر الخارجية الاميركية زميلتها الفرنسية الراي في ضرورة تغلب الرئيس سركيس على مرحلة حكم هؤلاء الامراء ، وان يوقف ما تسميه المذكرة الاميركية « تدليع الامراء الزعماء » •

وتشير المذكرة الى أن وزارة الخارجية الاميركية فهمت ان قمة الرياض شجعت الرئيس اللبناني على ممارسة حكم شبيه بحكم الرئيسين أنور السادات وحافظ الاسد في مصر وسوريا ، اي حكم رئاسي فيه حصر للمسؤوليات وتركيز لهذه المسؤوليات •

وتقع المذكرة الاميركية ، كما أوضحت المصادر الديبلوماسية ، في ثماني صفحات فولسكاب ،وتتضمن سبع نقاط رئيسية اضافة الى نقاط ثانوية • ولخصت المصادر هذه النقاط بالآتي :

١ ــ وجوب انهاء مهمة « الامراء الذين يحكمون لبنان ويتحكمون به •

٢ ــ ترى الخارجية الاميركية ان من مصلحة الفلسطينيين اعتماد أسلوب الحوار والمفاوضات والاقلاع عن العنف ، لانه الاسلوب الوحيد الذي من شأنه تحقيق مطالبهم الوطنية •

٣ ــ ان « قوة الردع العربية » هي جيش سركيس اللبناني •

٤ ــ تقول الخارجية الاميركية انها فهمت ان لا جيش للبنان قبل الاتفاق على « الصيغة السياسية الوطنية » •

٥ ـ لا علاقة بالولايات المتحدة ولا لأي جهة أخرى بالحل السياسي اللبناني الداخلي ، وان على الزعماء اللبنانيين ان يجدوا هم بأنفسهم ، بقيادة الرئيس سركيس « الزعيم القائد » ، ايجاد الصيغة التي تلائم لبنان من دون أي تدخل خارجي .

٦ ـ فهمت الخارجية الاميركية ان الدول العربية المستعدة لمساعدة لبنان ترغب في ان يظهر لبنان الجديد مظهرا يختلف عن السابق بحيث يضع في الحكم والحكومة « المفكرين المخططين المنتجين » ، وبعبارة أخرى كما ورد في المذكرة « الحكام الجدد الذين لا يحبون الظهور والتظاهر والمظاهر » .

٧ ـ اذا كانت هناك مطالب ذات طابع طائفي شائكة ومعقدة ، فقد فهمت الخارجية الاميركية أنه تم التفاهم في قمة الرياض على أن تحال هذه المطالب على اللجنة الرباعية (المصرية ـ السعودية ـ السورية ـ الكويتية) على مستوى السفراء او اذا اقتضى الامر على مستوى رؤساء الحكومات او على مستوى رؤساء الدول الذين اوضحوا للرئيس سركيس في الرياض أنهم على استعداد دائم لعقد اجتماع رباعي على مستوى القمة لحل أي أشكال او لدرس اي مطالب ذات طابع طائفي مصيري في لبنان .

كما تبدي الخارجية الاميركية اهتمامها بأمرين : التسوية السلمية والحرص مع مصير لبنان حاضرا ومستقبلا .

وتؤكد الخارجية الاميركية في مذكرتها ان اسرائيل لن تحتل جنوب لبنان ولا أي جزء من الاراضي اللبنانية ما دامت الولايات المتحدة تعتبر لبنان دولة صديقة ، وما دامت الولايات المتحدة تؤكد بين الفينة والاخرى حرصها على استقلال لبنان وسيادته وسلامة أراضيه ... وما دام لبنان في وضع الدولة المسالمة غير المعتدية .

وتؤكد الخارجية الاميركية ، من جهة أخرى ، ان مياه لبنان هي ملك للبنان .

كذلك تؤكد الخارجية الاميركية ، جوابا عن سلسلة المذكرات الفرنسية ، انها حريصة على لبنان ، وعلى دوره وعلى طابعه ، وانها تستطيع ان تؤكد أنه لا غنى عن دور بيروت كعاصمة لبلد مستقل وكمركز في الشرق الاوسط •

وتشير المذكرة الى أن الخارجية الاميركية مطلعة على تذمر الدول العربية من المبالغات السياسية والحزبية والصحافية في لبنان ، وهي تترك للرئيس اللبناني ان يعالج ذلك بما يراه مناسبا في ضوء مقررات قمتي الرياض والقاهرة •

وتبدي الخارجية الاميركية أخيرا في مذكرتها ، استعداد أميركا للمساهمة مع فرنسا واي فرقاء آخرين في مشاريع الاعمار والانماء في لبنان •

ومنذ ذلك التاريخ والدبلوماسية الفرنسية تعمل بشكل سافر بالتعاون مع الدبلوماسية الامريكية في هذا الاتجاه ، وليس من قبيل المصادفة قيام وزير الخارجية الامريكية « سايروس فانس » بزيارته لبعض العواصم العربية ومنها بيروت في نفس الوقت الذي يقوم فيه وزير الخارجية الفرنسية « لويس دوغيرنغو » بزيارة هذه العواصم ••• كما أنه ليس من قبيل المصادفة أيضا أن تبعث موسكو بموفدها « ميخائيل سيتنكو » رئيس دائرة شؤون الشرق الاوسط في وزارة الخارجية السوفيتية الى بعض العواصم العربية لاكمال ما بدأه « دوغيرنغو » و « فانس » •••

هذا بعض ما نعلمه عن حريق بيروت وسرقتها ، فما هو الذي نجهله عن حريق القاهرة وسرقتها ؟

لم يكن رجل المخابرات المركزية (كيرميت روزفلت) مندوب وزارة الخارجية الاميركية المستعار من المخابرات ، ورئيس بعثتها الى مصر بعد حريق القاهرة ، غريبا عن المجتمع المصري ، فقد عمل في مصر خلال الحرب ،

وتوطدت صلته بالملك فاروق ، ووقف الى جانبه خلال أزمة (٤ فبراير ١٩٤٢) وأعد له مقابلة مع الرئيس فرانكلين روزفلت خلال زيارته لمصر عام ١٩٤٥ ..

كما ان جيفرسون كافري قد بدأ نشيطا في مقابلاته وعلاقاته يساعده في مهمته مصطفى أمين وشقيقه التوأم المرحوم علي أمين ومحمد حسنين هيكل ، وعن طرق هؤلاء بدأت الاتصالات مع العديد من الشخصيات المصرية لاجتذابها الى السياسة الامريكية ..

روى لي الاستاذ مصطفى مرعي صاحب الاستجواب الشهير في مجلس الشيوخ ضد الاسلحة الفاسدة وطغيان الفساد أيام فاروق ، والوزير الذي استقال لكي لا يكون شاهد الزور على انهيار النظام .. قال :

(لقد اتصل بي الامريكيون ثلاث مرات بعد حريق القاهرة للتعاون معهم على اسس رفضتها لأنها ضد الشرعية ، وضد الديمقراطية ومع الحكم العسكري الفردي ... لقد رفضت اقتراحا خاصا بتطبيق قانون الاصلاح الزراعي ، وأبلغتهم انني أفضل تطوير قانون الاصلاح الزراعي داخل البرلمان وليس عن طريق مجموعة من الضباط يعملون في الظلام) ، ويستطرد الاستاذ مصطفى مرعي قائلا :

(لقد كان الامريكيون يمهدون لنوع جديد من الحكم أرفضه ، وقد رفضته أمامهم لتنافره مع الديمقراطية ، وأحسست خلال الاحاديث التي جرت لي مع الامريكيين انهم يمهدون لانقلاب في مصر على غرار الانقلاب السوري وقد نبهت بعض الضباط الاحرار الذين اتصلوا بي لاساعدهم على خلع فاروق (عبد اللطيف البغدادي) ، وقلت لهم حذار من هذه اللعبة التي يلعبها الامريكان والروس لتقويض الديمقراطية واستبدال دكتاتورية عسكرية بها ، تقضي على مصر وكيانها وشعبها) . وقد سمعت أيضا من الصاغ صلاح سالم بعد اقصائه عن منصبه ، وقبيل وفاته بفترة وجيزة ان (كيرميت روزفلت) كان قد كون من دراسته لمصر ان الملك أعجز من ان يؤدي دورا ايجابيا في اصلاح النظام ، وقد أمضى روزفلت في

القاهرة الشهرين الاولين من عام ١٩٥٢ مع الملك يلهوان بتنفيذ مخطط (الثورة السلمية) ، وكان يدفعه دفعا لافتعال الازمات الوزارية التي برزت بعد حريق القاهرة ، وكان يشير عليه بتسليط البوليس السياسي التابع له على الشخصيات المصرية التي رفضت التعاون مع واشنطن .. (النحاس ... محمد صلاح الدين ... فؤاد سراج الدين ... مصطفى مرعي) ويقول الصاغ صلاح سالم :

(... لقد جرى عدة لقاءات بين جمال عبد الناصر وكيرميت روزفلت قبل حريق القاهرة) والمقطوع ان الامريكيين قد وجدوا في النشاط السري لحركة الضباط الاحرار بعض ما يحقق لهم أهدافهم بعد حريق القاهرة .

ويقول مايز كوبلاند في كتابه (لعبة الامم) ــ ص (٣٢) :

(.. عندما عاد كيرميت روزفلت الى واشنطن في مايو ١٩٥٢ بعد اقامة امتدت ثلاثة شهور قدم تقريرا الى وزير الخارجية الامريكية ديـن اتشيسون تضمن النقاط التالية :

١ ــ لم تعد الثورة الشعبية في مصر ممكنة بعد ان استطعنا ضرب حزب الوفد المصري وتسليط السياسيين بعضهم على البعض الآخر بحيث اصبح من المستحيل جمعهم ، وبعد ايقاظ مشاعر الكراهية في نفوس الشيوعيين والاخوان المسلمين ... لهذا يجب ان لا تقلق وزارة الخارجية الامريكية من احتمال قيام هذه الثورة التي لم تعد واردة في الحساب .

٢ ــ لم يعد هناك من أمل في ابعاد الجيش عن القيام بانقلاب قريب ، واثنائه عن عزمه على تسلم السلطة ، رغم كل التحفظات التي يبديها واضعو مخططاتنا في واشنطن من ان تكون النتائج مشابهة لما جرى في سورية على أيدي العسكريين .

٣ ــ ان قادة الانقلاب القادم في مصر سيرفعون شعارات قياسية تخالف

ما اقترحه كثير من المراقبين الدبلوماسيين وتجعل منهم وهم في السلطة طرفا لينا ومرنا في أية مفاوضات تخوضها معهم في سبيل سلامة اسرائيل ، وهذا من شأنه ان يزيد من فرصهم في النجاح ..

٤ ـ يجب ان توافق الحكومة الامريكية على اقصاء الملك فاروق ونظامه الملكي نهائيا من مصر ، ولا يمنع هذا من أتباع بعض التشكيلات للدبلوماسيين بارسال مذكرة احتجاج رقيقة تفسح المجال امام السفير الامريكي لاظهار قلقه المصطنع على سلامة الملك فاروق .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان صحف دار (خبار اليوم) هي المنبر الذي كانت تنطلق منه الدعاية للسياسة الامريكية ، وقد مثلث بنجاح نفس الدور الذي قامت به الصحف الناطقة بلسان واشنطن في بيروت قبل وبعد الحريق. فكانت صحف أخبار اليوم تهاجم حزب الوفد المصري وتشهر به ، ثم تنقلب الى غمز السراي عندما تتبلور السياسة الامريكية وتفقد الثقة في قدرة فاروق على الامساك بالسلطة .. كانت هذه الصحف المتحركة النشيطة تمهد لظهور (البطل) المنقذ ..

ولا تكتمل الصورة لمعرفة آثار حريق القاهرة وسرقتها ، للوصول الى معرفة اثار حريق بيروت وسرقتها ، الا باجراء عرض للسياسة السوفيتية في المنطقة ... ذلك ان الاوضاع التي كانت سائدة في القاهرة قبل حريقها تشبه الى حد قريب الاوضاع التي كانت سائدة في بيروت قبل حريقها وسرقتها ...

لم يدخل السوفييت الى مصر بعد حريق القاهرة وسرقتها كغزاة ... ولم ينتصر تنظيم ماركسي فيها ولكن دخولهم جاء عن طريق السلطة !! كما أن خروجهم جاء على طريق السلطة أيضا !

والآن وبعد مرور سنوات على دخولهم مصر وخروجهم منها يمكننا ان نطرح سؤالا رهيبا وهو :

هل دخل السوفييت مصر بموافقة أمريكا ؟

وهذا التساؤل يقودنا تلقائيا الى ان نطرح على انفسنا سؤالا معاكسا وهـو :

هل ان السوفييت قد دخلوا مصر بالفعل ؟

ان أي عاقل في الدنيا لا يستطيع ان يصدق ان السوفييت يمكنهم الخروج من بلد بمثل السهولة التي خرجوا منها من مصر ، ومنطق العقل يقودنا الى الاعتراف بأن دخولهم الى مصر انما كان دخولا بموافقة واشنطن من بعض غاياته تدجين الشعب وجعله يتقبل الكيان الصهيوني في المنطقة كأمر واقع ...

ولعلنا لا نبتعد كثيرا عن المنطق حين نؤكد ان السوفييت قد دخلوا لبنان دخولا شكليا عن طريق واجهات سياسية لبنانية وفلسطينية تمهيدا لخروجهم على الطريقة المصرية ..!

***

يكاد يمضي على حريق القاهرة قرابة ربع قرن ، ومع ذلك فان أحدا لا يعرف لماذا احرقت ومن أحرقها ... لهذا فمن الطبيعي ان لا نعرف من أحرق بيروت وركام الحريق ما يزال قائما نراه صباح مساء ونكتم الحرقة في نفوسنا ... وقد يكون السبب في هذا يعود الى ان التوتر السياسي العسكري العالمي ، وما نتج عنه من (سياسة وفاقية) ما تزال تجر وراءها ما نراه ونلمسه ، لا يجعل الصورة الحقيقة لتلك الاحداث الكبيرة التي يعيشها الوطن العربي متوفرة ، لانها خاضعة للاهواء باستمرار ... ومن الضروري البحث عن تلك الصورة بشكل موضوعي لمعرفة جذور المشاكل الحاضرة وخطوط المستقبل في المنطقة ...

لقد كتب وسوف يكتب الكثير عن تلك الايام السوداء من حياة مصر

التي أدت الى احراق القاهرة واحراق النظام معها ... فقد كان حريق القاهرة نقطة تحول انقلابي في القضية العربية قادته الولايات المتحدة الامريكية باعتراف أجهزة المخابرات الامريكية ذاتها في أكثر من كتاب ... فهل يكون حريق بيروت وسرقتها بداية لتحول انقلابي جديد في الساحة العربية ، تتبدل فيه الواجهات السياسية في البلدان العربية الواحدة تلو الاخرى على غرار ما حدث أثر حرب ١٩٤٨ ؟

ان الشواهد التي نعيشها تؤكد ان الضوء الاحمر لتنفيذ هذا المخطط قد أعطي للاجهزة الاجنبية من امريكية وسوفيتيية ... فما رأيناه من أحداث جرت في سورية والاردن ومن ثم القاهرة بعد توقف المذبحة في لبنان أكبر دليل على ان الايام القادمة حبلى بالمفاجاءات غير المتوقعة حتى لاذكياء الحكم .. ذلك أنه بعد حريق القاهرة كان الشرق العربي يحكم من قبل الاذكياء أيضاً .. ومن قبل الدهاة ... ومع ذلك فقد تساقطت الواجهات السياسية الحاكمة بسرعة مذهلة ...

قبل الانتقال الى حريق القاهرة وأسبابه ومسبباته لا بد من التوقف لحظات عند أحد الاسرار التي تضيق في صدر الدكتور ناظم القدسي رئيس الجمهورية السورية الدستوري الاسبق ..

فبعد مقتل حسني الزعيم جاء انقلاب سامي الحناوي ثم تبعه انقلاب أديب الشيشكلي ..

كان الشيشكلي قد انتهى من اعداد حركته الانقلابية وأصبح نائباً لرئيس الاركان مع أنه المسيطر على سورية .. تألفت يومها الحكومة السورية برئاسة الدكتور ناظم القدسي أحد أقطاب حزب الشعب الذي شغل في نفس الوقت منصب وزير الخارجية .

كانت القضية العربية قد برزت على المسرح السياسي العربي وتحركت باتجاه قيام اتحاد عربي شامل لمواجهة العدو الصهيوني (وها هو التاريخ

يعيد نفسه اليوم بعد مذبحة لبنان ويبدأ البحث باقامة اتحاد عربي) وفوجىء العالم العربي بانعقاد مؤتمر للدبلوماسيين الامريكيين في الشرق الاوسط في مدينة استنبول • وكان من الطبيعي ان لا يعلم أحد من الحكام العرب عن حقيقة ما دار في هذا المؤتمر ، فهؤلاء الحكام كالزوج المخدوع ••!

رجاء الى دمشق (البيون روس) مراسل صحيفة النيويورك تايمس في الشرق الاوسط ، وأحد الصحفيين الامريكيين القلائل الذين لم تبهرهم الصهيونية بكل مغرياتها ونفوذها •••

كنت يومها أراسل صحيفة قاهرية كبرى ، وبينما كنا نتناول طعام الغداء في فندق (الاوريان بالاس) دخل مطعم الفندق الدكتور ناظم القدسي ، فما ان شاهدنا حتى دعانا الى مائدته ، فقد كان القدسي يعرف (البيون روس) حين كان وزيرا مفوضا لسورية في واشنطن اثناء الحرب العالمية الثانية ، ويعرف حياده بالنسبة للقضايا العربية •• اثناء الطعام كان الحديث يدور عن مؤتمر الدبلوماسيين ، وأحب الدكتور القدسي ان يعرف حقيقة ما جرى فيه لهذا راح يدير النقاش بدبلوماسيته المعهودة ووداعته المحببة ، في هذا الاتجاه ••• سأل القدسي روس :

(ماذا قرر المؤتمر يا مستر روس ••• انني أعلم صلاتك الوثيقة بالدوائر الدبلوماسية في واشنطن ؟)

أجاب الصحفي الامريكي وهو يدير غليونه بفمه :

(يظهر ان وزيركم المفوض في أنقرة لم يخبركم بما تم حتى الآن ••• لقد قرر المؤتمر اسقاط الواجهات السياسية الحاكمة في الشرق الاوسط ••• سورية ، مصر ، لبنان كبداية) •

وقفت اللقمة في حلق القدسي وبعد ان تغلب عليها وبلعها قال :

(سورية فهمنا اعتادت على الانقلابات القادمة من دياركم تجرجر

اذيالها ، ولكن ماذا ستفعلون بالملــك فــاروق ، وبشارة الخوري وريــاض الصلــح) ؟

أجاب البيون روس وهو يبــادل الدكتور القدسي ابتسامته الساخــرة بابتسامة مشابهة :

(كل ما وصل الى علمي وأنا في استنبول ان بدايــة التغيير الشامــل ستكون من سورية .. أما بشارة الخوري ورياض الصلح فقد وضع لهمــا خطة رقيقة تتناسب مع أوضاع لبنان ، ذلك لان النظام في لبنان لن يمس في هذه المرحلة لان الدبلوماسية الامريكية تستعمله كرادار كاشف لما يجري في المنطقة بأكملها ... اما الملك فاروق فقد انتهى صدقني ..!) .

حين غادرنا الدكتور القدسي الى غرفته في الفندق لم ينس ان يحدثني بالهاتف ليقول لي :

(صاحبك مجنون ... أليس كذلك ؟) فأجبته على الفور :

(كلا يا دولة الرئيس .. فبعد فترة وجيزة سيثبت لك أنه عاقل ..)

بعد شهر من هذا الحديث أجبر الدكتور القدسي عــلى الاستقالة ... وبعد أسابيع أحرقت مدينة القاهرة ، وبعد شهور قليلــة سقط فاروق مــع نظامه ... وتوالت الاحداث .

العبارة الوحيدة التي يذكرها القدسي من هذا الحديث هي :

(غير مسموح القيام بانقلاب عسكري في لبنان ، وانما المسموح بــــه هو تحديث النظام بشكل يتلاءم مع طبيعة التحولات السياسية التي تقتضيها الحرب الباردة التي كانت سائدة) .

بعد خروج الملك فاروق من مصر هتفت الى الدكتور القدسي وقلت :

(هل قنعت يا دولة الرئيس ان صاحبي لم يكن مجنونا ؟) .

ولكن لماذا قررت واشنطن اسقاط الواجهات السياسية التي كانت حاكمة ؟

كل من اطلع على الكتب المخابراتية التي صدرت في الولايات المتحدة الامريكية ادرك ان واشنطن انما تختار التعامل مع حاكم فرد يستطيع ان يقرر وحده وينفذ وحده ... وفي سبيل هذا انشأت فرعا خاصا داخل جهاز المخابرات الامريكية اطلقت عليه اسم (مركز اللعب) .

فبعد انسحاب بريطانيا من فلسطين عام ١٩٤٨ قررت واشنطن التدخل في الشؤون الداخلية العربية ، وقد كشف عن هذه الحقائق لاول مرة (الان دالاس) رئيس المخابرات الامريكية المركزية في كتابه (هيئة المخابرات) . ثم تلاه (اندرو ويلي) احد أركان المخابرات الامريكية ، حين أصدر كتابا أسماه (هيئة المخابرات المركزية وكيف تعمل) وجاء بعدهما ثالثهما (كوبلاند) فحدثنا في كتابه (لعبة الامم) عن الخيوط التي تحرك هذه الهيئة مع الاسماء ..

ولعل (الان دالاس) كان اصرح من تحدث عن (مركز اللعب) ، وطريقة عمله .

لقد تحدث (دالاس) مطولا عن حريق القاهرة ، والاسباب التي دفعت بالمخابرات الامريكية للاقدام على الحريق ، ومنها ان واشنطن قررت التخلص من حزب الوفد المصري ورجاله مهما بلغت التضحيات ، ويقول دالاس ان السبب في هذا القرار يعود الى ان واشنطن قد ضاقت ذرعا بسياسة الوفد الخارجية ويقول في ص ٩٨ : (.. بعد اقدام حكومة مصطفى النحاس باشا على الغاء معاهدة ١٩٣٦ والعمل لطرد بريطانيا من القناة والسودان ، اوفد النحاس باشا وزير خارجيته محمد صلاح الدين باشا الى باريس تحت ستار حضور اجتماعات الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة التي كانت تعقد اجتماعاتها يومذاك في باريس ، وهناك أجرى اتصالات مع السفير التشيكي في باريس وتباحث معه في صفقة أسلحة تصدر الى مصر سرا ... عندها اوعزت الى

(مركز اللعب) لاسقاط حزب الوفد .. لقد بدا لنا هذا الحزب وكأنه يريد ان يلعب بالنار ، ولا بد من احراقه بها ..

ويحدثنا (اندرو ويللي) في كتابه ص ١١٢ فيقول :

(ان اجتماعات (مركز اللعب) نوع من (المسرحيات) الصغيرة ، تجتمع فيه (فرقة الخبراء) حيث تعرض عليها موضوعات معينة تختارها ادارة المخابرات المركزية وتطلب من كل فرد منهم ان يتخذ قراره ويقدم رأيه كما لو كان هو في مكان الشخصية الاجنبية التي تتمرد على النفوذ الامريكي ويراد تأديبها ، وهؤلاء الخبراء يدرسون عادة طبيعة الشخصيات الاجنبية وظروفها ومزاجها ، لكي يتمكن الخبير من معرفة نقاط الضعف عند هذه الشخصية والمؤثرات التي تستأثر به في تصرفاته ومواقفه ، ومن هؤلاء تتكون فرقة الخبراء في (مركز اللعب) .

يمثل كل واحد منهم الشخصية التي يكلف بدراستها والاتصال بها ، هذا التخصص يجعله قادرا على ان يتقمص شخصيته حين تبحث أمرها .

وبعد ان يعرض الخبراء (تبؤاتهم) و (دراساتهم) تعطى للعقل الالكتروني فيجمعها ويقدم الينا ارقامه النهائية فنعمل بها ..

وحين بحثنا قضية اسقاط حزب الوفد ، كان هناك من يمثل النحاس ، وفؤاد سراج الدين ، وصلاح الدين وفاروق وغيرهم من السياسيين الفاعلين في النظام ..

قرر (مركز اللعب) بأن اقصاء حزب الوفد يمكن ان يتم بالتحالف المؤقت مع فاروق ، وبعد اسقاط حزب الوفد نتيجة حدث كبير وهو احراق القاهرة يمكننا عندها ان نقذف بالملك فاروق من نافذة قصره الى البحر .. واعطيت الاشارة الى (مركز اللعب) بالتحرك .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا ونحن نقارن بين حريق القاهرة وحريق بيروت :

ـ هل قرر (مركز اللعب) اسقاط عهد سليمان فرنجية مع المتعاونين معه لمجرد انهم تجاهلوا أوامر واشنطن في اكثر من موقف ... رغم اقتناع العديدين بأن الحكم في لبنان لا يقوم الا على دعائم امريكية ؟

ان نظرة سريعة على ساحة الاحداث تشير الى ان المجموعة السياسية التي كانت تحكم لبنان قد خطت في عهد الرئيس فرنجية خطوات سريعة في الاتجاه المضاد للسياسة الامريكية ـ السوفيتية (الوفاقية) ..

ان واشنطن لا يمكن ان تغفر لسليمان فرنجية ترؤسه وفدا لبنانيا على أعلى المستويات ، يذهب الى هيئة الامم المتحدة ويتكلم باسم العرب مدافعا عن قضية العرب ... والذين يتحون باللائمة على فرنجية لاغضابه واشنطن يجهلون ولا شك ان سليمان فرنجية هو الرئيس اللبناني الوحيد الذي جاء بارادة محلية فقط ؛ وليس نتيجة تداخلات أجنبية وعربية ... كما أنه لم يعد سرا على أحد ان جميع المتاعب التي لاقاها فرنجية لم تكن من صنع محلي او ارادات لبنانية ... لهذا فقد عاش لبنان منذ عام ١٩٧٣ الساعات الخطرة التي عاشها حزب الوفد في مصر عام ١٩٥٢ .. واذا كان وضع لبنان لا يسمح له بقيام حزب شعبي على غرار حزب الوفد الذي تمرد على النفوذ الغربي بكامله ودفع الثمن باهظا ، فان في لبنان مجموعات قيادية على اختلاف ميولها لا يمكن لها أن تتنكر لمواقفها المستجدة مقابل مغانم آنية ... ولا يمكننا ان تتجاهل الغباء والحمق والجهل الذي كانت تتصف به القيادات السياسية والعقائدية في لبنان مما ساعد على توسيع دائرة المذبحة ..

كان المطلوب اسكات الصحافة اللبنانية .

وكان المطلوب الابتعاد عن تأييد القضية الفلسطينية والاكتفاء بسياسة العزلة عن القضايا العربية ..

وكان المطلوب أيضا وأيضا فك ارتباط لبنان بدول المواجهة ...

وحين لم تتمكن القيادات السياسية اللبنانية من تحقيق هذا المطلوب بالتراضي ، لجأ الطالب الى (الكي) فكانت المذبحة ، ولم تكن عبارة سليمان فرنجية التي طالما رددها في أكثر من مناسبة عن وجود مؤامرة تحاك ضد لبنان (فلتة لسان) كما تصور البعض ، بل كانت تهدف الى افهام من لا يفهم ان (احراق بيروت) انما هو مقدمة ، ومقدمة فقط ...

ولا بد هنا من العودة الى حريق القاهرة لنسمع من شاهد الاثبات الاول الاستاذ فؤاد سراج الدين باشا القصة .

في صيف ١٩٧٣ أمضيت ثلاثة أيام متوالية مع الاستاذ فؤاد سراج الدين في فندق (بريتانيا) ـ برمانا ـ وكانت لي معه احاديث طويلة حول الحريق ...

لقد سعيت اليه لاعلم منه أسرار حريق القاهرة ، هذه الاسرار التي يحتفظ بها الرجل الكبير في صدره ويضيق بها ... ولولا احراق بيروت على الصورة التي احترقت بها القاهرة لما سمحت لنفسي بالكشف عن أسرار اؤتمنت عليها .. ان سراج الدين كان سكرتيرا لحزب الوفد المصري ووزيرا للداخلية يوم الحريق ... لهذا فهو الشاهد الاول عليه ..

كان وزير الداخلية المسؤول وبهذه الصفة رأى وسمع وتابع وعرف كل شيء ... وعندما حاول بعد الحريق ان يفتح فمه ، صادروا صحيفة المصري ، صحيفة الحزب التي كتب فيها ... وعندما وجد فرصة للكلام في تحقيقات الحريق النيابية ، أمروا بجعل التحقيق سريا ...

وسكت الرجل منذ ذلك اليوم الاسود ١٦ كانون الثاني ١٩٥٢ الى يوم ٢٦ حزيران ١٩٧٤ اليوم الذي اجتمعت به في فندق بريتانيا ..

لقد أمضيت معه ساعات الليل والنهار وأنا أصغي اليه وهو يروي

أحداث ذلك الحريق .. لم يكن الفندق قد امتلأ بالوافدين ... وبين حديقة الفندق ، وصالة الطعام كانت الاسرار تتدحرج كالاكر تبحث عمن يلتقطها ..

كان الرجل يعلم حقيقة علاقتي بمرتضى المراغي باشا الذي جاء بعده الى وزارة الداخلية ليحقق بالحريق . وقد سبق أن أمضيت الساعات الطويلة مع المراغي وأنا أسأله عن أسباب الحريق ومسبباته ..

وأذكر الآن بدون حرج ان سراج الدين قال لي :

(بعد ان عدت الى لبنان اثر غياب دام ٢٢ سنة بدأت أشعر بخوف عليه. ان الرفاهية التي يعيش فيها واللامبالاة الغارق في بحيرتها تجعلني أقلق على مصيره ... ان اللبنانيين يجهلون حقيقة النعمة التي يعيشون فيها ... ولكن هناك الكثير من مظاهر الترف التي لا تبشر بخير ... يضاف الى هذا جنوح الصحافة نحو تهديم الاسس الدستورية التي يقوم عليها النظام ... وأنا أشعر بناقوس الخطر يدق لانه سبق لي كمسؤول ان عشت في جو مماثل قبل حريق القاهرة ، ترى هل سيحل بلبنان ما حل بمصر ؟ لا أدري ، ولكن ما لمسته من تجاهل لطبيعة الاحداث وتناحر سياسي وسفه معيب ، كل هذا يدفعني للخوف ، وليتني كنت في وضع آخر لكنت تصرفت على نحو مختلف) ..

وقلت للرجل الذي يختزن الاسرار في صدره :

(لماذا لا تقابل رئيس الجمهورية ، وتجتمع بأصدقائك من رجال السياسة وتنبههم الى المخاطر التي لا يرونها) ؟ أجاب :

(أولا لا أريد أن أحرج رئيس الجمهورية ، لانني الآن خارج من وضع خاص ، كما انني لا أريد ان أخوض في مواضيع سياسية وأنا خارج مصر... وانت تعلم جيدا حقيقة أوضاعنا والافضل ان نهتم الآن بمصر ومستقبلها) .. بعد هذا انتقلنا الى الحديث عن الحريق ... ترى هل كان الرجل الكبير يتنبأ ؟

قال فؤاد سراج الدين :

(حريق القاهرة جرى ظاهريا لصالح الانكليز والسراي ، ولكن الحقيقة كما اتضح لنا فيما بعد كان لصالح غيرهم) ..

لا أريد هنا أن أخوض في شرح المعنى الذي أراده من وراء (غيرهم) ... ولكني سأعتمد على نص أقواله ... فنحن أمام حقائق تاريخية تروى من شاهدها الاول ..

قال الرجل وقد بدا أنه يتألم من رمي الاسرار بدون تنسيق وتبويب :

« ثلاثة مسؤولين كانوا وراء هذا الحريق هم : اللواء امام ابراهيم رجل البوليس السياسي الشهير ورئيس القلم السياسي في ذلك الوقت ، واللواء أحمد عبد الهادي مدير عام البوليس ... والضابط عبد الهادي نجم الدين ضابط بلوكات النظام في البوليس .

كان هؤلاء الثلاثة قد تلقوا أمرا من (السراي) من وراء ظهري بتدبير المؤامرة لاسقاط حكومة الوفد ... كنا نعيش أياما بلغ فيها الشعور الوطني أقصى حالات احتدامه ... ففي اليوم السابق ضرب الانكليز محافظة الإسماعيلية وقتلوا خمسين شهيدا من رجال البوليس فيها ... بعد مقاومة ضارية تمكنوا خلالها من قتل ٢٢ جنديا انكليزيا ... وقبلها بأسبوع تصدى الجيش الانكليزي في الاسماعيلية أيضا لمظاهرات تطالب بالجلاء عن أرض الوطن ، وقتل سبعة أشخاص ، وجرح أربعون ... وقبلهما زحف الجيش الانكليزي على قرية اسمها (كفر عبده) مستخدما ٦ آلاف جندي و ٢٥٠ دبابة ، و ٥٠٠ مصفحة ، وعددا من الطائرات الحربية ، لكي يهدم القرية التي لا يزيد عدد بيوتها على مئة وخمسين بيتا ..

كان الشعور معبأ ضد الانكليز ، وكان متوقعا ان تنشب المظاهرات في القاهرة وغيرها بعد جريمة هدم الاسماعيلية ، وبعد المذبحة الدموية التي ارتكبها الانكليز فيها .. ولم يكن غريبا في الصباح التالي أن يغلي بالغضب

رجال (بلوكات النظام) الذين هم زملاء لشهداء الاسماعيلية .. ولكن كيف عبروا عن هذا الغضب ؟

في ثكناتهم بالعباسية قادهم أول الرجال الثلاثة .. الضابط عبد الهادي نجم الدين ، وخرج على رأس ٣٠٠ منهم متجها الى الجامعة في الجيزة ، وهناك حاول الطلبة تهدئة الجنود ، ولكن الضابط قاوم المحاولة من باب (التطرف في الوطنية) ، وغادر الجامعة بجنوده وقد انضم اليهم بعض الطلبة ... نجح الطلبة في ان يوجهوا هذه المظاهرة لمجلس الوزراء ... وأن يمنعوا اي تطور آخر لها ...

ولكن في نفس هذا الوقت كانت قد بدأت تندلع في القاهرة ، وبعيدا كل البعد عن المظاهرة ، بعض الحرائق المفاجئة .. ووصلتني الانباء متأخرة كثيرا ...

لقد وقع تمرد بلوكات النظام (البوليس) في الساعة السادسة صباحا ، ولكنني أنا وزير الداخلية لم أبلغ عنها الا في السابعة والنصف ... ولم أعرف الا بعد التاسعة ان المتمردين وصلوا فعلا الى الجامعة .. ولم أعرف الا بعد الثانية عشرة والنصف انه قد بدأ الحريق من (سينما اوبرا) ، وان المتظاهرين منعوا رجال الاطفاء عن العمل ومزقوا خراطيم مياههم بالسكاكين (يا للمصادفات الغريبة في الحريقين ، فاحراق مدينة بيروت بدأ من سينما أوبرا ومنع رجال الاطفال من مزاولة أعمالهم) .. واسرعت على الفور باصدار الامر بضرب الرصاص في الهواء لتفريق المخربين واتصلت بوزير الحربية حيدر باشا لامداد البوليس بقوات من رجال الجيش ... وهنا يجيء دور الرجل الثاني امام ابراهيم .

فقد دار الرجل على مناطق الاضطراب والحرائق يبلغ أمرا مخالفا تماما لأمري ، ويمنع رجال البوليس من التعرض للمخربين بأية صورة من الصور . وانتشرت الحرائق بصورة جنونية ... وتكررت أوامري بالضرب بالمليان ،

ولكن امام ابراهيم ترجمها الى (عدم المساس بالمتظاهرين) على أساس أن الحريق عمل وطني ..

وعندما صممت على طلب الاستعانة بالجيش فوجئت بعد قليل ببلاغ تلفوني من مدير الامن العام يقول لي انه قد تبلغ ان الحالة هدأت وان (امام بك) قد أبلغه بأنه فرق المتظاهرين وانتهى الامر ...

في هذا اليوم الاسود كان موقف اللواء عبد الهادي ينطوي على تقصير جسيم يصل الى حد العمد ..

لقد ترك حريق القاهرة وتوجه الى سراي عابدين لحضور مأدبة الغداء بمناسبة مولد ولي العهد ، في حين انه كان باستطاعته ان يعتذر عنها بسبب هذه الظروف . . ومع ذلك فانه بعد المأدبة الملكية لم ينزل الى المدينة وهي تحترق وهو أكبر ضابط بوليس بل توجه الى داره ليستريح وينام بعد الغداء الملكي ... وقد اتصلنا به فأجابونا بأنه نائم .. فاتصلت به بنفسي فلم يرد علي لانه كان نائما ...

هذا بعض ما قاله الرجل عن الحريق ، لقد أغفلت التفاصيل ونصوص الاوامر الصادرة الى الثلاثة من السراي مباشرة .. ويمكن القول أنه في هذا اليوم لم تكن هناك سلطة في مصر ، او في العاصمة التي كانت تحترق ... وان الدولة توقفت تماما عن العمل باشارة من الملك فاروق .. فقد عمل الملك والقوى التي تسانده على شل ما بقي من فاعلية أجهزة الامن ، لينطلق نشاطها من قيود النظام ، فلجأت هذه القوى الرسمية الى (العمل غير المشروع) البعيد عن أجهزة الدولة بوصفها دولة ...

والحاصل من كل هذا ان (انفلات السلطة) يوم الحريق ، اشاع الاضطراب لدى الجميع .. أما حكومة الوفد فقد أقالها الملك ... بعد أن أعلنت الاحكام العرفية وجاءت بعدها حكومة علي ماهر لتواجه ما بعد

الحريق ، ثم استقالت وهكذا تتابع استقالة الوزارات الى ان قامت ثورة ٢٣ يوليو بعد سبعة شهور وحسمت الموقف ...

هذه هي قصة حريق القاهرة ... فما هي قصة حريق بيروت ؟

هل سننتظر ربع قرن أخرى للعثور على الشاهد الذي يستطيع الادلاء بمعلوماته عنها ؟

قد يكون الجواب عند (مركز اللعب) في واشنطن ، الذي يملك وحده التفاصيل ، ويملك بالتالي الاسباب التي دفعت بالمجرمين الى تطبيق نفس الخطة التي اتبعت في احراق القاهرة على احراق بيروت ... وهل من قبيل المصادفة ان يبدأ حريق القاهرة من سينما الاوبرا ، كما بدأ حريق بيروت من هذه السينما ؟ وهل هي المصادفة التي جعلت حريق القاهرة يتم أثناء غياب السلطة ، وكذلك حريق بيروت ؟.. وهل من قبيل المصادفة أيضا وأيضا بأن يمنع رجال الاطفاء في القاهرة من حصر النار ، وأن يضرب رجال الاطفاء ببيروت بالرصاص لكي يظل الحريق سرا ؟!

هذا ما رواه الاستاذ فؤاد سراج الدين الشاهد الاول على حريق القاهرة ، ولعل من المؤسف حقا ، انه رغم زوال ذلك العهد ، الذي وقع في ظله هذا الحادث الخطير ، وبعد مرور ربع قرن من الزمان ما يزال وقوعه سرا غامضا لم يكتشف بعد على وجه التحديد من هم الذين ارتكبوه .!

قد يكون ــ مثلا ــ من الامور العادية ، ان تعجز سلطات الامن او النيابة العامة ، أو أي جهاز من أجهزة الامن في الدولة عن العثور على مرتكب جناية قتل ، او جناية سرقة ويقيد الحادث ضد مجهول ، ولكنه ليس من الامور العادية أبدا ان تعجز الدولة ، ويعجز الناس معها عن العثور على مرتكبي حادث هام وخطير كحادث حريق القاهرة ، كان له أعمق الاثار في تغيير مجرى التاريخ العربي المعاصر ..!

نقول هذا اليوم ونحن على أبواب حريق بيروت ، لكي لا يطوى هذا

الحريق كما طوى اخ له من قبل ولان حريق القاهرة لا يزال حتى الآن سرا غامضا لم يكتشف بعد ، فان تهمة تدبيره قد وجهت الى الكثيرين حتى الى أولئك الذين لا مصلحة لهم أبدا في وقوع الحادث ، وذلك بالرغم من ان هناك قاعدة جنائية تؤكد انه لكي يعرف من هو مرتكب الجريمة لا بد وأن نبحث عن المستفيد منها :

وجهت تهمة حريق القاهرة الى حزب الوفد المصري •• بالرغم من ان حريق القاهرة كان هو الذي أبعده ـ وبطريقة غير دستورية ـ من السلطة ••

ووجهت تهمة تدبير حريق القاهرة الى الاخوان المسلمين بينما الثابت تاريخيا ان حلفا قد قام بين الوفد والاخوان المسلمين ، قبل حريق القاهرة بأيام قليلة للتعاون معا فيما يتعلق باعمال الفدائيين الذي يقاومون في منطقة القتال ، وقد كان يشرف على هذه الاعمال بشكل سري وزير الداخلية فؤاد سراج الدين ويؤمن للفدائيين قيمة الاسلحة من جيبه الخاص كما اتضح ذلك في محاكمات الثورة يوم اعتقل سراج الدين بتهمة الاثراء غير المشروع وبرأته محكمة الثورة من هذه التهمة •• وكان يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٢ ـ يوم الحريق ـ هو اليوم المحدد للقاء الاستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للاخوان المسلمين يرحمه الله مع الاستاذ فؤاد سراج الدين السكرتير العام لحزب الوفد المصري •••

ووجهت تهمة تدبير الحريق الى الحزب الاشتراكي ـ مصر الفتاة ـ ، والى رئيسه الاستاذ احمد حسين (مد الله في عمره) بالذات • واعتقل احمد حسين بهذه التهمة وقدم الى المحاكمة ، وظل في السجن حتى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو •• بينما الثابت ، حتى في تقارير القسم السياسي بالداخلية ، ان الاستاذ حسين كان ملازما الفراش في بيته ولم يخرج منه الا في مساء يوم الحريق •• وقد روى لي تفاصيل القصة يوم جاء الى بيروت وقضى صيف ١٩٧٤ في سوق الغرب •••

وقد تعددت الجهات التي اتهمت بحريق القاهرة ، فمن قائل بان تنظيما

معينا من الضباط الاحرار او ممن كانوا ينتسبون الى الضباط الاحرار هــو الذي دبر الحريق ، لان الحريق من وجهة نظــر هؤلاء الضباط .. كان يخدم الاغراض التي كانوا يريدون تحقيقها .. وبعد ما يقرب من عشرين عاما بدأت الكتب المخابراتية الامريكية تصدر لتشير باصابعها العشرة الى ان الذي دبر هذا الحريق انما هي المخابرات المركزية الامريكية بالتعاون مـع اجهزتها التي بدأت تنشئها في مصر وبموافقة موسكو .. كما اوضحنا ذلك ...

ويذكر الاستاذ صبري ابو المجد مدير تحرير المصور ، واحــد الشباب الوطنيين الذين كانوا على مقربة من الاحداث فــي ذلــك الوقت يذكر حادثة يجدر بنا ان نتوقف عندها طويلا ونحن نقارن بين جريمــة حريــق القاهرة ، وجريمة حريق بيروت ، يقول الاستاذ ابو المجد :

(.. لقد سبق لي ان كنت مع لفيف مــن الشباب قبل ايام مــن حريق القاهرة ، في نادي جبهة مصر ، الذي كان علي ماهر باشا قــد انشأه ليجتمع فيه الشباب وغير الشباب من الحزبيين .. وقد عرفت من خلال حديث عــلي ماهر ان الحرب الشعبية الدائرة في القناة يمكن ان تتوقف نتيجة لحدث ما ، قد يقع في القاهرة ، وتقال بسببه حكومة الوفــد الحائزة على ثقــة الشعب والبرلمان وتأتي حكومة اخرى يمكن ان تصفــي المقاومة فــي القناة وتعــود بالبلاد الى النقطة التي بدأت منها قبل الغاء معاهدة ١٩٣٦ هذا الالغاء الــذي اعلنه النحاس باشا زعيم الوفــد فــي اجتماع مشتــرك لمجلسي البرلمــان والشيوخ ...)

والغريب ان علي ماهر قد شكل الوزارة الاولى بعد اقالــة حزب الوفد ثم استقال ، وكان اول رئيس لحكومة ثورة ٢٣ يوليو (تموز) ..

لسنا هنا في معرض كتابة تاريخ جريمة حريــق القاهرة ، ولكننا فــي مجال مقارنة حريق القاهرة بحريق بيروت ، فاذا كان حريق القاهرة جاء بمثابة مقدمة لتغيير الواجهات السياسيــة التي كانت تحكم العالم العربي ، فان حريق بيروت هو بالتأكيد البداية لهذا التغيير ..!

هناك العديد من المؤشرات التي تثبت ان جريمة حريق بيروت لم تكن وليدة صراع طائفي او حرب اهلية في لبنان كما اشيع ، وانما كانت (مذبحة) بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة ، وهي تشكل جزءا من المخطط الخطير الذي وضعته المخابرات الامريكية : والقوى الصهيونية المتعاطفة معها ، وبينها قوى عربية غير مجهولة الهوية ، والهدف الاساسي لهذا المخطط ، كما كشفت عنه العديد من الصحف العالمية ، ان تنشغل الدول العربية بمشاكلها الداخلية وتنصرف عن مواجهة ازمة الشرق الاوسط ، وان تتعطل في هذه الدول جميع مظاهر حرية الرأي ، حتى الضئيلة منها ...

بدأ هذا المخطط بجريمة احراق بيروت على التحديد ، ثم اتجه الى السودان ، وقام بزيارة خاطفة للكويت لخلق جو من الفوضى السياسية في دول الخليج واماراته ... وقد شاءت الاقدار ان يسقط تل الزعتر فيتكشف هذا السقوط عن افتضاح بعض جوانب المخطط ، فلا يصاب الكويت بما اصيب به لبنان .. ولكن المخطط لم يتوقف فسرعان ما حط في مصر .. ولعل هذه المصادفة انما جاءت بمثابة تحذير شديد يفسر كلمة الحكيم العربي القديم عندما قال :

(انما اكلت يوم اكل الثور الابيض)

فبينما كانت القاهرة غافية تماما لما كان يخطط لها خلال يومي ١٨ ، ١٩ من كانون الثاني ١٩٧٧ (يناير) تماما كما كانت بيروت غافية في مطلع ايلول ١٩٧٥ ... وبينما كان حريق القاهرة يقارب عمره ٢٥ عاما ، وفي نفس الشهر (يناير) ــ كانون الثاني ــ تشهد القاهرة كما شهدت بيروت ذلك الحدث الكبير الذي هز مصر وايقظها من غفوتها !!

وكما كان حجم الجرح في لبنان غائرا وعميقا ، كذلك كان في القاهرة ... وكما كانت خطة تدمير بيروت مدبرة من قبل كذلك كانت خطة تدمير القاهرة مدبرة من قبل ...

دليل التدبير ذلك الذكاء الخارق في الحدثين في استخدام الكتل البشرية والهاب مشاعرها .. فالشعارات التي رددت في الساحة اللبنانية ، هي نفس الشعارات التي رددت في الساحة المصرية ، والتهم التي وجهت الى سليمان فرنجية واهله ، هي ذات التهم التي وجهت الى انور السادات واهله ... والهتافات التي رددت في المدن اللبنانية هي ذاتها التي رددت في المدن المصرية .... وظاهرة العنف البشع التي ظهرت في لبنان اثناء « المذبحة » هي نفس الظاهرة التي اتسمت بها الاحداث في مصر .. والرغبة الشديدة في التخريب التي تمثلت في الاسواق التجارية على ابشع صورة هي ذاتها التي تمثلت في الممتلكات العامة والخاصة في مصر .. وكان العنف مقصودا في البلدين ...

وشهود العيان الذين رأوا احداث مصر اكدوا ان الايدي التي افتعلت الاحداث في لبنان هي ذاتها التي افتعلتها في مصر .... ذلك انه لم يكن من السهل على المتظاهرين في القاهرة والاسكندرية وغيرهما الحصول على الكيروسين او البنزين او الكرات المشتعلة التي احرقت هذه الكمية الضخمة من الممتلكات على مدى يومين ... كانت اهداف المتآمرين في مصر ، هي اهدافهم في لبنان .. كما ان اهداف المتآمرين في حريق القاهرة ١٩٥٢ هي اهدافهم في عام ١٩٧٧ .

كان هدفهم في عام ١٩٥٢ :

(دور السينما : النصر وفيكتوريا وأوديون وريفولي وفيمينا ومتروبول وكايرو بالاس ومترو وفندقي شبرد وفيكتوريا ، وشركة شل ومطعم سان جيمس ومحلات توماس بار وروبرت هيوز ، وبونـدي ، وسيارات هيلمان وكريزلر وستوديو بيكر وكايرو موتورز) .

وكانت الاهداف عام ١٩٧٧ المركز الرئيسي لمطافىء القاهرة ، واقسام بوليس القاهرة ، ودور الصحف و ... و .... هل عرفنا الآن لماذا صمت

الفنادق الفخمة في لبنان والمتاجر والاسواق ؟

ومع ان الدولة في القاهرة قد اثبتت وجودها وانزلت الجيش لحفظ الامن فان الخسائر في القاهرة بلغت على مدى يومين ١٨ و١٩ يناير (كانون الثاني) ما يقارب مليار جنيه ونصف المليار كان نصيب المرافق العامة وحدها الملايين من الجنيهات .. لقد دمرت ونهبت بعض الجمعيات الاستهلاكية وقطاع التموين ؛ وفي القاهرة فقط دمر ١١ عربة سكة حديد و٢٨٩ اتوبيس ؛ و ٤٠ ترولي باص و ٤٧ ترام .. وامتد الحريق والنهب من القاهرة الى الاسكندرية الى المنيا والمنصورة وغيرها من المدن ..

واذا كانت احداث لبنان قد بدأت بحادث باص عين الرمانة .. فان احداث حريق القاهرة الثاني بدأت على شكل مظاهرات عنيفة اجتاحت القاهرة والاسكندرية وعواصم المحافظات في وقت واحد .. لقد بدأت بمظهر مطلبي تطالب بالغاء قرارات زيادة الاسعار وعودتها الى ما كانت عليه .. وبسرعة رهيبة انقلبت الى التخريب والشغب واحراق المنشاءات العامة والخاصة ووسائل المواصلات ..

ومن يتتبع خط الاحداث على مدى ١٩ شهرا في لبنان ، وخطها على مدى « ١٨ و١٩ » في مصر يظهر واضحا ان الاسلوب كان واحدا ايضا ...

كان يحرك هذه المظاهرات الضخمة جهاز سري مدرب على الارهاب استطاع ان يلهب الحماس ويستأجر الخارجين على القانون ويدفع باللصوص الى الساحة ... وكما اصبح الشارع في لبنان على مدى ١٩ شهرا مفتوحا امام المجرمين واللصوص كذلك فتح في مصر يوم ١٨ ، ١٩ « يناير » كانون الثاني خاصة لامثال هؤلاء من عناصر التخريب ومثيري الشغب وعصابات النهب والسلب والتدمير والحرق .. « لنذكر ان المجرمين في لبنان فتحوا ابواب السجون وسلحوا المجرمين واطلقوهم بدون حدود لممارسة نشاطاتهم».

ففي توقيت واحد خرجت هذه العصابات ووجهتها المحلات التجارية

والمرافق العامة ... وقبل كل ذلك اتجهت الى اقسام الشرطة في جميع المناطق حيث اعتدت عليها حتى تمنع رجالها من الخروج لحفظ الامن .. وكان لهم ما ارادوا ، فقد دوهمت اقسام الشرطة والمبنى الرئيسي لمطافىء القاهرة حتى تعجز عن اطفاء الحريق ... (لا بد ان نذكر هنا كيف كان الرصاص في لبنان ينهال على رجال المطافىء وسيارات الاسعاف لمنعها من الوصول الى اطفاء الحريق وانقاذ الجرحى) ..

وبدأت معالم الخطة لاحراق القاهرة تتكشف شيئا فشيئا .. وضبطت الوثائق التي تحتوي الخطة الكاملة لنسف العديد من المنشاءات الهامة مثل : (الجامعة العربية ، فندق شبرد ، دار الاذاعة والتلفزيون ، وفندق شيراتون ومبنى البريد وادارة مكافحة المخدرات وبنك مصر والهيئة العامة للتأمين والمعاشات ومصانع الشريجي للكبريت والنسيج والمصرف العربي الدولي وكافة محطات البنزين ..) كما تضمنت الخطة احراق مبنى السنترال ومصنع الغزل والنسيج بالمنيا وسنترال المنشية بالاسكندرية ..

وفي المنصورة تم ضبط احد الاشخاص مستغلا تجمع الناس اثناء الصلاة واخذ يوزع منشورات عليهم تتضمن الدعوة لاسقاط النظام ...

في اليوم التالي للحريق يوم ١٩ استهدف المخربون محطات السكك الحديد ، وبدا ذلك انه ليس من تفكير الصبية والعمال ولا الطلاب الذين تظاهروا ، بل من تفكير اجهزة علمية كانت قد اعدت لكل شيء عدته .. فكانت السيارات تطوف هنا وهناك تحرض ، تنقل المواد الملتهبة .. وكان الهدف الاساسي لهؤلاء اقسام الشرطة في الاحياء المكتظة بالسكان ، لان حرق اقسام الشرطة في هذه الاحياء معناه غياب الامن ، وغياب الامن يفتح الباب للمجرمين الصغار لينقضوا على المخازن والدكاكين ... وقد استطاعوا الوصول الى ٣٣ مجمعا استهلاكيا في قلب القاهرة كانت تخدم لا اقل من ثلاثة ملايين انسان ..

وبينما كانت الصحف العالمية تتحدث عن هـذه الجريمة الجديدة كانت الصحف الامريكية صامتة اما الصحف السوفيتية فقـد ندد بالسلطـة وهاجمت النظام ، تماما كما حصل في لبنان ٠٠ ٠

والغريب في الجريمتين ان العالم يعرف هوية المجرمين فـي لبنان ومصر ولكن احدا لا يتجرأ على ذكر هويتهم الصريحة لماذا ؟

لكي تقيد الجريمة في لبنان ضد مجهول ، كما سبـق وقيدت الجريمة في عام ١٩٥٢ ضد مجهول ٠٠٠ ولكن هل تقيد الجريمة الثالثة في مصر ضد مجهول ايضا ٠٠٠

هذه هي المسألة ٠!

***

الثورات تأتي.. ولا تصنع

[redacted] الابناء يأكلون الحصرم

فجأة ، وجدت نفسي بلا قلم ولا ورق واين ؟ في اهدن ، وفـي منزل طوني فرنجية ، وبين جمع من الشباب الزغرتاويين ...

كان هناك في باحة المنزل الذي يسمونه بالقصر ، وهو ابعد منا يكون عن هذه التسمية ، بعض الاطفال يسرحون .. امـا صاحب المنزل فقـد كان يصغي اكثر مما كان يتكلم ..

كان وجودي في تلك الامسية مـن غروب السبت ١٩ تشريـن الثاني ١٩٧٥ في ذلك المكان يستدعي التساؤل .. فالذيـن علموا بتركـي بيروت والذهاب الى الشمال اجمعوا على وجود خلل في عقلي ، فقـد كانت بيروت في ذلك اليوم يسيطر عليها الرعب .

كانت الصواريخ والرصاص والقنابل تنطلق بغير هـدف لتستقر فـي البيوت الامنة وتقتل الابرياء ..!

جثث القتلى والجرحى في الشوارع لا تجد من يقترب منها ... معظم المباني اصيبت بالشظايا .. المقاهي الفخمة والانيقة تحطمت .. ليالي بيروت المعروفة بالمرح تحولت الى حريق ودخـان واصوات انفجارات لا تتوقف .. والمدينة لا يحكمها القانـون .. انمـا يحكمهـا الدمـار والرصاص و .. الموت !

وسط هذا الجو المحموم كنت هناك في اهدن ، وفـي المنـزل العريق الذي يعرف سكانه الكثير من الاسرار عن اسباب وصول لبنان الـى هـذا المنحدر ولا يتكلمون ..

وقد كان لتركي مدينة بيروت اكثر من سبب .. فحين بـدأت لجنـة الحوار الوطني اعمالها كان هناك من يتحدث في القصر الجمهوري ببعبدا الى الرئيس فرنجية عن موقف نجله طوني حيال الازمة التي عصفت بشمال لبنان وجنوبه ووسطه .. وكان المتحدث ينتظر من الرئيس ان يجاري محدثه فـي ارائه التي تتضمن استنكار مواقف طوني ، خاصة عندما قال له :

(... يا فخامة الرئيس نحن نعمل بتوجيهات فخامتك في اطار التهدئة، وطوني بك يقود بنفسه عملية التصعيد في اهدن ... فهل تقبل بهذا يا فخامة الرئيس ؟)

ظهر عدم الارتياح على وجه الرئيس من هذا الحديث ، واستوى عـلى مقعده وهو يضغط على اعصابه لكي لا تنفجر وقال لمحدثه :

(ماذا فعل ولدي لكي يغضب صاحب السماحة ... تأكد انه لـو فعل غير ما فعله لما كنت راضيا عنه .. انا اعرف طوني جيدا ، واعرف انه يتصرف وفق تقاليد وعادات البيت الذي انجبه والبيت الذي رباه .. ثم انه لم يعـد صغيرا .. فهو متزوج ، ولديه ولدان ، وهو نائب .. وليس من عادات بيتنا ان يتدخل في شؤون الابناء حين يصبحون في موقع المسؤولية .. مـا فعله طوني اثناء الاحداث يستحق ان نتفحصه جيدا قبل ان ننتقده) !!

هذه العبارات كانت من بين العوامل التي دفعتني للانتقال مـن بيروت الى اهدن رغم الاخطار التـي تحيق بمثل هـذه المغامرة .. ولعـل الجنون الجماعي الذي كان يسيطر على بيروت في تلك اللحظات هـو الذي زين لي ضرورتها .. ان الجميع يقرون ان الحقائق ليست متوفرة .. وان ما ينشر في الصحافة لا يتعدى الاستنتاج الذي لا يخلـو مـن الغرض ... فلمـاذا لا يتصدى احدنا لمعرفة الحقائق بنفسـه ؟

لا انكر انني حين سمعت طوني فرنجية يتكلم الى زائريه بدأت الاسئلة

التي زرعتها في مخيلتي لتوجيهها اليه تتبخر .. فتصرفاته الهادئة ، وعفويته ، وتباسطه مع جلسائه ، كل هذا دفعني لان اضع اسئلة جديدة مستوحاة من الجو الذي طالعني .

كنت اتخيل انني سألاقيه يرتدي الثياب العسكرية ، ويمنطق خصره بالقنابل والمسدسات ، ويصدر الاوامر الى الانصار ...

أليس هو ، الذي ، كما قيل ونشر واذيع في انحاء العالم ، يتولى قيادة جيش التحرير الزغرتاوي ؟

ألم تكتب عنه الصحافة بانه اضحى من كبار متعهدي الفتن والحروب ؟

أليس هو الذي ملأ الدنيا اللبنانية ، وشغل الناس طيلة سنوات ولاية والده ؟

ألم تتطوع الاقوال لملاحقته وتطويقه ، سواء كان في اهدن يحل مكان والده ، او في بعبدا يشارك في الاجتماعات بصفته رئيسا لكتلة برلمانية تضم ثمانية نواب ... او وزيرا في الوزارة ؟

ـ طوني فرنجية وراء كل ازمة عصفت بلبنان ..!

ـ طوني فرنجية يختفي وراء كل صفقة دسمة ..!

ـ من اجل طوني وبسببه كانت الوزارات تسقط ويعاد تأليفها .!

هذه نماذج متواضعة جدا من الاقوال التي كانت تتجول على افواه السياسيين ابتداء من العميد ريمون اده ، وانتهاء بصائب بك ، ومرورا بالعديد من مقتنصي الاخبار وسماسرتها ..

واذا كان من الطبيعي ان يخوض الناس في سيرة نائب شاب تولى الوزارة اكثر من مرة ، وحدث ان اختلف مع والده رئيس الجمهورية حول قضايا سياسية معروفة منها اعتماد والده على عتاق السياسيين ... فانه ليس

من الطبيعي ان يختلق على لسان الشاب الكثير من الاقوال التي تفتقر الى التأييد ... من هذه الاقوال ان طوني فرنجية وقف في مؤتمر بكركي وطالب بتقسيم لبنان بحضور زعماء الموارنة .

لقد نشر في اكثر من صحيفة لبنانية ان نجل رئيس الجمهورية قال في هذا المؤتمر :

(... لم يعد بامكان المسيحي ان يعيش مع المسلم تحت سقف واحد .. ولا بد من تقسيم لبنان بعد فشل التعايش) .

وتلقفت الاندية السياسية هذه العبارات ، واضافت عليها بان الابن مكلف من قبل ابيه رئيس الجمهورية بعرض هذا الرأي في مؤتمر بكركي .

كان طوني فرنجية ما يزال يتحدث الى زواره حين عادت بي الذاكرة الى ميثاق ١٩٤٣ ، هذا الميثاق الذي ساهم في وضعه حميد فرنجية شقيق سليمان ... والمطالبة بتقسيم لبنان تنسف هذا الميثاق من جذوره ... وتنسف معه الكيان ، فهل صحيح يا ترى ما نسب الى الابن باسم الاب ؟

لقد سمعت من رشيد كرامي رئيس الوزراء عشية تأليفه الحكومة قوله :

(.. ان مهمتنا تنحصر في الاعداد للمصالحة الوطنية وتغيير ميثاق ١٩٤٣ الذي عفا عليه الزمن) .

لقد عقد هذا الميثاق في اعقاب استقلال لبنان ، واعطى الحق للطوائف من الاشتراك في حكم لبنان ، وترتب على ذلك ان يكون رئيس الجمهورية ماروني ، ورئيس المجلس شيعي ، ورئيس الوزراء سني ... فهل يمكن الاستنتاج ان هذه الصيغة قد اهتزت فطالب رشيد كرامي بالتغيير ، وطالب طوني فرنجية باسم ابيه بالتقسيم ؟

وليست هي المرة الاولى التي يقال فيها على لسان رئيس الجمهورية ان تقسيم لبنان بات يفرض نفسه ... فقد سبق ان نشر على لسان سليمان فرنجية وفي بعض المجلات المنتشرة في العالم العربي ، ان رئيس الجمهورية صارح حكومة الانقاذ فور تأليفها بانه لا حاجة لتدمير لبنان من اجل تحقيق مكاسب طائفة على حساب طائفة اخرى ... والافضل ان تتفق على صيغة تحسم النزاع بدلا من هذا الاقتتال المعيب ..

قطع الحوار (الاخواني) الذي كان يدور بين طوني فرنجية وجلسائه دخول سيدة من اهل البيت سلمت على الجميع واحتضنت طوني بك وهي تقول :

(.. خي ما احلى الجو في اهدن ، على الاقل هون ما في كذب) .!

عبارة السيدة التي انطلقت من فمها بعفوية دفعتني لان التزم بالصدق حين اجتمع بطوني فرنجية على انفراد ، لقد صممت على ان اصارحه بكل شيء سمعته عنه ، ابتداء من حديث الصفقات المشبوهة التي الصقت به ، وانتهاء بمطالبته بتقسيم لبنان في اجتماع بكركي ..

حين دعينا الى غرفة الطعام عرفت اسباب وجود الاطفال بكثرة في تلك الامسية ... فالمناسبة هي الاحتفال ببلوغ (سليمان) نجل طوني سنته العاشرة ...

لم يكن جد الطفل من بين الحضور ، بل كان هناك في بعبدا يسير على درب الآلام ويتوجع ... ومن المؤكد انه كان متأثرا لغيابه عن هذا الاحتفال ... فالمعروف عن سليمان فرنجية تعلقه بعائلته الكبيرة ، العائلة الزغرتاوية ، والعائلة الصغيرة ، عائلة فرنجية ... انه يعرف جميع افراد العائلتين ، ويحرص على استقبالهم في منزله حين يكون في اهدن ..

الحفلة بسيطة ومتواضعة .. الشيء الوحيد الذي يميزها تلك الحفاوة التي تطوق المنزل الهادىء الخالي من الكذب ...

عشرة اطفال ، وعشرة شباب ، وخمس سيدات تحلقوا حـول الطفـل سليمان الذي اطفأ الشمعات ، وشقيقته (جيهان) التـي لم تبلـغ شهورها الخمسة تضحك بين يدي والدها .. وكم كان اهل الدار يودون لو كان الجد بينهم ... ولكن من كان في تلك الساعة يجهل اسباب تخلفه ؟ لقد كان الجو حزينا في انحاء اهدن وزغرتا ... وكذلك كان الجو في المنزل الذي يحتفل بهذه المناسـبة السـعيدة ..

ولعل هذا الجو نفسه كان يسيطر على جميع اللبنانيين ... فهـذا منزله قد احترق ، وذاك ابنه قتل ، وذياك متجره قـد دمر ... هنـاك ـ ٤٨٣ ـ عائلة زغرتاوية تركت متاعها ومتاجرها ومنازلها فـي طرابلس ونجت بارواحها لاجئة الى اهلها في زغرتا والمناطق المجاورة ...



ثمة شيء تمتاز به زغرتا عن غيرها من المناطق اللبنانية وهو جـرأة اهلها على الخوض في المواضيع السياسية بمنتهى الصراحـة ... انهم يعرفـون تفاصيل السياسـة اللبنانية ودقائقهـا ... ثم انهم يقتتلون فيمـا بينهم اثناء السلم ، ولكن ما ان يشعروا بالخطر حتى يتكتلوا ..

لقد سمعت من خصوم آل فرنجيـة السياسيين ، وممـن شخصيات لم تقترب من العهد وصاحبه ان الرئيس سليمان لا يستحق كـل هـذا التجني الذي لقيه .. وخاصة من اهل اليسار !

فهو اول رئيس لبناني يأتي الى الحكم بدون ارتباطات خارجية مسبقة، واول رئيس لبناني يترك للقوى السياسية الماركسية حرية التعبير عن رأيها.. واول رئيس لبناني يتصرف حيال السفير الامريكي كما يتصرف مع غيره مـن السفراء دون تمييز ... ولا يستغرب اذكياء زغرتا وقـوع الاحداث الكبيرة في عهده ... لقد رفض ويعناد ان يحول لبنان في عهده الى مركز نفوذ لهذه الدولة الغربية او تلك الشرقية ... مع انـه قدم للاحزاب اليسارية ، وخاصة

الحزب الشيوعي ، الضمانات الكافية لمزاولة نشاطاتها بحرية تامة ... فماذا كانت النتيجة ؟

في عهده شق اليمين المحسوب على النظام ، والمعادي للشيوعية ، شق عصا الطاعة على الدولة وحمل السلاح باسم الدفاع عن النظام ... مقدما للعناصر المعادية للنظام فرصة العمر ، وهي افساح المجال امام الماركسيين لحمل السلاح ايضا ...

ان ابناء زغرتا يروون لكل من يسألهم ان هناك الكثير من العروض (الغربية) قدمت الى الرئيس ليضرب العمل الفدائي في لبنان لقاء مساعدات ضخمة لم يسبق ان قدمت الى اي من الدول العربية وكانت النتيجة ان ذهب الرجل الى هيئة الامم ليتكلم باسم العرب عن القضية الفلسطينية ... فماذا كانت النتيجة ؟

ان جميع القادة العرب يعرفون تفاصيل هذه العروض ، والجهات التي قدمتها ، ويعرفون بالتالي جواب الرئيس فرنجية عليها وقوله :

(... ان هذا لا يتم وسليمان فرنجية في الرئاسة ، فاذا شعرت ان هناك من يعمل لضرب العمل الفدائي في لبنان من فوق السلطة اللبنانية ، فسأكون اول من يحمل السلاح للدفاع عن شرف القضية الفلسطينية) .

واذكر هنا انني اجتمعت بالسيد صلاح خلف (ابو اياد) في بداية احتدام القتال في لبنان ، وكان يردد امامي عبارة السيد ياسر عرفات التي طالما رواها امام القادة الفلسطينيين وهي :

(انا لا اخاف على الثورة الفلسطينية في لبنان طالما ان سليمان فرنجية هو رئيس الجمهورية ..)

فما الذي جعل عرفات يعلن الحرب على فرنجية ، ودفع بفرنجية ليقابله بالمثل ؟

ان الذين يعلمون يصمتون ، والذين لا يعرفون يملأون الجو صياحا ، وبين الصمت والثرثرة الفارغة تغيب الحقائق .. ويمكنني ان اقول ان المؤمنين بالقضية الفلسطينية وعدالتها سيذكرون بعد وقت قصير انهم اضاعوا الفرصة الثمينة ليحققوا مكاسب لهذه القضية اثناء وجود الرئيس فرنجية في الحكم ... فقد كان بيت الرجل وصدره مفتوحان لتحقيق كل ما تطلبه الثورة الفلسطينية من لبنان ... مقابل شيء واحد وهو ترك الفرصة للبنانيين ليديرون شؤونهم بانفسهم بعيدا عن المداخلات الخارجية ، وبعبارة اوضح فان فرنجية كان على استعداد تام لينفذ كل الاتفاقات المعقودة مع منظمة التحرير مقابل عدم تورط الفلسطينيين في تحالفات مع جنبلاط ويساره ... ترى من الذي اغلق باب فرنجية في وجه الفلسطينيين وبالعكس ، ومن الذي اوغر صدر فرنجية ضد الفلسطينيين وبالعكس ...؟

الطريف في هذه القضية بالذات ان الجميع يعلمون التفاصيل والحقائق والاسرار ، ولكن احدا لا يتجرأ على البوح بها لماذا ؟

❋ ❋ ❋

حول طاولة مستديرة ذابت عليها عشرات السجائر ، وكثرت فناجين القهوة الغادية والعائدة رميت اسئلتي دفعة واحدة امام طوني فرنجية ... وتركته يتحدث دون ان اقاطعه ... ولا اعتقد ان هناك سؤالا يمكن ان يفكر به لبناني واحد لم اوجهه اليه (بدون كذب) .!

ما من مرة رأيت صورته المتعالية التي يتعمد البعض ابرازها للنيل منه.. الا وفكرت بعدم الاقتراب منه ..

ولكن ما ان تقلب وجه العملة الاخرى حتى ترى الشاب المعتد بنفسه.. وهذا الواقع تجسده الاضواء والظلال لشاب وجد نفسه يضطلع بمسؤوليات كبيرة وهو ما يزال في مطلع شبابه ..

كنت اتخيله قبل لقائي انه ملتزم باراء هزمها العصر لانهـا ضد التاريخ ... فلبنان لم يعد يتحمل ابنـاء الزعماء الذين يأتـون الـى السياسة باسم ابائهم .. ترى هل تغيرت هذه الصورة بعد ان سمعت حديثه ؟

ـ اعذرني اذا تحدثت على سجيتي ، فمنذ بـدأ الاعصار المدمـر يلف بلادي وانا في شبه غيبوبة ... فلم أكـن اتصور ان تاريخا مـن الاخـوة والعلاقات التي تشد طرابلس الـى زغرتـا ، وبالعكس ، سيدمر علـى هذا النحـو .!

قال طوني فرنجية عباراته هذه ثم راح يحدق مـن شرفة منزله بمدينة طرابلس التي كانت علـى مرمى بصره ... ثم سرعان مـا استأنف حديثـه باطمئنان بعد ان رآني اصغي اليه دون ان اسجل اقواله علـى الورق ، فليس اشق على المسؤول من تسجيل اقواله امام عينيه ..

قلت له اريد ان اصدقك القول ، وأمـل ان تصدقني بدورك ... فلم يعد هناك مجال لاخفاء الحقائق .. ان لبنان يعيش مفترق طـرق ولا يدري احد ماذا يخبئون له في اوكارهم .. قال :

ـ وهل اوصلنا الى هذا الحال سوى الكذب ؟

ساعتان ونصف وطوني فرنجية يتحدث دون ان يظهر تأففه بالرغم مـن عشرات الهواتف الاضطرارية التي كانت تأتيه لتسأله :

ـ كيف الحالة ؟

ـ نشكر الله نأمل ان تتحسن ..

ساعة كاملة عرفت من خلالها قصة آل فرنجيـة .. ان العائلـة لا تهتم كثيرا بالاقوال ، فقد اعتادت عليها .. والصغير فيهـا يحترم الكبير ... وفي هذا يقول طوني :

(.. ان كل تصرف يقدم عليه والدي لا يرتجله .. لقد اختلفت معه كثيرا ، ولكني في النتيجة ادرك انه على حق ، لانه يؤمن ان وطنه على حق .! لقد وصفتني اثناء حديثك بالتعالي .. قد يكون هذا حق .. ولكني لا انفرد بهذا الوصف ، فكل زغرتاوي متعاليا .. قد يكون هذا خطأ ، ولكن البيئة التي نعيش فيها تجعلنا نعتز بكرامتنا الى اقصى الحدود ، ولهذا تكثر حوادث القتل بيننا ... تستطيع ان تأخذ من الزغرتاوي كل شيء بكلمة طيبة ولكن حذار الاقتراب من كرامته .. عندها يفقد توازنه ..

وهناك ناحية هامة من حياتنا مجهولة ، وهي أن المواطن عندنا يلزم زعماءه بالولاء للوطن فقط ، ولا يسألهم عن الانتماءات . لذا تجدنا نبتعد عن سوق المزايدات ، ونترفع عن المساومات السياسية .. ان الارض التي ننطلق منها هي الارض التي نعيش عليها ، وجمهورنا هو الجمهور الذي انتخبنا .. وهذا الجمهور يعرف جيدا ان نوابه ليسوا بحاجة الى استجداء التأييد من هذا وذاك من خارج الدائرة الشعبية ... هكذا تصرف جدي ، وهكذا تصرف والدي ، وعلى هذا النحو سأتصرف . كان بامكاننا ان نرد على الذين اتهموني كما تقول بالوسائل المتعارف عليها في لبنان .. ولكن هذا يحتاج الى مال .. فما هو موقفي حين يعرف الناخب الزغرتاوي انني دفعت مالا لهذا أو ذاك ليعبر عن رأيي .. فقد يكون هذا التصرف مرفوضا في العرف السياسي المألوف لدينا ، ولكن ليس بامكان طوني فرنجية ان يفعل غير ما يفعله والده .. واذا كان كل من يعمل يخطىء ، فقد اخطأت لانني كنت أعمل ، ولكني اؤمن في أعماقي ان جميع ما قيل ونشر ضدي يتبخر عند أبواب زغرتا واهدن .. وأنا أعلم جيدا لماذا تسلط على الاضواء .. وأبناء منطقتنا يعلمون .. لهذا لا أهتم ، ولا وقت لدي أضيعه بالرد .. ولكن ما أزال أستغرب كيف ان البعض يتهم الآخرين دون ان يكون لديه اي دليل .. دليل واحد يعرضه أمام ناخبيه الذين يعلمون عنه كل شيء ... ومهما كان رأي الآخرين بسلوكي السياسي ، فان عائلتي أول عائلة في لبنان وصلت الى الحكم وأعطت تعهدا خطيا يقضي بالاعتراف المادي بأن جميع ما تملكه

زيادة عما كانت تملكه قبل رئاسة سليمان فرنجية ، انما هو ملك لنقابة الصحافة .. وهذا الاعتراف موقع وموجود لدى نقيب الصحافة وبامكانه تطبيقه الآن وغدا وفي أي وقت يشاء .. لهذا لا أريد أن أخوض في موضوع الاتهام الذي يفتقر الى دليل .. أشاعوا انني اشتريت فندق البستان .. وان لدي العديد من المزارع في البقاع وان ... وان ... الى آخر (الاثات) الموجودة في جعبتهم .. عبارة واحدة أقولها لهم وهي ان الدستور لا يحمي المستغل مهما كانت صفته .. ليذكروا دليل واحد لديهم على استغلالي ، وأنا على استعداد لان أضع نفسي تحت تصرف القضاء ...

حاولت جاهدا ان أدفع محدثي دفعا الى حافة الصفقات المشبوهة التي قيل أن غيره من السياسيين قد اقتنصها ، ولكن طوني فرنجية كان يرفض الخوض في هذا الموضوع .. وحين كان يأتي على ذكر من أوسعوه نقدا ، كان يذكرهم بألقابهم .. الاستاذ كمال جنبلاط ، العميد ريمون اده ، الرئيس صائب سلام ... وكان شديد الاستغراب من جميع الذين يلاقون والده بوجه ، ويلاقون الناس بوجه آخر ... واذا كان طوني بك قد ذكر لي العديد من الاسرار حول القضايا الشائكة التي تدين العديد من الذين سلقوه بألسنتهم وطلب مني اغفالها الى ان يحين وقت ذكرها .. فان هنالك شيئا لا بد من ذكره هنا لعلاقته بتطور الاحداث التي قادت الى المذبحة .

انه حديث المرسوم ١٩٤٣ الذي حاول والده من خلاله استباق الاحداث ، فكانت النتيجة ان قامت الدنيا ضده ولم تقعد الا بعد ان سحب رئيس الحكومة صائب سلام هذا المرسوم .. ترى لو طبق هذا المرسوم هل كان الغلاء في لبنان يصل الى حافة الجنون ؟ ان لبنان عاش بفضل قبضة من المحتكرين الشرسين المحسوبين على النظام كأغلى بلد في الدنيا ، وطوني بك لا ينكر أن هذا المرسوم قد أقصى عن قصر بعبدا العديد من الاصدقاء ، ولكنه يردف .

نحمد الله على أنهم كشفوا بأنفسهم عن اسباب صداقاتهم .!

وسألته :

ـ نحن نعلم انك تعرف الكثير عن أسباب المأساة الدامية التي تعصف بلبنان . . سواء من حيث موقعك العائلي ، او موقعك السياسي ، فهل هناك مؤامرة بالفعل لتدمير لبنان على هذا النحو ، ام ان الامر لا يعدو تراكم الاخطاء بعضها فوق بعض فكان الانفجار ؟

ـ مؤامرة ... بلى هناك مؤامرة . ومؤامرة أكبر من حجم لبنان ، ومن منا بات يجهل اسماء المتآمرين وهوياتهم ... اسأل أي لبناني وهو يجيبك بدون تردد عن الاشباح التي تتجول في الظلام لتقتل وتدمر وتصطاد الابرياء ... والغريب في هذه المؤامرة ان الجميع غرقوا في وحلها .

كان طوني فرنجية يستعيد من ذاكرته ما يعرفه عن المؤامرة وانا أستعيد من الذاكرة بدوري ما سمعته عن المتآمرين وأدوارهم ... وحين رويت لطوني بك ما سمعت من تفاصيل عن المؤامرة قال :

ـ اذا كان العدو يفكر بالتآمر ، فلا بد ان نفكر نحن بكيفية قطع الطريق على تآمره .. القضية تخصنا نحن أبناء الوطن ، وتخص أيضا أبناء فلسطين ، وأبناء العرب ... فلماذا لا تجتمع الاطراف الثلاثة وتتكاشف ؟ في قناعتي ان التآمر لا ينجح الا اذا توفر له المناخ والارض الصالحة ... ومن المؤسف ان أقول والالم يحز في نفسي اننا قد مهدنا بأيدينا الارض للتآمر كما وفرنا له بأنفسنا المناخ الصالح ... نحن الذين صنعنا كل هذا . . وأقصد (بنحن) رجال السياسة اللبنانيين والقادة الفلسطينيين ... البعض عن جهل وانفعال والبعض الآخر عن قصد لقاء دراهم معدودات . واذا لم تخني الذاكرة فان العدو بدأ يفكر بالتآمر على لبنان منذ ظهور الجدل حول اتفاقية القاهرة ، وأعتقد من خلال معلوماتي ان التآمر استهدف ثلاث جبهات :

١ ـ ضرب الاحزاب والفئات اللبنانية المعروفة بتمسكها بسيادة لبنان..

٢ ـ ضرب الجيش اللبناني كمؤسسة والقضاء عليه عن طريق اظهار عجزه تارة ورميه بالطائفية أخرى .

٣ ـ جعل الحوار اللبناني ـ الفلسطيني مستحيلا ..

ولنسأل انفسنا قبل ان نسأل غيرنا ، ماذا فعلنا نحن حيال كل هذا ؟ وقبل أن نسأل القادة الفلسطينيين نريد ان نسأل الساسة اللبنانيين : هل استطعتم الوصول الى صيغة معقولة للتواجد الفلسطيني في لبنان بدون مزايدات وتشنجات ..؟

ثم لنسأل الفلسطينيين بهدوء : لماذا فشلت الاتفاقيات الاربع التي أقرت من قبل السلطة اللبنانية الرسمية ومنظمة التحرير ، ولم تنفذ ؟

اتفاقية القاهرة ـ اتفاقية ملكارت ، الاتفاق بين فرنجية وعرفات . والاتفاق الذي عقد بين كرامي وعرفات .؟ من هو المسؤول عن هذا الفشل السلطة أم منظمة التحرير ؟

سؤال هادىء أضعه أمام الجميع وأنتظر الاجابة عليه .. فمن المؤكد ان عدم تطبيق هذه الاتفاقيات لا يعود الى النوايا السليمة التي كانت متوفرة لدى الطرفين ، ولا أقول هذا مجاملة ، او محاولة لذر الرماد في العيون .. بل أقوله وأنا مؤمن بأن الامر لو ترك للطرفين فقط لما وقع الصدام .. ولكن، ولنقلها بصراحة ، هناك بعض الاشقاء العرب يعملون مع بعض الاطراف الاجنبية لجعل الصدام حتميا بين اللبنانيين والفلسطينيين ، ولجعل اللقاء بينهما مستحيلا ..

ونلاحظ باستمرار ان موضوع التشكيك بالجيش اللبناني يرافق عادة موضوع العلاقات الفلسطينية ـ اللبنانية ... وهنا أريد أن أسأل صائب بك لماذا استقلت بعد حادثة استشهاد القادة الفلسطينيين الثلاثة فاتحا بذلك باب الحديث عن الجيش اللبناني والتشكيك بتصرفاته ونواياه .. في اعتقادي ان هذه الاستقالة كانت بمثابة الباب الضيق الذي دخل منه أعداء النظام وأعداء لبنان ... قبل الاستقالة كان الحديث يدور عن طائفية الجيش في الحلقات المغلقة ، وخلف الجدران ، أما بعدها فقد أصبح حديث الافواه ... فهل هناك بلدا في العالم يقبل ان يكون جيشه موضع اتهام على هذا الشكل

الفاضح ؟ ومع ان قائد الجيش قد ترك منصبه ، فان التشكيك بالجيش ما يزال مستمرا ، وعلى نطاق واسع .. أليست هذه المحاولة تستهدف هدم الجيش كمؤسسة؟ لقد أقرت حكومة الانقاذ (كرامي) قانونا للجيش، فلماذا لا يقره المجلس النيابي ؟ لقد كان من الطبيعي ، بل من الواجب ، ان تتصدى الفئات اللبنانية المرتبطة بالنظام للدفاع عن الجيش ، وهنا وقعنا جميعا في الفخ الذي نصبه المتآمرون ..

واذا كان الشق الاول من المؤامرة الهادف الى ضرب الأحزاب المحلية بات واضحا ، والشق الثاني وهو التشكيك بالجيش قد شرحته وفق قناعاتي ، فان الشق الثالث وهو جعل الحوار اللبناني ـ الفلسطيني مستحيلا يبدو غائبا عن الافهام ... وسأذكر في صدد ذلك الوقائع فقط ..

بعد أن بلغ اسماعنا حادث (البوسطة) في عين الرمانة (حادث بداية الانفجار) ، وكنت وزيرا في حكومة رشيد الصلح ، بادرنا الى عقد اجتماع الحكومة في مبنى قيادة الامن الداخلي . لقد وقع الحادث حوالي الساعة الثانية ظهرا ، وحوالي الثالثة كان الوزراء مع رئيسهم يبحثون في أمره ، يومها قلت أمام ١٨ وزير :

(.. لا بد من القاء القبض وبسرعة على جميع من اشترك بهذه الجريمة وتقديمهم للقضاء ليفصل بأمرهم .. فالموضوع خطير ولا شك ، ولا بد من تطويقه عن طريق اجراءات سريعة وحاسمة .. ليأمر وزير الداخلية الآن ومن الهاتف رجال الدرك بالتوجه الى عين الرمانة لالقاء القبض على كل من يثبت أنه فاعل ، وهذا التصرف طبيعي ومألوف في الحالات العادية ، فكيف تجاه الوضع الذي نعيشه ، فقال الرئيس رشيد الصلح :

ان مثل هذا الاجراء يتطلب موافقة الشيخ بيار الجميل ، لان المنطقة التي وقع فيها الحادث يقطنها المسيحيون وفيها مكتب للكتائب .. فهل هناك أي مانع من استشارته ؟

وحين لمس الصلح موافقة جماعية اتصل بالشيخ بيـار الجميل الـذي ولفانا الى مكان للاجتماع فورا وقال لنا : وأنا أشهد على ذلك ١٨ وزيرا :

تصرفوا كما تريدون ، واذا اعترض أحد فسأعتقله بنفسي ، واذا فتحت فمي احتجاجا فبامكانكم اقفاله •• القضية خطيرة وعـلى الحكومة ان تتحمل مسؤولياتها ••

كانت النتيجة ان صدرت مذكرات توقيف بحق عشرة أشخاص أحدهم كان مسافرا ، وتوجه رجال الدرك حوالي الساعة الواحدة ليـلا الـى عـين الرمانة لاعتقال من صدرت بحقهـم مذكرات توقيف ، ومـا ان انطلقت أول رصاصة في وجه رجال الدرك حتى انسحبوا ••• فمن هو المسؤول عن هذا التصرف ؟ لا أدري •! ولكن الذي أدريه هو قول الوزير خالد جنبلاط :

نحن لا نقبل بأن تحقق الكتائب انتصارا على المقاومة ؛ ولا بد من اتاحة الفرصة للمقاومة لتحقيق نصر على الكتائب ••

بعد ذلك تدافعت الاحداث ، وتفاقمت واصطبغت الارض اللبنانية بدماء اللبنانيين والفلسطينيين •

ماذا عن الحرب بينكم وبين اهلكم في طرابلس ؟ أجاب طوني فرنجية

نحن لم نهاجم ، ولكننا دافعنا عن الطيش الذي كاد ان يودي بأهلنا •• ثلاثة آلاف مسلح ، وربما أكثر زحفوا باتجاه زغرتا فماذا تريد منا ان نفعل ؟ هل نتركهم يصلون الى منازلنا هنا ليدمروها كما دمروا منازلنا ومتاجرنا فـي طرابلس ؟ كل ما جرى هو ان ابناء المنطقة تجمعوا وانطلقوا يحرسون منافـذ الطرق ؛ وثق اننا كنا مدافعين ولم نكن مهاجمين •• اما من أين يأتينا السلاح فالجميع يعلمون قصة السلاح في هذه المناطق وتوفره بكثرة •• وأحمد الله الآن على ان السلاح الثقيل لم يكن متوفرا لدى المتحمسين من شبابنا ومـا أكثرهم ، لقد كان لدينا بالفعل بعض السلاح الثقيل وقد جلبناه للتدريب وقد حرصت على أن أبقيه (تحت القفل) في منزلي ولم أسلمه الى أحـد ، وقـد

سبب لي هذا التصرف الكثير من الاحراج والنقد ، وسامح الله الذين نسجوا من مخيلتهم القصص حول هذا الموضوع .. لقد كنت وما أزال أؤمن ان القتال لن يوصلنا الى نتيجة ، فماذا لو دخل الطرابلسيون مناطقنا ، او دخلنا مناطقهم فهل ستكون النتيجة غير الانسحاب واعادة الارض والمنازل الى أصحابها ؟

هذه الحقائق معروفة جيدا في طرابلس ولا أريد أن أخوض طويلا في حادث داريا ووقوع الضحايا بفعل تصرفات رعناء سببها جنون فرد كاد أن يقتل أهله الذين تصدوا له .. أما الذين ظهروا في الصحف باسم بقايا الضحايا فهم يعرفون قبل غيرهم الدور الذي قمنا به لانقاذهم .. ولعل الذي قال انني كنت شاهدا على هذه المجزرة سيراجع ضميره بعد حين ويذكر الحقائق ..

ضحك طوني فرنجية لاول مرة منذ بدأنا حديثنا وأنا أقول له :

ولو ... وجيش التحرير الزغرتاوي ألم يقاتل ؟

جيش التحرير الزغرتاوي ؟ صدقني أنه لا يوجد لدينا جيش بهذا الاسم ..! تحرير ؟ تحرير ممن ؟ نحن لا نريد أن نحرر أحدا ... اسأل أصدقائك هنا ولديك منهم الكثير وهم سيخبرونك الحقائق عن هذا الجيش المزعوم .. كل ما هنالك اننا لاحظنا عام ١٩٦٨ ظهور موضة (الخنفسة) في أوساط شبابنا ، لهذا اسست مع مجموعة من اخواني الشباب ناديا تحت اسم (النادي الاجتماعي الزغرتاوي) ، وقد انضم الينا العديد من الشبان من أعمار مختلفة (١٦ ــ ١٧ ــ ١٨) وأقمنا مخيما لهم ورحنا ندربهم على استعمال السلاح بدلا من ان نتركهم فريسة (الخنفسة) وكان من بين المنتسبين بعض الطرابلسيين ، فكان المسلم يتدرب الى جانب المسيحي ... هذا النادي هو الذي أطلق عليه البعض (جيش التحرير الزغرتاوي) ، وقد أثبت شبابنا أثناء الصدام أنهم كانوا مقاتلين وليسوا مجرمين ... ولم يكن القتال الذي جرى مفاجأة لنا ، لقد خطط له منذ وقت طويل ، ومن المؤسف ان المخطط قد

نجح ... ففي عيد المولد النبوي نسفت بعض متاجر الزغرتاويين في طرابلس. ويومها سألت الرئيس رشيد كرامي :

ـ يا دولة الرئيس اذا حدث مرة أخرى ان نسفوا منازلنا ومتاجرنا فمن هو المسؤول ؟ أجاب :

ـ أنا المسؤول .. وهذا لن يحدث ..

ولكنه حدث والرئيس كرامي في الحكم ؟

بعد هذا انتقلنا للحديث عن اجتماع بكركي (ضم زعماء الموارنة) وما جاء على لسان طوني فرنجية بأنه طالب بالتقسيم ... لم يكن طوني فرنجية قد قرأ ما جاء على لسانه في الصحف ، ومع ذلك قال :

هل يعقل ان ابن سليمان فرنجية يتفوه بمثل هذا الكلام ؟ صدقني اننا لم نتطرق في الاجتماع المذكور الى هذا الموضوع ... ثم من قال للصحفي انني أنا الذي طالبت بالتقسيم ؟ لم يكن بيننا اي صحفي ، والذين شاركوا في الاجتماع لا يعقل ان يزوروا حديثا على لساني لم أتفوه بـه ، واذا كان هناك من همس باذن الصحفي بالقصة الملفقة ، فمعنى هـذا أن الهامس صاحب مصلحة .. وهنا لا حاجة للرد ..

ولا بأس ان أذكر لك حادثة يشهد عليها ١٨ وزيرا .. لقد دار نقاش حار بيني وبين الاستاذ اويس ابو شرف بعد حادثة عين الرمانة ... لقد كنت الماروني الوحيد الممثل في الوزارة ، وقد اشتد النقاش بيننا حـول الحادث فقلت :

الى أين تريدون الوصول بلبنان من خلال تصرفاتكم ..؟ هـل تريدون الوصول الى التقسيم ؟ اذا وصلتم الى هذا المطلب فليس بيننا من يساندكم.!

آخر سؤال طرحته امام الشاب الذي يتطلع الـى مستقبله باطمئنان رغم كل ما حدث هو : هناك الآلاف من اللبنانيين الاغنياء الذين سافروا الى أوربا

والحقوا اولادهم بالمدارس الافرنسية ، واستأجروا منـــازل لهم فـــي باريس ونيس وكان فما رأيك بأمثال هؤلاء ؟

مثل هؤلاء غير جديرين بشرف الانتساب الى هذا الوطن ، انهـــم مـــن اسباب المأساة ، وسنكون جد سعداء اذا ظلوا حيث هم ولم يعودوا ..!

ما هو التأثير النفسي لهذه المأساة لدى أبناء زغرتا ؟

نفس التأثير الذي لدى اخوانهم الطرابلسيين .. ومن المؤكد ان هنـــاك ردود فعل ستظهر آثارها بعد وقت قصير .. فمن الصعب ان تقنع الزغرتاوي بالذهاب الى طرابلس لاستئناف نشاطه .. ومع انني مـــن المتفائلين بـــزوال آثار هذه المحنة بسرعة ، الا انني لن أستطيع كنائب أن أتجاهل حاجة النـــاس الملحة للاطمئنان ، والى سلامـــة أرواحهم .. لهـــذا فسنطالب قريبـــا بانشاء محافظات في الجبل لتجنب المواطنين الاخطار التي تهدد حياتهم ..

عدت الى بيروت بعد أربعة أيام من اقامتي في زغرتا ، وبصعوبة وجدت سيارة قبل صاحبها بنقلي الى منزلي بعد أن سلبني نصف ما أملك .. السيارة تمضي في طرق مهجور لا أثر فيه للحياة ، ثم تقترب مـــن قلب المدينـــة ... أصوات الرصاص والانفجارات الممزوجـــة بالرعب والخوف تمتـــد حـــول الطرقات ... وخلفي وأمامي ظهرت الحواجز الطائرة ، آخـــر تقليعـــة فـــي أسلوب الحرب الشرسة ... وأحسست أن بيروت قد تحولت الـــى مقبـــرة للابريـــاء ..

* * *

اذا كان الابن قد نفى وباصرار ان يكون قد طالب بالتقسيم في مؤتمـــر بكركي لا باسمه ولا باسم والده فماذا يقول الوالد حول هذا الموضوع ؟

بعد انتهاء ولاية الرئيس فرنجية وبداية ولاية الرئيس اليـــاس سركيس أخذ الوالد يتحرر نسبيا من تبعات المنصب الكبير ويرد على السائلين ببعض الصراحة لا كلها ...

فحين قالوا لفرنجية ان العديد من السياسيين قد اتهموك اثناء أواخر ولايتك بالعمل للتقسيم أجاب :

(... اتهموني بالعمل على تقسيم لبنان كما اتهموا كل المخلصين .. فعلام استندوا ؟ وهل صدر عن أي مسؤول لبناني ينتمي الى (الجبهة اللبنانية) التي أنتمي اليها أنا أيضا ، سواء كان مسؤولا دينيا او زمنيا ، هل صدرت كلمة واحدة تشتم منها رائحة العمل على تقسيم لبنان ؟ كلا ..!

هناك نزعة تهيمن على فئة معينة في كل بلد متعدد الطوائف تنزع اما نحو السيطرة ، واما نحو التقسيم ، فهذه الفئة تسعى في الدرجة الاولى الى ان تسيطر على البلد الذي تعيش فيه وعلى سائر الطوائف التي تقاسمها العيش ، والا فتنزع نحو التقسيم ، فتعمل له كما حصل في الهند ، وفي قبرص ... وأنا لا استطيع أن أتهم أحدا ، الا انني أستطيع أن اؤكد بأن سياسة معينة خطط لها خارج لبنان ، وهذا التخطيط تجسد في رسالة صدرت عن دار الافتاء ووقعها حسين القوتلي مدير دار الافتاء بعد عودته من زيارة قام بها الى احدى الدول العربية (ليبيا) اتهمت بالعمل ضد لبنان .. والمسعى للتقسيم برز ظرفيا تجاوبا مع الظروف بهدف الاستغلال ، لكن العمل للتقسيم لم يكن من صلب مخطط المؤامرة) ..

أما عن دور جنبلاط خلال الاحداث فيصفه الرئيس فرنجية بقوله :

(.. كمال جنبلاط لم يكن سوى تغطية يسارية او ما يسمونه بالفرنسية (فاتوش) او دمية تتحرك بارادة الآخرين ، كمال جنبلاط هو (فاتوش) يساري استعملوه غطاء لبنانيا لتنفيذ المؤامرة على لبنان ... كما اننا يجب الا ننسى ان المتآمرين استعملوا مطالب المسلمين أيضا غطاء لبنانيا ، في حين ان المسلمين هم في الحقيقة براء منهم ومن الشيوعية ، وذلك بهدف استقطابهم محليا ، وكسب اليسار العالمي دوليا ، واعترف بأن المتآمرين نجحوا ، للاسف ، في مخططهم بتحريك الاثنين) ...

ويصمت الرئيس فرنجية حين يطلب اليه تحديد هوية المتآمرين الاصليين ويقـول :

(... اسألوا كيسنجر ليقول لكم هل للولايات المتحدة علاقة بالمؤامرة ام لا ؟)

واذا كان الابن قد ألمح الى دور صائب سلام في تفجير الموقف السياسي ، فان الوالد أيضا قد أفاض في الحديث عن علاقته بصديقه القديم، ذلك ان كثيرين من السياسيين قد أشاروا بصراحة الى أن الرئيس فرنجية قد اخطأ حين قطع علاقاته الطيبة بصائب سلام ، وهنا يكشف فرنجية عن أحد أسرار الازمة حين يقول :

(... أنا لم أقطع علاقاتي الطيبة بصائب سلام ، لكن الظروف هي التي قطعت علاقات الرئيس صائب بي ، وابرز هذه الظروف هو اصرار صائب سلام في ان يقر مجلس الوزراء مطلبا كان قد طرحه فاعتبرته غير مقبول وغير منطقي وغير منصف ، وقد أيد مجلس الوزراء رأيي وجاراني في موقفي المعارض لطلبه ... لقد طالب صائب سلام رئيس الحكومة اصدار بيان فيه اتهام صريح موجه لقائد الجيش بالتقصير (حادث فردان واقدام الاسرائيليين على قتل ثلاثة من القادة الفلسطينيين) ، ومن ثم اقالته ، غير ان مجلس الوزراء وأنا تصدينا لهذا الطلب ، لان قائد الجيش ليس (نكره) ، كما اننا لا نستطيع الصاق تهمة التقصير بقائد الجيش دون اجراء تحقيق بهذا الموضوع وجلاء الحقيقة .. وهذا ما اقترحناه على الرئيس سلام مؤكدين له ان التحقيق اذا أكد تهمته لقائد الجيش ، واظهر فعلا تقصيره ، فلن نكتفي باقالته بل نحيله الى المحاكمة، أما اذا دل التحقيق عكس ذلك فما علينا الا أن نشكره ، لكن الرئيس سلام لم يوافق على هذا الاقتراح فأصر على الاستقالة واستقال) ..

وعن التبرير الذي أعطاه صائب سلام لطلب اقالة قائد الجيش وقوله أنه ظل ليلة الحادثة ــ حادثة فردان ــ يبحث عن قائد الجيش للتجاوب معه في

ما يجب عمله عسكريا لمواجهة الحادثة ؛ لكن بدون جدوى .. عن هذا التبرير يقول الرئيس فرنجية :

(.. ان هذا الكلام لا يستند على شيء ملموس أو حسي ... لقد تلقيت من الرئيس سلام شخصيا ، وهو يعرف ذلك تماما ، تلقيت منه مكالمة هاتفية ، في تمام الساعة الاولى والدقيقة الخامسة والاربعين يقول لي فيها ان الفلسطينيين يقومون بتصفية بعضهم بعضا ، اثر حادث وقع في مخيم الضبية ثم امتد الى فردان ، فأشرت عليه بضرورة اتخاذ التدابير والاجراءات العسكرية اللازمة لتطويق الحادث ، فرد بقوله أنه اتصل بهشام الشعار (رئيس قوى الامن الداخلي) وارسل قوة من الامن الداخلي الى فردان ... وفي الساعة الاولى والدقيقة الخامسة والخمسين اتصل بي الرئيس سلام مجددا وقال لي موضحا : ان طبيعة الحادث ليست عملية تصفوية بين الفلسطينيين ، بل هي هجوم على فردان ، ولا نملك القوة العسكرية الكافية لمواجهة هذا الهجوم ، عندئذ قلت له سأتصل شخصيا بقائد الجيش لابلاغه النبأ ، وبالفعل اتصلت على الفور بقائد الجيش ، فأصدر اوامره الفورية بالتحرك ، وتحركت قوة عسكرية من ثكنة الفياضية في تمام الساعة الثانية والدقيقة الخامسة من بعد منتصف الليل ، وقد شاهدتها بأم العين من القصر الجمهوري حيث كنت أراقب كل تفاصيل الحادث وتطوراته ، أي بعد عشر دقائق فقط من مكالمة صائب بك التلفونية لي ... وفي اليوم التالي زارني الرئيس ناظم عكاري في القصر الجمهوري وروى لي حرفيا كيف شاهد من شرفة منزله الكائن بالقرب من ثكنة المدفعية المضادة للطائرات في الرملة البيضاء تحرك قوة عسكرية أخرى من الجيش نحو مكان الحادث في فردان حيث وقعت الانفجارات التي أيقظته من النوم هو والسيدة عقيلته ... اذا لقد شاهدنا ناظم بك وأنا ، كيف تحرك الجيش بالسرعة المفروضة بعد عشر دقائق فقط من مكالمة الرئيس سلام لي ، وذلك من ثكنتي الفياضية والمدفعية المضادة للطائرات ..)

ان كلام الرئيس فرنجية يتمم كلام نجله طوني فرنجية ... وما علينا

الا ان نذكر ، ولو باسهاب ، هذه الاحداث التي أضحت جزءا من تاريخ المذبحة ...

لقد ذرعت لبنان أيام المذبحة من الشمال الى الجنوب ، وقضيت أياما طويلة في ظلمات بيروت وما اكثر الاحداث التي وقعت ولم تلمحها عيناي ... وما أكثر الاسرار التي قيلت ولم تلتقطها أذناي .. واذا كان ثمة حقيقة رهيبة قابلتها في بيروت وصفعتني ، فهي أن مشاكل الشرق العربي واحدة .. فمهما تعرجت خطوط الحدود ، ومهما تعددت أسماء الاماكن ، ومهما اختلفت الطبائع ، مهما يكن من أمر هذا كله ، فانه يخضع لنفس المؤثرات ، وتتقاذفه نفس التيارات وتمزقه نفس المؤامرات ، وتفترسه نفس القوى ! حيرة وتخبط وارتباك ، وشكوك وآراء وأوهام وقلق وكبت وغليان !!

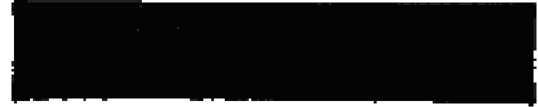
★★★

ما تزرعه

الرياح

تحصده

العواصف



نظام يهوي!

حين وقع الرئيس الياس سركيس مراسيم تأليف وزارة الدكتور سليم الحص وعام ١٩٧٦ يلفظ أنفاسه الاخيرة كان لبنان الذي عرفناه قد (فـرط) من قمة الورم حتى اسفل القاعدة ... مثل اللبن الذي يسكب على الارض.. وهوى النظام القديم ...! هذا النظام الذي تحول بعد ١٩ شهرا من الاقتتال الدامي الى متاريس مكتظة بالسلاح ، وميليشيات ، وعصابات ، ورجال سياسة دهريون يسعون كالافاعي ... ومبتدءو سياسة عضهم الطمع ، وأعمت بصائرهم الاحقاد ... وفيما عدا ذلك فراغ ، فراغ يعوي ... فالشعب اللبناني الجريح المنكوب ، منكفىء على نفسه ، مختبىء خلف جدرانه من قرف ... من خوف ... من يأس ..!

كان لبنان قبل دخول قوات الردع وتأليف حكومة سليم الحص ، قرية كبيرة ، اجتاحها البرابرة الجدد بالتواطؤ مع عمدتها ورجالهم ، وفتكوا بمن فيها وبما فيها ...

وفيما البوم ينعق من كل صوب ، والغربان فوق الاشلاء ...

كانت كل المظاهر والظواهر تصرخ بأنها النهاية ... نهاية النظام الذي تفكك ثم هوى ...

فلبنان الحالم ...

لبنان الغارق في اللامبالاة المفزعة ...

لبنان الهازىء بكل ما في الوجود العربي من متغيرات وانتفاضات وارهاصات ...

هذا اللبنان وجد نفسه فجأة وسط العاصفة بلا سند او صديق او حتى مشفق ..

وبدأ لبنان يتعرف على قسوة الايام الحالكة السواد ... فالكل أجمع على تغيرات عميقة قد حصلت منذ ان اعتمد الجميع على فوهة البندقية لحل المشاكل المتراكمة والمستعصية ... ومنذ ان أقدم يمينه الباغي عى اطلاق (الغول) من عقاله بدون خطة او تخطيط او حتى حسابات أولية ... فكان أن اغتنم اليسار الفرصة وخاض معركة ضرب اليمين من جذوره ليحكم لبنان، او ما يستطيع أخذه منه ، مستغلا كل القوى التي وفرتها له أجهزة الاعلام الغربية والشرقية على السواء ... وكل السلاح !

انه فصل الليالي الطويلة في لبنان ...

الفصل الجديد الذي يمر على المذبحة ، والذي تعمد بالدم والحريق والنهب وكل ما أفرزته الوحشية البشرية من وسائل الدمار البشع ...

أشجار الارز التي كانت تزين جبال لبنان وتحميها بدأت تبكي ... فلم تعد هذه الاشجار تشهد الهدوء والدعة منذ ان بدأت الدبابات والمجنزرات وخوذ الجنود تظهر وتتخذ من ظلالها مكانا للاختفاء عن الانظار ... كل هذا كان بمثابة الدليل على ان الفصل الجديد للمذبحة سيكون أقسى من الفصل الذي سبقه . كيف لا والمدرعات اللبنانية رابضة على بعد أمتار من القصر الجمهوري ... وجنود الجيوش الثلاثة الذين انفصلوا على نحو مخجل عن الجيش (الاب) يتحفزون للانقضاض على بعضهم البعض ...

جيش أحمد الخطيب ممتد من الحمام العسكري في رأس بيروت حتى نقاط الحدود الجنوبية مرورا بالبقاع والهرمل وبعلبك ...

وجيش العميد اول عزيز الاحدب متواجد في بعض مراكز العاصمة ...

وجيش العقيد انطوان بركات متواجد في ثكنة الفياضية بالقرب من

وزارة الدفاع وتساندة القاعدة البحرية في جونيه الى جانب ثكنة صربا ..

وبعد ان كان لبنان يواجه على مدى فصول الصيف والخريف ، حرب الخطف ... وحرب الميليشيات ... وحرب التدمير والسلب والنهب ... بدأ يواجه حرب الاذاعات ...

فلكل جيش من هؤلاء الجيوش الثلاثة أحزابه ، واذاعاته ، وصحفه ، وجنده ...

الجميع يتحدثون عن الشعب ... يذكرون الشعب في بلاغاتهم وتعليقاتهم ، وبرقياتهم التأييدية ... ولكنهم يجهلون أمانيه ...

كانت أمنية (الامن) في قلب كل لبناني ... ولكن (الامن) تحول الى سراب وأصبح لبنان معزولا عن العالم ، ولم تعد صحف بيروت تستخرج (المانشيتات) القديمة من (أرشيفها) لتتحدث عن الانقلابات والتمردات العسكرية التي كانت تجري في العراق وسورية ومصر وصنعاء والسودان وعدن و ... (تتفلسف) ... لقد أصبحت الانقلابات والتمردات في عقر الدار ، ولم يكن بامكانها التحدث عن هذه الظواهر الظالمة بحرية ، كما هي العادة حين كانت تجري في البلدان المجاورة ... فالذي يده في النار غير الذي يده في الماء ...

وحتى الصحف الاجنبية التي بعثت بمندوبيها الى لبنان لملاحقة الاحداث لم تلتقط كاميراتهم سوى المشاهد المخزية الوحشية ... أما أقلامهم فقد اعتمدت على حبر الاثارة ..

وبدأ لبنان ينزف ..!

وسط (المارشات) العسكرية التي كانت تبث هديرها من اذاعة (بيروت) ، واذاعة (عمشيت) ، وتلفزيون القناة (٥) وتلفزيون القناة (٧) ... ووسط هذا الضجيج الصاخب المرهق للاعصاب المنهارة بدأ الجو

المشدود المتوتر يلف لبنان ... بينما شعارات الانقاذ ، والانقاذ المضاد تضاعف من القلق والخوف والرعب ...

وبينما الويلات والمخائم تتفاقم كان المواطن المسكين يشكو من الشلل والجمود والعزلة الخانقة ...

ذلك ان المواطن في لبنان وهو أكثر مواطني الشرق العربي انخراطا في السياسة ... لم يعد ينشد الامن المفقود ... بل كان ينشد الخبز الذي كان يسعى اليه باذلال لم يعرفه أيام الحرب العالمية الاولى . وكان أهل اليمين يتحدثون باستخفاف عن أهل اليسار ... وحين جاء الى الرئيس كميل شمعون من يخبره في مطلع عام ١٩٧٥ ان احدى الحكومات العربية حولت الى احد المصارف اللبنانية مبلغ سبعة ملايين دولار كان جوابه الممزوج بالسخرية :

(لقد اعتدنا ان نأكل الطعم و .....) فهذه الملايين ستزيد من متانة الليرة اللبنانية في الاسواق المالية العالمية) ..!

يوم المخاض العسير

لم يكن يوم الاربعاء العاشر من آذار ١٩٧٦ يوما طبيعيا في لبنان .. لقد بدأ الجيش (يتمزق) من مناورات السياسيين وتخبطهم وصراعاتهم وتفاهاتهم ... وكانت ساعة الولادة القيصرية قد حانت ...

فمنذ الصباح الباكر والاجواء مشحونة بالتوتر ...

مجلس الوزرا يجتمع بالقصر الجمهوري ببعبدا ويستدعي قادة الجيش ومنهم :

(العماد سعيد نصر الله رئيس الاركان العامة ، ونائبه العميد موسى كنعان ، ورئيس الشعبة الثانية العقيد جول بستاني و ... العميد الاول عزيز الاحدب الذي شوهد في باحة القصر يقلب صفحات سجل التشريفات

في طريقه لحضور اجتماع مجلس الوزراء ... وعندما التقط له أحد المصورين صورته أمام السجل التفت الاحدب نحوه مازحا : (شو بالجسم المشهود) !

كانت الغاية من هذا النشاط الرسمي انجاح المبادرة السورية التي كانت تطالب بقيام الوزارة الائتلافية لتتمكن هذه الوزارة من انهاء (حرب الثكنات) التي بلغت أوجها في ذلك الصباح ...

فقد أعلنت ست ثكنات جديدة تمردها ، أربعة في الشمال واثنتان في الجنوب ... وحاول الوفد السوري للوساطة ان يرمي بثقله لايقاف هذه الحرب متنقلا على الجبهات السياسية وجبهة المقاومة الفلسطينية ... ولم تكن مثل هذه الجهود تعني شيئا بالنسبة للكتل النيابية ... كل ما كان يعني هذه الكتل اجهاض مشروع الحكومة الجديدة التي اقترحها الوفد السوري والمؤلفة من ١٨ وزيرا ، ذلك لان معظم المرشحين كانوا من خارج المجلس .

وحوالي الساعة الثانية ظهرا ، كانت هواتف وكالات الانباء ترن بشكل متواصل طالبة التقاط بلاغ صادر عن قائد سلاح الجو اللبناني العقيد (جورج غريب) الذي يحمل السياسيين مسؤولية الازمة ويدعو الى الوحدة الوطنية عبر (حكومة متوازنة) ، ويشدد على الاصلاح في جميع المؤسسات وليس في مؤسسة الجيش فقط . يقول البلاغ المفاجأة :

(ان سلاح الجو اللبناني اذ يطالب بهذا يعلن انه لا يشكل فريقا مع أحد بل فريقه الوحيد لحمة المواطنين ووحدة الوطن الواحد ...

ويدعو كل الاسلحة والملاكات العسكرية الى رص الصفوف والتضامن ، لان كل محاولة للانشقاق يمينا او يسارا تخدم التقسيم ، وتؤدي الى خراب البلاد وخدمة العدو .. ان لبنان كالطائر لا يحلق الا بتوازن جناحيه وصحتهما) .

فاجأ بروز اسم قائد سلاح الطيران على هذا النحو الكثيرين من الذين كانوا يعملون لاستلام الدفة العسكرية في تلك اللحظات الحاسمة ، وفي

الطليعة القيادات الرسمية في (اليرزة) التي كانت تضع رجلا في قصر بعبدا والاخرى خارجه ... فالمعلومات في ذلك اليوم كانت تؤكد ان هناك اتصالات مكثفة بين قادة الاسلحة في الجيش لايقاف النزيف في جسم المؤسسة العسكرية ، وان هناك ثلاثة أسماء تتسابق لقيادة هذه الحركة ولم يكن من بينها قائد سلاح الطيران ..

كان تعليق كبار المسؤولين السياسيين الفوري على خطوة (الغريب) أنه تصرف أحمق لا يستند الى قاعدة عسكرية عريضة ... ومن المفارقات ان (الغريب) ظل غريبا عن المسرح طيلة الايام التي تبعت بلاغه وحتى توقف الاقتتال . وتحركت القيادات العسكرية لتطويق هذه المحاولة التي بدت للوهلة الاولى وكأنها محاولة انقلابية حقيقية ... فالبلاغ كان يحوي كل عناصر البلاغات الانقلابية ، كما ان توقيته كان مناسبا ، واذا كانت القيادات المدنية المسؤولة قد استقبلته باستخفاف ظاهر ، فان القيادات العسكرية قد استقبلته بمزيد من الاهتمام ، خاصة وأنه قطع عليها الطريق (للحسم العسكري) ..

وفيما كانت قيادة سلاح الطيران تتلقى برقيات التأييد من بعض الوحدات والقطعات اذا بحركة (الغريب) تتحول الى انطلاقة تتبعها عدة بلاغات صادرة عن القيادات العسكرية المختلفة ..

ــ الاول الاعلان في الصحف عن الكتاب الرسمي الذي وجهه ٢٥٠ ضابطا الى قائد الجيش علقوا فيه بقاءهم في الخدمة العسكرية على تنفيذ مطالبهم .. وأبرزها محاكمة العناصر التي خرجت على قوانين الجيش واجراء تحقيق في أوضاع الرتباء والضباط والافراد .. ويحمل الكتاب المؤرخ في ٩ شباط ١٩٧٦ (وثيقة شرف) تندد بالسياسيين والمعارضين للتحرر .. كما يحمل الكتاب تواقيع ضباط من : سلاح الجو ، المشاة ، المدرعات ، الاشارة ، المدفعية ، الهندسة ، النقل ، المضاد للطائرات .

ــ الثاني : نداء قائد الجيش الى العسكريين الذي حدد فيه (اطر

قيام جيش المستقبل ودعوة الفارين الى الالتحاق بثكناتهم سريعا ، ملزما نفسه بالعفو عن الجرائم التي ارتكبت باستثناء الجرائم الفردية) .

ـ الثالث : البيان الذي وجهه سبعون ضابطا الى قائد الجيش ، والصادر عن مقر القيادة في اليرزة وتعهدهم بانقاذ البلاد عن طريق وحدة الجيش وتمسكهم بقسمهم الذي عاهدوا الله عليه والوطن للقيام بواجبهم مهما كان الثمن .

ان جميع المؤشرات توحي بأن كل هذه البلاغات العسكرية التي تناقلتها الصحف ووكالات الانباء العالمية انما صدرت بدون علم قصر بعبدا ، واذا كان القصر على اطلاع مسبق بوثيقة الشرف الموقعة من ٢٥٠ ضابط فانه يجهل ابعاد هذا النشاط العسكري المتلاحق ... وكان رشيد كرامي من الجاهلين بدوره .. ويظهر ان المقاومة الفلسطينية كانت وحدها المطلعة على النصوص والاسباب والمسببات ... ذلك ان بعض الضباط اللبنانيين ، وقد رأوا نفوذ القيادة الفلسطينية يمتد الى جسم الجيش الحي أخذوا يقيمون الجسور مع ياسر عرفات وصلاح خلف وابو حسن سلامة !

ولم يكن قصر بعبدا ورشيد كرامي وحدهما من الجاهلين ، فقد كان هنالك العديد من السياسيين البارزين لا يعلمون أي شيء عن المياه التي بدأت تسير من تحت النظام ... وهؤلاء قد بدأوا يفقدون صحة الرؤيا منذ ان تغلب عمى البصيرة على عمى البصر ...

هذا الفراغ بعث في الجو روائح احتمال قيام انقلاب عسكري ،

أمضى الوفد السوري ليلة الاربعاء وصباح الخميس في اتصالات مستمرة بين بعبدا واليرزة ، وكان الحديث عن (الانقلاب) المتوقع يملأ الاجواء السياسية ، ولكن أحدا من السياسيين لم يصدقه ... ولعل القدر أحب بدوره ان يساهم في تسخين المواقف فجاءت حادثة اغتيال العقيد عبد المجيد شهاب عند حاجز نهر ابراهيم ، على طريق طرابلس ، من قبل مسلحين قيل انهم من ميليشيا حزب الاحرار ، جاءت هذه الحادثة لازكاء النار ...

كان العقيد شهاب والعقيد جنادري الذي كانت سيارته تلحق بسيارة الاول ، قد دعيا لحضور اجتماع القيادة العسكرية في اليرزة للبحث في التطورات المستجدة على الساحتين السياسية والعسكرية ..

في هذا الوقت كان الرئيس رشيد كرامي في بعبدا يتجاوب مع نداء قائد الجيش بضرورة العفو عن العسكريين ولكن الرئيس فرنجية أفهمه ان قائد الجيش حنا سعيد لم يستشره في موضوع العفو ، وهو موضوع يعتبر بحثه من اختصاص مجلس الوزراء وليس من قبل ضابط يتصرف في القيادة العسكرية .. لهذا فعلى قائد الجيش ان يتحمل المسؤولية كاملة ...

الساعة الثالثة هبط الرئيس كرامي والوفد السوري من الطابق الثاني من قصر بعبدا ، وحين حاول رجال الصحافة استصراح رئيس الوفد السوري حولهم الى الرئيس كرامي الذي قال : (لا رأي لمن لا يطاع) ثم أردف : (أنا يائس) .!

انتقل كرامي بسيارة الكاديلاك المصفحة مع الوفد السوري الى مطار بيروت الدولي حيث ودع الوفد المسافر الى دمشق .

وبعد اقلاع الطائرة كان جميع الضباط السوريين الذين شاركوا في اللجان اللبنانية ــ السورية ــ الفلسطينية ، يغادرون بدورهم بيروت بعد ان تجمعوا في منزل السيد زهير محسن ..

وبينما كانت الطائرة الخاصة تحلق في سماء بيروت مقلة الوفد السوري والضباط السوريين كان جيش التحرير الفلسطيني المتمركز على شرفات عرمون والدامور والجية يغادر مواقعه الى مواقع بعيدة عن أنظار المخططين الانقلابيين ...

وبذلك أسدل الستار (مؤقتا) عن الوساطة السورية ...

عقدت منظمة التحرير الفلسطينية اجتماعا عاجلا حضره القادة

المتواجدون في بيروت في تلك الساعة برئاسة عرفات ، انتهى بعد نقاش دام ست ساعات ببيان مقتضب لا يتعدى الاسطر الثلاثة يقول :

(ان ما جرى ويجري في لبنان انما هو من شؤون لبنان الداخلية ولا علاقة لمنظمة التحرير به) ..

ويمكن اعتبار هذا البلاغ بمثابة الاعلان على أن عرفات خلافا لبياناته ، قد بدأ يتدخل بشؤون لبنان « علنا » ، وان الموضوع اللبناني أصبح جزءا من الموضوع الفلسطيني ..

كان الرئيس فرنجية قد امضى يوما مرهقا وهو يوالي اجتماعاته مع الوفد السوري ومع رئيس الحكومة ، ومع كبار ضباط الجيش الذين زاروا بعبدا لترطيب الاجواء بين الرئيس وقائد الجيش ..

وبدأت الشائعات تتسرب من القصر الجمهوري عن طريق الصحفيين المتركزين فيه وبعضها يشير الى ان رئيس الجمهورية سيستقيل ، وان كميل شمعون سيستقيل ايضا بعد استقالة كرامي الشفهية ..

طلب فرنجية وشمعون من اجهزة الاعلام تكذيب نبأ الاستقالة ...

انتقل فرنجية وشمعون الى الطابق الثاني في بعبدا ، وجلسا في قاعة الانتظار الى ان يحين موعد نشرة اخبار التلفزيون ، وسرعان ما انضم اليهما بطرس الخوري وزوجته مورين .. وحوالي الساعة التاسعة الا عشر دقائق ، وبينما كان المذيع جان خوري يعلن نبأ تكذيب شائعة استقالة فرنجية وشمعون توقف البث لحظات وامتلأت الشاشة بصورة العميد اول عزيز الاحدب ليعلن وسط دهشة المتفرجين (البلاغ رقم واحد) . داعيا رئيس الجمهورية الى الاستقالة ليحل محله بصورة دستورية رئيس جمهورية جديد في خلال سبعة ايام ، والطلب الى الحكومة ان تقدم استقالتها خلال اربع وعشرين ساعة والا اعتبرت بحكم المستقيلة ..

ظل رئيس الجمهورية وصحبه يصغون الى اقوال الضابط الانقلابي حتى نهايتها ، وكان تعليق فرنجية : (هذا انقلاب تلفزيوني) ..

شخص اخر كان يتطلع الى الشاشة التلفزيونية في تلك الساعة ويبتسم ابتسامة ذات مغزى ، وهذا الشخص هو السيد صلاح خلف (ابو اياد) الذي بدأ يظهر في الصورة كمخطط ومنفذ على الساحة اللبنانية باسم الثورة الفلسطينية .

تحرك القصر الجمهوري في تلك اللحظة ليرد على البلاغ رقم واحد ... فقد قامت فصائل مسلحة موالية لفرنجية باحتلال محطة البث بعمشيت ، وبثت منها حوالي الساعة الثانية عشرة والدقيقة خمسة وأربعين رسالة فرنجية الى اللبنانيين وفيها يقول :

(الشرعية في لبنان وفي نظامنا الديمقراطي والبرلماني وفي الدستور لا مصدر لها سوى الشعب اللبناني ، فالشعب هو مصدر السلطات ، والشعب هو الاساس في حياة هذا الوطن وديمومته ، فالى جانب هذه الشرعية ، وفي الدفاع عنها مستمرون مفتدين لبنان بأرواحنا .. عاش لبنان) .

وقامت محطة تلفزيونية للقناة (٥) في الحازمية ببث هذه الرسالة ، كما وزعت صور منها على الصحفيين ... وبذلك أصبح للانقلاب اذاعة ومحطة تلفزيون ، وكذلك للشرعية اذاعة وتلفزيون ... وبدأت حرب الاذاعات تواكب حرب الثكنات ... وبذلك أيضا تم اعلان الحرب بين الفئات المتمسكة بالشرعية من جهة ، وبين الفئات المتحالفة مع الفلسطينيين من جهة ثانية ..

باعلان هذه الحرب أصبحت (الشرعية) مطلبا عند الرئيس فرنجية لا بد من الدفاع عنه حتى النفس الاخير ، والذين كانوا يحيطون بالرئيس فرنجية في تلك الساعات القاسية كانوا يتساءلون بدورهم : ما الذي دفع بالرجل للبقاء في الحكم وهو الذي أعلن أكثر من مرة عزوفه عنه مقابل الاحتفاظ بالوحدة الوطنية ... وجاءهم الجواب من مسلسل الاحداث ، بأن التمسك

بالشرعية معناه قطع الطريق على الانقلابيين الذيـن سيتذابحون مـن أجـل السلطة ، وقطع الطريق على السياسيين الذين لا يهمهم بقاء لبنان او زواله ...

اتخذ العميد أول الركن عزيز الاحدب مقره في مكتبه بقيـادة منطقـة بيروت ، واتجهت اليه الانظار لمعرفة أبعاد البلاغات التي بدأت تتسارع بشكل متواصل ... انظار الصحفيين وانظار الاصدقاء ... انظار الانتهازيين وأنظار السياسيين ... وبدأ الاحدب يرد على الهواتف بنفسه ليفسح عـن طبيعـة حركتـه ..

قال لاصدقائه من العسكريين والمدنيين الذين اتصلوا به بعـد اذاعتـه البلاغ رقم واحد :

(ان حركتي تصحيحية وليست انقلابية .. وقـد باركها قائـد الجيش ومعظم الضباط ، فمنذ عشرة أشهر والبلاد تتخبط في حرب وطالما دعوت الى ايجاد حل لانهاء الازمة ، والعودة بالبلاد الى حالتها الطبيعية ، وفـي الايـام الاخيرة وبعد حملة الانقسام التي وصل اليها الجيش بدأت أفكر بالتعاون مع اخواني الضباط في اجراء حركة تصحيحية تعيد توحيد الجيش وتنهي الحرب الاهلية بموافقة جميع الاطراف ... ليس لي مطمع سياسي ، كما وانى اؤيد المقاومة الفلسطينية ... لقد اتصل بي الشيخ بيار الجميل وسيزوورني ، كمـا اتصل بي صائب بك هاتفيا وبارك خطوتي وسيزووني بدوره ، وآمل أن يتم التنسيق بيني وبين الملازم أول أحمد الخطيب بعد عودته من سورية) ...

الشيء الذي أخفاه الضابط الانقلابي هو حقيقة علاقته بمنظمة التحرير الفلسطينية ، فالذين كانوا الى جانبه يعلمون أنه ما كان بامكانه التحرك لولا الادوات الفلسطينية التي وضعت بين يديه ... وكانت صلته المباشرة بالعديد من قادة المقاومة (أبو اياد ، أبو حسن) تكاد تكـون مفضوحة للجميـع ، وبسبب (فضح) هذه العلاقة انفض عنـه الكثيرون ممن كانـوا يؤيدونـه (الضباط الحياديون) ..

الساعة الثالثة من بعد منتصف تلك الليلة أجرى الرئيس فرنجية اتصالا هاتفيا مع الرئيس الاسد الذي كان قد اطلع من الوفد السوري على تفاصيل الموقف اللبناني ، ورغب بأن يعطي الفرقاء الوقت الكافي ليكشفوا عن جميع أوراقهم قبل اتخاذ الخطوة التالية ... لهذا أجل الاسد زيارته التي كان يزمع القيام بها الى فرنسا ..

روى رجال القصر ان الرئيس فرنجية كان أول من كشف أوراقه أمام الرئيس الاسد حين أبلغه تصميمه على عدم الرضوخ للقوة العسكرية مهما كانت النتائج ، وانه سيبقى في بعبدا حتى آخر دقيقة من ولايته ، وحين وضع فرنجية السماعة قال لزينه معوض الذي حضر الى القصر للمرة الثانية مستطلعا الموقف :

(ليعلم الجميع انني لن أرضخ للقوة .. ليأخذوا الاذاعة والتلفزيون والثكنات ويحكموا الناس ولكن آخذ الوطن شيء آخر) .

جاءت ردود الفعل متفاوتة ، فبينما وقف شمعون مع الشرعية وضد أي تمرد ، أعلن جنبلاط (كتكتيك) أنه ضد أي انقلاب عسكري ، وقال جنبلاط ان البلاغ رقم واحد فيه أخطاء يجب أن تصحح من قبل القيادة التي أعلنته ، أما الشيخ بيار فقد أعطى لنفسه وقتا ليدرس الموقف مع المكتب السياسي ..

وصمت السياسيون كعادتهم في تلك المواقف .. فمرسوم تمديد مدة ولاية المجلس لا يزال بدون توقيع ، كما ان البلاغ رقم واحد لم يتناولهم بالتحديد ... وبدأوا يجرون حساباتهم على الورق ..

كان الجميع يتساءلون في تلك الليلة هل هناك اعتقالات ستجرى في صفوف السياسيين ، وحين جاءهم الجواب بالنفي أردفوا :

ـ هل من الممكن القيام بانقلاب على هذا النحو مع المحافظة على الشرعية ، والابقاء على كل قوة متمركزة في مواقعها ؟ كان السؤال الاهم هو

موقف الملازم أحمد الخطيب الغائب الحاضر .. ففي ذلك اليوم كانت قواته توسع بيكار احتلالها للثكنات ، وتلوذ بالصمت حيال الحركة التصحيحية .. ولعل الكثيرون يجهلون ، ان ياسر عرفات شخصيا كان (المايسترو) الذي ينسق بين الحركتين ويحدد لكل منها مواقعها ...

صحيح ان بعض الافراد من جيش الخطيب قد أعلنوا انضمامهم للحركة الاحدبية ضمن بيانات ظاهرية ، ولكن الصحيح أيضا أن التأييد تم وأحمد الخطيب محتجزا بدمشق ... وحدها دمشق كانت على اطلاع بحقيقة الخيوط التي تربط الخطيب بالاحدب ، وتربط المقاومة بهما ...

فور عودة الخطيب من دمشق بدأت التساؤلات ... هل يمكن قيام تنسيق علني بين الخطيب والاحدب .. والى أي حد يمكن السماح للاحدب الاقتراب من الخطيب ؟

الذين اجتمعوا بالخطيب ظهر يوم السبت في مقره بالبقاع سمعوا منه مباشرة أنه على استعداد للتنسيق مع الاحدب بعد استقالة فرنجية ... وهكذا اتضح ان (المايسترو) أعطى لكل من الحركتين أرضية لا يمكن تجاوزها ... الاحدب يطالب بالاستقالة ، والخطيب يضغط على القوات المتحالفة مع فرنجية ..

واذا كان ياسر عرفات وصلاح خلف يخططان ، فان غيرهما ممن اكتشف مخططهما بدأ يخطط بدوره ولكن بعيدا عن الاضواء ..

جاءت حركة (العقيد انطوان بركات) باعلانه عن قيام (الجيش اللبناني) بمثابة الانذار على ان الجيش ما يزال يتمخض عن انقسامات جديدة ، ومع ان الاحدب وصف هذه الحركة بأن (اسمها أكبر منها) فانها جاءت مساندة للشرعية ... وبعد هذا الاعلان أصبحت الكتائب في صف الشرعية .

وجود العقيد بركات في ثكنة الفياضية ومساندة البحرية وصربا لحركته كان بمثابة الخط العسكري الذي استندت اليه الشرعية ..

كان يوم السبت هو يوم المجلس النيابي الذي غاب عن مسرح الاحداث طيلة الأشهر العشرة ... فبينما كان أحمد الخطيب يجمد نشاطه ، عكفت حركة الاحدب على التقاط أنفاسها .. وبدأ النواب يفتدون انفسهم بالضغط على فرنجية للاستقالة ..

كان الرئيس فرنجية قد استقبل رئيس المجلس وبحث معه في موضوع الاستقالة ، وقد اشترط فرنجية لقبوله البحث في الاستقالة ان يعقد المجلس النيابي جلسة خاصة ينص جدول أعمالها على بند واحد هو البحث بمصير رئيس الجمهورية على ضوء تطورات الاحداث ... على ان تسجل الجلسة على شريط يضم كافة المناقشات بهذا الشأن .. واشترط فرنجية ان تترك الحرية للاعضاء ليقول كل منهم كلمته بصراحة ، فاذا اتفقت كلمة ثلثي المجلس (٦٦ نائبا) على ضرورة الاستقالة فانه على استعداد لتقديمها فورا .. وقال فرنجية للاسعد :

(يا كامل بك هل تعتقد ا ناستقالتي ستحل الموقف ام انها ستزيد الامور تعقيدا ، انني أرى ان يحسم الموقف العسكري أولا عن طريق اعادة ايحية الجيش ، وبعدها نستطيع ان نحسم الموقف السياسي باستقالتي او بدونها .. انني أخاف ان تشكل استقالتي فراغا جديدا أنتم في غنى عنه .. فما يزال هناك جيش الخطيب وجيش الاحدب وجيش بركات ... وهناك القيادة في اليرزة . توصلوا أولا الى صيغة يتم من خلالها جمع الشمل العسكري ، وبعدها نبحث في الموضوع السياسي ... لقد انهارت البلاد نتيجة للتخريب والمزايدات الكلامية ، وسياسة الغوغاء ومحاولة تهديم النظام بالقوة .. وانت تعلم قبل غيرك أني لست متمسكا بالكرسي ولكنني أريد ضمانات لاستمرار النظام والمجلس ليس في وضع يمكنه من تقديم أي ضمانــــة) .

عاد الاسعد الى قاعة المجلس النيابي ونقل الى الحضور اجواء الرئيس فرنجية ، فسرعان ما امسك ميخائيل الضاهر بورقة كتب عليها بضعة أسطر تطالب رئيس الجمهورية بالاستقالة ، وما ان بلغت نسبة التواقيع ٢٠ توقيعا

حتى امتلأت القاعة بالمسلحين الذين عرفوا بالقصة ، فاذا بالمسدسات توجه الى النواب للتوقيع •• ووسط هذا الجو المليء بالتوتر بلغت تواقيع النواب ٦٦ ، أي أكثرية ثلثي المجلس ••

توجه وفد نيابي الى القصر واجتمع بالرئيس واطلعه على تفاصيل الموقف دون ان يحدثه صراحة عن العريضة ، وقد ألمح أحد أعضاء الوفد « الرئيس عادل عسيران » اليها من طرف خفي فثار فرنجية في وجوه أعضاء الوفد وقال:

(لقد بلغتني جميع التفاصيل ، وأخبار العريضة ، وأنا أعرف من وقع ومن وقع بالنيابة عن غيره ، ومن وقع والفرد في خاصرته ••• كان الاتفاق بيني وبين كامل بك على أساس جلسة نيابية مسجلة يناقش فيها موضوع الاستقالة بحرية تامة ، وليس على أساس عريضة توقع ••• ان معنى استقالتي ان يحكم البلد رشيد كرامي الذي استقال شفهيا وسحب استقالته شفهيا ، لقد سألته اليوم بنفسي هل ينوي الاستقالة فعلا فأجاب بالنفي فماذا يعني كل هذا ؟ الى أين تريدون الوصول بلبنان •••؟ هل تريدون ايصاله الى الحكم العسكري •• قولوها بصراحة وبلا لف ودوران) ••

في الساعات الاولى من صباح الاحد ، وبينما كانت اذاعة عشيت تعلن التمسك بالمبادرة السورية ، وبينما كانت دمشق تحتضن وفدا كتائبيا وتتمنى عليه البقاء •• كانت هناك سيارة سوداء تقف أمام الحمام العسكري ويترجل منها ضابط لبناني تحرسه ثلاث ملالات ظلت في الباحة الخارجية للحمام •• أما الضابط (الاحدب) فقد توجه فورا الى الطابق الثاني من المبنى الذي تسيطر عليه قوى أحمد الخطيب ••

وهناك وبعيدا عن الانظار تم اول لقاء بين الاحدب والخطيب •••

ويظهر ان (المايسترو) أبلغ جنبلاط وسلام وكرامي بقصة اللقاء ، فكان ان التقى الجميع للتنسيق ، وما ان وصل الى الجبهة المضادة شمعون ، الجميل شربل القسيس أنباء اللقاء هذا حتى أعلنت الكتائب لاول مرة تمسكها ببقاء

فرنجية ، وكذلك فعل شمعون وباقي الحلفاء .. وأخـذت الاجـواء تتلبـد بالغيوم الداكنة .

لم ينم سكان قصر بعبدا تلك الليلة .. فالانباء التي وصلت الى القصر كانت تؤكد ان قوات الخطيب ستنقض في تلك الليلة وتحتل من فيـه سواء بمعركة او بدونها ... ولكن الليل مضى وكل شيء ظل هادئا في قصر بعبدا، أما حوله وبعيدا عنه فكانت هناك قوات عسكريـة تتحـرك مـن الشمـال والجنوب والوسط باشراف فلسطيني .. واذا كان يـوم الاحد وليله قـد مضيا بدون صدام ، فان أحدا لم يشك ان يـوم الاثنين وليلـه سيكونـا مشابهين ..

كانت قوات الخطيب تواصل زحفها الى بيروت قادمـة مـن الجنـوب والبقاع ... وأخذت أجواء جنبلاط وسلام تتحدث بصراحة عـن وصـول جيش الخطيب الى (خلده) حيث بدأت تتمركز هناك بانتظـار انتقالها الـى بعبدا ... كما ان قوات الخطيب قـد تحركت شرقـا الى صوفـر وسوق الغرب ... وتتألف هذه القوة من عدد مـن الدبابات والمدافـع والشاحنات والملالات وسيارات الجيب اضافة الى مجموعات مـن الجنـود المجهزيـن بالاسلحة ... وقد انضم الى هذا التجمـع العسكري اللبنانـي مجموعات قيادية تابعة لحركة فتح ، وقد تولت هذه المجموعة اصدار الاوامـر . وقفت الآليات المدرعة على مشارف خلده الى جانب الطريق تفصل كل منها مسافات معينة تنتشر فيها سيارات الجيب وناقلات الجنود ، بينما شوهدت في الوقت نفسه قوات من الصاعقة تتحرك من المناطق البعيدة التي احتلتها بعـد سفـر الوفد السوري بالطائرة وتتمركز على مشارف عرمون العليـا وتتجـه الـى مواجهة قوات الخطيب قاطعة الطريق عـلى القوات الزاحفة ومقيمة الحواجز المدفعية المحملة ...

قال الرائد ضاهر آمر مجموعة قوات أحمد الخطيب :

(ستتجه الى قصر بعبدا الآن مهما كانت النتائج) ..

أما رفاق الرائد الضاهر فقد أكدوا ان زحف طابوره المدرع سيكون جزءا من كماشة فكها الثاني المغاوير في ثكنة حمانا ..

في الوقت نفسه كانت هناك قوة مدرعة وآلية تابعة لأحمد الخطيب تتجه من شتورا وتتخذ مواقعها في المنطقة الممتدة من صوفر الى سوق الغرب ..

وبينما كان النقاش بين آمر مجموعة الخطيب وآمر مجموعة الصاعقة يحتدم على مشارف خلده كانت اذاعة الصنائع تذيع بيانا يعلن (توحيد الجهود) بين حركتي الخطيب والاحدب ...

والحقيقة ان هذا البيان كان بمثابة اعلان موجه الى دمشق بأن الصدام مع قواتها في لبنان بات متوقعا وان المقاومة ومعها الخطيب والاحدب ، وكل من جنبلاط وحلفاءه باتت تشكل جبهة واحدة في وجه دمشق ..

★★★

وحدي ..

وحدي ..

وحدي تماماً في هذا

البحر الواسع ..

الواسع ..

[redacted] رحلة الآلام من بغداد الى الكفور !

عندما فوجيء الناس بالعميد أول الركن عزيز الاحدب يظهر على شاشة التلفزيون ويعلن البلاغ رقم واحـد لحركته العسكريـة ، كانت ردة الفعل الفورية هي الدهشة اولا ، ومن ثم التريث .. حتى أنه سمع اطلاق الرصاص في كل من ضفتي بيروت الشرقية والغربية علامة على الارتياح ...

أولم ينتظر الناس الفرج حتى على أيدي العسكر منذ أكثـر من عشرة أشهر ؟ أيام كانوا يبتهلون صباح مساء الى اللـه ان يلهم جيشهم (قبـل ان يتمزق) النخوة والمروءة ، او على الاقل (الشفقة) على لبنان وأبنـاء لبـنان الذين كانت تلتهمهم نيران الاقتتال القذر ... او لم يشعر جميع اللبنانيين ان الهدنة التي تلت أشهر الكارثة بمبادرة سوريـة ، توشك ان تنهـار نتيجـة الألاعيب السياسية الداخلية والخارجية لتحتل الساحـة مـن جديـد بوادر استئناف المأساة ، على أشد وأفظع وأكثر شمولا .!؟

وكيف لا يرحبون ببروز العسكر الـذي طالمـا تمنـوه وترقبوه ... خصوصا وان صاحب البلاغ رقم واحـد هو من أبـرز الضبـاط اللبنانيين (لبنانية) و (اعتدالا) وأقربهم الى مختلف الفئات اللبنانية ..!

وراحت برقيات التأييد تنهال على الاحدب من مختلف الجهات .. ولكن المفارقات بدأت تظهر رويدا رويدا ... من هذه المفارقات ان حركة الاحدب لم تبادر الى دعوة السياسيين للانـسحاب من الساحـة ، بـل عـلى العكس أوضحت أنها ــ الحركة ــ قامت لمساعدتهم على الخروج من المـأزق الـذي يتخبطون فيه فأثارت شعورا بالاسف لـدى بعض الـرأي العـام ، وشعورا بالطمأنينة لدى البعض الآخر ... فمما لا ريب فيه ان حركة الاحـدب كانت تحمل أكثر من عنصر نجاح ، في أول أمرها ... ثم أخـذت تميـع وتفقـد

عافيتها ، وتنحدر الى حركة (انقاذية) ... فحركة (تصحيحة) فحركة (ضغط) سياسي عاجز ، الى مواقف سياسية عقيمة .. وهذا ما كرهه الناس وعافته نفوسهم ..

ولا شك ان العوامل التي (بوخت) حركة الاحدب وانتزعت المبادرة منها ، ثم تركتها تدور على نفسها في نطاق نصفي الاذاعة والتلفزيون ... هذه العوامل عديدة ، وقد انطلقت أولا من صمود الرئيس سليمان فرنجية في وجهها ... ومن العقدة التي سيطرت على تفكيره ، والتي عبر عنها أحد المقربين اليه بقوله :

(انه لا يريد ان يكون آخر رئيس جمهورية للبنان ، فهو يريد ان يحفظ النظام (بعجره وبجره) بأي ثمن وبأية طريقة ... وثانيا ، من الذي بين الرئيس فرنجية والرئيس الاسد ... والذي بينهما (كلمة شرف) أعطاها فرنجية للاسد في الساعة الخامسة من بعد ظهر السابع من تشرين أول ١٩٧٣، أي بعد ساعات قليلة من بداية حرب رمضان ، بأن يضع جميع الامكانات اللبنانية تحت تصرف الجيش السوري المقاتل ... ولقد كان الرئيس فرنجية عند كلمة الشرف هذه ... ومن الواضح ان الذين خططوا لارغام فرنجية على الاستقالة لم يضعوا في حسابهم (كلمة الشرف) المتبادلة بين بعبدا والمهاجرين ... واذا كان ياسر عرفات قد اشتهر بالحيلة والذكاء فانه هذه المرة قد خانه الذكاء والحيلة معا ... فهو لم يضع في حسابه وهو يخطط لاعلان الحرب على سورية وفرنجية معا ما بين الرئيسين من ثقة متبادلة ... والغريب ان عرفات يعلم جيدا قصة هذه الثقة المتبادلة من بدايتها ... فكيف فاتته الحيلة والذكاء ؟ قد يكون الجواب على هذا هو من الاسرار التي ما تزال محفوظة في بعض الصدور التي تعلم كل شيء وتفضل الصمت الى ان يحين موعد تسديد الحسابات ...

وهكذا صمد فرنجية في وجه حركة الاحدب ، وفي وجه حركة أحمد الخطيب ، ولبث في قصر بعبدا شبه وحيد مستفرد قرابة ٥٦ ساعة ، ينتظر وصول القوات العسكرية لاخراجه منه .. وقد أقسم الا يخرج من بعبدا الا

جثة هامدة ... بينما كان يخيل لاكثرية الناس بأن أيـام ، بل ساعات فرنجية في الرئاسة الاولى باتت معدودة ، وحبس هؤلاء أنفاسهم بانتظـار ساعـة الصفر يوم الثلاثاء ١٦ آذار ١٩٧٦ .

ولكن هؤلاء الناس مثلهم مثـل أصحـاب الحركـات والتحركـات العسكرية ، ومثل رجال السياسة ، لم يكونـوا قـد حسبوا حساب الثقـل السوري في لبنان الذي تصدى للقوى التي كانت تزحف من الجنوب ومـن الشرق نحو قصر بعبدا ، وأوقفها عند حد معين ... ولعل في هذا ما يكشف لنا تلقائيا أسباب تلك المعركة العسكرية التـي قامت بـين القوات السوريـة والقوات الفلسطينية وحلفاءها في صيدا ، وعلى مشارف بيروت ... فيمـا بعـد .

كان فرنجية ما يزال صامدا في بعبدا لوحده حين عادت دمشق تستقطب الاطراف العسكرية والسياسية : من لبنانيين وفلسطينيين الذين راحت وفودهم تتقاطر على عاصمة الامويين . من (أبو عمار) و (أبو أيـاد) ، الى زهـير محسن وتابف حواتمه ، ومن بعض ضباط حركتي الاحدب والخطيب الـى حزب الكتائب والامام الصدر ، الى الرؤساء الاسعد وسلام وكرامي ...

وحده كمال جنبلاط لم يدع الى دمشق ، ولم تبد أي رغبة في وجوده هناك ، ذلك ان الزعيم الاشتراكي اللبناني أعتقـد بـأن أسلوب الابتـزاز السياسي في التصدي بلاذع النقد والاتهام للحكم اللبناني يمكن ان ينفع مع الحكم الـوري ... ولكن ما كان منه ـ مـن جنبلاط ـ سوى ان وجـد نفسه مضطرا لان يجمع أغراضه وينتقل الى الجبل وقـد سمع وهـو يقول لمرافقيـه :

(يظهر اننا سنغيب طويلا عن بيروت هذه المـرة) لقـد أصبح الخاسر الوحيد على ما يبدو في صفقة اسقاط فرنجية ، وبينما كان جنبلاط يتوجه الى المختارة ، كان أحد المقربين من المقاومة الفلسطينية يسأل قائدا فدائيا بارزا :

ـ هل تريدون بالفعل ان تبيعوا سورية بصحبة جنبلاط ؟ وهل تدركون

بتصرفاتكم هذه انكم في طريقكم للاصطدام مع سوريا عسكريا وسياسيا ؟ وهل أنتم من القدرة بحيث تواجهون هذه القوى مجتمعة ؟ أجاب القائد الفدائي : اذا حصل هذا تكون القيادة الفلسطينية بدون فكر ؟ والغريب ان هذا قد حصل ... فأية أوراق كانت في أيدي القيادة الفلسطينية لكي تندفع في هذه اللعبة حتى النهاية ؟

في دمشق اجتمع الرئيس الاسد ومعاونوه الساعات الطوال وعلى مدى الليل والنهار مع ممثلي التجمع المعادي لفرنجية ، وممثلي التجمع المضاد محاولا ان يقنعهم بالركون الى (الاسترخاء العسكري) ، الذي سيقود الى (الاسترخاء السياسي) ، كمدخل معقول الى البحث في موضوع استقالة فرنجية ضمن اطار الشرعية ووفق قواعدها ، وبما لا يمس من كرامة هذا المنصب ومن يحتله ...

وكان من حصيلة الجولة الاولى من مباحثات دمشق ان حصل انقسام في صفوف الحركة التقدمية اللبنانية وتجمعها الذي يشكل قاعدة مساندة لحركة أحمد الخطيب ..

فعلى الطرف المتشدد والمطالب بالحسم العسكري السريع وقف كمال جنبلاط وحزبه ، والجبهة الشعبية (حبش) وبعث العراق ، ومنظمة التحرير العربي المساند للعراق ، وفصيل من الشيوعيين الذين انفصلوا عن الحزب وتبعوا ليبيا ، وبعض العناصر المدفوعة من قبل (فتح) والتي تتظاهر بالاستقلالية ..

وعلى الطرف المقابل وقفت الصاعقة ، وبعث سورية ، والناصريون المستقلون ممثلين بشاتيلا وواكيم ، بالاضافة الى فصيل من الشيوعيين المرتبطين بالحزب الشيوعي السوري ، وجناح من القوميين الاجتماعيين الممثلين بالياس جرجي قنيزح ..

أما منظمة (فتح) ومن يقف معها من اللبنانيين والفلسطينيين وأحمد

الخطيب والاحدب فقد اتخذوا موقف اللعب على جميع الحبال بانتظار الخروج من هذا الوضع على نحو يضمن ماء الوجه ...

أما في جانب القوى المساندة لفرنجية ، والنظام البرلماني فقد وقف صراحة كل من حزب الاحرار (شمعون) والكتائب (الجميل) والرهبانيات (شربل قسيس) وفصائل تشكلت أثناء الاحداث ..

كان الرئيس الاسد واضحا وصريحا تجاه جميع الوفود التي آمت دمشق منذ ان تأكد ان سليمان فرنجية لن يرضخ للتهديد والقوة .. ووفق رواية هذه الوفود قال الاسد :

ـ لا يمكن ان توافق دمشق بشكل من الاشكال على انقسام الجيش اللبناني ، ذلك ان اعادة بناء الجيش يتطلب جهدا ووقتا ، كما ان انقسام الجيش يهدد أمن سورية بالاضافة الى لبنان ..

ـ لا توافق دمشق اطلاقا على استعمال الحل العسكري لارغام رئيس الجمهورية على الاستقالة ، ذلك ان هذا الارغام يقود تلقائيا الى حدوث انقسام حقيقي في الجسم اللبناني المثخن بالجراح ..

ـ لقد أعلنت دمشق منذ بداية الاحداث بأنها ضد تقسيم لبنان ، لان التقسيم بحد ذاته يخلق في المنطقة وضعا جديدا لا تستطيع سورية في هذه الظروف مواجهته ... فاذا تمكنت القوى المعادية من اسقاط رئيس الجمهورية بالقوة ، فماذا سيكون موقفنا اذا ظهر في جونية ضابط وأعلن قيام الجمهورية المسيحية ودعا المسيحيين في العالم الى مساندتها ..؟ الا نكون بذلك قد أعطينا اسرائيل ورقة رابحة جديدة يمكن ان تشهرها في وجوهنا جميعا ... انني أعلم ان الرئيس فرنجية يعمل ضد التقسيم ، وهو غير متمسك بالمنصب ، ويمكن الاتفاق معه على حل مشرف ، فأي مصلحة للفدائيين والتقدميين بأن يكسبوا عداء قطاع لبناني واسع في سبيل انزال فرنجية بالقوة طالما أنه موافق على التنحي بأسلوب هادىء ... اذا وأقولها

بصراحة لا بد من الاتفاق اولا على صيغة مقبولة للاستقالة ، وهذا لا يتم الا باعطاء الجميع فرصة لالتقاط الانفاس والتفكير باخلاص لانهاء الوضع المتدهور في لبنان عن طريق الحوار البناء وليس عن طريق الاستفزاز المتبادل .. ان أي طرف من الاطراف لا يستطيع ان يحسم الموقف لصالحه.. لقد جرب الجميع الاقتتال على مدى سنة ، فماذا كانت النتيجة غير هدم الاقتصاد اللبناني ، وهدم الكيان وبالتالي انهيار الدولة بمؤسساتها ... لهذا يجب ان يعلم الجميع ان دمشق بكل ثقلها القومي والعربي والدولي ترفض باصرار استمرار الاقتتال ، كما ان بقاء الاضطراب على ما هو عليه لن يترك لرئيس الجمهورية اللبنانية القادم مقعدا يجلس عليه ... لنكن واقعيين فهل تقبلون تعريض القضية العربية كلها الى المواجهة مع أعدائها بسبب عناد هذا وتطرف ذاك ...؟)

هذا ما قاله الاسد ، ولكن ما أخفاه عن هذه الوفود وخاصة عن ممثلي فتح ، هو انه كان لدى الاسد صورة كاملة عن حقيقة العوامل التي أدت الى انقسام الجيش اللبناني ، ومن يختفي وراء هذه الحركة أو تلك ، ودور المقاومة الفلسطينية في الساحة اللبنانية العسكرية والسياسية .. لهذا فان الرئيس الاسد اشترط على عرفات للعودة الى المبادرة السورية جملة شروط أهمها :

ـ اتفاق جميع الاطراف المساندة للمقاومة على القبول بالحل السياسي بدلا من الحل العسكري ..

ـ تعاون جميع الاطراف لاعادة لحمة الجيش أولا ..

ـ تكليف السيد ياسر عرفات باجراء اتصالات مع جميع الاطراف اللبنانية المتعاطفة مع حركة المقاومة للموافقة على رأي موحد تجاه القضايا التالية :

١ ـ البت باستقالة رئيس الجمهورية على النحو الذي يرضي جميع الاطراف ..

٢ ــ اعتبار حركتي الاحدب والخطيب قد أدتا اغراضهما وعليهما الانسحاب بعد تسليم أسلحتهما الى قيادة الجيش •

٣ ــ استقالة حكومة كرامي ، وتشكيل حكومة جديدة تتولى السلطة من رئيس الجمهورية ، كما تتولى دعوة المجلس النيابي لانتخاب رئيس جديد بناء على (الوثيقة الدستورية) التي أعلنها الرئيس فرنجية •

٤ ــ اعادة بناء الجيش باشراف الحكومة الجديدة ••

٥ ــ ايقاف الحملات الصحفية بين جميع الاطراف ليتسنى للحكومة اعادة بناء الجيش والدولة •

٦ ــ تكليف الوفد الكتائبي بنقل وجهة النظر هذه الى جميع الاطراف المتعاطفة مع الرئيس فرنجية •

عادت الوفود الى بيروت بعد أن اتضح لها الموقف السوري لتجري اتصالات مكثفة على جميع الجبهات •• وبينما كانت الاجتماعات تتوالى بين عرفات ورفاقه من جهة ، وجنبلاط ورفاقه من جهة أخرى ••• وبينما كانت الكتائب تقوم باتصالاتها مع الرئيس فرنجية وحلفائه ••• كان رجال السياسة يبادرون الى نقل بندقية التأييد من كتف المقاومة الى كتف سورية لاثبات وجودهم ••• وحده ريمون اده شذ عن القاعدة بصفته كان مرشحا للرئاسة ••• ذلك ان معركة رئاسة الجمهورية كانت قد فتحت بشكل سري ••• وقد أجرت المقاومة الفلسطينية اتصالات سريعة مع أطراف عربية عديدة توصلت الى نتيجة حسية بأن جميع الاطراف العربية والدولية تؤيد ترشيح السيد الياس سركيس ، وعندما توصلت المقاومة الى هذه النتيجة كان أمامها احدى خيارين :

اما التسليم لدمشق ••

او الصدام مع دمشق ••

فاختار عرفات وبعض رفاقه الثانية ••• وهنا حصل شبه انقسام او انقسام حقيقي بين أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ••• فانسحب البعض من المعركة ولزم دمشق ، بينما تصدى للقيادة (ابو عمار ، ابو اللطف ، ابو اياد) •



يوم الخميس ٢٥ أيار يمكن اعتباره يوماً من أيام الأزمة التاريخي ••• ففي ذلك اليوم كان لبنان قد تحول الى كتلة خطر ، فاللعبة التي كان لبنان مسرحا لها على مدى عام لم تعد مجرد حركة محلية محيطة بقصر بعبدا وانما امتد نطاقها فشمل لبنان كله ••• فالاخطار التي كانت تهدد لبنان كالحرب الاهلية او التدخل الاجنبي عادت لتظهر من جديد ••• وكان على (اليمين) الذي أثار العاصفة واطلق (الوحش) من قفصه ان يجد له وسيلة للخروج من هذا المأزق ، وكانت تصرفات (اليمين) في ذلك اليوم تختلف عن تصرفاته السابقة ، ولكن الخطر كان ـ في تقديره ـ لا يحتمل انصاف الحلول ••

وبدأ كمال جنبلاط في ذلك اليوم وكأنه يريد ان يفرض شروطه ••

ولم تلبث ان تحولت الاحداث الى العوبة تائهة في أيدي قلة من الرجال عطلوا العقل وأطلقوا للغرائز العنان •• أما دمشق التي أخذت على عاتقها ايقاف الاقتتال مهما كان الثمن فقد اعطت لنفسها مهلة ••• لتدرس ••• وتستجمع ••• وتقييم مواقف الحلفاء القدماء ••• وخاصة مواقف القيادات الفلسطينية ••

هذه هي ملامح اللوحة السريالية للتطورات الدراماتيكية التي توالت على امتداد نهار الخميس وليله •• وكان الشيخ بيار الجميل اول من اطلق النفير صباح ذلك اليوم ، فأعلن التعبئة العسكرية والسياسية ، كما أعلن تشكيل مجلس قيادة جديد للجبهة اللبنانية ••

ذلك أنه في هذا اليوم بلغت حرب الجبل ذروتها وكذلك حرب السهل..
وبدت عيون الروس والامريكان مغلقة ، ذلك انه لم يبلغ في أي مكان على الارض ما بلغه في لبنان من عنف وضراوة وجنون .. ومع ذلك فان القوى الدولية الكبرى أصابها الصمم ، وكذلك القوى الشقيقة التي يفترض فيها ان تكون في مستوى فهم الازمة التي تجتاح لبنان والتي ستطرق ابوابها بعد انتهاء مهمتها في لبنان ..

كانت تلك مأساة لبنان الكبرى لا في الاسبوع الذي تصاعدت فيه أحداث العنف ؛ وانما منذ ان شاء قدره ان يكون المحطة الفلسطينية الاخيرة ...

خلال الايام الثلاثة التي سبقت الخميس الدرامي العنيف بلغ القصف المدفعي الى حد تعرض القصر الجمهوري لقذائف الهاون التي أصابته اصابات مباشرة ... وعلى ضوء هذه التطورات وبسببها اجرى الرئيس فرنجية اتصالا هاتفيا مع الرئيس الاسد ، وعرض عليه تطورات الوضع العسكري الآخذ بالانحدار السريع ..

بعد أن أقفل فرنجية سماعة الهاتف ، كان هاتف ياسر عرفات يرن في مكتبه وكان المتحدث وزير الخارجية السورية الذي قال لعرفات (وفق ماروته اوساط المقاومة) : لم يعد بالامكان السكوت والوضع أصبح أمام الاحتمالات التالية :

١ ــ ان تتمكن كافة الاطراف المعنية من الوصول الى اتفاق لوقف اطلاق النار ..

٢ ــ او تتصرف سورية وفق اجتهادها لصيانة أمنها ...

وأنهى وزير الخارجية السوري حديثه بأنه يرى ان تبادر المقاومة الى التوسط السريع مع جنبلاط ورفاقه ، وستقوم سورية بدعوة جنبلاط اذا أصرت المقاومة على ذلك ..

في الساعة الخامسة من صبيحة الاربعاء كان عرفات يتصل بوزير الخارجية السورية ويبلغه نتيجة الاتصالات التي أجراها مع جنبلاط ، والتي انتهت الى حدود ترك مهمة اقناع جنبلاط بالموافقة على قرار وقف اطلاق النار انما يعود الى الرئيس الاسد ، بعد ان قامت المقاومة بتمهيد الارض امام سفر جنبلاط الى دمشق ، ولكن هل كانت المقاومة بالفعل تلعب دور الوسيط بين الفريقين المتقاتلين بعد ان تعهد ياسر عرفات للاسد بأن يتحول دور المقاومة من فريق يقاتل مع جنبلاط ورفاقه الى وسيط بين جنبلاط والجبهة اللبنانية ؟

الذين كانوا الى جانب عرفات وابو اياد في تلك الليلة السوداء لمسوا ان المقاومة وجنبلاط قد وضعوا استراتيجيتهما بالاصطدام مع دمشق ، أما التكتيك فكان التظاهر بلعب دور الوسيط على ان يترك اعلان الخلاف النهائي بين دمشق والفريق التقدمي الى جنبلاط ..

قد يقال هنا ان كل هذه الامور أضحت من الماضي ... فمثل هذا القول فيه الكثير من الخطأ ، ذلك ان القيادة الفلسطينية ما تزال موجودة على الساحة اللبنانية ، وكذلك الاحزاب القائلة بقولها ، كما ان الجبهة اللبنانية موجودة أيضا ، وسورية موجودة بدورها ... فاذا أردنا استشفاف معالم المستقبل فلا بد لنا من التوقف قليلا عند هذه الليلة الرهيبة (ليلة الاربعاء ـ الخميس) .!

في تلك الليلة اطفئت الاضواء على الطرقات المحيطة بالقصر الجمهوري والمؤدية اليه ، وكان الحرس الجمهوري في حالة استنفار ، أما أهل القصر فكانوا يسمعون أزيز القذائف وهي تحلق فوق القصر ومن حول جوانبه الاربعة على مدى سبع ساعات .. وعند الفجر اشتد القصف المدفعي حيث سقطت حوالي ٤٠ قذيفة صاروخية ومدفعية ، ثلاث منها وقعت عند الجهة الشرقية للمبنى الحجري فحطمت زجاج غرف النوم في ملحق قصر الضيافة..

وحوالي الساعة الخامسة صباحا أصابت خمس قذائف القصر اصابات مباشرة فحطمت الزجاج وبعثرت الاثاث وعطلت الشبكة الهاتفية الفرعية

(كانت شبكة الهاتف الرئيسية قد تعطلت قبل ثلاثة أيام) وشبكة المياه ..

كان الرئيس فرنجية يتنقل مع أفراد عائلته والموظفين من غرفة الى غرفة .. وجلس في مكتبه المجاور لغرفة نومه مع السيدة حرمه وابنتيه صونيا ولميا يحتسي فنجان الشاي حوالي السادسة صباحا حين انضم اليهم لوسيان دحداح والشيخ سليم الخوري ..

وبدأت الصواريخ تتلاحق بسرعة آخذة بطريقها غرفة نوم الرئيس و (السطيحة) التي يخلو فيها فرنجية أحيانا الى نفسه ويفكر ...

في بادىء الامر رفض الرئيس ان يبارح القصر مرددا :

(سأظل هنا حتى آخر رمق في حياتي) .

ولكن تعطيل شبكة الهاتف الفرعية وتدمير الغرف الرئيسية دفع بالزوجة الى اقناع زوجها بضرورة مغادرة القصر ولو لايام ريثما ينتهي اصلاح العطب ..

كانت الساعة تدق الثامنة صباحا حين شوهدت سيارة الشيخ سليم الخوري تقف امام مدخل القصر وخلفها سيارة الرئاسة وست سيارات اخرى ..

ركب فرنجية سيارة الشيخ سليم الخوري ، والنساء سيارة اخرى ، اما سيارة الرئاسة فقد بقيت فارغة ، وتوزع الموظفون على باقي السيارات مع الحرس المرافقين ..

لم تستغرق الرحلة من بعبدا الى ذوق مكايل طويلا ، ففي التاسعة وصل الرئيس الى منزل الشيخ سليم في النقاش ... وحوالي العاشرة كان الرئيس في مبنى بلدية ذوق مكايل حيث اتخذ مقرا مؤقتا لرئاسة الجمهورية ..

ومن المؤكد ان الرئيس فرنجية قد حمل معه من قصر بعبدا الى ذوق مكايل الكثير من الاسرار التي ستظل حبيسة في صدره . ومنها انه حين بدأ

يتطلع من نافذة سيارته وهو يقطع الطريق من القصر حتى الضبية مرورا بالاشرفية وفرن الشباك تذكر كيف ان هذا الطريق ليلة انقلاب الاحدب قد فرغ من المسلحين الذين كانوا يملاون الطرقات باسلحتهم وارهابهم ... ترى هل اختفى المسلحون في تلك الليلة لانهم كانوا ينتظرون حدثا على الطريق ام ماذا ؟

صحيح ان هذا الانتقال الى كسروان قد انهى ألم فرنجية من عزلته ، وترك في نفسه الكثير من الشكوك حول اسباب فراغ الطريق من المسلحين في تلك الليلة ، ولكن الصحيح ايضا ان هذا الانتقال طرح على بساط البحث قضية استمرار الرئيس في مهامه ... وكان هذا الموضوع بالذات مدار بحث خلال اجتماع نواب الموارنة الـ ــ ١٩ ــ على مدى ست ساعات .

وقد اتخذ المجتمعون قرارا لم يعلن بضرورة استمرار الرئيس في مهامه ، والسبب في عدم اعلان هذا القرار يعود الى بقية أمل بامكان نجاح الوساطة السورية ..

وبالرغم من سفر الامام الصدر مع العقيدين الخولي والمدني والضباط السوريين الى دمشق .. فان المعلومات التي وردت الى المقاومة من العاصمة السورية تقول ان الرئيس الاسد على وشك اتخاذ قراره الحاسم بصدد الموقف في لبنان ، وعلى هذا بات الجميع بانتظار انتهاء زيارة جنبلاط لدمشق (السبت) .

لم يذهب جنبلاط الى دمشق مهادنا ، فقد سبق ان اتفق مع عرفات على ان يكون الصدام مع دمشق من حصته ، لهذا قام بزيارته الى دمشق وسط زفة اعلامية اشتركت فيها جميع أجهزة الاعلام الموضوعة تحت تصرف المقاومة في معركتها مع لبنان ، ابتداء من اذاعة العدو الاسرائيلي التي اطلقت على كمال جنبلاط اسم (زعيم اليسار) وانتهاء بمحطة لندن العزيزة جدا على قلب جنبلاط منذ القديم ، ومرورا بالاذاعات المستأجرة حديثا لنفخ النار كلما هدأت .. وقد كشف الرئيس الاسد بنفسه عن هذا اللقاء في الخطاب الذي ألقاه ٢٠ تموز ١٩٧٦ حين قال :

(••• طلب ياسر عرفات ان نستقبل كمال جنبلاط ، وقلنا لياسر لماذا نستقبل جنبلاط وهو يصر على متابعة القتال ، وماذا ستكون فائدة هذا اللقاء ؟

قال عرفات : لا هذه تصريحات للاستهلاك على الطريقة اللبنانية ••• لا تهتموا فيها ، الامر كلو ماشي) ••

وقال الرئيس الاسد :

« واستقبلنا كمال جنبلاط ، وكان لي معه لقاء طويل ••• ساعات طويلة عرضنا فيها أحداث لبنان منذ بدايتها وقلت له :

نحن متفقون واياكم على تحليل أحداث لبنان وعملنا جميعا من أجل وقف القتال ، ساعدناكم سياسيا وساعدناكم عسكريا ••• أقصد عسكريا بامدادكم بالاسلحة والذخائر • ومع هذا لم تستطيعوا أن تصمدوا ، ودخلنا لبنان وغامرنا باحتمال مجابهة مع اسرائيل ، وأعطينا للمقاومة كل الضمانات التي تريدها والكفيلة بحرية عمل المقاومة ، ثم ناقشنا الاصلاحات الوطنية ، واتفق على الوثيقة الدستورية وتتضمن ٩٠ الى ٩٥ في المئة مما كنتم طرحتموه•• ثم جاء الانقلاب فطرح استقالة رئيس الجمهورية مع ان هذه المشكلة لم تكن مطروحة ولم نكن نؤيدها ••• أيدتم أهداف الانقلاب أي استقالة رئيس الجمهورية ، اتصلنا وبذلنا جهدا وتوصلنا الى اتفاق حول هذا الموضوع ، وعندما توصلنا الى اتفاق فجرتم الموقف انتم ، حتى الآن نحن راضون عما فعلناه ، راضون لاننا كنا نسير في الضوء ونعرف الى اين نسير ، وكنا نعتقد بأننا نسير واياكم في خط واحد والى هدف واحد ، أما الآن وبعد الذي حصل فنريد ان تعلمونا حقيقة ماذا تريدون •••

المقاومة ، حقوقها ، ضماناتها لم تعد مشكلة بالقدر الذي تسمح به ظروف لبنان ••• موضوع الرئاسة واستقالة الرئيس لم تعد أيضا مشكلة ، فماذا لديكم بعد ؟

جرت مناقشة حول الوثيقة الدستورية .. اقدر انه لم تكن هناك اعتراضات جوهرية ، اذكر بعض الامثلة ...

قال جنبلاط نحن اتفقنا على ٦ نقاط ، الوثيقة الدستورية فيها ١٧ نقطة ، قلت له ليس المهم عدد البنود ٦ او ٧ المهم ماذا تحتوي هذه البنود ؟ هذا هو المهم وليس المهم العدد . قال شكلنا لجنة درست الوثيقة ووجدت انها غامضة .. قلت له هذه خطوط عريضة لعمل مقبل كل بند فيها يحتاج الى قرارات ، يحتاج الى مراسيم ، يحتاج الى قوانين ، وهناك تتحدد المعالم بدقة وتفعلون فيها ما شئتم . أما هنا فالامر غير ممكن ولا داعي للتفصيل والتحديد أكثر مما هو حاليا ...

تحدث جنبلاط عن العلمنة ، تحدث وهو يريد دولة علمانية في لبنان ، قلت له طبعا ان الكتائب متحمسة للعلمنة ... عندما زارنا حزب الكتائب ، قيادة حزب الكتائب وعلى رأسها الشيخ بيار الجميل ، سألته أنا شخصيا عن هذا الموضوع فقال لي :

انا لا أقبل للعلمنة بديلا ، أنا مصر ومتمسك بدولة علمانية في لبنان ، وطرحت هذا الامر على مفتي المسلمين وعلى السيد موسى الصدر وعلى بعض رؤساء الوزارات ورؤساء مجلس النواب ، ورفضوه لان الامر يتعلق بجوهر الدين الاسلامي ... قلت له رجال الدين المسلمون ، علماء الدين ، هم الذين لا يوافقون على العلمنة .. قال لا تهتم بهم انهم لا يمثلون شيئا .. قلت له ان الامر ليس أمر تمثيل ، انما الامر يتعلق بالدين الاسلامي وعندما يتعلق الامر بالاسلام فيجب عدم الاستهانة به . .

قال : خلونا نؤدبهم .. لا بد من الحسم العسكري .. من ١٤٠ سنة وهم يحكموننا .. بدنا نتخلص منهم .. هنا رأيت ان كل قناع قد سقط .. اذن ليس في الامر ما كنا نقول وليس ما كان يقال لنا ، الامر ليس بين يمين ويسار ، ليس بين تقدمي ورجعي ، ليس بين مسلم ومسيحي .. المسألة مسألة ثأر وانتقام تعود الى ١٤٠ سنة ..

وخرج كمال جنبلاط من هذا اللقاء ، وترك لي انطباعا بأنــه مصر عــلى القتال .. وقلت له :

لا تعتمدوا على مساعدتنا ، فنحن لا نستطيع أن نسير معكم في طريــق نحن واياكم متفقون سابقا على أنه طريق المؤامرة » .

كان هذا آخر لقاء بين دمشق وجنبلاط وبعدها تتابعت الاحــداث ... من الصدام العسكري بين الجيش السوري من جهة ، والمقاومة وجنبلاط من جهة ثانية ... الى دخول قوات الردع بعد مؤتمري الرياض والقاهرة وتأليف حكومة الدكتور سليم الحص !!

***

هل

رأيت

هؤلاء

المجانين ؟



حكاية فرنجية مع الجيش

حكاية الرئيس سليمان فرنجية مع (العسكر) تعود الى تلك المرحلة التي فصلت بين انتخابه رئيسا للجمهورية في ١٧ آب ١٩٧٠ وبين تسليمه سلطاته الدستورية في ٢٣ أيلول من ذات السنة ، وما حصل حينذاك من تطورات ، وعلى الاخص الحملة التي شنها الرئيس المنتخب على المكتب الثاني ••• ثم غضبته على عماد الجيش جان نجيم رحمه الله اثناء الاجتماع السري الذي رتبه الرئيس السابق شارل الحلو في بيت الدين ••• فقد دعا الرئيس الحلو الرئيس فرنجية لقضاء بضعة أيام في ضيافته بالاتفاق مع قادة الجيش آنذاك ، وذلك بهدف تسوية أزمة المكتب الثاني في الشمال (الشيخة) الذي كان فرنجية قد طرده من منزله ••• وفي اللقاء الذي تم بين فرنجية والقيادة العسكرية ، بادر الجنرال نجيم الى تأكيد استعداده مع ضباطه للتعاون مع الرئيس المنتخب ••• فكانت ردة الفعل لدى الرئيس الذي لم يتسلم صلاحياته بعد قوله بعصبية :

(••• تتعاون معي ؟ أنا رئيس الجمهورية وأنت موظف عندي تتلقى الاوامر وتنفذها) ••

وتتدخل شارل الحلو في الموضوع وغير مجرى الحديث •• ثم عرض الجنرال نجيم لائحة عن التشكيلات بين كبار الضباط على الرئيس فرنجية فكان جواب الرئيس :

(اصنعوا ما شئتم الآن ••• فأنا لم أتسلم بعد صلاحياتي ، وعندما استلمها أعرف ماذا يجب ان أفعل) •••

وبعدما تسلم الرئيس فرنجية صلاحياته وجه أمرا لقائد الجيش نجيم بموضوع معين ، ولما وجد بعض التردد لدى الجنرال قال له الرئيس فرنجية بحدة :

(أنا اعطيتك هذه الاوامر وأمامك طريقين .. فاما أن تنفذها ... أو تأتي بعسكرك للقيام بانقلاب ... وأنا ـ نوطرك) ..!

ويقي فرنجية ناطرا العسكر حتى ١١ آذار عام ١٩٧٦ ، الا انه هذه المرة كان على علم بهم ورحب بمجيئهم ... هذا ما رواه الرئيس فرنجية شخصيا بعد اذاعة البلاغ الاحدبي رقم واحد من تلفزيون القنال ٧ في تلة الخياط ... واذا كان الرئيس فرنجية قد بدأ عهده ببعض الشكوك تجاه فريق من ضباط الجيش ... فانه أنهى عهده بكثير من الشكوك تجاه مجمل القيادات ...

فقبل ساعات قليلة من نهاية ولايته سئل عن رأيه بما آل اليه الجيش اللبناني من تشرذم فأجاب والاسى يلاقبه :

(طلائع جيش لبنان العربي ما شفت حدا منهم، وحسب رأيي الضابط المسلم الذي لزم بيته خلال الحوادث ارفع له قبعتي لانه جغرافيا انقطع عن القيادة ولم يعد في امكانه تلقي أوامرها ، كذلك ابتعد عن عسكره فلم يعد في وسعه تنفيذ الاوامر ... أما الضابط المسيحي الذي بقي في منزله ، شو ضربته على قلبه ؟ هيدا بدو شنق لانه حلف اليمين التي أقسمها بالمحافظة على البلاد ، وعندما يسلمه رئيس الجمهورية السيف يقسم بالمحافظة على وطنه فأين هو من القسم ؟ وهذا لا عذر له ، والافظع منه الضابط الذي ترك بلده وسافر لشم الهوا خوفا من الرصاص والقنابل ... أما الضباط المسيحيون والمسلمون الذين قاتلوا يمكن بفضل بتلاقيهم أسباب تخفيفية ..!

ومن المفارقات المذهلة في عهد الرئيس فرنجية ان الحديث عن الجيش منذ بداية الولاية حتى نهايتها لم ينقطع .. واذا كانت جميع الجيوش في الدنيا تتمتع بحصانة لانها المؤسسة المصانة بحكم الدستور والقانون والعرف فان هذه الحرمة في لبنان كانت تتمزق وفق أهواء الاحزاب والهيئات والمتحكمين في مصير الشعب ... واذا كان لكل رئيس جمهورية في لبنان حكاية تروى مع الجيش ... فان حكاية هذا الجيش مع الرئيس فرنجية تظل الاعنف والاقسى والاشد مرارة ... ففي عهده تمزق الجيش كما لم يتمزق في أي بلد في

الدنيا ••• فلم يسبق لاي جيش ، حتى الجيوش المهزومة في الحروب ، ان ترك ضباطه الثكنات ولزموا دورهم تارة ، او هربوا الى الخارج (لشم الهوا) مع الابقاء على جميع امتيازاتهم ••• او نصبوا مدافعهم لضرب القصر الجمهوري والمؤسسات الرسمية وظلوا يقبضون رواتبهم من الدولة ، واذا كانت الصحف خلال أيام المذبحة وقبلها قد أفاضت في الحديث عن هذه المؤسسة ، فان بعض الاسرار عن مسؤولية هذا الجيش وحقيقة ارتباطاته السياسية والعقائدية ما تزال حبيسة الصدور ولا تجد منطلقا •••

من هذه الاسرار ان حكاية الانقلاب الاحدبي بدأت مع تعثر المبادرة السورية ، وفي اجتماع كانت تعقده اللجنة العسكرية اللبنانية ـ السورية ـ الفلسطينية في وزارة الدفاع وحضره أعضاء الوفد السوري (خدام ، جميل ، الشهابي) ، جرى تبادل الحديث حول مستقبل الجيش اللبناني ، وقد تكونت لدى الوفد السوري قناعة بأن اعادة ترميم الجيش اللبناني انما باتت تتطلب [illegible] غير قصير ، بينما الاحداث تطرق أبواب المنطقة بعنف ••

وأكثر من ذلك فقد توافرت لدى الوفد السوري من خلال اتصالاته مع مختلف الجهات العسكرية والمدنية معلومات عن خيوط انقلاب عسكري يجري اعداده ، فما كان من اللواء ناجي جميل الا ان أخذ المبادرة وأبلغ الامر الى الدكتور لوسيان دحداح بقوله :

(انا شامم ريحة انقلاب ضد الرئيس) ••

وفي لقاء آخر سأل اللواء جميل لوسيان دحداح :

ـ هل اطلعت الرئيس عن ريحة الانقلاب •• فأجاب دحداح بالايجاب••

كذلك نقل اللواء جميل توقعاته هذه الى النائب طوني فرنجية ••• ومع ذلك فقد حرص اللواء على ابلاغ فرنجية ما لديه من معلومات ، فرد عليه فرنجية :

(أهلا وسهلا بالانقلاب) ..

ولكن السؤال المطروح في ذلك الوقت هو :

ما هي الاسباب التي أدت الى الانقلاب الاحدبي ؟

الجواب لا يحتاج الى كبير عناء ، لان ثمة مئة سبب وسبب يمكن اختصارها بثلاثة كافية لان تعطي صورة كاملة عن الوضع برمته ..

ـ أول هذه الاسباب ان الاجواء بين رئيس الجمهورية وقائد الجيش قد تبدلت كثيرا بعد انهاء خدمات العماد اسكندر غانم وتعيين العماد حنا سعيد خلفا له ... فقد سيطرت على العلاقات بين بعبدا واليرزة أجواء ذات طبيعة شباطية .. حتى وصلت الى ما يشبه القطيعة بينهما .. ويعود ذلك بالدرجة الاولى الى الملابسات التي رافقت حادث قيام الطيران بضرب المسلحين في الاوزاعي ، دون الحصول على موافقة مسبقة من رئيس الجمهورية القائد الاعلى للجيش ، الامر الذي حمل فرنجية على صب جام غضبه على قائد الجيش ، في الوقت الذي كانت عوامل التمزق تفتك في جسم الجيش اللبناني نتيجة للصراع المتمادي بين شمعون الذي يطالب بانزال الجيش للمحافظة على الامن ، وبين كرامي الذي يعارض ذلك مشيرا الى انقسام اللبنانيين بين فريق مسيحي يؤيد نزول الجيش وفريق مسلم يعارض ذلك .. في الوقت الذي كان الجيش ينزف من جراء سقوط بعض عناصره ضحايا ... فضلا عن اشتداد الانقسامات داخله الى حد ان انشقت بعض القطاعات بحجة انحياز الجيش الى فريق دون آخر ..

وثاني هذه الاسباب مبادرة فرنجية الى طرح موضوع تبديل قيادة الجيش في أعقاب الشكوك التي أثارتها في نفسه تحذيرات اللواء ناجي جميل ، ورفض كرامي التجاوب مع هذا الطلب ، الامر الذي أدى الى نشوب خلاف بين فرنجية وكرامي حمل الاخير بعد انتهاء آخر جلسة لمجلس الوزراء على الادلاء بتصريحه لدى مغادرته قصر بعبدا معتبرا نفسه في حكم المستقيل .. دون ان يقدم الاستقالة خطيا ..

ثالث هذه الاسباب الاوضاع المتدهورة نتيجة انهيار معنويات العسكريين تحت تأثير عمليات احتلال الثكنات التي قام بها الملازم أول أحمد الخطيب في بعض المناطق اللبنانية ، والتي كانت تفرغ القيادة من بعض ركائز قاعدتها العسكرية في عدد من المناطق ..

وأهم من كل ذلك انهيار سمعة العسكريين ابان الحوادث الدامية .. فقد ضاعت هيبة العسكريين فباتوا عرضة لان يستسلموا لاي قوة مسلحة .. وحتى ان من بين المسلحين من كان يعتقل الضابط الذي يصادفه اذا لم يتجاوب معه ، مما زاد في انهيار معنويات العسكريين ... بينما ظل السياسيون يدورون على أنفسهم ، وكل يريد فرض الحل الذي يناسبه شخصيا من أجل انقاذ البلاد .. أي انهم ظلوا على خلافاتهم وصراعاتهم التقليدية ، بدون أي رادع او وازع . وقد يفهم تصرف السياسيين وعدم اعتبارهم من الاحداث على الرغم من الكوارث التي ولدتها ، فقد ثبت ان دور معظمهم لم يكن أكثر من دور المنفذ فقط ... دون ان يكون لغالبيتهم اطلاع كامل على تفاصيل الخطط .

في ضوء هذه الوقائع وسواها والتي تشكل أرضية خصبة لنمو بذرة انقلاب عسكري ، بالاضافة الى الاعتبارات الخارجية ، كان البلاغ العسكري رقم واحد ، والذي طالب باستقالة حكومة كرامي في غضون ٢٤ ساعة والا اعتبرت مستقيلة ، كما طالب باستقالة رئيس الجمهورية وانتخاب رئيس جديد يشكل حكومة جديدة ويتولى السلطات الدستورية ، وعندها ينتهي دور الحركة العسكرية التصحيحية ..

ولا مجال للدخول في دوامة تقييم التأييد لهذه الحركة ، على الرغم من التناقضات التي كانت بين معظم الجهات التي أيدتها .. ذلك ان التأييد ان دل على شيء فانه يدل على النفسية التي كانت مسيطرة في أوساط الرأي العام والتي باتت ترفض السياسيين على اختلاف آرائهم واتجاهاتهم ... ذلك ان الوسائل التي اعتمدوها منذ الاستقلال حتى الآن هي التي قادت الى الكارثة التي دفع ثمنها اللبناني من دمه ...

كانت أرضية الرأي العام مهيأة لتقبل أنباء انقلاب عسكري وأي ن حركة تصحيحة ، لأن الاستياء كان يعم جميع المواطنين بعدما لمسوا ان النكبة لم تعلم أي درس للسياسيين الذين عادوا الى فتح (بازارهم) التقليدي حول حسابات الربح والخسارة .. الامر الذي شرع الابواب أمام الانشقاقات والانقلابات ... غير ان حلم الناس العاديين بعزل الطقم السياسي عبر البلاغ رقم واحد لم يتحقق ..

أما لماذا لم يتحقق هذا الحلم ولم ينجح لا الانقلاب ولا التحرك ولا التصحيح .. فذلك يعود الى ان أحداث السنة المنصرمة كانت قد نجحت في استنفاذ جميع القوى العسكرية والمدنية ، كما ونجحت في اغراق كل الفرقاء من لبنانيين وغير لبنانيين في رمال لبنان المتحركة ..

وهكذا وجدت حركة الاحدب نفسها مفتقرة الى العمود الفقري وهو القوة العسكرية التي تمكنها من الحسم بالقوة اذا اقتضت الحاجة ... وقد بلغ ضعف هذه الحركة انها عجزت عن السيطرة بل وعن حماية العاصمة .. وهذا ما حمل بعض النواب الذي حضروا الى المجلس النيابي يوم السبت المعاوم لتوقيع عريضة مطالبة رئيس الجمهورية بالاستقالة على القول :

(لقد جئنا لتنفيذ طلب العسكر وتبرير شرعية تحركهم .. بينما عجزوا عن تأمين الحماية حتى في نطاق ساحة النجمة ، فواجه أكثر من نائب الخطر وقتل مرافق الشيخ بيار الجميل على مدخل المجلس ..

ومما لا شك فيه ان ثمة عوامل وراء الازمة اللبنانية لا بد من تبسيطها ليستطيع المراقب الحيادي ان يفهمها على الاقل . ذلك ان السياسات الضيقة كثيرا ما تلعب الدور الرئيسي في كل أزمة تعصف بلبنان ..

من هنا البداية ... وعلى هذا الاساس فان اختيار الانقلابيين لعزيز الاحدب ووضعه في واجهة الحركة العسكرية ، كان اختيارا مرتجلا وسطحيا ، لهذا سقط الاحدب من القطار دون ان ينتبه اليه أحد ..

وثمة نقطة ضعف أخرى كانت تكمن في هذا الاختيار ولها أهميتها الكبرى وقد يكون سببها عدم تنبه العسكريين ، لها ، هو قلة خبرتهم في شؤون السياسة المحلية ، وبالتالي عدم تقديرهم الحساسية في الصراع التقليدي بين زغرتا وطرابلس ، والذي وصل الى أقصى درجات العنف أثناء الحوادث الدامية ... وربما ان هذا الاعتبار بالذات قد لعب دورا بارزا في حمل الرئيس فرنجية على رفض الاستقالة باصرار ، حتى لا يقال يوما من الايام ان ابن طرابلس عزيز الاحدب قد اسقط ابن زغرتا سليمان فرنجية من الحكم ، بينما كان سليمان فرنجية يدخل في الماضي الى منزل المغفور له عبد الحميد كرامي ويحصل منه على وثيقة ممهورة بتوقيعه تؤكد ترشيح شقيقه حميد فرنجية على لائحة عبد الحميد ...

وبينما هذه الاعتبارات ومضاعفاتها لم تكن واردة عند الذين طبخوا الانقلاب على نار سريعة ، وبينما راحت تتفاعل على الصعيد الزغرتاوي .. كان الرئيس شمعون (العتيق) في الشؤون السياسية المحلية يبادر الى استلام الدفة ويصر على بقاء فرنجية في الحكم مهما كلف الامر ..

وانطلاقا من دور شمعون هذا يمكن تفسير العبارة التي واجه بها شمعون الوفد النيابي الذي زار فرنجية مساء السبت ١٣ آذار ليبلغه مضمون العريضة التي وقعها ٦٦ نائبا ، اذ قال :

(شو ... رئيس الجمهورية مشمشة كل دقيقة بنهزها) : في هذا الوقت برزت ظاهرة انطوان بركات كرد فعل على حركة الاحدب ، لقد ظهرت كعنصر حماية ودفاع عن قصر بعبدا وعن الرئيس فرنجية بالذات ضد أي محاولة اجتياح لاسقاط الرئيس بالقوة حفاظا على الشرعية ...

ولكن ماذا يقول الرئيس رشيد كرامي حول هذه المواقف ومنها خلافه مع الرئيس فرنجية حول انزال الجيش ليحسم الموقف ؟

ويمكن تلخيص أقوال رئيس الحكومة المستقالة منه شخصيا في أكثر

من مناسبة حول موضوع الجيش ورفضه انزاله وانشقاقه بما يلي :

يقول رشيد كرامي :

(•• انا أتيت الى الحكم بعد ثلاثة أشهر من اندلاع الازمة وتفاقمها •• أتيت الى الحكم بعد تشكيل حكومة عسكرية ومع ذلك فان هذه الحكومة العسكرية لم تأمر بانزال الجيش ، وأنا أسأل لماذا ؟

وبعد ذلك تغيرت القيادة وعين العماد حنا سعيد قائدا للجيش ••

وهنا كانت المبادرة السورية وكان الوفد السوري الذي يأتي الينا بين الحين والآخر ، والذي عاش معنا كل تلك الحقبة وهو يعلم ولم يكن أيضا من المشجعين على انزال الجيش •••

وتساءل رئيس الحكومة :

ان القيادة الجديدة عندما طلب وقرر في مجلس الوزراء ان يتولى الجيش حفظ الامن في منطقة البقاع ، ماذا كانت النتيجة ؟ لم يستطع ان يؤمن الامن ، ومن البقاع خرج الملازم أول أحمد الخطيب •• (أو على الاصح أخرج) !! قرر مجلس الوزراء ان ينزل الجيش في الشمال كفاصل او كعازل بين طرابلس وزغرتا ، فماذا كانت النتيجة ؟

انقسم الجيش هناك وذهب فريق نحو الجهة التي ينتمي اليها طائفيا ، وبالتالي ذهب الفريق الآخر الى الجهة الاخرى •

وعندما تقرر ان ينزل الجيش في المنطقة الخضراء في بيروت ، ماذا جرى في منطقة الفنادق ؟ انقسم الجيش بعضه على بعض هناك ، وحاولت بعض المنظمات التي لها ميليشيات ان تفرض على بعض الضباط في تلك المنطقة مواقف معينة فكاد ان يحصل الصدام ••• ونقل بعض الضباط بسبب تصرفاتهم ، سواء لناحية تنفيذ الاوامر كما تقتضي المصلحة الوطنية او العكس •••

واذكر أنه عندما كنا نطلب من قيادة الجيش ان تقـوم ببعض الحمايـة لبعض المناطق او لبعض المؤسسات فكانت ترد ان توزيع القوى على الشكـل المطلوب منا تكرارا ادى الى انه لم يعد تحت أمرتنا من القوى ما نستطيع معه ان ننفذ ما يطلب الينا ... وكل ما يتوفر من عناصر الجيش لا يزيد عدده على ثلاثمائـة ...

هذا من جهة ، وعندما حصل الانقسام في منطقة الشمال وارسل العميد موسى كنعان لاجراء تحقيق حول ما جرى وأسبابه ، فاذا به يضع تقريرا سريا يقول فيه انه لا ينصح باستعمال الجيش ولا بانزاله .. لان مـا أصابه فـي الشمال سيصيبه حيث يؤمر بالنزول وهكذا تفقد آخر ورقة في يـد السلطة . وقد أخفي هذا التقرير عني بينما اطلع عليـه كميل شمعون في القصر . ذات يوم من دون موعد سابق ، وكان هناك مع بعض الاركان يدرس هذا التقرير بالذات ، فكان دخولي عليهم وأنا رئيس الحكومة مفاجـأة ... وكان مـن جملة الحاضرين العقيد فؤاد لحود فطرح السؤال حول انزال الجيش ، وانـا ببساطة من يجهل ما يدور في الاجتماع اعدت السؤال وطرحته على العقيـد لحود باعتباره ضابطا سابقا ونائبا مسؤولا فأعطاني كل الحق ، وهو كما قال يضع كتابا حول الجيش وسيذكر فيه كل الحقائق ..

وانني بصفتي وزيرا للدفاع كنت أناقش القيادة في مقـر الوزارة ، تلك القيادة التي أعلنت أمامي في صورة رسمية انها على غـير استعداد لانـزال الجيش ، وهي اذا طلب منها ذلك ستمتنع ولو اعتبر ذلك تمردا .. وقد نقلت هذا الى مجلس الوزراء وقلت لهم الحقيقة كما هي ، وفي ذلـك الوقت كانت هناك ضجة في الصحافة على خلاف مستحكم بيني وبين الرئيس شمعون حول انزال الجيش ، وبعد فترة انعقد مجلس النواب فـي جلسة لمناقشة الحكومة ، ووقفت وأعلنت الحقائق عـلى المجلس النيابـي وبينت موقف القيـادة ... وبعدما انتهيت من كلامي وجه بعض النواب السؤال الـى الرئيس شمعون : هل انت موافق على ما قاله رئيس الحكومة ؟ فقال :

نعم انني متفق معه كل الاتفاق حول كل ما قال ...

اذن لماذا ثار ضدي كل هذه الاقوال ؟

اذكر في احدى جلسات مجلس الوزراء وكنا نبحث هذا الامر ان التفت الي الرئيس سليمان فرنجية وقال :

(.. بكل صراحة أنا لم أطلب انزال الجيش) .

وأذكر واقعة أخرى ...

عندما طلب الى القيادة ان تحضر الى مجلس الوزراء ليسمع المجلس منها ما نقلته أنا عنها الى المجلس ، اذا بالقيادة تعلن أمام مجلس الوزراء ان ليس في مقدورها ان تقوم بالدور الذي قد يطلبه منها وان نزول الجيش هو أمر غير متوفر . ولقد وجهت في بعض جلسات مجلس الوزراء كلمات نابية ، كما ان اللهجة التي جرى فيها النقاش لم تكن تتفق وكرامة القيادة ، وهذا ما حمل العماد حنا سعيد على مقاطعة المجيء الى القصر الجمهوري أسابيع ، وقال لعدد من المسؤولين انني على غير استعداد فيما اذا دعيت ان ألبي الدعوة ، وأن أحضر الى القصر بعد كل الذي سمعته ، وبعد كل ما وجه الينا لان كرامتي العسكرية تأبى ذلك ...

وحدث مرة ان دخلت على فخامة الرئيس فرنجية فوجدته في حال غاضبة فسألته عن السبب فقال لي :

(أريد أن أسمعك هذا التسجيل) اذ ظهر أنه كانت هناك آلة تسجيل أحاديث زوار الرئيس ، والحديث المسجل هو لضابط كبير في القيادة للجيش اللبناني .. جرى الحديث بينه وبين الرئيس فرنجية حول دور الجيش وانزاله وما يكون الموقف فيما اذا طلب من القيادة ذلك .. فكان جواب القائد الكبير (حنا سعيد) :

(نحن على غير استعداد ، وليست لدينا امكانيات فيما اذا طلب منا انزال الجيش) ..

فأعاد عليه الرئيس فرنجية السؤال :

ــ واذا قرر مجلس الوزراء وطلب اليكم رسميا ؟

فكان جواب الضابط الكبير :

(... نحن على غير استعداد حتى اذا قرر مجلس الوزراء) ..

فقال له الرئيس سليمان فرنجية :

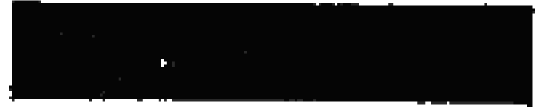
(وكيف يمكنكم الا تنفذوا قرار مجلس الوزراء ؟) فأجابه الضابط الكبير ، وهذا ما أغاظ الرئيس فرنجية :

(نحن نعتبر ان مجلس الوزراء لم يعد يمثل السلطة والشعب) ..



★★★

خطر
يصفق
بأجنحته
السود
حول
شراع
ممزق!



نقاط فرنجية على حروف كرامي

ان (المذبحة) التي نفذت في لبنان تركت وراءها آثارا ورواسب تراكمت بعضها فوق بعض ، وتفاعلت مع العوامل البشرية في أعماق نفوس السياسيين الذين اعتادوا ان يصنعوا الاحداث في لبنان ، وكانت نتيجة هذا التفاعل ، تلك (المذبحة) التي من شأنها الابقاء على دماء الجروح التي تواصل نزيفها دون ان يتمكن التضميد من ايقافها ... واذا كانت طبيعة الحياة سترغم الافراد على تضميد جروحهم بأنفسهم ، فمن يضمد جروح الرجال الذين كانوا في قمة المسؤولية أيام (المذبحة) ، وفي طليعة هؤلاء الرجال الرئيس سليمان فرنجية ورئيس وزارته رشيد كرامي ؟

لم يحدث في تاريخ العلاقات بين رؤساء الجمهورية ورؤساء الوزارة في لبنان ، على قسوة ما كان يقع ، شبيه بما وقع بين فرنجية وكرامي ... فمنذ أن فرضت الاحداث على فرنجية تكليف كرامي بتأليف الوزارة والحرب التي كانت دائرة في الشوارع انتقلت الى مجلس الوزراء بكل قسوتها وضراوتها ، فمنذ الدقيقة التي كلف بها كرامي وفرنجية يعتبر ان سلطته قد ضربت في الصميم ، ومن المفارقات ان فرنجية شعر بأنه أخطأ ، ثم واتته الشجاعة على الاعتراف بالخطأ أمام جميع من انتقدوه للاتيان بكرامي ابان الازمة ، فكان ان اشتعلت نار (المذبحة) بدلا من ان تطفأ ... ولا يضير أحد أن نعترف بأن المخابرات ، جميع المخابرات ، قد تجمعت في بيروت لتجعل من هذا الخطأ القنبلة الموقوتة لتفجير الوضع بكامله ... واستغلت اسرائيل الفرصة لحسابها ... هذا هو السر ، وهذه هي الحقيقة التي يشهد على صحتها كل من عاش الازمة وتعايش معها ...

وكان من الممكن اصلاح هذا الخطأ عن طريق اقدام فرنجية على اقالة كرامي ، ولكن وصول النار الى الجيش اللبناني قاعدة وقمة جعل من المستحيل انقاذ ما يمكن انقاذه من سمعة الدولة وسمعة السياسيين .. سليمان فرنجية ، ورشيد كرامي ، وقادة الجيش اللبناني ، يشكلون بخلافاتهم

وصراعاتهم المرض الذي فتك بلبنان الارض والشعب ••• فكيف الطريق الى الشفاء ، وما هو العلاج ، وما هي وسائل تعاطيه ؟

في العلاج النفسي يستلقي المريض على مقعد مريح ، وتنزل الستائر ليسود غرفة العلاج هدوء وظلام ، ثم يبدأ المريض يتكلم ويتكلم ، حتى تطفو العقد الدفينة وتظهر الرواسب الكامنة •••

وهذا ما فعله الرئيس الياس سركيس مع قادة الجيش اللبناني ••• ولان رشيد كرامي لا يعترف بالمرض ويرفض دخول غرفة الفحص لم يبق أمامنا الا سليمان فرنجية الذي جاء بنفسه الى الغرفة ، بدون ستائر وظلام ، وبلا مقعد مريح ••• بل اكتفى بوضع نقاطه على حروف كرامي ••• وترك التاريخ ان يحكم بينه وبين الجيش وكرامي •••

بعد انتهاء عهد فرنجية وقيام عهد سركيس وتأليف حكومة الدكتور سليم الحص بدأ الرجل يلملم أوراقه وذكرياته ويطلق مـا عنده في تصريحات خاصة وعامة ••!

يقول الرئيس سليمان فرنجية :

(التاريخ القريب لا البعيد ، سيثبت للرأي العام اللبناني والعربي ان تصرفات ومواقف رشيد كرامي أثناء اشتراكه في الحكم معي لا تختلف اطلاقا ، بنتائجها وانعكاساتها ، عن تصرفات ومواقف مستشار النمسا السابق (سايكس انكر) الذي قدم بلاده بعد مؤتمر ميونيخ هدية لهتلر ••• رشيد كرامي شبيه به ، فقد تواطأ مع الفلسطينيين للاستيلاء على لبنان ومقدراته ، ولكن الصمود اللبناني ، وعملية الاستيلاء على لبنان واللبنانيين (طويلة على رقبتهم) •••

لقد استدعيت رشيد كرامي الى القصر فور انتهاء الاستشارات وعقدت معه خلوة قلت له خلالها : (يا أفندي ـ الحساب بالعقلة خير من الغربال

عاليبدر ــ وقبل ان أكلفك تأليف الوزارة يجب ان تطلع على شروطك ، فاما أن نتوصل الى اتفاق فنكلفك واما نختلف ... فرد كرامي قائلا :

ــ لي شرطان لا ثالث لهما ، ولن أتنازل عنهما البتـة ... فسألته عـن هذين الشرطين ، فقال :

١ ــ تعديل قانون الجيش ؟

٢ ــ تعديل قانون الجنسية .

فقلت له : بالنسبة لقانون الجيش لقد مضى على اللجنـة النيابية ستـة أشهر على درسه ، وهي بصدد وضع مشروع قانون جديـد للجيش ، وانجازه بات وشيكا ..

أما بالنسبة لتعديل قانون التجنيس فبامكانتـا تشكيل لجنـة لدرسه ووضع القوانين المعدلة له ، ولن نختلف معك بشأنه فـي المستقبل ... وقلت لكرامــي :

هل لديك شروط آخرى ؟ فقـال : لا ... فقلت أعتبـر نفسك مكلفـا تأليف الحكومة وبامكانك المباشرة بالاستشارات .

هذان هما الشرطان الوحيدان اللذان وضعهما رشيد كرامي قبل تكليفه تفاهمنا معه على أساسهما ، لكنه لم يقـل يومذاك أنـه سيتواطأ مـع الفلسطينيين ، أو سيأتمر بأمرهم ، ولا قال لي أنه لن يحدد موقفا او يتخـذ قرارا الا بعد الحصول على موافقة (الاخوان) ، كل هذه الاشياء لم يقلهـا كرامي قبل تكليفه والا لما فكرنا لحظة واحدة في الاتيان به وتكليفه ...)

الحديث عن كرامي من قبل فرنجية لا ينقطع ... وهو بالتالي يقود الى الحديث عن الجيش الذي كان رئيس الوزراء نفسه هـو الوزيـر المختص بشؤونه ... ففي عهد وزارة كرامي (انفرط) عقد الجيش ... لهـذا فـان

الرئيس فرنجية لا يلوم وزير الدفاع فقط بل يذهب في لومه الى القيادة التي كانت تسيطر على الجيش ، انه يقول :

(أتمنى ان تتحلى بالشجاعة الكافية لدى تصميمنا على تنظيم الجيش فنحاسب المسؤولين عن الجيش الذين قصروا في تلبية نداء الواجب الوطني ، فمنهم من ترك لبنان ، ومنهم من قبع في منزله يتفرج ، او اختبأ في (تنورة) زوجته جبنا ، ومنهم من جلس في الصومعة ، وكأن الحوادث الدامية تجري في بلاد (الماوماو) لا في لبنان علما بأن واجبهم ، الى أي فريق او طائفة انتموا ، يدعوهم للدفاع عن الكيان اللبناني وعما هو مفروض في أن يؤمنوا به على أنه الخط السليم والصحيح . ولكن ما حيلتنا حيال الضابط أو الجندي الذي يطالب بالكثير من بلده ولا يقدم له شيئا بالمقابل ، بل يقبع في منزله بانتظار ان يقوم ابنه او ابن الجيران في الدفاع عنه ..

ان مثل هذا الضابط او الجندي لا يستحق شرف تسميته ضابطا أو شرف الانتماء الى العسكرية اللبنانية ، فكثيرون من ضباط الجيش كانوا ضباطا او عسكريين بثيابهم فقط لا في عقليتهم وروحهم ونفسياتهم ... لقد كان القسم الاكبر من ضباط الجيش خاضعا ، ويا للاسف للروح الانهزامية باستثناء بعض الضباط ، وكانوا قلة الذين قاموا بواجبهم الوطني حيال بلدهم وشعبهم وكيان وطنهم ؟) .

ويستطرد الرئيس فرنجية قائلا :

(حنا سعيد قائد الجيش فقد ، لا فقط ثقتي ، بل ثقة كل لبناني ، واني أحمله مسؤولية الاحداث ومسؤولية الانهزامية في الجيش ... وأنا نادم ، وأكثر من نادم على الاتيان به لقيادة الجيش ، وأدعو على يدي بالكسر لانها وقعت مرسوم تعيينه) .

ولكن هل انتهى حديث فرنجية عند هذا الحد ؟

من المؤكد أن جلسته في الغرفة ، بدون ستائر وظلام ، وبلا مقعد مريح

ستطول ، فما زال لديه الكثير ليقوله ... ويعلنه بوثائقه ... فهـل سيتكلم قادة الجيش أيضا بعد ان يئسنا من دخول كرامي غرفة الاسرار ؟

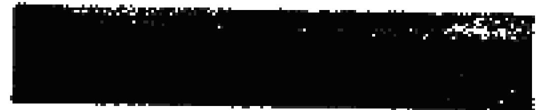
ان الذي يوضح موقف كرامي الحقيقي من تلك الازمة (المذبحة) هو عبارته التي رددها أمام أحد الملتصقين به من الذين لا يبوحون بسره أمام أحد وهذه العبارة تقول :

(مهما حاولوا اثارتي فلن أتكلم ، لاني لا أريد مصيرا كمصير وصفـي التل ... ان في صدري من الاسرار ما يكفي ولكن ... ولكن) !!..

عند (لكن) هذه تتوقف شهرزاد كرامي عن ترديد الكلام غير المباح .

***

تصرفوا
بقسوة
لكي
لا يقول
الناس
انكم
متكلفون !



لغز جيش لبنان العربي

في مطلع عهد الرئيس سليمان فرنجية ، وداخل مقهى تحول فيما بعد الى متراس بين المتقاتلين على جبهة الحازمية ــ الشياح ... كان هناك مــن يقول لأحد أقرب الملتصقين بالرئيس الذي واكبه في جميع مراحل عهده حتى خروجه من قصر بعبدا :

(... اذا أردتم المحافظة على الحماس الشعبي الذي قوبل به العهــد ، فلا مندوحة من البدء من نقطة الصفر دون الالتفات الى الماضي المثقل بالآثام ، أي البداية من طريق (التأكيد الوطني) لاعادة بناء الدولة ، وذلك بتسليــم مقدراتها الى عصبة من الشبان يكون لها منبرها الاعلامي المتحرك ، وكادارتها في الاوساط الشعبية والجامعية لاستعادة هويــة لبــنان الحقيقيــة استعادة عميقة ، بعيدا عن معارك السياسة المألوفة ، وما يلازمها من حقد ، ذلــك ان الحاقدين سرعان ما يعمون أنفسهم ، ويدعون الى تقويض النظــام ليتخلصوا من حاضر لا يستطيعون تحمله بأي ثمن . وحذار مــن الاستهانــة بالثــورة الفلسطينية او تجاهلها كحركة تستقطب طلائع الجيــل الجديــد وتستهويه ، وخاصة في بعض أوساط الجيش حيث القناعة لدى قطاع واسع مــن الجيش اللبناني ، بأن هذا الجيش مرتبط برئيس الجمهورية وطائفته ، وهو من دون الوزارة صاحب الكلمة فيه ، ولا شك ان لهذا الوضع رد فعــل في صفوف بعض الضباط) .. ويمضي المتحدث الى هــــذا المقــرب الملتصق بالرئيس فرنجية فيقــول :

أريد أن يعلم الرئيس الآن ، ومنك بصورة خاصة ان أزمة فلسطين كانت المرتكز الاساسي لجميع الحركات الانقلابية التي قامت في الوطن العربــي ، فهي التي بعثت في شباب الضباط العرب من الصاف المثقفين دوافع الكفــاح واحلام البطولة ، وان هذه الازمة بالذات هي التي قوضت جميــع الانظمــة الديمقراطية التي كانت حاكمة ، ومن الاسرار التي يجهلها الكثيرون ان جماعة الضباط الاحرار في مصر جعلوها بتأثيرات مختلفة داخليــة وخارجية ركيزة

انطلاقتهم الاولى ، وقبل ان تعلن حكومة النقراشي باشا الحرب في ١٥ (مايو) ـ أيار ـ ١٩٤٨ قررت جماعة الضباط الاحرار مساعدة المقاومة في فلسطين ، وقد روى لي المرحوم الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين وأنا أدون مذكراته : ان جمال عبد الناصر طلب مقابلته سرا ، وعرض عليه خدمات الضباط فشكره واستأجله رافضا تطوعهم دون موافقة الحكومة المصرية ؛ وقد قدم عبد الناصر فيما بعد استقالته للانضمام الى المقاومة فرفضت استقالته ، ولكن كمال الدين حسين استطاع ان يستقيل متطوعا في كتيبة القائمقام المصري أحمد عبد العزيز الذي تطوع للكفاح في فلسطين ، وما لبث أحمد عبد العزيز ان قتل . كما اتصل الصاغ حسن ابراهيم أيضا بفوزي القاوقجي قائد جيش الانقاذ ووضع مع عبد اللطيف البغدادي (وكانا معا في سلاح الطيران) خطة للقيام بتمرد داخل قطعات الجيش المصري ، ولكن الخطة لم يتم تنفيذها وما لبثت الجيوش العربية ان دخلت المعركة رسميا ... هذا بالاضافة الى ان العديد من ضباط الاخوان المسلمين في الجيش المصري كانوا يهربون السلاح الى المقاومة في فلسطين) ...

ثم أفاض المتحدث بما يعرفه عن تعاون الثورة الفلسطينية سرا مع الضباط العرب في بلدان الانقلابات العسكرية منذ ثورة رشيد عالي الكيلاني أيام الحرب العالمية الثانية حتى وصول فرنجية الى الرئاسة ...

ومن المؤكد أن هذا الحديث قد نقل بحرفيته الى الرئيس فرنجية ، ومن المؤكد أيضا ان الرئيس لم يستهن به ، ولكن عدم تقديره لدور الاعلام في ذلك الحين ، وعزوفه ان يكون له منبر اعلامي (صحيفة ومجلة على الاقل) حجب عن الانظار ، كل الانظار ، ما قدمه فرنجية الى المقاومة الفلسطينية خلال نصف ولايته الاولى ، وقد استطاع اعلام الثورة الفلسطينية بما لديه من امكانات ووسائل تصوير الرئيس فرنجية على صورة الخصم المباشر للثورة الفلسطينية وكان بامكان ياسر عرفات ان يحقق الكثير في النصف الثاني لعهد فرنجية لو ابتعد عن الجيش ، وتركه بمنأى عن (اللعبة) التي جرت على الساحة اللبنانية ... ولكن ياسر عرفات الذي خاض تجربة الاردن

وخرج منها منهكا دون ان يتمكن من تحقيق حلمه بضم قسم من الجيش الاردني الى صفوف الثورة ، أعاد نفس اللعبة مع الجيش اللبناني فهل تراه نجح ؟

مهما كان الجواب على هذا التساؤل قاسيا فان ما جرى للجيش اللبناني في عهد الرئيس سليمان فرنجية لا يعفي الجميع من مسؤولياتهم ؛ ومن هذا الجميع (ياسر عرفات) ... فقد كان هو القابلة لحركتي الاحدب والخطيب ؛ واذا كان (ابو حسن سلامة) أحد كبار معاوني عرفات هو الذي أوصل الاحدب الى مبنى التلفزيون ليلقي بيانه الاول ، ثم تركه هناك الى ان غادر الساحة مشفوعا بالعديد من الاتهامات ؛ فان ياسر عرفات هو الذي قاد الملازم أول أحمد الخطيب الى حلبة الصراع الدامية ، وتركه يواجه مصيره لوحده .!

واذا كانت الحركة الاحدبية لا تستحق الوقوف عندها طويلا ، فان حركة الخطيب (جيش لبنان العربي) هي ولا شك من الحركات التي يجب دراستها لادراك أبعادها تحاشيا للاصطدام بأمثالها فيما بعد ...

اذا نظرنا الى هذه الحركة العسكرية من الخارج ، تتراكم الصعوبات ، وتنصب الغوغائية أحابيلها ، فالقابلة التي شهدت عملية الولادة القيصرية (ياسر عرفات) لا يمكن لها ان تتكلم ؛ وشاهد الاثبات الوحيد على اسم الوالدين لا يمكن بدوره ان ينطق وان كانت هويته ليست بخافية على الرئيس رشيد كرامي رئيس الوزراء الذي ظل يعطف على الوليد ؛ ولا على السيد كمال جنبلاط ... الذي حاول تبني الوليد ، وحين تمرد الوليد على سلطانه سارع الى التبرؤ منه ... ونخاف ان نقترب كثيرا من الاسرار لكي لا نصل الى أسباب مصرع السيد خليل سالم ... وأسباب ذوبان الملايين من الدولارات الليبية التي صرفت بسفه ، وملايين الليرات اللبنانية التي سفحت على ضفة النهب والسرقة والتسلط ... لهذا لا بد لنا من الابتعاد عن الاسرار التي سيكشف النقاب عنها قريبا حين يتحرر (الحرامية) من عقدة الخوف المسيطرة عليهم من الفضيحة ...

جيش لبنان العربي وجد على الساحة اللبنانية ، فنصب مدفعيته وقصف ،

بوحركة دباباته واحتل المناطق ، وكانت مجنزراته تشارك في المعارك التي كانت تجري قبل دخول قوات الردع العربية ، ولكن كثيرين مـن ذوي النوايـا الطيبـة يعتبرون هذه الحركة العسكرية تعبيرا عن واقع المأساة التـي كان يعيشهـا الجيش اللبناني ... لهذا يحملون المقاومة الفلسطينية المسؤولية الاولى عـن فشل هذه التجربة (العربيـة) في لبنان .. المعلومات عـن (جيش لبـنان العربي) ما تزال بعيدة عن أيدي المؤرخين وأنظارهم ... ولكن أمامنا قائـد هذه الحركة الملازم أحمد الخطيب ابن بلدة (مزبود فـي الشوف) ، وقـد اجتمعت به أكثر من مرة وأصغيت اليه وهو يتحدث وقد لعبت الاقدار دورها حين راح يتحدث أمامي بعفوية تكاد تكون قريبة من البـساطة المتناهيـة ... دون ان يعلم انني أمتهن الكتابة ، وربما أتيت على نشر ما سمعته منه اذا قيض لي ان اكتب عن المذبحة ... واذكر الآن انني قلت له مرة :

(لماذا لا تقف وراء المذياع وتعلن ما رددته أمامنا داخل الجدران المغلقة؟ انك لو فعلت لوجدت من يؤيدك ، فالساحة اللبنانية تفتقر الى الرجل الصادق، وبامكانك ان تكونه او خطيت الخطوة الاولى باعلان الحقائق مجردة مـن الزيف والتلوين ، وثق ان شباب المناطق المتصارعة في لبنان سيمدون اليـك أيديهم من فوق زعاماتهم الموروثة ...)

أطرق أحمد الخطيب طويلا ثم التفت الى الحضور وقال :

لا أستطيع ... هناك من يقف في وجه جيش لبنان العربي ويسد عليـه منافذ اللقاء مع أفراد الشعب ...

جواب الملازم الاول دفعني للمزيد من وضع الاتهامات التـي توجه الى (جيشه) أمام أنظاره ... فحين التقيت به في أوائل أيلول ١٩٧٦ لم تكـن النهاية لحركته قد رسمت بعد ، ووضعت موضع التنفيـذ ... فقـد كـان الخطيب يسيطر على مواقعه ومنها الاذاعـة في الصنائـع وتلفزيون تلـة الخيـاط ...

لم أتمكن من أن أحدد وهو يتكلم عن كنه الشخصية العسكرية التي يريد ان يتقمصها : هل هي شخصية أديب الشيكلي ، او جمال عبد الناصر ، أو معمر القذافي ...؟ او ... او ... وهذا ما كان معروفا لدى الاوساط الشعبية التي أيدته ورفعت له لافتات في الشوارع مذيلة بتوقيع (شباب المنطقة الغربية) و (شباب رأس بيروت) او برج أبي حيدر وغيرها وكلها تبايعه بالتأييد ...

حين تنظر اليه للوهلة الاولى يحاول ان يقنعك بنظراته التائهة أنه متواضع ، وحيي ... وأبناء بلدته (مزبود) ورفاقه في المدرسة الابتدائية والثانوية والجيش يؤكدون انه طيب السريرة الى أبعد الحدود ... وصريح الى أبعد الحدود أيضا ...

(الاحزاب والقوى التقدمية لم تهضمني ولا أنا هضمتها ، يجب الحذر من هذه الاحزاب دون الاصطدام بها ، لانها متمرسة على اجهاض الحركات الفتية ... كمال جنبلاط اوف ... لا أدري ماذا أقول عنه ... انه يصابحني بالتأييد ، ويمسيني بالمعارضة ، ويتركني أنام بقلق ... الشيوعية ما هضمتها في حياتي ولا هي هضمتني ، بيني وبينها تنافر ولكن رفقة الطريق تفرض علينا عدم الصدام الآن ... انعام رعد رجل معقول وأنصاره لم يمارسوا التجاوزات التي مارسها غيرهم من أركان التحالف التقدمي الاشتراكي الشيوعي ... المؤسسة العسكرية قتلت طموح الضباط أصحاب الاتجاه العربي ومع ذلك فاني أحن اليها) ..

هذه بعض العبارات التي تفوه بها أحمد الخطيب وأردفها بالعديد من الزفرات العميقة الخارجة من أعماقه ، ثم راح يتحدث بدون تركيز عن كل ما يتعلق بحركته وجيشه ورفقاء دربه ...

وقال :

(... سنة ١٩٤٣ لم يتمكنوا من ايجاد صيغة سليمة للتعايش والتفاهم

فكان عام ١٩٥٨ موسم حصاد النتائج السيئة ، وصيغة لا غالب ولا مغلوب كرست الطائفية فعلا وجرحت ضمائر الضباط المسلمين ...

قبل عام ١٩٥٨ كان عدد الضباط المسلمين قليل جدا ... ولكن الجنرال شهاب تدخل فصارت النسبة الطائفية ستة الى خمسة ... الله يرحم ، شهاب لم يتركوه يكمل طريقه لقد وقفوا بوجهه ... في عهد شارل الحلو استطاع الزعماء الروحيين للطائفة المارونية العودة الى الصيغة السابقة البالية للتعايش داخل مؤسسة الجيش على أساس بقاء الامتيازات الطائفية ... وجاءت الاحداث الاخيرة في لبنان فاذا بالسلطة تنحاز الى الفريق الماروني وتسخر الجيش لضرب المناطق الوطنية ، ودفع العسكريين الى الموت دفاعا عن بعض الاشخاص ...

في الدامور ، سقط الكثير من العسكريين دفاعا عن قصر السعديات... لفتنا نظر القيادة بتقارير كثيرة الى انها تستخدم الجيش لاسباب طائفية ، وذكرناها بالقسم العسكري ، وقلنا لهذه القيادة اننا نحمي الاشرفية مثلما نحمي البسطة ونحمي الكرنتينا بنفس الحماسة المبذولة لحماية الدامور ... ولكن قيادتنا كانت تنظر الى الدامور بعين واحدة !!

قبل قيام جيش اللبناني العربي بحركته بوقت قصير ، سقطت الدامور ، وقد استبسل الجيش في الدفاع عن الدامور ، في حين ان بعض الضباط تدخلوا في الكرنتينا لاسقاطها ...

في عام ١٩٧٣ بدأنا نسمع من اخواننا في الجيش ان القيادات العسكرية العليا ، أو بعضها تسلح (المقاومة اللبنانية) الكتائب والاحرار وجيش التحرير الزغرتاوي ... وابتدأت الصورة تتضح أمامنا ... عيب يا جماعة.. لازم تراعو شعور الفريق الآخر الذي يتلاحم مع المقاومة الفلسطينية ولكن على من تقرأ مزاميرك ؟)

وسأله أحد الحضور :

(وين كنتو وكل هذه الامور تجري أمام أنظاركم) ؟ قال :

(الحقيقة ان القيادات المتعاطفة مع المقاومة اللبنانية لم تظهر على الساحة ، كانت تعمل في الخفاء ... بعثوا بمدربين الى الكتائب والاحرار .. وكان هناك عدد من زملائنا الضباط ممن اوكلت اليهم مهمات تدريب من هذا النوع ... وكنا نلفت النظر الى هذه التجاوزات ولكن بدون جدوى ... فالسلطة كانت راضية ، والعنصر الوطني داخل القيادات العسكرية (كان شبه غائب) ... كما ان الكتائب والاحرار لم يستطيعا ان يتحملا تبعة القتال وحدهما ، فكان لا بد من اسنادهما ... وكانت عناصر من الجيش (تفر) من ثكناتها ليلا لتلتحق في صفوف القيادات اللبنانية وتعود مع أسلحتها في الصباح ... وكان مسؤولوهم يغضون الطرف ... فكنا نقبض على بعض هؤلاء العسكريين الفارين ونحيلهم الى المحاكمة ، لكن سرعان ما كان يطلق سراحهم دون ان يتخذ بحقهم أي تدبير ...)

يتوقف أحمد الخطيب عن الكلام ... يمسح جبهته ... يتواه ويزفر ... ثم يقول :

(في هذه الاثناء بدأت المقاومة الفلسطينية وأنصارها من الطرف الآخر يتدخلون بدورهم في الصراع المكشوف ، خاصة بعد ان تدخل الطيران والحرس الجمهوري الى جانب القوات اللبنانية ... فرق تنسحب وتساند المقاومة الفلسطينية ... وفرق تنسحب وتساند المقاومة اللبنانية ... وانكشف الجميع) ...

اوف ... ذكرتني ... كنت قد نسيت يقول أحمد الخطيب :

(كانت حواجز الجيش تقام في مواقع تمنع مقاتلي الحركة الوطنية من أن تقوم بالخطف وتفسح المجال أمام القوى اللبنانية لكي تخطف ما تشاء على الهوية ، وتتجاهل هذه الحواجز ان من بين الضباط الكثير من المسلمين ... أنا كنت ضابط ارتباط في زحلة ورأيت الامر العجاب ... في زحلة كان يرقع

الحياء يرتفع ويمارس التحيز على نطاق مفضوح ومنحاز ... لقد منعت بعض الضباط من نقل الاسلحة من ثكنة زحلة فاحتايت الثكنة ومنعتهم بالقوة وقد أحلت من أجل هذا على التحقيق ...

كل هذا دفعني ورفاقي الى الاتفاق على اعلان انتفاضة الجيش ...)
ويشرد أحمد الخطيب ويحاول ان يتذكر ... ويعود الى الحديث وكأنه يريد ألا يتوقف ... وتختلط عليه المشاهد ، ويقفز بذاكرته من زحلة الى صيدا فيقول :

(كنت ورفاقي نتألم من غياب السلطة الفعلية الواحدة في الجيش .. كنت مرة منقولا حديثا من صيدا ، وكنت بواسطة التقارير اتعرف على تعاظم حجم القوة الفلسطينية في صيدا ، ولم تكن هناك تحركات ضد هذا التعاظم من قبل السلطة ... لا استطيع ان أؤكد مئة بالمئة ضلوع السلطة بمقتل معروف سعد ، لقد قيل ان جورج عجيل هو الذي قام بالعملية وان السلطة متورطة ... وهذا يحتاج الى العودة الى التقارير الرسمية الموجودة لدى القيادة ...)

على أبواب رياق ..!

أحمد الخطيب يتكلم والاسئلة تنهال عليه من هنا وهنالك وهو يجيب على الطبيعة ... سئل لماذا لم ينضم الى حركته العديد من الضباط المسيحيين فابتسم ابتسامة صفراء سرعان ما ضمرت لتتركه يقول :

(... اتصلنا ، وتفاوضنا ، منهم من فضحوا الخطة ونالوا على ذلك منح ومراكز ، ومنهم ما زالوا يقفون موقف الحياد ويتشدقون بالوطنية ، منتظرين ان يعرفوا النتائج ، فيتحينوا الفرصة لاكل الثمار ...)

ويسرح أحمد الخطيب في تفكيره قليلا ، وبعد ان يروي العديد من القصص عن المفارقات التي كان يواجهها وهو يستعد لحركته يأخذ نفسا عميقا ليزيح عن صدره كابوسا ويعتدل في جلسته ثم يستطرد :

(••• في البداية وقفت على ابواق رياق ثم عدت الى المصنـــع وانشأت قيادتي الاولى ••• مجموعة صغيرة من الجنود وقليل من الضباط لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة ••• في ذلك الوقت وقع حادث الاعتداء عـــلى موكب الوزير الســوري عبد الحليم خدام ، وطلبت الى دمشق لتناول فنجـــان قهوة ••• وقبل هذا كنت قد ذهبت الى دمشق ، وكنت يومها قد نقلت حديثا الى الحدود الجنوبية ••• فذهبت عبر الجبال مع أحد العسكريين الى منطقة بعد جديدة يابوس حيث قابلت زهير محسن •• وقلت له :

يا زهير هناك خطة لاحتلال حوش الامراء ، كان عندي مفرزة تستمع الى اللاسلكي وكشفت عن هذه الاستعدادات) الا ان زهير محسن اجابني :

ـ لا داعي للخوف وان أمرا كهذا لن يحدث •••

ولكن مع ذلك قد حدث •••

في المرة الثانية ، وبعد حادث الاعتداء على مرافقي الوزير خدام كـــان لقائي في دمشق عاصفا ، لقد شعرت انني معتقل ، وان الذيـــن استدعونـــي لشرب فنجان القهوة حققوا معي حول الاعتداء ودور جندي فيه ••• ولكـــن اعتقالي لم يدم سوى ساعات انتهى بطي التحقيق •••

وحين أعلنت قيام جيش لبنان العربي فـــي ١٩٧٦/١/٢١ أوقفت ايضـــا عنـــد المصنع •••

اذكر أنه في ذلك اليوم جرى اتصال بين قصر بعبدا وقصر المهاجريـــن وفي ٧٦/١/٢٣ دخلت القوات السورية ••• في هذه الفترة أثرنـــا التريث ، وكان الود مفقودا بيني وبين القوات السورية ولكن الامور لـــم تتازم ••• فقد كنا في حوار متواصل مع هذه القوات ••• كانوا يحتجزون بعض آلياتنا ثم سرعان ما يردونها ••• ثم انتقلنا الى مرحلة أخرى ••• ابتعدوا عن هـــذا الموقع ••• اياكم أن توسعوا بيكار احتلالكم منعا للحساسيات ••• وعندما طوقنا زحلة لاحتلالها أبلغتنا المقاومة الفلسطينية بأن العقيد علي المدني يطالب

بفك الحصار ... فآثرنا عدم الصدام ولم نحتل زحلة ، بل اكتفينا بتطويقها ثم انتقلنا مع المقاومة الى عينطورة ... وعندها ادخلوا قواتهم الى ضهر البيدر فكان الصدام ... فتحنا جبهة فاريا فتدخل السوريون أيضا وقطعوا طريق عينطورة من الخلف ودخلوا في مواجهة سافرة معنا ومع المقاومة .. ... وحركة الاحدب ؟

وسأل سائل من أهله :

ما هو رأيك بحركة الاحدب الفاشلة ...؟

ــ انت شو دخلك ... ضروري السؤال الآن ؟

ــ نعم ضروري بعدما قيل الكثير عن اختلافكما دون ذكر الاسباب ..!

(... والله قصة حركة الاحدب عجيبة .. كان الاحدب يترأس عناصر انقلاب كان سيحدث برئاسة ضابط غيره ، وفجأة برز اسم الاحدب ليقطع الطريق عن الذين كانوا يخططون لانقلاب واسع وشامل .. وهذا التشجيع انما كان بتأثير الاخ ياسر عرفات الذي (دفشه) وبعث اليه (بأبو حسن سلامة) لايصاله الى التلفزيون ... وكان الاحدب مترددا ويظهر ان الاضواء قد بهرته فوقع في اللعبة ، استعملوه لفترة ثم تركوه ، ولكن عزيز الاحدب خدم ، سواء عن قصد او بدون قصد : انقاذ النظام المتهاوي وأفسح المجال أمام عدد من الضباط للوقوف على الحياد بانتظار رجحان الكفة ضد صالحنا ... وسرق الاحدب الاضواء عن جيش لبنان العربي مما اضطرنا الى تأييده في خطوته لاسقاط فرنجية ... وأستطيع أن أقول ان عزيز الاحدب ليس عنده فكرا وطنيا ، وهناك شك ان يكون الاحدب من حراس الارز لان أفكار سعيد عقل (لابسته) ...

وسأل سائل من أهله أيضا :

ظهر ان جميع الانقلابات التي كانت مطبوخة هنا في لبنان ، وهناك خارج لبنان ، لم يكتب لها النجاح بما فيها حركتكم لماذا ؟

قال الخطيب بلهجة المطلع على الاسرار الذي لا يريد رميها كيفما اتفق :

(... يا سيدي في لبنان من الصعب القيام بانقلاب ... لان جمع عدد من الضباط يكاد يكون من المستحيلات .. خذ مثلا هنا في بيروت ... كانت هناك سريتا مصفحات مستنفرتان دائما لحماية الوزارة ، وكان انطوان بركات يأمر هاتين السريتين ... ثم ان الرئيس فرنجية بالاتفاق مع القيادة أحدث تعديلات تجعل الانقلاب أكثر صعوبة .. من هذه التعديلات ان السرية التي كان عددها في السابق ـ ١٢٠ ـ عسكريا تقلص حجمها الى ـ٣٦ـ عسكريا فقط . ثم ان أقطاب الموارنة كانوا يهيئون أنفسهم منذ وقت طويل للتصدي لاية حركة انقلابية، لهذا فان امكانية احداث انقلاب دفعة واحدة أمر صعب.. والافضل ان نقوم بثورة عسكرية كما حاولنا ان نفعل ، ولكن ..!)

عند (لكن) هذه توقف الخطيب ليرمي عن ظهره الحمل الثقيل الذي كان يحمله ، وهو حمل جنبلاط وحركته التقدمية ...

وقبل ان يخوض الخطيب في موضوع علاقته مع الاصدقاء الالداء تفرس في أيدي الحضور جيدا ، وحين لم يجد قلما يكتب على الورق أطلق لشفتيه العنان ...

كان الحمل الذي رماه الخطيب عن ظهره ثقيلا بالفعل ... ولو وجد الخطيب في تلك اللحظة من يأخذ بيده ويقوده خارج حلبة الاحزاب والقوى التقدمية مع المحافظة على ماء الوجه لما تردد مطلقا ... كان يعيش الصراع بين واجبه والواقع الذي وجد نفسه في داخله يدور دون ان يتمكن الخروج من الدوران ... لهذا راح يقول :

(... في البداية طالبنا ان تكون لنا القيادة العسكرية اذا كانت الحركة الوطنية ستتولى قيادة النشاط السياسي .. ولكن جاءنا الرد من جنبلاط هذا لا يمكن انتم مجرد فصيل تابع لنا تنفذون الاوامر فقط ...

وحين أخذوا بعض اسلحتنا من مدفعية ودبابات ومجنزرات وبعثوا بها

الى الجبل فكرنا بقطع الرواتب عن الضباط والأفراد الذين ينفذون أوامر المجموعات التابعة لجنبلاط ... قال لنا رجال المقاومة الفلسطينية : ولو ... كيف توقفون الراتب عن العسكريين في الجبل ؟

قلنا للمقاومة بامكانكم ان تصدروا الاوامر الى كافة العسكريين للالتحاق بجيش لبنان العربي وان تترك له وحده حق تحريكهم والاستفادة من خبراتهم ... ولكن أقوالنا سرعان ما ذهبت أدراج الرياح ... ألف كمال جنبلاط جيش فخر الدين علنا ، لكي يأخذ منا الاسلحة سرا ، وحين حاولنا فتح افواهنا ركضوا ووضعوا أيديهم على أفواهنا .. قلنا يا جماعة الناس بتحب أن يشرف على الامن الشرطة والدرك ضباط من السلك ، فلماذا لا تضعوا على رأس هذا الجهاز ضابطا منه فأجابونا :

القصة ما بتخصكم ، وانما تخص كمال بك ...

وكان ان فات الزمام وظهر الامن الشعبي بكل تناقضاته وتجاوزاته . وحين بدأنا نرفع أصواتنا رفعوا أصواتهم ، كان هدفهم الحاقنا بحركتهم كفصيل مرتبط باحزابهم فرفضنا ... كان لديهم عشرون حزبا ويريدون ان يجعلوا منا الحزب الحادي والعشرين ... وهذا لا ينطبق مع طبيعة تكويننا كجيش مرتبط بالشرعية بعد عودتها ..!

عندما وصل الخطيب الى هذا المنعطف تدخلت وسألت :

ولكن الحركة الوطنية تتهم الجيش العربي بأنه تخلى عن الحرب وبدأ يجمع الثروات من وراء بيع البنزين والطحين والمازوت والغاز ... أليس هناك من أخبركم بما يردده الناس عنكم وعن جيشكم ؟

هذا غير صحيح نحن لم نترك السلاح ... منذ البدء ، معارك البقاع والشمال جيش لبنان العربي هو الذي حسمها .. حرب الشكنات ومعركة الفنادق كان لنا الدور البارز فيها .. معركة عينطورة ، معركة فاريا : نحن فتحناها .. جزين كنا هناك مع فتح نخوض المعارك ، نحن لسنا كغيرنا ، نحن

تعترف الآخرين بدورهم ... آخر موقعة خضناها كانت في الخندق العميق.!

لماذا لم تذكروا هذه الحقائق وتركتم لغيركم التبجح بها ؟

قـال بعصبيـة :

ـ الاعلام الوطني ضدنا منذ البداية .!

ـ ولكن هل تنكرون بأن الاذاعة في قبضتكم وكذلك القناة ٧ ؟

ـ هون ما بدي احكي ... في فمي ماء ... وماء كثير ..!

هذا الماء الكثير الذي تحدث عنه الخطيب رمى بعضه من فمه ولم يتلقفه أحد ، لأن الماء الاكثر غزارة كان قد ملأ الاسماع عـن الاثـراء والتجاوزات والفضائح .. ولن يستطيع أحد أن يمسحه ...

هل عرفنا الآن لماذا كان أحمد الخطيب مع الشرعية ؟

★★★



وفد جامعة الدول العربية
في الكفور

عن محضر الاجتماع الذي عقد في ٢ تموز ١٩٧٦ ، بين الرئيس سليمان فرنجية ووفد الجامعة العربية الثلاثي ، المؤلف من السادة : محمود رياض ، امين عام الجامعة ، وحبيب الشطي ، وزير خارجية تونس ، ومحمد آل خليفة، وزير خارجية البحرين . وقد جرت المقابلة بحضور الرئيس كميل شمعون ، نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية والمغتربين ، والنائبين الشيخ بيار الجميل وادوار حنين ، والسادة نجيب الدحداح، امين عام وزارة الخارجية والمغتربين، وكارلوس خوري ، المدير العام بالوكالة لرئاسة الجمهورية ، والنائب السابق جوزف مغبغب :

رياض : ... بالنسبة للعلاقات اللبنانية الفلسطينية بتحكمها اتفاقية القاهرة وملحقاتها ، نجد ان الطرف الفلسطيني يقول موافق على تنفيذ هذه الاتفاقية ومع ذلك نواجه عدم التنفيذ . قرارات مجلس الجامعة لم تأت بجديد ، ومن السهل ان يكون مقبولا من الجميع وقف اطلاق النار . لا أحد يرفض ذلك . المصالحة اللبنانية والاتفاقيات وملحقاتها كلها وضعت ، والطرف الفلسطيني يقول انه موافق على التنفيذ . ومع ذلك نصطدم بعدم التنفيذ . يبقى تنفيذ هذا الكلام ...

السؤال المطروح كيف نبدأ مرة ثانية ، الجديد في الموضوع بأن استمرار الاحوال بهذا الشكل واستمرار القتال بالرغم من انني لمست من جانبكم الاستعداد للوصول الى حلول . تتصل بالفريق الآخر يقول : أنا موافق . اذا كنا نتكلم عن العلاقات الفلسطينية ــ اللبنانية ، نجد ان المنظمات وأبو عمار يكرر كل مرة انه على استعداد لتنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها . في المرة الماضية ، استمعت اليكم ورأيت انكم تعتبروها ــ ان لم يكن المشكلة الاساسية ــ انما اهم مشكلة .

وبالرغم من هذا استمر القتال على ما هو عليه .

الرئيس : ...قبل ما ندخل اليوم في أساس الموضوع ، محمود بك ، بقرار مبارح للجامعة ، نجد بندا بالقرارات . تتمنى التوقف عنده :

« ان تبادر الدول العربية التي أبدت الاستعداد للمساهمة في قوات الامن العربية الى ارسال قواتها الى لبنان فورا وبدون شروط مسبقة وان تبدأ تحركها في موعد لا يتجاوز ٢١ ساعة ودعم هذه القوات حجما وتسليحا بما يكفل اداء مهمتها على الوجه الاكمل ، ومطالبة الدول العربية الاخرى بالاشتراك في هذه القوات بالاتفاق مع الامين العام للجامعة » .

رياض : فخامتك بتسأل عن أي نقطة ؟

الرئيس : نقطة ارسال قوات بدون شروط .

رياض : بدون شروط . انو اللي يبعت قوة ما يشترطش على الامين العام أشياء معينة ، لاستعمالها او لتسليحها .

شمعون : هل ان كل دولة يخطر ببالها ان تبعت جيوش ؟

رياض : هما نقطتان . فخامة الرئيس بتسأل عن كلمة بدون شرط . المقصود من دون شروط يعني لما اتفقنا على بعض الدول . زي السودانيين . ما وضعوا انفسهم تحت امرة قائد القوة مباشرة ، تركوا أشياء معينة من شروط . يمكن التعبير ما هو دقيق ، الفقرة كانت ، هي واحد اقترحها حتى ما حدا من الدول يقول للامين العام انو عايز كذا وكذا ...

الرئيس ، يوضح : كل قوة بتدخل للبلد مخالفة للمادة ٧ من ميثاق الجامعة يعني بدون موافقتنا ، بنعتبرها قوة عدوة ، مش قوة سلم .

رياض : وضحت رأيك باجتماع سابق ، قلت : ان القوات التي ستشترك ، بتطالب فخامتك ان يكون الك الحق في الموافقة على الدول التي تنتسب اليها .

الرئيس : هذا أمر مفروغ منه . الالف من السيادة .

رياض : السيادة مذكورة في القرار الاول . وجاء هذا القرار مؤكدا

له ، حتى فكر البعض يكرر تاني كلمة سيادة في هـذا القرار • وقالوا انهـا موجودة في القرار الاول • البعض فكـر يكررها لمزيـد مـن الاطمئنان والوضـوح •

الرئيس : هذه الصورة اللي عندكم ، نقـدر نوضح وضعنا • عطينـا صورة لسعادة الامين العام ، مؤكد عرضها في الجامعة • هلق بتمنى عليكم ان تقولوا كيف تنظرون الى القضية اللبنانية التي بنظرنا أصبحت هـي الاولـى والقضية الفلسطينية تأتي اليه بعد القضية اللبنانية • وهذا شيء انسانـي ، بالاول الانسان نفسه وبعدين ابن عمه وجاره • طالما نحن متفقين ان اخواننـا العرب لم يفهموا القضية اللبنانية ، اذا بتريدوا أيا كان منكم ، تعطوني صورة كيف تنظرون الى القضية اللبنانية ؟

الشطي : ننظر نحن في تونس ، فخامة الرئيس ، الى القضية اللبنانيـة انها مأساة مبنية على سوء تفاهم وعلى عدم وجود حوار بنـاء بين الاطـراف المعنية • وانه لو يتوقف الاخوان اللبنانيون فيمـا بينهم ويتوفـق اللبنانيون هم الى الحوار مع الفلسطينيين ويكون ذلك في نطاق السيادة اللبنانية وفي نطاق الاتفاقات القائمة هكذا ممكن نصل الى نتيجـة • لـو يسقط السلاح ويقف القتال ونعوض السلاح والقتال بحوار • الحوار الداخلي فيما بينكـم وبدون تدخل اي كان ، ثم الحوار بينكم وبين الفلسطينيين • وهـذا نرغب نحن ان نشترك فيه لانه أصبحت الطريق خارجة عن النطاق اللبناني الداخلي وخارجة عن نطاق السيادة اللبنانية • اصبحت القضية عربية • لو نتوفق الى هذا نجد حلا الحل ما هو بالسهل لان ما وقـع من سوء تفاهم أدى الـى تصعيد وادى الى أحداث خطيرة جدا ، فهذه الاحداث بلغت اليوم حـدا من الخطورة ، جعلنا نتوقف عندها ونشوف اذا في طريقـة أخرى غـير طريقـة السلاح ، غير طريقة البندقية لحل المشاكل •••

••• نحن نتتبع تصريحاتكم وتصريحات الفلسطينيين ، مـا شفت ولا واحد يؤمن بحل الازمة عن طريق الحـل العسكري • او يؤمـن بانتصـار

عسكري او يؤمن بالقضاء على الآخر بالطريقة العسكرية • كل الاطراف تؤمن بالحلول السلمية • ما دام هذه الارادة موجودة ايش ما تتوقف مدة من الزمن وتحاول فيها بواسطة الحوار حل المشاكل • وفي هذا الظروف وبمساعدة هذا الحوار قد اقترحت الدول العربية في اجتماعها الاول ان تعرض عليكم قوة عربية ، وأجبتم بقبول هذا الاقتراح • وفعلا تحركت بعض هذه القوات • ولكن تنظيم هذه القوات وقيادتها ، وتحقيق وتحديد مهماتها ، يستدعي جوا من السلم • أي بعبارة أوضح لا يمكن لهذه القوة ان تقوم بدورها الا بجو من السلم لانه مفروض عليها أن تواكب ايقاف القتال ، ان تكون شاهدا على جميع الاطراف •

اين نضع هذه القوات ؟ ما دام القتال مستمرا • نحن نرى ان يقف القتال بطبيعة الحال بدون أي شروط ، يقف من أجل تثبيت الشروط ومن أجل التفاهم على الشروط • فاذا وقف القتال وفقنا لتركيز هذه القوة العربية في مراكزها وتكليفها بمهامها ، وكل هذا بالاتفاق مع الاخوة في نطاق سيادتكم • ما في ولا شيء مفروض • اذا توفقنا الى هذا ، ثم توفقتم انتم ، كما قررتم حسب معلوماتي ، الى ان تجعلوا هذه المائدة المستديرة لايجاد حل للبنان كلبنانيين ، اذ ذاك ننتقل الى المرحلة الثانية وهي مرحلة الوجود الفلسطيني وكيفية بقائه في لبنان بالاتفاق مع لبنان وعلى قاعدة احترام الاتفاقات القائمة هذا هو تصورنا للوضع • انا قلت انه هناك سوء تفاهم •

الرئيس : سوء تفاهم معالي الوزير ، سوء تفاهم شو سببه ؟؟ شو سببه ، هذا المهم ، وهذا بيت القصيد •

الشطي : ننظر للمستقبل •• المايدة المستديرة • مايدة لبنانية ــ لبنانية ومايدة لبنانية ــ فلسطينية ونطرح كل المسائل وننظر فيها كلها •

الرئيس : الطاولة المستديرة ، معالي الوزير ، هيدي للمستقبل ، والوضع اللبناني ــ اللبناني • اليوم في وضع عربي • في قضية لبنانية ، وقضية

فلسطينية . شو الاسباب التي أوصلت لبنان والفلسطينيين الى هذا سوء التفاهم ؟

وقت اللي بقول انو اخواننا العرب ما تفهموا بعد الوضع اللبناني . عما تقول معاليك : « بندرسها وننظر فيها » . اذا لغاية اليوم معالي الوزير اخواننا العرب بيجهلوها . ليش هالتأخر ؟؟ للتحرك العربي ، اليوم وصلنا لها الساعة التي نحن فيها واللبنانيين قسمين او بالاحرى فريقين : فريق يرفض رفضا باتا الاحتلال الفلسطيني ، وفريق ثاني راضي عنه . راضي برضاه او مفروض عليه ، وكمان علامة استفهام كبيرة .

هذا الاحتلال الفلسطيني . من من اخواننا العرب يرضى به ؟؟ في بلده او في لبنان ؟؟ الفلسطينيون موزعون في كل الدول العربية من ليبيا للبحرين مرورا بلبنان بسوريا ، بكل الدول . أية دولة عربية ـ أية دولة عربية ـ اذا استثنيت الشيكات ـ اعطت الفلسطينيين كما أعطاهم لبنان ؟؟ اول شيء لبنان عرض ١/٥ مساحته للاعتداء الدائم الاسرائيلي لدرجة انه بهذه المساحة ـ محافظة الجنوب ـ أهل الجنوب تشردوا وأصبحوا لاجئين . لبنان لاجيء في لبنان حتى يتحاشى القصف الاسرائيلي .

انتقل من الجنوب الى ضواحي بيروت ، كنا مرتاحين للوضع وكانوا أحب شيء على قلبنا . تحملناهم ، تحملنا الخسائر المادية والبشرية ، التي هي أهم من كل شيء ، ولم نشكو . الى أن توصل الفلسطيني أن يصبح الحاكم بأمره في كل محافظة الجنوب . لم نشكو وذلك من أجل قضية مفروض فينا جميعا ان نعمل لنجاحها . ولكن عندما أصبح هدف الفلسطيني ايجاد بلد بديل عن فلسطين هو بلدنا ، نحن قدرنا ـ وعن حق ـ ان قضية فلسطين ما عادت تهم الفلسطيني ، بل صار همه الوحيد ايجاد أرض بديلة عن أرضه وهي لبنان . هذا ما لا نقبله ولا بحالة من الحالات . هذا الظرف الذي نعيشه اليوم . حرب في العاصمة ، في ضواحي العاصمة ، في الجبال ، في أعلى الجبال ، وكان قد جرى سؤال للاخ محمود رياض لدى زيارته الاولى الى هنا ، والآن أوجهه الى أصحاب المعالي . يوم دعيتم للاجتماع بتاريخ ٩ و ١٠

من هذا الشهر ؟ الدعوة توجهت من الامين العام بناء لشكوى تقدم بها ياسر عرفات والقدومي ، يشكو الجيش السوري انه يهاجم مواقعهم في عينطورة والمتين وعيون السيمان ــ طبعا وهنا مفروض فيكم معالي الوزير ان تعرفوا هذه المناطق ...

يومها ، كان مفروض بأحد الوزراء أن يسأل ياسر عرفات ما هو عمل القوات المتواجدة في عينطورة والمتين وعيون السيمان ؟؟ ما هو عملها هناك ؟؟ لم يسأل هذا السؤال ؟ ويا ريته سأل .

الاخ الشطي بيقول انه مطلع على قضايانا بالجرائد والطرق الدبلوماسية ، اعتقد انك لا بد ما تكون قد قرأت يا معالي الوزير تصريحا صدر عن الرجل الثاني في منظمة « فتح » الذي يسمونه ابو اياد . يقول فيه : « طريق القدس تمر في عينطورة وجونية » . ــ جونية حضرتك نزلت فيها اليوم ــ هل اللبناني عندما يسمع هذا الكلام من ثاني مسؤول في منظمة التحرير ، أي اثر يترك في نفسه ؟ أي اثر يترك في نفسه عن نوايا هالجماعة ؟؟

شو غايتهم من هذه التصرفات ؟؟ ياسر عرفات بيعمل تصاريح في الجامعة وفي غير الجامعة . بدو يسترد عروبة لبنان . لبنان كان عربي قبل ما يخلق ياسر عرفات وقبل ما يخلق جد جد ياسر عرفات من ٢٠٠٠ سنة ، يوم ولدت العروبة ، ولدت في هذا البلد ، العروبة الحقيقية . لأنو العروبة لها تفسيران .

الشطي : انا أعرف ان العربية الذي حافظ عليها هم المسيحيون في لبنان .

الرئيس : العروبة كما نفهمها نحن أظن أنه لا يقدر أي انسان ان يعطينا دروسا فيها . لكن كما يريدون ان يفسروها ، كذلك لا نقبل ان يعيش الانسان في القرن العشرين كما كانوا عايشين في الجاهلية ...

لقد دخل سرطان على الجسم اللبناني . هذا السرطان هو ما يسمى

بالمقاومة الفلسطينية أو بمنظمة التحرير .

لقد فرضت علينا اتفاقية القاهرة وذلك بمعرفة الاخ محمود . الاكثرية الساحقة اللبنانية رفضت الاعتراف بها .

اليوم بعد ما وصلنا اليه ، لا نتمنى الا شيئا واحدا : هو تطبيق هذه الاتفاقية . وكل عمل لا يبدأ بتطبيق الاتفاقية لن يعطي نتيجة ، اليوم عندما نسمع بالتصاريح المفروضة على بعضنا : « ان القضية لبنانية ـ لبنانية » ، امام مسؤولين شعبيين كبيرين ، يعني اللذين يمثلان الفريق المحارب ، أقولها : اذا الجامعة العربية تبدأ بتنفيذ اتفاقية القاهرة ، كل ما هو خلاف لبناني ـ لبناني تكونوا انتم حكم فيه ، ونحن نقبل تحكيمكم كما يكون .

يأتي الرئيس الاسد ويبعث لي رسالة يقول فيها : « انهوا هذا الوضع في لبنان » قلنا اذا كان كما يدعون ان سبب هذا الوضع هو لبناني ـ لبناني، فأنا المسؤول الاول بهذه الدولة لا أتمكن من ان أجد محاورا من الفريق الثاني ـ كما طلبت معالي الوزير ـ اعرف ما هو مطلبه . عندنا رئيس حكومة ، الله خلقه سلبي . وغير سلبي لا يعرف ان يعمل ، هو الاستاذ رشيد كرامي . كل ما طلبنا منه : ما هو مطلبك يا أفندي مع من تمثل ؟؟ قال في اجتماع مجلس الوزراء القادم نقدمها ، ويمر الاجتماع القادم وغيره ... وكل مرة كان يقول الاجتماع القادم . ازاء هذا الواقع ، قلت للرئيس الاسد بدنا محاور . اتصل بما يسمى قمة عرمون ، يعني كل خيرة الذوات المسلمين وسألهم : بتقبلوني كون محاور عنكم ؟؟ هم لم يرفضوا وأنا رحبت بالمحاور الجديد أجمل ترحيب . انه رجل مسؤول .

جاء ثلاثة شخصيات من سوريا وبقوا في لبنان كذا ايام . كانوا يعملوا اجتماعات مع كل الفرقاء . الى ان توصلنا بموافقة الجميع الى نقاط متفق عليها .

ذهبنا الى الشام ، قابلنا الرئيس الاسد واجتمعنا به ، وطلعنا بعد ذلك باتفاق على كل المطالب التي طالب بها المسلمون . اتفقنا مع الرئيس الاسد

اعادة عرضها على قمة عرمون . وعندما يوافقون عليها نعلنها للشعب اللبناني. جاء الوزير خدام واللوائين جميل والشهابي وعرضوها على القمة ، ووافق عليها الكل مجتمعين . كان قبل ٧ شباط ، بين ٧ و ١٤ شباط ، أخذوا الموافقة على هذه الوثيقة من جميع المسؤولين . وفي ١٤ شباط ، أعلناها ، متأملين انه عند اعلانها كل انسان يعيد سلاحه الى خزانته .

شو حصل بعد اعلانها ؟

تصعد القتال . اذا خلاف لبناني ـ لبناني او مسلم ـ مسيحي ، ليس سوى خرافة وهمية ، الخلاف يا سادة لبناني ـ فلسطيني لا غير وهو سبب المشاكل .

كل لبناني خلال خمس سنوات تحرك من بيته الى مكان آخر ، ومر على بعد ٢ و ٣ كلم من أي مخيم كان ، أذل . يتوقف على الحاجز . تطلب هويته. من يطلب هوية اللبناني ؟ مشرد ترك أرضه المقدسة من دون أن يحارب واتكل على غيره حتى يحارب عنه ... هذا له حق ان يطلب من اللبناني هويته ؟؟ يقولون له : افتح صندوق السيارة ... ومن كان يحترم نفسه ولا يزعن لهم كان يطلق عليه النار ويقتل هو ومن معه . في أي بلد من العالم يحدث هكذا؟! مشرد ، لاجيء يتحكم بأهل البلد ؟؟ بأي بلد صار أو يمكن أن يصير مثل هذا ؟؟؟

ومع كل هذا ، تحملنا من أجل قضية مؤمنين بها أكثر منهم . تحملنا وتحملنا ... لكن لكل شيء حدود ، حتى الصلاة لها حدود . وعندما أصبحوا متحكمين في نصف بيروت ، العاصمة اللبنانية ، كيف تريدون ان نصبر يا جماعة ؟ على شو فينا نصبر ؟ صبرنا هذا ما كان الا ليؤدي بنا الى الاستعمار ، استعمار جديد . كلنا عشنا تحت نير الاستعمار ، وكلنا تنفسنا عندما ذهب الاستعمار حتى يأتي ياسر عرفات ليستعمر لبنان . ما حدا يقبلها . أكرر وأقول مع الاسف ما شعرنا بالوجود العربي ليقول : يا جماعة شو قصتكم ؟ اليوم وأخيرا ، أهلا وسهلا ، ولو مؤخرا ، شرفتم البلد .

هذا رأي فريق من البلد وقد سمعتموه مني . الحل الوحيد هو تطبيق اتفاقية القاهرة وملحقاتها والبدء بها ، كما قلت للاخ محمود آخر زيارة . اتفاقية القاهرة تفرض عدم وجود مسلحين على الاراضي اللبنانية يزيد عددهم عن ٢٥٠ مقاتل بالسلاح الخفيف وبمكان ما على الحدود الاسرائيلية . وهنا أقول لكم ماذا حصل على الحدود الاسرائيلية في تشرين ١٩٧٣ منذ اعلان الحرب . يومها عقدنا مجلس الوزراء وقررنا اعطاء كل التسهيلات وكل الامكانيات ووضع الجيش اللبناني بتصرف الفلسطينيين لكي يفتحوا على الجبهة اللبنانية ثغرة ـ ولو لم ينتصروا انما يخففون الضغط على باقي الجبهات . لمعلوماتكم ، اهدأ ايام على الحدود كانت آنذاك . رصاصة واحدة لم تطلق خلال هذه الفترة .

عندما يرى اللبناني كل ذلك ، هل يعود ويفكر بأن هؤلاء الجماعة يريدون استرداد أرضهم ؟ لا انهم موجودون في لبنان مع مساعدات عربية مادية تكفيهم الى ابد الابدين وباقون في لبنان . بموافقتنا وبارادتنا ما بيبقوا في لبنان .

واليوم سمعت تصريح عن الوجود الفلسطيني على الساحة اللبنانية ، أتأسف ، وأتمنى على من يشاء من الدول العربية والذي قلبه على هالجماعة والّلي بريد للجماعة الخير ، يحطلوا كم طائرة تحت تصرفهم ويأخذهم لعنده . لسوء حظنا أو لحسن حظنا ، يمكن ما يعرف كم عندكم كثافة السكان بالكلم المربع ؟؟

الله اعلم ، عندما يزور أبو عمار البلدان العربية ماذا يقول ؟ وماذا يخبر ؟ كنا نقرأ تصاريحه ، كان يقول : « ١٦٠٠٠ شهيد خسرت المقاومة في لبنان » . لم يوجد رئيس دولة يسأله ما هو ثمن استشهاد هؤلاء ؟ في لبنان ؟؟ اين استشهدوا ؟ هل على الحدود الاسرائيلية أو في قلب بيروت او في جبل صنين أو في الشمال ؟؟ أحدهم زهير محسن تساءل بمؤتمر صحفي : هل يا ترى انتقلت اسرائيل وأصبحت في شمالي لبنان بدل ان تكون في جنوبه ؟؟

هؤلاء الفلسطينيون وهذه تصرفاتهم معنا . لم يدعوا إنسان عنده كرامته الا وجربوا اذلاله . من الجنوب الى الشمال . أبدأ في الجنوب : عائلة كريمة من آل الخليل ، رئيس بلدية صور ، ابن الخليل جربوا اغتياله ، لماذا ؟ لانه لم يخضع لارادتهم .

في بيروت ، في قلب بيروت . فقدنا مؤخرا صبري بك حماده رحمة الله عليه ، زعيم شيعي من أكبر زعماء الشيعة . هاجموه في بيته . وبقي ١٢ ساعة واقفا وراء الشباك يطلق النار شخصيا لكي يدافع عن كرامته ، وعندما توقف اطلاق النار ، وقع أرضا فنقل الى المستشفى ومنها نقل الى المقبرة .

عبد الحميد كرامي ، كلكم تسمعون به ، رحمة الله عليه ، قصفوا قصره ؛ طالما رشيد كرامي لم يقدم كل خضوعه ، قصف قصره والده ، وهكذا خضع كليا بعد القصف .

هذا البيت الكريم ــ شمعون ــ ماذا حل بقصره ؟ نسفوه من الاساس . لماذا ؟ لانه يحافظ على كرامته . وكم من الامثلة على هذا الشكل . هذا هو العمل الفلسطيني . اخواننا العرب يتصوروا ان الفلسطينيين عندنا مثلما هم في مصر أو الكويت أو السعودية او البحرين ــ عندكم ما في ، مرتاحين منهم الحمد لله انشاء الله تستمر هذه النعمة ــ .

المخيمات يلي قايمة الدني عليها . اول يوم هوجم المخيم . طبعا الذي لا يعرف ما هي المخيمات يقول ان هذا عمل وحشي ، ومعه حق ، لان المخيم مثل المستشفى فيه أطفال ونساء ومشايخ .

اليوم نحن في النهار الحادي عشر لحصار مخيم تل الزعتر . ويقولون ان المخيم صامد ضد الوحشية التي تصب عليه . كيف يمكن أن يصمد وهو مخيم ؟ اليس من تساؤل ؟ اتمنى طرح هذا السؤال على وزير خارجية مصر يلي كان عن يبكي ويشهق على قصف المخيم . كيف يمكن لمخيم بالمعنى

الحقيقي ان يصمد ١١ نهارا ؟ المخيمات أصبحت معسكرات لا بل قلاع محصنة تحت الارض . بهذه المناسبة اليوم استلمت رسالة من الدانمارك يطالبوننا فيها بالمحافظة على بعض رعاياهم الموجودة في مخيم تل الزعتر .

تتذكر محمود بك اقتراح جاء من دولة الكويت بتخصيص ٣٠ مليون دولار لتحصين المخيمات مجلس الدفاع العربي . يومها قامت القيامة . المخيمات على ابواب المدن : صيدا ، بيروت ، طرابلس ، كلها محاطة بالمخيمات يومها لم نوافق . ولكن اؤكد ان المبلغ تأمن ثلاث مرات دون ان يمر على الجامعة العربية . لماذا تحصين المخيمات ؟ هذا التحصين لم يتم بنهار او اسبوع او شهر ، ان ذلك يستوجب شهور وسنين . لو ان نواياهم طيبة لا داعي لتحصين مخيماتهم . اذا كان مخيم ما يتعرض لخطر ينقل الى مكان آخر . بتذكر ، اظن ١٩٧٣ قالوا انا قصفناهم بالطائرات ، قلنا لهم تفضلوا اختاروا أي مكان تشاؤون بعيدا عن المدن حتى نؤمن لكم مخيم حديث وعصري . رفضوا لانهم يريدون ان يظلوا مسيطرين على مداخل المدن وعلى كل مرافق لبنان . عندما يكون الانسان يفكر ويخطط للسيطرة على مرافق بلد أي بلد كان ، هل يمكن ان تكون نواياه حسنة ؟

الشطي : فخامة الرئيس ، يمكن ان أوضح بعض النقاط . اولا نحن في العالم العربي صحيح ان سكانه كلهم مسلمين ، لكن نهتم بالمسيحي ونعرف ان المسيحي هو عربي وعربي صميم ونعرف الدور الذي لعبه وما زال يقوم به المسيحيون للحفاظ على الحضارة العربية . هذا ولا بد ان يكون حديثنا كله لننطلق منه ونعرف شيئا آخر أيضا انه ما فيش حرب طائفية في لبنان ولا بين مسلمين ومسيحيين .

سواء كان في تونس أو في بقية الدول العربية وبخصوص جلسات الجامعة العربية لم نطرق الموضوع من كونه خلافات وحرب بين مسلمين ومسيحيين . وفعلا الواقع ان المسيحيين من جهة والمسلمين من جهة أخرى ولكن ليس من أجل الاسلام او المسيحية ولا نعتقد ان حرب دينية في لبنان. هذا أمر متفق عليه . النقطة الثانية هو انه لماذا تأخر التدخل العربي ؟ صحيح

انه تأخر ولكن احتراما للسيادة ؛ لسيادة لبنان كنا دائما وأبدا ، خصوصا نحن في تونس حريصون على ان لا تمس سيادة لبنان وان يتدخل أحـــد فـــي شؤونه . الاضطرابات في لبنان كانت ذات وجهين وجـه لبناني ــ لبنانـــي ، ووجه لبناني ــ فلسطيني .

كنا نعتقد ان الوجه اللبناني ــ اللبنانـي لا يمكــن ان يعالجـــه الا اللبنانيون . والوجه اللبناني ــ الفلسطيني يمكــن ان يعالجــه اللبنانيــون والفلسطينيون بأنفسهم وبمساعدة سوريا التي كانت دائما وأبدا طيلة هــذه الفتنة تتدخل بينكم وبين الفلسطينيين .

حاولنا وفكرنا مرارا عديدة في دعوة مجلس الجامعة العربية من أجــل قضية لبنان . ولكن في كل مرة كنا نصطدم بشيء : ما هو رأي لبنان ؟ هل طلب منا لبنان ذلك ؟ وهل يحق لنا ان نجتمع باسم لبنان لننظر فـــي شؤونه ؟ لبنان بلد مستقل ولماذا تتدخلون في شؤونه ولو كانت هــذه الشؤون تمس الفلسطينيين . هذا هو السبب الذي جعلنا نتأخر .

اليوم تدخلنا . لماذا تدخلنا ؟

شمعون : فيما يختص بالرجوع للجامعة نحن كنا نطلب تدخل الجامعـة وكان الفريق الآخر يرفض بصورة مركزة . تتذكر كلنا عبارة « لا تعريب » . يعني يقطعوا علينا طريق الجامعة ونحن نعتبرها مرجعنا الاول . ثـم الامـم المتحدة التي هي مرجعنا الثاني ، وكانوا يرفضون التعريب والتدويل .

الرئيس : يوجد عندنا سجلات الاونروا نحن قبلنا بها بمـلء حريتنـا واهلا وسهلا فيهم ، ولكن غير المسجلين في الانروا مع ألف سلامة . طالما هم هنا ، لن يكن سلام على الارض اللبنانية .

ما هي حقوقهم على لبنان ؟؟ يوجد ١٧٦ ألف فلسطيني دخلوا ١٩٤٨ يا الف مرحبا بهم ، ولكن ما يزيد عن هذا العدد ، عن الاشخاص ذاتهم ، مـاذا يعملون في لبنان ؟ الاصطياف في صنين ؟

أهم عمل اليوم بتقدر تعمله الجامعة العربية تجيب نسخة من الانروا بأسماء الاشخاص المسجلين لديها وتأخذ قرار بأرجاع غير المسجل الى حيث كان . هذا أول عمل وأقدس عمل لو هالجماعة اتـوا لاسترداد أرضهم كما يدعون كانوا اطلقوا ولو رصاصة واحدة اثناء حرب تشرين ١٩٧٣ .

الشطي : فخامة الرئيس لو تسمح ان اقاطع كلامك . انطلقنا في أول مبارح كان ياسر عرفات بالاجتماع . قال : انا أريد تطبيق اتفاقيـة القاهـرة وملحقاتها . أنا أقول هذا الكلام للامانة . أنا لا أعلم بالغيب .

رياض : نحنا وصلنا لمرحلة نحاول نصل لشيء عملي . في شيء مثالـي وفي الشيء العملي . اللي بتتفضلوا فيه انه في فئـة خارجة عن القانون ولا تريد وقف اطلاق النـار .

ماذا يمكن ان نعمل ؟ ولو خطوة خطوة . الجديد في الموضوع انه في عمل عربي جماعي . يمكن ان الموضوع مش واضح لبعض الدول العربيـة . أنا شخصيا قلت ان موضوع استتباب الامن يحتاج الى نوع مـن الضمـان العربي . كيف يمكن ان نستفيد من نقطة انطلاق العمل العربي ، ثـم تشجيع العمل العربي نفسه . كيف نجعل الامة العربية ضامنة لهذا الاتفاق ؟

والعمل العربي الجماعي هو ان يقدر ان يساعد . طبعا لن يتم ذلك في ٢٤ ساعة . وفي نقطة بداية أثارها فخامـة الرئيس هـي موضوع اتفاقيـة القاهرة . والمشكلة اللبنانية الخاصة بالحوار اللبناني . فانه يرى بأن هذا لا يشكل عائق وانه ممكن اذا اجتمعوا اللبنانيون ان يصلوا الى اتفاق فيما بينهم ويمكن تحكيم الجامعة العربية في هذا الموضوع .

اتفاقية القاهرة وملحقاتها نعرف ان عدم تنفيذها هو السـبب في المشاكل او الجزء الاكبر من المشكلة .

بقلنا ياسر عرفات وكل المقاومة بانهم مستعدون لتنفيذ هـذا الكلام .

كيف نبدأ ؟ هناك مشكلة حاليا ، في الايام الاخير ، حصلت عملية مزيد من الخسائر ومن التدمير . المخيمات مثلا . مخيم كذا . تساءلتم لبعض الدول العربية وذكرتم مصر التي تصدت لهذا الموضوع وهي لا تعرف وضع المخيم . وضع المخيم على انه مخيم لاجئين فيه اطفال ونساء وفيه سلاح .

شمعون : صدر بلاغ عن المقاومة تقول فيه : انها ترفض تنفيذ اي بند من بنود قرارات الجامعة الا بعد انسحاب القوات السورية . المسألة انه اليوم صدر هذا البلاغ (مقاطعة من رياض ..)

حكيتو ساعتين وأنا أسمع . اسمحولي احكـي . أنـا أقول ان هـذا الموضوع خطير جدا . بدنا نعرف . القـوات السوريـة موجودة بقبـول الحكومة اللبنانية وعلى الارض اللبنانية . مبدئيا لا احد يرفض وقف اطلاق النار . انما نحن الآن تجاه تصريح صادر عن الجهة المعادية والتي ذكرتـه . هذا شيء خطير .

الرئيس : الاخ محمود . هالبند اللي ورد بالصحف عن قدوم قوات الى لبنان بريد انو يتوضح مثل ما وضحتموه باجتماعنا اليوم .

شمعون : لانه كان ورد برقية ان العراق سيرسل قوات الـى لبـنان . يمكن حدوث حرب سورية ـ عراقية على أرض لبنان .

رياض : اذا تمكنا حصر الكلام في النواحي العملية يكون افيـد لنا . التصريحات الصحفية والاذاعات ، كل واحدة تقول حسب تقديرها .

اليوم تم اتصال قبل ان احضر الى هنـا . قالوا انهـم موافقون عـلى قرارات الجامعة بكاملها بوجود الاخ ابو اياد وابو اللطف . احب ان اؤكـد للرئيس شمعون انهم موافقون .

تقريـــر اللجنـــة الثلاثيـــة

الموفدة من الجامعة العربية الى لبنان

على اثر اتخاذ مجلس الجامعة العربية لقراره رقم ٣٤٥٩ يوم اول تمـوز ١٩٧٦ ، اجتمعت اللجنة الثلاثية التي شكلها المجلس في مقر الجامعة الساعـة العاشرة من نفس اليوم ، للتشاور في خطة العمل من أجل تنفيذ قـرار مجلس الجامعة • ثم غادرت اللجنة القاهرة الى دمشق ووصلتها في الساعة الثامنـة مساء ، بعد ان قدم وفد دولة الامارات العربية المتحدة طائرة خاصة لسفرها •

وفور الوصول ، اجتمعت اللجنة بالسيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، وقد أكد سيادته استعداد سوريـا لتقديـم كـل معاونة للجنة من أجل نجاحها في مهمتها •

فـي الكفـور

وفي صباح يوم الجمعة ٧٦/٧/٢ توجهت اللجنة الى جونيـه بطائـرة هليكوبتر سورية حيث التحق بها الدكتور الخولي ، وتوجـه الجميع الـى الكفور للقاء مع الرئيس سليمان فرنجية ؛ وذلك بنـاء عـلى ترتيبـات سبق اعدادها بواسطة الدكتور الخولي • وحضر الاجتماع الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل والسادة ادوار حنين ، جوزف مغبغب ، نجيب الدحداح أمين عام وزارة الخارجية اللبنانية ، ولوسيان دحداح وزير الخارجية السابق•

شرحت اللجنة تطورات الموقف منـذ صدور قـرار الجامعـة يوم ٩ الماضي ؛ وحتى اجتماعه الاخير الذي أصدر فيـه قراره بتاريـخ أول تمـوز بتكليف اللجنة الثلاثية بالسفر الـى بيروت لتنفيـذ القرارات الصادرة عـن مجلس الجامعة وللمباشرة :

١ ـ الاشراف على التنفيذ الفوري لاطلاق النار •

٢ ـ وضع البرنامج الرامي لتنفيذ قراري مجلس الجامعة رقم ٣٤٥٦ و ٣٤٥٧ الصادرين في يومي التاسع والعاشر من الشهر الماضي •

أوضحت اللجنة ان الموقف استمر في التدهور ، وازداد التصادم المسلح بالرغم من موافقة كافة الأطراف على وقف اطلاق النار واحياء الحوار اللبناني ـ اللبناني ، وتنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها •

وأشارت اللجنة الى عدم تنفيذ الاطراف لهذه النقاط •

بينت اللجنة أهمية الوصول الى حلول عملية لتحقيق السلام وهو ما لا يمكن تحقيقه دفعة واحدة ، بل يتم على مراحل متتابعة • كما أكدت على أهمية وقف اطلاق النار كخطوة اولى لتتمكن قوات الامن العربية من القيام بواجبها والتمهيد لتنفيذ الخطوات الاخرى الكفيلة بتحقيق السلام في لبنان•

استفهم الرئيس فرنجية عما جاء في قرار المجلس الاخير بشأن ارسال قوات الامن العربية الى لبنان بدون شروط مسبقة • وقد شرحت له اللجنة هذه النقطة وازالت ما لديه من لبس حول هذه الجملة ، وانه ليس بها أي مساس بالسيادة اللبنانية •

أوضح الرئيس فرنجية ان ما يهمه هو عدم اشتراك أية دولة عربية في قوات الامن العربية دون الموافقة المسبقة من السلطات الشرعية اللبنانية • أكد الرئيس فرنجية ان المشكلة الاساسية هي العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية ، وذكر ان لبنان عرض نفسه لكثير من الاعتداءات الاسرائيلية والى تشريد سكان الجنوب نتيجة لتواجد المقاومة الفلسطينية في هذه المنطقة وان لبنان تحمل كل ذلك دون شكوى • ويرى الرئيس فرنجية ان اقرار السلام في لبنان لن يتحقق الا اذا تم تنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها •

وذكر الرئيس فرنجية انه بالنسبة للعلاقات اللبنانية ـ اللبنانية ، فانه يقبل بتحكيم اللجنة حتى الدول العربية كلها في هذا الموضوع • وأكد

الرئيس فرنجية انه طالما يوجد سلاح في أيدي الافراد فسوف يستمر القتال. ولذا فمن الضروري سحب جميع الاسلحة من أيدي الفلسطينيين وكذلك من اللبنانيين على حد سواء .

وأكد الرئيس فرنجية ان وكالة غوث اللاجئين مسجل لديها أسماء اللاجئين الفلسطينيين . أما الفلسطينيون المسجلون غير لاجئين ، فلماذا لا يرحلون عن لبنان الى أي بلد عربي آخر .

أشارت اللجنة الى خطورة الموقف في تل الزعتر وانه يعتبر نقطة ساخنة وحساسة ، وأنه من الافضل البدء في تنفيذ قرار وقف اطلاق النار والشروع في تنفيذ اتفاقية القاهرة انطلاقا من تل الزعتر . وأثناء المناقشة كان رأي الرئيس فرنجية هو عدم جواز التركيز على تل الزعتر بينما توجد مناطق لبنانية أخرى تتعرض للهجوم والقصف والاحتلال من الجانب الفلسطيني .

عادت اللجنة وقررت ان موضوع تل الزعتر أصبح يشكل موقفا حساسا للغاية للفلسطينيين وللرأي العام العربي عامة . وبينت اللجنة انه لا يوجد اطلاقا ما يحول دون قيام قوة الامن العربية بمهمتها في مناطق أخرى ، بالاضافة الى تل الزعتر . وأشارت اللجنة في هذا المجال الى النقاط السبع التي اقترحها الدكتور حسن صبري الخولي ووافق عليها الطرفان ، وقد ورد بها اكثر من موقع بجانب تل الزعتر وانتهت اللجنة الى أهمية وقف اطلاق النار حتى يمكن تنفيذ الخطوات الاخرى في جو ملائم .

اقتـراح فرنجيـة

وبعد مناقشات عديدة حول وقف اطلاق النار على تل الزعتر ، وتنفيذ القرار الصادر عن مجلس الجامعة العربية ، وكذلك النقاط السبع ، تقدم الرئيس فرنجية بالاقتراح التالي :

١ ـ أهمية عودة الحياة الطبيعية الى بيروت لاعطاء نوع من الطمأنينة. واشار الى نقص الغذاء وانقطاع الكهرباء مما سبب نقص المياه ونقص الادوية

واغلاق مطار بيروت ومرفأ بيروت ، وانقطاع المواصلات السلكية واللاسلكية والبرق وتوقف البنك المركزي عن العمل .

٢ ـ تطبيق اتفاقية القاهرة والبدء بها بتل الزعتر .

٣ ـ وقف اطلاق النـار .

٤ ـ تحريك قوة السلام العربية الى المناطق التي يتفق عليها .

وشرح الرئيس فرنجية رأيه في كيفية عمل قوة الامن العربية وأهمية اعلان او انتهاء هذا العمل لاي طرف يثبت مخالفته لوقف اطلاق النار .

ذكر الرئيس فرنجية انه يجب ان تكون قوة الامن العربية قوة رادعة حتى يمكنها فرض السلام . أكد الرئيس فرنجية أن آية قوة عربية تدخل الى لبنان دون موافقة السلطات الشرعية تعتبر قوة معتدية . كما أكد في نهاية حديثه بالمبادرة العربية وتمسكه بوحدة لبنان .

وقد ذكرت اللجنة ان هذه المقترحات تتمشى مع قرار مجلس الجامعة والنقاط السبع .

نـداء لوقف النـار

وفي نهاية اللقاء أعلنت اللجنة نداء الى الاطراف بوقف اطلاق النـار ، ونصه كما يلي : وجهت اللجنة الموفدة من قبـل مجلس الجامعـة العربيـة المشكلة من أمين الجامعة ووزير خارجية البحرين ووزير خارجية تونس نداء الى جميع الاطراف في لبنان بوقف اطلاق النار في جميع المناطق اعتبارا مـن منتصف ليلة أول تموز (تموز) وتلبية لهذا النداء وافقت كل الاطراف عليه .

وقد عرض هذا النص على الرئيس فرنجية ووافق عليه ، ثم اتصل الامين العام تلفونيا بالاخ « ابو اللطف » في بيروت وقرأ عليه نص النـداء ، فوافق عليه ، واذيع البيان فور مغادرة اللجنة مكان الاجتماع .

وقد أذاع راديو بيروت الذي يبث من عمشيت بيانا بالموافقة على وقف اطلاق النار اعتبارا من منتصف ليلة الثاني من تموز ، وضرورة تنفيذ اتفاقية القاهرة ، وعودة الحياة الطبيعية الى لبنان . كما اذاعت المقاومة بيانا أعلنت فيه التزامها بوقف اطلاق النار وان هذا الموقف مرتبط باحترام الطرف الآخر لتنفيذ هذا القرار مع وقف أي نشاط عسكري على مخيم تل الزعتر والانسحاب من جسر الباشا .

وفي صباح يوم السبت ٣ تموز ، تبين للجنة من الاذاعات ووسائل الاعلام انه لم يتم احترام نداء وقف اطلاق النار . وقد توجهت اللجنة الى مطار بيروت بطائرة هليكوبتر سورية ومنه الى مقر المقاومة الفلسطينية ، والتقت بالاخ أبو اللطف ، وبممثلين عن المنظمات الفلسطينية . وانضم الى الاجتماع في ما بعد ، ممثلون عن الاحزاب والقوى التي تكون الجبهة التي يترأسها السيد كمال جنبلاط .

وقد أوضحت اللجنة دورها وقرار مجلس الجامعة على غرار ما سبق ايضاحه . وقد تحدث معظم الحاضرين معبرين عن وجهات نظرهم والتي يمكن يلخيصها بما يلي :

١ ـ تأييد المبادرة العربية وموافقتهم على قرار مجلس الجامعة .

٢ ـ ضرورة انسحاب القوات السورية من الاراضي اللبنانية .

٣ ـ ضرورة وقف الهجوم على تل الزعتر فورا . وقد ذكر أبو اللطف للجنة ان الموقف خطير للغاية في تل الزعتر .

٤ ـ ان سقوط تل الزعتر يعني حدوث مذبحة مما سيترتب عليه ردود فعل عنيفة من جانبهم .

٥ ـ اشار البعض الى الاحوال السيئة التي يعاني منها الشعب في بيروت بسبب انقطاع الكهرباء والمياه والى جانب نقص المواد الطبية والغذائية .

٦ ـ أوضحوا ان الطرف الآخر لم يحترم نداء أمس بوقف اطلاق النار والانسحاب من جسر الباشا ، وقد اعتبروا ان هذا الشرط انما هو بمثابة عدم موافقة من المقاومة على وقف اطلاق النار .

اجتماع صوفر

وبناء عليه ، فقد اتصل الامين العام تلفونيا بالرئيس فرنجية للاستفهام منه عن أسباب عدم الالتزام من جانبهم بوقف اطلاق النار ، واستمرار الهجوم على تل الزعتر . وكان رد الرئيس فرنجية بأن البيان الذي اصدرته المقاومة أمس اشترط لوقف اطلاق النار الانسحاب من جسر الباشا ، وقد اعتبروا ان هذا الشرط انما هو بمثابة عدم موافقة من المقاومة على وقف اطلاق النار .

أوضح الامين العام للرئيس فرنجية ان هناك سوء فهم للبيان ؛ حيث أن اللجنة مجتمعة حاليا مع أعضاء المقاومة الذين يؤكدون التزامهم بوقف اطلاق النار بدون أي شرط .

وقد طلب الرئيس فرنجية من الامين العام الاتصال بالشيخ بيار الجميل والرئيس كميل شمعون بهذا الشأن . فاتصل الامين العام تلفونيا بالشيخ الجميل الذي كرر الرأي القائل بأن المقاومة لم تحترم قرار وقف اطلاق النار كما تم الاتفاق عليه .

اقترح الامين العام تشكيل لجنة مشتركة من جميع الاطراف للاشراف على وقف اطلاق النار . ولكن الشيخ بيار الجميل اعتذر لعدم امكانية تنفيذ ذلك في نفس اليوم . الا أنه يمكن اتخاذ اجراءات لتشكيل هذه اللجنة المقترحة في اليوم التالي .

طلب الاخ « أبو اللطف » من اللجنة المسارعة بالعودة الى دمشق لاجراء الاتصالات وبذل الجهود اللازمة من أجل وقف الهجوم على تل الزعتر .

اتصل الامين العام بالسيد رشيد كرامي رئيس الوزراء للاعتذار عن

الموعد الذي سبق تحديده معه ، وتم تبادل الرأي حول الموقف تلفونيا . كما اخطرت اللجنة عن الاعتذار عن بقية المقابلات التـي سبق تحديدهـا ومنها زيارة سماحة المفتي وزيارة رئيس الرهبانيات .

وتوجهت اللجنة الى المطار الذي كان يتعرض الى قصف مدفعي وعادت الى دمشق بالطائرة .

وفي دمشق قابلت اللجنة مساء اليوم نفسه سيادة الرئيس حافظ الاسد وأبلغته بنتائج اتصالاتها مع كل من الرئيس فرنجية والمقاومة الفلسطينية .

وأوضحت اللجنة في عرضها ان سقوط مخيم تل الزعتر ستكون له آثار عنيفة في العالم العربي باعتباره مخيما للفلسطينيين ، كما ستكون لـه ردود فعل لدى الفلسطينيين وسيؤدي الى قيـام عمليات عسكريـة ضـد الطرف الآخر . ودعت اللجنة الى ضرورة العمل بكل الوسائل لوقف الهجوم عـلى تل الزعتر .

أكد الرئيس حافظ الاسد حرص سوريـا عـلى القضيـة الفلسطينية وحمايتها الثورة الفلسطينية ، وان سوريـا لا تقبـل بوقوع أي مذابح ضد الفلسطينيين أو أي مذابح ضد أية طوائف لبنانية . كما طرح الرئيس الاسد موقف حكومة سوريا من المقاومة وتأييدها المستمر لها .

طرح الرئيس الاسد أن تعمل اللجنة من أجـل عقد اجتماع بين الطرفين في الرابع من تموز ، وذكر ان سوريا سوف تساهم بكل الجهود مـن أجـل انجاح هذا الاجتماع الذي يتم تحت اشراف الجامعة العربيـة ، وأضاف ان سوريا سوف توفد السيد عبد الحليم خـدام نائب رئيس الوزراء ووزيـر الخارجية لحضور الاجتماع والمعاونة في انجاحه .

بعد عودة اللجنة مباشرة من مقابلتها للرئيس الاسد في الساعة الواحدة من صباح يوم الرابع من تموز ، تم الاتصال بمكتب المقاومة واقترحت اللجنة ان يعقد الاجتماع في صوفر عند الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه ، عـلى

ان يتم تأكيد ذلك فور وصول رد الطرف الآخر • وقد تلقى الامين العام برقية من الاخ « أبو عمار » الساعة الواحدة بعد الظهر تفيد بالموافقة على حضور اجتماع صوفر في الوقت المحدد •

وعلى أثر وصول هذه الموافقة ، تم الاتصال بجونيه لابلاغهم بالاجتماع المقترح ، وتوجهت اللجنة الى صوفر في الموعد المحدد ، وتم اللقاء في ساعة متأخرة من الليل وشاركت فيه الاطراف المختلفة • أوضحت اللجنة ان هدف هذه اللقاءات هو تطبيق قرارات مجلس الجامعة المتضمنة النقاط الرئيسية الكفيلة بوضع حل للمشكلة على الساحة اللبنانية ، وهي :

١ ـ وقف اطلاق النار •

٢ ـ حل المشكلة اللبنانية •

٣ ـ العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية •

٤ ـ تشكيل قوة أمن عربية للاشراف على تنفيذ وقف اطلاق النار والمعاونة في حفظ السلام •

هذا بالاضافة الى النقاط السبع التي سبق للطرفين ان وافقا عليها ، وان المطلوب هو وضع برنامج تنفيذي لهذه القرارات والاتفاقات •

ورأت اللجنة أن يمثل كل طرف وفد على مستوى عال ومفوض باتخاذ القرار دون حاجة للرجوع الى أي جهة أخرى •

واعتبرت اللجنة أن هذا الاجتماع الاول هو اجتماع تمهيدي لتحديد الاهداف وجدول أعمال الاجتماعات المقبلة •

وتم الاتفاق على ان ينعقد الاجتماع الثاني بعد ظهر اليوم التالي ٥/٧/٧٦ في صوفر •

وكانت اللجنة قد تلقت في بحر نفس اليوم رسالة من الدكتور حسن

صبري الخولي من بيروت بشأن مقترحات تباحث فيها مع الطرفين ، ووافقا عليها تتخلص بالآتي :

أ ـ قيام الصليب الاحمر اللبناني والهلال الاحمر الفلسطيني باجلاء القتلى والجرحى .

ب ـ قيام قوات الامن العربية بنقل سلاح المقاتلين والاشراف على خروجهم ونقلهم .

ج ـ يبقى المدنيون من النساء والرجال والاطفال بعد تأمينهم على حياتهم .

د ـ تشرف قوة الامن العربية على تأمين المنطقة .

وفي يوم الاثنين ٥/٧/٧٦ ، وردت برقية من السيد حسن صبري الخولي تفيد بتعطيل الاجتماع الذي كان مقررا في ذلك اليوم في صوفر بسبب الاشتباكات التي وقعت في المنطقة الشمالية ودخول قوات مسلحة من شمال لبنان الى مدينة شكا في المنطقة الشمالية .

وتابعت اللجنة الموضوع فتبين لها أن هناك معارك شديدة قد نشبت في الشمال أدت الى احتلال المقاومة الفلسطينية والقوة المساندة لها مدينة شكا والمنطقة المحيطة بها جنوبي طرابلس .

معركة شكا

وفي المساء حضر الدكتور حسن صبري الخولي الى دمشق من بيروت واجتمع باللجنة وابلغها بأنه أجرى اتصالات تلفونية مع الرئيس فرنجية ، من أجل التأكيد على ايفاد وفد الى اجتماع صوفر الا ان الرئيس فرنجية أبلغه برفض الاشتراك في هذا الاجتماع بسبب احتلال المقاومة الفلسطينية والقوات المساندة لها لمدينة شكا في الشمال .

وقد تبين للجنة ان المقاومة يزداد تصعيدها بسبب استمرار الهجوم على تل الزعتر . واحتلال بلدة شكا والمنطقة المحيطة بها مما أدى الى توقف

الترتيبات التي سبق الاتفاق عليها بين الطرفين مثل :

١ ـ تحريك قوات الامن العربية الى تل الزعتر •

٢ ـ تحريك الصليب الاحمر الدولي الى تل الزعتر لنقل الجرحى والقتلى ، فقد تعرضت قافلة الصليب الاحمر لقصف مدفعي شديد أثناء محاولة الوصول الى تل الزعتر •

اجتمعت اللجنة مع اللواء ناجي جميل الذي كان مقررا ان يحضر اجتماع صوفر مع اللجنة ، وجرى عرض للموقف وتم الاتفاق في النهاية على ضرورة بذل كافة الجهود من أجل اعادة محاولة عقد الاجتماع المشترك بين الطرفين حيث ان ذلك هو السبيل الوحيد الذي وجدته اللجنة أمامها من أجل التوصل الى وقف اطلاق النار واعادة الامن والسلام الى لبنان •

يوم الثلاثاء ٦/٧/٧٦ اجتمعت اللجنة باللواء ناجي جميل الذي أبلغها أنه قام بعرض الموقف على الرئيس الاسد ، وان سيادته يرى بدوره انه لا سبيل أمام اللجنة سوى مواصلة بذل الجهود من أجل انعقاد الاجتماع المشترك الذي يجمع الطرفين تحت اشراف الجامعة العربية • وآكد أن سوريا ستقدم كل المساعدات من أجل اتمام هذا اللقاء •

ارسل الامين العام برقية الى الاخ « أبو عمار » ذكر فيها ان اللجنة اتفقت على ان يتم اجتماع آخر في صوفر الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء ٧ تموز وطلب منه ارسال وفد مفوض ، وانه سيتم تأكيد ذلك فور الحصول على موافقة الطرف الآخر • وفي نفس الوقت توجه رسول الى جونيه لتجديد الدعوة الى الرئيس فرنجية لارسال وفد مفوض الى هذا الاجتماع •

وردت رسالة من الاخ « أبو عمار » تفيد بموافقته على الاجتماع ، وان الوفد المفوض سيكون موجودا في الموعد المحدد •

وفي مساء نفس اليوم علمت اللجنة من الرسول الذي توجه الى جونيه

ان الرئيس فرنجية برفض حضور هذا اللقاء ، وان كان على استعداد لعرض الموضوع مرة أخرى على زملائه في الجبهة اللبنانية في اجتماع سينعقد يوم الخميس ١٩٧٦/٧/٨ .

محاولات لتحقيق اللقاء

وقد رأت اللجنة أنه بالرغم من كل هذه العقبات ، فمن الضروري مواصلة الجهود من أجل العمل لتحقيق اللقاء المشترك ، وكلفت الدكتور حسن صبري الخولي بمواصلة الاتصالات .

وفي صباح يوم الاربعاء ٧ تموز اجتمعت اللجنة لتقييم الموقف ولاحظت انه منذ صدور قراري مجلس الجامعة يوم ٩ حزيران و ١٠ منه ، لم يتوقف اطلاق النار ، بل اتسعت المعركة وزادت حدتها كما تفاقمت الخلافات بين كافة الاطراف المتنازعة في لبنان .

وقد رأت اللجنة ان تحقيق السلام والامن في لبنان يستدعي تنفيذ قرارات مجلس الجامعة بكافة بنودها ، الامر الذي يتطلب مواصلة الجهود لعقد لقاءات تضم كافة الاطراف تحت اشراف الجامعة العربية من أجل تنفيذ قرارات المجلس .

وقد لاحظت اللجنة ان العقبة الاساسية امام الوصول الى أي اتفاق هي فقدان الثقة بين الاطراف وعدم اطمئنان اي طرف الى احترام الطرف الآخر لأي اتفاق يتم التوصل اليه ، ولذا فانه من الضروري التفكير في ايجاد ضمانات كافية من الدول العربية تكفل تنفيذ واحترام الاتفاقات التي يتوصل اليها الطرفان تحت اشراف الجامعة . ومن الواضح ان قوة الامن العربية بتكوينها الحالي لا تشكل القوة المناسبة لتقديم الضمانات المطلوبة .

وفي ضوء هذا العرض والملاحظات التي أبدتها اللجنة ، فانها ترى ان الموقف في لبنان بما يشكله من تهديد لامن وسلامة لبنان والامة العربية ، قد أصبح من الضرورة بحيث أصبح يتطلب عملا عربيا جماعيا يتقرر على أعلى مستوى ، وبالتالي ترى اللجنة أهمية النظر في دعوة أصحاب الجلالة

والفخامة والسيادة الملوك والرؤساء العرب الى قمة عربية في أقرب وقت لاتخاذ القرارات اللازمة لحل المشاكل السياسية ، وكذلك النظر في الوسائل لضمان تنفيذ ما يتم التوصل اليه من اتفاقات ٠

النقاط السبع

وفي ما يلي النقاط السبع التي اقترحتها اللجنة :

١ ـ تأمين المطار للسفر ، عن طريق فتح المرور الى المطار من جهة المتحف لمدة ساعتين صباحا وساعتين مساء ٠

٢ ـ تأمين الآتي لعودة الحياة الطبيعية المدنية :

أ ـ وصول المحروقات من الزهراني الى جونية لتأمين الكهرباء ٠

ب ـ تأمين الاتصالات السلكية واللاسلكية في البريد المركزي ٠

ج ـ المصرف المركزي ٠

د ـ تأمين ميناء بيروت ٠

٣ ـ حل قضية عينطورة ، صنين ، عيون السيمان ، المتين ، تل الزعتر ٠

٤ ـ وقف الحملات الاعلامية بين المقاومة وسوريا ٠

٥ ـ انهاء المظاهر العسكرية في المدينة وبناء المؤسسات : الجيش ، الدرك ، الشرطة ٠

٦ ـ تنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها ٠

٧ ـ بدء الحوار السياسي بين الاطراف للوصول الى التسوية الكاملة٠

وقالت اللجنة أمام المجلس في تقريرها بأن الفلسطينيين وجبهة كمال جنبلاط وافقوا على هذه النقاط السبع بتاريخ ٣٠/٦/٧٦ ، والجبهة اللبنانية بتاريخ الاول من تموز ١٩٧٦ ٠


ملحق

« اتفاقيـــة القاهـــرة » ✱

« سري للغايـــة »

في يوم الاثنين ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ اجتمع فـــي القاهـــرة الوفد اللبناني برئاسة عماد الجيش اميل البستاني ووفـد منظمـــة التحريـــر الفلسطينية برئاسة السيد ياسر عرفات رئيس المنظمة وحضر من الجمهوريـــة العربية المتحدة السيد محمود رياض وزير الخارجية والسيد الفريق أول محمد فوزي وزير الحربية •

انطلاقا من روابط الاخوة والمصير المشترك فان علاقات لبنان والثـورة الفلسطينية لا بد وان تتم دوما بالثقة والصراحة والتعاون الايجابي لمـا فيـه مصلحة لبنان والثورة الفلسطينية وذلـك ضمن سيادة لبـــنان وسلامتـــه • واتفق الوفدان على المبادىء والاجراءات التالية :

الوجود الفلسطيني :

تم الاتفاق على اعادة تنظيم الوجود الفلسطيني في لبنان على أساس :

✱ ان هذا الاتفاق لا مثيل له في المواثيق الدولية :

١ ـ هو في الاساس سري ولكنه اذيع مرارا .

٢ ـ لم يعرض نصه على النواب ولا حتى على الوزراء بالرغم من اعتباره نافذا اثر توقيعه .

٣ ـ وقعه عن الجانب اللبناني العماد اميل البستاني دون ان يكون حاملا التفويض الرسمي الواجب اصداره لتوقيع الاتفاقات الدولية .

٤ ـ وقعه عن الجانب الفلسطيني ممثل لهيأة لم تكن تتمتع بعد باي اعتراف دولي .

٥ ـ قد يكون تفسير هذا الشواذات ان الاتفاق وضع ووقع بتسرع تحت وطـاة الاشتباكات العسكرية ، التي دارت وقتذاك ، بين الجيش اللبنانـــي والفدائيين الفلسطينيين ، في حين كانت بعض الدول العربية تهدد لبنان بالتدخل لمصلحة هؤلاء .

١ ـ حق العمل والاقامة والتنقل للفلسطينيين المقيمين حاليا في لبنان (١) .

٢ ـ انشاء لجان محلية من الفلسطينيين في المخيمات لرعاية مصالح الفلسطينيين المقيمين فيها وذلك بالتعاون مع السلطات المحلية وضمن نطاق السيادة اللبنانية .

٣ ـ وجود نقاط للكفاح الفلسطيني المسلح داخل المخيمات تتعاون مع اللجان المحلية لتأمين حسن العلاقة مع السلطة وتتولى هذه النقاط موضوع تنظيم وجود الاسلحة وتحديدها في المخيمات وذلك ضمن نطاق الامن اللبناني ومصلحة الثورة الفلسطينية (٢) .

٤ ـ السماح للفلسطينيين المقيمين في لبنان بالمشاركة في الثورة الفلسطينية من خلال الكفاح المسلح ضمن مبادىء سيادة لبنان وسلامته .

العمل الفدائي :

تم الاتفاق على تسهيل العمل الفدائي وذلك عن طريق :

١ ـ تسهيل المرور للفدائيين وتحديد نقاط مرور استطلاع في مناطق الحدود .

٢ ـ تأمين الطريق الى منطقة العرقوب .

---

١ ـ جاء في الفقرة (٥) من مقدمة « تقرير المفوض العام لوكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الادنى وتشغيلهم » للمدة المتراوحة بين ١٩٦٧/٧/١ و ١٩٦٨/٦/٣٠ ان « في لبنان استمرت الوكالة في تقديم خدماتها بشكل عادي طوال السنة الماضية وكان عدد اللاجئين المسجلين لدى الوكالة ١٦٦٢٦٤ لاجئا في اخر حزيران (يونيو) ١٩٦٨ » .

٢ ـ جاء في الفقرة (٣٩) في الفصل الاول من « تقرير المفوض العام لوكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الادنى وتشغيلهم » ما يلي : « في لبنان استحال على الوكالة تنفيذ المنهاج العادي للتحقق من صحة القوائم اعتبارا من شهر تشرين الاول ١٩٦٩ وهو التاريخ الذي زال فيه وجود ممثلين للسلطة اللبنانية في المخيمات » .

٣ ــ تقوم قيادة الكفاح المسلح بضبط تصرفات كافة أفراد منظماتها وعدم تدخلهم في الشؤون اللبنانية •

٤ ــ ايجاد انضباط مشترك بين الكفاح المسلح والجيش اللبناني •

٥ ــ ايقاف الحملات الاعلامية من الجانبين •

٦ ــ القيام باحصاء عدد عناصر الكفاح المسلح الموجودة في لبنان بواسطة قيادتها •

تعيين ممثلين عن الكفاح المسلح في الاركان اللبنانية يشتركون بحل جميع الامور الطارئة •

٨ ــ دراسة توزيع أماكن التمركز المناسبة في مناطق الحدود والتي يتم الاتفاق عليها مع الاركان اللبنانية •

٩ ــ تنظيم الدخول والخروج والتجول لعناصر الكفاح المسلح •

١٠ الغاء قاعدة جيرون •

١١ ــ يسهل الجيش اللبناني أعمال مراكز الطبابة والاخلاء والتموين للعمل الفدائي •

١٢ ــ الافراج عن المعتقلين والاسلحة المصادرة •

١٣ ــ ومن المسلم به أن السلطات اللبنانية من مدنية وعسكرية تستمر في ممارسة صلاحياتها ومسؤولياتها كاملة في جميع المناطق اللبنانية وفي جميع الظروف •

١٤ ــ يؤكد الوفدان ان الكفاح المسلح الفلسطيني عمل يعود لمصلحة لبنان كما هو لمصلحة الثورة الفلسطينية والعرب جميعهم •

١٥ ــ يبقى هذا الاتفاق سريا للغاية ولا يجوز الاطلاع عليه الا من قبل القيادات فقط •

رئيس الوفد اللبناني
اميل بستاني

رئيس الوفد الفلسطيني
ياسر عرفات

« اتفاقية ملكارت »

الملحقــة باتفاقيــة القاهــرة

النقاط التي تم الاتفاق عليها في اللجنة المشتركة العليــا بــين الجانبين اللبناني والفلسطيني .

١ ــ تاريــخ الاجتماع

١٥ ــ ١٦ ــ ١٧/٥/١٩٧٣ .

٢ ــ الاعضــــاء

١١ ــ عن الجانب الفلسطيني :

* المقدم الركن ابو الزعيم
* ابو عدنــان
* السيد صلاح صلاح

١٢ ــ عن الجانب اللبناني :

* العقيد الركن أحمد الحاج
* العقيد نزية راشد (المقدم سليم مغبغب) (١)
* المقدم ديب كمــال

٣ ــ النقاط التي تــم الاتفاق عليها

انطلاقا من تمسك الطرفين بالحرص على خدمــة القضيــة الفلسطينية واستمرار النضال في سبيلها ، وبالمحافظة عــلى استقلال لبــنان وسيادتــه واستقراره وعلى ضوء الاتفاقيات المعقودة والمقررات العربية :

---

١ ــ حضر الاجتماع الاول .

٣١ ــ اتفاق القاهرة وجميع ملحقاته ؛

٣٢ ــ الاتفاقيات المعقودة بين الجانب اللبناني وقيادة فصائل المقاومة ؛

٣٣ ــ المقررات المتخذة في مجلس الدفاع العربي المشترك ؛

تم الاتفاق على جميع النقاط التي طرحت وفقا لما يلي :

اولا : الــوجــود

١ ــ فــي المخيمات :

١١ ــ العناصر البشرية :

١١١ ــ لا وجود للفدائيين •

١١٢ ــ تركيز مفرزة انضباط (كفاح مسلح) •

١١٣ ــ اعتماد الميليشيا لتأمين حراسة المخيم وحمايته الداخلية • يفهم بالميليشيا بعض الفلسطينيين قاطني المخيم وغير المنضوين في فصائل المقاومة والذين يمارسون أعمالهم المعتادة نهارا •

١١٤ ــ تركيز مخفر لقوى الامن الداخلي اللبنانية على مقربة من المخيم وفي مكان يتفق عليه •

١٢ ــ الاسلحة :

١٢١ ــ الميليشيا تحتفظ بالسلاح الفردي الخفيف •

١٢٢ ــ لا وجود للاسلحة المتوسطة والثقيلة في المخيمات • وعلى سبيل المثال (الهاون ، الصاروخ ، المدفع ، الاسلحة المضادة للدروع الخ •••) •

٢ ــ في المناطق الحدودية

٢١ ــ القطاع الغربي :

يمنع التمركز والوجود المسلح خارج المخيمات •

ملاحظة : تصحيح التجاوزات الحاصلة وخصوصا ازالة مركز البرغلية •

٢٢ ـ القطاع الاوسط :

وفقا للمقررات المتخذة في الاجتماع المعقود بين القيادة العامة اللبنانية وقيادة فصائل المقاومة بتاريخ ٨/١٠/١٩٧٢ .

٢٢١ ـ يسمح بالوجود خارج القرى في البقع المتفق عليها مع قائد القطاع العسكري اللبناني .

٢٢٢ ـ يمنع على عناصر فصائل المقاومة الوجود شرقي وجنوبي الخط الآتي : القصير ـ الغندورية ـ دير كيفا ـ الشهابية ـ بير السلاسل ـ السلطانية ـ تبنين ـ حاريص ـ كفرا ـ صديقين ـ قانا .

جميع هذه النقاط ضمنا .

٢٢٣ ـ يسمح بتركيز مخفر جنوبي بلدة حداثا من فصائل المقاومة في المنطقة : على أن يكون عديده بين ٥ ـ ١٠ عناصر باللباس المدني ويتحاشى الظهور العسكري . ويجرى تموينه بواسطة الحيوانات .

٢٢٤ ـ يحدد العمل بـ /٢٥٠/ عنصر على الاكثر لجميع البقع .

ملاحظة : تصحيح الوضع في حداثا .

٢٣ ـ القطاع الشرقي :

وفقا للمقررات المتخذة في الاجتماع المعقود بين القيادة العامة اللبنانية وقيادة فصائل المقاومة .

٢٣١ ـ العرقوب الجنوبي :

ثلاثة مراكز :

١ ـ أبو قمحة .

٢ ـ الخربة « قاعدة الشهيد صلاح » .

٣ ـ راشيا الفخار « جبل الشحار » .

عديد كل مركز بين ٣٠ و ٣٥ عنصر على الاكثر •

* يجري تموين هذه المراكز بواسطة السيارات المدنية •

* يمنع مرور عناصر هذه المخافر باتجاه مرجعيون الا اذا كان لديهم أمر مهمة أو مأذونية •

* يمنع التواجد في بلدة مرجعيون بالسلاح •

ملاحظة : تصحيح الوضع على مجرى نهر الحاصباني وازالة جميع التجاوزات •

٢٣٢ ـ العرقوب الشمالي وبقعة راشيا الوادي :

التواجد بعيد عن القرى •

* عدم التواجد غربي طريق المصنع ـ الحاصباني •

ملاحظة : تصحيح التجاوزات وازالة مركز مرج الزهور واخلاء جميع القرى الواقعة غربي طريق المصنع ـ الحاصباني حتى من العناصر الادارية وكذلك اخلاء جميع أماكن التمركز غربي هذا الطريق •

٢٣٣ ـ بعلبك :

لا وجود فدائي عدا مركز التدريب في النبي سباط •

ملاحظة عامة :

١ ـ السلاح : يسمح بوجود السلاح المتوسط والخفيف في هذه القطاعات •

٢ ـ يمنع التواجد داخل القرى اللبنانية •

٣ ـ تصحيح التجاوزات باعادة جميع التعزيزات التي قدمت الى لبنان من الخارج •

ثانيا : التجول

١ ـ في الداخل :

دون سلاح وباللباس المدني .

٢ ـ في القطاعات :

بالتنسيق مع قادتها العسكريين اللبنانيين وحسب الاتفاقيات المعقودة .

٣ ـ القياديون والمسؤولون العسكريون .

٣١ ـ العسكريون :

٣٣١ ـ يسمح للقادة (من رتبة ملازم وما فوق بالمرور مع سلاحه الفردي ومع سائقه) .

٣١٢ ـ للمسؤولين المدنيين :

تزويد العناصر القيادة بتراخيص مرقمة وموقعة من القيادة ـ مركز الارتباط ، على ان تعمم الارقام على قيادات المناطق والقطاعات على عاتق مركز الارتباط اللبناني (تمنح التراخيص هذه استنادا الى طلب من اللجنة السياسية الفلسطينية في لبنان) .

ثالثا : التدريب

١ ـ منع التدريب في المخيمات .

٢ ـ يسمح بالتدريب في مركز التدريب في « النبي سباط » .

٣ ـ يسمح بتعهد التدريب التقني في اماكن يتم الاتفاق عليها بالتنسيق مع القيادة العسكرية العامة اللبنانية (مركز الارتباط) .

٤ ـ تمنع الرمايات خارج مركز التدريب .

رابعـا : العمليات

١ ـ تجمد كافة العمليات انطلاقا من الاراضي اللبنانية •

استنادا الى مقررات مجلس الدفاع المشترك •

٢ ـ عدم الانطلاق من لبنان الى الخارج للقيام بعمليات فدائية •

خامسا : القيادات

١ ـ أكد الجانب الفلسطيني بأن مركز القيادة الرئيسي في دمشق وأن هذا المركز لديه ممثلين في بعض البلدان ومنها لبنان •

٢ ـ تعهد الجانب الفلسطيني بتخفيض عدد المكاتب •

سادسا : الاعـلام

صرح الجانب الفلسطيني انه لا يوجد لدى المقاومة في لبنان سوى :

١ ـ فلسطين الثـورة •

٢ ـ وكالة أنباء « وفـا » •

بالاضافة الى بعض النشرات التثقيفية الدعاوية داخلية وخارجية تصدر عن المؤسسات الفلسطينية •

٣ ـ تعهد الجانب الفلسطيني بأن هذه النشرات لن تمس سيادة لبـنان ومصلحتـه •

٤ ـ التزام الجانب الفلسطيني بعدم وجود أية اذاعة في لبنان •

٥ ـ التزام الجانب الفلسطيني بعدم توريط لبنان اعلاميا بسبب نشر أو اذاعة أي نبأ او بلاغ يصدر عن المقاومة في لبنان •

سابعا : ضبط المخالفات والتجاوزات

تطبيق القانون اللبناني انطلاقا من مبدأ السيادة اللبنانية واحالة المخالفين أمام المحاكم المختصة •

١ ـ التجـاوزات

١١ ـ في القطاعات العسكرية :

* تعرض على لجان الارتباط المحلية .
* في حال عدم الوصول الى نتائج ، ترفع الى لجنـة التنسيق العليـا وتبت بالامر فورا .

١٢ ـ داخل المخيمات :

١٢١ ـ تمارس قوى الامن الداخلي ، بالتعاون مـع الكفـاح المسلح الفلسطيني ، صلاحياتها في ملاحقة جميع الجرائم الجزائية والمدنية التي تقع داخل المخيم أيا كان مرتكبوها وتنفيذ جميع المذكرات والاحكـام العدليـة الصادرة بحق أشخاص يقيمون داخل المخيمات .

١٢٢ ـ يستثنى من التدبير الآنف الذكر الحوادث الحاصلة في المخيـم بين الفدائيين التي تمس أمن وسلامة الثـورة الفلسطينيـة ، حيـث تنحصر معالجتها اذ ذاك بعناصر الكفاح المسلح .

١٣ ـ خارج المخيمات :

١٣١ ـ ان الجرائم التي يرتكبها فدائيون خارج المخيمات يطبق بشأن مرتكبيها القانون اللبناني ، وتفاد قيادة الكفـاح المسلح عـن التوقيفـات والاجراءات التي تتخذ بحق الفاعلين .

١٣٢ ـ في حال ضبط الفدائيين باحدى المخالفات واستنسـاب السلطـة اللبنانية ضرورة معاونة الكفاح المسلح يجري الاتصال بـه بواسطة مركـز الارتباط ، على أن يترك البت بأمر المخالف للسلطة اللبنانية .

١٤ ـ الاعتقـالات :

١٣٣ ـ استنكر الجانب الفلسطيني اعتقـال أي لبنانـي أو أجنبـي والتحقيق معه من قبل عناصر فصائل المقاومة والتزم بعـدم تكرار مثل هـذا الامـــر .

١٥ ــ مخالفات السيارات :

١٣٤ ــ جرى الاتفاق سابقا عـلى احصاء السيارات المرقمـة بأرقـام لبنانية بواسطة المديرية العامة لقوى الامن الداخلي ، والسيارات الداخلة الى الاراضي اللبنانية بموجب ادخال مؤقت صادر عن الجمرك اللبناني لاحصائها والبت بوضعها القانوني • ومن ثم منع بقاء أية سيارة فدائية عـلى الاراضي اللبنانية بدون ترخيص قانوني انطلاقا من قانون السير اللبناني •

ثامنـا : الغربـاء

تعنـي الفدائيين غيـر العرب

تعهد الجانب الفلسطيني بابعاد جميع الغرباء باستثناء من يشارك بأعمال غير قتالية وذات طابع انساني أو مدني (طبيب ــ ممرض ــ مترجم) •

تاسعا : التنسيق

يشرف على التنفيذ :

« مركز الارتباط مع فروعه بالتنسيق مع الجانب الفلسطيني » •

التوصيـات

الموضوع : توصيات اللجنة المشتركة العليـا التي عقـدت اجتماعاتها بتاريخ ١٥ ــ ١٦ و ١٧/٥/١٩٧٣ •

اولا : عن الجانب الفلسطيني

* المقدم الركن أبو الزعيم •
* أبو عدنـان •
* السيد صلاح صلاح •

ثانيا : عن الجانب اللبناني

* العقيد الركن أحمد الحاج •
* العقيد نزيه راشد •
* المقدم ديب كمال •

ثالثا : التوصيات

* ترسيخ الثقة •
* الحوار المباشر المبني على التنظيم •
* احياء لجنة التنسيق على مستوى تمكينها من اتخاذ القرارات •
* تعزيز مركز الارتباط الرئيسي ، وانشاء مراكز ارتباط فرعية في المناطق بغية تأمين الاتصال المباشر ومعالجة القضايا بسرعة على الطبيعة •
* عدم المماطلة بحل الامور وانجازها بالسرعة القصوى •
* عدم التعامل مع الاشخاص الملاحقين قضائيا أو المشبوهين وذوي السمعة السيئة •
* اعادة الوضع الفدائي في منطقتي راشيا الوادي ودير العشائر الى ما كان عليه قبل ٣٠ نيسان ١٩٧٣ خلال ٤٨ ساعة •
* التعبئة الاعلامية السمحة والمباشرة بالتنفيذ خلال ٢٤ ساعة •

التمنيات

الموضوع : تمنيات الجانب الفلسطيني بعد الاجتماعات المشتركة بتاريخ ١٥ ــ ١٦ و ١٧/٥/١٩٧٣ •

* اعادة الاجواء الى ما كانت عليه قبل ٢/٥/١٩٧٣ :
ــ تخفيف مظاهر التوتر العسكري تدريجيا •
ــ تخفيف الحواجز كاجراء نفساني •

* التمني بالغاء حالة الطوارىء •

* معالجة أمر الملاحقين قضائيا ، وخاصة العناصر الملاحقة من جراء ٢٣ نيسان ١٩٦٩ •

* الافراج عن المعتقلين من جراء احداث ٢ نيسان ١٩٧٣ •

* اعادة الاسلحة المصادرة منذ ١٩٧٠ •

* معالجة أمر اللبنانيين اصدقاء الثورة الفلسطينية •

* تسهيل سبل العمل للفلسطينيين المقيمين في لبنان •

★★★

الكتاب والكاتب

لا نريد بهذه الكلمة تقديم كتاب (شاهد على المذبحة) او الكاتب الاستاذ (زهير مارديني) ، الى القراء ، فكلاهما غني عن التقديم بما اشتمل عليه الكتاب من موضوعات ستظل محل اهتمام الامة العربية حقبة طويلة ، وبما عرف عن الكاتب من مواقف وطنية كثيرة • وجهود صحفية مقدورة •

وانما أريد بهذه الكلمة لفت أنظار القراء الى أمر له شأنه ووزنه في تقدير ما يكتب أو يقال ؛ وهو طبيعة الكاتب او المتحدث التي تملي عليه ما يكتبه او يتحدث به ؛ فانها تبدو في الكتاب كما تبدو الصورة في المرآة اذا كان خلفه الصدق وهدفه الحق • ومن ثم يدخل الكاتب عنصرا رئيسيا أو أساسيا مع العناصر والعوامل التي يقوم عليها تقدير الكتاب •• وقد يكون بين الكتاب والكاتب ما بين الصدى والصوت • فيجد القارىء فيهما تفسيرا لكليهما ، كما يبدو ذلك واضحا في هذا الكتاب الذي يدور حول أبرز احداث الشرق العربي في نهاية القرن العشرين •

لقد عاش المؤلف الاحداث ورأى بأم عينيه لبنان الجميل البرىء الذي غزاه الاجرام بكل معانيه وتفاسيره ••• فاستل من وسط اللهيب قلمه وراح يحدثنا عن الحاقدين المبغضين الجائعين الى الانتقام والتخريب والى سلب ذوي المزايا مزاياهم ••• العاجزين عن ان تكون لهم مزايا والرافضين لان يكون لاحد غيرهم مزايا ••• أليست مزايا المجرم ان يعجز عن كل مزية وان يرفض ويكره ويقاوم كل مزية في غيره ولغيره •!

ماذا فعل المجرمون في لبنان ؟ كيف تصرفوا ؟ هذا ما رواه لنا المؤلف بأسلوبه المميز وبلغة حزينة ••• حزينة حتى الاعماق !

من كان يصدق ان لبنان الجميل يحتوي على مجموعات من البشر عجزوا عن أن يكونوا فرسانا وأبطالا ، فذهبوا يعوضون من عجزهم وعليه بأن تحولوا الى ذئاب وغربان والى قتلة ومغتالين ومخربين و ... لصوص .!

.. الذين عجزوا عن ان يكونوا مقاتلين فتحولوا الى قاتلين .!

.. الذين هربوا من الميدان لانه في الميدان يوجد الاعداء الاشداء فتسللوا الى المدن والقرى والشوارع والبيوت لانه لا يوجد فيها أحد من الاعداء ، لان جميع من فيها هم من الاطفال والنساء والرجال الاشقاء ، او من الحشرات والحيوانات الطيبة لتي لا يخشاها العاجزون عن أن يكونوا فرسانا وأبطالا .. التي لا يخشاها الهاربون من الميادين المواجهة للاعداء ليتسللوا كاللصوص والحشرات الى المدن والقرى والطرقات والبيوت ، ليكونوا بديلا عن الابطال والفرسان الذين عجزوا ورهبوا ان يكونوهم ، وفرض عليهم أن يكونوهم ..

.. الذين هابوا الاقتراب من الشجاعة فغاصوا في تراب النذالة ..

ماذا يقول التاريخ عن هذه المجموعات البشرية العاملة تحت قيادات وحماقات ومجاعات وأحقاد وشهوات ؟

من المؤكد أن المؤلف حزن وتفجع وتعذب ونقل الينا كل هذا الى كلمات ، الى أدب حي يركض لينطق السطوز وما وراءها ..

الناشر

دار العرفان

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

صاحبها :
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

العدد ٥ مجلد ٦٥ ايار « مايو » ١٩٧٧ م ٢٣ جمادي الاولى ١٣٩٧ هـ

شعر

أبواب العرفان



بيني وبين القاريء

بقلم : نزار الزين



عزيزي القاريء :

يتساءلون ؟ فيقولون ! ماذا جـرى لكم فـي لبنان ؟ أفقدتـم عقولكم وقلوبكم معا ، فصرتم كالحيوانات المفترسة او أشد شراسة ، واذا بكـم الآن كرة تتقاذفها الارجل يستفيدون منكم ويتاجرون فيكم ، ثـم يدعـون أنهـم المنقذون والحماة والمخلصون ، فهل أخذتم درسا نافعا واعتبرتم بعدمـا فقـد منكم عشرات الالوف وأصبتم بخسائر فادحـة من الشعب جـدا تقديرهـا وتعويضها ، عدا ما تتعرضون له من الذل والمسكنة وغير ذلـك فما استفدتم من هـذه المجزرة ؟ انـا مـع الاسف لا نـرى تقدمـا وتطـورا في حياة لبنان واللبنانيين بعد المجزرة ، رغـم ثقتنا برجـال الحكم الآن ولكن هـل يتمكنون من صنع شيء اذا لم يعاونوا من الشعب كل الشعب ، خاصة وعامة ، فالاحتكار لم يزل موجودا ، والاستثمار يذر أقرانه ، وتوزيع المساعدات عـلى المتضررين لا يوجد له ميزان عدل او تنظيم يوثق بـه ، الناس ينهبون بعضهم بعضا في جميع المجالات والحالات لا يتورعون عن شيء ، ولا يردعهـم ضمير او يزعهم وجدان ، فاذا بقي الحال على هذا المنوال ، فلا لبنان جديد ولا ما هم يحزنون ، ولا تغير من السيء الى الحسن ، بل انقلاب من السيء الى الاسوأ ، فلا نرى ولا نسمع الا بالتجمع الفلاني والتجمع الفليتاني ، والقوى الفلانيـة

وغيرها الكركوزية وكلها للجاه والمال وليست لخدمـــة المصلحة العامة ، وكلها تروى عن جدي وعن جد جدي وعن آنس وعن حمال المكانس .

ثم الانكى من ذلك انه يجب ان تكون أميركيا او روسيـــا او ماسونيا او تنتسب الى أحد الاحزاب المخربـــة ، والا اذا كنت مـــن المخلصين والموجهين التوجيه الصحيح يحاربونك ويثيرون الدعايات السامـــة ضـــدك والافتراءات عليك مستعينين بالقريب والبعيد لترويجها .

والنتيجة اذا لم نفكر ونتعظ ونزدجر ونغير ما بنا ونتفق فلا أمل بأن يعود لنا مجدنا وعزنا بل نبقى محكومين بعد ان كنا حاكمين وحينئذ نردد من جديد قول المرحوم رشيد نخلة :

ضيعان عـــزك راح يـــا لبنان وكفوف أهلك فصلوا الاكفان
تحيـــا عداك وتعيش عذالـــك وتروح فدوي عن عرب بستان

بين المأمون واديب

❊ اقبل احد الادباء على المأمون وسأله حاجة ، فرده ردا غـــير جميل ، فقال له الاديب :

اني ادخر لك شكرا ، وثناء حرا ، ومدحا بكرا يا أمير المؤمنين .

فأجاب المأمون : وهل مثلي يحتاج الى مثل شكرك ؟

فقال الاديب : ايها الامير ــ لا تحرك لسانك لتعجل به .

فلو كان يستغني عن الشكر مالك لكثـــرة مـــال أو علـــو مكـــان
لـــا ندب اللـــه العبـــاد لشكره وقال (اشكروني ايهـــا الثقلان)

حكم ومواعظ

ـ ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون •

(قرآن كريم)

ـ وقال : ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون •

(قرآن كريم)

ـ ان الامير اذا تجسس على الناس افسدهم •

محمد (ص)

ـ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى •

محمد (ص)

ـ لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان •

ـ لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالادب ولا ظهير كالمشاورة •

ـ لا مال أعود من العقل ، ولا وحدة اوحش من العجب ، ولا عقل كالتدبير ، ولا كرم كالتقوى ، ولا قرين كحسن الخلق ، ولا ميراث كالادب ، ولا قائد كالتوفيق ، ولا تجارة كالعمل الصالح ، ولا ربح كالثواب ، ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ، ولا زهد كالزهد في الحرام ، ولا علم كالتفكر ، ولا عبادة كأداء الفرائض ، ولا ايمان كالحياء والصبر ، ولا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم (ولا عز كالحلم) ولا مظاهرة اوثق من المشاورة •

علي (ع)

ـ ما قرن شيء الى شيء ، أحسن من حلم الى علم ، ومن عفو الى مقدرة •

(عمر بن عبد العزيز)

ـ الريش الجميل ليس كافيا ليضع طائرا! جميلا •

(ايسوب)

ـ نحن ننسى لاننا نحتاج للنسيان ، لا لاننا نريده •

(جورج ارنولد)

اسعد الحكام من اسعد رعيته
واشقاهم من اشقاها

تعالوا الى الطبيعة نستشف أريج طهرها فقد كرهت نفوسنا نتانة المدنية ، والمدينـــــة .

تعالوا نستأنس بوحوش الغابات التي لا تقتل الا اذا اعتدى عليها ، فقد كرهنا وحوش البشر التي تقتل من غير اعتداء ، تعالوا نسرح الطرف والخيال في أجواء الطبيعة التي لا تبرق ولا ترعد الا لتمطر الحيـــا الـــذي يحـــي ميت الاعشاب والازهار والاشجار ، فقد عفنا سماء البشر التي لا تبرق ولا ترعد الا لمطر صواريخ ومدافع تمطر الانام الموت الزؤام . هلموا نستظل بظلال قوانين الطبيعة التي يستوي عندها الباز الاشهب والغراب الايقع فقــد سئمنا القوانين التي يمزقها النسر بمخالبه ويعلق بها هوام الحشرات .

هلموا نـنعم بافياء نوامي ترعى تنفيذها عين واضعها فقد سئمنا العيش في ظلال قوانين تعبث بحرماتها يد واضعها . سمو القوانين بسمو روح واضعها في سماء الحق ؛ والحق ظل الله على الارض ، فمن يستظل بالحق تتقلص من نفسه ظلال الباطل فيغدو فوق النزعات والاهواء ، فمن كان أشد الناس سلطانا على هواه وأقهرهم لرغباته ورغبات حاشيته كان أصلحهم للحكم ، فـلا يرى لنفسه من الحقوق اكثر مما لغيره ، فليس بحاكم من يدخر الملايين وحوله من الجياع والفقراء ملايين ، والحاكم من اذا عرضت عليه الدنيا اعرض عنها . الحاكم في الامة كالقلب النابض في الجسم تصلح بصلاحه وتفسد بفساده ، فحاكم شقي، أمة شقية ؛ وحاكم سعيد أمة سعيدة . اسعد الحكام من أسعد رعيته، واشقاهم من اشقاها ؛ فكيف تصح امة وحاكـــم مريض بالجهـــل والاقطـــاع والظـــلم والالحاد . والجهل سرطان التقدم والرقي ، والاقطاع مقبرة العبقرية والنوابغ والعباقرة مصابيح الامة ، وأمة تنطفيء مصابيحها تغمرها ظلمة الموت .

الظلم قاتل العدل ، والعدل حارس الملك ، والملك اس ، وقد قيل ما لم يكن له اس فمهدوم . وما لم يكن له حارس فضائع ... والالحاد بيع الدين بالدنيا ، فلاالدين يبقى ، ولا الدنيا تدوم على قول الشاعر .

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

الحاكم من يرى الله رقيبا على نفسه فيقول مع عمر بن الخطاب : (أخشى ان يموت جمل على شط الفرات جوعا ويسألني الله عنه) فكيف يكون حاكما من يموت شعبه ظلما وقتلا وجوعا وعدوانا ، ولا يخشى ان يسأله الله عنه ؟

الحاكم الذي لا يرى في نكبة رعيته نكبة كان على الرعية نكبة . الا من ظل الدولة فأمة لا أمن فيها لا دولة فيها ، وشر البلاد بلاد لا أمن فيها ولا خصب ، فالفوضى تمشي في جنائز قوانينها ونظمها ، وترقص المفاسد والمظالم على جماجم ضحايا الصلاح ، والحق والحرية ، ويل لامة لا حرية فيها الا حرية القاتل بالقتل والقانص بالقنص والخاطف بالخطف ، والسارق بالسرقة . ففي غياب الدولة تظهر دويلات المفاسد كما تظهر في غياب الشمس اشباح الليل وجحافل الظلام ، فهل غزت الثعالب عناقيد كرمك لولا غياب الناطور ؟ وهل سطت الذئاب على خرافك فبددتها لو لم يكن الراعي نائما ؟ على حد قول الشاعر :

(ومن رعى غنما في أرض مأسدة ونام عنها تولى رعيها الاسد)

وهل فتكت الديدان في الجسم لولا غياب الروح عن الجسم ؟ فلو حملت الدولة السلاح ما حمل الافراد والاحزاب السلاح . وما حمل الافراد والاحزاب السلاح الا افلاس قوى الدولة ، كل أمة تكثر دويلاتها تكثر ويلاتها . اما قال المسيح (كل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب) .

ويل لامة يحمل رؤساؤها ألقاب دولة وليس فيها دولة . ويل لدولة كل من فيها دولة ما عدا الدولة .

تبا لدولة تتغنى بالاستقلال ويسودها الاحتلال ! كيف تسمي حكومة انقاذ حكومة تستجدي الانقاذ ممن كلفت انقاذ الانقاذ منه .

المحن محك الدولة فدولة لا تحل مشاكلها بيدها قد تأتيها المشاكل من يد تعهد اليها في حل مشاكلها ، اما قال الشاعر :

رب من ترجو بـه دفع الاذى كان يأتيك الاذى من قبابه

وما أروع حكمة المسيح (ان لم يبن رب البيت عبثا يتعب البناؤن) ، ولقد أجاد صلاح الدين الايوبي حيث قال :

ان لم أصن بمهندي ويميني ملكي فلست اذا صلاح الدين
تحمي الممالك ربها اما أنا فأريد أحمي الملك لا يحميني

الدولة التي تحميها دولة أبعد ما تكون عن الدولة . فالاستعداء ضعف ، والاستجداء ذل . فهل استعدت الاسود الذئاب على الثعالب ؟ ام هل استعانت الشمس بضوء الشمعة لانارة الاكوان . سيادة القانون في سيادة الدولة . فدولة لا سيادة لها ، لا سيادة للقانون فيها .

فما الانتفاع من وضع الدساتير والمواثيق والقوانين وليس هنالك دولة ترعى تنفيذ القوانين والدساتير والمواثيق .

الدولة التي تمنع جيشها من حمايتها وحماية الوطن ، وتبيح لجيش أجنبي حمايتها وحماية الوطن لدولة تعمل على مد رواق احتلال الوطن .

لبنان ظلال اشجاره وافياء اوديته وسحر قمم جباله واغاريد أطياره وعبير ازهاره وحفيف اشجاره وخرير مياهه وصفاء سمائه وهينمات نسماته واخضرار ارزه وزرقة عين بحاره وهذه وامثالها ترعاها عين الله ، فهل تغالبون الله والله لا غالب له ؟

فلو عكستم جمال لبنان على أرواحكم لرأيتموه هياكل صلاه •

ومساجد عبادة ، فكيف تجعلونه مغاور خطف وقنص ؟

لبنان نسر جناحاه المسيحي والمسلم ، فلا تفرقوا بين الجناحين ، فمهيض الجناح لا يقوى على الطيران •

ما كان لبنان وطن الجمال والفن لو لم يكن وطن المسيحي والمسلم • فهو كالسماء ما كانت سماء لو لم تكن وطن عطارد والزهرة والمريخ، ونجمة الصبح والثريا و •• و ••

وهل كانت الحديقة حديقة لم تكن فيها الوردة والياسمينة والريحانة والزنبقة ، فكيف تفرقون بين المسلم والمسيحي وهما يكملان بعضهما بعضا ؟ هما شريكان في السماء والارض ، والموت والحياة ؛ فهل رنت نجمة الصبح بعينها للمسلم ، واغمضتها عن المسيحي وهي لولاهما ما كانت نجمة الصبح ؟

لبنان ادرك وحدانية الله ووحدانية الاديان ، فعانق قرآنه انجيله ، فما لكم تفرقون ما يجمع الله والدين ؟ اما قال النبي (دم غير المسلم كدم المسلم في الحرمة) ؟

اذا كانت الثورة ترمي الى تعريب لبنان ، فلبنان عربي أكثر من أي قطر عربي • فهل فتح قطر عربي ذراعيه لاخوانه الفلسطينيين بقدر ما فتح لبنان قلبه لهم ؟ حسب لبنان عروبة انه اطلع كواكب علم وادب وسياسة وحرية تألقت في سماء الشرق والغرب ، وهل العروبة الا العلم والادب والحرية والفكر والحق والعدل •

فاتقوا الله يا عباد الله فلله ملك السماوات والارض والى الله المصير •

كفرتم بآيات المسيح واحمد

سجنا ولم نجن مدى عمرنا ذنبا ... واوطاننا امست لاشرارنا نهبا
وامست دهاليــز البيوت مقرنا ... نقاسي بها الآلام والهول والرعبا
فوا أسفا بيروت قــد عمها الاسى ... وكل امرىء فيها غدا والها حبا
على م بني قومي خفقتم الى الوغى ... فهلا على الاعداء اعلنتم الحربا
مدافعكم دكت معالــم عــزكم ... وسالت دماكم فوق اطلالكم سكبا
واطفالكم تشكو من الجوع والظما ... وبات جميع الناس فوق الثرى سغبا
وكم من بريء قد قضى من رصاصكم ... اذا مر يبغي القوت لم يقترف ذنبا
وكم من شباب كالزهور نضارة ... غدا من رصاص القنص منزلها التربا
لقد جف دمع الثاكلات من الاسى ... وقد قطعت اطفالها اربــا اربــا
وجاست خلال الدار منكم عصائب ... يؤجج نار الحقد في صدرها القلبا
فاشعلت النيران لم تبــق مصنعا ... ولا متجرا تبا لمـــا انكبت تبــــا
فيا امـــة طاف الجنـــون برأسها ... فجنت ولم يبق لهــا جهلها لبــا
كفرتم بايــآت المسيح واحمــد ... وشوهتم القتلى واغضبتم الربــا
مضى نصف عام تطلقون رصاصكم ... على قومكم بالله هل نلتم اربــا

النبطية ــ لبنان ... محمد الحسن

محمود حسن اسماعيل :

غادر دنيانا مع زاده وخياله وحبه وعطره وظلاله

بقلم : زهير مارديني

منذ ايام قليلة اصبح الشاعر محمود حسن اسماعيل فـي ذمـة التاريخ الادبي ، وغاب عنا الشاعر الذي كان اول من بلور الصورة في الشعر العربي ... ولم يكتف محمود بان يحمل لشعـره موسيقى لفظيـة وصياغـة عربية باذخة ، وانما استطاع في فنية ذهبية شماء ان يجعل اللفظ الشعري والصياغة الذهبية ترسم الصور ، وهذه الصور كانت تبـدو حينا وقد غشاها مـن الفن الرفيع ضباب ، والقيت عليها غلالة نورانية شفافة ، او هي فـي حين اخر تبدو كصور عصر النهضة ، واضحة المعالم جلية التفاصيل بينة الدقائق ، او تجـد الصورة حينا تستتبع النفس الانسانية وتتقصى دخائلها في فن متدفق فياض ، وكانت فكرة الصورة تسيطر على محمود حسن اسماعيل فـي اغلب شعره ، ولهذا نجد القصيدة عنده متكاملة يشير اولها الى اخرها ، ويتعانق اخرها مع اولها في تشابك فني عملاق ، وفي قدرة شعرية معجزة ... حتـى لتحسب ان القصيدة رواية لروائي قادر ، صاغها شاعر رأسه في السماء ... او تجده يزجي اليك القصيدة في مقاطع ، كل مقطع منها يرسم صورة بعينها حتـى اذا بلغت اخر القصيدة ، وجدت الشاعر قد انشأ مـن الصور المتلاحقـة صورة واحدة فيها الفن والروعة والشموخ ..

ولمـا تشاكى القيـد حولي واعولت   مـن الرق ايامي وضجت سلاسلي
واخرس جـلاد الطغـاة قياثـري   وشل حديـد المستبـد اناملـي

ودوخ ارضـــي ظالــم فحصادهـــا يكفيـــه احزان الربـــى والجداول
تلفت فانساب الدجى مـــن مزاهري مزامير ليل عـــن خطى الفجر غافـــل

فارق محمود حسن اسماعيل دنيانا الفانية في الكويت عـــن ٦٤ عاما ، لنعيش في رؤياه الابداعية بين قطبي ، الموت والحرية ونتساءل عن :

العلاقة بين الحياة التي استنشقها الشاعـــر وبين الكلمات التـــي اطلقها زفير اشعاره ؟ ذلك ان رؤياه الابداعية تعني البحث فـــي قوانين تحول تجربته الى عمل ابداعي ..

وهنا نجد ان مادة الرؤيا الشعرية لمحمود مستقاة من تجارب حياته فـــي مرحلة الطفولة الواسعة ، وهي المادة التي جعلته يعزف دائما نارا لا ثلجا ، في عناق مع الوجدان الفردي والجماعي ، فقد عايش الطبيعة كل حياته في مرحلة الطفولة الواسعة على شاطىء النيل وتحت ظلال النخيل فهاجر معه سحرها الى المدينة ، مشحونا بصرير الصراع بـــين الانسان المضيء الفطـــرة ، والانسان المزيف ... فتدفق شعره نابضا بالتعبير القـــادر دون فضول فـــي التنميـــق والصقل الذي يفقده روعة الميلاد وصدقه ... جرفه هذا الواقع غـــداة نقلته المفاجئة من عالم القرية الى عالم المدينة عام ١٩٣٢ ، وكان هـــو نفسه وجودا صغيرا متكاملا للقرية بكل ما فيها وقتئذ مـــن سكينة مقهـــورة ، واضطـــرام مصفد ، وشجن عميق ، وكان لهذا الصدام النفسي شرره الـــذي ذرفته اغاني الكوخ ، فكان ديوانه الاول الذي نشر مع بداية ١٩٣٥ ..

وفي التحاور بين الموت والحرية ، نتلمس مفتاح رؤياه الابداعية ، بحيث يذكرنا في شعره بقول (شيلر) : (ان الجزء التارك او المتروك يتألم ويموت بدلا من الكل من اجل ان ينقذ هـــذا الكـــل ويحفظ او ينمو ويزدهر حسب الاحوال ... معنى كل تألم لم يستبدل الجزء نفسه بالكل ويحول بهـــذا بين الكل وبين تألم اكبر ...)

ولذلك وجدنا قصائد محمود جميعا تعكس درجة عليا للالم ، في لحظة العناق بين الالم والسرور ، فالاطراف في شعره ، في تماس كما يقال ، حيث تلمح دائما صورة شهيد يعلو جبينه (أسف باسم) كذلك الذي تحدث عنه (بودلير) وقال انه ينبثق من اعماق الحياة ..

وتعكس لغة الشاعر هذا التحاور بين الموت والحرية في حياته وشعره على السواء ، في انتقاء الصور والكلمات والالفاظ وتراكيب الجمل ، وفي اختيار الالوان والموسيقى والتلويح بالنار ، والنور والدخان والسحب والضباب في : (اغاني الكوخ) و (هكذا اغني) و (اين المفر) و « نار واصفاد » و (قاب قوسين) و (رياح المغيب) و (ولا بد) ..

انا ، والكوخ ، والظلام ، وليل | بجميع الاسوار مدت يداه
وربابي مدندق يشرب الليل | ويشقى من كل لحن دجاه
وعزيف الرياح راكب غريب | في دروب الايام تهوى خطاه
دس في صدره زمان الحيارى | والمساكين بين كفيه تأهواه
لا شعاع ، ولا ضمير ضياء | من وراء السلوك يرنو سناه
هلكت في ترابه دعوة المظلوم | واخضل من بكاها ثراه

ونلاحظ هنا ان كل شيء يبدأ عند محمود بالنفي والتمرد ، وبالوعي بان هذا العالم غريب عن الانسان ، ويتابع اصراره والحاحه في جو مشحون بطاقة دافعة لا سبيل الى الاختيار فيها بعد انبعاثها بصورتها الفنية الكاملة ، وهو لذلك يرفض المواربة في كل شيء ، في صلة الانسان بذاته ووجوده وحياته ، في تلفت واحد الى الحرية والحق والصدق ... منذ كان يعيش على مشارف نور النيل جنوب (ابو تيج) يشارك في العمل ، يفلح الارض ، ويبذر الحب ، ويتابع البذر منذ غرسها حتى الحصاد ، فكان لمعاناته وتأمله ومعايشته لانسان الكوخ اكبر الاثر في تبصيره بزيف ما يقوله الشعراء ، وجعله يعثر على ما افلت منهم وهو المعنى الانساني ، والتعبير عن الانسان وعذاباته ..

وهو يعبر عن الانسان وعذاباته من خلال (افاضات) وجدانية كما يقول عن رفض للرق الانساني بحيث يتأكد لدينا دائما ان رؤياه الابداعية تتألف من مواد اولية تشكل في مجموعها حياة الشاعر ، بكل تفاصيلها الغريبة والبسيطة .. فنجد في شعره الغناء والشدو والعزف ، والاوتار والناي ، ونجده يؤكد انه كان يستمع الى اصوات البوم والغربان والهداهد ، والى شدو السواقي وبكاء الشادوف والى مزامير الرعاة ..

وكان وهو يزمر في (زمارة البرسيم) يسلق نبات البرسيم ، وكثيرا ما غنى مع الفلاحين الاغاني الشعبية ، كأغاني (دق الذرة) بلغتها الاصلية وباللهجة العامية ...

ولما تعرف في القاهرة بالشيخ زكريا احمد كان يطلب منه ان يسمعه بعض هذه الاغاني بلغتها الاصلية فكان محمود يستجيب للشيخ الذي كان يصغي اليه في استغراق فني .. وكان الشيخ زكريا يقول : شعر محمود لا يحتاج الى تلحين لانه لحن متكامل .

كانت قصائده تأتي متعانقة مع موسيقاها وصورها ومعانيها من داخل النفس يوصلها من خلال التعبير بالحروف :

(قاب قوسين من النور .. فسيرى
واهتكي كل لثام في الضمير
وانهبي غيب المدى ، واحترقي
في اللظى الباقي على نار ونور
مزقي كل قناع ، وانقذي
من حواشيه الى الضوء الاسير
وادحري كل ظلام راسب
انشبته فيك اغلال الدهور)

والتحاور بين الموت والحرية في شعره ، لا يجعل الحرية مشكلة نظرية يثيرها العقل ، بل هي مشكلة عملية متضمنة في صميم وجودنا ضد الرق الانساني ، ولذلك نجد قصائده تقول لنا دائما اننا قد كتب علينا ان نكون (احرارا) وربما كانت حريتنا هي الشيء الوحيد الذي ليست لنا (الحرية) في ان تتخلى عنه ..

فقلت لناري اذن الفجر فارتعي ... وشدي على الاصفاد شد المقاتل
وما مر عمر الطيف حين ترنحت ... وذابت قيودي من عميق المفاصل
فكبرت .. جل الله ! عادت حقيقتي ... ورنت اناشيدي ، وغنت بلابلي

هذا الشعر يفسر لنا حرص محمود على عدم الانتماء لمذهب من المذاهب الادبية ، لان الخط قيد وهو يحس عداوة روحه الضاربة للخطوط التي تشكل اسوارا تسجن الفنان وتعوقه عن الانطلاق ... وانما كان محمود حسن اسماعيل ينطلق من الانسان .. في كل طريق .. وكل هجير .. وكل ظل .. من كونه ذاتا تعانق الوجود الى كونه وجودا حيا في هذا الوجود :

اطلقيني انت اني كدت استاف الهلاكا
اطلقيني واسبحي ما شئت في الدنيا بفلكي
لا تخافي الغيب ان الغيب سر شع منك
فاذا جاءتك ايامي هوجاء التشكي
احرقي في لهب النشوة ايماني وشكي ...

هذا هو الشاعر الذي استودعناه الله ...

ومما لا شك فيه انه سيشغل الكثيرين من اساتذة الجامعات والدارسين.
غادرنا النابغة الذي قال :

مسافر زاده الخيال ... والحب والعطر والظلال ..

«العروبة» تفقد ذاكرتها!

اليوم ، وبعد ان تحدثت دنياهم في ذكرى اربعين الفقيـــد كمال جنبلاط في المهرجان الذي ضم كل الماركسيين ومن كل واد عصا ...

اليوم ، والضجة تملأ صحفهم واذاعاتهم وتلفزيوناتهم عن مآثر الفقيد ، واعمال الفقيد ، تمهيدا لتخليد ذكرى الفقيد .. نعم .. في هذا اليوم اتلفت الى دنيانا العربية المسلمة فاجدها صامتة ... واكثر من ذلك اجدها بلا ذاكرة. واي بؤس ان تفقد الصحف والاذاعات والتلفزيونات العربية ذاكرتها ... فلا تذرف دمعة على الشخصيات العربية التي غادرتنا ولا يعلم عنهـا ابناء الجيل اي شيء ..!

واي بؤس ان تفقد العروبة رجالها الواحد تلو الاخر فلا تنشط ذاكـرة لتكتب ما تعرفه عن هؤلاء الرجال ..

لقد سبق ان فقدنا رائد الكفاح العربـي الاستاذ عـلال الفاسي فلـم يتنادى ابناء العروبة لاقامة مهرجان يليق بذكرى هذه الشخصية الفذة ...

وفقدنا فوزي القاوقجي و ... و ... عشرات من الرجال الذين تركوا في دنيانا دويا ... ومع ذلك لم نسمع او نقرأ ان هناك من يفكر فـي تخليد ذكـراهـم ..!

وفقدنا ايضا وايضا الاستاذ كاظم الصلـح صاحب المعادلة العربيـة ـ اللبنانية ، القائمة على اساس (لبننة العروبيين) أي باعطـاء المتخوفين كـل الاطمئنان ... وبالحد من تطلعات العروبيين خـارج حدودهم اللبنانية ... فكانت عروبته واضحة وضوح الشمس ، نقية نقـاء الطهر ... امضى خمسة وسبعون عاما كالمنارة التي لا تنطفيء في دنيا العروبة ..

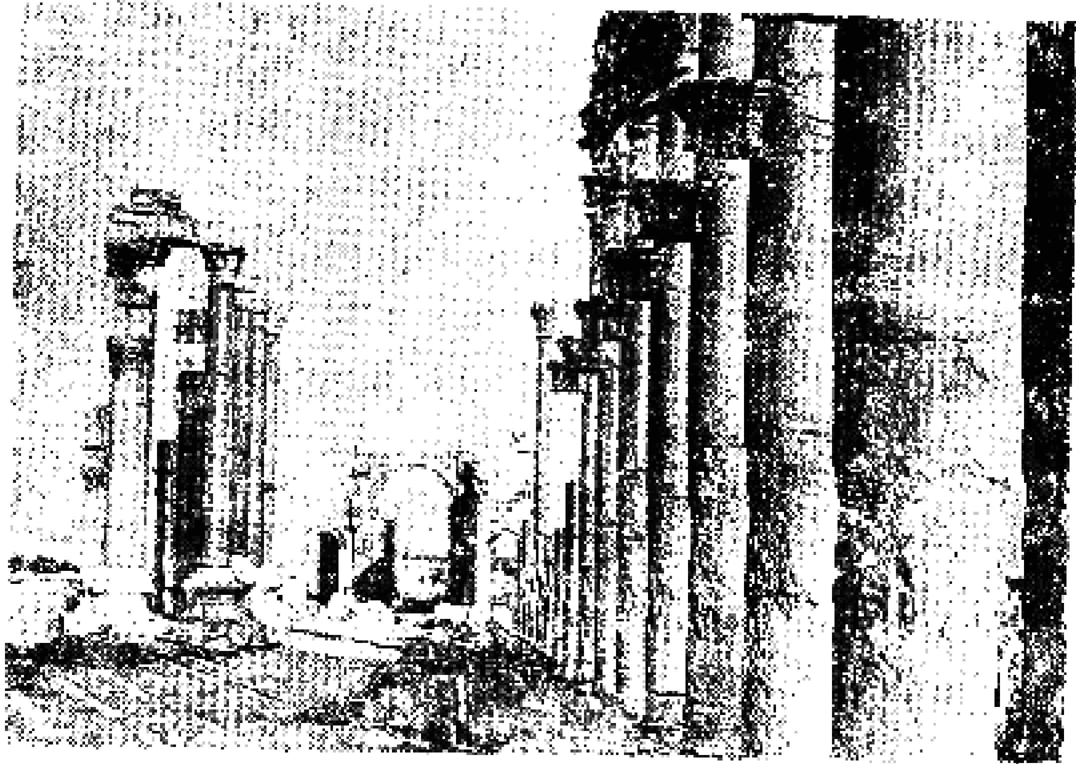
افلا يستحق هذا الرجل مهرجانا وقد مر اربعونه كما تمر الايتام علـى موائد اللئام ..!

زهير مارديني

في تاريخ تدمر

تطلع الى التحرير والوحدة ودرس في الصمود والمقاومة !

بقلم : بشير زهدي
استاذ محاضر في جامعة دمشق



اذا كان بعض المؤرخين يهتمون بتاريخ تدمر منذ عصور ما قبل التاريخ معتمدين على الادوات الصوانية المكتشفة من قبل بعثة العالم (كون) في كهوف (جرف العجلة) و (ثنية البيضا) ... واذا كان بعضهم يهتمون بتاريخها القديم اعتمادا على نصوص تضمنت اسمها اكتشفت في (كابا دوكيا) تعود الى القرن التاسع عشر ق. م وفي (ماري) الامورية تعود الى القرن الثامن عشر ق. م وفي كتابات الملك الاشوري (تفلات بلاسر الاول) من نحو ١١٠٠ ق. م ... الخ واذا كان الاخرون اهتموا بتفسير اسم (تدمر) اعتمادا على اشتقاق لفظ سرياني بمعنى (عجيبة) او (النخيل) ... فان ما يهمني في هذا البحث القصير هو ابراز صفحة نضالها .

---

١ ـ اهدي هذا البحث المتواضع الى ارواح الشهداء الابرار والضحايا الابرياء .

ان واحة تدمر ونبع (افقا) وموقعها على الطرق التجارية العالمية جعل منها محطة هامة ازدادت اهميتها حتى اصبحت في القرن الاول قبل الميلاد مدينة تجارية هامة . وان التعرفة الجمركية التدمرية ـ المحفوظة حاليا في متحف الارمتاج في لينينغراد ـ تدل على انواع البضائع المنقولة وفوائد تدمر من الرسوم الجمركية المفروضة عليها . وقد بلغ ازدهار تدمر الاقتصادي درجة جعلت القائد الروماني (انطوان) يطمع بثرواتها ويقوم بحملة فاشلة لسلب سكانها .

كما ان (تراجان ٩٨ ـ ١١٧) ادرك اهمية موقع تدمر فمنحها امتيازات خاصة بالمدن الكبرى . واقتبست تدمر النظم الرومانية ولا سيما حق الانتخاب للمجلس البلدي . كما تأثر (هادريان ١١٧ ـ ١٣٨) بأهمية موقع تدمر فمنحها حقوق المدن الحرة . فاعترفت تدمر له بهذا الجميل فأخذت تعرف باسم مدينة (بالميرا هادريانا) . كما نالت عطف أسرة الاباطرة السوريين السيفيريين (١٩٣ ـ ٢٣٥) واصبحت كروما واعفي سكانها من دفع الضرائب . وهكذا اصبحت (تدمر) في عهود الانطونيين (٩٦ ـ ١٩٣) والسيفيريين (١٩٣ ـ ٢٣٥) احدى عواصم الشرق الهامة . وكانت القوافل القادمة من شبه الجزيرة العربية وفارس والهند والصين وغيرها تتبع طريق تدمر . وكان التدمريون ينظمون النقل العالمي وعرف بعضهم بتجهيزه مراكب البحر الهندي .

وفي عام ٢٢٦ م أسس (اردشير) سلالة الساسانيين ، واحتل مملكة قرخيدونيا الصغيرة المستقلة عند مصبات نهر الدجلة والفرات وبذلك اغلق طريق التجارة امام التدمريين وحال دون وصولهم الى مراكزهم في الخليج العربي . وظهرت اطماع الملك الساساني (شابور) بعدما ارغم حامية (نصيبين) على التسليم ، وقام بأعمال وحشية تثير الرعب على جانبي الفرات ...

كان على مملكة (تدمر) ان تواجه هذا الخطر الساساني في عهد ملكها

(اذينة) • ويذكر (ادوارد جيبون) ان (اذينة) ارسل الى « شابور » هدية تليق بأعظم الملوك مؤلفة من قافلة تحمل انـدر السلع واثمنهـا موفقة برسالة رقيقة • ولكن « شابور » المغرور آمر بقذف الهدايا في الفرات متسائلا : من هو (أذينة) الذي تبجح هكذا وكتب الـى مولاه ؟ اذا كـان ينـبـي تفسه بتخفيف عقابه فدعوه يخر راكعا تحت اقدام عرشنا ويداه مغلولتان الى ظهره. فاذا تردد صبوا الخراب فوق رأسه وبني جنسه وبلده •••

وكان (شابور) هزم جيش الامبراطور الروماني (فاليريان) الذي عرض عليه مبلغا كبيرا من الذهب مقابل انسحاب مهين ، ولكـن (شابـور) رفض المال واحتجز المندوبين ؛ وتقدم عـلى رأس جيشه مصـرا عـلى الاجتمـاع بالامبراطور (فاليريان) نفسه • فانتهت تلـك المقابلـة بأسر (الامبراطـور فاليريان) والاستيلاء على أسلحة جنوده عام ٢٦٠ وكانت حركـات الفرسان الساسانيين سريعة ، استولوا على انطاكية ودمـروا طرطوس وفرضوا الحصار على (قيصرية) عاصمة كباروكيا • وبلغ مـن غرور (شابـور) انـه عرض الامبراطور الاسير بملابسه الامبراطورية مكبلا بالاغلال رمزا لعظمة انهارت• ولم يلتفت (شابور) الى نصائح الناصحين وتحذيرهم ايـاه مـن انتقلبـات المفاجئة •

عزم ملك تدمر (اذينة) على مقاومة الخطر الساساني ببسالـة العـرب الابطال ، فجمع جيشا صغيرا من القرى السورية وخيـام الصحراء ، ونفـخ الحماسة في هذا الجيش العربي الصغير ، وتقدم به لمواجهة جيش (شابور) في لقاء مسلح مستميت انتصر فيه • وعندما حاول شابـور الانسحاب اعـاق (اذينة) خطته واستطاع ان يستولي على جزء من كنوزه ، ويأسر عددا مـن نساء (شابور) الذي اضطر الى عبور نهر الفرات ثانية مضطربا خائبا ، فلحق به (اذينة) حتى عاصمته (طيسفون) •

وبعدما قضى (اذينة) في حمص على (كويتوس) المغتصب اصبح سيد انطاكية • وفي نحو ٢٦٧ قام (اذينة) بمهاجمة (شابور) مـن جديد وحصار

عاصمته لتحرير الامبراطور الاسير (فاليريان) الذي كانت نهايـة حياته تعيسة بين أيدي اعدائه الساسانيين .

ابتهجت روما بانتصارات (اذينة) على (شابـور) واعتبرتها ثأرا كبيرا لها من اعدائها الساسانيين . وان اذينة يستحق كـل تكريم . فمنحه مجلس شيوخ روما لقب (اوغست) و (زعيم الشرق) مما جعل منه نائب الامبراطور على القسم الشرقي من الامبراطورية الرومانية .

وتجدر الاشارة الى كتابة على قوس النصر في تدمر تتعلق بابن (اذينة) (هيروديان ملك الملوك) الذي تسميه النصوص الادبيـة (حيران) مما جعل بعض الباحثين يعتقد ان (اذينة) كان يرافقه ابنه في حملاته الحربية .

وبعد قيام (اذينه) بحملته الموفقة ضد القوطيين فـي آسيا ، وفي قمة مجده الحربي والسياسي ، وبعد عودته مباشرة الـى حمص للاحتفال باحدى المناسبات ، اغتيل (اذينه) مع ابنه عام ٢٦٨ م في ظروف غامضة قيل ان لابـن اخيه (مونيوس) علاقة بذلك . فارتقت عرش تدمـر بعـده زوجه (زنوبيا) التي حكمت البلاد باسم ابنها الامير القاصر (وهب الـلات) يساعدها فـي الادارة اصدقاء زوجها .

كانت (زنوبيا) ـ كزوجها ـ قويـة البنية ونشيطـة ومولعـة بصيد الوحوش الكاسرة وركوب الخيل . وكانت جميلة بملامحها العربية ، سمراء ، اللون ذات اسنان كاللؤلؤ ، تشع عيناهـا الواسعتان ذكـاء . وقـد وصفها (جيبون) بـ (السيدة الوحيدة التي شقت عبقريتها الفـذة استار الخمـول الذليل الذي فرضته على جنسها طبيعة آسيا وقواعد السلوك فيهـا ...) . وكانت تجيد العربية السريانية بالاضافة الى اللغتين اليونانية واللاتينية . وقد دونت لنفسها (خلاصة لتاريخ الشرق) . وكانت تقارن بين روائع (هوميروس) و (افلاطون) باشراف الفيلسوف الكبيـر (لونجينـوس الحمصي) الـذي اتخذته كبير وزرائها . وكانت تبدو بملابسها العسكرية علـى رأس افـراد جيشها الذين كانوا يطيعونها باخلاص ، كما كانت تظهر في المناسبات الرسمية

بثوب ارجواني موشى بالجواهر •

واذا كان الرومان اعتبروا سلطات زوجها (اذينه) والقابه بمثابة امتياز شخصي فان (زنوبيا) احتقرت الامبراطـور الروماني ومجلس شيوخ رومـ وارغمت بموقفها الصامد القائد الرومانــي (هيراقليانوس) المكلف بمحاربتها ان يعود من حيث اتى بعدما فقد جيشه وشهرتــه • وكانت (زنوبيا) ادركت اهمية وطنية الجيش فعربته وابعدت عنه العناصر الغريبــة والدخيلة واخذت تعتمد في حكم البلاد عــلى الحزم المتميز بالحكمة ، وعطفت على المسيحيين ودعمت موقف (بولص السيساطي) وادت سياستها الحكيمة الــى احترام الدول المجاورة اياها وتسابقها للتحالف معها • واذا كانت مملكة تدمــر فــي عهد (اذينه) ممتدة من الفرات حتى حدود (بيتينيا) ، فانها اتسعت في عهد (زنوبيا) بعدما شملت سورية وجزءا مــن آسيا الصغرى وشمال الجزيــرة العربية • وفي عام ٢٦٩ ــ ٢٧٠ سار قائد جيشها (زبدا) الى مصر على رأس جيش وطني مؤلف من نحو سبعين الف محارب فخلع الحاكم المغتصب ، واقام حامية وطنية في الاسكندرية واصبحت مملكة تدمر بمثابة امبراطورية •

واذا كان الامبراطور (كلوديوس) يتابع حروبه ضد القوطيين ويقـر بفضل (زنوبيا) التي كان يعتبرها كأنها تدعم الامبراطورية فــي الشرق ، فان (اورليان) قرر القضاء على مملكة تدمر فعهد الى قائده (بروبوس) باحتلال مصر من جديد ثم اتجه شمالا لاخضاع الولايــة العربيــة وفلسطين وجنوب سورية ؛ واخذ (اورليان) على عاتقه مهمــة الهجوم عــلى آسيـا الصغرى والقضاء على القوات التدمرية •

كان القائدان التدمريان (زبدا) و (زباي) يتوقعان هجــوم الرومان ؛ فأقاما حاميات عسكرية عند (انكيرا ــ انقره) • اتجه (اورليان) الــى آسيا الصغرى عام ٢٧٢ واستطاع ان يعيد ولاية (بيينيا) الى امبراطوريته ويتقدم نحو (انقره) ويدخل مدينة (تيانا) • فشعرت انطاكية بالذعـر ولكن دهــاء (اورليان) حمله على اعلان عفوه عن كل الذين عملوا في خدمة (زنوبيا) •

جرت معركة بين الجيش التدمري والجيش الروماني قرب انطاكية ، واخرى قرب حمص . وكان وجود الملكة (زنوبيا) بين جنودها مما زاد من حماس جنودها وضاعف من مقاومتهم وكان معظم جنودها من رماة السهام والخيالة الثقيلة المدرعة بالصلب لهذا لم يستطع جنود (اورليان) تحمل هجوم التدمريين عليهم فهربوا او تظاهروا بالهرب ، فلحق بهم الجيش التدمري الذي ارهقوه بمعارك متقطعة حتى استطاعوا التغلب على الخيالة التدمرية الثقيلة في فترة تفذ ما في جعبة المشاة الخفيفة فانسحبت (زنوبيا) الى تدمر لمتابعة استعدادها ومواصلة مقاومتها وكانت تعلن بشجاعة وبطولة انها (لا بد ان تقرن نهاية حياتها بنهاية حكمها) .

وخيل للرومان ان طريق البادية المؤدية الى تدمر أصبحت مفتوحة امامهم ولكن العرب الممتلئين جرأة ونشاطا كانوا يزعجونهم في هذه المنطقة الممتدة بين حمص وتدمر . وعندما وصلوا الى تدمر ادركوا ان حصارها اكثر مشقة، حتى ان (اورليان) الذي تولى بنفسه الهجوم أصيب بجرح من احدى نبال الرماة التدمريين وكان يردد : (ان الشعب الروماني يتحدث باستهزاء وسخرية عن الحرب التي اشنها ضد امرأة ولكنهم يجهلون شخصية زنوبيا وقوتها ، وانه لمن العسير ان تحصى معداتها الحربية من الحجارة والسهام وكل انواع القذائف) وساور (اورليان) الشك في نتيجة الحصار ورأى ان من الحكمة ان يعرض على (زنوبيا) الانسحاب وعلى التدمريين الاحتفاظ بامتيازاتهم القديمة فرفضت شروطه .

كانت (زنوبيا) تعتقد ان مجاعة الجيش الروماني ستعجل بمغادرته البادية ، ولكن عودة القائد الروماني (بروبوس) من مصر ساعدت (اورليان) فقررت (زنوبيا) مغادرة عاصمتها سرا فامتطت أسرع هجنها ، ولكنها ما كادت تصل الى ضفة الفرات حتى ادركها فرسان (اورليان) فقبضوا عليها .

واستمرت تدمر في المقاومة . وبعدما استشهد وهب اللات دفاعا عن مدينته وزادت قوة هجوم الرومان استسلمت المدينة فجردها (اورليان) من

مصنوعاتها وزخارفها وكنوزها وفرض عليها غرامة كبيرة • واقام فيهـا حامية رومانية •

ثم اتجه (اورليان) الى حمص فقضى بالموت على مستشاري (زنوبيا) وفي مقدمتهم الفيلسوف الكبير (لونجينوس) الحمصي الذي استقبل الموت برباطة جأش • وواصل سفره الى بلاده• ولكن ما كاد يصل الى (الهلسبونت) في اواخر عام ٢٧٢ حتى وصلته اخبـار ثورة تدمريـة قضت علـى الحاكم والحامية الرومانية • فعاد فورا الى تدمر فهدمها وقتـل سكانهـا بعنف ، كما قضي على حركة (فرموس) حليف زنوبيا في مصر • وتقلت (زنوبيا) الـى انطاكية ومنها الى روما حيث عرضت مكبلة بالسلاسل في احتفالات (اورليان) بانتصاراته ، وامضت بقية حياتها في تيفولي قرب روما • كما أصبحت مدينتها (تدمر) اطلالا تتحدث أحجارها ــ بصوت الصمت ولغة الفن ــ ملحمة نضال الانسان عبر التاريخ وخلود الابداع الانساني •

والخلاصـة : مما تقدم تبدو اهمية دراسة تاريخ تدمر الذي يعتبر بمثابة مشعل في طريق نضال الامم فـي سبيل تحريرهـا ووحدتهـا وانتصار القيم الانسانية •

دمشق — بشير زهدي

يمدحـه بقـــدر

● دخل ابن دارة على عدي بن حاتم فقال : اني مدحتك ، قال : امسك حتى آتيك بمالي ثم امدحني على حسبه ، فاني أكره الا اعطيك ثمن ما تقول ؛ لي الف شاة والف درهم وثلاثة عبيد ، وثلاث امـاء وفرس ، فامدحني عـلى حسب ما اخبرتك ، فقال :

تحن قلوصي فـي معـد وانمـا — تلاقي الربيع في ديار بنـي ثعل
وابقى الليالي مـن عدي بن حاتم — حساما كنصل السيف سل من الخلل
أبـوك جـواد لا يشق غبـاره — وانت جواد مـا تعـذر بالعلـل

قالَ له عدي : امسك ، لا يبلغ مالي اكثر من هذا •••

من العادات والتقاليد الاقطاعية

بقلم : علي الزين

— ١ —

كان جل اوقات الحكام والزعماء الاقطاعيين فراغا في فراغ ، اذ لم يكن لديهم انظمة مرعية ولا ادارات منظمة ولا سجلات ولوائح واوقات دوام تدعوهم لامعان النظر والتفكير والعمل بمقتضاها ، او تحملهم مسؤولية كل خطأ او خلل او تهاون بواجباتها او بواجباتهم كحكام وقادة وزعماء مسؤولين؛ وانما كانوا يتصرفون بمقدرات البلاد وحقوق الشعب على هواهم . او على ما يفرضه العرف القبلي او العادات الاقليمية ، واذا ما احرجتهم الطوارىء في مشكلة قانونية او شرعية أحالوها الى رجال الدين واستراحوا من موبقاتها ومن مغبة ما يترتب على حلها او تأزمها من مشاكل وشواغل زمنية ، واذا ما اضطرتهم المناسبات والمفارقات السياسية الى خطاب بليغ او جواب محكم الحجة والعبارة ، اعتمدوا في مثل هذه الحال على من يليهم من اعلام الشعر والادب في عصرهم وفي مقاطعاتهم كما كان يعتمد حمد البك وعلي بك الاسعد على الشيخ عبد الله البلاغي والشيخ علي سبيتي مثلا . (١)

ثم اذا كان لهم من شغل جدي مفروض ، فهو على ما تقتضيه المناسبات الخاصة بهم وبمصالحهم كمحاسبتهم لوكلاء املاكهم ، او استقبالهم لضيوفهم، وتلطفهم الى زوارهم ، وقضاء حاجات اصحاب الحاجات ممن يرضون عنهم او ممن يتزلفون اليهم بالطاعة العمياء .

---

١ ـ فصل من كتاب : العادات والتقاليد في العهود الاقطاعية المعد للطبع .

واما ما تبقى من الاوقات ــ وهو كثير ــ فقد كانوا يصرفونه كلـه او جله في الملاهي ابريئه كالاحتفاء بشتى الالعاب الاقليمية من (الدبكة) (٢) وحلقات المغني والعتابا او الرقص الافرادي عـلى دق الطبل والرباب والمجوز والناي ضمن دائرة من المغنين والمصفقين ، ولعبـة (الحكم) لعبــة السيف والترس ، او نشل (العمدة) (بفتح العين وتسكين الميم) (٣) وما الى ذلك من مظاهر التسليه . وكان لهم فـي الميـدان والعاب الفروسية وفي الصيـد والقنص عناية خاصة تستهلك جل اوقاتهم وخصوصا فـي فصل الربيع موسم صيد الفري ، وفي فصل الخريف موسم صيد الحجال . وكذلك كانوا يهتمون في ترويض الخيل وتمرين الفرسان على اعتقال الرماح او لعب الجريد .

مظاهر الفروسية وتقاليدها

مثلت الفروسية وتقاليدها دورا مهما في بلادنا ، فكانت من ابرع مظاهر حياة الاقطاعيين العسكرية والرياضية فضلا عن وثيق علاقتها بالحياة السياسية والاجتماعية اذ كان فيها العز والجاه وفيها القوة والمنعة وكان في الحديث عن مآثرها وماضيها لدى القادة والساسة وعن منافع الخيـل ومضارهـا وعـن محاسنها وعيوبها وعن كرائمها وما قد نظم فيها من اشعار وارسل مـن اقوال مأثورة وما صنف حولها من قصص وحكايات واساطير بارعـة .. ما يمتـع السمار ويرفع معنويات الفرسان ، ويخلق حول القادة هالـة مـن التقديـر والهيبة والرهبة تحكم الالفة والمودة بينهم وبين الاصدقاء كما تعصمهم مـن كيد الاعداء ومغامراتهم .

وكان لميدان الخيل في جبل عامل خاصة مظاهره المتنوعة مـن خيولـة الرمح الى المبارزة بالسيف ، الى اللعب بالجريد ، الـى الطراد المنظم ، الـى السباق ، الى غير ذلك من مظاهر الفروسية من براعة التمثيل البهلوانية عـلى ظهور الخيل : كوقوف الفارس على رأسه بجانب القربوس (٤) والفرس غائرة على مداها أو اـه للحجارة وهي سابحة في الميـدان ، او مروره مـن تحت بطنها او نزوله عنها وركوبه عليها وهي كذلك .

وكان لكل نوع من انواع الـ ـيزلة اصوله وشروطه واعلامه اللامعين .

خيولـة الرمـح

وكان من ابرع مظاهر الميدان وتقاليده المحترمـة ان تتـرتب الفرسان وتنقسم الى قسمين : قسم الى اليسار وقسم الى اليمين ، وان تصطف الخيـل ريشة (٥) وصائبة (٦) على جانبي الحلبة ، وان يبدأ الميدان بخروج احـد الفرسان ــ معتقلا رمحه على نحو خاص ــ ثم يطلع على حافة الصائبة التـي هو منها منحرفا الى اليمين بشكل شبه قوسي حتى اذا بلغ ثلثي المسافة ــ بين المتفين او الصابئتين ــ رفع يده اليمنى الى اعلى وهز كفه محييا عقيد الصائبة المقابلة لصائبته بقوله : « من عين افنديتا » (بفتح ميم « مـن ») (وتشديد الياء من عين) او بقوله : « من عين راعـي الحمراء او الزرقاء او الدهماء » • فيوجه له العقيد من يراه كفوءا مـن فرسان تلك الصائبة • واذا لـم يكـن للصائبة عقيد يحيي الطالب من يختاره من فرسان الصائبة بقوله : « مـن عين راعي الشقرا أو الحمرا او الزرقا ••• الخ) أو بقوله : « من عين ابو فلان او فلان الى غير ذلك من الالقاب والكنى ••• فيتوجه هذا نحو المطلوب معتقلا رمحه على نحو خاص كذلك ويجري فرسه على حافة الريشة الى اليمين بشكل شبه قوسي معاكسا لطلوع خصمه • وقد يكتفي طالب البـراز برفـع كفـه والاشارة بها الى مطلق من يبارزه من الفرسان بدون ان يتفـوه باسم او لقب يميزه او يخصصه عن غيره من الفرسان ، فيتوجه له من الصائبة المعينـة مـن يرى في نفسه الميل والقدرة على مبارزته • وفـي اثناء السير يعالج كـل من الفارسين رمحه فيغير من وضعه كأن يجعل رأس الرمح بحذاء الركاب الايمن ويسوي بين رأسه وأسفله في الارتفاع ويواصل المعالجة بحركات متناسبة مع سير الفرس وتدرجه في سرعة الخطى او مـع مستلزمات التسديد والدفـاع بالرمح من حيث الارتفاع به والانخفاض وتغيير اوضاع الرمح يمنـة ويسرة • وعندما يتقارب الفارسان من بعضهما يلتف احدهما علـى الاخر ويأخذ كـل منهما في التجوال والطواف بازاء قرينه او خصمه ــ ضمن دائـرة مفرغـة ــ وعين كل منهما مشدودة الى عين الآخر وسنان رمحه مسدد نحو صدره حتى اذا لمح غفلة منه او انحرافا او حركة مريبة ، كسر عليه وهز الرمح او الخيزرانة في وجهه اشعارا بأنه قد استحكم منه وغلبة وقـد يجذفـه بالخيزرانة لنفس

الغايـــة .

مبـــارزة السيف

انها نسخة طبق الاصل عن المبارزة بالرمح ولا فـــرق الا بأن يكـــون السيف مشهورا بوجه الخصم بدلا من تسديد الرمح نحوه حتى اذا شعر احد الخصمين بانحراف او غفلة او حركة مريبة من صاحبه اومأ بالسيف نحـــوه او علم به عليه . ولا يجوز لاي من المتبارزين ان يستهدف بضربته الفرس بـــل الفارس بذاته ليتسنى لهذا الاخير ان يرد ضربـــة السيف بسيفـــه او يصدها بترسه .

واعل (لعبة السيف والترس) على الارض هـــي اقرب صورة للمبارزة على ظهور الخيل . فكل منها يقتضي المران واجادة المطاردة والمقارعة والمقابلة وتبطيل طعنات الخصم .

لعـــب الجريـــد

واما لعب الجريد في الميدان فانه كان يبتدىء ببعض المقدمات والمظاهر التي اشرنا اليها فيما تقدم من خيولة الرمح ، بيد انه لا يتحتم على الطالب هنا ان يعين المطلوب للمبارزة فمطلق فارس في الصائبة يحق لـــه ان ينطلـــق وراء الفارس الذي يرد رأس فرسه عن الصائبة .

واذا انطلق فارسان خلف الطالب الذي يرد رأس فرسه نحـــو الصائبـــة الاخرى فالاسبق منهما يكمل الشوط والثاني يعود او يرد بقوة الى الصائبة.

وينبغي للفارس الذي ينطلق في اثر الطالب ان يتدرج في حالات السير من الخفيف الى السريع الى الاسرع الى ان يتجاوز ثلث المسافة .

وعندئذ يدفع فرسه ويطلق لها العنان في اتجاه خصمه حتـــى اذا تجاوز نصف المسافة او قارب الثلث الاخير من الحلبة ، قـــذف خصمه المتقدم عليـــه بالجريدة (٧) ثم انثنى راجعا ليكر عليه خصمه او يبرز اليـــه فارس آخر مـــن الصائبة . وهكذا دواليك الى ان ينتهي الكر والفر او تنتهي المدة .

ومن لوازم هذا النوع من الخيولة ان تظــل عين الفارس السابق مــن المتبارزين تراقب حركات اللاحق منهما ليتقي جريدتــه وضربتــه بالوسائل الخاصة مثل احناء الرأس او الميل بصدره الـى الشمال او اليمين مــن عنق الفرس ومثل الامتداد مع ظهر الفرس بحيث يصعب على الخصم ان يفرق بين جسم الفرس وجسم الفارس •

ثم ان من الاصول المحترمة في جميع انواع الخيولة ــ خيولة الرمح ، وخيولة المبارزة بالسيف ، وخيولة اللعب بالجريد ــ ان يحترس المبارز مــن ان يستهدف بطعنته او ضربته جسم الفرس بل جسد الفارس وخصوصا فـي خيولة السيف ، ليتسنى للخصم ان يــرد ضربــة السيف بسيفه او يصدها بترسه •

الطــراد المنظم (٨)

اما خيولة الطراد فلا يلزم معها ايضا طلب مبارز • فأي فارس يرد رأس فرسه وينطلق امامك لك ان تطلب وراءه وتطارده • ولا يمتاز الطراد عن غيره من انواع الخيولة الا بان يبذل الفارس اللاحق جهــده بان يــدرك الفارس المنطلق امامه ويعلم عليه ولو بضربــة عصا او غصن زيتون • ثم بأن يبــذل الفارس السابق كل امكانياته كي لا يمكن طالبه مــن الفرسان ان يدركه او يعلم عليه ولو بالتلويح وهز العصا (٨) •

وكان من عوائد امراء الحرافشة وغيرهم مــن ــ المناصب والاعيان ــ عند الشروع في لعب الجريد ان يقــول لهم مــلاعبهم ومبارزهــم : « كيف الميدان ؟ » فان قالوا له : « ميدان علي نضرب ونضرب » كــان لكل مــن يلاعبهم ويبارزهم ان يرميهم بالجريد ، والا فانه يرميهم بالطربوش وما شاكله نعومة بينما يرمونه هم بالجريد (٩) •

خيولــة السبــاق

اما خيولة السباق فكان مــن شروطهــا الاساسية ان يقــف الفارسان بفرسيهما امام النظارة الواحــد بازاء الآخــر ورأس الفــرسين وحوافرهما

متساوية في خط مستقيم لا التواء فيه ثم انهما بعد هذا التوازن يدفعان فرسيهما وينطلقان نحو الهدف المعين فمن سبق اليه واخذه او تجاوز مكانه وتعداه فهو السابق بعرف الجميع • ومن تخلف عنه ولو بشبر واحد فهو المسبوق •

من عادات الفرسان وتقاليدهم

ومن التقاليد المرعية لدى الفرسان ان يلاحظ الفارس قبل الركوب احكام سرج الفرس وشد حزامه حين لا يتولى هو بنفسه امر ذلك • ثم ان يلاحظ فيما بعد اوضاع اللجام : قوسه ولسانه وحلقته وعذراه وعنانه ؛ ومدى قوة كل منها ومستوى حجمه ومناسبته سعة وضيقا وثقلا لحجم رأس الفرس وسعة فمه وطول شدقه وعنقه ، واختلاف سنه وطباعه حدة ومرونة•

ثم يلاحظ مع اوضاع السرج والحزام « سير الركاب » والابازيم ومدى قوة كل منها وصلاحيته للاستعمال ومناسبته لحجم هيكل الفرس ولاوضاع الفارس مع فرسه • ثم عليه ــ بعد ان يمتطي ظهر فرسه ــ ان يثبت صدر قدميه في الركاب ، وان يحكم ضبط فخذيه ويلزم بهما موضع دفتي السرج من ظهر الفرس • ثم ان يزن عنان اللجام وذلك بان يقبض عليه بيسرى يديه ويساوي بين طرفيه فلا يدع طرفا اطول من طرف ؛ ثم يضع اصبعه الوسطى بين الطرفين ، ويطوي ما زاد منهما بين الخنصر والبنصر من اصابع يده ، ثم يشد اليه بالعنان بحيث لا يترك منه شيئا يتأرجح بين شدق الفرس وكاهله او بين اللجام والقربوس ؛ ثم يضع قبضة يده على القربوس ويمشي •

وعندما يمشي الى الميدان فليس له ان يشد عنان فرسه او يحبسه او يرخيه الا بقدر ما يراه مناسبا لطباعه وحالاته واماكن سيره وجريه • نزولا او صعودا وسهلا او جبلا اذ للنزول في العقبات قدر من الحبس لعنانه وللاستعراض في اول الميدان قدر ولرد رأسه في آخر الشوط قدر بين الجذب والحبس ؛ وعندما تكون الفرس سابحة في قلب الميدان او مندفعة في جريها ، او صاعدة في عقبة كؤود • لكل حالة من هذه الحالات قدر من

ارخاء العنان ومده وشده يتناسب مع طبع الفرس حدة ومرونة او مـع طول عنقها وقصره ، فان التثبت في الركاب وضبط الفخذين بدفتي السرج ، ووزن عنان اللجام امور يعتبرها البارعون بركوب الخيل اساس كـل فروسية فـي الميـدان .

ثم على خيال الرمح ـ بعد ان يستوى بظهر فرسه ـ ان يعتقل رمحـه ويضعه تحت ابطه الايمن ممتدا الى مؤخرة السرج خلف الفخـذ الايمن وان يجعل سنان رمحه بين اذني الفرس او قرب اذنـه اليمنى . ثم عليـه عندمـا يتوجه بفرسه الى الميدان ان يحافظ على الانحراف بكتفه الايسر نحو عنـق الفرس وناصيتها وذلك وقايـة لصدره ولوجهه مـن طعنات الخصم او مـن ضرب الفرس بعنقها او برأسها عندما يحبس عليها او يشدها الـى الوراء او عندما تجفل من شبح مفاجيء فان بعض الخيل لحدة في طبعها او لخطأ فـي ترويضها قد تشب او تقف على رجليها وتضرب برأسها او عنقها ضربات لهـا خطرها على الفارس اذا لم يكن متحسبا لمثل هذه المفاجآت العنيفة .

ثم كان من التقاليد ان يكون لكل صائبة او ريشة خيـل عقيـد خبير بآداب الفروسية وعارف بمستوى قـدرة الفرسان عـلى تطبيق اصولهـا وشروطها عمليا .

وكان من الاصول ان يقف عقيد الخيل على يمين الصائبة وحافتها وان يتقدم صفوفها بمقدار ماية ستني بحيث يتمكن من الاشراف على جميع افراد الصائبة او الريشة ليحكم توجيههم ويختار من فرسانهم من يرى فيه الكفاءة لمبارزة الطالب من الصائبة المقابلة له .

ومن الاصول ان لا يقرب الطالب للمبارزة او ان يصل الـى صائبـة المطلوب من الفرسان او على مستوى موقف عقيـد الصائبة حين يكون لهـا عقيـد .

كما انه لا يحق للمطلوب من الفرسان ان ينطلق خلف الطالب قبـل ان

يرد هذا رأس فرسه نحو الصائبة التي انطلق منها لئلا يفاجئه او يأخذه عــلى حين غرة .

ومن الاصول المحترمة في لعب الجريدة ان لا يطلق جريدته قرب صائبة الخصم لكي تكون الجريدة مستهدفة للخصم وحده لا لغيره من الفرسان .

وفيما يلي صورة رمزية لوضع الميدان :

الصائبة الاولى :

خط سير الطالب

موقف
العقيد



مكان المبارزة

خط سير المطلوب

الصائبة الثانية :



موقف
العقيد

ومن الاصول ايضا ان يرجع المطلوب عن مطاردة الطالب الــى داخــل صائبته او ريشته . واذا دخل وراءه الى حرم الصائبة فللعقيد ان يؤدبه حسب ما يراه ويريده له ، شرط ان لا تكون فرسه شرودا . وكانوا ـ حرصا عــلى تطبيق هذه الشروط والاصول المرعية ـ يلجأون عندمــا يعسر الميدان الــى لجنة من الخبراء تراقب حركات الفرسان وتقــرر مــــدى التزامهم بأصول الفروسية وتقاليدها وتنبه الى مكان الضعف والخلل فـــي تصرف اي فارس منهم ثم تحكم للمصيبين والمتفوقين كما تحكم على المخطئين والمتخاذلين كــل بما يستحقه من تقدير واحترام او من لوم وتجريم .

عبد الحميد بن باديس

باني نهضة ومنقذ أمة

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

التفسير الباديسي

القرآن يهب معجزة الاصلاح ، اذا وعته عقول نيرة ، اما الترديد دون فهم ، او الفهم السطحي الجامد ، فلا يزيد المسلمين الا جمودا ، ولا يزيد الطامعين الا استخفافا .

اقرأ القرآن خالي الذهن : لا تحاول الانتصار لفكرة ، او معارضة فكرة ، تفز بفهم سليم ، وتلمس الانسجام بين نصوصه .

قلوب الناس معرضة للغفلة ، وعقولهم يعقلها الجهل ، وهذه امراض تتراكم على صفحة القلب فتغطيه ، كما تتراكم الشوائب على المرآة فتحجب الظل ، ولا صاقل لهذا الا القرآن اذ ارشدنا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لهذا الدواء المجرب قائلا :

(ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد ، فقيل : يا رسول الله ما جلاؤها فقال : تلاوة القرآن) .

اما كلمة (رب تال للقرآن والقرآن يلعنه) فتعني الذين يقولون ما لا يفعلون .

التفسير الباديسي

بعث ابن باديس في دروسه وخطبه وتفسيره الفخم نفوسا وجلا صدءا وانطلق مستعينا بجزئيات السنة القولية والفعلية والتقريرية على فهم كليات القرآن الكريم متخذا منه سلاحا وعلاجا .

كان ابن باديس على كثرة اشغاله ووفيرة مهماته ، وتعـدد لياليه المرهقة يختلي بنفسه ، ليغوص على كنوز القـرآن العميقة ، وكلما ظفـر بجوهـرة تضاعف تلهفه لسـواها .

قد يمتد الغوص حتى الهزيع الاخير من الليل ، ويصلي الفجر بوضوء العشاء ، شأن الخالدين الذين يرون في الغوص عبادة وسعادة لانه يردد مـع ابي حنيفة : (لو علم ابو جعفر المنصور ما انا فيه من اللذة لنازعني اياها) .

ابن باديس الغارق بمقارعة الاستعمار حرصا عـلى ما بقي من رمق امة طحن الغزاة عظمها ، كيف وجد وقتا يكتب به ويستنبط ويعلق ويحقق ؟؟؟

كان يأتي بما ظفر به ابان الغوص ويتليه في حلقات درسه فيلتقطه كبار التلاميذ ويحتفظـون بـه ، ومـا ان مـر ربـع قـرن حتـى قدمـوه مجموعا كاملا (٩) .

سلك ابن باديس طريق المخلصين كابن تيمية والسيد رشيد رضا ، وفسر القرآن تفسيرا يبعث الحياة ، ويضع حدا لخطر الذين يزعمون الاسلام ، يضاد العقل ويقوم عثرة في طريق انطلاقه .

تبرم حين رأى بعضهم يقتصر على النحو ، وبعضهم يختلف في مـا لا يتوجب اختلافا وتميز غيظا لما شحنو بـه بعض التفاسير مـن اسرائيليـات وشوائب .

لان بلورة القرآن واشتد بشدته وخالق الناس بخلقه وكون مما استفاد منه مذهبا لو رآه الذين ندرس مذاهبهم فـي السياسة والاجتماع والاخلاق لتعلموا : كم ترك الاول للاخر .

استنبط منه علاجا للآفات الاجتماعية والعائلية والفرديـة ، وارانـا الذين اتخذوا القرآن دستورا وحملوه ترياقا يحملون رايـة العدل الاجتماعي ويقتبسون النافع من الفكر العلمي . واثبت ان الدين والخلـق توأمين ، وان

ادلة العقائد والعبادات في القرآن ظاهرة وقد شرحت السنة كلياتها وان كل ما لا يتفق من عبادات وعقائد مع خط القرآن والسنة بدع طارئة . تلك البدع جبهة مترامية الاطراف خلقت فرقا استترت بالتأويل ورمتنا بزعازع لا تزال تشرق بنا وتغرب .

اعلن ابن باديس بحقول كثيرة من تفسيره ، ان فينا نحن المسلمين جهلا واسرافا وظلما وعتوا وفسادا وكفرا بأنعم الله ، وان جل البلاء المصبوب علينا تسلل من هذه النوافذ . اما الامم التي تشاطرنا الانغماس في هذا المستنقع ، فقد شفع لها يقظة دفعت الخطر كأنها غافلة من جهة ويقظة من جهات !!!

ومن الفهم السليم الذي نستفيده من تفسير ابن باديس قوله في ص ١٦٣ : (الخسران الذي وعد الله به من يخالف الكتاب والسنة وان كان موجها للمشركين ، الا انه من نصيب اهل البدع والضلال) .

طبعا لان مخالطي الكتاب والسنة يلتقون مع المشركين بنقط كثيرة ، منها تعدد الاصنام الجامدة قديما وتعدد الاصنام المتحركة حديثا .

علق على قوله تعالى (ففروا الى الله ..) بما خلاصته :

الفرار يعني الحركة ، نفر من قدر الله الى قدر الله ، وقد سئل الامام احمد بن حنبل عن شخص قال :

اجلس لا اعمل شيئا حتى يأتيني رزقي فقال :

هذا رجل جهل العلم ، اما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم (تغدو خماصا وتروح بطانا) اما علم ان الصحابة يتاجرون ويصنعون ويزرعون ؟؟؟

نفر الى الله ، لا نستعين بسواه ولا نقسم بسواه ولا ننذر لسواه .

نفر الى الله ، اذ لا ينجينا من محن الدنيا وامراضها وخصوماتها وبلائها الا الفرار اليه : اي العمل بالكتاب الذي اراده منقذا من كوارث الدهر ومحنه !!! .

نفر الى الله وننجو بقارب كتابه وحبال سنة رسوله ولا نفر منه .

عرض ابن باديس لذائذ هذه الدنيا مشوبة بألم ، وصور رحلتها قصيرة، لنحرص على وداعها مثقلين بزاد ، هو انارة طريق الناس بمصباح القرآن لتحرير رقابهم من ذل الاخطاء التي قد لا يكفرها الا نير الغزاة .

اشرق تفسير ابن باديس فنشر المدفونين في اجداث الانحراف .

اتخيل هذه الجهود فاجزم ان الله عظم في عين ابن باديس فهانت امامه قوة الغزاة .

طبعا من اوتي القرآن ، فقد اوتي الحكمة ، واحاط بالعلم من اطرافه وامتد باعه وترامى اطلاعه .

من اوتي القرآن ، فقد شفا نفسه من امراض الانانية وانقذها من مستنقع اليأس ، وفتح امامها ابواب الامل ودرعها بالصبر والحكمة .

لنقرأ ـ كما قال ابن باديس ـ بتمعن وادراك ، اذ ما يحتفظ به سوانا من علم نافع وفكر مستو مستقى مما يحتفظ به قرآننا .

ولنقف امام الفكر العالمي ، موقف الناقد الفاحص المنشد :

وان مررت بأشجار لها ثمر   خذ الثمار وخل العود للنار

ما احوجنا لتفسير يصر على التصريح بكلمة الحق لا سيما حول العقيدة والعبادة ويرجح بالفقه ما يراه اولى بالصواب ، ويبحث الكونيات ويغوص الطبيعة انسانا وحيوانا وجمادا ، ويكشف ما لا يزال خافيا عورات الغزاة ونواطيرهم ومماليكهم ، ويفارق ما يدعوه الامعات مسايرة للواقع لكنهم لا

يريدون الا الحرص على لقب مجدد ومطور ولو دفعوا ثمنــه بعض خصائص امتهم (١٠) •

ما احوجنا لتنفيذ النصوص المعصومة ونقد وتمحيص مــا يرونه تفسيرا لها من روايات العهد القديم ، كيــلا يستمر الالتــواء • وتتجسم الاخطــار ويتضاعف سر خفيفي الوزن من عباد الورق المطبوع والمخطوط •

ما احوجنا للمرور سراعا عــلى جسر العصبيــات المذهبيــة والمشادات الكلامية والنظريات الغيبية •

ما احوجنا لغسل دماغ القارىء مما اعتــراه مــن ادران الموضوعــات والمكررات والاسرائيليات والمتضاربات التي ترمي القارىء بالحيرة والارتباك وتنسل من المفسرين من يرى مرجعه الفقهي محاطا بسور من العصمة فاذا لــم تتفق معه الآيات استعان عليه بالتأويل • ومنهم من عاش عيالا على القصاصين والروايات الهزيلة ، ومنهم من رماها بعظائم الامور •••

وقد جاء تفسير علامتنا ابن باديس ايقاظا او ارهاصا ليقظتنــا الكبرى المتوقعة ، او معجزة تشريعية تنادي :

لا فلاح للمسلمين بل للعالــم الا بالاستنارة والهدايــة التي جــاء بهــا المخلصون المهتدون •

لقد راع ابن باديس ما شاهد من زوايا مظلمة ؛ فسعــى لانارتها ولمس ثغرات قاصمة فصد الذين تسللوا منها •

طلب عظيما فضحى بعظيم ، وسعى لاجتناء العسل فصبر عــلى لــدغ حمقى النحل •

اقام المنهاج التربوي على القرآن والسنة وود لــو فهمنا القرآن فهمــا بتناسب مع سمو اهدافه •

نظر ابن باديس في التفسير نظرة عميقة ، فادرك ان في المستشرقين قوما اقامهم المستعمرون اهل رأي ومشورة وذوي ضلع في توجيه دفة سياستهم المعلومة ، فاستتروا بالبحث المنهجي الموضوعي والفكر الحر الطليق وصالوا على ما علم الناس جميعا سمو الفكر الطليق •

وادرك ان هؤلاء كجيش تقاسم مخطط الهجوم : بعضهم يصول على الاخلاق امثال فرويد او على جلال الالوهية امثال نيتشه او على عصمة القرآن امثال بلاشير او على حقائق التاريخ الثابتة امثال لامنس او يخيل الاسلام لا يعدو التصوف المغرق المنحرف امثال ماسينيون ، او يصول على العربية كلغة ويرحب بها كلهجات مرسومة بحرف غير عربي كداتلوب ، قتلا للعربية وتضيقا لدائرة امتدادها ومنعها من التداول وتمهيدا لانزواء القرآن نفسه !!!

وادرك ان في المفسرين قوما اعرضوا عن كلمة الحق ممالاة للعدو وحرصا على ما يتناثر من فتات موائد نواطيره ، وقوما يفسرون النصوص تفسيرا يحترم الواقع ـ ولو كان منحرفا ـ حرصا على لقب عصري ومتحرر وفاهم ومجدد ••• !!!

لم ار عجبا من هؤلاء اذا نالوا من ابن باديس او وصفوا حتى ابن تيمية نفسه بضيق الافق (١١) •

سلكوا سبيل التساؤل عما لا يعني مثل •

عصا موسى من اي شجرة ؟ ما اسم الغلام الذي قتله رفيق موسى ؟ كم عدد الدراهم المعدودة ؟ ما شكل كلب اهل الكهف ؟

وهناك خرافات كعبية وشعوذات وشعبذات وهبية تحللت التفاسير وشروح الاحاديث بل ومتون الاحاديث لا يزال الصبيان يتناقلونها •

اعرضنا عن نقلها او التحدث عن مراجعها اذ لم تخف على عميقي البحاثين كالقاسمي في تفسيره ج ١٦ ص ٥٦٩٥ من الطبعة الاولى والشيخ

محمود شلتوت في ص ٤٥ من فتاوات وحقول كثيرة جدا من تفسيري المنار والجواهر .

اعرض عن هذا كأنه اخذ الثمار وترك العود للمنار فشفي بالتفسير لا سيما لآيات الجهاد قوم ذبحوا انفسهم وسواهم بمدية الفهم السقيم .

الذين يعرضون دور ابن باديس في بعث الجزائر يعجبون حين يرون عكوفه الطويل على الاستفادة من نور القرآن الكريم . وحدثنا في كثير من المناسبات ان القرآن شفاء لما في الصدور اي هو شفاء من الغفلة ، اذ القلوب تصدأ الحديد لكن رسول الله اعلن ان القرآن يزيل ذاك الصدأ .

اما كلمة (رب تال للقرآن والقرآن يلعنه) فانه لا يلعنه لاجل القراءة بل لاجل الارتكابات التي ينهي عنها القرآن .

والقراءة ــ ولو كانت مع اللعن ــ خير من عدمها لانها قد تفضي لصقل الحديد اما العدم فيفضي للصدأ .

حمل ابن باديس مهمة تحرير الجزائر واستعذب الموت في سبيل احياء شخصيتها عربية مسلمة ، لكن هذه لم ينسه ان يغتنم فرصة الراحة ، ويحيلها للكتابة والتأليف والتحقيق .

وبعد جهود ربع قرن او جهاد ربع قرن صامت ، انهى ابن باديس تفسيره الفخم للقرآن الكريم ؛ فأقام له عارفو فضله حفلة في مدينة تلمسان عام ١٣٥٧ ــ ١٩٣٨ ردد بها الخطباء من كلماته :

(القرآن الذي صنع السلف لا يعسر عليه ان يصنع الخلف) وتحدثوا عن الجهاد العملي الذي ينطوي عليه هذا التفسير ورأوه سبيل تأسيس بعث الجزائر الحديث ، ووقفوا امام تركة الامم وحاضرها موقف العاقل الفاحص .

تفسير ابن باديس كانـك تلمسه

ارانا الفكر شمسا تشرق على قوم ، ثم تفارقهم لكن الى حين !!!

عرفنا تاريخنا وتراثنا ورشحنا لطلب المكانة اللائقة بنا .

ارانا المسلمين يحملون راية العز بيد ورايـة التواضع والانسانية بيد . ويحققون العدل الاجتماعي بظروف لم تعرف احياءا سواهم !!!

ارانا العربية تشدنا بالعرب السابقين وتصهرنـا بالمعاصريـن والاتين . وترفعنا لمصاف المؤمنين العاملين والمجاهدين الصابرين الناجحين .

دعا لتحقيق آمالنا لكن ببذل الجهـد وممارسة الاعمال الطبيعيـة ، اذ الامل ضوء في صحراء ، ومنارة في ساحل ، ترسل النـور وتستجيب دعـوة مرسلي اشارات الاستغاثة .

ارانا بأوساطنا جهلا واسرافا وكفرا بأنعم الله ، وحقق ان البلاء المصبوب علينا تسلل من هذه النوافذ ، ورأى الامم التي تشاطرنا هذا الانحراف الخلقي شفيعا من يقظتها الاجتماعية ونهضتها القومية !!!

استخرج من بحر القرآن علاجا للامراض الاجتماعية والفردية والعائلية وارانا الذين يتخذون القرآن دليلا جديرين بطلب المعالي والاقتباس من النافع مما في الفكر العالمي .

وموجز القول :

لان تفسير ابن باديس بليونة القرآن واشتد بشدته وخالق الناس بخلقه وكون مذهبا لو رآه الذين ندرس مذاهبهم في السياسة والاجتماع والاخلاق لقالوا : كم ترك الاول للاخر !!!

الشجرة التي امر الله بغرسها ، واراد بقاءها ، لا يستطيع الناس اقتلاعها ولو اجتمعوا وتعاونوا .

والاسلام هو تلك الشجرة ، اراد الله لهـا الاستمرار ، واقام لهـا مـن صفوته حراسا ولعل ابن باديس ابرز حراسها في هذا القرن !!!

لقد سهر جيلا وربى شعبا وعد مجاهدين وصقل مرابطين ، وما ان توفي عام ١٩٤٠ حتى اخذ مريدوه ينفذون التخطيط الذي يستلزم افتـداء الجزائر باروا‌حهم ويكتبون وثيقة استقلالها بدمهم ، ويركزون رايـة مجدها عـلى جماجمهم !!

بين سعيد بن عثمان و معاوية بن أبي سفيان

❋ قال المدائني : دخل سعيد بن عثمان على معاوية بن ابـي سفيان • فقال لـه :

علام جعلت يزيد ولي عهدك دوني ، فوالله لابي خير مـن ابيه ، وأمـي خير من أمه ، وانا خير منه ، وقد وليناك فما عزلناك ، وبنا نلت ما نلت •

فأجاب معاوية على البديهة : أما ان أباك خير من أبيـه ، فقـد صدقت لعمر الله فان عثمان خير مني • واما قولك ان أمك خير مـن أمه فحسب المرأة ان تكون في بيت قومها وان يرضاها بعلها وان ينجب ولدها •

واما قولك انك خير من يزيد ، فوالله ما يسرني ان لـي بيزيـد مـلء الغوطة مثلك واما قولك انكم وليتموني فما عزلتموني ، فمـا وليتموني وانما ولاني من هو خير منكم (عمر) فأقررتموني وما كنت بئس الوالي لكم ، لقد قمت بثأركم وقتلت قتلة أبيكم ، وجعلت الامـر فيكـم ، واغنيت فقيركـم ، ورفعت الوضيع منكم •

عائد من بلاد الأمن والأمانة

مشاهدات وانطباعات في السعودية

بقلم : روكس بن زائد العزيزي

في دار الكتب الوطنية والادارة العامة للاثار !

وفي دارة العلامة عبد العزيز الرفاعي ــ الرياض ــ

نهار الاثنين في ١٧ ــ ٥ ــ ١٩٧٦

ابتسم النهار رقيقا لطيفا ، وكانت ابتسامة العلامة الرفاعي ارق والطف، لقد جاء يتفقدنا في فندق (انتركو تيننتال) الرياض : هذا الرجل صبغ من اللطف ومكارم الاخلاق !

وبعد حيانا رفع لنا الصحف والمجلات ، واوصى بنا الاستاذ (عطية ابراهيم ابو حمود) مندوب العلاقات العامة في وزارة الاعلام : وهو شاب شهم ، دقيق المواعيد ، ما رأيت ارق منه حاشية !..



في دار الكتب الوطنية :

وصلنا اليها الساعة ال ١١،٣٥ الحادية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة فاستقبلنا مديرها الاستاذ (عبد الرحمن بن عبد العزيز السراء) بلطفه الاجل.

سألناه عما تضم المكتبة (١) من مخطوطات نادرة ، فاجاب ان المخطوطات في هذه المكتبة لا تزيد على (١١٠) مائة وعشرة من المخطوطات ، لكنهم صوروا نحو (٢٠٠) مائتي مخطوط .

---

١ ــ على الرغم من كون كلمة مكتبة ، خاصة بمكتبات الوراقين ، فقد جارينا ما هو مألوف ، لان الاصل في ذلك ان يقال خزانة الكتب والجمع خزائن (العزيزي)

اما الكتب المطبوعة فهي نحو (٢٧،٠٠٠) سبعة وعشرين الف مجلـد . وقد اطلعنا قيم المكتبة الاستاذ (عبد الحفيظ) على مـا فـي المكتبـة مـن مخطوطات ومطبوعات . وقد انشئت هذه المكتبة سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .

نسبة الذين يستفيدون من هذه المكتبة :

سألنا قيم المكتبة عن عدد الذين يستفيدون منهـا مطالعة ، واستعارة ، فاجاب انهم يقدرون باثنين وسبعين الف مستفيد ، ما بين مطالع ومستعير .

وبعد ان تجولنا في قاعات هذه المكتبة سجلنـا كلمـة اعجاب بالجهود المخلصة التي تبذل لخدمة العلم والمعرفة !

في دارة العلامة عبد العزيز الرفاعي سكرتير رئاسة الوزراء :

كان موعدنا مع الاستاذ الرفاعي لحضور حفلـة التكريم التـي اقامها ، الساعة الثانية بعد الظهر ، في الموعد ، جاء الاستاذ (علي باخشان) من وزارة الاعلام وصحبنا الى تلك الدارة الفخمة ، فوجدنا معالي وزير الاعلام الدكتور الاستاذ (محمد عبده يماني) ووكيل وزارة الاعـلام الدكتور (عبد العزيـز محيي الدين خوجة) والاستاذ (عبد الله بـن ادريس) رئيس مجلس رعايـة الفنون والآداب ، وهو شاعر مطبوع ، وباحث جليل ، وحضر الحفلـة الشاعر المبدع الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري ، والاستاذ زهير صلاح عبـد الجبـار وغيرهم !

وقد لاحظت ان الولائم التي تقام في المنازل ، ويتجلى فيهـا الكـرم العربي السعودي الاصيل ، ان الطعام يوضع على سماط ، ويتناوله الضيوف وهم قعود .

ولعل الغرض من هذا هو التأدب والشكر للـه علـى لقمته ، واراحـة الضيوف ، وزيادة الالفة بينهم ، وتفادي تقديم احد منهم على الاخر في هـذا المقـام !.

وبعد غسل الايدي يسكب الطيب على ايدي الضيوف ، ويقدم الشاي الفاخر في اقداح من البلور المذهب .

وبعد الشاي تدار القهوة وهي من الهال وبعض الافاوية ، لا من البن • بفناجين لطيفة للغاية •

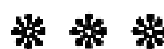
احاديث الادب والعلم بعد الغداء :

وبعد الغداء دار الحديث حول الادب ، والكتب التي ظهرت حديثا ، ودواوين الشعر ، فاسمعنا الاستاذ اميري مقطعات من الشعر جميلة ، علق بالذهن منها ابيات خاطب بها سيدة كانت تجلس هي وزوجها معه ، فسمعت عزفا على كمان ابكاها ، فجففت دموعها بمنديل لها ، ولامس المنديل شفتيها ، فسقط المنديل من يدها ، او هي اسقطته عمدا ، وقالت للاستاذ الاميري : « هذي دموعنا عند قدميك رايح تعمل فيها ايه يا استاذ ؟ »

قال الاستاذ الاميري ، فتناولت المنديل ، ورددته اليها ، من غير ان اقبله، كما تقتضي الآداب الاجتماعية في مثل هذا الموقف ، وقلت لها :

« أيا من تجفف دمع الشفاه — وقد ارهقتها هموم الحياه !
بمنديلها ، ثم تلقي به — وقد عطرته ثنايا الشفاه
على الارض موطىء اقدامه — وفي نفسها عنفوان وجاه
وفي مقلتيها تساؤل انثى — (وفي القلب صوت يفيح صداه)
يقول لك الحر : « يا حرة — اطمئني رعاك الاله
دموعك في الارض لكنها ، — هي الارض حيث تخر الجباه

وقد ذكر الاستاذ انه نسي العجز الذي اشرت اليه بخط من تحته ، وعاضدتين ، فاقترحت من عندي هذا الشطر ! (العزيزي)



وروى لنا ان شابا حاول احراجه ، وهو يلقي محاضرة دينية ، اذ انتصب هذا الشاب وقال له : ماذا تقول في قول بشار بن برد :

ابليس من نار ، وآدم طينة — والطين لا يسمو سمو النار

قال فاجبته على الفور :

ابليس من نار وآدم طينة والنار لا تسمو سمو الطين !
النار تأكل ذاتها ومحيطها ، والارض للانبات والتكوين

وذكر لنا رده على حسناء ارادت احراجه على اثر درس ديني بقولها :

ماذا تقول يا استاذ في قول القائل : « خلقت الجمال لنا فتنة ؟ »

قال : فاطرقت لمحة ، ثم اجبتها :

خلقت الجمال لنا نعمة ، وقلت لنا يا عبادي اتقون
وان الجمال تقى ، والتقى جمال ، ولكن لمن يفقهون
فذوق الجمال يصفي النفوس ويحبو العيون سمو العيون
ومن خامر العشق اخلاقه ؛ تأبى الصغار ، وعاف المجون

ولدى انصرافنا من الدار التي هي في حي (الملز) مررنا بحي المعذر ، وزرنا (المسمك) حيث قصر ابن عجلان الذي افتتحه جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، واستولى على الحكم !

عمان ـ الاردن روكس بن زائد العزيزي

---

* دعا احد الملوك زاهدا فأبى عليه اجابة الدعوة .

فقال الملك : وكيف لا يجيئنا وقد دعوناه ؟

فأرسل الزاهد الى الملك يقول : ايها الملك ، ان الذي منعك ان تجيئنا منعنا ان نجيئك ـ وهو الكبرياء .

اسراب السمك

رغيد النحاس

من جملة المظاهر السلوكية التي تقوم بها الاسماك لكي تتلاءم مع البيئة ومع الوظائف الحياتية ﴿*﴾ ، تجمعها على شكل اسراب هـي اشبه مـا تكون بمؤسسة اجتماعية ترتبط السمكة بها بسلوك منظم كما انها تتميز بتخصصات تشريحية معينة . لذلك فان أفراد السرب الواحـد هم مـن حجم مماثـل ، ويقومون بحركات على غاية كبيرة من التناسق والتوافق .

تبدأ حياة معظم الاسماك القابلة لتكويـن الاسراب فـي البلانكتـون (Planhton) ، وهو مجموعة من النباتات المتناهية الصغـر والتي تكـون عائمة في مياه المحيط . ففي هذا البلانكتون تتوضع البيوض ومن ثم فانهـا تتلقح بواسطة سرب السمك . وتتطور البيوض الـى اجنـة ، والاجنة الـى يرقات ، وهذه الى افراخ صغيرة ذات حركة ضعيفة اثناء السباحة . ثم تبـدأ السمكة نموها المبكر وسرعان ما تظهر لديها قابلية التجمع في السرب . ولقد دلت بعض التجارب على انواع معينة من السمك ان التجمع في اسراب يبـدأ عندما يصل طول الفرخ الى حوالي ١١ ــ ١٢ مليمترا فقط .

وهكذا فان القابلية للتجمع في أسراب تتطور مع نمو الاسماك الصغيرة . فالاسماك التي تكون بطول ٧ مليمترات تبتعد عن رفاقها بسرعة عندما تقترب من رأس او ذيل او جانب سمكة اخرى حينما تكون على بعد خمسة مليمترات فقط من تلك السمكة . وحين تصل السمكة الى طول ٨ ــ ٩ مليمترات فـان اثنين من افراخ السمك قد يجتمعا سويا للحظات معينـة اذا كان واحدا منهما قد اقترب من ذيل الاخر . ولكن اذا اقترب الفرخ مـن جانب او مـن مقدمة

★ تلاؤم الاسماك مع البيئة والوظائف الحياتية ــ مقال للمؤلف في العدد الثاني من المجلـد ٦٤ للعرفان .

فرخ آخر فانهما يبتعدان بسرعة عن بعضهما . وعندما يكبر الفرخ من ٩ مليمترات الى ١٠،٥ مليمترات يكون التقارب الرأسي ـ الذيلي هو الشائع ، فيجتمع بذلك كل زوج من السمك لمدة تتراوح من ٥ الى ١٠ ثوان . وبعد هذا تبدأ الاسماك في التجمع لفترات قصيرة في جماعات تضم ثلاثة او اربعة افراد . ويكون الرأس بشكله الخاص ولوجود العينين فيه اكبر العوامل المحرضة في عملية تكوين المجموعات السمكية . اما الذيل فله تحريض معتدل . هذا وان التحريض القوي غالبا ما يؤدي الى تنافر بين الاسماك ، واما التحريض المعتدل فانه يؤدي الى تقارب فيما بينها . وبعبارة اخرى ، يجب ان تقترب سمكة من خلف سمكة اخرى حتى تستطيع مواكبتها والبقاء في المجموعة .

ولقد دلت بعض التجارب على ان الافراد التي تعزل تماما عن المجموعة تتمتع بمعدل عال في نسبة الموت . اما تلك الاسماك المعزولة التي تنجو ، فانها حينما تصل الى سن تصبح فيه قابلة على التجمع في السرب تؤخذ وتوضع مع افراد السرب فتفشل في توجيه نفسها باديء الامر ولكنها ما تلبث ان تنضم الى المجموعة في غضون اربع ساعات .

وتدل تجارب أخرى على ان انجذاب فرخ من السمك الى فرخ آخر بواسطة الرؤية يتطور مع ظهور السلوك الاجتماعي . وفي هذه الحالة تكون للحركة اهمية كبرى في هذه العملية تفوق اهمية الالوان المحيطة بالسمكة ، واهمية النوع الذي تنتسب السمكة اليه . وتظهر أهمية الحركة على وجه الخصوص في أول عملية انجذاب بين فرخ وآخر .

وبما ان الاسماك تتجاذب حينما تكون متباعدة ، وتتنافر حينما تكون متقاربة ، فلقد فسر بعضهم المسافة الحاصلة بين سمكة واخرى ضمن المجموعة بأنها توازن بين عملية الجذب الناتجة عن حاسة الرؤية وبين عملية التنافر الناتجة ايضا عن الحاسة ذاتها . هذا ، ولا توجد ادلة صريحة حول تأثيرات الصوت او الرائحة او الطعم على السلوك الاجتماعي . ولكن الاجهزة الخطية

الجانبية (Lateral line system) تلعب دورا هاما في توجيه سمكة نحو أخرى وذلك بواسطة تأثر هذه الاجهزة بالموجات الصادرة عن حركة المياه حولها •

ان التجمع في أسراب هو سلوك تعتنقه اكثر انواع السمك لان له فوائد كبيرة من حيث كونه طريقة ناجحة للعيش مع انه لا توجد ادلة على كون هذا السلوك هو شيء اساسي بالنسبة للحياة • فمن نتائج تكوين الاسراب مثلا ، ظهور خواص عامة في الاسماك المجتمعة • فهي عموما ذات لون فضي ولها زعانف مسطحة صغيرة تتحرك بواسطة عضلات لا تسمح بحركة زائدة • فعلى سبيل المثال ، لا تستطيع هذه الاسماك الحركة الى الوراء • وهذه فائدة كبيرة لانها ترغم السمكة على البقاء في السرب • كما ان ظهور السمك بهذا الحجم الضخم (السرب بكامله) يربك العدو في كثير من الاحيان • وبوجود الاسماك مع بعضها يسهل البحث عن الطعام وتسهل عملية التكاثر (ولكن شو (Shau) وجد ان السرب يتألف اما من ذكور فقط او من اناث فقط في بعض الاحيان) كما ان السرب يزود افراده بطريقة اكثر فعالية من ناحية الحركة في الماء لان السمك يستفيد من الاضطراب الحاصل في الماء فيتحرك بسهولة اكبر موفرا بذلك قسما من قدرته التي يحتاج اليها عادة اثناء السباحة •

ومع انه من غير المعلوم فيما اذا كانت عملية تكوين الاسراب شيء مختص بالاسماك البدائية (من ناحية التطور) او بتلك الاسماك المتقدمة : فان بعض الاسماك التي تكون الاسراب هي من نوع تشريحي بدائي وبعضها ما هو متقدم من الناحية التشريحية •

المرجع : ١ ــ انظر مراجع مقال تلاؤم الاسماك مع البيئة والوظائف الحياتية (العرفان) ٢
Shau, E. 1962. the Schooling of F[illegible] Sc. Am. June.

نظرات في الصحافة وكتاب مواقف مع الصحافة العربية

عرض وتقديم : حسان الكاتب

اصدر الاستاذ ياسر الفهد عام ١٩٧٥ كتابه الاول « مواقف مع الصحافة العربية » الى جميع العاملين في حقول الصحافة والادب والتأليف والترجمة . وهو يضم في صفحاته الـ (٨٥) وطباعته الانيقة وغلافه الفني .. مجموعة من الدراسات والتعليقات حول قضايا الصحافة والنشر .

والملاحظ ان المؤلف اولى اهتماما زائدا للمجلات نظرا للدور المتميز الذي تؤديه في مجالات التثقيف والتوعية والاعلام في الوقت الذي ينصرف فيه كثير من القراء عن اقتناء الكتب المطولة ويقبلون بلهفة على الموضوعات القصيرة المشوقة في المجلات الدورية .

ويرى المؤلف في كتابه ان الاقبال على القراءة مرتبط ارتباطا وثيقا بتحسن مستويات المعيشة وارتفاع الدخول الفردية عند المواطنين العرب ، ولكن الى ان يتحقق ذلك ليشمل جميع الاقطار العربية ، يتوجب على المسؤولين في مجال الصحافة والاعلام ان يعملوا في اتجاهين :

آ ـ توفير اكبر كمية من الكتب والمجلات والصحف والنشرات وجعلها في متناول اولئك الذين لا يقدرون على شرائها ، اما بواسطة المكتبات العامة او على اساس اشتراك اجباري مخصص .

ب ـ تحسين مستوى الاعمال المنشورة في المطبوعات المختلفة حتى نجد القارىء متعة في مطالعتها ، وذلك من خلال التطوير الكتابي والصحفي

والفني للمجلات والصحف العربية بصورة خاصة •

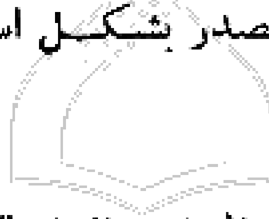
ويقسم الاستاذ ياسر الفهد المجلات الى ثلاث فئات :

١ ـ المجلات الجامعة •

٢ ـ المجلات الاختصاصية •

٣ ـ المجلات المتخصصة المنوعة •

كما يصنف المجلات من حيث الشكل الى مجلات عادية ـ ونشرات ـ وهي اما مصورة او غير مصورة وتصدر بشكل اسبوعي او نصف شهري او شهري او فصلي •



ويذكر على سبيل المثال بعض المجلات الجامعة في الوطن العربي •

العربي « الكويتية » ـ المجلة العربية « السعودية » الثقافة العربية « ليبية » ـ الاسبوع العربي « لبنانية » • ويرى ان هذه المجلات تقوم بدور عظيم في خدمة أهداف العلم والثقافة في الوطن العربي ، وليس هناك مجال لتفضيل واحدة منها على الاخرى فلكل منها نكهتها الخاصة وسحرها الفريد ويقترح تخصيص ابواب طبية ونفسية وقانونية للرد على اسئلة المواطنين في هذه الحقول الثلاثة •

اما المجلات الاختصاصية فهي :

آ ـ أدبية : كمجلات : البيان التي تصدر في الكويت والموقف الادبي ـ دمشق والآداب الاجنبية ـ دمشق « فصلية » الآداب كانت تصدر في بيروت الاقلام تصدر في بغداد الاديب كانت تصدر في بيروت الثقافة لصاحبها الاستاذ مدحة عكاش وتصدر في دمشق ـ الضاد لصاحبها الاستاذ عبد الله يوركي حلاق وتصدر في حلب منذ (٤٧) عاما •

ب ـ المجلات السياسية : مثل السياسة الدولية تصدر فعليا في القاهرة

شؤون فلسطينية ــ صوت فلسطين تصدر في دمشق والشورى تصدر في طرابلس الغرب •

جـ ــ المجلات الطبية : مثل طبيبك الخاص والدكتور تصدران في القاهرة طبيب العائلة تصدر في بيروت ــ طب الاسنان تصدر في دمشق طبيبك تصدر في بيروت •

د ــ المجلات الفنية مثل الكواكب تصدر في القاهرة الفنون تصدر في دمشق الموعد تصدر في بيروت الفنون تصدر في المغرب كل الفنون تصدر في طرابلس الغرب بليبيا •

هـ ــ المجلات العلمية : مثل المهندس العربي ــ المهندس الطليعي تصدران في دمشق ــ دنيا العلم تصدر في بيروت ــ العلوم كانت تصدر في بيروت ــ العلم تصدر في تونس •

و ــ المجلات الاقتصادية : مثل الاقتصاد ــ العمران ــ السياحة تصدر في دمشق الصناعة ــ التجارة ــ سعودية الصحيفة الزراعية ــ العمل ــ في القاهرة ــ المصارف والنفط لبنانيتان •

ز ــ المجلات التربوية : ومنها (التخطيط التربوي) لبنانية ــ الرائد ــ كويتية ــ المعلم العربي دمشقية تصدر عن وزارة التربية ــ المعلم الجديد ــ عراقية ــ رسالة المعلم ــ اردنية •

ح ــ المجلات العسكرية : مثل المجلة العسكرية والفكر العسكري تصدران في سورية عن وزارة الدفاع •

ط ــ المجلات الرياضية : ومنها الرياضة والحياة تصدر في دمشق •

ي ــ المجلات الدينية : جوهر الاسلام : تونسية التمدن الاسلامي ــ دمشق حضارة الاسلام : دمشق الارشاد المغربية الاسلام والحياة ــ مصرية •

رسالة الاسلام بغداد ـ البطريركية ـ دمشق ـ اليقظـة ـ حلب الكلمة ـ حلـب •

ك ـ مجلات المجامع والمعاهد الخاصة ـ اللسان العربي (مغربية) مجلة مجمع اللغة العربية وتصدر في دمشق ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد مجلة معهد البحوث والدراسات العربيـة ـ مجلـة المخطوطات العربيـة ـ القاهرة •

الفئة الثانية : تضم المجلات الاختصاصية المنوعـة كالنهضة الكويتيـة والمعرفة السورية وجيش الشعب السورية والشرطة والشبيبة ـ وجيل الثورة•

وهناك المجلات القضائية كمجلة المرأة العربية التـي يصدرها الاتحـاد النسـائي بدمشق والحسناء تصدر في بيروت •

أما مجلات الاطفال فهي : اسامة وميكي وسعد وتان تان •• الخ •

ويقدم المؤلف بحثا قيما في باب تطويـر المجلات والصحف ومما يقترحه في هذا الباب :

١ ـ الاهتمام بالمضمون الجيد والمستوى الرفيع للمواد المنشورة •
٢ ـ عدم تكرار الاسماء والغاء منطق النفعية •
٣ ـ مراعاة عامل التنوع والاتزان والتوازن بين المواد •
٤ ـ التشويق •
٥ ـ الوضوح •
٦ ـ الاخراج الجيد •
٧ ـ زوايـا القراء •
٨ ـ الانفتاح على الاقلام العربية •
٩ ـ ان تتاح للكتاب حرية الرأي •

١٠ ـ ان لا تكثر الاعداد الخاصة .

وفي بحث آخر يتحدث المؤلف عن عوامل النشر في الصحف والمجلات العربية وهو في نظره :

١ ـ شهرة الكاتب .
٢ ـ مكانته ومركزه الاجتماعي .
٣ ـ خطة المجلة ونهجها .
٤ ـ عامل المناسبة .
٥ ـ النظرة الشخصية .
٦ ـ عامل العرض والطلب .
٧ ـ النفعية والمصلحة والصداقات .
٨ ـ الكتاب الناشؤون وازمة النشر .

واخيرا لا بد من القول بأن هذا الكتاب اضاف للمكتبة العربية لغة جديدة في ميدان الدراسات الجادة في حقل الصحافة فهو يمثل نواة لكتاب قادم يضم تقديما وشرحا لعدد كبير ليس من المجلات فحسب بل الصحف العربية ايضا بحيث سيدرس اكثر من (٣٠٠) مجلة وصحيفة عربية وهو خلافا للكتب السابقة يقوم وينتقد ويزن ويقدم الاقتراحات البناءة بهذا الخصوص .

تتصف افكار الكتاب بالجدة لان موضوعاته ليست من النوع التقليدي الذي درس سابقا وافكاره مستخلصة من الخبرة الشخصية العملية للكاتب .

والمؤلف يقترح اخيرا اصدار مجلة سورية على غرار العربي والثقافة العربية والمجلة العربية ورفع مكافآت الادباء والكتاب وضرورة اعلام المجلات للكتاب بمصير اعمالهم وما اذا كانت ستنشر ام لا ؟

واذا كنا اليوم نقدم عرضا موجزا للكتاب مواقف مع الصحافة العربية فاننا نتطلع بلهفة الى صدور المؤلف الجديد « مواقف جديدة مع الصحافة العربية » حتى يكون مرجعا جديدا يضاف الى مكتبة الصحافة العربية والله الموفق .

دمشق حسان بدر الدين الكاتب

شفيق المعلوف في شعره المترجم

بقلم : وديع ديب

الشاعر الذي احدثك عنه ، ربيب بيت عريق في الشاعرية ، وابن عالم وسعت مكتبته آلاف الكتب من مطبوعة وغير مطبوعة . وقلما ترى اديبا او متأدبا ، يزور زحلة عاصمة البقاع ، ولا يحج الى بيت عيسى اسكندر المعلوف ، بالنسبة لما حوت خزائنه من نفيس المخطوطات النادرة . ولما له في قلوب زائريه من تقدير واحترام ولطالما حدثني ، يوم كنت مدرسا في الجامعة الاميركية ، عن نفائس المخطوطات التي ابتاعتها الجامعة منه . كما حدثني عن نجله شفيق ، فيما قام به من ترجمات ادبية بارعة الى لغة الضاد ، عن اللغتين البرتغالية والفرنسية . ومعلوم ان والد الشعراء فوزي وشفيق ورياض كان استاذا في الكلية الشرقية في زحله ، وكان ممن عهد اليهم بالترجمة في عهد فيصل ، يوم دخلت الشام في حوزته . وهكذا يصح في ما ناله هؤلاء الابناء النجباء من علم ومعرفة وشاعرية على يد أبيهم ، ما قاله الشاعر الكبير أمين تقي الدين في استاذه بطرس البستاني ، ومنها :

لبست عباءة الاعراب تزهو ... بها حتى بزت من ارتداها
أخذنا عنك عاطرة القوافي ... وفرقنا على الدنيا شذاها

في هذا المناخ الادبي ، نشأ شاعر عبقر شفيق المعلوف وعلى ضفاف البردوني من جارة الوادي درج وترعرع . في هذا الوادي الظليل الذي نظم فيه أحمد شوقي روائع قصائده ، والذي ينتصب فيه تمثاله دليلا على ما لهذا الوطن الجميل من فضل في خدمة الجمال . وكأني بشفيق عندما ترجم عن بعض اللغات الاجنبية الى لغة آبائه واجداده ، قد هدف الى امرين . الاول هو رغبته في توثيق أواصر القربى بين الشعبين العربي والبرازيلي ، أو بين الادباء من أبناء البلدين ، مع العلم ان المتحدرين من أصل أسباني ، لا يحتاجون الى كثير من وسائل التقريب والترغيب . ذلك انك تجد بينهم من يفاخر بنسبه العربي المشرقي . واما الهدف الثاني الذي رمى اليه الشاعر ،

ولعله الاول من حيث الاهمية ، فهو رغبته في توسيع آفاق الثقافة والخيال امام الاجيال العربية الناشئة . يحدثنا أساطين التاريخ الادبي ، ان بعض الخلفاء في العصر العباسي من أمثال هارون الرشيد وولده المأمون ، كانوا قد شجعوا كثيرا كبار المترجمين على نقل شتى علوم ذلك العصر من طب وكيمياء وهندسة ، الى لغة الدولة من أجل توطيد دعائمها على أسس علمية راسخة وتوسيع آفاق الباحثين في كل حقل من حقول المعرفة . على انه قلما تجد مترجما في ذلك العصر ينصرف الى ترجمة روائع الشعر او النثر عن أية لغة أعجمية ، كما يشير الى ذلك ، أديب العصر العباسي الجاحظ ، في كتابه البيان والتبيين . ومما يجدر ذكره ان الجاحظ اشترط في المترجم ان يكون متمكنا من اللغة التي ينقل عنها ، تمكنه من اللغة التي ينقل اليها ، بحيث لا تأخذ احداهما من الثانية او تغلب عليها . من هنا ، جاءت ترجمات شفيق المعلوف على غاية من الصدق والروعة ، لاخذه بأسباب اللغتين ، في شاعرية لا يرقى اليها الشك . بقي ان اشير الى ان الرغبة في الترجمة عن الغير دليل على تواضع الشاعر ، كما هي دليل ساطع على ثقته بنفسه . ان أحب ما كان يتحلى به هذا الشاعر الملهم هو تواضعه الذي يقربه من كل قلب خافق بالوفاء . حسب المستمع المتشوق الى سماع بعض روائعه المترجمة ، أن يصغي اليها بجميع جوارحه ، وان يتلمس ملامح الجمال هذه ، في الحرف الوضيء والكلمة الندية الوارفة ، والنغم الشجي والقصد النبيل . ان في شعره ما يرقى به الى أريكة النبوة وما يلامس عتبات الوحي ، وما يرتفع بخورا في معابد الحكمة . من هذه ، ما نقله عن الشاعر اولاغو بيلاك ، حيث يقول :

أساي لعمر يمر جزافا ... وحب يموت ولم يولد
فحبك خادعت نفسي به ... فطال الزمان ولم أسعد
فلما ضللت طريق طموحي ... وضيعت بين يديك غدي
لعنتك لعنة من نال منه ... اذاك وان كنت لم تقصدي

وعن الشاعر كاسترو ألفيس قوله :

أيا منزل الآباء أصبحت خاليا ... وقد كنت في ثوب من الزهو فضفاض

خلوت لكل الناس الا لناظري وانست عودي رغم هجري واعراضي
فأطلع لي خاليك أطياف من مضوا بأسرع مـن فتحي لجفنـي واغماضي
وحدث فيك الصمت قلبي مرددا علـي اماني الخوالـي واغراضي
تفر لخطوي الذكريات كزمـرة من الطير قد اجفلن مـن بين انقاض
فتعبر بـي لمسا باطراف ريشها وترتـد عنـي عائدات الـى الماضي

ومما نقله من الشاعر لويس دي فونسكا ، الابيات التالية ، وكأنما هـي فيض من الابتهال :

الا دع يـد الآمال تلقـي ذرورها على قلبك المجروح مسكا مطيبـا
وكن مثل قلب الارض لو لم يفتحوا به الجرح فوق الجرح ما كان اخصبا
وكن كقضاء الـلـه ان يرشق الورى حجارتهم لـم يبلغـوا منه مأربـا
وكم حجر يرمي بـه العبـد ربـه يصيـر اذا مس السموات كوكبا

يقول طاغور في قصة « الانتصار » : « ان للشعر الخالد منابع ثلاثـة ، هي : الله والطبيعة والقلب البشري » . بمعنى ان الاديب الـذي لا يستوحي الحق فيما يكتب والجمال فيما يصور ، ليس جديرا بالخلود ، الذي يصبو اليه في غمرة الفيض والعطاء . وهكذا فان شفيق المعلوف استطاع بما وهبه اللـه من نعم السماء ، ان يرتفع الى مشارف الحق والجمال . وان يبـغ على الشعر المترجم أصالة الوضع والابداع .

بيروت وديـع ديب

❋ ذكر علي بن عبيدة القلم فقال : اصم يسمع النجوى ، اعيـا مـن باقل ، وابلغ من سحبان وائل . يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ويجعل الكتب بين الاخوان ألسنا ناطقة واعينا لاحظة ، وربما ضمنها من ودائع القلوب مالا تبوح به الالسن عند المشاهدة .

عبد الرحيم قليلات

(١٨٨٤ - ١٩٤٢)

بقلم : فوزي سابا

شاعران اشتهر شعرهما الاجتماعي منذ العشرينات مـن القرن العشرين على اختلاف نمطهما البياني : هما عمر الزعني الشاعر الشعبي وعبـد الرحيم قليلات الذي حافظ على العمود الشعري بكل مـا فيـه مـن وزن وقافيـة وفصاحة .

ولد عبد الرحيم قليلات في بيروت سنة ١٨٨٤ وتلقى علومه في مدارس جمعية المقاصد الخيرية ثم في الكلية السلطانية متتلمذا علـى الشيخين عبـد الرحمن سلام ومحيي الدين الخياط فنال شهادتها سنة ١٩٠١ مما اهله للالتحاق بالجامعة الاميركية حيث درس فيها اللغة الانكليزية مـدة سنتين ؛ هاجر بعدها اي سنة ١٩٠٢ الى مصر مدرسا حتى سنة ١٩٠٥ وملازما الازهر الشريف فـي اوقات فراغه او متحلقا مع كبار الادباء .

سنة ١٩٠٥ انتقل من التعليم الى الوظيفة ، مـع حكومة السودان فانتقل الى الخرطوم لكن الادب والصحافة كانا في دمـه فانشأ سنة ١٩١١ جريدتـه « رائد السودان » التي عرفت بصبغتها الوطنية ولانهـا كانت ملتقى اقـلام رجالات الفكر العربي اثارت حفيظة السلطات على صاحبها مما اجبـره عـلى ترك الوظيفة والسودان والعودة الى بيروت سنة ١٩١٤ اي عند ابتداء الحرب العالمية الاولى وكان ان جند في الجيش العثماني وارسل الـى طرابلس الغرب حيث وقع اسيرا سنة ١٩١٥ وبقي الى سنة ١٩١٩ حتى افرج عنـه وعاد الـى بيروت سنة ١٩٢٠ فعين مفتشا لبلديتها وفي عام ١٩٢٢ تسلـم مديرية الشرطة اللبنانية وبقي فيها حتى سنة ١٩٢٩ عندما قدم استقالته لاسباب سياسية .

بعد الاستقالة قضى بعض السنوات في بيروت ثم باع املاكه وقام سنة ١٩٣٣ برحلته الكبرى الى الهند وسيلان واندونيسيا ومنها توجه الى اليابان وبقي يتجر مدة اربع سنوات تخللتها رحلات وزيارات لاميركا وافريقيا الغربية ليعود ثانية الى لبنان سنة ١٩٣٨ ، اما رحلته الصغرى او بالاحرى رحلاته الصغرى ، فكانت تقتصر على اوروبا ومصر •

في المدرسة تعلم اللغات العربية والتركية والانكليزية والفرنسية ، وفي الاسر تعلم اللغة الالمانية من زملائه الاسرى الالمان ، وفي رحلاته تعلم اللغتين اليابانية والاندونيسية ، وبذلك ملك قدرة على استيعاب الآداب المختلفة من مصادرها الاصلية ولغاتها الام ، مما زادت سجاياه الشعرية صقلا •

عرفناه خطيب المنابر وشاعرا بقامته الطويلة وجسده الجبار الذي غلبت عليه السمنة وقد تكون هي السبب في رحيله المبكر عنا ، كما كان لها تأثير في طباعه الرضية التي اكتسبته ذلك الظل الخفيف والبديهية الحلوة فعرفت مجالسه بالانس •

اذكر فيما اذكره عن عبد الرحيم قليلات انه دعي للخطابة خلال شهر رمضان المبارك ، فلما اعتلى المنبر ، بقامته الفارغة وجسده الجبار ، دوى التصفيق فانحبكت له النكتة ، قال الاصل في الحق يقع على صاحب الدعوة التي وقعها في رمضان المبارك ، الذي له تأثير كبير فيه ؛ ودل على جسده واشار الى السمنة المرتاحة عليه ، فصائم رمضان من امثالي وفاطره ابدا منكد، ان جاع تذمرت معدته ومتى فطر زادت تذمرا ، ثم القى قصيدته المشهورة ــ حليم وسليم ــ التي ما زلت اذكر منها قوله :

كلنا اخوة وما الفرق الا غلط في حسابنا موهوم
غلط اصل جمعه الطرح والضرب بهذا او ذاك والتقسيم
غلط لا يضل عنه لبيب غلط لا يشك فيه فهيم
كلنا اخوة وما الوطن الواحد الا بيت الاخاء العظيم
كلنا في حمى المحبة اهل ها هو المذهب الصحيح القويم

بهذا الروح نظر الى المجتمع ، بروح الانسانية والمحبة ، فجاء شعره للاصلاح الاجتماعي ولا سيما في تلك الفترة القلقة التي اصابت لبنان ، وكان احوج ما يكون لمن يضمد جراحه ويزيل رواسب التفرقة التي استملكته خلال اعصر الانحطاط وزادتها الحرب العالمية الاولى استمساكا ، فكان لا بد له من مصلحين امثال عبد الرحيم قليلات الذي جند نفسه من اجل الوحدة الوطنية محاربا كل ما يساعد على التفرقة سيان أكان عنصريا او دينيا او اجتماعيا ، لذلك لا نجد له الا القليل من الشعر الغزلي الذي كان يأتي به عرضا ، امثال قوله :

قسما بالحب اني مغرم ويمين الحب لي خير يمين
اتراهى بين يأس ورجا ورجائي بين شك ويقين

او قوله :

قدك البان وما شعرك الا غاب ايك
ردد الورق عليه لحن اشواقي اليك
والخزامى حول انسان الدجى من ناظريك

ايمانه بالقضية الوطنية والواجب الذي فرضه على نفسه لمداواة الامراض الاجتماعية ملكا حسه ولم يتركا له متسعا للنظر الى الضروب الشعرية الاخرى لكأني به على لسان عمر بن ابي ربيعة في قوله :

قالت وابثثتها سري وبحت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولي ، فقلت لها غطى هواك وما القى على بصري

هكذا غطت العاطفة الوطنية على كل حواس عبد الرحيم قليلات وصهرت طاقاته كلها في طاقة واحدة هي الناحية الوطنية والاجتماعية ، فجاء ديوانه « الهيام » خطا واضحا للوطنية المثلى والتضامن المطلق من اجل العمل البناء فصدره بقوله :

رب يا ذا الجلال والاكرام لك حمدي وفي رضاك هيامي

حسب شعري يا رب وحي شعوري حاطه منك صادق الالهام
وخيالي قد هام في كل واد رب فاسلك به سبيل السلام
دنت بالحب راعيا كل دين وكفى ان رائدي اسلامي

هذا هو اهداء الديوان مرسل مطاق الى الله جل جلاله ، اما باقي القصائد التي تقع في ثلاثمئة وست وعشرين صفحة فانها تداوي امراض المجتمع اللبناني على شتى انواعه .

في هذه الابواب تظهر شاعرية عبد الرحيم قابلات فنجد السهولة والوضوح في الكلمة وفي المعنى ، ليأتي شعره هذا موازيا لما نسميه بالسهل المتنع الذي لصدقه ورقته يدخل القلوب ويؤثر فيها حتى الاستملاك ، بعدما جعل شعاره :

هو رب كل العالمين فيا ترى ما الفرق بين موحد وموحد

كما اتخذ شعاره ايضا :

ما هيامي الا بربي وقومي ولساني افخر به من هيام

ولكثرة امراض المجتمع انذاك طرق ابوابا من الشعر قل من طرقها من الشعراء لنجد شعره مخططا لمعالجة هذه الامراض كل على حده : من التسامح الديني الى تعليم المرأة الى رفع مستوى العمال الى التضامن الوطني . فيقول من قصيدة عنوانها في سبيل التوحيد :

بل اي يوم فيه اقوام الملا يسمون بالقلب المؤلف واليد

ويقول في المرأة :

انا للمرأة الضعيفة عمري مخلص صادق وفي العهود
اتمنى لها نهوضا سعيدا يتحلى بطيب عيش سعيد
غير ان النهوض ما اتصان الا بلباس التقوى وكسر القيود

ولانه مؤمن بالاصلاح الاجتماعي ؛ وبالرغم من تقلبه في الوظائف الكبرى الحساسة ، فانه كره السياسة ، ربما لانها تشغله عن واجبه الاجتماعي، فيقول من قصيدة :

دعني فمالي في السياسة ناقة تطلي ولا جمل يلمث بقارها
حظ المقامر والمغامر باسمها سيان حول غمارها وقمارها

تحللت المرونة في شعر عبد الرحيم قليلات الذي جاء كما النجاوى او انه عتاب الاحباب للاحباب ولان حبه لامته كان مشرقا فقد اضاء له حتى اكثر السبل ظلمة ، وبذلك تفتحت له ابواب اهلته للدخول الى الاذهان التي ما زالت عالقة برواسب الماضي الجاهل فكان يتخير المواضيع التي توافق هذه الطبقات مثا نقوله من قصيدة بعنوان ـ فلاح وشيخ معلم ـ التي بالرغم مما فيها من الفكاهة فقدت زاد مغزاها على فكاهتها :

تجادل فلاح وشيخ معلم على اجر تعليم ابنه مثل اقران
فقال له الفلاح اجرك باهظ بني لحقلي والنقود لجزداني
بها اشتري ما اشتهي او يكون لي حمار فقال الشيخ لا بل حماران
اتفهم قصدي يا ابا ابن مضيع حمارك هذا واحد وابنك الثاني
فقال له يا شيخ صاروا ثلاثة ورابعهم سلاب مال يعرفان

لقد جمع عبد الرحيم قليلات كل طاقاته وظرفه وادبه وعلمه وحولها الى الاتجاه الوطني الذي ارتسم في قلبه وظهر جليا في شعره فاذا عنوانه لبنان :

ان كان اخطلها لعيسى ينتمي فانا ورب محمد حسانها
ديني محبتها وايماني بها وعقيدتي لبنانها لبنانها

سادات الظرف والاخلاص هؤلاء سلسلة متماسكة الحلقات في البناء وعلى اقلامهم بقي الاشعاع اللبناني مستمرا او متصل البت ، وعبد الرحيم قليلات واحد منهم •

بيروت فوزي سابا

مع الأعلام

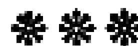
لونغفيلو : شاعر الاسرة

بقلم : سمير شيخاني

في مطلع القرن التاسع عشر كانت نيو انغلاند موطن البحارة ، والتجار والفلاحين ، والرواد ولم يكن هؤلاء يشكون لا من فرط الثروة المادية ، ولا من مصاعب الفقر المدقع • وكانت أرضهم خضراء خصبة ، همهم بناء المستقبل بدلا من التنقيب في زوايا الماضي ، لا يبالون بالالقاب •

كانوا يتميزون بالعناد ، والنشاط ، وقوة الشكيمة ، ويفخرون بمنجزاتهم المادية والادبية ذلك بأنهم رضوا قارة ، وانشؤا ديموقراطية • ومع ذلك كانوا مبعث احتقار بسبب الخلال والمزايا التي جعلتهم فريدين في نوعهم بين سائر الاجناس البشرية • فشعوب العالم القديم كانت تنظر الى سكان العالم الجديد على انهم جماعة من بناة الطرق ، ذوو سواعد مفتولة ، وعقول متحجرة ، اناس يصارعون المساحات الشاسعة من الارض ، ولا يبالون قيد أنملة بمساحات الروح الاكثر اتساعا •

وقلما خطر ببال أحد ان روح الانسان يمكن ان تتغذى في مجاهل أميركا • وقد كانت نيو انغلاند من الناحيتين الادبية والثقافية مستعمرة بريطانية حتى زمن طويل من احرازها استقلالها السياسي • ولكن شيئا فشيئا خاضت معركتها ، وحققت انتصارها في حرب تحررها الثقافي • وكان بطل هذه الثورة الاميركية الثانية البيضاء هنري وادسورث لونغفيلو •



أبصر هنري لونغفيلو النور في سنة ١٨٠٧ في بورتلاند بولاية ماين ،

في أسرة عريقة من أسر انغلاند . وقد لمع أجداده في الميدانين العسكري والقضائي في تلك المنطقة الاميركية . وكانت دراسته ارستقراطية مثل أصله . وقد نشيء منذ حداثته على « عادات الاحترام ، والطاعة ، والايثار ، والابتعاد عن الاستدانة ، والقيام بالواجب بكل اخلاص » . وفي كلية بودوين التي التحق بها قبل بلوغه السادسة عشرة « كان دائما مثال الجنتلمن في تصرفاته ، وحركاته وسكناته .

نشأ في بيت قوامه الكتب ، الموسيقى والاحاديث الابية ، فلا عجب ، ان هو بدأ بقرض الشعر ، في سن مبكرة . وفي الكلية ، عقد العزم على احتراف الادب ولكن والده ، في رسالة بعث بها اليه ، وهو في كلية بودوين حذره من سلوك هذا السبيل ملاحظا أنه ليس في أميركا ، ثروة تكفي ، للقيام بأود الاديب، سوى أن الاب ، لم يستطع ان يخفي وجه الاديب الفنان ، الذي كان له . فأنهى الرسالة التي بدأها بالتحذير العملي ، الواقعي بنقد شعري اذ كتب يقول لابنه :

لقد قرأت قصيدة في صحيفة « الغزيت » الادبية الاميركية عرفت من التوقيع انها لا بد ان تكون بقلمك . انها حقا ، قطعة رائعة ، وقد استمتعت بتلاوتها . ولكنك تلاحظ أن الشطر الثاني في البيت السادس مكسور .

وفي حين كان لونغفيلو يحاول ان يتخذ قرارا حول مستقبله العملي ، تدخل القدر ليضعه من أجله . فقد شغر كرسي اللغات الحديثة في كلية بودين . فعرض عليه التعليم بعد تخرجه ، شرط ان يقوم برحلة في أرجاء أوروبا يدرس فيها اللغات المختلفة في مواطنها . وقد أبحر الى أوروبا تحدوه رغبة الشاعر الشاب ، عملا بالمبدأ القائل ، « ان الانسان يتضاعف بقدر ما يتعلم من اللغات ويتقن » .

وهبط فرنسا في بادىء الامر ، وكتب من بودوين يقول ان الحالة على أفضل ما يرام :

« يمكنني في كل لحظة الاصغاء الى الاحاديث الفرنسية لان الفرنسيون دائمو الكلام » .

وتنقل في رحاب البلاد حاملا النـاي ، مازجـا بـين دروسه الادبيـة والموسيقية . وطاف أرجاء اسبانيا ، وايطاليا ، وألمانيا ، فكان في كل مكـان يستقبل أفضل استقبال نظرا لروحه الطيبة التي كانت تنير له الطريق ، لكـأن ملامحه كانت في حد ذاتها « رسالة توصية » .

ولم تكن قدرته على اتقان اللغات لتقل عن تأثير شخصيته . فبعـد ثلاث سنوات من الدراسة في العالم القديم قفل عائدا الى بورتلاند ، فاذا هو خبـير باللغات ، قدير . سوى انه رفض القبول بغير درجة استاذ في كليـة بودوين . وقد أقر مجلس الامناء في الكلية المذكورة تعيينه في هـذا المنصب التعليمي الرفيع في أول أيلول من سنة ١٨٢٩ ، وكان بعـد في الثانيـة والعشرين من عمـره .

وفي الكنيسة ، صباح يوم من أيام الاحد ، لاحظ ان ماري بوتر التـي كانت زميلته في الدراسة ، والتي غابت عن أنظاره طوال سنين ، قـد أصبحت صبية حسناء . فهرع الى شقيقته يرجوهـا بوقار الاستاذ ان تعرفـه بالآنسة بوتر . وبحميا الشاعر كسب قلب الآنسة بوتر ، وحملها على ان تصبح زوجته . وقد أقام الاستاذ الشاب وزوجته في منزل ريفي جميل في ظلال شجر الغرغار ، حيث كان كل ما يحيط بهما يرفع انشودة الفرح لملاقاة الشمس الطالعة .

***

وكان لونغفيلو بعيد الطموح ، لم يكتف بالبقاء استاذا اللغات الحديثـة في كلية بودوين ، بل أراد ان يصبح عاملا نافذا في قولبة الادب الوليـد فـي بلاده . فقد كان الاوروبيون يتهمون الاميركيين بأنهم منهمكون في مشاريعهم المادية البحت ، لاهين عن كل ما عداها . وكـان لونغفيلو شديـد الحساسية بالنسبة الى هذا الانتقاد . ورأى ان يوحد جهوده وجهود زملائه المغامرين في

ميدان الروح ، أمثال : كوبر ، وبرايانت ، وآيرفنغ ، ووتيار ، لكـي يجند مواطنيه • وغايته من ذلك ان يبرهن لهم ان المجد الحقيقي لامـة من الامم لا يكمن في فتوحاتها الطبيعية ، بل في آفاق منجزاتها الفكرية والادبية • صحيح ان مواطنيه كانوا يشيدون هيكلا رائعا للحضارة ، الا أنه كان جسما بلا روح، وقد شاء لونغفيلو ان يكرس نفسه ، بالاشتراك مع زملائه المربين ، لاقامة صرح لروح الثقافة الاميركية • وفوق كل ذلك كان يرغب فـي خلق أدب أميركـي لجمهور أميركي • ولكن واجباته التعليمية كانت في تلك المرحلـة من حياتـه تستنفذ منه معظم وقته• وقد ازدادت هذه الواجبات عندما استقال البروفسور تكنور ، استاذ اللغات الحديثة الشهير من منصبه في جامعة هارفرد ، وعـرض على لونغفيلو الحلول محله شرط ان يزور مجددا المراكز الثقافية في أوروبـا لتوسيع أفقـه •

وقام لونغفيلو برحلته الثانية الى اوروبا ، فتعرف هذه المرة الى توماس كالاريل وروبرت براونتغ ، وكانت ترافقه زوجته الحسناء فكانت رحلة ممتعة للغاية ، زارا خلالها انكلترا واسوج والدانمرك وهولندا ، ولكن هذه السعادة لم تدم طويلا اذ توفيت زوجته ماري في صباح يوم أحـد في روتردام فـي هولندا دون ان تتألم فقد وضعت طفلا قبل الاوان وتألمت طوال ثلاثـة أسابيع ألما جسمانيا وعانت عذابا فكريا ، كبيرا وقبيل وفاتها ذهبت عنها آلامها ، مـع أنها بقيت بكامل وعيها ولم يفارقها هنري في تلك الايام العصيبة ، بـل كـان يجلس بجانبها على السرير ممسكا بيدها مراقبا نفسها الذي كان يضعف شيئا فشيئا وقبل ارتحالها عن هذا العالم بدقائق معدودات ، طوقت عنقه بذراعيها ، مرددة :

« أيها العزيز هنري ، لا تنسني ، ثم أغمضت عينيها وابتسمت وادعة »• أنا لست ميتة ولا أنا نائمة ، لقد استيقظت من حلم الحياة » •

تلك كانت الضربة المفاجئة التي أحنت رأس الشاعر • فجمع ملابسهـا ، وأرسلها الى شقيقتها في أميركا ، مرفقة برسالة طواها عـلى الالـم الـذي استشعره وهو يقوم بذلك الواجب • وما ان تقض يديه من رسالته الى شقيقة

زوجته الراحلة حتى أكب على دراساته في الادب الالماني . وعاد بعد اثني عشر شهرا الى أميركا ليتولى منصب استاذ اللغات الحديثة في جامعة هارفرد . وفي شتاء سنته التاسعة والعشرين هبط كيمبريدج وأقام في قصر كريجي التاريخي الذي كان في وقت من الاوقات مقر قيادة الجنرال واشنطن خلال حصار بوسطن في حرب التحرر . وما ان انقضت سبع سنوات على اقامته في هذا القصر حتى تزوج ثانية . من فرنسيس اليزابيث آبلتون ابنة أحد تجار بوسطن ، كان قد قابلها في سويسرا بعد وفاة زوجته الاولى . وكانت صبية ــ « نادرة الذكاء وفي عينيها عمق » . وكانت هدية العرس صك استملاك للقصر الذي ابتاعه لهما والدها التاجر .

وبدأت الشهرة تحلق في هذا القصر بأجنحة خفاقة . فقد نشر لونغفيلو ديوان شعر يردد صدى روح الشاعر الالماني غوته ، وايقاع الملاحم الاسكنديناقية . كان يجد في كل عمل يومي عظة لفلسفة ايمان كونيه . ولم تكن فلسفة انسان محظوظ لم يفكر قط ، ولم يتألم . فقد تجرع لونغفيلو كأس الحزن والاسى حتى الثمالة . ومن خلال حزنه ، حقا ، بلغ حكمته . ومن خلال شعره تشوق الى مشاطرة سائر البشر حكمته . وكان تعليمه الجامعي ثانويا ومرهقا ، وقد وصفه بقوله :

ان العمل الجامعي أشبه بيد كبيرة تضغط على كل اوتار قيثارتي .

ولما أيقن ان رتابتها تهدد نضارة اناشيده استقال من الجامعة ، وانصرف بكليته الى العمل الادبي . وبدا له طبيعيا ان تنسج الحكايات الاميركية من الفولكلور الاميركي نفسه ، تماما كما تشيد الاكواخ من اشجار الصنوبر الاميركية . وهو عندما نبذ جسم الماضي الهامد احتفظ بروحه الحية . أخذ خمرة العالم القديم اللذيذ وصبها على مآدب العالم الجديد ، حتى بات يحمل لقب «شاعر الشعب» .

كان لونغفيلو شاعر الاسرة ، والسكون ، والسلام . ومع ذلك عاد الى قلبه الضباب والثلج والحزن . فقد قام الموت بسلسلة من الغازات على أسرته، ولكن بقدر ما كان الموت ينتزع ، كانت الحياة تمنح وتجدد .

ملاكان : ملاك الحياة وملاك الموت ، مرا فوق قريتنا .

فلما قام أبوه وأمه برحلة الليل الطويلة ، غردت في الفجر ثلاث بنات هن اليس ، وايدين ، واليغرا .

الا انه في أحد أيام الصيف من سنة ١٨٦١ ، رجحت احدى كفتي ميزان العدالة في غير مصلحته ففي ذلك اليوم يقف الشاعر متأملا الشمس المحيية ، رافعا شكره للخالق ، كانت زوجته في قاعة المكتبة منهمكة في تجعيد شعر صغارها بحديدة محماة على نار شمعة .. فاشتعل ثوبها ، وباتت كتلة من النيران في لحظات قليلة . فهرولت الى الخارج لانقاذ الصغار . وهرع الزوج من مكتبه على الصياح لنجدتها ، وطوقها بذراعيه ونجح جزئيا في اخماد النار . ونقلت الى السرير فريسة الالم المبرح ولكنها أسلمت الروح في اليوم التالي .

وراح الشاعر يذرع قصر كريجي طولا وعرضا ، وهو يكاد يجن من فرط اللوعة . لقد آثارت غيرة الآلهة كأس السعادة الطافحة ، فكان يردد مغمغما : « لقد كنت سعيدا كثيرا .. سعيدا كثيرا .. » ولم يستطع نسيان تلك المأساة المفجعة وهو يسير في دهليز العمر « في الليالي الطويلة المسهدة » .

ومرت الاعوام ، فاذا هو ما يزال حزينا في قرارة نفسه ، ولكنه لم يفقد سكونه واتزانه الظاهرين . ولطالما تمنى الا يؤثر الزمن في عقله ، او يفقده القوة على الانشاد . ولم يخب أمله هذا . فقد بقي لأزهار خياله أريجها في خريف حياته . فبعد وفاة زوجته الثانية عكف على ترجمة رائعة دانتي « الكوميديا الالهية » . شعرا الى الانكليزية . ذلك بأنه ، كالشاعر الايطالي الاشهر ، قد نظر الى خيال بياتريسه في السماء . وقد نقل هذه الملحمة بمعدل نشيد واحد كل يوم ، وكان فراغه منها سنة ١٨٧٠ .

وقام بزيارة أخيرة الى اوروبا ، فاستقبل استقبالا لم يعرفه قط أي أميركي قبله . وقد استوقفه أحد العمال في الشارع ، وتلا على مسامعه قصيدته « مزمور حياة » . وعندما زار قصر الملكة فيكتوريا في لندن :

اختبأ الخدم وراء الستائر ليتأملوا ذلك الرجل الوقور ، ذا الوجه المشع كالقرنفلة ، تحيط به لحية بيضاء فضية ، وشعر من اللون ذاته ، والشاعر الذي حفظوا عن ظهر قلب قصائده المفعمة بالامل …

***

وفي الذكرى الخمسينية لصفه ، في كلية بودوين التقى بزملائه القدامى وقرأ عليهم قصيدة للمناسبة بصوت ضعف من السنين ، ولكنه ما يزال فتيا بالامل . ثم تحدى الموت مرددا : « نحن الذين بتنا على وشك ان نموت نحييك غير جذعين » وتجمع الزملاء القدامى في غرف الدرس السابعة ، وتمشوا في الملاعب ، متجاذبين أطراف الحديث ثم ودع بعضهم بعضا بعد صلاة قصيرة . ذلك بأنهم أيقنوا أن صف سنة ١٨٢٥ لن يتاح له بعد أن يجتمع افراده الذين بلغوا من العمر عتيا .

ولكن الشيخوخة بالنسبة الى الشاعر لم تكن لتقل عن الصبا من حيث الفرص التي تتيحها له . فالنجوم لا تشع الا في الليل ـ انها في النهار لاترى . وقد بقي هناك عمل كثير لانجاز الهيكل الجميل للروح الانسانية . وبقيت هناك ألحان كثيرة تنشد بعد انسدال ظلال المساء . ولا عجب ، فهو في الخامسة والسبعين من العمر ، ولم يعش الا لحظة من يوم الابدية . في الخارج كان أحفاده يلهون في الشارع ، والعصافير تبعث الموسيقى في الحقول المجاورة . وسيبقى هناك أولاد يلعبون في الشوارع ، وعصافير تغرد في الحقول .

ودقت ساعة القرية ، فتنبه الشاعر من نومه ، ونظر بهدوء الى التماثيل الرخامية النصفية المنتشرة حوله في القاعة . وكان ثمة غرزة رقيقة في عين غوته ، وبدا كأن صوتا يخرج من بين شفتيه : « احمليني أيتها الابدية العظيمة !… »

ونهض الشاعر واقفا ، وأطفأ الشمع . ثم صعد الى الطبقة العليا لينام ، وكان ذلك في ٢٤ آذار سنة ١٨٨٢ ، فرقد رقاده الاخير .

سمير شيخاني

الحمل الاقرن

تاليف : ش. بيشيناليف
ترجمة : عيسى فتوح

عزيــز

كان عزيز ابن راع ، يعيش في مراعي الجبال صيفا وشتاء ، يرعى والده الغنم طوال النهار ، بينما تبقى أمه في الخيمة المغطاة باللباد ، تطبخ الطعــام ، وترفو الثياب . وعندما يأتي المساء ، تساعــد زوجها عــلى ادخال الغنم الــى الزريبة ، لتنفق فيها الليل .

ما ان يصبح آخر خروف في الزريبة ، حتى يدخل والد الصبي الـــى الخيمة ويرفع عزيزا الصغير ثم يبدأ بدفعه في الهواء .

صاحت زوجته القلقة : « قف ! ستوقعه ! » .

ضحك والده قائلا : « ابن راع يجب أن يكون شجاعا وقويــا ، سيكبر حالا ، ويمتطي حصانه كأنه الريح ، سيكون راعيا حقيقيا ! » .

بسطت أم عزيز ذراعيها اليه وراحت تدعوه :

« تعال ، تعال » .

لكن عزيزا شعر بأنه سعيد جدا مع أبيه : كان كبيرا وقويا ، تفوح مــن ثوبه رائحة صوف الغنم ، والدخان المنبعث من نار الخيمة .

قال والده صباح يوم جميل : « سآخذ عزيزا معي الى المرعى اليوم » .
أجابت أمه : « كلا ، انه صغير أكثر من اللازم » .

تجادلا فترة ، ثم قررا أن عزيزا سيكون من نصيب من يخف اليه أولا •

وهكذا وضعا عزيزا بينهما ، في وسط الخيمة ، وأخذ كل منهما يدعو الصبي اليه : « عزيز ! تعال الي ! » •

نظر عزيز الى أمه ، الى ذراعيها المبسوطتين ، ورأى كيف رنت اليه بعطف ثم نظر الى أبيه ، الى راحة كفه الكبيرة يمدها اليه ، فاندفع نحوه بلا مقاومة •

قال له أبوه : « سأعلمك أن تركب ، وترعى الغنم » •

غادرا الخيمة • امتطى الاب حصانه ، وهو يضع عزيزا أمامه ، واتجها نحو قطيع الغنم الكبير ، يتحدثان بسعادة غامرة •

أما أمه فقد بقيت عند باب الخيمة ، تتبعهما بنظراتها ، ثم صبت قليلا من الحليب في جرة ، ووضعت بضعة أرغفة من الخبز في كيس ، وانطلقت خلفهما •

عزيز يصبح راعيا

تلك أول رحلة قام بها عزيز الى المراعي • لم يكن ثمة شيء في الدنيا أحب الى عزيز من ان يركب فوق السرج مع أبيه ، ويرعى الغنم • ذلك لان حياته في الخيمة ، الى جانب أمه ، لم تتح له أن يرى شيئا على الاطلاق ، الا الغنم ، أما الآن ••• فصار يدس رأسه من عباءة أبيه كفرخ سماني من عشه • جلس فوق غطاء السرج الخمري ، على حصان ضخم •

هزه الحصان فتهادى كأرجوحة • ظن أنه أصبح الآن أطول بكثير من ذي قبل ، حتى الجبال التي كانت تخيفه وترهبه دائما ، بدت الآن رائعة المنظر ، لقربها منه •

حين لمس أوراق الشجر ، حرك يديه بفرح قائلا :

« آه ! انظر الى الشجرة ! » .

سمى له أبوه الاشجار والشجيرات واحدة واحدة : « تلك شجرة شربين ... تلك بيتولا .. تلك عرعر .. تلك نسرين .. وتلك صريمة الجدي » .

كرر عزيز وراءه : « شجرة شربين ... بيتولا ... عرعر ... » أراد أن يتعلم أسماءها كلها في الحال ، لكن كيف يمكن أن يعددها بسرعة ؟

عندما مرا بجرف صخري عال ، رأى عزيز شلالا ينهمر فوق الصخور . كان الماء أبيض من كثرة الزبد ، وقد ملأ هديره الجو .

صرخ عزيز : « انظر الى المـاء ! » .

شد أبوه الحصان ، وثنى شعر الصبي المجعد .

قال مبتسما : « ذلك شلال » .

نظر عزيز الى أبيه بدهشة :

« شلال ؟ » .

« نعم ، شلال يعني الماء الساقط . انظر اليه يهوي من الجروف الصخرية هنـالك » .

صاح عزيز ، وهدير الماء الساقط يحجب صوته :
« شلال ! شلال ! » .

كل يوم كان عزيز وأبوه يركبان الى الجبال ، حيـث يكتشف الصبـي شيئا جديدا .

عزيز يفتقد والـده

ركب عزيز مع أبيه طوال النهار ، فافتقدته أمه كثيرا ، لكنها اعتادت بعد مدة على غيابه .

عندما كان الاب وابنه يعودان بالغنم من المرعى مساء ، كانت أم عزيــز تخف للقائهما ، فتنزل عزيزا عن الحصان ، وتحمله الى الخيمة ، سعيدا متعبا ، فينام في الحال ؛ ويحلــم بالشلالات وبشجرة التنوب العاليــة في الجبــال ؛ وبالغنـــم •

لم يوقظه أبوه ذات صباح ، وعندما استيقظ أخذ يبكي ويندب أبــاه • أراد أن يلحق به الى الجبال •

وضعت أمه كل أنواع المأكولات اللذيذة الطعم أمامه ، وقالت له انهــا متأسفة ؛ لكنه استمر يقول : « أريد ان أمضي الى أبي ! أريد أن أمضي الــى أبــــي ! » •

لم تستطع أن تفعل شيئا كي تجعله سعيدا ، ومنذ ذلك الحين ؛ صار على أمه أن توقظه كل صباح ، وتساعده ليكون جاهزا للخروج مع أبيه الى الجبال•

سأثبت لابي انني صرت كبيرا

ركب عزيز على السرج مع أبيه من الصباح حتى المساء ، يساعده عــلى رعي الغنــم •

أكل طعامه على نار الخيمة ، كراع حقيقي ؛ ونــام عــلى غطاء السرج ؛ تحت شجرة شربين ، متخذا من السرج وسادة لرأسه • لقد تعلم من قبل أشياء كثيرة : كيف يشق طريقه وسط العشب الكثيف فــي مروج الجبــل ؛ وكيف يجمع نبات الراوند البري ، والفطور ، وعشب الحية • لــم يخف حتــى مــن النسور الكبيرة التي تحوم فوقه •

كان عزيز وأبوه يجلسان يوما فوق منحدر أخضر ؛ يراقبان الغنم وهــي ترعى ، وكان حصانهما يقرض العشب بالقرب منهما • فجأة قفز والــد عزيــز مذعورا :

« انظر الى الغنم ! انها في غاية الدهشة أيضا ! » •

صاح عزيز وأسرع نحو القطيع : « سأهتم به ، دعني ! دعني ! » .

قال في نفسه : « سأثبت لأبي أنني صرت كبيرا » .

ظلت الغنم تنحدر نحو الوادي الضيق ، وتبتعد شيئا فشيئا ...

صاح عزيز ، وهو يمسك بكبش رمادي كبير ، هو أكبر كبش في القطيع :

« كوو ـ اي كوو . اي » .

تحركت الغنم على طول الوادي الضيق وهي تتبع الكبش الرمادي ، قائد القطيع .

اندفع عزيز نحو الكبش صائحا ، لكن لم يكد الكبش ينظر اليه ، حتى رفع رأسه ، وقفض أذنيه ، وأخذ يرعى العشب ، كما لو أنه لم يسمع شيئا . غضب عزيز . ضرب الكبش عدة مرات ، ثم أمسكه بأذنيه ورده . هز الكبش الرمادي رأسه . سقط عزيز ، ثم قفز وأمسك جزة الخروف الكثيفة بيديه كلتيهما ، الا أن الكبش الرمادي ، الذي كان يقف بهدوء حتى ذلك الحين ، خاف فجأة ، وأخذ يركض ، جارا عزيزا فوق العشب . لم يستسلم عزيز ، بل تشبث برقبة الرمادي الكبير ، الا أن قوته انهارت أخيرا ، فتركه .

وقف الرمادي الكبير . هز رأسه ، وفجأة لبط ساق الصبي بحافره الحاد . قفز عزيز بغضب . أراد أن يمسك بالرمادي الكبير ، لكن ساقه لم تستطع ان تثبته ، حينئذ دار كل ما في رأسه ، وسقط على الارض .

خاف الاب الذي كان يراقبه من بعيد ، فأسرع نحوه . استلقى على العشب لا حراك به . كانت الدماء تخضب ساقه .

انحنى أبوه ورفعه بلطف ، ثم حمله عائدا الى البيت .

كيف تحسن عزيز

كان على عزيز أن يلازم الفراش عدة أيام . لم تبرح أمه من جانب سريره مطلقا ، كما أن أحدا لم يستطع ان يشغلها عن العناية به . صنعت له أشهى الصحون : خروفا محشوا ، زلابية ، لحما وبيشربرمك .

لكن عزيزا لم يهتم بحياة كهذه . كان تعبا من الاستلقاء في الفراش ، ويريد أن يذهب الى المراعي مع أبيه .

استيقظ عزيز ذات صباح ليرى أباه جالسا قرب سريره . نهض ، فأمسك بيد والده ، وتوسل قائلا :

« أريد أن أذهب معك ! دعنا نذهب ! » .

قال الأب : « حسنا يا بني ، سنذهب حالا . أيتها الام أين أشياؤه ؟ » .

امتطى أبوه حصانه ، وثبت عزيزا على وسادة ناعمة أمامه ، ثم انطلقا ، لكن ليس الى المراعي ، بل في طريق آخر .

سأل عزيز : « الى أين نحن ذاهبان ؟ » .

قال أبوه : « الى القرية » .

شعر عزيز فجأة بالدهشة ، حتى ان ساقه المجروحة لم تعد تؤلمه . ربما كان ذلك بسبب الهواء النقي ، أو الركوب السريع .

سارا وقتا طويلا ، وهما ينحدران في الوادي ، حتى وصلا أخيرا الى شواطىء بحيرة ، حيث انتصب عدد كبير من الخيام البيضاء . ترجل أبوه ، وحمله الى احدى هذه الخيام .

بدت الخيمة كما لو أنها دكان ، فقد كان فيها أشياء كثيرة مدهشة ،

استرعت نظر الصبي • جلس رجل لطيف خلف قاطع ، تتدلى لحيته ؛ وتتألق عيناه ببهجة • حين دخلا ، نهض من مقعده وحياهما بأدب • تحدث الاب اليه بضع كلمات • أومأ برأسه • غمز عزيزا ، ثم ذهب الى خلف حاجز ، وعاد يحمل بذلة بنية ، وحذاءين بنيين •

قال صاحب الدكان : « كل هذا من أجل ابنك ! » •

حبس عزيز أنفاسه ثم قال : « أهذا كله من أجلي حقيقة ؟ » •

ابتسم أبوه • تناول كمية من النقود من جيبه ، فعدها ثم أعطاها لصاحب الدكان •

« زن لنا قليلا من الحلاوة لهذا الفتى » •

غمز صاحب الدكان عزيزا مرة أخرى ، ثم وضع قليلا من الحلاوة والكعك المحلى في الميزان ، صبها كلها في كيس من الورق ، وأعطاها لوالد الصبي •

غادر الاب وابنه الدكان ، وذهبا الى خيمة أخرى •

أحب عزيز هذه الخيمة أكثر من سواها ، لانه لم يرى خيمة نظيفة بهذا الشكل ، تفوح منها الروائح الطيبة !

وقفت فتاة بلباس أبيض لاستقبالهما • أكد عزيز أنها كانت مكلفة بأمر هذا الدكان ، وانها كانت ترتقب عودة صاحبه بلهفة •

لكن قد انعكس كل شيء • همس الاب في أذن الفتاة ، ثم قال بصوت مسموع :

« تعال ، يا عزيز ، لتجرب بذلتك الجديد ! » •

مددت الفتاة عزيزا على مقعد محشو مغطى بقماش أبيض ، وأخذت تخلع حذاءيه . حينئذ فقط أدرك ان الفتاة ليست فتاة المتجر ، بل هي طبيبة .

بينما كان أبوه يغير له ملابسه ، نظرت الى جرحه ، دهنته بنوع من العلاج ، ثم ضمدته .

آلم الجرح عزيزا ، لكنه لم ينبس ببنت شفة .

قالت الفتاة ، وهي تبتسم : « أرى انك بطل حقيقي ! حسنا ، حاول أن تقف على الجرح . لا تخف » .

ساعدت الطبيبة عزيزا على الوقوف ، ودفعته برفق الى الامام .

تمالك نفسه بصعوبة لئلا يسقط ، لأن ساقه كانت ضعيفة . خطا خطوة، فخطوتين ، فثلاث خطوات ، ولم يمض غير دقائق معدودات ، حتى نسي ألم ساقه فعلا .

أعطت الفتاة ذات الرداء الابيض والده بعض العلاج ، وشرحت له طريقة استعماله :

« يجب ان يغير الضماد بين يوم وآخر ، وسيتحسن بسرعة » .

جعلتك تستسلم ايها الرمادي الكبير

قال والد عزيز : « انتظر قليلا . سنثبت لك ذلك الكبش الرمادي ايضا » .

انتظر عزيز . كان ثائر الاعصاب ، يريد ان يلقن الكبش درسا بأقصى سرعة ، وان يسترد ما عاناه من ألم ساقه .

قال الاب يوما ، حين تحسن عزيز ، وصار على ما يرام :

« جهز نفسك ، ستأتي معي هذا اليوم . لقد حان الوقت لتلقن الكبش الرمادي الكبير درسا لا ينساه ، وليعلم من هو السيد » .

استل كرباجا كان معلقا على الجدار وقال :

« سأضربه ضربا محكما ، أليس من الافضل ان اضربه ضربا محكما ؟ »

فهز الاب رأسه لائما :

« كلا ، سنعلمه ببساطة من هو السيد هنا ، عندئذ يصبح أليفا ووديعا . ان تكن خائفا فقل منذ الآن . لا أريدك ان تخلف بوعدك اخيرا » .

قال عزيز بجرأة ، رغم ان قلبه طرق بشكل مسموع : « لست خائفا ؟ »

غادر الاب وابنه الخيمة ، وخرجا الى القطيع . كان الكبش الرمادي يرعى ويحدق بعزيز .

وقف عزيز يراقب . انطلق الاب الى الكبش ، وكان على وشك ان يمسكه ، لكن الرمادي الكبير قفز وولى هاربا ، فتشتتت الغنم خائفة . أمسك والد عزيز بالرمادي الكبير ، قبض على ساقه الخلفية ، ووثب على ظهره . أخذ الكبش يشب ، كحصان هائج . رمى نفسه من جانب الى آخر . جرى عدوا ، خب . فتل ونط عدة مرات ، لكنه لم يستطع ان يطرح راكبا خبيرا !

ليس الكبش ، على كل حال ، حصانا . سرعان ما ارهق الرمادي الكبير نفسه ، وراح يخب تعبا بطيئا متراخيا . ركب والد عزيز على الكبش . اردف الصبي وراءه وقال :

« حسنا ، لقد روضنا الرمادي الكبير . سيطيعنا الآن ، وسيذهب حيثما تقوده » .

استقر عزيز مستريحا على ظهر الكبش الوثير ، وغرز كعبيه فـي جانبيه كليهما قائلا :

« حا ـ حا ، ايها الرمادي الكبير ، حا ـ حا » •

صار راكب الكبش اكثر مدعاة للضحك من راكب الحصان •

امتطى عزيز الرمادي الكبير وسط القطيـع ، فرفعت الغنـم المدهوشة رؤوسها ، واخذت تراقب •

توقف الرمادي الكبير اخيرا ، يتنفس بصعوبـة وبسرعة • كانت جزتـه مبللة ، وقد بدت لامعة كالفضة •

قال والد عزيز ، وهو ينزلق عنه : « لقـد استسلم الآن • يمكنـك ان تركب عليه وحدك » •

ومنذ ذلك اليوم صار عزيز لا يبـدو الا راكبا علـى ظهر « حصانه » الكبش الرمادي • يغدو به الى المراعي ، ثم يعود ثانية الى البيت •

مر الصيف • وفي الخريف سيقت الغنم الـى المسلخ • كـان الكبش الرمادي آخر ما وزن • عندما اقتيد الى الذبح ، خبـأ عزيز رأسه خلف أبيـه وبكى • شعر بالحزن الشديد لمفارقة صديقه •

كل واحد كان هناك : رئيس المزرعة التعاونية ، مديـر المزرعة ، مراقبو القطيع ، فاخر بوالد عزيز ، لجودة غنمه ، لانها كانت غنما كبيرة وسمينة •

قال ، وهو يبتسم ابتسامة عريضة : « نصف الفضل يعـود لمساعدي • تعال ، يا بني ، لا تكن خجولا ! » •

اقترب رئيس المزرعة ـ الذي قدر ان اكتناز الكبش الرمادي كان بفضل عزيز ـ من عزيز ، وربت على رأسه مهنئا •

قال للاب : « غدا صباحا ، يمكنك ان تختار الحملان لقطيعك الجديد ، وتكل أمر العناية بها لعزيز نفسه ، فقد وجدت بذلك الصبي راعيا حقيقيا » .

الحمــل الاقــرن

دار والد الصبي في اليوم التالي ، على القطعان الاخرى ، واختار من كل منها ، اثني عشر حملا ، ثم أخذها الى البيت .

قال لعزيز : « يجب علينا الآن ، يا بني ، ان تربيها . ستصبح فـي العام التالي حولية ، وبعد سنة او سنتين ، ستصبح غنما كبيرة . اعتن بها ، واختـر بعضها لنفسـك » .

استعرض عزيز الحملان بسرور ، وأخذ يعدها على اصابعه . كانت صغيرة الحجم ، لطيفة ، وجبانة . احاطت الحملان بعزيز ، وهي تثغو : « ماع ـ ماع ـ مـاع ! » .

شعر عزيز نحوها بالحزن . قال : « انها جائعة ! لنسرع في اخذها الـى المرعى ! » .

خرج ابوه وأمه كلاهما من الخيمة ، وساعدا عزيـزا ، ثم اشترك الجميع في سوق الحملان الى المرعى .

قادت الحملان الكبيرة ، التي ولدت في وقت مبكر من الربيع ، القطيع . كان باستطاعتها ان ترعى ، وتعرف مواقعها ، لكـن كان بينهـا أيضا ، حملان صغيرة جدا ، تقصر من حين لآخر ، عن القطيع وتجري خلفه ، ممعنة في الثغاء ، فانتخب عزيز عشرة منها .

قال لابيه ، الذي ضمه ضمة سريعة : « هـذه الحملان لا تحتاج الى ان ترعى . سأطعمها في البيت » .

« مرحى لك ، يا عزيز ، تلك فكرة رائعة • أنا وأمك سنعتني ببقية الحملان ، وعليك انت أن تعتني بالمقصرين من الصغار ، ليس في هذا اليوم فحسب ، بل في جميع الايام ، ألا تحب ذلك ؟ »

فأومأ عزيز برأسه ، والسرور يترقرق في محياه •

منذ ذلك اليوم ، لم يفارق عزيز حملانه الصغيرة • صار يطعمها قرب الخيمة •

كان ثمة حمل واحد ، أولع عزيز به ، بشكل خاص • كان أبيض كالثلج ، فسماه كرة الثلج ، وكان أحب الحملان اليه واذكاها • لا يكاد يناديه : « كرة الثلج ! انظر هنا كرة الثلج ! » حتى يأتي الحمل الابيض اليه مسرعا ، ويتبعه سائر الحملان •

رعت الحملان في المراعي يوما بعد يوم ، حتى نمت وازداد وزنها ، لكن حملا واحدا لم ينصرف الى الرعي ، كباقي الحملان • كان حملا رمادي اللون ، ضئيل الجسم ، معوج القرنين ، بعكس غيره من الحملان الجماء التي لم ترزق قرونا • « ربما كان ذلك بسبب نحولة جسمه » • تعجب عزيز ، وقرر ان يستشير أباه •

جلب أبوه كيسا كبيرا الى الخيمة وقال :

« تلك رزمة شوفان للحملان الضعيفة او المريضة • اطعم حملك الرمادي الصغير شيئا منها » •

أخذ عزيز قبعة مليئة بالشوفان الى الحمل الاقرن الصغير ، لكنه رفض الاكل ، ودفع رأسه بغضب •

أمسكه عزيز بقرنيه ، ووضع حفنة من الشوفان في فمه ، فلم يكد يتذوق طعم الشوفان ، حتى تمدد قرب القبعة ، وأخذ يمضغ ما تبقى منها

بشراهة . لم يترك حمله المدلل ، الى ان التهم الشوفان كله .

ثم ذهب الى نبع قريب ، فملأ القبعة ماء ، وقدمها لاقرنه الصغير .

« اشرب الآن ! استمر ! أريدك ان تعتاد على الاكل والشرب من يدي » .

حاول الاقرن الصغير الوصول الى القبعة ، وأخذ يشرب .

دعا عزيز الحمل الابيض : « كرة الثلج ! كرة الثلج تعال الى هنا » . فجاء كرة الثلج ببطء . يبدو انه كان غيورا من الحمل الرمادي . شم بارتياب رائحة الحمل الاقرن ، الذي كان يستلقي على العشب ، ويستدفيء بأشعة الشمس ، كما أن الحملان الاخرى شمت رائحته ايضا ؛ فطردها عزيز بعيدا .

« شو ! لا تضايقي اقرني الصغير اثناء راحته . انه يأكل ! » .

تقدمت الحملان ، وأخذت ترعى قريبا منه ، الا ان الحمل الرمادي سرعان ما توقف عن قضم العشب ، لانه كان يريد آكل الشوفان والخبز .

لكن عزيزا كان سعيدا . أحب حمله المدلل ، فصار يلعب معه طوال النهار ، حتى علمه النطاح .

نما الحمل الرمادي كبيرا وقويا ، كما ان قرنيه طالا أيضا .

هذا ما حدث يوما : كان عزيز مستلقيا على العشب قرب القطيع ، حين سمع فجأة ضجة غريبة خلفه ؛ كان مصدرها الاقرن الصغير ، الذي هجم على الحمل الاسود ، لكن الحمل الاسود أحجم عن القتال ، لانه لم يكن يملك قرنين .

شعر عزيز بالسعادة والبهجة فقال :

« كم أنت عظيم أيها الاقرن ! ستكون اقوى حمل في قطيعي » .

أمسك حملا آخر ، ووضعه مقابل الاقرن ، ليجعل احدهما يناطح الآخر ، اشتبك الاقرن في الحال ، ونطح الحمل الثاني بقسوة .

نظر والد عزيز الى كيس الحبوب الفارغ يوما وقال له :

« توقف عن اطعام الشوفان للحمل الاقرن ، فقد صار اكبر حمل في القطيع . نحتاج الى الشوفان لاطعام الحملان المريضة » .

عبس عزيز وقال : « لكن لماذا اعطيتني اياه ؟ اذا كنت تنكر عليه أكل الشوفان ، فسأقدم له طعامي » .

امتعض أبوه من هذا القول ، ولم يرغب في مجادلته .

نما الحمل الاقرن بسرعة وصار قويا ، مستعدا لمناطحة أي حمل يراه . لم يدع حملا الا ناطحه ، حتى انه هاجم يوما كرة الثلج .

لم يرغب كرة الثلج في العراك ، نظر الى عزيز متوقعا ان يساعده ، لكن عزيزا ربت على ظهر الاقرن ، حينئذ ترك كرة الثلج القطيع الصغير ، والتحق بالحملان التي كانت مع والد عزيز ، ولم يعد مطلقا .

صار الاقرن في الشتاء اقوى واشجع الحملان قاطبة ، لا يخشى حتى من الكلاب المهاجمة .

الاقرن يفقد قرنيه

انطلق عزيز مع الاقرن يوما ليزور القطيع المجاور ، فقابل هناك صديقه سلطان .

فاخر عزيز ، وهو يرفع مدلله ، قائلا : « هل عندك حمل بقرنين ؟ اذا كان عندك ، فدعه يجرب مناطحة حملي . »

هز سلطان رأسه بالنفي .

« ألا تريده ان يناطح ؟ » •

قال سلطان : « دعه يجرب ، اذا كان يستطيع » •

أدار عزيز حمله نحو سلطان قائلا : « هاجمه أيها الاقرن ، هاجمه ! » •

تراجع الاقرن ، ودفع سلطان ، فسقط على الثلج صارخا : « قف ! لا تتابع ! » •

طرد عزيز الاقرن بعيدا وقال : « حسنا ، ألا تعتقد الآن بأنه يستطيع المناطحة ؟ » •

أجاب سلطان ، وهو ينفض عنه الثلج : « بالتأكيد ، عد مع الاقرن غدا • سأجد له نظيرا كفؤا • سنطلقهما ضد بعضهما » •

في صباح اليوم التالي ، وبعد ان سرح أبوه بالحملان الى المرعى ، أخذ عزيز الاقرن ليزور سلطان مرة أخرى •

طلب سلطان منه ان ينتظر • اختفى في السقيفة ، ثم اخرج كبشا ابيض كبيرا ، ذا قرنين محدودين ثقيلين •

هز عزيز رأسه وقال :

« آه ، كلا ! انه كبش كبير ، وخروفي مجرد حمل » •

طفح قلب سلطان ، فأمسك بذراع عزيز وقال :

« لا تهتم ! فهو عاجز في الحقيقة عن النطاح ، لانه هرم متداعي الجسم » •

تراجع الكبش ببطء • لم يشأ ان يقاتل •

قال عزيز في نفسه : « لا شك في أنه سيستسلم لاقرني ، ومن الممكن

انه سيسحق ذلك الكبش الهرم ! » •

أطلق عزيز سراح الحمل وصاح :

« هاجمه ، أيها الاقرن ، هاجمه ! » •

طار الاقرن الى الكبش الابيض ونطحه في جانبيه عدة نطحات ، فلم يكترث الكبش بها في بادىء الامر ، لكنه تميز غيظا ، وحدج الحمل بعينيه الحمراوين الشريرتين ، وادنى قرنيه الكبيرين •

تراجع الحمل الى الوراء ، ثم قفز الى الكبش المعقوف القرنين ، وأخذ يضربه بقسوة • في اللحظة نفسها ، أصبح قرناه الصغيران اجذلين في قرني الكبش الكبيرين ، ورغم المحاولات الجادة ، لم يستطيعا التفريق بينهما •

هنا بلغ الغضب من الكبش كل مبلغ فعلا • وقبل ان يأتي الصبيان لحمايتهما ، رفع الكبش الهرم الحمل في الهواء عاليا ، وراح يهزه • سمع صوت تحطم ، وارتمى الحمل جانبا •

أسرع عزيز الى مدلله • كان الاقرن مطروحا على الارض ، ينزف رأسه دما ، وقد طار قرناه من رأسه •

انفجر عزيز بالبكاء • صرخ بالكبش الابيض وصاحبه ، ولكن ما الفائدة ؟ لقد كان عليه ان يحمل الحمل المجروح الى البيت •

حينما جاء عزيز الى أبيه باكيا ، قال له أبوه :

« انك ملوم ، يا بني • كان عليك ألا تتلف الحمل ، وان تدعه يتعلم المناطحة وحده ، فاما أن يهاجم ، واما ان يكتسح • لا تبك ، بل كن مسرورا ، لان حملك فقد قرنيه ، ولعله سيصبح الآن افضل واكثر ألفة » •

خرجت أم عزيز من الخيمة ، فرفعت الحمل وقالت انها سوف تعيده الى القطيع الكبير في اليوم التالي « سيتحسن بسرعة هناك ، لكنه لن يقوم بـأي نطـاح » .

وضع والد عزيز يده على كتف ابنه وقال :

« لقد حان الوقت لتعمل يا بنـي . سنسوق القطيع اليوم الـى مرعـى جديد ، أتظن بأن حملانك تقدر على مواصلة السير مع غيرها ؟ » .

أجاب عزيز : « حتما انها تستطيع . سأعتني بها هذه المرة عناية حقيقية ، يا أبي ، صدقني ذلك » .

دمشق عيسى فتوح

بين معاوية وعقيل بـن أبي طالب

* كان عقيل بن ابي طالب قد هجر أخاه عليا ، وانحاز الى معاوية فبالغ في العطف عليه للنيل والكيد لعلي رضي الله عنه ، ولما قتل علي واستقر الامر لمعاوية واستقل به ، ثقل عليه امر عقيل وتجهم له ، وجلس معاوية يوما ، فقال لمـن وحلـه :

أتعرفون أبا لهب الذي انزل الله فيه قوله تعالى : (تبت يـدا أبي لهب وتب) ؟

فقالوا لـه :

لا نعرفه ؟

فقال معاوية :

هو عم هذا ، وأشار الى عقيل .

فقال عقيل على البديهة :

واتم اتعرفون امرأة أبي لهب التي قال الله فيها (وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) ؟

فقالوا لا .

قالْ عقيل :

هي عمة هذا ، واشار الى معاوية . فهي أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف زوجة أبي لهب بن عبد العزي المشار اليها في السورة

اللغة العربية رابطة الشعوب العربية الاسلامية

بقلم : السيد محمد سعيد العرفي

ان القرآن العظيم صالح لكل عصر وانك لتجد المفسرين يوردون وجوها كثيرة لمعنى الآية الواحدة ، ولا شك في ان تلك الوجـوه لا تناقض تعاليـم الدين الاسلامي الاساسية فهل في استطاعة المترجم ان يقول :

ان هذا الوجه هو الذي أراده الله تعالى جزما من بين هـذه الوجوه ؟ فان قال : نعم ، فمن اين له الترجيح ؟ لانه بلا مرجح حتما . وان قال : لا ، فاما ان يختار تلك الوجوه كلها فيخرج عن الترجمة الى التفسير والتفسير لا نزاع في جوازه بجميع لغات العالم ، واما ان يتحير فيظهر العجز وهذا هو المطلوب.

والفرق بين التفسير والترجمة ان التفسير يحفظ الاصل ويبقى ذلـك الاصل مرجعا لجميع المفسرين الآخرين فيكون التفسير بمثابة شرح له ، وامـا الترجمة فانها تستعاض عن الاصل فتصبح أصلا مستقلا مستغنيا عن المترجـم منه ويكون المقصود من الترجمة ان يصيب القرآن ما أصاب التوراة والانجيل فانه بالترجمة قد صار المجاز حقيقة والمتشابه محكما وكان ذلـك سبب ضلال أمـم كثيرة .

ان الله سبحانه وتعالى جعل الدين الاسلامي سمحا وسهلا رحمـة بعباده ففرض علينا فرائض فلا نضيعها وحرم أشياء فلا ننتهكها ؛ وحـد حدودا فـلا نتجاوزها وهذه هي أصول الدين الاسلامي وضرورياته التي لا يحصل فيهـا نزاع ولا خلاف الا بين الضالين أو معهم ، وأبهم أشياء رحمة بنا يجتهد كل منا فيها على حسب وسعه ـ ان كان الاجتهاد في مقدوره ـ فالمصيب له أجـران أجر السعي وأجر الاصابة ؛ والمخطيء له أجر واحد هو أجر الاجتهاد لانه بذل

ما في وسعه كما قال الشاطبي : فسلم لاحدى الحسنيين اصابة والاخرى اجتهادا رام صوبا فامحلا ومن هنا يزول الاعتراض على اعطاء الآية عدة معان •

اذن تبين ان من يطلب الترجمة عن حسن نية يريد الحجر على عباد الله تعالى بالزامهم اتباع حكم واحد والمرور على طريق واحد مع ان الله تعالى قال : ما جعل عليكم في الدين من حرج : ٧٨ ـ الحج •

ولو أراد الله تعيين ذلك الحكم لعينه كما عين غيره لانه كوسيلة ولذا لم يلزمنا الا بالوصول الى المقصود وهو الامتثال والطاعة واما الطريق فقد قال تعالى : فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا • ١٦ التغابن •

فالتقوى حسب الاستطاعة وسيلة والسمع والطاعة هما المطلب والمقصد • اما الشعوب التي لا تعرف اللغة العربية فان دعوتها الى الهداية تكون باعلان مبادىء الدين الاسلامي وتعاليمه بأي لغة كانت حتى اذا قبلها وفهمها كلا أو بعضا ورضي بها فعليه ان يتعلم اللغة العربية الجامعة بينه وبين اخوانه المسلمين كي يدرك بنفسه معاني القرآن ويجد لذة التدبر وينال أجره والا فان انكماشه في بلده واقتصاره على لغته وعدم تفاهمه مع ابناء دينه بعد عن غاية الاسلام ومناقض لدعامته الاساسية التي هي الاجتماع والاتحاد في الصلوات الخمس في اليوم الواحد وفي الجمعة والعيدين والحج •

فما دام التفسير بلغة أخرى غير ممنوع ومباح بل مطلوب وما دام افهام الدين وغايته بأي لغة كانت فاي لزوم للترجمة ؟ لولا ان وراء الاكمة ما وراءها وعلى هذا فان في امكاننا ان نصرح ونقول :

من المؤكد الذي لا امتراء فيه لدى المؤمن الحر المدرك ان مسألة ترجمة القرآن والقول بها لا يراد منه الا هدم الدين الاسلامي من طريق التفريق وتشتيت المجتمع لان اللغة العربية هي التي تجمع كلمة المسلمين في الاقطار كافة اذ ان التفاهم بلغة معينة مخصوصة أمر سهل وبسيط جدا والعدول عن الوحدة الى الكثرة دليل على سوء النية وفساد الطوية واني معتقد انه لا

يبحث في جواز الترجمة الا زنديق مارق أو أحمق أرعن مخدوع أو مأجور باع دينه بعرض من الدنيا زائل •

واما مسألة احلال اللغة العامية في محل اللغة العربية الفصحى فعلاوة على ما ذكرناه من الاضرار في بحث الترجمة فانها يلزم عنهما تفريق شمل الامـة العربية نفسها فتصبح كل بلدة بل كل قرية أمة مستقلة لا علاقة لها مع غيرهـا في زمننا هذا الذي وهنت علاقات الشرق فيه فانا نجد في القرى التابعـة لمصر ان كل واحدة من تلك القرى يمتاز أهلها عن الاخرى بلهجتهم ويختلفون بأمور أخرى أدى اليها الجهل وعدم تقديرهم لفضيلة التعارف والتفاهم اللذين تتألف منهما القوى التي تحفظ كيان الامة وتحوطه فتكون سياجـا يحـول دون ان تجوس خلاله الاعداء •

فالقول بترويج اللغة العامية توكيد للتفرقة التي أدرك أعـداء العـرب والاسلام انها تكون سبب تنفيذ برامجهم التي تؤمن مطامعهم ومنافعهم لانهـم اتقنوا معرفة أسباب النزاع والشقاق والتفرق ونشروه بين المسلمين باسم الدين أو المصلحة أو المنفعة أو العادة أو غير ذلك حتى استحكم في نفوسهم • فبهذا وحده غلبوا المسلمين على أمرهم وأصبحوا أولياء أمورهم يتحكمون فيهم كما تشاؤه الاهواء والمطامع ، وبهذا أيضا يدوم الاستعمار ويبقى الاستعباد ناشبا مخالبه وأظفاره في جسم الامة حتى لا تقدر ان تتحرك فاذا أبدت قليـلا مـن الحركة اسكتها بقية الجسم فأهلك نفسه بيده •

والأغرب ان الذين يريدون القضاء على اللغة العربية بداعي ان الوقت لا يسمح بتعلمها لاشتغال كل امرىء بعمل مادي في سبيل الحياة يتعيش بـه أو يعيل أهله ومن تحت كنفه هم انفسهم يروجون تعلم اللغات الاجنبية ويسمونها اللغات الحية وينشرون الدعاية لاجلها ويذيعون المدح والثناء لمن سعى لاجلها ويعلنون عنها بمناسبة وغير مناسبة ولا يرونها تمنع الاشتغال بالاعمال الخاصة ولا تعرقل شؤون التعيش وان لبث سنين طويلة على هذه الحال لان ذلـك لا غضاضة فيه ولا ضرر •

وهذا هو السبب الذي دعا العرب بل الشرق كله للزوم تقرير دراستها وتعلمها في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية وهيأوا لها الوسائل الكافلة لتسهيلها حتى ان معلم اللغة الاجنبية له قيمة زائدة واحترام على معلم اللغة العربية في البلاد العربية وفي الغالب يزيد راتبه على غيره من المعلمين كي ينتقي لها الاكفاء . وان معرفة لغة أجنبية وبعبارة أصرح افرنسية أو انكليزية كافية لنيل الشهادة الثانوية (البكالوريا) أو اجازة الآداب العربية في البلدان العربية .

وهذا من الاسباب التي مهدت للاجانب استعباد العنصر العربي والامة الاسلامية واستولوا على معظم بلدانهم باعتراف الاعداء انفسهم .

فقد نشرت جريدة المؤيد المصرية يوم الثلاثاء في ٢٠ جمادي الآخرة سنة ١٣٣٠ بعدد ٦٦٧٢ ترجمة الغارة على العالم الاسلامي نقلا عن مجلة العالم الاسلامي الافرنسية :

ومنه مؤتمر ادنبرج المنعقد سنة ١٩١٠ م ذلك المؤتمر الذي كان رئيس جمهورية اميركا « المستر روزفلت » ووزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور ـ المعروف بصاحب الوعد المشؤوم ـ من أعضائه البالغين مائتين وألف مندوب ، فاعتذر الاول برسالة ، وكان الثاني رئيس اللجنة السابعة وحضر المستر براين خطيب أميركا والمرشح لرئاسة جمهوريتها فكان من جملة قراراته التي نشرت في تسع مجلدات قرار اللجنة الثالثة ومنه :

اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على ان معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الاوربيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوربا كلها . أ هـ

فتأمل هذا الاعتراف الصحيح ولكن هل في الامكان اقناع الامة عن صحة ذلك ؟ كلا فهي لا تصغي لذلك نظرا لفساد تفكيرها حتى وان مر بها لا تأبه له وكأن الامر لا يعنيها او ان الاذى يمزق جسم غيرها فلا حول ولا قوة الا بالله .

ولقد أصبح الاهتمام باللغة العربية ضعيفا في البلدان العربية بزعمهم انها لغة البلاد وان الطالب يسهل عليه الوقوف على دقائقها متى شاء لكنما لما ثبت لدينا من الاحصائيات انها تزداد اهمالا تبين لنا ان هذا الرأي من أعظم الدسائس لان الطالب بعد ان يحمل الشهادة العالية التي تجعله يعتقد أنه أحاط بكل شيء علما بمجرد حصوله عليها وعندئذ لا تسمح له نفسه ان يتعلم مرة أخرى ممن يراه دونه ولو في علم واحد اتباعا لقاعدة خلقهـا القانون الاستعماري ـــ بالواسطة أولا وأخيرا بلا واسطة وأوضح مواده •

« شهادة بلا علم خير من علم بلا شهادة »

فلا مناص لحامل الشهادة تطبيقا لهذه المادة المعمول بها منذ زمن غير وجيز من احتقار اللغة العربية بطبيعة الحال لانه يجهلها والمرء عدو ما جهل •

ولعل هذا هو سر عدم معرفة كثير من المتنورين المتعلمين ـــ على ما يقولون ـــ قواعد اللغة العربية وآدابها فلا بأس حينئذ ان يسميها اللغة الميتة لانها المقابلة للحية اذ ان تسميتها سامية مجاملة فقط بدليل انه يقتصر على الرطانة وحدها مظهرا فيها مقدرته وبراعته ولا سيما في مخاطبة ابناء جلدته العرب لان الرطانة لغة الاسياد لغة الامم الراقية •

فلا بدع اذا أعرض عن لغته (اللغة العربية) واحتقرها وأهانها لانها على زعمه لا تتسع لخياله الفاسد ولا لذهنه الجامد ولا لرأيه الاهوج ولا لفكره المختل •

عندي ان له بعض العذر في تهجمه على اللغة العربية واهانته لها بالقول والفعل ما دام لم يطلع على ما تحويه من الدقائق والمعاني لانه تلقن ان الشعور عبارة عن الماديات وان العقل والفضيلة هما الثروة وجمع المال ، فالغني عنده محترم وان كان أجهل الناس •

ولكن الذنب كل الذنب على ولاة الامر الذين أماتوا اللغة العربية (لغة القرآن) وعادوها ظاهرا وباطنا وحاربوها في المدارس والصحف والمجلات

والمجتمعات والنوادي بنشر الدعاية ضدها بجميع الطرق الممكنة وبترويج الطرق العقيمة الانتاج في تحصيلها ودراستها بوضع البرامج التي لا تنتج الثمرة المطلوبة • بخلاف غيرها من اللغات •

لذلك نجد من يزعم انه عربي صميم يرى الحط من كرامة اللغة العربية هو المدنية بعينها فاذا ما تعلم الرطانة في لغة اوربية اعتقد ان دماغه تبدل وأنف من ان يدعوه الناس شرقيا عربيا ، وناقض كلامه في الطعن ، فنراه يعيب اللغة العربية طورا بكثرة قواعدها وغزارة موادها ، وطورا بأن كلماتها لا تتسع لمعاني الخيال الذي وصل اليه عقله الجديد •

على انا لو فرضنا صحة زعمه : أما كان الاجدر به ـ بعد ان ترقى كما يقول ـ ان يظهر مواهبه العقلية في لغته الاصلية ، لغة آبائه وأسلافه ، ولكن أنى له ذلك وهو يجهلها ؟

اذ ان اللغة ليست معرفة الخطاب بالالفاظ المبتذلة أو بالامور البسيطة فقط وانما هناك أمور لا يدريها الا من عرف دقائق اللغة واطلع على المجلدات التي ينتقصها لكثرتها لان أساتذته علموه ان الغنى المحتوي عار عظيم فلهذا لا يخجل من قوله : ان الوقوف على غوامض اللغة العربية يحتاج الى زمن طويل وسنين عديدة • ولو أنصف لعلم ان اللغة العربية أقل اللغات تعبا نظرا لضبط قواعدها وقلة السماعي والشاذ فيها نسبة لغيرها • بل لو عقل ذلك المسكين لعرف ان السنين التي أضاعها في المدارس المختلفة كان جلها محصورا في تعلم لغة حية ـ كما يزعمون ـ ثم هو لحد الآن لم يعرفها كما يجب اذ القاعدة ان الدخيل في لغة وان اتقن قواعدها فان لهجته تفضحه ولا يخفى حاله على عوام أهل تلك اللغة فضلا عن الخواص •

ليس معنى هذا ان نقول ان تعلم غير اللغة العربية محظورا او غير مقبول • كلا • بل هو مقبول شرعا مستحسن عقلا بدلالة ان رسول الله (ص) أمر زيد بن ثابت الانصاري ان يتعلم العبرية كما ثبت في الصحيح لاحتياج المسلمين يومئذ الى معرفتها ولان معرفة لغة أمة يساعد على كشف حالها الغامضة

والوقوف على نواياها وما تضمره وتشعر وتحس به والعلم بذلك يكون ــ على الاقل ــ وسيلة لدفع شرها ولربما يكون سببـــا للتقارب والتفاهـــم لان سوء التفاهم له أثر بليغ في اثارة الفتن والقلاقل وغالب الحوادث الدامية ناشئة عنه ومن المعلوم ان أقوى أنواع سوء التفاهم أو التفاهم السيء عدم معرفة لغـــة الخصـــم .

وانما نحن نذم الناطقين بالضاد اذا قدموا معرفة لغة أجنبية على اتقـــان لغتهم العربية او جعلوها مساوية ومزاحمة لها فان من أعظم أنواع انحلال الامة العربية اهمالها لغتها وعدم الاعتناء بها حتـــى انهـم أشركوا معهـــا الانكليزية والفرنسية في المدارس الابتدائية وفي الثانوية بالاولى مـــع ان هذين القسمين يجب ان يقتصر فيهما التعليم على لغة الوطن .

وبعد اكمال دراسته الثانوية يتعلم ما شاء من اللغات لانه تضلع في لغته ووقف على آدابها ودقائقها وعرف قيمتها ووجد اللذة في دراستها فلا ينفر منها بعد ذلك اذ القاعدة المنطقية .

النتائج تابعة للمقدمات صحة وفسادا .

ولكن الدسائس في أول الامر والقوة في آخره جعلت اللغات الاخـــرى تسابق اللغة العربية في المدارس الابتدائية بل سبقتها فعلا كما أشرنا الى ذلك لان المغلوب شأنه تقليد الغالب في زيه وعاداته وشعاره ونحلته ولغته ظنا منه ان ذلك سر ظفره ونجاحه كما فصل ذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته .

ان الذي ذكرناه من العراقيل التي تتهقرت بسببها اللغة العربية لم يرق في عيون اعدائها اذ رأوا ذلك لا يكفي لمحوها وتشويه جمالها البديع ورونقها الفتان وأسلوبها الرائق فاتخذوا طريقا معوجه أصبحت من أعظم الويلات على اللغة العربية والامة العربية لانهم جعلوا مـــن شرط اتقان معرفة اللغة العربيـــة دراستها في المعاهد الاوروبية فمن أراد ان يحوز لقـــب استـــاذ أو حكيـــم « دكتور » يجب عليه ان يدرس في معهد اوربي أو على شخص درس في معهد موضوع لتمزيق شمل الامة العربية كي يستولي اعداؤها عليها والا فانـــه لا

يبرح ناقصا حتى يشهد له بعض المستشرقين او انه يكمل دروسه عليهم .

ومن هم المستشرقون ؟

فانا نجد كثيرا من علماء المسلمين وأمرائهم ومقدميهم مخدوعا بهم يثنى عليهم حتى لا نكاد نرى صحيفة الا ونجد أعمدتها مملوءة بالاطراء والثناء عليهم ولا نرى حكومة شرقية الا وهي تخطب ودهم وتفاخر في ايجاد بعضها موظفا لديها بوظيفة علمية ذات قيمة وأثر في المجتمع يمكن بواسطتها تبديل عقلية النشء الحديث وتحويرها على حسب ما تقتضيه لوازم الاستعمار .

الحق ان المستشرقين ــ الا من ندر ــ فريق من دعاة الاوروبيين زودتهم حكوماتهم بسلطة القوة المادية والمعنوية وجمعوا لديهم قسما من كتب العلم النادرة القيمة ، واتخذوا لهم أسلوبا خادعا وهو انهم يريدون الوقوف على علوم الشرق ولغاته ونشر ذلك خدمة للعلم فقط واكثروا من الاهتمام باللغة العربية والتنقيب عن آثارها ومخطوطاتها وايجاد قسم منها مطبوعا لتعميم الفائدة ؛ وقد خدعوا الامم الشرقية عامة والشعب العربي خاصة بهذه الخزعبلات التي تشف عما تحتها من الفساد المرئي لدى أرباب الحجي والادراك وهو نشر الافكار الاوروبية المسيحية أو تسميم الاذهان الاسلامية لاجل التغلب على الشرق واستعباده ثم تجريده من علومه وآدابه وأخلاقه باسم خدمة العلم وباسم تطلب الحقيقة وتحت عنوان « حرية البحث » لقد وجدت هذه الدسائس مرتعا خصيبا فصارت عقيدة راسخة ليس اجتثاثها ونزعها أمرا سهلا بعد ان رأى الناس ثمرتها المادية وهي اعتناء الحكومات الشرقية بمن يميل لهذا الفريق فتمنحه من الالقاب والرتب والوظائف والرواتب الضخمة ما يجعل له ميزة تصير غيره بدافع الطمع الى اللحوق به ومجاراته فمسابقته .

يا للرزية يا للعار : لغة العرب ذات المجد الباذخ والحضارة القديمة لغة الفصاحة والبلاغة لا يعرف ابناؤها آدابها حتى انهم يذهبون كي يتعلموا آداب

لغة أمتهم من أعداء دينهم وأعداء أمتهم وأعداء لغتهم ان هـذا لهـو الضلال المبين •

ليت شعري ممن يتعلمون ؟

يتعلمون من أشخاص يفأفيء أحدهم ساعة ويتمتم أخرى ويهمهم مثلهـا ثم تخرج من فيه كلمة لا علاقة لها مع مخارج الحروف العربيـة ولا يمكن ان يفهمها أحد سواه ثم يكون استاذا للغة العربية في معهـد عربي في البلـدان العربية ويمنح لقب « أديب • أو كاتب • أو أستاذ » في اللغـة العربية وعنـد الاختلاف يكون قوله فصل الخطاب على المتقدمين والمتأخرين •

ما سمعنا لغة من لغات العالم الراقية والمنحطة أو الحيـة والميتـة يكون الحكم فيها والمرجع لمعرفة آدابها غير ابنائها الا الامة العربية وما ذكر التاريـخ ان أمة عدت من كمال العلم بلغتها دراستها على أعدائها الذين هم لها بالمرصاد اللهم الا في عصرنا هذا فانا رأينا ذلك من المفاخـر وحسبناه سواء السبيـل فسلكناه عن رغبة وسرور ولا أرى سببـا لترويج ذلـك سوى ان اخلاقنـا تفسخت وانحلت روابطنا فأضعنا شمم الآبـاء وعز الاسلاف وعظمتهم ولولا ذلك بالامر الممكن فضلا عن الاختلاف في ندبـه واستحبابه وفـي وجوبـه وافتراضه •

مسكينة لغة الضاد • يتحكم الشعوبيون في أدبها ويضعون لها التآليف التي شوهت وجهها الجميل ولوثت أخلاقها السامية وطعنتها فـي صميم شرفها ومجدها كما فعله زياد بن أبيه في كتاب المثالب ، والهيثم بن عدي ، ومعمـر ابن المثنى اليهودي ، وغيلان الشعوبي الزنديق بمعونـة طاهـر بـن الحسين الفارسي وزير المأمون العباسي كما رواه ابو عبيد البكري في شرح أمالي ابي علي القالي ونقله عنه سيد شكري الالوسي في بلوغ الارب •

ثم بعد ذلك يتكل فريق من العرب على الاعاجـم فيجمعون لهـم مـن القواعد كتبا تصبح المرجع الوحيد المقدم على غيره من آثار علماء العرب بـل

وقد وصل الامر ان أبدلوا آثارهم وغيروا أسمـــاء المصنفين الحقيقيين ككتاب سيبويه فقد نقل لنا ابن النديم المتوفي سنة ٣٧٨ هـ في فهرسه قال :

قرأت بخط أبي العباس ثعلب اجتمع على صفـــة كتاب سيبويه اثنـان وأربعون انسانا منهم سيبويه والاصول والمسائل للخليل بن أحمد اه •

على ان كتاب سيبويه لم يقرأه أحد عليه ولم يقرأه على أحد وانما قـرأه بعد موته ابو علي الجرمي وابو عثمان المازني علي تلميذ سيبويه ابـي الحسن الاخفش المتوفي سنة ٢٢١هـ فكان ذلك سبب نسبة كتاب الخليل الى سيبويه•

ثم يأتي عصرنا هذا نقمة على اللغة العربية عندما صـار المسيطر عليهـا وأساتذتها الحقيقيين من الاوربيين والاميركيين الذي قدمنا صورة علك احدهم في نطق كلماتها والتي لا يعرف عنها السامع الا رطانة لا يدرى لها معنى لانهـا لهجة قد اختص بها ذلك الاعجمي وروجتها قوة أمتـه وساطتها فقبلتها مجانين العرب مرضاة لمطامع المستعبدين •

ان العرب لا ينكر أحد منهم خدمة علماء الاعاجم المسلمين للغة العربيـة وقد ركن العرب الى تآليفهم يخدمون لغة الدين المتمسكين المؤمنين به ، لغـة القرآن الذي يتعبدون بتلاوته ومعناه ، يخدمون اللغـة الرابطة بـين شعوب المسلمين بالتفاهم والتخاطب فعملهم كان مشروعا وله مبررات جمة • ولكن ما عذر ابناء الامة العربية اليوم في الركون عـلى معاهـد الاوربيين والاميركيين وتحقيقاتهم السخيفة في علوم الشرق ولغاته وهم لا علاقة تربطهم مـع الشرق عامة والعرب خاصة في عقيدة أو دين أو لغة أو عنصر اللهم الا رابطة الضـد رابطة العداوة والبغضاء التي أخبرنا الله عنها في كتابه العزيز •

« قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكـم الآيات ان كنتم تعقلون » ١١٨ ـــ آل عمران •

ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ويعلم اننـا

ستصل الى هذه الحال المؤسفة فذكرنا بنعمته علينا بتشريفه لغتنا العربية محذرا لنا من التهاون في اكرامها وتبجيلها حيث قال تعالى :

« لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » ١١ ــ الانبياء • حقــا ان القرآن العظيم لذكرى خالدة لمجد الشعب العربي لو عقل ابناؤه ذلك لانــه بالسنتهم يتلى آناء الليل وأطراف النهــار يتدارسه نحــو خمس سكان الكــرة الارضية فصريح الآية يدل على ان اللغة العربية لا يهمل أمرها من المنتمين اليها أو يتطاول عليها مع اعدائها الا من فقد العقل لذلك يسمى نحتف نفسه بظلفه مدفوعا بيد الحادية شعوبية أو بدسيسة أحد الطامعين في تمام الاستيلاء على الامة العربية والممالك الاسلامية أو في استمرار احتلال مــا تحت يدهم مــن البلــدان •

لا جدال في ان الحياة الدنيا عبارة عن العمل الصالح في الآخرة والذكر الحسن في الدنيا لدى المؤمن أو عبارة عن الاخير وحده لدى غير المؤمن ولاجله تبذل الافراد والجماعات والشعوب كل ما في وسعها من أموال ومهج ، وغــير ذلك ؛ وبسبيله يستعذب الموت فيفادي بنفسه ويجازف في حياته طمعــا فــي ذكرى حسنة تبقى له بعد وفاته ؛ ومع ان القرآن العظيم لا يجهل أحــد أنــه أفضل ذكرى للعرب نبهنا الله عليه لنزداد تمسكا به ومحافظة عليه •

فاذا لا شبهة في ان من يطلب ترجمته ليحل محله قــرآن أعجمي يتلى ، ومن يريد احلال اللغة العامية محل اللغة الفصحى ليمحوها فهؤلاء مــع انهــم دخلاء في الامة العربية لتمزيق شملها ــ هم زنادقة ودعاة شر يتسترون باسم الاسلام تجب معرفتهم وعلى كل عربي صريح مؤمن ان يقاطعهم في كل الامور والشؤون لان زمن تأديبهم بغير ذلك لا يوافق ولا يناسب ضعفنا الحاضر مــادة ومعنــى •

ومما لا مراء فيه ان النصر والغلبة بالضعفاء والتضامن والاتحاد ولو مع القلة لا بكثرة هي غثاء كغثاء السيل وآيتا بدر وحنين نعم الشاهد على قولنــا هذا قال الله تعالى :

« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » ١٢٣ ـ آل عمران .

وقال تعالى « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » ٢٦ ـ براءة .

وأشد الناس عداوة للاسلام وللامة العربية من يزعم ان قراءة القرآن بغير العربية تجوزها الشريعة الاسلامية بعد قول الله تعالى :

« قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون » ٢٨ ـ الزمر .

ثم هو يسعى لايجاد اعوجاج فيه والله يقول : قرآنا عربيا ـ وهو يقول قرآنا أعجميا ، ويستند في ذلك على أقوال لا شك في انها معدة لهذا اليوم العصيب وصادرة من زنديق شعوبي ، أو من مغفل مخدوع ولا يسلم من هؤلاء عصر من العصور فقد قص الله علينا في قرآنه اعمال كثير من المنافقين وأقوالهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن غيره .

ولا ينبغي لنا ان تكون شهرة الرجل سببا في قبول قوله المناقض لقواعد الدين الاساسية واحكامه القطعية فكيف نقبل ما يرمي الى تحريف القرآن واضاعته حتى لا يبقى للمسلمين رابطة لانه اليوم رابطتهم الوحيدة التي لم يبق سواها ما يجمع كلمتهم ، فاذا تمكن الاعداء من القضاء عليه ـ والعياذ بالله تعالى ـ لم يبق أمامهم قوة يخشونها . أو يخشون انها توقظ المسلمين من رقادهم او تجمع كلمتهم ليقفوا في وجه الاستعباد فلا يقبلوا ان يكونوا عبيد لمن كان عبدا لاسلافهم الذين كان تاريخهم مفخرة الانسانية .

لنعد الى الموضوع : فان الله تعالى أمرنا بالمحافظة على القرآن لان فيه ذكرنا من حيث انه نزل بلغتنا ولهذا اتخذت الشريعة الاسلامية الوسائل التي تحوطه وتحفظه . فقد روى الحاكم في مستدركه بسند صحيح من عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« من أحسن منكم ان يتكلم بالعربية فلا يتكلمن بالفارسية فانه يورث النفاق » •

ومن المعلوم ان المراد من اللغة الفارسية كل لغة غير عربية اذا تكلم العربي بها بلا داع ولا موجب من تعلم أو تعليم أو تفاهم فان معناه قد رجحها على اللغة العربية : لغة القرآن وهذا هو النفاق بعينه •

وليس المراد النص في اللغة الفارسية بخصوصها • كلا بل المراد كل لغة غير عربية • وانما اختار الشارع ذكر اللغة الفارسية لانها مقدسة لدى أمم الشرق حتى ان معظم أهالي الهند والافغان وتركستان يجيدها ويراها لغة العلم فقد بلغ ببعضهم التعصب ان اختلق أحاديث موضوعة لمدحها والثناء عليها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا كانت مع هذه المزية وكان التكلم بها بين العارفين باللغة العربية بلا موجب يورث نفاقا فغيرها من اللغات يورث النفاق بطريق أولى •

وهذا الحديث سياج للغة العربية لو عمل به ابناؤها وهو يدلنا على اهتمام الشارع بها لانها رابطة الشعوب الاسلامية ، ولغة كتاب الله تعالى •

فلعل العرب ينتبهون الى هذه الامور ويعرفون قدر قيمة لغتهم وانه عظيم جدا لدى الله تعالى والناس وفيه لهم منافع جمة وفوائد كثيرة فتدعوهم الحال الى التيقظ والالتفات نحو الدسائس التي تحاك لهم في السر والعلن فينبذونها ويقاومونها على حسب استطاعتهم من قول وعمل وقد تعهد الله للمخلص في عمله بالظفر والنجاح اذا اعتصم بالله تعالى •

قال سبحانه جل شأنه : وكان حقا علينا نصر المؤمنين « ٤٧ » الروم •

وقال تعالى : فان حزب الله هم الغالبون « ٥٦ » آل عمران •

وقال تعالى : ألا ان حزب الله هم المفلحون •

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الاطهار وصحبه الاخيار ومن تبعهم باحسان والحمد لله رب العالمين •

المتنبي !

في ذكراه الاربعين بعد الالف

هزت بعد سبات امة العرب هل يستفيق فتى الفتيان في حلب
هل يشرئب لـواء كـان مسرحه بين السيوف ومرساه على الشهب؟
يا شاعر الدهـر ضيعنا حميتنا واسود ما ابيض من تاريخنا الذهبي
لا تعجبن لدمعي ، واعجبن اذا ضحكت في مأتم العلياء من طرب
هنا وهانت عـلى الباغي كرامتنا واصبحت ارضنا نهبا لمنتهب
تقاذفتنا حثالات الـورى اكـرا ونحن في غفلـة عنهم وفي شغب
كأننا لم نكن فـي الدهر ناحيـة في ساحة الحرب او في حومة الادب
اشكو همومي ولكن لم يمت املي كم فرج البت ما استعصى من الكرب
انـي لألمح فـي الآفاق بارقـة سبحانك الله اكرمها عـن الريب
يـا من يعيب علينـا اننـا حطب النار والنور لو فكرت من حطب

* * *

ابا محسد هـل تعنيك شكوايـا فاستمر ، وهـل تضنيك بلوايا ؟
أصخ الي فان الصدر فـي حرج تكـاد تعثـر بالغصات نجوايـا
حظي كحظك لكن دربنا اختلفت وخاب مسعاك في الدنيا ومسعايا
لم تجن مـن حقلها الا سفاسفه ولم احـد لغـير الشوك يمنايـا
مسراك فيها عـلى نـار مسعرة ومثل مسراك فـي الآفاق مسرايا
وجدت في الشعر سلوى فاستعنت به على الزمان وغال الشعر سلوايـا
لا يستطيع جناحي ان يطير الـى ادنى مراقيك فاصفح عن خطايايا
ذكراك كالشمس لا يخبو لها الق فمن تراه غـدا يعنى بذكرايـا ؟

لولاك لـم تستقم للشعر مملكة ... فـلا يقـل احـد الاك لولايـا
ما زلت نارا على نـار عـلى علم ... فهل تعف الليالـي عـن بقايايا ؟

★★★

ناشدتك الله حرك ريشتي ، فأنا ... كالميت ، بل انا ميت مزق الكفنا
احببت اهلي، ولكن ضاق بي وطني ... فقلت اجعل دنيا الله لـي وطنـا
وسامني زمني مـا لا يطـاق فلم ... املأ فمي زبـدا او العن الزمنـا
قبست منـك اماثيلا غلت ثمنـا ... ان كان غيري لم يعرف لها ثمنـا
حرية المرء كنز ليس يعـدلـه ... ما حاز قارون من مال وما اختزنا
ركبت من اجلها ما هال من خطر ... وعفت ما لان من عيشي وما حسنا
دجـا صباحك واعتلت بشاشته ... فكيف ترجو من الليل البهيم سنا
وكيف يفلح سيف نصلـه خشب ... لا خير فيه، اذا سيف السيوف و نى؟
او سمت كافور هجوا لا لبشرته ... لكن لان علـى اخلاقـه درنـا
وليس كـل بياض للنقـا مثـلا ... فرب سم زعـاف خالط اللبنـا

★★★

يا شاعر الدهر ان الصبر قد عيلا ... مذ اصبح الشعر تهريجا وتدجيلا
جني البغاث عليه، واستهان بـه ... رهط يرون فضول القول تنزيـلا
لا يحسنون سوى مضغ الكلام فلا ... تعجب اذا امعنوا في الشعر تنكيلا
هاموا بسفسطة الالغاز واصطنعوا ... للسخف واللغو تمثالا واكليـلا
من برج بابل قد جاءت بضاعتهم ... فانت تفهم منهـا غير مـا قيـلا
لا ينتمون الـى شرق بشعـرهم ... والغرب ينبذهم جمعـا وتفصيلا
تحنو عليهم مـن النقاد شرذمـة ... تعلموا النقد تزميـرا وتطبيـلا
عمي يسيرون خلف الديك عن عمه ... ويعلكون احاجي الشعر تأويـلا

لم يجد في ردعهم نصح ولا كرم بل زادهم كــرم القــراء تضليلا
حلفت باسمك ان لجــوا بباطلهم لسوف نغزوهم طــيرا ابابيــلا !

★ ★ ★

أشرف علينــا وحدثنــا باسهاب عما تجرعت من شهد ومن صاب
شهدت في نصف قرن الف معركة وخضت الف عبــاب غير هيــاب
فلم تسجل لغــير العرب مفخــرة يا شاعر الدهر هل كانوا بلا عاب؟
ادناك منه فتى حمدان فاشتعلت بالحقد اكبــاد اعــداء واصحاب
ولم تكن دونــه شأنــا ومرتبــة وان تكن دون القــاب وأحساب
سعت افاعي الاذى والكيد بينكما فانقاد .. وازور قرضاب لقرضاب
فعفت صحبته ، لكن على مضض وغبت عنه وما كشرت عــن ناب
لا يشرب الحر من بئــر ويرجمها ولا يعفر خديــه عــلى بــاب
ان كان اعطاك مما فــي يديه فقد غمرته بعطايــا قلبــك الصابــي
مضت هداياه .. اما ما بذلت له فسوف يبقــى لاحقاب واحقاب

★ ★ ★

دار الزمان فهــل انبــاك انسان بما يعاني مــن الارزاء لبنــان ؟
تناهشته نيوب الغدر واجتمعت عــلى بقايــاه ذؤبــان وعقبــان
هذا الذي هدت الدنيا حضارته لم يبق منــه ومن ماضيه عنوان
ماتت ولم يبكها باك ــ رسالته فليس فيــه لغير الموت ميــدان
تبت يــد زرعت بالحقد تربتــه فصار مــن نبتهــا صل وثعبــان
تحول النور فيــه ظلمــة وذوت رياضه وانطوى حسن واحسان
فلا الجداول فــي واديه ضاحكة ولا البلابــل الحــان وألــوان
يا من يرد الــى الفردوس بسمته ويخمد النار : فالشطران اخوان

حامت على فرق الأطفاء تحرسها قلوبنا ، ومشى في الركب عدنان
ان لم تعد لشتيت الصف وحدته فكل ربح لمـن يجنيـه خسران

★ ★ ★

يا شاعر الدهر بث الروح في وتري يعذب هديلي ويستحل الورى ثمري
الشام مدت الـى لبنان راحتها بالزهر فانتعش الايمان في الحجر
لبت نـداء الوفا يقتادها بطـل نجد تعود لا يختال مـن بطـر
هيا نغن لهـا : لاعكـرت بردى ريح، ولا اختلجت عيناك من كدر
يا حافظ الدار من شر يراد بهـا اراك مـن ظفر تمشي الـى ظفر
طارت اليك علـى بعد جوانحنا ترعى دروبك من كيد ومن خطر
لأنت قرة عين المجد ، مـا وقعت لولاك الا عـلى ليـل بـلا قمر
يا ابـن القضية غذاهـا بمهجته وكان اسخى عليها من يـد المطر
ما دمت تزأر في باب الشرى اسدا فقد تبخـر حلم الغاصب التتري
اني لارفع رأسي فيـك مفتخرا فلتنخفض هامـة الدنيا لمفتخر !

بوانس ايرس زكي قنصل

في ذكرى محمد «ص»

أما آن يـا نعمـاي أن تتوددي وان ترفقـي بالمستهام المسهـد
خيالك في عيني وذكرك في فمي وصوتك في أذني ألحان (معبد)
أراك دوامـا حيث كنت بجانبي وحبك لـي معنى النعيم المؤبـد
وأنت مرادي اذ أقـول (بثينة) وان قلت يا (ليلى) فانك مقصدي
لئن كان ذنبي أنني بـك هائم فلست بهـذا الذنـب بالمتـردد
ونحن بنو الآثام مـن دون ريبة ولكننا نرجو الشفاعة فـي غـد
وسيلتنـا للـه جـل جلالـه محمد الهادي وآل محمد (ص)
ولاؤهمو ما دمت فخري وان أمت فحبهمو ذخري هنـاك ومنجدي
فيا نفس بشرى بالسعادة والهجي بمدح الرسول الهاشمي الممجد (ص)
شفيع البرايا من اذا ذكـر اسمه سرت نفحات القدس في كل مشهد
ومن تعشق الاسماع ميمون ذكره ويهفو الى ذكراه كـل موحـد
سليل المعالي من ذؤابة (هاشم) ومن خصه الباري بأطهر محتـد
له الشيم الغر التي عـز حصرها على كل محص في الورى ومعدد
فكم حاز من مجد قضى دونه الورى وكم نال من فخر طريف ومتلـد
بمولده غاضت بحـيره (ساوة) وقيل: ألا يا نار (فارس) فاخمدي
وأسرى به ليلا الى (القدس) ربه وكان له المعراج فـي خير موعد
فصلى بكـل الانبياء وخلفه المـلائـك طـرا ركعـا اثـر سجـد
دنى فتدلى (قاب قوسين) وارتقى الى حيث لا يرقى الخيال بمصعد

★ ★ ★

أتانـا بديـن خالـد متطـور قـوي قـويـم قيـم متفـرد
بسفر حوى كـل العلوم جميعها بسحر بيـان فـي نظيم منضـد

ودستور عدل لم يـر الدهر مثله ومنهاج حـق ثابت لم يفند ...
أبا فاطم .. مـاذا تجيد قريحتي بمدحك ، بل كل القرايح سيدي
اليك (أبا الزهراء) أشكو وأنما حديثي شجون والاسى في تجدد
تضعضع ركن الدين فالكفر مطبق بنا ، والعـدا للمسلمين بمرصد
ونحن كأصحاب « الرقيم» بنومة (ولا نستبين الرشد الا ضحى غد)
نروح ونغدو للشرائـع نبتغـي وفي شرعة الاسلام اعـذب مورد
ويطعن فـي قرآننا كـل حاقـد ويسخر من أحكامه كـل ملحد

★★★

لقد جاءنـا فكـر عقيم نتاجـه لكل مغير فـي الضلال ومنجـد
فهذا (يساري) الى (الشرق) مائل يرى (الدين كالافيون) للمتعبد
وذاك (يميني) الى (الغرب) منتمي وما شأنه ـفي الفكرـ غير مقلد
صنائع (امريكا) واتباع (روسيا) علـى انهـم كالثعلب المتأسـد
ودنست (القدس الشريف) عصابة حوت كـل أفـاق أثيم ومفسد
وفي (المسجد الاقصى) المبارك حوله تروح جمـوع الغاصبين وتغتدي
فمن للهدى يحميه من فتنة العدا ويحفظه مـن شر باغ ومعتد ؟!
ويا ليت شعري أين (فاتح خيبر) يصول فلا يبقي عـلى متهود ؟!

★★★

اليكم ولاة الامـر بعض خواطر عن الوضع ابديها بكـل تجـرد
أرى في بلادي كل يـوم عظيمة يبيت لهـا فكري بطرف مسهد
فمن نافق المسؤول فهـو مقرب ومن لـم ينافقـه ، فأول مبعـد
ألا فاسمعوا مني نصيحة مخلص صريح عـلى التطبيل لم يتعـود
رأيت مراعـاة الخواطـر دائما أساس فساد الحكم في كل مورد
وما نحن معصومين قط عن الخطا ولا بأس في الاخطاء دون تعمـد

فلا تغلقوا للنقـد بابا ؛ وقدروا ... ذوي الفكر ان جاءوا برأي مسدد
فما مـن رقـي للبـلاد ونهضة ... بشيء سوى النقد النزيه المجـرد

★ ★ ★

خذوا الحزم منهاجا ولا تسمعوا به ... كـلام عذول او مقـال مفنـد
وأقصد حزمـا لا اقـول تشددا ... ولا ريب أن الحـزم غير التشدد
فأن لم تروا في الحزم أمرا مؤكدا ... فأن انقلاب الوضع شبه مؤكـد

★ ★ ★

بلادي •• وقاك الله كـل بليـة ... بلادي •• حماك الله من كل معتد
ويا أمة الاسلام •• عودي الى الهدى ... الى دين طه (ص) خير هاد ومرشد
ويا أمة الاسلام •• عودي مجددا ... الى منهج الحـق المبين لتسعدي
ولا تذهبي شرقـا وغربا ، ففيهما ... ضلال ، وهذا نهج من هو مهتد
بـه حقق الاجداد كـل تقـدم ... وكل علـو فـي الحياة وسؤدد
فكانت لهم في الارض أعظم دولة ... بغير تعاليم الهـدى لـم تشيـد
فأن نحن عدنا للهدى عاد مجدنا ... ألا ان بـاب النصر ليس بموصد

★ ★ ★

ولا تيأسي فالليل ليس بسرمـد ... وبشرى بيوم ضاحك الوجه أرغد
فلا بد من فجر على الكون مشرق ... وان طال ليل عابس جـد أربـد

★ ★ ★

ويا رب وفقنـا لاصلاح شأننـا ... ويا رب هبنا وحدة القلب واليد
ويا ربنـا وفـق ولاة امورنـا ... الى كل مـا فيـه رضاك وسدد
ويا رب هبنا رحمة منك واهدنا ... الى الخير في ظل الاخاء الموطد
وصل علـى خير الانـام وصحبه ... وعترته الاطهار فـي كـل مشهد
وسلم عليهم ما دجى الليل او علا ... على الدوح صوت العندليب المغرد

الكويت ... عبد العزيز العندليب

انا في الايام سر موجع

شاعر يزكي الضحى فــي شعره		عاش يعطي الحب أحلــى عمــره
كل مــا في الكون نعمى ورؤى		وضيــاء عبــق مــن عطــره
كيف لا اهــوى جمالا صاغـه		مبدع الاكوان مــن جوهــره
يتجلى فــي كــل آن صورا		قــد عرفت اللــه فـي صوره
صنعــة دلــت علــى صانعهــا		رنــوة للحسن فــي مخبــره
كيف لا اهوى وفي قلبي الهوى		ومعانــي الحــب فــي سيــره
أنــا فــي الايام ســر موجــع		ويــح قلبي مــن خفايــا ســره
جاهــدا يحمــل دنيــا همــم		وتسامت كبــرا فــي كبــره
غــير أنــي اعبــد الهــم ويــا		طهر قلبي لا تضق فــي طهــره

صافيتــا		**عبد الحميد علي**

مختارات الصحف

خطر يهدد لغتنا القومية

بقلم : الدكتور احمد عبد الستار الجواري
وزير الدولة العراقي ورئيس اتحاد المعلمين العرب

لغتنا العربية لها بين اللغات الحية خصائص ومزايا عديدة ، قد يغفل عنها او يجهلها المتحدث بها من اهلها ، ولا يلتفت اليهـا الا حين يقف منهـا موقف الدارس الباحث يتلمس المزايا والخصائص بروح الموضوعية والتجرد •

وكثير من هذه المزايا عادت لطول الفتها صفات معتادة لا يكشف عنها الا التأمل والتمحيص الدقيق •

على ان جانبا من تلك الخصائص والمزايا ينعكس اثره فيستحل مصاعب ومشكلات يعاني منها الدارس والمعلم ، والمنشيء والمعبر بها عن شتى حاجات الفكر والشعور •

من ذلك ان لغتنا العربية قديمة عريقة تضرب جذورها في اعماق التاريخ فلا يكاد يعرف لها قرار • وتتشعب بها المسالك والدروب ويطوف بهـا طول الاستعمال وكثرة التداول في آفاق واسعة رحيبة فيضفي ذلـك على مفرداتها وتراكيبها من المعاني والافكار ما يخرج بها عن الاصل فـي كثير من الاحيان• ويذهب بها الاتساع والمجاز وسعة التصرف الى مجالات وميادين تعجـز مـن ألفاظها محل النزاع بين المترادف والمشترك والمختلف والمؤتلف الـى غير ذلك مما يرد في جملته الى قدم اللغة وبعد عهدها في الوجود ، وما اضاف اليها كل ذلك ، مع استمرار التداول من المعاني والمفاهيم سواء فـي ذلك اللفظ المفرد والتركيب والاسلوب •

ولقد كانت العربية في عصور الازدهار لغة العلم والحضارة يعبر بها اهلها عن الافكار العلمية والفلسفية والادبية تعبيرا مشحونا بكل ما في اللغة الحية من طاقات وقدرات ، وما تنطوي عليه من استعداد للنماء والاتساع •

ثم اتى على العربية حين من الدهر كان هم التعبير بها الشكل والمظهر دون العناية بالفكرة الاصيلة والشعور الصادق ، وانصرف المنشئون الى ما عرف بفنون البديع من جناس وطباق ومقابلة وسجع وتورية ونحو ذلك من اساليب تنادي باللغة عن الاصابة والصدق ، وهما أساس فن القول في اللغة العربية •

وجاء من بعد ذلك فريق من علماء العربية جعلوا المعاجم وما اشتملت عليه كتب اللغة اكبر همهم ومبلغ علمهم غير آبهين ولا معنيين بأساليب التعبير وما اضافت الى اللغة والفاظها وتراكيبها من معان جديدة قضى بها تطور الفكر وتقدم المعرفة ، وما شهدته من ضروب الابداع والابتكار •

وكان هؤلاء الافاضل كانوا يتجاهلون واقع الفكر في عصورنا الحديثة هذه • هذا الواقع الذي تقوم فيه هوة سحيقة بين من اخذ من علوم العصر وتخصص فيها وبين من تخصص في فقه اللغة ونال منها حظه الوفير • لان كل فريق من الفريقين قد لزم موقعه ورضي به حتى حيل بينه وبين الفريق الآخر • وصار المتخصصون بالعلوم الحديثة اذا كتبوا بالعربية او تحدثوا بها في موضوع اختصاصهم ، خانهم التعبير واحتوتهم دوامة الغموض وافلت منهم زمام الدقة والاصابة ، في حين ان منهم من يكتب باللغة الاجنبية التي تعلم بها فيطلع على الناس بالمبدع والمبتكر الذي يشهد له اهل الاختصاص ويقدرونه حق قدره •

تلك مشكلة تعاني منها مؤسسات التعليم في شتى مراحله ويشكو منها اولو الاختصاص من كلا الجانبين شكوى مبهمة لا تكاد تصف العلاج او تهدي اليه •

وصار القائمون على امور التعليم في الجامعات والمعاهد العليا باللغة الاجنبية مع ما فيه من تبديد الجهد بالنسبة لطالب العلم من ابناء العربية ، ومع ما فيه من تقتير وضن على اللغة القومية بأن تكون وسيلة لتثقف الجمهور وأمداده بأسباب المعرفة في العلوم الحديثة .

ولست احسب أن احدا ينازع اليوم شعبية التعليم والثقافة وكونها حقا للجماهير لا مراء فيه ، بل ان من مصلحة الحاكم المسئول ايا كان مشربه ومذهبه ان يكون الجمهور على جانب كاف من المعرفة يغنيه عن ان ينعق مع كل ناعق او يتبع كل ذي دعوة براقة مغرية ينقاد اليها انقيادا القطيع بلا وعي ولا ادراك .

واذا كان لزاما على الدولة ان تبسط للناس اسباب المعرفة وان تفتح في وجوههم باب التعليم ، فان لزاما عليها ان توفر لهم وسائله واداته .

ووسيلة التعليم واداته الاولى هي اللغة . فانها وعاء الافكار ومضمارها الذي تجول فيه ، وهي ايضا سبيل التواصل الفكري والشعوري بها يتحقق انتقال المعرفة والخبرة بين الافراد .

من أجل هذا وأمثاله من الاسباب الخطيرة يلزم ان تكون العناية باللغة سابقة مقدمة ، وان يكون خطر التفريط بها ماثلا لكل معني بالتربية والتعليم والثقافة والمعرفة بل لكل مشتغل بقضية الشعب أيا كان تخصصه ووجهة عمله .

ان اهمال هذا الخطر يتجلى على العموم في جهتين مهمتين : الاولى ظواهر خادعة من الاهتمام بالعامية على اعتبار انها وسيلة التعبير لدى الجمهور ، فيصبح هذا الجمهور يوما بعد يوم بعيدا عن الاخذ بأسباب المعرفة وينأى به ذلك حينا بعد حين عن الثقافة الحقيقية ومنابع الفكر العلمي المتقدم ، بل يرده الى الجهل وظلماته ومتاهاته يتخبط فيها بلا ادراك ويضرب من حوله سدا يحول بينه وبين مصادر العلم والعرفان .

والثانية ان يجعل من اللغة السائبة المائعة مشكلة اجتماعية كبرى يتنازع الناس في مجالها بلا طائل وبلا سبب مقبول ، حين يتحدث المتحدثون ويعبر المعبرون فلا يعني احدهم ما يقول لانه لا يحسن التعبير الدقيق باللغة من جهة، ولهذا لا يحسن من يتلقى عنه فهم ما يقوله وما يتحدث به .

ينطبق هذا على الالفاظ المفردة كما ينطبق على التراكيب والتعابير .

ان كثيرا من الخلافات والمنازعات في السياسة وفي الاجتماع مردها الى سوء التعبير من جهة والى سوء الفهم من جهة اخرى . وقديما قال قائلنا من يسمع يخل ، ومن يسمع غير الحقيقة يتخيله ، ثم يبني على خياله ما يشاء ، فاذا اراد ان يعبر عن ذلك كان تعبيره بعيدا عن الواقع الذي يحياه ، وكان سلوكه استجابة خاطئة لما سمع ، فيكون النزاع ويكون الخصام ويكون الخلاف الذي لا يقوم في الحقيقة على أساس صحيح .

ولا ريب ان ظاهرة الازدواج او الثنائية في استخدام اللغة امر على جانب كبير من الخطورة ، ذلك ان العامية في اغلب اقطار العربية او كلها قد بعدت عن اللغة الفصيحة بعدا بعيدا ، فجعل ذلك من لغة التعليم وهي الفصيحة شيئا يشبه ان يكون لغة غريبة او هي في افضل الاحوال لغة غير مألوفة ، لغة ما يعرف بلغة الام التي يفكر بها الانسان وبها يعبر عن مشاعره وحاجاته .

ان هذا الازدواج وتلك الثنائية نتيجة من نتائج الجهل الذي اطبق على الامة العربية في وطنها الواسع الكبير ، وهو في الوقت نفسه سبب من اسباب التعثر والتباطؤ في انتشار التعليم وتخلف الفكر والثقافة ، وصحيح ان عوامل التقدم في الفكر والثقافة ، وانتشار التعليم يقسرب بين العامية والفصيحة وينشىء في المجتمع لغة هي فوق العامية ودون الفصيحة . وهذا واقع فعلا في كل قطر من اقطار العربية من جهة وفي سائر اجزاء الوطن العربي من جهة اخرى . ذلك ان العربي في اقصى المغرب يتخذ للحديث مع اخيه في اقصى المشرق لغة عربية لا يمكن ان توصف بأنها الفصيحة الصحيحة المتقنة . ولكنها على كل حال عربية فيها من الصحة ومن الالتزام بحدود معينة من القياس

اللغوي وما يجعلها مفهومة في كل مكان من بلاد العربية ، قابلة للتطور ولمزيد من الضبط والاتقان ولكن هذا لا يغني في الوفاء بهذه الحاجة الاجتماعية ولا يصح ان يتكل عليه في حل المشكلة اللغوية في بلاد العربية . انه يفتقر الى المزيد من الجهود حتى يبلغ مبلغ الوفاء بالحاجة على كل حال .

ان علاج المشكلة اللغوية يحتاج الى سلوك اكثر من طريق . اول هذه الطرق ما يعرف بتيسير قواعد اللغة تيسيرا يقوم على نظر فاحص وتأمل عميق يأخذ بأسباب البحث الدقيق والنظرة الشاملة التي لا تعبث بالاصل ولا تقطع ما اتصل من تراث حضاري وفكري عريض .

وهي مهمة خطيرة لا ينهض بها الا من أوتي نصيبا من الدراية الواعية بالقديم والمعرفة النافذة بالجديد . وعرف للغة وظيفتها الاجتماعية الخطيرة في حياة الامة .

وتلقى هذه الطرق عناية كبيرة بنصوص اللغة التي عبرت بها عن سائر اوجه الفكر والشعور عناية لا تقف عند النصوص الادبية ولا تقتصر عليها بل لا بد من تدارس النصوص التي تناولت قضايا العلم والفلسفة وسائر اوجه المعرفة . وذلك موفور كثير في كتابات الجاحظ وابي حيان التوحيدي والغزالي والبيروني وابن سينا وامثالهم ممن اعلام الفكر الذين عبروا باللغة العربية عن افكار الفلسفة والعلوم ادق تعبير واصدقه .

ومن المعاصرين من ضرب في هذه الميادين اروع الامثلة . وان في آثار احمد امين ومصطفى عبد الرازق ومحمد عوض محمد رحمهم الله ، وفي كتابات احمد زكي وابراهيم مدكور وعثمان امين ما هو اجدر بالاهتمام واولى بالدراسة مما تنفتح به الاذهان وتألفه اذواق الاجيال الجديدة وتهتدي به في التفكير وفي التعبير عن الافكار .

وبعد فان المشكلة اللغوية واحدة من اهم ما يواجه حياتنا الفكرية والتعليمية . وكل توجه لعلاج هذا الجانب من حياتنا الجديدة لا بد ان يوليها ما تستحق من العناية والاهتمام والا بقيت اللغة وهي وسيلة التعليم والتواصل الفكري ثغرة واسعة تلتف منها المصاعب والعثرات حتى تضيع الجهود ويتبدد المجهود او يتضاءل نتاجه ويضمر او يضمحل لا سمح الله .

بغداد — أحمد عبد الستار الجواري

من عظماء الاسلام

سلمان الفارسي

بقلم : عبد الامير جعفر ارشدي

في بلاد فارس ارض الاكاسرة ذوي الدولة والحضارة والحكمة والمجد .. وفي بيت لم يخمد فيه لهيب النار .. وبين قـوم يسجدون لهـذا القبس الملتهب .. ولد (بهبود) والذي سمي فيما بعد (سلمان) .

لقد كان هذا الوليد موضع عنايـة والديـه ، فنشأ وترعرع بين قـوم يقدسون النار .. فتعلم اصولها وطقوسها .. بيد ان هذا الصبي لم يقتنع في قرارة نفسه بهذا الدين الذي يتمسك به ابناء قومه ، فاصبح فـي ريب مـن امره ، وشاءت الصدف ان يمر في احـد الايام باحـدى الكنائس المسيحية ، فسمع صلاتهم واعجبته طقوس دينهم ، فقال : هذا خير من ديننا .. وبعد فترة وجيزة كان (سلمان) شابا يعتنق المسيحية ويعيش مع الرهبان .

وذات يوم طرق سمعه خبر ظهور نبي جديد في جزيرة العرب ، اسمـه (محمد) يدعو الى دين الحق والعدل والمساواة ، ولما كان سلمان يبحث عـن الدين الذي يدله على خالق الكائنات قرر ان يصل الى هـذا النبي العظيم .. وبعد جهود مضنية لا مجال لذكرها وقف سلمان بين يدي رسول الله (ص) واسلم مؤمنا بدين الحق .. دين الاسلام ، وفتح اللـه قلبه للهـدى وفاض صدره بالعلم والمعرفة وامتلأ قلبه بالايمان ...

كان سلمان الفارسي ـ او المحمدي كما لقبه رسول الله ـ من الصحابة الكرام المقربين لرسول الله (ص) وكان المثل الاعلى لكل فضيلة وصل اليهـا

اي صحابي ، وبلغ درجة سامية في العلوم الاسلامية ، واشتهر بعلمه الواسع ، وعقله الراجح حتى قيل (ما نشأ في الاسلام رجل من كافة الناس افقه من سلمان الفارسي) وقالت عائشة : (كان لسلمان مجلس عند رسول الله ينفرد به في الليل .. حتى يكاد يغلبنا على رسول الله) وهناك الكثير من الاقوال المثبتة في كتب التاريخ تتحدث عن علم سلمان وزهده وسمو منزلته في الاسلام .

ولقد زاد شرفا ومنزلة يوم الاحزاب عندما قال النبي الكريم (سلمان منا اهل البيت) فانضم الى البيت النبوي ولم يرتق هذه المنزلة احد من الصحابة .

وكان الى جانب زهده وتقواه ذا عقل راجح وبصيرة نفاذة ، ورأي سديد ، وهو الذي اشار على رسول الله (ص) بحفر الخندق حول المدينة وانقاذ الاسلام والمسلمين من جيش الكفار بقيادة ابي سفيان .

لقد وجد سلمان في الدين الاسلامي ضالته المنشودة ، فاخلص لله ولرسوله وكان مؤمنا تقيا ورعا .. حتى ان الامام علي عليه السلام كان يفاخر به حيث قال (ذاك امرؤ منا اهل البيت .. من لكم بمثل لقمان الحكيم .. علم العلم الاول ، والعلم الاخر .. وقرأ الكتاب الاول والكتاب الاخر .. وكان بحرا للمعرفة) .

كان سلمان الفارسي من المحبين والتابعين للامام علي عليه السلام وقد قال ذات مرة (بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين .. والائتمام بعلي ابن ابي طالب والموالاة له) (ومن اقواله المأثورة جوابه على كتاب اخيه في الاسلام (ابو الدرداء) الذي كتب له من الشام قائلا (.. اقدم يا اخي الى بيت المقدس لعلك تموت فيه) فاجابه سلمان قائلا (.. ان الارض لا تقدس احد .. وانما يقدس كل انسان عمله) .

وهكذا عاش سلمان الفارسي بين الاسلام مؤمنا بالله تعالى مخلصا لرسوله الكريم متبعا آل بيته الطاهرين باذلا كل عمله وجهده وطاقته لدين العدالة والتوحيد حتى صعدت روحه الطاهرة الى خالقها سنة ٣٥ هجرية ودفن في المدائن بالقرب من بغداد .

طهران عبد الامير جعفر ارشدي

الحرب واسطورة النجوم

بقلم : محمد شرارة

في الشعر ، كما في بقية الفنون ، مدارس تتراءى وكأنها الطلائع الجديدة التي تسير تحت أعلام الغد القادم وعلى وجوهها ملامح التمرد العازم على التخلص مما سنه الماضي وفرضه على العصور التي تليه .

واذا كانت هذه الظاهرة واضحة في عصرنا الحاضر وفي شعره الذي حمل الراية منذ بدأت مفاهيم الثورة الفرنسية تجتاز باريس ، وتدخل عواصم العالم ، فانها لم تكن في الماضي بهذا الوضوح ، وبهذه الاثارة التي تشهدها الاجيال المعاصرة . ولكنها كانت على أي حال ، وكان التمرد فيها على الركود جزءا من كيانها الادبي الجديد .

أبو تمام ، في تراثنا الشعري ، مدرسة من هذه المدارس التي تمردت على الاسلوب الشائع في عصرها . وقد فهمت « المحاكاة » التي سنها أرسطو فيما يتخلله الاحساس بالتطور المستمر والتفاعل الذي لا يكاد يستقر على حالة حتى ينتقل الى غيرها .. اي انها فهمت الصيرورة المتواصلة فهما يكاد يكون اقرب الى الفطرة منه الى الفلسفة . وبهذا الفهم استطاعت ان تضرب الجدار القديم وتواجه النقد المحافظ ، كما استطاعت ان تجد لها انصارا قادرين على الدفاع .

احدى قصائد هذا الشاعر التي تلتقي فيها ثورة الفكر بثورة الاسلوب قصيدة الحرب التي شنتها قيادة الروم في عصر الشاعر على « زبطره » وفعلت ما فعلت على اثر انتصارها بالنساء والاطفال . وتصور قصيدة ابراهيم بن المهدي التي ألقاها امام المعتصم شيئا بسيطا من الوحشية التي ارتكبت في زبطرة .

يا غارة اسر قد عاينت فاتهكي ... هتك النساء وما فيهن يرتكب
هب الرجال على أجرامها قتلت ... ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

وبعد الفراغ من القائها كان الجانب الغربي من دجلة ملتقى الجنود ، ونصبت الاعلام على الجسر ، كما يقول المسعودي ، وابتدأ النفير .

وكانت كلمة : « وامعتصماه ! » التي اطلقتها احدى النساء في البلدة المنكوبة من جملة المثيرات التي حركت النخوة . وقد أحيط النداء المأساوي الذي تحمله الكلمة بهالة تدنيها من الاساطير . ولكن قصيدة الشاعر التي صورت الواقع أدق تصوير ، تجرد النداء من الهالة الاسطورية وتضعه في قلب الواقع .

ويظهر ان الجيش العربي الذي تجمع على ضفة النهر الخالد لم يكن من الجيوش البسيطة ، بل كان من الجيوش التي يحسب لها الحساب الدقيق في المواجهة. وفي ضوء ذلك تراجع القائد الرومي تراجعا كبيرا، وتبرأ مما ارتكبه جنوده في زبطرة. وقد ظهر ذلك على لسان الوفد الذي أرسله الى المعتصم: «ان الذين فعلوا بزبطرة ما فعلوا تعدوا أمري وأنا أبنيها بمالي ورجالي ، وأرد من أخذ من أهلها ، وأخلي جملة من في البلد للروم من الاساري ، وأبعث اليك الذين فعلوا بزبطرة على رقاب البطارقة » هذا ما يرويه اليعقوبي المؤرخ الكبير . وذلك يدل على الفزع من الجيش الذي لا يزال في بغداد اكثر مما يدل على التوبة او الندم .

لم تكن زبطرة ، على ما يظهر ، من المدن التي ترابط فيها الجيوش الكبيرة ، ولكن الجيش الرومي الذي زحف عليها لم يكن أقل من مئة ألف ، وهو جيش هجومي مزود بكل ما يحتاج اليه الهجوم من الاعتدة والمؤن . أما الجيش العربي فكان ، على قدرته ، جيشا دفاعيا . ولم يتحرك الا بعدما ضجت الامصار من الفظائع والمذابح التي ارتكبها جيش الروم .

وفي كلمة الوفد الرومي التي ألقيت أمام المعتصم اعتراف بفظائع ذلك الجيش وقبائحه ، ولكن قائده يحاول ان يبرىء نفسه من الافعال المنكرة التي ارتكبها جنوده ، كما يحاول ان يعزو ذلك الى الفوضى وعدم الانضباط . وهذا ما يؤكده قوله : « ان الذين فعلوا ما فعلوا بزبطرة تعدوا أمري » واذا

كان جنوده وحدهم يتحملون التبعة ، كما يدعي ، فقد حق عليهم الحساب من جهتين لا من جهة واحدة .. من جهة الفظائع التي ارتكبوها واستباحوا فيهما القوانين ، ومن جهة عصيان الاوامر التي اصدرها القائد . فلماذا لم يخطر ببال القيادة هذا الحساب الا بعدما بدأت الجنود العربية تلتم وتشكل في التئامها الجيش العازم على الزحف الى الشمال ..!

أما ما جاء بعد ذلك من الاستعداد للقيام بالتعويض على الخسائر وتسليم المجرمين الفوضويين للمعتصم كي يرى فيهم رأيه فلم يكن سوى لعبة وقتية يتخلص بها الروم من المأزق الذي وقعوا فيه ، ويتهيأون في الاثناء للغارة الحاسمة .

أخفقت اللعبة وتحرك الجيش العربي الى آسيا الصغرى ، وعوقب الانتقام الرومي بانتقام مماثل . وكان الرد على البادي متناسبا مع الاعمال التي قام بها الطغاة ، وبعد احتلال انقرة توجهت الكتائب العربية الى عمورية، وحوصرت المدينة الباغية .

في أثناء الحصار أرسلت الرسل الى الامبراطور لتخبر بما وقع وتطلب النجدة ، فوقع الرسل بيد المعتصم . وحاولت اللعبة مرة أخرى ، فكانت الاسطورة في صميم اللعبة وكانت الاشاعة بانها منيعة ، ولكنها على منعتها لا يمكن ان تستعصي على الفتح . وليس الامر أمرها ، بل أمر الفاتحين . وهؤلاء الفاتحون لن يكونوا من ابناء الحرائر والاحرار ، بل من أبناء الزواني والزناة ..!

واللعبة ، على ما فيها من دعاية ، لا تخلو من ذكاء فيه كثير من المكر . وكثير من الايحاء ، وكثير من الاستهتار بالعقول .

عندما تبدأ الغارة على زبطرة ، ويفعل بأهلها ما فعل ، تكون الغارة طاهرة ومقدسة ومباركة من جميع كنائس العالم ، ويكون القائمون بها هابطين من الاصلاب المطهرة والارحام العفيفة النبيلة . أما الجواب عليها فلن

يكون من أصلاب وأرحام مماثلة ، بل من أصلاب الشياطين المطرودة من السماء ومن فردوسها الخالد ..!

ويظهر من الجواب أن الرجل الذي قاد حملة السرد لم يكن هينا ولا بسيطا الى الحد الذي يتصوره الرسل ، وما « ضحكته » على الرواية سوى ايماءة الى كبرياء الفكر الذي يسلط الضوء على الخرافة ، وعلى الكتب التي تتخذ منها وحيا والهاما قادرا على تضليل العقول البائسة الفقيرة في الوقت الذي يعجز عن اجتياز هذا الاطار .

ولا يكتفي المعتصم بـ « الضحكة » بل يتبعها بكلمة لا تقل عن الضحك بعدا وامعانا في السخرية : أما أنها لا يفتحها الا أبناء الزنى فمعي من أبناء الروم الكفاية ..! » واذا كان أبناء الروم في صفوف الفاتحين فماذا يكون التفسير ، عندئذ : لهذا « الفتح » الذي يشترك فيه العرب والروم ؟! وهل يبقى الروم روما في هذه المشاركة ، وهل يظلون في العائلة المقدسة وهم شركاء أبناء الزنا في الفتح ، ام تنزل عليهم اللعنة كما نزلت على غيرهم ، ام يعودون الى بطون أمهاتهم ويذوقون فيها ثم تحمل الزواني مرة أخرى من الزناة ؟ ! انها أسئلة بلا جواب ، وستبقى الى الابد بدون أجوبة ..

وبجانب هذه الاسطورة تنصب « اسطورة النجوم » واذا كانت الاولى خاصة فان الثانية عامة .. الاولى خرافة اخترعها التلفيق والدجل الذي يغسل الادمغة . أما الثانية فعليها مسحة من العلم الذي يربط أحداث الارض بأحداث السماء . ولكن المعتصم سخر مرة أخرى من « العلماء » كما سخر من الدجالين ، وتحرك الجيش بقادته نحو الشمال حتى وصل الى عمورية . وكانت معركة مخيفة تصادمت فيها القوى تصادما لعبت تحته الارض والخيل والسيوف . وكانت قصيدة أبي تمام في تصوير المعركة من أروع ما عرفه الشعر في ذلك العصر .

يخلع الشاعر على « السيف » في بداية القصيدة ألوان المجد كلها ، ويمنحه جميع القيم . والذي أملى عليه هذه الفكرة روعة الانتصار من جهة

ورؤية المنجمين ـ وهم ذوو أقلام ـ من جهة أخرى ، ولكن السيف أداة عامة لا تفرق بين يد ويد . وكما كانت بيد المعتصم أداة دفاعية عن الحق ، كانت بيد تيوفيل بن ميخائيل أداة عدوانية سائبة . وفي نشرة التقديس للسيف كان التعريض بالقلم واعتباره أداة هامشية ، وقد نسي الشاعر نفسه ، ونسي ما قاله في القلم :

فصيح اذا ما استنقطته وهو راكب ... وأعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت ... عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت ... لنجواه تقويض الخيام الجحافل

فالقلم في هذه الابيات فكر . والفكر اكبر من جميع الاشياء ، وهو عالم تتضاءل أمامه جميع العوالم . أنه أجدر الكائنات بالاطاعة ، واطاعته نجاة وعبور الى شواطىء الامان . وعملية المعتصم نفسها لم تكن « سيفا » فقط ، وانما كانت « فكرا » أيضا . وقد حاولت الرسل الرومية بلون من ألوان الفكر ان تحول بين الجيش العربي والهجوم على عمورية . ولكن فكر المعتصم كان أصح من أفكارهم وأنصع ، كما كان أقوى من افكار المنجمين الذين تتلاقى وقفتهم بوقفة الرسل في النهاية وان اختلف القصد . وقد كان المتنبي أبعد رؤيا من أبي تمام عندما قال : الرأي قبل شجاعة الشجعان ، وان انتقل من تمجيد الرأي الى تمجيد القوافي لحظة أخرى .

على ان أبا تمام نفسه ، وفي القصيدة نفسها يواجه المنجمين مواجهة فيها كثير من السخرية ومن الاستخفاف بآرائهم ما يرفع الشاعر الى مستوى عبقري ، فهل كانت السخرية « سيفا » أم فكرا يتخذ هذا الزي في المواجهة !

أبو تمام لم يكن شخصا عاديا ، بل كان مؤسس مدرسة كما قلنا ، ولكنه يبقى كما يبقى غيره من بقية المفكرين في عصره طائرا يتنقل من مناخ الى مناخ ومن شجرة الى شجرة وان اختلفت الاشجار واختلفت أثمارها . والسر في ذلك يعود الى السلك الذي يربط بين الافكار ، واذا كان السلك مذبذبا كانت اللحظة الزمنية هي الاناء الفكري الوحيد . وهذه الظاهرة تمتد في

جميع العصور حتى تصل الى عصرنا الحاضر • وهي تلوح في تفكير جبران والعقاد وأحمد أمين كما تلوح في تفكير أبي العلاء والمتنبي وأبي تمام • وكل فكر يبقى عرضة للتناقضات اذا لم يكن وراءه خط فلسفي يحميه من الذبذبة او من اللحظة الآنية التي تفرض وجودها عليه •

واذا قيل « الشعر شعر » وهو لا يعترف بالقواعد ، قلنا هذا صحيح ؛ ونحن لا نطلب ولا يمكن ان نطلب ذوبان فيها • ولكنه عندما يكون واقعيا ــ وأبو تمام واقعي في هذه القصيدة ــ يفرض فيه ان يكون مرهفا جدا في التقاط الواقع وفي اختيار جزئياته ، والشاعر لا يطرح اسلوبا فقط أو عاطفة وانما يطرح فكرة أيضا والفكرة المطروحة لم تكن من بناته ؛ بل من بنات المجتمع ؛ ولم يكن فيها ، على ذكائه ؛ سوى صدى اجتماعي غارق في التلاشي اليائس وان كانت القوة التي يتحدث عنها هي قوة الحق التي دافعت عن المظلوم في مهاجمة الظالم ؛ ولكن الصياغة عامة والتمجيد يبدو وكأنه تمجيد مطلق للقوة •

بالرغم من كل ذلك تبقى القصيدة من الشوامخ في الفكر العربي وأدبه، ويبقى التصوير فيها روعة فنية فاتنة • انها وان ابتدأت بما يشبه السجود للسيف والصلاة له فان ذلك لم يكن سوى تمهيد للحملة على فكر مزيف ، وخرافة شائعة :

والعلم في شهب الارماح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب

والحملة على العلم ، وان بدت شاملة ، تخصص فيما بعد بالفلك وبالشهب التي تدور في دوائره ، ولا نظن ان التخصص في « شهب الارماح » يقتضي النفي لبقية العلوم •

ان التركيز على « الرماح والسيوف » وعلومها ، تركيز في الوقت ذاته على الاستهانة بالتنجيم وعلومه ، ودعاية للحيلولة بين المنجمين والتأثير في الناس ، ومن الواضح ان الهجوم يتخذ طابع الخلط بين العلم والتنجيم ، وبين ان العلم شيء والتنجيم شيء • ولا نعرف انتماء هؤلاء الناس حتى تتأكد من

النوايا • فاذا كانوا في الجانب الاسلامي كانت النوايا طيبة وان رافقها الخطأ • وان كانوا في الجانب الآخر كانوا أشبه شيء بالرسل الذيـن رأوا ان فتـح عمورية لن يكون الا على أيدي أبناء الزنا •!

مهما يكن فان الربط بـين الهزائم ومواقع النجـوم ، أو بين الانتصار ومواقعها الاخرى شيء مضحك بالفعل • وقد أمعن الشاعر بالسخرية من هذه الرؤيا ، وكان موفقا في سخريته توفيقا يغبط عليه ويستحق التهاني :

أين الرواية•• بل أين النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصـا واحاديثـا •• ملفقـة ليست بنبع اذا عـدت ولا غرب
عجائبـا زعموا الايـام مجفلـة عنهن في صفر الاصفار أو رجب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
وصيروا الابرج العليـا مرتبـة مـا كان منقلبا او غـير منقلب
يقضون بالامر عنها وهـي غافلة ما دار في فلك منها وفـي قطب
لو بينت قط أمـرا قبل موقعـه لم يخف ما حل بالاوثان والصلب

والسلاح الذي يهاجم به « الرواية والنجوم » مـن أمضى الاسلحة لان الاحداث التي وقعت لا تقف بجانبه فقط ، وانما تمده بقوة واقعية فيها مـن المنعة والقدرة ما يحطم جميع السهام التي تحاول الدنـو منها ، والفضل فـي الرؤيا الاولى للمعتصم الذي كان الساخر الاول من التنجيم ومن المؤمنين بـه في الوقت الذي كانت النتائج مجهولة خفية تتحرك وراء الستائر فـي عالـم الغيب • أما رؤية الشاعر فمستمدة مما كان ومما وقع بالفعل ، وهي رؤيـة مادية تزودها الاحداث القائمة بجميع العناصر اللازمة وتقدم لها المـادة التـي تعوزها الصياغة فقط •

معنى ذلك ان الشاعر لم يكن سوى دور الصائغ الـذي يمنح المـادة شكلها وصورتها التي تظهر فيها ، وهو دور له قيمة وله شأن ولا يقل أهميـة عن الدور الاساسي الذي قامت به القيادة •

رؤيا المعتصم هي الرؤيا التي تمتد الى المجهول وتكتشف ما يختلج في احشائه . وهذه الرؤية العبقرية التي ترى الاحداث قبل وقوعها ، وتتنبأ بنوع المولود قبل ولادته ، وفي هذه الرؤيا يشترك سيف الدولة مع المعتصم في معركة « الحدث الحمراء » ، فقد كان جيش الروم في المعركة الاخيرة كما وصفه المتنبي :

خميس بشرق الارض والغرب زحفه وفي اذن الجوزاء منه زمازم

بينما الجيش العربي الذي يقوده سيف الدولة لا يتجاوز ٥٠٠ غلام ، وقد كان الاقدام بهذا العدد الضئيل على مواجهة ذلك الجيش الهائل نوعا من المغامرة المجنونة ، ولكن القيادة العربية كان لها رأي آخر . ولما ضربت ضربتها العبقرية الحاسمة قيل في القائد العظيم :

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى الى قول قوم أنت بالغيب عالم

ويلتقي بصورة ما مستشارو سيف الدولة ومنجمو المعتصم في الرؤيا ، ولكن القائدين الكبيرين تجاوزا الاستشارة والتنجيم وكانت النتائج باهرة في كلتا المعركتين «١» .



مرة أخرى نعود الى التنجيم والى اصرار الشاعر على اخراج أهله في ثوب الجاهل التافه الخرافي . انه يصوغ اصراره في سياق استفهامي يحمل شحنة كبيرة من الاستنكار الساخر المتهكم ، ثم ينتهي التقرير بأن التنجيم لم يكن ولن يكون سوى « زخرف » أو « اكذوبة » أو « تخرص » أو « أحاديث ملفقة » ، وجميع المفاهيم التي تحملها هذه الكلمات تكاد تصب في

---

١ ـ لنا مقال واف عن « المتنبي والروح الملحمية » سينشر في مجلة « الثقافة الجديدة » التي تصدر في بغداد . وهو من كتابنا عن المتنبي الذي لم نستطع اخراجه لحد الان . والمقال يوازن بين العقلية العربية في الجاهلية ، والعقلية اليونانية ايام هومير . ثم يحلل قصيدة الشاعر في معركة « الحدث » ويؤدي التحليل الى ارتفاع البطل لمستوى الاسطورة بالرغم من ان البطل واقعي والحوادث واقعية ايضا .

بحيرة واحدة ، واذا كان لبعضها شيء من الشفاعة او سند من التبرير فبعضها الآخر تهمة تستدعي العقوبة .

الوعي الانساني ، أو كثافة الوعي ، كما يقول « كولن ويلسن » ، هو الاساس الدائمي في اكتشاف الغوامض الغارقة في قرارة الاشياء . وكلما كان الوعي حادا كانت الاشياء بلورا من النوع الكريستالي

ومن حظ العرب في العصور الماضية ان يكون لهم قادة يمتلكون مثل هذه الكثافة في الوعي ، وفي الرؤيا التي كانت تلمس الخفايا وتضع عليها الاصابع المرهفة .

مثل هذا الوعي يحرك الخيال في نفوس الشعوب ، ويخلق لحظة الاضاءة ، ثم يخلق روح التجاوب بين الشعب والقيادة ، وما حماسة أبي تمام في هذه القصيدة سوى تعبير ، وان كان ذاتيا ، عن روح الشعب التي ترى في الانتصار على الهمجية عيدا من أعيادها القومية الكبرى . ولم يكن اصرار الشاعر في الهجوم على التنجيم الا لانه أداة من أدوات القضاء على الوعي ، ووسيلة من وسائل التغطية على الرؤيا . ولا يكتفي الشاعر بالسخرية من التنجيم ، بل يلجأ معها الى الادارة العقلية في الاستناد الى المنطق البديهي الذي يدعمه التاريخ . انه يبين بأن النجوم بكماء ، وأنها أعجز من أن توضح الامور . ولو كانت قادرة على البيان والاخبار بالحوادث قبل وقوعها لبينت ما حل بالاوثان والصلب وما انتهت له هذه الآلهة .

أبو تمام يتوجه بهذا المنطق الى المتعلمين والى الجمهور الذي يطلب شيئا اكثر من السخرية . واذا كانت لدى الشاعر قناعة كافية بأن الذين يصدرون الاحكام عن النجوم لا يستحقون اكثر من كلمة لاذعة ، أو ابتسامة ساخرة فقناعته الخاصة لا تكفي لاقناع الآخرين . وفي ضوء هذا الاحساس انتقل الى ما يشبه المنطق العلمي في قوله : « لو بينت قط أمرا » وبما أنها لم تبين ما حل بالاوثان فمعناه أنها عاجزة وان العلم الذي يتخذ منها سندا للاحكام لا يعد التخرص والتلفيق . ان الشاعر يعتقد ان هذه الرمية الخاطفة

كافية لتمزيق غمائم الشك واقناع من لم يقتنع واذا اطمأن من الوصول الى هذا الهدف عاد الى متابعة الفكرة الاولى في مطلع القصيدة ، ثم ينطلق منها الى فتح الفتوح الذي يتعالى على « الشعر » « والخطب » واذا كانت هذه الفكرة مبتذلة في عصرنا الحاضر ، فقد كان لها شيء من الصيانة في عصره ، او انها لم تكن ، على الاقل ، هزيلة الى الدرجة التي تحرك أصابع المفلسين !

وبعدما اطمأن الى بلورة الفكر التي دار حولها ، واعتقد أنه وضعها في بؤرة الاضواء تحول الى المدينة التي انطلق منها العدوان على « زبطرة » واذا هي مدينة شامخة معتزة بقدرتها وجبروتها ، واثقة بنفسها . ولم يكن في هذه الصفات الذاتية شيء من الغرور ، أو الاعتداء الفارغ ، بل كانت تمتد من قمم التجارب والاختبار التاريخي الذي تدل عليه المحاولات الكثيرة الرامية الى كسر عنفوانها ، أو ترويضها ، على الاقل ، وبقيت في ابراجها وفي وجهها ملامح الكبرياء القادرة على التحدي الصارخ . والذين حاولوا ترويضها ، أو تذويب شيء من ايمانها بالذات لم يكونوا من ذوي الادوار البسيطة في اخراج التاريخ ، بل كانوا من صانعيه ، ومن القابضين على عناقه ، أو على شكائمه التي تضع « التوجيه » في الناحية التي تفرضها الظروف .

يكفي أن يكون واحد من هؤلاء في حجم « كسرى » وواحد في حجم « الاسكندر » وواحد آخر في مستوى « أبي كرب » . ولكن هؤلاء القادة الكبار لم يكادوا يصطدمون بها حتى ادركوا أنهم وعول تناطح الحديد ، أو اكباش تدق الصخور بقرون من الحشيش ، ومدينة تمر بمثل هذه التجارب الضخمة ، وتقف في وجوه أمثال هؤلاء القادة ، وتخرج من الوقعة ظافرة هي مدينة ذهبية تدخل النار وتخرج منها اكبر من اللهيب ، وأقوى من القدر .

لم تكن المدينة هي الوحيدة التي تعرف نفسها ، وتعرف قدرها الكبير ، بل كان العالم كله يشاركها في المعرفة ، وينظر اليها نظرة من الفزع بقدر ما فيها من الحساب وتقدير الخطى قبل الاقدام على المواجهة .

كل المغامرات تهون وتهون نتائجها اذا قيست بمغامرة الحرب . ان المغامرات المالية والحب ، والرحلات المخيفة بين الوحوش في الغابات تبقى مغامرات فردية محدودة الضرر اذا رافقها الاخفاق ، أما مغامرة الحرب فمغامرة المصير كله .

واذا كانت المدينة بهذه المنعة التي يتحدث عنها الشعر ، كان الاقدام على تحديها خطرا كبيرا ، وكان بامكان المعتصم ان يتهيأ اكثر ، ويأخذ الاهبة الدقيقة للمواجهة . ولكن القائد العربي كان ملما بكل شيء ، وكانت نظرته هابطة الى الاعماق ، وما ان وصل وخيمت جيوشه ، ورأته المدينة ورأت كتائبه حتى أدركت أنها وقعت في الفخ ، وان « الكربة السوداء » هي الشيء الوحيد القادم عليها وعلى أسوارها العالية :

ضوء من النار والظلماء عاكفة وظلمة من دخان في ضحى شحب
حتى كأن جلابيب الدجى رغبت عن لونها وكأن الشمس لم تغب

وعندئذ أدركت ان الذي لاقته لم يكن كمن لاقت في الماضي ، كما أدركت ان الاعتداء على النساء والاطفال له ثمن كبير .

بغداد محمد شرارة

حصاة المسجد

* سأل رجل عمر بن قيس عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الانسان في ثوبه او خفه او عالقة بجبته فقال له : ارم بها .. فقال الرجل : زعموا انها تصيح حتى ترد الى مكانها في المسجد .. فقال له عمر : دعها تصيح حتى ينشق حلقها . فقال الرجل : سبحان الله ! ولها حلق يا سيدي ؟ فقال له عمر : فمن اين تصيح ؟

اكسروا الأقلام

ولا تخافوا الجوع !

بقلم : زهير مارديني

كثيرون من أهل القلم ، وقد أتت المأساة في لبنان على أثاث بيوتهم ، وكل ما في جيوبهم ، بدأوا يفكرون جديا في تبديل مهنتهم بمهنة اخرى ... رغم تقدم العمر ، وضيق المجال الاقتصادي ...

وكثيرون عاشوا ... وفي فمهم ــ كما يقولون ــ ملعقة من ذهب ... ثم ضاعت هذه الملعقة في جملة ما ضاع في لبنان يوم أتى الحريق على الاخضر واليابس ...

فالى أهل القلم الذين يفكرون بكسر اقلامهم أسوق هذه القصة ..

كان ابو الحسين الجزار شاعرا كبيرا ظريفا .. وكان كاسمه جزارا ... فأشار عليه اصحابه من الشعراء ان يترك الجزارة وينقطع للشعر .. فأجابهم الى ذلك .. وانقطع الى الشعر والمعيشة من الشعر .. فعاد الى الجزارة ، وقال فيها يمدحها أبياتا مشهورة منها قوله :

كيف لا أمدح الجزارة ما عشت طويلا وأهجر الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجيني وبالشعر كنت أرجو الكلابا ؟!

وقوله :

بالامس انتظر الطعام ببابهم واليوم تزدحم الكلاب ببابي

اما الاغنياء الذين تحولوا الى فقراء بفضل (حرامية المأساة) فأسوق أليهم هذه القصص الحية التي عشتها في القاهرة بعد حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

كثيرون في مصر فقدوا « الملاعق الذهبية » التي ولدت معهم بعد الحركة ... الغالبية العظمى استسلمت للقدر ... ولكن بعضهم لم ييأس... بل ناضل وعرق وعمل .. حتى عادت الملعقة الذهب ... بل واكثر في بعض الحالات !

صديق الملك حلواني !

القصة الاولى .. بطلها ليس شابا بل تعدى مرحلة الشباب بسنوات وسنوات .. وكان يعمل في (السراي) ايام الملك السابق فاروق ، ولفظة (يعمل) هي من باب التجاوز ، فقد كان من كبار حاشية الملك .. حاشية الانس والليالي الملاح !

وقد وجد (بوللي) نفسه بعد الحركة مطرودا من القصر .. فاستأجر شقة واسعة في مصر الجديدة بايجار رخيص جدا ... خمسة جنيهات في الشهر .. والشقة في الدور الارضي .. وحول (البلكون) الى باب بعد ان أوصل الشقة بالشارع بسلم مكون من اربع درجات .. وحول الشقة الى محل (حلواني) .. وتخصص في عمل (الكيك) الممتاز بكل انواعه وخصوصا الكيك الانكليزي .. والبسكويتات و (بيتي فور) .

واشتهر المحل .. واقبل الناس على الشراء منه لجودة الاصناف التي يقدمها .. ونظافتها ، فشجعه ذلك على التوسع .. فلم يقتصر على عمل (الكيك) و (البسكويت) .. بل اصبح يقوم بعمل (الكاتو) بأنواعه .. حتى اكتسب شهرة خاصة بين سكان مصر الجديدة وعددهم يوازي عدد سكان لبنان ..

وكنت أزور دكانه وأراه جالسا امام مكتبه منهمكا في الاشراف على

المحل ... او هو يراجع الحسابات .. طوال اليوم .. وما كنت لاتصور ان هذا الشخص الجاد نفسه كان في يوم ما من حاشية الملك فاروق !

ابن الباشا يباع سمك !

وصاحب هذه القصة كان من أغنى أغنياء مصر ، ومن كرام عائلاتها .. فهو من عائلة البدراوي ، العائلة العريقة والثرية ..

وضعت عائلته تحت الحراسة .. ولكنه رفض ان يظل خاملا وهو الشاب الرياضي .. ليعيش على صدقة الحراسة الذليلة .. فقرر ان يعمل وان يكون عضوا عاملا في المجتمع !

وقبل ان يبدأ أخذ يفكر .. انه يهوى صيد السمك .. فلماذا لا يفتتح محلا صغيرا ليبيع فيه ما يصطاده هو وزملاؤه هواة الصيد ...؟!

واختار (محمد بدراوي) محلا صغيرا في (سيدي بشر) بالاسكندرية، ويحوله الى محل لبيع الاسماك الطازجة ... واكتفى اول الامر ببيع كميات قليلة من الاسماك .. وبفضل معاملته الحسنة مع الزبائن .. واختياره الاسماك التي يعرضها .. نجح مشروعه ، وتهافت الناس على شراء اسماكه.. حتى ان كميات السمك التي كانت تعرض ، كانت تباع في ساعات قليلة !

وتوسع اكثر .. قرر ان يبيع الاسماك الطازجة وايضا الاسماك المطبوخة .. وكان يذهب بنفسه الى (الكباين) في سيدي بشر والمنتزه ... والمنازل يوزع طلبات الزبائن مستخدما في ذلك عربته (البويك) .. ثم .. بدأ يقدم اكلات السمك في محله .. المقلي والمشوي . وبعد ان اكتسب خبرة في مسألة المطاعم .. فكر ان يستفيد من (الفيلا) الكبيرة التي يملكها في شارع الهرم ..

(الفيلا) غير مستغلة ، وكبيرة جدا عليه هو وزوجته فقط .. فلماذا لا يحولها الى مطعم وكازينو ؟! عرض فكرته على مجموعة من اصدقائه

فشجعوه .. واعطوه المال الذي ينقصه .. وفي أول الامر حول الحديقة فقط الى (رستوران) يقدم الاكلات المشوية في المساء .. وفي الصباح يقدم المشروبات العادية وبعض الاكلات الخفيفة ..

ونجحت الفكرة .. فاضطر الى اغلاق محله الموجود في الاسكندرية .. وان يتفرغ لمشروعه الجديد .. وان يتوسع فيه .. وقرر ان يحول الفيلا كلها الى كازينو وملهى ليلي .. وبديكور بسيط تحول المكان الى (كازينو) كامل ، واكتفى هو وأسرته ببعض الحجرات في الدور الثاني ، يقيمون فيها..

وأراد (محمد بدراوي) ان يتميز الكازينو الجديد عن بقية كازينوات في شارع الهرم ، حتى يجذب اليه الناس .. وفعلا تميز الكازينو بثلاث ميزات :

اولها انه احضر فرقة جاز زنجية تعزف الموسيقى الزنجية في القاهرة .. ومن المعروف ان الزنوج هم الذين اخترعوا موسيقى الجاز ..

الميزة الثانية .. ان محمد البدراوي عين (ميتر دوتيل) للكازينو ذا خبرة طويلة بأجر ٣٠٠ جنيه شهريا .. وكان هذا المبلغ كبير جدا .. وعندما عارضه اصدقاؤه في ذلك .. قال لهم :

(صحيح المبلغ كبير لكن (الميتر دوتيل) الذي يشرف على (الجرسونات) وراحة الزبائن سيجعل الناس يحضرون الينا .. وبالتالي نكسب اكثر) .

والميزة الثالثة التي تميز بها الكازينو الجديد ان الزبائن والمترددين عليه .. كانوا يحسون انهم في بيتهم .. اي انهم مدعوون لا زبائن .. وكان يخيم عليه الجو العائلي .. فأقبل عليه الناس . ونجح المشروع نجاحا منقطع النظير .. حتى ان الباشا ترك ثروة كبيرة تعد بالآلاف عند وفاته قبل سنوات ..

شقيق الملكة المصور !

وصاحب القصة الثالثة •• شاب معروف •• فهو شقيق الملكة السابقة فريدة •• ومن عائلة عريقة ••

بدأ حياته كما كانت تبدأ حياة ابناء الذوات •• فراغ في فراغ •• سهر ولعب طوال الليل ونوم في النهار وركوب الخيل ••

وفجأة تغير مجرى حياة هذا الشاب (شريف ذو الفقار) •• فقد اصيب بشلل الاطفال وهو في سن (٢١) •• فتركه الاصدقاء ، فهو لم يعد صالحا لحياة ابناء الذوات •• السهر وركوب الخيل واصطياد النساء •• وينطوي على نفسه •• ينام عامين فوق سريره لا يفعل شيئا سوى النظر الى السقف وحوله ••

وقامت حركة ٢٣ يوليو ، وكان شريف يعالج في سويسرا ، وقد اجتمعت به عند فقيد الادب الاستاذ محمد العزب موسى وسمعت منه قصته! قال :

(سافرت الى سويسرا للعلاج •• قويت عندي حاسة النظر وحب الطبيعة وشفيت بفضل تصميمي على الشفاء وقوة ارادتي •• وعندما رجعت الى مصر لم أيأس •• قررت عدم مواصلة دراستي بكلية التجارة على الرغم من انني كنت قد وصلت الى السنة الثالثة •• كنت أتضايق من نظرات زملائي الى العصاتين اللتين كنت أتوكأ عليهما •• واصبح عندي وقت فراغ •• فكيف أمضيه ••؟!

ادمنت التصوير •• كنت أركب السيارة واطوف بكل مكان والتقط الصور •• واعجب اصدقائي بالصور التي كنت التقطها •• وشجعوني على الاستمرار في التصوير لدرجة انني سافرت في رحلة شاقة الى دير (سانت كاترين) في سيناء لاصوره ••

صورت الريف والطبيعة ، وخطرت لي فكرة .. لماذا لا أدرس التصوير؟ لكن اين ؟ ارسلت عدة صور من لقطاتي الى مدرسة لفن التصوير في الولايات المتحدة .. وعندما شاهدوا الصور ارسلوا لي الموافقة على التحاقي .. فسافرت الى هناك حيث درست التصوير الفوتوغرافي والتصوير السينمائي وتصوير الالوان ..!

وفي عام ١٩٥٦ عاد شريف ذو الفقار الى القاهرة ليعمل ست سنوات مساعد مخرج ومصورا في السينما ..

عمل مع قطين عبد الوهاب وعاطف سالم وحسام الدين مصطفى وحلمي رفلة .. ويقول :

(ولكنني لم استطع ان أستمر في عملي السينمائي .. والسبب هو قلة النظام وعدم المحافظة على المواعيد المتفشي بين العاملين في الوسط الفني .. ذلك ان أمر التصوير او (الاوردر) الذي يرسل الى الممثلين المفروض انه يكون الساعة ٤ بعد الظهر .. لا يبدأ التصوير الا في الساعة ٦ مساء .. فلا تكون الصور كما يجب .. فأشعة الشمس لا تكون في نفس قوة اشعة الشمس الساعة السادسة .. لكن الناس في الوسط الفني لا يقدرون هذه المسألة !) .

وترك شريف ذو الفقار التصوير السينمائي .. وتحول الى مصور صحفي .. وتخصص في تصوير الالوان وأغلفة المجلات ..

من مصور الى صاحب مطعم !

ويحكي شريف ذو الفقار كيف ترك التصوير وأصبح صاحب مطعم :

(.. ابويا مات .. كان عندي قرشين .. قلت لازم اعمل بيهم حاجة والا الفلوس حاتروح .. قلت احسن حاجة ان افتح مطعما صغيرا لبيع

السندويشات والعصير .. واخترت المكان المناسب .. وكان دكانا مغلقا ويستخدم كمخزن .. واستطعت ان استأجره .. واستغرق اعداده وتجهيزه وعمل الديكورات له سنة ونصف .. ثم قمت بافتتاحه .. وطوال الفترة التي اعقبت الافتتاح لم يكن للمطعم مطبخ مستقل ، بل كانت الاكلات تطبخ في مطبخ منزلي ثم تنقل الى المحل .. ثم استأجرت شقة فوق المطعم لتكون مطبخا ومخزنا له ..)

ويرفض شريف ذو الفقار ان يتحدث عن دخله الآن في المحل .. وهو كبير جدا !

هذه قصص تثبت انه لا شيء مستحيل ، وان الانسان يمكنه دائما وتحت أي ظروف ان يبدأ من جديد ..

لقد سأل احد الصحفيين الامريكيين الملك السابق فاروق عن رأيه بعد ان أخذوا منه الملك والقصور والجواهر وكل شيء فأجابهم :

(صحيح انهم أخذوا مني كل شيء ولكنهم لم يأخذوا تلك الرغبة الكامنة في نفسي وهي لذة البدء من جديد) .. ولكن فاروق لم يبدأ من جديد في الدنيا .. ولكنه بدأها في الآخرة !

زهير ماريني

نصائح ثلاث

* قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، قال لي ابي اني ارى امير المؤمنين عمر بن الخطاب يدنيك ويقربك فاحفظ عني ثلاثا : اياك ان يجرب عليك كذبة ، واياك ان تفشي له سرا ، واياك ان تغتاب عنده احدا ، ثم قال : يا عبد الله ثلاثا واي ثلاث ، فقال له رجل : يا ابن عباس كل واحدة خير من الف ، فقال بل كل واحدة خير من عشرة آلاف .

اذا تسابت أمتي سقطت من عين الله

بقلم : المحامي كمدي تعدي

من القواعد الكلية ان ما زاد عن حده انقلب الى ضده ولو كان عقلا وحكمة ووحيا ، فكيف اذا كان ضروبا من الخراب والدمار والقتل والقنص والخطف ؟

اذا استسيغت الثورة على الفساد والاستعباد والباطل فما استسيغت على الصلاح والحرية والحق . فهل ثار الله على هابيل لان اخاه قابيل قتله ؟ ام ثار على قايين لانه قتل اخاه هابيل ؟ هل ثار الله على آدم وحواء بالطرد من الجنة قبل ارتكابهما المعصية ام بعد ارتكابهما المعصية ؟

كل ثورة لا تقوم على الحق والعدل والصلاح والحرية هي عاصفة هوجاء تدور رحاها على صاحبها كما تدور على الباغي الدوائر .

أهي الثورة ان توصد ابواب العدل والعدل اساس الملك ؟

أهي الثورة ان تخرس السنة المحامين والسنة المحامين السنة الحق والمنطق والقانون ، والنطق فضيلة الحي على الميت وامة تتساوى احياؤها بامواتها تموت .

اهي الثورة ان تقضي على الامن فتقضي على الامة لان الامن حياة الامة تزول بزواله .

اي حق لغير اللبنانيين في لبنان وهم ضيوف ومتى كانت الضيافة تقابل بذبح الاطفال وقتل الابرياء والعلماء والادباء والشعراء ؟

لبنان جنة الاديان والاديان والكفران لا يلتقيان ، اي حق للطامع الى صنين وصنين قمة تجلي الله ، وقمة تجلي الله لمن انعتقت ارواحهم من الحرب ونزعات الارض ، أليس كارثة على الحياة ان تكون لنا الحياة ولا يبقى لنا

من الحياة ملطى يقينا خطر القذائف ؟ ايكون لبنان ملجأ المظلومين في الدنيا والمضطهدين والمشردين ويصبح ابناؤه مظلومين ومضطهدين ومشردين لا مأوى يؤويهم . الثورة على الكفر دين وعلى الدين كفر ، فما لكم تثورون على الدنيا باسم الدين والحديث الشريف يقول : (اذا عظمت امتي الدنيا نزعت منها هيبة الاسلام) .

اتطلقون الجاني من السجن ليقتل البريء وتجعلون من البريء مجرما ومن منزله سجنا له ، وتدعون العدل وآفة العدل ان تجرم بريئا ، وتبرىء مجرما .؟

الثورة على الانسان ثورة على الله ، أليس الانسان في الله والله في الانسان . هذا الانسان الذي هو اغلى ما في الحياة امسى ارخص ما في الحياة .

الانسان شريك الانسان في السماء والارض ، في الموت والحياة ، فما قتل الانسان انسانا الا قتل الناس جميعا على حد الآية (من قتل نفسا بغير نفس ، او فساد في الارض فكأنه قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكأنه احيا الناس جميعا) .

وكيف تتباهون بقتل اخوانكم ، وانتم سلالة امة تباهي باعزاز الاخ والجار ، اما قال السموءال :

(وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل)

وما لكم تتغنون باسم العروبة بالسنتكم وانتم تبنون العروبة اعشاشا في ارواحكم . العروبة تأبى ان يكره الانسان لنفسه ما يحب للناس ، وانتم تكرهون احتلال بلادكم وتستطيبون احتلال لبنان . وما لكم تستخفون بالقتل والاقتتال والمسابة تسقط الامة من عين الله عملا بالحديث الشريف (اذا تسابت امتي سقطت من عين الله) .

وكيف يثور العربي على اخيه العربي في لبنان مهد العروبة ونبيه يقول : (الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله) فهل احبهم اليه اكثرهم قتلا

لعيالهم ؟ وانى يكون فضل لعربي على عربي ، والقرآن يقول : (لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى) • وكيف تقتلون اليتيم والسائل والآية تحذر (اما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث) • فهل القضاء على اليتيم والسائل وعلى لبنان نعمة يجب التحدث بها ؟ وكيف يقتل المسيحي المسلم ومعلمه يكرز : (احبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم) •

فلم الاحتراب باسم الاديان والاديان تحارب الاحتراب ؟ فتعالوا نحارب ما يثير الاحتراب في نفوسنا من جهل وبغض وجمود وتعصب وتقليد لتتساقط قوافل الحرب والحقد والبغض اشلاء • تعالوا نسر في ركب الحياة لتكون لنا الحياة ، فالحياة محبة وانطلاق، تأبى البغضاء والانغلاق، الحياة تجديد فلم الجمود والتقليد ، الحياة في تغيير ما في النفس على حد الآية (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) •

انسان لبنان نفس لبنان ، ففي بناء الانسان بناء لبنان وقوام بناء الانسان الايمان بان الانسان اخو الانسان ، وان سعادة الانسان في اسعاد اخيه الانسان ، وان الاديان بجوهرها واحدة تهدف لهدف واحد هو الله ، ولا طائفية في الله ، ولا دين في الطائفية ، فمن الجهل الفاضح والكفر الفادح ان يغدو ابن المنطقة الشرقية غريبا عن ابن المنطقة الغربية ، وابن المنطقة الغربية غريبا عن ابن المنطقة الشرقية • والانسان تخطى الاكوان وجاور الشمس والقمر •

أليس كل ما في الكون في تعاون لا يقبل الانفكاك من اكبر كوكب في السماء الى اصغر حشرة في الارض • اتكون الاجرام والحشرات خيرا من الانسان ، والانسان قطب الحياة ؟ الحياة وحدة متماسكة الاجزاء لا مسلم فيها ولا نصراني ، فتعالوا نرفع علم لبنان الواحد اللاطائفي فتسقط الفواصل ، لقد كفانا ان نعيش نحلا ومللا ونحن عبدة اله واحد ولسنا عبيد اصنام واوثان • هلموا نودع خريف الحرب والبغض والرجعية والتقليد ونستقبل

ربيع السلام والمحبة والانفتاح والتجديد بشخص من قيضه الله منقذا للبنان الرئيس الاستاذ الياس سركيس •

لا عجب اذا ما اولته الدول الراقية الثقة وفي طليعتها الشقيقة سوريا • فمن ولاه الله خدمة بلاده جدير بثقة خيار عباده •

ان لبنان تهدم ولا يد تقوى على بنائه الا يد تخلق وتنشيء وتبدع هي يد الله ويد حاكم يحكم بعدل الله ، ومحبة الله ، وهل المحبة الا الله ، وما يبنيه الله لا هادم له •

بيروت — كعدي كعدي



وصية

اوصيك بالتقوى وبالاخلاق ... فاذا هما صينا يصان الباقي
والصبر عون في الشدائد فاصبري ... وثقي بعون الواحد الخلاق
فلربما ضاق الفسيح واجدبت ... بعد العطاء موارد الارزاق
وتجنبي بخل البخيل وحاذري ... ان تسرفي من خشية الاملاق
فالفقر يذهب بالكرامة والغنى ... حصن لها بالبذل والانفاق
صوني جمالك بالعفاف واسدلي ... من فوقه ستر الحياء الواقي
واذا نطقت تبيني وتخيري ... ما طاب في الاسماع والاذواق
وتمسكي بالصمت في الغضب الذي ... يودي بصاحبه الى الاخفاق
هذي نصيحة والد لفتاته ... والنصح من حرص ومن اشفاق
ومن النصائح كالجواهر هذه ... لحلى القلوب وتلك للاعناق

خربة سلم — احمد حسن الامين

الشيخ علي الصغير

نادرة بين الرجال

بقلم : خضر عباس الصالحي

في فجر يوم الاحد المصادف ٩/٣/١٣٩٥ هـ والموافق ٢٣/٣/١٩٧٥ م وافى الشيخ علي الصغير الاجل المحتوم في بغداد ، وتصاعدت روحه الزكية الى بارئها ، فأغمض عينيه الى الابد مودعا هذه الحياة الفانية ... انه لرزء أليم ، وخطب جسيم ، وقد عظمت في فقده الخسارة ، وجل في موته المصاب . فيا للفاجعة المريرة ، ويا للحدث الجلل ...

وما ان وصل الجثمان الطاهر الى مقره الاخير في مدينة النجف الاشرف حتى تلاقفته أيدي الجماهير الغفيرة ، وفي مقدمتها العلماء الاعلام ، ووجهاء القوم ، فكان تشييعا مهيبا ... وقد هز المصاب الفادح نفوس الكثيرين ممن عرفوه من خلال أدبه وشعره ، أو اتصلوا به اتصال تلمذة وصحبة وزمالة ، فكانت الافئدة مكلومة ، والعيون تذرف الدموع الساخنات ، فان فقده أدمى القلوب ، وقرح الاجفان ، وأوجع الجوانح ، والكل قابع تحت وطأة الشعور بالحزن والاسى ، لما جبل عليه الفقيد الغالي من أخلاق نبيلة ، وسجايا جليلة ، ولما له من المنزلة الرفيعة في النفوس ، حيث أفصح هذا الاقبال الشديد على تشييعه عن عظمة الرجل في دلالاتها العميقة ..!

لقد غادرنا بشكل نهائي وفاجع ، واستقبل رحلة اللاعودة باطمئنان ورضى ، ومضى الى المقبرة الخرساء حيث تتساوى الاضداد ، وتسقط الامتيازات ، وتتلاشى الاعتبارات ، وغيبة الثرى ، وأصبح في ذمة الله ، تاركا لنا من تراثه الفكري الموجه ما يستوجب الفخر والاعتزاز ..!

لقد فارقناه على مضض ، وشيعناه بقلوب ملهوفة ، ودموع مدرارة ...
فمن هو هذا الفقيد الراحل الذي استقبل الناس نبأ وفاته بهلع مرير ، وجزع كبير ، ورانت على وجوههم سحب الكآبة القاتمة ، وانبجست عيونهم بفيض من الدموع الغزار ، ولم يستطيعوا التغلب على عواطفهم المتفجرة ، فأجهشوا بالبكاء والنحيب ، وقد صعقوا لهول الرزء الاليم ...؟!

قبس من حياته

انه الشيخ علي بن الشيخ حسين الخطيب المفوه ، والشاعر المطبوع ، وبموته مات مثال للرجولة ، وأحد الاسس المكينة لبنيان الفقه الاسلامي الشامخة ، وأمثولة رائعة لرجل الدين الحقيقي في ورعه وتقواه ، وعلم خفاق من أعلام النجف البارزين المشهود لهم برجاحة العقل ، وغزارة العلم ، والشجاعة في ابداء الرأي ... وقد ولد بمدينة النجف الاشرف في اليوم الخامس من شهور شوال سنة « ١٣٣٣ » الهجرية ، والمصادف لسنة « ١٩١٤ » الميلادية ، وينحدر من أرومة موغلة في الاصالة والنبالة ، ومعروفة بالفضل والمروءة ، وينسل من عائلة لها مكانتها العلمية والادبية في النجف ... وفي ظل هذه الاسرة العريقة تربى تربية دينية أثرت في تكوينه الفكري والخلقي.. وفي هذه المدينة الحافلة بمعاهد العلم والمعرفة ، والعامرة بمساجد العبادة وتلاوة القرآن الكريم تفتح ذهنه على الحياة ، ولما اشتد عوده انتظم طالبا في احدى المدارس الدينية ، وأظهر منذ صباه الباكر تفوقا مرموقا ، ونضجا في التفكير ، وذكاء متوقدا ، وتعود الصبر على القراءة لا يشغله عنها شاغل مهما عظم ، فأكب على الدراسات التقليدية في المساجد ، وواصل المطالعة والدرس ، فحصل على العلم الوافر ، والثقافة العميقة ، وصقل مواهبه الثرة بالقراءات المتنوعة ، وهضم التعاليم الاسلامية ، واطلع على جميع جوانب المعرفة ، فاتسعت ثقافته ، ونال مرتبة عالية في العلم ، اذ لشدة كلفه بالعلم ، وولعه بالادب ارتاد مجالس الفضلاء ليرتشف من مناهلهم العذبة ، فدرس مقدمات الفقه والاصول والنحو واللغة على أيدي فقهاء العصر العظام وهم المرحوم السيد محسن الحكيم ، والسيد ابي القاسم الخوئي ، والمرحوم الحجة خضر

الدجيلي ، وقد نهل من ينابيعهم السخية فيضا من علم زاخر يزينه صبر على البحث وجلد على المحاورة ، وأوتي حظا وافرا من المعرفة، وتبوأ مكانة مرموقة في علوم الدين ، وصار في عداد الذين يعدون بالاصابع ..!

وتعشق الادب العربي ، فأخذ فروعه وفنونه عن أئمته ، وعمل على تنمية قابلياته الادبية ، وموهبته الفطرية في قرض الشعر حتى أصبح متضلعا في علوم اللغة العربية ، مالكا لأسرارها ، وأمست اهتماماته موزعة بين الفقه والشعر ، وأصبح شاعرا قوي العاطفة ، متقد الشعور ، عميق الفكر ، اتخذ اللغة وسيلة للتعبير عن كل ما تجيش به نفسه من خواطر ، وجعلها أداة خلق الصور الفنية الرائعة ، وجمع بين الفكرة الهادفة والفن الشعري ، وجاء شعره صورة صادقة لحياته ، وجسد بصوره الشعرية مجمل أفكاره وخيالاته ...

وعندما شق طريقه في عالم الابداع ، وحظي بشهرة واسعة في العلم والادب ، وأصبح له مقام رفيع في دنيا الشعر ، وصار ذا صيت ذائع في مجال العلم والعطاء والابتكار ، فقد انتسب الى جمعية الرابطة الادبية بالنجف الاشرف سنة « ١٣٥٥ » الهجرية ، وكان من أعضائها النشيطين ، وأشغل السكرتارية فيها طيلة خمسة عشر عاما خلفا للشاعر الخالد المرحوم السيد محمود الحبوبي ... وفي سنة « ١٩٦٠ » الميلادية انتقل الى بغداد ، وأقام فيها عالما دينيا ، وممثلا للمرجعية ، وشغل امامة الجماعة في « جامع براثا »«١» واهتم بالعلوم الشرعية ، والدراسات الدينية ، فعمل أستاذا للفقه الاسلامي

١ ــ جامع براثا سيأتي ذكره في الصفحة ٦٥٠ .

في كلية أصول الدين ببغداد ، وعضوا في جماعة علماء بغداد والكاظمية وعكف على التأليف فصدر له من المؤلفات رواية شعرية باسم « مرجريت » سنة « ١٩٤٨ » الميلادية ، وسلاسل أدبية هي عبارة عن مجموعة مقالات نشرت في مجلة « العرى » الزاهرة سنة « ١٩٤٩ » الميلادية ، ومحاضرات في الفقه الجعفري ••• وله من المخطوطات ، علي وأهل البيت في القرآن ، والفقه الاسلامي المقارن ، ومباحث في الاصول ، ودروس في المنطق، وذكرى الشيخ جواد الشبيبي ، وديوان شعره بعدة أجزاء •••

ملامح شخصيته المميزة

كانت قامته تميل الى القصر ، ممتلىء الجسم ، عريض المنكبين ، على وجهه بشاشة تشف عن سريرة طيبة صافية ، وعلى شفتيه ابتسامة دائمة تدل على حسن الطوية ، ذو عينين براقتين تنمان عن ذكاء حاد ، وعقل وقاد ••!

والحق أقول انني كنت في أوج الحرص والتلهف على ملاقاته والتحدث اليه ، وذلك لاعجابي الشديد بأدبه الفياض ، ومعالجاته الشعرية التي أسهمت في نضال الامة العربية ضدكل أشكال التخلف والاستغلال ، وحرضت على مواصلة الكفاح للقضاء على الاستعمار والصهيونية ، واظهاره لقابليات شعرية متقدمة ، وامتلاكه الغنى والقدرة على العطاء ، وتصوير الواقع الثوري المعاش حتى أصبح أحد الشعراء البارزين في مرحلة الرواد ••!

وفي مساء أحد الايام من سنة « ١٩٧٠ » الميلادية تحقق الامل المنشود بلقائي الشيخ الجليل علي الصغير ، وذلك في مسجد « براثا » بالعطيفية أحد أحياء بغداد المشهورة من جانب الكرخ ، وصار من دأبي وديدني الالتقاء به في فترات متقاربة ، وأمست تجمعني اليه مودة فكرية ، ومحبة صافية كالسلسبيل ، ووشائج قلبية قوية التلاحم ، فعرفته عن كثب ، وكان الجانب الخلقي أشد ما بهرني منه ••• له شخصية قوامها طيب المعشر ، ولطف الاماءة، وظرف الحديث ، وكان المثل الاسمى للوفاء ، وقد عز في مجتمعنا الوفاء الانساني •••

كان يستقبل زائريه بالترحاب ، ويفتح لهم صدره وقلبه ، ويوسع لهم في المجلس ، ويشاركهم الاحاسيس والمشاعر ، ويجاذبهم الافكار والآراء ... وله قدرة عجيبة على اكتساب محبة جلسائه منذ اللقاء الاول ، ويهيمن على الحاضرين بظرفه ونكاته الادبية ، وطلاوة حديثه ، ونلمح وراء أحاديثه ذكاء مفرطا في فهم الناس والاشياء ، يمتلك امكانية فائقة على الاقناع ، وعلى أساس منطقي ... وابتسامته تنشر أنوار المحبة والوداعة والطيبة على الآخرين ...!

وظلت الصلات الحبيبة قائمة بيننا حتى توفاه الله تعالى بالصورة الاليمة التي تلقيتها ، والتي أخذت مني مأخذها ، وقد جمد الدمع في عيني حين فاجأني نبأ نعيه ، وحاولت أن أذرف دمعة تخفف من غلواء حزني فما تسنى لي ذلك مطلقا ، حيث أخرس لساني ، وحجر الدمع في مقلتي ، وشل القلم في يدي ... لقد منحني من حبه ، وأعطاني من تقديره الشيء الكثير ، فيا للنبأ المفجع ، ويا للخسارة الفادحة ...

لقد عرفت فيه المروءة والنجدة والخلق الكريم ، وكان رجلا صالحا طيب القلب ، وعلى جانب عظيم من النزاهة والاخلاص ، والاتزان العقلي ، والسمو الروحي ، وكان انسانا ودودا متجردا من الاهواء والاثرة والانانية ، انسانا صقلته مأساة الحياة التي أخذت منه أكثر مما أعطته ، عاش حياة الزهد والتقشف ، فقد زهد في كل ما يشتجر حوله من حطام ومتع زائفة ، فلم يكن عبدا لشهواته ورغباته ، ولم ينحرف عن الجادة المثلى ، والطريق المستقيم ، ولا زاغ عن الحق ، ولا طأطأ رأسه الا أمام الحق ، في طباعه الشهامة والاباء والعفة ، أخذ بمبادىء التسامح والعفو عند المقدرة ، وتحلى بالتواضع ونكران الذات ، والصدوع بالواجب دون انتظار المثوبة ..!

كان من نفر مختار ومعدود ، وانسانا مشرق الوجه ، جليل السمت في سماحة تزينها الفضيلة ، وتتوجها مكارم الاخلاق ، حاد الذكاء ، حاضر البديهة ، سريع النكتة ، آمن بما علم انه الحق ، فعمل بوحي من ايمانه وضميره

وخلقه ، وكان صادقا مع نفسه ومع الناس حتـــى باتت سيرته الحميدة وأدبــه الرائع خير مدرسة للاجيال العربية القادمة ..!

مهامــه الكفاحيــة

ان أحدا لم يستطع ان ينكر بأن المرحوم الشيخ علي الصغير أمسى مـــن الخالدين الذين فرضوا أسماءهم في سجل الزمن بما قدموه من جليل الاعمال والتضحيات فكرا وعملا ، وبما تركوه من تعاليم وسيرة ، وبمـــا خلفوه مـــن تراث وذخائر ، وبما تميزوا به من تفكير جاد ، وثقافة عميقة ، وجزالة منطق : فهو من رجال الفكر الشرفاء ، والشخصية العلمية النادرة ذات الفاعليـــة فـــي تهذيب النفوس ، والعمل الجماعي المنظم ، وتعميق التغيير الجـــذري ، وارساء دعائم البلاد على أسس راسخة من العدل الاجتماعي ، والمساواة الانسانيـــة ، حياته حركة دائبة لا تتوقف ، يذود عن الاسلام بكل ما أوتي من قوة وحول ، فقد نذر نفسه لخدمة الدين ، واحياء تراثه ، والذب عن حياضه في روعة بيان ، ونصاعة حجة ... وقد أخلص لعقيدته الاسلامية ، وضحى من أجلها ، وكـــان مجاهدا من المجاهدين الافذاذ ، فلم يعرف التخاذل والمهادنـــة والنكوص ... كان يسمع كل سؤال ، ويجيب عن كل استفسار ، ويسأل عن الفقير والمحتاج، فيعطف عليهم دون ان يعلم أحد بذلك ، جعل رعاية البؤساء الهدف الاسمى ، والمثل الاعلى ، وسعى الى تقدم الامة ودوام ازدهارها بنفس نضالي مثابـــر ، وروح من الشعور العالي بالمسؤولية ، فألقى على عاتقه المهمة الكبرى ، مهمـــة اسعاد ابناء شعبه ..!

لقد كان على قدر كبير من الوعي والنظرة الدقيقة والصائبـــة ، وعرف بنزاهة الضمير ، واستقلال الفكر ، واتصف بالبذل والتجرد وروح التضحية ، وكرس حياته لنشر الافكار البناءة ، افكار الخير والعدل الاجتماعي ، وكـــان يسعى لخلق مجتمع انساني جديد ، مجتمع خال من الرذائل والظلم والحروب ، مجتمع تتوفر فيه كل امكانيات الرفاه والسعادة ، ولا تفتك به الامراض ، ولا تنتابه العلل ...

وحينما اتخذ بغداد محل اقامة له ، وعمل اماما في مسجد براثا هاله ما رأى من ضياع الشباب المسلم وتمزقهم ، وسيطرة الافكار الهدامة على عقولهم حيث انجرفوا بتيارات المبادىء التي لا تأتلف وروح الاسلام والقومية العربية، وأصبحوا يعيشون في فوضى لا منهجية وسط ركام من ظلام الطيش ، فعزم على خلق جيل صالح وتوجيهه الوجهة السليمة ليتصف بسلامة العقيدة ، ويتسم تفكيره بالدقة والعمق والاصالة ..!

وكان أهم عمل قام به هو تأسيس مكتبة براثا العامة ، وجهزها بأنفس الكتب العلمية والادبية ... ولما بدأ الشباب المثقف يتوافد عليها للافادة بما فيها من ثمرات العقول استغل تواجدهم في المكتبة فراح يوجههم الى طريق الحق والعدل ، وينير لهم سبل الرفعة والمجد ، ويهيب بهم الى التحلي بمكارم الاخلاق ، ويحثهم على التآزر والتآخي ، واشاعة المحبة بين الناس ، وترك الصفات الذميمة من حسد وبغض وافتراء واجتثاث الحزازات من الصدور ، اذ ان الاخلاق الفاضلة هي خير ما يجب ان يتجمل به الانسان ، ليخلق منهم مواطنين صالحين يحملون على أكتافهم أعباء الوطن ، ويبنون بسواعدهم الفتية مجده وعظمته ، فيمضي قدما في طريق التقدم والرخاء ..!

وهكذا استطاع تهيئة المناخ الذي يزيد من ثروة الشباب الفكرية ، وبلوغ أعلى مستوى ثقافي ممكن بينهم انطلاقا من الرؤيا الاسلامية المعتمدة على تأهيل الشباب الذي يشده فكريا لتحقيق انسانية الانسان ..!

وقد أدرك أهمية الدور الذي لعبته الدراسة الفقهية في نظرته للحياة عندما كان يتلقى تحصيله العلمي في حلقات الدروس الدينية في الصحن الحيدري الشريف ، والتي تتجلى في أروع صورها العقائدية والتنظيمية ... وفي ما هو دائب عليه من أعمال مضنية في جامع براثا انتدب استاذا لتدريس الفقه الاسلامي في كلية أصول الدين ببغداد ، فاستغل هذا الانتداب لانجاز المهمات الملقاة على عاتقه ، اذ عمل على نشر وتعميق الثقافة الدينية والقومية بين الطلبة ، واستفزاز هممهم للنهوض بأمتهم ووطنهم ، ومتابعة النضال على

طريق الاهداف الخيرة ، وليحملوا الى جانب سلاح العلم والمعرفة روح الفخر والاعتزاز بأمتهم وتاريخها المجيد ، وتراثها العظيم ، ويتحلوا بالثقة والايمان.. وقد بث فيهم روح الابداع ، وأصالة الفكر ، وصلابة الاصرار ، وأصبح الموجه لهم اذا ضل بهم الطريق ، والمرشد لهم اذا ارتبكت منهم الافكار ، وقد تخرج عليه جمهور من طلاب العلم بعد ان نهلوا من غزير علمه الثر ، وفيض ادبه الجم ، وأعطاهم المضمون الواقعي للدعوة المحمدية ، وسعى الى تصعيد الوعي الثقافي بينهم في ضوء المبادىء الاسلامية ، ودعاهم ليأخذوا بأسباب التقدم الحضاري ، ويتفاعلوا مع مجمل الاحداث التي تمر بالاقطار العربية.. تلك خلال واضحة وبارزة في كثير من حوادث حياته وكفاحه ..!

كل نفس ذائقة الموت

لقد مات الرجل الحر وهو في أوج نضجه وعطائه بعد ان ترك وراءه سيرة من أعظم السير ، سيرة رجل وهب حياته للاسلام ، وعرف الحق فأخلص له ، وأسهم اسهاما واسعا في عمليات التوعية ، وأدى رسالته الفكرية التي أظهرت لنا مقومات شخصيته ومشخصاتها ..!

لقد اخترمته يد المنون بعد حياة مرهقة يحفها النصب ، وتؤرقها الاحاسيس ، وكانت وفاته خسارة فادحة للعلم والادب والفضيلة ، صدمة مروعة للذين اتصلوا به ، وأخذوا عنه ... وأودعه والدموع قد جمدت في عيني ، وكبا بي قلمي في التعبير عن مشاعري الحزينة ... وصور كثيرة من حياته تتزاحم أمام عيني ، فلن تستطيع يد النسيان ان تمتد لفكري وقلبي فتمحو منهما تلك الصور المهيبة ..!

لقد ترك وراءه تراثا ضخما من القيم المثلى ، والعطاء الانساني النافع ، والثروة الفكرية والعاطفية ، وان أهمية التراث العريض الذي خلفه لنا يكمن في كونه يوفر للانسان سعادة الدارين الفانية والباقية ... فليس من السهولة بمكان ان يملأ الفراغ الذي تركه ، وستظل مآثره نبراسا يضيء لنا درب الكفاح حتى تتحقق أهداف أمتنا ، وستبقى ذكراه عبقة في خواطرنا وقلوبنا

جميعا تتوارث الاجيال نتاجاته المنوعة ، فله من الاعمال الجليلة مـا يجعلـه خالدا في أعماق التاريخ ... وان نجله الشيخ محمد حسين الصغير سيتابـع ايقاد نور الشعلة التي أضاءها والده الراحل ؛ ويواصل أعماله الانسانية فـي المضمار الديني ، ويستمر على أداء خدماته البناءة في المجال التربوي ..!

رحم الله الفقيد بقدر ما قدم للاسلام مـن خدمات ، وأدخلـه فردوس النعيم ، وعزاء لأسرته وأصدقائه ومعارفه . . وليس لنا أمام هذه الفاجعـة المضة التي تثير الحسرة في النفوس الا ان نستعين بالله صابرين محتسبين ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ...

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مـن قضى نحبـه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ... صدق الله العظيم

بغـداد ـ العراق　　　　خضر عباس الصالحي

ـ تصحيح لا بـد منه ـ

تقع بين الحين والحين أخطاء مطبعية مـن الصعب تلافيها مهما اعتنـى الانسان بالتصحيح .

وفي العدد الاخير اي الخامس تاريخ ايار « مايو » ١٩٧٧ اثناء وجودنا خارج لبنان وقع خطأ في صفحة ٤٣٦ في المقال المعنون :

« اسعد الحكام من اسعد رعيته واشقاهم من اشقاها » فلم يذكـر الا بالفهرس اسم كاتب المقال وهـو المحامي الاديب الكبير الاستاذ كعدي كعدي وقد ذكر خطأ اثناء الصفحات اسم الاستاذ زهير مارديني لان المقال الذي يليه هو للاستاذ زهير ، كما ان الاثنان في تحليل مثل هذه المواضيع فرسا رهان .

فعذرا على هذا الخطأ والرجاء تصحيحه .

السيد نور الدين شرف الدين

بقلم : السيد محمد صادق الصدر

السيد نور الدين شرف الدين عليه الرحمة ، والده العلامـة الكبيـر المرحوم السيد شريف نجل الحجة المرحوم السيد يوسف شرف الدين •

وأمه الوالدة البارة المرحومة كريمة الحاج علي الزيـن والـد المرحوم الشيخ عارف الزين ، صاحب مجلة العرفان ، ورجل الاخلاص والثبات •

والسيد شريف شقيق المرحومة والدتي ، وأمهما كريمة المرحوم العلامة الشيخ محمد سليمان الزين ، والد المرحوم الشيخ محمد رضا العالم الشاعر والقاضي الاديب المعروف •

ولد السيد نور الدين عليه الرحمة في النجف الاشرف في ٥ صفر سنة ١٣٢٧ ، حيث كان والده لا يزال في مهجره العلمي •

روع السيد نور الدين بفقد والده ، ولم يبلـغ العاشرة مـن عمـره ، فاحتضنه عمه الامام رضوان الله عليه ، وضمه اليه وقد حظي من عطفه ورعايته ما لم يحظ به ولد من والده وقد بقيت هذه الرعاية الى آخر لحظة من حياته •

نقله السيد بعد وفاة والده من شحور الـى مدينـة صـور ، فأدخلـه المدرسة ، وقام بنفسه يعلمه العربية مع اخوانه أبناء عمه ، ثـم أرسله الـى العراق سنة ١٣٤٢ ، ومعه السيد محمد رضا والسيد صدر الديـن رحمهمـا الله ، حيث يقيم أخوهم الاكبر المرحوم السيد محمد علي فـي الكاظميـة ، موطن اخواله الاعلام من آل الصدر •

وكان يومئذ على قيد الحياة ، عميد الاسرة ، والمرجع الديني الاعلى ،

عمنا المرحوم السيد حسن الصدر ، لذلك كانت الكاظمية في ذلك العهد ، مقصدا يتجه اليه كثير من الطلاب والافاضل .

وكان أخوهم الاكبر السيد محمد رحمه الله في ذلك التاريخ مشغولا بدراسة الكفاية ، عند استاذنا المرحوم السيد حيدر الصدر ، الذي كان آية في الفقه ، وحجة في الاصول .

وكان المرحوم السيد محمد علي يكتب درسه من أصول الكفاية في كل يوم ، ويعرضه على استاذه قبل الشروع بالدرس ، والاستاذ يوليه من العناية والرعاية ما يشبع رغبته العلمية .

وبعد ان فرغ السيد محمد علي من الكفاية ، وهضمها درسا وشرحا ، قصد النجف الاشرف ، اذ كانت ولا تزال هي الهدف لطلاب العلوم الدينية في درس الخارج للدراسات العليا في الفقه والاصول .

وكان المرحوم السيد محمد علي يشرف على اخوته في النجف الاشرف، ويختار لهم الاكفاء من المدرسين .

وبقي الجميع في بيت واحد ، يشار اليهم بالبنان ، من حيث الفضل والهدي والادب والمجد والخلق الرفيع ، ولكن شاء الدهر الخئون ، ان يفرق هذا الاجتماع ، فأصيب السيد محمد علي بمرض عضال ، اضطره للرجوع الى جبل عامل ، في وقت كانت البلاد العاملية تتهيأ لاستقباله ، بعد ان أنهى دراسته واجيز من أساتذته الاعلام ، كما ان المرحومين السيد محمد رضا والسيد صدر الدين ، اتجها الى الصحافة والوظيفة قبل ان ينهيا الشوط ، وقبل ان يفرغا من دراستهما العلمية ، وثبت السيد نور الدين على سالف عهده ، فنهل من العلم ما شاء حتى ارتوى ، وصب له في انائه حتى توسط ساحة الفضلاء وكان الماثل في علمه وهديه وخلقه وصلاحه .

وكان محبوبا مهابا محترما لدى القريب والبعيد ، ولا يذكر في يوم من

الايام الا بالخير ؛ ولا يشار اليه الا بالاكبار •

عف اللسان ، صادق اللهجة ، لا يذكر انسانا بسوء ، واو كان ظالما له ، ولا يدخل في نزاع او فتنة ، وشعاره قول جده أمير المؤمنين سلام الله عليه : كن في الفتنة كابن اللبون •

يتواضع ولكن برفعة نفس تواضع العلماء ، وهو بهذه النفس الرفيعة المتواضعة ، في كل ادوار حياته ، لا فرق في ذلك بين أيام الشباب والكهولة والشيخوخة ، وهو هو في أيام الصحة وأيام المرض ، لا تفارقه البسمة في حال ، كان يحب الاعتزال ، ولا يشترك مع الناس في أمورهم ، الا على قدر الواجب الذي يفرضه الشرع ، ويدعو اليه الاجتماع •

يحب ارحامه ويصلهم وان قطعوه ، وهو في كل أدواره همزة وصل ، ولا يرضى لنفسه ان يكون همزة قطع في يوم من الايام ، وهذا شأنه مع القريب والبعيد ، وهذا من خلقه الطبيعي بصرف النظر عن الواجب الشرعي ، وهي خلة كريمة ، ومن الصفات النادرة التي لا تجدها اليوم الا في قليل من الناس •

هادىء النفس ، فلا تحركه العواطف الا اذا غضب في سبيل حق ، فانه يثور ثورة الاسد الهصور •

عاشرته طوال أيامه رحمه الله ، فما لمست منه خطأ في قول او عمل ، وهو ميال لان يعمل ولا يقول •

يحب الصمت ، فهو لا يتكلم الا اذا دعته الحاجة الى الكلام وقد يظن من لا يعرفه انه عي اللسان ، ولكنه اذا تكلم تحدث بدون تكلف ، متسلسلا في فكره ومنطقه •

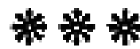
رجع السيد نور الدين من النجف الاشرف الى جبل عامل بعد ان ارتوى من العلوم كما شاء ، وقد استقبل استقبالا فخما ورحبت به القرى المجاورة

مظهرة شعورها بالاهازيج الشعبية المعبرة عن بالغ سرورهم •

وقد وجد عمه الامام رحمه الله به ما أقر عينيه ، واثلج صدره اذ رآه صورة طبق الاصل عن المرحوم أبيه علما وهديا وخلقا •

وقد اشترك في كثير من المناسبات العامة التي كان السيد عمه رحمه الله يدعو اليها ، ولا سيما مناسبات العيدين : المولد والغدير فقد كانت القرى العاملية تقصد السيد مجتمعة في نادي الامام الصادق (ع) لاستماع ما يقوله الادباء والشعراء الذين كانوا يتسابقون الى القول في هذه الحلبة من كل عام •

وكان السيد رضوان الله عليه ، يكتفي في السنين الاخيرة بما يقوله ابن أخيه السيد نور الدين ، أو ابنه المرحوم السيد صدر الدين اللذان كانا يمثلان السيد في مثل هذه المواقف أحسن تمثيل •



***

لقد كان المرحوم السيد أحمد الحسيني وزير العدلية في لبنان من الرجال المخلصين الذين يحرصون على سمعة القضاء وتحقيق العدالة ، وهذا ما حداه على تعيين السيد نور الدين قاضيا للشرع في صيداء ، وقد كان لهذا التعيين صداه الحسن في الاسرة القضائية مما أطلق ألسنتها بشكر الوزير والثناء عليه •

لقد صادف تعيين السيد نور الدين في صيداء كل الترحيب لان أهلها يكبرو مقام عمه الحجة شرف الدين ، ويعرفون أيضا منزلة أخواله آل الزين ، وهم في صيداء في مقدمة المحترمين لذلك رحبوا بقاضيهم كل الترحيب ، وأحلوه المحل اللائق به ، ونظروا اليه كعالم روحي يؤدي وظيفته الشرعية •

وكان رحمه الله يقضي أوقاته بين حل القضايا والدعاوي في المحكمة الشرعية ، وبين المطالعة في الكتب ، اذا رجع الى البيت وكان يولي عنايته في

الكتب التي ترد لمجلة العرفان ، وكان المرحوم خاله الشيخ عارف الزين يقدمها اليه ، ليبدي فيها رأيه .

وكانت العرفان تنشر رأيه من تقريظ أو نقد أو توجيه ، ولو جمعت هذه التعليقات النافعة ، لكانت كتابا قيما ، ولا سيما اذا أضيف اليها بعض المواضيع التي تدخل في باب الردود والنقود .

***

ولقد نقل من قضاء صيداء الى بيروت ، لعضوية محكمة الاستئناف الشرعية الجعفرية العليا ، وكان من ألمع أعضائها طوال السنين التي مرت عليه في هذه المحكمة ، ومركز الثقل فيها ، ومحل ثقة الناس واعتمادهم .

وكان المرشح الاول للرئاسة بعد احالة العلامة الفقيه على التقاعد ، ولكن السياسة القائمة يومئذ ـ وكانت مناوئة للحجة شرف الدين ـ حالت دون الوصول الى حقه .

وحيث كان السيد نور الدين رحمه الله أقدم الاعضاء ، وأكبرهم راتبا ، فانه لا يجوز من الناحية القانونية تعيين سواه بالاصالة ، لذلك عين وزير العدلية بالوكالة أحد أعضاء المحكمة ولما اقتضت السياسة ابعاد هذا الوكيل ، عينت عندئذ عضوا آخر من أعضاء المحكمة ، بعيدا عن الطرفين .

وبقي رحمه الله من الرئيس الجديد ، يسيران جنبا الى جنب في تدقيق القضايا واستئنافها ، وابداء الرأي فيها طوال السنين حتى انتهت مدتهما في القضاء ، باحالتهما على التقاعد في يوم واحد .

وهكذا كانت حياة أبي الشريف رحمه الله في القضاء طوال أيامه تشع نورا ، وتفيض شرفا ودينا .

دخل القضاء شريفا ، وخرج منه شريفا كما دخل ، وهو في كل أدواره

شريف ، وابن الشريف ، وابو الشريف ، ومن آل الشرف سيرة معطرة ، واسم كريم ، وعمل صالح ، يسيره فقه ودين ، فرحمة الله ورضوانه عليه .

نثره وشعره

نثره بليغ ، ناصع البيان ، واضح الاسلوب ، حسن الاداء ، ليس في ألفاظه تعقيد ، ولا في معانيه غموض ، تقرأ في ألفاظه النقية قلبه الطاهر ، وروحه الصافية .

لقد كان له ميل كبير في تحرير المقالة ، أكثر من كتابة البحوث وتأليف الكتب ، وفي هذه المقالات ، وفي رسائله الى الاصدقاء ما يستحق الاعجاب والتقدير .

وقد انصرف أخيرا الى البحث ، ولعل الدافع الى ذلك هذا الفراغ الكبير ، الذي حدث له بعد التقاعد ، فسده بالانشغال بالتأليف .

ونحن نشكر هذا الاعتزال الذي أتاح له الفرصة الثمينة وهيأ له هذا المجال .

وحسب هذا الفراغ ، ان أنتج لنا كتابه الجليل ، شرح الازرية ، فان الازرية من الشعر الخالد ، الذي جادت به قريحة شاعر العربية المرحوم الشيخ كاظم الازري رحمه الله ، وهي قصيدة غراء في مدح النبي والوصي والزهراء ، سلام الله عليهم .

ولا نعرف لها نظيرا في اللغة العربية ، من حيث السبك والمتانة والجزالة وفصاحة اللفظ ، وسمو المعنى ، وقد حلق في هذه القصيدة ، فلا يسبقه سابق ، ولا يلحقه لاحق ، وهي تدل على اطلاع واسع في التاريخ ، وقوة تستدعي الاعجاب والاكبار ، مع قدرة فائقة على ادلاء الحجج الساطعة ، تلك الحجج التي أضافت الى قوة اللفظ ، ثروة علمية ، زادت في جلال شعره وجماله .

وحسب السيد نور الدين رحمه الله ، ان نهض بشرح هذه اليتيمة الفريد ، شرحا ناصع البيان ، غزير المادة ، مشرق الديباجة واضح الاسلوب، وقيامه بهذه المهمة خدمة جليلة ، أسداها الى أمة الضاد في عصر اليقظة ، والمكتبة العربية اليوم بأمس الحاجة الى شعر الازري الخالد الطافح بالادب والحكمة ، والفياض بالحب والولاء لأهل البيت اعدال الكتاب ، وقادة الامة الى الحق والصواب .

هذا نثر السيد نور الدين ، واما شعره فانه رحمه الله قد اهتم بالنظم في الدور الاول من شبابه ، وكان يحاول ان يكون من فرسانه ، ولكن الوزن كان لا يستقيم له ، فيرجع راجلا لا يستطيع السباق ولا الجري ، ولا يؤثر عنه شعر في مهجره العلمي في النجف الاشرف ، مع توفر الدوافع التي تدفع بالاديب الى القول .

ولكنني أرسلت له قصيدة في ١٥/٧/١٩٤٦ ، يوم كان قاضيا في صيداء ، حركت عواطفه ، ودفعته الى القول بقصيدة عصماء ، بنفس الروي والقافية ، وهي من الشعر الجيد الذي يجعله في مصاف الشعراء ، ولو لم تكن له الا هذه القصيد لكفى .

وهذه قصيدتي التي أرسلتها اليه ، وفيها ذكريات وصور للماضي الزاهر الذي مر بازدهار ، ووطدت أركانه يد الاخاء باستمرار ، فقد قلت :

ارسلتها ألوكة

اخي ذي حشاشتي ... على النوى لا تصطبر
حرى ومن اوارها ... هذا الفؤاد يستعر
ارسلتها ألوكة ... تعيد ذكر ما غبر
نشرت فيها صفحة ... من الاخاء في فقر
افرغت فيها صورة ... مشروحة فيها صور

تريك من اخائنا ... ما مر في عهد الصغر
عهد الصبا وليته ... تخليد العهد الاغر
العيش رغد مورق ... والعمر فيه مزدهر
والصفو في ايامه ... وفي لياليه السحر
البدر فيه نير ... وضاحك حتى الشجر
يكفيك منه حسنه ... وكل ما فيه غرر
فلحنه لحن الهوى ... يذيعه على الوتر
رقت حواشيه كما ... رق الهوى رق السحر
وشاع في اندية الـ ... فضل سناه المنتشر
تضوع كالمسك شذى ... ذكراه كلما خطر
وطاف في انحائه ... هذا الخيال واعتمر
تلنا المنى في عهده ... وعهده غض نضر
رضعت فيه حبكم ... والحب نعم المدخر
رشفته كما أشا ... من برة ومن ابر
يجمعنا على الاخا ... ء فيه حب استمر
لا يشتكي تغيرا ... ولا يفل من غير
قد وطدت اركانه ... يد الاخاء فاستمر

❋ ❋ ❋

اخي ذي حشاشتي ... تذوب من شوق وحر
ارسلتها مع البريد ... علها بكم تقر
ما كان هجري عن قلى ... لكنه كان قصر
لا عذر لي فيما مضى ... والخير لي ان اعتذر
وصل الخليل واجب ... في شرعنا وان هجر
نسعى الى امتثاله ... اما نهى او ان امر

شعارنا الثبات في ... ودادنا مدى العمر
يزيدنا تثبتا ... صرف الزمان ان يمر
لا نختشي من عاذل ... ان غاب فينا او حضر
والبعد ان مض فلا ... يزيدنا الا السهر
نعيد فيه ما مضى ... من سالف العهر الاغر

* * *

ربـاه قلت حيلتي ... فما اراني اصطبر
والبعد لا اقوى على ... اعبائه مهما نزر
هل سفرة تعيد لي ... « صيداء » هيهات السفر
لو كنت اسطيع السرى ... لطرت في ذاك الاثر
لكنها عوائق ... تعيق عن نيل الوطر
فأكتفي بسهجتي ... تزور خلا لم يزر

* * *

عرج على ذاك الحمى ... وربعه السامي الاغر
واخضع لقدس عيلم (١) ... « فصوله » تتلى سور
وارجع الى (كلماته الغ ... راء) في فضل الغرر
تجد بها علامة ... قد رصع العلم درر
« مراجعاته » التي ... تفيض في شتى العبر
ابان فيها ما يشا ... من عالم الفكر صور
وبث في يراعه ... من الكلام ما سحر
وفاض في تحليل ما ... قد دق من معنى الخبر

١ ـ خال الناظم آية الله المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين .

وحل كل غامض من مشكل ومستتر
فجاء فيها آية بليغة مدى العصر

* * *

لن لي بلثم كفه وشم عرفها العطر
وجلسة بظله يحوطني عطف وبر
فأنتشي كما أشا من حنان مستمر
اروي غليلي من طلا حديثه العذب المسر
فأحتسي سلافة من منهل ثر مدر

* * *

حق لقطر عامل بشخصه ان يفتخر
ويزدهي جلالة بعلمه ويزدهر
انظر اليه باحثا وناقدا ومختبر
من مثله مناظرا وعالما ومبتكر
وهاديا ومصلحا وكاتبا ومفتكر
فلا تقس بشخصه أيا ترى مهما كبر

واما قصيدة ابي الشريف ، السيد نور الدين رحمه الله تعالى ، فقد اثبتها الحجة المرحوم السيد علي الصدر في كتابه القيم « الحقيبة » (١) ونشر منها صاحب كتاب (زعيم الثورة) المقطع الخاص بالمرحوم سماحة السيد

١ ـ الحقيبة في عدة اجزاء مخطوطة ضمنها الحجة المرحوم السيد علي الصدر الكثير من الحوادث التاريخية والفوائد العلمية وتراجم كثير من الشخصيات التي عاصرها او اقتضى الامر ذكرها وفيه الشيء الوافر .

الصدر ، وكانت الحقيبة مصدره فيما قاله الشعراء في الزعيم الصدر ، رضوان الله عليه .

واليك المقطع الخاص بالسيد الصدر رحمه الله ، من القصيدة التي ارسلها السيد ابو الشريف ، جوابا على قصيدتي المتقدمة ، قال :

أأبا النهى سقيا لماضينا وللعهد الاغر
ايام كنا لا تروعنا تباريح القدر
مذ كان يكفينا اذى الايام (سيدنا) الابر
من قاد للنصر العراق وما تولاه الضجر
ايام قاد الثورة الشعواء وارتكب الخطر
والموت كان الورد للاعداء منه والصدر
وبكفه الصمصام يفري من تخلف او غدر
واذا بجيش المستبد امام صولته اندحر
ذاك الذي افعاله بين الانام تنتشر
ذاك الذي علومه بين البرايا تزدهر
من ركب التاج على مفرق فيصل الاغر

توفي عليه الرحمة في ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٩٦ هـ في احد مستشفيات صيداء ، وشيع باحتفال مهيب الى صور ، حيث دفن الى جنب والدته البرة ، عليهما الرحمة والرضوان .

سيرة السيد صالح الشهرستاني وآثاره

بقلم : سلمان هادي الطعمة
عضو رابطة الادب الحديث في القاهرة

انجبت مدينة كربلاء رهطا من الادباء والمفكرين الذين نالوا حظوة فائقة في تاريخ الادب العربي بما خلفوه من تراث روحي عظيم ، حتى صار صيتهم وعلت منزلتهم على مر العصور وكر الدهور .

وظلت كربلاء حامية للتراث واللغة ومنارا للفكر والفضيلة وعلوم الشريعة بتقاليدها العريقة الراسخة قرونا طويلة .

والسيد صالح بن السيد ابراهيم بن السيد مرزا صالح بن السيد محمد حسين بن السيد محمد مهدي الموسوي الشهرستاني هو احد النوابغ الذين انجبتهم هذه المدينة التاريخية الخالدة . ويذكر الذين عاشوه انه كان يتمتع بنفس عالية وخلق قويم وسخاء متميز مما حببته الى اخوانه .

ولد فقيدنا الراحل في مدينة كربلاء يوم ١٨ ذي الحجة ١٣٢٥ هـ الموافق لعام ١٩٠٧م (١) . ونشأ بين احضان احدى اسرها العلمية التي لها قصب السبق في الفضل والادب . واغترف العلم من مناهل المعاهد العلمية . واتم دراسته الاولية قديمة وحديثة فيها . وفي اوائل الحكم الوطني في العراق ، انتقل الى بغداد حيث اتم دراسته العالية متخرجا في جامعة آل البيت ؛ وكانت الجامعة الوحيدة آنذاك . وفي اواسط سنة ١٩٣٢م اضطرته ظروفه العائلية الخاصة للنزوح الى طهران وفيها تخرج في كلية الحقوق والعلوم السياسية فيها . وعين مترجما في السفارة العراقية بطهران ؛ وبقي في الخدمة ١٥ عاما ،

---

(١) كما جاء في ترجمته التي كتبها بقلمه .

ثم تحول مترجما الى السفارة الاردنية بطهران ، وبقي هناك حتى سن تقاعده ومن ثم وفاته .

اشغل تحرير مجلة (المرشد) التي صدرت ببغداد في كانون الاول ١٩٢٩ وكانت معقل اقطاب الفكر والادب في هذه الفترة ، وقد لعبت دورا مهما في نمو الحياة الفكرية في الشرق العربي .

اما ثقافة الشهرستاني فقد كانت متنوعة تجمع بين الثقافة العربية والفارسية ، اذ قرأ الكثير من كتب التراث ، وكان يقبل على القراءة بنهم لا يعرف الشبع ، كما كان يدعو الشباب الى الاهتمام بالمطالعة .

كان باحثا حصيفا ومؤرخا جادا ومستقصيا مستوعبا بما نشره من الدراسات الادبية والنقدية والاجتماعية على صفحات (العرفان) اللبنانية و (المكتبة) العراقية و (الاخاء) الايرانية وغيرها بأسلوب رصين متألق ، حيث نشر مجموعة من المقالات والخواطر الادبية في شتى ميادين الادب والاجتماع والتاريخ والتراث الشعبي ونحو ذلك ، وترصد الكثير من الموضوعات الفكرية في كتاباته .

كان كيانا ضخما في عالم الادب ومؤرخا قيما في التراث العربي ، وكان من بقية السلف الصالح وادباء الجيل الماضي الذين يشار اليهم بالبنان . وكان عالما بأسماء الرجال مطلعا على الاخبار والاحوال ، وفي ذهنه جملة صالحة من المعارف التاريخية ، وله ولع كثير بأحياء الآثار الادبية والتاريخية المنسية .

كنت اتسقط اخبار السيد الشهرستاني البعيد عن وطنه منذ ربع قرن ، حتى زرت الرجل في طهران في داره وفي مقر عمله ، فوجدت فيه باحثا اوتي حظا وافرا من الفصاحة وانسكاب المعاني الرقيقة طالما حلى جيد الادب بنفثات قلمه السيال . وكان مرهف الحس ، متوقد الذكاء ، مهذب الخصال ، كريم الطبع ، وكانت داره منتجع رجال العلم والفضل ، ومنتدى الفكر والادب ،

حيث كانت تعقد هناك لقاءات فكرية وادبية على مائدته سيما في ايام الجمعة من كل اسبوع ، وفي فصل الصيف بالذات ، حيث ملتقى العراقيين .

توجد للسيد صالح الشهرستاني خزانة كتب عامرة بأمهات الكتب العربية والفارسية وبعض المخطوطات النادرة وكتب الانساب المعتبرة وبعض المؤلفات الانكليزية . وقد استطعت خلال زياراتي المتعددة له ان اقف على بعض تلك الآثار والنفائس التي تحتويها خزانته الجليلة ، وهي قسمان :

١ ـ الآثار المخطوطة التي بحوزته وتشمل ما يلي :

١ ـ مجموعة خطية فيها قصائد لاحد شعراء كربلاء ، ناقصة الاول والآخر ، وفيها قصيدة في رثاء السيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني المتوفي ١٣١٥ هـ .

٢ ـ الصراط الابلج في انساب بني الاعرج . وهي بخط المؤلف السيد جعفر الاعرجي الكاظمي .

٣ ـ مجموعة السيد جعفر بن السيد محمد حسين الشهرستاني ، وتضم الرسائل التالية :

أ ـ رسالة دفع شبهات السيد محمد باقر حجة الاسلام الرشتي الاصفهاني .

ب ـ رسالة جواز البقاء على تقليد الميت . انتهى منها سنة ١٢٢٥٣ هـ .

ج ـ رسالة في الفناء وجيزة اتمها سنة ١٢٥٣ هـ .

د ـ رسالة في حكم من يتقن الطهارة والحدث وشك من المتأخر . انجزها في صفر ١٢٦٠ هـ .

هـ ـ رسالة في حكم عصير العنب اتمها سنة ١٢٥٨ هـ .

و ـ رسالة في طهارة ما في القدر وحليته لو وقعت فيها قطرة مـن الدم حال غليانه . انتهى منها سنة ١٢٥٨ هـ .

ز ـ رسالة في اصل حكم الشبهة المحصورة . انجزها في صفر ١٢٦٠هـ

ح ـ رسالة في سلسلة نسب الاغا باقر البهباني (بالفارسية) وهـذه الرسائل اوردها الشيخ اغا بزرك الطهراني في (الكلام البررة) ج١ ص ٢٤٨ وفي مواضع متعددة من الذريعة .

٤ ـ الوثائق التي يحتفظ بها .

لديه وثائق ومستمسكات رسمية وغير رسمية خاصة بأملاك الشهرستانية في كربلاء والنجف منها :

١ ـ وثيقة تاريخها سنة ٩٩١ هـ .

٢ ـ وثيقة صلح او مصالحة مؤرخة غرة ذي الحجة ١٢٤٨ هـ .

٣ ـ وثيقة شراء بستان ودار مؤرخة غرة ربيع الثاني سنة ١١٨٨ هـ .

٤ ـ وصية المرحوم السيد محمد حسين الشهرستاني مؤرخة ١٩ شعبان ١٢٤٧ هـ .

٥ ـ وثيقة تقسيم الارض المعروفة بالحائرية مؤرخة ذي القعدة ١٢١٩هـ

٦ ـ ويقة رسمية بيع للبستان مؤرخة غرة ربيع الاول ١٢٧٥ هـ .

٧ ـ وثيقة رسمية وقف دار في محلة آل عيسى ١٥ ذي الحجة ١٢٠٨هـ

٨ ـ شهادة عن اصالة الاسرة الشهرستانية غير مؤرخة .

٩ ـ وثيقة شراء بستان مؤرخة غرة رمضان ١٢٨٢ هـ .

١٠ ـ وثيقة رسمية لشراء دار مؤرخة ٧ ذي القعدة ١٢٨٦ هـ .
٢ ـ آثاره المطبوعة والمخطوطة .

للفقيد آثار جمة الفوائد ، تشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع في فنون الادب والتاريخ والدين وغير ذلك ، تطرق فيها الى امور لم يسبقه احد اليها . ومن جملة مصنفاته :

١ ـ رسالة دليل العتبات المقدسة (فارسي) طبع بطهران ١٩٥٠ .

٢ ـ تاريخ النياحة على الامام الشهيد الحسين بن علي (جزءان) طبعا بطهران (١٩٧٣ ـ ١٩٧٤) .

٣ ـ عضد الدولة البويهي (دراسة) .

٤ ـ السيد جمال الدين الاسد آبادي الشهير بالافغاني (دراسة) .

٥ ـ تاريخ الاسرة الشهرستانية (ثلاث مجلدات) عربي وفارسي .

٦ ـ مجموعة الشهرستاني (مذكرات) باللغتين العربية والفارسية .

٧ ـ شخصيات ادركتها أو ـ من عاصرتهم .

٨ ـ مترادفات في اللغتين العربية والفارسية .

٩ ـ الامام البروجردي الطباطبائي (دراسة) .

١٠ ـ منتخبات من الشعر والامثال والحكم .

١١ ـ الامام زاده يحيى ومزاره (دراسة) .

١٢ ـ تعليقات على ابحاث تراث كربلاء . كتبه بخطه بتاريخ ١٨ جمادي الاولى ١٣٨٦ هـ (٣ ايلول ١٩٦٦) مخطوط في مكتبتي الخاصة .

اما اشهر مقالاته التي نشرها في الصحف والمجلات فهي :

١ ــ العلامة الشيخ جعفر النقدي •

الاخاء ــ العدد ٨٤ ــ السنة السابعة ج٢ ١٣٨٦هـ تشرين الاول ١٩٦٦ ص ١٣ •

٢ ــ الفقيه السيد هادي الخراساني

الاخاء ــ العدد ٨٥ ــ السنة السابعة رجب ١٣٨٦ هـ ــ تشرين الاول ١٩٦٦ ص ١٧ •

٣ ــ عبد الله احمدية

الاخاء ــ العدد ٨٦ ــ السنة السابعة رجب ١٣٨٦ هـ ــ تشرين الثاني ١٩٦٦ ص ١٧ •

٤ ــ السيد محسن الصدر

الاخاء ــ العدد ٨٧ ــ السنة السابعة شعبان ١٣٨٦ هـ ــ تشرين الثاني ١٩٦٦ ص ١١ •

٥ ــ ديوان ابي الحب

الاخاء ــ العدد ٨٨ ــ السنة السابعة ــ شعبان ١٣٨٦ هـ ــ كانون الاول ١٩٦٦ ص ١٦ •

٦ ــ قصيدة الزهاوي العربية في احياء ذكرى ميلاد الفردوسي

الاخاء ــ العدد ٨٩ ــ السنة السابعة ــ رمضان ١٣٨٦ ــ كانون الاول ١٩٦٦ ص ١٧ •

٧ ــ السيد علي اصغر الحسيني المرعشي

الاخاء ــ العدد ٩١ ــ السنة السابعة ــ شوال ١٩٨٦ هـ ــ كانون الثاني ١٩٧٧ ص ١٥

٨ ـ لمحة تاريخية من السلالة السنوسية الحسنية العلوية

الاخاء ـ العدد ٩٢ ـ السنة السابعة ـ شوال ١٣٨٦ هـ ـ شباط ١٩٦٧ ص ٨ .

١٠ ـ عضد الدولة البويهي وما قام به من خدمات في العراق

الاخاء ـ العدد ٩٥ ـ السنة السابعة ـ ذي الحجة ١٣٨٦ هـ ـ آذار ١٩٦٧ ص ١٠

١١ ـ سلالة آل البيت الهاشمي اعرق سلالة عربية في العالم

الاخاء ـ العدد ٩٦ ـ السنة السابعة ذي الحجة ١٣٨٦ هـ ـ نيسان ١٩٦٧ ص ١٠

١٢ ـ المؤرخ المعاصر عباس اقبال اشتياني

الاخاء ـ العدد ٩٧ ـ السنة السابعة ـ محرم ١٣٨٧ هـ ـ نيسان ١٩٦٧ ص ٣٠

١٣ ـ العلامة السيد حسين القزويني الحائري

الاخاء ـ العدد ٩٨ ـ السنة السابعة محرم ١٣٨٧ هـ ـ ايار ١٩٦٧ ص ١١

١٤ ـ العلامة الحاج ظهير الاسلام

الاخاء ـ العدد ١٠٢ ـ السنة السابعة ـ ربيع الاول ١٣٨٧ هـ ـ تموز ١٩٦٧ ص ١٥

١٥ ـ السيد عبد الحسين ال طعمة سادن الروضة الحسينية بكربلاء .

الاخاء ـ العدد ١٠٥ ـ السنة السابعة ـ جمادي الاولى ١٣٨٧ هـ آب ١٩٦٧ ص ١٣

١٦ ــ الزهــاوي

الاخاء ــ العدد ٨٢ ــ السنــة السادسة ــ جمادي الاولــى ١٣٨٦ هـ ايلول ١٩٦٦ ص ٣٨

١٧ ــ لماذا اختارت جلالة الملكة فرح بهلوي لون الخضرة

الاخاء ــ العدد ١٠٩ ــ السنة الثامنة رجب ١٣٨٧ هـ ــ تشريــن الاول ١٩٦٧ ص ٢٧

١٨ ــ العلامة الشيخ ابو عبد الله الزنجاني

الاخاء ــ العدد ١١٢ ــ السنة الثامنــة ــ شعبان ١٣٨٧ هـ ــ كانــون الاول ١٩٦٧ ص ١٢

١٩ ــ ملك الشعراء بهار

الاخاء ــ العدد ١١٧ ــ السنة الثامنة ــ ذو القعدة ١٣٨٧ هـ ــ شعبان ١٩٦٨ ص ٢٦

٢٠ ــ السيد محمد صادق نشأت

الاخاء ــ العدد ١١٩ ــ السنة الثامنــة ذو الحجــة ١٣٨٧ هـ ــ آذار ١٩٦٨ ص ١٣

٢١ ــ السيد دبير الكتاب الشهرستاني

الاخاء ــ العدد ١٢٠ ــ السنة الثامنــة ــ محــرم ١٣٨٨ هـ ــ نيسان ١٩٦٨ ص ١٤

٢٢ ــ مشهد السيد احمد العلوي الشهير بشاوجراغ في شيراز

الاخاء ــ العدد ١٢٥ ــ السنــة الثامنــة ــ ربيــع الاول ١٣٨٨ هـ ــ حزيران ١٩٦٨ ص ١٧

٢٣ ـ مترادفات في اللغتين العربية والفارسية

الاخاء ـ العدد ١٢٦ ـ السنة الثامنة ـ ربيع الثاني ١٣٨٨ هـ ـ تموز ١٩٦٨ ص ١٤

٢٤ ـ السيد محمد العابد العلوي

الاخاء ـ العدد ١٢٨ ـ السنة الثامنة ـ جمادي الثانية ١٣٨٨ هـ ـ ايلول ١٩٦٨ ص ٢٩

٢٥ ـ مترادفات باللغتين العربية والفارسية

الاخاء ـ من العدد ١٢٩ ـ السنة الثامنة حتى العدد ١٤٣ السنة التاسعة .

٢٦ ـ اقدم نسخة خطية رأيتها في طهران

المكتبة ـ العدد ٤٣ ـ السنة الخامسة ـ تشرين الاول ١٩٦٤ ص ٨

٢٧ ـ جناح السيد جمال الدين الاسد آبادي المشتهر بالافغاني في مكتبة مجلس الامة الايراني .

المكتبة ـ العدد ٤٥ ـ السنة الخامسة ـ شباط ١٩٦٤ ص ١٩

٢٨ ـ مكتبة مجلس الامة الايراني

المكتبة ـ العدد ٤٧ ـ السنة الخامسة ـ تموز ١٩٦٥ ص ١٠

٢٩ ـ النفحة المسكية في الرحلة الملكية

المكتبة ـ العدد ٤٩ ـ السنة السادسة ـ كانون الاول ١٩٦٥ ص ١٠

٣٠ ـ مخطوطة خواص الاشجار

المكتبة ـ العدد ٥١ ـ السنة السابعة ايار ١٩٦٦ ص ٢٤

٣١ ـ ثاني مكتبة عامة في طهران

المكتبة ـ العدد ٥٤ ـ السنة السابعة ـ تشرين الاول ١٩٦٦ ص ٥

٣٢ ـ المجلد السادس من فهرس مكتبة الامام الرضا في خراسان

المكتبة ـ العدد ٥٧ ـ السنة السابعة آذار ١٩٦٧. ص ٢٣

٣٣ ـ مطبوعات حديثة من العراق

المكتبة ـ العدد ٦١ ـ السنة الثامنة ـ تشرين اول وتشرين الثانـي ـ ١٩٦٧ ص ٢٣

٣٤ ـ جناح المصاحف الشريفة في مكتبة الامام الرضا بخراسان

المكتبة ـ العدد ٦٤ ـ السنة التاسعة ـ ايار ١٩٦٨ ص ٣٤

٣٥ ـ زهر الرياض وزلال الحياض

المكتبة ـ العدد ٦٧ ـ السنة التاسعة ـ كانون الاول ١٩٦٨ ص ٢٦

٣٦ ـ الامام الميرزا محمد تقي الحائري الشيرازي

العرفان ـ الجزء ٤ ـ المجلد ٥٢ ـ تشرين الاول ١٩٦٤ ص ٣٩٢

٣٧ ـ تراث كربلاء ـ العدد الثامن

٣٨ ـ المصحف الشريف بخط الامام الحسن

العرفان ـ الجزء العاشر ـ المجلد ٥٢ نيسان ١٩٦٥ ص ٦

٣٩ ـ همدان او مدينة ابن سينا
العرفان ـ الجزء السادس ـ المجلد ٣٥ ـ ايار ١٩٤٨ ص ٨٣٠

٤٠ ــ رسالة خطية مدونة

العرفان ــ الجزء العاشر ــ المجلد ٥٣ ــ نيسان ١٩٦٦ ص ١٠٢٦

٤١ ــ السيد جمال الدين الاسد آبادي

العرفان ــ العدد الخامس والسادس المجلد ٦٢ ايار وحزيران ١٩٧٤ ص ٥٩٨

٤٢ ــ السيد جمال الدين الاسد آبادي

العرفان ــ العدد السابع ص ٧٤٠

٤٣ ــ السيد محمد مهدي الموسوي

العرفان ــ العدد الرابع المجلد ٦٢ ــ نيسان ١٩٧٤ ص ٤٣٨

٤٤ ــ قبر مزعوم لزيد الشهيد

العرفان ــ العدد الثاني المجلد ٦٣ ــ شباط ١٩٧٥ ص ١٨٠

٤٥ ــ قبر مزعوم لزيد الشهيد

العرفان ــ العدد الاول ــ المجلد ٦٣ كانون الثاني ١٩٧٥ ص ٦٦

٤٦ ــ الافندي وكتابه رياض العلماء

العرفان ــ العدد ٩ و ١٠ ــ المجلد ٥٦ شباط وآذار ١٩٦٩ ص ١٠١٢

٤٧ ــ الافندي وكتابه رياض العلماء

العرفان ــ العدد ١ و ٢ ــ المجلد ٥٧ ايار وحزيران ١٩٦٩ ص ٧٤

٤٨ ــ نظرة مستعجلة في شاهنامة نوبخت

العرفان ــ الجزء ٤ و ٥ ــ المجلد ٢٣ آذار ونيسان ١٩٣٣ ص ٥١٢

٤٩ ـ كتاب العين

العرفان ـ العدد السابع ـ المجلد ٥٧ تشرين الثاني ١٩٦٩ ص ٩٨١

٥٠ ـ كتاب العين

العرفان ـ العدد ٦ ـ المجلد ٥٧ تشرين الاول ١٩٦٩ ص ٨١٥

٥١ ـ العلامة السيد مصطفى الكاشاني

العرفان ـ الجزء الرابع ـ المجلد ٢٥ تشرين الاول ١٩٣٤

٥٢ ـ السراط الابلج في انساب بني الاعرج

العدل الجزء ١ و ٢ ـ السنة الثانية ١٩٦٦ ص ٤٥

استأثر به القدر في طهران يوم السبت ٢٢ شعبان ١٣٩٥ هـ الموافق ٣٠ ـ ٨ ـ ١٩٧٥ ونقل جثمانه الى كربلاء وشيع تشييعا يليق بمكانته حتى مثواه الاخير في الروضة الحسينية المقدسة •

وفاء مني للرجل لما له من افضال كثيرة علي ؛ ولعمق الروابط الفكرية بيننا ، كانت هذه الصفحة من حياته وآثاره •

واخيرا وليس آخرا اننا اليوم في حاجة ماسة الى احياء ذكرى هذا المفكر ودراسة آثاره ، لما لها من فوائد تاريخية وفكرية وادبية •

ان الزمن سينصف الاستاذ الشهرستاني اداء لحق الادب وكرامة العرب ووفاء لابن العراق البار •

كربلاء ـ العراق سلمان هادي آل طعمة

صور ومشاهد من العادات والتقاليد

في العهود الاقطاعية

— ٢ —

اذا لاحظنا ان المماليك الذين كانوا يجلبون من خارج البلاد العربية ، كانوا يتعلمون لغة البلاد ويتثقفون بثقافة اهلها ، ويلبسون لباسهم ، ويتسلحون بأسلحتهم ، ويتدربون حسب عاداتهم وتقاليدهم على استعمال الاسلحة وركوب الخيل واتقان الفروسية .

ثم لاحظنا ان قادة العامليين ورجالهم ، في عهد علي بيك الكبير حاكم مصر ، واحمد باشا الجزار ، وسليمان باشا ، وعبد الله باشا وغيرهم من الولاة قد لابسوا المماليك وجاروهم في الازياء والالبسة ، واجهزة الخيل وفي استعمال الاسلحة والتمرين على ركوب الجياد واتقان الفروسية .

ثم لاحظنا بعد هذا تلك الصور التي رسمها الرحالة (جون كارن) للاغنياء والفلاحين من اهالي البلاد العاملية واللبنانية يوم جابها من الناقورة الى زغرتا عام ١٨٣٨ م ولاحظنا ان تلك الصور جملة وتفصيلا لا يختلف بعضها عن بعض زيا وشكلا وترتيبا ولا يتميز فيها لباس المماليك وازياؤهم عن لباس غيرهم من اللبنانيين والعامليين .

بدا لنا من خلال هذه الملاحظات ان البسة اهل جبل عامل واسلحتهم واجهزة خيلهم وتمارينهم في الميدان لم تكن لتختلف وتتميز من حيث الشكل والسمت عما نراه في هذه الصور والملامح والاوصاف التي رسمها الرحالة الفرنسي (فولني) للمماليك ص ١١٢ — ١١٧ من رحلته (تعريب البستاني) حيث يقول عن :

١ — البستهم :

قميص واسعة من نسيج قطني ناصع اللون ضارب الى الصفرة ، يعلوها رداء كالمبذلة من كتان الهند او من نسيج دمشق أو حلب . وهذا الرداء

المسمى بالعنتري ينحدر من العنق حتى الكاحلين ، وينضم جانباه على مقدمة الجسم حتى الوركين حيث يثبت بتكتين • ويعلو هذا الرداء رداء آخر بشكل الاول واتساعه ، يصل كماه الواسعتان حتى رؤوس الاصابع ، ويسمونه القفطان • ويصنع عادة من الحرير ، وهو اثمن من الرداء الاول •

وثمة منطق طويل يضم الردائين معا الى القد ويقسم الجسم الى حزمتين• اضف الى ذلك قطعة ثالثة من الجوخ غير المبطن هي الجبة • ولا يختلف شكلها عن القطعتين الاوليين اجمالا ، سوى ان كمها مقصوصان عند المرفقين • وهذه الجبة تكسى : في الشتاء وغالبا في الصيف بالجلد فتصبح فروة • وفوق هذه الغلافات الثلاثة يأتي معطف رابع يرتدى في الاحتفالات وهو يغطي مجمل الجسم ورأس الاصابع ، اذ يرون في كشفها امام العظماء ما ينافي الحشمة والادب • ويبدو الجسم تحت هذا المعطف مثل كيس طويل ويخرج منه عنق عار ورأس حليق تعلوه عمامة • وعمامة المماليك تسمى (القاووق) وهو على شكل اسطوانة صفراء تحيط بها لفافة من الشاش منتظمة الاستدارة • وينتعلون حذاء من الجلد الاصفر يكسو الرجل حتى العقب ، وخفا بلا حوافي معدا لان ينزع في الطريق • اما الثوب الغريب فهو السروال ، لانه من السعة بحيث يصل الى الذقن طولا ، وكل ساق من ساقيه تسع الجسم كله • ويصطنعه المماليك من جوخ البندقية ، وهو اكثر سماكة وانعم ملمسا من الصوف الخشن • ولهذا السروال منطق ذو حجزة يعقد على الاقسام المدلاة من الثياب التي ذكرناها وتضم جميعها تحت السروال تيسيرا للمشي •

ثم يقول المؤلف نفسه (ص ١٠٠) من تعريب السيوفي للجزء الثاني : عن البسة السوريين بما فيهم اهل جبل عامل (وملابسهم التي نفقاتها ليست بيسيرة ولا ازرار لها ولا ابازيم ولا شيء من تلك الاشياء التي لا بد منها للاوروبيين فهي مؤلفة من سروال كبير واسع يقوم في آن واحد مقام الجوارب • ومن قطعة يشدونها على وسطهم وثلاثة اثواب يلبسونها الواحد فوق الآخر على منوال المماليك) •

٢ ــ اجهــزة خيلهم :

ان المماليك ما برحوا على ذهنية القرن التاسع ينقادون ابــدا للعــادة ويوسقون الحصان بعدة ضخمة الهيكل ، مثقلة بالحديد والخشب والجلــد . يعلوها من وراء قربوس يرتفع ثمانية قراريط ويغطــي الفارس حتــى رأس الورك ، ومن امام قربوس آخر يهدد صدره اذا ما انحنى ؛ ويستعيضون عن الصفة تحت السرج بثلاثة اغطية صوفية سميكة ؛ ويثبت كل ذلك في السرج بحزام يمر فوقه ، ويربط ليس بأبازيم ذات شوكات ، بــل بسموط معقــودة قليلة المتانة كثيرة التعقيد . وسروجهم واسعة المقدمة ولا سير لها في المؤخرة، مما يجعلها تسترسل على كتفي الفرس . (١١) والركب لوحات من النحاس تموق الرجل طولا وعرضا وترتفع حوافيها مقدار قيراط ، وهــي تتدلى مــن العري ولهذه الركب زوايا حادة كالشفار تستعمل عوضا عن المهاميز لتفتح في كشوح الجياد جراحا مستطيلة . ويزن الركابان عادة عشر ليبرات ، وكثيرا ما تزنان اثنتي عشرة ليبرة (الليبرة ٥٠٠ غرام) اما السرج والاغطية فلا تزن اقل من ٢٥ ليبرة ، بنوع ان الفرس يحمل ستا وثلاثين ليبرة (١٢) وهــذا الامــر مستغرب خصوصا وان الخيل في مصر صغيرة القدود . والزمام ينتهي بحلقة حديدية تضغط على الذقن حتى تكاد تقطع الجلد ، مما يجعــل الفرس محطم جانبي الفكين ولا فم له (١٣) . ذلك ان المماليك يرجون اللجام رجــا عنيفــا فيطلقون العنان للفرس ثم يوقفونه بغتة فــي اشد حالاته انطلاقــا واذ يشد لجام الفرس تتصلب قوائمه ويطوي عرقوبه وينزلق بجملته قطعة واحدة كأنه حصان خشبي (١٤) ومن المعلوم ان هذه الطريقة تتلف الفم والقوائم بتكرارها على ان المماليك يجدون فيها اناقة وهي تتفق مع اساليبهم في القتال .

٣ ــ اسلحتهــم :

سلاحهم الاول (قرابينة) انكليزية ، طولها ثلاثون قيراطا ؛ وعيارها من القوة بحيث تطلق عشر رصاصات او اثنتي عشرة فــي وقت معا ، بنوع انهــا قاتلة وان لم تحكم رمايتها . ويحملون في اوساطهم غدارتين مشدودتين الــى الثوب ببريم من الحرير . وتتدلى من القربوس ضمة من الاسلحة يستعملونها للقتل ضربا . ويتدلى من حمالة فــي جنبهم الايمن سيف معقوف قلما نشاهد

نظيره في اوروبا ، طول نصله في خط مستقيم اربعة وعشرون قيراطا ، واذا قيس انحناؤه فثلاثون قيراطا . ولهذا الشكل الذي نراه مستغربا ، ما يبرره عندهم . فقد دل الاختبار ان النصل المستقيم يقتصر فعله على موقع الضربة وحينها . لانه لا يقطع الا بالضغط في حين ان النصل الاعوج ينزلق بقوة الذراع تقهقرا ويتسع مدى فعله . وخصائص السيف المفضلة عندهم : خفته وصفاء معدنه ورنينه وتموج حديده وبوجه خاص رقة شفرته .

٤ ـ تدربهم وتمارينهم :

وكان التدرب على استخدام هذه الاسلحة شغلهم الشاغل طوال الحياة. يخرج معظمهم صبيحة كل يوم الى سهل حيال القاهرة ، وهناك يطلقون اعنة الجياد ، ويتدربون على اخذ القرابينة برشاقة وتسديد الرماية فيها ، ثم يضعونها تحت الفخذ وينتزعون غدارة يطلقونها ويرمونها ما وراء الكتف ، ثم غدارة ثانية تمر بالتجربة نفسها ، متكلين على البريم الذي يشد كلا الغدارتين الى الثوب . فيشجعهم البكوات الحاضرون . ومن تمكن منهم من حطم الهدف ، وهو عبارة عن اناء من خزف ، ذهبت اليه التهاني والمكافآت .

ويتدربون ايضا على معالجة السيوف ، وبنوع خاص على تسديد الضربة من الشمال الى اليمين ، وتتجه من الاسفل الى الاعلى . وهي اصعب الضربات على من يتقيها . وهم على قسط من المهارة بحيث ان الكثيرين منهم يقطعون بسيوفهم الحادة كلة من القطن كما يقطع قالب الزبدة . واحب التمارين اليهم لعب الجريد ، والجريد معناه القصبة ويطلق على كل عصا تقذف باليد : يتسلح الفرسان بهذه الحراب من العصي ويخوضون الميدان ، ثم تنطلق بهم الجياد عدوا فيرمون الجريد عن بعد فاذا ما رمى المهاجم الجريد انثنى فيلحق به من يليه ويرمي الجريد بدوره وتؤاتي الجياد فوارسها مؤاتاة تحسب معها انها في مثل اغتباطهم . على ان هذه الغبطة شديدة المخاطر ، فثمة سواعد ترمي بشدة فتأتي ضرباتها جارحة بل قاتلة (١٥) .

« الهــوامش والتعليقات »

١ ـ لاحظ الصفحة ٦٦٨ من مخطوطة الشيخ محمد مغنيــــة حيث تنص على ان حمد البك نفسه قد كلف الشيخ علي سبيتي وطلب منـــه ان ينظم لــه خطابا ليهديه باسمه الى الخليفة العثماني السلطان عبــــد المجيد . فنظم لــه السبيتي القصيدة التي يقول فيها :

لنا يوم الخميس واي يــوم   متعنا شوس مصر ان تناما

ثم لاحظ الصفحة ١٠٩ ـ ١٢١ من نفس المخطوطة حيث يبدو واضحا ان علي بك ومحمد بك الاسعد كلفا كلا من الشيخ عبد الله البلاغي والشيخ عـــلي سبيتي وصاحب المخطوطة بان يكتب كل منهم (مقلبطـــة) ضد خورشيد باشا المعزول عن ولاية صيدا ليختار البكوات من تلك الصور المكتوبة احسنها انشاء وابلغها عبارة ولفظا في تأدية الغرض .

ثم لاحظ الصفحة ١٩٠ من المخطوطة حيث يقول المؤلف « طلبني عـلي بيك الاسعد الى تبنين فحضرت وقابلته فقال « انه حيث جلس على تخت كرسي الملك صاحب الخلافة السلطان عبد العزيز خان فاحب ان تنظم خطبة عن لساني تهنئه بمنصب الخلافة لاقدمها الى جلالة الملك وقد كنت كلفت شيخنا الشيـخ علي سـبيتي فعمل خطبة بليغة لغوية منافية لمشرب الزمن على عادة الشيخ يـوم شرح قصيدتنا العينية بكتابه الذي اسماه (العقد المنضد) فانـــه اكثر الشرح وملاءه من اسباب رفع المبتدأ والخبر والفعل المضارع ، فجاء كتاب نحو مع ان القصد منه التاريخ وبيان (اغراض) صاحب القصيدة .)

٢ ـ الدبكة : وانما سميت هذه الرقصة الشعبية بالدبكة ، لانها تعتمد في جل حركاتها على رفع ارجل المشتركين فيها سوية وضربها بالارض ضربة واحدة تتكرر وتتفاوت شدة ولينا وكيفا حسب الجو ، وحسب اوزان الاغاني والتواقيع الموسيقية . والدبكة لا تسوغ لديهم الا في اجواء السرور والفرح كجـو الاعياد والاعراس والمفاجاءات السارة . وتبدأ بان يشرع دقاق القصب فـي (دوزنة) الشبابة او الناي او المجوز على لحن خاص مـن الحان الغناء كلحن (دلعونا) او (غزيل) . وعندها يتقاطر المجتمعون من الشباب او من الصبايا او من الجميع الى الاخذ بايدي بعضهم بحيث يشكلون من اصطفافهم يــداً بيـــد شبه حلقة يتوسطها دقاق القصب . ثم يأخذون في رقص الدبكة ، فيشرعون في رفع كل

منهم سوية رجلا الى الامام ثم يضربون بها جميعا الارض ضربة واحدة من حيث يرفعون الرلجِ الاخرى الى الوراء بهدوء وينتقلون بها من مكانها الى ما يليها من الارض مع مراعاة التناسق والانسجام في الحركات .

ولا تمضي فترة على هذه الحال حتى تشتد الحماسة والمرح ويشتد قفز الراقصين بأرجلهم جميعا الى اعلى ، ثم يضربونها في الارض ضربتين او ثلاث ضربات قوية متناسقة ثم يعودون سيرتهم . وهكذا تتنوع الحركات والحالات ضمن دوران الصف وتحركه بانتظام .

وكلما تعالت اصوات الغناء البلدي وتناسقت مع الحان (المجوز) او الشبابة تتنوع حركات الدبكة وتتفاوت ضربات الارجل واهتزاز الخصور والاعناق رشاقة وخفة وزهوا .

وكان من محسنات الدبكة ومن مظاهر كمالها في عرفهم ان يكون الذي يقطر على الحاشية ، اي على مقدم الحلقة ويمين الصف ـ شاب معتدل القوام، بهي الطلعة رشيق الحركة سريع الخاطر فصيح اللهجة بارعا في الرقص الشعبي وخصوصا حين يكون بيده سيف او بالة ويكون الشاب القاطر الى جنبه مناسبا له في الطول والرشاقة ومتجاوبا مع حركاته الفنية واشاراته الرمزية (٧) . وما يزيد الدبكة طرافة واناقة وانسجاما التحاق قصارى القامة من الشباب بمؤخرة الحلقة والصف اي ان يقطروا على ما يسمونه (بالجحشة) اي مؤخرة الصف .

فان قصير القامة حين يكون على شيء من خفة الروح وسرعة الخاطر في ملاحظاته ومفارقاته وفي اغانيه وهتافاته يتسنى له من هذا الموقع المتواضع ان يغمر جو الدبكة بفيض من البهجة والسرور ، وان يلفت نظر الناس اليه والى تقدير مكانه وهو على (الجحشة) اكثر مما لو كان بغير هذا المكان من الحلقة كالحاشية التي لا يليق بنظرهم الا لطويل القامة وانيق المظهر .

٣ ـ العمدة : (بفتح العين وتسكين الميم) ، حجر مربع الاطراف يختلف وزنه ـ حسب سن الشباب المتنافسين ومستوى قدرتهم ـ بين ٤٠ و ٦٠ كلغ، يحفر في وسطه حفرة مربعة الجوانب بطول (١١ وعرض ١١ وعمق ١١ سنتي

---

٧ ـ ومن هنا اخذ المثل القائل « خذ المقطع من حاشيتو ، والمنصب من كوخيتو » اذ المراد بالمقطع هنا حلقة الدبكة وبحاشيتو ، الشاب القاطر على راس الحلقة ومستواه في حسن الطلعة واناقة المظهر ورشاقة الحركات ودقتها في الايحاء والانسجام مع الجو كما ان المراد بالمنصب ، الزعيم الاقطاعي وبكاخيتو ، مديره ومستشاره .

متر) ليوضع في قلبه وضعا محكما قطعة مصقولة من عود السنديان تملأ الكف ليسهل على المتنافسين من الشباب نشل ذلك الحجر (العمدة) من الارض الى اعلى الراس والهامة نشلة واحدة يقف بهــا الناشل منتصب الساعد والذراع والقامة ليشهد له الناس قبل ان يرميها الى الارض لينشاها غيره كما نشلها هو .

٤ ــ القربوس : مقدم سرج الفرس ، حيث يعلــق طرفا العنان بزردته العليـا .

٥ ــ الريشة : صف الخيل المنسق كاصطفاف الريش في جناح الطائر او كاصطفاف الزغب في عمود الريشة الكبيرة من الجناح .

٦ ــ الصائبة : هي مجموعة الفرسان المقابلة لمجموعة مثلها فـــي الطرف الاخر من الميدان سواء كانت منسقة الصفوف او مشوشة بغير نظام .

٧ ــ الجريدة التي يستعملها الفرسان تكون عادة من قضبان الخيزران او من السنديان او الرمان او من غيرها من القضبان الطويلة الرشيقة .

٨ ــ هذا هو الطراد في السلم ، اما الطراد في الحرب والغزو فلــه معنى آخر في عرفهم وهو بأن ينطلق الهاجمون جماعة او افرادا وراء خصومهم مــن الفرسان حتى يدركونهم فيقتلون من يقتلون منهم ويسلبون وينهبون مــا امكنهم نهبه وسلبه ثم يعودون منتصرين . وقـــد يتغلب عليهم اخصامهم ويقهــرونهم فيعودون مخذولين مشتتين .

٩ ــ لاحظ الصفحة ٣٦٢ من دواني القطوف . للدكتور عيسى اسكنــدر المعلوف .

١٠ ــ اعتمدت في هذا البحث على ما شاهدته صغيرا في الميادين التــي كانت تعمر في بعض المناسبات والاحتفالات الشعبية ثم على ممارستي لركــوب الخيل وتربيتها ثم على ما قراته في الكتب الخاصة كحليـــة الفرسان وشعــار الشجعان لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل الاندلسي ، والعقد الفريد ، لابن عبــد ربه ، ودواني القطوف ، لعيسى اسكندر المعلوف ، وديــوان المتنبــي وديــوان البحتري . وغيرها من الكتب . ثم على ما سمعته كبيرا من السنة اللامعين في الميدان من فرسان الجبل او مـــن العارفين باصول الفروسية وتقاليد الميدان امثال : رضا بك التامر من قرية تولين ؛ والسيد طعمــان خليل مــن عدبسة ، واحمد بك الناصيف من الزرارية والشيخ علي زين من اليا ، ومصطفى المحمود من قرية الحلوسية .

١١ ـ انما ينحدر السرج ويسترسل على رقبة الفرس حين يرث حشوه الداخلي ويتحجر لباده من كثرة الاستعمال ومن الامعان في اهمال تصليحه او تجديده والا فانه حين يكون صالحا وكما ينبغي ان يكون فلا يتزحزح عن مكانه من ظهر الفرس مهما جار عليها العدو والعرق في حرارة الصيف .

١٢ ـ يبالغ الكاتب في تقدير وزن السرج ووزن الركاب ، كما يبالغ في تصويرها باشكال تدعو الى السخرية والهزء . على انني شاهدت مثل هذا السرج والركاب عند بعض المحافظين من اعيان القرى ، وجربتها في غارة الفرس وفي سيرها الطويل . فاذا هي تريح الفارس اكثر من غيرها وتمكنه من تثبيت قدميه وضبط فخذيه وركبتيه . كما تجنبه مغبة الاسترخاء والاعتماد على مقعد السرج حيث يصبح عرضة للاضطراب والارتجاج والسقوط عن ظهر الفرس عندما تسرع به أو تضطرب حركاتها .

اما وزن الركاب المشار اليه فانه لا يختلف عن وزن الركاب الحديدية التي كانت ولم تزل تستعمل في بلادنا ولا يزيد وزن كل منها عن كيلو غرام .

١٣ ـ ان هذه الحلقة لا تضغط على الذقن الا حين تكون صغيرة ضيقة بالنسبة لحجم ذقن الفرس وهذا امر مستنكر في عرفهم لا يرتكبه الا من يجهل امور الخيل وما يناسبها من لجم وعدد وسروج .

١٤ ـ ان الذي يضايق الفرس عند شد اللجام ورجه هو لسان اللجام العربي الذي يمتد من قوسه داخل فم الفرس . لا حلقة اللجام . ولهذا ترى الخيل فاغرة فمها عندما يحبس عليها الفارس بشد اللجام اكثر مما يجب . اذ يرتفع هذا اللجام الى سقف الحلق ويدميه اذا لم تفتح الفرس شدقها .

١٥ ـ صفحة ١١٢ ـ ١١٧ من ثلاثة اعوام في مصر والشام للرحالة (فولني) تعريب أدوار البستاني .

جبشيت علي الزين

للبحث صلة

عائد من بلاد الأمن والأمانة

مشاهدات وانطباعات في السعودية

بقلم : روكس بن زائد العزيزي

نهار الثلاثاء في ١٨/٥/١٩٧٦

أ ــ في مستشفى الملك فيصل التخصصي .

ب ــ في جامعة الرياض .

ج ــ في دارة الملك عبد العزيز !

في المستشفى :

ارى قلمي عاجزا ، عن وصف هذا العمل العظيم الرائع ! الذي يبهر العيون جماله ، ويذهل العقل ما فيه من الدقة ! وكم تمنيت لو كان لي من علوم الطب ما يمكنني ان استوعب ، كل ما ذكر لي عن هذا المستشفى ! فهو يشمل على خمسة وثلاثين قسما ، وقد زرنا هذه الاقسام كلها ، يرافقنا ، ويشرح لنا اغراض كل قسم ، الدكتور (روبرت لورنس) البريطاني الجنسية وقال لنا : « ان هذا المستشفى ، لا نظير له في الشرق الاوسط ، اطلاقا ! » وهو يشمل على (٢٥٠) مائتين وخمسين غرفة ، كل غرفة معدة لمريض واحد ، تشتمل على كل وسائل الراحة التي تخطر على الفكر ، وفي كل غرفة :

أ ــ تلفون .

ب ــ تلفزيون .

ج ــ راديو .

وفي كل لحظة يكون المريض تحت اشراف الاطباء والممرضين !

***

زرنا المختبرات العديدة ، وبنك الدم ، واراانا دليلنا الدكتور (روبرت اورنس) سبع غرف للعمليات ، ليكون العمل اسهل •

ومن المعلوم انه لا يقبل في هذا المستشفى الا الحالات التي تعجز عنها المستشفيات الاخرى • وليس المستشفى خاصا بالمملكة فيقبل فيه المرضى من اي قطر كان ، لكن بتوصية من لجنة من الاطباء !••

الاطباء العاملون في هذا المستشفى :

يختار اطباء هذا المستشفى من عباقرة ذوي الاختصاص المجربين ، من العرب ، ومن الاجانب ، فمنهم :

أ ـ اطباء سعوديون •

ب ـ وارادنة ،

ج ـ عراقيون ،

د ـ ولبنانيون ،

هـ ـ وسوريون ،

و ـ ومصريون ،

ز ـ واجانب من جنسيات مختلفة ، وجميعهم من ذوي الخبرة العالية في مجالات اختصاصهم !

***

في جامعة الرياض :

وفي جامعة الرياض استقبلنا امينها العام الدكتور الاستاذ (سالم احمد ميباري) وهو رجل يشع الذكاء والحزم من عينيه ، رحب بنا اجمل ترحيب ، وذكر لنا ان الجامعة احد عشر قسما منها معاهد ، ومنها كليات ، وقال ان الجامعة بدأت بهذه الكليات :

أ ــ كلية العلــوم ،

ب ــ كلية الآداب ،

ج ــ الصيدلـــــة ،

د ــ كلية الزراعة .

ثم ضمت الى هذه الكليات :

هـ ــ كلية الهندسة ،

و ــ وكلية التربية .

وقد انشأتهما وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع اليونيسكو .

ثم ضم الى الجامعة :

ز ــ كلية الطب ،

ح ــ معهد اللغة العربية لتعليم غير العرب من طلاب الجامعة

ط ــ وكلية طب الاسنان .

لغــة التعليم فــي الجامعة :

وقد ذكر لنا امين الجامعة ان العلوم كلها تدرس باللغة العربية ، لكــن مصطلحات الطب والهندسة ، تلقى باللاتينية ، وقال الاستاذ : « لجأنا الــى هذه الطريقة ، لكي لا نجعل الطالب معزولا عن العالم باستحداث مصطلحات تباعد بين الطالب وما هو معروف في دنيا العلم . وفوق هذا ، فنحن نجعــل اغلب الدروس ، في كلية الطب وكلية الهندسة باللغة الانكليزية ــ لان العلم لا تعصب فيه ــ

***

مكافــآت الطــلاب :

تصرف للطالب مكافأة شهرية مقدارها اربعمة وخمسون ريالا سعوديــا ما عدا مجانية التعليم ، وما عدا المسكن المجانــي ، والمواصلات المجانيـــة ،

والكتب التي تحصيها الجامعة لطلابها بأثمان رمزية ـ اي بربع الثمن الاصلي للكتـاب .

اما ما يحتاج اليه الطالب من ادوات خاصة بفنه ، فتؤمن لـه مجانـا ، وتهدى اليه عند تخرجه ، والمعروف ان طالب اية كلية ، لا يتخرج الا ويكون عنده مكتبة خاصة به تساعده في بحوثه ، بدائرة اختصاصه ، وفـي سنـة التخرج يمنح الطالب مكافأة محترمة مقطوعة لتأمين بحثه .

***

رحلات طلاب الجامعة :

تنظم الجامعة لطلابها رحلات لكل اقطار العالم ، تدريبا لهم في :

أ ـ الطـب ،

ب ـ الصيدلة ،

ج ـ الهندسة ،

د ـ العلـوم ،

هـ ـ والتجـارة .

مشروع الجامعة على خط الدرعية :

سألنا الاستاذ عن مشروع رأيناه ونحن في طريقنا الـى (الدرعيـة) ، فأجاب : « ان مشروع جامعة الرياض على خط الدرعية ، هو اكبـر مشروع تعليمي ينفذ كاملا في العالم ، لان المشروع يضم كـل اقسام الجامعـة ومعاهدها ، وكلياتها ، وسيتم تنفيذه ـ باذن الله ـ في غضون ست سنوات .

الفتـاة والجامعـة :

قلت : « هل يسمح للفتاة السعودية ان تتابع دراستها فـي الجامعة ؟ » أجاب : « ان الفتاة لا تحرم من التعليم الجامعي ، لكنها لا تنتظم في الدراسة مع الطلاب . بل تقبل الفتيات انتسابا ، ويقدمن للامتحان ، وينلن درجاتهـن

العلمية • والنية متجهة ، لانشاء جامعـــة خاصة بالاناث • والطــلاب عندنــا صنفــان :

أ ــ طلاب المنح ــ جمع منحة ــ

ب ــ وطــلاب الإنتساب •

وطلاب المنح يعاملون كالطلاب السعوديين بلا اقل تمييز • امــا طــلاب الانتساب ، فليس لهم مكافآت مالية •

هـ ــ دارة الملك عبد العزيز :

دارة الملك عبد العزيز ، هي ارقى المجلات ، وقــد صدر منهــا خمسة اعداد ، لانها دورية تصدر كل ثلاثة أشهر مرة •

هيئه تحريرها مؤلفة مــن :

أ ــ الاستاذ عبد الله بن خميس •

ب ــ الدكتور منصور الحازمي •

ج ــ والاستاذ عبد الله بن ادريس رئيس المجلس الاعلى لرعاية العلوم والآداب والفنون •

ورئيس تحريرها هو الاستاذ الكبير محمد حسين زيدان •
وسكرتير التحرير الاستاذ عبد الله الماجد •

***

فــي المكتبــة المركزيــة :

رافقنا الاستاذ (سليمان الدغيم) مدير العلاقات العامة في الجامعة الى المكتبة المركزية ، فلقينا أمينها الدكتور العالم (احمــد الضبيب) ومساعــده الدكتور (ناجي ناصر) ويسمون المساعد وكيل العميــد ، فاستقبلنا باللطف الذي ركب في دم كل سعودي مسؤول ، وتواضع نادر !

فذكر لنا ان المكتبة تضم (٣٥٠) ثلثمئة وخمسين الف مجلد مطبوع اما المخطوطات فثلاثة آلاف وخمسمئة . وتنظيم المكتبة على طريقة ديوي ، ويؤم المكتبة يوميا من (٧٠٠) الى (٨٠٠) قارىء ، وتفتح المكتبة ابوابها من الساعة السابعة ونصف الثامنة صباحا ، الى الساعة الثانية عشرة ونصف الواحدة ليلا !

وقسم المخطوطات منفصل عن قسم الكتب المطبوعة ، وفيه آلات تصوير حديثة مذهلة حقا ، والقوم جادون في تصوير المخطوطات ، بهمة لا تعرف التواني ، ولا التراخي .

عمان ـ الاردن　　　　روكس العزيزي

ـ المكتبة الصغيرة ـ

الاديب الكبير الاستاذ عبد العزيز الرفاعي الذي يقوم على أصدار المكتبة الصغيرة منها ما هو من تأليفه ومنها ما هو من تأليف غيره مجاهد في سبيل الادب والثقافة لان هذه المكتبة وان كانت صغيرة في حجمها : فهي كبيرة في معناها ومبناها ، ويدرك القاريء ذلك من عناوين اخر ما وصلنا منها:

١ ـ ضرار بن الازور الشاعر ، الصحابي ، الفارسي .

٢ ـ الحج في الادب العربي .

٣ ـ من امهات الكتب العربية .

٤ ـ من أجل الشباب　　٥ ـ سوق عكاظ .

كل هذا باقلام كتاب ادباء مشاهير .

فنتمنى لهذه المكتبة الصمود والانتشار والازدهار .

داود القرم

(١٨٥٢ ـ ١٩٣٠)

بقلم : فوزي سابا

هو داود ابن الشدياق سمعان القرم ولد في غوسطا سنة ١٨٥٢ ثم انتقل ابوه الى غزير بلدة امه • وقد ولد موهوبا في الرسم فمنذ الصغر كان يرسم على الصخور في ضواحي غزير طيورا وحيوانات وغيرها من المناظر حتى اشتهر أمره •

وحدث ان بعض الآباء اليسوعيين الذين كانوا قد أسسوا آنذاك مدرسة في غزير ، شاهدوا هذه الرسوم فأعجبوا بدقتها وجمالها فسألوا عن صاحبها ، ولما عرفوا ان صاحبها فتى في العاشرة من عمره دهشوا ثم سألوه اذا كان يرغب بأن يعلم الرسم في مدرستهم فقبل طلبهم مشترطا ان يعلموه هم في المقابل اللغات ، وهكذا تم الاتفاق واصبح الفتى ابن العاشرة من عمره ، داود القرم استاذ الرسم في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير •

نجح داود القرم في مهمته واشتهر ، وبما انه لم يكن يجد الالوان المطلوبة فقد كان يسحق اجزاءها بنفسه ويمزجها حتى تصبح موافقة للون المطلوب فيرسم بها على القماش كأي رسام كبير ، ولما لقيت رسومه هذه اقبالا عليها سافر سنة ١٨٧٠ الى روما للتخصص في الرسم •

كان في الثامنة عشرة من عمره عندما قصد الرسام الايطالي الشهير ، روبرتو بومبياني ، اكبر امراء هذا الفن في العالم والرسام الخاص لملك ايطاليا •

لم يكن اتصال داود القرم بالرسام الايطالي الكبير سهلا ، لولا الحادث التالي :

كان داود القرم قد حمل معه الى روما بعض الرسوم الجميلة عن لبنان ليعرضها على الرسام العالمي ــ روبرتو بومبياني ــ الذي قرر ان يتتلمذ عليه؛ ولما وصل الى روما حاول يقابله مرة بعد مرة ، فلم يستطع فقد كان الخدم يمنعونه من الدخول الى الدار لكنه لم ييأس وثابر على طلب المقابلة ، وذات يوم وقد ألح بالطلب تجادل مع الخدم فانتزعوا منه رسومه ورموا بها أرضا مما احدث ضجة كبيرة استدعت انتباه الرسام الايطالي فخرج مستفسرا عن اسبابها فلما رأى الرسوم الملقاة على الارض اعجب بها ، وجمعها بنفسه ثم دعا داود القرم للدخول الى الدار ، بعدما قرر ان يتخذه تلميذا له دون سواه .

قضى داود القرم خمس سنوات في ايطاليا يتردد خلالها على اكبر معاهد الرسم فيها كمدرسة القديس لوقا ، ونادي الويدجي والاكاديمية الملكية فنال شهادات هذه المدارس العالية ، وبلغت شهرته قداسة البابا بيوس التاسع فاستدعاه الى الفاتيكان ليرسمه ، مما احدث ضجة كبيرة بين الرسامين الايطاليين ونقموا على هذا اللبناني الشاب لانه تفوق عليهم في بلادهم موطن الفنون الجميلة .

بعد هذا النجاح الباهر أصبح داود القرم الرسام الخاص بالعائلة المالكة البلجيكية ، زمن الملك ليوبولد الثاني ، لكنه فضل العودة الى لبنان فسكن بيروت وافتتح فيها مشغلا ، تقاطر عليه الوجهاء والحكام كمتصرفي لبنان وولاة سوريا وغيرهم من النافذين والاثرياء .

سنة ١٨٨٧ سافر الى الاسكندرية ، وكانت شهرته قد سبقته الى مصر ، فرسم عدة لوحات لمختار باشا الغازي ، المعتمد العثماني هناك . ولاسرة الخديوي توفيق الاول ولكبار الاعيان والامراء ثم عاد الى لبنان ، لكن الخديوي عباس الثاني دعاه سنة ١٨٤٩ الى مصر ليرسمه ، فلبى طلبه ورسم له صورة جاءت آية في الاتقان ، كذلك رسم المركيز ــ دي ريفرسو ــ سفير فرنسا في القاهرة فنالت لوحته هذه شهرة كبيرة ، حملت الجالية الفرنسية على عرضها في قاعة الشرف في النادي الفرنسي .

لم تقتصر اعمال داود القرم الفنية على رسم كبار الشخصيات الوطنية والعالمية ، بل زين كنائس لبنان بتحفه الرائعة حتى قيل ان هذه الكنائس اصبحت متاحف لاعماله .

من الامثلة العديدة على نبوغ داود القرم ، انه وقد تجاوز الثمانين من العمر ، كان يرسم صورة القديسين سركيس وباخوس وهما ممتطيان جوادهما ، على لوحة طولها ستة اذرع ، ولما وصل الى القسم الاعلى من اللوحة لم يستطع الصعود على السلم لضعفه وشيخوخته فقلبها رأسا على عقب واكملها وكان ذلك قبل وفاته بقليل في السادس من حزيران سنة ١٩٣٠ .

كم من شبه بين طفولة داود القرم وطفولة ميشال انج ، هذا كان يملأ بلاط منزله بما يرسمه عليه بالفحم فيثير غضب أمه ، وداود القرم استعان بالصخور يرسم عليها الاشكال التي تروقه ، كذلك تقارب الاثنان في العمر الذي نالا به الشهرة ، وكذلك اتتاجهما ، ليس من حيث الكلاسيكية وحسب بل ومن اعطاء الحيوية لانتاجهما ولئن جاز لميشال انج ان يطلب من تمثال موسى ان ينطق فرسوم داود القرم لها وشائج مع هذا النطق الصامت ، بعدما ظهرت عليها التأثيرات والانطباعات جلية واضحة حتى لكأنه دخل الى البواطن واستل منها اسرارها ثم ابرزها على ملامح اصحابها .

مع هذا الصفاء الذهني ، تحلل لدى داود القرم مميز الالوان الذي تألقت به لوحاته في تمازج معبر عن الفكر ، حتى ليصح فيها الرأي القائل « ان الطبيعة تقلد الفنان » .

متى عرفنا ان اللون له المركز الاكبر في الرسم ليس بما يضفيه على الشكل وحسب بل ومن حيث ــ خلفية الصورة ــ التي تفرق عملا عن عمل وتميز الرسم عن التصوير الشمسي .

داود القرم ، جلا هذه الناحية فأعطاها ما لم يعطها غيره ، فمن الالوان والتعرف اليها والى كيميائها ذكرنا انه كان يخرجها بنفسه ، اما من حيث المنطلق البصري فالذي له من آفاق لبنان مناخ لا تحد آفاقه .

في هذا الثراء الفني ، عمل داود القرم واتنج الروائع من رسوم زال هو وما زالت تتحدث عن نبوغه .

داود القرم رائد الرسم في شرقنا وكفاه ان من تلاميذه حبيب سرور ، كبير الرسامين وصاحب اكبر مدرسة لهذا الفن في شرقنا .

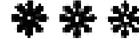
اللورد بايرون (١٧٨٨ - ١٨٢٤)

بقلم : سمير شيخاني

كان ما يزال يرتدي الثوب النسائي عندما اشترك في اول شجار . فقد وبخته مربيته لانه وسخ ثوبه الجديد . فاعتراه غضب شديد ، وأمسك ثوبه بيديه الصغيرتين ، ومزقه من أعلى الى أسفل ، ثم اندفع نحو المربية وراح يوسعها ضربا ولكما ، ويصيبها بخدوش ، حتى اضطرت الى الاستغاثة وطلب النجدة . لقد خاض في طفولته سبع معارك ، انتصر في ست منها .

ورث جورج غوردون بايرون طبعه الحاد النزق هذا من طرفي أسرته كليهما . فعم أبيه قتل رجلا في شجار جرى في احدى الحانات . وعنه ورث لقب لورد وهو في العاشرة من عمره . ووالده فر بزوجته الاولى ليتزوجها من غير موافقة ابويها ، ثم فر منها فيما بعد ، وأنفق اموال زوجته الثانية على الشراب ، ثم هجرها ، وذهب ليموت في الخارج . وكانت هذه الزوجة الثانية ، والدة بايرون ، غرة ، ولها الحق بأن تكون كذلك . وكانت في سورات غضبها تمزق قبعاتها واثوابها . وعندما كان بايرون يقوم بعمل مزعج او مثير كانت ترميه بآنية الزهر ، ومجارف الموقد ، وتدعوه « الطفل المزعج الاعرج » . وكانت هذه الاهانة تسبب له دائما الغيظ الذي يعمي . ذلك بأنه كان شديد الحساسية بالنسبة الى قدمه المشوهة خلقة . وفي ذات يوم ، عندما رمته أمه بهذه العبارة الكريهة ، رفع مدية الى عنقه ، وكاد ينحر نفسه لو لم ينقذوه بصعوبة . وخلال شجار آخر ، هدد كل منهما الآخر بالقضاء على حياته ، وذهب سرا الى الصيدلية ليتأكد من ان الآخر لم يأت اليها لشراء السم .

الحيوان الصغير العنيف في غابة أسرة مشاغبة ــ هكذا كان جيرانهم ينظرون الى اللورد بايرون الشاب !٠٠



ان حياة رجل فيه مثل هذه المجموعة المتنوعة من العواطف والانفعالات كان ينبغي ان تكون عاصفة ٠ وهو القائل : « لو انني ولدت ، كما تقول المربيات ، وفي فمي ملعقة من فضة ، فقد توقفت هذه الملعقة في أرزي وأفسدت حلقي ؛ بحيث لم يعد بوسعي ابتلاع اي شيء بتلذذ واستمتاع ما لم يكن فلفلا احمر » ٠ وقد كان دائم النهم الى توابل الحياة الحريفة ٠ ففي الثامنة من عمره عرف حبه الاول ٠ وقد وصفه ذلك بقوله : « ان شقائي ، وحبي لتلك الفتاة كانا من العنف بحيث انني أشك أحيانا في ان أكون قد أحببت حقا مذ ذاك ٠ وعندما سمعت أنها تزوجت كدت أصاب بالتشنج » ٠ وفي الثانية عشرة احب ثانية ــ وهذه المرة كانت ابنة عمه مرغريت باركر ٠ ولكنها قضت بداء السل ، فكانت وفاتها تقريبا نهاية حياته ٠

لم يكن بايرون ليتحمل الالم الفكري والنفسي المبرح ، مع انه امام الالم الجسدي كان شجاعة شجاعة الرواقيين الذين كانوا يقولون بأن الرجل الحكيم يجب ان يتحرر من الانفعال ولا يتأثر بالفرح أو الترح ، وان يخضع من غير تذمر لحكم الضرورة القاهرة ٠

وللتعويض عن العرج في رجله ، عمد الى تقوية سائر أعضاء جسمه بالتمارين الرياضية القاسية ٠ فركب الخيل ، ومارس الملاكمة ، ولعب الشيش ، والرماية بالمسدس ، والسباحة ٠ حتى أنه أصبح من أفضل السابحين في انكلترا ، وأحد أكثر الشبان وسامة ، بحيث وصف بأنه نصف اله ونصف انسان ــ شيطاني على الغالب ــ على حد تعبيره الساخر ٠

كان يتمعض من عاهته ، ويعتز بجماله ، حتى أنه كان يقضي أياما بطولها من دون طعام محافظة منه على نحافة جسمه ــ مكتفيا ببضع قطع من

السكوت ؛ وبمضغ العلكة المسك للتخفيف من شهيته . الا انه بعد هذه الحمية ، والتجويع الاختياري ، كان يساير قابليته ونهمه ، فيلتهم من الطعام ما لذ وطاب دونما اي حساب .



في التاسعة عشرة ، عندما كان بايرون طالبا في كلية ترينيتي ، نشر مجموعته الشعرية الاولى « ساعات الفراغ » سنة ١٨٠٧ ، فاستقبلها النقاد بفتور أقرب ما يكون الى العداوة . فكان رده الساخر على الذين هاجموا ديوانه قصيد تهكمية بعنوان « شعراء بريطانيون ومراجعون اسكتلنديون » ثبتت مكانته الادبية .

وبعد ان شفى غليله من هؤلاء « المجانين » ، نفض قدميه من تراب انكلترا ، ورحل الى القارة الاوروبية التي عاد منها حاملا نشيدتين من ملحمته الشهيرة « تشايلد هارولد » ، فنشرها سنة ١٨١٢ ، ولاقت رواجا منقطع النظير . وكان تأثيرها ــ على حد قول كاتب سيرته طوم مور ــ مكهربا . وأوجز بايرون نفسه هذا الترحيب العفوي بعبقريته بهذه العبارة الموجزة المحكمة : « استيقظت ذات صباح فوجدت نفسي شهيرا » . وكان ذلك اختبارا وجد بايرون فيه كل متعة ــ وهو ان تعبده الجماهير التي يكرهها . وهو القائل في وصف المجتمع : « اني اشمئز من مجتمع يصوغ عبارات ويقضي على الرجال » .

وفاجأ بايرون الجمهور بمفاجأة ثانية ، هي زواجه الذي يلاحظ هو نفسه بسخرية انه كان مفاجأ حتى له . ففي سنة ١٨١٥ اقترن بالآنسة ملبانك ، فرزق منها ابنة . ولكنهما انفصلا بعد حوالي سنة من زواجهما . ذلك بأنه لم يكن من النوع الذي يحب الاستقرار والحياة العائلية . حتى ان بداية شهر العسل كانت مشؤومة . فبعد مراسم الزفاف ؛ ولدى ترجلهما من العربة قال الشاعر لعروسه : « أنت الآن زوجتي ، وهذا يكفي لكي أكرهك . ولكن لو كنت زوجة أحد آخر ، فان ذلك كاف لكي أحبك ! » ولكن هذا

النوع من المزاح الساخر لم يرق اللايدي بايرون ذات العقلية العملية . وشكت في صحته قواه العقلية . وظل هذا الشك يساورها ويزداد مع الايام ، حتى كان يوم أجبرته فيه على زيارة الطبيب لفحصه . فلما اكد لها الطبيب انه يتمتع بصحة عقلية سليمة ، كان ردها : « يمكن ان يكون سليما عقليا ، ولكنه مجنون أخلاقيا ! » وتراكمت عليه المشاكل ، الى جانب مشاكله العائلية ، فهجر انكلترا مجددا ـ ولكن الى الابد هذه المرة !

كان رحيله حدثا عاما . فبينما كان يسير باتجاه السفينة في ميناء دوفر ، اضطر للمروريين حشد كبير من أفراد الطبقة الارستقراطية ، رجالا ونساء ، جاؤوا يتفرجون على رحيل الوغد الذي لعنوه وأعجبوا به . وأبحرت السفينة في القنال الانكليزي ، فهبت عليها ريح شديدة ، ما لبثت ان تحولت الى عاصفة هوجاء كادت تغرق السفينة وتلقيها على الصخور . ودب الهلع الى قلوب الركاب ، وراحوا يقبلون مسحاتهم ، ولم يبق غير بايرون محتفظا برباطة جأشه . وقد قال للمناسبة : « لقد ولدنا جميعا لنموت . أما بالنسبة الي فانني سأرحل وسط الندم ، ولكن ليس وسط الخوف ، بالتأكيد » .

الا ان الوقت لم يكن قد حان بعد لذهابه . فقد تغلبت السفينة على العاصفة ، ووصلت سالمة الى كاليه في فرنسا . وما هي الا بضعة أيام حتى وصل بايرون الى جينيف ، فلما سجل اسمه في « فندق انكلترا » هناك ، كتب تجاه كلمة « السن » ـ مئة !

وكان كل نزلاء الفندق يتلهفون لرؤية هذا الانكليزي الشاب الشيطاني ـ الشاب في عمره ، والعجوز في خبرته . سوى ان بايرون لم يكن لديه متسع من الوقت للمعجبين به . ذلك بأنه كان على موعد مع حبيبة جديدة هي كلير غودوين ، اخت زوجة الشاعر شيللي . فقد كتبت اليه رسالة تطلب فيها منه تعيين موعد للقاء ، قائلة : « ان امرأة غريبة كليا عنك تسمح لنفسها بالتوجه اليك ... لعله يبدو تأكيدا غريبا ، ولكن ذلك لا يقلل من صحته ، فأنا أضع سعادتي بين يديك ... اعلم انك لك شهرة في الجنون ، وانك شرير ، وخطر ، ولكن لا بأس ، فأنت تمسك بقدري ... » .

في باديء الامر رفض بايرون طلبها ، ولكنه استسلم أخيرا ، وكانت جينيف مكان اللقاء .

وقابلها ، فكرهها ، وأحبها ، ثم نبذها ، وقد أنجب هذا الغرام المشؤوم فتاة هي كلارا آليغرا ، وضعت في أحد الاديرة ، ولكنها توفيت في سن الخامسة . وشاء والدها ان يدفنها في كنيسة هارو ، ولكن رفض طلبه لان لا مكان للاطفال غير الشرعيين بين المؤمنين . وهكذا أبعدت عن مجتمع الاموات، كما أكره أبوها على البقاء بعيدا عن مجتمع الاحياء .

وفي جينيف التقى بايرون الشاعر الآخر شيللي الذي كان ، مثله ، متناقضا في شخصيته . ولكن تناقض شيللي كان من نوع مختلف ، فلقد كان روحا ضل طريقه من روعة الجبال المشرقة الى ظلال الوادي . كان يبحث عن النور ، ويتوق الى التنفس في عالم وجد نفسه فيه غريبا . ومثل بايرون كان غريبا غير مرحب به . وباتا صديقين حميمين . كان بايرون يعجب بشيللي ويرثي له بسبب بساطته . وكان شيللي يعبد بايرون ويرثي له بسبب فساده وانحرافه .

بايرون وشيللي ـ ثائران على العالم . ولكن في حين كان شيللي منارة ، كان بايرون دوامة من العواطف . لم يكن ليستطيع التخلص من تململه ، وقلقه ، ومن طبعه الحاد النزق ، ومن جوعه الشديد للاختبار . وهو يعترف في كتابه الشعري « مانفريد » بقوله : « أنا لا استطيع ان أروض طبيعتي » . لقد كان دائما يبحث عن الاثارات الجديدة ، والمناظر الجديدة ، والعشيقات الجديدة ، والمخاطر الجديدة ، وتعددت وقائعه الغرامية المحرمة في مختلف الاوساط بدءا بالطبقة الارستقراطية ، ومرورا بالعاديات من بنات حواء ، وانتهاء بالساقطات منهن . فالحياة في عرفه ينبغي ان تتحول الى قصف ولهو معربد من النسيان ، والعالم الاقل بعثا على الرضا هو احتفال صاخب مخمور قصير ، وهو القائل : سأستثمر منجم شبابي حتى آخر عرق من المعدن ، وبعد ذلك ، عمتم مساء ! » .

وكان آخر عرق من المعدن في شخص الكونيسة تيريزا غويتشيولي • لقد كان ذهب سنة ١٨١٨ مع شيللي وزوجته للعيش في مدينة البندقية (فينيسيا) الايطالية ــ وكانت مرحلة أخرى من مراحل رحلتهما فرارا من تفسهما • وفي احدى حفلات الاستقبال هناك تعرف الى هذه الحسناء الشابة ، وكانت زوجة الكونت غيتشيولي ، أحد نبلاء تسكانيا ، وكان في سن والدها ، فوقعت في حب بايرون ، وبادلها هو هذا الحب العنيف • وخيل له انه وجد أخيرا السعادة التي طالما نشدها طوال حياته • وكانت الكونتيس رائعة الحسن ، وسخية ، وحمقاء ــ الخصائص الثلاث التي تحول المرأة الى العاشقة المثالية • وكان قصر آل غيتشيولي الفخم في مدينة رافينا ، حيث كانا يعيشان ، المكان الافضل لتلك العلاقة العاطفية الرومنطقية •

وكان ثمة دائما الخطر المثير الذي لم يكن ليخيف بايرون ، ولم يكن هذا الخطر من ناحية الكونت غيتشيولي ، بل من الشرطة • فقد علم رجال الشرطة انه يتآمر من أجل تحرير ايطاليا • فراقبوا القصر ، وهددوه بالاعتقال، حتى أنهم ألمحوا الى اغتياله • غير ان كل ذلك الاضطراب لم يكن الا ليضيف التوابل الى مأدبة حياته في رافينا ، لم يكن يخشى الموت ، « نحن آل بايرون نقضي في شرخ الشباب • ولكن ما دمنا في قيد الحياة ، فان صيحتنا هي « الى الامام » ••• ماذا تعني الذات ؟ ليس للفرد ، ولا ملايين الاشخاص أي قيمة ، انما روح الحرية هي التي يحسب لها حساب !•• » •

وكانت أيامه ولياليه غير منتظمة بقدر ما كانت مثيرة • يستيقظ عند الظهر ، فيتناول افطاره في الثانية ، ويقضي ما تبقى من فترة ما بعد الظهر في ركوب الخيل ، او الرماية بالمسدس ، او في نظم الشعر • ثم يتعشى في الثامنة مساء ، ويمضي بقية الليل متحدثا الى شيللي ، او في لقاء رفاقه من المتآمرين ، مخططا لتحرير البشرية • وقد اعتاد ألا يأوي الى فراشه للنوم الا في السادسة صباحا •

كان يكتب ، كما كان يعيش ، بسرعة انفعالية ولاهثة • وقلما كان يصحح ما يكتب « لا يسعني ان أعيد صياغة أي شيء ، أنا كالنمر . فاذا

أخطأت الينبوع الاول ، فانني أعود متذمرا الى الغابة من جديد . ولكنني اذا ما فعلت ذلك ، فانه يكون أمرا ساحقا ! » .

وغالبا ما كان ينجح في ذلك ، ولكنه كان أمرا ساحقا فقد سحق تقاليد الجمهور ، وطعن في آرائهم ومعتقداتهم الخرافية ، وصدمهم في شراء كتبه . وجعلهم يحمرون خجلا لدى اطلاعهم على مضامينها ، ثـم جعلهم يتاعونها لاصدقائهم ، ففي يوم واحد وحسب التهم الجمهور ثلاثين ألف نسخة من قصيدته الطويلة « القرصان » التي لم تتطلب منه كتابتها غير عشرة أيام . وكانت سائر كتبه مثل « القرصان » من حيث الرواج العفوي والشهرة من مثل « سجين شيون » ، و « مانفريد » ، و « نحيب تاسو » ، و « مازيبا » وبعض المسرحيات . سوى ان أشهر كتبه على الاطلاق ، كان « دون جوان » ــ الكتاب الشعري الاكثر بايرونية بينها ــ وهو ملحمة هجائية نظمها خلال اقامته تلك الايام العاصفة في قصر آل غيتشيولي ، ويقول المؤرخ والناقد الفرنسي « تين » عن هذا الكتاب الذي هو كسائر كتبه قصة شعرية خيالية عن مغامرات بايرون الجسدية والفكرية ، ومزيجا من مليحه ونكاته المغرورة الضحلة والحكمة السامية : « انه عقد من اللآلىء الشرقية على الرغم من ادخال بعض الخرز الزجاجي غير الضروري في بعض الاحيان » .

فبطل « دون جوان » ، مثل بايرون تماما ، يكافح بيأس ضد المعاكسات الهائلة ــ الحقد ، الظلم ، الطغيان ، الاضطهاد ، الحرب . ولعل غاية بايرون الرئيسية في كتابته هذه الملحمة الشعرية ــ مثله في ذلك مثله في سائر كتبه ــ اصابة العالم بصدمة التفكير . فعلى الرغم من تشكيكه بكل شيء ، كان يؤمن ايمانا حارا بقوة الكلمة . وهو القائل :

« ... ذلك بأن الكلمات ، ونقطة حبر صغيرة
تسقط ، كالندى ، على فكر ، تحدث
ما يجعل الآلاف ، ربما الملايين ، يفكرون » .

فالكلمة تجعلك تفكر ، والتفكير سيحررك !

***

كان حب الحرية النبرة المسيطرة في شخصية بايرون . ففي قلقه المستمر، وسعيه الدائب وراء المغامرات الجديدة ، والقضايا الجديدة ، اندفع بكليته ، وبكل مشاعره وأحاسيسه وسط المعركة اليونانية من أجل الاستقلال والتحرر من السيطرة التركية ، فسافر الى اليونان سنة ١٨٢٣ ، وكان عمله رائعا في تنظيم الكفاح ، وتبرع بمبلغ خمسين ألف دولار لليونانيين ، ثم قدم اليهم أثمن هدية في وسعه تقديمها ــ حياته ! فقد انخرط في الجيش اليوناني في بداية ١٨٢٤ ، ولكنه بعد ثلاثة أشهر أصيب بالحمى فتوفي في ١٩ نيسان في ميسولونغي ، آخر الحصون اليونانية . وكان في السادسة والثلاثين من عمره !

لقد تلقى بايرون نصف الضربات . ومع أنه لم يعش لكي يرى نهاية النزاع ، الا ان تضحيته كانت كافية . ذلك بأن الدول الاوروبية ، وبخاصة فرنسا ، اهتزت كما بالكهرباء ، بفعل قدوته . فتدفق المال والرجال ــ من انكلترا ، وفرنسا ، وروسيا ــ الى البلاد المكافحة ، وبعد ثلاث سنوات من وفا بايرون انتصر اليونانيون وحققوا استقلالهم !

***

وبعد ، فاللورد بايرون ، شاعر القوة ، والعاطفة ، والظرف ، هو في طليعة شعراء القرن التاسع عشر الذين تحولوا من الكلاسيكية الى الاشكال الحديثة التي تتميز بالتعبير الحر ، وبروز الشخصية الفردية ، والتأثر الشديد العميق بجمال الطبيعة .

ذاعت شهرته في فرنسا ، وكانت قصائده مصدر وحي للكثيرين من الكتاب والرسامين الذين أنصفوه اكثر من زملائه البريطانيين .

وكان اللورد بايرون قوي الذاكر ، يمكنه ترديد كل ما نظم حرفا حرفا ، في حين كان الشاعر السر ولترسكوت ضعيف الذاكرة الى حد بعيد . ومن طريف ما يؤثر عن هذا الاخير في هذا الصدد ، أنه أطرى يوما قصيدة من نظمه ظنا منه انها للورد بايرون .

كتب جديدة

بمناسبة صدور الجزء السابع من الموسوعة الموجزة
للاستاذ حسان الكاتب

لماذا يحتاج الطالب الى الموسوعة الثقافية ؟
حسان الكاتب والجهد الموسوعي



بقلم : ياسر الفهد

تلعب الموسوعات بمختلف أنواعها كما هو معروف دورا كبير الاهمية في دفع عجلة التطور الثقافي ورفد ينابيع العلم والمعرفة . وقد نشطت حركة اصدار الموسوعات العربية منذ أوائل السبعينات فظهرت ـ المعرفة ـ الموسوعة الموجزة ـ عالم المرأة ـ الهدف ـ الموسوعة الالكترونية .. الخ) بعد ان كانت المكتبة العربية تفتقر بدرجة كبيرة الى مثل هذه الدرر الثمينة . والموسوعات على نوعين منها الاختصاصية وتعنى بجانب واحد محدد من جوانب الثقافة كالموسوعات العلمية او الادبية او السياسية .. الخ، ومنها الثقافية العامة التي تضرب في شتى ضروب المعرفة فتأخذ من كل علم بقسط ومن كل فن بطرف . وكمثال على النوع الاول الموسوعة العلمية الاختصاصية في علوم الحاسبات الالكترونية . وقد صدرت مؤخرا عن الجهاز المركزي للاحصاء في القاهرة . وتضم ما يقارب (٢٥٠٠) تعريف علمي للمصطلحات المستعملة في الآلات الالكترونية وهي مزودة بمجموعة كبيرة من الرسوم الهندسية والصور والاشكال التوضيحية . أما النوع الثاني فتمثله الموسوعة الموجزة التي ما زال الاستاذ حسان الكاتب يعكف على اصدارها دون كلل على اجزاء منذ ستة أعوام . وهي عبارة عن موسوعة في المعارف الانسانية مبوبة حسب الحروف الهجائية وتتناول العلم والادب والاجتماع

والاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والفلك والدين والتربية والقانون والفلسفة.. الخ فهي لا تترك جانبا من جوانب المعرفة الا وتطرقه ولا تلقى فرعا من فروع الثقافة الا وتتصدى له لذلك نجدها تزخر بكل ما يهم المثقف من معلومات وثائقية عربية وعالمية . وقد صدرت الموسوعة في دمشق على أجزاء متوافقة مع أحرف الهجاء ، كل جزء لحرف . وتقع كل أربعة أجزاء في مجلد : صدر الجزء الاول في عام ١٩٧١ والثاني في أواخر العام نفسه ، والثالث في النصف الاول من عام ١٩٧٢ والرابع في النصف الثاني منه ؛ والخامس في عام ١٩٧٣ ؛ والسادس في عام ١٩٧٤ . أما السابع فقد صدر في النصف الاول من شهر كانون اول عام ١٩٧٦ .

ومثل هذه الموسوعات الثقافية مفيد للمثقفين الاكاديميين والعاديين على حد سواء . ولكنها مفيدة بشكل خاص للطلاب في جميع المستويات الدراسية ؛ المدرسية منها والجامعة ، فهي مرجع دراسي وثائقي لا غنى للطالب عنه ، يرجع اليه في كل ما يجعله ويستعصي على علمه انها مصدر ثقافي ضروري لهذا الطالب في دراسته العامة ضرورة القاموس اللغوي له في دراسته اللغوية .

هذه الموسوعة القيمة هي حصيلة جهد فرد واحد . وهنا يكمن سر اهتمامنا الخاص بها فالموسوعات عادة لا تستطيع اصدارها الا الوزارات والمؤسسات الثقافية والمجامع العلمية . واذا أفلح انسان واحد دؤوب من القطر العربي السوري في التصدي لمثل هذا العمل الكبير فان من واجب الهيئات المختصة دعم هذا الجهد وتشجيعه ؛ وبما ان الموسوعة الثقافية الموجزة تنطوي على فائدة ثقافية خاصة بالنسبة لطلاب المدارس والجامعات فان وزارة التربية والجامعات السورية بشكل خاص مدعوة الى احتضانها ورعايتها فهي مرجع ثقافي دراسي من الطراز الاول تمد الطالب بكل ما يحتاجه من معلومات وارقام وحقائق في جميع جوانب الثقافة .

ياسر الفهد

خراب سنحريب

بقلم : لورد بايرون
ترجمة : عيسى فتوح

زحف الآشوريون كذئب في زريبة
كانت كتائبهم تتألق بالذهب والارجوان
وحرابهم تبرق كنجوم فوق البحـر
عندما تتدحرج الموجة الزرقاء ليلا على جبال الجليل الصامتة .

***

كأوراق غابة عندما يكون الصيف أخضر
لاحت رايات ذلك الصيف ، والشمس رأد الاصيل
كأوراق غابة يلهث الربيع في أعطافها
ذبلوا في الصباح ، وتفرقوا في كل مجهل .

***

لان ملاك الموت بسط جناحيه مع الريح
وتنفس في وجه ذلك العدو حالما عبر
أفرخت أعين النائمين موتـا وقشعريرة
واضطربت قلوبهم دفعة واحدة ، وسكنت الى الابد .

***

هنا ... تهالك حصان بخيشومه العريض
يحبس فيه أنفاس العجب والكبرياء
وتغطي رغوة أنفاسه البيضاء الارض المعشبة

بارد كرشاش أمواج الشاطىء تتكسر على الصخور ٠

***

وهناك ٠٠٠ تهاوى فارس شاحبا مشوها
وقد بلل الندى حاجبيه ، وأكل الصدأ سلاحه
كانت الخيام كلها ساكنة ، والاعلام وحيدة
وليس ثمة من يشهر الحراب ، او ينفخ في الابواق ٠

***

نوافذ آشور تعج بالصراخ والعويل
أصنامهم محطمة في معبد بعل
وقوى « آلهتهم » انهارت بحد السيف
وذابت كما الثلج بلمحة من نور اللــه ٠

اشأم من طـويس

❋ طويس يضرب به العرب المثل في الشؤم ، وهــو رجل مــن أهــل المدينة ، مولى لبني مخزوم ، واسمه عيسى بن عبد الله ٠ وهو اول مــن اظهر المجون بالمدينة ، وكان مغنيا يضرب بالدف ٠ فسئل عــن مولده فقال : ولدت يوم مات رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، وفطمت يــوم مات ابو بكــر الصديق ، وختنت يوم قتل عمر ، وتزوجت يوم قتل عثمان ، وولد لي ولــد يوم قتل علي ابن ابي طالب فيقولون في امثالهم السائرة اشأم من طويس ٠

قا طع الطريق

شعر : الفريد نويز
ترجمة : عيسى فتوح

وحتى اليوم ••• ما يزال الناس يقولون :

في احدى ليالي الشتاء

عندما كان القمر كشبح سفينة مدفوعة فوق بحار غائمة ؛

عندما كان الطريق كشريط من نور القمر ، فوق الارض الارجوانية ،

أقبل قاطع الطريق راكبا ـ

راكبا ـ راكبا ـ

أقبل قاطع الطريق راكبا ، واتجه فورا الى الباب القديم

في الفناء الداخلي المعتم ؛ سمع صوت قدميه على الحجارة المرصوفة

لمس بطرف كرباجه درفة الشباك ••• لكن كل شيء

كان مقفلا ومسدودا •

أرسل نغمة قرب النافذة ، ومن ذا الذي يحتمل أن يكون منتظرا هناك

غير ابنة الامير ذات العينين السوداوين

غير ابنة الامير

ضافرة عقدة الحب النبيذية ، في شعرها الاسود الطويل ؟

الخنافيس

شعر : صموئيل مارشاك
ترجمة : عيسى فتوح

ذهبت خنزيرة في تجوال ذات يوم
مع أفراد أسرتها كلهم •
قالت الام السعيد : « أوينك ــ أوينك ! »
فصرخ الخنانيص : « اي ــ اي ! »

❋❋❋

حينئذ قال الخنوص الذي صرخ أكثر من غيره :
« اخوتي ، ألا ترون » :
كل الخنانيص الكبيرة تقول : « أوينك ــ أوينك ! »
فكيف نصرخ : « اي ــ اي ! » •

❋❋❋

« اصغوا الآن الي ، أيها الاصدقاء !
من قال اننا أقل شأنا من الخنازير الكبيرة ؟ »
مسكين من ظن انه غير قادر على ان يصرخ : « أوينك ــ أوينك » ،
فصرخ حقيقة : « اي ــ اي ••• »

❋❋❋

منذ ذلك الحين انقطعت الخنانيص عن ان تقلب التراب بفناطيسها
وترقص في المرج مرحا
ولانها لم تستطع أن تقول : « أوينك » ،
فقد صرخت : « اي ــ اي » فقط •

❋❋❋

هذه القصة ، يا بني ، تشير
بوضوح ما بعده وضوح الى أنك
ان تكن صغيرا جدا عن ان تقول : « أوينك ــ أوينك » ،
فاصرخ بشجاعة : « اي ــ اي ! » •

رسائل الادباء

اخي عبد الهادي التازي المحترم

أطيب التحيات وأحر الاشواق وأخلص الود لشخصك اللامع غائبا وحاضرا وكما عهدتني ما زلت ذلك المحب .. الظامىء لحديثك ومجلسك . شاكرا لك هديتك (المحفظة) (١) التي أحملها في صدري لتحفظ نقودي وماء وجهي في سفري وبلدي .. كما أحمل اطيب المشاعر للاصدقاء ، وأتجمل بالمحبة للناس .. كل الناس فهم زادي في سبل الحياة !..

اخي الهادي : في هذا اليوم المشرق من أيام بيروت الجميلة كنت على موعد مع صفوة طيبة من أعمدة الفكر والادب لاصحبهم بسيارتي لزيارة (الفريكة) اذ يصادف اليوم موعد الاحتفال الذي سيقام لفيلسوف الفريكة (أمين الريحاني) (٢) وذلك لمرور ثلاثين عاما على وفاته رحمه الله .

والغريب من هذه الذكرى المحزنة ، هو ان جيء من أميركا بقارورة لا تضم في جوفها ذهبا او لؤلؤا .. بل رمادا هو اثمن عندي من الذهب ، واصفى من اللؤلؤ .. رمادا هو خلاصة حب انساني ، وتعاطف وجداني ..

وقد تعجب يا أخي اذا ما علمت بأن زوجة الريحاني السيدة (برثا) (٣)

---

(١) اشارة الى هدية صديقي التازي لمحفظة جلدية مطعمة بماء الذهب من صناعة اليد العاملة المغربية الفنية .

(٢) ولد امين ١٨٧٦ م ــ ١٩٤٠ م وقد هاجر مع عمه عبده الريحاني عام ١٨٨٨ م الى نيويورك . ثم عاد الى لبنان ١٨٩٨ م ورجع الى نيويورك ثانية وفي عام ١٩٠٤ م عاد فاستقر بلبنان .

(٣) زارت الفريكة السيدة برثاكيس عام ١٩٥٣ م .

التي توفيت هذا العام قد أوصت بأن تحرق جثتها ويؤخذ نصف رمادها ليرسل الى الفريكة ليستقر بجانب رفات حبيبها ، والنصف الثاني يبقى فـي مدينـة (اوركون) في أميركا ..

وما هي الا دقائق لا أدري يا أخي كيف انقضت .

واذا بنا في وادي الفريكة الوادي الجميل الـذي تحتضنه الجبـال ؛ وتغرقه الحفرة ، وتظلله خمائل العنب .

واجتزنا حديقة الدار ـ والـدار لـو كلمتنا ذات اخبـار ـ فالبـاب مفتوح الذراعين يستقبل المعجبين والمحبين ، وأول مـا استوقفنا التمثـال البرزي لامين الريحاني ، وتحته حفرت كلمته المأثورة (قل كلمتك وامش) .

واستقبلتنا شابة رشيقة أنيقة فصافحت عيوننا منهـا ابتسامة مضيئـة ؛ ولامست آذاننا كلمات فضية .. وقادتنا الى صالة شاعرية تطـل على الوادي العميق ، فأدركت هنا لم أحب الريحاني قريته الصغيرة ، وهجر عالمه الكبير .. فلم تغره أمريكا ، ولا أوربا ولا حتى بلاده العربية ، ولم تغرر بـه هبـات الملوك ، ولا حفاوة الامراء والرؤساء ، فالريحاني عاشق الفريكـة فحسب .. وهل تستطيع المغريات ان تغري العاشق بأن يبتعد عن خليلته ؟

علما بأنني لا أتفق وفيلسوفنا الريحاني في حسن ظنه بالملوك والامراء في حل المشاكل العربية ، وعـلى رأسها القضيـة الفلسطينية ... فالملـوك والامراء الحالمون .. أعجز من ان يتفهموا مشاكل أمة ، او يتحملوا همـوم شعب ..

وبعد ان ترشفنا القهوة العربية ، اشارت علينـا (الآنسة مـي) (*)

(*) الانسة مي البرت الريحاني ، وقد سماها مـي والدهـا تيمنا باسم الاديبة مي زيادة للعلاقة الادبية والروحية التي تربطها باخيه امين منذ زارها في ضهور الشوير ، ثـم زارته فـي الفريكـة .

والانسة مي الريحاني اديبة ذكية تمد المجلات بمقالاتها الادبية ، وقد اهدتنا كتابها الانيـق (جفر على الايام) وعندما قرأته تنسمت اريج الانس الريحاني من عموم معظمها .

لنطوف في متحف عمها امين ، ورحنا تقلب نواظرنا بين المخلفات الثمينة فهـذا سيف أثري وهذه ملابسه العربية من عقال وكوفية وعباءة وجلابية أهداها له الملوك والامراء العرب عندما ساح في البـلاد العربيـة على ظهـور الخيـل والجمال . وكان ذلك عام ١٩٢٢ م .

وهناك شاهدت بعض رسائله ومؤلفاته ، فذاك كتابه (خالد) الذي كتبه باللغة الانكليزية ، وتلك نسخة من رباعيات (المعري) ترجمها الريحاني الـى الانكليزية عام ١٩٠٣ م .

ثم وقفت كما وقف قبلي الادباء والفضلاء لاسجل كلمتي فـي دفتـر التشريفات فكتبت :

« طالعتني وأنا في بيروت صحيفة الجمهورية العراقيـة تشعرني بـأن سيقام في الفريكة احتفال ١٣/٩/١٩٧٠ م بمناسبة مرور ثلاثين عاما على وفاة فيلسوفها وأديبها الكبير أمين الريحاني فرأيت استجابة لداعي الوفـاء للادب والادباء ان أزور عروس الريحانـي الفريكـة ، مرضعتـه ومحتضنتـه ... ـ والحبيب يزار ـ وها انني أجدني أقف خاشعا أمام محراب الفـن والادب في دار الريحاني ومتحفه ، حيث تناجيني في رحابـه أرواح معاصريه ادبـاء وشعراء كالعبقري الفذ (جبران) والاديبة المنكودة (مي زيادة) ، واستاذنا عطا الله ذكراه (نعيمـة) .. شكرا للساهرين على هـذا التراث الفكـري الخالـد » .

ثم سرنا نحو الباب فاستقلتنا السيارة نحو مرقد أمين الريحاني ، وقبعت في السيارة وأنا في عالم علوي .. بعيد عن مغريات الحياة .. منـزه عـن الاحقاد .. وما هي الا بضع دقائق معدودات ، حتى أجدني أمام مرقد مرمري لآل الريحاني تحتضنه سنديانتان ، ثم راح كل منا ينفض كفـه مـن باقات الزهور التي طرزت بأسماء المعجبين ، بينما جرب الاستاذ البيرت الريحاني ان يفتح بابا مرمريا محفورا عليه اسم (أمين الريحاني) (١٨٧٦ م ـ ١٩٤٠) ولما فتحت الباب البيضاء إذا بنا نفاجأ بجمجمة تحتها عدد من العظـام مرصوفـة

بعطف وعناية •• ثم عقب شقيقه البرت بقوله •• ان عائلة الريحاني لا تحتفظ بالجثة داخل الارض ••

وانما تنقلها عظاما الى هذه الرفوف العالية •• فهــذا أبـــــي (فارس الريحاني) وهذه (سعدى) أمي •• ثم فتح الباب الملاصقــة لبــاب أمــين فواجهتنا قارورة تضم حفنة من رماد ، وقد خط عليهــا بالاحرف الانكليزيــة (برثاكيس ١٨٧٩ م ــ ١٩٧٠ م) •

فدهشت •• وقلت لنفسي ، التي تعشعش في ارجائها المطامح والمطامع ، والحب والغيرة ، والنزوات المغرية •• أهذه نهاية المطاف ، وختام الرواية ••؟

أحقا هذه هي جمجمة أمين العبقريــة التــي فكــرت فطالعت وتطلعت وسافرت وكتبت ••

أحقا هنا أخيرا استقرت ••؟

باخـــلاص

ناجي جواد

المروءة والكرم والنجدة

❋ سئل عبد الله بن عمر عن المروءة والكرم والنجدة فقال : اما المروءة فحفظ الرجل نفسه واحرازه دينه ، وحسن قيامــه بصنعته وحسن المنازعــة ، وافشاء السلام •

واما الكرم فالتبرع بالمعروف ، والاعطاء قبل السؤال والاطعام في المحل •
واما النجدة : فالذب عن الجار ، والصبر فــي المواطن والاقدام عــلى الكريهة •

مختارات الصحف

الشدياق في اوروبا

(١٨٠٥ ــ ١٨٨٧ م)

اكثر قراء العربية يعرفون كتاب الشيخ رفاعة الطهطاوي الذي كتبه عن رحلته الى فرنسا بعنوان « تخليص الابريز في تلخيص باريز » .. وقليلون هم الذين قرأوا كتاب الشدياق : « كشف المخبا عن تمدن اوروبا » .

هو أحد رواد النهضة العربية الحديثة ، وقد كان صاحب شخصية قوية استطاع ان يشق بها طريقه من الفقر الشديد الى الغنى ، ومن خمول الذكر الى الشهرة العريضة ، حتى ذاع صيته في العالم الاسلامي كله عندما أصدر صحيفة (الجوائب) . كذلك استطاع ان يكون لنفسه ثقافة واسعة عميقة متعددة الجوانب في آن ، تبدت فيما خلفه من كتب في أدب الرحلات ، وفي الدراسات اللغوية التي برع فيها وبلغ مدى بعيدا ، وفي السيرة الذاتية ، اذ صور لنا شخصيته ووصف حياته في كتاب من أبدع وأظرف ما كتب في التراجم الشخصية هو (الساق على الساق) .. بالاضافة الى كثير من المقالات التي عالج فيها شتيتا من القضايا السياسية والاجتماعية والحضارية وغيرها ، والقصائد التي يبدو انها لم تطبع حتى الآن في ديوان .

عرف الشدياق رحمه الله الفقر المر في بداية حياته ، فاشتغل بنسخ الكتب لاغنياء القراء ، فلم تكن المطبعة قد انتشرت في ذلك الوقت . كذلك حاول العمل تاجرا متجولا بين البلدان والقرى ، ولكنه لم يرتح اليه ، ولم يصب منه ما يبتغي من رزق .. واشتغل ايضا بتدريس اللغة العربية بمدارس الامريكان في مالطة ، وعمل بعد ذلك مساعدا للدكتور (لي) الانجليزي في ترجمة التوراة الى اللغة العربية . وقد كفلت له الوظيفتان الاخيرتان مستوى مريحا من المعيشة ، غير انه استطاع أن يحرز بعد ذلك ثروة وصيتا ، وبخاصة

حين استقر في الاستانة ، وأنشأ صحيفة الجوائب التي نالت شهرة عالمية ؛ وكانت لسان الخليفة العثماني ، وحملت على كتفها الدفاع عن القضايا الاسلامية ، والوقوف ضد المطامع الاوروبية الاستعمارية •

كانت شخصية الشدياق من الشخصيات الخصبة ذات الاغوار الرحيبة البعيدة القرار • ولا شك ان بعض هذا راجع الى الظروف التي اكتنفت حياته ؛ كالفقر الذي علمه الاعتماد على نفسه ، ومجالدة شدائد الحياة ، والانتصار عليها •• وكالاسفار الكثيرة التي رأى فيها مصر ومالطة وفرنسا وانجلترا وتونس وتركيا ؛ واطلع على احوالها ، وتنبه لما بينها من مفارقات ، وعرف أسباب تخلفنا عن الاوروبيين والسبيل الى لحاقنا بهم • وقد ساعده على هذا كله ثقافة واسعة عميقة ؛ وخاصة في التاريخ والاديان والاجتماعات واللغويات •

وهي شخصية قلقه طلعه تحب التنقل ، وتكره الجمود والركود في مكان واحد ، وتتمرد على المألوف ان لم تقتنع به وتطمئن اليه ؛ مما يتطلب في احيان كثيرة الجرأة وصلابة النفس : لقد ترك الشدياق مذهبه الماروني الذي ورثه عن اسرته وتحول الى البروتستانتية غير مبال بما كان يسود الحياة الدينية آنذاك من تعصب مفرط عنيف ؛ وفي تونس (وكانت سنه اثنين وخمسين عاما) اعتنق الاسلام وتسمى باسم احمد بعد ان كان يدعى (فارسا) ؛ ويذكر بعض مترجميه انه كان مهيأ النفس من قبل للدخول في الاسلام ؛ ثم جاءت مناقشاته مع شيخ الاسلام في تونس فقطعت الشك باليقين • كذلك جمعت شخصية الشدياق بين حرارة العقل والقلب ، فقد كان ذا غرام بالقراءة والتأليف ؛ الا ان ذلك لم يمنعه ان يتذوق الحياة ، وكانت امرأته تعرف منه ولعه بذكر النساء ، وتغار من شعره الغزلي ؛ كما كان الشدياق يحب التفنن في الطعام ، وكانت عيناه يقظتين دائما لكل ما يقع من حوله ؛ ومن ورائهما ذاكرة واعية ، وقدرة على الملاحظة الدقيقة اللاقطة •

كان الشدياق يمور بحرارة الحياة ، ويتفطن لمواطن الفكاهة في الاشياء والاحداث والاشخاص ، مما يدل على نفس قوية تقدر على استنباط

السرور واشاعة البهجة ، وان استخدمت سلاح التهكم الواخز . لقد سخر الشدياق من الغباء الانساني ، وجلافة الذوق ، وضيق الافق ، والتعصب الذميم ، وصب سوط تهكمه على الجهلاء والمتنطعين ، وقد خالط ذلك شيء من المجانة عابه عليه قوم وغفره له قوم آخرون .

وكتابه (كشف المخبا عن تمدين اوروبا) سجل لرحلته الى فرنسا وانجلترا التي بدأها من مالطة في الثاني من سبتمبر سنة ثمان وأربعين وثمانمائة والف للميلاد ، وهو ـ ان كان قد تكلم عن صقلية ومارسيليا ـ لم يتلبث عندهما الا قليلا ، وجعل مدار كتابه على الريف الانجليزي ولندن وباريس ، فلم يترك شاردة ولا واردة مما رآه او قرأه متصلا بذلك الا سجلها تسجيلا مفصلا دقيقا : وصف البيوت وطلاءها ، وكيف يعيش الناس فيها ، وما تحوي من أثاث وحجرات ، ووصف الطعام والوانه وطرائق طبخه ، وما احبه او عافه منها ، ووصف الشوارع والمعارض والمتاحف ووسائل المواصلات ونظام سيرها ، ووصف الجو وملامح الناس وألوان سحنهم ، كذلك تناول العادات الاجتماعية ، وتقاليد القوم في التزاور والحفلات .. الخ ، اذ كان الشدياق يهدف ان يعطي لابناء قومه صورة واضحة أمينة للاوروبيين والحضارة الاوروبية ، فأول سبيل الى اللحاق بعدوك والتفوق عليه هو ان تعرفه . والاوروبيون انفسهم لم يستطيعوا ان يهزمونا ويحتلوا بلادنا الا بعد ان درسونا دراسة شاملة مستقصية ، وهم ما زالوا يدرسوننا حتى الآن من مختلف جوانب حياتنا نفسيا ، وفكريا ، واجتماعيا ، وسياسيا ، واقتصاديا ، واخلاقيا ، ويرقبون التطور الذي يطرأ على كل جانب منها ، وتأثر حياتنا به .. الخ .

والكتاب ـ وان بلغ الثلاثمائة صفحة تقريبا (من القطع الكبير) ـ يشد قارئه اليه بما فيه من حيوية الوصف لهذه الدنيا الغربية على صاحبه ، وحتى بعد مرور اكثر من مائة سنة على هذه الرحلة فانها ما زالت قادرة على شد الانتباه واثارة العقل والعواطف والخيال ، فهي تصف اوروبا منتصف القرن التاسع عشر ، ولا شك ا ناوروبا قد تغيرت كثيرا منذ ذلك التاريخ

حتى اليوم .. ومن ثمة اهمية الكتاب : انـه يفتـح الباب امـام المقارنة بين اوروبا الشدياق واوروبا الحالية ، وكيف تغيرت بهـا الاحوال ؛ ومـا المعنى التاريخي والحضاري لهذه التغيرات ؛ وما يشير اليه ذلك من انا قادرون على ان نتغير ونتطور كما فعل الاوروبيون ، لو كسرنا مـا بقي من اغلال الجمود والكسل النفسي والعقلي الفظيع الذي يمنع نبض حياتنـا الا يسرع بالمقدار اللازم كي نصل الى مستوى من التحضر اقوى وارقى .

وهذه صورة من مارسيليا في ذلـك الوقت : « هـي وسخة الحارات والاطراف ، لكنها بهية الحوانيت والديار ، مبلطة الطرق ، وليس فـي ديارها مراحيض ، وانما يجمعون اقذارهم في وعاء الـى ان يأتي رجـل معه عجلـة وعليها برميل كبير ، فيناولونه الوعاء ، فيفرغه في البرميل ؛ وما يجمعه فيـه فانه يبيعه لتدميل الارض ، ولا اعرف مدينة اخرى بهذه الصفة ؛ ومنهم مـن يقذف بالاقذار امام البيوت ليلا ، فلهذا يشم الماشي فـي اكثر طرقهـا رائحة كريهة » . فهل ظلت مارسيليا على هذه الصورة الكريهة ؟ بالطبع لا .

والقاريء بلا شك يلاحظ هذا التصوير الدقيق الذي لا يفوته شيء في المنظر الا سجله (العربة المكونة من عجلـة وبرميل كبير ـ الاوعية ومناولتها لصاحب العربة وافراغها في البرميل .. الخ) . والشدياق ـ كما هو ظاهر ـ لا يتحرج من وصف شيء ولا من ذكره ؛ ان لغتـه صريحة ، وقلمـه امين ، وليس ذلك من مجافاة الذوق ، بل العكس هو الصحيح ، لانه يريد من هـذا التصوير ان يبغض الينا القذارة ، ويصفي اذواقنا .

والكتاب كله يجري على هذا المنوال ؛ الا عندمـا يدع الشدياق خبرته المباشرة ، ويستشهد بما في الكتب من حوادث تاريخية او احصاءات ؛ فـان القاريء يفتقد هذه الحيوية والحرارة ، ويشعر بحركة الاسلوب تبطيء ، مما يسبب له كثيرا من السأم .. ان الكاتب حينئذ يستبدل باللغـة الادبية لغـة الارقام والتاريخ ، وشتان ما بين اللغتين .

وفي الرحلة لفتات تهكمية بارعة ، وبخاصة على المستشرقين الذين يتصدون لدراسة تاريخنا ولغتنا وديننا وعاداتنا ، رغم انهم لم يستكملوا عدة البحث ، فيقعون في اخطاء شنيعة تجرهم اليها في احيان كثيرة رغبتهم في التحذلق والظهور في ثياب العلماء المحققين الذين فهموا كل شيء ، واحاطوا بكل شيء علما .

وهذه صورة ساخرة تبين كيف ان ضيوف الانجليز لا يجدون في مآدبهم الكرم والبهجة اللذين يجدهما ضيوف الشرقيين :

« وعند صف ادوات الشاي تقوم الست ايضا ، وتجلس في الصدر ، وتسأل من حضر :

ـ هل تريد ان تشرب شايا ؟

فيقول : نعم ، ان شئت !

فتقول : اتشربه مع السكر ؟

فيقول : نعم ، ان شئت !

فتقول : ومع الحليب ؟

فيقول : نعم ، ان شئت !

فتقول : وتأكل نصف هذه الكعكة ؟

فيقول : نعم ، ان شئت !

فتقول : وربع هذه الفالوذة ؟

فيقول : نعم ان شئت !

وكلما اكرمته باحدى هذه المركبات قال : « اني اشكرك » .

فاي بخل هذا الذي يتعامل ـ بدل الارقام الصحيحة ـ بالكسور ، وكسور الكسور !

ويلاحظ هذا الشكران المتكرر كلما (اكرمت) ربة البيت ضيفها بنصف او ربع او ثمن شيء من هذه الالطاف وكأنها خروف !

على ان فكاهة الشدياق ليست من اللون الفلسفي العميق ، انها تتصل بالواقع اتصالا مباشرا ، فيها التفات الى نواحي النقص في الاشياء والاشخاص ، وفيها الثقة بالذات ، وفيها اللذع ، ولكن ليس فيها هذا التعمق وراء اسرار الحياة ، حتى يصل المتألم الى الالم العبقري الذي يحاول ان يغطي عليه بالفكاهة والضحك ، كما نجد عند المازني مثلا .

والكتاب مملوء بالحكايات يؤكد بها المؤلف آراءه وانطباعاته ، والنفس البشرية تميل الى القصص وتطلبه ، ولا شك ان ذلك باعث على النشاط والمضي في القراءة .

ان هذه الحكايات تزيد الرحلة حيوية ، وتقربها من حلاوة السمر وما فيه من عفوية وتلقائية . ومن هذه التلقائية ظاهرة الاستطراد ، وهي في مثل هذا الكتاب غير معيبة ، لانه ليس بحثا علميا يراعى فيه التنظيم والتماسك .

ولغة الكتاب لغة سهلة مسترسلة ، ليس فيها سجع ولا محسنات لفظية ، لكنه راوح فيها بين النثر والشعر ، فهو حينا بعد حين يستشهد ببيت او اكثر له او لغيره ، مما يناسب السياق . والمراوحة بين النثر والشعر في التأليف القديم كانت شيئا مقبولا ، بخلاف الامر الآن ، فالكتابة العصرية تمضي نثرية خالصة ، الا في الندرة الشديدة التي تعد في حكم المعدوم .

والفاظه وجمله عليها طابعه واضحا اشد الوضوح ، وقد اعانه على هذا ـ بالاضافة الى تمرسه باللغة ، واتساع معرفته بها ، وعمق تذوقه لها ـ انه كان احد رواد الكتابة في العصر الحديث ، ومن ثم كان عليه ان يشق طريقه التعبيري بنفسه غالبا ، دون ان تتردد على قلمه التعبيرات المحفوظة . ومن الفاظه (الحافلة) اي العربة التي تجرها الخيول وتنقل الركاب داخل المدينة ، و (العاجلة) أي العربة ، (والجعل) وهو الاجر ، و (المضمار) وهو خط سير الحافلة ، و (الشفعة) اي النصيب . اما تراكيبه فيمكننا الاجتزاء بهذه الامثلة عليها : (نهروا اليها نهرا) بدل : شقوا ، و (سقطت شفعتك) اي

ضاع عليك نصيبك ، و (ترجمة بعين الالفاظ والتراكيب) وذلك مقابل ما نسميه الآن « ترجمة حرفية » ، وهو يسمي رب الدار (السائد) وربة الدار (الست) . واحيانا يكتب اللفظ الاجنبي كما هو ، مثل (الستي) اي المدينة الصغيرة و (البنك) اي المصرف ، و (البوسطة) اي البريد .

وقد كانت له ترجمات لكثير من هذه الاسماء لم يكتب لها الشيوع والبقاء مثل (الورقات اليومية) للصحيفة .

ان لغة الشدياق ليس فيها ادنى كلفة ، الا ان هناك شيئا من الصعوبة في متابعتها ، ويرجع ذلك اولا الى خلو الكتاب من علامات الترقيم ، فقد طبع منذ نحو مائة سنة ، فلا تجد فيه فاصلة ولا علامة استفهام ولا غيرها من العلامات التي تعين على فرز الجمل بعضها عن بعض ، فلا تختلط وتشوش ذهن القارىء ، كما يرجع ثانيا الى انه يتكلم كثيرا عن اشياء لا تقع في دائرة خبرة معظم القراء ، كاسماء الاطعمة والمشروبات الغريبة : (الهرطمان ـ الهندباء ـ جذر الفوه ـ السيلقون ـ السرنج ـ النطرون ـ عود برازيل .. الخ) .

واخيرا لا بد ان ننبه الى ان الشدياق رغم انه عالم ضليع في اللغة واديب ومفكر كبير ، فان ذلك لم يمنعه من الخطأ بين الحين والآخر ، فهو يقول مثلا : (لا بد وان) وتصويبه : لا بد ان ، او لا بد من ان .. وهذا الغلط الشائع (رغم ان الامر كذا الا انه كذا) والصحيح : رغم ان الامر كذا فهو كذا . وهذا ليس مأخذا كبيرا ، فالكمال لم يكتب لواحد من البشر ، ولكن ذلك لا يمنعنا من التنبيه اليه ، ومحاذرة الوقوع فيه .

ابراهيم عوض العربي

خذلان ديغول ام فشل قوى

شعر : احمد الصافي النجفي

سقط السيف بعد طـــول القراع ... وخلا الساح من حليـــم شجاع

فلتودع حضارة الغـــرب نبـــلا ... ولتسلـــم قيادهـــا للرعـــاع

وليسدهـــا ظـــلام روح وعقـــل ... بعـــد نكرانها لـــذاك الشعـــاع

انـــت عرفتنـــا السياسة صدقـــا ... بعـــد تعريفها لنـــا بالخـــداع

منـــلا كنـــت بيننـــا ورســـولا ... لك نهـــج كالوحي كالابـــداع

مـــا تمسكت بالرئاســـة قســـرا ... بعدمـــا بايعتـــك دون امتنـــاع

ولكم فـــزت بالرئـــاسة طوعـــا ... ان ينلهـــا باقي الورى بالصراع

عجبا قد ظهرت في عصر فوضى ... فمحـــوت الظـــلام بالاشعـــاع

بك عهد الفرسان في الغرب ولى ... جاء عهد الخنوع عهـــد الضياع

فارس القول فارس الرأي فـــز ... فارس السيف والحجى واليراع

اصبح اليـــوم للثعالب صـــوت ... اذ خلا الغاب من زئـــير السباع

لبس بدعـــا ان يخذلوك ضلالا ... كم شكا الحـــق قلـــة الاتبـــاع

ولئـــن تعتـــزل فهيهات تخفـــى ... انت مـــلء الابصـــار والاسماع

بطلا كنت فـــي اعتزال وحكـــم ... لم تـــزل من كليهما في ارتفـــاع

يسقط الحاكمون بالعـــزل امـــا ... عرفوا قبـــل حكمهم بارتفـــاع

يرفع الحكم كـــل وغـــد وضيع ... رفعتـــه وضاعـــة الاوضـــاع

سوف تبقى ذكرى حضارة غرب ... ان تســـده حضـــارة الاطمـــاع

اطال الله بعمر شاعرنا الصافي فقد اشاعوا خبر وفاته .

غضب المسيح عليكم ومحمد*

الليـل داج والدمـاء تسيـل — والمجرمون عـلى الدروب تجول
ومدافع وقنابـل مـن هولهـا — أمست ديـار العـز وهي طلول
وحرائق قد سودت وجـه الفضا — وضيـاء بيروت عـراه افـول
بيروت درة يعـرب قـد نالهـا — ما جل عنـه الوصف والتمثيل
لم يبق حـي ليس فيـه مآتـم — وفجيعـة ومناحـة وعويـل
حل الجنون عـلى بنيك فشأنهم — الخطف والتعذيـب والتقتيـل
قد كنت في أفق العروبة كوكبـا — يرتد عنـه الطرف وهـو كليل
واليوم اظلمت الديار فـلا نرى — غير الدموع على الخراب تسيل
اسفا على لبـنان ايـن جمالـه — هذا السواد عن الجمـال بديل
اسفا عـلى لبـنان اين كرامـه — ظعنـوا ومـا للظاعنين قفـول
لم يبق فـي لبـنان الا عصبـة — منهـم ألا ان الكـرام قليـل
يـا أمـة كفرت بأنعـم ربهـا — فاذاقهـا التعذيـب والتنكيـل
غضب المسيح عليكـم ومحمـد — والحـق والقـرآن والانجيـل

النبطية ١٠ كانون الثاني ١٩٧٦ — محمد الحسن

---

* هذه القصائد التي ننشرها تباعا لفضيلة السيد محمد الحسن اوحتها اليه مأساة لبنان .

لبنان يا مهد الفهود

شعر : المرحوم جورج كعدي *

لبـــنان انت قصيدة الدنيـــا التي زان الجمـــال وشاحها بوشـــاح
انشدت باسمك كل شعر خالـــد ولثمت جرحك سائـــلا كجراحي
والروض ترقص زاهيات زهورها كالغيد ثملى من كؤوس الـــراح
وطن جمال الخلد بعض جمالـــه فالخلـــد في عيـــد وفي افـــراح
لكـــن عجبت لموطـــن ذا شأنـــه أضحى اليهود بـــه ملوك الساح
هم يمرحون بـــه ومـــا من سائل عن قتـــل كل مكافـــح مسماح
بـــيروت معقلهـــم فطياراتهـــم جلبت على الاوطان جيش اضاحي
أمـــا الجنوب فكل يوم غـــارة كـــم ازهقوا فيهـــا من الارواح
والشعب لاه لا يحـــرك ساكنـــا فكأن قتـــل الناس بعض قـــراح
أهل الفدي والبؤس اضحت ارضهم مجلى الدمار وملتقى الاتـــراح
هدموا البيوت على رؤوس صحابها واستضحكوا من ذلنـــا الفضاح
وحدوده لا جيش يدفـــع دونها وشبابنـــا مستسلـــم للـــمراح
ومصيرنا بيـــد القضـــاء مصيره وبلادنـــا نهبـــت لكـــل وقـــاح
لبنان يـــا مهـــد الفهود اجائـــز هذا الخنوع بشعبك المطمـــاح
قد كنت عنوان البطولة والعلـــى ومشابهـــا لنجـــادة وكفـــاح
فانفض غبار الذل وارجع مثلمـــا كان الجدود مفاخـــر الطمـــاح
واملأ بلادك بالسلاح وكن على الاعداء وقـــع صواعق وريـــاح
وارجع الى الارز المضيم كرامـــة كانت مثـــالا من وغى وطمـــاح

جورج كعدي

---

* اسفنا كثيرا لوفاة الصديق الشاعر المهجري الوطني الاستاذ جورج كعدي ، وكان قد بكى كثيرا حين ودعنا آخر مرة لما يكن لنا من المحبة .

آراء الناس ومشاكلهم :

ورقة العمل الشيعية ترسم تصوّر الطائفة للبنان الجديد

وطن موحد نهائي ملتزم بقضايا العرب

اقر المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى في هيئته الشرعية والتنفيذية وتجمع الشخصيات الشيعية ، في اجتماع عقد يوم ١١/٦/٧٧ ، وبعد سلسلة اجتماعات بدأت منذ شهرين ، ورقة العمل للاصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ويبرز في ورقة العمل اصرار الطائفة الشيعية على ان يكون لبنان وطنا نهائيا في حدوده الحاضرة سيدا حرا مستقلا عربيا في واقعه ملتزما بقضايا العرب الاساسية وفي طليعتها قضية فلسطين ، وطنا يحترم الحريات العامة ويقوم نظامه على مبدأ الفصل بين السلطات والعدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات في نظام اقتصادي حر مبرمج .

وشددت الطائفة الشيعية على ان هذه المبادىء ليست عارضة او طارئة ، وانها لا تقبل في شأنها المساومة ، لانها من جوهر لبنان ورسالته التاريخية .

كذلك اعلنت انها ترفض اي صورة من صور التقسيم تحت ستار اللامركزية السياسية ، وهي تدعو الى لا مركزية ادارية تسهل عمل المواطنين ومصالحهم .

وفي النطاق الخارجي ، نصت ورقة العمل على رفض جر لبنان الى أي محور سياسي عربي او دولي بشكل يقزمه ويفقده طابعه المميز .

وركزت ورقة العمل على المطالبة بقضايا اساسية هي :

ـ الغاء الطائفية السياسية في كل المرافق .

ـ انتخاب رئيس المجلس لمدة اربع سنوات بحيث لا يرتهن للنواب او للسلطة التنفيذية .

ـ انتخاب رئيس الوزارة من قبل المجلس النيابي ، واشتراكه مع

رئيس الجمهورية في تأليف الحكومة .

ـ تحديد صلاحيات كل من رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء تحديدا واضحا .

وفي شأن الجيش طالبت الورقة بالاسراع في اعادة بنائه ليكون مدرسة لارساء قواعد الوحدة الوطنية ، وانشاء مجلس قيادة عليا ، وتطبيق التجنيد الالزامي وقانون خدمة العلم .

« هذه الورقة ـ الوثيقة التي تلخص موقف الطائفة من لبنان الجديد ، وقد وضعت بعد جلسات عدة للتشاور مع هيئات المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ومع رجال السياسة والاختصاصيين .

ان هذه الورقة هي موقف الطائفة تقدم الى الوطن وجميع ابنائه بعد جهد مضن ومخلص باعتبار انها مساهمة في بناء غد أفضل للجميع . وسوف ترسل الى جميع المعنيين وفي طليعتهم كبار رجال السياسة والاختصاصيين من ابناء الطائفة . ومن خلال جمع آرائهم وتفصيلها نهيء الملف الكامل ليوم الحوار الوطني ونقدم نسخة كاملة عنه الى فخامة الرئيس سركيس » .

وهنا نص ورقة العمل :

« ان الطائفة الاسلامية الشيعية في لبنان التي تعتز بكونها من ارسخ دعائم كيانه والتي ساهمت مساهمة فعالة في نضاله الطويل من اجل استقلاله والتي بذلت خلال المحنة المأساة كل ما في وسعها لصون وحدته وسلامة اراضيه وبقائه ضمن واقعه العربي ، ودفعت في هذا السبيل ، دونما منة ، من حياة ابنائها وممتلكاتهم ومختلف وسائل عيشهم ابهظ الاثمان ، والتي لا تزال مستعدة لبذل اية تضحية مهما عظمت من اجل الوطن المفدى .

بعدما جلت المحنة عن معظم انحاء لبنان ، ومع التشديد على وجوب اجلائها عن كامل انحاء الجنوب .

وازاء ما خلفته هذه المحنة المأساة من الدمار والتصدع في البنيان والانسان ، وفي هيكلية الدولة ، وفي الاقتصاد الوطني ، وفي لحمة المجتمع اللبناني ، وفي سمعة لبنان الحضارية ، فضلا عن عشرات آلاف الضحايا البريئة من جميع الطوائف والمناطق .

وفي مقابل ما يطرح من الافكار وما يتخذ من المواقف ، من قبل الطائفية والسياسية ، في سبيل بناء لبنان الجديد ٠

وشعورا بمسؤوليتها التاريخية في هذا المنعطف الخطير من حياة لبنان ، بل المصيري في حياة المنطقة بأسرها ٠

وتلبية لواجب المساهمة في انهاض الوطن والحفاظ على استقلاله وسيادته ووحدة ارضه وشعبه ٠

وانسجاما مع دوافعها الدائمة في خدمة المصلحة العامة ، تحقيقا لمطامح الاجيال الصاعدة : تعلن ما يأتي :

١ ــ ايا كانت اسباب المحنة ، وايا كانت العناصر الخارجية التي هيأتها ودفعتها وتفاعلت بواسطتها على ارضنا ، وايا كان دور اسرائيل ومن يشد ازرها في هذه المؤامرة الضخمة التي حيكت خيوطها في عواصم عدة قبل ان تنفذ على ارض لبنان ، وايا كان صراع اليمين الدولي واليسار الدولي مباشرة او بواسطة اليمين واليسار اللبنانيين خلاف اللبنانيين او بعضهم مع الفلسطينيين وكانت امتيازات فئة منا وغبن فئة ، ومهما تعاظم عاملا الخوف والغبن عند كل من الفئتين ••• وبكلمة واحدة مهما عددنا لهذه المحنة المأساة من اسباب داخلية وعربية ودولية يختلف على تحديدها اللبنانيون باختلاف مشاربهم ومصالحهم وانتماءاتهم ، يبقى امر ثابت واضح لا خلاف عليه : هو ان الجسم اللبناني كان قد فقد مناعته الطبيعية وأمسى عرضة لكل المضاعفات ٠

٢ ــ ان الوطن ، في معناه العميق ، ليس ارضا معلومة فحسب ، تلتقي عليها طوائف ضمن مناطق ، متعايشة سلميا في نوع من الحذر والتحاسد والتمويه ، بل هو قبل كل شيء مناخ استقرارا وطمأنينة وثقة في اخاء حقيقي وحرية مسؤولة وطموح على بساط العدالة الاجتماعية في اطار تكافؤ الفرص للجميع ، وفي احترام حضاري للكرامة الانسانية ٠

٣ ــ ان واجب الدولة ، واجبها الاول ، هو انماء روح المواطنية الصحيحة في نفوس المواطنين ، بكل ما لديها من وسائل ٠ ومن الفضول القول ان كل الوسائل الناجعة للوصول الى هذا الهدف الاسمى هي اصلا ، بحكم طبيعتها ، في يد الدولة ٠

٤ – ان المآسي في حياة الشعوب الراقية بواتق انصهار وتجدد وتألق ؛ وليس كثيرا على الشعب اللبناني ، العريق في اصالته ، ان يخرج من مأساة العامين الرهيبة وقد انصهر وتجدد وتألق ؛ فيعمد الى تعمير ما تدمر في بنيانه الاجتماعي ، بل الى تجديد هذا البنيان من اساسه ، بما يكفل له وحدة وطنية حقيقية ، لا رياء فيها ولا زيف ، وحدة يكون هو فيها الوطن الحي ، الدائم التجدد على ارض الوطن الخالدة •

بعد هذه الملاحظات العامة التي تعتبرها الطائفة الاسلامية الشيعية اساسية في بناء لبنان الجديد ، يهمها ان تؤكد على ما يأتي :

اولا – هوية لبنان ونظامه

تجدد الطائفة الاسلامية الشيعية ايمانها بلبنان الواحد الموحد :

❋ وطنا نهائيا في حدوده الحاضرة سيدا حرا مستقلا •

❋ عربيا في محيطه وواقعه ومصيره ، يلتزم التزاما كليا بالقضايا العربية المصيرية ، وفي طليعتها قضية فلسطين •

❋ منفتحا على العالم بأسره ، يلتزم بقضية الانسان لانها من صلب رسالته الحضارية •

❋ جمهورية ديموقراطية برلمانية ، تقوم على احترام الحريات العامة وفي طليعتها حرية الرأي والمعتقد ، وعلى مبدأ فصل السلطات ، وعلى العدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين ، في نظام اقتصادي حر مبرمج ، ووفق تخطيط علمي انمائي شامل لمختلف الطاقات والاحتياجات والنشاطات في كل المضامير : بلد الكرامة الانسانية والطموح الحضاري •

وتشدد الطائفة الاسلامية الشيعية على ان هذه الاوصاف ليست كليا او جزئيا ، ولا يمكن ان تكون ، موضوع مساومة او تسوية ، لانها ليست عارضة او طارئة ، وليست مطلبا من مطالب فئة دون أخرى ، بل هي منبثقة من جوهر وجود لبنان ، ومن صميم كيانه ، ومن رسالته التاريخية ، ومن آفاق مصيره ، ومن طموح ابنائه وتطلعاتهم المستقبلية •

ثانيا ــ ما لا يمكن

١ ــ تقسيم لبنان . ان الطائفة ترفض رفضا باتا اي صورة من صور التقسيم ، تحت ستار لامركزية سياسية ايا كانت هيكليتها ، وهي على العكس ترحب بأي صيغة للامركزية الادارية التي من شأنها تعزيز الحكم المسؤول في المناطق واختصار المعاملات الروتينية وتقريب القضاء من المتقاضين واشراك الهيئات الشعبية والبلدية ومجلس المحافظة في ادارة الشؤون المحلية .

٢ ــ تشويه وجه لبنان بتحجيم دوريه العربي والدولي ، او بقطعه عن المد الحضاري الانساني ، او بجره الى أي محور سياسي عربي او دولي ، بحيث يتقوقع ويتقزم او يتحيز ويفقد طابعه المميز .

٣ ــ تحجير الصيغة اللبنانية بحيث يبقى عامل القلق على المصير عند البعض ذريعة للمحافظة على امتيازات فئوية ، بينما يبقى عامل الغبن عند البعض الآخر بابا للنزاع ، وبحيث يبقى العاملان معا ثغرتين في الكيان تنفذ منهما المؤامرات على سلامة البلد واستقلاله وسيادته ووحدة ارضه وشعبه .

٤ ــ اي تسوية بين الفرقاء على حساب الوطن ، وان مؤقتة ــ وقد علمتنا التجارب انه لا يدوم الا المؤقت ــ بحيث لا يسفر الحوار المرتقب عن رغبة صادقة مدعومة بتخطيط شامل لتحديث الدولة في كل مرافقها ، تحديثا جذريا ، ولحل المشاكل الاجتماعية التي تتفاقم ، ولايجاد تكافؤ الفرص للجميع على اساس الكفاية والنشاط والاخلاص ، في ضوء رؤية مستقبلية مستمرة الاستكشاف ، مستمرة التركيز والتحسين .

هذه النقاط الاربع ، يهم الطائفة الاسلامية الشيعية ان تشدد على رفضها جملة وتفصيلا لانها شبه قنابل موقوتة ، لا بد من ان تؤدي الى الانفجار عند اول فرصة تسنح .

ثالثا ــ الخطوط الكبرى للاصلاح

تعي الطائفة الاسلامية الشيعية ، في عمق وشمول ، انها ليست وحدها في الوطن لتفرض ما تشاء ، وهي ، بانفتاحها على كل الافكار الخيرة ، تطلب بمحبة واخلاص الى جميع الطوائف والهيئات السياسية ان يبلور في انفسها هذا الوعي الوطني البناء . فلبنان للجميع ، لا فضل فيه لاحد على احد . واذا

كان لا بد من تمييز ، فالفضل لمن يعطي من مواهبه ونشاطه واخلاصه ، وليس لمن يأخذ من طريق الآخرين وعلى حساب الوطن •

بهذه الروح نطرح الخطوط الكبرى للاصلاح الـذي نرتأيه ، كورقـة عمل في الحوار المرتقب • ونحن اذ نعلن استعدادنا لمناقشة اي بند من هـذه البنود ، ولوضع دراساتنا في تصرف المسؤولين ، نؤكـد سلفـا أمريـن أساسيين : الاول ان هذه النقاط عامة يحتاج كل منها الى توضيح وتفصيل من قبل رجال الاختصاص في كل بند ، الثاني اننا مستعدون للقبول بأي اقتراح في هذه المجالات تتفق عليه غالبية اللبنانيين •

١ ـ في السياسة :

أ ـ الغاء الطائفية السياسية في كل مرافق الحياة العامة •

ب ـ اعتماد الاستفتاء الشعبي في القضايا المصيرية •

ج ـ تشكيل المجلس الاقتصادي الاجتماعـي ، او مجلس الشيوخ او كليهمـا •

د ـ تعديل قانون الانتخابات النيابية على اساس جعل لبنان كله دائـرة انتخابية واحدة ، واعتماد البطاقة الانتخابية ، واجراء الانتخابات فـي يـوم واحد • وفي هذا يصبح النائب فعلا « نائب الامة جمعاء » حسب نص المـادة ٢٧ من الدستور الحالي • ويصبح نائب كل شبر من لبـنان • ويقضي عـلى التزوير والرشوة وما اليهما • ويستغنى عن نقل الناخبين الى مناطقهم وما يجر ذلك من نفقات ومشاكل مخلة بالامن • ويفتح الباب واسعا للحزبية السياسية الصحيحة ، على أساس مبادىء وليس على اساس مصالـح عارضة او تجمـع اشخاص او تكتل طائفي • اضافة الى مزايا اخرى كثيرة •

ولكن اهم مزية في هذا التدبير ، ان يشعر النائب بأن ناخبيـه هـم مجموعة الشعب اللبناني وان منطقته هي كل ارض لبنان ، فتعتدل سياستـه بعيدا عن كل تطرف وتتسع آفاقه في السعي وراء المشاريـع العمرانيـة والانمائيـة •

ان المحنة المأساة التي دامت عامين ودمرت ، فضلا عن المبانـي ومرافـق

الحياة الاقتصادية ، لحمة المجتمع اللبناني ، تفرض فرضا ان يصبح لبنان دائرة انتخابية واحدة . والا فستبقى طوائف ومناطق ، ويبقى التمزيق في الباطن والتلفيق في الظاهر حائلين أساسيين دون اي وحدة وطنية حقيقية ، وبالتالي دون بناء وطن بالمعنى العميق الاصيل الثابت الاركان .

هـ ــ انشاء محكمة عليا من كبار القضاة ، متفرغة ، جميع افرادها قضاة ، مهمتها :

ــ بت دستورية القوانين .

ــ بت الطعون الانتخابية .

هذا اضافة الى المحكمة الدستورية العليا التي وردت في الدستور والتي نطالب بانشائها وقد قدم المجلس دراسة قانونية حولها الى المراجع المختصة .

٢ ــ في تطبيق مبدأ فصل السلطات :

أ فصل الوزارة عن النيابة بحيث يصبح قبول النائب الوزارة في حكم الاستقالة عن النيابة .

ب ــ انتخاب رئيس المجلس ومكتبه لمدة اربع سنوات ، لئلا يبقى رئيس المجلس رهن رضا النواب او رضا السلطة التنفيذية وذلك بطريقة الاقتراع السري الكامل .

ج ــ انتخاب رئيس الوزارة من قبل المجلس النيابي ، واشتراكه بعد ذلك مع رئيس الجمهورية في تأليف الحكومة .

د ــ عدم امكان حل مجلس النواب الا في حالات محددة .

هـ ــ تحديد صلاحيات رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء تحديدا واضحا .

و ــ في الادارة : اعتماد كل اساليب العلم والخبرة واعتماد مبدأ الفعالية ومفهومي الانتاج والمردود واستخدام التكنولوجيا لتحديث الادارة وتطهيرها تدريجا من العناصر الفاسدة او العقيمة ورفعها الى مستوى المسؤوليات الجسام التي تتولاها ، وان يكون تحركها دائما في اطار الرؤية والتخطيط وان تعتمد على تعزيز معهد الادارة وجعل عنصري الكفاية والمهارة مصدر الترقية .

٤ ـ الدفاع الوطني والامن الداخلي :

ـ اعادة بناء الجيش بحيث يصبح سياجا للوطن وأداة فعالة في انمائه ومدرسة لارساء قواعد الوحدة الوطنية وتعزيزه بالعدد والعتاد الكافيين ، وتحديث وسائل اعداده •

ـ انشاء مجلس قيادة عليا وفقا للنظم الحديثة •

ـ تطبيق التجنيد الالزامي وقانون خدمة العلم •

ـ تعزيز الجيش وزيادة عدد افراده واعادة النظر في ملاكات الرتب العسكرية بحيث يكون عدد العمداء والعقداء والمقدمين والرواد وسائر الضباط مستوحى من مقتضيات التنظيم العسكري البحت ، بالنسبة الى عدد افراد الجيش ووحداته العسكرية •

اعادة تنظيم قوى الامن الداخلي وتعزيزها بالعدد والعتاد والعناصر البشرية القيادية الصالحة ، بحيث تصبح قادرة على ضبط الامن ومساعدة العدالة في كل المناطق •

ـ حل كل الميليشيات والتنظيمات المسلحة وتجميع سلاحها •

٥ ـ في الثقافة : ان المفهوم الصحيح للثقافة هو مفهوم سياسي حضاري ، غايته الاولى بناء وطن موحد متماسك متحضر طامح • ومن وسائله مساهمة كل فرد في البناء المعنوي للوطن • لذلك لا بد من اعتماد وحدة الثقافة الوطنية بعد تحديد مضمونها ومعالمها واتجاهاتها •

اما اللغات والثقافات الاختيارية الاخرى التي يرغب المواطن في امتلاكها فهي بعد وجود الثقافة الوطنية الاصلية الواحدة سبيل التقدم الحضاري والانفتاح على العالم كله رسالة لبنان العالمية •

واما المقترحات فهي :

ـ انشاء وزارة للثقافة تهتم بمعرفة القوى التي تفكك جسم المجتمع وتحديد تطلعات الشعب •

ـ احياء التراث اللبناني وابراز منجزاتنا وتقاليدنا •

ـ انشاء الثقافة الريفية •

ـ انشاء مركز وطني للمعلومات والمحفوظات . او ، بطريقة أفضل ، التعجيل في انشاء مركز الابحاث العلمية وعلوم الانسان الـذي قررت الاونيسكو انشاءه في جبيل منذ سنوات ، وبذل كل الجهود لارساء قواعده وتشييد بنيانه ، والاتصال الحثيث بكل الدول والمؤسسات الثقافية والمالية في العالم للمساهمة في اقامته وتجهيزه وتزويده بكل ما يحتاج اليه .

٦ ـ التربية والتعليم :

ـ اعادة النظر في برامج التعليم اعادة جذرية شاملة ، في مختلف المراحل ، بغية التوحيد والتحديث وتحقيق الفعالية التي يتطلبها التطور العلمي والتكنولوجي ، وبغية وضع لبنان في موكب العصر الذي يعيشه .

ـ الزامية التعليم ومجانيته حتى نهاية المرحلة المتوسطة .

ـ تعزيز التعليم المهني ، والزراعي منه على الاخص ، وتوزيع معاهده ومدارسه على المناطق اللبنانية حسب طبيعة تلك المناطق واحتياجاتها ، وذلك من ضمن خطة شاملة لتطور الصناعة والزراعة والتجارة تستشرف احتياجات هذه القطاعات المتزايدة وتمهد لسدها بتوجيه مهني سليم للناشئة في ضوء النمو السكاني وتزايد عدد المقبلين على الفروع المهنية .

ـ تعزيز الجامعة اللبنانية وتوزيع نطاقها ، مع المحافظة على وحدتها وجعلها قطب التربية والتعليم في لبنان ، وانشاء الكليات التطبيقية فيها ، وتزويدها بالاساتذة الاكفياء المتفرغين ، وتجيز مكتباتها ومختبراتها تجهيزا كاملا ، وتسهيل تعاملها بالمستوى اللائق مع كبريات الجامعات في العالم .

ـ دعم مجلس البحوث العلمية ، وتخصيص موازنة له في مستوى مهماته ليصبح عاملا فعالا في انماء الاقتصاد الوطني ، وحائلا دون هجرة الادمغة من لبنان .

ـ انشاء ادارات الاعداد التربوي على مختلف المستويات في كل المناطق .

ـ الزامية التعليم الديني وتأسيس دار للمعلمين من أجله .

٧ ـ الاعـلام :

الاعلام ليس اخبارا فحسب . انه توعية وارشاد وتوجيه . من هنا

اهميته ايجابا وسلبا ، فهو الذي يساهم الى حد بعيد في خلق المواطن الصالح او في تضليل المواطن الجاهل • من هنا ضرورة توحيده توحيدا كليا من دون أي استثناء ومهما كلف الامر من مال وجهود ومجابهة • ثم اعطاء الاعلام الموحد مضمونا وطنيا صرفا • ثم تجهيزه بالعناصر البشرية الواعية المخلصة ، وبكل ما يحتاج اليه من آليات وانشاءات ووسائل اتصال ليصبح صوت لبنان وضميره ومصباحه •

وانطلاقا من هذه المبادىء يتحتم اتخاذ التدابير الآتية :

ــ اعادة النظر في تنظيم وزارة الاعلام ، لاعطائها الحجم الملائم لرسالتها الخطيرة كما ونوعا ، والاستعانة بكل معطيات التكنولوجيا الحديثة في سبيل ذلك •

ــ توسيع الاذاعة اللبنانية فنيا ليصل صوتها واضحا جليا الى كل انحاء لبنان من دون استثناء ، والى العالم بأسره •

ــ الغاء كل الاذاعات الخاصة التي أفرزتها الحوادث •

ــ انشاء مؤسسة في وزارة الاعلام ، مهمتها جمع الاخبار وتدوين الاحداث اللبنانية والعالمية وحفظ المستندات والوثائق المتعلقة بهذه الاحداث• وعموما تجمع وتنسق وتصنف وتحفظ كل ما من شأنه ان يفيد الباحثين والمؤرخين في المستقبل ، في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاعلامية •

ــ اعلان حرية الصحافة ، حرية مسؤولة ، ضمن الحدود القانونية ، ومراقبة مداخيل الصحافة ومصادر تمويلها وتشجيع اندماج الصحف المرخص بها في وحدات تعاونية ، والغاء كل الصحف غير المرخص بها التي افرزتها الاحداث •

ــ تطبيق مبدأ الزامية الاعلام والتزام السلطات بتنفيذ هذا المبدأ •

ــ تشجيع النشرات الدورية الثقافية والعلمية والتقنية •

ــ اعادة النظر ، نتيجة كل ذلك ، في قانون المطبوعات •

٨ ــ اجتماعيا

بما ان كل المشاريع التي تتولاها الدولة على كل الصعدان تتوجه الى الجسم الاجتماعي ككل وتهدف الى تحسين أوضاع الشعب المادية ، فمن

الضروري اذن ان تكون كل نشاطات الدولــة مبنيــة في ضوء الاحتياجات الاجتماعيــة .

ان ارتقاء الانسان ورفاهيته وحقه في حياة كريمة تقتضي :

١ ــ ان يتم وضع سياسة ديموغرافية شاملة بالنسبــة الــى اللبنانيين والمقيمين على الارض اللبنانية والى الهجرة الداخلية والخارجية والى الطارئين الموقتين والدائمين حتى لا يخفى مكتوم واحد على ارض لبنان .

٢ ــ ان يتجه التطور الاجتماعي بحيث تتكافأ الفرص أمام الجميع .

٣ ــ ان تتأمن المساواة على مستوى العمل والتربية والثقافــة باعتماد برامج وخطط تؤدي تدريجيا الى لا مركزية معظم المرافق الوطنية .

٤ ــ أن يتم وضع سياسة اسكان تسمح لكل مواطن بالحصول عـلى سكن لائق بالانسان وتمكنه من امتلاكه في مرحلة لاحقة .

٥ ــ ان يتم وضع سياسة اشغــال وتسليفات تسمــح بتشييد مناطــق سكنية في المدن والارياف .

٦ ــ أن يتم انماء المناطق المحرومة وانشاء مراكز تنمية في كل المناطــق الساحلية والريفية .

٧ ــ تعميم الضمانات الاجتماعية بحيث تضم ضمان الشيخوخة والبطالة والمرض بالنسبة الى جميع المواطنين .

ــ أن يرسى بناء التقدم الاجتماعي على أساس من المشاركة الفعلية بين مختلف قوى الشعب المنتجة وأن يتأهل العمال تدريجيا للمشاركة في الادارة الذاتية مما يفسح في المجال لارتقاء اجتماعي حقيقي وبنـــاء وطنـــي عميــق الجذور (مساهمة في ادارة المؤسسات ومشاركة في ارباحها) .

٩ ــ ان ترسم سياسة لمكافحة التلوث وحمايـــة الطبيعــة والانسان والثروات الوطنية تهدف الى تأمين مستوى أفضل لحياة المواطن في المستقبل القريب والبعيد .

١٠ ــ أن يتم انشاء مؤسسات استشفائية وصحية تبعا لحاجات المناطق .

١ ــ أن يتم وضع سياسة للطب الوقائي الاجتماعي تشمل كــل انحــاء الوطن . مع الاهتمام بالاقتصاد ككــل ووضعه بــين يــدي الاختصاصيين والنزيهين .

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

صاحبها :
رئيس التحرير المسؤول
نـزار الزين

العدد السابع مجلد ٦٥ تموز « يوليو » ١٩٧٧ م شعبان ١٣٩٧ هـ

الصفحة	الموضوع	الكاتب

في عالم الصحافة

ترجمات

شعر



تحويل دارة أحمد شوقي
إلى متحف أدبي :

عرس العربية والعروبة

بقلم : زهير ماوديني

يمكننا اعتبار ليلة الاحد الثامن عشر من (يونيو) ــ حزيران ــ ١٩٧٧ من الليالي التاريخية بالنسبة للادب العربي ، والشعر العربي ... ففي تلك الليلة انحنى الجهل للعلم ، بعد ان كانت العادة في الخمسينيات والستينيات ان ينحني العلم للجهل ، يوم كان الجهل يقبض على عنق السلطة ويمثل بالعلم والعلماء . والشعر والشعراء ... وحين اقول الشعراء لا اقصد شعراء النهود والافخاذ ، وشعراء التهريج العقائدي ، وتصوير الاقزام على انهم عمالقة ، بل اقصد الشعراء الذين تركوا في الدنيا دويا ومنهم شوقي وحافظ والمطران ..

في تلك الليلة عادت الروح الى كرمة بن هاني (دارة امير الشعراء احمد شوقي) بعد غياب عنها طال ٤٥ عاما تعدد فيه الزمان ، وتقلبت الاحوال وتغيرت الاحداث ورفعت راية الجهل طوال ربع قرن ، ونكست راية العلم ، وظهر ملاحدة الشعر العربي بحقدهم الاسود على اللغة العربية ، ولؤمهم على التاريخ العربي فصالوا وجالوا الى ان قيض الله للعلم من جاء ليعيد اليه الكرامة ، ويضع الجهل في مكانه الطبيعي .. فبدأت مصر تشهد الليالي البيضاء بعد ان كادت تفقد بصرها من الليالي الظلماء التي يفتقد فيها البدر ..

اذكر اليوم تلك القصة التي سمعتها من فقيد العربية الاستاذ عباس محمود العقاد يوم كانت مصر تفتقد الاحرار .. كانت مكتبة العقاد من المكتبات الشهيرة في دنيا العرب ، وكثيرا ما افلحت هذه المكتبة في حمايته من الجوع ،

فقد كان يبيعها حين يحس ان رأيه الحر يثير له المشاكل ويمنع عنه رزقه ، وقد باع العقاد مكتبته مرتين ليأكل ، وظل طوال حياته كاتبا حرا عظيما لا يقول الا ما يعتقد انه الحق ...

هذه المكتبة تعرضت يوما الى الاهمال الشديد بسبب غياب خادم العقاد، وقد حاول العقاد ان يزيح عنها الغبار فضاق صدره ، واحس ان صحته لن تمكنه من تنظيف المكتبة ، فقام على الفور ونزل الى حيث يقيم بواب العمارة ورجاه ان ينظف المكتبة ، ولم يكن البواب قد دخل شقة العقاد طوال فترة خدمته ..

تحية الجهل للعلم !.

صعد البواب الى شقة العقاد ولم يكد يدخل البيت حتى اصابه الروع والخوف ، وارتد هاربا ووقف خارج المنزل ، وهناك خلع حذاءه وتهيأ للدخول ، ولاحظ العقاد انه يدخل المنزل حافيا ، وسأله لماذا .. قال البواب انه يفعل ذلك احتراما للكتب ، أليس فيها ما كتبه احمد شوقي ..

ويقول العقاد خصم شوقي حين حكى القصة :

ـ لقد اكبرت فيه تحية الجهل للعلم ..

هذه العبارة التي تفوه بها العقاد ، تكاد تلخص روح عصر العقاد الذي كان شوقي من نجومه الزاهرة ..

كان هناك فكر وعلم ، وكان هناك جهل وفراغ ، ولكن الجهل كان يعرف قدره ، وكذلك العلم .. من هنا كان لا بد لنا من ان نعتبر ليلة عودة الروح الى كرمة بن هاني ليلة تاريخية لاننا في تلك الليلة بدأنا نسمع عودة الروح الى العصر .

بعد ٤٥ عاما !.

في الساعة الثامنة من مساء تلك الليلة دخل هذه الدار التي صمتت طويلا وكاد يلفها الهدوء وكأنها تتأمل ما كان ، دخل رئيس جمهورية مصر

العربية ومن حوله كوكبة من شعراء ومفكري العربية .. جاءوا من كل فج عربي الى شاطيء الجيزة الذي اختاره اميرهم احمد شوقي ليطل في اطار الجمال على الاهرام والنيل ، فاذا باسمه يضاف الى اسماء الشعراء الخالدين (شكسبير) و (دانتي) و (فكتور هوغو) و « طاغور » . وجاء الرئيس محمد انور السادات ومعه كوكبة الشعراء ليعيد الى تلك الدارة رونقها كي تصبح صالونا للفكر العربي يجتمع عنده مفكرو العرب والعربية ..

السياسة والادب صنوان لا ينفصلان .!

ولعل السادات قد اراد بخطوته هذه ان يحي خطوة مشابهة جرت في هذه الدارة ، وذلك حين زار قبل نصف قرن سعد باشا زغلول شوقي ، وجلسا في صالون يطل على النيل والحوار يجمعهما كلما توقفت الابتسامة ... وقد سمعت من فقيد الظرف والادب الاستاذ محمد مصطفى حسام تفاصيل ذلك اللقاء :

(لقد اراد عبد الرحمن الجديلي ان يسجل ذلك الحدث بان يسمحا لبدر المصور ان يلتقطه ، وبينما هو يلتقطها قال الجديلي :

(هذه صورة الخالدين) ..

هنا اشار سعد العظيم الى امير الشعراء احمد شوقي هاتفا :

(هنا الخلود) ..

وهمس شوقي واصفا شخص الزعيم بان يكون حائزا لكل صفات الزعامة ، وهي كثيرة واولها ان يكون صاحبها على بسطة من العلم والجسم قويا على نفسه ، جريئا في الحق، خبيرا بمختلف الشؤون السياسية والقانونية، قويا وليس بقاس ... رحيما وليس بضعيف ... خطيبا قوي الحنجرة ، حسن البيان والالقاء ، يقدر الكبير من الاعوان ولا يجرح الصغير ، وقبيل هذا كله .. ان يكون حسن الوجه ... ولم يرسل الله نبيا قبيح الخلقة قط ..

هذا الشامخ الكبير !.

ان اطيافا تسرد ذاتها في تلك الليلة التاريخية التي عادت فيها الروح الى دارة بن هاني ، وكانت بدايتها في قصة طويلة لم تنتــه حول الشاعر احمــد شوقي ، الذي ولد متطلعا محلقا الى الســماء وكأنه مشدوه بالضوء والانوار فاصبح هو شعاعا منه للفكر ...

ألم يترك العديد من قصائد تبلغ الى (٥٠٠) في (الشوقيات) ومجلداتها الاربعة ، وعشرات الاغاني والتي تغنى عبد الوهاب بخمسين منها ، وللمسرح الشعري ترك سبع مسرحيات الفها وصاغها في خمس سنوات قبيل وفاته وهي:

(مصرع كليوباترا ... مجنون ليلى ... قمبيز .. عنترة .. علي بــك الكبير .. دولة المماليك .. اميرة الاندلس) غير كتبه ورواياته النثرية ومنها :

(عذراء الهند .. تمــدن الفراعنــة .. فاشودة .. لادياسي او آخـر الفراعنة .. شيطان بيثاورور .. اسواق الذهب) ..

لقد وصف شوقي طفولته الاولى بقوله :

(.. اخذتني جدتي لامي فــي المهــد وكانت منعمــة موسرة فكفلتني اوالدي ، وكانت تحنو علي فوق حنوها ، وترى لي مخايل في البر مرجوة .. حدثتني انها دخلت بي على الخديوي اسماعيل وانا في الثالثة مــن عمري .. وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال اعصابه ، فطلب الخديوي بدرة من الذهب ثم نثرها على البســاط عند قدميه فوقعت عــلى الذهب اشتغل بجمعــه واللعب به .. فقال لجدتي : اصنعي معه مثل هذا ، فانــه لا يلبث ان يعتــاد النظر الى الارض ..) قالت هذا دواء لا يخرج الا من صيدليتك يا مولاي.. قــال :

جيئي الي به متى شئت ... اني آخر مــن ينثر الذهب فــي مصر ... ويقول شوقي :

(... ولا يزال هذا الارتجاج العصبي في الابصار يعاودني ، وكان المرحوم الشيخ علي الليثي ــ صديق والدي ــ كلما التقيت عينيه بعيني : ينشد للمتنبي (محاجر مسك ركبت فوق زئبق) ..

ديمة الهيبة .!

ولعل هذه النظرة والتي تبدو وكأنها تائهة في الملا الاعلى هي التي حملت مثال مصر (جمال السجيني) يصمم تمثال شوقي بحجمه الطبيعي من برونز فوق قاعدته متطلعا الى سماء روما جالسا في حديقة (فيلا بورجيزي) بين شعراء تاريخ الانسانية منذ ١٥ سنة ، فاصبح الاوحد بين شعراء العربية الحديثين له كيان ووجود بين (الفردوسي ، وشيلر ، وفيكتور هوغو وشكسبير) خارج حدود العالم العربي ..

احمد شوقي ستظل تذكره العربية دائما مع البحتري وابي العلاء وامرىء القيس والفرزدق وابن الرومي وابي تمام وابي نواس ...

وكما اشتهر هؤلاء بالشذوذ كذلك اشتهر شوقي ، فكان لا يرتدي الا الصوف حتى في الصيف .. كان متدفق الالهام ... فما ان يبدأ في قصيدة ما حتى يبدأ قصيدة اخرى .. كان يصحو على قصيدة ويغفو على اخرى ... يتذوق الجمال ويحب مجلس الجميلات .! لا ينام طوال الليل حتى الرابعة كل فجر ولا يصحو الا عند الظهيرة ... وكان لا يحمل محفظة نقود في جيبه ... كان دائما يخلط اوراقه المالية النقدية وسط اوراق عادية اخرى حتى لا تلفت حاسة نشال ذكي ، كما كان متعودا ان يوزع العملة الفضية في جيوب (صديريته) كل فئة في جيب خاص ... ومقبلا على استنشاق النشوق الحاد .. واحيانا كثيرة كان اذا ما لم يسعفه الورق فانه يدون ما بقي على ظهر علبة سجاير واذا امتلأت فعلى اطراف كمي قميصه الابيض المنشاة ..

شاعر العربية و ... العروبة !

يمثل احمد شوقي (١٨٧٠ ــ ١٩٣٢) في تاريخ الشعر العربي الحديث

(ظاهرة) ادبية فريدة لها في الخلود والتأثير ما لم يظفر به سواها من العبقريات الادبية رغم كثرة الاسماء وتعدد المدارس ، ذلك ان شعره يقدم خلاصة مصفاة لديوان الشعر العربي كله ، شكلا ومضمونا ، تصويرا وتجسيدا ، بطريقة فنية ممتازة تعدل الانسان العربي بكل موروثاته القديمة فـي مجالـي الحضارة والفن .. فتراث شوقي يوحي بانه قد استوعب ـ بذكاء فذ ـ تراث العربية كله ولا سيما في مجال الشعر ، واثاره الشعرية والمسرحية والنثرية لا تتأتى الا بعد درس صبور للغة وتذوق رهيف لاسرارها ؛ لذلـك يقرب شوقـي الـى الوجدان العربي ـ دوما ـ ويجعل منه ظاهرة فنيـة مستقطبة ، ترشد الـى التراث العربي بكل خصائصه ومميزاته ..

لذلك كان شوقي يفضل ادباء العربية على كل من اعجب بهم مـن ادباء فرنسا امثال : (لامارتين والفرد دي موسيه) اكثر من هـذا فقد كان يرى ان محاولة ايجاد ادب مصري (غير شائع في الوطن العربـي لا يستوحي الادب العربي القديم) عبث وتزييف ... وتتيجة لهذا نجد شعر شوقي يقـدم اروع (نسق لغوي) عرفته العربية في العصر الحديث ... سواء من حيث البناء او الدلالة ... اي ان ديوان شوقي (مدرسة) تعلم اسرار العربية لمن سعى الى ذلك سبيلا ..

ان احمد شوقي كما فهم اسرار اللغـة العربيـة عرف ايضا مقومـات الوجدان العربي ودعائم (القومية العربية) ؛ قبل ان تطرح عـلى مستـوى النضال السياسي والايديولوجي ، لذلك نجده ـ فـي شعره ـ يجسد كـل مثاليات العروبة ، فكل ما اشاد به او شجبه يترجم فيه من وجدان امته ومثلها العليا .. فشوقي اكبر منشد تغنى بمثل امته الاخلاقية والاجتماعية ؛ كما كان اعلى صوت شعري في لحظات الشدة ، فرحا او حزنا ، متجاوزا ضيق الوطن الى رحاب الامة ، منطلقا من ايمان يجسده قائلا :

ويجمعنا اذا اختلفت بـلاد بيـان غير مختلف ونطـق

لقد جاهد ليجعل الترك يفهمون العرب فقال عام ١٩٠١ :

شمل اللغات لـدى الاقوام ملتئم والضاد فينـا بشمل غـير ملتئم

فقربوا بيننا فيها وبينكم ... فانها اوثق الاسباب والذمم

ولما ضربت فرنسا دمشق بمدافعها عام ١٩٢٦ واسى شوقي سورية مواساة الاخ الوفي الملتاع ، وبصر السوريين بدسائس الاستعمار ومكره ، وانار لهم طريق الجهاد بنصائحه ومهد لهذه النصائح بالبواعث التي دفعته الى اسداء النصح الخالص ؛ وكانت وحدة اللغة من هذه البواعث التي تربط قلوبهم بقلبه :

نصحت ونحن مختلفون دارا ... ولكن كلنا في الهم شرق
ويجمعنا اذا اختلفت بلاد ... بيان غير مختلف ونطق

وكان شوقي يهاجم بشدة هؤلاء الذين يتفلسفون بان اللغة العربية غير كافية لحاجة العصر ••• وكان يدلل على ثراء اللغة العربية بماضيها العريق في دمشق وبغداد والقاهرة والاندلس وفارس وغيرها ، اذ زكت اصولها وبسقت فروعها ؛ ونهضت بمقتضيات العصر في جميع المرافق فمحت غيرها من اللغات ، واستقرت واستقلت محافظة على خصائصها وكيانها :

ان للفصحى زماما ويدا ... تجنب السهل وتقتاد الصعابا
لغة الذكر لسان المجتبى ... كيف تعيا بالمنادين جوابا ؟
كل عصر دارها ان صادفت ... منزلا رحبا واهلا وجنابا
لا تجئها بالمتاع المقتنى ... سرقا من كل قوم ونهابا
سل بها اندلسا هل قصرت ... دون مضمار العلاجين اهابا
غرست في كل ترب اعجم ... فزكت اهلا كما طابت نصابا
ومشت مشيتها لم ترتكب ... غير رجليها ولم تحجل غرابا

وما من شك في ان للعرب وجدانا مشتركا في السراء والضراء ، وهو كما يذكر علماء النفس وعلماء الاخلاق ذو آثار عظيمة في حياة الناس ، وسيطرة قوية على سلوكهم افرادا وجماعات •

وكثيرا ما تجاوب العرب في افراحهم واتراحهم ، وفي رضاهم وسخطهم، وفي قلقهم واطمئنانهم . ولقد برع شوقي في تصوير هـذا الوجدان المشترك تصويرا جمع بين الصدق الوافي والصدق الفني في قصيدته التي حيا بها مبايعته بامارة الشعر من اقطار العروبة في عام ١٩٢٧ اذ وصف المهرجان بانه عكاظ اجتمعت فيه العروبة التي عبر عنها بالشرق على نهج كثير من شعراء تلك الفترة ـ ثم ختم القصيدة بتصوير الامة العربية جسدا واحدا اذا اشتكى عضو منه تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والالم ، فاذا تأوه بالعراق جريح امسك اخوته في الوطن العربي جنوبهم ، كناية على الالم الشديد الذي يضطر المتألم الى هذه الحركة ، وعرض شوقي لبعض ما يتصل بوحدة الشعور بالآلام من مظالم الاستعمار ، والتنكيل بالاحرار ، والجهاد للخلاص فقال :

يا عكاظا تآلف الشرق فيه ... من فلسطينه الى بغدانه
شرفت مصر بالشموس من الشرق ... نجوم البيان من اعيانه
رب جار تلفتت مصر توليه ... سؤال الكريم من جيرانه
بعثتني معزيا بمآقي ... وطني او مهنآ بلسانه
قد قضى الله ان يؤلفنا الجرح ... وان نلتقي على اشجانه
كلما أن بالعراق جريح ... لمس الشرق جنبه في عمانه

وحينما كان يستشهد بعض ابطال الحرب في جهادهم ، او تضرب مدنهم بقنابل الاعداء ؛ يهيج اخوتهم في الاقاليم الاخرى ويشاركونهم في الاسى والسخط على العدو الغاشم ، وطالما دوى صوت شوقي في هذا المجال . فلما ضرب الاسطول الايطالي بيروت عام ١٩٢١ والحرب قائمة في طرابلس الليبية بين العرب والايطاليين قال شوقي قصيدة صور فيها الابطال الذين قتلتهم القنابل اسودا ماتوا غدرا في غير معركة ؛ فليس لايطاليا اي فخر في قتلهم ؛ لان الليث المقيد يسهل صيده ؛ اما الليث المطلق فان صيده مرهوب ...

بيروت مات الاسد حتف انوفهم ... لم يشهروا سيفا ولم يحموك
سبعون ليثا احرقوا او اغرقوا ... يا ليتهم قتلوا على طبروك

كـــل يصيد الليث وهـــو مقيـــد ويعز صيـــد الضيغم المفكـــوك
سالت دمـــاء فيك حول مساجد وكنـــائس ومـــدارس وبنـــوك
كنـــا نؤمـــل ان يمـــد بقاؤهـــا حتى تبل صدى القنـــا المشبوك
لك فـــي ربـــا النيل المبارك جيرة لـــو يقدرون بدمعهم غسلـــوك

ولما ثارت سورية على الحكم الفرنسي سنـــة ١٩٢٥ ضـــرب الفرنسيون دمشق بمدافعهم ؛ فالتهبت عاطفة شوقي ؛ وقال قصيدة رائعة مطلعها :

سلام مـــن صبا بردى ارق ودمع لا يكفكف يا دمشق
وبي مما رمتك بـــه الليالي جراحات لها في القلب عمق

هكذا كان شوقي يصرح بالعروبة ، ويحمي ذمارها ، وهكذا كان شوقي يتغنى بالقومية العربية ويعلي منارها ورحم اللـــه شوقي الذي لـــن يخلفـــه شاعـــر ..!

بيروت

زهير ماريني

حفلة تذكارية رائعة لشفيـــق المعلـــوف

اذا ذكر الشعر المهجري بصورة خاصة والعربي بصورة عامـــة برز اسم شفيق المعلوف في المقدمة ؛ فهو شاعر محلق فـــي جميع انـــواع الشعر التي نظمها وفي ترجماته الشعرية عن الاسبانية ؛ اضف الـــى ذلـــك خلقه العالي ، لذلك فهو يستحق كل تكريم وتقدير ، وقد اقيمت له حفلة تذكارية تكلم فيها عدد كبير من الادباء والشعرافي ٣٦ حزيران ١٩٧٧ فالى الاعداد القادمة .

بيني وبين القارىء

عزيزي القارىء :

يهمنا ان تقدم العرفان لك ما يفيدك وينفع اولادك من مواد فيها توجيه صحيح ، وان تكون دائما على مستوى النهضة الفكرية والادبية لا في العالم العربي فقط ، بل في جميع أنحاء العالم ، ولذلك فانا نقدم لك في هذا العدد : جولة في الكتب الاجنبية كتبها الاخ الاستاذ زهير مارديني في مقال لاحق عن كتاب « لمناحيم بيغن » لانه من شؤون الساعة وجولتنا في الكتب العربية أوصلتنا الى أن نختار لك كتيبا صغيرا في حجمه كبيرا في معناه ومغزاه عنوانه « من أجل الشباب » صدر في مجموعة المكتبة الصغيرة التي يصدرها الاديب الكبير الاستاذ عبد العزيز الرفاعي وهو من تأليف المربي الفاضل والاديب الكبير الاستاذ محمد أحمد جمال يقع في أربعة فصول ، وهذا هو الفصل الاول والثاني منه ، على ان ننشر في الاعداد القادمة بقية الفصول :

* * *

قارئي الكريم :

منذ سنوات ونحن نحذر ونولول على الجنوب وساكنيه وآخرها في جريدتنا « جبل عامل » التي صدرت عام ١٩٧٥ ولكن من يسمع ومن يقرأ ومن يجرأ على الجهر بالحقيقة ، اما الآن بعد « خراب البصرة » كما يقول المثل ، او بالاحرى بعد ان طار الجنوب فما نفع النقيق والنعيق ؟!

انحراف الشباب عالميا

● الشكوى عامة في كل مكان ـ من انحراف الشباب ..
● شكوى الشباب انفسهم من اهمال المسئولين عنهم .

مثلت « رابطة العالم الاسلامي » في مؤتمر الاتحاد العالمي للطلاب المسلمين ، الذي التأم شمله في اسبانيا (١) والذي دعت اليه الجمعية الاسلامية في غرناطة برئاسة الاستاذين رامز الاتاسي ونزار الصباغ .. وأود أن أقول ـ بادي الرأي ـ ان وزارة المعارف في بلادي قد دعت مرتين الى ندوة عالمية للشبيبة الاسلامية عقدت في الرياض . وهي ـ أي وزارة المعارف ـ ما زالت قائمة على شئون هذه الندوة ، ومنظمة لنشاطاتها .. بريادة الوزير المخلص الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ .

وأضيف : ان قرارا حكيما أصدره مجلس الوزراء الموقر السعودي بتوجيه من الملك القائد الراشد (٢) « فيصل » (رحمه الله) بانشاء مجلس أعلى لرعاية الشباب برئاسة سمو الامير فهد بن عبد العزيز ـ ولي العهد ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .. واخلص من هذه الفاتحة الوجيزة الى التأكيد بأن الاهتمام « بالشباب » أصبح فكرة غالية ، ودعوة دائبة في كل مكان من العالم بصفة عامة ، وفي عالمنا الاسلامي والعربي بوصف خاص .

وهي ظاهرة تدل دلالة سافرة على ان (الشباب) يعاني مشكلات نفسية وتربوية وثقافية واجتماعية جديرة بالدرس والتفهم اولا ، ثم بالمسارعة الى الحل والمعالجة ثانيا ..

---

١ ـ كان ذلك في منتصف رجب ١٣٩٤ هـ .

٢ ـ حقا انه كان راشدا ، ولكن اين الراشدون بعده فلو انهم اقتفوا اثره وساروا على نهجه لنجحوا ...

وتبدأ الآن في تلخيص وجهات النظر المتعددة ـ ولكنها متقاربة ـ حول أسباب انحرافات الشباب سواء في عالمنا العربي والاسلامي ، ام في العالم الاوربي والامريكي ، الذي سبق الى شبابه هذا الوباء الاخلاقي ثم سرت الى شبابنا عدواه وبلواه ..

كما تثبت ما يراه رجال التربية والتعليم والتوجيه الاجتماعي من وسائل او طرائق لمواجهة هـذه الانحرافات الشبابيـة .. عـلى مستوى الاسرة ، والمدرسة أو الجامعة ، والمجتمع عامة ..

لماذا ينحرف الشباب ؟

في دراسة جنائية للواء محمد اندرقيري ـ مدير ادارة الجنايات بالامن العام ـ جاءت ثمرة لخبرته الخاصة بحكم عمله ، ولحضوره مؤتمرات دوليـة عديدة تتعلق (بالجريمة والمجرمين) ـ يقول اللواء الاندرقيري :

❋ للتاريخ .. أرجو من كل رب أسرة ، ومن كل شاب وشابـة فـي بلادي : ان يعلموا اننا في السعودية أسعد مجتمع ، فلقد طفت العالم شرقـا وغربا ، وبحكم عملي كرجل أمن .. كنت أطلع على احصاءات الجرائم فـي كل قطر ومدينة ، فكنت أفخر بأن بلدي أكثر بـلاد العالم أمنـا واستقرارا ، وكنت أعجب كيف ان دولا كثيرة سبقتنا في العلم والصناعة ، وتفخـر بأنهـا أكثر منا مالا وقوة ـ لم تستطع هـذه الدول ان تحقـق لمواطنيها الامـن والاستقرار ، فتطالعنا جرائدها اليومية صباح مساء بأنباء الجرائم البشعة التي من شأنها ان تهز كيان المجتمع ، وتجعله في خوف دائم وهلع مستمر ..

❋ ثم يقرر اللواء الاندر قيري : ان معظم الجرائم المرتكبة في العالـم انما تقع من الشباب .. وانها وليدة انفعالات نفسية تتعدد مظاهرها وصورها ، كما تتفاوت أسبابها ودوافعها .. بين حب الانتقام ـ واشباع الرغبة الجنسية ـ والطمع في الحصول على المال ـ وحب السيطرة . وتنشأ هذه الانفعالات الاجرامية في نفوس الشباب نتيجة لعاملين : احدهما : عدم توفير التعليم في كل مرحلة . الثاني : عدم توفير العمل والكسب الشريف ومن المؤسف ـ كما

يرى اللواء الاندرقيري ــ ان كثيرا من الدول لا تهتم بتوفير فرص التعليم أكثر من المرحلة الابتدائية ، وتشترط لدخول المراحل التالية : ان يحصل الطالب على نسب معينة من الدرجات ــ واما الجامعات فلا يدخلها الا النابغون ، واذا عرفنا ان نفقات التعليم في كثير من هذه الدول لا يقوى على دفعها الا الاثرياء ، بدت لنا واضحة مشكلة الطلاب الفقراء ، الذين يضطرون الى ترك الدراسة للبحث عن عمل او وظيفة ومن بين (١٠٠) طالب للعمل يحظى خمسة منهم فقط بالعمل المطلوب بأجر رخيص ، فأين يذهب الاكثرون، وكيف يعيشون ؟ وماذا ينتظرهم من ظلام وضياع بعد ان سدت السبل أمامهم واغلقت الابواب في وجوههم ؟ انه الانتقام ثم الاجرام ..

❋ وليس من مكافحة ناجحة لجرائم الشباب الا اعطاء الدول فرص التعليم ، وفرص العمل لشبابها ، فبذلك تحميهم من الحيرة والقلق والخوف وسط هذا العالم الصاخب اللاغب الذي يعيشون فيه (١) .

وفي تقرير لمؤسسة (امباما دور كوللج) الامريكية عن ظاهرة الضياع والملل والخيبة التي أصابت الشباب الامريكي والاوروبي (٢) فأدت به الى الانحراف الى عالم (الهيبين) والغرق في شهواته الآسنة التي أفقدته طاقاته وقدراته وامتيازاته البشرية ــ قالت المؤسسة :

❋ ان الشباب باعتناقه (حرية الجنس) يعيش حياة اخلاقه فيها كأخلاق القطط يزاول فيها كل انواع الجنس واشكاله ، فلا غرابة ان تنتشر بينهم الامراض التناسلية بنسب كبيرة تصل أحيانا كثيرة الى درجة الوباء .

ثم ذهبت المؤسسة تشرح اسباب نشوء هذا (المسخ البشري) كما سمته وتعني به فريق (الهيبين) الذي تقلده غالبية الشباب في العالم ، وتمضي في طريقه القذر العفن ــ فذكرت ما يلي : ــ

---

١ ــ ملخص بتصرف عن مقالات للواء الاندرقيري ــ نشرتها جريدة (البلاد) قبل بضع سنوات .

٢ ــ يقول الرئيس الامريكي الراحل جون كندي : ان الشباب في امريكا اخذ في الانحراف بصورة مزعجة حتى اصبح لا يصلح للتجنيد منهم الا شخص واحد من كل سبعة اشخاص .

* الاطفال يرون في مجتمعهم وبين آبائهم واقربائهم سلوكا ذا وجهين حيث الكذب والنفاق والتناقض ، وحيث تعتبر السرقة منهج حياة كما يكون الغش طريق النجاح ، والمصلحة الذاتية هي الغاية لكل متعلم وكل عامل • وحيث الكنائس لا تزيد عن كونها مباني أشبه بالخرائب لخلوها من القوى الروحية الحقيقية •

* ثم هؤلاء الاطفال ينشأون في أسر مفككة ، او في بيوت شقية يغيب فيها الحب المتبادل بين الابوين ، او في بيوت خاوية على عروشها ، لان الام والاب كلاهما يعملان ساعات طويلة خارج البيت ، فلا يجد الاولاد من يحدثهم ولا من يوجههم ، او يلومهم اذا أخطأوا ، ويثني عليهم اذا أحسنوا ••

وبذلك تنشأ الهوة الفكرية بين الكبار والصغار •• وبالتالي يبدأ شذوذ الصغار وتهورهم وعصيانهم •• الى جانب فساد الاسرة والمجتمع •• يعيش الاطفال كما يعيش كبارهم في خوف من حرب ذرية ، ومن سباق الفضاء ومن نشوب حرب عالمية • ومن هنا ينشأ القلق في نفوسهم كما ينشأ اليأس من ايجاد حلول عاجلة او آجلة للأزمات العالمية والنزعات الدولية ، واليأس أيضا من اكتشاف أدوية للامراض المتزايدة •• كأمراض القلب والسرطان •• ثم يكون (رفضهم) لهذا العالم العنيف المخيف •

النفور •• والاعراض بين الشباب والشيوخ

أما (كلود آلزون) في كتابه (محاولة لتفسير عدم النضج في أوساط الشباب) ــ فيتهم الشباب المعاصر بالطفولة والعجز •• ويقول ان على الشباب ألا ينساقوا الى التأييد والطاعة العمياء بل عليهم ان يفهموا ما يطرح عليهم من مبادىء وعقائد وتقاليد ، ويعلل كلود رأيه : بأن مشكلات الشباب المعاصر ناتجة عن الهوة السحيقة من عدم الفهم المتبادل بينه وبين عالم الكبار •

* قلت : صدق كلود آلزون ــ في وجهة نظره ــ فالشباب نافرون ، والكبار معرضون او متجاهلون •• وكان على هؤلاء (الكبار) من آباء وأمهات ومدرسين ومدرسات وموجهين اجتماعيين وموجهات : ألا يقابلوا نفرة

الشباب بنفرة مثلها ، بل يقابلونها بمحاولات حانية عاطفة لترويضها وتهذيبها ، واقناعها بالعودة الى الطريق الصحيح ـ ويقابلونها كذلك بالمسارعة الى حلول كافية شافية لمشكلات الشباب .. التعليمية والوظيفية والاجتماعية والجنسية جميعـا .

❊ ❊ ❊

وفي ندوة (الحوار الاسلامي المسيحي) التي انعقدت في لبنان سنة ١٣٨٨ هـ وتحدث فيها عدد من اعلام الفكر الاسلامي والمسيحي ـ قال الاستاذ انعام الله خان سكرتير المؤتمر الاسلامي في كراتشي : « اذا كان شباب اليوم هم قادة الغد ، فان واجب شيوخ الامة الاسلامية ان يساعدوا الشباب المسلم ، وان يسددوا خطاه ويعدوه للاضطلاع بمسؤوليات المستقبل » ..

ثم أضاف الاستاذ انعام الله قوله : « ان قادة العالم الاسلامي يهملون شبابهم .. اهمالا أدى بالكثير منهم في بعض الاقطار الى الافتتان بسحر الغرب ، والوقوع في « المادية » سواء اتجهوا غربا او شرقا » .

❊ وما يقوله الاستاذ انعام حق وصدق .. مع ان الاسلام دين يهتم بالاخلاق في الدرجة الاولى ويجعل (الشيوخ) في مقدمة المسؤولين عن تربية الشباب توجيها عن طريق القول والقدوة العملية في وقت واحد . وفي الفصل الثاني من هذا الكتيب يتجلى اهتمام الاسلام قرآنا وسنة وتاريخا برعاية (الشباب) وتربيتهم على مكارم الاخلاق منذ الطفولة والصبا ..

الشباب يعيش في عصر الازمات والمشكلات

يرى بعض المفكرين الاسلاميين ، الدعاة الى الاصلاح : ان الشباب ، من سوء حظه ، يعيش في عصر الازمات والمشكلات ، عصر القلق النفسي ، والاضطراب الفكري ، وفقدان الثقة ، وحرص الفرد على أخذ حقوقه ، واهماله لحقوق الآخرين .

هذا الى جانب استغلال القوامين على الحركات الثورية والاحزاب السياسية لطموح (الشباب) وحماسه واندفاعه ، واستخدامها لـه لتحقيق اهدافها العقائدية والسياسية ..

وقد أنتج ذلك بلبلة وفوضى في مراكـز تجمعات الشبـاب كالجامعات والمعاهد والمعامل والمصانع ، فسادتها الفوضى وقلة الانتاج العلمي والصناعي .. بل اضطراب هذا الانتاج وقلة جدواه . ونشب الخلاف ، واشتد الصدام بين رجال التربية والتعليم وبين الطلاب من الشباب وبين الشباب من العمال والصناعيين وبين رؤسائهم ومديري المؤسسات الصناعية التي يعملون بها .

ويعتقد سماحة الاستاذ ابو الحسن الندوي ـ المفكر والداعية الاسلامي المعروف : ان قلق الشباب واضطراب سيره ، يرجعان الى أمور عديدة : منهـا عدم ايمانه بقيمة ما تعطيه الجامعات من ثقافة وعلم ـ وتشككه في اخلاص أساتذته وموجهيه ونزاهتهم وسموهم عن الاغراض الشخصية ـ ثـم ضعف الصلة بين الطلاب ومدرسيهم ، وافتقاد الشباب لرسالة مـا : يؤمنون بهـا ، ويتحمسون لها ، ويعملون في سبيلها .

ولاصلاح هذا الوضع القلـق المضطرب « للشباب » يقتـرح الاستاذ الندوي : اثارة شعور الايمان بمنافع العلم الدنيوية والاخرويـة فـي نفوس الشباب ـ وايجاد القدوة الحسنة علما وعملا وسلوكا مـن أشخاص المدرسين والموجهين الشباب ـ الى جانب شغل عقولهم بفكرة او دعوة تمنعهم عن تقبل الافكار والدعوات الوافدة المعاكسة للاسلام ، ثم اقامة نظام اجتماعي رواقي يعيش فيه الشباب حياة اجتماعية اسلامية .

وبالنسبة للشباب العربي ـ فـي منطقـة الشرق الاوسط ، قال بعض الخطباء من السياسيين العرب ان شبابنا ، كي يواجـه تحديات الصهيونيـة الغادرة الماكرة ، لا بد له من التزود بالخبرات العلمية والفنية .

❋ قلت ردا على قوله : ان الشباب العربي ، فـي مواجهتـه لتحديات

الثلاثي المتآمر على كرامة منطقة الشرق الاوسط واستقلالها ، الطامع في ثروتها وخيراتها المفسد لأمنها واستقرارها ـ لا يحتاج الى علوم وخبرات وفنون فهو يعيش في عصرها الذهبي ، ثم هو ـ ايضا ـ يتلقى دراسته وتجاربه فيها داخل بلاده وخارجها دون انقطاع •

ولكن الشباب العربي والاسلامي ـ في هذه المنطقة وغيرها ـ محتاج احتياجا شديدا وعميقا وشاملا الى تربية سلوكية تنمي فيه الرجولة والارادة والاخلاق هذا الثالوث التربوي العلمي الذي يفتقده شباب المنطقة وهو سلاحه الباتر وزاده الوافر في معركته مع التحديات المخربة لعقيدته واخلاقه المتآمرة على مستقبله وغده العاملة على خداعه وضياعه •

ذلك لان نظرية « العلم لاجل العلم » هي التي جردت الغرب حين آمن بها وطبقها في جامعاته ومؤسساته العلمية والتقنية ـ جردت شبابه ورجاله ونساءه من العقيدة الصحيحة ، ومن الخلق الانساني ، ومن الايمان بالمثل والمبادىء والغايات التي ميز الله بها الانسان عن الحيوان •

الشباب يعيش حياة مادية جنسية

وهناك من الدعاة الاسلاميين من يرى ان مشاعر الشباب المسلم تفتحت ـ في هذا العصر ـ على حياة مادية رهيبة ، حياة تقوم على التظالم والتطاحن والتحلل ، حياة تلاحقه وتطارده فيها بواعث الفتنة والرذيلة : من أفلام تجارية تتنافس في اثارة الغرائز الدنيا ، واشباع النزوات الرخيصة ـ ومجلات تحمل على أغلفتها وداخل صفحاتها صورا للنساء العاريات الكاسيات ، وتفوح منها رائحة العفن الخلقي التي تجتذب الحيوانات الضالة ـ وكتب تتحدث عن قصص الجريمة التي تجعل من الحمل الوديع وحشا ضاريا ـ وأغاني مبتذلة وألحان تعتمد على التأوه والتثني ، وتئد الرجولة ، وتمجد الميوعة ـ واعلانات تجارية تروج لسلعها بمناظر نسائية مثيرة ورسائل الالحاد والكفر تحطم القيم العقائدية ، وتحض على التمرد على الفضائل ، وتدعو الى كسر كل القيود الاخلاقية •

ويرى هؤلاء الدعاة الاسلاميون : ان مكافحة هـذا الوبـاء العقائدي والاخلاقي بين الشباب المسلم تتركز في افهامه حقيقة دينه ، واعطائه القـدوة الحسنة من الكبار آباء وأمهات ومدرسين وموجهين ورجـال حكـم ، لان المواعظ وحدها لا تكفي .. كما لا تشفي التعاويذ والتمائم الامراض البدنية، وكمالا تقاتل الجيوش ابتداءا أو دفاعـا بالصلوات والدعوات .. فكذلك انحرافات الشباب لا تقوم الا بازالة (التناقضات) مـن مجتمعاتهم وأسرهم ، ومدارسهم وجامعاتهم ، وأسواقهم ومتاجرهم .

وعلى ذكر المدارس ـ دنيا كانت ام عليا على مستوى الجامعة ـ يلاحظ رجال التربية الاسلاميون ، ان الطلاب يتلقون امشاجا من القيم واخلاطا مـن الآراء المتناقضة ، من أساتذة متناقضين فكرا ومنهجا وسلوكا ، فهـم ـ اي الطلاب ذكورا واناثا ـ يتلقون من مدرس الفلسفة والاخـلاق نقيض مـا يدرسون على يد أستاذ الدين ، ويتعلمون من استاذ العلوم عكس ما درسوه من كليهمـا .



وكما هو الحال في البيئة التعليمية والتربوية في المجتمعات الاسلامية ـ يتكرر التناقض نفسه في مجالات الاعلام من اذاعة وتلفاز وصحافـة فحيث يتلو قارىء القرآن آيات عن غض البصر ، وحفظ الفـرج ، وستر العورات ، يأتي بعده حديث أو تمثيلية أو أغنية تغري بالنظر الـى مفاتن المـرأة ، وتثير الشهوة الجنسية في نفوس الفتيان والفتيـات وتشجع عـلى الاختلاط بـين الجنـسين ، وتبادل رسائل الحب والغرام والتماس اللقاء الحرام .

وهكذا دواليك تتابع برامـج الاذاعـة والتلفـاز ومقالات الصحف ، واعلاناتها التجارية وصورها العارية الكاسية متناقضة متنافـرة يفسد الخبيث منها الطيب ، ويهدم المفسد منها المصلح ، وتوقظ فتنا نائمـة ، وتثير غرائـز ساكنة ، ويكذب بعضها بعضا ، وينقض آخرها أولها .. الامر الذي يجعـل الشباب في حيرة وقلق يتحولان قليلا قليلا الى (رفض) عنيف لمكارم الاخلاق ونـبادىء الدين ، وهتك لحرمات الاعراض وعورات البيوت .

من أجل ذلك يركز كثير من رجال التربية والفكر والدعوة الاسلامية في كل ما تحدثوا او كتبوا حول الشباب على مسألة (المثـال الشخصي) الـذي يفتقده هؤلاء الشباب في (الكبار) وعلى مشكلة (التناقض) بـين القـول والفعل ، وبين النظرية والسلوك ، ويشيرون الى ان التربية الاسلامية تعتمـد أول ما تعتمد على (القدوة الطيبة) من الآباء والامهات والمعلمين والمعلمات ، فالقرآن الكريم يؤكد مباديء هذه التربية الناجحة في مثل هذه الآيات .

❋ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نـارا وقودهـا النـاس والحجارة » .

❋ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون » .

❋ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتـم تتلون الكتاب أفـلا تعقلون » .

❋ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسـنة » .

ونستطيع ـ الآن ـ ان نلخص مصادر انحراف الشباب كما تحدث عنها رجال الفكر والتعليم والتربية والتوجيه الاجتماعي ـ في سطور معدودة :

اولا : اهمال (الكبار) من آباء وأمهات ، ومعلمين ومعلمات ، وقـادة ودعاة .. لتوجيه (الصغار) الذين هم الشباب ، وعدم اعطاء الكبار القـدوة الصالحة من أنفسهم للشباب فيما يقولون وما يعملون ..

ثانيا : التناقض الواسع الذي تعيش فيه مجتمعاتهم في مناهج التعليم ، وبرامج الاذاعة والتلفاز ومقالات الصحف وأخبارهـا ، ومبـاديء السياسة ومذاهب الاقتصاد .

ثالثا : تضييق الدول لفرص التعليم والتشغيل على شبابها مما أدى الى اضطرارهم لارتكاب الجرائم : انتقاما او كسبا للقمة العيش ، أو ارواء للغرائز العطشى •

رابعا : افتقاد (الحياة) في المجتمعات العامة حيث ازداد تكشف النساء وابداؤهن للمفاتن والمحاسن من اجسادهن ، ونشر صورهن العارية في الصحف واغلفة المجلات ، وعلى أبواب دور السينما وجدران الشوارع العامة •• الامر الذي شغل ابصار الشباب وبصائره بالتفكير الدائم في (الجنس) غراما به وبحثا عنه ، وحرصا عليه •

وفي الفصل التالي ــ او المحاضرة الثانية ــ تتجلى عبقرية الاسلام في رسمه لمنهج التربية العملية « للشباب » منذ الطفولة وتركيزه على مسئولية الكبار عن الصغار اي الشيوخ عن الشباب ــ رعاية وتوجيها وقدوة ••

ازمة الضمير الديموقراطي
في احداث لبنان

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ حسن علي الزين ورث الادب كابرا عن كابر وهو رئيس مصلحة الانعاش الاجتماعي في لبنان مما يجعله يتحسس آلام الجماهير ، كتابه صورة عن مأساة لبنان اثناء النكبة ، وما حل به من تفكك خلقي واجتماعي في الحرب القذرة التي عاشها مدة سنتين ولم يزل يعيشها وسيبقى يعيشها سنوات ، وكما قال المؤلف « انها أزمة الضمير وجذورها تتصل بكل ما في هذا البلد من نظم تربوية ونظم اجتماعية ، والعلاج لن يكون يسيرا ولا سهلا » •

الكتاب نافع وجدير بالمطالعة •

اهتمام الاسلام بالشباب

قرآنا ـ وسنة ـ وتاريخا

ـ ٢ ـ

كان الاهتمام باديا ، في كل مؤتمر اسلامي ، بأوضاع الشباب المسلم ؛ والعمل لتوجيهه .. في عدد من العواصم العربية والاسلامية .. في مؤتمر البحوث الاسلامية الذي عقد في القاهرة في أوائل عام ١٣٩١ هـ وحضرته ممثلا (لرابطة العالم الاسلامي) ، وفي اجتماع اتحاد المنظمات الاسلامية الذي انعقد في منتصف شهر الحجة عام ١٣٩٠ هـ بمكة المكرمة ، وفي دورات سابقة لرابطة العالم الاسلامي ، وفي ندوة الحوار المسيحي الاسلامي التي التأمت في بيروت سنة ١٣٨٨ هـ ـ في كل هذه المؤتمرات وغيرها ألقيت بحوث علمية وأخلاقية عن (الشباب) وواجب رجال الحكم والسياسة والتربية والتعليم نحوه تربية وتعليما وترشيدا ، واعدادا للغد المرتقب ، بكل مسئولياته ، وقضاياه ، واماناته الثقال .

وفي المؤتمر الاقليمي الذي عقد بالكويت قبيل مؤتمر (كيوتو) الذي عقد باليابان عام ١٩٧٠ م للبحث في أسباب انتشار الجرائم الاخلاقية في العالم ـ قرر المؤتمرون : (أن ضعف الوازع الديني لدى الشباب اليوم هو أكبر أسباب انتشار الجرائم في المجتمعات الانسانية بصورة لم تعهد من قبل) .

اذن فالحديث عن (الشباب) ومسئولياتنا تجاهه كأمة تحظى دون الامم الاخرى بمنهج تربوي فريد ـ واجب ومناسب للمقام مكانا ، وزمانا ..

ان الشباب هم أمل الحاضر ، وعدة المستقبل .. أي رجال المستقبل : قادته ، حكامه ، وزراؤه ، قضاته ، ومعلموا أجياله التالية . واذن فمهمة اعداده وتربيته ليست سهلة ولا هينة ، وواجب اصلاحه وتقويمه ليس أمرا ثانويا بل هو فريضة على الآباء والاولياء ، واجبة الاداء .

لذلك وجب ان يبدأ في تكوين الشباب منذ النشأة الاولى ، منذ الطفولة الباكرة ؛ على ان يستمر هذا التكوين الراشد في أطوار العمر • ونحن المسلمين ينبغي ان نخلص في تكوين شبابنا على أساس اسلامي ، فلا ندعه ينشأ على عادات غير اسلامية ، ولا نطيل اقامته في جو غير اسلامي ؛ واذا اضطررنا الى ذلك من أجل الدراسة ، فلنقم له البيوت الاسلامية هناك ، التي يجد فيها بيئة أهله : معيشة وسلوكا واداء لفرائض الدين ، واستمساكا بآدابه ، وسيرا على هداه •

ودور الابوين في تكوين الشباب ، منذ النشأة الاولى ، مهم وفعال ، وقد أكد أهميته وفعاليته التوجيه النبوي : (كل مولود يولد على الفطرة ؛ فأبواه يهودانه ، او ينصرانه ، او يمجسانه) (١) •

اما اهتمام الاسلام ـ قرآنا وسنة ـ بالشباب تربية وتعليما ؛ واصلاحا وتقويما ، فهذه بعض مبادئه ونماذجه :

اهتمام القرآن بالشباب

يلفت القرآن الكريم أنظار الآباء الى مهمتهم الابوية المقدسة ؛ وفي وصايا لقمان لابنه ومواعظه كما حكاها القرآن نفسه عن هذا الاب الحكيم (٢) في هذه الآيات الكريمات التي بدأت بالثناء على لقمان بأنه أوتي الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا :

❋ « ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر الله ؛ ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ؛ ومن كفر فان الله غني حميد » •

❋ « واذ قال لقمان لابنه ـ وهو يعظه ـ يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » •

---

١ ـ رواه البخاري •

٢ ـ اختلف في نبوة لقمان •

❊ « يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل ، فتكن في صخرة ، أو في السماوات ، او في الارض يأت بها الله • ان الله لطيف خبير » •

❊ « يا بني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الامور » •

❊ « ولا تصعر خدك للناس ، ولا تمش في الارض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور » •

❊ « واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك • ان أنكر الاصوات لصوت الحمير » (١) •

ان هذه الوصايا التربوية ، التي حكاها القرآن على لسان لقمان •• كنموذج لاهتمام الآباء بالابناء ، او عناية الشيوخ بالشباب ـ واضحة المعاني، سامية الاهداف لا تحتاج الى تفكير كثير ، أو الى تفصيل طويل •

فهي أولا : النهي عن الاشراك بالله عز وجل ، فهو الحقيق بالتوحيد والعبادة ، لانه الخالق الرزاق والمحي المميت ، وهو الفعال لما يريد •

وثانيا : التنبيه الى ان الله تبارك وتعالى يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، وان الاحداث والاشياء الصغيرة •• مهما دقت وخفيت فان الله يعلمها ويأتي بها يوم القيامة ، ويحاسب عليها •• ان خيرا فخير ، وان شرا فشر •• ان الله لطيف خبير ، فعلى الشباب الذين لهم ـ على آبائهم وأولياء أمورهم ما الشيوخ ـ حق التعليم والتوجيه : ان يدركوا هذا المعنى الدقيق لقدرة الله عز وجل ، ولحكمه الواسع ، وخبرته المحيطة •

وهي ثالثا : الامر باقامة الصلاة ، التي هي عمود الاسلام ، وهي كذلك فرق ما بين الكفر والايمان •• ثم التوجيه الى واجب الامر بالمعروف والنهي

١ ـ سورة لقمان من ١٢ ـ ١٨ •

عن المنكر اللذين هما أساس المجتمعات وقيامها على الحق والخير والبر ، ثم الوصية بالصبر على مكاره الدعوة الى الله ، ومتاعب الجهاد في سبيله ، ففي الصبر ـ كما جاء في الحديث ـ خير كثير وجزاء الصابرين كما يقول القرآن كبير : (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) •

وهي رابعا : الزجر عن الكبرياء في معاملة الناس ، وعن الخيلاء مشيا في الارض •• فان الله يبغض كل مختال فخور •

وهي خامسا : الامر بالاعتدال في الخطى ، وخفض الصوت عند الكلام• لان رفع الصوت ليس من أدب الانسان بل هو شأن الحيوان •

وهل بعد هذه الاخلاق الكرائم ، والآداب الحسان من تربية ينشدها الآباء لابنائهم ، أو يطلبها الشيوخ لشبابهم ؟! •

***

ونمضي في تأمل آي القرآن الكريم ، فنجده يثني على جماعة من الشباب بأنهم « فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » (١) لماذا ؟ لانهم هجروا قومهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة ، ولجأوا الى الله في كهف يعبدونه ويدعونه « ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيء لنا من أمرنا رشدا » (١) •

ونجد القرآن ـ في موضع آخر ، في سورة كاملة ـ يضرب نبيه يوسف عليه السلام ، مثلا للشباب الصالح العفيف الذي يستعصم عن الفسوق وهو يتعرض لفتنة جمال امرأة العزيز ، ويتصدى لرغبتها فيه ، ودعوتها اياه واستعدادها له : (وراودته التي هو في بيتها ، عن نفسه وغلقت الابواب وقالت : هيت لك قال : معاذ الله انه ربي أحسن مثواي •• انه لا يفلح الظالمون) (٢) •

---

١ ـ سورة الكهف ١٣ .
١ ـ سورة الكهف ١٠ .
٢ ـ سورة يوسف ٢٣ .

كما نقرأ في أواخر سورة (النور) تأديبا قرآنيا رائعا لاعضاء الاسرة المسلمة يشمل الشباب ، في موضوع الاستئذان من الصغار بدخولهم على الكبار في أوقات الراحة والخلوة : « واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته • والله عليم حكيم » (٣) وذلك لئلا يطلع الشباب على علاقات آبائهم الخاصة ، فينشغلوا بها ، قبل أوانها •• وفي ذلك فساد كبير • وفي اهتمام السنة بتربية الشباب ـ كما سيأتي توجيه آخر من هذا الوادي •

وأخيرا نجد القرآن يصور لهفة الآباء ، وحرصهم على صلاح ذريتهم في الدنيا ، تمهيدا للحاقهم بهم في سعادة الآخرة : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما » (١) • « والذين آمنوا، واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم عن عملهم من شيء ، كل امريء بما كسب رهين » (٢) •

وبصفة خاصة يروي لنا القرآن قصة نوح عليه السلام مع ابنه : « قال يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » ولكن الابن أصر على الافتراق عن أبيه ، فلم ييأس نوح وتوجه الى ربه العزيز الحكيم بقلب الاب العاطف اللاهف : « رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين » الخ ••• وقريب منها قصة ابراهيم عليه السلام في سؤال ربه عز وجل ان يشمل بنيه بالصلاح : « واجنبني وبني أن نعبد الاصنام » وان يجعلهم أئمة هدى مثله : « قال اني جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتي •• قال لا ينال عهدي الظالمين » •

فالقرآن اذن بما يقدم لنا من وصايا وآداب وقصص عن « الابناء » وضرورة عناية « الآباء » بتقويمهم وتعليمهم انما يؤكد اهتمامه البالغ بشباب

---

٣ ـ سورة النور ٥٩ •
١ ـ سورة الفرقان ٧٤ •
٢ ـ الطور ٢١ •

الامة الاسلامية ؛ لانه في يومها مشرق أمل ، وفي غدها مناط عمل وجهاد ..

اهتمام الرسول بالشباب

وتأمل ـ الآن ـ اهتمامات نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام بالشباب: تعليما وتربية وتوجيها الى الخير ، وانتفاعا بنشاط الشبيبة وحماسها واخلاصها ـ فقد رويت عنه صلى الله عليه وسلم الاحاديث التالية :

❊ اوصيكم بالشبان خيرا ؛ فانهم ارق أفئدة .. ان الله بعثني بالحنيفية السمحة ، فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ : ثم تلا قوله تعالى :

« فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون » .

❊ اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .

❊ كما ذكر عليه الصلاة والسلام في ما يسأل عنه العبد يوم القيامة قبل أن يقضى له أو عليه انه « يسأل عن شبابه فيم أبلاه » .

❊ وعد الرسول في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله: « الشاب الذي ينشأ في عبادة ربه » .

❊ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر ، وأحفظ للفرج ـ ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

❊ ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن » .

❊ لان يؤدب الرجل ولده خير من ان يتصدق كل يوم بنصف صاع » .

❊ مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وألبسوهم السراويل ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

* اكرموا أولادكم ، واحسنوا آدابهم » •

* من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه » •

* الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » •

* يا غلام اعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » •

وغير ذلك من توجيهات تربوية يختص الاسلام بها الشباب ـ لا نحصيها في هذا الفصل ، لئلا نطيل على القاريء ويتأمل هذه الاهتمامات النبوية بالشباب تتبين ان الاسلام حريص على ان يلفت أنظار أتباعه وأفكارهم الى حقيقة تكوين الشاب كغرسة ناشئة طرية ، قابلة للتشكيل والتلوين على الصورة المرادة •

كما يلفت أنظارنا وأفكارنا الى خطورة هذه المرحلة من عمر الانسان : للمسارعة والاستباق الى رعاية تشكيلها وتلوينها على الصورة الطيبة الفاضلة التي يريدها الاسلام ، والتي يحث عليها القرآن والسنة النبوية •

ولان الشباب ـ كما جاء في التوجيه النبوي الاول ارق أفئدة ، لم تتراكم بعد على قلوبهم غشاوات العادات والاخلاق التي تتركز عادة في طبائع الشيوخ ـ كانوا ، اي الشبان ـ : اسرع الى الاستجابة لدعوة الاسلام ، ونصرة رسوله الكريم ، صلى الله عليه وسلم •

والسبب نفسه يحث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما سبق من توجيهاته وتنبيهاته على ان يحسن الآباء تأديب اولادهم وهم صغار قبل ان يشبوا عن الطوق وتتحجر عقولهم وقلوبهم على طبائع منكرة ، فيصعب تهذيبها او تطبيبها في الكبر •

ويعد النبي صلى الله عليه وسلم تأديب الوالد لابنه الشاب أفضل عطية يهبها اياه ، بل هي خير من الصدقة يمنحها غيره •

وفي سبيل المحافظة على الشباب من الاندفاع مع فورة الحداثة وثورة العاطفة ـ يوصي الرسول صلى الله عليه وسلم الشبان بالزواج ، لأن فيه سكنا ومودة ورحمة بين الجنسين من الشباب ، وفي حالة تعذره او تعسره .. عليهم بالصوم ليخفف عنهم الحاح العاطفة ، ويلطف فيهم فورة الشبيبة .

ثم يوصي الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الاهتمامات ـ ان يغتنم الشباب شبابه الذي هو قوة وفتوة ، وحماس واخلاص ، قبل ان يهرم ، فلا يستطيع طلبا للعلم النافع ، والا انجازا للعمل الصالح ، ولا اداء لواجبات دينه وأمته ووطنه : دعوة وجهادا وذيادا .

كما يوصيه ان يحفظ الله .. أي يتقيه ويطيعه أئتمارا وازدجارا ، فجزاء ذلك ان يحفظه الله .. أي يكون معه في كل ما يسلك من طريق نحو معيشته وعمله وعبادته ، بالتوفيق والتيسير والعون ، والوقاية من كل سوء ..

وان يكون اتجاهه بالسؤال والاستعانة الى الله وحده ، فهو المالك المتصرف في الكون كله وفي الناس كافة : خلقا ورزقا ونفعا وضرا ، واحياء واماتة ، ورفعا وخفضا .

كما يحث التوجيه النبوي الى الامر بالصلاة .. حتى تصبح الصلاة للفتيان عادة لا يستطيعون منها فكاكا ، وهي بطبيعتها تهذيب لنفس الفرد وسلوكه ، ونهي له عن الفحشاء والمنكر ـ كما يقرر القرآن الكريم ذلك .

ونلاحظ ان التوجيه النبوي ألزم الآباء والامهات بالباسهم لاولادهم ذكورا واناثا السراويل ، والتفريق بينهم في المضاجع .. لانهم في هذه السن او هذه الفترة من العمر تتنبه فيهم الحوافز العاطفية والجنسية ، فلا بد خلال هذه الفترة الحرجة من آداب وأخلاق تلزمهم الحياء ، وتصرفهم عن التفكير في أمور سابقة لاوانها .

وقد أشرنا من قبل حين تحدثنا عن اهتمام القرآن بالشباب الى بعض آداب الاسرة التي شرعها الاسلام بصيانة الشباب من الانحراف الجنسي ،

وهي (العورات) الثلاث التي منع الصغار من الدخول على آبائهم وأمهاتهم خلالها الا بعد ان يستأذنوا ..

كل ذلك لينشأ الشباب أطهارا ابرارا بعيدين عن النزوات والشهوات التي تضعف الهمم وتهد العزمات ، وتصرف الشباب عن الاهتمام بالجد في الدراسة وطلب المزيد من العلم ..

اهتمام علماء السلف بالشباب

ومن وصايا علماء سلفنا الصالح ـ من صحابة وتابعين ـ بالشباب ما كان يقوله عمر بن الخطاب رضي الله عنه للشباب أنفسهم : « اياكم والتنعم ـ واياكم وزي العجم ـ وعليكم بالشمس فانها حمام العرب ـ واخشوشنوا ـ وانزوا على الخيل ، واضربوا بالسهام » .

* وما يقوله ابن شهاب الزهري : « لا تحقروا أنفسكم لحداثة اسنانكم ، فان عمر بن الخطاب كان اذا نزل به الامر المعضل دعا الفتيان ، واستشارهم يبتغي حدة عقولهم » .

* وما يقوله ابن الجوزي : « ان الشباب أمانة عند آبائهم ، وان قلوبهم كجوهرة ساذجة قابلة لكل نقش ، فان عودهم آباؤهم الخير نشأوا عليه ، وان عودوهم الشر نشأوا عليه ، فينبغي ان يصونوهم ويؤدبوهم ويهذبوهم ويعلموهم محاسن الاخلاق ، ويحفظون من قرناء السوء ، ولا يعودوهم التنعم والرفاهية ، فتضيع أعمارهم في طلبها اذا كبروا » .

الاسلام في الاساس .. كان حركة شباب

ونعود فنذكر بالحديث المنسوب الى الرسول صلى الله عليه وسلم : « بعثت بالحنيفية السمحة .. فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ » لنتبين سر مخالفة الشيوخ للدعوة الاسلامية بادي الرأي .. فهذا العالم الفرنسي (أيرمت) المختص بعلم الجهاز العصبي يكشف سر « الخلاف الدائم بين فئة الشبيبة وبين الفئة المتقدمة في السن .. ان سببه هو فقدان دماغ الشيخ

ليوته مع تطاول العمر ، وبالتالي عجزه عن الانسجام مع أوضاع جديدة وأفكار عصرية » .

وصدق الرسول الكريم .. لقد كانت حركة الاسلام الاولى : حركة شباب ، ويعترف بذلك (موتنقري وات) في كتابه « محمد في مكة » اذ يقول : « لقد انتمى الى الاسلام شباب ينحدرون من أفضل العائلات ، وأشهر القبائل ، وان أهم فكرة نستخرجها من تاريخ المسلمين الاوائل : هو ان الاسلام كان في الاساس حركة شباب » .

وتأكيدا لهذه الحقيقة التاريخية التي يذكرها الحديث النبوي ، ويشهد بها المستشرق « موتنقري وات » نثبت هنا بعض اسماء الفتيان والشبان الذين استجابوا لدعوة الاسلام ، وتولوا هم بعد ذلك رعايته ودعايته ، والجهاد في سبيله ونشره في العالمين :

« علي بن أبي طالب ـ ٨ سنوات » .

« الزبير بن العوام ـ ٨ سنوات » .

« الارقم بن أبي الارقم ـ ١١ سنة » .

« سعد بن أبي وقاص ـ ١٧ سنة » .

« جعفر بن أبي طالب ـ ١٨ سنة » .

« صهيب الرومي ـ ١٩ سنة » .

« زيد بن حارثة ـ ٢٠ سنة » .

« عثمان بن عفان ـ ٢٠ سنة » .

« عمر بن الخطاب ـ ٢٦ سنة » .

« ابو عبيدة بن الجراح ـ ٢٧ سنة » .

« بلال بن رباح ـ ٣٠ سنة » .

« عبد الرحمن بن عوف ـ ٣٠ سنة » .

« ابو بكر الصديق ــ ٣٧ سنة » .

الشباب الاسلامي : انحرافاته ومشكلاته

بعد ذلك العرض الموجز لاهتمامات القرآن والسنة وعلماء السلف .. بالشباب : تعليما وتربية وتوجيها نتحدث بايجاز أيضا عن انحرافات الشباب ومشكلاته ، وما ينبغي لنا ، بل ما يجب علينا من المسارعة الى انقاذه واصلاحه وتقويمه .

مما لا ريب فيه ان هذه الانحرافات والمشكلات التي يعاني منها الشباب الاسلامي ــ في عصرنا الحاضر ــ هي نتيجة لاسباب وعوامل متعددة ومختلفة .. بعضها ذاتي ، وبعضها محلي ، وبعضها خارجي .

اما السبب الخارجي لا نحرافات الشباب المسلم ومشكلاته ، فهو العدوى السريعة الفتاكة التي انتقلت من شباب الغرب العلماني وشباب الشرق الالحادي ، الى شباب العالم الاسلامي عن طريقين : الاول هو الاستعمار السياسي سابقا وما خلفه من استعمار فكري وثقافي وتشريعي . الثاني هو الاتصال الحضاري والثقافي الدائم بين العالم الاسلامي والعالمين الغربي والشرقي .. فكثير من الشباب المسلم يتلقون العلم في معاهد الغربيين وجامعاتهم ، وكثير من خبرائهم ومدرسيهم يستقدمون للعمل في المعاهد والجامعات والمؤسسات العربية والاسلامية ..

أما السبب المحلي لانحرافات الشباب ومشكلاته .. فهو هذا التناقض الاجتماعي العجيب الذي يشيع في جوانب شتى من حياة الشباب : في البيت، والمدرسة ، والسوق والشارع ، والنادي .. ان الشباب ــ في مجتمعه ــ يتعلم في في مدرسته أمورا دينية ، ويستمع من العلماء والوعاظ الى دروس اخلاقية .. ثم ينطلق الى البيت والسوق والنادي فلا يرى اثرا أو صورة او مثالا لما تعلمه في المدرسة ، او استمع اليه في المسجد .

ثم يتكرر هذا التناقض عندما يرى الشباب في التلفاز ، او يسمع في المذياع قصة اسلامية رائعة تبدو فيها الاسرة مسلمة العقيدة والسلوك ، او

حديثا دينيا يحث على مكارم الاخلاق ، ويروي او ينقل بعض الآداب القرآنية والنبوية .. ثم بعد ذلك مباشرة يرى او يسمع ، من نفس المذياع او ذات التلفاز : قصصا تمثيلية ، او أغنيات او أحاديث .. تغري بمشاهدها وكلماتها وحركاتها بالفسق والفجور وعظائم الامور :

هذا الى جانب ما يرى ـ في المكتبات التجارية ـ من كتب وصحف ومجلات تتناقض موضوعاتها وصورها وقصصها وتورث قلوب الشباب حيرة وضلالا ، لا يميز معهما الطيب من الخبيث .

ان هذا « التناقض » الشائع في المجتمعات الاسلامية ـ هو السبب المحلي لانحرافات شبابنا ومشكلاته ، وهو ـ في نظرنا ـ أهم الاسباب الثلاثة واخطرها ، وآجدرها بأن نبدأ باصلاحه وتقويمه .

أما السبب الذاتي .. فهو طبيعة الشباب : الحدة والجدة وحب الانطلاق ، والحرص على الحرية ، والفراغ من المهمات والشواغل . وهو ـ في نظرنا ـ أيسر الاسباب الثلاثة ، واصلاحه والخلاص منه ، يتأتى تلقائيا بالخلاص من (التناقض) الذي يعم سلوك المجتمعات الاسلامية كلها : في مناهج تعليمها ، وفي برامج اعلامها اذاعة وتلفازا وصحافة وكتابا ، وفي احكام تشريعها الشخصي والجنائي ، وفي المؤسسات الاجتماعية والثقافية والرياضية .

اذا استطاع المسلمون حكاما وعلماء ومفكرين ومعلمين ـ ان يتخلصوا من هذا (التناقض) الرهيب الرعيب في سلوك مجتمعاتهم .. عاش الشباب بخير وطمأنينة ، وذهبت حيرته وثورته ، وانتهى تقليده لانحلالات شباب الغرب وانحرافاته ، واقترب من دينه اعتقادا وسلوكا وعبادة ، وأحس بالامن النفسي والخارجي .. فيما يتحقق له من توافق بين المبادىء الدينية والاخلاقية ، وسلوك المؤسسات الثقافية والاعلامية والاجتماعية والادارية والتجارية في مجتمعه الاسلامي .

وباختصار : ان ما يقرأه الشباب الاسلامي او يسمعه في جامعته او

مدرسته او مسجده او كتابه او صحيفته عن عدالة التشريع الاسلامي ، وأصالة حضارة الاسلام ، وقصص أبطاله ورجاله وخلفائه ، التي ملأت سمع الزمان وبصره مجدا وحمدا ـ ان هذا المقروء او المسموع يجب أن يجده الشباب حقيقة واقعة في البيت والمدرسة والجامعة والنادي والسوق والادارة والوزارة .

وسيكون من طبيعة المطابقة بين السلوك والمبدأ : ان يعطي الآباء والحكام والعلماء والمربون والمدرسون والمفكرون والكتاب والوعاظ والرؤساء والوزراء .. القدوة الطيبة ، والاسوة الحسنة من أنفسهم للشباب. وبذلك يقضون على انحرافاته ومشكلاته ، وينتفعون بجهوده وطاقاته ، لخير دينه وأمته ووطنه .

كيف نملأ فراغ الشباب والطلاب ؟

بقي ان نتحدث عن (فراغ) الشباب طلابا وغير طلاب ، فالشباب من الطلاب مشغولون اكثر يومهم او أسبوعهم او شهرهم بالدراسة والمذاكرة . ولديهم ـ مع ذلك فترات (فراغ) يوميا واسبوعيا وشهريا بل سنويا .. وهي العطل الدراسية طويلة الامد التي تمتد قريبا من ثلاثة شهور او تزيد .

والشباب من غير الطلاب ، أي العاملين في وظائف الدولة او العمل التجاري ، او المؤسسات الاهلية .. لديهم (فراغ) أطول ، وفترات راحة واستجمام اكثر .

وفي الحديث « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » (١) وما أصدقه من حديث ، وما أمره من واقع أليم يعيشه المغبونون في صحتهم وفراغهم ، حيث يهدرونها في لهو ولغو ، وفي عبث وضياع ، دون انتفاع بعلم او عمل ، ودون ممارسة لرياضة جسدية او عقلية او روحية .

---

١ ـ رواه البخاري .

والشباب هم أول المقصودين بهذا التوجيه التربوي السامي ، فهم أكثر الناس صحة ، وأوفرهم عافية بحكم أعمارهم الفتية الناشئة . وهم ارغب الناس في (فراغ) واجودهم سعيا اليه ، وبحثا عنه .. بحكم قلة مسئولياتهم الاقتصادية والاجتماعية ، بل انعدامها أحيانا ، لانهم مكفولون من آبائهم . مكيفون من أولياء أمورهم : مأكلا وملبسا ومركبا .. ولذلك فهم أعظم غبنا في صحتهم وفراغهم من غيرهم .

ونحن الآباء ورجال التربية والتعليم والشئون الاجتماعية ـ مسئولون مع الشباب عن شغل (فراغهم) بما ينفعهم ويمتعهم متعة نظيفة شريفة ، وينفع في الوقت نفسه وطنهم ومواطنيهم من أعمال وخدمات اجتماعية وعمرانية وتعليمية ورياضية وتربوية .

ان هناك مجالات رحبة . وفرصا عديدة أمام الشباب طلابا وغير طلاب : لتكوين الجمعيات الثقافية والسياحية والرياضية ، والقيام برحلات وجولات داخل مناطق المملكة على الاقل ، والتطوع في أعمال الطرق والمساهمة في تعليم الاميين ، والاستزادة من الدراسة الحرة في بعض العلوم والمعارف واللغات الاخرى ، وزيارة المكتبات الخاصة والعامة للقراءة والبحث .

وللشباب من غير الطلاب ، الذين لم يستكملوا دراستهم لاسباب اقتصادية أو اجتماعية ، فرص متاحة لاستتمام هذه الدراسة بالانتظام في المدارس الليلية ، أو الانتساب للكليات التي تقبل الانتساب ، او تعلم لغة أجنبية ، أو خبرة فنية ، وما الى ذلك من انشغالات والتزامات ترقى بمستوياتهم العلمية والفكرية ، وتنأى بهم عن مؤديات (الفراغ) وجناياته على الاخلاق العامة والخاصة .

أليس ذلك خيرا من ان ندع الشباب في عالمنا العربي والاسلامي ، يقبل بكليته على نشر صوره وعنواناته في المجلات ، فيما يطلقون عليه (باب التعارف) ويذكر تحتها هواياته العابثة التافهة .. فهذا يحب المطربة الفلانية ، وهذه تعجب بالمغني (فلان) وهذا يعشق الموسيقى ، وهذه تنتظر ان يراسلها

شاب او طالب من البلد الفلاني ، وذلك يطلب تبادل الصور والطوابع مع الآخرين بل مع الجنس الثاني بالذات .

بل أليس ذلك خيرا من ان ندع (الشباب) يلتهم الكتب والمجلات الجنسية ، التي يزعم أصحابها الاطباء أنهم يقدمون لقرائها أبحاثا ودراسات صحية ، وهم في الواقع المشهود يدسون السم في العسل ، حين يفتحون صفحات مجلاتهم لتساؤلات المراهقين والمراهقات في شئون الجنس ويتولون الاجابة عليها في صراحة ووقاحة تزيد الشباب نهما وتمد له في حبال النزوات والشهوات ، وتصرفه عن الاهتمام بمعالي الامور ومكارمها ، الى الاهتمام بالسخافات والتفاهات الجنسية ؟

ان هذه المصارف والمشاغل الجادة التي اقترحها لتكون بديلا للشباب عن مصارفه ومشاغله التافهة الحقيرة انما يسأل عن تحقيقها وانجازها : وزارات التربية والتعليم والاعلام والشئون الاجتماعية ، في العالم العربي والاسلامي كله . وهي تستطيع بامكاناتها المادية والادبية ان تستنقذ « الشباب » من ضياعه وفراغه ، ولتجعل منه أملا عذبا ، وعمدا صلبا لبلاده ومواطنيه ، وجندا صادقا قادرا على الجهاد والذياد .

وأعود فأذكر بما أسلفت من أن ما يكتب وما يذاع في صفحات العالم العربي والاسلامي واذاعاته وتلفازاته من أبحاث ودراسات ونداءات وتوجيهات دينية لوعظ « الشباب » وزجره لا يغني فتيلا ، ولا يردع من انحراف ولا يمنع من فسوق ، لان الكلام وحده لا ينفع ، اذا كان واقع المجتمعات العربية والاسلامية مخالفا له ، معاكسا اياه .

فلا بد اذن من العمل الجاد مع المواعظ العلمية والنصائح الخلقية .. التي ينشغل بها الشباب سلوكا واقعا ، ويكون بها مصدر قوة وخير وعزة لوطنه ولمواطنيه .

العهد : الدستور الأزلي

عهد الإمام للاشتر النخعي يوم ولاه مصر ، وهو يصلح ان يكـون دستورا لكل حاكم عادل ، فهل يقراه الحكام في بلادنا العربيـة والاسلامية . اذا كانـوا يقراون ـ ويسيرون على منهاجه ويهتدون بهديـه ، حينئـذ ينجحوا وينجحوا شعوبهم . وقد قررنا نشره تباعا في العرفان .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الاشتر فـي عهده اليه . حين ولاه مصر : جباية خراجها ، وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها أمره بتقوى الله ، وايثار طاعته ، واتباع ما أمر بـه في كتابه : من فرائضه ، وسننه التي لا يسعد أحد الا باتباعها ، ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها ، وان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه ، فانه جل اسمه ، قـد تكفل بنصر من نصره واعزاز من اعزه .

وأمره ان يكسر نفسـه من الشهوات ويزعها عند الجمحات ، فان النفس أمارة بالسوء الا ما رحم الله .

ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك مـن عدل وجور ، وان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ، وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده ، فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح ، فاملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لـك فـان الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحبت أو كرهت ، واشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبـة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان : اما اخ لك في الدين ، او نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلـل وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على ايديهم في العمد والخطأ فاعطهم مـن عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فانـك فوقهم ووالي الامـر

عليك فوقك ، والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فانه لا يدي لك بنعمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ، ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت منها مندوحة ، ولا تقولن اني مؤمر آمر فان ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير ، واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك أبهة او مخيلة

فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فان ذلك يطامن اليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك ويفي اليك بما عزب عنك من عقلك .

اياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته ، فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال .

أنصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى ومن رعيتك ، فانك الا تفعل تظلم ! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع أو يتوب وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم ، فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد .

وليكن احب الامور اليك أوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها رضا الرعية فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة .

ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا ، ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فانهم أعوان الاثمة ، واخوان الظلمة ، وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم ممن يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على اثمه : اولئك أخف عليك مؤونة واحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفا ، واقل لغيرك الفا فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك ، ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك واقلهم مساعدة فيما

يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع . والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة .

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء . فان في ذلك تزهيدا لاهل الاحسان في الاحسان ، وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة ! والزم كلامهم ما الزم نفسه واعلم انه ليس شيء بأدعى الى حسن ظن راع برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وليس احد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للانصاف ، وأسأل بالحاف وأقل شكرا عند الاعطاء، وابطأ عذرا عند المنع واضعف صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة . فليكن صفوك لهم ، وميلك معهم .

وليكن ابعد رعيتك منك واشنأهم عندك اطلبهم لمعائب الناس فان في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك ، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك، اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع! فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور ، فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

وان أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها الرعية ، ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر

عليك بما نقضت منها ٠

واكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض : فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل عمال الانصاف والرفق ، ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله له سهمه ٠ ووضع على حده فريضة في كتابه او سنة نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولادة وعز الدين ، وسبل الامن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم ٠

العرفان وخطتها

العرفان : مجلة علمية أدبية ثقافية سياسية، تكرم حرية الفكر وتحترم رأي كل كاتب او مؤرخ او شاعر اتفقت معه في الرأي او اختلفت، وهي غير مسئولة عما ينشر فيها من مقالات وبحوث وآراء وشعر ، فأصحاب المقالات يتحملون تبعة آرائهم لا المجلة ، وانها تنشر كل رد في باب المراسلة والمناظرة بشرط ان يكون صادرا عن علم ويحترم آداب المناظرة ٠

★ ★ ★

بيان للقراء الكرام

سنة العرفان عشرة أشهر وهي تعطل شهري « آب وأيلول » م الموافق لشهري « رمضان وشوال » هـ وتعود الى القراء في ١٥ تشرين الاول الموافق ٣ ذو القعدة ٠ فالى اللقاء في ذلك التاريخ ٠

مقالات كثيرة وشعر أكثر وأكثر تأجلت بسبب كثرة المواد ٠

مناحيم بيغن في
كتابه « الثورة »

اننا نحارب ...
اذن نحن موجودون !

بقلم : زهير مارديني

هل كان يجب ان ينجح تكتل (ليكود) لنتذكر ان زعيمه مناحيم بيغن هو الارهابي العالمي الذي جعل من الارهاب طريقا للوصول الى السلطة ؟

لقد أظهرت التعليقات التي صدرت بعد اعلان نتائج انتخابات « الكنيست » التاسعة في الاراضي المحتلة ، والتي نال فيها مناحيم بيغن ٤٣ مقعدا ، ان ما نعرفه عن مجتمع الاغتصاب أقل من القليل .. فاسرائيل التي نتحدث عنها صباح مساء في الصحف والاذاعات هي اسرائيل (العين المجردة) ... اما اسرائيل بمعنى التحدي الحضاري لهذه الامة فقلما يأتي على اطراف أقلامنا .. ولكي نفهم التحدي الذي تفرضه اسرائيل علينا يجب ان نفهمها من الداخل .. ان نفهم العوامل القديمة والجديدة التي تدخل في تكوين هذا التحدي .. سواء كانت هذه العوامل موجودة في التاريخ القديم ، او الارهاب المنظم او في التاريخ المعاصر .. سواء كانت هذه العوامل موجودة في مجال السياسة او العسكرية ...

لقد ايقظنا نجاح مناحيم بيغن على ان اسرائيل اوسع من الكيلومترات التي تحتلها ، وأعمق من المسافة التي تفصل بين خطوط الهدنة ... والبحر !

وهذا هو الدليل ...

نذير ... ووعيد ..!

بعد قيام دولة الاغتصاب بأقل من سنة أصدر مناحيم بيغن زعيم منظمة (الارغون زفاي ليومي) ــ ومعناها المنظمة العسكرية الوطنية ــ كتابا تحت

عنوان : (ذي ريفولت) ـ الثورة ـ تحدث فيه عن دور المنظمة في اقامة الدولة ، والمعارك التي خاضتها ، والجرائم التي ارتكبتها ، والاغتيالات السياسية التي اقدمت عليها ... وقد أحدث هذا الكتاب ضجة عند صدوره ، لا في الاوساط العربية التي لم تسمع بالكتاب ولكن في الاوساط العالمية التي استكثرت هذه الجرأة في رواية الجرائم .. على النحو الذي رويت فيها من قبل فاعلها والمخطط لها ..

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب :

(كتبت هذا الكتاب قبل كل شيء لامتي .. لئلا ينسى اليهودي ثانية ـ كما نسي ويا للكارثة من قبل ـ هذه الحقيقة البسيطة ... وهي انه توجد أشياء اثمن من الحياة وأفظع من الموت ... ولكنني كتبت هذا لغير اليهود أيضا .. لئلا يكونوا غير راغبين في ان يدركوا ، او ميالين الى التغاضي عن حقيقة انه من خلال الدم والنار والدموع والرماد ، قد ولد نوع جديد من الكائنات البشرية ، نوع لم يعرفه العالم على الاطلاق خلال أكثر من ١٨٠٠ عام ، هو (اليهودي المحارب) .. ذلك اليهودي الذي اعتبر العالم انه مات ودفن الى الابد ، قد بعث ..!)

بهذا النذير يستهل بيغن مقدمة كتابه .. وينهيها بالوعيد التالي :

(.. اني أسأل نفسي أمام القراء من غير اليهود ومن الاعداء . لو قدر لامتك ان تجد نفسها مرة أخرى في وضع كالذي كانت فيه عندما اضطرت الى ان تعمل تحت الارض وتحارب ، وتصبح ثائرا مطاردا ... فهل تكرر في مثل هذه الحالة ما سبق ان فعلته ؟ والجواب هو بكل تأكيد . نعم) ..

الارغون اول منظمة ارهابية .!

ويروي بيغن في الفصول الثلاثة الاولى من الكتاب كيف اعتقل في الاتحاد السوفييتي في نيسان ١٩٤١ على اثر تسلله عبر حدود بولونيا ـ حيث ولد ـ ثم كيف نقل الى أحد معسكرات الاعتقال النائية ليمضي الثماني

سنوات التي حكم بها عليه بتهمة انه من عملاء المخابرات البريطانية .. ثـم كيف افرج عنه بعد فترة وجيزة على اثر توقيع التحالف بين بولونيا والاتحاد السوفييتي ، وكيف عاد الى بولونيا والتحق بجيشها ... ومع هـذا الجيش كيف انتقل الى فلسطين عن طريق ايران ثم العـراق ثـم شرق الاردن التـي يسميها (تراثنا) ..

ويقول ان اباه علمه منذ صغره ان اليهود سيعودون الى فلسطين التي لا يسميها الا (ارض اسرائيل) ـ وليس (يهاجـرون) او (يسافـرون) او (يذهبون) بل (سيعودون) ... كما يروي كيف انضم الى حركة (بيتاز) وهو تلميذ ، وهي منظمة الشباب اليهودي الصهيونية في اوربـا ، الـى ان أصبح زعيمها في بولونيا .. وشرح في أكثر من خمسين صفحة أهداف هذه المنظمة في تربية جيل من الشباب اليهودي يكون مستعدا ليس للعمل فحسب من أجل أهداف الصهيونية في اقامة دولة اسرائيل ، بل لان يحارب من اجلها ... ويتعذب ... ويموت ... كما يذكر انه في الوقت الذي كان فيه هـو وزملاؤه منهمكين في تربية شباب يهود بولونيا وتنظيم (اعادتهم) الى (ارض اسرائيل) نشأت في فلسطين منظمة (الارغون زفاي ليومي) التي كانت أول بشير بقوة اليهود ، وعلى رأسها قائدها الغامض (دافيد رازييل) ومساعـده الهادىء (ابراهيم شتيرم) ، وأول منظمة عملت عـلى توفير الاسلحة لليهود وعلى تدريب شبابهم عسكريا ..

وكان أول من نادى بانشاء الارغون هـو الزعيم الصهيوني (فلاديمير جابوتنسكي) الذي كانت سياسته تقوم على أساس ان اليهود لا يمكـن ان يستولوا على فلسطين الا بالقوة ، فلما فشل في اقناع الزعامـة الصهيونيـة الرسمية بانشاء جيش يهودي ، اسس بنفسه الارغون في فلسطين ، كما كـان هو منظم حركة (بيتار) في اوربا ..

ويذكر بيغن انه عند مروره بالحبانية في العراق ، لم يكن يدري انه على بعد خطوات من قبر اول قائد للارغون (دافيد رازييل) ، الذي كان أمله ان يضع نفسه تحت أمرته ويحارب تحت قيادتـه بمجرد وصولـه الـى فلسطين

وفراره من الجيش البولوني •• وكان (رازييل) قد قتل في العراق اثناء قيامه بمهمة للجيش البريطاني •

ويختتم بيغن الفصل الاول من كتابه فيذكر سخرية القياصرة الروس من التفكير الصهيوني ، ويرد بيغن على هذه السخرية بقوله :

(قد يكون هذا الايمان غير عملي •• ولكن ربما كان الايمان أقوى من الحقيقة •• فالايمان هو الذي يخلق الحقيقة) • ويقول :

(ان عاملين رئيسيين كانا يتحكمان في وضع الامة اليهودية في أوج الحرب العالمية الثانية : كان هتلر يبيد الملايين من اليهود في اوربا ، وكانت بريطانيا تقفل في وجههم ابواب (وطنهم القومي) فلسطين •

احتقار العالم لليهود .!

ويستعرض بيغن ما حل باليهود في المانيا باسلوب ابتزازي ، ولا يلوم المانيا وحدها على هذه الاعمال بل يحمل وزرها العالم كله وعلى الخصوص بريطانيا التي يتهمها بالقيام بدور ايجابي فيها بوقفها الهجرة الى فلسطين ساخرا من ادعائها الخوف من تسرب جواسيس الالمان بين المهاجرين اليهود •

ويذكر ان الارغون قامت بالاشتراك مع منظمات صهيونية أخرى بتهريب آلاف كثيرة من اليهود من اوربا الى فلسطين رغم مقاومة بريطانيا لهذه العمليات ، ويقول :

(هبط ليل مظلم ، بل احلك الليالي ظلاما على الامة اليهودية في اوربا •• قتل وعذب ملايين النساء والاطفال والرجال •• ولم يعد هناك مجال لخداع انفسنا ••• لم يكن النازيون واصدقاؤهم وحدهم الذين ينظرون الى اليهود كحشرات يجب ابادتها ، بل اعتاد العالم كله اعتبار اليهود مختلفين على سائر البشر ••

وكما ان العالم لا يشعر بالعطف على الآلاف من الماشية التي تساق الى

المذابح ، فانه لم يشعر بالعطف ايضا ـ او ربما كان قد اعتاد ـ عنـد رؤيـة عشرات الالوف من اليهود يقادون الى مذابح الالمان ..

ان العالم لا يشعر بالعطف على الذين يذبحون .. انـه لا يحترم سوى اولئك الذين يحاربون) .

ويخلص بيغن الى ان هذين العاملين : اضطهاد اليهود في أوربا ، واغلاق ابواب فلسطين في وجوههم ، كانا السبب المباشر في نشوب ثورة اليهود فـي فلسطين ، مؤكدا انهما كانا السبب (المباشر فقـط) على اساس انـه ينبغي التفريق بين الاسباب الاساسية التي لا بد ان تنشأ عنها الحروب والثورات ، والاسباب المباشرة التي تحدد موعد قيامها ..

ابعد من اسرائيل .!

اما السبب الرئيسي في رأيه فهو روح الثـورة والكفـاح التي وجدت لدى فريق من اليهود ، والتي لولاها لغربت الشمس على امتهم .. ويستطرد قائـلا :

ان كفاح اليهود وان كان لم يحقق اغراضهم كلها ولم يؤد الى اكثر من قيام دولة اسرائيل في جزء فقط من بلادهم .. الا انه حـال دون تحطيمهـم نهائيـا .

وينبغي على الوكالة اليهودية سياسة (ضبط النفس) التي فرضتها على قوات (الهاغانا) والتي كانت تملي عليها الا تقوم بأي عمل حربي الا من قبيل الدفاع ، ذاكرا ان (الارغون) ما انشئت الا لتنفيذ عكس هذه السياسة .

ويقول ان قيادة الارغون عندما قررت بدء مهاجمتها للانكليز في أواخر عام ١٩٤٣ ، بحثت طويلا في هل تصدر بيانا باغراضها قبـل الشروع فـي الاعتداء ، او تقدم عليه مباشرة بدون مقدمات .. والأخـيرا قررت اصـدار البيان رغم ما في ذلك من اضاعة لعنصر المفاجأة الهام من الناحيـة الحربية ، وذلك لشرح مبادئها وتحديد مطالبها واهدافها التي تتلخص في تنبيه اليهـود

الى ان المعركة ستكون طويلة وتتطلب تضحيات جسيمة ، وابلاغ العالم انهـا ستقاتل بكل الوسائل حتى تتم اقامة حكومة يهودية في فلسطين تنتقل اليهـا سلطات حكومة الانتداب ..

وينتهي الى انه لم يعد بذلك مجال للتراجع امام اليهود .. فاما تحقيق اغراضهم ، او الموت .. ويقول :

(ان الفيلسوف الفرنسي ديكارت قـد نطق بكلمة بليغـة عندما قال : ـ افكر .. اذن أنا موجود ـ ولكن هناك اوقات في تاريخ الامـم لا يكون فيها التفكير كافيا لاثبات وجودها .. وقد تفكر الامة بينما ابناؤها يستعبدون رغم تفكيرهم او يبادرون في مثل هذه الاوقات تكـون الكرامـة الانسانية نفسها معلقة بالمقاومة ولذلك : اننا نحارب .. اذن نحن موجودون) ..

الستراتيجية اليهوديـة :

ويشرح بيغن كيف ان ثورة اليهود لم تقم على الاعتبارات العاطفية ، بل سارت على هدى من الواقع .. فقد قامت هذه الاستراتيجية الموجهـة ضـد الحكومة الانكليزية على قواعد رئيسية ثلاث اشبعت درسا ، عدا انها كلفت عدم محاربة العرب لها بقصر هجماتها على الانكليز واعلان العرب بعدم رغبتها في التحرش بهم ..

ويستطرد قائلا انه كانت هناك حركات وحوادث كبيرة وصغيرة وان لم تكن اعمالا عسكرية بالمعنى المفهوم ، فانها اصابت جذور هيبة الحكومة وربما كانت آثارها أقوى من الاعمال الحربية الناجحة ... مثـل اعتقـال الضباط الانكليز كرهائن ، وجلدهم وشنقهم ، فلم تؤد هذه الاعمال الى ازوراء رجال الحكومة البريطانيين في الجحور ـ شأن اليهود في اوربا ـ فحسب ، ولـم تزعزع هيبة الحكومة فقط .. بل ما لبث ان حطمتها في فلسطين ..

وبفضل اعمالنا اصبحت فلسطين كبيت من زجاج تنظر الدنيا الى مـا يجري في داخله باهتمام متزايد ، وكما كانت الاسلحة عدتنا في الهجوم ، كان

بيتنا الزجاجي درعا في الدفاع •• وبهذين السلاحين واصلنا كيل الضربات الى هيبة وكرامة حكومة الانتداب ••

التنظيم الداخلي لمنظمة الارغون •!

ثم يتحدث بيغن عن التنظيم الداخلي للارغون فيقول :

(•• كانت على رأسها قيادة عليا تشرف عليها هيئة اركان حرب ، وان المنظمة كانت مقسمة الى تشكيلات يتناسب عدد افرادها مع مقتضيات المعركة الخفية التي تخوضها ، وان عدد اعضاء المنظمة المتفرغين تماما لاعمالها لم يزد في أي وقت عن ثلاثين او اربعين عضوا يتقاضون مرتباتهم من المنظمة حسب حاجاتهم الاجتماعية لا مراكزهم في المنظمة ، فكان مجرد سائق بسيط ذي عائلة يتقاضى مرتبا أعلى مما يتقاضاه عضو القيادة العليا الاعزب ، بينما كان المئات من اعضاء المنظمة الذين ما لبثوا ان اصبحوا ألوفا يزاولون اعمالهم العادية في العلن وان كانوا جميعا تحت تصرف المنظمة في أي وقت تحتاج لهم فيه ••

وكان اغلب الاعضاء لا يعرف بعضهم بعضا ، كما لم يكن الجنود يعرفون ضباطهم الا عندما يخرجون معا للقيام بعمليات •• وكانت المنظمة تضمن المساواة التامة بين اعضائها من مختلف جنسيات اليهود ، بينما كان اليهود الغربيون بصفة عامة يزورون يهود البلاد الشرقية •• وكانت المنظمة تعتمد في تمويلها على ما تستولي عليه من معسكرات الانكليز ومن بنوكهم ، وعلى تبرعات اليهود في فلسطين وخارجها ، كما كانت المنظمة ـ بالاضافة الى تقسيمها الاداري والجغرافي العادي القائم على غرار الجيوش النظامية ـ تنقسم الى اربعة أجزاء هي :

ـ جيش الثورة ••
ـ فرق العاصفة ••
ـ فرق الالتحام ••
ـ فرق الدعاية للثورة ••

ويقول بيغن : (ان جيش الثورة لم يوجد قـط الا نظريا ، فقـد كانت الفكرة منه ان يؤلف احتياطي القوات ويضم جميـع اعضـاء المنظمـة غـير المشتركين في احد اجزائها الثلاثة الاخرى •• ولكن الذي حدث فعلا هو انه كان يتلقى المنضمين الجدد الى المنظمة فقط الذين كانوا يتلقون تدريبهم فيـه ثم ينقلون الى احد الاجزاء الاخرى ، ولم يكن له كيان مستقل •

فرق الصاعقة او الجيش الاسود •!

اما فرق الصاعقة ، او الجيش الاسود كما كانوا يسمونه ، فقـد كـان الغرض من انشائها هو تدريب جماعات على العمل في المناطق العربية ، سواء في فلسطين او خارجها ••

وكان اعضاؤها يختارون من بين المائلين الـى السمرة والذيـن تشبـه ملامحهم ملامح ابناء البلاد العربية ، وكانوا يتلقون دراسات خاصة في اللغـة ومختلف اللهجات العربية العربية ، وكانت نسبة كبيرة منهم من بـين يهـود الاقطار العربية • ويفرد بيغن لهذه الفرق اكثر من خمسين صفحة يتحدث من خلالها عن التكتيك والاستراتيجية واعمال هذه الفرق التي ارعبت الانكليـز وابقت قواتهم في حالة ذعر دائم ••

فرق الدعاية الصهيونية •!

اما فرق الدعاية فقد افرد لها بيغن الصفحات تلو الصفحات ، فهي التي تدافع عن تصرفات الارغون ، وهي التي تقلب الجريمة الى بطولة ، وهي التي تنشر الصور في العالم وتشرف على اعداد المقالات •• ويقول :

(كنا نعمل تحت الارض ، فتصورنا الدعاية وكانتـا نعمل مـن عـلى ظهرهـا ••)

قيادة العصابة الارهابية •!

ويروي بيغن كيف ان (ياكوف مريدور) كان قد تولى القيادة العليـا للمنظمة بعد مقتل قائدها الاول (رازييل) ثم لم يجد غضاضة في ان يتنازل له

عنها عند اختياره لها ، ورضي ان يكون عضوا في القيادة العليا تحت امرته ثم ما لبث ان وقع في ايدي الانكليز الذين نفوه الى اريتريا كما نفوا غيره من رجال الارغون الذين وقعوا في قبضتهم .. وبعد ان يعدد نواحي نبوغ اعضاء قيادة المنظمة الارهابية وكبار قواعدها يذكر ان الشاب الذي شغل مركز مدير عملياتها بعد اعتقال الضابط الكبير الذي كان يقوم بهذا العمل من قبل، وضع اكثر خطط العمليات الكبيرة التي قامت بها المنظمة .. وكان هذا الشاب يجمع بين صفتين قلما توجد في شخص واحد .. فقد كان لـه عقـل مفكر مخترع ، واستعداد قائد الميدان العامل المنفذ ..

الاستعداد لمحاربة العرب .!

في هذا الفصل يكشف بيغن عن انحطاط التفكير لديه ولدى معاونيه . انه يفاخر بوضعه نظاما دقيقا لمحاربة العرب لا يقوم على الاخلاقية ، انه لا يرى اي حرج من قتل اطفالهم ونسائهم لكي يدب في قلوبهم الخوف فيهربوا من فلسطين ويتركوها لليهود .. وهو يعزو الى نجاح العظمة في حربهـا ضـد العرب عدة عوامل منها السرية التامة التي كانت تراعيها في جميع اعمالهـا ، وتثبيتها المبدأ ان الفضول والتفاخر هما اعدى اعـداء السرية فـي اذهـان رجالها .. والى ان عملها السري كاد يكون مكشوفا .. فطبيعة المناطق التي يسكنها اليهود في فلسطين وخلوها من الجبال والغابات كانـت تحـول دون تجمع رجال المقاومة في أماكن بعيدة عن العيون وتضطرهم الـى العمل بـين السكان .. وكان في ذلك ميزة خاصة للاخفاء ، فقد كانوا يرون الكل ، ولا يراهم احد .. وكانوا ايضا يحرمون حمل الاسلحة عـلى الاعضاء الا عنـد القيام بالعمليات ، وكانت وجهة نظرهم في ذلك ان الاحتفاظ بميزة المبادرة في العمل التي كانت اهم مصادر قوتهم ، يتطلب عدم تعريض رجالهم للاضطرار الى خوض اية معركة مع السلطات الانكليزية الا حسب خطة موضوعة ..

ويقـول :

(ان المحافظة على اية حركة سرية تتطلب اكثـر مـن الاسماء المستعارة والاوراق المزورة ... انها تتطلب اولا وقبل كل شيء الاقتنـاع الداخلـي

بشرعية العمل الذي تقوم به ؛ وكان هذا الايمان هـو الـذي يحـول دون اضطراب اعضاء المنظمة عنـد التقائهم بدوريـات الانكليـز التفتيشية ، ومواجهتهم لاسئلتهم المحرجة المدققة وهو الذي يحفظ لهم ثبـات جأشهـم وتماسكهم ويستفيض بيغن في الحديث عن عمليات الاغتيال السياسي التـي نفذتها الارغون ، كما يستفيض بالحديث عن المجازر التـي افتعلتها المنظمـة داخل فلسطين ••• ويعتبرها من أساليب الحرب التي خاضتها المنظمة لجعـل العرب يخافون ••• ويقول :

لقد انتصرنا على الانكليز بالسرية ••• وعلى العرب بالوحشية)

كل هذا يشرحه بيغن في فصول الاساليب السرية للارغون ، وتعـاون الارغون مع عصابتي شترن والهاغانا •• وحين يأتي على ذكـر حرب فلسطين يقـول :

ان الحرب مع عرب فلسطين تطلبت القيام بجهود جبارة واسعة النطـاق خارج فلسطين ، لتجنيد اكبر عدد ممكن من شباب اليهـود وتجهيـز اكبـر كميات ممكنة من الاسلحة والمعدات وجلبها الى ميدان المعركـة التي تقـرر مصير الصهيونية ••• ويستطرد بيغن بأن الاستراتيجية العامة التي وضعتهـا القيادة العليا للمنظمة للحرب ضد عرب فلسطين ثم ضد جيوش الدول العربية كانت ترمي الى اربعة اهداف رئيسية هي :

ـ احتلال القدس ، ويافا ، وسهل الرملة ـ اللد ، والمثلث الذي تقـع على أطرافه مدن نابلس وجنين وطولكرم ، تمهيدا لفرض السيطرة اليهوديـة على كل الاراضي الفلسطينية على أقل تقدير ••

ولكن لم يتمكن اليهود من تحقيق اكثر من قسم واحد من هذه الخطـة تحقيقا كاملا ؛ وهو الشطر الخاص باحتلال يافا ، ومن تحقيق جزء فقط مـن قسم آخر هو الخاص باحتلال القدس ، فمع انهم احتلوا الجزء الاكبر منها الا ان بقاء احيائها خارج نطاق سيطرتهم يسلب العملية ميزة النجـاح الكامـل

ويحرم ما احتلوه منها ، بل ويحرم دولة اسرائيل كلها من الامان • (بعد ذلك وفي عام ١٩٦٧ تم لليهود تحقيق احلامهم وكان ميناحيم قد عين قبل حرب الايام الستة وزير دولة) هذا بعض ما يكتب عن مؤلف يحتوي على ٨٠٠ صفحة ••• وهناك الكثير الكثير مما يجب ذكره ولكن ليس هنا مكانه ••

ولعله يجدر بنا في نهاية المطاف ان نذكر المعلقين ، نذكرهم فقط ، ان المخابرات الاسرائيلية قد تشكلت فور قيام الدولة من عناصر العصابات الارهابية ، وفي طليعتها منظمة « الارغون زفاي ليومي » فمعظم الذين شغلوا المناصب الرئيسية في هذه المخابرات كانوا من قادة هذه المنظمة ، ولم يلتحقوا بعملهم الا بعد ان دخلوا كلية « غسل الدماغ » الذي كان يدرس فيها بيغن نفسه ، وهذه الكلية من مهامها اعادة المقاتل الوحش الى السوية البشرية •

زهيـر ماورديني

الــى المشتركين فــي العرفان

نظرا لارتفاع تكاليف اخـراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنـوء بحمله المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان نتدارك مـا يمكن تداركه وذلك برفع قيمة الاشتراكات فـي المجلة كما يلـي :

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية
٥ دنانير في البلاد العربية
١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربية
٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية
٥٠ دولارا جـوا للخارج
١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائـر والمؤسسـات الرسميـة والسفـارات والبنـوك والشركـات بالبريـد العادي
١٥٠ بالبريـد الجوي
واشتراك الانصار لا حـد لـه •

من حديث الفرسان في العهود الاقطاعية

بقلم : علي الزين

ثم اني استقطابا لكل ما يمت بالموضوع من اخبار وانطباعات وخصائص ارسلت صورة مجملة لما كتبته عن مظاهر الفروسية وتقاليدها لكل من الفاضل الشيخ عبد المحسن الظاهر والاستاذ رضا بك التامر وطلبت ملاحظاتهما وتعليقيهما على كل ما سجلته بتحفظ عن الموضوع باعتبار انهما ممن شاهدوا او مارسوا او تلقنوا هذه العادات والتقاليد في بيئة كان جل اعيانها مولعين بركوب الخيل وتعمير الميدان فبادرني الشيخ عبد المحسن بالرد التالي :

« صفوة الادباء فضيلة الاستاذ الشيخ علي الزين المحترم . اني مكبر لك ما اكبرته مني وعاطفة شوقي اضعاف عاطفة المشتاقين وتقديري لك فوق تقدير المقدرين نظرا لما ألمسه من حسن النقد وتتبع الآثار وبلاء التمحيص في جميع حوادث التاريخ .

طالعت رسالتك المنشأة عن صدق الاخلاص وثبوت الوداد . وطلبك مني بيان انواع الفروسية لعلمك اني عاشرت ممارسيها وملابسيها .

صحيح ادركت آخر عهدهم ، غير اني لم أشاهد من ذلك سوى اني سمعت من شيوخ العائلة (آل الصغير) بعض اوصاف عن الفروسية ولو جئت اصفها الآن لم آتي على بعض ما وصفتها وصورتها كأن السامع وصفها مثل مشاهد لها وجال في حلبتها لان الفكر الناضج والاحساس السليم يبدعان التصور وينمقان الوشي فيبهر الناظر ويطرب السامع وليس بعزيز على فضيلتكم ان تخرجوا لجبل عامل تاريخا جامعا لسائر أوضاعه من حروب وتقاليد وعادات فتكون عصاة الجريدة فيه كعصاة موسى واني لاشكر فضيلتكم على وضع الثقة بي في هذا المضمار مع اني لست من فرسان هذه الحلبة والله المسؤول بأن يوفقكم لما تأملون » .

في ١٠ آب سنة ١٩٦٧
عبد المحسن الظاهر

مشاهداتــي

شاهدت من انواع الفروسية السباق فهو كمـا وصفتموه ، وشاهدت ضرب الجريد ، ومنه (الطقلمة) وهي ان يطلق الفارس اثناء غارتـه الجريدة التي بيده الى الارض على رأسها فتعلو عن الارض مقـدار ذراع او اكثـر حسب قوة الفارس ومهارته ، وحين ارتفاعها عن الارض يقبض عليها وهـو غائر بفرسه .

وشاهدت من يضع رأسه على قربوس السرج ويرفع رجليه في الهـواء ثم يعود رأسه لما كان عليه والجواد غائر به ، في منتهى الجري ، وشاهدت من يجمع الاحجار ويضعها في الخرج والجواد غائر .

ورأيت من ينزل الى الارض عن الجواد ثم يعلو عليه والجـواد غائـر ورأيت من يعطي ظهره رأس الفرس ووجهه الى قفاها ثـم يعود الى مـا كان عليه والفرس غائرة .

* * *

مـن هوامش اخبـار الفروسية

وانواع الفروسية كثيرة وهذا الذي وصلنا من اخبارها ، فعهد الفروسية في زمن الشيخ ناصيف ، وحمد البك ـ بين ١٢٦٩ و ١١٦٣ هـ ـ كانت فيه الفروسية تشاهد عيانا بالواقع لا بالتمثيل . لخوضهما الغارات الحربية .

واما عهد التمثيل ففي زمن علي بيك وابن عمه محمد بيك الاسعد وأخيه خليل بيك حتى عهد كامل بك الاسعد . وهو آخر عهدها .

* * *

وفي عهد علي بيك ظهر تمثيل الفروسية بنصب الميادين في كل شهر او احتفال او مجتمع ، يقول الشيوخ من العائلة : كان علي بيك عالمـا (ملمـا) بأنواع الفروسية أخذ ذلك عن عمه حمد البيك ولكنـه لا يمارسها وشهادته فيها غاية ما يتنافس فيها ، وظهر من اولاده محمـد نجيب بيك جامعـا لعلـم

الفروسية وفنونها بالسيف والرمح والجريد ، وبعده أخوه ناصيف باشا (الاسعد) •

خليل بيك لم يكن محيطا بأنواع الفروسية نظير علي بيك وان كان اخوه محمد بيك في الطليعة ، ويصفه الشيوخ بأنه كان جريئا منيعا على الخيل وكان يحسن ضرب الجريد وخطأه فيها اكثر من صوابه ، والذي كان ممتازا ومشهورا في ضرب الجريد ، حسن بيك الفارس ، يروي الشيوخ له اخبارا بضرب الجريد شبيهة بالاساطير وبعده حسن بيك البندر وامتاز عن غيره بالجرأة والاقدام •

رغب خليل بيك ان يتقن اولاده انواع الفروسية حينما كان متصرفا (قائمقاما) بلواء نابلس (١) • وكانت هناك العشائر العربية فوضع لهم معلمين ؛ واتقن محمود بيك شيئا عنها وأقل منه عبد اللطيف وكامل بيك لم يرغب بذلك ، وامتاز بألعاب الرمح (في عهد خليل بيك) عبد الله بيك التامر، شاهدته ومعه الرمح حوالي سنة ١٣١٤ هـ ولم أشاهده في الميدان ، وبقي رمحه موجودا عند بعض أقاربه في قريتنا (الحلوسية) •

وفي عهد كامل بيك امتاز بالفروسية وتمثيلها محمود بيك وعبد اللطيف وناصيف باشا والشيخ حمد المحمود ، وفي عصر كامل بك ظهر التلاعب (البهلواني) في الميدان كالوقوف على الرأس وكالنزول عن الجواد واخذ الحجارة عن الارض وما شاكل ذلك •

والذين امتازوا بهذه الالعاب (البهلوانية) وأتقنوها اثنان : سليم محبوبي ؛ ومصطفى المحمود ؛ شاهدتهما رأي العين •

---

(١) يقول صاحب مخطوطة جواهر الحكم « انهم في ذلك العهد كانوا يسمون القائمقام متصرفا ولا يفرقون بينهما في الصلاحيات » . (لاحظ المخطوطة)

هذه غاية معلوماتي عن تمثيل الفروسية في جبل عامل (٢) .

ثم بعد هذا الرد من الشيخ المحترم جاءني جواب الاستاذ رضا بك بنصه التالـــــي :

« بيروت في أول أيلول سـنة ١٩٦٧ »

« أخي المفضال الشيخ علي : الود والاخلاص وبعــد ، تليت كتابـك وسرني منه انك في تمام الصحة والرفاهية ، أخي : لقد تمعنت بما يحتويه هذا الكتاب ، وعدت بذكرياتي الى سن الطفولة حينما كانت دروس الفروسية في الجنوب تمثل مركز الصدارة وكانت لها اساتذة لتلقينها ، وقد كنت من عداد التلامذة حتى بلغت درجة تقارب شهادة الاستاذ ؛ وانطلاقا من هــذا الواقــع وجدت عدم الجواب على مــا ورد بكتابك خطيــا لان هــذا يستلــزم وضع اطروحة ، وحتى أتمكن من اعطائك الاجوبة المثمرة يجب ان نجتمع اجتماعــا مطولا وعندئذ تدون معلوماتي فتأخذ منها ما تريد ، وتترك ما ليس لك مــن فائــدة فيهــا .

وأكون سعيدا اذا ما شرفتني الى التامرية ، وأنا لي حقوق عليك فاقبــل تسديدها بزيارة ، حتى اذا كانت حالتك المادية تمنع عليك من دفــع تكاليف الانتقال فاني على استعداد لتقديمها بالغة ما بلغت ؛

اذن عليك أن تخابرني هاتفيا الى التامرية وتحدد لي موعــد تشريفك ؛ والتامرية في هذا الفصل توافق مزاجك ؛ وجيراننا من آل الامين كثر ، نقضي الليل نستعرض ماضينا ونبكي على حاضرنا ونتكهن بمستقبلنا ؛ فــاذا مــــا منحتنا من وقتك ليلة واحدة كانت قاضية علينا او منقذة لنا ، فباسم آل الامين

---

(٢) لا يخفى ان الذين لموا بتمثيل الفروسية بهذا العهد كثيرون ، منهم طالب محبوبي ، وامه محبوبي ، واخته ، من قرية الطيبة ، ومنهم الحاج يوسف حيدر جابر مــن النبطية ، والشيخ علي زين من اليه ، والسيد عثمان خليل من عديسة والمعني وعلي افندي عبد الله من الخيام .

كما امتاز محمود بيك الفضل واسعد خه من النبطية بضرب الجريد وامتاز بهيج بك الفضل وسعيد افندي غندور بخيولة الرمح ، بل لمع بهيج الفضل في كل ميدان شاهدته به . (المؤلف).

وتابعهم رضا التامر ندعوك ولا نقبل لك عـذرا ، ونحـن بانتظـار تشريفك وختاما دم

المخلص
رضا التامر

***

وبناء على ما تضمنته هذه الرسالة للاستاذ رضا التامـر ، ذهبت الـى مزرعة التامرية واصغيت الى ملاحظاته وتعليقاته على مـا كتبتـه وصورته • فوجدت ملاحظاته ومعلوماته على تنوعها وتعدد صورها ، لا تختلف عن أدق ما سمعته من اعلام الفرسان في الجبل ان لم تفقها تنسيقا وتوضيحا ودلالـة على مدى معرفة الاستاذ بأصول الميـدان وشروطه وتقاليـده فـي الاوساط العامليـة •

***

من حديث الفرسان في المجالس العاملية

ثم اجتمعت بعد ذلك بالشاعر النابه السيد عبد الرؤوف الامين في قرية الصوانة ، وأطلعته على موضوع بحثي فاستصوب وحبذ ، ثم قال ألا تـرى لعلماء البلاد وادبائها من أثر او علاقة في صلب هذا الموضوع ؟

فقلت أجل ولكنها علاقة ثانوية ، تبدو لنا من خلال مـا كانوا يتحدثون به في مجالسهم ويروونه من الاقوال المأثورة والحكايات الطريفـة والشعـر المختار عن فضل الخيل وبيان فوائدها ووصف محاسنها والتنبيه الى عيوبهـا الممقوتة كروايتهم عن بداية تكوين الخيل « وأن الله لما اراد ان يخلقها قـال للريح : الجنوب اني خالق منك خلقا ، فاجعله عزا لاوليائي ، ومذلة لاعدائي وحمى لاهل طاعتي ، فقالت الريح اخلق ، فقبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له سميتك فرسا وخلقتك عربيـا وجعلت الخير معقودا بناصيتـك والغنائـم محوزة على ظهرك ، والعز معك حيثما كنت ، آثرتك على غيرك مـن الدواب وجعلتك لها سيدا ، وعطفت عليك صاحبك ، وجعلتك تطير بلا جناح ، فأنت للطلب وأنت للهرب ، ولما عرض على آدم ما خلق من اشياء وسماها بأسمائها

وقال له اختر من خلقي ما شئت ، فاختار الفرس ، فقال له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلد وباقيا ما بقوا ، بركتي عليك وعليهم ، ما خلقت خلقا احب الي منك ومنهم ، ثم وسمه بغرة وتحجيل .

وكما يروى من أن الحرب في الجاهلية والاسلام ـ لم تكن تعد المال الا الخيل والابل ، وكان للخيل عندها مزية على الابل فلم تكن تعدل بهما غيرها ، ولا ترى القوة والعزة والمنعة بسواها . لان بها كانوا يدافعون عن غيرها مما يملكون ، وبها كانوا يمنعون حريمهم ويحمون عن وراء حوزتهم ويضتهم ويغادرون اعداءهم ، ويطلبون ثأرهم وينالون بها المغانم ، فكان حبهم لها وعظيم موقعها عندهم على حسب حاجتهم اليها وغنائهم منها وما يتعرفون من يمنها وبركتها » .

***

ومن أنهم « لم يكونوا في الجاهلية ولا في الاسلام يصونون شيئا من أموالهم كصياتتهم للخيل ولا يكرمون شيئا ككرامتها ، لما كان لهم فيها من التباهي والتفاخر والتكاثر والقوة والمنعة والعزة والرفعة .

***

ومن ان النبي (ص) كان من ارغب العرب في الخيل وأصونهم لها وأشدهم اكراما وعجبا بها حتى انه ليأنس لصهيلها ويفضلها على الرجال فيما يسهمه لها ويراهن عليها ، وينهى عن استنتاج كرائمها من حمار او هجين لا يشبه اصله اصولها غيرة منه عليها واشفاقا من فساد لسانها » .

***

ويروى انه (ص) لما اتخذ الخيل وارتبطها واحبها وحض المسلمين على ارتباطها فسارعوا الى ذلك وازدادوا حرصا عليها وتنافسوا فيها وغالوا بأثمانها لما جعل الله فيها من انواع البركات وجماع الخيرات .

***

وكما يروى من انه (ص) قال :

« الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة ، واهلها معانون عليها والمنفق عليها كالباسط يده في الصدقة » .

***

وأنه قال : « خير الخيل الادهم الاقرح المحجل ثلاث طلق اليمين فان لم يكن ، فكميت على هذه الشيه » . وأنه قال : « اذا اردت ان تغزو فاشتر فرسا أغر محجلا مطلق اليمين ، فانك تسلم وتغنم » ، ثم روي عنه (ص) انه قال : « لو جمعت خيول العرب في صعيد واحد ، ثم ارسلت لكان سابقها أشقر » .

***

ثم ان علماءنا وادباءنا كانوا الى هذا كله يتحرون المختار من الشعر ويتمثلون بما يتضمنه من التنويه بفضل الخيل والمغالات في تكريمها وصونها، كقول اسماعيل بن عجلان :

ولا مال الا الخيل عندي اعده وان كنت من حمر الدنانير موسرا
اقاسمها مالي واطعم فضلها عيالي وارجو ان اعان واوجرا
اذا لم يكن عندي جواد رأيتني ولو كان عندي مال قارون معسرا

وقول الاشقر بن حوران الجعفي :

ولقد علمت على تجنبي الردى ان الحصون الخيل لا مدر القرى
اني وجدت الخيل عزا ظاهرا تنجي من الغما ويكشفن العمى
وتبيت للثغر المخوف طلائعا وتبيت للصعلوك غرة ذي الغنى

***

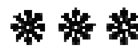
ومن الروايات المتداولة في هذا الباب ، قولهم « بأن الفارس من العرب كان يكره ان يعير فرسه الخاصة به لأحد ويتذمر من أن يركبها غيره خوفا من ان تفسد طباعها لتهاونه او جهله بالاصول المرعية ؛ ويستدلون لذلك بأن رجلا من بني تميم ــ وقد طلب منه الملك فرسا تسمى (سكاب) فمنعها منه وقال :

أبيت اللعن ان سكاب علق — نفيس لا تعار ولا تباع
مفداة مكرمة علينا — اذا نسيا يضمهما الكراع (١)
فلا تطمع ــ أبيت اللعن ــ فيها — ومنعكها بشيء يستطاع (٢)

التغني بمحاسن الخيل

ثم كانوا لا يكتفون بهذا النوع الخاص من الشعر بل كان النابهون منهم يتحرون ادق واعذب ما قيل منه في وصف الخيل وتمجيد الفروسية ليتغنوا به وطالما سمعتهم يترنمون بقول المتنبي :

ويوم كلون المدنفين قطعته — اراقب فيه الشمس ايان تغرب
وعيني الى اذني أغر كأنه — من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضله من جلده في اهابه — تجيء على صدر رحيب وتذهب
شققت به الظلماء ادني عنانه — فيطغى وارخيه مرارا فيلعب
وأصرع أي الوحش قفيته به — وانزل عنه مثله حين أركب
وما الخيل الا كالصديق قليلة — وأن كثرت في عين من لا يجرب
فان لم تشاهد غير حسن شياتها — واعضاءها فالحسن عنك مغيب



او يرددون باعجاب قول البحتري في وصف الجواد المعبر عن أصالته وعتقه :

---

(١) الكراع : فرس من كرام الخيل وجيادها المشهورة .
(٢) ابيت اللعن : كلمة تحية كانت العرب تحيي بها الملوك خاصة ، ثم ان الاصل في جملة (ومنعكها) ان تقال وتكتب ومنعك اياها باعتبار ان الضمير هنا يجب ان يكون منفصلا ووصله جرى على خلاف القياس ثم ان باء الجر في قوله (بشيء يستطاع) زائدة وبأن معنى البيت : لا تطمع حياك الله ايها الملك ــ في فرسي سكاب ــ والمحال ان منعك اياها او منعك منها او من ركوبها شيء يستطاع لي .

آمـا الجواد فقـد بلونا يومـه — وكفى بيـوم مخبـر عن عامـه
جاري الجياد فطار عـن اوهامها — سبقـا وكاد يطير عـن اوهامه
جـذلان تلطمـه جوانب غـرة — جاءت مجيء البدر عند تمامـه
واسود ثـم صفت لعيني ناظـر — جنباتـه فأضـاء فـي اظلامـه
مالـت جوانب عرفـه وكأنهـا — عذبات أثل مـال تحت حمامـه
ومقـدم الاذنين تحسب انـه — بهما يرى الشخص الذي لأمامـه
يختال في استعراضه ويكب في — استدباره ويشب فـي اقدامـه
واذا التقى الثغـر القصير وراءه — فالطول حـظ عنانه وحزامه (١)
وكـأن فارسـه وراء قذالـة — ردف فلست تـراه من قدامـه
لانت معـا طفـة فخيـل انـه — للخيزران مناسـب بعظامـه
وكأن صهلتـه اذا استعلى بهـا — رعد تقعقع فـي ازدحام غمامـه
مثل الغراب مشى يباهي صحبـه — بسـواد صبغتـه وحسن قوامـه
أو كالعقاب انقض مـن علياتـه — فـي باقـر الصمان أو آرامـه

أو يتمثلون لأقل بادرة حماسية بقول امرىء القيس :

وقد اغتدي والطير فـي وكناتها — بمنجرد قيـد الا وابـد هيكل
مكـر مفـر مقبل مدبـر معـا — كجلمود صخر حطه السيل من عقل

---

(١) الثغر : جمع ثغور وهي الحدود التي يكمن وراءها الاعداء ويطلقون منها غاراتهم ثم ان الثغر القصير يكون عادة ، بما وراءه من الاعداء المحصورين بمنطقة ضيقة ، اشد خطرا من الثغر الطويل الحدود لان تجمع الاعداء عند الثغر القصير اسهل وغاراتهم منه تكـون محدودة الطريـق ومتوقعة في كل حين . وعلى هذا يكون المراد بقول البحتري « واذا التقى الثغر القصير وراءه » اذا التقى اهل الثغر القصير بغاراتهم وراء هذا الجواد فانه عند ذلك يطول حزام سرجه وعنان لجامـه نتيجة للسرعة الخارقة التي يفرضها توخي الخلاص من غارة الاعداء ذلك لان الجواد الاصيل في مثل هذه المفاجأة يجن جنونه في العدو ويسف كالنعامة على وجه الارض فيمد كشحه ويبسط يديه الى الامام بسرعة لا تكاد ترى معها متى يحركهما وينتقل بهما من مكان الى مكان آخر ، وعندها لا بد له من ان يضمر خصره ويدق كشحه فيرتخي لذلك حزامه ويتسع عليه ويطول كما لا بد مـن أن يطول عنان لجامه لامتداد عنقه وراسه في مثل تلك الحالة من السرعة الخاطفة .

(الشرح بقلم : علي الزين)

لـه ايطلا ظبـي وساقا نعامـة وارخاء سرحان وتقريب تتفـل

***

ثم عن محاسن الخيل وعيوبها

هذا الى غيره من الروايات الشائعة والاقوال المأثورة والشعر المختـار الذي يحبب الخيل والفروسية الى عامة الناس وخاصتهم ويجعلهم يتنافسون في ارتباطها وفي ركوبها وفي الاشتراك مع الفرسان في حلباتها .

ولا أغالي اذا قلت ان ما كنت أسمعه بالامس من اقوال العلماء والادباء وتجار الخيول في بلادنا من ملاحظات وانطباعات عن خصائص الخيل وسمات محاسنها وعيوبها ، يوشك ان يكون صورة طبق الاصل لما أقرؤه اليوم فـي الكتب الخاصة من الاوصاف الدقيقة لمحاسن الخيـل وعيوبها . ومـن « أن الفرس الاصيل يجب أن يكون مجتمع الخلق متناسب الاعضاء صغير الـرأس طويل العنق غليظ اللبة دقيق المذبح دقيـق الاذنين طويلهمـا ، قائمهما مـع شدتهما ولطف طيهما كأنهما ورق الريحان وأطراف الاقلام ، طويل الخديـن أملسهما دقيقهما ، معتدل شعر الناصية ضيق القذال وهو موضع معقد العذار فوق الناصية ، واسع الجبهة ، أكحل العينين ، بارز الحدقة حـاد النظر واسع المنخرين اسودهما مستطيل مشق شدقيه ، مستدير الشفتين رقيقهما ، وتكون الشفة العليا الى الطول قليلا ، دقيق الاسنان مرصوصهما ، طويل اللسان أحمر اللهاة ، واسع الصدر عظيم اللبب ، ممتلىء القصرة ـ وهي أصل العنق ـ لين العنق طويله عالي الحارك (ما بين أعلى الكتفين) قصـير الظهـر مستويه ، عظيم الجنبين والجوف ، منطوي الكشح ، سائـل الاضـلاع مستوفـي الخاصرتين ، رحب الجوف مقب البطن ، مشرف القطـاة ـ وهـي مقعـد الفارس ـ مدور الكفل قصيره مستويه قصير العسيب ـ وهو منبت شعـر الذيل ـ تام الذيل أسود الاحاليل ، واسع المراث ـ مخرج الروث ـ غليـظ الفخذين مستديرهما غليـظ عظـم الساق مستوى الركبتين لطيف الوظيف ، وهو ما فوق الرسغ الى الركبة ، قصير الارساغ غليظها يابسها يابس العصب

محدود المرقوبين اسود الحوافر أخضرها مدور الكعبين مقعبهما ملتصق السنبك بالارض مرتفع النسور صلبهما لين الشعر لان لين الشعر في الحيوان والجوارح والدواب محمود يدل على القوة ويزيد في الفرس لين الشكير ـ وهو ما حول الناصية وحول العرف من الشعر الصغير الذي يشبه الزغب ؛ وذلك أن تجد لمسه تحت يدك مثل القز المندوف ـ فان وجدته خشنا لم يسلم ذلك الفرس من الهجانة .

وان يكون مع ذلك كله رافع الرأس ذكي الفؤاد نشيطا عند الركوب والحركة مختالا متدللا اذا مشى ينظر الى الارض بعينيه مع ارتفاع رأسه وانحناء عنقه » .

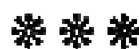
دليل الاصالة والعتق

ومن الادلة على الاصالة والعتق ما يروى من « ان سليمان بن ربيعة فرق بين العتاق والهجن بالاعناق وطولها فدعا بطشت من ماء فوضعت بالارض ثم قدمت الخيل اليها واحدا واحدا فما ثنى سنبكه ثم شرب هجنه وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا .

ويستدل على جودة الفرس في حضره وسرعة عدوه ، بسمو هاديه (عنقه) وثبات رأسه وأن لا يستعين بهما في جريه (وذلك بأن يمدهما الى الامام) وأن تجتمع قوائمه فلا تفترق ويكون كأن يديه في قرن ورجليه كذلك حسب قول المتنبي :

رجلاه في الركض رجل واليدان يد　　وفعله ما تقول الكف والقدم

ويبسط ضبعيه (عضديه) ويمد كشحه حتى لا يجد مزيدا قصوا عن يديه وقبضا من رجليه ، والقبض ان لا يمكن رجليه من الارض وانما يأخذ منهما بأطراف حوافره ويكون بسرعة قبضه كأن حوافره دفعا في رفغيه ويسلخ بيديه ويضرح برجليه في اجتماع كأنه يرفع بهما قائمة واحدة ويضبح بصدره ولا يختلط ولا يلهو عن حضره » .



الخصال الذميمة في الخيل

ومن العيوب المتفق عليها « أن يكون الفرس (عضوضا) وذلك بأن يعض كل من يدنو منه ما عدا سائسه ، أو أن يكون (نفورا) وذلك بأن لا يثبت لمن أراد القرب منه ، أو أن يكون (جرورا) وذلك بأن يجرر الرسن ولا يطاوع قائده ، أو أن يكون جموحا وذلك بأن لا يرده اللجام من جريه وعدوه، أو أن يكون حرونا وذلك بأن يمتنع الفرس عن المشي ويقف بموضع واحد ، وقد يتوتد ولا يبرح مكانه واذا ضرب ليمشي ضرب برجله ، او ان يكون (حيوصا) وذلك بأن يميل براكبه عن الجهة التي يريدها صاحبه ، او ان يكون (عثورا) وذلك بأن يكون كثير العثار براكبه ، او ان يكون (رموحا) وذلك بأن يضرب برجليه أو أن يكون شموسا وذلك بأن يمانع كل من يحاول ركوبه ، او ان يكون (كموصا) وذلك بأن يلتوي براكبه حتى يسقط عن ظهره او ان يكون (شبوبا) وذلك بأن يرفع يديه ويقوم على رجليه ، او ان يكون (قطوفا) وذلك بأن يمشي مشيا يشبه الوثب .

يروى ان بعض العرب سأل ابنا له أي الخيل ابغض اليك ، فقال : « البطيء الثقيل ، الحرون ، الكليل الذي ان ضربته قمص ، وان دنوت منه شمس يدركه الطالب ويفوته الهارب » .

ومن قبيل هذا القول ، قول البها زهير يصف بغلة لبعض اصدقائه وصفا ينطبق بمضونه على بعض الخيول الاصيلة بأنسابها الهجينة بخصالها الممقوتة ، ولكي لا تلتبس الصورة ينبغي ان تغير من قول الشاعر (لك يا صديقي بغلة) بما يسدد قصدك من القول :

لك يا صديقي (مهرة) ليست تساوي خردلة
تمشي فتحسبها العيون على الطريق مشكلة (١)

---

(١) مشكلة : اي مقيدة ، بقيد خاص تقيد رجل الفرس بطرف منه ويدها بالطرف الاخر ، ويربط الطرفين جنزير غليظ بطول باردة او اقل .

وتخــــال مدبــــرة اذا ... مـــا أقبلت مستعجلـــة
مقــدار خطوتهــا الطويلــة ... حــين تســرع انملـــة (٢)
تهتــز وهـــي مكانهـــا ... فكأنمـــا هـــي زلزلـــة
اشبهتهـــا بـــل أشبهتـــك ... كـــأن بينكمـــا صلـــة
تحكي صفاتـــك في الثقالـــة ... والمهانـــة والبلـــه

الامثـــال الشائعـــة بيـــن الفرســـان

من الامثلة المستوحاة من تنوع الخيول في جبل عامل وحرص بنيه على اصالة ما يقتنون منها قولهم « كحيلة وحجتها برقبتها » .

يضربونه مثلا عن كل فرس أصيل جهل الناس اصلها ونسبتها الى كحيلة العجوز ، او غيرها من كرام الخيل ، ذلك انهم قلمـا يشترون فرسا للركوب خاصة الا اذا كان معها شهادة بصحة نسبتها الى احدى بطون الخيل المشهود لها بالاصالة والعتق ، مثل (العبية ، وصقلاوية الجدران ، وكحيلةالعجوز ، والهدابة أو المعنقية) الى غير ذلك من الخيول المشهورة بما اضيف اليها مـن نوادر طريفة في دنيا الفروسية ومحترمة في عالم الفرسان (١) .

هذا ما يذهبون اليه في مقام الجد ، وقد يستعملون هذا المثل المتهكـم وذلك حين يغالي صاحب اي دابة بدابته ويزعم بأنها من احسن انواع الخيـل أو انواع البغال او الحمير او غيرها مع كون دابته في الحقيقة والواقع مـن احقر افراد ذلك النوع وأخسه ، فيسرع اليها زئون الساخرون من زعمه الـى قولهم نعم هي « كحيلة وحجتها برقبتها » .



(٢) ومما شاهدت بمثل هذه الخصال المفوتـــة فرسان اصيلتان بانسابهما جميلتان جـــدا بتكوينهما الجسدي ، فرس حمراء كانت عند ال الامين في قرية مجدل سلم ، وفرس مثلها كانـت عند ال متبرك في قرية ارزي وكل من الفرسين حين تركبها ولو لمسافة قصيرة تشعرك بكل مـا لبغلـة الشاعر بهاء الدين زهير من خصال ذميمة وتخال انهما المعناتان دونها بذلك الوصف البليغ .

(١) لاحظ الصفحة ٢٦٠ من دواني القطوف والصفحة ٤٨ من سراج الليل في سروج الخيل .

ومنها قولهم (الكحيلة ما يعيبها جلالها) •

يضرب مثلا لكل جميل واصيل في صنفه وحقيقته قد عيب بما يكتنفه من البسة رثة او هنات طارئة ، او نعوت ثانوية كالفرس الجميل وسرجه رث بال ، ولجامه مقطع •

ومنها قولهم (نصف الفرس اطباعها) •

يعني ان نصف الفرس المهنوي والمادي يكون بأطباعها ، أي بترويضها وقصرها على احسن الخصال في المشي وسرعة العدو والاستجابة لاشارة فارسها لدى الاستعراض ، او في الكر والفر ، والاقبال والادبار ، وما الى ذلك من حالات ومظاهر محببة في جياد الخيل •

***

ومنها قولهم : (الفرس من الفارس) •

يعني ان الفرس في جميع مظاهرها وحركاتها الرشيقة الانيقة تتبع لفارسها وراكبها ، فاذا كان راكبها بارعا في الفروسية والميدان برعت الفرس في جميع حركاتها ومظاهرها كرا وفرا واقبالا وادبارا واستعراضا لبراعته واذا كان راكبها قاصرا او جاهلا بأصول الميدان وانواع الفروسية اضطربت حتى في مشيها العادي وساءت سيرتها بين الناس •

***

ومنها قولهم : (الكحيلة بتعرف خيالها) •

ولعل هذا المثل مأخوذ من قول الشاعر :

والخيل عالمة ما فوق اظهرها   من الرجال جبانا كان او بطلا

***

ومنها قولهم : (خيال حرفوشي) •

يضرب هذا القول مثلا للمبالغة في براعة الخيال في الميـــدان وانــواع الفروسية ذلك بأن امراء الحرافشة كانوا مضرب المثل في الفروسية والسيطرة على اعنة الخيل في أي ميدان فنسبة الخيـــال اليهم تكون غايــة في مـــدح فروسيته وقد سمعت وانا صغير امرأة قروية تندب كبير اسرتها وتقول فيمـــا قالت عنـــه •

يــا مهرتو بأرض الفـــلا شوشي مهرة مؤصلي وخيـــال حرفوشي

فالمراد هنا بـ (شوشي) : انطلقي على مـــداك في غايـــــة السرعـــة • وبـ (مؤصلي) أي انها مشهود لها بالعتق وكـــرم الاصل • وبـ (حرفوشي) انه غاية في الفروسية وقوة المراس •

***

ومنها قولهم : (الفرس قلوق والخيال لألوه) •

يضرب مثلا للتناقض بين حال الفرس وحـــال راكبها • اذ المـــراد هنـــا بـ (لألوه) ضعيف مضطرب ، والمعنى ان الفرس حديد الطبع يضطرم قـــوة وحماسة وان الخيال ضعيف عاجز لا يصلح لمثل فرسه •

***

ومنها قولهم : (اللي ما عند عيلي يقني لو خيلي) •

يضرب مثلا للترفيه وملء الفراغ • اذ المقصود بالخيلي هنـــا الفـــرس الاصيل فانها كانت فيما مضى تدلل وترفه في بيوت السراة كما تدلل الاولاد الصغار ويبذل في سبيلها كل غال ورخيص من خدمة وعلف وعـــدد فاخرة •

فهي بروعتها وزينتها ومعزتها تشغل صاحبها او تلهيه وتفتنه عن غيرها من مباهج الحياة وفتنها حتى الاولاد والعيال انفسهم •

❊ ❊ ❊

ومنها قولهم : (نهمو حصني وشباه حمري) •

يضرب مثلا للخداع والغش ، ذلك بأن المقصود من (نهمو) نهم فرسه: أي عرضها على الحصان او عرض الحصان عليها حتى اذا استرخت وظهر ميلها للفحل شباها ولقحها حمار ، وهذا منتهى الغش والخداع لدى من يحرصون على اصالة النسل وصفائه في سلالة خيولهم •

❊ ❊ ❊

ومنها قولهم « فلان يلجم الفرس من طيزها »

يضرب مثلا في الحمقى والجهلة وقصيري النظر ، عندما تأتي اقوالهم وافعالهم ، ونظرياتهم ، في غير محلها أو تكون مخالفة لمقتضى الحال والواقع •

❊ ❊ ❊

ومنها قولهم « ما في الميدان الا حميدان » •

يضرب مثلا عند الاضطرار لمبترة من هم دونك كفاءة ومكانة او عند الاضطرار لمصاهرتهم او مصاحبتهم او مساجلتهم او تكليفهم بما هو فوق طاقتهم •

علي الزين

عبد الحميد بن باديس

باني نهضة ومنقذ أمة

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

التصميم على ابتلاع شخصية الجزائر :

ما رأيت كلمة جمعت معنيين متناقضين ككلمة استعمار ، اذ يعرضها العصر اللغوي طمأنينة وسعادة وعمرانا ، ويعرضها الواقع سيف نقمة بيد شعب او شعوب متحالفة حصلتا على عنق شعب او شعوب متماثلة .

طليعة الاستعمار الحديث :

الاسبان والبرتغال ، جارتان تشدهما روابط الجوار واللغة والروح ، وقد حجب التنافس التجاري أواخر القرن الخامس عشر بعض صفائهما فأمر الكرسي البابوي باطلاق يد الاولى في أميركا والثانية في الشرق .

اتخذت هذه الشواطي العربية مدخلا وأخذت تشحذ نيوبها لتقطع من الهند مفحص قطاة ، فمست يد الحسد انكلترا وهولاندا وفرنسا ، وكانت الجزائر من ضحايا التطاحن ووقوفي عنده لا يعني تفضيل سواه اذ لا نرى فرقا بين مستعمر وآخر لانهم يجتمعون بنقطة الاستنزاف .

مكافحة العلم :

غزا نابليون مصر عازما على تذرية المصريين واتخاذهم حقلا للتجربة فأعلن في مذكراته ان مصر تتحمل عددا أكبر ، ولاحظ القوة المعنوية التي يستمدها المصريون من الازهر بل ورأى الازهريين يقودون فرق المقاومة ، وسمع رجالها ونساءها يرددون (الله اكبر) فضاعف نقمته على الازهر وسمر بابه وراقب شيوخه ولوث مقدساته (١٤) !!!

وما هي الا اعوام حتى أخذ خلفاؤه ينفذون بالجزائر ما عجز عن تنفيذه بمصر ؟

التجهيــــل :

أخذت فرنسا منذ لامست قدمها الجزائر ، تدفن منابع الثقافة ومراكــز الفكر المزدهرة فدفنت بقسنطينة ، وحدها ٧٩ مدرسة !!!

وارت نحو الفي مدرسة ابتدائية وثانوية وعالية ، وجمدت حتى مهمــة معلمي روضات الاطفال التي لا تتجاوز تلقين سورة الفاتحــة وقصار السور ، وطاردتهم حتى الشعاف وبطون الاودية والاحياء المتوارية • نفــذوا منهاجــا أفضى لمحو التعليم ، ورموا الجزائر بقبري التطرف : اما الجهل واما امتصاص لبان العلم من ثدي ملوث كالمدارس التي تتنكر لشخصية الجزائــر ، وامــا حدائق اطفال تلقن قصائد تؤجج الروح القبلي وتحض على الانتقام من اعداء الداخل وتردد : (اذا أصبحنا فرنسيين فان الله أراد لنا ذلك ، ولو أراد كسر فرنسا لفعل لكنه يمدهــا ببعض قوتــه الالهيــة ، فلنحمد اللــــه ولنخضع لارادتـــــه) (١٥) •

يعني ان حجب شخصية الجزائر بسحق مقوماتها ، أمر الهي ، وما عـلى الجزائريين الا مقابلته بالرضا والتسليم ، بل والتصفيق !!!

أمرت فرنسا بحفر هذين القبرين ونقشت منهما مــا يحول دون التقــاء الجزائريين الا على صعيد تشييع جثمان الجزائر • نفثت الالحاد الذي دعتــه علمانية ، ومهدت له بتشويه الاسلام والتشكيك بأصوله اذ نفذ وقته ومــات تأثيره لانه لا يحث على العلم ولا يفتح صدره للتطور ، بــل يعرقل ويجمــد وييبــس !!!

ورغم هذا الرمي القاصم ، اخذت جرائدها تمن على الجزائريين بحريــة العلم وتصف المتنكر للاسلام والعرب بالمتحضر المتفتــح التقدمي المنطلق ذي التفكير الحر ، اما الذي يفسر آيــات الجهاد تفسيرا سليما ، فمتخلف جامــد مغلق مقلد فاتته قافلة الادراك !!!

هذا التوجيه الممعن بالصولة ، انشأ جيــلا متغايرا يتقن التحدث عــن

حضارة فرنسا ومهمتها التمدينية ويبتل فرنسا من العرق العربي ويربطها بقدماء الغالبين ولا يكاد يعرف عن العرب الا الهزيمة في يواتيه •

مغالطة الاحصائيات الرسمية :

الطارؤن على الجزائر او المستوطنون كانوا عام ١٩٦٢ لا يتجاوزون ثمانماية ، وحدهم المحظوظون المقربون الفائزون بالنجاح في المدارس ، ونجاحهم بالتحديد يساوي أربعة أضعاف الوطنيين • فاذا أعلنت الاحصائيات ان نسبة النجاح في مدارس الجزائر تساوي كذا ، فانها تعني الطارئين •

اما الجزائريون الاصليون ، فسواد أطفالهم يتخذ الشوارع ملاعب والطرقات ملاهي وصفهم الشيخ الابراهيمي بكلمة (المشردين الضائعين) •

واذا اضطرت فرنسا لصيد الذين يهجرون مدارسها لعدم تدريس العربية ، علمت اللهجات العامية اذ رأيناها عام ١٩٤٧ تقيم لها مدرسا • طبعا حرمان الجزائر من العلم تمهيدا لاستلال العربية من لسانها والاسلام من قلبهما •

على ان الخاثين من الفرنسيين انفسهم ، نددوا بسياسة دولتهم ، وحملوها تبعة خسارة قلوب الجزائريين ، وأفاضوا بأنباء نهب مكتباتها ومنها مكتبة الامير عبد القادر نفسها (١٦) وأعلنوا ان الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي ، كانت تفوق فرنسا ازدهارا علميا ، اذ نسبة الاميين بفرنسا نفسها عام ١٨٣٠ كانت ٤٥٪ (١٧) ولم يفت جريدة اللواء المصرية الصادرة في ٢ اكتوبر ١٩٠٢ ان تشير للعنت الفرنسي ، ومجلة البلاغ البيروتية ان تقوم بتحقيق محترم نشرته في ٩ و١٦ من كانون الاول ١٩٧٤ •

رمتنا بداء الجهل وانسلت :

دخلت فرنسا الجزائر فلم تجد أميا ، وخرجت تاركة تسعين من مئة مصفودين بأغلال الامية •

اما العشرة الباقون ، فبعضهم يهودي او مستوطن او جزائري تناول لبنا من كأس ملوثة ، او هاجر للخارج فتعلم على حسابه !!!

تصور سواد الجزائر الامي ، الذي يتكلم العامية المخلوطة بالفرنسية ، فيقول بالصلاة (نويت اصلي كاتر ركعة) !!!

مصادرة الاوقاف والجوامع :

ما زال يتعاون على خدمة العلم في الجزائر الدولة والاوقاف والمتبرعون من الشعب ويصعدون من الابتدائي للثانوي المنتظم حتى الاحتلال الفرنسي ، الذي صادر الاوقاف منذ عام ١٨٣٠ فهدم سارية كانت ترفع راية العلم .

والارتفاع بالعلم صعودا لا سيما في المغرب نظام قديم ، توقف لـه الاوقاف وتقدم له الخدمات ، وان دعيت المدارس الابتدائية كتاتيب ، اذ نرى بعقلية وصدها ــ بصفتها احدى اعضاء المغرب حينذاك ــ ثلاثمئة كتاب .

الكتاتيب مدارس بدائية ، اما الثانوية والجامعية ، ففي الجوامع التي تصل لدرجة جامعات ، اذ يترقى بها الطالب من حلقة لحلقة ، فيمنحه رئيس الحلقة شهادة او اجازة كدليل على صلاحه للحلقة الاعلى .

ولعل اوقاف الجزائر تأخذ الصدارة بغناها وضخامة ريعها ، اوقفها المحسنون على مختلف أوجه البر والاحسان كالمساجد والمدارس والربط والمستشفيات والحرمين الشريفين ومساعدة الفقراء والعجزة والمغتربين من طلاب العلم (١٨) .

صودرت في الجزائر جملة وتفصيلا وهي ــ علاوة على العقارات ومنها في العاصمة وحدها نحو ثمانية آلاف عقار نحو مليوني هكتار من اثمن الارض ، وضم لها أملاك الداي والذين ينضمون للثورات .

على أن بدعة مصادرة الاوقاف الذي فازت فرنسا بعارها ، تذكرنا بأنها عاهدت الامير عبد القادر على احترام المساجد وأوقافها وشعائرها لكنها بعد

شهر فحسب احالت جامع كيتشاوه (جامع مدينة الجزائر الكبير) كاتدرائية ، وهو اول جامع ذاق مرارة التحويل .

وفي عام ١٨٣٧ وبمناسبة استسلام قسنطينة ، أحالوا جامعها كنيسة ، ثم تتابعت الاحالة لكن بعضهـا كنائس وبعضها نـواد وثكنات واصطبلات ومراكز تبشير يحشر بها القسيس الاطفال المشردين الضائعين ويتخـذ شعاره كلمـة (بيجو) .

نصرهم يا ابي كيلا يطلقوا النار علينا بالمستقبل !!!

ولا غرابة بسلب الجوامع اذ هي ـ حسب تعبير بيجو ـ تنير مـا ينيره الازهر والزيتونة والقرويين .

وهكذا أتت يد الدهر على المساجد ، وما ان جاء عام ١٩٦٣ حتى اصبح لليهود وحدهم ٤٥ معبدا وهم لم يكونوا عـام ١٨٣٠ يتجاوزون ثلاثين الف نسمة ، وللمستوطنين الاجانب ٣٣٧ كنيسة ولم يكن لهم عام ١٨٣٠ وجود اما المسلمون وهم الملايين ومئات الملايين الذين كان لهـم بقسنطينة وحدهـا ٣٥ مسجدا فلم يبق لهم الا (١٩) مسجدا متواضعا .

اما خطباء الجوامع الباقية ومدرسوها ، فمرتزقة من فتات مائدة سكرتير الامن العام الفرنسي ، اذ هـو رئيس مجلس الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وقد حصر حق الخطب والتدريس والامامة بعيونه وآذانـه الذيـن يفوزون بالخطب مكتوبة ويفعلون ما يؤمرون !!!

المرابطـون :

الربط او الرباطات في الاصل ، مكان يقيم فيه المرابطون اي المنقطعون للدفاع ثم اطلق على مكان عرف باسم زاوية مشتقة من الانزواء ، يشتمل على مسجد ومطبخ ومكتبة وغرف هجوع ، يأوي لها الطلاب المنقطعون للدراسة والمسافرون القائمون برحلات علمية او فكرية .

اما مناهجها فتشبه الدراسة الابتدائية والمتوسطة والعالية ، وان كانت هذه تنحو نحو الازهر والزيتونة والقرويين اي تتوسع في دراسة الفقه والحديث والتفسير والسيرة النبوية ، وقد تضم لهذا تمارين عسكرية واستخدام اسلحة •

الربط والزوايا بعهد استعمار الجزائر :

دخل الاستعمار الجزائر وبها ثلاثمائة وخمسون رباطا او زاوية ، تضم نحو ثلاثماية الف نسمة ، فأخذ تنفيذا لتخطيط تفتيت شخصية الجزائر المبيت المحص المدروس منذ عهد لويس التاسع ثم نابليون الاول اخذ يستعين بطلائعه خالقي الشوائب ، امثال ماسينيون ويشجع المفاهيم الهدامة كالجبر والارجاء والتواكل ، والزعم ان الاستعمار جاء بمشيئة الله وسيذهب بمشيئته ويخيل الصبر على الكوارث واجبا ينال صاحبه الاجر ، ويدعو هذه المفاهيم المسمومة تصوفا اسلاميا ، بل ويقاوم ــ تحت ستار الدفاع عن المتصوفة ــ يقاوم الجمعية الداعية للكتاب والسنة ويدعوا قطابها وهابيين وزاعمي اجتهاد ومنكري كرامات الاولياء •

وكلما غلا المتصوفة بالسلبية تجاه الجمعية كلما أمعن الاستعمار بمساعدتهم وسخر الجرائد لخدمتهم ، واقام نفسه حكما عنهم واصدر بنتيجة النقاش بينهم وبين الجمعية القرار التالي :

(خريجو الازهر والزيتونة والقرويين لا يدرسون الشريعة) •

يعني ان الشريعة لا تعدو ما يرد في زوايا المتصوفة !!! وحال بعض المتصوفة ــ او حاولوا الحيلولة ــ دون العودة للكتاب والسنة وعرقلوا النهضة وخلقوا الصراع ، لكنهم كشفوا انفسهم بالانحياز للغزاة ومكنوهم من المرابطة في ثغرة الاختلاف ، وأبوا حتى الوقوف على الحياد ، واستعصوا على التخطيط الحكيم الذي يود لو انتفع بما بقي لديهم من جذور اسلامية وعربية ليوجهها لخدمة الاسلام والعرب والجزائر •

بهذا السعي الناعم الذي بذل له الاستشراق المدخول فكرا ومالا ووضع تمه مطية لوزارة الحرب .

بهذا تباعد الشقان : الداعون للكتاب والسنة وحماة الشوائب التي دعوها تصوفا فاتخذ الاستعمار هذا التباعد ثغرة يرمي بها الشقين او الشقيقين وما ان احس المتصوفة بمرارة الهزيمة حتى حاولوا اغتيال ابن باديس بيد شخص يحمل في عنقه مسبحة طويلة !!! لكن ابن باديس عفا عن بطل تلك المحاولة فحمل حتى اعداءه او جلهم على الاستعانة بخدمة الجمعية .

لا جديد :

وقف المصرون على الدفاع عن التصوف في طريق منهاج الجمعية كما وقفوا بعهد الامير عبد القادر ينفذون ارادة يهودي زعم المهدوية (٢٠) لكن الجمعية سارت في طريقها ورددت (كنا قبل التدرع بمذهب السلف نخاف اما اليوم فقد اصبحنا نخيف) .

اذن فالزوايا في الاصل آلة خير وان لوثها التوجيه الماسنيوني المستتر بالتصوف . لقد استعصى بعضها على ذاك التوجيه وأدرك ان عدم الالتقاء بالكتاب والسنة يضاعف تجهيل الجزائر ويطيل أمد عبوديتها ، فحافظ على مهمته لا سيما بتعليم العربية وساهم بالدفاع عن الجزائر عمليا (٢١) .

ـ فوز بالدكتوراه ـ

❋ فاز السيد سعد ناجي جواد بشهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة لندن ، وهو فوز صادف اهله ومحله ، والذين سروا بهذا النبأ وشاركوا الدكتور سعد الفرحة كثيرون ، لان والده الاخ ناجي قد زرع المحبة والمودة والاخوة في قلوب وصدور الكثيرين من عراقيين وعرب ومسلمين في جميع انحاء المعمور ، تهانينا للدكتور سعد ، واطال الله بعمر والده الجواد .

تأثير نهج البلاغة في الأدب العربي

بقلم : سلمان هادي الطعمة
عضو رابطة الادب الحديث في القاهرة

يحسن بنا أن ننوه ان نهج البلاغة تراث فكري وأثر أدبي خالد أثرى الادب العربي والانساني بلآليء حكم الامام علي وبديع ألفاظه ، ولا شك ان الامام علي بن أبي طالب (ع) خير ما تمخضت عنه الانسانية في مثالية الانسان فلقد كان أقدر الناس بعد النبي محمد (ص) على صياغة الكلم البليغ .

يعد نهج البلاغة من أعظم الكتب الاسلامية شأناً ، وأرفعها قدراً ، جمع بين دفتيه عيون البلاغة وفنونها ، وعرفت منزلته بين الكتب وسمت مكانته لدى رجالات البيان والادب وباحثي الآداب العربية في كل العصور . يقول جامعه الشريف الرضي في سبب تأليفه : « يتضمن من عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام امير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها ، وعنه اخذت قوانينها وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب ، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتأخروا » (١) . ضمنه الامام كلما يصح حال الانسانية ويرفع من قيمها المعنوية ، كما ضمنه اختيار محاسن الخطب ثم محاسن الحكم والادب مفرداً لكل صنف باباً . ولعل الفصل الاخير يعد فصلاً رائعاً جداً لانه يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في الحكم والامثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة كما يتضح ذلك من مقدمة الكتاب .

وللسيد الشريف الرضي ابو الحسن محمد بن الحسن الموسوي اليد البيضاء في التتبع والاستقراء والجمع والاختيار ، فقد ظهر فضله لحسن

---

(١) راجع (شرح نهج البلاغة) لمحمد عبده ـ الجزء الاول ص (ج) .

الاختيار والتبويب ، وعمد الى ما هو الاصح في الاسناد ، فثبت ما هو أفصحه لفظا ، وأبلغه معنى ، وأجله حكمة ، وأحسنه عظة ، اذ هو الاليق الاحرى بأن ينسب الى سيدنا امير المؤمنين عليه السلام امام الفصحاء وسيد الخطباء وأفصح الخلق بعد رسول الله .

لنهج البلاغة في عالم العلم والادب موقع مرموق ، وهو سبب شدة اعتناء الادباء والمستشرقين بهذا الاثر النفيس الذي جمع فأوعى من ضروب البلاغة وأساليب الفصاحة ومحاسن الكلام المصاغ أحسن صياغة ، وكيف لا يكون هذا الكتاب خاصا لأشتات المحاسن ، وقد اختاره السيد الشريف الرضي وهو المعروف بحسن الاختيار والابتكار من كلام أمير المؤمنين احكم الحكماء وأبلغ البلغاء .

اما كون نهج البلاغة مطابقا لاسمه ، فقد أصبح غنيا عن الاستدلال لانه قد أقر المخالف والمؤالف بأنه ابلغ كلام بعد القرآن الكريم والحديث الشريف . وأما مناهجه وأساليبه فهي من أعجب ما نسج عليهما كاتب فمن وصف الله وتمجيده الى وصف أهل البيت عليهم السلام الى وصف حاله مع مناظريه الى ذكر الزهد والورع الى اختلاف العلماء في الفتيا الى وصف المنافقين الى تصوير الدنيا والآخرة الى عهوده لعماله وأعجبها عهده الى مالك الاشتر .

وقلما نجد شاعرا له نظرة في الحياة ، او قول في الحكمة أو شغف في لفظ رصين الا وجدت شعره يتفيأ ظلال نهج البلاغة ، لما له من الحكم التي تأخذ بمجامع القلب ، فهو عظيم المناقب ، جم الفضائل ، ومن أبرز ما يتميز به النهج هو وضوح الاسلوب ، وحسن المقصد ، وجزالة الكمات ، والمعنى المحدد الذي لا يحتمل معنى آخر . ويستخدم المحسنات البلاغية بصورة سائغة عذبة كالجناس والطباق وما الى ذلك . أما المادة الادبية التي يضمها الكتاب فانها تتسم بسلامة الاغراض والقيم ، وتستوعب المفاهيم الخيرة وابتعادها عن السفاسف والركاكة . لذا فقد حظي بالنصيب الاوفر من حيث اقبال العلماء والادباء والعارفين من العرب وغيرهم على الانتهال من هذا المنهل

العذب والارتشاف من معينه الذي لا ينضب • وقد شهد به الصحافي الشهير الاستاذ أمين نخلة وهو من افاضل المسيحيين مخاطبا من رجاه انتخاب (المائة) من كلمات الامام علي عليه السلام قال : (وليس بين يدي الآن من كتب الادب التي ترجع اليها في مثل هذا الغرض الا طائفة قليلة منها انجيل البلاغة (النهج) فرحت أسرح اصبعي فيه ولله لا اعرف كيف اصطفي لك المائة من مئات بل الكلمة من كلمات الا اذا سلخت الياقوتة عن اختها الياقوتة ، ولقد فعلت ويدي تتقلب على اليواقيت وعيني تغوص في اللمعان فما حسبتني اخرج من معدن البلاغة بكلمة لفرط ما تحيرت في التخيير) (٢) •

أما ترسيسيان وهو من فضلاء الارمن ، فهو الآخر الذي يدلي برأيه الصريح زاعما تفوق نهج البلاغة على كل كلام لكثرة ما فيه من السهل الممتنع الذي لا يوجد في سواه وانقياد الاسجاع فيه بلا تكلف (٣) •

ويرى عميد الادب العربي الدكتور طه حسين ان كتاب نهج البلاغة ليس كله للامام علي كرم الله وجهه ، فالنصوص المنسوبة للامام علي في هذا الكتاب يغلب عليها طابع الصنعة وما كان الامام يخطب الامر نجلا كعادة العرب جميعا • ويقول العميد ان في بعض كتب التاريخ مثل الطبري والبلاذري خطبا للامام علي وهذه يمكن قبولها وصحة نسبتها اليه • ثم أليس من الغريب ان تكون الاحاديث قد رويت بالمعنى والمسلمون احرص عليها من أي كلام آخر • ويقال بعد ذلك ان هذه الخطب المنمقة للامام علي فضلا عن شيوع كلمات في هذا الكتاب لم تظهر الا في زمن المتكلمين والذي يرجحه ان نهج البلاغة من تأليف الشريف الرضي والمغفل هو ابن ابي الحديد ، لانه يعتقد ان ما يشرحه استطرادات لا معنى لها (٤) •

---

(٢) ما هو نهج البلاغة ؟ للسيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني ١٣٨٠ هـ/١٩٦١ م ص ٥ •

(٣) المصدر السابق/ص ٧ •

(٤) مجلة (العربي) الكويتية/العدد ٢٠٧ (صفر ١٣٩٦ هـ ـ شباط ١٩٧٦ م) ص ١٤٦ ـ تعليقات واقوال مأثورة لطه حسين •

تصدى الكثيرون فشرحوا نهج البلاغة ، وأطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من الاسرار ، وما حوى من الالفاظ العربية الغريبة الجمة حفظا تنسق فيه المعاني تنسيقا يسهل حفظها على ما يريد استظهارها . وان احسن الكلام اقربه الى الطبع وانفذه الى القلب .. هذا فضلا من ان هذا السفر الجليل لا يستغني عنه من رام اكتساب البلاغة في القول ، والارتقاء في مدارجها العليا ، والتدافع الى نيل الادب .

ولعل شرح ابن ابي الحديد والامام محمد عبده كافيان في هذا المقام ، فالاول يمثل الشروح القديمة ، حيث تناول نهج البلاغة وأخصبه وأضاف اليه عطاء ثرا ، والآخر يمثل العصر الحديث ، ويشكل جزءا من المهمة الكبرى التي كان يجاهد في سبيلها ، وهي مهمة البعث والاحياء لشريعة الاسلام ولغة الناطقين بالضاد في انظف عصورها ، وأصفى مواردها . ومن خلال سعيه لتحقيق هذه المهمة أعجب بما في الكتاب من روعة البيان وسمو المعاني وجزالة التعبير ، ولكنه رأى ان اكتمال الفائدة منه لا تتأتى الا بتقريبه من مدارك الشباب بشرح الغامض من ألفاظه ، وتوضيح الصعب من تراكيبه وتعيين المراد من اشاراته . والاثنان مجمعان على ان ما في دفتي النهج المشروح هو من قول الامام علي بن ابي طالب (ع) لذا جاء تأثيره الادبي عظيما في جميع العصور ، وقد استفاد الادباء ورواد الفضل منه ونحوا نحوه ، وجميع اقوالهم تدل على تأثيره البليغ في كتاباتهم ونهجهم الادبي ، وآخر هؤلاء عميد الادب العربي طه حسين وامام البيان مصطفى صادق الرافعي . كما ترجمت فصول منه الى بعض اللغات الغربية والشرقية ، فلم تخل منه مكتبة عربية أو اعجمية ، لما له من قيمة علمية وادبية واجتماعية .

سلمان هادي آل طعمة
كربلاء ـ العراق

الياس فرحات ... ثورة
في سبيل الاصلاح والوحدة العربية

بقلم : وديع ديب

لم يمض على أفول الشاعر شفيق المعلوف شهران من الزمن ، حتى فجع الادب العربي بفقد شاعر لا يقل عنه منزلة ولمعانا . هو الياس فرحات أحد كواكب العصبة الاندلسية التي سطعت أنوارها في سماء مدينة ساو باولو (البرازيل) ، ولكل منها آمال ضوئية تقصر أو تطول بنسبة ما قدر الله لها .

وكان من رسالة فرحات أن يجري في مدار المعري وجبران حينا وفي مدار امين الريحاني حينا آخر من حيث الدعوة الى نبذ التقاليد الاجتماعية التي تباعد بين مواطن ومواطن وبين قطر عربي وآخر وأغلب الظن أن رغبة فرحات في نبذ التعصب الديني والاخذ بأسباب الحضارة العلمية هي من وحي بلدته كفرشيما وجارتها الحدث اللتين أنجبتا فريقا من الادباء والعلماء من أمثال سليم تقلا مؤسس جريدة الاهرام ، وشبلي الشميل صاحب المقالات الفلسفية والاجتماعية ويعقوب صروف صاحب مجلة « المقتطف » ومؤسسها وهي أول مجلة عربية عنيت بالعلوم وما يتصل بها من اختراعات واكتشافات . ومن أمثال الشيخ ناصيف اليازجي أحد أساطين اللغة العربية في عصر النهضة وكذلك ابنه الشيخ ابراهيم اليازجي النافخ الاول في بوق الحرية والاستقلال :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طما الخطب حتى غاصت الركب

ومن هؤلاء أيضا الاديب العالم أحمد فارس الشدياق .

وغني عن البيان أن فرحات لم يكن الاول في ما دعا اليه . فقد سبقه الى ذلك شاعر صنو له هو الشاعر القروي أمد الله في حياته وهو اليوم في التسعين من عمره ويكبر الفقيد في نحو خمس سنوات . مع أنهما عاشا

كتوأمين متلازمين . فانت لا تستطيع ان تذكر أحدهما حتى تتذكر الآخر وقد شاءت الاقدار أن يغتربا عن لبنان في زمن متقارب وأن يعيشا معا في البرازيل شاعرين مغتربين تجمع بينهما الاماني الواحدة وتتلخص في أن يريا لبنان وسائر الاقطار العربية في مستوى واحد من حيث التقدم والازدهار وفي ارتباط واحد واتجاه واحد من حيث الاهداف القومية على أن ترتكز هذه الوحدة على أسس قويمة من العلمنة التي لا تفرق بين مواطن وآخر مهما يكن لونه العقائدي أو الديني أو السياسي بحيث يكون أبناء الوطن الواحد متساوين في الحقوق والواجبات .

ولا أكون مغاليا اذا قلت بأن فرحات كان أشد شعراء المهجر تحمسا لهذه الدعوة من الاصلاح الاجتماعي بدليل ما في رباعياته من هذه النماذج الانسانية كما في قوله :

ما كان في ماضي الزمان محرما فتعذر التمييز والاصلاح
فالفتك فن والخداع سياسة وغنى اللصوص براعة ونجاح
والعري ظرف والرياء تمدن والكذب لطف والفساد صلاح

***

ومنهـا :

فيم التقاطع والاوطان تجمعنا قم نغسل القلب مما فيه من وضر
ما دمت محترما حقي فأنت أخي آمنت بالله أو آمنت بالحجر

ان معرفتي بالشاعر ترجع الى عهد الدراسة في الجامعة الاميركية والتدريس فيها وكنت قبل عودة فرحات الى لبنان سنة ١٩٥٩ أتبادل معه الرسائل الادبية التي تمت الى الادب المهجري بصلة مباشرة ذلك انني وضعت في عام ١٩٤٠ رسالة في أدب أمين الريحاني وفي عام ١٩٤٥ رسالة في موضوع الشعر العربي في المهاجر الاميركية . كذلك كانت صلتي بجميع أدباء المهجر كما يشير الى ذلك الاديب حبيب مسعود في كتابه « ما أجملك يا لبنان » وهنا

يجدر بي ان أنوه بما كان يكنه الشاعر لوطنه لبنان من محبة واعجاب برغم ما عرف له من أبيات تشف عن كره لموطنه هذا . انه لم يكره لبنان وانما كره ما كان يجري فيه أحيانا من تنكر للوحدة العربية وكأني بشاعر لبنان الاخطل الصغير يكشف له عن وجه الحقيقة : يوم رثى فيصل ملك العراق ، في البيت التالـــي :

خذ بهمس القلوب في اذن الحب ودع عنــك كاذبـات المزاعـم

ومن المؤكد عندي ان فرحات لم يقصد الاساءة الى وطنه الاصغر لبنان وانما تمنى له ان يكون في طليعة الاقطار العربية تقدما وعلما وتسامحا عـلى حد قول عمر ابي ريشة :

علـم اللـه مـا انتقدتـك الا طمعا ان تكــون فـوق انتقادي

وانني ما أزال اذكر لفرحات الابيات التالية وهي من قصيدته التي القاها في بلدته كفرشيما بعد غياب نصف قرن من الزمن في تلك الحفلـة العامـرة التي أقامها نادي الادب والرياضة في باحة مدرسة كفرشيما تكريمـا لشاعرها الكبير وقد تكلم في ذلك المهرجان الادبي الكبير نحو من خمسة عشر اديبـا وقد أسعدني الحظ في ان أكون واحدا منهم . وكـان عريف الحفلـة طالب جامعي ناشىء من كفرشيما هو اليوم الدكتور خليل نهرا من اساتذة مستشفى الجامعة الاميركية ببيروت وقد ذكر عن لسان أبيه ، الذي كان لمـدة لفرحات صديقا ورفيق صف في مستوى الحداثة ، نوادر بارعة من «زجله» ضحك لها الحضور كثيرا . ومنها الردة التي قالها لمعلمه الاب مـارون مداعبـا وكـان حضرته يعطف عليه بالنظر لذكائه وحداثته وهي :

شــو هالصبـــاح الملعـــون مصيبــة بتــلات مصيبـات
خــوري ومارونـــي ومــارون يــا تعتــيرك يــا فرحــات

وكان من خطباء الحفلة الذين اتذكر اسماءهم : فؤاد صروف .

وكانت كلمة صروف على كثير من العمق في التفكـير والروعـة فـي التصوير ، اقتطف منها بعض ما جاء في مقدمتها . قال حفظه الله :

« منذ ثلث قرن ، بعيد رحلتي الاولى ، الى الشق الشمالي من الاندلس الجديدة ، حيث نعمت بضياء كوكبة من زهرها ، تناهت الي من شقها الجنوبي آيات عبقريات لبنانية عربية شاعرة أصيلة الموهبة . فكان من بواعث غبطتي الادبية والوطنية ان يكون « المقتطف » منبرا لها . ولكن حسرة ظلت تساورني ، لان الدهر لم يواتني على رحلة تالية الى الجنوب . وكرت السنون ، وكأنها تتعمد ان تباعد بيني وبين من كنت أتوق اليه ، فظللت اكتفي بالبريد على مضض ، حتى اتيح لي ، في بعض السنوات الاخيرة ، ان اجتمع بصيدح وقنصل وشفيق ورشيد وهأنذا اليوم ، بين يدي فرحات ، امنية قد تحقق بعضها ، رباه رد ذخائرنا الينا » .

اما قصيدة المحتفى به فكانت على غاية من صدق العاطفة ، وكأنما هي صدى لقول ابي تمام :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى   ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى   وحنينه أبدا لاول منزل

وكان مستهل قصيدته :

سلبت لي الاقدار بعد حران   واغاضني عما فقدت زماني

ومنها :

لبنان يا وطن الجمال تحية   تغشى ربوعك مع شذى نيسان
يا مهد احلام الشباب ومصدر   الحب البري، وهيكل الايمان
اني أراك فتى أشد فتوة   من عهدك الماضي فكيف تراني ؟

الى قوله :

أنا ما أتيتك واعظا بل شاعرا   متغزلا بجمالك الفتان
ولنحن نأبى ان نرى لك راشقا   الا بماء الورد والريحان
انا نريدك قبة في هيكل   متشامخ متماسك البنيان
حتى يكون لنا ونحن أعزة   وطن نتيه به على الاوطان

وفيما أذكر ، ان الحفلة اقيمت برعاية الشيخ عبد الله جابر الصباح وزير المعارف الكويتي الذي دعا على أثر نهايتها ادباء الحفلة واصدقاءهم الى وليمة عربية تقام عشية في قصره الصيفي ببلدة العبادية في جوار عاليه وقد أحب جانب من الحضور ان يستمع الى الشاعر مفردا قبل ان تزدحم صالونات القصر الكبير بالضيوف المدعوين ويتلهى الناس بألوان الطعام والشراب وكان من بين المقاطع التي تليت الابيات التالية :

اني لالمح من خلال دموعي ... صورا طواها البين بين ضلوعي
صورا يجسمها الخيال مضاعفا ... عطشي ورؤية من أحب رجوعي
أربوع أحبابي لانت وان نأت ... بي عنك مركبة الزمان ربوعي
أنا في الخريف وما ذكرتك مرة ... آلا شعرت برجعة لربيعي

وأذكر انه في اليوم الثاني من هذا المهرجان الادبي دعانا الشاعر الى بيت أبناء أخيه في بيروت الكائن في حي مار الياس وهم السادة جوفر وايلي وميشال وفي زاوية من مجلس آل فرحات الكرام ، همست في أذن صديقي الشاعر ، هل توفر الك بعض الوقت لصاحبة قصيدتك الرائعة « خصلة الشعر » فأجاب وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، يؤسفني ان تكون قد توفيت قبل وصولي الى كفرشيما في نحو ثلاثة أشهر وأردف قائلا : على انني زرت الجدث ووضعت عليه اكليلا من الورد . وبعد فلعله من الخير ان اثبت هنا شيئا من قصيدته تلك تدليلا على وفائه لمن أحب وهو الذي عرف بالاخلاص والوفاء لوطنه وأبناء قومه .

خصلة الشعر

خصلة الشعر التي أعطيتنيها .. ... عندما البين دعانا بالنفير
لم أزل أتلو سطور الحب فيها ... وسأتلوها الى اليوم الاخير

***

خنت عهد الحب لا بأس فاني ... مكتف بالاثر الغالي الثمين

لست بعد اليوم أحيا بالتمني بعد أن منيتني عشر سنين
أحمد الله فيا الاخلاف مني انني كنت لك الصب الامين
راجعي سيرة حبي راجعيها فهي نور ساطع للمستنير
واذا مرت بك الريح سليها انها تعرف من أمري الكثير

وهكذا تجري هذه القصيدة في سياق الموشحات الاندلسية شفافة الحرف بريئة الملامح مهجرية السمت وقد ألبسها الشاعر وشاحا من اللهفة والحنين •

وديع ديب

ـ كتب وردت للمجلة ـ

١ ـ الوثائق العربية : وهي مجلة سنوية يصدرها الفرع الاقليمي العربي للمجلس الدولي للوثائق ، ويرأس تحريرها صديقنا الاديب الكبير الاستاذ سالم الآلوسي الامين العام للمركز الوطني للوثائق في بغداد وهو من هو في علمه وادبه وفضله ووطنيته ونشاطه •

٢ ـ رحلتي الى افريقيا العربية ـ تونس الخضراء ـ ولـلاخ الاستاذ ناجي جواد مؤلف هذا الكتاب وهو الاديب المحامي الساعاتي هواية في الرحلات ، ومن مآثره انه يكتب عن كل بلد عربي يزوره حيث يجد فيه معارفه واخوانه لانه سفير ادباء العرب في العراق •

٣ ـ خزائن الكتب في كربلاء : يدل عنوان الكتب عليه ومؤلفه هو الاستاذ السيد سلمان هادي آل طعمة المؤلف الاديب الشاعر النشيط وخصوصا في نشر ادب كربلاء وشعرها في الخافقين •

مع الخالدين

ألفريد تينسون (١٨٠٩-١٨٩٢)

بقلم : سمير شيخاني

قرية صمرسبي الانكليزية تستريح على شكل كوب بين المروج الخضراء، وحولها تنتصب وسط الضباب الكنائس الرمادية الابراج ، كأنهـا تخفرها ؛ فاذا ما ترددت أصوات النواقيس حسبت البخور يتصاعد في السماء فيلفها ؛ ومن وراء كل ذلك رأيت الامواج تكر في البحر الصاخب غير بعيد عن هـذه القريـة الجميلـة .

ولكن الدكتور تينيسون كاهن صمرسبي — ورجلا طويل القامة ، قوي البنية ، راجح العقل أنشأ اولاده تنشئة رفيعة ، وزرع فيهم أفكاره في جو من الصفاء والهدوء البعيد عن ملاهي العالم . وقد أنعم اللـه على هـذا الكاهن الطيب بأسرة من اثني عشر فردا . وكان ألفريد الابن الاكثر قـدرة وبراعـة وذكاء ، فضلا عن خياله الخصب المتألق ؛ ففي ذات يوم من شهر آذار ؛ هبت ريح مجنونة عصفت بالحديقة ، فهرع طفل الخامسة لمواجهة عناصر الطبيعـة الهوجاء . ملوحـا بيديه ، صارخـا : « انـي أسمع صوتـا يتحـدث فـي العاصفة ! » وحتى في طفولته ، كان يتجاوب بشغف مع الموسيقى ، وايقـاع القوافي الشعرية . وفي الخامسة عشرة من عمره نزل عليه نبأ وفـاة الشاعـر اللورد بايرون نزول الكارثة الرهيبة ، فأظلم صباح حياته المرح المشرق ؛ وعلى صخرة بالقرب من منزله حفر هذه العبارة « لقـد مـات بايرون » ، مؤكـدة بالانفعال الصادق ...

كان ألفريد تينيسون ، داخليا ، بركانا مضطربا من العاطفة . وخارجيـا أنثى دماثة الكبت وتصرف الارستقراطيين . فقد ربي وترعرع في جو قاعـة الاستقبال حيث الرقة واللياقة والادب كانت انصاف الآلهة التي تقطن ذلـك

المنزل ، وحيث غرائز العصيان والتمرد كانت محرمة ، تماما كما « الهياكل العظيمة في خزانة الاسرة » •

فلما بلغ العشرين من سنيه كان ، جسديا ، أشبه بنصف اله ــ طويل القامة ، مهيب الخلقة ، يتجلى النبل في ملامحه وعلى جبينه ، واسع الصدر ، طريقته في المشي أو الوقوف ، او الجلوس هي طريقة الملوك وقد وصفه صديقه السياسي غلادستون بأنه « كان من أجمل الرجال منظرا في العالم » • وقلما كان يتكلم في المجتمعات ، بل كان يعتصم بالصمت الغامض بحيث يخيل للناظر اليه أنه أمام مهبط الوحي والحكمة ، ولم يكن ليقطع حبل الصمت الا عندما كان يطلب اليه تلاوة أشعاره • وعندها ، كان يسحر سامعيه بجمال انشاده ، وقد أورد أحد أصحابه مرة هذه الملاحظة من فرط اعجابه به : « ليس من العدل ، يا ألفريد ، أن تكون في آن معا ابولون وهرقل ! »

وقد بدأت حياته الادبية بملحمة شعرية من ٦ آلاف بيت نظمها وهو في الثانية عشرة من عمره ، ووضع مسرحية شعرية وهو في الرابعة عشرة •

كان تنيسون محظوظا اذ ولد في أسرة رفيعة الثقافة ، تملك خزانة كتب قيمة • درس في بادىء الامر على والده الذي لم يرسله الى الكلية الا بعد أن صار بوسعه ان يتلو عن ظهر قلب كل قصائد هوراس • وفي كلية ترينيتي ، في جامعة كيمبريدج ، أنشأ عددا لا بأس به من الصداقات التي لم يفصم عراها الا الموت • وكان من اصدقائه الحميمين ويليام ثاكري ، وويليام غلادستون ، وتوماس كارلايل وغادر جامعة كيمبريدج ، ليبدأ رحلته الطويلة على دروب الحياة والسنين • غير أن حدثا مفاجئا قطع روتين حياته السار المرضي • فبعد شهر واحد من عودته من الجامعة ، دخل مكتب والده ، فألفاه جثة بلا روح • وطوال ليال بعد الدفن لازم ألفريد سرير والده الراحل على أمل « رؤية شبحه ، ولكن لم يظهر أي شبح » • لقد كان الموت مغامرة أزعجته ، وفي الوقت نفسه ، حيرته • لم يكن نشازا بل كان ايقاعا غامضا جديدا في سنفونية انفعالاته وأحاسيسه • لقد اختطف وجودا عزيزا ، ولكن

ترك مكانه هدوءا وسلاما مقدسين ، وتوقفا موقتا عميقـا صامتا في انشودة الحياة الابدية .

خلال تلك الايام ناقش ألفريد سر الموت مع صديقه الحميم ورفيق الدراسة . زميله الشاعر آرثر هلم . وكان آرثر خطيب اخته اميلي السوداء العينين ، وشقيقه الروحي ، وكثيرا ما كان الشاعران الشابان يقضيان الليل في التدخين متعمقين في « أسرار الآلهة » ، وغالبا ما كانت اميلي تنضم اليهما فتعزف على آلة الهارب ، في حين يستريح شقيقها مع أفكاره ، وحبيبها يغذي عينيه النهمتين بالنظر الى وجهها .

وذات ليلة ، عندما تلاشت الالحان الموسيقية ، مال ألفريد الى صديقه وحدثه عن يأسه الفكري ، قال : « ان شعراء آخرين يواجهون سر الحياة ويتحدونه : في حين اني ألعب وحسب مع أصدقائه » . وقد أشار الى أن آرثر كان يستطيع أن يرى السر الابدي بوضوح اكثر ، هذا السر الذي يمنح الحياة فنا عظيما ، وحياة للفن . ويقول مخاطبه : « انك تتلمس بثبات طريقك نحو ايمان محدد . وستصل حتما باذن الله تعالى ، اني أرى ذلك جليا في شعرك ! » .

وقام آرثر بزيارة قصيرة لفيينا ، فكتب الى تنيسون رسائل حارة شيقة عن صالات ومعارض الفن في تلك المدينة التي تضم لوحات رائعة لجيورجيوني ، ورفاييل ، وتيسيان . وذات يوم انقطعت رسائل آرثر . وبدلا من الرسالة المعتادة وصلته بطاقة قصيرة من والد آرثر يقول له فيها : « صديقك ، يا سيدي ، آرثر هلم ، رحل عن هذا العالم » .

كان تنيسون جالسا الى مائدة العشاء عندما وصلته هذه البطاقة ، فلم يمس الطعام ، ومن خلال الدموع التي فاضت بها عيناه استشعر كذب الكتابة المحزن ، فكيف يمكن للمرء ان يقول « لم يعد له وجود ؟ » ولمسته اصبع الله ، فنام .

كان على الشاعر الآن أن يواصل وحده البحث والتنقيب • لقد أثقل عليه الحزن ، فانتزع منه في فترة قصيرة نسبيا شخصين حبيبين الى قلبه أحبهما حبا كثيرا ، هما أبوه وصديقه ، وتبين له عدم صدق المثل القائل « ان الدنيا تقبل بلطف على اولئك الذين يتحلون باللطف » • ذلك بأن اللطف ليس الا الوجه الآخر لعملة الالم • والحكمة هي ابنة الحزن • وبقدر ما كان الانسان في تنيسون يزداد شقاء ، كان الشاعر فيه يصبح اكثر سموا • فلقد وجه نفسه وجها لوجه أمام ذلك الجبار المقنع الغامض الذي يسمى « القدر البشري » • فلقد جوبه بالتحدي لكشف القناع اذا استطاع الى ذلك سبيلا• وكثيرون قبله سجلوا اسماءهم على لائحة النزول الى ساحة المعركة ضد المحارب المجهول • فخاضوا المعركة بشجاعة ، وأبلوا بلاء حسنا بدا في بعض اللحظات ان يعدهم بالنصر في النهاية ، ولكنهم دحروا حتى الآن •

أما تنيسون فقد صمم على النجاح ، وذلك في بالتأمل الهادىء • وفي سبيل توفير هذا الجو انتقل مع والدته وسائر أفراد الاسرة الى منزل فخم في غابة ايبنغ ، حيث راح وسط حديقة فسيحة تضم بركة خاصة يستكشف أعماق تفكيره الصامتة • الا أنه لم يقصر أيامه على التمرين الذهني وحده • فبفضل بنيته الرائعة وقوته كان شديد الولع بالطبيعة والهواء الطلق ؛ فكان يقوم بالنزهات الخلوية الطويلة صيفا ، وبالتزحلق على البركة المتجمدة شتاء ، ولكنه كان دوما ؛ سواء في الهواء الطلق او بين أربعة جدران ، يواصل تخطيط الافكار ، وايقاعات أبياته الشعرية • ذلك بأن كلمات الشاعر ينبغي أن تقوم بوظيفة مثلثة : ينبغي أن تزود العين الداخلية باللون ، والاذن الداخلية بالموسيقى ، والقلب الداخلي بالامل !

ففي أشعاره الاولى قصر عن هذا المثال • ذلك بأنه عبر عما في نفسه بأسلوب ممتلىء بالحيوية والحماسة عكس عدم نضج في التجربة والاختبار ، وأحس النقاد بهذا العيب في شعره ولكنه سرعان ما وضع نصب عينيه شعارا جديدا سعى الى التقيد به ، وهو : « لجم كل جنون النمرة ، وقتل كل عواطف الافاعي » • فلما تحدث بعد ذلك لقي تجاوبا كبيرا من آلاف القراء • وكان قد بلغ الثالثة والثلاثين عندما نشر مجموعته الشعرية التي تضم

« يولسيس » و « موت آرثر » ، و « لانسلوت وغوينيفير » ، و « لايدي شالوت » . وقد دهش كل النقاد أمثال كارلايل ، وفتز جيرالد ، وسبيدنغ ، وأصدقاؤه لتطوره الشعري . وقد أورد المفكر الاميركي ايمرسون هذه الملاحظة دونما تردد : « ليس ثمة أذن أرهف حسا ، ولا سيطرة على اللغة أكبر ، من اذن تنيسون وسيطرته » . وعملا باقتراح عدد كبير من ذوي النفوذ منحه البلاط الملكي مرتبا سنويا . ومنذ ذاك رأى تنيسون شروق شمس شهرته .

وانهمك في مناقشة احدى أهم المشاكل الرئيسية في ذلك الوقت ـ الوضع الادبي والفكري للمرأة في المجتمع المتحضر . ففي العهد الفكتوري في انكلترا كان « الجنس الضعيف » ينظر اليه نظرة القاصر بالنسبة الى القانون ، وفي كثير من الاحيان كالملك المنقول او الاثاث في المنزل الزوجي . وكتب تنيسون « الاميرة » ، وهي قصيدة يستبق فيها مسرحية « بيت الدمية» الشهيرة للروائي النرويجي هنريك ابسن ، فيدافع عن الاستقلال الروحي والفكري للزوجة في الشراكة الزوجية ؛ وتتلخص هذه القصيدة بأن الاميرة « ايدا » تثور مع وصيفاتها على تقاليد العصر السائدة ، ويتبعن دورة تربوية متحررة في أكاديمية ، ويتأهبن لولوج حياة تحرر من قيود الحب ، والزواج ، والحياة المنزلية أو العائلية . ومع ذلك ، عندما يصدر نداء الى غرائز الامومة فيهن ، تراهن يعدن الى الحظيرة ، ذلك بأن أي نهاية أخرى لم تكن لتحظى برضا جمهور الشاعر .

ثم ، ان تنيسون انهمك بعد ذلك بمشاكل يومه الدينية . وغالبا ما كان يزور ضريح زميله وصديقه آرثر هلم القائم بالقرب من مكسر الامواج « على الحجارة الباردة الرمادية » . وهناك ، وعلى ايقاع موسيقى الامواج ، وتحت السماء الامتناهية ، سمع « الاصداء الرقيقة العذبة » لمرثاه . فراح يدون كلمات مرثاته الشهيرة الرائعة « الذكرى » ـ من أجل آرثر ، تماما كما كان يريدني أن أكتبها . وكثيرا ما كان يتلو هذه الابيات الشعرية ، مع تطور النظم والكتابة ، على مسامع صديق بين آن وآن ، فيتهدج اذ ذاك صوته ، ويرتجف بالانفعال ، وتترقرق الدموع في عينيه وتنسكب على وجنتيه .

وشيئا فشيئا راحت قصيدته « الذكرى » تتطور من تعبير عن حزن شخصي الى فلسفة حياة كونية . فلما انتهى منها قال يصفها : « ان هذه القصيدة هي بالاحرى صيحة الجنس البشري بأسره أكثر منها صيحتي ! » .

والآن ، ما هي قصيدة « الذكرى » التي تعتبر أروع ما قيل في الرثاء في الادب الانكليزي بعد مرثاة « ليسيداس » لملتون ؟

***

و « الذكرى » ، هي النشائد الخالدة التي نظمها شاعر الانكليز ألفرد تنيسون تذكارا لحياة صديقه آرثر هلم ، وقد ظهرت سنة ١٨٥٠ ، وقد ترجمها الاستاذ أنيس المقدسي رغبة منه في تقديم صور هذا الشاعر الكبير الى أبناء العربية ، ليروا ما يتجلى فيها من معاني الشعر الحديث الذي هو العامل الاكبر في تهذيب الامم وترقية الجنس البشري ـ على حد قول المترجم .

وهذه الآن بعض ابيات الفاتحة ، من قصيدة « الذكرى » لتنيسون :

ايها الحب في سماء الخلود يا ابني رب الاكوان ذا السلطان
لم نشاهدك نحن في ذا الوجود سافر الوجه باديا للعيان
غير ان الايمان يهدي خطانا ويرينا ما لا ترى العينان

***

أنت ابرعت هذه الكائنات ووهبت الحياة للاحياء
وعليها قضيت حكم الممات لا مفر من حكم هذا القضاء
ثم دست الحمام حتى ترينا أن من خلقه الوجود الثاني

***

ما لنا غير ثابت الايمان كيف نرجو بالعقل فهم الكمال
يدرك العقل ما ترى العينان والذي لا يرى بعيد المنال

منك ايماننا فزده اتقادا وبهاء يا مصدر الايمان

* * *

ان حزني على الحبيب الفقيد لشديد ومهجتي في اتقاد
لا تلمني لضعف قلبي العميد واختبالي من هول هذا البعاد
هو حي وفي جنانك ربي سأراه أولسى بسكن جناني

* * *

في سنة ١٨٥٠ خلف اللورد ألفريد تنيسون وليام ودرزورث في أمارة الشعر في انكلترا .

رفض تنيسون لقب بارون مرتين : من الملكة فكتوريا سنة ١٨٦٥ ، ومن دزرايلي سنة ١٨٦٨ . ولكنه رضي بأن يصبح عضوا في مجلس اللوردات بناء على طلب صديقه غلادستون سنة ١٨٨٣ . وقد بقي تنيسون متمتعا بقواه العقلية والجسدية حتى وفاته سنة ١٨٩٢ وقد انسكب شعاع القمر على سرير موته وهو ممسك بمجلد لشكسبير كان يطالعه بشغف ومتعة في ساعاته الاخيرة . ودفن في ركن الشعراء في كاتدرائية وستمنستر .

سمير شيخاني

مصاب آل طعمة

توفي بأجله الموعود يوم ١٩ شوال ١٣٩٩ هـ المصادف ١٥/١٠/١٩٧٦ بمدينة كربلاء المرحوم المغفور له السيد هادي السيد محمد مهدي آل طعمه وهو أحد وجوه خدمة الروضتين المقدستين الحسينية والعباسية ووالد صديقنا الشاعر الاستاذ السيد سلمان آل طعمه .

وكان الفقيد معروفا بسيرته الحميدة وزهده وتقواه في الدنيا وترفعه عن كل ما تعارف عليه بعض الناس من المطامع الذاتية . ونسأله جل تعالى ان يتغمده برحمته الواسعة ويحشره مع أجداده الطاهرين .

« وطنيات » بطرس البستاني

المعلم بطرس البستاني كتب « وطنيات » في زمانه القرن التاسع عشر : في جريدته « نفير سورية » .

١ ــ الوطــــن :

اكثرنا ذكر الوطن في نشراتنا وما ذلك الا لانه أحب شيء الى سمع من كان محبا لوطنه والذ ما زين به جيد العربية من كلمات .

والوطن اشبه بسلسلة متصلة كثرت حلقاتها . طرفهــا اول منزلنــا او مسقط رأسنا بمن حواه ، وطرفها الآخر بلادنا بمن عليهــا ومركــز طرفيهــا ومغناطيسهما قلبنا او هما مركز قلبنا ومغناطيسه . ومن شأن الجاذبية القويــة التي للوطن طبعا نحو بنيه ان تضبطهم به م شديد داخل دائرته مهما كان رديا وتمسك داخل دائرته مهما كان رديا وتمسك بحبال قلوبهم وتجذبهم اليه جذبا عنيفا لتردهم اليه اذا غابوا عنيفا لتردهم اليه اذا غابوا عنــه وان تكــن ارض غربتهم احسن منه .

ومن الاقوال السائرة لو لم يكن الوطن قتالا كانت بلاد السوء خرابا . وبمقدار ما تكون حلقات سلسلة الوطن المادية او الادبية أقرب الينــا يكون تعلقنا به اشد وميلنا اليه أقوى . فمن لنا هو احسن المنازل وابناء وطننــا هم احسن الناس عندنا وهكذا . وما أصدق ما قيل السر بالسكان لا بالمنــزل . فمن جال في العلم ولا حظ البلدان وسكانها ظهر له ظهور الشمس في رابعــة النهار ان الوطن مهما كان له من المحاسن فقد يعطله شر سكانه ومهما كان رديا في ذاته فقد تصلحه محاسن أهله .

يا أبناء الوطن ، لاهل الوطن حقوق على وطنهم كما ان للوطن واجبــات على أهله . فبمقدار ما تكون تلك الحقوق مستوفية حقهــا ، يزيــد التعلق بالوطن والرغبة واللذة في تأدية تلك الواجبات ، وذلك اوضح من ان يبين .

فمن الحقوق التي على الوطن لبنيه ، الامنية ـ الامن ـ على افضل حقوقهم وهي دمهم وعرضهم ومالهم ومنها الحرية في حقوقهم المدنية والادبية والدينية ولا سيما حرية الضمير في أمر المذهب . وما أكثر الاوطان التي ذهبت شهداء لهذه الحريـة .

ومما يزيد ابناء الوطن حبا اوطنهم الاشعار بأن البلاد بلادهم سعادتهم في عمارها وراحتها وتعاستهم في خرابها وشقاوتها . ومما يزيدهم رغبة في نجاحه وغيرة على تقدمه ان تكون لهم يد في اعماله وتداخل في صوالحه . وبمقدار ما تكون المسؤولية الموضوعة عليهم اكثر ، تكون هذه الحاسيات اشد وأقوى . ومن الواجبات التي على ابناء الوطن لوطنهم حبه ، وقد ورد في الحديث حب الوطن من الايمان . وما اكثر الذين بذلوا حيوتهم وكل مالهم حبا لوطنهم . واما الذين يبدلون حب الوطن بالتعصب المذهبي ويضحون خير بلادهم من أجل غايات شخصية فهؤلاء لا يستحقون ان ينسبوا الى الوطن وهم اعداء له . والحق بهم الذين لا يبذلون جهدهم في منع وقوع الاسباب التي من شأنها ان تضر بالوطن او في تخفيفها بعد وقوعها . وما أقل الذين أظهروا في هذه الايام العصيبة الصعبة من ابناء هذه البلاد حبهم لوطنهم .

المعلم بطرس البستاني

(نفير سورية ـ الوطنية السابعة ـ ٢٥ ت ١ ١٨٦٠)

٢ ـ الارباح الادبيـة :

يا ابناء الوطن ، كأني بواقف على عنوان هذه اللائحة يقول متعجبا وهل من ارباح للوطن من حركة اهلية كثيرا ما بالغ محب الوطن في ذمها وبين جسامة اضرارها وكثرة خسائرها !

فمن الارباح الادبية الحاصلة للوطن من الحركة الاخيرة معرفة أبناء الوطن بطريق محسوس واضح عظم قباحة الحروب الاهلية وشدة رداءتها في ذاتها وفي نتائجها معرفة من شأنها ان تحدث فيهم طبعا تأسفا عميقا وندما صحيحا على ما مضى وكراهة ونفورا من ارتكاب ذلك في ما يأتي .

ومنها معرفة ابناء الوطن ان صالحهم العمومي وبالتالي الشخصي يستلزم وجود روابط الاتحاد وحسن الالفة والموادة بين فئاتهم وافرادهم . ولما كان يرجى زوال تأثيرات الضربة الاخيرة ومفاعيلها القبيحة في مدة قصيرة كان يحق لنا ان نؤمل ان ابناء وطننا لا ينسون سريعا قباحة الاسباب التي أوقعتها عليهم فيكونون دائما على حذر من الوقوع في ورطات نظيرها وينتبهون الى تفضيل صالح وطنهم وخير بنيه على تحسينات شهواتهم المنحرفة المضرة وشهوات الذين اقتادوهم او ساقوهم الى تلك الغوائل الرديئة والمهالك المهولة .

ومنها اقناع ابناء الوطن وغيرهم بأن تلك الحروب القبيحة والارتكابات الفظيعة هي بنات شرعية لقلة الديانة والتمدن او لعدمهما ، وبأنه لا يؤمل نهوضهم من سقطتهم بل بالحري سيبقون في حالتهم المتأخرة او يصلون الى حالة اردأ منها اذا لم يصلحوا احوالهم من هذا القبيل .

ومنها اقناع ابناء الوطن بطريق محسوس بأن الحكم هو ملح الارض لا بل حياتها . وبأن الشرائع هي لجام الاشرار واصحاب الارواح غير الهادية وان عدم وجود حكم والاستخفاف بالشرائع هما من اكبر الشرور لبلاد مهما كانت درجة تمدنها ونجاحها لان الحكم والشرائع اشبه بالصحة لا تعرف قيمها الا عند فقدهما .

على اننا ننبه ابناء الوطن الى امرين احدهما هو ان اصلاح احوالهم وبلادهم متوقف على اتحادهم واجتهادهم الشخصي لان اتكالهم في ذلك على الغير هو اتكال جائع على انه يشبع اذا اكل صديقه او مولاه واتكال جاهل على انه يصير فيلسوفا اذا تعلم جاره او ابن دينه لان من لا يقف وحده لا يكون من يضع يده تحت ابطه ليسنده . ثانيهما ان اظهار البغضة لجماعة بجملتها بناء على ذنوب ارتكبتها عمدا او خطأ بعض افرادها فضلا عن انه ليس من الانصاف هو مضر جدا وموجب توقيف او منع للاتحاد والالفة الذين عليهما يتوقف نجاح الاهالي والبلاد .

(نفير سورية ـ الوطنية التاسعة ـ ٢٢ شباط ١٨٦١)

من شبلي الشميل

شكوى المستأجرين

من المقرر البديهي الذي لا خلاف فيه ان الاجتماع لا يقوم بفرد ولا بطائفة من افراد بل بأفراد وطوائف من أفراد يؤدون أعمالا مختلفة على قدر اختلاف المنافع التي يحتاج اليها الاجتماع بحيث ان كل واحد من أفراده يؤدي العمل الذي لا يستطيعه سواه ويستفيد من الآخر المنفعة التي لا يستطيعها وحده . وشبه الطبيعيون العمران بجسم حي كبير هائل وأفراده بمثابة الاعضاء في هذا الجسم فكما ان الاعضاء لازمة لسلامة الجسم كذلك الافراد لازمة لسلامة العمران .

ومن البديهي أن من كان هذا مركزه في الجسم يكون له فيه مثل ما عليه لذلك كان لكل فرد في الاجتماع حقوق على الاجتماع نفسه ، كما ان عليه واجبات له . ومن المعلوم أن من المنافع في الاجتماع ما هو ضروري لازم لا يمكن الاستغناء عنه من غير ان يؤذي الاجتماع في أهم اركانه ومنها ما هو غير ضروري يمكن الاستغناء عنه بدون ضرر . والحق الذي للفرد من ذلك يسمى حاجيا في الاول وكماليا في الثاني .

فالحاجي مثل حق الاكل والشرب والمسكن الضروري الذي لا يمكن الاستغناء عنه والا هد الاجتماع من أركانه . هل يجوز ان يقال لطالب الرغيف ليقتات والماء ليروي والبيت ليأوي اليه ان المسألة مسألة « عرض وطلب » لا بد فيها من التراضي كالتراضي على ثمن خاتم من ماس أو مطرف من خز ؟

هل يجوز ان تنصرف المنفعة بالمسكن الى مصلحة طائفة من طوائف الاجتماع على حساب الغير مع معرفتنا ان هذا الغير هو المقوم لقيمة هذه المنفعة حتى يجوز ان يقال ان حقه من هذه المنفعة لا يقل عن حق صاحب الشيء

نفسه . واذا صح له هذا الحق جاز له صرف المنفعة الى مصلحته كما يجوز لصاحب الشيء صرفها الى مصلحته أيضا . ولذلك كان من وظيفة الوازع القيم على مصلحة العمران ان يراعي في المنفعة مع ذلك ظروف الزمان والمكان ايضا لتعديلها لمصلحة الاثنين والا وقع الاجتماع في الفوضى .

أنا لا أجهل ان هناك ناموسا يده فوق كل يد يعدل كل شيء في العمران وهو ناموس التكافؤ ولكني أعلم حق العلم قبل ان يتم ذلك على موجب هذا الناموس أن الحيف يقع على كثيرين وهذا مضر بالعمران ومن وظيفة الوازع اتقاؤه . وهذا لا يكون باطلاق مبدأ « العرض والطلب » وجعله أساس كل المعاملات على حد سواء غير فارق بين الضروريات وغير الضروريات أي بين الحاجيات والكماليات .

ان اكثر الحكومات حتى تلك التي نظن أنفسنا اننا أرقى منها تهتم بالامر واما نحن فنأكل الرغيف ممزوجا بالتراب ونشارة الاخشاب ويتقاضوننا أسعار المآكل كما يشاؤون ويتحكمون في أجور المنازل وينصرهم القانون وما ذلك الا لأن شرائعنا صارت بهذا التحوير والتبديل تنفا من شرائع غير ناضجة .

وهنا لي كلمة أوجهها الى المحتجين فأقول لهم انتم محقون في شكواكم وانتم في الاجتماع أعضاء لازمون ؛ لكم عليه مثل ما له عليكم وانتم مظلومون ايضا وظالمكم حكامكم وشرائعكم فلا تنحل عزائمكم . فقط أنصحكم ان تلوذوا في مطالبكم بجانب الحكمة حتى اذا كثر عددكم واشتد تضامنكم ولم ينصفكم الذين يجب عليهم ان يهمهم أمركم كان لصوتكم صدى فوق كل صوت وليدكم مدى فوق كل يد .

من مقالة « شكوى المستأجرين » مجموعة الدكتور الشميل ـ شبلي الشميل ص ٣٢٠ .

النهار نشرت في ((المؤيد)) عام ١٩٠٨

شاعر من بلغاريا

ميلادين اسايف

نقله الى الانكليزية : فلاديمير فيليبوف
نقله الى العربية : عيسى فتوح

ولد في السابع من حزيران سنة ١٩٠٧ ، في قرية باليوفيتسا ، بمقاطعة بيركوفيتسا ،، وأنهى دراسته الثانوية في فراتسا • شارك في ثورة أيلول عام ١٩٢٣ ، وأجبر على الهجرة الى يوغسلافيا • عاد الى بلغاريا سنة ١٩٢٩ . وأصبح في السنوات التالية رئيس تحرير جريدة (الصدى) ، كما عمل في مجلات : (الفكر) و (النجم) و (الادب الجديد) و « المصير » و (الدولاب) •

حوكم عام ١٩٤٢ مع الشاعر نقولاي فابتساروف ، وأرسل الى المخيم المركزي • اشترك في الحرب الوطنية بعد التاسع من أيلول عام ١٩٤٤ •

عمل سكرتيرا لاتحاد الكتاب البلغاريين • ونال جائزة ديميتروف لأحسن عامل في ميدان الثقافة الجماهيرية •

نشر أكثر من عشرين ديوانا منها :

« حريق » (١٩٣٢) ، « ضحايا » (١٩٣٤) ، « الصباح الباكر » (١٩٣٦) ، « الكوكب المضطرب » (١٩٣٨) ، « أغنية الانسان » (١٩٤١) ، « الحرب » (١٩٤٥) ، « قصيدة عن البندقية » (١٩٤٧) ، « قصيدة عن فابتساروف » (١٩٤٨) ، « الشباب » (١٩٤٩) ، « نجم السلام » (١٩٥٠) ، « قصائد مختارة » (١٩٥١) ، « الشباب المحصن » (١٩٥٣) ، « الحب » (١٩٥٤) ، « مقطعات وقصائد » (١٩٥٥) ، « تحت شمس الصين » (١٩٥٦) ، « قصائد ومقطعات » (١٩٥٧) ، « مناظر واضحة » (١٩٥٩) ،

« أشعار غنائية » (١٩٦١) ، « الشجرة الخضراء » (١٩٦٣) ، « ملاحم ثورية » (١٩٦٤) ، « شجاعة » (١٩٦٦) ، « قفاز القنفذ » (١٩٦٦) ، « القمة » (١٩٦٩) ، « قصائد » (١٩٧٠) ، « لا راحة لك » (١٩٧١) .

صدرت أعماله المختارة في مجلدين يضمان قصائد غنائية ، وقصائد شعرية ، ومنظومات .

حلم

أستلقي ميتا . قاتلي
أكثر ظلاما من الليل الذي أتحسل وطأته .
سماء رصاصية تخيم فوقي .
ذئب يعوي في مكان ما ، كأنه في جهنم .

***

أستلقي مطعونا ، وحيدا ، لا أحد يطرق بابي ،
رياح منتصف الليل تبدأ في الانين ،
ثم تهب شرسة هوجاء .

***

يحلو لك الليل أكثر فأكثر في العاصفة الغاضبة .
أحس بقبلة أم ، ثم أسمع شخصا ما يقول :
« لقد مت أيها الصقر الشجاع ، من أجل وطنك ،
وستبقى معي حتى يومي الاخير » .

***

أهي أمي ، أم أوراق العشب ،
تلوح طائشة حول رأسي الفاقد الحس ؟

لا أحد في العاصفة لا يرجع القهقري •
أستلقي مطعونا ، أستلقي ميتا •
لا أتنفس ، لا أحترق •
أستلقي وسط الاعشاب القاسية : لا أحد يطرق بابي •
تغضب العاصفة في الليل • عبثا
ستنتظر أمي عودتي •

* * *

شكر

أصـداء الثـورة ،
ستتردد في الاجيال البعيدة ،
فوق أرضنا الجميلة
عندما ستكون سلالاتنا
أفضل منا بكثير •

* * *

لكن أطفال المستقبل سيعرفون ،
أننا قد عشنا
فـي ظـل
شبح الاسترنتيوم (١) ،
ذلك الوحش الدنيوي المجنون
الذي أحرق وقتل وشوه ،
في هيروشيما ويوخنوالد ،
وأن الاعصار المميت
زحف يقطع الارض ،

(١) الاسترنتيوم : عنصر فلذي •

فاحتمينا بأجسامنا
وأطفالنا الرضع
من التدمير والاضمحلال
الذي مد أيديه
نحـو العـد .

***

أعرف أن التاريخ
سيوضـح
عالمنا المضطرب المزعج ،
وسيحكي للاجيال القادمة
قصة أولئك
الذين حاربوا
ليجعلوا عالمهم
أكثـر انسانية .

***

وعندئذ فان أطفالنا
في عالم المستقبل البعيد
سوف يكرمون الثورة
ويجلسون بجانب ويجلسون بجانب علمها الاحمر
جلسة وقار واحترام .

***

الرائد

أية نجوم في السماء تشدك اليها ،
أم أن حبك للحرية فقط
هو الذي جعلك تتكفل بهذه الرحلة ،
عبر المحيط الصعب اللامتناهي ؟

لقد رأيت جميع الابراج المزحمة
تندفع بعنف في الليل البارد الرهيب .
حيثما تعدم حرارة الشمس الحياة ؟
النجوم هناك باردة كالموت ،
وأنت محاط بظلمة لا تنتهي
بالريح المدوية وأنفاسها الصقيعية .
لتبقى وحيدا في ذلك الفراغ الرهيب !
في تعطشك المعذب للنور
ترى الشمس الجميلة العظيمة
تظهر في الليل البعيد الغور .
قلبك الفرح الكبير
ينبوع الحياة الازلي ،
لأن الكون
يبدو دافئا جدا وملائا ...
ثم يبدو منظر عجيب آخر :
ألا وهو منظر الارض الطيبة القديمة ،
بجبالها وحقولها وبحارها الزرق
ــ أرجوحة ميلادك الخضراء الدافئة ،
لن تراها تتألق كثيرا .
تهبط باتجاهها كالحمام ،
تعود الى أرض الوطن ،
الى حبك العظيم الاول .

***

صان الله لبنانا

انعي الى العرب روض العرب لبنانا | فقد تصدع اخلاقا وبنيانا
مصائب الشر في ارجائه عبثت | فثار لكن على أهليه بركانا
واشعل الحقد نارا في جوانبه | فانهار حكما واخلاقا وانسانا
طاف الجنون بلبنان فلست ترى | غير المصائب أشكالا والوانا
نسيمه العذب من بعد الحريق غدا | نارا تسعر آلاما وأشجانا
مرابع الانس قفر والغراب بها | بعد البلابل ينشي الحزن ألحانا
خمسون ألفا قضت ظلما وما برحت | قلوبهم تنفث الاحقاد نيرانا
بيروت أمست خرابا بعدما حرقت | وقد كساها الردى ذلا وأحزانا
اين القصور فقد دكت معالمها | وهام ساكنها في الارض حيرانا
اين الجمال فقد اودى الحريق به | وبل لمن اشعل الاوطان أضغانا
اين المتاجر لم يبق لها اثر | وبات ذو المال بعد الزهو اسوانا
يشكو الى الله من أشرار امته | طاوي الحشا مكفهر الوجه ظمآنا
اين المكاتب جهل القوم دمرها | والجهل يا قومنا اقسى بلايانا



يا أمة العرب ما اقدمت مسرعة | لنصر لبنان بل اغمضت أجفانا
تركت روضك نهبا للشام وما | حفظت عهدا ولا قدمت احسانا
وبعضكم ارسل الاموال يبذلها | للقانصين ومنهم كان ما كانا
غرقت في نعمة البترول لاهية | ولم يرف لكم جفن لقتلانا
لو ان ساداتكم ضموا صفوفهم | لم تمس اوطاننا للخصم ميدانا
لو انفقوا في سبيل الخير مالهم | ما ظل في العرب بعد اليوم غرثانا
لو انهم آمنوا بالله ما نزلت | هذي المصائب تغشاهم وتغشانا
اليك يا رب نشكو من تخاذلهم | عن نصر لبنان صان الله لبنانا

النبطية آذار ١٩٧٦
محمد الحسن

الى الدكتور عبدالرزاق محي الدين

رئيس المجمع العلمي العراقي

سموت بحسن الخلق والادب العالي ... ونلت المنى والفخر بالعلم لا المال
بذلت قصارى الجهـد دعما لفكرة ... تؤجج نار العزم في الهيكل البالي
وكافحت فـي ميدان علم مجـدد ... يطور روح العصر حالا الى حـال
وشيدت صرح العلم بالسهد والعنا ... وصنت تراث العرب من دس محتال
وللضاد ما أعطيت من نفسك التي ... تقضي الدجى بالبحث لا القيل والقال
وناضلت في حقـل السياسة باذلا ... لموطنك المحبوب من روحك الغالي
وقاومت أعـداء العروبة لـم تهن ... لكيد عميـل فوضوي ودجـال
وأعلنت حربا ليس تبقي ولـم تذر ... لاجهاض داء فـي دم الشعب قتال
تقحمت أحداث الحيـاة مجالـدا ... صروف الليالي لم تبـال بأهوال
وما هاضت البلوى جناحك حيثما ... وثبت لقهر البغي في بأس صوال
حياتـك نبـراس لكـل مناضـل ... يروم ارتياد المجد في عـزم أبطال

***

فيـا شاعـرا غنـى لأمـة يعرب ... بشعر من الاعماق يجـري كشلال
يقود الـى دنيـا التحرر والعلـى ... شبابا تحدى كـل بطش واذلال
وينشده الاحرار في موكب الفدى ... فيذكي رماد الفعـل في كل قوال
ومـا نـال قـوال مناه وانمـا ... يحقق أحـلام المنـى كل فعـال
قريحتـك المعطـاء روض ملـون ... بأحلى زهور مـن رغاب وآمـال
وشعرك كالـورد الربيعي عطـره ... يسيل على همس الشفاه كسلسال

وجددت في المعنى فكنت مصورا حيـاة حوت أسمى عظات وأمثال
وعبرت عـن أرقى طموحات أمـة تتوق لعيش لـم يرنق بأوحـال
تحاول ان تحيـا من القيـد حرة ومن سوء أوضاع تردت بأغـلال

***

وبلله ما خلفت من عاطـر الصدى أشاع بكوني كـل يمن واقبـال
أقمت من الحـب المضمخ بالشذا بكل فـؤاد مخلص خـير تمثال
زرعت بحبـات القلـوب مـودة عليك فأفاضت كـل عـز واجلال
تواضعك المشفوع بالصدق والوفا لقـد هزمني النفس واهتاج بلبالي
وأعمالك المثلى أشاد بهـا الحمى وهل يحمد الانسان من غير أعمال؟!
أثرت بما أبديت نحوي مـن الولا منازع أشواقي ووجدي وأمالي
اليك قصيدي وهو فيض من الهوى ولست أزف الشعـر الا لمفضال
سأبقى به أشدو كطير عـلى الربى تغرد نشوى كـل صبح وآصال
وأضفر اكليلا مـن الحمد والثنـا لسيرتك الغـراء رغمـا لعذالـي
ومن صنـع الخـير العميم لشعبه تسامى له ذكر على مـر أجيـال

خضر عباس الصالحي
بغداد ـ العراق

صبـح جديـد

هـذا بياض الصبح لا مـا بقي بعد احتراق العـدو في مفرقـي
والليل مهمـا طـال لا بـد من صبـح جديـد بعـده مشرق
صبح المشيـب ويومـه زاخـر بالحـب والآمـال والرونـق
يومـان عمـر المـرء اهناهمـا يـوم يتوجـه بيـاض نقـي
والمرء مـن يوميـه فـي مخضل غض وفـي وان الجنـى ريـق
مكنـه فـي ذا وذا غافـل عن يومـه الآتـي فـلا يتقـي

خربة سلم : احمد حسن الامين

ـ العرين خلا ـ

شعر : عبد الحسين عبد الله

هـــذا العرين خـــلا فأين كماته ذهبت وايـــن سراتـــه وحماتـــه
هيهات كيف الصبر يجدي بعدما ذهب الخميس ونكست راياتـــه
من لي بحـــر من سلالـــة يعرب حامي الحقيقـــة لاتني عزماتـــه

***

من لي بشعب واللئـــام قرينـــه وعلى المذلـــة لا يطـــول سباتـــه
من قائد الجيش الذي غصت به ارض الحجـــاز وأينهـــا ثقاتـــه
هبـــوا لنجدتـــه وشـــدوا أزره فالعـــز حيـــث تتابعت هجماتـــه

***

يا أمـــة الاســـلام دعـــوة آسف طالت لطول ركودكم حسراتـــه
ما المجد الا تحت بيت عجاجـــة لا تحت قصـــر أرفعت شرفاتـــه
فالبيت حـــل بـــه عـــدو فاسق وتنكرت مـــن بعدكـــم عرفاتـــه

***

عبد الحسين عبد الله

آراء النـاس ومشاكلهم

في ذكرى استشهاد كامل مروه

في ١٦ أيار ١٩٦٦ قبل ١١ سنة استشهد كامل مروه ، وغاب الرجل الذي كرس حياته وفكره مدافعا عن لبنان والقضايا العربيـــة والحريـات ، داعيـا للوحدة الوطنية والالفة والمحبة .

نستعيد بعضا من افكار كامل مروه الذي قال كلمة الحق ومشى وهكذا تغتال العبقرية عندنا .

دعوا لهذا البلد طمأنينته !

الذين يظنون انهم يستطيعون ان يعبثوا بلبنان من جديد ، وان يثيـروا فيه الفتن والقلاقل ، يخطئون الحساب هذه المرة . فلقد القت الحوادث على اللبنانيين في السنوات العشر الاخيرة دروسا قاسية ، هددت استقلالهم اكثـر من مرة ، والقتهم في دوامة المنازعات الدولية والعربية وهم على غير بينـة . ولم ينجوا من الخراب في آخر الشوط الا بأعاجيب لم تكن كلها مــن صنـع أيديهم ..

ومن المؤسف ان ظروفا استثنائية ما تزال تحول دون الكشف عن خفايا سنوات القلق والاضطراب والتناحر . وحين تزول تلـك الظروف ، ويرتفـع الحجر عن الالسن ، سيسمع اللبنانيون أخبارا تذهل وتشيب !.

رغم هذا ، ورغم جهل المواطنين بكل ما دار بهم وحولهم ، فانهم يشعرون بالسليقة الحذرة التي شحذتها التجربة ، يشعرون انهم كانوا وقودا في نـار ليست نارهم . وهكذا تكونت فيهم مناعة عميقة الجذور ، تجعلهم ينفرون من كل محاولة ـ ايا كان مصدرها ـ لزجهم في مشاكل لا تعنيهم واتخاذ بلدهـم مسرحا للهرج والتوريط .

هذه المناعة تتجلى في هذه الايام بكل معانيها حيال النذر السوداء التي اخذت تلوح في الاجواء العربية . فاللبنانيون ، لهم آراؤهم ــ المختلفة ــ في مختلف الاحداث العارضة ، ويودون ان يظل بلدهم مجالاً مفتوحا للرأي الحر ، وللكلام المباح ولو لم يكن مصدره حرا ولا ماله خيرا ، ولكنهم لن يسمحوا ان يصبح بلدهم ميدان معركة ، ولا ان يتخذهم احد حطب وقود ــ ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ! .

كامل مروه
(١١ شباط ١٩٦٦)

الثعلب والنمر

خرج نمر يبحث عن فريسة له في الغابة ، فعثر على ثعلب ، وعندما هجم عليه ليفترسه صاح الثعلب : (قف أيها العظيم، لا تفعل ذلك ، ان الآلهة عينتني ملكا على هذه الغابة ، وان كنت لا تصدق قولي هـذا فاتبعني لتجـد كيف تخافني الحيوانات جميعها وتحترمني) .

فسار الثعلب في الغابة وخلفه النمر وكانا كلما مـرا بحيوان هرب مـن أمامهما موليا الادبار خوفا من النمر لا من الثعلب . فعندئذ صدق النمر كلام الثعلب وتركه ومضى .

(فكم من ضعيف يتظاهر بالقوة مستغلا قوة سلطان ظالم يسنده) .

مختارات الصحف



طه حسين



عباس محمود العقاد

مستقبل الشعر الحديث

بعد تحرره من الوزن والقافية

« من يحاول فك وتر العود ، عن العود ، لا يبقى له منه غير وعاء من خشب ، كل ناقر عليه يستطيع أن يحدث صوتا » .

نزار قباني

بقلم الدكتور محمد محمود الدش

❊ « اذا كان الكاتب الناقد الانجليزي هازلت الذي عاش بين سنتي ١٧٧٨ و ١٨٣٠ قد ترك بصمات واضحة على حركة التجديد التي طرأت على الشعر العربي في أوليات هذا القرن العشرين ، وتنادى بها العقاد والزهاوي والمازني وعبد الرحمن شكري وغيرهم . فان الشاعر الانجليزي المعاصر اليوت (١٨٨٨ ــ ١٩٦٥) لا يقل عن زميله الناقد المذكور أثرا في صيحة التجديد التي نراها من حولنا هذه الايام ، ويرى متأثروها المؤرخون لبدايتها أنها برزت الى الوجود تدق بالحاح في الاربعينات من هذا القرن .

الكاتب الناقد الانجليزي هازلت والشعراء العرب

ونحن لا نزعم في ذلك زعما ، أو نظن فيه ظنا ، وانا نجد الاستاذ عباس العقاد ــ رحمه الله ــ يقرر ذلك عن الحركة الاولى فيقول :

« ولا أخطيء اذا قلت ان هازلت هو امام هذه المدرسة الادبية (بعد شوقي) كلها في النقد ، لانه هو الذي هداها الى معاني الشعر والفنون وأغراض الكتابة ، ومواضع المقارنة والاستشهاد ، وقد كان الادباء المصريون الذين ظهروا أوائل القرن العشرين يعجبون بهازلت ويشيدون بذكره ، ويقرأونه ويعيدون قراءته ، يوم كان هازلت مهملا في وطنه مكروها من عامة قومه » .

الشاعر اليوت والشعراء العرب

كما نجد أحد الرواد الذين يعلو صوتهم في الصيحة الاخيرة ، وهو الشاعر صلاح عبد الصبور ، يقرر أن الذي أخرجه ــ هو وناشئة الشعراء ــ من اسار التقليد الشعري الذي يؤثر ان تكون للشعر لغته الخاصة ، المجاوزة للغة الحياة ، البعيدة عنها في بعض الاحيان ، وأخرجهم من عباءة المدرسة الرومانتيكية العربية بموسيقاها الرقيقة وقاموسها اللغوي المنتقى ، الذي تتناثر فيه الالفاظ ذوات الدلالات المجنحة والايقاع الناعم ــ انما هو توقفه عند الشاعر ت . س . اليوت ، ولا سيما جسارته اللغوية ..

يقول : « كانت السليقة العربية التي أنبتتنا تنكر أبياتا كهذه الابيات من قصيدة الارض الخراب :

في الساعة البنفسجية ، ساعة المساء التي تقود

الى البيوت ، وتعيد البحار الى بيته من البحر ،

والتايبست (الكاتبة على الآلة) الى بيتها في موعد الشاي لتنظف المائدة من بقايا الافطار ، ولتشعل الموقد ، وتخرج الطعام من علبة الصفيح .

لقد تدلت من النافذة ، منشورة خوف السقوط ،
أطقمها الداخلية ، وهي تجف ، اذ لمستها أشعة الشمس الغاربة •
وتكومت على الاريكة ــ التي تتخذها سريرا في الليل ــ
جواربها ، وشبشبها ، وقمصانها ، ومشداتها • (١) •

لقد اختار شاعرنا الشاب ــ الذي يحب قصائد اليـوت حبـا يجعلهـا معلقات عصرنا ــ هذه السطور ليدل على أن قاموس العصر الحديث أرحـب وأوسع كثيرا من القاموس الشعري الضيق الخاص ، ولهـذا ينبغي أن تتكسر الحواجز وأن ينفسح المجال للتعبير عن الوجدان الحديث وعن ضمير الانسان العصري ، في حرية وأمانة وصدق •

ونحن لا نقف بطبيعة الحال موقف التخصيص من أثـر هذين الاديبين الغربيين في حركات التجديد الشعري ، مهما كانت منزلتهما العالميـة ، فقـد قرأ أدباؤنا وشعراؤنا غيرهما من ذوي المكانة والذكر فـي الادب الانجليزي والفرنسي والالماني والايطالي ، بل الروسي واللاتيني ، وانما يحق لأثـر هذين العلمين في الادب الانجليزي أن يتقدم غيره بما يقرره أصحاب القضية ، قضية التجديد ، أنفسهم •

تمرد على الوزن والقافية

وبينما نجد أثر الحركة المجددة الاولى لا يتجاوز المضمون والوحـدة الفنية الى الاصرار على تحطيم الاطر والاصول الموسيقية العربية ، فان الصيحة الاخيرة فتحت باب الاصرار بمصراعيه على ذلك التحطيم ، لكل من سولت له نفسه ان يقتحم حلبة الشعر أو يتسورها أو يتسلل اليها •

ونقول الاصرار على التحطيم ، لان حركة (الديوان) ومـن دار فـي مسارها أرادت في بعض ما نزعت اليه ان تحدث لونا جديدا مـن الشعـر ،

(١) هكذا رأى الشاعر ان ينقلها الى العربية .

متمردا على الحاجز الايقاعي أو القافية ، محتفظة فـي نفس الوقـت بالصورة الموسيقية الداخلية في القصيدة ، ولكنها لم تصر على هذا اللون من التمرد أو الرفض .

شعراء منا حاولوا التحرر من القافية ، ثم تركوا

ونحن نعرف ان توفيق البكري نظـم قصيدة أسماها « ذات القوافي » تحرر فيها من القافية وكذلك فعل جميل صدقي الزهاوي في عدد من القصائد، قال انه أطلقها من « قيد القوافي ، ذلك القيد الثقيل الذي تبرم به الشاعـر ، وجبته الالفة الى السمع » ، ونظم عبد الرحمن شكري قصيدته التي أسماها « كلمات العواطف » وغيرها . ويذكر العقاد نفسه أنه نظم كثيرا من الشعـر المتحرر من القافية ، ولكنه لم يستسغه ولم يطق تلاوته بصوت مسموع فطواه وأهمله ، فلما عاد بعد ثلاثين سنة الى هذا اللون من الشعر أحس بذات النفور والانقباض عند قراءته أو سماعه .

وفي نفس الوقت الذي ظهرت فيه هذه الحركة في الوطـن الام ــ أو بعده بقليل ــ كانت هناك دعوة الرابطة القلمية التي أنشئت عن الادباء العرب في نيويورك سنة ١٩١٤ ــ ومن المعهم ميخائيل نعيمة وجبران وأبو ماضي ، دعوة الى عدم التقيد بالقوافي ، وكان أقوى الاصوات وأعلاها صوت نعيمـة الذي حمل على العروض ونبذ القوافي « فرب عبارة منثورة جميلة التنسيق موسيقية الرنة كان فيها من الشعر أكثر مما في قصيدة من مائـة بيت بمائـة قافيـــة » .

جماعة (ابولو) حافظت على طابع الشعر القومي

وأحسب ان هذه المحاولات جميعا لم تكلل بالنجاح الذي يمكنها مـن الاستمرار ومواصلة التجارب الشعرية التي قاموا بها في درجات متفاوتة ، أو بدأوها ثم صرفوا النظر عنها ــ لأن الظروف الاجتماعية والفكرية والفنية لم تكن مهيأة لاستقبال مثل هذا اللون من الثورة الحاجـز الايقاعي ، ولأسباب أخرى مهمة ، نشير منها الى أن القمم الشعرية المشهورة في تلك الفترة مـن أمثال شوقي وحافظ ومطران والشابي وغيرهم كانوا يمسكون بناصية الشعر،

ويعضون على أصوله الموسيقية بالنواجذ ، فارضين من هيبتهم الفنية سلطانا على دولة الشعر ، ملتزمين وملزمين بقواعده وقوانينه .

وأحسب أيضا أن تجمع الشعر العربي تحت لواء (أبولو) ، الذي ضم من المحافظين والمجددين في مصر والعراق والسودان وتونس والمهجر ، وصدور مجلتهم المتخصصة في الشعر ونقده بعددها الاول في سبتمبر ١٩٣٢، واستمرارها نحو ثلاث سنوات ــ قد قوى الاتجاه الرومانسي الذي يعتمد على التجربة الذاتية والاندماج مع الطبيعة والايغال في الغنائية ورنين الصياغة . وساعد على ذلك صوت قادم من بعيد ، من المهجر الجنوني ، حيث تكونت جماعة العصبة الاندلسية سنة ١٩٣٣ ، واستمرت قوية نحو عشرين عاما ، ومن ألمع أدبائها الشاعر القروي ، والياس فرحات ، وفوزي المعلوف ، وهي الجماعة التي عنيت بالصياغة الرصينة واختيار الالفاظ ، والحفاظ على الطابع القومي العربي .

نقول : ان هذه العوامل كانت ذات أثر كبير في ايقاف التمرد على الاصول الموسيقية ورفض الالتزام بالحاجز الايقاعي ، بحيث استمر التيار المحافظ متمثلا في نفر من الذين شاعت أغانيهم الشعرية وترددت على الالسنة وقرعت الآذان وهزت النفوس تطريبا ، من أمثال ابراهيم ناجي ، وعلي محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل ، والتيجاني ، والرصافي .

موقف شوقي من التجديد

وقد زعموا أن أحمد شوقي تأثر بحركة التجديد التي جاءت في صرخة (الديوان) فبدأ ينظم مسرحياته الشعرية الشهيرة استجابة لنداء هذه الصرخة وقوتها . والذي نعرفه في هذا الشأن أن شاعرنا الكبير بدأ عمله الشعري المسرحي أيام كان طالبا في فرنسا ، حين ألف مسرحية (علي بك الكبير) سنة ١٨٩٢ ، وان كان عاد فعدلها في أخريات حياته .. ثم ظهر (الديوان) بقلم العقاد والمازني بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة ، أي في سنة ١٩٢٢ . وأحسب أن شوقيا لم يكن في حاجة الى من يحثه على ايجاد الشعر المسرحي بعد أن عاش بين مسارح باريس وقرأ المسرح الشعري الفرنسي واليوناني وغيرهما ومن

عجب ان يتأثر شاعر بدعوة لا تملك أدواتها في المسرح الشعري فيكون المدعو تابعا للداعي في هذا المجال •

بل اننا نستطيع أن نقول في غير حرج ان شوقيا هو الـــذي فتح أبواب التجديد في الشعر العربي الحديث : لا باعتباره شاعرا فذا ناضج الشاعريـــة مستكملا أدواتها التي أمكنته من ايجاد هذا اللون الجديد لأول مرة في تاريخ الشعر العربي كله فحسب ، وانما بسلوكه ومواقفه فـــي طرائـــق الصياغـــة الشعرية حين اعتبر السطر لا البيت ، فـــي المـــواقف والانتقالات النفسيـــة والحوارية ، وسيلة من وسائل النظم وأداة من أدوات الصياغة معتمدا عـــلى الوحدة الموسيقية المعروفة في الشعر بالتفعلية • ففتح بذلك التصرف الذكـــي بابا واسعا الى الصياغة الشعرية أمام شعراء التجديد المعاصرين الذين تأثروا ـــ في وضوح ـــ شوقيا من حيث لا يشعرون : ودعوا الى اعتبار التفعيلة ، لا البحر : هي الوحدة الايقاعية كما دعوا الى اعتبـــار السطر ، لا البيـــت ولا المقطوعة ، وسيلة للصياغة •

كان شوقي ينتقل في مسرحياته من بحر الى بحر : ومن قافية الى قافية ، واستغل هذه البحور في صورها المختلفـــة : مشطورها ومجزوئها ، تامهـــا وناقصها ، قصيرها وطويلها : شائعها ومهملها : بـــل صاغ أوزانـــا جديدة لم يسبقه اليها غيره ، تمكنا من أدواته الموسيقية وقدراته الفنية والصوتية ، التي جعلت في خدمته جميع الرخص الايقاعية المعروفة في موسيقى الشعر العربي• واقتضت الضرورات الفنية والنفسية والحوارية في صياغة المسرحية كل ذلك التنويع والتنقل ، كما اقتضت أن يكون السطر الحواري أو الغنائـــي عـــلى تفعيلة واحدة • وهذا يصلنا بالدعوة الجديدة التي تلغي بحور الشعر الخمسة عشر ،: ومتدارك الاخفش ، لتقيم الاساس الموسيقي على التفعيلات الثماني : فعولن ـــ مفاعيلن ـــ مفاعلتن ـــ فاعلن ـــ فاعلاتن ـــ متفاعلن ـــ مستفعلن ـــ مفعولات • ويمكن اختصارها والاقتصار منها على خمس تفعيلات منهـــا أو ست : فعولن ـــ فاعلن ـــ مفاعيلن ـــ مستفعلن ـــ فاعلات ـــ (مفعولات) ، لأسباب فنية معروفة •

ازمة يعيشها الشعر العربي منذ ٢٠ عاما

ومهما تكن مصادر التجديد وأهدافه ، بواعثه وغاياته ، فان أمرا يشبه الازمة ، يعيش الشعر العربي تحت وطأته منذ عشرين سنة أو نحو ذلك ، وهي مدة من الزمن قد تعين على تحسس الطريق ، وقد يساعد ما جرى ابانها على النظر الى الامام خطوة أو خطوات • ولسنا نريد أن نتعرض للمعارك التي دارت بين (المحافظين) و (المجددين) : فالصراع بين القديم والجديد سمت الحياة ودينها ، والبقاء فيها للاصلح « أما الزبد فيذهب جفاء » بقدر ما نريد أن نضع هذه الحركة في مكانها الصحيح أو نحاول ذلك •

محاور الدعوة الجديدة

وهذه الدعوة تدور أساسا حول محاور تركز عليها وتضغط بعنف • أهمها : المضمون العصري ، والتراث الانساني ، والوحدة العضوية ، واللغة الواسعة أو العامة • ويربطون ربطا قويا بين هذه المحاور والاطار الموسيقي التقليدي الذي لم يعد متحملا حرية الحركة والانفعال والتعبير ، ويرون أن البادرة الجديدة لا بد أن تكسر الاطار أو القشرة لتتنسم الهواء وتتاح لها حرية الحياة بين أنماط الشعر العالمي • وهم من أجل ذلك يوجهون طرقاتهم الشديدة الى هذه القشرة حتى تنمو البادرة وتشرق أزهارها ، فيتسع المصطلح الشعري لثمار جديدة الى جانب التراث القديم ، ويحيا الصنفان تحت سماء واحدة في سلام •

الدعوة التنجب غثاء لا شعرا

بيد أن ما حدث في ظل هذه الدعوة الى الحرية وكسر الاطر والاطواق ، كان شيئا رهيبا • اذ وجدنا سيلا هادرا من الكلام تدور به المطابع كل يوم ليخرج مسودا صحائف ، وكتبا ودواوين ومجلات ، وهو أقرب الى الغثاء منه الى الكلام المعقول ، بله الشعر الموزون • وهذا صوت واحدة من رواد الحركة ورائداتها هي الشاعرة نازك الملائكة ، يقول « ستتقدم في السنين القادمة ـ حركة الشعر الحر ـ حتى تبلغ نهايتها المبتذلة ، فهي اليوم في اتساع سريع صاعق ، و أحد مسئول عن أن شعراء تزري المواهب ، ضحلي

الثقافة سيكتبون شعراً غثاً بهذه الاوزان الحرة » • كما أنها تتنبأ بأن هـذه الحركة ستصل الى نقطة الجزر في السنين القادمة ، فيرتد عنه أكثر الذين استجابوا لها « على أن ذلك لا يعني أنها ستموت » •

ويعتبر هذا أقوى الاسباب التي دفعت الى الوقوف في وجه الحركة ومحاربتها ، في خشية وخوف من أن يضيع المعيار الفني ويذوب المصطلح الشعري في هذا الغثاء ، الذي خلط خلطا فاضحا بين النثر والشعر ، بل بين الهذيان والحكمة • وتحضرني هنا عبارة فاليري : ان علاقة النثر بالشعر تشبه تماما صلة المشي بالرقص ، فالمشي له غاية محددة تتحكم في ايقاع الخطو ، وتنظم شكل الخطو المتتابع الذي ينتهي بتمام الغاية منه ، أما الرقص فعكس ذلك ، اذ على الرغم من استخدامه نفس أجزاء الجسم وأعضائه التي تستخدم في المشي فان له نظام حركات هي غاية في ذاتها •

محاولة ايجاد سبيل وسط

وليت الذين تسللت زحمتهم الى الحلبة مشوا فيها ، وانما اضطرب سعيهم واختلط جريهم ، فاذا حركتهم مجلبة للضحك والرثاء على سواء • ودفعا لهذا وذاك قامت حركة تحاول أن تجد سبيلا وسطا يقف هذه الازمة او الورطة ، بالملاءمة بين المضمون والصورة ، قام فيها الدكتور يوسف خليف عمليا باخراج ديوانه « نداء القمم » معتمدا على مقومات ينادي بها التجديد في الرمز والقصة • وهي محاولة مخلصة لا شك في هذا لانها جادة في سبيل التوفيق بين المتطرفين من الطرفين ، ولعله بمثابة (النداء) للصلح بين الفريقين ، ولكن تظل مشكلة اللغة التي يصر الدكتور الشاعر على أن تكون خصة بينما يصر الآخرون على أن تكون عامة ، تظل قائمة الى جانب مشكلة الحاجز الايقاعي أو القافية •

راي الدكتور طه حسين

وكان أستاذنا الدكتور طه حسين أكثر سماحة من أقرانه في نظرته الى حركة التجديد والحكم عليها حين قال : « فليتوكل شبابنا من الشعراء على الله ، وليتشئوا لنا شعرا حرا أو مقيدا جديدا أو حديثا ولكن ليكن هـذا

الشعر شائقا رائقا ، ويومئذ لن يروا منـه الا تشجيعا أي تشجيع وترحيبا أي ترحيب ، ودفاعا عنهم ان احتاجوا الى الدفاع » • ولكن الاستاذ الكبير رفض فساد اللغة والاسفاف في اللفظ والتفريط في التصوير •

راي نازك ونزار

ولقد أحس شعراء التجديد أنفسهم بالورطة ، وثقل وطأتهـا ، فحذرت الشاعرة نازك الملائكة من طغيان الحركـة الجديدة لانهـا لا تصلح لجميـع الموضوعات ، كما حذرت من الاستسلام المطلق للتحرر من اللغة الخاصة لان هناك خطرا جديدا يكمن في الانزلاق او الابتـذال والعامية ، وكذلك أكـد الشاعر نزار قباني أن التحرر من القافية العربيـة مغامرة قـد تودي بطابـع القصيدة العربية « وما سر استعصاء القافية علينا ودلالها الا لانها مرتبطة بسر النغم • ولما كان النغم هو سر القصيدة فلك أن تتصور أي مغامـرة مجنونـة يقدم عليها من يحاول فك وتر العود عن العود ، لـن يبق من القصيدة العربية حينئذ سوى وعاء من الخشب كل ناقر عليه يستطيع أن يحدث صوتا » •

مسرحيات نزعت قشرة الاطار ، وتميزت بالنضج

وبعد ، فهل آن لنا أن نتبين الطريق أمام هذه الحركة ، وهي أشبه بالجنين في حالة ولادة عسرة ؟

ان الطرق لا يزال يشتد على الاطار الموسيقي التقليدي ، وقـد قدحت المطرقة شرارا يوشك ان يكون نارا تضيء ، منذ برزت الى الوجود الشعري مسرحيات نزعت قشرة الاطار ، وتميزت بالنضج وتكللت بالنجاح ، نشير منها بخاصة الى مسرحيتين رائدتين في نظرنا هما : مأساة الحـلاج للشاعـر عبد الرحمن الشرقاوي ، ومن خلال هـذه التجارب الناجحة فـي الدراما الشعرية نستطيع أن نقول ان الحركة عرفت طريقهـا •• وليكن الشعر الغنائي غنائيـا باللفظ والمعنى جميعا ، فما عرفت البشرية غنـاء بغير موسيقا ، ومـا كانت الموسيقا بغير ايقاع ونغم وضابط واطار •

ولئن كان الطرق قد أصاب بشراره شاعرا غنائيا ، رافضا ما تدعو اليــه حركة التجديد ، هو محمود حسن اسماعيل ، حين طلع علينا بقصيدته الرائعة (وجئت اصلي) التي جاءت أشبه بملحمة غنائية حزينة يقف فيها الشاعر عـلى باب المسجد الاقصى بعد حريقه الآثم في ذكرى الاسراء والمعـراج ، فان مـا وفره الشاعر من مقومات فنية في القصـيدة ، وأحاطها به ووقعه في ثناياها من مقومات موسيقية ، لا يتوافر عند كثير من الشعراء بنفس القــدر الذي تملكه شاعرية طبيعية موهوبة عتيدة في محمود حسن اسماعيل ، الذي أراد أن يدل ـ فيما أرى ـ على أنه قادر على توفير القيم الشعريــة ، والايقاعيــة منهــا بخاصة ، برغم الخروج على عمودية الشعر أو تقليديته .

اننا نستطيع أن نحصي القصائد الممتازة في حركة التجديد عدا ، وذلك لأن الشعراء الموهوبين الذين صاغوها ملكوا ناصية القدرة الشعرية ، لغــة وفكرا وايقاعا وتصويرا ، ولانهم قبل ذلـك تعاطـوا الشعر بكفاءة قبـل أن يقودوا ثورة على الاطار ويكثروا الطرق عـلى الاسوار ، فكانت بذلك لهـم خلفية ايقاعية شعرية تهديهم فوق طريق بدا لهم مفتوحا ، وان كان في حقيقة الامر أمام الكثرة الكاثرة مسدودا .

العربي محمد محمود الدش

انصار العرفان ووكلاء العرفان

سـنشر في الاعداد القادمــة اسماء انصار العرفان ووكـلاء العرفان ، ونأسف انه ليس بين انصار العرفان مرجع واحد من مراجع الشيعة في العراق وايران مع انهم يعرفون جيـدا ان العرفان تاريـخ الشيعة وتاريـخ علمائهم وادبائهم وامتهم ، الجهل من الجاهل لا يؤاخـذ ، ولكن الجهل مـن العالـم يحاسب عليه في الدنيا والآخرة .

احتفــال تأبينــي

بمناسبة مرور أربعين يوما على وفاة الفقيدة الجليلة قرينة الامام المرجع المغفور له الحاج السيد مهدي الشيرازي طيب اللــه ثراه ، وقــد أقيم فــي الروضة الزينبية بمحافظــة دمشق عصر يوم الجمعــة الموافــق ١ / ٨ / ١٣٩٦ هجرية ، ننشرها الآن بمناسبة مرور عام على وفاتها :

ان جئت أرثي عش مهدي الورى ... اذ ضم أربعــة مــن الابطــال
فالليث راح يؤود [illegible] [illegible]اره ... بعرينــــه لرعايــــة الاشــبال
ولئن رثيت قرينــة المهدي مــن ... تمشي الـــى العليــاء بخير وصال
فلأنني مـــن ذا وذلــك مقتــن ... حسن السلوك بهــا لأشرف حال

الشيخ سعد السماوي

وقد كان الاحتفال رائعا حضره الكثيرون من العلماء والمثقفين من مختلف محافظات القطر العربي السوري كما شارك فيه وفود مــن لبــنان والكويت وايران والعراق وكان على رأس الحاضرين السيــد اسماعيل الاســد شقيق الرئيس حافظ الاسد وسماحة الشيخ أحمد كفتارو مفتي الجمهورية العربيــة السورية وجموع من المواطنين ، كما شهده أساتذة وطلاب الحوزة العلميــة الزينبيــة .

وقد افتتح الاحتفال بآي من الذكر الحكيم رتلها الشيخ حسن الشريفي .

وتعاقب على الخطابة شعرا ونثرا كل من السادة الاساتذة :

أحمد علي حسن « طرطوس » قصيدة ، الشيــخ أحمــد عيــد الخيــر « اللاذقية » رئيس الجمعية الاسلامـية الجعفرية « كلمــة » الشيخ صــلاح عقلة رئيس جمعية أرباب الشعائر الاسلامية « دمشق ـــ كلمة » الشيخ فضل غزال « اللاذقية ــ كلمة » السيد محمد ابراهيم الموحد « الكويت ــ كلمة » الشيخ حسين سعود « جبلة ــ كلمة » الشيخ كامل حاتم « مشقيتا ــ كلمة » الشيخ حمدان الخير « اللاذقية ــ كلمة » عبد اللطيف غنوم « حمص ــ كلمة جمعية النهضة العربية » وكان مسك الختام كلمة سماحة العلامة العبقري السيد حسن الشيرازي نجل الفقيدة . تكرر تعازينا بهــذه المناسبة للسادة الاربعــة الاشبال العلماء الاعلام ونأسف لضيق مجال هذا العدد عن نشر مضامين الخطب والقصائــد .

ـ حكـم ومواعظ ـ

ـ كل الالوان •• تتشابه في الظلام •

(فرانسيس)

ـ قليل من المتحمسين •• يمكن الثقة بهم !

(لورد بالفور)

ـ يرون عظمي ، وهمي جبر أعظمهم   شتان ما بيننا في كل ما سبب
أهوى بقاءهم جهدى ، واكثر ما   يهوون ان اغتدي في حفرة الترب

(عمرو بن معد يكرب الزبيدي)

ـ ان مما يصفي لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام اذا لقيته ، وان تدعوه بأحب الاسماء اليه • وأن توسع له في المجالس •

(عمر بن الخطاب)

ـ قيل لعبد الحميد الكاتب : أيما احب اليك أخوك أو صديقك ؟ قال انما احب أخي اذا كان صديقي •

ـ الاخوان على ثلاث طبقات : فاخوان كالغذاء لا يستغنى عنهم ابـدا وهم اخوان الصفاء واخوان كالدواء يحتاج اليهم فـي بعض الاوقـات وهم الفقهاء ، واخوان كالداء لا يحتاج اليهم أبدا وهم أهـل الملق والنفاق لا خير فيهم •

(الخليفة المأمون)

ـ ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة مواطن : لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند الحاجة •

(لقمان الحكيم)

ـ الحرية الحقيقية تحتمل ابداء كل رأي ، ونشر كل مذهب وترويج كل فكـر •

(قاسم امين)

ـ الشاعر الذي لا تعرفه من شعره لا يستحق ان يعرف •

(عباس محمود العقاد)

صاحبها :
نقيب الصحفيين المسؤول
نـزار الزين

العرفان

منشئها
أحمد عارف الزين

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ــ سنتها ١٠ أشهر بألف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الثامن مجلد ٦٥ تشرين الاول «اكتوبر» ١٩٧٧م شوال ١٣٩٧ هـ



الصفحة	الموضوع	الكاتب

تاريخ

دراسات اجتماعية

مسرحيات، قصص

شعر

ابواب العرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، الحمد لله الذي جعلنا من المؤمنين الصابرين . قال تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص في الاموال والثمرات ، وبشر الصابرين» ولقد ابتلينا بهذا كله في العام الماضي وما قبله وفي هذا العام ، فصبرنا وبقينا صامدين ، ولا غرض لنا الا تأدية الرسالة بأمانة وصدق ، واسداء النصيحة والتوعية الصحيحة .

سأصبر حتى يعلم الصبر انني صبرت على شيء أمر من الصبر

والحقيقة ان الذين غادروا الحياة الفانية قبل هذه الحرب الاهلية في لبنان والازمة المحنة او النكبة الكارثة ولم يروا ما حدث ، ولم يسمعوا بكل ما صار :

وكان ما كان مما لست أذكره فظن شرا ولا تسأل عن الخبر

قد استراحوا ، اذ انهم ماتوا وعندهم بعض الظن الحسن بلبنان وبأهله، ولم يتأكدوا أنه مصدر العفونات التربوية والاخلاقية .

نعم ، ان لبنان يتآمر فيه وعليه كل الناس ، كل الدول ، كل المذاهب كل المغامرين والمقامرين ، وبعد ذلك يظهرون الشفقة عليه ، والخوف من ان يناله سوء « يقتلون القتيل ويمشون في جنازته » بل ان لبنان بلد يتآمر هو ضد نفسه لكل الناس ، لكل الدول ، لكل المذاهب لكل المغامرين والمقامرين .

ان لبنان بلد لا يعاف شيئا ، لا يخاف شيئا ، خوفا فكريا أو أخلاقيا أو انسانيا ، والدليل على ذلك القتل الاعتباطي الذي حصل بصورة وحشية

بربرية لاناس لا ذنب لهم الا انه وقع الاختيار عليهم ليعذبوا ويموتوا ، والسرقات التي جردت المتوسط والفقير من جميع ما يملك اذ لم يترك اللصوص الذين يدافع عنهم المغرضون ، لم يتركوا لنا ولا لغيرنا، فرشة تتكيء عليها على الاقل في بيتنا ، او كرسيا نجلس عليه في مكتبنا، أو كتابا نطالعه ، فهل سمعت او طالعت يا قارئي الكريم في تاريخ البشرية منذ وجدت للان ، ثورة لا اخلاقية وحربا لا مبدئية ، بل تتسم بوحشية وبربرية خارقة مثل ما حدث في لبنان ، وجرى لابنائه البريئين من ابنائه المجرمين •

الخسارة التي تعرض لها الكثير من اللبنانيين ، سواء كان عن طريق وقف اعمالهم ، او عن طريق ما منوا به من سرقات لبيوتهم او محلاتهم ومكاتبهم او عن طريق الحريق كيف تعوض ؟ ومتى تعوض ؟• ومن الذي نجح بعد نهاية المعركة ؟!

لا شك بأن اميركة وروسية هما اللتان نجحتا ، اذ تمكنتا من تحقيق رغباتهما ومآربهما ، باذلالنا وخسارتنا وضياع عشرات السنين من حياتنا للبناء فيما هدمته الثورة في اقل من سنة واحدة ، وهذا مايثلج قلب اسرائيل• مئة ألف قتيل وثلاثماية ألف جريح ، وحوالي مئة مليار ليرة من الخسائر عدا الرصاص الكثير والمعدات الحربية من اميركية وروسية ، التي ذهبت جزافا واستعملناها ضد بعضنا البعض لا ضد اسرائيل • كل هذا عجيب غريب لا يقدم عليه من كان في رأسه ذرة من العقل • انه الجنون المطبق والفراغ والميل الى الكسب الحرام بدلا من الكسب الحلال • اما لبناننا الذي قالوا انه درة الشرق وجوهرة البحر المتوسط وبلد الحضارة والثقافة والاشعاع والمجد الباذخ ، فقد اثبت بهذه الثورة انه « كذبة كبيرة »

« كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد » ورحم الله العلامة الشيخ ابراهيم المنذر القائل :

قالوا استقل بنا لبنان فقلت لهم بالوهم ادركتم استقلال لبنان

ان لبناننا ويا للاسف ليس دولة بالمعنى الصحيح منذ زمن ما سموه استقلال للان وكان استغلالا لا استقلالا ، فكيف بظروفه القاسية أثناء الحرب الاهلية وبعدها ، انه مكشوف من كل جوانبه وفي كل الاتجاهات: لا دولة، لا حكم ، لا سلطة ، لا قانون ، لا قضاء ، لا مؤسسات ، لا عدالة ، لا تكافؤ فرص ، لا ضميرا وطنيا ، لا سيادة ، ولاشعب .

فالوطن كان ولا يزال متجرا في زاوية شارع ، والسيادة امتيازا لفئات واشخاص وحالات ، والشعب بين نعاج وذئاب وخارجين على القانون. نحن غير المسلحين النعاج، والمسلحون ، والحكام واذنابهم واتباعهم من الخارجين على القانون هم الذئاب والسكاكين لذبحنا ..

قارئي الكريم :

هذا العدد كان يجب أن يكون العدد الاول لسنة ١٩٧٦ ، وتشاء الظروف والاحداث ان يبقى مجلد ٦٤ يتيما على العددين ٢ و ٣ . وأصبح هذا العدد الثامن لهذه السنة .

نوجه تحية لانصار العرفان المعنويين والماديين ولقرائه في أنحاء الدنيا ونطلب العون من الله ومن مؤازرتهم لمتابعة سيرنا وجهادنا الشاق لانه صحيح ومستقيم يهدف الى التثقيف الديني والعلمي والخلقي. وقد عدنا بعد العطلة الصيفية الى الالتقاء بهم كل شهر في منتصفه كالمعتاد . متخذين من ايماننا بالله وبالوطن خير وسيلة للنجاح ، والله في عون العبد ما زال العبد في عون أخيه . والى اللقاء في العدد القادم انشاء الله .

بيني وبين القارىء

بقلم منقذ الرجيه

عزيزي القارىء

كم تمنينا لو أن هذه الثورة كانت ثورة على حكام لبنان وزعمائه الخونة الظالمين الكفرة الفجرة الذين يحكمون ولا يحكمون ويستغلون ولا ينفعون . اما ان نحارب بعضنا بعضاً ، ونخرب ونهجر بعضنا بعضاً، وتقع « الفلة » على أمثالنا ممن لا يملكون شيئا ، والنكبة تقع على الفقراء أكثر من الاغنياء . والسلب والنهب الذي حصل يقضي على حوالي نصف مليون لبناني بالجوع والتشريد والفاقة واللجوء الى الاخرين وما بنوه من تأسيس بيت او مكتب او محل، يهدمه غيرهم في اقل من لمح البصر لينفقه على القمار والخمر وما شابه ، وبعد ذلك اين هم رجال الدين والفكر عن التوعية الصحيحة ، عن الدعوة للايمان ومحاربة الالحاد والدعوة للعودة الى الدين الذي يعطي رادعا من ضمير ووازعا من وجدان ، وعن تحريم السرقة في جميع الاديان حتى عند البوذيين ، وان الله يمهل ولا يهمل، فان لم يضربهم في انفسهم للذين استباحوا كل شيء، فسيضربهم باولادهم وقد أضاعونا واضاعوا أنفسهم، هؤلاء الذين عملوا على الفوضى والتخريب في لبنان دون مبرر، ولا عجب وقد تقاتلوا لا عن مبدأ وعقيدة بل عن جنون وشهوة غريزية وبتأثير من الخارج، وان الثورة التي تكون عن مبدأ تكون

اخلاقية ، لا لضرر الآخرين وايذائهم ، ايا كان دينهم او مذهبهم ، وسـواء كانوا اغنياء او فقراء ٠

هدانا الله جميعا لما فيه الخير والصواب ٠ وأن نحسن بـدلا من أن نسيء وأ نعمل صالحا ونكون من المؤمنين عوضا عن أن نكـون من المجرمين والملحدين ٠

نزار الزين

هـذا العـدد

هو العدد الثامن من العرفان المجلد ٦٥ لعامه السبعينه ٩٦٨م٠

والعدد القادم سيكـون عددا مزدوجا التاسع والعاشر يحـوي مذكرات هامة ، نشرها سيحدث صدى ودويا كبيرا، ألا وهي مذكرات المجاهد الاكبر الحاج أمين الحسيني ، وجميع مذكراته قـد أحرقت اما هذه فلحفظها أسباب جوهرية ، جعلت العالم لا يحرم من هـذه المذكرات الهامة ، التي ينشرها العرفان تقديرا ووفاء للحـاج أمـين الذي امتـاز بالجهـاد المضني والوفاء وخصوصا لاخوانه المجاهدين٠

أما في السنة القادمة فـيشهد الانصار والقراء وكل محب للمطالعة وللادب الرفيع على أنواعه ، قفزة وتطورا كبيرا في مجلتهم العرفان ٠

تجاهلوا «المذبحة» في لبنان مع ان :
رؤوس الحكام العرب هي المطلوبة

بقلم زهير مارديني

الآن ، وقد كشفت حقيقة (المذبحة) التي جرت في لبنان ، وحقيقــة الصدام العسكري المصري ــ الليبي ، عن مدى هشاشة التضامن العربــي ؟! والموقف القومي ..!

الان ، وقد فتحت دفاتر (العروبة)، ودفاتر (النكبات) التي مرت بالامة العربية خلال الربع قرن الاخير ، وانقسم الوطن العربي على نفسه بين لاجــيء الى المركبة السوفييتية وهارب منها ..!

الان ، وليس غدا، لا يمكن لاحد ان يتجاهل حقيقة ما يدبر للامــــة العربية ، وما يصنع لها من مصير شبيه بمصير الهنود الحمر على ايــــدي الامريكان ... ومصير كمصير المجريين والتشيكيين على ايدي السوفييت ..!

لقد اضحى من المستحيل ان يظل الكاتب الملتزم بقضية وطنه (في حــالة وجوده) واقفا هادئا في هذه المسيرة الصاخبة التي ستأخذ في طريقها ما بقــي لهذه الامة من ارث وتراث .!!

وما نحن وحدنا ــ بالطبع ــ المطالبين بوضع الحلول ولكن لا مفر من أن نشارك ... لقد ابحر الرافضون على السفينة السوفييتية ، ورفضت مصر ان تركب ... واحتدمت المعركة ... ونحن مرغمين ، واعين او غير واعين ... ان نحدد موقفنا ... ان نثبت حريتنا الكاملة بان نختار ...!

هل يختار الانسان العربي (مالتوس) او التكاثر ••• المركبة السوفيتية حيث صرامة الاوامر والالتزام بالعقيدة وتوجيهات الربان الذي لا يقبل المناقشة حتى لو وصلت السفينة الى الهاوية ••• او المركبة العربية التي ترفع العلم العربي والشعار العربي؟

والحقيقة ان هذه المعركة لا تلقي على الامة العربية الاسئلة ••• فما هي بأسئلة ، ولكنها تحديات لا يصمد امامها الفكر (المخلخل) بل الفكر الحي والموقف القومي ••!

ولنعترف اننا نواجه معركة لا شبيه لها في تاريخنا المعاصر ••• كل ما فيها ينتظر هبة حقيقية ليصب الانسان العربي نفسه فيها ••• وليس من الممكن ان يطلي الانسان وجهه لاخفاء الخوف او الغضب او اللامبالاة او الهم الذي يعانيه ••!

على ضفة (أهل الرفض) هناك الايديولوجية والصحف والاذاعات والمال و ••• سياسة الوفاق • ويكفي ان نذكر رقما واحدا لعل الذين يعيشون في الكهف يستيقظون ••• او على الاقل يتثاءبون ••• وهذا الرقم هو : في بيروت وحدها هنالك ٥١ مطبوعة ماركسية تصدر صباح كل يوم، وتوزع، ولديها القراء بالالوف وعشرات الالوف ••• يصدر من هذه المطبوعات نصف مليون نسخة الى العالم العربي معظمها يصل الى الايدي عن طريق التهريب ••• هذا ما عدا النشرات والكتب والاوامر الحزبية وتوجيهات الطلائع ••!

اما على الضفة (المصرية) فليس غير الصحف المصرية الممنوعة من الدخول الى نصف العالم العربي ، والاذاعات المصرية بفروعها الثلاثة (القاهرة ، صوت العرب ، والشرق الأوسط) يضاف اليها الخبرة المصرية الاعلامية •• كل هذا قد دخل المعركة ••• وما نراه في لبنان يكاد يعصر الافئدة ويدميها انما هو من نتاج هذه المعركة ••• بلى ! لنعترف اولا بهذا الواقع ثم نبحث بعدها عن الحل !

لهذا لم يعد هناك من عزلة : الانسان المعزول سينقرض حتى لو حصن نفسه بكل ما لدى امريكا والاتحاد السوفييتي من اسلحة ... ولا صمت : ان الابتعاد عن هذه المعركة هو استخفاف ولا مبالاة تستوي مع الكـــذب والتمويه والزيف الفري ...!

اعرفهم ... اعرفهم هؤلاء الذين ينتظرون الصحف القاهرية صباح كـل يوم ليقرأونها وهم يرتلون ... داخل غرف فنادق بيروت الفخمة ... وبعدها يمتطون سياراتهم ويذهبون الى اعمالهم وقد ادوا واجبهم و (انبسطوا) بينما غيرهم يحترق ... ان هــؤلاء لا يدرون ان قراءتهم لهذه المقالات لا تقـدم ولا تؤخر لان الجيل الجديد قد تثقف على الايدي الرافضة التي تلعن القديم واهله ... وتعتبر الجديد ما جاء به ماركس وانجلز ... ولينين وهوشه منه وتشي جيفارا ، وهذا الماركسي الذي (نطز) في اخر العمر وانتزع اللقمة من أفواه شعبه وراح يوزعها على مرتزقة العالم الذين ينشرون صوره وآراءه في السياسة والحياة .. ان صورة (كيم ايل سونغ) تنشر صباح كل يوم في ١٨٠٠ صحيفة ومع الصورة اعلاناته ، واخرها ما نشر وينشر هنا وهناك وهنالك على صفحات الجرائد والمجلات العربية ... انه لم يعد يكتفي بتوحيد كوريـــا بشمالها حيث يحكم ، وبجنوبها حيث يريد ان يحكم ... بل اخذ يتطلع الـى العالم العربي عله يجد فيه مكانا يعلم فيه الناس الحكمة وطريقة التوحيد ..!

لهذا يجب ان يدرك هؤلاء الذين يتكئون على الارائك (ويسولفون) ان رؤوسهم هي المطلوبة ... فهل يعلمون ؟ وهل يفقهون ؟

ماكس شيلر الفيلسوف الالماني المعاصر كان يقيم ندوة فلسفية مع تلاميذه ... كلهم كان يشارك في النقاش الا واحدا ... واراد شيلر في النهايـة ان ينطق الطالب بشيء ... سأله فقال :

اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ..!

فاجابه شيلر :

يا لك من مزيف للنقود ..!

قد يسألنا سائل ، وماذا لدينا لكي نقدمه والمعركة في استعار ... والموج صاخب ... والايدي تضغط على الزناد ؟

الى هؤلاء نقول :

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر ...)

لدينا الشيء الكثير لنقوله ... ولدينا الشيء الكثير لنعمله ...

ان (الرفض) وحده لا يكفي ... انه سطح نضع عليه الاشياء ولا نقبض منه على شيء ... اما ما تقوله القاهرة اليوم فلدينا الكثير من المآخذعليه..!

بعض كتاب القاهرة ومفكريها ممن نحترم ونقدر انساح وراء هياجه وراح يتهم العرب بالتقصير والتجني..! ويتهمهم بالتخاذل في نجدة مصر يوم كانت مصر ترزح تحت حكم (الاجهزة) و (مراكز القوى)... وبعضهم يتساءل اين كانت ضمائر العرب ازاء الحكم الرهيب الذي ساد مصر في المدة ما بين ١٩٥٥ ــ ١٩٦٧.. وقد نسي هؤلاء الكتاب والمفكرين ان ثلاثة ارباع العالم العربي كانت تحكم بدورها بالاسلوب ذاته الذي حكم به شعب مصر ...

واذا شاء القدر ان يعود المجاهدون المصريون الى وطنهم فان عشرات الالوف من العرب ينتظرون الان العودة ليموتوا في وطنهم بعد ان يئسوا من العودة كرماء ...

كنا ننتظر من مفكري وادباء مصر أن يمدوا ايديهم الى هؤلاء الذين ظلوا اوفياء للضمير العربي في مصر ... لا ان يغرقوا في الهياج والغضب بسبب تصرف بعض المحسوبين على العرب ، وما هم بالعرب ، وان استعربوا ..!

فاذا كان السادات قد افرغ سجون ومعتقلات مصر ، فان عشرات الالوف من الابرياء ما يزالون في بعض السجون العربية يسامون ألوان العذاب لانهم وقفوا الى جانب الحرية والديمقراطية ، ودافعوا عن مصر العرب ... ثم من قال لهؤلاء الكتاب والمفكرين ان العرب يقفون الى جانب (الرفضة)...

هذا مجرد عتاب رقيق نسوقه للكتاب في مصر الذين بدأوا ينعمون برياح الحرية ، وقد تناسوا رفاق سجونهم خارج مصر ..!

ما يقوله (الرفضة)، وما يقوله الاحرار في مصر فيه الكثير من التجني على الامة العربية ... تقولها والالم يحز في نفوسنا ... من هنا كان لا بد لاحرار العرب ، ومفكري العرب من الظهور للرد على الطرفين واعطاء كل ذي حق حقه ...

لقد سبق لنا في «العرفان» ومنذ اكثر من ثلاث سنوات ان طرحنا فور اجهاز السادات على (الاجهزة) و (مراكز القوى) شعارا هو :

(لقد آن الاوان لظهور الكتلة الثالثة)... اي المجموعة المثقفة والمفكرة في العالم العربي التي امنت بالقومية العربية ، وربطت الديمقراطية بالحرية... ودفعت الثمن من حياتها وهنائها وضلوعها ... والتي تعرضت لجميع الوان العذاب ، وصنوف الاتهام ولم تستسلم ...

ويمكننا الان ان نقول هذا دون ان نكشف الاسرار أن هذه الكتلة الثالثة قد بدأت تتحفز لتظهر في القاهرة .. ولا نريد ان نذكر الاسماء الان... ذلك لاننا بانتظار الافعال ...

ولكن هل ستظهر الكتلة الثالثة في غير مصر ؟

هذا هو السؤال ...!

ان في ظهور هذه الكتلة ما يضع الامور في نصابها ، فعندها لن يستطيع احد ان يتكلم باسم الامة العربية لمجرد وجوده في الحكم ... ولن يستطيع احد ان يبيع الامة العربية لمجرد انه اعتنق عقيدة لا تمت الى الارض العربية بصلة ...

وقد سبق ان اقتحم هذا الميدان الزعيم العربي علال الفاسي، فحمل الامه وامانيه وطاف بها على العالم العربي يبحث وينقب عن عشرة اشخاص ليبدأ معهم مسيرته الجديدة في طريق انقاذ الامة العربية مما علق بها من عقائد وافدة وايديولوجيات زاحفة ...

ومع انه وجد المئات من هؤلاء الا انه احب ان يبدأ بعشرة اختارهم اذكر منهم الان :

(اللواء محمود شيت خطاب ••• اكرم زعيتر ••• كاظم الصلح ••• أحمد محمد النعمان ••• جلال السيد) اما باقي الخمسة فلا اريد ان اكشف النقاب عن اسمائهم لان لديهم من المتاعب ما يكفيهم •••

لقد ذكرت هذه الاسماء الخمسة لادلل على ان هناك من يفكر بالمستقبل العربي، ومن يعمل لانقاذه ••• ونلاحظ ان الفقيد علال الفاسي قد اختار رفاق دربه من انحاء العالم العربي (شيت خطاب ـ العراق)، (أكرم زعيتر ـ الاردن) ، (كاظم الصلح ـ لبنان) ، (النعمان ـ اليمن) ، (جلال السيد ـ سورية)• وهناك ثلاثة اسماء من مصر قد اكملوا الطريق لوحدهم بانتظار أن ينضم اليهم باقي الاسماء الاعلام ••!

لن اكتفي بالمرور على الاسماء ، بل لا بد هنا من اعطاء ملامح عملهم القومي •

من ملامح عمل هذه النخبة انها لا تعني بالعمل السياسي وحده •••لعل السياسة جانب من عملها ، ولكنه يمس الصورة الشاملة للفعالية الانسانية، وضمن الصيرورة نفسها ••• يحتضن مختلف جوانب الحياة في تفاعلها وتوترها الاعلى مع الانسان العربي وتاريخه •••

وعملها في الاساس هو اولا حب ••• من لا يطيق الحب لا يطيق العداء ••• وليس بعربي من لا تكون كل ضلع ممزقة بالسياط ضلعه ••• من لا يستطيع تفجير منتهى الكرامة من منتهى الحزن ••• من لا يستطيع ان يسحق ذاته وفكره كل لحظة في سبيل حق امته ليس عربيا •••

الناقم ••• الحاقد ••• الموتور ••• الدموي ليسوا عربا •••

هم حرائق وارجال دمار •• تزييف على القومية العربية نفسها • هم غربان جيفه تريد المشاركة في الاسلاب ••• تعرف فرح الانتهاز والتخريب لافرح الابداع ••!

هم فوضويون يتمنطقون بالثورة ليساهموا في تخريب وطنهم !

وعملهم ايضا هو انساني لانه من الانسان ينطلق والى الانسان يعود•••

انه ايمان بان الانسان مرتبط بالاخرين ناج مع الاخرين وبواسطة الاخرين••• بدون هذا المحتوى يبقى العمل العربي نارا في الهشيم ••! وهو ثالثا في صميمه انتماء ••• التزام أصيل بالارث والتراث••• تمهد ارادي طوعي بالعمل ومواجهة الواقع بحلول عربية ••• انه لا يستمد اصالته من الرفض ابدا ولكن من نوع العوالم والعلائق الاخرى التي يعاني خلقها •••

انه ضد الصمت ••• ضد اللامبالاة ••• ضد الاستسلام لانها جراح على ارادة الخلق •••

وهو جدلي ••• هو نقلة من التفكير السكوني الى الحركي ومن الانعزال الى المشاركة الحية ••• العربي متمرد على نفسه ابدا ، معاود النظر في منطلقاته ابدا ••• لا تنتهي امامه المعضلات ولا الحلول ابدا •••!

ان عصر التعايش الهادىء قد انتهى••• كل العرب الان يعيشون في خطر ••• كلهم مجرورون في لجج واحدة ••• كل من له عينان متعب ••• ان مصيرا اخر يصاغ للانسان العربي ••• كيف يكون ؟

اذا لم نتحفز الان، فان الاقدام ستسير وقد تصبح المركبة العربية في يد قبطان لا يرحم ••• وكم عرفت الامة العربية من امثال الذين لا يرحمون •••

اللامبالاة لم تعد ممكنة ••• واصحاب الكهف هل يبقون فيه ؟

لقد يأوى الانسان الى الكهف في الازمات ، في سويعات الارهاق المدمر ••• في الهرب الاحمق ••• ولكن هل يستطيع الانسان العربي ان يعيش في الكهف ابدا ؟

اطفال الشواطىء البحرية لهم لعبة يعرفونها ••• يجعلون القواقع الكبيرة عند آذانهم ليتسمعوا دوي البحر اللانهائي البعيد ••• ماذا لو خرج اهل الفكر العربي من قوقعاتهم فحملوها ليتسمعوا الى هذا الهدير حولهم ويروا بأم اعينهم

حكامهم بعد خمس سنوات ...؟

لا اظلم الناس ولا الحق :

من يعجزه الزحف الى الينابيع الصخرية يشرب الماء الاسن في القيعان ، واني لارى على ركود المستنقع الاسن جموع الناس عبا ونهلا ، وكيـــلا ، وتجشؤا وغفوة صبح...

فهل اضحت الامة العربية كالمؤودة التي سئلت بأي ذنب قتلت ؟

لا الرفض بمستقر ... ولا الضياع بمستقر ... شرط ان تسمع النخبة العربية القواقيع الكبيرة في اذانها فتنطلق .

بيروت　　　　زهير ماارديني

قناع „قناص" و „ابتسامة" تاريخية

يحدثنا علم الحيوان على ان هناك بعض الطيور تظل صامتة خرساء الى ان تفقأ عين من عينيها ، عندها فقط تغرد وتشدو ...

وقد اصبت في بيروت بما يصيب هذه الطيور حين شاهدت امامي انسانا يصاب برصاصة (قناص) فيخر على الارض صريعا فأهرع اليه تحت وابل من الرصاص واحمله بيدي خطوات ثم انقله الى مستشفى الروم في الاشرفية ... فهل بامكاني ان اصف هذا المشهد بكلمات ولو خرساء !!

كنت قد اجتزت سوق النجارين في طريقي الى عملي ... وكنت اسير في منتصف الشارع ... وكان هناك من يحمل (كلاشينكوف) ويسير بمحاذاة الحائط ويتلفت في مشيته كالفأر الحائر ... وما ان رآني اسير في منتصف الطريق بدون مبالاة حتى امطرني بسيل من الشتائم مشيرا الي بأن التصق بالحائط مثله ، وبينما كنت اتلقى سيل شتائمه كان المسكين يتلقى الرصاصة في صدره ...!

كان ما يزال الى جانبي في السيارة التي أقلتنا الى المستشفى حين بدأت مسيرتي في الطريق المظلم الذي يمر باعماقه واعماقي ... وقد اكتشفت هذا الطريق من الضوء الخافت الذي رأيته على ابتسامته التي غطت وجهه ...

صدقوني انها كانت ابتسامة غريبة ... انها ليست ابتسامة شخصية... ولكنها ابتسامة (تاريخية)... ابتسامة مظلوم لا يعلم اسم ظالمه ...

لم يحدث لي أن رأيت جريحا يقع على الطريقة التي وقع فيها جاري في السيارة ••• بالرغم من مئات الجرحى الذين شاهدتهم يتساقطون في معـارك الحرب مع اليهود في فلسطين••• كنا نحسد هؤلاء الجرحى على بطولتهم في ساحات الشرف ••• ولكن الامر هنا يختلف تماما ••• فقد كان الناس يرون جثث القتلى في الشوارع ويفرون منهم الى دورهم ••• وكانت هذه المشاهد تهزني لانها تروعني فتبكيني••!

ماذا حل بنا والدوامة الدامية تلف مدينة بيروت وسألت نفسي :

ما وجه الغرابة في هرب الناس من قتلى رصاص (القنص)؟

الا يحدث ان نحرص على مشاهدة الام الناس وعذابهم ودموعهم ودمائهم؟ ألا ندفع في ذلك وقتنا ومالنا ؟

والجواب : بـلى •!

لمـاذا ؟

لاننا نستريح لعذاب الاخرين ••• لاننا نتعذب لعذابهم ••• وهـذا التعذب لعذاب الاخرين يريحنا • اذا لم اكن واضحا • فهذه هي الادلة •••

فالصحف والمجلات مليئة في هذه الايام بالدعوة الى الاقتتال ••• وفي اضفاء البطولة على الذين يصطادون الناس برصاصهم ••• واكثر الصحـف انتشارا ايام المذبحة هي الصحف التي صفقت للاقتتال •••

كانت الدموع في عيوننا تصفق لهذه الانتصارات الصحفية ••• وكـان الناس يتزاحمون على قراءة هذه الصحف والمجلات ••• احدهم اشترى مجلة اسبوعية بخمس ليرات وعكف على قراءتها بنشوة •••

ترى هل كانت نشوته نابعة من تقديسه للعذاب •••

فلا بد ان مشهد (اقتناص) رأس بشري يريح بعض الناس او كـل الناس ••• مع انهم هم الذين قتلوهم ••• قتلوهم لانهم يتلذذون بالتعذيب، ويبكون عليه للذة التعذيب •••

في مستشفى الروم رأيت شيئاً لم اره من قبل حين وصل رفيقي الى غرفة العمليات ••• رأيت اناسا يعرفون شيئا لا يعرفه احد من الناس ••• لا انـا ولا رفيقي الجريح ••• انهم يعرفون ان ما تقلوه على (المحفة) انما هو شيء جامد••• وليس بشرا سويا ••• انهم يعرفون ضيوفهم الجدد وهم يختلقون عن ضيوفهم الذين اعتادوا على استقبالهم بالترحيب ••• فالضيف الجديـد لا أهل له ولا اصدقاء ••• انهم يعرفون كل ما نخافه ان نعرفه نحن ••• فما هي لحظات حتى ينتقل الضيف من المشرحة الى (البراد)••• وسيكونون اكثر سعادة لو كانت الاصابة مميتة ••• لانهم في مثل هذه الحالة يوفرون العنايـة وثمن الدواء••• وهناك رأيت شيئا أشد غرابة ••• رأيت اناسا يضعون اقنعة على وجوههم ••• لماذا ؟ حتى لا يروا الاحياء يتحولون الى اموات بلـمح البصر •••

هذا القناع يشبه السحابة السوداء التي تخفي نجوما تلمع هي عيـون الناس ••• ومعنى ذلك ان هناك شيئا اقسى من اصطياد الناس بواسطة بندقية عليها (مكبر) ••• عيون الناس •••!

عيون الناس في اليوم الذي اوصلت فيه رفيقي الى المستشفى فيها معـان غريبة ••• فيها استطلاع مخيف ••• وفيها اشفاق قاتل ••• وفيها فزع يضاعف فزع المصاب برصاصة (قناص)••• وهي تتفرج على الجثث المنقولة مـن المشرحة الى البراد وتتفرج عليها وتتفرس فيها كأنها حيوانات غريبة ••• عيون مجنونة ، تنقل نظراتها بين اصحاب الاقنعة وبين الجثث الهارعة الى حيث تتكوم فـوق اخواتها •••

ولذلك فهذا القناع يصبح في نظر الجثة وهي تلفظ انفاسها اقسى مـن المـوت •••

عند عودتي الى المنزل رحت اتقلب في الليل ••• وعندما كان الغطـاء يقترب من رأسي افزع كأن رصاصة قناص اخترقت قلبي••• وكان صـوت الجثة التي صحبتها الى المستشفى تصرخ في وجهي:

ـ هيه ... انبسطت لان رأسك سلم وذهب رأسي ؟

منذ تلك الليلة وانا أرى في احلامي اشياء تعلقت في حبل طويل كحبل الغسيل ... انها وجوه غريبة ... وجوه اناس اعرفهم اختطفهم الرصاص (القناص) واناس لا اعرفهم ... وفي الصباح كانت ابتسامتي التي اعتدت ان اواجه بها الحياة قد اختفت تماما ... فلم يعد بامكاني ان اضعها من جديد لاوهم الاخرين باني ما ازال أعيش ... والسبب هو ابتسامة الجريح الذي شنمني لانني لم افعل كما فعل هو ... ابتسامة ما لجثة ما ..!

بيروت　　　　زهير مارديني

ملاحظات هامة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقالات واشعار وقصص غيرها يعبر عن اراء الكتاب انفسهم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة او يعبر عن اتجاهها .

● كما ان مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفقا لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب او اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط ، و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

مطلوب انشاء مؤسسة لدراسات الوحدة العربية

بقلم: الدكتور جورج جبور
دكتور في العلوم السياسية

مدير مكتب الدراسات العامة لدى رئاسة الجمهورية العربية السورية
الاستاذ المحاضر في الدراسات العليا (قسم الفلسفة والاجتماع) بجامعة دمشق

(هذا الاقتراح نشرته مجلة المعرفة الدمشقية في عددها الخاص عن الوحدة العربية ، الصادر في ايلول ١٩٧٢) ولكن نظرا لاهميته ومعالجته الواقعية والصريحة احببنا اعادة نشره كما أحب ذلك الدكتور جورج جبور الغني عن التعريف لان احدى دور النشر في بيروت حاولت استغلاله .

تقديم

لم يكن الاقتراح الذي يعاد طبعه في الصفحات التالية ، حين نشر عام ١٩٧٢ ، الخطوة التنظيمية الاولى التي طورتها للبحث العلمي في الواقع العربي بهدف توحيده . فقبل عشر سنوات من نشر هذا الاقتراح تقدمت الى منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة الامريكية باقتراح لانشاء رابطة عربية للعلوم الاجتماعية ، تضم ، اول ما تضم ، اختصاصيي العلوم الاجتماعية من العرب في تلك الدولة ، وتوسع عضويتها لتشمل بالطبع الاختصاصيين في الوطن العربي ، والاختصاصيين العرب في الدول الاجنبية الاخرى . ولكن ظروفا كثيرة حالت دون ادراك قيادة منظمة الطلبة العرب اهمية ذلك الاقتراح آنذاك .

اما اقتراح انشاء مؤسسة لدراسات الوحدة العربية فقد حظي، منذ نشره، باهتمام أكثر ؟ اذ رحب به كثيرون ، وعقدت لبحثه ندوة في دار البعث، وشكلت عام ١٩٧٣ لاعتماد فكرته لجنة من كبار المسؤولين في القطر العربي السوري .

وبمناسبة اعلان تأسيس مركز للدراسات العربية في بيروت ، اوائل عام ١٩٧٥ ، رأيت مفيدا اعادة طبع الاقتراح ، وتوزيعه على نطاق واسع، لـكي يسهم في بلورة اساس تنظيمي لعمل علمي عربي مشترك هادف الى تقريب الوحـدة ٠

هذا وقد حرصت ، مراعاة للدقة ، على اعادة طبع الاقتراح دون ادخال اي تعديل عليه ، على الرغم من انه يحتمل التحسين في عدة نقاط وردت فيه، وعلى الرغم من ان توجهه ، في نواحي منه ، ينطبق على واقع الحال في القطر العربي السوري أكثر من انطباقه على واقع الحال العربي٠

١٢ ــ ٢ ــ ١٩٧٥ ج٠ج٠

الى انيس صايغ ومركز الابحاث الفلسطينيـة :

حين يقترن العلم بالنضال يشق طريق ٠

أ ــ تمهيـد :

لعل خير ما يوضح توجه ما يلي من صفحات حادثتان ــ او على وجه أدق ادراكان شخصيان لحادثتين ــ يفصل بينهما ما يزيد على عشرين عاما ٠

« الحادثة الاولى » هي تلك الدهشة التي استحوذت علي ــ وكنت اذ ذاك في اوائل مرحلة الدراسة الاعدادية ــ حين كنت أقرأ نبذة عن حياة طه حسين عميد الادب العربي لاكتشف انه نال الدوكتوراه في الادب العربي من جامعة باريس ٠ شعوري الاول كان شعورا بعدم التصديق ، وبالشك في صحة تلك النبذة التي كنت اقرؤها عن حياة العميد ٠ فهل يعقل ان يكون ثمة في باريس اناس اعرف منا بأدبنا ، وهو منا ما نعرف ؟ ومنذ ان تحققت من صحة تلك النبذة التي قرأت، جثمت في ذهني اشارة استفهام كبرى ، تصمت ولا تغيب : لماذا ؟

اما « الحادثة » الثانية فلم تمض عليها الا اسابيع معدودة ٠ يومها كنت قد فرغت ، بعد مراجعة حوالي عشرين كتابا او نحو ذلك من تصنيف سجل متواضع الحجم (حوالي مائة صفحة) عن اهم الاحداث التي شهدها القطر

العربي السوري او اثرت فيه بين عامي ١٩١٨ وحتى نهاية عام ١٩٧١ . في ذلك اليوم بالذات وقعت على نشرة دعائية حديثة من احدى دور النشر في امريكا تعلن بها صدور سبعة مجلدات سجلت فيها اهم الاحداث الدبلوماسية والسياسية للوطن العربي كله من عام ١٩٠٠ وحتى عام ١٩٦٧ . مصنف هذه المجلدات السبعة استاذ امريكي يوحي اسمه بانه من اصل يهودي عربي وقد اقام في اسرائيل لعدة سنوات موظفا في السفارة البريطانية هناك .

دهشة التلميذ الذي كتبه في اوائل الخمسينات من « حادثة » طه حسين أخذت ، فيما بعد ، بعدا حزينا بلغ قمته في هذا الكتاب الجديد الذي وقعت على اعلان عنه : ان الذين « وضعوا يدهم » على أدبنا العربي قد وضعوا يدهم ايضا على تاريخنا،ليس القديم منه او الوسيط ، بل الحديث والمعاصر أيضا . ان ما يعرفه ويكتبه غير العرب عن العرب هو اضعاف ما يعرفه ويكتبه العرب انفسهم عن انفسهم . وفي كثير من الاحيان يكون مصدر علم العرب عن العرب هو ما ورد ويرد فيمايكتبه غير العرب عنهم . ان الحاجة ماسة لتعريب العلم بالعرب ، لتعريبه في بلاد العرب اولا وقبل كل شيء .

المؤسسة المقترح انشاؤها في هذه الصفحات ليست كلها وليدة رد فعل عاطفي او سريع لحادثة او حادثتين او عدة حوادث ، وليست كلها انتقاما لكرامة مهدورة يشعر بها كل دارس عربي حين يفاجئه الواقع العلمي المؤلم وهو ان عليه ان يرتحل الى ديار الغرب لكي يجد مصادره، ولكي يبحث مع اختصاصيي الشرق الاوسط في جامعات الغرب المسائل الفكرية التي تشغل ذهنه ويحصل منهم ايضا على درجته الجامعية المشعرة بتخصصه في الشرق الاوسط . المؤسسة المقترح انشاؤها لا تخلو بالطبع من الدوافع التي أوردت سابقا ولكنها لاتقتصر على ذلك . ان لها « مداخل » كثيرة نذكر اهمها الان لننتقل بعد ذلك الى تحديد مهمات المؤسسة والى تبيان الشكل التنظيمي والكيفية التي يمكن ان تبدأ وتطور بها عملها ، ثم لنخلص من ذلك الى تبيان المعوقات والتوقعات التي قد يثيرها الاقتراح .

ب ـ مداخل الى المؤسسة المقترحة :

كثيرة هي المداخل التي تقودنا الى التفكير بضـــرورة ايجاد مؤسسة لدراسات الوحدة العربية . والحق انه كما هي كثيرة ـ ويومية ـ المـداخل التي تدفعنا الى الايمان بضرورة الوحدة العربية كذلك هي كثيرة ويوميـــة المداخل التي تقودنا الى التفكير بضرورة انشاء المؤسسة المقترحة .

ولعل من المفيد ـ تبسيطا واختصارا ـ ان نتحدث عما يلوح لنا اهـم ثلاثة مداخل للموضوع ، وسأطلق عليها اسم المدخل القومي ، والمدخل الثقافي ، والمدخل القطري العملي المباشر .

١ ـ المدخل القومي :

من المسلم به في هذا القطر وفي عديد من الاقطار العربية الاخرى ، ولدى كل القوميين العرب اين كانوا ، ان الوحدة العربية ضرورة حياتية كبرى وان القومية العربية حقيقة راسخة شامخة . وقد شغل الفكر السياسي نفسه منـذ منتصف القرن التاسع عشر والى الان بدراسة ظاهرة القوميات وانتهى مـن بحثه ـ عموما ـ الى الاستحقاق الحصري للقول بوجود قومية عربية ، والى ان العرب في كل اقطارهم امة واحدة ، والى ان الشكل الطبيعي للامة الواحدة هو ان تعيش في دولة واحدة.مشتقات هذه المهمة التي اخذ الفكر السياســي العربي نفسه بها هي البحث في مقومات القومية العربية (اللغة والتاريخ خاصة) وتبيان أثرها والالحاح على اهميتها في مقابل مقومات مضعوفة لقوميات اجمع على انها مصطنعة (العامل الجغرافي والقوميات الاقليمية ، او العامل الديني والدعوات الاسلامية ، او عامل اللهجة المحلية والقوميات المحلية). واذا كان لنا ان نعلق على هذا النمط من البحث القومي فهو القول بانه انجاز تاريـخي هام ومفيد وضروري، وانه من جهة اخرى قد استنفد مهماته او كاد لاسيمـا في اقطار المشرق العربي. هذا القول لا يعني ضرورة « اغلاق » البحث فــي مقومات القومية العربية بقدر ما هو دعوة الى اتخاذ انجازات البحث في المقومات كمنطلق . منطلق ننطلق منه الى ريادة نوع من البحث جديد ـ او اشبـــه بالجديد ـ ، نوع من البحث لابد منه اذا كنا نريد ان نتحرك في سبيل تحقيق

الهدف المعلن وهو الوحدة العربية . هذا النوع من البحث هو البحث في الكيفية التي تمكننا من تحقيق اوحدة لعربية، اي الانتقال من مستوى الحكم الاخلاقي (المشتق من بحث مقومات القومية العربية وغير المتعلق بزمان ومكان) الى مستوى الامكانية العملية (المشتق من بحث الكيفية).

من الحق الاعتراف بأن بحث الكيفية ليس جديدا بالكلية من حيث الاساس . مفكرون قوميون كساطع الحصري وزكي الارسوزي وعدد من كتبة الرسائل الجامعية تخيلوا كيفية ما لتحقيق الوحدة العربية . كذلك بحث في هذه الكيفية رجال سياسة وبحثت فيها احزاب سياسية في معرض نشاط سياسي (كما في مباحثات الوحدة العربية التي اسفرت عن قيام الجامعة ، او في معرض مشاريع « وحدة » الهلال الخصيب ، او في معرض المناقشات بين عدد من الحركات الثورية المعاصرة)، ولكن من الحق القول ان اكثر هذا البحث من قبل المفكرين كان قليل المنهجية العلمية من جهة وقليل التأثير على مجرى الاحداث من جهة ثانية . اما بحث السياسيين فقد كان في الاغلب ــ الى جانب افتقاده المنهجية اساسا ــ سلاحا سياسيا ، سهما سياسيا من مجموعة سهام تستعمل في ظرف معين ، ان لم يفتقر الى الاخلاص في المدى البعيد ، فقد افتقر اليه في المدى المباشر افتقارا حرمه من الشرط الاول للبحث وهو الجدية.

لن نؤرخ هنا ، للفكر الوحدوي ولن نوجه اليه النقد التفصيلي اذ ليس لنا الى ذلك حاجة ، فالمشكلة التي نطرحها بسيطة سهلة لا ينبغي ان تغيب عن الذهن في متاهات التقويم واختلافات وجهات النظر : اذا كنا دعاة وحدة عربية فعلينا ان نبحث الان كيف يمكن تحقيقها ، علينا ان نركز جهدنا الان على كيفية امكان اقامة الجسر الذي نصعد عليه من الواقع المرفوض الى المستقبل المنشود .

في الدعوة من مدخل قومي الى مثل هذا البحث تتوجب ملاحظة ما يلي:

ــ ان الوحدة كمهمة قومية يخص واجب وحق البحث في كيفية تحقيقها جميع القوميين العرب ، ولا يخص فقط جمهرة الحكام وحدهم . هذا افتراض اجمعت عليه الادبيات القومية واعتنقته انظمة الحكم الثورية .

ــ سواء كنا من انصار الثورة او الطفرة كأسلوب لتحقيق الوحدة العربية

او كنا من انصار التدرج والوظيفة فـان الاطاحة بالواقـــع الموضـوعـي العربي ـ بما تعني الاحاطة من دراسة وما تعني الدراسة من تجميع وتقويـم الوثائع وتقديم البدائل ـ تبقى دائما متوجبة .

ـ مهما كانت تقويماتنا لنظم الحكم العربية فان ثمة ظـــاهرة هامة في العصر الحديث هي اضطرار السياسة الى الارتكاز المتزايد على الدراســة . العصر الحديث قرب المسافة بين اجهزة الحكم وبين اجهزة العلم ، فلم يعـــد بامكان الاولى ان تتجاهل الثانية ، وصار من التراث الطوبائي المتجاوز تمسك الثانية بما دعي بنظرية العلم للعلم ، ان احد مؤشرات الحداثة والتطور في دولة ما في هذا العصر هو التعاون بين رجال الحكم ورجال العلم . ولعل هذهالنقطة واضحة بما فيه الكفاية فلا تحتاج الى مزيد من الشرح.

ـ يتخذ بعض المثقفين من غياب تقاليد راسخة للحرية الفردية وحريـــة البحث في الوطن العربي حجة لتجنب البحث في القضايا المصيرية الهامة. لـــن ننفي هنا كل استحقاق هذه الحجة ، ولكن متابعي مسألة « حرية البـــحث الاكاديمي » يعرفون دون شك الحدود الكبرى الفعلية المفروضة على تلـك الحرية حتى في اكثر الدول اعلانا عن تمسكها بتلك الحرية ـ واعني بهــــا الولايات المتحدة الامريكيةـ. كذلك فان باحثي الدول الاشتراكية وفيطليعتها الاتحاد السوفييتي لا يرون في تمسكهم بالماركسية ـ اللينية قيدا معوقـــا للبحث ، بل بالطبع يرون عكس ذلك تماما . وبوسعي ان اعدد عشـــرات الدراسات الموضوعية والملتزمة معا التي صدرت بالانجليزية والفرنسية عندار التقدم بموسكو والتي يفاخر بموضوعيتها ـ رغم او سبب التـزامها ـ اي اكاديمي . ثمة في اعتقادي مجال واسع امام الباحثين العرب لممارسة حريـــة البحث القومي بشكليلوح بهالتمسك بهذه الحجة ذريعة للكسل غالبا ، اكثر منه شكوى من معوق جدي ـ وسنعود الى مشتقات من هذه الذريعة فيما بعـــد ـ .

وخلاصة القول في المدخل القومي انه من المحتم علينا قوميا ـ اذا كنـا نؤمن حقا بالقومية العربية وبضرورة انبثاق الوحدة عنها ، كما نردد ليل نهار ـ

ان ندرس السبل المؤدية الى الوحدة وان تتقدم ببدائل الى الحكام والى الشعب بدائل تزداد جدية بمقدار ما تزداد جدية البحث للوصول اليها .

٢ ـ المدخل الثقافي :

يجب ان يكون هذا المدخل واضحا لكل مثقف سواء استوعب او عرف لماذا الاهتمام الدولي بدراسات الشرق الاوسط . ثمة في الولايات المتحدة الان ـ حسبما تقول التقارير المتخصصة ـ حوالي سبعمائة جامعة تعطي كل منها مقررين على الاقل في كل فصل دراسي عن الشرق الاوسط في قسم العلوم السياسية وحده ، هما مقرر « النظم السياسية والحكومية في الشرق الاوسط » ومقرر « العلاقات الدولية للشرق الاوسط ». من هذه المئات من الجامعات ثمة حوالي مائة تعطي شهادات في الدراسة العليا للشرق الاوسط أي درجتي الماجستير والدوكتوراه. كذلك يبلغ عدد رسائل الدوكتوراه المقدمة سنويا الى الجامعات الامريكية عن الشرق الاوسط ما يزيد على مائتي رسالة، سواء قدمت الى اقسام الشرق الاوسط او الى اقسام العلوم السياسية او التاريخ أو علم الاجتماع او الانسانيات. أغلب هذه الرسائل يعالج مشاكل راهنة تشغل الشرق الاوسط ، وأقلها يتجه اتجاهات الاستشراق الكلاسيكية، أي يتجه الى التراث اللغوي او الادبي أو الديني .

ليس ثمة بين ايدينا تقارير مشابهة عن وضعية دراسات الشرق الاوسط في اقطار اوروبا المختلفة ، ولكن مراجعة قمت بها لفهرس مكتبة جامعة باريس عام ١٩٦٥ اظهرتني على عناوين مئات الدراسات عن القطر العربي السوري ، مقدمة على شكل مذكرات ورسائل جامعية ، اكثر من ثلثيها كتبها عرب سوريون ـ او غير سوريين . كذلك ثمة دراسات هامة عن الشرق الاوسط تصدر عن مراكز بحوث جدية في دول اوروبا الاشتراكية . ويمكن في هذا الصدد تعداد اكثر من عشرين كتابا مكرسا للشؤون العربية صدرت في مدى السنوات العشر الماضية بالانجليزية او الفرنسية عن دول اوروبا الاشتراكية. ولما قلنا ان هذه الكتب صدرت بالانجليزية والفرنسية فذلك يعني ان ثمة عددا اكبر بكثير من هذه الدراسات صدر بالروسية او الالمانية او بغيرهما من اللغات المحلية في

شرقي اوروبا ، وليس لدى كاتب هذه الاسطر سبيل مباشر الى معرفتها (١). ولعل من المفيد الاشارة الى ان احد اهم الكتب التي صدرت عن التاريخ الاقتصادي للقطر العربي السوري وهو كتاب بدر الدين السباعي : اضواء على رأسمال الاجنبي في القطر العربي السوري (دمشق ، ١٩٦٤) كتب اساسا كرسالة للدوكتوراه في جامعة موسكو . وقد ذكر عميد معهد العلوم السياسية في جامعة بودابست لصاحب هذه الاسطر في ايار ١٩٧١ انه تقدم الى المعهد سنويا ومنذ عدة سنوات اربع او خمس رسائل للماجستير عن ازمة الشرق الاوسط باللغة الهنغارية .

حتى في الهند ثمة اخصائيون في الدراسات عن الشرق الاوسط لهم مكانهم المرموق ، ويكفي ان نشير بهذا الصدد الى بحوث الاستاذ م.س. اغواني (٢) والمدرسة الهندية للعلاقات الدولية .

أليس من المدهش في هذا الاقبال العالمي الكبير على دراسات الشرق الاوسط ان يلعب القطر والوطن العربي عموما دور المتلقي لبعض ما ينشر وان لا يصدر ، في الاغلب ، الا موادا خاما (بيانات سياسية ، خطابات ، الخ) تصنع (اي تدرس وتحلل وتقارن) على شكل كتب ودراسات في الخارج ــ خارج الوطن العربي عموما ــ ثم يعاد تصديرها الينا فنكتفي في علمنا بانفسنا على فضل الترجمة الامينة او غير الامينة ، المعلنة او المرتدية رداء التاليف ؟

والحق ان هذا السؤال يطرح سؤالا من نوع اخر : ما هي مراكز الثقافة السياسية في الوطن العربي عامة وفي القطر بنوع خاص ؟

---

(١) ــ لم نقف على اي بحث عربي حول وضعية دراسات الشرق الاوسط في الاتحاد السوفييتي . وبالمقابل نشر جاكوب لاندو، استاذ نظم الحكم العربية في الجامعة العبرية، عدة مقالات من ذلك الموضوع في مجلة Middle Eastern Affairs الصهيونية التي يرئس تحريرها الصهيوني ابلي خدوري (انظر الاعداد : تشرين اول ١٩٧٠، ايار ١٩٧١، تشرين اول ١٩٧١).

(٢) ــ الاستاذ اغواني هو صاحب خير اول دراسة بالانجليزية عن الحرب الاهلية في لبنان في مجلة International Studies الهندية عام ١٩٥٩ وله مؤلفات ممتازة عن الازمة لبنان عام ١٩٥٨ وعدوان حزيران ١٩٦٧ . كذلك له جولات موفقة في دراسة الفكر السياسي العربي التقدمي .

هذا سؤال صعبة الاجابة اليه ، ولكن الملاحظة تظهر ان معظم ما تتغذى منه الثقافة السياسية عندنا يصدر اما عن دار الاهرام ـ جريدة الاهرام ولاسيما العدد الاسبوعي ومجلتا الطليعة والسياسة الدولية ـ او عن دار الطليعة ببيروت او مركز الابحاث الفلسطينية ببيروت ايضا • في الدرجة الثانية تأتي دور وصحافة اخرى ، كدور الهلال والصياد والنهار، او دور النشر الاخرى كدار الحقيقة ودار الاداب ودار المعارف ودار النهضة • في الدرجة الثالثة تأتي صحف ودور نشر محلية تمارس تأثيرها عموما داخل قطر عربي بذاته ولا تتجاوزه بكثير الى اقطار عربية اخرى •

ويلاحظ مما سبق انه باستثناء مركز الابحاث الفلسطينية التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ليس ثمة بين ما ذكرنا من مراكز للثقافة السياسية اي مركز بحوث • صحيح ان ثمة معهد الدراسات والبحوث العربية في القاهرة التابع لجامعة الدول العربية والذي انشأه بجد وجهد عظيمين المرحوم ساطع الحصري، الا ان هذا المعهد من حيث هو تابع للجامعة ـ ولظروف اخرى ليست كلها خافية ـ لم ينتج عنه « تيار » في الثقافة السياسية ، وبالتأكيد لا يشعر المثقف السياسي العربي انه قد فاته الكثير فيما اذا لم يتابع نشاطات ذلك المعهد• كذلك يلاحظ ان مراكز التأثير في الثقافة السياسية اغلبها اما دور نشر او دور صحافة من حيث الاساس بما يعنيه ذلك من نزعة «تجارية» من جهة ومن انعدام فرص المناقشة الكبرى في اجواء تلك الدور للنظر الهادىء فيما يصلح للنشر وما لا يصلح من جهة ثانية • ويلاحظ اخيرا ان الجامعات العربية كلها تقريبا لم تصبح حتى الان مراكز اشعاع في الثقافة السياسية العربية الراهنة ويعود ذلك خاصة الى افتقارها للبحوث ـ وهذا امر يطول الحديث فيه ـ •

نخلص مما سبق الى القول انه بينما تتدفق الكتب والدراسات الجديدة في العالم عن الشرق الاوسط ، نشهد في الوطن العربي عموما اما ترجمة لبعض ما ينشر او تأليفا سريعا ليس على مستوى لائق • والحق ان جوهر المفارقة الكبرى هو انه بينما نقدر ان ثمة في الولايات المتحدة الامريكية وحدها ما لا يقل عن الفي باحث متفرغ فقط لقضايا الشرق الاوسط الراهنة (السياسية الاقتصادية والاجتماعية) يعيشون منها وتعطى لهم الرواتب لتكريس وقتهم

لها ، لا نرى نظرا لهؤلاء على اتساع الوطن العربي الا عددا محدودا جدا قد لا يتجاوز عشر ذلك الرقم في أحسن تقدير . بالاضافة ، لا يعرف هؤلاء الدارسون العرب بعضهم البعض ولا تضمهم رابطة ولا يجمعهم الى انفسهم مؤتمر دوري او ما اشبه .

اذن فان من الواضح ، عن طريق المدخل الثقافي ، ضرورة قيام مؤسسة عربية للدراسات العربية ، لكي تثبت افضليتنا في درس قضايانا ، على الصعيد العربي اولا ثم على الصعيد العالمي . ولا اشك لحظة في ان كل باحث عربي جدي يشعر بكرامته الثقافية مهدورة حين يرى الاجانب يغيرون على ما يجب ان يكون حقله الاول ، تغذيهم دولهم ومؤسساتهم بينما هو يحارب وحيدا حتى يفل عزمه ، فيقنع بان يصبح مترجما لما ينشره نظراؤه في بلدان العالم الاخرى . هل علينا ان نعود الى ساق وفرياق الشدياق ــ في منتصف القرن التاسع عشر ــ كي نؤكد « اصالة » المشكلة ؟

٣ ــ المدخل القطري العلمي المباشر :

يتمثل هذا المدخل في مشاكل يومية يعرفها المسؤولون : اذا احتاج عمل سياسي ما ــ فلنقل وضع دستور للقطر ــ الى النظر في مجموعة وثائق ــ هي في مثالنا دساتير البلاد العربية ليس الراهنة فقط بل والسابقة ايضا ــ فأين نجد هذه المجموعة من الوثائق ؟ ليس ثمة على حد علمي الا مجموعة ديفيس الانجليزية التي تضم دساتير الشرق الاوسط وتنقح دوريا . واذا احتجنا الى النظر في مجموعة وثائق حزب الاستقلال المغربي مثلا فاين نذهب ؟ الى باريس حيث لا اشك ان حوليات المغرب العربي التي تصدر في فرنسا هي اول ما يتبادر الى الذهن ــ ونستطيع ان نستدل منها على طريق ــ .

العمل اليومي للدولة في هذا القطر يستلزم معلومات كهذه بين وقت وآخر وليس ثمة من جهة في القطر تستطيع ان تلبي الحاجة . ولا نقول ان المؤسسات القائمة في القطر ليست كافية لتلبية الحاجة حتى نخلق مؤسسة جديدة ، ولكنني أقول ان المؤسسة الموجودة لم تقم بذلك الامر تاريخيا

وتجريبيا ، وليس ثمة ما يشير الى انها ستقوم به . من الممكن ذكر عدد من الاجهزة الحكومية والحزبية يقع هذا الامر في اختصاصها (الواسع): وزارة الخارجية ، الجامعات ، الادارة السياسية ، المجلس الاعلى للاداب والفنون والعلوم الاجتماعية ، وزارة الثقافة (الخ) ، ولكن لكل جهة من هذه الجهات عذرا تقدمه في عدم السيرفي اتجاه تجميع الوثائق العربية (او حتى وثائق القطر). هذا العذر يكتسب « حقيقته » في عدم توفر الميزانية والخبرة وفي امور اخرى ليس هنا مجال تفصيل القول فيها . ويبقى ان الجامعة الامريكية في بيروت تقوم الان بهذه المهمة ـ على نحو ما ، وبحسب معاييرها الخاصة طبعا ـ وذلك في نشرتها :الوثائق العربية والسياسية . ولعلنا نذكر ايضا وايضا ان البرنامج الاول لتقويم تطور الفكر العربي في مائة سنة ـ والذي اتتج في هذا القطر ، من جملة ما انتج ، ثبتا نافعا بالمراجع المتداولة عن اقتصاد القطر ـ انما كانجزءا من احتفالات الجامعة الاميركية بعيد ميلادها المئوي .

المدخل القطري العملي المباشر ـ مدخل الاسهام في تسيير العمل اليومي للدولة ـ يقتضي منا اذن بدوره التفكير بانشاء مؤسسة للدراسات العربية.

جورج جبور

* هذا هو القسم الاول لما نشرناه بالعرفان في العدد الاول من هذه السنة وكان القسم الثاني .

ماذا بقي ؟!

بقلم : النقيب رياض طه

ماذا بقي من المثل والقيم في لبنان ؟

ها هي المزايا ، التي يختص بها هذا البلد ، والتي لم تسقط في عاصفة الدماء والدموع والنار والدمار ؟

ثمة فضيلة واحدة باقية ، على رغم السهام التي وجهت اليها ، والنكبات التي هزتها ، والضحايا والتضحيات التي بذلتها في سخاء وشجاعة وثبات .

انها الحرية .

حرية المعتقد ، حرية الفكر، حرية القول : حرية ابداء الرأي،والاحتجاج والمطالبة ، بل حرية كشف الاخطار وفضح الاسرار ، والتعبير عن الالم والامل، ودفع الطمع وبعث الطموح.

انها ميزة لبنان الكبرى ، التي تبرر بقاء بنيته المهشمة ، وتعطي استمرار الحياة ههنا طعما ونكهة ومذاقا .

وعندما نتحدث عن الحرية ، فاننا نعني الصحافة ، التي تجسدها، وتحمل رسالتها ، وتبعتها ، وتتحمل اعباءها وجراحها .

اذ لا حرية عندنا من دون صحافة: حتى حرية الانتخاب وحرية الاحزاب، وحرية الخطابة والاجتماع ، وحرية المشترعين وممثلي الشعب انفسهم ، الصحافة هي التي تعبر عنها وتضمنها وتكافح من اجل صونها .

ومتى غابت السلطة ، وفقد الامان ، وتلاشت العدالة، وعز الغذاء يبقى

لهذا الشعب حقه في ان يرفع صوته ، لكي يثبت انه ما زال حيا ، وانه قـــادر على البقـــاء !

على ان للصحافة اعداء وكارهين، مع كل ما تمثل من قيم ، انهم أعـــداء الحرية، الذين يخشونها ، لانهم يخافون كل اشارة الى الجنايات والصفقـات، والى الفساد والانحراف .

وهؤلاء المجرمون والملوثون يحاولون دائما ان يرموا الصحافة بحجر، مع انهم احرى بالرجم . او لم يثبت اخيرا انهم جميعا اوسخ مـــما يعزون الى الصحافة ؟!

انهم يريدون ان يقضوا على الحرية ، لكي يطمئنوا الى ان احـــدا لن يحاسبهم على ما ارتكبوا من جرائم واقترفوا من ذنوب .

وقد فاتهم ان نحر الصحافة سيعني زوال هذا النظام ، وبالتالي زوالهـــم هم . اذ ماذا يبقى من النظام الحر بعد ان تنتهي الحرية ؟

بل ماذا يبقى من لبنان كله ؟

وماذا يصدر لبنان الى الخارج، اليوم، سوى ثمرات عقوله وبنـــات أفكـــاره ؟

هل من « بضاعة » سوى الجرائد والمجلات والكتب ؟

وهل من وسيلة تعبر عن الحيوية المستمرة سوى هذه الصحف، التـي يطلبها صباح كل يوم، الحكام والقادة والمثقفون والقراء جميعا، من مواطنين ومغتربين وعرب اشقاء ، ومن أجانب مراقبين تحت كل سماء ؟

الحرية المسؤولة ؟ نعم ! ان الصحافة تستطيع ان تضبط نفسها وتراقب ذاتها ، في نطاق ترسيخ الوحدة الوطنية ، وتوطيد الصلات العربية .

اما ضرب الحرية لطمس المسؤولية ، فلا ! ذلك لان الصحافة هي ضمير

الناس. ولئن قصرت السلطة الاشتراعية في مراقبة السلطة التنفيذية ، فـان في وسع الشعب ، عبر صحافته ، أن يراقب سلطة التنفيذ وسلطـتي الاشـتراع والقضاء معـاً !

وبعد ، فقد قلنا لرئيس الدولة ، قبل ثلاث سنوات، وفي حضـور ممثلي الصحافة جميعا :

« ان النظام الديموقراطي البرلماني الغربي يفترض وجود صحافة حـرة متعددة المذاهب والاتجاهات . واذا كانت صحافتنا مزعجة ، فان تغيـير وضعها يستتبع تغيير النظام برمته ، وهو نظام لا خير فيه سوى الحرية .

ففي نظام الحزب الواحد ، يمارس الشعب الديموقراطية من خلال الحزب وعندما يحقق الحكم الثوري عدالة سياسية وعدالة اقتصادية اجتماعية ، يكون من حق القيادات والتنظيمات الحاكمة ان تنوب عن الشعب في ممارسة الحرية السياسية ، وتنتفي حاجة الناس الى النقد !

فالنظام الموجه ذو صحافة موجهة ، والنظام الحر صحافة حرة .

وعلى المسؤولين ان يختاروا : اما نظاما حرا بكل معاني الحرية ، وامـا نظاما موجها بكل معاني التوجيه !

اما ان يكون الساسة احرارا في ان يفعلوا ما يشاؤون من دون ان تكون للشعب حرية التعبير والنقد ، فهذا دليل عجزنا عن استيعاب دروس المحنة !

ولا نحسب اننا في حاجة الى مزيد من الشهداء والضحايا ومزيد مـن الخراب، لكي نتعلم بديهات الثقافة وألفباء المعرفة !

وقد آن للذين يفخرون بأن وطنهم انبت العبـاقرة ، ووزع العـمران والاشعاع في الآفاق، آن لمن يعتزون بمواهب لبنان ان يتركوه يحكم نفسـه بنفسه منتسبا الى الحضارة !

شخصية لا تنسى : الدكتور زكي المحاسني

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

ـ ١ ـ

ما زلت أذكر مجالسنا الادبية في رابطة الادب الحديث في القاهرة ، وعلى ضفاف النيل الخالد ، التي كانت تضم صفوة من الادباء من مختلف انحـــاء العالم العربي . وكان واسطة عقدها هو الدكتور زكي المحـــاسني ، بروحه الصافية ، وحديثه الشاعري ، وتجاربه العميقة ، ونظراته البعيدة .

وكان المحاسني درة متألقة ، ومثالا فريدا ، وطرازا نادرا ، في كل جوانب شخصيته المتواضعة النبيلة .

ولد في دمشق الشام عام ١٩٠٧ ، ودرس في مدارسها ، ونال الحقــوق السورية عام ١٩٣٠، ثم نال اجازة الاداب من سورية عام ١٩٣٢ حيث كـــان يدرس في الجامعة السورية ، وصار استاذا للغة العربية وآدابها في المدرســة التجهيزية الاولى بدمشق حتى عام ١٩٤٣. وفي هذا العام بعث به وزارة المعارف السورية الى القاهرة حيث نال شهادة الدكتوراه من الجــامعــة المصريـــة بدرجة جيد جدا ولم يلبث أن اسند اليه تدريس الادب العربي في كلية الاداب الحديثة بالجامعة السورية . وظل كذلك حتى عام ١٩٥١ حيث اختارته حكومة سورية ملحقا ثقافيا في السفارة السورية في القاهرة ، فقضى اربع سنين اخرى على ضفاف النيل ، ومعه قرينته الاديبة السورية الكبيرة السيدة ودادسكاكيني ، وانجاله ، يؤدي عمله الرسمي في السفارة ، ويشترك مع الادباء المصريين في حلقاتهم وندواتهم ومجالسهم الفكرية والادبية والثقافية وكأنه واحد منهم .

وفي عام ١٩٥٦ نقل الى دمشق للعمل في لجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف السورية .

ولعل ما في الدكتور زكي المحاسني من ظرف وادب وذوق وانسانية مرده

الى يتمه ، فقد مات والده ولم يمض عليه غير عامين ، فرعته امه الحنون وعمه الوفي لصنيع اخيه معه . وكان والده من كتاب المحكمة الشرعية بدمشق، ومن اسرة عربية عريقة .

وكان الدكتور زكي المحاسني واسع الاطلاع على الادب العربي القديم والحديث ، وعلى الادب الفرنسي ، ملما بكل ما يصدر لاعلام الفكر العالمي، ذا ذوق اصيل ، وملكات عميقة ، مع اعتزاز كبير، منه بعبقرية العرب والاسلام وتراث العرب والاسلام وادبهم وفكرهم وحضارتهم ، ومع مجاراة للحضارة الحديثة لا تبعده عن النبع الاسلامي الاصيل العميق المتمكن في نفسه .

ـ ٢ ـ

عين الدكتور المحاسني عضوا في المجلس الاعلى للفنون والاداب في سورية ، وقام بالتدريس في كلية الشريعة بمكة المكرمة التابعة لجامعة الملك عبد العزيز آل سعود ، ثم ندب للتدريس في كلية التربية في الجامعة اللبنانية عام ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ وثلاثة اعوام بعده . وكان يشرف على مجلة « المعرفة » السورية في وقت من الاوقات .

وعين قبيل وفاته عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة تقديرا لعلمه وفضله .

ظل يكافح من اجل الثقافة والادب حتى استأثرت به رحمة الله في الثالث والعشرين من مارس ١٩٧٢ بعد ان ابلى بلاء رائعا من اجل امته وبلاده ودينه وعروبته ، فبكاه اصدقاؤه وتلاميذه وعارفو فضله احر بكاء .

وكان مما يخفف عبء الكفاح عليه وجود سيدة فاضلة كريمة بارة بجواره هي زوجته الاديبة السورية الكبيرة وداد سكاكيني ، التي اقترن بها عام١٩٣٣ وهي من أصل لبناني، واحدى شهيرات الادب النسائي في العالم العربي اليوم.

ـ ٣ ـ

والدكتور المحاسني كاتب رصين الديباجة ، رائع الاسلوب ، وهو كذلك شاعر عمودي رفيع الصياغة ، قوي الموسيقى وشعره يرفعه الى منزلة عالية بين الشعراء المعاصرين ، وهو كذلك خطيب ومحاضر ومعلم وصحفي ودارس للادب العربي ، وناقد، وفقيه اسلامي ، وعلى الجملة فمواهبه أكبر من ان تحصى •

وكانت مقالاته ودراساته تزدان بها امهات الصحف والمجلات في مختلف انحاء العالم العربي وديار الاسلام،فهو من كتاب مجلةالرسالة والاديب والاداب والثقافة المصرية ومجلة الكتاب القاهرية ومجلة الكاتب المصري ومجلة الحج المكية ومجلة المنهل ومجلة المعرفة الدمشقية ومجلة الحديث الحلبية وسواها•

وصفوة القول انه اعطى وبذل كثيرا ولم يأخذ الا القليل ، وماذا اقول في اديب ملك كل مواهب الادب ، وخاض في كل ميادينه ، وكتب وألف اعمق الاثار الادبية ، ثم هولم تقدره بلاده حق قدره ، ولم تعطه الا التافه من المناصب التي كان يستطيع ان يخدم بلاده في اكبر منها واكثر •

ولكن الدكتور المحاسني كان مما يعوضه عن جحود جيله لعبقريته: زوجته السيدة وداد سكاكيني وابنه ذكوان وابنتاه ذكاء وأسماء ، حفظهم الله جميعا •

ـ ٤ ـ

اما مؤلفات الدكتور المحاسني فكثيرة منها :

١ ـ رسالة للدكتوراه ، طبعت عام ١٩٤٧ واعيد طبعها عامي ١٩٦٣ و ١٩٧٠ في القاهرة وعنوانها « شعر الحرب في ادب العرب في العصرين الاموي والعباسي الى عهد سيف الدولة »•

٢ ـ رسالة للماجستير طبعت في القاهرة عام ١٩٤٥ وهي بعنوان « ابو العلاء ناقد المجتمع » ثم طبعت في بيروت عام ١٩٦٤•

٣ ـ « النواسي شاعر من عبقر » طبع في دمشق ١٩٣٩ وفي بيروت عام ١٩٧٠.

٤ ـ « المتنبي » طبع في القاهرة اعوام ١٩٥٦ و ١٩٦٨ و ١٩٧١ .

٥ ـ ابراهيم طوقان شاعر فلسطين ، طبع في القاهرة عامي ١٩٥٩و١٩٦٢

٦ ـ دراسات في تاريخ النهضة العربية المعاصرة (بالاشتراك) نشرته في القاهرة الجامعة العربية عام ١٩٥٨.

٧ ـ الادب العربي المعاصر ـ نشر في القاهرة عام ١٩٦٠.

٨ ـ « أحمد امين » وهو محاضرات عن المفكر الكبير الراحل الدكتور احمد امين ألقاها في معهد الدراسات العربية العالية وطبع في القاهرة عام ١٩٦٣ على نفقة المعهد .

٩ ـ « عبد الوهاب عزام » وهو محاضرات ألقاها في المعهد نفسه عام ١٩٦٨ وصدرت في العام نفسه كذلك.

١٠ ـ « ديوان الشريف العقيلي » صدر بتحقيقه في القاهرة عام ١٩٥٥.

١١ ـ « نظرات في أدبنا المعاصر » نشر في سلسلة المكتبة الثقافية في القاهرة عام ١٩٧٠.

١٢ ـ «اساطير ملهمة» نشر في مصر عام ١٩٧١.

١٣ ـ الادب الديني ـ نشرته مكتبة الانجلو المصرية في القاهرة عام ١٩٧١.

١٤ « الشاب الظريف » وهو محاضراته في كلية الاداب بالجامعة اللبنانية عام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ طبع في دمشق عام ١٩٧٢.

١٥ ـ « فقه اللغة المقارن » طبع في دمشق عام ١٩٧٢.

ومن اهم اعماله المخطوطة الخالدة الملحمة العربية التي نشر بعض فصولها

في مجلات مختلفة في حياته وديوان شعره ومحاضراتهفي الادب العربي ومقالاته ودراساته وبحوثه المختلفة ، وكلها يجب ان يعتنى بها واصدارها في مجموعة خاصة به .

ـ ٥ ـ

وبعد ، فقد كنا نقرأ للدكتور زكي المحاسني في حياته في مختلف الصحف والمجلات : المقالات الادبية والنقدية الرائعة، دون انقطاع ، وكنا نعجب لموسوعيته وألمعيته وعبقريته جميعا . فلما مات سكت الصدى ، وفقدنا هذا الطموح والامل والعمل والفكر الرفيع .

ولكن ان مات المحاسني ، وغيبته احجار ورمال ، فان ادبه خالد على مر الايام لا تغيبه عن عقل وفكر كل عربي ومسلم عاصر الحياة واحداث الزمن والعصر ... ان المحاسني بتراثه حي لا ينقطع له ذكر ، ولا تفنى له حياة .

إن صدى مواهبه وادبه سيظل يدوي في كل افق ، ويضيء كل درب، ويلهم كل مثقف واديب وكاتب وناقد في مختلف بلاد العروبة والاسلام .

رحمه الله ، انه لجدير بالذكر والخلود والحياة .

د. محمد عبد المنعم خفاجي
الاستاذ بالازهر الشريف

المراجع :

١ ـ فصول من الثقافة المعاصرة ـ لمحمد عبد المنعم خفاجي ـ ص ٧٤ ـ ٨٥ ـ طبع القاهرة سنة ١٩٥٨ .
٢ ـ مصادر الدراسة الادبية ـ القسم الثاني من الجزء الثالث ليوسف اسعد داغر ـ طبع بيروت سنة ١٩٧٣ ص ١١٢٥ ـ ١١٢٨ .

الاستاذ العظمة في شعره ونثره

بقلم: حسان الكاتب

— ١ —

من الصعب تعليل العبقرية والمواهب الفطرية ، والاستاذ الكبير احمد مظهر العظمة هو – الى جانب ما وليه من مناصب عالية – شاعر موهوب ، وكاتب اديب، وخطيب مفوه ، وكان لنشأته في اسرة محافظة ودراسته الادبية الى جانب دراسته الحقوقية ومطالعاته الكثيرة لامهات الكتب والصحف وتدريسه العربية وآدابها وعمله الدائب في جمعية التمدن الاسلامي وجولاته في البلاد العربية والغربية – اثرا في شعره ونثره دون ان يلفته شيء عن مأثرة من مآثر امته .

جعلنا كلمتنا هذه اربعة اقسام : اسرة آل العظمة ، وحياة شاعرنا استنادا الى إجوبته عن اسئلتنا ، وشعره ، ونثره .

— ١ —

اسرة آل العظمة :

اسرة عريقة في دمشق ، استوطنتها واستمرت منذ اربعة قرون ، شأن معظم الاسر العريقة فيها . يرجع نسبها الى التركمان ، وهم فرع من الترك . واول من عرف منها (حسن بك تركمان) المتوفي عام ١٠٤٠هـ وقد اشتهر بلقبه التركي (كميكلي) اي العظمي ، قدم دمشق من (قونية) التركية في اوائل القرن الحادي عشر الهجري معينا بوظيفة (كتخذا) اي زعيم الجند الوطني، وبنى في موقع باب المصلى بدمشق دارا له كانت حينئذ اكبر دورها ، ثم بنى دورا لاولاده وأنسبائه حتى كان من ذلك حي واسع عرف بحارة التركمان،

---

* هذا هو القسم الاول للقسم الثاني الذي نشر في العدد الاول من هذه السنة .

احترقت خلال فتنة الوالي ابراهيم باشا الدالاتي الكردي سنة ١٢٠٢ وانشيء محلها زقاق الموصلي.

رزق حسن بك محمد بك الكبير ، وموسى باشا . ولي محمد بك الكبير كأبيه زعامة الجند ، وولي موسى باشا زعامة الجند ايضا كأخيه وابيه. ونبغ من اولاده حسين بك (ت١١٣٢) وكان اميرا سخيا ذا فضل وشعر وكتابة ...

وقعت نكبة اصابت هذه الاسرة فقتل من قتل من رجـالها ، وآثرت البقية الباقية العزلة حينا الى ان نشـأ منها اسماعيل بـاشا (ت ١٢١٠) بن محمد بن حمدان التركماني ، الشهير بالعظمة ، وصار نائب (كتخدا)ايالة الشام، اعقب ولدين: ابراهيم بك ومحمد بك ، ومات عقيما ... الخ (١).

- ٢ -

كانت ولادة الاديب الشاعر صباح ٦ـ ٤ ـ ١٣٢٧هـ الموافق ١٧ـ٥ـ ١٩٠٩ م. توفي والده أحمد بك عام ١٣٣٦ وكان في نحو الثامنة من العمـر، حافظا للقرآن المجيد ومزارعا ووجيها ومتحدثا فاضلا ، فذاق بوفاته اليتـم المبكر ، وعاش في كنف والدته الحسيبة الحنون السيدة زينب السفرجـلاني بنت السيد احمد السفرجلاني مؤلف (السفينة الموسيقية) ورعاية اخ له وفي هو عبد القادر بـك .

ادرك عهد الكتاب وختم فيه تلاوة القرآن الكريم الاولى،وانهى الدراسة الابتدائية في مدرسة حي البحصة(المدرسة الرشدية سابقا) ثم الدراسة الثانوية في مدرسة التجهيز (مكتب عنبر) وحصل على شهادة التحصيل الثانـوي (البكالوريا الثانية ، شعبة الفلسفة) عام ١٩٣٢ ، ثم انتسب الى معهد الحقوق والى مدرسة الادب العليا (كلية الاداب) في الجامعة السورية وتخرج عـام ١٩٣٥.

تزوج في ١٥ـ١٢ـ١٩٤٠ ورزق خمسة اولاد منهم اثنان من الذكـور هما الان في دراستهما الجامعية .

تأثرت ثقافته الادبية والعلمية والاجتماعية بدراسة الادب الفرنسي خلال

الدراسة الثانوية ، كما تأثرت برحلاته شرقا وغربا (٢)٠

دعا الى تأسيس جمعية التمدن الاسلامي بدمشق عام ١٣٥٠هـ ١٩٣٤م، والقى باسمها عام ١٣٥١هـ اولى محاضراته في قاعة المجمع العلمي العربي بمناسبة ذكرى المولد النبوي ، وبقي امينا لسرها حتى توفي آخر رؤسائها العالم القاضي الجليل الشيخ محمد حسن الشطي عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٢م) فانتخب الاستاذ المظمة رئيسا لها ، وقد كان ينهض في الحالين بمعظم أعمالها ، ومنها رئاسة تحرير مجلتها التي تطوع لها منذ اصدارها في ربيع الاول من عام ١٣٥٤ هـ ـ نيسان ١٩٣٥ ، حتى الان ٠

وتعاون وبعض العاملين في جمعيات اخرى ، ومن ذلك عمله في المؤتمر الكبير لنصرة الجزائر الذي دعت اليه جمعية انصار المغرب العربي بالاتفاق مع رابطة العلماء ، وقد انتخب أمينا عاما للمؤتمر في دورته عام ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٦٠م، وقد صدرت عن المؤتمر مقررات هامة في حينه منها الدعوة الى تأليف حكومة جزائرية ٠

سافر الى لبنان للنزهة ، والى العراق مدرسا ، والى مكة المكرمة والمدينة المنورة حاجا عام ١٣٦٣هـ ، والى بلجيكا موفدا عام ١٩٥٠ من وزارة التربية والتعليم للاشتراك في دورة تدريبية دعت اليها منظمة (الاونسكو) العالمية للعمل المشترك في سبيل السلام بواسطة الكتب المدرسية وغيرها وللتفاهم بين الدول بالقدر المستطاع ، وسافر الى فرنسا وهولندة وانكلترا سائحا ، والى مصر عام ١٩٥٧ عضوا في وفد الوحدة الثقافية ٠

دعي في عام ١٩٥٠ الى عضوية المجمع الاسلامي الدولي للعلوم والاداب في بولونيا ٠

كما دعي عام ١٩٥١ لعضوية المجمع العلمي لحوض البحر الابيض المتوسط (بالرمو)٠

الاستاذ العظمة والفن :

وللاديب الكبير مواهب فنية ذات آثار في الزخرفة والخط ، فقد تأثر بالفنان الراحل الاستاذ عبد الوهاب ابو السعود الذي درس في الرسم في

التجهيز الاولى بدمشق ؛ كما تأثر بمدرس الخط ــ الخطاط الكبير الاستاذ ممدوح شريف الذي كان يدرس الخطوط العربية ومنها الكوفية .. فتتبع الاستاذ العظمة الفنين الزخرفة والخط الكوفي في كثير من آثارهما في دمشق وحلب والقاهرة وبغداد ، وتصفح بعض المراجع مثل كتاب الحمراء الذي صور جملة من النقوش والخطوط الاندلسية ، حتى اصبح ذا ملكة في هذين الفنين . نقش لوحات عديدة ذوات زخارفة وخطوط كوفية ، كما زخرف او خط عناوين كتب ومجلات ومقالات وبطاقات ، من ذلك زخرفة كتاب « امريء القيس للعلامة استاذه سليم الجندي ، وكتابة عنوان « الاسلام والفن » للاستاذ المربي محمود مهدي استانبوني (صديق الشاعر)» ومجلة التمدن الاسلامي في حجومها العديدة وكثير من مطبوعاتها ، ومجلة «الرسالة المصرية» .

اشترك في معرض الصناعات الوطنية الذي اقامته في دمشق وزارة الزراعة والتجارة في تشرين الاول عام ١٩٢٩ ، وكان تلميذا في التجهيز حينئذ ، فحاز شهادة الدرجة الثانية من قسم النقوش و (ميداليتها) واشترك في المعرض الزراعي الصناعي السادس الذي اقامته بالقاهرة الجمعية الزراعية الملكية في تشرين الاول عام ١٩٤٩ ، وحاز شهادة الدرجة الثانية وميداليتها من قسم (لوحات ونقوش عربية) خارجية .

مارس المحاماة فترة قصيرة بعد تخرجه من معهد الحقوق ، ثم التدريس في وزارة معارف العراق في ٦ــ١٠ــ١٩٣٦ ، وعين مدرسا في تجهيز البنين بحلب في ٢٢ــ١١ــ١٩٤١ ، ثم عين رئيسا لكتاب الضبط في ديوان المحاسبات بدمشق في ١ــ١١ــ١٩٤٣ ، وفي عام ١٣٦٠هـ ــ ٣١ــ٥ــ١٩٤٧ ، استقال لترشيح نفسه للنيابة ، وزعم المسؤولون بعد نجاحه وجود خطأ في جميع الاصوات ؟..وصرح في مجلس خاص موظف كبير مطلع بل مشرف ، ان ايعازا ورد المحافظة مصحوبا بضبط مزور ، فوضع محل الضبط الصحيح، فكان ذلك سبب عدم نجاحه وكان اكثر المرشحين اصواتا لخوض الدورة الثانية ، وجاءت الدورة الثانية فكانت اكثر تزويرا واظهر عدوانا ، وقاطعت المعارضة الانتخابات في دورتها هذه ، وقدمت الى المجلس النيابي طعونها على غير جدوى ، واشتهرت ظلامته بين الناس ، واطلق عليه وقتها (النائب الشعبي) .

عين عضوا للجنة التربية بوزارة المعارف في ٦ـ٣ـ١٩٤٨ وكالة ثم اصبح اصيلا في ١٣ـ٨ـ١٩٤٩ ، واصبح في ١٨ـ٢ـ١٩٥١ مفتشا للدولة ، وفي ١٠ـ٢ـ١٩٥٩ عين رئيسا لمكتب تفتيش الدولة . ثم اصبح وزيرا للزراعة في ١٧ـ٩ـ١٩٦٢ وقد اضيفت اليه وزارة التموين وكالة في ١٦ـ٢ـ١٩٦٣.

عاد الى رئاسة تفتيش الدولة في ١١ـ٣ـ١٩٦٣ وبقي رئيسا حتى احيل على المعاش في ١٦ـ٩ـ١٩٥٩ فقال :

أحلت على التقاعد وهو عجز ولكنني سأجعله اقتدارا
ومن يزرع بذور الخير دأبا يجدها تملأ الدنيا ثمارا

له مؤلفات عديدة :

في التفسير : جزء عم ، وتبارك ، وقدسمع، والذاريات، وسورة لقمان (طبعة مدرسية)، وسورة الحجرات ، وسورة لقمان (تأليف جديد مفصل).

في شرح الحديث النبوي : من الهدي النبوي (استلت الاحاديث من بعض اجزاء كتاب من هدي الاسلام) ، وعشرون حديثا (استلت من مجلة التمدن الاسلامي).

في الثقافة الاسلامية والتوجيه الإذاعي والمنبري والمدرسي : مذاعات، سبل الاسلام ، نحو حياة مثلى ، حديث الثلاثاء (خمسة كتب)، من هدي الاسلام (خمسة اجزاء لصفوف الحلقة الثانوية ودور المعلمين والمعلمات)، التربية الاسلامية (جزءان ثانويان) من اعجاز القرآن ، الايمان وآثاره، ديوان الخطب (مع لجنة رسمية) .

في التاريخ والحضارة : علي بن ابي طالب (من سلسلة عظمائنا للصغار) شرار بني اسرائيل والصهيونية (محاضرة). الثقافة العربية ، حضارتنا ، الاسلام ونهضة الاندلس .

في الادب : خواطر في الادب ودراسة نصوصه ونقدها . ديوانا شعر : دعوة المجد ، ونفحات ، مقالات في مجلدات مجلة التمدن الاسلامي الاربعين وغيرها ، لم تجمع كلها كما جمعت كلمات متسلسلة ومقالات كثيرة .

- ٣ -

شعر الاستاذ العظمة :

شعر صادق ، يلمس قارئه ذلك في كل قصيدة من قصائده ... في سمو نفسه وارهاف حسه ونبل غايته .

قال الشعر الكثير في اغراض شتى كما سنبين ، ولم يقل ولو بيتا واحدا فيما لا يؤمن به ، ولا فيما لا غناء للمجتمع به .

نلاحظ في شعره اسلوبا عربيا اصيلا ... اصالة في الكلمة الفصيحة، واصالة في النسج العربي، فهو جزل الالفاظ ، محكم البناء ، مشرق الديباجة، لا لغو فيه ولا قلق ولا اعنات ، ولا اغراق في خياله يجعله كالاساطير ، ولا اسراف في تزيينه ،كدمى الاطفال .

وشاعرنا ليس شاعر مناسبات وحوليات يقتصر عليها ، كلا ، فهو كالمرآة تتجلى فيها المرئيات ، تثبت فيها المرؤميات .. فهو يعلم ان الشعر من الشعور، وليس لهذا خيار، اذا كان مرهفا في تقبل الالهام او تركه ، الا اذا كان وسوسة تخالف سيرته واباءه .

قال في مقدمة ديوانه الاول دعوة المجد (... لكن الاجادة في القريض لا تكون الا بعد معاناة من اللسان والجنان والوجدان، حتى يحسن صاحبها التعبير عن خفقة القلب ، وجولة الفكر ، وهمسة الخاطر ، ورجفة الانين، وحرارة الحنين، والوان النظرة ، ونجوى الزهرة ، ورقصة الفنن ، وبسمة الشعاع ، وزينة السماء ، وبكاء الطلل ، وغضب العاصفة ، ووحي الهداية..)

هذا الاحساس الشامل ذلل له عقبات التعبير عن المعاني الصعبة ، من عالم النفس والفكر والقلب ، انظر اليه كيف عبر بدقة عن معنى الشعور بما لا يراه الناس وهم عنه غافلون :

أرى لعيني عينا فهي تبصر ما قد ينكر الناس في الاشكال والسير
اني ارى اكثر الاشياء تدهشني والناس من حولها كالغافل الحجر

وكـم ارى الحسن في شيء يمر به   اهل العقـول مرور الصخر بالبشـر
وقـد امر بنفسـي وهي في دعـة   فألحظ العـالم المـوار بالصـور
هـذي تروح وذي تغدو مسيرة   بقدرة تعجز العـالين في العـصر

وهكذا يعيش مع العالم الموار بالصور والناس يمرون عليها تصحبهم الغفلة ، وبعض ذلك في الماضي الذي يبعثه الشاعر ويعيش فيه :

في رجعة من رحـاب الدهر ماضية   ومرتع في ربـا الاحـداث والاثر
كأن أمس حياة الدهر مجتمع   في ساحـة العمر بالتاريـخ والعبر

وبهذه الدقة والابداع يمضي الشاعر الكبير حتى يستكمل وصفه لمـا يشعر به ، فيكون من قوله لنفسه :

فأنت في جسـد والكـون يسكنه   كأنك البحر والايـام كـالدرر

وقد تكون الصورة (لقطة) سريعة ، ولكنه لا يفلتها ، بل يدعو الخيال لوصفها واخذ العبرة منها ، كما نجد ذلك في قصيدته « نجدة الحمائم » وهي قصة صغيرة رائعة في سبعة وعشرين بيتا ، والقصة هي رؤية الشاعر حمامـة وقفت على قفص عصفورة ، فتخيل حوارا بين سجينة ، وحرة من الطير ذهبت لتنجدها الحمائم ، فأبطأت ، فماتت العصفورة التي تركت أثرا داميـا وهي تحاول كسر الحديد بمنقارها . قال شاعرنا العظمة في آخر قصيدته هذه :

هـب الطيـور لنجـدة   ودنـوا من السجن اللعـين
فـاذا السجينة ميتـة   من حـولها دمها المبـين
قـد حاولـت ليا لقضـ   ـبـان فما اجدت ظـنون
ورمى الحديـد بيأسـه   منقـارها الدامي المتـين
اين الحمـائم ؟ لم اجـد   هـا منجدات ، أين ، أيـن
من رام انجـادا فـلا   يبطـيء ، فقـد يقضي الحزين

جولة بين اغراض شعره :

في ديواني الشاعر ابتهالات الهية ومدائح نبوية اجمل من العرائس الحسان ، كأنهن حور الجنان ، في الصفحات (٥ـ٢٩) من ديوانه الاول « دعوة المجد » وفي الصفحات (٥ـ٢٥) من ديوانه الثاني « نفحات » يصحب ذلك وعي ومعرفة وسماحة ، ومن ذلك قوله في قصيدة (تسبيح الخلائق) اذ يقول فيها :

ومن عجب ان الطبيعة كلها ذواكر لله العظيم خواشع
وقد زادنا هذا الفضاء وما به عجائب تقدير لرب يطلع
وقد امسك الرحمن كلا بقدرة لها الحمد والتمجيد والعلم يسطع
فسبحانك اللهم مجدك جامع وكل قلوب الكون نشوى تضرع

ومن ذلك ايضا قوله بعنوان (صلوات):

وكل خلية مني صلاة لرب الناس رب العالمينا
فجسمي مسجد وتعج فيه ملايين العباد الذاكرينا

وقوله في قصيدة ذكرى المولد النبوي مفتخرا بعروبته ومعتزا بهدايته :

قلت للبيد في الحجيج وصدري خافق الوجد منشد بسام
والصحارى وما اعز الصحارى من ظلال الامجاد وهي ترام
ان هذا الثرى لينبت شيحا وخزامى طابت به الايام
واقام البيان والقمر الوسنان والريم والمها والنعام
كيف اضحى للنور يمرح فيه كيف امسى ومجده الاعظام
ما الذي هز تربة فاذاها تنبت الفاتحين وهي عقام
خالد منهم وسعد وعمرو وعبيد وعامر واسام

وقوله في قصيدة بعنوان (حج البيت) يبث فيها الماضي وشعوره ببراعة وجمال :

هنا الخليل، هنا الهادي الرسول، هنا صديقه، وهنا الابطال والعظم
أني سريت اري ذكرى اسامرها اري نضالا وثغر المجد يبتسم
يا قلب كم كنت تزجيني وتهلني وانت نشوان والتاريخ مرتسم
يا عين كم كنت في الماضي ونشوته جوالة في رحاب فضلها عمم
تريني من علا الامجاد امكنة تشع نورا واقطار الدنا ظلم
قد كنت اسمعها ام كنت ألمسها كأنني شاهد لو اتني القدم
ان ضقت ذرعا رجعت القهقرى املا فسرني النيران : البيت والحرم
وجلت في مهبط الانوار ساطعة وعدت مبتسما بالحق أأتم

وفي ديواني الشاعر حكم كثيرة وعظات غزيرة انتشرت بين قصائد شتى • من ذلك قوله في آخر قصيدة العلم :

يا زمان الكهوف كنت صبيا اترانا قد اختلفنا مآلا
قد تنال النجوم يوما وتفضي عن نجوم في ذاتنا تتلالا
شغلتنا لذائذ العصر عنها أترانا تبقى الزمان كسالى

وللاستاذ الشاعر قصائد روائع غر في الوطن والمجتمع وتاريخ الابطال في ديوانيه •

وقد ربط سعادته بسعادة وطنه وهدايته ، اذ يقول بعنوان (وطني):

وطني سعدت اذا سعدت فهل ترى روحي المحبة قلبها بساما
قد طال ليلي في هواك باكيا حتى غدا حكم العدا أحلاما
وعلت ربوعك عزة بسامة لعلاك يا وطنا محا الاسقاما
لكن آثام الدخيل تمردت وتجاذبت زمرا ترى الاوهاما
فغدا الحكيم يراك تجتنب الهدى بدل الهوى ، فتزيده ايلاما

فتكاد تذهب نفسه ألما وما تصغي الى نصح شكا الآثاما
ولربما اتهموه عدوانا وما زادوه الا جرأة وكلاما
ولربما اضحى غريبا فيهم رأيا وحظا عابسا ومراما
وطني سعدت اذا رأيتك باسما ترجو الرشاد وتهجر الاصناما

ويتغنى بوطنه ويذكر بالمجد والبأس فيقول :

بشراك يا وطني فمجدك شامخ ابدا وليثك دائما مقدام
وعناية الرحمن حولك اعين والحق في حرم البلاد امام
نصب الفرنسيس اللئام شراكهم فرمتهم فاذا هم انعام
لا تخدعنك يا جبان مدافع فعليك صب شواظها العلام
العدل دمر ما بنيته وربما هدمت حصون الظالم الاقلام
والحق يهزأ بالحديد ويزدري شم الحصون واهلها ظلام

وقد وضع الشاعر اول نشيد للطيران السوري في عام ١٣٦٦هـ الموافق ١٩٤٩ م اذ يقول فيه :

عشقنا الحياة بأوج العلاء فطرنا وشدنا تخوم السماء
فغردت الشمس بسامة لمن عزمهم كاد يغزو الفضاء
وهز الشآم بلوغ الشهب
فهذي السماء غدت موطنا يحلق فيها شباب المضاء
فيا جو بشراك ان الذي غزاك الهدى والنهى والوفاء
فأكرم بصقر العلا والادب
فيا حرم الوطن المفتدى سماء جنا وارضا وماء
ستلقى جنودك ما مثلهم سوى الليث يحمي عرين الرجاء
هداة اباة حماة العرب

ويقول في مطلع قصيدة طويلة رصينة بعنوان « ذكرى الشهداء » :

ابى المجد عونا ما خلا الحق والعضبا ⁂ فأصبح يهوى مشرق العلم والحربا
كذلك كان العرب سيفا ومشعلا ⁂ فمن لم يكن شبلا فما عرف العربا
فما همة النور الذي فضض الدنا ⁂ بأرفع شأنا حينما انتثروا شهبا

الى ان يقول مذكرا باعداد القوة :

ومن ظن ان الشم تندك بالحصى ⁂ اذا حصبت ، فالحمق افقده اللبا
تهاب الجبال الراسيات بنظرة ⁂ فكيف اذا ثارت براكينها ضربا
ويخشى الجبان السيف وهو بغمده ⁂ فكيف اذا سل الشجاع له عضبا
ومن هادن الابطال غدرا فانه ⁂ سيحصد مكرا لا يقيم له جنبا
فوا شوق نفسي للرجال كأنهم ⁂ جبال فما تنفك تستصغر الحصبا
وواشوق نفسي للسيوف كأنها ⁂ حتوف فما تنفك تستسهل الصعبا

ويرحب في حفلة باشبال الجهاد المتطوعين ، ويحمل على وعود الغرب السياسية فيقول من قصيدة بلغت تسعة وثلاثين بيتا :

في الامس قد خان العهود وما رعى ⁂ (حسينا) ولا القى ضميرا يعاتبه
فجاس (النبي) دار مجد ممرد ⁂ واعلن نصرا ظفره ومخالبه
واعلن (بلفور) الخديعة وعده ⁂ (فصهيون) منها وهي غضبى تحاسبه
رويدك يا مجزي اللئام بوعده ⁂ فمن ماله يعطي جواد وكاتبه

الى ان قال :

لقد ضج منهم كل شعب وامة ⁂ فألقتهم ركلا وصفعا تجاربه
أمسكم يا مجلس الامة لوثة ⁂ ام الاصفر الرنان تغري كواكبه
فلسطين قلب للعروبة نابض ⁂ وان الردى بعد اقتسام يصاحبه

وهيهات ان يحظى المدابسوى الردى   فحظهم من قلب عرب نوائبه
تهاب سيوف النصر وهي ضجيعة   فكيف اذا ثارت وسارت كتائبه

وقال في قصيدة رائعة صارخة وكانت الحفلة التي انشدت فيها تحت رعاية وزير المعارف مذكرا وموجها :

يا وزير العلياء يا شاعر الشا   م المرجى يراعه وجنانه
يا خليلا رعيت جيلا جليلا   يبتغي المجد مشرقا قرآنه
عربيا لا اعجميا ولكن   تتجلى اخلاقه وبيانه
يتباهى بخالد وبسعد   وصلاح ميزانهم ميزانه
ويقيم الصلاة شكرا لمولا   ه ، ويلقاه برهم اخوانه

حسان الكاتب



الدارة

مجلة فصلية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز بالرياض .

وهي مجلة بقطع العرفان طبعت طبعا جيدا على ورق ابيض عدد صفحاتها ٢٧٥ صفحة تحتوي على مواضيع قيمة ومقالات رائعة وهي بتوجيه من العاهل العظيم صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز الذي جمع الى المجد والسؤدد الحنكة في السياسة والذوق الادبي الرفيع .

العرفان : ترحب بالزميلة العزيزة وترجو لها التقدم والازدهار .

شعراء كربلاء المعاصرون

عدنان حمدان

بقلم: سلمان هادي الطعمة

برزت في مدينة ابي الشهداء في الآونة الاخيرة ثلة من الشعراء الشباب، ذاع صيتها ولمع نجمها وبلغت شهرتها حدا لا يوصف ، ونالت منزلة رفيعة بين رجال الادب مما خلد لها الذكر الحسن على مر العصور وكر الدهور .

في كربلاء ، بلد الفكر والادب ، ولد عدنان حمدان جروان سنة ١٩٤٧م واكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة ، ثم دخل دار المعلمين الا تدائية، فتخرج فيها سنة ١٩٦٦ وعين معلما في مدارسها ، ولم يزل يمارس مهنة التعليم في احدى مدارس كربلاء .

عدنان شاب ذو روح مرحة جذابة ، صادق اللهجة ، متقد الوجدان ، حلو الشمائل ، لطيف المعشر ، وهو مقل في النشر ، يؤمن بالتجديد ويترسم خطاه.

وهو بعد ذلك شاعر سريع الخاطر ، جيد القريحة ، ينم شعره عن رقة في الشعور ورهافة في الحس وفيض من العاطفة وانقياد للقوافي دون تكلف . اسمعه في قصيدته « مناجاة ابي تمام » يحيي الشاعر العظيم في ذكراه العطرة التي لا يسدل الزمن عليها ستار النسيان فيقول :

مرت بي الذكرى ولكن اللظى   آبدا يصب النار في اعصابي
أشكو اليك وانت أكرم من له   يشكو المعنى من شديد مصاب
وطني تمزقه المدى وكرامتي   شلوا على الاظفار والانياب
كل له بدمي وارضي مطمع   يا صاحب الذكرى فاين صحابي؟
قدست امرك لو تصيخ لصوته   من مجمع عرب ومن اعراب

بينته نهجا رؤاه جحافل — لجب ورفرفه اصطلام حراب
بالسيف ترتجع الحقوق مصانة — فالسيف اصدق من مقال كتاب
فمشت ترددها الدهور متى ارثأت — عزاً تصول به اسود الغاب
وتنكب المتخاذلون سبيلها — من خائن دنس ومن هياب
ومقاتل بالاغنيات عنيفة — ومقارع صف العدا بسباب
يتخادعون كأنما ثاراتهم — ما بينهم ، يا لوعتي وعذابي
حتى اذا جد الوغى لزتهم — عصب تكيل لهم امر حصاب
فهناك يشكون الاذى لعدوهم — شكوى الخراف لمدية القصاب

ومن قصيدة له بعنوان « الشاعر والفداء » وهي صورة رسمتها بريشته الشاعرية الامينة :

زخم الفداء فديت من متحدر — قدران من ذر وشم مسراق
مرحى ليومك حيث شد عيوننا — شغفا بآمال لديك منبعاق
وهفت قلوب كاد يوقف خفقها — يأس تسلمها من الاعناق
قنطت لكثرة ما جنت من قادة — زيفا ومن برق لهم ألاق
كثرت بنا الابواق في زعقاتها — حتى ضجرنا كثرة الابواق
عشرون والحرب الكذوب مقيمة — لكن بلا قدم لها او ساق
عشرون عاما والثغور غضوبة — نيرانهن رهينة الاطلاق
و «القمة» المسكين يشكو بؤسه — وهزاله لمقسم الارزاق
وسرت احابيل تخادع تارة — لتضيق في اخرى الى الاشناق
واللاجئون فريسة الاملاق — نزلوا بكل ركية ووطاق
واذا بهامك من وراء غياهب — متأزم متوقد الاحداق

يعدو وملهبة الذحول جواده (كالشنفري) في عدوه السباق
وضاء تحمل الف فجر كفه لدجنة عجزت عن الاشراق
فطفقت تحرق يأسنا بملاحم بوركت من مقحامة حراق
وتزيل عارا ظل شعبي كله من حيفه متواصل الاطراق
والعار يعلق بالذليل ومناله غير الدماء سخية من واق
فازحف لتبلغ ما كرعت من اجله مليون كأس للعذاب دهاق
وافتح فان وراء (فتحك) امة سمحاء لا تخشى من الاتفاق
لا تبتئس بالتضحيات فانها لعروسة التحرير بعض صداق
والموت في ظل العقيدة خمرة صهباء والرشاش كأس الساقي

واسمعه في قصيدة اخرى عنوانها « خواطر من افق النكسة » حيث يقول :

حتام يحدو خطانا الشعروالخطب وفي حزيران فر السادة النجب
راحوا لرد فلسطين التي اغتصبت فضاعت القدس والجولانوالنقب
أعزتهم عزة بالاثم فاندفعوا الى المهاوي فكان الهلك والعطب
وسوفونا طويلا انهم رسموا للحرب خطتها والنصر يقترب
حتى اذا حان يوم الفصل واصطرعت قوى الفريقينبان الزيف والكذب
فراح صرحهم يهوي وجذوتهم تخبو وغطرسة المغرور تضطرب
وحل نسل يهوذا في مطارحنا يمشي الهوينا فهلمن بعد ذاعجب؟

★ ★ ★

يا سادةالحرفمات الحرفمحترقا على رمال بها « النابالم » يلتهب
دعوه ان لنا في مدفع هدر غنى ولا تسألوني ثم ما السبب

سلوا الحروف فهل ردت جحافلها غزواوهل هطلت من سحرها السحب
اني كفرت بشتى ما نحاوله الا الرصاص ففيه السؤل والارب
خمس وكل لسان ماضغ لغة كما يريد فلا ضل ولا جلب
فما استعدنا بها شبرا ولا ارتعدت فرائص لغزاة لاولا رهبوا
بل انهم قد عتوا من بعد واعتصموا بما غزوا من اراضينا وما سلبوا

وفي انسجامه مع خيال المتنبي يصفه بانه :

.. ألق المطامح خالب ابصاره تلقى به الاوطان للاوطان
أسيان مجروح المواهب لزه جنف السرى وتنكر الاعوان
يستوعب الاحداث وهو لها أخ عزما وجزما دون اي هوان
لتظل في الاحداث مهما أعنتت بصماته ، اطروحة الانسان

ثم ينتقل الى مخاطبته :

أأبا محسد اي جرح شاخب من يوم «فاتك» مثقل الاركان
جرح حدود الدهر بين شفاهه وله لى افق اللظى شفقان
لم يرض (كافور) طموحك لومشى يهديك كل التبر والمرجان
خلدت من أطريت او ازريته فهما بحي الذكر يستويان
يا مانح العنقود خمرة روحه للان خمرك مسكر الندمان

وترى الكآبة تنز بها اعوامه الخمس والعشرون :

خمسا وعشرينا تنز كآبة وتقيء آلاما مدى الاحقاب

فهي على كدر مطرد :

خمس وعشرون الوانا بها كدر لا تستقر على لون من الكدر

وعنده ان الاداب هي اقرب آصرة بين الناس :

لو قيل اي قرابة بين الورى اسمى لقلت قرابة الاداب

وفي احدى خمرياته لا تفتأ خمرته معاقرة له حتى الصباح :

وظل حتى الصباح الغمر قرقفها يرخي على اقرب الافاق بالحجب
وناء كلكلها ثقلا شمرت به ينبح فوق الجفون النخس والهدب
لم أدر هل مقة بالنفس تربطها ام انها اعتصرت في حانة العصب

وله في الخمر :

أشتهي الخمر حين ألمح للكأ س نديما بمقلتيه احورار
امزج الخمر باللمى وكؤوسي شفتاه على شفاهي تدار

وهو في صباباته يساعف النجم حيث تصوره وهو مسمر يرتجف ،عاشقا مدلها مثله ، لذا يخاطبه مطمئنا :

يا ايها النجم لا تضجر فان بنا من الصبابات مايطغى على الضجر
هون عليك فانا معشر مزجت ارواحهم بالهوى من عالم الصغر
وأي قلب سليم لا تداهمه نجل العيون ترش الروح بالحور

وهو يشقى لتسعد الحروف، فالضاد عنده رمز عتيد لكل المعطيات الادبية ، اسمعه يقول :

أبيت اكرع آلامي فتسكرني ودون نشوتها يعشوشب الغضب
وللحروف مراح يلتظي ضرما في كل ناحية مني فأكتئب
وضاق مما أرى صحبي فقلت لهم انا كحاطب ليل فاته الحطب
هذي الحروف نرويها فتظمئنا وكم مشى حين يغذوها بنا السغب
عشنا لها حرسا ان مسها جنف يوما ، وثبنا وكل دونها حدب

عاشت بأفكارنا جذلى ونحن بها ... نشقى واعصابنا الاوتار والطرب
فيا رعى الله من اضلاعه طويت ... على فؤاد لغير الحرف لا يجب

وله في هذا الباب موارد عديدة في مختلف قصائده .. وللشاعر مؤلفات وبحوث ما زالت تنتظر الطبع وهي :

١ ـ الطغرائي (صاحب لامية العجم) دراسة وديوان . تناول فيهما الطغرائي من كل جوانب حياته ، الاجتماعية والسياسية والادبية خاصةلاميته وكل ما عورضت به من الشعر .

٢ ـ دراسة عن (شمس المعالي قابوس بن وشمكير) من امراء وشعراء القرن الرابع الهجري . نشر قسم منه .

٣ ـ دراسات عن ادباء وشعراء من الاندلس كابن شهيد وابن هاني وسواهما .

٤ ـ الحمامة في الشعر العربي (بحث ادبي لغوي) وهو موسع ومصنف

٥ ـ ديوان شعر .

اضافة الى ما تقدم ، فللشاعر عدنان حمدان مقالات وخواطر ادبية سيكتب لها الخلود كيمايواصل اداء رسالته الكريمة المعطاء في تواضع مأثور وصمت بليغ .

كربلاء ـ العراق
سلمان هادي آل طعمة
عضو رابطة الادب الحديث في القاهرة

عبد الحميد بن باديس
باعث نهضة ومنقذ أمة
بقلم الدكتور محمد علي الزعبي

– ٢ –

نموذج من جهود بعض اعلام الجمعية

١ ـ الشيخ العربي التبسي

هو احد أركان الجمعية منذ عام تأسيسها ، وهو أمينها العام المشارك في مخططاتها الكاتب في جرائدها ، ومنسق القوافل التي تحمل وعظها وارشادها وتبشيرها ؟

توفي ابن باديس فحمل نائبه الشيخ البشير الابراهيمي ، مهمات الجمعية، وما كاد الاستعمار يدفعه لاحد المنافي الصحراوية ، ويفرح بمرض الشيخ مبارك الميلي، حتى اتجهت الانظار للشيخ العربي التبسي، وهو ذو اطلاع واسع على الاحاديث النبوية والتفسير مع العناية بتأويل الايات المتشابهة تأويلا ينقذ التائهين .

قام بمهمة التعليم المسجدي بمدينة سيف ، فوهب ليله للكبار ، ونهاره للصغار ، واسس النوادي،ليلتقي بالجمهور، ويستل من صدره نفثات التوجيه الاستعماري، الذي تحالف على نفثه التصوف المغرق والمدارس الموجهة، ويذكره بالكلمة النبوية (المؤمن الف والوف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف). فتأسى بابن باديس والشيخ مبارك الميلي ، بغرس الثقة والتفاؤل والاعتداد بالنفس والمبايعة على بعث شخصية الجزائر .

تعرض للاخطار وللاضطهاد الشديد والاذى والكيد والسجن ، وهذا ما شحذ همته وحمله على تأسيس معهد للتعليم العالي ، فأمه الطلاب وتعهد بعض الاسر الكريمة بالانفاق عليه ، ومن هؤلاء السيد بن جلول محمود الطباخ .

وما ان سطعت شمس حركة التحرير (اول نوفمبر ١٩٥٤) حتى اعلن ولاءها ورآها تمثل جميع الجزائريين وتبتاع بدمها حريتهم .

وجد به المستعمرون خصما، فاخذوا يخشونه لا لانه مسلح ، بل لانه يصنع قلوب المسلحين .

وفي ليل ١٤ نيسان من عام ١٩٥٧ داهم قسنطينة سرب من المظليين لا ليصطدموا بمسلحين او يقضوا ـ كما يقولون ـ على مخربين ، بل ليختطفوا الشيخ العربي التبسي فحسب .

يقف القلم هنا حسيرا كليلا، لا يدري الظروف الذي رقي بـه الشيخ مصيره الاخير !!!

ها هي ذه ، قطرة من جهود الجمعية لقطناها من خلال الجرأة في النصح، والتحذير من السموم ، والحرص على ربط الجزائر بماضيها .

اما اعلامها ـ فابن باديس تناول مبادىء ثقافته من جامعة الزيتونة ، والشيخ البشير الابراهيمي والشيخ العقبي تناولاها من الحجاز ، والشيخ العربي التبسي ربيب الازهر لقد حملوا الامانة وتهذوا توجيه كبار اهل العلم، الذين رأيناهم في الجزائر قبل الاحتلال وبعده .

مخطط التغيير

افل عصر الذين طردوا بنور الاسلام ، ظلمات الجاهلية ، وحرروا بدم المجاهدين ، شعوبا طال رقادها في اجداث المستعمرين القدماء.

افل فأخذنا نختلج بمعركة تجدد الامل كحطين ، وعين جالوت ، وشقحب، أو نرجىء لحظة القيامة كالزلاقة .

أفل ، او كمن ، وما زال كامنا ، حتى حملت جمعية العلماء المسلمين الجزائرية التغيير وبعثت من اجداث الاستعمار قوما طال رقادهم .

التغيير دستور الجمعية

امر الله بالتغيير ، وجعله داخلا في دائرة قدرة الانسان فاستجاب اقطاب الجمعية ، وناضلوا دون عروبتها واسلامها . التقوا مع الرواد المخلصين،بوحدة

الهدف والمصير ، وكشفوا مهمة الاستعمار البعيدة المدى •

التغيير ـ لماذا ؟

التغيير يتخلل مناهج الجمعية ، منذ رسمه ابن باديس ، بالتعاون مع عضده وزميل جهده ووزيره في الملمات ، الشيخ البشير الابراهيمي • رسماه في مكة منذ ٦٤ عاما وكثيرا ما عبر عنه الابراهيمي بكلمة : (وزنا الامرفوجدناه راجحا، فقررنا السير فيه، ولو وجدناه مرجوحا لعدلنا عنه)• وما كاد يرى تلاميذ الجمعية يبلغون الفا حتى قال: (ها هي ذه الكتيبة الاولى)•

هذا هو التغيير الذي يذكرنا بقول الشاعر : (قدر لرجلك قبل الخطو موضعها) التغيير رافد من نهر الايمان السليم ، واستجابة لنداء الوحي اذ هو يأمر بالانطلاق بعد التفكير (فاذا عزمت فتوكل) والعزم لا يأتي الا بعد وضع الامور على بساط البحث ،ومعرفة صحيحها من عليلها •

التغيير انقلاب ، لكن دون فرقعة ، وتخطيط محفوف بالحكمة والتروي واناة يهدف هنا لانشاء جيل معصوم من زلل الانحراف ، ويقوم بهجوم معاكس ويحكم الحصار ، يوقظ ويبعث وينشر ويعلن ان القضاء والقدر لا يحولان دون ثماره ، ويأخذ من عظمة ماضي تاريخنا ما يتزود به ليشق هذه الظلمة، ويستخدم من الوسائل المجدية المعاصرة مايضمن دفع سفينتنا لساحل الاطمئنان ويتذرع بالشريعة الاسلامية اذ هي وحدها اعطت ثمارها واثبتت جدارتها وقدرتها على الخلود ؟!!

التغيير ولادة جديدة ، واعداد يرد صولة التآمر والمتآمرين ، ويكشف سرهم ويحبط مكرهم •

التغيير ايقاظ للذين كمنت في نفوسهم شعلة الايمان بالنصر ، فأخذوا يرون انفسهم يضربون بحديد بارد ، ويزرعون بارض سبخة •

التغيير جهود تطرد الظلمات ، التي اناخت على القلب ، فأحالت عينه غينا ، واحالت النفس المطمئنة امارة• هذه الجهود دعاها سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم ، جهادا اكبر ، اذ الانتصار على العدو غير المنظور (النفس والانانية) لا يقل بطولة عن العدو المنظور •

التغيير فرارا الى الله ، وتوبة داخلة في اطار قدرتنا ، والا لما كلفنا الله به • توبة لا بد منها لطالبي التحرر، ووسيلة من وسائل اليقظة ، وسلم اذا لم تـتسلقه ارتفاعا،مسنا قانون تنازع البقاء،واعادنا لمدافن التحنيط اذلاجمود!!!

التغيير له دوافع داخلية كالاروقة المتحضرة، والمعتقدات الفخمة ودوافع خارجية وفي مقدمتها هذا الواقع الذي اطمع بنا الذباب •

التغيير يرينا المجتمع كقطعة حديد بين قطعتي مغناطيس يتجاذبانهـا ، ولعل القطعة الحاسدة المتربصة اصبحت راجحة بطول سهرها الذي قابلنـاه بغفلة قرون !!!

اما رجوحها فليس جبرا، او قضاءا وقدرا ، كما يظن القائلون • اذن لا بد ـ لاعادة التوازن او لرجوح كفتنا من اعادة النظر ، وهذه نقطة انطلاق نحو التغيير ، اذ هو مقدمات تفضي لنتائج•

غيروا ايها المناكيد، حرصا على دمكم، والا جرعه الشرهون ، اذ جميع المخلوقات تجوع وتشبع، اما الانسان فهو الشره الوحيد •

غيروا فانحناء اعناق قوم لاخرين ، ليس ناموسا تكوينيا بل ثمار يقظة قوم وغفلة آخرين • غيروا واصعدوا شطر النور ، والا اغرورقت عيونكم من دخان ظلمات الطامعين!! غيروا و (اتقوا الله): (ابتعدوا عن النظر الاجتماعي القصير) يجعل لكم فرقانا) نورا لا تشوبه ظلمة التجربة التي اخذت وقتكم وملكـت زمـامكم •

غيروا ، اذ الايمان السليم (عقيدة وعبادات ومعاملات) هو الذي ينقذ الفرد والاسرة والمجتمع من هذا (القلق الذي طحن العظام)•

غيروا ، اذ العقيدة دون عمل مستقيم وسلوك سليم ، ثغرة خطرة تسلـل

منها صنوف الانحراف التي اثرت في سلوكنا وفرقت شملنا، ورمتنا بالخسران.

غيروا ، بورك اللوم البناء ولا بورك المدح القائم على كتمان العيوب ، اذ يعبد طريق المهالك دون شعور .

غيروا ، واجزموا ان اليهود ـ وهم الذين وجهوا الغرب المعاصر ـ يحملون وثيقة التآمر عليكم منذ ٢٥ قرنا على الاقل !!!

لقد كلت ايدينا من التسول وحفينا من التوجه للعواصم المتـــآمرة ، المختلفة الا بالتآمر !!!

فهلا حفظتم نعالكم وصنتم ماء وجوهكم وأرحتم ايديكم وتوجهتـــم الى الله ـــ ولو مرة كما توجهت جمعية علماء المسلمين في الجزائر ؟

سجدة للاله تغنيك يا انســان عن الف سجدة للعبد .

غيروا ، وعوذوا بالاسلام ، اذ هو الكائن الحي ، الذي خرج من محن القرون الوسطى ناصعا وليخرجن ولو بلغ اخصامه سن الرشد المادي ولو لحد ما ـــ وخجلتم من القيادات المتطاحنة والمبادىء المستوردة المتشاحنة .

غيروا فهذه المحنة عبرة، واني لارها نافذة امل وتفاؤل ، اذ الحق وصاحبه اثنان ، بل هو اسم من اسماءالله !!! انطلقوا من مبدأ الحتمية في النواميس

غيروا فالتغيير داخل في دائرة مقدرتنا .

اصلاح عقائدنا من الشرك تغيير .

اصلاح اخلاقنا من الفساد والانهيار والميوعة تغيير .

اصلاح صناعاتنا من بدائية لمتطورة تغيير .

ابدال جهلنا بعلم ، وتفككنا باعتصام تغيير .

تصميمنا على انتزاع حربة اليهود منقلبنا تغيير.

استخدامنا لما يفرض هذا الزمن استخدامه تغيير.

التخطيط ليقظة لا تمسها الفوضى والارتجال والتسرع والطيش تغيير.
يغير الله ، اذ يستحيل ان يغير الا اذا غيرتم .

مثل هذا الواقع اعترى الاندلس بعد بطلها عبد الرحمن الناصر والمنصور بن ابي عامر . اما الشعب الساذج المسكين ، الغافل المغرور بالمخدرين ،فيبالغ بالدعاء طالبا من الله التغيير لكن احرار الفكر كانوا يعلنون :

التغيير ينبغي ان يبادر به الناس وفي مقدمتهم اولو الامر !!! غيروا ثم نازلوا العدو واصبروا وصابروا ورابطوا واستميتوا بالصمود العنيد !!!

غيروا واعلموا ان الشعوب ومنها نحن اخذت بالتغيير ؟

غيروا فان القرآن امرنا بالتغيير وضمن له النجاح.

غيروا ، ولا يتسربن لكم الوهن ويدفعكم لموت الاستسلام اذ انتم الاعلون الظاهرون الغالبون ، لان الله معكم ـ ما دمتم معه ـ ولن تذهب ثمار جهودكم .

غيروا واتلوا من كتاب الله (فلا تهنوا وتدعو الى السلم وانتم الاعلون والله معكم).

هو ذا اسلامنا الذي ما زلنا نجهله حتى خلناه طقوسا جامدة واثاراقديمة وقشرة خارجية !

غيروا واعيدوا فلسطين للاطار الاسلامي ، اذ ابعادها عنه عرضها للتقضيم والتدويل واحاطها بمؤتمرات خبيثة تناولتها دول طامعة وزعامات قصيرة النظر وتاجر بها المساومون والمزايدون .

غيروا ، والا فالمستقبل لا يكتفي ببقائنا عبيدا ولو اقتصاديا للذين ادركوا معنى التغيير استخدموا اسلوبه ، اذ لا امل في تأجيل مصيركم ان لم تغسلوا اخطاءكم بدم الغير .

غيروا فقد آن لكم ان تروا عفريت الابادة يتحفز كالنمر للوثوب على الذين لم يصمدوا سلم التغيير الحيوي.

غيروا ، فان الحق في جانبكم ، والقوة لا تعوزكم .

غيروا فان القرآن وحده سبق جميع الناس واعلن ان اليهود يستحيل ان يفهموا الا بمنطق القوة ، اذ جميع ما يراه الناس مثلا عليا هي لديهم لا تعدو السخرية والتخدير والاضاحيك .

غيروا ، أليس خسارة التاجر ، تدفعه لتدقيق الحساب والاتجار بنوع آخر ؟

أليس الجراثيم واللصوص والهوام ، تحمل على النظافة والهندسة واشادة البيوت المحصنة .

ان التسابق يحمل على التقدم ويفضي للاستعداد ، اما عدمه فيدفع للفتور .

ان وجود العدو ، سر من اسرار يقظتنا ، ودافع من دوافع بعثنا ، وما علينا الا الاستفادة من قانون التغيير !!!.

غيروا اذ نحن في جو ثقيل لا يكشفه الا التغيير المنبثق من الفهم السليم.

غيروا، وتوبوا من الغفلة والسذاجة التي عرضت سواد واقعنا تخطيطا سماويا .

غيروا فانتم في حلبة تسابقكم بها افراس ما زالت تماهد وتنقض حتى أصبح النقض ديدنها . لقد اتقنت رصد حركاتكم الامم وعرقلة تقدمكم ولم تختلف بوأدكم ،ان وجودهم من نعمة الله علينا اذ هو دافع .

غيروا اذ على مقدار فهمكم السليم واجتماع كلمتكم واستعدادكم بل وتقشفكم وحرمانكم الا من ثمن الرغيف والقميص ـ تقتربون من وداع واقعكم الفاضل ولا يغرنكم ما حشدوا من مال اذ (لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا) بل (سينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون).

غيروا ، ولا يغرنكم الواقع اذ (لن يضروكم الا اذى ، وان يقاتلوكم يولوكم

الادبار ثم لا ينصرون) يهزمون امامكم اذا تدرعتم بالاسلام وستنتهي روايتهم بأيديكم (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله)• لن يستطيعوا اضراركم الا اضرارا يمكن ازالتها وقد تكون خيرا لانها توقظكم وتدفعكم لسد ثغرات كنتم بغفلة عنها •

غيروا وتدرعوا بسلاح القرآن المجرب الوحيد الذي ما زلنا نجهله حتى خلناه طقوسا جامدة واوتارا قديمة وقشرة خارجية •

غيروا واجزموا ان الاسلام خط دفاعنا الاول ، واخونا الارشد ودواء ناجح بالتجربة ضمد جراحنا على مدى التاريخ وحل عقدنا المستعصية •

غيروا ، لا ينقصكم مال ولا رجال ، بل ارادة قتال !!!

غيروا ، واعلموا ان فلسطين لا سيما القدس ، ليست ملكا لافراد اولهذا الجيل تحت نطلب التهويل من شأن العدو ومن يقفون وراءه ، لكن لا نرى انقاذ انفسنا من هذا الواقع فوق الطاقة، ، اذ (العزة لله ولرسوله وللمؤمنين) •

غيروا واجزموا ان اليهودي عابد مال ، يخشى على معبوده ، فاذا غشى المعركة ، غشيها دون قلب لان هذا مع معبوده • انهم يخافون الموت اكثر مما تخافون ، وترجون من الله ما لا يرجون لقد اخفقت التجارب واتهزمت المبادىء المستوردة ولم يعش ولن يعش الا الدرع المجرب (كتاب الله) وما علينا الا ان نحيل ايماننا القولي عمليا•

غيروا ، اذ لا وسط، كما اعلن العدو مرارا ، بلسان مناحيم بيغن قائلا: (لا سلام للعرب ما لم نحرر وطننا ، لان اله اسرائيل اختارنا للحكم)•

غيروا وخذوا حذركم من مؤامرات قوم اتخذوا الدين احبولة واحاطوه بسور عصبي عنصري ، شحذوا نيوبهم لازدراء جميع الناس واستباحةاموالهم وكراماتهم ، اذ العالم ليسوا لديهم انسانا اما اديانهم فليست جديرةبالاستمرار!

غيروا وتغلغلوا نفسية عدوكم فعرفوا الذين لا يتقون الا ظاهر الفساد وباطنه •

غيروا ، فقانون التغيير يشمل حتى التفاوت بالرزق ؟؟؟

قال الله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) سورة الزخرف ٣٢ .

اذا علمنا ان اعماله تعالى قائمة على العدل والدقة ، وان كلمة (سخريا) هنا تعني التعاون المتبادل الذي يشير له تعريف الانسان بكلمة (الانسان مدني بالطبع) اي لا يستطيع الحياة الا متعاونا ، وسمعنا الشاعر ينظم هذا المعنى بقوله :

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض ان لم يشعروا خدم

اذا علمنا هذا، ادركنا ان اسباب التفاوت في الرزق، فرديا كان اواجتماعيا يعود للقاعدة الثانية المستقاة من قوله تعالى : (وان ليس للانسان الا ماسعى).

وجزمنا ان للرزق قانونا عادلا ، يشمل الافراد والجماعات والامم والدول .

اعني ان الله يرزق الناس ، على مقدار اتقان الطرق التي تجلب الرزق، اذ ليس للانسان الا ثمار سعيه .

فاذا رأينا فلانا يتمتع بكثير من الرزق، وفلانا يجهد لاجل قليله، لاينبغي ان نتخيل ان الله احب فلانا فمتعه ، وكره فلانا فضيق عليه، لان الخلق كلهم عياله ، فلا يمنع ويضيق ارتجالا ، بل علينا ان نجزم ان المتمتع كتلميذ سمع نصيحة الاستاذ فنجح، والمحروم اعرض عنها فرسب !!! ينجحان او يرسبان، على مقدار ما بذلا وفي الحقل الذي بذلا فيه فبلغ كلاهما نهاية الطريق الذي سلكه .

عرف كثيرا كانوا يمتهنون التعليم الابتدائي، باجور خفيفة ، وما ان بذلوا جهدا ودرسوا دراسات ليلية ، حتى فازوا بشهادات محترمة وعدلوا مستواهم .

ان للكفاءات يدا في التفاوت ، وسهم من النجاح، اما الذين فاتهم هذه الحقيقة فقد ضعفت همتهم ، وبعدوا عن النشاط ، وغفلوا عن القانون الصريح

المنطقي ، الذي يشع من (وأن ليس للانسان الا ما سعى) •

غفلوا ، وتعللوا بالحظ (والشنص) بل لم يخجلوا من وضع التبعة على عاتق الله نفسه !!! هذا مع الاعتراف ان هناك ظروفا تفرض التفاوت ، لكن منها ما يستطيع الشخص قهره ، كانتقال طبيب من قرية منقطعة الى حيث تزاحم الاقدام •

وظروفا تبدو مستعصية ، لكن يستطيع الانسان قهرها ولو متعاونا ، حتى لو كانت طبيعية كالجدب مثلا ؛ اذ يقهره باستخدام المياه الجوفية وحركة التشجير ! أو على الاقل استخدام الاستيراد ، كما فعل عمر بن الخطاب عام الرمادة •

هذا مع العلم ان التفاوت امر واقع تفرضه الحياة ، حتى لو تقاسم الناس مال الدنيا بالتساوي ، لعاودهم التفاوت ، ربما بعد لحظات !!! وعلى هذا ، فالتفاوت في الرزق مربوط بتوجيه الطاقات ، اذ توجيهها لحقل ما ، يجف حقلا آخرا •

الناس جميعا مرزوقون ، لكن من الجهات التي توجهوا لها ، اما تفاوتهم بنفس هذه الجهات ، فمنبثق من تفاوت كفاآتهم بحقل دون سواه !!!

استغلال الطاقات والكفاآت ، أثمر التفاوت الذي هو مهد للتعاون ، اذا عدم تبادله يوقفه مجرى الحياة •

التفاوت بين الافراد ، قائم على قوانين فرضها علم الاجتماع ، اما عدمه (اي منح الفاضل كاليقظ) فلا يتناسب مع عدل الله !!! اذ كلكم مرزوق من الطرق التي اتقنها •

مثلا وجه بعض الطلاب طاقته لدرس العربية ، واولى مادة الحساب ظهره فعاش مرجعا في العربية ، سطحيا في الحساب •

اعني ان الله قسم بيننا على مقدار نشاطنا واتقاننا في الحقول التي

توجهنا شطرها كما قسم المعلم ارقام الفحص بين الطلاب على مقدار الاتفاق وبذل الطاقات •

الا ، للرزق سلم، درجاته تدعى ملكات ، ابتكار اقدام ، مثابرة ، ذكاء موجه ، جهود متواصلة، اتقان ، استفادة من التجارب، تطوير، تدريب، توجيه عملي•

وقد يتداخل ، عامل البيئة والفرص التي تمكن الشخص من ابراز مواهبه، وقد يأتي في نهاية المطاف عامل وراثة المواهب !!!

اما وراثة المال فقد تكون ان تجد شيئا من درجات السلم، سببا بانقلاب الثراء فاقة !!! أصعد هذه الدرجات واسعد بمعرفتها ، وردد مع ابن الوردي:

بين تبذير وبخل رتبة وكلا هذين ان دام قتل

تنقذ نفسك من التعقيد ، وتشفه من مرضي الحقد والكبت ، وتفارق شر البطالة، ولو بعمل متواضع هو مبتدأ تنتظره خبرة المفرح!!!

شكا شخص البطالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فاشار عليه ببيع بعض اثاث بيته ، فباع وابتاع فأسا وحبلا واحتطب وباع وقال : اتفقت وتصدقت •

بيروت محمد علي الزعبي



وحي الحياة

من قلم : روكس بن زائد العزيزي

٤٠٨

النقد هو سبيلنا الى الكمال والرقي ، والترحيب بالنقد دليل على العظمة النفسية في الافراد والامم .

٤٠٩

تموت فكرة الاصلاح اذا كان اسلوبها امرا وزجرا !..

٤١٠

كلما اجتهدنا ، شعرنا بان الحياة انبل مما كانت عليه قبل الاجتهاد ، وكلما نجحنا ، شعرنا بأن ايامنا أسعد !...

٤١١

الحكم على الناس بقواعد عامة مطلقة ، ضلال ليس بعده ضلال !

٤١٢

الاعمال العظيمة ، لا تستغني عن الافكار العظيمة التي تسبقها وتنظمها ، لكن كل الافكار العظيمة لا قيمة لها ان لم تجد من ينفذها !

٤١٣

عدم السماح للامور بان تسير سيرها الطبيعي يفسدها

٤١٤

كل حماقة ترتكب ، تعلم صاحبها ان يندم على ارتكابها ، لكنها لا تعلمه ان يتجنب مثيلاتها !

٤١٥

النصائح تجارب فاشلة ، يريد الذين يحبوننا ان تتجنب مرارتـــها ، او اختبارات قاسية ، عجزت حكمتهم ان تلطف حدتها !

٤١٦

نحن نعيش مرة واحدة ، والغرض من هذا التحديد المخيف ، ان نستخدم كل دقيقة من حياتنا للسمو بقيمنا الانسانية في كل مجال !..

٤١٧

ان كان هنالك شيء اثمن من الحياة ، فهو الحرية ، وان كان هنالــــك شيء اشرف من الحرية فهو كيفية استعمالها لخيرنا ولخير الانسانية !

٤١٨

يبدأ ذل الامة يوم تذل المرأة ، ويبدأ ذل المرأة عندما تعجز عن استعمال حريتها بحكمة !...

٤١٩

عبادة المال جريمة، واحتقار المال جريمة ، وعند هاتين الجريمتين يضيــع معنى الحياة وتتولد كل متاعبها وهمومها ومعضلاتها !..

٤٢٠

اذا كانت افكارنا صورا من نفوسنا ، فما اكثر ما نولد ، ونموت يومياً !.

٤٢١

اعداء البساطة ، اعداء لكل خير ، ولكل فضيلة !

٤٢٢

شر ما تبتلى به ، ان يؤول الناس بساطتك اسوأ تأويل !

٤٢٣

كثيرا ما يبذل الناس نفوسهم بسخاء ، لاقل الناس استحقاقا للبذل !..

٤٢٤

نكد العيش هو ابن الفقر البكر !..

٤٢٥

تجلد ، وتسامح، لكن اذا وصلت الى حد اللامبالاة ، فانت محتقـر لنفسك !

٤٢٦

اذا وهب الله لك من جمال الخلق ، وصفاء القلب ، ونقاء الضمير مـا يمكنك ان تعيش حياة لا تكلف فيها ، يسودها فرح الاطفال ، وعظمةالابطال، فقد وهب لك اعظم نعمة !

٤٢٧

بعض البشر كلما صدقتهم كذبوك ، وكلما اخلصت لهم خانوك !..

٤٢٨

الذي يحاول ان يعتذر عن جرائمه بذكر جرائم غيره ، لا ادري ماذا اسميه .

٤٢٩

اذا خلت البيوت من الحب ، شعر ساكنوها انهم في حاجة الى اشيـاء كثيرة كان الحب يخفي حاجتهم اليها !

٤٣٠

ما دامت آثام الاجداد ، وفضائلهم هي التي تحرك الاحفاد ، فاي عتب عليهم اذا اثموا ، واي فضل لهم اذا طهروا !

ملامح التطور الحضاري للفكر الديني

بقلم: رغيد النحاس

يرتبط نشوء الدين ارتباطا وثيقا بنوعية الحضارة الانسانية ، كما يرتبط ارتقاؤه او انهياره بمجموعة من العوامل التي تعقد مراحل الحضارة البشرية. فاذا ما اقتبسنا عن لسلي وايت تعريفه للحضارة ، نجد ان الحضارة هي نموذج معقد من الرموز مثل اللباس والعادات والمعتقدات والمؤسسات والاحداث والاشياء المتعلقة بالفن واللغة .

والانسان الذي هو قوام الحضارات يعرف بانه الكائن الوحيد القادر على استخدام الرموز . فاذا ما اجتمع الرمز مع الاشارة في دلالتهما على اشياء تتخطى حدود ذاتهما ، فان الرمز يعطينا بذلك فكرة عن حقيقة مدلولة ، وينقل الينا اشياء ما كانت لتكون لولاه في متناول ايدينا ، ومثال ذلك القرآن.والرمز قد يفتح امامنا ابعادا تمت الى حاضرنا بصلة وثيقة ، كما يمتاز بانه يولد ويعيش ويموت وكأنه كائن حي . وهناك فرصة لاكتشاف الرمز من جديد واحيائه كما يحصل عند اكتشافنا لبعض اثار الحضارات القديمة . فعلى سبيل المثال اكتشفت ملحمة جيلجامش عام ١٨٣٩. ان احياء مثل هذه الرموز هو الشغل الشاغل لعلم الدراسات الحضارية .

والطريقة المتبعة في هذه الدراسات تعتمد الموضوعية في البحث بل قد تتعدى ذلك الى العلمنة بحيث يغدو الرمز بالنسبة للباحث شيئا غير حقيقي ولكنه ليس بكاذب وانما قد تكون له قيمة معينة . ذلك ان الانجيل على سبيل المثال قد يكون بالنسبة للمسيحي الحقيقة كلها، بينما يرى فيه الملحد الضلال كله .

تحدثنا سيرة جيلجامش عن بطل هو ملك لمدينة (Uruk) الواقعة الى الجنوب من بابل . وهذا الملك ثلثه انسان وثلثيه الباقيين آلهة . وهو يمضي

حياته في مغامرات عجيبة شاقة وغرامية احيانا بينه وبين آلهة كثر • فمثلا تسأله عشتار ان يكون زوجا لها وحين يرفض ترسل عليه ثورا من السمـاء فيحاربه جيلجامش مع صديقه انكيدو فيقتلاه مما يغضب الآلهة عشتار فتحل لعنتهـا على انكيدو الذي يموت نتيجة لذلك • ويتابع بطلنا مسيرة حياته بحثا عـن الخلود ، ويخوض غمار مغامرات كثيرة في رحلات عامرة ولكنه يفشل في النهاية في الحصول على سر الالهة فاقدا بذلك الحياة الابدية • ولقد تضمنت الملحمة قصة الطوفان مما يؤكد ان هذه القصة قديمة العهد جدا •

ولئن كانت هذه حال التفكير في مشرق الارض ، فان الغرب بدأ يشهـد ولادة ملاحم هوميروس التي احتوت على علاقات بشرية الهية تماما كما هـي الحال في النتاج الشرقي • وكانت الصفة الغالبة هي تعدد الآلهة التي صيغـت على اشكال مشابهة للاشكال البشرية واعطي كل منها عملا واختصاصا فكـان هناك اله للحرب وآلهة للخمر واخرى للحب وكانت (زوس) الهـة الآلهات جميعا لدى اليونان القدماء • ولقد صدرت الملاحم أمثال الالياذة والاوذيـه نتيجة لعملية جمع شفوي ، اي ان الشاعر قد صاغها بعد اذ تناقلتها الاخبـار من هنا وهناك ومن فم الى فم ولهذا يطلق عليها اسم السير او الملاحم الشفوية (Oral epics)

وحين بدأ العقل اليوناني يشق لنفسه طريقا وسط التخبط الملحمي سرعان ما اخذت هذه الطريق لنفسها معالم شتى وسرعان ما كان لهذه الطريق فروعا في هذا الاتجاه او ذاك • فاذا ما ازدهر الجدل الاقناعي لدى السفسطائيـين وتوصلوا الى القول بان الانسان غير قادر على معرفة الثابت في الوجود ان كان لهذا الثابت اي وجود ، نجد ان سقراط وتلميذه افلاطون حاولا دحض تلـك الافكار وخصوصا السفسطة التي تقول بان المعرفة تعتمد على الحواس • ولقد توصلا من فكرة الزمان والمكان الى ايجاد عالم مطلق هو عالم المثل او عـالم المجردات العقلية The World of ideas ان هذا العالم هو الثابت في الوجود •

فاذا ما اطل ارسطو حدثنا عن الامكان وعن الفعل ، اي عن المادة والصورة وان كل شيء موجود فعلا هو امكانية لشيء آخر وكل ممكن هو قابل ليصبح

موجودا . ان تغير نسبة الصورة في سلم صاعد يوصلنا الى تحقيق معالم اكثر ثبوتا ووضوحا فنقول عن الشيء انه اكثر وعيا من سابقه حتى نصل في النهاية الى الوعي المطلق(Pure intellegence)الذي هو الاله . وهذا الاله لا يمكن ان يكون خالقا ذلك ان الخلق كما يفهمه ارسطو هو نقص ولا يمكن لـلاله ان يكون ناقصا .

واذا كان الفلاسفة السابق ذكرهم يمثلون التفكير « الهيليني » فـــان فتوحات الاسكندر وما عقبها من اختلاطات حضارية ، زودتنا بفلاسفة مثـل افلوطين مطبوعتين بالطابع «الهيلينستي» الذي كان من اهم مميزاتـه التوفيق بين الفلسفة والدين . وكان طبيعيا ان يتمركز هذا النوع من التفكير في الشرق الذي تغلب عليه الاتجاهات الروحية . فالدين يعالج الحقول نفسها التي تعالجها الفلسفة عموما . فهو يتعاطى التفتيش عن الثابت في الوجود والبحث في كيفية نشأة الوجود ، كما يعنى بالسلوك البشري . ولكن الفرق الاساسي بين الاثنين هو ان الدين يرتكز على الوحي فهو بذلك عمل الهي صرف ويتطلب من الانسان ليس الفهم اولا بل الايمان . وحجج الدين الاساسية على صحة ما يأتي بـه هي المعجزات .

اما الفلسفة فهي كما يقول الدكتور نديم نعيمة استاذ الفلسفة العربية في الجامعة الاميركية في بيروت ، « محاولة انسانية لاكتناه حقيقـة الاشياء عن طريق اعمال وسائل المعرفة في البحث والتدقيق والاستنتاج والبرهان لذلـك لا جدل في الدين بينما الفلسفة تحيا على الجدل والمناقشة » .

والذي حصل في هذا الفكر الهليستي المترعرع في الشرق هو ان اليهود والنصارى وفيما بعد المسلمون قد اعجبوا بهذا التفكير الفلسفي المحكم المقنع والذي ورد اليهم وكان من الصعب رده . وهم من الجهة الثانية مؤمنون بمـا انزل عليهم من ديانات . وكلا المنهجين يعالج نفس القضايا فايهما يختار اهـل المشرق ؟

لقد كان الحل الطبيعي لهذه المعضلة او لهذا التناقض هو ان يسلـك الشرقي درب التوفيق بين الشريعة المنزلة والفلسفة الوافـدة وهكذا يمكن

القول بان الفلسفة الهلنستية هي فلسفة توفيقية حاولت جاهدة انّ تبين ان كل ما ورد من فلسفة هو الوجه العقلي للدين وان الدين هو الوجه الروحي الوحيي للفلسفة ، وان كلاهما واحد في الجوهر وكلاهما يوصل الى نتيجة واحدة. وهكذا أخضعت النصوص للعقل وبرزت مثل المعتزلة التي سلكـــت درب التأويل . بيد ان اول بوادر هذه الظاهرة الاندماجية تجلت في الافلاطونيــة الحديثة (Neoplatonism) .

واذا ما ننتقل الى وجه اخر هو ديني بحت نجد ان التوراة قد حملت الينا حكايا اليهود والنصارى وفيها جاءت قصة الخلق التقليدية عن آدم وماتبعها من اخبار عن غيره من الانبياء مثل نوح وطوفانه .

والتوراة كتاب بلغت صفحات احدى نشراته باللغـــة الانكليزيــة (Gerusalem Bible - Readers edition) حوالي السبع مئة والف صفحة من القياس الوسط وهو مقسوم الى قسمين رئيسيين،العهد القديم (The Old Testament) وهو معظم الكتاب ويروي قصة اليهود ، والعهــد الجديــد (The New Testament) ويختص باخبار النصارى .

ولئن كان كتاب العهد القديم قد بدأ بجزء يحكي قصة الخلق ، فـــان النقاد يعتبرون الجزء الثاني من الكتاب هو بداية العهد القديم الحقيقية لانـه يحكي قصة تكوين الامة اليهودية . وحجتهم في ذلك ان الفرق بين الحـادثة التاريخية الترتيبية الاولى وبين الحادثة الاولى في التاريخ هو فرق في المعنـى والاهمية . ان التاريخ عند اليهود يبدأ بتكوين الامة اليهودية وكل ما سبـق ذلك باحداث ليس بذي اهمية لديهم حتى لو كان ذلك خلق العالم كله .

ولقد ارسل الرب الى اليهود موسى حتى يحررهم من عبودية فرعـون. وسمي موسى بهذا الاسم لان كلمة Mashah العبرية تعني « يسحـب » . وموسى كما تروى حكايته في التوراة كان قد ألقي في اليم حين خافت امـه عليه من آل فرعون . ثم صادفته ابنة فرعون فسحبته من الماء وعهدت به الى مرضعة لم تكن سوى امه بالذات . وبعد ان اعيد الى ابنة فرعون سمتـــه موسى وربته .

خرج موسى الى الوادي المقدس فرأى على الجبل نارا غريبة من نوعها شديدة الضياء لكنها لا تحرق الشجر • فتقدم ليستطلع الامر فاذا بصوت يناديه ان توقف واخلع نعليك انك في الوادي المقدس • وحين يتساءل موسى عن صاحب الصوت يجيبه يهوه (Yahweh) وهو الاسم الذي تعطيه التوراة للرب ــ « انا الذي أنا • انا اله اباءك اله ابراهيم واسحق ويعقوب » وفي الواقع ان اسم يهوه يعني بالعبرية « هو الذي » • ومن هنا نستنتج ان هذه العبارة ان كانت تعني اي شيء فانما تعني ان الاله لا تمكن معرفته من حدود هذه الكلمات • فكيف يعرف اليهود الههم اذا ؟ نلاحظ ان يهوه قد اكمل عبارته بقوله انه «اله آبائك اله اسحق ويعقوب ••» اضف الى ذلك بان يهوه حين يطلب من موسى ان يباشر بنشر الدعوة فانه يقول لموسى بانه ــ اي يهوه ــ قد تذكر وعده (Covenant) لاسرائيل بان يصون احفاده ويجعلهم شعب الله المختار • من هنا نرى ان الاله بالنسبة لليهود يعرف فقط من خلال احداث تاريخية معينة • او بعبارة اخرى من خلال علاقة الاله بشيء نسبي هو التاريخ هنا • ولذا فان اليهود قد اختاروا التاريخ كرمز لحياتهم وكموضوع رئيسي لدراستهم وهذا يناقض تماما ما انطوت عليه الفلسفة اليونانية من اختيار للطبيعة كأساس للبحث بينما لا يناقض مثلا احدث النظريات الاجتماعية التي ألغت الطبيعة واعتمدت التاريخ وتطوره كالماركسية • وهكذا فان افلاطون حين يتحدث عن فهم المعرفة فانه يخبرنا عن اشكال عقلانية صرفة تتعدى الحواس ولها علاقة وثيقة بعالم الطبيعة وعالم المثل • وحدثنا ارسطو عن التجربة الحسية كأساس للمعرفة ، ومن هنا فان المعرفة عند اليونان هي عمل من اعمال العقل أو انها استعمال حكيم علمي للتجربة الحسية • وفي كل هذه المراحل في تطور المعرفة يتوصل الانسان الى «الله» • بينما نجد عند اليهود ما يعاكس هذا تماما ، فهنا نرى ان الاله هو الذي يبدأ اتصاله بالانسان فيناديه ، وحين يتم التعارف فان هذه المعرفة لا تكون نابعة عن احساس عقلاني او حسي تجريبي وانما من احساس عاطفي او شخصي • فالاله قد وعد اسرائيل بجعل ذريته شعب الاله المختار ، ولذا نراه في التوراة تواقا الى تنفيذ وعده للشعب الذي اختاره وأحبه • ان هذا النوع من التفكير يشكل ولا شك غرابة كبيرة بالنسبة للعقل

اليوناني ٠

واذا ما اردنا الرجوع الى الوراء أكثر ومناقشة وضع موسى كبطل لقصة التوراة ومقارنة هذا النوع من البطولة بالنسبة للبطل النموذجي الذي كنـا نصادفه في الملاحم القديمة مثل ملحمة جيلجامش او الالياذة او الاوذيسه، فاننا لستنتج ان موسى ليس بطلا نموذجيا ٠ فالبطل الاسطوري النموذجي هـو ذلك الذي يتقبل القيادة والمجد ويغامر ويتخذ لنفسه الجاه والسلطان والخليلات وقد يتصل بالالهة اتصالات جنسية ، وينال بركاتهم او قد ينال من غضبـهم الشيء الكثير٠ بينما موسى لا يقبل القيادة بادىء الامر ، وحتى حين يقبـل فانه يدعي عدم طلاقة لسانه فتصل به الدرجة للاستعانة باخيه من اجل مواجهة فرعون ٠ واعظم مغامراته لا تتعدى رمي العصا وتحويلها الى حية بمسـاعدة يهوه ٠ فمحاولة معرفة الخالق عند اليهود هي محاولة للنظر وراء نحو التاريخ٠ بينما نجد ان واحدا من اعظم المؤرخـين اليونانيـين (Thucydides) يخبرنا في احد كتبه انه انما يكتب التاريخ لا لمعرفة الحقائق والوقائع فقـط بل ليستفيد من هذه الوقائع وليترك شيئا نافعا للاجيال القادمة ٠

وفي الوقت الذي يتعرف فيه اليهود الى الههم من خلال علاقته بالتاريخ الانساني ، نجد من اعمال اليونانيين انهم يعرفون الههم ليس عن طريق علاقته مع الانسان في تجارب خاصة ، وانما من ضمن حدوده الذاتية فللاله عندهم ذات وصفة ولكل اله من آلهتهم شخصية خاصة وله فضيلة خاصـة (areté) ان اله اليهود ليصعب عبادته من قبل اليونان خصوصا ان كل التفكير اليهودي لا يعطينا اي فكرة عن نظام الكون (cosmos) كما جاء لدى اليونانيين ٠

هذا وان الاختيار الذي خص به يهوه اليهود لا يستند مطلقا الى اي خصائص مميزة لهذا الشعب وانما كل ما تخبرنا به التوراة هو ان حب الالـه لهذا الشعب يجعله يختاره وان الثقة هي التي يملكها ذلك الاله في المكان الاول وليس الانسان ولذلك هو يحافظ على وعده ويطلب من الانسان ان يثق بـه ويتعبده ويطيعه ومن خلال هذه الطاعة ينبع القانون الذي تأتينا به التوراة ٠ فالقانون لديهم ليس جملة من المعتقدات الاخلاقية العامة وانما هو تنوير لهذه

الثقة بالاله ولاعمال هذه الطاعة له .

وفي التوراة اخبار عن كثير من انبياء اليهود ، فما هي طبيعة تفكير هؤلاء وكيف نشروا رسالتهم ؟

لا يصح لنا ان نطلق على انبياء التوراة لقب انبياء وذلك لان هذا اللقب يوحي انهم يتنبأون بحدوث اشياء لم تكن حادثة . وهذا اللقب انما يصلـح فقط لنبي مثل محمد بن عبد الله مثلا . ان انبياء التوراة ليسوا متنبئـون (Seers) وانما هم يعالجون اشياء معينة في وقت معين.

وقد يرجع ذلك الى كون التفكير اليهودي تفكيرا مـاديا (Concrete) وليس تفكيرا مجردا (Abstrait). وربما كان هذا هو السبب في أصل الكثير من الاراء التي نستقيها من اطلاعنا على التوراة فمثلايقول يهوه لليهود: سأكون الهكـم اذا كنتم شعبي ، أي اذا تقيدتم بقانون الطاعة وتمتعتم بـالثقة التي منحتكم اياها . هذا ولقد اعتقدوا بان كونهم شعب الله المختار يحمـلهم مسؤولية تجاه العقاب كبيرة . وبالاضافة الى ذلك فان هؤلاء الانبياءيعتبرون « ثوريين » ذلك انهم هاجموا الدين ورجاله واتهموهم بالانطواء وعدم المشاركة الاجتماعية والسياسية . ومن هنا فان نبي التوراة انطلق الى اماكن العبـادة لينتقد طريقة الكهنة في التعبد فنجد مثلا ان آموس (Amos) يقول في الفصل الخامس من كتابه بانه يكره اعياد الكهنة ومجتمعاتهم وبالرغم من انـهم يقدمون له هباتهم فانه لن يقبلها .

وهكذا نرى ان اله اليهود ليس له اسم ولا يمكن ان يدرك بالتجربـة الحسية ، وفقط حين ننتقل الى العهد الجديدنجد ان الاله يدأ يتحدد بصفات ومعـان .

والعهد الجديد من التوراة مقسم الى عدد من الفصـول (Gospels) وكلمـة (Gospel) هي محاولة لترجمةكلمة يونانية معناها الرسالةالطيبة أو الخبر الطيب . ولقد تعدد الانبياء في هذا القسم ايضا وكان همهم نشـر دعوة المسيح ولقد تكلموا الكثير عن معجزاته واخباره غير ان اهم ما تجمـع

عليه هذه الرسائل هو امرين : الاول ان العالم لا بد ذاهب الى يوم حساب يكون فيه المسيح هو الحكم الاكبر • والثاني هو ان المسيح بعد صلبه وموته بعث من جديد وكذلك سيبعث الناس كلهم • واذا ما قورن هذا بالفلسفة اليونانية يبدو البعد واضحا • فالذي يسير العالم ويحكمه وفق الفلسفة اليونانية هو الثابت في الوجود (Prime mover) بينما نجد في المسيحية ان المسيح وحده ستكون بين يديه مصائر كل الناس •

لقد اتسمت الطريقة التي قدم بها المسيح افكاره بانها طريقة فوقيةجازمة (authoritarian) شأنه شأن اي دين فلا مجال للنقاش والجدل وانما تقدم للانسان الحقائق مطبوخة جاهزة ويجب عليه ان يهضمها هكذا • ولقد اشبع المسيح رسالته بافكار جاءت وكأنها رد عنيف على تصلب اليهود وعنصريتهم فلم يقل للناس انهم « شعب الله المختار » وانما قال لهم انهم متساوون امامه وان المحبة هي طريقة الحياةالاولى وان حساب الانسانسوف يكون وفقالمقدار ما ملأه في نفسه من الثقة بالحكمة التي جاء من اجلها المسيح ، فالنبي جون يقول « ان الساعة آتية عندما يترك الموتى قبورهم على صوته : اولئك الذين عملوا صالحا سوف ينهضون الى حياة واولئك الذين عملوا شرا فالى جحيم» • فالخطيئة هنا هي خطيئة ضد المسيح بينما عند اليونانيين الخطيئة هي خطيئة ضد القانون •

وتجلت ثورية عيسى على التقاليد البالية حين طلب شربة ماء من امرأة تنتسب الى عشيرة لا يسمح لاي من اليهود التحدث الى افرادها •

وهكذا فان انبياء العهد الحديث هم انبياء بكل ما تمليه معاني الكلمة في التنبؤ • ولقد كانت مهمة المسيح الرئيسية انقاذ البشرية من خطيئتها ضدالله•

وعلى سبيل المقارنة نجد ان طبعات التوراة التي تجمع بين العهدين القديم والجديد بين دفتي كتاب واحد لا تستطيع ان تجمع بين فكرتي العهدين المتناقضين تماما • ان العقلية اليهودية لا يمكنها ان تتقبل فكرة ان يكون انسان واحد هو سيد الموقف المتحكم بكل المصائر • ذلك ان الامة الاسرائيلية المبنية على اساس عرقي وعنصري من الصعب ان يضحى بها من اجل انسان واحد•

ثم تطالعنا قصة دين جديد مختلف في كثير من الاشياء عما سبقه من اديان. بل ان الاختلاف الاكبر هو في ان حركة محمد بن عبد الله الجديدة لا يمكن ان يطلق عليها لفظ ديانة (Religion) بالمعنى الذي يمكن اطلاقه على ما سبق هذه الانتفاضة الحضارية . فالاسلام ليس (Religion) بل هو «دين» وهكذا يؤكد الدكتور الغول مدرس الفلسفة الاسلامية في الجامعة الاميركية في بيروت. وكلمة اسلام تعني الاستسلام الى مشيئة الله وتحمل في طياتها سلطة ونظام عامين . وفي القرآن تطالعنا الايات التالية :

« ان الدين عند الله الاسلام ...» (آل عمران ، ١٩)

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ...» (آل عمران ، ٨٥)

« ... اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ...» (المائدة ، ٣)

« قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ...» (الحجرات ، ١٤).

ان هذه الآيات توضح لنا الصورة المختلفة التي يأتي بها الدين الجديد بالنسبة لما سبقه . ففيها التفريق بين الايمان وبين الاسلام بصورة واضحة. وان الاسلام الذي يتطلبه الله هنا هو تسليم كامل لا لارادة الله في طاعته لمجرد كونه الله بل في طاعته من خلال انضباطية كاملة تشرح نفسها في قانون متكامل يحدد مهمة الفرد ضمن الجماعة وواجب الجماعة تجاه الفرد وهذا ما يتأكد في العدالة الالهية التي تظهر بعض ملامحها في الايات التالية :

« ... ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » (الانعام ، ١٦٤)

« من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون » (الانعام، ١٦٠).

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ...» (النحل ، ٩٠).

ولقد اتخذ الله اسماء عديدة وفقا لمقتضى احوال عديدة فكان الرحمن

الرحيم الغفور الجبار وما الى ذلك من هذه الصفات التي تؤكد العدالة في الحساب وتؤكد الحساب بحد ذاته مما يبين اهمية الانضباطية السلوكية في هذا الدين لأن السلوك الاجتماعي سيؤخذ بعين الاعتبار يوم الحساب . فالحساب هنا ليس فقط حول مقدار الايمان والثقة بالله بل هو من صميم « التسليم » لله كما سبق واشرنا .

والمسلمون يعرفون هذه الحقائق عن الله وعن الدين بنفس الطريقة التي عرف فيها اهل الديانات السماوية السابقة حقيقة ربهم اي بأن « الحقيقة » جاءت من السماء عن طريق الوحي وهكذا كانت جاهزة كاملة لا غبار عليها ولا جدل فيها . ولكننا نلاحظ فرقا شاسعا بين طريقة الديانات السابقة وطريقة الدين الجديد فيما يصدمه من مقترحات تلي الايمان وتقضي باعمال الفكر والتأمل في سبيل الحصول على المعرفة والتعرف الحميم على ذات الله . وهذا يوحي بانه من الممكن للانسان ان يعيد النظر في ايمانه الساذج ويحوله الى ايمان مقرون بالفكر واعمال العقل وهذا ما تبناه أكثر الفلاسفة المسلمين حين واجهوا الامام الغزالي الذي وصف العقل بانه « متهافت » وغير قادر على الوصول الى حقائق ما ورائية (Metaphysical)

ولكنه من الخطأ بمكان ان نعتقد ان الطريقة التي طلب الله فيها الى المسلمين اعمال عقولهم في التفكير في خلقه ، توصي باي شكل من الاشكال بأن تكون مشابهة لطريقة اليونانيين في الوصول الى اصل الوجود . ان هناك فرقا بين اله المسلمين الذي وصفه فيلسوفهم الكندي بانه « مؤيس الايسات عن ليس » او خالق الاشياء من لا شيء ، وبين اله الفلاسفة اليونانيين الذي يوصف بانه « الثابت في الوجود » بحيث توحي فلسفتهم بأن الكون قد انبثق عن هذا الثابت انبثاقا او انه فاض فيضا او اضاء ضياء .

لقد بدأ المجتمع الاسلامي في المدينة المنورة على اساس انه مجتمع متدين يعيد كل حادثة الى الله ويجمع حول كلمة الله ويلتف حول قانونه الذي ما كان سوى ارادة الله ومشيئته في قضايا البشر .

وبعد وفاة الرسول استمر الطريق « القويم » عند المسلمين في اتباع

السنة دون جدل او نقاش اي اتباع سياسة التقليد وكل ما يخالف هذه السياسة هو « بدعة » (Innovation) لا يرضى الدين عنها .

وهكذا أبى اهل السنة تقبل الفلسفة او اعمال العقل وفضلوا الابقاء على ايمانهم المقرون باتباع هذه السنة بكل حرفيتها ومضامينها . ولقد نظر هؤلاء المحافظون الى التاريخ على انه عملية انتقال من سيء الى اسوأ وان العالم ذاهب ابدا من حسن الى طالح ولقد كانت للتاريخ لديهم بداية ونهاية. البداية هي الخلق ، والنهاية هي يوم الحساب . واذا ما قورن هذا بنظرة اليونانيين الى التاريخ لوجدنا نقيضه تماما . فالتاريخ لدى بعضهم هو حلقة تعيد نفسها ولدى آخرين هو عملية تقدم وازدهار .

وحين يتوصل المسلمون بفتوحاتهم الى اصقاع كثيرة من الارض يخرج المسلم الى اهل البلاد المفتوحة فيحصل صدام في الفكر بين ما يحمله من تقاليد عريقة فيها من التحفظ والحذر الشيء الكثير وبين ما يلقاه بين ايدي اهل تلك البلاد من تراث فلسفي وفكري لم يكن قد اعتاد عليها .

وكانت نتيجة هذا الصدام ظهور جماعات من المسلمين مناوئة للسنة والتقليد ومن ابرز هذه الجماعات فرقة المعتزلة التي اعتمدت « الكلام » اساسا للنقاش . ولقد صاحبتها او تطورت عنها جماعات اخرى مثل الاشعرية والشيعة وكلها جماعات متأثرة بصورة او باخرى بالخط الفلسفي الجدلي الذي تعود جذوره الى اليونانيين . ولقد مهدت هذه الجماعات لظهور ارباب الفلسفة الاسلامية مثل ابن سينا ، والكندي، والفارابي، والامام الغزالي، وابن رشد. ولقد تعارض المعتزلة مع اهل السنة في امور رئيسية هي خلود القرآن، وخلع الصفات البشرية على الله ، والعدالة الالهية ، والقدر والقضاء.

فمثلا يقول المعتزلة ان الله يجب ان يكون عادلا لانه كامل ، بينما يقول أهل التقليد ان الله يستطيع ان لا يكون عادلا او ان يكون وهذا شيء علينا ان نقبله « بلا كيف ».

ولقد كانت الفلسفة الاسلامية بمثابة تطوير لعلم الكلام الذي بدأه

المعتزلة . واعتقد بعض الفلاسفة ان الكون قد انبثق عن الله انبثاقا او انه فاض فيضا ، كما فعل ابن سينا . بينما اكد آخرون وجود الخلق في لا شيء كما فعل الكندي.

واليوم بعد التطور الهائل الذي قلب مفاهيم البشرية يتساءل المرء ، اين تسير مسيرة الفكر الديني؟

لقد بدأ انقلاب فكري كبير بظهور ديكارت وباعطائنا فكرته الجديدة عن الخالق والملخصة بقانونه « انا افكر فاذا انا موجود وانااشك فاللهموجود» ذلك ان ديكارت قال طالما ان هناك فكرة في رأسه عن الكمال تشغل باله وطالما انه انسان ناقص ، فلا بد انالمال قد اتاه عن كامل وهو الله .

وبعد ديكارت اتى المذهب التجريبي على ايدي باكون وهيوم ولوك. فهاجم هيوم الدين برفضه فكرة وجود فكرة مسبقة في الذهن كما فعلديارت.

ولقد تشعبت هذه الفلسفات ما استطاعت الى ذلك سبيلا فاما ما ا داد التقدم العلمي والصناعي نجد انالفلسفات قد بدأت تتلاشى لتستبدلبنظريات اجتماعية اقتصادية حديثة . واهم هذه النظريات هي الماركسية. فهل الماركسية فكر ديني؟ الجواب هو بالنفي القاطع ذلك ان هذه النظرية قد ألغت فيمضمونها اهم عنصر يبحث فيه كلا الدين والفلسفة الا وهو الطبيعة . واعتبرت بديلا عنه التاريخ كاساس للبحث . فهل هذه النظرية وامثالها آخذة لتكون «الدين» الجديد لابناء البشرية ؟ وهل اصبحت مظاهر المدنية الحديثة طقوس عبادة في ذلك المعبد الذي ترتفع فيه اصوات الالات الصناعية لتبارك الرب الجديد الذي نراه في كل وسيلة من وسائل الانتاج؟

المراجع :

اعتمد البحث على النصوص الاصلية في المراجع المنوه عنها في سياق البحث وعلى بعض المحاضرات في الجامعة الاميركية في بيروت .

دمشق رغيد النحاس

من اجل الشباب

بقلم : احمد محمد جمال

ـ ٢ ـ

حـديث الى الشبـاب

- حول تأثرهم بالدعوات والافكار الهدامة للعقيدة والخلق .
- وهجرهم للعبادات الاسلامية التي هي خير تربية لهم تقوي عقيدتهم ، وترفع اخلاقهم .

ان تخلف المسلمين ، وانهزامهم امام عدوهم الحقير ، واضطراب احوالهم ، وقلق مجتمعاتهم لكل اولئك سبب واحد لا ثاني له : هو اتخاذهم القرآن مهجورا ، وهو الكتاب الذي بعث به اليهم نبيهم الكريم ، ليكون لهم عصمة من الزلل ، وعزة من الهوان ، وقوة من الضعف ، وسبيلا الى الخير ..

وانتم ــ ايها الشباب المسلم ــ هدف الاعداء ومرمى سهامهم طعنا في دينكم ، وهدما لكيانكم وتفريقا لشمل امتكم ، وتوهينا لوحدتها ، واذلالا لعزتها ..

كما انكم سريعو التأثر ببريق دعواتهم المخربة ، ومبادئهم الهدامة للاخلاق ، وافكارهم الهازئة بالله خالقا ورازقا ومدبرا للناس والكون ، وحقيقا بالعبادة والتوحيد .

من اجل ذلك اتحدث اليكم باختصار عن (الاسلام) عقيدة وشريعة ،

● « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » .

● « ان هو الا ذكر للعالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين » .

وانما أردت بهذا الاستدلال العلمي الطبي على بعض ثمرات الصلاة الصحية الجسدية ، والثمرات الروحية اعظم وأهم .. ان ألفت اتباه شبابنا الذي ينصرف عن الصلاة والصيام او عن العبادات الاسلامية كلها ، متأثرا بشبهات سخيفة تافهة لا تقوى على البحث والنظر العميقين .. في الوقت الذي تشهد فيه المؤسسات العلمية الطبية الاجنبية بحكم للصلاة والصوم رائعة نافعة ، بل تنصح هذه المؤسسات العلمية الطبية الاوروبية والامريكية مرضاها المصابين بالقلق النفسي ، والتوتر العصبي ، وخلل الاجهزة الهضمية من كبد ومعدة وامعاء .. تنصحهم بممارسة الصلاة والصوم الاسلاميين(١) .

أجل أردت أن ألفت اتباه شبابنا الى انهم يهجرون دينهم عقيدة وسلوكا ، في الوقت الذي يستفيد منه اعداؤهم الذين تعمدوا صرفهم عن دينهم ـ يستفيدون من سلوكه وخلقه وتشريعه دون عقيدته روحا وتعبدا..



ايها الاخوة الشباب .. يا فرحة الحاضر ورجاءه ، وزاد المستقبل وسلاحه : اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون في تحصيلكم للعلم النافع ، ثم في تفديكم لامتكم ووطنكم العمل الصالح الرشيد .. ولا تنسوا ان الله وعدكم وعد الحق فقال : « واتقوا الله ويعلمكم الله » . هداكم الله ، وأصلح بالكم ، وجعل منكم قرة اعين لآبائكم ومعلميكم ، وذخرا وفخرا لبلادكم ودولكم . انه سميع قريب مجيب .

(١) في كتابنا (محاضرات في الثقافة الاسلامية ـ فصل العبادات) . مزيد من تفصيل واستدلال بآراء علماء الطب في هذا الموضوع .

باعتباره آخر الاديان السماوية وناسخا لها ، وباعتبار رسوله عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين ومصدقا لهم جميعا ، وباعتبار شريعته كافلة لمصالح الانسان في دنياه وأخراه •

ونبدأ الحديث بذكر آيتين من القرآن الكريم تتلخص فيهما فلسفة المنهج الاسلامي بجانبيه الايماني والعملي وهما قوله عز وجل ــ من سورة الحج « يآ ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير ، لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس ، فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ، ونعم النصير » •

● والى جانب الامر بالركوع والسجود ، وعبادة الله وحده ــ يجب ان يسلك المسلم طريق الخير قولا وعملا وبذلا ، ففي العبادة الخالصة والعمل الصالح : الفلاح المحقق ، والفوز المبين •

● والى الامر بالصلاة ــ في ختام الآية الثانية ــ والاعتصام بالله ، لانه هو مولى المؤمن ونصيره •• يجب ان تؤدى الزكاة ، وتبذل الصدقات ، فبهذا التعاون المادي بين الاغنياء والفقراء ، والاقوياء والضعاف تنشأ المحبة بين افراد المجتمع الاسلامي ، ويتم التكافل الاجتماعي ، ولا يبقى اثر لمشاعر الحسد والبغضاء في قلوب الفقراء تجاه الاغنياء ــ على العكس من « الشيوعية » التي يقوم نظامها الفاشل ، ودستورها الباطل على تحارب الطبقات وحقد العمال على اصحاب رؤوس الاموال ، وبالتالي بغض هؤلاء لأولئك نتيجة لسلب الحكومات الشيوعية لثروات الاغنياء ، والاستيلاء على مصانعهم ومزارعهم ، باسم انصاف العمال كذبا وزورا •

وبتأمل الآيتين السابقتين تتجلى كما اسلفنا ــ فلسفة المنهج الاسلامي بجانبيه الايماني والتشريعي :

● فهو دين ودولة .

● وعبادة وسيادة .

● ومحراب وجهــاد .

● ومصحف وسيف .

● وتربية فردية ، وتعاون اجتماعي .

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منــه ، وهو في الاخرة مــن الخاسرين »

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غــير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم »

وسبيل المؤمنين هي سبيل نبي الاسلام قبلهم ، وسبيل اصحابه وخلفائه من بعده .. كانوا يصلون بالنــاس في المساجــد ، ويقودون العسكر في الحروب ، ويفصلون في قضايا الرعيــة في المحــاكم ، ويتعهدون الافراد والجماعات بالارشاد والتوجيه ، وانكار المنكر واقرار المعروف ، ويراقبون سياسة عمالهم ونوابهم في المدن والامصار ، فيعزلون الجــائر المنحرف ، ويبقون الامين المستقيم .

يقول العلامة الاستاذ المودودي : ان الدين الذي تؤمن به يجب ان تفوّض اليه شخصيتك كاملة .. لا تستثني منها جزءا مـــن أجزاء فكرك وعملك ، ومن مقتضيات الايمان اللازمة : ان تدخل في الاسلام كافة حتى يكون دينا لعقلك ، وقلبك ، وعينك واذنك ، وليدك ورجلك وجسدك ، ولقلمــك ولسانك ، ولبيتك واطفــالك وزوجتك ولمدرستك ومجتمعك ، ولتجارتك ومكاسب رزقك ، ولسياستك وحضارتك وآدبك ، ثم لا تنسى ان تنشر مكارم هذا الدين الذي آمنت به وتبث محاسنه وفضائله وتدعو البشر كافة للايمان به والدخول فيه .

● والا ما اقوى العقيدة عاملا على إدامة الصلة بالله ، وما امضاها

سلاحا للانتصار على متاعب الحياة ، وما اغناها كنزا تهون ازاءه متارف المـال والجاه .



وكما ان العبادات هي روافد العقيدة وسواندها ، تجدد القديم ، وتذكر بالمنسي ، فهي كذلك روافد السلوك وسوانده ، فالمسلم : لا يعبـد الله بالصلاة والصيام فقط وانما يعبده بسلوكه الخير النافع له ولأهله وأسرته ولمجتمعه وللمسلمين جميعا اذ لا خير في عبادة المسلم اذا لم تهده الى الحق ، وتنهه عن المنكر وتأمره بالمعروف .

والعبادات الاسلامية ، كما يقول الدكتور (محمد علي الزعبي) تحرر الانسان من استعباد الكهنة والسدنة وغيرهم من الذين يرون بأنفسهم شعاعا من ألوهية او تقديس ، ويضطهدون من لا يخصهم ببعض العبادة ، كما كان يفعل قدماء الرومـان والمصريين . وهي ايضا تحرره مـن تقديم القرابين للمعبودات الباطلة كالشمس والقمر والكواكب وتحرره كذلك من الاستعانة بالاموات ، والقسم باسمائهم وتقديم النذور لهم .



أيها الاخوة الشباب :

لعل من المهم والمفيد معا ان نشير هنا الى ظاهرة شبابية مؤسفة : هي ان كثيرا من شباب المسـلمين لا يلتزمون بفريضة الصلاة والصيام، مع انهما ركنان اساسيان من اركان الاسلام الخمسة ..

انهم لا يصلون ولا يصومون ، ويسخرون من المصلين والصائمين ، ويرون في هاتين العبادتين رجعية وتخلفا الى القرون الغابرة ، لا يتناسبان مع حضـارة القرن العشرين ومفاهيمه وانجازاتـه العلميـة والاختراعيـة ، والتكنولوجية .. وتختلط بتفكيرهم الناشىء الطري شبهات عن الصلاة والصوم والحج ايضا وهو الركن الخامس من اركان الاسلام .. يثيرها المتحللون من القيم الدينية من اعداء الاسلام ، وابنائه على سواء ، فتجد

ـ اي هذه الشبهات ـ في اذهانهم الخالية من العقل الكامل وصدورهم الفارغة من الايمان العميق ، تربة صالحة للانبات والاثمار ، ومن هذه الشبهات الضالة المضلة ان الصلاة والصوم ـ بل العبادات جملة واحدة ـ لا موجب لها ولا داعي اليها .. ما دام الانسان على خلق حسن ، حيث لا يؤذي احدا ، ولا يضر جارا ، ولا يظلم قريبا ولا بعيدا .

وينبعث هنا سؤال ، هو في الوقت نفسه رد على هذه الشبهة : هل وجد الانسان الذي لا يؤذي ولا يضر ولا يظلم ؟ مع انه لا يعرف الله ، ولا يعلم له امرا أو زجرا، ولا يرقب فيه إلاّ ولا ذمة ، ولا يؤمن بيوم الحساب؟.

ان الانسان لا يأتمر بخير ، ولا يزدجر عن شر الا اذا كان مرتبطا بعقيدة دينية ، موصولة هذه العقيدة بين قلبه كايمان ، وجوارحه كعمل ، ولسانه كذكر لله توحيدا وتمجيدا وتسبيحا ، ومراقبة للغد بعد اليوم ، وللموت بعد الحياة ، وللجزاء بعد العمل .

اما الشبهة الاخرى : فهي ما يثيره اساتذة هؤلاء الشباب من اعداء الاسلام في جامعات اوروبا وامريكا ، حين يرون بعض طلابهم المسلمين يقيمون الصلاة فيضحكون في وجوههم سخرية ، ثم يقولون لهم : ما قيمة صلاتكم وما نفعها لكم اذا كانت عقيدة القضاء والقدر من اركان الايمان في دينكم الاسلام ؟ حيث ان كل شيء خيرا او شرا مقدر ومكتوب .

وأخيرا يجد الشباب المسلم من سخرية اعداء الاسلام ، واعدائهم بهم ـ حين يركعون ويسجدون ـ صارفا لهم عن الصلاة .. بل عن كل العبادات الاسلامية صورة وموضوعا ..

والغريب العجيب : ان الطلاب المسلمين الذين يتأثرون بشبهات اساتذتهم الغربيين حول الصلاة والصيام فينصرفون عنهما ، لضعف شخصياتهم ، وسطحية تفكيراتهم ـ لا يقرأون ما تكتبه المؤسسات العلمية والجمعيات الطبية في العواصم الغربية، عن انكشاف الآثار الطيبة النافعة نفسيا وجسديا لعمليات الصلاة والصيام .

هؤلاء الشباب المسلمون لا يقرأون مثلا ــ مـا اعلنته الاحصاءات العلمية الطبية في فرنسا منذ عامين : من ان ١٧ موظفا من اصل ٢٠ موظفا تتراوح اعمارهم بين ١٨ عاما واربعين عاما ــ يشكون من مرض يسمونه مرض (الديسك) ويؤكد الاطباء الفرنسيون ان هذا المرض هو مرض مدمني الجلوس على المقاعد ، ويؤدي الى ألم في العمود الفقري ، وبالتالي الى اختلال التوازن الجسدي ، كما يفسر الاطباء الذين اجروا بحوثهم عـلى ألوف الحالات في فرنسا ــ ان من اسباب هذا المرض : القلق النفسي ، والتوتر ، ويقولون ــ أي الاطباء الفرنسيون ــ : ان العبادة التي يمارسها المسلمون ــ أي الصلاة ــ هي أحسن علاج لمرض العصر الحديث ، مـرض (الديسك) وينصحون مرضاهم بممارستها .. نظرا لان حركات الركوع والسجود ــ في الصلاة الاسلامية ــ تلين بها عضلات الظهر وتقوى(١) .

وانا لا اريد بهـذا الاستدلال العلمي الطبي الرياضي ــ ان يصلي شبابنا ، لان في الصلاة منفعة صحيـة لاجسامهم ، او تقويـة لعضلاتهم وظهورهم ــ فنحن المسلمين مأمورون ان نسمع ونطيع ، وان نؤمن بالغيب ، والا نمتنع عن الايمان او الطاعة حتى نفهم اسرار العبادات والتشريعات الاسلامية ، او حتى ندرك حكمتها ، ولكن اذا بدت الحكمة ، وتبين السر ، وظهر الاثر ازددنا ايمانا وتسليما ، فقد وعدنا الله تبارك وتعالى في قرآنه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ان الاحـداث الكونية والانسانية ، وتطورات الحياة ، مع تقدم العلم الذي هو هداية منه عز وجل ــ كل ذلك سيؤكد للناس ــ مؤمنين ومرتابين ــ ان الله حق ، وان دينـه قرآنا وسنة ــ حق ، وان رسوله حق .

ففي القرآن الكريم :

● « وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون »

---

(١) آخر ما قرأت في ذلك كتاب (الاسلام والطب الحديث) للبروفسور محمد عالم كيرخان الاستاذ في كلية الطب بلاهور ــ باكستان .

حـــديث مـــع الشبـــاب

حـــول اضطراب المجتمعات الاسلاميـــة بسبب ابتعادها عـــن ذكر الله في كل اعمالها وقضاياها

ايها الاخوة الشباب انتم ــ ولا ريب ــ أمل الحاضر ، وذخر الغد . انكم ناشئة وشباب ، ولكنكم غدا رجال وقادة واصحاب رأي وسلطان . آباؤكم ومعلموكم والناس من حولكم ، والدولة من فوقهم جميعا ــ كل هؤلاء بأموالهم ، وقلوبهم ، وعقولهم لا مرجى لهم عندكم الا ان تعدوا الاعداد الصالح ، وتنشئوا التنشئة السوية ، وتعلموا التعليم النافع لتكونوا غدا علماء عاملين ، وقادة رأي راشدين ، وسادة مجتمع كراما تصلحون في الارض والعمل ولا تفسدون ، وتعدلون قولا وحكمـــا ، ولا تظلمون ، وتقيمون على دينكم الحق ، ولا تزيغون .

من اجل ذلك .. من اجل اهميتكم الذاتية آثرت ان اتحدث اليكم بما أراه (موضوع الساعة) أو (قضية العصر) ولعل الله ان يجعل للمسلمين على ايديكم غدا فرجا ومخرجا .. اذا حسن اعدادكم ، وصلح استعدادكم ، وصدقت نياتكم وصحت عزائمكم ، فانما الاعمال بالنيات و(الايمان) ليس بالتمنى والتحلى .. ولكنه ما ثبت في القلوب ، وصدقته الاعمال .

نقل عن سلطان العلماء (العز بن عبد السلام) انه نظر يوما الى تلامذته من حوله ، فرآهم جميعا يبكون ، وقد افتقد احدهم مصحفه ، فقال عجبا : كلكم يبكي .. فمن سرق المصحف ؟ .

والمسلمون اليوم ــ ايهـــا الاخوة الشباب ــ كلهم يبكون .. فمن سرق المصحف ؟ .

● الزعامات تشكو من رعاياها ، والرعايا تشتكي من زعاماتها !!.

● الرئيس يشكو من موظفيه وعماله والموظفون والعمال يشتكون من رئيسهم !

● المعلمون يتضايقون من طلابهم ، والطلاب يسأمون من معلميهم !.

● التجار يتباكون من كساد مزعوم ، والمستهلكون يجأرون من احتكار التجار ، وتغاليهم بالاسعار ، وغشهم في السلع .

● الاطباء يضيقون صدرا بالمرضى ، لانهم لا يلتزمون بالحمية الواجبة ولا بالدواء الموصوف ، ومع ذلك يترددون عليهم ، ويتوجعون لهم.!

● والمرضى حاقدون على الاطباء ، لانهم لاينصحون في فحص الداء ولا يخلصون في وصف الدواء ! .

● الآباء والامهات يشكون من الاولاد : جهدا في التربية والتعليم وسوءا في المعاملة والجزاء . والاولاد يسخطون رقابة آبائهم وامهاتهم على سلوكهم ، وحزمهم في معاملتهم ، وحرصهم على نجاحهم .

● الازواج تزعجهم معاملة زوجاتهم لهم : نشوزا او إعراضا ، أو اسرافا في مطالب الزينة ، أو اهمالا لشئون البيت او تقصيرا في رعاية الاولاد.

● والزوجات لا يعجبهن الا الرجل المطواع ، الجواد ، الصبور ، المستجيب لكل مطلب ، الملبي لكل نداء ، الراضي لكل اهمال ، الساكت على كل تقصير .

كلهم يبكي ؟ فمن سرق المصحف ؟ من المخطىء منهم ومن المصيب ، أو من الظالم فيهم ومن المظلوم ؟.

كلهم يقول ، ان الزمان فسد ـ وكذبوا فما فسد الزمان ، وانما الناس هم الفاسدون المفسدون للزمان .. وصدق أبو الطيب اذ يقول :

نعيب زمانتا والعيب فينا ... ومـا لزماننا عيب سوانا

ان الواقع المؤسف : انهم جميعا سرقوا المصحف ؟ فكلهم راع ، وكلهم مسئول عن رعيته : الرجل راع وهو مسئول عن بيته واهله وولده ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والرئيس والمرؤوس راعيان

مؤتمنان على مصالح الامة ، ومسؤولان عن الامانة الثقيلة الجليلة •

والطبيب مسئول ، والمريض مسئول ، والتاجر مفروض عليه الامانة والرفق ، وحرام عليه البخس والتطفيف والغش والاحتكار والآباء والمعلمون رعاة امناء وهداة ايقاظ ، والابناء مطلوب منهم ان يبروا آباءهم وامهاتهم ، وان يحترموا معلميهم ، وان يستفيدوا منهم •



ان المجتمع الاسلامي بلغ من (العبث) درجة انعدم فيهـا الرابط والضابط ، واستوى السائل والمسئول ، واختلط الحابل بالنابل ، حتى اصبح كلهم يبكي ، وكلهم سرق المصحف !•

يقول الله عز وجل : « الا ان اولياء الله لا خـوف عليهم ولا هم يحزنون » ونحن المسلمين اليوم خائفون حزنى • لماذا ؟ لانهم يفتقدون شروط الامن ، واسباب الفرح •• فقد وصف الله اولياءه الآمنين بأنهم : « الذين آمنوا وكانوا يتقون » ووعدهم في الآية التالية : « لهم البشرى في الحياة الدنيا ، وفي الاخرة » •

● ويقول تبارك وتعالى : « الله ولي الذين آمنـوا يخرجـهم من الظلمات الى النور » والمسلمون اليوم يعيشون في ظلمات الفرقة والذل والمعصية ، وظلمات الجهل والضعف والمرض •

● ويقول سبحانه : « ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » والمسلمون اليوم مغلوبون لأحقر عدو وأذله وأقله مع كثرتهم وقلته ، وغناهم وفاقته •

● ويقول عز وجل : «كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكـم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، فاذكروني اذكركم ، واشكروا لي ولا تكفرون » •

فالله قد بعث الينا رسولا من انفسنا ، وهو يمن علينا بذلك منا ،

أفبعثه لكي نلهو ونلعب ، ونرقص ونطرب ونملأ فراغات حياتنا بأباطيل القول والعمل ، ولذائذ الاكل والشرب ومحرمات السمع والبصر ؟

لا . انما بعثه الينا ليتلو علينا القرآن الذي سرقناه وبعناه بأبخس الاثمان .. تماما كاللص الذى يسرق الجوهرة الثمينة ، أو السوار الذهبي النفيس ، ثم يبيعه بثمن بخس دراهم معدودة .

لا تستغربوا هذا التشبيه والتمثيل .. فالمسلمون سرقوا القرآن لانهم لن يقفوا عند حدوده ، ولا حرموا حرامه ، ولا حللوا حلاله ، ولا اقاموا معالمه ، ولا حفظوا مكارمه . وكذلك وصف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الرجل الذي لا يتم صلاته ركوعا وسجودا وقياما وقعودا بانه (سارق) بل انه أسرق الناس .. في حديثه الذى يقول فيــه : (أسرق الناس الذي يسرق صلاته . قيل يا رسول الله كيف يسرق صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها) .

وبعثه الينا ليزكينا ويعلمنا الحــلال والحرام .. ثم أمرنا ان نذكره بالايمان والتقوى ، ليذكرنا بالحفظ والنصر ، ووعدنا ان صدقنا وعملنـــا صالحا ان نحيا حياة طيبة في الدنيا ، ثم أجر الاخرة أعظم وأكرم : (مــن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) . وقال فى المقابل : (ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة اعمى) .

فلكل هذه المعيشة الضنك ، وهذا العبث الطاغي على شئون المسلمين فى كل أوطانهم ، ولهذا الهوان المضروب عليهم : سبب واحد لا ثاني له : هو اتخاذهم القرآن مهجورا ، هو اهمالهم لذكر الله فى كـــل احوالهم ، وهجرهم للدين امرا وزجرا ، ووعظا وذكرا .

● والمسلمون اليوم لا ينتفعون بصلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج . ولا أي منسك أو عبادة او عمل مما افترضه الله عليهم .. لان فريقا منهم لا يؤديه اطلاقا والفريق الثاني يؤديه رسما لا موضوعا ، وشكلا لا حقيقة ،

وقليل جدا هم الصادقون والاسلام دين النوايا والموضوعات والحقائق • وليس دين النفاق والمنافقين الذين (يخادعون الله ــ واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يراؤن الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا) •

● والمسلمون اليوم لا يذكرون الله الا قليلا ، لا يذكرونه بقلوبهم وعقولهم واعمالهم ، ولا يذكرونه في متاجرهم واسواقهم ولا يذكرونه في مكاتبهم ومدارسهم ، ولا في بيوتهم واسرهم ، ولا في سلمهم وحربهم •

لو كان المسلمون اليوم يذكرون الله كثيرا ، ويلتزمون الصدق والامانة والوفاء •• في كل ما يقولون ويعملون ــ لكان لهم من الله عز وجل سلطان ونور •• في ابصارهم واسماعهم وايديهم واقدامهم ــ وكانت سلمهم هناء وعزا ، وكانت حربهم للعدو غنيمة لهم ونصرا •

وصدق الله الجواد الكريم اذ يقول في الحديث القدسي : (ما تقرّب الى عبدي بأحب مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ، ولئن سألني لاعطينه ، ولئن استعاذني لاعيذنه » •

ويؤكد القرآن حقيقة عواقب الايمان والتقوى والذكر الدائم لله عز وجل •• بركات من السموات والارض ، (ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) •

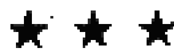
ويقول عن اهل الكتاب ــ ونحن المسلمين مخاطبون بكل ما جاء في القرآن من توجيه وتنبيه للامم الغابرة ــ (ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ، وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) كذلك نحن المسلمين لو اقمنا القرآن عقيدة وشريعة وخلقا وسلوكا ، وذكرنا الله قياما وقعودا وعلى جنوبنا لاكلنا من فوقنا ومن تحت ارجلنا ، ولانتصرنا في حربنا ، وعوفينا في سلمنا • ولو ان المسلمين اقاموا القرآن وذكروا الله وتذكروا امره الحازم المكرر في عديد من الآيات القرآنية : بألا يتخذوا

اعداءهم واعداء دينهم اولياء .. لما تفرق شملهم ، ولا تصدع كيانهم ، ولا اختلفت كلمتهم ، ولا نزع الله مهابتهم من صدور اعدائهم ، ولا كانوا غثاء كغثاء السيل ، كما جاء ذلك فى تصوير رائع لحديث نبوى جليل .

لقد حثنا الله تبارك وتعالى على ذكره فى تقلبنا لطلب المعيشة واكتساب الرزق ، فقال : (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) .

وهكذا ترون ان الفلاح فى معركة الرزق والكسب اى فى السلم ــ وفى معركة الحرب مع العدو ، مترتب على ذكر الله عز وجل : بمعنى تقواه ومراقبته وطاعته ، واللجوء اليه بطلب التوفيق والنصر .

ولذلك هزم المسلمون في الجولة الاولى من معركة احد ، وانهزموا كذلك ، فى واقعة حنين . مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان قائدهم ورائدهم ــ لما خالفوا سنة الله فى اكتساب النصر ــ وعصوا أمر قائدهم فى الموقعة الاولى ، واغتروا بكثرتهم فى الثانية ، وقال بعضهم : (لن نغلب اليوم من قلة) وأنزل الله في ذلك قرآنا يتلى على مر العصور ، ليكون لنا موعظة وذكرا : (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ، فلن تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين) .



ان قضية فلسطين مثل واحد من أمثلة كثيرة على هزيمة المسلمين ، فى معاركهم مع اعداء دينهم ، ومخربى حضارتهم ، ومغتصبى اوطانهم ، ومذلى اعناقهم ، وآكلى ثرواتهم .. ولو انهم آمنوا واتقوا ــ كما يؤكد القرآن الكريم لفتح الله عليهم بركات من السماء والارض ، ولاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولجاءهم النصر مبينا علّى عدوهم المبين :

● « ان ينصركم الله فلا غالب لكم ، وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ؟ »

● « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم »

● اذكروني اذكركم ، واشكروني ولا تكفرون »

● « ادعوني استجب لكم • ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » •

لقد تكرر توجيه القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه الى ذكر الله وتسبيحه والاستعانة به في كل شئونهم ، فهم مأمورون بذكر الله ذكرا دائما لازما لكل احوالهم ، وهم حين نسوا الله انساهم أنفسهم وعطل طاقاتهم عقليا وجسديا ، فلم يعد عندهم تفكير سليم ، ولا عمل صالح ، ولا شجاعة عند لقاء العدو ، ولا بركة في طلب العلم والتماس الرزق • ولم تعد لهم معرفة صحيحة بعدوهم وصديقهم ، فاتخذوا الاعداء اولياء ، وهجروا الاقرباء والاصدقاء ، بل اعلنوا على اهليهم وذويهم واخوتهم في العرق والدين حربا يضرب بعضهم فيها رقاب بعض بينما عدوهم اللدود الذي اغتصب ارضهم وديارهم واموالهم ينظر اليهم ضاحكا شامتا ، متمنيا لهم مزيدا من الفرقة والخلاف ، ومزيدا من التخريب وسفك الدماء •

وهم حين نسوا الله نسيهم •• فلم يعد عز وجل يذكرهم برحمة ولا لطف ولا توفيق الى الخير ولا هداية لاسباب النصر ، فهم في غناهم فقراء وفي جماعتهم ضعفاء وهم على علمهم جهلة ، وعلى كثرتهم غثاء كغثاء السيل •

● ايها الاخوة الشباب ••

انتم ــ كما أسلفت في فاتحة حديثي اليكم أمل الحاضر ، وذخر المستقبل • وأماني الآباء والامهات ، والمعلمين والمعلمات ، والسادة والقادة ــ والدولة من فوقهم جميعا ــ معقودة عليكم •• على صلاحكم في انفسكم واصلاحكم لما فسد في مجتمعاتكم الاسلامية في كل اقطار الدنيا ••

فلا تبدلوا آمالهم خيبة ، ولا تفاؤلهم شؤما ، وانجزوا الوعد ، واوفوا بالعهد ، واصدقوا الحديث ، وشدوا العزيمة • •

هداكم الله وأصلح بالكم وهيأ لكم من أمركم رشدا ●

احمد محمد جمال

اللقاء الأخير

قصة جديدة

بقلم السيدة أم عصام

ستارة خمرية اللون وقنديل احمر يتنهد •• وزاوية ثبت فيها مقعدان •• الغرفة رائعة وسحر الصمت الضائع مع الماضي اروع من الف حكاية••انسياب الموسيقى عطر يوشح الذكريات الكامنة في اعماق قلبها •• عيناها في اللون الاحمر الدامي وجراح هناك في القلب تنزف بمرارة •• مرارة تتفشى في الشرايين كلها ثم تستقر في الحلق فتطفئها جرعة من كأس كسلان ارتمى امامها على الطاولة الصغيرة •• ثم يكبر اطار البارحة •• يغدو وشوشات همس تنساب مع الموسيقى •• مع انة الكمان ورعونة البيانو •• كانت يوما هنا في تلك الزاوية •• وكان المقعد الاخر يضم وهم حبيبها ببسمته الدافئة وعينيه الخضراوين •• بطيبته وعطفه وحبه لها ••

تكبر تنهيدة القنديل •• يتمايل •• يترنح لدفء ابتلعه وحش الامس•• يعبق في انفاسه الضبابية الحمراء دخان لفافة تنازع بين شفتيها •• والجسد المجرح يتكاسل اكثر فاكثر بين ذراعي المقعد حتى تخاله قد تلاشى روحا تلهث وراء المطل •• وراء ماض ليس من حقه ان يصبح رفيق الايام الضائعة في فم اصباح خلقت ثم ماتت ••

لقد حطمها مثل داء يفني الانسان ••

ـ امل ارجوك لا تتركيني •• انا في حاجة اليك•• وتغرق أمل مع حيرتها وذراعاه تضمانها بقوة •• تصهران اضلاعها •• بماذا تجيب ؟•• هو في حاجة اليها •• وهي في حاجة الى البعد عنه •• الى نسيانه •• تخال نفسها انسانة جاحدة اذا صارحته ـ سأتركك •• سأبتعد عنك لانسى خطيئتي••انها أكبر من ان احتمل التفكير فيها ••

ـ (أمل هل سمعتني ؟ انا في حاجة اليك •• ارجوك •• اجيبي)•• بماذا

تجيب ؟.. تراها تملك الجرأة لتقول له بانه المجرم الاول في كل ما حصل ؟.. تراها تستطيع ان تهمس في اذنه بانه حطمها مثل داء يفني الانسان ؟.. ام تراها لم تتبدل ، بانسانيتها التي لا تجرح احدا فكيف وهو الغالي ؟..

ـ (أمل .. بدونك لست ادري ماذا كنت فاعلا .. انت ملاك ارسله لي الله ليشفيني من جراحي).. ملاك .. وتسخر بهزء كبير من نفسها الملاك.. ملاك في ثياب انسان ؟.. انسان يتمنى ويحب ويشتهي ؟؟؟ ... لا .. لا .. هي ليست بملاك.. هي بشر كغيرها من بني البشر .. لها اخطاؤها وحسناتها لها امنيات ورغائب فكيف يصفها بالملاك ؟.. الملائكة لا تعرف الاذى وهي التي جلبت الخراب لنفسها والشقاء لقلبها . .

يداه تضمانها بقوة عنيفة .. كيف تتخلص منهما .. تحس بانفاسها معدومة .. تتمنى الافلات من ضمته .. لا تستطيع .. على صدره تهفو لالف ألف امنية .. لو كان هذا الصدر لانسان اخر سواه .. لو كانت الكلمات التي تهمس في اذنها صادقة ومن فم انسان عرف الحب يوما .. لو .. لو ..

هذا الانسان يمثل العشق والهيام وهي تحس بهذا التمثيل،فكيف تصفعه بالحقيقة ؟.. بل كيف تصفع ذاتها التي تحبه ؟ كيف تنسل من بين ذراعين قويتين تحملان فورة الشباب .. تحملان الثلاثين ربيعا لهبا .. دافقا وصبا يفورا.. لاشهر خلت كانت ذراعاه تضمان جسد صديقتها واليوم تعانقانها هي.. الفم كان يهمس بالحب الصلاة واليوم يغني الكذب في ثنايا الكلمات العميقة اليتيمة .. جملة واحدة لا اكثر يرددها ـ انا في حاجة اليك ـ انا احبك او انا لك وانت لي فهذه آثار بائدة عفت عنها الايام وغدت طللا من الاطلال حينما نبذته الصديقة لتحب سواه . كانت تلك حواء الانثى حقا التي تخرج ليس آدم فقط من الجنة بل كل الاجيال المتعاقبة من الادميين.

ربما كانت صديقتها على حق بعد صدمة حطمتها مثل داء يفني الانسان.. وعاد هذا الفناء ليتماسك ويتكامل وينتقم ثم عاش يومه ليومه لا امسه ولا غده .. تماسك هذا الفناء ليرمي بالهياكل المزيفة والدمى .. دمية اثر دمية لئلا يعرف مرة ثانية الندم والحسرة ثم العودة الى الفناء.

تسلت الصديقة بالدمى قبل ان يستسيغوها هينة •• ساذجة •• وحينما تثاءبت مللا منهم رمتهم وكبلت ذاتها •• نستهم وعاشت كلا •• لا حسرة في الاغوار ولا ندما في الضمير ولا يقظة مجرحة لا تعرف النوم • كل هذا واكثر كانت صديقتها •• اما هي•• امل السكينة الوادعة •• التي تهب كل راحتها ثمن ابتسامة •• تبيع الهناءة وهي تفتقدها •• تدفع اغلى من الحياة ثمنالاسعاد انسان •• تفترش نفسها ارضا لمن ينثر الاشواك في دربها وتصمد •• تصمـد لجراحها وعذاباتها •• تصمد رغم ندمها وشجنها •• بالرغم عنها كانت تفعـل كل هذا ، ربما لانها خلقت طيبة هكذا •• سمحة وديعة •• كلها حنان ••

ـ (انت ملاك ارسله الله لي)•• هي حقا ملاك ، لكن لملائكتها حدود •• صحيح انها اعطت ووهبت •• أسعدت وضحت لكنها لن تخدع في لاحب•• كل ما تمتلكه من مادة ومعنى تدفعه ثمنا للصدق •• اما ان تحس بالتمثيـل والكذب وعدم الحب فهذا ما تنكره وتستنكره بشدة عجيبة ••

من اين تستقي القوة ذراعاه المعانقتان لها •• من العدم ؟•• ومن ايـن تنهل هي بعض اطمئنان واستقرار•• وقد اصبحت قانعة ان هذا الملجأ المزيف ليس لها •• ولم يكن يوما لها ؟••

قبل اشهر عرفته عاشقا لصديقتها واعجبت بحب توهمته حبا في عصـر افتقد معنى الحب الحقيقي •• كانت المحاربة الاولى لاراء صديقتها فيما لو استمرت الاخرى في عبثها المعتاد مع هذا الانسان الذي كان غاليا ، كانـت دوما في صفه ومع ارائه حتى لو كانت خاطئة طالما وهب قلبه بصدق لفتـاة واحدة لا بديل لها •• كانت دوما في صفه معادية لاراء صديقتها في كل حوار ونقاش حول هذا الموضوع ••

وجاء يوم ملته الاخرى ونبذته •• أصبح لديها مجرد دمية ملتها فرمتها في سلة المهملات كغيرها من الدمى المرمية للنسيان ••

وكان ملجأه الامين صدر امل •• يبثه لواعج قلبه وحزنه •• ومع الايام ومع اللقاءات المتعددة تسلل شيئا فشيئا لبرج حياتها ثم وجدت نفسها عاشقة

والهة تنتظره كل صباح وكل مساء كما كان يدعي هو الاخر بانها اصبحت لـه كل شيء حتى الهواء والماء وكل الحياة وومضة الامل .

لحظة ضمها الى صدره اول مرة تمنت ان تصرخ في وجهه وتقول : رد لي قلبي .. لا اريد العذاب. انت تحب الاخرى ما نسيتها ولن تنساها يوما فلماذا تعبث بقلبي ؟.. في تلك اللحظة الوليدة بينما جبنت عن قول الحقيقة يلفهـا وهم كبير بانها ربما مخطئة في الحكم عليه .. وان الليل القادم بعد لحظـات ربما تولد منه نهار جديد سيغزل لها ضفائر متينة تتسلقها لتسبح في فضـاء محموم كله حب وسعادة واحلام كبيرة .. دون ألم او عذاب .. او مصاعـب للحياة القاسية . كان الوهم يسلبها كل تفكير في تلك الحكاية حتى النسيان.. نسيان نفسها .. نسيان كرامتها .. وتسلقت الجبال المشبوكة لها في الفضـاء كله .. كانت في عتمة دائمة تتخبط .. تتساءل عن هدفها اين هو ؟ .. متلفعة بليل يسكن وداعتها احلاما هائمة حلوة .. تارة مع آمال صبح تبسم وتارة على وهم مساء .. تتساءل وتتلفع وتتسلق دون ان تحسب حسابا للوهم ولا للبريق الكاذب بين تشابك الخيوط الواهية الواهنة الذي غزلها خيالها وقلبها فقط.. في لحظات مفاجئة وجدت اصابعها تقبض على الفراغ والعدم .. وروحهامعلقة بين السماء والارض ضائعة تعبة .. تلفتت من أعماق يأسها تبحث عن صدره.. لم تجده .. نادته .. ما من مجيب .. توسلت اليه .. اين هو ؟ .. انه في بلد آخر .. في عزلة يندب حظه وحبه للاخرى التي نبذته . وهي معلقة بخيوط الوهم بحثت عنه يلسعها وهج حبها وبين شفتيها صلاة اسمه الغالي..

نادته ونادت بلهفة مشوقة ولوعة مروعة .. وحين عاد .. نظر اليهاببلادة وجمود .. في عمق نظرته الف موت .. وفي وجهه الف كآبة يغللها بصـوت تختنق الكلمات فيه حتى لتخال شفتيه مغلقتين الى الابد .. تحسست يديـه، انهما عاديتان لا نداوة الحب في الاصابع ولا لهيب الشعور في الشرايـين ولا نبضات الحياة تحت الجلد الاسمر .. رغم حبها قررت ان تتركه يأكلها نـدم وحشي.. لقد كانت الثمن .. ثمن النسيان لانسان لم يحس بها مطلقا ..كانت

جرعة الدواء لمريض بدأ يشفى ..

(لا تتركيني يا أمل .. انا في حاجة اليك).. رغم قواه الواهنة يمثل بانه يضمها الى صدره وجاءه صوتها صافعا مدويا :

ـ سامر كنت اتمنى ان يكون ما بيننا حبا ...

اجابها والدهشة المفتعلة تتربع ملامح وجهه :

ـ أليس ما بيننا حبا ؟..

تجيبه بحسرة كلية :

ـ لا يا سامر .. اراك شفيت ولست في حاجة الي .

وصرخ في وجهها يقطع انين كلماتها والمعنى الكامن في الحروف :

ـ لا .. لا .. انا في حاجة اليك .. انت واهمة .. انت واهمة ..

ـ سامر .. لقد دفعت الثمن وكنت لك .. وسأظل بصفك دوما ضد صديقتي حتى تعود اليك ان سلوتني ام لا .. ان احببتني يوما ام كـذبت علي.. اسامحك ..

وصمت رأسا على تعابير وجهه الف تساؤل لكلامها هذا ..

تمنت ان تسمع منه اي شيء.. تمنت ان يصفعها بالحقيقة ويقول لهـا: لا اريدك كفاني كذبا وتمثيلا .. فما حرك ساكنا ولا عادت له انسانيته المسافرة ليصدقها الشعور والقول بل سحبها بين ذراعيه وارتميا على الاريكة .. بقلب مفعم بالحب الصادق ارتمت بين ذراعيه .. ذراعين قويتين مسحوتتين بالشباب والعزيمة والقوة .. طويلا طويلا عاشت في وحدة .. طويلا طويلا عاشت في حرمان وغربة عمن حولها .. كانت قانعة لا تبحث عن احد .. حتى ولاالشعور الميت في حناياها لم يعذبها فقدانه يوما ، كانت تخال انالحياة هكذا ، دمـاء تفور ورغبة تذوي ثم تتنازع مع الايام حيث يصبح البشر امواتا تسير.. بجثة وبقايا احساس كانت تعيش .. كانت .. بقلب مفعم بالحب الصادق ارتمـت بين ذراعيه .. ترى .. كيف عاش الحب في قلبها ثانية ؟.. لقد ودعته وشيعته

ودفنته منذ زمن طويل ؟. فماذا جاء بهذا الشاب الى حياتها ؟.. بكل ضعف واستسلام وايمان ووجد ارتمت بين ذراعيه لتودعه .. انه آخر لقاء يجمعهما معا .. هكذا قررت في قرارة نفسها .. آخر لقاء ..

أول لقاء جمعهما كان في ركن معتم من أركان أحد المطاعم.. يومذاك غمرتها الشفقة لبؤسه ينهم من كأس من البيرة يطفىء فيه ناره المتلظاة في جوفه .. كان يتكلم ويتكلم عن غدر الصديقة .. وهي مكومة في الزاوية المواجهة له تضم رداءها على جوانحها التي ترى العذاب ولا تدفع البلسم ولو كان كلمة حلوة او لمسة حانية ..

اول شعور سكن بباب قلبها هو الشفقة .. الشفقة الكبيرة على شاب حران انتذوى أزاهيره وأنيموت امل الحياة في نفسه باكرا ..

ثم كبر شعورها حتى تحولت الشفقة حبا كبيرا جرف كل شيء في طريقه .. اصبحت سيدة ذاتها .. ترمي وراءها كل المسؤوليات لتكلمه او تلقاه .. ترمي صديقتها وشعارها الابدي ـ عش اليوم لليوم لا أمسه ولا غده .. اما شعارها هي فقد كان عش لتحب .. وحب لتعيش .. احساسها بالسعادة كان كبيرا عندما تبدل سامر من انسان ضائع يائس الى محب ينتظر ويواعد ويحلم .. كانت الاستغاثة تتربع نظرته .. حتى ملك وتملك ..
كبيرا عندما تبدل سامر من انسان ضائع يائس الى محب ينتظر ويواعد ويحلم .. كانت الاستغاثة تتربع نظرته .. حتى ملك وتملك ..

وجاء يوم استنكر فيه وجود امل في حياته .. أمل المسكينة الذي ارتمى على يديها يوما يقبلهما ويستحلفها بكل عزيز الا يكون حبها له شفقة .. واستترت امل حتى احساسها البدائي بالشفقة انكرتها .. انكرتها حتى بينها وبين نفسها لتعيش قصة حب عرفت الآن انها الوهم .. كل الوهم رغم الصقيع يضمها بين ذراعيه ويقول لها :

ـ امل لا تتركيني .. انا بحاجة اليك ..

لكنها تحس بصقيعه •• تحس بالعدم في عينيه والموت في فمه •• ستطبق فمها •• لن تفوه بحرف •• ستنتظر الثمن •• ثمن شفقتها وحبها ونسيانهـــا لكرامتها •• ستنتظر كطبيب ثمن الدواء المجاني الذي اعطاه •• ستنتظـــر لانها كانت غبية ضحية ــ عش لتحب •• وحب لتعيش •• كان الاحرى بهـــا لو اعتقدت العكس : عش لتتبذ الحب وحب لتتسلى •• رغم العواصف التي كانت تحول في اعماقها كان رأسها على كتفه •• رغم الرياح التي تزأر في تلافيف رأسها كان فمها مطبقا لا يشكو •• رغم السهام التي كانت مغروسة في قلبها •• غمرتها الشفقة لبؤسه ينهم من كأس من البيرة يطفىء فيه ناره المتلظاة في جوفه •• كا يتكلم ويتكلم عن غدر الصديقة •• وهي مومة في الزاوية المواجهة له تضم رداءها على جوانحها التي ترى العذاب. ولا تدفع البلسم ولو كان كلمة حلوة او لمسة حانية ••

اول شعور سن بباب قلبها هو الشفقة •• الشفقة الكبيرة على شـــاب حران ان تذوي ازاهيره وان يموت امل الحياة في نفسه باكرا ••

ثم كبر شعورها حتى تحولت الشفقة حبا كبيرا جرف كل شيء في طريقه •• أصبحت سيدة ذاتها •• ترمي وراءها كل المسؤوليات لتكلمه او تلقـــاه •• ترمي صديقتها وشعارها الابدي : عش اليوم لليوم لا امسه ولا غده •• امـــا شعارها هي فقد كان عش لتحب •• وحب لتعيش •• احساسها بالسادة كان كانت تصمد •• وتدفع آخر قشة لغريق واخر جرعة لمريض واخر تنهيدة عـــلى صدر حبيب •• خيل لها يوما بانه حبيب ••

الهمسة الصادقة ماتت في مرارة الفم •• والبسمة الالفة ابتلعها وهم كبير خلف جفون مطبقة بعذاب حزين ••

ستتركه •• ستنسل من بين ضمة ذراعيه لاخر مرة •• لن يراها بعـــد اليوم •• احب فيها الدواء وكفى •• تسلق السلم على اضلاعها ووصل ••

ان عاد الى صديقتها ام لم يعد فقد انتهى من حياتها وقلبها ••

عندما غادرته تلملم جراحها كانت في خيالها صورة امرأة عمياء القلب معدمة على حافة قمة عالية تشرف على واد ضيق ..

ماتت كلمات تقول لها : حذار .. حذار .. لتمتد يدان تدفعانها الى السفح بعينين تتأملان بنهم وهدوء جسدا يتأرجح على الصخور الى الاعماق الاعماق ..

والصدى البعيد عبر الآفاق كان يردد :

ـ اتق شر من احببت .. اتق شر من احببت ..

دمشق ام عصام

الصحافيون المتضررون فعلا ماذا حدث لهم ؟!

الصحافيون المتضررون كثيرا وحقيقة انطبق عليهم المثل « لا بالشام عيدنا ولا بد وما لحقنا العيد »٠

الصحافيون المتضررون كثيرا وحقيقة ممن خسروا بيتهم ومكتبهم ومكتبتهم وجميع ما يملكون مثلنا «آكلوها وتلحوسوا» كما يقول المثل العامي، فلا الحكومة تعوض عن الاضرار ، ونقابة الصحافة قيل بأنها عوضت على ذوي الالسنة الطويلة وغيرهم من ذوي الحظوظ، اما الذين يستحقون وكانوا دائما من الصحفيين الملتزمين فقد ركبهم المثل القائل : «السعادة تجر السعادة والشقاء يجر الشقاء» أضف الى ذلك اساءة بعض الحكومات العربية الفقيرة؟! لمن تضرروا في سبيلها مما سنأتي على ذكره في الاعداد القادمة، فنضع النقاط على الحروف ونقول للمحسن احسنت وللمسيء أسأت ٠

خلق ليكون ملكاً

قصة بقلم: ج. باغنول
ترجمة عيسى فتوح

(الجزء الاول)

كان هنالك مرة ملك يتمتع بسلطان عظيم ، وثراء عريض . ذات يوم قدم الى بلاطه شيخ بسيط ، له عينان زرقاوان صافيتان . قال الناس ان لديه القدرة على ان يقرأ حيوات الرجال في النجوم .

قال له الملك : « حدثني شيئا عن نفسي » .

قال الشيخ : « عندما تموت لن يخلفك احد من اسرتك ، والرجل الذي سيخلفك لم يولد بعد » .

لم يسر الملك لدى سماعه هذا النبأ ، فأمر الشيخ بان يغادر بلاطه ، والا يعود مرة اخرى .

فكر الملك كثيرا بما سمع ، وبعد حين تزوج سيدة جميلة ، ونسي الشيخ . عندما تزوج الملك عم الفرح جميع الناس ، واملوا بان يرزق ولدا يمكن ان يغدو ملكا صالحا .

ذات يوم ركب الملك مع بعض اصدقائه ، وقصد الغابة ليصطاد الحيوانات فرأوا حيوانا كبيرا جميلا ، راحوا يطاردونه . ولما كان الملك يمتطي افضل حصان ، فقد استطاع ان يسرع في الجري اكثر من سواه . وما هي الا غمضة عين ، حتى خلف الجميع وراءه . عندما اظلم الليل وجد الملك نفسه وحيدا في الغابة . لم يصطد الحيوان، ولم يعرف اين هو ، او كيف يمكن ان يجد منفذا للخروج من الغابة. قال في نفسه : «انني ضائع تماما ، لا اعرف اين يجب ان اذهب . الظلمة الحالكة تلف الان كل شيء. يجب ان انام هنا في الغابة ، وغدا عندما تشرق الشمس ، سأبحث عن طريق انقذ به من الغابة .

بدأ الملك يصنع لنفسه فراشا من العشب والاوراق ، لكنه قبل ان يتمدد للنوم ، نظر بهذا الطريق وذاك ، فلمح حينئذ نورا ضئيلا : كان نور المصباح في النافذة . ركب حصانه وسار باتجاه النور ، ولما اقترب وجد ان النــور كان ينبعث من خيمة رجل فقير . صرخ ففتح الباب رجل ضخم يرتدي ثيـــابا باليـــة .

قال الرجل : «لا يمكنك ان تدخل الى هنا ، لان زوجتي مريضة جــدا، واخشى من احتمال موتها . انظر ، ان ثمة خيمة اخرى ، اذهب ونم فيهـا ، وسأحمل لك شيئا لتأكل وتشرب .»

اثناء الليل ايقظت الملك صرخة حادة ، فخرج من الخيمة وتلفت حوله، لكنه لم يستطع ان ير شيئا ، فعاد واستأنف النوم ، وفي النــوم رأى الشيــخ بعينيه الزرقاوين الصافيتين يقف امامه .

قال الشيخ للملك : « تذكر طفل الرجل الفقير ، انه سيصبح ملكا فــي مكانك » .

حينما اشرق الصباح استفاق الملك ، ثم خرج الى خيمة الرجل الفقــير، فوجد الرجل داخلها يبكي ، وهو ينظر الى جسد زوجته الميتة ، والى جانبهـا ذلك الطفل الصغير الذي ولد في الليل . كان الطفل حيا . نظر الملك الى الرجل الفقير ثم الى الطفل الصغير .

وبينما كان الملك يتأمل هذا المشهد الحزين ، سمع ضجة خارج الخيمة، كانت اصوات اصدقائه فخرج لملاقاتهم . سر المرافقون اذ وجدوا ملكهم سليما، فركبوا حتى وصلوا الى باب الخيمة .

قال لهم الملك : « ان هذا الرجل المسكين قد ساعدني ، لذلك يجــب ان تساعدوه لقد ماتت زوجته . يجب ان نعطيه قليلا من الذهب ، ونحمل الطفل الصغير معنا ، حيث ستعتني به سيدات القصر ، ويحيا بيننا .»

حينئذ عرف الفقير ان هذا الرجل انما كان الملك .

قال : «ايها الملك افعل كما تشاء ، انني لا استطيع العناية بابني ، لان امه

ميتــــة .»

قال الملك لاحد خدمه ويدعى وليم : « وليم ، اعط الرجل هذه الكميــة من الذهب واجلب معك الطفل » .

اعطى وليم الرجل القطع الذهبية ، ثم اتى بصندوق صغير ، فرشه بالعشب اليابس ، ادخل الطفل في الصندوق ، وضع فوقه قليلا من العشب اليابــــس ايضا ، وكان هذا كل غطائه .

امتطى الملك حصانه ثم قال لوليم : «اركب جنبي ، واستمع الى ما اود أن اقوله » .

حالما انطلقنا من الخيمة راكبين ، اخبر الملك وليم ما قد سمعه في نومــه . قال : « لقد قال الشيخ ان هذا الطفل سيصبح ملكا بعدي ، وبما انني اكــره ان يصبح ملكا ،لذلك اريد منك ان تلقيه في النهر » .

قال وليم : « اذا كان الله يشاء في ان يصبح الطفل ملكا ، فسينقــــذه حتى ولو حاولنا قتله » .

قال الملك : « لا تتكلم احمق . اقذف بالصندوق رأسا على عقب . ابق خلفي وافعل ما اقول » .

سافر الملك وخلف وليم ، فرمى وليم الصندوق في النهر . سمع الملك صوت وقع الصندوق في الماء . التفت خلفه ، فرأى الصندوق يطفو على صفحة الماء ، دون ان ينقلب، والطفل يبكي . حمل الماء الصندوق بسرعة بعيدا ...

عندما وصل الملك الى بيته ، قابله احد الخدم بوجه يطفح بالبشــــر، واخبره ما حدث اثناء غيابه في الغابة ، وهو ان الملكة قد انجبت طفلا وطفلة . سر الملك للغاية ، فأعطى الخادم مبلغا من المال ، ولم يفكر بطفل الرجل الفقير .

بعد اربعة عشر عاما ، وفي صباح يوم ، انفرد الملك في الغابة ليصطــاد الحيوانات ، فشاهد رجلا وغلاما يقطعان الحطب . كان الصبي اشقر الشعر، أزرق العينين ، اما الرجل فكان اسمر اللون ، وذا عينين سوداوين .

سأل الملك : «من ذلك الصبي ؟»

هو ابني يا صاحب الجلالة .

قال الملك : « انه لا يشبهك ابدا ، اذهب وات بزوجتك الى هنا . اريد أن ارى ما اذا كان يشبهها » .

« سآتي بزوجتي يا صاحب الجلالة اذا كنت ترغب في ذلك ، لكنـــه لا يشبهها ، اننا ندعوه ابننا ، لانه يعيش دائما معنا . ليس ابننا الحقيقي ، بـــل عثرنا عليه قبل اربعةعشر عاما . انقذنا حياته ، ولا نعرف ما اذا كان ابوه او امه على قيد الحياة.»

نظر الملك بامعان الى الفتى والخوف يملأ قلبه ، في حين انطلق الرجـــل ليأتي بزوجته ، وعندما رجع كانت تصحبه زوجته ، وهي تحمل صندوقاصغيرا بين ذراعيها .

التفت الرجل الى زوجته وقال : « تكلمي واخبري الملك قصتك » .

« قصتي قصيرة جدا ، في يوم من الايام ، وقبل اربعة عشر عاما ، كنت اركب حماري على ضفةالنهر ، عندما سمعت صرخة تشبه الصرخة التي يطلقها طفل رضيع . تأملت في العشب الطويل الذي كان ينمو على ضفة النهـــــر ، فرأيت فيه صندوقا ، وفي ذلك الصندوق طفل صغير يبكي . نزلت عن الحمار والتقطت الصندوق ، ثم حملته الى البيت . سررنا به جدا لانه لم يكن لنـــا اية اطفال . أطلقنا عليه اسم روبرت ، وهذا هو الصندوق الذي وجدته فيه . اننا نحبه وهو يحبنا » .

عندما رأى الملك الصندوق ، عرف انه كان قد رآه من قبل ، وانه نفس الصندوق الذي رماه وليم في النهر ، وعرف ايضا ان الصبي كان هو الطفـــل الذي حاول قتله .

اعطى الملك للرجل وزوجته بعض المال ، ثم سافر والخوف يملأ قلبـــه . عندما وصل الى البيت نادى وليم ، الذي كان لم يزل احد خدمه ، وتحدث

اليه بهدوء وقتا طويلا ، ثم ارسل معه رسالة الى الرجل الفقير • امتطى حصانه وتوغل في الغابة •

وجد وليم في الغابة صبيا كان يحاول القبض على سمكة في النهر • رفع الصبي نظره عندما احس بمجيء وليم • قال وليم : « انني واثق من ان هـذا الصبي هو الذي ولدليكون ملكا »•

حينئذ قال للصبي : « اين هو الرجل الذي قابله الملك امس ؟ »•

«انه ابي ، اتبعني وانا سأقودك اليه •»

عندما وصلا الى البيت ، دعا روبرت والده • نظر والده الى وليم ،فعرف من ثيابه الجميلة انه قد جاء من عند الملك •

قال وليم اقرأ هذه الرسالة ، انها من الملك •

اجاب الرجل : « لا استطيع القراءة ، لكن روبرت يستطيع »•

قرأ روبرت الرسالة ، فاذا بها امر لروبرت بالمثول بين يدي الملك الـذي يرغب في انيعتني به ، ويرسله الى مدرسة جيدة •

قال الرجل بحزن : « يجب ان تتصرف حسب اوامر الملك ، لكن لا تنس ان روبرت سعيد هنا للغاية»•

قال روبرت : «انا سعيد هنا جدا • ليس لانسان في الدنيا ابوانلطيفان كأبوي • لا اريد الذهاب •»

قال وليم : « يجب ان تأتي ، فحياتك هنا ستبقى حياة رجل فقير • الا تود ان تصبح متعلما ورجلا عظيما ؟ تعال معي »•

قال الرجل الفقير : « نعم ، يجب ان تذهب معه ، لكنني واثق من انـك ستظل تذكرنا دائما ، وربما ستحضر وتزورنا من حين لآخر •»

قالت زوجته : « نعم ، حاول ان تزورنا عندما تستطيع » ، ثم طوقتـه بذراعيها وقبلته •

قال وليم : « يجب ان تأتي الان »• ثم اقتاد روبرت الى حصانه • وبعد

ان امتطاه ، طلب من روبرت ان يعتلي ظهر الحصان وراءه ، ثم انطلقا سوية .

حزن روبرت جدا لمفارقته اولئك الناس الطيبين الذين كانوا له موضـــع الابوين طوال حياته . شعر بادىء الامر بالتعاسة ، ولكن بما انه كان فتـــى يافعا ، والشمس تشع دافئة، والطيور تغرد في الاشجار ، فسرعان ما استعـــاد شعوره بالسعادة .

بعد حين قال له وليم : « انزل عن الحصان ، لانه تعب جدا ، ولا يمكنه حمل كلينا » .

وهكذا نزل روبرت عن الحصان ومشى الى جانبه . توغلا في الغابة مدة طويلة ، حتى شعر روبرت بالتعب الشديد واراد ان يرتاح .

اوقف وليم حصانه ونزل، ثم جلسا كلاهما تحت شجرة، وبعد حـــين استلقى روبرت وغرق في نوم عميق ، حينئذ تناول وليم حجرا كبيرا ورمـــاه به على الرأس . وبينما هو كذلك سمع ضجة : بعض المسافرين كان مـــاراً ، امتلأ قلبه بالخوف . وقف ثم قفز على ظهر الحصان ولاذ بالفرار ، ظـــانا انــه قتـــل روبرت .

عندما وصل الى الملك قال : « لقد مات الصبي . لن يصبح ملكا ابدا » .

(الجزء الثاني)

بعد مرور ست سنوات ، امل الملك بان تنجب الملكة طفلا ، لكن شيئـــا من هذا لم يحدث ، ولم تلد الملكة اية اطفال . خلال هذه المدة شبت ابنته عـــن الطوق ، واصبحت بارعة الجمال . كانت لطيفة بقدر ما هي جميلة ، لـــذلك أحبها جميع الناس .

عندما بلغت الاميرة الثامنة عشرة من عمرها ، توفيت أمها الملكة ، فحزن الملك وابنته عليها حزنا شديدا ، وقد ادى الحزن بالاميرة الى المرض .

قال لها ابوها : « دورا ، يا ابنتي ، انك تبدين مريضة ، لذلك ارى ان ابعث بك الى « بيت الوردة » في الريف ، حيث الهواء النقي ، والحياة الهادئة

كميلان يرد العافية اليك » .

قال الملك : « ابقي في «بيت الوردة» حتى احضر ، ربما اجيئك بامير لتتزوجيه » .

ذهبت الاميرة الى «بيت الوردة» في الريف مع خادمتها ماري . كانت سعيدة في الذهاب ، لكنها لم ترغب في الزواج من رجل لم تره من قبل ابداً. وعلى كل حال فقد كان عليها ان تنفذ مشيئة والدها ، آملة ان يأتي لها بشاب لطيف وجميل المنظر .

سافر الملك الى مقاطعة اخرى ليبحث عن رجل يصلح زوجا لابنته . كان لحاكم تلك المقاطعة جيش لا بأس به ، وكان احد ضباط ذلك الجيش شابا حسن الطلعة ، ذا شعر اشقر وعينين زرقاوين . عندما رآه الملك ظن انه يعرفه .

سأل الملك الشاب : « من انت ، واين موطنك ؟ اظن انني اعرف وجهك » .

قال الشاب : اسمي روبرت ، وهذا كل ما اعرفه عن نفسي . قبل ست سنوات جيء بي الى هذه المقاطعة . حملني بعض المسافرين ، حينما عثروا علي في الغابة وانا بين الحياة والموت . حاول احد ان يقتلني ، فاصاب رأسي بضرر بالغ ، وهذا هو السبب في انني لا اتذكر اي شيء عن نفسي . كل ما اعرف اسمي فقط .

هنا تأكد الملك من ان الشاب كان هو الصبي الذي امر وليم بقتله . سأل حاكم المقاطعة عن هوية الشاب ، وعندما عاد الى مقاطعته اصطحب روبرت معه .

ذات يوم ارسل الملك في طلب روبرت .

قال : اذهب الى «بيت الوردة» ، وخذ هذه الرسالة . اعطها للضابط قائد عسكري هناك . كن حريصا على ان تسلمها للضابط فقط ، ونفذ ما يطلب ان تعمله .

امتطى روبرت حصانه وسار عبر الحقول الى (بيت الوردة) . كانت امام البيت حديقة كبيرة ، وعند بابها يقف جنديان .

عندما لمحا روبرت قال احدهما : من انت ، وماذا تريد ؟•

قال روبرت : انني احمل رسالة من الملك ، يجب ان اسلمها للضابط •

قال الجندي : الضابط يتناول طعامه الان ، وعليك ان تنتظر ، لكن بما انك تبدو تعبا ، لذلك اترك حصانك هنا ، وادخل الى الحديقة لتجلس وترتاح، وسأدعوك حينما يأتي الضابط •

دخل روبرت الى الحديقة ، كانت مكانا هادئا وجميلا ، مليئا بالازهار والاشجار البديعة ، وكان بعض السمك الاحمر يسبح في مياهها • قضى روبرت فترة وهو ينظر الى السمك ، ثم شعر بالاعياء ، فاستلقى تحت شجرة واغمض عينيه مستسلما الى نوم عميق •

بعد وقت قصير دخلت الاميرة دورا ووصيفتها ماري الى الحديقة • مشتا قليلا فوق العشب الناعم الاخضر ، ثم جلست الاميرة لتأخذ قسطا من الراحة ، بينما راحت ماري تتمشى حولها منفردة • اقتربت من المكان الذي كان روبرت نائما فيه • عندما رأته توقفت ونظرت اليه بامعان • انها لم تر في حياتها ابدا شابا وسيما كهذا الشاب•

قالت : هذا هو الرجل الذي ستتزوجه الاميرة • ثم رجعت بسرعة الى المكان الذي كانت الاميرة تقف فيه •

قالت : اظن اميرك قد اتى •

قالت الاميرة دورا : ماذا تعنين ؟

قالت ماري : تعالي وانظري بنفسك • شاب ولا اجمل ، نائم • انه يبدو اجمل من اي امير في الدنيا•

حينئذ اقتادت ماري الاميرة الى المكان الذي يغفو فيه روبرت • عندما رأته دورا اختلج الحب في قلبها • قالت الاميرة في نفسها : لن احب اي رجل آخر في حياتي • تسمرت في مكانها بعض الوقت ، تتأمله بلا ارتواء ، ثم أدارت بصرها الى ماري التي راحت تقرأ رسالة ، كانت قد سقطت من يد

الشاب . ما ان اخذت ماري في قراءة الرسالة ، حتى ابيض وجهها من شدة الرعــب .

قالت الاميرة : ما تلك الرسالة التي تقرئينها ؟

« خذيها واقرئيها بنفسك ، من المؤسف ان يحدث مثل هذا لشاب لطيف»

اخذت الاميرة الرسالة وقرأتها ، وهذا ما قرأته : « الى ضابطي في (بيت الوردة) انا، الملك، آمرك بان تنزل الموت بحامل هذه الرسالة . كل الاشرار يجب ان يموتوا مثل هذه الميتة » .

خافت الاميرة دورا جدا . نظرت الى ماري برهة ، ثم قالت : «انتظري قربه حتى اعود ، فاذا نهض خبئيه ، ولا تدعي احدا يراه » .

ركضت بسرعة الى غرفتها، وتناولت قلما وقطعة نظيفة من الورق ، ثــم جلست وراحت تكتب ، وهذا ما كتبته الاميرة دورا على الورقة : « الى ضابطي في (بيت الوردة). ابعث اليك باطيب تمنياتي . اريد ان تتزوج ابنتي حامل هذه الرسالة . لا تنتظر ، دعها تتزوجه بسرعة . عندما احضر ، يسعــدني ان اجدهما زوجين . هذه هي أوامر ملكك .»

ثم عادت حينئذ الى الحديقة ، واطلعت ماري على الرسالة . وضعتـــا الرسالة في متناول يد الشاب وانصرفتا .

جلستا تنتظران في جانب آخر من الحديقة ، وكلتاهما ترتعد من الخوف.

قالت ماري: دعينا تتشجع . علينا ان ننهي ما قد بدأناه . اشعر في صميم قلبي بانك سوف تجنين ثمار السعادة .

بعد قليل سمعنا صوت الكلام . كان الضابط والشاب آتيين . قـــال الضابط : «سعادة الاميرة ، هذه الرسالة من والدك الملك ، ارجو ان تقرئيها بنفسك » .

عندما نظر روبرت الى الاميرة ، طفح قلبه بالحب . انه لم ير في حياتــه شابة بمثل هذا الجمال . قرأت الرسالة ، ثم نظرت اليه .

« سأكون سعيدة في ان انصرف حسب أوامر والدي . انه هاتفا يهتــف بي اننا سوف نجني قطوف السعادة معاً . دعنا نتزوج غدا » .

دهش روبرت جدا عندما سمع مضمون الرسالة . قال : «انني مستعد لان ابذل حياتي في سبيل الملك ، واخدمه حتى اموت . يرغب الملك في ان نتزوج ، وانا على يقين من انني سأحبك دائما وابدا . هكذا ...»

انتظر الملك يوما واحدا بعد ذهاب روبرت ، ثم امتطى حصانه ، وانطلق الى « بيت الوردة » .

عندما اقترب سمع رنين اجراس ، ورأى كثيرا من الناس يرقصون في الحديقة . دهش جدا ولم يدر بماذا يفكر . سار عبر الحديقة ، فرأى ابنتـــه تمشي مع روبرت ، واليد في اليد ، وخلفهما ضابط الجيش . ما ان رأى روبرت ودورا الملك، حتى توقفا ، واتجه الضابط ليساعد الملك في النزول عن حصانه .

قال : « ايها الملك ، لقد تصرفت كما امرت، وتزوجت ابنتك الاميـــرة من الامير روبرت » .

هتف جميع الناس من فرط السعادة ، وقذفوا بقبعاتهم في الهواء ، وجلس الملك يرنو الى ابنته وروبرت . حينئذ أورقت على وجهه نظرة السعادة .

قال : « انها مشيئة الله . خلق هذا الرجل ليكون ملكا » .

تأبط الملك ذراع ابنته بيد وقبلها ، كما تأبط ذراع روبرت باليد الاخرى ايضا، ثم التفت الى الشعب وقال : « هذا هو اميركم الجديد.اعلموا ان مشيئة الله قد قضت ان يكون ملككم . هذا هو اسعد يوم في حياتي . غنوا وارقصوا وعيشوا سعداء » .

صاح الشعب بصوت عال ، وراحوا يرقصون ثانية . تأبط الملك ذراع ابنته وذراع روبرت ، ومشى وسط الجماهير السعيدة في « بيت الوردة » .

عيسى فتـــوح

في محراب ابن الفارض

شعر : هــادي الشربتي

أعادتنـــي الذكرى لايام صبوتي ... فعدت الى الالفين سهدي ودمعتي
فان كان منـــي العود يحمد انما ... سعيت بنفسي نحو عودة محنتي
رمــا ضرني اذ لست اول عاشق ... يؤوب الى وادي الهوى بعد توبة
ولكن ما قاسيت من ألم الجوى ... بسالف ايامي يعكر عـــودتـــي
وما حيلتي والحب يغري جوانحي ... ويسري باعراقي ويلهب لوعـتي
يزين لي مــابت اخشى عذابـــه ... فقلت على رغم اصطباري حيلتي
ووسوس في نفسي بشتى فتونه ... الى ان وهى منها الزمـــام فلبت
سعيت الى حتفي بنفسي ولم يعد ... يفيد الذي أظهرتــه من تعنــت
أيجدي فتيلا ان تمــد يــد الى ... غريق رمــاه الموج في قلب لجة؟
وهل دمعة الثكلى يعيد انسكابها ... فقيدا عليه اشهر الحول مــرت؟

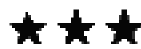
★ ★ ★

اعادتني الذكرى الى زمــن بــه ... كساني الصبا من نسجه خير حلة
زمان بــه يحلو الربيــع وعيشه ... دتسعد ايامي وتزهو فتـــوتي
لبست بــه برد الشباب منعمـــا ... فكنت المجلي بين صبحي وفتتي
وتصفو لنــا كأس الحياة نعبهـــا ... بلا كدر يغشى صفاها وغصـــة
تغني لنا الايــام عذب لحونهــا ... فتطرب سماري وتوقد نشوتـــي

فلا الليل يدري كيف نطوي ظلامه | ولا الشمس تدري كيف حلت وولت
ولا العمر يدري كيف نطوي سجله | فما عامه في عيشنا غير لحظة
وان بقايا مجلس ومدامة | واطياف سمار واوشال خمرة
تدل على ان كان في الحي سامر | ورنة كاسات واصداء نغمة
وفتية لهو افرغ الدهر كأسها | فنامت على ذكر الدنان واغمضت



حلفت يمينا بالمدامة والهوى | وبالدمعة الخرساء في الخد سحت
باني مهما في الحياة تنوعت | صنوف صباباتي واسباب نعمتي
فلم آلك خال البال يوما وانما | دهاني الذي منه الحشاشة ضجت
وذاك بواكير لعهد خياله | الى الان لا ينفك يسكن مقلتي
تسربلت من نسج الصبابة حلة | كستني بثوب من ضناي وعلتي
وما برمت نفسي ولا خافقي ارعوى | ولا ذقت ذرعا من عذابي وشقوتي
وجدت نعيمي في الهوى وشقائه | فلم ينصدع قلبي ولا الروح ملت
فان كنت خالي القلب كانت شبيبتي | سرابا به كل اللبانات ضلت
عذاب الهوى سلوان نفسي ومدمعي | سميري متى سود الليالي اطلت
قد استعذبت نفسي الاذى في سبيله | فان شفائي في سقامي ولوعتي
فيا شوق زدني حرقة بعد حرقة | عسى ان تنال النفس ما قد تمنت



عجبت لقلب ما كفاه الذي رأى | ولم يتخذ في العمر اية عبرة
وما زال غضا يشتهي مسلك الهوى | واسقامه للان لما ابلت

عنود فــلا يثنيه عن نزواتـــه ... وعيد ولم تنفــع لديه نصيحتي

ففي كل عرق فيــه ألف وسيلة ... الى الشوق يذكيه بألف فتيـــلة

يهيم عــلى رغمي بوادي صبابة ... به من مهاوي الموت الف بليــة

تمــرد حتى لم يعــد في تمكني ... له الروع حتى استنفدت قابليتي

ولم يك طوعي كي ارد جمــاحه ... فطاوعته كرهــا على غير رغبــة

ولجت وسلمت القيــاد لامــره ... وان فنيت روحي ونفسي اضمحلت

ركبت متون العشق استعذب الردى ... بنفسي على حد الحسام استقرت

ولليأس حال ان تمــلك مهجــة ... فاما الى حيث الاماني تجلـــت

واما الى لحد يشــق وصخــرة ... لها السحب ناحت والاعاصير غنت



سمعت نشيج المــاء في غليانـــه ... ينوح وفي ذراته النار شـــبت

ينادي أهيل الحي من في دياركم ... فؤاد يواسيني ويرثي لحــالتي

سفحت على الشعب الخصيب مدامعي ... زلالا فأحيت أدمعي كل ميــت

وكانت صبايا الحي تقصد موردي ... فرادى ومثنى عند شاطىء ترعتي

ويقصدني العشاق في امسياتــهم ... فكانت مجالي لهوهم في ضيافتي

وكان على جرفي لدى الليل محفل ... يعبون من كأسي وصرف مدامتي

واحييت بطن الارض من كل ممرع ... ولولاي لم تزهو البقاع وتنبت

فكان نصيبي ان صليت بحزمــة ... من العشب من ثديي نمت وتقوت

جزائي بشر رطب عود سقيتــه ... فأحرقني لمــا استحــال لجمرة

رضيت بما قد قدر الله قانعـــا ... فما حيلتي ان كانت النار قسمتي

فشأني شأن الماء والعشب في الهوى | وجوزيت شرا رغم طهري وعفتي
أضعت كياني كله في رحابـــه | فؤادي وآمالي وعقلي وراحـتي
فما الحب في شرعي مقالة قائــل | اذا عهدها ولى مضت وتوفـت
ولا كأس خمر حين دب خمــارها | فزهو وابداع وافراط نشـــوة
وان سخنت منها الرؤوس فنغمة | تغنى وان تلقى الاباريــق تخفت
ولا لحظة يسمو الخيال فينتشي | لحمى لظاهــا للجوارح هزت
ولكنه مزج لروحـين كلمـــا | تقــادم عهــد شمله لم يشقـت
وهل ممكن للماء فصل عن الطلا | اذا خمرة بالمــاء في الكأس شنت
كذلك دأب العاشقين تلاحمــت | قلوبهم بعضا ببعــض ولــزت
حبيبي فؤادي فهو في مستقــره | متى حن اعضائي بنجواه حنـت
تزعمت ركب العاشقين فحيثمـا | أسير وسير الركب رهن اشارتي
وما ذاك مني نزوة او جهـــالة | اريد بهــا ارضاء نفسي وشهوتي
ولكنني بالحق أصبحت قائــدا | لجيش لهـــام سائر في معيتــي
اذا عقد العشـــاق للحزن محفلا | وكل همــوم القوم بالحق قيست
فلم تــك الا عشرتهم حملـــته | لوحدي فاعجب باتزاني وقوتــي
فصاحب «ليلى جن» من فرط حبه | ولم يك الا جارعا بعض حرقتي
و «فرهاد» لما شج بالفأس رأسه | فحسرته في الحب اعشار حسرتي
واسطورة «الحلاج» يذهب سرها | هباء اذا مــا قستهــا بحقيقـتي
اذا دخل «ابن الفارض» الحال مرة | وعاد .. فحال ينقضي عندميتتي
حياتي (حال) كلها منذ ان وعى | فؤادي وسر الحب في الارض جنتي

على رغم ما اسلفت لا زلت مالكا عناني ولم افقد كياني وهيبتي

★ ★ ★

تعشقت من صلى الجمال لحسنه فصار على رغم المعادين حصتي
سما بخل (عمران)عن الطورعندما سبا برقه لف الفلاة بوقدة
ولم يواري الشعلتين حقيقة او جنته ؟ ام نار رب تجلت
وعاف اليد البيضاء حين تبسمت ثناياه برهانا لصدق نبوة
فعاد فما للوحي يهفو فؤاده فلم يسترق سمعا ولم يتلفت
وآنس نارا لا من الطور وقدها ولكنها من بين جنبيه شعت
وخر على رغم النبوة ساجدا لآية حسن بين عينيه رفت
كأنفاس عيسى الروح انفاس لطفه تفوق على ريح من الخلد هبت
وما يوسف الصديق يحوي بهاءه وان اغرمت فيه زليخا وهامت
وما سلسبيل الخلد يصفو كنفسه كأني بها من معدن الله صيغت

★ ★ ★

كلفت بمن اهوى الى ان اضلني عن الدرب فاستعذبت فيه غوايتي
وهبت له عقلي وديني فحبه مناي واشواقي له فوق طاقتي
مصلاي اضحى وجهه فعبادتي له واليه توبتي وانابتي
صلاتي تسبيح لقدس جماله ووجنته عند التهجد قبلتي
وما لسواه اسبل الطرف خاشعا وفي موضع الرجلين محراب سجدتي
ضلالي اذا خلفت عن ذكر حبه وان همت وجدا فيه تمت هدايتي
خيال محياه نديمي ومؤنسي وطيب ذكراه يبدد وحشتي

تملـك احساسي وكل جوارحي ودب دبيب الجمر في لب فكرتي
ولست بـال ان تمكنت سـلوة ففي حبه أدركت قمـة لـذتي
وان غاب عن قلبي هواه هنيهـة فذلك في عرفـي دليل ضلالـتي

كربلاء ـ العراق هادي محمد الشربـتي

خيمتي

★★★

الصيف عاد وخيمتي عادت كما كانت تفـوح بها الطيوب وتعبق
أرض عليها الياسمين ديـولـة وذيـوله بزهورهـا تتنمق
وتشابك الرمـان فيها وانحنت اغصـانه بثمـارها ترفـق
وانجلنـارك بقايـا لم تزل مزهـوة اكمامـها تتفـتـق
وبـدا القرنفـل باسما ألوانه شيء عـلى جنبـاتهـا يتعلق
وهناك دالية كـأن قطوفهـا حبات بلـور صفـا ، تتألـق
قد خالطـت بفروعها جاراتها فتنـاسقت ما بينهـن منسق
حتى غدت في وحدة من حسنها والحسن من اجزائـه يتحقق
هي معبدي وقت الصلاة وملتقى صحبي لدى شجراتهـا تتحلق
وتظل منها ذكريـات أحبـة كالطيف قـد مروا بها وتفرقوا

خربة سلم احمد حسن الامـين

قــافلة الحياة

شعر : محمد القريني

تحث السير قافلة الوجــود بصحراء الابــوة والجـدود
تحث السير جيلا بعد جيــل مــن الجيل القديم الى الجديد
تسير وسيرها ابدا ودومـا الى جهـة الترقـي والصعود
فمن ليل النحـوس تسير فينـا الى صبـح المسرة والسعــود
فكـم مرت عليها من حقوب وأزمان مريرات الــورود
وكم قاسى الاوائل من خطـوب وكـم بذلوا جهودا في جهـود
وكم فتكت بهم تلـك البلايا من الامراض والفقر الشديــد
وعـاث الجهـل أزمانا طـوالا وقيدهم بانواع القيـــود
وكم لاقى البرايـا من شقاء يسـوق بهم الى ضيـق اللحود
وكـم قاسـوه من ظلم وغـش لطـاغوت وجبار عنيــد
وشمـس العلـم سائـرة ببطء وليل الجهـل جـاث في ركـود
الى ان لاح فجـر العلم فيه يمزق ظلمـة الجهـل الكنود
وفيــه استبشرت كل البرايـا وزال الروح عن كـل الوجـود
وقرت أعـين العلمـاء طـرا بمـا بذلـوه من جهد جهيد
فأشرقت العلـوم بكل ارض وهب الناس من ذاك الرقــود
فأيـن اليوم من زمـن تقضـى واين اليوم من تلـك العهـود؟

أهل كانت لـ (عاد) كهرباء ... وماء للاسالة او (ثمود)؟
وهل (فرعون موسى) طار يوما ... فلم يجنح الى (الصرح المشيد)؟
وهل ركب الاوائل في قطار ... يجوب الارض بيدا بعد بيد؟
وهل كانت بذاك العهد يوما ... بواخر تسخر البحر العنيد ؟
وهل سيارة سارت وراحت ... كهب الريح في العصف الشديد ؟
وهل سمع الاوائل من اغان ... واخبار تذاع من البعيد ؟
وهل في (الشاشة البيضاء) يوما ... رأوا ما قد شهدنا من شهود ؟
فكم للعلم من نعم جسام ... وكم للعلم من عيش سعيد ؟
واما في غد فالله يدري ... وليس غدا علينا بالبعيد
فهذا الكون خزان عظيم ... يسير مع الزمان بلا حدود
وان العلم مكتشف خبير ... يرى الاشياء في بصر حديد
عجائبه تلوح بكل عصر ... عجائب ليس تحصى للعدود
وقافلة الحياة تسير دوما ... الى النعماء والعيش الرغيد

كربلاء ــ العراق ... محمد عبد الله القريني

وإذا العروبة ندّ عنك بيانها
فسد الفؤاد مع البيان المفسد

شفيق جبري

صاعقة التمرد

شعر : خضر عباس الصالحي

يلقى النكاية والجحــود أديـب ظلمــا وما مسـت يديه ذنــوب
وعدت عليــه من الانام مكــائد ومن الزمــــان نوائب وخطوب
قد عافــه حتى الصحاب فهل غدا ذاك الغريــب تقاذفتــــه دروب
لهفــان يزدرع الرجاء بكونــه ويظل في جنــي الرجاء يخيــب
سهران ينتفض الحنين بشجــوه والجرح يصرخ فيه والتعذيـب
قلق يقلب في الــدجنة طرفــه وبسمعــه يثوي شجا ونعيــب
المعبد الدامي المهــدم وكــره والعطر جف بروضه والطيب
تقتات من وهم المنى افكــاره ويضيق افــق عن رؤاه رحـيب
ويلم من جفنيــه احلام الصبــا يأس ويغمره ضنــى ولغـــوب
وأساه يعصر منه نفسا تصطــلي ألمــا ويحرقــه لظى ولهيـــب
واليــه يومىء باشتياق مطمــح ويلف مطمحــه دجى ومغيـــب
ويــروح يجر وحده في غربـــة ان المفكــر في الوجود غريــب
سفحت رغائبــه رياح تمـــزق والروح منه تقمصته نــدوب
قلمــي يصور بالقريض حقيقــة ان المعــذب في الدنى الموهــوب

* * *

ما كــل من رصف الحروف بناثر أو شاعر تهفو اليه قــلوب
الا الــذي جاز العقــول خياله وعليــه نم الفكــر والاسـلوب
تترشــف الامل البعيد طيوفــه ولشــدوه كم تستفيق شعــوب
صلب العقيدة ثــائر متمرد لا يحــني منه الهامــة الترهيب

بغداد خضر عباس الصالحي

لبنان الفواجع والمآسي ... لبنان الرعب والمـوت

الى أيـن ... الى أيـن ؟!

بقلم : يوسف ابي رزق

لبنـان !...

يا مقبرة فجرت سكرا ،

جنـت عهـرا ،

رضعـت قيحـا وصديـدا .

ولغت نهما ، وهي تعربـد عربـدة السكران .

بـدم يغلي ويفـور .

كفـدوره ..

من قحف عظـام الجمجمـة الكبـرى ..

تتفجر سيلا عرما كالطوفـان ...

★ ★ ★

يا نهر المـوت الصاخب هدرا ، كالاعصار !.

يـا نهر الزمجرة العظمـى !..

يا نهر الجثث المحروقة ، في تنور الحقد الاسود، يا لبنان !...

يا حلـق الافعـى !...

يا أنيــاب الوحش !... ويــا جــوع الشيطان !...

★ ★ ★

يــا نار الحرب الاهليــة !...

يــا خسة عــار الهمجيــة ...

يــا حنجرة البركــان !..

يــا جوعا اسود ، لا تشبعه آلاف والاف الابدان ..

تنــين يمضغ ، يقضم ، يسحق ، يطحن ...

يزدرد الانســـــان ...

في لبنــان ..

★ ★ ★

يــا نوح العائلة الثكلى !... يا عذراء الجــان

من داس جبينــك بــالاقــدام ؟..

وسطــا كاللص عليك ، يمزق جوهرة البلدان ..

يسلبك عقــود اللؤلؤ والمرجــان ..

بالله !... بربــك !.. قــولي ..

يــا أحلى غانية بكر ... نهشتك الديدان ..

★ ★ ★

قولي !.. لا تخشي !.. قــولي ..

من كــل رأســك بــالشــوك ؟..

من مزق شـــالك ؟..

من سـمرك ؟..

من لفـك بالاكفـان ؟..

★ ★ ★

اليوم الاعمى ، اليـوم الاسـود ...

يوم الثالث عشر من نيسـان ...

يوم العانس ، تحبل في شيخوختها عمرا ،..

بجريمة مذبحـة الانسـان

فاذا بشهـور العام تكر

وكـل بجرائمه نيسـان ...

★ ★ ★

الموت هنا .. الموت هناك .. الموت هنالك .. كل مكان .

دنيا جنت فمضت تفتك .. تنهش ، تنتهك الاديـان ..

انسـان مجنون ، مسعور ،

ينهش لحم اخيه الانسـان

في لبنـان ...

★ ★ ★

هل مات الله ترى هل مات ، وأغمض عينيه عن لبنان ...

فسرى الاجرام بليل الكفر ،

وعينـاه جمر ، غضب ، مـوت ودخان ...

قد لف الفجر البـاكي ،

تد غمر الصبح الشـاكي

برداء الحسرة والاحزان ..

فبـلادي تغرق في مأتم ..

خرساء حدادا ، صامتة حزنا .

والموت القاسي يتكلم .

★ ★ ★

أصوات القصف أعاصير ، وصواعق ترجمنا .

وسمـاء لا ترحم ..

مدن وقرى تأكلها النيران ، وتجرفها عاصفة دمـدم ...

مدنيـات وحضارات ، قيم عليا ، مثل عليا ...

أخلاق راحت تتمزق ...

وتطير هبـاء ! الدنيا .. تذوي ، تتلاشى ، تتهدم .

والارز الاخضر ييبس ، يغرق رعبا في طوفان الدم ...

هل مات الله ؟.. ترى هل مات ؟ وأغمض عينيه ، عن لبنان !..

★ ★ ★

جثث نزرعها في الارض ، فتنبت شوكا ...

تنبت حقدا ... بغضا أسـود ..

شجر الحنظل والعلقم ...

جيف ، أشلاء تحت الجسر ...

أمعاء تتهرأ من نتن ...

اعراض من نهش لم تسلـم •••

★ ★ ★

سبي ، تشريـد ، تقتيـل ••
تجويع ، تهجـير ، يتم ••
قتل ، تحريق ، ثكـل •••
نـار جهنـم ••
هبت اعصارا ، واشتعلت حمما •••
نفخت فيها ريـح صرصر ••
فمشت في السهل وفي الـوادي ••
تحرق عن بكرة أبيه •• لبنان الاخضر •

★ ★ ★

يا ويـح انوفنا ، لم تزكـم ••
من رائحـة اللحم المشوي ••
يـا ويح بطون لم تتخم ••• مما التهمت •••
مما التقمت •• مما جرعت •••
من قرب الـدم ••

★ ★ ★

لبنـان تحول من بلد الاشعاع ،••• النـور ، الفكر •••
الى غاب وحـوش •••
عفو الوحش •• فهو أعف وارحم ••

في لبنان الاسود ، من آدم ..

★ ★ ★

اخجل يا وطنا ! شئناه عظيما ، عملاقا ، فتقزم ...

اخجل بنيـك ودسـهم ...

هشمهم .. واذبحهم ..

ارجمهم رجم الزانيـة ...

مزقهم تمزيقا لا ترحـم .

★ ★ ★

أبنـاؤك ، عارك ، خزيك في الارض ...

تلطيخ جبينك بالوحل ، بكل القاذورات

تقيأهم .. ابصقهم .. اتفلهم ...

من فمك المحروق ، فلن تندم ..

★ ★ ★

مزق كتب التاريخ ، ودعك من الفخر ...

بأبناء العهر ..

مزق ... احرق .. لا ترحم .

فتراثك بعد اليوم دمار ، نار ، عار ... لا ترحم ..

★ ★ ★

تراثك تلك الهجمات الوحشيـة ..

تلك الردات القبليـة ..

تلك الغزوات الهمجية ...

تراثك « هتك العرض ، ونهب الارض ، وذبح البعض .»

★ ★ ★

تراثك أنياب التنين

تراثك احيـاء الستـين (١)

على أكـبر ...

على أكـبر ...

★ ★ ★

يا للخزي !... ويـا للعـار ..

هل ندري ما كنـا فيه ، وماصرنا ؟!..

عدنا نـتخلف عن ركب الدنيـا

أجيـالا ...

نتخبط في ظلمـة ماضينا ..

والعالم طرا ، يتقدم ...

★ ★ ★

اخجـل يا وطنا !

شئناه عظيما ، عملاقا ، فتقزم ..

(١) سنة ١٨٦٠

اخجـل ببنيك ودسـهم ..

هشمهم ، واذبحهم ...

أرجمهم رجم الزانيـة ...

مزقهم .. تمزيقـا ..

لا ترحم .

يوسف ابي رزق

الى المشتركين في العرفـان

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنـوء بحملـه المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان نتدارك ما يمكـن تداركه وذلك برفع قيمة الاشتراكات في المجلة كما يلي :

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية

٥ دنانير في البلادالعربيـة

١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربيـة

٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية

٥٠ دولارا جوا للخـارج

١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائر والمؤسسـات الرسميـة والسفـارات والبنـوك والشركـات بالبريـد العادي

١٥٠ بالبريـد الجوي

واشتراك الانصـار لا حـد لـه .

المتطفلون والخطب الجوفاء

سبحان من فطر العباد ... على اختلاف في الشعور
وأباح (تكوير) العمائم ... للصغير وللكبير ..
حتى تلاشى الفرق ما ... بين الاوادم والحمير
وتبدلت شيم الوداعة ... بالصلافة والغرور
وتسابق المتطفلون ... على المنابر كالنسور
(وتدركبت) صيغ المواعظ ... كالصخور على الصخور
وتنوعت خطب (الفطا ... حل) بالشهيق وبالجعير
وتنافر الكلمات في (الاعجا ... ز) منها والصدور
جوفاء ترعد كالطبول ... أو البطون لدى الزحير
لا شيء بين عجيجها ... غير النفاية والقشور
وبقية من تافه الآ ... راء والنظر القصير
وتحل كالجهل تزري ... بالجليل وبالحقير ..
لا يستثير به الغشيم ... ولا يروق لدى الخبير
سبحان ربي اين معنى ... اللطف في هذي الامور ؟
وبها يشك المؤمنون ... ويغتلي كفر الكفور
ويضج كل مفكر ... في الشعب من سوء المصير
حتى الذين (تأمركوا) ... وتعودوا بيع الضمير

المناشورة ... شاعر المغفلين

ابواب العرفان

رحلتنا الى الكويت والعراق

★ ★ ★

في اواخر الشهر الثالث من هذه السنة زرنا الكويت وقضينا فيها ٢٢ يوما ، وعدنا الى لبنان ، وفي أواخر الشهر الرابع زرنا العراق ، وبقينا فيها ١٧ يوما . سنكتب عن الزيارتين في الاعداد القادمة . وكان بودنا زيارة البحرين وايران العربية ولكن الظروف لم تساعد على ذلك. ولعلنا نوفق الى هذا الامر في تشرين .

★ ★ ★

بين مصر وليبيا

ما جرى بين مصر وليبيا يحزن ويؤسف ، في هذه الظروف الحرجة التي يجب ان يتكاتف فيها العرب ويتضامنوا حدث ما حدث بين مصر وليبيا، وكأنه لا يكفي انهم ينشرون غسيلهم (الوسخ) على السطوح ، في الاذاعات وفي الصحف ، أهذا دور الصحافة او الاعلام بصورة عامة السباب والشتائم. واين ادعاء العرب بالدفاع عن فلسطين وتبني قضيتها ؟! بهذه الاساليب وبهذه الاعمال الصبيانية التي تعطي اسرائيل سلاحا معنويا ضد العرب.

الملامح الاساسية لحياة خليل الهنداوي

ــ الولادة في صيدا عام ١٩٠٦ .

ــ غادر لبنان ١٩٢٨ على أثر القائه قصيدة وطنية في حفلة لاستقبال رياض الصلح العائد من مهجره لاول مرة . وأبعد عن لبنان الى بلد عربي، فاختار دمشق له موطنا . التي سبق ان قضى فيها سني الحرب العالمية الاولى.

ــ مارس التعليم في صيدا وعمره ١٧ عاما ــ وفي قرية من قرى لبنان من عام ١٩٢٥ الى ١٩٢٧ .

ــ في بدء عام ١٩٢٩ عمل مدرسا للادب العربي في تجهيز دير الزور ــ وفي هذا البلد استكمل مطالعاته وثقافته وكتاباته الاولى التي كانت مجلة الرسالة والمقتطف مجتلاها .

ــ جمع بين الثقافتين : العربية والفرنسية التي ترجم عنها الكثير من روائعهما .

ــ وفي نهاية عام ١٩٣٩ انتقل الى حلب ، واتخذها مستقرا له ــ درس في ثانوياتها على اختلافها ــ وفي عام ١٩٥٨ نقل مديرا للمركز الثقافي العربي ثم الى التدريس .

ــ وفي ١٩٦٥ أحيل على التقاعد .

ــ تزوج مرتين وله من الاولاد سبعة .

ــ جاء في مخطوطته « سيرتي الذاتية » وصف لرحلاته العديدة التي قام بها الى كل من : مصر ، فلسطين قبل الاحتلال الصهيوني ، دول اوروبا الشرقية والغربية ، الولايات المتحدة الاميركية .

ــ حضر المؤتمر الاول لادباء العرب عضوا في بيت مري ١٩٥٢، والمؤتمر

*** بعد كتابة ما تقدم بشهرين تلقينا نعي الاستاذ خليل الهنداوي ونحمد الله انه احتفل به في حياته كما يرى القارىء في الصور . تعازينا الحارة لاولاده ولعل احدا منهم يخلف الفقيد الراحل بالادب .**

الخاص بادباء آسيا وافريقيا في طشقند ١٩٥٨ ، والمؤتمر الخاص بأدباء اسيا وافريقيا في بيروت ١٩٦٧ ، حضر المؤتمر الثامن لادباء العرب في دمشق ١٩٧١ .

ـ رئيس المكتب الفرعي لاتحاد الكتاب العرب بحلب حاليا .



المثقفون والادباء يحيون الاستاذ خليل الهنداوي على جهوده خلال نصف قرن من عطائه الادبي .



الاستاذ خليل الهنداوي يلقي كلمة الشكر بعد الاحتفاء به .

في ذمة الله

ـ وفاة شاعر الشعب السيد احمد الصافي النجفي ـ

• • •

فوجئنا بعد صدور العدد السابع من العرفان بنعي الصديق الحميم القديم شاعر الشعب السيد احمد الصافي النجفي، ونظرا لمنزلته الشعرية الكبيرة نفكر في اصدار عدد خاص به اذا وفقنا الله ، دواوينه الخمسة عشر نشر اكثرها في مجلة العرفان .

آل الصافي عائلة علم وفضل وأدب وآكثرهم ان لم نقل كلهم شعراء ..

تعازينا الحارة لآل الصافي الكرام نخص بالذكر ابن اخيه الصديق الكريم الدكتور علي الصافي فالى القادم ان شاء الله .

★ ★ ★

ـ الشيخ حبيب المزيدي ـ

توفي بالكويت صديقنا الشيخ حبيب المزيدي العالم الفاضل المطلع، وكان قاضيا للشرع في الكويت ، وبعد ان احيل على التقاعد كان يجلس للقضاء في مسجد « المزيدي » وهذا الجامع من أجمل وافخم المساجد في الكويت. وديوانية الشيخ حبيب كانت تضم العديد من العلماء والادباء والوجهاء وعنده مكتبة حافلة . تعازينا الحارة لآل المزيدي نسأل الله لهم الصبر والسلوان وللفقيد الراحل الرحمة والغفران ..

الف يوم مع

الحاج امين



زهير المارديني

كلمة لابد منها

في البداية نصحوني بالاقلاع عن هذه المحاولة ... التي تكاد تكـون مستحيـــلة .!

لم حذروني من خطورة الاصرار على جعل الرجل يتكلم ... فـــلم يسبق له ان تكلم علنا ... ولم يسبق له ان افضى باســـراره الى اي مخلوق ... ومع ذلك اقدمت ، واستطعت ان اقنع الرجل بأهمية كلامـــه والقضية الفلسطينية تواجه الاعاصير . وكان الاصدقاء يشفقون عـــلي ، ويتنبأون بفشلي وضياع جهودي ... وقد شاءت اقدار الرجل والاقـــداري ان تتحقق نبوءة الاصـدقاء ... اذ سرعان ما طلب مني هؤلاء الاصدقاء ان ادفن ، وبيدي كل اقوال الرجل التي سجلتها . واشترطوا ان يكون طلب الدفن ممهورا بتوقيعي .!

لم اكن في وضع يمكنني من الرفض .. أو حتى الاحتجاج ، لقـــد يئست من كل شيء ، حتى من التمرد على الاصدقاء . كنت في الحقيقـــة ادفع ثمن سذاجتي وجهلي بدخائل القادة .. وبسرعة البرق الخـــاطف تدافعت سيول الاحزان الى نفسي ورحت امر على الجبين براحة الكف ، حينا في عنف ، وحينا في لطف ... وتحركت على شاشة الذهن صـــور محاولاتي لجعل رجال الامة العربية يتكلمون قبل ان يختطفهم الموت ... فاذا هي صور حزينة كئيبة ...

ومع انه ليس هو الكتاب الوحيد في حياتي ، فقد شعرت بان ما طلب مني كثير... واكثر من ان احتمله ... لقد كان المطلوب دفن الكتاب حيا... كان الكتاب الذي قارب على النهاية هو اثمن شيء بالنسبة الي ... انـــه بضعة اوراق يسميها الناس كتابا ، وكنت اطلق عليها شيئا اخر هـــو : (ولـــدي) !

امضيت في اعداد الكتاب الف يوم . .

قرات عشرات الكتب ..

زرت المكتبات الكبرى والصغرى ..

اجتمعت بشخصيات عديدة لعبت أدوارا بارزة في حياة القضيـــــة الفلسطينيـــة ..

سهرت الليالي الطوال وانا انقح واعيد الصياغة .. حتى بلغت الاوراق التي سودتها مئات الصفحات ، مع ان المطلوب هو ٢٠٠ فقط !

كان موضوع كتابي جديداً ، ودفعني الغرور لان ابحث عن دار اجنبية لنشره ، وتم العثور على الدار ، وتم الاتفاق على النشر بسرعة لم اكــن لاتصـــورها ...

يومها رقصت في الشوارع ، وصافحت كل من وقع بصري عليــه ... وانفقت ما كان في جيبي تعبيراً عن فرحتي ، واعجبت دار النشر الاجنبية بما قدمته اليها من نماذج .. قالت لي في كتاب رسمي ان ما وصلها هــو ابعد من الكتابة العادية ... انه تصوير بالكلمات ... وبينما انا في الطريق ظهر من طلب مني التوقف ، واسدال الستار على الموضوع بكامله ... لان الظروف لا تسمح ، وان من الافضل الابقاء على الاسرار داخل الصدور ، وان ... وان ... وتمت عملية الدفن بدون دموع ، وحتى بدون صراخ.. ولم يمش في جنازة الكتاب احد ممن صفقوا لي كثيراً وانا اعمل علىاعداده.

كان الاتفاق على ان تتم عملية الدفن (على السكت) !

ومات كتابي الرابع الذي كنت اريد ان اطل من خلاله على الضفــة الثانية من الدنيا ... ضفة الحقائق التي لا تخاف .. وضفة الادب الذي يشق طريقه الىالضياء اذا كان ادباً حقيقياً ... وضفة السياسة الــتي لا تخاف الارهاب !

وددت ان ارمي حنقي في وجه (الكتاب) الذي مزقته بالفعل ، والذي امضيت الف يوم في اعداده ، واصرخ :

لماذا قبلت ان ادفنـــك حيــاً وبيدي ؟

كأنه هو المسؤول عن موتــه !

كأنني لا اعرف لماذا مات ... وكيف مات .. وفداء اي شيء مات..!

كأنني اجهل انه كان يحيا حاملاً الموت بين دفتيه .!

الم تكن الحقيقة هدفي ؟

ان الجميع في وطني يختلفون باستمرار ويتفقون على شيء واحــــد

فقط ، هو السير وراء جنازة الحقيقة متكاتفين .. لان (الجميع) يخافونها!

مات الكتاب وهذا التجمد المتصلب في داخلي لا يتحلحل ولا يتسرب دمعـا .. لمـــاذا ؟

بعد أن تمت عملية الدفن بفترة وجيزة لزم الحاج امين الحسيني فراش المرض ... واستدعاني بواسطة مرافقه الامين (البرناوي) مشترطا عليه ان لا يعلم احد بهذه الزيارة من الملتصقين بالحاج امين..

وسألني الرجل : هل ما تزال مصرا على اصدار الكتاب ؟ فاجبته :

الم تأمروا بدفنه حيا ، فما الذي ذكركم به الان ؟

قال وابتسامته التي لا تفارق وجهه تشارك كلامه : يجب أن تأتيني بعد أيام للابراق الى دار النشر لايفاد من يمثلها لالتقاط الصور التي سبق أن طلبتهـــا .!

اجبتـــه :

دعنا من الكتاب الان وما سببه لي من خسارة مادية ومعنوية ... نريدك أن تعود الينا سليما معافى وهذا جل امانينا .. فاجاب :

لا .. لا ... أريد منك ان تخبرني بالعنوان الذي تريد وضعه على الكتاب .. فمن يدري لعلنا لن نلتقي ؟

واحسست أن الرجل يريد ان يفارقنا .. لقد تعب من حياته ، وتعب من النضال الطويل القاسي ... وتعب اكثر فاكثر من هؤلاء الذين يشكلون حوله حزام الضغط .. فقلت له :

لقد امضيت مع سماحتكم الف يوم من اجل انجاز الكتاب ... وفقدت نصف بصري ، ماذا لو كان العنوان (الف يوم مع الحاج امين)؟

ابتسم الرجل .. ثم اغفى ، وخرجنا من غرفة نومه ونحن نغالب دموعنا ..

وتلاحقت الايام والاحداث بسرعة عجيبة ...

لقد اختطف الموت الحاج امين الحسيني بعد لقائي به بايام قليلة... وبعد ذلك بفترة قامت (اللبحـــــــــة) في لبنان ... فدخلوا على دارته

التي تبعد بضعة كيلومترات عن بيروت ، واقتحموا مكتب الهيئة العربية العليا القريب من الدارة ، ودمروا كل شيء ، ثم احرقوا الدارة والمكتب بعد ان فجروا قساطل المياه لتغمر التاريخ الفلسطيني... فقد كان كل حائط ... كل حجر ... كل كتاب .. كل ورقة .... يحكي شيئا من تاريخ قضية العرب الاولى ....

لم يكن السكان في الدارة والمكتب ... وكان القدر قد اشفق على صاحبيها من رؤية هذه الوحشية فاستعجل الاجل ، وبقي النساء وبعض الموظفين فقط مع (البرناوي) مرافق المفتي الامين ... وحين استشعر هؤلاء الخطر تركوا كل شيء في مكانه وخرجوا خفافا تاركين للتاريخ ان يروي ما فعله الانسان باخيه الانسان في لبنان ...

وحين ذهبت برفقة (البرناوي) الى الدارة صفعني المنظر المرعب على وجهي ...

المكتبة الثمينة التي تحوي مئات الكتب النادرة ... ومذكرات الرجل التي كتبت بخط يده (المنمنم)... والصور التي تجمعه مع قادة العالم ... والوثائق والمراسلات والرسائل التي كان يحتفظ بها ... والذكريات المتصلة بكل ركن من الدارة والمكتب ... كل هذا اصبح رمادا ...

ترى من سيقتحم سيرة الحاج امين الحسيني كما اقتحمتها ذات يوم؟

من تراه سيمد اليمين ليلتقط الحقائق ويعرضها على الناس ؟.

تلك الدنيا التي كانت ترمف بالحياة والناس والتي ارتبطت باسم الحاج امين ... واخبار الثورات ، والاضطرابات من سيتحدث عنها للاجيال؟

فمهما كان راي اصدقاء وخصوم الرجل حول الاسلوب الذي خاض به الحاج امين الحسيني المعركة ، فليس بين هؤلاء من ينكر ان المفتي هو احد القادة العرب الذين تركوا في الدنيا دويا ..

عدت من زيارتي للدارة والمكتب بتصميم جديد وهو ان اذهب الى المقبرة وانبش التراب عن الكتاب واعيد صياغته مديرا ظهري لهؤلاء الذين اختلوا منذ غياب المفتي والذين كانوا يسيئون الى الرجل حيا وميتا ...

زهير



تقـــديم

بقلم محمد أمين الحسيني

كان الغرض من احاديثي في هذه الصفحات هو ان التحدث عن قضية بلادي التي شغلتني منذ ان وعيت على هذه الدنيا وما زلت ... كنت استعرض خلالها الاحداث التي وقعـت في فلسطين والتي كنت على صلة مباشرة بها ، وذلك حـتى امكن نفسي من التفكير في امرها بوضوح . وكان الصديق الاستاذ زهير المارديني يشاركنـا هذه الاحاديث فاقترح أن يسجلها .. وبدا لي في اول الامر ان مهمته صعبة وشاقة ، بسبب كثرة تنقلاتي بين المـدن العربية واضطراري للسفر الدائم والتنقل حيث يعيش بنو قومي ، ولكنـــه تمكن من تحقيقها معتمدا على دأبه ، ومثابرته ، وحرصه على ان يقدم للقارىء في هذه الظروف العصيبة صورة واعية لهذه القضية التي تحتل الآن مكان الصدارة في العالم .

وعندما جمعت هذه الاحاديث رأيت من واجبي ان اشير الى ان احاديثي قد نقلت أثناء فترة مضنية قاتمة من حياتي، ولذا فهي تحمل آثارا بينة منها بسبب الظروف التي تعيشها قضية بلادي ، ومهما يكن فقد تركت الاستاذ زهيرا يسجلها على عفويتها معتمدا على ما اعرفه عن الصديق من اخلاص وتجرد ، ذلك انها قد تكون بالنسبة لبعضهم مهمة فيما يتعلق بكنه احاسيسي ومشاعري اثناء روايتها .

ولقد حاولت في هذه الاحاديث ان اعكس مشاعري الى ابعد ما تمكنني الظروف ، فلم احاول والحالة هذه ان اروي استعراضا لتاريخ القضية الفلسطينية العادلة . فالذين يرغبون في القيام بدراسة مستفيضة لماضي فلسطين القريب وحاضرها فعليهم ان يتجهوا الى غير هذه الاحاديث الخاصة التي قد تساعدهم مع غيرها من الروايات الفردية على سد الثغرات وعلى تقديم متكأ لدراسة الوقائع .

لقد اطلعني الصديق الماريني على بعض ما كتب ، وتدارسنا معا الطريقة التي لجأ اليها في سرد الاحاديث التي رواها عني ، فكنت اقره على اشياء واخالفه على اشياء . ولكن هذا لا يمنع من التاكيد بانني انتقدت بعض الجهات وجنحت احيانا الى القسوة في هذا الانتقاد ، الا ان هذا الانتقاد لا ينتقص من احترامي لبعض هذه الجهات . فلقد شعرت بانه يجب على الذين يمارسون القضايا العامة ان يكونوا صريحين بعضهم مع بعض ومع الجمهور الذي يقومون

بخدمته . وهكذا فان الحقائق التي سردتها كانت مشفوعة بمحاولة تجنب المشاكل والمسائل المحرجة ، وهي مسائل قد تكون احيانا باعثة على الاسى ولا تساعد المشتغلين بالقضايا العامة على فهم بعضهم بعضا ، كما لا تساعدهم على فهم ما يواجهونه من مشاكل .

وارجو ان لا يحمل شيء مما رويته اثرا مما لا اقصده حيال اي فرد او جماعة .

لقد تعمدت ان أتجنب مناقشة القضايا التي هي موضوع خلاف في العالم العربي اليوم اللهم الا بصورة غير مباشرة .

ذلك انني لا ازال اعتبر نفسي في المعركة التي فرضت على بلادي ، ولا تسمح لي الظروف وانا في خضم المعركة بان اذهب بعيدا في اغوار التباين في وجهات النظر ، او حتى ان اقرر في ذهني ما يجب فعله بامرها ، هذه امور تناقش بعيدا عن انفعالات المعركة !

وهكذا فانني لم اجد ان الامر يستوجب اضافة الكثير على ما رويته الان بشان تلك القضايا ، وعلى هـذا فان هـذا التسجيل لاحاديثي التي اضطلع في نقلهـا الاستاذ زهـير المارديني لا تعدو عن كونها هيكل رواية لاحداث المـاضي القريب ، واذا كانت تدنو من الحاضر فانهـا تتجنب بحذر الاتصال بـه .

محمد امين الحسيني


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



في الرابع من حزيران «يونيو» ١٩٧٤ ، طيرت وكالات الانباء العالمية نبأ وفاة واحد من اكبر زعماء العرب في القرن العشرين سماحة الحاج محمد امين الحسيني ، وكان ذلك النبا مصدر اسف وحزن عميقين، لا للامةالعربية التي ينتمي اليها الرجل الكبير فحسب ، وانما للامة الاسلامية قاطبة التي عرفت

هذا المناضل وقدرت الميزات الانسانية العظيمة التي وهبها الله لـه .. ذلـك ان قيادته للشعـب الفلسطيني ضـد الصهيونية وعملائها والمستعمرين واعوانهم ، لم تكن اعـلاء للقيم النضالية التي تكافح من اجلها الامة العربية فحسب ، وانما كانت اعلاء للانسان العربي نفسه في مواجهة القـوى الطاغية التي تود هدم روح الشعب وقواه المعنوية .

وان ما تلقى به ابناء الامة العربية، وابناء الامة الاسلامية قاطبة ، نبأ وفاة المفتي من الاسى والحزن البالغين الى حد بعيد ، ليس السبب فيه راجعا الى مجرد نواحي العظمـة الانسـانية المتجسدة في هذا الرجل فحسب ، بل ايضا الى ذلك الاكبار الغريب الذي يكبره العالمان العربي والاسلامي لنضاله الصخري بصمود عجيب في سبيل قضية فلسطين..

ان اعظم قيمة جسدها وتجسدها ذكرى الرجل منه هـي الابقاء على الشعلة التي اوقدها بيده واثار فيها الطريق أمام الاجيال الصاعدة ..

ربما كانت شخصـية الحسيني احدى الشخصيات النادرة في التاريخ العربي المعاصر قد استطاعت ان تحقـق ذلـك التوازن الشديد الصعوبة بين الرغبـة العميقة في السلام ، والحب الجارف للانسان عامة ، وبين الاصرار العنيد عـلى المقاومة القتالية للقوى الصهيونية ، والتي تنطوي في نهاية المطاف ، على القتل وسيول الدم ، بيد انها قضية ليس فيها خيـار ...

لقد امضيت مع سماحته ما يقرب من الف يوم على مدى

اربع سنوات وانا اصغي اليه وهو يتحدث عن القضية الفلسطينية والثورات العربية ، ودونت ما سمعته منه على الورق ، ثم جمعت هذا الورق ونسقته على امل ان يصدر في كتاب ، ثم شاءت الاقدار أن يغيب عن هذه الدنيا قبل ان يكمل الاطلاع على ما دونته .. لهذا فاني اتحمل وحدي مسؤولية كل ما كتبت ...

لقد تصورت حين لقائي به أول الامر انني سأجد انسانا ممرورا فوارا من الاسى ، لما عاناه من قسوة الاحداث طوال حياته ، ومن جراء ما لقيه من صنوف التآمر الصهيوني عليه، غير ان اول ما لفت نظري واسترعى انتباهي هو امارات الوداعة العجيبة المرتسمة دائما على قسمات وجهه ، بيد ان هذه الوداعة تقترن بنظرة شديدة النفاذ ، تنطلق من عينين أيقنت انهما تريان كل شيء وان كان يلوح انهما لا تدققان في شيء..

لقد بدا لي ـ لاول وهلة ـ بثيابه النظيفة والانيقة ، وعمامته البيضاء التي لا تفارق رأسه حتى وهو في منزله ، وشعر لحيته التي خطها الشيب تماما ، بدا لي كأنه لم يعرف في حياته الا الالم والامر والنهي ، ولكني سرعان ما وجدت على وجهه دلائل الاتزان والوقار والكياسة والمرونة واللباقة ... ولكن هل يمكن ان يقال ان له نظرة ثاقبة ، وقدرة على اخفاء مشاعره ؟

لا يسعني ان اجيب على هذا السؤال بالدقة ... وجل ما يمكن أن اقوله انه لم يعرف معنى السذاجة طول حياته. فهذا الرجل ذو الجسم الضئيل والوجه الذي يشبه وجه السيد المسيح ، واللحية التي تفرض احترامها على السامعين،

والنظرة الفاحصة المدققة ، والعينين اللامعتين اللتين يعلوهما جبين يتوجه شعر ابيض خفيف .. هذا الرجل الذي يبدو في وداعة الطفل لا يعيش الا بقوة الخيال والتصور وفي نيران الكفاح والنضال و ... الصراع !

عندما التقيت به لاول مرة في منزله بالمنصورية في أوائل عام ١٩٦٩ ، كدت لا اشعر به وهو يدخل قاعة الاستقبال التي كنت انتظره فيها ، ولم اسمع وقع خطواته على الارض ، فان نعليه السوداوين اللذين يشبهان اخفاف المصلين كانا يتزحلقان على السجاد في ثبات ...

لقد بهرتني هذه الشخصية الاسطورية التي دخلت هذه القاعة وكانها ابت الا ان تتحرك بطريقة هي اقرب الى الطيف. ومن عجب ان في حركات المجاملة التي يقوم بها شيئا ينم عن العزيمة الخارقة .. فاذا قدم الى ضيفه قدح الشاي الشفاف ، او طلب منه ان يجلس الى جانبه ، خيل الى زائره انه يريد ان يعتذر دائما عن اضطراره الى الاجابات المستمرة التي تستدعيه ان يغادر الصالة اكثر من مرة .. وخيل اليه ايضا انه الصديق المفضل لديه !

ومن الثابت المحقق انه يعرف قيمة الاتصالات الشخصية حق المعرفة ، وهو بارع كل البراعة فيما يبديه من لطف ولين جانب حيال ضيوفه الكثر من مختلف الاعمار والاجيال والاراء ... بل ان له قدرة عجيبة حقا على تحويل النقاش العادي الهادىء الذي يدور بينه وبين زواره الى حوار كله حرارة عن قضية فلسطين ، ثم سرعان ما يصبح لكلماته التي تبدو عادية جرس قوي ...

ويجيد الرجل الى حد مذهل حقا التحدث بلهجة بارعة الى جميع الاعمار، والى جميع الشخصيات .. الى المقاتلين والى الشيوخ بصورة خاصة .

وتتجلى نعومته في الطريقة البالغة التبسيط التي يتكلم بها الى الشباب الفلسطينيين الذين نذروا انفسهم للموت من اجل اعادة حقهم المغتصب ... وهذا الرجل هو بالتأكيد استاذ في وضع التكتيكات السياسية ، وفي درء مناورات العدو وخبثه ، وفي كشف الدعايات الصهيونية التي تسخر لخدمتها كل ذكاء ينطوي عليه من تركيب وتعقيد .. كان لاسمه في الثلاثينات والاربعينات وحتى الخمسينات وقع السحر في قلوب العرب ، فاسم (الحاج امين) في تلك السنوات العجاف كان احد العوامل المؤثرة على نحو كبير في الابقاء على القضية الفلسطينية على سطح الاحداث العربية تغلي !

* * *

وهناك قصص كثيرة ترويها الجدات لاحفادها عن هذا الاسم الذي كان يهز الالوف ويدفعهم للموت .. كان الرجل اغنية على شفاه الصبايا والشباب ، والامل الذي يداعب خيال الرجال ؛ وحب الحاج امين لم يقتصر على ابناء فلسطين وحدهم ، بل تعداه الى الساحتين العربية والاسلامية ..

وبالرغم من المعاناة الشديدة التي مارسها الرجل في حياته العريضة ، الا انه لم يفقد روح البهجة والانس في جو عمله ، وهذه الروح تمد احدى العوامل التي تستند اليها صلاته

الودية الوثيقة بجميع القـادة والزعماء والسياسيين الذين اجتمعوا به ...

* * *

ساروي في هذا الكتاب مولده ، وطفولته ، وشبابه وتاريخه من خلال ما سمعته منه ... والسبب المباشر لاقدامي على هذه الخطوة هي تلك التهمة الملتصقة بنا نحن الذين شاءت اقدارنا ان نتعرف على القادة والزعماء ، والقائلة بأن كتاب العرب اعق الكتاب بحق رجالهم ...

هذه التهمة صحيحة الى حد ما .. فما ان يغيب القائد العربي ، والزعيم العربي ، والسياسي العربي ، حتى نترك سيرة حياته نهبا للاعداء !

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند

واظلم الحق لو انكرت على الحاج أمين ما قدمه لامته من جهاد قومي .. لقد كان رسول قضية قبل ان يبلغ الوعي بحكومات العرب درجة ادراك ان الحق لا يقف وحده .. ولو انكرت ذلك اذن لكفرت ، على الظلم ، بتاريخ طويل من الجهاد العربي الدؤوب كان الفلسطينيون وحدهم في معظم الاحيان جنوده وابطاله ...

لن أتعرض في هذا الكتاب الى خصومات الرجل ، فلكل رجل ملأ حياته بالنضال والعمل اخطاء ، ولكل رجل اضطلع

بارفع المسؤوليات في ايام اشتداد الازمات خصوم .. ولكن لنتذكر ونحن نخوض في الاحقاد والخصومات والعداوات ان للعدو اجهزة علمية منظمة مستمرة تعمل باستمرار لحجب الضوء عن رجالات العرب الذين استطاعوا ان يشقوا القشرة العربية ويخرجوا الى النور كقادة محترمين .. والحاج امين واحد من هؤلاء دون أدنى شك ..

لقد احصيت مرة عدد الكتب التي صدرت في نقده وتجريحه في المانيا الغربية وحدها فاذا بها تتجاوز الـ ٩٤ كتابا ... رايتها بأم عيني معروضة في مكتبة (بون) ، ومتيسرة لكل من حاول اقتناءها او استعارتها ... ففي هذه المكتبة موظف يهودي ما ان يراك تلتقط ايا من هذه الكتب حتى يقبل عليك هاشا باشا ويسالك هل تريد احدها ؟ فاذا اجبت بالايجاب يسارع الى مكتبه فيقدمه اليك مجانا ...

هكذا يعملون ...

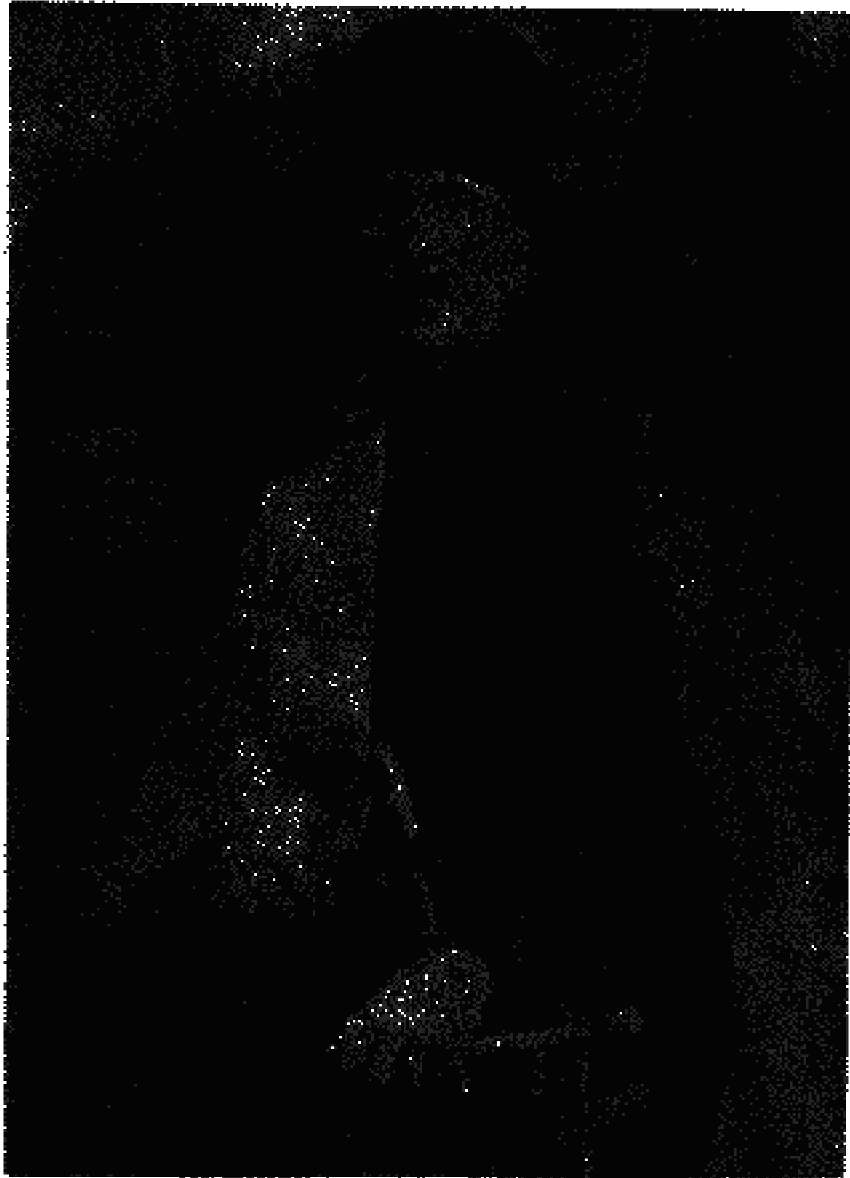
اتراني فعلت الكثير حين اعددت هذا الكتاب ؟

زهير مارديني



الفصل الأول

نشأة المفتي وشخصيته



صورة تذكارية للمغفور له السيد محمد امين الحسيني عندما كان ضابطا في الجيش العثماني



السيد محمد رشيد رضا

من منا لم يتعجب وهو يتطلع الى واجهات المكتبات ويرى هذا العـدد الضخم من الكتب التي ظهرت حول القضية الفلسطينية، ولقد دفعني الفضول والاهتمام الى جمع معظم المؤلفات التي تظهر حول هذا الموضوع ، والصادرة باللغات التي أعرفها ، ولكنني اضطررت الى التوقف عند ذلك ، لاني أدركت أنني أسعى الى عمل المستحيل ، فما أن انهي قراءة واحد من هذه الكتب حتى تكون الاسواق قد امتلأت بكتب اخرى جديدة !

جاءت حرب حزيران ١٩٦٧، فشحذت رؤوس الاقلام ، ولم يحدث في التاريخ أزمة أسالت هذا القدر من المداد ، وملأت هذا العـدد الضخم من الصفحات مثل تلك الازمة ... والكتاب الذين خاضوا تلك القضية يدعون عدم انحيازهم ، وأن همهم الوحيد هو البحث عن الحقيقة .

واني لأتساءل اذا كانت تلك الجهود قد ساهمت في جعل الازمة اكثر وضوحـا !

وحسب رأيي أن النتيجة كانت عكسية ... فهناك عدد كبير من المؤلفات وضعت بغية اخفاء الحقيقة . والقضية الفلسطينية تتعقد كل يوم اكثر من اليوم الذي قبله في نظر الجمهور .

كل الذين لعبوا دورا ما في هذه القضية قالوا كلمتهم ، ولكن الذي لعب الدور الرئيسي لزم الصمت حتى الان .. ولذلك جاء هذا الكتاب ضرورة ملحة لازالة الغيوم التي تكتنف هذه القضية ، والهدف هو اخراج وجهة نظر المفتي من الظلمات ..

وحتى الان انزوى المفتي في صمت تام ، لماذا تصرف هذا التصرف ؟

هل يمكن السكوت عندما تكون الحقيقة هي موضوع الكلام ؟

ولتبرير سكوته أعطى أسباب عدة لم يملها في نظري سوى تحفظه الناجم عن تربيته النبيلة ، فالكلام يعني كشف النقاب عن الكثير من الاسماء العزيزة عليه بالرغم من كل ما حدث !

في أحد الايام فتح المفتي أمامي دفتر يومياته التي بدأها منذ اول شبابه، وقرأ علي بعض المقاطع فأخذني الذهول !

لقد اتضح لدي بأن تاريخ مأساة فلسطين يجب ان يعاد النظر فيه ، بحيث يعطي الى المواقف السياسية والرجال الذين عاشوا تلك المأساة قدرهم الذي يستحقونه في التاريخ !.

لقد فرض المفتي على نفسه الصمت ، واختار النضال على طريقته ...

قد تكون ذاكرة الناس معرضة للضعف .. أما ذاكرته فلا تخطىء ، فهل هو سعيد ؟

ان بشاشته وكلماته العذبة الموسيقية تخفي تحتها قصة المأساة . لقد أوحى الي بأنه يذيب نفسه .. ان الهزائم العربية قد خطت اثارها على جبينه، وهو على ابواب الكهولة ، وتركت كل معركة ظلا من الحزن على وجهه..

ولكن وجهه يعكس معارك اخرى ايضا... انها المعارك الملتحمة في داخلـــه، وذلك ليس بسبب السن على أي حال .. ومع ذلك وبالرغم من كل المصاعب الشديدة التي واجهها احتفظت عيناه بنورها الوقاد ، وتعبيرها الشاب ، فهما تسخران من الزمن ومن التجارب ، ويجلس المرء أمام هذا الرجل وهو مبهور من شعلة الذكاء والحياة التي تشع من نظراته ... وكلما تكلم اقتنعت بـــأن مأساة فلسطين ما زالت حتى الآن تسبح في الالغاز وعليه ... اصبـــح من الواجب حمل هذه الشخصية السامية على الكلام علنا ..



كانت الصدفة وحدها هي التي دفعتني الى القيام بهذه المهمة ، فلم يكن من السهل ابدا اقناع الرجل بأن يتكلم ... ولكن حريق المسجد الاقصـى هو الذي هز ضميره وصمته وجعله يتكلم !

وحتى وقوع هذه الكارثة كان الرجل ضحية صراع داخلي حاد . فكلما حاول دفن الماضي ، زاد ألمه ، كان عليه ان يتحرر بأي ثمن ... ويتكـــلم ! ولما قادته مخيلته الى الاقصى وهو يحترق ، كانت الصدمة عنيفة جدا، ودفعت به الى وضع حد لهذا الصراع بين الصمت والكلام !

كان اجتماعي الاول معه في منزله (بالمنصوريــة) الـــتي تبعد بضعة كيلومترات عن بيروت .. وكان ذلك في مطلع عام ١٩٦٩ وفي الساعة المحددة وجدته بانتظاري ، وهو في الواقع دقيق المواعيد ولا يستقبل احدا على غير موعد سابق ، وكان كلما زرته ينتظرني في المكان نفسه الذي استقبلني فيــه أول اجتماع ، وكأنها اصبحت عادة مستديمة ...

سألتــه :

ما هي اولى ذكريات طفولتك يا صاحب السماحة ؟ قال :

(لقد تفتحت عيناي لاول مرة على ضوء الفجر منعكسا على قبة المسجد الاقصى، وقد تلألأت كالجواهر ، لقد ولدت على بعد خطوات من هذه القبة).

ان أحلى ساعات عمر المفتي وأهمها جرت في هذا المسجد . فمنـه قاد المقاومة الفلسطينية التي اقترن اسمه بها فيمـا بعد ... وايا كانت المؤلفات التي وضعت حول المسجد الاقصى ، سياحية كانت ام تاريخية ، ام اثرية ... وايا كانت جنسية واضعيها ودينهم ، فانك تجد اسم المفتي مذكورا فيها ... فهو الذي وقف بنفسه على اخر عمارة جرت لهذا الاثر العظيم المقـــدس، وذلك عندما تسلم منصبه مفتي فلسطين ، وكان المسجد قد بدأ يظهر عليـه الوهن ، ولكن وجود المفتي نفخ فيه روحا جديدة فاستعاد المسجد مظهـره الذي كان عليه أيام الامجاد السالفة .

استانف المفتي قوله :

(.. ان الاطفال في أسرتنا يلقنون مبادىء الدين وهم في أول ادوار حياتهم ومنذ أن كنت طفلا كنت أذهب الى المسجد للصلاة... وكنت في اثناء صباي أحب التنقل بين أروقة المسجد السبع المفصولة بالاعمدة ، وكانت يـــداي تتحسسان السلاسل الواصلة بين تلك الاعمدة ، فاشعر بالدفء يغمر راحتاي. وأكثر ما أحببت هو الجلوس في المحراب الرائع الجمال ، وهناك كنت اصلي وأتأمل .. ولدى تلمسي الرخام الذي يكسوه كنت اشعر وكأن روحا جديدة قد دبت بأوصالي ...)

ـ ومتى صليتم آخر مرة في المسجد ؟

(كان ذلك عام ١٩٦٧ ، يوم كان اول (مارس) لاكون أكثر دقة ، كنت منقبضا ، وقد غمر قلبي حزن عميق ، لقد ذهبت الى المسجد لاحاول استرجاع أفكاري .. لقد استحال علي أن انام ليلة اول مارس ١٩٦٧ . فقد كنـــت اسمع الاقصى يناديني. ولكن الطريق كانت تبدو لي وكأنها لا نهاية لهـا . وبينما كانت الطائرة تحلق فوق مطار القدس رأيت القبة وكأنها تبتســم لي. لقد تركت قطعة من نفسي في كل ركن من اركان المدينة ، على كل رابية مـن رباها ... وكم تذكرت الجبل الذي استشهد فوقه ابن عمي عبد القادر (١)

(١) هو الشهيد عبد القادر الحسيني ، والده كاظم الحسيني شيخ القضية الفلسطينية ، كلاهما مدفونان بجوار المسجد الاقصى رحمهما الله .

وهو يدافع عن المدينة •)

ـ لقـــد قابلتم الملك حســين ، خـــلال هذه الزيـــارة ، فهـــل تذكرون ماذا دار بين جلالته وبينكم لقد كان الظرف حرجا جدا ، وكان التوتر بين العرب واسرائيل قد بلغ أوجه ؟

صمت المفتي قليلا كأنه يستحضر ذاكرته المثقلة بأحداث السنوات القليلة الماضية ثم قـــال :

(•• في هذا اللقاء الذي تم في القصر الملكي بعمان رحب بي الملك حسين كثيرا ، وكـــان يردد ••

هذه البلد بلدكم ونحن بحاجة الى رأيكم واستشارتكم، واستعرضنـــا معا لقاءات سابقة يوم اتصل بي عام ١٩٦١ وطلب مني العودة الى وطني،وكنت أعلم أن هذه العودة ستثير عليه الكثير من الحرج ، ففضلت التريث وشكرتـــه في حينـــه ، وأذكر انني قلت له : احذروا الحلول السلمية ، فجلالتكم تعلمون ان العرب مسالمون والخصم يخادع ، فاحذروا هذه الحلول ••• وكنت قبل أيام من هذه المقابلة اصدرت كراسا حذرت فيه من تعريض الضفة الغربيـــة وهي الجزء الاكبر من البقية الباقية من فلسطين لاجتياح يهودي مسلح في الوقت الذي يختاره الاعداء لهذا الاجتياح فتسقط في ايديهم غنيمة باردة دون أن يكون لها سند من دفاع عربي تعتمد عليه في دفع العدوان وينشأ عن ذلك كارثة جديدة بضياع اقدس بقاع فلسطين وأهم مواقعها العسكرية ، وتشريد بقية الفلسطينيين ، وضياع ممتلكاتهم واموالهم ومقدساتهم وفي طليعتها المسجد الاقصى المبارك وسائر الاماكن المقدسة ، وبخسائر فادحة في النفوس ، كمـــا وقع في قطاع غزة عام ١٩٥٦ بل أشد وادهي••• وكان نص مـــا ورد في هذا الكراس في مخيلتي حين كنت اتحدث مع جلالته وقد طمأنني ووعدني بأن يظل دائما الوفي الامين لهذه القضية المقدسة)•



العائلة العريقـــة

يعـــود اسم عائلة الحسيني الى الحســـين سبط الرســـول (صلى الله عليه وسلم) ، ولذلك فان عائلـــة الحسيني من أعرق الاصول العربـــية والاسلامية ..

ولما كان الرسـول لم يترك خلفا ذكرا ، فان استمرار الذرية قد جرى عبر صهره وابن عمه وزوج ابنته فاطمة الزهراء ، الخليفة الرابع علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

وكانت هذه الصلة ذات اهمية في الدور الديني والسياسي الذي لعبـه المفتي في القضـية الفلسطينية .

قال المفتي عندما سألته عن شجرة عائلته :

(منذ حوالي ٨٠٠ سنة وصل السيد محمد بدر الدين الحسيني واسرته الى فلسطين قادما من الحجاز حيث استقرت الاسرة الحسينية بالقدس منـذ ذلك الحين ، وأقام بعض فروع العائلة ، في غزة واللد ، وكان شقيقي الـذي خلف والدي في منصبه اذ كنت اصغر الابناء . ورزق والدي بعشرة .. سبع بنات وثلاث ذكور ، وعرف والدي السيد طاهر الحسيني بين ابناء قومـــه بعلمه الواسع في الشرع الاسلامي ، وكان صالحا تقيا ، وحين ولدت عام ١٨٩٧ حرص والدي على تعليمي العادات الاسلامية ..

ومنذ حداثتي لقنني اصول الدين ، وباشرافه بـــدأت قراءة القرآن الكريم وحفظه ودراسة العلوم الدينية ، واللغة العربية .. ثم درست العلوم العصرية .. وبعض اللغات الاجنبية في مدارس الحكومة العثمانية .. ومدرسة الفرير في القدس وجامعة الازهر والجامعة المصرية في القاهرة .)

ـ هل كان لكم جيران من غير المسلمين ؟

ـ (نعم ، كان لنا جيران من المسيحيين ، ومن اليهود ايضا ، وكان والدي يوصينا دائما بان نحسن معاملة الجيران الى ابعد مدى حتى كأنهم اقرباء ، ولم

يكن يشترط علي أن امارس اللعب مع اطفال معينين ، وذلك وفقا لتعاليـــم الاسلام السمحة ..)



.. مع بدايــة النهضــة

ان ولادة المفتي وشبابه تميزتا بأحداث جسام رئيسية .

في عام ١٨٩٧ توفي في استنبول المفكر الاول ومبدع حركة التـــحرر الاسلامي في العصر الحديث السيد جمال الدين الافغاني ، اصله من كـابل عاصمة افغانستان ، وابن السيد عبد الغني صاحب الطريقة (السلفية)،تحالف مع الامير محمداعظم وناضل ضد اخيه (شيرعلي) ولما انهزم حليفه اضطر لمغادرة بلاده ، وبعد جولات متتابعة في الهند وفي الحجاز ، استقر في القاهرة حيث تابع التبشير بافكاره التي عاشت معه في افغانستان .

وقد عرف كيف يكسب الى جانبه الشباب المصري المثقف ، وكان ابرزهم الشيخ محمدعبده. ولما خشي الخديوي من نشاط الافغاني اخرجه سنة١٨٧٩ من الاراضي المصرية التي كان قد لجأ اليها منذ ثماني سنوات . والحقيقـة ان وجوده كان اكثر ما يزعج الانكليز الذين كانوا يعدون العدة لاحتـــلال مصر . وعاش الافغاني في بومباي تحت الرقابة حتى عام ١٨٨٣ بعدسنة مـن هزيمة عرابي باشا من قبل القوات الانكليزية ، وفي هذا التاريخ سمح لـــه بمغادرة الهند . فقرر ان يقيم في باريس حيث لحق به صديقه وتلميذه محمد عبده الذي نفي من مصر ايضا . وقد اشتركا معا في اصدار مجلة (الـعروة الوثقى) التي لاقت نجاحا منقطع النظير على الرغم ان عدة دول اسلامية قد منعتهـا .

ونتيجة الحاح السلطان عبد الحميد الثاني عاد الى استنبول حيث وضع تحت تصرفه قصرا خاصا ، واخذ هناك يستقطب المثقفين من الشباب العربـي

والاسلامي وظل مراقبا وممنوعا عليه اية حرية تعبير وذلك في المرحلة الاخيرة من حياته حتى توفي بمرض السرطان عام ١٨٩٧ .

وفي عام ١٨٨٨ صدر عفو عن الشيخ محمدعبده فعاد الى مصر ليتابع الرسالة التي ابتدأها استاذه الشيخ جمال الدين وينشر المبادىء عينها . وكان ابرز تلاميذه الشيخ رشيد رضا الذي اسس كلية (الدعوة والارشاد)،واصدر مجلة (المنار) الشهيرة لتحل محل (العروة الوثقى) .

وحتى الحاج امين الحسيني تتلمذ فيما بعد للشيخ رشيد رضا .

وعندما تولى الشيخ رشيد رضا عام ١٩٣٥ ثابر المفتي على مهمةاستمرار رسالة الافغاني وعبده ورضا ، ومدرستهم (الايديولوجية).

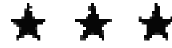
وفي الواقع ان هذه (الايديولوجية) مجهولة تماما في اوروبا لذلكعندما يدرس الاوروبيون العالم العربي ينطلقون غالبا من الحركات الثورية او الرجعية ، متجاهلين وجود تيار فكري آخر ، هذا التيار الذي يمارسعلىالرغم من جميع المظاهر تأثيرا كبيرا على الجماهير ، اذ يتخذ من القرآن منطلقاته، ومن المسجد مكان الملتقيات .

وكانت هذه (الايديولوجية) قد اطلقت مختلف الحركات الاسلامية والتي كان أقواها حركة (الاخوان المسلمين)، وفي مطلع حياة الحاج أمين كان مصير بلاده يتقرر ، وحتى قبل مولده ففي الخامس والعشرين آب ١٨٨٢ كانت الباخرة اصلان تنزل في يافا على الساحل الفلسطيني مائة عائلة يهودية أسست أول مستعمرة ـ بيتاح تكفا ـ (بطاح الامل)، وبعد فترة وجيزة وصلت اسر اخرى لتبني مستعمرة اخرى . وقد رافقت طفولة المفتي انهيار الامبراطورية العثمانية التي لم يكن بقي لها في شمال افريقيا سوى ليبيا « وكانت تعرف وقتئذ ـ بطرابلس الغرب وبرقه ـ » . وفي ليبيا تمكنت ايطاليا من تحقيق مطامعها في احتلالها .

وفي اوروبا تقلصت حدودها ولم يبق لهاسوى قسم بسيط من البلقان .

وعندما خلع السلطان عبد الحميد حصل انشقاق عميق بين عنصري الشعب العثماني : العرب والاتراك . وجاء تولي (تركيا الفتاة) الحكم ليزيد من الانقسام وقد كان التعصب القومي عند حزب « تركيا الفتاة » يفضح بشكل سافر الخلاف الذي يغذيه تجاه العرب .

وكان الحاج أمين يحمل احتراما واجلالا كبيرين للسلطان عبد الحميد ، هذا ما لاحظته في احاديثنا التي تركزت حول هذه الشخصية .



الحسيني في الجيش التركي

عندما أعلنت تركيا الحرب الى جانب الالمان استدعي الشاب محمد امين الحسيني للخدمة الالزامية ودخل كلية ضباط الاحتياط العسكرية .. وبعد تسعة اشهر اصبح ضابطا مرشحا في الفرقة ٤٦ المرابطة في ولاية أزمير .

تميزت تلك الفرقة كثيرا في الحرب العالمية الاولى وتحملت كثيرا من نتائجها .. لا نجد في سجله اية عقوبة او عدم انضباط ..



بداية التآمر الدولي

كانت سنتا (١٩١٩ ـ و ١٩٢٠) حاسمتين في حياة محمد امين الحسيني ، كان قليل النوم يغشاه قلق عميق . لقد قرأ ولا شك في هاتين السنتين كما لم يقرأ في سنيه الماضية الاخرى .

لقد وضح عنده أن مؤتمر فرساي اعطى الفرصة للحلفاء ولانكلترا خاصة لخديعة العرب فخانوهم افدح خيانة .. كانت الرسائل المتبادلة بين الحسين شريف مكة والبريطاني السير هنري مكماهون تنص على استقلال البلدان

العربية ما عدا « عدن » وأفضلية في العلاقات الاقتصادية والسياسية مع البلاد العربية المستقلة ٠

غير ان الاتفاقات بين بريطانيا وفرنسا وروسيا تخالف ذلك ٠

« في الرابع عشر من شباط ١٩١٨ صدر بلاغ رسمي في باريس يقول :

استقبل وزير الخارجية الفرنسية المسيو ستيفان بنشون،سوكولوف،ممثل الجمعيات الصهيونية الذي ابدى سروره للتعاون المجدي بين الحكومتين البريطانية والفرنسية حول ادخال اليهود الى فلسطين ٠»

في ١٩ أيار سنة ١٩١٨ قام سفير ايطاليا في لندن المركيز امبريال بزيارة المسيو سوكولوف واكد له حسن نية حكومته في مساعدة اليهود في تحقيق رغبتهم بجعل فلسطين وطنا قوميا لهم ٠

في ٣١ آب ١٩١٨ استقبل الرئيس ويلسون الحاخام ستيفان ويز وعبر له عن ارتياحه للنجاح الذي حققته الصهيونية وموافقته على وعد بلفور ٠

في كانون الثاني ١٩٢٠ خطب الوزير البريطاني اليهودي هربرت صموئيل لدى تعيينه مفوضا ساميا في فلسطين قائلا :

(انا ذاهب لفلسطين لتنفيذ الاوامر المتعلقة بتحقيق مشاريع دولتي الرامية الى انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ٠)

يقول المفتي :

(كنت ابن ثلاثة وعشرين عاما وانا اشاهد بداية التجربة الكبرى في فلسطين التي فصلت عن الامة العربية وخاصة عن سورية وقد احتلها الانكليز وهموا بتقديمها لليهود ٠٠ كنا نحن الفلسطينيين اذن تجابه قدرا مأساويا ٠)



ابحثوا عن الصهيونيـــة

سنة ١٩٢٠ كان في فلسطين خمسون الف يهوديا يقابلهم مليون عربـي، وكان اليهود يرون التحكم في كل شيء في البلاد ، وكان الاحتلال البريطاني يقوم بمهمة الحرس لهم • كانوا يرغبون في خضوع الادارة البريطانية لـهم وكانوا يعرفون بصفاقه انهم بفضلها يحققون الوطن القومي الـذي يطالبون به ، كأن يكفي ان يتخذ البريطانيون موقفا محايدا حتى يتهمهم اليهود بالميل نحو العرب واللاسامية •• كانوا يريدون ان يعد العرب الفلسطينيون انفسهم لمغادرة وطنهم •

يتحدث وايزمن في مذكراته عن انتقال الشعب الفلسطيني لمصلحة اليهود• يتحدث عن ذلك ببساطة عجيبة كان ذلك امر طبيعي : (لم نشتر الكفاية مـن الارض وهكذا لم نستطع اذن الحديث عن انتقال العرب)• وكانـت الادارة البريطانية تسلك سلوكا واضح الانحياز لهم • وكانت ارادتها في تنفيـذ المخطط اليهودي لا تترك مجالا لشك ، ولم تكن التصريحات الرسمـية التي يؤكد فيها البريطانيون تمسكهم بالحياد ورغبتهم في انشاء دولة (يمـارس فيها المسلمون والمسيحيون واليهود حقوقا متساوية) مؤيدة بالواقع •

ان قراءة عاجلة لكتاب هربرت صموئيل (ذكرى) يكفي لفهم الدسائس التي كانت تحيكها الصهيونية للوصول الى اهدافها •

أمسك المفتي بالكتاب واخذ يقرأ لي بعض المقاطع ، ويقطع قراءته ليعلق بين حين وآخر بفكرة ، (وقد يجهل البعض ان لدى المفتي مكتبة نادرة تحتوي على معظم ما انتجه الصهاينة ••• وكان بعضها مترجما الى العربية •)

يقول هربرت صموئيل :

(اذكر بالترتيب الاحداث التي سببت تعييني مفوضا ساميا في فلسطين وارجو من القارىء ان يعود بذكرياته الى بداية ١٩١٤ حينما بدأنا ننتظر فشل المانيا وحلفائها ، في تلك الفترة ما كنا نشك في ان مستقبلا جديدا يفتح امام فلسطين اعني في اللحظة التي اعلنت فيها تركيا الحرب •••

في الواقع تساءلت دائما لم اعلنت تركيا الحرب . كان من غير الممكن ان تربح شيئا من ذلك بل كان عليها أن تخسر كل شيء . ان تعصب (تركيا الفتاة) لالمانيا والحماس لهذه الحرب كان غير المعقول الذي كانوا يعلنونه من أجل الحرب الى جانب ألمانيا وكان بعيدا عن الادراك ...

ان السياسة المعقولة كانت تقضي آنئذ الوقوف على الحياد .. مرة اخرى أقول : (ابحثوا عن الصهيونية) . لو وقفت تركيا على الحياد لازدادت ثروة على حساب المتنازعين واحتفظت باراضيها ... اقدر ان الصهاينة كانوا يريدون جرها الى حرب ليست قادرة على النصر فيها ..)

وتابع المفتي القراءة في كتاب هربرت صموئيل :

« تبدل الوضع . كان هناك قدر جديد لفلسطين . وكانت بريطانيا العظمى بالنظر الى مصالحها الستراتيجية في الشرق الاوسط مدعوة كي تلعب أكبر دور في هذا القدر .

« كان على دولتنا ان تفكر فيمن يحل محل الاتراك في فلسطين البلد المجاور لقناة السويس . في ما يتعلق بي . كان لهذا الموضوع أهمية أساسية . كنت اول وزير يهودي يشغل منصب وزير في الحكومة البريطانية . ووضعت اولا خطتي ... »

يتوقف المفتي عن القراءة ويقول :

أتساءل هل كان وزيرا بريطانيا يهودي الدين أم وزيرا صهيونيا في قلب الحكومة البريطانية ... وهل كان يخدم مصالح هذه ام تلك ؟ ... لمن انتسب : للامة الانكليزية ام للصهيونية ؟

ثم يستأنف قراءته :

« ... لذلك قابلت وزير الخارجية لنتناقش في الامر . وسجلت في مفكرتي أني تحدثت في ٩ تشرين الثاني مع السير ادوارد كري عن مستقبل فلسطين ... أظن اني عرفت كيف انتهز الفرصة التي تمكن الشعب اليهودي من تحقيق آماله التاريخية بتأسيس الدولة اليهودية من جديد ، أكدت للسيد

ادوار غراي ان على بريطانيا العظمى ان تلعب دورها في تأسيس هذه الدولة وبالنظر الى موقع فلسطين الجغرافي المتاخم لمصر كان لزاما على الامبراطورية ان تربح صداقة هذه الدولة • وسألني اللورد غراي اذا كنت اقدر أن سورية يجب ان تكون جزءا من هذه الدولة فأجبت : « على العكس ••• ليس من المناسب ان تحوي الدولة اليهودية مناطق مكتظة كبيروت ودمشق لانه يصعب تمثل عدد سكانها الكبير » واضفت « من المفيد ان تحتل سورية بقية اجزاء سورية الكبرى ومن الافضل لمصلحة الدولة اليهودية ان تجاور دولة اوروبية من ان تكون علاقتها مع تركيا •••»



كان الصهيونيون يتصرفون منذئذ اذن بخريطة الشرق الاوسط •

يستأنف المفتي القراءة :

« حظيت اليوم بمقابلة قصيرة مع لويد جورج حول الموضوع نفسه • فبعد ان اثار مسألة مستقبل فلسطين في مجلس الوزراء لخص عرضه قائلا : « اني اتلهف لرؤية دولة يهودية هناك •••» كتبت ملاحظاتي ووزعتها على زملائي• وعدت اليها في شهر آذار فأضفت اليها عدة تصحيحات ثم وزعتها مرة ثانية • رجوت في هذه المذكرة من بريطانيا العظمى ان تجعل فلسطين تحت حمايتها وان تشجع الهجرة اليهودية اليها • ووافق مجلس الوزراء على دعم البند الاخير • وفي الخامس من شباط تحدثت مرة اخرى مع السير غراي وابديت له شكوكي في موقف العرب الذين يمثلون خمسة اسداس السكان »••

ينزع المفتي نظارته ويعلق :

لم تكن نسبة اليهود حتى واحد على عشرين •

ثم يمضي في القراءة :

(حول قبول حكومة دولية تتمثل فيها البابوية والولايات المتحدة الامريكية وبمساعدة مجلس استشاري يهودي فقال لي : « هنالك حل آخر وهو ابقاء السلطة العثمانية وتأسيس دولة شبيهة بالدولة اللبنانية•••» فأقنعته

بالاخطار التي تهددنا اذا حاولنا حكما غير الحكم البريطاني ، ان ارادة دولية تتعرض الى تسلط دولة اوروبية اخرى .

وكتب الي الدكتور وايزمن من بعد أن تعرف على مستر بلفور في مانشستر رسالة في ١٥ اذار ١٩٠٥ يقول فيها : (حظيت بحديث مع مستر بلفور ان مساعدته مضمونة اذا عرف موقف الفرنسيين بوضوح . انه من غير المعقول ان يكون السكان الحاليون لفلسطين ـ نظرا لضآلة عددهم ـ الحق بتقرير مصير هجرة اليهود وعودة هذا الشعب الذي عاش فيها قبلهم وهذا راجع الى ان اليهود اقاموا في هذه البلاد مؤسسات روحية وثقافية ذات اهمية كبيرة للانسانية والتي تجتذب دائما الاهتمام خلافا للفراغ الثقافي الذي يهيمن على هذه البلاد منذ الف عام)..

يتوقف المفتي عن متابعة القراءة ويقول :

لقد تجاهل ببساطة كل الحضارة العربية ومساهمة الفلسطينيين في هذه الحضارة ، لقد كرس نفسه وهو وزير لتمثيل الصهيونية في قلب الحكومة البريطانية التي توصل لاقناعها بخطته . ولما انتصرت بريطانيا جاء فلسطين مندوبا ساميا لتنفيذ الخطة كموظف بريطاني لا صهيونيا .

والحق ان الدولة الصهيونية ولدت لدى وصول هربرت صموئيل الى الارض المقدسة واعطيت المراكز الحساسة ليهود او لانكليز يساعدهم فيها يهود .

كان مدير دائرة الهجرة يهوديا اسمه « جايمسون » كما كان مدير التجارة الخارجية يهوديا ...

★ ★ ★

وأمسك المفتي بكتاب آخر رسمي عنوانه (فلسطين) اصدرته سلطة الانتداب سنة ١٩٣٩ وعدد منه الاسماء اليهودية التي كانت تتولى المناصب الكبرى .

أما في مجال المالية فقد كان هنالك ثلاثة مديرين يهود من اصل خمسة.

كان هنالك مفتش بوليس عربي يقابلـه ستة من اليهود • واخــذ اليهود يوجهون اقتصاد البلاد بفضل هربرت صموئيل ، واخذت تعطيهم السلطـة املاك الدولة مجانا • وفوق ذلك عفا عن اليهود الذين ارتكبوا جرائم بحق العرب وخبأ تقرير اللجنة البريطانية التي ادانت الصهيونية في مسؤوليـة احداث سنة ١٩٢٠ •



ـ هل تستطيعون سماحتكم ان تعطونا فكرة عن تلك الاحداث ؟

ـ امام التحديات الصهيونية ، تحول قلق الشعب الفلسطيني الى توتر أخذ يتزايد مع الزمن • كان مستحيلا على اليهود ان يفهموا لماذا نتمسـك بأرضنا ، لم يكن لنا اليهم اي حق فيها وكانوا يرون ان علينا ان نرحل فنترك لهم فلسطين • كما ان الاحتلال الانكليزي جعلهم عصبي المزاج •

سنة ١٩٢٠ جاء عيد الفصح اليهودي والمسيحي وعيد النبي مـوسى معا في الرابع من نيسان • وخال لليهود انهم الوحيدون الذين يحق لهم احياء هذه الذكرى ولا بد من الذكر ان فلسطين كانت تحتفل قبل ظهور الاسلام والمسيحية واليهودية بهذا العيد وأظنه تقليدا كنعانيا (١)•

في تلك السنة أعدت كل طائفة احتفالها وكان احتفالنا أهمها واكثرهـا عددا واجتمع الناس ، كما في كل عام في الاقصى كي يسيروا منه على الطريق التقليدي الذي يؤدي الى الجبل الذي فيه قبر النبي موسى وخرج النـاس من المسجد وهم يحملون علم الوحدة العربية وما أن تجاوزوه قليلا حـتى هاجمهم عدد من اليهود يقودهم جابوتنسـكي « زعيم منظمة الارغون زفاي ليومي الارهابية » وانتزعوا العلم من حامله وداسوه ••• فبدأ القتال •••

سألت المفتي :

ـ مع ذلك يزعم وايزمن في مذكراته ان اليهود لم يكونوا غير عـدد

(١) المشهور في التاريخ الاسلامي ان عيد « النبي موسى » انشأتـه الدولة الصلاحية او دولة المماليك لصد قراصنة الافرنج •

ضئيل اجتمع ارتجالا للدفاع عن الحي اليهودي الذي هاجمه العرب ويدعي اكثر من ذلك وهو ان التظاهرة اتجهت الى الحي اليهودي فهاجمته بدل ذهابها الى مقام النبي موسى «من غور الاردن قرب اريحا» . ما رأي سماحتكم بذلك ؟

أجاب المفتي ممتعضا : « ما هذا ؟ ليس الهجوم على المسالمين من طبيعتنا . وما كان هدف احتفال ديني الهجوم على الاخرين ... وهذا ما ثبت خلال المحاكمات ... كان اليهود عديدين ومنظمين يستهدفون هجوما. هم الذين بدأوا بالتحرش . ولا تنس ان شرارة كانت تكفي ليلتهب البارود ... لقد دامت الحوادث أياما خمسة .

ـ يلمح ايضا ، يا صاحب السماحة ، الدكتور وايزمن بان السلطات البريطانية ابدت ميوعة واهمالا ظاهرين ...

ـ أياما خمسة كنا نقاتل فيها بلا سلاح ضد الجيش البريطاني واليهود، خاصة كانت النتيجة حسب البلاغ الرسمي: تسعة قتلى من اليهود واربعة من العرب ومائتان وخمسون جريحا من الطرفين ، واعلن منع التجول اياما عديدة في المدينة المقدسة .

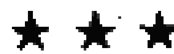
ـ هل ساهمتم في الحوادث ؟

ـ طبعا ! لقد ساهمت وسأساهم دائما وفي الصفوف الاولى للمعركة كلما تعرضت امتي لذلك .

حاولت السلطات الانكليزية توقيفي فاختفيت ، لم تستطع العثورعلي. وقد علمت ان الانكليز اوقفوا في ٢١ نيسان سنة ١٩٢٠ صديقي ورفيق الكفاح الامير محمد الزناتي فهاجمت السجن مع بعض الشبان العرب فاحتللناه بعملية خاطفةوحررنا صديقي مع اخوانه المسجونين من المناضلين. بعد هذه الحادثة استدعى الانكليز قواتهم من يافا وطبرية للقدس بينما امتدت عملياتنا الى سمخ وبيسان فاضطر اليهود الى اخلائهما .

على أثر هذه الحوادث أصدر الجنرال بولز حاكم فلسطين العسكري البلاغ التالي :

(في البلاد توجد حكومة واحدة وهذه الحكومة هي التي اديرها انا ! ان تحت تصرفي قوة عسكرية مهمة مستعدة لسحق من يثير الفتن،وسأستخدمها في المستقبل دون حذر) .



التواري الاول ، ثم العفو !

وتألفت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن الحوادث وحكم على الشاب امين الحسيني بالسجن عشر سنوات مع الاشغال الشاقة، وبحثت عنه السلطات في كل مكان عبثا فقد كان ساعتئذ في دمشق حيث كان الملك فيصل الاول ملك سورية . ولما احتل الفرنسيون سورية ترك المفتي سورية والتجأ الى شرق الاردن، وما كانت عمان سوى بلدة صغيرة تحرقهاالشمس. استقبله الامير عبد الله الحديث القدوم من الحجاز بالحرارة نفسها التي استقبله فيها اخوه الملك فيصل . وبعد وصوله بأيام قليلة الى عمان جاء هربرت صموئيل في زيارة للامير عبد الله ، وفي خلال الغداء الذي اقامه له الامير عبد الله سأل المفوض السامي الامير :

ـ سمعت ان السيد محمد امين الحسيني في عمان !

أجاب الامير : نعم ! هذا صحيح ..

استأنف هربرت صموئيل ، فقال : « وكان على علم بتحركات الحسيني واتصالاته بمشايخ البدو » :

ـ وما يفعل هنا ؟

اجاب الامير : انه ضيفي . وقد كان ابوه صديقا واخوه من افضل علمائنا . فلا استطيع ان أرفض ضيافته ، له علي حق الاحترام .

قال المندوب السامي : ولماذا لا يعود الى فلسطين ؟

قال الامير : أنت تعرف كما أعرف انه محـــكوم بعشرة سنوات مع الاشغال الشاقة .

ـ سأعفو عنه . نحن الاخرون نقدر صفاة وحماس ووطنية هذا الشباب. أرجو ان تنقلوا له قراري هذا .

ـ لا استطيع الا ان اشكركم .

وأتم سماحته قائلا : كان واضحا ، وكان الامير رحمه الله يعرف كمـــا أكد لي أن المندوب السامي هربرت صموئيل كان يريد ان يكتسب مـــودتي فقد كان معروفا بحسن التصرف وترحابه بضيوفه ولكن هذه البادرة لـــم تكن تخفي خطته . كنت أعلم المهمة التي يريد تنفيذها .»

بعد صدور العفو عن محمد أمين الحسيني عاد الى القدس واقـــترح عليه بعض اصدقائه ان يزور المندوب السامي شاكرا فرفض .

وبعد شهور من عـــودته توفي اخـــوه الشيخ كـــامل الحسيني مفتي فلسطين رحمه الله .

الفصل الثاني

الحاج أمين مفتيًا للقدس



المفتي يتوسط اعضاء مكتب مؤتمر العالم الاسلامي الاول الذي عقد في القدس لنصرة فلسطين



المفتي والى جانبه الامير عبد الكريم الخطابي مع بعض الشخصيات العربية في القاهرة



في بومباي بالهند في الرحلة التي قام بها المفتي ومحمد علي علوبة باشا الى الاقطار الاسلامية عام ١٩٣٣ . وفي الصف الخلفي مولانا شوكت وعدد من مسلمي الهند



أصبح مركز الافتاء شاغرا . وكان على المسلمين ان ينتخبوا خلفا له. في عهد العثمانيين كان يتقدم المرشح ، ولم يكن احد ينازع آل الحسيني في هذا المنصب . فكان العلماء يجتمعون في الاقصى كي ينتخبوا ذلك المرشح. كانت الانتخابات نوعا من الرسوم الشكلية التي تدعم رسميا هذا الحق (البيعة) . عند موت كامل الحسيني كان وارث هذا الحق أخاه محمد أمين.

وكانت السلطات البريطانية ترى في ترشيحه وهو الرجل الذي حكمت عليه المحكمة العسكرية بعشر سنوات مع الاشغال الشاقة تحديا لها ، وكان زعماء اليهود من جانبهم يودون ايضا أن يتقدم مرشح سواه لان مركز الافتاء يمنح هذا الفتى « الثوري » نفوذا شعبيا لدى العرب . وألح المتعاونون مع السلطات البريطانية على الشيخ حسام جار الله وهو المعروف بتقاه كي يتقدم بترشيحه . وعن ذلك يقول الحاج امين الحسيني :

(كنت آكن له دائما الاحترام ، وليته لم يرشح نفسه فلقد تورط فيما لا ينسجم مع سمعته . كانت السلطات البريطانية تجهد في ابعادي عن المنصب

كي تحدث انقساما في الكفاح العربي ويتحول الشعب عنه الى نزاع داخلي • وكان علي ان افضح خطتهم • لقد انتهز (هربرت صموئيل) وهو الصهيوني المتعصب فرصة الانتخابات تلك حتى يجهض تجمع الفلسطينيين حول شخصي ••• كان يقول عني : (ما زال صغيرا •••) اذ كان عمري سنة ١٩٢٢ لم يكن يتجاوز الخامسة والعشرين •

غير ان ألاعيبهم دعمت موقفي • ولولاها لمرت الانتخابات كسابقاتها في خلال قرون هادئة • غير أنها هذه المرة اخذت شكل معركة صعبة • لقد أيقظت اهتماما عظيما عند الشعب الذي أبدى حماسة رائعة لها • فجاءت برقيات التأييد لشخصي من كل جهات العالم الاسلامي• وجاءت وفود من المدن والقرى الفلسطينيةلتدعم موقفي • وهكذا ساهمت المؤامرات اليهودية والانكليزية في تقوية كلمتي عند شعب فلسطين واكدت التفافه حولي • لقد ساهم دعم البلاد الاسلامية في اعطاء معنى للكفاح الفلسطيني ولمركز المفتي الذي اخذ يثير اهتماما كبيرا • لقد أقام هذا المركز صلات وثيقة بين تلك البلاد والمسألة الفلسطينية • امام هذا التأييد المطلق لي اضطر المندوب السامي لان ينحني واكره على المحافظة على الحياد ولو ظاهرا •

ويوم الانتخاب فاز اسمي بالاكثرية الساحقة •)

هكذا اصبح محمد امين الحسيني « صاحب السماحة مفتي القدس»• ويضيف المفتي :

(وبعد الانتخابات زارني هربرت صموئيل في دار الافتاء مهنئا)•

ثم انتخب سماحته رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى القائم على ادارة الاوقاف والمحاكم الشرعية الاسلامية واضيف لقب أكبر الى لقب المفتي فاصبح « صاحب السماحة مفتي القدس الاكبر » ، واصبح بذلك ممثلا أعلى سلطة روحية في البلاد •

كان محمد أمين الحسيني أصغر من حمل هذا اللقب ، وشرع وهو في سن الخامسة والعشرين يحمل المسؤوليات الكبرى ، لقد اراد ان يكون الكفاح مبنيا على قواعد مدروسة لا على الارتجال .



أول مهمة واجهته

ـ هل تستطيعون التحدث الينا عن الخطة التي وضعتم لمتابعة الكفاح؟

« كانت هذه الخطة بسيطة . كانت المسألة الفلسطينية مجهولة في العالم كله ، وانتهزت الصهيونية ذلك كي تضمن تأييد الرأي العام معتمدة على وسائلها الاعلامية الهائلة . لقد استطاعت الصهيونية بفضل سيطرتها على الصحافة وعلى علاقات الجالية اليهودية في اوروبا واميركا وعطف بعض العقول على ما حاق اليهود من اضطهاد وتعذيب كسب هذا الرأي العام وتسخيره لادعاءاتها بفلسطين.

اما أنا فقد كنت لا املك من الوسائل والاسباب الضرورية لدعوتنا شيئا . لقد وجدتني في وضع عسير ، وكان علي الخروج منه . لقد عملت على تنظيم الدعاية فلاءمتها مع اتصالاتي التي لم تكن بسيطة . لقد عزمت على ان اثير اهتمام البلدان العربية اولا والعالم الاسلامي ثانيا وهما بالضرورة معنا في قضيتنا . وكان لزاما ان يتنبهوا اولا لاهمية كفاحنا . لقد قررت أن ألجأ الى كل الوسائل . كانت وسائلي قليلة ولكنه كان يجب ان اربح منها اكثر ما يمكن .

عندما انتخبت لمنصب المفتي كان الاقصى قد بدأ يظهر فيه الوهن . ولقد تعرض هذا المسجد لتغيرات هامة بعد بنائه ، ولقد تهدم جزء منه بعد الهزة الارضية التي اجتاحت فلسطين عام ٧٤٧ هـ فعمد العباسيون الى ترميمه وتوسيعه ثمانية عشر مترا من الناحية الشمالية واضافوا ثلاثة اعمدة لكل مجموعة من اعمدته . واضطروا لتبديل امكنة بعضها مما تأثر بالهزة ولكنها حافظت على شكلها

الاموي • اما الالواح الخشبية الدقيقة الحفر والفسيفساء فقد ظلت على حالها • ثم جاء الفاطميون فبدلوا الاعمدة بما هو اضخم واقوى دون ان يمسوا الالواح الخشبية ، ولكنهم رمموا ما انهدم من الفسيفساء•

وبعدهم الايوبيون ، الذين اضافوا جناحا شماليا مقابل المسجد ثم جاء المماليك الذين دعموا الاعمدة بجدران فبدت مربعة بعد ان كانت دائرية • وبعد أن اقاموا أعمدة في الجناح الايوبي تحل محلما تخلخل ودعموا المسجد من كل جوانبه اضافوا جناحا آخر من الناحية الجنوبية حتى يستطيع المسجد احتواء عدد المصلين الذي ازداد مع الزمن • وقد حافظ علىهذا الشكل قرونا اربعة •

في بداية القرن العشرين اخذت بعض الاقواس والاعمدة بالوهن وكان يحز في نفسي أن أرى ذلك ولا اتحرك ، فقمت بالمبادرة الضرورية لانقاذ هذا الاثر الذي له عدا قيمته المعمارية قيمته الروحية والتاريخية وهو الىذلك رمز المقاومة • دعوت مهندسين من المصريين والاتراك كي يرمموه ترميما اولا ينقذه • فعمدوا الى السقف فرمموه ما عدا القبة التي فوق المحرابوقد بقيت على متانتها ونزعوا الالواح الخشبية وطلي مكانها بالاسمنتيا للاسف• كما انهم رفعوا البيوت والابنية المجاورة التي تسيء الى منظر الجامع الخارجي • اما في الداخل فما غير المهندسون من المنظر الا قليلا مما تقتضيه الضرورة •

لم يكن لدي من المال ما يكفي لترميمه كاملا ، فقررت ان أقوم بحملة تبرعات تمكنني من القيام بعملية ترميم واسعة • واخترت البدء بمصر فقمت بالاتصالات لتأليف وفد • وما أن علم هربرت صموئيل بالامر حتى ارسل لي كتاب توصية الى الجنرال اللنبي كي يسهل مهمتي وكان يرمي الى حصر مهمة الوفد في جمع التبرعات تفاديا للدعاية التي يمكن ان تثار من اجل القضية الفلسطينية وكنت من جهتي اعتقد ان مهمتي لا تكمل اذا لم افرد للدعاية دورها الكبير •

كانت اللجنة تحوي في عدادها خير وجوه فلسطين.

كان أول من استقبلني في مصر استاذي الشيخ رشيد رضا ، بعد فراق دام سبع سنين وبوسعكم ان تقدروا كم كان اللقاء حارا . عبر لي عن فرحته الكبرى برؤية تلاميذه يقودون حركة (اليقظة) قال لي :

(لم يكن جهدي اذن عبثا !) وألح علي أن يساهم باعمال الوفد وان يكون عضوا فيه وما كان بوسعي الا الرفض فكيف أبيح لنفسي رئاسة وفد هو عضو فيه ولكني اضطررت للرضوخ لالحاحه لقد أراد ـ على تواضعه ـ أن يدلل على دعمه المطلق لعملي.

كان أول من قمنا بزيارته شيخ الازهر (أبا الفضل الجيزاوي) ولقد ادهشني جهله المطلق لقضية فلسطين . لم يكن هناك من يدرك في مصر ان قضية فلسطين ستصبح قضية العرب الاساسية وسبب الانقلابات والثورات وسقوط الانظمة .

بدأ الشيخ رشيد رضا الحديث مذكرا بالاخطار التي تتعرض لها فلسطين والتهديد الذي يتعرض له الفلسطينيون بالطرد من وطنهم ... ثم تحدثت عن الصهيونية والاستعمار واهدافها المشتركة .

واذا بشيخ الازهر يسأل مثيرا عجب الوفد .. (ما تلك فلسطين هذه التي تتحدثون عنها؟ لم اصدق ما تسمعه اذناي). كيف يمكن ان يجهل، وهو العليم بامور الدين . الى هذه الدرجة مبادىء الجغرافيا ، كيف يستطيع ان يكون بعيدا عن المشاكل الصعبة التي تهدد الامة ؟ واعدت عرضي صابرا موضحا ما استطعت التوضيح.

اجاب : أفهم مما تقولون ان مشكلتكم تتعلق ببعض اليهود الذين لا يحترمون حرمة الاقصى ... أليس كذلك ؟ سأتصل بحكمدار القاهرة كي يرسل قوة تطرد هؤلاء اليهود الخبثاء من القدس ...



فأجبت : المسألة أخطر من ذلك ، كل بوليس القاهرة لا يستطيع حلهـا فهي تتعلق بالانكليز ومدافعهم وجيوشهم ، تتعلق بالامبراطوريةالبريطانية...

فأجاب : ـ آه ... أرى ان المسألة سياسية ... انتم تعلمون اني لا أتدخل في السياسة .. اعتذر اليكم .

كانت الزيارات الرسمية التي قمنا بها لرئيس مجلس الوزراء ووزرائـه مخيبـة . كان السلطان احمدفؤاد يحكم مصر آنئذ تحت الحمايةالانكليزية. ولكن السلطة الحقيقية كانت بيد الجنرال اللنبـي ، ولم يكن الـوزراء والمسؤولون يرغبون بزيارتنا لانهم كانوا يرون فينا (اعداء الانكليز)...

كان فندق الكونتيننتال قد تحول في اثناء اقامتنا الى ملتقى للشخصيات المصرية الوطنية المؤمنة بالقضية العربية . ولقد زارنا عـدد من اللاجئـين السياسيين الذين تعرفت عليهم في القدس...

* * *

قمنا بارشاد الشيخ رشيد رضا بتنظيم جمعية لجمع التبرعات لترميـم الاقصى يرأسها الامير محمد علي أخو الخديوي السابق عباس حلمي وكان من بين اعضـائها شخصيـات مصرية منها المؤرخ المصري الكبير ـ احمـد شفيـق باشـا ..

* * *

مصر تتعرف على قضية فلسطين

أراد الجنرال اللنبي ان يدلل على حسن نيته فـأقام عشاء على شرف المفتي دعي اليه رئيس الوزراء والوزراء والوجهاء سأل الجنرال ضيفه عـن الهدف من الزيارة وما كان السؤال ليخفي قلقه عن الغرض منها ، فقد كـان يخشى اتصالات المفتي في مصر وامتداد افكاره التي وجدت ارضاخصبة لهـا في ذلك البلد العربي المحافظ في امور الدين الحساس للضير الذي يلـحق بالارض المقدسة من الاحتلال الانكليزي والصهيوني . كان واضحا انـه لا

يريد اثارة الرأي العام المصري حول الوضع القائم في فلسطين .

اجاب المفتي على سؤاله قائلا :

(تعلمون ان المسجد الاقصى تعرض لعدة هزات ارضية، ومن الضروري ترميمه ولكن الاموال اللازمة غير موجودة لدينا ، لقد كلف بناؤه خراج مصر سبع سنين ....)

اللنبي ــ كم يكلف الترميم ؟

المفتي ــ نحن بحاجة لمائة الف استرلينية على الاقل كدفعة اولى ...

اللنبي ــ ان جمع التبرعات الذي تقومون به يبدو لي عديم الفائدة . يكفي ان اكتب رسالة الى جريدة التيمس افتتح فيها اكتتابا لترميمه حتى أحصل في ايام على المبلغ المطلوب .

المفتي ــ ان هدفنا لا يتوقف على التمويل فقط بل لنا هدف اخلاقي ايضا فنحن نرمي الى توجيه انظار العالم الاسلامي لاماكنه المقدسة ولسنا راغبين في تبرعات لها صفة السؤال وانما بالمساهمة . ان هدف الدعوة التي تقوم بها هو جمع المسلمين في جهد واحد . لو كانت المسألة مادية فقط لاستطعنا بنداء نوجهه الى اغنياء العالم الاسلامي العديدين بين ابناء ديننا فيدفعوا هذاالمبلغ. انني انتهز هذه المناسبة لاشكركم على دعمنا في المشاكل التي تعترضنا ...

★ ★ ★

حوار مع السلطان احمد فؤاد

ولما رأى السلطان احمد فؤاد (١) الا خطر من استقباله للمفتي اقام له عشاء على شرفه في القصر الملكي . ودار الحديث بين السلطان والمفتي باللغة التركية التي يتقنها الاثنان .

(١) السلطان احمد فؤاد هو والد الملك السابق فاروق وبعد استقلال مصر ١٩٢٣ اصبح الملك فؤاد الاول .

الملك ـ ما هذه اللجنة التي ألفتموها مفتي أفندي ؟ أتجهلون ان الامير محمد علي مختل ومجنون وان الشيخ بخيت ذلك الاعور هو مجنون حقيقي؟ اما أحمد شفيق باشا فهو صفر ... استطيع وحدي ان ادفع لكم ما انتم بحاجة اليـــه ...

المفتي ـ ان المبلغ الذي نحن بحاجة اليه هو مائة الف استرلينيــــة ، جلالتكــم ...

الملك ـ هذا ليس بذي بال سأرسلها لكم حال عودتكم الى فلسطين...

(وظهر فيما بعد ان جلالته نسي وعده تماما فلم يصلنا منه قرش واحد).



قلت للمفتي :

ـ نستطيع ان نقول اذن ان رحلتكم الاولى خارج الحدود الفلسطينية لم تكن نــاجحة .

المفتي ـ على العكس ظهر انها كانت ناجحة نجاحا كبيرا . لقد اجتزنـــا المرحلة الاولى فنجحنا بايقاظ اهتمام مصر وهي أكبر البلدان العربية. كان هدفنا الاول واعيده عليكم ان نجمع العرب حول القضية الفلسطينية ... قبـــل سفري لم اعلق كثيرا على النتائج فقد كنت لا اهتم كثيرا بالاوساط الرسمية وخاصة القصر . كان الشعب هدف الرحلة لان معركتنا تؤول بالفشل دون دعم الشعب العربي . فقد كان العدو يعتمد على وسائل هائلة يستخدمها بذكـــاء وحيلة . كان يحاول ايجاد نزاع في قلب فلسطين بين المسلمين والمسيحيين لان البابوية لم تكن تنظر بعين العطف على (الوطـــن اليهودي) وكـــــان مصير المسيحيين والامكنة المقدسة يقلقها وكان موقف مندوبها المونسينيور(سبيرتي) عند توقيع الانتداب في جمعية الامم معروفا .

« وكانت الصهيونية عالمة بوزن الفاتيكان الروحي فقامت بلعبة مزدوجة فحاولت بشتى الوسائل اقناعه لمصلحتها . لقد بذل ممثلوها في زياراتهم لروما

والفاتيكان جهودا كثيرة لاقناع البابوية بان اهدافهم سليمة في فلسطين وحاول الصهيونيون ـ كمرحلة اولى ـ اقتساما بين المسلمين والمسيحيين في مرحلة ثانية كي يكسبوا دعم الاخرين • لقد حاول هربرت صموئيل المستحيل كي يربح عطف المسيحيين ولكن دون نتيجة •

« لقد ألف المسيحيون والمسلمون منذ القدم وحدة متكاملة في البلدان العربية • لقد استمر التقليد الذي نشأ بعد الخليفة عمر الى يومنا هذا • وما كان هذا التقليد نفسه الا تعبيرا عن الشعور المشترك لكل المسلمين وكل المسيحيين الذين كافحوا دائما جنبا الى جنب • أبان الحروب الصليبية كان مسيحيو بيروت يتنكرون بثياب الصليبيين حتى يحصلوا المؤن والذخائر عن طريق البحر الى عكا المحاصرة ، وحملوا السلاح في صف صلاح الدين ضد أبناء دينهم• لقد ابدوا نفس الحماس في الكفاح ونفس القوة التي ابداها المسلمون •

ـ هل تستطيعون ايراد امثلة على ذلك ؟

ـ أستطيع ان اورد لكم الى ما لا نهاية ! لقد كان فدائيا مسيحياذلك الذي فجر دار الوكالة اليهودية • كنا نجهل من هو الذي يبذل جهدا أكبر في الكفاح المسيحيون ام المسلمون • لم نكن نتساءل من المكافح أمسيحي هو أم مسلم كلهم كانوا عربا •

★ ★ ★

سياسة بريطانيا ذات الوجهين

ـ في تلك الفترة جاءت فلسطين ـ صاحب السماحة ـ لجنة (هاي كرافت) ولقد قيل كثيرا عن مهمتها وتقريرها من كلا الجانبين• ما رأيكم بها؟

المفتي ـ كان (هاي كرافت) قبل كل شيء قاضي القضاة من طينة القضاة البريطانيين الذين يدرسون الوقائع ببرودة حتى يصلوا الى الدوافع والتفاصيل

في كل قضية دون انحياز . ان وضعه يشبه كثيرا وضع الانكليز الذين كانوا يصلون في تلك الفترة الى فلسطين وهم مقتنعون بالصهيونية ثم يعودون الى بلادهم بنظرة جديدة مختلفة عن المشكلة الفلسطينية واعطيكم مثلا لـورد (نورثكليف) ولورد (بيفربروك). اعتقد ان الدعاية الصهيونية قبل الحرب العالمية الاولى وفي السنوات التي تلتها شوهت افكار كثيرين .

هنالك كثير من الانكليز ، تدفعهم نزعة (بيرونية) (١) حديثة ، دعموا الصهيونية . فلقد عرفت كيف تستغل الشعور الديني الذي توجيـه القراءة وعطف الرأي العام على المظالم التي لحقت باليهود في المذابح واخبار (الغيتو) فكانت تؤكد عليها ، واستطاعت من هذا السبيل اعطاء فكرة عن فلسطـين مختلفة عن الواقع . كانوا يصورون فلسطين صحراء ويزعمـون اننا نحن الفلسطينيين بدو رحل ، وزعموا ان الوطن القومي اليهودي لا يثير مشكلـة اذ يكفي ان يشيروا لنا حتى نترك البلاد . كانت دهشة كثير من الشخصيات الانكليزية كبيرة لدى وصولها للبلاد عندما كانت تجد عكس ما ظنت ، ولا ننسى ان مشروعا برفض وعد بلفور قد عرض سنة ١٩٢٣ على مجلس اللوردات وفاز بالاكثرية وكان ينتظره نجاحا مماثلا في مجلس العموم لولا تدخـلات تشرشل التي جعلت كفة الميزان تميل لمصلحته .

ـ لقد انطوى كفاحكم على كره شديد لتشرشل . فما هي الاسـباب العميقـة لذلك ؟

ـ لقد رأيت فيه دائما عدو العرب الاول الاكثر قسوة وتصميما .

عندما جاء في زيارة لفلسطين في ٢٨ اذار ١٩٢٨ قام بزيارة الاقصى والقى خطابا فيه فأشاد بشهداء اليهود والمسيحيين ووصف العرب « بالمخربين » فكان الخطاب سببا في مظاهرات عربية... في زيارته تلك غرس شجرة نخيل في المكان الذي كانت تشاد فيه الجامعة العبرية واعلن امله ان تكون رمزا لنجاح الحركة الصهيونيـة .

---

(١) تلميحا الى اللورد بيرون الذي ساعد اليونانيين ضـد العثمانيين .

ـ تعتقدون اذن ان (هاي كرافت) كان محايدا في تـقريره •

ـ ان تقرير (هاي كرافت) يفضح في الحقيقة ضعف الانتداب والنظرة الخاطئة الظالمة التي بنيت عليهـا نظرية الوطن اليهودي في فلسطين • وهـو يظهر في بعض مقاطعه عدم امانة السلطات المحلية في نقل واقع الحال •

واخذ المفتي يقرأ لي بعض المقاطع من هذا التقرير : ان الشعب الـذي ندرسه ليس شعبا عاديا لانه دام عدة ايام وهو يحدث كلما التقت جماعـة من المسلمين بجماعة من اليهود وهو يشتد يوما بعد يوم وقد عانت منه منطقة يافا وخاصة المستعمرات اليهودية القريبة من تلك المدينة)•

(لقد بات العداء نحو السكان اليهود عميقا وقد لاحظنا ان السكـان العرب يكرهون الحكومة التي يأخذون عليها سياستها الموجهة لانشاء وطـن يهودي في فلسطين •••فالبلاد كلها مقتنعة ان هذه الحكومة تخضع لضغط الصهاينة وتبدي ميلا ظاهرا لها مع ان اليهود لا يمثلون الا اقلية من السكان فالحكومة تساعدهم في تحقيق مخططاتهم • لقد اكد لنا بعض العرب ، وهـذا ما تأكدنا منه ، انه لولا المسألة اليهودية في فلسطين لما لاقت تلك الحكومة اية صعوبة في الادارة المحلية • اننا نعتقد ان سبب عداء العرب للبريطانيين هو سياسة حكومتهم الداعمة للصهيونية •)

* * *

(لو ظل اليهود اقلية ، كما كانوا في العهد التركي ، تحافظ على الاعتدال، لما أزعجهم أحد • لقدحقد عليهم العرب عندما رأوا تطرفهم ورغبتهم في السيطرة على البلاد فهم في كل لحظة ينتظرون بادرة من اليهود تحرك الرأي العام ضد العرب • ان ذلك هو السبب الذي عرض وجهاء اليهود للاهانة •)

ثم اضاف المفتي قائلا :

(ولكن تقرير (هاي كرافت) لم يؤثر في السياسة التي اتبعها المندوب السامي وحكومته • لقد روج الانتداب ضد الحقوق الشرعية لشعب فلسطين كما يتضح ذلك من رد المفوض السامي على تقرير كرافت حين قال :

(••• وضع البلاد في شروط سياسية اقتصادية ادارية تسهل نمو الوطن القومي اليهودي)• تلك هي الروح التي أملت كتاب تشرشل الابيض الصادر سنة ١٩٢٢ الذي يقول فيه : (ان عودة اليهود الى فلسطين التي يريدون ان يجعلوا منها وطنا قوميا لهم جديرة بالاهتمام والاحترام • هذه العودة هي حق لهم وليس منحة يمنحونها •)

امام اعتراضات العرب اجاب الانكليز انهم ينفذون فقط صك الانتداب الذي أسندته لهم عصبة الامم زاعمين انهم لم يكن لديهم الحق ولا القدرة على تعديله • كان ذلك هو الجواب الذي سمعته من رئيس وزراء انكلترا سنة ١٩٣٠• وفي نفس السنة سمعت ، مستغربا ، رأيا مخالفا لذلك من امين عام عصبة الامم السيد (اريك دراموند) وهو نفسه انكليزي •• قال لي : (ان عصبة الامم لم تضع صك الانتداب لقد قدمته لها الحكومة البريطانية بعد موافقة الصهيونية)•

ونجد في كتاب الدكتور وايزمن (ولادة اسرائيل) تأكيد ذلك قال : (كنا نعلم تماما ان الوضع في فلسطين يصبح قلقا وغير مرض ما لم تصدق عصبة الامم على الانتداب • ولم يتم ذلك التصديق الا في تموز ١٩٢٢•••) ويتم وايزمن قائلا : (لقد خلف كرزون بلفور في وزارة الخارجية وكان يهتم باتمام مشروع الانتداب، وكنا من جهتنا نعتمد على مساعدة (بن ف كوهن) الثمينة الذي ظل في لندن الى جانبنا بعد استقالة زملائه البرانديسيين من المجلس التنفيذي • كان بن كوهين من احذق صانعي القوانين في الولايات المتحدة ، لقد كافح شهورا لربح معركة الانتداب مع سكرتير كرزون الشاب اريك فوريست آدم الذي كان كثير الذكاء ، فعال ولطيفا • لقد عرضت مشاريع عديدة ورفضت وكنت اتساءل كيف الوصول الى نص نهائي • كانت الصعوبة الجديدة هي في عرض الوقائع • ولقد توصلنا الى الجملة التالية (اعترافا بالعلاقات التاريخية التي توجد بين اليهود وفلسطين •) كان الصهيونيون يريدون ان تكون الجملة (اعترافا بالحقوق التاريخية لليهود في فلسطين) ولكن كرزون لم يقبلها بأي ثمن •••)

الفصل الثالث

الصدام مع بريطانيا



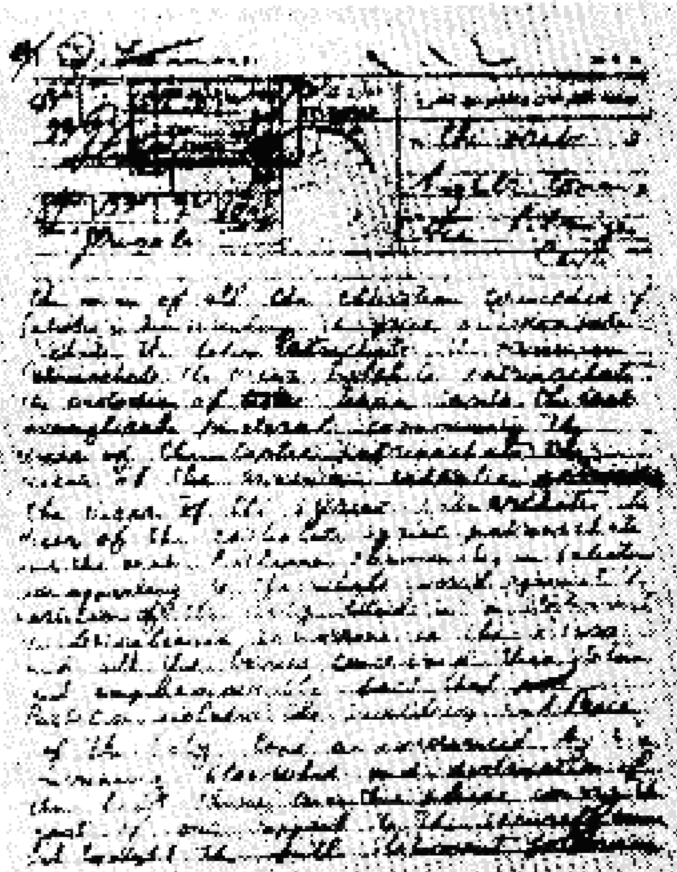
روزفلت وجه رسائل لزعماء اليهود لتأييد قراره في جعل فلسطين دولة يهودية



بالرغم من ان الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الاوسط ، عارض في تكوين « فيلق يهودي » فان ونستون تشرشل صمم على تأليف هذا الفيلق على أن يكون ملحقا بالجيش البريطاني .



ليون بلوم واجه ضغط امريكا والصهيونية



البرقية التي بعث بها المفتي الى الحكومة البريطانية احتجاجا على المشروع البريطاني



دين اتشيسون وزير خارجية امريكا ضغط على فرنسا من اجل اليهود



هنا يتحدث المفتي عن تصميم الشعب الفلسطيني على انتزاع حقــوقه بجميع الوسائل التي كانت متوفرة لديه فيقول :

« لم يزد الزمن الوضع الاتأججا في فلسطين وخيم القلق على البــلاد جميعا . كان شعبنا المؤمن وقد اعوزته الوسيلة للدفاع عن نفسه مكرها على خوض المعركة وكانت بريطانيا يومئذ اكبر قوة عالمية ، وكانت الصهيونيــة وامكاناتها التي لا تنضب ، فهي تعتمد على ثروة اليهود في العالم وتسلط اليهود على بلدان كبيرة مثل الولايات المتحدة وبريطانيا . كانت القوى العالمية التي تدعم الصهيونية تبذل كل ما في وسعها لضربنا فالساسة في كل من اميركــا وبريطانيا وغيرهما من البلدان الاجنبية يمالئون الصهيونية طمعا في الحصول على اصواتها الانتخابية وتأييدها ويجهدون في ابداء العطف عليها ومساعدتها. وما كان لدينا نحن في هذا الوضع غير حل وحيد .. الشهادة ! لقد ارادوا لنا الهجرة وذبح أعز ابنائنا واشجعهم . ولوتعرض شعب غيرنا لما تعرضنا لــه لاستسلم ، اما نحن الفلسطينيين فلم تزدنا الالام التي احتملناها اكثر مــن

نصف قرن غير الصلابة والعزم على ان تتمسك بارض اجدادنا . ان اولادنا الذين يولدون الان في البؤس يحلمون منذ ماينطقون باولى كلماتهم بالموت على أرض الوطن الضائعة .

في السنوات المنقضية بين ١٩٢٢ ـ ١٩٢٥ اي منذ ما وجدت نفسي في مركز المسؤولية لم اضيع وقتي ابدا ، ولقد عولت على خوض المعركة على مختلف المستويات كي تكون مجدية وكان علي اولا ان اعمل مع اخواني الذين كانوا الى جانبي في تنظيم الشعب .

كان الصهيونيون وهم على ما هم عليه من تنظيم دقيق يتصورون انهم قادرين على النصر ، ولم يكن لنا من ملء هذا الفراغ بالتنظيم فعزمنا على استخدام كل ما لدينا من وسائل ، وما ان عرضت على اخواني ضرورة حشد القوى حتى وافقوا على ذلك ، وكنا مع اخواننا (المسيحيين) على وفاق تام ، ولم يكن بيننا متعصبون . وسرعان ما تكونت في كل مدينة وقرية حتى ماقصي منها لجان المقاومة ، وكنا نعتمد على الزمن في تراص صفوفنا ، وكان تتابع الاحداث المذهل ساعدا لنا في تجمعنا وتمكين اواصر وحدتنا ، كنت واخواني نعمل ليل نهار ، كنا نتصل باكبر عدد ممكن من الناس ... نزور المدن والقرى والاماكن القصية في فلسطين تلبية للواجب المفروض علينا .

لم تكن الاحوال في سورية خيرا منها في فلسطين . كان شعبها وقد سلب حقه يعد نفسه لحمل السلاح ضد الفرنسيين ، وكانت الاخبار تصلنا مثيرة والواجب يقضي علينا رغم انشغالنا بمشاكلنا بمد العون لابناء وطننا . وما كانت الحدود المصطنعة التي قسمت سورية اجزاء لتقنعنا بالبعد عن المعركة ضد المحتل ايا كان . في بداية ١٩٢٥ قامت الثورة في سورية .»

وسارع المفتي الى القيام بجولة بحجة تفتيش مكاتب الافتاء في فلسطين كي يدعو الشعب الى المشاركة في الثورة السورية ، فترك كثير من اصدقائه وظائفهم وعائلاتهم كي يقاتلوا في سورية ، والذين عاصروا هذه المرحلة يتحدثون باسهاب عن المساعدات المالية والسلاح ، والمساعدات الادبية التي قدمها المفتي الى الثورة ، أذكر هنا انني أجريت مرة

مقابلة صحفية مع سلطان باشا الاطرش عقب عودته الى دمشق وسألته عن الاشخاص الذين قدموا المساعدات للثورة السورية ورفضوا الاعلان عن اسمائهم فقال سلطان باشا : ضع في رأس القائمة سماحة الحاج أمين الحسيني ، فو الله كنا نحن في كفة واعماله ومساعداته لنا في كفة اخرى ، كان يحرر الرسائل للملوك والامراء ورؤساء الدول والاحزاب الاسلامية يطلب فيها المساعدات للثورة، وألف لجنة من عدة شخصيات فلسطينية ليسهروا على جمع التبرعات ترأسها احمد حلمي باشا (الذي اصبح فيما بعد رئيس الحكومة عموم فلسطين) تحت اسم « اللجنة المركزية لاغاثة منكوبي سورية »، ويروي حسن الحكيم في مذكراته وكان من رجال الثورة السورية ومن رجال السياسة في سورية ، ان المساعدات التي قدمت من قبل المفتي واللجنة التي ألفها وصلت الى مبلغ ٥٠ الف ليرة ذهبية ، ما عدا قيمة السلاح..



حين قال المفتي لبونسو : لا !

وشهود تلك المرحلة من الشخصيات العربية يروون تلك الحادثة التي تركت ضجة كبيرة في تلك الفترة ... كان المسيو بونسو مفوضا ساميا في سورية ولبنان واراد المفتي ان يقوم بزيارة للعراق فكان لا بد من مرور سيارته في الارض السورية ، وفي درعا المدينة السورية التي يقوم فيها مركز الحدود بين سورية والاردن عرف المفتي ان السلطات الفرنسية تمنعه من دخول سورية لانه اشترك في الثورة السورية مؤازرا ومشجعا، ولم تكن السلطات الفرنسية على علم بتفاصيل الدور الذي قام به . فعاد المفتي الى القدس وسافر الى العراق من طريق اخر ...

وتشاء الظروف ان يقوم المسيو بونسو بزيارة لمدينة القدس بعد فترة وجيزة حيث حل ضيفا على المفوض السامي البريطاني.. فقاطع المفتي جميع الحفلات التي اقيمت على شرفه ، وكان يتضمن البرنامج الرسمي الذي وضع لبونسو زيارة الاقصى ولما علم المفتي بالامر وجه رسالة الى المفوض السامي

البريطاني اعلمه فيها أن زيارة المسجد الاقصى ممنوعة على المسيو بونسـو ، وبذلت محاولات كثيرة لاقناع سماحته فرفض مؤكدا انه سيمنع الزيـارة بالقوة اذا لزم الامر وهكذا ألغيت الزيارة ...



المفتي و «الكتاب الابيض» !

بعد زيارة المستر تشرشل لفلسطين سرت شائعة تفيد ان بريطانيا تريـد نشر كتاب ابيض تلبي فيه رغبات الفلسطينيين (يضع حدا للنزاع بين العرب واليهود) كما زعمت السلطات البريطانية ..

يقول وايزمن في كتابه (ولادة اسرائيل) :

(لقد صاغ هذا الكتاب الابيض حسب ظني السير هربرت صموئيل). لقد صيغ الكتاب بشكل يهدىء خواطر العرب فهو يبدأ بذكر مخاوف العرب واليهود ثم ينتهي الى بحث الانتداب ووعد بلفور والهجرة .

ويضيف وايزمن قائلا .. (قدمت لنا مذكرة بالكتاب الابيض قبل نشره ودعينا للموافقة على السياسة المحدودة فيه).

لقد تضمن الكتاب الابيض جزءا مما سمي بدستور فلسطين الذي نص على قيام مجلس تشريعي فلسطيني مؤلف من ٢٢ عضوا عشرة منهم بريطانيون يعينهم المندوب السامي واثنا عشر اخرون ، اثنان منهم من اليهـود واثنـان مسيحيان وثمانية مسلمون كلهم منتخبون . وكانت قرارات المجلس بحاجـة لتصديق المندوب السامي كي تصبح نافذة . وما كان يحق للمجلس ان يناقش في وعد بلفور والانتداب ...

لذلك دعا المفتي الشعب لمقاطعة الانتخابات فقاطعها الشعب بالاجمـاع، وسقط المشروع وكان كذلك نصيب مشاريع اخرى مثل المجلس الاستشاري والوكالة العربية ....

ـ لماذا رفضتم مشروع المجلس التشريعي الذي كان يعطي افضلية للعرب ما داموا الاكثرية ؟

ـ لنقم بحساب صغير : عشرة موظفون بريطانيون يضاف اليهم ممثلان يهوديان . ذلك نصف العدد .. فاين الاكثرية ..؟

ـ والوكالة العربية ؟

ـ يفهم من كلمة الوكالة العربية ان الحكومة كانت تريد استخدامهـا لاغراض ادارية ، ان وجود وكالة عربية ، ووكالة يهودية يعني ان فلسطين مقسمة الى مجتمعين متساويين في الحقوق ، وكنا نطالب نحن بحقوق سياسية وديمقراطية وتمثيل حقيقي للشعب قائم على اساس الاكثرية لا على اساس تسليم فلسطين لليهود .

لقد انعقدت خلال السنوات ١٩٢٢ ــ ١٩٢٩ سبعة مؤتمرات عربية كان أهمها ذلك الذي انعقد في ٢٠ تموز سنة ١٩٢٨ والذي توصل الى تحديد مطالب العرب في النقط التالية :

ـ انتخابات برلمانية ديمقراطية .

ـ حكومة ديمقراطية .

ـ التقليل من عدد الموظفين البريطانيين .

ـ الاعتراض على منح استغلال البحر الميت لشركة يهودية .

ـ الاعتراض على تفضيل العمال اليهود على العمال العرب .

ـ ايقاف اصدار قوانين جديدة بانتظار انتخابات ديمقراطية .

بريطانيا تلجا الى الشدة

انتهت مدة هربرت صموئيل سنة ١٩٢٥ وعين مكانه الفيلد مارشال لورد بلومر الذي اتخذ وضعا اقسى من الاول، وفي سنة ١٩٢٨ تبعه جون تشانسلور .

اخذ اليهود بناء على دعم السلطات البريطانية لهم يسفرون عن عدائهم، وذلك بعد مؤتمر زوريخ الصهيوني ١٩٢٨ استقال جابوتنسكي من المجلس التنفيذي الصهيوني لانه (مائع) على حد تعبيره وألف الحزب التصحيحي الذي يدعو الى استعمال القوة قائلا ان استخدام القوة وحده يحقق الاهداف الصهيونية .

ــ ما دام اليهود اقلية فمن اية قوة يتحدث جابوتنسكي ؟

ــ من نافل القول ان اذكركم ان اليهود كانوا عازمين على احتلال فلسطين بالقوة وما كان الانتداب البريطاني غير مرحلة انتقال لحمايتهم تسبق المرحلة التي يغدون فيها اكثرية فينتقلون الى الهجوم ، ولقد اثبتت الاحداث صحة هذه النظرية . لقد كانوا في مستعمراتهم يعيشون في نظام الثكنة العسكرية يتبعون فيها بالاضافة الى الاعمال الاخرى تدريبا عسكريا . ولقد اسسوا منذ ١٨٧٠ قوة سميت (هاشومر) او الحرس ، وبعد الحرب العالمية الاولى جاء فلسطين اكثر اعضاء (الفيلق اليهودي) وكان عدده (٥٠٠٠) الى فلسطين ليكونوا نواة الهاجاناه وما توقف هذا التنظيم عن زيادة عدده حتى غدا (١٥٠٠٠) في بداية الحرب العالمية الثانية والاحظ لكم ان تدريبهم العسكري ما كان يثير اعتراضات من السلطات البريطانية التي كانت تعطف عليهم وتشجعهم ، رغم عدم مشروعية مثل هذا التنظيم . ان اكثرية المهاجرين اليهود كانوا يصلون فلسطين وقد اتموا تدريبهم العسكري.

الاصطدام مع اليهود

ــ من اين كانوا يحصلون على السلاح ؟

ــ من مصادر عديدة اهمها الجيش البريطاني نفسه . سنة ١٩٢٨ كان الماجور ساندرز واذكر لكم الاسم ــ مكلفا باعطائهم الاسلحة .

ــ هل يمكن ان تحدثونا عن احداث ١٩٢٩ ؟

ــ في ١٥ آب ١٩٢٩ اتجه موكب يهودي الى حائط البراق الشريف

الذي يدعونه زورا (المبكى) وهم يرددون اناشيدهم الدينية . وعندما وصلوا الجدار وضعوا عليه علمهم . كان التحدي سافرا . وبقي العلم هناك حتى ٢٠ من نفس الشهر وفي ذلك اليوم حدث اصطدام في ممر البراق الشريف لم تستطع الشرطة تهدئته الا بعد جهد واخذت بنفس الوقت جماعات مسلحة من اليهود تنزل الى شوارع المدينة المقدسة وكأنهم دوريات من المحتلين ، او كأنهم القائمون على نظام الامن ... وامتدت يوم ٢٣ الاصطدامات الى كل المدينة وغدت الشوارع مسرحا لقتال بين اليهود والعرب الذين لا يحملون الا السكاكين والعصي والحجارة وما انتزعوه من ايدي عدوهم من سلاح فقتل في ذلك اليوم ٢٨ يهوديا وجرح ١٣ من العرب .

وانتقلت اخبار الصدامات الى كل فلسطين فحدثت صدامات اخرى في كل المدن التي يقطن فيها اليهود . في الخليل قتل ٦٠ يهوديا وجرح ٥٠ .

وتجدد الصدام في الخليل فهاجم الشعب مراكز البوليس واليهود وقتل من الجانبين ما يقرب من ١٠٠ قتيل .

وفي صفد قتل تسعة من اليهود وجرح ٢٨ من الجانبين . امتدت هذه الثورة سبعة ايام قتل فيها حسب الاحصاءات الرسمية ٤٧٢ يهوديا وقتل او جرح من العرب ٣٧٧.

وارتكب الانكليز جرائم بشعة ، ولقد ذكرت رويتر في برقية مؤرخة في ٤ ايلول ١٩٢٩ فظائع القوات البريطانية ... في الوقت الذي قامت فيه هذه الحوادث كان المندوب السامي البريطاني في لندن ، فعاد الى فلسطين وما ان وصل حتى اعطى تصريحا اتهم العرب فيه بالتوحش ، فأعلنت اللجنة التنفيذية تكذيبا لتصريحه وقعه رئيسها موسى كاظم باشا الحسيني في ١١ ايلول ١٩٢٩ ذكر فيه الوقائع كما جرت فاضحا تصريحات المندوب

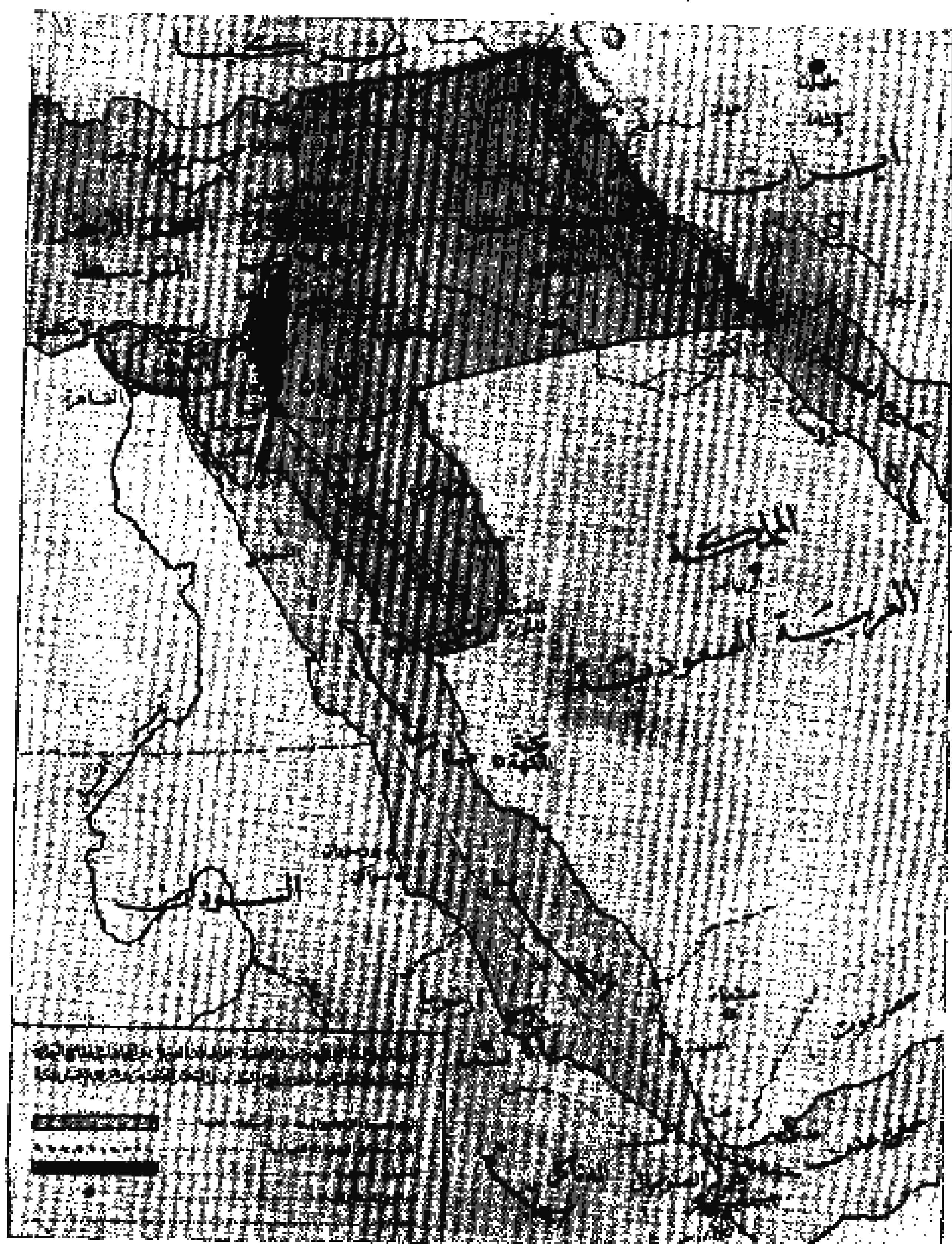
السامي داعيا الى تحقيق حيادي يوضح الحقيقة ويثبت (ان تصريح المندوب السامي لا اساس له من الصحة).

اوقفه على الاثر مئات من الشباب العرب وحكم على عشرين منهم بالاعدام ونفذ بثلاثة منهم دون تأخير ... (فؤاد حجازي ، عطا الزير ، محمد جمجوم) وحكم على ٢٣ احكاما مؤبدة وعلى ٨٧ احكاما مختلفة بين ثلاث سنين وخمس عشرة سنة ، وكان عدد المحكومين من العرب احكاما مختلفة ٧٩٢ رجلا ، وحكم على قرى كثيرة بدفع غرامات ووضع اكثر الزعماء العرب في الاقامة الجبرية ...

اما الاحكام على اليهود فقد تميزت باللين ، ولاذكر حادثة : قتل شرطي يهودي اسمه (خانكيز) عائلة عون العربية المؤلفة من سبعة افراد ، فحكم عليه بالموت ثم استبدل الحكم بالمؤبد ثم انزل الى ١٥ عاما ، وبعد قليل عفي عنه . وفي ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٩ اذاعت رويتر انمحكمة حيفا حكمت على تسعة من العرب بالموت وعلى اثنين اخرين حكما بخمسة عشر عاما لانهم اتهموا اتهاما فقط بقتل عائلة يهودية دون اثبات قانوني.

الفصل الرابع

في مواجهة بريطانيا والصهيونية



هذه الخريطة لإسرائيل الكبرى عثر عليها النقاشي في خزائن روتشيلد



وضح بعد احداث ١٩٢٩ ان السلطات الانكليزية والصهيونية تريد بأي ثمن الخلاص من المفتي، وما كانتا تخفيان انـه عدوهما الاول ... كانت صفته الدينية والمكانة الوطنية التي يتمتع بها في ارجاء العالمين العربي والاسلامي تدفعانهما للتردد، وكان هو قادرا على كشف مخططاتهمـا ... ووصلت في نهاية تشرين الاول سنة ١٩٢٩ الى فلسطين اللجنة التي يرأسها المستر والتر شو، وتمثل الاحزاب البريطانية وعقدت سبعا واربعين جلسة عامة واحدى عشر سرية واستمعت الى ٦١٠ شهـادات من عرب ويهـود، ورفعت في نهاية ذلك تقريرها الذي دعي فيما بعد كتاب (باسفيلد الابيض) الذي تقول فيه :

« ان السبب الاساسي لهذه الاحداث الذي لولاه لما حدثت او لمـا امتدت هو عداء العرب لليهود . ان عدم تحقيق امانيهم السياسية والوطنية والخوف الذي يمليه مستقبل اقتصادهم ولدت مجتمعة خيبة امل متزايدة

لانها نشأت عن خوفهم من فقدان اسباب المعيشة والتعرض لسيطرة اليهود السياسية بسبب الهجرة المتصاعدة وشراء الاراضي • »

ويضيف التقرير :

« من الضروري تحديد طبيعة القلق الذي يهيمن على العرب نتيجة لوضعهم الحالي ، فهم رغم انهم يكونون اكثرية السكان لا يتمتعون بسلطة رسمية معترف بها تسمح لهم برعاية ما يعنيهم من امر • مع ان اقلية من شعب آخر تتمتع بعلاقات رسمية تستخدمها لتوجه الحكومة بشكل يسكن لمصالح هذه الاقلية • »

استقبلت الاوساط العربية تقرير (شو) استقبالا لا بأس به برغم انه لم يحو كل ما ترجوه • وسافر وفد من زعماء العرب السياسيين قوامه موسى كاظم الحسيني ، والمفتي ، والفرد روك وراغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي وجمال الحسيني الى لندن للاتصال بالسلطات الانكليزية • وسافر في نفس الوقت وايزمن الى لندن واستخدم كل الوسائل لالغاء الكتاب الابيض وما كان ينقصه الاصدقاء مثل بلدوين وسمطس وسير جون سيمون) وغيرهم ••• وكان يعمد الى الحجة التالية مع من يراهم من البريطانيين (اذا كان التعهد الذي اخذته على نفسها سلطة الانتداب قد تقلص حتى غدا تعهدا تجاه ١٧٠ ألفا يقابلهم ٧٠٠ الف أي اقلية صغيرة ضد اغلبية تستطيع تفسير ما تلا ذلك من امور • غير أن السلطة المنتدبة تحمل واجبا تجاه الشعب اليهودي وما المائة والسبعون ألفا غير طليعته) لقد ثار وايزمن ضد روح (الحياد) فهو يكتب في كتابه (ميلاد اسرائيل) : اذكر فقرات استخرجناها من جمل واردة في محضر احدى الجلسات • في المقطع العاشر من الكتاب الابيض يقول :

(ان الدفع الى الفوضى والاضطراب ايا كان مصدره سيعاقب بشدة ولقد رأيت في هذا المقطع اثر الادارة الفلسطينية وموقفها الحيادي بين جزء

من عدوين مـن الشعب كلاهما مسؤول) كانت كل بادرة تدل على بعض الانصاف تثير وايزمن ...

واستقال وايزمن من الوكالة اليهودية كي يضغط على رئيس الوزراء فثارت لذلك الصهيونية العالمية وانهمرت برقيات الاحتجاج على عصبـة الامم ورئيس الوزراء فانصاع لهذا الالحاح وايزمن خشية عداء الصهيونية .

ولم يصغ احد للوفد العربي وردت مطاليبهم في وقف الهجره وبيـع الاراضي وزوال الحكم البريطاني ليقوم مكانه حكم محلي .

في ٣٠ أيار ١٩٣٠ اذاع المندوب السامي البريطاني بلاغا قال فيه :

(ان الحكومة المنتدبة ترى نفسها مضطرة لصرف النظر عـن المطالب العربية لانها تخالف روح الانتداب . ان الحكومة عازمة على السهر عـلى سلامة مصالح الطوائف غير اليهودية في فلسطين وهي مصممة على الا تسمح باتباع سياسة تضر بمصالح هذه الطوائـف والحكومة البريطانيـة ، حسب توصيات لجنة شو سترسل السير (جون هوب سمبسون) ليدرس مسـألة الهجرة والتنمية على الارض الفلسطينية نفسها وسترفع دراسته في تقرير) .

قنع المفتي واخوانه انفي عدد اللجان المتزايد القادمة الى فلسطين لم يكن غير مضيعة للوقت لا يؤدي الى اية نتيجة ايجابية ، فهذه اللجان لم يكن الهدف منها سوى تهدئة الشعب الثائر القلق على مصـيره ، ولم يكن تقرير المستر سمبسون ليختلف عن تقارير من سبقه واضاف لهـا متسائلا كيف تسمح السلطات المنتدبة بتشغيل العمال الذين وصلوا حديثا من ليتوانيا وبولونيا واليمن مع ان جزءا كبيرا من عمال البلاد عاطل عن العمل .

كان سيل الهجرة في تلك الفترة يتسارع عما قبل .

واشتدت حملة الصهاينة واصدقائهم ضد الكتاب الابيض ، وفي الرابع من تشرين الثاني ١٩٣٠ ارسل وزير المستعمرات رسالة الى جريدة (التايمس)

يقول فيها ان الحكومة البريطانية الغت الكتاب الابيض واكدت عزمها على اباحة الهجرة ، ويضيف : (ان هجرة العمال اليهود لن تتأثر بعدد العمال العرب العاطلين عن العمل من التكاثر) .

ثم ارسل رئيس الوزراء البريطاني رسالة الى وايزمن يؤكد فيها محتوى رسالة وزير المستعمرات (للتايمس) ، فانبرى المفتي فأطلق تصريحه المشهور وسمى فيه كتاب رئيس الوزراء البريطاني (بالكتاب الاسود) .. وقال المفتي فيما قاله :

« ها هي بريطانيا التي تتهمنا بالسلبية قد رضخت وتنكرت لما سبق ان نشرته على العالم قبل ايام من اعترافها بتضرر العرب وانتشار البطالة بينهم وعدم استيعاب الارض للمهاجرين واستحالة استخراج الفلاحين العرب من اراضيهم حتى في حالة التشكك في الملكية ...، انها لا تقيم اعتبارا لبطالة ابنائنا والمستقبل المخيف الذي تضمره لهم الصهيونية . انها تعد بمنح اراضي املاك الدولة لليهود وهي عالمة ان هذه(١) الاراضي رغم تسميتها بهذا الاسم ليست الا ملك ابنائنا ولقد عاش عليها اجدادنا قرونا مديدة انها تريد طردهم منها بالقوة كي تعطيها الى الذين يجيئون كي يحطمونا .»

اول مؤتمر اسلامي

بلغ الحماس اشده وتظاهر الشعب الفلسطيني وتحدث الناس عن الثورة واخذ خطباء المساجد يدعون الى الحزم في المقاومة وهاجم الجيش المتظاهرين فنجم عن ذلك جرح وسجن الكثيرين .. كان الفلسطينيون يواجهون الجيش الانكليزي من جهة والمنظمات الصهيونية من جهة ثانية ...

وتحرك المفتي في اكثر من اتجاه فدعا الى مؤتمر اسلامي في القدس ، وتقبلت البلدان الاسلامية الفكرة بحماس ذلك ان مكانة المفتي في الاوساط الاسلامية وسمعته الوطنية ، وقيمته كل هذا كان من شأنه ان يدفع بالمسلمين الى تلبية ندائه السريع .

واتفق المفتي موعدا للمؤتمر ليلة الاسراء ــ المعراج ــ وكان موعدها تلك السنة في أول كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٣١ ، واشترك في هذا المؤتمر عشرون بلدا مسلما بوفود هامة مثلت فيها وجوه الاسلام الكبرى ، كضياء الدين الطباطبائي وهو من اكبر علماء ايران وساهم بنفسه في اعداد المؤتمر ، والشاعر الباكستاني محمد اقبال ، مولانا شوكت علي زعيم مسلمي الهند ، وعبد العزيز الثعالبي زعيم النضال التونسي ، والشيخ رشيد رضا المصلح الاجتماعي ، ومحمد الحسين زعيم شيعة العراق ، وعباس اسحاقي زعيم مسلمي الاورال الذي عبر خفية حدود الاتحاد السوفياتي كي يحضر المؤتمر •

رأس المفتي الجلسات • كان التأثر باديا على وجوه اعضاء المؤتمر ، ألح المفتي على أهمية وضرورة العون الاسلامي التي يجب ان يساهم فيها كل المسلمين قائلا :

(ان معركتنا ليست معركة بسيطة ضد السلطة المنتدبة • انها معركة مستميتة ضد قوى عالمية ، ونحن نقاوم معركة افناء لا سابقة لها في التاريخ••)

اتخذ المؤتمر مقررات نلخصها فيما يلي :

١ ــ مقاطعة البضائع الصهيونية ــ تلك التوصية كانت الاساس في مقاطعة الدول العربية للانتاج الاسرائيلي والشركات التجارية والصناعية المتعاملة مع اسرائيل • لقد نفذت هذه التوصية في تلك الفترة من المسلمين في بلادهم حتى ما كان منها محتلا بحزم ، فلقد رفض الشعب شراء الانتاج اليهودي رغم التسهيلات التي كان يلقاها من سلطات الاحتلال •

٢ ــ وقف الهجرة •

٣ ــ تأسيس جامعة اسلامية في القدس •

٤ ــ تأسيس شركة زراعية تحمل مسؤولية انقاذ الاراضي حتى تبقى بين ايدي اصحابها العرب •

ـ اسمحوا لنا يا صاحب السماحة بسؤال : الرأي العـام مقتنع بأن الوكالة اليهودية قد اشترت جزءا من الاراضي الفلسطينية . ان الكتب التي ظهرت لمصلحة اسرائيل ما تفتأ تكرر ذلك . يقول مثلا (ارثر كوستلر) في كتابه (تحليل معجزة) ... (لقد اشتروا بلادهم بالتقسيط اردبة اردبة ..) ويضيف : (لقد اخذ اليهود الارض خلافا لكل المستعمرين دون استخدام القوة والتهديد وانما بما دفعوا من مال لقوم لم يكن همهم غير بيعها) هل تستطيعون ان توضحوا هذا الموضوع ؟

ـ اتساءل كيف يمكن لكتاب يزعمون انهم منصفون وانهم يحترمون القلم والكلمة ان يشوهوا الحقيقة والمنطق الى هذا الحد . هؤلاء الكتـاب يجانبون الاحصاء الذي هو اكبر تكذيب لادعاءاتهم .

في ١٥ ايار ١٩٤٨ لم يكن يملك اليهود رغم كل المساعدات البريطانية الا حوالي ٧٪ من مجموع الاراضي الزراعية في فلسطين ـ كانوا يملكون مليوني دونم من اصل ٢٧،٥ مليون دونم .

لقد اتبع المجلس الاسلامي الاعلى سياسة نجحت بدعم الشعب لها في فشل خطط الشراء التي اتبعها الصهاينة ورسموها بدقة ، مستخدمين لها كل ما لديهم من وسائل . ولاعطكم مثلا .. كانوا يعرضون على المعوزين من الفلاحين الذين انهكتهم الديون والضرائب مبالـغ ضخمة ويحاولون شراء اراضي القاصرين ، فاتخذ المجلس الاسلامي الاعلى قرارا يمنع بيـع ارض القاصر واشترى ارض المعوزين الذين رغبوا في البيع ، كما عمد الى اقراض المحتاجين واشترى اراضي بعض القرى وسجلها وقـفا باسم سكانها . لقـد اشترى قرى كاملة مثل دير عمرو وزيتـا بمبلغ قدره ٥٤٠٠٠ جنيهـا ، وكذلك الاراضي المشاع في طيبة وعتيل والطيرة وغيرها ...

لقد ذكرت التقارير المقدمة الى لجنة الانتداب في عصبة الامم ان المجلس الاسلامي الاعلى يجعل شراء الاراضي مستحيلا من قبل الصهيونيين .

لم يبع الفلسطينيون للوكالة اليهودية من اصل المليوني دونما خلال سبعين عاما الا ٢٥٠ الف دونم وخلال ظروف غامضة • لقد استولت الوكالة اليهودية على الباقي من ذلك بأساليب عديدة ، فلقد تملكت في عهد العثمانيين ٦٥٠ الف دونم من املاك الدولة بحجة استصلاحها وتأسيس مدرسة زراعية ومنحتها السلطات البريطانية ٣٠٠ ألف مجانا من املاك الدولة ومئتي الف اخرى بأجر رمزي ، واشترت ٦٠٠ ألفا من ملاكين سوريين ولبنانيين •

ـ ألم يكن الملاكون المذكورون كثيري العدد ؟

ـ لا ••• لقد آلت اليهم الملكية في العهد العثماني من املاك الدولة في ظروف خاصة ، واعتقد ان ذلك حدث في عهد السلطان عبد العزيز ، فلقد اصدرت الدولة العثمانية في تلك الفترة قرارا باستصلاح أراض يستطيع الافراد بموجبه ان يتملكوا ما يستطيعون من املاك الدولة وتقدم على هذا الاساس كثيرمن اولئك الملاكين بطلبات استملاك ••

ـ هل كانت تسمح الدولة العثمانية ، بمنح مساحات واسعة للافراد ؟

ـ لم تكن الطلبات بالواقع تقدم باسمائهم وحدهم • كانت تقدم باسم جماعة ، وكان الامتياز يعطى باسم صاحب الطلب ورفاقه ، وعلى ذلك كانوا يحصلون على التفويض باستصلاح الارض وامتلاكها بعد فترة عشر سنوات، وكان بوسعهم بعد هذه الفترة تسجيل تلك الاراضي باسمائهم فيحلون محل الدولة بملكيتها ، وكانت تزور كثير من القوائم ، وقلما تدقق السلطات ، وكثيرا ما كانت تنزع اسماء الكثيرين من الذين احتوتها قوائم الطلبات برشوة الموظفين المحليين ، وهكذا يصبح المومأ اليه ملاكا لمساحات واسعة • في قرى كثيرة ظن الفلاحون انهم فيها ملاكون سنين عديدة •

ان ورثة هؤلاء الملاكين السوريين واللبنانيين لم يكونوا يعرفون اين تقع اراضيهم ، واضيف ان هذه الاراضي لم تكن خالية من السكان كما زعمت الدعاية الصهيونية • لقد طرد الفلاحون الذين يعملون فيها بالقوة الانكليزية•

واعطانا المفتي بعض المجلات التي كانت تصدر في تلك الحقبة وفيها وصف مسهب لاخلاء الاراضي ...

نشرت مجلة الشباب التي يصدرها شيخ المجاهدين المرحوم الاستاذ محمد علي الطاهر في القاهرة في عددها الصادر في ٩ شباط ١٩٣٥ ريبورتاجا كتبه مراسلها يقول فيه :

(لقد شدهنا لما شاهدناه . كنا نرى بأعيننا مستقبلنا ... رحيل العرب والبؤس .. لقد بتنا نعرف مستقبلنا .. سنطرد من القرى قرية بعد قرية .. قافلة اثر قافلة ..

لقد وجدنا اولئك المطرودين من ارضهم ، نساء واطفالا وعجزة على هضبة وقد فقدوا في صباح واحد كل ما يملكون الارض والبيت ...

حتى الجرحى لم يعالجهم احد . كانوا ينتظرون الاطباء الذين تطوعوا لعلاجهم ...

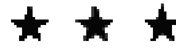
سألت شيخا منهم .. كيف حدث ذلك فأجابني .. كنا نشتغل صباحا في الارض على عادتنا لا نأبه لشيء عندما جاءت قوة عسكرية وطلبت منا ان نترك الارض فرفضنا فهاجمونا فقاومنا بالعصي .. دون فائدة ...)

وتابع المفتي قائلا : لقد طردت بنفس الطريقة قبيلة الحوارث من الارض التي كانت تملكها اسرة تيان البيروتية ، ٤٠٠٠٠ دونم واضطرت /٢٠٤٦/ عائلة على مغادرة عشرين قرية عربية مسجلة باسم آل سرسق التي باعوها للوكالة اليهودية ـ في مرج ابن عامر ـ .

كانت الارض التي اعطاها الانكليز للوكالة اليهودية في منطقة بيسان ومساحتها ١٦٥ ألف دونم مسجلة باسم السلطان عبد الحميد يسكنها ١٥٠٠٠ عربي طردوا منها .

ـ نرى من ذلك ان بيع الاراضي لم يكن يتبع طريقة طبيعية ؟

ـ ان الفلسطينيين القلائل الذين باعوا اراضيهم كانوا منبوذين من الشعب . لقد اضطر بعضهم لمغادرة البلاد وقتل منهم بعض آخر من قبل مجهولين ، كما ان المسيحيين والمسلمين رفضوا ممن مات منهم ان يوارى في مقابرهم ...



كان صدى المؤتمر الاسلامي عظيما حلت بعده القضية الفلسطينية في البلدان الاسلامية في مكان الصدارة ، ولكنه لم يحقق عمليا كل ما توخاه المؤتمرون لان البلاد الاسلامية كانت اكثرها خاضعة للاحتلال . وقرر المفتي القيام بجولة كبرى في البلدان الاسلامية وخاصة الهند كي يتابع اعمال المجلس الاعلى ومهمته ، وعندما وصل الى الهند قام بدعوة لجمع المال فاذا به يأتيه من مختلف الجهات .

التوجه لاستنفار العالم الاسلامي

ـ هل كان الانكليز يرغبون بفشل مهمتكم في الهند لانكم تمثلون فلسطين فقط ام كانت هناك دوافع اخرى ؟

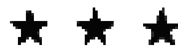
ـ كانت دوافعهم عديدة ، واهمها ان بريطانيا كانت تقف في وجه كل تجمع اسلامي .. ولم يكن في نيتي اثارة احد . فلقد حددت لمهمتي هدفها العملي وهو ... تنظيم المساعدة المالية حتى تتمكن من تنفيذ مقررات المؤتمر الاسلامي الاعلى وان تتمكن خاصة من اقامة جامعة اسلامية . وكان من الطبيعي ان اتعرض لموضوع فلسطين ، وكان الوفد متفقا معي في ذلك من محمد علي علوبة باشا الى الشاعر اقبال والآخرين ، لقد قاومت السلطات الانكليزية التبرعات لاسباب فلسطينية لقد قال لي أمين اللجنة الاسلامية في الهند ـ آنئذ ـ ووزير التربية في حكومة البنغال (فيروز خان نون) انه اطلع على برقية مرسلة من لندن الى نائب الملك السير ويلنغتون يطلب اليه

فيها ان يعامل الوفد بكل احترام ، وان يعمل ما وسعه على افشال مهمته لان نجاحه يخلق مشاكل سياسية لسلطات الانتداب في فلسطين .

ـ أي نوع من المشاكل ؟

ـ ان جامعة اسلامية في القدس تصبح مركز اشعاع للشبيبة وتساعد على تثقيفها وتحررها لا تتفق ورغبات الانتداب ، كانت سياسة الانتداب ترمي الى تجهيل الشعب بدل تشجيع التعليم كما يقتضي الواجب عليها ، كانت نسبة الامية متساوية في كل الطوائف وخاصة في المدن ولكن هذه النسبة اختلفت بعد وصولهم . كانت فلسطين مقسمة في الواقع الى دولتين الانتداب والوكالة اليهودية وكانت لها تنظيماتها وميزانيتها الخاصة التي تعتمد على المساعدات الخارجية وكانت لهذه الوكالة مدارسها في المدن والمستعمرات بينما كان يعتمد العرب على الحكومة المنتدبة لتعميم التعليم وكانت نيتي ان نتولى نحن هذه المهمة .

كما ان انشاء جمعية زراعية عربية يساعدها اغنياء المسلمين تتمكن من افساد الخطط الرامية لشراء الارض العربية .



اثارت زيارة المفتي للعالم الاسلامي ضجة كبيرة وحركت نفوس المسلمين ، فلجأ المندوب السامي (تشانسلور) الى لجنة جديدة كي يهدىء من الوضع الشعبي المتفاقم ، وتألفت اللجنة من كبار الموظفين البريطانيين يرأسها المستر جونسون نائب مدير المالية ، فقدمت اللجنة تقريرا يفضح سلوك الادارة البريطانية الشائن تجاه المزارعين العرب الذين ترمي بهم الى الفاقة وتثقل كواهلهم بالديون ، ولقد القى التقرير المسؤولية على سلطات الانتداب وفضح نيتها في افقارهم كما بين حمايتها السخية للانتاج اليهودي .

وكيما يدلل المستر ماكدونالد على (نيته الطيبة) تجاه الصهيونية استشار الدكتور وايزمن في تعيين مفوض سام جديد اكثر حزما من مستر تشانسلور قائلا له :

(اريد ان اسمي جنرالا قادرا على العمل مستعملا عقله) ، وعين السير ارثر واكهوب ، وقد قال عنه وايزمن : لقد بدأ عمله سنـــة ١٩٣١ وحققت البلاد تقدما عظيما في عهده !

ــ كيف كـــان سلوك هذا المندوب السامي ؟

ــ لقد اظهر السير واكهوب انــه اقسى المفوضين الســامــين واكثرهم حيلة . كان يذهب الى زيارة الفلاحين في قراهم كي يظهر بساطته ويرسل في الغد دون ان يؤنبه ضميره جنوده لطردهم منها . لقد عانت فلسطين في عهده اشد ما عانت من النير البريطاني ..

ــ هل ادت تقارير المفوضين السامين المختلفين الى نتيجة ايجابية ؟

ــ ابدا ... كنا ما نزال حتى سنة ١٩٣٢ على شيء من الامل ولكنه زال مع الزمن . لقد ظننا فترة ان السلطة المنتدبة ارتكبت اخطاء عن جهــل للواقع وان الموظفين المحليين استغلوا حسن نيـــة رؤسائهم في لندن ، واننا بفضل الصبر نتمكن من اقناع المسؤولين البريطانيين بعدالة قضيتنا ، ولكننا للاسف الشديد ان السياسة البريطانية كانت تعمل الى ان تؤول بفلسطين الى شهادة (استشهاد) جديدة . كل عذابنا ... كل الآمنا كانت تعد بعناية . لم يكن امامنا غير الشهادة . كانت الصهيونية وبريطانيا العظمى عازمتين على انتزاعنا من ارضنا وما كان ليشك احد من الفلسطينيين بذلك .

ــ كل ذلك يدفع للاستسلام على ما يبدو !

ــ ألم تقرأوا هوراس لكورنيل حيث يقول : ماذا تريد ان يفعل ضد ثلاثـــة ؟

ــ ان يمـــوت ...



مقاطعة سلطات الانتداب

كان الوضع يزداد سوءا • وبدأ الشعب يبحث عن سبيل للخلاص فلا يجد • كان لا بد من الخروج من الازمة • فدعت اللجنة العربية العليا التي يرأسها موسى كاظم باشا الحسيني في شباط ١٩٣٣ الى مؤتمر مثلت فيه المدن والشعب بمختلف طبقاته يعقد في مكاتب المؤتمر الاسلامي • وكان جو الاجتماعات متوترا ، وبعد دراسة موقف السلطات البريطانية اعلن المؤتمرون عزمهم على اعلان عدم التعاون على كل المستويات مع سلطات الانتداب كما اعلنوا عن مهلة شهر للسلطات تعلن فيها وقف شراء الاراضي وتوقيف الهجرة حتى اذا لم تنفذ السطة ذلك دخلت المقاطعة في مجال التنفيذ •••

وفي اول اذار سنة ١٩٣٣ اعلن الاضراب العام • وقامت اللجنة العربية العليا بزيارة ليافا لتنظيم المقاطعة ، فشكلت لجنة للتنفيذ والدعاية لشراء اسهم شركة انقاذ الاراضي •••

وعندما عاد المفتي ورفاقه الى القدس وجدوا المدينة في وضع متأزم • اثر الخبر بدخول /١٠٠٠٠/ يهودي جديد الى فلسطين دون اذن وازداد القلق لان التأشيرات كانت تمنح لليهود، ولقداعلن المؤتمر الصهيوني المنعقدفي براغ عن (ضرورة هجرة غير محدودة) •

اخذت بريطانيا تسلح خفية المنظمات الصهيونية ، ولقد حصلت اللجنة العربية العليا على الدليل سنة ١٩٣٦ اذ بدأت سلطات الانتداب تدخل في شرطتها بعض اعضاء (الهاغانا) وتسلمهم البنادق • وفي نفس تلك السنة وقعت الهاغانا اتفاقا مع (قيادة الشرق الاوسط العسكرية) لتسليح قواها وتدريبها على حرب العصابات كما أسست الادارة البريطانية مدرسة تدريب سرية في المنطقة الواقعة جنوب شرق حيفا ••

وكان للصهيونيين الحق في التظاهر بينما كان حمل السلاح جريمة موصوفة وكان التظاهر ممنوعا علينا •

اعلنت اللجنة العربية العليا آنئذ انها ستقوم بمظاهرات تحدد زمنها دون اخبار السلطات . وكان ذلك بداية التحدي السافر ...

وفي يوم الجمعة ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٣ خرجت مظاهرة اشترك فيها عدة الاف من العرب من المسجد الاقصى بقيادة موسى كاظم الحسيني فهاجمتها قوى الجيش وجرح ٣٥ عربيا ...

بعد هذا الحادث دعا المفتي الى اجتماع في المؤتمر الاسلامي اعلن فيه متابعة المظاهرات ، وقامت مظاهرة ضخمة في يافا منعها المندوب السامي دون نتيجة فهاجمت قوات الجيش البريطاني المتظاهرين امام جامع يافا الكبير بمشاتها وخيالتها ومصفحاتها فسقط ٣٢ قتيلا و١٦٧ جريحا كان بينهم الشيخ الجليل موسى كاظم الحسيني وعمره آنئذ ٧٥ عاما ، وقد توفي بعد ذلك في اذار ١٩٣٤ متأثرا من هذا الحادث ...

واعلن عن مظاهرة ثانية في يافا غير ان الشرطة هاجمت مبنى الجمعية الاسلامية المسيحية واوقفت وجهاء المدينة المجتمعين لدراسة تنفيذ المظاهرة ووضعوا في سجن عكا . اما المفتي الذي أصبح المسؤول الاول عن المقاومة فقد التجأ الى المسجد الاقصى ولم تجرؤ السلطات البريطانية على الاقتراب منه خشية اثارة الرأي العام الاسلامي ...

(قال المفتي : كان علينا ان نحمل السلاح ... وما من سلاح ...)

ارسل المفتي رجاله كي يأتوا بالسلاح من البلاد العربية المجاورة ، واخذ الوضع يتأزم بمرور الزمن ، ونشر المفوض السامي واكهوب جوا مرعبا في البلاد .

بداية الكفاح المسلح وظهور الشيخ عزالدين القسام

في تلك الفترة كان يتردد على المفتي الشيخ عز الدين القسام ، وكان المفتي يحيطه بعناية خاصة ، لقد جاء من سورية لاجئا فكان له المنصب الذي طلبه .

لم يكن الشيخ عز الدين القسام شيخا فقط ، فقد سبق له ان حمل السلاح وقاتل الافرنسيين عند دخولهم سورية حتى نهاية الثورة ثم لجأ الى حيفا ، كان صديق الفقراء معروفا بفضله وعلمه ، كان يدرس الدين في جامع حيفا الكبير ، ولما كان تعيين العلماء في المساجد من اختصاصات المجلس الاسلامي الاعلى الذي يرأسه المفتي فقد امر بتعيينه ليوفر لـه حياة

(١) كانت تعني املاك الدولة الارض التي يملكها رسميا السلطان ولكن الفلاحين كانوا يشغلون اكثرها عمليا . وعلى ذلك كانت ملك الدولة قانونيا ولكنها عمليا ملك الفلاحين الذين يزرعونها كابرا عن كابر منذ قرون .

(٢) الوقف . . هو ملكية جماعية في الشرع الاسلامي ، هناك نوعان من الوقف، الاملاك العائدة الى الاماكن المقدمة المساجد ، والوقف الذري .

ا ـ وقف الاماكن المقدسة : كل اهل البر يعطون عن تقى او تعطي الدولة ارضا او بناء او ملكا للانفاق من عائداته على خدمة الجوامع والمدارس التابعة لها وعلى القائمين على ذلك .

ب ـ الوقف الذري : كان بعض الملاكين الكبار رغبة منهم في الحفاظ على ما يورثون لابنائهم يوقفون في وصيتهم ما يملكون على ذريتهم فلا يستطيعون نقل ملكيتها لغيرهم ويعود عليهم دخلها .

وكان المفتي حفاظا على بعض الاراضي يشتريها القرية بصفته رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى ويسجلها وقفا على اهلها .فيمنع بيع القرية ويعمل الناس في هذه الارض فيعيشون فيها مقابل جزء يدفعونه للمجلس الاسلامي الاعلى يعادل الخمس حسب ما تقتضيه الشريعة الاسلامية وهكذا يزداد فوق ذلك الحفاظ على الارض .

(٣) في كثير من القرى في البلدان التابعة للعثمانيين كانت هناك اراض تدعى (المشاع) لم تكن مسجلة على اسم معين وانما كانت ملكيتها تعود للقرية كلها وكان يفلح عمليا تلك الاراضي الفلاحون الذين لا يملكون ارضا مسجلة باسمائهم .

(٤) كل ارض لم تكن مسجلة باسم ملاك كانت تعتبر ملكا للتاج أي الدولة وكان يعمل في تلك الاراضي منذ اجيال فلاحون دون ان تسجل باسمائهم نظرا للصعوبات التي يجدون لدى الموظفين المحليين .

شريفة ، فانعقدت حوله حلقة كان يوجهها في امور دينها ويحثها على مقاومة المحتل ...

وحين بدأت فلسطين كلها تتحدث عن الثورة بدأ الشيخ القسام يدعو الى الكفاح المسلح ويدعو الى المقاطعة . منذ سنة ١٩٢٢ لم يكن اي مسلم يخضع للاحتلال ،لان الخضوع له معناه انه خالف تعاليم الدين ...

ومنذ بداية ١٩٣٥ شهدت منطقة جنين وطولكرم ونابلس عدة اغتيالات لضباط بريطانيين وعمليات مغاوير فكانت القطارات تنسف وتهاجم الثكنات ويقتل من يتعاون من العرب مع الانكليز ... وكان القسام يريد بأي ثمن ان يساهم بنفسه في هذه العمليات ولم يكن يرضى ان يظل بعيدا حين يذهب تلاميذه للموت ...

ولقد استشهد القسام بعد ان اعلن الثورة رسميا في غابة « يعبد » القريبة من جنين في الخامس والعشرين من تشرين الثاني سنة١٩٣٥ وكان لاستشهاده صدى حزين وحداد في فلسطين وفي العالم العربي كله .

الشعب في فلسطين يحمل السلاح

لقد حسم عام ١٩٣٥ استشهاد الشيخ محمد عز الدين القسام وهو من الوجوه المعبرة عن روح الثورة الفلسطينية فترة المركة السلبية ، فعزم شعب فلسطين على حمل السلاح . كان القسام يريد ان يعطي مثلا وعاه الشعب فاحتذاه .

ولد الشيخ القسام (محمد عز الدين) في جبلة احدى مدن الشاطىء السوري الصغيرة سنة ١٨٨٢ وهو ابن الشيخ عبد القادر القسام رأس الطريقة القادرية الصوفية في تلك المنطقة . وكان هذا فقيرا يجني رزقه من التعليم في كتاب يعلم فيه القرآن الكريم والاناشيد الدينية .

رحل الشيخ عز الدين في بداية هذا القرن للقاهرة حيث درس في الازهر وكان لامعا في دراسته ،وتميز منذئذ بتدينه وبعد أن انتهى من تلك الدراسة

اقام قليلا في مسقط رأسه ثم قام برحلة لتركيا يدرس في مختلف جوامعها العقيدة كما كان يفعل المدرسون من السلف الصالح .

وبعد ان عاد الى بلدته اخذ يعلم مكان ابيه على مدى اوسع وقام بعمله على اكمل وجه ، فكان يدرس الصغار نهارا والكبار ليلا وعم المدينة حماس ديني شديد فكانت شوارع المدينة ترى مقفرة اذا اذنت صلاة الجمعة .

عندما غزت ايطاليا طرابلس الغرب دعا الشعب للجهاد وانتقى /٢٥٠/ متطوعا وقام بحملة تبرعات كي يؤمن معاش هؤلاء الرجال وعائلاتهم واتصل بالسلطات العثمانية فأبدت ترحيبا حارا وطلبت من هؤلاء المتطوعين السفر الى الاسكندرونة كي يستقلوا باخرة الى طرابلس الغرب وبعد ان وصلوا الى اسكندرونة انتظروا فيها اربعين يوما دون جدوى ثم تلقوا الامر من السلطان بالعودة الى بلدهم ، فبنوا مدرسة بمال التبرعات لتعليم الاميين .

عندما دخل الفرنسيون سورية باع الشيخ بيته وهو كل ما يملك واشترى اربعا وعشرين بندقية واعلن الجهاد وقاتل حتى سنة ١٩٢١ حين لجأ ورفاقه الى تركيا بعد ان انتهت الذخيرة لديهم اما الشيخ فقد ذهب مع ستة من اخوانه الى فلسطين كي يقوم بواجبه .

وفي فلسطين وجد الشيخ القسام كل ترحيب من المفتي الذي كان يعلم نضاله وورعه ، واختار الشيخ القسام حيفا وجامعها مكانا لاقامته ، فعين كما اشرنا من قبل المفتي خطيبا رسميا في المسجد ومدرسا ، فكان يدرس في مدرسة خاصة للصغار وكان يعيش ورفاقه الستة حياة تقشف ، كان الرفاق يعملون في ميناء حيفا بينما يدرس هو ويطهو لهم الطعام .

عرض عليه البعض التوسط لدى الفرنسيين للسماح لعائلته بموافاته وكانت ما تزال في جبلة فرفض قائلا :

(ارفض كل منح المحتل) فقام بالمهمة بعض اصدقائه السوريين وسمح لعائلته وعائلات رفاقه بموافاتهم الى فلسطين ، فعاشت العائلات السبع في

بيت واحد لانهم ما كانوا يملكون اجر بيت لكل عائلة ٠ فلقد كانوا يدفعون اكثر جنيهم لتمويل المجاهدين ، وتعلم في تلك الفترة رفاقه وكانوا قبلا اميين وساهموا بنقل رسالته الى الجمهور في حيفا وما كان يضيع وقته ، فقد كان يذهب الى المزارع فيدرس الفلاحين وهو يساعدهم في عملهم الزراعي ٠

كان مزاج الشيخ المتصوف ينعكس على سلوكه وتدريسه فما كان يقبل الضعف ايا كان مصدره ٠٠ يذكر عنه انه لما عين مدرسا للغة العربية في دورة تدريبية مسائية لموظفي الدولة لاحظ ان احد هؤلاء التلاميذ جاء الدرس سكران فصفعه امام الجميع وحرم عليهم جميعا التدخين في دروسه ٠

في سنة ١٩٢٩ طلب وجوه المسلمين في حيفا من السلطات البريطانية ان ترسل قوة للمحافظة على الجامع من هجوم يهودي محتمل ٠ فثار القسام ضد هذا الطلب قائلا في خطاب القاه بتلك المناسبة :

(ان جوامعنا يحميها المؤمنون منا ٠ ان دمنا هو الذي يحمي مساجدنا لا دم الآخرين ٠٠) ووصف الطلب بالجبن والمروق ودليلا على الخضوع والذل ٠ وعندما دعته السلطات للتحقيق فلم ينكر شيئا مما قال ، وعندما اوقف اعلنت المدينة الاضراب فاضطرت السلطات الى اخراجه من السجن ٠٠

كان يتمتع بشعبية كبيرة ٠٠ عندما رأى ان موعد الثورة حان القى خطابا في جامع حيفا استقال فيه من وظائفه ودعا الشعب الى ان يلحق به في الجبـــال ٠٠٠

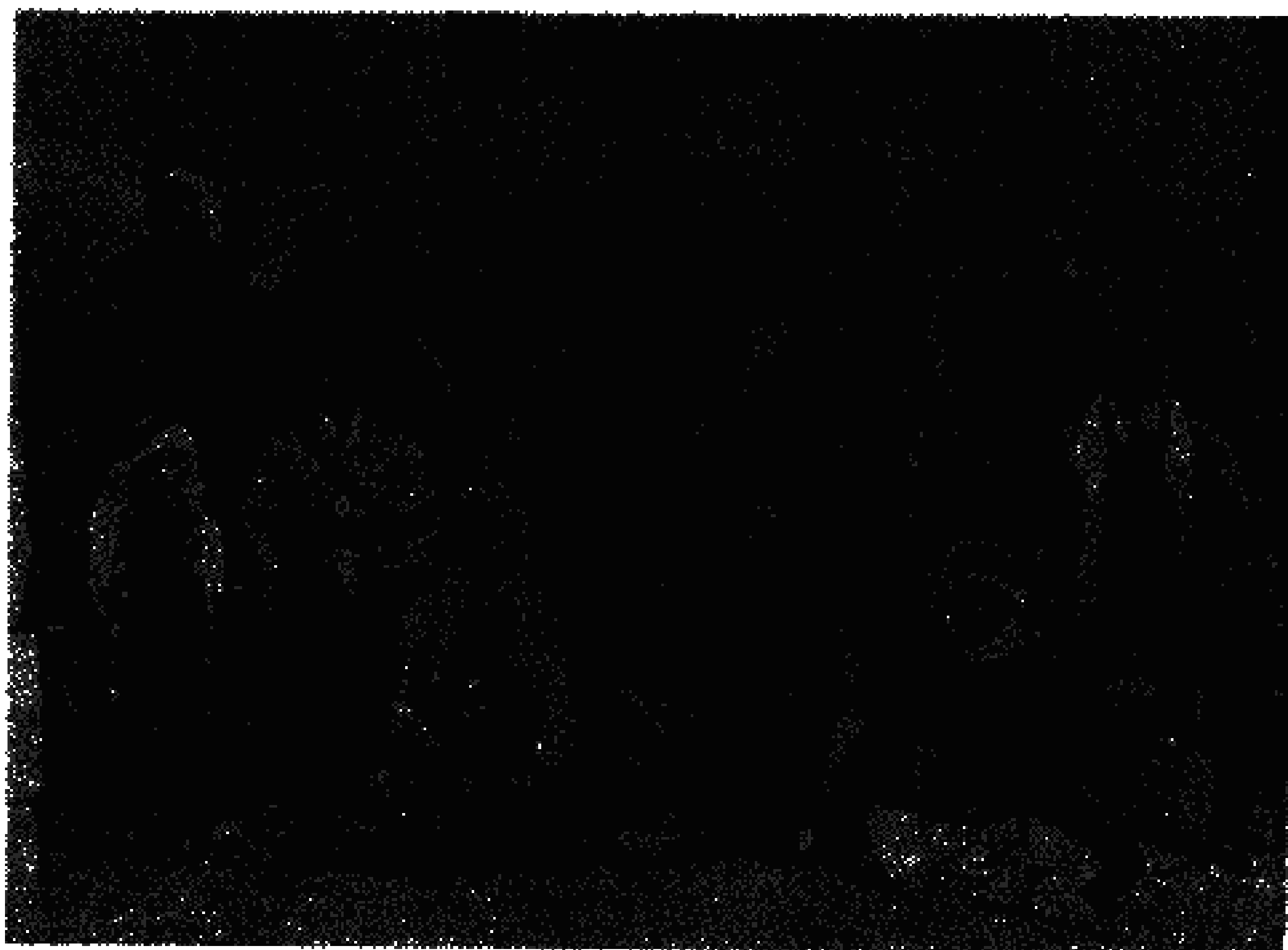
عندما هاجمه الانكليز ورأى ان مقدمة الهجوم من الشرطة العربية صاح برجاله : (لا تقتلوا ابناءنا) حتى اذا احيط به من كل جانب انتظر اقتراب الجيش منه حتى يطلق الرصاصة الاولى المؤذنة بأولى معاركه واخرهـــا في فلسطين ٠ ولقد دامت ثماني ساعات ٠ كانوا خمسة عشر رجلا فقط ٠٠٠

الفصل الخامس

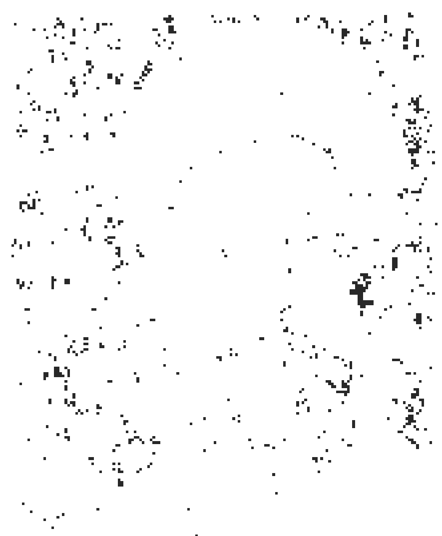


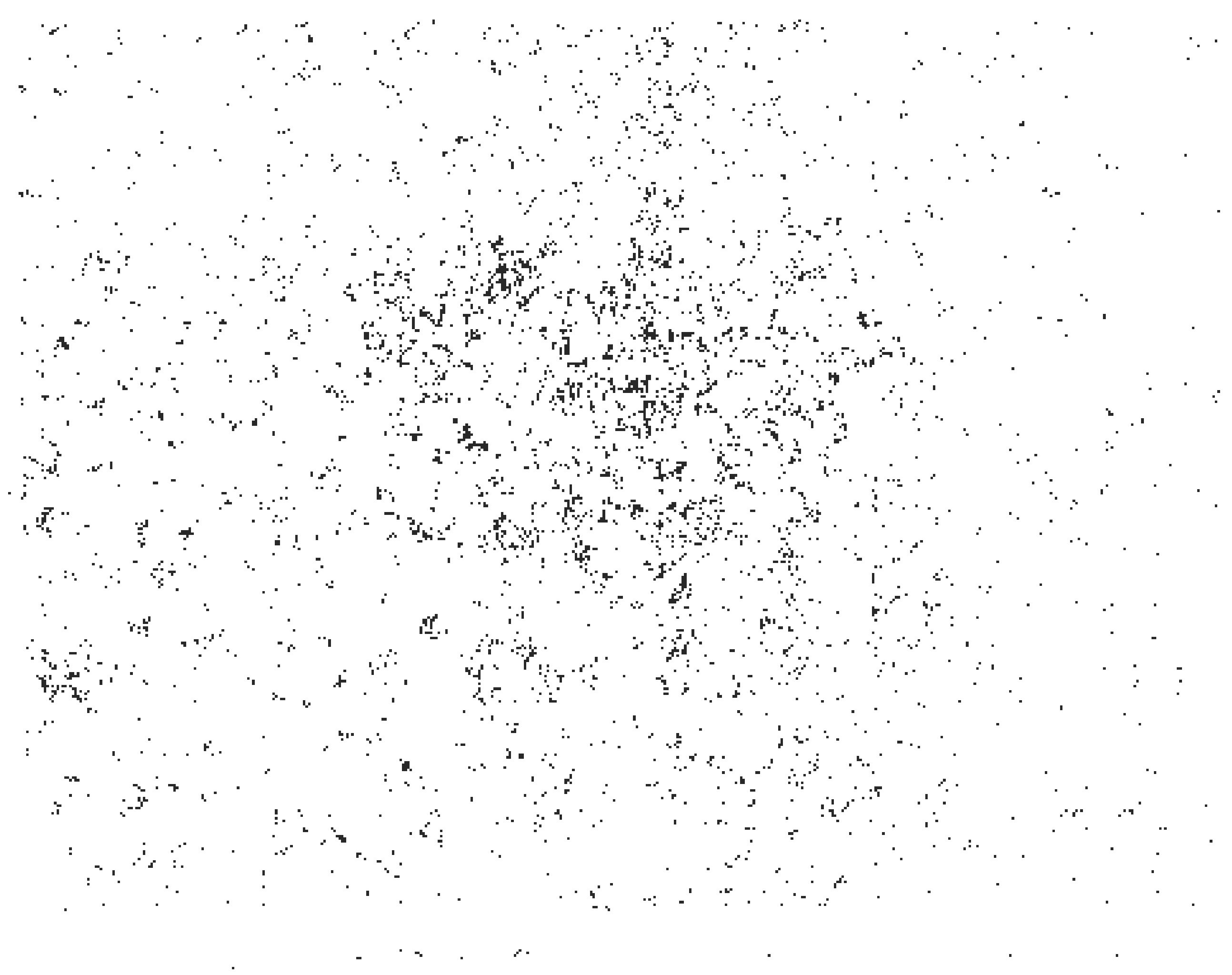
المجاهد الشهيد
الشيخ عز الدين القسام

الثورة الفلسطينية وتدخل الحكام العرب



الثائر محمد امين الحسيني وهو في مطلع شبابه الاول الى اليسار مع فريق من المجاهدين العرب





مرت البلاد في مرحلة تحفز ، وساد الهدوء حتى لعجب الانكليز واليهود لانهم لم يتعودوا ذلك ، كان الشعب يتسلح سرا ..

عندما توفي القسام شهيدا كانت اللجنة العربية العليا قد عزمت عـلى اللجوء الى السلاح ...

اعلن المفوض السامي قراره بتأليف مجلس تشريعي من ٢٨ عضـوا (١٤) من العرب و(١٤) من اليهود والانكليز والاجانب ومنع انتقال الاراضي في المناطق التي وجب ان يترك لها قطعة من الارض تكفي لاعالتها ... غير ان المسؤولين البريطانيين سحبوا هذا المشروع لان الصهيونيين هاجموه بعنف ، فأخذ المفتي واخوانه يعدون بدقة القيام بالثورة ...

اعلن في المرحلة الاولى في ٢٠ نيسان ١٩٣٦ اضرابا عاما ...

ودعا المفتي الى الوحدة الوطنية ، واجتمع زعماء الاحزاب الفلسطينية وانتخبوا لجنة منهم تضم جميع رؤساء الاحزاب الفلسطينية بدون استثناء

وانتخب المفتي رئيسا لها بالاجماع واعلنوا متفقين اهداف تألفهم وهي :

١ ـ ايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين •

٢ ـ وقف بيع الاراضي •

٣ ـ تأليف حكومة برلمانية ديمقراطية •

وألفت لجان فرعية دعيت باللجان القومية في كل مدن فلسطين •

امتد الاضراب سريعا الى كل البلاد فأغلقت المدارس وامتنع المحامون عن الدفاع امام المحاكم واغلقت غرف التجارة وتوقفت مكاتب المؤتمر الاسلامي عن العمل وساهم رؤساء البلديات والشرطة العرب واعلن الاطباء انهم يعالجون المرضى مجانا طيلة الاضراب ، وأضربت المتاجر، واعلن الفلاحون عن عدم بيع انتاجهم بالسوق حتى السجناء المحكومون بالاشغال الشاقة امتنعوا عن العمل ولم تفتح ابوابها سوى الصيدليات والافران •••

وملأ الاضراب عناوين الصحف العالمية فالتايمس تردد •• اليوم التسعون ••• العشرون بعد المائة للاضراب وتعاظمت الحركة واخذ الخطباء في الجوامع والكنائس يدعون الى مزيدمن المقاومة ، وبدأوا يدعون الى حمل السلاح •

ودعت اللجنة العربية العليا الى مواصلة المقاطعة ، كما دعت الى عدم دفع الضرائب ، واستخدمت السلطات البريطانية المادة الرابعة من قانون الغرامات المعمول بها في فلسطين الذي يقضي بأن يدفع الشعب نفقات الجيش الذي يؤتى به الى البلاد لحفظ الامن •

وفي اول آيار (مايو) اذاعت رويتر برقية تصف الحالة القلقة في فلسطين فتقول : (القيت قنبلة على مركز الشرطة في حيفا واحرقت في يافا مدرسة يهودية والقدس يسودها منع التجول ، سبعة عشر جريحا من العرب) •

واعلنت دوائر المندوب السامي عن وقوع حريق في ميناء حيفا تمكنت السلطات من حصره وعن حوادث عديدة في مختلف المدن الفلسطينية •

وجاء في تلك الفترة نوري السعيد وزير الخارجية العراقية الى القدس فزار المفتي كما حاول الامير عبدالله ـ الملك عبدالله فيما بعد ـ وجد الملك حسين ـ ان يتدخل لتهدئة الوضع وايقاف الثورة غير انهما لم يتمكنا من اقناع المفتي بتخفيف حدة الثورة •••

في الثامن عشر من ايار اعلنت بريطانيا العظمى عن عزمها على ارسال لجنة ملكية لدراسة اسباب الثورة كما ألح المندوب السامي على المفتي لايقاف الثورة ولو الى فترة من الزمن فاعلن المفتي عن مقاطعة اللجنة •

اخذ اليهود يخلون المستعمرات واذاعت رويتر في ٤ حزيران ١٩٣٦ البرقية التالية :

(امتلأت القدس باللاجئين من المستعمرات حتى غدا تموينهم عسيراً••)

وفي ١١ تموز اطلقت النار على المندوب السامي • واخذت البيانات الرسمية تتتابع معلنة وقوع القتلى والجرحى والاغتيالات وحوادث القطارات ••• الخ • واوقف بعض زعماء اللجنة العربية العليا وارسلوا الى سجن الحفير ، واشتد القتال فمن استطاع من الشعب الحصول على السلاح التحق بالثورة •

شهداء رفعوا راية الكفاح المسلح

ـ صاحب السماحة ألم ترهقك هذه الاحداث ؟

نظر الي مندهشا وقال : (ليس الانسان بمنجاة من الارهاق ولكن المسلم الحق من انتصر على نفسه ، وفوق ذلك كان اولئك الذين يستشهدون على اراضي المعركة يقدمون مثلا للعالم اجمع ولاعطكم مثلا ••• الشيخ قاسم محمد الشايب الذي قتل في ساحة الشرف وما كان يحمل غير قرآن واني

عشر قرشا كانت كل ثروته . بعد معركة الكرمل جاءت قروية الى ارض المعركة كي تعين الجرحى ، وكانت تعلم ان ابنها من الثوار حتى اذا رأت احد الشهداء قالت : انه يشبه ابني واقتربت منه فقالت : (انه ابني) وزغردت فرحا حتى اذا علم اهل القرية بموقفها جاءوها مهنئين . من يعيش بين هـــذا الشعب تزداد همته ..)

اخــذ الملوك والرؤساء العرب يلحون لايقاف الثورة وفي الثامن مــن تشرين الاول ١٩٣٦ اذيعت بيانات اربعة موقعة من الملك عبــد العزيز آل سعود ، ملك العربية السعودية ، ويحيى حميد الدين ملك اليمن ، وغازي ملك العراق ، والامير عبدالله امير شرقي الاردن ، تدعو الشعب لوقف الثورة وكانت تلك البيانات ذات نص واحد ...

القدس ــ سماحة الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين ...

الى ابنائنا عرب فلسطين .

لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مــع اخواننا ملوك العرب والامير عبدالله ندعوكم للاخلاد للسكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل.. وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم .

واذاع المفتي بــدوره بيانا باسم اللجنة العربية العليا اعلن فيـــه ان اللجنة قررت بالاجماع وبعد استشارة اللجان القومية وموافاتها باتفاق الاراء أن تلبي نداء أصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو الامير بالبيان المثبت اعلاه وان تدعو الامة العربية الكريمة في فلسطين للاخلاد الى السكينة وانهـــاء الاضراب والاضطرابات ابتداء من صباح الاثنين الواقع في ٨ تشرين الاول وبأن يبكر افراد الامة العربية في صباح ذلك اليوم الى معابدهم لاقامة الصلاة على ارواح الشهداء ورفع الشكر لله تعالى على ما ألهمهم من صبر وجلد ثم يخرجون الى فتح مخازنهم ومزاولة اعمالهم .. بعد ذلك بقليــل اعلن وزير

المستعمرات في مجلس النواب عن دخول (١٨٠٠) يهودي جديد الى فلسطين وبدأت البلاد تتحرك من جديد ، وتلقى المفتي رسالة من العاهل السعودي ..

(من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى حضرة صاحب السماحة الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا حفظه الله ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فلقد وصل الينا وفد اللجنة العربية العليا وعرض علينا الموقف الحاضر في فلسطين والاسباب التي حملت لجنتكم على مقاطعة اللجنة الملكية وبعد استماعنا لكل ما ابداه الوفد الكريم من مبررات لموقف لجنتكم وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في انصاف العرب فقد رأينا ان المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية والادلاء اليها بمطالبكم العادلة لان ذلك اضمن لحقوقكم وادعى لمساعدة اصدقائكم في حسن الدفاع عنكم ... وقد أبدينا للوفد الكريم جميع ما لدينا من الاراء في ذلك ونحب ان تكونوا على ثقة باننا لا نألو جهدا في سبيل مساعدتكم لاصلاح الحال بقدر امكاننا واننا لنرجو من الله ان يوفقنا جميعا لما فيه الخير للاسلام والعرب. واقبلوا احتراماتنا الفائقة .)

أمام الحاح الملوك العرب وجد المفتي نفسه مكرها على أن يقدم للجنة الملكية في ١٢ كانون الاول سنة ١٩٣٦ المطالب العربية قائلا :

(واخيرا فان العرب لا يرون اية فائدة أو أمل من اصلاح في ادخال تغييرات ثانوية لان الداء انما هو في الاساس وما لم يعالج الاساس معالجة صحيحة فان الداء يظل مستفحلا والشر متفاقما وفي اعتقاد العرب ان المعالجة الاساسية والصحيحة هي في :

١ ـ العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي الفاشلة التي نشأت عن وعد بلفور واعادة النظر في جميع النتائج التي نتجت عنها والتي ألحقت الاضرار والاخطار بكيان العرب وحقوقهم .

٢ ـ ايقاف الهجرة اليهودية ايقافا تاما وفورا .

٣ ــ منع انتقال الاراضي العربية منعا تاما وحالا •

٤ ــ حل قضية فلسطين على الاسس التي حلت عليها قضايا العراق وسورية ولبنان بانهاء عهد الانتداب وعقد معاهدة بين بريطانيا وفلسطين تقوم بموجبها حكومة مستقلة وطنية ذات حكم دستوري تمثل فيها جميع العناصر الوطنية ويضمن للجميع فيه العدل والتقدم والرفاهية • والنتيجة فان سياسة انشاء وطن قومي يهودي في هذه البلاد العربية من طبيعتها ان تؤدي الى استمرار القلق والاضطرابات وتجعل من هذه البلاد المقدسة وطنا دائما للفتن بينما هي أحق بلاد العالم بالسلام والطمأنينة •)

لم يكن لدى اللجنة الملكية الحق في دراسة منشأ الخلاف • كان هدفها كما أعلنه وزير المستعمرات في مجلس العموم انتقوم بدراسة عميقة لاسباب النزاع كخطوة اولى للتهدئة : (ان رغبة حكومة جلالته هي اعادة النظام ومن أجل هذا الغرض تقترح على جلالته تعيين لجنة ملكية تدرس اسباب الفوضى ومطاليب العرب واليهود دون التعرض لروح الانتداب •)

سميت اللجنة لجنة بيل باسم رئيسها • ولقد قدمت تقريرها في ٧ تموز ١٩٣٧ الذي يرمي الى تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب وبقاء السلطة البريطانية في منطقة القدس على ان يضم الجزء العربي للاردن •

ولاول مرة يذكر التقسيم كنتيجة طبيعية للتيه في تأسيس الوطن القومي اليهودي•

لقد دام الهدوء شهورا اربعة تحت الحاح الملوك العرب وفي ٢٦ ايلول سنة ١٩٣٧ هاجم اربعة من الشباب العرب المستر اندروز حاكم الجليل ومساعده كوردون وهما خارجان من الكنيسة الانكليكانية في الناصرة واردوهما قتيلين وأوقف عدد من الزعماء والاطباء والسياسيين ••• واستؤنفت الثورة•

قال المفتي :

(اخذ يعاني أفضل رجالنا من ساسة ورجال دين اقسى التعذيب •••

الضرب بالسوط والتعذيب على اختلاف اشكاله ..

ـ اسمحوا لنا بمقاطعتكم ... تزعم بعض الكتب الاجنبية ان الانكليز كانوا متسامحين مع العرب ولم تشر تلك الكتب للتعذيب . اما عن السجون فالانتداب البريطاني يقول انه ادخل عليها تحسينات ، وقد كانت اوضاعها مؤسفة في العهد العثماني ؟

اجاب المفتي على سؤالي بقوله :

« لقد قتل ١٢ ألفا من الفلسطينيين تحت الانتداب البريطاني . ولاحدثكم قليلا عن سجونهم .. لقد عذب المجاهدون بشكل لا يشرف الانتداب البريطاني ، لقد خضعوا الى انواع منه تفضح لا انسانية ذلك الانتداب بل لقد أوجد البريطانيون سجونا لم يكن لها وجود في العهد العثماني ، ولاعدد لكم السجون الرئيسية ..

معتقل الحفير الواقع على عدة كيلومترات من بئر السبع . وكان مركز اتصال بين القطعات العسكرية في العهد العثماني واستخدمه الانكليز لمراقبة المهربين وفي سنة ١٩٣٦ اصبح معتقلا سياسيا نظرا لوقوعه على اطراف الصحراء وبعده عن المدن . ولقد اعتقل فيه عوني عبد الهادي وقدري طوقان واكرم زعيتر والشيخ صبري عابدين وغيرهم ... كان السجناء يعيشون فيه في ابنية خشبية يعانون مناخا صحراويا شديدا ..

وسجن غزة المؤلف من زنزانات وقواويش غير صحية كان يعطي فيه السجين غطاء واحدا . وكان الميجر (هارنكتون) يشرف فيه بنفسه على التعذيب .

اما سجن عكا الذي لم يكن غير جزء من القلعة القديمة ، كثير الرطوبة فكان يكدس فيه السجناء ويمنعون حتى عن التدخين .

واقيم في ضواحي عكا معتقل المزرعة المؤلف من ابنية خشبية ، بلغ عدد السجناء فيه سنة ١٩٣٧ (١٣٠٠) سجينا كانوا يكرهون على الجلوس جميعا

القرفصاء صباحا فيستعرضهم آمر المعتقل البريغادير (ستيل) فينقر عـــلى رؤوسهم واحدا بعد الاخر . في ذلك المعتقل شنق الشيخان فرحان السعدي وابو درة ...

وسجن المسكوبية ... حول الانكليز سنة ١٩١٨ بناء الدير الروسي فجعلوه لمحاكم حكومة فلسطين واستخدموا قبو النبيذ المتعزل الى سجن يعذب فيه المجاهدون . لقد اقترفت في ذلك السجن اساليب لم تكن معروفة قبـلا كان يؤتى بالشيخ ويكره على اكل قشور البطيخ او ان تفرك وجوههم بـا ويبدو انهم وجدوا ان تلك الوسيلة اكثر حضارة من الضرب...

ثار الشعب ، وكان لا بد من حمل السلاح...

ـ وهل حملتم السلاح ؟

اني ضابط قديم لي خبرتي في الحرب وليس الدم الذي يجري فيعروقي دم العلماء فحسب وانما دم المجاهدين ...

ـ زعمت بعض الشائعات بعد حوادث ١٩٢٩ انكم كنتم تودن مغادرة البـلاد ؟

ـ ابدا ... كانت تلك تخرصات لا صحة لها زعمها وفد المحامين الذي رأسه السير بويد مريمان ، وقد جاء يدافع عن الصهيونيين امام لجنة شـو . لقد ذهبوا الى اني عزمت على القيام برحلة لاوروبا للدعوة لقضيتنا قبل ذلك فأعددت جواز السفر والتأشيرات اللازمة لتنقلاتي ، ولما انفرجت الازمـــة أوقفت كل شيء وألغيت الرحلة وبقيت الى جانب اخواني . وكانوا يريدون من ذلك اقناع اللجنة باني المسؤول الوحيد عما يجري في فلسطين وان شعبنا كان يقبل الانتداب وبوعد بلفور لولا وجودي . ولست بحاجة لاقيم الدليل على باطل هذه الحجة .

لقد اثبت تاريخ القضية الفلسطينية ان شعب فلسطين تعلق بها روحـا وجسدا ودافع عنها بشجاعة عظيمة . انه لم يستسلم ولم يتخل عن المعركة رغم

الآلام التي تحمل ورغم الشقاء الذي يهيمن على مصيره . ولقد اعلنت ذلك للجنة الملكية فقلت :

كنت في الحقيقة معولاً على السفر وعندما تبينت التآمر الذي يحاك للشعب والشر الذي يراد به بدلت رأيي وعزمت على الوقوف معه في الساعات الحرجة . لقد ادعى الصهيونيون الى اني كنت سأترك البلاد .. اعلن اني لو كنت خارج البلاد لرجعت دون ان اتردد لحظة الى ميدان المعركة كي ادفع العدوان عن ابناء وطني واتحمل الواجب المفروض على كل فلسطيني وخاصة علي أنا ... وكيف يمكن لي ان اخيب رجاء شعب فلسطين الذي منحني الثقة من كان يستطيع التنبؤ ساعتئذ اني اكره بعد ثماني سنوات على مغادرة البلاد ؟

ولم تكن في نيتنا فوق ذلك ان نوقف المعركة لولا تدخل الملوك والرؤساء العرب . كنت ارغب أن تستمر الثورة ، ولكن الملوك والرؤساء العرب ظنوا أن تدخلهم يحل الازمة فقد المهم ان يروا شعب فلسطين معرضا للاختيار بين ترك الارض وبين الذبح . كانوا يريدون ان يوفروا عليه تضحيات لا جدوى منها وكنت أذهب الى ان التضحية وحدها هي التي تؤدي الى حل مقبول لقضيتنا . كان علينا امام عناد الصهيونية وبريطانيا العظمى ان نستمر بالمعركة مهما كان الثمن ولكني اضطررت امام الالحاح على افساح المجال امام الملوك والرؤساء ليتلمسوا بانفسهم غدر بريطانيا والصهيونية .

في اليوم الذي اتخذنا قرار وقف الاضراب وما رافقه من اعمال ونفذ ذلك في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٦ سيطر على فلسطين جو ثقيل ..

ارتأت اللجنة العربية العليا ان تدرس مع الزعماء العرب الموقف الواجب اتخاذه تجاه اللجنة الملكية (لجنة اللورد بيل) وكان الفلسطينيون ميالين لمقاطعتها وكنا نود التشاور مع الزعماء العرب في مثل هذا الموقف وذهبت عدة لجان الى مختلف العواصم العربية لهذه الغاية ..

وسافرت انا خلال فترة الحج الى السعودية فقد كانت خير فرصة اشرح فيها للمسلمين الذين يجيئون من مختلف ارجاء العالم القضية الفلسطينية وكان أعضاء الوفد السيد عزة دروزة (فلسطيني) ورياض الصلح (لبناني) وكامل القصاب (سوري)... كنت أذهب دائما برفقة وفود تمثل عدة بلدان عربية لاني اقدر ان مسألة فلسطين لا تتعلق بالفلسطينيين وحدهم وانما بالعرب عامة والمسلمين قاطبة ..

وعندما اجتمعنا مع جلالة المرحوم الملك عبد العزيز سعود قدمت له عرضا كاملا للوضع وتطرقت رغم ان هدف الزيارة كان القضية الفلسطينية الى ضرورة بذل الجهد لتحقيق الوحدة العربية ، فكلفني بأن انقل استعداده لتحقيق هذا الهدف للحكومة العراقية التي كانت تصلني بها احسن الصلات.

وما ان عدت الى فلسطين حتى ذهبت الى دمشق في وفد آخر كي اقابل المرحوم رئيس الجمهورية السيد هاشم الاتاسي ولم تطل اقامتنا في دمشق فقد جاءتنا انباء مقلقة عن فلسطين دفعتنا للعودة الى القدس على جناح السرعة.

عندما قدمت لجنة بيل تقريرها في ٢٢ تموز الى الملك سارت شائعات تفيد انه يحوي قرارا بالتقسيم فثارت الافكار . وفي دمشق علمت ان السلطات البريطانية خرقت الهدنة وعمدت الى تنفيذ التقسيم بالقوة واخذت توقف المناضلين ولقد استغربت السلطات البريطانية عودتي ظانة اني انتهزت فرصة الهدنة فنجوت بنفسي ، وأخذت ترسل لاقناعي بقبول حلولهم وحاولوا معي كل وسائل الترغيب فعرضوا العروض المغرية من مركز وألقاب ... وامام تشبثي تبدلت اللهجة فانقلبت من اللطف الى التهديد وارسل لي مدير المخابرات بواسطة اصدقائه قائلا ان الانكليز مصممون على اللجوء للاسباب التي تمكن لمصلحة بريطانيا وانهم مستعدون الى ركوب المخاطر واستخدام القوة للوصول الى مراميهم ونصحوني بالحكمة خيفة على مصير عائلتي واصدقائي واثاروا

الشائعات الزاعمة اني الوحيد الذي يقف ضد سياستهم وفي ذلك الحين وفي ١٦ تموز ١٩٣٧ نشرت جريدة التيمس مقالا تقول فيه : (ان المفتي هو العقبة الوحيدة امام حل القضية الفلسطينية والتفاهم مع اليهود ولولا الخوف من محمد امين الحسيني لظهر كثير من المعتدلين على المسرح وعلى الحكومة البريطانية الا تترك الساحة خالية لنشاطه بل عليها ان تقيله من مناصبه وخاصة من رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى وان تلجأ ضده للقوة وضد القسم المتعصب المتطرف الخ ...)

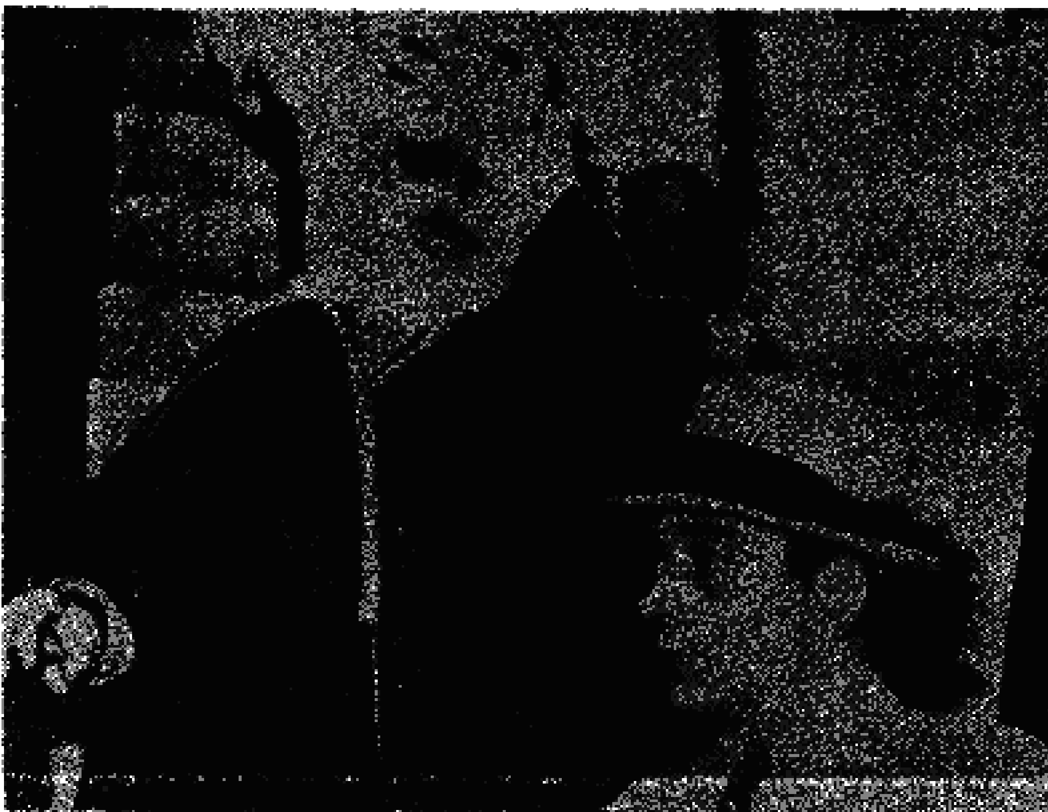
كان المقال يكشف عن نوايا الانكليز العدوانية ضدي واتخذت الاحتياطات لمعرفتي بعلاقات التايمس الرسمية وشبه الرسمية ...

الفصل السادس

المفتي يغادر فلسطين



الزورق العادي الذي انتقل بواسطته المفتي من يافا الى جنوب لبنان



المفتي حين وصل الى لبنان بعد ان غادر فلسطين سرا وافلت من حصار الانكليز



يقول المفتي :

في ١٧ تموز ١٩٣٧ في الساعة الخامسة حوصرت مكاتب اللجنة العربية العليـا من قبل البوليس البريطاني الذي احتل الشوارع المؤدية اليها والحي المحيط بها ، وكنت آنئذ أرأس جلسة عامة.وكان الضابطان ركس وفيزجيرالد يقودان تلك القوة وبعد انقطعت خطوط الهاتف هاجمت القوة قاعة الاجتماع ولما لم تجدني بحثت عني في كل الغرف . في تلك اللحظات كنت اسلك طريقي بهدوء الى المسجد الاقصى فلقد خرجت من الباب الخلفي عندما احتلت القوة الحي وكانت سيارتي تنتظرني كعادتها عند الباب عندما ازور مكانا مـــا و «برناوي» (١) جالس الى جانب السائق وكان وجوده في السيارة يعني اني في المكاتب ، واستطعت بهذه الطريقة الوصول الى باب المدينة القديمة التي تحيط بها اسوار عالية بنيت في العهد العثماني فدخلت الباب متجها الى بيتي الــذي

(١) البرناوي : طفل نيجيري تربى في كنف المفتي ولازمه كظلــه في حـــله وترحاله ، والرحلة الوحيدة التي تخلف عنها تلك التي اختفى فيها المفتي مـن طهران وظهر فيما بعد في بلاد المحور ، والسبب في تخلفه يعود الى انه كـــان معتقلا من قبل الانكليز طيلة ايام الحرب العالمية الثانية .

يشرف على الجدار الغربي للاقصى والرواق الكائن مكان البراق .

في حرم المسجد كان يقيم عدد من المجاهدين المدججين بالسلاح المستعدين للقتال ...

وهكذا فشل المخطط البريطاني الرامي للقبض علي، فقد كانت هنالك على باب مكاتب اللجنة العربية العليا مصفحة مستعدة لنقلي الى حيفا ومنها الى جزر موريس في المحيط الهندي على الطراد ربياليس ..

امام هذا الفشل وبعد ان عرف الانكليز اني في الاقصى حاصروا حرمه شهورا ثلاثة فأحاطت به قوة كبيرة وقطع عنه الكهرباء والهاتف ، وفي هذه الشهور الثلاثة جاء الانكليز بقوة عسكرية من مسلمي الهند مستهدفين احتلال الاقصى بالقوة والقبض على المجاهدين ...

تمسكت في تلك الفترة بالبقاء في فلسطين مؤملا مشاركة المقاتلين والعمل بالثورة المسلحة ولكن هذه الرغبة لم تتحقق ، وساهمت الظروف بغير ذلك، واخذت الاحداث تتلاحق سريعا ، وما كنت اريد ان يتحول الاقصى الى ساحة قتال يسيل فيها الدم ، كنت اخاف كثيرا عليه اريد ان اجنبه المخاطر وانقذه من التعرض لما ينال منه ، وكيف اسمح لنفسي بالنيل من قدسيته وقيمته؟ كان قرار ترك فلسطين خارجا عن ارادتي . كانت تلك ارادة الله ...



ولعله من المفيد ان يلم القارىء ببعض الاحداث التي وقعت في تلك الفترة والمفتي في الاقصى .. خا بـامل الشعب الفلسطيني عندما اعلن تقرير لجنة بيل ورفض محتواه وارسلت اللجنة العربية العليا مذكرة للملوك العرب تعلن فيها رفضها للتقسيم وتصر على تحقيق آمال شعب فلسطين .

وفي آب (اغسطس) ١٩٣٧ قدمت الحكومة البريطانية المشروع الى عصبة الامم فرفضته لجنة الانتدابات التي يرأسها المركيز (تيودولي) فعرضته الحكومة البريطانية على الهيئة العامة بعد شهر من ذلك بواسطة وزير

خارجيتها المستر ايدن فهاجم المشروع وزراء خارجية مصر والعراق وايـران وافغانستان والبانيا وخاصة الرئيس دوفاليرا رئيس وزراء ايرلندا ورئيس وفدها لدى العصبة الذي رد على برقية الشكر التي ارسلها اليه المفتي قائلا : (ان التقسيم هو اكثر الاسلحة لا انسانية التي يستخدمها الاستعمار لتمزيق قلوب الشعب الخاضعة له ٠)

وفي ٨ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٧ انعقد في سورية وفي بلودان الواقعة على بعد ٤٥ كم من دمشق مؤتمر عربي جمع ٤٥٠ عضوا مثلت فيه مختلف الاتجاهات العربية رأسه ناجي باشا السويدي وناب عنه في الرئاسة الامير شكيب ارسلان ومحمد علي علوبة باشا والمطران حريكة ٠

كان الهدف من المؤتمر بحث القضية الفلسطينية ، واتخذ القرار بالاجماع (ان فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي والعرب يرفضون جميعا تقسيمها او اقامة دولة يهودية على ارضها ٠) واقسم المجتمعون وقوفا امام الله والتاريخ والشعوب العربية والاسلامية ان يستمروا بالكفاح حتى تحرير فلسطين٠

دفعت القضية الفلسطينية ، وقد أخذت أهمية كبرى في نظر العالم عامة والعرب خاصة ومقاومة الفلسطينيين العنيدة من جهة ودفع الصهيونية المستمر من جهة اخرى السلطات البريطانية لاستخدام القوة ٠ وكانت حادثة مقتل اندروز ايذانا ببدء المعارك ٠

بدأت بريطانيا بحل اللجنة العربية العليا والمؤتمر الاسلامي وكلفت لجنة من ثلاثة موظفين ـ اثنان منهما بريطانيان ـ يرأسها المستر كركبرايد بادارة الاوقاف والمحاكم الاسلامية الشرعية واوقف اكثر أعضاء اللجنة العربية العليا ونفوا الى جزر سيشيل ٠ واتخذت لجان منظمة الجهاد قرارا بسفر قائدها الى سوريـة قبل استئناف الثورة في ١٥ تشرين الاول ٠



يقول المفتي :

(عندما أكرهت على مغادرة البلاد اعددت بيانا دعوت فيه الشعب لاستئناف حمل السلاح في ١٥ تشرين الاول • لم يكن تركي بلادي سهلا ••• كانت المدينة القديمة كما ذكرت لكم محاطة بالجيش البريطاني المعسكر حول الاسوار •

عندما وصلت الى بيروت اتصلت بي الدايلي اكسبرس تعرض علي مبلغا كبيرا لقاء مقابلة ابين فيها نفس الطريق التي تبعتها • فرفضت العرض اعتقادا مني انه قد يأتي يوم اسلك فيه نفس الطريق !) وها انا اتحدث اليك عن ذلك •

التواري الثاني

كنت اسكن احد بيوت القدس القديمة وهي جزء من الحرم يتصل بالمبنى الرئيسي للاقصى وأظنه كان قديما احد المدارس التي تحيط بالمسجد ، ولقد اتخذت احتياطي منذ بداية الكفاح فأغلقت كل منافذ البيت (من ابواب ونوافذ) عدا ما اتصل بفناء المسجد واحدثت ممرا متصلا ببناء قديم هو مدرسة تتصل بدورها بالابنية المجاورة •• وفي اللحظة التي اجتزت فيها الممر تبينت كم كنت على حق فيما فكرت باقامته •

بعد أن خرجت من الاقصى تسلقت سور المدينة القديمة الجنوبي حتى بلغت قمته وكان هنالك حبل ثبته الاصدقاء ودلفت مستعينا بالحبل من علو عشرين مترا مع رفيق الرحلة عارف الجاعوني ، وهبطنا في بستان كان صاحبه يرقب رواح وغدو الدوريات البريطانية ، وعوت الكلاب لما رأتنا ولكن احدا ما انتبه وظللنا في ذلك البستان حتى تأكدنا من سلامة الخروج منه ومن هنالك نزلنا وادي الربابة ثم صعدنا الحي العربي القائم على جبل الشيخ حيث كان ينتظرنا بعض الاصدقاء في سيارة ، كنت متخفيا في ثياب بدوي وتركت القدس في الساعة السابعة من مساء ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٧•

ولقد أوقفت الشرطة السيارة عدة مرات على طريق يافا ، وفتشت• ذهبنا

مباشرة الى بيت الصديق المرحوم يوسف ضيا الدجاني الذي كان يسكن تلك المدينة على شاطىء البحر وكان قد هيأ مركبا لننتقل فيه الى بيروت ولكن الانكليز صادروه وقد شكوا بامره ، ولما كنا مكرهين على الرحيل سريعا قبل ان تكتشف امرنا السلطات ، استقلينا قاربا صغيرا لا يتجاوز طوله ثلاثة امتار صاحبه بحار شجاع من يافا اسمه يوسف الطويل وسافرنا في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل متكلين على الله مجانبين ما استطعنا قوارب دوريات حرس الشواطىء الانكليزية البحارية • وأبحرنا محاذرين الشاطىء كي لا نثير الانتباه، ينير طريقنا اشعة الابنية التي على الشاطىء • وسرنا سيرا بطيئا حذرا وقضينا عدة ساعات حتى اجتزنا مرفأ يافا وتل ابيب ، وعندما انبلج الصبح كنا أمام قرية سيدنا علي وهي قلعة ارسوف الصليبية الشهيرة ، وشاهدنا اقتراب مركب حربي فنزلنا الى الشاطىء حتى يبتعد عنا ولما عدنا الى البحر هبت ريح معاكسة اكرهتنا على طي الشراع واستخدام المجاذيف ، وفي المساء نزلنا الشاطىء مرة اخرى كي نستريح عند صخرة ، ولم نستطع في ١٥ ساعة ان نجتاز أكثر من ٤٠ كيلومترا •

وبعد ان ارتحنا عاودنا السفر حتى الفجر الذي رأينا اول انواره جنوب حيفا في محاذاة قرية طنطورة فتوقفنا هناك كي نأكل وننام قليلا في مغارة يلجأ اليها المهربون •

ـ بماذا كنتم تشعرون في هذه الساعات الصعبة ؟

ـ صعب علي أن احدد ذلك كان التعب يسيطر على كل العواطف الاخرى ولكن الخوف من ان يكتشف امرنا كان يضطرنا على التغلب عليه وكان الخطر يدفعنا الى مضاعفة الجهد ، وكنا نجد القوة رغم الانهاك • ان مقاومة الانسان لا حدود لها في الساعات الصعبة • كلما اجهد الانسان شد الله في أزره •

فارقت فلسطين وانا احس بمرارة شديدة ومع ذلك كنت احافظ على الامل بمتابعة الكفاح • كانت هذه الاحساسات ممزوجة بالخوف من ان يكتشف امرنا • وفي الساعة التي أطبقت جفني كي انام قليلا جاءت دورية من

الشرطة المكلفة بمكافحة التهريب فنهض يوسف يستقبلهم مرحبا فأجابه الشرطي: (ظنناكم مهربين) وألح على دعوتنا للغداء فاعتذرنا وعندما ابتعدت الدورية عدنا الى القارب وجاءتنا ريح موافقة دفعتنا باتجاه لبنان وعندما تجاوزنا حيفا اخذ الكرمل يختفي قليلا قليلا عن عيوننا ..

وقليلا بعد ان تجاوزنا شاطىء فلسطين جاءنا مركب بخاري فرنسي من حرس الشواطىء فأوقفنا واقتادونا الى مدينة صور وهم يعتقدون انهم قبضوا على مهربين يراقبونهم ولكنهم احسوا بالخيبة عندما وجدوا انهم أخطأوا . وقدمت لهم نفسي باسم محمد الجعفري فلم يقنعوا بذلك رغم قناعتهم اننا لسنا من المهربين ، فقد شكوا في أمر ذلك المركب الذي يجيء من فلسطين ، وجاء بعد ذلك مدير الامن العام فحاولت اقناعه لاطلاقنا فما نجحت واقتادنا الى رئيسه مسيو كولومباني مدير الامن في بيروت الذي عرفني حالا رغم تنكري ومنعني من متابعة الطريق الى دمشق . أوقفت توقيفا مؤقتا ، وبعد أيام استمرت فيها الاتصالات بين السلطات الانكليزية التي كانت تطالب بي والسلطات الفرنسية التي ارتبكت لوجودي ، وسمح لي بعد ذلك بالسكنى موقتا في بيت الدكتور سامح الفاخوري رئيس المؤتمر الاسلامي في لبنان. ثم أرسل الي بعد ذلك الكونت دي مارتل المفوض السامي الفرنسي في سورية ولبنان مدير غرفته كي يعرض علي الاقامة في باريس فرفضت .

وحاولت حينئذ الخروج من الورطة التي وجدتني فيها فقررت وزميلي ان نحاول الفرار مرة اخرى بواسطة الحبل وكان البيت الذي نسكنه في الطابق الثالث تحرسه الشرطة من الخارج وينام فيه بعض الضباط للحراسة، واستطاع صديقي الذي اعانني في الخروج من فلسطين الحصول على حبل واخذنا ننتظر الوقت الملائم لربطه بالنافذة ، كان الغيث مدرارا تلك الليلة وكان بوسعنا التنفيذ فيها لندرة العابرين في الطريق ..



قامت ضجة كبرى في بيروت بعد وصولي اليها ، وانتشرت في العاصمة انباء الاتصالات التي نجمت عن ذلك ، فقام الشعب اللبناني بمظاهرات ضخمة لتأييدي والاحتجاج على نفيي الى باريس ، وتدخل القادة السياسيون في الامر وزارني مرة ثانية مدير غرفة الكونت دومارتيل لينقل الي قرارالمفوض السامي القاضي بمنحي الاقامة في لبنان مبديا رغبته في أن تكون خارج بيروت وطرابلس فاقترحت مرة ثانية سورية فرفض •• وعندئذ انتقيت «ذوق مكايل» في منطقة كسروان فسمح لي بذلك •


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل السابع

مواصلة الثورة الفلسطينية



قوات البوليس الانكليزي تعاين احدى المناطق التي ارتكب فيها اليهود مذابحهم ضد العرب .



فندق الملك داود نسفت ادواره العليا انتقاما من المؤامرة الاستعمارية ضد شعب فلسطين .



فوزي القاوقجي اسندت اليه
قيادة المتطوعين في الجبهة الشمالية



مذابح اليهود ضد العرب تمت على أيدي اليهود المتدينين ورجال الدين الربانيين

ويمضي المفتي قائلا :

(استأجرت دارا في ذوق مكايل بعد وصولي اليها ، وبدأ اخوانـــنا يصلون شيئا فشيئا الى القرية ويقطنون البيوت المجاورة فسرعان ما اصبـح الحي حينا مما سهل علي الاتصالات مع من اريد رغم مراقبة السلطات الشديدة، وقد أمضيت الصيف في «قرنايل» . وعندما كنت لا أقدر على الاتصال العلني ببعض الاشخاص كنت ألجأ الى الاتصال بهم في السر ، وهكذا تمكنت من ان أجتمع بعدد أكبر من الشخصيات واستقبل الرسل الذين يجيئون من جهـات عديـــدة ...

استؤنفت الثورة كما كان متفقا عليه أشد واعند من ذي قبل حتى لقد أثارت شجاعة المجاهدين وبطولتهم العالم بأسره الذي اخذ يرى شعبـــا من مليون نسمة يقاتل الامبراطورية البريطانية والصهيونية العالمية ... اخـــذ المقاتلون يهاجمون المعسكرات والثكنات والمطـــارات والقوافل العسكرية وينسفون خطوط المواصلات ، وخطوط شركة النفط ...

ولجأت السلطات البريطانية الى اساليب القمع المتوحشة وجلبت اربع فرق من أفضل الجنود الى فلسطين وزادوا عدد الشرطة حتى وصل الى عشرة آلاف رجل ... ووصل عدد الشهداء الى ستة الاف منهم ١٥٠ أعدمتهم المحاكم العسكرية ، وأعيد ذكر اسم فرحان السعدي الذي شنقوه وعمره خمس وسبعون عاما، وكان آنئذ صائما في رمضان، ووصل عدد المعتقلين الى ٥٠ ألفا . ونسفت احياء كاملة في بعض القرى ونهبت البيوت ...

في أواخر سنة ١٩٣٨ وصلت الثورة الى القمة وسيطرت على البلاد ما عدا المدن الكبرى ورحلت اكثر العائلات الانكليزية عن فلسطين وبدأ المجاهدون يظهرون بين حين وآخر في المدن ، في جنين قتلوا حاكم المدينة العسكري في مكتبه الرسمي ولم تجرؤ الشرطة التي كانت تقوم بحراسة المحافظة من الاقتراب منهم ، وعندما خرجوا الى شوارع المدينة لم يستطع اي شرطي الاقتراب منهم ، وفي بئر السبع هاجموا سجن المدينة وحرروا السجناء مما سبب نقل حاكم المدينة الجنرال (ويفل) وتعيين الجنرال (هانبج) الذي عرف بفظائعه .

وامتدت الثورة الى شرق الاردن فوقعت معارك قريبا من اربد وعجلون وأخذ المناضلون يجيئون من البلدان المجاورة للاسهام في الثورة .

وحاول الانكليز خنق الثورة بكل الوسائل فما استطاعوا . لقد جاء الى فلسطين عدة قواد بريطانيون للقضاء عليها منهم (ويفل) و (ويلسون) خلال السنوات ٣٦ ـ ٣٩ .

وجاء البريطانيون بعد ذلك بالسير (تيجارت) المعروف بخبرته بالقضاء على الثورات الشعبية . ولما رأى هذا ان المساعدات الاساسية للثورة تأتي من سورية ولبنان وشرق الاردن ارتأى اغلاق الحدود بوضع الاسلاك الشائكة والالغام في المعابر الموجودة في المنطقة ، ولكن المجاهدين استطاعوا ازالة هذا (الجدار) .

ووصلت حركة الدعم لقضيتنا في البلدان العربية الى الاوج ، وكثرت الاجتماعات في مصر ، فاجتمع في القاهرة مؤتمر نسائي عربي ارسل كتبا الى مختلف الحركات النسائية في العالم طالبا اليها نجدتنا كما وقع ١٧٠ نائبا مصريا من مختلف الاحزاب عريضة تدعو الحكومة لمساعداتنا ، واجتمع بعد ذلك مؤتمر برلماني من مختلف البلدان العربيةوالاسلامية اعلن تأييده المطلق لقضيتنا ومطالبنا .

وانتخب هذا المؤتمر وفدا مؤلفا من محمد علي علوبة باشا من مصر وشودري خليق الزمان وعبد الرحمن خليقي من مسلمي الهند فسافر الى لندن للدفاع عن قضيتنا .

ولجأ الانكليز الى وسائل مجردة عن كل خلق لايقاف الثورة فحاولوا ايجاد فرقة بين العرب منمسلمين ومسيحيين بأن دفعوا عملاءهم لتوزيع منشورات لهذا الغرض يهاجمون فيها المسيحيين، وعمدوا الى عدة جرائمقتل ليبرروا هذه الحملة فقتل المهندس ميشيل متري ـ وهو مسيحي ـ رئيس اتحاد العمال تنفيذا لذلك المخطط . ولكن وحدة الفلسطينيين كانت اقوى من أن تتأثر بهذه المؤامرات ، ولقد لقي قتلة السيد متري العقاب الذي يستحقون، ولقد كان على الثوار ان يدرسوا تفاصيل تلك المؤامرة للقضاء عليها ..

ذات صباح استقبلت شابا فلسطينيا كان يعمل ضابطا في المخابرات البريطانية في يافا ، استطاع ان يكسب ثقة رؤسائه البريطانيين . جاء الى بيروت بحجة المعالجة في مستشفى الجامعة الاميركية ، واحتال للخروج منه كي يأتي الي فيطلعني على ما يبيت الانكليز من جديد لفلسطين، ولقد وضحت، بفضل تلك الزيارة خططهم لدي، وهي تتلخص باستخدام كبار المجرمين للوصول لهذه الغاية . كان هؤلاء ينظمون في عصابات يخضع التسلسل فيها لعدد الجرائم فيقود اكثرهم جرما اقلهم . كان يخرجهم الانكليز من السجون بأعذار مختلفة ، ولقد تكررت في تلك الفترة حوادث الفرار من السجون . كانت السلطة تدفع لهم عدا الهدايا رواتب شهرية وتسلحهم . كان الضابط

الذي ذكرت نفسه مكلفا بتنظيم احدى تلك العصابات المؤلفة من ٢٠ رجــلا يقودهم مجرم معروف اسمه (ابو تجيــم)، وكان يحمل كل منهــم اوراقــا تساعده السلطات عند اللزوم واذنا بحمل السلاح ، وكانت تلك الجماعــات تقوم بنشاطها في الامكنة التي يكثر فيها المسيحيون وخاصة في جبال رام الله، وكانت اقوى تلك العصابات تتمركز في منطقة القدس •

قدم الي الضابط كل المعلومات الضرورية وخاصة اسماء المجرمين• في تلك الفترة هوجمت عدة قرى ونهبت مثل : (بيت جالا ، والطيبة ، وبئر زيت، وجفــــنة) وغيرها •••

عندئذ أعطيت الاوامر لمنظماتنا للقضاء على تلك العصابات ، وحــــمل عبد القادر الحسيني ، الذي كان يعالج في لبنان من الجراح الخطــيرة التي أصيب بها في معركة الخضر ، والتي قتل فيها ، سعيد العاص ، مسؤولية ذلك، فعاد سريعا الى فلسطين وهاجم الجماعات التي تعبث حول القدس وقضــى عليها ثم اتجه الى الجنوب لينهي العابثين بمنطقة رام الله فأخذ منهم اسلابهم واعادها لاصحابها ، وشكل محكمة عسكرية كي تقرر مصير من بقي منهــم حيــــا •••

ارسلت الحكومة البريطانية (لجنة فنية) كي تدرس امكانية تنفيــــذ التقسيم قاطعها العرب ، وبعد أن قامت بعدة زيارات في الاردن وفلسطين عادت الى انكلترا لتقدم تقريرها •

واعلنت الحكومة البريطانية ان مقاطعة العرب جعلت تنفيــــذ التقسيم مستحيلا واقترحت عقد مؤتمر للحكومات العربية يمثل فيه اليهود والعــرب لايجاد حل للمشكلة الفلسطينية ••• لقد سجلت الثورة انتصارا اذن •

وألقى وزير المستعمرات خطابا في مجلس العموم حول تقرير اللجنــــة الفنية اعترف فيه بأهمية الثورة الفلسطينية واهدافها الوطنية ••

وجرت اتصالات بين الحكومة البريطانية والدول العربيــة ، مصر ،

السعودية ، العراق، اليمن ، الاردن ، من اجل تحقيق ذلك المؤتمر ، وتجاهل الانكليز اللجنة العربية العليا في الدعوة اليه والواقع ان المهم عندهم كان الا أساهم انا في المؤتمر ..

وكان ذلك شرفا لي ، لقد علمت انهم يخافون المقاومة التي أمثلها ، كان الفلسطينيون يريدون بأي ثمن ان تمثلهم اللجنة العربية العليا ، وان أكون انا الممثل في المؤتمر ، ولكنني اقنعتهم بتجاوز هذه النقطة فلم آكن اريد ان يكون شخصي مانعا من القيام بمحادثات قد تؤدي الى نتائج ايجابية .. ولقد قبلت في النهاية بقية شروط الفلسطينيين ..

ـ وما كانت تلك الشروط ؟

ـ اطلاق سراح الموقوفين وخاصة اولئك الذين كانوا في جزر سيشل وحرية الفلسطينيين بانتقاء ممثليهم ورفض عقد جلسة عامة يجلس فيها العرب الى اليهود حتى لا يكون مجال للحوار مع ممثلي الصهيونية . عندئذ عينت اللجنة العربية العليا ممثلي فلسطين.

لهذا رفضت الحوار مع الصهاينة !

لقد تبنت السياسة العربية والشعوب العربية موقف المفتي في عدم الحوار مع زعماء الصهيونية حتى غدا عقيدة . في سنة ١٩٣٣ قابل بن غوريون بعض الشخصيات العربية كي يقنعها بالوصول الى اتفاق ، فاقترح عليه هؤلاء ان يتحدث في ذلك مع الفلسطينيين وخاصة المفتي قائلين : (ان تقرير مصير فلسطين هو في يد الفلسطينيين) فاجاب بن غوريون .. (أنا مستعد لمقابلة الشيطان في سبيل الوصول الى هذا الهدف). وعندما جاء رسول يرجو المفتي السماح لبن غوريون بمقابلة سماحته اجاب : (لست مستعدا لمقابلة الشيطان !.).

وفي ذلك يقول المفتي :

ـ ان اساس موقفي مبني على رفض الحوار مع الصهيونية لان هـذا

الحوار معناه الاعتراف بحقها ببناء هذه الدولة والاعتراف بتمثيلها للشعب اليهودي وأرى ان اليهودية دين لا حزب سياسي . لقد استغلت الصهيونية معتقد اليهود الديني حتى تجرهم للقيام بأكبر مذبحة في التاريخ .. كنت اريد بأي ثمن ايقاف هذه المذبحة ولكنها تزداد مع مرور الزمن ... ان اقتلاع شعب من وطنه يقتضي مقاومة هذا الشعب ... هل وصل المخطط الصهيوني الى هدفه ؟ لا ... انه ما زال في اول مراحله . لقد تساءلت دائما الى اية نتيجة يوصل الحوار ... تهدئة النزاع ؟ وكيف ذلك ؟ انا اعرف ما يريدون ... تهدئة المقاومة . في ٧٠ سنة لم يقل اي زعيم منهم ما هي الحدود التي تطالب بها اسرائيل . انهم عنيدون عازمون على تحقيق خطتهم . ولا ارى من فائدة للحوار . طوال النزال لم اجد نقطة واحدة يلتقي عليها الصهيونيون والعرب . لقد كان مؤتمر لندن اكبر مثال على ذلك ولقد انتهى الى الفشل..

اصدرت الحكومة البريطانية بعد التداول مع الحكومة المصرية في ١٧ آيار سنة ١٩٣٧ كتابا ابيض يقضي بتأسيس حكومة فلسطينية مستقلة بعد عشر سنوات مشروطة باتفاق العرب واليهود ، توقع بعد قيامها معاهدة صداقة مع بريطانيا العظمى . ويقام مجلس تشريعي منتخب كما يقضي بفترة انتقال تسمح للفلسطينيين بتسلم الادارة شيئا فشيئا ويسمح لاخرمرة بدخول ٧٥٠٠٠مهاجر يهودي في خمس سنوات على ان لا يسمح بدخول غيرهم الا بموافقة العرب. كما أن القوانين الخاصة بانتقال الاراضي العربية ترسم حسب شروط المناطق المختلفة من فلسطين.

وزعت اللجنة العربية العليا بعد اعلان الكتاب الابيض بيانا تنتقد فيه السياسة البريطانية والاسس التي يقوم عليها هذا الكتاب . ورفضته الوكالة اليهودية زاعمة ان محتواه ينافي حقوق الشعب اليهودي (الطبيعة الخالدة لفلسطين . واستمرت الثورة ...

الفصل الثامن

الهجرة من لبنان الى العراق



المفتي مع المجاهد ابراهيم ابو دبه في بيروت



يقول المفتي :

تأزمت الحال في صيف ١٩٣٩ في اوروبا ، وتقاربت فرنسا وبريطانيا ، وطلبت الاخيرة من فرنسا ان تتبع في سورية ولبنان سياسة ضدنا ، واخذت السلطات الفرنسية تراقب بدقة نشاط الفلسطينيين في سورية البلد الوحيد الذي كانوا يأتون منه بالذخيرة ، وأوقفت عددا منهم ومثلوا أمام المحاكم العسكرية ..

وفي شهر أيلول من تلك السنة ازداد الضغط الفرنسي، وألح الفرنسيون لتسليمي لهم ، واقيم معسكر اعتقال في تدمر وبكفيا كي يوضع فيه المجاهدون الموجودون في سورية ، ووضعت تحت مراقبة شديدة . وصدرت الاوامر من المخابرات الانكليزية التي كانت جد قوية في تلك الفترة بلبنان الى عملائها لمراقبة حركاتي وسكناتي فكانوا يتلصصون ليل نهار حول المنزل في (ذوق مكايل). كان هؤلاء العملاء من مختلف طبقات المجتمع من موظفي الامن العام حتى التجار الى الدعاة ...

ولقد كنت هدفا لعدة مؤامرات اغتيال اكتشفت في الوقت المناسب . سنة ١٩٣٦ مثلا اشترى الانكليز بعض الشراكسة في الاقصى وعندما اكتشف أمرهم وبلغ أهل قريتهم قضوا عليهم ..

وفي سنة ١٩٣٧ اكتشفت محاولة للغم البيت الذي اسكنه في ذوق مكايل .

ـ كيف استطعتم كشف هذه المخططات ؟

في البدء كانت تأتيني المعلومات من جهات مختلفة وبشكل عفوي . ان الشعب الذي يخوض معركة يقدم امكانات لا تحصى كان الناس يقدمون مختارين ما يصلون اليه من معلومات ، كان الشرطة الذين يعملون مع الانكليز يجدون وسيلة يوصلون فيها المعلومات التي تهم الثورة او تعني بشخصي..

قررت بعد ذلك أن انظم خدمات المتطوعين في تنظيم سريع لمقاومة التجسس، ولقد قدم لنا هذا التنظيم الكثير من الخدمات فقد توصلنا بواسطته الى معلومات هامة عن الهيئات العليا والاتصالات الجارية بين سلطات الانتداب الفرنسية والانكليزية ولقد علمنا بالوقت المناسب الخطة الفرنسية الرامية الى اعتقال اعضاء اللجنة العربية العليا في بكفيا والمجاهدين وضباطهم لنقلهم الى تدمر، فلقد علمنا الاسماء وكل ما يتعلق بهذه القضية ، وهكذا استطاع المعنيون التسرب الى تركيا والعراق والسعودية ...

وحدثت سنة ١٩٣٩ حادثة دفعتني الى اعداد الهرب . في اواخر ايلول من تلك السنة في الساعة الثانية والنصف صباحا هاجمت قوة من الامن العام بيتي في ذوق مكايل ، ولكن حرسي الخاص المكون من المجاهدين الفلسطينيين ومن المتطوعين من البلدة ـ جريا على العادة العربية التي تفرض المحافظة على الضيف ـ منع موظفي الامن العام من الوصول الى البيت . ولو لم استفق لاصطدم بعضهم ببعض . خرجت وسألت الضابط عما يريد فلما رآني اعتذر وانسحب مع القوة . فلقد ظن رؤساؤه اذ جاءتهم انباء مغلوطة اني تركت

لبنان في الخفاء وبالواقع كنت افكر جديا باعداد ذلك لان الانكليز كانوا يضغطون ضغطا شديدا على الفرنسيين لتسليمي.

كانت المراقبة الشديدة تجعل فراري في غاية الصعوبة ، فوضعت خطة دقيقة قررت تنفيذها في ٥ تشرين الاول ، ولكن حادثة صغيرة مضحكة اخرت ذلك . فقد دعاني سامي بك الصلح رئيس محكمة الجنايات ــ الذي اصبح فيما بعد رئيسا للوزراء ــ دعاني للعشاء في ٣ تشرين الاول ، كان المسيو برتران مدير الامن العام بين المدعوين وخلال المأدبة وجه السيد الصلح الي الكلام منتقدا موقف الفرنسيين تجاهي قائلا : (اننا نحن اللبنانيين نأسف لاننا لا نستطيع ان نقوم بالواجب نحوك واري ان تسافر للعراق او مصر فهناك يقدم الشعب الواجب الذي تستحق).

لم يكن حتما على علم بنيتي ولكن كلماته كان من الممكن ان تنبه الامن العام ، واخذ مسيو برتران يدافع عن موقف السلطات الفرنسية نحوي التي أملتها اوضاع الحرب واظهرت من ناحيتي تفهما لوضعهم كي لا أثير الشكوك، وزيادة في الحذر أجلت موضوع السفر الى ١٣ تشرين الاول وعدلت الخطة.

في السادس من تشرين الاول دعاني الاستاذ فؤاد حمزة وكيل وزارة الخارجية السعودية للغداء في بيته في رأس بيروت وهنالك التقيت بالمسيو بالبرو الوزير المفوض في جدة وهو صديق قديم تعرفت عليه في القدس حيث كان يمثل فيها فرنسا وابدى لي رغبة بزيارتي في بيتي في ذوق مكايل، وقياما نحوه بالواجب ورغبة مني في اخفاء خطتي دعوت المدعوين الى الغداء في ٩ تشرين الاول ولكن الضرورات اقتضت سفر المسيو بالبرو الى دمشق فابلغني بواسطة السيد حمزة رغبته بتأجيل الغداء الى ١٥ تشرين الاول فوافقت وعندما علم في ١٣ نبأ هربي لم يصدق قائلا : (مستحيل فانا مدعو عنده في ١٥ منـه). كانت المصادفة غريبة ان اترك بيروت في١٣ تشرين الاول ١٩٣٩، تماما بعد عامين من خروجي من القدس ، وفي نفس الساعة ... لم يكن ذلك اختيارا اراديا مني ، ولكن الصدف هي التي حدثت وكنت مع ذلك متفائلا..

ولم يكن امر هذه الرحلة سهلا ، فقد كانت بيروت مركز قيادة الجنرال ويغان العامة قائد جيش الشرق. كانت حركة الجيوش مستمرة ...المصفحات، دوريات البوليس المدني والحربي وفوق ذلك الجواسيس الذين يراقبونني... كان ذلك يجعل المهمة شاقة ، خاصة بعد فرار المجاهدين من معتقل تدمر ...

اخذ حراسي كما كان متفقا عليه يلهون الحرس الفرنسي بتقديم العشاء حينما غادرت المنزل من الباب الخلفي المطل على بستان نمت فيه اشجار باسقة، وكانت البيوت المجاورة يسكنها فلسطينيون من رفاقنا ، صعدت الجبل مع صديق لي حتى وصلنا الى سيارة تنتظرنا كي تنقلنا الى بيروت ، ومنها سلكنا الطريق الى دمشق فقطعناه دون اية حوادث .. وفي دمشق كانت تنتظرنا سيارة يقودها السيد محمد طبال من دير الزور يرافقه خبير وقد تعود كلاهما السفر في الصحراء السورية ، وما ان خرجنا من المدينة حتى اطلقت علينا النار، ولكن احدا منا لم يصب بسوء ذلك اننا لم ننتبه لاشارة الحرس بالتوقف . وقد سويت الحادثة بالحسنى .

بعد ساعة وصلنا الصحراء .. كانت تنتظرنا فيها مسافة ١٠٠٠ كيلومتر بين الرمال وكان علينا ان نبتعد عن الطريق المطروقة . وعن مراكز الهجانة ــ حرس الصحراء ــ والدوريات التي تمخر عباب الصحراء في مصفحاتها بحثا عن المهربين والمتسللين ، اقترح السائق على الدليل ان ينام قليلا كي يرتاح قائلا .. (انا أعرف جيدا هذه المنطقة) ومر كل شيء بسلام حتى لمحنا في الافق انوارا فقال السائق انها مضارب قبيلة بدوية يعرفها واتجه نحوها ولما وصلنا وجدنا انفسنا في خيام الهجانة يحيط بنا الجنود ، وقد رفعوا رشاشاتهم واخذ قائدهم وهو ايضا من دير الزور يحقق معنا . كانت تلك الليلة الاولى من رمضان . حاولت ان اقنع الرقيب صالح اننا تجار اغنام محاولين بهذه الصفة ان يتركنا وشأننا ولكنه عاند وقرر ان يأخذنا تحت الحراسة الى تدمر حتى نمثل امام السلطات المختصة ، ولقد قضينا الجزء الاكبر

من الليل في مناقشة لم تثمر ، ووجدت نفسي في موقف يقتضي ان ألعب الورقة الاخيرة واغامر بكل شيء ، فطلبت من الرقيب صالح ان يكلمني على حدة ؛ فقلت له : (انا محمد امين الحسيني)! فتراجع خطوة ذاهـــلا ... أضفت : (اني راحل الى العـــراق!) فقال لي بعد هنيهة تفكير : (انتـــم اذن صاحب السماحة .. كيف اسمح لنفسي ؟ انني اضع نفسي وجنودي ومستقبـــلي في خدمتكم ... بوسعكم ان تسافروا ... اية خدمة استطيع ان اقدمها ؟)

ـ (اكبر خدمة ان تسمح بسفرنا .. رعاك الله).

لن أنسى ابدا هذا الرجل الذي غامر بوظيفته وحياته من اجل انقاذي..

واتجهنا مع الفجر الى بغداد وقطعنا المسافات الشاسعة من الرمـــال مبتعدين عن كل حي وانا أذكر بيت الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى وصوت انسان فكدت اطـــير


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل التاسع

المفتي في بغداد



صلاح الدين الصباغ
القائد العسكري
لحرب العراق



فهمي سعيد
قبض عليه الانكليز



محمود سلمان
قائد الطيران



كان العراق في تلك الاونة يتمتع باستقلال نسبي ، وكان اكثر البلدان العربية ملاءمة لقبول لجوء المفتي اليه (١)٠

يقول الحاج امين وهو يروي كيف وصل الى بغداد :

« وصلت بغداد في الخامس عشر من تشرين الاول سنة ١٩٣٩ وقد انهكني التعب ، وكنت بحاجة للنوم ٠٠ جاءني صديقي امين بك التميمي الذي وصل قبلي كي يجس النبض ــ فأكد لي حسن نية الحكومة العراقية ٠

في اليوم التالي قمت بزيارة رئيس الديوان الملكي رشيد عالي الكيلاني ، فاستقبلني استقبالا حارا فابديت له رغبتي بزيارة مجاملة للوصي الامير عبد الاله ، وبعد دقائق استقبلني سموه استقبالا جيدا وهتف الى رئيس وزرائه نوري السعيد كي ينبئه بقدومي ، فألح هذا على الامير كي يأتي بأسرع ما يمكن ، وبعد ان ودعت الامير شاكرا حسن لقياه ذهبت لزيارة رئيس الوزراء في مكتبه بالرئاسة ٠

بعد تناول عبارات التهنئة التقليدية اخذ يسألني اسئلة غريبة عن كيفية وصولي الى بغداد والطريق الذي سلكت الخ ...

كان يبدو انه يستغرب عدم معرفة السلطات العراقية بدخـــــولي الى ارضها وكان فوق ذلك يريد ان يعرف كيف سهلت السلطات الفرنسية دخولي العراق، فأكدت له انها لم تكن على علم بخطتي ولو علمت لمنعتني من وصولي الى بلاده . وبدا لي رغم عبارات الصداقة الحارة ان تعبير وجه رئيس الوزراء يفضح قلقه من وجودي في بلاده ... وكان وصل قبلي الى العراق مائتا مجاهد

---

(١) نجد من المفيد ان نذكر القارىء ببعض الاحداث التاريخية التي تبين الاوضاع التي كان عليها هذا البلد في الحرب العالمية الثانية والتي ادت بالمفتـــي الى السفر الى المانيـــا .

كان العراق منذ نهاية القرن التاسع عشر محط اطماع انكلترا ولقد قـــال اللورد كرسون :

(ان بغداد مرفا غير مباشر من مرافيء الخليج الفارسي ولا بد من ضمـــها الى المنطقة الخاضعة للنفوذ البريطاني .)

وابان الحرب العالمية الاولى دخل الانكليز بغداد بعد معركة قاسية واعلن الجنرال مود قائلا : (جئنا محررين لا محتلين) . بعد ان انتهت الحرب استمر الانكليز باحتلال البلاد ، وفي ١٩٢٠ وضع العراق تحت الانتداب البريطاني فقامت على الاثر ثورة في تموز من تلك السنة كانت خسائر الانكليز فيها فادحة، ووقعت هدنة شكلت على اثرها حكومة وطنية برئاسة عبدالرحمن الكيلاني نقيب اشراف بغداد ، وكلفت هذه الحكومة بالقيام بانتخابات مجلس تأسيسي والاشراف على استفتاء شعبي لانتخاب ملك . وكانت قراراتها خاضعة لموافقة المفوض السامي .

كان المرشحون للعرش اربعة . وبعد مفاوضات تم ترشيح الملك فيصـــل الذي انزله الفرنسيون عن العرش بعد ان غلب في حربه معهم فاضعف ترشيحه الاخرين لان الملك فيصل كان يتمتع بشعبية كبرى في العراق فاعلنته الحكومة العراقية ملكا شريطة استفتاء الشعب الذي قامت به في ٢٣ آب ١٩٢١ وحصل بنتيجته على ٩٦٪ من الاصوات ، واصبح العراق ملكية دستورية ديمقراطية .

كانت سياسة الملك فيصل معروفة بكلمة : (خذ وطالب). في ١٠ تشرين اول سنة ١٩٢٢ وقعت اول معاهدة انكليزية عراقية اعطيت فيها بعض الاستقلال

فلسطيني فأظهر لهم الشعب والحكومة العراقية كرما عظيما ، فلقد كان شعب العراق اكثر الناس حماسا للقضية العربية •

ولقد انهالت علينا الدعوات من المنظمات الشعبية والهيئات الدينية ، فلم تقبل الا الدعوات الرسمية واعتذرنا عما عداها خاصة ما جاءنا من مختلف المدن العراقية ، فلقد قررنا حسب السياسة التي اختطيناها في البلدان العربية الاخرى ان لا تتدخل في المشاكل الداخلية ، وان نكرس جهدنا للبحث عن دعم القضية الفلسطينية ، ولم تكن تعنينا الخلافات السياسية المحلية •••

للعراق وكانت هذه المعاهدة هدف معارضة شديدة وانتقادات قاسية كان فيصل يشجعها ، وقد وافق البرلمان العراقي سنة ١٩٢٤ عليها .

سنة ١٩٢٥ حصلت بريطانيا على امتياز استغلال حقول البترول في الموصل لمدة ٧٥ سنة ، وقد جابه توقيع الاتفاق معارضة قوية في قلب البرلمان العراقي..

سنة ١٩٢٧ ذهب الملك فيصل في زيارة رسمية لانكلترا نجح فيها باقناع الحكومة البريطانية ، بتعديل بنود المعاهدة الانكليزية العراقية ، واقترحت معاهدة جديدة لم تعرض على البرلمان .

سنة ١٩٣٠ سمي نوري السعيد رئيسا للوزراء فقام بمفاوضات جديدة مع البريطانيين ووقع معاهدة جديدة في ١٠ حزيران ١٩٣٠ تلك هي خطوطها الكبرى :

« تعترف بريطانيا باستقلال العراق وتساعده كي يصبح عضوا في عصبة الامم ويساعد العراق بريطانيا في حالة الحرب في حماية خطوط مواصلاتها .. تحتفظ بريطانيا بقاعدتين عسكريتين في العراق ... تساعد بريطانيا العراق بمستشارين ــ كان يعني هذا البند عند المعارضة نوعا جديدا من السيطرة لان المستشارين كانوا يهيمنون هيمنة كاملة على الوزارات التي يقومون فيها على زعمهم بمهمة المستشارين ــ ان يكون رؤساء المحاكم من الانكليز . كما تساعد بريطانيا الجيش العراقي بتقديم الاسلحة والعون التقني له .

كانت مدة تلك المعاهدة خمس وعشرون عاما .

لم يرحب الشعب بتلك المعاهدة . وكانت بالنسبة للملك فيصل الاول خطوة ربحها العراق من الانكليز ، واستخدم نفوذه حتى صدقها البرلمان بعد ان

أثار وصولي لبغداد قلق الانكليز • لم يكن الوضع ملائما لهم فلقد كان العراقيون يحفظون لهم اكثر من كل العرب عدم وفائهم بعهودهم للشريف حسين ، ويحقدون عليهم من اجل تلاعبهم ابان الحرب العالمية الاولى وخاصة من اجل وعد بلفور ••• ولم يكن يخفى على العراقيين رغبتهم لان يخسر الانكليز الحرب وميلهم الى المحور ، ولقد استقبل الشعب في العراق قطع العلاقات الديبلوماسية مع المانيا في ١٣ ايلول ١٩٣٩ استقبالا سيئا فلقد كان يستلهم موقفه من المثل القائل : (عدو عدوك صديقك)• ولقد ازعج هذا

وعد المعارضة بان يطالب بتعديلها في مفاوضات قادمة بعد توقيع تلك ، وذلك ما حدث فعلا .

سنة ١٩٣٢ قامت ثورة آشورية شجعها الانكليز ، قضي عليها ولي العهد والجنرال بكر صدقي•

سنة ١٩٣٣ توفي الملك فيصل وخلفه ولي العهد غازي الاول الذي اصبح ملكا على العراق وعمره (٢١) عاما .

بين سنوات ١٩٣٣، ١٩٣٦ اوصلت الحركة السياسية بين الاحزاب البلاد الى وضع صعب .

وفي ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ قام اول انقلاب عسكري في البلدان العربية ، فلقد انتهز بكر صدقي مناسبة المناورات السنوية وسار الى بغداد فاسقط الوزارة وطلب من الملك تعيين حكمت سليمان لرئاسة الوزارة وتسميته هو رئيسا للاركان ، وبعد قليل اغتيل بكر صدقي ... لقد جرب هذا حيتما اصبح رجل العراق القوي ، رغم الفترة القصيرة ان يقوي الجيش العراقي بشراء اسلحة من بلاد المحور ، وسلك سياسة دعم لحركة المقاومة في سورية وللثورة الفلسطينية خاصة .

استطاع الملك غازي ان يكتسب حب الشعب ، ونعم بشعبية كبيرة في سورية وفلسطين وتوفي في ١٤ اذار سنة ١٩٣٩ في حادثة اصطدام سيارة ، وثارت شائعات كثيرة انه كان ضحية مؤامرة بريطانية قتل على اثرها المتظاهرون القنصل الانكليزي في الموصل وعين الامير عبد الإله وصيا على العرش فقد كان الملك فيصل الثاني نجل الملك غازي ذا اربع سنوات من عمره .

الشعب توقيف الالمان الموجودين في العراق من قبل السلطـــات العراقيـة وتسليمهم الى الانكليز ، وكانت اذاعة برلين التي اخذت تحظى بشعبيةكبرى بين الشعب العراقي تساهم في تأليب الشعب على الانكليز ، وكانت تـــذكر بسطاء العراقيين باستقلال حقيقي وبمـــواقف الانكليز ، وتلح على خيانة الانكليز للعرب في الحرب العالمية الاولى وتحذر الشعب العربي من ان يستغل مرة اخرى ، وكانت تحلل المعاهدة الانكليزية العراقية واصفة اياها بـــانها استعباد مستور وكانت هذه الاذاعة تلقى صدى كبيرا في قلب الجيش العراقي. وكان نوري السعيد يلح دون جدوى على ضرورة اعلان الحرب ضد المانيا الى جانب الانكليز حفظا لمصلحة العراق ، غير ان اجتهاده كان يلقى معـــارضة شديدة ...

وما كان وصولي لبغداد الا ليزيد في وضع الشعب العراقي العـدائي للانكليز ، وكانت السفارة البريطانية ، وهي على قوة كبرى في ذلك الحين ، تتجسس على اتصالاتي وتعترض لدى الحكومة على أية فعالية من فعالياتي. فقد كان يكفي ان احضر حفلة ما حتى تعلن لومها . وكنـت مراقبا بصورة دائمـــة ...

وقد علمت من صديقي أمين باشا العمري قائد الفرقة الاولى العراقية ان المستشار ادموند وهو من المهيمنين على وزارة الداخلية العراقية قد وضـــع خطة لاختطافي وتوقيفي خارج الحدود العراقية .

ولم تكن تلك المرة الاولى التي يقترف فيها الانكليز هذا العمل . فلقد اختطفوا سنة ١٩٢٠ ياسين باشا الهاشمي الذي كان رئيسا للمجلس التشريعي في عهد الملك فيصل الاول وجاءوا به الى معسكر صرفند الانكليزي.

كما انهم اختطفوا طالب باشا النقيب وزير الداخلية العراقي بعد ان دعته الانسة بيل ــ سكرتيرة الشؤون الشرقية لدى المفوض السامي ــ لتنـــاول كأس من الشاي ، وعند خروجه اقتيد الى البصرة ومنها الى الهند حيث سجن.

ومع ذلك قرر امين باشا العمري والعقيد صلاح الدين الصباغ امر الفرقة

الثانية ارسال دورية عسكرية للحراسة في شارع الزهاوي حيث كنت اسكن .

ولقد كنت هدفا لمؤامرة من منظمة (ارغون) كلف فيها رئيس هذه المنظمة (راتسل) بنفسه ، وفي الواقع عندما اعلنت الارغون ايقاف نشاطها ضد الانكليز والتعاون معهم في الحرب ، وضعت كل اعضائها تحت تصرفهم، فكلفوا بمهمات خاصة ، وفي شهر ايار ١٩٤١وبعد اعلان الثورة العراقية،وصل راتسل مع بعض اعضاء منظمته للقيام باعمال التخريب وكانت مهمتهم تقتضي دخول بغداد متنكرين بثياب الاعراب ونسف مستودعات البترول واختطافي. يؤكد ذلك ريتشار كروسمان ما قلت لكم في كتابه : (أهي ميونيخ ثانية ؟)

اتهزت فرصة وجودي في بغداد فطلبت من السلطات العراقية ان تقوم بتدريب الفلسطينيين تدريبا عسكريا فدخل عدد كبير من هؤلاء في مدرسة ضباط الاحتياط وحصلوا على شهاداتها » .



كانت هناك معركة سياسية ضارية قسمت الاوساط السياسية وخاصة الجيش الى معسكرين يتجمعان حول رجلين هما نوري السعيد ورشيد عالي الكيلاني . ولقد كان الاول ميالا للانكليز يرى ان التعاون معهم في الحرب يوصل العراق في نهايتها الى حقوقه الوطنية وكان يؤكد ان الحلفاء سيحققون النصر النهائي رغم الظواهر الخادعة ، حسب رأيه ، التي تشير الى انتصار المانيا . اما رشيد عالي الكيلاني فكان يرى انه يستحيل الاعتماد على الانكليز الذين تسيطر الصهيونية على سياستهم ، وكان يذهب الى انالالمان على عكسهم لم يسيئوا ابدا الى العرب ، وكان يذهب الى اننصرهم مؤكد ولهذه الاسباب يتمسك بسياسة الحياد .



ويقول المفتي : « كان الموقف دقيقا في العراق واخذت الازمة تشتد، وبت اخشى صداما في قلب الجيش العراقي ، وفي شباط استقال نوري السعيد، وكان المرشح للرئاسة هو رشيدعالي الكيلاني..

وانشق زعماء الجيش فقد كان يرى بعضهم ضرورة مساهمة نـــوري السعيد في الوزارة مع طه الهاشمي بينما يرى القسم الاخر ابتعادهما ، وهدد القسمان باللجوء الى السلاح واعلنت الاحكام العرفية في معسكرات الرشيد والرشراش وباتت تكفي شرارة واحدة حتى يصطدم الطرفان في معركة ، وفي ليلة ١٨ شباط احيل رئيس اركان الجيش حسين فوزي باشا على التقاعـــد ومعه امين باشا العمري واعتذر رشيد عالي الكيلاني عن مهمة تأليف الوزارة وبقي نوري السعيد المرشح الوحيد لها .

في التاسع عشر من شباط زرت رشيد عالي الكيلاني فوجدت عنـــده بعض الزعماء العراقيين الذين كانوا يتناقشون في احداث الليلة الفائتـــة ..

وفي ذلك المساء زرت ايضا نوري السعيد ولما سألته عن اسباب استقالة وزارته السابقة قال لي:

لقد نصحنا الانكليز بتبديل الوزارة كل سنة لان عدد الطامحين الـــى الوزارة هو اكبر من عدد الحقائب وهم يزدادون مع الزمن ويحقدون عـــلى الوزارة لعدم وصولهم اليها والتغييرات وحدها تهدئهم لانها تعطيهم الامـــل بالوصول اليها ! ولم يخف علي عتابه لاني لم اساهم بحل المشكلة ، وعندما اجبته عن عزم الفلسطينيين على اتخاذ موقف الحياد ازاء المشاكل الخاصـــة بالعراق اجاب : (في الاحوال الحاضرة المشكلة عربية تهم كل عربي !) واتفقت معه على ان اقوم بواجبي لجمع الشمل والمساعدة لتأليف حكومة تآلف يختار الوصي على العرش رئيسها وكان يريد هو ان يوقع رؤساء الوزارة السابقون والزعماء السياسيون ميثاقا وطنيا يجمع جميع الاتجاهـــات لمجابهة حـــالة الحـــرب ».

في تلك الفترة كان الحاج امين الحسيني يتمتع بسمعة وطنية كبيرة مـــن جميع الاطراف ، فقد كان الرأي العام العربي بكامله الى جانبه بعدما لمـــس من مواقفه الوطنية الصلبة وتصديه للاعداء ، جميع الاعداء ومجابهتهم .

ويستطرد المفتي قائلا :

« قمت على الاثر بزيارات مختلفة وحدد موعدلاجتماع رؤساء الوزارات السابقين والزعماء السياسيين ، وقد وقعوا جميعا الميثاق المقترح من نـوري السعيد فحملته الى الامير الوصي.

وهكذا ألف رشيد عالي الكيلاني وزارته الاولى التي اعلنت الغـاء الاحكام العرفة واخرج من السجن رئيس الوزراء السابق حكمت سليمـان الموقوف منذ اغتيال بكر صدقي مع وزيرين اخرين هما صبيح نجيب وابراهيم كمال المتهمين بمؤامرة اغتيال الوزير رستم حيدر .

(طالب الانكليز بمرور جيوشهم وتمركزها في العراق وقطع العـلاقات الديبلوماسية مع ايطاليا ولم يخف الانكليز غضبهم وهم الذين لم يتعـودوا الرفض من المسؤولين العرب الرسميين وبدأت الاجهزة السرية بالتآمر ولعب في ذلك المستر دومفيل رئيس المخابرات في الجيش البريطاني المقيم في العراق اكبر دور وهو شخص التقيت به قبلا بفلسطين..

ـ لقد روى انه كان يلاحقك ؟

ـ كان شعوري كذلك ..

ـ ماذا كان منصبه في فلسطين ؟

ـ زارني مرتين في مكاتب المجلس الاسلامي الاعلى يصحبه مراسـلا للدايلي اكسبرس ، في المرة الاولى ألقى علي عدة اسئلةعن المشكلة الفلسطينية أجبت عليها كما اجيب أي صحفي.

وفي المرة الثانية جلس حد مكتبي ولاحظت كأنه يقرأ بعض الاوراق ، وأحسست كأنه يعرف العربية ، وذلك ماتأكدت منه فيما بعد ، فقد كـان يحسنها باللهجة العراقية ..

وفي المرة الثالثة جلس في مكتب سكرتير المؤتمر الاسلامي السيد جمال

الحسيني ينتظر الاذن بالدخول علي ، وانتهز فرصة غياب قصيرة من جمال فأخذ يقرأ في الملفات التي على المكتب ، وفاجأه جمال الحسيني على غير انتظار فافهمه اني ليس لدي الوقت لاستقباله •

وبعد ذلك بزمن طويل اي حين عودتي من المانيا جاء دومفيل كي يزورني في مكان اقامتي في القاهرة في حلمية الزيتون فقال لي :

نحن الانكليز نفهم دوافع عدائك لنا ونحترمها ونأخذ عليك فقط ذهابك الى المانيا وتعاونك مع الالمان •• فقلت له :

لو كنت انكليزيا لكان لكم الحق في ذلك ولكني لست كذلك • اني بصفتي عربيا يرزح وطنه تحت الاستعباد البريطاني رأيت من واجبي ان ألجأ لكل الوسائل التي تحرر ارضي • انتم تأخذون علي هذا الموقف على انه خطأ، اما انا فلا ارى فيه غير القيام بالواجب•)

وبعد ذلك ارسل في مهمة الى لبنان •

وفي سنة ١٩٥٠ عاد الى القاهرة بوضع يائس فقال لي احدهم انه يقيم في غرفة بائسة في اعلى بناية كبيرة ، وانه لم يكن يملك ثمن القهوة وانه عزل من مناصبه لحبه العرب حسب دعواه ورغبة في مساعدتهم • وعندما سمعت ذلك ذهبت افكاري الى ستيرلنغ •

ــ سترلنغ المشهور الذي جرح في محاولة اغتياله في دمشق ؟

ــ هو نفسه • عندما وصل الى حلب تقدم الى المرحوم سعد الله الجابري رئيس وزراء سورية آنئذ يطالب مساعدته وقد تظاهر وزوجته بالفقر فأعطى الرئيس السوري امره كي تعمل السيدة ستيرلينغ ممرضة في مستشفى حلب لكي تقوم باودها ، وعندما اكتشفت صلات ستيرلنغ السرية رحل الى دمشق واذا به يتمتع بالثروة ويتصل بمشايخ البدو ويثيرهم ضد الحكم السوري، وانتهت مهمته بالمحاولة التي تحدثتم عنها ••

ـ ماذا كانت مهمة دومفيل في العراق حسب رأيكم سنة ١٩٤٠ ؟

كان مكلفا بكسب العراق الى جانب الانكليز حتى اذا لم ينجح اعد لاحتلال بريطانيا للعراق...

* * *

واستطرد المفتي قائلا :

عاد بعد قليل الراغبون بالتعاون مع الانكليز والحياديون الى الصدام، وثارت شائعات تقول بهجوم انكليزي على العراق ، ولقد اكدت صحة تلك الشائعات تصريحات المستر تشرشل سنة ١٩٤١ حين اعلن انه كان يود ارسال قوة في حزيران ١٩٤٠ ولكن الفشل في جبهته في ليبيا اخر التنفيذ ..

كان الانكليز يريدون استخدام العراق في الحرب لاهمية مركزه الاستراتيجي .

عندما زار المستر ايدن القاهرة سنة ١٩٤١ قدم لوزير خارجية العراق توفيق السويدي المطاليب التالية :

ـ قطع العلاقات الديلوماسية مع بلدان المحور .

٢ ـ حرية مرور الجيوش الانكليزية في العراق وتمركزها في المكان الذي تراه ضروريا لمتابعة العمليات العسكرية .

٣ ـ ارسال فرقتين عراقيتين لشمال افريقيا للمساهمة بالحرب ضد المحور .

واضاف ان وضع الضباط العراقيين يبعث على القلق ... لم يستطع الانكليز ان يدركوا الدوافع التي تحرك اولئك الضباط، اما انا فكنت افهمها، وكيف يمكن لضباط مؤمنين بالوحدة العربية خدعتهم السياسة البريطانية عشرين عاما ان يقاتلوا الى جانب جيوشها ؟ لم يكن يهمهم ان تنتصر بريطانيا

فما كانوا يرون في مثل هذا النصر غير استمرار للاستعباد البريطاني لامتهم التي يجب انيدافعوا عن حياضها اولا ... لقد جمعتني مع اكثرهم صداقات قديمة متنها الزمن ، فقد كنا زملاء سلاح في الفرقة ٤٦ ، وقد كنت مع العقيد محمد سلمان في نفس الكتيبة ، ولقد وجدت عندما التقيت بهم عام ١٩٣٩ان الافكار التي ألفت بيننا قد انغرست اعمق مع الزمن ... فلقد تضاعف حماسهم الوطني . كانوا يبحثون عن رجل سياسي يقودهم ، ولقد لقبهم الانكليز (بالمربع الذهبي) اتفقوا أول ما اتفقوا نوري السعيد فلما اختلفوا معه التفوا حول طه باشاالهاشمي وعندما يئسوا ايضا منه اتحدوا مع رشيد عالي الكيلاني الذي كان يؤمن بنفس افكارهم ، كانوا متفقين جميعا على تجنيب العراق مغبة الحرب والاحتفاظ بالقوة المسلحة لخدمة قضية الوطن .

وعقد اجتماع على جانب عظيم من الاهمية عند العقيد محمد سلمان قائد الطيران حضرته مع زميلين من زملاء الفرقة ٤٦ هما العقيدان فهمي سعيد وصلاح الدين الصباغ ، وبعد مناقشة طويلة للوضع اتخذوا القرارات التالية:

١ ـ تطبيق المعاهدة العراقية الانكليزية بدقة والمحافظة على الحياد بين المتحاربين .

٢ ـ عدم التحرش ببريطانيا او ببلاد المحورالتي كانتفي اوجانتصاراتها.

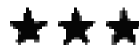
٣ ـ زيادة عدد وطاقة الجيش بالسلاح وتجنيبه مخاطرالحرب .

٤ ـ تحاشي الاشتراك بالحرب بأي ثمن والسهر على عدم اراقةالدماء العربية في سبيل بريطانيا التي لا يبشر نصرها بخير للعرب ونتائج الحرب العالمية الكبرى اثبتت ان البريطانيين ليسوا مستعدين ان يقوموا بالتزاماتهم وخاصة تجاه فلسطين .

٥ ـ مراقبة تطور الحرب لانتهاز الفرصة التي تخدم مصالح الامة

العربية ، فاذا اعلنت اليابان والاتحاد السوفياتي الحرب على انكلترا واستمرت هذه على موقفها العدائي للعرب ، اضطر العرب جميعا لحمل السلاح ضدها.

٦ ـ اذا حانت هذه الفرصة تعلن الثورة اولا في فلسطين كما اعلنت سنة ١٩١٦ في مكة والحجاز فتكون بداية انطلاق ثورة عربية كبرى تحرر فلسطين اولا والبلدان العربية الاخرى من الاحتلال الانكليزي والصهيونية .



١٠٣٩

لهذا فشلت ثورة العراق!

يقول المفتي :

اشتدت حملة السفارة البريطانية ضدي في بغداد وواصلت ارسال كتب الاحتجاج ضدي للمسؤولين العراقيين ، فعرض علي نوري السعيد بكل لباقة ـ قبل استقالته ـ ان أقوم بزيارة للولايات المتحدة تستهدف العمل لكسب الرأي العام فيها واقناع المسؤولين الاميركيين بعدالة قضيتنا ، ولما بينت لـه صعوبة القيام بهذا المشروع عرض علي وساطته لتسهيل مهمتي. في ربيع ١٩٤١ زار المسيو دونافان مبعوث الرئيس روزفلت البلاد العربية يدعوها لمساعدة بريطانيا وعلمت من وزير خارجية العراق انه يريد ان يراني ، ولقد علمت منه خلال الحديث ان هدف رحلته مقابلة الزعماء العرب كي ينقل لهم رغبة الرئيس الاميركي الذي كان يرى تأجيل المطاليب العربية حتى نهاية الحرب زاعما ان فترة الازمة ليست الفترة التي تختار لخلق الصعاب فأجبته : (ان انكلترا ليست مستعدة في الحرب او السلم ان تلبي مطالبنا العادلة والعرب مصممون على نيل حقوقهم مهما كانت الظروف ..)



بلغت انتصارات المانيا القمة وأخذت تثير حماسا كبيرا وعطفا متزايـدا من العرب واخذ هؤلاء يعلقون املا كبيرا للوصول الى امانيهم وازداد كرههم لبريطانيا واصدقائها ••

وهنا يستطرد المفتي قائلا :

بعد ان عاد نوري السعيد من رحلته للقاهرة وقد كان وزيرا للخارجية في وزارة الكيلاني ، أطلعني على المحادثات التي قام بها مـع الشخصيات البريطانية العسكرية والمدنية وخاصة الجنرال ويفل واللورد كيلرن ـ سفير بريطانيا في القاهرة ـ وقال لي : (نصحني العسكريون بمقابلة المدنيين ولـم يستطع هؤلاء ان يعطوا اي جواب عن المشاكل العربية ، فقد كانوا جميعـا في فوضى وقلق سببتها الغارات الالمانية على لندن)، دام الحديث طويـلا وقد وجدت فيه خيبة امل كبيرة ••

قال لي: (لماذا لا ننضم من جديد الى تركيا؟) قلت له ان تركيا اليوم ليست تركيا الامس الاسلامية فلقد قطعت كل العلاقات التي تربطنا بها فهي تزعـم انها جزء من اوروبا وانكرت علاقتها بالاسلام مبرر وجودها •)

بدت لي فكرته غريبة وهو الذي كان اول الذين تركوا الجيش التركي في الحرب العالمية الاولى كي يلتحق بثورة الشريف حسين ، والذي قامـت سمعته على هذا الموقف يفكر بان يمحو الماضي ليعيد وحدة انتهت منذ عشرين عاما ! كان يفكر بطريقة خاصة به • لقد كانت واقعيته تحجب عنه رؤيـا المستقبل ، وما كان يرى امكانية نهضة عربية دون مساعدة خارجية ، وبعـد أن خاب امله بالانكليز اخذ يفكر بدعم آخر • كان خطأ سياسته انها تعتمـد على الربح السياسي الذي تقدمه فرص الخلافات بين الدول العظمى دون ان يعطي الدور الاول للشعب ••

زارني بعد ذلك بقليل طه باشا الهاشمي ولمح الى ضرورة الاتصال بألمانيا من خلال المنظمات الفلسطينية ، وكان يرى انه من غير الملائم ان تقوم بـذلك دولة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة واضاف قائلا : (ذلك هو ايضا رأي نـوري

السعيد وهو يود لو تقوم انت بالمبادرة) قلت له: (نحن الفلسطينيين لا نملك الوسائل لذلك) ذلك ان بعض الداعين الى التعاون مع الالمان ما كانوا يحظون بثقة الوطنيين.

تفاقمت الازمة بين الداعين للتعاون من السياسيين مع انكلترا ، وبين الزعماء الوطنيين الراغبين في الحياد .

في تلك الفترة جاء الكولونيل نيوكمب ، رفيق لورنس خلال ثورة الشريف حسين الى بغداد موفدا من قبل اللورد لويد وزير المستعمرات البريطاني ليتصل بالزعماء العراقيين والفلسطينيين والتحدث معهم عن المشاكل التي تعنيهم وخاصة المسألة الفلسطينية .

دعاني نوري السعيد بعد ان استقبله ، لزيارته مع بعض اعضاء اللجنة العربية العليا للمناقشة في مهمة نيوكمب التي تتلخص فيما يلي :

١ ـ اعلان الفلسطينيين موافقتهم على محتوى الكتاب الابيض .

٢ ـ التعاون مع بريطانيا على أساس السياسة المنصوص عليها في ذلك الكتاب الابيض .

بعد ذلك الاجتماع مع نوري السعيد رفضت رؤية نيوكمب مرة ثانية علما مني بان مهمته ليست سوى حيلة ، ولعدة اسباب ... اولها ان انكلترا أثبتت انها غير قادرة على تنفيذ سياسة الكتاب الابيض . والثاني ان التعاون بينها وبين الصهيونية لم يكن يوما اشد منه في تلك الفترة ، وكانت الاخبار التي تأتيني من فلسطين تؤيد ذلك ، وقد اذاع راديو برلين خبر تشكيل الفيلق اليهودي وكانت بريطانيا تستخدم الصهيونية لجر الولايات المتحدة للحرب ضد المانيا . وكان تقديري انه ما ينبغي ان نضيع وقتنا في آمال لا طائل تحتها، وفضلت العمل لتشجيع الاخوان العراقيين على توحيد العرب بدل اضاعة الوقت في التفكير بالتعاون او عدم التعاون مع الانكليز . وما كان بوسعنا ان نملي شروطنا ما دمنا ضعافا .. كانت الاوساط السياسية العراقية تتحدث

عن الوحدة العربية ، ولكن كيف الوصول اليها ؟ ومع اي بلد تبدأ المحاولة؟ تلك كانت هي الاسئلة المطروحة ..

اقترحت خطة لتحقيق الوحدة بين السعودية والعراق . كان واجبا قبل كل شيء ان نسوي الخلافات القائمة بين البلدين حول القبائل البدوية التي تقطن البلدين حسب الفصول .. كان يرى بعض العراقيين ان ظروف الحرب لا تسمح بهذا الجهد الوحدوي .

ألحيت على ضرورة الاتصال بالسعوديين معتمدا على الحديث الذي دار بيني وبين الملك عبد العزيز سنة ١٩٣٧ ، وكنت موقنا انه من الذين يتمسكون بوعدهم وابلغت رأيي لرئيس الوزراء وطه باشا الهاشمي اللذان سهلا مهمتي عند الامير الوصي وباقي الوزراء ، وبفضل هذه الجهود ذهب وفد الى جلالة العاهل السعودي . وعقد اتفاق وتحسن الجو بين البلدين ...

كان الانكليز قلقين لهذا النشاط ، واخذت اجهزتهم السرية تبدي نشاطا عظيما.قال لي بعض اعضاء الوفد انهم لاحظوا وجود المستر دومفيل في الطائرة فلقد اندس بين طاقم الطائرة ، وهكذا كان المسؤولون العراقيون يعملون مكشوفين دون القدرة على الاحتفاظ بأي سر ..

خلال الاحاديث التي جرت بيني وبين طه باشا الهاشمي ابدى لي قلقه من هذه الناحية . قلت له : (وجهاز مكافحة التجسس ماذا يفعل ؟) فأثار جوابه دهشتي : (ليس لدينا مثل هذا الجهاز . اننا نرفض ان نقتدي بالسلطان عبد الحميد فنحن لا نريد التجسس على الناس ...)

قلت له : (ولكني لا اتحدث عن التجسس على المواطنين وانما عن مكافحة التجسس .)

وما كان يجهل فوق ذلك طه باشا ان المستر ادموندس مستشار وزارة الداخلية ثم مستشار الداخلية والخارجية المعروف بعدائه للعرب ـ كان يوقع بين العرب والاكراد ـ كان يشرف على كل فعاليات العراق بأجهزته ..

قلت له : (تأخذ على السلطان عبد الحميد تنظيمه اجهزة سرية ! ارى من جهتي ان ذلك دليل ذكاء ومهارة ، فقد كان يكافح لسلامة الدولة ضد اجهزة الدول الكبرى . هل تنسى ان الحلفاء كانت لهم اجهزة للدفاع عن الدولة .. تذكر ان الرسول ﷺ كانت له عيون ترقب حركات العدو ...)

بعد ان اقتنع برأيي ابلغني فيما بعد انه خصص مبلغ الفي دينار من ميزانية الدفاع لتأسيس مكافحة التجسس ، لقد اقنعته بالواقع ولكني اظن انه لم يقدر الموضوع حق قدره ... كان المبلغ ضئيلا ... لقد اضطررت للاتصال بمسؤولين اخرين من اجل اقامة هذا الجهاز...

كان العراقيون يهتمون ايضا بتسليح الجيش العراقي . من هذه الناحية لم يطبق الانكليز نصوص المعاهدة الانكليزية العراقية .

كان العراقيون منذ ١٩٣٦ يبحثون عن السلاح واعداد جيشهم ، ولقد اشترى بكر صدقي قبل اغتياله كمية من السلاح من المانيا . وعندما يئس العراقيون من الانكليز التفتوا الى الولايات المتحدة التي باعتهم بعض الطائرات ولكنهم اكتشفوا ان تلك لطائرات لم تكن مجهزة بالسلاح والعتاد ، فلا هي صالحة للسلم ولا للحرب ..

وكان لدى الجيش العراقي معملان صغيران للذخيرة (استعارهما) الانكليز طيلة مدة الحرب ... كان سهلا ان نعرف نية بريطانيا . كانت تريد جر العراق باي ثمن الى الحرب دون ان تهتم بمصلحة العرب ... كان الانكليز يريدون استخدام الارض العراقية وكأنها مستعمرة ليس لشعبها الحق في السهر على مصالحه وجر العراق الى الحرب لخدمة بريطانيا فقط . كانوا يتعللون بالديمقراطية والحرية بينما يخضع اكثر شعبنا للنير البريطاني عدا عن وعد بلفور الذي نرزح تحت عبئه . كان السفير البريطاني المير (بازل نيوتن) يريد توجيه السياسة العراقية ويتدخل حتى في تفاصيل تلك السياسة . وكان يستهدف اسقاط وزارة رشيد عالي الكيلاني ، فاستقال منها عدة وزراء .. واستغرب المسؤولون العراقيون سفر الامير الوصي المفاجيء الذي ترك بغداد

الى الديوانية في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٤١ وهكذا اكرهت الوزارة الكيلانية على الاستقالة والف الوزارة طه باشا الهاشمي ، وطالب الانكليز بتبديل قادة الجيش فاستقالت ايضا وزارة الهاشمي ، وفي ٣ نيسان هرب الوصي مرة ثانية في قارب بخاري الى الدورة واستقل منها سيارة اوصلته الى الحبانية واستقل من هناك طائرة الى البصرة ولجأ هناك الى الباخرة الحربية الانكليزية (كوك سبير) في ٤ نيسان ..

عندئذ ألف السيد رشيد عالي الكيلاني وزارة دفاع وطني ودعا البرلمان الى اجتماع في ١٠ نيسان ، وعين الامير الشريف شرف وصيا ..

واشتد النزاع بين انصار الحكم الماضي وبين الوطنيين الحياديين ..

في الثامن من نيسان امر تشرشل ان ترسل فرقة هندية للبصرة بحجة التحاقها بالقوات البريطانية في جبهة شمالي افريقيا وعارض الجنرال ويفل الذي رأى قواته تتبعثر في مناطق واسعة وما كان يرغب في ان تقوم قواته بمعركة لا فائدة منها .. فأرسل له تشرشل برقية وضعته امام الامر الواقع : (نحن بحاجة لقاعدة البصرة كي نحافظ على بترول ايران).

قلقت الحكومة العراقية من جراء ذلك ، فاعترضت وحاول الانكليز تطمينها مؤكدين لها ان هذه القوة لن تقيم في العراق ، وانها ستغادر في فترة أيام ثمانية .

وعين في العراق سفير انكليزي جديد هو المستر كونواليس .

زارني آنئذ الاستاذ جورج انطونيوس « المفكر العربي المعروف ومؤلف كتاب يقظة العرب » ليحذرني من فداحة الموقف ، وطلب مني ان أتوسط له كي يقابل السيد الكيلاني فذهبنا معا لرؤيته . واتفقنا معه رغبتنا في تجنيب العراق صداما مسلحا على السماح بمرور الفرقة الانكليزية خلال ايام ثمانية واعلنت السفارة الانكليزية مضمون هذا الاتفاق وتعهدها بتنفيذ بنوده ، وفي ١٧ ، ١٨ نيسان نزلت الفرقة الهندية في البصرة ولكنها لم تتحرك منها ، فطلبت

اليها السلطات العراقية مغادرتها حسب الاتفاق المذكور ونصوص المعاهدة العراقية البريطانية ، وجوابا على ذلك جاء الانكليز بفرقة ثانية للمدينة في ٢٩ نيسان ، ورغم اعتراض العراق احتلت القوات الانكليزية البصرة وعينت لها حاكما عسكريا ودعمت قواها في الحبانية ـ المطار الواقع على بعد ٨٠ كلم من بغداد ـ بقوة مصفحة . كانت شكوكنا وتنبؤاتنا حول السياسةالبريطانية اذن صحيحة ..

في تلك الفترة وصلت الدعاية الالمانية الى الاوج. واخذ المسؤولون العراقيون يطلبون مني ايجاد اتصال مع الالمان . ولم لا ؟ لقد كان شعبنا خاضعا للاستعباد الانكليزي لا الالماني ، ولقد ابدى الالمان منذ عهد السلطان عبد الحميد عواطف الصداقة ، ولقد كان هتلر يتمتع بشعبية عظيمة .

لقد اكدت لنا الدراسة الدقيقة التي قمنا بها للوضع انه آخذ بالتدهور فقررنا الاتصال السري بالالمان ، فاقترحت على احد معاوني الامناء وهو سكرتيري الخاص الاستاذ عثمان حداد ان يقوم بذلك الاتصال الاول . وهو من اهل طرابلس التحق بنا منذ بدايات النضال وابدى غيرة واخلاصا للقضية العربية ، وكان آنئذ يعيش معنا في بغداد وكان يعرف لغات كثيرة ، واعطي جواز سفر عراقي وكتب الاعتماد اللازمة ورسائل في غاية الاهمية منها رسالة لهتلر ، فسافر في بداية ١٩٤١ الى تركيا حيث قابل فون بابن .. لقد ذكرنا في الرسائل التي أرسلناها النقط التي حددنا بموجبها التعاون مع الالمان ..

١ ـ الاعتراف الرسمي من قبل دول المحور بالبلدان العربية المستقلة.. مصر ، السعودية ، العراق ، اليمن .

٢ ـ الاعتراف بحق البلدان العربية الخاضعة للانتداب ـ سوريـة، لبنان ، فلسطين ، الاردن ـ بالاستقلال .

٣ ـ الاعتراف بحق البلدان العربية الخاضعة للاستعمار الانكليزي بالاستقلال .. السودان ، البحرين ، الكويت ، عمان ، مسقط ، قطر ، حضرموت ، امارات الخليج العربي.

٤ ـ اعادة عدن وبقية الاقسام المنفصلة عن اليمن والتي يستعمرها الانكليز .

٥ ـ الاعلان من قبل دول المحور انها لا تطمع بمصر والسودان .

٦ ـ الاعتراف بحق العرب بالوحدة استجابة لآمال الشعب .

٧ ـ الاعتراف بحق العرب بالغاء الوطن القومي اليهودي واعلان المحور بعدم الاعتراف به .

واتصل فون بابن ببرلين التي اعلنت استعدادها لاستقبال الاستاذ حداد مقابل هذا بعد وصوله برلين بمساعدة صديقي الكبير الامير شكيب ارسلان، من قبل الهر فابنسكر امين عام وزارة الخارجية الالمانية والهر ميلتشرز مدير الدائرة الشرقية في الوزارة .

فتلقيت والسيد رشيد عالي الكيلاني هذه الرسالة :

وزارة الخارجية الالمانية

برلين في ٣ نيسان ١٩٤١

تلقى الفوهرر رسالتكم المؤرخة في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤١ التي ارسلت بواسطة سكرتيركم الخاص ...

لقد اهتم كثيرا بالتفاصيل المتعلقة بالكفاح العربي وحظيت باهتمامه، وهو يشكركم لبادرة الصداقة التي ابديتموها باسمكم واسم الشعب العربي.

ان الفوهرر ينتهز هذه الفرصة ليعلن لكم تمنياته ، ويشكركم بلسان وزير خارجية الرايخ الثالث الهر فون روبنتروب وهو راغب في المساعدة لنجاح الجهود التي تقومون بها من اجل القضية العربية .

وبما انكم تودون معرفة سياسة المانيا التي تتبعها بالنسبة للقضيةالعربية فانا مفوض بان أنقل اليكم ما يلي:

ان المانيا لم تحتل ابدا ارضا عربية وليست في نيتها ان تضم لها اي جزء من البلدان العربية ، انها ترى ان الشعب العربي الذي أبدع حضارة كبرى

وأثبت مقدرته في الادارة والكفاءة العسكرية ، أن المانيا تعترف بناء على ذلك باستقلال البلدان العربية المستقلة وحق غير المستقل منها بالاستقلال ..

ان الشعبين الالماني والعربي متفقان على الكفاح ضد العدو المشترك الانكليز واليهود . ان المانيا مستعدة للتعاون معكم وان تقدم لكم حسب طاقتها المساعدة العسكرية الضرورية في حالة اضطراركم لاعلان الحرب على الانكليز والوصول الى اهدافكم . وبناء على صداقة المانيا للشعب العربي ومن اجل تحقيق الرغبة التي ابديتموها بواسطة سكرتيركم الخاص انا مكلف بان انقل اليكم ما يلي:

ان المانيا مستعدة في الحال لتقديم العون العسكري ودعم الشعب العربي في حرب قد تقع مع انكلترا اذا مكنتها وسائل المواصلات من نقل هذه المساعدات .

وانصحكم بان ترسلوا من جديد الى المانيا سكرتيركم الخاص كي يتمكن من البحث في التفاصيل المتعلقة بتعاون الصداقة القائم بيننا او بان ترسلوا رسولا آخر ، اذا لم تسمح الظروف بعودة الاستاذ حداد .

وارجو بقاء هذه الرسالة سرية ، لقد جرى الاتصال اللازم بالحكومة الايطالية التي وافقت على مضمونها . وسينقل لكم سكرتيركم الخاص عن باقي انطباعاته وبوسعه ان ينقل لكم تأكده من نصر المحور المحقق ومن حتمية انكسار انكلترا ..

وارجو ان تكلل جهودكم بالنجاح واهنئكم للقرار الذي اتخذتموه لخدمة القضية العربية .

المخلص لكم

هير فون فايتسكر

امين عام وزارة الخارجية الالمانية

ثم جرى اتصال آخر قام به مع السفارة الالمانية في انقره الوزير العراقي ناجي شوكت الذي اعلن فيه ان وضع العراق الدفاعي هو جيد وطلب فيه عونا بالطيران والاسلحة المضادة للطيران والمدافع ضد الدرع .



الفصل العاشر

بداية التعاون مع المانيا



الدكتور فريتز غروبا
وزير المانيا المفوض في العراق ١٩٣٢ ـ ١٩٣٩ ، ثم في مايس ١٩٤١


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(نكل الانكليز مرة اخرى بوعودهم)..

في اول ايار التقطت المخابرات العراقية البرقية التالية : (سيخطب المستر بللي المس كورنواليس غدا)، انكلمة يخطب لا يمكن ان يفهم منهما الخطوبة ، فالمستر بللي مفتش البريد كان بعيدا عن مثل ذلك وفهم من ذلك العراقيون العسكريون ان العمليات الحربية تبدأ في ٢ من ذاك الشهر ..

وفي الواقع ضرب الطيران الانكليزي القوات العراقية المتمركزة على بعد ٢٥ كم من قاعدة الحبانية ، وعند ذلك عزم العراقيون على الدفاع عن انفسهم، واتصلوا ببرلين لاعادة العلاقات الديبلوماسية مع المانيا مبدين الرغبة بعودة « فريتش غروبا » ممثلا لالمانيا في بغداد .

★ ★ ★

كان كروبا المثيل الالماني للورانس . عين سنة ١٩٣٢ وزيرا مفوضا في بغداد والسعودية بعد ان كان قائما بالاعمال ــ كان التمثيل على هذا المستوى

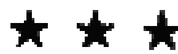
بين المانيا وهذين البلدين ـ ولقد كان صديق الشخصيات العربية الكبرى من الملك فيصل الاول حتى الملك غازي الى الملك عبد العزيز آل سعود، وكل الرؤساء للوزارات العراقية المتعاقبين، ومن عددكبير من الوزراء، وكان المفتي قد التقى به عقب حل اللجنة العربية العليا في ١ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ بواسطة القنصل الالماني في القدس ..

كان القلق الذي احدثته السياسة البريطانية لدى الشعب فرصة الساسة العرب كي يربحوا الرأي العام العراقي الى جانب المانيا .

لقد استطاع بكر صدقي بفضل صديقه غروبا الذي كان يزوره يوميا شراء اسلحة المانية وجلب اختصاصيين ألمان ..

كان بكر صدقي يخشى وقوع صدام مع الانكليز واحتلالهم بغداد فقرر ـ في هذه الحال ـ متابعة الحرب في المناطق الجبلية في شمال العراق ، وعلى ذلك طلب من صديقه غروبا ان يأتي بخبير عسكري الماني يضع لهمخططا لهذا الاحتمال . فوصل الكولونيل الالماني هاينتر شخصيا بصفة عالم اثار فدرس مكان العمليات ووضع لبكر صدقي خطة مفصلة هيأت بدقة .

عند قطع العلاقات الديبلوماسية رجع فريتز غروبا الى المانيا وحل ضيفا على رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني .



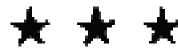
ـ ماذا كنتم تتوقعون صاحب السماحة بالنسبة للعزم على الدفاع المشروع ؟

ـ كان تفاؤلي اقوى من كل شعور آخر . في مثل هذه الظروف لا ادع الصعوبات تسيطر علي .. اري النصر مهما كانت فرصته قليلة فاندفع للعمل في سبيل النصر ..



وبالواقع كان الوحيد الذي يوحي بالامل بين المسؤولين الذين ضعضعتهم الاحـداث ..

كان كبار الضباط وابناء الشعب يجيئون اليه للتوجيه . كان بالفعـل روح المقاومة ...



ويقول المفتي :

في المعارك التي حدثت في يومي ٣، ٥ ايار عانى الجيش العراقي خسائر كبيرة اضطرته للانسحاب من الفلوجة والتمركز في الرمادي وبقي مع ذلـك جسر الفلوجة بيديه ، وكان مستحيلا على الدبابات البريطانية ان تتقدم لان العراقيين كانوا يستطيعون اغراق الارض بالماء وما كان الجيش العراقي قادرا على احتلال الحبانية لانه لم يكن يملك مدافع ضد الدرع والطيران. احتل العراقيون عدة محطات لشركة الاي بي سي وما كان ينقصهم البترول .

اندفع المتطوعون الفلسطينيون وبعضهم كان يتدرب في الكلية الحربية العراقية للدفاع عن قلعة الرطبة ليقطعوا الطريق على الجيش الانكليزي المرابط في الاردن وعلى القوات الاردنية ...

(في الثاني عشر من ايار وفي اجتماع حضره الرئيس الكيلاني والجنرال امين زكي باشا رئيس الاركان وفريتز غروبا ، وحضرته انا ، عرض علينا العقيد الصباغ حاكم بغداد العسكري الموقف الحربي على الخارطـة ، واضاف ان القوات العراقية تستطيع لو كانت لديها الطائرات ووسائل الدفاع ضد الدرع والطيران ان تحتل الحبانية ، فعرض غروبا على العراقيين ان يأتـوا بالجنرال فيلمي من ألمانيا وهو الذي خدم في الحرب العالمية الاولى في سيناء مع الاتراك بصفة مستشار لوزارة الدفاع العراقية فاجابه العقيد الصباغ : (نحن لا نثور ضد الانكليز كي يحل محلهم الالمان ..) فأجابه غروبا : (ليس لكم مـا تخشون من تعيين فيلمي فهو سيكون قائدا للقوات الالمانية في العراق فيرتدي

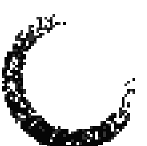
البزة الالمانية ويقبض راتبه من الحكومة الالمانية ويقدم لكم النصح ٠٠)
في ١٥ ايار احتلت القوات الانكليزية والاردنية الرطبة بقيادة كلوب باشا ورفض بعض القوات الاردنية حمل السلاح ضد العراقيين ٠ تدهور الوضع وزالت قوة الجو العراقية وأصبح الطريق مفتوحا أمام القوات البريطانية الى بغداد ٠ كان على القوات العراقية ان تحتل الحبانية ولكن المساعدات لم تصلها ٠٠

وصلت بعض الطائرات الالمانية الى الموصل وبعض الطائرات الايطالية الى كركوك ، كان من الضروري تخريب جسر المجرة في جنوب الحبانية لمنع القوات الانكليزية الموجودة في الرطبة من مساعدة القوات المحصورة في الحبانية وكان ضروريا وجود طائرات (الشتوكا) التي لم يكن لدى العراق شيء منها ، والموصل تبعد ساعتي طيران عن الحبانية ، ولم يكن ممكنا تدخل الطيران الالماني وكانت الطائرات الايطالية بحاجة الى الوقود الذي لم يكن موجودا في محطات الشركة التي يسيطر عليها العراقيون ٠٠

بين ١٦، ٢٠ ايار قذفت الطائرات الالمانية القليلة التي استطاعت الوصول الى بغداد مطار الحبانية ولكن بعد فوات الاوان ٠

في التاسع عشر منه احتل الانكليز الفلوجة ويئس المسؤولون، وسافر ناجي شوكت للمرة الثانية الى انقره لطلب المساعدات من السفارة الالمانية ٠٠

في ١٩ نفسه قرر المسؤولون العراقيون تنفيذ خطة بكر صدقي ـ هاينتز ٠



في ٢١ أيار قام الجيش العراقي بهجوم معاكس في الفلوجة ودخل المدينة ولكنه لم يستطع احتلالها لعدم وجود آليات لديه ٠

في ٢٣ أيار صدر عن اركان هتلر العامة الامر السري بمساعدة العراق عسكريا ٠



الاستعداد لمغادرة العراق

ويمضي المفتي قائلا :

في السابع والعشرين من ايار تقدمت القوات الانكليزية نحو بغداد فقاوم العراقيـون بضراوة .

وفي مساء ٢٩ منه حوالي منتصف الليل اتخذت الحكومة العراقية فـي اجتماع خاص قرارا باستئناف القتال في شمال العراق. ونقلت الخزانةالعراقية للشمال برفقة وزير المالية والاركان العامة .

واستقل رئيس الوزراء والضباط الكبار والزعماء والمجاهدون العرب قطارا خاصا .

وصلنا خانقين على الحدود الايرانية في صباح الثلاثين من ايار كي تتجه الى الموصل وعلمنا هنـاك ان الجسور امامنا قـــد هدمتها جميعا الطائرات الانكليزية ، وصدقنا الاخبار مع انها كانت كاذبة ، فقررنا ان ندخل ايـران وهي بلد صديق فنعود من راوندوز الى العراق ..

وفي ايران علمنا رغم الاستقبال الحسن اننا بتنا لاجئين سياسيين لايسمح لنا بالعودة الى العراق .

ـ أي درس نستفيد من هذه التجربة صاحب السماحة ؟

ـ كان الفشل من جهة ، وحقق شعبنا درسا كبيرا ، كانت تجربته اعطتنا دليلا عمليا على تفاني شعبنا وسهولة توحيده ..

منذ ان اعلنت الثورة جاء الكثيرون من العرب كي يساهموا بهـا مـن سوريين وفلسطينيين ولبنانيين الخ.. ولو ان الزمن امتد بها لجمعت شعبنـا كلـــه ..

وكان للفشل عدة اسبـاب ..

كانت كثير من الاعمال مرتجلة فلم تمكن الخلافات الداخلية ـ خلال سنين عديدة ـ الزعماء العراقيين من اعداد الثورة قبل الحرب ، لقد كانوا على حماس كبير ، ولكنهم كانوا قليلي الواقعية •

كما ان المخربين كانوا كثيرين في قلب الشعب ، فلقد اضر الكثيرون منهم واخروا جهد العاملين بالشعارات الكاذبة التي يخيل انها تخدم الشعب •

ولو ان العرب عرفوا كيف يستفيدون من هذه الفرصة لتغير مصيرهم•

ـ لو ان هذه الثورة انتصرت صاحب السماحة اما كانت تضيع الثمرة عندما ينتصر الحلفاء ؟

لو انها استطاعت طرد الانكليز لاستطاعوا بعد نصرهم على الالمان ، ما داموا حلفاء لروسيا ، والاميركان ان يعودوا للعراق ويضعوا يدهم عليه فتذهب جهود العرب عبثا ؟•••

ـ لا اعتقد ذلك • اظنهم كانوا يترددون امام جيش عربي قوي•

ـ هل تظنون ان المخربين وحدهم سبب الهزيمة ؟

ـ وحدهم لا ••• ولكنهم مسؤولون عن جزء كبير منها واني لاتساءل اذا كنتم تعطونهم الاهمية التي يستحقون ، كان علينا ان نكافح ضد (آلة) عالمية •• مخابرات بريطانية وخاصة الصهيونية • لقد استخدمت هذه اكثرية اليهود العراقيين فقد كان هناك موظفون صغار يبدون وكأنهم لا وزن لهم اساءوا كثيرا ، منهم عامل هاتف او كاتب ، او محاسب الخ•• لقد استطاع هؤلاء آن يفضحوا اكثر اسرارنا ••• وأستطيع ان اضرب لكم امثلة كثيرة••

ـ لم تكن تلك الثورة اذن غير مرحلة بطولية ••••؟

ـ بل اقول بداية الملحمة الكبرى !



ايران .. أنقره .. بلغاريا

ـ كيف استطعتم الهرب من ايران بعد ان تعذر بقاؤكم فيها؟

اضطرت الحكومة العراقية وقادة الجيش لدخول الحدود الايرانية اجتنابا للوقوع في اسر القوات البريطانية وكان قادة الجيش يعتزمون اقامة خطوط دفاع واستئناف المقاومة في المنطقة الجبلية في شمال العراق فلما تبين لهم ان الجسور (الكباري) المقامة على نهر دجلة قد نسفتها الطائرات البريطانية ولم تعد صالحة للعبور، فكروا في امكان الوصول الى المنطقة الشمالية عن طريق « راوندوز » الايرانية حيث ان ايران دولة جارة وصديقة للعراق (حينئذ) وان للدولة الالمانية فيها نفوذا كبيرا .

لكن لم يلبث ان ظهر ان الانباء عن النفوذ الالماني في ايران مبالغ فيها، فتعذر لذلك تنفيذ خطة الدفاع من المنطقة الشمالية . واحسنت السلطات الايرانية استقبال الوافدين من عراقيين وفلسطينيين وسوريين وغيرهم .

ثم لم تلبث الحرب ان نشبت بين المانيا وروسيا في ٢٢ حزيران (يونيو) اي بعد وصولنا طهران بأقل من ثلاثة اسابيع، فتشاءمت من هذا الحادث اذ كنت على علم بما كان الانكليز يبيتونه لايران، وان دول الحلفاء كانت قد أعدت خطة عسكرية لاحتلالها في عام ١٩٤٠، في اجتماع عسكري عقده قواد الحلفاء برئاسة الجنرال «فيغان» بصفته قائدا عاما لجيوش الحلفاء في الشرق الاوسط حينئذ، وكنت عرفت هذه الخطة من العقيد صلاح الدين الصباغ الذي دعي حينذاك كمندوب عن الجيش العراقي لحضور ذلك الاجتماع العسكري . فرأيت من الواجب ابلاغ الحكومة الايرانية خبر تلك الخطة لتتدبر امرها وقابلت وزير الخارجية الايرانية « آقاي عامري » واطلعته عليها، دون ذكر مصدرها، معززة بخريطة تبين الطرق التي ستسلكها القوات البريطانية من جنوب ايران وغربها . فشكرني الوزير العامري على ذلك لكنه على ما بدا لي لم يصدق النبأ وقال انه ليس بيننا وبين بريطانيا خصومة ولذلك فاني لا اتوقع منها أي عدوان على ايران .

ولم تكد تنقضي بضعة اسابيع على حديثي مع وزير خارجية ايران حتى وقع العدوان البريطاني على ايران وفق الخطة المسكرية التي سلمتها اليه ، وسلكت القوات البريطانية في عدوانها الطرق المبينة في تلك الخريطة.

وقد تبين لنا على اثر اعلان المانيا الحرب على روسيا ، ولمعرفتنا بخطة بريطانيا لاحتلال ايران ،انمقامنا بها لم يعد مأمون العاقبة . فراجعنا سفير تركيا في طهران « سعاد » بك ليستأذن لنا حكومته للاقامة بها ، وجاء الجواب بعد لأي بالسماح للسيد رشيد عالي الكيلاني وافراد اخرين كان منهم ناجي باشا السويدي وزير مالية العراق حينئذ واحد كبار زعمائه ، وامين بك التميمي عضو المجلس الاسلامي الاعلى بفلسطين واحد أبرز رجالها الوطنيين ، وكان سبب السماح لهما انهما كانا من كبار الموظفين في العهد العثماني لكنهما لم يتعجلا السفر وتريثا حتى فوجئت ايران بالاحتلال الانكليزي ـ الروسي. ولم يلبث الانكليز أن ألقوا القبض عليهما وساقوهما الى المنفى في روديسيا مع جماعة اخرين من الفلسطينيين والسوريين والعراقيين فوافاهما الاجل فيها رحمهما الله .

اما انا فلم تسمح لي تركيا بالالتجاء اليها واعتقد أن سبب ذلك الضغط البريطاني، وعندئذ اتصلت بالسفارتين الالمانية والايطالية،ثم بالسفارة اليابانية، ولم نلبث ان علمنا من السفير الالماني الهر (ايتل) ان بريطانيا وروسيا انذرتا ايران نهائيا بتسليم ٤٠٠ الماني كانوا مهندسين وخبراء في المصانع الايرانية بحجة التجسس فتمسكت بهم حكومة الشاه رضا بهلوي لحاجتها اليهموقالت انها لا تستغني عنهم وانهم رجال فنيون لا يتعاطون بالسياسة ، لكن الحلفاء أصروا على طلبهم وأصرت ايران على مواقفها وظهرت بوادر الحرب .

وعلى اثر ذلك عقدنا اجتماعا حضره الوزراء والقادة المسكريون ولفيف من وجوه العراقيين والسوريين والفلسطينيين ، تدارسنا فيه الوضع واتصلنا بوزير الخارجية الايرانية وبحثنا معه موقفنا بصفتنا لاجئين سياسيين ، فقال الوزير مؤكدا : انكم لاجئون سياسيون وضيوف لدينا ولا تسمح القوانين

الدولية ولا شرف ايران بتسليمكم الى خصومكم فاطمئنوا ...

ولم تلبث الطائرات البريطانية ان اخذت تحلق في سماء طهران،واقتحمت القوات البريطانية المناطق الجنوبية من ايران من نفس الطـرق الـتي سلمت خريطتها الى وزير خارجية ايران ، فنشأ عن ذلك ذعر كبير، وشرع بعض الناس يجلون عن طهران . وازداد موقفنا حرجا ، فرأينا أن نلجأ الى افغانستـــان وذهبت الى سفارتها وقدمت كشفا باسماء عدد من الوزراء والقواد وغيرهم من المجاهدين وكبار الوطنيين بطلب اللجوء الى افغانستان ، فابرقت السفارة فورا الى « كابول » ولم تلبث حكومة افغانستان ان استجابت للطلب وقبلت لجوءنا جميعا ، وكنت واثقا من استجابتها ومن استعداد الشعب الافغـــاني الشجاع للفداء والدفاع عن مثله العليا .

ومع ان افغانستان كانت بعيدة عن ميدان حركتنا ونشاطنا ، في ذلـك الظرف ، الا انني كنت اسعى جاهدا لسلامة رفاقنا . وقد رابني موقف موظف في السفارة الافغانية ثم عرفت فيما بعد انه هندي الاصل وعميل للمخابرات البريطانية . ولا ريب في انه اطلع المخابرات البريطانية على خطتنا ورغبتنا في السفر الى افغانستان ، فكان لاطلاع الانكليز على ذلك فائدة كبرى لانهـم ركزوا جهودهم في البحث عني في حدود ايران الشرقية الشمالية الموصلة الى افغانستان وبثوا فيها العيون والارصاد ، فكان في ذلك فشلهم ونجاتي مـن كيدهم .. لكن سرعة الزحف على طهران لم تمكن احدا من الخروج منـها وكنت اعددت لي ولسائر اخواننا مخابيء عديدة حذرا من مباغتة الاعداء لنا .

وفي ٢٨ اغسطس غادر الشاه رضا بهلوي واسرته طهران الى «اصفهان» فكان ذلك نذيرا بدنو الخطر ، وكانت قوات الاحتلال الروسية قد وصـلت « كرج » على بعد بضعة عشر كيلومترا من طهران وسيصبحون فيها وكـان الانكليز يسرعون في الوصول اليها ايضا . فأرسلت رسولا ليوقظ الوصي الشريف شرف ورئيس الاركان اللواء امين زكي ويدعوهما للخروج فورا الى المخبأ الذي اعددناه ، وارسلت رسولا اخر الى القواد والاشخاص الاخريـن

الذين يخشى عليهم ان يبادروا بالخروج الى مخابئهم السرية . لكن الوصي ورئيس الاركان تأخرا بعض الوقت ، فكان ذلك كافيا لاحاطة الشرطة بالمكان ومنع اي شخص من مغادرته وعندئذ اسرعت بالخروج من المكان الذي كنت اقيم به الى دار السفارة اليابانية ومكثت فيها ارتقب الحوادث .

وفي اليوم التالي احتل الروس طهران من الشمال واحتلها الانكليز من الجنوب . وتعذر الخروج منها ، ولم يكن مناص من التربص والاختفاء الى حين ، واستمرت الحال على هذا عدة ايام ثم حدثت مفاوضات بين الانكليز والسلطات الايرانية وسعى الانكليز للتفاهم مع الشاه وزينوا له العودة الى طهران فعاد ، ولما اخذت الحياة العادية تعود الى حالتها الطبيعية اصدرت الحكومة الايرانية بيانا دعت فيه جميع اللاجئين السياسيين من العرب الى الطمأنينة والظهور ، ومما يؤسف له ان معظم اخواننا استجابوا لتلك الدعوة فخرجوا من مخابئهم وعادوا الى منازلهم . فلما ظهروا قابلهم رئيس الوزارة ووزير الخارجية وسألاهم عني واكدا لهم ان ليس علي ولا عليهم اي خطر أو ضرر وطلبا اليهم ابلاغي ذلك .. لكنني لم اقبل الظهور وعاودت تحذيري لهم الا يطمئنوا الى هذه التأكيدات الموعز بها من السلطات الاجنبية المحتلة وان يعودوا الى الاختفاء ، لكنهم ويا للاسف لم يعملوا بنصيحتي ولم يصدقوا تحذيري الا بعد ما اصبحوا في قبضة السلطات البريطانية . وعندئذ تذكرت قول دريد بن الصمة :

نصحتهم نصحي بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

(ولهذه المناسبة ، ولتتالي الكوارث والنكبات على فلسطين والاقطار العربية المجاورة ، اذكر هنا انني كثيرا ما نبهت اولي الامر والزعماء العرب، الى الخطر الصهيوني والمطامع اليهودية وانها ليست منحصرة في فلسطين وحدها بل ستتعداها الى الاقطار المجاورة فكان بعضهم يظن ان في ذلك مغالاة ومبالغة ، فلم يولوا الامر حقه من الاهتمام الجدي ولم يعدوا العدة للخطر المقبل وها هو العدو اليوم يحتل فلسطين كلها وسيناء المصرية برمتها ، ومنطقة الجولان السورية متخذا منها قاعدة لمهاجمة سورية والاردن معا).

وهكذا لبث اخواننا في الاعتقال بضعة اسابيع ثم نقلوا الى غياهب سجن « الاهواز » في الجنوب فمكثوا نحو ستة اشهر ثم نقلوا الى روديسيا في جنوب افريقيا وهم الوصي الشريف شرفه ومعظم الوزراء العراقيين : ناجي السويدي وموسى الشابندر ورؤوف البحراني ومحمد علي محمود واخوه عبد الجبار ومحمد يونس السبعاوي ورئيس اركان الجيش اللواء امين زكي والعقداء الثلاثة محمود سلمان وفهمي سعيد وكامل شبيب . والمحامي داود السعدي وصديق شنشل وعبد القادر الكيلاني وغيرهم ، ومن الفلسطينيين امين التميمي وجمال الحسيني واخوه الدكتور داود وعارف الجاعوني ومحمد محمد شعيب ومن السوريين عثمان كمال حداد وغيرهم .

وبعد مدة استقدمت السلطات العراقية ، بايعاز من الانكليز ، العقداء الثلاثة والوزير محمد يونس السبعاوي من ميناء « دوربان » ثم العقيد صلاح الدين الصباغ الذي اختفى في ايران بعض الوقت ، ثم استطاع ان يتسلل الى تركيا واعتبرته السلطات التركية لاجئا سياسيا فأقام بها مدة الى ان طلبت منه مغادرة بلادها بضغط من الانكليز فغادرها الى سورية ، وبحيلة وتآمر القي القبض عليه في احدى نقاط الحدود وتم تسليمه الى السلطات العراقية حيث نفذ فيه حكم الاعدام شنقا كما نفذ من قبل في زملائه العقداء الثلاثة والوزير السبعاوي . وتوفي في المنفى في روديسيا ناجي السويدي وامين التميمي وعارف الجاعوني رحمهم الله جميعا .

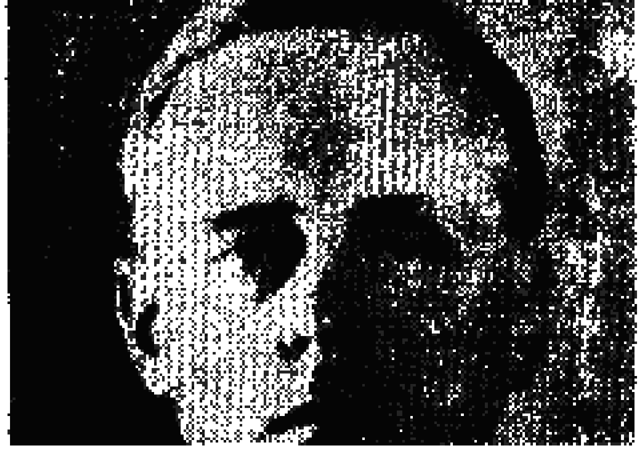
ولما دخل ايران المارشال ويفل القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الاوسط اذاع بيانا بدفع مكافأة مالية سخية لمن يقبض على المفتي او يدلي بمعلومات تؤدي الى القبض عليه حيا او ميتا . وطلب ويفل من الشاه شخصيا ان يبذل جهده لتسليمي الى السلطات العسكرية البريطانية ، كما علمت بذلك من المرحوم يوسف ذو الفقار باشا سفير مصر في طهران حينئذ ، وهو والد الملكة فريدة وقد غمرني بكرم اخلاقه وشهامته . وكان مدير الشرطة العام « اقاي مقدادي » يلح على اخواننا ليدلوه على المكان الذي كنت اختفي فيه ويعرض عليهم جائزة المرشال ويفل .

واخيرا في مساء ٢٣ ايلول (سبتمبر) وبعد ان بدلت مكان اقامتي اكثر من مرة خلال تلك الفترة الحرجة خرجت من طهران في سيارة باص ايرانية مع عدد من المسافرين وسلكت السيارة طريقها الى الحدود التركية مارة بكرج فقزوين فزنجان فتبريز في اذربيجان حيث كان الروس يحتلون تلك المنطقة ويفتشون المسافرين تفتيشا دقيقا ، ومكثنا في تبريز خمسة ايام اذ اوقف الروس كل السيارات والقوافل ثم سمح لها بالسفر . واستغرق سفري في الاراضي الايرانية بضعة عشر يوما كانت كلها في مناطق الاحتلال الروسي وقبل ان اجتازها الى الحدود التركية استوقفني ضابط المخابرات الروسية نحو عشر ساعات لاشتباهه بجواز سفري ثم اجتزت الحدود التركية مع قافلة من المسافرين من ولاية ارضروم قريبا من جبال أرارات الشهيرة ومنها الى ولاية «سيواس» حيث ركبنا القطار الى انقره . وفي تركيا اختلفت وسائل السفر فكانت السيارات حينا والدواب احيانا .

ولما وصلت انقره لم امكث بها الا بضع ساعات تجولت خلالها في شوارعها ثم استأنفت السفر بالقطار الى استانبول حيث اجتمعت فيها باثنين فقط من أخلص اخواننا واسبقهم في خدمة قضيتنا الوطنية وهما الاستاذان محمد اسحق درويش والشيخ حسن ابو السعود الذي توفاه الله في القاهرة بعد عودتنا جميعا الى مصر . ومن طريف ما حدث انني عندما كنت في استانبول استريح من عناء تلك السفرة المضنية ، سمعت من الاذاعة تصريحا للمستر ايدن وزير خارجية بريطانيا حينئذ ردا على اسئلة بعض النواب في مجلس العموم البريطاني جاء فيه : (ان المفتي الذي هو العدو الاول لبريطانيا قد اصبح في قبضة يدنا وان المكان الـذي يختفي فيه في طهران مطوق الان بقواتنا) .. ثم استأنفت السفر بالقطار من استانبول الى ادرنة ثم الى بلغاريا ومنها الى رومانيا فالمجر فالنمسا فايطاليا ، وليس صحيحا ما ذكر من ان طائرة ايطالية حملتني من انقره الى ايطاليا .

الفصل

الحادي عشر





الفرد روزنبرغ



كارل أيخمان الذي اختطفه اليهود من الارجنتين واعدموه في اسرائيل ... رفض الادلاء بشهادة كاذبة عن المفتي .. اثناء محاكمته .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ثم يمضي المفتي قائلا :

« وجدت نفسي بعض الهدوء في القطار الذي اقلني الى صوفيا وتركت لذاكرتي العنان باستعراض شريط احداث السنة الاخيرة .»

لماذا لم يبد الالمان فعالية اكبر ؟ كان يقلقني هذا السؤال الذي لا اجد له جوابا فقد كان بوسعهم ان يفعلوا افضل مما فعلوا ، وما كانت المسافة التي تفصل بين جزيرة كريت التي احتلوها وبيروت الا ثمانمائة كيلومترا ، اما رودس فهي اقرب . وكان ارسال المساعدات اذن سهلا . كما ان احتلال قبرص كان ممكنا بل ضروريا بعد النكبة التي مني بها الاسطول الانكليزي في الاسكندرية ...

لقد فتح الهجوم الانكليزي الفرنسي الحر على سورية مسرحا جديدا للعمليات ولقد قدمت المقاومة الفيشية للحلفاء التي استمرت اكثر من اربعين يوما رغم قلة القوى التي لديها ، امكانات للمساعدةالالمانية التي كان يمكن ان تصل العراق عبر سورية مجالا للتعاون بين فرنسا الفيشية والمانيا بحيث

تنفذ اتفاقيات (مونتوار)، وكان بوسعنا ان نعد جيشا عربيا من مليون مقاتلا في مدة وجيزة وفي مثل هذه الشروط كان يتبدل مصير الحرب كله. كنا بعد تحرير ارضنا نعطي فرصة كبرى بالنصر للالمان ...

لقد وجدت الجواب على سؤالي بعد وصولي الى المانيا فلم تكن عمليات حوض البحر المتوسط الا ثانوية لان المانيا حشدت قواها في عملية (باربا روسيا الكبرى) ــ عملية الهجوم على روسيا ــ ولقد تحرك بعد وصولي الى برلين ثلاثة ملايين رجل و ٦٠٠٠٠ حصان و ٦٠٠٠٠ آلية عسكرية ، و ١٩٠٠٠ قطارا باتجاه الحدود السوفياتية ...

سنة ١٩٤٠ اعطى هتلر اوامره لاعداد هذا الهجوم الكبير وهو ما عرفه التاريخ حتئذ ... لقد قامت ثورتنا اذن في زمن غير مناسب ».



في اواخر سنة ١٩٤١ بدأ مصير الحرب ينقلب على هتلر ... وصل المفتي الى برلين في ١٩ تشرين الثاني من تلك السنة ، وقد بدأت الجيوش الحليفة تمد سلطتها قليلا قليلا في منطقة الشرق الاوسط .

وقد خفت فعالية الهجمات الجوية الالمانية تدريجيا على لندن . كما ان أضرار الغواصات الالمانية بالاسطول الانكليزي اخذت تقل شيئا فشيئا ، وتدنت نسبة المراكب التي أغرقتها هذه الغواصات من ١٥٤ في شهر نيسان الى ٣٤ من تلك السنة ، وبدأت الصناعة الانكليزية تعود الى مجراها المعتاد..

اخذت بريطانيا العظمى تجمع قواتها على مسرح القتال في الشرق الاوسط واخذ الوضع يتحسن لمصلحتها خاصة بعد ان اتجهت معظم قوات المحور الى الجبهة الشرقية ، وما بات الطيران المتمركز في كريت وصقليا يهدد القوافل البحريةالانكليزية . وجاوزت جزيرة مالطة عملية عسكرية مشابهة لعملية جزيرة كريت وعادت تلعب دورها كقاعدة انكليزية فعالة ضد قوافل تموين (الجيش الافريقي) حتى لقد انبأ الجنرال رومل في تشرين الثاني سنة ١٩٤١

القيادة العامة الالمانية انه لم يتلق غير ٥٠٩٣ طنا من العتاد مقابل ٦٠٠٠٠ طلبها وهكذا اضطر جيشه المؤلف من الفرقتين المدرعتين الالمانيتين (١٥ ، و٢١) والفرقة الخفيفة ٩٠ وثماني فرق ايطالية سبعة منها مشاة وواحدة آلية الى التوقف عند طبرق دون القدرة على الهجوم على مصر . وهكذا سنحت الفرصة لانكلترا لاحتلال ليبيا ...

اما على الجبهة الروسية فقد رد الجيش الالماني عن موسكو بعد ان غدا على بعد ٢٢ كم منها في السابع عشر من كانون الاول هاجمت ٤٢٧ طائرة يابانية بيرل هاربور ...

في هذا الوضع بدأت المرحلة الاولى من اقامة المفتي في بلاد المحور ...



ـ لماذا المحور وليس الحلفاء ؟

ـ « سألتم : لماذا المحور وليس الحلفاء ؟ ... ان مصلحة امتي هي التي تملي اختياري . ان مصير فرد يعتبر لا قيمة له عندما يتعلق الامر بمستقبل الامة . ان انتصار الانكليز كان يعني ان فلسطين ضائعة . لم يكن شعبنا قادرا على الدفاع عن نفسه وحيدا . كان لا بد لنا من البحث عن دعم ، دعم من هو أقوى من عدونا . وكانت انتصارات جيوش المحور لا تدع مجالا للشك في نهاية الحرب وما كان في نيتي أن أنتظر دون عمل حتى النصر النهائي والخضوع لرغبات المنتصرين . كنت اريد ان يحمل العرب السلاح لا الى جانب المحور ، بل من أجل قضيته من أجل تحرير بلادي ، ولم يسبق طيلة مدة الحرب ان قاتلنا الى جانب المحور ، ان الشعب لا يطمح الى تحقيق أمانيه الا عبر التضحيات ودم ابنائه ...

ان الشعب يعرف حقيقة رجاله فمنذ عام ١٩٢٢ الى ١٩٤١ والشعب يعرف قضيته ويعرف اعداءه ، وذهبت الى بلاد المحور بحثا عن التأييد لقضية بلادي ... وبهذه الصفة قابلت الدوتشي والفوهرر .

ـ صاحب السماحة اثارت اقامتكم على ارض المحور في اوروبا حيث تركت الحرب العالمية الثانية وخاصة النازية والفاشية ذكريات مؤلمة ـ تعليقات كثيرة ـ فلقد اتهمتكم الصهيونية بالتعاون مع النازية والفاشية ...

ـ قاطعني قائلا :

« ان الرأي العام من عمل وسائل الاعلام التي تنقل الاحداث وقد شوهت حقيقتها في غالب الاحيان ، وليس لنا نحن العرب وسيلة للتعبير عن انفسنا .. ان وجهة نظرنا لم تشرح ، او انها لم تعلل ولم توضح...

ـ ولكننا لا تنقصنا وسائل الاعلام ..؟

ـ نعم ... ولكننا نسيء استعمالها . ان الاسس التي تعتمدها دعايتنا أو دعاياتنا خاطئة تساهم في فشلنا .. قولوا لي هل افادتنا دعاياتنا شيئا في اوروبا ؟ انا اعرف ما تعتقدون ... انها لم تنفعنا بشيء . لقد كانت امام تخرصات او صراخ اجش . وعندما كنت اقرأ ما يكتب عن اقامتي في المانيا كنت اتساءل :

اين كانوا يريدون ان أذهب ؟... الى المنفى ؟ الى السجن ؟ ان اسلم نفسي للانكليز ؟ هل كانوا يريدون ان اذهب الى أعدائي بمحض ارادتي ؟ ما هو الثمن ؟ ... لم يخفني الموت ابدا ... ولكني كنت اريده موتا مجديا لامتي ...

كانت الامبراطورية البريطانية كلها تلاحقني ... تتبعني أينما كنت، وفي الحق لم اكن راغبا بترك ارض وطني ... هؤلاء الذين ينتقدونني هل يعرفون حياة الخفاء ... الترقب ... الخوف الدائم من البوليس... والموت الذي ينجم عن ذلك ؟ هل عاشوا مثلي على انتظار الغيب الذي يحسم وجودهم يخشون الصوت الضئيل الذي يمكن ان ينبه الجواسيس .. كلمة لا معنى لها يقولها صديق يمكن ان تكتشف مخبأك ... غلطة ... اشارة لم يحسب حسابها ... يمكن ان تضعك تحت رحمة العدو ؟

كان علي في تلك الظروف الشاقة التي كانت تواجه شعب فلسطين، وذلك حق بل واجب ما دمت معه في المقاومة ، أن ألجأ الى كل الوسائل التي تمكنني من انقاذه . ولم اكن ملزما بتقديم حسابي عن اتصالاتي الا للشعب نفسه ، وهذا الشعب يعرف من أنا ويعرف ماذا أفعل ولمصلحة من افعل ...

انا لم أذهب الى بلاد المحور كي اضع نفسي تحت تصرفهم . لقد ذهبت في سبيل خدمة قضيتي التي هي قضية امتي بكاملها ... ذهبت مفاوضا لا متعاونا . كنت أتوق لان تكون اقامتي ذات نفع لفلسطين خاصة ولوطني العربي الكبير عامة وللاسلام الذي احمل اكبر مهمة من اجل اعلاء كلمته .

ـ لقد اثار انشاء الجيش المسلم انتقادات حادة ...

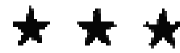
ـ وكيف نحرر ارض الوطن ؟ هل تظنون الكلام قادرا على ذلك ؟ كان المسلمون في البوسنه والهرسك يقتلون ، ويذبحون وكان علينا ان نوفر لهم شيئا من الحماية ...

ـ اثيرت اقاويل مصدرها الصهيونية وعملاءها بانكم قد سكتم على تعذيب اليهود في المانيا ؟

ـ على العكس تماما ! لم تكن مشكلة تعذيب اليهود مطروحة فيالمانيا حين وصلت ، كان الالمان يعرفون ماذا يفعلون ، ولم يكن لنا دخل في هذا الموضوع ، كانت عملية تعذيب اليهود قد استنفدت اغراضها ، ان للالمان تاريخا مع اليهود وكانوا قد خططوا ونفذوا ، ولا شأن لنا بما يفعله غيرنا، كنا هناك ضيوف لنا قضية ، وكل ما كان يهمنا هو قضيتنا ... وفوق ذلك كان الالمان والطليان يفكرون اولا بمصالحهم ، وكان علي ان انتزع منهم الاتفاقات وكنت مضطرا الى تحاشي امور كثيرة ...

كنت أرى انهم كثيرا ما يرون اقحامنا فيما لا نريد منتهزين وضعنا الضعيف . وكنت اعارض بشدة ...

لم تكن مهمتي سهلة في بلاد المحور وبوسعكم ان تروا ذلك فيما سأرويه لكم عن ظروف تلك المرحلة ...



مقابلة موسوليني

ويمضي المفتي قائلا :

كنت أعلم قبل ان أصل روما ان مهمتي لن تكون سهلة فيها ، وان صعوبات كثيرة تنتظرني فيها ، واولها واصعبها الا اسمح لهم بالظن ان وجودي يمكن ان ينفعهم بشيء....

كان بين العرب وايطاليا حساب طويل وقديم ، ولم اغذ نفسي بالوهم.. كانت ليبيا تعاني من الاحتلال الطلياني ما تعانيه بقية الأقطار العربية من الاحتلالين الفرنسي والانكليزي . ومنذ سنة ١٩١١ ، أي منذ نزول الجيوش الايطالية في الشواطىء الليبية وشعب ليبيا خاضع للظلم والاضطهاد ، ولكم سال دم اخواننا عبر المقاومة التي امتدت حتى سنة ١٩٣٣ ، لقد لاقى عمر المختار قائد تلك المقاومة ـ وهوالشيخ ذو الستة والتسعين عاما الموت رغم عمره بعد ان اسر في معركة بالسلاح الابيض ـ حتفه فشنق رغم احتجاجات العالم ...

وكانت ايطاليا الفاشية فوق ذلك تطمح لاحتلال تونس .

بعد ان اتصلت بي السلطات الايطالية حددنا موعدا لزيارة موسوليني .. وفي اليوم الموعود جاء موظفو المراسم الي في فندق اكسيلسيور وجدت نفسي في السيارة التي تحملني الى موسوليني جنبا الى جنب مع الايطاليين الذين قتلوا القائد العظيم عمر المختار ... امام المسؤوليات الكبيرة لا بد لنا من ان نواجه الواقع وان نتصرف ...

استقبلني في مدخل قصر فينسيا ـ الشهير بشرفته التي يخطب منها

الدوتشي في جموع الايطاليين الـذين كانوا يأتون لاستماعـه ـ البـارون (انفوزو) نائب وزير الخارجية نظرا لغياب الكونت شيانو في زيارة رسمية في برلـين ...

كان موسوليني ينتظرني في باب مكتبه الواسع وكأنه قاعة محاضرات..

استقبلني بسرور ظاهر . كان مظهره ومشيته يبعثان في الشعور انـي جئت احيي أحد اولئك القادة الرومان وكأنه بعث وتزيى بزي ايطالي . كان رأسه المرتفع وخيلاؤه تظهر قوة فكيه وكانت عيناه تدفعاني للتفكير بنابليون وانطونيوس .. وبعض حركات يديه في باغنيني..

كانت طبيعته القوية الحازمة تقربه من نابليون . اذا تحدث عن التـاريخ الروماني بدا بليغا وظهر اعجابه بروما التاريخية وامبراطوريتها والامل الـذي يعيش عليه بأن يكون باني ايطاليا الجديدة ... ايطاليا الغازية .. ترى الى اين كان يذهب به خياله ؟ لم يكن علي صعبا فهم مطامحه التي يخفيها بكثير من اللباقة الدبلوماسية ...

كان صوته يبدي عاطفة حسية كان بريق عينيه الذي يلتمع في نظراتـه يكشف عن حدس السياسي الذكي وحلم الانسان العاطفي ... انطونيـوس على شواطيء مصر ! كانت شخصيته تظهر اتزانا بين رجل الدولة والفنان ... كان فن عزف الكمان ظاهرا في حركات يديه ...

وقد سمعت انه كان عازفا ممتازا ...

كان يرى ان مهمته ـ وكان يتحدث عن ذلك بايمان ـ في ان ينهي الميوعة الايطالية وان يبني ما تهدم خلال قرون ... كان معجبا بغاريبالـدي محرر ايطاليا وكان يقدر ان شرف اتمام رسالته المحررة واحياء المجد الروماني يعود الى موسوليني نفسه .. قال لي وهو يشد على يدي : احييك باسم الشعـب الايطالي وحكومته وباسمي أنا ...

ورافقني حتى مكتبه فجلس كل منا على مقعد امام الاخر.. وبقي البارون انفونزو ـ جريا على عادة موسوليني بالنسبة لمعاونيه في الزيارات الرسمية بأن يظلوا واقفين.

وبعد ان هنأني سألني عن الطريق التي اتبعت حتى وصولي الى البلقان. كان الحديث يدور بالفرنسية التي يتقنها الى جانب لغات عديدة اخرى ...

لقد ادهشني بمعرفته لتاريخ ومشاكل الشرق الاوسط ... كان يستمع الي بانتباه شديد فشرحت له مواقفنا دون ان اترك اي التباس يمكن ان يؤدي في المستقبل الى سوء تفاهم . فلقد عزمت من المقابلة الاولى على توضيح كل شيء وما كان بودي ان اعيد مع المحور الخطأ الذي وقعنا فيه مع الحلفاء. كنت اعلم ان هتلر يكن احتراما خاصا لموسوليني وعلمت ان هذا الاخير كان يعارض في حرب ضد الاتحاد السوفياتي . وكم تساءلت ما هي الاسباب التي دفعت بالفوهرر لعدم قبول نصيحته ...

لقد اوحى لي في هذه المقابلة الاولى رغم طموحه انه رجل لا ينسى الواقع ، وكان حسه العملي يمكنه من التمييز بين الواقع والوهم . كانت أفكاره نتيجة تفكير طويل مبني على الحساب ... منطق واقعي يومي باستراتيجيته ، ولقد اوحى لي ايضا انه انسان موهوب بذكاء عملي لا تغيب عنه العملية في مهمته التي كانت ترمي لتحقيق مثل أعلى اعني اعادة بناء الامبراطورية الرومانية ...

شرحت له بوضوح مطالب العرب بالاستقلال والوحدة ورفض كل أشكال الاستعمار ، من الاستعمار المباشر حتى الحماية والانتداب والقواعد العسكرية . ولقد تبينت ولا اكتمكم ذلك من ملامحه انه لم يكن ينتظر كل هذا الموقف الصارم مني.

قلت له : ان هدفنا الاول هو انقاذ فلسطين من المؤامرة العالمية وان نلغي مرة واحدة مفهوم الوطن القومي اليهودي على ارضنا . ان ايماننا بالدفاع

عن وجودنا هو الذي يملي علينا الكفاح ضد الوطن القومي اليهودي ، وليس التعصب كما يزعم المتخرصون . انه الحق الذي يمنحنا اياه انتسابنا لارضنا. ان كل وطني له الحق في ان يطالب بارض وطنه وليس التعصب دافعالقضيتنا. لقد كانت العلاقات في الوطن العربي اخوية دائمة بين المسلمين والمسيحيين لقد تعاون العرب دائما في سبيل وطنهم وفق اعتقادهم الديني..

اجابني : أعرف ذلك ان ما اعلمه عن العرب وخاصة عن الدين الاسلامي هو كثير لقد درست القرآن والتاريخ الاسلامي والتسامح الذي يحله الاسلام محلا اسمى ولكن هؤلاء واشار الى الكونت اقوزو لا يعلمون شيئا ..)

تساءلت بيني وبين نفسي : ترى هل يستصغر معاونيه ام انه لا يحترمهم؟

استمر قائلا : (ان مطالبكم تحظى باحترامنا واهتمامنا . اننا راغبون في مساعدتكم على تحقيقها ونحن على استعداد للاعتراف بامانيكم . اما عن الوطن القومي اليهودي فلكم كل الحق في كفاحه . اننا ندعم هذا الكفاح ونقف الى جانبكم ..

لقد حاول الـ ٤٦٠٠٠ يهودي المقيمون في ايطاليا والذين لا تتجاوز نسبتهم ١ من ١٠٠٠ من السكان السيطرة علينا . انهم رغم تمتعهم بحقوق المواطن التي اعطاهم اياها شعبنا لم يعطوا اي دليل على تعلقهم بهذا الشعب. كل منهم جاسوس انهم يقومون بالدعاية ضد ايطاليا ويساندون اعداءها ... انهم طابور خامس بيننا . وسنتخذ الموقف الذي يستحقه موقفهم منا . وأضاف في نهاية حديثه : انتم اصدقاؤنا وحلفاء بلاد المحور في هذه الحرب التي ستبدل كثيرا في مستقبلنا ومستقبلكم . اننا نتعاون معكم تعاونا مبنيا على الثقة والتعاون المتبادل . انني بهذه الروح ارحب بكم بيننا . لقد وصلتم في الوقت الذي توقظ فيه منطقة الشرق الاوسط اهتماما كبيرا وانا من ناحيتي اهتم بذلك اهتماما كبيرا وانا سعيد برؤيتكم بيننا ، وعندما تذهبون الى المانيا ارجو ان تنبهو الفوهرر الى اهمية الشرق الاوسط وخاصة قناة السويس .. انها عنق الامبراطورية البريطانية . هناك نستطيع خنقها

والى الابـد ... ان جبهة الشرق الاوسط هي التي تساهم في النصر الـذي يبدل مصير الحرب !)

فهمت من كلامه انه يعتمد علي كي أقنع الفوهرر بعدم جدوى الحملة التي يعدها ضد روسيا .. كان يعلل موسوليني حجته باظهار الستراتيجيـة الكلاسيكية الروسية التي تتلخص في جر جيوش الاحتلال الى الثلج والجليد والسهول فتعمد بعد ذلك الى افنائها في هجوم معاكس . ولمح في الحديث الى نابليون وشارل الثاني عشر ملك السويد اللذين وقعا في الفخ . صـــحبني الدوتشي الى باب القاعة وهو يكرر تهانيه ويلح على البارون افونزو بتلبية طلباتي اثناء اقامتي في ايطاليا ... واكد لي الكونت انفونزو إنه سينفذ اوامر زعيمه بدقة وانه سيضع نفسه تحت تصرفي. فطلبت اليه بعد الشكر ان يسهل لي شكليات السفر اللازمة الى رحلة اقوم بها لبرلين في اسرع ما يمكن ...

فسألني قائلا دون ان يخفي دهشته : منذ الان ؟ لماذا لا تقيمون بيننا ؟

فأجبته : لا بد من السفر وسأعود لروما عندما تتهيأ الفرصة ...

وبدلا من ان نذهب الى الفندق رافقني الموظفون الى فيلا عظيمة في ضواحي روما هي فيلا سكارلاني التي وضعتها الحكومة الايطالية تـــحت تصرفي ، وقد وجدت ان حقائبي سبقتني اليها .

لم اقم في هذه الفيلا غير يومين قبل سفري الى برلين نقلت على اثرهمـــا الى قصر آخر هو فيلا كولونا الكائنة في جبل مونــــتي ماريو المشرف على رومــا (١)..

وهنا يروي المفتي القصة التالية :

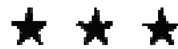
لا بد لي من ان اتوقف عن روايـة ذكرياتي لاحـــدثكم عن حكاية تتعـــلق بهذا القصر لها علاقة بتاريخ فلسطين ...

كان جد عائلة كولونيا من الصليبيين وقد حمل معه عندما عاد من القدس عمودا زعم الرواة ان السيد المسيح جلد عليه وقدمه هدية للبابا الذي منحـه

يستأنف المفتي الحديث :

خرجت من مقابلتي الاولى مع موسوليني ممتنا . لقد أيد الدوتشي الاماني العربية في الاستقلال والسيادة قائلا : باسم الحكومة الايطالية اجيب رغباتكم بالاعتراف بامانيكم الحقة وبمساعدتكم بتحقيقها مع حكومة الرايخ التي تتبنى ـ على ما اعتقد ـ نفس الموقف .)

لقد أدت المفاوضات التي دارت بيننا وبين الحكومتين الايطالية والالمانية الى تصريح رسمي وقعه وزيرا خارجية الدولتين وسأروي لكم بالتفصيل قصة هـذا التصريح ..



لقب امير كولونا ، ولقد ورثت العائلة منذ ذلك التاريخ الثروة واللقب والجاه. ولقد تزوج احد افراد العائلة سيدة لبنانية من عائلة سرسق التي لعبت دورا هاما في السياسة الايطالية خلال الحرب العالمية الثانية بفضل ذكائها وفهمها وكرمها وسعة اطلاعها ، ولقد كانت تعمل في خدمة الحلفاء. كانت أبواب قصرها مفتوحة لعلية القوم في روما يؤمها الامراء والارستقراطيون والوزراء والاغنياء. وكان من عداد ضيوفها الدائمين الكونت شيانو يأتي الى ولائمها وحفلاتها. وكانت تحيطه بالرعاية والاصدقاء والصديقات . كانت تحاول اقناعه بقوة الحلفاء وتفوقهم في الانتاج الحربي ، العامل الوحيد الذي يقرر مصير الحرب والعالم وخاصة ايطاليا . وكانت هذه السيدة تقنعه بانه الرجل الذي تنتظر ايطاليا مبادرته كي تمكن له مستقبلا عظيما نظرا لكفاءاته الثمينة ولمركزه العالي...

ولقد نجحت السيدة اللبنانية بالتأثير تأثيرا عظيما على الكونت صهر موسوليني واقرب معاونيه اليه فدفعته لان يكون في صف المعارضين الاول لموسوليني في جلسة ٢٥ ايلول ١٩٤٣ الشهيرة حيث خانت الاكثرية في المجلس الفاشستي الاعلى الدوتشي . في ذلك اليوم أوقف موسوليني بعد لقائه مع الملك فيكتور عمانوئيل وبقي في سجن سري حتى انقذه الضابط الالماني الشهير (سكورزيني) واخرجه من قلعة مونتي ساسو في ١٣ كانون الاول سنة ١٩٤٣..

ذلك فصل صغير مما سمعت اثناء الحرب ...

الى برلـــين

يستأنف المفتي حديثه :

(ثاني يوم قابلت فيه موسوليني استقبلت في فيلا سكارلاني السفير الالماني فون ماكنزن حفيد المارشال الالماني الشهير يصحبه الكونت فون بسمارك المستشار في سفارة الرايخ الثالث في روما وتحدثنا عن تفاصيل الزيارة التي نويت القيام بها الى المانيا ...

في ٨ تشرين الثاني ١٩٤١ تركت روما بالقطار قاصدا برلين ، وفي التاسع منه وصلت ممر برينر الذي اشتهر بعد مقابلات هتلر وموسوليني فيه . كان على رصيف المحطة وفد رسمي في استقبالي يرأسه وزير الدولة الدكتور (اوتومايسيزا) يحيط به رئيس البروتوكول والدكتور ملتسرز مدير عام الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الالمانية والدكتور غروبا . ورافقوني الى برلين حيث حللت ضيفا على الحكومة الالمانية التي احلتني في قصر (شلوس بلفور) الذي بني عام ١٧٨٥ والقائم في حي (نيوغارتن)..

قام طيران الحلفاء بغارة ليلية في اليوم الثاني لوصولي للعاصمة الالمانية، فأيقظني الموظف المكلف بشؤوني وقادني الى ملجأ القصر . لقد عجبت لما رأيت ... عدة غرف للنوم ، وقاعات للطعام والاستقبال وعيادة مجهزة بما تتطلبه العمليات الجراحية والعناية بالجرحى.

بقيت في ذلك القصر اسبوعين ثم انتقلت الى « غوته شتراسه » في ضاحية تسيلنورف البعيدة ١٦ كم من برلين ..

كان وزير خارجية المانيا غائبا عن برلين في زيارة لقيادة المنطقة الشرقية في بروسيا ، فانتهزت هذه الفرصة لرؤية عدة شخصيات اسلامية من اذربيجان وقوقازية وتركستانية وسواها ممن يعيشون في برلين . اذكر من تلك الزيارات خاصة زيارة غلام صادق خان وزير خارجية الافغان السابق وشاندارابوز الزعيم الهندي الشهير وعدو الاحتلال الانكليزي الكبير الذي بقي في برلين حتى سنة ١٩٤٤ حيث اتفق مع الالمان على تنظيم ثورة ضد الانكليز في بورما

والهند فأخذه الالمان في غواصة الى الشرق الاقصى وهناك قضى في حـادثة طائرة استقلها للوصول الى بورمان ...

واقيمت على شرفي عدة حفلات قابلت فيها عدة شخصيات المانية تحدثت معها في المواضيع التي أردت اثارتها ..

دعاني الدكتور ميسز ثاني يوم لوصولي لبرلين لتناول الشاي عنده ..

واقام الدكتور نورمان حفلة غداء ، وهو مدير الشؤون السياسيـة في وزارة الخارجية وبعده الدكتور فايز ساكر . ومن ٢٠ تشرين الثاني استقبلني فون روبنتروب في وزارة الخارجية الالمانية القائمة في ويلهلم شتراسه ، ودام الحديث معه ساعة ونصف ...

لقد فوجئت حين قابلت هذا الرجل ، فلم تكن الصورة التي كانت في ذهني عنه من خلال الصحافة تتفق مع صورته الحقيقية ، لقد جهدت الصحافة في تشويه شخصية الوزير لدى الرأي العام ، فلقد وصفته على انه وصولي ماهر ومحدود الضمير والعقيدة . وجدتني امام مخطط حقيقي وقور لا تخفاه الوقائع . ولم تكن بساطة حديثه تخفي دقة احكامه . كانت الناحية العقلانية الواقعية في شخصيته تطغى على الناحية العاطفية . وكان يبدو لي علميا اكثر من غيره من الالمان .

قال لي وهو يستقبلني : (اخيرا اتشرف بمعرفة الرجل الاسطوري .. لقد تتبعت نشاطكم باعجاب).

كان خلال الحديث مستمعا يقول فكرة بين الفينة والفينة ..

قال لي : (يجب ان تحل القضية الفلسطينية ضمن نظرة عالميـة دون الاهتمام بموقف الانكليز ، هذه القضية يمكن ان تثير احداثا عالمية خطيرة، ان فلسطين عربية وحل قضيتها يجب ان ينبثق عن هذه الحقيقة مهما كـانت الشروط ..)

وقال بالنسبة لاحداث العراق : (كنت أود لو انها تأخرت حتى ظـروف اكثر ملاءمة نستطيع فيها ان تقدم عونا مجديا لقد تألمنا لمصير هـــذه الثورة وللنتائج الحزينة التي تعرض لها اصدقاؤنا الشجعان)٠

فهمت من الحديث انه يستنكر على الدكتور غروبا وبعض اصدقائــــه تشجيع العراقيين على القيام بمحاولة في غير أوانها ٠ فاكدت له ان العراقيين يشاركونه الرأي ولكن الانكليز لم يمكنوهم من انتظار الفرصة المناسبة٠

وابلغني التاريخ المتفق عليه لموعد مع هتلر وسألني عن موضوع الحديث الذي اريد الخوض فيه معه فشرحت له اهداف كفاحنا التي سببت وجــودي في المانيا وقلت : (نحن نريد ان نقيم التعاون المتبادل بتوقيع معاهدة مــع المانيــا وحلفائها تعترف فيها بحقوق العرب في الاستقلال وتساعد في الغــاء وعد بلفور ٠٠٠)

لقد ارسلت الى هنا سكرتيري الخاص السيد حداد لان التصريح الالماني لم يكن بنظرنا كافيا ونريد تصريحا مفصلا ودقيقا ٠ ان تجربة شعبنا وخيبتــه مع الانكليز تدفعنا لهذا الالحاح ٠ ولكنا بعد ان تلقينا رسائل اوضح مــع مساعدكم الاول هرفون فايساكر يوجد لدينا الان القواعد الاساسية لهــذه المعــاهدة ٠٠٠

اجابني نحن عازمون على الاعتراف باستقلال البلدان العربية ومساعدتها في تحقيق امانيها ولكن الفوهرر يفضل حفاظا على مصلحة الطرفين الا يعطــي تصريحات تزعج المجهود الحربي الان وتثيرضجة لدى بعض الامم التي تفضل الان عدم احراجها)٠ ولما سألته من يعني ٠٠ اجاب ، (تركيا مثلا لها بعــض المطالب في الارض السورية) ٠٠ قلت له ٠٠ ان مصلحة تركيا ان يكون على حدودها دولة صديقة بدل دولة كبيرة كفرنسا ٠٠ بوسعنا ان نرسل رســولا الى فرنسا يطمئن الاتراك الى نوايانا الطيبة وان يقوم بمفاوضتهم بهذا الامر٠٠

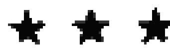
قال بوسعكم ان تنقلوا رأيكم للفوهرر ، واؤكد لكم على كل حال اننا متفقون على قواعد التعاون التي تؤول الى تحقيق ما تطمحون اليه ٠

اتصلت بعد ذلك من اجل هذا الهدف بالهر فون فاسيماكر وكان على جدار مكتبه خارطة مفصلة • قلت له :

(انظر ـ وانا اريه الوطن العربي ـ هذه البلاد الممتدة من الاطلسي حتى حدود ايران والموارد الطبيعية فيها وعددسكانها••• وموقعها الستراتيجي والعواطف الصادقة لدى شعبها بالنسبة للالمان •)

قال : (انا موافق ولكننا عندما نقارن قوى الشعوب في زمن الحرب لا نتوقف عند مساحة الارض وانما عند عدد الفرق التي تحشدها هذه الشعوب• ان تركيا تملك الان ثلاثين فرقة وخمسين عند النفير وما تملكه الدول العربية جميعا هو سبعة • ان طاقة العرب هي للاسف تحت تصرف العدو •• وليس معنا من العرب الا انتم المقيمين هنا بيننا ••• اما بقية طاقة شعبكم فيستغلها الخصم •)

فكرت عندئذ بجواب الخليفة علي في حربه مع معاوية التي انتهت الى ان يحكم الاخير للذين قالوا له : قلوبنا معك ••• فقال قلوبكم معي وسيوفكم مع معاوية •••



مع هتلر

يقول المفتي :

في الرابعة والنصف بعد ظهر ٢١ تشرين الثاني ١٩٤١ قابلت ادولف هتلر فوهرر المانيا وزعيم الرايخ الثالث • لم أكن انتظر ان استقبل بمراسم استقبال رسمي • عندما ترجلت من السيارة في ساحة المستشارية في مدخل بوابتها الكبيرة استقبلتني الموسيقى العسكرية وطلب الي مرافقي موظف المراسم في وزارة الخارجية الالمانية ان استعرض سرية حرس الشرف ثم صحبني عبر قاعات المستشارية الكبرى وممراتها حتى قاعة الانتظار فطلب الي رئيس المراسم

ان انتظر حتى يعلن عن قدومي وبعد أقل من دقيقة استقبلني هتلر في مكتبه وأبدى لما دخلت الترحاب • كان يحيط به عدد كبير من معيته وبينهم ترجمانه الخاص الهر شميدت الذي نقل لي حديثه الى الفرنسية •

قال لي بعد ان طلب الي الجلوس امامه : « أهنئك واهنىء نفسي ان قد نجوت من عدونا المشترك• لقد تابعت قلقا مراحل تنقلك من طهران الى برلين اني أعتبر خلاصك نصرا • ان تاريخ حياتك معروف عندي بتفاصيله • ان كفاحك يحظى باحترامي • اني اقدر المعركة العظيمة التي خاضها الشعب الفلسطيني بشجاعة وحيدا لا يعتمد على احد ضد الامبراطورية الانكليزية واليهودية العالمية • ان جرأة هذا الشعب وتصميمه العنيد وتمسكه بحقوقه وتفانيه تستحق اعجاب العالم •»

كانت قوة صوته ولهجته الصارمة العميقة تخيل لي انها تتردد في القاعة• كان تعبير وجهه يرتسم على وجوه الذين حوله حتى لكأن كلا منهم يردد في داخله اقواله التي تقطعها الترجمة ولاحظت ان شفاه بعضهم تتحرك كأنها تتمتم معه ما يقول • وكانت عيونهم تتسع حدقاتها او تصغر وفقا لحركة عيني الفوهرر وكانوا يقطبون حواجبهم او يحركون رؤوسهم معه تبدو عليهم المشاركة في التعبير كأنهم مأخوذون بمغناطيسيته • كان جو الحديث حارا على هدوء وكانت لهجة الفوهرر المليئة تضاعف معنى الكلمات فتحفرها في ذاكرة محدثه حتى لكأن لها معان ابعد من معانيها الحرفية يتعكس فيها مزاجه العنيف •

قال : « ان لاقامتك بيننا معنى كبير ويجب ان تؤتي بثمارها واعلم ان هدفك الاول ان تعبر عن الاما ل العربية وارادة هذا الشعب بالكفاح ضد عدو الانسانية المشترك •••»

وترك لي بعد ذلك مجال التحدث وبعد ان شكرته لكرم الضيافة الذي لقيته في المانيا ذكرت العلاقات الطيبة التي تجمع بين المانيا والاسلام والتي

تحققت في عهد السلطان عبد الحميد ، قلت له : « ان المانيا لم تعتد عبر تاريخها الطويل على اي بلد عربي او اسلامي . لقد عاني شعبنا اعباء سياسات محدودة غير شاعرة بحقوق الشعوب في الحياة والحرية . لقد فرضت هذه السياسات الظالمة على شعبينا الاستعباد فقد رزح شعبكم تحت معاهدة فرساي ونتائجها المخربة وعلى شعبنا وعدبلفور والاستعمار والحماية والانتداب والانفصال... لقد جمعتنا الآلام المشتركة في قدر واحد . ان كفاحنا واحدا يجمعنا . ان رسالتنا تستحق تضحيات كبرى . ان الشعب العربي الذي نكلت بريطانيا بعهودها له التي قطعتها في الاتفاقات المعقودة مع الشريف حسين ، لن يتوقف عن الكفاح . اما نحن الفلسطينيين فسنظل اول من يقاتل حتى آخر ابنائنا . سنتمسك بارض الوطن تمسك حياة او موت . ولن نسمح للانكليز بان يجعلوا من ارضنا رقبةجسر للاستعمار البريطاني . ان شعبنا الذي قاسى من تجربة الحرب الكبرى ليرغب في عقد معاهدة مع بلدان المحور وخاصة مع ألمانيا تحفظ حقوقه وتعلن على الرأي العام حتى اذا انتهت شكوكه انضم الى المعركة التي هي معركتنا ضد عدونا المشترك .

لاحظت وانا أعرض رأيي على الفوهرر ان جفناه أقل حركة مما عند الاخرين وكان سكونهما يعطي وزنا وقوة لنظرته الصارمة . وكان لوجهه الهادىء تعبيرا متعاليا يبدي طبيعته المتحدية المسيطرة ، رأيت ان انتباهه شديد لا يترك كلمة من كلماتي تفوته واحسست كأنه يستعيد آرائي وبعد الجواب عليها في دخيلته . يحس محدثه انه قريب بعيد مما يحبب فيشخصيته على صرامتها .

استأنف قائلا : لقد شرحت استراتيجتي في « كفاحي » اولا : سأكافح اليهود دون وني ...»

كان لكلمة يهودي وقع خاص عندما يلفظها .

« ... ان الغاء الوطن القومي اليهودي هو جزء من معركتي . ان اليهود ... كان يشدد على آخر حرف من يهودي *Juden* فيلفظها *Judem*

••• يريدون ان يقيموا دولة مركزية تكون قاعدة لنشاطهم واهدافهم المخربة • انهم يريدون ان يهدموا كل الدول ••• كل شعوب العالم • انه من الثابت ان اليهود لم يقوموا باي عمل بناء في فلسطين • دعايتهم كاذبة • كل ما بني في فلسطين بناه العرب لا اليهود منذ ما قبل التاريخ • ان طبيعتهم لا تسمح لهم بالبناء ولقد قررت ان اجد بأي ثمن حلا دقيقا نهائيا للمشكلة اليهودية وبعد ذلك سأدعو اولا كل دول اوروبا ثم البلدان التي من غير اوروبا ان تتعاون معي لنضع حدا نهائيا لليهودية العالمية التي تشكل خطرا يهدد العالم اجمع •»

كان هتلر هادئا في حديثه احسست انه يفتح قلبه فلم يخف على قناعته بضرورة وضع حد لجرائم اليهود واستمر قائلا : « أليس عجيبا ومخيفا ان يتعاون عدوان مختلفان مبدأ وهدفا الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، أقصى اليمين واقصى اليسار ؟ تناقض عجيب ! لقد استطاعت اليهودية العالمية احتيالا •••» ارتفع صوته وتقلصت عضلات وجهه ـ واخذ يشدد على مخارج الحروف كما يفعل الخطباء العرب حين يشددون على حروف القلقلة• كان يقترب مني وهو يتحدث وتزيد اشارا تيديه في معنى كلماته فتتقلصان فتتقويان تعبير وجهه وعيناه تقدحان شررا • « ••• ان تجمع المتناقضين الرأسمالية والماركسية وتقرنهما بحبل واحد كي يخدما مصالحها ولكن هذا الامر لن يدوم •••» وقطعت يده شيئا ما يراه هو وحده • « ان ذلك ضد الطبيعة !»

تابع حديثه صافي الهدوء وفي عينيه نظرة ملهم : « اننا نتابع كفاح موت أو حياة ، معركة تحسم نهائيا بين الوطنية الاشتراكية واليهودية ونجاحها يأتي بعون وايجابي هام للعرب الذين يكافحون معنا • ان وعدا عاطفيا لا معنى له• ان الضمانات التي تدعمها القوة المنفذة هي وحدها ذات معنى واقعي • والحرب العراقية خير مثل لذلك فرغم كسب العراقيين لدعم الشعب الالماني العاطفي لم تمكنا الظروف من أن نأتيهم بالمساعدة العسكرية الضرورية لهم • لقد رأى

الشعب الالماني في الثوار العراقيين رفاق سلاح وآلام • فلقد عانوا نفس ما عانينا ولم تكن المساعدات التي أرسلناها كافية للنصر على القوة البريطانية•

أما عن الكفاح الذي يقرر مصير العرب فلا أسمح لنفسي بالحديث الا كمبدأ أي مؤمن برسالته وكقائد عسكري وجندي شاعر بواجباته• كل من يساهم في انتصار هذا الكفاح النبيل يخدم قضية العرب وعلينا ان نميز بين ما ينفعنا وما يضر بنا في سيرنا المنتصر ضد اليهودية العالمية وبريطانيا العظمى واعدائنا الآخرين وعندما نحقق النصر تدق ساعة تحقيق الامال العربية •

ان الوضع في هذه الفترة هو كما يلي : نحن نقاتل الان كي نشق طريقا لنا في القوقاز الشمالي ونلاقي صعوبات شديدة في النقل سببها خطوط المواصلات : تخريب الطرق والخطوط الحديدية والشتاء والبرد والثلج ••• اننا اذا استعجلنا باعلان تصريح يتضمن استقلال سورية يضعف موقف حكومة فيشي وتتخلى عنا بينما يشتد موقف ديغول وسلطته • ويظن الفرنسيون ان دعمهم لانكلترا يخدم مصالحهم ويستخدم اعداؤنا سورية مثلا لاثارة مخاوف الفرنسيين على امبراطوريتهم • مثل هذا التصريح يخلق لنا مصاعب كبرى تمنعنا عن حشد جيوشنا في الشرق •»

وبعد وقفة قصيرة استمر وقد بدا عليه التفكير : « اريد ان أقول لك شيئا يجب ان يظل مكتوما بيننا : اولا سأتابع الكفاح حتى القضاء علىاليهودية العالمية ••• ثانيا عندما تصل جحافلنا المصفحة وقوات الطيران الالماني الى منحدرات جنوبي القوقاز يصبح الوقت مناسبا للتصريح الذي تطلبون ويحين تحرير العرب • ان المانيا ليست لها اية مطامح في أية دولة عربية •

« ثالثا : أنا سعيد انكم نجحتم بالوصول سالمين • اني أؤكد لكم ان الساعة التي تقودون فيها العرب الى الحرية باتت قريبة وعندما تأتي لن أحفل بالنتائج التي تترتب على هذا التصريح عند الامم الاخرى •

« رابعا : أعتقد ان انتصارنا في الشرق سيسبب سقوط الامبراطورية

الانكليزية ان الطريق من روستوف لايران ثم العراق هو أقصر من الطريق من برلين الى روستوف . انا اعرف ان العرب قلقون من اجل التصريح الـذي عنيتم ولكن اسمح لنفسي بأن أذكركم اني في السنوات الخمس الاولى مـن وصولي للحكم لم أعط اي تصريح رسمي فقد انتظرت الساعة التي استطيع فيها دعم تصريحاتي بقوة السلاح..

« ولا تنس اني عندما اساعد العرب فانما من اجل خدمة المانيا اولا وانا أعرف اني عندما اساعدكم فاني اقوم بواجبي لمصلحة المانيا . وفوق ذلك فان المانيا ليست لها مطامع استعمارية خارج اوروبا فلقد ذهب زمن الامبراطوريات الاستعمارية ولن اعيد اخطاء الامبراطوريات الكبرى التي كانت تحلم باجتياح العالم . ان قواتنا العاملة الان في شمال افريقيا لا تستهدف احتلال الارض وانما كي تتابع الحرب ضد العدو. لن اطالب بمستعمرات المانيا القديمة التي اخذت منها بعد الحرب العالمية الاولى ، ان الرايخ الثالث لا مطامع له الا في القارة الاوروبية ذات الحضارة القديمة حيث يستطيع الشعب الالماني ان يحيا ويتفتح وعندما يغلب الانكليز ستعود قواتنا الموزعة في العالم كي تلعب دورها التاريخي الحضاري.

ليست لنا مطالب في البلدان العربية فنحن اصدقاؤكم وبوسعـكم ان تعتمدوا علينا ولكن اعتمدوا على انفسكم اولا فنحن نفكر اولا بمصالح المانيا وعليكم ان تفكروا انتم بمصالحكم اولا ...»

لم يكن هتلر اذن راغبا في اعطاء تصريح رسمي كنت اعتبره هاما واساسيا في متابعة الكفاح . كانت الحرب قائمة وفي الحروب تقدر القوة وحدها مصير الامم ؛ وكان على العرب ان يؤلفوا جيشا ويحملوا السلاح للدفاع عن قضيتهم ان من يتخذ موقف المشاهد بين المتحاربين ينتهي الى ان يخضع لرغبات المتصر أيا كان . لقد حددت الظروف اختيار شعبنا . التحالف مع الحلفاء ؟ لم يكن السؤال مطروحا فلقد كانوا مبدئيا ضدنا . مع المحور ؟ ان اللجوء الى هـذا الحل يفترض تحديد شروط التعاون . كان يبدو لي انتظار احتلال الالمـان

للقوقاز غير معقول ، فالزمن كان يمر سريعا وكان علينا ان نؤلف نحن جيشنا ـ ولا بد لذلك من بعض الزمن ـ والا نعتمد على الالمان للدفاع عن قضيتنا . ان ابناءنا وحدهم يجب انيحملوا عبء هذه المهمة الكبرى .

أمام الوضع العام الذي شرحه الفوهرر اقترحت عليه معاهدة سرية فقال : « ان الاتفاقات السرية لا تظل بالضرورة سرية فلا بد من ان يطلع عليها بعض الاشخاص فتنكشف بعد قليل . لقد اعطيت في حياتي تصريحات قليلة على عكس الانكليز الذين أعطوا تصريحات كثيرة دون ان ينفذوها . اما انا فأتقيد بوعودي قلت مرة لماريشال فنلندا ان بلاده تستطيع الاعتماد علي اذا هاجمها العدو مرة اخرى ، وكانت هذه الكلمات القليلة اكثر اهمية من تصريح مكتوب ولألخص لكم قراري ...» كانت لهجته هادئة صارمة « ... أعلن لكم اننا عندما تصل جنوب القوقاز تحين ساعة تحرير العرب وبوسعكم ان تعتمدوا على هذه الكلمة ».

دام الحديث ساعة وخمس وثلاثين دقيقة . عندما تركت الفوهرر كنت أشعر ببعض القلق رغم تأكدي من الاستراتيجية التي يتبع . وكنت قانعا قناعة مطلقة بعزمه على الكفاح ضد الصهيونية واعوانها الاستعماريين فلقد كان رجلا لا يتزعزع ايمانه بافكاره شديد الحماس بتحقيق اهدافه ولم يكن على تلاعب الساسة الانكليز الذين يظهرون حب الشعب العربي او اي شعب آخر ثم يخدعونه ، وكان صريحا في خطاباته واحاديثه الخاصة ، وكانت مصلحة الرايخ هي همه الاساسي . كان ما ينفع الشعب الالماني يحظى بحبه او حقده او اهتمامه . فقد كانت المانيا عنده كل شيء . كانت عاطفته القوية وطبيعته المسيطرة سببا في عنفه الذي يشارف الهوى ورأيت انه من العبث اقناعه في تلك الفرصة ولكني لست الذي ييأس من الوصول الى هدفه فقررت ان اصل له خطوة خطوة بان اتصل فاقنع الموظفين المختصين بالشؤون الشرقية .

ـ هل سنحت لكم الفرصة بمقابلة الفوهرر غير هذه المرة ؟

ـ قابلته مرات ثلاث . ثالثها كانت في حفلة استقبال رسمية وكان ذلك

عقب دخول الولايات المتحدة الحرب ، ولاحظت انه كان راغبا في التحدث الي • عندما حييته اعتذر لي قائلا : انه يود رؤيتي ولكن اعماله كثيرة ولقد تحدثنا طويلا ذلك المساء ، ولقد تحدث عن اليهود الالمان •

قال لي : « لم اكن اجد اي فرق بين مسيحي ويهودي المانيا كان ام نمساويا ولذلك عجبت لتبدل وضع اليهود المفاجيء في المانيا بعد وعد بلفور فلقد شدوا ضد كل المؤسسات الالمانية واخذوا يخربون في دوائر الدولة والجيش ويقومون بدعاية هائلة لنقط ويلسون الاربعة عشر التي لا تفرق ـ كما زعموا ـ بين غالب ومغلوب •

ولقد ادت هذه المؤامرة الى الانهزامية في ألمانيا وعاثت فسادا المنظمات اليهودية بنفس الوقت في التموين التابع للجيش فخسرنا الحرب •

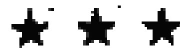
ـ أجبته بانهم لعبوا في بلادي نفس الدور • وفكرت بالفتاة اليهودية سارة أهرنسون التي روى لي حكايتها الجنرال التركي جوادرفعت اتيل خان رئيس الاستخبارات التابعة للجيش الرابع العثماني• ثم اكد لي القصة فيما بعد الدكتور حسن ابراهيم باشا الحلبي رئيس اطباء ذلك الجيش • فلقد كان يتناول فطوره في حيفا ـ كان البيت الذي يسكنه ملكا لعائلة يهودية ـ فرأى حمامة تحط وتنضم الى باقي الحمام ورأى في رجلها حلقة فأمسكها واذا به يجد رسالة سرية مرسلة من سارة اهرنسون الى الجيش البريطاني •••»

استأنف هتلر حديثه قائلا : « ان اليهود هم الذين دفعوا بالولايات المتحدة لدخول الحرب ضد المانيا سنة ١٩١٧ ، ورأيت بعد ان أسست الحزب الاشتراكي الوطني ان زعماء اليهود يتابعون محاولاتهم لتدمير المانيا بزرع الفوضى والافكار الماركسية واذكر لكم مثلا : كارل ليبكنشت زعيم الثورة الشيوعيةفي برلين سنة١٩١٨ ـ ١٩١٩ وروزا لكسمبورغ وبعد ذلك «اوجين ليفني» الذي اعلن نفسه الديكتاتور الشيوعي لبافاريا سنة ١٩١٩ ، كان اليهود يريدون ان يقطعوا كل امل بنهضة المانيا • ولهذا السبب اقتنعت ان

مهمتي الاولى ومهمة كل الوطنيين الاشتراكيين بل كل الالمان ان يستمروا في في كفاحهم دون شفقة ضد اليهود .

ـ اجبته : نحن العرب نعتقد انها الصهيونية التي قامت بالتخريب لا اليهـود .

قال هتلر : انتم شعب عاطفي . ادعوكم لزيارة معهد الدراسات الذي أسسته كي اقنعكم بفكرتي وستجدون ان قناعتنا ثابتة علميا .»



اتصالات مع شخصيات المانية ويابانية

ويستطرد المفتي في الحديث عن تلك الفترة فيقول :

« علمت في تلك الفترة ان المفوض السامي الالماني في فرنسا الهرشولتنز المسؤول الاول عن العلاقات الفرنسية الالمانية هو الذي كان يعارض في اعطاء التصريح الذي اطلب فانتهزت فرصة وصوله الى برلين ودعوته للعشاء مع الشخصيات الالمانية المختصة بالشؤون الشرقية والعربية في وزارة الخارجية الالمانية . وقد ساعدوني انفسهم في اقامة هذه الحفلة . وكان الحديث طويلا جربت فيه ان اقنعه أن مصلحة المانيا ليست في ربح الشعوب العدوة وانما الصديقة واخصها العرب . واعتقدت بعد ان غادر المنزل ان المناقشة كانت مفيدة وانها بدلت موقفه .

ولم اكتف بالاحاديث مع الهر فايتسكر والهر فورمان المدير السياسي العام في وزارة الخارجية وشخصيات اخرى المانية وايطالية ولقد اتصلت ايضا بسفير اليابان في الرايخ الالماني الجنرال اوستيما الذي تعرفت اليه في حفلة الاستقبال التي اقيمت في الرايخستاغ بمناسبة دخول اليابان الحرب الى جانب المانيا بعد الهجوم الخاطف الذي قامت به اليابان في ٧ كانون الاول سنة ١٩٤١ على بيرل هاربور . كان السفير الجنرال اوشيما هو ضيف الشرف في تلك

الحفلة التي حضرها هتلر ومعه كل وزرائه وكبار قادته • بعد هذه الدعوة عقدت الصداقة مع الجنرال اوشيما وتزاورنا كثيرا ولقد ساعدنا عند المحور وهو المختص بالشؤون الشرقية •

وصل رشيد عالي الكيلاني الى المانيا اثناء اقامتي فيها فتقدمنا بعدة مشاريع لتصريح رسمي او معاهدة بين العرب والمحور كان آخرها في ٢٨ايلول سنة ١٩٤١ عدلناه بعد مناقشات طويلة مع المختصين ثم رفعناه الى وزارة الخارجية الالمانية •

نص المشروع :

تعلن دولتا المانيا وايطاليا ، بصفة رسمية ، عن سياستهما تجاه الاقطار العربية على النحو التالي :

١ ــ تعترف المانيا وايطاليا باستقلال الدول العربية التي ظفرت باستقلالها فعلا وهي : مصر ، العراق ، العربية السعودية ، اليمن •

٢ ــ تعترف المانيا وايطاليا باستقلال الاقطار العربية الموضوعة في الوقت الحاضر تحت الانتداب البريطاني كفلسطين والاردن ، او هي رازحة تحت الحكم البريطاني كالسودان والكويت والبحرين وقطر ودبي والشارقة وابو ظبي وغيرها من امارات الخليج وعمان ومسقط وحضرموت والمحميات في جنوب اليمن •

٣ ــ تعلن المانيا وايطاليا انهما لا تعارضان اي عمل تقوم به سورية ولبنان في سبيل الحصول على الاستقلال الكامل •

٤ ــ تعلن المانيا وايطاليا بطلان جميع التحفظات البريطانية فيما يتعلق باستقلال مصر والسودان •

٥ ــ لا تثير المانيا وايطاليا اية اعتراضات في سبيل استقلال الدول العربية استقلالا تاما ، كالاعتراضات التي يهيئها نظام الوصاية الذي ابدعته عصبة

الامم والدول الاستعمارية كوسيلة لاخفاء مطامعها الاستعمارية .

٦ ـ تعترف المانيا وايطاليا بحق الدول العربية في تحقيق وحدتها القومية وفقا لمصالحها ورغباتها . وتتعهد دول المحور الا تثير اية اعتراضات في سبيل الدول العربية في جهودها لتنفيذ اية خطة تستهدف تحقيق الوحدة العربية .

٧ ـ تعترف المانيا وايطاليا بعدم شرعية الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وبان لفلسطين وغيرها من الاقطار العربية الحق في حل المشكلة اليهودية في فلسطين وفي البلاد العربية الاخرى بما يتفق ومصلحة العرب .

٧ ـ ليس لالمانيا وايطاليا في الاقطار العربية اي مأرب اكثر من ان تريا الامة العربية جمعاء تتمتع بالحرية والاستقرار والرفاهية ، وتؤدي دورها التاريخي في هذا العالم ، وان يكون تعاونها الاقتصادي مع دولتي المحور على اساس مصالح الفريقين ، وعلى قدم المساواة ، وهما تطالبان الدول الغربية باحترام الحالة الراهنة (ستاتوكو) في فلسطين وغيرها فيما يتعلق بالشؤون الروحية وضمان الحرية في ممارسة الشعائر الدينية .

وبعد ستة شهور من محادثات ومناقشات طويلة ، وبعد موافقة هتلر ؛ وفي ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٢ ، تمكنا من الحصول على عهد رسمي من كل من ألمانيا وايطاليا موقع عليه من فون ريبنتروب وزير الخارجية الالمانية ، والكونت شيانو وزير الخارجية الايطالية ، بالاعتراف بالحرية والاستقلال للاقطار العربية الواقعة تحت الحكم البريطاني وبالعمل للقضاء على الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

وفيما يلي الترجمة الحرفية للكتاب الموجه الى من فون ريبنتروب باللغة الالمانية ، وتلقيت كتابا مماثلا لهذا النص من الكونت شيانو وزير الخارجية الايطالية . (وتلقى السيد رشيد عالي كتابين مماثلين من ريبنتروب وشيانو).

« برلين ٢٧ ابريل ١٩٤٢

الى صاحب السماحة مفتي فلسطين الاكبر محمد امين الحسيني

صاحب السماحة :

« جوابا على كتابكم الذي ارسلتموه الى هذا اليوم ، بالاشتراك مع سيادة رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني ، وتأكيدا لمحادثاتي معكم ، فاني أتشرف بابلاغكم ما يأتي :

« ان الحكومة الالمانية ، تقدر كل التقدير ، ثقة الامة العربية في دول المحور واهدافها ، واستعدادها للمشاركة في الكفاح ضد العدو المشترك ، حتى يتحقق النصر النهائي • كما انها تدرك تماما ما اوضحتموه من الاهداف القومية للاقطار العربية في الشرق الادنى ، التي تقاسي الالام تحت نير الاضطهـــاد البريطاني في الوقت الحاضر •

« ولذلك فاني اتشرف بان اؤكد لكم ، باتفاق تام مع الحكومة الايطالية ان استقلال وحرية البلاد العربية المضطهدة الان تحت الحكم البريطاني ، هما هدف من اهداف الحكومة الالمانية •

« وبناء على ذلك فان المانيا مستعدة لتقديم كل ما تستطيعه من مساعدة للاقطار العربية في الشرق الادنى الرازحة الان تحت نير الاضطهاد البريطاني ، وان تعترف بسيادتها واستقلالها ، وتوافق على وحدتها ، اذا كانت مرغوبا فيها ممن يعنيهم الامر ، وعلى القضاء على الوطن القومي اليهودي في فلسطين •

« وعلى كل حال ، فمن المتفق عليه ان يظل نص هذا الكتاب ومحتوياته سرا مكتوما ، الى ان يتقرر خلاف ذلك ، بتفاهم مع الجانبين •

وتفضلوا سماحتكم بقبول ابلغ احترامي الاكيد •

« ريبنتروب »



موقف المانيا الهتلرية من مسائل المغرب العربي :

يستأنف المفتي حديثه :

كان واضحا ان النص يعني دول الشرق الادنى العربي وان المحور يتجنب مسألة الشمال الافريقي العربي وكانت اسباب هذا الموقف عديدة اولها ان المانيا وايطاليا لا تريدان اثارة فرنسا واسبانيا والسبب الثاني انهم ما كانوا يريدون ذكر ليبيا التي تحتلها ايطاليا وتونس التي كانت تطمع بها وكان علي أن أضاعف الجهد للوصول لاتفاق على هذا الموضوع •

هذا وقد زارني في كانون الاول سنة ١٩٤١ وبعد وصولي باسابيع قليلة الى برلين الدكتور الشيخ تقي الدين الهلالي ولفت نظري الى ضرورة العمل لتحرير الامير محمد عبد الكريم الخطابي بطل المغرب السجين لدى الفرنسيين بعد الثورة التي قادها بشجاعة ضد الاسبان والفرنسيين بين ١٩٢٣ و ١٩٢٨• لم يكن هذا الرجل يعني بطل الريف والمغرب فقط وانما كل البلدان العربية والاسلامية •

فكتبت حالا مذكرة رفعتها الى وزارة الخارجية الالمانية بينت فيها التقدير الذي يكنه العرب للامير عبد الكريم الخطابي ورجوت فيها الحكومة الالمانية للتدخل من اجل تحريره مما يسعد العرب ويسهل مهمتنا في البلدان العربية القائمة على التعاون مع الالمان • لان تعاون هذه الشخصية يدعم موقفنا •

غير اني لقيت معارضة شديدة في وزارة الخارجية الالمانية التي طلبت مني أن أؤجل هذه المحاولة كي لا أزعج الفرنسيين والاسبان • وكانوا يأملون في تلك الفترة الوصول الى تعاون قوي مع الاسبان كما ان العلاقات بين حكومة فيشي والمانيا كانت تسير في طريق التحسن كما طلبوا مني ايضا تأجيل المطالبة بتحرير الزعماء الوطنيين التونسيين : الحبيب بو رقيبة ، صالح بن يوسف، يوسف الرويسي والدكتور حبيب تامر ، ورشيد ادريس حسين التريكي ورفاقهم الذين كانوا في السجون الفرنسية • ولقد صمتنا عن الموضوع حوالي سنة ثم قدمت بعد ذلك مذكرات تم على اثرها اخراجهم من السجون •

وبهذه المناسبة اروي لكم حادثة معبرة تعطيكم فكرة عن موقف الزعماء العرب الذين كانوا يعيشون في بلاد المحور . بعد ان خرج من السجن السيد بو رقيبة ابدى الالمان الرغبة بان يعطي تصريحا لمصلحتهم ولما كان موقف المحور غير واضح اجاب : « ان فرنسا لم تسجن شخص بو رقيبة ولكن الذي تتجسد فيه آمال شعب تونس الوطنية . فانا لا اربط بلادي بمستقبل المحور فهي تقاوم الاحتلال الاجنبي ايا كان مصدره وليس بيدي ان اعطي باسمها تصريحا سياسيا في زمن الحرب . »

وامام الحاح اصدقائه من اجل ان يعطي على الاقل تصريح شكر فقط ترك باريس على قدميه وهو لا يملك قرشا ومشى حتى مرسيليا وهناك اندس في باخرة نقل متجهة الى الشرق فعمل على ظهرها كعامل عادي ولما وصل الى بور سعيد ترك الباخرة ودخل مصر .

لقد جربت بكل الوسائل ان اقنع الالمان بفائدة التعاون مع بلدان المغرب واطلعتهم على الرسائل التي تصلني من زعمائه وبعد الاتصالات الاولى قمنا بمحادثات حول هذا الموضوع . لقد سنحت الفرصة باثارة مسألة المغرب جديا في بداية ١٩٤٢ وكانت لدى الالمان معلومات غامضة عن الاستعدادات الامريكية للهجوم على تلك المنطقة ووصلتني رسائل من بعض الزعماء المغاربة عن تلك الخطة واكد لي احدهم أهمية الاستعدادات السرية وحدد لي يوم ٧ تشرين الثاني ١٩٤٢ لنزول القوات ؛ فكتبت لوزارة الخارجية الالمانية احذرها من مفاجأة ممكنة فلم تعر ذلك كثير انتباه ظانة انها اشاعات ، وسافرت في تلك الفترة لروما وحدث نزول القوات في التاريخ الذي حددته الرسالة .

استقل احد موظفي الخارجية الالمانية الكبار الطائرة وجاء خاصة الى روما لمقابلتي وسؤالي كيف استطعت الوصول الى معرفة التاريخ الصحيح للغزو الاميركي فأجبته : « من الرسالة التي وصلتني واشرت لها في المذكرة . »

بعد ذلك ابدى الالمان اهتماما كبيرا برسائلي الخاصة بافريقيا الشمالية . فانتهزت تلك الفرصة كي اطلب من المحور الاعتماد على التعاون مع بلدان

المغرب (مراكش والجزائر وتونس) لرد الهجوم الامريكي الذي كان واضحا فيه الاثر الصهيوني واليهودي العالمي • فلم يخف وايزمن آنئذ غبطته من احتلال تلك المنطقة ، فقد اعلن ان الجزائر وفيها ١٤٠ ألفا من اليهود تكون جسرا يربط نيويورك بالقدس كما ان محافظ نيويورك لاغوارديا وهو يهودي كان في تلك الحملة مديرا للتموين •

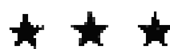
في ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٢ قدمت مذكرة اعرض فيها مطالب المغرب •

ـ يبدو صاحب السماحة ، ان الالمان تأخروا كثيرا في فهم اهمية الدور الذي تلعبه تلك البلاد !

ـ الزمن الكافي لهزيمتهم •

ـ ماذا كانت الخطة التي كان يجب ان يتبعوها حسب رأيكم ؟

ـ كان تقديرهم للقوى بعيدا عن الواقع فلقد كانت نظريتهم مستمدة من قواعد بليت فلم تكن نظرتهم عن العالم الثالث تسمح لهم برؤية ما يخبئه المستقبل لهذا العالم • لم يجن الالمان الثمرة المرجوة من نصرهم في معركة فرنسا ولم يتبعوا سياسة واقعية لانهم لم يدركوا اهمية هذا النصر والنتائج المترتبة عليه فلقد قدروا قواهم فوق قدرها وظنوا انهم يستطيعون التحالف مع فرنسا مع ان الدراسة مهما كانت سطحية للعلاقات الالمانية الفرنسية تدحض هذا الظن ، واري انه ما كان ينبغي عليهم التوقف عند محادثات مع الفرنسيين بل كان عليهم ان يذهبوا للمستعمرات ويتحالفوا اولا ودون انتظار مع افريقيا الشمالية مما كان ممكنا آنذاك • كان بوسعهم ان يعدوا جيشا من مليونين الى ثلاثة ملايين رجل فيكون نصرهم في العلمين سهلا • تلك القوة كان يمكن ان تتضاعف في زمن قليل وما كان شعب مصر ليتردد عن المساهمة في الكفاح ولقد ارسل لي الملك فاروق نفسه رسالة يعلن فيها رغبته في الالتحاق بالمحور •



الملك فاروق يفكر في الفرار الى المانيا :

ـ الملك فاروق صاحب السماحة ؟

ـ بنفسه ... لقد عرض أن يترك القاهرة بالطريق الصحراوي حتى يصل ليبيا واتفقنا مع السلطات الالمانية في برلين على ان ينتظر اشارات ثلاثة من الاذاعة الالمانية ، ولقد اعطيت له الاشارة الثانية حينما وصل رومل الى العلمين ، ولكن تراجع جيشه ألغى مخطط فرار فاروق . كنت اعتقد ان جيشا عربيا من عدة ملايين كان بوسعه ان يحرر ايران فتنضم الينا وحينئذ يصبح احتلال القوقاز مظاهرة عسكرية فقط .

يبدو لي ان الالمان لم يكونوا يعطون لمثل هذه الخطة الاهمية التي تستحق وكان يظهر لي ان الغاية من جيش رومل كانت مشاغلة الجيوش الحليفة لمنعها من متابعة المعركة في اوروبا والحيلولة دون مساعدة الاتحاد السوفياتي . كانوا يرون الخطة العامة بشكل معاكس تماما لرأيي : لقد بدأوا حيث كان يجب ان ينتهوا . لقد نجحت باقناعهم ولكن بعد مرور الزمن . فلقد كان جيش رومل يقاتل حينئذ متراجعا . في ١٦ كانون الثاني ١٩٤٣ قدمت مذكرة ثانية لا تختلف الا قليلا عن الاولى ولكن جيوش المحور كانت قد بدأ يظهر عليها الضعف ولقد قبلت الفكرة في الوقت الذي لم تعد ذات قيمة .

الفصــــل
الثاني عشر

الجيــش العــربي



المفتي يتوسط عددا من المتطوعين في الجيـــش العربي





ويستطرد المفتي قائلا :

« ان المسألة الفلسطينية وكل المسائل العربية لا تحل الا بقوة السلاح ! ان اتباع سياسة مبنية على الثقة بالخصم وحسن نيته وقناعته هو سياسة وهم لا سياسة رجل مؤمن بالعمل . ان الحق الذي لا تدعمه القوة يصبح لدى الرأي العام دعوى باطلة . تلك هي قضية الحضارة الحديثة الكبرى . ان مفهومها عن الحق هو حق الاقوى ، قد تقولون لي ولكنه نقص لا يتوقف عنده مثالي ... ولكن محرر امة يجب ان يبدأ تحقيق رسالته من الوقائع . كان سبب هزائمنا جميعا عدم وجود جيش قوي .

لقد استقبلني المحور كحليف وكان بحاجة لنا نحن العرب والمسلمين لتحقيق اهدافه وكنا نحن بحاجة الى تأسيس جيش يكون وسيلتنا الوحيدة للدفاع عن حقنا .

كان المحور يهيمن او يستطيع الهيمنة على جزء كبير من الوطن العربي

وبعض البلدان الاسلامية وكان من الممكن اذن تحقيق الفكرة ومن عناصر مسلمة •

لقد كان تأسيس جيش عربي يدافع عن القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين اهم اهتماماتي اثناء اقامتي في بلاد المحور • لم اتخل عن هذه الفكرة حتى في الوقت الذي تأكدت منه ان المانيا ستخسر الحرب • كنت مقتنعا ان يوما يأتي يكون فيه لهذا الجيش فائدته ولذلك الحيت على وجوب تدريب مواطنينا تدريبا عسكريا • لاني كنت اعتقد اننا نستطيع ان نستمر بالكفاح معتمدين على انفسنا اذا خسر المحور الحرب كما اني ارى ان ابناءنا هم الذين يجب ان يقاتلوا على ارضنافكان لا بد من ان نعدهم للقيام بواجبهم•

تقدم خلال ثورة العراق سنة ١٩٤١ عدد كبير من الطلاب العرب طلبات تطوع في الجيش الالماني وبدأوا بعدما قبلت طلباتهم التدريب فشجعت الفكرة منذ وصولي الى برلين وطلبت الى السلطات الالمانية ان توسع مجال عملها بشكل يتمكن فيه كل العرب المقيمين في بلاد المحور من الانضمام الى هذا الجيش ••• وفي تلك الفترة جاء الانكليز بعدد كبير من العمال العرب الى اليونان فلما سقطت في يد الالمان اخذ اولئك العمال اسرى وكان اكثرهم من الفلسطينيين فتفاهمت مع السلطات الالمانيةعلى اخراجهم من المعتقلاتوارسالهم الى مراكز التدريب واسست لذلك مدرستان حربيتان احداهما تخرج منها مائتا ضابط والاخرى لتخريج صف الضباط واحدثت دورة في لاهاي لتدريب ٦٠ مقاتلا على اعمال المغاوير تبعتها دورات اخرى في مناطق متعددة وهكذا اصبحت لدينا نواة الجيش الاولى المدربة على مختلف الاسلحة قوامها الاساسي من العرب •

ولقد تميزت عناصرنا بمهارتها اثناء التدريب ، وقد حضرت شخصيا حفلة التخرج للدفعة الاولى من المغاوير وكان اكثرهم من الفلسطينيين والمغاربة فأبدوا براعة مدهشة في استعمال الاسلحة المختلفة التي اخترعت حديثا خلال الحرب في يوغوسلافيا لمعارك العصابات ولم يخف الالمان اعجابهم بلياقةجنودنا

الجسدية والنفسية ولقد ثبت ذلك فيما بعد في معارك ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ •

عندما يتحدث المفتي عن هذا الجيش الذي أسسه تلمع عيناه حماسا فيقول :

« كانت هذه النواة مثلا لجيش المستقبل الذي يجب ان يحتذى فلقد كانت عناصره من شتى بلدان امتنا العربية الكبرى : المغرب ، تونس ،مصر، العراق الخ••

••• هذا الجيش يجب ان يكون وسيلة مزج عناصر الامة ومقدمة الوحدة • فلقد فعلت الحدود التي قامت بين أجزاء امتنا في عصور الانحطاط والاحتلال ففرقتها فنشأت فروق في اللهجات والعادات ولا بد لتوحيد الامة من توحيد ثقافتها ••• اي ان تمر في مرحلة يسهل فيها التبادل السياسي والاقتصادي والتجاري وغيرها حتى توجد مرة اخرى حياة مشتركة بين العرب • وتحقيق مثل هذا الهدف صعب •

منذ وصولي لالمانيا علمت باعلان انكلترا تأسيس « الفيلق اليهودي »• الذي يخدم فيه اليهود شهورا ستة حتى اذا انتهت جلبوا الى فلسطين وتركوا فيها باسلحتهم الخفيفة كما وصلتني معلومات عن استعدادات اليهود العسكرية في فلسطين وعن اعمال التخريب التي يقومون بها على ارض الوطن • ذلك دفعني لان اضاعف الجهود من اجل تدريب من امكن من العرب كي نعد أنفسنا للمعركة المنتظرة بين العرب واليهود بعد انتهاء الحرب •

سنة ١٩٤٤ بدا واضحا ان امكانية النصر قد افلتت من يد الالمان وكان علي أن اتخذ العدة لمثل هذا الاحتمال وبعد اتصالات عديدة بواسطة الهر همنر اعطى الفوهرر اوامره بمساعدتنا في حالة قيام حرب مقبلة في فلسطين وقررت الحكومة الالمانية ان تنشىء «الجيش العربي » واعلن هذا القرار في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ في اجتماع عقدناه في مقر التنظيمات الالماني للاحتجاج ضد وعد بلفور • ثم اعلن الفوهرر موافقته على مدنا بالاسلحة اللازمة • ولتحقيق

هذا الهدف بنى الالمان مستودعا كبيرا تخزن فيه الاسلحة الحديثة الخفيفة. ولقد وضع الالمان تحت تصرفنا اربع طائرات من ذات المحركات الاربعة لنقل العتاد ووضعه في مخابىء سرية لتدريب المجاهدين في فلسطين لاستعمال هذه الاسلحة واعداد المعركة المقبلة . ولقد كلف الهر شلونبرغ في هذه العملية. ولقد سافر على طائرة اولى ضابطان فلسطينيان مع ثلاثة ضباط المان من الاختصاصيين مع بعض الاسلحة للقيام بالتجربة الاولى وكان هدف هذه الرحلة تجميع السلاح وتدريب المجاهدين من جهة واقامة الاتصال باللاسلكي من اجل ارسال الكميات الاخرى وكان مقررا عدم الصدام مع القوات البريطانية طيلة مدة الحرب والاستعداد لما بعدها . وهكذا سافرت الطائرة الاولى يقودها المجاهد الشيخ حسن سلامة وبعد وقفة في الطريق تموّنت بها بالبنزين وصلت الى فلسطين وثزلت منها الاسلحة والضباط بالمظلات من ارتفاع (٢٠٠٠) قدم في ناحية اريحا . وارسلت بعد ذلك طائرة اخرى بقيادة المجاهد العراقي قاسم الكرادي الذي اشتهر في معارك ١٩٣٦.

كنت اعول كثيرا على نجاح هذه العملية فلقد كانت كمية الاسلحة : آلاف البنادق والمترايوزات والاسلحة الاخرى لحرب العصابات التي سوف تقوم بجبال فلسطين ولقد اخذت ترسل الكميات الفخمة منها ومن العتاد ، واقيم في رودوس مخزن كبير وكذلك في ليبيا حيث خبئت ثلاثون الف قطعة من اجل ارسالها الى فلسطين حتى يستخدمها جيشنا عندما تدق الساعة .

★ ★ ★

برقية من مصطفى النحاس باشا

انقذوا المسلمين في يوغوسلافيا

ـ ما هي الدوافع الاخرى ـ غير دوافع القضية الفلسطينية ـ التي حفزتكم لتجنيد العناصر العربية في جيش المفروض انه سيقف الى جانب المحور؟

أجاب المفتي :

« وتوالت المآسي والفواجع في يوغوسلافيا الى ان سقطت تحت الضربات الالمانية في ربيع سنة ١٩٤١ . ووافق الالمان وحلفاؤهم الطليان على قيام الحركة الكرواتية المتطرفة « اوستاشي» بانشاء دولة كرواتيا وضم بوسنة وهرسك اليهـا .

وكان من السهل التنبؤ بالموقف الذي ستتخذه الدولة الكرواتية من الصرب القاطنين في اقليمها ، وبالسياسة التي ستتبعها في بوسنة وهرسك، وهي تأمين الرجحان للقومية الكرواتية فيهما نهائيا ، بتطهيرها من الصرب باعتبارهم عنصرا دخيلا فيهما ، وباطلاق شعارات تؤكد اوثق الصلات التي تربط المسلمين البوشناق بالكروات ، وان المسلمين هم من صميم الشعب الكرواتي .

وكان من الواضح كذلك ان الصرب لن يقبلوا البتة بان تمتد سيادة الدولة الكرواتية الى بوسنة وهرسك ، حتى ولو لم تمسهم تلك الدولة بسوء ..

فلم يكن بد من ان يؤدي هذا الخلاف بين القوميتين ـ بعد ضم بوسنة وهرسك الى كرواتيا ـ الى اصطدام هائل بينهما ، تكبد المسلمون البوشناق خلاله اكبر الضحايا في بوسنة الشرقية ، ثم اتسع نطاق عدوان الصرب على المسلمين في مناطق اخرى ، فاصبحت بوسنة ميدانا لمجزرة كبرى عندما اصدر الجنرال دراجا ميخائيلوفيتش وزير حربية يوغوسلافيا وقائد العصابات الصربية تعليمات الى تلك العصابات بتاريخ ٢ـ١٢ـ١٩٤١ توضح ان القصد من كفاح الصرب هو « ايجاد حدود مشتركة مباشرة بين صربيا والجبل الاسود بالقضاء على المسلمين في سنجاق يني بازار ، الفاصل بينهما ، وبين صربيا وبلاد السلوفيين بالقضاء على المسلمين والكروات الكاثوليك في بوسنة وهرسك!»

وعلى اثر ذلك شرعت العصابات الصربية في شن هجماتها الوحشية بقيادة ميخائيلوفيتش مع صفوة من ضباط جيشه وجنوده في الجبال الشاهقة، وتربص

فيها حتى سنحت له الفرصة بانتقال القوات الالمانية الى الميدان الروسي، فانقض بعصاباته الوحشية المسماة « شتنيك » (وهي تعمل لاقامة صربيا الكبرى وابادة كل من في البلاد من العناصر ، اسلامية كانت او كاثوليكية عدا الصرب الخلص)، على الشعب البوشناقي المسلم الاعزل، وامعنوا فيه فتكا وقتلا حتى اربى عدد القتلى على مائتي الف •• وعدد المشردين منهم على ما يزيد عن ذلك •

لقد كنت في روما يوم ١٩ كانون الاول عام ١٩٤٢ حينما اتصل بي السيد مصطفى بوصولاجيتش البوشناقي الطالب في جامعة روما وانبأني بالمجزرة الوحشية التي اقترفت في المسلمين في منطقتي بوسنة وهرسك من قبل عصابات الشتنيك الصربية • ثم تتابعت الانباء المحزنة تفصل تلك الفظائع الرهيبة•

ولما كان بعض زعماء البوشناق قد اشتركوا في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في القدس عام ١٩٣١ وكان لي بهم صلة ومعرفة سابقة ، فقد ابرقوا الي في برلين مستنجدين ، ثم وصلتني رسائلهم شارحة تلك الفظائع الوحشية التي اقترفت فيهم • ثم جاءني وفد من هرسك برئاسة مفتيها حافظ عمر افندي جابيتش ومن اعضائه الشيخ احمد افندي قره بك وآخرون ، وحدثني الوفد عما يجري في تلك البلاد من ابادة المسلمين ، فبادرت بمراجعة وزارة الخارجية الالمانية واطلعت وكيلها الهر فون وايتسيكر على حقيقة الامر وعلى البرقيات التي وصلتني من زعماء بوسنة يطلب السماح لوفد منهم بالقدوم الى برلين لمقابلتي • فأبدى شديد اسفه وقال ان تلك المناطق هي في « المجال الحيوي » لايطاليا فلا يمكننا ان نقوم بعمل جدي قبل الرجوع اليها ••



مقابلتي الثانية لموسوليني

فسافرت في اليوم التالي الى روما وطلبت مقابلة الدوتشي موسوليني• فاستقبلني فورا في قصر فينيسيا ، وكانت تلك مقابلتي الثانية له ، وكان البحث

فيها منحصرا في المجازر المروعة التي تقترف في مسلمي يوغوسلافيا لابادتهم واستئصال شأفتهم •• وحضر المقابلة الكونت شيانو وزير الخارجية• وذكرت لموسوليني انباء تلك المجازر التي تجري في تلك المناطق التي تحتلها نحو تسع فرق عسكرية ايطالية وفرقتين المانيتين من قوات المحور • وقلت له : لو حدث جزء يسير من هذه الفظائع في الشرق للاوروبيين ، لقامت الضجة العظيمة وانطلقت الدعايات والاتهامات •• فابدى موسوليني اهتماما شديدا ونظر الى شيانو الذي ظل واقفا على قدميه طول مدة الحديث وقال له : « ان هذا الموضوع خطير ، فاتصل بالسفير الالماني في روما لاتخاذ جميع الوسائل مع السلطات الايطالية والالمانية لوقف هذه الحالة المؤسفة » •

(وكان السفير الالماني حينئذ الهر فون ماكنزن نجل القائد الالماني الشهير فون ماكنزن القائد العام لقوات المانيا وحلفائها في البلقان في الحرب العالمية الاولى)•

فلما رجعت الى برلين وصلتني انباء تدل على ان المجازر مستمرة وان عدد القتلى بلغ مائتي الف ، وان اكثرمن هذا العدد اصبحوا بلا مأوى في تلك الاصقاع الشديدة البرد ، كما علمت ان السلطات الالمانية لم تسمح لوفد من بوسنة بالقدوم الى برلين• فقابلت فون وايتسيكر مرة اخرى وطلبت منه السماح لي بزيارة تلك البلاد ، فقال ان هذا متعلق بالدولتين الكرواتية والايطالية ، فقابلت سفير كرواتيا في برلين الموسيو « بوداق » وحدثته في الموضوع ، ومن اجل اطمئنانه اقترحت عليه ان نسافر معا الى « زاغرب » عاصمة كرواتيا ومنهما الى « سراييفو » عاصمة بوسنة • فوافق على ذلك لكن وزارة الخارجية الالمانية ظلت على موقفها السلبي • فاتصلت حينئذ بالجنرال « برغر » رئيس اركان قوات الصاعقة (اس اس)••

واقنعته بضرورة سفري واعلمته بموافقة السفير الكرواتي على ذلك، فأعد لي الجنرال « برغر » طائرته الخاصة العسكرية وثمانية من الضباط الالمان لمرافقتنا ، ثم لحق بنا سفير كرواتيا « بوداق » فسافرنا وبرفقتنا بعض

اخواننا من رجال مكتبنا في برلين الى « فيينا » يوم ٢٤ مارس ١٩٤٣ ، وكان يوما غزير المطر شديد ، ثم الى « زاغرب » حيث انزلتنا الحكومة الكرواتية في ضيافتها ، وقابلت رئيس دولتها الدكتور « آنته بافيليتش » ورئيس وزرائها « جعفر بك كولينوفيتش » • وقد ادب لنا بافيليتش مأدبة عشاء وابدى اهتمامه بالقضية التي تسافر من اجلها وعطفه على مهمتنا وتبرع بمليون « كونه » كرواتية لمساعدة المنكوبين ، وكذلك ادب لنا رئيس الوزراء مأدبة اخرى ، وكذلك وزير الدولة « حقي حاجيتش » الذي تولى امر الاتصال بي خلال اقامتي في زاغرب ••

وفي اليوم التالي وصل بالطائرة الى زاغرب الكومانداتور مالليني من وزارة الخارجية الايطالية (تولى في اواخر عهد موسوليني وزارة الخارجية) يصحبه مندوب من وزارة الخارجية الالمانية ، وقد حاولت الكومة الكرواتية، بالاشتراك مع سفيري المانيا وايطاليا في « زاغرب » ان يثنوا عزمي عن السفر الى بوسنة متذرعين الى ذلك الحرص على حياتي من المجازفة في تلك البلاد المضطربة والمملوءة بالعصابات الدموية الخطيرة ، لكنني اصررت على السفر وكتبت اليهم كتابا سجلت فيه « اني اتحمل مسؤولية ما قد يصيبني من تهلكة في زيارتي لبوسنة رغم نصائح الرجال المسؤولين في كرواتيا وممثلي المانيا وايطاليا • وامضيته وسلمته اليهم ، ثم استأنفت السفر الى « سرايفو » اي « بوسنة سري » ورافقنا في السفر الشيخ عاكف خانجيش مفتي الجيش الكرواتي ، لكن عاصفة ثلجية ارغمت طائرتنا على العودة الى « زاغرب » ، وبعد بضعة ايام عاودنا السفر ، لكن طائرتنا لما وصلت بوسنة سراي لم تستطع الهبوط لشدة العاصفة الثلجية ، فعادت الى « بانيا لوقه »• فلما خرجنا من المطار ، دهشنا لمشاهدة اهل بانيا لوقه يلبسون العمائم والطرابيش ، ونساؤهم متحجبات ، وشعرنا كأننا نجتازشوارع القدس القديمة ، او سوق الحميدية في دمشق ، او حي السيدة زينب في القاهرة ، وبقينا في بانيا لوقه ثلاثة ايام دعانا خلالها الى الغداء فضيلة مفتيها الحاج حافظ مصطفى نورفيتش ، وهو رجل

عالم فاضل ويحسن اللغة العربية ، فلما جلسنا الى المائدة قال معتذرا عن بساطة الطعام : لا تؤاخذونا فقد غلا قدرنا (بكسر القاف) على قدرنا (بفتحها) •

واخيرا غادرنا بانيا لوقه الى بوسنة سراي حيث اجتمعنا بزعماء بوسنة وهرسك وبعد البحث معهم ومع قيادة القوات الالمانية في كيفية المحافظة على حياة البشاقنة والدفاع عنهم ومنع وقوع المذابح فيهم ، وافقت الحكومة الالمانية على تجنيد الشبان منهم وتدريبهم وتسليحهم للدفاع عن انفسهم وعائلاتهم داخل بلادهم • وقبل ان اغادر بوسنة كان قد تم تسجيل نحو سبعة الاف متطوع ولما عدت الى برلين تم الاتفاق مع الحكومة الالمانية على تأليف فرقة عسكرية بوشناقية سميت باسم « فرقة خنجر » وتولى قيادتها الجنرال الالماني « زاوبر تسفايغ » • ثم تلا ذلك انشاء فرقة اخرى باسم « فرقة قاما» وبلغ عدد جنود الفرقتين نحو ٣٧ الفا ، كما تألفت قوات محلية اخرى من شرطة ودرك وحرس (ميلس) بلغ مجموعها كلها قرابة مائة الف مقاتل، وبذلك استطاع اهل بوسنة وهرسك ان يدفعوا عن انفسهم الخطر الماحق الذي كان يهددهم •

ولم يكن من سبيل لحماية المسلمين في تلك البلاد من الابادة الا بالتفاهم مع السلطات الالمانية والتعاون معها ، فتم الاتفاق على ما يلي :

١ ــ تجنيد عدد من الشبان المسلمين في مقاطعات بوسنة وهرسك وسنجق « يني بازار » لتأليف قوات عسكرية ، وقوات للامن العام والشرطة•

٢ ــ يناط بهذه القوى حماية النفوس والاموال من المعتدين عليهم داخل بلادهم في المناطق المذكورة •

٣ ــ لا تكلف هذه القوات بالقيام باي عمل عسكري خارج بلادهم ، ولا بأية مهمة اخرى غير الدفاع عن انفسهم وممتلكاتهم •

٤ ــ تتعهد الحكومة الالمانية بتسليح هذه القوات وتدريبها ، وبابقاء

الاسلحة مع افرادها خلال الحرب وبعدها .

وقد قامت القوات البوسنوية التي أربت على مائة الف من اشجع الجنود، بمنع المجازر عنهم وعن جميع مسلمي البلقان وشرق اوروبا وعددهم نحو ستة ملايين ، وغدا الجنرال ميخائيلوفيتش وغيره من طغاة البلقان يدارونهم ويتوددون اليهم . ولما ظهر في تلك البلاد ، رئيس يوغوسلافيا الحالي ، (يوزيب بروز تيتو) واشتد خطره تم التفاهم بين الالمان وميخائيلوفيتش، على مقاومة تيتو لانه كان يتلقى الاسلحة والعتاد من روسيا ، فأمد الالمان ميخائيلوفيتش بالسلاح والعتاد . فلما شعر هذا بالقوة حاول ان يعود سيرته الاولى من الفتك في المسلمين ولكن بالسلاح الالماني هذه المرة !

ولما اعلمني البوسنويون بذلك قابلت الجنرال « برغر » واطلعته على حقيقة ما يقوم به ميخائيلوفيتش ، فاهتم للامر ولما تأكده ، اصدر امرا سريا للمعامل الالمانية لتصنع ذخائر البنادق والمدافع التي يتسلمها ميخائيلوفيتش بطريقة فنية تؤدي الى افساد تلك الاسلحة ، وابطال مفعولها ، وقد تم ذلك فعلا .

بعد عودتي من بوسنة سراي كتبت الى المرحوم مصطفى النحاس باشا خبر هذه الكارثة وتفاصيلها مشفوعة برسالة من زعماء المسلمين البوسنويين وقد حملها المرحوم الدكتور مصطفى الوكيل الذي كنا نتعاون واياه في اوروبا وكان من اخلص العاملين وافضل الشبان الذين عرفتهم في حياتي ، وتوجه الى استانبول حيث سلمها الى قنصل مصر العام السيد امين زكي وهو من افاضل المصريين وخلصائهم ، فحملها السيد امين زكي الى النحاس باشا . وقد وصفت له في تلك الرسالة حالة مسلمي بوسنة وهرسك على حقيقتها ورجوته ان يعمل ما في وسعه لمساعدتهم ، وان يحدث ملك يوغوسلافيا بطرس الثاني في شأنهم لان ميخائيلوفيتش كان من اتباعه . وكان الملك بطرس حينئذ لاجئا في مصر بحكم علاقاته الودية مع بريطانيا وحلفائها في الحرب ، وكذلك

عدد من الوزراء والشخصيات من الرعايا اليوغوسلافيين لاجئين اليها .

وقد اثارت الرسالة حمية رئيس الوزارة المصرية وشعوره الانساني وتوجه من فوره فزار الملك بطرس وحدثه في الامر ، ثم هدد باخراج جميع الرعايا اليوغوسلافيين من مصر اذا لم يستجب الملك بطرس ويعمل على وقف المذابح في مسلمي يوغوسلافيا ، وكان لذلك الموقف الحازم اثره في نفس الملك بطرس وتخفيف وطأة تلك المذابح المروعة .

ولم تكتف الحكومة المصرية بذلك العمل بل تبرعت بخمسة وعشرين ألف جنيه وتبرع الهلال الاحمر المصري بخمسة وعشرين الفا اخرى وتم ارسال الخمسين الفا الى الصليب الاحمر لتوزيعها على منكوبي المسلمين في يوغوسلافيا وقام الصليب الاحمر مشكورا بهذه المهمة الانسانية .

وقد تلقيت جوابا على رسالتي مشتملا على ما اتخذته مصر من اجراءات في هذا الشأن .

وبعدما اتم الجيش الالماني تدريب الفرقة البوسنوية الاولى « خنجر » ذهبت والدكتور مصطفى الوكيل لزيارتها في قرية « نوى هامر » في مقاطعة سيلزيا ، ومكثنا اربعة ايام في تلك الزيارة ، فرأيناها مجهزة تجهيزا كاملا بانواع الاسلحة والمدافع ، وكان قائدها الجنرال « زاوبر تسفايغ » الالماني يرافقنا في زيارتنا لكل فوج من افواج الفرقة . وقد اعجبنا بروح الجندية الرائع الذي كان يتحلى به افرادها وبالنظام الدقيق الذي كانوا يتبعونه .

عند البدء في تأليف فرقة « خنجر » كانت « التعبئة الروحية » من اهم ما عنينا به لان العقيدةو الايمان ضرورة اساسية لكل جيش ، ولان الجندي الذي لا يتمتع بالايمان ولا يرتبط بعقيدة ولا يدري لماذا يقاتل ويضحي بروحه ، لا يمكن الاعتماد عليه . ولدى جميع الامم الواعية دوائر خاصة بالغذاء الروحي في جيوشها ، لانه ضرورة قصوى كالغذاء المادي ، بل اكثر اهمية ، والجيوش التي لا تعتنق عقيدة ولا تقاتل في سبيل هدف معين فمصيرها

الهزيمة والخزي •• وعلى اثر ذلك اتفقنا مع السلطات الالمانية على انشاء معهد للائمة لتوزيعهم على وحدات الفرقة • وقد انشيء المعهد في مدينة « غوبن » واختير له عدد من علماء البوشناق لتوجيه اولئك الائمة • وقمت بالقاء بعض المحاضرات فيه وكذلك الشيخ حسن ابو السعود والدكتور مصطفى الوكيل ، فقد كانا يلقيان المحاضرات والدروس في ذلك المعهد الذي تخرج فيه ائمة افواج الفرقتين • وكان المعهد يعنى الى جانب التدريب الروحي ، بالتدريب العسكري الوافي، حتى اصبح كل امام منهم ضابطا مدربا • وقد كنا في زياراتنا للمعهد ، نحادثهم ونأكل معهم ونتحدث فتتطرق احاديثنا الى قضية فلسطين ، فكانوا يتحرقون شوقا للجهاد في فلسطين • وبالفعل جاء عدد من ضباطهم وجنودهم بعد انتهاء الحرب العالمية الىفلسطين وساهموا في معاركها ببسالة رائعة ، ولو اتسع مجال الجهاد حينئذ ، ولو لم تحل المؤامرات الاجنبية والتيارات الاستعمارية دون استمرار معركة فلسطين، لرأينا الالوف من اولئك الجنود البوسنويين البواسل ، وغيرهم من المجاهدين يساهمون معنا في تحرير فلسطين وانقاذ الاماكن المقدسة • واملنا كبير في ان الفرصة التي اضاعت علينا المؤامرات والتوجيهات الاجنبية ومنحت الصهيونيين فرصة خمس وعشرين سنةمن الوقت للاستعداد والتأهب ووضعت القضية الفلسطينية في ثلاجة (كما صرح جيمس غرانت وكيل الخارجية الامريكية في ٣٠ نيسان ١٩٦٣) لن تضيع مرة اخرى وان المجال سيفسح لجميعالمجاهدين الصادقين المخلصين ليقوموا بواجبهم نحو فلسطين•

وكذلك انشأنا ، بالاتفاق مع الالمان ، معهدا اخر في « درسدن »لتخريج الائمة الاذربيجانيين والقوقازيين وغيرهم ، وبذلك اربى عدد المجندين في بلاد المحور من عرب وبوسنويين ، واذربيجانيين وغيرهم ، على مائتي الف مقاتل •

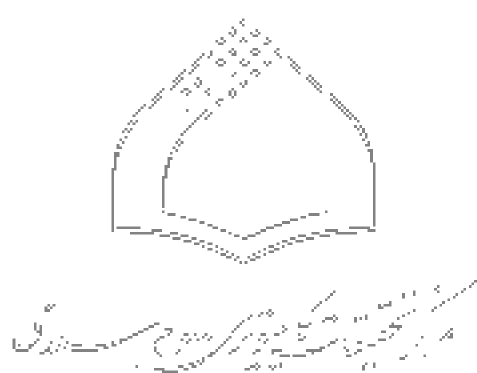
من أخص مزايا مسلمي البوشناق ثقافتهم الاسلامية ، واخلاقهم الكريمة، واقبالهم على حفظ القرآن الكريم وتجويده ، رجالا ونساء واذكر ان اعيان

سراييفو اقاموا حفلة شهدها عدد كبير من القراء المثقفين لتلاوة القرآن فلما سمعت تلاوة كثير منهم أعجبت بهم ، فهم كأحسن القراء في مصر ، كما ان بعض النساء كن يحفظن القرآن كله . وقد زارني في برلين عام ١٩٤٣ وفد بوشناقي كان من اعضائه سيدة حافظة للقرآن وهي مهندسة متخرجة من جامعة برلين ، وقد سمعناها تتلو القرآن الكريم ، تلاوة لا تقل في جودتها واتقانها وحسن ادائها عن احسن القراء ...

وقد زرنا في سراييفو المعهد الاسلامي الشهير مدرسة غازي خسرويك، التي تخرج القضاة والعلماء وسائر رجال الدين . ولهذه المدرسة فضل كبير في نشر الثقافة الاسلامية . ولا ندري ما فعل الدهر بها اليوم . فقد بلغنا انها تحولت عن وجهتها الاساسية.

وصلينا الجمعة في جامع سراي بوسنة الكبير (جامع الغازي خسرويك) وسمعنا من الخطيب الذي كان يلقي الخطبة بالعربية الفصحى ، مما اثار اعجابنا . وقد تكلم بعد الصلاة كل من الشيخ محمد خانجيتش والاستاذ قاسم دوبراجة ، فأحسنا كل الاحسان ، وأعجبنا بعربيتها الفصحى ، وبراعتهما في الالقاء.

ولقد عرف البوشناق بالشجاعة النادرة . شهد لهم بذلك كل من عرفهم. ولما سمع هتلر بانشاء الفرقة البوسنوية الاولى قال : « اني عرفت جنودهم في الحرب العالمية الاولى فقد كانوا من أبسل الجنود في الجيوش النمساوية، وكانت قيادة الجيش النمساوي حين تحتدم المعارك وتشتد الحاجة الى اختراق جبهة ، تستدعي الجنود البوسنويين الشجعان ، فقد كانوا يقتحمون الميدان بشجاعة عظيمة ، وحين يقتربون من الاعداء يستلون « قاماتهم » (والقامة سيف قصير صقيل ذو حدين) ويعضون عليها بنواجذهم حتى اذا التحموا بالعدو نقلوها الى ايديهم فأبلوا بها احسن البلاء.



الفصل
الثالث عشر

قصة الخلاف بين المفتي ورشيد عالي الكيلاني



المفتي والكيلاني في المانيا



آخر صورة للسيد رشيد عالي الكيلاني
(نيسان ١٩٦٣)



جميع الذين ارخوا هذه المرحلة من التعاون العربي الالماني افرغوا الصفحات العديدة للخلاف الذي نشب بين الحاج امين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني ، وقد اصدر البعض كتبا عديدة عن هذا الخلاف وذكروا الاضرار التي لحقت بالقضية العربية عامةوالقضية الفلسطينيةخاصة من جرائه.. لهذا كان لا بد من سؤال المفتي عن طبيعة هذا الخلاف واسبابه ومسبباته.. فقال :

ـ الخلاف بيني وبين المرحوم السيد رشيد عالي الكيلاني بولغ فيه كثيرا ، وقد حاول البعض توسيع شقته لكننا حسمناه حسما نهائيا ، وكان امده قصير باتفاقنا على اللقاء مرتين في الاسبوع ، مرة في منزله ، ومرة في منزلي ... والسيد الكيلاني صديق كريم وعربي اصيل ، وكنت واياه في العراق وفي اوروبا على تعاون وثيق وكنا نؤمن بمبادىء واحدة . وقد يكون للاصدقاء وجهات نظر تختلف احيانا ، لكن اكثر وجهات نظرنا كانت واحدة. ولم احاول في اي وقت ان اخاصمه او انافسه ، ولم تصدر عني قط اية كلمة

ضده لاي اجنبي طيلةالمدة التي كنا فيها في المانيا وايطاليا ، ولم اؤثر نفسي عليه في شيء ، وكنا نتشاور في كل الامور عندما كنا في منزل واحد في برلين، فلما جاءت اسرته من تركيا الى المانيا انتقل بها الى منزل آخر ، وهذا امر طبيعي . ولكن ذلك لم يحل دون اتصالنا واستمرارنا في اللقاء والتشاور . وكانت مساعينا السياسية لدىدولتي المحور لصالح القضايا العربية تتم بالاشتراك بيننا ، الى ان افترقنا قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولما قيض الله لنا اللقاء بعد عودته من المملكة العربية السعودية الى القاهرة ، بقينا على ما كنا عليه من الصفاء والوفاء وتبادل الزيارات.

ثم التقينا مرارا في مكة المكرمة ، وفي الرياض ، وتبادلنا الزيارات الودية، واستمرت علاقاتنا الاخوية بعد عودته الى بغداد . وبعد وفاته رحمه الله في بيروت ودفنه في بغداد ، استمرت علاقاتنا مع اسرته الكريمة واقاربه على ما كانت عليه من مودة وصداقة ..

ولست ارى مبررا للتركيز على موضوع الخلاف بيني وبين السيد الكيلاني الى حد القول بانني اعلنت الحرب عليه .

لقد روى البعض ان الكيلاني رفض العمل تحت قيادتي ، وان رشيد عالي الكيلاني حاربني بعنفه ، وانني تحالفت مع هملر ضده ... فأنا لم اطلب قط من السيد الكيلاني العمل تحت قيادتي ، ولا كان سفري الى المانيا وايطاليا خلال الحرب العالمية الثانية سعيا وراء شهرة او زعامة ، بل لمتابعة العمل والخطة التي اعتقدت انها قد تؤدي الى انقاذ فلسطين من الصهيونية وتحرير الامة العربية من الاستعمار ، واستمرت مساعينا السياسية مشتركة وتمكنا من حمل دولتي المحور على الاعتراف رسميا باستقلال الاقطارالعربية.

ـ ما هي حقيقة الخلاف بينكم وبين الدبلوماسي الالماني غروبا ؟

كان الدكتور غروبا وزيرا مفوضا لالمانيا في بغداد الى ان اعلنت الحرب

العالمية الثانية وقطعت حكومة نوري السعيد علاقتها الديبلوماسية بالمانيا استجابة للضغط الانكليزي ، وسلمت الرعايا الالمان الذين كانوا في العراق الى السلطات البريطانية فاحتجزتهم في الهند الى نهاية الحرب ، ولما نشبت الحرب بين العراق وبريطانيا عام ١٩٤١ واعاد العراق علاقاته الدبلوماسية بالمانيا رجع الدكتور غروبا الى العراق ، لكنه لم يلبث ان عاد الى برلين قبيل دخول القوات البريطانية بغداد .

وكانت بعض الشركات الالمانية ترغب في الحصول على امتيازات اقتصادية في العراق فتوسط لها غروبا لدى السيد رشيد عالي بعد وصوله الى برلين، لعقد اتفاقات اقتصادية خاصة بالنفط وغيره من الموارد الاقتصادية . وقد حدثني السيد رشيد عالي حينئذ في هذا الموضوع ، فكان رأيي التريث في عقد اتفاقات اقتصادية مع الشركات الالمانية الى ان تنتهي الحرب .

وكان يقيم باستانبول عندئذ السيد ناجي شوكت والدكتور محمد حسن سلمان وهما وزيران في وزارة السيد رشيد عالي الاخيرة فاقترحت عليه ان يستدعيهما الى المانيا لاستشارتهما في الشؤون العراقية ، فاستدعاهما فكانا خير مستشارين . اما موضوع الاتفاقات الاقتصادية فقد ارجىء الى ما بعد الحرب . واعتقد آن هذا الموقف ساء غروبا وقد بدا ذلك في تصرفاته فيما بعد .

اما القول بان الهر فون ريبنتروب وزير خارجية المانيا ايد غروبا في التفرقة بيني وبين الكيلاني وانه اقتنع بسياسة غروبا هذه واعطاه حرية التصرف لتحقيق هذا الهدف وان موقف ريبنتروب هذا لا يمكن ان يوصف الا بانه خيانة للعرب ، فهي أقاويل وادعاءات لا اعتقد صحتها ، فلم يكن فون ريبنتروب يعمل للوقيعة بين زعماء العرب ولا هو ايد غروبا في عمله هذا .

وكذلك ليس صحيحا ان سفري الى روما كان لتثبيت مركزي في ايطاليا قبل ان يصلها « نفوذ » غروبا ، وللحملة على غروبا والكيلاني معا وان مقابلتي

الاولى لموسوليني كانت في فبراير عام ١٩٤٢ والصحيح انها كانت في اواخر اكتوبر عام ١٩٤١ ، اثر وصولي روما بعد مغادرتي طهران الى تركيا فالبلقان فالنمسا فايطاليا • ولم اكن قد ذهبت الى المانيا ، ولم يكن السيد رشيد عالي قد وصل الى اوروبا من استانبول حيث كان مقيما •

واثباتا لذلك اورد هنا نص البرقية السرية التي ارسلها القائم باعمال السفارة الالمانية في روما الكونت بسمارك (حفيد البرنس بسمارك السياسي الالماني الشهير) الى وزارة الخارجية الالمانية عن وصولي الى روما ومقابلتي لموسوليني وان الحديث في المقابلة كان حول القضية العربية على وجه الحصر •

وهذه البرقية منقولة عن السجلات الرسمية البريطانية ، التي اصدرتها المكتبة الملكية البريطانية تحت عنوان : (وثائق ديبلوماسية عن وزارة الخارجية الالمانية) ،وهي من ضمن مجموعة الوثائق التي استولت عليها دول الحلفاء عند احتلال المانيا •

ترجمة البرقية رقم (٤٢٨)

٥٠٨٩٣/٧١

من القائم بالاعمال في ايطاليا الى وزارة الخارجية

برقيـــة

سري

رقـــم ٢٧٢٣ في ٢٨ تشرين الاول

بالاشارة الى برقيتي رقم ٢٦٩٥(١) المؤرخة في ٢٥ تشرين الاول ، فان التقرير المبلغ عنه في البرقية المذكورة آنفا بشأن وصول المفتي الاكبر الى ايطاليا قد تم نشره في الصحف الصباحية امس ، ان التأخير ليوم واحد جاء نتيجة لان الدوتشي ، لكونه غائبا عن روما ، لم يكن قادرا على استقبال المفتي الاكبر امس الاول لكنه استقبله امس صباحا بحضور انفوزو •

اخبرني انفوزو ان شخصية المفتي الاكبر قد تركت انطباعا مرضيا جدا في الدوتشي ۰ لقد كان رجلا في منتصف الاربعينات من عمره واعطى انطباعا على كونه ذكيا ، وقد بدا أنه يعرف تماماً ما يريد ۰ وقد دارت المناقشة ، التي دامت وقتا كافيا وجرت باللغة الفرنسية حول القضية العربية على وجه الحصر ، وابلغ المفتي الاكبر الدوتشي ان هدفه الاساسي كان استقلال فلسطين وسورية والعراق ۰ واوضح ايضا انه سيطلب في الوقت المناسب الى الحكومتين الايطالية والالمانية تصريحا بان مساعي الحكومتين مطابقة لمساعيه السياسية التي وافق عليها الدوتشي ۰

واضاف انفوزو ان المفتي الاكبر رغب اولا في انتظار وصول الكيلاني ومن المحتمل بعد ذلك ان يذهب لزيارة برلين۰

روما في ٢٨ تشرين الاول ١٩٤١

« بسمارك »

(١) ابلغ بسمارك في هذه البرقية (رقم ٥٠٨٩٢/٧١) ان الصحافة ستنشر في ٢٦ تشرين الاول اخبار وصول المفتي الاكبر الى مطار ايطالي۰

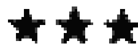
★ ★ ★

ـ قيل ونشر بانكم شكوتم غروبا الى وزارة الخارجية الالمانية ؟

ـ هذا ليس صحيحا ، فالذين روجوا لهذه الانباء زعموا انني بعد مقابلة موسوليني شرعت في الحملة على الدكتور غروبا والكيلاني في دوائر وزارة الخارجية الايطالية ولقيت تأييدا قويا منها ومن الكونت شيانو ۰

ولو كنت اريد ان اشكو الدكتور غروبا لشكوته الى وزارة الخارجية الالمانية لانها مرجع الشكوى ، ولا يعقل وانا في اول زياراتي لروما ان اجعل

فاتحة عملي فيها الشكوى من ديبلوماسي ألماني • ثم ان غروبا لم يكن يستطيع ان يفرض رأيه على وزارة الخارجية الايطالية ، ولم تكن السلطات الالمانية العليا راضية عن تصرفه عندما كان في بغداد ومحاولته تحريض العراقيين على محاربة الانكليز قبل ان يكونوا مستعدين للحرب وقبل ان تصلهم الطائرات والامدادات العسكرية من المانيا التي كانت معظم قواتها منصرفة الى محاربة روسيا •

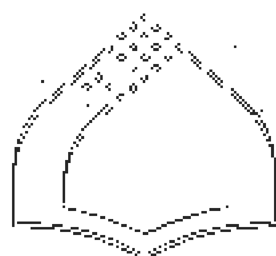


الفصل
الرابع عشر

المفتي يغادر ألمانيا



صورة تاريخية تجمع المفتي والرئيس الحبيب بو رقيبة اثناء الحرب العالمية الثانية.



يقول المفتي :

اشتدت وطأة غارات طائرات الحلفاء على المانيا منذ اواخر عام ١٩٤٣ ، وازدادت شدة عام ١٩٤٤ ، فكانت بعض الغارات تهاجم برلين بألف طائرة ، واحيانا بأكثر من ذلك ملقية حممها وقنابلها المدمرة والحارقة على كل انحاء برلين ، لا فرق بين أهداف عسكرية او مدنية . وقد اصيبت دارنا في شارع « كرومه لانكه ـ غوته شتراسه » عدة مرات . وكانت السلطات الالمانية المختصة تبادر بانذارنا بالغارات بالتليفون قبل وقوعها ، فنذهب الى الملاجىء القريبة ، ونمكث في الملجأ حتى تنتهي الغارة ، فنعود الى الدار فنجدها احيانا سالمة ، وأحيانا مصابة في بعض اقسامها ، وكذلك الدور المجاورة في تلك المنطقة التي هي ضاحية من ضواحي برلين.

وفي احدى المرات خرجنا من الملجأ ، فشاهدنا دارا مواجهة لدارنا تحترق ، فأسرعنا ورفاقنا لمساعدة الجيران ، فوجدناهم يكافحون النيران وينقذون ما

يمكنهم انقاذه من المتاع واللباس بنظام دقيق ، دون فوضى او هلع ، وبضبط نفس يدعو الى الاعجاب ، وقد ادى ذلك الى انقاذ قسم غير قليل من امتعة الـدار الثمينة •

وقد اصيبت دارنا مرارا ، وكانت ملكا لسفير المانيا في الارجنتين ، ومؤلفة من ثلاثة ادوار ، تحيط بها حديقة واسعة ، فكانت السلطات الالمانية تصلح الدار فورا عند اصابتها ، فنعود الى سكناها • ومكثنا على هذه الحال الى ان وقعت في ٢٣ نوفمبر عام ١٩٤٣ غارة جوية عظيمة دمرت معظم الدار ، فلما خرجنا من الملجأ وعدنا اليها لم نجد فيها الا جزءا صغيرا نستطيع ان نتقي به البرد ، فاضطررنا وجميع رفاقنا سكان الدار ان نقضي تلك الليلة في ذلك المكان الضيق •

فلما كان اليوم الثاني نقلتنا السلطات الالمانية الى منطقة بعيدة عن الغارات الجوية على بحيرة « ساوه »، فمكثنا بها نحو شهرين ، ثم انتقلنا منها الى مدينة « سيتاو » حيث قضينا نحو اربعين يوما في فندق ، ثم انتقلنا منها الى «اويبين» وهي احدى المنتجعات الالمانية بالقرب من حدود تشيكوسلوفاكيا ، فأقمنا ببيت كبير اتسع لنا ولاكثر رفاقنا ، وكنا نحو عشرين رجلا ، ومكثنا في أويبين معظم عام ١٩٤٤ وشطرا من عام ١٩٤٥ • ولكننا لم ننقطع عن برلين خلال هذه المدة ، فكان رفاقنا يتناوبون الذهاب اليها ، فيقضي كل واحد منهم اسبوعا في مكتبنا لتفقد شؤون المراجعين من عرب ومسلمين ، وقضاء مصالحهم في تلك الظروف الحرجة •

فلما اشتدت الحال ، وضيق الحلفاء الخناق على المانيا، وشرعوا في الزحف على الاراضي الالمانية عام ١٩٤٥ ، زارنا في مقرنا في اويبين «البورغرمايستر» وهو الاسم الرسمي لحاكم المنطقة ، وابلغنا ان هذه المنطقة اصبحت منطقة خطرة ، وان السلطات الالمانية ترغب في نقلنا الى مدينة « بادكشتاين » وهي منتجع شهير في جنوب النمسا • وقد لاحظنا عند زيارة البورغرمايستر لنا، ان السيارات التي نقله ومن معه كانت كلها تسير بالفحم ، بدلا من البنزين الذي

اصبح قليلا وغالي الثمن في المانيا • فتوجهنا الى بادكشتاين بعـــد ان حولنا سيارتنا الى سيارة وقودها الفحم ، وفي طريقنا اليها مررنا بمدينة «باداولستر» حيث مكثنا ثلاثة ايام ، ثم استأنفنا السير الى مدينة « سالزبورج » وفي طريقنا اليها وعلى مقربة منها اقمنا اسبوعا في قصر شهير كان هتلر قد خصصه لاقامة بعض ضيوفه • واخيرا وصلنا « بادكشتاين » حيث انزلتنا السلطات الالمانية في فيللا « كارلشتاين » التي لم تتسع لنا جميعا فنزل بعض اخواننا في فنادق المدينة ، وكان بينهم فلسطينيون ومصريون وسوريون وتونسيون وايرانيون• وكانت السلطات الالمانية قد خصصت هذه المدينة للهيئات السياسية لبعدهـا عن الغارات الجوية ولعدم وجود مصانع فيها تجعلها عرضة للقصف والتدمير•

قبل الانتهاء من الحديث عن اقامتنا بالمانيا ومغادرتها الى سويسرافافرنسا، أرى ان أشير الى بعض الوقائع قبل مغادرتنا بادكشتاين نهائيا • ففي اواخر ايامنا في المانيا فجعنا بالدكتور مصطفى الوكيل • ولا اتذكر اني حزنت لفقد احد كما حزنت لفقد شهيدين فذين كانا متشابهين في كثير من الصفات والمزايا النادرة ، هما الدكتور مصطفى الوكيل الذي استشهد في برلين يوم ٤ اذار ١٩٤٥، والسيدعبدالقادر الحسيني الذي استشهد يوم ٨ نيسان عام ١٩٤٧

قضى مصطفى الوكيل شهيدا كريما من شهداء الامة العربية ، بعدمـا كان مجاهدا عظيما من مجاهديها وكانت حياته الغالية القصيرة شعلة وهاجـة من المبادىء الشريفة ، وقبسا من نور الايمان ، وقدوة صالحة للشبان الناشئين والرجال العاملين ، ومثلا حيا للوطنية الصادقة ونكران الذات في سبيل المجموع والايثار والفداء في سبيل المبادىء المستقيمة والمثل العليا • وكل من عـرف الشهيد استهوته هذه الصورة الحية من صور الايمان والفداء ، والبسالـة والخلق الكريم •

لقد سبق لي ان نوهت بمصطفى الوكيل في بعض المناسبات وارى من الواجب ان اوفيه بعض حقه لمناسبة الحديث عن استشهاده في برلين•

فعندما كنا في العراق ونشبت الثورة العراقية في ربيع عام ١٩٤١ لتعنت

الانكليز الذين كانوا قد اعدوا عدتهم لاحتلال العراق واتخاذه قاعدة لهم في الحرب (كما اورد ذلك تشرشل في مذكراته) تطوع الفقيد مصطفى الوكيل لقتال الانكليز دفعا لعدوانهم على العراق والتحق بكتيبة المجاهدين الفلسطينيين بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني ، ولما انتهت المعركة وخرج من العراق عدد من احرار العراقيين والفلسطينيين والسوريين وغيرهم ممن كانوا عرضة لنقمة السلطات البريطانية وعملائها ، خرج الفقيد مع زملائه من مجاهدي فلسطين الى سوريا فتركيا ، ومنها الى المانيا ، وقد اتيح لي خلال اقامتنا في العراق والمانيا ان ازداد معرفة به ، وتجربة واختبارا له ، فما زادتني تلك الايام على شدتها وصعوبتها الا اعجابا به وتقديرا لاخلاقه بشجاعته وزهده وانكاره لنفسه ، وكنت ارى فيه مثلا لما ينبغي ان يكون عليه الشاب العربي المسلم من الاخلاق الفاضلة والتربية العالية .

وكان الفقيد خلال مدة الحرب موفور النشاط دائبا على العمل لخدمة المصالح العربية والاسلامية عامة ، والمصرية خاصة . ومن اعظم الخدمات التي أداها لوطنه مصر وكان له الفضل الكبير فيها ، التصريح المشترك الذي صدر عن المانيا وايطاليا عام ١٩٤٢ بالاعتراف باستقلال مصر ، ومطالبة دول المحور بأن لا تقوم الطائرات الالمانية والايطالية بقصف المدن المصرية بالقنابل وكذلك في مساعينا المشتركة لانقاذ ركاب الباخرة المصرية « زمزم » وملاحيها من الاسر ، والعناية بهم وبغيرهم من الاسرى ، وبعدد كبير من الجاليات العربية والاسلامية في المانيا ، وقام برحلات عديدة شاقة الى تركيا والبانيا وبعض العواصم الاوروبية في سبيل خدمة مصر والاقطار الاسلامية . وعندما اخذت العصابات الصربية تعيث فسادا في بلاد البوسنة وتمعن في اهلها المسلمين قتلا ذريعا حتى بلغ عدد القتلى منهم نحو مائتي الف نسمة ، اصر الفقيد على التطوع في صفوف المدافعين عن مسلمي البوسنة ، ولكنني كلفته بالسفر الى البانيا للمشاركة في اعلان استقلالها ولتأليف فرقة عسكرية فيها للدفاع عن مسلمي البانيا ، وهناك استقبله رئيس الدولة الالبانية مهدي بك فراشيري وانزله في بيته تكريما له . وقد رفض الفقيد طيلة وجوده في المانيا ان يأخذ مخصصات الرجل السياسي

وهي اربعة امثال المخصصات العادية وكان يكتفي بمخصصات الرجل العادي .

وكان الفقيد يعمل معي في برلين طيلة النهار وشطرا من الليل . فلما اشتدت الغارات الجوية على برلين لم يكن يلجأ الى المخبأ بل يمكث في مكانه لا يتزحزح ويقول : (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) فاستطعت ان آتي به الى بيتنا بعد الالحاح. ولما هدم البيت الذي كنا نقيم به في برلين لثالث مرة طلبت منا الحكومة الالمانية ان تنتقل الى قرية «ساوة» على بعد سبعين ميلا من العاصمة ثم انتقلنا منها الى «اويبين» في ساكسونيا على مقربة من الحدود التشيكوسلوفاكية واقمنا بها مع اخواننا وفي مقدمتهم الفقيد واخذنا نتردد على برلين ، واتخذنا من « المعهد الاسلامي » مكتبا لنا واخذ اخواننا يتناوبون العمل فيه اسبوعيا ومن جملتهم الدكتور الوكيل . لكنه كلما ذهب لا يعود بعد انقضاء نوبته الاسبوعية الا بالجهد ، وبعد ان اطلبه بالتليفون مرارا ، وكثيرا ما كان يقول لي : ارجو ان لا تضيع علي فرصة الشهادة هنا ، او على الاقل مشاهدة المعارك حين تنشب في برلين نفسها بين الالمان والروس لدراسة«حرب الشوارع » التي قد نحتاج اليها في بلادنا .

وفي ليلة ٤ اذار (مارس) ١٩٤٥ اغارت على برلين طائرة انكليزية واحدة على غير العادة وألقت قنبلة واحدة ايضا مصوبة خصيصا على « المعهد الاسلامي » حيث كان الفقيد فيه ، فسقطت على بعد عشرة امتار منه ، وكانت قنبلة هواء مضغوط ، فدمرت البناء تدميرا كاملا ونال الفقيد الشهادة التي كان يتوق اليها وطالما سعى لها . فلما بلغنا الخبر ونحن في «بادكشتاين» بادر كل من الدكتور معروف الدواليبي (رئيس وزراء سورية فيما بعد) والاستاذ محمد اسحق درويش عضو الهيئة العربية العليا لفلسطين والدكتور سميح الموصلي من كرام اخواننا السوريين بالسفر الى برلين للقيام بواجبات دفنه والصلاة عليه ثم تبعتهم بعد ذلك مع الدكتور فرحان الجندلي (وزير الصحة السوري فيما بعد) . وتم دفنه في المقبرة الاسلامية التي كانت للدولة العثمانية . ومن غرائب الصدفه ان كان ضريحه بجانب ضريح مجاهد كبير

مثله هو المرحوم الحاج نافع شلبي احد فضلاء مدينة حلب ومؤسس المعهد الاسلامي في برلين ، ذلك المعهد الذي كان الدكتور الوكيل آخر من تولى العمل فيه • وقد كان الزعماء والضباط الالمان شديدي الاعجاب بـه والاحترام لـه •

وعندما كنا في مصر بعد عودتنا من المانيا تم نقل جثمان الفقيد من المانيا الى القاهرة عام ١٩٥٤ وجرى له استقبال كبير عند وصوله بالطائرة يوم ٢٢ رمضان ١٣٧٣ (٢٥ ايار ١٩٥٤) وبعد وصوله شيع جثمانه بموكب حافل في وطنه العزيز بعد ان ظل بعيدا عنه أربع عشرة سنة • وقد اشتركنا في هذا الموكب الذي بدأ من ميدان التحرير واشترك فيه رئيس الجمهورية حينئذ ورئيس الوزراء وعدد كبير من الوزراء والعلماء والفضلاء ثم بعد الصلاة على الجثمان في جامع جركس سير به الى مدافن الاسرة حيث ألقيت خطب التأبين •

وقبل ان نترك بادكشتاين نهائيا ، توجهت والدكتور فرحان الجندلي الى برلين ، للقيام ببعض الشؤون ومنها بناء قبر الدكتور مصطفى الوكيل ، ومكثنا بها عشرة ايام بفندق ادلون الشهير، الذي كان ينزل به حينئذ معظم رجال السلك السياسي للوقاية من الغارات الجوية لان فيه ملجأ عميق الغور يهبط اليه بنحو مائة درجة • وكانت برلين في تلك الايام هدفا لاشد الغارات الجوية، التي كان معظمها يحدث ليلا ، فكنا نهبط الى الملجأ ريثما تنتهي الغارة • واخيرا جاء مندوب من الخارجية الالمانية فأنذر جميع الهيئات السياسية وانذرنا ايضا بضرورة مغادرة برلين خلال يومين ، لان زحف الحلفاء قد اقترب من برلين ، واصبحت مطوقة بجيوشهم •

وكان بناء الضريح قد انتهى ، وكانت برلين في تلك الايام ، في اواخر شهر نيسان ١٩٤٥ ، قد اصبحت حطاما لا تكاد العين تقع فيها على بناء قائم • فغادرناها متوجهين الى بادكشتاين ، ولعل سيارتنا كانت آخر سيارة غادرت

برلين قبل احتلال الحلفاء لها ، ولكننا لم نستطع ان نحدد الطريق الذي يجب ان نسلكه حتى لا نقع في ايدي القوات الزاحفة ، ولما سألنا المراجع الالمانية المسؤولة اشارت علينا بان نسأل قائد الموقع العسكري في كل مكان نصل اليه ، وهو يرشدنا الى الطريق الذي يجب سلوكه ، فعملنا بذلك .

وكانت طائرات الحلفاء التي أطلقوا عليها اسم (الغربان السود) وهي طائرات سود صغيرة الحجم قد انتشرت في كل مكان ، فكانت تنقض قريبا من الارض على قوافل السيارات الخارجة من برلين وغيرها، فتحرقها بمن فيها من الركاب والمتاع .

وقد شاهدنا في طريقنا قوافل من السيارات محترقة بمن فيها ، ولذلك آثرنا أن نسير بسيارتنا دون ان ننضم الى احدى القوافل وكنا عندما نرى تلك الغربان السود ، نترك السيارة ونختفي في احدى الغابات ، الى ان تبتعد تلك الغربان عنا .

وحدث عند وصولنا الى كارلسباد ان قصفت تلك الغربان السود بعض المواقع بالقرب منا في كارلسباد . ثم غادرناها ، واستأنفنا السفر الى « مارينباد » ، وكنا حريصين على الاستفادة من ظلام الليل ، للنجاة من تلك الطائرات الشديدة الخطر . لكن سيارتنا اصيبت بعطل قبل ان نبتعد عن مارينباد ، فشرعنا في اصلاحها فلم نتمكن من ذلك حتى الفجر، قد اشتد البرد، فذهب الدكتور فرحان ليبحث عن مكان نأوي اليه ، وماء او شاي نشربه، فوجد جماعة من اللاجئين الالمان يقيمون في مكان يشتمل على غرفة فسيحة، وقد قسموها الى عدة اقسام لتتسع لهم ، وخصوصا لكل عائلة منهم قسما، وجعلوا الحواجز فيما بين الاقسام من الحبال او الخيطان لا يتعدونها،واتخذوا من احد جوانب الغرفة مطبخا مشتركا للجميع ، وعندهم ماء ساخن فذهبنا اليهم واعطيناهم بعض الشاي الذي كان معنا ، ففرحوا به لان الشاي كان نادرا في المانيا حينئذ ، ثم أعطينا الاطفال قطعا من الشيكولات ، كانت معنا،

فلم يعرفوها ورفضوا اخذها لانهم ولدوا في زمن كانت فيه المانيا محرومة من الشيكولات واشياء كثيرة غيرها من الكماليات • ولكن المأكولات الاساسية كانت متوفرة •

وشاهدنا شابا مستلقيا في الفراش تبدو عليه دلائل الصحة • فعجبنا من أمره لانه قلما كان يشاهد شابا المانيا في تلك الايام غير مجند في الجيش او في عمل اخر من مقتضيات الحرب • وسألناه هل انت في اجازة ؟ فتبسم ورفع الغطاء عن جسمه فاذا باحدى رجليه مقطوعة من فوق الركبة ، وقال هذه اجازتي • ولما قدم له الدكتور فرحان سيجارة اقبل عليها بشغف ظاهر، وقال : انني منذ عشرة ايام لم ادخن سيجارة واحدة ، وكانت الدولة الالمانية يومئذ تدعو الشعب الالماني الى الاقلاع عن التدخين ولا تسهله للمدخنين• كما كانت تقاوم الخمر بشدة •

وفي طريقنا من برلين الى بادكشتاين مررنا بمدينة « نورمبرغ» فكانت خرابا يبابا ، وكان عهدنا بها العمران والازدهار ، والحركة الدائبة والمنشآت الرائعة • وقد وقع عليها اختيار الحلفاء بعد الحرب لتكون مركزا لمحاكمة زعماء المانيا وغيرهم ممن سموهم (بمجرمي الحرب) وحكموا على كثيرمنهم بالاعدام او السجن مدى الحياة •

ولا بد من الاشارة هنا الى ان اليهود طالبوا بمحاكمتي في محكمة نورمبرغ كمجرم حرب ، بتهمة ابادة اليهود وتأليف فرقتين عسكريتين من مسلمي البوسنة وفرقة ثالثة في المانيا لمحاربة الحلفاء ، لكن محاولاتهم أخفقت •

كانت هذه حال المانيا في اواخر سني الحرب وعند انتهائها • غارات ، ودمار ، ومعارك جوية وبرية وبحرية ، وحرمان • ورغم ذلك كله كان النظام والصبر والطاعة تسود الشعب الالماني ، وبقي نظام توزيع الطعام ساريا • وقد اصدرت الهيئات الشعبية الالمانية بيانات ونشرات للشعب الالماني طالبة منه

ان يمد يد المساعدة الى اللاجئين والمحتاجين بسبب ظروف الحرب القاسية ، وان تكون المساعدة حسب الاستطاعة اما بالمال ، او بالملابس ، او بشريحة خبز من رغيف ، او بأي شيء يستطيعه المرء ، كما طلبت من افراد الشعب مساعدة الشيوخ والعجزة وحمل العاجزين منهم عن السير ، وحمل الاطفال وأمتعة الذين لا يستطيعون من الضعفاء القادمين بالقطارات او بالسيارات ، وان يرشدوهم الى الملاجىء ويقدموا لهم كل ما يستطيعون من خدمات ، حتى كنس الغرف وتنظيف الاماكن ..

وصفوة القول ان الشعب الالماني شعب عظيم ، جمع العلم الى الشجاعة، الى النظام والطاعة ، الى التعاون والايثار ، وغير ذلك من الميزات التي تحلى بها . ولا شك في ان الشعب الفلسطيني ، وكل شعب يجاهد ويكافح في سبيل انتزاع حقوقه واسترداد وطنه من ايدي الغاصبين ، لا بــــد له من التحلي بالصفات والميزات التي تؤهله للعمل العظيم الذي اضطلع به ، واهمها صدق في القول ، والاخلاص في العمل ، والتعاون ، والفداء ، والايثار ، والصبر على المكاره ، عملابقوله تعالى (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون).

ويستطرد المفتي قائلا :

لما تفاقم الخطر باجتياح جيوش الحلفاء مناطق كثيرة من المانيا ، واصبحت تحيط بها من كل جانب ، بحث معنا كبار المسؤولين الالمان عن طريق خروجنا من المانيا . فاقترح بعضهم ارسالنا في غواصة تقلنا الى احد الشواطىءالعربية. وكدنا نقدم على هذه المغامرة ، رغم خطورتها ، لولا اننا سمعنا في الاذاعة من سويسرا في شهر نيسان عام ١٩٤٥ ان الحكومة السويسرية ، وفقا لتقاليدهــا تقبل اللاجئين السياسيين في بلادها . فوجدنا في ذلك حلا وفرجا ، وشرعنا في تهيئة وسائل السفر الى سويسرة ، وذهبنا برفقة احد موظفي الخارجيــــة الالمانية الى مطار « كلاغن فورت» وهو المطار الاخير الذي لا يزال في يــد السلطة الالمانية . وهناك شاهدنا نوع الطائرات التي كنا سنسافر بها ، فاذا

بها طائرات حربية صغيرة لا تضمن لاحد سلامة ، ولا تتسع كل واحدة منها الا لراكب واحد بجانب قائدها ، الذي لم يقبل ان يتحمل مسؤولية نقلنا . فاضطررنا للعودة الى بادكشتاين وقررنا ان نسافر بطريق البر الى سويسرة.

وكنا قد حصلنا على سيارة تسير بالبنزين الذي كان غالي الثمن جدا واشترينا صفيحة واحدة بمائة دولار اميركي . وبعد غروب شمس يوم ٥ـ٥ ١٩٤٥ خرجنا من بادكشتاين متجهين الى الحدود السويسرية ، في ليلة شديدة البرد كثيرة الثلج ، واجتزنا اكثر من مائة كيلومتر ، لكن تراكم الثلوج حال دون مواصلة السير ، فأردنا الاتصال بحاكم تلك المنطقة ، وكان معنا موظف الماني ، فذهب ليبحث لنا عن اقرب مركز للشرطة ، لنتمكن من استعمال التليفون والاتصال بالحاكم ، فوجد بعد البحث مركز شرطة ، وطلب منه ان يمكننا من مخابرة الحاكم ، فدله على مركز سري للتلفون تحت الارض، ينزل اليه بسلم وسطحه ممهد ومسوى بالارض ، لئلا تراه طائرات الحلفاء. فأتينا اليه ولما طرقنا الباب خرجت الينا فتاة مجندة فطلبنا منها ان تصلنابالحاكم ومع ان الساعة قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل ، فقد استطعنا الاتصال به ، فأجاب طلبنا وامر المخفر بمساعدتنا . وكلفت احد الرفاق ان يعطي الفتاة أجر المكالمة التليفونية ، فأعطاها خطأ اكثر من الاجر المقرر فأخذت الرسم المقرر وهو مارك ونصف المارك وردت باقي الورقة المالية .

ومما لا انساه ان الموظف الالماني عندما قال للفتاة ان الذي يريد ان يتصل بالحاكم بالتليفون هو ضيف الفوهرر (اي ضيف هتلر) اجابت بحزن عميق ان الفوهرر قد مات . ولم يكن الخبر قد بلغنا بعد . وقد اعجبنا بصبر تلك الفتاة التي كانت تقوم بواجبها بكل امانة ودقة ، في تلك الساعة وتلك الليلة المكفهرة اكفهرارا جويا وعسكريا وسياسيا .

لكن كل محاولاتنا للتقدم نحو الحدود السويسرية اخفقت لتراكم الثلوج ، فاضطررنا للعودة مرة اخرى الى بادكشتاين واتصلنا برجال الخارجية فيها . فهيأوا لنا طائرة حربية لتقلنا من مطار « كلاغن فورت » الى

سويسرة • وقضينا ليلتنا في كلاغن فورت ، ولما ذهبنا في اليوم التالي الى المطار وجدنا الطائرة الحربية في انتظارنا وفيها اثنان من الطيارين • وعند الساعة الواحدة بعد الظهر اخذنا قائد المطار ، وألبسنا ملابس المظليين ثم ودعنا ، وطارت الطائرة باتجاه سويسرة • وكان ذلك اليوم ، يوم الهدنة ، واليوم الاخير للحرب الذي استسلمت فيه المانيا ، ولهذا السبب لم نصادف طائرات مقاتلة للحلفاء تتصدى لطائرتنا في الطريق• فلما وصلنا الى « برن » العاصمة سمعنا صفارات الانذار تدوي في الجو • فلما هبطنا الى ارض المطار واطلع الموظفون المختصون على اسمائنا ، اتصلوا بالمسؤولين فجاء مدير الامن العام الى المطار ، وبعد حديث معه ، وبواسطته مع السلطات المختصة ، رفضوا السماح لنا باللجوء الى سويسرة • فقلنا لهم اننا سمعنا اذاعتكم الرسمية، وقد اعلنتم بها انكم مستمرون في المحافظة على تقاليدكم بقبول اللاجئين السياسيين في بلادكم فأجابوا ان هذا صحيح ولكن ثمة قائمة (كشفا) باسماء اثنين وثلاثين شخصا استثنى اصحابها من السماح لهم باللجوء،واسمك بينها، ولذلك لا يسعنا قبولكم في سويسرة ، ولكننا مستعدون لتزويدطائرتكم بما تحتاج اليه من الوقود وغيره ، على ان تستأنفوا السفر فورا الى اسبانيا مثلا بصفتها بلادا محايدة •• فسألنا الطيارين الالمانيين اللذين كانا يقودان الطائرة عن امكان ذلك ، فقالا ان الطيران الى اسبانيا ليس في الامكان، لان الحلفاء لا بد انهم عرفوا بامرنا الان وستدمرنا طائراتهم ونحن في الجو • وعندئذ ابدينا للسلطات السويسرية استحالة سفرنا جوا ، فنصحتنا بالاسراع بالخروج من بلادها ، قبل أن تطالبهم سلطات الحلفاء بتسليمنا اليها • وكان المرحوم شكيب ارسلان والمرحوم السيد عبد الفتاح عمل سفير مصر في برن قد عرف بوصولنا الى برن ، وبرفض السلطات السويسرية قبولنا ، فحاولا جاهدين حملها على قبولنا لكن مساعيهما الحثيثة لم تؤد الى نتيجة ايجابية•

وعندئذ طلبنا من ادارة الامن العام ان توافق على سفرنا الى فرنسا بطريق جنيف وليس الى الحدود الالمانية التي جئنا منها لان الامريكيين احتلوها •

ولا الى كلاغن فورت التي احتلها اليوغوسلافيون • فقالت ان الحكومة السويسرية تصر على سفرنا الى الحدود الالمانية التي دخلنا من فوقها وفقا للقانون الدولي (وكانت هذه الحدود محتلة من القوات الفرنسية) وهي مستعدة لان توفر لنا البنزين لايصالنا الى المكان الذي جئنا منه من المانيا فلما قلنا لهم اننا نفضل ان تتسلمنا السلطات المدنية الفرنسية وليس القوات العسكرية التي هي قسم من قوات الحلفاء وتابعة لقيادتهم وطلبنا ان يسمحوا لنا بالاتصال بسفراء الدول العربية ، رفضوا طلبنا وألزمونا بالسفر الى الحدود الالمانية وعندئذ اضطررنا للسفر بالقطار بحراسة الجنود الى تلك التي اجتزناها جوا ورافقنا موظف فرنسي من جمعيةالصليب الاحمرالدولي للعناية بي من الناحية الصحية وقد خفف عنا لطفه ودماثته بعض ما لقيناه من السلطات السويسرية من صلف وسوء معاملة •

ولما وصلنا مدينة كونستانزة على ضفاف البحيرة المشهورة باسمها وجدنا هناك بعض رجال الصليب الاحمر الذين جاءوا لمعرفة حالتنا الصحية• ووجدنا ان الجيش الفرنسي قد احتل تلك المنطقة• فتسلمنا رجال الجيش وذهبوا بنا الى معسكر قريب من تلك البحيرة قضينا فيه ليلتنا •

اما قائمة (كشف) اسماء الاثنين والثلاثين الذين اشارت اليهم السلطات السويسرية في حديثها معنا فتحتوي على اسماء هتلر وغورنغ وروبنتروب وهملر واخرين من الالمان وكذلك موسوليني وبافيليتش رئيس جمهورية كرواتيا وغيرهما •

وفي فندق بايرهوف على شاطىء بحيرة كونستانزة حيث انزلتنا السلطة الفرنسية مؤقتا في طريقنا الى باريس وجدنا في الدور الثاني من الفندق ولي عهد المانيا السابق البرنس فون هوهنزولرن وفون ماكنزن سفير المانيا السابق في روما ، والوزير الالماني فون نويراث ، والبروفسور فون كريم وعددا من القواد الالمان ، ولكننا لم نقابلهم اذ كانوا معتقلين بحراسة الجنود •

وبعد ان مكثنا يومين في الفندق نقلونا الى السجن العسكري حيث قضينا ليلة • وفي اليوم التالي نقلونا في سيارة مكشوفة في قافلة محروسة ومسلحة ، فمررنا بعدة مدن فرنسية وعند الغروب وصلنا مدينة ستراسبورغ فقضينا فيها تلك الليلة في سجن عسكري كبير في غرف منارة وفيها ماء واسرة من حديد فراشها من التبن وكانت على كل حال خيرا من الليلة السابقة التي قضيناها في سجن كونستانزة •

وفي صباح السبت ١٩ـ٥ـ١٩٤٥ غادرت القافلة ستراسبورغ الى باريس • وكان رفيقنا في الرحلة طبيب المرشال بيتان الخاص وصديقه مسيو مينيتريل ، وهو انسان مهذب وقد حاول ان يخفف عنا ويطمئننا باننا سنكون موضع رعاية السلطة الفرنسية ، واشار علينا ان نتصل عند وصولنا باريس بالمسيو شوفيل وكيل وزارة الخارجية ، اما هو فكان يعتقد ان مصيره الى السجن •

ولما وصلت القافلة باريس اخذوا من فيها جميعا الى سجن (شيرش ميدي) ومعناها (ابحث عن الظهر) وسبب هذه التسمية كما قيل لنا ان هذا السجن شديد الظلام • ومكثنا بضع ساعات في ساحة ذلك السجن المظلم ريثما نقلونا الى دائرة الامن العام حيث قضينا ليلة في احد مكاتبها • وكان رجال القافلة نحو ثلاثين شخصا ملأوا جميع الغرف وكلهم من الفرنسيين المغضوب عليهم لتعاونهم مع بيتان والالمان ، وكانوا ينتظرون الحكم عليهم بالاعدام وقد سمحت السلطة لزوجاتهم وامهاتهم بزيارتهم لوداعهم فكان عويل النساء وتحسر الرجال يملأ جو دائرة الامن العام حزنا وألما •



الفصل
الخامس عشر

الحلفاء يطالبون برأس المضيق

WANTED!

FOR MURDER . . . FOR KIDNAPPING . .
FOR THEFT AND FOR ARSON



ADOLF HITLER

ALIAS

Adolf Schicklegruber,
Adolf Hittler or Hidler



هذا المنشور وزعته قيادة الحلفاء على أثر انتصارها وفيه تطلب القبض على هتلر حيا او ميتا



ـ لقد صدرت عدة كتب عن نشاطكم في باريس اثناء فترة احتجازكـم وروى العديد من الصحفيين القصص عن هذا النشاط فما هي الحقيقـة ؟

اجـاب المفتي :

في اليوم التالي لوصولنا باريس « الاحد ٢٠ـ٥ـ١٩٤٥ » جاءنا المسيو ديفو مدير القسم العدلي في الامن العام ومساعده المسيو بادن ، فقلت لهمـا انني بما لي من صفة دينية وبصفتي رئيسا للمؤتمر الاسلامي العام ورئيسـا للجنة العربية العليا اطلب واتوقع من حكومة الجمهورية الفرنسية ان تسمح لي بالانتقال من هذا المكان الى منزل او فندق وان اعامل معاملة لائقة ..

فاجابني المسيو ديفو بلطف وبشاشة : تأكدوا ان الجنرال ديغول مهتـم بكم كل الاهتمام وستعاملون المعاملة اللائقة بكم وستغادرون اليوم هـذا المكان . ثم سألني ديفو عمن اعرف في باريس فقلت له انني اعرف السفـراء والوزراء المفوضين العرب ، والسيد قدور بن غبريط ممثل حكومة المغرب.

وفي اليوم نفسه انتقلنا الى منزل على بعد ١٣ كيلومترا من باريس في ضاحية سان مور ـ لافارين على نهر المارن ، محاطين بحراسة شديدة . واحيط السيد قدور بن غبريط علما بوصولنا ، وكان هو المشرف على شؤون مسجد باريس وله صفة رسمية مغربية فأبدى اهتماما كبيرا لوصولنا وبادر بارسال سكرتيره الفرنسي الينا ومعه طباخ مغربي ليتولى امر طعامنا . واقمنا بذلك المنزل ريثما ينظر في امرنا .

وفي اليوم التالي قرأنا في صحف الصباح انباء عن وصولنا الى باريس ووصول دوبرينون وزير حكومة فيشي السابق في برلين ومينيشربل طبيب المارشال بيتان . وجاء في بعض هذه الصحف ان الحكومة البريطانية تطالب بتسليمنا اليها بصفتها الدولة المنتدبة على فلسطين ، وكذلك القيادة العليا لجيوش الحلفاء التي كان يتولاها الجنرال ايزنهاور . لكن الحكومة الفرنسية وقفت موقفا متحفظا وحجتها في ذلك ان لها معنا حسابا سابقا طويلا لاشتراكنا في مساعدة الثورة السورية على فرنسا عام ١٩٢٦ ولاننا تعاونا ايضا مع الالمان في الحرب العالمية الاخيرة .

وفي هذا اليوم كرر مسيو ديفو زيارته لنا للاطمئنان على صحتنا وراحتنا ، ثم تحدث ملمحا الى اننا سنبقى في الاراضي الفرنسية . فقلت له ان هذا ما نتوقعه من الجمهورية الفرنسية في هذا الموقف .

وفي صباح اليوم التالي (٢٣ـ٥ـ١٩٤٥) شاهدنا سيارة عسكرية مقفلة ومكتوبا عليها كلمة « سجناء » تقف بباب منزلنا فأزال مجيئها الطمأنينة النسبية التي شعرنا بها من حديث ديفو . لكنها لم تلبث أن انسحبت بعد ساعتين بعدما تلقت امرا بذلك . وقضينا اياما استولى علينا فيها القلق والارق حتى كدنا نغص بالماء القرات حقيقة لا مجازا في تلك الاونة الحرجة .

ثم لم نلبث ان قرأنا في الصحف انباء الاضطرابات التي حدثت في سورية ، واخذت الصحف تهاجم سياسة بريطانيا في الشرق . واعتقد انما وقع في سورية

من خلاف شديد بين البريطانيين والفرنسيين عقب الحرب العالمية الثانية كان من جملة الاسباب التي حملت فرنسا على عدم تسليمنا لبريطانيا •

ومن جهة ثانية لقد تلقى الجنرال ديغول برقيات كثيرة من مقامات عربية واسلامية في شأننا وقامت مظاهرات كبرى في بيروت وبعض البلاد العربية والاسلامية للعناية بنا • وقام زعماء مسلمي الهند وعلى رأسهم محمد علي جناح رئيس رابطة مسلمي الهند يطالبون بالاهتمام بامرنا ، واوسل امام اليمن يحيى حميد الدين برقية خاصة الى الجنرال ديغول يطلب منه ارسالي بطائرة الى اليمن حيث اكون في ضيافته • وحدث بعد ذلك ان زار باريس ملك المغرب محمد الخامس بدعوة من الجنرال ديغول لمشاهدة الاحتفال بيوم النصر ففوجيء بالملك محمد الخامس يطلب منه ان يسمح له بأخذي معه الى المغرب تلبية لرغبة علماء المغرب واعيانه •

ولما وصل باريس بعد ذلك باي تونس مولاي محمد الامين طالب ايضا بمثل ذلك فكان لجميع هذه العوامل تأثير كبير على السلطات الفرنسية•ولكن الاعداء ، وفي مقدمتهم الصهيونيون لم يغفلوا عنا وظلت مساعيهم الحثيثة تلاحقنا حتى كادت تنجح • وسأتحدث بعد قليل عن هذه المساعي•

وكما طلبنا من السلطات الفرنسية ان نستقبل بعض معارفنا من العرب والمسلمين الذين كانوا في باريس عندئذ ومنهم عدد كبير من السفراء والوزراء المفوضين لعدة دول عربية واسلامية ، ولكن انقضى شهر على اقامتنا بلافارين دون ان نقابل احدا ، وعلمنا فيما بعد ان مسيو بونسو المندوب السامي السابق لفرنسا في سوريا ولبنان عام ١٩٢٨ ، والسيد قدور بن غبريط وبعض السفراء والوزراء المفوضين العرب قد طالبوا بزيارتنا منذ وصولنا باريس لكنهم لم يمكنوا من ذلك • ثم فوجئنا بزيارة مسيو «غيرامو» مساعد مدير الشؤون العربية في وزارة الخارجية والمسيو « ديفو » و «الكابيتان كلاتو » وكان محور الحديث في هذه الزيارة رحلتنا من المانيا الى سويسرا ففرنسا ثم الاستعلام عن السيد رشيد عالي الكيلاني• وتناول الحديث الوضع العام في

سورية ولبنان والاقطار العربية . وسلمني مسيو غيرامو رسالة من الصديق المرحوم سامي بك الصلح رئيس الوزارة اللبنانية حينئذ .

ثم زارنا مسيو بونسو وحده ، وكان عندئذ يتولى رئاسة اللجنة الخاصة باللاجئين في اوروبا ولجنة شؤون الشرق الادنى . وتحدث في زيارته هذه عن رغبة فرنسا في التعاون مع الاقطار العربية وانها ماضية في سياستها هذه .

وفي ٢٨ـ٧ـ١٩٤٥ زارنا مسيو بونسو مرة اخرى وابلغنا فحوى برقية وصلتهم من سفير فرنسا في القاهرة مسيو « ليكوبيه » مؤرخة في ٢٣ـ٧ـ١٩٤٥ خلاصتها ان الصحف المصرية تحدثت عن وجودي في فرنسا وانني معتقل وسوف اقدم الى المحاكمة ، وان السفارة بادرت بتكذيب ذلك مؤكدة للقصر الملكي وللامين العام لجامعة الدول العربية عزام باشا انني ضيف فرنسا وانني اقيم بمنزل في ضواحي باريس ، وان السفير ليكوبيه استقبل وفدا من الفلسطينيين الذين طالبوا بالاهتمام بنا والافراج عنا .

واضاف مسيو بونسو ان جلالة ملك المغرب وسمو باي تونس طلبا من الحكومة الفرنسية العناية بي وتوفير اسباب الراحة لي وانهم يطلبون من فرنسا ان تحافظ على صداقتها للمسلمين وتسهل اسباب عودتي الى البلاد العربية .

وكان في باريس عندئذ بعض الاصدقاء في السلك الدبلوماسي منهم محمود فخري باشا سفير مصر واحمد بك الداعوق وزير لبنان المفوض ، وعدنان بك الاتاسي وزير سورية المفوض ، وسمو السردار شاه ولي خان سفير افغانستان ، وقد طلبوا مرارا مقابلتنا دون ان يسمح لهم في بادىء الامر الى ان فاجأنا فؤاد بك حمزة الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية في باريس بزيارته ، فسررت بلقائه وعلمت منه بمساعي جميع الاصدقاء المذكورين لمقابلتي . واخيرا سمحت لهم السلطات الفرنسية بالمقابلة على ان تتم في بيت المسيو بونسو ، الذي دعانا واصدقاءنا المذكورين الى شرب الشاي

في بيته ودعا معهم مسيو « بالاي » مدير الشؤون العربية في وزارة الخارجية ومساعده « غيرامو »، وقال انه يأسف لغياب سفير افغانستان في سويسرة.

وكان اللقاء سارا ومؤثرا ، وكانت هذه اول مرة تقابل فيها احدا غير رجال الامن والموظفين الفرنسيين منذ وصولنا باريس ..

ودار معظم الحديث على الشؤون العربية والظروف الحاضرة ، وتحدث مسيو بونسو عن رغبة فرنسا في التعاون مع الدول العربية وتساءل عن افضل الوسائل لاعادة التمثيل الدبلوماسي بين فرنسا والعراق .

وفي ١٤ ـ ٨ ـ ١٩٤٥ الموافق ٥ رمضان زارني المستشرق المعروف « ماسينيون » مهنئا بشهر الصيام وحدثني عن سياحته في الشرق لدراسة احوال المسلمين وانه زار سورية والعراق وايران حيث قابل فيها صديقنا الشهير السيد ضياء الدين الطباطبائي الامين لعام للمؤتمر الاسلامي العام الذي عقدناه في القدس عام ١٩٣١ ، ثم زار الهند فقلت له انني سمعت بالراديو خطابه الذي ألقاه في دلهي عن اللغة العربية . ثم عرج على افغانستان وتركيا ولبنان ثم توجه الى مصر وقابل عبد الرحمن عزام باشاالذي قال له ان المفتي خير من يعمل للجامعة العربية ، وان اي سوء يصيبه يكون له اسوأ الاثر في العالمين العربي والاسلامي. واضاف ان عزام باشا بعث في شأني بمذكرة الى اللورد كيلرن (سفير بريطانيا السابق في مصر حينئذ) بواسطة مستر سمارت السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية وقال فيها انه اذا اسيء الى المفتي فان الثورة ستقع في فلسطين لا محالة . ثم تحدث مسيو ماسينيون عن ضرورة تعاون الاقطار العربية مع فرنسا لصالح الطرفين.

وبعد يومين زارنا دولة احمد بك الداعوق للتهنئة بشهر الصيام وابدى فيضا من كريم الشعور وصادق العطف والود وعلمت منه انه قابل مسيو بيدو رئيس الوزارة الفرنسية ومساعده مسيو شوفيل وحدثهما في شأننا وشأن اخواننا الذين بقوا في بادكشتاين بالمانيا وان القيادة العسكرية الامريكية نقلتهم تحت الحراسة الى سالزبورج ومنها الى فرانكفورت امابن.

وكان الاخ الصديق الدكتور معروف بك الدواليبي يتردد علينا حينـــا بعد حين مبديا كل اهتمام وعناية بامرنا .

واذكر ممن زارنا المرحوم الدكتور محمود عزمي رئيس وفد مصر الى الامم المتحدة حينئذ ، فكان مما قاله لي ان قبول الدول العربية للكتاب الابيض البريطاني الصادر عام ١٩٣٩ (وهو الكتاب الذي لامني بعض الناس لرفضي اياه قد كان خطأ ، وان تهافتهم عليه قد أعطى اليهود الحجة على انه مجحـف بهم ، وقالوا انه لوكان عادلا لما قبله العرب . ورغم قبول العرب للكتـــاب الابيض ظل اليهود رافضين له ، ولذلك لم تنفذ الحكومة البريطانية شيئا منه .

واذكر ايضا زيارة وفد لبنان الى الامم المتحدة لنا عندما مر بباريـس عائدا من نيويورك ، وقد كان من ابرز اعضائه المرحوم رياض بك الصلح ، وحميد بك فرنجية متعه الله بالصحة والعافية ، وقد لبى الوفد دعوتنا الـى تناول طعام الغداء وكانت فرصة سانحة انسنا فيها بهذا اللقاء . وكان ممـن رافق الوفد في تلك الزيارة الصحفي المعروف الاستاذ حنا غصن وكعادتنـا رجوناهم الا يطلعوا احدا على مكاننا ولكن صديقنا الاستاذ غصن من محرري جريدة «لوموند» الفرنسية استطاع ان يعرف مكاننا ، فلم تمض على تـلك الزيارة غير فترة قصيرة حتى ارسلت المخابرات اليهودية بضعة افراد من عصابة « ارغون تسفاي ليومي» الصهيونية لاغتيالي فأخذوا يتجسسون حول الدار لكنهم لم يستطيعوا الوصول اليها للحراسة المضروبة عليها ، فتسللوا الى المنزل المجاور وتسلقوا الاشجار الباسقة واخذوا عدة صور للدار تمهيدا لعمليـة الاغتيال .

وقد اعترف بهذا الحادث كاتب يهودي في كتاب نشره مشتملا عـلى مذكراتـه .

وبلغني ، من كل من احمد بك الداعوق والمرحوم عدنان بك الاتاسي ، ان السفير البريطاني زار وزارة الخارجية الفرنسية ، وطلب منها تسليـمي الى بريطانيا . وانه بعد زيارته لها بساعة قابل السفير الامريكي ، الذي لـم

يلبث ان قام بزيارة لوزارة الخارجية الفرنسية ، وعزز طلب زميله السفير البريطاني •

وفي تلك الفترة وصل الى باريس الجنرال « بينيه » المفوض السامي الفرنسي الاخير لسورية ولبنان ، وكان يحمل الي رسالة من الصديق المرحوم سامي بك الصلح رئيس الوزارة اللبنانية حينئذ ، فزارني في منزلي في « بوجيفال » وسلمني الرسالة ، ثم رددت اليه الزيارة في وزارة الدفاع حيث كان • وعلى اثر انتهاء زيارتي له رافقني الى السيارة مستشاره السيد انطوان رزق من افاضل اللبنانيين الذين عرفتهم خلال اقامتي السابقة في بيروت عام ١٩٣٧ ــ ١٩٣٩ فسألته عن سبب زيارة سفيري بريطانيا وامريكا لوزارة الخارجية الفرنسية في يوم واحد ، وعما بلغني من ان الحديث في تلك الزيارة كان في شأني • فأيد ذلك ملمحا الى ان امريكا وبريطانيا تضغطان بشدة على الحكومة الفرنسية لتسليمي ، ومشيرا الى التقرير الذي قدمه المسيو ليون بلوم الى الحكومة الفرنسية في هذا الشأن •

اما محاولة محاكمتي في نورمبرج فقد كانت على الصورة الاتية :

بذل اليهود الصهيونيون اقصى جهودهم لمحاكمتي كمجرم حرب في محكمة نورمبرج ، ولما كانت مواد القانون الذي اصدره الحلفاء في صفة مجرمي الحرب لا تنطبق علي ، فقد عمد اليهود الى تلفيق تهم تحقق لهم امنيتهم منها انني حرضت السلطات الالمانية النازية على ابادة اليهود ، واني كنت السبب في القضاء على ملايين منهم ، واني حرضت على يهود يوغوسلافيا وكنت السبب في القضاء عليهم ، كما انني كنت قبل ذلك المحرض على ثورة العراقيين على يهود بغداد •• ونحو ذلك من التلفيقات ••

وقد استطاعوا اغراء الهر كرومي ، (مساعد ايخمان) الذي علم ان اليهود يعدونه احد المسؤولين عن قتل اليهود في المانيا ، بان يدلي بشهادة كاذبة امام كاتب عدل سويسرة بانه شاهدني مجتمعا بايخمان وسمعني وانا احرضه واحرض غيره من الزعماء الالمان على ابادة اليهود ، وجعلوه يوقع على الشهادة

بعدما وعدوه بانقاذه من الاعدام•• ولم اكن اعرف كرومي ولم تكن له بي اية صلة ، ولكن الاعداء اغروه بتقديم شهادته مشفوعة باليمين الكاذبة (ورغم ذلك لم ينقذوه من الموت ، فأعدم مع غيره من الذين اعدموا في محاكمات نورمبرج)• ولهذه المناسبة اعيد هنا ما سبقت الاشارة اليه من ان اليهود حينما تمكنوا من اختطاف ايخمان من الارجنتين ، حيث كان مقيما ، وجاءوا به الى فلسطين المحتلة ، حاولوا اغراءه ليؤيد شهادة مساعده كرومي باتهامي ولكن ايخمان كان شريفا ، فأبى ان يفعل ذلك ونفى صلته بي•

وقد اغرى اليهود وزير خارجية يوغوسلافيا بان يقدم شكوى باتهامي الى محكمة نورمبرج وعلى اثر ذلك ارسلت المحكمة الى الحكومة الفرنسية طلبا بتسليمي اليها ، وجاء المسيو بونسو الى البيت الذي كنا معتقلين فيه، وسلمنا اوراق الاتهام ، فاخذناها منه للرد عليها ، وادحضنا جميع التهم التي حاولوا الصاقها بنا ، وشجبنا ان نكون من مجرمي الحرب ، وبذلك ردت الحكومة الفرنسية طلب محكمة نورمبرج ، ورفضت تسليمنا اليها •

وكانت المذكرة التي قدمها « بيرجسون» رئيس اللجنة اليهودية للتحرير القومي في الولايات المتحدة في شهر مايو ١٩٤٥، تشتمل على اربعة بنود اعتبرها اليهود كافية لاداتني بجرائم الحرب ومحاكمتي بموجبها • وتتلخص فيما يأتي :

١ ـ ان نشاط المفتي كمجرم حرب ، يرجع الى ما قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، فقد اثار حملة ارهابية في فلسطين سنة ١٩٣٦ مؤيدة من الالمان والطليان ••

٢ ـ على اثر نشوب الحرب نقل المفتي نشاطه الى العراق حيث دعم رئيس الوزراء في محاولة لقلب نظام الحكم ولوضع العراق في معسكر المحور، وبسبب ذلك قتل في هذه الفترة الوفا من اليهود كثير منهم قتلوا في بغداد •

٣ ـ انطوى نشاط المفتي في المانيا على اسوأ الفظائع التي اقترفت خلال الحرب • فبالاضافة الى تأليفه فرقة الـ اس• اس • البوسنوية الاسلامية،

كان مسؤولا عن ذبح المسلمين في يوغوسلافيا وغيرها من بلاد البلقان الذين تقاعسوا عن تأييد النازيين . ويقال انه اشرف بنفسه على المذابح في سراجيفو (كــــذا)!

٤ ـ تعاون مع كارل ايخمان قائد معتقل « اشويتز » على ابادة اليهود جماعات في غرف الغاز .

وكان اليهود استغلوا ظروف فرنسا في ذلك الحين وحاجتها الاقتصادية والسياسية الى الولايات المتحدة الاميركية ، وانتهزوا فرصة ايفاد المسيـــو ليون بلوم « اليهودي » رئيس الوزارة الفرنسية سابقا الى الولايات المتحدة، ليطلب منها ان تمد يد العون الى فرنسا التي كانت في حالة عسر شــــديد ، فاختاروه لبلوغ قصدهم لما يعلمون من تأثير اليهود على السلطات الاميركية والشعب الاميركي . فلما ارسل بلوم تقريره الى الحكومة الفرنسية عن مهمته، ذكر فيه ان الاميركيين يطلبون من فرنسا تسليمي الى بريطانيا ، بصفتها الدولة المنتدبة على فلسطين ، واكد في تقريره ان هذا الامر يهم الاميركيين كثيرا ويسهل مهمته في الحصول على مساعدتهم لفرنسا ..!

وركز اليهود مساعيهم على هذه القضية طيلة المدة التي اقمناها في فرنسا، فجاء « شرتوك » السكرتير السياسي للوكالة اليهودية حينئذ من لندن الــى باريس ليبحث مع الرسميين الفرنسيين في شأننا وتطورات قضيتنا . وكان يهمه بصورة خاصة ان يعرف مكان اقامتنا .

وجاء من تل ابيب « توبي ازازي » مدير الشؤون الشرقية في الوكالــة اليهودية وطلب مقابلة الاستاذ ماسينيون ليبحث معه في امرنا لكن ماسينيون رفض مقابلته .

وشاهد رجال الشرطة الذين كانوا يتولون حراسة منزلنا ، حاخام لافارين يمر من امام منزلنا ، وهو يلبس لباسا مدنيا . ودلالة هذا ان اليهود عرفوا مكان اقامتنا وانهم يرقبوننا فيجب علينا الانتقال الى مكان آخر .

وعلمنا ونحن في لافارين ان القيادة العليا لجيوش الحلفاء ، كانت قــد

ارسلت احد ضباط القيادة ليتسلمنا من القوات الفرنسية عند اجتيازنا الحدود السويسرية من المنطقة المحتلة ، الا ان السلطات الفرنسية رفضت تسليمنا .

ثم سمعنا من اذاعة لندن ان السيد عبد الرحمن عزام استقبل كلا من سفير فرنسا وسفير يوغوسلافيا في القاهرة مقابلة خاصة بنا وانه سلم سفير يوغوسلافيا مذكرة الى حكومته في شأننا .

تلك الظروف والاوضاع اشعرتني بالقلق والحرج ، فرأيت انه لا بد من مغادرة فرنسا ، ووطنت نفسي على ذلك في اول فرصة اتمكن فيها من تهيئة وسائل الخروج في تلك الظروف الصعبة ، التي لم تكن وسائل السفر فيها موفورة ، فقد كانت معظم المواصلات الجوية عسكرية ، وكانت المواصلات البحرية خاضعة لمراقبة شديدة . ولكنني صممت على الخروج من فرنسا باية وسيلة .

الصهيونية تدخل المعركة ضد المفتي

قال المفتي : لم ينفك اليهود منذ وصولي الى فرنسا ، على اختلاف مؤسساتهم وهيئاتهم ، يحرضون سلطات دول الحلفاء على محاكمتي كمجرم حرب . وهم موقنون انني وقعت في الشرك . وان هذه الفرصة السانحة للانتقام لانني ، بزعمهم ، شاركت في ابادة ملايين اليهود الذين قتلهم النازيون .

فقد اعلن الرئيس الاميركي « ترومان » بتاريخ ٢٥ـ٢ـ١٩٤٦ لوفد من اتحاد اليهود في اميركا « ان الجريمة التي ارتكبت تحت الحكم الهتلري ، والتي كان من ورائها ان قضى على خمسة ملايين وثلاثة ارباع المليون من اليهود سيلقى مرتكبوها جزاءهم العادل .. »

وحوالي ذلك التاريخ اعلن الاستاذ « برودتسكي » رئيس الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية ورئيس المنظمة اليهودية في بريطانيا في تصريحه :

« ان مفتي القدس يجب ان يعامل كمجرم حرب » .

وفي الجلسة الاخيرة التي عقدتها بتاريخ ٢ـ٣ـ١٩٤٦ لجنة التحقيق البريطانية ـ الامريكية التي ارسلت الى فلسطين ، واستمعت فيهااللجنة مرة ثانية الى شهادة بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية التنفيذية حينئذ ، وموسى شرتوك رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية يومئذ ووزير خارجية « اسرائيل » فيما بعد ، اخذ شرتوك يحرض اللجنة المذكورة على قائلا :

« لم يكد المفتي يصل الى برلين حتى اخذ يذيع منها داعيا العرب الى القيام بحملة تخريب وراء الخطوط البريطانية وانتظار اشارة منه للقيام بثورة عـامة ..

ووفقا لاعتراف احد النازيين البارزين في نورمبرغ (يقصد شرتوك بقوله هذا الهر كومي معاون ايخمان الذي خدعه اليهود وحرضوه على الادلاء بشهادة كاذبة ضدي مقابل انقاذه من الاعدام) ، فان المفتي كان احدالمحرضين الرئيسيين على حملة ابادة اليهود بالجملة .. الخ »·

وكانت جريدة « لوموند » الفرنسية الوثيقة الصلة بزعماء اليهـود والصهيونية قد نشرت في ٧ـ٢ـ١٩٤٦ مقالا في صدر صفحتها الاولى مملوءا بالدس والتحريض جاء فيه : « ان المفتي الذي اعتقلته السلطة الفرنسية في المانيا يقيم الآن تحت الرقابة في ضواحي باريس ، وتعتبره الدوائر البريطانية والحليفة مجرم حرب بسبب اعماله الموالية للهتلرية اثناء الحرب · وان «ادغار ماورد » مراسل جريدة « نيويورك بوست » كتب في هذا الخصوص انـه يستدل من التصريحات التي ادلى بها الدكتور رودلف كازنر ، بعد حلف اليمين، ان الحاج امين الحسيني هو الذي وضع خطة لابادة خمسة ملايين يهـودي، وانه هو الذي اقترح على هملر مرارا ابادة يهود اوروبا ، معتبرا ذلك حلا سهلا لقضية فلسطين ، ترى الم يسمع قضاة نورمبرغ باسم هذا المفتي ؟ وهل هناك موظفون بريطانيون وامريكـيون او فرنسيون معـارضون في كشف هذه القضيـة ؟»

ثم اضافت « لوموند » قائلة : «ومن المعلوم ان المفتي الاكبر ، بعد أن دبر المذابح في فلسطين ، التجأ في عام ١٩٣٨ الى سوريا والعراق· وفي بغداد

كان المفتي المحرض على قيام ثورة رشيد عالي ، وبعد فشل هذه الحركة لجأ الى المانيا ، حيث اصبح رئيس جيش التحرير العربي » .

وكان اعوان اليهود وعملاؤهم من نواب بريطانيين وغيرهم ، ولاسيما من حزب العمال الذي يحتوي عددا غير قليل من النواب اليهود وعمـــلاء الصهيونية ، ما انفكوا منذ وصولي الى فرنسا ، يثيرون هذه المسألة في مجلس العموم البريطاني ، ويوجهون الاسئلة الى وزارة الخارجية البريطانية ، لتظل المسألة حية وعالقة في اذهان ساسة بريطانيا ودول الحلفاء . فمن ذلك انمستر بيفن وزير الخارجية رد على سؤال في مجلس العموم يوم ١٣ــ١٢ــ١٩٤٥ « عما تم في مسألة امين الحسيني مفتي فلسطين المعتقل الان في احد المنازل» ، فقال : انه قدم الى الحكومة الفرنسية طلبا في شأنه . وانه لا يستطيع ان يضيف شيئا الى اجاباته السابقة في هذا الشأن .

ولما سألته النائبة المس بلانش قائلة : «أليس من الصواب ان يسلم هذا الرجل الى السلطات الفلسطينية (اي الحكومة البريطانية في فلسطين) نظرا الى كونه انزل اعظم الضرر بقضية الحلفاء؟ اجاب المستر بيفن قائلا : « اني لا اشتهي ان اراه يعود الىفلسطين!»

ومن ذلك ان مستر ج. هوى من نواب حزب العمال وجه سؤالا في ٢٥ــ٢ــ١٩٤٦ الى مستر هكتور ماكنيل وكيل وزارة الخارجية عما اذا كان قد استرعى نظره المستندات التي قدمت في قضية جرائم الحرب في نورمبرغ عن الدور الذي قام به الحاج امين الحسـيني باثارته المشروع النازي لافنـاء اليهود في اوروبا والتشجيع على تنفيذه ؟.

فرد ماكنيل بان هناك تحقيقا خاصا يجري بشأن الحاج امين الحسيني مفتي القدس ، للوقوف على وثائق دقيقة عن اية ادلة خاصة بهذه المسألـــة قدمت الى محكمة نورمبرغ الدولية .

وفي ٢١ــ٢ــ١٩٤٦ اذاع مراسل رويتر من مدينة كليفلاند بولايةاوهايو

الامريكية ان اليهود عقدوا مؤتمرا عاما طلبوا في نهايته محاكمة مفتي فلسطين بصفتــه مجرم حرب !

وقد اثارت هذه الدسائس والمؤامرات اليهودية ، الصحافة العربية في لبنان وفلسطين ومصر وغيرها ، فانبرت للدفاع عني وادحاض مزاعم الاعداء.

يتضح موقف الحكومة الفرنسية من مسألة تسليمي او اخلاء سبيلــي، فيما نشرته جريدة « باري بريس » الفرنسية في ١٠ نيسان ١٩٤٦ (الطبعــة السادسة) تحت عنوان : «فرنسا لا تريد تسليم المفتي الاكبر ، الذي تحتفظ به في اقامة تحت المراقبة ».. وهذا ملخصه :

« اثناء التعليق على برقية من مصدر اجنبي ، جاء فيها ان فرنسا سترفض على ما يظهر اطلاق سراح مفتي القدس الاكبر امين الحسيني.

« لقد صرح في الكي دورسيه (وزارة الخارجية الفرنسية) ان الحكومة الفرنسية لم يصلها اي طلب من قبل حكومة عربية من اجل عودته الىفلسطين او الى بلد ما من الشرق الاوسط .

« ان المفتي يعيش حاليا تحت حماية فرنسا . انه حر ويعامل بكــــــل الاحترامات الواجبة نحو مقامه ، وطبقا لاحكام دينه . وتقوم الشرطة بحراسة مكان اقامته الواقع في مكان ما في منطقة باريس .

« وقد صرح متحدث باسم « الكي دوروسيه » بان بريطانيا العظمــى طلبت في الواقع تسليمها المفتي ، غير ان بريطانيا اجابت على استيضاحــات مقدمة من الحكومةالفرنسية بان المفتي غير مذكور في القائمة البريطانيـــة لمجرمي الحرب.. وبالنتيجة فان فرنسا قررت الا تستجيب للطلب البريطاني.

واضاف المتحدث ان طلب الحكومة البريطانية غير موافق لاحكامالقانون الدولي ».

لهذه المناسبة نشرت الدايلي ميل الانكليزية بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٤٦ مقــالا جاء فيه :

« اميط اللثام في باريس عما يبدو انه تغيير في وجهة نظر الحكومة الفرنسية ، بأن المفتي ليس معتقلا ، ولا توجد قيود من اي نوع على حركاته، وهو يعيش تحت حراسة البوليس ومنزله سر مكتوم لاعتبارات تتعلق تتعلق بسلامته .. وان ناطقا بلسان وزير الخارجية الفرنسية صرح قائلا انه اذا شاءت اية دولة عربية قبوله او دعوته الى بلادها فان الحكومة الفرنسية لا تقيم اية عقبة في سبل تنقلاته » .

واضافت الديلي ميل تحت عنوان (مفاجأة) قائلة ان الاعلان بان المفتي « حر » في فرنسا كان له وقع مفاجيء في باريس ، وربما ان الحكومة الفرنسية قد غيرت موقفها تجاهه .. والمكان الذي يقيم به مكتوم كتمانا شديدا ، مما جعل مراسلي الصحف يفشلون في الاتصال به ، ويلازمه رجال من الشرطة لحمايته فقط ، كما اوضح ذلك موظف وزارة الخارجية الفرنسية أمس ».

ثم أضافت الجريدة ان الحكومة البريطانية طلبت مرارا من الحكومة الفرنسية خلال مدة اقامتي بفرنسا ان تسلمني اليها ، وان السلطات الفرنسية رفضت ذلك ، لان تسليمي اليها ، دون اسباب كافية ، مخالف لاحكام القانون الدولي.

وعلى اثر اعلان وزارة الخارجية الفرنسية موقفها السليم من قضية حريتي، ورفضها الخضوع لمطالب بريطانيا ومساعي المنظمات اليهودية العالمية، وجهت الى وزير الخارجية الفرنسية كتاب الشكر التالي:

« باريس ١٢ ابريل ١٩٤٦

« حضرة صاحب المعالي وزير خارجية الجمهورية الفرنسية ..

« لقد اطلعت بسرور كبير على البيان المنشور في الصحف بتاريخ ٨ ابريل سنة ١٩٤٦ من قبل المتكلم بلسان وزارة الخارجية الفرنسية فيما يختص بالمعاملة التي أعامل بها في فرنسا ، والذي ورد فيه ان الحكومة

الفرنسية لن تضع اية عراقيل في سبيل سفري الى احد البلاد العربية اذا شاءت قبولي او دعتني اليها .

وانني اذ اتقدم بالشكر الجزيل الى الحكومة الفرنسية على تصريحها هذا ، وعلى حسن معاملتها اياي طيلة اقامتي في هذه البلاد ، واود ان اشير لهذه المناسبة الى الاسباب والظروف التي أدت الى التجائي اليها :

« ١ ــ ان سبب خروجي من فلسطين ثم سفري الى اوروبا يرجع في الاصل الى السياسة الجائرة التي اتبعت في فلسطين منذ ثمان وعشرين سنة ، والتي تستهدف تحويل هذا الوطن العربي الآهل بسكانه منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا ، الى شعب آخر ، مما يؤدي الى القضاء المبرم على كيان هـــذا الوطن ، ويهدد سكانه بالابادة والفناء . وان معارضتي الطبيعية المنطقية لهذه السياسة الغاشمة ، وعدم موافقتي عليها ، كـــانت السبـــب الحافز للسلطة البريطانية في فلسطين لمحاولة القبض علي في شهر اغسطس ١٩٣٧ واعتقالي في جزيرة نائية . ولكنني نجوت من تلك المحاولة ، ولجأت الى لبنان مدة عامين لقيت خلالهما من فرنسا احسن معاملة . وبعد اعـــلان الحرب سنة ١٩٣٩ وتشديد الضغط من قبل الحكومة البريطانية من اجل تسليمي ، اضطررت للجوء الى العراق ثم الى ايران . ولما احتلت ايران في خريف ١٩٤١ اعـــلن الجنرال ويفل جائزة بمبلغ ٢٥ ألف جنيه في سبيل القبض علي ممـــا اضطرني لمغادرة ايران الى تركيا . ولما لم تقبل هذه لجوئي اليها لم يبق لي منـــــاص من اللجوء الى اوروبا . فيتضح لمعاليكم مما سبق بيانه ان لجوئي الى اوروبا يرجع الى مطاردة السلطات الانكليزية اياي منذ سنة ١٩٣٧، اي منذ بضـــع سنوات قبل هذه‌الحرب ، وليس لاسباب تتعلق بهذه الحرب .

« ٢ ــ ان الزعم بانني جندت المسلمين البشناق ضد الحلفاء لا يتفق مع الواقع فالحقيقة هي ان عصابات « الشتنيك » التابعة للجنرال ميخائيلوفيتش هاجمت المسلمين البشناق وقتلت ما ينوف على ٢٠٠ الف من رجال ونساء وأطفال ، دون ان تقوم دول المحور بالدفاع عنهم رغم احتلالها لبلادهم ، مما

اضطر المسلمين الى تشكيل قوات من ابنائهم ، لمجرد الدفاع عن انفسهم ضد العصابات المهاجمة • وقد حول الالمان بعد ذلك قسما من هذه القوات الى فرقة مختلطة من البشناق المسلمين والكاثوليك ، بقيادة ضباط المان ، ولم يكن لي دخل في تنظيمها كما شرحت ذلك في المذكرة التي قدمتها الى الحكومة الفرنسية في صيف ١٩٤٥•

« ٣ ـ عند انتهاء الحرب لجأت الى البلاد الفرنسية ، حيث اقمت منذ نحو سنة ، ولم اقم طيلة هذه المدة بأي عمل سياسي ضد احد •

« وانني في الختام اذ اكرر شكري للجمهورية الفرنسية على حسن صنيعها ، الذي سيكون له احسن الاثر في توثيق العلاقات بين فرنسا والبلاد العربية ، ارجو ان تتفضلوا بقبول فائق الاحترام •»

(التوقيع)

ولهذه المناسبة ، اورد هنا ان معالي الاستاذ عبد الرحمن عزام باشا الامين العام السابق لجامعة الدول العربية ، ارسل حينئذ كتابا الى لجنة التحقيق البريطانية ـ الاميركية في شأن العرب المبعدين عن اوطانهم والمشردين في مختلف بلاد اوروبا ، المعتقلين منهم والمسجونين ، وذلك بناء على ما قرره مجلس جامعة الدول العربية من لزوم السعي لدى الجهات المختصة في شأنهم• وقد وجه معاليه نظر اللجنة الى ما هنالك من فوارق في المعاملة بين هؤلاء العرب وبين اليهود ، اذ بينما يرزح العرب تحت نير الضيق ويكابدون آلام التشرد او الاعتقال ، يتمتع اليهود بكامل حريتهم في التنقل والاقامة حيث يشاءون ، واضاف معاليه في كتابه ان من واجبه ان يلفت نظر اللجنة الى امر هذا الفريق من العرب ، حتى تنتهي محنتهم ، ويمنح المبعدون حق التنقل والاقامة حيث يريدون والعودة الى وطنهم (وذكر اسمي على رأس هذا الفريق)•

وصرح معاليه قائلا :

« لقد اعربت من قبل عن وجهة نظري في مسألة الحاج امين الحسيني،

وقد قامت الجامعة العربية من جانبها بمساع دبلوماسية لتسليم المفتي الى العرب، وليس الى بريطانيا لكي تقدمه الى المحاكمة • واني اشكر الحكومة الفرنسية للمساعدة التي قدمتها اليه ، كما انني واثق بانها ستوافق على طلب الجامعة العربية السماح للمفتي بالاقامة في البلد الذي يختاره »•

وعندما كنت في باريس كتبت مرارا الى معالي عزام باشا ، في شأن خطر الهجرة اليهودية الى فلسطين التي يطالب بها اليهود وتدعمهم فيها الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ، وضرورة وقوف جامعة الدول العربية منها موقفا حازما ، وقد تناولت رسائلي اليه ايضا موقف اليهود من قضيتي ، ومطالبتهم بتقديمي الى محكمة نورمبرغ ، وتحريضهم حكومة يوغوسلافيا على ذلك ، فوردتني منه ثلاث رسائل ردا على رسائلي ، كانت الاولى في ٢٥ـ٩ـ١٩٤٥ من القاهرة ، وقد اشار فيها الى وصول كتبي اليه ، وانه لم يدخر وسعا في المسعى في سبيل حريتي سواء مع البريطانيين او مع اليوغوسلافيين ، وانه ابلغ الحكومة اليوغوسلافية اسف العرب على تدخلها في طلب محاكمتي كمجرم حرب ، وان العرب يعتبرون عملها اكبر اساءة لهم ، وان الحكومة المصرية أيدته في ذلك •• الخ•

ثم تلقيت منه رسالة ثانية من لندن في ١٧ـ١٠ـ١٩٤٥ اشار فيها الى وصول رسائلي •• وان المعركة مع اليهود حامية جدا ، وان وسائل العرب محدودة ، ولكن عناية الله اعظم من كل شيء ، وانه يوافق على ان الامرليس أمر هجرة ١٥٠٠ يهودي ولكنه المبدأ • ثم اشار الى مسألتي وقال :« انه لا يدخر وسعا فيما يستطيع عمله لانقاذ اي عربي بل اي مسلم »•

وآخر رسالة وصلتني منه قبل خروجي من فرنسا كانت من القاهرة وتاريخها ١٥ـ٢ـ١٩٤٦ وقد اعرب فيها عن عاطفة شريفة ومودة صادقة، وقال « انه بذل ما امكنه من المساعي لتحقيق الحرية لكل العرب المبعدين، وان الامور مرهونة بتيسير الله ، واشار الى ما يجده من متاعب ومشاق لا حد لها ، حتى ممن ينتظر منهم العون • وان من الصعب الوقوف بجانب الحق والحرية »•



الفصل السادس عشر

من فرنسا الى مصر



المفتي في صورة تاريخية مع الرئيس محمد نجيب وعدد من رجالات العرب



اسماعيل صدقي انتقد لجوء المفتي



السفير البريطاني مايلز لامبون احتج لدى الحكومة المصرية



محمود فخري باشا سفير مصر في باريس ساعد المفتي



المفتي مع الدكتور معروف الدواليبي في لبنـــان

قرر المفتي مغادرة فرنسا من اول فرصة تسنح له ، وباية وسيلة ، خاصة بعد ان بدأت الصحف الصهيونية تشن حملتها ضد وجوده في فرنسا.. وبدأ المفتي يتساءل الى اي بلد عربي سيلجأ هذه المرة؟

وقرر اللجوء الى القاهرة .

وفيما يلي يروي المفتي تفاصيل فراره من فرنسا .

ان الدور الاول والجانب الاهم في تلك المغامرة فقد قام به الصديق الكريم الدكتور معروف الدواليبي (رئيس وزراء سورية فيما بعد) فقد شاء له خلقه الكريم ان يعطيني جواز سفره .. واقتضى هذا تبديل الصورة وتغيير اللباس وحجز مكان ما في طائرة مسافرة من باريس الى القاهرة .. وكان ركاب الطائرة خليطا من مدنيين وعسكريين .. ولم يحدث عائق في مطار (اورلي) الذي قامت منه الطائرة من باريس الى روما .. وفي روما فحص المختصون جوازات سفر الركاب . وكان الجو رديئا فقضينا الليل في احد الفنادق .. وفي الصباح التالي استأنفنا السفر الى ميناء (بيريه) في اليونان

حيث هبطت الطائرة للتزود بالوقود ومنها استأنفنا السفر الى القاهرة .. ولحسن الحظ لم يكن من يعرفني بين ركاب الطـــائرة . وفي المساء هبطت الطائرة في مطار (بن فيلد) الذي اصبح الانمطار القاهرة الدولي . ولما تـم فحص جوازات الركاب وخرجت من المطار ، تنفست الصعداء وحمدت الله على السلامة ورددت قول البوصيري :

عناية الله اغنت عن مضاعفة   من الدروع ، وعن عال من الاطـم

ولم اشأ الركوب في السيارة المعدة لنقل الركاب واثرت سيارة اجـرة عادية فنقلتني الى فندق ميتروبوليتان بالقاهرة ..

اما اختياري السفر الى القاهرة فقد كانت له اسباب عدة ، من اهمهـا انا في باريس كنا على اتصال ببعض اخواننا في القاهرة لنظـــل على صلـة بالحوادث في تلك الظروف ، وان القاهرة كانت مركز الثقل في العالم العربي وفيها جامعة الدول العربية ، وانها (اي القاهرة) متاخمة لفلسطين حيث يتوقع استئناف الصراع الدامي بين الفلسطينيين واليهود . وكان بعض الاصدقـاء يحملون الينا رسائل من القاهرة بين حين وآخر . وكان مؤتمر بلودان قـد انعقد للنظر في شؤون القضية الفلسطينية ، لكنه لم يسلم من دسائس المخابرات البريطانية ، ومحاولات ذوي الاغراض والاهواء وكانت اليهودية العالمية قد جندت كل قواها للفوز في معركة فلسطين من ناحيتها السياسية والعسكريـة حملت بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية على ان تلقيا بكل ثقلهما في المعركة، وكانت لهما الكلمة العليا حينئذ في شؤون العالم عامة والشرق العربي خاصة، بعد انتصار الحلفاء وانهيار دول المحور . ففي تلك الحال لم يكن البقـــاء في فرنسا محمودا ، ولم يكن يخلو من الخطر ، ولذلك غامرت بالسفر الـــى القاهرة ، ويسر الله سبيلي اليها دون عائق .

وكنت قبل سفري قد اعددت كتابا الى وزارة الخارجية الفرنسيـــــة ، وكلفت الاستاذ محمد اسحق درويش بإيصاله اليها . اما ما حدث بعدذلك فقد

فصله المسيو فوشيه مراسل مجلة (المصور) المصرية من باريس ونشرته المجلة في عددها الصادر بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٤٦ ، كما يلي :

« بعد ظهر يوم السبت ، غادر الاستاذ محمد اسحق درويش ، ابن اخت المفتي ، الدار القائمة على قمة مرتفعات بوجيفال ، والمشرفة على نهر السين ، في طريقه الى وزارة الخارجية . وكان يحمل الى المسيو (بونو) مدير قسم افريقيا والشرق الادنى في الوزارة رسالة من الحاج امين الحسيني ، كان لها وقع القنبلة ! فهو يبلغ الحكومة الفرنسية بانه اضطر الى السفر (متخفيا) وانه لما كانت الحكومة الفرنسية قد اعلنت في شهر ابريل الماضي انها لا تمانع في سفره من بلادها ، فقد اعتبر نفسه حرا من كل قيد ، وعزم على مغادرة فرنسا ، وكان يود ان يغادرها جهارا ، لولا انه شعر ان اعداءه يوالون تعقبه ، وان حياته قد تصبح في خطر ولذا آثر ان يكون بالقرب من اولئك الذين وقف على خدمتهم حياته .

« ولم ينس سماحته ان يختم رسالته بشكر الحكومة الفرنسية على حسن ضيافتها واسفه لما قد يجره لها رحيله من متاعب » .

ثم أشار المراسل الى ان الحكومة الفرنسية بدأت التحقيق في الحال لمعرفة الظروف التي احاطت بالحادث ، والى ان رفاق المفتي والمتصلين به قالوا انه لم يطلعهم على ما أقدم عليه ، وان الشعور بالقلق على حياته كان قد ازداد شدة في المدة الاخيرة ، وكثيرا ما رأى اشخاص مجهولون يطوفون حول الدار وكان كلب الحراسة وهو من كلاب الرعاة يكثر من العواء في الليل ..

واضاف المراسل ان الرسالة الى وزارة الخارجية مؤرخة في ٢٨ مايو ، ولكنها لم تسلم الا في ٨ يونيو ، واستنتج من ذلك ان السفر حدث بين المدة الواقعة بين تاريخ الرسالة ويوم تسليمها . وقد ادعت بعض الصحف ان المفتي لجأ الى احدى السفارات الاجنبية ، ولكن ثبت بعد ذلك انه غادر الارض الفرنسية كلها .

ونشرت المجلة في مكان آخر من نفس العدد « ان انباء خاصة وصلت الى الدوائر العربية ، تفيد ان الحكومة الفرنسية كانت على وشك ان تقرر تسليم المفتي الى الحكومة البريطانية ، وان الحكومة الفرنسية اتخذت هذا القرار اثر عودة المسيو ليون بلوم من اميركا ، حيث نجح في عقد قرض كبير هناك وان ليون بلوم تباحث مع الحكومة الاميركية ، ومع الاوساط المالية الاميركية في قضية المفتي، ثم تمكن بعد عودته الى فرنسا من اقناع حكومته بتسليم سماحته ، فيكون المفتي قد غادر فرنسا في الوقت المناسب .»

وفيما بعد نشر كاتب يهودي يدعى موريس بيرلمان كتابا في لندن عام ١٩٤٧ عنوانه (مفتي القدس ـ قصة الحاج امين الحسيني) تطرق فيه الى مسألة خروجي من فرنسا فقال :

« أقام مستر داف كوبر (سفير بريطانيا في باريس عندئذ) حفلة بمناسبة يوم النصر في ٨ حزيران ١٩٤٦ في حديقة السفارة البريطانية في باريس، وكان المسيو بيدو وزير خارجية فرنسا احد المدعوين ..

« وقد وصل متأخرا حاملا معه النبأ المهم بان الحاج امين الحسيني مفتي القدس ، قد اختفى من الفيلا ، حيث كان يقيم تحت المراقبة منذ انتهاء الحرب.

(ولم يكن اسم الحاج امين الحسيني اسما جديدا يحتل لاول مرة الصفحات الاولى في العالم ، وكذلك لم يكن اختفاؤه الغريب (اللغز) مغامرة جديدة له ، لكن مغامرته هذه المرة كانت اكثر اثارة ، وتعاقبت التكهنات ، عدة ايام والاشاعات الواحدة تلو الاخرى ، عن مكان اقامته، والسبيل التي سلكها للفرار).

ثم زعم الكاتب اليهودي ان المسيو بيدو قال انني قطعت عهدا للحكومة الفرنسية بانني لن احاول مغادرة فرنسا ، وهو زعم كاذب ، فانني لم اقطع اي عهد من هذا القبيل ..

ثم استرسل بيرلمان فكتب عني ما املته عليه اهواؤه وصهيونيته ، حتى

ان كاتبا صهيونيا اخر اسمه (جوزيف شختمان) الف كتابا اخر عنوانه « المفتي والفوهرر » ، انتقد في مقدمته كتاب بيرلمان هذا ، وقال انه مكتوب بصورة عدائية على طول الخط ، وبشكل غير لائق بالسمعة والكرامة بالنسبة للموضوع .

وقد نشرت الاهرام رسالة مطولة لمراسلها من باريس تاريخها ٣٠ يونيو ١٩٤٦ في هذا الموضوع جاء فيها :

« وعلى اثر التصريحات الرسمية بان فرنسا لا تعرقل سفر المفتي ، يقول اخصاؤه المقربون منه انه اعتبر نفسه حرا يستطيع ان يسافر في الوقت الذي يراه مناسبا ، وانه اخلى من اي تعهد سابق » .

« ويحتمل ان يكون المفتي قد اعرب في خطابه انه يأسف لان وجوده سبب متاعب لفرنسا ، وان اطالة اقامته فيها تعرضه للخطر يوما عن يوم ، على الرغم من الوسائل التي تتخذها السلطات الفرنسية لحمايته اذ ان اعداءه يوالون البحث لكشف مقره » .

« ولهذه المناسبة اشير هنا الى ان مسيو بونو وكيل وزارة الخارجية الفرنسية وجه كتابا الى مدير بوليس باريس هذه ترجمته :

(لي الشرف ان احيطكم علما بان سكرتير الاتحاد العربي في مصر ، بعد مفاوضات مع الشخصيات الاسلامية في الشرق الاوسط ، ابلغ مفوضيتنا في مصر عن خشيتهم من وقوع اعتداء على حياة الحاج أمين الحسيني المفتي الاكبر من الارهاب الصهيوني الذي تقوم به جمعية (شترن) السرية الارهابية ..

(ومع انه ليس لدينا من المعلومات ما يؤكد هذا ، فقد رغبنا في اطلاعكم على هذا الامر لتتخذوا مع من يخصهم الامر الاحتياطات اللازمة لحمايته ورفاقه) .

عن وزير الخارجية بونو

(وعلى الرغم من رغبته في ان يعود الى بلده بالطريق المشـــروع فان الظروف قد اكرهته على ان يحيط هذه العودة باشد التكتـــم • ولم ينبيء بسفره اي شخص من اصدقائه العرب)•

(وقد حملته الحالة في فلسطين ، التي تجتاز ادق المراحل في تاريخها ، على تعجيل سفره ، وقد قال لوزارة الخارجية انه لن ينسى حســن الضيافة والمعاملة الطيبة التي عاملته فرنسا بها)•

واضاف مراسل الاهرام :

وتساءل بعض المقامات العربية في باريس عما اذا كــان لرحلة المسيو بلوم الى اميركا علاقة في تعجيل سفر المفتي • اذ يؤخذ من المعلومات التـــي تلقتها المقامات العربية ان الهيئات الصهيونية ، التي ساعدت المسيو بلوم في مفاوضاته الاخيرة ، انما ساعدته وهي مشترطة عليه ان يساعدها عند عودتـــه على تحقيق مساعيها فيما يختص بالمفتي الذي يطلب الصهيونيون تسليمه •

ولم تستطع الصحف الفرنسية الى الان ان تستقي المعلومات عن الطريقة التي غادر بها المفتي فرنسا • فالمقربون منه يقولون ان رحلته محفوفة باشـــد المخاطر ، فلا يستطيعون ان يدلوا بأي معلومات في هذا الشأن ••

« وقد علمت ان الاميرة شويكار نــقلت معها من مصر خطــابات على جانب عظيم من الاهمية للمفتي ، على انها لم تتمكن من ان تسلمه اياها ، لانه كان قد سافر عندما وصلت الى باريس »•

ويضيف المفتي :

كان لبنان في طليعة الاقطار العربية التي تابعت تنقلاتي ، وتصدت للدفاع عني ، على اثر خروجي من المانيا الى سويسرة ومنها الى فرنسا ، وخلال وجودي في فرنسا ، وبعد سفري منها الى البلاد العربية ، ولا عجب فلبنان قطر عربـــي اشتهر بحبه للحرية ودفاعه عن الاحرار • وقد كنت لقيت في لبنان كل ترحيب وحفاوة خلال اقامتي به عامين كاملين ما بين ١٩٣٧ــ١٩٣٩ بعد خروجي مـــن فلسطين ، وهو ما اتذكره ولا انساه ، واقدره حق قدره •

ففي اليوم السابع من شهر ايار ١٩٤٥ تناقلت الانباء العالمية والمحلية في لبنان خبر الطائرة التي حملتني وبعض اخواني من بادكشتاين بالمانيا الى سويسرة ورفض السلطات السويسرية قبولي لاجئا سياسيا واعادتنا الى الحدود وفي اليوم التالي لذلك الحادث كان اعلان الهدنة بين دول الحلفاء والمانيا، فانطلق الناس الى الشوارع يحتفلون لهذه المناسبة معلنين سرورهم لانتهاء الحرب ، ولكن الصفوة من الوطنيين اللبنانيين كانوا يعلمون في قرارة نفوسهم ان انتصار الحلفاء كان يعني انتصار الصهيونية وان انهيار المانيا حينئذ كان يعني ضياع فلسطين وسقوطها غنيمة لليهودية العالمية ، المتآمرة مع بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية ، فلم يلبثوا ان هتفوا بسقوط الصهيونية وحياة فلسطين عربية ، وما لبثت الجماهير المتظاهرة ان انضمت اليهم ، ولم تلبث المظاهرة الكبرى بالهدنة ان انقلبت الى مظاهرة وطنية هادرة ، وسارت الوف الجماهير هاتفة بحياة فلسطين وزعمائها المجاهدين ،وظلت تطوف الشوارع على هذا النحو الى ساعة متأخرة من الليل •

لكن نبأ هذه المظاهرة الكبرى لفلسطين ومجاهديها لم ينشر في الصحف اللبنانية ، لان الكولونيل ستيفن المراقب العام البريطاني للصحف والانباء منع نشره ، وصدر بلاغ مقتضب اذيع في اليوم التالي جاء فيه (ان الجيش البريطاني قام بترحيل المتطوعين الفلسطينيين من لبنان)•!

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر ايار نشرت الصحف اللبنانية نص (عريضة) تحمل تواقيع نخبة من وجوه اللبنانيين ، من النواب ورجال الاحزاب والمنظمات ورجال الصحافة والفكر ، موجهة الى رئيس الوزراء اللبنانية يومئذ سماحة الشيخ عبد الحميد كرامة ، رحمه الله ، يطالبون فيها الحكومة اللبنانية بالسعي لدى (السلطات الحليفة) لاعادتي الى الوطن • وكذلك نشرت الصحف عرائض وبيانات اخرى كثيرة حول هذا الموضوع تباعا •

وابدت الهيئات والصحف الوطنية اهتماما كبيرا لقضية فلسطين ،وعقدت اجتماعات وطنية عديدة انتصارا لها ، واحتجاجا على موقف اميركا وبريطانيا من قضية فلسطين ، وتأييدهما للقضية الصهيونية ، ودعت منظمتا النجـــادة والكتائب الى الاضراب تضامنا مع (الشقيقة فلسطين) وطالبت الصحـــف والهيئات بعودتي الى الوطن العربي، وباطلاق سراح اخواننا المبعدين والسجناء وعودتهم الى الوطن •

وقد اثارت انباء البرقيات ، القائلة ان الحكومة الاميركية ارسلت مذكرة الى الحكومة الفرنسية تؤيد فيها طلب الحكومة البريطانية تسليمي اليهـا ، استياء الشعب اللبناني واستفزته ، فاعلن استنكاره لذلك المفوضيتـــين الاميركية والبريطانية ، وقدم (الشباب الوطني) مذكرة احتجاج الى وزير اميركا المفوض بتاريخ ١٦ نيسان ١٩٤٦• وقد بلغ من استياء الشعب اللبناني واستنكاره للموقف البريطاني ـ الاميركي ان ألقيت قنابل على المفوضيتـين البريطانية والاميركية مساء ٥ آب ، فأحدثت فيهما ضررا بالغا ، وكان هـذا اول حادث من نوعه يقع في البلاد العربية ، ولا سيما لبنان ، واعتبر هذا العمل تعبيرا عن سخط الرأي العام على الموقف البريطاني ـ الاميركي •• وفي اليوم الثاني ألقي القبض على الوطني الشهم السيد محمد رستم طبارة وعدد مـن الشبان الوطنيين ، وأوقفوا عدة ايام ••

وكان للصحافة اللبنانية موقف نبيل في ذلك الحين ، ولا سيما صحف الهـدف والصيـاد ، واصحـابها الافـاضل زهـير عسـيران وسـعيد فريحة ، التي لم تنفك عن نشر المقالات والانباء والصور ذات العلاقة بالموضوع كما ان المظاهرات الحاشدة والاضرابات العامة كانت تحدث في كل مناسبة •

قبل تفصيل ما حدث بعد خروجي من باريس ووصولي الى القاهرة،اشير باقتضاب الى وقع ذلك الحادث في نفوس الصهيونيين وعملائهم وفي الدوائر البريطانية والاميركية • فمن ذلك ما اورده اليهودي الصهيوني جـوزف شختمان في كتابه « المفتي والفوهرر » من ان عضو الكونغرس الامريكـي

« ايمانويل كيللر » تقدم بطلب الى وزير الخارجية « جيمس بيرنز » بـأن تبادر الحكومة الامريكية بالعمل على تقديم المفتي الى محكمة نورمبرغ مع كبار مجرمي الحرب وان تجري المحاكمة بالسرعة الممكنة ، ثم انذر الوزير بان المناورات الديبلوماسية البشعة قد ينتج عنها بقاء المفتي حرا طليقا ، وقال ان اي تقصير في متابعة المفتي يفسر في الشرق كله بانه ضعف من جانب البريطانيين والامير كيين .

واضاف شختمان ان « بارتلي كروم» عضو لجنة التحقيق الانكليزية ـ الامريكية بشأن فلسطين (المعروفة باسم لجنة انسكوب وهو من اشد أنصار الصهيونية) ارسل في ١١ حزيران ١٩٤٦ (بعد خروجي من باريس) برقية الى وزير الخارجية الامريكية « بيرنز » ألح فيها على الولايات المتحدة، بان تعمل مع الحكومة البريطانية على اتخاذ جميع الاجراءات والتدابير الضرورية للقبض على المفتي وتسليمه للمحاكمة ، وقال في برقيته : « هل لي ان اقترح بكل احترام ان تحصل وزارة الخارجية من السجلات الرسمية الموضوعة تحت تصرف الادعاء في محاكم مجرمي الحرب في نورمبرغ ، وفيينا وكذلك من دائرة مخابراتنا الامريكية ، على صور من الاتفاقات المكتوبة بين المفتي والحكومة النازية ؟ فاجاب وزير الخارجية بانه لا يعلم عن اية خطة للولايات المتحدة لسؤال فرنسا عن الكيفية التي غادر بها المفتي باريس . واضاف : وليس لدى وزارة الخارجية معلومات عن هذا الموضوع وهي غير مستعدة ان تبحث فيما اذا كان المفتي مجرم حرب ».

ولما مضت ايام على خروجي من فرنسا دون ان يظهر لوجودي اي اثر في اي قطر عربي او اجنبي، اخذت وكالات الانباء العالمية والصحف تنشر مختلف التكهنات . ففي فلسطين منعت السلطات البريطانية نشر اي نبأ يتعلق بي . وقد عطلت احدى الصحف مدة اسبوعين لانها ذكرت اسمي. وقالت برقية لوكالة اليونايتدبرس من القدس ان الاذاعة البريطانية لما اذاعت نبأ اختفائي اخذ الفلسطينيون يفتحون الراديو على لندن للاستماع الى انباء

اذاعتها واضافت الوكالة « ان العرب لم يساورهم اي قلق لعدم وجودمعلومات حقيقية عن المكان الذي وصل اليه المفتي لان دمشق او مكة او المدينة هـي منزل للحاج امين كما هي القدس كما صرح بذلك الاستاذ عوني عبد الهادي الناطق باسم اللجنة العربيةالعليا ، وان الجو السعيد بقرار المفتي انطبع على الشوارع الضيقة في القدس القديمة كما انطبع على شوارع المدينة الجديدة التي ازدانت بالاعلام والزهور واغصان الزيتون ، وظهرت صور المفتي في كل مكان . »

وانتقدت « الايفنج نيوز » الرقابة التي فرضتها السلطة البريطانية في فلسطين لمنع نشر انباء عن وصولي وقالت ان هذا « القرار السخيف » في وقت السلم لا يمكن ان يحول دون وصول هذا النبأ الى اسماع الذين يريدون ان يعرفوه بل الامر بالعكس فلن تؤدي الرقابة الشديد على الانباء الا الى رواج الاشاعات وكثرة التكهنات واثارة السخط على الذين فرضوها .

وعلى اثر ذلك اصدر مكتب المطبوعات في حكومة الانتداب البريطاني بفلسطين البيان التالي ، وقد نشرته الصحف في ١٢ــ٦ــ١٩٤٦ .

« فهم بصورة موثوقة ان الحاج امين الحسيني قد غادر فرنسا ، وليست هناك اي معلومات رسمية عن مكان اقامته في الوقت الحاضر » .

ولما كانت جلسات الجامعة العربية منعقدة حينئذ في « بلودان » لبحث تواصي لجنة التحقيق الانجلوـ اميركية بشأن فلسطين والخاصة بالسماح لمائة الف يهودي بدخول فلسطين فورا استجابة لطلب الرئيس الاميركي ترومان، فقد توقعت بعض الدوائر ووكالات الانباء الاجنبية ، ان اكون ذهبت الى دمشق للاشتراك في اجتماعات مجلس الجامعة ، وقالت بعض الدوائر في لندن ان اشتراك المفتي علنا في تلك الاجتماعات قد يزيد موقف بريطانيا حرجا عند بحث قرار تتخذه الجامعة بشأن تقرير لجنة التحقيق لان خصوم العرب سيحاولون استغلال القول بان زعيما عربيا منفيا قد ساعد على اتخاذ ذلك القرار .

وفي لندن اعلن متحدث من وزارة الخارجية البريطانية ان بريطانيا تطالب الحكومة الفرنسية ببيان عن الظروف التي غادر فيها الحاج امين الحسيني مفتي فلسطين ، فرنسا اخيرا .

وفي باريس قام احد كبار السفارة البريطانية بتحقيق رسمي لدى وزارة الخارجية الفرنسية طالبا ايضاحا عن سفر مفتي القدس من فرنسا .

وفي واشنطن علق ناطق بلسان وزارة الخارجية الامريكية على الانباء الخاصة بفرار المفتي بطائرة امريكية من فرنسا ، بقوله ان الوزارة لا تعرف شيئا عن هذا الامر .

واكدت الدوائر الفرنسية في باريس ان التحقيق لم يظهر اي تواطؤ من الموظفين الفرنسيين ولكن عقوبة ادارية ستلحق بقوميسير البوليس الذي كان مسؤولا عن امن المفتي وسلامته ، لاهماله وهو موظف معروف لانه كان مكلفا بحماية اعضاء المؤتمر الرباعي الاخير في قصر لوكسمبورج.

وفي ١٥ـ٦ـ١٩٤٦ اعلنت وزارةالبحرية البريطانية ان المدمرة«فيراجور» اوقفت السفينة « ديفوتنشر » وهي من سفن النقل على مسافة من بور سعيد وفتشتها لاحتمال ان يكون المفتي على ظهرها .. وبعد ان وصفت الوزارة في بيانها عملية التفتيش بانها اجراء عادي فرضه فرار المفتي من فرنسا قالت: (وتتخذ الحكومة كل التدابير الممكنة لمنع المفتي من الوصول الى الشرق الاوسط).

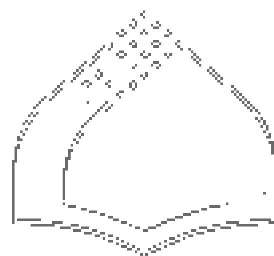

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل
السابع عشر

ظهور المفتي في القاهرة



المفتي في القاهرة مع الفيصل والنقراشي وخشبة . اول لقاء له مع الاصدقاء



يقول المفتي :

قبل الانتقال الى احداث القاهرة بعد خروجي من فرنسا ، لا بد من الاشارة الى اخواننا الذين تخلفوا في المانيا وسجنوا ببروكسل ثم نـفي بعضهم الى سيشل . فعندما غادرت المانيا الى سويسرة ، كان يرافقني الاستاذ محمد اسحق درويش والاستاذ راسم الخالدي . وتخلف في بادكشتاين عدد من اخواننا الذين كانوا معنا في المانيا ، من فلسطينيين وسوريين ولبنانيـين وغيرهم ، اذكر منهم المرحوم الشيخ حسن ابو السعود وسعدالدين عبداللطيف وسليم الحسيني ؛ هؤلاء من القدس ، والدكتور ظافر الرفاعي (وزير الخارجية السورية فيما بعد)، من حلب ، والدكتور فرحان الجندلي (وزير الصحـة السورية فيما بعد)، من حمص، ورمزي الالاجاتي من حلب والمرحوم بهاء الدين الطباع من بيروت ويوسف الرويسي من تونس وغيرهم .

وكان اخواننا هؤلاء قرروا البقاء في منزلنا في بادكشتاين . في ارتقاب ما سيكون بعد احتلال الحلفاء ، وبعد يومين من سفرنا دخلت البلد قـوات

امريكية ، ترافقها قوات رمزية من الانكليز والفرنسيين ، وتسلمت القـوات الامريكية الاماكن المهمة والدوائر الرسمية . وبموجب الاوامر الرسمية الخاصة بالاجانب اتصل اخواننا بدائرة الحاكم العسكري الاميركي للاستعلام عما سيكون من امرهم ، فبادىء ذي بدء طمأنوهم.ثم اعلموهم انهم موقوفون الى اشعار آخر ، ومنعوهم من الخروج او الاتصال باحد ، ووضعوا حرسا عليهم مدة اسبوعين ، ثم نقلوهم بالسيـارات برفقة الحرس الى مدينـة سالزبورغ ومنها الى المطار ، ثم جاءت احدى الطائرات الانكليزية ، فأنزلت ضباطا انكليز واصفادا حديدية لتقييد المعتقلين . وبعد قيد الاسماء وانهاء عملية التسلم والتسليم ، اركب اخواننا الطائرة الى وجهة غير معلومـة ، وبعد طيران ساعة ونصف الساعة هبطت الطائرة بهم في مطار بروكسل ، وما لبثوا ان نقلوا منه الى السجن العسكري وألبسوا ملابس السجناء ، وسيقوا الى زنزانات مكثوا فيها شهرا يعاملون معاملة غير لائقة ، وبعد تحقيق آخر في امرهم نقلوا من الزنزانات الى غرفة واحدة كبيرة . ومكثوا في هذا السجن تسعة شهور على هذه الحالة الاليمة .

كان الدكتور معروف الدواليبي (رئيس وزراء سورية فيما بعد) في طليعة من تعاونوا معنا خلال اقامتنا في اوروبا في سني الحرب من الفضـلاء الشرفاء وكان مقيما بباريس للحصول على الدكتوراه من جامعة السوربـون، ويزورنا في برلين بين حين واخر . وظل عهدنا به من المودة والمروءة للعنايـة باخواننا السجناء في بروكسل ، واتفقنا واياه على توكيل محام فرنسي للعناية بأمرهم والدفاع عنهم لدى السلطات المحتلة والرسمية ، وتم اختيار المحامـي المسيو « اوجول » لهذه الغاية ، فأخذ الدكتور الدواليبي والمسيو اوجـول يواليان العناية بامرهم ، ويتفقدان شؤونهم ومصيرهم . وقداهتمت السفارة المصرية والمفوضيتان اللبنانية والسورية في باريس بامر رعاياها المسجونـين من رفاقنا وكان للسفير المصري محمود فخري باشا وللوزيرين المفوضـين أحمد بك الداعوق وعدنان بك الاتاسي مساع مشكورة لاطلاق سراحهـم . وقد اقترنت المساعي بالنجاح . وتمكن اولئك الاخوان من العودةالىبلادهم .

اما اخواننا الفلسطينيون فلم تكن لهم دولة ترعى شؤونهم وتهتم لامرهم، وساءت احوالهم فاضربوا عن الطعام احتجاجا على ما كانوا يلقونه من سوء المعاملة . وعلى اثر ذلك عملت السلطات البريطانية على نقلهم من بروكسل الى جزيرة سيشل بطائرة خاصة في الاسبوع الاول من شهر شباط ١٩٤٦ حيث قضوا فيها اربعة شهور ، وساءت صحة بعضهم ، فسمح لهم بالسفر الى القاهرة وبقي الآخرون سبعة اشهر اخرى سمح لهم بعدها بالسفر الى القاهرة.

كان الذين يتوقعون قدومي الى القاهرة من اخواننا واصدقائنا قلائل. فلما وصلت القاهرة يوم الاربعاء ٢٧ جمادى الاخرة١٣٦٥وفق ٢٩ـ٥ـ١٩٤٦ لم استقر بفندق ميتروبوليتان الا فترة قليلة ثم توجهت في المساء الى مصر الجديدة واجتمعت بالاستاذ علي رشدي عنان والسيد محمد منيف الحسيني والاستاذ علي رشدي مصري الذي سبق له ان عمل معنا في المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى بادارة المعاهد الدينية في القدس . فلما اضطرتني الاحداث لمغادرة فلسطين ووضعت السلطة البريطانية يدها على المجلس الاسلامي الاعلى استقال الاستاذ علي من عمله وعاد الى القاهرة ، اما السيد محمد منيف الذي حالت الظروف دون مرافقته لنا الى ايران واوروبا فقد استقر بالمملكة السعودية الى نهاية الحرب ثم عاد الى القاهرة هو والشهيد عبد القادر الحسيني.

وصادف وصولي القاهرة وجود اللورد ستانسجيت على رأس وفد رسمي بريطاني لمباحثة الحكومة المصرية في قضية جلاء الجيش البريطاني عن مصر . وكان رئيس الوزارة المصرية حينئذ اسماعيل صدقي باشا ، ولما كنت حريصا على الا يسبب وجودي في مصر اي حرج للحكومة المصرية عندئذ فقد اثرت الا اظهر ، وان انتظر بعض الوقت ريثما تصل المباحثات التي كانت في مرحلتها الاخيرة الى نتيجة . ولذلك قر الرأي على التوجه الى الاسكندرية لقضاء فترة من الوقت . وفي اليوم التالي توجهنا بالقطار الى الاسكندرية حيث قضينا بضعة ايام ثم عدنا الى القاهرة وانتقلنا الى منزل استأجرناه

بمصر الجديدة وظلت اقامتي خلال هذه المدة مكتومة عن الجميع .

وفي يوم ١١ رجب (١١ـ٦ـ١٩٤٦) رددت البرقيات ونشرت الصحف نبأ مغادرتي باريس ثم لم يلبث النبأ ان انتشر في مصر وفلسطين وسائر العالم العربي ، واخذ اصدقاؤنا يستطلعون الخبر اليقين ، وانقضت ايام اخرى دون نتيجة ، فأخذ القلق يساور نفوسهم ، وكان سفير مصر في باريس محمود فخري باشا قد أبلغني الرغبة في وجودي بالقاهرة وقد أيدت ذلك السيدة الجليلة ناجية هانم ذو الفقار ، عمة فريدة وشقيقة يوسف ذو الفقار باشا الذي عرفته في طهران اذ كان سفيرا لمصر في ايران ، وقد لقيت منه عندئذ عناية كبيرة ، ولمست فيه خلقا كريما ، ولكن لم يكن من بد للتمهيد لذلك لان وجودي بمصر في ذلك الظرف سيزعج السلطات البريطانية وربما دفعها الى اتخاذ اجراءات تسيء الى مصر ، وقد تم التمهيد بواسطة يوسف باشا وزرت قصر عابدين مساء الاربعاء ١٩ رجب ١٣٦٥ (١٩ـ٦ـ١٩٤٥) فقابلت عبد اللطيف طلعت باشا كبير الامناء ، ثم استقبلني الملك فاروق استقبالا وديا اعرب فيه عن سروره بوصولي الى القاهرة ومما قاله انه كان خائفا علي لما سمع بخروجي من باريس وانقضاء عشرين يوما دون وصولي وانه اتصل بالتليفون برئيس الجمهورية السورية ورئيس الجمهورية اللبنانية سائلا عني، فشكرت له اهتمامه وعنايته معتذرا عن تأخري بحرصي على الا احرج الحكومة المصرية وهي تقوم بالمفاوضات في مسألة الجلاء.

وفي نهاية المقابلة ابدى رغبته في ان اكون في ضيافته . وبعد ثلاثة ارباع الساعة كنت نزيل قصر انشاص .



ولما وصلت القصر وجدته محاطا بحراسة شديدة على الجسر المتحرك المنصوب على فرع نهر النيل الذي تعبر عليه المشاة والسيارات الى منطقة القصر . وعلى المطار المجاور له ، وان قوة كبيرة من الجنود والمسيارات

العسكرية كانت تتولى الحراسة • وقد كتم خبر وجودي في انشاص عن الجميع ريثما تتدبر السلطات المصرية الامر مع السلطات البريطانية اذ كان يخشى ان يعمد الانكليز الى استعمال القوة لانتزاعي من مصر الى حيث يشاءون • وقد سبق للانكليز ان فعلوا هذا في بعض خصوم سياستهم • مثل طالب باشا النقيب الذي اختطفوه من البصرة ونفوه الى الهند • وياسين باشا الهاشمي الذي اختطفوه من دمشق في عهد حكم الملك فيصل بن الحسين واعتقلوه في معسكرهم في صرفند قرب مدينة الرملة بفلسطين • وقد سجل حادث اختطاف ياسين الهاشمي شاعر العراق الكبير معروف الرصافي في قصيدة قال فيها :

ياسين انك بالقلوب مشيع هل انت للوطن العزيز مودع؟
أخذوك يا بطل المعامع غيلة بيد الخداع ومثلهم ما يخدع

واقمت بانشاص ١٩ يوما ، لم استقبل خلالها الا ولدي صلاح الدين، وولد اخي المرحوم حسين ، والسيد موسى ابو السعود ولد زميلنا ورفيقنا في الجهاد المرحوم الشيخ حسن ابو السعود ، الذي كان حينئذ منفيا في سيشل والسادة علي رشدي عنان ومحمد منيف الحسيني والقائد الشهيد عبد القادر الحسيني•

وكان خبر وصولي القاهرة وزيارتي قصر عابدين قد انتشر في القاهرة والقطر المصري وتناولته البرقيات والصحف بالتفصيل والتعليق فلم تبق صحيفة ولا مجلة الا وافاضت في الحديث عنه • وتفضل كثير من كبار كتاب مصر ورجال السياسة والادب والعلم فيها بكتابة مقالات اضفوا علي فيها من الاطراء والثناء ما لا استحق بعضه وتناولوا سابقة عملي بما شاء لهم فضلهم وكرم خلقهم من الاشادة والتنويه ، اذكر منهم الاساتذة الافاضل فتحي رضوان واحمد حسين من الاحياء • وابراهيم عبد القادر المازني ومحمد توفيق دياب ومحمد مندور وخليل ثابت ممن توفاهم الله ، وانبرت الصحافة المصرية وساسة مصر ورجال حركتها الوطنية ، على اختلاف نزعاتهم واحزابهم ، لنقد

سياسة بريطانيا نحو القضية الفلسطينية ، والتنديد بموقفها من هذه القضية عامة ومن قضيتي خاصة . والمطالبة باطلاق حريتي لممارسة عملي الوطني ومتابعة خدمتي للقضية دون اي ضغط او اكراه .

وفي ٣٠ حزيران (يونيو)١٩٤٦ نشرت الحكومة المصرية التي كان رئيسها اسماعيل صدقي باشا ، بيانا عن وصولي الى مصر وظهوري في قصر عابدين، واشار البيان الى « ظروف هذه الزيارة وملابساتها » ومما جاء فيه العبارات التالية : « واذا كانت الحكومة المصرية قد سمحت باقامة السيد محمد امين الحسيني في ديارها فهي ترجو في الوقت عينه الا ينظر الى هذه المسألة الا بنفس الروح الكريمة التي انبعث عنها قرارها ، واداء لواجب المجاملة ..»

« ولا يخفي ان مصر اليوم تجتاز مرحلة من ادق مراحل حياتها السياسية نرجو لها التوفيق والفلاح في ظل الهدوء والنظام ، ولا ريب ان سماحته مقدر لذلك .. »

وبرغم ما اشتمل عليه بيان الحكومة من عبارات المجاملة والتقدير،فقد انتقدته الصحف المصرية والرأي العام المصري ، وطالبت بان لا يكون ثمة أي تحفظ على اقامتي بمصر ، وباطلاق الحرية التامة لي في العمل لصالح قضية فلسطين والقضايا العربية والاسلامية ، ولا ريب في ان صدقي باشا اراد مجاملة السلطات البريطانية ، التي أقلقها وجودي في القاهرة ، فقد كان السفير البريطاني دائم المراجعة للحكومة المصرية في هذا الشأن . »

هذا وكان مجلس جامعة الدول العربية قد دعي الى عقد دورةاستثنائية في « بلودان » يوم ١٨ ايار (مايو) ١٩٤٦ ، ثم ارجيء الاجتماع الى شهر حزيران المقبل ، ريثما ينعقد اجتماع ملوك الدول العربية ورؤسائها في ٢٧ و ٢٨ ايار في انشاص لبحث قضية فلسطين . وكان من بواعث تصميمي على السفر من فرنسا الى الوطن العربي في تلك الايام ان لا اكون بعيدا عن مجرى الاحداث الخطيرة التي كانت تعصف بالقضية الفلسطينية عندئذ ..

كانت لجنة التحقيق المشتركة التي عينتها الحكومة البريطانية بالاتفاق مع الولايات المتحدة الامريكية ، والمؤلفة من اثني‌عشر عضوا من الانكليز والاميركيين بالتساوي قد اصدرت تقريرها في ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٦ ، بعدما باشرت مهمتها في اوروبا ، ثم زارت القاهرة واستمعت الى شهادة الامين العام لجامعة الدول العربية وشهادات ممثلي الدول العربية ، ثم زارت عواصم بعض الدول العربية ، واجتمعت برؤساء حكوماتها ، ثم انتقلت الى فلسطين واستمعت الى شهادات بعض العرب واليهود . وقد جاء تقرير هذه اللجنة شديد التحذير الى اليهود وبعيدا كل البعد عن الحق والنزاهة والمنطق، فقد سايرت فيه رغبة الرئيس الامريكي ترومان ، صنيعة الصهيونيين واوصت بادخال مئة الف من مهاجري اليهود الى فلسطين ، كما اوصت بان لا تكون الهجرة الى فلسطين معلقة على رضاء العرب ، بحجة عدم وجود بلاد غير فلسطين ترضى بالهجرة اليها ، وان اليهود لا يرغبون في الهجرة الى بلاد غير فلسطين؟ !

وكذلك اوصت بابطال القوانين التي تحدد انتقال الاراضي العربية الى اليهود ! وكان رد فعل تقرير اللجنة شديدا في فلسطين والاقطار العربية، وقوبل باستنكار عام ومظاهرات صاخبة واضرابات شاملة ، ونقد شديد للذين تعاونوا من العرب مع تلك اللجنة المتحيزة وادلوا اليها بشهاداتهم ، وسخط عظيم على السياسة البريطانية التي ادخلت امريكا طرفا في النزاع القائم بين العرب وبريطانيا في شأن قضية فلسطين ، كأن الفلسطينيين لم يكفهم ظلم بريطانيا وعتوها وكيد الصهيونية العالمية ومكرها حتى تستعين عليهم بريطانيا بامريكا .

وعلى اثر ذلك انعقد مؤتمر انشاص في ٢٧ و ٢٨ ايار (مايو) ١٩٤٦، وتقرر فيه التمسك باستقلال فلسطين وصيانة عروبتها وتأليف هيئة عربية فلسطينية عليا تمثل الفلسطينيين وتنطق باسمهم . ثم تبع ذلك عقد دورة استثنائية لمجلس جامعة الدول العربية في بلودان ، وقد حاولت الدول العربية

ان تظهر فيه بمظهر القوة والحزم والتصميم على نصرة فلسطين ، وايلائهـا حقها من العناية والاهتمام ، وشهد الاجتماع بعض رؤسـاء الحكومـات العربية ووزراء خارجيتها ، ورجال ذوو مكانة مرموقة من العرب ، وكان ابرز القرارات التي اسفرت عنها الاجتماعات الرد على تقرير لجنة التحقيق الانجلو امريكية والتوصية بتأليف هيئة عربية فلسطينية عليا تعتمدها جامعة الـدول العربية في الشؤون الفلسطينية ، ثم اتخـذ في تلك الدورة قرار بمفاوضة الحكومة البريطانية لحل قضية فلسطين وفي حال فشل المفاوضات تعرض قضية فلسطين على الامم المتحدة . ولقد جاء هذا القرار الاخير تجاوبا مع بيـان وزير خارجية بريطانيا مستر بيفن ، الصادر في ١٤ تشرين الثاني (اكتوبر)١٩٤٥ الذي ادخل به الولايات المتحدة الامريكية طرفا في قضية فلسطين ، باعـلانه تشكيل لجنة التحقيق الانجلوامريكية ، وتأكيده ان الحكومة البريطانية ستضع مشروع حل ، يستند على توصيات اللجنة المذكورة ، وتعرضه على الامـم المتحدة للموافقة عليه ، وان هذا الحل سيتخذ شكل « وصاية دولية » تحت اشراف الامم المتحدة !..

والواقع ان النتائج التي اسفر عنها اجتماع بلودان لم تكن في مستوى الامال التي عقدت عليه ، لقد كانت الحماسة لفلسطين تملأ صدور القـوم، والرغبة شاملة في الاخذ بالوسائل الناجعة لانقاذها من الاستعمار والصهيونية ودعم الفلسطينيين بالمال والسلاح ، عن طريق تشكيل « الهيئة العربية العليا لفلسطين» التي تقرر تأليفها ، لكن وصول البريديغادير كلايتون مدير مخابرات الجيش البريطاني في الشرق الاوسط الى بلودان ، مصحوبا بالمستر برايانس مساعد مدير المخابرات البريطانية في فلسطين ، قد اضعف تلك الحماسة التي كانت تتأجج في الصدور ، وكان باعثا على اتخاذ القرار الخاص بمفاوضـة الحكومة البريطانية ، تجاوبا مع بيان مستر بيفن وقضى كلايتون وزميلـه برايانس اياما في بلودان ، كانت لهما خلالها جولات في الفندق الذي عقـدت فيه الاجتماعات .

وكانت الحكومة البريطانية لما قررت تشكيل لجنة التحقيق الانجلو امريكية قد بدا لها ان الحاجة تدعو الى تعاون الفلسطينيين معها ، تسهيلا لها على اداء مهمتها ، وحاولت ان تقيم الدليل على ذلك باطلاق سراح بعض المعتقلين من الفلسطينيين.

وقد بحثت الاحزاب الفلسطينية موضوع التعاون مع اللجنة المذكورة، لكنها لم تتفق على رأي موحد ، فرأى فريق من الفلسطينيين التعاون مع اللجنة وعارض ذلك فريق آخر واستمعت اللجنة الى بيانات الذين تقدموا اليها من الفريق الاول ، ثم غادرت فلسطين .

وعلى اثر ذلك نشأ خلاف بين اعضاء اللجنة العربية العليا ادى الى انسحاب بعضهم وتأليفهم « الجبهة العربية العليا » ..

فلما اشتد الخلاف بين الفريقين ، وكنت حينئذ في باريس ، خشيت ان يؤدي الخلاف الى اضعاف الموقف الفلسطيني بوجه عام ، ويصيب القضية الفلسطينية بضرر بالغ ينشأ عنه زيادة تعنت السلطات البريطانية والامريكية واستهانتها بالشعب الفلسطيني وقضيته، فوجهت رسائل الى عدد من زعماء الاحزاب ورجال الحركة الوطنية في فلسطين دعوتهم فيها الى التعاضد والتعاون ونبذ الخلاف للتمكن من مجابهة الخصوم والاعداء وكان لتلك الرسائل اثر ملحوظ في تخفيف حدة الخلاف والانشقاق الداخلي ، لكن قيام كل من اللجنة العربية العليا والجبهة العربية العليا في فلسطين استمر الى ان انعقد مجلس الجامعة في بلودان وقرر تأليف « الهيئة العربية العليا لفلسطين » ، وبذلك زال الخلاف وتوحدت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية.

بريطانيا تلاحق المفتي في القاهرة

واستطرد المفتي قائلا :

تركت ثورة فلسطين المجيدة التي نشبت استنكارا لسياسة بريطانيا الظالمة ومشروع تقسيم فلسطين ، واستمرت زهاء ثلاث سنوات من ١٩٣٦ الى

١٩٣٩ وما قام به الشعب الفلسطيني ، وفي طليعته المجاهدون الابرار من اعمال بطولية خارقة ، اثرا عظيما في العالم • وقد ظهرت آثار تلك الثورة المجيدة صريحة في السياسة البريطانية خاصة ، والعربية عامة ، كما ظهرت باشد من ذلك في العالمين العربي والاسلامي •

ففي مصر تألفت لجنة برلمانية من الشيوخ والنواب على اختلاف احزابهم، للدفاع عن قضية فلسطين ، ووقع مائة وسبعون منهم على عريضة استنكار لسياسة بريطانيا الظالمة في فلسطين منتصرين للشعب الفلسطيني في جهاده الكبير • وعلى اثر ذلك دعا محمد علوبة باشا الى عقد مؤتمر برلماني في القاهرة صيف عام ١٩٣٨ شهده عدد كبير من الشيوخ والنواب من مصر وسوريا ولبنان والعراق ، ووفود من فلسطين والمغرب ومسلمي الهند ومسلمي البوسنة، واتخذ المؤتمر قرارات بتأييد ميثاق الشعب الفلسطيني واستنكار سياسة بريطانيا لتقسيم فلسطين ، ثم أرسل المؤتمر وفدا برئاسة علوبة باشا الى لندن للدفاع عن قضية فلسطين والدعاية لها •

وفي سورية انعقد مؤتمر عربي عام في بلودان في ٨ ايلول ١٩٣٧ بمساعي لجنة الدفاع عن فلسطين في دمشق واللجنة العربية العليا لفلسطين حضرته وفود من سورية ولبنان وفي فلسطين ومصر والعراق بأكثر من اربعمائة مدعو واختير لرئاسة المؤتمر ناجي باشا السويدي (العراق) ولنيابة الرئاسة محمد علي علوبة باشا (مصر) والامير شكيب ارسلان (لبنان) والمطران حريكة (سورية) ولامانة السر العامة الاستاذ محمد عزة دروزة (فلسطين)•

وفي الهند عقد المسلمون بزعامة العصبة الاسلامية وجمعية الخلافة اجتماعات عديدة وقاموا بمظاهرات عظيمة اعلنوا فيها تأييدهم لجهاد شعب فلسطين واستنكارهم لسياسة بريطانيا الجائرة • مؤيدين حق العرب في فلسطين ومنددين بسياسة التقسيم ومطالبين بالغاء وعد بلفور والاعتراف باستقلال فلسطين • وكان من مؤيدي العرب في عصبة

الامم ايرلندا والبانيا وفرنسا • وكان من آثار اشتداد ثورة فلسطين عام ١٩٣٨ ان قدم عشرون نائبا في البرلمان البريطاني اقتراحا الى الحكومة بوقف الهجرة اليهودية وقفا تاما الى ان تحل قضية فلسطين حلا ملائما •

واذاع وزير المستعمرات مالكوم ماكدونالد بيانا عن تعيين لجنة فنية تدرس امكانات التقسيم وقال ان الحكومة البريطانية لم ترتبط بمشروع معين•

واذاعت اللجنة العربية العليا بيانا ردت فيه على بيان وزير المستعمرات وكذلك فعل قواد المجاهدين الذين اذاعوا بيانا مماثلا •

فلما وصلت اللجنة الفنية الى فلسطين صيف ١٩٣٨ لم يتقدم اليها احد من العرب ببيانات • اما اليهود فتقدموا الى اللجنة مطالبين بتوسيع القسم اليهودي الذي نص عليه التقسيم وان يضاف اليه صحراء النقب وسهول بيسان والاحياء اليهودية في القدس ، وطالب المتطرفون منهم بدولة يهودية تشمل فلسطين كلها ، وطالب آخرون بادخال شرق الاردن في الدولة اليهودية •

وقدمت حكومة شرق الاردن مشروعا الى اللجنة يشتمل على دولة موحدة تضم شرق الاردن وفلسطين ويكون فيها لليهود استقلال ذاتي في المناطق اليهودية والحق بهجرة محددة • وقدمت اللجنة الفنية بعد عودتها تقريرا الى الحكومة البريطانية اشتمل على دراسة موسعة واشار الى الصعوبات العديدة التي تقوم في وجه اي مشروع من مشاريع التقسيم •

وعلى اثر ذلك اصدرت الحكومة البريطانية بيانا اعلنت فيه عدولها عن مشروع التقسيم وانها ستبحث عن حل آخر يمكنها من الوفاء بالتزاماتها نحو كل من العرب واليهود ! وقالت انها تعتزم دعوة الحكومات العربية وممثلي كل من العرب واليهود في فلسطين الى مؤتمر لندن للوصول الى حل ملائم•

وكان اعلان الحكومة البريطانية عدولها عن التقسيم نصرا عظيما للشعب الفلسطيني في جهاده واعترافا بفوز الثورة بتحقيق احد اهدافها وهو القضاء على التقسيم ، وكذلك حقق الجهاد الفلسطيني هدفا آخر من اهدافه هو ان

تصبح قضية فلسطين قضية عربية واسلامية عامة • وخلال ذلك قام وزير المستعمرات مالكولم ماكدونالد بزيارة سرية لفلسطين درس فيها الحال عن كثب مع السلطات البريطانية ، ولما عاد الى لندن القى خطابا عن رحلته ومما جاء فيه قوله « ان فلسطين هي اصعب بلد في العالم » وبعد ان اشار الى متاعب المندوب السامي والقائد العام قال « ان القضاء على الثورة ليس امرا سهلا وان مركز بريطانيا صعب لما عليها من الالتزامات المزدوجة للعرب واليهود» ثم القى بيانا في مجلس العموم طلب فيه من الاعضاء عدم الاندفاع وراء العاطفة وألا يتجاهلوا الامر الواقع في فلسطين ، واشار الى رفض العرب لوعد بلفور وصك الانتداب منذ البداية واعترف بان ما يحدث في فلسطين الان هو ثورة منظمة واسعة النطاق وان الدافع لها وطنية صادقة وان الشعب البريطاني لو كان مكان الشعب الفلسطيني لضحى بكل ما يستطيع في سبيل حريته المهددة • واخيرا اشار الوزير الى ان الحكومة البريطانية تعتزم اجراء محادثات مع العرب واليهود ، كل فريق على حدة ، ثم تجمع بينهما للتوفيق ان أمكنها ذلك والا عمدت الى الحل الذي تراه مناسبا •••

الخطة البريطانية الجديدة

تتلخص الخطة البريطانية الجديدة فيما يلي:

١ ـ تأسيس حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط بمعاهدة تضمن لبريطانيا مصالحها العسكرية والتجارية •

٢ ـ تضع جمعية تأسيسية فلسطينية ، منتخبة او معينة ، دستورا لدولة يضمن حرية زيارة الاماكن المقدسة وحماية الطوائف وفقا لتعهدات بريطانيا للعرب واليهود ، ومركزا خاصا للوطن القومي اليهودي في فلسطين ، ويضمن المصالح الدولية التي تعتبر بريطانيا نفسها مسؤولة عنها ••

٣ ـ فترة انتقال تسبق تأسيس الحكومة الفلسطينية تكون الدولة المنتدبة (بريطانيا) خلالها مسؤولة عن الحكم ••

٤ ـ بعد عودة النظام واستتباب الامن تتخذ اجراءات على مرحلتين لاضافة عدد من الفلسطينيين (اي العرب واليهود) الى المجلس الاستشاري، وعدد اخر الى المجلس التنفيذي مع بقاء المندوب السامي متمتعا ببعض السلطات •

٥ ـ لا يمكن تحديد مراحل التطور الدستوري خلال فترة الانتقال ولا تحديد نهاية هذه المدة لانها تتوقف على نجاح التطورات الدستورية وتعاون أهل فلسطين (اي العرب واليهود) • ولا تتخلى بريطانيا عن مسؤوليتها في الحكم الا بعد اطمئنانها الى ان حسن اندماج الطوائف سيجعل قيام حكومة صالحة امرا ممكنا •

٦ ـ تستمر الهجرة اليهودية خلال خمس سنوات حتى يبلغ اليهود ثلث السكان ، وتصبح الهجرة بعد ذلك خاضعة لقرار الهيئات الدستورية خلال فترة الانتقال او بالتشاور بين الحكومة البريطانية وممثلي العرب واليهود •

ولما لم يكن ممكنا قبول هذه الخطة فقد ادخل بعض مندوبي الدول العربية تعديلات عليها كان اهمها ان تؤسس حكومة فلسطينية مستقلةبوزراء فلسطينيين عندما تهدأ الاضطرابات ، وان تتولى جمعية فلسطينية منتخبة وضع دستور فلسطين ، وان تنتهي مسؤولية بريطانيا وتصبح فلسطين مستقلة استقلالا كاملا خلال عشر سنين ، واذا تعذر ذلك لاسباب خارقة يعقد مؤتمر بريطاني فلسطيني ـ رباعي للنظر في الامر •

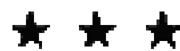
واما الهجرة اليهودية فتستمر بمعدلها الحالي وهو اثنا عشر الفا في السنة مدة خمس سنين ثم تقف نهائيا الا بموافقة العرب •

لكن الوزارة البريطانية اجرت تعديلات على هذه المقترحات وكانت الوفود العربية قد غادرت لندن فأرسلتها وزارة المستعمرات الى مصر حيث تولى بحثها وفود الدول العربية ولما رأوا فيها مخالفة لما تم عليه اتفاقهم مع

وزارة المستعمرات اجروا تعديلا على بعض بنودها وبعد استشارة الوفد الفلسطيني ارسلت المقترحات والتعديلات الى اللجنة العليا لفلسطين في لبنان حيث كنت حينئذ للنظر فيها ، فكان الرأي انه لا بد من تعديل هذه المقترحات وارسلت اللجنة عندئذ وفدا الى القاهرة يحمل رأيها ومقترحاتها . فتداولت الوفود العربية ووضعت على اساسها صيغة جديدة ابلغتها الحكومة البريطانية.

غير ان الحكومة البريطانية لم تأخذ بالصيغة العربية الجديدة واصدرت خطتها السياسية الجديدة في كتاب ابيض في ٧ أيار (مايو) ١٩٣٩ قالت انها وضعته على ضوء محادثات مؤتمر لندن . فلما اطلعت اللجنة العربية العليا على الكتاب الابيض اعلنت رفضها لهذه الخطة السياسية لانها لا تحقق مطالب الشعب الفلسطيني ولا تختلف عن مقترحات لندن التي رفضها وفد فلسطين والوفود العربية جميعا ، بل تنقص عنها .

وعندما اطلع محمد محمود باشا رئيس الوزارة المصرية على الكتاب الابيض سارع باصدار تصريح اعلن فيه انه لا يستطيع ان ينصح الشعب الفلسطيني بقبوله . وكذلك كان موقف الحكومتين السعودية والعراقية .



واصدرت اللجنة العربية العليا بيانا حازما بالرد على كافة البنود التي اشتمل عليها الكتاب الابيض وهي الخاصة بصك الانتداب والتزامات بريطانيا وبالاستقلال والدستور وفترة الانتقال ، وبالحكم الذاتي والسلطة التشريعية، وبما ادعته بريطانيا من مسؤوليتها عن حماية الوضع الخاص للوطن القومي اليهودي فكان مما اشتمل عليه رد اللجنة العربية على هذا الادعاء البريطاني قولها « ان الشعب العربي لا يعترف بالوطن القومي اليهودي ويعتبره عدوانا صريحا مستندا الى القوة على اقدس حقوقه ، وان الوطن القومي كان دائما علة العلل والسبب الاساسي في كل ما عانته فلسطين طيلة عشرين عاما من كوارث وثورات ودماء وخراب عام ، واكدت اللجنة انه لن توجد في فلسطين

يد عربية ترضى ان تسجل في صلب الدستور او المعاهدة قيام وطن قـــومي لليهود فيها ..»

وتناول رد اللجنة العربية ما قررته الحكومة البريطانيــة من رغبة في استمرار الهجرة اليهودية بزعم ان وقف الهجرة في الحال يلحق الضرر بنظــام فلسطين المالي والاقتصادي وبمصالح العرب واليهود (كذا) وبحجةالمساهمة في حل مشكلة اليهود العالمية (كذا) وطالبت اللجنة العربية باصرار في ختــام ردها ، بمنع انتقال الاراضي من العرب الى اليهود منعا باتا ونهائيا .

هذه خلاصة الاسباب التي استندت اليها اللجنة العربية العليا في رفضها الكتا بالابيض ، وكانت برفضها هذا تعبر عن الرأي العام الفلسطينيوالعربي بصورة عامة . ويظهر مما تقدم بيانه ان الحكومة البريطانية علقت انهـــــاء الانتداب وتأسيس الدولة الفلسطينية على رضاء اليهود ورغبتهم في الاندماج في هذه الدولة . ولكن اليهود لم يبدوا شيئا من الرغبة في الاندماج بـــــل عارضوه بقوة ، واتخذت معارضتهم هذه اشكالا وصورا متعددة مـــــن الاحتجاج والاستنكار وتأليب الرأي العام الاوروبي والامريكي ، الىالثورة المسلحة على الحكم البريطاني في فلسطين.

وفي هذا المجال نورد ما ذكرته الوفود العربية من ان الانكليز اعتذروا من عدم قبولهم وجهة النظر العربية بما وقع عليهم من ضغط الرئيس الامريكي روزفلت ، استجابة لرغبة اليهود ، واضطرارهم لمسايرته للظروف الدوليـــة الدقيقة حينئذ ، وهذه الحجة ظل الانكليز يدفعون بها عن غدرهم ونكثهم بعهودهم منذ نشوء المشكلة الصهيونية وابلائهم الشعب الفلسطيني بهـــا . وكانت الحكومة البريطانية قد اعلنت انها ستشرع في تنفيذ سياسة الكتــاب الابيض عندما تهدأ الحال في فلسطين ، وقد هدأت الحال فعلا بعد نشـــوب الحرب العالمية ولكن التنفيذ لم يحدث ، وظل باب الهجرة اليهوديــة مفتوحا على مصراعيه سواء في ذلك الهجرة التي سماها اليهود « مشروعة » والهجرة غير المشروعة لليهود المهربين الذين كان عددهم باعتراف السلطات البريطانية

لا يقل عن عدد المهاجرين الذين كانوا يسمونهم « الشرعيين » وظل الانكليز يسيرون على سياسة المراوغة والتخدير بضع سنوات مغتنمين فرصة الحرب العالمية الثانية التي جاءت مواتية لهم الى ان نقضوا الكتاب الابيض نقضاً كاملا عام ١٩٤٦ باستجابتهم لطلب ترومان ادخال مئة الف يهودي دفعة واحدة الى فلسطين وبعودتهم الى مشروع التقسيم مرة ثانية عن طريق ايفاد لجان تحقيق جديدة الى فلسطين لتكون مبررا لسياستهم الجديدة القديمة، وضربتهم القاصمة التي وجهوها الى الشعب العربي الفلسطيني ، بل الى الامة العربية والعالم الاسلامي ايضا ، بنقلهم القضية الفلسطينية الى ميدان الامم المتحدة .

التآمر البريطاني على فلسطين

ويستطرد المفتي قائلا :

رفض اليهود السياسة التي انطوى عليها الكتاب الابيض البريطاني لانها لا تحقق مطامعهم . فهم يريدون هجرة يهودية واسعة النطاق ، مطلقة غير مقيدة ولا محدودة ، وان تطلق لهم الحرية في الاستيلاء على الاراضي العربية، الاميرية منها والخاصة ، وهم لا يريدون حكما مشتركا بينهم وبين العرب يكونون فيه اقلية . بل يريدون ان تكون فلسطين كلها لهم . وبتعبير آخر ان تكون فلسطين يهودية كما هي انكلترا انكليزية كما عبر عن ذلك زعيمهم وايزمن . بل هم يريدون « اسرائيل الكبرى » من النيل الى الفرات . ولذلك ثاروا على سياسة الكتاب الابيض البريطاني واخذوا يولون وجوههم شطر الولايات المتحدة الامريكية لتكون عونا لهم على بريطانيا ! والحال ان بريطانيا لم تكن في يوم من الايام موالية للشعب الفلسطيني ، ولا للشعوب العربية الاسلامية ، ولكنها كانت تسير مع العرب على سياسة المداورة والمراوغة ضمانا لمصالحها الاقتصادية والعسكرية في العالمين العربي والاسلامي ، ولانها بما لها من سابق في الطرق والوسائل الاستعمارية ، والسياسة العالمية كانت موقنة ان الحرب العالمية الثانية آتية وانها ستضطر الى خوض غمارها ، فلا

غنى لها عن مداهنة العرب والمسلمين ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

لكن زعماء الصهيونية الذين وطنوا انفسهم على خدمة قضيتهم الباطلة التي لا سند لها من حق ولا منطق ، استطاعوا بمساعيهم الحثيثة المتواصلة ان يستنفروا المنظمات والمؤسسات اليهودية في الولايات المتحدة ، ويجندوا كل عناصرهم العاملة فيها ، للتأثير على الاميركيين لدعمهم وتأييدهم في الضغط على بريطانيا لاحباط مؤتمر لندن ، ونقض الكتاب الابيض ، وفتح ابواب فلسطين لهجرة يهودية واسعة النطاق . فلما وقعت الحرب العالمية الثانية واتخذت المانيا سياستها المناوئة لليهود ، انتهز زعماء الصهيونية هذه الفرصة لحمل الكونغرس الاميركي على اتخاذ قرار بانشاء دولة يهودية في فلسطين واطلاق الهجرة اليهودية اليها ، وكادوا ينجحون في مساعيهم لولا تريث بعض رجال الدولة ولاسيما العسكريون منهم لئلا يترك ذلك اثرا سيئا في الاقطار العربية التي كان اكثر حكوماتها سائرا في ركب الحلفاء .. وظل الزعماء الصهيونيون يوالون مساعيهم في امريكا ، وفي بريطانيا وفرنسا وكل الدول والمؤسسات والهيئات والجمعيات التي لهم فيها وجود او عليها تأثير مستغلين العطف على اليهود من الاضطهاد النازي حتى حققوا نتائج عظيمة ، واستطاعوا حمل بريطانيا على نقض الكتاب الابيض بل على الانجراف في التيار الصهيوني انجرافا كان له اسوأ الاثر على القضية الفلسطينية .

توسل اليهود لبلوغ غايتهم وتحقيق مطامعهم بوسائل شتى ، فاغتنموا فرصة نشوب الحرب العالمية الثانية لتقوية انفسهم ، وتعزيز اسلحتهم ، ومضاعفة قواتهم العسكرية ، وتحصين مدنهم ومستعمراتهم ، وحملوا الدولة البريطانية على تحصين فلسطين في وجه قوات دول المحور ، ومن ذلك انشاء خط ايدن وغيره من التحصينات العسكرية القوية . وجندت السلطات العسكرية البريطانية خلال الحرب الوفا من شبان اليهود في الجيش البريطاني فدربتهم وسلحتهم واشركتهم في بعض العمليات الحربية ، واستخدمت عددا كبيرا غيرهم في مصانع الجيش البريطاني وثكناته ومستودعاته وفي الوظائف

الفنية والرئيسية ، واعتمدت بعض المصانع اليهودية لانتاج الذخائر والمتفجرات وغيرها من اللوازم العسكرية . وبلغ عدد الذين دربهم الانكليز وجندوهم في الجيش البريطاني ثلاثة وثلاثين الفا (كما جاء في التقويم اليهودي السنوي « هاشاناً » لعام ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤). وهذا الرقم لا يشمل عدد المجندين منهم في قوات الشرطة والدفاع السلبي ولا (الهاجانا) وهي قوة الدفاع اليهودي . ونقل اليهود بمساعدة الانكليز كميات عظيمة من مختلف الاسلحة الى فلسطين ووزعوها على مستعمراتهم ومنظماتهم العسكرية الارهابية .

وفي عام ١٩٤٣ طلب الزعماء الصهيونيون من السلطات البريطانية تأليف (فيلق يهودي) والحاقه بالجيش البريطاني كوحدة مستقلة . فاستجاب لهم تشرشل الذي كان رئيس الوزارة البريطانية عندئذ ، الا ان المرشال ويفل قائد القوات البريطانية في مصر والشرق الاوسط عارض هذا الطلب لكيلا يثير حفيظة العرب . لكن تشرشل اصر على تأليف الفيلق وجعلته القيادة البريطانية جزءا من الجيش البريطاني في حملته على ايطاليا عام ١٩٤٤ . وبعد انتهاء الحرب عاد افراد الفيلق اليهودي الى فلسطين ومعهم اسلحتهم الخفيفة.

وقد اورد تشرشل قصة هذا الفيلق في مذكراته عن الحرب العالمية الثانية. (قد سبق لي ان اشرت الى هذا الحادث في فصل سابق من هذه المذكرات).

وقبل أن تنتهي الحرب كان اليهود قد اتموا تنظيم قواتهم وتسليحها فأرادوا اغتنام الفرصة لتهويد فلسطين واقامة دولتهم فيها خشية قيام حركة عربية عامة بعد الحرب تحول دون استجابة بريطانيا وامريكا لهم وتحقيقهما لرغباتهم، وخوفا من ان يفقدوا بمرور الزمن عطف العالم الغربي عليهم ، وهو ما حصلوا عليه بدعايتهم الواسعة عن اضطهاد المانيا النازية لليهود .

لهذه الاسباب والاعتبارات شرعت المنظمات اليهودية الارهابية في اقتراف جرائم واسعة النطاق ضد السلطات البريطانية والشعب العربي في فلسطين في آن واحد . وقامت عصابتا (ارغون زفاي لئومي) و (شترن) ومن ورائهما قوة الدفاع اليهودية المعروفة بالهاغانا ، باعمال اجرامية ارهابية

في منتهى القسوة والفظاعة ، كنسف الدوائر الحكومية والفنـــادق ودور المؤسسات والشركات والمصالح العامة وبعض الجسور والمحطات والمخـافر والقاء المتفجرات من ألغام وقنابل في الاسواق والمجتمعات مما ذهب ضحيته عدد كبير من العرب وقليل من الاجانب ، وكانوا بذلك يقصدون بلوغ غايتين: الاولى استعجال السلطات البريطانية لتستجيب لرغباتهم وتحقيق مطالبـــهم والاخرى ارهاب الفلسطينيين وحملهم على النزوح من فلسطين والتخلي عـن اراضيهم وممتلكاتهم فيأخذها اليهود غنيمة باردة ..

وكان من ضحاياهم اللورد موين الوزير البريطاني في الشرق الادنـى، وهذا منصب استحدثه الانكليز في زمن الحرب وجعلوا مركزه القاهرة ، وبعض الضباط والجنود الانكليز في فلسطين ، وحاولوا اغتيـــال المندوب السامي البريطاني السر هارولد ماكمايكل بكمين اعدوه له في طريق القدس ـ يافـا فنجا المندوب وقتل سائقه وحارسه وجرحت زوجته ، وحاولوا ايضا اغتيـال الجنرال باركر القائد العام البريطاني في فلسطين ، لكنهم اخفقوا في ذلـك . اما ضحاياهم من العرب فكانوا مئات القتلى والوفا من الجرحى . وقد ثبـت ان (الوكالة اليهودية) ذات الصفة الرسمية في تمثيل اليهـود في فلسطين . وللهاغانا وهي قوة الدفاع اليهودية يدا أثيمة في تلك الجرائم ، وقد كانتـــا تتظاهران بالحياد وان لا صلة لهما بالاعمال الارهابية ، حتى اضطرت السلطات البريطانية بفلسطين ان تقتحم دار الوكالة اليهودية في القدس وتعتقل بعـض زعمائها وتفتش مكاتبها وتصادر منها وثائق ومستندات تدين زعماء اليهـود وتثبت صلتهم باعمال النسف والتدمير والارهاب ، وان الهاغانا وعصابـــة البالماخ التابعة لها تعملان تحت اشراف الوكالة اليهودية وان عصابة شترن تعمل متعاونة مع الهاغانا .

واعترف رئيس الوزارة البريطانية مستر (اتلي) في بيان رسمي اثر تفتيش دار الوكالة اليهودية بان الثورة اليهودية مدبرة ومخطط لها وان الوكالة رفضت ان تستنكر اعمال الارهاب ، واضاف ان الهيئة العسكرية اليهوديـة

التي تدير اعمال الارهاب تضم سبعين الفا من الهاغانا وخمسة الاف من (البالماخ) وخمسة الاف او ستة من عصابة (الارغون) ، ولم يذكر عدد عصابة (شترن) لكن المعلومات تدل على انهم يتراوحون بين الف والفين.

وقد سبق للسلطات البريطانية ان استقدمت الى فلسطين الجنرال(وينغت) الخبير البريطاني في حرب العصابات الذي كان يقود القوات البريطانية في بورما والملايو ، استقدمته لتدريب الهاغانا على حرب العصابات وطرق مقاومة الفلسطينيين اذا ما حاولوا استئناف حرب العصابات ضد القوات البريطانية.

وكان شبان اليهود يهربون السلاح بالاتفاق مع الجنود البريطانيين . ونذكر مثلا على ذلك حادث تهريب قامت به عصابة (سركين) وبعض الجنود البريطانيين لكمية كبيرة من السلاح هي ألف بندقية ورشاشة ومئات الالوف من الطلقات . وكانت نتيجة المحاكمة العسكرية الصورية التي قدموا اليها، الحكم ببراءة سركين وعصابته ، ونقل الجنود البريطانيين المشتركين في الجرم الى بريطانيا ، واقالة النائب العام العسكري لانه اجترأ على اتهام الوكالة اليهودية وزعماء اليهود بان لهم صلة باعمال التهريب والاشراف عليها !!

ومثال آخر : فقد كتب الارهابي السفاح مناحم بيغن زعيم عصابة الارغون في مذكراته التي نشرها عام ١٩٥١ ان منظمته نقلت حمولة عشرين عربةمن عربات السكك الحديدية من الاسلحة والذخائر والمتفجرات التي اودعها الجنود البريطانيون في مستعمرة (باريس حنا) اليهودية على طريق حيفا .

وسبق هذه الاحداث ، ما يماثلها من اعمال تهريب السلاح سرا وجهرة كحادث تهريب المسدسات البلجيكية الكبيرة من نوع (موزنشر) في براميل الاسمنت من بلجيكا الى ميناء يافا باسم الزعيم الصهيوني ذيزنكوف رئيس بلدية تل ابيب وغيرها من الشحنات وهي لا تكاد تحصى . وكانت السلطات البريطانية في فلسطين تتغاضى عنها . اما الاسلحة التي كانت السلطات تقدمها

لليهود في المدن والمستعمرات بحجة الدفاع عن النفس فلا سبيل الى حصرها.

اما نواة التشكيلات العسكرية اليهودية في فلسطين فهي (جمعية المحاربين القدماء) من اليهود المسرحين من جيش الجنرال اللنبي الذين سمحت لهم الادارة العسكرية البريطانية بالبقاء في فلسطين والاحتفاظ باسلحتهم، كما سمحت للشبان اليهود بتشكيل كتائب ظاهرها رياضي وكشفي وثقافي واجتماعي وباطنها عسكري من مثل منظمات المكابي، وتراميلدور، والطلائع وغيرها ..

شرع اليهود في اعمالهم الارهابية من مطلع عام ١٩٤٤ الى ما بعد منتصف عام ١٩٤٧، فأسقطوا هيبة بريطانيا ودمروا كثيرا من ممتلكاتها وكثيرا من دوائر حكومتها في فلسطين وشنقوا افرادا من جنودها وجلدوا اعددا من ضباطها وقتلوا كثيرا من كبار موظفيها وألحقوا بها اشد الاهانات دون ان يلقوا على جرائمهم هذه عقابا مذكورا، وكانت هذه الجرائم تقابل بتسامح وتغاض لا نظير لهما، وكان الذين يتصدون لمقاومة هذه الجرائم هم رجال الشرطة اما قوات الجيش البريطاني فلم يسمح لها قط بقمع الثورة مع انها كانت قادرة على ذلك خلال اربع وعشرين ساعة كما جاء في تقرير رفعه المندوب السامي البريطاني الى مرجعه الاعلى في لندن .

وعند مقارنة موقف السلطات البريطانية من ثورة العرب في فلسطين وموقفها من ثورة اليهود يتضح الفرق العظيم بين معاملتها لهؤلاء واولئك . فان اغتيال مستر اندروز حاكم لواء الجليل الذي قام به بعض المجاهدين العرب عام ١٩٣٧ حمل السلطات البريطانية على حل المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى وعزل رئيسه وحل اللجنة العربية العليا ونفي اعضائها الى سيشل والغاء اللجان القومية في المدن الفلسطينية وزج مئات من الرجال والشبان والقضاة والعلماء في المعتقلات والسجون بتهمة المسؤولية عن الثورة . ومع ان العرب في ثورتهم لم يدمروا ممتلكات الحكومة ولا دوائرها الرسمية (باستثناء القاطرات والسكك الحديدية لقطع مواصلات الجيش) وان ثورتهم كانت شريفة

ومقصورة على مقاتلة العسكريين دون المدنيين ، فانهم كانوا عرضة لاشد العذاب والنكال كنسف مدنهم وقراهم واتلاف مؤونتهم ونهب اموالهم وفرض الغرامات الباهظة عليهم وغير ذلك مما لا سبيل الى وصفه من الاعمال المتناهية في القسوة والظلم ، هذا عدا مئة وثمانية وأربعين مجاهدا اعدموا شنقا وكانت احكام الاعدام تصدر على العرب وتنفذ فيهم الحكم •• اما القتلى والجرحى من المجاهدين والمدنيين رجالا ونساء واطفالا فقد بلغوا عشرات الالوف •

ولنضرب مثلا على الجرائم واعمال القسوة والتعذيب التي اقترفها الجنود البريطانيون ، ما وقع في مدينة الخليل في ثورة عام ١٩٢٩، المعروفة بثورة البراق حيث اخذ الضابط البريطاني (كفراتا) يقتل العرب اعتباطا فقد امر جنوده باطلاق النار جزافا على الاهلين فأخذ اولئك الجنود يتصيدون عابري السبيل وغيرهم من اهل المدينة ويطلقون النار عليهم • وحجة كفراتا في ذلك ان عدد قتلى اليهود يزيد على عدد قتلى العرب ، وانه يجب ان يتم (التعادل) في عدد القتلى من الجانبين •• وهكذا سقط ضحية تلك (المعادلة) البريطانية غير العادلة عدد من العرب الابرياء قتلى برصاص الانكليز••

وفي قرية (حلحول) الواقعة على طريق القدس ــ الخليل اقترف ضابط بريطاني يهودي جرائم منكرة بوسائل اخرى من وسائل التعذيب • فقد ألقى القبض على عدد من شبان تلك القرية بتهمة اشتراكهم في اعمال ثورية وقعت بالقرب من قريتهم وكانوا بريئين منها • ثم أجبرهم على ان يحفروا حفرا عميقة وامر جنوده بان ينزلوا في كل حفرة منها واحدا من اولئك الشبان ويهيلوا عليهم التراب حتى الاعناق فلا يظهر منهم الا الرؤوس العارية ،وابقاهم على هذه الحال المنكرة دون طعام وشراب بضعة ايام تلفح رؤوسهم الشمس في أشد ايام الصيف حرا ، وهم يستغيثون طالبين اسعافهم بشربة ماء ولا مجيب• وقد بلغت القسوة من ذلك الضابط انه كان يأمر جنوده باحضار الماء وإراقته على التراب امام اعين اولئك التعساء ليزيدهم عذابا ويضطرهم للاعتراف بما لم يقارفوه ولا علم لهم به !

وكان ان هرعت نساء القرية الى القدس ينقلن خبر اولئك المعذبين فضج الناس وجاروا بالشكوى واضطرت السلطات لاطلاق سراح من بقي منهم على قيد الحياة .

وقد أثار الوفد الفلسطيني حادثة حلحول عندما كان في لندن يفاوض الحكومة البريطانية حيث ندد السيد جمال الحسيني رئيس الوفد باعمال الظلم والتعذيب التي تقترفها السلطات البريطانية في الشعب الفلسطيني ، واعترف المستر مالكولم مكدونالد وزير المستعمرات يومئذ بصحة هذه الحادثة الاليمة واعلن اسفه لوقوعها .

ومن الوسائل غير الانسانية التي كانت تلجأ اليها السلطة البريطانية حينئذ لحماية جنودها واخماد الثورة انها كانت ترغم عددا من العرب على الركوب في عربات كاشفة على خطوط السكك الحديدية (ترولي)، وفي سيارات تتقدم الجنود على الطرق العامة اتقاء لما ينشأ من خطر المتفجرات التي كان المجاهدون يلغمون بها السكك الحديدية والطرق ، حتى اذا ما انفجر لغم أودى باولئك العرب الذين هم في الطليعة وسلم الجنود البريطانيون الذين هم في المؤخرة ..

أما أعمال النسف والتدمير فنضرب مثلا عليها نسف المدينة القديمة بيافا عام ١٩٣٦ ، فقد تذرعت اليه السلطات البريطانية بان المجاهدين الفلسطينيين يتخذونها مكمنا لهم وينطلقون منها الى اعمالهم الثورية .

واقترفت السلطات في مدينة جنين مثل ما اقترفت في يافا اذ نسفت نحو نصف المدينة دون مبالاة بما يصيب الاهلين من خراب ودمار .

واما القرى والاحياء العربية الاخرى التي نسفتها السلطة او احرقتها في الثورة الكبرى عام ١٩٣٧ ، واستمرت عامين كاملين فهي تعد بالعشرات ..

ونأتي الى تلخيص نشاط اليهود السياسي والاعلامي خلال ايام الحرب

واستجابة بريطانيا وامريكا لهم وما كان من نقض بريطانيا لسياستها المرسومة في الكتاب الابيض :

ففي عام ١٩٤١ عرض الزعيم الصهيوني وايزمن على بريطانيا مساعدة رؤوس الاموال اليهودية لها وتعاون اليهودية العالمية معها لكسب الحرب مشترطا موافقتها على اطلاق ايدي اليهود في فلسطين وشرق الاردن ومناطق لبنان الجنوبية بما فيها نهر الليطاني.

غير ان ظروف الحرب عندئذ لم تكن في صالح بريطانيا فلم تستطع اتخاذ اجراء من هذا القبيل .

وشرع اليهود من اجل دعم فكرة اقامة الدولة اليهودية يقيمون التظاهرات ويعقد زعماؤهم ومنظماتهم الاجتماعات والمؤتمرات . واعلن بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢ ، ان اليهود لا يمكنهم ان يتخلوا عن شبر من ارض فلسطين حتى قمم الجبال واعماق البحر. واعلن بعد ذلك ان الصهيونية قد رسمت خطتها وسياستها على اساس ان فلسطين يجب ان تصبح دولة يهودية .

ثم في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٢ عقد زعماء اليهود مؤتمرا في القدس اعلنوا فيه رفضهم لمشروع التقسيم وطالبوا بدولة يهودية في فلسطين .

وقام يهود امريكا وبريطانيا باعمال مماثلة وعقدوا اجتماعات ومؤتمرات عدة كان اهمها مؤتمرهم العالمي الاستثنائي في فندق بلتيمور في ايار ١٩٤٢ الذي قرروا فيه جعل فلسطين دولة يهودية واخراج العرب منها .. ثم مؤتمرهم العالمي في لندن في كانون الثاني ١٩٤٥ .

وفي ٣ تشرين الثاني ١٩٤٣ قدمت اكثرية اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي و ١٨١ عضوا من النواب مذكرة الى الرئيس الاميركي مطالبين بالعطف على اليهود وتحقيق مطالبهم وان الغاية من تصريح بلفور هي انشاء دولة لليهود في فلسطين (كومنولث).

وفي صيف عام ١٩٤٤ ولمناسبة انتخابات رئاسة الجمهورية عقد مؤتمر للحزب الجمهوري ومؤتمر آخر للحزب الديمقراطي لتعيين مرشح للرئاسة فأيد كل من المؤتمرين جعل فلسطين دولة يهودية •

ووجه الرئيس روزفلت رسائل الى زعماء اليهود في امريكا خولهم فيها ان يعلنوا تأييده لقرار جعل فلسطين دولة يهودية ، وان حكومته لم توافق على سياسة الكتاب الابيض البريطاني ولما اعيد انتخاب روزفلت رئيسا عام ١٩٤٥ اكد تعهده لليهود بمساعدتهم على انشاء دولة يهودية في فلسطين •

وفي اذار ١٩٤٤ قدمت مذكرة من بعض اعضاء مجلس الشيوخ الى لجنة الشؤون الخارجية بمشروع قرار لالغاء الكتاب الابيض البريطاني وانشاء دولة يهودية في فلسطين وتحقيق مطالب اليهود ، لكن هذه المذكرة حفظت موقتا بناء على طلب جورج مارشال وزير الخارجية ورئيس اركان حرب الجيش الامريكي لاعتبارات عسكرية خوفا من اثارة العرب وانعكاس ذلك على الموقف العسكري • فلما تغير مجرى الحرب لصالح الحلفاء ارسل جورج مارشال رسالة الى السناتور واغنر زعيم الاكثرية في مجلس الشيوخ قال فيها انه يؤيد الاقتراح الوارد في المذكرة نظرا لزوال الاعتبارات العسكرية التي حملته فيما مضى على معارضته بحثها •!

وفي عام ١٩٤٥ اشتدت دعاية اليهود في امريكا بواسطة الصحف والاذاعات وشركات الانباء لمشروع الدولة اليهودية •

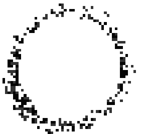
وطالبت اكثرية كبرى من مجالس الولايات المتحدة الامريكية بانشاء الدولة اليهودية وفتح ابواب فلسطين لهجرة يهودية حرة •

وفي بريطانيا قررت اللجنة التنفيذية لحزب العمال البريطاني ان تتبنى سياسة قيام دولة يهودية في فلسطين وتوسيع حدودها لتتسع لاكبر عدد من اليهود وترحيل العرب من فلسطين!

وفي المؤتمر الذي عقده حزب الاحرار البريطاني قرر ان يتبنى سياسة

الغاء الكتاب الابيض واطلاق الهجرة اليهودية الواسعة الى فلسطين.

فلما انتهت الحرب بانتصار الحلفاء اشتد نشاط اليهود السياسي في بريطانيا وامريكا ، مع استمرارهم على ثورتهم المسلحةفي فلسطين وقدموايزمن مذكرة الى مؤتمر سان فرنسيسكو طالب فيها بان يكون الحل لمشكلة فلسطين منطبقا على وعد بلفور وحق اليهود المكتسب في وطنهم القومي وقيام دولة يهودية في فلسطين (كومنولث). وما يقتضيه ذلك من رفع القيود عن الهجرة اليهودية وبيع الاراضي.



واغتنم اليهود فرصة موت روزفلت وحلول ترومان محله وحاجته الى تأييدهم فضغطوا عليه بشدة فلم يكن منه الا الاستجابة لمطالبهم باندفاع غريب وسرعة اغرب اذ طلب من الحكومة البريطانية ادخال مئة الفه مهاجر يهودي دفعة اولى الى فلسطين ، واعادة النظر في اوضاع القضية الفلسطينية وحلها بما يلائم أمن اليهود واستقرارهم . فبادرت الحكومة البريطانية بالاستجابةلمطالب ترومان واقدمت على ارتكاب خيانة جديدة لعهودها ومواثيقها بالغائها سياسة الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ التي تعهدت بتنفيذها سواء رضي العرب واليهود او لم يرضوا . ولكنها لم تقدم على ذلك فورا بل راوغت كعادتها واقترحت على ترومان تأليف لجنة تحقيق انجلو امريكية يؤخذ بتوصياتها وتبنى على اساسها سياسة جديدة يعمل بها لحل مشكلة فلسطين !!

الفصل الثامن عشر

عبد الناصر والمفتي



كان ظهور المفتي بين اعضاء مؤتمر باندونغ مفاجأة ضخمة ، ويرى في الصورة الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل اثناء تادية صلاة الجمعة في المسجد الكبير بباندونغ . ولعل هذه الصورة من الصور النادرة التي تجمع المفتي بعبد الناصر .

دق جرس التلفون في مكتب المفتي بداره في القاهرة (حلمية الزيتون)، المكتب الرحب القائم الى جانب الدار ، والذي يكسوه السجاد الوردي ، كان ذلك في نهاية مارس عام ١٩٤٧ ، كان المتكلم الصاغ محمود لبيب احـــد الضباط المجاهدين الذين قاتلوا في طرابلس الغرب وجاهدوا ضد الانكليــز وطلب من الحاج امين أن يسمح لبعض الضباط الشباب بمقابلته في منزلـه مقابلة سرية •

طلب الحاج أمين من محدثه القدوم اليه مسبقا للتبـــاحث في الامر ، فلبى الدعوة •

كان الصاغ محمود لبيب يعمل مع المفتي ، وقد كلفه بمهمـــة تدريب المجاهدين على القتال ، واطلق عليه اسم (رئيس حركة الشباب الفلسطيني)، وكان معارا للهيئة العربية العليا من قبل وزارة الدفاع المصرية لهذا الغرض••

جاء الصاغ لبيب في الموعد وقال للمفتي :

هناك بعض الضباط الشباب الذين يحترمون جهادك وتضحيتك من اجل وطنك ، يريدون ان تسمح لهم بزيارتك ، وقد اشترطوا ان يأتون اليك بصورة سرية ، فهل توافق سماحتكم على ذلك :

هل انت واثق منهم يا لبيب ؟

نعم انا واثق منهم ، وأود ان تتعرف عليهم ،!

اذن رتب المقابلة بالشكل الذي يتفق وطلبهم ،

ويقول المفتي وهو يروي لي هذا الحادث :

لقد اوعزنا الى بعض الحراس بالابتعاد ، وتركنا الباب الخلفي للمنـــزل بدون حراسة ، وفي الموعد المحدد دخل علي الصاغ محمود لبيب ومعـــــه اربعة ضباط :

(الصاغ جمال عبد الناصر ، الصاغ كمال عبد الحميد ، الصاغ عبد الحكيم عامر ، ولا اذكر اسم الرابع) وقد شعرت بان الضباط يريدون ان يتكلم عبد الناصر باسمهم ، ولاحظت انهم يقدمونه عليهم ، ويسكتون حين يتكلم .. فأدركت انني امام زعيمهم .

رحبت بهم وشكرت لهم عاطفتهم الوطنية وقلت لهم مـــاذا تريدون بالضبـــط ؟

فانبرى للكلام الصاغ جمال عبد الناصر وقال :

نحن يا سيدي نريد ان نتعاون معكم ، ونقاتل الى جانبكم ، وسنلتزم بالخطة التي تضعونها لنا ..

فشكرتهم على عاطفتهم الوطنية وسألتهم هل لديهم خطة ؟

فأخرج الصاغ جمال عبد الناصر من جيبه خطة كاملة وقال تستطيع ان نفيدكم كثيرا اذا ذهبنا الى جهة غزة وبئر السبع ، ولكن تعلمون اننا كضباط

لا نستطيع ترك عملنا دون استئذان رسمي من المسؤولين في وزارة الدفاع ، من اجل هذا نرجوكم التكلم مع القصر لاخذ موافقته اولا ، ثم التكلـم مع النقراشي باشا رئيس الوزراء على ان يقبل باحالتنا على الاستيداع ..

يقول المفتي :

وافقت على خطتهم ووعدتهم بالتكلم مع القصر ومع النقراشي وحـين سألتهم من يكلم وزارة الدفاع اجابني عبد الناصر :

نحن سنعمل لاخذ موافقة حيدر باشا قائد الجيش ، لان لدينا صلة به.

ويمضي المفتي قائلا :

ذهبت الى القصر الملكي وكلمت رئيس الديوان بشأن السماح لهـؤلاء الضباط بالتطوع معنا ، وبعدها ذهبت الى النقراشي باشا ، فاذا به يرفض رفضا باتا ويرجوني أن لا أقبل بمثل هذا العمـــل لا سيما مع هؤلاء الشبـاب المندفعـين ...

وحين ألححت على القصر بالموافقة رجاني رئيس الديوان الملكي بالتريث بمض الوقت .

طلب مني عبد الناصر ورفاقه الاجتماع بي مرة ثانية ، فأجبته الى طلبه وبالطريقة ذاتها التي تم فيها الاجتماع الاول ، فجاء مع رفاقه واعلمني ان حيدر باشا رفض المشروع ، فأبلغتهم بان النقراشي باشا رفض وان القصر تريـث فوعدوني ببذل المساعي ، كما وعدتهم بدوري بان آكلم الملك بشأنهم ، وكان الملك فاروق لا يرفض لي طلبا . ورغم عدم تحقيق طلبهم فقد ظلت صـلاتي حسنة وودية مع جمال عبد الناصر ورفاقه ، وكنت أحيانا ألقاه فألمس حماسه واندفاعه من أجل قضية فلسطين .

وقامت حركة ٢٣ يوليو فاستبشرنا خيرا ، وبعد أيام قليلة من قيامهـــا قابلت اللواء محمد نجيب الرجل الطيب الصادق وكان الى جانبه علي صبري.

واذكر هنا انني قابلت جمال عبد الناصر في بيته ولفت نظره الى موضوع التعويضات الالمانية لاسرائيل التي كانت مثارة في ذلك الحين ، وخطرها على القضية الفلسطينية، وذكرت الاخطار الكامنة وراءالموافقة الالمانيةعليها،وكانت يومها مجرد محاولة من اميركا للضغط على المانيا لدفع التعويضات ؛ وقـــد اصغي الى أقوالي ووعدني خيرا • ثم قدمت مذكرة الى مجلس الثورة بنفسي، وحين ذهبت للاجتماع بمجلس الثورة قابلني الصاغ المرحوم صلاح ســالـم، فأخبرني ان مجلس الثورة مجتمعا واستلم مذكرتي وطلب مني الانتظار قليلا، لعرضها على رفاقه، وأمر باحضار المرطبات ريثما يعود الي ، ولم تمض دقائق حتى خرج الصاغ سالم وقال لي :

لقد اتخذنا قرارا بقطع العلاقات مع المانيا اذا قبلت دفع التعويضات الى اسرائيل ، ثم عرض علي صورة البرقية التي سترسلها الحكومة المصرية الـــى حكومة بون ، وعليها توقيع علي ماهر باشا الذي كان يشغل منصب رئيس الوزراء اثر حركة ٢٣ يوليو • وكان موقفا مشرفا لرجال الثورة الذين يعلمون حقيقة العلم مدى حاجة المانيا الغربية في ذلك الحين الى الاسواق العربية•

وبعد اسبوع من هذا الموقف عقدت الجامعة العربية اجتماعا عـــاجلا واتخذت قرارا بمقاطعة الحكومة الالمانية اذا وافقت على دفع التعويضـــات لاسرائيل •••

ولكن محمود فوزي مندوب مصر الدائم في هيئة الامم المتحدة تدخـــل تدخلا ملحا لتجميد هذا القرار ، ودفع بحكومته للتغاضي عن القرار الـــذي اتخذته •••

واذكر هنا ان السفير الالماني في القاهرة جاءني وطلب مني أن أخـــفف ضغطي على الحكومة المصرية وعلى الجامعة العربية لان الموضوع ليس في يد ألمانيا وحكومتها بل انها مرغمة للدفع تحت ضغط الولايات المتحدةالامريكية•

وهكذا تحمست الثورة ثم سرعان ما خفت الحماس وتركوا المسألة معلقة الى آن تفاقمت ••

منذ ذلك الوقت وانا اشعر بالمضايقات تلاحقني الى ان وقع العدوان الثلاثي وجاء هامرشولد الى القاهرة واجرى مباحثاته مع عبد الناصر ، ومن يومها ونحن نشعر ان شيئا ما يهيأ ضد القضية الفلسطينية ، منعونا من اقامة الحفلات التي كنا نغتنمها لاثارة قضية فلسطين ، ومنعونا من الاتصالات ، وراقبوا كل من يزورنا ، وفجأة شعرت ان قضية فلسطين قد خمدت ، وانها قد تحولت الى قضية لاجئين ..

وبدأت روائح الحل السلمي للقضية تطل علينا من جديد ، كان هذا الحل معروفا لدينا ، ولكننا كنا نقاومه بكل قوانا ، وننبه الحكومات العربية الى خطره ،

وجاءت المفاجأة التي أذهلتني ..

لقد وصلتني رسالة من هيئة الامم المتحدة تخبرني ان همرشولد يعد مشروعا لحل قضية فلسطين ، وانه اتفق مع عبد الناصر على خطوطه الكبرى، وان الرئيس المصري قد وافق عليه . فلم أصدق .

بعثت برسالة سرية الى الدكتور محمد الفرا (وكان يومها موظفا في هيئة الامم المتحدة وليس رئيسا لوفد الاردن) فجاءني الجواب بصحة النبأ واضاف، عليه بان هامرشولد قد اتفق مع عبد الناصر على حل هذه القضية خلال عشر سنوات مقابل ثلاثة الاف مليون دولار تأخذ منها مصر الف مليون دولار، وتأخذ سورية مثلها ، ويوزع الباقي على لبنان والاردن. وكان هذا المبلغ بمثابة رشوة للدول العربية المضيفة للفلسطينيين ...

وفجأة وبدون سابق انذار هبت الصحف المصرية الخاضعة لاشراف الحكومة تشن حملة قاسية ضد الهيئة العربية العليا ورجالها ، وانصبت الاتهامات على رؤوس العاملين في حقل القضية الفلسطينية ، بعثنا بردودنا فلم تنشر ، حاولنا الاتصال برجال الحكومة المصرية لمناقشتهم فرفضوا مقابلتنا، واذا بمجلة روز اليوسف تشن علي حملة ظالمة لم تعرفها الصحافة المصرية من

قبل ، بعثت بردي الى هذه المجلة فرفضت نشره ، بعثت بردي الى الصحف المصرية الاخرى فتجاهلته ، فتشنا على محامي لاقامة الدعوى على هذه الصحيفة المتجنية فلم يتجرأ احد على الدخول في دعوى تقام ضد جريدة الثورة المقربة من السلطات .

وفي احدى الليالي فوجئت بشاب متزن يطلب مقابلتي وهو من ابرز المحامين المصريين (وامسك عن ذكر اسمه) فقال لي :

انا على استعداد لان اقيم الدعوى على مجلة روز اليوسف ، ولكنني اؤكد لك انك لن تجد قاضي واحد في مصر لديه الجرأة بان يحكم ضدها ، والافضل ان تكتبوا للرئيس بذلك .

كتبت للرئيس جمال عبد الناصر مثنى وثلاث ورباع فلم أحظ باي رد ، وكان الجو في القاهرة حارا ، ولم يعد لوجودنا اي معنى ، طالما اننا نشتم ونهاجم ولا نستطيع الرد ، عندها قررت ان اذهب الى دمشق وكان ذلك في ١٥ ايلول ١٩٥٩ ، واثناء مروري في بيروت رأيت من الانسب ان اقضي فصل الصيف في سوق الغرب وما ان علمت الصحافة اللبنانية بوصولي حتى انطلقت الصحف الناصرية في حملة سباب وشتائم ، في حين انبرت الصحف الحيادية بالدفاع عن القضية الفلسطينية وكشف النقاب عن اسباب هذه الحملة ، وعلاقتها بمشروع همرشولد والثلاثة الاف مليون دولار المختبئة في مشروعه المعروف . ولم يكن في نيتي مغادرة مصر ، ولكن قناعتي بانني لن استطيع عمل شيء هناك دفعتني لمغادرتها والاقامة في لبنان .

والجدير بالذكر ان حكومة لبنان كانت ضد مشروع همرشولد ، لان استيطان اللاجئين في لبنان يتنافى مع مصلحة الدولة ، فاكثرية الفلسطينيين الذين يراد توطينهم هم من المسلمين ، واستيطانهم معناه منحهم الجنسية اللبنانية ، عندها سيهتز التوازن الطائفي ، من اجل هذا رفضت المشروع وعملت على كشف اسراره .

جامعة الدول العربية

الأمانة العامة

عزيزي صاحب السماحة السيد أمين

السلام عليكم. وصلني كتابك. أما المسائل الخاصة فلم أدخر في سبيلها وسيلة سواء مع البريطانيين أو بالنسبة لليوغوسلافيين وطلبهم وقد بلغت الحكومة اليوغسلافية أن العرب على تدخلها لطلب محاكمتك كمجرم حرب وأن العرب يعتبرون عملها أكبر إساءة لهم وقد أيدتني الحكومة المصرية في ذلك وقد بلغني البعض كما لاحظته عن رسمي أنها لم تطلب شيئاً بعد. أمهل ما في يدي طمأنينتك على ما أنت فيه بعزوفك والله يرعاك. وتقبل وافر الاحترام

عبد الرحمن عزام

٢٥/٩/٤٥

وقد استلمت خطابك ١٦ سبتمبر المرسل بيد الصلح وسلمت مذكرة الدفاع للحكومة المصرية لتوضيح وجهة نظرنا في حالة تحرك اليوغسلافيين في مسألة طلبهم مرة أخرى. أرجو تأييد ما طلبناه سابقاً منذ عدم التعرض لكم.

عبد الرحمن

الرسالة الأولى من عزام الى المفتي

٤٥/٧/١١

SAVOY HOTEL LONDON

عزيزي الأخ الحاج أمين

السلام عليكم . وصلني خطابك وإذا لم أجبك في الحين [illegible]

[illegible]

عبد الرحمن عزام

الرسالة الثانية من عزام الى المفتي

عزيزي الأخ الحسيني [illegible]

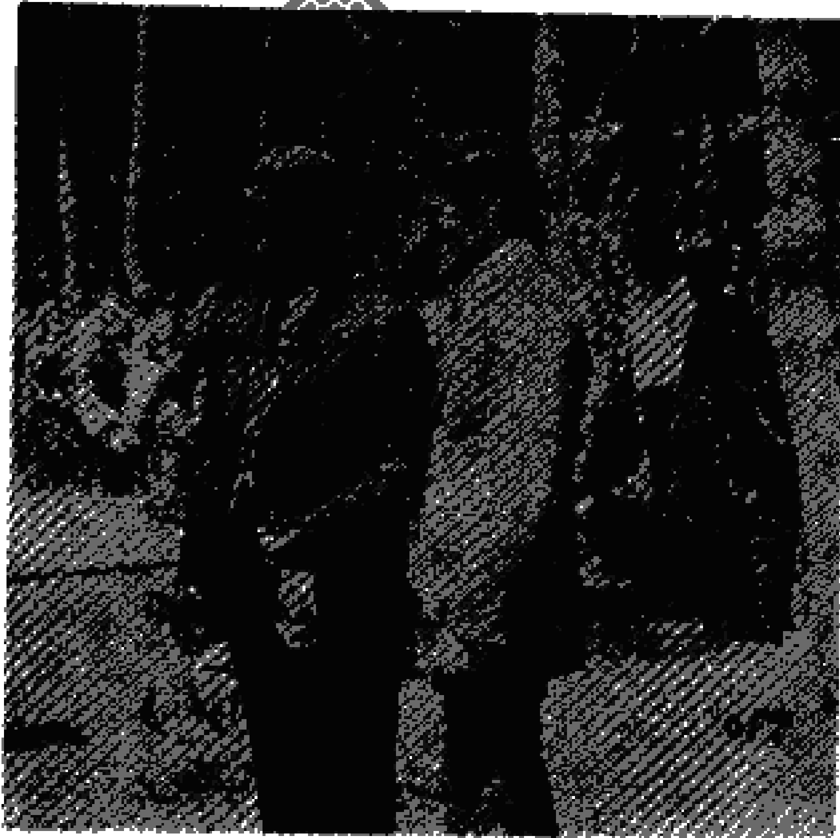
السلام عليكم [illegible]

[illegible]

عبد الرحمن عزام

٤٦/٩/١٤

واحدة من رسائل عزام



« البرغاوي » مرافق المفتي الاسبق يلقي على جثمان الراحل نظرة الوداع الاخيرة

الفهرس

منشئها
أحمد عارف الزين

العرفان

صاحبها
مدير التحرير المسؤول
نزار الزين

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ــ سنتها ١٠ أشهر بألف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الاول مجلد ٦٦ كانون الثاني «يناير» ١٩٧٨ م محرم ١٣٩٨هـ.





بسم الله الرحمن الرحيم

من عام الى عام

بقلم : صاحب العرفان

عزيزي القارئ

يسرنا ان نقدم لك العدد الاول من مجلد العرفان السادس والستين لسنته الواحدة والسبعين هجرية والتاسعة والستين ميلادية وكنا نتمنى ان نتمكن من النهوض به وتطويره وتقدمه اكثر من الان ، ولكن القضية هي مسألة قصور لا تقصير اذ ان الحوادث المفجعة التي مر بها لبنان ضربتنا في الصميم ، فاذا بالمادة التي هي عصب الحياة والسير الى الامام تفقد .

ونحمد الله ان العرفان بقيت صامدة مستمرة في احلك الاوقات وفي ظروف عصيبة لم يتمكن غيرنا من الصمود فيها ، قال البعض ان هذه مغامرة، بل بطولة وبقي كلامهم عواطف فقط ، لم ينفع العرفان في شيء قولهم هذا وذكرنا بابيات للجواهري كان ارسلها للمرحوم الوالد المؤسس يقول فيها :

أحمد ما ابثثتك الهم والجوى لتسعدني الا لانك عارف

ألا لا تنل شكواي منك فانها تؤلم حتى الصخر هذي القذائف

يقولون مطبوع القريض لطيفه فهل قوبلت باللطف هذي اللطائف

ألا لو يبوح الشعر مني بما انطوى لهبت على هذي الطروس عواصف

على ان هؤلاء مهما كان امرهم أهون من اولئك الحاسدين والمنافقين والمكابرين والمتآمرين الذين خرجوا من اوكارهم حين حلت بنا الكارثة يشاركون في الذبح ومنهم من اوجدته العرفان من العدم ولولاها لكان شخصا عاديا، على

انه كما قال المثل: «لوخليت لبليت» فللعرفان انصار معنويون وماديون لايتخلون عنها في الازمات، كما ان الله معها لا نهامع الحق. في الظروف العصيبة والاوقات الحرجة لا شيء يعدل الاتفاق والاتحاد والعمل يدا واحدة في سبيل العز والكرامة واسترجاع الحق السليب ولا نرى هنا انسب من افتتاحية كان الوالد المؤسس عليه الرحمة كتبها سنة ١٩٢٢م في مناسبة كهذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وصحبه الانجبين وعباده الصالحين.

اللهم هب لنا جنانا ثابتا ومقولا صادقا ولسانا بالحق ناطقا وهب لمؤازرينا نجحا وتأييدا وسدادا ولمناوئينا هداية ورشادا واجعلنا ممن يأخذون العفو ويأمرون بالعرف وينهون عن المنكر وحسن نياتنا انك تعلم ما تكنه الصدور وما تلده الازمنة والدهور وهيء لنا من امرنا رشدا وبعد: فقد مر على تأسيس (العرفان) أحد عشر عاما لم يصدر منه سوى خمسة مجلدات و (جزءان) وذلك لان الحرب الضروس التي أنست الناس حرب داحس والبسوس بل حرب بونابرت واليابان والروس ألجأتنا الى توقيفه واصدرتنا عن اصداره وما برحنا منذ حصل الانقلاب وفتح ما أوصد من الابواب نتربص تربص المتحفز المتردد وننتظر انتظار المترقب المسترشد حتى آنستنا سنوح الفرصة فانتهزناها قبل فواتها.

ولا غرو فالامور مرهونة بأوقاتها واثقين بحسن الفوز والفوز الحسن للبلاد التي تحيي ما اندرس من معالم العرفان وتظهر ما انطمس من صوى الامة والاوطان.

وقل من جد في أمر يحاوله وحاول الصبر الا فاز بالظفر

اللهم انك تعلم ما اصاب هذه الامة من الخطوب وما نابها من النوائب والكوارث والكروب التي أوهت قواها وحلت ما وثق من عراها وهي ما زالت تارة لاهية لاعبة وطورا صائحة صاخبة، وهذا الوطن التاعس يتململ

بين ايديها تململ شخص حكم عليه بتقطيع اوصاله فهو يئن متألما ومعذبـه يضحك هازئا ولو نبشت دفينة هذا الشعب المتغلغل في علوائه السادر في خيلائه وسألته عن الداء والدواء لاجابك جل افراده لم لا تتفــق ؟ ولم لا تتحــد ؟ ولماذا نبقى في بهماء الخلاف متسكعين ، ولم لا نزال عن الغي والجهــل غير معرضين .

يـــا للرزية كـــم تفرق بيننـــا وتفضلنـــا الاضغـــان والاحقـــاد

هل فرقنا الدين حاشا ثم حاشا ان يأمر دين من الاديان بالتفريق وهذه الكتب السماوية كلها متفقة على الامر بالتآلف والتعارف وليس من الدين في شيء سلوك طريق الخلاف والشقـــاق .

وليـــس بديـــن كـــل مـــا يفعلونه ولكنـــه جهـــل وســـوء تفهـــم

ام أضلتنا السياسة التي نستعيذ بالله منها كما استعاذ منها ذاك الحكيم فقال : اعوذ بالله من السياسة والساسة ومن كل سائس ومسوس ومما اشتقت منه لفظة السياسة .

أجل هي التي أضلتنا وفرقتنا بيد انها ذهبت بذهاب امس الدابر وبرهنا في كل مواقفنا اننا امة قاصرة تحتاج الى الوصي المرشد فكان الانتداب حتمــا مقضيا فهلا برهنا عن حسن نياتنا بقوة تضامننا لنقصر اجل تلك الوصايـــة ويحترمنا المنتدبـــون .

اما اذا ظللنا لاهين في الامور الخاصة عن الامور العامة مشتغلين في تمزيق أهاب بعضنا بعضنا فابك واندب هذا الوطن التاعس الذي اضاعه ابنـــاؤه وأضله ادلاؤه فهو لا شك يموت ولسان حاله ينشد :

أضـــاعوني وأي فتى اضاعـــوا ليـــوم كريهـــة وســـداد ثغـــر

فهلموا يا ابناء الوطن وتصافحوا بالقلوب قبل الايدي وانبذوا ظهريا كل من يسعى للتفريق بينكم هلموا كلكم من مسيحيين ومسلمين بل من شيعيين وسنيين وموارنة وكاثوليك وارثوذكس ولوثريين الخ واطرحوا الاضغان جانبا

واصرخوا صرخة واحدة قد تحالفنا واتحدنا على ايقاظ هذا الوطن من غفلته وانقاذه من ورطته فقد آن ان تؤثر بنا العظات ونعتبر بما مر بنا من العبر والمثلات •

يا ابناء الوطن الواحد : الوطن لاهله والدين لله فكونوا عباد الله اخوانا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان لا طريق لاعلاء شأن هذا الوطن الا باتحاد ابنائه على رفع منار العلم والعرفان وتخريب بيوت الجهل والتعصب الذميم واعلموا ان السلاح الوحيد الذي تتسلح به الامم الراقية هو العلم فبادروا اليه لتكونوا شعبا حيا حرا مستقلا وقل اعملوا فسيرى الله عملكم والا ان دام هذا الحال فاقرئوا عن المعالي السلاما :

ان دام هذا ولم تحدث له غير ... لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

وفقنا الله لجمع الشتات واحياء الموات واقالنا الله العثرات وهدانا الى نشر العلم والقول الصريح ، انه سميع مجيب •

حوار ممتع

دخل ابو العيناء على المتوكل وكان ضريرا • فقال له المتوكل : اي شيء تحسن؟ قال : أفهم وافهم ، وآخذ من المجلس ما حوى، فمرة أغلب ومرة أغلب • قال : تحب ان تلزم مجلسنا • قال : يا امير المؤمنين اناجهل الناس من يجهل نفسه ، انا امرؤ محجوب ، والمحجوب تختلف اشارته ، وقد يجوز قصده ، فيصغي الى غير من يحدثه ، ويقبل بحديثه على غير من يسمع منه، وجائز ان يتكلم بكلام غير راض ، ومتى لم افرق بين هذين هلكت • واخرى: كل من في مجلسك يخدمك وانا احتاج ان اخدم ، ولم اقل هذا جهلا مني بما في هذا المجلس من الفائدة ، ولكني اخترت العافية على التعرض للبلاء • فقال الفتح بن خاقان : يا امير المؤمنين ، هذا رجل عاقل عارف بنفسه وبحق الملوك • قال : فيلزمنا في كل الاوقات لزوم الفرض الواجب •

ذكرى كربلاء

بقلم : محمد علي اسبر

الذكريات في تاريخ الاسلام كثيرة .. ولا ريب ان من ينقب عن الجوهر الاصيل ، والمرمى النبيل لكل ذكرى ، يجد ان ذكرى « مأساة كربلاء » تحتل المكانة الشامخة في تاريخ الاسلام المجيد ...

ذكرى كربلاء ــ ذكرى استشهاد الامام الحسين بن علي بن ابي طالب تمثل ــ منذ كان الدهر ، وحتى يفنى الدهر ــ النضال الحازم الغني بشمائل الشجاعة ومعانيها ... والانسانية وفضائلها ...

استشهاد الامام الحسين في كربلاء هو الذي أرسى قواعد الاسلام من جديد على صخرة الخلود ، بعدما قلقلتها الجاهلية الاموية التي اتخذت لها من جبة الاسلام رداءا بينما كانت تتوجه في قلبها الى تماثيل اربابها الاول : هبل، واللات، والعزى ... ضحى الامام الحسين بنفسه الزكية ، وبالعظاريف الميامين من أهله وصحبه راضي القلب ، مبتهج الخاطر ، ولكن ، أتعلمون لم فعل ذلك ؟؟؟

زعم قوم ان الامام الحسين ثار على يزيد طلبا للملك .. وغمز آخرون من شجاعته، فزعموا : انه عندما احمر البأس ، ورأى كتائب ابن زياد المؤلفة من اربعة آلاف محارب ، زعموا ، انه رضي ان يذهب الى الطاغوت يزيد، ويضع يده في يده . ونسب اليه بعضهم الخطأ في ثورته على يزيد ، وسفهاء يزيد .. وقال غيرهم ... وكثيرا ما قال المغرضون وتقولوا ... ولكنهم جميعا قالوا : كذبا ، وبهتانا ، وزورا ..

● القيت في جامع الامام علي الرضا في جبله في احتفال العاشر من محرم، والاستاذ محمد علي اسبر مرب فاضل واديب كبير وقد زانه الله بحسن الخلق والتواضع والوفاء والكرم .

لقد ثار الامام الحسين على يزيد بن معاوية لنفس الغاية التي جاء من أجلها جده محمد بالرسالة الالهية ..

حارب الامام الحسين كما حارب الحمزة بن عبد المطلب ، وكما حارب عمه جعفر بن ابي طالب ، وكما حارب ابوه الامام العظيم علي ، واستشهد كما استشهدوا لاجل تحقيق مثل الاسلام العليا ..

ثار الامام الحسين غضبا لجماهير الشعب الكادحة التي سحقتها ، الفردية ، المتعالية ، المتكبرة ... ثار الامام الحسين لتكون السياسة التي تحكم الناس سياسة الذكر الحكيم ، لا سياسة الاوثان ، والغدر ، والسيطرة، والخمور ...

ثار الامام الحسين ليخلص الشعب من الجمود ... ويدفع به في ميادين العمل الخلاق ، لينشىء حضارة ... ويرفع مدنية ... ويحقق عدالة الاسلام الاشتراكية ..

ثورة الامام الحسين كانت للعرب جميعا ، وللمسلمين جميعا ، وللانسانية كلها ..

من اجل ذلك ثار الامام الحسين .. وفي سبيل ذلك استشهد صلوات الله عليه ..



الامام الحسين من معدن جده رسول الله الذي اصطفاه العلي العظيم ليحمل رسالته الى العالم قاطبة .

انه من طينة ابيه علي الذي ولد في أقدس بيت عرفه الكوكب الارضي ، وهو بيت الله الحرام ، فكانت ولادته تلك دليلا ساطعا على مكانته الشاهقة... وعلى سموه الروحي الجليل .

انه من طينة امه فاطمة التي قال عنها والدها الرسول الكريم : فاطمة

بضعة مني من آذاها فقد آذاني ، ومن اذاني فقـد آذى الله . الامام الحسين من جوهر تلك الطينة المباركة ، وقد عاش حياتها الفاضلة المشرقة بأنوار الوحي الرباني ، وحنان الحب الرحماني . كم ركب هو واخوه الحسن ظهر جدهما رسول الله ، فيمشي بهما ، وهما فوق ظهره(١)، ويقول لهما ، والمسرة تتدفق من وجهه النبيل بسمات نيرات : نعم الحمل حملكما ، ونعم العدلان انتما ..

وقبل هذا ، عندما فتح الحسين عينيه ليرى النور فتحهما على وجـه جده النبي العظيم الذي تناول لسانه بفمه الشريف ، ينضره بعبق الالهام... ثم يسكب في اذنيه موسيقى السماء آيات من المصحـف الكريم ، وفصول الآذان المجدولة من ضياء التهليل والتكبير ..

ثم شب الحسين ، وترعرع في فردوس القرآن الكريم ، يتغذى من ثمار الوحي الصمداني ، وأساتذته الثالوث الممجد : محمد ، وعلي ، وفاطمـة فاذا هو ـ وقد فني في ذات القرآن ـ صار ، وكأنه سورة ملخصة من القرآن... وكيف لا يكون كذلك .. وان له عند كل آية وقفة تأمل عميقة ... وان له من كل آية علما رفيعا .. وانه ليكتشف في تلافيف كل اية سرا بديعا ، دقيقا.. فاذا قلبه الفتي .. اذا نفسه النقية .. اذا مداركه المتفتحة ، تتسع لمعـارف الدنيا ، وما بعد الدنيا ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

ذلك ، هو الامام الحسين ، فكيف لا يحارب لاجل مبادىء القرآن نوره ، وكنز حياته ؟؟

انه من آل محمد ، وعلى آل محمد ان يحافظوا على التراث السماوي الذي جاء به سيدهم محمد من لدن علي ، حكيـم .

ان عليهم ان يحموا مبادىء الاسلام من كل رجس ... ليبقى الاسلام منارة هدى وفيض ، ورحمة ، ومحبة .. ليظل أصل كلمة التوحيد راسخـا في الارض ، وفرعها باسقا في السماء ..وهكذا فعلوا .

(١) راجع صفحة ١٠٩ من نور الابصار للشبلنجي .

امير المؤمنين علي جعل من حياته درعا للاسلام ، ومفاهيم الاسـلام ، واخلاق الاسلام ، فجالد الشرك حتى ذبحه ... واقام عمود الاسلام(١) وما زال يواصل الجهاد حتى :

سقط السيف بعد طول الضراب   من يـد الحق أحمر الجلباب

والامام الحسن مثل دوره في الحفاظ على استمرار الاسلام حتى مضى شهيدا كأبيه .. والآن جاء دور بطل كربلاء .. جاء دور الامام الحسين الذي رافق اباه واخاه ، وقاسمهما لذة الجهاد بعد غياب جده رسول الله .

كان يرى حكام المسلمين يخلقون الاحداث خلقا ، ويبعثون بها أفاعي جبارة الى آل محمد لتبتلعهم .. كان يعجب من اولئك القوم الذين خاطبهم الله بلسان نبيه فقال : قل، لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ، وكلهم يعلم : ان عليا ، وفاطمة ، والحسن ، وهو هم القربى التي اوصى بها الله ... وعندما نزل قوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » أجمع جده رسول الله والده عليا، وفاطمة امه، وهو، واخاه الحسن ، ونشر عليهم عباءته ، وقال مخاطبا ربه : اللهم ، هؤلاء أهل بيـتي فأذهب الرجس عنهم ، وطهرهم تطهيرا (٢)، والمسلمون يعرفون هذا ايضا ، ومع ذلك فهم لا يترددون عن اطلاق سهام الشر القاتلة على آل محمـد .. وان كل مسلم يقول في صلاته : اللهم صل على محمد وآل محمد ... ومن هم آل محمد ؟؟ انهم علي وفاطمة واخوه الحسن ، وهو ، وابناؤهم الائمـة.. هؤلاء هم آل محمد (٣) ، وذلك معروف بالضرورة من كل مسلم مـؤمن

---

(١) في الصفحة ١٦٩ من المجلد الرابع من شرح النهج للمعتزلي ما يأتي : ان عليا جلس الى عمر في المسجد وعنده ناس ، فلما قام عرض واحد بذكره تنسبه الى التيه ، والعجب ، فقال عمر : حق لمثله ان يتيه ، والله ، والله لولا سيفه لما قام عمود الاسلام ، وهو بعد اقضى الامـة .. الخ.

(٢) ـ راجع صفحة ١٣٠ من المجلد السابع من صحيح مسلم ، تحت عنوان فضائـل أهل البيت ، وصفحة ٢٨ من كتاب فاطمة الزهراء للعقاد ...

(٣) راجع الصفحة ١٠٥ والصفحة ١٦٠ من كتاب ابناء الرسول في كربلاء لخالد محمد خالد من علماء الازهر والصفحة ١٠١ من نور الابصار .

برسالة محمد •• ومع ذلك فهم لا يحجبون عن الفتك بآل محمد حينما تواتيهم الفرص •• أليس ذلك هو العجب العجاب ؟؟

هذه الافكار كانت بلا ريب تتمشى في خاطر الامام الحسين•• وكأني به صلوات الله عليه ـ يبتسم من اعمال هذه الامة العجيبة ، الغريبة ••• وكأني به لا يلبث ان يزحزح هذه الافكار جانبا ، لينصرف الى احداث ساعته ، لير ى، كيف يعالجها ؟؟ ••• ان الاسلام في خطر ••• وعليه هو ان يؤدي دوره ليحافظ على صرح الاسلام من الاذى ، ويثبت عمده المرتجفة •••

معاوية فرض ابنه يزيد حاكما مطلقا على الناس ، فقضى بذلك على حكم الشورى ••• وقد خطب أحد قادته حينما نصب يزيد حاكما فقال : هذا أمير المؤمنين ، واشار الى معاوية ، فان هلك ، فهذا ، واشار الى يزيد ••• ومن ابى فهذا وسل سيفه من غمده ، وأشهره في وجه رؤساء الوفود التي دعيت للحضور لتبايع يزيد ••

وبارك معاوية ذلك الخطيب فقال له : أنت أخطب العرب (١)•• وقد مات معاوية ، وركب يزيد سدة الحكم ، ويزيد لا هم له منذ كان غلاما غضبا الا شرب الخمور ، والانغماس في حمأة الملذات ، والملاهي ، ومسامرة القرود(٢)، حتى سماه أهل الشام « يزيد القرود »••

واذا كان ذلك هو أمير المؤمنين ، كما سماه والده معاوية ، فكيف يمكن ان يكون وزراؤه ، وقادته ؟؟

حتما سيكونون على شاكلته ••• وحتما سينعكس ذلك على جماهير الشعب : فوضى ، وتعاسة ، واضطهادا •••

اذا فالاسلام في خطر ••

العدالة الاجتماعية الاسلامية قد اندكت شوامخها دكا •• جماهير

(١) راجع صفحة ٢٨ من مروج الذهب للمسعودي من المجلد الثالث .

(٢) راجع صفحة ١٤٤ من كتاب الحسين ابو الشهداء للعقاد ، والصفحة ٦٧ من الجزء الثالث من مروج الذهب للمسعودي .

الشعب تتغذى ثمار القهر ، والحرمان •• جماهير الشعب ترغم على دفـــع الضرائب المرهقة ••• جماهير الشعب مظلومة •• وحقها من بيت المـــال ••• حقها من الزكاة يصرف على المتع الجسدية المحرمة •• وعلى المحاسيـــب ، والانصار الذين يثرون من بؤس الآخرين •• واولئك الآخرون قد جعل منهم جبروت أمية المتجسد بيزيد عالم أشباح انطفأ فيه نور كل اباء ، وألقى بنفسه في مستنقع استسلام حزين ••

القبلية التي تمزق وحدة الامة ، والتي قضى عليها الرسول ، أحياهـا معاوية وابنه يزيد ، فقربا اليمانية ، وفتحا لها بيت مال المسلمين تنهب منـه ما تشاء لتحمي عرش أمية العائم فوق بحر من دماء الابرياء •••

الاخاء ، الحرية ، المساواة ، المحبة ، هذه الاركان التي فرضها الاسلام، لاسعاد المجتمع البشري ، صارت في النفس الاخير من الخمود ••• لم يبق من الاسلام ومبادئه الا شعارات خارجية ، ينادى بها تدجيلا ، وتضليلا •

الاسلام في خطر • ومن له غير آل محمد !! من له غير الامام الحسـين رأس البيت النبوي ؟!

لكأني به ــ صلوات الله عليه ــ بعدما جالت هذه الخواطر في قلبه •• وبعدما وفاها حقها من الدرس البصير •• كأني به يخاطب نفسه الزكية قائلا: الى جهاد القاسطين يا حسين ، الى جهاد هؤلاء الذين أعادوا الجاهلية سيرتها الاولى •• وعطلوا احكام القرآن ، وضيعوا سنة نبي الهـدى ، « واتخذوا مال الله دولا ، ودين الله دخلا ، وعباد الله خولا »••



خرج الحسين من المدينة الى مكة المكرمة بعدما كتب يزيد الى عاملـه في المدينة ان يأخذ له البيعة من الحسين فاذا رفض ان يبايع فليمزقه بشفـار

السيوف ••• وفي مكة بدأ وجوه أهل الكوفة يمطرونه برسائلهم ••• عشرات مئات ، ألوف الرسائل من الشعب وقادته يبايعون الامام الحسين ••• كلهم يتعجلون حضوره ليتسلم القيادة • وينقذهم من الظلم الذي يأكلون زقومه أكلا •••

ترى ، هل اقتنع الامام الحسين ان اصحاب تلك الرسائل سيفون بعهودهم عندما تتصافح الاسنة ••• وتشتعل نار الحرب بينه وبين يزيد بن معاوية ؟؟

أنا أعتقد انه لم يكن واثقا بهم •••، ومع ذلك ، واستجابة لصوت الحق الجريح ـ استجابة لنداء القرآن ••، فقد لبى الدعاء •• وأرسل اليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن ابي طالب ، ليأخذ له البيعة ••• ويكتب اليه بما يرى ••

بيد ان الامام الحسين لم ينتظر جواب مسلم ، بل لحقه بعد فترة قصيرة من الزمن ، ومعه النساء ، والصبيان ، من أهل بيته الكريم • وجاءه ابن عباس يريد ان يمنعه من الذهاب ••• وجاء أخوه محمد ابن الحنيفة •• وجاء ابو سعيد الخوري •• وجاء كثير غيرهم •• وأسرع الى اللحاق به عبد الله بن عمر بن الخطاب ضارعا اليه ان لا يترك مكة ، ويذهب الى الكوفة ••• الكل بكوا •• الكل توسلوا ورجوا ••• الكل كانوا مدركين ان النتائج ستكون شرا مستطيرا ••• ولم يكونوا هم أكثر ادراكا للنتائج منه ••• وبالرغم من كل ذلك فقد رفض ان يكون من القاعدين •••

انه يعلم انه سيلقي بنفسه في لهوات الموت ، ولكن موته سيحفظ الاسلام من الضياع ، اذا ، فليسر على اسم الله والبركات •

ومضى في طريقه شطر الكوفة ، وقبل ان يصل كربلاء بلغه مصرع ابن عمه مسلم ••• علم ان ثمانية عشر ألفا بايعوه ، وانهم تخلوا عنه عندما قبض عليه عبيد الله بن زياد ، وعلم انه جرى بين مسلم ، وبين ابن زياد الحوار التالي :(١)

---

(١) معالي السبطين للمازندراني ـ الحائري المجلس الرابع صفحة ٢٤٠.

قال ابن زياد : أخبرني يا مسلم ، لماذا أتيت هذا البلد ؟؟

فقال مسلم : لقد أظهرتم المنكر ، ودفعتم المعروف ، وتأمرتم على الناس بغير رضى منهم ، وحملتموهم على غير ما امركم الله به ، وعملتم فيهم باعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف ، وننهى عن المنكر ، وندعوهم الى حكم الكتاب والسنة ، وكنا أهل ذلك ، فشتمه ابن زياد وأمر به فقتل.. سمع الامام الحسين ذلك فلم يتراجع، ورأى في الطريق دعبل الشاعر قادما من الكوفة فسأله عن شؤون الناس ، فقال له : قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع يزيد فلم يتراجع .. بل كتب الى رؤوس اهل البصرة الكتاب التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي .. الى مالك بن مسمع ، والاحنف بن قيس ، ومسعود بن عمر ، وقيس بن الهيثم ، والمنذر بن الجارود .

اما بعد ، فاني ادعوكم الى احياء معالم الحق ، واماتة البدعة والباطل، فان تجيبوا تهتدوا سبيل الرشاد ..(١)

هذه الكلمات الست عشرة توضح غاية الامام الحسين من ثورته ... انه يريد احياء معالم الحق .. واماتة الباطل والبدع ، وفي ذلك عز الاسلام ورفعته ، وهناء جماهير الشعب وكرامتها ... أرسل الامام الحسين هذا الكتاب ، وانطلق قدما حتى وصل القادسية ، فاذا ألف محارب طليعة جيش عبيد الله بن زياد يقودهم الحر بن يزيد التميمي اليربوعي ، يحدقون به ، وبمن معه ... واجتمع الامام الحسين ، بالحر ... وعندما حضرت الصلاة اتخذ الحر وجنوده من الحسين اماما يصلون بصلاته .. وتحدث الامام الحسين الى الحر طويلا .. أعلمه انما جاء ليعيد للاسلام اشراقه ، أعلمه انما جاء ليعيد للشعب حريته ، وحقوقه ، ولكن الحر وقف عنيدا ، مكابرا ... رفض الدخول في أي حوار فكري ... أطفأ مصباح عقله ... وأصر على

(١) ابناء الرسول في كربلاء لخالد محمد خالد

تنفيذ اوامر عبيد الله بن زياد ••• واخذ يسير اذا سار ركب الحسين ، وينزل اذا نزلوا ، ومر على ذلك أيام ثقيلة ، مضنية ••• كان الحسين لا يفتر فيها عن التحدث الى الحر وجنوده عندما تواتيه الفرصة المناسبة ، خطب فيهم ، وبمن معه يوما فقال : أيها الناس •

ان رسول الله «ص» قال : من رأى سلطانا جائرا ، مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله ، مخالفا لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يعير عليه بفعل ، ولا بقول ، كان حقا على الله ان يدخله مدخله ،•• الا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلوا حرام الله ، وحرموا حلاله ، وأنا أحق من غيري، وقد أتتني كتبكم ، وقدم علي رسلكم ببيعتكم ، فان قمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم ، وان لم تفعلوا وتقضتم عهدكم ، فحظكم أخطأتم ، ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فانما ينكث على نفسه ، وسيغني الله عنكم •• (١)، فظلوا حيث هم حجارة او حديدا •

واخيرا نزل الامام الحسين كربلاء •• وبين عشية وضحاها ، أصبح يواجه أربعة آلاف محارب ، بينما قوته لا تزيد عن اثنين وسبعين بطلا ••• وعاد الامام الحسين يعلم القوم ، وقائدهم عمر بن سعد بن ابي وقاص •• عاد يعلمهم انه ثار على يزيد ليرفع عنهم سياط الظلم التي بها يجلدون •• وقال لهم : ان يزيد بن معاوية وابن زياد ومن معهم قد تنكروا لاحكام القرآن••، وانهم يحكمون الشعب بعقلية ، رجعية،جاهلية •• وقال لهم : انا ابن بنت نبيكم جئت ملبيا نداءكم ان : أقدم الينا ، وانقذنا ، ولكن ما من سميع ••• واخيرا بدأت المعركة ، وأخذ أصحاب الامام الحسين يتساقطون في ميدان البطولة المشرفة ، واحدا بعد الآخر •• كانوا يلقون بأنفسهم بين ذراعي الموت دفاعا عن ابن رسول الله •• كانوا يجعلون من الموت جسرا يعبرون عليه الى العالم

(٢) تاريخ الطبري ـ المجلد السابع تحت عنوان احداث احدى وستين للهجرة المحمدية.

الآخر .. ليتخلصوا من أجسادهم الترابية ، ويلبسوا الحلل النورانية في جوار محمد ، وعلي، وفاطمة .

وجاء بعدهم دور ابناء الرسول ، والنخبة المصطفاة من الهاشميين ، فقاتلوا أبطالا شدادا ، قطعوا عنهم الماء ليستسلموا ولكن ، هيهات ، هل تستسلم الملائكة للشياطين ؟؟

وانتهت المعركة النكراء باستشهاد الامام الحسين ، وجميع المؤمنين بمبادئه المحمدية .. وحمل من بقي من النساء والصبيان من آل الرسول الى الكوفة ..

ثم ماذا كان هناك ؟؟ كيف وجدت امة محمد نفسها بعد استشهاد الامام الحسين ؟؟

في الكوفة وقف زيد بن أرقم الصحابي المعروف وصرخ في وجه ابن زياد موجها خطابه للحاضرين فقال : يا معشر العرب الذين صرتم عبيدا ، أتقتلون ابن فاطمة ، وتؤتمرون ابن مرجانة ؟؟

ونال زياد من الامام الحسين ومن والده علي أمير المؤمنين ، فوثب عبد الله بن عفيف الازدري وقال بصوت راعد :

يا ابن مرجانة، ان الكذاب ابن الكذاب انت وابوك ، والذي ولاك وأبوه... يا ابن مرجانة ، أتقتلون ابناء النبيين ، وتتكلمون بكلام الصديقين؟؟ فأمر به فقتل .. (١)

ثم ما لبثت الثورة حتى تفجرت في كل مكان .. ثار التوابون بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي ... ثم ثار المختار الثقفي .. غدا العراق شعلة من نار تتوقد طعامها الاجساد والدماء... ، ثم ثارت المدينة المنورة... فكانت وقعة الحرة التي أباح فيها يزيد مدينة الرسول ثلاثة ايام للجنود

(١) الطبري المجلد السابع احداث عام ٦١ هـ.

يقتلون الناس ، وينهبون الاموال ، ويفسقون في النساء(١)•• وثارت مكة فرماها يزيد بالمنجنيق(٢)•• تحرك العالم الاسلامي من اقصاه الى اقصاه ، وتعالت صيحات الاستنكار ، وأشرعت أسنة الرماح •• وهجرت السيوف أغمادها ولم تنته الثورات حتى آكلت عبيدالله بن زياد ، ويزيد بن معاوية ، وعمر بن سعد بن ابي وقاص ، وكل من شارك في قتل الامام الحسين واصحابه •• بل لم تنته الثورة الا بانتهاء الدولة السفيانية الاموية ••• ثم لاحق دم الحسين أمية باشخاص المروانيين حتى تلاشت الدولة المروانية الاموية ايضا.

ونتساءل الان : هل حقق الامام الحسين الغاية التي كان ينشدها من استشهاده ؟؟

ويأتي الجواب : نعم • لان استشهاده حفظ راية الاسلام شامخة ، وجعلها تتحدى الطغيان الاموي ، وتورده موارد الهلاك •

والآن ايضا : أين هو الامام الحسين بالنسبة لشرف التضحية ؟؟

ان الامام الحسين عطر الشهادة ، ومنارة الخلود •• ان الامام الحسين رمز حي للبطولة ••• والانسانية •• والكمال البشري الاعلى •• على دم الامام الحسين ثبتت أعمدة صرح الاسلام بعد اضطرابها •• وتخلخلها •• وكفى بذلك فخرا ، وشرفا ، وسؤددا •••



وماذا عسى ان يقال في اولئك الذين حاربوا الامام الحسين ؟؟

الامام الحسين جاء ليخرجهم من ظلمات الظلم ••• الى نور العدل

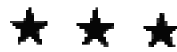
(١) ابو الفداء الجزء الاول صفحة ١٠٧ وراجع ايضا صفحة ١١٥ من كتاب الحسين ابو الشهداء للعقاد .

(٢) ابو الفداء الجزء الاول صفحة ١٠٨ وراجع في استباحة المدينة ورمي الكعبة صفحة ١٥٢ من كتاب المعارف للدينوري . والصفحة ٦٩ من الجزء الثالث من مروج الذهب للمسعودي.

الاجتماعي... جاء ليصب عليهم نعيم الدنيا جنات دانيات القطوف ، مفروشات بالحب .. والكرامة .. فحاربوه ...

لقد جاءهم النبي الانسان في شخص الامام الحسين يريد ان يطهرهم ... ويزكيهم ... فرفضوا ارادة الخير ... وحاربوه حتى قتلوه ..

لقد كتبوا بأيديهم صك عبوديتهم ... وعبودية الاجيال التي جاءت بعدهم ... عندما خرجوا عن انسانيتهم وقتلوا النبي الانسان الذي جاء ليجعلهم يحيون مبادىء القرآن ، وما فيها من مثالية وجمال تهدفان الى تحرير المجتمع البشري ... وتنميته باستمرار نحو الكمال المادي ، والروحي... فيا لها من رزية سجلت انتكاسة مرة لقيم الشخصية الانسانية .



أنا لا ابكي امامي الحسين ، وان كانت مأساة كربلاء ــ في جوانبها العاطفية ــ ملحمة دموع ، ودماء... ذلك لان المعاني الرسولية العميقة التي قدم ذاته المقدسة قربانا لها ، فوق البكاء ... انها منبع الاعتزاز.. وقمة الجلال ، وسدرة منتهى البطولة ..

ألا ما أعظمك في وجدان الحق يا امامي الحسين ، ما اعظمك في قلب كل مخلوق يعرف كرامة الوجه البشري في كيان الفرد ، والجماعة ..

وما أحرانا ان نقتبس من أخلاقك الرحمانية ...، ومن صلابتك المحمدية ... ومن شجاعتك العلوية .. ومن حدبك على جماهير الانسانية : المستغلة، المحرومة ... ما أحرانا ان نقتبس منها جميعا مثلا نورانيا يهدينا في مراحل حياتنا الى بناء امجاد الدنيا ... والآخرة ..

وانني من هنا ، من جامع حفيدك الامام علي الرضا في جبله انحني اعظاما لامامي الحسين ، الذي وفى ما عاهد الله عليه ...

سلام عليك يا امامي الهادي ، يا ريحانة الرسول ، يوم ولدت ، وسلام عليك يوم استشهدت ، وسلام عليك يوم تبعث حيا . الصلاة والسلام عليك يا امامي الحسين ، يا من تغذى لبن الحياة المخضرة بالنقاء من ابهام جده رسول الله (١).

جبله ـ محافظة اللاذقية — محمد علي اسبر

(١) راجع الصفحات ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٥ ـ ٧٣ من كتاب ايام الحسين للشيخ عبد الله العلايلي .

مالك بن الريب

الغربة ومأساة المصير

بقلم: محمد شرارة

كان الركب يتحرك من المدينة الى الشمال ، وكانت المدينة تودع الراحلين، وكان في طليعة الركب المسافر سعيد بن عثمان الوالي الجديد الذي تنتظره خراسان بعد ما صدرت الاوامر من دمشق بالتوجه الى المنطقة التي انضوت، أو ستنضوي تحت لواء العالم الجديد •

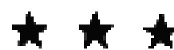
سار الركب وانحدر الى البادية ، وراح يتغلغل فيها وفي رمالها الظامئة، والرمال تكاد تأكل الابل الصابرة على العطش والجوع • وكانت البصرة هدف الرحلة الاولى للركب المسافر الى الشرق • وفي البصرة تلتقي المياه القادرة على ارواء العطاشى القادمين من الصحراء ، وفيها ظلال النخيل التي تمنح النسيم الناعم للوجوه التي لوحتها الشمس ، وامتصت ما فيها من بقايا الرواء •

في مثل هذه الدنيا يكون الماء أعظم ما يواجه السائرين بها ، ويكون الظل من المنح التي لا تفيها مكافأة مهما كانت المكافآت • ومهما كانت قيمتها عالية• وبينما كانت القافلة تسير وهي تتطلع الى ملتقى النهرين الخالدين ، لاحت لها كوكبة من الرجال متأهبة لكل احتمال •• عيونها ترنو الى الافق البعيد، وايديها على قوائم السيوف ، وما ان دنا الوالي ورجاله من الكوكبة الواعية حتى لاح له فيها رجل يعرفه ، ويعرف بطولته ، كما يعرف شجاعته التي تتحدث عنها ركائب البادية بشيء من الهلع • انه مالك بن الريب الذي جمع بين البطولة والشعر والجمال •• بين اللهب الذي يطل من عيون الاسود ، والعذوبة التي تطل من عيون العذارى العاشقات •! وكما يلتقي في الطبيعة عويل العاصفة وغناء البلابل ، يلتقي في الانسان احيانا غضب العناصر الغبية الحمقاء ورحيق الازهار المذوب في كؤوس الآلهة •

مالك واحد من هؤلاء الناس الذين تتلاقى فيهم التناقضات الحدية بأعظم ما في الحدود من التناحر ، فالرجل يحب الكرم الى درجة الجنون ، ولكنه عاجز عن القيام به، وفي الى حد الهيام ، ولكنه لا يقدر على الوفاء . فارس تعرفه الخيل ،وتعرفه صهواتها الرائعة ، كما تعرفه شهامة الفروسية ، وقاطع طريق تعرفه القوافل التي يخيفها اسمه . شاعر تذوب القلوب في كلماته، وقاتل تنحني سيوفه بالدماء . جميل اذا رأته العوائق ذابت في خدورها ـ كما يقول المتنبي ـ وقاس كأنه بقايا من اطلال معركة مجنونة !.

وكان سعيد بن عثمان يعرف فيه هذه الصفات . فلما تلاقى الرجلان كان حوار ، وكان حديث تساءل فيه سعيد : « ما الذي يدعوك الى ما يبلغني عنك من العداء وقطع الطريق ؟» وكان جواب صريح لا غمغة فيه ولا غموض: « العجز عن مكافأة الاخوان .. أصلح الله الامير ». وسأل الاميرمرة اخرى: « أتكف عما تفعل وتتبعني ان انا أغنيتك ؟» وكان الجواب : « أكف كأحسن ما كف أحدا » وانقطع بعد الحوار ما كان بين مالك وماضيه ، وكانت للشاعر الفارس حياة جديدة.

في هذه الدنيا من امثال مالك عدد قد يكون كثيرا ، وقد يكون قليلا ، ولكنه موجود مهما كان تعداده . هذا العدد طيب في جوهره ، وفي صفاته الاساسية ولكنها الظروف المعقدة وقلة الوعي والعجز عن الرؤية هي التي تتحكم وتملي على هؤلاء الناس وامثالهم سلوكا خاطئا . ومن العجيب ان لا تجد «مكافأة الاخوان» سبيلا لها في قطع الطريق على العابرين . واذا كان لهذا المنطق ما يبرره فيمالو صدر عن واحد احمق ، فانه غريب جدا على شاعر كبير مثل مالك بن الريب .



في الحياة الجديدة التي دخلها الشاعر لا نكاد نجد سوى ومضة سريعة واعتراف خاطف بما صار اليه ركزه في كلمتين تشيران الى ماضيه وحاضره :

ألم ترني بعت الضلالة بالهدى ... واصبحت في جيش ابن عفان غازيا

وفيما عدا ذلك لا نجد سوى حنين مدمر وشوق ملتهب الى « الغضا» واهل « الغضا » :

لقد كان في أهل الغضا لودنا الغضا مزار ولكـن الغضـا ليـس دانيـا

وتكرار « الغضا » ثلاث مرات في بيت واحد اسلوب تغتفره البلاغـة العربية ، ان لم تعتبره جميلا، ما دامت الكلمة رمزا لعالم نفسي غارق بمثـل ما غرق مالك. والغضا في قصيدة الشاعر يشبه ليلى في قصيـــدة اخـرى لشـاعر آخر :

وعوني ومـا عندي لليلى أقولـه لليـلى ....

فالغضا عزيز ، وليلى عزيزة بحيث يذوب كل عزيز عنده وعندها اذا بقي في الدنيا شيء آخر غير الغضا . وغير ليلى . ولذلك كان التكرار يشير الى ما « للغضا » من مكانة في نفس الشاعر تقترب او تكاد تقترب من هيكـل العبادة . وفي هذا الاقتراب تتخذ كلمة « مزار » لونا دينيا يلقي على الغضا وشاحا مقدسا تأوي اليه النفوس التي أضنتها الحيرة وهدها القلق . وبهذا اللون تكتسب الكلمة قيمتها الفنية التي تومىء الى المسار النفسي، والى ما يختلج فيه . ولو لم يكن للكلمة هذا « اللون » لامكن ان تحل محلها من الناحية الفنية كلمة أدق منها في الدلالة على الجو النفسي مثل كلمة « هناء » او« نعيم» او «حياة» او ما اشبه ذلك من الكلمات التي تعبر عن جو بعيد عن جو المأساة الذي يضطرب فيه الشاعر :

لقد كان في أهل الغضا لودنا الغضا « هناء » ولكن الغضا ليس دانيـا

ويبقى الوزن مستقيما بالمقياس العروضي.

شيء آخر يعانيه البيت او تعانيه الكلمات في الواقع غير التكرار الذي يستطيع ان يجد لنفسه عذرا بلاغيا ممتازا ، وهذا « الشيء » هو الاستدراك الواقع بعد الغضا الثانية : « ولكن الغضا ليس دانيا » فان الاستدراك وما بعده زائد عن الحاجة الفنية ما دامت «لو» الامتناعية وافية بالحاجـة . ان

الكلمة المذكورة تغني غناء تاما عما بعدها ما دامت كما تعرفها القواعـــد : « صرف امتناع لامتناع » والجو الذي تحمله : « لودنا الغضا » جو هـائل في تعبيره عن اليأس والاسى الشاجي • ولا يظهر بعده الاستدراك سـرى « ترهل » خال من كل قدرة على الاستفزاز والاثارة الحزينة التي قدمتهـا اللحظة الشعرية في قوله : « لقد كان في اهل الغضا لودنا الغضا مزار » • ولو استطاعت ان تأتي بعد «مزار» كلمة اخرى مثل «آه» لكان عندئذ للاستدراك معنى كبير • ولكنه « الوزن » الذي يسيء الى الكلمات احيانا ، ويخنقها أحيانا اخرى •!

على ان هذه الملاحظات وغيرها من الملاحظات النقدية الاتية لا تفقـد القصيدة شيئا من الجو الشجي الذي ينطلق من الكلمات كما تنطلق شظايا غيمة سوداء ، في سماء صافية •

ومن الغريب ان تكون لانسان عائش او كان عائشا على ارهاب القوافل وترويعها مثل هذا النفس الحنون ، ومثل هذا الغنى العاطفي الذي تتضاءل ازاءه عواطف العشاق • ان الشاعر لا يزال في صدر الاسلام ، وفي الايام الاولى من أيام معاوية، وهي ايام ، كما يعرف التاريخ ، تعود العصبية القبلية فيها الى التنفس ، والى الامتداد في الاقطار الواسعة التي انضمت الى العالـم الجديد • والشاعر نفسه لم يكن اكثر من رجل يراقب العابرين على الطريـق المتحركة بين المدينة والبصرة • واذا رأى قدرة في نفسه ، وضعفا في المارة ضرب ضربته واستولى على اموال القافلة ، واعتبر عمله امرا طبيعيا خاليا من كل ما يستوجب النقد او المؤاخذة ان لم يعتبره بطولة تستحق الثناء • ولما انقذه سعيد من هذه الحياة وحوله الى الهداية بعد الضلال كما اعترف في احـد أبياته السابقة ، كانت هذه الصرخة التي يمتد وراءها عذاب يفوق عـذاب السعـير •

لو كان الشاعر في بيته وبين اهله لما مر به سعيد واخذه معه لكان لهذه الصرخة مبرر ، وكانت لهذا الشوق دوافعه ، ولكنه لم يكن في بيته ولا بين

أهله وانما كان على الطريق فزاعة تخيف العابرين . فلما وصل الى خراسان كانت هذه الصرخة القوية الحادة التي توزع اصواتا تشبه اصوات النعاة.

عرفنا ان سعيدا ذهب واليا الى خراسان ، وان ولايته كانت بامر من معاوية ، ولكن مالكا يخبر انه « اصبح غازيا في جيش ابن عفان .. اي جيش سعيد ، وان هذا الغزو كان تحولا رائعا في حياته ، كما كان بيعا للضلالــة بالهدى . ومن شأن التحول الى الهدى ان يخلق في النفس جوا من الصحو والاشراق والاضاءة السعيدة . ولكن الغزو الذي اعتبره الشاعر هداية كان في أرض عدوة ، وهذه الارض تغتال المهج والارواح . فهل كان سعيد غازيا، وهل كانت خراسان ارضا عدوة كما يصورها الشاعر ، وهل يتفق الشعر مع التاريخ ؟ الرواية التاريخية مضطربة : « مكث بخراسان .. مات في غـــزو سعيد .. قتل بخراسان طعن فسقط وهو في آخر رمق .. مات في خـــان فرثته الجان .. وضعت الجان الصحيفة التي فيها القصيدة تحت رأسه..» (١) وهكذا تختلف الرواية وتضطرب ثم تسير في اضطرابها حتى تصل الى مستوى الاسطـورة .

مهما تكن الرواية ، ومهما يكن شأنها فاننا سنسير مع القصيدة ، ونمشي على ضوئها في النقد والتحليل. واول ما يصادفنا شكوى الشاعر من سيره في ارض عدوة ، وهو غاز كما يقول . وماذا ينتظر الغازي من الارض التي يغزوها، وهل يمكن ان تكون ارضا صديقة ؟ قد تكون صديقة بعد الهزيمة اذا تبين لها انها كانت على ضلال ، وان الغزو لم يحمل لها سوى الهداية كما حملها للشاعر . اما ان تكون صديقة في أثناء الغزو فتكليف شاق ان لم يكن مستحيلا .

بعد التحول الذي يعترف به مالك كانت له رسالة ، ومن فصـــول رسالته تحويل الحياة من البؤس الى النعيم ، ومن الضلالة الى الهدى ،

« ١ » يمكن مراجعة ذيل الامالي لابي علي القالي في الموضوع .

ومن الليل الى النهار، ومثل هذه الرسالة لها تبعاتها ولها متاعبها . وعلى الذي يحملها ان يعرف هذه التبعات ، وان يستقبل المتاعب بما يقتضيه شرف الرسالة ، ولكن مالكا لم يكد يواجه شيئا قليلا من التبعة حتى تفتحت في قلبه جميع النوافذ ، وانطلقت الصيحة من كل نافذة ، وكان هذا الجزع من الغربة ومن الجهاد :

وأصبحت في أرض الاعادي بعدما ... أراني عن أرض الاعادي نائيا
لعمري لئن غالت خراسان مهجتي ... لقد كنت عن بابي خراسان قاصيا
فان انج من بابي خراسان لا اعد ... اليها وان منيتموني الامانيا

وتأتي هذه الابيات بعد البيت الذي باع فيه الضلالة بالهدى، والبيت الاخير فيها ثورة ان لم يكن تجديفا على هذه النهاية .

وكان الشاعر وحده في ارض الاعادي ، او كان وحده يحمل المعاناة لكان لهذه الصيحة قدر من التبرير ، ولكنه لم يكن وحده ، بل كان جنديا في جيش غاز يجتاح ارضا عدوة ويناضل في سبيل مثل اعلى ، وفي المشاركة نوع من الانس او التسلية او التأسي على الاقل ، ولكن مالكا لم يجد فيها شيئا مما تقدم ،وكانت الذات قبل كل شيء ، وكانت الاحاسيس تتجمع وتتلاقى في بؤرتها الخاصة ، ثم تنطلق منها الى العواصم الاخرى . ومن هذه الاحاسيس كانت هذه الفوضى وهذا التمزق في الفكر والاسلوب، كما كانت هذه البلبلة الغريبة !.

من البدائه ان « الاصباح » في ارض الاعادي يجعله « نائيا » عنها قبل ان يكون فيها، وفي الشطر الاول ما يغني عن الشطر الثاني كله ، والشعر تركيز وديناميه وقوةاشعاع، ، والتركيز يكره الثياب الفضفاضة . وكلمة « أراني » فرضها الوزن قبل ان يفرضها الفن . والمكان الغني يستدعي « كنت » او ما يماثلها . واذا تسامحنا في كلمة « غالت » واعتبرناها نوعا من الاستعارة يبقى البعد وحده عن بابي خراسان خاليا من الزخم الذي يحتمله

الاغتيال، وتحمله خراسان في ابوابها ، ففي الشطر الاول قوة فوارة وتهمة صارخة مقذوفة في وجه المدينة الطاغية « يناسبها الشحوب المتهادي الذي يحمله « القصو » الطبيعي عن المدينة التي تتنفس الاغتيال والجريمة ، فالشطر الاول فائر ملتهب، والثاني رماد خاب وان كانت تحته بقايا من الجمرات السائرة الى الرماد ايضا . اما البيت الثالث ففيه شيء كثير من الطفولة ومن تحدياتها المهزومة التي لا تخلو من نبرات محبوبة، وفيه هذه «اللاأعد» الغريبة النابية المتمردة على قواعد اللغة التي تقتضي ان يكون مكانها « فلا اعود ». واحلال « لم » محل « لا » يؤدي أو قد يؤدي الى شيء من اصلاح الخلل، ولكنه يوقع المعنى في تناقض بين الماضي والمستقبل ، ويبقي جواب الشرط على خلله ..!

اما الطفولة التي أشرنا اليها فواضحة ، وبالقدر الذي تطل فيه يطل معها الحرص على الحياة ، والتشبث بها يشبه تشبث السير كليفورد احد أبطال قصة اللادي شترلي ، فقد عاد هذا الرجل من احدى معارك الحرب العالمية الاولى مشلولا ، ولكنه كان حريصا على الحياة ، وعلى كل ما فيها من المتع التي يمكن ان يتمتع بها مشلول !.

وفي قول شاعرنا « وان منيتموني الامانيا » ما يؤكد الطفولة ويشير الى الحرص الشديد على حياة تتلاشى كما تتلاشى الاوراق في شجرة جفت تحتها الارض، واختفت من جذورها بقايا المياه .

الحياة حلوة ، ولن يتخلى عنها احد باختياره . وكل واحد يتمنى الخلود ، وقد يعتقد او يظن انه خالد ولا يفكر بالموت ، بل ولا يخطر بباله ما دامت الحياة سائرة في خطها الطبيعي . وكل واحد يعمل للدنيا وكأنه باق الى الابد بدون حاجة الى المواعظ . واذا احس بان الحياة بدأت تنحدر من القمة الى الوادي تنبه الى المصير ، وبدأت تراوده الاحلام المخيفة. وفي اللحظة ذاتها يبدأ الحرص على ان يمتليء ما تبقى من اللحظات بكل ما في

الدنيا من متع ولذائذ • وكل واحد وواحدة يتمنى ان يكون له ما كـــان لكليوبترا من الحياة التي انعكست في قول شاعر القصور :

يومي بايــام لكثرة مــــا مشــت   فيــه الحيــاة وليلتــي بليـــــال

ويزداد الحرص عند الاحساس بالتلاشي او الذوبان • وعندئذ تأخذ « النهلة » شكل « الرشفة » التي لا تبقي في الكأس شيئا • ومالــك يمــر في مثل هذه اللحظة عندما قال : « لا أعد اليها ».

ان خراسان لم تعد مدينة ولا ارضا ، بل عنكبوتا يلقي حوله دوائــر لا من اللعاب الذي يصطاد الحشرات الصغيرة ، بل من الاسلاك التي يكمــن الموت في محاولة الخروج منها والتغلب عليها ، ولذلك كانت هذه اللهفــة التي تشبه « السذاجة » في كلمة « لا أعد اليها » وهي كلمة فيها من الشوق الى النجاة بقدر مافيها من الخوف واليأس •

محنة الشاعر اشبه شيء بمحنة هابط في قلب البحر • انه قادر علــــى السباحة ، ولكن اشباح الموت تتكاثر بمرور اللحظات والثواني • والامــل بالنجاة لا يختلف عن امل الهارب من القدر النازل • وما بابا خراسان ســوى هذا البحر الذي اخذه الجوع الى الفرائس •

في هذه اللحظة تتجمع الاشواق الهائلة وتتداعى ذكريات الابناء والظباء السوانح والابوين والزوجة وجميع الاشياء التي تمس الوتر الجميل في النفس الانسانية • والجو الذي كان يعيش فيه الشاعر قبل انضمامه لسعيــد ، جو رهيب يمحو من النفس جميع العواطف النبيلة الرائعة ، ويحل محلها ما يبعد الانسان عن انسانيته • لقد كان ، كما عرفنا ، قاطع طريق • ومهنــة القتل والترويع والاستيلاء على اموال الناس • ومن شأن هذه المهنة ان تطلق الغرائز الدنيا في النفس البشرية ، فتحل القسوة محل البر والحنان ، وتحل الوحشية محل الالفة والتقارب ، ويصبح منظر الدم احلى من منظر الجنائن • ثم انتقل من جو الرعب الى خراسان واذا به كمن ينتقل من الزهر الى ارض الافاعي وتبدأ الصيحة ، ويبدأ هذا اللهاث الغريب لا الى الطرق التي كانت مأواه قبل

السفر الى خراسان ، بل الى الاهل والاقارب والاحباب • ان هؤلاء الناس يتراءون وكأنهم كل ما في الدنيا من المتع والنعيم • وينكشف في هذه الذكرى كل ما في النفس من الكنوز الخوالد ، كما ينكشف الجوهر الانساني الذي يبقى حيا وان مر حاملوه بأسوأ الدروب •

ان التناقضات التي تعج بها نفس الشاعر ترفع الستار عن الغابة التي تجد ترابها في النفس البشرية عامة لا في نفس مالك وحده • وكما تكون الغابة وحوشا وطيورا وظلالا وأزهارا وأشواكا وورقا أخضر واغصانا يابسة تكون النفس ايضا • ففي نفس اللص فضائل لا تقل اهمية عن الفضائل في نفس القاضي العادل • ومهمة التربية والتحليل النفسي أن تكشف هذه الفضائل الكامنة وتخرجها من الاعماق الى السطح ، ثم تجعلها ورقة التعامل المتبادل في العلاقات بين الناس • والشاعر يجلو لنا هذه الكنوز حتى تبدو وكأنها الذهب الخارج من النار ، فالحنين المأساوي ، والنغم الحزين والنبرة الباكية ظواهر تشير الى ما وراءها من رقة ولطف وعذوبة • وبالقدر الذي تشير الى هذه المعاني تشير الى لوم مهذب وعتاب ناعم للذين خلوا بينه وبين السفر ولم يمنعوه منه • والابيات الدائرة حول هذه الفكرة تدل على انه لم يكن في البادية ، كما يروي التاريخ الذي اشرنا الى جانب منه ، وانما كان بين أهله واقاربه الا اذا كان أهله وأقاربه يشتركون معه في الوقوف على الطريق •

في بعض الابيات ما يمكن ان يسمى بـ « النقد الذاتي » او محاسبة النفس ، ولكنه لا يقتصر على محاسبة نفسه وحدها ، بل يشرك غيره :

فلله دري يوم أترك طائعا — بني باعلى الرقمتين وماليا
ودر الظباء السانحات عشية — يخبرن اني هالك من ورائيا
ودر كبيري اللذين كلاهما — علي شفيق ناصح لو نهانيا
ودر الرجال الشاهدين تفتكي — بامري ألا يقصروا من وثاقيا
ودر الهوى من حيث يدعو صحابتي — ودر لجاجاتي ودر انتهائيا

والجملة التي تتصدر الابيات تعني في أصلها : « لله ما يصدر عني او عن غيري من الخير ، ويتعين المعنى تعيينا دقيقا بحسب المضاف اليه • فهل حملت هذا المعنى بهذه الاماكن؟ واضح انها لا تحمل شيئا من ذلك ان لم تحمل اللوم والتأنيب والحسرات والتنهدات الشاعرة بما يشبه الحيلولة المطلقة بينه وبين الاشياء والاشخاص المذكورين •

انه يلوم نفسه في اولها ثم يتعداها الى ابويه اللذين يتصفان بأحلى ما في الابوة والامومة من الصفات • فكلا الابوين شفوق ، وكلاهما قادرعلى النصح، ولكنهما لم ينصحاه ، ولم ينهياه عن هذه المغامرة • ولكن ما معنى هذا اللوم للابوين خاصة ، وهل يتضمن اعترافا بالقصور الذاتي ، او بقاء تحت الوصاية•

ان الشفقة على الابناء عاطفة اصيلة في الابوين ، ولكن « النصح » يستدعي شيئا أكثر من الشفقة •• يستدعي بعد النظر واختراق الغوامض والقدرة على تحليل الكوامن القائمة في العالم البعيد والحكمة المستمدة من التجربة • فهل كان أبواه مؤهلين لذلك ، وهل كانت لهما مثل هذه الكفاءة البصيرة بالامور ، وهل أهملاه بالرغم من هذه الكفاءة وخلياه في الريح ؟ اذا كان الشاعر شاعرا بقصوره ، وكان أبواه على علم بمصيره ، وكانا عارفين بانه يحسن الاصغاء ، وبقيا ، برغم ذلك ، ساكتين عن توجيهه ونصحه ، فانهما يستحقان اللوم ، وربما يستحقان اكثر منه • واذا لم يكن شيء من ذلك فلا لوم ولا تثريب •

أما الظباء السانحات فتختلف ، على ما يظهر ، عن الطيور السوانح ، ففي الكلمات العربية المأثورة : « من لي بالسانح بعد البارح ؟» والسانح طير يحمل مروره التفاؤل ما دام مرورا عن اليمين • أما البارح فطير يحمل التشاؤم ما دام مروره على الشمال • فاذا كانت الطيور والظباء متساوية في المرور وفي نتائجه فقد انعكست النتائج في القصيدة ، ولعبت البوارح في الظباء دور السوانح في الطيور • والاسطورة وان كانت وثنية النشأة والعقيدة ، ظلت قائمة ، وبقي لها شراعها الخافق بعد التخلي عن الاوثان ، وبقي واحد مثل مالك

يعتقد ان حركتها نوع من الوحي ، وانه هالك لا محالة بعدما سنحت الظباء في العشية بجانب الحي . وكان على من وراءه ان يعرفوا ذلك وان يمنعوه من الرحيل ، ولكنهم ظلوا ساكتين ، وبقي النهي في قلوبهم اذا اختلجت بها . ويشارك ابويه في استحقاق اللوم « الرجال الشاهدون تفتكه بأمره » والتفتك بالامر نوع من العناد والاصرار على الرأي ورفض المشورة . واذا كان يعترف بأنه عنيد وانه يرفض آراء الاخرين فما معنى لوم الرجال الذين أبقوا وثاقه طويلا ولم يقصروه ما دام لا يسمع لاحد رأيا اذا كان مخالفا لرأيه ؟!

أما « در الهوى » فينبغي أن يكون مختلفا عن «دره» و « در الظباء » و « در كبيريه » . ومن الضروري ان تعود الكلمة الى معناها الاصلي وتأخذ دورها الاساسي في البناء ، ولا يمكن ان يكون « الهوى » و « الحب » موضع اللوم والتأنيب ، لانه كان في الرمل ، او كان الرمل واحدا من اماكنه المحبوبة:

وما كان عهد الرمل عندي وأهله ذميما ولا ودعت بالرمل قاليا

وبالرمل مني نسوة لو شهدنني بكين وفدين الطبيب المداويا

كما كانت « رحى المثل » و « فلح » من اماكنه الاخرى ، وهي أماكن محبوبة لا تقل عن الرمل :

فيا ليت شعري هل تغيرت الرحى رحى المثل او امست بفلح كما هيا

اذا الحي حلوها جميعا وأنزلوا بها بقرا حم العيون سواجيا

وكلمة «بقر» لا تعني هنا سرب الظباء الكبيرة . اما المقصود الاساسي فالنساء السوداوات العيون اللواتي كن جزءا من ذلك الهوى الملتهب في جميع الابيات ، كما كن وراء هذه اللوعة التراجيدية التي يسيل بها كل حرف ، وكل نبرة من نبرات القصيدة . وفي هذا التساؤل تتداعى الاماكن كما تتداعى الذكريات التي تعيد المشهد ، وتعيد ما كان فيه من الصبابة والمتع الغنية، ويتحول الشاعر في أثناء التداعي الى نسمة ناعمة ، او فجر ابدي ، أو طائر يغني في غابة صامتة ، كما تتحول الاماكن الى معابد تسكنها الالهة .

ان الحب والجمال يمتلكان مثل هذه القدرة التي تقلب الحياة وتنقلها من الضد الى الضد ، ويكفي أن تلمس قلبا مثل قلب مالك حتى تحوله من انسان شاذ غريب الاطوار الى ما يشبه الملاك ، وتستخرج من نفسه كل هذه العواطف التي نسيت كل شيء في سبيل العودة الى الاماكن المقدسة •!

أهو الحنين الذي يدفع كل هذه العذوبة ويلقيها في كلمات حية نابضة، ام هو الاحساس بالموت في ديار الغربة ، ام كلاهما يلعبان لعبة لا تختلف عن لعبة العواصف ؟

لا اظن ان الطبيعة في خراسان اقل جمالا من البادية، ولااظن انا شجارها أدنى من الغضاء، ولكنها الارض والاهل والاحباب والذكريات وملاعب الصبا والحب والطفولة وما أشبه ذلك من الاشياء الكبيرة والصغيرة هي التي تحرك مثل هذه الزلازل في الحياة الانسانية ، وتقلبها هذا الانقلاب • وتجربة الشاعر توحي بان « الزلزلة » ضرورية احيانا لمعرفة الذات وتحريكما فيها من الكوامن •



يختلط برياح الشوق احساس الشاعر بقيمته الحربية وتقديره لذاته • ولا بد أن تكون هذه القيمة معروفة كما لا بد ان يكون لها في نفوس قومه من المكانة ما لها في نفسه • ومن اعتراف القوم بمنزلته كان هذا التاريخ الذي يطل وراءه الاعتزاز :

وقد كنت عطافا اذا الخيل أدبرت   سريعا الى الهيجا •• الى من دعانيا
وقدكنت صبارا على القرنفي الوغى   وعن شتمي ابن العم والجار وانيا
فطورا تراني في ظلال ونعمة   وطورا تراني والعتاق ركابيا
فطورا تراني فيرحى مستديرة   تخرق أطراف الرماح ثيابيا

وهذه الابيات ترجمة لجزء آخر من حياته هو الجزء البطولي الذي تحتاج اليه البوادي بقدر احتياجها الى الماء • وأول الاشياء في بطولته هو

الثبات اذا ادبرت الخيل •• أي الثبات في زمن الهزيمة • وهذا النوع من الثبات هو الذي يستحق التنويه والتباهي ، فاذا كانت الخيل كلها صامدة، وكان كل فارس من فرسانها اقوى من الموت توزعت الشجاعة توزعا متساويا، وليس لاحد أن يرفع رأسه فوق رؤوس الذين تشاركوا في الصمود ما دامت البطولة مشاعة، اما الصمود في لحظة الهزيمة فانه الامل الاكبر في ساعة اليأس، أو الباب المفتوح في الوقت الذي انسدت جميع الابواب،وأغلقت حتى الكوى الصغيرة • وبطولة الشاعر من هذا النوع الفريد •• لقد مال ميزان المعركة، وأحس رفاقه المحاربون ان خصومهم اقوى ، واصبح البقاء الذاتي هدفا والنجاة غاية • فقد أدبرت الخيل ، وادبارها محتما دامت المعركة في عنفوانها، بل نوع من الخذلان للذين صمموا على البقاء في الساحة مهما كان الثمن ، فقبل بداية الاشتباك يمكن ان يكون انسحاب عدد من الخيل والجنود محمولا، اما انسحاب هذا العدد في قمة المعركة فلن يكون انسحابا ، بل اكبر اعانة للعدو • وهو خيانة حقيرة واهانة للقيم والاخلاق • وبالقدر الذي يكون الادبار نذلا ، يكون الثبات نبلا وشرفا ، واذا نجح فيما بعد كانت البطولة نوعا من الاساطير •

وفي الوقت الذي كان الصمود جزءا من طبيعته كانت تلبية النداء الداعي الى الحرب سريعة ، وهي فضيلة اخرى تضاف الى بقية فضائله الممتازة ، كما يضاف اليها صبره على نده ومثيله في الحرب • وفي هذا الارتفاع بمستوى عدوه الى مستواه فضيلة جديدة ، فقد جرت العادة ولا تزال جارية حتى في عالم الحضارة على تجريد الخصوم من جميع الصفات الممتازة وانزالهم الى الحضيض •

اما وناؤه أو توانيه عن «شتم الجار» و « ابن العم » فليس فيه ما يستحق المباهاة ، واذا كان فيه شيء من الاخلاق فانه شيء عادي ولا يرتفع الى مستوى اخلاقه الاخرى ولاسيما الفروسية •

ان الابتعاد عن شتم الجار واهانة ابن العم شيء مألوف ، او صفة عامة

مشتركة بين اكثرية الناس • وعندما تكون الصفة مألوفة وان كانت طيبة لا تستدعي المباهاة او الفخر الكبير ما دامت صفة قبلية او شعبية ، واذا كان الفخر بالقبيلة فمن الممكن ان يكون لها شأن في مواجهة القبائل الاخرى التي تؤذي جيراتها وتشتم ابناء العمومة • اما تحويل الصفة المشتركة الى صفة فردية خاصة فنوع من الاحتكار او من الادعاء الكبير •

وفي الابيات ما يدل على غنى الشاعر ورفاهه ، ومن عادة الاغنياء ان يكونوا بمأمن من المتاعب ، وان يكون الاتباع سياج الدفاع الذي يتلقى النار والحديد وجميع الكوارث النازلة • ولكن مالكا ، على غناه ونعيمه، سيكون في صميم المعركة اذا استدارت الرحى ، ودارت في لهواتها الخيل والفرسان • ولن تحول الظلال الناعمة بينه وبين غبار العاديات في لهيب المعمعة ، بل انه يغادر النعيم وظلاله الى متاعب الحرب والى الاصطدام بالرماح التي استطاعت ان تصل الى ثيابه • وان تصنع بها ما تصنع الرماح اذا لعبت بالثياب •

المنعمون يحرصون على الحياة ، لان حياتهم تستحق ان تعاش ، وتستحق البقاء على الارض • ومعركة الحضارة لم تكن معركة الضرورة ، بل معركة الرفاه المتجدد الذي لا يعرف القناعة ، والرفاه لا يستخدم ذاته ، بل يستخدم البائسين والفقراء في الذود عن وجوده واستمراره • ومالك وان كان لا يدرك هذه الحقيقة ادراكا علميا بيد انه يحسها احساسا لا واعيا ، ومن هذا الاحساس الباطني كانت هذه « الظلال » وهذه النعمة التي تمر مرور البريق في الحديث عن الخيل والهيجاء والاستغاثة ، وتوحي بان « الظلال » لا تأسره ولا تبعده عن اهوال الحرب •

ثم يأتي بعد الذكرى ، وبعد التدليل على الفراغ الذي خلفه بعده ، الاحساس بالموت ، وهو احساس يتجمع فيه الخوف والرعب من الفناء :

يقولون لا تبعد وهم يدفنونني ... وأين مكان البعد الا مكانيا

غداة غد يا لهف نفسي على غد ... اذا اولجوا عني واصبحت ثاويا

واصبح مالي من طريف وتالد   لغيري ، وكان المال بالامس ماليا

وقول القائلين : « لا تبعد » وان كان نوعا من التعزية ، يأخذه الشاعر على حقيقته ، ثم يرد عليه بشيء من التهذيب الظاهري : « وهم يدفنونني » ولكنه في باطنه يكاد يقول لهؤلاء القائلين : اي سخف اكبر من هذا السخف، وأي هراء اكبر من هذا الهراء ؟! ثم لا يلبث هذا « الباطن » ان ينطلق في صيحة عاصفة : « واين مكان البعد الا مكانيا ؟» وهذا الاستفهام فيه شيء كثير من الاستنكار . وقد جاء شيء من هذا المعنى باسلوب اخباري استسلامي في رثاء ابي الحسن التهامي لابنه :

والشرق نحو الغرب أقرب شقة   من بعد تلك الخمسة الاشبار

وهو الاستسلام الوحيد الذي تنطفيء فيه كل ذبالة ، ويتلاشى وميض القناديل ؛ ولكن اللهفة تبقى قائمة ما دام في الحياة نفس ، ويبقى معها التشبث وان كان يائسا .

الشاعر يبدو في هذه المرحلة وهي المرحلة الاخيرة تقريبا ، طائرا من طيور المساء التي تدخل في الليل الابدي ، كما يبدو واقفا على تخوم الغيوب في رؤية اللحظة الاخيرة من حياته ففي هذه اللحظة يدلج الاصحاب بدونه ، لان الحياة التي تحرك الصحب ، تلاشت فيه . وقد صوحبت الرؤية بالحسرة الشديدة والزفرات الحارة لا على الحياة وحدها ؛ بل على المال الذي كان ماله، واصبح لغيره بعد موته .

وفي البيت الخاص الذي يعالج هذا المعنى شيء من الزيادة المترهلةايضا: لان قوله : « واصبح مالي » ينطوي على الجزء الاخير في قوله : « وكان المال بالامس ماليا »، ولكن الخوف والاحساس بالمصير يطفيء الوهج النفسي الذي يتبعه الوهج الشعري.

وفي مجموع الابيات اعتراف صارخ يعبر عن الحرص ، وعن القبض على الحياة بجميع الاصابع ، وبكل ما تستطيع ان تلمه الاصابع من القوة :

من كان من دنياه ينفض راحه   فانا على دنياي اقبض راحي

وهكذا تلتقي النفوس على بعد المسافة بين مالك بن الريب والاخطل الصغير ، شاعر الهوى والشباب •• تلتقي في حب الحياة والحرص عليها برغم هذه الرؤيا المستمدة من صميم الواقع :

تعب كلها الحياة فما اعجب الا لراغب بازدياد

ولا يكتفي الحرص عليها في فترة البقاء ، بل يمتد الى ما بعد الموت ، ولكنه يتخذ في هذه المرة زيا من ازياء التساؤل الغارق في طلب المرور على المقابر، والقاء التحيات على الضريح الذي يرقد فيه :

فيا ليت شعري هل بكيت ام مالك كما كنت لو عالوا نعيك باكيا
اذا مت فاعتادي القبور وسلمي على الرمس اسقيت السحاب الغواديا

انه التمسك المستمر بالحياة ••• بالوهم •• بالاشباح•• بالظلال وان زالت الشجرة ، وطواها القدر• والا فما معنى السؤال عن البكاء، ولماذا؟ وما شأنهذه الموازنة بينه وبينها اذا لم يكن وراءها اثارة او دفع الى اتخاذ الموقف المماثل لموقفه فيما لو كانت السابقة ؟ وما معنى الطلب في « اعتياد القبور » والتسليم « على الرمس » والدعاء لها باسقاء الغوادي من السحائب اذا لم يكن تمسكا بالاشباح بعدما اختفت الشجرة وغابت في التراب •! ولو استطاع الشاعر ان يستعمل « هلا » بدل « هل » لكان تعبيره عن الحالة النفسية التي يمر بها ويعانيها ادق من الاستفهام ، ولكنه الوزن الذي يؤدي احيانا الى الاخفاق والفشل في اللجوء الى الادوات •



يتخذ الاهتمام بالمرأة في القصيدة دورا بارزا ، ويتجلى ذلك في قوله: « تبكي بواكيا » و « نار المازينات » و « حورا جوازيا » ولما وصل الى لحظة الوداع كانت اللحظة مشحونة بـ «نسوة الرمل» :

وبالرمل مني نسوة لو شهدنني بكين وفدين الطبيب المداويا
فمن أمي وابنتاي وخالتي وباكية اخرى تهيج البواكيا

و « الباكية الاخرى » هي الزوجة او الحبيبة ، أو ينبغي ان تكـــون احداهما بعد الام والخالة والبنتين . والمرأة في القصيدة تكاد تكون «الوسادة الذهبية » التي يتحدث عنها « ييتس » في وصف هيلانة وباريس بطلي الالياذة الهوميريـة :

ومـــا قيمة همـــوم العالـــم
عنـــد بـاريـس الجبـــار
حين ذاق النوم على وسادة من ذهب
فجر اول يـــوم بين ذراعي هيلـــين

فهل كانت «الباكية الاخرى» التي يذكرها مالك بمثابة هيلانة عند باريس وهل ذاق الشاعر العربي على الوسادة الذهبية ما ذاقه الامير الطروادي ؟ ان التوتر والقلق اللذين يشحنان القصيدة بعد مفارقة الغضا يشيران في الوقت ذاته الى الدائرة النفسية الامينة التي كانت سياج الشاعر في ارضه ، واللهفــة التي يذكر بها الغضا لم تكن سوى لهفة القلق الى الامان ، والتوتر الـــى الطمأنينة . ولم تكن للغضا نفسه اية قيمة لو « الباكية الاخرى» و«المازينات» اللواتي كن المصدر الاول من مصادر البهجة قبل الرحيل الى خراسان .

الفرق بين نفسية الشاعر العربي والامير الطروادي ، هو الفرق بـــين هيلانة و « الباكية الاخرى »، فهيلانة كانت لرجل اخر له سطوته وله جيوشه التي تعرف كيف تلقي الدروس ، وكيف تؤدب الذين يتجاوزون الحـــدود. واذا نسي الامير كل ذلك بين ذراعي المرأة الفاتنة في غمرة النشوة ، فـــان النسيان لن يمتد الا بقدر ما تمتد النشوة التي ترصدها العفاريت . امـــا « الباكية الاخرى » فتختلف عن هيلانة ، فلم تكن لرجل آخر ، بل كانت للشاعر نفسه . ولذلك كانت النشوة بين ذراعيها نشوة صافية خالية من الخوف والحذر والترقب . واذا كانت النشوة من هذا النوع ، كانت متعة هائئـــة ، وكانت عسلا مصفى من كل تنغيص وخالصا من كل مرارة . ولذلك كان هذا الحنين العجيب .

محمد شرارة بغداد

ومضة عن الروح والخلاف في حقيقتها

بقلم: حسان الكاتب

ذكر بعض المتكلمين ان مكان الروح القلب واستدل له بحديث ابن عساكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اما النفس ففي القلب والقلب بالنياط والنياط يسقي العروق فاذا هلك القلب انقطع العرق » وهذا حديث مرسل وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة : فيه غريب كثير واسانيده ضعيفة جدا والله أعلم . واما اختلاف الناس في الروح وهل هي النفس او غيرها ؟ فمن الناس من قال هما اسمان لمسمى واحد ، وهذا قول الجمهور ، وقيل بل هما متغايران ، قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح : النفس تطلق على امور (احدها) الروح قال الجوهري : النفس الروح يقال خرجت نفسه قال ابو خراش :

نجا سالما والنفس منه بشدقه ولم ينج الا جفن سيف ومئزر

اي بجفن سيف ومئزر والنفس الدم يقول سالت نفسه ، وفي الحديث « ما لا نفس له سائلة لا ينجي الماء اذا مات فيه » والنفس الجسد قال الشاعر:

نبئت أن بني تميم ادخلوا أبياتهم آمور نفس المنذر

والنامور الدم ، والنفس العين يقال اصابت فلانا نفس اي عين . قال ابن القيم : ليس كما قال فالنفس هاهنا الروح ونسبة الاصابة الى العبد توسع لانها تكون بواسطة النظر والذي أصابه انما هو نفس العائن ، وتطلق النفس على الذات كقوله تعالى (فسلموا على انفسكم ـ ولا تقتلوا انفسكم ـ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ـ كل نفس بما كسبت رهينة) وتطلق النفس على الروح وحدها كقوله تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة ـ واخرجوا

أنفسكم ـ ونهى النفس عن الهدى) وقوله (ان النفس لامارة بالسوء ـ ولا أقسم بالنفس اللوامة) ، واما الروح فلا تطلق الروح على القرآن كقوله تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) وعلى الوحي كقوله تعالى (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) وقال (وينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا (وينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون) وانما سمي ذلك روحا لما يحصل به من الحياة النافعة فان عاقبة • وسميت الروح روحا لان بها حياة البدن وكذلك سميت الريح ريحا لما يحصل بها من الحياة وهي من ذوات الواو ولهذا تجمع على ارواح قال الشاعر :

اذا هبت الارواح من نحو ارضكم   وجدت لمسراها على كبدي بردا

ومنها الروح والريحان والاستراحة ، فسميت النفس روحا لحصول الحياة بها وسميت نفسا اما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها واما من نفس الشيء اذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسا، ومنه النفس بالتحريك، فان العبد كل ما نام خرجت منه فاذا استيقظ رجعت اليه فاذا مات خرجت خروجا كليا فاذا دفن عادت اليه فاذا سئل خرجت فاذا بعث عادت اليه اي رجعت له • قال الامام ابن القيم فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات وانما سمي الدم نفسا لان خروج الذي يكون مع الموت يلازم خروج النفس وان الحياة لا تتم الا به كما لا تتم الا بالنفس فلهذا المعنى قال السموأل :

تسيل على حد الظبات نفوسنا   وليست على غير الظبات تسيل

ويقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وفارقت كما يقال خرجت روحه وفارقت ولكن الفيض الاندفاع بكثرة وسرعة يقال افاض اذا دفع باختياره وارادته وفاض اذا دفع قهرا وقسرا فالله سبحانه هو الذي يفيضها عند الموت فتفيض هي • وقالت فرقة من اهل الحديث والفقه والتصوف : الروح غير

النفس ، قال مقاتل ابن سليمان للانسان حياة وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد لـــه شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه يتقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت اليه الروح (؟) اسرع من طرفة عين فاذا اراد الله تعالى ان يميته في المقام امسك تلك النفس التي خرجت .

وقال ايضا : اذا نام خرجت نفسه وصعدت الى فوق فاذا رأت الرؤيا رجعت فأخذت الروح وتخبر الروح القلب فيصبح ويعلم انه قد رأى كيت وكيت . وقال ابو عبد الله بن منده من علمائنا : ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس فالنفس طينية نارية والروح نورية روحانية . وزعم بعضهم ان الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وان الخلق بها ابتلى .. وقال طائفة من اهل الاثر ان الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح ، والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ولا عدو اعدى لابن آدم منها ، فالنفس لا تريد الا الدنيا ولا تحب الا اياها ، والروح تدعو الى الاخرة وتؤثرها ، وجعل الهوى تبعا للنفس والشيطان مع النفس والهوى ، وجعل الملك مع العقل والروح والله سبحانه وتعالى يمدها بالهامه وتوفيقه . وقال بعضهم الارواح من امر الله احصى حقيقتها وعلمها عن الخلق . وقال بعضهم الارواح نور من نور الله وحياة من حياة الله . وقالت طائفة للمؤمن ثلاث ارواح وللكافر والمنافق روح واحدة . وقال بعضهم للانبياء والصديقين خمس ارواح . وقال بعضهم الارواح روحانية خلقت من الملكوت فان حقت رجعت الى الملكوت . ذكر هذا كله الامام ابن القيم في كتابه الروح ثم قال قلت الروح تتوفى وتقبض روح واحدة وهي النفس واما ما يؤيد الله به اولياءه من الروح فهي روح اخرى غير هذه الروح كما قال تعالى (اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وكذا التي ايد بها عيسى بن مريم عليه السلام في قوله تعالى (اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس) وكذلك الروح التي يلقيها على من يشاء من عباده هي غير الروح التي في البدن ،

واما القوى التي في البدن وان اطلق عليها ارواحا كما يقال الروح الباصرة والروح السامعة والروح الشامة فهي قوى مودعة في الابدان تموت بموت الابدان وهي غير الروح التي لا تموت بموت البدن ولا تبلى كما يبلى ، قال وتطلق الروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله تعالى والانابة اليه ومحبته وانبعاث المهمة الى طلبه وارادته ونسبه هذا الى الروح كنسبة الروح الى البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن اذا فقد روحه وهي الروح التي يؤيدها اهل ولايته ، وهنا يقال فلان فيه روح وفلان ما فيه روح، وللمحبة روح، وللانابة روح ، وللتوكل والصدق روح، والناس متفاوتون في هذه الارواح اعظم تفاوت فمنهم من تغلب عليه هذه الارواح فيصير روحانيا ومنهم من يفقدها او اكثرها فيصير ارضيا بهيميا والله المستعان •

«الورى» محله جر بالاضافة الى الارواح اي ارواح الورى، قال في القاموس: والورى كفتي الخلق • والمراد بنو آدم ومثلهم الجن فيما يظن لان التكليف والمعاد والحسا بيشملهم « لم تعدم » بموت الابوان التي كانت فيها ولا تموت هي ولا تفنى ، وزعمت طائفة انها تموت وتذوق الموت لانها نفس وكل نفس ذائقة الموت ، قالوا : ودلت الادلة على انه لا يبقى الا الله تعالى وحده كما قال تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقال تعالى (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) قالوا واذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية اولى والدليل على عدمها عدم قدمها ولهذا قال الصواب عدم عدمها « مع كونها » اي الارواح « مخلوقة » لله تعالى ومحدثة ومربوبة اوجدها بعد ان لم تكن «فاستفهم» اي اطلب علم ذلك من مظانه واستكشفه من مكامنه ، يقال فهم كفرح فهما ويحرك وهي افصح وفهامة وفهامية علم الشيء وعرفه بالصلب وهو فهم ككتف سريع الفهم واستفهمني طلب مني فهم المطلوب فافهمته وفهمته ، فالفهم قوة من شأنها ان تعد النفس لاكتساب الاراء ، والله اعلم •

حسان الكاتب

العهد "الدستور الأزلي"

عهد الامام للأشتر النخعي

فالجنود باذن الله ، حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن، ولا تقوم الرعية الا بهم ، ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم .

ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ، ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث في القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه . وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه او ثقل . فول من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولامامك واتقاهم جيبا وافضلهم حلما: ممن يبطىء عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الاقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم ألصق بذوي المروءات الاحساب واهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم اهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة ، فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك . ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكالا على

جسيمها ، فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون بـه وللجسيم موقعـا لا يستغنـون عنه •

وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف اهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو ، فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ، وان افضل قرة عين الولادة استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية وانه لا تظهر مودتهم الا بسلامة صدورهم ولا تصلح نصيحتهم الابحيطتهم على ولاة الامور وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم ، فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم ، فان كثرة الذكر لحسن افعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل ان شاء الله •

ثم اعرف لكل امرىء منهم ما ابلى ولا تضيفن بلاء امرىء الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف امريء الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امريء الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيمـا • واردد الى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الامور ، فقد قال الله تعـالى لقوم احب ارشادهم « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسـول » فالرد الى الله : الاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة • ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفيء الى الحق اذ عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون اقصاه واوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج واقلهم تبرما بمراجعـة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم ، ممـن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء واولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائـه • وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة

لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظرا بليغا !

فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة واثرة فانهم جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقا واصح اعراضا ، واقل في المطامع اشرافا وابلغ في عواقب الامور نظرا ثم اسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا امرك أو ثلموا أمانتك ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان احدا منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار بما اصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله ، فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم الا بهم ، لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم امره الا قليلا فان شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب أو بالة او احالة ارض اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد ، احتملوه طيبة انفسهم به

فان العمران محتمل ما حملته وانما يؤتي خراب الارض من اعواز أهلها وانما يعوز اهلها لاشراف نفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالصبر ثم النظر في حال كتابك فول على امورك خيرهم واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك واسرارك باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجرأ بهـا عليك في خلاف لك بحضره ملاء ولا تقصر به الغفـلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لـك ويعطي منك ولا يضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليـك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ثم لا يمكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك : فاعمد لاحسنهم كان في العامة اثرا واعرفهم بالامانة وجها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره واجعل لرأس كل امر من امورك رأسا منهم لا يقهـره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنـه ألزمته ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات واوصي بهم خيرا المقيم منـهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابهـا من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم النـاس لمواضعها ولا يجترئون عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشـى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحـا قبيحـا واحتكارا للمنافع تحكما في البيـاعات ذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله عليه وآله وسلم منع منه وليكن البيع بيعا سمحا : بموازين عدل واسعـار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقبه في غير اسراف ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين واهل البؤس والزمنى فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا

واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منم مثل الذي للادنى وكل قد استرعيت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييعك التافـة لاحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فأعذر الى الله في تأدية حقه اليه وتعهد اهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم . واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متمتع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في غير موطن (لن تقدس امة لا يؤخذ لضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع ثم احتمل الخرق منهم والعى ونح عنهم الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما اعطيت هنيئا وامنع في اجمال واعذار ، ثم أمور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ومنها اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله افضل تلك المواقيت وأجذل تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك : اقامة فرائضه التي هي له خاصة فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به الى من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ واذا قمت في صلاتك للناس

فلا تكونن منفرا ولا مضيعا فان في الناس من به العلة وله الحاجة • وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وجهني الى اليمن كيف أصلي بهم ؟ فقال صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما واما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك ، فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل، وانما الوالي بشر لا يعرف سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت أحد رجلين اما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه ؟ أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك اذا أيسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في عاملة •

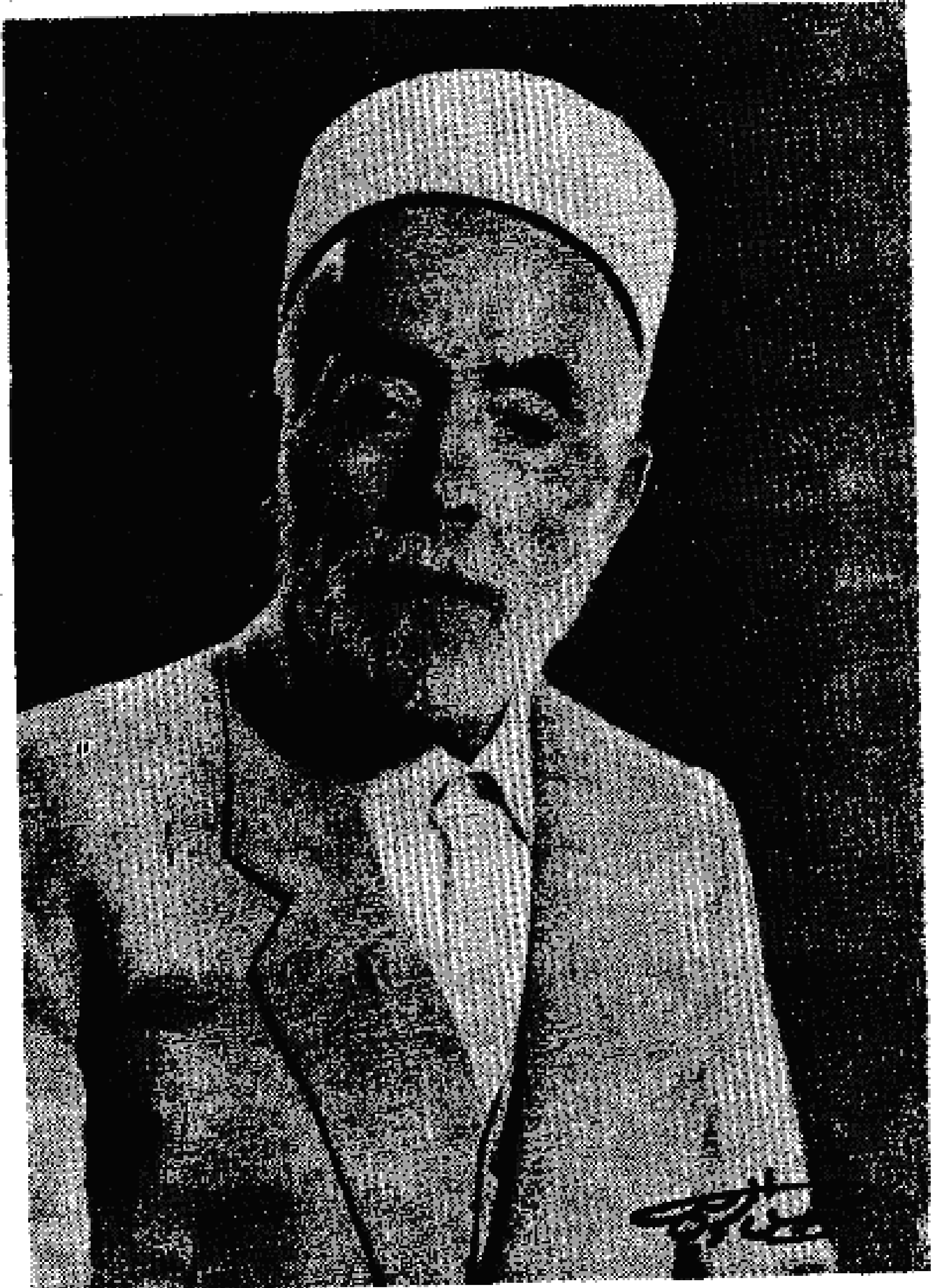
ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف في معاملة فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطعة ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والاخرة •

وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع : وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة •

وان ظنت الرعية بك حيفا فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك ، فان في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقا برعيتك واعذارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق •

اللغة العربية

بقلم: مؤسس العرفان



● نعود الى نشر شيء من مقالات مؤسس العرفان في المجلدات القديمة وهو من ابرع كتاب المقالة في القرن العشرين .

لقيت اللغة العربية الكريمة من تحامل اعدائها ما جرعها الغصص وأذاقها ضروب الهوان وانواع الازدراء والامتهان وصادفت من اهمال ابنائها وعقوق المنتمين اليها ما يضيق عن احتماله الصدر ويفقد ازاءه الصبر فلله الامر ، لغة يعرب ومضر وعدنان تلك اللغة التي تنزل بها القرآن وألفت بها الكتب الممتعة والاسفار المفيدة والدواوين ذات المادة الغزيرة ، يحاول قوم طمس آدابها وجحد فضلها ويسعى آخرون لمحوها من لوح الوجود ، اللغة التي أنجبت هاشما وعبد المطلب وابا طالب وامرأ القيس وزهير بن ابي سلمى والنابغة والسموأل وقس بن ساعدة وغيرهم من فطاحل مشاهير الجاهليين وعلي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود وابا الاسود الدؤلي وحسان بن ثابت وطارق بن زياد وموسى ابن نصير والرشيد والمأمون والخليل بن احمد وجعفر الصادق وابا حنيفة والشافعي وابن حنبل ومالكا وابا تمام والبحتري والمتنبي وابا فراس وابن المعتز وابن الرومي وابا بكر الخوارزمي وابن العميد والصاحب ابن عباد وجرير والفرزدق والكميت ودعبل والشيخ المفيد وابن بابويه وابن المطهر الحلي والشريف الرضي والشريف المرتضى وابا العلاء المعري والغزالي والبخاري والزمخشري وابن خلدون والطبري والطبرسي والفارابي وابن رشد وابن البيطار وسيف الدولة الحمداني والاصفهاني صاحب الاغاني وابن سيدة وابن مكرم صاحب اللسان وياقوت الحموي وابن خرداذبة وغيرهم من الاسلاميين ممن لا يمكن سرد اسمائهم هؤلاء من المتقدمين فضلا عن نوابغ المتأخرين من مسلمين ومسيحيين الذين جاهدوا في سبيل لغتهم جهادا دونته الدواوين وهو يدوم ما دامت السموات والارض وحسبك اليازجيون والبستانيون وكفى .

لها الفصاحة تعزى أينما وجدت ... شهودها مثل قس او كسحبان
وفي البلاغة هل خود تضارعها ... واصلها صاعد يسمو لقحطان
وبعض خدامها عبد الحميد ومن ... تلاه من اصفهاني وجرجاني
وغيرهم من ملوك الفضل آخرهم ... رب النهى اليازجي الكوكب الثاني

وكم لجناتها في أرض لبنان　　من هائم في معانيها وبستاني

هذه اللغة التي ألف فيها ونظم ونثر الالوف من النوابغ الذين اكبر امرهم الشرق والغرب ونشر كتبهم وأعجب بها المستشرقون من افرنسيس وانكليز وطليان واسبان وروس الخ.

هذه اللغة الشريفة نسرت فيها ألوثة الاعاجم وفضلت عليها لغة الاجانب ورشقت بسهام الغدر من كل جانب وما احسن ما قاله حافظ ابراهيم في شكواها :

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة　　وكم عز أقوام بعز لغات
أتوا اهلهم بالمعجزات تفننا　　فيا ليتكم تأتون بالكلمات
سقى الله في ارض الجزيرة أعظما　　يعز عليها أن تلين قناتي
حفظن ودادي في البلى وحفظته　　لهن بقلب دائم الحسرات
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق　　حياء بتلك الاعظم النخرات
أيهجرني قومي عفا الله عنهم　　الى لغة لم تتصل برواة
الى مجمع الكتاب والجمع حافل　　بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فاما حياة تبعث الميت في البلى　　وتنبت في تلك الرموس رفاتي
واما ممات لا قيامة بعده　　ممات لعمري لم يقس بممات

اجل حياة الامة بحياة لغتها وموتها بموت لغتها فماذا يريد الستون مليونا الذين يتكلمون باللغة العربية المنتشرون في جزيرة العرب والعراق وسوريا ومصر وافريقيا والسودان وتونس والجزائر وطرابلس الغرب ومراكش ان يصنع في لغتهم ؟ وحتى متى صامتون لا يبدون حراكا ولا يحركون ساكنا ألم يعلموا ان لغتهم صائرة الى الزوال ان دام الحال على هذا المنوال ، ألم يعلموا انهم اذا انقرضت لغتهم انقرضوا واذا بادت بادوا ولولا تلك النهضة المباركة في مصر لكان الحال أدهى وأمر ، هلا اتخذنا الامة الاسرائيلية النشيطة

نبراسا لنا ان كنا نحسن القدوة فقد قاومت هذه الامة الضعيفة التي لا يزيد عددها على الخمسة عشر مليونا كل تيار وقفه امامها وثبتت على مر السنين زهاء ثلاثة آلاف عام وما ذلك الا لانها ما زالت حافظة لغتها العبرانية التي تعززها في خلواتها وجلواتها •

وهكذا عاش اليهود وعاشت لغتهم معهم حتى انك ترى اليهودي يكتب بطاقته باللغة العبرانية ولو لم يقرأها احد غيره فيا لله كم يفعل الثبات والاعتصام بمثل هذه الغيرة على اللغة اعتزت اللغة العربية حيث حفلت النوادي والدواوين بكبار الكتاب والمنشئين في عهد الامويين والعباسيين والبويهيين والفاطميين والايوبيين حتى أن صبح الاعشى استغرق اربعة عشر مجلدا ضخما وهو في لغة الدواوين وحسبك من غيرتهم على العرب والعربية ما روي عن الصاحب ابن عباد وهو فارسي الاصل ان رجلا أعجميا تقدم اليه بقصيدة مطلعها :

غنينا بالطبول عن الطلول وعن عنس عذافرة ذمول

يفضل بها العجم عن العرب فلما بلغ منتهاها اشرأب الصاحب ينظر في الزوايا واطراف القوم فقال اين أبو الفضل (بديع الزمان الهمذاني) وكان منتبذا في زاوية قال فوثبت وبست الارض بين يديه فقال اجب عن ثلاثتك قلت وما هي قال أدبك ونسبك ومذهبك فقلت ولا مهلة للقول الا بما تسمع:

أراك على شفا خطر مهول بما اودعت نفسك من فضول

طلبت على مكارمنا دليلا متى احتاج النهار الى دليل

فخرت بملء ماضغتيك فخر على قحطا

حتى اتى على آخر الابيات فنظر الصاحب الى الرجل فقال كيف ترى فقال لو سمعت به ما صدقت ، قال فاذا جائزتك ان وجدتك بعدها في مملكتي أمرت بضرب عنقك ثم قال لا ترون رجلا يفضل العجم على العرب الا وفيه عرق من المجوسية يرجع اليها • صدق الصاحب فو الله وتالله ما افسد هذه اللغة ولاقت بعضد العربية الا اولئك الدخلاء الذين سرت لوثة فسادهم

واستشرى داء ضلالهم وعنادهم ولعلهم عن غيهم يرجعون والى رشدهم يثوبون هذا ولنا كلمة طويلة الذيول كثيرة الفروع والاصول، حول اللغة العربية التي لم يبق لنا ذماء من الامل الا بها ولا مجال للعمل الا في تعزيزها نبث بها ما في الصدور من لواعج العتاب وتنثل ما في الكنانة من سهام الملام التي نسددها للامة العربية والحكومة المنتدبة .

صحائف عندي للعتـــاب طويتها ستنشر يومـــا والعتاب طويـــل

احمد عارف الزين

الى المشتركـــين في العرفـــان

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنــوء بحملــه المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان نتدارك ما يمكــن تداركه وذلك برفع واشتراك الانصـــار لا حـــد لـــه .

قيمة الاشتراكـــات في المجلة كمـــا يلي :

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية

٥ دنانير في البلادالعربيـــة

١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربيـــة

٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية

٥٠ دولارا جوا للخـــارج

١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائر والمؤسســـات الرسميـــة والسفـــارات والبنـــوك والشركـــات بالبريـــد العادي

١٥٠ بالبريـــد الجوي



الرابطة الأدبية في دمشق
جمعية ومجلة
١٩٢١ - ١٩٢٢

بقلم: عيسى فتوح

شعر فريق من ادباء دمشق في اذار سنة ١٩٢١ بحاجة الادب العربي الى نهضة توقظ الادب من سباته العميق ، وتبث فيه روح النشاط والحيوية ، ورأوا ان كل مجهود يبذله الافراد متفرقين ، هو مجهود ضائع لا يأتي بالثمرة المرجوة ، فصمموا على انشاء جمعية ادبية تلم شملهم ، وتوحد قواهم ، فتم لهم ذلك ، وعقدوا اول اجتماع تمهيدي لهذا الغرض في الرابع من شهر اذار سنة ١٩٢١ ، حضره جمهور من الادباء ، واستقر رأيهم على تأليف جمعية تعمل على خدمة الادب تسمى (جمعية الرابطة الادبية) ، وانتخبوا سبعة منهم للجنة التأسيسية وهم : ابراهيم حلمي ، ابراهيم دادا ، حليم دموس ، خليل مردم بك عبدالله النجار ، فخري البارودي ، نجيب الريس .

ثم اجتمعوا مرة ثانية في ١٢ اذار ١٩٢١ ، حيث وضعوا قانون الجمعية الذي صادقت عليه الحكومة ، وفي ١٩ اذار من السنة نفسها عقد الاخوان جلستهم الثالثة ، وشرعوا في انتخاب اللجان التي نص القانون على وجودها وهي :

اللجنة الادارية ، ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، ولجنة النقد ، ولجنة انشاء المجلة .

١ ـ اللجنة الادارية :

تألفت من : خليل مردم بك (رئيسا) ، ابراهيم دادا (نائبا للرئيس) ، حيدر مردم بك (خازنا) ، زكي الخطيب (كاتبا داخليا) ، عبد الله النجار (كاتبا خارجيا) .

٢ ـ لجنة التاليف والترجمة والنشر :

تألفت من : شفيق جبري ، حبيب كحالة ، حليم دموس ، عز الدين علم الدين (التنوخي)، سليم الجندي ، نسيب شهاب ، جورج الريس •

٣ ـ لجنة النقد :

تألفت من : الانسة ماري عجمي ، محمد الشريقي ، الشماس ايفانيوس زائد (مطران عكار وتوابعها حاليا)، قبلان الرياشي ، يوسف حيدر •

٤ ـ لجنة انشاء المجلة :

ولما عزمت الجمعية على اصدار مجلة تكون لسان حالها ، رأت ان تنتخب لجنة خاصة لانشائها ، فنال اكثرية الاصوات كل من الاخوان : خليل مردم بك ، محمد الشريقي ، حليم دموس ، عزالدين التنوخي ، زكي الخطيب ، نسيب شهاب ، احمد شاكر الكرمي (صاحب مجلة الميزان)•

درجت الجمعية منذ تأسيسها على عقد اجتماع عام كل اسبوع ، يحضره جميع الاعضاء العاملين ويتلو فيه احد الاخوة محاضرة في موضوع يختاره، ثم تعرض اعمال اللجان على الاعضاء للمناقشة فيها ، وتطرح شؤون الجمعية الادارية على بساط البحث •

كان من اهداف الجمعية عقد صلة التعارف بينها وبين الادباء في جميع الاقطار العربية والمهاجر ، وتوحيد قواهم المتفرقة ، وتنظيم صفوفهم ، ليتسنى لهم الفوز في معترك الحياة الادبية الذي كان يستظهر فيه الادعياء ، وينتصر المبطلون •

نظام الرابطة

يتألف نظام الرابطة من سبع عشرة مادة ، تنتظمها خمسة فصول ، ألخص أهم ما ورد فيها :

تتكون هذه الجمعية من بعض الادباء المقيمين في دمشق ، وغايتها اعلاء كلمة الادب العربي ، ولا تتدخل في السياسة مطلقا • وهي تدأب على عقد

جلسات اسبوعية ، تتلى فيها الخطب والمباحثات نثرا وشعرا ، وتسعى الى تشجيع طلاب الادب ، واقامة الاسواق الادبية (الحفلات) على اختلافها .

ينقسم الاخوة المنتسبون للرابطة الى قسمين : اخوة عمل (عاملين) واخوة (شرف)، ويشترط في العاملين :

١ ـ أن يكونوا من الادباء .

٢ ـ ان توافق اكثرية الاخوة المطلقة على انضمامهم ، بعد البحث التام عن احوالهم .

٣ ـ يتحتم على كل أخ ان يبذل قصارى جهده في سبيل مساعدةالرابطة والقيام بما يناط به من الاعمال ، ومن يتمنع عن دفع ما يترتب عليه دفعه يرصد قيده .

اما اخوة الشرف فانهم ينتخبون بموافقة الاكثرية ، ممن اشتهروا بمناصرتهم للادب وودوا الانتماء الى الرابطة ومشاركتها في الرأي ، ولكن لم تسمح لهم أحوالهم بحضور جميع جلساتها والقيام بكل ما تستدعيه قوانينها، وهؤلاء لا يحق لهم التصويت .

تقوم لجنة التأليف والترجمة والنشر بما يعهد اليها من تأليف وترجمة واحياء الخطابة ، اما لجنة النقد فتقوم بنقد ما يعرض عليها من مؤلفات لجنة التأليف والترجمة ، وغيره من القصائد والمؤلفات الادبية ، وتعرض كل من هاتين اللجنتين ثمرة اعمالها على الاخوة مرة في الاسبوع .

وقد اخذت الرابطة على نفسها مهمة طبع الكتب الادبية ، واكرام المجيدين من الادباء واقامة الحفلات التكريمية .

اعمال الرابطة من خلال جلساتها

تم في الجلسة الثالثة التي عقدت في ١٩ اذار سنة ١٩٢١ الاتفاق على اقامة حفلة تأبين للمرحوم ولي الدين يكن ، وانتخبت لجنة مكونة من : خليل مردم بك ، حبيب كحاله ، حليم دموس ، عبد الله النجار للتهيئة للاحتفال .

وفي الجلسة الرابعة التي عقدت بعد اسبوع ، اي في ٢٦ اذار تقرر ان تقام حفلة التأبين يوم ٨ نيسان ١٩٢١ ، وتقرر أن يقوم الاخ رشدي الحكيم مقام الاخ يوسف حيدر في لجنة النقد ، وان يحمل الاخوة في حفلة التأبين شارة موقتة ، وهي عقدة حريرية ذات لون بنفسجي ، ريثما يتم وضع شارة دائمة ، واخيرا تليت رسالة من السيد يوسف لطيف يعد فيها باهداء صورة ولي الدين يكن مكبرة ، فتقرر قبول الصورة وشكره على هديته .

لم يجد شيء في الجلسة الخامسة ، باستثناء عرض بعض قراراتاللجنة الادارية الخاصة بامور تتعلق بحفلة التأبين.

في الجلسة السادسة مساء ١٦ نيسان ١٩٢١ قرىء محضر اللجنة الادارية وقبل ما اقترحته من القاء محاضرات اسبوعية في الاجتماعات العامة . على ان تعين اللجنة الادارية المحاضر من الاخوة وتخبره بذلك قبل اسبوعين علىالاقل وان تعرض كل محاضرة بعد القائها على لجنة النقد للنظر فيها .

في الجلسة السابعة مساء ٢٩ نيسان ١٩٢٩ ألقى الاخ احمد شاكرالكرمي محاضرته في « معنى الادب »، وقرئت رسالة من الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف يحبذ فيها خطة الجمعية ، ورسالة من الاخ نجيب الريس ينبيء فيها بمغادرة دمشق ، وتقرر ان يشطب اسم الاخ الذي يتخلف عن حضور الجلسات ثلاث مرات متوالية بدون عذر مشروع .

في الجلسة الثامنة مساء ٧ أيار ١٩٢١ ألقى الاخ ميشيل سعد محاضرته « المقابلة بين اللغة العربية وبقية اللغات »، ثم تقرر ان تصدر الجمعية مجلة باسم (الرابطة الادبية)، يكون رأس مالها مساهمة بين الاخوة ، وان يقوم الاخ احمد شاكر الكرمي مقام الاخ رشدي الحكيم في لجنة النقد الى ان يشفى من مرضه ، وقبول السادة : عبده كحيل وتوفيق شاميه ومتريقندلفت اخوة شرف في الرابطة .

في الجلسة التاسعة مساء ١٤ ايار سنة ١٩٢١ تلا خليل مردم بك محاضرته في « فتنة القول »، وتقرر ان ينوب حليم دموس عن الانسة ماري عجمي في لجنة النقد لتغيبها في بيروت .

ظلت الجلسات تعقد اسبوعيا بشكل دائم ، لا يتخلف عنها اي من الاخوة الا لاسباب قاهرة ، وتقرأ محاضرة على الاقل في كل جلسة . ففي الجلسة العاشرة التي عقدت مساء ٢١ ايار ١٩٢١ تلا الاخ ميشيل سعد محاضرته في « الفراسة »، وقرىء كتاب قدم لحاكم سورية العام بتسميته رئيس شرف للجمعية ، كما انتخبت لجنة اصدار المجلة .

في الجلسة الحادية عشرة مساء ٢٧ ايار ١٩٢١ القى الاخ الشاعر حليم دموس محاضرته في « التجدد الادبي »، وفي الجلسة الثانية عشرة مساء ٤ حزيران قدم الاخ عزالدين التنوخي محاضرته « مقدمة تاريخ الادب اليوناني» .

في الجلسة الثالثة عشرة التي عقدت مساء ١١ حزيران تلا الاخ قبلان الرياشي محاضرة لم يذكر اسمها ، وتقرر تسمية السادة : عبد القادر المغربي وسعيد الكرمي ويوسف لطيف اخوة شرف للجمعية .

في الجلسة الرابعة عشرة مساء ١٨ حزيران تلا الاخ نجيب الريس محاضرته في « الشعر »، ثم قرىء كتاب من « الرابطة القلمية » في الولايات المتحدة الاميركية ، حرره مستشارها ميخائيل نعيمه ، كلف فيه رابطة دمشق ان تكون مراسلة لرصيفتها رابطة نيويورك ، ودعا فيه الرابطة الادبية الى « خلق روح جديدة تنفث فيها حياة حديثة ، فتقتلع يابسها ، وتنمي ما اخضر من نبتاتها ، وترمم ما تداعى من اركانها ... ففي آدابنا كثير مما رث وبلي، فحان وقت فرزه ونبذه ، وكثير مما هو حري بالحفظ والادخار » .

ويقول نعيمه ايضا : « وفي شرعنا ايها الاخوان ، اننا قد بلغنا في نمونا الادبي نقطة نراها حدا فاصلا بين عهدين ، ونرانا عندها واقفين بين ماض يستعبدنا بتقاليده ، ومستقبل يدعونا الى اطلاق القريحة من حبوسها ، ونعني باطلاق القريحة ان يغمس الكاتب قلمه في قلب الحياة ، قبل ان يغمسه في

المجبرة ، اذ ذاك يصبح الادب معرضا للفكر الحي والروح المستيقظة، لاميدانا تتبارى فيه البهرجة اللغوية ، والسفسطة البيانية ».

وقد أجابت الرابطة الادبية على كتاب الرابطة القلمية برسالة حررها رئيسها المرحوم خليل مردم بك ، أعلن فيها استعداد الرابطة الادبية للتعاون ومد يد المصافحة لكل العاملين على خدمة الادب الصحيح بقوله :

« يسرنا ان نسير معكم جنبا الى جنب في ظل لواء هذه اللغة الشريفة عاملين يدا واحدة ـ كل بقدر استطاعته وطاقته ـ على نصرة الادب العربي واعلاء شأنه ، بعد ان طال أمد غفلة الادباء ورقودهم ، فامتلأت حقول الادب بالشوك والزؤان ، وغدت في حاجة قصوى الى أيد عاملة تتعهدها بالعناية والاصلاح ».

« لقد كان كل فرد منا ـ قبل ان تجمع الرابطة شملنا وتضم شتاتنا ـ يشعر بالحاجة الى اجتماع الكلمة ، والافتقار الى الاتحاد في سبيل انهاض ادب من كبوته ، وما هي الا ان ارتفع صوت الداعي الى الاتحاد ، حتى اسرعنا الى الاجابة ، وأظهرنا الى عالم الوجود هذه « الجمهورية الادبية » الصغيرة التي تمد لكم اليوم يد الاخاء ».

«اننا نشعر بخطر التبعة الادبية الملقاة على عواتقنا ، لاننا نعلم عظيم حاجتنا الى النهوض والتجدد في ادبنا ، وقد وطدنا العزيمة على العمل، وشرعنا في المسير على السراط الذي رسمناه لانفسنا ، واذا كنا نسكت عن شرح خطتنا لكم ـ وانتم اخواننا في الادب والوطنية ـ وعن بيان تفاصيل اعمالنا ونياتنا، فما ذلك الا لاننا لا نرى ان نكثر من الاماني والوعود ، ونفضل ان تروا اعمالنا قبل ان تسمعوا اقوالنا ».

« وستصلكم قريبا المجلة التي قررنا اصدارها ، لتكون لسان حالنا، فتمثل لكم جزءا من الجهد الذي عزمت رابطتنا على بذله في سبيل خدمة مبدئها الاسمى ».

« وها نحن نمد يدنا لمصافحة كل العاملين على خدمة ذلك المبدأالجليل، ونقول لهم تعالوا لنسكب قلوبنا فوق الاوراق ، كما تنسكب لآلىء الندى فوق الازهار ، حينما يبتسم الليل عن فلق الصباح ، تعالوا لنحرق ذكاءنا امام خدمة المبدأ المقدس بخورا يتصاعد الى العلاء ، كما تتصاعد انفاس الورود العطرة في الربيع .»

« نحن لكم ، وانتم لنا على القرب والبعد ايها الاخوة الاحباء ، وسلام عليكم ولكم بكرة وعشيا . »

في الجلسة الخامسة عشرة مساء ٢٥ حزيران ١٩٢١ تلا الاخ محمد الشريقي محاضرته « نهج الادبين » ، كما تلي كتاب الرابطة القلمية ، وتقارير اخرى .

وفي الجلسة التالية ألقى الاخ عبد الله النجار محاضرته « القوى الغاشمة »، وتقرر تأليف لجنة لوضع شارة للجمعية ، فانتخب لذلك ثلاثة من الاخوة هم : ماري عجمي والشماس ايفانيوس زائد واحمد شاكر الكرمي، وان يكون قرارها نافذا .

في الجلسة السابعة عشرة مساء ٩ تموز ١٩٢١ ألقى الاخ الشماس ايفانيوس زائد محاضرته « ماهية الفن »، ثم بحث في قبول اعضاء جدد لم تذكر اسماؤهم وفي الجلسة الثامنة عشرة مساء ١٦ تموز ١٩٢١ تلا الاخ نسيب شهاب محاضرته « تاريخ الطيران » وفي الجلسة التالية لها ألقى الاخ راشد البيلاني محاضرته « السعادة »، ثم ووفق على شارة الجمعية التي صممت على شكل قلم وزهرة متعانقين.

في الجلسات الثلاث التالية ألقيت محاضرات : « الشعر العربي » للاخ سليم الجندي ، و « نشوء الجماعات » للاخ سيمون لويس ، و« الالعاب الرياضية » للاخ جورج الريس ، كما تقرر حل لجنة التأليف والترجمة لاهمالها العمل الذي عهد به اليها ... وفي الجلسة الثالثة والعشرين التي عقدت

مساء ١٠ ايلول ١٩٢١ ألقى الاخ زكي الخطيب محاضرته « لمن المستقبل » : وألفت لجنة جديدة للتمثيل والاحتفالات قوامها الاخوة : فخري البارودي، سيمون لويس ، نجيب الريس ، جورج الريس ، فيليب سعد ، بهيج الخطيب، راشد البيلاني • وتقرر السماح للغرباء بحضور اجتماعات الجمعية العـ... باذن سابق •

في الجلسة الرابعة والعشرين مساء ١٨ أيلول ألقى الاخ مصطفى الشهابي محاضرته في « تاريخ الزراعة »، وقرئت كتب مرسلة من : عبد الحميد الرافعي والشماس ميخائيل الحاج ، وفي الجلستين التاليتين ألقى الاخ فخري البارودي محاضرته في « الانتقاد »، وألقت الاخت الانسة ماري عجمي محاضرتهـا «الشباب والشيخوخة»، ثم توقفت الجلسات سبعة عشر يوما من ٥ ـ ٢٢ تشرين الاول لاسباب لم تذكر •

كان مجموع الجلسات الاسبوعية التي عقدت خلال عام ١٩٢١ ستـا وثلاثين جلسة ، ألقيت فيها ـ الى جانب ما ذكرت ـ محاضرات : « عـلاقة الارمن بالعرب » للاخ عزالدين التنوخي ، و « الجراد » للاخ حليم دمـوس، و « الذاكرة » للاخ ميشيل سعد ، و « الشخصية في الادب » للاخ احمـد شاكر الكرمي ، و «أصل اللغة » للاخ عبده كحيل ، و « الشخصية المتغيرة والحقيقة المجزأة » للاخ فيليب سعد • وتقرر في الجلسة الرابعة والثلاثـين التي عقدت مساء ١٠ كانون الاول ١٩٢١ تعيين لجنة يوكل اليها طبع كتـاب « معاني الشعر » للاشنانداني (١)، وتخصيص ريع حفلة الرابطة لتصحيحـه ووضع المقدمة والفهارس والشروح والهوامش له ، وهي مؤلفة من الاخـوة: سليم الجندي ، واحمد شاكر الكرمي ، وحليم دموس ، وعبد الله النجـار، وخليل مردم بك •

---

(١) الاشنانداني هو ابو عثمان سعيد بن هرون الاشنانداني . ذكره ابن النديم في مقالة اللغويين والنحويين من كتاب الفهرست ، وعده من علماء البصرة . روى عنه ابن دريد ولقيه في البصرة . له من الكتب (معـاني الشعر) و (كتاب الابيات) . عاش في القرن الثالث للهجرة .

وفعلا اقامت الرابطة حفلة ساهرة في نادي « زهرة دمشق » يوم الجمعة في ١٦ كانون الاول ١٩٢١ ،ألقى فيها حقي العظم حاكم دولة سورية ، كلمة أعرب فيها عن ارتياحه لاعمال الجمعية في جهادها الادبي ، وتكلم بعده كل من الاخوة : زكي الخطيب ، محمد الشريقي ، احمد شاكر الكرمي ، حليم دموس ، وتخلل الخطب عرض مناظر صور متحركة ، وموسيقا آلية .

في الجلسة الخامسة والثلاثين مساء ٢٤ كانون الاول ١٩٢١ تقرر قبول عارف النكدي اخا عاملا ، كما ألقى الاخ عبد الستار السندروسي محاضرة بعنوان « تأثير البداوة في الحضارة »، وفي الجلسة الختامية لعام ١٩٢١ ألقى الاخ عبد الله النجار محاضرته « الناسك المجنون » . في اول جلسةمن جلسات العام الجديد ١٩٢٢ ألقى الاخ زكي الخطيب محاضرة عنوانها : « بحث في المعضلات الاجتماعية » ، وتليت مختارات من كتاب « معاني الشعر » للاشناندانى ، وقصيدة للاخ عارف النكدي عنوانها « لا رعى الله »، وتم الترحيب بالاخ فخري البارودي ، بمناسبة قدومه من القاهرة ، وتقرر ان تقوم لجنة النقد بجمع كتاب تنتخب مادته من آثار الاخوة شعرا ونثرا ، الا ان هذا العمل لم يتم ، ولم يطبع للرابطة اي كتاب غير « معاني الشعر »، الذي قدم هدية لقراء المجلة ، بدلا من العدد العاشر .

في الجلسة السادسة مساء ١٧ شباط ١٩٢٢ ، ألقى الاخ عارف النكدي محاضرته « اللغة العربية »، وتقرر قبول اخوة مراسلين ، وان لا يقبل اخ في الجمعية ما لم يقدم اثرا من آثاره الادبية يدل على كفاءته .

في الجلسة السابعة ألقى الاخ محمد الشريقي محاضرته « نشيد الانسانية »، وقبل كل من : درويش ابي العافية ، وفائز الشهابي ، وميشيل فرح أخوة عاملين في الرابطة .

وفي الجلسات الاربع التالية ، ألقيت محاضرات: « اشرف الشعر واحسن القول » للاخ نجيب الريس ، و «الفرد والجماعات » للاخ رشدي ملحس ، و «التشبيه» للاخ ميشيل فرح ، و «سر النجاح » للاخ فخري البارودي ،

وقرىء محضر لجنة النقد لمحاضرتي عارف النكدي وميشيل فرح ، وتقرر الغاء لجنتي التمثيل والنقد ، على ان يضاف عضوان من لجنة النقد للجنة الانشاء فتقوم عندئذ بمهمة النقد ، ثم اعلن الرئيس مدة انتهاء عمل اللجنة الادارية، بعد مرور سنة على تشكيلها ، ففاز بالانتخابات الجديدة كل من الاخوة :
خليل مردم بك (رئيسا)، محمد الشريقي (نائبا للرئيس) ، زكي الخطيب (كاتبا داخليا) فائز الشهابي (كاتبا خارجيا) ، وميشيل سعد (خازنا) .

وتقرر ايضا ان يؤخذ من كل اخ عامل ليرة عثمانية ذهبا ، كحد ادنى، لاستئجار مركز للرابطة في المستقبل ، ورفع قيمة الاشتراك الشهري من خمسة وعشرين قرشا الى خمسين قرشا ، وفصل كل من يتخلف عن دفع اشتراكه ثلاثة اشهر ، وتكليف الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بالقاء محاضرة ادبية في الجلسة القادمة .

لم تعقد جمعية الرابطة الادبية في سنتها الثانية الا احدى عشرة جلسة فقط ، كان تاريخ آخرها ٢٥ اذار ١٩٢٢ . واذا اضفنا اليها ستا وثلاثين جلسة في السنة الاولى ، يصبح مجموع جلساتها سبعا واربعين جلسة ، قدم فيها العديد من المحاضرات التي أغنت الادب العربي وزادته ثراء وخصبا .

مجلة الرابطة الادبية

لقد كان الهدف من اصدار مجلة (الرابطة الادبية) هو ان تكون اللسان الناطق باسم الجمعية ، وتعبر عن آراء اعضائها وافكارهم ومشاعرهم ، وان تستقطب نتاج الاخوة الادبي من شعر ونثر ومقال وقصة ومسرحية ... لكن هدفها الاسمى كان « هدم ما تداعى من الفاسد وبناء الصالح ، مع حياطة المتين منه » .

شعرت الرابطة بان الادب العربي رسف في اذلال القيود ، وكبلته اغلال الصنعة البغيضة خمسة قرون متوالية ، وقد آن له ان ينهض من كبوته هذه، ويستفيق من غفوته الطويلة ، وينجو من « ادباء لا يضربون الا على غرار سواهم ، وينطقون بما لا تجيش به صدورهم » .

« ثم خلفهم خلف غلف قلوبهم ، معوجة آلسنتهم ، ما عرفوا من الادب الا التفاعيل والاسجاع جمعوا الى سخافة المعنى رديء اللفظ ، فكانوا في الدرك الاسفل من الهذيان والهذر ».

كان الدافع لتأسيس الرابطة اذن ، الغيرة على الادب بالدرجة الاولى، بعدما وصل الى ما وصل . فقد صار كمريض تساوره الاسقام ، وتواثبه الآلام ، حتى كاد يلفظ انفاسه ، بعدما طال نزعه ، حتى قيض الله له من أساة الادباء من نفس كربته ، وكشف غمته .

رأت الرابطة ان علاجه لا يعدو احد قسمين لا يجوز التفريق بينهما ، وان اختلفا ، الاول تعهد جسمه الناحل الضاوي بالتقوية ، والثاني نفي الاوضار التي علقت ببدنه ، وكان منها بؤرة جراثيم خارت لها عزائمه ، فعلى من يتصدى لمعالجته ، ان يكون بانيا وهادما وطبيبا وجزارا في آن واحد .

حالة الادب هذه هي التي حفزت طائفة من ادباء دمشق على نصرته بل خدمته فبايع بعضهم بعضا بقلوبهم قبل ايديهم على تعهده والعناية به ، وتحالفوا على اعلاء كلمته ، فأسسوا الرابطة الادبية ومن ثم مجلتها التي لم يكتب لها العمر الطويل .

كانت سنة المجلة عشرة اعدادفقط وعدد ممتاز ، صدر العدد الاول منها في مطلع ايلول سنة ١٩٢١ ، والعدد التاسع في مطلع ايار سنة ١٩٢٢ ، اما العدد العاشر الذي ختمت به السنة الاولى ، فكان كتاب « معاني الشعر » الذي حققته الرابطة ، وطبعته طبعا متقنا على ورق صقيل ، بعد ان شرحت مواطن الغموض فيه، وجعلت له ملحقا يحتوي على فهارس للابيات الشعرية والاعلام والبلدان ، مع ترجمة الرجال والنساء الواردة فيه .

كان المدير المسؤول عن المجلة هو الاخ عزالدين التنوخي ، وكانت تطبع في مطبعة « الترقي » بمحلة «القيمرية» لصاحبها صالح الحيلاني . اما قيمة الاشتراك فليرتان سوريتان ، وفي الاقطار الاخرى ليرة مصرية واحدة.

وكان لها وكلاء في مختلف الجهات ، ففي حلب (اسماعيل سامي الكيالي) وفي طرابلس الشام (يوسف سعد)، وفي رأس المتن بلبنان (سامي مكارم)، وفي النبك (يوسف خنشت)، وفي مصر (محيي الدين رضا) ، وفي المكسيك (ادارة جريدة العلم)٠

كانت صفحات كل عدد في اربع وستين صفحة ، ويحتوي على خمسة ابواب ثابتة هي : باب سير الادباء ، وباب تهذيب الالفاظ يحرره الاخ سليم الجندي ، وباب صدفات الغواص يحرره الاخ عزالدين التنوخي (ابو قيس) وباب الامالي تحرره لجنة الانشاء غالبا ، وباب النقد ، بالاضافة الى باب الرواية الذي نشرت فيه رواية « مي » التي ترجمها عن الانكليزية الاخ احمد شاكر الكرمي ٠

لم يبق احد على قيد الحياة من اخوة الرابطة الا : المطران ايبفانوس زائد في (حلبا)، بلبنان ، وقد اصدر مجموعة كبيرة من مؤلفاته الشعرية والنثرية ، وترجماته ٠٠

عيسى فتوح

عنوان مجلة « العرفان »

بيروت ـ لبنان

ص٠ب : ٣٩٧٨

مجلة العرفان او نزار الزين

تلفون : ٢٥٦٥٥٠

محمد علي الحوماني

بقلم: فوزي سابا

محمد علي الحوماني اديب بلا ضفاف ، صعب ان تعرف أوله ؛ ثم أين من العين آخره ، كذا الاعصار ظاهرة احجية وحكاية فضاء .

هكذا عرفه الاديب انطون قازان في كلمات ، وهـــذا هو محمد علي الحوماني الذي ولد سنة ١٨٩٦ في حاروف قضاء النبطية من صميم جبل عامل، فكان ابدا عامل خـير وبناء .

درس اوليات العلوم على أبيه واخيه في مدرسة النبطية الحكوميـة ثم في مدرسة شقرا كما تتلمذ على العالمين السيد حسن يوسف والسيـد عبد الحسين شرف الدين وانتقل بعد ذلك الى مدرسة الصنائع في بـيروت التي تركها مجبرا بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى فالتحق بالتعليم خلال مدة هذه الحرب أي من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨ مدرسا في مدرسة النبطية الرسمية ثم في مدرسة شقرا .

عند انتهاء الحرب العالمية الاولى هاجر الى النجف الاشرف ودرس على شيوخه علوم البلاغة والبيان والفلسفة ولما تمكن من هذه الفنون عاد الـى ممارسة التعليم في مدرسة النبطية ، وبقي حتى نشوب الثورة السوريـة الكبرى سنة ١٩٢٥ فالتحق بها ثم انتقل الى الاردن فعين مدرسا في السـلط لكنه لم يمكث طويلا فعاد سنة ١٩٣٢ الى دمشق وعمل مدرسا للاداب في الجامعة العلمية .

رحالة هذا الرجل ، لا اجد قول الشاعر الا منطبقا عليه :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت   فيضحـي واما بالعشيـة يخصر

اخا سفر جواب ارض تقـــاذفت بــه فلوات فهــو اشعث اغـــبر

فمن لبنان الى العراق الى سوريا الى الاردن ثم رجوعا الى لبنان ليستقر مدة طويلة في القاهرة حيث اسس سنة ١٩٣٠ مجلته العروبة ، ليعود بها الى لبنان ثانيا ويسهم سنة ١٩٣٩ في تأسيس مجلة الامالي بالاشتراك مع الادبـاء عبد الله مشنوق والدكتور عمر فروخ والدكتور محمد خير النويري .

ما نزل بلدا الا وترك له فيه اثرا يذكر ، لقد زار اوروبا وافريقيا والصين والهند والاميركيتين ففي الشمالية منها طبع ديوان القنابل في ديترويتمشيغن سنة ١٩٤١ ، وفي الارجنتين ترك اثرا ظاهرا في مجتمعنا الادبي ، حمل الدكتور جورج صوايا صاحب مجلة الاصلاح ، ان يتساءل عن الحوماني بعد رحيلــه عن البلاد ، وعن انقطاعه عن ندواتها الادبية ، كذلك ذكره جورج صيــدح في كتابه ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ، بانه من النخبة المثقفة التي عملت على احياء التراث ورفع الشعر والادب في المهجر .

وكما كان ينتقل من بلد الى آخر على طيب اثر ، كان له المشاركة في الحركة الاجتماعية والسياسية التي طغت على اجواء البلاد آنذاك وساهمت بالبحث في شؤون جبل عامل .

اخذ من كل فن بعلم ، وانه لمن الصعب ان تجلى اعماله في كتاب فكيف بحديث، فالاكتفاء اذا بالامثلةدليل على اتساع آفاق هذا الشاعر الكبير والناثر المبدع والاجتماعي الذي ساهم مع الثالوث العاملي « الزين ورضا وظاهر » في معالجة شجون جبل عامل ونقد مجتمعاته .

كان محمد علي الحوماني في نثره كما كان في شعره ، بليغ المعنى رائــع الصورة رشيق اللفظ ، ساحر الاسلوب كما كان في ندوات الادب شديــد الذكاء حاضر النكتة عذب الروح له منطق جذاب .

ومن خلال هذه السجايا دخل شعره وادبه القلوب فما كاد ينشر ديوان شعره الاول سنة ١٩٣٧ حتى قال فيه كبار النقاد والادب رأيهم ، معترفــين

بمقدرته الشعرية وابداعه ، من ذلك قول امير البيان الامير شكيب ارسلان:

وتهنأ بما آتاك الله من قريحة عاملية وفصاحة وائلية وشعر عذب رائق وبيان يجمع بين ابداع الخيالات واصدق الحقائق .

كذلك قال العلامة السيد محسن الامين :

... فيه الفصاحة والبلاغة والرصانة والحصانة والمتانة والبراعة والرقة والانسجام فكان عقدا في جيد الدهر وحلية لهذا العصر ومفخرا من مفاخر النظم والنثر .

اما الشيخ سليمان ظاهر فقد رأى الى محمد علي الحوماني بالـذات فقال : الحوماني قطعة من سحر الشعر ، فشمائله شعر وحديثه شعره ونثره كنظافة شعر ، وكأن يد الابداع صاغته شعرا قبل ان اخرجته للناس شاعرا ناثرا متسلطا على النفوس وأهوائها .

الناظر الى ضروب الشعر التي كانت شائعة آنذاك في جبل عامل او على الاصح فرضت نفسها على الشعراء يرى ان محمد علي الحوماني قد عمل على اكثرها ان لم يكن عليها جميعا ، جاعلا من شعره حلة بين القديم والجديد ، مختارا الجيد من المذهبين ليصح فيه القول : « انه شاعر قديم جديد ، قديم كما التراتيل الدينية وجديد كما بهجات اللون » فجاء ادبه باجمعه من شعر ونثر ترتيبا وتخطيطا لما يجب ان يتناوله المفكر في هذا العصر ، فتناول الشعر الاجتماعي والسياسي لكنه رأى الى المرأة بانها قوامة على اصلاح المجتمع وان اصلاحها اصلاحه وافسادها افساده فقال فيهاعلى شتى احتياجاتها واجلسها حيث يجب ان تجلس فيقول :

علموها الفنـون فنا ففنـا ... هي اولـى بالعلـم منكـم ومنـا
خلقـت زهرة لنا ليـس الا ... من رياض العفاف والصـون تجنى

ولم يكتف بهذا القدر من تعليم المرأة بل رأى اليها بروح صوفية خالصة عارية عن الشوائب فيقول :

رب حواء حين صورت حواءك هـــل كان قبلها تصوير
او هل بعدها يشع على الاحداق مـــن عـالم الملائك نور
هي بيت القصيدمن شعرك المنظوم والكـــون شعرك المنشـور

استنصاره للمرأة وجهاده لرفع شأنها جاء نتيجة لايمانه بوطنه الـــذي آراده ان يكون •

باسم المسيح وباسم احمد كبرت تحت البنود قـلانس وعمائـم

فحمل على التقاليد البالية وعلى الطغيان وعلى الظلم ايا كان لـونه او مصدره، ثم على تجديد يعيد الينا ما أقره الشعراء المولدون في العصرالعباسي اوجد لونا خاصا من الشعر اعتمد فيه الاصالة غير متنكر للماضي ولا سـبجا بالحديث •

حبـــذا العود الى الماضي علومـا وفنونا
عالـم كان ابا الرحمـة والام الحنونـــا
واذا افتن رأينــــاه على الفن امينـــا
ينشـــد الشعر فيبنيه قلاعا وحصونـا

لكن هل اكتفى محمد علي الحوماني بالاثارة الشعرية هذه ، انا ارى في شعره جلبة الساحات ، انه أدب جماعة ، ففي الغزل بـاح فجاء شعره صافيا نبيـــلا :

عجبت وقد قالوا احكاك برقـة نسيم الصبا ، هيه كيف حكاني
هبوه حكاني رقـة ولطافـــة فاين له شذوا فمي ولسانـــي

هذه اشياء عن محمد علي الحوماني ، اما الناظر الى قصيدته السينيـــة التي عارض فيها البحتري واحمد شوقي فيجد فيها عمارات عالية للشعـــر ومقامات مجيدة للنفوس الكبيرة التي عمر بها صدر الشاعر وتتحسس مشاعره جمعــــاء :

ربما انضج التجارب درسي لثلاثين من سني وخمس
بين جهدين من يد ولسان تحت ليلين من غموض ولبس
هبات حدث عن الحياة او اسمع فكلانا فيها مهذب حس

قد يظن الاخذ بهذه القصيدة انها لا تبتعد عن الشعر القديم شبكا ومعنى، اما الواقع فانها من النقد الثائر البناء الذي يتناول غير حالة من الحالات البائسة التي كانت تعم المجتمع يقول :

اطرحوا الجهل ساعة وتعالوا ابصروا في البحار جنة انس
بحر علم يطغى بهم فوق شم من جبال الحديد في البحر ترسي
ما الذي تبلغ البراعة من عد السها وهي في انامل خمس
يعجز الحصر ما احس واضعاف خوافيه لم تقع تحت حسي
عرفوا الله كيف يعبد في القلب دما فائرا وعزة نفسي
عبدوه فوق الطروس يراعا وخميسا موج تحت الدرفس
هزت الصم صرختي فلماذا لا تعي الاذن منهم غير همس

قصيدته السنية هذه ترجعنا الى مجلته العروبة ، والعديد من المجموعات الشعرية والنثرية التي حلى بها الادب العربي فنجد انفسنا امام عملاق كيفما تناولته اخذتك اعماله ، وكم اصاب انطون قازان الحقيقة عندما قال فيه :

قصرت عباراتي على قامات تعبيرك ، فاسلم بها عنفوانا لا ينال ، وصرخة لن تحول صدى ..

نعم محمد علي الحوماني صرخة لكل زمان ومكان .

اي جد يغريه بي اي عز تترامى اليه آية نفس

فوزي سابا

القمة اللبنانية التي انهارت بعد انهيار قمة مصر!

انيس الخوري المقدسي ... طه حسين اللبناني



انيس الخوري المقدسي (الثاني من اليسار) خلال انعقاد مجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٦٥ . والاول الى اليسار هو العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي شاعر العراق

كان انيس الخوري المقدسي ، رحمه الله ، مربيا قبل ان يكون استاذا، وعالما قبل ان يكون معلما . فهو منذ ان انتسب للجامعة الاميركية ، ما عرف فيه رفاق الصف وزملاء التدريس سوى انسان سوي وصديق وفي بحيث وافق الاسم المسمى ، وكأنما احمد شوقي عناه في قوله :

قم للمعلم وفه التبجيلا   كاد المعلم ان يكون رسولا

فقد كان مثال الاخلاص والوفاء في علمه ولم يكن يميز بين طالب واخر من حيث المحبة والرعاية وكثيرا ما كان يفخر بطلابه ان هم بلغوا مركزا

اجتماعيا عاليا او حققوا مستوى من العلم مشرفا . وبنسبة غبطتـه بما يبلغ ابناؤه الطلبة كان حزنه على فقد اي فرد منهم . من هذا القبيل ما حـدث له على أثر وفاة تلميذه كاظم بك الصلح . فقد اتصل بي اكثر من مرة مستعلما عن كيفية الوصول الى دارته بقصد التعزية وكنت اعلم بعد زيارة له بمرافقة الدكتور جورج فواز وبشهادة صهره الدكتور فردرك معلوف وربما لمست من ضعفه البادي للعيان ، انه اعجز من ان يرقى سلم البناية التي يقيم فيهـا شقيق الفقيد ، الرئيس تقي الدين الصلح ، حيث كانت تقبل التعازي للرجال. وكان ان اتصلت بالرئيس الصلح وهو من رفاق الصف اعلمه بحال استاذنا الصحية ورغبته في تأدية الواجب فاذا بالاستاذ الصلح (يهاتفه) على الفور، بانه من الواجب الخلقي والوطني ان يذهب هو اليه بنفسه ، او احد افراد العائلة لتقبل المواساة في بيته على تقدير انه والد روحي لجميع طلابه . وهكذا فقد ذهبت انا والصديقان منح الصلح وفاضل عقل نزور استاذنا الجليل في منزله المجاور للجامعة الاميركية . وكان ذلك قبيل وفاته في اسبوع واحـد. ولشد ما كانت دهشتنا ، وهو في حدود المئة من العمر ، عندما اخذ يبحـث في اسباب الازمة اللبنانية ومعطياتها بحث الواقف على كنه الامور ، ولكم انحى باللائمة على المفكرين من مسلمين ومسيحيين لعجزهم عن اخماد نار الفتنـة في مهدها . وحرص منح الصلح على ان يخفف عنه عبء البحث مع رغبتـه الشديدة في الاصغاء اليه . فكان يستأذنه بابداء الرأي من فترة الى ثانية ، وهنا استأذنته في دوري بتلاوة بعض ابيات من شعره . وما ان قرأت عليه البيـت الاول حتى اكمل ما بقي من ابياتها ، ومنها :

مهـلا كرام المسلمـين فمنكـم ... يرجى الـورود الى حيـاض السؤدد
لا تجعلوا « التقليد » يفرط عقدنا ... فرجـاؤنا عبـث اذا لـم يعقـد
ان فرق الايمـان بـين جموعنـا ... فلسـاننـا العربي خـير مـوحد



انيس الخوري المقدسي مع حافظ ابراهيم وخليل المطران
يوم زارا الجامعة الاميركية عام ١٩٣٩

وغني عن البيان ان هذه القصيدة هي من اشهر القصائد الوطنية التي نظمت اثر اعلان الدستور العثماني سنة ١٩١٠ . على انه من الحق ان يقال بان استاذنا المقدسي لم تكن تستهويه المواضيع السياسية كثيرا ذلك لان ولاءه للادب شغله عن اي ولاء اخر ، وعليه فاذا كانت كلمة « اديب » مستوحاة من الحديث الشريف : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فهو ذلك الاديب الذي يليق به هذا القول واذا كانت هذه الكلمة مستوحاة من « الدأب » كما يزعم طه حسين وفريق من كبار المستشرقين ، كان هو ذلك الاديب المعني بهذا القول . وهو الذي أغنى المكتبة العربية بنفائس المؤلفات التي يعتمدها الاساتذة الكبار في المستوى الجامعي . حسبه منها ، كتبه التالية : امراء الشعر في العصر العباسي ، تطور الاساليب النثرية ، المختارات

السائرة ، الاتجاهات الادبية في العالم العربي، اعلام الجيل الاول من شعراء العربية في القرن العشرين وهو اخر ما طبع له سنة ١٩٧٢ ، وفي هذا السفر الادبي النفيس يحدث عن شعراء عاصرهم وكان صديقا لاكثرهم ومنهم بحسب ترتيب الكتاب احمد شوقي ، خليل مطران ، حافظ ابراهيم ، جميل الزهاوي، معروف الرصافي ، شبلي الملاط ، وايليا ابو ماضي . ومما يجدر ذكره ان استاذنا كان في جميع هذه المؤلفات وغيرها ، مثال العالم المنزه عن التحيز . ولقد نهج في بحثه نهج الاخلاص للعلم والولاء للحقيقة عملا بقول الفرزدق:

امامك فانظر اي نهجيك تنهج   طريقان شتى مستقيم واعوج

هذا وفي رأيي المتواضع ان استاذنا المقدسي لا يقل عن زميله طه حسين في شيء من خصائص التحليل والتعليل . وانه هو وعميد الادب العربي يكونان الحلقة المكملة للجهد الادبي الذي قام به من قبل جرجي زيدان صاحب مجلة « الهلال » في هذا الحقل . ومما اذكره من ايام الدراسة في الجامعة الاميركية اننا كنا ونحن نستمع الى استاذنا الانيس محاضرا ومحدثا نطمئن الى علمه كل الاطمئنان ، وكثيرا ما كنا نطمع في تسامحه عند ابداء الرأي . فلم يكن يتعالى على اي طالب منا في شيء من المعرفة ، واذا اخطأ احدنا او تعمد التشويش في ساعة الدراسة ارشده الى وجه الصواب برفق ومحبة . واذكر ان وجهنا اليه سؤالا عن الفرق بين قديم الشعر وحديثه فابتسم قائلا : المهم في الشعر ان يكون مشتملا على عناصر الجمال والخير وان يكون صورة للبيئة التي يترعرع فيها . وهكذا فان من جملة الاسباب التي جعلته يؤثر شوقي على الكثيرين من الشعراء المعاصرين هو لكونه غنى آلام امته وآمالها في شعر جمع بين جزالة اللفظ وسمو الرؤيا ومكارم الاخلاق وهو صاحب البيت القائل :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت   فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وهو اذ يحدثك في كتابه عن شاعره المفضل يذكر له الابيات التالية :

رب جـــار تلفتت مصر توليـــه ـــسؤال الكريم عن جـــيرانـه
بعثتـني معزيـــا بمـــآقي وطني او مهنئـــا بلسانـه
كان شعري الغنـــاء في فرح الشرق وكـــان العزاء في احزانـــه

ولعل تقديره لشاعرية شوقي على هذا النحو او ذاك مرده الى نشـأة استاذنا الدينية . فلقد نشأ في بيت انجيلي محافظ وله في كتاب التراتـيم الكنسية اكثر من ترنيمة واحدة كان منها ما رتل في ساعة جنازته تدليلا على ايمانه برحمة الله وبركاته . ومعلوم ان شوقي نظم أروع شعره في تكريـم الانبياء والاشادة بتعاليمهم النورانية الهادية الى الخير الانساني على غير رياء او مصانعة . وبعد فليس القصد من كلمتي هذه ان ازيد القارىء الكريـم معرفة بالفقيد الكبير استاذ الاجيال على مدى نصف قرن من الزمن . يكفيه من الشهرة ان يتبوأ رئاسة الدائرة العربية من الجامعة الاميركية الى ما ينيف عن ربع قرن وان تكون مؤلفاته ملء الاسماع في عالم الادب والاستشراق . وان يكون بين كبار الكتاب في اسرتي مجلة « المقتطف » و « الهلال » يوم كان العطاء الادبي مقصورا على فئة قليلة عزيزة . هذا بالاضافة الى شخصية ادبية فريدة ترتكز على دعائم ثلاث هي : علم على غير ادعاء ، وتدين على غير تزمت ، وتواضع على غير مجاملة .

بيروت — وديع ديـب

امتحـــان

كان يحيى بن اكثم يمتحن من يريدهم للقضاء فقال الرجل رشح لمنصب القضاء : ما تقول في رجلين ، زوج كل واحد منهما الآخر امه فولد لكل واحد من امرأته ولد . ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لامه .

عبد الحميد بن باديس

بقلم: الدكتور محمد علي الزعبي

التصوف مــــاذا ؟؟؟

لا تصوف في الاســـلام

قطعا ، مر العهد النبوي والراشد والناس لا يعرفون مرجعا الا كتاب الله وسنة رسوله ثم جاء قوم فخلعوا على ما ادخلوه من الفكر الامي الوثنـــي والكتابي (٢٢) كلمة تصوف وحاولوا ربطها بأهل الصفـــة ناسين ان ليل هؤلاء عبادة ودراسة ونهارهم جهاد وعفة عما في ايدي الناس كما وصفهـم أحد معاصريهم بقوله :

سمت العبيـــد من الخشوع عليهم   للـــه ان ضمتهـــم الاسهــــار

فـاذا ترجلت الضحى شهدت لهم   بيض القواضب انهـــم احـــرار

لقد حقق شيخ الاسلام ابن تيمية كلمة تصوف لم تكن في القرون الثلاثة الاولى معروفة لكن الذين الصقوها باهل الصفة ارادوا ربطها بالعهد النبوي ليصبغوا على ما نقلوه من أمشاج الامم ثوبا شرعيا متجاهلين ان خير بـاب يمر منه المتقربون الى الله هو العمل بفرائضه او الوقوف عند حدود فرائضه كما في البخاري من حديث قدسي :

(ما تقرب الي عبدي بمثل ما افترضته عليه)

ذكر الله لا يعني الحلقات الصوفية

وحقق في كتابه (الكلم الطيب) ان ذكر الله لا يعني الا تذكرة ومراقبة واستشهد بآيات كثيرة مثل قوله تعالى : (اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكـروا

الله) وهذه لا تعني اعملوا حلقات ذكر بل تذكروا ان الله يراقبكم فـــلا تهربوا امام عدوكم ، اما الذين رأوا الذكر قفزا وصعودا ونزولا فلا نـرى عملهم تشريعا اذ هم مهما احطنا اسماءهم بهالة تقديس ليسوا قدوة !!! هـذه معان سليمة لا تكاد تخفى الا على الذين خالوا الانحراف استقامة والتأويل الطارئة منطقــا •

مرجعنا القرآن والسنة فحسب

وسواء أكان التصوف مشتقا من الصفة او الصفاء او الصوف اوالتيوزف (الحكمة) فهو جسم غريب عن عقائدنا وعباداتنا اذ هما محاطان بسور توقيفي مسلح بحديد (اليوم أكملت لكم دينكم)•

وكلمة توقيفي تعني ان العقائد والعبادات ، ليست خاضعة للاهواء ، اذ أهل البدع والبدعة كل ما فعله الناس باسم الدين ولا يوجد له من الدين دليل يؤيده ــ يخالون اهواءهم عبادة وقد يدافعون عنها •

لقد هزلت بالجزائر دراسة الفقه بعد تدهورها بفم الغزاة ، فتـــوارت كلمة (توقيفي) واصبحت كلمة صوفي تعني العكوف على الاضرحة نسأل امواتها المنافع ونستدفع بهم المضار ونكلفهم الرزق والغيث بل والذرية ونقبل أضرحتها ونشعل الزيت والبخور في اعتابها ونستثير حميتها !!!

اخذنا نرى الذين لا يعرفون الفقه رجال دين ، وقد شجع الاستعمار هذه الطبقة واستخدمها واتخذها احبولة لمآربه !!!

مثلا يقول مدير الشؤون الاهلية بالجزائر اثناء الحرب العالمية الثانية ما نصــه :

(وصل بنا امتهان واحتقار الدين الاسلامي الى درجة اننا اصبحنـا لا نسمح بتسمية المفتي او الامام الا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس ولا يمكن لموظف ديني ان ينال اي رقي الا اذا أظهر للادارة الفرنسية اخلاصا منقطع النظير)•

هؤلاء الذين لا يعبدون الله بما امر ، بل بما ورثوا من اهواء منطوية تحت كلمة (حدثني قلبي عن ربي) انغمسوا بالتعاون مع الغزاة فتناولـــوا منهم ثمن الخبز الجاف ، اما ثمن الادام فقد تناولوه من اجور التعـــاويذ والتمائم والاحجبـــة .

لقد اتخذهم الغزاة مطية ، واستعان بهم جمعية العلماء المسلمين واستفاد من فئاتهم اكثر من جيشه واخذت جرائده تشجعهم وتـــدافع عنهم وتخيل انحرافهم اسلاما ، ضحك الاستعمار عليهم بالتماس البركة ، فسخر ألسنتـــهم ومركزهم في قلب العامة واجتمعوا مع منهاج المعارف المثبط في الغاية وان لم يجتمعوا في الاسلوب .

اعرض بعضهم عن المهن الحرة كالتجارة والزراعة والصناعة ، وعـــاش بالتناقض تارة يزهد حتى بارتداء القميص النظيف وبتأسيس البيت الشرعـــي ومباحثات الحياة وطورا يتحلق لرجال الدولة ويسجد على ابـــواب الذيـــن بيدهم الدنيـــا .

ومن السموم التي نفثوها عدم استخدام وسائل الوقاية اعتمادا عـــلى نفثات دعوها كرامات ، ناسين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه سار في طريق محفوف بالواقعية وحذر من الالاعيب الصبيانية .

هؤلاء او بعضهم ، أقاموا انفسهم حجرا في طريق الجمعية ، وتـــآمروا على ابن باديس نفسه وظنوا كلمة وهابي سبئة فرموه بها !!!

أجهزوا على العربية اولا

العربية لغة الجزائر الاصلية ، منذ الموجات القحطانية التي سبقت العهد الكنعاني ــ الفينيقي .

اتخذ الغزاة شعارهم ــ اجهزوا على العربية اولا ــ فاوصدوا بطريقها نافذة الاستمرار ، وحالوا دون تدريسها ، ولو كلغة ، واعلنوا عليها حربـــا معدومة الهدنة ، واغلقوا باب الارتزاق بوجه متداوليها ، ورأوها اجنبيـــة ،

وعللوا هذه الحكمة بكلمة : (العربية لغة شعر وصلاة) اي ليست لغة علم وإيقاظ ، بل وامعنوا في التمادي فاصدروا عام ١٩٣٧ قانون يلحق متداولها بالمجرم ويهدده بالحبس او الغرامة او بهما معا .

لا عجب فالتصميم على ذبح العربية ، قديم نفذته فرنسا بالجزائرمباشرة ووقفت انكلترا امام رواده بمصر : صنوع وسواه من دعاة العامية .

ولئن خفت صوت هؤلاء لا سيما امام كتب محمد جلال كشك الكثيرة الثمينة فقد ارتفع في لبنان من افواه دعاة العامية والحرف اللاتيني الذين نسوا انهم يسيئون للبنان حتى اقتصاديا .

انطلق هؤلاء من نقطة السلبية مع العرب فطفى النـــظر القصير على بصائرهم وحال دون صوت ضمائرهم وابطنوا هسم انفه الفصحى ام الاشتقاق وملتقى العرب وتساءلوا :

هل تصلح العربية لغة حضارة ؟؟؟ !!!

وحملت رايته مجلة المقتطف ودارتها سلامة موسى في كتابه (اليــوم والغد) ولويس عوض في كتابه (بلوتولاند) الذي يدعو لترجمة القرآن للعامية المصرية .

اخجلوا يـــا جمــاعة

اخجلوا من اليهود الذين خلقوا لغة مرقعة من السريانية والاراميـــة والكنعانية ... وتحتوا منها الفاظا سياسية ورأوا الله لا يتكلم الا بها .

قصة المستوطنين الاوروبيــين

خطب الجنرال بيجو عام ١٧٤٠ مصرا بوجوب انتزاع السهول الخصبة والواحات المخضوضرة من الجزائريين وحشرهم في الجرود والصحراء .

دعا لتسليم هذه الارض للغرباء الوافدين من فرنسا والمانيا واسبانيـــا ومالطة وسواهم من الفلول المطرودة من الالزاس واللورين وعلل اقتراحــه بكلمـــة :

(لان هؤلاء لا سيما العسكريين منهم ، قادرون على حمايتها).

خسر الجزائريون بهذا الاقتراح لا سيما في المناطق الرأسمالية نحو اربعين بالمئة من املاكهم . واصبح الطارؤون مالكيها بل ومستحدذين على النشاط الاقتصادي والصناعي والثروات الزراعية والمعدنية ، فانهارت الحرف الوطنية واصبح مستوى حياة الجزائري ادنى مستوى في العالم ، وهذا ما حمل بعضهم على التطوع بالجيش الفرنسي او مغادرة الجزائر ركضا وراء الرغيف ولو بمزاولة الاشغال الشاقة .

هل تعجب لـ ٧٠٠ الف دخيل يبتلعون رزق ٩ ملايين ويستخدمونهم باجور منحطة ومن انف عن الخدمة صفعه القانون .

لقد اصبح لهم منذ عام ١٩٤٨ في البرلمان ١٦ نائبا اما الجزائريون فقد فازوا عام ١٩٤٥ بـ ١٥ نائبا .

هل تعجب بعد هذا للمجاعات والازمات الاقتصادية وتفاقم الضرائب؟!!

لا تعجب احفظ كلمة بيجو (حيث توجد ارض ومياه يجب انتزاعها دون تعليل).

خرافة الادماج والتجنس

الادماج في الاصل ، يعني الانسجام ، لكنه في التخطيط الفرنسي يعني تذويب الجزائر وسحق شخصيتها .

فكرة الادماج هذه ليست طارئة ، بل تنفيذا لتخطيط باح به نابليون الثالث ١٨٥٢ ـ ١٨٧٠ مذ قال :

(منحت الجزائر الجنسية الفرنسية) وهذا يعني ـ في ما يبدو للناس ـ ان تندمج الجزائر بفرنسا ويصبح لكل جزائري نفس الحقوق التي يتمتع بها الفرنسي الاصيل . تداول هذه الخدعة كثيرون من الذين جرعوا ثقافتهم من المدارس ذات المنهاج المبيت لكن عرف ما وراءها اعلام في مقدمتهم الشيخ البشير الابراهيمي اذ صرح بمواضع ومناسبات متعددة بما نصه :

(جماعة الادماج ليسو من هذه الامة)

اصرت الجمعية في دروسها وتوجيهها على طرد خرافة الادماج ، ودعت الجزائريين لمعرفة انفسهم واكتشاف هويتهم ، واعلنت ان قبول الجنسيـــة الفرنسية تمهيدا للادماج ، وتملت من تبعة افتداء الجزائر ونصحت المتفرنسين قـــــائلة :

(ان ارتفاع افراد من امـــة يطحن الغزاة عظمها ، لا يعني ارتفاعها)•

ونصحت الذين ينامون على نغمات : ادماج ، جمهورية جزائرية ــ فرنسية واصرت على التمتع بالوطن الجزائري متكاملا •

طبعا لان الاستعمار والوفاء لا يلتقيان ، ومهادنة مستعذبي الشك عبث•

خرافـــة المســـاواة

ضعيفو الهمة من المتفرنسين أي مكتسبي الجنسية الفرنسية ، يقصدون بالمساواة مساواتهم هم بالفرنسيين لا مساواة سواد الشعب ، اي يريدون لو اصبحوا هم طبقة ارستقراطية حتى على ابناء قومهم،ولو تنازلوا عن الشخصية الجزائرية ، وقانون الاحوال الشخصية الاسلامي•

والمساواة عندهم هدف لذاته ، وليست مرحلة يعقبها مراحل • طغت عليهم الانانية فلم يتساءلوا :

خدمتي في الجيش الفرنسي تستلزم مساواتي بالفرنسي ، وهذا يتنافى مع كلمة : (مواطن من الدرجة الثانية) لكن موقفهم هذا حمل ابن باديـــس على استعارة اسلوب الجاحظ فكتب : (المساواة في المحن والواجبات لا في الحقوق) • فاذا حارب الفرنسيون يجب على الجزائري ان يشاطرهم محنة الحرب ويجب على الشيوخ ان يفتوا بضرورة التعاون مع فرنسا لكن اذا ساد السلم يحرم على الجزائري ان يلقي دلوه في حفلات انتصار الجيش الفرنسي كما رأينا في ختام الحرب العالمية الثانية •

من هم جمـــاعة : نـــافق او وافـــق او فـــارق

اشتهر الذين يعيشون بملاعق الدين والدنيا ويوالون فرنسا دون قيد ويلتقون مع منهاج ازهاق الجزائر ولو بنقطة •

اشتهروا باسمين :

أ ـ جمـاعة نافق او وافق او فارق .

ب ـ المسلمـون الفرنسيون .

هذان الاسمان يعنيان جمهورا كبيرا يدخل فيه الاحزاب التي تحارب الاسلام كجوهر وتشريع ، وتتفاهم مع المتجرين باسمه تفاهم مصالح متبادلة.

هؤلاء الذين شكلوا شجى في حلق ابن باديس ونصحوه بالكف عـن التعرض للسياسة والرضى بالامر الواقع ، وامعنوا بالاستتار بالوطنية وزعموا انهم يتعاونون مع فرنسا لمصلحة الجزائر ، ناسين ان رجاء حياتها من الساهرين على موتها ركض وراء سراب .

هؤلاء كثيرا ما وصفوا جمعية العلماء بـ (جامدة على القديم) وكثيرا ما تعللوا وخاطبوا ابن باديس بمثل هذه الدورة :

يوجد كثيرون من غير المسلمين منحرفون حتى عن معرفة وحدانية الله ورسالة خاتم الرسل فلماذا لا تقوم اعوجاجهم اولا ؟

والاجمل من هذا قولهم :

(ان الذي يحاول التقويم لا بد ان يكشف جوانب من عيوب الاخرين، وهذا لا يجوز لان الفرنج يطلعون على ما لم يكونوا يعرفون من عيوبنا !!!

هؤلاء الذين يرون انفسهم رواد الجديد ، يغيبون حين تحمر الحدق ، ويتصدرون للقيادة والتوجيه ويودون لو سلبوا من الامة ثمار تضحياتها .

استعانت فرنسا بهؤلاء على سحق شخصية الجزائر ، وخنقت بيد تعفهم لغتها وطارأت بيد بعض مفاهيم دينها السلمية ، ثم رأت نفسها في نهاية الجولة مشرفة على الاجهاز الكامل ولم تدر ان الليالي الحبالى ولدت أقطاب الجمعية.

هؤلاء شاهدوا فرنسا تقيم لكل مدينة جزائرية عيدا بمناسبة مئة عام على استسلامها فأخذوا يغرون الجمهور بارسال برقيات التهنئة .

بيروت محمد علي الزعبي

فاطمة الزهراء

لمفكر باكستان الدكتور محمد اقبال

وترجمة الاستاذين محمد حسن الاعظمي والصاوي شعلان

المجد يشرق من ثلاث مطالع ... في مهد فاطمة ، فما أعلاها !
هي بنت من؟ هي زوج من؟ هي أم من؟ ... من ذا يداني في الفخار أباها ؟
هي ومضة من نور عين المصطفى ... هادي الشعوب اذا تروم هداها
هو رحمة للعالمين ، وكعبة الآ ... مال في الدنيا ، وفي أخراها
من أيقظ الفطر النيام بروحه ... وكأنه بعد البلى أحياها
وأعاد تاريخ الحياة جديدة ... مثل العرائس في جديد حلاها
ولزوج فاطمة بسورة « هل أتى » ... تاج يفوق الشمس عند ضحاها
أسد بحصن الله يرمي المشكلا ... ت بصيقل يمحو سطور دجاها
ايوانه كوخ ، وكنز ثرائه ... سيف غدا بيمينه تياها
في روض فاطمة نما غصنان لم ... ينجبهما في النيرات سواها
فأمير قافلة الجهاد ، وقطب دا ... ئرة الوئام والاتحاد ابناها
حسن الذي صان الجماعة بعدما ... أمسى تفرقها يحل عراها
ترك الخلافة ثم اصبح في الديا ... ر امام ألفتها ، وحسن علاها
وحسين في الابرار ، والاحرار ، ما ... أزكى شمائله وما أنداها !
فتعلموا دين اليقين من الحسـ ... ين اذا الحوادث أظمأت بلظاها

وتعلموا حريـة الايمـان مـن صبر الحسـين ، وقد اجـاب نداها
الامهـات يلـدن للشمس الضيـا ء ، وللجواهر حسنهـا وصفاهـا
مـا سيرة الابناء ، الا الامهـات ، فهم اذا بلغوا الرقي صداهـا
هي أسـوة للامهـات ، وقـدوة يترسـم القمـر المنير خطاهـا
لمـا شكا المحتـاج خلف رحابها رقـت لتلك النفس في شكـواها
جادت لتنقـذه برهن خمـارهـا يا سحـب أين نداك من جـدواها
نـور تهاب النـار قدس جـلاله ومنى الكواكـب ان تنال ضياهـا
جعلت من الصبر الجميـل غذاءها ورأت رضا الزوج الكريـم رضاها
فمها يرتـل آي ربـك ، بينمـا يدهـا تدير عـلى الشعير رحاها
بلـت وسـادتها لآلىء دمعهـا من طـول خشيتها ، ومن تقواهـا
جبريل نحو العرش يرفع دمعهـا كالطـل يروى في الجنـان رباها
لولا وقوفي عنـد أمر المصـطفى وحدود شرعتـه ، ونحن فـداهـا
لمضيت للتطواف حـول ضريحهـا وغمـرت بالقبـلات طيب ثراهـا

تترى ان شـاء الله

خرج المأمون في ليلة من ليالي الشتاء القارصة البرد يجوب بغداد مع بعض من اصحابه ، فلما اقتربوا من الجسر اذا بثمامة بن اشرس سـكران يترنح ، فلما رأى المأمون توارى عنه ، فقصده اصحابه وجرجـروه الى ان أحضروه امام المأمون فقال : ثمامة هذا ؟ قال : اي والله . قال : أسكران انت؟ قال : لا والله . قال : فمن انا ؟ قال لا ادري والله . قال عليك لعنة الله . قال : تترى ان شاء الله ، فضحك المأمون وتركه .

فذا يتلو انجيلاً وذا يتلو قرآناً

شعر: محمد المحسن

مضت سنـــة والحرب تجتاح لبنانا فهل من سبيل كي يعود كما كانـــا
ألم يكفهم قتل الالــوف وحرقهـــا ضلالا فهل كانت عن الحقد قربانـــا
بنـــي قومنا ماذا دهاكـــم فثرتـــم على قومكم والخصم يضحكجذلانا
يـــود بان يحتل عمـــدا بـــلادكـــم ويلبسكـــم ذلا وفقرا وحرمـــانـــا
ويـــسلبكـــم ماء الحياة وحسبكـــم بهـــذا وذا يـــا قوم عـــارا وخذلانا
مدافعكم أصمت ولكـــن قلوبكـــم وجرت على الاوطان بؤسا وخسرانا
وتلك القصور الشامخات تهدمـــت وساكنها قد هـــام في الارض حيرانا
ولم يبـــق في لبـــنان الا مـــــروع يقـــاسي من الآلام والحزن ألوانـــا
مضـــت سنة لم تعرف النوم أعـــين وقد ملأت كل الدروب ضحايانـــا
فكـــم حرة مـــاتت فداء لطهرهـــا وكـــم ضل طفل فاقد الاهل ظمآنا
يئن ويبكـــي لا يرى من يغيـــثه فيبعـــث في الاحشاء وجدا واشجانا
صغـــير مروع تاه في الحي صارخا وقد ضمه الايتـــام عطفا واحسانـــا
الى الله نشكو من فظـــائع قومنا وكلهم في الـــدار اهلا وجـــيرانا
لعمري ان الـــذئب أرحم منكـــم وان أفاعي الرمـــل ارفق اســـنانا
فتوبوا الـــى باريكم ان ذنبـــكم عظيـــم وقد تجدي الندامة شيطانا

اما آن ان يشفى الجنون وترجعوا الى عقلكم والعقل يرجع احيانـا
وتخرس اصوات المدافع بعدما غدا دمكم منها على الارض غدرانا
وتشرق شمس الامن بعد افولها ونتهل فيه الصفو صفحا وغفرانا
ونغسل من غل وحقد قلوبنا ويصبح ذئب الغدر في النفس انسانا
ويعتنق الاخوان بعد اقتتالهم وندخل روض الحب اخضر ريانا
ويجمعنا الود القديم موحدا فذا يتلو انجيلا وذا يتلو قرآنـا
ويصفو لنا العيش الكريم ونلتقي على الخير نعلي للفضيلة بنايانـا
وتعصمنا الاخلاق من كل زلة وترجعنا دوما مدى العمر خلانـا
وتسرح اسراب الظبا بروضها فنحسبها في الروض تمرح غزلانا
وهنا دليل الصفو والامن والهنا ومن يأبى منا ان تزول رزايانـا
فتزهو ربا لبنان بعد ذبولها فتصدح أطيارا وترقص اغصانا
وللربوات البيض تهفو نفوسنا لتطفيء نارا سعر بين أحشانا
وبنصر ابناء العروبة أقبلوا الى الصيف في لبنان شيبا وشبانا
فما راق للعرب الاكارم غيره مصيف يد الرحمن أولته احسانا
فنحظى بلقيا الاصدقاء ويشتفى فؤاد اليهم ذاب شوقا وتحنانا
ونكبت اعداء ونعش انفسا وننبذ احقادا ونرجع اخوانا
ويقضى على الاشرار منا ومنكم فنبلغ اوطارا ونحفظ اوطانـا

النبطية محمد الحسن

الا كنت يا عيد الأضاحي

شعر: محمد حسين الزين

من نظم العلامة الشيخ محمد حسين الزين برثاء صديقه وعديله العلامة الكبير السيد حسين يوسف مكي المتوفي بدمشق والمدفون في مقام السيدة زينب عليها السلام.

هل استطيع النظم في الاحزان　　والخطب اذهلني وهز كياني؟
خطب جسيم عم امة « احمد»　　فبعيدها وقريبها سيان
خطب الفتى السباق في ساح العلى　　خطب «الحسين» العالم الروحاني
والمرتدي ثوب الفضيلة يافعا　　والمجتبى من سائر الاقران
للحكم والفتوى لابناء الورى　　للصلح ان ما وافق الخصمان
جمع الفضائل جلها في شخصه　　واجلها الاخلاص للرحمن
لبس العمامة وهي تاج عروبة　　وشعار اهل العلم والايمان
فأعزها قولا وفعلا خيرا　　وسما بها صعدا على كيوان
واعز شرعة جده بجهوده　　وجهاده السامي الرفيع الشان
وصلاته لله في غسق الدجى　　وصلاته في السر والاعلان
بكرت سيدنا الجليل برحلة　　قد أوصلتك الى فسيح جنان
حيث الملائك فتحت ابوابها　　واستقبلتك بلهفة وحنان
والحور من فوق الارائك رحبت　　وتزينت بالدر والمرجان

لا كنت يا «عيد الاضاحي» بعدما ... لف «الحسين» بأفضل الاكفان
وتعفر الوجه المنير بتربة ... طهرت «بزينب» من بني عدنان
بنت الامام ابي الائمة « حيدر » ... علم الهدى اخت «الذبيح» الثاني
ومديرة الايتام يوم مسيرهم ... من كربلاء الى بني سفيان
صبرا « علي بن الحسين» وآله ... فالموت خط على بني الانسان
والكائنات جميعها تلقى الفنا ... غير الاله الواحد الديان
هذي الرئاسة قد اتتك وراثة ... وجدارة بالفضل والاحسان
فانهض بها نحو العلاء ولا تدع ... بابا لنقد ثابت الاركان

محمد حسين الزين

دعاه الى القضاء



قال ابن سيرين : كنا عند ابي عبيده بن ابي حذيفة في قبة له ، وبين يديه كانون له فيه نار ، فجاءه رجل فجلس معه على فراشه وساره بشيء لا ندري ما هو ، فقال ابو عبيده : ضع لي اصبعك في هذه النار ؟ فقال له الرجل : سبحان الله اتأمرني ان اضع لك اصبعي في هذه النار ! فقال له ابو عبيدة : أتبخل علي باصبع من اصابعك في نار الدنيا وتسألني ان اضع لك جسدي كله في نار جهنم ! قال : فظننا انه دعاه الى القضاء .

يا متعب الليل

شعر: عدنان حمدان

يا متعب الليل في اهدابك الضجر ... مجمرا جانباه الفكر والسهر
رنين صمتك تذوي وهو مرتشف ... من ذوب روحك حتى تزدهي الصور
يا راشف الجمر خمرا من مواقده ... اذا ثويت فلا خمر ولا سكر
والمرتوي قلقا والمعتلي أرقا ... في مقلتيك تهادى السهد والكدر
أوقد جفونك حتى يلتظي سهر ... واضجر طويلا فأحلى النشوة الضجر
يا حانة السهر المخمور قد طربت ... لك الليالي وارخى عطفه السمر
قيثارة الليل نشوى اذ قعدت لها ... مغردا وارتدى ألحانك الوتر
عيناك ديوان شعر انت صاحبه ... وفي ملامحك الاعصار ينتحر
جرحت روح الدجى فانهال ناغره ... فجرا على شفة الآفاق ينحدر
حطمت كأسك اذ أهرقتها نزقا ... وطي روحك ذوب الخمر يستعر
وقلت للنجم لا تغرب فرب هوى ... بيني وبينك لم يستكنه البشر
رحتم نديمين هذا خمره ألق ... من مقلتيه وهذا خمره شرر
حتى تمطر من أهدابه غبش ... في كل منعطف يجري وينتشر
هذي الليالي خضيلات بمبسمه ... فيا شفاه العذارى ها هنا الوطر



مؤطر الليل ألوانا وأخيلة ... حتى تمتطي الدجى واعشوشب السحر
احزانك الخضر جرس الشعر موسقها ... فاخضر فيك الاسى واستوسق الكدر

هذي قوافيك أرواح مموسقة ... ريانة اللحن لا عود ولا وتر
مرافيء القول قد اتعبها سفرا ... حتى التوى التعب المكدور والسفر
كل المسافات أخطاء يصححها ... خطو عريض يعفي دونه الاثر
غنيت كل حبيباتي فما طربت ... الا التي حجرها تأوي له الفكر
كم ليلة بت غض الروح أنفقها ... خمرا ولعسا وما يستحلب الوطر
مجمرا ثم أدلى دلوه نزق ... مني وأتلع جيدا للهوى وطر
صعدت للشفة العليا أعب لمى ... وعدت للشفة السفلى وبي خدر
شفاهك الخضر يا لعساء دالية ... من الكروم فمن للكرم يعتصر



كفرت بالدمع ان يجري به برد ... اني اريد دموعا طيها الشرر
حبيب قلبي أما تغريك اخيلتي ... وقد تمرت وهذه أدمعي درر
انا الذي سقي العنقود اخيلتي ... فرف خمرا على الاقداح ينهمر
هذي الدوالي تعلاتي وموجدتي ... فهل يعيق عيوني الدل والحور
انا امرؤ في اسيل التيه ذو لهب ... وانني في عجيف الدهر مزدهر
حمالة قلقا والوجد مقصلتي ... والحزن قومي واحباب النهى الفكر
مسود لا مسود مذ خلقت ولن ... امارس الذل حتى حين احتضر
عرفت ان ابي قد مات لا نشبا ... ورثته فتراثي المارن الذكر
اسمو وصاحبتي العتبى ولا عتب ... مني عليهم وان صدوا وان وتروا
تزري بي الصدف الحبلى تعاوتني ... فالسيف خزيان اما عانه القدر

كربلاء ـ العراق ... عدنان حمدان



عيد المعلم بين عامين

١٩٧٦ ـ ١٩٧٧

شعر: يوسف أبي رزق

احتفلت المدارس في صيدا بعيد المعلم ١٩٧٦ وهذه أبيات من القصيدة الطويلة التي ألقاها الاستاذ الشاعر يوسف أبي رزق في الاحتفال .

أعيـد للمعلم وهو يشقى ... وسدت دون مطمحه الدروب
أعيد للمعلم والاماني ... ممزقة ، وموطننا كئيب
أعيد والبلاد لهيب نار ... وفي لبنان أكباد تذوب
أعيد والارامل واليتامى ... غذاؤهم المآسي والنحيب
أعيد والحداد بكل بيت ... وموطننا تمزقه الحروب

* * *

أتجار السلاح كفى فجورا ... كفى جشعا ، فقد طمت الخطوب
أيتخم قزمة ليجوع شعب ... وتفنى أمة ، ليعيش ذيب
بلاد مزقت ظلما وجورا ... وقد هزلت لتنتفخ الجيوب

* * *

حنانك ايها البلد المدمى ... أليس لدائك القاسي طبيب
ويا شعبا ! توزع كل أرض ... وشرد ، فهو في الدنيا شعوب
الهي ! سح مالك من غيوث ... على أرضي ، فينطفي اللهيب

وترجع وحدة الوطن المفدى كما كانت وتغتفر الذنوب
وينهض من رماد الموت حيا على الاجيال ، لبنان الحبيب

وهذه ابيات من القصيدة الطويلة التي ألقيت في احتفال سنة ١٩٧٧ :

بعد ليل من الفواجع مظلم طلع الفجر ، فجر عيد المعلم
حاملا للورى بشائر خير وللبنان راحة المتألم
وطني ! ايها الحبيب المفدى باسمك العذب بعد ربي أرنم

* * *

ايه لبنان قاهر الموت قم من ظلمة القبر ، ظافرا ليس يهزم
قم تجرع من كوثر المجد كأسا بعد أن جرعوك كأس العلقم

* * *

أضرم المجرمون في الشعب نارا واستباحوه بالحديد ، وبالدم
وطني اغتيل خسة مثلما اغتيل امام الحجى ، بسيفه ابن ملجم
حاولوا أن يقزموه ولكن ظل ذاك العملاق لم يتقزم
وأرادوا تقسيمه ، فرفضنا ان لبنان واحد لا يقسم

* * *

دغدغوا طائفية الكفر فيه بشروا بالضلال ، باسم جهنم
فرماهم لبنان بالخزي والعار ونادى باسم الاله الاعظم
وطنا للاخاء ، للحب دينا اي دين يدعو لان تتخاصم
أهو دين الاسلام دين ابن عبد الله ، ام ذاك دين عيسى بن مريم
يا مسيح الفداء ، عفوك عنا يا رسول الاسلام عذرك أكرم

كل دين يا قــوم دين ســـــلام واخاء يــدعو لان تتفــــاهم
ليس للديــن اي ذنــب ولكن نحن آصل البلاء يــا نسل آدم



رســل الحرف قادة الفكر فينا أنقــذوا النشء ، انه قد تحطــم
يــا بناة الاجيال لبنان يدعوكم فهبوا ،وابنوا الــذي قد تهــدم
وانشروا النور حيث حل ظــلام وانشروا العلم حيثما الجهل خيم

صيدا يوسف ابي رزق

ملاحظــات هــامــة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقــالات واشعار وقصص غيرها يعبر عن اراء الكتاب انفسهــم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة او يعبر عن اتجاهها .

● كما ان مواد العدد يتم لتنسيقها وترتيبها وفقا لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب او اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط ، و « العرفان» لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

بيروت

شعر: أحمد حسن الأمين

لهب أحال الليل وجه نهـــار وصبـاحه بدخانـه متواري
حمم القذائف والرصاص تساقطت فأتت بكـل فجيعة ودمـار
لم يبـق في لبنان صرح واحـد الا اصيب لهولها بصرار
بيروت كم بعـث الهدى وشربته وبذلت حسن نضـارة بنضـار
وابحت للعشـاق منك محارمـا فعريت من فضـل وفضل ازار
واقمت سوقا أمهـا اهل الهدى من كـل قطر في الورى وديار
وتداعت الاخلاق حـتى انهـا اضحت لمن تعنيه وصمة عـار
وعدا على مغنـاك من ارضعتـه ثدي البغـا وصلاك منه بنـار
فمددت طرفـك لليمين فلم يجد من منقذ ومـددته ليسار
فاذا الصحـاب تنكروا وتغيروا وغدو كواسـر كلـهم وخداري
الكل فراس وانت فريســـة حيطت احاطـة معصم بسـوار
وجه الحضارة في ربوعك لم يكن الا كوجـه للخداع معـار
قد اسقطته الحادثات ملطخـا بدمـاء اشياخ قضوا وصغـار
تأبى السباع الجائعات مساسهم بأذى وتأنف مطعمـا بقفـار

خربة سلم

احمد حسن الامـين

قصة الحياة - ملايين الحكايا
تأملات
بقلم: رغيد النحاس

أوردت الصحيفة الباريسية « الانترناشونال هيرالد تريبيون » في عددها الصادر يوم الجمعة الرابع من تشرين الثاني ١٩٧٧ ما يفيد بـــان الدكتور كارل ووس اكتشف نوعا جديدا في الحياة على سطح كوكبنا .. من المعروف ان الكائنات الحية يمكن تقسيمها بصورة عامة الى كائنات مجهرية لا تـــرى بالعين كالباكتيريا ، والى كائنات ترى بالعين المجردة وهي مجموعة الحيوانات والنباتا ت المألوفة . النباتات تتنفس الاوكسجين وتطرح ثاني اكسيد الكربون في الظلام ، اما في النور فان عمل النبات الرئيسي هو القيام بعملية التركيـــب الضوئي وتشمل اخذ ثاني آكسيد الكربون وطرح الاوكسجين . الحيوانات ــ والانسان في أعلى مراتبها ــ تتنفس بأخذ الاكسجين وطرح ثاني اكسيد الكربون .

اما النوع الجديد من الحياة والذي كان يصنف في السابق على انـــه نوع من الباكتيريا فهو يتوفر في بيئة معدومة من الاكسجين مثل قاع المحيطات، ومعدة الابقار . هذه الكائنات تأخذ ثاني اكسيد الكربون والهيدروجين والماء وتطرح غاز الميثان . ويزعم الدكتور ووس ان هذه الكائنات وان تشابهـت مع الباكتيريا في اوجه كثيرة فانها تختلف تماما بالنسبة للعمليات الكيمائيـــة الداخلية التي تقوم بها . ان هذا النوع من الحياة هو واحد من اقدم انواع الحياة على الارض ، وقد يكون ذا علاقة وثيقة بأقدم كائن حي تطورت عنه كل صور الحياة المألوفة اليوم ، ولعل قصة الاكتشافات والاختراعات ستطول بطول بقاء الحياة .

ان المتطلع الى علوم ما بعد الحرب العالمية الثانية يجد ان كثافة البحث والانتاج العلمي تتزايد يوما بعد يوم حتى ان السنوات العشرين الاخيرة قد تكون قدمت للانسان من العلم والتقنية ما يزيد بكثير عن مئات السنين التي سبقت ذلك من حياته ، وبديهي القول ان العلوم هي اكثر مجالات الحيـاة وثوقا والتصاقا بتاريخها من الناحية العملية • فقد تزول حضارة معينة عند احد منعطفات التاريخ وقد تقوم على نفس الارض الجغرافية حضارة جديدة، وفي مجتمع ما قد يموت اديب عظيم ذو اتجاه معين ويظهر أديب غيره باتجـــاه مخالف وبشعبية جديدة تبقى فيها مسيرة الادب تتطور ضمن المعطيات البيئوية أو الانسانية الجديدة • اما مسيرة العلوم فمهما تغيرت شخصياتها او البيئـة الموجودة فيها ، ومهما تعثرت مسيرتها فتبقى سلسلة تطورها مترابطة بالضرورة لأن العلم يبحث في حقائق موضوعية بينما يعالج الادب انفعالات ذاتية اقرب الى الجانب النفسي الحضاري للانسان • وبعبارة اخرى قد يمتلك انســان موهبة الشعر دونما معرفة وثيقة بكل الشعراء الذين سبقوه ، بينما لا يستطيع العالم ان يقيم دراسة معينة دونما معطيات سابقة • وعلى الاغلب فان عالمـا باختصاص معين يكون بالضرورة قد درس كل جوانب اختصاصه وتاريخ هذا الاختصاص سواء مباشرة او عن طريقما تواجد له من المبتكرات حتى الساعة• الشاعر انسان مبدع من ذاته ومن تفاعله مع البيئة المحيطة به • والعالم انسان مبدع : بالضرورة من معطيات اختصاصه • النقد الادبي لا يحسمه نقد ادبي آخر ، اما النقد العلمي فقد يحسمه تغير لون محلول كيمائي معين في انبوب اختبـــار •

ومع هذا نكون مغالين اذا اعتقدنا ان العلم قد اعطى اجوبة حاسمـة لكل مشاكل الحياة • او على الاقل انه استطاع حتى تفسير كل مظاهر الحياة• هناك الكثير من الاسئلة والقليل من الاجوبة خصوصا في تلك العلوم التي تتعاطى الحياة مادة للبحث كالعلوم البيولوجية • والسبب هو ان معالجـــة الحياة وفهمها هو اصعب من الناحية العملية من معالجة المادة غير الحية• ومن

هنا فان العلوم الفيزيائية هي الان اكثر تقدما من العلوم الطبية والطبيعية. عندما تعالج المادة لا يهمك ان خسرتها اما حين تعالج الحياة ـ وخصوصا الانسان ـ فان اول محددات البحث هو انك تريد الانسان حيا بعد التجربة. ولذا فان اكثر التجارب الطبية تقام على الحيوان ، مع العلم بان هذا وان حل المشكلة الاساسية (حياة الانسان)، فانه لا يسهل كثيرا عملية البحث . وذلك لان حياة الحيوان هي ذات قيمة كبيرة لدى كثير من الناس والعلماء . اضف الى ذلك ان الحقيقة الثابتة هي انك لا زلت تبحث في الحياة وان الصعوبة باقية حتى لو كانت النتيجة النهائية هي التضحية بالحيوان . مع اهم هذه الصعوبات مثلا هو ان الجسم الحي هو في تغير مستمر وان مجموعةانفعالاته ليست شيئا ثابتا بالضرورة . كما ان العناية بالحيوانات المجرية واطعامها وما شابه ذلك تستوجب التضحية بالكثير من الوقت والجهد ، بينما حفظ المواد الكيمائية او الفزيائية والعناية بها هي عملية اكثر بساطة .

وعلى كل حال فان العلوم البيولوجية قد تصل في السنين القليلة المقبلة الى عصر ذهبي خصوصا في ذلك الجانب الذي يبحثفي علم الوراثةوالصبغيات (الحاوية على المورثات الطبيعية والتي توجد في نواة خلايا الكائنات الحية) وعلى الادق ما يمكن ترجمته بعلوم الهندسة الوراثية التي تثير الان ضجة كبيرة في الولايات المتحدة الاميركية وهنا في بريطانيا ، لان هذا العلم قد يؤدي في النهاية الى تكوين كائنات حية في المخبر وهذا ما يقلق الكثير من المعارضين لفكرة التجارب في هذا المضمار لان هؤلاء المعارضين يخافون مثلا ان تخلق صدفة انواع من الجراثيم التي قد تسبب اوبئة تقضي على الحياة (سنأتي على تفاصيل هذه العلوم في حلقات اخرى). وآخر ما توصلت اليه هندسة الوراثة هو امكانية تركيب احد الهرمونات بواسطة استعمال حمض نووي مصنع . والحمض النووي هو المادة الكيمائية التي تتألف منها المورثات داخل نواة الخلايا الحية . فلقد جاء في عدد يوم الاثنين السابع من تشرين الثاني ١٩٧٧ من الانترناشونال هيرالد تريبيون انه قد تم تصنيع

مورث قادر على انتاج نسخة اصلية لاحد الهرمونات الموجودة في دماغ الانسان وذلك بوضع هذا المورث مع مستعمرة باكتيرية استطاعت انتاج الهرمون ، اي ان الباكتيريا عملت وكأنها مصانع كيمائية فانتجت الهرمون وفق المعلومات التي أعطاها الحمض النووي المصنع ، ونقل عن الدكتور فيليب هاندلر رئيس الاكاديمية الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة قوله بان هذا « انتصار علمي من الدرجة الاولى ».

ان هذا الخبر ينقل اعلى مراتب التعقيد التي توصلت اليها العلوم البيولوجية من الناحية التقنية . وطبعا فان قصة اي علم لا تبدأ ابدا بهذا التعقيد . فمن المعروف ان العلوم قد ارتبطت قديما بالفلسفة فكان الفيلسوف هو العالم . ويشترك العلم والفلسفة في بداية تطورهما بخاصية التأمل والتفكير بالكون ومعطياته (ولا اريد ابدا ان أوحي بان العلم والفلسفة شيئان متوافقان) . ولعل مرحلة التأمل هذه هي التي أعطت اسم « التاريخ الطبيعي» للعلوم البيولوجية في مراحلها الاولى . اما اليوم فمن الواضح ان التاريخ الطبيعي هو جزء من هذه العلوم وليس ابدا كل هذه العلوم . ان التاريخ الطبيعي بالنسبة للكائنات الحية قد يعني دراستها باشكالها ووظائفها المختلفة ووصفها وتصنيفها وفقا لهذه الاشكال والوظائف ، ودراسة تصرفها في اماكنها الطبيعية ، واساليب حياتها . ويهمني مبدئيا الجانب الوصفي التصنيفي العام في هذا العلم لان هذا الجانب هو النتيجة المباشرة للتأملات التي تعتمدها بعض اساليب البحث كاول خطوة في بداية اي دراسة .

ان الواقف في بستان قد يرى ازهارا ملونة وفراشات ، نباتات مختلفة وطيورا ، ولا يرى الكثير من الكائنات الاخرى التي تحيط به لمجرد انها لا ترى بالعين المجردة . ففي الجو وفي الماء الكثير الكثير من هذه الكائنات الاخرى التي تحيط به لمجرد انها لا ترى بالعين المجردة . ففي الجو وفي الماء

الكثير الكثير من هذه الكائنات المتناهية الدقة والصغر ، منها الحيوان ومنها النبات ، ومنها لا هذا ولا ذاك • ويمكن للانسان ان يتساءل : ما هي هـذه الاشياء ؟ كيف يختلف النبات والحيوان ؟ وكيف يختلف الحيوان والحيوان؟ ويمكن للانسان ان يعقداسئلته اكثر ويسأل كيف يمكن لهذه الحياة ان تستمر؟ بل كيف تنوعت الكائنات ؟ لماذا تنوعت ؟ وهل كانت كل هذه الاشياءموجودة منذ غابر الازمان ؟ كيف وجدت ؟ وهل ستبقى الى الابد ؟ هذه اسئلة قليلة من أسئلة كثيرة تحير عقل الانسان دائما وابدا • وقد يكون المشتغل بالعلم اكثر حيرة لانه كلما تعلم كلما اكتشف عجزا جديدا وقصورا في الاجابة عن كـل اسئلته • ولكنه دائما يحاول ان يجيب وهو ابدا يحاول ان يتعلم •

وفي هذه السلسلة من الحكايا سنحاول ايها القارىء ان تتعرض للامـور بأبسط أسلوب ممكن وسنبدأ بأبسط الامور ثم نبني عليها وهذا قد يعـني عكس المنطق الحياتي • وبعبارة اخرى فاننا سنبدأ بوصف ما هو موجود الان من كائنات حية ثم نرجع الى العمليات الحياتية التي تقوم بين هذه الكائنات، ثم الى اسباب وجود هذه الكائنات وكيفية نشوئها • وبهذا اننا نأمل انه بعد الانتهاء من هذه الحكايا ان تكون لدى القارىء صورة عامة عن نشوء الحياة على سطح الارض وتطورها الى وقتنا الحاضر من وجهة نظر العلم •

الى اللقاء مع الحكاية الاولى في عدد قـادم •

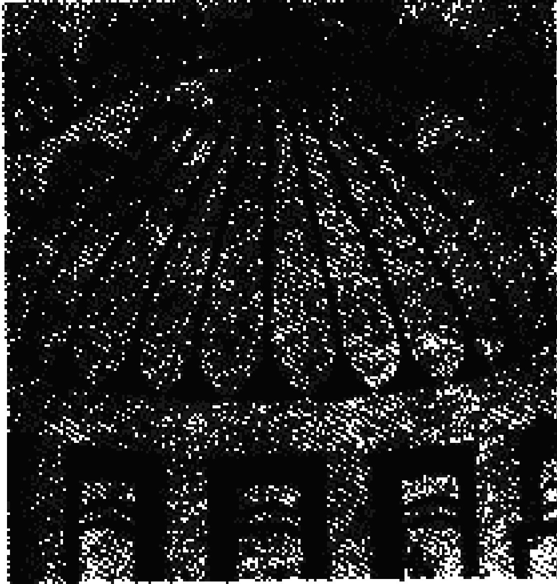
انكلتره — رغيد النحاس

العدد الخاص عن الصـافي
شـاعر الشعب

لتبقى ذكرى صديقنا المرحوم السيد احمد الصافي متصلة وبما انالحفلة التي ستقيمها وزارة الاعلام العراقية ستكون في ١٢ شباط ، لذلك قررنـا ان يكون عدد العرفان الخاص عن الصافي هو عدد حزيران اي العدد السابع من العرفان لهذه السنة فانتظروه لانه سيكون جامعا •

العلم الحديث يؤيد القرآن الكريم

بقلم : ابراهيم مصبح



« ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ».

ان هذا العالم الحائر في حاجة اليوم الى هداية الله.. في حاجة الى الاسلام .. ان رسالة الله الاخيرة الى البشرية تحمل حضارة ، وعدلا ، وخلقا ، ومساواة حقيقية ، لا طبقية فيها ، ولا دكتاتورية ...

ان رسالة الاسلام المستمدة من الوحي الالهي الهدى والنور والرشد والرحمة. وصدق الحق تبارك وتعالى اذ يقول : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم .»

لقد كتب الله على نفسه الرحمة ، اثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قبل سبطه الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فقال الاقرع ابن حابس: ان لي عشرة من الاولاد ما قبلت واحدا منهم فقال الرسول : « من لا يرحم لا يرحم ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء ».

وفي اطار الرحمة التي حث عليها الاسلام ، ما روي عن ابي هريرة قوله:

بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فاذا كلب يلهث من شدة العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسك بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ـ قالوا : يا رسول الله ، وان لنا في البهائم أجرا ؟• قال : « نعم في كل ذات كبد رطبة أجر » •

وتحدثنا كتب السيرة عن الامام العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ـ انه نهى عن ركض الابل ، ما لم تكن هناك ضرورة ملحة الى ذلك ، وانه ارسل الى واليه بمصر قائلا : انه بلغني ان بمصر ابلا نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل ، فاذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفن انه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل •

لقد انتشرت الدعوة الاسلامية ، وساد المسلمون ، بالقيم الفاضلة والنظريات العلمية والسلوك الانساني ، والمبادىء العادلة ، ونشروا العلم والمعرفة وكان نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم قدوتهم في كل شيء ، ينهجون نهجه ، ويسيرون على هدي مبادئه وتعاليمه ،وانسانيته وبره ورحمته•• سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه : فقالت « كان خلقه القرآن » •• يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويقف عند حدوده »•

ـ ماذا قال علماء الغرب ، عن القرآن •• دستور الانسانية الخالد •• وكتاب المسلمين المقدس ؟

قال توماس كارليل ، المؤرخ الانجليزي والاستاذ بجامعة كمبردج في كتاب « الابطال » :

« لقد نظر العرب الى القرآن الكريم نظرة معجزة لما بين آياته واذواقهم من ملاءمة ، ولعدم وجود ترجمة تذهب بحسنه وابداعه • لقد اعطاه العرب من التبجيل اكثر مما اعطى اهل الاديان الاخرى لاديانهم ، وما برح في كل زمان

ومكان قاعدة التشريع والعمل ، والقانون المتبع في شئون الحياة ومسائلها ، والوحي المنزل من السماء ، هدى للناس ، وسراجا منيرا ، يضيء لهم سبل العيش ويهديهم صراطا مستقيما ، ومصدر أحكام القضاة ، والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به في غياهب الحياة ، وفي بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة ، يتقاسمه ثلاثون قارئا على التوالي ، وكذلك ما برح هذا الكتاب يرن صوته في آذان الالوف من خلق الله وفي قلوبهم في كل آن ولحظة » .

وقال الفيلسوف الفرنسي« الكس لوازون » في كتابه عن « محمد »:

« خلف محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة ، وسجل للاخلاق ، وكتاب مقدس ، وليس بين المسائل العلمية ، المكتشفة او المكتشفات الحديثة ، مسألة تتعارض مع الاسس الاسلامية ، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية » .

وقال هنري توماس ، ودنالي توماس في مؤلفهما : كتاب « القادة الدينيون » .

« ان القرآن واضح في منهج السلوك الذي يتطلبه المسلم ، فان واجبه الاول ان يرتفع غاية الارتفاع الذي يعلو الى الاقتراب من صفات الله ، وقد عمل على ادماج النزاع بين الافراد والقبائل في اخوة الاسلام الى تحقيق هذه الاخوة بتعليم كل رجل وكل امرأة وكل طفل ـ منهجه الكامل من السلوك المستقيم » .

وقال « ادوار مونته » مترجم القرآن بجامعة جنيف :

« ان القرآن في الحقيقة ذو قيمة خارقة للعادة ، فهو بين الكتب العربية الدينية اعظم شأنا ، وهو يشتمل على الحياة الروحية لقسم من النوع الانساني والقارىء يجد في القرآن صفحات غاية في الابداع سواء من جهة الفكر او من جهة القالب الديني الذي وضع فيه الفكر ، وكذلك نجد فيه لآلىء فريدة

في علم الروح معروضة في آيات هي اعلى ما يمكن من الاسلوب النثري ، وهو فيه اسلوب قائم بذاته ، وفي القرآن منازع دينية ذات سعة مدهشة .

وقال « ولفانج لانجرميش » المستشرق الالماني :

« ان القرآن اكثر الكتب التي تقرأ في العالم ، وهو ايسر حفظا ، واشدها أثراً في الحياة اليومية ، لمن يؤمن به ، فليس طويلا كالعهد القديم ، وهو مكتوب باسلوب رفيع ، أقرب الى الشعر منه الى النثر ، ومن مزاياه ان القلوب تخشع عند سماعه وتزداد ايمانا وسموا » .

وقال الدكتور « شبلي شميل » مترجم نظرية داروين الى اللغة العربية :

« ان في القرآن اصولا اجتماعية عامة ، وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للاخذ بها في كل زمان ، حتى امر النساء ، وان القرآن فتح امام البشر أبواب العمل للدنيا والآخرة ولترقية الروح والجسد ، بعد ان أوصد غيره من الاديان تلك الابواب فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلي عن هذا العالم الفاني » .

ـ هذه بعض آراء مفكري الغرب عن القرآن الكريم بعد دراسة منصفة له ، وآثار انتباههم ابداع القرآن الفكري .

وتحدثنا كتب السيرة :

ـ ان جماعة من اليهود قالوا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم : أحق يا محمد ان هذا الذي جئت به الحق من عند الله ؟ فأنا لا نراه متسقا كما تتسق التوراة .

فقال لهم الرسول : اما والله انكم لتعرفون انه من عند الله ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة ، ولو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله ما جاءوا بــه .

فقالوا : يا محمد ، اما يعلمك هذا انس ولا جن ؟

فقال لهم : اما والله انكم لتعلمون انه من عند الله ، واني لرسول الله، تجدون ذلك مكتوبا عندكم في التوراة •

فقالوا : يا محمد ، فان الله يصنع لرسوله اذا بعثه ما يشاء ، ويقدر منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه ونعرفه ، والا جئناك بمثل ما تأتي به •

فأنزل الله تبارك وتعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » •

وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ يقول : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي الى الرشد فآمنا به ، من قال به صدق، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم •»

ابراهيم مصبح

التقوى

قيل لرجل صف لنا التقوى ، فقال : اذا دخلت أرضا فيها شوك كثير كيف كنت تعمل ؟ فقال أتوقى وأتحرز ، قال فافعل في الدنيا كذلك فهي التقوى •

وقفة مع الاستاذ عيسى الناعوري

بقلم: وحيد الدين بهاء الدين

صدرت الطبعة الثالثة من كتاب «أدب المهجر» للاستاذ عيسى الناعوري وفي هذه الطبعة من الحذف والاضافة مايدعو القارىء الى الاهتمام بالكتاب..

وقد لفت نظري ، بالاخص ، ما أضافه الاستاذ الناعوري الى موضوع « جورج صيدح » من كلام كله عجب ، يجفوه الذوق الادبي ويأباه المنطق العلمي ، ويرفضه واقع الشعر العربي المعاصر ، هذا الذي يدين بشيء غير منكور ، لجورج صيدح وامثاله من الشعراء المتجردين من مرض نفسي وغرض مادي ..

الذي يهم ان الاستاذ الناعوري ساق عبر ست صفحات من الثناء على شخصية جورج صيدح ومن التهليل لشعره الوطني والقومي والوجداني ما هو حري بالالماع اليه ..

ولكن الذي يهم اكثر مما ينبغي ان الاستاذ الناعوري بعد ذلك الثناء وهذا التهليل ، جعل يناقض نفسه بنفسه في ما اضافه في هذه الطبعة من كتابه، من سطور هي مدار النقاش وموضع الحوار ..

قال الاستاذ الناعوري : « على ان ما يؤسف له ان صيدح ــ مثل القروي وفرحات ومن بقي من شيوخ المهجر ــ لم يعد يستطيع ان يقدم معنى جديدا ولا شعرا نابغا بمثل الحيوية القديمة ».

لست عارفا بعد مفهوم الجديد والتجديد لدى الاستاذ الناعوري ، وكنت أفضل لو وضحه حتى تتاح لي مناقشته ومحاورته ..

غير ان هناك حقيقة معروفة لا يختلف عليها اثنان في دنيا الادب، وهي

ان التجديد في كل زمان ومكان تتجلى في صدق التعبير وفي صدق التصوير. وهل للاستاذ الناعوري رأي مبدع آخر، لم يأت به الاوائل ولا الاواخر بحيث ينسف هذه الحقيقة الصارخة الساطعة؟!

من هنا فان جورج صيدح في شعره الجديد صادق التعبير وصادق التصوير. لانه لا غاية له الا ان يسوق الشعر لمتلقيه كما يريد هو، لا كما يريد الاستاذ الناعوري وغيره. دونك دواوينه المطبوعة ومجموعاته المنشورة كـ « شظايا حزيران » هذه التي نوه بها الاستاذ الناعوري ذاته..

وهل الشعر الجديد لجورج صيدح الا امتداد لشعره القديم.. الشعر شعر والا فلا.. وتلك حقيقة اخرى..في الوقت الذي لا اتردد فيه في تفضيل شعره الجديد هذا على الشعر القديم. لانه افضل صورة واعمق اعرابا، وأوثق صلة بالواقع وبالناس.. وماذا يرى الاستاذ الناعوري في شهادة كبار النقاد في الوطن العربي في شعر جورج صيدح الجديد الخاص بالوطنيات من امثال الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي والدكتور صفاء خلوصي، وعجاج نويهض ومحمد عبد الغني حسن وظافر القاسمي ونظير زيتون ومحمد علي طاهر وجعفر الخليلي وعبد الله النجار ووديع فلسطين وغيرهم كثر.. واخشى ان يكون الاستاذ الناعوري قد صار يتوهم انه ليس في هؤلاء ولو واحدا من يرتفع او يستطيع ان يرتفع الى منزلته الادبية. والعياذ بالله..؟!

وواصل الاستاذ الناعوري كلامه قائلا: « ولا سيما في وطنياته التي أصبحت تغلب عليها الخطابية والعنترية وكذلك النثرية والركاكة كما نرى في مجموعته « شظايا حزيران » التي ظهرت عام ١٩٦٩ »..

اطلاق الحكم، اي حكم، في منتهى السهولة، انما تسويغ هذا الحكم من الصعوبة بمكان..

لقد أطلق الاستاذ الناعوري حكمه على شعر جورج صيدح الجديد بهذا الشكل.. لكن فاته تسويغ هذا الحكم !!

فأين ابعاد هذه « الخطابية والعنترية وكذلك النثرية والركاكة »؟؟؟ ترى لماذا لم يحددها ، ويسلط عليها انوارا كاشفة تعزيزا لدعواه ؟! وأين هي الادلة والاستشهادات الشعرية التي تفرضها الامانة العلمية واخلاقية الناقد ...؟!

من اجل هذا كله فالاستاذ الناعوري هو وحده الذي يتحمل نتيجة ما ساقه من حكم لم يقدر ان يدعمه باسباب مقتنعة وادلة مفحمة ؟!

وكنت ارجو ان يتخذ من رأيه موقفا ايجابيا يدافع عنه ولا يتهرب منه...؟؟

لذا فان حكم الاستاذ الناعوري على شعر جورج صيدح الجديد مردود غير وارد .. متهافت يعوزه المنطق والانصاف ..

وأتساءل الان اين هي « الخطابية والعنترية وكذلك النثرية والركاكة» في مجموعة « شظايا حزيران » ؟!

هل هي في قصيدة « الفصح ١٩٦٨ » او في قصيدة « الفدائيون » او في قصيدة «واشكيباه» او في قصيدة «ليلة الميـــــلاد» او في قصيدة « متى نلتقي » التي أهداها جورج صيدح الى « اخيه المشرد عن فلسطين منكوبا في الدنيا والدين » والتي يقول فيها :

اقول لنفسي والدياجير اطبقت على امتي ، قد يسفر الليل عن فجر
فاحلم بالثارات تؤخذ عنـــوة واحلم بالغارات والفتكة البكر
وازعم ان الحق ينبو سلاحـــه ويغري سلاح البطل في آخر الامر
فيقضي على اسرائيل شؤم يهودها ولؤم مربيها المدجج (بالـــذر)
تعود ــ كما قال الكتابـــ فلولها مشردة ملعوفـــة ابد الـــدهر

واخيرا قال الاستاذ الناعوري : « وفي قصائده من النثر الركيك ومن العنتريات الخطابية شيء كثير مما يدل على ان عهد الشعر الجيد عند صيدح ذبل وانتهى أمره ...».

اتهامات متهافتة •• وتجريح لا قيمة له قطعا •• ولا يقره منهج البحث الادبي الاصيل ••

حسبي ما سلف ان قلت •• ففي ذلك كفاية ••

مع هذا فالذي أراه ان الاستاذ الناعوري في ما استرسل فيه ربما يمارس عملية اسقـاط •؟!

ثم ماذا ؟! ثم أهكذا ينبغي ان يعامل جورج صيدح من لدن اصدقائه، ــ والاستاذ الناعوري منهم ــ ولا من اعدائه ، ان كان له أعداء ؟! وهــو الشيخ المريض المتكف بديار الغربة ، بهذا الشكل الشائن الشاذ الذي لا بد ان يكون وراءه سر ما ؟؟

نعم أهكذا يجب ان يقابل جورج صيدح وهو الذي يغمس قلمه في دمعه ودمه ، يستنطقه ذلك الاحساس الجريح الذي يباهظه الثمن ، وتستنهضه هواجسه الروحية القلقة ، والتماعاته الفكرية الحـادة امام خطوب بلاده ، وتستثيره السلبيات والمؤامرات والخيانات التي يراها ببصره وبغيرته ؟

وبعد ؟

من قبل تطاول الشاعران : القروي وفرحات على شخصية جورج صيدح فما استطاعا ان ينالا منها قيد شعرة ، ثم انبرى طالب زيان لشعره بالتجريـح والتقبيح بعدما اثنى عليه ثناء لا مزيد عليه الا ان سهمه قد طاش •• وسيكون لي معه شأن •• ان شاء الله ••

وكذلك الاستاذ الناعوري الذي لم يكن في ما ساقه الا كنافخ في رماد••

بغداد وحيد الدين بهاء الدين

تقديم لكتاب

التحليل النفسي للذات العربية

بقلم المؤلف : الدكتور علي زيعور

من المألوف ان يقدم الكاتب عمله لقرائه عبر مجلة يعتز بصداقتها ، ويحترم انغراسها المثمر في التاريخ الثقافي العربي. فيما يلي توطئة تقول ماهو مؤلفنا: ((التحليل النفسي ...))●

(...) حاولنا دراسة عدم التوازن بين الذات العربية وحقلها ، او الخلل في الصحة الانفعالية الذي يمثل خاصة في عدم الشعور بالرضى عن الذات في المجتمع ، وعن المجتمع امام « الحضارة العالمية » . كأن انساننا اليوم مطروح في حقل هو في موقف العدو له : لا ينال الفرد من مجتمعه قيمة ، ولا يأخذ اشباعا لحاجياته ومشاعره بالامن والثقة .

ونحن نرى ان توفير تلك الصحة ، التي هي توازن بين الانا وحقلها المنفتح على العالم ، يحرر الطاقات الابداعية ، ويصوغ النظرة الاصيلة للرد على مجابهات العصر . من اجل ذلك البناء الاثنيني ـ الصحة الانفعالية في الفرد والاستقرار المعقلن في المجتمع ـ كان عملنا مجمل نظرات ناقدة للسلوك والفكر من جهة ، وعلى التراث وواقع المجتمع من جهة اخرى . لهذا تتراكم هنا نداءات الاصلاح المعروفة (في اللغة، والقوانين، وتوفير العمل والاداة والعقلنة ...) مع الدعوات للتنمية الشاملة ، ولايجاد صيغة تصون بها الذات نفسها وتتحرر ، هي ومجتمعها ، من فكين : الواقع القاسي والمثل الاعلى الصعب المنال .

● التحليل النفسي للذات العربية ، انماطها السلوكية والاسطورية . دار الطليعة ، بيروت، ١٩٧٧ .

لقد شددنا على قيمة العوامل الثقافية والاخلاقية والوجدانية التي تحافظ على الدينامية للذات ، وتقدر على تقديم العلاج الى جانب ما يقدمه ايضـــا العقلي والعملي• فالشخصية العربية مصابة بترجرج وقلق ، وتخلخل في القيم ومشاعر الامن والانتماء• نلاحظ اضطرابها دون صعوبة : هنـــاك الـــوعي بالتخلف، وبتسليط الآخرين ، وفشل التجارب الانهاضية • اما اسباب عـــدم استقرارها فتكمن في التقلبات السريعة للحوادث ، والتغير الهائل في كل مجال في العالم ، والمخاوف على المستقبل ، والازدواجيات (في المبادىء والواقع، في السلوك ، في الحضارة •••) ، وتعدد الافكاريات وتناقضها داخل القطـــر الواحد • كما ان لحياة المدينة ، ولتأثير الثقافة غير العربية ، وتجريح الوعي والحاملات التاريخية ، سببا في تقلقل تلك الشخصية •

وبعد ، تترابط فصول هذا الكتاب ، بل وحتى عناوين الفصل الواحد او الجمل احيانا ، من الداخل وبشكل ايحائي احايين كثيرة • ولعل سبب ذلـــك كون الموضوع كثيفا ، او هو كالأجمة غزير • ثم يبدو ان مصطلحات جمـــة تستلزم التعريف مثل : باعث ، حافز، اوالية ، ثقافة ، نمط ، مهجن ، وأن بعض العناوين او الفصول تستلزم بحثا اطول او تبدو متسرعة لا تقدم نظرة المؤلف الى القضية ، وان الاهتمام بالاطر النفسية وبالداخلي واسلوب العيش يفوق الاهتمام بالمجتمع والاجتماعي، وان المراجع والهوامش لا تكفي او نادرةاحيانا• ذلك قريب من الصحيح، لكن الى حد• نظيره ايضا ما قد يبدو انه تناقض بين الدعوة هنا الى احترام الابعاد التاريخية وبين الهجوم عليها الذي هـــو بالحقيقة نقد لا تهجم ، وتحليل على ضوء الظروف لا تجريح•

اما المناهج فتنطلق من اعتبار الذات العربية زبونا Patient هو موضوع حي ، ووحدة دراسية منغرسة في التاريخ ، وكل مستمر • وبالتالي فقد لجأنا ـــ بغية التعرف على ذلك العميل ـــ الى الطرائق التجريبية (ملاحظة، تسجيل، تحقيقات ميدانية ، مناهج مقارنة) والى الطرائق العيادية (التحادث ، الملاحظة، الروائز، اختبارات الاسقاط)• ثم بدا كما ولو ان الذات هذه قد استلقـــت

على اريكة، في جو هادىء، واخذ المحلل النفسي ـ الجالس قبالتها في جلسات، وراءها في اخرى ـ يستكشف لا وعيها الفردي ولا وعيها الجماعي . وهكذا فقد جرى تقصي طفولتها ، وتقري اوضاعها الاسرية ، وجروحاتها الصامتة او الحوادث المعيقة للتقدم المكبوتة . وحصل ايضا تحليل بعض مشكلاتها الجنسية والدينية ، ومعالجة شبكاتها الفكرية والاخلاقية ضمن وسائلها الانتاجيــة ومستوياتها المعيشية المتفاوتة .

ظهر العلاج شاقا . والاهم انه مبثوث تارة ، وبدا في نسق بارز ـ وعقب الانتهاء من « الجلسات » التحليلية ـ تارة اخرى . ذاك كان لاننا نؤمن بـان التحليل للذات التاريخية ، وهو الذي يتطلب بكثرة التحادث معها والمحاورة، يستلزم منهجا يقضي بتقويم النظرة كلما بدا الزيغ في سلوك الزبون ، دون اغفال بالطبع لضرورة تقديم العلاج الشامل اي النسق « الشافي » غب التعرف على الشخصية وخللها في حقلها . ●

علي زيعـور
كلية الاداب ـ الجامعة اللبنانية

● الدكتور زيعور من قرائنا القدامى ، ومن الذين ساهموا في تحرير مكتوبات المجلة . وهذا هو كتابه الرابع الذي يقدمه للمهتمين بعلم النفس وبالتحليل النفسي على الخصوص. (العرفان)

ســد عليــه السبــل

دخل احد الشعراء على ملك فاستأذنه في الكلام ، فقال له الملك لـي شروط . فقال : وما هي ؟ فقال : ان لا تمدحني في وجهي فاني اعرف منـك بنفسي ، فان قلت في حقا فقد تقدمت فيه معرفتي . وان قلت كذبا ، كنت ساخرا مني . وعلى ان لا تكذبني على ضميرك ، فانه لا رأي لكذوب . وعلى ان لا تغتاب عندي احدا ، فان الاغتياب لا يرضى به لنفسه الا ذو النقـص والامتهان . فقال الرجل للملك : أفأنصرف ؟ قال : اذا شئت .

بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

نحن نحب ان نتكلم عن كل بلد وكل قطر نزوره في كل رحــــلة من رحلاتنا ، ولكن تداخل الاسفار ووفرة مواد العرفان وكثرتهـــا تدفعنا الى اختصار ما نكتب وهناك مدن تحتاج الكتابة عنها للتطويل ، بل الى عددخاص حتى يستكمل الانسان مافيها ، ويقارن بين ماضيها وحاضرها . على انا هنــا، نبادر الى شكر وزارتي الاعلام فيالكويت والعراق لضيافتهما الكريمة لصاحب العرفان ، ثم انفي الكويت افرادا يا رعاهم الله يشاركون في الاعمال النافعـــة وينفقون مما افاء الله عليهم من نعمته ، ولولا كثرة المرتزقة والنصابين لكان الحال افضل ، والنتيجة أميز ، على ان هناك مثرين آخرين لا يميزون بـــين الجوهر والعرض والغث والسمين ، فيدفعون كثيرا لمن لا يستحق ويحرمون من يستحق . وكل له الخيار فيما يفعل وما يتصرف . ولا بد لنا هنا من شكر أنصار العرفان بالكويت اثناء سفرتنا اليها بالشهر الثالث من السنة الماضيـــة ولا اغالي اذا قلت انهم مع معالي الاخ الدكتور علي الصافي من العراق والاخ الدكتور اسماعيل عباس من لبنان هم الذين دفعوا عجلة العرفان الى الاستمرار وعدم التوقف رغم ان ما دفعوه لا يعادل اجرة عددين ممتازين من اعداد العرفان، وهؤلاء السادة هم : السيد محمد الشيرازي والسيد ابراهيم جمال الدين والحاج يعقوب البهبهاني والحاج زيد الكاظمي والحاج محمد قبازرد، والسيد تقي مصطفوي ، والحاج ابراهيم محمود جوهر حياة والحاج احمد بهمن واخوانه والحاج مهدي حبيب واخوانه والحاج حسين عبد الكـــريم

معرفي والحاج يوسف بهبهاني واولاده ، والحاج حمزه مغامس واخـواتـه والحاج عبد الستار آغا علي ، والحاج حسن الشواف ، والحاج عيسى السيد حسين اليوسفي ، والحاج علي يوسف المتروك ، والمرحوم الشيـخ حبيب المزيدي ، والحـاج حسين العطـار وامين عيـدال ، ومصطفى حـب الله ، وطالب وعبد الله محمد جمـال .

ولا ننسى صديقنا وكيل العرفان الاسبق في الكويت ومن انصـاره المعنويين الاخ الاستاذ عبد الصمد تركي ، اما وكيلنا الحالي المؤمن الصامت الذي يبتعد عن الكنفشة والظهور السيد مرتضى الموسوي الخباز فيعجز القلم عن شكره . وانا لنأسف ونقولها بمرارة ان العاملين في الكويت وهم يملأون سوق واجف وما حوله وبينهم اغنياء لا يفكرون بالاشتراك بالعرفان على الاقل ان لم يكن بمناصرته اذا استثنينا الاخ الغيور الاستاذ مصطفى حب الله المصور الشهير والنسيبين ابراهيم وهاني شفيق الزين وهكذا ينطبق المثل العامي : « عيش كتير بتشوف كتير ». وكذلك الحال في لبنان .

واما في العراق فلا بد لنا بعد الاخ معالي الدكتور علي الصافي طبعـا من شكر السادة الاتية اسماؤهم : الشيخ محمد مهدي الخالصي ، السيد سلمان هادي الطعمة ، السيد عبد الرزاق الحسني ، ناجي جواد ، خضر عبـاس الصالحي .

والشكر كل الشكر للاخ الاستاذ سالم الآلوسي الذي كلما وردنـا العراق سقانا من معين محبته وكرمه ووفائه .

لا بد لنا من عودة الى موضوع الرحلات ، فانما أدب الرحـلات شيق والحديث عنه لطيف ، ولكن مع الاسف لم نزل في قلق نمسي نفكر في المستقبل وهل نتمكن من الاستمرار والبقاء بعد الكارثة التي حلت بنا والمحنة الـتي أصابتنا .. والى اللقاء في العدد القادم .

نزار الزين

وإذا الصحف نشرت

العربية الفصحى في مدارج جمع شمل ..

● الفصحى

● القرآن

انصرفت قبائل العرب في شعرها ونثرها عن لهجـــاتها المختلفـة الى الفصحـى

بقلم : الدكتور شوقي ضيف
أستاذ الادب العربي بكلية اداب القاهرة

نستطيع اذا سايرنا لغتنا الفصحى متصعدين معها في التاريخ ان نلاحظ انها كانت دائما رمز وحدة العرب وقوميتهم ، فهي العروة الوثقى والجامعـة المثلى التي طالما ضمت قلوبهم بعضهم الى بعض ، فمضوا يشقون طريقهـم الى تحقيق امانيهم السايسية والاجتماعية متعاونين متآزرين ، لا يهنون ولا يضعفون ، بل ينفذون كاللهب المستعر الى ما يريدون .

كانت للقبائل العربية لهجات ، ولكنهـم التزمـوا في شعرهم ونثرهم لغة واحدة

ولنعد ادراجنا الى العصر الجاهلي فاننا نجدها قد تم تكونها فيـه واتخذتها القبائل العربية الشمالية لسانا لها يعبر عن عقلها وشعورها ، وكانـت لكل قبيلة لهجتها الخاصة ، غير انها لم تصدر عنها في شعرها ونثرها ، انمـا صدرت عن لغة ادبية واحدة ، هي هذه الفصحى المعربة التي نظن انها كانت لغة قريش . وكأنما رأى الجاهليون ببصيرتهم النافذة انه لا بد لهـم ان

يجتمعوا على لغة بينها ، حتى يحققوا ما يطمحون اليه من سيادتهم واعتزازهم بقوميتهم ازاء الغزو المنظم في الشمال من قبل الروم في الغرب ، والفرس في الشرق ، والغزو الآخر المنظم في الجنوب من قبل الاحباش ٠

لغة عربية ادبيـة واحدة بدات في الجزيرة العربيـة من القـرن الاول الميـلادي

ولا ريب في ان هذا الطموح لاتخاذ لغة ادبية واحدة بدأ مبكرا منـذ القرون الاولى للميلاد ، لكنه لم يتحقق تماما الا منذ اواخر القرن الخامـس الميلادي ، واذا لغة عامة تشيع بين القبائل العربية الشمالية ، واذا العرب جميعا يلتفون حول مكة حامية الوثنية حينئذ ومركزها ، وقد امسكت بزمام القوافل التجارية التي كان يمسك بها اليمنيون في عصور استقلالهم والتي كانت تنقل العروض والسلع بين المحيط الهندي والخليج العربي وبحر الروم ، واذا كثير من اليمنيين انفسهم يهجرون لغتهم الحميرية ويتخذون العربية الفصحى لسانا لهم ٠ يدل على ذلك اوضح الدلالة ان الوفود الجنوبية لم تتخذ حين وفدت على ارسول صلى الله عليه وسلم مترجمين بينها وبينه ، بل كانت تستمع الى هديه ويستمع اليها في نفس اللغة الشمالية المعربة التي نزل بها الذكر الحكيم٠

وجـاء القرآن فـدعم هذه اللغة العربية الواحـدة ، ومـدها الى سـائر الاقطـار

وهذا التاريخ الاول للغتنا الفصحى المعربة وما انبعث معه من شعـور عميق بانها رمز القومية العربية وشخصية العرب المعنوية دعمه الاسـلام والقرآن الكريم ، اذ اخذت تفرض هذه اللغة سلطانها في بيئات جديدة متفرقة في اقطار الارض ، ولم تمض حقب طويلة حتى غدت لغة الشعوب من اواسط آسيا الى جبال البرانس في شمال اسبانيا ، ولم تستطع لغة من لغات هـذه البيئات ان تثبت لها او تحول بينها وبين سيادتها ٠ وقد يكون من اسباب ذلك انها كانت لغة القرآن الكريم ، وقد يكون من اسبابه قوتها وجمالها الفـني بحيث لم تستطع ان تقف لها لغة من لغات هذه البيئات ، ومهما تكن الاسباب

فانها اصبحت لغة قومية لامم وشعوب قد تختلف وتتباين في اجناسها واصل نشأتها ، ولكنها تأتلف وتتحد في عروبتها ، فهي جميعا تنضوي تحت لوائها، وتتلقن لسانها وتعب من قرآنها وشعرها وبيانها ، ولا تلبث ان تعيش لها وبها، وتحيي فيها حياتها المعنوية : الادبية والعقلية ، وهي ما تزال الى اليوم لغة شعوب الشرق العربي من الخليج الى المحيط الاطلسي تتوهج جذوتها وترسل ضوءها وشررها الى كل مكان • حتى في امريكا ، فقد تناول منها المهاجرون الى تلك الديار النائية اقباسا لا تزال تضيىء في مجلاتهم وآثارهم الادبية •

اللغة العربية وسعت ثقافات الفرس
واليونان والهند ومصر واللاتين كذلك

وواضح انها اجتازت آمادا واحقابا متطاولة من الزمن ، وقد ألمت بها خطوب كثيرة ولكنها وقفت في طريقها كالصخرة في مجرى السيل ، يلم بها ثم يزايلها • وليس معنى ذلك انها ظلت جامدة لا تتطور ، بل لقد تطورت اطوارا كثيرة بحكم ما التقت به من ثقافات ، وقد حولت اليها وصبت فيها ثقافات الفرس واليونان والهند ومصر واسبانيا اللاتينية ، فوسعتها جميعا وتمثلتها تمثلا منقطع النظير ، وكأنما اصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول شتى من الفكر والمعرفة ، وهو لا ينحرف ولا يغير وجهته ، بل يجري غزيرا زاخرا متدفقا مقتحما كل ما يصادفه من حواجز وسدود بين الامم والشعوب•

اللغة العربية وحدت بين شعوب كثيرة

ولقد وحدت اللغة العربية بين هذه الشعوب والامم ، فاذا هي جميعها عالم عربي واحد مهما تدانت او تباعدت ، ومهما شرقت او غربت • فقد اقبل على هذه اللغة الفصحى الادباء من كل قطر عربي ينتجون فيها شعرهم ونثرهم•

واتسعت اللغة لفنون من التطور في نثر وفي شعر

وتطوروا بهذا الشعر والنثر فنونا من التطور تختلف سرعة وبطئا وقوة وضعفا ، وهم في ذلك لا يخرجون على عمودها واصولها اللغوية الفصيحة•

وقد استحدثوا ضروبا من الشعر والنثر لم تستعص عليها هذه الاصول ، بل أخذت تستوعبها استيعابا رائعا ، خذ الشعر مثلا فهو ، مهما اختلفت عليـــه الاجيال والعصور والاقاليم ، ومهما اختلف عليه من احداث وخطوب ، يجري في صورتها الجزلة المصقولة صورة لا تنبو على القديم ، بل تستمد من كيانها وقوتها وروعتها .

ابـــو نواس يثور عـلى وصف الاطـلال
ثم يعود اليه

وقد يثور الشعراء على بعض موضوعات الشعر القديمة على نحو مـا ثار ابو نواس على وصف الاطلال ، ولكن ابا نواس نفسه يعود فيصفها،وكأنها جواهر الشعر العربي لا يستطيع شاعر ان ينبذه او يهجره الا الى حين ، فاذا رجع الى نفسه عاد اليه .

ويخوض ابو نواس وغيره في موضوعات حديثة تلائم عصورهم فتنهض بها الفصحى وتؤديها اداء مبينا فيه قوة وجمال .

وجدد شعراء الاندلس ، فاسعفتهم الفصحى

ويحاول شعراء الاندلس ان يجددوا في صورة القصيدة فيستحدثـــوا الموشحات ، ويتخذوا فيها من الادوار والاقفال وحدتين بدلا من وحدة البيت القديمة مزاوجين في الموشحة بين اوزان وقواف مختلفة ، وتسعفهم الفصحـى بما يريدون ، فهي لا تتخلف عن اي صورة من صور التجديد مهما يكن في اللفظ والمعنى او في الشكل والمضمون .

واتسعت الفصحى لفنون الفلسفة والمعرفة

وعلى غرار الشعر وسعت هذه اللغة فنون المعرفة والفلسفة التي ترجمت في اول الامر . ثم شارك فيها ابناؤها ، فاذا منهم العلماء والفلاسفة الذين تعنو لهم الوجوه .

ومن غير شك احتاجت الفلسفة كما احتاج العلم الى ألفاظ جديدة، ولم

تلبث هذه الالفاظ ان وصفت اما عن طريق النحت والاشتقاق والاصطلاح، او عن طريق التعريب ، وهو تعريب صقلت فيه الالفاظ الاجنبية بحيث غدت عربية في وزنها . وحملت اللغة من ذلك احمالا كبيرة من الكلمات والالفاظ، ألفت فيها الكتب والمصنفات المعروفة .

واندمج عرب ومستعربون ، فكانوا بفضل اللغة امة واحدة

وتفوقت منذ العصر العباسي العناصر المستعربة على العناصر العربية الخالصة ، فكان كبار الشعراء والكتاب والعلماء والفلاسفة من المستعربين. بل لم يعد هناك عرب ومستعربون ، انما اصبحت هناك شعوب عربية ، تعيش في ادبها وفلسفتها وعلمها معيشة واحدة .

ويكتب كاتب في قرطبة كتابا ، فيقـراه قارىء القاهرة وبغداد والحواضر جميعا

فما ينظمه شاعر في بغداد يقرؤه زميله في دمشق والقاهرة والقيـروان ومراكش وقرطبة ، وما يكتبه كاتب في قرطبة يقرؤه زميله في تلك الحواضر، فكله ادب واحد ، وكلهم يصدرون عن اصول واحدة ، فيها الصلة التي لا تنبت بالقديم ، وفيها الصلة ببيئاتهم وعصورهم فهم جميعا عرب يشتركون في نفس المشاعر والاحاسيس ، وفي نفس الافكار والعقول . وبالمثل ما يكتبه اي اديب منهم في فن من فنون النثر فانه يصبح ملكا مشاعا بين الجميع ، واذا جـدد اديب لونا من ألوان النثر ، كلون المقامة ، احتذى على مثاله شرقيون وغربيون، فلم يعد عمل شخص ولا عمل بيئة ، بل اصبح عمل كل الاشخاص والبيئات ، فليس بين شخص وآخر ولا بين بيئة واخرى تقاطع او تخاصم فهناك رحـم وقربى موصولة ، هي قربى اللغة التي تعلو صلتها قرابة الجنس والدم ، لانها قربى الروح والفكر والشعور .

لم يكونوا علماء ايران ، ولا مصر ولا الشام
وانمـــا علمـاء لغـة وامة واحدة

ومن الخطأ ان تقول علماء العراق او ايران او الشام او مصر او المغرب او الاندلس ، فهم ليسوا علماء قطر او اقليم بعينه ، وانما هم علماء العالـم العربي جميعه ، يؤلفون فيما بينهم وحدة ، يبني فيها الخالف على ما وصل اليه السالف . وكذلك قل في الفلسفة وفي كل ضروب المعرفة .

وتستطيع ان تتبين ذلك في علم كعلم النحو ، فانت لا تستطيع ان تفهم النحو عند الشاميين والمصريين والاندلسيين والمغاربة وما صنفوا فيه مـن مصنفات دون ان ترجع الى اصوله عندالبغداديين ومن قبلهم من البصريين امثال سيبويه .

وانت كذلك لا تستطيع ان تفهم الفلسفة عند ابن رشد وابن طفيـل وغيرهما من الاندلسيين وغير الاندلسيين دون ان ترجع الى ما كتبه ابن سينا والفارابي وغيرهما من الايرانيين . وقل ذلك في اي فرع من فروع المعرفـة والفكر ، وقد كان الكتاب يؤلف في بغداد او في غيرها من الحواضر في الشرق الاوسط ، فيشرحه عالم في المغرب او في الاندلس ، والعكس بالعكس.

تراث واحــد

فكله تراث واحد يسهم فيه العرب على اختلاف اقطارهم وعصورهـم واجيالهم تراث يتطور ويعمل في تطوره اناس مختلفون من الشرق والغرب. وحقا تقاطعت الاقاليم العربية فيما بينها احيانا تقاطعا سياسيا ، ولكن لم يحدث ان تقاطعت شعوب هذه الاقطار اديبا وثقافيا ، فقد ظلت الصلة بينها وثيقـة، تحميها وتسندها اللغة العربية التي ربطت بين العقول والقلوب .

واتسعت اللغة الفصحى لما استحدث
العصر الحـــاضر من فنـون وعلـوم

وعلى نحو ما استطاعت ان تحمل كل ما صادفته في تاريخها القديم مـن

ثقافات وآداب واستطاعت في عصرنا ان تحمل كل ما اخذناه عن الغرب من ثقافات علمية وادبية ومن نظم سياسية وقضائية وادارية • وقد اصبحت لغة العلم الحي الحديث تنشره في البلاد العربية ، واتسعت فنونها النثرية والشعرية فعرفنا المقالة والقصة والشعر القصصي والمسرحي ، ونهج شعراء بشعرهم نهجا رمزيا او سرياليا ، واسعفتهم هذه اللغة بكل ما ارادوا من صور التعبير ، وانطلقت تعمم ذلك وتشيعه في ديارها المتباعدة •

وكان ذلك معناه اتساع طاقتها التعبيرية ، وان لها من قوة شخصيتها وطبيعتها ما يمكنها من الافصاح عن كل ما يختلج في نفوس البشر وعقولهم• وقد اصبح لها في قلوب العرب من الجلال والروعة ما يشعرون معه اتهاجامعتهم التي لا يمكن ان تنقض ، ففيها تاريخهم وتراثهم وكل ما دار في عقول ونفوس آبائهم واسلافهم انها كيانهم وحياتهم وكل ما فكروا فيه وطمحوا اليه من آمال تحققت او يعملون على تحقيقها ، فهي تعبيرهم عن وجودهم وذاتهم وقوميتهم اليها يردون وعنها يصدحون ، والى ظلالها يفيئون ، فيجدون فيها غذاء عقولهم ومتاع قلوبهم وارواحهم متاعا كله جمال وروعة وجلال •

وجاءت اللغات المحلية ، احيانا ، منافسة
الفصحى ، فما استطاعت

وطوال العصور الوسطى والعصر الحديث نجد من ينحرفون عنها في الاقاليم العربية فيكتبون بعض آثارهم الادبية بلغاتهم المحلية ، وقد نجد في بعض ما كتبوه شيئا من اللذة والمتاع ، ولكنه لا يرتفع الى تراثها الادبي القيم ، وايضا فانه لا يصبح خاصا باقليمه لا يتجاوز الى الاقاليم الاخرى الا في القليل النادر ، لسبب طبيعي وهو انه لم يكتب في اللغة المعربة الفصحى، او بعبارة ادق لانه لم يكتب في اسلوبها الرفيع ، وهو اسلوب يقوم على الجزالة والمتانة والرصانة ، وليس هذا فحسب ، بل يقوم ايضا على الصفاء والعذوبة كأنه الرحيق المصفى •

الفصحى لحن الايام الخوالي ، ومعزوفة الحاضر

وهو اسلوب يهز العرب ، بل يهز افئدتهم في مشارق الارض ومغاربها، وكأنما هو موسيقاهم ، يحنون اليها حنينا يعبث بقلوبهم ونفوسهم ، وكأنما ينادي شيئا في اعماقهم ، فهم يشدون اليه مسجيبين ، او قل كأنما هو لحن وجودهم الذي يحمل اليهم ايامهم الخوالي ، بل لكأنما يحمل اليهم فرحة العمر ، فلا يسمعونه حتى تقشعر قلوبهم وتتفجر ينابيع السرور في ضمائرهم فهو اللحن القديم الجديد ، طالما عزفه شعراء العرب وادباؤهم وفلاسفتهم ورجال الفكر فيهم ، ولا يزالون يعزفونه عزفا مدويا ، يضم شملهم ويجمعهم ويلم كلمتهم في سبيل الوحدة والوعي القومي• انهم جماعة واحدة وقومية واحدة ذات لسان واحد، لسان كأنه القبس الالهي جمعهم عليه فاطرالسموات والارض ، ليؤدوا عملا واحدا ورسالة واحدة هي رسالة العزة والكرامة والقومية •

العربي **شوقي ضيف**

عرف عددهم

روى ابن الجوزي قال لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر ، وجد المسلمون بالقرب من الماء رجلين ، الاول من قريش ، والاخر مولى لعقبة بن ابي معيط • فاما القرشي فأفلت من يد المسلمين وهرب • واما مولى عقبة فامسكوا به وجعلوا يسألونه عن عدد القوم فيقول : هم والله كثير عددهم ، شديد بأسهم • فجعل المسلمون اذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له كم القوم ؟ فقال : هم والله كثير عددهم شديد بأسهم ، فاجتهد النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبره فأبى• ثم ان النبي سأله كم ينحرون من الجزر ؟ فقال عشرا لكل يوم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جزر لمائة رجل •

سنة اليأس من الحرب والســلام



ليس في الروزنامة اللبنانية اوراق وسنون قديمة او جديدة ٠ فالايام كلها علامات استفهام ٠ والساعة اللبنانية واقفة لانها لا تستطيع ان تعمل في وقت واحد على التـــوقيت الاميركي ، والسوفيـــاتي، والاوروبي ، والعربي ، والاسرائيلي٠

واللبناني لم يعد يملك ذاكرة خاصة ، ولا حلما خاصا ،ولا املا خاصا٠ فللمرة الاولى اصبحت حدود اللبناني هي حدود وطنه ٠ واصبحت حياةاللبناني مثل مصير وطنه ، في مهب رياح الاخرين ٠

فكل جيوش العالم موجودة في لبنان باستثناء الجيش اللبناني ٠ وكــل حكومات العالم موجودة باستثناء الحكومة اللبنانية ٠ واللبناني لم يعـــد يستطيع ان يأكل الا على مزاج الرئيس كارتر ٠ ولا ان يشرب الا على مـــزاج الرئيس بريجنيف ٠ ولا ان يقرأ او يكتب او يفكر الا على مزاج دول المنطقة٠ ولا ان يجد شرطي سير على المفارق الخطرة الا اذا كان على صدره قرار من قمة الرياض ، وموافقة من الجبارين الدوليين ، ومصادقة من مختار اوروبا الرئيس جيسكار ديستان ٠

كأنما في كل بيت لبناني جمعية امم ٠ وكأنما خلف كل مسؤول جمعية مسؤولين غير مسؤولين ٠

واذا كانت سنة ١٩٧٧ هي سنة الطاقة في اميركا ، وسنة نهاية الماويـــة في الصين ، وسنة خفض التضخم في فرنسا ، وسنة الصعود الاخير لبريجنيف في الاتحاد السوفياتي ، فانها في لبنان سنة فريد روفايل ٠

واذا كنا نخاف قبل عامين من ان يأخذ الاخرون لبنان بالحرب ، فانتـــا نخاف الان من ان يأخذوه بالسلم ٠

هذا زمن العجائب يقول الرئيس السادات في حديثه الى « التايم » . فالرئيس المصري يزور القدس . ورئيس وزراء اسرائيل يزور مصر . لكن الاعجوبة الكبيرة المنتظرة لم تحدث . فالسلام يقترب على المسرح ويبتعد في الواقع . والذين اطلقوا على سنة ١٩٧٧ يوم ولادتها اسم سنة السلام . يسمونها عند الرحيل سنة اليأس من الحرب والسلام .

بلى ، ثمة اعجوبة واحدة تحققت . فالرئيس السادات تمنى عندما كان شابا ان يصبح ممثلا . وقد قرأ اعلانا في صحيفة مصرية يطلب ممثلين للعمل، فبعث ، كما يروي هو «للتايم» ، بصورته مع رسالة تقول انه يجيد تمثيل الادوار التراجيدية والكوميدية ، ولو انه يفضل الكوميديا . وها هو الان، كما تقول « التايم » التي اختارته رجل العام «ممثل ذو ارادة حديدية» بل هو اكبر نجم تلفزيوني في العالم . ولعل من الافضل تسمية عام ١٩٧٧ عام السادات وليس تسمية السادات رجل العام .



سنة اخرى في التيه العربي ، فالساعات هي اكثر الهدايا العرب . لكن الزمن خارج الحسابات العربية .

فهل هناك خارج الوقت الميت بين سنة قديمة وسنة جديدة وقت لاعادة النظر في الكثير من السياسات المزيفة والشعارات المزيفة والحقائق المزيفة؟

أليس من الافضل مصالحة الشعوب مع الحكام قبل مصالحة اسرائيل؟.

منذ ثلاثين سنة قيل : قضية فلسطين هي القضية العربية الوحيدة . وتحت اسم فلسطين وضعت كل القضايا الاخرى في الظل او اصبحت محرمة مثل التابو . فالحرية عيب وجريمة قبل التحرير . كذلك الخبز ، والثقافة المنفتحة، والديمقراطية .

وصارت التقدمية بديل التقدم وليس الطريق اليه . وصارت المحافظة

بديل الاستقرار وليس الطريق اليه . ولم يعد هناك صوت يعلو على صوت العسكر .

وها نحن الان امام المأزق الكبير . بدل تحرير فلسطين تحررت المنطقة من الديمقراطية تقريبا . وكثر السلاح وقل الخبز . وكثرت القيود وقل الفكر . وكانت هناك قضية فصار لدينا قضايا .

وما يقال علنا هو عكس ما يجري في السر . فالبعض يقول في السر ان تحرير فلسطين هو شعارات طلاب مدارس في المرحلة الرومنطيقية . ومجرد قبول الدخول في مفاوضات التسوية يعني الاعتراف غير المباشر بأن عصر الجبارين لا يسمح بازالة اسرائيل .

والبعض الاخر يتحدث في السر عن « استحالة التحرير والبحث عن الوطن البديل » .

ولعل اكثر الذين يتحدثون عن الحرب هم الذين لا يريدونها . واكثر الذين يتحدثون عن التسوية هم الذين لا يريدونها . فالخوف من التسوية لا يقل عن الخوف من الحرب . لان التسوية تفتح كل السجلات المطوية وتخرج كل المواضيع المحرمة من التابو الى النور .



مأساتنا الكبيرة ليست في اننا نعيش في وضع استثنائي او في زمن استثنائي . بل في اننا نعيش في وضع مؤقت وزمان مؤقت . فالحياة في زمان استثنائي مغامرة عظيمة . لكن الحياة في زمان مؤقت موت آخر . بل هي قراءة يومية للاوروسكوب السياسي ، وانتظار الحظ .

والوطن لا يبنى على الحظ . والدولة لا تأتي باليانصيب . فهل تكون سنة ١٩٧٨ سنة الركض وراء الفرص بعدما كانت سنة ١٩٧٧ سنة الهرب من الفرص ؟

الانوار رفيق خوري

اهم الاخبار والآراء

الشيخ محمد مهدي الخالصي

يحاضر في المعهد البابوي بالفاتيكان

الدين للحياة ، ولتيسير امور الناس في تصرفاتهم ومعاملاتهم ، وقد وضع للتقريب بين الناس لا للتباعد والتنافر ، وخصوصا في هذه الايام التي اتصل البشر بنا جميعا بعضهم ببعض في جميع اقطار الدنيا . والآية القرآنية في هذا المعنى صريحة : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فالمسلمون الذين تجمعهم شهادة « ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله » لا يوجد اي خلاف بينهم وانما السياسة هي التي فرقتهم وبعض عمائم السوء الذين يتاجرون بالدين وبالبدع والضلالات وبذر قرن الخلاف بين الطرفين ، والا فلا فرق بين



العلامة الخالصي يهدي قداسة البابا نسخة من القرآن الكريم

الجعفري والحنفي والشافعي « حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرام محمد حرام الى يوم القيامة ».

وبين المسلمين والمسيحيين الخلاف الديني لا يجب ان يجر الى خلاف سياسي طالما ان القرآن يقول « ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الخ».

ومن هذا القبيل لبى سماحة العلامة الالمعي المجدد صاحب « جامعة مدينة العلم بالكاظمية» والذي يقيم صلاة الجمعة كما امر القرآن الكريم فيأتم به آلاف المصلين ، لبى دعوة المعهد البابوي بالفاتيكان لالقاء محاضرة عن «الفكر الاسلامي والتشيع» بمناسبة العام الجديد للمعهد ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ فذهب الى روما فالفاتيكان واجرى حوارا ومناقشات مع قداسة البابا والكرادلة وكبار رجال الدين المسيحي ، وقد رأى ان المناسبة تقضي بان يكون عنوان المحاضرة « العلاقة بين الاسلام والمسيحية » كما وردت بالقرآن الكريم الذي



العلامة الخالصي في حوار مع قداسة البابا

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد بدأ بالايات التي تذكر السيدة مريم وعيسى«ع» وعلاقة المسلمين مع البشر عامة والمسيحيين خاصة .

وختم محاضرته الموفقة التي صفقوا لها كثيرا بالآية القرآنية الكريمـة: « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا اللـه ولا نشرك به شيئا وان لا يتخذ بعضنا بعضكم اربابا من دون الله» .



قداسة البابا يمنح العلامة الخالصي وساما رفيعـا

★ ★ ★

وقد منح قداسة البابا لسماحة الشيخ وساما رفيعا لا يعطى الا لرؤساء الدول . نرجو لسماحة الشيخ التوفيق والعزة والرفعة والنجاح في جميـع أعماله . وسننشر المحاضرة مع شيء عن جامعة مدينة العلم بالكـاظمية في القابل ان شاء الله .

الشيخ جابر الاحمد أمير الكويت الجديـــد



شيعت الكويت وسط مظاهر الحزن والاسى أمس ، اميرها الراحـــل الشيخ صباح السالم الصباح الذي توفي فجر ٣١ــ١٢ــ١٩٧٧ عن ٦٢ عامـا اثر اصابته بنوبة قلبية . وشارك في تشييع الجنازة عدد من الوفود الرسمية العربية ، وجماهير حاشدة من ابناء الكويت .

وقد تلقت العواصم العربية نبأ الوفاة بمشاعر الحزن والالم واعلنـت الحداد الرسمي وقررت ارسال وفود للتعزية .

وقال بيان رسمي ان الشيخ صباح الذي ادى اليمين الدستورية فيتشرين الثاني ١٩٦٥ ، توفي بنوبة قلبية في الساعة الثاية فجر امس .

واعلنت السلطات الكويتية حدادا رسميا لمدة ٤٠ يوما تنكس خلالهـا الاعلام . وصدرت اوامر باغلاق الدوائر والمؤسسات الحكومية لمدة ثلاثـة ايام حدادا على الامير الراحل .

وقال البيان ان مجلس لوزراء بناء على الدستور وقانون الخلافـــة الدستوري ، اعلن الشيخ جابر ولي العهد ورئيس الوزراء اميرا جديدا على البلاد .

وقد أقسم الامير الجديد اليمين الدستورية خلفا لابن عمه .

ولا يتوقع حدوث اي تغيير في سياسات الكويت . ويكاد يكون مــن المؤكد ان يحافظ الامير الجديد على خط التعاون الوثيق والتنسيق الراهن مع العواصم العربية ، وخاصة مع السعودية ودول الخليج . كما ان الكويت ستستمر في اتباع سياسة الحياد التقليدية التي تسير عليها .

والشيخ جابر الاحمد هو الامير الثالث عشر من آل الصباح ، وهو النجل الثالث للمغفور له الشيخ احمد الجابر امير الكويت السابق . وقد ولد بالكويت عام ١٩٢٨ ، وتعلم في مدارسها ، وشغل منصب رئيس الامن العام في منطقة الاحمدي من عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٥٩ ، ثم منصب رئيس دائرة المالية واصبح اول وزير للمالية والاقتصاد ، فالمالية والصناعة عام ١٩٦٦ . ثم شغل منصب رئيس مجلس الوزراء وتولى منصب نائب الامير عندما كان يغيب عن البلاد الامير الراحل الذي رشحه في ٢٩ كانون الثاني ١٩٦٦ ليكون وليا للعهد .

أنصار العرفان في لبنان

★ ★ ★

١ ـ الشيخ علي الفقيه ٢ ـ الشيخ حسين معتوق

٣ ـ الشيخ محمد تقي الفقيه ٤ ـ الشيخ عبد الكريم شمس الدين

٥ ـ السيد عبد اللطيف فضل الله، وهذا السيد الشريف أردنا ان نهديه العرفان لقصيدته الرائعة في مؤسس العرفان فأبى الا ان يكون من انصار العرفان .

انصار العرفان في سورية

٦ ـ حسن ومحمد سعيد الزين ٧ ـ الحاج علي خليل

١ ـ الشيخ عبد الله العرفي ٢ ـ الشيخ حيدر العرفي

٣ ـ محمد رشيد العرفي ٤ ـ الحاج عبد الله الدبس

٥ ـ امين الحاني ٦ ـ سليمان النسر

مختارات من الحكم والخلق والبلاغة

ـ ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ـ قرآن كريم

ـ وقال : ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون (قرآن كريم)

ـ ان الامير اذا تجسس على الناس أفسدهم ـ

(محمد «ص»)

ـ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

(محمد «ص»)

ـ لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان ـ علي «ع»

ـ لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالادب ولا ظهير كالمشاورة .

علي «ع»

ـ لا مال أعود من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى ، ولا قرين كحسن الخلق ، ولا ميراث كالادب ، ولا قائد كالتوفيق ، ولا تجارة كالعمل الصالح ، ولا ربح كالثواب ، ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ، ولا زهد كالزهد في الحرام ، ولا علم كالتفكر ، ولا عبادة كأداء الفرائض ، ولا ايمان كالحياء والصبر ، ولا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم (ولا عز كالحلم) ولا مظاهرة أوثق من المشاورة .

علي «ع»

ـ ما قرن شيء الى شيء ، أحسن من حلم الى علم ، ومن عفو الى مقدرة .

عمر بن عبد العزيز



بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

هذا الشهر أي شهر شباط « فبراير » وفي ٥ منـه بالتحديـد هـو الذكرى السنوية لتأسيس العرفـان وكان ذلك سنة ١٩٠٩م ، الموافق ١ محرم سنة ١٣٢٧ هـ، وكان كل شيء في تلك الايام على التاريخ الهجري وهكـذا يكون قد مضى ٧١ عـاماً على تأسيس العرفان عدا ما يتبعه من جريـدة « جبـل عامل » وكتب كثيرة نشرتهـا مؤسسـة مجلة العرفان لا حصـر لهـا ، وقد كانت مدرسـة سيارة يذكرهـا الكبار لـلآن وكيف كانوا يتلونها على المـلا في ساحات قراهم ، وتسمي الامهات كل كتاب او دفتر باسم العرفـان . لذلك زينـا جلد هذا العدد برسم « مؤسس العرفـان » وتقرر ان يكـون اليوبيل الماسي « للعرفـان » سنة ١٩٨٢ . وان يكـون هذا اليوبيـل عالميا يشمل لبنـان وبلاد العروبة والاسـلام والمهاجر الـخ مما سنبينه في حينـه .

ـ الصحـافة المنكودة الحظ

والمهـدورة الحقـوق

لا يوجـد أقسى ولا آلم من الضربة والمحنة التي اصيبت بها الصحافة في لبنـان بعد الحوادث الضارية التي تعرض لها هذا البلد الجميل ، معنويا

وماديا والتعويض علـى هذه الاضرار مـاذا ؟ تصريحات واجتمـاعـات وبهورات ، لا ورق ولا ورق بكسر الراء ، فالافـلاس اذا منتظر ، وقانون تقاعد واسعاف الصحفيين ، أين صار ؟ في خبر كان !

ودار الصحـافة لم تزل كما كانت منذ ١٥ عاما . وهـكذا دواليـك. والصحافـة الثقافية السياسية مظلومة اكثر من الجميع ، فبـلاد النـاس تمدهـا بانواع الفيتامينات الا لبنان .

وكان الله في عوننا . والى العدد القادم لنسجل بعض تتمة رحلتنا الى الكويت والعراق .

نزار الزين

ثالثهم اشـعر

اجتمع جرير والفرزدق والاخطل ، وهم ثلاثة من رؤساء الشعراء في مجلس عبد الملك بن مروان ، فأحضر لهم رهانا من المال وقال : ليقل كـل امرىء منكم بيتا في مدح نفسه ، وأيكم غلب وظفر ، فله هذا الرهان ، فبادر الفرزدق وقال :

انـا القطران والشـعراء جربى وفي القطران للجربـى شفـاء

وقام الاخطل فقـال :

فان تـك زق زاملـة فاني انـا الطـاعـون ليس له دواء

ثم نهض جرير وقـال :

انـا المـوت الذي آتي عليكم فليـس لهـارب منـه نجـاء

فقال له عبد الملك : لك الرهان غلبت خصميك ، فلعمري ان المـوت يأتي على كـل شيء .

اللغة العربية

بقلم: جوزيف العرفاني

اللغة العربية وهي من أمهات اللغات الحية ، ومن أغناها في المعـــاني والالفاظ وأوسعها في الكلمات والمترادفات يرميها بعض الجاهلين من أبنائها بالعقم وهي الولود ويعزوها خصومها الى الهرم وهي في ريعان الصبا وشرخ الشباب ، تلك لعمري داهية الدواهي وأم المصائب وبكر الاحن والنوائب .

رمـــوني بعقم في الشبـــاب وليتني   عقمت ولم أحفل بقـــول عـــداتي

ليست اللغة العربية أبنة يومها ووليدة أمسها بل هي من أقدم اللغـات التي تربت في حجور الآباء واحضان الامهات واذا صح أن حمورابي هو أقدم مشترع عربي وكتبت شريعته باللسان العربي ، فاللغة العربية كانت في أوج التقدم من أربعين قرنا لان الدولة الحمورابية التي نشأت في العراق وما بـين النهرين ونشرت آدابها وشريعتها في جزيرة العرب من أقصاها الى أقصاها ، كانت ذات مدنية باهرة وعلوم زاهرة ومدارس معتبرة حتى أن المرأة كـانت متمتعة بأكثر من حقوقها كالمرأة الغربية في عصرنا الحاضر .

ولو ألقينا نظرة على شعر الشعراء الجاهليين وحسن تصرفهم وجزالـة شعرهم لعجبنا وأي عجب من قوم سكنوا البوادي ولم يضربوا من المدنية بسهم ومع ذلك فقد جاءوا بكل لفظ طريف ومعنى دقيق ظريف ومن يقـرأ قول زهير ابن ابي سلمى في معلقته ولا يعجب به أشد الاعجاب لما جمع مـن الحكمة وفصل الخطاب قال :

رأيت سفاه الشيـــخ لا حلم بعده   وأن الفـتى بعـد السفاهة يحلـم

وأعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي
ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو نال أسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يجعل المعروف في غير أهله يعد حمده ذما عليه ويندم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لم يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
وكائن ترى من معجب لك شخصه زيادته او نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

الى غيرها من المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثي والمشوبات والملحمات ولو أعملت النظر وسرحت رائد الفكر في خمريات ابي نواس ومدائح ابي تمام وغزليات البحتري وحكميات المتنبي وفخريات ابي فراس وتشبيهات ابن المعتز وابن الرومي وفلسفيات المعري وبدائع الشريف الرضي وغيرهم من سابق ولاحق ومتأخر لرأيت العجب العجاب ولأبصرت ما يأسر لحسن موقعه الالباب وخطأت اولئك المعجبين الفخورين المفضلين للشعراء الاعجميين كفيكتور هوغو وشكسبير وداتني وغيرهم لكن هو التقليد الاعمى وعدم التغلغل في دراسة الآداب العربية وقلة التوغل في استخراج تلك الكنوز المطمورة في الكتب ولد هذا الجهل الشائن والرأي الآفن •

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

ولو ألقيت نظرة صادقة على كتب فقه اللغة للثعالبي والالفاظ الكتابية

للاصفهاني والاضداد لابن الانباري والمزهر للسيوطي وغيرها لتمثلت لــك عظمة تلك اللغة الغنية بألفاظها وتعابيرها ومترادفاتها ومتشابهاتها ولألفيــت لبعض الاسماء كالشمس والاسد والبعير وسواها عدة اسماء ومنها ما بلــغ الالف عدا حتى قيل ان للداهية اربعة آلاف اسم هذا فضلا عما امتازت بــه هذه اللغة من الدلالة على الكلمات حسب قوتها وضعفها كالخضم لاكل الرطب والقضم لأكل اليابس والقبض للأخذ بأطراف الانامل والقبض للاخذ بالكــف كلها الى آخر ما هنالك وما اتسعت له من ضروب الملاحن قال ابن دريد تقول (والله ما سألت فلانا في حاجة قط) والحاجة ضرب من الشجر له شوك (وما رأيته) أي ما ضربت رئته (ولا كلمته) أي جرحتــه (ولا أعلمتــــه أي ما جعلته أعلم أي ما شققت شفته العليا) (ولا أخذت منه كلبا) وهو المسمــار في قائم السيف (ولا فهدا) وهو المسمار في وسط الرجل (ولا جــارية) وهي السفينة (ولا شعيرة) وهي رأس المسمار من الفضة ولا صقرا وهــو دبس الرطب (ولا كسرت لها سنا وهي قطعة من العشب تتفرق في الارض) (ولا ضرسا وهي قطعة من المطر تقع متفرقة في الارض) الخ ..

أضف الى ذلك اختصار الكلم كقولهم الملوان والقمران والنحت الذي اشتهر عنهم كقولهم عبشمي للمنتسب الى عبد لشمس وتيملي للمتنسب الى بني تيم اللات وضبطر للرجل الشديد مركبه من ضبط وضر ويلحق بذلــك البسملة والحمدله والتهليل وغــيرها على أن النحت قليل في اللغــة العربية بالنسبة الى غيرها من اللغات نظرا لاتساع مادتها وغزارة ينابيعها ولا كذلك غيرها التي ضاق عطفها ونضبت مواردهافاحتاجت لكثرة النحتحتى ان اللغات غير السامية لم ترجع موادها الاصلية الا الى بضعة مئات من الكلمات .

هذه اللغة الشريفة التي وسعت انواع العلوم واضراب الفنون التــي تفوق بها العرب زمن الامويين في دمشق والعباسيين في بغداد والامويينوغيرهم في الاندلس والفاطميين في مصر تريد فئة من ابنائها او أدعيائها نبذها ظهريــا وطرحها مكانا قصيا والاستعاضة عنها بلغات افرنجية ورطانة أعجمية .

أيهجرني قومي عفا الله عنهم الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى لعاب الافاعي في مسيل فرات

ولم ندر اذا فقدت لغتهم لمن ينتسبون واذا هانت ففي أي لغة يعتزون

أما الحكومة المنتدبة نفعنا الله بارشادها وهدانا الى معرفة جميلها وحسن بلائها وجهادها فقد نبذت اللغة العربية نبذ النواة ومن الغريب جدا ان امة خرج منها مثل دي ساسي وسيديلو وكوسان دي برسفال وجوبار وجسان همبرت وفلجانس فرنيل وآتيان كاترمار ونوال دي فرجه وجوزف رينو وسليمان منك وغيرهم كسكاتريو وبارون وغرنج ولويس جاك برنيه وبيبرستين كازمرسكي وكليمان موله من المتوفين ومن المعاصرين دوسوركي وماسينيون واضرابهم ممن خدموا العربية أجل خدمة وعنوا بآدابها ومؤلفاتها لا تأخذ بناصر العربية ، ولا غرو فهؤلاء غير اولئك هؤلاء يعملون بقول عظيمهم نابوليون القائل (علموا الفرنسية ففي تعليمها خدمة الوطن) وقد صدق فيما قال ونحن لا ننكر عليهم ذلك .

وانما ننكر تلك التراجم السقيمة ولغة الدواوين المنحطة وهنات غير هينات لا يسع المقام الاحاطة بها ولو لم يكن الا التعليم لكفى فكيفه بغيره مما هو أعظم وأدهى وكنا والترك على طرفي نقيض لغمطهم حقوق لغتنا قال قائلنا :

جاروا على لغة القرآن فانصدعت لها الشآم وضج البيت والحرم
فالقدس باكية والشام شاكية وفي الحجاز يكاد الركن ينحطم

ولعلهم يثوبون الى رشدهم حينما يرون أبناء هذه اللغة ضموها الى أحضانهم وايقنوا ان بها عزهم وعزة سلطانهم فيؤلفون بها انواع المؤلفات ويجمعون ما تفرق منها من الشتات ويضعون لها الجديد من الكلمات ويشتقون

لها ضروب المشتقات ويعلمون انها أغنى واوسع اللغات لان اصولها حوت ثمانين ألف لفظة واشتق من كل لفظة عشر كلمات هذا والذي نراه أنه لا حياة حقيقية لهذه اللغة ما لم يجتمع ابناؤها في اقطار الارض ويجمعون على بناء جامعة كبرى تكون محط رحالهم ومرجع ابنائهم ويكون هناك مجمع علمي عام يرتبط به كافة علماء العربية في الشرق والغرب فيضع الاسماء للمصطلحات الجديدة ويطبع المؤلفات الطارفة والتليدة فتعتز العربية اعز الله انصارها وحيا في مشارق الارض ومغاربها علماءها وأحبارها .

احمد عارف الزين

العهد "الدستور الأزلي"

عهد الإمام للأشتر النخعي

ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك ولله فيه رضا ، فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك ، وأمنا لبلادك ، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه ، فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم ، واتهم في ذلك حسن الظن . وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالامانة ، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت ، فانه ليس من فرائض الله شيء ، الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر . فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك ، فانه لا يجترىء على الله الا جاهل شقي . وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته ، ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق ، فان صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته ، وان تحيط بك من الله فيه طلبة فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك .

اياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فانه ليس شيء أدنى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة ، من سفك الدماء بغير حقها ، والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم

القيامة ، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد ، لان فيه قوة البدن ، وان ابتليت بخطأ وافرط عليك سوطك او سيفك او يدك بالعقوبة ، فان في الوكزة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي الى أولياء المقتول حقهم .

واياك والاعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب الاطراء فان ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليحق ما يكون من احسان المحسنين.

واياك والمن على رعيتك باحسانك ، أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك ، فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس ، قال الله تعالى : كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون .

واياك والعجلة بالامور قبل اوانها ، او التسقط فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت.فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه .

واياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة ، والتغابي عما تعنى به قد وضح للعيون ، فانه مأخوذ منك لغيرك ، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الامور ، وينتصف منك للمظلوم ، املك حمية انفك ، وسورة حدك ،وسطوة يدك ، وغرب لسانك ، واحترس من كل ذلك بكف البادرة ، وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك .

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة ، او سنة فاضلة ، أو أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، او فريضة في كتاب الله ، فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتباع ما

عهدت اليك في عهدي هذا ، واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك ، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها .

وانا اسأل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه، مع حسن الثناء في العباد ، وجميل الاثر في البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة ، انا اليه راجعون ، والسلام على رسول الله عليه وآله وسلم الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليما كثيرا ، والسلام .

حسن تصرف

حكي ان ابا بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، كان شاعرا مجيدا وكاتبا لامعا ، وكانت بينه وبين الصاحب بن عباد جفوة ، لان الخوارزمي قد هجاه حيث قال :

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت		كفاه بالجود حتى اخجل الديما
فانها خطرات من وساوسه		يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

وفي بعض الايام ، قصد الخوارزمي الصاحب بن عباد ، وهو بارجان، فلما وصل الى بابه قال لاحد اصحابه :

قل للصاحب على الباب احد الادباء ، وهو يستأذنك بالدخول . فدخل الحاجب واعلمه . فقال الصاحب : قل له قد ألزمت نفسي ان لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب.فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك . فقال له الخوارزمي : ارجع اليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء.فدخل الحاجب واعاد عليه ما قاله . فقال الصاحب: هذا لا يكون الا ابا بكر الخوارزمي ، فأذن له بالدخول .

من رائدات الصحافة

جوليا طعمه دمشقيه

١٨٨٣ - ١٩٥٤

بقلم عيسى فتوح

اذا استعرضنا رائدات الصحافة النسائية في الوطن العربي، منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى اليوم ، كانت السيدة جوليا طعمه دمشقية في الطليعة، اذ تعتبر مجلتها « المرأة الجديدة » عاشر مجلة نسائية ظهرت في لبنان ، اما المجلات التي ظهرت قبلها ، وان لم تعش طويلا فهي :

١ ــ « الفردوس » ــ لويزا حبالين	١٨٩٦
٢ ــ الاعمال اليدوية ــ الانسة فاسيلا	١٩٠٨
٣ ــ العالم الجديد النسائي ــ انجلينا ابو شقرا	١٩٠٩
٤ ــ مرشد الاطفال ــ عفيفة كرم	١٩١٢
٥ ــ فتاة لبنان ــ سليمة ابي راشد	١٩١٤
٦ ــ منيرفا ــ ماري ينى	١٩١٧
٧ ــ فتاة الوطن ــ ماري زمار	١٩١٩
٨ ــ الخدر ــ عفيفة صعب	١٩١٩
٩ ــ الفجر ــ نجلا ابي اللمع	١٩٢٠
١٠ ــ المرأة الجديدة ــ جوليا طعمة دمشقية	١٩٢١

اما اول مجلة نسائية ظهرت في الوطن العربي عامة فهي مجلة

« الفتاة » لهند نوفل ، وذلك في مصر عام ١٨٩٢ ، وكانت قد هاجرت اليها من لبنان في جملة من هاجر من اعلام الصحافة ، طلبا للحرية ، كمريسم مزهر صاحبة مجلة « مرآة الحسناء »، واستير مويال صاحبة « العائلة »، وانيسة عطا الله صاحبة « المرآة »، وروجينا عواد صاحبة « السعادة »، وروز انطون صاحبة « السيدات والبنات » ، ولبيبة هاشم صاحبة « فتاة الشرق » ، وملكة سعد صاحبة « الجنس اللطيف »...

ولدت جوليا طعمه دمشقية في قرية « المختارة » بلبنان عام ١٨٨٣ ، وتلقت علومها في مدرسة الفنون الاميركية في صيدا ، ثم انتقلت الى «كفرشيما» حيث اكملت دراستها الثانوية ، واصبحت معلمة فيما بعد ، لكن ميلها الشديد الى الصحافة كان اقوى ، فراحت تكتب المقالات وتنشرها في مجلات: «فتاة لبنان »، و «الحسناء» التي أسسها نصير المرآة جرجي نقولا باز عام ١٩٠٩ ، و « الفتاة » و «الفجر ». ولم تكتف باصدار مجلة « المرآة الجديدة » بل اصدرت الى جانبها اول مجلة للاطفال هي « سمير الصغار » في أول كانون الثاني عام ١٩٢٥ ، ثم جريدة «النديم» عام ١٩٣٣.

كذلك ألفت كتاب «مي في سورية» بمناسبة زيارة الاديبة مي زيادة لبنان وسورية عام ١٩٢٢ ومنذ ذلك الحين انعقدت بين الكاتبتين اواصر المودة والصداقة ، وراحتا تتبادلان الرسائل ... اما المناصب الادارية التي شغلتها فهي رئاسة الاتحاد النسائي اللبناني .

تزوجت من السيد بدر دمشقية ، متخطية بذلك الشكليات الدينية والمذهبية ، وظلت تكافح من اجل رفع مستوى المرآة العربية ، الى ان اصيبت بمرض عضال عام ١٩٣٤ اقعدها في الفراش عشرين عاما حتى توفيت في بيروت سنة ١٩٥٤ عن واحد وسبعين عاما .

لا اظن ان مجلة نسائية عربية صدرت قبل المرآة الجديدة او بعدها استطاعت ان تضاهيها او تكون في مستواها اخراجا وشكلا ومضمونا ، ويكفي ان نلقي نظرة على ابوابها الدائمة لندرك مدى رقي هذه المجلة الفريدة

التي بذلت صاحبتها وقتها وجهدها في سبيلها ، حتى غدت في طليعة المجلات النسائية العربية ، فقرظها عشرات الكتاب والصحفيين كأسعد خليل داغر ، وجبران التويني ، وبولس الخولي ، وفيليب حتي ، وحليم دموس ، وبدوي الجبل ، وجميل صدقي الزهاوي ، وسليم سركيس ، وجبر ضومط ، ونقولا فياض ، وداود قربان ، ونعوم لبكي ، ونجيب مشرق ، ومحي الدين النصولي مشيدين بمكانتها ، مقدرين فضلها وقيمتها ، اما ابوابها الدائمة فهي:

١ ــ مقال افتتاحي بعنوان « الى ابنة بلادي » تحرره جوليا نفسها كل شهر ٢ ــ اللطائف الشعرية ٣ ــ العاملات في النهضة النسائية ٤ ــ البيت ٥ ــ اعمال النساء ٦ ــ اشغال يدوية ٧ ــ العلم والفن ٨ ــ الصحة والجمال ٩ ــ حكاية الشهر ١٠ ــ رسائل ١١ ــ عالم الادب ١٢ ــ كل شيء ١٣ ــ حفظ الصحة والطب المنزلي ١٤ ــ اعظم الاشياء واغربها ١٥ ــ مرآة الكون ١٦ ــ الاعمال الخالدة واصحابها ١٧ ــ الفنون الجميلة ١٨ ــ حوادث واخبار ، ثم اضافت اليها في مطلع السنة الخامسة ١٩٢٥ بابين جديدين هما: أسئلة الطفل والاجوبة عليها ، وتفسير الاحلام • اما باب سمير الصغار فقد فصلته عن المجلة وجعلته مستقلا في ست عشرة صفحة ، يهدى شهريا الى مشتركي المجلة مع اجزائها دون زيادة في قيمة الاشتراك •

كانت غايتها من فصل باب سمير الصغار وجعله مجلة صغيرة تمكين الوالدين من تسليم الطفل مجلته بقطع يتفق مع ذوقه وسنه ، وتعويده على روح الاستقلال ، وحفظ اعداد المجلة نظيفة لاجل التجليد ، وتسهيل الاشتراك في سمير الصغار لمن يرغب من طلاب المدارس ، فلا يضطر الى دفع بدل اشتراك المجلة بكامله •

تضمنت مجلة « سمير الصغار » فوائد ونكات واسئلة وحكايات وألعابا مفيدة تساعد على تهذيب الطفل وانماء مداركه وتسليته ، وتقويم اخلاقه •

كانت مجلة المرأة الجديدة من اشهر وارقى المجلات النسائية عامة ، تصدر بانتظام في مطلع كل شهر على مدار السنة ، وتحوي من الابحاث ما يفيد ويمتع الكاتب والاديب ، والشاعر ، والتاجر ، والطالب ، والطالبة ، وربة المنزل ، والفتاة ، والصغار ، بالاضافة الى اخبار العالم والاختراعات ، وكل ذلك في ثمان واربعين صفحة من القطع الكبير .

لقد كانت الافتتاحيات التي تكتبها بعنوان « الى ابنة بلادي » دروسا قيمة في اصول الاخلاق والتربية والتقويم والارشاد ، فلنسمعها تقول في افتتاحية عدد ايار سنة ١٩٢٢ تحت عنوان « الجمال والمال » : « سيدتي ، اني اغبطك على جمالك الطبيعي لانه هبة الهيبة لا يتمكن أمهر المتفننين من البشر ان يأتوا بمثله ، واذا استطاعوا تقليده فلا يستطيعون ان يجعلوه دائما . لماذا ؟ لان الجمال الحقيقي لا يأتي من الخارج بل من الداخل ، الجمال الخارجي مهما بلغ من البهرجة ومظاهر الثبات فانه زائل ، واذا كان مجلوبا بمساحيق معدنية ترك اثرا يضر بالبشرة ضررا بليغا » .

« اما الجمال الحقيقي فمصدره الدم ، وهذا يتخذ قوامه من الغذاء والرياضة والشمس والهواء ، ومتى صح الدم ، توردت الخدود ، ولمعت البشرة ، فصارت وضاءة حسنة » .

وقالت في رسالة بعثت بها الى مي زيادة : « ... نعم لقد قرأت لك كتابا كثيرة ، لكنني أظنها صادرة لا من جسد بل من روح تحوم في فضاء مصر لا قرار لها لتهبط فيه ، ولا هيكل لتأوي اليه ؟ وعلى هذا بقيت عندي روحا مجردة من كل شيء مادي ، لا اصدق وجود فتاة حقيقية باسم مي ... أراك مثالا لاعمالنا وجهادنا في سبيل النهضة النسائية في سورية ، وانا على يقين تام ان ليس من سيدة اخرى تخدم هذه النهضة الادبية المنشودة بقدر ما تخدمينها انت في كتاباتك السامية المؤثرة ... وعلى رغمي اختم هذا الحديث مصافحة اياك بكل محبة واخلاص » .

قالت عنها الاديبة اللبنانية اميلي فارس ابراهيم في كتابها « اديبات لبنانيات »:

« ... انها ما قطعت يوما ذلك الخيط المتين الذي يشدها الى ابناء وطنها تغضب لكرامتهم ، وتثور لحقهم ، توجه وتقود ، آية حس ، ورائدة مجتمع، تبعث روح المثابرة على المضي في دفع القافلة الى الامام ، مقعدة، كسيحة، عيية » .

عيسى فتوح

الى المشتركين في العرفان

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنوء بحمله المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان نتدارك ما يمكن تداركه وذلك برفع

واشتراك الانصار لا حد له .

قيمة الاشتراكات في المجلة كما يلي :

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية

٥ دنانير في البلادالعربية

١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربية

٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية

٥٠ دولارا جوا للخارج

١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائر والمؤسسات الرسمية والسفارات والبنوك والشركات بالبريد العادي

١٥٠ بالبريد الجوي

الشرقي والايماءة اللاذعة

بقلم: محمد شرارة

المدارس التي حافظت على التراث ، وصانت اللغة العربية وآدابها في الفترة المظلمة ، لم تكن كثيرة . وكانت النجف واحدة من اللواتي ساهمت في الصيانة وحماية التراث .

كانت رسالتها ورسالة أخواتها في بعض البلاد العربية احاطة اللغة باطار من الحماية . اما الابتكار والتجديد فلم يكن منه شيء ، بل لم يخطر ببال أحد . وكانت الاجيال تتعاقب وكأنها جيل واحد ممتد على مسافة واسعة من الزمن ، فلا تفاعل ، ولا صراع بين جديد وقديم ، بل لم يكن شيء يصح أن يسمى « جديدا ».لان الجيل الذي يأتي طبعة ثانية للجيل الذي أتى . وسارت الحياة في طريقها الروتيني ، وظلت ماشية فيه حتى وصل نابليون الى الشرق. وعندئذ ولدت البراغيث ، وبدأت تلسع النائمين ، كما بدأ التفاعل يلعب دورا متواضعا على المسرح الواسع . ثم تحولت البراغيث الى بعوض أو نحل ، او ما أشبه ذلك من اللواسع الضعيفة التي تكفيها حركة بسيطة لتكون بين الاصابع الماحقة.

مهما يكن فقد بدأت اليقظة التي سماها التاريخ « نهضة » ، وبدأت العيون ترى اشياء جديدة ، وأخذ الشباب العربي يذهب الى باريس وغيرها من عواصم الحضارة ، وكان ما كان من زحف الثقافة الناهضة على شواطيء

---

(١) هوستيد: هو العالم الانكليزي الذي كان مشغوفا بعالم الارواح ، وكان من دعاة السلام .

البحار . ثم تحول الزحف البطيء الى تغلغل ، وبدأت الصحف تظهر وتتحدث عن أشياء غريبة .

بعدئذ كانت الحرب العالمية الاولى التي كانت زلزالا في قواعد الانظمة الاقطاعية خاصة ، وولد عندئذ ما يمكن ان يسمى بالجيل الجديد . ثم بدأ الافراد يتفاوتون في النظر الى الاشياء، فلم تعد البنت نسخة ثانية لامها ، ولا الولد طبيعة جديدة لابيه . وكان دور الشعر في العالم العربي كله دورا رائدا في الصراع ... الشعر الذي خلقته حركة التفاعل .

الشرقي أحد الرواد الاوائل في الحركة الجديدة التي تجرأت على الاسوار بعدما غادرت القوقعة والبيوت المقفلة . ولم يكتف بالمغادرة ، بل راح يهز السور ويحاول ان يوجد فيه الثقوب التي تتحول الى نوافذ يمر بها الهواء.

في ذلك الزمن الصاعد من الركام غرقت الباخرة «تيتانيك» وغرق فيها عالم انكليزي معروف بالدعوة الى السلام . ويخترق النبأ أسوار النجف ، ويصل الى الشرقي ، فيأخذه النبأ الى وادي الدموع ، ثم يتحرك الشعر في روحه ، ويظهر في قصيدة بكائية غريبة:

وماء قد قرأت الشعر فيه ... فردد بالخرير صدى قصيدي
هل انكسر الشعاع به انعكاسا ... أم استعلى برسم من « ستيد »
أداعية السلام وقد تداعى ... عليك سلام أرواح الجنود

لم يكن ، يومئذ ، غريبا ان يرتفع هذا الصوت في أي عاصمة من عواصم العالم ، ولكن ارتفاعه في النجف المحافظة كان بمثابة دقة في ناقوس حزين ينوح على عظيم من عظماء المسلمين في كنيسة من كنائس روما في العصور المظلمة .!

معنى ذلك ان الشرقي كان ظاهرة جديدة غريبة في بيئته الخاصة، وان

الروح العالمية يمكن ان تجد لها اناه في أشد البيئات انطواء على الذات ، وان للفكر والعاطفة مدرسة مشتركة تقفز فوق جميع الاسلاك :

بمدرسة العواطف قد نشأنا ودودا يشرئب الى ودود

والمدرسة المذكورة لم تكن سوى وحدة المشاعر في الاشفاق على الانسان والحرص على حياته وسعادته وحمايته من اسلحة الابادة التي بدأت يومئذ تطل على الحياة ، وتهدد الحضارة التي بنتها الجهود الانسانية المشتركة .

مثل هذه الظاهرة قفزة في التاريخ السائر ببطء شديد ، او بخطى خائفة خوفا قويا من الحركة ، والمدارس التي كان لها دور الساهر على التراث تمنح نفسها الحق المطلق في القيادة ولا يحق لاحد ان يتحرك الا باذنها . وربما كانت ثقة النجف بنفسها واعتدادها بقيمها أكثر من البقية . ولذلك كان على الذين لا يرون رأيها ان يختاروا بين البقاء فيها اذا قبلوا ما تفهم او الرحيل عنها اذا رفضوه . وكان الشرقي في طليعة الذين رفضوا الاوامر ، وندوا عن السرب ، وقبلوا المواجهة ، واستعدوا للرد على النار القادمة من مختلف الجبهات .

النار الاولى كانت من القيادة الدينية ، وقد أثبت تاريخها الطويل انها ضد الحركة سواء كانت في الجامع او في الكنيسة ، وانها غالبا ، ان لم يكن دائما ، مع «الماضي» او « الوراء » ... لقد حرمت المدرسة الحديثة، مثلا ، ولما قامت كان ابناؤها اول الذاهبين اليها . ثم قاومت بصورة أشد مدارس البنات . ولما فرضتها حركة التطور الاجتماعي كانت البنات مثل الابناء . وفي الاثناء كانت تقاوم الصحافة ، وتعتبرها نوعا من المباغي الفكرية . ثم كانت لها صحافتها التي تقاوم التقدم .

في وجه هذه السلطة المطلقة كان الشرقي من حملة الاعلام ، وكان يرد على النار بنار أقوى :

أيها البلبل المعلق في السجن سلام أصخت ام لن تصيخا

في رمـال التاريـخ آثار اقدام — رفـاق تخطت التاريخـا
نفخـت في الجراب دهرا وولت — فـورثنا جرابهـا المنفـوخـا
واذا بي ما بين أجربـة تمشـي — على الارض سـادة وشيوخـا

ولم تكن النار عليها وحدها ، بل على التاريخ الذي لم يتجـاوز اثار الاقدام ... آثارها لا على الصخر ، مثلا ، بل على الرمال .! وهي وخزة من الوخزات العرسجية التي تنز رؤوسها دما ، او رصاصة دمدمية نفاذة . وفيها يتراءى سؤال كبير عن هذا التاريخ الذي لم يكن سوى أثر على الرمل يتركه قدم ، او حذاء . وأي شيء يستطيع ان يتركه قدم على الرمال .!

بالتأكيد لم يكن القصد من التاريخ معناه العام ، بل تاريخ الفئة التـي تتصدر القيادة في الوقت الذي لم تعط جزاء سوى «النفخ في الجراب» وهو وعاء من جلد ، او وعاء آخر من الاوعية التي يمج العرف الاجتماعي ذكرها . واللغة الانكليزية تسميه « Scoreum » ومهما يكن قصد الشاعر فانه غايـة بين السخريـة ذات الايحاءات الفولتيرية . والكلمة من الهجاء القاسي المشير الى « الفراغ » و « اليبس » و « الهواء ».!

هذا الجراب ونظائره هو الميراث الذي تركته الاقدام المتحركة عـلى الرمال .. والكلمات على بساطتها تكاد تكون عالما كبيرا من التداعي الشبيه بحجر المغناطيس . ولكنها ، على ما تحمله من دلالات دينامية ، لا يخلو بعضها من قلق . فكلمة « رفاق » تحمل ألوانا من المعاني النفسية والفكرية والمبدئية تحول بينها وبين الاثر الذي خلفه النافخون في الجراب . وفي الوقت ذاتـه لا يمكن ان يكون هؤلاء رفاقا لمن يصب عليهم مثل هذه الكلمات الموغلـة في الهجاء المر .

وكلمة « رفاق » لم تكن موجودة في الابيات ، فقد قرأها لنا في سنة ١٩٤٠ هكذا :

في رمـال التـاريخ آثار اقـدام لقـوم تجـاوزوا التـاريخـا

وكان ذلك في دار السيد ضياء بحر العلوم قاضي كربلاء ، ثم جاء البيت في الديوان كما نقلناه . وربما تكون عودة الضمير في « تخطت » و «ولت» هي التي استدعت هذا التغيير .. لقد أراد ان يتجنب عودة الضمير على المذكر فوقع في خطأ أكبر . وكلمة « تخطت » تشارك « الرفاق » في قلقها فقط، بل ايغالها في الخطأ . ان الشاعر يقصد بها «ماتت» وكلمة « ورثنا » تؤكد ذلك ، وهو قصد لا يمكن اقراره ، كما لا يمكن الدفاع عنه . فالكلمـة تعني « التجاوز » و «السبق» واذا قيل : تجاوز الهدف كان معناه : خلفـه وراءه . وتخطى التاريخ : سبقه . ومعناه «سايكولوجيا» ان عمره العقلي اكبر من عمره الزمني والصفة تستدعي المدح لا الهجاء . ولذلـك كـانت الصورة مختلفة عن المضمون ، وهو يؤدي الى الاضطراب في الجانب الفني.

قبل الشرقي كان ابو العلاء يفتح النار ايضا على هذا الرعيل من الناس الذين ينطلقون دائما من المخادعة والتناقض بين القول والفعل :

رويدك قدخدعـت وأنـت حر بصاحب حيلة يعـظ النسـاء
يحرم فيكـم الصهبـاء صبحا ويشربهـا على عمـد مسـاء
يقـول لكم غـدوت بلا كساء وفي لذاته رهـن الكسـاء
اذا فعـل الفتـى ما عنه ينهـى فمن جهتـين لا جهـة أسـاء

والابيات لوحة بسيطة واضحة تتصل بجميع العقول . واختيار النساء في الوعظ لم يكن مصادفة . وهو مستمد من وضعها التاريخي المتـأخر في زمانه . وكلما كان العقل فارغا كان التصديق بالخرافات والدجل سـهلا، كما تكون الاستمالة الى ما يقال على المنابر اسهل . وعندما تكون المرأة هي الجانب الاخر في مثل هذه الشؤون تكون الاثارة في نفوس الاحرار أقـوى، لان القبول بما تقبل النساء اهانة خفية ، لا لانهن نساء ، بل لان الاكذوبة

والخرافة تجد لها بسرعة مكانا في الرؤوس العاجزة عن النقد ، وعن التمييز بين الذهب وبقية المعادن الملونة . والاشارة الخاطفة الى المساواة بين القادر والعاجز في قبول « الوعظ » تنزل القادرين الى مستوى العجزة . وتثير النخوة التي تستدعي الرد العملي من الجانب الآخر .

بعد الاشارة الخاطفة دخل في التفاصيل المتناقضة القاصة على هوة بين القول والعمل . واذا كان لوحدة الزمن شأن في اقرار التناقض كما يرى المنطق الصبوري ـ منطق ارسطو ، فان الفصل بين الصباح والمساء لا يخل بالوحدة ما دامت وحدة الشخصية قائمة . والواعظ لم يجعل الشيء الواحد موضوعا لحكمين مختلفين فقط ، بل استباح لنفسه في المساء ما كان يحرمه في الصباح ، وهو شيء يلفت النظر . وبعد ما اجتاز التفاصيل وصل الى النتيجة التي تتركز في مضاعفة الاساءة .

وكما كانت بعض كلمات الشاعر الاول بعيدة عن الدقة الفنية ، كان لها ما يماثلها في كلمات الثاني . فكلمة « حر » ، مثلا ، لا علاقة لها بالموازنة بين الفكر الثاقب والفكر السطحي ، او بين الفكر واللافكر اذ لوحظ رأي المعري بالمرأة . والفكر نفسه يبقى جناحا قادرا على الحركة سواء كان في السجن الضيق او الفضاء الرحب وان كان تحويل الفكر الى فعل بحاجة الى الحرية . والذي يريده ابو العلاء ان « الحيلة » التي تقوم عليها الموعظة خفيت على العقل المضيء كما خفيت على العقل المطفأة ضوؤه .

الالوان ايضا مشتركة بين الشاعرين في تلوين اللوحة ، ولكن اللون في اللوحة العائلية لا يجعل الواعظ شخصية متناقضة فقط ، بل يخرجه شحاذا مبتذلا يطلب الاجر الكبير على ما لقيه من الحيل في وجوه الناس ، ثم يحذر المجتمع منه ومن آكاذيبه . بينما يقتصر اللون في اللوحة الشرقية على اضاءة الصورة ولا يتدخل في التوجيه . ويبقى الشرقي بحدود هذه الاضاءة في قوله الآخر :

أنظــر الى سبحتــــه ... تر الــذي أقــول لك
شيطانة بخيطهـــا ... بين الثقوب قــد سلك
يــا ذرة من نفخنـــا ... قــد ارتقت الى الفلــك
ماسودت السبحة لكن ... قــد أرتنــا عملــك

انها الصورة فقط ، وهي هنا كما كانت هناك لا تتدخل ، ولا تحاول ان تستميل القارىء او السامع ، بل تعتمد على وعيه واقتداره على التحليـــل والتركيب ٠ و « السبحة » رمز اكليروسي يشير الى نوع من الامتياز القائم على اساس ديني تشترك في تكوينه جميع التصورات والافكار التراثية فنية كانت أو غيرها ، ثم تنتهي الى بناء ايديولوجي له حجاوته الخاصة وما يشترك مع الحجارة من وسائل في اقامة الهيكل الكبير ٠

الشرقي يتناول الرمز في اول بيت تناولا برقيا يعبر الى حملة الرمز الذي لم يكن سوى رئي شيطاني ٠ واختيار الخيط للتشبيه تطرب له البلاغة التقليدية التي تجد في دقة الخيط الممتد بين الخرز والشيطان المتواري نوعا من الصفة المشتركة المركزة القائمة على الخفاء بين الخيط والشيطان ٠ وعندئذ يتـــراءى الظاهر تقيا يرتدي ثياب البراءة الطاهرة ، والباطن غيوم كبريتية تنطلق فـــي أمواج متلاحقة وتمحو ما في الحياة والمعالم من جمال ٠ واذا تكاملت اللوحة كانت هذه الفئة طاقة ابليسية عجيبة ترتدي ، على شرورها ، الزي الالهـــي الذي تسيل منه خيرات العالم ٠!

الصورة على ما فيها من ابداع يقترب من النموذج لا تخلو مما يبدو وكأنه شيء دخيل عليها ٠ فالبيت الثالث يكاد يكون عضوا زائدا لا علاقـــة له بما قبله او بعده ٠ واسناد المصدر « نفخ » الى ضمير المتكلم « نـــا » انتقال من الشخصية الى وظيفة السبحة التي ينسبها لها الاكليروس الدينـــي، وهو في الوقت نفسه انتقال من الغائب الى المتكلم الغريب عن الموضوع غربة

تامة . وهذا النوع ، وان سمته البلاغة التفاتا ، يشبه حطة الطائر المتعب الذي لم يكد يضع رجله على الارض حتى طار الى عشه . وكان للشاعر مجال بأن يسند المصدر الى ضمير الغائب ، ويقول : « من نفخه » بدل « نفخنا » . وعندئذ تكون الصورة اقرب الى الجملة الاعتراضية المقبولة وان بقيت خيوط الربط غامضة خفية ، يضاف الى ذلك ادخال نفسه فيما ينتقده ... ويبقى الشاعر سائرا في الخط نفسه عندما يقول :

هبط البلبل بالوحي على الروض وطارا
ابتلى من شرب الخمر فلاموه جهارا
ليت في كل حرام نشوة تعطي الخمارا
لترى الناس كما اني ارى الناس سكارى

لنه لا يتدخل ، ويبقى في حدود المراقب او الرواية . واذا تساءل متسائل : أي وحي ، وماذا كان ؟ جاء الجواب بانه صورة جديدة من صور الدجل القائم على التناقض بين العلن والسر ، او بين الظاهر والباطن ، او عودة الى الذي «يحرم الصهباء صباحا ويشربها مساء » ولكن الشرقي يمد النموذج وينقله من الخاص الى العام في اسلوب تفتيشي متحرك عائد بالوثائق التي يعود بها المفتشون من الوقائع .

في التشريع الديني لم تكن الخمر وحدها من المحرمات ، بل يضاف اليها كثير من الاشياء المعدودة من الكبائر التي تستوجب الحدود . ولكن الخمرة نمامة على شاربيها في الوقت الذي تبتعد بقية المحرمات عن النميمة وتحتفظ بأسرارها . والا فمن اين جاءت اللواقط ، مثلا ، لو كانت المحرمات كلها نمامة عما يجري وراء الستائر !.

في العالم الذي تخلص ، الى حد ما ، من العقد الذاتية والاجتماعية كثير من الاعترافات الكبيرة المدهشة . وفي العالم الباقي الرازح تحت عقده تشهد

عيادات الاطباء والمحاكم سيلا من الحوادث المثيرة . وذلك يشير ، ان لم يدل دلالة صارخة الى ان الواقع شيء والقوانين شيء آخر . واذا كان الواقع في واد ، والقوانين في اودية كانت نظرة الشاعر مستمدة من حركة الواقع، ومن صميم السير البشري . ولو قدر للنقد الذاتي ان يتبلور ويأخذ مكانته في الحياة لما كانت لهذه « الامنية » حاجة . ورؤية الشاعر لا تتعدى في روحها وجوهرها رؤية المسيح في دفاعه عن مريم المجدلية : « من لم يخطىء منكم فليرمها بحجر » واذا اختلفت عنها فلا تختلف بغير اسلوبها التهكمي اللاذع الذي يتجاوز اسلوب الوعظ الهاديء الساكن الى الاسلوب النامي الذي تتحرك فيه رؤوس الابر وشظايا الزجاج .

ميزة الساخر انه لا يجرد خصمه من المعرفة ، ولا يضعه في خانة الجهل، بل يضعه في خانة النفاق ، بينما الواعظ يتغاضى ، ويلقي اثناء تغاضيه قدرا من الاضاءة . ولذلك كانت السخرية اقرب الى الاثارة واشد عمقا في التحريك،

ان الذين رفعوا الايدي على المجدلية ، وحاولوا ان يوجهوا لها الحجارة كانوا يعرفون انفسهم كما يعرفون ان«الخطأ»او الخطيئة لم تكن من خصائصها الذاتية ، بل من خصائص اغلبية البشر ، ولكن المسيح تغاضى عن هذه المعرفة ووضع المشكلة في اناء آخر حتى يتجنب العناد ويصل الى الهدف بأبسط الامور . وربما اتخذ هذا الاسلوب من باب تدارك الحوادث قبل وقوعها ، لان الحجارة لم تزل على الارض ، او في الايدي ولما تنطلق ، بينما انطلق اللوم هناك ، ونزلت العقوبة بالشاربين ، واصبح الموقف بحاجة الى رد الصاع .. ومن هنا ولدت السخرية التي تمنت ان تكون النشوة في جميع المحرمات ، لا في الخمرة وحدها . ولو تمت هذه الامنية لما بقي سوى القليل في الغربال .!

كتب مرة احد الظرفاء كلمة بعنوان : « ما جره علي الصدق في يوم واحد » بعد ما قام بالتجربة . وما كاد يقترب المساء حتى كانت «قلة الذوق» و « السخف » وامثالها من الصفات تغمره وتفيض فوقه . وقد تنكر الناس

له . وابتدأ التنكر من اخته ، وامتد الى احب اصدقائه . والكذب من المحرمات المهمة . هذا على الصعيد الفردي ، اما على الصعيد الاجتماعي والسياسي فالمسألة اكبر . ولو سقطت الاكاذيب من الصحافة والاذاعة والكتب وغيرها من وسائل الاعلام لما كان «غوبلز» غريبا في هذا العالم . والفرق بينه وبين غيره انه كان اكثر حماقة ، واكثر وحشية . وكانت حماقته وحماقة رفاقه في المانيا النازية من حظ البشرية .

معنى ذلك ان نظرة الشاعر مملوءة بالتجربة ، وان « النشوة » لو كانت في جميع المحرمات لكان معظم الناس سكارى ..!

من ناحية الفكرة او المضمون لا غبار على الابيات ، اما من ناحية اللغة الفنية فلا تختلف عن الابيات السابقة ، فكلمة « اني» فرضها الوزن اكثر مما فرضها الفن ، والتعبير عن المضمون تكفيه بقية الكلمات : « لترى الناس كما أراهم » تقول بثينة : « وكما تراني يا جميل أراكا» . واذا كانت « النشوة» أول السكر فلا تستطيع انتعطي « الخمار » لانه الصداع الذي ينشأ عن الخمر .. وحتى لو كانت « سكرا » فلن تكون ذلك السكر القوي المؤدي الى الصداع . فالطلب منها ان تعطي الخمار تكليف بما لا تستطيعه. والشاعر يعرف اللغة واسرارها ولا تخفى عليه مثل هذه البسائط ، ولكنه كان يتسامح أحيانا .. سألته مرة عن « النفس » في البيت الثاني من قوله :

بين موتي وحياتي نفس   طالما نبه قوما قبس
نفس الشاعر لاتصويره   ميزة فوق المزايا النفس

فاجاب : « جميع الخصائص التي تشير الى التفرد بحيث تعرف القصيدة وتنسبها لصاحبها وان لم يذكر اسمه .» وأعدت السؤال : « هل تساعد اللغة على هذا التفسير ؟ » فكان جوابه: «الشرقي لايلتزم دائما بالقاموس..» ويظهر انه عدل عن رأيه فيما بعد ، لان البيتين محذوفان من القصيدة في الديوان ،وكانا في مطلع قصيدة « شهقات ».

في بعض الاحيان » تقتصر هذه الظاهرة على الكلمات ، بل تتعداها الى السياق حتى يبدو وكأن الخيط الذي يربط بين الكلمات مفقود او ضائع، او خفي كما يخفى الذهب في التراب :

ضاع النسيم وانما مفتاح قلبي الضائع
أأعيش ظمآنا ومن حولي تمج شرائع
كم مسجد يدعو لتفريق وقالوا جامع
الله صانع هذه الدنيا فما أنا صانع

فضياع النسيم ، ومفتاح القلب ، والعيشة الظامئة ، والمسجد خليط لا يؤلفه صورة متناسبة الابعاد ، ولا تتضح الا بكد ذهني وبحث عما وراء الكلمات من روابط .

فاذا ضاع النسيم ضاع القلب . ولكي نجد العلاقة بين « المفتاح الضائع » والعيشة الظامئة يجب ان نفهم بأن النسيم هو الحرية ، وان الجو الذي يعيش فيه الشاعر جو خانق . والمقصود به الجو الاجتماعي . وقد اشار لذلك في رباعية اخرى :

دعوا نظم السياسة في هدوء وثوروا للنظام الاجتماعي
أرى ثوب التطور مستعارا اذا هو لم تفصله المساعي
يمينا لو تبوعت الافاعي على صدري لما قصرن باعي
فشعبي لو تقوم له بشبر من المسعى تقدم في ذراع

وبالاعتماد على هذه الابيات يكون الجو السياسي بخير، والفصل بين السياسة والنظام الاجتماعي يشير الى سذاجة عجيبة لا تتناسب مع مستواه الفكري والثقافي . ومهما تكن وجهة نظره فقد كان ساكنا عن السياسة في عصره ، ان لم يكن راضيا ، بالرغم من فكره التقدمي . وفي ضوء النظرة

الى الانظمة يتضح الربط الغامض بين « الشرائع والمسجد ».

ان الشرائع واقعة بين « الظمأ » والمسجد . وكلتا الكلمتين تشدها اليها بقدر متساو من القوة . وهي تعني « موارد الماء » كما تعني « السنة » او « ما شرع الله لعباده من الاحكام » فاذا لوحظ « الظمأ » كانت ماء . واذا لوحظ المسجد كانت تشريعا دينيا . والكلمتان قرينتان تتجاذبان « الشرائع » وتحاول كل واحدة منهما ان تستولي عليها وتستأثر بها . واذا حاولنا ان نحل هذا التجاذب بجعل « الشرائع » تورية ، أبت التورية ان تدخلها في فصولها لان المعنى المشترك فيها يضعف في احد الطرفين ، ويقوى في الآخر :

فقـالت : رح بربـك مـن أمامي فقـلت لها : بربـك أنـت روحـي

فالظاهر من قوله : « انت روحي » هو الرد على قولها: «رح من امامي» والمقصود أبعد بكثير من الظاهر ... انه يعني : « انت حياتي » وهو اكبر بكثير من « ظلي » او «ابق» التي هي الضد لـ «رح». فهل تتحمل «الشرائع» مثل هذه المعاني .! وهل تقوى فيها أحد المعنيين على الآخر.! واضح انها لا تتحمل شيئا من ذلك . ولكن الخط الفكري الذي ينطلق منه الشاعر ونظرته العامة تكاد تؤكد ان المقصود بها « السنة » او ابوابها او « السدنة » الذين حملوا الامانة وخانوا الرسالة ، لان رسالتها دعوة الى وحدة الكلمة وتعزيزها . ولكن الذي كان هو العكس تماما . ومن هنا تحول الجامع الى اداة تمزق المجتمع ، وتحول روابطه الى هلهلة . وربما كان البيت الثالث في الابيات السابقة هو المقصود الاساسي من الرباعية كلها . وعندئذ تنصرف كلمة « الظمأ » عن مدلولها اللفظي الى شيء آخر .

وربما كانت هذه الرباعية خلفية لما جاء في احدى قصائد الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، الشاعر النجفي الآخر :

مشت الناس على ضوء الهدى للظلام

وتبعت القوم أعدو جاهلا ما أمامي
جرتي مملوءة خمرا وها أنا ظامي
ليتني أرشف فاها
عار فاسر لماها
ان في الجرة سرا كامنا لا أعيه

فالظمأ واحد ، والامنية متشابهة . وربما كانت « الجرة » هنا هي « الشرائع » هناك ، ولكنها ، على أي حال ، لم تكن جرة الاعشى، ولا الاخطل ولا ابي نواس . والدكتور عبدالرزق كان يسير ، الى حد ، في خط الشرقي قبل ان يكون دكتورا . وربما كانت ثوريته في شبابه اكبر من ثورية الشرقي . ولكنه انتهى كما انتهى اكثر اولئك الشباب الذين حملوا المصابيح الصغيرة، وبقيت النجف وهي تدور على كل تجدد ، وعلى كل ظاهرة تحاول تغييرها .

بغداد محمد شرارة

اخذ باخلاق اربعة

★ ★ ★

قيل ان عبد الملك برمروان استأذن بالدخول على معاوية بن ابي سفيان فأذن له . فدخل وسلم وجلس ، وبعد ان فرغ من حديثه قام وانصرف فقال معاوية : ما أكمل ادب هذا الفتى . فقال بعض الحاضرين . نعم يا امير المؤمنين اخذ بأخلاق اربعة ، وترك اخلاقا اربعة . اخذ باحسن البشر اذا لقي، وأحسن الحديث اذا حدث ، وباحسن الاستماع الى حديث ، واحسن الوفاء اذا وعد . وترك مزح من لا يثق بعقله وترك مجالسة من لا يرجع الى الحق، وترك مخالطة من لا أدب عنده ، وترك من القول والعمل كل ما يعتذر منه .

الدكتور شبلي الشميل

١٨٦٠ - ١٩١٧

بقلم: فوزي سابا

ولد بكفرشيما بالقرب من بيروت سنة ١٨٦٠ وتوفي بمصر سنة ١٩١٧. تلقى دروسه الاولية في مدارس بلدته ثم انتقل الى الجامعة الاميركية في بيروت وكان زميلا في الدراسة ليعقوب صروف صاحب المقتطف الذي قال في تعريفه:

« ... جاء الشميل المدرسة الكلية الانجلية ـ الجامعة الاميركية اليوم ـ سنة ١٨٧٧ وله من العمر حوالي سبعة عشر عاما فتجاورنا على مقعد المدرسة سنتين . شاب قصير القامة ، اسمر اللون ، مرتد الثياب الفرنجية يوم كانت نادرة الاستعمال ـ هو من كفرشيما ضيعة استاذنا ناصيف اليازجي ، وانا من ضيعة الشدياق ، وكلانا يود ان يحتذي بابن بلده ، فكنا نتنافس في اقتفاء أثرهما .

والشميل ابن بيت علم ، اخواه ملحم وامين معلمان ، ولهما تآليف في الفلسفة وابوهم من ادباء العصر . وفي سنة ١٨٨١ ترك شبلي الدراسة اذ صار طبيبا جسمانيا ثم عالما صريحا وفيلسوفا جريئا لا يحابي احدا .

كان حاد الذهن سريع التصور ، نابغة في التعليل ، المعيا في اكتشاف الحقائق ، وكان اشهر الاطباء في التشخيص الطبي فكأنما يوحى اليه ، وبلغت منه الفراسة انه علل حوادث كثيرة بالاستهواء الذاتي قبل شيوع هذا العلم في اوروبا .

وهو فوق ذلك ، ذو ذاكرة ماضية وقوة استحضار فائقة ، انيس المحضر

حسن المحاضرة ، فكه الحديث، طلق المحيا ، بشوش ، مخلص ، منصف ، ذو شجاعة ادبية تفوق الحد ، متغطرس على الظالمين ، متواضع للضعفاء البائسين، كريم لم يستفد من علمه ، ولو حرص على ماله حرصه على مقالاته لكان من الاغنياء ولعاش ميسورا موفورا . كان واسع الرواية قوي الحجة متحمسا لمعتقده .

وهذا النابغة العظيم هو زعيم فكرة التطور والنشوء والارتقاء في عالم الضاد . حاز شهادة الطب يوم كانت معركة النشوء والارتقاء حامية الوطيس في الغرب فنقل رحاها الى الشرق . قرأ عنها في المدرسة سنة ١٨٧١ فهزىء بها . لكنها شغلت باله ، فظلت تعمل في عقله الباطن ، حتى خطب عند نيله الشهادة في موضوع : « اختلاف الحيوان والانسان بالنظر الى الاقليم والغذاء والتربية » . وكل ذلك عن غير قصد منه .

رحل بعد نيله الشهادة الى اوروبا والاستانة فاطلع على المذهب في كتب اصحابه ، وكأنه يعلل تحوله الى هذا الموضوع فيقول : « ان تربيتي المدرسية لم تسمني بطابعها فان اعتلال صحتي في حداثتي لم يسمح لي بأن اكون من متخرجي المدارس ما خلا الطب .

بعد رحلته الى اوروبا للعلم والتخصص استقر في مصر وهو ابن خمس وعشرون سنة فاقام في طنطا عشر سنوات ممارسا فيها الطب ، ثم انتقل الى القاهرة سنة ١٨٩٥ ، وفيها اصدر مجلة « الشفاء » عام ١٨٩٦ فسطع اسمه في عالم الفكر والادب ، حتى صار من اعلام النهضة الفكرية في الشرق وكان في طليعة الذين علموا الشباب التفكير العلمي الحر .

عندما كان الدكتور شبلي الشميل يجلس في « السبلنديار » القائم بالقرب من ادارة جريدة الاهرام ، كان كبار المفكرين من علماء وفقهاء يتحلقون من حوله ، يصغون اليه ، ولا يناقشونه ، وطالما تجاوز العرف في نشر آرائه لتأكدهم من انه ، كما يداويهم جسديا كان يقدم لهم هذا العلم اصلاحا

وتحضيرا ، فنظروا الى آرائه نظرة احترام وقبول مما صدره على اقرانــه واحله مرتبة المعلم المثقف وعلى غرار الشيخ ابراهيم اليازجي الذي كان يقول لاي فقيه لغة الحنث ، كان للدكتور شبلي الشميل ان يقول لاي عالم انذاك اخطأت فالعلم هكذا ...

لكن الدكتور شبلي الشميل لم يقنع بعلم الطبيب ، بالرغم من قوله ، ان اعتلال صحتي في حداثتي لم يسمح لي بان اكون من متخرجي المدارس مـا خلا الطب فانه جمع غير ضرب من العلوم من اجتماع وتطور وارتقاء وعلـم الاحياء وفلسفة جدلية واقعية ، لنجده يقول :

ان اليوم الذي ينصرف فيه الانسان عن تنسيق الكلام الى اتقان العمل، هو اليوم الذي تتقوم فيه طباعه ، فتقل سخافته ويكثر جده ، ويقــل رياؤه وينشط من البذل ، ويرتقي ارتقاء حقيقيا ، ويحق له حينئذ ان يعد نفســه انســـانا .

والمزية الملازمة للدكتور الشميل انه جعل الفلسفة واقعا والواقع فلسفة، وبذلك استطاع مسح رواسب عصر الانحطاط من النفوس او على الاقــل تأهيل النفوس لمحاولة التخلص من هذه الرواسب ، فانه فتح بابا واسعـــا للتفاعل بين الفكر المعاصر وآخر التطورات التي وصلت اليهـــا الابحـــاث الاجتماعية في زمنه ، وكل ذلك بلغة بسيطة عليها طابع العلم وتحمل غير قليل من حيوية الاسلوب الادبي والنزعة الجدلية لنسمعه يقول في علم الهيئة :

ان كل حركة من حركات الانسان التي تأتي بداهة ، مهما خفيت ، اذا دققت النظر جيدا تجد ان لها مدلولا تدل عليه فهي لا تأتي اعتباطا ، ولكنهـا واقعة تحت شرائط وقوانين معلومة راسخة في الجسد كله ، ومتوافقة بعضها مع بعض بناموس المطابقة على ممر الاجيال بحيث ان كل مؤثر يطرأ على اي جزء من البدن يحدث فيه تأثيرا تهتز له سائر اعضاء هذا البدن ، وهـــــذا التأثير انما من مطابقة حركات العضلات التي يتألف منها الجسد لانفعالات

الاعصاب التي تنقل التأثير وتتأثر منه بحسب ما يكــون موافقا لهــا او غير موافق ، الا ان من هذا التأخير ما هو ظاهر لنا جيدا ويبدو لاقل عيان ، ومنه ما هو خفي . واشد اعضاء الانسان قبولا لهذا التأثير واعظمها اظهارا لــه عضلات الوجه بحيث ان أقل تأثير يشعر به الانسان يرتسم على ملامح وجهه ارتساما بديعا يظهر للمتأمل جيدا مهما اجتهد صاحبه في اخفائه حتى قيــل في المثل السائر ، والقول حق « الوجه مرآة الانسان » مرآة تدل على حبه وكرهه وانبساطه وانقباضه وقبوله واصغائه وتشتت افكاره ورغبته ورهبته واعتباره واحتقاره اعراضه سلامته وخبثه وصدقه ومكره وبساطته ودهائه وذكائه وبلاءته وانسه ووحشته ولذته وألمه ومرضه ، وبالجملة على كل حال من احواله الاصلية فيه والعارضة عليه . وليس للانسان لغة مشتركة بــين أفراده مثل لغة ملامح وجهه ، فالبشر عموما يختلفون في اللغات التي يتحدثون بها ، ولكن قلما يختلفون في هذه اللغة البديهية الطبيعية التي هي فيهم اعرق من اللغات الاخر الحادثة لانها لغة كانت للانسان قبل ان يتيسر له النطق بلسانه وباجيال عديدة ...

ثم يسترسل في وصف هذه التأثيرات وعلاقتها بالعضلات ودلائلها ومعانيها واشكالها ، كذلك نقرأه في علم الاجتماع من مقال بعنوان « تاريخ الاجتماع الطبيعي ».

ان البحث في العمران لم يكن في القديم الا من هم بعض الحكماء ولــم يبن على قواعد راهنة الا في هذا العصر وقريبا من هذا العهد وعما قليــل سيصير درس سننه من اول الضروريات للانسان لان ارتقاء الانسان في التمدن له نتيجتان لازمتان وقد طالما عدهما الناس متناقضتين ، وهما نمو الحيــاة الشخصية ونمو الحياة الاجتماعية معا . فقد كان الاعتقاد سابقا ان ما يبذله الفرد في مصلحة الجمهور انما يبذله من مصلحة نفسه وبالعكس . ولم يكن يظن ان بين المصلحين ارتباطا شديدا ولذلك كانت شرائع البشر في القديــم

أشد انحرافا لجانب الاستبداد واقل احتراما لجانب العدل في التعاون والاشتراك في المنفعة . ولم تتجل هذه الحقيقة كما ينبغي الا في هذا العصر ، اي بعد أن رسخت معارف البشر في العلوم الطبيعية وانجلى لهم بها ارتباط سنة هذا الكون فرأوا اتفاقا حيث كان سواهم يرى تناقضا ، وارتباطا حيث كان يرى انفصالا ، فرأوا مصلحة الفرد مرتبطة بمصلحة الجمهور وبالعكس ، ارتباطا شديدا حيث لا تتم حياة الواحد الا بحياة الاخر لانهم رأوا السنن الفاعلة في الاجتماع نفس السنن الفاعلة في الافراد . ولذلك قالوا ان الاجتماع لا تتم معرفة طبيعته وسننه الا بمعرفة طبيعة الافراد وسننها ، كما ان الجسم الحي لا تتم معرفة سننه الا بمعرفة سنن الكريات الحية التي يتركب فيها لان كل صفات الاجتماع في الخلق والاخلاق متصلة اليه من الافراد التي تؤلفه وكل صفات الافراد كذلك متوارثة فيهم ومنتقلة فيهم من الاجتماع، فاذا استقر بنا هذه السنن في تاريخ نشوءها الى اصلها الطبيعي ، خالين من الغرض والتشيع انتقل بنا البحث في الاجتماع من دائرة الشريعة والسياسة الى دائرة علم الحياة ودخلنا في قسم من العلم الاجتماعي يمكن تسميته تاريخ الاجتماعات الطبيعي لان البحث حينئذ لا يقتصر على الحكم الوازع والاجتماعات السياسية بل يعم الاجتماعات البشرية كافة حتى الاجتماعات الحيوانية منها ...

هذا من حيث العلم ، أما اللغات فانه كتب باللغة الفرنسية كما كتب باللغة الانكليزية تماما كما في اللغة العربية ، كذلك لم تقتصر كتاباته على النثر بل تعدته الى الشعر ، ولئن قصر شعره عن نثره فانه حمله كثيرا من الفلسفة والعلم ، نسمعه يقول :

هو الحب اكسير الوجود بلا مرا — ولولاه ما كان الوجود كما ترى
فكل الذي تلقاه في الكون سره — وهاديه في افعاله كيفما نحا
هو الحي مولودا هو الميت فانيا — هو النجم قد اسرى هو الصبح والدجى

هو الكل في كل ، معيدا ومبدئــا وما نحن الا فيه من صــور الفنــا

وليس فنــاء مــا نراه ، وانمـــا هــو العود للاولى هو البعث لـلالى

قضوا فجينا ، واقضينا بمـــودتا اليهم وغير ــ الكل ــ ليس له بقــا

بهذا الصفاء الذهني والدقة العلمية اجتاز الدكتور شبلي الشميل المراتب العلمية الى منصات العلم وبها ايضا تكامل ايمانه بانسانية الانسان ، فعمـل جاهدا على اسعاد البشرية فدوى صوته داعيا ومبشرا بنهضة حديثة تقـوم على ركنين المحبة والعلم •

بهذه الروح عاش وبها عمل فجند كل طاقاته للعطاء المثمر ، فـــأعطى واجزل ، على صوفية علمية ، تبني ولا تهدم الا الساقط من البناء فكان من المفردين الذين رفعوا اسم لبنان عاليا •

فوزي سابــا

عنوان مجلة « العرفان »

★ ★ ★

بـــيروت ــ لبنـــان

ص•ب : ٣٩٧٨

مجلة العرفـــان او نزار الزين

تلفـــون : ٢٥٦٥٥٠



عباس أبو الطوس

شاعر الوطنية والحب

١٩٣٠ - ١٩٥٨

بقلم: سلمان هادي الطعمة

من أبرز شعراء كربلاء في العصر الحديث ، كرس شعره ــ او معظمه ــ لقضايا وطنه ، لذا كان في الطليعة من مناضلي المدينة ضد الاستعمار البغيض والعهد المباد . وان الاطلاع على شعره يدلنا على مسيرة حياته .

عرف بين اقرانه بالصراحة والجرأة والحيوية ، وقد انعكست هذه المزايا الفريدة في شعره ، فجاء ملتهب الالفاظ ، صارخ المعاني ، لا يعرف المهادنة والتراجع والنكوص . فقد دفعه احساسه بالاوضاع الشاذة المحيطة به الى تصويرها تصويرا واقعيا معبرا ، واخراجها في اطار مؤثر يستلفت الانظار . هذه العوامل والاسباب كلها جعلت من عباس ابي الطوس شاعرا وطنيا مرموقا . ذاع اسم الشاعر نتيجة لكفاحه المرير ضد الاستعمار الغاشم ، وظل متنقلا بين جدران سجون الكوت وبغداد وبعقوبة وغيرها ، وقضى فترة عام ونصف العام نزيلا في تلك السجون ، التقى خلالها بفريق من الشعراء والادباء امثال السيد محمد صالح بحر العلوم وحسين مردان وزهير احمد القيسي ، وذاق خلال هذه السجون اشد انواع التنكيل والارهاب ــ كما

حدثتني نفسه ـ ومن مخاض المعاناة تلك كانت قصائد وطنية رائعة تلتهب حماسة وتفيض عواطف صادقة وتطفح بالالم والغضب •

انضوى الشاعر تحت لواء الحزب الوطني الديموقراطي الذي كان يرأسه المرحوم كامل الجادرجي ، تدفعه الروح الوطنية ، فنراه يعبر عن اعتزازه بهذا الحزب ، فيخاطبه في مؤتمره الخامس المنعقد ببغداد عام ١٩٥١ قائلا :

ثر على الظلم ولا تخشى النزاعا وامـلأ الدنيا نضالا وصراعا
وأسـط عنـك قيـودا طوقت جسمـك الحي وتأبى الانخلاعا
حطـم القيـد وسر قدمـا كما سـارت الاقطار للعز سراعا
وانطلـق نـارا كما كنت اذا عربـد الظـالم الهبـت البقـاعا
ثر على الغرب جحيمـا محرقا يغمر الطاغين خوفا وارتيـاعا
هـذه الانفس لـولاه لمـا عضهـا البؤس ولا العامل جوعا
وأسـير الكوخ لولاه لما عـاش في الارض غريبـا ومضاعا

وينتفض الشعب العراقي ضد المعاهدات الجائرة والحكام المستبدين عام ١٩٥٢ ويساق الالاف من المواطنين الى المجالس العرفية، والشاعر كمناضل تهزه هذه الانتفاضة كأي مواطن تشرب بحب الوطن ، فيهتف للجماهير التي صنعت الوثبة من اعماقه قائلا :

جددوها وثبة تحيـي الرجـاءا وتـدك الظلم والجـور سـواءا
وثبة صـادقـة لا تنثني من يـد البغي ولم تخشى التـواءا
وثبـة حمراء في شعلتهـا تغمر النفـس اعتزامـا وابـاءا
عمـت النهرين لمـا عصفـت في المجـالات بهـاءا وابـاءا
وعـلى الـوادي أثارت مشعـلا مستضيئا يمـلأ النفـس ضيـاءا

زعزعت (لنـدن) في قوتهـا واطـارت ما ترجيـه هبـاءا
واثارت اقسـا حـاقـدة تتحـدى جمـرة المـوت مضـاءا
وشبابا لا يبـالي ضرمـا ورصاصا فوقهـم يهمي وبـاءا

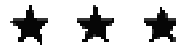
ويتقل الشاعر من سجن الى سجن ، والقيد في معصميه ، واهـانة السجانين تسلب منه الحرية والكرامة ، فيتعذب ، وتتمزق روحـه ، ويتمرد على سجانيه ، وينفث قصائده :لما يمثل كل ما في اعماق الجماهير من ألـم وغضب • فنراه وهو في سجن الكوت عام ١٩٥٣ يكتب الشعر معبرا عـن أحاسيسه المرهفة وخلجات نفسه المعذبة فيقول :

سيظل يحضنـك الشقـاء ويستبد بـك الالـم
وتمـوت نعماك الجميلة بـين انيـاب العـدم
وتزمجر البلـوى عليـك مثيرة فيـك السـأم
ويهـزك القيـد المثقل ساعديـك فلـن تنم
وصفـاء عينك يختفي وجيوش همـك تزدحـم
وعلى جمـال صبـاك يعتكف الشحوب ويرتسـم
ويلفك السجن المبـرح والشـدائد والنقـم
والوحـدة السوداء والليـل المكفـن بالظلـم
واذا شكـوت فما شكاتـك من اذاك سوى الضرم
واذا شـدوت فمـا نشيدك في اسـارك غـير دم

ونراه وهو في سجنه يسأله رفاقه السجناء عن التهمة الموجهة اليـه ، فيسأله احدهم هل هو قاتل ، هل هو سارق ؟ فالوطنية في تلك العهود كـانت

جريمة يحاسب عليها قانونه ،فتعال نستمع الى شاعرنا وهو يصفه هذه الحالة في رباعياته ، فيقول :

حببت بـــلادي وهي ام كريمــة ورحت الى ارضائهــا باذلا جهــدي
وكم قيل لي ما بال شعرك قد اتى شجيا من الايثار ملتهـب الــوقـد
وما علمــوا اني بحبك موطني جننت فلم احفل بعــذل ولا نقـــد
حياتي جحيم فيــك لكن احبـها وارفعها حتى عـلى جنــة الخلـد



وليــل به في السجن بت مقيــدا اراعي ظلامــا فوق رأسي مخيمـــا
هنــاك دنا منــي سجين منــاشدا يساءلني عمــا جنيـــت ليفهمـــا
فقال سرقــت الناس أم أنت قــاتل فقـلت وجمر الحزن في تضرمـــا
حببت بـــلاد الرافدين وأهلهــا ومن اجلها يــا صاح سميت مجرما

وعندما تندلع ثورة الجزائر يصفق لها الشاعر ويغني بكل عنف وبكــل صدق احاسيسه العربية المنطلقة الى الغد الافضل • فنراه في قصيدته الــتي نظمها عام ١٩٥٧ يحيي فيها ثوار هذا القطر العربي المناضل ، معبرا عن حقده الدفين على الاستعمار وثقته بالمناضلين من ابناء الامة العربية ، فينشد :

سأقتحم المــوت ولا انحنــي من فــزع للغــاصب الارعــن
وأضرب العــدو في قلبـــه واطرد الاشرار عن مـــوطنـي
الحقــد يسري في دمي صاخبا مندفعــا كالعاصف الادكـــن
فليقــدم البـــاغي الى ساحتي ويركــض الوحــش على السوسـن
هـــذا سلاحي في يــدي لم يزل يحصد اعــدائي ولـــلا ينثني

وتراه في غزله يكتب عن تجربة صادقة ومعاناة عميقة ، فهذه ابيـــات يعبر فيها عن حبه للبلاد ، يقول :

فـديتـك ليـــلاي ان الهوى تسعر كـالنار بـــين العـروق
وهـــا انــا حيران ارعى الدجى واسكب لحن الغرام العميـق
واصغي لوقــع الخطى العابرات ودمدمـــه الريــح عبر الطريـق
تعــالي فـــدي عينك الساهمه ورؤيـــا غلالتـــك الحـالمـة
تمرين في قفـــلة كـلهــا حنـــين واغنية نـــاعمـه
حنانيــك لا ترهقي شـــاعرا تلظى بآهاتــه الظـــالمــــه

الالم يطغى على شعره ، ففي قصيدته (رسالة) نراه متخوفا من حبيبته يكتب لها بتوجس ورعشة ولهفة ، فقد عوده زمانه ان الاذى يلاحقه والتعسف يسرق منه كل شيء ، فحبيبته يخشاها ويحبها ، وهي تكاد لا تثق بالحب ، لذا فهو ممزق ضائع حائر متمرد . اسمعه يقول :

كتبت الي تقـول يــا صـب خـل الهـوى ان الهـوى صعـب
أنا لا احبك في الحيـاة ولا اهنـــو الى صـب ولا اصبو
نظراتـــك الولهى تخـوفني قـل لي أبـين عيوننـا حرب
وخطـاك حين أسـير تتبعـني حتى اخاف يمســني الريـب
هيهــات لمنحك الرجـاه ولو هوت السمــاء وخرت الشهب
الحب آثـام مسلسلـــة فيـه الخـداع المـر والكذب
كـم غـادة عذراء دنسهــا عـار الرجــاء ولعنها العيب
فغـدت بلا شرف يـلاحقهـا الخـزي واللعنـــات والسـب
جانب هواي فكـــم تبادلني برســائل يطفو بها العتـــب

مع هذا كله ، فشاعرنا رقيق الطبع ، مرهف الحس ، جياش الشعور والعاطفة ، يكاد يذوب وجدا وصبابة ، اسمعه يتردد :

رفقـا بصبك ايها البدر فلقد اذاب فؤاده الهجر
حتام تجفوه وتتركه هيمان لا فكر ولا صبر
يرعى الدجى حيران مضطربا وكذاك حين يضمه الفجر
وتثير لوعته اذا خطرت ريح الصبا ويهزه الذكر
لا الروض يبهجه بمنظره فرحا ولا الاوتار والخمر

ولم يمض طويل وقت ، حتى انبثقت ثورة الرابع عشر من تموز ، فانطلق الشاعر يعانق صاحبه الجديد وامله المنشود الذي تغنى به طوال اعوام. وهنا تجلت شخصية الشاعر بشعره ، فكانت قصائده اعاصير في وجوه الغاصبين. وها هو يهتف للثورة ويبشر بها بقوله :

ثار العراق على القيود بالعزم والامل الوطيد
أقسى من البركان بل اقوى من الحتف المبيد
ليدك طغيان الفساد ودولة البغي العتيد
ثار العراق كما يثور البحر صخاب الحدود
بالشعب يعصف كاللظى بالجيش يطبق كالحديد
فاذا بشمس الغاصبين تغيب عن هذا الوجود
وسماء بغداد تدوي بالهتاف وبالنشيد
والمجرم السفاح يسقط تحت اقدام الجنود
الله أكبر اي نصر لاح في البلد التليد
الله اكبر أي مجد شاع في خفق البنود

ثار العراق على القيود بالعزم والامل الوطيد

ولا يفوت القارىء ان الشاعر كان يعاني الكثير من الآلام النفسية الناتجة عن حياته المريرة وظروفه القاسية التي عاشها ، والمرض الذي لا يكاد يبارحه ، وكان في نفسه ألم مكبوت ، وفي روحه لوعة خافتة ، وكانت الظروف السائدة تحول دون ان ينفس عما يعتور نفسه ويجيش في فكره .

وبينما كان يعيش افراح الشعب بانتصار ثورة تموز اشتد عليه المرض، فلم يمهله الزمن ليعيش حياة اطول . وفي مساء يوم ٢٤ـ١٢ـ١٩٥٨ سقط الشاعر فجأة على الارض مغشيا عليه ، ونقل الى المستشفى الحسيني بكربلاء، وبقي تحت رعاية الاطباء يومين كاملين ، لم يجد منهما نفعا ، حتى فارق الحياة صباح يوم السبت المصادف ٢٦ كانون الاول عام ١٩٥٨ م، وشيع جثمانه من قبل اصدقائه تشييعا يليق بمكانته الى مثواه الاخير في وادي كربلاء.

ومن معاشرتي للشاعر ابي الطوس وجدته شابا ذكيا ومثقفا ، متعدد الجوانب ، ذا خيال واسع واحساس مرهف ، ونفس صافية ، وخلق كريم . وما زلت اذكر ايامنا الحلوة على ضفاف نهر الحسينية بكربلاء ، حيث النسيمات العليلة تداعب الذكريات ، وحيث كنا نتطارح بالشعر الوجداني والوطني، فتمر الساعات جذلى دون ان نحس بانقضائها . وان كنت انسى فلن انسى تلك الاجتماعات الرائعة التي كانت تضمنا مع الشاعر ونخبة من مفكري البلد، وابو الطوس كان يسرد لنا ذكرياته في السجون والمعتقلات ، ثم كان ينتقل فجأة بفرح طفولي عن نظرته الى الحب ومعاقرته بنت الحان وما كان يفعل دبيبها الناعس . لله ما أحلى هذه الذكريات وما اجملها !!

لقد توقف ذلك القلب النابض الذي وهب الكثير ، واحترقت شمعة ابي الطوس لتنير درب الحرية ، كما احترقت من قبل شموع العديد من الشعراء الذين وهبوا حياتهم وشعرهم من اجل قضية بلادهم . ولو قيض له ان يواكب الثورة ، لغنى لها بأروع الاناشيد .

كربلاء ـ العراق سلمان هادي الطعمة

شاعر عبقر : شفيق المعلوف وطيب ذكراه

بقلم : المحرر

في ملعب الكلية الشرقية ، في الدار نفسها حيث تمتم شفيق المعلوف اول أبياته جرت تظاهرة شعرية وادبية احتفاء بذكرى شاعر عبقر ، شعراء وادباء من لبنان وسوريا والاردن وآخرون بعثوا بقصائدهم وكلماتهم من مصر والعراق حتى من باريس ، انشدوا على ضفاف البردوني فردوا الى زحلة حكاياتها مع الكلمة •

وحضر المهرجان اكثر من الفي شخص ، في طليعتهم وزير التربية والفنون الجميلة الدكتور اسعد رزق ممثلا رئيس الجمهورية ، والدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة والارشاد القومي في سوريا ومحافظ البقاع السيد هنري لحود والشيخ كميل جمجم المدعي العام التمييزي والسيد فوزي غازي ممثل نقيب المحامين والاباتي شربل قسيس والارشمندريت سمعان عبد الاحد عضوا « الجمعية اللبنانية » ، ونواب زحلة جوزف سكاف وحسين منصور والياس الهراوي وسليم المعلوف وعدد من الوزراء السابقين والرئيس والاعضاء في بلدية زحلة ـ المعلقة ، كما حضر من البرازيل ابن الشاعر اسكندر وابنتاه منى وروزي •

اقيم المهرجان في ملعب الكلية الشرقية وارتفعت فوق المنصة صورة للشاعر حفرها في الخشب الفنان الزحلي جميل ناضر ضمن علم لبناني من الزهور • وافتتح في الرابعة بالنشيد الوطني ، ثم قال عريف الحفلة جان بخاش « يكتسب هذا الاحتفال في هذا الظرف بالذات معنى وبعدا يطرحان عنا

حجاب الايام السود ويشكل في مستواه الادبي والتمثيلي الرفيع الجامع فاتحة خير وامل لعودة لبنان التصافي ولبنان الاخاء ».

وتكلم الدكتور اسعد رزق : « يسعدني ويشرفني فيهذا المهرجانالادبي ان أمثل فخامة الرئيس الياس سركيس الذي اصر على المشاركة في احياء الذكرى ليدلل على رعايته للثقافة والعلم . ومما يزيدنا اعتزازا ان تقام الحفلة التكريمية في مسقط رأس الشاعر وفي الكلية الشرقية بالذات التي أعطت لبنان قيما عبر رجالات خرجتهم » . واضاف رزق ان والده توفيق تلقىعلومه الابتدائية في الشرقية حيث رعاه عيسى اسكندر المعلوف والد الشاعر. وختم ان الحكومة اللبنانية قررت المساهمة في تخليد ذكرى الشاعر فمنحته وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الاولى . وسلم الوسام الى نجل الشاعر بناء على تكليف من الرئيس سركيس .

وتلا عريف الحفلة رسالة اعتذار من الرئيس سليم الحص لعدم تمكنه من الحضور تقلها الى لجنة التكريم الشيخ خليل تقي الدين .

واعطيت الكلمة للدكتورة نجاح العطار فتكلمت بلهجة الاديبة لا بلهجة الوزيرة وبغنائية تفذت وبحة شامية وبالقاء انثوي وخرجت بان النجوم قد تنطفىء لكن القصائد تبقى متألقة خصوصا قصائد شفيق المعلوف وطرب الجمهور لها وصفق لكل مقطع .

وتبعها الاب ابرهيمنعيمه رئيس الكلية الشرقية ورئيس لجنة تكريم الشاعر ، ومما قاله : « لو سكتنا نحن عن هذه الذكرى لنطقت دفاتر الشرقية العتيقة بل لنطقت هذه الحجارة بالذات وهي التي شهدت تبرعم عبقرية شفيق المعلوف وتفتحها في نيسان الشعر ».

واعتلى المنبر مار اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك السريان الارثوذكس وعضو مجمع اللغة في دمشق ، فتحدث عن قيمة الشاعر الانسانية التي توازي قيمته الشعرية . وتكلم الشيخ خليل تقي الدين ، ثم الدكتور فؤاد افرام

البستاني منطلقا من تحديد لامارتين للشاعر بانه « اله هابط الى الارض من كريات السماء » ، وقال عن الشاعر انه «تواق الى التفلت من عوالم الارض والعوالم الاخرى وتواق الى فردوسه الاصيل ويظل الشاعر مضطربا حائرا ما لم يكن له ذلك» . وقال ان «شفيق المعلوف احد ممثلي الشعر اللبناني الراقي الذي كان ولا يزال ينفح الشعر العربي بتلك الوحدة الشعرية ضمن التنوع، وحدة بنائية شاملة على تنوع الاجزاء واختلاف الانغام والالوان » .

وتكلم الاستاذ عيسى ابرهيم الناعوري من الاردن . وألقى الاستاذ احمد الجندي من سوريا قصيدة ، احد ابياتها :

لقـد كان شعرك مثل الزهر تقطفه ونجتني العطر من آيـاته الجـدد

ثم تلا السيد محمد سليم رشدان من الاردن دراسة عن تاريخ الاساطير عند العرب ، مبينا كيف استطاع شفيق المعلوف ان « يعصرن » الاسطـورة باسلوب شعري فيه شيء من الصلاة والتقرب من الله ، وألقى الشاعر عبدالله يوركي الحلاق صاحب مجلة «الضاد» في حلب قصيدة « سفر الخلود »فضرب على أوتار بطولات الزحليين وانتزع تصفيق الحضور .

واعطيت الكلمة لرشدي المعلوف شاعر البيان والجمالية وشاعر اللفظـة المفاجأة وشاعر المعنى المتعذر احيانا واطل راجي الراعي وكأنه شيخ مـن التاريخ اتى بصوته المجلجل وهو في الثمانين ، ليقول « ان شفيق المعلـوف كان الناثر في شعره ينظم فيه عقودا من الذهب ». وسرد حوارا بين الشاعرية الثائرة على موت شفيق والموت الضاحك المستهتر .

وجاء سعيد عقل فاهتز مكان الاحتفال تصفيقا ، والختام كان للشاعـر رياض المعلوف فألقى باسم العائلة في الوطن والمهجر قصيدة ثم كلمة شكر.



وزيرة الثقافة السورية: اغا لبنان هو عبقر

مجد الفن لا مجد المجد ، عرشا كان او سدرة منتهى ، هو وحده ، في الجبابرة ، الجبار الاكبر ، ودونه ، على عتباته ، يرتمي الكل ، لانه الاعلى، ولا قيـاس .

هكذا ، صرحه الاعظم ، يبدو شاهقا ، اين منه الخورنق والسدير ، واين منه ، في عصرنا ، ناطحات السحاب ، الكل يتطامن ، فالاتي في موكب عبقر جليل ، جلالة الآتي بهيا على الماء ، او السائر في السحب غيمة بيضاء هـي المخمل ملمسا ، وهي الهزيم دويا ، ففيها تنبت ازاهير السحب ، وفيها تتفجـر موهبة الذي هو من آلهة الاغريق على نسب ، لانه على جبل ولد ، ومـع المعجزة كان له موعد .

ويشمخ الفن ، فقل للاولمب تواضع ، ويزهو ، فقل للدنيا ارفلي بعباءة من وشي أجنحة الفراشات ، وينطق ، فيا بلابل الدوح كفي ، لان لحنـا ما عرفه وتر ، يتصاعد من الارض صلاة للسماء.

اقول رحلة بلد الالحان ، تلك التي عزفها الجن يوما ، على قيثارة فريدة في القيثارات ، ان عصف الرياح في وادي « العبقريين » ما كان تتمـة، كان زعزعا روضه « بساط الريح »، ذلك الذي كمركبة ايليا صعد ، ثـم صار رهوا ، وعلى متنه انسابت الحمائم البيض ، وفي اجوائه تعالت الابتهالات رقيقة شجية مريمية حينا ، داوية نحاسية فاغنرية ، ومن هذا المزيج النفسـي تشكل عزف « المعلوفيين » الذين كانوا في الشعر جوقة واد ، علم الاودية كيف يصاغ من الصوت والصدى مزمور لم تعرفه ، في عزها ، مملكة المزامير .

كل هذا ولم ترض ربة الشعر.

قيل ان فتى عشق اميرة يوما ، اشترطت عليه مهرا لها ان يجمع ثـروة

من النجوم ، « كيف يا اميرتي ؛ قال الفتى ، النجم بعيد ولن تطوله يدي » . فقالت الاميرة : « من لا تطول يده النجوم عليه الايتزوج الاميرات» . وادرك الفتى الا مناص ، وان عليه اذا اراد الزواج منها ان يخرج كل ليلة الى رابية عالية ، ويبقى ثمة ساهرا ، لعل نجمة ترأف بحاله فتسقط بين يديه .

ومر به ذات ليلة شيخ حكيم ، فسأله عن حاله ،قال الفتى : « انتبي اقطف النجوم مهرا لاميرتي » . قال الحكيم : « وكم نجما قطفت »؟ قال الفتى : « ان يدي لا تطول النجوم ، ولهذا انتظر ساهرا ان ترأف بحالي فتسقط بين يدي » . قال الحكيم : « لكن النجم لا يسقط يا بني ، واذا سقط انطفأ فأضحى رمادا . عليك اذا اردت ان تجمع ثروة من النجوم ، ان تقطفها قطفا » . قال الفتى : « لكن ذلك لن يصير ابدا ، فالنجوم بعيدة ، واين انا منها ؟» . قال الحكيم : « ليس ثمة بعيد مع الهمة البعيدة ، وكل شيء له ثمن» قال الفتى : « وما هو الثمن الذي علي ان ادفعه ؟» . قال الحكيم : « ان تبقى مكانك ساهرا » . قال الفتى : « ابقى ساهرا حتى اموت ؟» . قال الحكيم: « حتى تموت ، وهذا هو قدرك ، فانت لاتستطيع قطف النجوم وانت لاتستطيع الاقلاع عن قطف النجوم ، وستعيش قلقا ، متأرجحا في حبك بين شك ويقين، وهذا اعمق الحب واعذبه » .

فانتحب الفتى بعضا من الوقت ، لكنه سرعان ما استرد العزم فقال : « لسوف اقطف النجوم ايها الحكيم ، وسأتزوج اميرتي ، ان يدي لا تطول النجم ، ولكن من قال لن ابلغ ان ارتفع اليه ؟ » فابتسم الحكيم وقال : «سأمر بك من قابل لارى كم نجما قطفت » . وودعه وانصرف ، فلما كانت السنة مر به ثانية ، فوجده حيث هو ، ومر به سنة بعد سنة ، حتى نضج الفتى وتجمع لديه بدل النجوم عقد من قصائد ، وعندئذ قال الحكيم : « اذهب الى أميرتك انك جمعت مهرها » . قال الفتى : « ولكنني لم أقطف نجما واحدا بعد » . فقال الحكيم وهو يربت على كتفه : « انما ارادت

أميرتك ان تصوغ لها قصائد شعر لا ان تقطف لها نجوم سماء ، النجـــوم تنطفىء اما القصائد فتبقى متألقة ».

ان الشعراء هم قاطفو نجوم ، وتلك هي الحكاية ، غير ان عليهم ، في الوصول الى بغيتهم ، ان يسهروا ، ان يشقوا ، ان يصوغوا من نبضات قلوبهم كلمات قصائدهم ، ودون هذا الشرط ، لن يبلغوا ان يأتوا اميرتهم فرسانـا على خيول مطهمة .

وقطف شفيق المعلوف نجوما كثيرة ، صار غنيا وامواله نجوم لا حصـر لها ، امتطى متن شيطانه الشعري الى «عبقر»، وهناك طوف بين البلـــدان المرصودة وابالسة الابراج ، ومر بالطريق المسحورة واكل من اشجـــار النبوءات ، وحينما ، في وادي «العبقريين» ، شاهد رفاتهم وسمع همـــس جماجمهم ، ظلت احلامه كبيرة الى غير حد ، لانها احلام هوى ، هو في الشعر روح الشعر :

لكنمـا احلامنا لـم تـزل ترقص سكرى فوق غلف المقل
حاملة للنـــاس خمر الهوى مشعـــة خلف كـؤوس الامل
احلامنا نحـن فقـل للألى شـادوا لنا الانصاب اكبـارا
احلامنـــا كن لطافا فـلا تصيروا الاحـــلام احجـارا

ونسأل : لماذا اختار شفيق المعلوف ان يطوف في ارض الجن ، ناسجـا من الاساطير والخرافات اناشيده ؟ هل اغرته جدة الموضوع ؟ طرافته ، رؤاه الغريبة ؟ كل هذا معا ، وفوقه ان الشاعر في تلك المعمارية الملحمية ، اراد فتحا في عالم مجهول ، يذكر بالمعري وداتني ، ويزيد انه جمع في ملحمته روحا شرقية غربية ، فيها من الشرق تهاويله ، ومن الغرب ولمه الفلسفي في استقراء الاساطير وما وراءها ، ووفق الى ذلك بحيث جاءت « عبقر » نشيدا عبقريا ضخما في ذاته ، وكان رئيف خوري على حق حين قال : « اذا تقدم ميامين الشعر العربي

المعاصرون ، يقرعون باب الخلود وبايديهم جوازات سفرهم ، حق لشفيق المعلوف ان يكون في اول الداخلين وبيده « عبقر » •

ومثلما كانت لذلك الفتى الذي اراد قطف النجوم ، اميرة محبوبة ، كان للشاعر اميرة محبوبة ايضا ، ومن اجلها ، ومعها ، في الظن ، راد المجهول في الوادي الذي ترتع فيه قبائل الجن •

فعبقر ما صعدت فيهضباتها وحيدا ولا طوفت فيها بمفردي
فلي في تلقي الوحي عنها نجية اجوز بها الدنيا وفي يدها يدي

وليس مصادفة ان تكون اميرة الشاعر على عناد وعصيان كذلك • ان درب الشاعر بالاشواك ، كما بالورود ، مزروع ، والاميرة تدفعه الى العلى، الى المستحيل ، ليتمرس بالصعاب ، فيدفع من دمه ثمن حبه • وقد تسببنا تلك الكلمات المزمورية المنثورة في « ستائر الهودج » الى نجيته روز فرح معلوف، ولكن من يدري ، فقد تكون هي وقد تكون سواها ، تلك الاميرة التي جعلته يسهر الليل على راية النجوم •

اميرة للجن قد ابرمت قبائل الجن بعصيانها
حزن بها فانها لا تني تقضي الى الغاب باشجانها
مست بروح ليس من عبقر غادرها غرقى ببحرانها
لم تجده رقية عرافها كلا ولا حكمة كهانها

ان للاميرة الجنية في « عبقر » معادلا انسيآ في ستائر الهودج • «هجرت الوادي ـ يقول ـ فطويت السهول والهضاب ، ووهبت عصاي اعمى الطريق وزعت زهرة على كل عابر ، وحمل اليك العابرون زهوري ، فقطرتها في اناء اخفيته في صدرك ، كيلا يتنشق طيبه سواك • كانت بساتين الغوطة في ثياب العرس ، وجذب الزهر الاغصان الى الارض لانه مثقل بالطيوب ، وهمت في

غمرة من ضياء الربيع ، فاذا بي اراك بين الظلال ، يا حلم الشاعر على ضفة النهر البعيد » .

مع الاميرة يأتي الوطن . تأتي امه . بورك الوطن الام ، فالحنين يطيل ليل الشاعر وتتعب اوتاره من شدة العزف ، ولا يبرح في غربته يناجي وطنه ، ليس الأصغر ارضا ، بل الاكبر معنى ، لبنان الذي هو « قبلة الله » ، والسفينة تلوح راقصة على مناكب الموج ، وصورة الام تلوح على حوافي الافق :

لان امي حين القاها ان طوقتني بذراعيها
لقيت في بؤبؤ عينيها ألذ ايامي وأحلاها

وبعد الامير والوطن تأتي دمشق « مرضعة الابوة » التي لا تعق :

سألتك يا دمشق ونحن قوم يوحدنا المصير فخبرينا
ايمضي الناس في طلب الدراري وتنفتح السماء (لفاغرينا)
ونحن على الحدود قد اتقفنا وليس على عبور العابرينا
سألت دمشق يا اخت المعالي ولؤلؤة العصور الاولينا
مرقصة النجوم على مطاوي بيارق لن تذل ولن تهونا
اموقظة البطولة من كراها ألبست القبر للمتغطرسينا
اذا شهر السيوف العرب يوما وملن على أكف الضاربينا
يمر بهن سيفك مستهزا فيخلين الطريق وينحنينا

الشاعر سأل دمشق : « ألست القبر للمتغطرسينا ؟» ودمشق اجابت ، ليس في التاريخ ، ولا في الكتب التي قرأ فيها الشعراء مجدها فحسب ، وانما ايضا في واقعها ، في تشرينها ، وانتم تعلمون ما كان تشرينها .

غير ان دمشق ، وهي قبر للمعتدين ، كانت ولم تزل صدرا حنونا دافئا

للاشقة ، وبدا تسلم الجراح ، حين جراح الاخوة جراحها ، وحين في سعير الفتنة ، يتطلع الذين ينزفون اليها .

فيا شاعر « عبقر »، دمشقك في الرجاء كانت رجاء لا يخيب ، ولن يخيب ابـــدا .

اما انت الذي يقول في قصيدته الخرساء :

هل الفضل فضلي ان تكنجن عبقر تداركن شعري بالبيان المجود
حنون على عودي فسلت اناملي له وترا من شعرهن المجعد
بنيت لنفسي معبدا ولحكمة اشاد بها الكهان هدمت معبدي
وما انا في شعري سوى قلب مؤمن اطل على الاحياء من جفن ملحد
سلكت سبيلا قد اكون ضللته وربة غاو بالغواية يهتدي
وهل عبقر الا وميض خلابة يلوح على افق الشباب المورد

اما انت ايها الشاعر ، فاسمح لي ان اعرف فضلك فيك ، وان التمس آرض « عبقرك » في ارض لبنانك .

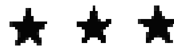
انما لبنان هو عبقر ، انما لبنان هو عبقر ، انما لبنان هو عبقر .

الدكتورة نجاح العطار
وزيرة الثقافة والارشاد القومي
في الجمهورية العربية السورية



قصيدة رشدي المعلوف

هـو ذا الامير فصفقي يـا عبقـر عـاد الوفـاء بـه وحـن المنبـر
ملأ الكواكـب من جمـالك رونقـا وسنـى وآب اليـك حيث المصـدر
هي صحبـة الدنيـا فلما ملهـا هـاج الحنـين به وتـاق الجوهـر



يـا شاعرا هو سـاحر لا شـاعر بخـلوده كـادت تضيـق الاعصـر
اهدى الخيـال اليـه رقية فنـه فـاذا البنان ملحـن ومصـور
كم لفظـة جاءت مفـاجاة وكـم معنـى اتى وكـانه متعـذر
اقصى الصعاب عليـه ما يلقـاه من حسـد القوافي ايهـا يتخير
دانـت افانيـن القريض لوحيـه فكـانها من جنده مـا يـامر
فالرصـف طبـع والجزالـة شيمة والفكـر والابداع حـظ خـير
ولعل آيـة فضله ديبـاجـة من غربـة الشعـر الجديد تحذر
يزهي الحضـارة انهـا مضمـاره في مـا يسطـره وفي مـا يضمـر
ومن البـلاغـة ، نكهة واصالـة أن لا نبوح وان تبوح الاسطر



يـا منصف الحـب المرفه والنهى والحسن والادب الرفيـع اتذكـر
ايـام كنـا في رحابـك عصبـة نستمليـك الفنيـا ولا نستاثـر
نهدي العشيـة فجرها وبودنـا لـو ان ماثرة الـدجى تتكـرر
سمار شـعـر ان اضـاه رحيقه نسـطو على الفن العريق ونسكر

ويهزنـــا شطط المـذاق فمدمـــن لا يستسيـغ ومستجـد يشكـر
ويقـوم بيـن عميقنـا وانيقنـا جـدل تضج به السماء وتكفر
حتى اذا عقـدت عكـاظ لواءها نصفـي ونابغة الصواب يقـرر
ويطيـب مجلسنـا وسيـدة الشذا وجـه يفيـض رضى وقلـب يغمـر
... نعمى من العمر السخي كـانها في الذكريـات ثمـالة او عنبـر

★ ★ ★

اشفيق والاحـلام انت شفيعهـــا مـاذا اقـول وبؤسنا مستنفر
في يـــوم واديك الظليـل يسؤتـي ان اجرح الذكـرى بمـا اتـذكر
لبنـان ، معبـدك الـذي غنيتـــه لبنـان هذا المـارد المتحضـر
لبنان قلب اللـــه ينبوع المنـــى ذاك الذي لـولاه جف الكـوثـر
سفر الطمـــوح البكر ملحمة العلى اسطـورة الجبـل الذي لا يقهر
يهنيـك انـك لم تزره بعدمـــا فتحوا له باب الجحيم واسعروا
فاذا النفير هو الضمير فلا يـد تزجـي الجنـون ولا سماء تخفر
واذا الاحـب من اللقاء مـــمزق واذا الاعـز من البنـاء مـدمر !
... هي منـــة للمـوت لولا انهـــا جـــاءت تروع انفسا وتكبر

★ ★ ★

لبنـان هذا الحلم هذا المرتجـى هذا العطـــاء الفـذ هذا الاكبر
كنـف الجـــآزر والمروءة شرعة وعـلى الصروف عريـن ليث يـزأر
آخذت جهالتنا عليه ومن غـــدت سبـل الجهـالة دربـــه يتعـثر
اتـراه كان مقـدرا ومحتمـــا ام تلـك زلتنـــا التي لا تغفـــر ؟
مـا أي وللماضي لعل لنا غـدا هـو واحـــة التاريخ او هو انضر

من عنفـوان شبـابه وترابـه نبـني معـالم مجـده ونكـفر

★ ★ ★

يا من يعيش مع اليقين وفي الرؤى وعلى الشفـاه اصادق ما خبروا ؟
اي القبـور بوسعهـا الا ترى فيك الحيـاة واي مـوت يجسـر
احـلى قصـائدك التـي ابدعتهـا خلـق هو الشعـر النقي واعطـر
جـود الـذي ملا الوجود تيمنـا وتنعما لـم لا يعـود ويظهـر ؟
من فرط مـا انـا مؤمن ببقـائـه الهـو عن الخطـب الاليـم واصبر
واكـاد امنع اضلعي من شجوهـا فالشجـو عند المؤمنـين تطـير
قالوا غصصت فقلت عفوا انمـتي عن مهرجـان الشعـر غاب الاشعـر

★ ★ ★

اخي شفيق معلوف

القيت في حفل تأبين الشاعر شفيق معلوف الذي اقيم في الكلية الشرقية بزحلة يوم ٢٦ \ ٦ \ ١٩٧٧

حزن الشعـر يـا اخـي وتأثـر وبكـى حسرة عليـك المنبـر
والقـوافي تيتمـت نائحـات باكيـات عليـك كـم تتحسـر
احرق الدمع مهجتي ضلوعـي يـا لدمـع كالنـار ملء المحجر
جمـد الدمـع في عيوني حزنا وعلـى جفنـي الكئيـب تسمر
يـا شهيد اليراع والوطن الغالي الـذي مجـده بمجـدك يكبـر
عمرك الان بالخلـود مديـد انمـا في الحيـاة كان الاقصـر
نحـن كنـا ثـلاثـة نتغـنى من ضفاف الوادي لارض المهجر

فاحتللنا في دولة الشعر صرحا   اثر صرح ومنبرا بعد منبر
كان فوزي على بساط مع   الريح وراح الشفيق يقصد عبقر
وانا في الحياة صرت وحيدا   بين هذا وبين ذاك محير
لست اخشى الممات بعدكما اليوم   وماذا في فضلة العمر احذر
فالى موعد قريب لقائي   معكما في الاثير .. لن اتاخر
شعرك السحر والبلاغة فيه   فهو عقد منمنم ومجوهر
ملك الشعر انت انت اميري   ولك الصولجان ذا فتصدر
لا تسلني عن سكرتي بالقوافي   دع اخاك الرياض بالشعر يسكر
نشوتي هذه من الشعر كانت   من دنان الشفيق من فم عبقر
فقد الشرق عبقريا عظيما   فيك من من شفيقه ــ اليوم اشهر
ايه لبنان والمصاب عليه   كمصاب الحروب ادهى واكثر
كم به كنت دائما تتغنى   وعلى حربه اسى تتاثر
وتتبعت حربه باهتمام   هم لبنان كم حياتك كدر
فالرسالات كلها استفهام   عن مآسيه راجيا ان ينصر
نصر الحق يا اخي فتطمئن   غدنا باحرفه سوف نفخر
قلت فيه شعرا بديعا جميلا   رددته الرواة في كل محضر
هذه زحلتي من الحزن جنت   وهي تبكي عليك لا تتصبر
لك شعر فيها يذوب حنينا   وهي دوما شفيقها تتذكر
بلدة الشعر كم عشقت سماها   وثراها وكم يراعك صور
نهرها .. والكروم فوق الروابي   ثم وادي الفردوس .. وادي الكوثر
وهي ترجو بان تعود اليها   ثم في قلبها ضريحك يحفر
عصبة الشعر انت كنت لواها   ذي عكاظ فيها البلابل تسحر

هاك لبنان يملأ الكون شعرا اي شعر بشعره ما تأثر
كل فرد منا اراد اغترابا حمل الشعر والطموح .. وابحر
يا زميلي .. ويا شفيقي المفدى يا جناحي الذي هوى وتكسر
لك قلب على الجميع شفيق وطباع كأنها نفح عنبر
كيف انسى اخوة غمرتني منك دوما وكيف لا اتذكر
كنت انت .. الانسان قولا وفعلا وفعال الانسان تبقى .. وتذكر

زحلة ـ لبنان رياض معلوف

ملاحظات هامة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقالات واشعار وقصص وغيرها يعبر عن آراء الكتاب انفسهم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة أو يعبر عن اتجاهها .

● كما أن مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفقا لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب او اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق أبيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط ، و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار ، كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

عبد الحميد بن باديس

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

ابن باديس رجال في رجل

في حقل الوعظ

ألف ابن باديس من الكتب ما ينهي عهد الحفظ المجرد والفهم السطحي ودر الاسلوب الجاف ، وضم لها من التفسير والدروس وحلقات الوعظ والمحاضرات ما اثبت في ان الله زادنا بالاسلام قوة وثباتا .

رفع راية مجد مستقبل الجزائر بيد ثابتة على سارية فهم القرآن فهما سليما واعلن في مؤلفاته هو الدواء العالمي الذي لا يخشى منه ظلما ولا هضماء وحذر من المؤامرات الكامنة تحت ستار دراسته بيد الذين اعلنوا المنهجية والموضوعية .

أشرقت شمس توجيهه فأحيت الذين تعرضوا لشماعها وقضى وقته مجاهدا لا يكاد يحظى بساعات من الهجوع ، حتى يأخذ بتدريس الجمهور بعد صلاة الصبح، ويستأنفه ضحى لتعليم الاطفال . وما هي الا ساعة بعد الظهر يتناول بها قليلا من الطعام ، حتى يستأنف جهوده مغتنما فرصة الاجتماع لصلاة العصر .

اما الكهول وذوو الرأي والحنكة والتجربة بل والحرف المتواضعة فقد تمتد جلستهم من التاسعة مساءا حتى الهزيع الاخير من الليل ، يتلقون تفسير الايات ويستصبحون بالسيرة النبوية ويرون انفسهم امتدادا لابطال الفكر كابن خلدون ، وقد حاول بعضهم المساهمة في بعض مهماته المادية لكنه آثر الايثار .

ولا نكاد نراه في قسنطينة حتى نسمع صوت درسه الاسبوعي من وهران وتلسمان ، ليراه هذا علاوة على محاضراته حول (قدماء العرب في القرآن) وبيان يد الحضارة الاسلامية في الفنون .

في حقل الصحافة

لم يكف ابن باديس رياسة جمعية العلماء والقيام بتوجيه معقم لم تحـل دون المسافات والعراقيل .

لم يكفه التعرض لسهام التآمر الذي قضى على اخوانه وحاول التهامه.

لم يكفه مهمة السياسة التي عالجها بحنكة وعمق ودراية ، ضاما للوعظ والمحاضرات والتأليف استخدام الجرائد والمجلات مرسلا على صفحاتها صوت التقويـــم .

اذا اعتاد الناس رؤية الصحفي غير المحدث ، وهذا غير المفسر وخطيب الجمعة والواعظ العام والموجه لحمل السلاح .

لكن ابن باديس خرق هذه العادة ، فرأيناه صحفيا علاوة على جميـــع مهمـــاته ، ولا اكاد اجد كلمة صحفي بمعناها الشائع متناسبة مع واقعـه ، اذ للصحافة لديه منهاج قل منتهجوه ، في من عرفنا من الصحفيين .

لقد استخدم الصحافة ـ جرائد ومجلات ـ لنشر ما يريد الافصـاح عنه في حلقات الجوامع وفوق اعواد المنابر ، وصحح افكار جمهور تتقـاذفه التيارات المتعددة لا سيما ما برز منها بين الحربين العالميتين.

خاض الصحافة باسلوب اصلاح فريد خال من الاطراء والغمط ، ولـم ينس الوقوف طويلا حول العالم الاسلامي ككل حرصا على بقاء هذه الصورة ماثلة امام قراء مقالاته كتمهيد لاثارتها في نفوسهم.

تعددت اسماء الجرائد التي كانت ميدانا لجولات كلمه كالشهاب والمجاهد والبصائر والمنتقد والشريعة ، والسنة المحمدية ، والصـراط السـوي ،

والشريعة المطهرة . ولا يعجب القارىء من تعددها ، اذ لا يكاد يرتفع صوتها حتى يضيق به الاستعمار الكامن وراء المرجفين والمبطنين لكن لا تكاد تخنق صوتا حتى يرتفع مليون آخر ، ولئن عاش بعضه عامين فقد عاش الاخر ثلاثة اشهر او اربعين يوما (٣٤) . لكن هذا لم يزده الا اقداما اثر ابتياع مــــا دعاه (مطبعة الجزائر الاسلامية) عام ١٩٢٥ لاستخدامها وسيلة من وســائل الايقــاظ .

احتفظت تركته الفكرية بحياة حافلة بعقل كبير وقلم معقم ـ الا عــلى الاستعمار ـ وقلب جريء فسرى توجيهه بالنفوس مثل سريان بالصفحات.

حاول الاستعمار حطم ذاك القلم الخالد بمنح ابن باديس رياسة الامور الدينية لكن قناته لم تلن ، فاضطهد واوذي وجر في نهاية المطاف على مــدارة الاقامة الجبرية وبلغت نار الاذى اخوية الموظفين.

اسرة ابن بــاديس
العام للعلم ـ سلبي مع الاستعمار فحسب

اسهمت هذه الاسرة في تاريخ المغرب منذ العهد الفاطمي ومــا زال الحديث عنها سلسلة مترابطة ، حتى رأينا اعلامها بقسنطينة آخر القرن الماضي.

لا نكاد نجد كتابا يحوم حول شمال افريقيا ، خاليا من كلمة باديــس، وحسبنا المعز لدين الله بن باديس الذي تولى امارة المغرب الاوسط من عام ٣٦٢ لعام ٣٧٣هـ .

اما اجداد عبد الحميد وأطرافه القريبون فمنهم القاضيان حميده بــن باديس ومكي بن باديس الذي اشترك مع ثلاثة من زملائه النواب عام ١٧٩١ بــوضع عريضة تتحدث عما يلاقيه الشعب الجزائري من تعسف .

علم للعلم

شعار هذه الاسرة (العلم للعلم) لقد خيره أبوه بين المنهاج الذي سار

عليه اجداده ، او الالتحاق بمدارس الاستعمار فاختار الاولى ، وارتحل لمنابع العلم في المشرق والمغرب ، واتم دراسته بجامعة الزيتونة ودرس بها عاما وعاد للجزائر مزودا بوصايا شيوخه (احذر قبول الوظيفة كيلا يكون علمك مطية).

عاد لقسنطينة لتصبح منارة هداية ، فأعاد للجوامع دراسة موطأ مالك ومسند احمد واختار منهاج سلفه علما وجهادا .

ضم لمعلوماته الواسعة ، وجرأته وعراقة اسرته ، موهبة خطابية فذة ، ساعدته على التأثير بسامعيه ، فشرح لهم امهات الكتب .

كتب الحديث والفقه وكتب الاجتماع كمقدمة ابن خلدون وكتب الادب كالنويري والمبرد وديواني ابي الطيب المتنبي وابي تمام .

عروبة الجزائر
موجة البربر

كنت أحاول اصطياد النصوص التي تريني الديار العربية من طارق للخليج ومن طوروس لاقصى جنوب اليمن ، عامرة بالموجات التي غادرت شبه الجزيرة لاسيما اليمن .

وكم كنت افرح حين العثور على مرجع لاسيما اذا كان حجة كصاحب خطط الشام مثلا ، لكني عثرت على صفة جزيرة العرب للهمداني ، رأيت الجحاجح والثقات عيالا عليها .

لقد خاض هذا الموضوع ، مستندا للنقوش والمساند التي انفرد بمعرفتها ، فحققه نثرا وتغزل به شعرا .

وها انا على ضوئه ، اعرض الموجة العربية التي اشتهرت في المغرب (الادنى والاوسط والاقصى) بالبربر :

البربر مــاذا

عدد الشاعر اسعد تبع الموجات ، وبعد الحديث عن الغساسنة والمناذرة والهكسوس خلص للقول :

ومنــا بأرض المغرب جنــد تعلقوا الى بربر حتــى اتــوا أرض بربــر

موجة البربر

قد تطلق كلمة البرابر على الغنم ، يقول طرفة بن العبد :

ولكن دعــا من قيس عيلان عصبة يسوقون في ارض الحجــاز البرابرا

وكأن اهل المغرب القدمــاء حين حل ارضهم اقدم الموجات العربيــة اطلقوا عليهم رعاة غنم ، كما اطلق قدماء المصريين على بعض الموجات العربية القديمة اسم رعــاة .

وبربرا احدى جزر اليمن ، وقد تكون كلمة بربر اطلقت على موجـــة غادرت اليمن مبحرة من هذه الجزيرة .

وقد تطلق كلمة بربر على من ابتعد ـ ولو بعض الشيء ـ عن اللفــظ العربي الفصيــح. قطعا من الموجات التي فارقت شبه الجزيرة موجة حلــت المغرب الادنى والاوسط والاقصى ويظهر ان ابتعادها عن شبه الجزيرة الام رماها وعلى تطاول الاجيال بلهجات طارئة كما نرى ، نراها تلفظ كلمـــــة (قرت حدث) وتريد بها (قرية حديثة).

وسواء كانت كلمة بربر متسللة من الغنم او الرعاة او جزيرة بربرة او ابتعاد اللهجة فهي على كل حال حجة علىّ ان موجة عربية غادرت شبه الجزيرة وحلت المغرب بظروف زمان ومكان يتعذر على المحققين تحديدها . واشتهرت لاسباب كثيرة باسم بربر .

ها هي ذه جذور كلمة بربر وقد حققها المؤلف الجزائري الجامعي فــي سياق تهكمه بالسم الفرنسي الذي يرى البربر من بقايا الغاليين .

حققه مستندا لاشهر مؤلفي ومحققي هذا العصر كالامير شكيب ارسلان مثلا ونشره بهذا النص :

(امة يمنية عاربة ، قحطانيون قد نزحوا من الجزيرة العربية الى السودان والمغرب والاندلس وجزائر البحر الابيض المتوسط .

هذه الامة العاربة القحطانية ، قامت بأول فتح عربي للمغرب ونشرت العمران بالدم العربي القح في ديار المغرب الكبير) اهـ.

وسواء هاجرت من اليمن للمغرب مباشرة ، او بعد ان اقامت اجيالا بفلسطين وحملت اسم كنعانيين او اسم فينيقيين الذي اطلقه اليونان قبل ٢٣ قرنا فقط ، فقد حملت للمغرب مصنوعاتها واقامت على سواحله مراكز تجارية معومة تربط سواحل الشام بالمضيق المعروف بمضيق طارق .

واذا علمنا ان مدينة قرت حدث ــ قرية حديثة ــ قرطاجة وحدها، كانت تضم قبل ٢٩ قرنا نصف مليون نسمة ، رأينا تلك الموجة رائدة .

معنى الامازيغ

كلمة تتردد في الجزائر ، وتعني الاشراف او السادة او المقدمين اوالاعيان وهؤلاء سواء أكانوا اهل الجزائر القدماء الذين عمروها قبل حلول الموجة او الموجات العربية ، او كانوا هم الموجة العربية نفسها ، او ذابوا بها عن طريق التعايش والانسجام الطويل .

سواء كان هذا او ذالك فهم يعترفون بجذرهم العربي يأبون كلمة بربر بالمعنى الذي يريده الاستعمار ويرون انفسهم طليعة عرب المغرب .

أما تأثير هذه الموجة في المغرب حضاريا وسياسيا وحربيا ، فحسب القارىء رؤيته في العراك الطويل الروماني ــ القرطاجي.

اما الاختلاف ببعض الكلمات ورسم الاحرف فلا ينبغي ان تنسى تداخل الخطوط في الجزيرة نفسها كالمسماري والثمودي والمسند الحميري والصفوي

ـ خلق بتطاول الازمنة كلمات متغايرة لعل اصلها اختلاف اصطلاحات النقط مع العلم ان هذه لا تعدو العصر العباسي وان ارتبطت بأصل واحد اذ هي تنبثق من ابجدية واحدة •

وهكذا عاشت الجزائر يمنة كنعانيةقرونا وقرونا فحافظتعلى قحطانيتها وصهرت سواها ، وقد عبر ابن باديس عن هذا بقوله (ما دخل الجزائر فاتح الا انصهر بها ، لكن العرب المسلمين صهروها بلغتهم ودينهم فأصبحت عربية مسلمة)•

ويلاحظ القارىء من هذا قوة جذور العربية الكامنة بها اذ لولاها لعاشت الجزائر مسلمة غير عربية كفارس وخراسان مثلا •

قحطانية الجزائر الام وصغيرتها القريشية

فرحت العربية القحطانية القرطاجية العريقة السائدة بالمغرب الكبير، باستقبال حفيدتها اللهجة القريشية التي حملها الفتح الاسلامي ، فعاد الفرع لاصله والاسد لاجمته •

استنشقت الام رائحة حفيدتها مذ تسامع المغرب اخبار فرقة عمرو بن العاص بدخول مصر فأرسل اهل طرابلس ـ ليبيا وفدا يحمل التهنئة ويذكر بوشائج العروبة ويقاسم على الانضمام ويتمنى لو تابع زحفه لطرابلس •

هبط عمرو طرابلس على رأس فرقة من الصحابة فقوبل بالتعاون وسوعد على التحرير رغم الانتفاضات التي استغلتها الكهنة •

استدار الزمن واخذ جناح شبه الجزيرة يأنس بالعودة لحضن امه، واخذ عقبة بن نافع يقيم من مدينة القيروان مصنعا لابطال الفكر وما لبثت آخر اللهجات التي طرأت على المغرب ان ذابت في محيط العربية القريشية، وما ان أشرف القرن الاول علىالافولحتى سمعنا طارقا يقول : (البحر من وراءكم والعدو امامكم •••) واخذ المغرب من حينذاك يحمل شعلة الاسلام

للاجزاء التي تليه لاسيما في عهد المنصور السعدي المعروف بالذهبي، وحقق الوحدة مع الاندلس وعرقل الخطر الذي يحدق بها كما رأيناه بعهد يوسف تاشفين ، واقام اول جامعة في العالم كله كما رأيناه بعهد الادارسة وتعاقب عليه من عهود الاغالبية والمارضين والسعديين ما لا يزال مفخرة التاريخ.

لا جديــــد

حاولت الكاهنة المرور من كلمة (عرب وبربر) لكن ما لبثت الحقيقـة الكامنة بين الام القحطانية والبنت القريشية ان طردت تلك المحاولة الى الابد.

احفاد الكاهنة المعاصرون لم يأخذوا درسا من فشل جدتهم بل تتبعوا خطاها وشروا كلمة عرب وبربر المدفونة منذ عهدها.

مثلا كثيرا ما قصت فرنسا بين احياء أو قرى العرب والعرب الذيـــن دعتهم بربر بحجة عدم الانسجام ، وألفت المحاكم الشرعية حرصا ـــ كما تقولـــ على تقاليد البربر وتراثهم واعادتهم لجذورهم الغالية اللاتينية ، بل فصلـت قبائل البربر من بعضها واقامت لكل قبيلة نظاما حرصا على تراث القبائل!!!

ومنعت التجار العرب من الوصول لقبائل البربر وحالت دون زيـــادة الفقهاء وحملة القرآن وخلقت في طريقهم المثبطات والمعوقات .

بل شمل عدلها البربر وسواهم اذ ما زالت تضيق بالحجاج حتى اصبح عددهم في بعض الاعوام ٢٠ حاجا .

لقد حاولوا التهام الجزائر شطيرتين عربية وبربرية، ناسين الاطار الاسلامي الكبير الذي رأى الانسانية جنسا وانواعها شعوبا .

ومن العجب ان ألسنة السياسة واقلامها وصفحاتها تناست ان القبــائل اليمنية القحطانية الكنعانية القرطاجية التي امتدت مراكزها التجارية على طول السواحل الممتدة من حيفا الى طارق تناست هذا واطلقت على هذه الموجـة المتحضرة المحضرة أطلقت عليها بربرية ولا تزال تزعم ويقلدها العامة من اصحاب

الاقلام ان هذه الكلمة تشير للتخلف والبطش وتصف الحرب والصــــولات الوحشية المدمرة بالبربرية وممثلي ادوارها بالبرابرة •

والاعجب من هذا ان الاقلام الكامنة المتربصة كطه حســين مثلا رددت التوجيــه الاستعماري والتقت مــع مستشرقي اليهــــود أمثال مرجليوث وانكرت وجود العرب انكارا جازما فرأت العراق اشوريا والشام فينيقيــة ومصر فرعونية والمغرب بربرا والحجاز كلدان واليمن حبشية والخليج واطراف نجد الشرقية فرسا والتقت مع العهد القديم الذي يرى العــرب لا يعــدون سكان العربية (الصحراء) ولا يتقنون الا تربية الغنم والابــل •

قومية الجزائر من وجهة نظر ابن باديس

كثيرا ما غاص ابن باديس موضوع القومية ، معلنا ان العربية ليــست عنصرية اذ (وحدة الامة قائمة على اتحاد قلوبها)!

من هنا ينطلق ابن باديس ليعلن ان الجزائر وطن صغير في دائرة وطن هو المغرب الكبير ، وهذا جزء من ديار العرب ، وزاوية من الوطن الاسلامي، وعضو في العالم الانساني اذ الاسلام وسع جنس الانسان وانواعه ومذاهبه وارتقى به من الاسرة للعالمية •

لا قومية ، ان العرب ليسوا قوما ، بل امة تشعب منها اقوام ، اذ الشعب شعبة من اصل •

على ان ابن باديس يرى كلمة العروبة والقومية جوفاء اذا لم تتحكــم

نشر في جريدة الشهاب ج٨ مجلد ١٣ عدد شعبان ١٣٥٦ ـــ اكتوبر١٩٣٧ باتحاد قلوب واستقامة سلوك •

ص ٣٥٤ مــا نصه :

(نحن حراس الاسلام والعروبة والقومية)•

اما الولاء لدى الجزائر فهو للاسلام وحده ، اذ رغم انسحاب الاتراك

الذي استلزم طعن الجزائر ، رأينا الجزائريين لاسيما ايام الحرب الايطالية ـ التركية يعلنون التضامن مع الاتراك ويكتتبون لمصلحتهم ، ويقاطعون البضائع الايطالية ، ويصفقون لانتصارا تليبيا •

رايها به

اما الوحدات السياسية فقد اوجزت رأيها بها فقالت بلسان ابن باديس:

(الوحدة السياسية تكون بين من يسوسون انفسهم) •

يعني ان الذين يغفلون عن التخطيط المفضي للنتائج الحاسمة ، ويدعون لوحدة ، يضحكون من سذاجة الجمهور ، اذ هو طفل يصفق لهم جاهلا خطر الثكنات العدوة الجامعة فوق ارضهم (اذ ارض الامة الواحدة جسم لا يتجزأ ولو جزأه الغزاة)!!!

اذن فالانطلاق شطر الوحدة السياسية هو تطهير الداخل اولا ، وهذا ما عرض الجزائر مصممة على تنقيته بأيد مضرجة متمردة متحدية !!!

هذه الايدي لم يفتها ان حياة جزء من ديار امة منفردا ولو مستقلا وكريما ، لا يعني الحياة الكاملة ، اذ يستحيل ان يعيش جسم منزوع اومشلول الاطراف •

اعني أن ابن باديس يعرض الوحدة العربية الكبرى ، التي تقيم نفسها قنطرة يمر عليها الاسلام ، يعرضها وسيلة لانقاذ الانسانية مما رمتها به القوميات الضيقة التي تجري بها العنصرية مجرى الدم •

هذه الوسيلة ، غاية كل عاقل ومنتهى رجاء المفكرين ومدينة الفلاسفة الفاضلة ، اذ المجزؤون لا يستطيعون التحليق في جو الحياة الكريمة الا اذا اجتمعت اجزاؤهم وتلحلحت اطرافهم • لا سيما والقرآن ارادنا أئمة قدوة واسوة للشعوب المحرومة من الوحدة •

فكرة المهدي في الاسلام

بقلم: نصر الله سماك

الاعتقاد بالمهدي ومنجي البشرية فكرة قديمة وكان الانسان من الزمان القديم يعتقد به وينتظر يوم ظهوره، طالما ان الامم والاقوام المظلومة والمغتصبة حقوقهم لم يتمكنوا من استردادها لذا فتكون فكرة قيام قائم يقوم ويقتص من الظالمين ويملأ الدنيا عدلا وقسطا معقولة • من الطبيعي ان كل قوم اصابه اكثر اذى وظلما فعقيدة المهدي فيهم تكون اكثر رسوخا • كما نعلم ان بعض من الظالمين ويملأ الدنيا عدلا وقسطا معقولة • من الطبيعي ان كل قوم اصابهم سوتراي المنجي • وكذلك في أديان اليهود والزرادشت والبوذيين والهند والمسيح جماعات من الناس ينتظرون منجيا وهاديا وحسب اعتقادهم يظهر هذا القائم في آخر الزمان •

اذا العقيدة بظهور المهدي امل كل مظلوم يريد من ورائه تهدئة آلامه بقيام هذا المنجي •

المهدي في الاسلام

المهدي بفتح الميم وكسر الدال اسم مفعول من هدى بمعنى : « الذي قد هداه الله الى الحق • وقد استعمل في الاسماء حتى صار كالاسماء الغالبة وبه سمي المهدي الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجيء في آخر الزمان» (١)• وبهذا المعنى لقب بعض الانبياء والرسل بالمهدي دون

---

١ ـ ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث والاثرج ٥ ، ص ٢٥٤ ، لسان العرب المحيط لابن منظور ج٣ ص ٧٨٧ •

ان يكونوا من المنتظرين . كما جاء في شعر جرير الشاعر في وصف نبينا ابراهيم عليه السلام :

ابونا ابو اسحاق يجمع بيننا أب كان مهديا نبيا مطهرا

وفي قصيدة حسان بن ثابت في رثاء الرسول الاكرم (ص) سمى النبي مهديا ، اي الذي هداه الله الى الحق :

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الارمد
جزعا على المهدي اصبح ثاويا يا خير من وطي الحصى لا تبعد
بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهتدي (٢)

وفي الحديث النبوي الشريف جاء المهدي بمعنى الذي هداه الله الحق . روي عن علي بن ابي طالب (ع) سئل رسول الله (ص) من الذي يأتمر بعدك فقال :

« ان تؤمروا ابا بكر تجدوه امينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة ، وان تؤمروا عمر تجدوه قويا امينا لا يخاف في الله لومة لائم ، وان تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الصراط المستقيم ». (٣)

وقال سليمان بن صرد الذي قام يطالب بدم الحسين عليه السلام بعد قتله قال :

« اللهم ارحم حسينا الشهيد بن الشهيد المهدي بن المهدي ». (٤)

ويمدح جرير الشاعر سليمان بن عبد الملك في قصيدته ويلقبه بالمهدي اي الذي هداه الله الى الحق :

---

٢ ـ ديوان حسان بن ثابت ، طبعة تونس ص ٢٤ .
٣ ـ اسد الغابة ، ج٤ ، ص ٣١.
٤ ـ تاريخ الطبري ، طبعة دوخوية ، ج٢ ص ٥٤٦ .

سليمـــان المبارك قـــد علمتـــم هو المهـــدي قـــد وضح السبيل

اما ابن التعاويذي الشاعر المادح عند الخليفة العباسي الناصر الملقــب بالمهدي يمدح الخليفة ويغلو فيه ويسميه المهدي المنتظر :

انت الامـــام المهدي ليـــس لنـــا امـــام حق ســـواك ينتـــظر

تبدو لابصارنـــــا خلافا لان يـــــزعم ان الامام المنتظر(٥)

فكرة المهدي عند المسلمين هي عبارة عن ظهور القائم في آخر الزمان ، كما ذكر في الاحاديث النبوية الشريفة :

« يملأ الارض عدلا وقسطا بعدما ملئت ظلما وجورا »، وفي الحديـــث النبوي : « يخرج المهدي من امتي خمسا او سبعا واو تسعا ، انا وحمزة وعلي وابو جعفر والحسن والحسين والمهدي » (٦)•وايضا جاء في الحديث الشريف: « لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلا من اهل بيتي يملأها عـــــدلا كما ملئت جورا» (٧)• وفي الحديث النبوي : « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا مني أو من اهل بيتي يواطيء اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي » (٨)•

وبعد قتل الامام علي صلوات الله عليه افترقت الامة التي اثبتت لــــه الامامة • فرقة منها قالت : «ان عليا لم يقتل ولم يمت ولن يمـــوت حتـــى يملك الارض ويسوق العرب بعصاه ويملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئـــت ظلما وجورا وهي أول فرقة قالت في الاسلام بالوقف بعد النبي من هذه الامة

٥ ـ ديوان ابن التعاويذي قاهرة طبعة مارجوليوث ١٩٠٤ ص ١٠٣ ، جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص ٢٤٠ ـ ٢٤٣

٦ ـ الجزء الثالث من كتاب مسند ابن حنبل وكتاب السنن لابن ماجه ، الباب الرابـــع والثلاثون من كتاب الفتن .

٧ ـ كتاب السنن لابن ماجه ، باب الحادي عشر من كتاب الجهاد .

٨ ـ المقدمة لابن خلدون ، الفصل الثالث من الكتاب الاول ، والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي طبعة ليدن ج١ ، ص ٢٠٧ .

واول من قال من بينها بالغلو وهذه الفرقة تسمى السبائية اصحاب عبد الله بن سبأ . والفرقة الثانية التي قالت بالوقف في الاسلام هي الكربية اصحاب أبي كرب الضرير ، قالت انما المهدي هو واحد وهو ابن الحنفية وانما غاب فلا يدري أين هو وسيرجع ويملك الارض ، ولا امام بعد غيبته الى رجوعه» (٩).

وبعد هذه الفرقتان اكثر فرق الشيعة اعتقدت بالغيبة وظهور امامهم. وكما ذكرنا العقيدة بظهور المهدي لا تختص بالشيعة بل توجد اخبار تدل على ظهور المهدي في آخر الزمان في كتب اهل السنة والجماعة مثل كتاب الصحيح للترمذي وابو داود وابن ماجه وكتاب المسند لابن حنبل وغيره ولكن البخاري ومسلم يشكون بهذه الاخبار ولم يذكروها في كتبهم ، ولكل امة مهدي ينتظروه وبانتظاره يهدئون آلامهم كما نرى الهنود يعتقدون بظهور مهديهم المسمى بـ «ويشنو» ومسيحي الحبشة برجوع ملكهم تودور والمغول بقيام جنكيزخان وهذه العقيدة توجد بين كل امة كانت لها عظمة وجلالا ولكي يستعيدوا تلك العظمة اعتقدوا بظهور وقيام نوابغهم ورجالهم في آخر الزمان (١٠).

اول من ادعى المهدية بعد الشيعة هو عبيد الله بن محمد (٢٥٩ـ٣٢٢هـ) مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب فاختط مدينة المهدية عام ٣٠٣ هجرية واتخذها قاعدة لملكه ومات بها بعد ان حكم اربعا وعشرون سنة (١١). وظهروا دعاة آخرين في الاسلام منهم ابو عبد الله محمد بن تومرت المتوفي سنة ٥٢٤هـ وهو مؤسس اسرة الموحدين في المغرب ، والمهدي السوداني الذي

---

٩ ـ كتاب المقالات والفرق تصنيف سعد بن عبد الله ابي خلف الاشعري القمي ، تصحيح وتعليق الدكتور محمد جواد مشكور ، طبعة طهران ١٩٦٣ ص ٢٠ و ٢٧ .

١٠ ـ تاريخ الفانستان بعداز اسلام ج١ ص ٨٦٧ ، جولد تسيهر : العقيدة والشريعة ص ١٩٢ .

١١ ـ الاعلام للزركلي ج١ ص ٣٥٣ .

ادعى المهدوية في السودان وتلقب سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨١ م) بالمهدي المنتظر وتغلب على الخرطوم عام ١٣٠٢ هـ (١٨٨٥م) ومات بالجدري في تلك السنة في ام درمان (١٢)• وميرزاغلام احمد قادياني (١٨٧٩ ــ ١٩٠٦م) ولد في قاديان من مدن بنجاب الهند وادعى بانه المهدي المنتظر والمسيح الموعود وكلاهما ظهرا في شخصه وتوفي عام ١٩٠٦م وما زال اتباعه في الهند والباكستان وافريقيا واندونيسيا ومقرهم لاهور من بلاد باكستان (١٣)•

المهدي في الشيعة

قال النبي صلى الله عليه وسلم:«المهدي من عترتي من ولد فاطمة»(١٤) واختلفت الشيعة في المهدي ونسبه ، فرقة تقول هو من ولد عباس وفرقة تجزم بانه علوي وغير فاطمي ويعتقد الآخرون بانه حسني او حسيني • اما في اسم ابيه قولان ، الاول تعتقد الامامية ان اسم ابيه الحسن والثاني قول اهل السنة والجماعة بانه عبد الله • وكذلك اختلفوا في شخصية الامام وافترقت على عشرة اقوال : منهم الذين زعموا المهدي هو محمد بن حنفية او ابنه ابو هاشم والفرقة الثانية وهم المغيرية زعموا ان محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية هو المهدي والفرقة الثالثة وهم الاسماعيلية الخالصة زعموا ان اسماعيل بن الامام جعفر الصادق هو المهدي والفرقة الرابعة وهم الناووسية زعموا ان الامام جعفر الصادق هو المهدي والفرقة الخامسة وهم المباركة زعموا ان محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق هو المهدي والفرقة السادسة وهم الواقفة الذين وقفوا على موسى بن جعفر

١٢ ــ ايضا الاعلام للزركلي ج٦ ص ٢٤٥ ، مهدي از صدر اسلام تا قرن سيزدهم هجري، تاليف دارمستتر المترجم الى الفارسية المرحوم محسن جهانسوز ، طهران ١٣١٧ ش، سعد محمد حسن : المهدية في الاسلام منذ القدم العصور حتى اليوم ، قاهرة ١٩٥٣•

١٣ ــ Hastings Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol. X, P. 530 = 531. Lucien Bouvant, Les Ahmadiyya de Qadian Journal Asiatique (Jullet Septemre 1928).

١٤ ــ كتاب السنن لابي داود ، الباب الثاني والسبعون من كتاب الطهارة ، وكتاب السنن لابن ماجه ، الباب الرابع والثلاثون من كتاب الفتن .

وقالوا انه الامام القائم ولم يأتموا بعده بامام ولم يتجاوزوا الى غيره،والفرقة السابعة العسكرية زعموا ان الامام الحسن العسكري هو المهدي والفرقة الثامنة وهم المحمدية زعموا ان ابا جعفر محمد بن علي الهادي هو المهدي والفرقة التاسعة وهم الشيعة الامامية يزعمون ان الامام محمد بن الحسن هو المهدي ، والفرقة العاشرة وهم اهل السنة والجماعة لا يركزون المهدي في شخص بل يقولون هو نوعي ويزعمون ان المهدي هو مجدد دين الاسلام ومصلحه في آخر الزمان (١٥)٠

وخلاف ذلك فان الشيعة تعتقد بان المهدوية تتركز في شخص وهي سلسلة وراثية انتقلت من النبي الى وصيه الحقيقي الامام علي بن ابي طالب ومنه الى اولاده حتى وصل الى الامام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام وهو القائم من آل محمد ٠ ويعتزمون ان الائمة كالنبي ملهمون من جانب الله ويقولون ان الامام له الرئاسة العامة ومقامه فوق البشر العادي وعلمه علم لدني وليس اكتسابي ٠ وعندما خلق الله آدم ثم نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد نورهم بنوره وبهذا النور نور اوصياء رسوله محمد الذين هم الائمة الاطهار وهذا النور يتجلى ويسطع في الامام ويميز على غيره من الناس وبهذا النور يتمكن الامام ان يعيش مئات وحتى آلاف السنين دون اي نحوله او ضعف او كهولة حتى يظهر بامر ربه (١٦)٠

اختلاف الشيعة الامامية بعد وفاة الامام الحسن العسكري

توفي الامام الحادي عشر ، حسن بن علي العسكري بسر من رأى يوم الجمعة الثامن من شهر ربيع الآخر سنة ستين ومائتين ودفن في داره في البيت الذي دفن فيه ابوه ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة وصلى عليه ابو عيسى بن المتوكل وكانت امامته خمس سنين وثمانية اشهر وخمسة ايام وتوفي ولم ير له

١٥ ـ حاج ميرزا حسين طبرسي نوري ' نجم الثاقب دراحوالات امام غايب ، طبعة طهران.

١٦ ـ الدكتور محمد جوادمشكور : ترجمة فرق الشيعه نوبختي ، طبعة طهران ١٣٥٢ شمسية (١٩٧٥ م) المقدمة الثانية ص ١٥٤ ـ ١٥٩ ٠

خلف، ولم يعرف له ولد ظاهر . فأمر الخليفة المعتمد على الله العباسي بحجز اموال الامام وختموا حجراته وبعث بقابلات لتفتيش نسائه وعندما اشارت احداهن بانها تحمل طفلا من الامام أتوا بها الى غرفة ووكلوا لها عدة خادمات وخدام . فزعم الخليفة باقتسام ما ظهر من ميراث الامام بعد قضاء سنتين وهي لم تلد ، فوقع الخلاف بين اخوه جعفر وامه وهي ام ولد كان يقال لها عسفان ثم سماها ابوه حديث ، واما حديث اثبتت عند الخليفة بانها ترث الامام وجعفر يطالب الخليفة بميراث اخوه وبعد حجز الميراث لمدة سبعة سنين اقتسم ما ظهر من ميراثه بين اخيه جعفر وامه حديث . فجاء جعفر عند الخليفة واجبره بحبس صيقل وهي انكرت ولدا للحسن زاعمة انها حامل من الامام فحبسها الخليفة في بيته كي يعلم وضع حملها ، وعلى اثر الحوادث الكثيرة التي وقعت في خلافة المعتمد العباسي نسوا وجود صيقل وهربت من ايدي الخليفة وعماله والتجأت في بيت حسن بن جعفر الكاتب النوبختي حتى تولى الامر المعتضد بن المعتمد العباسي ، وامر بنقل صيقل من بيت الحسن بن جعفر النوبختي الى داره وقد مضى عشرون عاما عن وفاة الامام الحادي عشر وبقيت صيقل في بيت المعتضد حتى ماتت عام ٣٢٠ هجرية . فافترق اصحاب الامام اربعة عشر فرقة . وكان الخلاف في الامامة والغيبة بين الفرق كثيرا حتى اختلفوا في عدد الائمة . استند جماعة منهم الى حديث رواه سليم بن قيس الهلالي من اصحاب علي بن ابي طالب قال فيه الائمة هم ثلاث عشر اماما . وزعم ابو نصر هبة الله بن محمد الكاتب من رجال الغيبة الصغرى زعم ان زيد بن علي بن الحسين مؤسس الزيدية هو امام وزعم حسين بن منصور الحلاج الصوفي الذي كان يعتقد بالائمة الاثني عشر زعم ان الامام الثاني عشر قد توفي ولم يأتي من بعده امام وقد اقتربت الدنيا من قيام القيامة .

وفي رواية محمد بن اسحاق النديم صاحب الفهرست ان ابو سهل النوبختي الذي هو من اعيان الشيعة قال اني اعتقد بامامة ابن الامام الحادي

عشر ، اي الامام القائم ولكن الامام الثاني عشر قد توفي في الغيبة والامامة تكون في نسله واحدا تلو الاخر حتى يأتي آخر الزمان وبمشيئة الله يظهر الامام الغائب •

وازدادت فرق الشيعة في عصر المسعودي مؤلف مروج الذهب من اربعة عشر فرقة بعد وفاة الامام الحسن العسكري الى عشرين فرقة ، ويذكر المسعودي مقالات هذه الفرق في كتابيه المفقودين المقالات في اصول الديانات وسر الحياة (١٧)•

القائم من آل محمد

في كتب العامة والخاصة روايات كثيرة عن المهدي • ومن كتب العامة التي روي فيها احاديث المهدي هو كتاب الصحيح للبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابو داود وابن ماجه والمسند لابن حنبل وغيره من الكتب• وبعض علماء الحديث كأبي نعيم الاصفهاني وكتاب البيان في اخبار صاحب الزمان لابي عبد الله الكنجي وكتاب علامات المهدي لجلال الدين السيوطي • وهؤلاء كلهم رووا بان المهدي من عترة رسول الله من ولد فاطمة واسمه محمد وكنيته ابو القاسم ولقبه المهدي ، وبعض اهل السنة والجماعة ذكروا ان اسم ابيه هو عبد الله (١٨)•

وفي كتاب ينابيع المودة من كتاب اربعين حديث لحافظ ابو نعيم ان المهدي هو ابن الامام الحسن بن علي العسكري (١٩)• واسم امه على اختلاف

١٧ ـ عباس اقبال آشتياني : خاندان نوبختي ص ١٠٧ ، ١١١ ، ١٦١ ، ١٦٢ نقلا من كتاب كمال الدين وتمام النعمة ، وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي ، الفهرست للنديم ، والرجال للنجاشي، ومروج الذهب للمسعودي، والدكتور محمد جواد مشكور : تاريخ شيعه وفرقه هاي اسلام تاقرن جهارم ، طبعة طهران ١٩٧٦ ، ص ١٢٤ ـ ١٣٠ •

١٨ ـ راجع الحديثين الشريفين : « لو لم يبق من الدنيا الا يوم ...» والحديث : «المهدي من عترتي من ولد فاطمة » في نفس المقال •

١٩ ـ السيد صدر الدين صدر : المهدي ، طبعة قم ص ٧ ـ ١٠ •

الروايات صيقل ، وحديث ، وسوسن ، وحكيم ، ونرجس وهي ام ولد(٢٠). ويذكر ابن حجر في كتاب الصواعق ان الشيعة الامامية يقولون ان المهـدي المنتظر غاب في سرداب بيت ابيه في سامراء (سرمن رآى) وهم ينتظرون ظهوره وبعضهم اتوا بفرس بباب السرداب كي يركبه عند ظهوره . على اي حال لا يعرف كيف غاب المهدي ووفقا للاخبار الواصلة الينا ان المهدي المنتظر هـو ابو القاسم محمد بن الحسن الذي ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٦ هـ وعندما توفي ابوه الامام الحسن العسكري (سنة ٢٦٠) بدأت الغيبـة الصغرى له (٢١).

وفي رواية الشيخ صدوق في كتاب كمال الدين وتمام النعمة ، ان ابو خلف الاشعري سعد بن عبد الله رأى ذلك الامام عند طفولته في بيت ابيـه الامام الحسن العسكري يلعب بكرة صغيرة (٢٢).

للمهدي غيبتان ، الاولى الغيبة الصغرى ومدتها ٦٩ سنة من سنة ٢٦٠ الى سنة ٣٢٩ هـ والثانية الغيبة الكبرى وبدأت من سنة ٣٢٩ هـ وتمتد حـتى يومنا هـذا .

عـلائم الظهور

من علائم الظهور كثرة الظلم والجور ، وظهور آيات سماوية ، والقتل والمجازر ، والبلاء والعذاب ، وانتشار الرايات السود في خراسان ، وظهور سيد من السادة من خراسان وهربه الى مكه ، وقتل النفس الزكية ، وظهور السفياني في دمشق وغيره من العلائم رواها المجلسي في كتـــابه بحـار الانـوار (٢٣).

ومن علائم الظهور ايضا : « نزول سيدنا عيسى بن مريم من السمـاء»

---

٢٠ ـ نفس المصدر ص ١١٤ ـ ١٢٦ .
٢١ ـ نفس المصدر ص ١٥٧ ـ ١٥٩.
٢٢ ـ كمال الدين وتمام النعمة طبعة طهران ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٧ .
٢٣ ـ السيد صدرالدين صدر : المهدي ص ١٨٦ ـ ٢٠٠ .

وطلوع الشمس من المغرب ، واستماع صيحة في السماء تنادي « ان الله قادر على ان ينزل عذابا من فوق رؤوسكم ومن تحت ارجلكم » ، وخروج الدجال الذي سمي على اختلاف الروايات بصائف بن صائد وصائف بن سعيد وصائد بن صيد ، ويقولون انه يهودي او امه يهودية ويخرج من قصبة في اصفهان تسمى يهودية . وجاء في الحديث النبوي : « فما يخرج الدجال حتى تفتح الروم » (٢٤) . و«الدجال يخرج من ارض بالمشرق» (٢٥) . ليس للدجال العين اليمنى وله عين واحدة في جبينه وفي الحديث الشريف : « وان المسيح الدجال اعور العين اليمنى » (٢٦) وهذا العين ساطعة كنجمة الصباح وفي عينيه شيء يشبه جلطة الدم وفوق عينه كتب بخط جلي « الكافر » بحيث يقرأه كل متعلم وامي وبجبهته يتحرك الشمس وامامه جبل من اليحموم ووراءه جبل ابيض يظن الناس بانه طعام . وفي الحديث : « ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا » (٢٧) . يخرج الدجال في ايام المجاعة وهو راكب على حمار اخضر او رمادي اللون ، وكل شعر منه يطرب طربا ويمشي بكل خطوة مسافة ميل ويلوي الارض تحت رجله ويجف كل ماء عندما يصله وينادي بصوت عال يسمعه كل جن وانس وشيطان في مغارب الارض ومشارقها ويقول : « اتبعوني يا اصدقائي ، انا الذي خلقت كل موجود واعطيته رزقه ، انا ربكم» وينخدع الناس فيتبعونه ، وفي النهاية يقتل الدجال على تل في الشام يعرف بتل الافيق بيد المسيح عيسى بن مريم الذي نزل من السماء . اما في الحديث النبوي : « يقتل ابن مريم الدجال بباب لد »(٢٨) ، ثلاث ساعات خلون من

---

٢٤ ـ الباب الخامس والثلاثون من كتاب الفتن في سنن ابن ماجه .

٢٥ ـ الباب السابع والخمسون من كتاب الفتن في صحيح الترمذي ، الباب الثالث والثلاثون من كتاب الفتن في سنن ابن ماجه ، صفحة ٧٠ من الجزء الاول لمسند احمد بن حنبل .

٢٦ ـ الباب السابع عشر من كتاب التوحيد في صحيح البخاري ، الباب الرابع عشر من كتاب الملاحم في سنن ابي داود ، والباب الثالث والثلاثون من كتاب الفتن في سنن ابن ماجه ، المسند لاحمد بن حنبل الجزء الثاني ص ٣٣ و٢٧ و ١٢٤ و١٣١ والجزء الخامس ص ٣٨.

٢٧ ـ باب الخمسون من كتاب الانبياء وباب السادس والعشرون من كتاب الفتن في صحيح البخاري .

٢٨ ـ الباب الثاني والستون من كتاب الفتن في صحيح الترمذي .

يوم الجمعة ، وتكون فترة حكومته ٤٠ يوما او ٤٠ سنة ، وجاء في الحديث النبوي : « ويمكث ابوا الدجال ثلاثين عاما » (٢٩) وفيه يملأ الارض ظلما وجورا وكفرا (٣٠) .

الدجال بمعنى الكذاب وهي كلمة سريانية، اصلها «دكل» بمعنى الكذب ومنه « المسيح الدجال » اي الكذاب الذي سيظهر في آخر الزمان .

وفي الاحاديث الاسلامية فالدجال احمر اللون ، جعد عطط ، جسيم، عريض النحر ، أعور ، أجلي الجبهة وباليمنى ظفره غليظة ، وان عينيه تنامان ولا ينام قلبه وهي صفة من صفات النبوة واتباع الدجال هم الكفار والمنافقون والنساء واليهود (٣١) وجاء في الحديث الشريف : « يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا » (٣٢).

ومن علائم الظهور ايضا خروج دابة الارض ، ودابة الارض من اكبر شرائط الساعة . ويروى ان طولها سبعون او ستون ذراعا ، وهي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات ، فرأسها رأس ثور ، واذناها اذنا فيل ، واقدامها اقدام بعير وتظهر في تهامة او بين الصفا والمروة وقيل ينصدع جبل الصفا فتخرج منه ليلة جمع والناس سائرون الى منى.وقيل من ارض الطائف. فتضع على وجه الكافر علامة سوداء ، وعلى وجه المؤمن علامة بيضاء وتنتشر هذه العلامات حتى تشمل الوجه كله. وهكذا يمتاز المؤمن من الكافر ، ويقال ان الدابة ستجلب معها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن بالعصا ، وتكتب في وجهه مؤمن ، وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب في وجهه كافر لا يدركها طالب ، ولا يعجزها هارب . ومن ثم يخاطب الناس بعضهم

٢٩ ـ احمد بن حنبل المسند ، الجزء الخامس ص٤٠ ، ٤٩ ، ٥١ .

٣٠ ـ ترجمة بحارالانوار للمجلسي، المجلد ١٣ ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .

٣١ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، ج٩ ص ١٢٥ ـ ١٤٨ ، دونالدسن : عقيدة الشيعة ص ٢٤٠ ـ ٢٤٣ .

٣٢ ـ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ج٢ ، ص ١١١.

الآخر بالمؤمن والكافر • وقد نشأت هذه القصص من تأويل سورة النمــل ، الآية ٨٤ ، وقد ورد فيها : « واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابـــة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » وقد ذكرت في الآيــة ١٣ من سورة سبأ : « فلما قضينا عليه قضينا عليه الموت ما دلهم على موتــه الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » (٣٣)•

المرحوم المجلسي يذكر في كتابه سألوا من امير المؤمنين (ع) ما معنــى الطامة الكبرى ؟ قال خروج دابة الارض من الارض قرب الصفا ومعها خاتم سليمان وعصا موسى وتطبع المؤمن بالخاتم وتكتب في وجهه « هذا مؤمن حقا» وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب في وجهه « هذا كافر حقا » وبعد طلوع الشمس ترفع الدابة رأسها من المغرب والمخلوقات كلهم يرون هذه الدابة فيستغفرون ولكن لا تقبل اعمالهم ولا توبتهم ومن ثم يخرج المهدي ويصلي وراءه المسيح عيسى بن مريم ، والقائم هو الشمس الذي يظهر من المغرب بين الركن والمقام ويزيل الكفر والفسق والظلم والجور من الارض (٣٤)•

والمعروف ان بعض علائم الظهور كخروج السفياني الذي هو من اعقاب يزيد بن معاوية واسمه ابو محمد زياد بن عبد الله السفياني خرج سنة ١٣٣ اوائل الدولة العباسية ، وانتشار الرايات السود في خراسان ترتبط بقيـــام ابي مسلم الخراساني سنة ١٣٢ هـ ، ايضا قتل النفس الزكية الذي هو محمــد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن والمعروف بأرقط قتل على يد عيسى بن منصور العباسي في عهد الخليفة منصور العباسي بالمدينة سنة ١٤٥ وهــذه العلائم ظهرت سابقا ، ولكن الرواة والمؤلفين نسوها واعتقدوا بانها مـــن علائم ظهور المهدي في آخر الزمان •

---

٣٣ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، ج٩ ص ٧١ ، ابن الاثير : النهاية في غريب الحديــث والاثر ج٢ ص ٩٦ •

٣٤ ـ ترجمة بحار الانوار للمجلسي ، المجلد ١٣ ص ٤٨٣ •

ظهور القـــائم

تقول الشيعة الامامية وبعد ظهور العلائم يظهر المهدي بقدرة الله ولطفه ويتراوح عمره بين ٣٠ و٤٠ عاما وهذا الامر العجيب لا يكون الا بقدرة الله ومعجزة الامام • محل ظهور المهدي في مكة قرب الكعبة والنـاس يبايعونه بين الركن والمقام (٣٥)• ويحيي الله ثلاثمائة وثلاث عشر مؤمنا من الاموات وهم يحاربون الكفار مع الامام المنتظر(٣٦)• يقول المرحوم المجلسي قـــال رسول الله يخرج المهدي من قرية كرعة وعند خروجه يكون فوق رأسه سحاب ومن بين السحاب تنادي الملائكة « هذا المهدي خليفة الله »•

ويذكر المجلسي في روايته ميزات الامام فيقول لونه عربي (اسمـر) وجسمه اسرائيلي وعلى خده وشم كالكوكب الساطع ، وشعر جبينه قليـل ، وبين ثناياه فاصلة (٣٧)•

وسيجلب المهدي الخاتم والعصا ورداء وعمامة النبي وبعيره غضبـــا وبغله دلدل وفرسه براق وحماره يعفور ويكون معه نسخة من القرآن جمعها الامام علي بن ابي طالب(ع) (٣٨)•

كما ذكرنا سلفا من علائم الظهور نزول المسيح وقتل الدجال بيـــده وصلاته وراء الامام • وعند ظهور المهدي يستيقظ اهل الكهف من نومهم بعد آلاف السنين فيسلم عليهم المهدي وهم يردون سلامه وينامون مرة ثانيـة الى يوم القيامة • وفي روايات اخرى ان اصحاب الكهف يصبحون من انصـاره ويحاربون الكفار معه •

ومن الامانات الموجودة عند المهدي تابوت سكينة لسيدنا موسى (ع)،

٣٥ ـ السيد صدر : المهدي ص ٢٠٨ ـ ٢١١ •
٣٦ ـ محمد باقر المجلسي : تذكرة الائمة طبعة حجرية ، طهران ص ١٧٨ •
٣٧ ـ المجلسي : بحار الانوار، المجلد ١٣ ، ص ٧٢ ـ ٧٣ •
٣٨ ـ ايضا المجلسي : بحار الانوار ، المجلد ١٣ ص ٦٧٤ •

ونسخة مصححة من اسفار التوراة والانجيل وعندما يعرضها على اليهـــود والنصارى فكلهم يسلمون • يستخرج المهدي تابوت سكينة من مغارة في انطاكية واسفار التوراة من جبل في الشام • ومن ثم المسيح يكسر الصليب بأمره ويقتل الدب ويهدم الكنائس • يتوفى المهدي في الاربعين من عمـــره ويدفن بالمدينة بين قبر ابي بكر وعمر • المهدي يأتي بالاسلام الحقيقي ويملا الارض عدلا وقسطا •

واختلفوا في خلافة المهدي قيل ثمان وقيل سبع الى تسع سنين وقال بعضهم خلافته تكون خمس سنوات وفي بعض الروايات ذكرت عشرون الى اربعون عاما (٣٩)•

بيروت
نصر الله سـهـالد
طالب الدراسات العليـا
في جامعـة القديس يوسـف

٣٩ ـ تاريخ شيعه وفرقه هاي اسلام تاقرن جهارم ، تاليف الدكتور محمد جواد مشكور طهران ١٩٧٦ ، السيد صدر الدين صدر : المهدى ص ٨٨ ، ٩٧، ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، بحار الانوارمجلد١٢ ص ٦٦ ، عقيدة الشيعة ص ٢٤٣ ، نجم الثاقب دراحوالات امام غايب ، تاليف حاج ميرزا حسين نوري ، طبعة طهران ، مؤسسة جاويدان .

الايـــام

★ ★ ★

الايام خمسة ، يوم مفقود وهو أمس ، ويوم مشهود وهو يومك الــذي أنت فيه ، ويوم مورود وهو غدك ، ويوم موعود وهو آخر ايامك من الدنيا، ويوم ممدود وهو يوم القيامة •

أنشودة الجراح

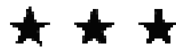
شعر: عدنان حمدان

عطش الثار فـاسكبـي يا جـراح   مات في غمـرة الشروق الصبـاح
الثمـار التي انتظرنـا جناهـا   قطفتهـا حين النضوج الرياح
والعقـول التـي اعتمدنا حجـاها   رقصـت في ربـوعهـا الاقداح
والسيـوف التي اعدت الى الثـار   لم يلف في غمـودهـن صفاح
والصـدور التي تاجـج فيها الحقـد يوما   يصـول فيها السـماح
والرجـال التي يبـالغ في افصـاحهـا اذ جـلا الـدجى اشبـاح
والربـوع الخضراء عادت هشيما   كـل روض بزهوهـا صواح
والثكـالى وحولهـن اليتامـى   ينتشـي في بيوتهـن النـواح
وحصـاد الحروب في كل فصل   عشرات البقـاع منا تبـاح

★ ★ ★

يـا نديمي ومـا سواك بهـذا الامـر ثبـت لـديه راي صراح
اترى الامر واضحـا ام عليـه   من نسيـج المحيـرات وشـاح
فسفـين يرمي بـه الموج خبتا   وتعـين الموج اللئيـم الريـاح
وسالـت المـلاح اين سرانـا   فتوارى عن سـؤلـي المـلاح!
صيـح للمـوت فاستجـابت شـعوب واستطـالت باهلهـا الارواح

وتمطى الرعيـــل وازور عــزم   يــدلي للمنــون او يمتــاح
وقطعنــا من الغــرور يمينـــــا   وشمـــالا وانشبتـه الرمـــاح
وزرعنــا في ليلـة الياس فجرا   واتحنـــا كل الذي قد يتــاح
وكثيرا من الثمـار قطفنـــــا   غير ان الجمـــال فيها جماح
فدعـــوا للسلام فارتـد نصـر   ثـم صـاحوا بان ذاك افتـــراح
فتهاوى من حـــالق الافق نسـر   اريحـــي قد هيض منـه الجناح
يا نديمي وفي الحــديث شجـــون   سحـــب الصيف غيثهـــن مزاح
فشــل دائـم الربيع واخفـــاق   المســاعي غــدونـــا والـرواح
قفزة نحــن ثم تنكـص للخلف   وفي ظهرانـــا ترف الجــراح



يـــا جراح الشهيد وهو ضجيـع   المـــوت عزا بـــه لانت سـلاح
فشظـــايا الجراح تنبث كــالفجر   لهيبـــا على الــدجى فيـزاح
ومطـاف النمـاء مضمون نصر   سرمـــدي عطـــاؤه وطمـــاح
عبقري النـوال سمح العطايـــا   تعبـت في امتداحـه المـــداح
رحـم طـــاهر وكـل وليـــد   لم يجيء منـه فهو سقط سفاح
يمنـح الحرب رجلهـا ولظـاها   لا عـدمنـــاك ايهـا المنـــاح
يزهر الثـار في ضفـافك نصـــرا   ثم تخضـر بالفخـار الســـاح

كربـلاء ـ العراق   عدنـــان حمـدان

محنة الجنوب الكبرى

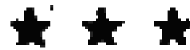
شعر : الشيخ محمد حسين الزين

عرج على لبنان حادي الاينق ... لترى الجنوب واهله في مازق
وعوامل الحرب الضروس بغربه ... وجنوبه وشماله والمشرق
واهمها طمع العدو بما حوى ... من منبت خصب ومن ماء نقي
وموانىء كانت قديما وحدها ... أرقى الموانىء للسفين الفينيقي
فانصاع يقذفه باوقات الضحى ... والصبح والامساء ليل مغسق
بقذائف هدامة حراقة ... جبلت شظاياها بغاز محرق
فهوت بيوت كلها فوق الثرى ... وتصدعت اخرى فما عادت تقي
وتفرقت سكانها ايدي سبا ... وغدوا نزولا في العراء المرهق
لا ماء فيه ولا كلاء ولا ضيا ... لا نوم لا اسعاف للدنف الشقي

★ ★ ★

وتكاثر النهب الدنيء علانيا ... من دارة المثري ودار المملق
ومن الدوائر والمتاجر كلها ... حتى التي اختصت ببيع الفستق
أو خصصت للقوت شبه مطاعم ... أو افردت للنوم شبه الفندق
حتى المعاهد والمعابد نالها ... شر اللصوص وقبلهم لم تسرق

اما الضحايا جلها من عـجز | او رضـع او نـائم في الخنـدق
والبعض مزقـت الشظايا جسمه | في الحقل او في البيت شر ممزق
امـا الفقـير فقد اضيف لفقره | ان لا يـرى في قومـه من مشفق
او لا يرى عمـلا يقـوم باوده | فاضطـر يطرق كل باب مغلق



امـا الثكـالى الحاسرات فانهـا | تروي الثرى في دمعها المتدفق
وتنـوح لا الخنساء تحكي نوحها | كلا ولا رجع الحمـام الشيـق
امـا اليتامى البائسـون فما راوا | من ميتـم ياوي وشهم منفـق
حيث القلوب قست كاحجار الصفا | والاثريـاء تشبثوا بـالدافـق
فاذا اتى غـوث لاربـاب الشقا | هب الثري لاخذه قبل الشقي
والنـاس اضحوا كالقيامة ذهـلا | لا يابهـون بمن قضـى وبمن بقي
تركـوا التجـول حيطة من رميهم | برصاصـة القنص السريع المحدق
او خطفهـم وعذابهم في مكمـن | كمن القساة لديه قرب المفرق
تركوا الضحـايـا في العراء عواريـا | وتسـابقـوا نحو الخبيء الضيق
كالضب يسرع للدخول بجحـره | حذر الهـلاك برشقة من مرشـق
حتى اذا ظنـوا الهـدوء تعجلوا | في دفن موتـاهم بقبر مطبـق



كثرت مواعيد السلام لشعبنـا | من معشر ما فيهم من صـادق
هـذا العدو تفاقمت ضرباتـه | وقضـت على بعض الهدوء السابـق

وعلى أماني الصامدين بأرضهم رغم العذاب او الخراب الماحق
فتهجروا عنها برغم انوفهم متسابقين الى المكان الساحق
فلعلهم ينجون من بعض العنا او شر هناك ووحش ناطق

★ ★ ★

عم الاذى كل الجنوب فلا ترى من مؤمن ناج ولا من فاسق
اين الاولى ملأوا الجيوب باسمه وبنوا قصورا كالقصور بجلق؟
اين الاولى ملأوا البلاد حماسة وتملقا في القول او في الموثق؟
ام يلف منهم واحدا قد عاده في « المحنة الكبرى » وشاهد ما لقي
تركوه مغلول اليدين فريسة لعدوه الشرس اللدود الاحمق
وتكلموا لما تكلم غيرهم كالببغا لا تستقل بمنطق

نزيل بيروت

المهجر
محمد حسين الزين
الجنوبي

تحدثني، ولم أفهم عليها
كأن حديثها الشعر الحديث

عبد الحسين عبد الله

مرحى بالزين في ثرى الحسين

نظم: سلمان هادي الطعمة

قلوب اهل الهوى في غـاية الطرب — شوقـا بمقدم فخر العـلم والادب
ورفرف النصر فـالايام ضاحكـة — تتيـه كالحسن في اثوابها القشـب
ومشعل الفكر اذ يـزدان مؤتلقـا — يشـع منه سنى العرفـان عن كثب
مجـلة بجميـل الـذكر حافلة — تجر اذيـالها تيها على الشهب
تحـوي من الادب العالي صحائفهـا — وتزدهي بشذا الاشمـار والخطب
تحكي الثريـا اذا ما لاح مبسمها — تنـادم الفكر في مناى ومقتـرب
يـا بلبل الادب الفريـد ما برحت — عرائـس الوجد في جـد وفي لعـب
غرد على فنن العرفـان منتشيـا — في هامة الفخر سجع الصادح الطرب
عسـاك تنعش ارواحـا وافئـدة — كيمـا تزيـل هموم المجهد التعب
حللت في كربـلا اهلا وقد شخصت — اليـك افكـارها من سالف الحقب
فالرافـدان ولبنان الاشـم معـا — لا فرق بينهما في وحدة النسب
تحية ملؤهـا الاكبـار عاطـرة — ترف من خلجـات الشوق والحبب

كربلاء ــ العراق — سلمان هادي الطعمه

الشمعة المحترقة

شعر: علي الفتال

افنيت عمرك في القرطاس والقلم — وكنت للحق تجلوه وانت ظمي
وصرت من فرط ما تهوى الصراحة لا — تخشى الملامة من لوامة قزم
لانت كالطود والاقزام جاثية — ترنو اليك كنبع في ذرى القمم
واليوم حسبك فاهنا بعد طول عنى — في عالم الحرف تسمى غير مغتنم
ان انت كرمت ما كرمت عن عبث — الا لانك نور في دجى الكلم
(الناس تعشق من خالا بوجنته) — وما عشقت سوى القرطاس والقلم

★ ★ ★

ايه ابا الزين كم أتحفتنا ابدا — من فيض علمك من نثر ومن نظم
فمرة انت صداح بقافية — فرائدا تصطفيها عذبة النغم
ومرة انت للتاريخ منصفه — ومرة انت شيخ وافر الحكم
ومرة بل ومرات تطوف على — هذا الفقيد وذاك الطيب الشهم
تطريه من فيض طيب انت منبعه — لدفق نور مزيلا حلكة الظلم

★ ★ ★

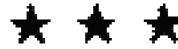
فاسلم ابا الزين في ما قلت من كلم — فالقلب موحيه لا من رغوة بفمي

العراق ــ كربلاء — علي كاظم الفتال

رورو الشاعر

نظم - ابن العروبة

جاء « رورو » مبهرج الثوب زاه ... مسدلا شعره على كتفيه
وله شاربان طالت نزولا ... وتدلت فجاوزت فكيه
وارتدى بزة النساء اختيارا ... من لدن راسه الى قدميه
فحكى الفانيات غنجا ودلا ... عله يجذب العيون اليه
ثم سمى الشذوذ هذا جديدا ... ماله في قديمنا من شبيه



ومشى الدلع في ميوعة خنثى ... وتثنى كالغصن في ميلتيه
وحكى الثرثرات من غامض ... القول والهذر ما يحكيه
قلنا هذا : اجاب شعر جديد ... لهواتي من خاطري امليه
اننا نطلب الجديد خروجا ... من اطار القديم رغم ذويه
هيئوا لي التلفاز اظهر فيه ... هيئوا لي المذياع كي القيه
هيئوا لي : والمال عندي وفير ... هيئوا لي من فضلكم سامعيه
هيئوا لي الاعلام من كل نوع ... لاريكم « بالضبط » ما اخفيه
اننا في عالم الشعور جديد ... يرفض الذكريات عن ماضيه
ليس في كيفكم وجوب بقاء ... ثابت ان سيرته ارتضيه

كل ما في وجودكم من نظام لفتة من حصافتي تنفيه
ما دياناتكم وتلك الحواشي غير سخيف اسلافكم تمليه
ليس اخلاقكم وتلك النواهي غير وهم خسرتم العمر فيه
كان اباؤكم فكنتم صداهم لستم غيرنا قل عن ابيه
وأتينا لهدم ما شدتموه من بناء وما رجعتم اليه

★ ★ ★

قال : « رورو » مؤشرا بيديه انا حر ، وما نشات عليه
خطتي الرفض في جميع القضايا وجحودي لما اصطلحتم عليه

★ ★ ★

ايهذا « الهبي » حسبك هذرا لست الا في عالم التمويه
اننا ناكل الطعام فهل تاكل غير الطعام يا ابن الايه
اننا نشرب الشراب فاي الصنف مما ارتضيه تستقيه
ليس ما في الوجود من موجدات غير داء ووصفة تشفيه
سنة الخلق والحياة نظام ابدعت صنعة المصور فيه
جل باري الوجود في كل معنى عن نظام التبديل والتشويه
ايها المفلس الخلي من الفكر والقول والكلام النزيه
قد تعلمت بضع كلمات في الشعر اذ رحت جاهلا تدعيه
وتربعت سدة الحكم تقضي تصطفي من تشاء او تنفيه
لم يكن شعرك المسمى جديدا غير خبط العشواء في ارض تيه
خبت لم تاتنا بغير عقيم يا لك الويل والذي تاتيه
مفردات من الكلام عجاف اعربت عن ضميرك المتبوه

ورمـوز مـن شعر ذات رقيـع برهنـت عن هـواجس المعتوه
كـل مـا جئت من شذوذ المعاني هـذيان المحمـوم غـم عليـــه

★ ★ ★

رب غـر مراهـــق جاء يوما يـدعي الشعر عبر من يدعيه
قائمـــا قاعدا لنشـر هـــراء بـاذلا في سبيلـــه ما لديـــه
ولقـد ظن بالمظـاهر اضحـى حجـــة ترجـــع الرواة اليـــه
شاعر الخنفشار حسبك هذرا تدعـي دائمـا بما لست فيـه
كل مـــا قلتـه خليط كـلام فاسـد عن سخافـة تهذيـــه
خـل عنـك الزمـان والناس فيـه تتغنى بمـا لهـــما يقتضيـــه
تنشـد الشعر ساحرا بالقوافي واضح القصد سمعنـــا يشتهيـه
وعلـى وزنـه تغنـى صنوفـا من بديـع الالحـان ما ترتضيـه
وعـلى وزنـه تغنى العتابـــا والمعنـى ومـــا يمـت اليـه
ان تلـك الاوزان تقطـر شهـدا « انهـا الدر في يدي مجتنيـه»
فـاذا مـا خلت من الوزن صـارت مثل شعـر مخنفـس تفتريـه
ولقـاء حققته لـم تحقـــق فيـه ما تشتهي ومـا ترتجيه
انـــه ملتقى السخافات حقـا ملتقى الطيـش في جميع الوجوه
ثـم سميتـه عكاظا وسوقـــا سـوف اجيالنـا غدا ترويـــه
اي سـوق هذا واي عكـــاظ جئـت يـــا فاقد الذكا تحييه
كســدت سلعة لديـك وبارت ولــك الغبن بالذي تشتريـه

ابـن العروبـة ـ الجنـوب

حب ولكن .....

قصة ـ بقلم وحيد الدين بهاء الدين

جلست حياله هادئة طائعة ، تترنح بها احاسيس متناقضة صارخة، أثارها الموقف لاول وهلة .. تتلمذ على مدرس لا تعرفه من قبل . ولم يخطر لها ببال أنها تلاقيه في يوم ما ، لينتشلها من ما تنسحق تحت وطأته .. في قراره .. « انما تصنع الظروف من غير توقعات ، وفي غفلة من الانسان ، اي شيء ينسحب عليه سلبا او ايجابا .. كما او كيفا ..» .

كان يفزعها ما يثور في قاعها .. فكرها شارد يتداعى كالمطرقة على السندان .. الى حيث لا تدري يغوص بها الخيال ، تناهيا وتواترا ..

أخذت تخالسه نظرة تلو اخرى . ثم رفعت اليه رأسها حيرى وخجلى، كمن تريد ان تستدرجه ، وقدتاهت باصرتاها عبر النافذة البلورية المغلقة، في غرفة الضيوف ، من غير تمهيد باغتها المدرس .

ـ لنبدأ من اول الكتاب ..

ـ حسنا كما ترى ...

بحسم :

ـ قبل ان ندخل في صميم الموضوع ، هل هناك ما تودين قوله كمنطلق..؟!

(ماذا اقول له .. بطران .. وهو مالك زمام الامر . وانا اعاني هما واجتياز محنة ؟):

اجابت مرتبكة :

ـ ضعيفة انا في اللغة العربية .. هذا واقعي !؟

وشملها بعينين تعلوهما نظارة طبية :

ـ سأبذل قصارى جهدي لازالة اثار ضعفك . (ومواصلا) :

ـ ولا اريد منك الا ان تتعاوني معي بعض الشيء ..

ردت بشجاعة :

ـ كتابنا يتسم بالجفاف ، فما كان بامكاني ، وهذه حالتي، ان استسيغه طيلة عام كامل من الدراسة ، في الوقت الذي لا تستهويني المادة بالذات .

(حجة واهية وغريبة .. ستمتص كل ما اتشبث به من طاقة .. بنت الشرف والدلال .. لا ادري كيف سأقطع معها هذه الرحلة الشاقة).

ـ عجيب .. ولكن السبب كما يبدو ليس في الكتاب ..

وتساءلت :

ـ يعني !؟

باستخفاف خفي :

ـ وهل تنقصك الرغبة الملحة في الدرس !؟ بلا مؤاخذة ، فالمحاولة قد تخلق مثل هذه الرغبة ..

صمتت «ذكرى» حتما قتالا ..

(هذا اجير يستوفي حقه بعد أداء مهمته . لكن ما باله يلهبني بسياط التقريع) . (ثم متابعا):

ـ ما تحققت الاحلام في دنيا الناس ، ولا الاماني الا بالمحاولات، والاحساس العميق بجدواها ..

مزقها التخاذل ، كأن طاسا من الماء المثلج قد صب عليها ، فبدت منكمشة مختلجـــة :

ــ ولكن حاولت ، وأحاول النوم حتى ادرك غايتي أو اهلك دونهـــــا .

ــ اما اليوم فربما يكون فيه كل شيء قد فات ..

ابتلت عيناها ، وجعلتنا تنفثان شرارة الكمد والتساؤل .. (ربما .. ربما ، آه من قسوة هذه الكلمة الرهيبة !) ..

مرة اخرى :

ــ المحاولة توجدها الرغبة . عذرك غير وارد .. لننظر الى الاســـاس!

امتقع لونها :

ــ ماذا افعل اكثر من ما فعلت ؟!

ــ تلك هي ميزة الفرد في دنيانا ..

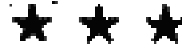
(جاء يدرسني اللغة العربية ام الفلسفة .. واعظ .. خطيب).. وشجعها قوله ، فتفاءلت بعض الشيء :

ــ متأكدة انا من ان ضيقي سينفرج على يديك في هذا الامتحـــان العسير . رفقا بي .. اعصابي مرهقة ..

ــ على اية حال ، اشكرك .. نقطة الضعف في الانسان ، غروره وتغابيه، لا يعير للكارثة بالا الا حين يحس بها ماثلة امامه ، او يباغت بوقوعها فعلا . مع هذا لابدأ معك المشوار من الصفر .

ــ . . . .

غضت « ذكرى » طرفها ، تتوارى في خجل .. ذابت شخصيتها وهي تعض شفتيها مستكينة ، مطرقة ..



« ذكرى » في رونق العمر ، احتفلت لايام خلت بذكرى ميلادها العشرين .. طالبة في الصف المنتهي من الاعدادية . دللها ابواها على نمو مغال ، حتى باتت لا تعنيها من الحياة الا جوانبها المضيئة المغرية .. شبت تحب الرقص والغناء وارتياد السينما . لا تزور أقاربها الا لماما ، ومع افراد اسرتها .. تنظر الى معظم الناس باستعلاء وكبرياء ، فتجفوهم وتنأى عن مجاراتهم .. كذلك لا تخالط زميلاتها بالمدرسة الا اذا كانت مضطرة ..

حاضرها المدرس في موضوعات ، ثم ساعفها على حل بعض التمرينات، ممليا عليها تارة ومسجلا لها بنفسه على دفترها الخاص تارة اخرى ، ما ينبغي ان تحتاط له ، في فترة غيابه عنها ، لتكون على بينة من امرها ، استعدادا للمحاضرة القابلة ..

قال ابوها ، بعيد مغادرة المدرس للبيت :

ـ كيف كان درسك الاول ، ومدرسك ؟!

بشيء من التفاؤل :

ـ مغتبطة انا به .. ومتوقعة للنجاح ..

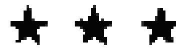
ـ وهل وعى مشكلتك ؟

ـ ابدى تفهما ، وقد صارحته بكل ما يتعلق بي ..

ـ عسى ان يكون فيه الخير ..

ـ ذلك رجائي يا ابي ..

في حين طفقت سيارة المدرس تقدلع به المسافة الى دارته ببطء واضح . زهوة الربيع تدب في اعطافه كما لو كانت قشعريرة الانتشاء .. معتدل قوامها، وممتلىء قليلا . الوجه مستطيل ، يقطر بياضا وينتهي بذقن بارز .. عسليتان عيناها فوق بحر من قشدة . كانت ترتدي فستانا انفرج اعلاه عـن صدر ناهد نافر ، يجانس السماء لونا ويشارك الطبيعة انشراحا .. واقدحت في رحابه شعلة الانعتاق .. يقود سيارته بهدوء مثير .. لا تزايله صورة«ذكرى» عبر الزجاج الذي تخترقه حزمة كثيفة من شمس النهار .. تعاتبه كلماتهـــا الموحية التي ما برحت تقرع اذنيه .. حاصرته الهواجس .. اندفع يستسلـم لعقله الباطن ..



اخذ حضور المدرس الى دار «ذكرى» يتوالى كل اسبوع . انه وان كان مترددا باديء بدء في قبول هذه المهمة لتباعد عهده بالتدريس ، ناهيك بضعف الفتاة في مادة اللغة العربية ، غير انه سرعان ما يتبدد تردده ليحل محله شـــيء من الرضا النفسي .. وكلما استرسل في القاء محاضراته عليها زاد بها تعلقـــا وافتتانا ، واعارها التفاتا واكتراثا ، حتى صار ينتظر حلول الجمعة بفـــارغ الصبر المشوب بالقلق ، ليسعد بلقياها ويأنس بحديثها ، ثم يدعوها انتشاطره وتتجاوب معه ...

بينهما اتصل خيط من الاعجاب المتبادل ، هذا الذي ما لبث ان استحال حبا هادئا ، وان كان غير متكافيء وغير متوازن .. جعلت « ذكرى» تطمئن الى سلوك مدرسها بتمهل ، وتتذوق كلامه المستطرد على حذر ، ثم تستجيب في شبه رغبة لنداءاته العفوية ، بالرغم من الارتياب الذي يخالج كيانها ..

ذات مرة ، وبينما كانا في غمرة احدى المحاضرات ، ومن حيث لا تنتظر « ذكرى » فاجأها المدرس :

ـ هل كنت تتوقعين ، وانتطالبة ، يهمك النجاح قبل اي شـــيء ، ان

تجري بيننا احاديث على هذا المستوى ؟!

ارسلت «ذكرى» عبر النافذة نظرة متحجرة .. كانت الطيور تعلو في سماء الربيع ، والهواء يهب رطبا ، ثم قالت :

ـ قطعا ما كنت اتوقع . هذه الحالة غير سائدة في مجتمعنا ، بينما هي ظاهرة في مجتمعات اخرى اوغلت في مضمار الحضارة ، ثم ليس لكل انسان من الشجاعة ما يحفزه للولوج الى مثل هذه الاحاديث .

ـ انت وديعة وهادئة .. العفو . ولكن يحز في نفسي ان اجدك مترددة وربما معقدة ؟!

لست معقدة كما يخيل لك . انا مترددة هذا هو الاصح ، حتى ولو تعقدت على سبيل الافتراض ، فذلك الى المجتمع الذي نعيش فيه .. انه مجتمع لا يؤمن ولا يفكر .. بل هو يأكل ويشرب ...

ـ جوابك سلبي غير مقنع .. (وتابع):

ـ يظهر انك صندوق مغلق مملوء بالاسرار . تقولين شيئا وتخفين اشياء اخرى ..

بجواب فاتر الا انه حاسم :

ـ نعم ..

ارتفع صوته ينم على الضيق.

ـ ولماذا ؟!

ـ . . . .

واستخف به الهوس مستغلا الموقف :

ـ احبك .. ماذا تريدين ان تقولي ؟!

كانت تداعب قلمها مداراة لواقعها المعاش :

ـ أحسست •• وهل انا جحشة حتى لا افهم ؟

فجأة دخلت عليها امها ، تحمل بيدها صينية ، فوقها كوبان من الحليب، الى جانبهما شيء من المعجنات ••

سادها صمت طاغ مزيج بالخوف •• التقطا فيه انفاسهما المترددة •• ثم كررها •

ـ احبك يا « ذكرى »! ولن انساك ، وسيكون لحبنا ذكرى !

(ماذا يريد مني ؟ وانا اتخبط في محنة لا اعرف كيف اخرج منها)•

ردت منفعلة :

ـ ألا نعود الى الدرس • القلق يعتصر وجودي ببلادة ••

ابتسم هادئا :

ـ لا بأس في ذلك •• لكن لم تجيبي عن السؤال ؟؟

(أف •• من هذا المدرس •• من اين جاء ؟؟)

ـ يسرع الامتحان الينا بكل ثقله ، وانا بعد لم اسيطر على المادة •

ثم مخففا غلواءهـا :

ـ اضمن لك النجاح •• هذا كاف !

اتسعت حدقتاها جذلا ، بدأ صدرها ينشرح ، وملامحها تتلبسها ظلال الراحة ••

ـ بعد النجاح ، سأعرف كيف امزق هذه الدفاتر والكتب !

اسرع المدرس ، فرفع الكوب بيده ، وادناه من فمها ، جعلها تحتسـي

الحليب بطمأنينة ، وما ان عتمت « ذكرى » ان مدت هي الاخرى ، يدهـا الى الكوب الثاني ، وعلت به بعض الشيء ، حتى قربته من فمه ، وجعلتـه يشرب ..

تلاحمت نظراتهما في شبه غيبوبة .. تلاقت ارواحهما بكـبرياء .. تضاحكت اساريرهما في ذروة من الصمت والتوتر ..

ـ احبك يا « ذكرى »..

فاه به المدرس علك غير هدى ..

ـ وانا احبك ايضا .. احبك .. (ثم باستدراك):

ـ اقدرك ، فقد حررتني من سجني .. وانقذتني من اشياء كثيرة ! ايامي عصيبة ، والامتحان غول آت ومخيف ..

ـ احبك يا « ذكرى ».

بايجابية قالت :

ـ اعتقد ان مشكلات الحياة من التعقد ، وهموم الانسان من الكثرة بحيث تكلفنا ثمنا باهظا ، ننسى فيه انفسنا .. فضلا عن ان مجرد التفكـير في الحب ربما كان ترفا ان لم يكن كارثة تنساق وراءها ..

ولم يبال ما نطقت به ،فعاودسالف حديثه :

ـ أذكرك بجمالك الهادىء ، وعينيك العسليتين ...

انقلبت في رضى وابتسمت :

ـ وسوف اذكرك بوجهك الاسمر ونظراتك ذات المعاني ربما لا استطيع تفسيرها ..

ـ اما توضحين اكثر ..

ــ لكن لا شك انك تريد ان تستجلي نفسيتي بنظراتك السديــدة ، وتتوغل في اعماقي بتساؤلاتك ..

ــ هذا صحيح ...؟!

ــ هكذا تعطيني اهمية أكثر من ما استحق !

انساب صوته صارما حاسما :

ــ نعم ، لن انساك ، هل في هذا خير ؟ (ثم) :

ــ وانت يا « ذكرى » ؟!

ــ الظروف تقرر ذلك .. ربما ..

ــ ذكرى ، انت خليقة بحبي .. بثقتي !

بجد مشوب بحياء :

ــ اتمنى ان تحيا حياة هانئة لكيلا تنساني الى الابد ..

اقترب منها وجذبها اليه برفق متناه ، غير انها ابت .. وامسك بيدهــا مستدرجا اياها . مرة اخرى ابت متزحزحة الى الخلف قليلا . ثم ظل يلاطفها شارعا بقراءة كفها على رسل ، وانعطف يقول ، بينما اعماقه تتمزق وتتحرق :

ــ حسنا عذري .. الى الابد .

ــ فليكن ..

ــ ولكن ..

ــ فليكن ...



بباب الحديقة انتصبت « ذكرى » واقفة ، الى جانبها ابوها الشيخ ،

فرحة فرحا مزيجا بشيء مبهم .. شتى التصورات والتخيلات تترامى بها الى ما وراء الافق .. شمس الربيع تدغدغ شعرها شبه الاشقر المسترسل، تودع مدرسها بحرارة ، وقد انتهت مهمته ، وتوالت ايام حلوة من صفحات حياتهما .. عبير الهوى والشكر يفوح من ثغرها ، وصدرها كما لو كان مدا وجزرا:

ـ الى اللقاء .. (وارتفعت يدها الغضة):

ـ الى اللقاء ..

اخذ المدرس ، بسيارته في ذلك الشارع الطويل يتباعد ، و « ذكرى » ما فتئت ملوحة بيدها ، تضطرب شفتاها بكلمات تتيه في الفضاء ويبتلعهـــا جوفه المجهول ..

بغـداد وحيد الدين بهاء الدين

اخـــلاط ستة

سخط الحجاج على احد رؤساء القبائل فحبسه في بيت مظلم ، وامر ان يقيد بالحديد ، فبقي اياما على تلك الحالة ، فأرسل اليه من يسأله عن حالـــه فاذا هو منشرح الصدر مطمئن النفس . فقالوا له : انت في هذه الحالة مـــن الضيق وتراك ناعم البال . فقال : اصطنعت ستة اخلاط وعجنتها واستعملتها فهي التي ابقتني على ما ترون فقالوا : صفه لنا هذه الاخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلوى . فقال : اما الخلط الاول فالثقة بالله ، واما الثاني فكل مقدر كائن ، واما الثالث فالصبر خير ما يستعمله الممتحن ، واما الرابع فاذا لـــم اصبر فماذا اصنع ، واما الخامس فقد يكون اشد مما انا فيه ، واما السادس فمن ساعة الى ساعة فرج ، فبلغ الحجاج ما قاله فأطلقه واعزه .

قصة قصــيرة

الساعـة الواحدة ظهرا

بقلم : رغيــد النحاس

كانت تيرين تلوح له بكل يدها حينما شاهدته يخرج من بوابة الجامعة الى الزقاق الذي تركت فيه سيارتها ، فهناك الموعد المعتاد الساعة الواحــدة من ظهر أغلب ايام الاسبوع • ولعله الموعد الوحيد الذي تلوح فيه تيرين بكل يــدهـــا لانســان • ويبتســم فيــه ماجد هـــذه الابتسامة العريضة التي تغير من طبيعـــة وجهه الجدي الحاد القسمات • واللقـــاء ككـل يوم : عناق طويل ثم نظرات اعجاب متبادلة كأنها تجدد العهد وتعيد الثقــة كل يوم الساعة الواحدة ظهرا •

ــ سيارتي أم سيارتك ؟

ــ لا هذه ولا تلك •• بعد مسيرة الامس أعتقد انني أستحق وجبة شهية خصوصا انني كنت المسلم العربي الوحيد في مسيرة أرمنية ••• انني أمزح!

ــ يا لك من مغرور ، بل كان هناك عشرات المسلمين والعرب وكلـهم ساهموا في احياء ذكرى استشهاد الارمن •

ــ انا متأكد من ذلك •• بل كنت أعاكسك •• ولعل المسلمين والعرب قد عانوا من ظلم العثمانيين بنفس المقدار •• تعرفين رأيي بهذا الموضوع • هيــا تمشى الى •••

ــ « ذي جرين »؟

ــ بالضبط•• تعرفين اني أعتبره احلى زاوية في بيروت •

ـ لا شك انه مكان رائع ومحتدل الاسعار ويبدو انك لا تمل منـــه أبدا • هل لا زلت تشرب فيه كل مساء ؟

ـ أغلب الامسيات وحبذا لو كنت دائما معي•

ـ يا ليت •• يا ليت •

ويضمها اكثر بيده التي تطوق خصرها وتتهادى خطواتهما حينما ينعطفان بالقرب من السفارة الانكليزية الى الكورنيش العريض ، ويمد ماجد بصره الى أمواج البحر الابيض المتوسط الهادئة ثم ينظر في وجه صديقته الابيض الناصع الذي صبغت عليه الشمس الساطعة لونا ورديا •

ـ ان وجهك يا تيرين مثل بيروت •

ـ هل تعني ان فيه الكثير من الابنية والطرقات والسيارات ؟

ويضحك ماجد بصوت مرتفع يصل الى مسامع عامل محطة الوقـــود المجاورة الذي يبتسم له ويأخذ له تحية بيده قائلا :

ـ الله مع الاستاذ •• والحلوين

ـ الله مع سعيد • تفضل وتناول غداءك معنا •

ـ عامر •• بل انتما تفضلا اذا كنتماتقبلان على بعض البيض المسلوق

ـ الف صحة •• الف صحة •

وابتسامة اخرى من ماجد وتيرين •

ـ ماجد •• لا شك انك تحب الناس كلهم على اختلاف طبقاتهم •

ـ بل احب الانسان الطيب من اية طبقة اتى وما الالبسة والمراكز سوى اقنعة تفرضها البيروقراطية وظروف العمل •

ـ كفى فلسفة وخبرني الآن كيفه تمزج بين وجهي وبين بيروت ؟

ـ هل تذكرين في العطلة الماضية حين استعرنا مركب والدك وقمنـــا بنزهة بحرية ؟ حينما عدنا مع الغروب كانت بيروت على البعد ناصعة البياض على خلفية وردية اللون ••• كان شعرك يتطاير مع النسائم الباردة وانـــت ترددين بعضا من اغاني فيروز•• وكان وجهك قد اصطبغ بحمرة الشمـــس الساطعة ••

ـ أتذكر انني حينما وصلت الى كلمة « لؤلؤة بحرية » قلـت لي ان بيروت هي فعلا لؤلؤة في الليل ولؤلؤة في النهار ومنذ تلك اللحظـة نسيت المركب والنسائم الباردة والبحر ونسيت تيرين وصارت بيروت شغلك الشاغل حتى وصلنا الى الميناء •• أيها الخائن !

ـ أعرف انك لا تلومينني •• فأنت تحبين بيروت اكثر ممـا احبها أنا•

ـ اتفقنا •• لقد غلبتني

ـ اتمنى ان أغلبك حتى النهاية

ـ ماذا تعني ؟

ـ أتمنى ان يكون حدسي صحيحا وان يكون وقف اطلاق النار هـذه المرة نهائيا بعد مرور اكثر من شهر دون وقوع حوادث تذكر ، وليس كمـا يتنبأ البعض ـ ومنهم انت •• لم أعرف انك متشائمة الى هذا الحـد •

ـ أنا لست كذلك ولكنني أعتقد ان حرصك على بيروت يجعلك تتصور ان القضية ابسط مما هي عليه •• ان مثاليتك توهمك بان الانسان لا يمكـن أن يقوم بهذه الاعمال التي نسمع عنها نشاهدها خصوصا ان هذا الانســان يدعي انه اكثر بشر المنطقة مدنية وثقافة •

ـ انه امر غريب حقا •• لست ادري •• على كل حال انت لبنانيـــة،

وأنت تدوسين التاريخ ولا بد انك اقرب الى فهم السياسة مني ، أما انا فيبدو ان قوانين الفيزياء لم تستطع أن تجعل مني انسانا ماديا .. لا بد انني عالم فاشل !

ـ بل انك أنت المتشائم الان .. انت انسان ناجح قبل كل شيء وانا متأكدة انك حين تعود للاردن ستقدم الشيء الكثير لبلادك .

ـ الحب أعمى !

ـ صحيح ولكنه ذا بصيرة .

ـ آه .. أيتها الارمنية لا شك ان لغتك العربية في تحسن مستمر .

ويقف ماجد قليلا حتى تمر تيرين امامه الى داخل حديقة المطعم . وكالعادة فان الطاولة الصغيرة التي تتربع في احدى زوايا الحديقة هي مكانهما المفضل . وأول ما يفعله بعد الجلوس هو ان يتفقد ببصره كل زوايا المكان التي اصبحت جزءا منه . النباتات الخضراء الكثيرة المزركشة الاوراق ، والاصائص المرتبة على بركة صغيرة ، والفوانيس المعلقة هنا وهناك ، والباب الزجاجي الخشبي الذي يفصل الحديقة عن المشرب . لقد كان هذا المزيج من الاشكال والالوان مع أنغام الموسيقى المنطلقة من داخل المشرب يعكس اليه مزيج صفارات مختلفة غربية وشرقية . حتى ان رواد المكان هم مزيج من الشرقيين والغربيين ولعل الوضع مشابه للحال في الجامعة الاميركية في بيروت حيث يحصل علومه . لقد كان هذا المزج الحضاري جزءا من نظريته في الحياة . فقد كان يعتقد ان تطور المجتمعات لا بد في يوم من الايام ان يصهر كل الفروقات العنصرية والدينية والاقليمية في بوتقة جديدة تخرج من قالب الانسان كانسان ولا شيء غير الانسان . كان يعلم انه ليس من جديد في هذه الافكار ولكنه كان يعلم ـ وكانت تيرين تعلم ـ ان هذه الافكار لم تتحقق بعد ، وان هذاالمزج قد يشكل ظاهرة خطر عوضا عن ان يكون ظاهرة صحة تحقق تلك الاماني المنشودة .

ـ سأذهب لاحضار الشراب بينما تفكرين ماذا تريدين للغذاء •

ـ سأتناول بعض الجبن والسلطة •

ـ يا للغباء ! بل أعتقد ان الطبق اليومي شهي هذا اليوم •

ـ لا داعي للمصاريف الكثيرة اضف الى ذلك انني لا انوي أكـــل الكثير من الطعام هذا اليوم •

ـ يا لك من بخيلة

ـ حتى لو كنت أنت صاحب الدعوة ؟

ـ هاها•• لا عجب ان أباك من اصحاب الملايين •

ـ كفي ثرثرة وعجل بالشراب فانني عطشى يا حبيبي •

ويبتسم لها وما أن يغادر مكانه حتى تتسلق اليه احدى القطط الاليفة التي تمر بين الحين والآخر مستمدة كرم الزبائن واحيـانا حنان ايديهم التي تداعب جسمها الناعم • وتنظر تيرين في عيون القطة ، وتنظر القطة في عيون تيرين وبعد لحظات من الاطمئنان ترقد القطة بهدوء ، وتحول تيرين عيناهـا الى باب المشرب منتظرة عودة ماجد بحنان كبير •

وضع ماجد قدحين بلون شمس بيروت على الطاولة المغطاة بقمـــاش أرجواني اللون ، وقبل ان يجلس احتسى جرعة كبيرة ثم استدار مخاطبـــا القطة ان تسمح له بالجلوس الى جانبها وحاول وضع نفسه في ما تبقى من مكان على الكرسي بيد ان القطة لم ترق لها الفكرة وقفزت مولية الادبار •

ـ هذا أفضل •• ألا زلت تصرين على السلطة ؟

ـ نعم • مع العلم انه قد يروق لي ان اتطفل الى صحنك وأتذوق بعض « الشيش كباب »•

ـ يا لك من شيطانة ! كم انا سعيد بك •

كانت اللحظات تمر بين جوارحه المفعمة بسكرة الصداقة الحميمة التي تجمعه مع هذه الانسانة ، ويبدو أن أحب شيء الى قلبيهما كان تلك الفكرة الكبيرة .. فكرة الانسان المحب للعطاء ، المتجرد عن الانانيات الدينية او الاقليمية العمياء . وكم من مرة شهدت هذه الطاولة محاوراتهما حول هذا الموضوع ، بل ألم يكن هذا الموضوع هو الذي جمعهما اولا واخيرا؟ أو لم يكابد الكثير حين علم اهله انه يصاحب فتاة من غير دينه . حتى أهل تيرين الاكثر تحررا وتقدما يقبلون به صديقا للعائلة بتحفظ . صحيح انهم في غاية اللطف معه . ولكن .. ألم يلمح له والدها انه لا يقبل فكرة زواج ابنته من غير دينه وذلك خوفا من كلام الناس وهو صاحب مركز اجتماعي كبير ... يا لغباء العالم ! أحقا نحن في اواخر القرن العشرين ؟ ولكنها تبقى الحقائق المرة . وكما قالت لهتيرين ، ان يحب الانسان شيئا لا يعني هذا ان الشيء سيصير في القالب الذي يريده هذا الانسان . صحيح.. صحيح.. كيف يمكن لانسان واحد ان يغير العالم ؟ وحتى ...

ـ اين وصلت ؟

ـ نعم ؟ لا.. لا.. لا شيء ، بل كنت افكر كيف اننا نؤمن معا ان الانسان كانسان هو أهم من العادات والافكار .. أو لم يخلق هو كل هذه العادات والافكار ؟

ـ صحيح ولكن مع الاسف لقد خلق لنفسه فيها سجنا كبيرا . على كل حال دعنا من هذا الان ، فلدي خبران قد لا ترتاح اليهما .

ـ خيرا ؟

ـ اولا لن اتناول القهوة معك الان فعلي أن أذهب .. لن احضر دروس بعد الظهر فوالدتي متوعكة قليلا .

ـ انني شديد الاسف لذلك .. الازمة القلبية من جديد ؟

ـ يبدو كذلك •• ويبدو انني من الان سأصرف الكثير من الوقـت الى جانبها •• أنت تعلم أنني ولدهما الوحيد • ويبدو ان •• الحقيقة ان الشيء الآخر الذي أود ان اقوله هو اننا قد نغادر قريبا الى باريس •• انت تعلـم عقلية والدي •• الامر كله يبدو سخيفا ولو كنا فقراء لبقينا هنا •• اعلم انك ستقول لي لماذا لا تبقين انت •• لست ادري •• على كل حال لازلت فتـاة شرقية بالرغم من كل افكاري وا عتقد ان والدتي ستكون بحاجة الـي •• لسـت ادري ••

وبينما يمسح عن عينيها الدموع القليلة التي قهرت مقاومتها كان يتذكر ان هذه الدموع هي مثل دموعه الصامتة التي تخشى لحظة الفراق •• فراق تيرين •• وفراق لبنان •• وكان يؤكد لها :

ـ نعم اني افهم كل هذا ، لا داعي لان تبحثي عن الاعذار ، بل أعتقد انك تقومين بالشيء الصحيح •• عمليا على الاقل •• اما النظريات •• يبدو ان كل شيء سينتهي كما انتهت قصة شهداء الارمن •• ذكريات سنوية •• للتذكير فقط •• ومـاذا بعد هذا ؟

ـ لا تكن قاسيا

ـ سامحيني •• لا يحق لي أن أقول شيئا •• فأنا ايضا من هـذه « الاكثرية الصامتة » التي لا تستطيع ان تغير وجه الامور •• سلامي لوالدتك وأبيك مع خالص حبي •

ـ •• على كل حال سأراك كثيرا في الايام القادمة ولا بد ان تـأتي لزيارتنا ولا تنس السبت القادم أهلي في الجبل وسأبيت انا في بيروت لان عرس ثريا يوم الاحد •• أنت مدعو ايضا ، وليلة الاحد السهرة عندك •• سأبيت عندك •

ويهز لها برأسه متنهدا مبتسما ابتسامة شاحبة ، اما هي فلقد تصنعـت

المرح في تلك اللحظات وتركته الى فنجان قهوته واتجهت خارجة والدموع تنصب من عينيها . وكان يعلم انها ما ان تغيب عن ناظريه حتى تبكي وتبكي كثيرا . وكان يعلم في قرارة نفسه ان هذه أبسط المشاكل .. على الاقل تيرين بخير ، واصدقاؤه كلهم لا زالوا بخير .. كان كل ما يتمناه هو ان تنتهي أزمة لبنان الى الابد لانه كان لا يزال مقتنعا ان جوهر القضية لا يستحق كل تلك المآسي .. لا يستحق القتل والخطف والتعذيب .. لماذا لا يكون الجميع مثله ومثل تيرين ؟ لماذا لا يتفاهمون على أقل قدر من الخسائر .. يا له من غبي كان يعتقد .. ليس هذا هو منطق التاريخ .. وليس هذا هو منطق الاشتباكات الاهلية .

كان يرفع فنجان قهوته ليحتسي اول جرعة عندما شعر رأسه ينفجر بدوي هائل ويرى امامه أشلاء طاولات وكراسي تتبعثر . هل هذا يوم القيامة الموعود ؟ أمن المعقول ان تكون هذه احدى القذائف الاثيمة ؟ ثم لماذا يحس بسائل ساخن ينساب من رقبته الى ظهره وصدره ؟ لماذا وقع من يده شيء كان يحمله .. لماذا تبعثرت هذه الحديقة الجميلة .. ماذا يحصل الان في بيروت ؟ وتيرين .. أين انت يا تيرين .. أين القيم والانسان والاكثرية الصامتة ؟

عندما بدأت رؤيته تضمحل كانت زرقة السماء الصافية تتهادى كأمواج البحر الابيض المتوسط وكان اللون يتلاشى الى سواد قاتم وكان النور الوحيد الذي يراه هو مركب كبير والى جانبه مركب كبير آخر ، واحد يقترب من بيروت والآخر يبتعد عن جزيرة تغرق في شرق البحر الابيض المتوسط . وعلى كل من المركبين نفس الفتاة تيرين ذات العيون اللوزية تغني للبنان ولارمينيا ولفلسطين .

انكلترا   رغيد النحاس

ابواب العرفان

للاستيلة طلبتحة

من ادب الرسائل

بقلم : سعد ناجي جواد
دكتوراه في العلوم السياسيـة

والدي الحبيب : لقد نقلت لي عزيزتك وعزيزتي لمياء انتاجك الادبي الاخير (من أدب الرسائل) ورحت التهم سطوره فرحا به وان كانت بعض حوادث هذا الكتاب المعروضة من خلال رسائله المتبادلة غير جديدة علي حيث حدثتني انت عنها وعشت انا معك ، كما عاشت العائلة كلها ، الا انني استعدت بقراءة الكتاب ذكريات كثيرة ذكرتني باناس تناقشنا حولهم وموضـــوع صداقتهم .

لقد كانت آراؤنا تتضارب في هذه القضية ، حيث كنت دائما اطــرح فكرة الابتعاد عن كل من تجدفي نفسه سوءا او في شخصيته ضعفاً ، واعتقد بانه يتوجب على الانسان ان ينتقي اصدقاءه المقربــين وان يقــابل الاســاءة بالهجران ، فهذا في اعتقادي هو الحل الناجع مع كل من يحاول استغلال شيء محبب ومقدس كالصداقة، ولكنك يا والدي كنتدائما تحثني على ان لا اكون متطرفا في رأيي ، وتؤكد لي بان الصداقة اخذ وعطاء ، وهي كالصفقة التجارية قد تنجح مرة وقد تفشل اخرى ، وبالنتيجة يكون الانسان مغتبطــا بــما حقق من ربح ، وعليه ان ينسى الخسارة ، ثم كنت ترشدني الى التعرف على

أكثر عدد ممكن من الناس، وان أرحب بكل صداقة جديدة • وبعدها تكـون عملية انتقاء الصديق الصدوق •

بقي هناك ناحية اخرى تخص اخراج الكتاب اسمح لي يا والـدي أن أعرضها أمامك وهي :

اولا ــ من المفضل عند كتابة عن الصديق ان تضع تحت الاسم وبـين قوسين تأريخ الميلاد والوفاة فهذا ما هو متبع في الكتب والمنشورات الـتي تبحث او تتحدث عن الاشخاص والسير ، كأن تقول مثلا اللواء عبد الحميد العبوسي (١٩١٨ ــ ١٩٧٤) ثم تتحدث بعد ذلك عن حياة هذا الانسان، هذه الناحية ستسهل على القارىء معرفة عمر هذا الشخص ببساطة وتوضح للناس أن مجتمعنا لا يحوي المعمرين الذين يغص بهم المجتمع الغربي ، كما وان ذلك سيسهل عليك تفادي السهو في ذكر تاريخ الوفاة ، كما حدث في حديثـك عن صديقك وزميلك عبد علي ناصر طيب الله ثراه •

ثانيا ــ تتعلق بشرحك على الصور المنشورة فبما انك تكتب لجمهـور قد يجهل بعضهم تلك الشخصية التي تكتب عنها ، وكثيرا ما يكون قـد سمع بها ولم يراها ، فالواجب ان تكون واضحا ودقيق الاشارة على كـل صورة تنشرها فالقاعدة المتعارف عليها في مثل هذه الاحوال هو الاشارة من اليمين الى اليسار او بالعكس ؟ كما انه من المستحسن ذكر اسم البلـد او المدينة التي التقطت فيها الصورة •

الواقع يا والدي : ان هذه الملاحظات البسيطة والاعتراضات الدقيقـة قد لا تهم جوهر الكتاب القيم ، ولكنها تساعد على اخراجه اخراجا اكثـر جودة ، واكبر أهمية للمستقبل •

ثالثا ــ وهو الاهم ، فيما يخص محتوى الكتاب ، فقد جرت العـادة عند الكتابة عن الرسائل ، او عن سيرة انسان من خلال رسائله ان تكـون المقدمة التي تسبق نشر الرسائل اطول واكثر تحليلا وشرحا ، لذا اعتقـد انه

كان من المستحسن ان تضيف زيادة على النبذة العامة عن (أهمية الرسائل) مقدمة تشرح فيها بشيء من التفصيل عن الاثر الذي تركته هذه الرسالة او تلك من نفسك، أو عن الدافع الذي جعلك تكتب هذه الرسالة، وبالاحرى عن الدافع الذي جعلك تهتم بهذه الرسائل وتحتفظ بها، هل هو الدافع الادبي؟ ام أنه دافع شخصي ... ؟ قد تقول انك اتبعت ذلك بذكر نبذة قبل كل رسالة، ولكن ذلك ليس بالوافي حيث ان هذه النبذة جاءت معرفة بالشخص اكثر منها بالرسالة ، والذي أقصده انا هو ان تكون هنالك مقدمة تشرح فيها السبب الذي دفعك لكتابة الرسائل في الاربعينيات ثم سبب احتفاظك بهم ، هل كان سبب ذلك مثلا انك بدأت تكتب الى اصدقاء اخذوا بالابتعاد عنك سعيا وراء الرزق ، ومتطلبات الحياة والواجب الوظيفي ــ كما هو المفهوم من الرسالة الاولى والثانية ، وعندها تكون الدوافع هي المشاعر الاخوانية ، أم ان السبب كان لتكاثر مشاكلك وتزاحم متاعبك في تلك الفترة من توقد طموحك حيث كنت تعيش ثلاث تجارب متداخلة ومضيئة في نفس الوقت ، الا وهي ارساء الاسس المتنامية لعائلتك المتنامية وجهادك في الحصول على دراسة كافية ومؤهلة تتناسب ومواهبك الادبية ، وسعيك وراء رزق تجاري يتناقض واتجاهاتك الادبية العاطفية الخيالية .

أقول هل تلك الاسباب جعلتك تشعر بالحاجة الى التحدث الى الاصدقاء والادباء ، ثم في الخمسينات هل كان السبب هو انك واجهت مشكلة اخرى وهي انك بعد أن وفقت في تجارتك وبدأت تمد يد العون الى جميع الناس المقربين منك وخاصة المثقفين والادباء منهم (حيث انهم هم المفلسين في كل عهد ومجتمع) مع الاسف ، أقول هل كان ذلك بدافع محبة العلم وتقديس الادب، أم انه اندفاع روحي يشابه اندفاعك نحو الاصدقاء في الاربعينات ؟ ثم ماذا كان الاثر في الستينات والسبعينات ، حين بدأت تشعر بالصدمة التي ظهرت واضحة في الكثير من رسائل تلك الفترة نتيجة لفشلك في تقييم بعض الاصدقاء الذين تنكروا لك في ايام عزهم ...!

واخيرا ما هو الاثر الذي تركه على نفسك ذلك الجحود ونكران الجميل ...! طبعا هذا ما افكر به انا ، اذ اني متأكد بانك تحمل اراء تعاكس بعض ارائي ...

وبودي بل كنت آتمنى ان تكون اشارتك لصديقك المرحوم حسين عاصي أدق وأوضح وحاوية على سبب وفاته ، وكيف ان قلبه استكثر عليه فرحته العظيمة ، ساعة قفز قفزاته الطفولية عند سماعه نبأ عبور الجيش العربي المصري (لقناة السويس) واحتلاله (خط بارليف) فتخلى عنه قلبه في وقت كان هو في أشد الحاجةاليه لاسناده في هذه الفرحة الكبرى .

لا يخفى عليك ـ يا والدي وصديقي ـ بان السبب الذي دفعني لتسطير هذه النقاط ، هو انني أعتقد ان التفصيل والشرح لمثل هذه الاحداث التي قد تكون بسيطة اليوم او بديهية لانها حدثت حولنا او معنا ، ولكن ستكون لها أهميتها كلما تقادم عليها الزمان ، ثم انها ستساعد القارىء كثيرا على تفهم القصد من وراء كتابة رسائلك ومن ثم على السبب الذي دفعك لاختيار هذه الرسالة بدلا من تلك . وبالتالي على العيش معك ، او بالاحرى تأهيل القارىء كي يعيش في جو عشته انت اثناء تسطيرك لهذه الرسائل .

لندن سعد ناجي جواد

وَإذا ٱلعُروبةُ سُدَّ عنكَ بيانُها

فسدَ ٱلفؤادُ معَ ٱلبيانِ ٱلمُفسدِ

شفيق جبري

اخترنا لك :
أحسن ما في الكتب

من كتـاب : قضايا الفكر في الادب
المعاصر للاستـاذ وديع فلسطـين

الحروف الـلاتينيـة

ونشبت معركة حول الحرف اللاتيني وهل يصلح للحلول محل الحرف العربي في لغة الضاد • وكان اول داعية الى الكتابة بالحروف اللاتينية هـو المرحوم الدكتور عبد العزيز فهمي الذي وضع في هذا الباب سفرا بسط فيه دعواه • ولكن وفاة صاحب هذه الدعوة عاجلت الدعوة نفسها ، لولا ان سلامه موسى كان يبعثها من آن الى آن مطالبا بأن تكتب اللغة العربية بحروف لاتينية ، شأن التركية والروسية والصقلبية وما اليها من لغى •

ومعروف ان الصلة مقطوعة تماما بين اللغة العربية واللغة اللاتينيـة القديمة ومشتقاتها الحديثة • فمحاولة انشاء صلة بين اللغة العربية واللغـات اللاتينية الاصل لا يمكن ان تتم الا على حساب التراث العربي كله ، لان الاخذ بالحرف اللاتيني يقطع كل صلة بين الضاد وتراثها القديم ، وقد ينشىء لها صلة بالآداب اللاتينية وهو امر تكتنفه الريب الكثيرة •

والحرف هو من مقومات اللغة ومميزاتها • فان انفصل عنها تهالكـت اللغة وتداعت وصارت حطاما •

ومما نفهمه ونقبله أن يدعو داع الى اضافة حروف جديدة الى اللغـة العربية تسد ما فيها من ثغرات كحرف الباء ذي النقاط الثلاث مثلا او حرف

الفاء المثلث النقاط او حرف الجيم المخفف غير المعطش . ولكـن مما لا نفهمه او نقبله ان ندع حروف الهجاء العربية جميعا ونحاول الاستعاضة عنها بحروف هجاء لاتينية ، ثم لا نكتفي بذلك بل نحرف هذه الحروف الابجدية الجديدة مضيفين اليها حروفا اخرى منتقية منها كالخاء والظاء والعين والغين والحـاء وما اليها .

بل ان مما نفهمه ولا نقبله ان يدعو داع الى هجر اللغة العربيـة بحروفها وقواعدها وتراثها الى لغة اخرى كالتركية الحديثة مثلا التي صار لها تـراث وكيان مستقلان عن اللغة التركية القديمة .

ومما نفهمه ولا نقبله أن يدعو داع الى هجر اللغة العربية هجرا تامـا الى غيرها من اللغات اللاتينية الحية ذات التراث المجيد ، كالانجليزيـة او الفرنسية ، لانهما لغتان عصريتان متطورتان تتسعان للعلم ومصطلحاتـه وألفاظه . اما ان يدعو داع الى ابتداع لغة جديدة ، وحروفها خليط مـن اللاتينية وغير اللاتينية ، وقواعدها عربية محرفة ، وتراثها معدوم ، وكيـانها متروك للاجتهاد الفردي ، فهذه دعوة لا نفهمها ولا نقبلها .

ثم ، أليس مما يعطل ركب الثقافة ان نقف حيث نحن ، ثم نبدأ تعلم هذه اللغة الجديدة ، ثم متى اجدناها وتمكنا منها شرعنا في اصدار كتب وصحف ومجلات بها . وبعد ذلك نضيع العمر في اعادة كتابة التصانيف القديمة كلها بهذه اللغة ؟ أليس هذا مضيعة للوقت ؟ وخير منه واجدى وابدى ان ينفـق هذا الوقت في البحث عن الاساليب التي تجعل اللغة العربية لغة عصرية مطواعة للعلوم غنية بالترجمات عن الآداب الغربية والشرقية جميعا ؟

فالحرف اللاتيني قد يساعد على تقويم النطق . ولكنه يقضي على اللغة العربية قضاء مبرما ، ولو حلت قضية القواعد على النحو الذي يناه في مـا

تقدم ، لما كانت هناك حاجة الى تقويم النطق او ضبطه ، لان النطق يهـون على من يعرف القواعد ويراعيها .

وما دمنا نتكلم عن النطق ، نذكر ان محمد فريد ابا حديد كان قداقترح تسكين أواخر الكلمات عند النطق ، كما هو الحال في الحديث الذي يجري بين اثنين . فلا يعني المحاضر او المذيع او الخطيب بتحريك اواخر الكلمات حسب موقعها من الاعراب ، لان في السكون عصمة له من الخطأ . وهـذا الرأي غير عملي لان تحريك اواخر الكلمات ضروري لربط كلام المتكلم من ناحية ، ولافهام القارىء المعنى الذي يقصده المتحدث من ناحية اخرى . ثم ان هذا الاقتراح غير مقبول اذا كان المجال مجال استشهاد بالشعر او تلاوة له . فالشكل ضرورة جوهرية في الشعر ، وبدونه لا يخلو الوزن من عيوب الكسر والخلل .

واقتراح فريد ابي حديد لا يحل مشكلة بل يهرب من مجابهة تلـك المشكلة . فهو لا يحل مشكلة النطق ولا مشكلة القواعد . ولكنه يتهـرب من مواجهة هاتين المشكلتين متسترا وراء السكون . والعلاج السليم هـو ان يتعلم الناس القواعد ، وبالتالي النطق . ومن ثم يهون عليهم ان يقرأوا قراءة سليمة ، ولا تعود بهم حاجة الى التخفي وراء الحرف الساكن في آخر الكلمـة .

ساسة الغرب تخدع الخصم لكن خادع الشعب في بلادي سياسي

أحمد الصافي النجفي

من كتاب « قول على قول » للاستاذ حسن الكرمي

السؤال : من القائل وما المناسبة :

ليس الكريم الذي يعطي عطيته عن الثناء وان اغلى به الثمنا
بل الكريم الذي يعطي عطيته لغير شيء سوى استحسانه الحسنا
لا يستثيب ببذل العرف محمدة ولا يمن اذا ما قلد المننا

بكاري محمد

ابن الرومي

● الجواب : هذه الابيات الثلاثة للشاعر العباسي ابن الرومي . وفي معنى ابن الرومي عن المن شبيه بقول امرىء القيس :

افسدت بالمن ما اوليت من نعم ليس الكريم اذا اسدى بمنان

ويقول جرير في مدح يزيد بن عبد الملك :

اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف

وابو الاسود المؤلي يقول وينسب الى غيره :

ساشكر عمروا ما تراخت منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت

ويقول بشار في معنى ابن الرومي :

ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم العطاء

ومما يشبه قول ابن الرومي هذه الابيات التي لا اعرف قائلها :

وصاحب سلفت منه الي يد ابطت عليه مكافاتي فعاداني
لما تيقن ان الدهر حاربني ابدى التندم في ما كان اولاني
افسدت بالمن ما اوليت من حسن ليس الكريم اذا اولى بمنان

وقد رأينا ان البيت الاخير لامرىء القيس مع تغيير كلمة واحدة .

وإذا الصحف نشرت

حكايات الاسبوع

باستثناء فرض الرقابة على الصحف ..

وباستثناء قانون الايجارات الذي باركه اصحاب الاملاك ولعنه المستأجرون جميعا ، وهم الكثرة الساحقة من اللبنانيين .

وباستثناء فرض رسوم الماء والكهرباء والحراسة والتليفون عن سنتي الحرب ايام لم يكن هناك تليفون ولا ماء ولا كهرباء ولا شيء على الاطلاق سوى الموت والدمار وتفشي السرقات .

وباستثناء شراء نصف اسهم شركتي التلفزيون واخضاع جميع الاقنية لنقل أخبار الحكومة وتصوير السادة الوزراء وهم يتصافحون استعدادا لاجتماعات العمل وبحث اوراق العمل والانهيال بعد ذلك على رؤوس المشاهدين واعصابهم بالتصريحات والبيانات والوعود التي لا يتحقق منها شيء .

باستثناء كل هذا ، وكل ما هو من نوعه وطرازه ، ماذا فعلت هذه الحكومة ؟

هل كافحت الغلاء ؟ هل وفرت الامن والطمأنينة ؟ هل اصلحت الطرقات وأعادت الحياة الى التليفونات ؟

قولوا لنا ماذا فعلت حكومة الرئيس سليم الحص ؟

هل عمرت سوقا ؟ هل هدمت كوخا ؟ هل حلت مشكلة المهجرين ؟

قولوا لنا ماذا فعلت ؟ وبماذا أحسنت ؟ ولماذا هي محسوبة علينا حكومة ؟

هل كشفت جريمة ؟ هل علقت مشنقة ؟ هل وضعت حدا لاعمال التخريب والترويع وارجاع لبنان الى الوراء ؟



كنت اطرح هذه الاسئلة على صديق من انصار الحكومة ، فكان جوابه ان تقصير الحكومة لا ينفي حقيقة ساطعة وهي ان رئيسها رجل آدمي وسائر اعضائها ناس اوادم .

قلت :

ـ يا سلام ، بل يا الف صلاة وسلام عليك ايها الصديق وعلى هؤلاء الاوادم الذين يحكمون لبنان . لقد كان من واجبنا نحن ابناء الشعب ومن حق السادة الاوادم علينا ان نزوجهم ونصاهرهم ونترك القطط تأكل عشاءهم، ولكن ان نتركهم في الحكم اكثر مما تركناهم وان نغرف من نعمة آدميتهم اكثر مما غرفنا ، ان هذا لا يليق بهم ولايليق بنا ولا بالمنطق البزرميطي الذي تحاول ان تفضل به الادمية على الكفاءة والرجولة واثبات الوجود !

قال الصديق :

ـ لو كنت انت في الحكم ماذا كنت تستطيع ان تفعل ؟

قلت :

ـ اولا وقبل كل شيء كنت اعتذر شاكرا لاني خلقت لاكون صحافيا ولم اخلق لاكون وزيرا . ولكن الطموح عند بعض الناس يتجاوز كل منطق ومعقول ، والا تفضل قل لي ما علاقة رجل المال والبنوك فريد روفايل بالعدلية

والقضاء والمحاكم ؟ وما علاقة الدكتور صلاح سلمان بالداخلية والفرقــة ١٦؟ وكل ما له علاقة بهيبة الدولة ؟ وما علاقة زميله الدكتور اسعد رزق بالتعليم والتربية الوطنية والفنون الجميلة ؟

وهنا ضحك الصديق ضحكة الواثق من الانتصار وقال :

ـ أسمح لي أن أسألك بدوري: ما علاقة البكباشي جمال عبد الناصــر بالثورة والحكم الثوري وزعامة العرب ؟

قلت :

ـ كان الله في عون طبيبك •• نحن نتكلم عن التلال والسفوح فمـــا بالك تنتقل الى رؤوس القمم ؟

واراد ان ينتقم فسألني :

ـ ما رأيك في مبادرة الرئيس السادات ؟

قلت :

ـ صح النوم ، ألم تقرأ ما كتبت بهذا الموضوع ؟

قـــال :

ـ قرأت ولم أقتنع •

قلت :

عمرك ما تقتنع •

قـال :

ـ ليس من عادتك ان تقول كلاما جارحا •• الخ•

الانوار ـ ٢٣ ـ ١ ـ ١٩٧٨

حزب « التبرير » الاسلامي !

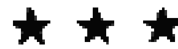
ما رأيكم في ان نطلق عليهم « حزب التبرير الاسلامي »؟

اولئك العارفون المنتشرون في ارجاء عالمنا العربي ، المتخصصون في تفصيل الثياب الاسلامية التي تغطي كل موقف ، وتناسب كل قياس وترضي كل ذوق . المهرة في التلاعب بنصوص القرآن والاحاديث النبوية وتطويـــع حقائق التاريخ الاسلامي . خبراء التلفيق والتخريج ، والترقيع اذا لزم الامر. العباقرة في شم وتحسس اتجاه الريح ، كلما مال الشراع مالوا معه ، شريطـة الا تلوح بوادر الغرق ، لانهم ــ ببساطة ــ يفعلون ما يفعلون ليحيوا ، لا لكي يموتوا !

الا يشكل هؤلاء حزبا حقيقيا ؟.. الهدف واضح والبرنامج والاساليب معروفة ، والانتشار واقع بالفعل . وكما ان هناك احزابا للخاصة ، المحافظين والاقطاعيين مثلا ، فان شرط العضوية الوحيد في حزب « التبرير » هذا هو ان يكون المريدون من العارفين، الذين تشترط فيهم « المرونة » الفكرية ، وسعـة الافق ، والذمة ايضا !

احدهم ، وقف مرة في ندوة باحدى العواصم العربية يؤكد ان التصوير حرام ، ويعزز رأيه بالادلة والقرائن . وبعد ان انتهى من كلامه قال له احـد الجالسين ، الا ترى ان هناك صورا بذاتها معلقة على جدران دواوين الحكومة، وان الصورة التي تعلو ظهرك ينطبق عليها التحريم ، طبقا لما تقول . عندئذ قال صاحبنا بكل وقار ، انه الرسم وليس التصوير . لان التصوير بالكاميرا لم يكن معروفا في ايام الاسلام الاولى ، والصورة في حكم ظل الانسان ، ولم يقل احد بان الظل حرام ! بسرعة مدهشة جاء التبرير ، وتم « تفصيـــل » الفتـــوى .

يذكرنا ذلك بما حدث بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، وتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة بعده ، ثم قوله سيروا بسيرة عمر • ولكن الخليفة الجديد لم يتحمل السير على طريق عمر بن عبد العزيز ، بالمثل العظيم الذي ضربه والقيم النبيلة التي جدد غرسها • اراد يزيد ان يطلق لهواه العنان ، فاتي باربعين شيخا ــ من أهل التبرير ــ فشهدوا له : ما على الخلفاء حساب ولا عذاب!



وكما تتعدد الفرق داخل الحزب الواحد ، فان من بين اهل التبرير فرقة تخصصت في تطويع نصوص القرآن لتفسير الظواهر والانجازات العلمية • اذا هبط الانسان فوق القمر ، قالوا ان ذلك موجود في القرآن • واذا ألقيت قنبلة ذرية على هيروشيما اكدوا ان النبوءة قديمة في بعض السور • واذا اطلق صاروخ في الجو ذكروا ان « قذائف الحق » نعرفها قبل غيرنا •• وهكذا !

وربما كان من تحصيل الحاصل ان نقول ان القرآن تضمن تسجيلات للعديد من الظواهر الكونية والعلمية ، ولكن ملاحظتنا تنصب اساسا على افتعال هذه العلاقة بين القرآن والعلم في مسائل تفصيلية يتقدم فيها البحث وتتغير فيها النتائج كل زمن •

والان يعمل حزب التبرير ــ بكل فرقه ــ بهمة تثير الانتباه ، منذ هبت ريح السلام وهم يرمزون على نقطتين ، موقف الاسلام من السلام ، ثم صلح الحديبية ، باعتباره نموذجا للمهادنة والمصالحة • وما قيل ــ وهو كثير ــ يحتاج الى تصحيح وايضاح•

نعم يدعو الاسلام الى السلام في كل مناسبة قرآنية • وتحية المسلم هي « السلام عليكم » والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، بنص الحديث الشريف • لكن الوقوف عند آية « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » يعد ابتسارا مخلا • وتصويرا غير امين لموقف الاسلام من هذه القضية •

ذلك ان آية « وان جنحوا للسلم ... »، تسبقها على الفور آية«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...» والقرآن الكريم الذي يقول : « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » يسبقهذا النهي بامر نصه : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ». وهو ذاته الذي يقول : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ، ان تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون .»

وهو ذاته الذي يقول : «فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم، فما جعل الله عليهم سبيلا » ثم يضيف : « فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ، ويكفوا ايديهم ، فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم .»

وفقه المسلمين هو الذي يقول : ان غلب العدو على بلد من بلاد الاسلام او ناحية من نواحيها فالجهاد فرض عين . فتخرج المرأة والعبد بلا اذن الزوج والمولي . وكذلك يخرج الولد من غير اذن والديه ، والغريم بغير اذن دائنه.

وفقه المسلمين هو الذي يقول ايضا : ان امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على اهل الغرب تخليصها .

لقد كانت حروب الاسلام دفاعا عن الانسان ، تستهدف تحريره من العبودية والشرك والظلم ، ومن اجل هذه الرسالة فرض « الجهاد »، الذي تتعدد فيه النصوص ، بعضها يحث المؤمنين ويبشرهم وبعضها يرمي القاعدين بابشع النعوت والصفات في الدنيا والآخرة .

واذا كان هذا هو موقف الاسلام من تحرير الآخرين ، فما بالكم اذا تعلق الامر بتحرير المسلمين لانفسهم ؟

ان ابرز الآيات الداعية الى السلام وحدها ، دون الاشارة الى سياقها الحقيقي والشروط الموضوعة في القرآن لتحقيق هذا السلام ، هو حيلة يلجأ اليها اهل التبرير ، متصورين انهم بذلك يركبون الموجة ويسايرون التيار .

وهو منهج مكشوف وشهير في عالمنا العربي ، شعاره قراءة الاحكام بطريقة « لا تقربوا الصلاة ».



بقي موضوع صلح الحديبية ، ومحاولات التذكير به والقياس عليه .

كان ذلك في العام السادس للهجرة ــ في شهر ذي القعدة ــ والرسول (ص) وصحبه في المدينة قوة صاعدة تحاول ان تثبت اقدامها في أرض الجزيرة. وقتئذ اعلن الرسول (ص) انه متوجه الى مكة ليؤدي العمرة ، بينما المشركون هناك رافضون لهذا الكيان الجديد .

خرج الرسول (ص) ومعه ١٥٠٠ من صحابته ، وفزعت قريش ظنا منها انهم قادمون لقتالها. فبعث الرسول (ص) اليهم عثمان بن عفان ليطمئنهم .

اقتنعت قريش ، وأرسلت مبعوثا للاتفاق مع المسلمين، فقال له رسول الله (ص): اكتب بيننا وبينكم كتابا .

وتقول الرواية التاريخية ان الرسول (ص) دعا علي ابن ابي طالب ، وقال: اكتب ، بسم الله الرحمن الرحيم .

عندئذ قال مبعوث قريش ــ سهيل بن عمر ــ اما الرحمن فو الله ما ندري ما هو ، ولكن اكتب «باسمك اللهم » كما كنت تكتب . فقال المسلمون، والله لا نكتبها ، الا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي (ص) : اكتب باسمك اللهم .

وكان هذا تنازلا اثار انتباه المسلمين .

ثم قال الرسول (ص) يملي عليا اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل :والله لو كنا نعم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك . ولكن اكتب : محمد بن عبد الله .

فقال النبي (ص) : اني رسول الله وان كذبتموني . اكتب « محمد بن عبدالله » . وامر عليا بان يمحو ما كتبه ، فتمنع وقال : لا والله لا أمحوها فقال رسول الله (ص) ، أرني مكانها ، فأراه مكانها ، فمحاها .

وكان هذا ايضا تنازلا اثار انتباه المسلمين.

ثم طلب مبعوث قريش ان يرجع المسلمون وعلى رأسهم النبي (ص) ، ولا يعتمرون الا في العام التالي حتى لا يظن العرب انهم دخلوا مكة عنوة، فوافق الرسول (ص) .

بعد ذلك طلب المبعوث شرطا غريبا ، اذا انضم واحد من اهل مكة الى معسكر المسلمين بغير اذن ـ حتى ولو كان قد أسلم ـ يرد الى قريش ، واذا لجأ واحد من المسلمين الى مكة ، لا تلزم قريش برده الى النبي . ووافق الرسول (ص) ايضا على هذا الشرط .

وشاء القدر ان يصل الى معسكر المسلمين ، والاتفاق لم يتم بعد ، احد مسلمي مكة هاربا من العذاب وهو يرسف في قيوده . وقد رمى بنفسه وسط الجموع عند الحديبية . ولم يفوت مبعوث قريش الفرصة ، وقال : هذا يا محمد اول ما اقاضيك عليه على ان ترده .

فرد النبي (ص) قائلا ان الاتفاق لم يتم ، وطلب من مبعوث قريش ان يترك هذا المسلم الوافد (جندل بن سهيل)، ولكن المبعوث اصر على موقفه، فوافق الرسول (ص) على تسليمه .

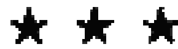
فلم يملك الرجل نفسه وقال مستغيثا : يا معشر المسلمين ، ارد الى المشركين وقد جئت مسلما ، الا ترون ما لقيت ؟

وهكذا ، وسط دهشة المسلمين ، تم الاتفاق بين النبي (ص) وقريش، على هدنة امدها عشر سنوات ، وعلى ان يرجع المسلمون هذا العام ، وعلى ان يدخلوا مكة في العام المقبل والسيوف في اغمادها ، وان لكل قبيلة حق الدخول

في عهد مع اي من الطرفين .. الى غير ذلك من شروط تسليم الافراد بين قريش والمسلمين..

يصف ابن هشام الموقف وقتئذ بقوله انه « دخل عليهم ـ المسلمين ـ امر عظيم حتى كادوا يهلكون ». ويشير الواقدي الى ان المسلمين « كانوا يتميزون غيظا وألما ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ».

هذه باختصار شديد ابرز وقائع صلح الحديبية ، الذي اعتبر بداية الانتصار الكبير للمسلمين ، وفيه نزلت ايات سورة الفتح وفي مقدمتها : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » (نزلت في طريق العودة الى المدينة بعد الاتفاق مباشرة).



واذا أردنا ان نقارن ونقيس ، فلا بد ان نضع في الاعتبار اولا انه في حقيقته « هدنة » مسلحة وليس صلحا (انهار الاتفاق بعد سنتين بسبب نقض قريش لشروطه) ـ ومن ناحية اخرى فان عناصر الصراع الاساسية مختلفة، فلم يكن بين المسلمين وقريش قضية ارض مثلا .

ولنسأل بعد ، كيف كان الصلح فتحا وانتصارا ، رغم ما قدم من تنازلات ؟

لقد كان الانجاز الاكبر هو اعتراف قريش ـ زعيمة الوثنية ـ بالمسلمين كقوة اثبتت وجودها ، حتى صارت طرفا له شرعيته ، وينبغي التسليم بوجوده والتفاهم معه .

ثم ان الصلح اتاح للمسلمين الاختلاط بالمشركين في امان ، ومكنهم ذلك من نشر الاسلام بينهم . وفي سيرة ابن هشام انه « لما كانت الهدنة ووضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضا ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم احد في الاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه ».

وكانت النتيجة ان الرسول كان قد خرج الى الحديبية واصحابه عددهم ١٥٠٠ ، ثم خرج في عام فتح مكة ــ بعد الصلح بعامين ــ وقد وصل عدد أصحابه الى عشرة الاف .

وكان من ثمار الصلح ان توقف العذاب كان يلقاه المسلمون في مكة .

ويذكر سير توماس ارنولد في كتابه «الدعوة الى الاسلام » ان الهدنة أتاحت للرسول (ص) ان ينشط بدعوته بين القبائل التي تقيم جنوبي المدينة حتى تخوم اليمن . وكان لانتشار الاسلام بين هذه القبائل اهمية خاصة من الناحية العسكرية ، اذ انه جعل قريشا محاصرة بالمسلمين من الشمال والجنوب ، وبذلك تقرر مصير مكة وقريش نهائيا .

لقد كان الصلح طريقا لحسم المعركة نهائيا لصالح المسلمين .

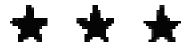
ومن ثمار الصلح ايضا ان الرسول بهدنته مع قريش تمكن من ان يوجه الضربات والسرايا الى القوى الاخرى التي كانت تحاول الانقضاض على المسلمين ، من اليهود الى البيزنطيين الى التجمعات البدوية الاخرى في الصحراء وطوال السنة السابعة للهجرة (الاولى بعد الصلح)، كانت سرايا المسلمين تؤدب هؤلاء وتردعهم .

وبلغة الساعة . فان هذا « الاتفاق الجزئي » مكن الرسول (ص) من « تحييد » قريش ، واتاح للمسلمين فرصة التفرغ لتصفية الجبهات المعادية الاخرى . كان « تسكينا » لجبهة ، وليس انهاء للمعركة بين الاسلام والشرك .

وكتب السيرة حافلة برصد العديد من الانجازات الحقيقية الاخرى التي كسبها المسلمون بعد صلح الحديبية ، بينما كل ما قدموه لم يتجاوز تنازلات شكلية بالدرجة الاولى .

لكن الذين يذكرون ويقيسون ، من اهل التبرير ، يقرأون سيرة النبي

ايضا بطريقة « لا تقربوا الصلاة »! ولو انهم قرأوا الاتفاق بامعان ، لاكتشفوا انه حجة عليهم وليست لهم !



ولن يتوقف نشاط حزب التبرير الاسلامي ، ليس فقط لقوته وعراقته ولكن ايضا لان ظروفا مواتية عديدة تهيىء المناخ المناسب لاستمراره وانتشاره.

ومعذرة اذا كان هذا الذي كتبته بمثابة بلاغ ضد حزب التبرير واهله.

لكنه يشفع لي انني اوجه هذا البلاغ الى ضمير امتنا ، التي يعلم الله وحده ما يراد لها وبها .

ومعذرة ايضا اذا كنت قد قطعت مناقشة اخرى حول مسألة التحديث في الفكر الاسلامي ، ضرورته ومخاطره ومداه .

وأرجو ان استكمل هذه المناقشة في مرة قادمة .

فهمي هويدى

منشئها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ــ سنتها ١٠ اشهر بالف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الثالث مجلد ٦٦ آذار «مارس» ١٩٧٨ ربيـع الاول ١٣٩٨

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر

علم، أدب، فكر، سياسة

تاريخ





مع الكتب

مطبعة الابجدية ـ بيروت ـ تلفون ٢٣٨١٧٤

بيني وبين القارئ

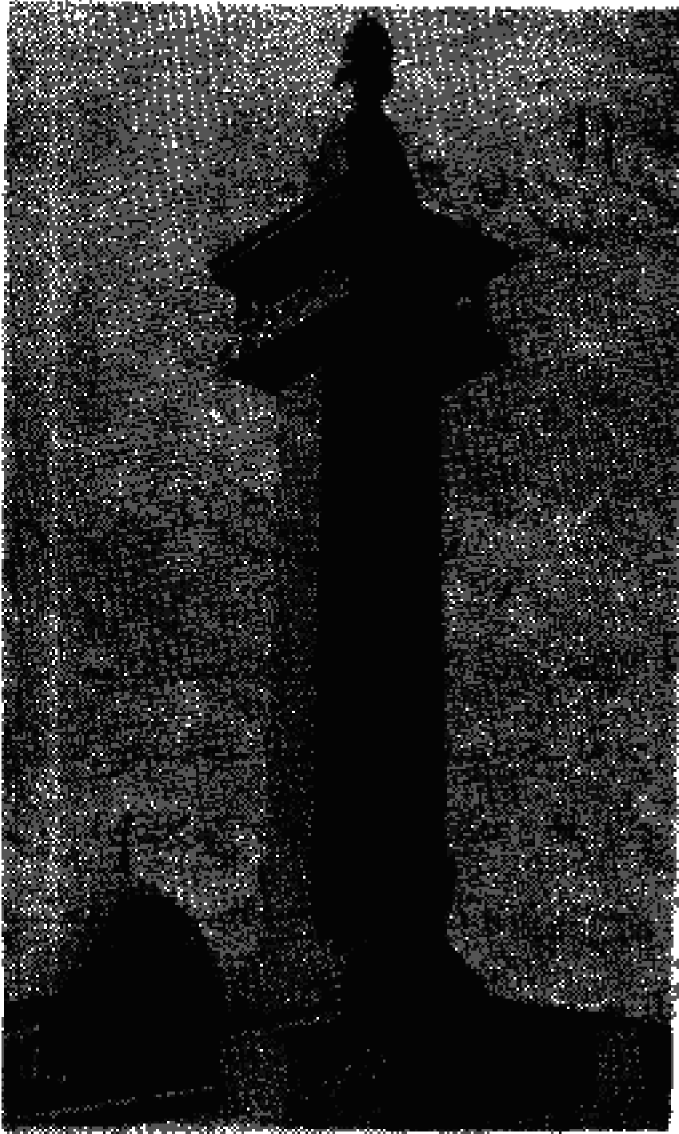
بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

نعود لنحدثك ولو قليلا عن رحلتنا الى الكويت والعراق فاذا ألقينا نظرة على مساجد الكويت تجدها جميلة مزركشة فيها الكثير من الفن المعماري العربي الاسلامي ، ها هو مسجد « المزيدي » بمأذنته وبهوه يستهويك ويستجلبك للصلاة .

وكنا قد أشرنا الى وفاة القيم عليه الشيخ حبيب المزيدي احد وجوه الكويت النيرة رحمه الله واجزل ثوابه . وكذلك مسجد الحاج عبد الله عبد اللطيف العثمان رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ، رائع بكل معنى الكلمة، ولم يزل للآن تذاع الشعائر الدينية في رمضان بالكويت منه ، وهذا أعظم ذكرى وفخر ، وللعثمان مسجد فخم في دمشق ، ومسجد جميل في « بحمدون الضيعة » ولئن لم يقدر كما يجب ، ولم يذكره حتى الذين غمرهم بفضله، فان جزاءه عند الله كبير « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها » فكيف من جاء بالحسنات ، وكان يقدر المروءات والمكرمات .

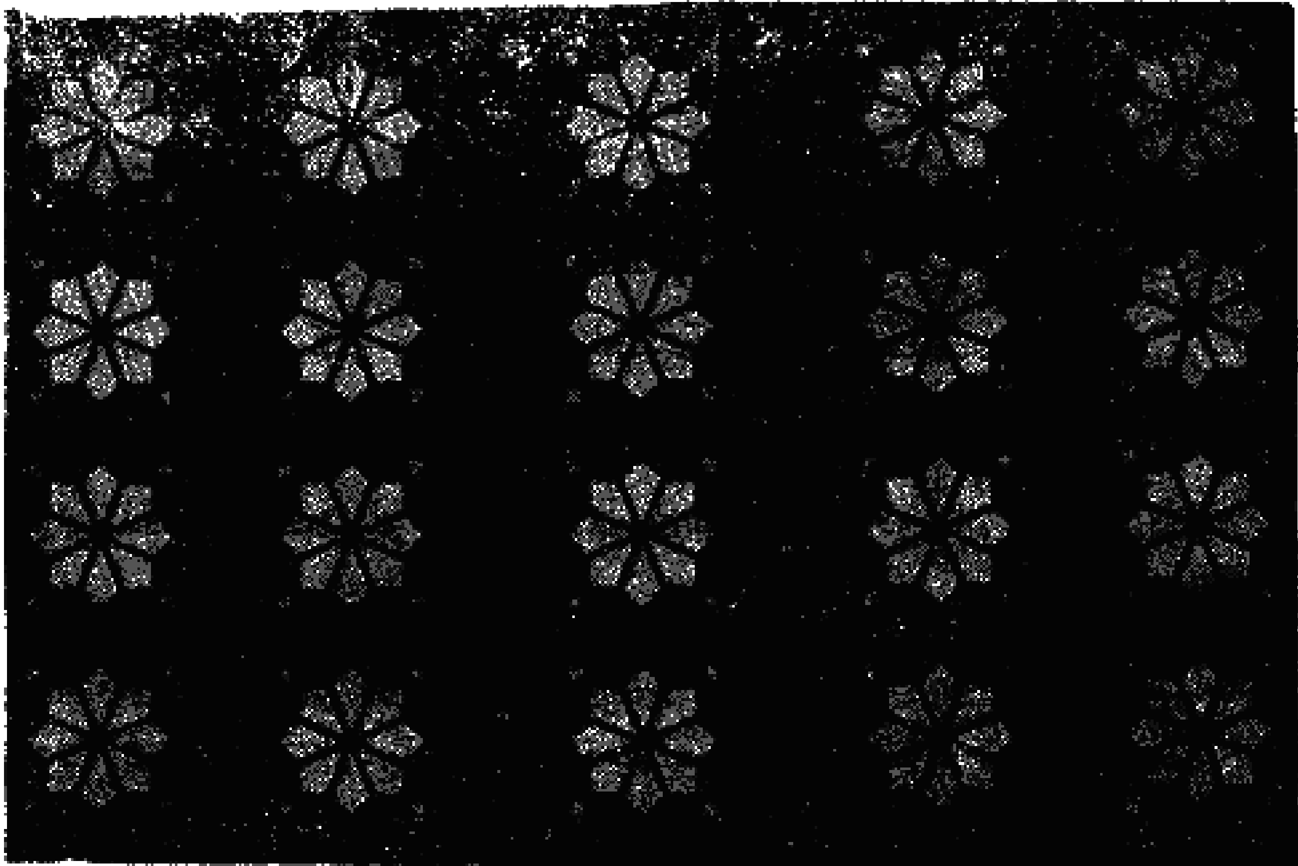
وهذه الديوانيات الموجودة في الكويت التي يحييها ذوو الوجاهة والمكرمة من الكويتيين من أحسن العادات ، ويكفي انها تبعد الناس عن المقاهي وما شابهها وتجمعهم ، على ان بعض هذه الديوانيات كديوانية « الحاج محمد قبازرد» تتحول اكثر الاحيان الى ندوة علمية ادبية قل نظيرها ، وهكذا يجمع الزائر بين غذاء العقل وغذاء المعدة .



ماذنــة مسجد المزيدي

في الكويـــــت .

وتحتها يرى بهو المسجد



وأما في العراق فمن جهة المساجد يكفي ان هناك الحضرات الشريفة التي لا مثيل لها في العالم • وكم أنسنا بان الطبيب الاديب الدكتور عبدالمجيد القصاب وهو من كتاب العرفان القدامى لم يزل يحافظ على ندوته الادبية مساء كل جمعة ، كذلك المحامي الاستاذ حازم المفتي وهو من اشراف الموصل وابن شقيقة المغفور له الشيخ محمد حبيب العبيدي مفتي الموصل احد المجاهدين المخلصين في سبيل العروبة والاسلام وأحد كتاب العرفان القدامى يجلس مساء كل جمعة فيتحلق حوله رهط من المحامين والادباء وذوي الفضل في بغداد •

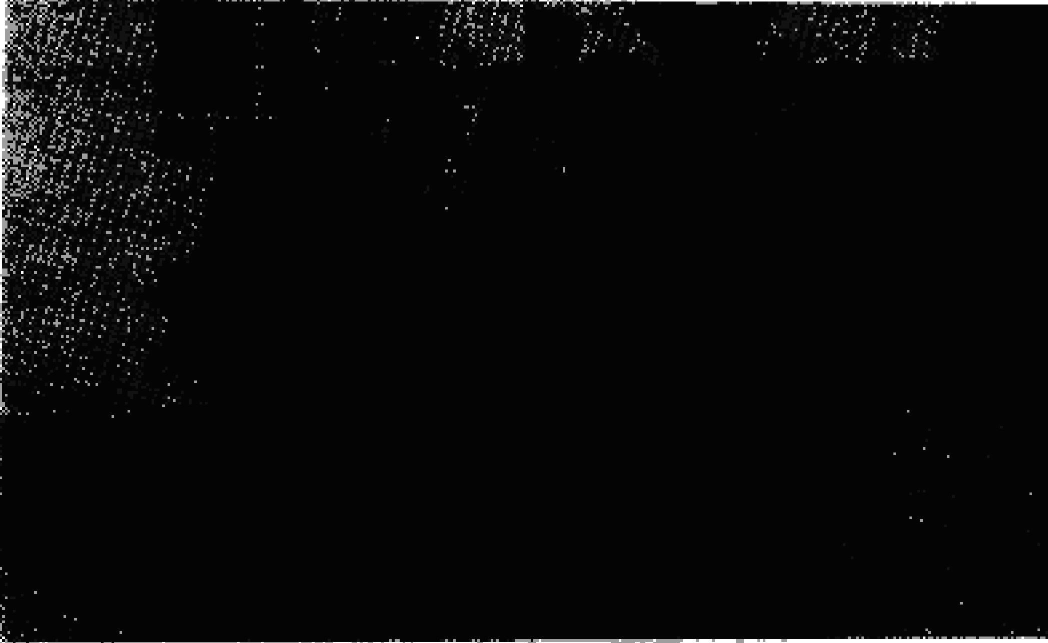
وهناك قبول او استقبال او ندوة سيادة العلامة الاديب الشاعر الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي مساء كل ثلاثاء يحضره جماعة من كبار الادباء والشعراء على ان كل مأدبة في العراق او حفلة شاي تتحول الى ندوة علمية ادبية تاريخية والحقيقة ان العراق في هذا المجال الادبي لا يلحقه لاحق ولا يسبقه سابق •

وصادف في هذه الرحلة وهي الاولى في السنة الماضية ان الدولة اصدرت مرسوما بتعزيز اللغة العربية في دوائرها وهي بادرة حسنة تشكر عليها •

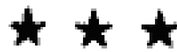
وفي سفرتنا الثانية للعراق السنة الماضية صادف المهرجان الاحتفالي مدة خمسة ايام للمتنبي سيد شعراء العرب قديما وحديثا والذي لا يعترف بشاعريته جماعة الشعر الجديد ، فيا للعجب ، وقبله كان الاحتفال بتكريم « تونبي » المؤرخ البريطاني الشهير صديق العرب •

وليس من المعقول ان نذهب الى العراق ولا نزور النجف وكربلاء اما في النجف فللعرفان جولات وجولات ، وقد سارت بمدينة الامام وعلمائها وادبائها مسير الشمس ، ولكن العرفان ، حظها قليل لان صاحبها لا يطلب ، ولان الجوهر لا تعرف قيمته ولا يقدر حتى عند الرافعين علم الدين والعلم والايمان ، فكيف بغيرهم ؟!

« الكاظمية تحتفي بصاحب العرفان »



من اليمين الدكتور ضياء الدين ابو الحب ، سماحة العلامة الشيخ محمد مهدي الخالصي ، الاستاذ نزار الزين ، الاستاذ طارق الخالصي وراه حسين شعبان والى جانبه يقظان ضياء ابو الحب في حديقة دار سماحة شيخنا الخالصي يوم الجمعة المصادف ١٨ ـ ٢ ـ ١٩٧٨



وفي كربلاء لقينا حفاوة معنوية ادبية ، على ان الاخ الصديق الاديب الاستاذ سلمان هادي الطعمة زاد عليها الحفاوة المادية فشكرا له . وقد كتبت صحيفة العدل النجفية عن هذا الموضوع قائلة :

زار مدينة كربلاء في ايام عيد الاضحى المبارك الاستاذ نزار الزين صاحب مجلة العرفان اللبنانية ، وفي غرفة سادن الرضة الحسينية استقبله السادة الشعراء سلمان هادي آل طعمه ومحمد علي الخفاجي وعدنان غازي الغزالي ثم تفقد الضيف الكريم بعض الاماكن السياحية فزار بحيرة الرزازة ، وفي نادي الموظفين بحي الحسين اقيم على شرفه حفل تكريمي انشدت فيه قصيدتان للشاعر السيد سلمان الطعمة والشاعر علي كاظم الفتال ثم رد عليهما الضيف بكلمة بليغة . وفي مقهى الادباء حياه رهط كبير من الادباء كان من بينهم

السادة محمد حسن الكليدرا آل طعمه والاديب حسن عبد الامير والشاعر عدنان حمدان والشاعر عبد الستار محسن الجواد •• ومكث ليلته في دار الاديب السيد سلمان آل طعمة بحي المعلمين ، ثم عاد الى بغداد فودع بمثل ما استقبل به من حفاوة وتكريم • تاريخ ٧ـ١٢ـ١٩٧٧

وفي هذه السنة دعتنا وزارة الثقافة في العراق لمهرجان الصافي وقد استقبلنا مندوب الوزارة السيد صبار على المطار بكل لطفه ودماثة خلق وصحبنا لفندق آغادير الممتاز من جميع النواحي نظافة وخدمة واكلا • وفي الثاني عشر من شباط ١٩٧٨ كان الاحتفال التأبيني حيث تحدث ممثلا عن الوفود فيه نزار الزين صاحب العرفان ، الذي اختارته اللجنة التكريمية برئاسة الدكتور شفيق الكمالي ، هذا في اليوم الاول واما في اليوم الثاني فقد عقد المهرجان بالنجف • وسنأتي على تفصيل هذا بعددنا الخاص عن الصافي ولكنا نسارع فنقول ان التوفيق والنجاح حالف الحفلتين ، وبتنا تلك الليلة بالفندق السياحي بالنجف الذي سررنا به ، لا لميزته فقط وحسنه ، بل لانا لاول مرة نجد في النجف فندقا من هذا الطراز •

وفي يوم ١٤ـ٢ـ١٩٧٨ غادرنا النجف الى كربلاء مع الوفود وبعد زيارة المقامات المقدسة ، زرنا جمعية النهضة الاسلامية التي تصدر مجلة صوت الاسلام فاستقبلنا بها بكل ترحاب ، وبعد ان رحب رئيس الجمعية بالوفود، قدم السيد عبدالله البردوني شاعر اليمن الذي انشد بعض قصائده، ثم تلا الشاعر الاديب الاستاذ سلمان هادي الطعمة قصيدته « مرحى بالزين في ثرى الحسين » مرحبا بصاحب العرفان ، ثم طلبت الوفود من صاحب العرفان ان يتكلم باسم الوفود ويرد بكلمة شكر ففعل ، وودعنا كما استقبلنا بالحفاوة والاكرام • وقد اخذ منا التلفزيون العراقي حديثا عن الصافي والمربد، وسننشر بعض المواضيع الهامة التي قيلت بالصافي والمربد ، فالى الاعداد القادمة •

وفي ٢٠ـ٢ـ١٩٧٨ ودعنا العراق عائدين الى لبنان •

الكلمة والبناء الفني

بقلم : محمد شرارة

الكلمة جزء من البناء القائم على تصميم هندسي ، والعلاقة بينها وبين غيرها من الكلمات هي العلاقة الهندسية الرابطة بين الجزئيات الكثيرة المؤدية الى بناء جديد . والفرق بين التصميم الهندسي والتصميم الشعري او القصصي ان الاول يضع الخريطة ويوكل اخراجها وتجسيدها الى غيره . اما الثاني فهو المهندس والعامل .. هو المصمم ، وهو الذي يختار الجزئيات ويقيم بينهما العلائق . وفي أحيان كثيرة يطرأ شيء من التعديل على التصميم في أثناء الحركة الذهنية ، أو في اثناء العمل المتحرك الذي يتجول بين الكلمات .

والكلمة ، بهذا المستوى ، جزء من البناء الحي المتكامل الذي تستند إقامته الى نوع من التشارك بين الكلمات والى التفاعل الجدلي الذي يذيبها في غيرها ، ويذيب غيرها فيها . ثم ينشأ من الذوبان المتبادل وحدة مصهورة تتداخل فيها الاجزاء تداخلا يتراءى البناء عنده وكأنه نوع من المليودي المدهشة .

واذا كانت الكلمة بهذا المستوى كان البناء الذي تقيمه اكبر من « المحاكاة » السطحية التي فهمها افلاطون واعتبرها « اقل مرتبة من العلم ومن الصناعة ، لان فيها بعدا عن ادراك جوهر الحقائق ، ولان جهدها ينحصر في نقل مظاهر الاشياء وخيالاتها الحسية »(١) .

وكما أصيبت « المحاكاة» بسوء الفهم أصيب « الايقاع » بالسوء ذاته

« ١ » الدكتور محمد غنيمي هلال : النقد الادبي : ص ٤٤

أو بسوء التفكير . يقولH. COOMBESفي كتابه : « الادب والنقد » : «سوء التفكير حول الايقاع في الكتابة الذي يضلل بعض الكتاب ويغري البعض الآخر ، هو الذي يقيم على وجه الدقة والحصر ، رابطة منطقية او سببية مع الانواع الاخرى من الايقاع كدقة القلب وحركة الاذرع والسيقان ، وتعاقب النهار والليل ، ودوران القمر حول الارض ، ودوران الارض حول الشمس . هذا التكرار الاعتيادي قل او كثر . وهذا النشاط في الانسان والطبيعة والكون هو الذي يقيم آساس الايقاع في الفن . وهذه آخطاء مهمة، لانها تجعل الاستنساخ المجرد مبدأ النشاط، كما لو كان الايقاع في الفن ، جوهريا ، هو الايقاع نفسه الذي يشكل الاستنساخ للوحدات المبني تصميمها على ورق الجدران .

ان العيب في القياس الذي يصبح به الايقاع في الكتابة مسألة تسجيلية منهجية ، وتعبيرا ميكانيكيا فقط » (٢).

وكما تجاوز كومبز هؤلاء المصابين بسوء التفكير في الايقاع ، فقد تجاوز التلميذ استاذه في « المحاكاة » واعتبرها « اعظم من الحقيقة ومن الواقع . والفنون عند اورسطو تحاكي الطبيعة وتساعد على فهمها . والفن شأنه شأن النظم التهذيبية والتربويةيكمل ما لم تكمله الطبيعة ، او يتمم ما تعجز الطبيعة عن اتمامه «٣» لانه في محاكاته يكشف عما ينقصها » وذلك يعني « ان الطبيعة تتشكل من خلال الذات ، لا ان الذات تتشكل من خلال الطبيعة » كما يقول الدكتور عز الدين اسماعيل .

وهذه النظرية الاورسطية التي جاءت ردا ضمنيا على نظرة افلاطون تحمل في جوهرها وفي روحها شيئا من النظرة الحديثة التي ترى ان «البلاغة ليست في صدق الاحساس ، او في صدق التعبير ، او جمال الاسلوب وافصاحه عن شخصية الكاتب بل في ان يخلق الكاتب او الشاعر معادلا موضوعيا

« ٢ » H. COOMEES الادب والنقد ,LITERATURE AND CRITICISM

« ٣ » محمد غنيمي هلال المصدر السابق «٤» الدكتور رشاد رشدي: النقد والنقد الادبي

للاحساس الذي يرغب في التعبير عنه ، او يخلق شيئا يجسد الاحساس ويعادله معادلة كاملة . فاذا اكتمل خلق هذا الشيء ، او هذا المعادل الموضوعي استطاع أن يثير في القاريء الاحساس الذي يهدف الى اثارته »«٤» واذا قورنت هذه النظرية العميقة بنظرة اورسطو السابقة لاح للمتأمل ان النظرة الجديدة تستند ، في جزء منها على الاقل ، الى نظرة اورسطو .

ان اتهام الطبيعة بالنقص والعجز الذي وجهه لها الفيلسوف اليوناني وضع الفانوس بأيدي الذين جاءوا بعده ، ودفعهم الى التفتيش عن سد النقص القائم في الطبيعة ، فكان الصدق في الاحساس ، والتعبير الصادق عنه حتى انتهى البحث الى الشاعر الانكليزي ت.س. اليوت في خلق المعادل القادر على ابداع احساس مماثل عند القاريء .

يوازن ايفور ايفانز بين الكلمة من جهة ، واللون والنغم من جهة اخرى في الاداء الفني ، ثم ينتهي التوازن الى ايمان بقدرة اللون والنغم على اعانة الفنان في الوقت الذي تعجز الكلمة عن تقديم مثل هذه الاعانة لان « الكلمات تستعمل في جميع اغراض الحياة ، واستعمالها بهذه السعة يهبط بها الى الابتذال حتى تصبح كالنقود التي عفى عليها الزمن » بينما يبقى اللون والنغم بعيدين عن الابتذال . وبهذا البعد يكونان عونا للرسم والموسيقى على اداء المهمة . وبعبارة اخرى .. ان الطاقة الابداعية في النغمة واللون تجهز الفنان بالعناصر الابداعية ، وتجعل مهمته في الخلق اسهل من مهمة الشاعر او الكاتب ، لان الحيوية في اللون والنغم اعلى بكثير من حيوية الكلمة . ولذلك كانت مهمة الشعر اصعب بكثير من مهمة الموسيقي والرسم ، لان ادواته اقرب الى الموتى منها الى الاحياء اذا قيست بالنغم واللون . وعليه ، لكي تصبح الادوات لائقة ، ان ينفخ بها الروح ، ولن يكون قادرا على القيام بهذا العبء الا اذا كان بمستوى الانبياء القادرين على احياء الموتى.

يقول ايفور : «الشاعر يحاول النظر الى الكلمات نظرة جديدة ويرتبها ترتيبا يوفر المتعة التي نجنيها من الموسيقى او الصورة . وينشأ الجانب الاكبر

من هذه المتعة عن ترتيب الكلمات ترتيبا يحلو وقعه في السمع حين تتعاقب الالفاظ الواقع عليها الضغط ، والالفاظ الممتدة على مدى زمني اطول بحيث توفر لمجموعة من الكلمات شيئا من اللذة التي تحققها الموسيقى.» «٥»

ولو كانت الكلمات اجراسا فقط لكان لهذا الرأي شأن كبير ، ولكنها اكثر من اجراس .. انها افكار وعواطف وايحاءات واجواء متجددة وما أشبه ذلك من الامور الخلفية الكامنة وراء التركيب . وسنرى فيما يأتي من الامثلة ما تصنعه الكلمات المتضامنة وما لها من قدرة على النفوذ الذي زودها به الشاعر ، وما منحتها قدرته من عوالم وان كانت في بعض الاحيان عادية.

واذا كانت « اللغة اول عناصر الادب » كما يقول غوركي فان «مفهوم الاسلوب ، كما يقول تيتشرن، يحتوي في ثناياه على وحدة الكلمة والصورة ، ووحدة الصورة والبناء ، ووحدةالبناء وفكرة العمل الشعوري » وذلك كله يؤكد ان الترابط الفني بين الكلمات ، والقدرة على انشاء الوشائج الحميمة بينها يبعدها عن الابتذال ويدخلها في اطار جديد تصبح فيه بمستوى الموسيقى او الصورة التي لا تقتصر على توفير المتعة ، كما يريدها ايفور ، بل توفر مع المتعة احساسا جديدا بالحياة . فاذا وصلت الى هذه الدرجة كانت أشبه الاشياء بـ « الحب » الذي يخلق في كثير من النفوس الوانا تشبه ألوان الافق الذي يتجدد كما تتجدد الامواج في كل لحظة.

واذا كانت اللغة برأي غوركي اول عناصر الادب فانها فيما يسمى بـ « الرأي الجمالي » جميع العناصر ، وتأخذ جميع الادوار حتى يصبح الفن « مجرد نشاط لغوي يحقق رموزا غامضة الى معان روحية بعيدة. وكلما ازدادت الرموز غموضا والمعاني بعدا كان العمل الادبي أكبر جودة، لان هذه الرموز مقطوعة عن اصولها المادية او الحيوية ، وليست لها علاقة بالتجارب الحقيقية التي مرت بالشاعر ، بل هي رموز الى ادراك غيبي سحري

« ٥ » ايفور ايفور : موجز تاريخ الادب الانكليزي : ترجمة الدكتور شوقي السكري ، وعبد الله الحافظ.

اسطوري خارق امتلك الشاعر حين انتج شعره ، فاذا وصف في الظاهر ناقة أو فرسا او طللا فان هذه الاشياء لا تعنيه في الحقيقة ، وهي لم تكن سوى رموز الى العالم الغيبي الاسطوري .» «٦» وهذا الرأي على ما فيه من غلو لا يجرد الكلمات من معانيها تجريدا تاما ، ولا يفصلها عنها ، بل يحولها الى رموز تشير «الى معان بعيدة » وكلما أمعنت المعاني في البعد كان العمل الادبي اكبر جودة .» وفي هذه الرؤيا يتحول الفن الى ما يشبه «زمزمة العلوج» «٧» أو تسابيح الكهنة التي لا يفهمها سوى العراف الكبير او الكاهن الاعظم . وكلما أردنا ان نفهم بيتا من الشعر كان علينا ان نستنجد بالكاهن أو العراف حتى يحل لنا الرموز ويوصلنا الى معناه البعيد . واذا قال قيس:

وكنت وعدتني يا قلب اني اذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى فما لك كلما ذكرت تذوب

وجب ان تكون هذه الكلمات « رموزا الى معان بعيدة » حتى تكون شعرا جيدا ، وان لم تكن رموزا هوت من رفرف الشعر ، وحرمت من كل ما يسمى « جودة » .!

ليلى بذاتها لم تكن ليلى ، و« القلب الذائب » لم يكن قلب الشاعر العاشق ، بل ان «ليلى » وبقية الكلمات « رموز الى ادراك غيبي سحري اسطوري خارق امتلك الشاعر حين انتج » هذين البيتين .

لا شك ان وراء البيتين « معاناة » ملكت الشاعر واستولت على احاسيسه وروحه وعواطفه . وهي معاناة واقعية لم يمر بها قيس وحده ، بل مر بها كل من مر به الحب الذي مر بقيس ، وذاق من عذابه وما ذاقه الشاعر العامري ، وهذا التعبير لم يكن عن شيء غيبي بل عن واقع متصل

« ٦ » ينقل هذا المقطع الدكتور محمد النويهي في كتابه « نفسية ابي نواس » من كتاب «دراسة الادب العربي» للدكتور مصطفى ناصف . وهو استاذ في جامعة» عين شمس »

« ٧ » جماعة تتراطن عند الاكل وهي صامتة لا تستعمل اللسان ولا الشفة في كلامها ، بل اصواتا تديرها في الخياشيم والحلوق ، فيفهم بعضها بعضا .

بأصوله المادية الحية ، ولا يمكن ان يكون هاربا منها الى عالم اسطوري سحري . ونحن الذين نقرأ هذا الشعر لا نحتاج الى « جهاز » يخترق الكواكب حتى نصل الى المعاناة التي يكابدها الشاعر ، بل نحس ان كل كلمة ، اذا روعي وضعها الاجتماعي ، تكاد تكون عدسة قادرة على نقلنا الى العالم الداخلي الذي يختلج فيه قلب قيس ، وترتعش فيه روحه وعواطفه ، ونحس ان الشاعر يضطرب كما يضطرب عصفور في قفصه ، وان الارض تضيق من حوله ، ويصبح فيها كما قال عن نفسه في مكان آخر :

كأن فجاج الارض حلقة خاتم علي فما تزداد طولا ولا عرضا

على ان نظرة الدكتور وان كانت صادرة عن استاذ معاصر في كلية معاصرة تعود في جوهرها الى نظرة افلاطونية قديمة . «فافلاطون يرى ان الفنان يستمد فنه من الوحي والالهام ، ويسير على القواعد الفنية بدون شعور » ولذلك كان الفن عنده « جنونا سماويا » اما كونه سماويا فلأن الفنان يبرز الى الوجود اشياء بمنتهى الجمال ، واما انه جنون فلأنه هو نفسه لا يعرف كيف صدرت عنه » «٨» وبالرغم من تصاعد الرقم القياسي في الجمال فان «الالهام » لن يكون «في مستوى المعرفة العقلية ، بل هو احط منها ومن ثم كان الفن احط من الفلسفة .» ...!.

حكاية : « لا يعلم كيف صدرت عنه » هي «العالم الغيبي الاسطوري» عند مصطفى ناصف . وحكاية « الجنون السماوي » هي « الرموز المقطوعة عن اصولها المادية الحيوية » واذا كان هناك خلاف فلا يتجاوز الكلمات التي تؤدي في النهاية غرضا واحدا . وافلاطون كما يعرفه من له المام بسيط بالفلسفة صاحب « المثل » التي كانت مددا لكثير من الاراء القريبة من الخرافة . ومهما كان الوشاح الذي يلقيه بعض الدكاترة على فلسفته جديدا تبق هذه الفلسفة عتيقة تتدحرج في انحدارها الى عصور قديمة .

« ٨ » احمد امين : قصة الفلسفة اليونانية : ص ١٢٩

في ابتهال من ابتهالاته يقول طاغور الشاعر الهندي ما ترجمته : « لقد التقينا كما تلتقي طيور البحر ، واقتربنا كما تقترب الامواج • لقد طارت الطيور ، وتلاشت الامواج • اما انتم فقد رحلتم •» وطاغور متصوف• ولكن هذه الكلمات الشعرية واضحة وشفافة وخالية من كل غموض• وبالرغم من شفوفها تقدم صورة جميلة ونشوة قائمة على التأمل • واذا كانت «رموزا الى معان روحية بعيدة » فانها رموز واضحة خالية من « الغموض » الذي يشترطه الدكتور مصطفى في « جودة العمل الادبي »•

ومثل هذا القول قول الشاعر الآخر :

هدأت نارهم وقد عسعس الليل وحار الهادي وضل الدليل

فالكلمات ، على ما فيها من بساطة ، غلائل ناعمة يطل وراءها الجو الطبيعي الذي اختفت فيه الحركة ، وسيطر الصمت على الكون والحياة سيطرة تامة مصحوبا بالجو النفسي الشاعر بالوحشة المترامية التي تحاصر القافلة المسافرة في ليل تتدافع امواجه ، وتتوالى فيه القطع الغارقة في ظلمة تنتقل من سواد الى سواد اشد يتلاشى فيه خيال الامل بالوميض الذي يمكن ان يخلق تطلعا ، ولو ضئيلا ، يبعث شيئا من الحيوية في الارواح المحاصرة •

لقد نام الساهرون على « الشعلة » الهادية ، وهوى العمود الناري الى القرارة العميقة ، والليل ينشر جناحا وراء جناح ، وموجة بعد موجة من الظلمات الحالكة • ومن الطبيعي ان يضطرب الدليل ، وتأخذه الحيرة التي يأتي بعدها الضلال • وكان من الطبيعي ايضا ان يختنق الصوت في حنجرة الحادي ، وان يختفي في هذا السواد الاعمى ، ولكن الشاعر خلع « الحيرة» على الحادي كما خلع « الضلال » على الدليل • وبالقدر الذي حالفه التوفيق في الثاني جانبه في الاول •

الصفة الاساسية للحداء تتعلق بالصوت ، او هو الصوت نفسه ، وربطه بالحيرة تثبيت لصفة ثانوية بدل الاساس • والجو الذي يتحرك فيه الشاعر

جو يجرد الاشياء من خصائصها الاولى ، ويلفها بما يشبه الشلل . والحادي في حيرته لا يفقد اولى خصائصه ، بل يفقد شيئا مشتركا بينه وبين غيره ، وهو خلل كبير في البناء الفني ، ولكن ذلك لا يحط من المشاعر النفسية التي خلقها الشاعر .

في عالم قريب من هذا العالم تجنب عمر ابو ريشة في احدى قصائده الرائعة ما وقع فيه الشاعر السابق :

أوقفي الركب يا رمال البيد   انه تاه في مداك البعيد

فمشت فوقه وجفه فم الحادي   وغصت لهاته بالنشيد

واذا قيل ان الجفاف مستمد من «الرمال» هنا ، ولا رمال هناك كان الجواب ان الاساس هو « الضياع » والتيهان والضياع واحد هنا وهناك . وهو الجزء الاساسي في العلائق بين الكلمات . ومن طبيعة الموقف الفني ان يفقد الحادي جوهر الخصائص التي تلازمه .

في بيتي عمر نص على التيهان واخبار عنه بالفعل « تاه » وهذا التعبير قرب الاسلوب من التقرير ، بينما كان الايماء في البيت السابق هو الاساس . ولم يكن هدوء النار وعسعسة الليل وحيرة الحادي وضلال الدليل سوى ايماءات متتابعة لا الى « الضياع » فقط ، بل الى الغرق في متاهة لا تكاد تعرف الحدود . وهذا ما يسمى بالتركيز ، او انطواء الشيء القليل على العوالم الكبيرة . ومن هذا الاسلوب الذي لا يمكن تحديده تنبع قيمة الاثار الفنية ، ويستمد الفن خلوده .

في هذا الضوء يبقى الشعر شعرا . ويبقى قادرا على خلق الاحاسيس المتنوعة وان تقادم عليه الزمن ، وامتدت بعده السنون :

ان الذين غدوا بلبك غادروا   وشلا بعينك ما يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي   ماذا لقيت من الهوى ولقينا

الكلمات مألوفة شائعة ، ويعرفها كل من له المام باللغة ومفرداتها ، ولكن قدرة الشاعر وحاسته الفنية استطاعت ان تبني بالكلمات الشائعة عالما فسيحا تتموج فيه الاوتار المختلفة التي تند عنها الحان تذيع اللحظات الاخيرة في وقفة التمزق والانفصال المريع .

ان القوة الناشئة من الكيان الشعري ، ومن العناصر المترابطة فيما بينها تقرب العمل الشعري ذاته من المعجزة ، فهؤلاء الغاديات السائرات بين الفجر وطلوع الشمس يغادرون ملاعب الطفولة والصبا ، ويسرن في الهوادج المتهادية لم يسرن وحدهن ، بل سار معهن ذلك الضوء الذي تتحول الحياة في غيابه الى ذهول او غيبوبة او شبح مترنح قريب من شبح السكران ، وقد حولن البقايا القليلة من العبرات الى معين لا يعرف النضوب ، في الوقت الذي غاضت الدموع في عيونهن وانحدرت الى اعمق الاعماق مصحوبة بذلك التساؤل الرهيب : « ماذا لقيت ؟ » وهو تساؤل يتراوح بين « الاقلاب » و « الاستكشاف » في الحدث التراجيدي .

ان التفسير ، مهما تصاعد ، ومهما حاول ان يجد ما يعادل العناصر المتشابكة من مشاعر وايقاع واجراس وفكرة في اقامة الصرح الكبير يبق اقل من الكيان ذاته . والعودة الى العناصر اشبه شيء بالعودة الى الادوات التي تتألف منها الطاقة الكهربائية التي تنير الظلمة وتمنح الضياء . وما تحويل الكيان المتماسك الى جزئيات او جزء مبعثرة سوى عمل مادي لا يستطيع ان يضيء جميع الدقائق الجمالية مهما سما شأنه . ومن هنا كان تدريس الادب أصعب بكثير من تدريس العلوم الاخرى اذا اريد للمادة الادبية ان تصل الى الاخرين بكل ما فيها من جماد حي وارواح متحركة .

بالرغم من الخلل النحوي في البيتين السابقين باستعمال « الذين » بدل اللواتي، وواو الجماعة في «غادروا» بدل نون النسوة ، ظل العمل الشعري في رفرفه العالي ، وظل الجو الفني في ابهى اشراقته، ولم يستطع الخلل في القواعد ان يضعف الهندسة الفنية ، او يوقف تأثيرها الجمالي .

في الجانب الجمالي القائم بهذين البيتين ، والموقف المؤثر والحالة النفسية وبقية العناصر الاخرى يطل ابو تمام في قوله :

كادت لعرفان النوى ألفاظها   من رقة الشكوى تكون دموعا

فالغدو هناك هو « النوى » هنا . واذا كانت كلمة « الغدو » تعين الزمن الذي تتحرك فيه ، فان « النوى » تبقيه على اطلاقه . و « العبرات » الفائضة هناك ، هي «الالفاظ» التي كادت تكون دموعا هنا . ولا يعني هذا التشابه في الحالة وفي التصوير توجيه التهمة الى ابي تمام باستعارةالاضواء من زميله . بل يعني ان الجو الذي تشترك في خلقه مجموعة من العناصر جعلت هذا البيت في القمة ، كما جعلت البيتين السابقين في المستوى ذاته . والجمال لم ينشأ عن غموض او ستائر تحول بين القارىءوالوجه المضيء في الكلمات .

هذه النظرة تتعلق بالتعبير الذاهب من الخارج الى الداخل ، ومن المرايا الى الارواح . وهناك من النظرات ما يقف عند الخارج فقط :

ان تتهمي فتهامة وطني   أو تنجدي ان الهوى نجد

فتهامة ونجد ،وان كانا طرفي بقعة معينة من الارض ، يتخذان معنى كونيا وامتدادا عالميا ينثني ويتداخل بعضه في بعض حتى ينحصر او يكاد ينحصر في نجد وتهامة . والتقسيم نوع من الحصار الذي يقيمه الشاعر حول حبيبته . واذا كان الحصار في اساسه مكروها . فانه هنا حصار غنائي ، او حصار الورد الذي يتشكل في اضاميم يلعب فيه الذوق والفن لعبته الرائعة المرتدية نوعا من التساؤل الضمني الذي يتنفس فيه الاغراء والحنان والوله وجميع وسائل القربى المؤدية الى التنازل عن الكبرياء . والتعبير وان كان خارجيا لا يخلو من عبور الى الداخل . وقد حملت « وطني » هذا النوع من العبور

والصورة ، على قدمها ، تبقى أكثر ايحاء من محاولة التأثير على ليلى في قول قيس الذي وضعه شوقي على لسانه:

حنانيك ليلى ما لخل وخلـة من الارض الا حيث يلتقيـان
فكـل ديار قربت منك منزلي وكل مكـان انت فيه مكـاني

ثم يتراجع الحصار ، ويتخذ الخيار ، ما دام هناك خيار ، رجاء او طلبا لا يخرج عن اطار الرجاء .. رجاءفي ان يكون «وعد» «ان لم يكن وصل» :

ان لـم يكن وصل لديـك لنا يشفي الصبابة فليكـن وعـد

وهي قناعة تجد أصولها في نوع من التبتل الذي يجعل من المرأة اقنوما ينضم الى بقية الاقانيم في البيع والكنائس .

في الحدود الخارجية يتساوى عدي بن الرقاع مع صاحب «اليتيمة » في ابداعه . ولما قرأ «تزجي أغن كأن ابرة روقه » سمعه فيمن سمعه ابو تمام وقال : « لقد اشفقت عليه : ماذا يستطيع ان يقول بعد ! » فلما اتم الشطر بقوله : «قلم اصاب من الدواة مدادها » حسدته !.

واذا كان واحد مثل ابي تمام يحسد « عديا » فمعناه ان الحقيقة الفنية هي المقياس في وزن الشعر . وابو تمام لم يكن شاعرا هينا ، ان لم يكن من العباقرة .

في هذا الضوء يسقط كثير من الشعر المعروف ، بل تسقط دواوين بأكملها ولا يبقى منها ، اذا بقي ، سوى ابيات قليلة . كما يسقط اكثر الشعر الذي يختبيء وراء الغموض والتركيب المهلهل الذي يفتقد الروابط ، ويفتقد الروح الشعرية بالنهاية اذا اخذنا بنظرية « الخلق » الذي يتعدى ذاته ويمتد الى الاحساس الآخر .

بغداد محمد شرارة

عبد الحميد بن باديس

بقلم: الدكتور محمد علي الزعبي

يهود الجزائر

سالم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم اليهود ، ما وسعته المسالمة وعفا عنهم حتى ضاق العفو ، لكن أبت عليهم انفسهم المكونة بيد التلمود الا الثبات على وضعهم الذي لا يتبدل •

لقد أبت عليهم انفسهم الا التعاون مع غزاة الجزائر ، اذ لهم من دمهم الموروث معوقات : لا يستطيعون الاخلاص للبلد الذي يعيشون فيه ، ولا يندمجون في المجتمعات ، وهذا ما يفرض استلالهم من الانسانية والاسرة الانسانية ويحملهم على استعذاب لعق دمها واستساغة اشلائها •

لقد صمموا على الانتقام من جميع الناس ، واعلنوا بسلوكهم الصريح عدم التعايش الكريم ورغم ان الجزائر في جميع عهودها ، باركت معتقداتهم وضمنت أمنهم ، مستندة للقرآن الكريم ، رغم هذا لم يستطيعوا الكف عن التعاون مع الغزاة ، انتقاما من القرآن نفسه ، اذ هو برأي بعض مستشرقيهم الذي يحرض المسلمين على الاصطدام بالفرنسيين •

ولم نجد عجبا من تحبيزهم للغزاة ، اذ هذا دينهم ، وهذه هي الصفات التي تلازمهم •

ذلك لان القرآن لا يعطي الصفات الموقتة بل الدائمة التي تلازم الامم ملازمة الظل فاذا وصف اليهود بصفات ، يجب ان نراها صفات تتغلغل اعماق التاريخ ، أعني ان من قارن صفاتهم حين نزول القرآن بصفاتهم الان ، لم يجد الا التوافق والالتقاء ، فكأن صفاتهم اسلحة •

ابى اليهود التعايش الكريم الذي جاء به الاسلام واعلنوا العداوة منذ فجره حتى ان كعبا بن الاشرف اخذ يؤثر وثنية قريش على التوحيد ، ويبكي قتلى بدر قائلا :

(هم ملوك الارض وبطن الارض بعدهم خير من ظهرها) .

لقد سخروا من العهود وتآمروا على رسول الله وودوا لو القوا عليه حجرا من سطح وما كادوا يطمئنون لوجود الاحزاب حتى اخذوا يمثلون دور الانقضاض من الداخل .

التآمر والتربص لديهم سلاح عتيق جذوره الاسفار الماصقة بموسى وساقه التلمود واوراقه البروتوكولات وثماره ما لمس الناس ويلمسون وسوف يلمسون .

قد يصبح التربص سلاحا داخليا ، كما رأينا في يهود اسبانيا ذاب منهم قسم في المغرب وقسم في الجزائر (لكن في ما يبدو للناس) وعاش قسم ظاهرا ومن الذائبين والظاهرين يهود الجزائر الذوبان المصطنع ، خلقهم القديم الذي لا يزال متقنا ، فقد حدثنا مؤلف كتاب (كنوز مدينة بلقيس ص ٩٤) ان في عاصمة شريف بيحان يهودي وولده وما ان مات الاب حتى زعم ولده الاسلام وتبناه امير بيحان .

هؤلاء اسسوا لمصائب الانسانية مصنعا سريا عالميا قائما على اوائل لا يعتريها الفتور ، وصدروا اسلحة تسبق الازمنة والامكنة تطورا وصقلا ، كثرة تواكب الانسان حتى نهاية الدهر هؤلاء استقبلوا جسر الانسانية سليما وصمموا على مغادرته انقاضا واستعصوا على الاديان في الامم او الانسجام بمحيطها .



الساحل الافريقي الذي استساغ نصف مليون فينيقي هم سكان مدينة قرطاجة !!! هل استطاع استساغة ٣٠ ألفا هم يهود الجزائر؟

طبعا لا ، لان الفينيقي من الاسرة الانسانية لا يرى بالانسجام والاندماج بأسا اما اليهودي فيحرص على السلبية ويتنكر لمن حاول انسجامه كما نرى في روسيا ايام القيصر نقولا الثاني.

التحفز للثورة الكبرى

استقبل دالاديه ، رئيس الوزارة الفرنسية حينذاك وفدا جزائريا ، واخذ يصف مدافع فرنسا بالطويلة ، فانبرى ابن باديس قائلا :

لدينا مدافع الله وهي أطول وأطول •

عاد الوفد مخذولا فأخذ انصار الجمعية يرددون شعارهم المعروف (شعب الجزائر مسلم •••) ويصرون على كلمة (المستعمر لا يفهم لغة الترجـــي) واخذ بن باديس يعلن ان صك عبودية الجزائر لا تمزقه الا يد ابنائها المضرجة وينــــادي :

ايها الشعب ان عملك على جلالة وثبة وخطوة متبوعة بوثبات وخطوات، وبعدها اما الحياة واما المـــات •

أحس دالاديه تأثر مدافع ابن باديس كتميز غيظا وبالغ بالتعنت وضاعف التحذير من دراسة او تدريس او التكلم بالعربية معلنا :

على الجزائري ان يتنازل عن التمسك بشخصية الجزائر المسلمة ، والا أمنحه حق النيابة البرلمانية حتى عن الجزائر نفسها ، ولن اساويه بالفرنســي الذي اتخذ الجزائر وطنا •

اغتنمت الجمعية هذه الفرصة ودعت لمؤتمر عرضت فيه الخطر المتربص وحذرت المخدوعين وكشفت لهم تاريخ الاستعمار وواقعه ومستقبله على ضوء الماضي والحاضر •

وسأل شخص من اين يأتي خلاص الجزائر؟ فاجاب ابن باديس من هناك واشار للجبل ، يعني ان قيد الذل لا تحطمه الا الايدي المضرجة بالدم •

اما المصرون على الغي ، فقد كشفوا انفسهم ، ولمس الشعب داخلهم؛ لكن الجمعية ـ عملا بالتخطيط الواعي ـ لم تغلق باب التوبة بوجوههم ، حرصا على جمع الشمل وحبا باتاحة الفرص واملا بالعودة لخط الجزائر المستقيم .

انفض المؤتمر مرددا كلمة ابن باديس التي استهل بها الاجتماع (الايام المقبلة ستلد مجد الجزائر ، قليل من الدواء يطرد كثيرا من الالم ، قليل من النور يطرد كثيرا من الظلمة ، كلمة حق جريئة تدك حرصا من الطغيان).

انطلق المخلصون من نقطة التفاؤل فطردوا اليأس وهزموا القنوط،ورأوا بدهور الجزائر المخيف تمهيدا لصمودها وخلودها .

وانطلق المنتفعون من فتاة موائد الغزاة، الراكضون وراء الالقاب ، الذين يخالون التوجيه المدخول ثقافة وتقدما واصلاحا ويقظة وتحفزا للحاق بركب الحضارة المهرول .

انطلقوا يحذرون الجمعية من الانغماس بالسياسة ويعرضون العراقيل بثوب النصح والاخلاص بل ويحيطون بالمؤامرات، ويغتالون الابرياء، ويرمون سواهم بالتهم ، كما اغتالوا الشيخ كحول ورموا الشيخ العقبي وهذا تمنى لهول ما لاقى لو كان المغتال وليس المتهم . لكن الجمعية لم تزدها العراقيل الا تفاؤلا وتصميما على مبدأ (الايام المقبلة ستلد مجد الجزائر) ولم تزد الجمهور الا جزما بان بذور النصر ليست ادعية ابتهالات وحلقات واورادا وتهارشا حول الالقاب واتجارا بالمبادىء المستوردة وانصهارا في بوتقة الغزاة وخطبا وقصائد وتصفيقا وهتافا بل تنفيذ هذا الوعد :

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ».

رأى ابن باديس بعين بصيرته ما ستؤول له عاقبة الباطل فردد الآية الكريمة « وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون » بل خرج عن مخطط الصمت قائلا :

(وان عاقبة هذه السياسة الخرقاء لن تكون الا وخيمة مهما اعتزوا بقوتهم واغتروا بسلطانهم).

تحقق ان الباطل ينطوي على تجريد الجزائر من شخصيتها العربية فاحرجهم بطلب حرية التعليم بالعربي وايجاد مدارس لايواء الاطفال وحرية الوعظ بالمساجد وحرية الحج وحرية السفر والغاء قانون الطوارىء....

فوقفوا سلبيين ، لكنه فرح بهذه السلبية ورآها تمهيد يستلزم هذا التصريح : (تستطيع فرنسا الان اغتنام الفرصة والا فقدتها الى الابد).

احاط بالجمعية هالة صممت على التغيير وتوقعت الشهادة ، وانطلقت تؤسس الكتاتيب الخيفة المتواضعة لتعليم مبادىء العربية والسور القصيرة من القرآن سرا ذلك لان القوانين وآخرها قانون ٨ مارس ١٩٣٨ تحرم تعليم العربية الا بترخيص .

تلك الهالة اخالها مقصودة بكلمة الاستاذ مالك بن نبي ، الاستعمار يريد منا جهلة يستغلهم فيجدنا نقاوم جهوده بجهود .

تلك الهالة نذرت نفسها جندا لله مخلصا فنهلت من صفاء نصحه، واستقت من معين ارشاده تلك الهالة ، جزمت ان طريق الخلدمحفوف بالاشواك فسهرت لتهب أجيالها الاتية اطمئنانا قادتها الجمعية وسيطرت عليها بالاخلاص وانطلقت بها من نقطة : الاسلام عقيدة معقولة ، ورسالة خالدة ، وشريعة نقية ، واستجابة لنواميس الحياة ، وجيل يتسلقه المتفائلون المصممون على التمتع بالهدف البعيد ، الذي لا تلمسه الا الايدي المضرجة ..

تلك الهالة هي البذور التي صنعت حاملي السلاح الذي حرر الجزائر.

تلك الهالة رأت الطيش الفرنسي بلغ ذروته فخرجت من كهوف السر الى ساحة العلن ورددت :

شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب
من رام ادماجا له رام المحال من الطلب

يا نشيء انت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب
خـذ للحياة سـلاحها وخض الخطوب ولا تهب
واذق نفوس الظالمـين السـم يمزج بالرهـب
نحن الاولى عرف الزما ن قديمنـا الجم الحسب
ومعين ذاك المجـد في نسـل العروبة ما نضب
واذا هلكت فصيحتي : تحيـا الجزائر والعرب

اغتنم قطبا الجمعية ـ ابن باديس والابراهيمي ـ ذاك الجو ، وأخـذا يصرحان بالهدف الذي انطويا عليه أعواما ويرسمان طريقا ذا مراحل تـرى الراحة محرمة قبل تطهير الجزائر من انفاس آخر محتل •

التفتا لذراري المجاهدين موقدي نار الثورات فرأياهم يودون لـــو فازوا بخوض الساحات التي استشهد بها اباؤهم واخذا ينظمان الطاقـــات ويعدان القلوب لافتداء الجزائر •

احاط بهما المؤيدون والعاملون والمضحون من المعلومين والمجهولـين من انصار الجمعية احاطة الهالة بالقمر •

لمس الباطل ما تنطوي عليه نفسية اقطاب الجمعية فحاولوا تدجينها تارة بالاوسمة وطورا بالوظائف والالقاب ، لكن هؤلاء كانوا اشد شكيمة واصلب عودا فصدع ابن باديس بتوجيه شيوخه (احذر قبل الوظيفة لئلا يكون عملك مطيـة) واقتدى به اهل العلم والمعرفة من الاقطاب اذ يعلمون ان قبـول الوظيفة من الباطل يستلزم ربط اللسان وحطم القلم •

وليس جديدا ان يعلم القارىء ان الباطل اذا وظف ذا لسان طلق وقلب مؤمن وقلم حر وعنق عال لا يقصد الا قطع اللسان وحطم وابتياع القلـب والقلم وانحناء العنق •

صحيح ، الاستعمار لم يكن يجهل هذا التحفز ، لكنه غض الطـرف خشية رد فعل غير مأمونة ، اذ جرائد الجمعية ودروسها حملت الكثيريـن

على الاستعداد لافتدائها ، ولذا سلك طريقا اشد سلامة هو التخطيط لاغتيال ابن باديس بيد مخبول يضع في جيده سبحة !!!

لكن لم ينجح وقد عفي ابن باديس عنه اقتداء بالكلمة النبوية (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) .

القسم الثاني :

عالج ابن باديس حضارة قدماء العرب في القرآن في ثنايا تفسيره وخص هذا الموضوع بثلاث مقالات مطولة نشرها في نيسان ومايس وحزيران من مجلة الشهاب لعام ١٩٣٦.

وقد انطلقنا من توجيهه وضممنا لكتابه هذه الفصول المتواضعة .

حضارة الجاهلية الاولى

العالم كما نراه من نافذة التكوين الطبيعي ، مر بفترات ومراحل طويلة الامد ، اما وجود الانسان ، فينزع لجذور عريقة في الحقب .

والذين يرون حواه دفينة جدة ، يفقدون الدليل ، لكن اذا علمنا ان هذا رمز لعرض شبه الجزيرة ، مهدا للانسان الاول ، لمسنا الاشارة لام الحضارة الاولى ، وتغلغلنا دراستها من نافذة القرآن نفسه ! اذ انفرد بالاشارة لها ، فقال تعالى في سياق التحذير مما يعتريها ويهدمها ، مخاطبا نساء النبوة :

« وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » .

والتبرج ، اظهار ما يجب اخفاؤه من الزينة والمفاتن ، واصله الخروج من البرج (القصر) ثم استعمل في الخروج من دائرة الاحتشام ، نهى الله عن التبرج اذ يستلزم تجاوز حدود الله ومكارم الاخلاق ، كتكلف الميوعة ، كأن التبرج من عقارب الحضارة ، يرافقها وجودا وعدما ، فاذا ما تردت الامم في هاويته ، ومسها شيطان الامراض الصحية والخلقية ، اخذت تتلقى سهام

الترف من داخلها ، وشرع سوس الانهيار ينخر في عظامها ، ويقضي لختام مطافها ولو خال قصيرو النظر سلامة هيكلها •

نهى سبحانه عن تبرج الجاهلية الاولى ، الغارقة في غياهب القرون ، المقصودة بكلمة (العرب البائدة) أو طسم وجديس •

عـــاد الاولى

برزت عاد الاولى ، بعد الجاهلية الاولى ، (قبل ازمنة التاريخ) فاتخذت حضرموت موطنا ، واشتهرت ديارها باسم الاحقاف ، وهي سلسلة هضبات رملية ، وحققت حضارة استلزمت انحرافا ، فتداركها الله برسل قبل هود ، وهو اقدم من عرفنا من رسل شبه الجزيرة !!!

ها أنا ذا تجاه الآية ٢١ من سورة الاحقاف ، بسياق الحديث عن هود: « وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه » •

والنذر جمع نذر ، والمراد الرسل ، ونحن لا نعرف لعاد رسولا قبل هود ، وهذا ما يريني بين الجاهلية الاولى وهود اجيالا واجيالا ، غرست ثمار حضارات حدثنا عنها القرآن مجملة ، كأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، كان يخشى على امته (امة الدعوة وامة الاجابة) مثل عاقبتها فيردد كلمة: (شيبتني هود) •



أشادت عاد الاولى ، المنازل المرتفعة الشامخة ، ذات الطوابق والردهات ، في السفوح والاودية والسهول والقمم • أشادت ما دعاه القرآن آية ، اي معجزة فنية ، يعجز من حاول تقليدها ، تظهر من بعد كأنها علامة يهتدى بها ، وتتطاول لمثلها أعناق معاصريها ، ليحققوا مثلها ، أو ما يقرب منها ، ويسود

رؤساء الامم ووجوهها واعيانها والمقدمون فيها ، لو حاكوها أو اقتربـــوا من محاكاتها.

قوم هود ، (فارهون) ــ حاذقون بالنحت والهندسة وفنون التجميـــل والتزويق والتجارة وتعبيد الطرقات والرفاهية .

أقاموا حصونا ومصانع لاوائل الزراعة والبناء والدفاع ، وما تتطلبـه حياة الحضارة المحلقة . بهذه المصانع التي تود لو جابهت عوادي الدهر ، بلغت عاد اوجا حضاريا ، لا يكاد يطاوله سواها من معاصريها .

اما الزراعة والتشجير والحدائق ، فحسبنا ان الله بوأ عادا ــ اعطاهـا منحها وهبها أجمل ارض واسعدها واكثرها خيرا ، وهيأها وذللها ، فانتفعت عاد من وجهها ثمارا (طلعها هضيم) يانع ناضج ، ومن طباقها الرخام والمعادن ومنها الحديد الذي ينحتون به الجبال اي يبرون او ينجرون موادها الصلبة.

محمد علي الزعبي

محيي الدين الخياط

١٨٧٥ - ١٩١٤

بقلم: فوزي سابا

لئن جاز علميا ان تحدد النهضات الادبية بأزمنة واشخاص ، يكن حد النهضة الحديثة الزمان الذي عاش فيه محي الدين الخياط ، وله هو ايضا أن يحمل هذا التاريخ .

عندما أنهى اللبنانيون ، أمثال آل اليازجي والشدياق واترابهم عصر الانحطاط ، كان على لبنان ان يطلع من يكمل هذا المسرى ولا سيما والنهضة ما زالت على طفولة مؤهلة للانتكاس اذا لم تأخذ بها يد لها من مفاضل البناة الاوائل ما تسمح بها باكمال الرسالة .

ويكون محي الدين الخياط احد الذين اصابهم القدر ليصبح من الحلقات المكملة او المداميك التي ترتفع عليها عمارة النهضة الحديثة .

ولد محي الدين الخياط في صيدا سنة ١٨٧٥ وتلقى علومه الابتدائية في مدرسة المقاصد الخيرية ثم انتقل الى بيروت واتم علومه في مدارسها ايضا، كما تتلمذ على الشيخين الكبيرين يوسف الاسير وابراهيم الاحدب ، وتضلع من الاصول والفقه والتاريخ ، فاختير معلما في مدارس المقاصد الخيرية في بيروت، وبعد ممارسته للتعليم مدة ثمانية عشر عاما اصبح مفتشا للتعليم حتى وفاته سنة ١٩١٤.

عندما انهى محي الدين الخياط دروسه كان قد ادرك ان عليه واجبا نحو وطنه وامته مخطط له منذ كان على مقاعد الدراسة ، حتى اذا خرج الى العالم ، وهو الشاعر رائق الديباجة متينها ، لم يبق عليه سوى تنفيذ مخططه

هذا فاختار منه الاكثر تأثيرا والابعد انتشارا: التعليم والصحافة ، وكلاهما وعر المسالك لما فيه من محاذير وما فرضه العصر عليه انذاك •

ففي الصحافة : عمل في جريدتي الاقبال وثمرات الفنون ، اللتين ابرزتا الاقلام الرائدة ، فكفى محي الدين الخياط معهما المكتوبجي وتعنته وجهله• اما في التربية فقد كانت الصعاب على مستوى ما كانت عليه في عالم الصحافة لا سيما عندما يحاول المربي الانتقال بالطلاب من جو الكتاتيب الى المناهج الحديثة ، على أن محي الدين الخياط ميز نفسه بتجاوز هذه العقبات فانه بالرغم من تحرره واشاعة الروح المتحررة في اعماله التي أهلته لمركز الريادة للنهضة الحديثة كان متى اشتدت عليه الاهواء يروح الى ترجمة الاثار التركية المتحررة فيتخلص من عنت المكتوبجي ومن سواه ممن ليس دونه تعنتا •

خلال الاعوام الطويلة التي مارس فيها التعليم في مدارس المقاصد الخيرية اطلع اجيالا من الشباب المثقف طبع أثره فيهم وأوقد روح الحرية والعلم صدورهم فالتقى في أعماله الادبية هذه مع شاعر الحرية الياس صالح، عندما ترجم رواية ـ الوطن او سلستره ـ للكاتب التركي نامق بك كمال، وقصيدته المشهورة بعنوان ـ مطالب تدعوني ، التي جاء فيها :

مطالب تدعوني وادعو المطالبا ... فلا زلت مطلوبا ولا زلت طالبا
رأيت زماني عن هوى الصدق باكيا ... فصنت مقامي واعتزلت المناصبا
ومن كان « انسانا » ويعرف نفسه ... فلا ينزوي عن خدمة الخلق جانبا
وما المرء الا من يمد يمينه ... لينصر مظلوما ويرحم صاحبا
وليس يعين الظالمين بظلمهم ... سوى أدنياء تستلذ المثالبا
ومن آثر الدنيا على حسن سمعة ... وذكر له يبقى ويبقي المناقبا
فذاك كمن عاف النعيم مخلدا ... بلذات دنيا برقها كان خالبا
هو العزم ان صحت عزيمة ربه ... يدير بها الدنيا فتهتز جانبا

كذلك تهتز البلاد اذا رست بهـا قدم المقدام تبغي المطالبـا
فلا تيأسن ان شمت بالشعب فترة ولا تـك للاوطـان بالخزي ناعبا
فهل يتهـم الرئبـال وهـو مقيد بان قـد خزي عزما وخار مخالبـا

الى ان يقـول :

فحبـك يا حريـة شبه ماسة ومـا الضغط يا ماس بعزمك ذاهبـا
فـأواه يا حرية لم سحرتنـا وجئت من السحر الحلال غرائبـا
سألتك ان لا تجعلي الدهر بيننـا وبـين عيون الحسن منـك حواجبا
هو الوطن المعشوق يشبه غـادة لعشاقها تولي الامانـي سرائبـا

فلا غرو ان رأينا الشباب يتأثر بالروح التي يبثها فيه محي الدين الخياط فتنبع من محيطه سواء في الحقل التربوي او الصحفي نهضة تلاقت في مراميها مع النهضة التي صدرت عن المدارس الوطنية واطلعت للبنان والعالم العربـي الاقلام المتحررة التي استشهد البعض من اصحابها امثال عمر حمد وسعيدعقل والمحمصاني وسواهم ،

يقول مارون عبود في كتابه رواد النهضة ـ كان محي الدين الخياط رائدا كبيرا من رواد النهضة بما تركه لنا من تآليف في الاصول والتاريخ والفقه فمهد الطريق للناشئين ... اما أشهر ما له من الشعر فقصيدة عنوانها سوانح وبوارح بناها مخمسة على احرف الهجاء ملتزما في كل مخمس قافية توحد القصيـدة، مثال قولـه :

هيولي الكـون في صور الهباء الام نجـول في هـذا الفضـاء
أتبقـى يـا فناء بلا فنـاء أم الافنـاء سلسلة البقـاء
أم الابقـاء مجلبـة الفنـاء

ثم مخاطبا الانسان :

فسر في الارض زهـوا او زميـلا فلن تصل الجبـال الشم طـولا
وليـس لخرقها تبغي سبيـلا نعـم حاولت فيها المستحيـلا
ولكـن ذاك حـول الكهرباء

لم يقتصر عمل محي الدين الخياط التربوي على التعليم وحسب بـل تعداه الى تأليف الكتب المدرسية مما حدا بالعلامة الاب شيخو ان يقول عنه في كتابه تاريخ الاداب العربية :

« ومن فضله ـ اي محي الدين الخياط ـ على الناشئة عدة تآليـف وضعها للمدارس العربية كدروس القراءة ودروس الصرف والنحـو ودروس التاريخ الاسلامي ودروس الفقه» ، هذا فضلا عن سوانح وبوارح ، وشـرح ديوان ابي تمام وديوان عبد الله بن المعتز وتعليق على شرح نهج البلاغـة للشيخ محمد عبده .

هذا في الحقل التربوي ، اما وقد رأى الحاجة تستدعي تثقيف المجتمـع ككل ليعمل يدا مع الناشئة المتعلمة فانه اختار الصحافة اداة وواسطة لعملـه واختط له معها الاعلام المثقف ، متأكدا من ان رقي الامم يتوقف على مـدى رقي افراد مجتمعها فجاء كل ما كتبه في جريدتي الاقبال وثمرات الفنون يدعو الى تهذيب النفوس قبل اطلاقها من ـ القمقم ـ المسحور الذي انحبست فيه طيلة عصور الانحطاط ، مما جعل مقالاته في هذا المجال ، مثيرة غير متفجـرة بناءة غير هدامة ، لادراكه التام ان الهدم لا يجوز الا للترميم وان على المصلح ان لا يقول به الا متى حاز جميع الصفات الصالحة للبناء وايجاد البنائـين الصالحين قبل التبشير بالهدم والترميم .

وهكذا في اقتدار متماسك ، اخذ محي الدين الخياط شطرا من المجتمع اللبناني وتواضع معه على تؤدة ، اخذ يرفعه قليلا قليلا ، ولم يبـرح بجذبه

على لين ويداريه على لطف حتى اهله للصيرورة التي ينطلق منها الى الاحسن فاستدارت من مجتمعه هذا هالات تلاحمت مع الهالات الطيبة في المجتمعات الاخرى انصهرت كلها بعد جهاد هؤلاء الرواد في وطن موحد هو لبنان اليوم.

عندما اتحدث عن هؤلاء الافذاذ اراهم وكأنما هم اغصان آرزنا تجتمع الى الجزع الام الذي هو لبنان ، وكل ما تناثر عن اقلامهم ان هو الا الاقتدار اللبناني الذي سرى بالمنح الى العالم .

فوزي سابا

الى المشتركين في العرفان

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنوء بحمله المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان نتدارك ما يمكن تداركه وذلك برفع قيمة الاشتراكات في المجلة كما يلي :

واشتراك الانصار لا حد له .

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية

٥ دنانير في البلادالعربية

١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربية

٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية

٥٠ دولارا جوا للخارج

١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائر والمؤسسات الرسمية والسفارات والبنوك والشركات بالبريد العادي

١٥٠ بالبريد الجوي

ميشيل مغربي
في رحلة الشعر والموت
بقلم : عيسى فتوح

نعت انباء البرازيل في حزيران الماضي وفاة الشاعر الحمصي ميشيل مغربي، أحد مؤسسي العصبة الاندلسية ، عن سبعة وسبعين عاما ، قضى ثلاثة وخمسين منها موزعا بين التجارة والشعر ، وهو آخر حبة في عنقود شعراء المهجر الذي انفرط الى الابد ، ولم يبق أحد من أعضاء العصبة على قيد الحياة الا رئيسها الاسبق الشاعر القروي ، الذي يقيم الآن في قرية (البربارة) بلبنان .

ولد المرحوم ميشيل مغربي في الاسكندرية من أبوين حمصيين في ١٦ كانون الاول عام ١٩٠١ ودرس في مدارسها الابتدائية اللغتين العربية والانكليزية حتى سن العاشرة، ثم انتقلت به والدته(١) الى حمص عام ١٩١١ حيث التحق بالكلية الانجيلية ، وتتلمذ على الاساتذة : فريد ملحم ، وحنا خباز ، ويوسف شاهين حتى نهاية المرحلة الثانوية . ولما آنس من نفسه القدرة على النظم ، أصدر اول ديوان له تحت عنوان « العواصف » عام ١٩٢٢ .

طوحت به رياح النوى الى « تشيلي » اواخر عام ١٩٢٣ ، فأقام فيها ستة اشهر ، ثم اتجه منها الى البرازيل ، حيث عكف فيها على التجارة والمطالعة ونظم الشعر في اوقات الفراغ ، وظل طويلا يمني النفس بطبع ديوانه الثاني « رمال وصخور » ، منتظرا ان تستأنف دور النشر في لبنان نشاطها ، ولما يئس من الامر دفع به الى احدى المطابع في البرازيل ، ولست ادري هل صدر او لا .

كتب الي رسالة في ٢٨ـ٥ـ١٩٧٦ في أربع صفحات كبيرة مليئة

(١) لان والده توفي قبل ولادته باربعة اشهر .

بالاعترافات والمناقشات ، فحدثني عن الامراض الكثيرة التي اصطلحت على جسمه وفي طليعتها مرض القلب قائلا :

« انني أقاسي من الذبحة الصدرية ، وسيكون موتي بسببها قريبا . اعرف ذلك غير أني أطلب من الله ان انجز طباعة ديواني قبل أن يجيء هذا الامر المحتم ، ولقد ذللت العوائق الان . كنت مزمعا على ان اطبعه في احدى مطابع بيروت ، لكنني صبرت كثيرا ولم تنته الحوادث فيها ، فاتفقت مع احدى المطابع في سانباولو ، وسيبدأ في منتصف الشهر القادم » .

لكنه مات للاسف دون ان يرى ديوانه مطبوعا ، ويقرأ قول النقاد فيه ، فقد كان حظه سيئا بين شعراء المهجر عامة ، لانه لم يكتب عنه بالشكل الكافي ، بالرغم من انه كان « متين الصياغة ، رائع الخيال ، رقيق الحس ، وعالج فنونا من الوصف ، والحنين ، والتأمل ، والقصص الشعري : التاريخي والاسطوري ، كما نظم في الشعر الوطني الجيد في مناسبات مختلفة (١) » .

لا شك انه هو وحده المسؤول عن عزوف النقاد عن دراسة شعره ، يعترف بذلك في قوله : « لا اعتقد انني صغير بين ادباء المهجر ، لكن كان الكثيرون يكتبون لي لاوافيهم ببعض انتاجي الشعري فلا اجيبهم ، فكانت قسمتي ضيزى في ما كتب عن ادباء المهجر » .

سألت الشاعر المرحوم شكرالله الجر عنه مرة فأجابني : « ان ميشيل مغربي أجود قريحة من سائر شعراء حمص في البرازيل ، واكثرهم تعددا لموضوعاته ... وعند من لا يعرفه اديبا ، يظنه تاجر أزرار فحسب » ولما اطلع ميشيل مغربي على رأي زميله في العصبة الاندلسية الذي نشر يومئذ في مجلة «الاديب» اللبنانية ، علق عليه بقوله : « هذا صحيح وذلك لانني تاجر هل يريدني ان أظهر امام الزبن بمظهر الاديب ؟ او ان أتكلم معهم كلام اديب ، وهم انصاف أميين ؟ لو فعلت ذلك لشعروا بالنقص ، فانفضوا عني ، وتهربوا

(١) أدب المهجر للدكتور عيسى الناعوري – صفحة ٥٣٥ – دار المعارف بمصر – الطبعة الثالثة

مني ... انها خطة مني لم يكن منها بد . لي قصيدة عنوانها « نجوى العاصي» نظمتها بعد خمس سنوات من وصولي الى البرازيل ـ وكنت قد قضيت تلك السنوات الخمس متجولا في انحاء البلاد ، أعرض بضاعتي على المواطنين ، اصحاب الحوانيت التجارية البعيدة عن سانباولو ، ولم انظم في اثنائها الا قليلا جدا اصف فيها حالتي ، ومنها هذان البيتان :

ولقد اطوف علي ستر تنكر للالمعية مبعد طراح
والقوم لا يدرون اني شاعر الـ عاصي ، وأني البلبل الصداح

ان عملي في التجارة كان يقتضي مني بساطة المظهر ، وبساطة الحديث ، اما شكر الله فلم ينجح تاجرا ، لانه كانت تنقصه السياسة . اشتغل في الادب فأنتج انتاجا حسنا ، اما انا فاليك ما اقول ايضا في قصيدتي « ما شاء ربك كان» :

خضت التجارة والقريض معا بحرين كل زاخر طام
فقضيت عمرك في العباب ولم تطفىء غليل فؤادك الظامي
لو لم تخض بحر التجارة لم يبلغ قريضك اي عوام
ولكنت أثرى القوم عن ثقة لو كنت للشعراء لم تنضم
ما شاء ربك كان لا تندم

ـ ٢ ـ

لقد نجح ميشيل مغربي في التجارة والشعر معا « يطارد الشعر والشعر يطارده(١) فان التقيا على غفلة من الاشغال المادية جاء بشعر غنائي بديع ؛ وان اهتم بمناسبة عرضت اجاد النظم ، ثم انصرف الى مهامه وقتا طويلا لا ينتزعه الشعر منها الا بقوة قاهرة خارجة من اعماق نفسه » .

(١) ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية لجورج صيدح صفحة ٤٠٤ دار العلم للملايين ـ الطبعة الثانية .

كان شاعرا حساسا ، سريع التأثر ، يتطير من كآبة المساء ، وهجوم الليل ، ويضيق بالحزن الذي يحمله غروب النهار الى حد الاختناق ، وقبله ضاق خليل مطران وايليا ابو ماضي :

نشرت راية الاصيل لتطوي صفحة اليوم بعد صفحة امس
هو ذا الليل هاجم في سواد يغمر الارض بالاسى والتأسي
ناشرا راية الكآبة حتى لآخال الوجود مرآة نفسي

لكننا نجد فلسفته في الحياة والموت تختلف عن فلسفة ايليا ابي ماضي في قصيدته «الطلاسم» التي لا يدري فيها من اين جاء والى أين سيمضي. انه « لا يبالي» بكل هاتيك القضايا المصيرية ، وحسبه في هذا الوجود ان يتمتع بالجمال المطلق ، ويتنعم بالاحلام الناضرة :

ايه يا طير ان سر البرايا بابه ظل محكم الاغلاق
حاولت فتحه فلاسفة الدنيا فباؤوا بالعجز والاخفاق
حسبنا في الوجود انا وسعنا كل حسن الوجود بالاحداق
وامتطينا أحلامنا فجرت خلف الثريا جرى الخيول العتاق
« لا نبالي » من أين جئنا ولا أين سنمضي وما عسانا نلاقي

لكننا نجده في قصائد اخرى « يبالي » كثيرا بمسألة الوجود والمصير، ويقع في نفس الحيرة والتساؤلات التي وقع فيها شعراء المهجر الشمالي بخاصة: ماذا وراء القبر ؟ وما مصير شاعر ينتظر العفو والمغفرة من ربه ، الجنة ام النار؟:

ماذا وراء القبر يا خالقي من بعد ان اخلع هذا الجسد؟
أعددت نارا ام ترى جنة لشاعر على رضاك اعتمد ؟
يشفع في محو معاصيه

بعض خصال حلوة فيه ترضيك ملاي مباديه
ممتقداً ما أعتقد

ويؤمن بان الانسان مسير بالقدر لا مخير ، وكان يمكن ان يكون طاهرا كبرعم الورد ، نقيا كندى الفجر ، لو لم يخلقه الله انسانا ضعيفا لا يستطيع ان يقاوم اغراء الفتون ، وسحر الجمال :

فـؤاده برغم آثامه ممتلىء حبا وايمانا
كان كزر الورد في طهره لو انت لم تخلقه انسانا
لكنه مسير بالقدر

- ٣ -

زار ميشيل مغربي وطنه سورية سنة ١٩٥٦ بعد هجرة دامت ثلاثة وثلاثين عاما ، فقد وصل الى البرازيل في الرابع عشر من ايلول سنة ١٩٢٣، ووصل الى حمص في الرابع عشر من ايلول نفسه سنة ١٩٥٦ ، فما ان اكتحلت عيناه برؤية حجارها السود ، ولاح لهما نهر العاصي حتى اغرورقتا بالدموع، أما هو فقد ضاع في نشوة اللقاء ، لا يدري أفي حلم هو ام في يقظة :

هذي تحية مدمعي الهطال يا أيها الوطن الحبيب الغالي
في يقظة ألقاك أم في غفوة من بعد اعوام مررن طوال
أجر الغريب رجوعه لبلاده ما أجره احرازه للمال

ثم ينتقل الى حمص التي أنجبت خيرة شعراء المهجر ، ليتغنى بجمال رياضها ، وعبير أزاهيرها ، ووارف ظلالها ، ونضرة أثمارها واشجارها ، ويتذكر معاهد طفولته ومرابع صباه في « الميماس » فيقول :

يا حمص ، يا حمص الحبيبة مرحبا بنسيمك المتعطر الاذيال
برياضك الغناء ، بالازهار بالـ أثمار ، بالاشجار ، بالاظلال

بـديـار أحبابي، بأربع صبوتـي بسرير أحلامي ، بأفـق خيـالي
أن تنجبـي الشعراء لست بعاقر من خالـدي الشهداء والابطال

وهل تراه يذكر حمص دون ان يذكر عاصيها الذي سلخ أكثر من ثلث قرن يحن الى جرعة من مائه الرقراق ، ورقدة هادئة على ضفافه الساجيـة، يستعرض فيها صور الماضي ، وينظر الى غروب الشمس الذي يذكره بغروبه المنتظر عن هذا الكون :

عاصي ، يـا عاصي ها انـا عـائد خـل الانين ، وخـف لاستقبالـي
أواه ، واحر الفـؤاد لجرعـة من مائـك المترقرق السلسـال
ولضجعة فوق الضفاف طويلة ذكرى لضجعـات الزمـان الخالي
مستعرضـا اشباح امسي ناظرا في الشمس غاربـة مثال زوالي

والعاصي لا يكاد يختلف في انينه ، وضحكه الممزوج بالبكاء ، عن حال الشاعر ، فكأنهما في الهم واحد ، لولا ان العاصي ما يزال في ريعان الشبـاب، لم تغيره صروف الدهر ، وهو قد لوت الليالي كفه على العصا ، واصبح قاب قوسين أو ادنى من القبر :

تمسي وتصبح باكيـا متضاحكا أتظـن يـا عاصـي حالك حالي
طوبـاك انك في أهـابـك لم تزل أما انـا فانظر لسـوء مآلي

ويسائل النهر اما يزال يذكره صبيا يتردد عليه صباح وأصيل كل يوم ، وحيدا ، متشردا ، تائها متنقلا بين « الوعر » و « الميمـاس » و « الشلال »، لا شيء يشغل باله الاالبحث عن اسباب الهوى ، ودواعي اللهو والمتعة ، اما اليوم فلا دعد ولا هند ، وصار اذا رمى سهام الحب طاشت وأخطأت اهدافها:

أولست تذكرني صبيا طـالما وافـاك في الاصباح والآصـال
متفردا ، متشـردا ، مـترددا للوعر للميمـاس للشـلال

والقلب يملؤه الهوى لا شيء الا ه والا هند يشغل بـــالي ؟

فاليـــوم لا هندا ولا دعدا ارى أرمي الحسان ولا تصيــب نبالي

وينتهي أخيرا الى هذه الصورة الرائعة التي تفصح عن شاعرية ميشيـل مغربي الطلقة ، وتدل على ابداعه وسمو بيانه ، ففيها وثبة في الخيال ، ودقـة في الاحساس ، وهل هنالك أروع من صورة القلب يسابق الحذاء لمعانقـــة تراب حمص الذي لا يكاد يطأه الا مترفقا كأنه في هيكل او معبد ؟ وهل هنالك أبدع من رؤيته وقد اكب على حجارة حمص يقبلها خاشعا ، وعلى ترابها يمرغ به جبينه ؟ ان هذا عندي منتهى التقديس والاحترام :

حسرا أمر على ربـــوع طفولتي ومــواكب الذكرى تمر حيـــالي

مترفق الخطوات لا أطــأ الثرى الا وقلبـي ســابق لنعـــالي

ولقــد أكب على الحجار مقبــلا وأعفر الاهــداب بالصلصـــال

عاد ميشيل مغربي الى حمص في السادسة والخمسين من عمره شيخا يلوذ بالصلاة ، بعد ان غادرها شابا لا يدور لسانه الا على الغزل ، ولا يفيض قلبـه الا بالنجوى ، عاد ، وقد جففت الشيخوخة أناشيده واغانيه ، ليطلب من حمص التوبة والمغفرة على بعده الذي يعتبره عقوقا لها وانكارا للجميل :

بصـــلاتي الخرساء عـدت اليـك لا بتغزلي

فنشـائدي وجمت على شفتي بعد ترحـلي

هـــلا تقبلـت المتاب فقلت يـا رجل ادخل

يـا هيكل الاحـلام ، يـا دار الحبيب الاول

عاد الى حمص ليسلم عن كثب ، ويرد التحية ، لكنها لاذت بالصمت ، وكأنها لم تطرب لعودة شاعرها الغريد ، وقد طارت جوانحه من شدة الشوق والحنين ، الا انه مع ذلك لم يضيع طريق البيت ، فهل يمكن ان يضيع العصفور طريق عشه القديم ، ولو طال الفراق وامتد البعاد ؟

باكرت اقرئك السلام فـلذت بالصمت العميق
ردي التحية ، هللي لاياب شاعرك المشوق
طارت جوانحه اليـ ـك ولم يضل عن الطريق
والطير ليس يضل حيـ ـن يعود للعش العتيق

لقد وفى الشاعر بوعده لحبيبته في العودة الى الوطن ، لكنه عاد بلا شباب ، وكان قد غادره يافعا يتفجر صحة وعافية ، بحثا عن المال الذي وجده بعد العناء :

قولي لها يا دار ان سألتك عني باكتئاب
العهد قام به الحبيب فانه يا هند آب
قد كان لا مال له ، واليوم ليس له شباب

— ٤ —

كان القاسم المشترك الاعظم لشعراء المهجر هو الحنين الى الوطن، والمشاركة في المناسبات الدينية والاجتماعية ، والاحتفال في الاعياد القومية ، حيث كان يتألق فيها ميشيل مغربي شاعرا لا يشق له غبار ، يلتهب حماسة واندفاعا ويتقد نخوة وحمية ، كما بدا في قصيدته « عيد الشهيد الاكبر » التي ألح فيها على ضرورة الوحدة العربية ، ليعيد العرب كلهم عيدا واحدا :

ما العيد الا يوم أبصر امتي بين المذاهب تجمع الاضدادا
ليست تدين بغير دين واحد جعلت له بيت الحرام الضادا
أما شكت مصر لضيم نالها أبكت دمشق واحزنت بغدادا
واذا فلسطين اصيب فؤادها فكأن لبنانا اصيب فؤادا

ويصب جام نقمته على اولئك الذين تفرق بين اخوتهم في الوطن

نزعات الطائفية البغيضة المريضة ، فيتاجرون بها ، ويلقون مصلحة الوطن جانبا ، وهو هنا يلتقي بالقروي ـ فيقول :

ان ديني ان اترك الدين من أجل بلادي وأعبد الاحجارا
وصلاتي انلاالـه سوى أرضي ولـوكان اهلهـا كفـارا

انه يضحي بالدين في سبيل الارض ، واذا كان الدين يقوده الى مخاصمة ابناء قومه ، فهو يريد دين السلام حتى ولو كان الحادا . وخير الاديان عنده دين يرفع العبودية عن الانسان ، ويحرره من الذل وسيطرة الآخرين :

ان كان في الدين الخصام فحبذا دين السلام وان يكن الحادا
أسمى المذاهب في البرية مذهب ينفي عن المتعبد استعبادا

لقد عاش ميشيل مغربي في بلاد الحرية ، لا يعرف للتعصب معنى ، يحارب تجار الطائفية والاقليمية الضيقة من اجل ان تبقى كلمة بلاده واحدة ، لا يعرف التمزق الى قلبها سبيلا ، فاذا اطل عيد المولد النبوي احتفل مع اخوانه المسلمين بهذا العيد كأنه منهم ، وكأن العيد عيد جميع المسيحيين:

ما لاح أضحى او تألق « مولد» الا طربت كأنني انا منهم
جودت آي الذكر في قرآنه فاذا ملائكة البيان تحوم

ويربط بين العروبة والاسلام ، فالشاعر الصادق العروبة ، في رأيه ، هو ذاك الذي يجيد النظم في هذا العيد الاغر :

ما أنت في حب العروبة صادق ان لم تكن في عيد طه تلهم

بل كيف يجوز ان نصنف الناس حسب أديانهم ، وكلهم ينتمون الى أرومة واحدة ، هي أرومة العروبة ؟ أليس المسيح ومحمد ، وآمنة ومريم كلهم عرب ؟ :

أولست منهم والارومة يعرب والى الارومة كل فرع يدغم ؟

اني لفي قلبي المسيح وأحمد   ولفيه آمنة تقيم ومريم

ولو سأله أحد عن دينه لاجابه بانه ينتمي الى المذهبين معا ، فهو مسيحي ومسلم في آن واحد :

يا سائلي أي المذاهب مذهبي   اني مسيحي واني مسلم

ويرى ان اي واحد منا لم يختر دينه لانه الاصلح ، وانما لانه ورثه عن أبيه في جملة ما ورث ، وهل قال الله لاحد ان هذا الدين افضل من سواه فاتبعوه ؟ لذلك كانت عنده جميع الاديان السماوية متساوية في جوهرها ، لانها كلها تدعو الى الحب والخير والصلاح ، ولا فرق بين ان يعتنق الانسان هذا الدين او ذاك ما دام كلاهما يقودان الى الحق ، ويبشران بالسلام :

يرث الفتى عن والديه دينه   فاذا به يرضى ولا يتبرم

لكنما الديان ، جل جلاله   ما قال اي دروبه هو اقوم

كل صراط مستقيم للفتى   ما دام غير الحق لا يترسم

لم يكن المغتربون العرب يتركون مناسبة من المناسبات القومية تمر في الوطن الا أحيوا مثلها في مهاجرهم ، وكانت هذا الاحتفالات تتكرر عاما بعد عام ، فعندما احتفلوا بذكرى مرور عشرة اعوام على جلاء الاستعمار الفرنسي عن سورية ، نظم الشاعر ميشيل مغربي قصيدة من خمسة وخمسين بيتا ، وراح يتغنى بها ، مشيدا بذلك اليوم الاغر الذي نال فيه السوريون استقلالهم بعد كفاح مرير ، وصراع عنيد ، قائلا :

لا طويت الادهار جلق الا   ولواء العلا بها ممدود

جددي جددي امية قد نا   داك من جنة الخلود الوليد

ما جلاء العدو الا جلاء الـ   ـبطل ، لله يومه المشهود

يوم أعلى الكفاح رايته البيضا   ء ، وانـدك للفجور عمود

فاذا العز والكرامة لا سلطة عات ، لا مستكبر ، لا عميد

ويفتخر بامته العربية التي راحت تسير في طريق المجد، متخطية الاشواك، متباهية بعدد ما قدمت من شهداء ، وبذلت من تضحيات فيقول :

امة تعدو في طريق علاها وكأن الاشواك فيها ورود
تزدهي كلما اشارت الى قبر وقالت : هنا أقام شهيد

ثم يرسم لنا هذه الصورة الرائعة التي يبين فيها ان اللباس الارجواني الذي تلبسه اليوم ناعمين ،انما كان من دماء الاحرار التي سفكت فوق ارض الوطن ، واذا كنا نحتفل بعيد الجلاء ، فعيد الشهداء هو خلود أرواحهم في جنات النعيم :

ان لبسنا من الحياة برودا فدماء الاحرار هذه البرود
أو يكن عيدنا الجلاء فعيد الـ شهداء المغيبين الخلود

— ٥ —

لقد اصاب ميشيل مغربي ما اصاب سائر شعراء المهجر ، حين انتقلوا من مدنهم وقراهم البسيطة الوادعة في الشرق ، الى بلاد الآلة والصناعة ، حيث لا يعرف الأخ اخاه ، ويعيش الانسان رقما تافها ، عبدا للآلة التي تأمره فيطيع ، لذلك كره مدنية العالم الجديد وحياته الزائفة المصطنعة ، وآثر العودة الى البساطة في احضان الطبيعة ، حيث يعيش الانسان حرا قانعا ، وسيد نفسه:

صفو الحياة قناعة في مذهبي والبعد عن بعض النجاح نجاح
والعيش في كنف البساطة جنة والعمر فيه كله افراح
تبا لها مدنية غرارة سجنت بها الاجساد والارواح
اصفى من السلطان بالا في الورى الشاعر القروي والفلاح

وهو يغبط الطيور على حياة الحرية التي تحياها في ظلال الطبيعة السمحاء

حيث لا تقاليد تحدد سلوك المخلوقات ، ولا شرائع تقيدها ، ولا اوضاع اجتماعية آسرة تشدها بوثاقها :

أين هم منك يا كناري في صفـ ـو وشدو وغبطة وعناق
أين هم من طير حكيم له الرو ضة العرش والعرش غير مطاق
لا تقاليد ، لا شرائع لا أو ضاع عيش تشده بوثاق
فهو يهوى الحياة بكرا كعابا عريت من أثوابها الاخلاق
وهو دون الورى بحب وحب قانع رائع بجو راق

ويصور حالة الشر ، والفساد ، وانحطاط الاخلاق التي جرتها علينا المدنية الحديثة ، وكيف صارت عشرات الجرائم ترتكب كل يوم باسم هذه المدنية المزيفة التي اصطنعها الانسان ، ولكن لنسفه وتدميره روحيا وجسديا :

غير أنا يا طير من عالم رهـ ـن فساد ، وفتنة ، وشقاق
يدعي غاية التمدن فيه خاضبو الارض بالدم المهراق
عابدو النار والدماء فما بعـ ـد صلاة في معبد الاخلاق

– ٦ –

كان ميشيل مغربي شاعرا بارع الوصف ، أوتي بصرا نفاذا ، وبصيرة وقادة ، وكان شديد التأثر ، ملتهب الشعور ، فاذا رأى فتاة بعمر الورد تتلوى على سرير المرض ، والحمى تلهب أنفاسها ، وصفها وصفا رقيقا،ينم عن دقة احساسه، وصدق عاطفته ، ونبل مشاعره ، فقد كان صدرها يعلو ويهبط كالموج في العاصفة ، وشعرها ينتثر فوق الوسادة كالليالي الحالكة السواد ، يزحم بعضها بعضا :

بأناتها يعلو ويهبط صدرها عواصفه من موج على الشاطىء انقضا
وقد شعثت فوق الوساد شعورها ليالي بهما بعضها يزحم البعضا

ثم يصور شعوره نحوها ، وكيف كان يسترق النظر اليها استراقـــاً، فاذا التفت الانظار بغتة ، اغضى حياء وخجلا ، وراح يداعب كفها ، ليوهمها بأنــه يجـس نبضهـا :

وطرفي عليها يجتني قسماتها اذا أعرضت حتى اذا نظرت أغضى
أدغدغ بالكفين كفا تمدها وأوهمها اني أجس لها نبضـا

لقد ظل ساهرا عليها عدة ايام بلياليها ، لا تعرف اجفانه طعـم النـوم، حتى تحسنت صحتها ، ونضرت حمرة العافية وجنتيها ، وزال المرض عنهـا ، ولكن الى أين ؟ الى جسده ليستقر فيه :

سهرت عليها ليلة بعد ليـلة وجفني الليالي كلها لم يذق غمضا
الى أن رأيت الورد عاود حسنها وزايلهـا داء الى جسدي أفضى

ان قصيدة « المريضة » التي اخترت منها هذه الابيات القليلة ، كافيـة لان تعطينا فكرة عن الجانب الوصفي في شعره الذي تعددت أغراضه وتميزت ألوانـــه .

عيسى فتوح

في النســاء

● قال ابو السفــاح لخالد بن صفوان :

يا خالد ان الناس قد اكثروا في وصف النساء ، فأيهن اعجب اليك ؟ قال: اعجبهن يا امير المؤمنين التي ليست بالضرع الصغيرة ولا الفانية الكبـيرة ، وحسبك من جمالها ان تكون فخمة من بعيد ، مليحة من قريب ، اعـلاهـا قضيب ، واسفلها كثيب ، كانت في نعمة فأصابتها فاقة ، فأترفها الغـــنى ، وادبها الفقر .

قصة

الرجوع عن الخطأ

بقلم السيد علي ابراهيم

اجتاز مراحل الدراسة كلها وانصرف بعد ذلك للارض يحنو عليها فترفده بالعطاء ، مال للزراعة مع ان المألوف من حملة الشهادات السعي خلف الوظيفة واذا اختاروا الاعمال الحرة فلا تعد رغبتهم ، مهن ، الطب ، والمحاماة ، والهندسة ، ومن حبسته طاقته المادية عن ذلك عمد لمهنة التعليم متعللا بها شاكيا من تقصير الوسيلة عن الوصول للغاية ، وكنت أراه مثلا فريدا بين المواطنين ساعيا خلف الانتاج واتقان العمل ما وسعه ذلك ، فهو مع المجلات والنشرات الزراعية ، يأخذ منها ما يحتاج اليه ويطبقه في حقله مستفيدا من التجارب والممارسة، واستمر على العناية بالارض زمنا الى ان أزهرت الدنيا من حوله وامتلأت يده بالجنى ودخل السرور قلبه وعاش في مملكته سعيدا، وأفاد نهجه وسلوكه غيره من المزارعين ، رأوا فيه مجتهدا دؤوبا وعاملا مخلصا يطبق العلم على العمل ، فرآتهم هذا المنتسب الجديد لجماعتهم الحامل اجازة مرور من الحياة العلمية وزادهم التقرب اليه خبرة ومعرفة •

وجاءني والده ذات يوم يشكو الي همه زاعما انه لم يعلم ولده ويجاهد في سبيله ليصبح مزارعا بسيطا لا هم له سوى انتظار الموسم والاهتمام بالشؤون الزراعية ، وان هذه الحياة ميسورة لمن ارادها دون مسيرة طويلة في دروب العلم والعرفان ، طالبا مني معالجة القضية مع ولده ليرجع عن الخطأ ويمشي مثل غيره من المثقفين الذين يرجى منهم الخير لامتهم ووطنهم، قلت يا ابا حسان : لست قانعا بجهة نظرك لاسعى في سبيل ما تريد ، ان ولدك الذي تشكو منه صاحب رسالة يؤمن بها ، ولا يستطيع الكلام المنمق الخلاب

ان يصرف مؤمنا عن ايمانه ، واراه رائدا في عالم محتاج لامثاله من كبـــار الاحلام والآراب ، الذين ارتفعوا عن التقليد وجعلوا الحقيقة لهم هدفـــا ، وهيهات ان يقنع طالب الجوهر بالعرض ، وطالب الحق بالباطل ، انك جاهدت في سبيله وحقق الله املك ، فكان ولدك انسانا فاضلا ، خيره مأمول ، وشره مأمون ، وماذا تريد بعد ذلك ؟! وليست امته بحاجة لاسمى مما يقدمه لها ، ولا ينقضي عجبي من قولك ان الحياة التي اختارها ميسورة لمن ارادهـــا ، فانه مجدد لا يشق غباره ، لم يمش مع القافلة دون ادراك وتمييز ، عـــانى من الاوهام فجعل الحقيقة له هدفا ، فهنيئا لك بالقطاف المبارك الميمون .

ايـــام الصفـــاء

يذكر حياته الاولى في القرية عندما كانت تبزغ آماله مع وفود بنيــه، وكلما درجــوا من حوله احس بان لهم مع السعادة موعد ، يزرع أرضـــه مطمئنا بان الرزق الكفاف سيأتيه فليس بحاجة للتفتيش عنه ومكابـــدة الصعاب في سبيله ، فاذا انهمرت السماء بالامطار وتساجل البرق والرعـــد في موسيقى تترك آثارا خفية في النفوس ، والجأه البرد والصقيع الى الموعد، توزعت نظراته بين الطبيعة الجياشة في الخارج والنار المتأججة في الموقـــد ، ولم يجد فرقا بين الصورتين في مجال الحياة والخلق والابداع ، فان ضحكت الارض من بكاء السماء واكتست حلتها السندسية ، ارتاد جمال الطبيعـــة واستمع الى خرير الماء في الســواقي ورأى الفراشات الحالمة تروح وتجيء ، ثم تزدحم على فكره وقلبه الرؤى والمشاهد فتختلس جفونه من الكـــرى غمضات ، على بساط الربيع او تحت شجرة وارفة الظل ، فاذا صحا مـــن هجوعه كان انتباهه يقظة للفكر والروح ، فاذا ناجى قلمه وجد الخواطر فياضة كأن روافدها لا ينضب لها معين ، واذا رجع لكتبه التي يحملها ومشى مـــع اصحابها في تجوالهم ، استعار جناحي طائر ، وطاف بين الربى والمعالم يوشك وهو منسجم مع الصور ان ينسى نفسه .

يشغل العمل رفاقه القرويين عن الكلام الذي يضر ولا ينفع ، فلا وقت عندهم للحد والتنافس طالما ان الارض تعطي بمقدار ما تأخذ ، وان المنافع قريبة المتناول من الجميع لا يكثر منهم حولها نزاع وخصام ، فاذا دفعتهم للاجتماع حاجة ورغبوا بالنجوى وتبادل الاراء كانت بيوت ذوي اليسار منهم ، أندية يستمعون فيها الى محدث او قارىء جريدة فاذا مالت بهم للزراعة لفتة ، كثر في هذا المجال بث الاراء واعطاء النصائح •

ثم تتابعت عليه الاحداث ، وتوالت الليالي والايام ، وكلما اراد ان يجمع تلك الذكريات تفرت من بين يديه ، فطال حنينه لايام الصفاء ، وحلم بمستقبل زاهر يجمع شمل الاحبة ، ويصرف الناس للكنوز الثمينة في الارض والنفوس ، ويعود لشبابه الراعي مجدها الزاهر ، ويجمع الناس حماس رائع لقافية شرود من فم شاعر يؤمن بالله والوطن ويحب الحياة نعمة لا نقمة ورضا يغمر الفكر والنفس والقلب •

علي ابراهيم

مـع جوتيـه

الشاعر الالماني الكبير جوتيه (١٧٤٩ ـ ١٧٢٢) سألوه يوما ، من هو الرجل الذي أثر في حياتك أكثر من غيره !

قال : « ابي •• ولم يكن ابي شاعرا •• ولكنه كان رجلا عظيما •• كان أقسى ناقد لكل ما اكتب •• كان يصحح لي أخطائي ، وكان يلومني ، اذا احس ان الخطأ اكبر من أن يسكت عليه ، ولكنه لم يكن أبدا ينسى ان يشجعني بعد كل لوم يوجهه الي •• وكنت اشعر بالدفء يسري في أوصالي بعد كل مرة يلومني فيها • ثم يشجعني بعد لومه • تماما كما لو كنت اجلس تحت أشعة الشمس بعد حمام بارد !! »

الحج بعبادته ومنافعه
والتنظيم المرجى لحل مشاكله المعاصرة وزحامه

تأليف المحامي محمد بن كمال الخطيب

عرض وتقديم حسان الكاتب

ان مشكلة العصر من الضياع عامة ومشكلة المسلمين من اضاعة مقاصد شريعتهم مشكلة أخص ، فهي تتكرر في حجهم عاما فعاما على رغم ما يبذلون من عناية وجهد افرادا وجماعات ، شعوبا وحكومات ، وذلك من ضيق النظر حين لا يحاط بالمشكلة الا على مقدار الساعة .

وان اقبال الحجيج بعديده الضخم اقبالهم وهم على حالهم في بلادهم على ما توارثوه من جهل وغفلات وعادات سيئة كل ذلك وما اليه يجعل لقاءهم مشكلة بديل ان يكون لقاء ذكر ويقظة وشهود للمنافع الاسلامية لاكرم وفد على الله تعالى من خير امة اخرجت للناس هداية الله لخلقه .

ومن هذا الحال تراهم بكثرة اذا تلاقوا لم يتعارفوا ، واذا تزاحموا لم يتراحموا ، واذا تحدثوا كانوا عن الله معرضين أحيانا كثيرة ، واذا تعاملوا لم يتناصفوا وبدت الاساءة في كثير من المعاملات بينهم ، ولم يجدوا من نظام البلد بتطوافه ومطوفيه ما يهديهم ان لم يزد له سوء الحال افسادا وويلا ، خلافا لما امرنا به الله في هذه المناسبة العظيمة مناسبة اداء فريضة الحج .

لذا فقد جاء كتاب الاستاذ محمد بن كمال الخطيب « الحج بعبادته ومنافعه » كي يتلمس هذه المشكلة ويبحث عن حل لها .

لقد أصدرت هذا الكتاب جمعية التمدن الاسلامي كهدية سنوية لمجلة

التمدن لعامها الرابع والاربعين •• ويقع في ٨٠ صفحة من القطع الكبير وطبع في مطابع المطبعة العمومية بدمشق عام ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م•

لقد أهدى المؤلف الكتاب الى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية كي يضع بين يدي جلالته الحل المناسب للتنظيم المرجى لحل مشاكل الحج المعاصرة وزحامه •

كما قدم الاستاذ الخطيب في مستهل الكتاب ـ كتاب مفتوح بعنوان تحية وتذكرة الى جلالة العاهل السعودي•

اذ استهل المؤلف الفاضل بما قدمته المملكة من خدمات وتطورات جليلة في ميدان خدمة الحجيج حتى اصبح الحرم الشريف في مكة المكرمة والحرم الشريف في المدينة قبلة يهفو لها كل مسلم فالعناية والاهتمام باديان على كل مرفق من مرافق الديار المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة •• ورغم كل ما بذلته المملكة من رعاية وعناية الا ان الوضع لا يزال يشغل بال المسؤولين لتطوير العناية خاصة وان عدد الحجاج الى هذه الديار يزيد عن المليونين في كل عام يجتمعون في يوم واحد في عرفة ويقيمون في منى ويؤدون الطواف في الحرم المكي ويزورون الحرم المدني على هذه الحال •

وهنا جاء المحامي الكبير والشيخ البليغ والمؤلف القدير كي يضع اقتراحاته للمزيد من التطوير للتقرب من الكمال كي يذلل الصعوبات التي يلاقيها الحجاج في هذه الديار وكي يستطيعون تأدية المناسك وما امر الله سبحانه من التعارف والتآلف والتشاور والتحابب وتبادل وجهات النظر بعكس ما هم عليه من التزاحم والتناحر •• الخ••

ثم قدم في بحث آخر موضوعا بعنوان « اجمال المنظر والخطة الاصلاحية » حيث يذكر في هذا المجال ما يلي :

١ ـ النظر الى الحج على انه رحلة تثقيف وتهذيب وعبادة يوجب التعليم لها ومرافقة (المعلم) لاهل رحلتها حتى لا يمروا على آيات الله من

طريق حجهم وهم عنها معرضون من جهالة وغفلة وان تنظم تنظيم الرحلات الجماعية السياحية والثقافية في حلها وترحالها على مستواها العالمي .

٢ ـ مساهمة ادارة الحج بالاشراف على الحجيج من بلادهم والاستعانة بالملحقين الثقافيين في القنصليات السعودية وبالجمعيات وارباب الشعائر الاسلامية والعلماء العاملين .

٣ ـ يبدأ الانتفاع من الحج كمؤتمر سنوي ومعرض دائم باعداد استمارة في كل قنصلية سعودية يتعرف منها الى شخصية الحاج علميا واجتماعيا واقتصاديا وهلمجرا حتى يستفاد من ذوي الكفاءات بلجان يعقد منها مؤتمر سنوي للاصلاح والتعاون الاسلامي محليا ودوليا .

٤ ـ تنظم مكة والمدينة وارض المناسك من عرفات الى منى تنظيما عمرانيا وصحيا بحيث تعالج مشكلة الزحام وتيسر المواصلات وتسد الحاجات .

أ ـ ويقام ذلك على اساس (مكة كلها حرم) (وما بين ولايتي المدينة حرم) وتفرغ لذلك من المباني طوابقها الارضية لتكون امتدادا للمسجدين بما يغني عن كل توسعة اخرى .

ب ـ تعمم لذلك مصورات وتعليمات سنويا .

ج ـ ويخصص لكل قطر مواطن دائمة وتجعل معارض دائمة الى جانب مؤسسات القطر كالبعثة الصحية ونحوها .

د ـ تنظيم استقبال الحجيج بنظام جديد يحل محل نظام المطوفين البالي تحت اشراف لجنة عليا ولا يعني تغيير النظام انقطاع موارد الحج المألوفة للمطوفين بل تجديد تنظيم ذلك بما يحقق المقاصد .

هـ ـ ويخصص للمهتدين للاسلام وخاصة من البلاد المتقدمة (لجنة

مضيفة) ويساعدها من الشباب الجامعي ونحوهم اعوان وتنظم لهم ندوات ومحاضرات وتوزع عليهم كتب ونشرات ومصورات وهدايا •

و ـ وتجعل دعاية الحج دعاية موسم واعلان مبادىء في معركة الصراع الثقافي الدولي•

ز ـ وتؤلف لجنة اصلاح ذات البين بين الاقطار الاسلامية وتقوم بدور توثيق العلائق •

وقد قدم المؤلف في بقية الكتاب تفصيل وتحليل وتعليل ومقترحات الاصلاح وبيان حسب المخطط التالي :

١ ـ الحج رحلة بمشاكلها وحلها (تمهيد لايضاح المشكلة وطرق حلها)•

٢ ـ منافع الحج•

٣ ـ الحج معرض امة ومنبر دعوة •

٤ ـ ادارة الحج •

٥ ـ الحج والاستطاعة •

٦ ـ مقترحات جديدة •

٧ ـ مكة والمدينة ومشكلة الزحام والسير فيهما •

٨ ـ المناسك بتنظيمها تحل مشكلة الزحام فيها •

ويختم المؤلف الاستاذ محمد بن كمال احمد الخطيب كتابه بالكلمة التالية :

هذا هو الحج بأهميته وعبادته ومنافعه وحاجاته وحل مشكلاته وكلها تنتظر من العاملين المخلصين جدا النظر بها للاخذ بها ان شاء الله •

ونحن نسأله سبحانه وتعالى ان يوفق جلالة الملك خالد آل سعـــود وحكومته وشعبه الكريم لتحقيق الاماني الغالية وبذلك رفعة العرب وذكرهم وعزة الاسلام واهله .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » حقا .

والحمد لله رب العالمين .

دمشق حسان بدر الدين الكاتب

قصة الحياة - ملايين الحكايا
تأملات

بقلم: رغيد النحاس

١ - الحيوانات الثديية

ينتمي الانسان الذي يعتبر نفسه القمة في عملية التطور الحياتي الى مجموعة من الحيوانات تشترك معه في الخصائص التشريحية والبيولوجية الاساسية . هذه المجموعة تعرف بمجموعة الحيوانات الثدية او الحيوانات اللبونة ، والتي تنتمي بدورها الى مجموعة أعم وأكثر شمولا هي مجموعة الفقاريات أي الحيوانات التي تملك عمودا فقريا . ولئن كان التطور الحياتي والعمليات الاساسية المقترنة به هي مجال موضوع آخر سنرجيء بحثه الان، فلا بد لنا على الاقل من كلمة قصيرة حول معنى التصنيف الحيواني مع بعض التلميح الى فكرة التطور .

ان عملية وصف الكائنات الحية من الناحية العلمية تتضمن تصنيف هذه الكائنات الى مجموعات وفئات بشكل هرمي بحيث يكون رأس الهرم هو الصفة العامة الشمولية لمجموعة معينة من الكائنات . مثلا التقسيم الرئيسي للكائنات الى مجموعات اساسية مثل الحيوان والنبات يضع الحيوانات كلها تحت « مملكة الحيوان »، ويضع النباتات كلها تحت « مملكة النبات » . ومملكة الحيوان الان يمكن تقسيمها الى فئات ومجموعات مثلا حيوانات ثديية أو حيوانات زاحفة او أسماك وهكذا . ثم تقسم هذه الفئات الى فئات اخرى أكثر تخصصا حتى نصل الى جنس واحد من الكائنات مثلا : «أسماك البوري » . بل يمكن ان نكون اكثر تحديدا ونقول اي نوع من اسماك البوري نريد ، ذلك ان هناك اكثر من نوع واحد من هذا السمك ، ولكل نوع اسم خاص . وبصورة عامة فان من اهم التقسيمات التي تقع تحت مملكة

معينة هي تقسيم هذه المملكة الى طوائف والطائفة الى جماعات ، والجماعة الى رتب ، والرتبة الى فصائل ، والفصيلة الى أجناس ، والجنس الى انواع. ان كل هذه التقسيمات تتم وفق صفات معينة يتمتع بها الحيوان ويشترك فيها مع افراد جنسه الواحد مما يميزه عن غيره من الحيوانات . فالتصنيف اذا هو مفتاح الشخصية لاي كائن حي . وهناك غرض أساسي ثابر على نفس الدرجة من الاهمية ، ألا وهو ان التصنيف يعطي الحيوان مركزا بالنسبة لسلم التطور الحياتي . وبعبارة اخرى فان التصنيف يقول للحيوان من هو وأين يتمركز الان بالنسبة لغيره من الحيوانات ، ويقول له من أين اتى أي أين يتمركز الان بالنسبة لتاريخ عملية التطور . ذلك ان نظرية التطور تعتبر ان كل الكائنات الحية قد تطورت عن كائن واحد قد يكون خلية حية او مجموعة من المركبات الكيمائية التي تجمعت في غشاء وشكلت ما يشبه الخلية الحية. وبعد هذا بدأت الحياة تمر في مراحل من التعقيد والارتقاء والتنوع وفقا لمقتضى البيئة او البيئات الجديدة التي كانت تخلقها عوامل التغير الطبيعية خلال آلاف بل ملايين السنين . وهذا المقياس الواسع في المدة الزمنية ضروري جدا لادراك عملية التطور الحياتي . ان مخيلة الانسان لا تستطيع ان تستوعب هذه التغيرات لان حياة الانسان كلها لا تتجاوز حفنة من عشرات السنين . أي لا يمكن لهذه التغيرات ان تكون « محسوسة » او « ظاهرة » خلال فترة زمنية قصيرة. ان البيئة المتغيرة تستلزم في الكائن الحي تغيرات معينة وتطورات مختلفة . كما ان الكائن الحي يؤثر في البيئة ويغير فيها وهو بالتالي قد يؤثر مباشرة أو غير مباشرة على كائنات اخرى . فمثلا لو ان هناك كائنا حيا يتخذ بعض الحشائش مسكنا له ، ولو ان هناك حيوانا يتغذى على نفس الحشائش فان نوعا من التنافس بين الكائنين يظهر بصورة غير مباشرة . كلاهما يتطلب هذه الحشائش واحد كمسكن والآخر كغذاء . ففي حال التهام الحيوان للكثير من هذه الاعشاب توجب على الكائن الآخر ان يجد لنفسه مسكنا جديدا . ان اختيار بيئة جديدة هو الذي يفرض تغيرا في نمط حياة

هذا الكائن الحي • وان تغير نمط الحياة هذا هو الذي يتطلب تغيرا في الشكل والحركة وقد يؤدي الى تطور حقيقي في ذلك الكائن الحي ، من هذا المنطق أخذت بعض الزواحف بالتطور حينما واجهتها ظروف حياتية وبيئوية جديدة في سالف العصور • فمثلا حين احتاجت لان تحمي جسمها من برودة الطقس تطورت الى حيوانات تملك الريش وصار تطيورا ، او أنها غطت جلدها بالشعر واصبحت من الثدييات •

لقد استطاعت هذه الزواحف بحصولها على جلد قاس مليء بالحراشف ان تشق طريقها من الاماكن التي تتوافر فيها المياه الى بعض الاماكن الاكثر جفافا • ولذلك نجد الان الكثير من الزواحف يعيش في بيئة صحراوية • ولكن لا زالت هذه الزواحف لا تستطيع تنظيم درجة حرارتها وبذلك فهي تعتمد على البيئة المحيطة بها • اي انها تختار لنفسها البيئة الاكثر ملاءمة• ففي الصحراء مثلا تحتمي اثناء النهار في الظل او تدفن نفسها في الارض حتى تتقي حرارة الشمس القاتلة ، فاذا ما غابت الشمس خرجت تبحث عن اسباب عيشها • ان هذه الحقيقة هي من اسباب ظهور حيوانات اخرى غير الزواحف حتى تكون اكثر تلاؤما مع البيئات المختلفة • وطبعا لا نعني هنا ان الزواحف تزول لتحل محلها حيوانات جديدة بل على العكس لازالت الزواحف كمجموعة من الحيوانات تزدهر وتعيش بالاضافة الى الحيوانات التي ظهرت بعدها في سلم التطور وتطورت عن بعض الزواحف القديمة التي انقرض بعضها •

لقد مكن هذا التطور الحيوانات الثديية التي ظهرت أن تنتشر في أماكن كثيرة من العالم بغض النظر عن نوعية البيئة طالما أن باستطاعتها مواجهة تلك الظروف المتغيرة • فالحيوانات الثديية اليوم تعيش في المناطق القطبية وفي المناطق الاستوائية ، في الجبال وفي الانهار والبحيرات بل وفي أعماق المحيطات • وهذا بالطبع يتطلب تلاؤما مع البيئة الجديدة يؤدي الى

اختلاف في أشكال هذه الثدييات بل حتى في بعض وظائفها . مع ان هذه الاختلافات ما هي الا مظاهر متعددة لنموذج أصلي واحد . فما هو هذا النموذج ؟ وما هي هذه الاختلافات ؟

الخصائص العامة والمميزة للحيوانات الثديية

تستمد الحيوانات الثديية تسميتها من خاصة تميزها عن بقية الفقاريات ألا وهي امتلاكها لغدد متخصصة تفرز الحليب الذي ترضع به صغارها.وهناك خاصة اخرى بذات الاهمية هي ان هذه الحيوانات تغطي جسمها بطبقة من الشعر الذي يحفظ حرارتها من التغير .

فهذه الحيوانات على عكس اسلافها من الزواحف هي ذات درجة حرارة ثابتة ، أي أنها من ذوات « الدم الحار ». ولكلتا الخاصتين أهمية مشتركة من ناحية التطور . ففي مرحلة التطور الحيواني ، وعندما بدأت هذه الحيوانات تظهر للوجود كان الشعر ضرورة للمحافظة على حرارة الجسم كما قلنا . والشعر ينبت في غدد جلدية متخصصة ، وبعبارة اخرى فان الجلد قد ظهرت فيه الكثير من الغدد اثناء عملية ظهور الشعر فصارت الرازات هذه الغدد ترطب الجسم بينما الشعر يدفئه . وهكذا فان هناك عملية تنظيمية للحرارة . اذا كان الطقس حارا فان الغدد العرقية مثلا تفرز العرق وترطب الجسم . ومن هذه الغدد الجلدية المديدة تخصص البعض وصار يفرز الحليب .

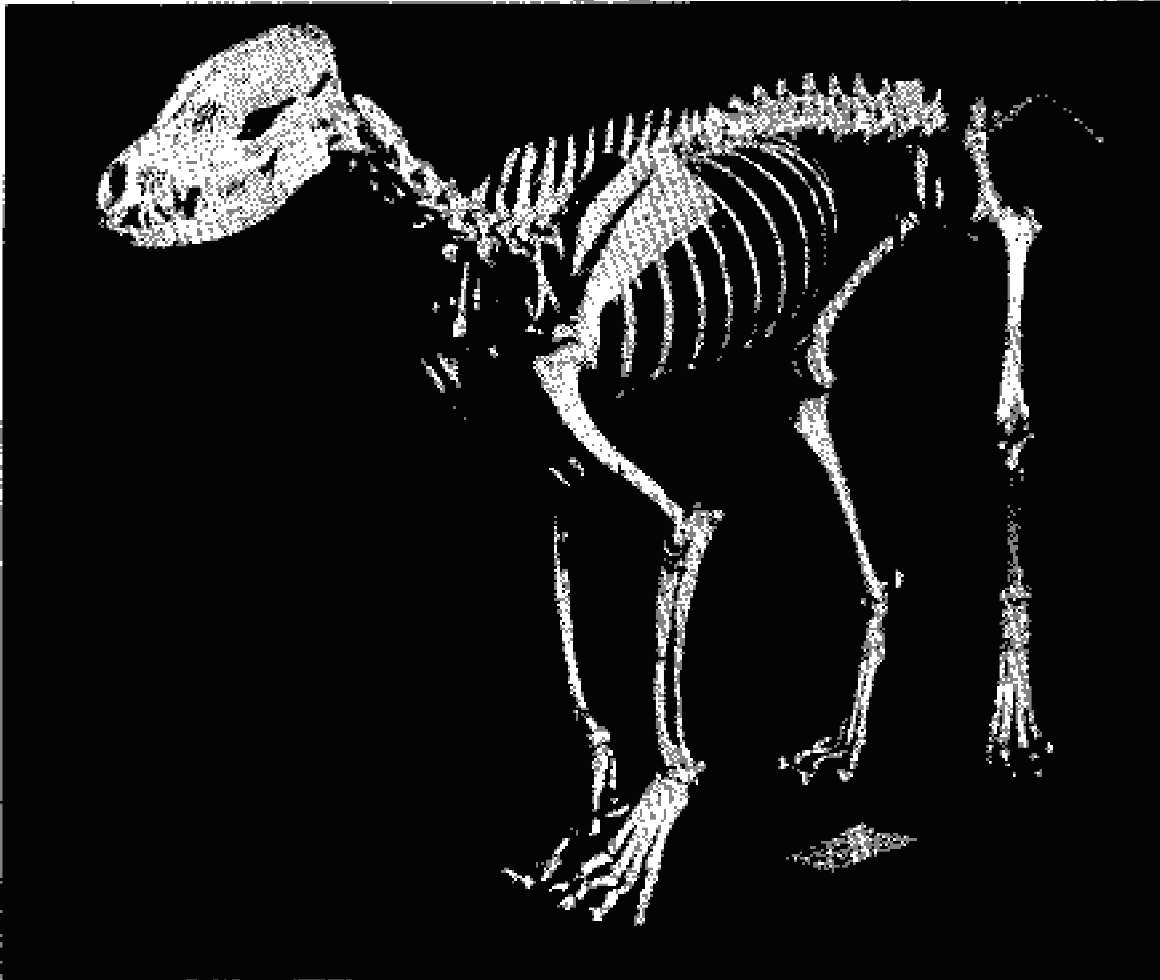
ومن الخصائص المميزة الاخرى وجود ثلاث عظام صغيرة في الاذن الوسطى لهذه الحيوانات . هذه العظام تنقل الاهتزازات الصوتية من غشاء الطبل الى الاذن الداخلية .

ومن الخصائص الاخرى ـ والتي لا تقتصر ضرورة على الثدييات ـ وجود أربعة اطراف (يدان ورجلان في حالة الانسان مثلا). والقلب في هذه الحيوانات مؤلف من اربع جيوب . فالدم الوريدي (وهو الدم القادم من

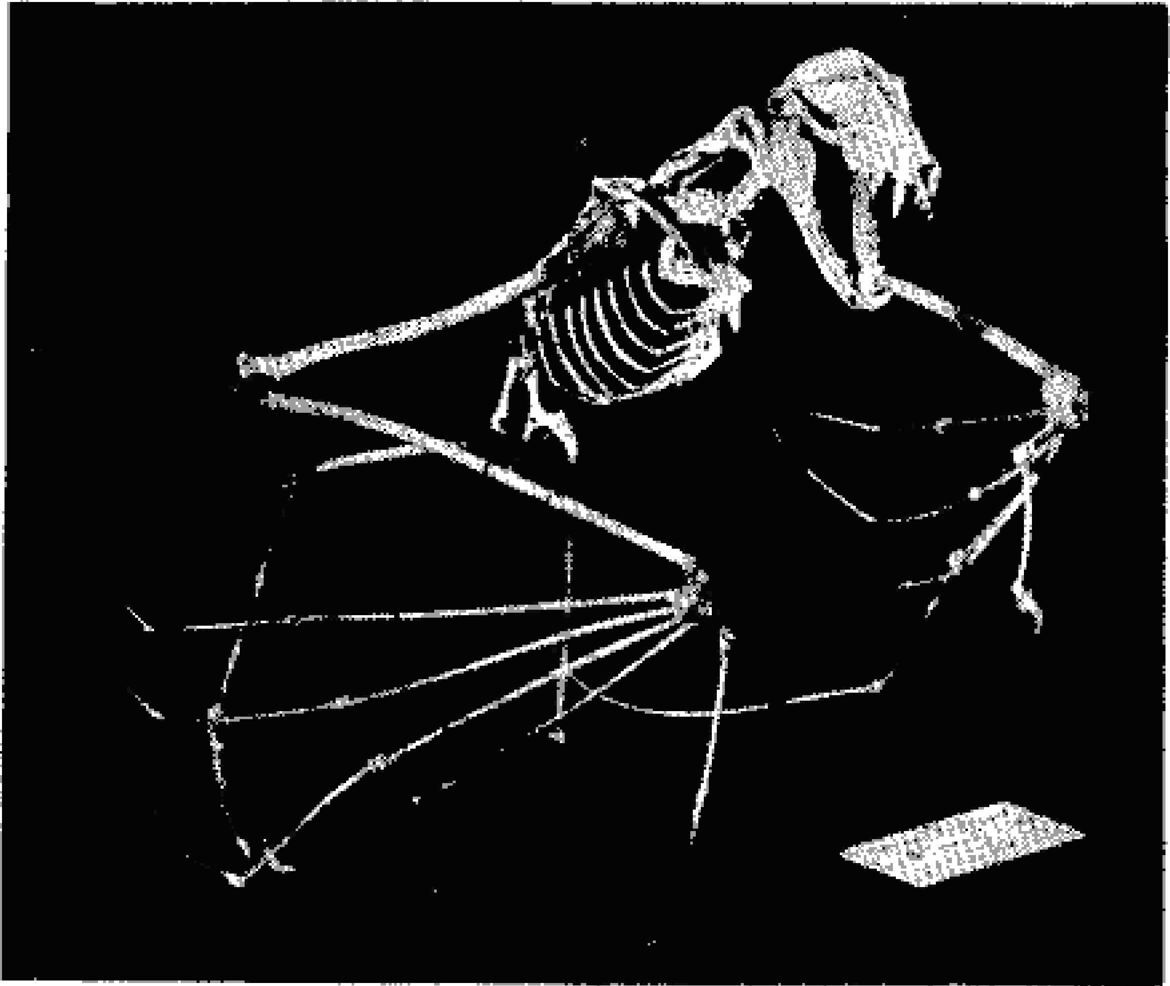
أنحاء الجسم والحامل لفضلات عمليات الاستقلاب) يصب في الاذين الايمن ثم الى البطين الايمن ، وهما يؤلفان القسم الايمن من القلب • ثم ينتقل الدم من البطين الايمن الى الرئتين حيث يتحول الى دم نقي مليء بالاكسجين بعد طرح غاز الفحم عن طريق الزفير ، واستنشاق الاكسجين عن طريق ما تأخذه من الهواء بواسطة الشهيق • هذا الدم النقي يعود الى القلب فيصب في الاذين الايسر ثم يضخه البطين الايسر الى كافة نسج الجسم عبر الشرايين المختلفة •

الحيوانات الثديية تولد صغارها احياء ما عدا وحيدات المسلك وهي مجموعة تبيض بيضا •

تملك الحيوانات الثديية حجابا عضليا حاجزا يفصل بين الرئتين والتجويف البطني للجسم •



الشكل 1 ـ الهيكل العظمي للكلب • يمكن اعتباره نموذجا عاما لترتيب العظام في الثدييات



الشكل ٢ ــ الهيكل العظمي لاحد الخفافيش . لاحظ استطالة العظام في الاطراف الامامية . وهنا تطور في الشكل حتى يتلاءم مع التطور الوظيفي وهو الطيران .

وعدا الجمال ، فان الكريات الحمر في دم الثدييات لا تحتوي على نواة حين يصل الحيوان الى مرحلة نموه الكامل .

وهناك الكثير من الخصائص التي تميز الجمجمة والهيكل العظمي لهذه الحيوانات . وهي على غاية في الاهمية . ونكتفي هنا بعرض صورتين أحدهما تمثل الهيكل العظمي للكلب ، ويمكن اعتباره نموذها عاما يمثل الحيوانات الثديية بالنسبة لشكل عظامه وترتيبها (الشكل ١) . والاخرى للثعلب الطائر وهو احد الخفافيش وهي ثدييات طائرة (الشكل ٢). ونلفت النظر هنا الى مقارنة هاتين الصورتين وملاحظة كيف ان النموذج العام هو

واحد غير انه في حالة الخفاش قد استطالت العظام في الاطراف الامامية حتى تتلاءم مع وظيفة الطيران .

وبصورة عامة فان الثدييات اكبر حجما من غيرها من الفقاريات مع العلم بأن حجم الثدييات يتفاوت كثيرا . فأكبر الثدييات هو الحوت الازرق الذي يزيد وزن بعض افراده عن المئة طنا . بينما لا يزيد وزن بعض الثدييات الشبيهة بالفئران عن ثلاثة غرامات ونصف .

مجموعات الحيوانات الثديية المختلفة

بعد ان تطورت الحيوانات الثديية الى شكلها وتكوينها الاساسي الذي يتميز بالخصائص السالفة الذكر ، والتي جعلتها تنتشر في بيئات مختلفة عديدة متنوعة المناخات والاشكال ، كان لا بد لها من أن تخطو خطوة ابعد من ذلك وتتلاءم بصورة افضل مع هذه البيئات المختلفة مع الاحتفاظ بالنموذج الاساسي . ولهذا فاننا يمكن ان نرى بعضها قد تطور ليتلاءم مع العيش على اليابسة مثل القرود والانسان والماشية . وبعضها قد تطور واصبح يطير في الجو مثل الخفاش . وبعضها صار يسبح في الماء مثل الحيتان . وسنتعرض الان الى ذكر هذه المجموعات المختلفة من الثدييات .

حيوانات تعيش على اليابسة

١ ـ مرتبة الحيوان الرئيس

ينتمي الانسان الى هذه المرتبة وهو من الغوريللا والقرود يشكل اعلى درجة في تطور هذه المرتبة . والغوريللا هو اكبر الرئيسيات على وجه الارض ويعيش على شكل مجموعات كل منها يشكل «العائلة» ويقضي معظم وقته على الارض في الغابات الكثيفة في افريقيا الاستوائية ، وفي الاماكن التي يصعب الوصول اليها . وفي الليل ينام في أسرة يعدها خصيصا لذلك ويصنعها من اوراق واغصان الشجر . وهو حيوان عاشب بصورة رئيسية اي ان وجبته الغذائية تقتصر على النباتات .

اما حيوان الأياي فيوجد في شرق مدغشقر وهو بحجم القط ولـه أظافر بشكل المخالب ، وأسنانه تشبه أسنان الجرذان • ويأكل لب قضبان الخيزران وقصب السكر ويقتات ببعض الحشرات • ينام اثناء النهار في الحفر الموجودة في الاشجار ويلف ذيله على جسمه اثناء النوم •

وفي ادنى درجات تطور الرئيسيات هناك حيوانات مثل الليمور وفيه أجناس كثيرة اشهرها ذلك الذي يسكن في مدغشقر وله وجه يشبه وجه الثعلب وذيل مخطط عرضيا بالابيض والاسود على شكل حلقات متناوبة• ويأكل الفاكهة بصورة رئيسية ويقتات ببعض الحشرات وبيوض بعض الطيور• أما زبابة الشجرة التي تشبه السنجاب نوعا ما ويبلغ طولها حوالي ٣٥ سم ولها ذيل طويل وكثيف الشعر فهي تأكل انواعا مختلفة من النبات والحيوان •

يوجد من الرئيسيات ثلاث وتسعون ومئة نوع •

٢ ـ مرتبة القوارض

ويوجد فيها تسع وعشرون وسبع مئة وألف نوع • وهي أكثر الثدييات عددا من حيث الانواع ومن حيث عدد الافراد الموجودة في النوع الواحد ، لذلك لا عجب ان يكون تعداد الفئران والجرذان اكثر من تعداد البشر في بعض الاحيان بمرات كثيرة •

تستمد تسميتها من عملية قضم الاطعمة القاسية باسنانها المعدة خصيصا لذلك • ولذلك فان الفم يقوم بالقضم والمضغ مما ساعد هذه الحيوانات على التكيف مع انواع مختلفة من الاطعمة ، اي انه بات بامكانها العيش في بيئات مختلفة وهي لهذا قد كيفت نفسها بأساليب مختلفة ايضا فباتت تستطيع دفن نفسها، وتركض، وتقفز، وتتسلق ، وتسبح، وهي تتواجد في الصحارى وفي الغابات وفي القطب وعلى خط الاستواء • وهي بصورة عامة ذات حجم صغير نسبيا • وتنقسم الى مجموعات ثلاث• الاولى تضم السنجاب والمرموط

والصيدناني • والثانية تضم الجرذان والفئران • والثالثة تضم الخنزير الهندي والشيهم والاغوطي •

ومن الامثلة الاخرى التي تنتمي الى المجموعات السابقة : القنـدس ، والهمستر ، واللاموس ، والعضل، والفأر الاسود ، والفسكاس ، والشنشيله، وهذا الاخير يملك أنفس فراء على الاطلاق ويقال ان الانثى فيه تسيطر على جنس الرجل •

٣ ـ مرتبة الارنبيات

وفيها مجموعتان الاولى تضم حيوانات مثل البيكه والثانية تشمـل الارانب والارانب البرية •

البيكه حيوان أصغر من الارنب وله اذنان قصيرتان ومستديرتـان والذيل يكاد يكون معدوما • يعيش في المناطق الصخرية • في الصيف يقـوم بجمع الخضر والنباتات وذلك بأن ينقلها في فمه الى حيث يمكن وينشرهـا على الصخور حتى تجف تحت الشمس • وفي حال حدوث عاصفة فان الجميع يهرعون الى اخفائها في مكان لا تصل اليه المطر • وهكذا حتى تجف تمامـا فتنقل حينذاك الى اماكن خاصة يعدها تحت الصخور البارزة وهذه الاماكـن تكون بمثابة المستودعات التي يلجأ اليها في الشتاء ويأكل •

الارنب البري يتواجد في اميركا وشمال افريقيا • ويعيش في جحر يحفره لنفسه • وفي الربيع له فصل طويل من التزاوج بحيث تكون مدة الحمل تسع وعشرون يوما وبعد ولادة الانثى باثنتي عشر ساعة فانها تستطيع ان تزاوج من جديد وتحمل •

ان العشب الذي يتناوله الارنب غالبا ما يكون صعب الهضم • وبينما تتغلب الحيوانات المجترة على هذه المشكلة بتقيؤ طعامها واعادة مضغـه من جديد فان الارنب يقوم بعملية تناول طعامه من جديد بصورة غريبة • فعندما يكون مستريحا في جحره يطرح روثا طريا خاصا يقوم بتناوله مباشرة مـن

شرجه • وفقط حينما يخرج للمرعى فهو يطرح روثا اعتياديا قاسيا • وهـذا يعني ان كل الطعام يمر مرتين في الجهاز الهضمي حتى يستطيع ان يستفيـد اكثر ما يمكن من تلك الوجبة •

٤ ـ مرتبة اللواحـم (آكـلات اللحـوم)

وتحتوي على اثنين وخمسين ومئتي نوعا تغطي معظم انحاء العالم • ولقد ساعد الانسان على انتشار هذه الحيوانات في أماكن لم تكن موجودة فيهـا سابقا قبل وجوده هو مثل استراليا ونيوزيلانده • وهذه الحيوانات كمـا يدل اسمها تتغذى على اللحوم ولا يوجد سوى شواذ قليلة فمثلا حيوان البنده العملاق يتغذى على قصب الخيزران •

اما مجموعات هذه المرتبة فهي كما يلي :

مجموعة الكلاب والثعالب والذئاب وتضم سبعا وثلاثين نوعا •

مجموعة الدبب وفيها سبع أنواع (الشكل ٣)



الشكل ٣ ـ الدب القطبي دليل حي على تلازم الثدييات مـع اقسى عوامل البيئـة •

مجموعة الراكون والقوطي والبنده (١٨ نوعا)

مجموعة ابن عرس والدلق والغرير والظربان وثعلب الماء (٦٨ نوعا) .

مجموعة تشمل الرباح والزبار والنمس (٨٢ نوعا)

مجموعة الضباع (أربعة انواع)

مجموعة القطط التي ينتمي اليها الاسد والنمر (٣٦ نوعا)

٥ ـ مرتبة ذوات الاظلاف المفردة

وهي اكثر الرتب المهددة بالانقراض من الوجود حيث ان الاحصائيات تدل على ان اعداد افرادها واجناسها كان الاكثر تدهورا على مر العصور. وتشمل مجموعة تضم الحصان والحمار وحمار الوحش والزرافات (٧ انواع)

ومجموعة التابير (٤ أنواع) . ومجموعة الكركدن او وحيد القرن.

٦ ـ مرتبة ذوات الاظلاف المزدوجة

وفيها اربع وتسعون ومئة نوع . وتتميز عن الرتبة السابقة بوجود جهاز هضمي اكثر تعقيدا فالمعدة هنا مؤلفة من عدة اقسام قد تصل الى اربعة. والطعام يمزق ويبلع بسرعة ثم يمر الى المعدة الاولى ثم المعدة الثانية وبعد هذا يعود الى الفم ويمضغ مضغا جيدا ثم يبلع من جديد الى المعدة الثالثة (ذات التلافيف) ثم الى المعدة الرابعة الحقيقية (المنفحة).

وتتميز هذه المجموعة بوجود زوج من القرون ذات أشكال مختلفة، واحيانا توجد عند الذكر فقط واحيانا عند الذكر والانثى حسب نوع الحيوان. والمجموعات هي :

مجموعة الخنازير (ثمانية انواع)

مجموعة البقري (نوعان)

مجموعة البرنيق (نوعان)



الشكل ٤ ـ الجمل ذو السنامين احد ممثلي مجموعة ذوات الاظلاف المزدوجة .

مجموعة الجمل واللامة (ست انواع) (الشكل ٤)

مجموعة المجترات (أربع أنواع)

مجموعة الأيل (واحد واربعون نوعا)

مجموعة الزرافات والاكاب (نوعان)

مجموعة الشائك القرن (نوع واحد)

مجموعة البقريات والخراف والنعاج والغزلان والظباء (١٢٨ نوعا).

٧ ـ مرتبة الفيلة

وهناك نوعان واحد في افريقيا والآخر في آسيا .

الفيل الافريقي أكبر الثدييات على اليابسة وقد يصل وزنه الى ستة أطنان وله آذان كبيرة جدا تميزه عن الفيل الآسيوي .

الفيل حيوان عاشب يتغذى على مئات الكيلوغرامات من الاوراق والاعشاب والفواكه كل يوم ويشرب كل يوم حوالي اربعين غالونا من الماء.

٨ ـ مرتبة الوبر

وفيها ست أنواع تعيش في افريقيا ولها شكل وحجم قريبان من شكل وحجم القوارض .

٩ ـ مرتبة خنزير الارض

هذه الرتبة تحتوي على نوع واحد فقط وهو خنزير الارض الذي يعيش في مراعي افريقيا ويتغذى على النمل الابيض .

١٠ ـ مرتبة البنغوليات

وهي آكلات نمل يكتسي جسمها بحراشف مع الاحتفاظ بالشعر على البطن ويوجد منها سبع أنواع في أفريقيا الاستوائية وجنوب آسيا وسومطره وبورنيو والفيليبين .

١١ ـ مرتبة الدرداوات

وهذا الاسم يعني ان هذه الحيوانات بلا اسنان ولكن هذا الامر غير صحيح . وتتألف هذه المرتبة من ثلاث مجموعات رئيسية تتوزع في اميركا الوسطى والجنوبية .

المجموعة الاولى تضم آكل النمل العملاق وله مخالب حادة يدافع بها عن نفسه ويستعملها في فتح أعشاش النمل . أنفه طويل ومستدق وذيله طويل وكثيف الشعر .

المجموعة الثانية تضم الكسلان وهو حيوان بطيء الحركة يسكن في الاشجار ويتعلق بأغصانها بأرجله فيصبح رأسه وجسمه للاسفل . ومن حسن حظه انه وهو في هذا الوضع المنقلب قد اصطف شعره بطريقة تمكن الامطار الهاطلة من عدم التجمع بين شعره فهذا ما يجعل البلل يزول عن جسمه بسرعة. وغالبا ما يبدو شعره مخضر اللون والسبب هو ان الكثير من الطحالب تستوطن



الشكل ٥ ــ المدرع (أحد أفراد الدرداوات) وتراه في الصورة يتناول غذاءه في حديقة الحيوانات بلندن .

فيه . والكثير من الحيوانات الصغيرة التي تأكل هذه الطحالب تعيش ايضا في شعر الكسلان مثل بعض الخنافس ، وخلاصة القول ان شعره بمثابة مزرعة . أما هو فيتغذى على الفاكهة واوراق النباتات .

والمجموعة الثالثة فيها المدرع الذي يستوطن اميركا الجنوبية . وأرجله وظهره ورأسه وذيله كلها مدرعة بصفائح عظيمة (شكل ٥). وله عدد من الاسنان يزيد عن اي حيوان ثديي آخر . هذه الاسنان صغيرة وليس لها جذور وقد يصل عددها الى المئة .

١٢ ــ آكلات الحشرات

يوجد من هذه الحيوانات أربع وسبعون وثلاثمئة نوع تتوزع على اميركا الشمالية وآسيا وافريقيا . وتتغذى بصورة رئيسية على الحيوانات اللافقارية مثل الديدان والحشرات والرضويات والقشريات . ومن الامثلة على

هذه الحيوانات القنفذ الذي يأكل الحلزون وبعض الحيايا بالاضافة لما ذكر سابقا . عند الولادة تكون الاشواك التي تغطي جسمه طرية ثم تقسى شيئا فشيئا وبنفس الوقت تنشأ عند الحيوان القابلية لان يلتف حول نفسه على شكل طابة كلما هدده الخطر .

١٣ ـ ذوات الجراب

تحتوي هذه الحيوانات على « جراب » أو « جيب » للحماية تكون فيه حليمات الانثى . وعند ولادة الصغار يكون الصغير غير مكتمل النمو فيزحف الى الجيب حيث يتمسك بفمه بهذه الحلمات حتى يكتمل نموه . والجهاز التناسلي ايضا غريب من نوعه فيوجد لدى الانثى رحمان بدلا من رحم واحد . كما يوجد لديها مهبلان بدلا من واحد . والذكر له قضيب متشعب والخصيتان تتوضعان امام القضيب وليس خلفه كما هي الحال في غيره من الحيوانات . ولا يوجد في هذا الحيوان أسنان لبنية وانما تنمو له وجبة واحدة من الاسنان طوال الحياة . أي انه لا يبدل اسنانه .

من الامثلة على هذه الحيوانات الابوسوم الذي يعيش في جنوب اميركا ويأكل الحشرات واحيانا بعض الحيوانات من الزواحف الصغيرة والفواكه. أنثى هذا الحيوان ليس لديها جراب وانما يتعلق الصغار بالحليمات ثم يركبون على ظهر الانثى في وضعيات مختلفة حتى يكتمل نموهم اكثر .

ومن الامثلة الاخرى الكنغر . وهو اكبر الجرابيات . أرجله الخلفية أطول من الامامية ويستعمل ذيله في دعم وزنه اثناء الجري وهو بذلك يصل الى سرعة كبيرة كما انه يستطيع القفز عاليا . وهكذا فانه يستطيع الهرب من كل اعدائه على الاطلاق ما عدا ـ طبعا ـ الانسان .

١٤ ـ مرتبة وحيدات المسلك

وهي مرتبة متدنية من الثدييات يوجد فيها مسلك واحد للاعضاء التناسلية والبولية والهضمية . وهي الثدييات الوحيدة التي تبيض بيضا. والحيوانات البالغة ليس لديها أسنان ولا توجد عندها آذان خارجية. كما

ان تنظيم الحرارة ليس كافيا بل هناك اختلافات قد تصل الى خمس درجات مئوية • وعلى هذا فان هذه المرتبة تشابه اسلافها من الزواحف • كما تحتوي الذكور في أرجلها الخلفية على شوكة سامة غير معروفة العمل بيد انه من المعلوم ان هذه الشوكة تنشط في موسم التزاوج •

من الامثلة قنفذ النمل الذي يدفن نفسه في الارض بحيث لا يظهر سوى أشواكه وهو يستعمل هذه الطريقة كوسيلة للدفاع عن النفس اما الشوكة المذكورة سابقا فان نوعية السم الذي فيها ليست بذات خطر يذكر • يتغذى هذا القنفذ على النمل ويتواجد في شرق استراليا وتسمانيا حول البيئة المائية • وفي بداية الموسم التزاوجي تتشكل عند الانثى جيب حيث تنقل اليه فيما بعد بيضة واحدة • والحليب يصب مباشرة على الجيب دون وجود حليمات • وعلى هذا فان الصغار الخارجة من البيوض تمص الحليب من بين شعيرات الام •

اما البلاتيبوس فان اناثه تبني حفرة خاصة في الطين وتضع فيها بيضتان وتحضنهما مدة اسبوعين ثم يرضع الصغار الحليب من الشعر المحيط بغدد الحليب وليس لهذا الحيوان جيب •

بين البر والبحر

١٥ ـ مرتبة الفقمة (عجول البحر)

هذه الحيوانات تقضي اوقاتا كثيرة على اليابسة ولا زالت تحتفظ باطرافها الخلفية التي تساعدها في جر جسمها على اليابسة حيث تعود كل سنة للتوالد • أما بقية اوقاتها فتقضيها في الماء • تتغذى على الاسماك بصورة رئيسية • ويغطي جسمها فراء قصير خشن • وهناك ثلاث مجموعات • الاولى تضم اسود البحر وفيها ثلاث عشرة نوعا • ومجموعة الفظ وفيها نوع واحد • والثالثة تضم مختلف عجول البحر وفيها ثماني عشرة نوعا •

في المـــاء

١٦ ـ مرتبة الخيلانيات

وفيها أربع انواع • اثنان في اميركا واثنان في افريقيا • وهي حيوانــات لا تأتي الى اليابسة مطلقا والصغار تولد تحت الماء مثل الحيتان • وبعد الولادة تحمل الانثى صغارها على ظهرها وترفعها الى سطح الماء وتعودها على الغطس والصعود لاستنشاق الهواء حتى تصبح قادرة على السباحة الى جانب امهاتها خلال ساعتين • وهذه الحيوانات لا تستطيع الدفاع عن نفسها لكنها تعيــش في أماكن لا يمكن لاعدائها من الحيتان مثلا ان تصل اليها ذلك ان الاماكــن التي تختارها تكون المياه فيها ضحلة • وتتغذى على الاعشاب البحريــة • ومن الامثلة : خروف البحر •

١٧ ـ مرتبة الحيتان

وتشمل اثنان وتسعين نوعا من الحيتان والدولفينات وخنازير البحــر ويمكن تقسيمها الى مجموعتين متميزتين • الاولى تشمل الحيتان ذات الاسنان وفيها ثمانين نوعا • والثانية تشمل الحيتان البلينية وفيها اثنا عشر نوعــا • وفي هذه الاخيرة يحل البلين محل الاسنان الاعتيادية • والبلين هو عظم فــك الحوت • كما ان اكبر الثدييات على الاطلاق يقع في هذه المجموعة• فا لحوت الازرق يصل طوله الى ثلاثين مترا ووزنه الى إكثر من مئة طن كما ذكرنا •

وبما ان هذه الرتبة قد تطورت لتتلاءم مع الحياة في المحيطات فــــان هناك علامات فارقة مميزة • فمثلا لا يوجد لها اطراف خلفيــــة • والاطراف الامامية تحولت الى زعانف • كما انه لا يوجد عنق بالمعنى الصحيح ولا توجد آذان خارجية والفتحة الانفية توجد في اعلى الرأس ء كما انعدمت الغــــدد العرقية وزال معظم الشعر الذي يغطي الجسم •

تستعمل هذه الحيوانات الاشارات الصوتية في الاتصالات ما بينهـــا وتتبنى اسلوبا شبيها باسلوب الخفاش في تحديد الاشياء بواســطة رجــع الصــدى •

وبالنسبة للغذاء فان الحيتان ذات الاسنان تتغذى على الاسماك وبعض الثدييات المائية وبعض اللافقاريات الكبيرة • اما الحيتان البلينية فانها تتغذى بواسطة تصفية الماء واخذ البلانكتونات وهي كائنات صغيرة جدا ، ويقوم البلين بعمل مصفاة تحجز العديد من البلانكتونات التي يدفعها اللسان بدوره الى داخل الحلق بعد اغلاق الفم • ولسان الحوت الازرق قد يصل وزنه الى أربعة اطنان أي ما يعادل وزن فيل !

ان كل هذه الحيوانات تستنشق الهواء بصعودها الى سطح الماء بين الحين والآخر •

بين الارض والجو

١٨ ـ الليمور الطائر

ويوجد في هذه المرتبة نوعان فقط ينتشران في جنوب اسيا والفيليبين • وبالرغم من اسمها فان هذه الحيوانات لا تطير وانما تتسلق برشاقة وتتسلل بين الاغصان يساعدها في ذلك طيات كثيفة من الجلد بين الارجل وهذا الجلد ينشد في حال تسلق الحيوان • هذه الحيوانات تنام في النهار في شقوق الاشجار وتخرج في الليل لتأكل • الانثى تحمل مرة واحدة في السنة والحيوان الرضيع يترك معلقا في الشجرة لوحده عند غياب امه احيانا •

في الجو

١٩ ـ الخفافيش

وهي الثدييات الوحيدة التي تطير بالفعل •

يوجد منها واحد وثمانين وتسعمئة نوع في كافة انحاء العالم عدا المناطق القطبية •

وهناك مجموعتان اساسيتان بالنسبة لنوعية الغذاء ، المجموعة الاولى تضم آكلات الفاكهة وهي حيوانات كبيرة الحجم ولها نظر جيد • والمجموعة

الثانية تضم آكلات الحشرات وهي اصغر حجما ونظرها ضعيف لكنها تستطيع تقدير البعد بواسطة رجع الصدى ، ولها اشكال كثيرة مختلفة نذكر منهـــا الخفاش مصاص الدماء الذي يعيش في جنوب واواسط اميركا ٠ والحقيقـة ان هذا الخفاش لا يمص الدماء وانما يلعقها لعقا بعد ان يغرز نابيه في جسـم فريسته من الحيوانات الاخرى حتى يسيل الدم الذي يمنع بخثره بواسطـة مادة خاصة يفرزها الخفاش مع لعابه ٠ والخطر لا يكمن في كمية الدمـــاء التي يستهلكها الخفاش خصوصا اذا كان الحيوان الفريسة بحجم خـــروف مثلا ٠ وانما الخطر يكمن في الامراض التي ينقلها الخفاش مثل داء الكلب ٠

لقد رأينا ان الحيوانات الثدية وان اشتركت جميعا في خصائص اساسية واحدة فان الاختلافات الشكلية والوظيفية كانت في بعض الاحيان على غايـة في التغاير ، مثلا لاحظ الفرق بين الخفاش الذي يطير وبين الحوت الـذي يسبح ٠ ولاحظ ايضا كيف ان بعض هذه الحيوانات تمثل تسلسلا في التطور من الحياة في بيئة معينة الى الحياة في بيئة اخرى مثلا الفقمة بالرغم من ان شكله أقرب ما يكون متلائما مع الحياة في البحر فانه احتفظ باطرافه الخلفية التي يستعملها في جر جسمه على اليابسة ٠ لكنها لا يستطيع استعمالها بنفس الطريقة التي يستعمل فيها حيوان اليابسة أرجله مثلا ٠ كما ان الفقمة لم يفقد هذه الاطراف نهائيا كما هي الحال في الحيتان التي ما عادت بحاجة لاستعمال اليابسة ٠ ونستطيع ان ننظر الى القرود مثلا على انها مرحلة بين المشي عـلى أربعة اطراف والمشي على الطرفين الخلفين فقط (الانسان) ٠ فالقرود تمشي متحنية الظهر تماما وتستعين باطرافها الامامية على المشيء والتسلق ٠

وبالرغم من هذه الفروقات الظاهرة احيانا كالفرق بين الانسان والحوت مثلا ، فان هناك ما يجمعها على كونهما من الثدييات المتقدمة وكلاهما مـــن المشيميات اي تلك الحيوانات التي تحمل الانثى فيها صغارها داخل الرحـم

ويكون هناك علاقة بين الدورة الدموية للام والدورة الدموية للجنين من خلال الاغشية المشيمية . ثم ان الام تلد صغارها احياء . وبعبارة اخرى فان أهم نقاط التقارب بين الانسان والحوت قد لا تكون متوفرة بين الانسان وحيوان اخر يعيش على اليابسة . وهكذا .

اننا نترك للقلوي، ان يعمل خياله بهذا الاسلوب المقارن في فهم الصفات والتبدلات المختلفة في طرائق الحيوانات لان الاسلوب المقارن وحده هو الكفيل بايجاد الكثير من الاجوبة حول الكثير من النقاط الممتعة في هذه الحياة . واننا كما وعدنا فبعد ان نكمل حكايانا الوصفية الحالية فلا بد اننا سنطرق ابواب الفهم الافضل للاساليب الحياتية وعندها نتمنى ان تكون هذه المواضيع اكثر متعة . والى ذلك الحين لا بد لنا من اكمال التعداد والوصف . فالى اللقاء مع حكاية اخرى من ملايين الحكايا .

انكلترا وغيد النحاس

وصية الامـام علي

لابنه الحسن « عليهما السلام »

ومن وصية له عليه السلام لابنه الحسن (ع) وقد أجمع المفكرون وعلماء التربية أنها احسن كتاب في علم الأخلاق .

من الوالد الفان ، المقر للزمان المدبر العمر ، المستسلم للدهر ، الذام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، والظاعن عنها غدا ، الى المولود المؤمل ما لا يدرك ، السالك سبيل من قد هلك ، غرض الاسقام ، ورهينة الايام، ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الاحزان ، ونصب الآفات ، وصريع الشهوات، وخليفة الاموات .

أما بعد ، فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عني ، وجموع الدهر علي، واقبال الاخرة الي ، ما يرغبني عن ذكر من سواي ، والاهتمام بما ورائي غير أني حيث تفرد بي ــ دون هموم الناس ــ هم نفسي فصدقني رأيي ، وصرفني هوائي ، وصرح لي ملخص امري ، فأفضي بي الى جد لا يكون فيه لعب ، وصدق لا يشوبه كذب ، ووجدتك بعضي ، بل وجدتك كلي ، حتى كأن شيئا لو أصابك اصابني ، وكأن الموت لو أتاك اتاني فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي ، فكتبت اليك كتابي مستظهرا به ان انا بقيت لك أو فنيت .

فاني أوصيك بتقوى الله ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله واي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله ان أنت أخذت به ؟؟

أحيي قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة وذلله

بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما أصاب من كـــان قبلك من الاولين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا واين حلوا ونزلوا فانك تجدهم قد انتقلوا عن الاحبة وحلوا ديار الغربة وكأنــك عن قليل قد صرت كأحدهم فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لم تكلف وامسك عن طريق اذ اخفت ضلالته ، فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال ، وأمر بالمعروف تكن من أهله وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم وخض الغمرات للحق حيث كان وتفقــه في الدين وعود نفسك التصبر على المكروه ونعم الخلق التصبر في الحق.

وألجيء نفسك في الامور كلها الى الهك فانك تلجئها الى كهف حريــز ومانع عزيز واخلص في المسألة لربك فان بيده العطاء والحرمان واكثر الاستخارة وتفهم وصيتي ولا تذهبن عنها صفحا فان خير القول ما نفع واعلم انه لا خـــير في علم لا ينفع بعلم لايحق تعلمه. أي بني اني لما رأيتني قد بلغت سنا ورأيتني ازداد وهنا ، بادرت بوصيتي اليك وأوردت خصالا منها قبل ان بعجل بــي أجلي دون ان أفضي اليك بما في نفسي وان أنقص في رأيي كما نقصــت في جسمي أو يسبقني اليك بعض غلبات الهوى أو فتن الدنيا فتكون كالصعب النفور وانما قلب الحدث كالارض الخالية : ما ألقي فيها من شيء قبلتــــه فبادرتك بالادب قبل ان يقسو قلبك ويشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك مـــن الامر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤونـــة الطلب وعوفيت من علاج التجربة فأتاك من ذلك ما قـــد كنا نأتيه واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه .

أي بني ، اني ــ وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي ــ فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني

بما انتهى الي من امورهم قد عمرت مع أولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر نخيلة وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ورأيت ـ حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق واجمعت عليه من ادبك ان يكون ذلك وانت مقبل العمر ومقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية وان أبتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله وشرائع الاسلام واحكامه [illegible] وحرامه ولا أجاوز لك الى غيره ثم اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم فكان احكام ذلك [illegible] تنبيهك له أحب الي من اسلامك الى أمر لا آمن عليك به الهلكة ورجوت ان يوفقك الله لرشدك وان يهديك لقصدك فعهدت اليك وصيتي هذه واعلم يا بني أن أحب ما انت آخذ به الي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك والاخذ بما مضى عليه الاولون من آبائك والصالحون من اهل بيتك فانهم لم يدعوا أن نظروا لانفسهم كما أنت ناظر وفكروا كما انت مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان أبت نفسك أن تقبل ذلك دون ان تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات وابدأ ـ قبل نظرك في ذلك ـ بالاستعانة بالهك والرغبة اليه في توفيقك وترك كل شائبة أولجتك في شبه أو أسلمتك الى ضلالة ، فاذا أيقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رأيك فاجتمع وكان همك في ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء وليس طالب الدين من خبط او خلط والامساك عن ذلك امثل ، فتفهم يا بني وصيتي واعلم ان مالك الموت هو مالك الحياة وان الخالق هو المميت وان المغني هو المعيد وان المبتلي هو المعافي وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد او ما شاء مما لا تعلم فان أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما

آكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك وليكن له تعبدك واليه رغبتك ومنه شفقتك واعلم يا بني ان احدا لم ينبيء عن الله كما أنبأ عنه الرسول صلى الله عليه آله وسلم فارض به رائدا والى النجاة قائدا فاني لم آلك نصيحة وانك لن تبلغ في النظر لنفسك وان اجتهدت ـ مبلغ نظري لك . واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد ! كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه أحد ولا يزول أبدا ولم يزل أول قبل الاشياء بلا أولية وآخر بعد الاشياء بلا نهاية . عظم عن أن تثبت ربوبيته باحاطة قلب او بصر فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك ان يفعله في صغر خطره وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته الى ربه في طلب طاعته والخشية من عقوبته والشفقة من سخطه، فانه لم يأمرك الا بحسن ولم ينهك الا عن قبيح .

ملاحظات هامة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقالات واشعار وقصص وغيرها يعبر عن آراء الكتاب انفسهم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة أو يعبر عن اتجاهها .

● كما ان مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفقا لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب أو اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط ، و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار ، كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

الاسلام ومشكلة الفقر

بقلم : خضر عباس الصالحي

لعل الناحية الاقتصادية أهم مشكلة تواجه الامم والشعوب في حياتها حيث على حلها حلا جذريا يتوقف تطورها الحضاري ، وتقدمها الاجتماعي ، فليس من الانصاف ان تنعم فئة قليلة العدد بخيرات البلد وموارده الطبيعية، وتبقى أغلبية الشعب تئن تحت وطأة الفاقة والحرمان، وتكابد العذاب والمعاناة بسبب العوز المالي الذي يأخذ بتلابيبها ، ويسد في وجهها منافذ العيش الكريم، وينتصب حائلا دون تحقيق متطلباتها الحياتية الضرورية ...

والاسلام دين سماوي ، ودستوره القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى أوحى به الى النبي العربي محمد بن عبد الله (ص)، وقد تضمن مختلف الاحكام الفقهية ، وشتى النواهي والاوامر الالهية ، وقصص الانبياء ، وسن نهجا قويما للاخلاق الفاضلة التي على اسسها يقوم المجتمع الانساني السعيد.. وتعاليمه السامية صالحة لكل زمان ومكان ...!..

ولما كان المجتمع العربي آنذاك مؤلفا من طبقة الاغنياء ، وطبقة الفقراء ، والتي من ضمنها العبيد ، تلك الطبقة الكادحة المسحوقة ... لذا عني الاسلام عناية خاصة بمشكلة الفقر ، وعالجها معالجة موضوعية ، فشرع الزكاة حيث تؤخذ من مال الغني . وبشروط معينة ، وتقدم الى خليفة المسلمين او من يقوم مقامه ليوزعها على المحتاجين ..

وهنا الكثير من الآيات القرآنية التي قرنت الزكاة بالصلاة لاهميتها البالغة في القضاء على حالة الفقر السائدة في الوطن العربي فقد قال تعالى في محكم كتابه العزيز :

(وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا فان اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين).

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكـاة).

(انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكـاة).

(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة)

وقوله على لسان النبي عيسى عليه السلام :

(وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا).

ولم يكن الاسلام نظاما اشتراكيا فهو يحترم الملكية الفردية ، ولا يدعو الى تأميم أملاك الناس ، ولكنه يأبى توسيع هذه الاملاك على حساب تعاسة الآخرين وبؤسهم ... وليس صحيحا ادعاء امير الشعراء احمد شوقي في قوله مادحا الرسول :

الاشتراكيون انت امامهم　　لولا دعاوى القوم والغلواء

ولكنه اصاب كبد الحقيقة حين قال في القصيدة ذاتها :

داويت متئدا وداووا طفرة　　وأخف من بعض الدواء الداء

أنصفت اهل الفقر من اهل الغنى　　فالكل في حق الحياة سواء

ان الله تعالى امر بالانفاق ، واوضح الجهة التي يستوجب فيها هذا الانفاق فقال :

(فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدونه وجه الله واولئك هم المفلحون).

وهناك العديد من الآيات القرآنية تدعو الناس الى الانفاق ومنها :

(لينفق ذو سعـــة من سعتـه) .

(الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوه منا ولا اذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

(وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة).

يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيـــع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) .

وقال تعالى عن المؤمنين :

(والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) .

(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .

(ان الله سيجازي الذين ينفقون اموالهم في سبيله ، وينتشلـــون اخوانهم الفقراء من وهدة الشقاء والاملاق كقوله :

(وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون).

وقال :

(مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم).

وقـــال :

(فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون).

وقـــال :

(وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) .

ان الله حينما يغدق النعم على عبد من عباده انما يجعله مؤتمنا على هذه

النعم ، وعليه ان يصرفها في مواضع الشرعية فلا يكدسها ، او يستغلها لاشباع شهواته وملذاته الآنية لذا قال مخاطبا الذين آمنوا :

(يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه).

وأنذر المتخلفين عن اداء فريضة الانفاق بقوله :

(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون).

وقال الرسول محمد «ص»:

من منع قيراطا من الزكاة آلبه الله تعالى على منخريه في نار جهنم .

وهو الذي أحس احساسا عميقا مدى الآثار السيئة التي يتركها الفقر على الناس فقال :

كاد الفقر ان يكون كفرا .

والامام علي عليه السلام وهو ابن عم الرسول، وزوج ابنته البتول، وحامل لوائه في الغزوات والحروب ، وباب مدينته العلمية(١) حينما رأى التفاوت الطبقي ، والتمايز الاقتصادي بين المسلمين قال :

ما جاع فقير الا بما متع به غني والله سائلهم عن ذلك .

وقد أدرك تماما عمق الآلام النفسية التي يتركها الفقر في نفوس ضحاياه الابرياء فقال :

لو كان الفقر رجلا لقتلته .

ولا ريب في ان الزكاة ركن من اركان الاسلام ، وفريضة جعلها الله في مال الغني تؤخذ منه ، وتدفع للفقراء والمساكين ونحوهم ، ولذلك كان

(١) جاء في الحديث النبوي الشريف « انا مدينة العلم وعلي بابها » .

النبي «ص» يبعث عماله الى مختلف الاقاليم ليجمعوا الزكاة ويردوها الـى الفقراء...

والزكاة تطهر النفس من داء البخل ، وعبادة المال ، وتجعلها تحـس بالرحمة والمواساة والاخاء الحقيقي نحو الفقراء فتتعاطف القلوب، ويـزول عنها الحقد والكراهية والقسوة ...!..

بهذه الصيغ والاساليب الجادة والفاعلة عالج الاسلام مشكلة الفقـر، فأوجب الزكاة على المسلمين الاغنياء ، ودعاهم الى الانفاق في سبيله ، وان الذين يتوانون في تلبية هذه الدعوة فقد خاطبهم بقوله :

(يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونهـا تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى النـاس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد).

ولما كان الدين الاسلامي خاتم الاديان السماوية لذا جاء كافلا السعادة البشرية ، منقذا الناس مما كانوا عليه من ضلال مبين، آخذا بايديهم مـن الظلمات الى النور ... فهو دين الانسانية بكاملها ، خالص من أوضـار البـاطل ، مجـرد من أهـواء الغوايـة ، مطهر للنفـس مـن الادران العالقة بها ، هاد الى الايثار والبذل والتضحية ، ساع للاصـلاح البشري في فرده ومجتمعه ، داع الى الجهاد لمحاربة الاعداء ، رابط بين الناس جميعا برباط الرحم الانساني ، لا يتهاون مطلقا في مكافحة الظلم والتعسف والارهاب ، ولا يساوم في اداء الفرائض ، ويرفض البدع والشعوذة والدجل، ولذا قال عز وجل في آخر آية أوحى بها الى النبي «ص» وهو يحج حجـة الوداع فقرأها على الحجاج الذين التفوا حوله بجموعهم الغفيرة :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينـا). صدق الله العظيم

بغداد ـ العراق خضر عباس الصالحي

خيطان رفيعان

قصة نفسية

بقلم: وحيد الدين بهاء الدين

دلفت (منى) الى غرفتها بالفندق ، فقد ودعتها زميلاتها عند البـاب ، أثر جولة قامت بصحبتهن في المدينة المضببة بالحضارة والتعقد ..

كانت متعبة ، شرد لها بالها ، وتكاسلت اجفانها ، وان بدا عليها مـرح ظاهر وانفرج ثغرها عن ابتسامة معبرة ...

تهالكت على سريرها بعفوية ، تسرح نظرها حواليها ، ملتقطة انفاسها، ومسترجعة صورا متلاشية . ثم بدأت تتهيأ للنوم ، بعد ان نزعت لباسهـا الخارجي ، استعدادا للنهوض باكرا ، والعودة الى وطنها على الطـائرة بنشـاط جم ...

هذه آخر ليلة لها في المدينة ، تزورها للمرة الاولى .. تذكرت انهـا قرأت عن متاحفها واثارها في المجلات العربية والاجنبية ، حتى عرفت عنهـا الشيء الكثير . لكن ما رأته كان ابهج من ما وعته ، وابعد من ما ادركتـه، حتى عظم ذهنها ابعادا وشمورها انشراحا ..

عمدت الى حقيبتها ، ترتب ما بها ، وتحزمها ، ليكون كل شيء على مـا يرام ، لا يدركها الوقت في اقل تقدير . وما برحت بها حتى استعادت في خاطرها شريطا من الحوار اتصل ضحى اليوم بينها وبين زميلتها (درية) :

ــ انظري الى هذا الرجل .. رداء بال .. شعر أشعث ، يعزف كالمجانين على الكمان . لعله يطرب نفسه والمارة عنه مشغولون ؟؟

علقت زميلتها بشيء من الخبث :

ــ بل يطرب الواقفين بالتعبير عن معاناته وهمومه عزفا .. (ومتابعة) :

ــ احسب انك تجهلين السر في ذلك ؟؟

بسذاجة الاطفال الذين يواجهون موقفا ما لاول وهلة :

ــ أي منظر هذا غير مألوف ، وهو يحدث في منتصف الشارع ؟

ــ انها طريقة مبتكرة في الشحاذة . لا يريد هذا الفقير ان يمد لاحد يد الاستعطاف كما يفعل فقراؤنا ، بل يسمع من يشاء ، مقطوعات ، ثم يتناول شيئا من ما يجود كأجر ...

ــ الواقع ، معقولة هذه الطريقة !!

وانبرت لها زميلتها الاخرى (امال)، وهي تعيد بها الى يوم امس ، حين كانتا تجتازان اكبر ميادين المدينة ، وتتبضعان بعض حاجياتهما :

ــ ألست ذاكرة ذلك الكهل وهو يرسم صورا تخطيطية لاصحابها الواقفين عنده ، لقاء ثمن بخس ، ينفحونه به بطيبة خاطر ؟؟

ــ انطبع على صفحة فكري . ولن انساه ما حييت ..

عقبت (درية) وعيناها النجلاوان تبرقان :

ــ كلاهما فنان . يستغلان مواهبهما لاستدرار عطف الناس واستدراجهم

ــ نفس الغاية ، والوسيلة جديدة .

ــ أليس هذا افضل لهما ، ما داما عاجزين او متعاجزين عن طرق الابواب ومد الايدي وقسر الاخرين على غير ما يحبون ويشتهون !!؟

ـ حسن ، وشريف .

عز على (منى) ان يمر بها بطيئا تعاني فيه وحشة لا تطيقها ، ولم تألفها من قبل ، وهي العذراء العديمة التجربة . رأت في فزعها الى المذياع ، وقد شرعت تدير مفتاحه على اذاعة عربية ، شيئا من السلوى وتزجية لفراغها الثقيل ... المديد .

كانت الاغاني عبر الاثير تخدر احساسها الراكد وتشحذ تعلقها بالحياة وتهمز حرمانها ..

واستسلمت لغيبوبة ، تختلط فيها تصوراتها مع احلامها ، في حين كانت الطبيعة في الخارج خرساء ذات نسمات رخية ، تشيع في جوف الليل سكوناً أعمق ، وغموضا اشد ..

دق جرس الهاتف ، وكان الى جانبها على الطاولة الصغيرة ..

اذا بزميلتها (امال) تقتحم عليها اسوارها وتخرق صمتها :

ـ ماذا تعملين ؟؟

ـ استمع الى اذاعة عربية .

ـ هكذا يستبد بك الشوق والحنين في الغربة ؟ ؟

ـ وهل لي غيرهما ؟؟

ـ لعلك منسجمة مع احدى الاغاني ؟؟

ـ كيف عرفت ؟ هو حدس . آليس كذلك ؟؟

باتفعال ينم على الود :

ـ كيف لا اعرف وانت زميلتي القديمة ، لا تفوتني اهتماماتك ..

ـ وانت اي شيء يشغلك ، والليل يطوينا ؟؟

ـ فتحت الاذاعة المرئية ثم اقفلتها •• برامج غريبة ، غير مستساغة • لغة لا اعرفها اصلا !!

ـ هذا هو المناخ هنا •

ـ اين هو من مناخنا ؟؟

ـ مناخنا عربي •• وهنا اوروبي ، يتأثر بمادية الحضارة ويتفاعل مع مفارقاتها وتناقضاتها •

ـ ألا ترين ان لكل مناخ ما له وما عليه ؟؟

ـ صحيح • ولكن مهما يكن فان مناخنا الحضاري احسن • سكنا اليه بعد ان عرفنا سره وجماله ، وهو يلائم عيشنا وطبائعنا ••

ـ اما حزمت حقيبتك ؟؟

بثقـــة :

ـ كل ما لـدي معد ••

ـ غدا في مثل هذا الوقت نكون هناك ؟

ـ ان شاء الله • ونعانق ديارنا واهلنا ••

ـ الى لقاء قريب ••

ـ صباحا • ان شاء الله ••

★ ★ ★

بتباطؤ اندست في فراشها العريض • كل ما يحدق بها ساكن • يدعوها الى الاطمئنان •• الى النوم الهنيء •• ان هو الا حين حتى أسرعت يدهـــا تطفىء النور • باتت في الظلام تغالب وحدتها ، الا من دفقة من ضوء القمر ، تضطرب من خلال النافذة المطلة على حديقة الفندق ••

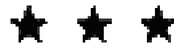
وتعابثت بها الاطياف .. عازف الكمان وهو يسر بقوسه على الاوتـار . ذلك الشارع الطويل ضجة لا تهدأ .. ويتدثر بالوان الحب والشوق . تجددت مواقف وترادفت ذكريات عبر الذهن المنهك ، الى ان وجدت نفسها لا تنام .. بالاحرى لا تريد ان تنام .. لا تستطيع اليه سبيلا ..

كانت حيرة تعجز . تمطت مكرهة في مكانها الدافيء .. تثاءبت ، وحاولت أن تغمض اجفانها لعلها تنجدها .

فاذا بها تنتفض كالملدوغة .. طالعتها الساعة مشيرة الى الثانية عشرة . مرة اخرى تصدمها رهبة الليل ، وقد انتصف !!

الزمن هامد لا يتحرك ..

الاذاعة المرئية الى يمينها ، لماذا لا تعالجها ولو لاول مرة منذ هبوطهـا الفندق . علام لا تبدد بها قلقها وارقها ؟؟ انها خير رفيقة لها في ليلة تكـاد تتكأ بها على الظلام ..



كان هناك رواية تعرض وتتوغل حوادثها في صميم العقدة ، وتقـارب النهاية بتدرج فني ..

حدقت (منى) في هذا الذي جعل يتتابع على الشاشة البيضاء . باديء بدء اشـاحت عنه متأففة ، وحاولت ان تقفل الجهاز لاعنة لحظتها الشعورية الانية ، مكتفية بمدارة نفسها وحملها على النوم ...

هاتف اهاب بها : ان تجمد .. والا تريم !!!

صارت مقسورة على تعقب الر واية . وهي تتخذ وقفات متباينـة كما تقضي طبيعة الفن .. وتتلون كل آن بحركات توائمها وتسايرها ..

والتحمت معها بعض الشيء .. ما لبثت ان انشدت اليها عنوة . حـتى

غلبها سلطانها • واذا بالنوم يجفوها ، ومكابدة الوحدة تزايلها • لكن مـــا يتجسد دونها لم تشهده من قبل • لا في خيالها ولا في واقعها ••

ورجعت بها عبارات زميلتها على اسلاك الهاتف قبل ساعات ، الى الوراء:

ــ مناخنا ومناخهم • (وفي قرارها):

ــ هذه هي الاعجوبة !!

(وانتصبت البطلة امام المرآة بخيلاء • كانت رائعة •• ناضجة حقــا • لا تشكو عيبا • جسد صيغ من البلور ، يلتصق به ثوب شفاف يزيده اشتهاء واغواء • اضواء الغرفة منبسطة ، تخطف البصر ، وتتخس كل تأمة فيها •••

خاطبت نفسها ، ترن ضحكتها :

ــ هل هناك من تتحداني ؟؟؟

ــ انا اتحداك •

كان البطل يتظاهر بالرزانة •• اماراته تشف عن تمرد عاصف •

ــ • • • •• •

ــ انها ارادة الوجود •

ألقت عليه نظرة شاردة واكتفت •• ولم تحرك ساكنا ••!!

ــ • • • •• •

ــ نعم انا الذي اتحداك • (ومستمرا) :

ــ واصرعك ••؟؟

ــ هكذا ؟؟

ــ ألسنا جنسين متممين • وجد الواحد منا للاخر ؟؟

ـ كذلك ما تقول . لكن هذا لا يحمل معنى التحدي بقدر ما يحمـل معنى التجاوب ؟؟

غير مبال اقترب منها ، حتى اوشك ان يلتصق بها ..

وما برحت البطلة امام المرآة واقفة بزهو ..

رفع يسراها برباطة جأش على كتفه ، وطوق خصرها النحيل برشـاقة، واغرق عينيه في خضرة متناهية الحدود ..

ـ على مهلك ...

أطبق فمه على ثغرها لا يرتوي منه .. فارت أحاسيسه وتلونت ...

كانت تنظر مستسلمة ولا تبس ..

ما تراه (مني) حقيقة لا تغيب .. طالما طمست بين ركام من المظهـر الزائف . ندت عنها آهة خفية ، علا لها شهيقها . خواطرها تنثال .. تلتهـب. واذا هي على سجيتها تذوب ...

خطا بها البطل نحو السرير الخشبي الانيق وهو يقول :

ـ يالك من غانية تضمرين القدرة على الاغراء..

واستحالت تائهة لا تبين ...

ـ هذا قدرنا .. أليس كذلك ؟؟

ابتسمت ، مسمرة عينيها في الحائط وقد زينته لوحة (الطبيعـة) لفان كـــوخ ..

وما عتم أن اشعل البطل المصباح الازرق الذي الى مقربة منها :

ـ ولا منجاة لنا من قدرنا !!

انبرت متسائلة من غير مناسبة :

ــ وهل تحبني !؟؟

ــ ألست جديرة بحبي ؟؟

ــ هذا ما يجب ان تقوله انت لا انا .

يقصد :

ــ احبك واريدك ..

وغيرت المجرى الى غيره :

ــ كانت اختي تحب عشيقها بوحشية ..

ــ الحب سيد المواقف في حياة الانسان ..

ردت متغابية ومستفهمة ايضا :

ــ وكان الانسان قديما يمارسه ؟؟

ــ بالضرورة . منذ الازل وسيظل حتى الابد ..

وتتململ في جلستها على حافة السرير . تدير رأسها نحو الوسادة بتلقائية .. ثم تأخذ سمتها ... شفتان مطبقتان .. مكتنزتان . عيناها خضراوان طافيتان فوق بحر من الزبد . وجه ابيض تشوبه حمرة فاتحة .. يذكرك ثوبها باوراق الورد في الخريف . شعرها التائه .. الصارخ على كتفيها يشبه الكستناء ..

(قالت (منى) في ذات نفسها : هكذا كوني .. ما دمت موجودة . تبدد الوهم . لتعش لحظة مقتطعة من الحياة .. لذة الوجود . لحظات تأتي وتزول .. كالدخان !! ظاهرة ، سعادة لا تتكرر ..)

وسكن الليل بعمق .. وانكمشت الحديقة ببلادة..عقربا الساعة ينطقان بالثالثة .. لا يتناهى الا انسياب المياه هادئا .. رائقا يذيع الخدر .. القمر يكتسي قمم الاشجار وافاق الطبيعة بشعاع نوراني .

مرت برهة .. وقال :

ـ اراك ساهمة ؟؟

ـ لا ادري ..؟

سرعان ما ضمها الى صدره ، كمن اخذها بغتة .. ينثر قبلاته في فمها.. في صدرها . ويمر براحته على مفاتنها .. ويشد عينيه في عينيها ..

بـــدلال :

ـ كيف اتركك .. وهذا قدرنا .

همزها شيطان التذكر .. (سمعت كلاما كهذا قبل الان ..).

ـ . . . . . .

وتلقاها بين يديه ، تترائى به الصور والمشاعر بعيدا ..

تاهب (منى) في عنفوان الحدث .. استغرقت في عالم لا مهرب منه.. خيل اليها انها تتقمص شخصية البطلة ، يحركها الموقف . توترت كل خليـة فيها . اشتعلت سادرة . تتخبط .. راحت في تيه منقادة .. بينما الستـائر الحمراء المختلجة على النوافذ تهيجها . نفثات القمر المتساقطة تنير لها الدرب الوعر ، وتفني في قرارة الحرمان ..

(وبدأت الرحلة ...

كانت تجربة هادئة .. لكن مشتهاة .

ومضات الحياة تمتزج بعبير الروح . الخيال والواقع متآلفان في لحظـة من التوهج العفوي . حلم يتحقق . وتجمد الزمان والمكان عند الذروة ... دونهما تمزق الظلام بحرا من النهار .. ويضمحل القمر خجلا ويتوارى .. نبع الوجود يتسامى بهما . يزيدهما رشفات .. يحيلهما هائمين لا يعيـان..

لا يصحوان حتى لتكاد تحسب ان الارض والسماء قد تعانقتا على احر من الجمر .. انه المرفأ .. النهاية ..) ..

★ ★ ★

افاقت (منى) من غيبوبتها مذعورة ..

فقد تضعضعت في سريرها خائرة .. وازاحت عنها الغطاء ...

ثم تزحزحت عنه قليلا .. فاذا جسدها يتفصد عرقا ، قلبها يسرع دقا .. يتشبث باللاشيء .. داخلها يتمزق لهيبا ...

كان هنالك خيطان رفيعان من الدم يسيلان .

وحيد الدين بهاء الدين

● كتب المنصور العباسي الى جعفر الصادق يقول : لم لا تزورنا كما يزورنا الناس ؟ فاجابه ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه ولا عندك من الاخرة ما نرجوك له ، ولا انت في نعمة فنهنئك بها ، ولا في نقمة فنعزيك . فكتب اليه المنصور : تصحبنا لتنصحنا . فكتب اليه الصادق : من يطلب الدنيا لا ينصحك ، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك .

★ ★ ★

● قال الجاحظ كنت جالسا عند احد الوراقين ببغداد فاقترب مني ابو العباس احمد بن يحيى وكان من ائمة النحو في عصره فسألني : الظبي معرفة او نكرة يا جاحظ ؟ فقلت : ان كان مشويا على المائدة فمعرفة ، وان كان في الصحراء فهو نكرة فقال ابو العباس ما في الدنيا اعرف منك بالنحو .

صفحة من التاريخ المنسي

فصاحة الاعرابية حملت الخليفة على الزواج منهـا ...

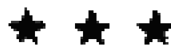


حكى البحتري قال : كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر ، فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فأطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل ، فأشرف على ماء من الفرات ، واذا بجارية عربية خماسية القد ، قاعدة النهد ، كأنها القمر ليلة تمامه ، وبيدها قربة املأتها ماء وحملتها على كتفها وصعدت من حافة النهر ، فانحل وكاؤهـا فصاحت برفيع صوتها : يا أبت !! ادرك فاها ، فقد غلبني فوها ، ولا طاقة لي بفيها ، فعجب المأمون من فصاحتها ، ورمت الجارية القربة من يدها ، فقال لها : يا جارية ، من أي العرب انت ؟ قالت : انا من بني كلاب ، قال : وما حملك ان تكوني من الكلاب ؟! قالت والله لست من الكلاب ، وانما انا من قوم كرام ، غير لئام ، يقرون الضيف ، ويضربون بالسيف ، ثم قالت : يا فتى .. من اي الناس انت ؟ قال : او عندك علم بالانساب ؟ قالت : نعم ! قال : انا من مضر الحمراء ، قالت : من اي مضر ؟ قال : من اكرمها نسبا ، واعظمها حسبا ، وخيرها اما وابنا ، من تهابه مضر كلها ، قالت : اظنك من كنانة . قال : انا من كنانة . قالت : فمن اي كنانة ؟ قال : من اكرمها مولدا ، واشرفها محتدا ، واطولها في المكرمات يدا ، من تهابه كنانة وتخافه . قالت: اذن أنت من قريش . قال : انا من قريش . قالت : من اي قريش انت ؟ قال: من أجملها ذكرا ، واعظمها فخرا ، من تهابه قريش كلها وتخشاه ، قالت : انت اذن والله من بني هاشم . قال : انا من بني هاشم . قالت : من اي بني

هاشم ؟ قال : من اعلاها منزلة ، واشرفها قبيلة ، من تهابه هاشم وتخافه ، قال : فعندئذ قبلت الارض وقالت : السلام عليك يا امير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين . فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال : والله لاتزوجن بهذه الجارية ، لانها من اكبر الغنائم ، ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزلنا هناك وانفذ خلف ابيها وخطبها منه فتزوجها .. واخذها وعاد مسرورا ، وهي والدة ولده العباس .

افحمتهم المراة

بنى بعض اكابر البصرة دارا ، وكان في جواره بيت لعجوز يساوي عشرين دينارا ، وكان محتاجا اليه في تربيع الدار فبذل فيه مائتي دينار فلم تبعه فقيل لها ان القاضي يحجر عليك لسفاهتك حيث ضيعت مائتي دينار لما يساوي عشرين دينارا ، فقالت : لم لا يحجر على من يشتري بمائتين ما يساوي عشرين دينارا ، فأفحمتهم . وترك القاضي البيت في يدها حتى ماتت .



زهد في متاع الحياة

قال سويد بن غفلة : دخلت على امير المؤمنين علي بن ابي طالب بعد ان بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير وليس في البيت غيره ، فقلت :

يا أمير المؤمنين بيدك المال ولست ارى في بيتك شيئا مما يحتاج اليه البيت .

فقال يا بن غفلة ، ان البيت لا يتأثث في دار النقلة ، ولنا دار نقلنا اليها خير متاعنا ، وانا عن قليل اليها صائرون .

اشراقة

شعر : سلمان هادي الطعمة

اسكبي العطر مثل دفق الضياء انت سحر يموج بالاشذاء
اي يوم فيه تبلج فجر وسرى النور في حشا الظلماء
اشرقي كالشمس في قلبي الداجي ولا تشعلي اللظى في دمائي
انت في روضتي كباقات ورد تنثر الحسن كالسنى الوضاء
جن بي الشوق فاتركيني - منى الروح-اناجيك في الضحى والمساء
واستفاقت نفسي على الشفة السكرى لتروي عن ذكريات لقاء
كم اناغي الفجر الطروب فتهفو شهقة النور في الربوع الظماء ؟
واطل الصباح ينثر اطيابا على الكون عابق الانداء
بين عينيك يسمر النجم ولهان ويغفو بنشوة علواء
انت احلى من السنى في عيوني يتراءى كهالة من بهاء

★ ★ ★

زفرات الشجون هاجت بصدري وغدت نفسي الكئيبة حيرى
كيف اسلو والليل تنهل فيه ذكريات تبوح دلا وسحرا
وغدا ان ابث شكواي للفجر ونار الهوى تؤجج جمرا
المح الحسن كالصبابة كالانسام فوق المروج تخطر سكرى
امس كنا في حيرة نعبر العمر خيالا لذنا وحلما اغرا
اسقنيها كاسا شهيا فاني انتشي من جمال عينيك خمرا

كربلاء – العراق سلمان هادي الطعمه

يا نسيم الفجر

شعر : علي محمد الحائري

كم خيال هجت في قلب المشوق   عند مسراك نسيم السحر
ولكم من ثغرك الحاني الشفوق   قد تنشقت اريج الزهر

ثم دجى الافق وكم مات الضياء
وتوارى الكون في الليل البهيم
كم بدا الحزن على وجه السماء
ينثر الرهبة في دنيا الغيوم
حين لا صوت سوى لغط الفناء
ينذر العالم بالخطب الجسيم

غير اني كلما جن الدجى   وبدا منه سواد الطرر
افقد الوعي حبورا والحجى   واوافي النجم خدن السهر

انا سحر فيك يا فجر فلي
نشوة عندك تسليني العنا
ورؤى تشمل طرفي من علي
فتوافيه باحلام المنى
ومدام هي تروي غللي
فيضج الشوق في لحن الغنا

أيــه يا ســاقي الهوى در بالطلــى في كؤوس الاقحــوان العطر
وذر العــاشق يغــدو ثملا يتملــى في محيــا القمــر

شــاعر فلــل اصفـاد الحياه
وغــدا يبحـث عن سر الخـلود
هــاله اشبـاح بـؤس جاثمـات
فهو نـد الحزن، صالي الحسرات
ظـاهر الطيرة ، مجروح الكبـود

غــير شوق قاده نحو الجمال قـد تصبـاه بوادي العمر
وتغشــاه خضم من خيــال صـاخـب المـوج ولم ينحسـر

كربلاء ـ العراق علي محمد الحائري

ســهم الجــود

دخل اعرابي على الفضل بن يحيى وسأله ان يجود عليه بقليل من المال ، فاقترح احد الحاضرين ان يأخذ الفضل سهما من كنانته ، ويركبه في كبد قوسه، ويومىء الى الاعرابي ايماه ، فان رد على نفسه ببيت من الشعر فقد استحق العطاء ، والا فان العطاء لم يصادف محله . فوافق الفضل على ذلك الاقتراح . وبالفعل بادر الى السهم وركبه في قوسه ، واوما به الى الاعرابي قائلا ردسهمي ببيت من الشعر فأنشد الاعرابي :

لقوسك قوس الجود والوفر والندى وسهمك سهم العز فارم بها فقـري

فيض الحب

شعر : عبد الستار محسن الجواد

حسدوني لما راوني افيض عن شعور ينساب منه القريض
أترى الفكر قد تدفق وحيا فاستجابت اليك فيه العروض؟
أم عيون فاضت عذابا فكانت طوفانا من منبع لا يغيض ؟
فتغنيت بالمعاني توالت شدوا فيه للنفس عن هوى ترويض
رحت تسجي الى النفوس انا أم ترى اشتقت في الطبيعة
شيد تسلى بها معنى مريض في رحاب بالامنيات يفيض
قلت ماذا غير الذي قلت اني لمعنى بحب من لا تثيض
نذرت في حبها واستقلت في طريق ناى بها التعريض
تركتني غداة ضنت بوصل في بحار من الخيال اخوض
وعذاب الجفاء اصبح عذبا في وصال قد ناله التحريض
صور في مشاعري رسمتها امسيات يشع منها وميض
برزت تلبس الوشاح عروسا زفها الشوق زانها التقريض
تلثم الورد والرياحين في الروض ورقص الشفاه منها فروض
رصعتها الالفاظ فانتظمت في اغنيات شدا بهن (القريض)
هل ترى ان فكرة داعبتني في خلاء بالنفس عنها اروض؟

ام اذا ما الخطوب يوما توالت من حياتي يصدني التعويض ؟

انا من يا ترى اذا لم تثرني في حياتي بساطة او غموض

انا انسانها الذي وشحته بارقات من الاماني بيض

اسلك الدرب في الحياة بعزم لا ابالي اضيق ام عريض

زاحمتني خواطر ايقظتها ذكريات زهت بهن العروض

شهر نيسان في الطبيعة شهر لربيع به العيون تفيض

ثاني اثنين اذ هما يكسوان الارض وشيا على الحسان عروض

كان آذار قبله يتغنى وبه بعد مايس يستريض

ذاك فيض الربيع تنساب منه في بحور من القريض فيوض

كربلاء ــ العراق عبد الستار محسن الجواد

نباهة شاب

بعث السلطان محمود الغزنوي كتابا الى الخليفة القادر بالله يتهدده بخراب بغداد ، وان يحمل تراب بغداد على الفيلة الى غزنة . فبعث اليه برسالة فيها كلمة « ألم » وليس سوى ذلك ، فتحير السلطان وعلماؤه في حل الرمز وجمعوا كل سورة في القرآن في أولها « الم » فلم يهتدوا الى الجواب المناسب . وكان في جملة كتاب السلطان شاب لم يعبأ به . فاستأذن بحل الرمز ، فأذن له . فقال : ألم تهدده بالفيلة قال : نعم . قال : فكتب اليك ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . فاستحسن السلطان جوابه وقربه .

اخــي صبراً

مهداة الى الصديق العزيز الاديب النابه سالم الآلوسي

شعر : خضر عباس الصالحي

اخي صبرا على محن الزمان عهدتك صامدا ثبت الجنان
وليس تسومه الاحداث خسفا سوى رجل دعي أو جبان
وانك في قراع الهم فـذ ابيت العيش في ظل الهوان
وانك في تحدي الهول ليث شجاع غير مجهول المكان
اذا جارت عليك خطوب دهر تقابلها بروح غير واني
وتلقى النائبات بكل باس شديد غير مهزوز الكيان
وتشمخ في الاسى طودا اشما وعند الروع لم ترضخ لجاني
وليس ينال منك اليأس يوما اذا تسعى لتحقيق الاماني

★ ★ ★

ا « سالم » يا جميل الخلق دوما ويا جم الوفا ، عف اللسان
ويا حلو التحدث في النوادي كان اللفظ ، لفظك من جمان
ملكت نواصي الادب المجلي وحزت الفخر في سحر البيان
وانك يا حبيب الناس طرا بما مارست من قيم حسان

لرزئك انني رتلت شعرا خضيل الدمع ، مشبوب الحنان
تخضبه دماه من جراحي وتطفح فيه انات الكمان
وكنت اروم ترديد النجاوي موشاة بابكار المعاني
واصدح بالاناشيد السكارى وامرح هائما بين المغاني
اليك ازف انغاما نشاوى مضمخة باشذاء التهاني
وبت الشاعر المحزون ابدو كئيب النفس ، مخنوق الاغاني
ولكني رايت الصبر اجدى فكم هم تلاشى كالدخان
وان الصبر في الجلى سلاح رهيب الوقع في يوم الطعان
وليس بذلل النكبات الا فتى اضحى ولوعا بالتفاني

بغداد ـ العراق خضر عباس الصالحي

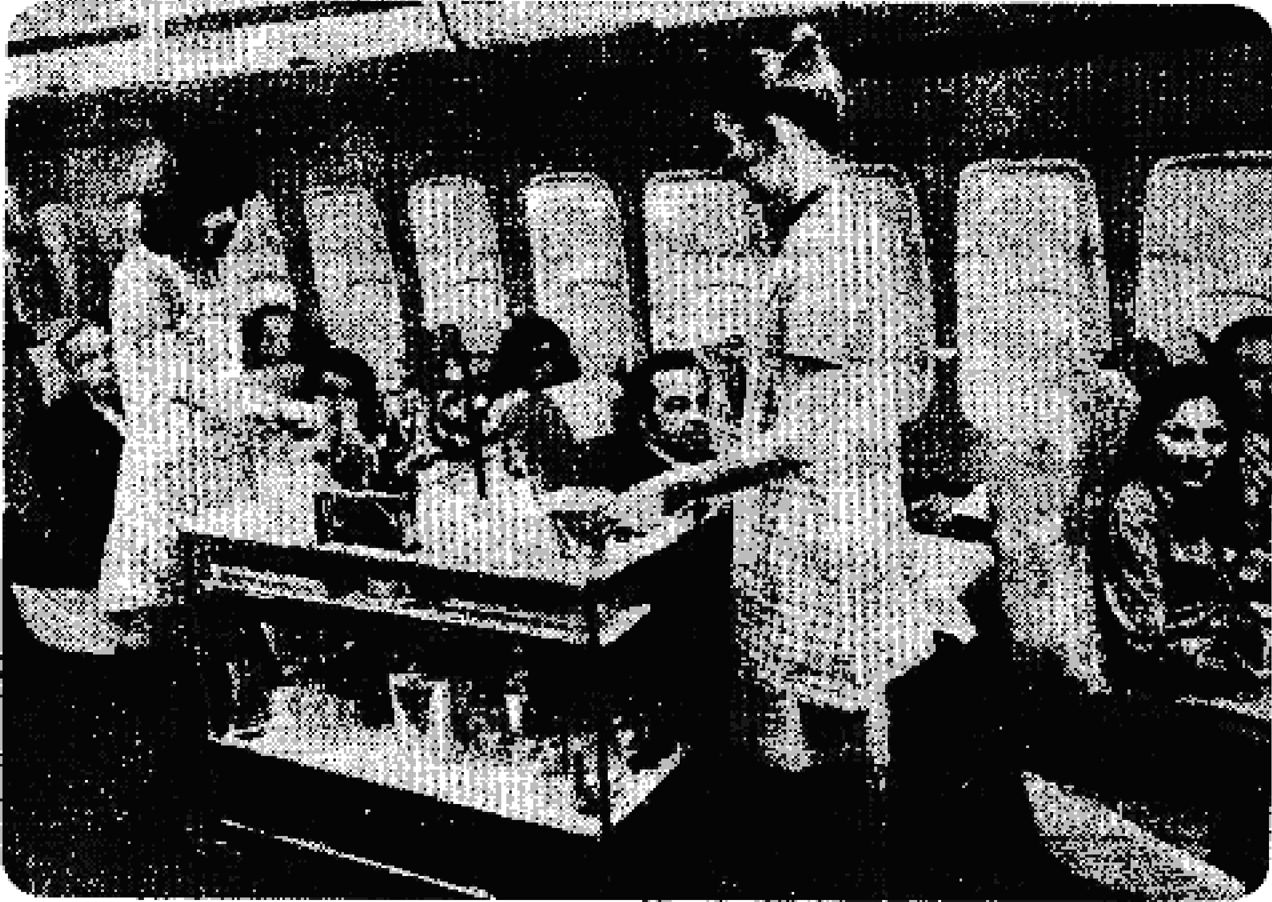
الصبي والملكة

كان بين ونستون تشرشل السياسي البريطاني الراحل ، وبين برتراند راسل فيلسوف بريطانيا الشهير ، حب مفقود ، لاسباب واضحة تكمن في نظرة كل من الرجلين الى الحياة نفسها ، فالاول رجل سياسة ، والثاني رجل سلام وهب حياته لخير البشرية وامنها .

الا ان هذا العداء ، لم يمنع سير ونستون من ان يعترف بذكاء صديقه اللدود برتراند راسل وجرأته حتى انه قال يوما : « ان عبقرية راسل ولدت معه ، فهي لم تكن صفة اكتسبها بفضل تعليمه ودراساته وابحاثه ..

روى تشرشل يوما لاصدقائه قصة ذلك اللقاء الغريب الذي تم بين راسل الصغير والملكة فيكتوريا ملكة الانكليز ، وكان برتراند يومها صبيا صغيرا لم يتجاوز العام التاسع من عمره ..

خبرة ٣٠٠٠ عام تدعم حسن تدريب مضيفاتنا



الضيافة اللبنانية المشهورة التي ذاعت في آفاق العالم تبلغ
هذا الشوط البعيد الأبعد ٣٠٠٠ عام من المحافظة على التقاليد العريقة والتهذيب في العادات والأخلاق
فمن أول معاني هذه الضيافة الترحيب الحار الذي يلقاه المسافر على متن
طائراتنا، ثم وجبات الطعام التي تقدّم إليه ساخنة حتى في الرحلات القصيرة
المسافة. ويتجلى حسن هذه الضيافة في الأطباق الخزفية التي يقدّم
فيها الطعام، وأيضاً في أنواع المشروبات التي تقدّم مجاناً لركاب الدرجة الأولى. ومن معاني هذه
الضيافة تهيئة الفرصة للمسافرين لشراء الهدايا على متن الطائرة معفاة
من الرسوم (أكثر من ١٢٠ صنفاً معروضاً للبيع). على أن ضيافتنا تعني قبل كل شيء
توفير الراحة والعناية والخدمة الشخصية التي اشتهرت
شركتنا بتقديمها لركابها.
لقد قضينا ٣٠٠٠ عام في اتقان هذه الخدمة.



MEA

طيران الشرق الأوسط الخطوط الجوية اللبنانية

آراء الناس ومشاكلهم

لكي تبقى منشرحا

* لا تظن ان الناس لا يحبونك .

ــ اعترف ان اكثرية الناس مرهقة اكثر مما يلزم باعمالها اليوميــة ، ومع ذلك فانها لا تهتم بذلك .

كن مسرورا ، متعاونا ومسعفا ، لتجد انك تعيش سعيدا .

* لا تدم التفكير بالاشياء السيئة التي يمكن ان تحدث لك مستقبلا، ولا بالاناس الذين يمكن ان يؤذوك .

* تذكر ان في الحياة الحلو والمر ، وان كلا منهما جانب من جوانــب الحياة ، وعود نفسك التحسس بكل ما يبهج ويروح عن النفس .

وعندما تلتقي بالآخرين ، فتش فيهم عن الاشياء التي تحب ، لان لكل انسان محاسنه ومساوئه .

* لا تعتقد ان كل من تلقى يجب ان يبادهك بالحديث دائما ، فخــذ انت المبادهة احيانــا .

* تذكر انك تستطيع ان تستمتع كثيرا بالحياة ، لمجرد تشجيعــك الآخرين على التحدث اليك . فكن لذلك مفتوح الوجه ، واذا ما لقيــت الاخرين فابتسم او بادرهم بالتحية ، لان مجرد ذلك قد يساعــدك على ان

تأخذ من الاخرين افضل ما عندهم •

* لا تعتقد انك انت وحدك على حق دائما •

* تذكر اننا كلنا بشر ، وان الخطيئة من طبيعة تركيبنا ، ولهذا نبدو احيانا مضحكين •

اما اذا تمسكت تمسكا قويا بمستلزمات الحفاظ على الكرامة ، واصررت على شدة تحسسك بها ، فان ذلك سيحيل حياتك الى توتر مزعج ويضر باعمالك • لهذا ننصحك ان تراقب نفسك احيانا ، وان تضحك بنفسك على بعض تزمتاتك •

* لا تظن لحظة اننا نستطيع دوما ان نحصل على كل ما نريد بسهولة•

* اذكر ان حياتك لن تكون مسرة اذا لم تتخلص من ذلك ، واذكر كذلك ان المصاعب تتضاءل اذا ما قابلتها بتوتر اقل ، وانك بعد ان بلغت سن الرشد يجب ان تدرك ان النجاح والفشل ، والصعود والهبوط ، كلها من خصائص الحياة ، ويجب ان تتقبلها بابتسامة •

* لكي تبقى منشرحا ، فانك بحاجة الى حس النسبة نحو مخاطبك ونحو اهميته ، وان تعود نفسك لكي تكون من ذوي الامزجة المرحة •

تغلب على القلق

عندما تجد نفسك في لحظات ضعف ، وقد تغلب عليك القلق ، جرب ان تقول لنفسك بشكل حاسم ما يأتي :

* ابدأ نهاري وانا مقتنع ان حياتي بيد الله •

* قررت ان اعيش يومي ، من غير ان افكر بالامس ولا بالغد ، لان ما مضى فات ، والمستقبل غيب ، ولي الساعة التي انا فيها •

* صممت على ان اواجه يومي بمعالجة ما اقدر على علاجه ، وترك ما لااستطيع علاجا له الى الغد ، لان الزمن حلال المشاكل •

* سأمضي اليوم عشر دقائق على الاقل في الاسترخاء والراحة التامين، واتخيل اني مستريح فوق سحابة من السلام تلف الكون •

* سأتقبل كل حال يدخل البهجة على نفسي ويزيد من انتعاشي وسروري •

* اذا ما واجهت اي امر يخيفني ، فاني سأطفو فوقه بالبهجة النفسية•

* سأذكر نفسي دوما بضرورة الشكر والحمد ، لاني استطعت ان أعيش واظفر •

قرر ... تنجح !..

جاء في الرسالة التي يوجهها المصرف الملكي الكندي لزبائنه ما يلي :

لكي تتخذ قرارا او اكثر ، فان ذلك يقتضيك الشجاعة • وكل رجال الاعمال الناجحين يتصفون بانهم اشخاص استطاعوا ان يحزموا امرهم ويقرروا امورا لو واجهها غيرهم من ذوي لتفكير الضعيف لشلت قدرتهم على التفكير•

ان سر قوتهم كامن في قدرتهم على أخذ المبادهات المرتكزة الى المعرفة والخبرة والوسائل والاهداف ، ارتكازه الى استعدادهم لتحمل مسؤوليات قراراتهم واعمالهم •

انظر الى الافضل

اذا جعلك مظهرك تفكر انك قليل الشأن ، فانت قليل الشأن حقا • واذا جعلك تفكر بانك صغير ، فانت صغير صدقا •

لهذا انظر الى احسن ما فيك ، لكي تكون على أحسن حال فكرا وعملا .

(من كتاب سحر التفكير بالامور العظيمة).

لكي تتغلب على المصاعب

قل لنفسك دائما : « هناك وسيلة للتغلب على هذه المشكلة »، لان افكارنا كالمغنطيس ، فبمجرد ان تقول لانفسنا : « هذه مشكلة عويصة لا يمكن ان تتغلب عليها »، فان هذا القول يؤثر فينا ، ويزيد من وقوعنا في الورطة ، لانه يدغدغ مخاوفنا ويقويها .

اما عندما تقول لانفسنا : « هناك وسيلة للتغلب على هذه المشكلة » فان مجرد قولنا هذا يحرك في عقولنا القدرة على الابداع ، ويزيدنا ثقة بانفسنا ، وهو الشيء المطلوب للتغلب عادة على الصعاب جميعا .

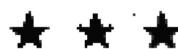
(من كتاب : سحر التفكير بالامور العظيمة).

السعادة

اذا سألك سائل : « هل انت سعيد ؟... »، فلا تفكر قبل الاجابة بما امامك من اعمال عليك انجازها ، ولا بالسندات المستحقة التي عليك دفعها ، ولا بمذكرات الانذار التي عليك ان تجيب عليها ... ولكن فكر بالاعمال التي أنجزتها .

ان الانسان يكون اسعد اذا فكر بما انجز ، لا اذا فكر بما عليه ان ينجز .

(من الرسالة الشهرية التي يوجهها البنك الملكي الكندي لزبائنه).



مختارات من الحكم والخلق والبلاغة

ــ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى . والله غني حليم .

ــ الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منـــا ولا آذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ــ يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر .

قرآن كريم

ــ ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : المنان بما اعطى ، والمسبل ازاره ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب.

حديث شريف

ــ الريش الجميل ليس كافيا ليصنع طائرا جميلا . (ايسوب)

ــ نحن ننسى لاننا نحتاج للنسيان ، لا لاننا نريده. (جورج ارنولد)

ــ كل الالوان .. تتشابه في الظلام . (فرانس)

ــ الحرية الحقيقية تحتمل ابداء كل رأي ، ونشر كل مذهب وترويــج كـــل فكر . (قاسم أمين)

ــ الشاعر الذي لا تعرفه من شعره لا يستحق ان يعرف .
(عباس محمود العقاد)

ــ تسلية الانسان نفسه اولى له وأنفع من الانقباض والغم .
(ديـــوجـــين)

ـ تأخرت استبقي الحياة فلم اجد لنفسي حياة غير ان أتقدمـــــا

(مكس مولر)

ـ اذا لزم النقد ، فلا يكون الباعث عليه الحقد ، ولكن موجـــهها الى الآراء بالتمحيص لا الى الاشخاص بالتنقيص .

(محمد البشير الابراهيمي)

ـ حسبما تهيىء فراشك يكن رقادك .

(مثل روســي)

ـ الامبراطورية التي تقوم على الحرب ، تعيش بالحرب .

(مونتسيكـو)

ـ كل الافكار الجديدة يشتبه فيها ، ثم تقاوم ، لا لسبب الا لانهـا لم تصبح بعد عادية .

(جون لوك)

ـ الحب .. نحلة تزن في القلب .

(توماس لودج)

ـ السلام لا يتجزأ .

(لتفينوف)

ـ لن اعدل شيئا في اقتناعي بان الناس في كل مكان يمكن ان يكونوا احرارا .

لنكولن

ـ الانسان الذي لا يفقد عقله امام الاغراء .. ليس لديه ما يفقده .

ليمنج

ـ الانسان .. حيوان مدمر !

ناثانلي لي

ـ الناس نوعان : نوع ينظر الى الطين ونوع ينظر الى النجوم .

فريدريك لانجبريدج

وإذا الصحف نشرت

صفـة الانسان الكامل في تراثـنا العربي

كما يتحدث عنه من اسلافنا :

ابن مسكويه ، والغزالي ، والرا زي ، والجاحظ

بقلم : الدكتور زكي نجيب محمـود

الكاتب الصادق مع نفسه ، المدرك للامانة التي يحملها ، اصالة عـن نفسه ونيابة عن سواه ، لا يكتب للتسرية ، ولا لملء الفراغ الورقي في صحائف الكتب والمجلات ، وانما يكتب لامر كأن يكشف عن الحق في الموضوع الذي تصدى للكتابة عنه ، وعندئذ تجيء كتابته ــ في الاغلب الاعـــم ــ كالمرآة الكاشفة لما يتبلج في نفوس الناس ، وما تعج به حياتهم في عصره ، فكأنمـا هو يكتب لمعاصريه وللاجيال القادمة وثيقة يرجعون اليها لينظروا كيف كانت الحياة في ذلك العصر وقد ضاقت بما تراه الاعين وبما تسمعه الاذان ، فيترك هذا كله ، لا يمسه بكلمة واحدة ، ويأخذ في بناء حياة مثلى ليقوم فيها مجتمع أمثل ، فهو ــ بما يكتبه ــ يضع امام الناس القدوة والنموذج ، تاركا لـــهم ان يقارنوا ما هم فيه بما كان ينبغي ان يكونوا عليه ، لعل الهوة العميقـــة بين الواقع والمثال ، تهولهم فتحفزهم الى ان يبدلوا من حياتهم حالا بحال .

بل ان الامر كثيرا ما يختلط علينا اذ نقرأ لاسلافنا ما كتبوا ، فنسأل: ترى هل كانوا يرسمون بأقلامهم صورة معاصريهم ، او انها صورة رسمت لتصلح في المعاصرين فسادا ؟ ترى هل حاكوا الواقع او تصوروا المثال ؟ وايا ما كان شأن الاسلاف الكاتبين ، حينما كتبوا عن الانسان كيف كان او كيف ينبغي له ان يكون ، فهأنذا امام تحليلات هبطت منهم الينا ، ولو نشرت امام أبصارنا نحن ابناء هذا العصر ، لوجدنا فيها ـ يقينا ـ صورة الكمال الانساني ، التي تصلح معيارا نقيس اليه واقع الانسان المعاصر • لنرى كم بلغت في سلوكه زاوية الانحراف ، نعم ان هذه التحليلات التي أعنيها ، تفوح برائحة اليونان الاقدمين • كأنما تلك ـ في مواضع كثيرة ـ تلخيص لهذه لكن القبول نصف الابتكار ، فيكفينا في هذا الصدد اننا قد قبلنا الصورة الكاملة معيارا لنا ، قبلناها عن اعتقاد ورضى ، واجريناها على اقلامنا جزءا من تراثنا ، وليس يحد من كمال الكامل اين يكون مصدره •

حكم العقل واحد ، وحكم الهوى يتعدد

المدار في نموذج الانسان الكامل عندهم هو ان يكون «عاقلا» بالتعريف الفلسفي الدقيق لكلمة « عقل »، فهي كلمة ما ايسر ان تقولها في سياق الحديث ، ولكن ما اعسر ان تجد لها التحديد المحكم ، ولئن كانت الفكرة كثيرا ما يوضحها نقيضها ، فنقيض العقل هو « الهوى »، فماذا يميز احكام « العقل » من احكام « الهوى » ؟ يميزها ان الحكم من النوع الاول هو في كل حالة معينة واحد لا يتعدد بتعدد الاشخاص ، او بتعدد النزوات عند الشخص الواحد ، على حين ان الحكم من النوع الثاني يقبل التعدد بكلتا الصورتين ، فاذا قال قائل ان العشرة نصفها خمسة ، لم يكن ثمة مجال امام غيره ، ولا امام نفسه ان يتنكر لهذا القول ، مهما تكن ظروفه ومزاجه ، واما اذا قال قائل ان شروق الشمس اجمل من غروبها ، كان هنالك احتمال ان يختلف معه سواه ، بل ان يختلف هو نفسه مع نفسه اذا تغيرت حالته ، والعلة

في وحدانية الحكم العقلي ، وفي تعدد احكام الهوى ، هي ان حكم العقل نقيضه مستحيل على الذهن ان يتصور حدوثه ، واما حكم الهوى فيمكن ان يتصور حدوث نقيضه .

الكمال التزام بالفعل عند المفكرين من اسلافنا

ذلك استطراد أردت به ان اوضح للقارىء ماذا يراد حين يقال ان اساس الحكم لانسان بالكمال عند المفكرين من اسلافنا ، هو ان يكون مقيدا بعقله ازاء الاشخاص والاشياء والمواقف ، وقد كان من الافكار المألوفة عند هؤلاء المفكرين جميعا ، فكرة جاءتهم من اليونان الاقدمين مع الترجمة التي نقلوا بها تراث اولئك اليونان ، وهي ان يقاس كمال الشيء بادائه للفعل الذي خلق من اجله ، فشجرة البرتقال كمالها ليس هو نفسه الكمال بالنسبة لشجرة الورد ، وكمال النمر ان يكون نمرا وكمال القط ان يكون قطا ، ولا يجوز ان يحاسب نوع بكمال نوع اخر ، وعلى هذا الاساس نفسه يكون كمال الانسان مرهونا بجوهره ، وجوهره هو العقل ، فأفضل الناس هو اقدرهم على التزام احكام العقل فيما يفعل وما يجتنب « من غير تلون فيه ولا اخلال به في وقت دون وقت » كما يقول ابن مسكويه في كتابه « تهذيب الاخلاق» .

النفس الانسانية ثلاث قوى منها العقل وهو افضلها

ويجري ابن مسكويه ـ وغيره من مفكري العرب اجمعين ـ على نسق اليونان ، فيحلل النفس الانسانية تحليلا يردها الى قوى ثلاث : ففيها الشهوة الى اشباع حاجات البدن ، وفيها الغضب الذي يستثار دفاعا عن النفس ، وفيها العقل ، ولكل من هذه القوى فضيلته ورذيلته ، فالفضيلة في الاشتهاء هي العفة وضدها هو الشره ، والفضيلة في الغضب هي الشجاعة وضدها هو الجبن ، والفضيلة في العقل هي الحكمة وضدها هو الجهل ، واذا اجتمعت هذه الفضائل الثلاث كان من اجتماعها فضيلة رابعة هي العدل ، على ان القوى الثلاث التي ذكرناها ، ليست كلها على درجة واحدة ، بل فيها ما هو اعلى وما

هو ادنى ، والعقل اعلاها ، وهو الذي من شأنه ان يلجم الغضب وان يحد من الشهوة ، ليقف كلا منهما عند الدرجة التي ترضاها الحكمة ، كأنه هو القائد في مركبة يجرها جوادان ـ اذا استخدمنا التشبيه المعروف الذي صور به افلاطون حقيقة الانسان في حالة كماله ـ فهو يسوس الجوادين بالزمام في يده ليضمن للعربة اعتدال السير .

الانسان وحده ، يعد فيه الف بواحد

وان الناس ليتفاوتون في الطرق التي يسوسون بها حياتهم وفق حكمة العقل ، تفاوتا ليس له نظير في افراد نوع آخر لان سائر ضروب الكائنات الحية تمير على قوانين طبائعها ، ليس لها في ذلك اختيار ، فلا فرق يذكر بين نمر ونمر ولا بين قط وقط اذا ترك وطبيعته ، اما الانسان ففي فطرته ان يختار ولذا فمن واجبه ان يكون مسؤولا عن اختياره ، ومن هنا جاء التفاوت الفسيح بين انسان وانسان في مقدار احتكامه للعقل حين يختار ، ويذكر لنا ابن مسكويه في هذا السياق حديثا شريفا : « ليس شيء خيرا من الف مثله الا الانسان »، كما يذكر كذلك هذا البيت من الشعر :

ولم أر امثال الرجال تفاوتا الى المجد ، حتى عد ألف بواحد

عند اسلافنا : حكمة العقل تكتمل بالعمل

على انني احب الا امضي بالحديث عند هذه النقطة،دون ان انبه القارىء الى فكرة هامة ، لو افلتت من ايدينا فقد افلت ركن ركين في بنية الفكر العربي، ألا وهي انهم ـ اعني أسلافنا من مفكري العرب ـ لم يتصوروا فقط ان يقتصر الانسان على حكمة العقل دون ان يمدها الى فعل يؤديه بناء عليها ، فلا يكون العلم علما عندهم الا اذا أعقبه العمل على اساسه .

وفي ظني ان هذه الاضافة جاءت لتميز الفكر العربي من سلفه اليوناني، برغم اشتراكهما في الطريقة التي حللوا بها النفس الانسانية ، « فالقوة العاملة»

ـ على حد تعبيرهم ـ التي تتمثل فيما نحصله من معارف وعلوم ، تكملها « القوة العاملة » التي تتمثل في تنظيم امور الحياة وترتيبها .

وعلى هذا الضوء نستطيع ان نفهم ابن مسكويه حين يقول : « ان ما يختص به الانسان من حيث هو انسان ، وبه تتم انسانيته وفضائله هو الامور الارادية » كما نفهمه كذلك حين يحدد الخير بانه « فعل » ما قصد به من وجود الانسان ، ويحدد الشر بانه هو ما يعوق ذلك الفعل ، وتطبيقا لهذه القاعدة لا يكون الخير ابدا فيمن « يتأمل » وهو ساكن ، بل لا يكون الخير ابدا فيمن يملأ رأسه بثقافات الاولين والاخرين ، ثم لا فعل بعد ذلك يؤديه على ضوء ما قد عرف .

الغزالي ، كابن مسكويه يقول بالعقل والعمل

وننتقل الى علم آخر من اعلام الفكر العربي ـ هو الامام الغزالي ـ لنجده يشارك في الاسس نفسها وفي الروح نفسها ، فأول ما يلفت انظارنا في هذا الصدد عنده ، ان له كتابين ، اراد بكل منهما ان يكون قسيما للاخر كأنما اراد ان يعلن بالا حياة على اي درجة من الكمال الا اذا اجتمع فيهما قسط من ذينك القسيمين : واما الكتابان اللذان اعنيهما فهما « معيار العلم » و « ميزان العمل » ، ففي الكتاب الاول يضع للعلم حدوده ويقيم له الاسس التي تضمن له الصواب ، وفي الكتاب الثاني يبين كيف يجيء العمل وفق ذلك العلم .

ويرى الغزالي ـ كغيره من المفكرين العرب ـ ان صورة الانسان الكامل لا تتحقق لنا الا اذا حللنا النفس الانسانية اولا ، فتراه يهيب بالباحث ان يعرف نفسه كأنه في ذلك سقراط ، فيقول : اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك ، كما يروى في هذا السياق حديثا شريفا : « أعرفكم بنفسه اعرفكم بربه » ، ثم يقرر لنا في السياق نفسه ان معرفة النفس ومعرفة الله امران متلازمان : « ومن رحمة الله على عباده ان جمع في شخص الانسان على صغر حجمه

من العجائب ما يكاد بوصفه يوازي عجائب كل العالم ، حتى كأنه نسخـة مختصرة من هيئة العالم ، ليتوصل الانسان بالتفكير فيها الى العلم بالله » .

لكنه اذ يحلل النفس الى قواها ، يأخذ بالتحليل نفسه الذي نقل اليهم عن اليونان ، وهو ان يجعل فيها شهوة تطلب اللذة ، وغضبا يطلب الغلبـة ، ثم عقلا يسوس السير ويضبط الخطى ، فاذا اراد ذكر الفضائل ، جعلها اربعة: فالحكمة فضيلة القوة العقلية ، والشجاعة فضيلة القوة الغضبية ، والعفة فضيلة القوة الشهوانية ، ومن توافر هذه الفضائل الثلاث ، تنشأ الفضيلة الرابعـة وهي العدالة .. هذا ، ولم يدع الغزالي موضعا في كتابه الا واعاد فيه القول بضرورة ان يجيء « العمل » لاحقا ضروريا « للعلم » الذي تدركه القـوة المفكرة ، وان يكن يجعل لهذين اللفظين معنى خاصا ، فالعلم ــ عنده ــ هو علم بالالهيات ، والعمل ــ عنده ــ هو العبادة وفق ذلك العلم ، لكن تحديده لهذه المعاني لا ينفي بنية الاطار الفكري الذي نتحدث عنه ، وهو تصـور الموقف مرتكزا على قطبين ، هما العلم من ناحية وتطبيقه من ناحية اخـرى، كائنا ما كان المعنى الذي يعطيه المفكر للعلم ، والمعنى الذي يحدد به نـوع العمل .

الرازي في كتابه « الطب الروحي » يفصل كيف يكون العمل

تلك ــ اذن ــ هي الاسس النظرية لنموذج الانسان الكامل عند المفكر العربي القديم : تحليل للنفس على نحو ما حللها به اليونان الاقدمون ، وهو تحليل مؤداه ان تكون القيادة للعقل ، هو الذي ينظم الرغبة والانفعال ، دون ان تطمس رغبة او ان يطفأ انفعال ، لكن الفكر العربي لم يترك الامر عنـد هذا الحد النظري المجرد ، بل تناوله بصورة تفصيلية تصلح لهداية النـاس في سلوكهم الفعلي ، ونسوق مثلا لهذا التناول المفصل ، ما كتبه ابو بكـر محمد بن زكريا الرازي فيما اطلق عليه اسم « الطب الروحي » او « طـب النفوس »، والذي اوحى له بهذا العنوان ، هو كتابه الذي كان قد الفه في

الطب الجسماني ، فما لبث ان رأى ان الصورة لا تكمل الا بكتاب آخر يؤلفه في طب النفوس ليصح الانسان بالكتابين جسدا وروحا .

والذي قصد اليه الرازي بطب النفوس هذا ، هو ان يتعقب مصادر النقص الخلقي عند الانسان ، ليبين لقارئه كيف يكون اسعد حالا وأهنأ حياة اذا هو ملك زمام فطرته ووجهها على النحو الذي يهيىء له حياة متزنة معتدلة مأمونة العواقب ، وهو يصف كتابه هذا في فاتحته بقوله : « هذه مقالة عملتها في اصلاح الاخلاق » ـ قاصدا « بالاخلاق » ذلك السلوك السوي السليم ، وهو باتجاهه هذا انما يذكرنا بجانب هام من جوانب الطب النفسي الذي شاع في عصرنا هذا وذاع واصبحت له « عيادات » وتصدر عنه مئات المؤلفات ، مع اختلاف في طريقة التناول تتناسب مع اختلاف العصرين .

فصل الرازي في فضل العقل

ولقد فصل الرازي كتابه عشرين فصلا ، كان اولها فصل في فضل «العقل» ومدحه ، وها هنا نضع اصابعنا على مفتاح رئيسي من مفاتيح الشخصية العربية كما صورها تراثنا ، الا تكن هي الشخصية العربية كما وقعت بالفعل في مجرى التاريخ ، فهي الشخصية التي تعلق بها النموذج والمثال ، فنموذج الانسان كما رسموه هو الانسان الذي كان محكوما بعقله،لا بشهوته وغريزته بل ولا بوجدانه وعاطفته ، ولماذا تركوا الزمام للعقل لا للهوى ؟ الاجابة عند الرازي ـ وغيره ـ ان ذلك أجلب « للمنافع » آخر الامر ، فقد تعود علينا الاهواء باشباع لرغباتنا سريع ، لا يلبث ان ينقلب علينا هما وغما ، واما فعل نبنيه على وزن نتائجه القريبة والبعيدة ـ وهذا هو نفسه العقل ومعناه ـ فالارجح ان يكون مأمون العاقبة ، فالعقل ـ كما يقول الرازي ـ هو : «الشيء الذي لولاه كانت حالتنا حالة البهائم والاطفال المجانين »» « وبالعقل نتصور افعالنا العقلية قبل ظهورها للحس ، فنراها كأن قد احسسناها » . وما دام أمره كذلك فقد « حق علينا الا نجعله وهو الحاكم محكوما عليه ، ولا

وهو الزمام مزموما ، ولا وهو المتبوع تابعا ، بل نرجع في الامور اليه .. ولا نسلط عليه الهوى الذي هو آفته » ـ وانا أترك للقارىء العربي المعاصر ان ينظر لنفسه ويحكم : الى اي حد تترك هذا الزمام لاصحاب النزوةوالهوى؟

والفصل الثاني للرازي في الهوى

واذا كان الاحتكام الى العقل هو احد وجهي العملة ـ كما يقال ـ فلا بد ان يكون الوجه الآخر هو في قمع الهوى وردعه ، لان هذا مكملضروري لذاك ، ومن ثم جعله الرازي موضوعا للفصل الثاني من كتابه ، فلئن كان الانسان بعقله مدركا للامور ادراكا صحيحا ، فهو بقمعه لهواه صاحب « ارادة »، والعقل من جهة ، والارادة من جهة اخرى ، هما ـ كما نعلم ـ جانبان متلازمان : احدهما له النظر والاخر عليه التنفيذ ، وليس الامر بالهين اليسير الا على من تناول ارادته بالتدريب المتصل الدءوب ، وذلك لان ما سوف يقاومه الانسان بارادته تلك ، انما هو طبع مغروز في جبلته ، فانظر كم هو عسير على الكائن الحي ان يسير ضد طبيعته ، فلعل هذه ان تكون هي « الامانة » التي عرضت على الجبال فأبين ان يحملنها ، وحملها الانسان (والكلام هنا من عندي لا من عند الرازي) فلقد آثرت الجبال ، ومعها سائر الطبيعة من جماد ونبات وحيوان ان تترك نفسها لقوانين ليست من صنعها ، فهي تسير ولكنها لا تعرف : لماذا ؟ ولا الى اين ؟ الا الانسان ! يقول الرازي : البهائم واقفة عندما يدعواليه الطباع ، على خلاف الانسان الذي يسلك السلوك بعد روية عقلية فيخالف به ما يدعو اليه الطباع ، « فانك لا تجد بهيمة تمسك من ان تروث او تتناول ما تغتذي به ، مع حضوره وحاجتها اليه ، كما تجد الانسان يترك ذلك ويقهر طباعه عليه ، لمعان عقلية تدعوه الى ذلك ».

العشق عند الرازي بلية

بعد ان يفرغ الرازي من كلام طويل يوازن فيه بين لذة عاجلة يرضاها

الهوى ولذة آجلة يفضلها العقل ، تقرؤه فتحسب انك انما تطالع فصلا عند « بنتام » او عند « جون سيتوارت مل » (من مفكري القرن الماضي في انكترا) ينتقل بك الى اولى الصفات النوعية الخاصة التي لا تكون ابدا من صفات الرجال ذوي الهمم الشماء ، الا العشق ، او الحب ــ بلغة يومنا ــ لانه بلية يكفي فيها انها تدعو العاشق الى تذلل وخشوع ، « فاما الخنثون من الرجال والغزلون ، والفراغ ، والمترفون ، والمؤثرون للشهوات ... فلا يكادون يتخلصون من هذه البلية » وكأنهم بها يرتدون الى حالة الطبيعة العمياء ، فاقرأ هذا وامام عينيك صورة لشباب « الهيبز » في عصرنا !

العجب عند الرازي

ولا نطيل الوقوف هنا لننتقل الى نقيضة نفسية لا تبرأ منها الا بتسليط العقل على الهوى ، وتلك هي « العجب » ، فكل انسان هو بطبيعته محب لنفسه ، وذلك يدعوه الى « استحسان الحسن منها فوق حقه ، واستقباح القبيح منها دون حقه ... فاذا كانت للانسان ادنى فضيلة ، عظمت عند نفسه ، واحب ان يمدح عليها فوق استحقاقه ، واذا تأكدت فيه هذه الحالة صار عجبا ، ولاسيما ان وجود قوما يساعدونه على ذلك »...

ومن بلايا « العجب » ــ كما يقول الرازي ــ انه يؤدي الى النقص في الامر الذي يقع به العجب ، لان المعجب لا يروم التزيد في الباب الذي منه يعجب بنفسه ... فالمعجب بعمله لا يتزيد منه ، لانه لا يرى ان فيهمزيدا ، ومن لم يستزد من شيء ما ، نقص لا محالة ، وتخلف عن رتبة نظرائه .

والفصل السابع من كتاب الرازي في الحسد

ومن العجب ينتقل المؤلف الى الفصل السابع من كتابه في الحسد،ويحلل الحسد الى عنصرين يجتمعان ، هما : البخل والشره ، فالحسد اعم وأوسع من البخل على حدة ، ومن الشره على حدة ، اذ البخيل لا يحب ان ينال احد

مما يملكه شيئا ، لكن الحسود يضيف الى ذلك جانبا آخر ، هو الا ينال احد خيرا ، حتى ولو لم يكن ذلك مما يملكه هو .

ومحال على «عاقل» ان يكون « حسودا » لان الحسد والعقل ضدان، ذلك لان الحسود لا يحسد البعيدين عنه، فهو لا يحسد من بالهند والصين ــ على حد تعبير الرازي ــ وانما ينصب حسده على الاقربين منه، فاذا احتكمنا هنا الى العقل ، قلنا : انه اذا كان حمقا او جنونا ان يحزن الحاسد لخير من هو بحضرته وقريب منه ، اذ الاقربون هنا ــ كالابعدين ــ في انهم لم يسلبوه شيئا مما في يديه ، ولا منعوه بلوغ شيء كان يقدر عليه .

واقرأ هذه العبارة النافذة من كلام الرازي في الحسد: « انا نرى الرجل الغريب يملك اهل بلد ما ، ولا يكادون يجدون في انفسهم كراهة لذلك ، ثم يملكهم رجل من بلدهم ، فلا يكاد ان يتخلص ولا واحد منهم من كراهته لذلك، هذا على انه ربما كان هذا الرجل المالك ــ اعني البلدي ــ أرأفه بهم ، وانظر اليهم من المالك الغريب ، وانما يؤتى الناس في هذا الباب من فرط محبتهم لانفسهم ، وذلك ان كل واحد منهم ــ من اجل حبه لنفسه ــ يجب ان يكون سابقا الى المراتب المرغوب فيها ، غير مسبوق اليها ، فاذا هم رأوا من كان بالامس معهم ، اليوم سابقا لهم مقدما عليهم ، اغتنموا لذلك ، وصعب ،واشتد عليهم سبقه اياهم اليها ، ولم يرضهم منه تعطفه عليهم ، ولا احسانه اليهم ، لان انفسهم متعلقة بالغاية مما صار اليه هذا السابق ، لا غير ، لا يرضيهم سواه ، ولا يستريحون دونه ، واما المالك الغريب ، فمن اجل انهم لم يشاهدوا حالته الاولى ، لا يتصورون كمال سبقه لهم ، وفضله عليهم ، فيكون ذلك أقل لغمهم واسفهم ، وقد ينبغي ان يرجع في مثل هذا الى العقل » .

ومما يمحو الحسد عن النفس ــ هكذا يمضي الرازي في قوله ــ ان يتأمل العاقل احوال الناس ، فانه سيجد ان حالة المحسود عند نفسه خلافها عند الحاسد ، فلا يزال الانسان يستعظم الحالة ، ويتمنى بلوغها ، حتى اذا

بلغها لم يسر بها الا مديدة يسيرة ، بقدر ما يستقر فيها ويتمكن منها ويعرف بها ، ثم تسمو نفسه الى ما هو فوقها ••• انه عندئذ يصير بين هم وخوف : خوف من النزول عن الدرجة التي بلغها ، وهم لما يتمنى بلوغه •

الرازي والغضب والكذب

وينتقل المؤلف الى حالة الغضب ووجوب دفعه ، لان الغضب اذا اشتد وأفقد الغاضب عقله ، « فربما كانت نكايته في الغاضب وابلاغه اليه المضرة، اشد واكثر منها في المغضوب عليه » والحق انه « ليس بين من فقد الفكـــر والروية في حال غضبه وبين المجنون كبير فرق » •

ثم يتناول الكاتب حالة الكذب وكيف يقضي العقل عند العاقل بوجوب اطراحه ، لان الكذب يدعو اليه الهوى ، اذ كثيرا ما يكون الدافع الى الكذب هو رغبة الانسان في » التكبر والترؤس « ـ هذه عبارة عن الرازي ـ فيقول القول الكاذب اذا رآه مما يهيىء له الرفعة على سامعه ، « وقد قلنا انـــه ينبغي للعاقل ان لا يطلق هواه فيما يخاف ان يجلب عليه من بعد هما وألمـــا وندامة ـ ونجد الكذب يجلب على صاحبه ذلك » •

انني لالفت نظر القارىء الى طريقة الرازي في التفرقة بين ما يجوز فعله وما لا يجوز ، اذ هو يجعل المدار كله على « المنفعة » في المدى البعيد ، لا على تطبيق المبادىء ايا كانت نتائجها في حياة الانسان ، ولما كان الفعل الواحـد كثيرا ما يختلط نفعه بضرره ، كان دور العقل هنا هو ان يوازن بين النفـع والضرر ، وأيهما يكون له الرجحان يحدد للانسان طريق سلوكه اقبالا على الفعل المعين او ادبارا عنه ، وبعد هذه الملاحظة منا ، اقرأ هذه الموازنة الطريفة في حالة الكذب : « ليس يصيب الكذاب من الالتذاذ والاستمتاع بكذبـه ـ ولو كذب عمره كله ـ ما يقارب ، فضلا عما يوازي ، ما يدفع اليه ـ ولو مرة واحدة في عمره كله ـ من هم الخجل والاستحياء عند افتضاحه ، واحتقار النـاس » ••••

الرازي والبخل

ويجيء بعدئذ حديث المؤلف عن البخل ، وها هنا نجد تفرقة غاية في اللطافة والدقة ، وذلك ان البخل ليس دائما من فعل الهوى ، بل منه مما قد يكون نتيجة روية عقلية وبعد نظر الى المستقبل البعيد ، ولما كان «العقل» هو مدار احكامنا ، كان البخل الذي تحاربه هو ذلك الجانب منه المبنسي عند البخيل على مجرد خوف من الفقر خوفا لا يقوم على اساس معقول ، لان ذلك من قبيل الهوى ، واما ما ينبني على تدبير العقل فهو مقبول •

الرازي يتحدث عن الغم والشره والسكر وشهوة الجنس

ويمضي الرازي في تطبيق معيار العقل على ضروب النقص التي تفقد الانسان صحته النفسية ، فيتحدث عن حالة « الغم » ووجوب دفعها ، وما الوسيلة لهذا الدفع الا ان يحد الانسان من رغباته وشهواته ومواضع حبه، اذ الغم هو في صحيحه خوف عند المغموم من ان يفقد ما يملك ، فلو درب نفسه على الاستقلال عن الاشياء ، بحيث اذا ضاع منها ما ضاع لم يحس مرارة ضياعه ، كان بذلك قد أبرأ نفسه من علة الغموم •

وعلى هذا الاساس نفسه يحدثنا المؤلف عن حالات « الشره » و« السكر» و « شهوة الجنس » وما اليها من رغبات الجسد ، التي لا تبلغ ابدا حد الاشباع ، واذن فالعلاج هو الوقوف منها جميعا موقف القصد والتوسط، فلا نتدها ولا نندفع وراءها الى آخر المدى •

الموت لا خشية منه

ويختم الرازي مقالته هذه عن طب النفوس ، بحديث عن الخوف من الموت وكيف يجب التخلص منه بتحكيم العقل ، « فالانسان ليس يناله من بعد الموت شيء من الاذى بتة ، اذ الاذى حس ، والحس ليس الا للحي وهو في

حالة حياته ... فاذا قيل : ليس في الموت لذائذ الحياة . قلنا: ليس بالميت حاجة اليها ، ولا له اليها نزوع».

ويلخص الرازي السيرة الفاضلة ـ اي صحة النفس ـ في سطرين ، فيقول : « ان الانسان اذا لزم العدل والعفة ، وأقل من مماحكة الناس اذا ومجاذبتهم ، سلم منهم ، واذا ضم الى ذلك الافضال عليهم ، اولي منهم المحبة ، وهاتان الخلتان هما ثمرتا السيرة الفاضلة .

نموذج للانسان الامير او الوزير ، عند الجاحظ

ها نحن اولاء قد رسمنا خطوطا تصور نموذج الانسان كما تمناه ثلاثة من أعلام الفكر العربي القديم ، من الناحيتين النظرية والعملية ، هم : ابن مسكويه ، والغزالي ، والرازي ، ونريد ان نضيف الى نموذج الانسان في عمومه نموذجا رسمه مفكر رابع ، هو الجاحظ ، للانسان وهو أمير أو وزير ، ففي رسالة « المعاش والمعاد » التي وجهها الى الوزير محمد عبد الملك الزيات (وقيل الى محمد بن ابي داود ، الذي تولى على قضاء بغداد في عهد المتوكل) ، ومن ذا يسعه ان يقرأ رسالة كهذه فيها نصح للوزير ، دون ان يذكر رسالة مكيافلي التي ينصح بها الامير فبينما المثل الاعلى للامير في تصور مكيافلي هو ان يبلغ غايته بغض النظر عن الوسائل المؤدية اليها ، من ظلم وغدر وكذب وخداع وما شئت من رذيلة ، ترى الجاحظ يوصي وزيره بان الحكم لا يستقيم الا مع طائفة من فضائل ، اذا جاوزها فقد ضل السبيل ، لا بالنسبة الى الاخلاق النظرية وحدها ، بل كذلك بالنسبة الى المنفعة المرجوة سواء كانت منفعة في دنياه او في آخرته ، لا فرق بين الحالتين .

والمبدأ الاساسي عند الجاحظ في رسالته هذه ـ كما هو عند ابن مسكويه والغزالي والرازي جميعا ـ هو احتكام المرء الى عقله دون الميل والهوى ، على ان يفهم « العقل » بمعنى الطريق المؤدية آخر الامر الى نفع يرجح الضرر: « اعلم ان الله جل ثناؤه خلق خلقه ، ثم طبعهم على حب اجترار المنافع ودفع المضار ، وبغض ما كان بخلاف ذلك ، هذا فيهم طبع مركب ، وجبلة مفطورة ، لا خلاف بين الخلق فيه ، موجود في الانس والحيوان » .

ويعقب الجاحظ على ذلك بعبارة كأنما اراد بها ان يشرح للوزير ما يقصد اليه حين يؤسس السلوك على « العقل »، وحين يترجم مثل العاقل بانه هو الذي ينشد اكبر النفع في نهاية الامر ، فيقول ما معناه ان العبرة هي في قدرة الانسان على رؤية النتائج الاخيرة منذ أوائل الامور ؛ « واستشفافه بعقله ما تجيء به العواقب »، وبقدر تفاوت الناس في هذه الفكرة يكون تفاوتهم في الفضائل ، واما اذا انتظر المرء حتى يقع ما يقع فيراه حين يقع « فذاك امر يعتدل فيه الفاضل والمفضول ، والعالمون والجاهلون »، ثم ينصح الجاحظ وزير بان يحكم وكيل الله عنده ـ ويعني بذلك عقله ـ على هواه ، ويلقي الى عقله بزمام امره .

وكذلك يوصي الوزير بالعدل ، قائلا له : « اعلم ان الحكم في الآخرة هو الحكم في الدنيا : ميزان قسط ، وحكم عدل »، ولعل من اركان العدل ان يحفظ للناس اقدارهم اذا قام بينه وبينهم معاملة ، على ان تقاس هذه الاقدار على قدر البلاء والاستحقاق ، محذرا اياه ان يركن في تقديره للناس الى الهوى .

وينصح الوزير ان « اجلس في المحافل دون الموضع الذي تستحقه حتى يرفعك اهلها ، فاذا تنافس القوم في حديث وعندك منه مثل ما عندهم فأمسك حتى يحتكموا اليك ، لانك ان نافستهم كنت واحدا منهم ».

وهو اذ يذكر له الفضائل الاساسية ، يتفق فيها مع غيره ممن ذكرنا او لم نذكر ، وكذلك الامر حين يحذره من الرذائل المذمومة التي من شأنها ان تزيل عنه السلطان ، ومن اهمها الكذب والغضب والجزع والحسد ، وله في هذه الرذائل كلام بلغ غاية الجودة ونفاذ البصر ، ثم هو يفرق له بين طريقة يعامل بها عدوه واخرى يعامل بها صديقه ، فعليه مع العدو ان يحصن عنه أسراره ، وان ينتهز له الفرصة فيظهر حجته عليه ، وان يظهر له الاستهانة به،

لكن يستبطن الحذر الحذر منه والاستعداد له ، اما مع الصديق فيوصيه قائلا:

« .. لا تكونن لشيء مما في يدك اشد ضنا ، ولا عليه اشد حدبا ، منك بالاخ الذي قد بلوته في السراء والضراء ... فانما هو شقيق روحــك .. ومستمد رأيك ، وتوأم عقلك ، ولست منتفعا بعيش مع الوحدة ، ولا بــد من المؤانسة ... ثم لا يزهدنك في الصديق ان ترى منه خلقا او خلقين تكرهما فان نفسك التي هي اخص النفوس بك لا تعطيك المقادة في كل ما تريــد ، فكيف بنفس غيرك ؟»

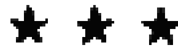
واقرأ هذه الارشادات المتوالية التي يوجهها الجاحظ لوزيره ، واجعــل صورة مكيافلي ماثلة امامك في كل ما تقرؤه للجاحظ هنا ، لتعلم مدى البون بين ناصح وناصح ، فبينما يقول مكيافلي لاميره : ان الامير الذي يـريد حفظ كيان دولته ، لا بد له في كثير من الاحيان ان يخالف الذمــة والمروءة والانسانية والدين . يقول الجاحظ لوزيره ان يحذر الافتئات على حق انسان لضعفه ، بل ان سمو الحكم هو في ان يغلب الحاكم نفسه ليكون في نصرة الضعيف ـ فالحلم ـ مثلا ـ كما يقول الجاحظ ، حلمان ، اشرفهما حلمــك عمن هو دونك ، والصدق صدقان ، اعظمهما صدقك فيما يضرك ، والوفــاء وفاءان ، اسناهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه ، تلك هي ـ كما يقــول ـ اركان الدين ، وهي كذلك اركان الدنيا ، ويستطرد الجاحظ مرشداً للوزير: احذر المفاخرة بالانساب .. اقتصد في مزاحك ، فان الافراط فيه يذهــب بالبهاء ، ويجرىء عليك اهل الدناءة ، وان التقصير فيه يقبض عنك المؤانسين، « وانا أوصيك بخلق قل من رأيته يتخلق به ... الا يحدث لك ، انحطــاط من حطت الدنيا من اخوانك استهانة به ... ولا يحدث لك ارتفاع من رفعت الدنيا منهم تذللا وايثارا على نظرائه في الحفظ والاكرام » ...



تلك صور للانسان الاكمل صورها السالفون ، فان يكن عسيرا على

الطبع ان يجريها في معاملات الحياة الواقعة ، فلا اقل من ان نرفعها امام الابصار نموذها ، وان القوم ليعرفون بمثلهم العليا كما يعرفون بتاريخهم الواقع ، قد يعابون بهذا ويمدحون بذاك ، لكن الجانبين معا يكونان الصورة الحق ، اذا أردنا الانصاف .

زكي نجيب محمود



ابنة الزهراء : السيدة زينب

كانت رضي الله عنها مثل باسقات الشجر ، ألقت ظلها المديد الوارف على قيم الحياة الانسانية فاضاءت المكان حولها واضاءت الزمن .. حتى اعتلت امجاد هذه القيم كلها لا تشاركها فيها واحدة .. ولا يقاسمها احد ، سواء من السابقات عليها او المعاصرات لها او الآتيات بعدها ... جاء مولدها في العام الثالث بعد الهجرة النبوية . ورضعت ـ مع لبن الام ـ اخلاقيات الانسان التي تمثلت وتبلورت في بيت النبوة ، فوالدتها سيدة نساء نساء اهل الجنة السيدة فاطمة الزهراء . ووالدها ابو الشهداء سيدنا علي بن ابي طالب . اما اكبر اشقائها فهو سيد الشهداء ـ بعد ابيه ـ الامام عبد الله الحسين ، وقد ولد بعدها بسنة واحدة .

وشاء قدرها رضي الله عنها ان تعايش وتعاصر المتقمعين بالاسلام من بني امية ، كما شاء قدرها ان تشهد وان ترى مذابح التصفية الجسدية التي دبرها ونظمها على احفاد النبي وآل بيته ـ خليفة من الامويين يدعى يزيد بن معاوية ابن ابي سفيان . فواجهت السيدة زينب كل تلك الاحداث بشجاعة تتصاغر امامها سيرة الابطال على طول المحطات الزمنية . فبعد استشهاد شقيقها الامام عبد الله الحسين ومن معه من اخوة وانصار في واقعة كربلاء،

وقفت أمام يزيد وحوله السفاحون وألقت دفاعها الباقي عن شهداء العقيدة وعن كرامة بيتها معلنة ان نذالة الجبناء لن تدوم في أرض سقتها دماء المؤمنين .

وعندما اراد يزيد قتل زين العابدين علي بن الحسين ـ وهو ابن شقيقها ـ حالت السيدة زينب دون ارادته . وهكذا قدر للبيت النبوي ان يكون له امتداد تاريخي وموضوعي في حياة الامام زين العابدين الذي اصبح رابع الائمة الاثني عشر عند الامامية .. ولم تسلم السيدة زينب .. رضي الله عنها ـ من عبث السفاحين ، فنقلوها مع السبايا الى الكوفة ثم الشام وهناك شدها الحنين الى المدينة المنورة حيث مثوى جدها لوالدتها نبي الاسلام ، وحيث البقيع . غير ان والي المدينة اشار عليها بالهجرة فاختارت مصر وطنا ثانيا لها .. وكان غرة هلال شهر شعبان عام ٦١ بعد الهجرة ـ ٢٦ ابريل ٦٨١ ميلادية ـ يشرق على سماء مصر حين بلغت السيدة زينب مشارف بلدة العباسة من اعمال مركز ابو حماد بمحافظة الشرقية فاستأنفت الطريق الى القاهرة في موكب حافل ومعها من اهل بيت النبي زين العابدين علي ابن الحسين والسيدة سكينة بنت الحسين والسيدة فاطمة النبوية . فاستضافها والي مصر (مسلمة بن مخلد) في بيته . وخلال احد عشر شهرا ـ هي بقية عمرها ـ كانت السيدة زينب هي المثل الاعلى لصبر العبادة وشجاعة المؤمن وكرامة الانسان . وحين شاء قدرها ان تستريح بعد مرارة المعاناة وحلاوة الجهاد في سبيل الله فاضت روحها الطاهرة مساء يوم الاحد ١٤ رجب عام ٦٢ بعد الهجرة ـ ٢٧ مارس ٦٨٢ ميلادية ـ فاختير بيت اقامتها مثوى لجثمانها الطاهر حيث هو الان بمدينة القاهرة .. بعد حوالي تسعة وخمسين عاما أنفقتها كلها دعوة لله سبحانه وتعالى ودعاء اليه ورجاء فيه واعتزازا به .

رضي الله عنها .. ورضي الله عليها .. وارضاها .. فالسيدة زينب هي والدتنا ـ في الله ـ وهي المثل الاعلى يهتدي به زوار الحياة كلما يفد عليها مولود جديد .

مجلة منبر الاسلام

البيروني

للدكتور فاضل الطائي

عرف البيروني بسعة اطلاعه وحبه للغات فقد اجاد اضافة الى العربية الفارسية والسنسكريتية واليونانية والسريانية وثمن علماء العالم الاعمال العلمية التي خلفها البيروني فقد ذكر سارتن (انه مؤلف عربي كبير وانه سائح وفيلسوف ورياضي وفلكي وموسوعي والكل تعتبره من اعظم العلماء في كل العصور والازمان واتصف بطابع التسامح والحب للحقيقة والشجاعة الفكرية).

ـ وقال ابن العبري (ان مصنفات البيروني كثيرة ومتقنة ومحكمة).

اما الدكتور ادوار سخاو المستشرق الالماني المعروف فقد قال عنه :
(ان البيروني يعتبر من وجهة نظر تاريخ العلوم اكبر ظاهرة علمية في الحضارة الاسلامية لان جميع الكتب التي ألفت في الرياضيات والفلك والطبيعيات تعتبر لعب اطفال بجانب تحقيقات البيروني العلمية . انه عالم نباتي واسع الاطلاع ورياضي قدير وفيزيائي رصين) .

ونشر سخاو في ليبزك سنة ١٨٧٨ م احد كتب البيروني هو (الاثار الباقية عن القرون الخالية) واعاد نشره سوفيتز ١٩٢٣م يبحث هذا الكتاب في التاريخ والفلك والتنجيم .

نشرت اكاديمية العلوم السوفياتية عام ١٩٦٣م ترجمة لكتابه عن الاحجار الكريمة قام بتقييمه س.ف. دافيد سوف عام ١٩٦٤م وقال :

انه يحتل مكانا خاصا في تاريخ علم المعادن ولو انه معروف اكثر في حقول اخرى لاختراعه جهاز قنينة الوزن النوعي البكتومتر ، لتعيين الاوزان النوعية للمعادن والفلزات بدقة مدهشة واضاف دافيد سوف يميل مؤرخو العلم الغربيون الذين تادوا ما يتصفون العرب الى تجاهل كتابات البيروني

في المعادن والفلزات والخامات والتي هي شاملة ، حقيقية ، عملية ورافضة لكثير من التراث الخرافي للازمنة السابقة .

اما عن ابرز اعماله ذكر الدكتور الطائي :

ـ انه اول من كتب في الصيدنة (الصيدلة) وبرز في الجغرافية والفلك والهندسة والمثلثات اذ اعطى صورة واضحة عن تثليث الزوايا وقدم بحثا عن اختلاف طول الليل والنهار في المناطق المتجمدة وكتب حول تصميم خطوط الطول والعرض ودوران الارض والجاذبية .

ـ اما بحوثه الكيماوية فهو اول من حضر الاسفيداج (كاربونات الرصاص القاعدية) بنوعية جديدة وانتقلت طريقته الى هولندا ، واجاد في وصف الفلزات ومركباتها وذكر اماكن خاماتها وطرائق استخراجها .

ـ اما طريقته في صنع الزجاج وتلوينه فهي لا تختلف عن مثيلتها الحالية المسماة :

(طريقة الصودا لصنع الزجاج).

ـ وقد خلف البيروني اكثرمن١٨٠ مخطوطا في الادب والرياضيات والفلك والفيزياء والجغرافية والجيولوجيا والاحياء الا انه لم يبق منها الا النزر القليل ومن بين كتبه القيمة الذي اشتهر بها في النباتات الموسوم (العقاقير) ويتضمن هذا الكتاب وصف خصائص وفوائد الف عقار مستخرج من النباتات والاعشاب والحيوانات والمعادن . ان هذا الكتاب لم يفقد قيمته العلمية حتى في عصر التقدم العلمي الحديث فنلاحظ الكثير من المختبرات في العالم تجري التجارب على العقاقير المستحضرة من الاعشاب او اي نبتة ورد ذكرها في كتاب البيروني محاولة صنعها في مختبرات البحوث للشركات الاوروبية .

وختاما ان الحقيقة ساطعة حيث تعد القرون الثالث ، الرابع والخامس للهجرة العصر الذهبي للعلوم والحضارة عند العرب .

(الف باء)

منشئها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

صاحبها
نجل المنشيء المسؤول
نزار الزين

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ــ سنتها ١٠ اشهر بالف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الرابع ــ مجلد ٦٦ ــ نيسان « ابريل » ١٩٧٨ م.
ربيع الثاني ــ جمادى الاولى ١٣٩٨ هـ.



سياسة الغرب تخدع الخصم لكن
خادع الشعب في بلادي سياسي

أحمد الصافي النجفي



دور العقيدة الاسلامية
في
التفاهم الاسلامي المسيحي

المحاضرة

التي ارتجلها

سماحة الامام الشيخ محمد مهدي الخالصي
شيخ جامعة مدينة العلم ـ الكاظمية العراق

في

المعهد البابوي للدراسات العربية

في روما

بتاريخ

السبت ٣ ذي القعدة ١٣٩٧ هـ

١٥ تشرين الاول ١٩٧٧ م

تقديم الاب الدكتور ميخائيل فيتزجيرالد رئيس المعهد البابوي للدراسات العربية في رومـــا ..

* * *

أرحب بكم اليوم في ابتداء السنة الدراسية للمعهد ، وأشكر الله لهذه الفرصة التي تتاح لنا ان نستقبل في معهدنا رئيس المدرسة الاسلامية الشيعية ـ مدينة العلم ـ في الكاظمية ، بغداد ، واشكر ايضا مسؤولي الامانـــة الفاتيكانية للعلاقات بين المسيحيين وبين مؤمني الاديان الاخرى ، الذين دعوا فضيلة الشيخ لزيارة رسمية لروما ، والى لقاء قداسة البابا يوم الخميس ، وفي الحقيقة كنا في انتظار هذه الزيارة منذ سنتين تقريبا ، لان صديقنا المشترك الاستاذ « لوي كارديه » قد عرفنا رغبة سماحتكم العظيمة في تعميق التفاهـم بين المسلمين والمسيحيين، وتقوية العلاقات بينهما ايضا،ولذلك نحن مسرورون جدا للزيارة، وسنستمع الان الى محاضرتك في هذا الموضوع المهم «العلاقات بين المسلمين والمسيحيين »•

* * *

المحـــــاضرة

ابتدا بالقائها سماحة الامام الساعة الحادية عشرة قبل الظـــهر كان يقوم بترجمتها عـلى الفور الى اللغـــة الفرنسيـــة الاب فرنسيس ابو صخ

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الافاضل الاساتذة الكرام والطلبة المبجلين ، أحييكم بالتحية المشتركة في ديننا والتي يتمثل فيها الهدف المشترك لما نحن في صدده فأقـــول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسل الله وانبيائه والتابعين لـــهم باحسان اقول انه من دواعي اعتزازي وفخري ان تفرد لي ادارة المعهد البابوي للدراسات العربية القاء كلمة الافتتاح في مبدأ سنتها الدراسية تلك الكلمـــة

التي جرت العادة ان تعهد الى واحد من أصحاب النيافة أو أحد الشخصيات الكنسية الكبيرة من ذوي المقام العلمي • وان هذه الالتفاتة الكريمة لهـا مغزاها العظيم بما تشير اليه من المراحل التي قطعناها في سبيل تطوير العلاقات الاسلامية المسيحية وعلى طريق التفاهم والتعاون لخير شعوب الارض جميعا ولكسب رضوان الله سبحانه وتعالى • لقد كان من المقرر ان يكون حديثي هنا بينكم عن (الفلسفة الاسلامية وجانب التشيع منها بالخصوص) كمـا اقترحه صديقنا العزيز سيادة عميد المعهد « البروفسور فيتزجـيرالد » في رسالة الدعوة التي تفضل وأرسلها الي قبل سنتين • وكنت قد أزمعت ان أفعل ذلك ، ولكن لما عهد الي بالقاء كلمة السنة الدراسية المباركة ان شاء الله في معهدكم العتيد مع حضور السادة اعضاء السلك الدبلوماسي والضيـوف الافاضل ، ورجال الكنيسة المبجلين، اصبح من المناسب أن يكون الحديث مركزا على الجانب الفكري المتعلق بالهدف الاساس من زيارتنا الى الفاتيكان، وهو تطوير وتعميق سبل التفاهم الاسلامي المسيحي ، على أن نوكل الجانب العلمي الاكاديمي للموضوع الى فرص اخرى ، ان شاء الله، وفي لقـاءات قادمة ، اكثر استيعابا لطرح الموضوعات ذات الطابع الاختصاصي ، ويعتبـر حديثنا اليوم شرحا وتتميما ، للاحاديث التي جرت في لقاءاتنا ، مع قداسةالحبر الاعظم ، ونيافة الكاردينال « بينيدولي » والحوار الذي جرى مع اصحاب النيافة والسيادة اصحاب الاختصاص من رجال الدين في الفاتيكان وسـائر اللقاءات •

موضوع المحاضرة

ان موضوع محاضرتنا او بالاحرى حديثنا هو:(دور العقيدة الاسلامية في التفاهم الاسلامي المسيحي)، ان الذي صاغ عنوان المحاضرة هو السؤال الاتي: ما هو الدافع الاساس الى التفاهم الاسلامي المسيحي ؟ هل هو مجرد المجاملة الظاهرية تمليها العلاقات المتطورة للمجموعات البشرية المختلفـة في

العالم المعاصر ؟ ذلك العالم الذي يقترب يوما بعد يوم وتتداخل شعوبه ؟• هذا ما يقوله البعض : أم ان الدافع لهذا التفاهم هو مجرد الاحساس بالخطر المحدق بالتدين عموما ؟ والتحدث الذي يتعرض له الدين من قبل المبادىء اللادينية هذا ايضا ما يفكر به البعض • ولكنني وان كنت لا ابخس هذين العاملين اهميتهما ، ولكني أقول ان الدافع الحقيقي ، بما اننا رجال تدين وحقيقة ، ان شاء الله ، لا يمكن ان يكون هذا ولا ذاك لانه لا مجاملة في الدين ولا مداهنة •

دافع العقيدة

بل ان الدافع الحقيقي بالنسبة لنا نجده في اسس عقيدتنا الاسلامية، وفي نصوص القرآن ، التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وفي وصايا نبينا الرسول الاكرم (ص) فدافع العقيدة هو الاساس الذي ينبغي ان تبنى العلاقات الحميمة بين ديننا العظيمين ، والهدف من ذلك اولا وبالذات هو كسب رضوان الله سبحانه وتعالى ، وثانيا وبالفرض لنبني يدا بيدحضارة الانسان على اسس الايمان بخالق الانسان في محبة وسلام، وانني في استعراضي لاسس عقيدتنا في المسيح ومقدسات الديانة المسيحية ، سأعتمد على مصدر اساس في الشريعة الاسلامية لا يناقش فيه اثنان من المسلمين، اذ لا يخفى عليكم ان في الاسلام مصدرين رئيسيين للتشريع هما : اولا ، الكتاب وهو القرآن ، ثانيا : السنة النبوية ، وهي اقوال المعصوم وافعاله وتقاريره ، ولا يخفى على السادة الاساتذة الكرام ، انه عند فقدان النص فهنالك مصدران آخران هما الاجماع والعقل كما هو عند الشيعة الامامية او القياس كما هو عند غالبية اخواننا اهل السنة والجماعة • ولكنني هنا سوف لا اعتمد الا على النص القاطع في كتاب الله لان ما فيه قاطع الثبوت وفي آيات العقيدة قاطع الدلالة •

المقدسات المسيحية

ان النقاط الجوهرية في العقيدة المسيحية تدور حول المسيح ، وامـه البتول عليهما السلام ، والانجيل ، والحواريين، والكنيسة ، ورجالها ، ولا شك، ان المسيحيين يهمهم ان يعرفوا ماذا يقول كتاب المسلمين في حقهم ، وحق رجالهم ، وحق مقدساتهم ، ولكي لا اطيل عليكم سوف انتخب نصا واحدا من نصوص عديدة وردت للحديث عن كل نقطة .

نظرتنا الى المسيح

ففي آية ٤٥ من سورة آل عمران : « اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ؟ قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا اقتضى امرا فانما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل. ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرىء الاكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين . ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ».

الى مريم العذراء

ثانيا نظرتنا او عقيدة المسلمين في مريم العذراء البتول . آية ٤٢ من سورة آل عمران :

« واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين . ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم

وما كنت لديهم اذ يختصمون » •

وفي هذه الآية اشارة صريحة الى بتولية مريم وطهارتها من الدنس ، وهنالك آية اخرى تصفها بانها سيدة نساء العالمين •

الى التوراة والانجيل

ثالثا : عقيدتنا في التوراة والانجيل : آية ٣ من سورة آل عمران :

« نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل، من قبل هدى للناس وانزل الفرقان •••» •

الى الحواريين

نظرتنا الى الحواريين من اصحاب المسيح (ع) ونرى كيف ان القرآن ضرب بهم مثلا وجعلهم امثولة يقتدى بهم وامر المؤمنين بان يكونوا مثلهم نجاه في سورة الصف آية (١٤):

« يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين »•

الى المسيحيين

لا شك انكم تحبون ان تسمعوا نظرة القرآن وما قال عنكم ، قال في سورة المائدة آية ٧٢ :

« ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون » •

وفي سورة الحديد آية ١٧ قوله تعالى :

« ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة » •

الى عموم اهل الكتاب

نظرتنا الى عموم اهل الكتاب من مسيحيين وغيرهم من اتباع الرسل قال تعالى في سورة المائدة آية ٦٩ :

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون والنصاري من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ».

الى عموم الرسل :

ثم نظرتنا الى الانبياء والرسل في آية ٧٥ من سورة البقرة :

« آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير» .

وقوله تعالى في سورة البقرة آية ١٣٦ :

« قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » .

ثم ان الاسلام يحكم كل من لم يؤمن بالله وكتبه ورسله او يفرق بين رسله بالايمان فيقول في سورة النساء آية ١٣٥ :

« يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا».

وعلم التفسير يؤكد ان هذه الآية انما المراد بها التأكيد على الايمان بالانبياء والسابقين وكتبهم وجعل ذلك جزءا من عقيدة الاسلام ذلك لان الخطاب فيه الى الذين آمنوا يأمرهم بان يؤمنوا بسائر اصحاب الرسالات من الانبياء ، اي ينبغي ان لا يظن المؤمن بانه يستطيع ان يقتصر في ايمانه على الايمان بالله ورسوله حسب دون ان يؤمن بسائر الانبياء وكتبهم في هذه

الآيات من القرآن كتابنا المقدس تجدون المرتكزات الاساسية من معتقداتنا التي نعتبرها ذات دور اساسي في التفاهم بين اتباع الدينين العظيمين وضرورة تطوير هذا التفاهم هو الاحسن فالاحسن •

نقاط ونقاط اخرى

نخلص من كل ذلك القول بان القدر المشترك في عقيدتنا تتلخص في الايمان بالله واسمائه الحسنى وصفاته والايمان بكتبه ورسله والايمان باليوم الآخر يوم الجزاء بالثواب او العقاب ثم الايمان بقواعد الاخلاق المشتركة واهم ما في هذه النقطة ، ان الاخلاق في ديانتنا ليس مصدرها المصلحة والمنفعة الدنيوية الفردية او الاجتماعية كما هو الحال في الاخلاق بالمفهوم الوضعي بل مصدر الاخلاق في ديانتينا هو الايمان بالله سبحانه وتعالى ورقابته على ضمير الانسان ثم الايمان بيوم الدين يوم القيامة حيث يدان المذنب ويثاب البريء •

انسانية الدين

وانسانية الدين قدر مشترك بين ديانتينا ايضا فكلنا نؤمن بان الدين للناس جميعا اسودهم وابيضهم ، كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، على اختلاف قومياتهم واوطانهم ويعبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى في سورة الحجرات آية ١٣ :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير »•

الاسلام هو التسليم

ثم ان اختيار كلمة الاسلام للدلالة على ديننا يقصد به اولا وبالذات التسليم لله سبحانه وتعالى في التكوين والتشريع وبهذا المفهوم عبر القرآن عن جميع الانبياء واتباعهم بانهم مسلمون • فعن ابراهيم (ع) في سورة البقرة آية ٣١ :

« اذ قال له ربـه اسلم قال أسلمت لرب العالمين » .

وكان قول الحواريون عندما سألهم عيسى (ع) من انصاري الى اللـه قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ، وبهذاالمعنى هل يرفض مسيحي ان يكون من المسلمين ؟ وبمعنى الايمان بالمسيح والبتول مريم والانجيل والحواريين هل يرفض مسلم ان يكون مسيحيا ؟.

نفي الشرك والوثنية

ومن نقاط الوفاق بين دينينا نفي الالحاد والشرك والوثنية ، اذ لايخفى ان الاسلام الذي جاء ووجد البشر يعبدون غير الله او لا يؤمنون بـه او يشركون به اندادا من دونه بني اساسه على الايمان بالله ونفي الشركوالوثنية ولهذا فمن المعلوم ان المسيحية ترفض الشرك والوثنية مثلنا ، كما لا احسب ان مسيحيا يرضى ان يتهم بالشرك مع الله آلهة اخرى .

معالجة القرآن لنقاط الخلاف

لا شك ان في القرآن الكريم آيات اخرى تخص بعـض المعتقـدات المسيحية الرائجة والتي يضعها موضع المناقشة الهادئة بكل احترام وكمـا أوصى بقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن . قد تكون تلك الملاحظات القرآنية حول موضوع كالتوحيد والتثليث امرا عسير القبول لدى المسيحي لاول وهلة ولكن النظرة المتأملة الفاحصة الى هذه الآيـات تؤكد انها تفضي الى نفس الطريق الذي نسلكه الى التفاهم والتقريب ذلـك لانه ليس من هدف تلك الايات المساس بمقام المسيح او مريم العذراء البتول أو الحواريين او الانجيل او سائر المقدسات فقد رأيتم حديث القرآن عن كل اولئك بل بالعكس تماما انما ترمي تلك الآيات الى هدف مشترك ايضا وهو تنزيه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به وتنزيه الانبياء عما لا يليق بهم ممـا قد يكون ورد في العهد القديم مما يعتبره القرآن مساسا بمقام الانبيـاء المنزهين عن كل نقص وخطيئة .

خلاف تسامي لا خلاف نقض

ولتوضيح هذا المنحى فلنأخذ مثلا ما ورد في القرآن الكريم في سورة النســاء آية ١٧٠ :

« يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحـق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خير لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ».

انما جئت بهذه الآية لكي أعرض لكم كيف ان القرآن الكريم يناقش هذه القضايا مناقشة تدعو الى المحبة والود وان كان فيها وجهات نظر مختلفة بعض الشيء او تبدو مختلفة لاول وهلة ، والقرآن هنا يخاطب غير المسلمين من أتباع الاديان السماوية بعبارة يا اهل الكتاب ويذكر عيسى (ع) بلقبــه المسيح ردا على اليهود وتأكيدا على العقيدة المشتركة بيننا في ان المسيـــح الموعود هو عيسى (ع) ثم بعد ذلك يصفه بانه رسول الله ردا على من لـــم يؤمن به وكذبه ، وليس ذلك فحسب بل فوق ذلك يقول انه كلمته التي ألقاها الى مريم واكثر من ذلك اذ هو روح منه . فاننا وان كنا نعتقد ان جميـــع الارواح هي من الله سبحانه ولكن بالنسبة لعيسى فان له خصوصية اذ خلقه خلافا للقوانين المعتادة في الولادة بل خلقه بكلمته المباشرة . ولهذا فان المسيح عند المسلمين يختص بلقب روح الله، وكثيرا ما نجد في الادعية التي يقرؤها أتقياء المسلمين وفيها توجيه التحيات الى الانبياء يقولون والسلام على عيسى روح الله . ويتركز هدف الاية التي نحن بصددها في كلمة « سبحانه » وهي كلمة التنزيه اي انه تعالى منزه عن صفات المخلوقين من الولادة والموت والاكل والشرب والتعب والمنام ، وان يولد من شيء ، او يولد له ولد ، بل له مـــا في السموات والارض وكل ما في السماوات والارض له ومخلوق له . وعندما نقول عيسى روح الله فذلك لزيادة التقديس والتعظيم ، وكما نقول مثلا ان

الكعبة او المسجد او الكنيسة بيت الله فان الله منزه عن المكان وكل البيوت والاماكن لله ولكن لماذا اذن الله لبيوت ان ترفع ويذكر فيها اسمه نسبها اليه تعالى تعظيما وتكريما ، كما نقول عن القدس بيت ايل او بيت الله ٠ انما أوردت هذا المثل لاستجلي روح القرآن حينما يناقش ما يراه بحاجة الى نقاش من معتقدات المسيحيين وسائر اتباع الديانات السماوية بكل احترام ونظرة تقديسية وتنزيها من كل شائبة يشوب تلك المعتقدات ٠

هذا هو القسم الاول من المحاضرة واذا كان فيهشيء من الاتعاب لكم ولاستاذنا « ابي مخ » فلا بأس ان تعتبروها نوعا من التمرين على الاستماع الى محاضر عربي يتكلم بلغته ٠ واسمحوا لي لكي اتحدث اليكم بكلمات اخرى بسيطة وان كان وقت «ابي مخ» ربما يكون متضايقا ولكننا سنقتصر ما يمكن اختصاره ٠

تعالوا ٠٠ دعوة القرآن للتفاهم

ما أود ان الفت اليه انظار اخواننا الكرام ورجال الدين المسيحيين بصورة خاصة ان فكرة التعاون واللقاء والتفاهم بين دينينا ليس من بنت افكارنا نحن فانها دعوة قرآنية منذ ان جاء الرسول محمد (ص) بدعوته وجه القرآن نداءه الى اهل الكتاب آمرا رسوله ان يقول لهم « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » ٦٥٠ آل عمران ٠ وهنا يأمرنا يعرفنا القرآن فيقول ادعوهم الى هذه الدعوة للقاء على النقاط المشتركة وهي توحيد الله سبحانه وتعالى وعبادته والاخلاص له فان استجابوا لكم لهذه الدعوة فمرحبا بهم وان تولوا ولم يستجيبوا لهذه الدعوة لسبب من الاسباب فقولوا اشهدوا بانا مسلمون والاسلام هنا ايضا ليس بمعناه الاصلاحي بمعنى اننا ليس بيننا فرق انتم تسلمون وجهكم لله ونحن ايضا مسلمون وجهنا لله اي سيبقى الباب مفتوحا حيثما او حينما

تمدون لنا ايديكم ستجدون ايدينا ممدودة اليكم • انطلاقا من هذه الدعوة التي نعتبرها أمرا شرعيا واجب الاتباع • ترك المسلمون دائما الباب مفتوحا للحوار مع اخوانهم من اهل الكتاب واللقاء معهم والتعاون معهم في كل النقاط المشتركة ونتيجة لهذا المعتقد ايضا بنى المسلمون احسن العلاقات الممكنة ووطدوها مع المسيحيين واليهود وسائر الاديان عبر القرون ، وقد امرنا بالحفاظ على مقدساتهم واموالهم كما نحافظ على مقدسات انفسنا واموالنا وانفسنا وان ندافع عنهم اي خطر يمكن ان يحدق بهم او بمقدساتهم •

اسباب التوتر غالبا غيردينية

واذا كان هنالك يوما ما توتر بين المسيحيين والمسلمين فلم يكن دائما سببه دينيا انما كان غالبا يرجع الى احد سببين ، هذان السببان احدهما داخلي والاخر خارجي ، اما السبب الداخلي فهو طغيان السلطان ، فقد يحدث ان يكون هنالك سلطان جائر او يكون هنالك حاكم غير ملتزم باحكام الشريعة وتوصيات الشريعة في تحسين العلاقات والحفاظ على المسيحيين وسائر أهل الكتاب فكان يضطهد ، وكان المسلمون قبل المسيحيين يتعرضون لاضطهاده • واذا ما استعرضتم التاريخ ووجدتم في يوم ما اضطهادا للمسيحيين في العالم الاسلامي أردنا اياه فسنريكم اضطهادا واسعا للمسلمين وعلى أشد واكثر ، مما يدل على ان الامر هو اضطهاد حاكم طاغية لامة وليس اضطهاد اصحاب دين لاصحاب دين آخر •

ثانيا السبب الخارجي

اما السبب الثاني فهو كما اشرنا سبب خارجي وهو الاستعمار • والاستعمار خصوصا الاستعمار الاوروبي حينما توجه الى الشرق، وتعلمون ان الاستعمار والسياسة غالبا لا اخلاق لها او لا تلتزم بقواعد الاخلاق ، كان الاستعمار يحاول في كثير من الاحيان ان يستثير المسيحيين ضد المسلمين والمسلمين ضد المسيحيين لكي يفرق بينهم ويكسب شطرا من الناس الى جانبه •

مثل من التاريخ القريب

ولكي أوضح هذه النقطة اضرب لكم مثلا من التاريخ الحديث المعاصر فاننا في العراق حينما تعرض العراق للاحتلال الانكليزي في اوائل الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٧ وما بعدها قام العلماء يقودون المجاهدين الى ساحات القتال لرد عادية الغزو الاستعماري للبلد ولكنهم في الوقت الذي كانوا يصدرون الفتاوى بوجوب مقاومة الاستعمار وجيوشه واحتلاله كانوا في تلك الفتاوى حريصين على ان يفتوا بضرورة الحفاظ على احسن العلاقات مع المسيحيين الموجودين وعدم الاصغاء نهائيا الى الدعايات الامبريالية الاستعمارية التي كانت تريد ان تلقي الخلاف بين المسلمين والمسيحيين او تحرض بعضهم على بعض • فالمشكلة لم تكن ابدا بين المسلمين والمسيحيين مشكلة دينية انما كان الحوار والمحبة دائما متبادلا بينهم وانما كانت المشاكل غالبا تثيرها السياسة •

مثل آخر

وكما ضربت مثلا لاحتلال الانكليز كذلك حينما قرر العراقيون ان يقوموا بثورة في سنة ١٩٢٠ وكانت بقيادة علماء المسلمين، وانما اؤكد على قيادة العلماء حتى تنظروا الجانب الديني في الموضوع وتلاحظوا كم كانوا حريصين على الاخرين وكان المرحوم جدنا الشيخ مهدي الخالصي ووالدي ممن برز اسمهم في قيادة الثورة العراقية ، ولهذا احتفظ بنصوص الفتاوى في وثائقنا الخاصة التي كانت تصدر من قبلهم ، من قبل جدنا وسائر العلماء ضد الغازي المحتل ، كانت تلك الفتاوى دائما وغالبا تقترن بوجوب الحفاظ على احسن العلاقات الطيبة مع المسيحيين وان الجيش الغازي لا يمثل المسيحية ابدا واننا ينبغي ان نبقى حريصين على الحفاظ على اعراض من في كنفنا من المسيحيين واموالهم ومقدساتهم ، وما افتى المجتهد الكبير في وجوب الجهاد الا بعد ان اخذ العهود والمواثيق من جميع القادة المحليين للحفاظ على الاقليات الدينية خاصة المسيحيين واليهود •

حتى مع اليهود

ويمكن ان يقال ذلك حتى بالنسبة لليهود الذين نحن الان في مشكلة كبيرة مع اسرائيل ،مع ذلك فان الحفاظ على اليهود المحليين او المسالمين الذين لم يكونوا لهم دخل في مساعدة اسرائيل على احتلال بلادنا كانت من التوصيات التي يركز عليها القادة الدينيون • وكذلك الامر بالنسبة للحكومات الان بدأت الحكومات تفتح الابواب لكي يعود اليهود الذين اضطروا الى الخروج لسبب من الاسباب او للظروف الاستعمارية التي كانت سائدة او للتحريض الذي كان يعمله حتى بعض اليهود ضد المسلمين ولكي يحملوا اليهود على بلادنا للنزوح الى اسرائيل مع ذلك فقد قامت الحكومات في البلاد الاسلامية باصدار قرارات العودة والترحيب باليهود الذين يريدون ان يعودوا الى بلدانهم ممن غرر بهم فهاجروا ، وكانت الحكومات العراقية من الحكومات المبادرة الى اصدار هذا القرار قرار عودة اليهود وكذلك تابعتها سائر الحكومات كحكومة المغرب وما شابه ، مما يدل على ان المسألة ليست مشكلة دينية •

اما اسرائيل فمشكلة استعمار استيطاني

حتى المشكلة بيننا وبين اسرائيل ليست مشكلة دينية انما هنالك غزو استعماري استيطاني على بلادنا فنحن ندافع عنه فمن يعينهم لا نستطيع ان نمد له يد المعاونة ولكن من لا يعينهم وانما يحتفظ بدينه ويريد ان يعيش بيننا واحدا منا فنحن نرحب به وهذه القرارات الرسمية التي لا يمكن نكرانها تكشف عن هذه الروح التي ندعو اليها • والسببان اللذان ذكرناهما للخلاف والتوتر بين المسلمين والمسيحيين كان احدهما الحاكم الظالم والثاني الاستعمار والحمد لله بعد ان زال هذان السببان ان شاء الله وزوال الاستعمار الذي كان هو السبب في بعض التوتر وسوء التفاهم بين المسلمين والمسيحيين خصوصا اقول بعد زوال الاستعمار جئنا الى روما لكي نوطد هذه العلاقات ونبنيها على اساس من عقيدتنا وليس لمصلحة ولا مجاملة •

وقلت للبابا

وهذا ما قلته لقداسة البابا في لقائي معه ، قلت له انني جئت لكي اهنئك على هذه السياسة في فتح الابواب على العالم الاسلامي وابلغك بانك ستجد تجاوبا عميقا مع جميع العالم الاسلامي لهذا الانفتاح العظيم ، وان التاريخ ـ هذا ما قلته لقداسةالبابا ـ وان التاريخ سيسجل ان في عهد بابا عظيم جرى حوار جديد بين الاسلام والمسيحيين فانعطف التاريخ على مساره الصحيح متوجها الى الله سبحانه وتعالى بعد ان كان الشيطان قد انحرف به عن المسار الذي يؤدي الى الله • ونرجو ان يكون ذلك في عهدك وتراه بعينك وتقر عينك به ، وأرجو ان تقر اعينكم جميعا بهذا الحوار الذي سيؤدي الى المزيد من حسن التفاهم والمزيد من العمل المشترك على ما نحن بصدده من خير ليعم السلام على الارض كما ورد في الانجيل ليكون المجد لله في الاعالي وفي الناس المحبة وعلى الارض السلام • والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

★ ★ ★

وبعد ان هدأت عاصفة التصفيق المتد ، قال سماحته مداعبا والتصفيق حتما للاستاذ ـ ابي مخ ـ لانه ترجم ترجمة رائعة وتعب تعبا كبيرا ، ثم استطرد سماحته قائلا : وانني ابارك لكم السنة الدراسية الجديدة وارجو ان تكونوا انتم بالدرجة الاولى حاملي هذه الروح الجديدة التي سميتها روح فاتيكان القرن العشرين ، او لمطلع القرن الواحد والعشرين ان شاء الله•

★ ★ ★

تعقيب

بعد انتهاء سماحته من القاء المحاضرة عقب الاب الدكتور موريس بورمانز ، معاون رئيس المعهد البابوي للدراسات العربية ، ورئيس تحرير مجلة (اسلاميات مسيحيات) قائلا :

حضرة الشيخ ، علي ان اشكرك باسم جماعة الاساتذةوالطلاب والطالبات

عن الكلمة الطيبة والافكار الحميدة والاراء المفيدة التي عبرت عنها في هذه المحاضرة المفعمة بروح المودة والاخوة .

ان الحوار بين المسيحيين والمسلمين لا يزال ينتظر انصارا كثيرين يلتزمون بصدق وحق في سبيل ازالة الافكار المسبقة وبالخصوص توحيد القلوب والعقول من الجانبين حتى تتفتح جميعا الى نور الحقيقة الالهية ذلك النور الذي ينبثق عن الله فينيرنا ونرجع به الى من هو نور على نور بيده مفاتيح الغيب ، اشكرك من جديد واعترف بالجميل واقدم اليك هدية ثمينة وهي في نفس الوقت متواضعة الا وهي نسخة من مجلتنا الجديدة (اسلاميات مسيحيات) أي ابحاث اسلامية مسيحية وذلك اقول بالخصوص تذكارا عن زيارتك المباركة لهذا المعهد ورجاء منا ان يجمعنا الله تعالى في يوم ما وهو ذلك اليوم الذي ينعم كل منا ، بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وا لشكر لك من صميم قلبنا والى اللقاء ان شاء الله .

اسرار الحياة اجمل ما فيهـا !

جوتيه (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢)، شاعر المانيا وفيلسوفها الكبير ، قال يوما يحدثنا عن الحياة واسرارها : « ان اعظم ما في الحياة هو غموضها وخباياها .. لقد تجلت حكمة الله في اخفاء ما حولنا من اسرار الطبيعة ، لاننا لو عرفنا كل شيء ، فسوف يحتوينا شعور بملل قاتل ، وسنفقد الرغبة في الاستمرار في الحياة ، ونجد انفسنا في نهاية الامر نقف حيث لا ندري ماذا نصنع بانفسنا .. تماما كما لو كنا ننتظر الموت بعد مرض يئس الطب من علاجه !

بيني وبين القارئ

بقلم منظر الزين

عزيزي القارئ

لنعد في هذا العدد الى نبذة عن رحلتنا في السنة الماضية الى الكويت والعراق فنقول :

اما في الكويت فقد كان صديقنا السيد عبد المطلب الكاظمي وزيرا للنفط وهو اختصاصي في موضوعه ونشيط في عمله ويتمتع بشخصية قوية، وكان قبل الوزارة يضمخ فمه بالمسك حين يتكلم عن العرفان ولكنه في الوزارة وكان بامكانه بكل سهولة ان يخدم العرفان ، لم يفعل ولعل له عذرا وانت تلوم ، وليس لنا حتى أن نعتب ، اما الذي نعتب عليه فهو شقيقه السيد عبد اللطيف الكاظمي التاجر الثري ، يقول لي صديقنا اخوه الطاهر القلب مثلنا النقي السيرة والسريرة ، هل زرت الاخ عبد اللطيف وطلبت منه مناصرة العرفان فأجيبه « لا » وكذلك يطلب مني الاخ الشاعر الشيخ محمد جواد الدجيلي ، وفي هذه السفرة زرنا الاخ عبد اللطيف عضو مجلس الامة السابق والتاجر الناجح الآن وقدمنا له عددين من العرفان وكان غائبا عن مكتبه ، ولما عدنا اليه لم يرجع العددين بل قالت السكرتيرة : يلقاك في ديوانية الحاج زيد ولم يصل للآن ، اما الاخ الحاج زيد الكاظمي اللطيف الكريم المتواضع الشهم العف الخدوم النافع فله مع العرفان ومع غيرها أياد لا ننساها، وهي تشفع لا للاخوين فقط ، بل لكثير.

قارئي الكريم :

تعال معي الى ان نروي لك بعض النبذ عن سفرتنا الاولى الى العراق في الشهر الرابع من السنة الماضية •

من الطبيعي حينما يزور احدنا العراق ان يزور كربلاء والنجف، اما في كربلاء فقد حدثنا القراء في العدد الماضي عن الحفاوة بنا •

واما في النجف فقد زرنا مرجع الشيعة آية الله الخوئي وهو يعرف الكثير عن العرفان وكان في نيته مناصرة العرفان حسب ما بدا لنا ، ولكنه لم يفعل لانا لم نطلب ؟! « تحسبهم اغنياء من التعفف » الظاهر انها لم تمر ببال مراجعنا ! في هذا اليوم كنا ضيوفا على الاخ الكريم الاديب اللطيف السيد محمود الصافي قائمقام النجف ، وقد دعا معنا الاخوين العالمين الفاضلين الشاعرين السيد علي بدر الدين والشيخ محمد فرحات ، اما السيد علي بدر الدين فهناك اجماع على محبته والاجماع سنة أسندت الى حديث صحيح، واما الشيخ محمد فرحات فنأسف انه يخلط عباسا بدباس ويقيس البيض على الباذنجان اذ يعتبر ان ميزان الناس ومقياسهم السياسة المحلية الضيقة لا الثقافة والفكر ، سامحه الله ونتمنى ان يبقى دائما « مزهزها » كما رأيناه آخر مرة في فندق السياحة بالنجف •

اما في رحلتنا الثانية الى العراق في السنة الماضية وكانت للتخلص من القلق النفسي الذي انتابنا ولم يزل في لبنان ، فقد زرنا النجف وذهبنا الى الحضرة فقط ، ثم عدنا في المساء ـــ وفي بغداد كان لم يزل يعبق اريج حفلات المتنبي وقد بقيت خمسة ايام متوالية ، وحينما تقيم الحكومة العراقية هذه الحفلات للمتنبي وقد أحسنت صنعا، ثم يجرد المتنبي احد الشعراء من شاعريته، فمعنى ذلك ان حكومة العراق لا تضع الاشياء في مواضعها ، فهل يذكرون او يعقلون ؟

اما سفرتنا هذه السنة للعراق بدعوة من وزارة الثقافة العراقية لحضور مهرجان الصافي فسنأتي على ذكرها في العدد الخاص لهذا الموضوع •

واما المربد الذي حضرنا بعضه ونشرنا في هذا العدد من العرفان قسما مما قيل فيه ، فقد تمنينا لو لم يشوهه بعضهم بكلام هراء لا معنى له ، بينما أجاد فيه بعض المحاضرين ومن الشعراء الاساتذة : سليمان العيسى ، محمود درويش ، مصطفى جمال الدين ويوسف الصايغ ، ومحمد صالح بحر العلوم ، وعبدالرزاق عبد الواحد ومصطفى الغوفاري الجزائري الذي ابدع ايما ابداع وكان للعروبة والاسلام في قصيدته القدح المعلى ، فأين العروبة التي يمثلها العراق من الثرثرة والهراء الذي سمعناه ولم نفهم معناه ، ومن قصيدة صديقنا مصطفى هذا البيت الذي يعادل ديوانا :

يتآمرون على الحسين ويشفقون على يزيد

رجاؤنا ان لا ينقلب المربد الى مرتد .

وسيأتي بعد ذلك الكلام على رحلتنا الى الكويت والبحرين وربما غيرها هذه السنة .

* * *

المنتدى الثقافي بكربلاء يحيي ادباء العروبة
١٩٧٨/٢/١٥



الدكتور حسين علي محفوظ ، نزار الزين صاحب مجلة العرفان اللبنانية ، الشاعر عبد الله البردوني من اليمين ، الشيخ عبد اللطيف الدارمي صاحب مجلة « صوت الاسلام » الكربلائية ، سلمان هادي الطعمة .

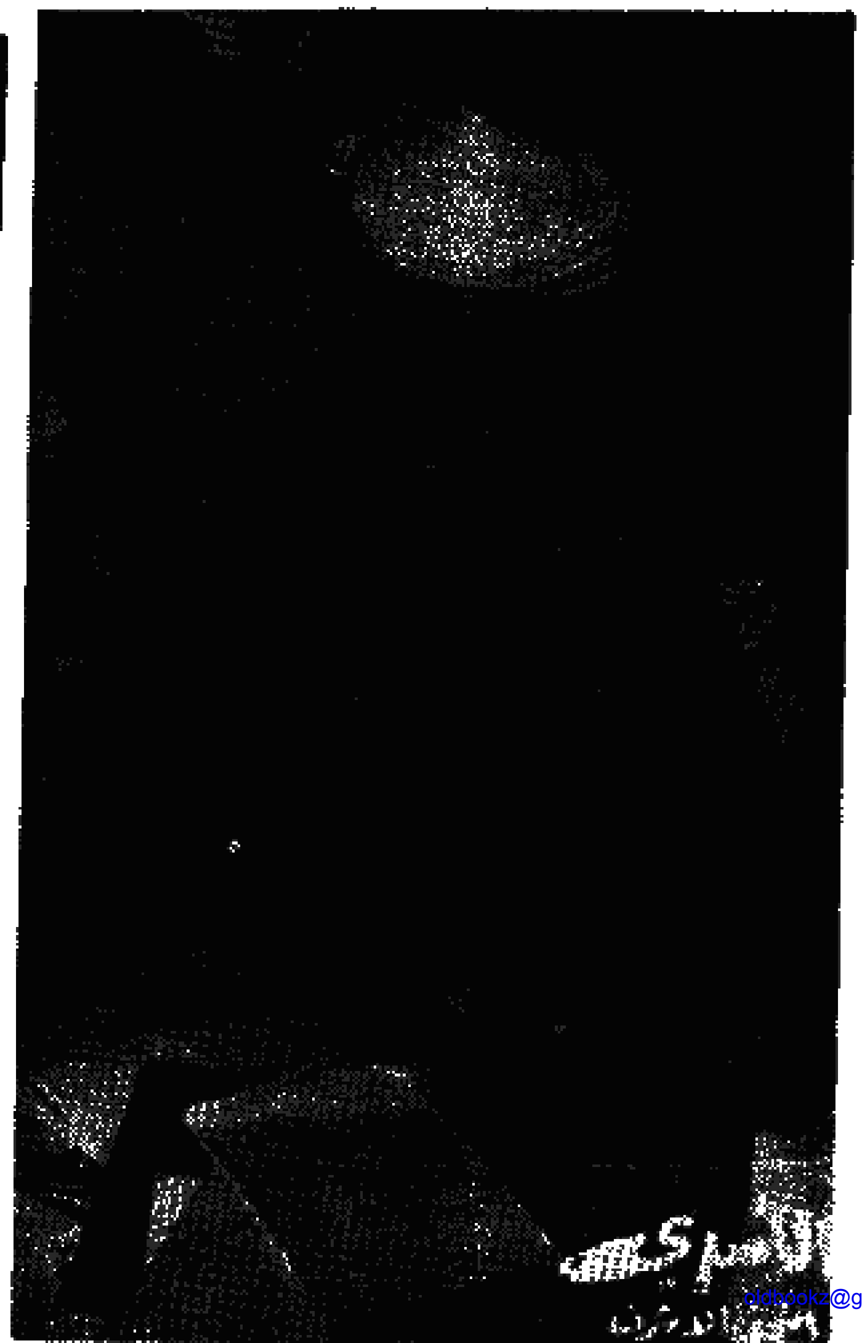
آغا بزرك

١٢٩٣ — ١٣٨٩ هـ

شيخ محدثي العصر، وإمام الفهرسة والسير والتاريخ وعلامة الحديث والرجال ..

بقلم: الدكتور حسين علي محفوظ





اسمه ونسبه ولقبه

هو محمد محسن بن علي بن محمد رضا بن محسن بن محمد بن علي أكبر بن باقر ، الطهراني ، المدعو « اغا بزرك ».

ميلاده ومولـده

ولد في طهران ، ليلة الخميس ، ١١ ربيع الاول ، سنة ١٢٩٣ هـ.

دراستـــه

درس القرآن في بيتهم ، وأدخله والده الكتاب سنة ١٣٠٠هـ وتعلـم العربية سنة ١٣٠٣هـ وأكمل المقدمات في مـــدارس طهران ، فقرأ الآداب، والتجويد ، والحساب ، والحكمة ، والكلام ، والهيئة ، والهندسة ، والمنطق، وعلوم الحديث ، والاصول ، والفقه ، على أساتذة أفاضل ، منهم :

١ ـ السيد حسن الاسترابادي .

٢ ـ الحاج السيد ميرزا حسن الطهراني ، المتوفى سنة ١٣٢٨هـ.

٣ ـ ميرزا محمود القمي .

٤ ـ الشيخ محمد تقي النهاوندي .

٥ ـ الشيخ علي بن ملا محمد النوري الايلكائي ، المتوفى في حـدود سنة ١٣٤٠ هـ.

٦ ـ الشيخ باقر معز الدولة ، الطهراني.

٧ ـ السيد عبد الكريم اللاهيجي ، المتوفى في حدود سنة ١٣٢٢هـ.

٨ ـ ميرزا محمد تقي الكركاني، المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ.

٩ ـ ميرزا محمد تقي الاشتياني.

١٠ ـ ميرزا محمود الحكيم القمي ، المتوفى بعد سنة ١٣١٣ هـ.

١١ ــ ميرزا ابراهيم الزنجاني ، المعروف بـ « مسكر » ، المتوفى سنة ١٣٥١ هـ.

١٢ ــ السيد محمد تقي التنكابني ، المتوفى سنة ١٣٢٧ هـ.

١٣ ــ المولى عبد الخالق المشهدي ، المدرس في مدرسة المستشار بمشهد ، المتوفى سنة نيف و١٣٢٠ هـ.

١٤ ــ الشيخ محمد حسين الخراساني ، المتوفى سنة ١٣٤٧ هـ.

هجرته الى العراق

هاجر الى العراق ، سنة ١٣١٣ ، واستقر في النجف سنة ١٣١٥ هـ. ثم هاجر الى سامراء سنة ١٣٢٩هـ. ولبث فيها بضع سنين . ثم فارقها ، ونزل الكاظمية سنة ١٣٣٥ ، وسكنها حتى سنة ١٣٣٧ هـ.

ثم عاد الى سامراء حتى غادرها الى النجف سنة ١٣٥٤ هـ، وبقي فيها حتى مات سنة ١٣٨٩هـ.

قرأ في النجف الفقه ، والاصول ، والحديث ، والرجال ، على :

١ ــ السيد محمد تقي القزويني ، المعروف بالسيد اغا ، المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ.

٢ ــ ميرزا محمد علي الرشتي الجهاردهي ، المدرس ، المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ.

٣ ــ الشيخ حسن التويسركاني ، المتوفى قريب سنة ١٣٢٠ هـ.

٤ ــ الشيخ عبد الله الاصفهاني ، المتوفى سنة ١٣١٧ هـ.

٥ ــ ميرزا حسين النوري ، المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ.

٦ ــ شيخ الشريعة الاصفهاني ، المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ.

٧ ــ الآخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني ، المتوفى سنة ١٣٢٩هـ.

٨ ــ ميرزا حسين الخليلي ، المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ.

٩ ـ الشيخ اغا رضا الهمداني ، المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ

١٠ ـ السيد محمد كاظم اليزدي ، المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ

١١ ـ الشيخ محمد طه نجف ، المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ

وقرأ في سامراء على :

١٢ ـ الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي ، المتوفى سنة ١٣٢٨ هـ

وفـــاته

توفي في النجف ، يوم الجمعة ، ١٣ ذي الحجة ، سنة ١٣٨٩هـ ودفن في حجرة خزانته في داره في الجديدة ، بالنجف ، يوم السبـــت ١٤ الشهر الحرام .

مشـــايخه

الذين اجازوا له الرواية عنهم

(أ) الامـــامية :

١ ـ السيد ابو تراب الخوانساري ، المتوفى سنة ١٣٤٦هـ

٢ ـ السيد احمد بن ابراهيم الطهراني ، المعروف بالكربلائي ، المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ

٣ ـ السيد حسن الصدر ، المتوفى سنة ١٣٥٤هـ

٤ ـ ميرزا حسين الخليلي الطهراني ، المتوفى سنة ١٣٢٦هـ

٥ ـ ميرزا حسين النوري ، المتوفى سنة ١٣٢٠هـ

٦ ـ الشيخ عباس القمي ، المتوفى سنة ١٣٥٩هـ

٧ ـ الشيخ علي الخيقاني ، المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ

٨ ـ الآخوند ، المولى علي بن فتح الله النهاوندي ، المتوفى سنة ١٣٢٢هـ

٩ ـ الشيخ علي بن محمد رضا آل كاشف الغطاء ، المتوفى سنة١٣٥٠هـ

١٠ ـ شيخ الشريعة ، فتح الله بن محمد جواد الاصفهاني ، المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ.

١١ ـ الشيخ محمد صالح آل طعان القطيفي البحراني ، المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ.

١٢ ـ الشيخ محمد طه نجف ، المتوفى سنة ١٣٢٣هـ.

١٣ ـ السيد محمد علي الشاه عبد العظيمي ، المتوفى سنة ١٣٣٤هـ.

١٤ ـ ميرزا محمد علي المدرس الجهاردهي الرشتي ، المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ.

١٥ ـ السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني ، المتوفى سنة ١٣٨٦هـ.

١٦ ـ الآخوند ، الشيخ محمد كاظم الخراساني ، المتوفى سنة ١٣٢٩هـ.

١٧ ـ السيد مرتضى الكشميري ، المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ.

١٨ ـ الشيخ موسى بن جعفر الكرمانشاهي الحائري ، المتوفى سنة ١٣٤٢ هـ

١٩ ـ السيد ناصر حسين ، صاحب العبقات ، المتوفى سنة ١٣٦١ هـ.

٢٠ ـ السيد ميرزا هادي الخراساني ، المتوفى سنة ١٣٦٨ هـ.

(ب) أهل السنة :

١ ـ الشيخ ابراهيم بن احمد حمدي الخربطلي ، خازن مكتبة شيخ الاسلام احمد عارف حكمت بالمدينة المنورة.

٢ ـ الشيخ عبد الرحمن عليش الحنبلي ، المدرس بالازهر.

٣ ـ الشيخ عبد الوهاب بن عبد الله خوقير المكي ، الشافعي ، امام المسجد الحرام.

٤ ــ الشيخ محمد علي الازهري المكي المالكي ، المدرس بمكة .

مشــاهير الرواة عنــه

يروى عنه مآت وربما جاوزوا الالفين ، من مشاهيرهم :

١ ــ الشيخ جعفر نقدي

٢ ــ السيد جمال الدين الكلبايكاني .

٣ ــ الحاج اغا حسين البروجردي .

٤ ــ الشيخ حسين القديحي .

٥ ــ حيدرقلي خان ، السردار الكابلي .

٦ ــ الشيخ ذبيح الله المحلاتي .

٧ ــ السيد رضا الهندي .

٨ ــ السيد شهاب الدين المرعشي .

٩ ــ السيد صادق الهندي .

١٠ ــ الشيخ عباس القمي .

١١ ــ الشيخ عبد الحسين الاميني .

١٢ ــ الشيخ عبد الحسين الحلي .

١٣ ــ السيد عبد الحسين شرف الدين .

١٤ ــ السيد عبد الرزاق المقرم .

١٥ ــ السيد عبد الله الموسوي ، البرهان السبزواري .

١٦ ــ السيد علي نقي الكهنوي .

١٧ ــ الشيخ فرج القطيفي .

١٧ ـ السيد محمد المشكاة •

١٩ ـ الشيخ محمد حسين المظفر •

٢٠ ـ الشيخ محمد رضا آل ياسين •

٢١ ـ الشيخ محمد رضا الطبسي •

٢٢ ـ السيد محمد صادق بحر العلوم •

٢٣ ـ الشيخ محمد صالح آل طعان القطيفي البحراني•

٢٤ ـ ميرزا محمد علي الغروي الاوردبادي•

٢٥ ـ ميرزا محمد علي التبريزي الخياباني، المدرس •

٢٦ ـ الشيخ محمد علي المعلم الحبيب آبادي •

٢٧ ـ الشيخ محمد علي اليعقوبي•

٢٨ ـ ميرزا نجم الدين الشريف العسكري •

٢٩ ـ السيد ميرزا هادي الخراساني •

٣٠ ـ السيد هبةالدين الشهرستاني•

ومنهم ايضا :

٣١ ـ الدكتور حسين علي محفوظ ، كاتب هذه الرسالة ، وابنه واخوه وبعض اقاربه •

* * *

مؤلفاتـه :

١ ـ أبسط الاماني في الاجازة للسيد الجلالي •

٢ ـ الاجازات المبسوطة ، وهي عدة •

٣ ـ الاجازات المتوسطة ، وهي عشرات •

٤ـ الاجازات المختصرة ، وهي نحو من ألفين.

٥ ـ اجازات الرواية والوراثة في القرون الاخيرة الثلاثة .

٦ ـ أحوال جماعة من العلماء ، نقلا من خط الجبعي.

٧ ـ احياء الداثر من مآثر اهل القرن العاشر .

٨ ـ اختصار الجزء الرابع من كتاب «رياض العلماء».

٩ ـ اختصار كتاب الزيدية ، في التراجم .

١٠ ـ ازاحة الحلك الدامس بالشموس المنيرة في القرن الخامس .

١١ ـ استخراج الرسالة المنسوبة الى الغزالي ، في شرح دعاء « جنة الاسماء» ، والقصيدة المذكور فيها آداب كتابة ذلك الدعاء ، وشرائطه ، مع اختلاف نسخ الدعاء.

١٢ ـ الاسناد المصفى الى آل المصطفى ، وهو « المشيخة ».

١٣ ـ انتخاب الامجاد من تاريخ بغداد .

١٤ ـ الانوار الساطعة في المائة السابعة .

١٥ ـ باب في المترجمين من علماء الهند في كتاب « سبحة المرجان» تأليف آزاد البلكرامي .

١٦ ـ ترجمة ابن جمهور العمى البصري.

١٧ ـ ترجمة ابن شهراشوب . كتبها للسيد هبة الدين واوصلتها انا اليه

١٨ ـ ترجمة الشيخ عبد اللطيف بن ابي جامع ، جد آل محيي الدين.

١٩ ـ ترجمة العقيدة الاسلامية بالفارسية . تأليف المستشرق البريطاني كويل ويلهام ترجمها الى العربية ضياء الدين المصري. وظهرت باسم « آيتي اسلام » .

٢٠ ـ تعريف الانام بحقيقة المدنية والاسلام ، ترجمة كتاب « المدنية والاسلام ».

٢١ ـ تفنيد قول العوام بقدم الكلام •

٢٢ ـ تقاريظ الكتب والمصنفين ، بالعربية والفارسية •

٢٣ ـ تقريرات الآخوند ، في الاصول •

٢٤ ـ تقريرات الآخوند ، في الفقه •

٢٥ ـ تقريرات شيخ الشريعة ، في الفقه •

٢٦ ـ تواريخ منتزعة من ملتقطات فصوص اليواقيت •

٢٧ ـ توضيح الرشاد في تاريخ حصر الاجتهاد •

٢٨ ـ الثقات العيون في سادس القرون •

٢٩ ـ الجوابـات •

٣٠ ـ الحقائق الراهنة في المائة الثامنة •

٣١ ـ حياة الشيخ الطوسي•

٣٢ ـ الدر النفيس في تلخيص رجال التأسيس•

٣٣ ـ الذريعة الى تصانيف الشـيعة •

٣٤ ـ ذيل كشف الظنون •

٣٥ ـ ذيل المشيخـة •

٣٦ ـ الرحمانية •

٣٧ ـ رسالة في حال كتاب الكافي ، وهل يوجد فيه خبر ضعيف أو لا •

٣٧ ـ رموز البحار ، مرتبة على حروف المعجم •

٣٩ ـ الروضة النضرة في علماء المائة الحادية عشرة •

٤٠ ـ شجرة السبطين وشرعة الشطين•

٤١ ـ شعره العربي ، وهو قليل جدا .

٤٢ ـ شعره الفارسي ، وهو قليل ايضا .

٤٣ ـ الضياء اللامع في عباقرة القرن التاسع .

٤٤ ـ ضياء المفازات في طرق ومشايخ الاجازات .

٤٥ ـ طبقات أعلام الشيعة .

٤٦ ـ الظليلة ، في تشجير بعض البيوتات الجليلة .

٤٧ ـ علماء الزيدية .

٤٨ ـ فهارس المخطوطات التي اطلع عليها في ايران .

٤٩ ـ فهرس الخزانة الغروية .

٥٠ ـ الفــوائد .

٥١ ـ الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة .

٥٢ ـ كشكول متفرقات .

٥٣ ـ كشكول سفر الحج .

٥٤ ـ الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة .

٥٥ ـ لامع المقالات في فهرس فصول جامع السعادات .

٥٦ ـ مجموعة أجازات السيد بحر العلوم التقطها من مجموعـة شيخ العراقين الطهراني .

٥٧ محصول مطلع البدور وتلخيص ما فيه من المنثور .

٥٨ ـ مختصر موجز من حياة زين الدين ، ابي محمد ، علي بن محمـد بن يونس البياضي .

٥٩ ـ مراسلاته ، الى العلماء والسائلين في المشارق والمغارب •

٦٠ ـ المراسلات الطهرانية ، وهي مجموعة رسائله الى الدكتور حسين علي محفوظ جمعها كاتب هذه الرسالة في مجموعة خاصة مفردة •

٦١ ـ مستدرك الذريعة •

٦٢ ـ مسند الامين في مشايخ الرجاليين •

٦٣ ـ مشايخ فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي ، في اسانيد تفسيره•

٦٤ ـ مصفى المقال في مصنفي علم الرجال •

٦٥ ـ مقدمات الكتب ، وهي كثيرة •

٦٦ ـ مكاتبات الشيخ محمد علي بن زين العابدين ، المعلم الحبيب آبـادي •

٦٧ ـ ملخص زاد السالكين •

٦٨ ـ منتخب كتاب الادعية ، للامير السيد حسن بن ابراهيم بن معصوم الحسيني ، القزويني•

٦٩ ـ منظومة العقائد ، في اصول العقائد الخمسة ، بالعربية •

٧٠ ـ نزهة البصر في فهرس نسمة السحر •

٧١ ـ نقباء البشر في القرن الرابع عشر •

٧٢ ـ النقد اللطيف في نفي التحريف عن القرآن الشريف •

٧٣ ـ نوابغ الاعلام والرواة في رابعة المآت •

٧٤ ـ هدية الرازي الى المجدد الشيرازي•

٧٥ ـ واقعة الطف الخالدة ، كلمة مختصرة•

٧٦ ـ الياقوت المزدهر في تلخيص رياض الفكر •

خزانتـــه

تعد خزانة الشيخ اغا بزرك في النجف من اجل الخزائن الاسلاميـــة في هذا العصر • وفيها من الذخائر في التاريخ، والتراجم، والحديث، والفهارس ما لا يحصى • وقد وقفها في يوم الجمعة ، ٢٥ ذي الحجة ، سنـــة ١٣٧٥هـ• وأشهد السيد عبد الله الشيرازي ، والسيد ابراهيم الحسيني الشيـــرازي الاصطهباناتي الشهير بميرزا اقا ، والشيخ محمد رضا الطبسي ، والشيـــخ حسين مشكور • وهذا نص وقفيتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي : الحمد لله الواقف على خطرات الضمائر ، والمطلع على خفايا السرائر ، والعالم بما زبر في كافة الدفاتر • والصلاة والسلام على من اوحي اليه كتاب الاسلام ، الناسخ لما انزل قبله على الانام • وعلى اوصيائه المعصومين عن جميع الآثام ، حفظة شرعه وكتابه الى يوم القيام •

وبعد فلما وافاني التحريض من اولادي الكرام ، وبلغني التأكيد عنهـم، بابقاء كتبي في مقبرتي في النجف الاشرف ، لانتفاع عموم الفضلاء والاعلام، ودعاني ترغيب الشرع الشريف الى تقديم الصدقة الجارية النافعة لاهـــل الاسلام ، اغتنمت الفرصة ، واستخرت الله ــ جلّ جلاله ــ واجريت صيغة الوقف لكافة ما تحويها مكتبتي في النجف ، المؤسسة بعد نزولي اليهـــا من سامراء ، سنة ١٣٥٤ ــ ما عدا المطبوعات من الذريعة ، وطبقات الاعلام • فانها تباع ، وتصرف قيمتها في طبع بقية اجزائهما ، وما عدا ما كتبته بقلمـــي من تصانيفي او غيرها ، مما سبق مني وقفها خاصة لخصوص اهل الفضل من أولادي الذكور ، لانتفاعهم عنها ، واقدامهم على طبعها ــ وجعلت توليـــة هذه الكتب ونظارتها لصهري الحاج الشيخ حسين ، والسيد مهدي المدرسي، واولادي الذكور القاطنين في طهران ، وأولادهم • وهم الذين يقيمون بادارة المقبرة التي هي محل تلك الكتب ، ويبذلون مصارفها •

ولو فرض ـ والعياذ بالله ـ انقراض هؤلاء ، أو عدم قيام أحد منهم ببذل مصارف المكتبة ، فلتنقل الكتب الى مكتبة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ التي أسسها الشيخ العلامة الاميني قبل سنتين ورغبتي الى ذلك من يوم تأسيسها .

وعلى أي ، فهذه الكتب موقوفة ما بقيت أعيانها ـ الى ان يظهر الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه ـ ويعمل فيها بما أراده الله تعالى .

ومن بدله ـ بعدما سمعه ـ فاثمه عليه . وكان وقوع صيغة الوقف، وقبض المتولي ، في يوم الجمعة ، الخامس والعشرين ، من شهر ذي حجة الحرام ، من سنة خمس وسبعين وثلثمائة والف ١٣٧٥ وذلك بعد مضي شهر تام من يوم دحو الارض ، من تلك السنة . وبعد مضي ثلاثة اشهر وثلاثة أيام من انشاء وصيتي الرسمية ، المؤرخة يوم الخميس ، الحادي والعشرين من شهر الصيام ، من السنة المذكورة .

وقد حررت ذلك بيدي المرتعشة ، في داري ، في النجف ، وانا

حسين علي محفوظ

عبد الحميد بن باديس

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

عاد ارم ــ جيران الحجر ــ موقف المؤرخين والرحالين ــ قصة الناقة ــ نهاية ثمود هي عاد ارم ، المرتفعة في مجدها وشدة بأسها ، وقوة اجسامها ووفرة مواليدها وقلة وفياتها .

هاجرت من حضرموت ، بعد أن اذنت شمس حضارتها بالافول ، فحلت وادي القرى ، المعروف للآن بتربته الخصبة ، وآباره المترعة ، وأمطاره الغزيرة وواحاته المخضوضرة ، وامتدت للحجر . أنزلها الله أرضا ، صالحة للحياة والانتاج ، والتقدم والعمران والتجارة والصناعة ، فاستأنفت السير في خط حضارة سلفها ، وورثتهم بناء ، وقوة سياسية وحربية ، وهندسة ونجارة ونحتا ، وتمتعت بالامن والرغد والهدوء والاطمئنان ، فانعدم المحرومون والحاقدون وقطاع الطريق .

فاقت عادا الاولى ، فلم تنحت من الجبال بيوتا ، بل نحتت الجبال نفسها بيوتا !! اذ معلوم الفرق بين من نحت من الجبل ، اي احال بعضه منزلا ، ومن نحت الجبل ، اي اتخذه نفسه منزلا ، كما نرى الامم المعاصرة ، التي تحيل قلب الجبل مدينة ، وتستخدم منه انفاقا توصلها مكانا آخر ، تدفع خطر ما قد تلاقيه من قطع المواصلات !!!

معلوم ان كلمة نحت تساوي : نجر ، بري ، جلي ، صقل ... وهذا يستلزم اوائل وادوات كثيرة ، ويقتضي معرفة الهندسة والحساب .

وهذا ما ساعد عادا الثانية ، على أن تقيم في السهول بيوتا ، حرصا على قطف الزرع والثمار ، وتقيم في الجبال بيوتا ، بل وتنحتها بيوتا ، وتعرضها

متمتعة بحدائق ومنازل ، تحف بها الاشجار ، ذات الثمر الهضيم ، الليـــن اللطيف •

اما قوة جيشها فقد حملت قادته على التحدي ، اذ لم يكن في ما يعرفون من اجزاء الارض ، جيش يوازيه ، قوة ومنعة وتنظيما واقداما •

وكأن القرآن اقر تحديهم فلم يقل : ألم يروا ان جيش دولة كـذا ، أشد منهم قوة بل قال : (ألم يروا ان الله الذي خلقهم أشد منهم قوة)•

جيران الحجر

أما جيران الحجر ، وفي مقدمتهم الانباط ، فيكادون يشكلون معهـــا حضارة واحدة ، اذ عرضهم القرآن يقومون بالرحلات حرصا على الـوعي ، ويتفوقون بالتجارة ، كما نرى في آثار امتدادهم للعقبة ، وارتباطاتها التجارية مثل تبوك ومعان ودومة الجندل ومدن الانباط ، وتيماء وميناء حقل (ميناء تبوك على البحر الاحمر) اذ رأينا لهؤلاء لاسيما ايام ملكهم عبادة الاول ، والحارث الثالث ، دورا تجاريا فخما قبل خمسة وعشرين قرنا •

لقد ساهموا في عمران جرش ، بل وتجاوزوها لبصرى وحوران الغربية، وعرفوا بها بعض المياه المعدنية واستخدموها للاستشفاء ، كما نرى في ترجمة النبي العربي أيوب •

تحدثت الايات الكريمة عن امتداد حضارة الحجر ، واعلنت انها كانـت أشد من عرب القرن الهجري الاول قوة ، واشارت لزراعة وتشجير العقبـة بكلمة (واصحاب الايكة) •

والايكة أشجار التف بعضها على بعض ، فغطت الارض بالغابات ، وقد اشتهرت منطقة العقبة بهذا ولا تزال كلمة الايكة مطلقة على واد يـسـدعونه مغائر شعيب •

الحجر حلقة اتصال بين الاحقاف والشام اذ ترى وجه الشبـــه ، بـين آثارها واثار النبطيين ، في مدينة بتراء وخربة التنور والتل العالي ، كما نرى الالتقاء في اتقان النقوش والحفر والنحت والبناء ذي الطوابق ، بل تـرى خطوة الغراب (شعار النبطيين) منقوشا على بعض آثار ثمود ، وهذا مـــا يؤكد صحة الروايات التي ترينا الحجر (مدائن صالح) دخلت يومـا دائرة النفوذ النبطي .

موقف المؤرخين والرحالين

لعل المؤرخ الاصطخري ، أول رائد مسلم ، زار الحجر منذ ألف عـام، ورأى بيوته المنحوتة على سلسلة جبال ليست متصلة ، وصفها بقوله (لا يكاد يصعدها أحد الا بمشقة).

القرآن نفسه دعا تلك البيوت قصورا وعرضها عبرة وآية ، ولم يرها الاصطخري او سواه من الرحالين والرواد والمؤرخين مقابر ، ورغم هذا زعمها بعض المستشرقين مقابر !!!

قالوا هذا ـ كعادتهم ـ ! فرددناه كعادتنا ! بل نقروا فرقصنا ، وأنى لبعض حملة أقلامنا أن يجربوا طعم الاستقلال ، ولو بالترديد والرقـص ، ويلتمسوا ـ ولو مرة في العمر ـ هداية القرآن !

لقد فاتهم ، ان ثمودا اقامت على تلك السلسلة دولتها المثالية ، وتركـت اخبارها بالخط الثمودي (حروفه مقطعة دون نقط) وان الذين يقيمون قصورا في السهول والشعاف لا يحتاجون كهوفا يقيهم الحر والقر !

قصة الناقة

اما هذه ، فلا أراها تعدوا التجربة ، في سماع توجيه الرسول صالـح او التمرد ، اذ السلبيون تجاه ارواء الناقة ، أشد تماديا في السلبية تجاه مـا جاء به !!!

هذه تشبه قصة القائد الذي مر بنهر فأمر جنوده بعدم الاستقاء ، لان الذين يتمردون حتى في الشرب وعدمه ، أشد تمردا حين يؤمرون بخوض المركـــة .

نهـــاية ثمود

اعترى حضارتهم ما يعتري الحضارات ، من التطرف والاعراض والتنازع الداخلي ، فأخذت الايات الكريمة ، تحذر من مثل قصورهم ، وتهدد بمثـــل مصيرهم ، وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، هذا المقصـــد، منذ مر بالحجر في طريقه من المدينة لتبوك عام ٩ هـ قائلا لاصحابه ، (لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما اصابهم) بل وامر بعدم الاستقاء من مائها .

حجر الآن

حاضرة منطقتها الان ، محافظة العلا ، ولم تحتفظ من تلك الحضارة الا بقايا شجيرات من النخل يتخللها خيام قبيلتي حرب وولد علي، او منازلهمـــا التي تشبه الخيام !!

هكذا انتهت ثمود كحضارة ، وان بالغ بعضهم ورآها انتهت كقبيلـــة، لم ينج منها الا شخص يدعى ابا رغال وهو في ما قيل جد الثقفيين !!!

من حضارة قدماء العرب

معادن ــ مصانع ــ انظمة ري ــ تجارة .

معـــــادن

الآيات الكريمة ، عرضه الاحقاف والحجر ، متمتعين بمنازل فخمـــــة، يتخلل الماء طباقها ، ويزينها النقوش المتقنة .

تحدثت عن ديار برز عمرانها ، وارتفع شأن زراعتها ، وطرقها المعبـــدة الآمنة .

ضبطت مسافاتها بالاميال ، وتقاربت مواقعها ، فلا يكاد المسافر يفارق مدينة او محطة أعدت لرفاه المسافرين ، مجهزة باسباب الهدوء والراحة ، حتى يستقبل عامرا (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين). يجتاز مدنا ظاهرة ، عالية، ذات سلطان ورفعة واستعداد وغابات كثيفة وواحات نضرة ، وأعداد من السكان متكاثرة .

تفوقت بارتفاع مستوى المعيشة ، وصعدت سلم نظافة ، فارتفع شأنها الصحي ، وفازت بكثرة النسل وقلة الوفيات ، ونجت من الاوباء ، التي تفضي على الامم ، المحرومة من حصانة الوقاية ، بل وفازت باطالة الاعمار (وزادكم بسطة في الخلق) اذ كانوا ــ كما قال صاحب المصحف الميسر : (أطول الناس اعمارا وأقوى أبدانا) .

صعدت سلم فنون ، ولا تزال بصماتها تعلو صور حيوانات ، أليفة ومفترسة ، بعضها منقرض !!! ولعلها اقدم ــ أو من أقدم ــ ما عرف المنقبون، من آثار قدماء العرب وسواهم .

اما المعادن ، فقد عرض القران العربي ، بعرف المناجم ، ويتقن استخراج الحديد ، قبل خمسة واربعين قرنا ، كما نرى في قوله تعالى قاصدا نوحا: (وحملناه على ذات ألواح ودسر) أي عرض عرب العراق يقطعون اخشابا، ويقيمون سفنا مصنوعة باوائل الحديد ، كالقدوم والمنشار، مشدودة بالمسامير، كأن العراق من حينذاك ، يؤسس ما ندعوه الان احواض السفن ، ويتقن الهندسة وزرع وتصنيع القطن والكتان والنسيج ، لاحالتها حبالا وشراعا، ويتقن النجارة وصنع القؤوس كما نرى في الآيات التي حدثتنا عن ابراهيم .

وسواء أكان ذو القرنين يمانيا كما يجنح لهذا كثيرون ، من اصحاب المراجع المحترمة ــ أو ليس يمانيا ، فهو على كل حال ، من هذا البلد الذي كان منذ قرون تستعصي على التحديد ، يعرف مناجم الحديد والنحاس والرصاص ، ويستطيع استخراجها وصهرها ، ويعرف النقد ــ الفضة والذهب ــ ويتمتع بملوك أقوياء ، ماديا ، ويكادون يتقمصون الملائكة زهدا

وعفة وبعدا عن الطمع . ولئن فرحنا حين رأينا قومنا في العراق يصنعون السفن وما يستلزمها من اوائل النجارة والهندسة منذ عهد نوح ـ وهو على كل حال في متناول المؤرخين ـ فقد تضاعف فرحنا ، حين رأيناهم يقودون جيشا يخترق جدار الشرق الاقصى ، وينقذ بعض سكانه من بعض ، باقامة سد محكم بقطع من الحديد والنحاس والرصاص ، ويحجم عن عبادة الذهب، ويؤمن بالله ايمانا سليما .

تعليق على المعادن

تظافرت يد الاثار وتحقيقات المؤرخين ، على رؤية الجزيرة سياقة مجلية، بل تحدت عصور الانحطاط ، ولا تزال تستخرج المعادن بالطرق البدائية !!!

بغض النظر عن حضارة الجاهلية الاولى ، (ومعرفة المعادن كركن أساسي في الحضارة) وغض النظر عن الادوار التي رأيناها بين الجاهلية الاولى وعهود رسالتي هود وصالح ، نجزم أن معرفة استخراج المعادن لم تندثر باندثار حضارة العاديين والثموديين والنبطيين والمدياتيين ، بل استمرت وتوورثت فأخذنا حتى قبيل الاسلام نرى مناجم غطفان وذبيان وكعب وسليم، بل ونرى في العهد النبوي ما يشبه وزارة المعادن . وما زلنا نرى يد اخراج المعادن ممدودة حتى القرن الرابع الهجري.

المعادن قبيل الاسلام وبعده

نشاط قدماء العرب ـ سيدنا محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم ، منح المراسيم للراغبين بالتنقيب عن المعادن .

نشاط قدماء العرب

لعل عرب عسير وعمان ، أسبق الامم بمعرفة استخراج المعادن ، اذ استخرجوا النحاس ثم تلاهم عرب سيناء ، فاستخرجوا الذهب والفيروز منذ أربعين قرنا .

اما اليمن ، فقد ضربت أسماء تابعتها ـ أباطرتها ـ ملوكها ، على

دنانيرها الذهبية ، التي لا تزال محفوظة .

اتفق علماء التاريخ ، وعضدتهم الاثار الناطقة ، المكتشفة حديثا ، بان العرب ، ان لم يكونوا اسبق الامم ، باستخراج المعادن ، فهم من السابقين ، كما صرح بهذا شيخا مؤرخي اليونان : (سترابون وديودور).

ثم جاء الاسلام ، فوجد كثيرا من القبائل تنقب الارض التي ظنت بها المعادن ، كمناجم بحران وفاران وتبوك ومهد الذهب ... بالحجاز ، ومناجم اليمامة والحفير والظبيب والعوسجة وتربة والهجير والقصاص ... بنجد ومناجم شويلة وخولان وسبأ وفروة ... باليمن ، بل رأينا من لا أرض لهم، يحاولون العثور على ذرات الذهب في مجاري الانهر وبطون الاودية .



بارك الاسلام هذا النشاط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في معرض الثناء على بني عقيل ، وقد ذكر امامه معدنهم المعروف بمعدن (جعاد) ، بأرض بني عقيل يمطر الذهب .

سيدنا محمد منح المراسيم للراغبين بالتنقيب عن المعادن

اما القبائل التي لا مناجم لها ، فقد منحها رسول الله حق التنقيب ، فاذا عثرت اعترف لها بحق الاستثمار ، وأعطاها اذنا مخطوطا ، كما نرى في اذن بلال بن الحارث المزني المحفوظ بهذا النص : (هذا ما اعطى محمد رسول الله بلالا بن الحارث المزني ، أعطاه معادن القبلية) .

بهذا ضبطت المساحات ، وساد النظام ، وعمت الطمأنينة . واني لارى ثروات الجاهليين ، كعبد الله بن جدعان المعروف بـ (حاسي الذهب) وثروات الصحابة كعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وطلحة والزبير ... التي لا يحطم سبائكها الا الفؤوس ، أراها ليست ثمار تجارة فحسب ، بل ثمار معادن .

مر عصر النبوة ، والخلافة الراشدة ، والناس آمنون على مناجمهم ،

وكثيرا ما تعاملوا بقطع غير مضروبة ، فتضاعف التنقيب والاستثمار ، لاسيما بعد أن اسست دمشق عام ١٢٨هـ ما نعرفه اليوم بوزارة المعادن •

ثم خبت جذوة النشاط تدريجيا ، فأفلت شمس التنقيب ، لاسيما بعد صولة القرامطة على مكة عام ٣١٧، وصولة صاحب الزنج على البصـرة ، وأقبلت عصور الغفوة واصبح أمر المعادن حديثا يتعاوره المؤرخون •

ثم ما زلنا نجهل ونهزل ، حتى جهلنا اخبار هذه المعادن التي تحتـفظ بها المراجع ، وبتوجيه الطامعين الكامنين ، خلنا ديارنا لا تصلح الا للحياة البدائية ، بل تضاعف هزالنا ، ومرضت انوفنا وما زلنا غافلين مرضى الانوف، حتى استنشق العلماء الالمان ١٩٠٢ رائحة معادن وسوائل الحجاز ، فاغتنـم المتنافسون سواد غفوتنا ، وجاسوا خلال ديارنا وعاثوا بخبايانا !!!

المصـانع

ذكرت الآيات الكريمة كلمة مصانع ، بسياق الحديث عن حضارة قدماء العرب ، اشارة الى انها من مستلزمات الحضارة ، لكن بعض المفسرين،الذين كتبوا في عصور الانحطاط والفتور ، صرفوا كلمة مصانع عن معناها الظاهر، الذي تفرضه القرينة الملموسة ، وفسروها بكلمة (قصور وبيوت) ، ولـو عاشوا لهذا الزمن ، وشاهدوا ما تمخضت عنه آثار عاد وسبأ وثمود وعسير، لادخلوا تعديلا على ما كتبوا •

تنكروا لكلمة مصانع ، ناسين انهم يعرضون تفسير (وتنحتون مـن الجبال بيوتا) والنحت يستلزم اوائل ومعادن ، والنعمة تستلزم زراعـة واشجارا ومياها وأمنا وعدلا واطمئنانا ، بل نسوا انهم يفسرون آيات تعرض حضارة (لم يخلق مثلها في البلاد) ،على الاقل (البلاد التي عاصرت قيامها)•

وصرفوا كلمة (السائحين والسائحات) عن الرحالين ورواد الاكتشافات وفسروها بـ (الصائمين والصائمات)، ناسين ان السياحة للاطلاع والابداع والنفع العام ومساعدة عقل الانسانية الكلي ، معطوف على العابدين الحامدين

الراكعين الساجدين . وفاتهم قاعدة (اذا تعذرت الحقيقة يصار الى المجاز) وحمل كلمة (السائحين والسائحات) على الحقيقة ليس متعذرا .

أعلنت الآيات بمناسبات كثيرة ، ان العرب الاقدمين كانوا على سعـــة وبسطة ، وقوة وبناء واسلوب حياة راق ، تلمسه من كنوزهم المدفونـــة وحضاراتهم السباقة .

نلمسه من مصانع ثمود التي لا تزال آثارها قائمة في مدائن صالح ، بل كانت المصانع تغمر المدن الكبرى كمكة والمدينة ، اذ بهما من الآثار ما يحملنا على الجزم بوجود مصانع الزجاج والفخار والملاعق والسكاكين ، وتغمر حتى المدن المتواضعة كما نرى قرية السودا ــ احدى قرى عسير ، تصنع الادوات الزراعية والمنزلية .

ولا عجب فالمصانع العربية قديمة جدا ، وقد اشار لها ابن خلدون مرارا لاسيما حين حدثنا عن انتقال الخط الذي وصفه (ببالغ الجودة) من اليمـــن لسواها .

الســـــدود

موضوع المياه ، يدفعنا للتحقق من تفوق العرب بالقدرة على اقامـــة القنوات التي توصل المياه للبيوت والقصور والبساتين . تفوقوا بهذا ، ولا يزال نظام تقسيم المياه الموروث عنهم موضع استغراب الوافدين لمشاهدة آثارهم في الاندلس .

ولا ريب أن العناية بهندسة الماء ، اثمرت سدود الجزيرة ، وما اكثرها وأخلدها واحكمها .

الآبـــــار

مياه شبه الجزيرة الجوفية ، للان لا تكاد تتجاوز ثلاثة عشر متـــرا في كثير من المواقع التي خبرتها بنفسي . وهذا ما يدفعني للتحقق بان نظـــام

الابار كان يغطيها ، ولعل من بقاياها واخلدها بئر تيماء (هداج)، اصلحته دولة المملكة العربية السعودية حديثا ، وامدته بمضخات ضاعفت ثراء تيماء وعمرانها . بل عثرت الحفريات حديثا بتيماء ، على آبار كثيرة، لا يكاد يفرج عنها حتى يتدفق ماؤها ويستعصي على النضوب رغم المضخات الضخمة المعدة للارواء الزراعي .

الانهـــار

اما الانهار التي حدثنا عنها هيرودتس قبل ٢٥ قرنا ، فبعضها ينساب مئات الاميال ليصب في البحر الاحمر او الخليج ، وبعضها جف ولا يزال يحمل اسم نهر كذا او وادي كذا ، كما نرى في وادي السرحان وهو الان اسم دون مسمى .

بيروت محمد علي الزعبي

ملاحظات هامة

● كل ما ينشر في « العرفان » من ابحاث ومقالات واشعار وقصص وغيرها يعبر عن آراء الكتاب انفسهم ولا يقتصر على ما يؤيد راي المجلة او يعبر عن اتجاهها .

● كما ان مواد العدد يتم تنسيقها وترتيبها وفقا لمقتضيات فنية لا تتعلق بمكانة الكاتب او اهمية الموضوع .

● ترجو المجلة من الكتاب كتابة موضوعاتهم على ورق ابيض وبالحبر وبخط واضح وعلى وجه واحد فقط ، و « العرفان » لا تنشر كل ما يردها في العدد التالي لتاريخ الارسال مباشرة اذ ان مادة كل عدد تطبع مسبقا ولا يستثنى من ذلك الا الاخبار ، كما ان المواد الواردة لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .

الأدب ووحدة الثقافة العربية

بقلم: الدكتور عبدالله عبد الدائم

- ١ -

لعل الادب ــ من بين مظاهر الحضارة الاخرى ــ أحفلها تعبيرا عن شخصية الامة وهويتها القومية ، لا بوصفه مرآة لتلك الشخصية حسب ، ولكن بوصفه اعمى اداة لخلقها وتجديدها ايضا • ان سائر قسمات الحضارة، من علم واقتصاد وعمران وسواها ، نتاج لابداع الامة وعبقريتها وقدرتها على تسخير الطبيعة للانسان اما الادب ــ ومعه الفن والفلسفة ــ فهو الذي يكشف عن الملامح الذاتية الخاصة للامة حاملا منه نظرتها الى الكون والوجود وتصورها لدور الانسان فيهما انه وعي الامة لحقيقتها ورسالتها ، وانه الدور المشع عبر العصور يختزن معه كل يوم رؤاها العميقة وصبواتها المتشوقة المتجددة وطموحها الخلاق الى ابداء مصيرها ومصير الانسان عامة •

وهو اذ يفعل ذلك ، يندس في اعماق الشعور ، بل في اقاصي اللاشعور، ويحضر بجرأة في النفوس عارما قويا باقيا لا تزعزعه الغواشي ولا تنال منه الاحداث • اصالة الامة تأوية اولا في ادبها ، لانه تعبير عما تتفرد به، ولان اداته اللغة القومية التي تحمل معها دوما فلسفة الامة وتجربتها ، ولان ميدانه الجماهير الواسعة العريقة ، يغنيها ويغتذي بها ، ويرفدها وترفده ويحيا بها ومنها والادب العربي من اكثر الآداب العالمية التصاقا بهوية الامة واصالتها ورسالتها لا لانه ادب غني حسب، بل لانه كان وما يزال ابرز ما اختصت به الامة العربية منذ بداية تاريخها حتى اليوم •

وليس من قبيل الطرفة ان نروي ما أثر عن ابن المقفع في هذا الشأن : جاء في الامتاع والمؤانسة ، لابي حيان التوحيدي ما يأتي :

« قال شبيب بن شبة : انا لوقوف في عرصة المربد،وهو موقف الاشراف ومجتمع الناس وقد حضر اعيان المصر ــ اذ طلع ابن المقفع فما فينا أحد الا هش له وارتاح الى مساءلته . ثم أقبل علينا فقال : أي الامم أعقل ؟ فظننا انه يريد الفرس . فقلنا : فارس أعقل الامم ، نقصد مقاربته وتتوخى مصانعته . فقال كلا ، ليس ذلك لها ولا فيها ، هم قوم علموا فتعلموا ومثل لهم فامتثلوا واقتدوا ، وبدئوا بامر فصاروا الى اتباعه ، وليس لهم استنباط ولا استخراج . فقلنا له : الروم . فقال ليس ذلك عندها ، بل لهم ابدان وثيقة ، وهم اصحاب بناء وهندسة لا يعرفون سواهما ولا يحسنون غيرهما. قلنا : الصين . قال : اصحاب اثاث وصنعة ، لا فكر لها ولا روية . قلنا : فالترك . قال : سباع للهراش . قلنا : فالهند . قال: اصحاب وهم ومخرقة وشعبذة وحيلة . قلنا : فالزنج . قال : بهائم هاملة . فرددنا الامر اليه . قال : العرب . فتلاحظنا وهمس بعضنا الى بعض . فغاظه ذلك منا وامتقع لونه ثم قال : كأنكم تظنون في مقاربتكم ، فو الله لوددت ان الامور ليس لكم ولا فيكم ، ولكن كرهت ان فاتني الامر ان يفوتني الصواب الى ان يقول: « ان العرب ليس لها اول تؤمه ولا كتاب يدلها . أهل بلد ، قفر ووحشة من الانس ، احتاج كل واحد منهم في وحدته الى فكرة ونظرة وعقله ...»

وبعد ان يبين كيف قادهم ذلك الى تنظيم امور معاشهم وحياتهم وابتكار ادابهم وعلومهم ، ينتهي الى القول : « وجعلوا بينهم (يعني العرب) شيئا ينتهون به عن المنكر ويرغبهم في الجميل ويتجنون به على الدناءة ويحضهم على المكارم . حتى ان الرجل منهم وهو في فج من الارض يصف المكارم فما يبقى من نقلها شيئا ، ويسرف في ذم المساوىء فلا يقصر . ليس لهم كلام الا وهم يحاضون به على اصطناع المعروف ثم حفظ الجار وبذل المال وابتناء المحامد . كل واحد منهم يصيب ذلك بعقله . ويستخرجه بفطنة وفكرته ، فلا يتعلمون ولا يتأدبون ، بل نحائز مؤدبة وعقول عارفة فلذلك قلت لكم :

انهم اعقل الامم لصحة الفطرة واعتدال البنية وصواب الفكر وذكاء الفهم .

ليس قصدنا من رواية هذا الحديث ان تفاضل بين العرب وسواهم وان لهم السبق والفضل على من عداهم ، فنحن ننكر مثل هذا المذهب في مديح أمة وتجريح سواها . غير اننا نؤمن ـ وتؤمن معنا الدراسات الحديثة، ان ثمة خصائص تميز أمة من امة كالخصائص التي تميز طباع الافراد بعضها من بعض وليس في ذلك حكم قيمة لخاصة على اخرى وبالتالي لامة على أخرى بل تقرير ووصف لحقيقة . ومثل هذا المعنى هو الذي ينتهي اليه صاحب « الامتاع والمؤانسة » يقول معقبا على كلام ابن المقفع :

« فلكل أمة فضائل ورذائل ، ولكل قوم محاسن ومساوىء ، ولكل طائفة من الناس في صناعتها وحلها وعقدها كمال وتقصير . وهذا يقضي بان الخيرات والفضائل والشرور والنقائض مفاضة على جميع الخلق ، بين كلهم . فللفرس السياسة والاداب والحدود والرسوم ، وللروم العلم ، وللهند الفكر والروية والسحر والاناة ، وللترك الشجاعة والاقدام ، وللزنج الصبر والكد والفرح ، وللعرب النجدة والقرى والوفاء والبلاء والجود الذمام والخطابة والبيان » .

على اننا حين نذكر ان الادب هو السمة الغالبة التي امتازت بها الامة العربية لا نعني بذلك ان نعاون خطأ شائعا ، وهو ان المنازع العلميةالتجريبية بعيدة عن عطاء العرب وحضارتهم . فنحن نؤمن ان اهم ما تتصف به الحضارة العربية انها استطاعت ـ ولا سيما في أوج ازدهارها . ان تجمع جمعا وثيقا بين المنازع الادبية والفكرية وبين المنازع العلمية التجريبية ، في حين اقتصرت الحضارة اليونانية كما يقول راندال في كتابه عن « تكوين العقل الحديث» على النتاج الفكري والفلسفي ودار فيها العقل حول ذاته بدلا من ان يدور حول الاشياء . وحسبنا دليلا على ذلك ، بيت الحكمة ، في بغداد وعطاؤه العلمي وابحاثه التجريبية ، الى جانب العطاء الادبي والفكري الذي نعرف . وهذا المنزع العلمي التجريبي لدى العرب ـ الذي ولد الحضارة الحديثة في

الغرب ـ هو الذي يحلو لكاتب مثل (فانتيجو) ان يدعوه باسم المعجزة العربية .

وبعد ، هذا حديث ذو شجون قد يذهب بنا بعيدا وقد ينأى بنا عن مقاصد بحثنا . ولعل خير ما تفعل للتدليل على صحة ما قدمناه من قول حول التحام العميق بين الادب وحياة العرب ونظرتهم الى العالم ان نتقرى بعض صفحات الادب العربي في ماضيه وحاضره وان نرى خاصة كيف عبر هذا الادب عن ثقافة موحدة وكيف كان في الوقت نفسه اداة لتوحيد الثقافة .

وهنا نود رغبة منا في جمع شتات مثل هذا البحث الواسع الشائك ـ ان نتحدث عن هذه الصلة بين الادب ووحدة الثقافة العربية خلال فترتين من فترات حياة الامة العربية فنتحدث اولا عن دور الادب في وحدة الثقافة العربية ، بل وفي سلامة الامة العربية وحفظها ، بعد تداعي الدولة العربية الاسلامية على يد الاعاجم حتى بواكير الغزو الاستعماري الغربي . وتتحدث بعد ذلك عن دور الادب في وحدة الثقافة العربية في العصور الحديثة منذ بواكير النهضة العربية في مطلع القرن التاسع عشر حتى اليوم ثم نخلص من هذا الى ايضاح مفهومنا للدور الذي ينبغي ان يلعبه الادب في المستقبل من اجل توطيد وحدة الثقافة العربية وتعميق مجراها واغناء عطائها .

ونحن في هذا لا بد ان نقتصر على عرض خاطف سريع ، فشعاب البحث كثير هيهات ان تفي بها أسفار برأسها .

اما دور الادب في وحدة الثقافة العربية في عصر تكونها في الجاهلية والاسلام وفي عصور ازدهارها ايام بني امية والعباس فندعه جانبا لاتساع أبعاده ونطاقه ولان شأنه بين لا يحتاج الى فضل من ايضاح .

اولا ـ الادب ووحدة الثقافة العربية ايام انحطاط الدولة العربية :

لا بد من التنبيه اولا ان عصر الانحطاط هذا متصل بما قبله موصول بما بعده ، وان فصلنا له هو من باب تيسير الدراسة والبحث . كذلك لا بد

من التنبيه ان ما يدعى باسم عصر الانحطاط عرف في الحقيقة ومضات مشرقة ، وعرف يقظات سياسية نامية هنا وهناك في ارجاء الوطن العربي ، وحمل في اعماقه بذور النهضة التي تلته . ولم يكن عصر الانحطاط سباتا وركودا كله ، بل كان اقرب ما يكون الى عصر انتظار وترقب وتحفز وتنضج فيه التجربة العربية من خلال الالم ومرارة الهزيمة العسكرية ، وتقيم في الاعماق قواها المتطلعة الى الانبعاث .

وههنا ايضا نكتفي بالقليل ، محاولين الاقتصار على جوهر الامر ، وجوهر الامر عندنا ان الامة العربية حين غلبت على يد اخلاط المغول والترك والتتر ، ولا سيما بعد سقوط بغداد . هزمت عسكريا ولم تهزم ثقافيا . ولقد كان ارتيادها المستمر لمعين ادبها وما يحمله من تعبير عن هويتها القومية وعن قيمها التي تدين بها ، اهم عامل في الابقاء على وجودها وفي مقارعتها للدخلاء ومناهضتها للغزاة . لقد ظلت المعاني التي حملها الادب العربي في العصور الخالية شائعة لدى ابناء الامة في جميع اقطارهم في فترة التقهقر هذه، يغتذون بها ويستمدون منها شعورا بالاصالة وبوحدة الارتباط ووحدة المصير، ويستاهون من خلالها العزم على الانبعاث والنهضة واهم ما في الامر ان تلك المعاني الادبية لم تكن شائعة لدى الصفوة من المتعلمين وحدهم ، بل كانت خطاً مشتركا بين أبناء البلاد العربية، على اختلاف حظوظهم من الثقافة. كانت تلك الآداب تنقل من الآباء الى الابناء ، ويتناقلها جيل عن جيل . وتبث في معاهد التعليم على اختلاف مستوياتها ، كتاتيب او مدارس وتشيع في دور العلم غير النظامية ، كمجالس العلماء ودور الوراقين والمساجد والزوايا والربط وسواها . كانت الاجيال تأخذها كابرا عن كابر ، في كل دنيا العرب، شامخة حاملة لتراث واحد وقيم واحدة ومنازع واحدة ، مكونة مواقف وانماطا من السلوك واحدة ، اي ثقافة واحدة .

الاشعار التي تروى والامثال التي تتداول والحكم التي تتبادلها الالسن والاقوال المأثورة التي تسير بها الركبان ، كانت كلها ثروة من الفكر الموحد

والقيم الواحدة تشد ابناء الامة العربية بعضهم الى بعض وتلف الاقطار العربية كلها باطار من الشعور بالانتساب الى الاصل الواحد والانتماء الى المحتد الاصيل •

لقد كانت لقاء عبر الحدود والسدود ، ومن وراء الضغط والاكراه تجمع الامة العربية على كلمة واحدة وتزودها بما يشد من عزيمتها ويلهب آمالها ويذكي نضالها •

وهل نحتاج الى الشواهد وهي اكثر من الكثير ؟

مآثر الجاهلية الذائعة في حكم زهير وأوابد امرىءالقيس وعنترة والنابغة والاعشى واقوال الاعراب المنثورة وامثالهم وسوى ذلك كثير تطل عبرالقرون تنبت في ذاكرة الاجيال نحتاج منها الكثير من حكم اخلاق العرب الاصيلة من كرم ونجدة وشجاعة ووفاء بالعهد ورعاية للجار ونصرة للمظلوم •

وأدب الدعوة الاسلامية ينقل الى الاجيال صفحات من روح الاسلام وجهاده في سبيل نشر القيم العربية الانسانية الخالدة • والاقوال المأثورة عن الصحابة والخلفاء الراشدين وسواهم من ابناء الوثبة الاسلامية العربية تطبع في النفوس معاني الرسالة التي أوكلها الاسلام للعرب ، والاخلاق العربية التي بعث الرسول ليتمها ، وتعمل على خلق بنيان نفسي موحد وتربية فكرية متكاملة •

والاحاديث الشريفة تعلم الجهاد والنضال ومكارم الاخلاق وترسم سبل السلوك والعمل ، وتذيع بين افراد الامة تبني شخصيتها المتماسكة وسلوكها الموحد • والقرآن الكريم ـ كتاب العربية الاكبر ـ يأسر باعجازه وجلاله وبلاغته ولسانه العربي المبين نفوس العرب ، ويجمعهم على كلمة واحدة وقيم واحدة ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويحيل وجودهم وجودا انسانيا شاملا ، ويجعل منهم امناء على نظرة واحدة ، حملة لمنطلقات واحدة روادا لبناء

عالم انساني جديد ، ويحفظ فوق هذا وقبل هذا لغتهم القومية ويغنيها ويتخذ منها الاداة الاولى لوحدتهم الحافظة لكيانهم الحاملة لرسالتهم .

والتراث الادبي في العصر الاموي ـ شعره نثره ـ يذكي روح العروبة ويجند العصبية العربية في بناء الدولة الجديدة ويسجل خطوات العرب في انطلاقهم نحو الفتح المادي والمعنوي ونحو العمران الحضاري .

وأدب العصر العباسي وما بعده ـ ايام ازدهار الدولة العربية الاسلامية ـ يسجل نضال الامة العربية في سبيل الابقاء على هويتها امام هجمات الشعوب الاخرى ، ويعطي الصورة السليمة لمزج الثقافة العربية بالثقافات الاعجمية، ويرد دعاوى الشعوبية ويبرز من جديد شأن العرب ودورهم وقيمهم واخلاقهم . وهيهات ان نوفي هذا التراث الادبي الموحد بعض حقه في مثل هذا المقام ووراء ما ذكرنا اجواء وآفاق فسيحة من الادب العربي الذي ذاع وشاع بين الجماهير في شتى الاقطار العربية وأشاع معه مواقف ونظرات ومثلا قوية الوشائج ، مفصحة عن اصالة الامة العربية وخصائصها ، باعثة على امتطاء طريق واحدة للعمل والبلاد .

واذا كانت الثقافة تعني في نهاية الامر ـ كما تبين ـ الدراسات الانتربولوجية والاجتماعية الحديثة ـ أنماط السلوك ـ الشائعة لدى شعب من الشعوب ، سواء كانت مادية او معنوية ، فلا شك ان انماط السلوك لدى الانسان العربي قد صاغتها الاداب العربية صياغة واحدة متينة اصيلة ، جعلت من الوجود العربي جسدا واحدا يختلج وينشط مؤتلفا متسقا متناغما .

لقد اوجد الادب ضربا من الشعور الجماعي ، بل من اللاشعور الجماعي وتغلغل في الكيان العضوي للفرد العربي انى كان وخالط منه اللحم والدم، ووسمه بسمات واحدة ونظرات جامعة تنبثق من الاعماق في كل مناسبة لترده الى اصوله وجذوره مهما تآمر عليه الاحداث .



ولقد استطاعت هذه الثقافة الادبية العربية الموحدة ، اشعارا وامثالا وأقوالا مأثورة وحكما واقاصيص ونصوصا ادبية واحاديث شريفة وآيات قرآنية ، ان تبقي خاصة على هوية الانسان العربي في عهود الغلبة الاجنبية، ولا سيما بعد الغزو الاستعماري الاوروبي ، وان تكون لديه قيم متماثلة ونظرات متشاكلة وعزيمة موحدة في سبيل الخلاص من اثقاله والانطلاق نحو تجديد رسالته . انها الى جانب التراث الاسلامي في تمامه وكماله ، بل عن طريق التضامن الكامل بينها وبينه ، حفظت الشخصية العربية من الضياع وانقذتها من مخاطر الاغتراب والاستلاب الثقافي ، وجعلتها قادرة على مقاومة ما تعرض له المجتمع العربي لا سيما بعد غزو الاستعمار من اخطار تهدد قيمه وبنيانه وتاريخه بل مهد وجوده وهنا لا بد من كلمة حق تقال وهي ان الذي وفر الحماية الثقافية والحماية القومية السياسية بالتالي للوجود العربي بعد غزوات الاستعمار الغربي خاصة منذ ايام الحملات الايبيرية حتى غزوات الاستعمار الحديث ، لم يكن كما قد يخيل للمرء اولئك المثقفين الذين اغتذوا بالثقافة الاجنبية وحاولوا نقلها الى اوطانهم فبعض هؤلاء المثقفين كثيرا ما خدعوا ببريق الثقافة الغربية الوافدة وبقيمها المحدثة خداعا أنساهم في كثير من الاحيان جذورهم واصولهم العريقة . بل ان فريقا منهم لم ينج من ان يكون لعبة في يد المستعمر يجنده في معركته الضارية ضد الوجود العربي ، تلك المعركة التي وعى المستعمر منذ البداية انها لن تفلح سياسيا وعسكريا اذا لم تفلح ثقافيا اي اذا لم يتم اقتلاع الانسان العربي من تربة ثقافته القومية تمهيدا لاقتلاع شخصيته المستقلة ولذوبانه في شخصية الغازي . لقد اراد الاستعمار اولا وقبل كل شيء ـ ومحاولاته العنيدة في المغرب العربي اكبر شاهد على ذلك ـ ان يخلق لدى الانسان العربي اكبارا للثقافة الاجنبي المحل يوازيه ازراء بالثقافة العربية ووعي بوضوح ان النصر العسكري والسياسي لن يأتي له الا اذا حقق النصر الثقافي . هذا الهدف الاستعماري ايدت جهوده مع الاسف فئات مثقفة في البلاد العربية ـ عن

وعي منها او عن غير وعي ـ حسبت ان تخلف البلاد العربية مرده الى تخلف ثقافتها وقيمها وان سبيل التقدم هو اصطناع الثقافة الغربية والمعايير الغربية ومن هنا فان الذي حفظ الثقافة العربية حقا من الضياع والاضمحـــلال فقط الوجود العربي كله ، لم يكن المثقفين بالدرجة الاولى ، بل كان جمهرة الناس من ابناء الامة العربية الذين تختلف حظوظهم الثقافية دون شك ويختلف نصيب كل منهم من ثقافته العربية ، غير انهم جميعهم رضعوا الى حد كبير من معين تراثهم القومي المشترك وادبهم العربي الموحد .

نقول هذا ونحن ندرك ان فريقا من المثقفين قيض لهم ان ينجوا مـــن هذا التشويه والانحراف الثقافي ، وعرفوا كيف يستمدون من ثقافة الاجنبي ما يردهم الى جذورهم وما يوظفونه في خدمة ثقافتهم وامتهم وما يحاربون به الدخول عن طريق سلاحه نفسه .

والحق ان مقارعة الاحتلال الاجنبي لجأت في كثير من الاحيان الى سلاح الثقافة العربية الاصيلة وجعلت وسيلتها احياء الاداب العربية والتراث العربي .فكما ناهض المجتمع العربي في العصور القديمة الهجمات الشعوبية عن طريق احياء الاداب العربية وبيان مآثر العرب في الجاهلية وما بعدها ، فعلة الجاحظ وابن قتيبة وسواهما قارع المثقفون المؤمنون بامتهم الاحتلال العثماني ومن بعده الاحتلال الغربي ، عن طريق نشر الثقافة العربية واحيائها. هذا ما فعله الشيخ طاهر الجزائري في دمشق وما فعله ابراهيم اليـــــازجي والشيخ عبد القادر الاسير وبطرس البستاني وحسن بيهم في لبنان في محاربتهم للعثمانيين ، وهذا ما فعله العلماء في الجزائر وما فعله كثير سواهم في ســـائر ارجاء الوطن العربي من اجل محاربة الاستعمار الحديث .

ثانيا ـ دور الادب في وحدة الثقافة العربية في العصور الحديثة:

العصور الحديثة في التاريخ العربي نجد بذورها كما قلنا في مرحـــــلة الانحطاط نفسها التي لم تخل من ومضات وخلجات انبعاثية . وهنا ايضا لا نستطيع ان نفصل هذه العصور عما سبقتها وان نضع لها حدودا زمنيـــــة

دقيقة . ولعل حملة نابليون على مصر في مطلع القرن التاسع عشر احدى الصور الهامة التي تشير الى بداية تلك العصور .

على انه ليس من شأننا ان نتحدث حديثا تاريخيا عن تلك العصور وان نبين عوامل نشأتها وخصائصها . والذي يعنينا ان نتحدث عن سماتها الادبية . وأبرز سمة ادبية لتلك العصور ظهور آداب المحدثين فيها الى جانب آداب القدامى ، واتصال المحدثين هؤلاء بالتجربة الادبية العالمية .

وظهور ادب المحدثين هذا الى جانب الاداب العربية القديمة طرح في قوة وقسوة مسألة الصراع بين القديم والحديث ، وبتعبير اوضح طرح الصراع بين الاتجاهات الادبية التي سقت جذورها اولا وقبل كل شيء من الآداب الاجنبية وبين الاتجاهات التي ظلت تنهل من معين الآداب العربية القديمة .

واذا توخينا الايجاز المفرط في هذا المجال قلنا ان الادب العربي الحديث ترجح في الواقع بين تيارات ثلاثة اساسية :

اولها التيار الذي يستقي معظم عطائه ونتاجه من الادب العربي القديم ويحاول احياء التجربة الادبية العربية احياء حرفيا عن طريق الرجوع الى مظانها الاهلية عن طريق نشر تلك المظان واشاعتها .

وثانيها ـ التيار الذي أعرض عن الادب العربي والثقافة العربية القديمة واستهتر بهما ، بل عمل على الازراء من شأنهما وسعيا الى نشر قيم الحضارة الغربية الوافدة والى تقليد اساليبها وفنونها الادبية ويرتبط بهذا التيار تيار الادب المحلي الاقليمي الذي حاول ان ينسلخ عن ربط الثقافة في بعض الاقطار العربية بالثقافة العربية وان يربطها في آن واحد بالثقافات التاريخية القديمة والثقافات القطرية المحلية والثقافات الاجنبية .

وثالثها ــ التيار الذي حاول مزج الثقافة العربية بالثقافة الاجنبية فاصطنع لغة العصر الحديث واساليبه المحدثة في نشر الثقافة العربية القديمة

وفي ابداع ثقافة عربية جديدة تستقي موضوعاتها من التراث العربي في الماضي او من حياة المجتمع العربي في الحاضر •

ولن نتريث عند كل واحد من هذه التيارات الثلاثة ، فالحديث عن مثل هذا لا يتسع له هذا المقام • وحسبنا ان نقول ان التيار الذي مكن لنفسه واستطاع ان يحيا ويتطور هو التيار الثالث ، تيار المزج بين الثقافة العربية والثقافة الاجنبية • اما التياران الآخران فلا نقول انهما فقدا القدرة على التأثير وعاشا ويعيشان الى حد كبير في عزلة عن جملة الجو الثقافي الذائع لدى جمهرة ابناء الامة العربية • على ان هذا التيار الثالث نفسه ، تيار المزج بين القديم والحديث كان وما يزال مراتب ودرجات وانواعا • ومن المفيد ان نرصد بايجاز تلك المراتب والانواع ، لان في ذلك دليلا يهدينا الى ما نريد لمستقبل الثقافة العربية •

فالجمع بين القديم والحديث اخذ احيانا مظهر الاضافة والضم ، بمعنى انه جمع بين وجهين من اوجه الادب ، الادب العربي والادب العالمي الحديث، جمعا حفظ لكل منهما هويته وطابعه دون ان يستطيع اقامة الملحمة اللازمة بينهما ودون ان يتمكن في النهاية من توليد ادب عربي الطابع والموضوعات حديث الاسلوب والنهج • لقد كان هذا النوع من الادب يعرض صورتين من الادب ، الادب العربي والادب الاجنبي دون ان يقوى على استخراج مركب جديد ، اصيل وحديث معا • وفي احيان اخرى اخذ هذا المزج بين القديم والحديث مظهرا آخر فظهر ادب يحاول في ظاهر الامر ان يعالج مشكلات الانسان العربي والمجتمع العربي ــ تأثرا منه بالآداب الاجنبية وجهلا منه لحقيقة مشكلات المجتمع العربي ، أثار في معظم الاحيان مشكلات لا تنتمي حقا الى واقع هذا المجتمع بل هي مشكلات منقولة مجلوبة اراد ان يحملها الوجود العربي بل ان يفرضها عليه •

ووراء هذا وذاك قام جهد اصيل للمزج بين القديم والحديث ، انطلق اولا من الواقع العربي ومن مشكلاته وهمومه ، واصطنع للتعبير عنها كل ما يقربه من ذلك ، ولا سيما الاساليب الحديثة في الفنون الادبية . لقد سقي أصحاب هذا الاتجاه من معين التراث ومن نبع الواقع العربي ، وعرفوا حياة المجتمع العربي ومشكلاته ، وعاشوا مع الجماهير العربية في همومها ونضالها وتطلعاتها ، وصاغوا تجربتهم العربية الطابع في اطار آدب اصيل لا تبدو عليه آثار العجمة وان يكن قد اغتذى وارتوى من لبان الادب العالمي .

وهذا النوع الثالث من مزج القديم بالحديث او التالد بالطريف او الاصيل بالمحدث ، هو الذي يعنينا امره ، لانه التعبير السليم عن الصيغة الموجودة لوحدة الثقافة العربية . ولا نقصد بهذا القول ان هذا النوع من الادب قد نجح نجاحا كاملا في مهمته ، وانه لم يتعثر في مشيته هذه ، ولم يترجح بين التيارات الاخرى احيانا فالادب العربي الاصيل الحديث الذي ننشد هو تجربة موصولة قطعت شوطا كبيرا ولكن امامها اشواطا ، بل امامها ما لا حد له ولا نهاية من الجد والكد في سبيل توليد ادب ذي قوام عربي وذي قدرة على الخلق والابداع الانساني . واهم سمة تسم هذا الادب بل تكون معيارا له ، هي التصاقه بالجماهير وتعبيره عن حياة الشعب العربي وتطلعاته ، في كتله العريضة وجموعه الكبيرة .

ولا نغلو اذا قلنا ان الابداع الانواع الاخرى من مزج الثقافة ، ومن ورائها التياران اللذان اشرنا اليهما ، تيار قديم القديم وتيار الحديث المجلوب، كانت في معظم الاحيان من صنع طبقة من الادباء ارستقراطية النشأة او العقلية، كما كانت موجهة في كثير من الاوقات الى علية القوم من امراء وحكام وحفنة ثقافية محدودة . ومن هنا لم تستطع تلك الطبقة ، رغم ثقافتها المزدوجة احيانا ، القديمة والحديثة ، ان تولد أدبا أصيلا يعبر عن واقع المجتمع العربي ويتقرى حاضره أملا في بناء مستقبله . لقد افتقرت هذه الانواع من الادب

غالبا مصدر وحيها الاصيل ، حين لم تعرف جماهير الشعب العربي ولم تحي معها همومها وتطلعاتها . بل لقد كانت النظرة المستترة وراء نتاج هذه الطبقة، النظرة الى الادب بوصفه متعة او حلية او براعة في اللفظ أو اكثار من الطرف والنوادر . لم يكن أدب تلك الفئة مدفوعا بوعي الجماهير موجها اليها ، بل كان الى حد كبير أدب المستأنق اللاهي ، يطرب للكلم الجميل ويطرب بـه ، ويأنس بالغريب أيا كان شأنه ومصدره ، ويؤثر التعالم والتفيهق على التأثر بحياة الشعب والتأثير فيها . قلما كانت تلك الفئة تطرح على نفسها هـذا السؤال الذي لا يكون ادب حق بدونه : لماذا نكتب ولمن نكتب ؟ ولعل الكتابة عندها غاية في ذاتها ، ليس لها معيار الا معيار الجمال الشكلي والرونق المعجب لقد كان الادب لديها ألهية ، وكان المبنى مقدما على المعنى ، وكانت تركب المركب السهل ، مركب اللعب اللفظي الذي ساد ايام انحطاط الدولة العربية .

عبد الله عبد الدائم

أصول نظرية الشعر عند العرب

بقلم الدكتور عناد غزوان اسماعيل

- ١ -

الفن تعبير حي ناطق عن الطبيعة الانسانية بمظاهرها وظواهرها المتباينة حين ينقلها الفنان نقلا متحركا مباشرا الى الاخرين حيث تولد اسس التجربة الفنية القائمة على : المادة والمضمون والتعبير فالايقاع والانسجام . واللغة هي روح العمل الفني المتبلور في تجربة ادبية او لوحة فنية او قطعة موسيقية. وحين تولد القصيدة باعتبارها ظاهرة فنية ذات ارتباط وثيق بواقعها الاجتماعي والنفسي تصاحبها استجابة ذاتية عامة ، على مستوى الفرد او استجابة عامة ، على مستوى الجمهور في تقدير ابعادها الفنية وقيمتها الجمالية . فتكتسب القصيدة من خلال هذه الاستجابات حركة وديمومة تقربها شيئا فشيئا لان تكون نموذجا شعريا ، او « مثالا فنيا » في عصرنا هذا علما ان كل عصر يعد وحدة تامة بذاتها تعبر عن نفسها من خلال نموذجها الشعري الذي لا يقاس باي شعر آخر (١).

فالاستجابة الضرورية القائمة على الانطباع الكلي او الذوق المحض هي النواة الاولى في تكوين الحكم الادبي الذي يتطور عبر مراحل حضارية وفكرية الى (مقياس) او (معيار) نقدي وهنا تجب الاشارة الى التمييز بين النقد باعتباره فعالية خلاقة وفن وبين الدراسة النقدية او تاريخ النقد باعتباره ضربا من المعرفة . لا شك ان فهم نظرية الادب لا يمكن ان يتم بمعزل عن النقد والتاريخ طالما ان طبيعة الفن الشعري ببعديها القومي

---

١ ـ اوستن وارين ورينيه ويليك ، نظرية الادب ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة الدكتور حسام الخطيب ، دمشق ١٩٧٢ ص ٥.

والانساني تخضع للتطور الحضاري لانها جزء من الفكر الادبي العام وهنا لا بد لنقد الشعر باتجاهاته وتياراته المختلفة من اتخاذ موقف (فالنقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة الى الفن عامة او الى الشعر خاصة يبدأ بالتذوق اي القدرة على التمييز ، ويعبرونها الى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم (٢) والموقف النقدي ينشأ من تحديد العلاقة بين الفكر والواقع اللذين يصورهما الفن الشعري ، حيث يكتسب «الموقف» عندئذ سمة التنظير التي تؤلف بدورها الاسس النظرية الفكرية او الاصول النظرية للنقد الادبي ونقد الشعر على وجه الخصوص . فالدراسة التي تسعى الى « تثبيت الاسس النظرية الفكرية التي كانت توجه النقد عند العرب هي المنطلق في دراسة النقد واتجاهاته المختلفة . والا بقي وصفا سطحيا او تلخيصا وبترا للآثار التي خلفها اعلام النقد الادبي (٣) . فالبحث في طبيعة الفن الشعري ـ القصيدة العربية ـ من حيث الاصالة والمحاكاة واللغة والتقويم الفني ، والنقد باعتباره موقفا ، مؤتلفان في تنظير الحكم الادبي وتجسيد الاصول الفكرية في بناء هذا الحكم او ذاك بعيدا عن الانطباع الفردي الذي لا يعتمد على التعليل ولا يحاول التحليل القائم على الحجة والبرهان في تحديد ماهية المؤلف النقدي وتبيان طبيعته الفكرية .



لا شك ان فهم اصول نظرية نقد الشعر عند العرب تنطلق من معرفتنا بمواقف نقاد الشعر العربي القدامى من قضية الشعر، تلك المواقف التي لا يمكن للدارس تجريدها من محتواها الفكري وخاصة قضية الصراع بين الشعر العربي القديم والمحدث وما ينتج عنها من مناهج وتعليلات ظهرت في المناقشات النقدية والجدل الادبي الذي صاحب القصيدة العربية نشأة وتطورا ومثالا فنيا رفيعا في الادب العربي.

كانت القصيدة العربية النموذج الشعري الفريد في العصر الجاهلي

---

٢ ـ د. احسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ، ط1 بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١٦
٣ ـ د. احسان عباس ، المصدر السابق ، ص ٩، ١٠

والعصور التي تلته من حيث نضجها الفني وبنائها اللغوي وشكلها العروضي بالاضافة الى كونها الرصيد الفكري والثقافي للعرب وقتئذ . فقد صورت الحياة العربية تصويرا غنائيا واقعيا صارت فيه « ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون واليه يصيرون» (٤) ذلك العلم الذي « لم يكن لهم علم اصح منه » (٥) وقد صاحبت هذا النموذج الشعري احكام واقوال ادبية عامة في مجال تقويمه فنيا او المفاضلة بين شعرائه مدحا وقدحا . وقد امتازت تلك الاحكام بانها عربية النشأة ، موجزة صريحة تعتمد على الذوق الشخصي والتأثر الذاتي ، « لا تقوم على تفسير او تعليل ولا تستند على قواعد مقررة وليس لها من دعامة الا الذوق العربي المحض » (٦) اما البحث في طريقة الشاعر ومذهبه الادبي وكشف العلائق والصلات بين شعره وواقعه الاجتماعي فلم تكن معروفة في العصر الجاهلي(٧) للدرجة التي تؤلف فيها موقفا او اتجاها نقديا متميزا . ولكن الاستقراء الادبي لبعض النصوص النقدية في العصر الجاهلي يكشف لنا ان الذوق الذاتي لم يكن وحده المعيار النقدي لذلك العصر ، بل وجدت الى جانبه بعض الدلالات والنظرات النقدية التي تبلورت حول الصياغة الشعرية ومعاني الصور وكانت حقا بذرة النقد الشعري عند العرب في العصور التالية . من ذلك هذا النص « تحاكم الزبرقان بن بدر، وعمرو ابن الاهتم ، وعبدة بن الطيب والمخبل السعدي الى ربيعة بن حذار الاسدي في الشعر ، ايهم أشعر ؟ فقال للزبرقان اما انت فشعرك كلحم اسخن لا هو انضج فأكل ولا ترك نيئا فينتفع به . واما انت يا عمرو ، فان شعرك كبرود حبر يتلألأ فيها البصر ، فكلما اعيد فيها النظر نقص البصر . واما

---

٤ ـ محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، شرحه محمود محمد شاكر ، دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٢ ص٢٢

٥ ـ المصدر نفسه ، ص ٢٢

٦ ـ طه احمد ابراهيم ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ، دار الحكمة ، بيروت ، (بلا تاريخ طبع) ص١٨ . وانظر ايضا : د. محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب . القاهرة ، (بدون تاريخ طبع) ، ص ١٠

٧ ـ المصدر نفسه ، ص ١٦

انت يا مخبل فان شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم، واما انت يا عبده فان شعرك كمزاده احكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر (٨)» وهذا يعني ان شعر الزبرقان يجمع بين الطيب والرديء ويبدو ان الفاظه مرصوصة لا قوة في معانيها ولا روح تؤلف بينها وشعر عبده بن الطيب قوي الاسر، متين النظم، متماسك متلاحم (٩). ان هذا النص لا ريب، يكشف اهتمام النقد الجاهلي بالشعر صياغة وفكرة وهو اهتمام يسمو على مجرد الذوق الشخصي او الروح الانطباعية العابرة التي يستبد بها التأثر وقد عد بعض الباحثين المعاصرين نموذجا يجمع بين النظرة التركيبية والتعميم عن الانطباع الكلي دون لجوء للتعليل وتصوير ما يجول في النفس بصورة اقرب الى الشعر نفسه(١٠) قد يكون هذا النص او النموذج النقدي، دليلا على وجود جمهور شعري يقدر الصياغة الشعرية ويعجب بالفن، كان له اثر ايجابي في تطوير الحياة الادبية (١١) في العصر الجاهلي، «فنقد الشعر وترتيب الكلام ووضعه مواضعه، وحسن الاخذ، والاستعارة وتفي المستكرة والحاسي صنعة برأسها ولا نراه الا لمن صحت طباعهم، واتقدت قرائحهم، وتنبهت فطنهم. وراضوا الكلام وردا او ميزوا» ي(١٢) فالجمهور الشعري الذي تتوفر فيه مثل هذه الخصائص والسمات جدير برفع المستوى الفني للتجربة الشعرية، ودافع مباشر من دوافع خلق الانموذج الشعري الذي يسمو فوق الاعتبارات الشخصية والاهواء الفردية والعصبيات القبلية والانتماءات الطبقية . هذا الانموذج الذي جسد الجاحظ خصائصه الفنية بقوله : «اجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك انه قد افرغ افراغا واحدا وسبك سبكا واحدا،

---

٨ ـ المرزباني الوشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٠٧ و ١٠٨

٩ ـ طه احمد ابراهيم، المصدر السابق، ص ١٦

١٠ ـ د. احسان عباس، المصدر السابق، ص ١٢

١١ ـ د. طه الحاجري، في تاريخ النقد والمذاهب الادبية، الاسكندرية، ١٩٥٣، ص٢٣

١٢ ـ ابو احمد الحسن بن عبد الله العسكري، المصون في الادب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الكويت، ١٩٦٠ ص ٥ و٦

فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان» »(١٣) وقد احسن الجاحظ في مكان آخر تحديد الشعر بقوله انه « صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير» (١٤) مؤكدا بذلك على حسن التأليف وبراعة خيال الشاعر في رسم الصورة حين يجعلها ترتبط بالتأمل الذهني والنفسي ارتباطا وثيقا • ويبدو ان رسم الصورة الشعرية والابداع في صياغتها ، والتفنن بخلقها ، تجديدا او محاكاة صارت في الوسط النقدي ، بعد القرن الثاني الهجري ، قريبة من كونها « مهنة » او «حرفة» حين اقترنت بلفظ « صناعة » كما وردت في نص الجاحظ والعسكري ـ وكما وردت قبلهما في نص لمحمد بن سلام الجمحي بقوله : «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم ، كسائر اصناف العلم والصناعات : منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الاذن ، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما تثقفه اللسان (١٥) « فالصناعة الشعرية » تستلزم توفر المهارة والقدرة الفنيتين بالاضافة الى الدربة والممارسة والمدارسة ، كي يستوي الفن الشعري مثالا جيدا ونموذجا ذا قيمة ، جديرا بالتقدير والتقويم النقديين اللذين هما من ابرز المميزات الخاصة للدراسة الادبية • »

وثمة ظاهرة ادبية وجدت في الشعر العربي قبل الاسلام وانتشرت بين عدد من الشعراء امثال : اوس بن حجر ، زهير بن ابي سلمى ، كعب بن زهير والحطيئة كان لها اثرها في بناء القصيدة ، تلك هي ظاهرة « الحوليات » القائمة على عملية « التنقيح » و « التهذيب » و «التثقيف» فقد وصف الاصمعي زهيرا والحطيئة واشباههما دون الشعراء بانهم عبيد الشعر ، لانهم نقحوه

١٣ ـ الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ج١ ، ط٢ ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٦٠ ، ص ٦٧ . وانظر ايضا : العسكري ، المصون في الادب ، ص٦ ، ٧

١٤ ـ الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الجزء الثالث ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٢٨ ، ص ١٣١ ، ١٣٢

١٥ ـ الطبقات ، ص ١٦ وانظر ايضا : خير الله علي السعداني مصطلحات نقدية ، اصولها وتطورها الى نهاية القرن السابع للهجرة ، (رسالة ماجستير) جامعة بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ١٠٢ و١٠٣

ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين • (١٦) مميزا هذا الاتجاه الشعري من حيث التأليف والبناء الفنيين عن اتجاه الطبع الشعري • وقبل الاصمعي وضح كعب بن زهير طبيعة هذه الظاهرة الاسلوبية حين حلل ابعادها وجسد « خصوصيتها الفنية » بقوله :

فمن للقوافي شـأنها من يحوكـها ... اذا ما ثوى كعب وفـوز جـرول
يقـول فلا يعيـا لشيء يقوله ... ومن قـائليها من يسيء ويعمـل
يقـومها حتى تقـوم متونها ... فيقصر عنهـا كل ما يتمـثل
كفيتـك لا تلقي من الناس شاعرا ... تنخـل منها مثل ما اتنخـل(١٧)

متسائلا من يا ترى يستطيع ان يرفع من شأن الشعر ويحسن نسجه ويتقن « حياكته » اذا مات كل من كعب والحطيئة • فهما شاعران هم كل واحد منهما اختيار وفحص وتشذيب وتقويم شعره وصولا به الى مستوى فني رفيع • والاختيار الفني قائم على عملية « تقويم وتثقيف » القصيدة باستعمال « الثقاف » في تعديلها وتهذيبها كي تستوي متونها ، كما تستوي متون الهام ، فتصير تلك القوافي بعد التقويم والتعديل قصائد غرا يتمثل بها في المجالس الادبية على ألسنة الجمهور الشعري ، اي هي «امثلة شعرية» تحقق الطموح الفني في نفوس اصحابها ، والى هذه الحقيقة اشار الحطيئة بقوله « خير الشعر الحولي المنقح المحكك »(١٨) •

لا شك ان هذه الخصوصية الفنية لا تعني تشابها في الاساليب وفي لغة التعبير ، بقدر ما تعني تشابها في الصياغة والتأليف والبناء منظرا لان الاسلوب

١٦ ـ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٠ ، الجزء الاول ، ص٢٢.
١٧ ـ شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعه السكري ، القاهرة ، ١٩٦٥ ص ٥٩، ٦٠.
وانظر ايضا : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٨٨ ، ص ٩١
ويروى صدر البيت الثالث على الوجه التالي :
« يثقفها حتى تلين كعوبها » .
١٨ ـ الشعر والشعراء ، ص ٢٢

الشعري لا يمثل الا صاحبه فلكل واحد من هؤلاء الشعراء اسلوبه الفني في التعبير عن تجاربه الخاصة والعامة وان ظهرت على هذا الاسلوب او ذاك بعض ملامح التشابه في استعمال بعض التشبيهات والصور والالفاظ . وهـذه مسألة طبيعية تخلقها البيئة في تأثيرها بلغة التعبير والاداء الفني من جهة ، والعلاقات الاجتماعية الخاصة والعامة بين الشعراء انفسهم من جهة اخرى. ويبدو ان عملية « التنقيح » و « التثقيف » الشعريين قد استمرت بالنمو والتطور في عصر صدر الاسلام والعصر الاموي وكأنها اتجاه شعري لـه انصاره ودعاته ، فهذا سويد بن كراع وهو شاعر جاهلي اسلامي يذكر تنقيحه شعره مصورا معاناته الذاتية التي تصاحب ميلاد القصيدة تصويرا دقيقا بقوله:

أبيت بابواب القوافي كأنما ... اصادي بها سربا من الوحوش نزعا
أكالئها حتى أعرس بعدما ... يكون سحيرا او بعيد فأهجعا
عواصي الا ما جعلت وراءها ... عصا مربد تخشى نحورا واذرعا
أهبت بغر الابدات فراجعت ... طريقا املته القصائد مهيعا
بعيدة شأو لا يكاد يردها ... لها طالب حتى يكل ويظلعا
اذا خفت ان تروى علي رددتها ... وراء التراقي خشية ان تطلعا
وجشمني خوف ان لضان ردها ... فثقفتها حولا جريدا ومربعا
وقد كان في نفسي عليها زيادة ... فلم أر الا ان اطيع واسمعا (١٩)

وقد مثل ذلك عن عدي بن الرقاع من شعراء العصر الاموي الذي يذكر شدة اهتمامه بشعره ، فلا يظهره لجمهوره ومتذوقي فنه الا مستويا ، سليما، مبرأ من العيوب والشوائب والعروضية اللغوية بعد « التقويم » و «التثقيف» فيقول :

١٩ ـ الشعر والشعراء ، ص ٢٣ ، ٥٢٠ .

وقصيدة قد بت اجمع بينها حتى اقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافة منادها (٢٠)

ان اهتمام الشعراء العرب القدامى بتنقيح وتهذيب قصائدهم من اجل خلق النموذج ـ المثال في الشعر ليس بالخصوصية النادرة التي يتفرد بها الشعر العربي دون غيره من اشعار الامم الاخرى . فقد كان (فرجل) الشاعر اللاتيني القديم ـ على سبيل المثال كثير العناية بشعره ، كثير الاناةحتى كان نظم البيت الواحد يستغرق عنده احيانا يوما كاملا ، فأمضى لهذا السبب، حوالي احدى عشرة سنة في كتابه الاينادة ، ولو لم يعجله الموت لقضى ثلاثة اعوام اخرى في تهذيبها وصقلها » (٢١) الامر الذي يجعلنا نعتقد ان البحث عن المطلق ، او اذا شئنا الدقة في الجمال الشعري المطلق : كان طموحا وغاية يسعى اليها الافذاذ من الشعراء تحقيقا للمثالية الفنية القائمة في الاساس على اصالة الحاسة الفنية والدربة والتثقيف وهي ذاتية الجذور وان بدت عامة في بعض الاحيان ، كما هي الحال عند بعض شعرائنا القدامى من امثال زهير وكعب والحطيئة . ولعل وجود هذه الظاهرة الادبية في الشعر العربي في العصر الجاهلي هو الذي خلق الحس النقدي القائم على الاحساس باثر الشعر في النفس . ولكن شخصية الناقد المحلل والمنظر لم تظهر في ذلك العصر، على الرغم من وجود المادة النقدية بل ظهرت في عصور الاستقرار الحضاري فيما بعد حين تأصلت اسس النظرية النقدية عند العرب بمبادئها ، ومقولاتها

وانظر ايضا : د. عبد الجبار المطلبي ، الشعراء وتجربة الشعر ، مستل من مجلة كلية الاداب ، العدد السادس عشر ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٧٣ ص ١٩ ، ٢٠ .

٢٠ ـ الشعر والشعراء ، ص ٢٣ ، ٥١٦ ، والمطلبي ، المصدر السابق ، ص ٢٠ ، يذكر بيتين للشاعر ذي الرمة يصور فيهما ارقه وعنايته بشعره واهتمامه به . كي تكون قوافيه فريدة بل مثالا شعريا :

وشعر قد ارقت له غريب اجنبه المساند والمحالا
فبت اقيمه واقد منه قوافي لا اعد لها مثالا

٢١ ـ د. عبد الجبار المطلبي ، الشعراء وتجربة الشعر .

ومعاييرها، وان كان البحث عن المثل العليا في الصياغة والمعاني من ابرز الدلالات التي تكن وراء مفهوم الحس النقدي في العصر الجاهلي.

يرتبط النقد ، فكرا اديبا ، بواقع بيئته اجتماعيا سياسيا ، تصبيا واخلاقيا في بناء حكم او استنباط معيار او اتخاذ موقف. ويبقى الذوق المعلل ، القائم على التبرير . عنصرا مهما من عناصر العملية النقدية وليس الذوق غير المسبب الذي يقف عند الجزئيات ويقفز الى تعميمات خاطئة تجعل من شاعر اشعر الناس لبيت قاله (٢٢) ولقد استوعب نقادنا القدامى هذه الحقيقة حين ميزوا بين الذوقين في مجال الحكم على الاثر الشعري من حيث الجودة والرداءة . فالاستحسان المحض الذاتي التأثري ليس ذوقا نقديا ولا يصلح لاصدار حكم او تثبيت موقف من ذلك ما رواه ابن سلام في مقدمة طبقاته : « قال قائل لخلف : اذا سمعت انا بالشعر استحسنه فما ابالي ما قلت فيه انت واصحابك . قال له : اذا اخذت انت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف انه رديء ، هل ينفعك استحسانك له ؟ (٢٣)

وقد جدد عبد القادر الجرجاني ـ بعد ابن سلام ـ اهمية وقيمة « الذوق المعلل » في سبر اغوار التجربة الشعرية بصورها الغامضة او الواضحة وبمعانيها الروحية او الحسية حين قال : « انت لا تستطيع ان تنبه السامع لها وتحدث له علما بها حتى يكون مهيئا لادراكها ، وتكون فيه طبيعة قابلة لها ، ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه احساسا بان من شأن هذه الوجوه والفروق ان تعرض فيها المزية على الجملة ، ومن اذا تصفح الكلام وتدبر الشعر فرق بين موقع شيء منها وشيء (٢٤) » فالذوق عند عبد القاهر يقترن « بالقريحة » ولا يستطيع السامع او القارىء ان يصدر حكما او يصرح

---

٢٢ ـ د. مندور ، النقد المنهجي عند العرب ، ص ١٠.

٢٣ ـ طبقات فحول الشعراء ، ص ٧.

وانظر ايضا : د. محمد زكي العشماوي ، قضايا النقد الادبي والبلاغة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ ، ص ١٢٣ .

٢٤ ـ عبد القادر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، القاهرة ١٣٣١ هـ ، ص ٤٢.

بقول الا اذا امتزج الذوق بالقريحة فخلقا في نفس صاحبهما الاستجابة المتمثلة بوجود « الاحساس » وحينئذ يتحرر الذوق من استبداد التأثرية والعفوية الساذجة ليتجه نحو « تدبر الشعر » او «التجربة الشعرية » والقدرة على التمييز بين المعاني والصور التي تنفرد بها تجربة او قصيدة عن سواها فالذوق الذي قصد اليه ابن سلام وحدده عبد القاهر الجرجاني يعني الموهبة الانسانية التي انضجتها رواسب الاجيال السابقة وتيارات الثقافات المعاصرة والتي امتزجت جميعها فكونت هذا الشيء المسمى بحاسة التميز او التذوق الادبي (٢٥) وبذلك يختلف في معناه وابعاده النقدية عن الذوق الذاتي الذي وجد في الاحكام الادبية العامة في العصر الجاهلي :

حين اطل الاسلام ثورة اخلاقية وفكرية واجتماعية حاسمة في تاريخ العرب في العقد الاول من القرن السابع الميلادي ، بدأ صراع سياسي ــ فكري في حياة العرب الثقافية يأخذ طريقه وسرت آثاره الى كل جزئيات الحياة العامة والخاصة ، فاختنقت قيم قديمة وحلت مكانها قيم اسلامية جديدة واعية الى تثبيت اسس مجتمع جديد تسوده العدالة وتؤلف بين طبقاته الاجتماعية روح الاخوة والمساواة . فكان ذلك الصراع فكريا قائما على روح الجدل والاحتجاج حينا ودمويا حربيا حينا اخر ، حتى استقر الصراع بانتصار الاسلام على الوثنية ، فكان لزاما ان يولد موقف جديد تجاه الشعر يستمد اصوله من طبيعة هذه الثورة الجديدة ، فلم يعد الشعر ادبا بمعناه الظاهر او تعبيرا عضويا عن الحياة الباطنية ، بل هو تنفيس حر عن الوجدان في قضاياه الخاصة والعامة ، لذلك يرى فيه العربي كل صورة من صور حياته فهو عندما يرجع الى الشاعر انما يجد عنده شخصيات حية تمثل في كل منها صورة من صور الحياة كما هي ، وكما يتمناها (٢٦) فأراد الاسلام للشعر ان يحقق

٢٥ ــ الشماوي ، قضايا النقد الادبي والبلاغة ، ص ٢٥، وانظر ايضا : د. محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري ج١ دار المعارف بمصر ، ص ١٢، ١٣، ١٤.

٢٦ ــ عباس محمود العقاد ، اللغة الشاعرة ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٨٦، ١٠٦ ، وانظر ايضا: د. عناد غزوان موقف القرآن الكريم من الشعر العربي مطبعة الحكومة بغداد ، ١٩٦٩ ، ص١١٩.

وظيفة اجتماعية تستوعب معنى البناء والتقدم وتصوير الواقع وفق فلسفة تولد رحابها الحرية في الفن والتعبير ، وقديما تنبه بعض الفلاسفة والمفكرين الى الغاية الاخلاقية التي يحققها الشعر لما فيه من موسيقى ونغم تحبب تلك الغاية الى نفوس الجماهير ، فقد ادرك افلاطون خطر انحراف الشعر او الفن عن غايته الاخلاقية فعارض اشد المعارضة نظرة السفسطائيين الذين « مكان فنهم يقوم على التمويه والخداع(٢٧) لا ريب ان افاق نقد الشعر في العصر الاسلامي بدأت تتسع « وجنح الى شيء من الدقة ، وحاول ان يحدد بعض خصائص الصيغة والمعاني ويتأثر شيئا ما بروح البناء والتأسيس التي سادت فيما كان يجد امام المسلمين من شؤون التشريع » (٢٨) وحين تطورت الحياة العربية الاسلامية بسبب الفتوح ، بدأ العرب يخرجون من عزلتهم في شبه الجزيرة العربية ليطلوا على بيئات جديدة . فحدث تفاعل حضاري وصارت العربية الممثلة بأدبها الشعري والنثري ، لغة هذه الحضارة الجديدة التي كان الاستقرار والتدوين من ابرز سماتها الفكرية والثقافية. فأثرت العربية بغيرها من اللغات كما تأثرت بها تلك مسألة طبيعية يوضحها الروح الانساني في كل لغة حية من لغات العالم . ففي الوقت الذي انتشرت فيه العربية وبسطت نفوذها الادبي والحضاري على بيئات مختلفة كالعراق ، والشام ، ومصر ، وبلاد فارس بدأ اللحن يتسرب اليها وهو امر طبيعي نتيجة للتمدد الحضاري ومظاهر الترف والرخاء التي عمت الحواضر الاسلامية بالاضافة الى الصراع القبلي والسياسي الذي صاحب تطور الفكر الاسلامي والسياسي فكانت الحاجة ضرورية في استقراء نصوص هذه اللغة وتدوين موروثها الشعري والنثري حفاظا على نقائها وصفائها وتثبيت اسس علمية ووضع ضوابط منطقية لقواعدها ونحوها واعرابها معتمدة على اساليب هذه اللغة الفصيحة، الشائعة فكان مطلع القرن الثاني الهجري منطلق هذه النهضة العلمية التي تمركزت في

٢٧ ـ د. عناد غزوان اسماعيل ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .
٢٨ ـ طه احمد ابراهيم ، تاريخ النقد الادبي لعند العرب . ص ٢٣.

مدينتي البصرة والكوفة حيث اجتمعت جهود الرواة واللغويين والنحاة والنقاد على تطوير المنهج العلمي في الدراسات الادبية واللغوية ، ذلك المنهج القائـم على الاستقراء والاستنباط والحجة والذوق الادبي الرفيع . اذا يبـدأ نـقد الشعر بتحليل النصوص باحثا في صياغاتها ومعانيها دارسا رجالها متجـاوزا في بعض الاحيان بنية الشعر ومعانيه الى نقد الشعور والتفرقة بين احسـاس واحساس (٢٩) فتظهر في المعجم النقدي العربي مصطلحات جديدة « القديم الاسلامي » ، المحدث ، المولد ، الطبقة ، المصنوع ، المطبوع ، اللفظ والمعنى، الرقة ، الغريب ، الشاذ ، الفصيح، الفحل ، والفحولة ، القياس ، السمـاع، وحين وضع الخليل بن احمد الفراهيدي العروض وعد مخترعا ومكتشفـا ، لهذا الفن الجديد « قد وضع في ايدي هؤلاء العلماء مصطلحا للعيوب الشكلية من اقواء واسناد وايطاء . ظل مفزعهم كلما ارادوا نقد الشـعر من تلـك الناحية»(٣٠) بالاضافة الى ذلك فان الخليل قد منح الشـعراء حريـة التعبير حين تمدهم امراء الكلام يصرفونه انى شاؤوا ويجوز لهم والا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى(٣١) وتقيده ، ومن تصريف اللفظ وتعقيده والحرية والتعبيرية التي ذهب اليها الخليل لا تعني « الفوضى في التعبير » وتغليب الشاذ على الفصيح لان الشعراء الذين سماهم «بأمراء هم الفحول الفصحاء الذين يحتج بلغتهم ، اسلوبا وتعبيرا وذوقا ولعل في قول ابن قتيبة « اشعر النـاس من أنت في شعره حتى تفرغ منه » (٣٢) اشارة الى الشاعر المثال الذي يبـدو مرادفنا « لأمير الكلام » بنظر الخليل .

عناد غزوان اسماعيـل

---

٢٩ ـ تاريخ النقد الادبي عند العرب ، ص ٢٤ ، ٤٠ .

٣٠ ـ احسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ٤٧.

٣١ ـ ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ، زهر الاداب ، تحقيق علي محمد البجـاوي، ط١ ، القاهرة ، سنة ١٩٥٣ ج٢ ، ص ٦٣٣ ، وانظر ايضا : احسان عباس ، تاريخ النقـد الادبي عند العرب ، حاشيته ص ٤٧ ، نقلا عن : منهاج البلغاء ص ١٤٣ ونعمة رحيم، النقـد اللغوي عند العرب ، رسالة دكتوراة جامعة بغداد ، شباط ١٩٧٧ ص ١٧١ وانظر ايضا د. محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد العربي ، ج١ ص ٥٩ ، ٦٠، ٦١

٣٢ ـ الشعر والشعراء ، ص ٢٦.

عبد الرحيم قليلات

١٨٨٤ - ١٩٤٢

بقلم: فوزي سابا

شاعران اشتهر شعرهما الاجتماعي منذ العشرينات من القرن العشرين على اختلاف نمطهما البياني ، هما عمر الزعني الشاعر الشعبي وعبد الرحيم قليلات الذي حافظ على العمود الشعري بكل ما فيه من وزن وقافية وفصاحة .

ولد عبد الرحيم قليلات في بيروت سنة ١٨٧٤ وتلقى علومه في مدارس جمعية المقاصد الخيرية ثم في الكلية السلطانية متتلمذا على الشيخين عبدالرحمن سلام ومحي الدين الخياط فنال شهادتها سنة ١٩٠١ مما اهله للالتحاق بالجامعة الاميركية حيث درس فيها اللغة الانكليزية مدة سنتين، هاجر بعدها اي سنة ١٩٠٢ الى مصر مدرسا حتى سنة ١٩٠٥ وملازما الازهر الشريف في اوقات فراغه او متحلقا مع كبار الادباء .

سنة ١٩٠٥ انتقل من التعليم الى الوظيفة ، مع حكومة السودان فانتقل الى الخرطوم لكن الادب والصحافة كانا في دمه فأنشأ سنة ١٩١١ جريدته « رائد السودان » التي عرفت بصبغتها الوطنية ولانها كانت ملتقى اقلام رجالات الفكر العربي اثارت حفيظة السلطات على صاحبها مما اجبره على ترك الوظيفة والسودان والعودة الى بيروت سنة ١٩١٤ اي عند ابتداء الحرب العالمية الاولى وكان ان جند في الجيش العثماني وارسل الى طرابلس الغرب حيث وقع اسيرا سنة ١٩١٥ وبقي الى سنة ١٩١٩ حتى افرج عنه وعاد الى بيروت سنة ١٩٢٠ فعين مفتشا لبلديتها وفي عام ١٩٢٢ تسلم مديرية الشرطة

اللبنانية وبقي فيها حتى سنة ١٩٢٩ عندما قدم استقالته لاسباب سياسية .

بعد الاستقالة قضى بعض السنوات في بيروت ثم باع املاكه وقام سنة ١٩٣٣ برحلته الكبرى الى الهند وسيلان واندونيسيا ومنها توجه الى اليابان وبقي يتجر مدة اربع سنوات تخللتها رحلات وزيارات لاميركا وافريقيا الغربية ليعود ثانية الى لبنان سنة ١٩٣٨ ، اما رحلته الصغرى او بالاحرى رحلاته الصغرى ، فكانت تقتصر على اوروبا ومصر .

في المدرسة تعلم اللغات العربية والتركية والانكليزية والفرنسية ، وفي الاسر تعلم اللغة الالمانية من زملائه الاسرى الالمان ، وفي رحلاته تعلم اللغتين اليابانية والاندونيسية ، وبذلك ملك قدرة على استيعاب الاداب المختلفة من مصادرها الاصلية ولغاتها الام ، مما زادت سجاياه الشعرية صقلا .

عرفناه خطيب المنابر وشاعرا بقامته الطويلة وجسده الجبار الذي غلبت عليه السمنة وقد تكون هي السبب في رحيله المبكر عنا ، كما كان لها تأثير في طباعه الرضية التي اكسبته ذلك الظل الخفيف والبديهية الحلوة فعرفت مجالسه بالانس .

أذكر فيما أذكره عن عبد الرحيم قليلات انه دعي للخطابة خلال شهر رمضان المبارك ، فلما اعتلى المنبر بقامته الفارغة وجسده الجبار ، دوى التصفيق فانحبكت له النكتة ، قال الاصل في الحق يقع على صاحب الدعوة التي وقعها في رمضان المبارك ، الذي له تأثير كبير فيه ، ودل على جسده واشار الى السمنة المرتاحة عليه ، فصائم رمضان من امثالي وفاطره ابدا متكد ، ان جاع تذمرت معدته ومتى فطر زادت تذمرا ، ثم ألقى قصيدته المشهورة ـ حليم وسليم ـ التي ما زلت اذكر منها قوله :

كلنا اخوة وما الفرق الا غلط في حسابنا موهوم
غلط اصل جمعه الطرح والضرب بهذا او ذاك والتقسيم
غلط لا يضل عنه لبيب غلط لا يشك فيه فهيم

كلنا اخوة وما الوطن الواحد الا بيت الاخاء العظيم

كلنا في حمى المحبة اهل ها هو المذهب الصحيح القويم

بهذا الروح نظر الى المجتمع ، بروح الانسانية والمحبة ، فجاء شعره للاصلاح الاجتماعي ولا سيما في تلك الفترة القلقة التي أصابت لبنان ، وكان أحوج ما يكون لمن يضمد جراحه ويزيل رواسب التفرقة التي استملكته خلال اعصر الانحطاط وزادتها الحرب العالمية الاولى استمساكا ، فكان لا بد له من مصلحين امثال عبد الرحيم قليلات الذي جند نفسه من اجل الوحدة الوطنية محاربا كل ما يساعد على التفرقة سيان أكان عنصريا او دينيا او اجتماعيا ، لذلك لا نجد له الا القليل من الشعر الغزلي الذي كان يأتي به عرضا ، امثال قوله :

قسما بالحب اني مغرم ويمين الحب لي خير يمين

اترامى بين يأس ورجا ورجائي بين شك ويقين

او قوله :

قدك البان وما شعرك الا غاب ايك

ردد الورق عليه لحن اشواقي اليك

والخزامي حول انسان الدجى من ناظريك

ايمانه بالقضية الوطنية والواجب الذي فرضه على نفسه لمداواة الامراض الاجتماعية ملكا حسه ولم يتركا له متسعا للنظر الى الضروب الشعرية الاخرى لكأني به على لسان عمر بن ابي ربيعة في قوله :

قالت وابثثتها سري وبحت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي، فقلت لها غطي هواك وما ألقى على بصري

هكذا غطت العاطفة الوطنية على كل حواس عبد الرحيم قليلات وصهرت

طاقاته كلها في طاقة واحدة هي الناحية الوطنية والاجتماعية ، فجاء ديوانه « الهيام » خطا واضحا للوطنية المثلى والتضامن المطلق من اجل العمل البناء فصدره بقوله :

رب يا ذا الجلال والاكرام ⁂ لك حمدي وفي رضاك هيامي
حسب شعري يا رب وحي شعوري ⁂ حاطه منك صادق الالهام
وخيالي قد هام في كل واد ⁂ رب فاسلك به سبيل السلام
دنت بالحب راعيا كل دين ⁂ وكفى ان رائدي اسلامي
رائد نور هديه دين موسى ⁂ دين عيسى ، دين النبي التهامي

هذا هو اهداء الديوان مرسل مطلق الى الله جل جلاله ، اما باقي القصائد التي تقع في ثلاثمئة وست وعشرين صفحة فانها تداوي امراض المجتمع اللبناني على شتى انواعه .

في هذه الابواب تظهر شاعرية عبد الرحيم قليلات فنجد السهولة والوضوح في الكلمة وفي المعنى ، ليأتي شعره هذا موازيا لما نسميه بالسهل الممتنع الذي لصدقه ورقته يدخل القلوب ويؤثر فيها حتى الاستملاك ، بعدما جعل شعاره :

ما رب موساكم ورب مسيحكم ⁂ يا قوم الا نفس رب محمد
هو رب كل العالمين فيا ترى ⁂ ما الفرق بين موحد وموحد

كما اتخذ شعاره ايضا :

ما هيامي الا بربي وقومي ⁂ ولساني افخر به من هيام

ولكثرة امراض المجتمع انذاك طرق ابوابا من الشعر قل من طرقها من الشعراء لنجد شعره مخططا لمعالجة هذه الامراض كل على حدة : من التسامح الديني الى تعليم المرأة الى رفع مستوى العمال الى التضامن الوطني . فيقول

من قصيدة عنوانها في سبيل التوحيد :

بـل أي يوم فيـه اقـوام المـلا يسمـون بالقلب المؤلف واليـد
حيطـان جامعهم وسقف كنيسهم ومدى كنسيتهم موحد معبـد

ويقول من قصيدة ـ العامل التعب ـ :

هـو يشقى وسواه يستريح من سـواه الا طيب ابن الاطيـب
كرم الشغيـل موسى والمسيح وبـذا جـاء النبـي العربـي

ويقول في المرأة :

انـا المرأة الضعيفـة عمـري مخلـص صادق وفي العهـود
اتمنى لهـا نهـوضا سعيـدا يتحلى بطيب عيـش سعيـد
غير ان النهوض ما اتصان الا بلبـاس التقوى وكسر القيـود

ولانه مؤمن بالاصلاح الاجتماعي ، وبالرغم من تقلبه في الوظائف الكبرى الحساسة ، فانه كره السياسة ، ربما لانها تشغله عن واجبه الاجتماعي ، فيقول من قصيدة :

دعني فمـالي في السياسة ناقـة تطلى ولا جمـل يلـث بقـارهـا
اني لاستجلي امتطاء جوادهـا والبعض يستحلي ركوب حمـارها
وامج لطف جمالها وجلالهـا ناهيـك خف جـلالهـا وجرارها
حظ المقامر والمغـامر باسمها سيان حول غمارها وقمارهـا

تحلت المرونة في شعر عبد الرحيم قليلات الذي جاء كما النجاوي او انه عتاب الاحباب للاحباب ولان حبه لامته كان مشرقا فقد اضاء له حتى اكثـر السبل ظلمة ، وبذلك تفتحت له ابواب اهلته للدخول الى الاذهان التي مـا زالت عالقة برواسب الماضي الجاهل فكان يتخير المواضيع التي توافق هـذه

الطبقات مثال قوله من قصيدة بعنوان ـ فلاح وشيخ معلم ـ التي بالرغم مما فيها من الفكاهة فقدت زاد مغزاها على فكاهتها :

تجادل فلاح وشيخ ومعلم ... على اجر تعليم ابنه مثل اقران
فقال له الفلاح اجرك باهظ ... بني لحقلي والنقود لجزدان
بها اشتري ما اشتهي او يكون لي ... حمار فقال الشيخ لا بل حماران
اتفهم قصدي يا ابا ابن مضيع ... حمارك هذا واحد وابنك الثاني
فقال له يا شيخ صاروا ثلاثة ... ورابعهم سلاب مال يعرفان

لقد جمع عبد الرحيم قليلات كل طاقاته وظرفه وادبه وعلمه وحولها الى الاتجاه الوطني الذي ارتسم في قلبه وظهر جليا في شعره فاذا عنوانه لبنان .

ان كان اخطلها لعيسى ينتمي ... فانا ورب محمد حسانها
ديني محبتها وايماني بها ... وعقيدتي لبنانها لبنانها

سادات الظرف والاخلاص هؤلاء سلسلة متماسكة الحلقات في البناء وعلى اقلامهم بقي الاشعاع اللبناني مستمرا او متصل البت ، وعبد الرحيم قليلات واحد منهم .

فوزي سابا

لو ركب الابيض

كان البراء بن قبيص صاحب شراب ومزاح ، فدخل على الوليد بن عبد الملك وبوجهه اثر لجرح حديث . فقال الوليد : ما هذا ؟ قال : ركبت فرسا اشقر فكبا بي . فقال : لو ركبت الابيض لم يعثر بك . فعرف بانه شرب الخمر ولو شرب اللبن لما سقط .

رواد المسرح العربي الحديث

بقلم: عيسى فتوح

على اثر وفاة مارون النقاش ــ مؤسس المسرح العربي الحديث ــ عام ١٨٥٥ ، توقفت الحركة المسرحية في بيروت ، فرحل الى مصر اثنان من ابرز العاملين في ميدان المسرح هما اديب اسحق (١٨٥٦ ــ ١٨٨٥)وسليم خليل النقاش (ــ ١٨٨٤) ابن اخي مارون النقاش واصطحبا معهما الممثل يوسف خياط الذي كان احد الممثلين في فرقة سليم النقاش ، واختاروا الاسكندرية مركزا لعملهم . كان اول عمل بدأ به الزميلان اسحق والنقاش، أن اقبلا على تعلم الموسيقى العصرية المصرية مدة ثلاثة اشهر ، لما كان لها من أثر فعال في الاقبال على المسرح في تلك الايام ، وهي تختلف عن الموسيقى الشامية بعض الاختلاف ، الا ان هذا التعلم لم يكن ذا فائدة كبيرة في نجاح الفرقة ، فسقطت في مكانها ، لكنهما لم يلقيا السلاح فورا ، بل ظلا يحاولان تثبيت اقدامهما ، فنقل سليم النقاش اوبرا « عائدة » من الايطالية الى العربية، ثم ألف دراما في خمسة فصول شعرا ونثرا وسماها « الطاغية او الظلوم » وهي مسرحية رومانسية تتحدث عن الدسائس في بلاطات الملوك والحكام الشرقيين بشكل عام ، كما أعاد اديب اسحق كتابة مسرحية « اندروماك » لراسين ، ثم ترجم بعدها مسرحية تاريخية بعنوان « شارلمان » ومسرحيه « الباريسية الحسناء » فاختار لها عنوان «غرائب الاتفاق» . وبالاجمال فان جميع مسرحيات اديب اسحق التي عربها او اقتبسها مثل « لباب الغرام او الملك مثريدات » لراسين ، و « هوراس » لكورني ، و « زنوبيا » لـلاب اوبيناك لم تلاق الرواج المنتظر ، فاتجه الزميلان الى العمل في الصحافة ، ولم

يعش مسرحهما في الاسكندرية الا عاما واحدا ، وتخليا عن فرقتهما ليوسف خياط الذي انتقل بها الى القاهرة ، وضم اليها بعض الممثلين الجدد كسليمان القرداحي، وظلت تعمل بين نشاط وضعف حتى سنة ١٩١٥ .

استهل يوسف خياط اعماله بتمثيل مسرحية « صنع الجميل » في تياترو « زيزنيا » بالاسكندرية، الا انه وجد العمل بعيدا عن القصر لا يجدي نفعا ، لذلك طلب المساعدة من الخديوي اسماعيل فلبى طلبه ، وفتح امام فرقته ابواب دار الاوبرا ، فترك مسرح « زيزنيا » في الاسكندرية ، وسافر الى القاهرة .

اختار يوسف خياط مسرحية « الطاغية » لصديقه سليم النقاش كي يبدأ بها حفل افتتاح موسم دار الاوبرا لعام ١٨٧٨ دون ترو او تبصر ، مدفوعا باعجابه بسليم النقاش ، فظن الخديوي ــ وقد حضر تمثيلها ــ انه هو المقصود بالطاغية ، فغضب لما تخلل التمثيل من ذكر الظلم والظالمين بخاصة ، وأيقن أنه يعرض به وبحكمه ، لذلك امر باخراج الخياط وفرقته من مصر، فعاد الى سورية ، وظلت دار الاوبرا مغلقة في وجه التمثيل العربي حتى سنة ١٨٨٢ .

لكن الدكتور محمد يوسف نجم ينفي خروج الخياط من مصر ، ويقول انه مثل في تياترو « زيزنيا » في اذار سنة ١٨٧٩ ، ومعنى هذا انه لم يخرج من مصر ، بل انزوى قليلا في الاسكندرية .

ثم يغيب حينا من الزمن ليظهر من جديد في اواخر سنة ١٨٨١ ، فيمثل في القاهرة مسرحية « ابو الحسن المغفل او هارون الرشيد » لمارون النقاش،ويعيد تمثيلها بعد فترة قصيرة ، ثم يختفي عن المسرح مرة اخرى على اثر اندلاع الثورة العرابية ، ليظهر فجأة اواخر عام ١٨٨٤ بفرقة جديدة ألفها من السوريين والمصريين ، ويفتتح موسمه على مسرح « زيزنيا » في العاشر من كانون الاول

فيعيد تمثيل مسرحية الطاغية ، ويتلوها بمسرحية « الكذوب » في الثامن من كانون الثاني ١٨٨٥ على مسرح « البوليتياما » في الاسكندرية ، ثم مسرحية « هارون الرشيد » ، لكنه لا يلبث ان يعود الى مسرح « زيزينيا » في اواخر اذار من العام نفسه ومعه الشيخ سلامه حجازي ذو الصوت الرائع، ثم يتوقف عن التمثيل حينا من الزمن ليعود اليه في كانون الثاني سنة ١٨٨٦ بفرقة جديدة ،ويشترك معه في التمثيل المطرب مراد رومانو ، ثم يطوف في مدن مصر وارياقها فيمثل في الزقازيق وطنطا والمنصورة ودمنهور ودمياط وبنها وميت غمر ، وتنتهي رحلته عام ١٨٩٠ حيث أراد ان يرتاح نهائيا ولاسيما بعد ان اخذت فرقة سليمان القرداحي وفرقة ابي خليل القباني تستقطبان النشاط التمثيلي ، فيتجه الى بعض الاعمال الادبية ، ويعلن عن عزمه على طبع رواية « غصن البان » التي ترجمها نجيب الحداد عن الشاعر الفرنسي لامارتين ، وتختفي اخباره مدة طويلة ، حتى يأتي نعيه في آذار ١٩٠٠.

كان سليمان القرداحي احد اعضاء فرقة يوسف خياط ، ثم انفصل عنها وألف فرقة خاصة به في الاسكندرية وذلك في مطلع عام ١٨٨٢ ، وبدأ عمله في الاوبرا ومعه الشيخ سلامة حجازي ، والممثلة « حنينة » فمثل مسرحية « تليماك » التي قلبها عبد الله البستاني مسرحية عن قصة لفنيلون وقدحضرها الخديوي ورجال حاشيته ، وبعض قناصل الدول الاجنبية ، ثم مثل بعدها مسرحيات : «الفرج بعد الضيق » و «فرسان العرب» و « زفاف عنتر » ، ثم عاد الى الاسكندرية حيث مثل مسرحيتي «تليماك» و«فرسان العرب » على مسرح « زيزنيا ».

لقد مثل القرداحي عشرات المسرحيات ، وطاف بفرقته مدن سورية ومصر والمغرب العربي ، كما انشأ مسرحا باسمه في الاسكندرية ، وقدمت اليه الحكومة مساعدة بان منحته قطعة ارض على شاطىء البحر . وظل يلازم خشبة المسرح حتى سنة ١٩٠٠ حيث بدأ نجمه يأفل امام النجاح العظيم الذي

أحرزته فرقة اسكندر فرح وفي طليعتها الشيخ سلامه حجازي ، لكنه استرد شيئا من نشاطه سنة ١٩٠٥ حين انفصل الشيخ سلامة حجازي عن اسكندر فرح ، فمثل عدة مسرحيات على مسرح اسكندر فرح ، وفي عام ١٩٠٧ غادر القاهرة نهائيا الى شمال افريقيا ، فمثل في تونس والجزائر ، ثم استقر به المقام في تونس حيث اسس فيها مسرحا عربيا لاقى كل رواج واقبال ، وقد أنعم عليه باي تونس بوسام الافتخار وبرتبة بك ، لكن الموت فاجأه يوم الخامس من ايار سنة ١٩٠٩ وهو في قمة نجاحه وتألقه ، وكان يأمل ان يغطي بذلك النجاح ما اصابه من خسارة في القاهرة ، فخلا الجو بذلك لباقي الفرق المسرحية .

عيسى فتوح

رسوم

الاديب الخالد

بقلم السيد علي ابراهيم

آمن بحرية القلم فلم يخضع لارادة قوى يعادي الموهبة لانه ليس من اصحابها ، وعلم ان نصيبه من الحياة فلم يسخره لحاجات النفس ونزعاتها ، فليست المتعة العابرة بنظره سوى اطياف تتلاشى ويبقى مجد القلم ووفاؤه وصدقه في السراء والضراء ، تنشر المحبة والصفاء والامن والسلامة للناس أجمعين ، وتلك هي رسالة الادب ان لم تطلب الخير وتكافح الشر ، وتقف في معبد الحق والجمال ، فتتلو الآيات والروائع ، وتبصر ما لا يبصره الناس فتحاول جاهدة الارتفاع بهم للمستوى الكريم ، تكون بضاعة رخيصة لا غناء فيها . آمن بحرية الانسان المطلقة الشاملة أينما كانت وكيف اتجه ، وطلبها للمرأة التي انهكها الجهل ، وغلتها التقاليد فجعلت منها دمية تعبث فيها الايدي وسلعة تباع وتشرى ، وللكلمة أراد لها ان تنطلق صادقة مخلصة من قلوب اصحابها فلا تسجد على الاعتاب وتدعو لتعفير الجباه وتجوز بالبيان غايته الاسامية النبيلة ، وهي التعبير الصادق والسير بموكب الحياة للغاية المثلى ، التي تبني ولا تهدم ، وترفع ولا تضع ، وللدين ، اراد له ان يكون الآمر بالمعروف ، الناهي عن المنكر ، الصلة التي تربط المجتمع وتشده للاهداف السامية بعيدا عن الاستغلال والمفاخرة والمباهاة ، لا يكون وسيلة للنفوذ والمتاجرة ولا سلاحا يستعمله من يشاء للكسب ، يجمع ولا يفرق ، فالخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه أنفعهم لعياله .

اما حبه لوطنه وحنينه اليه ، فلم يكن للعرض والطلب ، وانما هو عن وجد دفين وهوى وشجت أسبابه في اعماق الحس والشعور ، وكثيرا ما سمعته يردد قول الجواهري :

يا أم عوف وما كنا صيارفة فيما نحب ولا كنا مرابينا
لم ندر سوق تجار في عواطفهم وبائعين مودات وشارينا
لا نعرف الود الا انه دفق من الصبابة يعتاد المحبينا

واذا ذكر جرح وطنه وايام الصفاء السالفة يوم التقت فيه مواكب المعرفة والفنون، وكان مهدا للحائرين ومأوى لمن نبت بهم اوطانهم وقسى عليهم الزمن يوم نشر المعرفة والحضارة في سائر بقاع الارض وكان للغة العربية هاديا ودليلا ناجى أحبابه فيه بقول بن زيدون :

غيظ العدى من تساقينا الهوى، فدعوا بان نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بأنفسنا وانبت ما كان موصولا بأيدينا
وقد نكون وما يخشى تفرقنا فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا

استعرض في ذهني حبه للحياة ، وفرحه وكيف عشق الجمال في شتى مظاهره واشكاله ، سواء أوحت به امرأة ، او نغم ، او كلمة بليغة ترتفع بالانسان للمبدأ الاول باعث الخير ، وموحي الجمال ، ثم رأى الدنيا وقد تنكر وجهها ، وأدبر معروفها ، وتبدل حالها ، فآله ان تكون كعهده بها، فانطفأ ، في ايام الربيع ايام الورود والرياحين..

انامل من ذهب

لم يحصل سميح على شهادات مدرسية ولم يرث عن ذويه شيئا ، واضيف لضيق حاله انه أصيب بصدمة أثرت على رجله فأوشك ان يكون مقعدا، ولكن الارادة القوية أبت عليه ان يستسلم ويصبح عالة على غيره ، فوضع أمام

فكره هدفا مزدوجا ، أن يثقف نفسه بالقراءة والمطالعة ، وان ينتج فيعين أهله ويعد نفسه للمسؤولية عن بيت وزوج وبنين ، ورأيته في المعترك الحـــامي الوطيس والناس في سباق مع الزمن ، تميل بهم احداثه يمينا وشمالا ، يمتهن حرفة الضرب على الالة الكاتبة فيبرع فيها ، وكانت الصنعة ولم تزل وسيلة للرزق الحلال الطيب ، وطريقا للغنى عن الناس ، ترفع شأن صاحبها وتجعله عزيز النفس محترم الجانب ، يقصده اصحاب الحاجات ويرجعون اليه ، وقد جذب صدقه اليه من عرفه وتعامل معه فوجد فيه انسانا بارعا يحفظ حـــق غيره ويحترم نفسه ، اما القناعة فقد اعتمد عليها عدة يجوز بها الزحام ويعبره للهدف المنشود، ويخطىء من يجعل الطمع له شعارا ويجوز برغبته الحـــد الذي ينبغي له ، فيخسر حيث ينشد الربح الوفير • وعناني امر سميح فراقبته واذا به يختلس من وقته فرصا ينكب فيها على كتب الادب القديمة والحديثة فيحسن الورد والصدر ، وينهل من معينها ما طاب له ، والكتاب لا يســرد محبا يعرف حقه ويختار منه ما يفيده ويتفق مع هواه واهدافه ، ورأيتـــه في بيته زوجا وابا اراح نفسه من حيث تعب غيره ، فقد جعل المحبة صلة بينه وبين اسرته فصانته عن التردي في دروب اللجاج والخصام ، ولم يطلب السلطة لينازعه فيها من يضيق بها ذرعا وتثقل على كرامته وعزة نفسه ، ومرت ايامــه على احسن حال انتاجا وتثقيفا وعلائق اجتماعية منتظمة هادئة يريح فيهـــا ويستريح، يبدو له الغد من وراء حجب الغيب زاهرا مشرقا فتغمر السعـــادة والطمأنينة قلبه ، ولا تثير الازمات شعوره واحساسه •

ثم فرقتنا اسباب الحياة ولم يبق بيني وبينه غير أطياف من الذكريات قلبي بها ضنين ، ولم يخطر لي انه سيصبح في عداد المؤلفين ذات يوم ، وكم كانت دهشتي بالغة عندما حمل الي البريد كتابا جعل عنوانه (من صور الحيـــاة) شرح فيه التجارب التي عاناها ، ودأبه في طريقه الشاق الطويل ، ولفت نظري فيه انه يعبر عن آلام وآمال قسم كبير من المجتمع، ويصور صراعهم في سبيل لقمة العيش بأنامل من ذهب •

علي ابراهيم

الصافي في بيت الصافي

بقلم: خضر عباس الصالحي

لا ادري لماذا أحببت الاستاذ احمد الصافي النجفي هذا الحب الجارف الذي غمر كل جارحة من جوارحي ، وامتزج بكل خفقة من خفقات قلبي ، وخالط كل قطرة من قطرات دمي ، ولكن الذي أدريه جيدا انني شغفت بشعره شغفا عظيما ، وولعت بدراسته ولعا شديدا ، وأمعنت في استجلاء معانيه امعان المتأمل المبهوت .. ذلك الشعر المفعم بالافكار الفلسفية ، والروح الثورية ، والمتسم بالعفوية والتلقائية ، والذي أثبت تميزه الاصيل في النهج الفكري والاتجاه والرؤيا الفنية ، وتعامله مع الموضوعات الواقعية ...!

وكنت كلما تحل العطلة الصيفية أهرع الى سورية ولبنان للالتقاء به، والاستماع اليه وهو يترنم بقصائده ذات الدلالات الجمالية ، والنزعات الانسانية ، والتي تحمل رؤى وجدانه ، واضافاته الجديدة والمتميزةفي المضامين وأجده انسانا كبير النفس ، متواضع الخلق ، عميق الفهم ، وذا آفاق لا تحد، وفضائل لا تعد ، فيخالجني شعور بالفرح يمازجه احساس بالاعجاب ...!

وكثيرا ما كان يحدثني عن وطنه العراق ، ويفصح عن حنينه اليه ، وتلهفه للعودة اليه ، فيحملني الى ان أشاركه غصة الغربة ...

وعندما يتكلم عن أفراد اسرته في العراق يخص الدكتور علي الصافي بجانب كبير من كلامه ، وهو ابن اخيه العلامة المجاهد المرحوم السيد محمد رضا الصافي حيث كان كلما يسافر الى بيروت أو الشام يلتقي به ، ويحنو عليه ، ويلبي رغباته ، ويتعاطف معه بدأب شغوف ...!

وكنت كلما أزور الاخ الدكتور علي الصافي بمكتبه في عمارة مرجان

الكائنة بالباب الشرقي من بغداد لا يدور حديثنا الا حول عمه السيد احمد الصافي النجفي ويقول لي بلهجة مشوبة بالقلق :

ـ لقد أصبح عمي شيخا مكدودا انهكته هموم الدنيا ، وأرهقته اعباء السنين ، وضعف بصره ، وصار لا يقوى على المشي الا بصعوبة بالغة ، فانني أشعر بالمسؤولية تجاهه اذ لا بد من معاونته على تحمل مشاق الشيخوخة وآلامها المبرحة ... أليس هو القائل :

سرى شيبي من رأسي لاهدابي وهدت الجسم آلامي وأوصابي
وأعيت العين عن عرفان من نظرت فصرت أعرف بالاصوات اصحابي

فأتطلع اليه بنظرات تقطر ألما واقول ولساني يتعثر باللوعة المخنوقة :

ـ ولماذا لا تحبذ اليه العودة الى العراق ..؟

فيجيبني قائلا :

ـ لقد طرحت عليه هذا الرأي عشرات المرات ، وفي كل مرة يصر على البقاء في بيروت مهما كانت النتائج ... هذا مع انه كثيرا ما كان يردد قوله :

سئمت من وحدتي غريبا الا صديق الا عدو

وعندما أصابت شاعرنا الصافي رصاصات الغدر والخيانة ، وعولج في مستشفى المقاصد الاسلامية اضطر للعودة الى بغداد ، وذلك في مساء يوم الخميس الموافق ١٩ ـ ٢ ـ ١٩٧٦م استجابة للدعوة التي تلقاها من حكومتنا الوطنية ، وكان الدكتور علي الصافي أول المستقبلين لعمه في مطار بغداد الدولي ... حيث نقل رأسا من الطائرة الى مدينة الطب للمعالجة وهو يقول :

يا عودة للدار ما أقساها أسمع بغداد ولا أراها

ومكث في مدينة الطب اثنين وعشرين يوما ، وخرج منها يوم الجمعة

المصادف ١٣ ـ ٣ ـ ١٩٧٦ م، واستقر في دار ابن اخيه الدكتور علي الصافي الواقعة في حي المنصور بجانب الكرخ من بغداد ... وهي دار واسعة وجميلة تحبط بها حديقة غناء نسقت فيها الاشجار تنسيقا رائعا ، وطرزت ممراتها بالازهار الملونة ، واكتست ارضها بالثياب السندسية ، وجوقة العصافير ترفرف في اجوائها الرحبة فتبعث زقزقاتها الحلوة التي تتردد اصداؤها في الارواح النشوى ، وكأن الصافي كان يعنيها حين قال :

قصدت الطبيعة مستنجدا بها هاربا من جميع البشر
فجئت الى روضة غضة تعانق فيها قدود الزهر
يسامرها بالغنا طائر يساجله بالنشيد النهر
فأصغي لاعذب انشودة مقطعة بحفيف الشجر
دخلت كآدم في جنة وما لي كآدم عنها سفر

وفي هذا النص الذي كتبه الصافي في لحظات ابداعه الشعري دلل على حب عميق للطبيعة .. وقد ألبسه وشاحا من اللهفة والحنين ، واجاد التحليق في الآفاق الفكرية ...! .

وانصب اهتمام الدكتور علي الصافي على توفير كل اسباب الراحة لعمه الصافي ، واعداد الاجواء المناسبة لمزاجه ، والمبادرة لتلبية كل طلباته الآنية ، وقد استخدم معاونا له يرافقه ليلا ونهارا دو انقطاع ... كما ان زوجته الاميرة « هند » وهي مربية فاضلة ، واستاذة جليلة ذات ثقافة عربية أصيلة بالاضافة الى نسبها العريق بأمير قبيلة ربيعة القاطنة في محافظة الكوت، وقد عرفت بخصيصة الذوق والحس الشعري ، ولذا أوصت الصافي عناية فائقة ، وخصصت جانبا من وقتها لخدمته حتى قال فيها :

أميرة أعقد الامور تحل عطف نساء لها وعقل رجل

كان الصافي صباح كل يوم يجلس على الكرسي منفردا في حديقة

الدار الانيقة لينعم بالتسامي الروحي، والاستبطان الذاتي ، والاستغـــراق المجنح ••• وكان قد اصيبت عيناه بالعمى قبل قدومه الى وطنه بنحو ستة أشهر ••• حتى اذا أشار عقرب الساعة الى العاشرة صباحا قدم احد البلابل من مكان مجهول ، ووقف على أحد الاغصان المورقة ، وراح يزغرد بأغاريده المذبة ذات الانغام الرخيمة ، والايقاع السحري ••• وما ان يسمع الصـافي صوت البلبل حتى يغرق في تهويمة صوفية تأخذ عليه حضوره في ما يظـل يتابع الاصداء بوجدانه متابعة واعية ويقول :

أيهـا البلبل الملـذ سمعي بغنـاء ما مثله من غنـاء
أرسـل النور في الغناء لعيني لأرى شكلك البديع البهـاء
ثم رفرف من فوقنا حيث تحكي همزة الوصل بيننا والسمـاء

انها لقطة مصور بارع تحمل نبضات فنية رائعة ، مشحونة بازدحـام الصور ، عميقة في استحواذها على النفس ••• ولا غرابة في ذلك فللصـافي مهارة عجيبة في رصد اللحظات الخصبة المليئة بالمعاني الفجائية التي تستخلص منها مغزى عميقا ••!••

ويواصل البلبل تردده على الحديقـة كل صباح ، وفي الساعة العاشرة تماما ، ويظل يغرد زهاء نصف ساعة ثم يطير الى جهة بعيدة ••• وينتظـر الصافي عودته بشوق متعاظم ليستمع الى صوته وهو يصدح على فنن الاشجار حيث يوحي اليه أرق الشعر وأعذبه ، فتتفجر شاعرته المطاءة بفيض الهامه ، وروائع عرائسه ويقول تحت عنوان « اميران » :

أحب غنـاءك يا بلبـلي أحبك يـا موحي الشعر لي
أميران في فننـا نلتقي على لحـن قـافيتي رتـل
يطيـب مع الشعر لحن الغنـا فـاني واياك في محفـل

وفي اليوم التالي تتلبد السماء بالغيوم ، ويكفهر الجو ويكلح وجهه ••• ويترقب الصافي قدوم سميه البلبل ••• ولكن ترقبه يذهب سدى ••• فلعله انزوى مثله في عشه ، واعتزل كما يعتزل الشعراء ••• وتحت عنوان « جناية الغيم » يهتف من اعماقه قائلا :

حجب الغيب بلبل الامس عني   يا لحزني بفقد احلى غناء
فأنا منزو بكوخي وظني   انه اليوم مشبهي في الزوائي
ان في عالم البلابل حينا   عزلة مثل عزلة الشعراء

وهكذا تظل تجربته الشعرية متبلورة بالوعي والنضج متدفقة بالابداع والعطاء ، متسمة بالتفوق والابتكار ، ولا تفتقد الاصالة مطلقا !••

وبامتلاكه مقومات الفن الشعري ، وتمكنه من القدرة على رؤية الابعاد والمعاني المستقبلية ، وامتيازه بالصدق في المضامين ، وحرارة الرغبة في التعاطف والاتصال والبث ، واستقطابه عددا كبيرا من معاني الحياة فتح عوالم جديدة في الشعر العربي المعاصر ••!

واني لأجد الكلمات عاجزة عن استيعاب كل المشاعر والانفعالات التي أحسها وانا ألتقي باستاذي الكبير أحمد الصافي النجفي في مدينة الطب بعد عودته الى بغداد ••• فقد استطعت ان أعبر عن شعوري بقصيدة تحت عنوان « الصافي العائد »، وألقيتها على مسامعه ، ولا مجال لذكرها هنا ، وقد نشرتها احدى الصحف العراقية •••

وصرت اتردد عليه في دار الدكتور علي الصافي بعد خروجه من مدينة الطب حيث يتقاطر على زيارته المعجبون به ، واذكر منهم الاساتذة الافاضل الدكتور عبد الرزاق محي الدين ، والدكتور الشيخ احمد الوائلي ، وجعفر الخليلي ، وسلمان الصفواني ، وشفيق الكمالي ، وناجي جواد ، وهلال ناجي، وعلي الحلي ، والمرحوم فؤاد عباس، ورشيد عباس الصفار، وطارق الخالصي

وطالب الحاج فليح، وسلمان هادي الطعمة ، ووحيد الدين بهاء الـــدين ، وعبد الغني الخليلي ، ورشيد كرم ، وحسين محمد شعبان ، وباقر أمين الورد، والدكتور شامل السامرائي •

كما زاره الاخ نزار الزين خلال وجوده ببغداد في شهر ايلول مـــن سنة ١٩٧٧ الميلادية برفقة الاستاذين سالم الآلوسي وحافظ جميل •

وكنت أراه وهو يجتمع بهؤلاء الاخوان الاعزاء يحس بفرح غامـــر ، ويشيع البشر في وجهه ، فينفذ الى مشاعرنا عن طريق الوداعة والبساطـــة والصفاء ••• ويتحدث في مختلف المواضيع فتغلب على احاديثه روح الشاعرية ورقة الاحساس وصدق الحقيقة ••• يتكلم بلغة طافحة بالشوق والانفعال والحب ، لغة لها قوتها الفاعلة والمؤثرة في نفوسنا ••• وباسلوبه الرقيـــق المترقرق ، واستطراداته التي تنساب في كل اتجاه ، يروي لنا دوره الكبـــير والمهم في ثورة العشرين التي تفجرت في جنوبي العراق في السنة «١٩٢٠» الميلادية ، ويستعيد ذكرياته في ايران وسورية ولبنان ، فيعرض علينا فصولا ممتعة منها ، فننجذب اليه لما يتصف به من نفاذ في البصيرة ، ورسوخ في الادب، وجمـــالا في التعبير•••!•

ويتحدث عن تجاربه الادبية ، والمراحل التي قطعها في مضمار الشعر ، والاعمال المتميزة التي انجزها ، ويتوغل في سبر أغوار قدراته الادبيـــة ، ويكشف عن ابعاد اتجاهه الشعري ومعطياته بقراءة نماذج منها فيثير بيننـــا عاصفة من الاعجاب الشديد ••••!••

وتشترك جميع قصائده بمسحة ابداعية تجديدية تعتمد الوزن والقافية، فان الشعر عنده هو الكلام الموزون المقفى ذو الاخيلة البديعة ، والمفعـــم بالتجربة والمعاناة ، واستخدام ادوات الفن الشعري ••!••

ويلتزم جانب الموضوعية في أحاديثه عن الشعر الحر ، ويعطيها حقها من الاهتمام والتركيز فيقول :

ـ لقد حاول دعاة الشعر الحر التحديث في الشكل والمضمون ، فتلاعبوا بتفعيلات البحور تلاعبا أفقدها تلك الصور الموسيقية ، وساء تصرفهم في اللغة واستعمال مفرداتها في غير ما وضعت لاجله ، فجاءت قصائدهم شـوهاء ممسوخة ...

ووفق منظورهم الضيق ، وفهمهم القاصر اخذوا يتجردون من الوزن لانهم لا يريدون الانطلاق ... وأوزان الشعر قيود تكبل شاعريتهم ... ولم يعلموا ان الاوزان صور موسيقية تقيد بها الشعر العربي لما بينها وبين مقاطع الالفاظ العربية من الملائمة الصوتية لذا بلغت بالشعر درجة فنية رفيعـة ، وانها لن تقف حائلا دون تمكن الشاعر الموهوب من الاجادة في كل غرض من الاغراض الشعرية ....!..

ان هذه التغييرات التي حصلت في بنية الشعر حيث اصبح مجرد تراكم مفردات ، وجمل مبعثرة ومشحونة بفساد اللغة ، والاسفاف في اللفظ ، والتفريط في التصوير مما جعله منفصلا عن احاسيسنا ، ولا يثير فينا اقل اهتمام ...

لقد وقف الصافي موقف الساخط على الخارجين من عمودية الشعـر او تقليديته ... واضافة الى هذا فان الشعر لديه وسيلة من وسائل نقد الواقع الاجتماعي ، والتصدي للفوارق الطبقية وشجبها ، ويؤمن بالشعر الموجـه الذي يسهم في التطوير ، ويغني الفكر ... فهو عنده اداة توعية وبناءة ، ولذا سار بشعره في اتجاه خدمة الجماهير وتوعيتها ، وشدها الى مصيرهـا ، وابراز دورها النضالي في ازدهار الحياة ، واضاءة المستقبل ...!..

وفي هذه المرحلة البالغة الدقة والخطورة كرس كل طاقاته واساليبـه في الافصاح عن اهداف الامة وقضاياها القومية ، ومهد للجماهير طريـق التمسك بالقيم والمباديء ، واعلان الثورة على الطغاة والمنحرفين ، ورفـض كل صيغ التضليل والاحتواء ، وبذل الغالي ، وتقديم التضحيات ، واسترخاص الحياة دفاعا عن شرف الامة وعزتها ....! .

ولم يدخر وسعا ولا جهدا باسهامه في بلورة وعي الانســـان العربي وتحريضه على تغيير الواقع المتخلف ، فقد أبرز في شعره المشكلات الاجتماعية على انها الموضوعات الاكثر أهمية ، وركز على مآسي وعذابات الطبقة الكادحة كونها طبقة مميزة ، وذات دور في الواقع الاقتصادي والسياسي •••وقصيدته في الفلاح أشهر من ان تذكر ••• لان طبقة الفلاحين تحتل مركزا مهما عـلى صعيد الحاضر والمستقبل ••!••

وفي ظهر يوم الاثنين المصادف ٢٧ ـ ٦ ـ ١٩٧٧م توقف قلب الشـاعر الكبير عن الخفقان ، وانتهت رحلة العذاب والمعاناة التي عاشها منـذ سـن الصبا ••• وكان لهذا الحادث المفجع أصداؤه البعيدة في الاوساط الادبيـة، والمحافل الفكرية ، فقد كان انموذجا فذا للشاعر الذي حفظ للشعر كرامتـه وقدسيته ، وان الانتاج الغزير الذي خلفه في دواوينه المطبوعة والمخطوطـة يعتبر ثروة ضخمة قدمها لقومه في اكثر من نصف قرن من المتابعة الادبية••• وسيبقى ذكراه خالدا خلود الزمن بعد ان ترك شعرا ثوريا اصيلا ، وتاريخا مجيدا ، وأثرا حميدا ••• ولن يستطيع الزمن ان يمحو خياله من ذهني ، ولا يزيل ذكراه من قلبي ••• ذكراه التي امتزجت بدموعي السواجم ، وحسراتي الحرى ••!••

بغداد ـ العراق خضر عباس الصالحي

التجربـــة اولا

قيل ان رجلا مدح رجلا في وجهه فقال له : يا عبد الله ، لم مدحتـــني؟ اجربتني عند الغضب فوجدتني حليما ؟ قال : لا • قال : اجربتني عند السفر فوجدتني حسن الخلق ؟ قال : لا • قال : اجربتني عند الامانة فوجدتني امينا؟ قال لا ، فقال لا يحل لاحد أن يمدح احدا ما لم يجربه في هذه الاشياء الثلاثة•

تحية المولد النبوي الشريف

القيت هذه القصيدة في الاحتفال الكبير الذي احيته مدينة ((صيدا)) بمناسبة ذكرى عيد المولد النبوي الشريف

١٩ شباط سنة ١٩٧٨

شعر : يوسف ابي رزق

سلوا اصنام مكة ما دهاها ... تلاشت بعد منعتها قواها
تجبكم ، بنت وهب ضعضعتني ... لسدن وهبت الى الدنيا فتاها
الا بوركت اما بنت وهب ... بدا فجر النبوة من حشاها
محمد اشرف الخلق استنارت ... به الدنيا ، ونالت مبتغاها
قباب الكون خاشعة لديه ... نداء ((الله اكبر)) في ذراها
ظلام الجاهلية مزقته ... شموس اشرقت من وجه طه
بمولده تحققت الاماني ... وهللت الملائك في سماها
فمن ارض الحجاز رسول حق ... على الدنيا سما وعلا وتاها
يتيم حطم الطغيان لما ... اذل البطل واختار الالها
وامي بوحي الدين حقا ... اليه كل علم قد تناهى
هو القرآن معجزة تسامت ... بآيات البيان وقد حواها
تنزلها السماء عليه وحيا ... الهيا ، وجبريل تلاها
فكانت ثورة الاسلام في الار ... ض باسم الدين بالغة مداها
يقود جيوشها البطل المفدى ... الى جنب الرسول وقد حماها
علي كوكب التاريخ فيه ... البطولة عزة نالت مناها

اسم العبقرية يا اماما ... حوى درر البلاغة واصطفاها
بكفك ذو الفقار اذل كفرا ... وشاد عقيدة يعلمي بناها
اميلاد الرسول جلوت دنيا ... من الاوهام تغرق في دجاها
سحقت الشرك بالتوحيد حين ... الخليقة مرغت فيه الجباها
طلعت على دجى الاجيال فجرا ... وايقظت البرية من كراها
فيا لك ثورة زعزعت روما ... ودحرجت القياصر من علاها
تلاشى دونها سلطان كسرى ... وحرب الدين دائرة رحاها
فمزقت الضلال وكل كفر ... وللايمان قد حثت خطاها
سلوا الصحراء كيف غدت جنانا ... تفيض قداسة وتتيه جاها
سمت أرض الجزيرة بعد خفض ... وعزت بعد فقر في غناها
سمو الانبياء على ودينا ... بميلاد الرسول على ثراها
نبي العرب ! عفوك عن شعوب ... اضاعت في جهالتها حجاها
رسول الحق ! اشرف من سماء ... الخلود على بلادي في اساها
على لبنان ، تسحقه الرزايا ... وارض جنوبه فقدت رجاها
سياسات الكبار جنت عليها ... وصهيون تغير على حماها
أنزعنا الرياح بكل ارض ... وتبقى الدار تنعي من بناها
بلادي يا رسول الله ضلت ... اعنها كي تعود الى هداها
غدت في الكون مأساة المآسي ... تحشرج وهي تغرق في دماها
أغثنا يا نبي الله ! واسأل ... الهك ان يعيد لها هناها
لنذكر يوم مولدك المفدى ... عهودا خالدات في رباها
ونحيي العيد مبتهجين لا مثل ... هنا العام ، واها اثر واها

صيدا ... يوسف ابي رزق

جبل عامل

شعر : محمد الحسن

بلد المحبة والسلام بلد العروبة والكرام
يا عامل الخيرات والا حسان يا راعي الذمام
نكبتك اشرار اليهو د ولم تدع غير الحطام
ماذا لقيت من العتا ة وما جنوه من الاثام
سفكوا دماء الابريا ء وذي افاعيل الطغام
ماذا لقيت من العرو بة غير دولار الكلام
تركوك نهبا للغزا ة وما غزاك سوى اللئام

★ ★ ★

لبنان درة يعرب لم يلق فيهم من محامي
تركوه نهبا للطغا ة كأنه نسل حام
ونسوا مصيفهم به بين الرياض وفي الاكام
ونسيمه ومياهه فيها شفاء للسقام
كم لاجيء قد امه هربا من الموت الزؤام
من بعد ياس قاتل امسى واصبح في سلام

★ ★ ★

بترولكم اغناكم فغدوتم اثرى الانام
وبذلتم اموالكم في كل موبقة حرام
ناديكم نادي القما ر، سميركم كأس المدام
لكن بخلتم بالقليل النزر يبذل للطعام
اين المروءة والوفا قد اصبحا تحت الرغام
لا خير منكم يرتجى لا ترج خيرا من سوام
لم نلق منكم ناصرا لمهجر تحت الخيام
أطفالهم من بؤسهم باتوا على سغب ظوامي
البرد اضنى جسمهم والسحب فوقهم هوامي

ومهجريـــن تعسفـــوا الوديـان خوفا في الظـلام
مـــا بين شيخ عـاجز او طفلة نحـو الفطـام
وشبابـهم صرعى عـلى وجه الثرى تحت الركام
والطـــائرات تصب فـــو ق رؤوسهـم كـاس الحمام
ومـدافـع وقنــــابل تنهـل كالغيث السجام
عطـف الغريـب عليهـم والعرب لجوا في الخصام
عودوا الى احســـابكم عــــودوا الى نهج الكــرام
فالـلــه ينصركـم اذا عـدتـم الى ظل الوئام

النبطيـة محمد الحسن

الى المشتركـين في العرفـــان

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنـوء بحملـه المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان نتدارك ما يمكـن تداركه وذلك برفع قيمة الاشتراكـات في المجلة كمـا يلي :

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية
٥ دنانير في البلادالعربيـة
١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربيـة
٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية
٥٠ دولارا جوا للخـارج
١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائر والمؤسســات الرسميـة والسفـارات والبنـوك والشركـات بالبريـد العادي
١٥٠ بالبريـد الجوي
واشتراك الانصـار لا حـد لــه .

فراق الى الابد

مهداة الى روح المرحوم السيد هادي السيـــد محمد مهدي آل طعمـــة

شعر : خضر عباس الصالحي

نجم هوى من شاهق الافـــاق ... فخبــا ضياء مكارم الاخــــلاق
ومن الصـــدور تصاعدت حمم اللظى ... فاصابت الاكبــاد بالاحــــــراق
نفس تحـلت بالمروءة والــوفا ... وحــوت ارق العطف والاشفاق
هو من سلالة احمــد فخر الورى ... جم التواضع طيب الاعـــــراق
راد الصروح الشم في اهدافه ... وبهــا اطل على ذرى الافـــاق
واذا أصاب الصحب خطب لم يكن ... للبذل غـــير مبــادر سبـــاق
ثبت الجنـــان ومنه لم تنل الدنى ... عند الغنـــى وبحالـــة الاملاق
ما عدت بعد رحيله النائي سوى ... صب الى عهد الهوى تـــواق
لما سمعت بنعيـــه ادمى الاسى ... قلبي ، وسال الدمع من احـــداقي
الدمع في عينـــي خالطـــــه دم ... ينســـاب مثل الجدول الدفـــاق
وتفجـــــرت آلام حزن قاتــــل ... كتفجــــر البركان في اعمـــاقي
وغدوت نهبا للهواجس والضنــــى ... وفريســـة لمخالــــب الاقــــلاق
طاحــونة الالــم المرير تلفنـــــي ... وتجـــر احلامــي الى الازهـــاق
احيا وما في الكــاس غير ثمالـــة ... من خمرة الامل الجميل الراقي
واذا ظمئـــــت اروح انقع غلتـــي ... بالدمـــع ، دمع اليأس والاخفاق
واذا السجين ، سجين هم شــدني ... بقيوده من ذا يفك وثاقـــي ؟
وانــا اداري بالنحيب كآبـــــتي ... حتى غــدوت بآخر الارمـــاق
كالليـــل قد لاح النهار لناظري ... فالشمس لم تغمـــره بالاشراق
واذا احتواني الليل لم المح به ... بدرا ، فان البـــدر رهن محــاق

ويح الفراق فما امر سمومه ... اني اغص بسم كاس فراق
اصبحت بعد براحه الشاجي الذي ... ما بعده عود على الاطلاق
مثل الجريح يئن من اوجاعه ... او كالحمام ينوح في الاطواق
أو زهر روض جف ماء غديره ... فبدا هزيلا ذابل الأوراق
ما زلت اذكر كيف كان يضمني ... عند اللقاء لقلبه الخفاق
كلا ولن انسى مودته التي ... منها بكاس قد رشفت دهاق
كنا اذا ما نلتقي بعد النوى ... الصدر يجذبني بسيل عناق
ولطالما خفق الفؤاد بذكره ... فغدا الفؤاد ضحية الاشواق
وانا ببغداد الحبيبة اشتكي ... ألم الجوى كالعاشق المشتاق
واتيه كالهيمان في وادي الهوى ... أسقي الغليل بمدمعي المهراق
قد كنت بالامس القريب مرتلا ... شعرا يمور بفيضه الرقراق
كالبلبل الصداح رفاف الرؤى ... أزجي اللاحن في ربوع عراقي
واليوم انشد رائعات قصائدي ... وفمي يغص بمدمعي المغداق
وسلا الشجي وبت وحدي ناحبا ... لما نعى الناعي أعز رفاقي
كاسي الحياة فما وجدت بها سوى ... وشل جرعت به آمر مذاق
والروح ظمأى للوفاء ولم تجد ... الا خمور الغدر عند الساقي
ساظل للذكرى العزيزة مخلصا ... فخذوا على ما ادعي ميثاقي
واذا الفتى يغزوه جيش منية ... هيهات لا منجى له او واقي
يا راحلا عنا الى دنيا البقا ... انعم بظل الواحد الخلاق
قد عفت دنيا لم تكن ابدا سوى ... دار لكل تناحر وشقاق
دنيا تواكبها دسائس اهلها ... ملغومة بالويل والارهاق
الناس ياكل بعضهم بعضا فما ... اضحوا سوى مستنقع لنفاق
تبا لدنيا كم بها من نكبة ... عصفت بكل مفكر عملاق
واذا طوتك يد المنية في الثرى ... ذكراك تبقى كالسنى الالاق
ما هذه الدنيا سوى دار الفنا ... حقا ، وان الله فهو الباقي

بغداد

خضر عباس الصالحي

الف يوم مع الحاج امين

ملاحظات عابرة حول ما كتب عن لسان المفتي الحسيني

بقلم : السيد عبد الرزاق الحسني

في تموز من عام ١٩٣١م ، حدث اضراب أهلي في بغداد سرعان مـا انقلب الى اضطراب سياسي شمل العراق بأسره واستمر اسبوعين كاملين تعطلت خلالهما الاشغال العامة واضطرب الامن وسادت الفوضى فاقترح علي السيد محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية المعروفة ان نسافر الى القاهرة بطريق دمشق ـ بيروت ـ حيفا والقدس فنقضي فصل الصيف في الربوع العربية الجميلة من جهة ، ونتخلص من الفوضى الضاربة اطنابها في الوطن العزيز من جهة اخرى . وكان الاقتراح حسنا للغاية لاني كنت أكاتب جريدة « الاهرام » المصرية سنتين ، وانهيأ لطبع احد مؤلفاتي في القاهرة . وقد تكرم المغفور له الملك علي فمن علي برسالتي توصية احداهما الى اخيه الامير عبد الله والاخرى الى مفتي فلسطين الحاج محمد امين الحسيني .

وكان قطع الطريق بين بغداد ودمشق قبل خمسين حجة يستغرق اربعا وعشرين ساعة اذ لم تكن يومئذ طائرات نقل للركاب ، ولا كانت سيارات سفر مريحة « اوتوبوس » ولكن الرحلة كانت موفقة كل التوفيق . ولما

وصلنا القدس نزلنا في أحد فنادقها المتوسطة ثم زرنا المسجد الاقصى والقبة الصخرة وعرجنا على المجلس الاسلامي الاعلى فقدمنا الرسالة الى سماحة الحاج محمد امين فاستقبلنا استقبالا حسنا وأكرم وفادتنا اكراما خاصا، وشملنا بعطف ورعاية لم استكثرهما عليه لان المعدن من منبعه لا يستغرب ، والتبر من متربه لا يستكثر ، وقد اقترح علي صاحب السماحة ان اكاتب جريدة « الجامعة العربية » التي كان يصدرها قريبه الاستاذ محمد منيف الحسيني كما اكاتب الاهرام فنزلت عند اقتراحه في الحال ، وكانت بيني وبينه مراسلات ومكاتبات ما زلت أحتفظ بها معتزا .

ودالت الايام دولها واذا بالمفتي الحسيني يصل الى بغداد في ١٥ تشرين الاول ١٩٣٩ ثم ينزل دارا متواضعة اعدت له في شارع الزهاوي ، قبالة البلاط الملكي ، واذا بهذه الدار تصبح مقرا للاتصالات الواسعة من رجال الجيش والسياسة والصحافة وحملة الاقلام وكبار الموظفين ، وكان هؤلاء يحدثون سماحته بدخائل امورهم بحيث أصبح أعرف الناس ببواطن الامور في العراق . يعرف ما لدى الجميع اوسع معرفة بينما لا يحيط كل من هؤلاء الا بنصيب من هذه المعرفة . فقد كان الرجل يستقبل زواره بكياسته التي تخفي ما في نفسه ، فيسحر الناس بلطفه ، ويحرص على رد الزيارة لكل من يزوره ، بصرف النظر عن مركزه السياسي والاجتماعي . ولما تطورت العلاقات بين بريطانية والعراق تطورا أدى الى الاصطدام المسلح بين الجيشين العراقي والبريطاني في الثاني من مايس ١٩٤١ كان المفتي الحسيني الكوكب الوهاج في هذه الحركة الخطيرة فلما تغلبت القوات الاستعمارية الغاشمة على الحق العراقي الصريح ، استطاع الحاج محمد أمين ان ينجو واصحابه من الغدر البريطاني فهرب الى ايران فتركية فايطالية فألمانية بينما قبضت السلطات المختصة على صاحب هذا المقال وعلى صحبه فابعدوا الى المنافي والسجون ليقضوا فيها سني الحرب العجاف لا أرانا الله مثلها في قابل الايام .



هزت نكبة فلسطين كيان الامة العربية ، وهزت نفوس ابنائنا وعقائدهم على اختلافها هزا عنيفا فكان على ملوك العرب ورؤساء الجمهورية في بلادهم والمسؤولين عن الحكم فيها أن يعيروا هذه الحالة النفسية أعظم الاهتمام فيتلافوا ما فات ، ويعملوا على النهوض بالشعب في الداخل ، وعلى انتاج سياسة عربية تهدف الى توحيد أجزاء الوطن العربي وتعتبر قضية الحرية والاستقلال في جميع هذه الاجزاء قضية واحدة فتعبيء جميع القوى لمجابهة الاخطار والتحرر من الاستعمار حتى يتم تحرير فلسطين لتدمج في وطن حر موحد ، ولكن الحكومات العربية سارت في واد ، وسارت شعوبها في وادآخر ، فتسلسلت الحوادث المؤسفة ، وهوت العروش الشامخة وكثرت الاغتيالات .

ففي يوم ٣٠ آذار ١٩٤٩ قام الزعيم حسني الزعيم بانقلابه العسكري الاول في دمشق فطوح بالسيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، وأجلاه عن البلاد . وفي يوم ١٤ آب من السنة نفسها تزعم اللواء سامي الحناوي الانقلاب السوري الثاني ، وهو الانقلاب الذي أدى الى اعدام حسني الزعيم واعدام رئيس وزرائه حسني البرازي . وفي يوم ١٩ كانون الاول من هذه السنة ايضا كان الانقلاب الثالث الذي قام به العقيد الشيشكلي وأدى الى اخراج اللواء الحناوي من سورية واغتياله في بيروت .

وفي يوم ١٦ تموز ١٩٥١ قتل السيد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان أثناء الزيارة التي أداها الى الملك عبد الله ملك الاردن وبعد اربعة ايام قتل الملك عبد الله وهو يهم بالدخول في المسجد الاقصى لاداء فريضة الجمعة .

وفي يوم ٢٣ تموز ١٩٥٢ كان الانقلاب العسكري في مصر الذي عصف بعرش الملك فاروق ، واجلاه عن ارض الكنانة .

وفي ١٨ ايلول ١٩٥٢ كان الانقلاب الذي أطاح بحكم الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية ثم بحكم كميل شمعون .

وفي يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ أطاح الجيش العراقي بحكم الهاشميين وقضى على الاسرة الهاشمية في بغداد ، واعلن النظام الجمهوري والظاهر ان الثورات والانقلابات ستستمر في البلاد العربية حتى تسترجع فلسطين وتقوم الوحـدة العربية الكاملة .

وكان لا بد لزعماء العرب ان يدونوا مذكراتهم وينشروا للشعب العربي أخبارهم واعمالهم وتجاربهم وهذا ما بدأ به المغفور الحاج محمد امين الحسيني ونشره في اعداد متسلسلة من مجلة فلسطين . وكنت كلما قصدت لبنان في أشهر الصيف كنت أزوره برفقة الاستاذ نزار الزين فاستحثه على السمـاح بنشر هذه المذكرات المفيدة في كتاب مستقل خدمة للتاريخ فكان يعد ولكن ظروفه لم تساعده على الايفاء بالوعد . واتذكر انني تجاسرت في عام ١٩٧٣ فقلت لسماحته ان البلاد العربية تتجه اليوم كلها نحو الاشتراكية واصبح من حق كل عربي ان يجمع مذكراتكم المفيدة وينشرها في كتاب مستقل فأجابني ــ رحمه الله ــ هذا صحيح ولكن أعدك بقرب شروعي في جمع هذه المذكرات وطبعها ثم ذهب الى ملاقات ربه قبل ان يحقق للناس هذا الحلم اللذيذ .

أما العمل الشاق الذي أقدم عليه الاستاذ زهير المارديني ، بجمع مـا سمعه من المغفور له ، واما اقدام الاستاذ نزار الزين على طبع هذا المجمـوع فعملان جليلان يستحقان كل حمد وثناء وكل تقدير وتمجيد . وقد قـرأت هذا المجموع الجليل في عدد العرفان المزدوج (التاسع والعاشر من المجلد ٦٥) ولفتت نظري بعض الهنات فرأيت أن اثبتها فيما يلي .



ص ٩١٣ كان انتقال الحاج محمد امين الحسيني الى الرفيق الاعلى في الرابع من تموز ١٩٧٤ الموافق ١٤ جمادى الآخرة ١٣٩٤ وليس في ٤ حزيران .

ص ١٠٢٩ الذي وافق على المعاهدة العراقية ـ البريطانية لسنة ١٩٢٢ كان المجلس التأسيسي العراقي وليس البرلمان .

ص ١٠٢٩ وقعت المعاهدة العراقية ـ البريطانية للسنــة ١٩٣٠ في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ وليس في العاشر منه .

ص ١٠٣٠ كان تمرد الآشوريين على الجيش العراقي قد وقع في آب ١٩٣٣ وليس في عام ١٩٣٢ .

ص ١٠٣٠ قتل الملك غازي في ليلة الرابع من شهر نيسان ١٩٣٩ وليس في ١٤ آذار من هذه السنة .

ص ١٠٣٠ قطع العراق علاقاته الدبلوماسية بالمانية في الخامس من ايلول ١٩٣٩ ، وليس في الثالث عشر منه .

ص ١٠٣٤ لم تعلن الاحكام العرفية في معسكر الرشيد بسبب انشقاق زعماء الجيش العراقي ، بل اعلنت هذه الاحكام في ٦ آذار ١٩٣٩ بسبب اتهام السيد حكمة سليمان بتدبير انقلاب ضد وزارة نوري السعيد .

ص ١٠٣٤ لم يخرج رئيس الوزراء السيد رشيد عالي زميله السيـــد حكمة سليمان من سجنه وانما أخرجه السيد نوري السعيد بعد ان أصيــب « حكمة » بالتدرن الرئوي ، وسمح له بالاقامة في السليمانية .

ص ١٠٣٤ هنالك روايات مختلفة حول وثيقة التآخي بين رؤساء الوزارات فجميل المدفعي يقول ان الوثيقة كانت تأييدا لسمو الوصي وقد اعطيت بنــاء على طلبه (محاضر مجلس الاعيان ٥٠٤) ورشيد عالي يدعي ان الوثيقـــة نظمت على طلب منه كوسيلة لصد كيد الخصوم (تاريخ الوزارات العراقية ٥ـــ١٣٧ من الطبعة الرابعة) اما أنا فقد سمعت من الحاج محمد أمين الحسيني ان نوري السعيد اوعز الى سماحته باعداد هذه الوثيقــة (الوزارات و ١٣١)

ص ١٠٤١ اظن ان سماحة المفتي الحسيني نـي اجتماعه بالكولونيل نيوكمب في دار السيد ناجي شوكت القائمة على شارع ابي نواس وكنـت حضرت هذه المقابلة وقمت بشيء من الترجمة •

ص ١٠٤٤ كان هرب الامير عبد الاله الى الديوانية قد تم في الثلاثين من كانون الثاني ١٩٤١ وليس في العاشر منه •

ص ١٠٤٧ لم يكن السيد ناجي شوكت وزيرا مفوضا للعراق في انقره يوم تم الاتصال مع السفارة الالمانية ولكنه كان وزيرا للعدلية في وزارة رشيد عالي الثالثة وقد سافر الى أنقره للاتصال •

ص ١٠٥١ كانت القوا تالعراقية فوق الكثبان المحيطة بقاعدة الحبانية يوم ضربها الطيران البريطاني ولم تكن على بعد ٢٥ كيلومترا عنها كما ذكر في هذه الصفحة •

ص ١٠٥٢ كان الفريق بكر صدقي يحرص حرصا شديدا على الاحتفاظ بتقرير الكولونيل الالماني هاينتز الخاص بالدفاع عن كردستان العراقية • ولما سافر الى الموصل يوم ١٠ آب ١٩٣٧ في طريقه الى تركية ، كان التقرير في محفظته اليدوية فلما قتل في اليوم التالي سلم العقيد شاكر الوادي التقرير الى الانكليز•

ص ١٠٥٣ كان انسحاب الجيش العراقي من الحبانية الى ابي غريب ومنها الى بغداد • ولم يجر اي انسحاب الى الرمادي•

ص ١٠٥٣ لم يكن العقيد صلاح الدين الصباغ حاكما عسكريا لبغداد وانما كان قائدا للفرقة الثالثة •

ص ١٠٥٤ لم تكن الطائرات الايطالية بحاجة الى وقود ولكن الطيارين الطليان رفضوا التحليق بطائراتهم .

ص ١٠٥٥ كان قد تقرر انتقال الحكومة من بغداد الى كركوك لتنظيم القتال منها وقد اعد قطار خاص لهذا الغرض فلما علم رئيس الوزراء السيد رشيد عالي الكيلاني بهرب القادة الاربعة صلاح الدين الصباغ ، وفهمي سعيد ، ومحمود سلمان ، وكامل شبيب ، الى ايران عن طريق خانقين، اسقط في يده فأمر بجعل وجهة القطار الخاص « خانقين » بدل كركوك وهكذا التجأ وصحبه الى ايران .

ص ١١١٧ سافر السيد ناجي شوكت من تركية الى المانية بمحض اختياره ولم يكن سفره تلبية لدعوة تلقاها من السيد الكيلاني ، وكانت تركية تود بقاءه في أراضيها لما له من علاقات طيبة مع ساستها وقد ايد ذلك لي مرارا وجاء التفصيل في كتابه « سيرة وذكريات ثمانين عاما » .

ص ١١٢٠ قال لي المغفور له الحاج محمد امين الحسيني انه كان قد توسط لدى المقامات الالمانية العليا لمنع محاكمة الدكتور فريتز غروبا فتوسط في مسعاه وكانت الحكومة الالمانية مصممة على محاكمته بتهمة تحريضه العراقيين على محاربة الانكليز قبل ان يكونوا مستعدين للحرب .

هذا ما بدا لي عرضه عن الامور التي تمت في العراق وكنت شاهد عيان فيها . اما الامور التي ذكرها المغفور له عن مقابلاته لهتلر وموسوليني وعن الجيش العربي المقرر تنظيمه في اوروبا الغربية وعن سوء التفاهم الذي حل بينه وبين المغفور السيد رشيد عالي الكيلاني في ديار الغربة فلا اتعرض له من قريب او بعيد ولا سيما وعندي اوراق المرحوم الكيلاني واوراق غيره مما لا يحسن ذكره الآن .

الكرادة الشرقية السيد عبد الرزاق الحسني

مختارات من الحكم والخلق والبلاغة

ـ « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

« قرآن كريم »

ـ « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل عملا صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

« قرآن كريم »

ـ « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » .

« قرآن كريم »

ـ ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر بالقلب وصدقه العمل ، وان قوما قد ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى كذبوا ، لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل .

« حديث شريف »

ـ ألا اخبركم بخير الناس وشر الناس ، ان خير الناس رجل عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره ، او على قدميه حتى يأتيه الموت ، وان من شر الناس رجلا فاجرا يقرأ كتاب الله لا يرعوي الى شيء منه .

« حديث شريف »

ـ ما من يوم تصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا •

((حديث شريف))

ـ الكبر بطر الحق ، وانتقاص الناس ، والازدراء بهم ، والتعاظم عليهم •

((حديث شريف))

ـ النمـلة تعمل ، ولا تقترض ابـدا .

لافونتين

ـ اغبى امرأة تستطيع ان تخدع اذكى الرجال • ولكن الرجل الغبي لا تخدعه الا امرأة بالغة الذكاء !•

كبلنج

ـ ما اسرع ما يتبدد المجد •• الدنيوي !

توماس كيمبس

ـ الحب نار •• لا تتركنا الا رماد •

جون كيتس

ـ التاريخ ، حلم مزعج ، أحاول ان أنساه !

جيمس جويس

ـ الامانة •• فضيلة تمدحها ، وتتركها تموت جوعا •

جوفينال

ـ القرد قرد •• حتى ولو لبس الحرير !

بن جونسون

ـ الحب كمرض الحصبة •• لا بد ان يمرض به الجميع •

جيروم كابلانكا جيروم

ـ اتعس الناس المتردد !

وليم جيمس

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَت

اللغة العربية وقدرتها على استيعاب مفردات العلوم ...

عبد الرزاق البصير :

العامة جرح خطير يعمق التجزئة ويثبت دعائم الاقليمية ..

د. شاكر مصطفى :

نعاني نقصا كبيرا من كلمات تعبر عن حـاجاتنا العاديـة ..

ندوة الثلاثاء الاخيرة ، كانت حول اللغة العربية وقدرتها على استيعاب مفردات العلوم العصرية . كان المقرر ان يتحدث في الندوة الاستاذ الاديـب عبد الرزاق البصير والدكتور شاكر مصطفى فقط ، ولكن اهمية الموضوع ، وما فيه من اثارة ، وكونه ذا صلة بالاختصاصات جميعها ، جعلت الحاضرين يشاركون جميعهم في الحديث عن هذا الموضوع ، وابداء وجهـات نظرهم حـولـه .

دور القرآن في تطوير اللغة

بدأ الاديب عبد الرزاق البصير حديثه فقال :

كان القرآن اداة لتطوير اللغة ونموها اذ نقل مفرداتها من معان محدودة الى معان جديدة واسعة . «الصوم» مثلا ، هو الشجر الذي ليس فيـه ورق . وجاء الاسلام ونقله ليدل على فرض من الفروض . ولفظة «الصلاة» يزعمون انها آرامية ، لكن القرآن نقلها الى عبادة . و « الزكاة » : الطهارة والصلاح . ونقلها الاسلام الى حقوق للفقراء عند الاغنياء .

شـــيوع اللحن

ولما انتشر الاسلام في انحاء العالم ، ثم امتزاج العربية بكثير من الاعاجم ، فشاع اللحن . واحس علماء العربية بان الخطر اصبح محدقا ، فاندفعوا يبحثون عن سبل صون اللغة وحمايتها فرحلوا الى البادية ، وتكلفوا المشاق ، بدافع من حبهم للغة ، الحب الذي جعلهم يستعذبون هذا التعب ، وتلك المشـــقة .

وخلال هذا ، ولدت قضية النحو ، هل هو علم عربي ام انه مأخوذ من السريانية ؟ وانا اميل الى ان النحو علم عربي صرف ، لان الشعر الجاهلي يسري على هذه القواعد التي وضعها علم النحو ، ويتفق معها .

ثم أحس العلماء بضرورة ترتيب اللغة ومفرداتها ، فوضعوا المعاجم ، ولكنها لم توضع كما نعرفها الان ، حيث كانت في البدء تصنف المفردات حسب الموضوعات .

وجاءت بعد ذلك الحاجة الى الترجمة ، ونقل العلوم الى العربية ، فنقلت حسابات بطليموس واقليدس وجالينوس ، دون ان يلاقي المترجمون صعوبة ما ، مما يدل على ان العربية تستوعب هذا التجديد الهائل .

ويختلف نهج المحدثين عن نهج القدماء الذين كانوا يسعون الى البادية حفاظا على اللغة . فقد تأسست اليوم مجامع اللغة العربية ، حتى صارت تضم مئة الف مصطلح ، مما يعني ان العربية غنية مرنة .

ونتساءل بعد هذا كله : هل العربية عاجزة حقا عن استيعاب العـــلوم الحديثة ؟ لقد خطط لهذه الفكرة الاستعمار ، واقتنع بها كثيرين ، حتى صاروا يعتقدون بصحتها .

ثم اننا نجد اليوم ان الجامعة السورية تدرس مختلف العلوم بالعربية ، ونجحت في هذا ، وفي مقدمة الكليات التي تدرس موادها بالعربية .. كليـــة

الطب التي خرجت الاف الاطباء الذين سبقوا كثيرا من زملائهم المتخرجين من جامعات اوروبا واميركا .

ومن الاخطار التي تواجهها العربية اليوم : العامية التي يتحدث بها ابناء العربية ، وهذا في رأيي جرح خطير ، لانه يعمق التجزئة ، ويثبت دعائم الاقليمية .

اداة حضارية

ثم تحدث الدكتور شاكر مصطفى فقال : ليست اللغة مفردات ، لكنها أداة حضارية ناجمة عن حاجات انسانية مادية او معنوية ، يعبر عنها بصوت له شكل .

اللغة ، صياغة الفكر ، بتحويل الافكار الى اشكال يمكن للاخرين ان يفهموها .

واللغة تتأثر كثيرا بالبيئة التي تحيا فيها ، ولذا فاني أرى ان نصا من العصر المملوكي او العصر العباسي لا يمكننا ان نفهمه الان كما كان يفهمه ابناء هذا العصر او ذاك .

ان اللغة صورة من المجتمع وحاجاته ، وثبات اللغة يعني جمودها ، ومن هنا يقولون ان اللغة تغني وتفقر بغنى المجتمع حضاريا او فقره .

وثلاثة او خمسة آلاف سنة من عمر اللغة العربية ، فترة ليست قصيرة في عمر لغة تكونت من لهجات مختلفة ومتعددة . وهذا الشكل الاخير الذي وصلت اليه العربية ، كانت نتيجة تطور طويل .

وفي الوقت نفسه ، اخذت العربية من اللغات المجاورة دون ان تكون للعربية حاجة اليها ، ولكنه الجوار والتعامل .

تجربة التعريب

ثم انتقل الدكتور شاكر مصطفى الى الحديث عن تجربة التعريب ورأى انها كانت سهلة على العرب ، لا لان العربية سهلة ، ولكن لان علماء العربية قاموا بالتجربة نفسها في القرون الهجرية الاولى ، كما اننا نجدها لدى العرب قبل الاسلام .

ودلل على ان العربية الحاضرة تختلف عن العربية القديمة ، بأمثلة منها:

دخول فعل « الكون » واستعماله اليوم بكثرة ــ كثرة الجمل المعترضة ــ كثرة استعمال الفعل المبني للمجهول ــ كثرة استعمال ضمير الغائب ــ ادخال الالف والنون قبل ياء النسبة ــ ادخال ال التعريف على حرف النفي : لا ــ صوغ الاسم من الحرف « هو » : الهوية . (مع العلم بان «هو» ضمير، والضمير اسم وليس حرفا).

وختم د. مصطفى حديثه بتسجيل الملاحظات التالية :

١ ــ لا يمكن ان يوجد لدينا مصطلح علمي اذا لم يكن له في حياتنا العلمية ما يقابله .

٢ ــ نعاني نقصا كبيرا من كلمات تعبر عن حاجاتنا العادية .

٣ ــ نحن مضطرون الى ايجاد مصطلحات نطلقها على ما يجد من اشياء، فاذا لم نضعها بعربيتنا ، دخلت اليها رغما عنا .

٤ ــ طرائق تأليف العبارات في اللغات الاخرى ، تسهل على اصحابها استعمال كلمات جديدة كثيرة .

ثم عاد الاديب عبد الرزاق البصير فتعرض للعامية ، وقال ان العامية الكويتية عاجزة عن ان تعبر عن نفسها ، فكيف يمكنها ان تعبر عن حياة حضارية .

انهم يأتون بألفاظ لا يفهمها الكويتيون انفسهم ، واني اتحدى ــ على

سبيل المثل ـ ان يزعم احد انه يفهم هذه الجلسات البدوية التي تذاع في التلفزيون .

ان هناك سهاما توجه الى الامة ، من حيث تدري ولا تدري ، وارى ، ان معجزة العربية ليست في استيعابها ما ورد اليها ، فالحضارة العربية هي حضارة الطبيعة ، فليست هناك حضارة مادية ، ان العربي يستعمل للسيف عددا كبيرا من المفردات ، وكذلك للجمل ، وهكذا ..

معجزة العربية اذن ، في دقة التعبير عن خرائج النفس ، تعبير لم تبلغه لغة في العالم ، قديما وحديثا . ولعل كتاب « فقه اللغة » للثعالبي خير مثال على هذا ، فقد ذكر فيه ان للحب مراتب متعددة ، وكذلك للغضب .. وهكذا.

وتتابع المتحدثون ، فتكلم الاستاذ مروان المتولي والدكتور محمد عيد الاظن والدكتور مأمون المهايني والاستاذ علي الحسن .. وكل يدلي بدلوه في هذا الموضوع .. ذي الشأن الكبير.

* * *

محاورة : الدكتور عبد السلام الترمانيني في الادب والقانون والتاريخ والتراث

- **للادب دور كبير في حياة رجل القانون**
- **اذا تساوى رجلا قانون في المعرفة القانونية فالرجحان للاديب منهما ...**

المؤرخ العربي الذي اثبت وجوده في نظري
هو ابن خلدون والمتنبي هو في مقدمة الفحول

استاذ القانون والاديب ، واستاذ التاريخ واستاذ الادب والشاعروالفنان واستاذ الفلسفة والاجتماع والمثقف وغيرهم من المختصين بالعلوم الانسانية هؤلاء ينصب تفكيرهم او تتجه اكثر اهتماماتهم على ينابيع الثقافة والحضارات

وتمتد تطلعاتهم الى معرفة الماضي كما تمتد طموحاتهم الى وعي الحاضر واستشفاف المستقبل • ومن هذه النظرة فان الحديث الذي يمكن ان يجري مع واحد من هؤلاء يجب ان يقتصر دوره على اختصاص هذا المختص بمفهومه المعروف ، بل من الضرورة في هذا العصر ان تتشعب الاسئلة على مثل هذا المثقف الذي نعرف ان له اهتماماته الفكرية في ميادين المعرفة ، وعلينا ان نعرف بالمقابل مدى نشاط هذا المثقف في مجالات الحضارة المختلفة ، فنقف بذلك على جهود هذا المثقف وتجاربه وآرائه في اكثر من مجال فهو يمثل بالنسبة الينا عينة من شخصيات هذا الحاضر ، وقيمة ثقافية تنتمي الى عصرنا،وبالتالي علينا ان نكتشف الجوانب المضيئة من معرفة هذا المثقف ونستفيد من فكره وآرائه وخبراته •

وهذا الحديث الذي يمضي القارىء للاطلاع عليه هو مع شخصية من الشخصيات القانونية المعروفة واستاذ القانون والشريعة بجامعة الكويت الدكتور عبد السلام الترمانيني • وهو من رجال القانون والفكر ، وله ولع في الادب والتاريخ • وعندما سألته عن كل اهتماماته ومؤلفاته لم يشأ ان يزيد على انه في الوقت الحاضر استاذ قانون في كلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت •

ولكنني علمت انه كان من ابرز المحامين في سورية وقد مارس المحاماة في موطنه « حلب » ما يزيد على ثلث قرن ، وكان نقيبا للمحامين ، وعميدا لكلية الحقوق بجامعة حلب ، واستاذا للقانون فيها وفي جامعة دمشق• كما انه تولى في وقت مضى مناصب ادارية منها منصب محافظ لمدينة دمشق ، وتولى مناصب وزارية فكان وزيرا للداخلية ووزيرا للصحة ، وعرف عنه انه لم ينتسب الى حزب او الى نشاط سياسي معين• وله عدة مؤلفات مطبوعة في القانون والتاريخ والتراث وله مطالعات واسعة في الادب •

وهذا الحديث هو جولة بين الادب والتاريخ والقانون مع الدكتور عبد السلام الترمانيني وحول اهتماماته الحاضرة في مجال الكتابة •

● ما هي الخصائص التي يجب ان تتوفر في استاذ القانون ؟

ـ القانون قاعدة حياة واستاذ القانون يجب ان يتمتع بثقافة عامة عالية تتصل بكل جوانب الحياة من فلسفة وادب وتاريخ وجغرافية واقتصاد وعلم نفس واجتماع . فهذه العلوم تغذي الفكر القانوني وتساعد في تفسير كثير من القواعد والنظريات القانونية . وعليه ان يتتبع التطور العلمي وما يحدثه من تطور في الشرائع الحديثة ليساهم عن طريق المقارنة والاقتباس في وضع خطة لمستقبل القانون الوطني ويساعد المشرع في تطويره .

● ما هو دور الادب في حياة رجل القانون ؟

ـ للادب دور كبير في حياة رجل القانون فهو عون له في ايضاح الفكرة القانونية وفي حسن سبكها وصياغتها . فرجل القانون سواء اكان استاذا او قاضيا او محاميا ، يستطيع اذا ما كان اديبا ان يجذب الاذهان اليه اذا كتب والاستماع اذا تحدث . واذا تساوى رجلا قانون في المعرفة القانونية فالرجحان للاديب منهما .

● كيف تحدد العلاقة بين التاريخ والقانون ؟

ـ التاريخ هو احداث الماضي بكل ظواهره ، والقانون كظاهرة اجتماعية له تاريخه ، وتاريخه مرتبط بجميع الظواهر الاخرى لا ينفك عنها . خذ مثلا قانون الاسرة ، فهذا القانون مرتبط بجميع الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التي عملت على تطوير الاسرة ، ولا يمكن فهم هذا القانون الا بفهم العوامل الماضية التي أدت الى تطويره . ولذلك يعتبر تاريخ القانون اساسا للعلوم القانونية .

● بماذا تتميز طبيعة ونشأة الاسرة العربية منذ الجاهلية عن غيرها من المجتمعات الاخرى ؟

ـ لا يمكن اعطاء هذا السؤال حقه من الاجابة في مقابلة صحفية .

وقد عالجت هذا الموضوع في كتابي « الوسيط في تاريخ القانون والنظم القانونية » الذي تتولى الجامعة طبعه ، كما عالجته بتفصيل اوفى في كتاب اعددته عن (تاريخ الاسرة العربية في الجاهلية والاسلام) غير اني استطيع أن اشير الى ان الاسلام اعتبر الاسرة الخلية الاساسية في بناء المجتمع الاسلامي فنقض الاساس الجاهلي الذي كانت تقوم عليه واقامها على اساس جديد حدد لكل فرد من افرادها مركزه القانوني ، وفي حدود هذا المركز يمارس كل منهم ما منحه من حقوق وما رتب عليه من واجبات .

● علمت انكم على وشك انجاز كتاب تاريخي عن المئتين والخمسين سنة الاولى للهجرة . عن اي شيء تاريخي يتحدث هذا الكتاب ؟

ـ انا مولع بالتاريخ منذ حداثة سني ، وحين قدمت للكويت خصصت ما يتبقى من فراغي لقراءة التاريخ الاسلامي وتاريخ الامم التيعاصرته واقترنت احداثه باحداثها . وقد قمت بوضع فهرس زمني لاهم الاحداث التي رافقت مسيرة التاريخ الاسلامي وساهمت في صنعه ، وقد تضمنت هذه الاحداث الوقائع الحربية والثورات الداخلية والحركات السياسية والاجتماعيةوالمظاهر العمرانية والثقافية مع ترجمة لاعلام الرجال والنساء ممن كانت لهم صلة بهذه الاحداث او قامت بسببهم. وقد وضعت بيانا بكل حادثة وآخر للبلدان والامكنة التي جرت فيها الاحداث . وجعلت ذلك كله على شكل فهرس ابجدي يسهل الرجوع اليه وختمت هذا العمل بفصل تحليلي للتاريخ الاسلامي مستمد من تسلسل الاحداث بترتيبها الزمني. وقد بدأت من السنة الاولى للهجرة حتى عام ١٣٧٠ (١٩٥٠ للميلاد)، وقسمت هذه المسيرة الزمنية الى مراحل وانجزت المرحلة التي تمتد من السنة الاولى للهجرة الى عام ٢٥٠ (٨٦٤ للميلاد) وهي المرحلة التي بلغت فيها الدولة الاسلامية اقصى سمتها وازدهارها . وقد تضمنت مع الاحداث التي تسلسلت فيها ترجمة وافية لثمانمائة علم من اعلام الرجال والنساء . وكانت غايتي من هذا العمل ان ارسم خطا بيانيا لمسيرة التاريخ الاسلامي في مرحلة تكوينه ثم في مرحلة صعوده ثم في مرحلة انحداره مع تحليل للعوامل المختلفة لهذه المراحل التي تساعد على

التأمل فيما كنا عليه وفيما نحن فيه وفيما ينبغي ان نكون • وقد دفعت الجزء المتعلق بالمرحلة الاولى الى صديقي الاستاذ الدكتور شاكر مصطفى لمراجعته•

● من خلال شغفك بالتاريخ والادب الى جانب القانون من هو المؤرخ العربي والشاعر العربي الذي اثبت وجوده لكل العصور ؟

ـ المؤرخ العربي الذي تعنيه هو في نظري ابن خلدون ، فقد وضع في مقدمة تاريخية القواعد التي ينبغي للمؤرخ مراعاتها في كتابة التاريخ ، تلك القواعد التي كانت اساسا لعلم الاجتماع وبذلك جعل التاريخ علما يخضع لقواعد موضوعية واخرجه من نطاق الرواية التي كان يعتمدها المؤرخون•

اما الشاعر العربي الذي تعنيه فدعني قبل ذكره ان احدد عناصر الشعر• فالشعر في رأيي يتألف من ثلاثة عناصر : احساس وجداني ولغة سليمة تعبر عن هذا الاحساس تعبيرا صادقا وصياغة فنية فيها نغم تنقلك الى هذا الاحساس وتشعرك بجماله وروعته • وهذه العناصر اذا ما تساوت في الجودة والاتقان ارتقى صاحبها الى مرتبة الفحول • وعندي ان المتنبي هو في مقدمة الشعراء الفحول الذين تتوفر في شعرهم العناصر الثلاثة فأثبت بها وجوده لكل العصور • أليس هو القائل :

وما الدهر الا من رواة قصائدي　　اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

اما شعراء زماننا ففيهم المجيدون والمبرزون ولا ريب ولكنهم قلة ، وفيهم من لا تتساوى في شعره العناصر الثلاثة • غير اني ألاحظ ان مستشعرين كثيرين اقتحموا ساحة الشعر وفيهم من تخلف فيه عنصر او عنصران ، وفيهم من تخلفت فيه العناصر الثلاثة ، ويبقى صحيحا من صنف الشعراء الى اربعة أصناف فقال :

الشعراء فأعلمن اربعة　　فشاعر يجري ولا يجرى معه
وشاعر ينشد وسط المعمعة　　وشاعر من حقه ان تسمعه
وشاعر من حقه ان تصفعه

● من قراءاتك لاحاديث واراء الكتاب والشعراء والمفكرين في مقابلاتهم

مع الصحافة ، ما رأيك بأدب المقابلات واثره في القارىء والمفكر نفسه ، ومـا دور السائل في هذا الحوار ؟

هذه المقابلات ضرورية ومفيدة فهي ضرورية لانها تصل رجال الفكـر بالجمهور عن طريق الصحافة وتعرفهم به وبآرائه من خلال الحوار بينهـم وبين السائل . وهي مفيدة لان الحوار يكشف عن آراء رجل الفكر في كثير من القضايا يوضحها او يعللها او ينقدها . ويشترط في السائل ان يكون قادرا على استخراج مخزون هذه الاراء واستخلاص المفيد منها بامانة . وهذه مهمة شاقة لا تؤتي ثمرتها الا اذا كان السائل نفسه من رجال الفكر . وهذا الطراز من الحوار قديم عرفه اليونان في محاورات افلاطون التي نقل فيها آراءاستاذه سقراط وفي محاولات اخرى منها محاورات الكاتب اليوناني لوسيان الـذي عاش في القرن الثاني بعد الميلاد والتي اجراها على لسان الموتى الذين اجتمعوا في الجحيم يتحاورون في مباهج الدنيا التي قضى عليها الموت وشبيه بذلكرسالة الغفران لابي العلاء المعري وقد تأثر بها الشاعر الايطالي واضحا فيالكوميديا الالهية . وفي العصر العباسي ظهر نوع من الحوار كان يجري بين العلمـاء بمحضر الخليفة او بمحضر وزير من الوزراء وفيه كانت تطرح قضايا فكرية وعلمية . وكان هذا النوع من الحوار او المناظرة يدعى «الجدل» وقد وضعت له قواعد وكتبت فيه فصول ومؤلفات عرفت بأدب الجدل . وقد شاع اليوم أدب المقابلات في الصحافة العربية وعقدت له ندوات تدعى « لقـاءات » او « موائد مستديرة » يشارك فيها رجال الفكر في مناقشة الامور التي تهـم المجتمع .

● باعتباركم عاصرتم الدعوة للوحدة العربية فما رأيكم في تحقيقهـا، وكيف تتصورون قيام وحدة بين البلاد العربية تزيل هذا التشتت الذي تعانيه؟

ـ اذا كنت تعني قيام دولة عربية موحدة من الخليج الى المحيط ، وبمعنى آخر اذا كنت تنشد انشاء امبراطورية عربية تجمع الارض العربية في دولـة واحدة فهذا امر صعب المنال ، ومثل هذه الدولة قامت في ظل العهد الاموي وزالت بزواله ، ولكني ارى ان يبقى تصور الدولة الكبرى أمنية حيـة في

نفوس ابناء الامة العربية تتجسد باقامة تكتل عربي يتميز بخصائص الانسان العربي . وفي تصوري ان السبيل الى ذلك ان ترتبط البلاد العربية بوحدة ثقافية ذات جذور عربية ووحدة في التشريع ذات جذور اسلامية وبوحدة الثقافة والتشريع تتحقق بها شعور اصيل ومثمر بالتعاون في المجال الاقتصادي وفي المجالات الاخرى يشد هذا التكتل ويجعله قادرا على مقارعة التحديات التي تواجهها الامة العربية .

● ما هو تفسيرك لهذا الشعور بالقلق الذي ينتاب الشعوب العربية ؟

ـ هذا الشعور بالقلق مصدره الخوف وهو من رواسب الماضي ، ومن مظاهره ما نلقى من شيوع الكذب والرياء التماسا لكسب المنافع وحفظ المصالح . ومن اجل ان تتفتح عبقرية الامة العربية وتتحلى بقيمها الاخلاقية لا بد ان تتحرر من عقدة الظلم ، وسبيلها الى ذلك حاكم مؤمن يستمد شرعيته لا من الدستور فقط، بل من عمله الصالح وثقة الشعب به واطمئنانه الى عدله.

★ ★ ★

عبقرية الامام علي في علم الحيوان

عادل محمد علي الشيخ

يزخر التاريخ العربي وحضارته الرفيعة بالكثير من النوابغ والعباقرة في كل العلوم والفنون من ادب وفلسفة وتاريخ وسياسة وعلوم بحتة واجتماع وجغرافية وغير ذلك. والعرب الحق ان يتفاخروا بما انجبته امتهم من نوابغ كانوا ولا زالوا وسيبقون افذاذا او اصحاب فكر عظيم لا ينضب معينه ، لانهم اصحاب فلسفات ومدارس علمية هي الاسس التي بنيت عليها حضارات الغرب والشرق الحديثة .

ان حضارة العرب العريقة لم تترك شيئا الا وبرزت فيه ، وكانت هناك مدارس في مختلف العلوم . وقد كان علماء العرب يحمل كل واحد منهم عبقرية في اكثر من علم ، وكأنهم موسوعات او دوائر معارف . فالذي كان

فيزيائيا هو فلكي وكيمائي وطبيب في آن واحد ، كما كان من بين علماء العرب من هم في الاصل قادة عسكريون بل وخلفاء وامراء ، وهذا يدل دلالة قاطعة على ان علماء العرب كانوا اشبه بجامعات تضم مختلف انواع المعرفة والثقافة والفكر المبدع . والمدهش ان عمالقة العرب في العلوم لم يتتلمذوا على غيرهم من علماء الحضارات الاخرى او يقتبسوا شيئا دون ان يشيروا له لانهم تمسكوا دائما بالامانة العلمية . والدليل على ذلك ان اوروبا في فترة القرون الوسطى كانت تسبح في ظلام دامس من الجهل والتأخر والوحشية حتى ان بعض مؤرخيهم اطلقوا على تلك الفترة بالقرون المظلمة بينما كانت امة العرب تسطع عليها أشعة العلم والفكر الخلاق . ومن اعلام العرب الافذاذ الامام علي بن ابي طالب (ع) الخليفة الرابع والاخير من الخلفاء الراشدين الذي عرف بشجاعته وفروسيته وبلاغته وكرمه ونبله ووفائه وشهامته . فهذا الرجل العظيم يتمتع بشخصية فذة ، لعبت دورا كبيرا في تثبيت اركان الاسلام وكان الساعد الايمن للنبي محمد (ص) وله فضل كبير على العرب ونشر الاسلام في مشارق الارض ومغاربها . وعبقرية الامام علي لا يمكن تحليلها بأسطر قليلة فهي عبقرية فريدة من نوعها تجمع السياسة بالادب والدين بالعلم والبلاغة باللغة والعسكرية بالكرم والنبل والفلسفة بالمنطق . وهناك خصائص حميدة يتمتع بها الامام علي في مجال العلوم الطبيعية وقليل منا من يعرف ان لهذا الفيلسوف اقوالا في مجال علوم الحيوان تطابق تماما ما جاء بها العلم الحديث . وقد ترك الامام مادة قيمة خالية من شوائب الخرافات والاساطير . يقول الدكتور جليل ابو الحب : (فالامام قدم لنا دراسة صحيحة في علم الحيوان قبل ما يقارب الاربعة عشر قرنا ولم تقل هذه الدراسات في اهميتها العلمية عن دراساتنا في الوقت الحاضر . فانه لم يدع اللامعقوليات تملأ حديثه عن الحيوان . ولقد امتلأت الكتب التي كتبها المتأخرون كثيرا عن عصره بانباء غير معقولة وغير علمية عن الحيوانات). والذي يثير الاعجاب في عبقرية

الامام في علم الحيوان انه يعتبر سابقا لاعمال كل علماء العرب في هذا المضمار، لان علوم اليونان لم تكن معروفة في زمنه لدى العرب ، ومع ان علماءاليونان والهنود والفرس كانوا قد كتبوا في مجال علوم الحيوان الا انها كانت مجرد حشو ملفق بالاساطير والاوهام البعيدة عن معاني العلم وآفـــاقه الرحبة ٠ وسنتناول في بحثنا نماذج مما جاء به الامام عن الحيوانات المختلفة ونطابقـها مع ما جاء بم علم الحيوان الحديث ٠

١ ــ في الحشرات :

فقد تحدث الامام علي عن نوعين من الحشرات الاقتصادية النمل والجراد، فقال عن النمل : « انظروا الى النملة في صغر جسمها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على أرضها وصبت عـــلى رزقها تنقل الحبة الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع في حرهـا لبردها وفي وردها لصدرها مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها ، لا يغفلها المنان ولا يحرمهـا الديان ولو في الصفا اليابس ، والحجر الجامس » ٠

النمل من اذكى الحشرات الاجتماعية التي ذكرها الامامعلي، وهيحريصة على جمع الغذاء ، وتتخذ لها قرى تحت الارض فيها غرف ودهاليز ومخازن للحبوب وذخائر للشتاء وتمتلك حاسة شم قوية ٠ وغرف النمل في العـــش أنواع فمنها غرف خاصة للملكة لتضع البيض بمعدل ٦٠ بيضة في الدقيقـة ومنها خاصة للحضانة ٠ والعمال على نوعين : نوع يعتني بدور الحضانة وهي مربيات ونوع آخر يحرس العش او المستعمرة ، وكلاهما يقومان بجمع الطعام٠ وكثيرا ما نلاحظ ان النمل تستطيع ان تنقل اجساما اكبر بكثير من جسمهـا وتقلبه وتسحبه ولكنها تستريح بين حين وآخر ثم تستأنف عملها الشـاق ٠ والمواد التي تجمعها حشرات النمل كثيرة من مواد نباتية كالحبـــوب وقطع الاوراق وبعض الحشرات الميتة وغيرها ٠ ومن سلوك النمل الغريب ان بعض

البذور التي تدخرها كالقمح او الارز او الشعير تنبت اذا تركت في جوف الارض مدة طويلة ، ولذلك فهي تقسم الحبة الى قسمين قبل خزنها لتمنعها من الانبات ، اما حبة الكزبرة فانها تقسمها الى اربعة اقسام ، لانها لو قسمت نصفين لنمى كل قسم بمفرده ، وتقوم النمل باخراج الحب الى سطح الارض لتعرضه للهواء واشعة الشمس حتى لا يتعفن . والنمل اذا احس بظهور الغيوم اعاد الحب الى مكانه خوفا من هطول المطر . وكلام الامام علي عن النمل جاء مطابقا تماما لما عرفه العلم الحديث عن النمل وسلوكه الاجتماعي المدهش . والنمل يكد في الصيف ويجمع الغذاء ليخزنه للشتاء لان الجو في هذا الفصل لا يسمح له بالخروج لجمع الغذاء والعمل . كما ان النمل عندما تجلب المواد الغذائية الى المستعمرة لا تضيع طريقها او مستعمرتها ولا تفشل ولا تيأس في مسعاها في طلب الرزق وفي عملها من اجل ذلك .

ثم ينتقل الامام علي الى وصف اعضاء الحس عند النمل حيث يقول : « لو فكرت في مجاري أصلها وعلوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها ، وما في الرأس من عينها واذنها ، لقضيت من ذلك عجبا » .

عيون النملة تقع في مقدمة رأسها وهي عبارة عن عيون بسيطة ومركبة . وتحس النملة بواسطة الشعيرات والشويكات المنتشرة على جسمها ولاسيما على لوامسها . ولكن وجود اذن بالمعنى المتعارف عليه عند النمل ليس له وجود ، وهذا ليس معناه ان النمل لا يحس او يسمع . فكثيرا ما نلاحظ ان النمل السائر في خطين ذهابا وايابا يتلاقى فيما بينه ليخبر احده الآخر بواسطة قرون استشعارها الدائبة الحركة عن مكان الغذاء او عن الاعداء او اي شيء آخر . وهذا يدل دلالة قاطعة على وجود لغة مشتركة بين النمل بواسطة اعضاء حس خاصة .

وعن اشارة الامام علي الى وجود اضلاع (شراسيف) في النمل يحدثنا

الدكتور جليل ابو الحب فيقول : (وهنا ايضا اننا نعرف ان النملة والحشرات معدومة الاضلاع • غير ان جسم الحشرات يتكون من حلقات واضحة وبارزة وكأنها الخطوط او الضلوع حول الجسم • ان تركيب النملة الحلقي يوحي لنا بكل وضوح بمنظر الاضلاع في الجسم)• وعن الجراد يقول الامام علي: « وان شئت قلت في الجرادة اذ خلق لها عينين حمراوين واسرج لها حدقتين قمراوين وجعل لها السمع الخفي وفتح لها الفم السوي وجعل لها الحس القوي ونابين بهما تقترض ومنجلين بهما تقبض يرهبها الزراع في زرعهم ولايستطيعون ذبها ولو اجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث في نزوتها وتقضي منه شهواتها وخلقها كله لا يكون اصبعا مستدقة »•

للجرادة زوج من العيون المركبة وثلاث عيون بسيطة ، والعين المركبة تتكون من (٤٠٠ وجه) يمثل كل منها وحدة تتألف من مجموعها العين المركبة• اما العيون الثلاث البسيطة فتقع في قمة الرأس وتحمل ايضا زوجا من اللوامس المفصلية تتحرك في جميع الجهات ، وتقوم كأعضاء اللمس والشم كما تحمل لواحق تابعة للفم • واعضاء السمع في الجرادة عبارة عن فتحتين ، واحدة على كل جانب من الحلقة الاولى من حلقات البطن • وهاتان الفتحتان مغطاة بغشاء سمعي دقيق ، ولا يعرف اعضاء السمع في الجرادة الا الذين تخصصوا في التشريح الحيواني، حيث انها تقع في مكان بعيد من الرأس • وتقوم اللوامس الشفوية والفكية وقرون الاستشعار في الجرادة باستلام المؤثرات الخارجية لتقوم بتوصيلها الى اللويفات العصبية التي بدورها تنقلها الى الالياف العصبية ومن ثم الى الجهاز العصبي المركزي • والفم في الجرادة عبارة عن شق في مقدمة الرأس يحيط به وعلى جانبيه فكان قويان سوداوان مسننا الحافة، تستعمل الجرادة هذين الفكين للقضم والقطع فهما بمثابة نابين • وكان تعبير الامام علي عن رجلي الجرادة الخلفية وتشبيههما بالمنجل لهو خير تعبير علمي ووصفي له دلالته الفلسفية العميقة ، وكان حقا تعبيرا صائبا • فالرجل الخلفية

في الجرادة طويلة قوية سميكة القاعدة مستدقة النهاية ومعقوفة ، وحافـــة القسم المستدق من الرجل هذه مسننة مما يجعلها تشبه المنجل تماما٠وتستخدم الجرادة هذه الارجل للقفز للمساعدة على الطيران ، ولكنها تستخدم الارجل الاماميه والفكوك في الحصول على غذائها وتقرض طعامها بالفكين القويـين الموجودين في الفم ٠

وبذلك يتحدث الامام علي عن الاضرار الجسيمة التي تحدثهـا والآثار الاقتصادية السيئة التي تتركها هذه الحشرة الصغيرة على المزروعات والتي تخيف كل الفلاحين في اكثر بلدان العالم ٠ ففي اواخر الصيف تبدأ الانـاث بوضع البيض في حفر ، من ٢٠ ـــ ٣٠ بيضة في كل حفرة ، حيث يفقس في اوائل الربيع فتخرج الصغار شبيهة بالجراد البالغ ، ولكنها عديمة الاجنحـة وخالية من الاعضاء التناسلية الناضجة ، وتسمى بالحوريات ويكون خطـره اشد وافتك من الجراد البالغ ، حيث ترحف هذه الحوريات الجائعة عـلى شكل جيش جرار ، يكتسح في سيره ما يصادفه من اخضر ويابس فيؤدي الى حدوث كوارث عظيمة في مختلف المزروعات وخصوصا مزارع الحنطـة والشعير ٠ وفي اثناء هجومه هذا تبدأ بعض التحولات الفسيولوجيـــة في شكله فينسلخ هيكله الخارجي ست مرات حتى يصل البلوغ عندما تتكون له اجنحة تساعده على الطيران وتعرف هذه الادوار الستة بالاستحالات وان كانت غير كاملة ٠

وتتجمع اسراب الجراد المهاجر في اماكن خاصة تعرف بالاوكار الجماعية وقد تمكن المراقبون من مشاهدة تكون تجمعات هائلة قد يصل تعدادافرادها الى (٥٠٠ ألف مليون حشرة)، تبدو عند طيرانها كسحابة تحجب ضـــوء الشمس لمدة ايام ٠

وعندما تنقض هذه التجمعات على منطقة ما في امريكـــا او افريقيا او

استراليا فانها تسبب خسائرجسيمة ، قدرت في الولايات المتحدة وحدها بمبلغ (٢٥٠ مليون دولار سنويا)٠

٢ ـ الطيـور :

وعن الطيور يتحدث الامام علي باسلوب سلس ولطيف ، فيصنف بعضها ويتحدث عن اسلوبها في الطيران وبناء اعشاشها وكيفية حصولها على غذائها، ثم يوضح لنا كيفية اختفاء الطيور عن اعدائها وعن الالوان التي كساها الله بها ، كما ان الامام علي (رضي) يعتبر سباقا الى معرفته بتصنيف الحيوان لان ما ذكره من وصف وتعداد لانواع الطيور يدل على باع هذا الرجل وفضله على هذا العلم منذ اكثر من ١٣٠٠ سنة خلت ٠ ويعتبر الوصف الذي جاء به الامام علي فيما يخص الطيور وبهذا الاسلوب العلمي الممتزج بالاسلوب الادبي الدقيق ، فلسفة علمية ادبية ذات قيمة واعجاز ، فيه دقة وثبوت يحق للامـة العربية ان تفتخر به في كل عصر وزمان ، ولنترك الامام يتحدث لنا عما جاء به من عبقرية فذة في هذا المجال « وما ذرأ من مختلف صور الطيور الـتي اسكنها اخاديد الارض وفروق فجاجها ، ورأس اعلامها ، من ذات اجنحـة مختلفة وهيئات متباينة ومصرفة في زمام التسخير ومرفرفة باجنحتها في مخارق الجو المنفسح والفضاء المنفرج ، كونها بعد ان لم تكن في عجائب صور ظاهرة وركبها في حقائق مفاصل محتجبة ، ومنع بعضها بعبالة خلقه ان يسمو فـي السماء خفوقا ، وجعله يدف دفيفا ، ونسقها على اختلاف في الاصابيغ، بلطف قدرته ودقيق صنعته ، فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غـير لـون ما غمس فيه ، ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبـغ فيه »٠ ويقول « فالطير مسخرة لامر ، احصى عدد الريش منها والنفس وارسـى قوائمها على الندى واليبس ، وقدر اقواتها واحصى اجناسها ٠ فهذا غراب ، وهذا عقاب ، وهذا حمام ، وهذا نعام ، دعى كل طائر باسمه ، وكفل لـه رزقه » ٠ وهكذا نجد ان الامام علي (رضي) قد برع في وصف عادات وسلوك

الطيور وكان نابغا في تصنيف انواعها واجناسها معتمدا على بيئاتها وتراكيبها الفسيولوجية والتشريحية . وقد كان عبقريا في وصفه طيران انواعها فهذه تخفق بجناحها او تبسطها عند الطيران وهذه تصعد عاليا في السماء او تبقى قريبة من الارض . كما كان احد الرواد الافذاذ في علماء سلوك الحيوانات حيث وصف محلات بناء أعشاشها ، فذكر ان منها ما يبني عشه او افحوصه في اخاديد الارض وشقوقها او في أعالي الاشجار والجبال . ونوه عن اسلوبها في الحصول على الغذاء فقال ان منها من تفتش عنه على الارض ، ومنها مـا يبحث عنه في الماء ، ومنه من يعثر عليه على الاشجار وفي اعالي الجو . وقـد كان الامام موفقا عندما عدد الالوان التي تلون معظم الطيور ، فمنهـا من يكون لونه واحدا لا تشوبه شائبة ومنها من هو ملون بالوان عديدة ، وهو بذلك يشير الى ان هذه الطيور تحاكي الطبيعة والبيئة التي تعيش فيها من اجل التخفي عن اعدائها ، وهو نوع من انواع استخفاء الحيوان المعروف في العلوم المعاصرة . ويصف الامام الطاووس بصورة مفصلة وبكل دقة وامعان، كوصف عالم متمرس من علماء الطيور المعاصرين فيقول : (ومن اعجبها خلقا: الطاووس الذي اقامه في أحكم تعديل ، ونضدد ألوانه في احسن تنضيـد ، بجناح أشرج قصبه ، وذنب أطال مسحبه ، اذا درج الى الانثى نشره من طيه وسما به مطلا على رأسه كأنه قلع داري عنجه نوتيه . يختال بألوانه ، ويميس بزيقانه ، يفضي كأفضاء الديكة ويؤر بملاقحة أر الفحول المغتلمة في الضراب. احيلك من ذلك على معاينة ، لا كمن يحيل على ضعيف اسناده . ولو كـان كزعم من يزعم انه يلقح بدمعة تسفحها مدامعة فتقف في ضفتي جفونه وان انثاه تطعم ذلك ، ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المتبجس لما كان ذلـك بأعجب من مطاعمة الغراب ، تخال قصبه مداري من فضة وما انبت عليها من عجيب داراته وشموسه خالص العقبان وفلذ الزبرجد فان شبهته بما انبـتت الارض قلت جنى من زهرة كل ربيع .

وان ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل او كمونق عصب اليمن . وان شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات الوان قد نطقت باللجين المكلل يمشي مشي

المرح المختال ، ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله واصابيغ وشاحه ، فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا معولا يكاد بصوت يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه ، لان قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقدنجمت من ظنبوب ساقه صيصة خفية وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشاة ، ويخرج عنقه كالابريق ومغرزها بطنه كصبغ الوسمة اليمانية او كحريرة مبلسة مرءاة ذات صقال وكأنه متلفع بمعجر اسحم الا انه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه ، ان الخضرة الناضرة ممتزجة به • ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الاقحوان ابيض يقق • فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق • وقل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط ، وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه ، فهو كالازاهير المبثوثة لم تر بها امطار ربيع ولا شموس قيظ • وقد ينحسر من ريشه ، ويعرى من لباسه ، فيسقط تترى ، وينبت تباعا •• فينحت من قصبه انحتات اوراق الاغصان ، ثم يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبل سقوطه • لا يخالف سالف الوانه ويقع لون في غير مكانه • واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه ارتك حمرة وردية وتارة خضرة زبرجدية واحيانا صفرة عسجدية فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن او تبلغه قرائح العقول ، او تستنظم وصفه أقوال الواصفين واقل اجزائه قد أعجز الاوهام ان تدركه الالسنة ان تصفه)•

لو نظرنا الى المظهر الخارجي للطاووس لشاهدنا ان ريشه اصفر ذهبي الحواش وجبهة العين عارية من الريش اما ذيل ذي العرف منه ١٨ ريشة طويلة مستديرة الاطراف يغطيها الذنب الملون المعروف في الذكر • والامام لم يترك جزءا من ريش الطاووس الا وصفه وصفا سديدا ، فهناك قصب الجناح وريش الذنب والقنزعة ومخرج العنق• اما تغير الالوان تارةحمراءوتارة خضراء واخرى صفراء او برتقالية فالامام محق في ذكرها بهذا الاسلوب ، اذ ان التغيرات السريعة تحدث نتيجة اختلاف اطوال موجات ألوان الضوء من جهة وبالنسبة للزاوية التي ينظر منها الناظر الى الطير ، وكذلك من جهة اخرى تفاوت انعكاس موجات ألوان الضوء الابيض بالنسبة لباقي الالوان التي

تظهر كالموجات المتغيرة . واقدام الطاووس طويلة وهي مغطاة من الامـــام بحراشق وفيهما مهماز مخروطي الاصابع رجله متوسطة الطول والاماميـــة متصلة عند اصولها بغشاء ، وهي عديمة الالوان لانها غبراء داكنة ، والامام هنا يؤكد ان هذا الطير يخجل ويفقد غروره عندما ينظر الى ساقيه القبيحتين. وقد ذكر الامام كلمة ديكة خلاسية اي المتولدة من الدجاج الهندي والفارسي، ومعنى هذا ان الامام قد عرف عملية تهجين بين نوعين مختلفين وهو ما يطلق عليه الان بعلم التهجين في علم الحيوان الحديث .

ويحدثنا الامام عن سلوك الطاووس وعاداته في التزاوج وكيفيةالحصول على انثاه فهو يزهو ويختال ويتبختر بالوانه الجميلة حتى يجذب اليه الانثى ويقوم باعمال جذابة تعطيه شخصية تحبب اليه انثاه لتفوز به، وهذا ممـــا اكده علم سلوك الحيوان بصورة عامة وعلم سلوك الطيور بصورة خاصة. ويشير الى عملية تسافد الذكر مع انثاه ، وقد لاحظ بنفسه هذه العمليـــة، ويؤكد بذلك ان العملية الطبيعية هي الوحيدة في تزاوج وتناسل الطيـــور والعمليا تالاخرى الشائعة بين الناس هي خرافة لا محال ، والتي تســـمى (بالمطاعمة) التي تقول ان اناث الغراب تلقح بأخذهادمعة من جفن الذكر . كما يتناول الامام بعد ذلك عملية نسل الريش القديم في الطاووس ، وهـــذه العملية ظاهرة معروفة عند الكثير من الحيوانات كالحياتوالضفادعوالحشرات فتستبدل الطبقة العليا من جلدها بين فترة واخرى وليس في الطيور فقط . وعندما يعود الريش الجديد بدل القديم الساقط بنفس اللون والحجم وفي محل غرسه السابق لا يحيد عنه قيد انملة . وبهذا يكون الامام علي قد عرف الشيء الكثير عن علم التشريح ايضا .

ومن هنا يحق لنا ان نفتخر بشخصية الامام علي (ع) هذا الرجل الذي ترك ثروة ضخمة من الافعال والاعمال والاقوال ، وخصوصا كتابه الشهـــير « نهج البلاغة » الذي يزخر كثيرا بالعلوم الطبيعية (كالفلك والحيوانوالنبات) والهندسة والجغرافية والتاريخ والفلسفة والمنطق والسياسة والقانونوالبلاغة وقواعدا اللغة . وكان الدكتور جليل ابو الحب محقا عندما قال : (ان مـــن

يتطلع ويستزيد من التطلع في نهج البلاغة يشعر ان للعرب والمسلمين الحق في الافتخار بالامام علي (ع) كبطل قومي وديني وفلسفي كما يفتخر اليونان بسقراط وافلاطون وارسطو ، وكما يفتخر الرومان بيوليوس وقيصر وشيشرون ، وكما يفتخر الفرس برستم وانو شروان ، وكما يفتخر الهنود ببوذا ونهرو وغاندي). ان الامام علي يعتبر وبحق اول من وضع اسس وقوانين علوم عديدة استفاد منها علماء اوروبا . وبدون مبالغة اقول انه لولا ظهور الامام علي لما ظهر ابن سينا وابن الهيثم وسيبويه والخليل الفراهيدي والجاحظ وابن خلدون ولما ظهر نيوتن ولينوس وهارفي وكيلر ، وكثيرون غيرهم ، ويكفي ان يكون النبي محمد (ص) قد سبقنا باعتزازه بعبقرية الامام علي (ع) الفذة عندما قال : « انا مدينة العلم وعلي بابها » .

عادل محمد علي الشيخ حسين

جبل الحيـــاة ..

سألوا سومرست موم المؤلف والكاتب الروائي الانجليزي الكبير (١٨٧٤ ـ ١٩٦٥ م) في عيد ميلاده التسعين : « كيف يكون شعور الانسان عندما يمتد به العمر ؟» .

وقال موم وهو يشير باصبعه الى جبل كسته الثلوج : « هل ترون هذا الجبل .. ان الحياة اشبه ما تكون بعملية تسلق لجبل عال .. فالمرء منا قد يصل الى قمة ما يكسوها الجليد في هذا الجبل الذي بدأ يتسلقه من السفح وهو طفل يحبو .. فاذا وصل الى قمته نظر وراءه ، فاذا به يرى الوادي الذي امتلأ بالخضرة والزهور، وقد امتد وراءه على مدى البصر ..

« ولكنه لا يلبث ان يعود الى واقعه فوق القمة الباردة التي وصل اليها .. وقد يشعر بالبرد ، وتخور قواه ، فلا يلبث ان يسقط ويموت .. ولكن كثيرون هم الذين يرفعون رؤوسهم وينظرون الى ما فوقها ، فيرون قمماً اخرى اعلى من القمة التي وصلوها واكثر بياضا .. فيمضون في طريقهم الى ان يبلغوها» .

« انا شخصياً بدأت اشعر بالوهن يدب في اوصالي !» .

اليانصيب الوطني اللبناني

ثروة للمساهمين واسعاف للمحتاجين

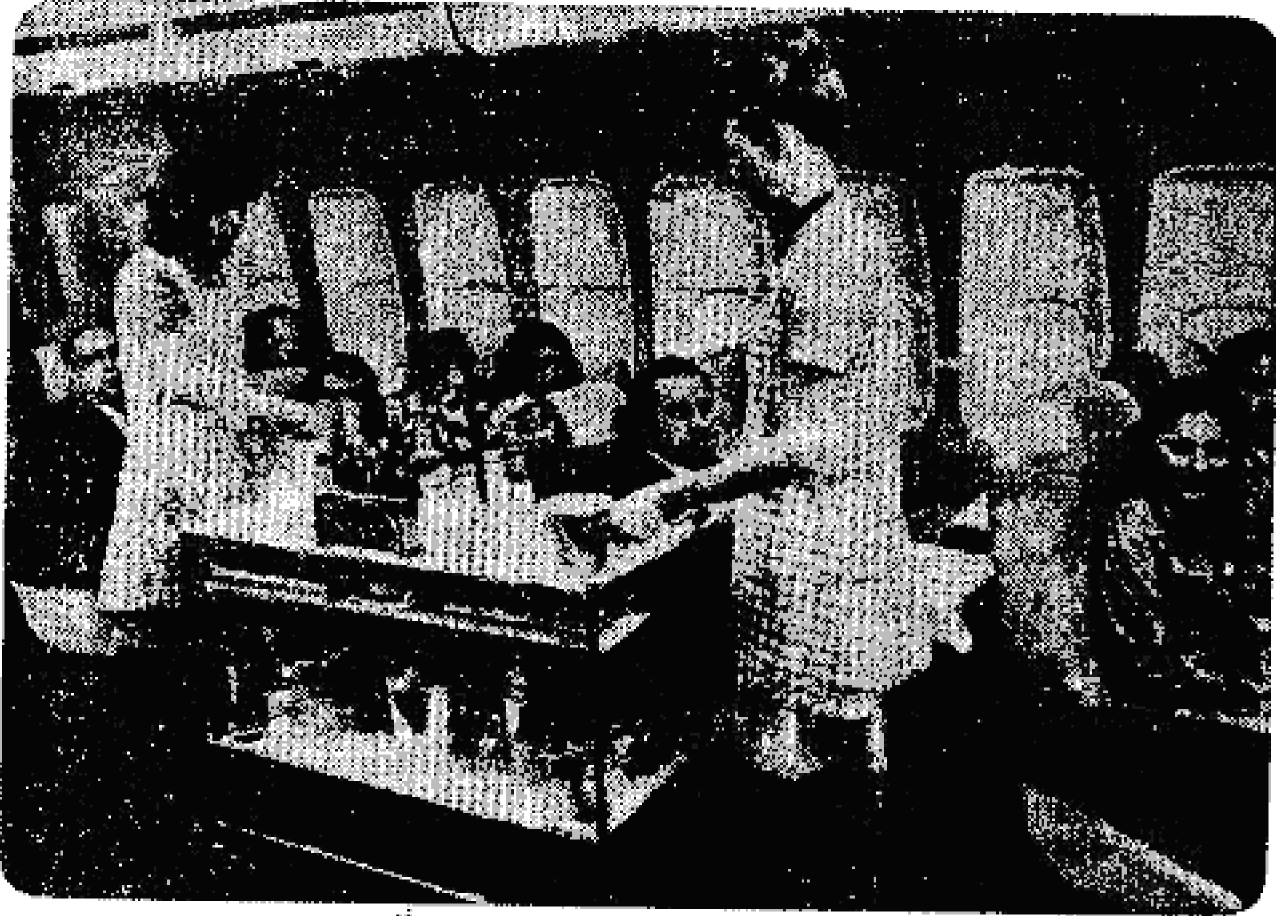
تقام حفلات السحب في التلفزيـــون

مساء الخميس من كل اسبوع الساعة السابعـة مســـاء

لا تدعوا الحظ يفوتكـــم

ترقبوا موعد سحب كل اصدار مزوديــن باوراقكم

خبرة ٣٠٠٠ عام
تدعم حسن تدريب مضيفاتنا



الضيافة اللبنانية المشهورة التي ذاعت في آفاق العالم تبلغ
هذا الشوط البعيد الأبعد ٣٠٠٠ عام من المحافظة على التقاليد العريقة والتهذيب في العادات والأخلاق
فمن أول معاني هذه الضيافة الترحيب الحار الذي يلقاه المسافر على متن
طائراتنا، ثم وجبات الطعام التي تقدم إليه ساخنة حتى في الرحلات القصيرة
المسافة. ويتجلى حسن هذه الضيافة في الأطباق الخزفية التي يقدم
فيها الطعام، وأيضاً في أنواع المشروبات التي تقدم مجاناً لركاب الدرجة الأولى. ومن معاني هذه
الضيافة تهيئة الفرصة للمسافرين لشراء الهدايا على متن الطائرة معفاة
من الرسوم (أكثر من ١٢٠ صنفاً معروضاً للبيع)، على أن ضيافتنا تعني قبل كل شيء
توفير الراحة والعناية والخدمة الشخصية التي اشتهرت
شركتنا بتقديمها لركابها.

لقد قضينا ٣٠٠٠ عام في اتقان هذه الخدمة.



MEA

طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

صاحبها
ورئيس تحريرها المسؤول
نزار الزين

مجلة علمية أدبية سياسية شهرية

تلفون مكتب بيروت : ٢٩٧٠١٧ ـ سنتها ١٠ اشهر بالف صفحة ،
تلفون مكتب صيدا : ٧٢٠١٠٥

العدد الخامس مجلد ٦٦ أيار « مايو » ١٩٧٨م
جمادى الاولى ـ ج٢ ١٣٩٧هـ



بيني وبين القارىء

بقلم نزار الزين

عزيزي القارىء

بعد عودتنا من العراق هذه السنة كنا نود السفر الى البحرين وخوزستان « ايران العربية » ومسقط ونجعل الكويت مركزا وسطا تنطلق منها الى هذه الجهات ، الا ان رحلتنا اقتصرت على الكويت والبحرين ، نظرا لما طرأ على صحتنا من انحراف ونحن في البحرين مما اضطرنا الى تعجيل العودة الى لبنان للاستشفاء وطلب الدواء .

وتجد في الكويت اشكالا وألوانا من الناس منهم المغمورون الذين يعملون دون ضجيج او عجيج وهم المؤمنون حقا ، والفاعلون الخير صدقا، ومنهم الاصيلون في هذا المضمار الذين لا تخلو مكاتبهم يوميا من الغادين والرائحين . ومنهم المستجدون في طلب الوجاهة تدق لهم الطبول ، وتقرع الاجراس ، ولكنهم عند التجربة ليسوا من فرسان هذا الميدان ، ولن يفلحوا مهما جربوا اللحاق بالغزلان . لان الانسان مهما بلغت دعاياته يمكن أن يكذب على الناس مرة واحدة لا أكثر ، والمستحدث تبطره النعمة ، فيظن أنه الواحد الاحد ، فاذا به متكلف متصنع في جميع أعماله وتصرفاته تقوده حاشية لا خير فيها ولا عندها ، ولا يهمها الا نفسها ، واذا وظيفته عبء عليه ، وكذلك وجاهته .

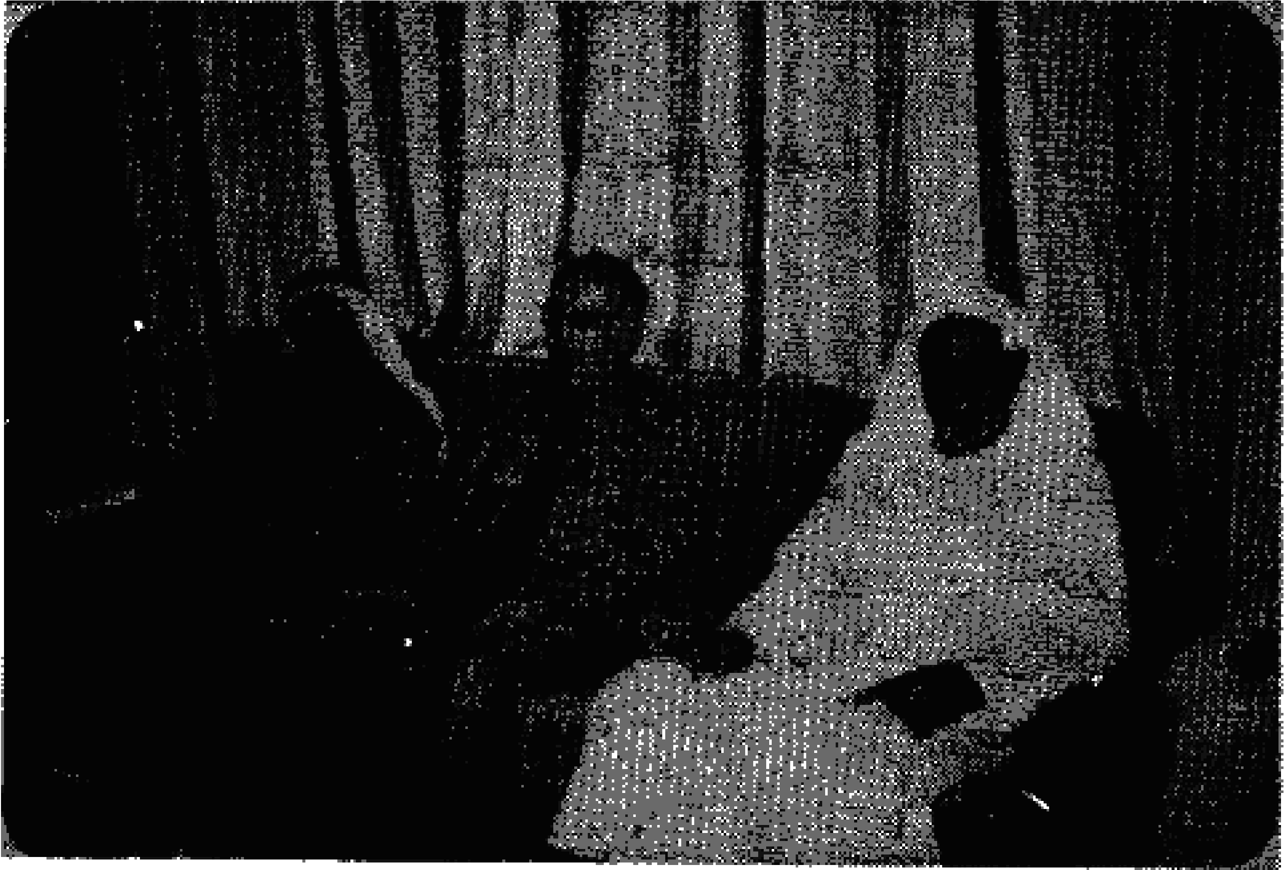
ونتطلق من الكويت الى البحرين فنصلها بعد منتصف الليل حيث كان في استقبالنا وكيلنا في البحرين السيد علوي المشقاب ونجله جواد وابن عمه السيد عبدالرضا البحارنة ، ويأبى السيد علوي الا ان أكون ضيفه ، فقلنا مع القائل : « الامتثال خير من الادب »، والبحرين جزيرة تتألف من جزر



في البحرين : السادة علوي الخباز ، علوي مكي، نزار الزين، علوي المشقاب في منزل علي بعرليل ١٥ ـ ٤ ـ ١٣٩٨هـ الموافق ٢٥ ـ ٣ ـ ١٩٧٨م.

★ ★ ★

صغيرة على شاطىء البحر ، حاضرتها « المنامه» وهي مركز الحكومة ، لها أمير ووزارة مؤلفة من ١٥ وزيرا ، واكثر سكانها وخصوصا في القرى شيعة ولكنهم شأنهم في كل مكان « واللبيب من الاشارة يفهم » وسكان البحرين يحبون القراءة والمطالعة ، شغوفون بالعلم ولكن اكثرهم : العين بصيرة واليد قصيرة مع الاسف .



في البحرين : صاحب العرفان بالوسط وعن يمينه السيـــد صادق البحارنه رئيس غرفة التجارة والصناعة بالبحرين وعن يساره السيد علوي المشقاب وكيل العرفان .

★ ★ ★

وقد استقبلنا في نادي السنابس بحفاوة بالغة وألقى السيد عبد الجليل كلمة رائعة في الترحيب بصاحب العرفان نشكره عليها ، لا لما ورد على لسانه من كلمات الثناء علينا ، بل لانه برهن بكلمته انه من المتتبعين للعرفان وجهادها وجهودها ، وقد أعجبنا بجمعية التوعية الاسلامية التي نتمنى ان يكثر مثلها في البحرين ، وقد استقبلنا فيها بحرارة ودعينا لالقاء محاضرة بناديها ففعلنا رغم تأخر صحتنا وسررنا بالاسئلة التي وردت بعد المحاضرة وهي أســـئلة هامة يستحق كل منها ان يكون موضوع مقال خاص . ويرأس هذه الجمعية فضيلة الشيخ عيسى قاسم ونائب رئيسها فضيلة القاضي الشيخ عبد الامـير

الجمري ، تتمنى لهذه الجمعية النجاح وندعو البحرانيين الى معاضدتها ومناصرتها •

جمعية التوعية الاسلامية

لجنة الخطابة

« لقاء ثقافي »

الليلة السبت ١٦ ربيع الثاني ١٣٩٨هـ الموافق ٢٤ ـ٣ـ ١٩٧٨م الساعة الثامنة والنصف تلتقون بالاستاذ نزار الزين رئيس التحرير لمجلة العرفان اللبنانية في محاضرة عن شخصية الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، في قاعة المحاضرات بمبنى الجمعية ،

فأهلا بكم في هذا اللقاء النافع •

لجنة الخطابة



وبعد ان بقينا في البحرين اسبوعا ودعناها ، وكم تمنينا البقاء فيها مدة أطول •

شكرا لوكيلنا في الكويت السيد علوي المشقاب ، لجميع الذين أبوا الا ان نجيب دعوتهم لمآدبهم ، السادة : صادق البحارنه ، الشيخ عبد الامير الجمري ، علوي مكي ، ملا محمد جعفر العرب ، علوي الخباز الخ•

قارئي الكريم :

الى اللقاء في عددنا القادم المزدوج الخاص بشاعر الشعب السيد أحمد الصافي النجفي •

ـ بيـــان وتصحيح ـ

كنا ذكرنا في العدد الاول من هذه السنة انصار العرفان وسهونا مـع الاسف عن ذكر التاجر الوجيه الحسيب السيد حسين السيد هاشم البهبهاني هذا وقد علمنا ان لهذا السيد اعمال مشكورة وآثار مبرورة في الكويـــت وبعلبك والهرمل ، كذلك من حسناته طبع كتب الصديق العلامة السيد امـير القزويني على نفقته .

كما أنه زاد الى انصار العرفان التاجر الوجيه الحاج يوسف احمدالغانم شكرا للجميع .

وصية الامـام «ع» لابنه الحسن «ع»

٢

يا بني ، اني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وانبأتك عن الآخرة وما أعد لاهلها فيها وضربت لك فيها الامثال لتعتبر بها وتحذو عليها ! انما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة السفر وجشوبة المطعم ليأتوا سعة دراهم ومنزل قرارهم فليس يجدون لشيء من ذلك ألما ولا يرون نفقة فيه مغرما ولا شيء أحب اليهم مما قربهم من منزلهم وادناهم من محلهم • ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه الى ما يهجمون عليه ويصيرون اليه •

يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم واحسن كما تحب أن يحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب ان يقال لك•

واعلم أن الاعجاب ضد الصواب وآفة الالباب فاسع في كدحك ولا تكن خازنا لغيرك واذا كنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك •

واعلم ان امامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وانه لا غنى لك فيه عن حسن الارتياد وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك واذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة فيوافيك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه واكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم

عقبة كئودا المخف فيها احسن حالا من المثقل والبطيء عليها اقبح حـالا من المسرع وان مهبطك بها لا محالة على جنة او على نار فارتد لنفسك قبل نزولك ووطيء المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعتب ولا الى الدنيا منصرف واعلم ان الذي بيده خزائن السموات والارض قد اذن لك في الدعاء وتكفل لك بالاجابة وامرك ان تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك ولم يجعل بينـك وبينه من يحجبه عنك ولم يلجئك الى من يشفع لك اليه ، ولم يمنعـك ان أسأت من التوبة ولم يعالجك بالنقمة ولم يعيرك بالانالة ولم يفضحك حيـث الفضيحة بك أولى ولم يشدد عليك في قبول بالانالة ولم يناقشك بالجريمـة ولم يؤئسك من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة وحسب سيئتـك واحدة وحسب حسنتك عشرا وفتح لك باب المتاب وباب الاستيعاب فـاذا ناديته سمع نداءك واذا ناجيته علم نجواك فأفضيت اليه بحاجتك وأبثثه ذات نفسك وشكوت اليه همومك واستكشفته كروبك واستعنته على امـورك وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره : من زيـادة الاعمـار وصحة الابدان وسعة الارزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لـك من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك واعلم ان امامك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء ابواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية على قدر النية وربما أخرت عنـك الاجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل وربما سـألـت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خيرا منه عاجلا او آجلا او صرف عنك لما هو خـير لك فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته فلتكن مسألتك فيما يبقـى لك جماله وينفي عنك وباله والمال لا يبقى لك ولا تبقى له واعلم انك انمـا خلقت للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحياة وانك في مـنزل قلعة ودار بلغة وطريق الى الآخرة وانك طريد الموت الذي لا ينجو منـه هاربه ولا يفوته طالبه ولا بد انه مدركه فكن منه على حذر ان يدركك وانت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلـك

فاذا أنت قد اهلكت نفسك يا بني ، اكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت اليه حتى يأتيك وقد اخذت منه حذرك وشددت له أزرك ولا يأتيك بغتة فيبهرك واياك ان تغتر بما ترى من اخلاد اهل الدنيا اليها وتكالبهم عليها فقد نبأ الله عنها ونعت لك نفسها وتكشفت لك عن مساويها فانما اهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها بعضا ويأكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة واخرى مهملة قد أضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث ! ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها ! سلكت بهم الدنيا طريق العمى وأخذت بابصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها رويدا يسفر الظلام كأن قد وردت الاظعان يوشك من أسرع أن يلحق واعلم يا بني ان من كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان كان واقفا ويقطع المسافة وان كان مقيما وادعا واعلم يقينا انك لن تبلغ أملك ولن تعدو اجلك وانك في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب واجمل في المكتسب ، فانه رب طلب قد جر الى حرب فليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم واكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا وما خير خير لا ينال الا بشر ويسر لا ينال الابعسر واياك ان توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك وآخذ سهمك ! وان اليسير من الله سبحانه اعظم واكرم من الكثير من خلقه وان كان كل منه ، وتلافيك ما فرط من صمتك ايسر من ادراكك ما فات من منطقك وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء وحفظ ما في يديك احب الى من طلب ما في يد غيرك ،ومرارةاليأس خير من الطلب الى الناس والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور والمرء احفظ لسره ورب ساع فيما يضره ، من أكثر أهجر ومن تفكر ابصر قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر تبن عنهم بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف أفحش الظلم . اذا كان الرفق خرقا

كان الخرق رفقا ، وربما كان الدواء داء والداء دواء وربما نصح غير الناصح وغش غير المستنصح ، واياك واتكالك على المنى فانها بضائع الموتى والعقل حفظ التجارب • وخير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة قبل ان تكون غصة• ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب ومن الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكل امر عاقبة ، سوف يأتيك ما قدر لك التاجر مخاطر ورب يسير انمى من كثير ولا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين، ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ولا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه واياك ان تجمح بك مطية اللجاج احمل نفسك من اخيك عند صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف والمقاربة وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين وعند جرمه على العذر حتى كأنك له عبد وكأنه ذو نعمة عليك واياك ان تضع ذلك في غير موضعه او ان تفعله بغير اهله لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك وامحض اخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة وتجرع الغيظ فاني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألذ مغبة ولن لمن غالظك فانه يوشك ان يلين لك وخذ على عدوك بالفضل فانه أحلى الظفرين وان أردت قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ان بدا له ذلك يوماما ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ولا تضيعن حق اخيك اتكالا على مابينك وبينه فانه ليس لك بأخ من أضعت حقه ولا يكن أهلك اشقى الخلق بك ولا ترغبن فيمن زهد عنك ولا يكونن اخوك على مقاطعتك اقوى منك على صلته ولا تكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرته ونفعك وليس جزاء من سرك ان تسوءه ، واعلم يا بني ان الرزق رزقان : رزق تطلبه ورزق يطلبك فان انت لم تأته اتاك ، ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى ، ان لك من دنياك ما أصلحت به مثواك وان جزعت على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك ، استدل على ما لم يكن بما قد كان

فان الامور أشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالآداب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب ، اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين، من ترك القصد جار والصاحب مناسب والصديق من صدق غيبه والهوى شريك العناء رب قريب أبعد من بعيد ورب بعيد أقرب من قريب ! والغريب من لم يكن له حبيب ، من تعدى الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر على قدره كان أبقى له، وأوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله ومن لم يبالك فهو عدوك قد يكون اليأس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب وربما اخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده، اخر الشر فانك اذا شئت تعجلته وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل من امن الزمان خانه ومن أعظمه أهانه ليس كل من رمى اصاب اذا تغير السلطان تغير الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار ، واياك ان تذكر من الكلام ما كان مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك واياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى افن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن ، فان شدة الحجاب ابقى عليهن وليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المرأة من امرها ما جاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها في ان تشفع بغيرها واياك والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم والبريئة الى الريب واجعل لكل انسان من خدمك عملا تأخذه به فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير واصلك الذي اليه تصير ويدك التي بها تصول استودع الله دينك ودنياك وأسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة ، والسلام •

مقابلة مع هارييت بيترستو التي حررت كتابها العبيد

بقلم: سمير شيخاني

صوت : في اواخر تشرين الثاني من العام ١٧٦٢ ، تقول الحكاية، استقبل الرئيس ابراهام لنكولن في البيت الابيض سيدة في اواسط عمرها ضئيلة الحجم ، فلما صافح يدها الصغيرة بيده الكبيرة المليئة بالعقد صاح : « أذن هذه هي السيدة الصغيرة التي تسببت في هذه الحرب ؟! »

كانت تلك السيدة الصغيرة هارييت بيتشرستو ، مؤلفة كتاب « كوخ العم طوم » ــ الرواية التي ساهمت عندما نشرت قبل عشر سنين من انتخاب ابراهام لنكولن رئيسا للجمهورية في تحرير العبيد . أما الساسة والمؤرخون المعاصرون فيعتبرونها التأثير المقرر المظيم الذي ادى الى ازالة الرق وتحرير العبيد في العالم الجديد . وسنقضي مع هارييت بيتشرستو هذه الدقائق في الحديث معها عن حياتها وعملها الجليل . ولا بد ان تكون هذه المقابلة ممتعة ومفيدة معا من حيث الاضواء التي ستسلط على هذه الشخصية الفذة ...

هارييت : ولدت في مدينة ليتشفيلو من اعمال ولاية كونكتيكت حيث ترعرعت ، ثم انتقلت الى سنسناتي حيث عشت ثماني عشرة سنة . وهناك شهدت الاضطرابات المعادية للرق ، وقد ساعدت العبيد الذين كانوا يفرون من أسيادهم ، واستمعت الى قصصهم . ثم في سنة ١٨٥٠ انتقلنا الى بروزويك في ولاية ماين حيث كان زوجي كالفنستو قد عين استاذا في كلية بودوان .

صوت : الا انه كان من المستحيل عليك ان تهربي من قضية الرق حتى في ولاية ماين ، فقد كانت تلك القضية شغل الصحافة الشاغل ، وكان مجلس الشيوخ الاميركي يردد صدى خطب تشارلز صمنر الداعية الى الغاء الرق،

كما كان اخوك القس هنري وورد بيتشر يلقي عظاته في الكنيسة وكلها تدور حول العبيد الارقاء • وكنت قد كتبت عددا من القصص القصيرة لزيادةدخلكما الذي لم يكن كافيا لسد حاجات الاسرة • وكانت روحك الشديدة التدين تسعى الى اعطاء العالم صورة عن وحشية استعباد البشر لاخوانهم البشر •

هاريت : اردت أن اظهر قضية الرق بتعابير انسانية تصور الاسر التي تحطمها مطرقة النخاس والقسوة التي يعامل بها هؤلاء المنكودو الطالع ، بحيث تساهم هذه الصور الروائية في جهل الجميع على عدم التساهل في الاستعباد بعد الان • ولكن الكتابة في موضوع سياسي كانت تغاير التدريب الذي خضعت له طوال حياتي• الا ان رسالة من شقيقة زوجي اطلقت الشرارة ، فقد كتبت السيدة ادوارد بيتشر الي تقول : « لو كان باستطاعتي استخدام الريشة لكتبت شيئا يجعل هذه الامة تحس كم هي لعينة قضية الاستعباد والرق» •

صوت : ويذكر اولادك لفترة طويلة قراءتك تلك الرسالة على مسامعهم كما يذكرون كيف قفزت على قدميك كما لو كنت تؤدين عملا من اعمال التكريس ، وهتفت وقد جعدت الرسالة بيدك الصغيرة « ساكتب شيئا ما » • وهكذا جلست ذات يوم الى مكتبك وبدأت بالكتابة • هل تذكرين ما هي أول عبارة كتبتها ؟

هاريت : بالطبع اذكر ذلك فاسمع ما كتبت : « في ساعة متأخرة من بعد ظهر احد ايام شباط الباردة كان رجلان يجلسان وحيدين وامامهما كأسان من الخمر في قاعة الطعام الفخمة الرياش في احدى المدن في ولاية كنتكي ••• »

صوت : وهكذا بدأت ريشتك رحلة طويلة لمتكوني تدرين اين ستنتهي، ولكنها انتهت في جيتسبورغ وابوماتوكس ، ولم يكن لديك اي فكرة مسبقة عن القوة الرهيبة التي ستطلقها روايتك تلك « كوخ العم طوم » •

هاريت : كنت انظر الى روايتي على انها رسولة سلام ، ولطالما رددت ان الاله نفسه هو الذي كتبها !••

صوت : أصحيح ، يا سيدتي، ان مشهد جلد العم طوم كتبته قبل اسابيع عديدة من تخطيطك الحاسم لروايتك ؟

هاربيت : انه الواقع ... فلقد ظهر ذلك كالرؤيا امامي اثناء أحـــد القداديس ، وبوضوح ، وكما لو كنت حاضرة شخصيا رأيت عبدا عجـــوزا يجلد جلدا مميتا من احد غليظي القلب من البيض . فلما انتهت الصلاة هرعت الى المنزل وانا اغالب الدمع بصعوبة ، وكما لو كنت في غيبوبة اوصدت دوني باب غرفتي ورحت ادون على الورق المشهد كما رأيته . ولما قرأته على مسمـــع افراد اسرتي بكى الاولاد بكاء مرا وقال لي زوجي : « هاتي ، ينبغي ان تكتبي قصة يكون هذا المشهد ذروتها »!

صوت : وهكذا كان ، وانصرفت الى كتابة روايتك الشهـيرة ، أليس كذلـــك ؟

هاربيت : الحقيقة انني رسمت قصتي لتكون ثلاثة استكشافـات او أربعة ، وقدمتها الى الناشر بما يلي ، في صحيفة « ناشونال ايرا» الصـــغيرة الصادرة في واشنطن ، فقبل بها دون ان يراها واتفقنا على مبلغ ثلاثمايةدولار ثمنا لها .

صوت : مسكينة هاربيت ، لقد اصبحت الاستكشافات الثلاثة اوالاربعة اربعين وانقضت سنة كاملة قبل ان تستطيعي جمع كل خيوط السجادة التـي عملت في حياكتها . فبايلي لم يرفع مبلغ المكافأة في حين استمرت القصة تزداد طولا ، وتنشر في صحيفة « ناشونال ايرا » .

هاربيت : في الخامس من حزيران سنة ١٨٥١ ، وعلى الصفحة الاولـى من تلك الصحيفة ، نشرت الجزء الاول من الرواية التي اثرت في حالة جيل كامل من الاولاد ، وكان بينهم ابني « فريد » فمشوا بروح صليبية بعد ذلك بعشر سنين الى فوهة المدفع غير هيابين .

صوت : من العجيب حقا ان تحدث قصتك التي نشرت متسلسلة فـي

صحيفة مجهولة ذلك الاثر الوطني البالغ • فقد كان احد انصار تحرير العبيد مشتركا في تلك الصحيفة فكانت تنتقل من يد الى يد حتى تتلف ، فلما لم ترسلي في الخريف الفصل المنتظر للنشر ، في حينه هبت عاصفة احتجاج على الناشر المسكين •

هاريت : الواقع ، يا سيدي، انني أصبحت شيئا فشيئا اسيرة روايتي، ذلك بانني كنت اكتب واكتب فيها والنهاية لا تلوح قريبة لناظري • فكنت انى أذهب ومهما افعل يلاحقني شبح الفصل التالي الذي سينشر في الصحيفة ، فضلا عن انني لم اكن متحررة من تدبير شؤون منزلي والاهتمام بأسرتي ، الامر الذي كان يدفعني الى الجنون •

صوت : وكان هناك رجل ينظر برعب بالنسبة الى طول روايتك هو دجون دجورويت احد ناشري الكتب في بوسطن الذي وافق على نشر روايتك المتسلسلة في كتاب مستقل • وكان يتوقع ان يكون مجلدا عاديا يباع بسعر معقول الا انه فوجيء في نهاية تشرين الاول بان رواية « كوخ العم طوم » تبدو انها ستملأ مجلدين ضخمين فطلب منك ان تضحي لها النهاية لانالموضوع كان في رأيه غير شعبي ، ومجرد صدوره في مجلدين سيقضي على رواجهحتما •

هاريت : الحقيقة انني وافقت الناشر دجورويت على رأيه لانني كنت قد أرهقت نفسي بسبب اطالة الرواية • ونشرت الصحيفة انه نظرا لما بلغته « كوخ العم طوم » من الطول فان كاتبتها ستنهيها ببضع فقرات تروي فيها تطورات الاحداث • فقامت قيامة القراء ، مما جعل صاحب الجريدة يسارع الى تطمين المشتركين والقراء بانني سأواصل الكتابة دون اي قطع أو تجزئة• وهكذا كان !••

صوت : وابصر الكتاب النور دون اي دعاية مسبقةبالنسبة الى المراجعين والناقدين الا ان يوم صدوره في العشرين من اذار سنة ١٨٥٢ كان يوما مشهودا في مكتب الناشر اذ التهمت على الفور نسخ الطبعة الاولى البالغة ستة آلاف • وفي غضون الاسبوع الاول كان الناشر دجورويت يشغل ثلاث

آلات طابعة تعمل اربعا وعشرين ساعة يوميا باستثناء الاحد ، ومئة مجلد وثلاثة معامل لتقديم الورق اللازم .

هاربيت : وكان المبلغ الذي تقاضيته بمثابة حقوق تأليف عن مبيعات الاربعة الاشهر الاولى عشرة آلاف وثلاثمئة دولار . ولمناسبة مرور سنة على صدور روايتي « كوخ العم طوم » اعلن الناشر انه بيع خلال السنة ثلاثمئة وخمسة آلاف نسخة ، مع وجود طلبات متزايدة يوما بعد يوم .

صوت : ومما يذكر ههنا ان روايتك « كوخ العم طوم » كانت عرضة لقرصنة ادبية من قبل الناشرين الاجانب في عدد من البلدان ، وترجمت الى الكثير من اللغات . اما في اوروبا فقد راج الكتاب بين الطبقات البائسة والمحرومة . وفي لندن ونيويورك وبوسطن حولت الرواية الى مسرحية عرفت النجاح الكبير ، وراح الاميركيون يغنون اغاني العم طوم والطفلة ايفا ، وهما من ابطال روايتي ، وقد حظيا بعطف القراء ...

هاربيت : وتضاربت الاراء في الرواية التي كانت تلاقي رواجا في الولايات الشمالية والجنوبية على السواء ، وتباع بحرية مكتسبة مؤيدين وانصارا لحركة التحرير . ولكن فجأة منع بيع الكتاب في الجنوب ، وبات من الخطر اقتناء نسخة منه . وراح البريد الذي كان يتدفق علي يتضمن رسائل تهديد لي بسبب اثارتي عصيان العبيد . وسرعان ما تبين للفريقين ان « كوخ العم طوم » لم تكن رواية وحسب ، بل لغما وضع في اساس الجمهورية .

صوت : في نهاية هذه المقابلة اود ان انقل اليك ما كتبه بعد ذلك باربعين سنة الناقد النيويوركي مونرو مقوما روايتك واثرها التاريخي قال : « ان الغاء الرق لم يكن ولا يمكن ان يكون من صنع شخص واحد . فقد كان نتيجة جهود كثيرة اتحدت ... ولكن اعظم تلك المؤثرات وابعدها مدى كان رواية « كوخ العم طوم » . »

سمير شيخاني

قصة الحياة - ملايين الحكايا
تأملات
بقلم: رغيد النحاس

٣ - الطيور

كنت امشي مع انحدار الطريق الساحلية التي تمر بميناء «سكاربري» احد المنتجعات الانكليزية على بحر الشمال • وكان الميناء القديم يشكل بأشرعة السفن المصطفة فيه ، وبالهضبة العالية التي تلتف حوله لوحة اصيلة تتذكرها ريشة الفنانين ، وكانت الطيور المهاجرة التي تزور الميناء باعدادها الوافرة هي اكثر ما يعطي هذه اللوحة نشاطا وحركة ، فلقد كانت هذه الطيور البحرية البيضاء ترفرف جماعات جماعات حول الميناء وبين أشرعة السفن الخشبية فترف معها العيون طربا وانسجاما • وتذكرت ايام المدرسة وبالتحديد دروس الرسم ولوحاتنا البريئة التي كنا نرسمها وكنا دائما نضيف الى السماء طائرا أو اكثر ، وكأن السماء لا يمكن معرفتها الا برسم الطيور فيها • بل كأن اللوحة لا يمكن ان تتزن فنيا الا اذا توسطتها تلك المجنحات الجميلة • ولعل وجود هذا الكائن معلقا بين السماء والارض ، ووجود جناحين هو الحركة الدائمة بينهما • ولعل الطيران هو التجسيد نحو الافاق البعيدة • ترى هل نفكر بهذا المنطق لاننا على الارض وننظر الى فوق ؟ وترى ماذا تفكر الطيور وهي تنظر الينا من ذلك الفضاء العلوي؟

التطور والطيران

ان تلك الصور الاخاذة فيما تنطوي عليه من جمال طبيعي تخفي وراءها حقائق مضنية عن ماهية الحياة وعن تلك المعركة الدائمة في سبيل التلاؤم مع البيئة والتطور نحو حياة افضل • ولقد رأينا ملامح من هذا الصراع في حكاياتنا السابقة وما حكايتنا الان سوى جزء من تلك القصة التي لا تنتهي : قصة

الحياة. وبالتحديد فاننا الان بصدد تلك الكائنات التي تطورت عن بعض الزواحف القديمة ـ تماما مثل ما فعلت الثدييات ـ ولكن ضاقت عليها اسباب العيش على اليابسة فاختارت الاجواء الفسيحة مسكنا ومرتعا .

والحكاية بدأت منذ ثلاثين ومئة مليون سنة ، فيما هو الان اوروبا الوسطى حيث كانت في ذلك الوقت بحرا استوائيا . وهناك تطورت الاطراف الامامية لبعض الزواحف وصارت أجنحة . وعلى هذا، فلقد ظهرت اولا الزواحف المجنحة وتطور عنها الطيور البدائية التي احتفظت بالكثير من صفات الزواحف . وبعد مضي فترة قد تصل الى الخمسين مليون سنة بدأت تظهر الطيور بالشكل الذي نعرفه الان . والفترات الزمنية المذكورة اعلاه تأكيد آخر على ان عملية التطور عملية طويلة المدى . ومرة اخرى نحث القارىء على أن من أهم عناصر فهم التطور هو عدم قياس المدة الزمنية على النحو الذي اعتدنا عليه ، أي يجب دائما تصور حدوث الامور من خلال فترات زمنية تزيد عن عمر الانسان بملايين المرات .

الريش وصفات اخرى

حينما كنا نجمع ريش الطيور الجميل ونضعه بين الصفحات في كتبنا المدرسية لم نكن نعلم ان الريش هو الذي أعطى الاجنحة تلك القابلية العظيمة على الطيران . لقد تطور الريش عن بعض الحراشف في تلك الزواحف التي سلفت الطيور . والواقع ان الطيور نفسها لا زالت تحتفظ ببعض الحراشف على ارجلها وطبعا ان تطور العظام في الاجنحة هو الاساس الذي يستند عليه تطور الاجنحة بالذات . ذلك ان عظام الاجنحة فارغة مما يجعلها خفيفة جدا ، وهي بنفس الوقت قوية وصلبة . وهذا بالطبع هام جدا بالنسبة للحركة والطيران . والريش الذي يكسو جسم الطائر ، والذي يكتسب أهمية خاصة على الاجنحة، هو معقد التركيب جدا . وبالاضافة لوظيفته في المساعدة على الطيران فهو

يحفظ الحرارة تماما مثل الشعر في حالة الثدييات . فالطيور هي ايضا فقاريات من ذوات الدم الحار .

وللريش وظائف هامة اخرى . فهو يساعد الطيور احيانا على التمويه فتتفادى بذلك الحيوانات المفترسة ، كما يساعدها في عملية التكاثر فغالبا ما يجتذب الذكر الانثى اليه باستعراض ريشه الجميل كما يفعل الطاووس مثلا. وتوجد قرب ذيل الطيور غدة تفرز الزيت الذي يوزعه الطائر بمنقاره على جسمه فيشكل مع الريش طبقة عازلة ضد الماء الذي يعوق حركة الطيران اذا ما تجمع على الجسم لانه في هذه الحالة يزيد من وزن الطائر .

وتتوضع أرجل الطائر نحو الجهة الامامية من الجسم مما يجعل مركز ثقل الطائر يقع تماما فوق هذه الارجل . وهذا ما يساعد على التوازن خصوصا في طريقة قفزه على الارض . كما يساعد هذا بعض الطيور على الوقوف على رجل واحدة مدة طويلة وحتى النوم في هذه الحالة كما تفعل طيور الفلامنكو (النحام).

وتتألف الاقدام من أربع اصابع في معظم الحالات ، ثلاث منها الى الامام، وواحدة الى الخلف . وهذا التشكيل يساعد على الحركة السريعة .

اما المنقار فهو الوسيلة التي تمسك والتي تساعد على آخذ الطعام . والرقبة فيها الكثير من الفقرات العظيمة مما يساعد الطائر على تحريك رأسه في مختلف الاتجاهات وبسرعة . وهذا يدعم عمل المنقار في جميع الاطعمة .

ان الحركة السريعة ، والقابلية على الطيران ، وبذل هذا الجهد يصحبها دوران دموي جيد ومناسب . فالقلب كبير نسبيا . ومع ان الرئتين صغيرتين نسبيا فانهما مدعومتان بأكياس هوائية تساعد على تخفيف وزن الجسم وتساعد ايضا على أخذ الهواء بصورة تزيد عن استطاعة الرئتين لوحدهما .

والدماغ في الطيور متطور بصورة جيدة وفيه مراكز جيدة لحاستي السمع والرؤية • أما حاسة الشم فليست قوية ، وحاسة التذوق متنوعة وهي جيدة عموما •

بعض الطيور لا يطير !

قد يخيل للبعض ان هذه الطيور تمثل مرحلة وسطا بين التطور من الزواحف المجنحة الى الطيور الحقيقية • ولكن الحقيقة هي أن هذه الطيور التي لا تطير هي في الاصل طيور قادرة على الطيران ولكنها فقدت هذه القدرة لاسباب غير معروفة تماما • واحد التفسيرات هو ان هذه الطيور قد وجدت في بعض الجزر وبذلك تخلصت من أذى الحيوانات المفترسة الموجودة على القارات • ولهذا فهي لم تعد بحاجة للطيران طالما ان الارض آمنة وطالما ان الرزق موفور • ولهذا فان التوقف عن الطيران مدة طويلة من الزمن قد خلق أجيالا تعجز عن اداء تلك المهمة • هذه النظرية ، على كل حال ، لا يمكن تعميمها على جميع الطيور التي لا تطير • فمثلا النعامة التي وجدت في السابق ولا تزال في افريقيا ـ حيث الحيوانات المفترسة تزدهر باعداد وافرة ـ لا تطير • ترى هل يكون كبر حجم النعامة من الاسباب التي جعلتها تعيش وتتقي اذى المعتدين دونما حاجة للطيران ؟

اما تلك التي تطير ..

يستطيع بعض الطيور ان يطير على علو كبير يصل الى اكثر من تسعمئة مترا مثل بعض انواع الغراب الاعصم • اما كاسر العظام ـ وهو طائر شبيه بالعقاب ـ فانه قد يرتفع اكثر من ثمانمئة مترا • وقد تصل سرعة الطيران الى سبعين ومئتين كيلومترا في الساعة في حال انقضاض بعض انواع الصقور على فرائسها • وتصل سرعة الطيران الى مئة كيلومترا في الساعة ، ويستطيع الاحتفاظ بمكانه في الجو بضربات جناحية التي تصل الى خمس وخمسين ضربة في الثانية الواحدة •

وعدا تلك الحالات الخاصة فان اغلب الطيور لاتتعدى سرعتها الستين كيلومترا في الساعة • ويستطيع بعض الطيور قطع مسافات طويلة جدا اثناء الهجرة • وتستعمل الطيور الشمس اثناء النهار والنجوم اثناء الليل في الملاحة• غير انه من غير المعلوم كيف يستطيع دماغ الطائر استعمال هذه المقاييس دالربط بينها في عملية الملاحة • وتستعمل الطيور الاثار الارضية مثل الأنهار كعلامات مميزة حين النظر اليها من الجو •

اين توجد الطيور وكيف تتلاءم مع البيئة

مع ان الطيور توجد في جميع اصقاع الارض بما فيها المنطقة القطبية (شكل ١) الا ان عدد انواعها يزداد في المناطق المعتدلة • وبالطبع فان توزعها يتطلب تلاؤما معينا مع البيئة التي اختارت ان تعيش فيها • وقد يكون من النادر ان تجد نوعا من الطيور خارج تلك البيئة التي اعتاد على الحياة فيها



طيور البطريق : من الطيور التي لا تطير وتشاهد في الصورة تحتضن صغارها • وتسكن هذه الطيور في المناطق القطبية •

مع ان هناك انواعا قليلة تتلاءم مع العيش في اماكن مختلفة ولكن بتحفظ شديد يجعل بالامكان الربط بين بيئة معينة وبين مجموعة الطيور التي تسكنها كما يقول بعض خبراء الطيور •

في الغابات

تعشعش دجاجة الارض وبعض انواع الدوري والجنك (عصفور اميركي) على ارض الغابات • اما الشجيرات الصغيرة القريبة من الارض فيقطنها طيور مثل دوري الحقل والكردينال والطائر المحاكي • وهذا الاخير يقلد اصوات بقية العصافير بمهارة كبيرة • واذا ارتفعنا اكثر الى الشجيرات العالية والى الاغصان المنخفضة من الاشجار الكبيرة نجد ان طيورا مثل « ابو الحناء » وملك العصافير • اما الاغصان ورؤوس الاشجار العالية فتسكنها بعض انواع الصقور والنسور • وتعشعش البومة ونقار الخشب والنمنمة (طائر صغير جدا) في حفر في جذوع الاشجار •

في الحقول والبساتين

وهنا ايضا تعشعش بعض الطيور في حفر الاشجار ويمكن احيانا معرفة اي نوع من الطيور يوجد في حفرة معينة من حجم تلك الحفرة • وبعض الطيور يصنع اعشاشا معلقة من اعلاها مثل الصفارية والاخيضر • اما الغراب ومالك الحزين فيستخدمان العيدان في بناء العش • وهناك نوع من الطنان يزين عشه الصغير ببعض الاشنيات والطحالب • والحسون يستعمل في اعشاشه بعض المواد القطنية • اما ملك العصافير فيستعمل الاعشاب لبناء عشه • وبعض الانواع الاخرى قد تستعمل الطين بالاضافة للجذيرات والاعشاب •

في الماء

هناك ستمئة نوع من الطيور تلاءمت للعيش في الماء مثل طيور الفلامنكو التي تتواجد في الاماكن الضحلة من بحيرات افريقيا حيث يستعمل منقاره الطويل في مص الماء وطرحه من جوانب فمه وفي هذه الاثناء يمر الماء بمرشحة خاصة تجمع ما يحتويه من الاطعمة •

وتتزود أقدام البط والاوز بأغشية تصل بين اصابعها وتساعدها علـى الحركة على سطح الماء والغوص داخل الماء لالتقاط الفرائس •

وهناك ستون ومئتا نوعا تعيش في المحيط حتى ان بعضها وصل لدرجة انه لا يتسرب سوى ماء البحر ويمضي سنوات عديدة دون ان يمس اليابسة مثل القطرس •

ان الطيور التي تقطن البيئات المختلفة التي ذكرناها يمكن النظر اليهـا الان من ناحية طريقة التغذية التي تتبعها •

الطيور المفترسة

وفيها طيور تفترس في النهار مثل الصقور والنسور • ومنها ما يفترس في الليل مثل البومة وهذه الطيور تعيش على افتراس الحيوانات الاخرى •

الطيور اللاحمة العاشبة

تأكل الخضر والحشرات وبعض الثدييات الصغيرة • فبعضها يأكـــل الحشرات والحبوب مثل القبرة • وبعضها يأكل الموز والعناكب والفئران وحتى البيض مثل التناجر الموجود في اميركا الوسطى •

الطيور آكلة الفاكهة والحبوب

في الغابات الاستوائية وحيث توجد كميات وافرة من الوجبات الغذائية اللازمة تزدهر الببغاوات التي تعيش على الفاكهة ، والطيور التي تعيش عـلى رحيق الزهور مثل الطنان •

الطيور آكلة الحشرات

وهي طيور تستطيع التحرك بسرعة كبيرة مثل السنونو والسمامة • اما الصرد فيستطيع نزع زعنفة الزنبور قبل التهامه • وبعضها يتتبع جيوش النمل فيقتات على النمل وعلى الحشرات الاخرى التي تصادفه في الطريق•

حقائق ممتعة

ان تصرف الطيور بصورة عامة اسير للغريزة التي تولد مع الطائـــر • هذه الغريزة تتحكم في الطائر خصوصا عندما يكون كل شيء حوله طبيعيا،

أي ان أموره تسير سيرها المألوف دون أن تتدخل تجارب الانسان في حياته مثلا • اما حين نقوم بالتجارب على الطيور فان بعض التغييرات التي تطرأ في البيئة الاصطناعية قد تتدخل في النمط المألوف لتصرف الطائر وعندها فقد يتوجب على الطائر استعمال «ذكائه» فيعملية رد الفعل على هذه التغييرات• والذكاء عند الطيور شيء نسبي جدا ويتراوح بين طائر وآخر ولذلك يمكن القول ان الغريزة هي أول وآخر ما يؤثر في التصرف •

ففي تجربة قام بها احد العلماء علقت انثى احد الطيور على احد الاغصان وكانت هذه الانثى محنطة ولقد صدف ان كانت على الغصن في وضع غير مألوف ابدا أي في وضع ليس من عادة انثى هذا الطائر ان تكون عليه • ومع ذلك فلقد اقترب منها ذكر حي وحاول الاقتران بها تماما كما لو كانت على قيد الحياة مثله •

والغريزة تلعب دورا هاما في عملية الهجرة لدى الطيور • وفي عمليات اخرى مثل اختيار الاماكن التي سيعشش فيها الطائر وطريقة بناء العش والدفاع عن منطقته ، والاقتران ، ووضع البيوض واحتضانها ورعاية الصغار•

هجرة الطيور

لا تهاجر الطيور فقط بحثا عن الطعام • فكثير من الطيور المهاجرة لا تتوقف حين تجد مكانا وافر الغذاء وانما تتابع طريقها الى الاماكن التياعتادت ان تقصدها في عملية الهجرة•

واكثر الطيور تهاجر اثناء الليل تاركة النهار للتغذية • وبعضها يهاجر ليلا ونهارا ، وبعضها يهاجر اثناء النهار فقط • واثناء الهجرة الليلية تتبع الطيور أي ضوء ثابت حتى ان الكثير منها يموت حين يصطدم بالمنارات البحرية •

وتؤثر العواصف تأثيرا سيئا على الطيور اثناء عبورها فوق مساحات شاسعة من المياه حيث تتبلل هذه الطيور وتضعف قدرتها على الطيران وهكذا

يغرق الكثير منها حتى ان عاصفة واحدة قد تقضي على الالاف • والحديث عن الهجرة اكبر بكثير مما نستطيع البحث فيه هنا ونكتفي بالقول بان الكثير من أسرار الهجرة ودوافعها لا تزال غير مفهومة من قبل الانسان •

حرب وحب

في حياة الطيور صراع على الرئاسة والقيادة • بل على الاصح صراع لاثبات القدرة على السيطرة • فاذا ما واجه الطائر خصما فانه يرفع صدره في وجهه وقد ينفش ريشه ويغني • وهكذا يفعل الخصم الى ان يتراجع أحدهما والا فان المعركة تتخطى حدود التحديات الى مرحلة العنف الفعلي الى أن يثبت أحدهما انه الاقوى • وهكذا تتأسس مراتب وكفاءات في مجموعة معينة من الطيور •

تصل الذكور من الطيور المهاجرة قبل الاناث الى نهاية الرحلة • وعند وصول الذكر يختار لنفسه منطقة محددة تكون بمثابة الاقليم الذي ستقطنه عائلته والذي سيدافع عنه أذى الدخلاء والمعتدين او تطفلهم • وحتى حين تصل الاناث فان الذكر يحاول ايضا ابعادهن عن اقليمه ، ولكن هذا لا يدوم طويلا فسرعان ما تغلب عليه غريزة التزاوج فيحاول عندها اقناع احدى الاناث بقبول الناحية التي يدافع عنها •

ان حجم هذه الاقاليم يعتمد على العادات الغذائية للطيور ، وعلى عدد الطيور الموجودة في المنطقة • فمثلا الطائر الذي يحتاج لجمع الغذاء من جانب مسكنه يحتاج الى اقليم كبير حتى يؤمن لنفسه الكمية اللازمة من الغذاء • اما الطائر الذي يطير مسافات بعيدة لجمع الغذاء فلا يهمه حجم الاقليم الذي هو فيه • وقد تحدث الكثير من الاشتباكات في بداية تشكيل الاقاليم الى أن يستطيع كل زوج من الطيور معرفة حدوده بالضبط واحترام حدود الاخرين •

اتغني الطيور ام تتكلم ؟

ان غناء الطيور هو في الاساس مجموعة من النداءات التي تشكل وسيلة الاتصال « اللغوي » بينها . فلقد تبين ان هناك اكثر من طريقة تتبعها الطيور في اظهار أصواتها بانغام مختلفة لكل منها غرض خاص . ويمكن اعتبار كل نغم بمثابة كلمة معينة . وهناك انغام معينة يمكن لجميع الطيور فهمها خصوصا تلك التي تتعلق بتحذير الرفاق من العدو . او نداء الصغار من أجل الطعام. ولكن هناك انغاما اخرى لا يمكن فهمها الا ضمن النوع الواحد . ونداء الطيور عملية تتوارث عبر الاجيال .

والغناء في الطيور ـ بالاضافة الى جمال الريش ـ هو من الصفات الجنسية الثانوية أي تلك الصفات التي تساهم في العملية الجنسية وتكون مساعدة للصفات الاساسية التي تفرق الذكر عن الانثى . والصوت في الكثير من الانواع أهم من الريش لانه يميز بين النوع والنوع أكثر مما يستطيع الريش ان يفعله . وهكذا تستطيع الطيور التزاوج بافراد نوعها الواحد فقط . والغناء افضل ما يكون عليه عند الذكر . وبصورة عامة يقتصر على الذكور مع العلم بان اناث بعض الانواع تغني أيضا .
ان اغنية الطير هي في الاساس اعلان من الذكر للانثى عن وجوده وبنفس الوقت هي تحد للذكور الاخرين . وعلى ما يبدو فان اللحظات التي يغني فيها الذكر تؤثر على الانثى كلما غنى الذكر .

وحياة عائلية ايضا

تصل الطيور الى مرحلة النضج خلال اسابيع بعد الولادة . وأكثر الطيور تكبر وتبني أعشاشها وتتكاثر وتبيض وتعنى بالصغار حتى يصبحوا قادرين على الاعتماد على انفسهم كل ذلك خلال فترة تتراوح بين الشهر أو ستة أسابيع .

وبصورة عامة فان الطيور خلال هذه الدورة الواحدة من حياتها تأخذ لنفسها زوجا واحدا فقط . والطيور التي لا تهاجر قد تحتفظ بنفس الشريك

سنة بعد سنة • وحتى الطيور المهاجرة قد تحتفظ بنفس الزوج سنين عديدة قبل أن يتغير لسبب أو لآخر • وطبعا لا يمكن اعتبار هذا قاعدة عامة خصوصا في حالة الطيور المهاجرة •

ومن الطريف ان بعض الطيور تبقى وفية لازواجها فلا تتزاوج بعد موت القرين ، ولكن أغلب الطيور تؤمن لنفسها زوجا جديدا بعد ساعات قليلة من موت شريكها • ويحصل أحيانا ان يتزاوج الذكر الواحد مع عدة اناث بنفس الوقت والعكس وارد ايضا ولكن هذا نادر الحدوث •

بعد التزاوج تصبح وظيفة الانثى بناء العش في البقعة التي اختارها الذكر • ولكن الموقع الحقيقي للعش يكون من اختيار الانثى • كما ان الانثى تقوم ببناء معظم العش • وفي بعض انواع الطيور يقوم الذكر باختيار المكان المحدد للعش • وفي انواع اخرى يقوم الذكر ايضا ببناء العش وحتى انه يحتضن البيض ويعتني بالصغار •

ويقوم ذكر النمنمة ببناء العش كوسيلة لاظهار ذكورته ليس الا • وما ان تأتي الانثى وتقبل به زوجا حتى تخرب ما بناه وتبدأ ببناء العش من جديد•

ويبوض الطيور تختلف في اشكالها واحجامها وألوانها كثيرا ، فليست كل البيوض مثل بيض الدجاج • والواقع ان بيوض بعض الطيور داكنة الالوان جدا حتى انها تكاد تكون سوداء • وتساعد هذه النماذج المختلفة على تمويه البيوض فلا تراها الحيوانات التي تتغذى عليها •

الاتصال الجنسي والتكاثر

تتكاثر الطيور كما نعلم بالاباضة • واذا تفحصنا بيضة الدجاج نجد انها مغطاة بقشرة تحمي الجنين الذي يتشكل داخل البيضة بعد عملية الالقاح• وهذا يعني انه يجب أن يتم الالقاح قبل تشكل القشرة حول البيضة ذلك ان القشرة تمنع النطف المذكرة من الدخول الى قلب البيضة وبالتالي تمنع الالقاح• والذي يحصل ان النطف تدخل الى البيضة اولا وبعد الالقاح تتشكل القشرة

بواسطة مفرزات غدة خاصة ثم تبيض الدجاجة . وهذا لا يعني ان كل البيوض التي تخرج من الدجاجة هي بيوض ملقحة او بيوض تحوي أجنة بل ان الكثير من البيوض لا تتلقح وهكذا يمكن ان تصلنا صالحة للغذاء كبيض وليس كجنين دجاجة .

والاتصال الجنسي بين الذكر والانثى هو اتصال خارجي بحت يتم بواسطة التصاق مؤخرة الجسمين ببعضهما التصاقا فقط ذلك ان اكثر الطيور المذكرة لا تملك عضوا مذكرا وحتى تلك التي تملك واحدا تقوم باتصال خارجي أيضا . وينتقل السائل المذكر بهذه الطريقة الى البيضة فيلقحها .

يقوم صفار البيضة بتقديم الغذاء اللازم لحياة الجنين وكلما كبر الجنين كلما استهلك الصفار الى ان تنتهي مدخرات البيضة الغذائية تماما ويخرج الفرخ الجديد مجددا حياة آبائه واجداده .

يساعد الابوان على فقس البيوض باحتضانها لفترة معينة، ومدة الاحتضان لا تتعدى الاسبوعين في بعض الطيور الصغيرة وقد تصل الى اكثر من شهرين في بعض الطيور الكبيرة مثل العقاب .

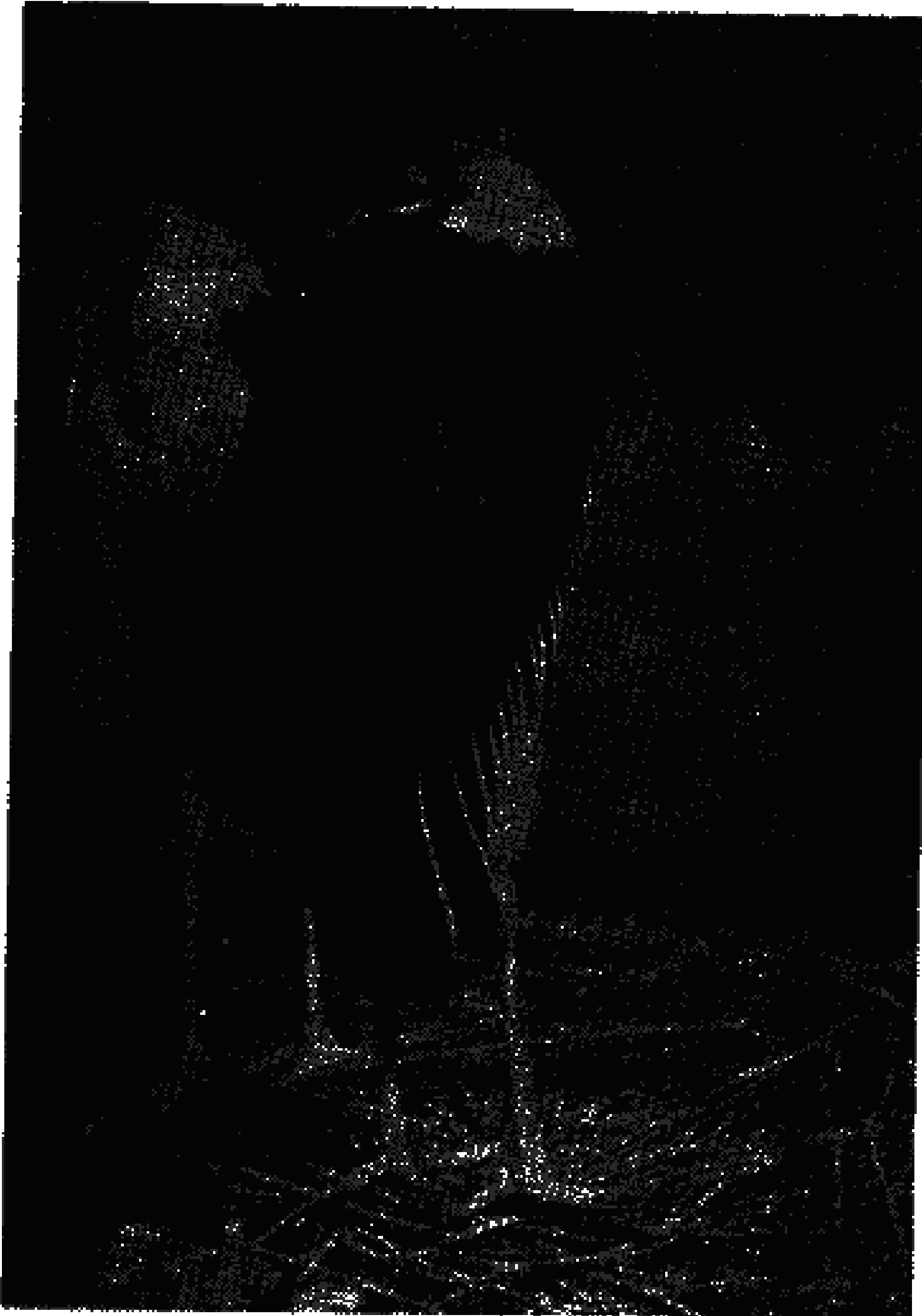
ومن طرائف العناية بالبيوض واحتضانها ان بعض انواع الطيور تتطفل على اعشاش غيرها وتضع بيوضها فيها . وهنا يأتي الطير صاحب العش فاما أن يرمي بالبيض خارجا أو انه يبني فوقه عشا جديدا يضع هو بيوضه فيه ، أو انه يقبل بالامر الواقع ويحتضن البيوض الدخيلة مع بيوضه هو .

نحن والطيور

لقد كانت الطيور دائما رمزا لبعض الجوانب النفسية والحضارية للانسان وهكذا صارت شعارات الكثير من الدول صقورا ولسورا . وسواء أحصلت الطيور على هذا المركز السامي في تفكير الانسان عن جدارة او عن مجرد كون

الفكرة شطحة صوفية في هذا التفكير يبقى هذا الامر نسبيا ومتروكا للجدل. وما يهمني الان بعض الحقائق العملية .

الطيور مصدر غذاء هام بالنسبة للانسان خصوصا تلك التي صارت تربى في دواجن لتعطي البيض واللحم . والطيور تساعد الانسان في انقاذ الكثير من محاصيله الزراعية بغذائها على الحشرات والديدان الضارة . والكثير من الطيور يتغذى على بذور الاعشاب الضارة بالمحاصيل . وهناك طيور تتغذى



طائر اللقلق : طويل المنقار وطويل العنق وطويل الساقين

على الحيوانات الضارة مثل الفئران والجرذان وما شابه ذلك . وهناك تلك الطيور التي تتغذى على الميتة من الحيوان فتنظف شواطئنا وحقولنا .

ومن جهة اخرى فهناك تلك الطيور التي تحدث الكثير من الاضرار بمصالح الانسان . فبعضها يهاجم بعض المحاصيل كالذرة وبعض الفواكه. وبعضها يهاجم الحيوانات التي يربيها الانسان كالسمك وبيوض الدجاج.

وختاما سأترك القارىء مع (الشكل رقم ٢) وفيه زوجان من طائر اللقلق في صورة التقطت في حديقة الحيوانات في لندن .

والى اللقاء مع حكاية اخرى في عدد قادم .

انكلترا — رغيد النحاس

ملاحظة :

يرحب الكاتب باسئلة القراء حول هذه السلسلة من المواضيع اذا ما وجهت الاسئلة الى العنوان التالي :

RAGHID NAHHAS,

The Department of Zoology,
The University of Hull,
Hull HU6 7 RX

ENGLAND.

حديث

قال ابو يعقوب الخريمي : تلقاني سعيد بن وهب مع طلوع الشمس ، فقلت ، اين تريد ؟ قال : ادور لعلي اسمع حديثا حسنا . ثم تلقاني انس بن ابي شيخ ، فقلت : اين تريد ؟ قال : عندي حديث حسن ، فانا اطلب له انسانا حسن الفهم ، حسن الاستماع . قلت : حدثني به . قال : انت حسن الفهم ، سيء الاستماع . وما ارى لهذا الحديث الا اسماعيل بن غزوان .

الأدب ووحدة الثقافة العربية

بقلم: الدكتور عبد الله عبد الدائم

٢

غير أن مثل هذا الطراز من الادب المترف ما لبث حتى فقد شأنه وبطل دوره بعد تغير المجتمع العربي وتطوره ، وبعد ان اصبحت القضية الاولى في حياة العرب قضية البناء الاجتماعي وخلق الكيان العربي المستقل النامي المتحرر من اثقال اوضاعه الاجتماعية والاقتصادية السيئة ومن هنا نشأ ذلك النوع الحي من الادب ، الادب الذي يبحث عن الاصالة والجودة والابداع في اعماق حياة الجماهير العربية وفي حرارة انطلاقتها نحو بناء مجتمع جديد . بل لقد كان هذا التيار الجديد في الادب من القوة والزخم بحيث أكره الانواع الاخرى من الادب على تأثر خطاه وان لم تفلح في ذلك الا ظاهرا .

ان الثقافة العربية في العصور الحديثة التي عرفت غزو المستعمر وغزو الثقافة الدخيلة ، وعرفت الصراع بين الامة العربية وبين اعدائها واخذ فيها النضال القومي صورة النضال ضد الاستعمار والتخلف مما تقول ان الثقافة العربية — في العصور الحديثة لم تعد تعني — كما كانت من قبل — مجرد احياء التراث العربي وجلائه وبيان مواطن الابتكار والقوة فيه ، كما لا تعني ايضا الاستلقاء المسترخي في احضان الثقافة الاجنبية . لقد اصبح للثقافة العربية الاصيلة تعريف واحد لا ثاني له وهو انها التعبير عن واقع حياة الامة ومشكلاتها وسعيها لبناء حياتها الجديدة . ووحدة الثقافة العربية بالتالي لم

تعد تعني مجرد الانتساب الى تراث عربي قديم موحد له شأنه وقيمته دون شك ، كما لا يمكن ان تعني ارتداء ثوب الثقافة العربية ، بل اصبح قوامهـا ذلك الادب الذي امتد من المحيط الى الخليج يجلو حياة الشعب العربي ويعبر عن مشكلات المجتمع العربي ويرسم طريق الخلاص للامة العربية .

وتلكم هي سمات الادب الاصيل في كل عصر ومصر . انه لا يستطيع ان ينسلخ عن حرارة مشكلات مجتمعه ، ولا يستطيع ان يملك مفجرات الابداع ودوافع الخلق الادبي اذا هو لم يحي عصره ولم يمش هموم شعبه ولم يشارك في تطلعات امته وصبواتها بل اذا هو لم يتصدر المعركة ، ويرهص بما هـو آت ويتحسس قبل سواه دفقة التيارات العميقة التي تثور في أعماق الامـة وتحركها نحو عهد جديد ، أو ليس الاديب والفنان اصلا وجوهرا من كـان أقدر على تحسس مشاعر الناس الدفينة قبل انبجاسها وعلى التعبير عن تطلعاتهم الخفية قبل ظهورها والارهاص بمستقبلهم الذي يومىء اليـه حاضرهـم؟ أو ليس الادب اشبه بميزان حساس يهتز للتيارات الخفية وينذر بوجودهـا ويخرجها من حال الوجود بالقوة الى حال الوجود بالفعل ؟ اذ كـان الادب مرتبطا كما يحلو لبعضهم ان يقول ــ بعواطف الاديب الذاتية واحاسيسـه الداخلية . أفيمكن الفصل ــ وعلم النفس يشهد على ما تقول بين ذات الاديب وذات المجتمع الحالة فيه ؟ أو ليست الانا الفردية والانا العليا ــ على حـد تعبير أصحاب التحليل النفسي مرتبطين ارتباطا عضويا بحياة الجماعة وتربتها وثقافتها ؟ وهل هنالك عواطف واحاسيس انسانية معلقة بين السماء والارض، مفصولة عن هواء مجتمع قومي وانساني معين ؟

نقول هذا وفي ذهننا تلك النظرة التي توحد بين القومية والانسانيـة وترى في التربة القومية المكان الطبيعي لتفتح المشاعر الانسانيةوالانسان عندها لا يكون انسانا حقا ان لم يكن اولا ابن قومه وامته ، ولا يكون شيئا اذا لـم يكن اولا من هو ، اي ذلك الانسان الذي اختلط وجوده بوجود امته ، وأطل

من خلال ذلك الوجود على الوجود الانساني كله. هذا هو الدرس الـــذي تعلمنا اياه الحضارة العربية وتعلمنا اياه اي حضارة . ان اي حضارة لا تعطي للانسانية اذا لم تع ذاتها وخصائصها لتسهم من خلال ذلك في العطاءالانساني.

وتحضرني بهذه المناسبة بعض اقوال الشاعر القروي . لقد عبر احسن تعبير عن هذا الالتحام بين القومية والانسانية حين بين ان الاولى طريـــق الثانية وان الحديث عن نزعة انسانية مفصولة عن الجذور القومية لا يعـــدو ان يكون ضربا من اللهو او ضربا من التضليل ، ان لم يكن تعبيرا عن خـور وضعفه . فالنزعة الانسانية المجردة الخلوة من دمها الحي ، دم القومية، بضاعة مجلوبة حاول الاستعمار ان يدسها في المجتمع العربي وفي سائر الدول الضعيفة من اجل الاستمرار في اذلالها والسيطرة عليها . وحتى شعار السلام ، وهـو شعار رفيع الشأن ، ينقلب الى ضرب من الاستسلام عندما يدين به الضعفاء من دون الاقوياء . وعندما يكون السلام الذي يفرضه الغالب على المغلـوب. يقول الشاعر القروي :

أمـــا السـلام فاننا اعداؤه   حـتى يدين بحبـه أقـــوانـا

ويقول ايضا :

أتينـــاهم بانجيـل المسيـح   فجـاؤونـا بآيـــات الفتـــوح

ويعبر الشاعر القروي تعبيرا بليغا عن هذا المعنى في مقدمة ديـوانـه الشعري « الاعاصير » ويذكر من يأخذ عليه غلوه في الشعر القومي انـه لا يستطيع ان يجترح المعجزات فيرى الازهار والورود في جـو يسوده أزيـز الرصاص ويعفره جو المعركة الدائرة بين الشعب العربي وبين المستعمر الدخيل.

وبعد هذا أيضا حديث ذو شجون ، ولعلكم تطمحون الى ان احدثكم عن شواهد من ذلك التيار الادبي العربي الاصيل الذي عبر عن هموم المجتمـع العربي وتطلعاته والذي عنت الحداثة والاصالة عنده العودة الى الاصـــول والينابيع ، أصول الوجود العربي في سرائه وضرائه ، في قلقه وطمأنينته ، في

كره وفره ، في نضاله الموصول من اجل بناء كيان عربي جديد بحضارة الامة وتراثها ، قمين بحاضرها ومستقبلها .

غير ان هذا المطلب تقصر عنه مجلدات بكاملها ، ونخشى ان نحن اقتصرنا على القليل ان نغمط الموضوع حقه وان نقع في تقصير مخل . وهنالك من بينكم في الوطن العربي من هو اقدر منا على القيام بمثل هذه الدراسة التي نأمل ان يتوفر عليها ادباؤنا .

وحسبي أن اشير اشارات تلغرافية الى بعض مظاهر هذا التيار أدب المقاومة ، أدب الثورة الفلسطينية ، بعض منه ، وأدب الكفاح والنضال ضد المستعمر طرف من اطرافه ، والروايات والاقاصيص المعبرة عن اوضاع الشعب الاجتماعية القاسية او عن تطلعاته حلقة من حلقاته ، وعطاء الشعراء الملتزمين بأمتهم ، المعبر عن صبواتها ، المفصحين عن شؤونها وشجونها ، جانب من جوانبه ، وأدب المفكرين والمنظرين لحياتنا القومية والاجتماعية وجه أصيل له ، والادب الشعبي الذي يحكي حياة المجتمع العربي واجواءه واتراحه مظهر من مظاهره ، والادب الذي يعرف ان يستقي من تراث العرب الماضي بواعث الحاضر وان يصل ماضي الامة بمستقبلها شكل بارز من اشكاله ...

اما الاسماء التي عبرت عن هذا الادب فكثيرة استمحيكم المعذرة ان عجزت عن تعداد بعضها في هذه الفرصة المحدودة . ولعل من الصحيح بعد ذلك ان هذا النوع من الادب تيار قبل ان يكون أسماء ، ولعلنا نجده مبثوثا في نتاج واسع عريض اكثر مما نجده متحلقا حول أسماء بعينها . غير انه في هذه الاحوال كلها قائم هناك ، يزكو وينمو ويشتد عوده يوما بعد يوم . انه في آن واحد تعبير عن وحدة الثقافة العربية بمعناها الصحيح والاصيل ، وبناء لهذه الوحدة الثقافية . وهل يقوى على توحيد الثقافة العربية الا ادب يمتح ثراءه من وجود الامة ومطالبها وحاجاتها ؟ وهل ثمة ما يوحد الثقافة العربية غير هذا التيار الذي يقتحم الحلقة ويوحي بمستقبل الوجود العربي؟ ولقد شق هذا التيار طريقه في الاقطار العربية جميعها ، وان يكن خطة من النمو يختلف من

قطر الى قطر ، ان سائر التيارات الادبية في نظرنا لا تستحق من المحلل لواقع الثقافة العربية ان يتوقف عندها • ان الذي يعبر عن حياة الامة الحقة دوما وابدا ليست التيارات الجانبية ، ولاالهوامش الشاذة ، ولا بقايا ومخلفات العهود الماضية ، ولا تخبطات ثقافة مغتربة ضلت وجودها واخطأت مشيتها • بل الذي يعبر حقا عن حياة الامة ووحدتها التيار الفعال المحرك الذي يشق طريقه في ثبات وقوة ، ما دام موطىء قدمه واقع مجتمعه وتطلعات شعبه وصبوة أمته •

قد يعيش الادب البعيد عن الاصالة في خزائن المكتبات ، اما الادبالذي يعيش في النفوس ، ويحفر مجراه في العقول ، ويدخل القلوب قبل الاذان،فهو الذي يعبر عن حاجة حقيقية ويجيب على تساؤلات حية ويستجيب لنداءات عميقة صادرة عن لجة الجماهير لجة الحياة •

لقد قلنا ونقول ان قوى الابداع الضخمة والحقيقة في أمتنا ثاوية في الجماهير المحرومة • وما الاشتراكية الا سبيل لتفتح قوى الابداع تلك ، عن طريق تحريرها من اغلال اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية السيئة التي تقتل قوى الابداع لديها في مهدها وتحول دون كامل عطائها • والادب من أبرز مظاهر الخلق والابداع ، انه ايضا هناك ، في الجماهير الواسعة العريضة ، يفترض منها الاديب الحق وحيه ورؤاه ، ويأبى الاديب الصادق ان يغترب عنها ، ولا يرضى الا ان تكون مواقعه مواقعها ومواقفه مواقفها•بل ان الاديب من خرج من صفوفها وتكون في الحياة المشتركة التي خاضها معها ثم رد اليها بضاعتها ادبا صافيا نقيا لا يصطنع بل يجود بما اخذ ، ولا ينحت من صخر بل يغرف من بحر ، ولا ينطق بلسانه بل ينطقه لسان الجماهير • والكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفروعها في السماء•

أجل لا بد ان يكون للكلام رصيد والا كان لغوا ولهوا • ورصيد كلام الاديب معاناته لحياة الجماهير ومشاركته فيها واسهامه في تطويرها •

والادب كالنقد يعاني من التضخم شر معاناة ، ويفقد مثله قيمته عندما يجـاوز رصيـده .

ان اقتران القول بالعمل اهم ما يميز بعض جوانب الادب العربي القديم في جاهليته واسلامه وان المماطلة وفضول القول مما رفضه تاريخ تطور الادب العربي، ولعل من أقوى مظاهر البلاغة والبيان في الادب العربي في كثير مـن عصوره وضع القول في موضعه السليم وتعبيره الدقيق عن سلوك معين او موقف معين اذا استطعت ان تجعل كلامك مثل التوقيع فافعل : هذا شعـار من شعارات الادب العربي ..انه يوصي بالايجاز الذي يؤدي الى مطابقة اللفظ للمعنى ، والمعنى عمل وسلوك . اما الجنوح الى المعنى وتغليب الالفاظ على المعاني ، فمن سمات عصور التخلف في الحضارة العربية .

واذا كان من حق الادباء وواجبهم ان يتأسوا الماضي ، فلهـم في ادب الرسول الكريم وادب الصحابة وأدب الخلفاء الراشدين وأدب رجـــالات الدولة العربية الاسلامية من بعد ، قدوة حسنة . لقد كان أحبهم حقا تعبـيرا مقتصرا عن موقف وعن عمل . هو أدب بليغ لانه تعبير صادق دقيق عن موقف يفصح عن قيمة خلقية أو فكرية أو انسانية . وعصرنا هذا لا يقبل لغة القول. ان فيه من الاعباء الجادة والمهمات الضخمة ما ينكر فضول الكلم . ان التأثير في الاشياء وفي الواقع شعار المدنية الحديثة في شتى الميادين ، ولا بد ان يكون شعارها في الادب . الادب شكل وشكل هام من القوى المحركة للمجتمـــع الدافعة له الى أمام وأدبنا العربي أمامه من هموم امته ومشكلاتها ومطالبهـا ما يملأ وجوده ، وامامه من المشكلات الجادة ما لا يسمح له بان يتلهى بسواها. أجل ، الادب جد ، والادب يتفتح ويزكو جمالا وروعة وخلقا عندما يكون جادا. ليس الجمال نقيض الجدية في الادب بل هو خدينها ووليدها . الجمال الحـق يستقي روعته من الصدق ، الصدق مع الذات ومع الآخرين . انه جمال مشرق لانه مقتصد غير مسرف ولانه مطبوع غير مصنوع ، ولانه نزيه غير مصانع. انه نتاج طبيعي لمن رقى في معارج المشاعر الانسانية عن طريق احترامه لقيم

الانسان الحقة وعن طرق سعيه اليها وتعميق جذورها •

ونود ههنا ألا يحمل قولنا هذا على غير محمله ، وان يظن اننا نرى ان يحبس الاديب نفسه في اطار موضوعات محدودة لايتجاوزها تجنح الى الموضوعات القومية والسياسية • فما ندعو اليه في الواقع هو ان يرتبط الاديب بمجتمعه وبالانسانية من خلال مجتمعه وان يعبر تعبيرا صادقا عن هموم ذلك المجتمع وتطلعاته • وواقع المجتمع وتطلعاته ميدان رحب فسيح ، بل ميدان يمكن التنويع والتفريع فيه دون ما حد • انه يشمل المشكلات الاجتماعية وما أكثرها وما أشد تنوعها وما أوثق اتصالها بمشكلات الانسان الفردية• وانه يضم المشكلات النفسية ــ الاجتماعية ، وهي أرض خصيب للتعرض الى ما لا حد له من العواطف والمشاعر الانسانية التي تحيا وتتحرك في اطار مجتمع معين • وانه يشمل كل ما هو لصيق برسالة الانسان على الارض ونظرته الى الكون من خلال مجتمعه وامته • وغير ذلك كثير • ان تعرية بعض القيم الاجتماعية البالية مثلا لا يقل شأنا عن النضال في سبيل تطويره المجتمع وتحريره وتقدمه ، بل هو جزء من هذا النضال وان الدعوة الى تحرير المرأةمن رق أثقالها الاجتماعية التي تغل عطاء نصف الامة ليس ادنى شأنا من النضال في سبيل التحرر من العبودية السياسية والعبودية الاقتصادية • وان تنمية الذوق الرفيع والاحساس الفني الرهيف جزء من العمل على اصلاح المجتمع وتقويم عوجه• غير ان الذي نؤكد عليه ان يصدر هذا كله لدى الكاتب عن شخصية متكاملة وعن نظرة فلسفية متآخذة وان يكون لكل نوع من النتاج مكانه وموقعه في صلب الحياة الاجتماعية وفي جملة المعركة القومية التي هي ــ كما قلنا ونقول ــ معركة انسانية في الوقت نفسه ويقينا ان الاديب الذي يستقي حقا من معين انسان مجتمعه لا بد ان يلامس النضال في سبيل تطوير ذلك المجتمع في أي موضوع يطرقه ، ولا بد ان يصيب عطاؤه حوله في رصيد المسيرة القومية ولا نعني بذلك اصطناع الربط بين اي موضوع وبين حركة النضال الاجتماعي بل نعتقد ان هذا الربط لا بد ان يتحقق سهوا او عفوا

الخاطر لمن تكاملت نظرته الى مجتمعه وادرك دوره فيه واستمد امثلته وشواهده من لحمه ودمه . أو لم يتذكر عنترة حبه لعبلة وهو في وسط المعركة .

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم

أو لم يجد الشاعر القروي في حبه للفتاة الانكليزية « مود » مناسبة تذكره ارتباطه بقومه .

وحقك يا مود لولا ذووك ... لما فرق الحب بين العباد

الادب حياة ، والحياة كل متآخذ ، والاديب المبدع من سقى تناجه من النظرة المتكاملة الى المجتمع والناس والكون . قد يغلب بحكم طبعه ، جانبا على جانب ، وقد يغلب هذا الجانب حينا وذلك الجانب حينا آخر ، ولكنه في هذا كله وحدة من الفكر والنظرة والشعور يرى رسالته الاجتماعية القومية الانسانية في كل شيء ويرى كل شيء في رسالته الاجتماعية القومية الانسانية. انه قد يرى في زهرة الصباح تتفتح عن أكمامها تباشير الفجر لامته ، كما قد يرى في شدو الطير حنين الشعب وأنينه :

يا نائم الطلع اشباه عواديها ... نشجى لواديك أم نأسى لوادينا
ماذا تقص علينا غير ان يدا ... قصت جناحك جالت في حواشينا

قد تكون الامة عنده انثى وقد تكون الانثى أمة ، وقد يكون النهر الجارف فورة قومه وجيشان شعبه ، وقد يكون هديره زأرة العربي وقد ثار على المستعمر كما في قصيدة شهيرة للشاعر القروي .

ألم يقل « تولستوي » ان كل شيء متصل بكل شيء ؟ الابداع الحق هو الذي يعرف أن يلف الاشياء كلها في اطار نظرة واحدة موحدة لحمتها وسداتها انسان مجتمعه وقومه ، لا ذلك الانسان الخيالي الذي خلت عروقه

من نبض الحياة أو تفيحت دماؤه في أسن الاغتراب عن هوائه وتربته • ليس الادب عطاء مقصد مفصولا عن الزمان والمكان وليست العاطفة الادبية احاسيس مجزأة تقيم في أطر خاوية • الادب ومجتمع زمان ومكان معين وجهان لحقيقة واحدة • وكل ما في الامر أن علينا ألا ننسى أننا تتحدث عن مجتمع مفتوح لا عن مجتمع مغلق ، عن مجتمع يجاوزذاته ويرقى بوجوده عن طريق اتصاله بعالم القيم ، ذلك العالم الذي هو دوما امامنا وليس وراءنا ، يبدو امامنا كالافق ونبدعه دوما ونجدده كما يبدعنا ويجددنا ، ونخلق من خلال هذا السعي الموصول انسانا يزداد انسانية ويرقى في معارج الانسانية الى غير حد، ان هذا التيار الادبي الذي ندعو اليه والذي ظهرت تباشيره ، حين يغرف من معين حياة الشعب في شتى أقطار البلدان العربية ، وحين يعبر عن تطلعات هذا الشعب ونضاله من اجل تجديد وجوده ، يكشف عن وحدة الثقافة العربية لدى الجماهير العريضة واقعا وتطلعا ، ويؤكد وحدة الشعب العربي في نضاله على طريق معركة المصير الواحد • غير انه فوق هذا يجلو وحدة الثقافة العربية من منظار آخر حين يكشف عن واقع هام : انه يبين كيف ان هذه الوحدة الثقافية تمتلك حقا اهم مقوم لاي وحدة ، نعني الوحدة في اطار التنوع • فالمجتمع العربي الذي يصف شؤونه وشجونه يتبدى من خلال ذلك مجتمعا يتوافر له التنوع الذي يغني وحدته ويجعلها خصيبا • والوحدة العميقة كما نعلم،سواء في الثقافة او سواها ، هي الوحدة التي تتكون من تنوع الاجواء والتجارب وانماط الحياة ، ضمن اطار واحد شامل يجمع بينها انها الوحدة من خلال التنوع ، وهو غير التعدد والانقسام بطبيعة الحال • كذلكم المجتمع العربي لمن عرف أن يجلو معالمه ويبرز قسماته : انه مجتمع يملك ارضية مشتركة من انماط الحياة والسلوك والمشاعر ، غير انها تلبس تهما لكل بيئة ، ازياء واشكالا خاصة تزيد في اغناء الكل الذي تنتسب اليه • هذا الوجود العربي المتنوع في اطار الوحدة الموحد من خلال التنوع ، هو الذي تعمل التجربة الادبية الحية على جلاء صورته وكشف ابعاده • انها تفصح ، من خلال الالتحام الحي بهذا

الوجود ، كيف تعمل صوره واشكاله متنافية متسقة في اطار اللحن الاساسي الذي يحكمها جميعا • انه يقدم عن طريق الاتصال المباشر الحي بالواقع ، الحجة الدافعة التي تدحض ادعاءات القائلين بتباين الحياة العربية وتباعدالوانها وتناقض انماطها • انه يظهر أن الحياة العربية ، لدى الافراد والجماعات ، على غنى أشكالها وألوانها تنفضح بمشاعر واحدة وتعاني من مشكلات واحدةوتلتقي حول اهداف واحدة • انه يكشف عن ان وراء القشرة الظاهرة المشوهة التي ترين على الوجود العربي بحكم عوامل التخلف الطويل والاستعمار المديد،واقعا حيا متشوقا يحمل تجارب الامة العربية في الماضي والحاضر ، ويحمل تطلعها وصبوتها الى حياة جديدة والى مصير واحد •

ذلكم ان الجوهر الاصيل للامة ثاو هناك ، هناك في أعماق حياة الكثرة الكاثرة من ابنائها ، وحين يلامس الاديب المبدع تلك الاعماق ويصل الى كنهها وقوامها ، يلتقي التقاء عفويا صادقا بذلك الجوهر ، ويكشف عن اصالته ووحدته وعمقه • عند ذلك تتكشف له وحدة الهموم والمشكلات ووحدة القيم والاهداف لدى القروي في قريته ، ولدى المزارع في حقله ولدى العامل في مصنعه ، ولدى الجندي في خندقه ، ولدى الطالب في مدرسته ، ويرى كيف تفصح هذه الانماط المتنوعة من الحياة عن مشكلاتواحدة وتومىء بحلول واحدة بل يتكشف له قبل هذا لقاء هذه الصورمن الحياةعبر الحدود والسدود في شتى انحاء الوطن العربي مشرقه ومغربه ، ضاحكة من المسافات التي تباعد بينها متحدية تلك البنى المصطنعة التي تفرض عليها الانفصام والانقسام •

أجل ان وحدة الثقافة العربية وحدة ديناميكية متحركة لا ساكنة، تتجلى قواها الدافعة المحركة وراء السطح الظاهر منها • والاديب الحق هو الذي يتصل بتلك التيارات السارية في الاعماق ، وبالمشاعر التي تعصف من داخل ، وبالومضات التي تبدد ظلمة الاقنعة الدخيلة ، ويحيا معها توفزها وتطلعها الى الانبثاق والظهور بل يستبق ذلك التطلع ويراه وهو في طريقه الى الانبعاث ويقبض عليه في حركته المبدعة المجددة •

ان حياة الشعوب لا تبنيها التراكمات السطحية والترسبات الطارئة ، بل تبنيها الحركة الداخلية الحية التي تصهرها وتصوغها صياغة جذرية شـــاملة وتلك الحركة الداخلية الحية ، تلك الدفقة الحيوية التي تثور في الاعماق، هي التي يقوى الاديب المبدع على الامساك بها وادراك منطلقها ووجهتها ومعناها. « اما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ».

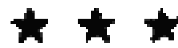
الاديب المبدع ، كأي انسان مبدع ، لا تخيفه المياه الاسنة الـــتي تغزو وجود اي امة بل يدرك ان النهر الجارف هو الذي يشق المسيرة ويغمر الارجاء ويزيل الزيف . ان وجود هذه البراكين الداخلية المتفجرة في اعماق الحيـــاة العربية ، انى كانت واين حلت ، حقيقة واقعة تجاوز كل وجود ظاهري زائـــف، والادب الاصيل هو الادب الموصل الى الاعماق ، المدرك لحركتها ، الراصـــد لتيارها المرهص بفجرها . والثقافة الحقة اليوم تقوم عند نقطة التلاقي بـــين الابداع وبين القدرة على التحريك ، بل هي حصاد التفاعل بينهما .

اما الاديب الذي يحسب الظاهر باطنا ، والدخيل أصلا وجوهرا ، ويخال الورم شحما ولحما ، والبثور والامراض العارضة بنية مقيمة ، فهو الذي لـــم يستطع ان ينفذ الى حقيقة الحياة والوجود ، ورضي بان يكون ادبه صـــورة فوتوغرافية جامدة واي معنى للادب اذا لم يعرفه النظرة الحادة النفاذة ولـــم يستشرف الواقع من خلال روية شاملة محيطة ، ولم يتحسس البذور الناميـــة القوية التي تحرك مسيرته .

من هنا تلك المسألة الزائفة ، مسألة الادب ايكون للعامة أو الخاصـــة ، للجماهير او النخبة . فالادب جوهرا وتعريفا لا يمكن ان يكون شيئا آخـــر سوى أدب الجماهير منها يستقي رؤاه واليها يرد نتاجه . ولا نقصد بالادب طبعا تاريخ الادب فلهذا شأن آخر لا ننكره حين يوضع في موضعه السليـــم اننا نعني الادب الجديد ، الادب الخلاق ، الادب القادر على التعبير عن حياة مجتمع معين . اما الادب الماضي، فهو عند الاديب المبدع ليـــس مجرد ارث تاريخي جامد او مواقد انطفأت ولم تخلف سوى الرماد ، بل جمرات ما تزال مشتعلة في نفوس الناس يتوجب اذكاؤها عن طريق تجديدها . والادب القوي

لا يرفض ذلك الارث المكتسب ، ولكنه يدمجه بالتجربة الحية ويتجاوزه. والادب المكتسب عنده نقطة ارتكاز وليس عائقا ، الادب الحقيقي هو في آن واحد اتصال عن الادب المكتسب وتمثل وهضم نقدي له . وهو بهذا المعنى ثورة .

ولا يتسع المجال للحديث عما تمليه مثل هذه الثورة الثقافية في الادب من اعادة نظر جذرية في مضمون تعليم الادب في المدارس وفي طرائقه . وحسبنا ان نشير عابرين الى مطلب واحد اساسي وهو ان يكون هدف هذا التعليم تنمية روح الخلق والابداع لا روح التقليد والاتباع ، عن طريق الاتصال الحي بمحركاتها ودوافعها ، نعني حياة المجتمع العربي ، بحيث يصبح الابداع الادبي ثورة لا تقل شأنا عن الثورة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، بل ان هاتين الاخيرتين لا تقومان في الواقع بدون الثورة الادبية الثقافية .



وبعد ، هل استطعت حقا ان اتحدث عن دور الادب في وحدة الثقافة العربية ؟ لعل حديثي عما ينبغي ان يكون قد غلب على حديثي عما هو كائن. وهذا في رأيي امر طبيعي فانه هدف بناء وليس اكتشافا. والثقافة العربية الموحدة هدف نبنيه وان كنا نعرف ان بذوره قائمة . نحن ندرك اوضح الادراك ان وحدة الثقافة لم تتأت لامة كما تأتت للامة العربية ، فهي هناك تجأر وتجهر بصوتها ولكن هل داخلنا الشك يوما بان اي وجود مهما يكن قويا غنيا ، في حاجة الى تعهد وتطوير وتجديد ؟ الثقافة العربية الموحدة حقيقة قائمة دون شك ، والتيار الادبي الاصيل الذي اشرنا الى معالمه آخذ طريقه الى الاكتمال والنضج ولكن هيهات ان ينسينا ذلك دورنا في اغناء هذا التيار الثقافي المجدد الموحد وفي تطويره وتعميقه . وهيهات ان ننسى ان هذا التيار الادبي الاصيل يغالب قوى دخيلة كثيرة ويشق طريقه عبر عقبات وصعاب . بل كثيرا ما يشك فيه المشككون ويغمزون من قناته .

ان لهذا الملتقى معاني كثيرة ، ولكن لعل ابرز معانيه ان يظهر للملأ زخم

هذا التيار الادبي الجاد، وان يتعاهد مرتادوه على كل كلمة سواء بينهم: ان يناضلوا من اجل نصرة هذا الادب نتاجا وتوضيحا وشرحا وتحليلا.

مزيفو الوجود العربي في الادب، شأنهم في السياسة، كثيرون والمتخاذلون امام رسالة الامة العربية في شتى الميادين يفلسفون التخاذل ويبررونه. ولكن الرسالة بطولة، والبطولة لفظا وتعريفا ما لا يأبه للصعاب.

« واذا كانت النفوس كبارا   تعبت في مرادها الاجساد »

ولم يبن الحضارة يوما مفسروا الفساد وشارحوه ومبرروه، بل يبنيها دوما وابدا من يثبت زيفه وبطلانه بعمله وجهده وقدرته على الانفصال عنه.

وآداب الامم الحية كانت دوما السباقة الى بناء نهضتها، وكانت المهاد الذي قامت عليه يقظة الامة وانبعاثها. ويا له من دور جليل: ان تجند الاقلام في سبيل البعث العربي المنشود في سبيل الامة العربية الواحدة، ورسالتها الخالدة الى الانسانية ...

الدكتور عبد الله عبد الدائم

أصول نظرية الشعر عند العرب

بقلم الدكتور عناد غزوان اسماعيل

٢

ان الخط البياني التاريخي لتطور نقد الشعر عند العرب المبتدىء بالنصف الاول من القرن الخامس الميلادي ــ اقدم نص شعري عربي ناضج ــ الى مطلع التاسع الميلادي ، بداية القرن الثالث الهجري ، يؤكد ان حركة الشعر العربي كانت متطورة فنيا وذات دلالة حضارية وفكرية ، بيد ان النقد الذي صاحبها كان في الاغلب الاعم ذوقيا تأثريا ثم تحول الى نقد الصياغة الشعرية والمعاني بشيء من التعليل والعمق واستقر منهجيا يدرس قضايا الشعر واللغة والادب ويحلل بعض الظواهر الفنية المتعلقة بالاسلوب الشعري ولغة القصيدة وصحة التراكيب ، في القرن الثاني الهجري ، عصر التدوين والنهضة العلمية التي شملت علوم اللغة العربية ، وكان هذا التطور من مرحلة الى اخرى ومن عصر الى آخر مرتبطا بمواقف أدبية فكرية نستطيع ان نصطلح عليها بأصول النظرية النقدية عند العرب علما ان هذه الاصول استمرت بالظهور والنمو والتطور مع مراحل تطور الفكر الادبي العربي بعد القرن الثاني الهجري ، فبرزت واضحة المعالم والسمات في القرنين الثالث والرابع الهجريين عصر الترجمة والتأليف عصر المفاخرة والاحتجاج ، عصر الترجمة والجدل الادبي ، عصر النضج الفني والتجديد في الحركات الادبية الشعرية والنثرية ، عصر الاختيار تدقيق وتحقيق النصوص الادبية عصر استقرار المنهج اللغوي والنحوي والتثبيت من الرواية والرواة فلمعت طائفة كبيرة من اعلام الادب واللغة تحلل وتعلل وتفسر كثيرا من الظواهر اللغوية والشعرية والبلاغة

كان لها الفضل في تنظير المعيار النقدي وتثبيت اصوله وان بدت تلك الاصول موزعة بين كتب الادب وآثار النقاد تتألف اصول النظرية النقدية العربية، بعد استقرائها وتأليف شتاتها من : الذوق الادبي الصافي الطبيعي الذي تجاوز في كثير من احكـامه ودلالاته ، التعميمات على الرغم من وجودها فاهتم في احدى مراحله بصياغة الشعر ومعانيه وعبر عن روح عصره تعبيرا غنائيا كغنائية القصيدة العربية في عصورها الاولى وكان بذلك مظهرا واقعيا من مظاهر الحياة الادبية في العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام والعصر الاموي فاكتسب الاصل الذوقي بعد ظهور الاسلام ، حسا اخلاقيا انصب اهتمامه المباشر على « المضمون الشعري للقصيدة ، فأراد لهذا المضمون ان يسمو على العصبية القبلية والاقليمية ليكون صوتا انسانيا جديدا ، يستمد مقوماته من القيم والمثل الاسلامية الجديدة ، بيد ان شدة الصراع السياسي وتوهج العصبية القبلية مرة ثانية وحركة الفتوح العربية الاسلامية قد صيرته ضربا من المثالية والطموح فلم يستطع النهوض بالحس الاخلاقي الى مستوى المعيار المنهجي في تقويم التجربة الشعرية ، وقد مرت الاشارة الى اهمية الذوق ومكانته في الدرس النقدي •

اما الاصل الثاني اللغوي ، القائم على دراسة التراكيب الادبية الفصيحة وفق مقياس منهجي لا يقبل مساومة ولا يؤمن بعصبية ولا يجامل في الاحكام وقد كانت بداية هذا الاصل النقدي مرتبطة بنشأة علوم اللغة في نهاية القرن الهجري ومطلع القرن الثاني وتتجلى اهمية هذا الاصل في أنه أرسى مفهوم الحجة وثبت الاعتماد على النص الاصل الفصيح فأمد النقد الادبي بأسس منهجية قائمة على الاختيار والتدقيق فقد كان النقد عند اللغويين يعتمد على المزاج والاستعداد والثقافة وكانت الخصومة في الشعر والشعراء حادة لا تكفي القول القاء بل تدعمه بالدليل • ومن هنا عمق البحث في خصائص الشعراء

وعمق البحث في ضروب القول (٣٣) .

فالاصل اللغوي في النقد لا يقف عند سلامة النص الادبي من الخطأ ومطابقته الشائع المألوف من قواعد اللغة بل يحاول الكشف عن مواطن الجودة والرواة في ذلك النص (٣٤) من خلال مقاييس الخطأ والصواب التي خلقها الاستقراء وحفظتها الرواية ، بيد ان احكامه كانت تهتم بالجزئيات اي بعبارة اخرى أن النظر الى النص الشعري اسلوبا متكاملا والانتهاء من تحليلـه لغويا الى رأي شامل لم يكن شائعا للدرجة التي يستطيع بها «بلورة الاسلوب الشعري كلا فنيا »، بل كانت وحدة البيت وربما الكلمة المفردة هي محور النقد اللغوي وحين ظهر بعض الشعراء الموهوبين في رسم الصورة الفنيـة والتألق بخلقها مثل ابي تمام الذي امتاز بالتجديد في منح اللفظة القديمـة دلالة تصويرية جديدة وقف النقد اللغوي منه موقف المستفز فاتهمه بالخروج على « عمود الشعر » وخاصة النقد اللغوي المحافظ في بيئة اشتد الصراع فيها بين الشعر العربي القديم والمحدث وكان للاصل اللغوي ، دوره البارز الفعال في تاريخ هذا الصراع فقد كان « استخدام الالفاظ على غير النحو المألـوف وفي غير المجال الذي كانت ترد فيه » من ابرز سمات التجديد التي استفـزت اللغويين ومن تبعهم من النقاد والمحافظين (٣٥).

اهتم الاصل اللغوي بدراسة الكلمات المفردة والتعابير الادبية المستقلة، فكان الاسلوب في ضوء هذا الاهتمام شكلا واطارا يقصد به نوع الكـلام ونهجه ، اما طريقة صياغة التعابير والمفردات وهي جوهر الاسلوب فلم يعبأ بها هذا الاصل كثيرا وان ظهرت في عصور متأخرة تحديدات رائعة في مجـال دراسة الاسلوب الادبي ، كما هي الحال ، عند ابن خلدون الذي يـرى ان الاسلوب قالب ذهني تنصب فيه التراكيب ويتلاءم مع فن القول .. ولنذكر

---

٣٣ ـ طه احمد ابراهيم ، تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ٦٠
٣٤ ـ نعمة رحيم كريم ، النقد اللغوي عند العرب ص ١٦٧ .
٣٥ ـ النقد اللغوي عند العرب ، ص ١٠٧

هنا سلوك الاسلوب عند اهل هذه الصناعة وما يريدون بها في اطلاقهم فاعلم انها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب او ألقاب الذي يفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام باعتبار افادته اصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من اعيان التراكيب واشخاصها ويصيرها في الخيال والقالب او المنوال (٣٦) يؤكد ابن خلدون في هذا النص ، على الصلة الوثيقة بين التفكير والتعبير (٣٧) باعتبار ان الاسلوب صورة ذهنية يخرجها الخيال كالقالب او المنوال والشاعر المجيد هو الذي يحسن اختيار الفاظه وتراكيبه فيتقن نسجها ويبدع في تأليفها من خلال تجربة واعية فيفضي عليها من ملامح شخصيته ووجدانه بعض سماته حيث يولد فنه الشعري المعبر عن خصوصية صاحبه .

وان الاصل اللغوي لا يقف عند حدود دراسة التركيب الشعري من حيث الصواب والخطأ بل تعدى ذلك الى دراسة واقعه التاريخي بحثا عن الفصيح وتوضيحا لعلة ، فكانت دراسة البيئات العربية بشعرها ومواقعها مدعاة لتعليل بعض الظواهر الشعرية وخاصة نقاء لغة التعبير او فسادها بيد ان هذا الاهتمام المتصل بالمشاهدة والفكر والتعليل لم يعترض لجودة الشعر او رداءته . والبحث في البيئات اللغوية والمفاضلة بينها لا يخلو في بعض الاحيان ، من بعد سياسي مرتبط بالعصبية القبلية نتيجة للتوزيع الجغرافي للقبائل العربية التي تعد فصيحة وحجة في لغتها يستشهد باقوالها في المناقشات والمجالس الادبية .

٣٦ ـ ابن خلدون ، المقدمة ، دار احياء التراث العربي بيروت (بدون تاريخ الطبع) ص ٥٧٠ ، ٥٧١ .

٣٧ ـ علي ابو ملحم ، في الاسلوب الادبي ، بيروت ١٩٦٨ ، ص١٠، ١١، ١٢ .

بعد تحقيق النص الشعري والتثبيت من صحة نسبته ، الاصل الثالث في النظرية فتحقيق النصوص من خلال منهج موضوعي قائم على الاختيار والفحص والموازنة عنصر بارز وفعال في العملية النقدية واسسها المتينة (٣٨) وهو عمل نقدي صعب يحتاج الى قدرة ومهارة فائقتين بطبيعة العمل الشعري لغة واسلوبا وانتماء تاريخيا بالاضافة الى الدرية والممارسة والخبرة بعناصر ذلك العمل وقد وفق ف.ب ولسن في تحديد اهمية وخصائص المحقق العليمة بقبوله • فالمحقق المثالي متمرس بالمصادر وناقد ومؤرخ وعالم اثار وخبير خطوط ولغوي ومتفلسف (٣٩)•

وهنا يبرز اسم محمد بن سلام الجمحي المتوفي ٢٣١ او ٢٣٢ هـ• فهو في كتابه طبقات الشعراء رائد في هذا الاختصاص النقدي الدقيق تحقيق النصوص ـ فقد كان ابن سلام الواسطة لتزويد دارسي تاريخ النظرية النقدية عند العرب بمادة قيمة وذلك بما نقل من اراء الاخرين واخبارهم • وبما حفظ من مظاهر جدهم وجدلهم ان هذه الاراء لتعكس لونا من حضارة العرب ، وتدل على استقرار في الفكر الادبي وتشير الى ان النقاد بدأوايدينون النظر ويسسون قضايا واسعة تنطوي على عناصر انسانية يمكن ان تلتقي اطراف منها مع ما وصل اليه مفكرون في جوانب اخرى من العالم (٤٠) •

وابن سلام في بحثه لكثير من القضايا الادبية كان يصدر عن حس عالم متأثر بروح عصره في الاستيعاب والشرح والتحليل وذكر الاسباب والمسببات (٤١)•

يقوم تحقيق النصوص عند ابن سلام على مجموعة امور منها : اجماع

---

٣٨ ـ د. محمد مندور ، النقد المهجري ، ص١٧ .

٣٩ ـ ديفيد دتيشي ، مناهج النقد الادبي بين النظرية والتطبيق ، ترجمة : الدكتور محمد يوسف نجم ، مراجعة : د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٧ ص ٥١٦ نقلا عن :

٤٠ ـ د. علي جواد الطاهر ، محمد بن سلام وكتابة « طبقات الشعراء » (مسودة) كتبت مقدمة هذا الكتاب سنة ١٩٦٤ ، ص ١٧، . وانظر ايضا : د. احسان عباس ، تاريخ النقد عند العرب ، ص٧٢ ، و د. محمد زغلول سلام تاريخ النقد العربي ، ج ١ ص ٩٩،٧٠،٧٠١

٤١ ـ طه احمدابراهيم ، تاريخ النقد الادبي لعند العرب ، ص ٧٦.

وثقافته العنيفة وذوقه الادبي الرفيع فهو حين ينبه الى الشعر المفتعل الموضوع أهل العلم ، والرواية الصحيحة والاخذ عن اهل البادية بالاضافة الى خبرتـه بقوله : وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه • ولا حجة في عربيته ولا ادب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ولا مديح رائـع ولا هجاء مقذع ولا فخر معجب ولا نسيب مستطرف • وقد تداوله قوم من كتاب الى كتب ، لم يأخذوه عن اهل البادية ولم يعرضوه علم العلماء وليـس لاحد اذا جمع اهل العلم والرواية الصحيحة على ابطال شيء منه ان يقبـل من صحيفة ولا يروى عن صحفي وقد اختلفت العلماء في بعض الشعر كمـا اختلفت في بعض الاشياء اما ما اتفقوا عليه فليس لاحد ان يخرج منـه (٤٢) انما يؤكد على هذه الاسس التي يراها تؤلف روح المنهج العلمي الذي يقيس في ضوئه اصالة النص فيقبله او ضعف سند النص وافتعاله فيرفضه لذلـك تراه جريئا وصريحا في شكه العلمي لبعض النصوص مشيرا في مواطن كثيرة من كتابه الرائد الى قضية الوضع والنحل في الشعر العربي القديم منها قوله: فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر ايامها ومآثرها استقل بعض العشـائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قلت وقائعهم وارادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والاشعر فقالوا على ألسن شعرائهم ثم كـانت الرواة بعد ، فزادوا في الاشعار التي قيلت وليست بشكل على اهل العلم زيـادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون وانما عضل بهم ان يقول الرجل من اهل بادية من ولد الشعراء او الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعـض الاشكال (٤٣) مؤكدا بذلك ان العلماء بالشعر من اهل الثقافة والفراسـة والتجربة يستطيعون تحقيق النص والتميز بين الموضوع المفتعل والاصيـل الجيد فكذلك الشعر يعرفه اهل العلم به (٤٤) وقد يصرح بحرية العالم الواثق من منهجه باسم القبيلة التي تضع الاشعار من ذلك ذكره لحسان بن ثابت حين

٤٢ ـ الطبقات ، ص ٦٠٥
٤٣ ـ الطبقات ، ص ٣٩ ، ٤٠
٤٤ ـ الطبقات ، ص ٨

عده أشعر شعراء المدينة ونوه بكثرة شعره وجودته فقال •• وقد حمل عليه ما لم يحمل على احد • لما تعاضهت قريش واستتبت وضعوا (٤٥) •

اشتد الصراع بين الشعر العربي القديم والمحدث منذ مطلع القرن الثالث الهجري ، على الرغم من ان جذور هذا الصراع كانت موجودة في الادب العربي قبل هذا التاريخ ، نتيجة للتطور الحضاري الذي اثر في بنية القصيدة شكلا ومضمونا زد على ذلك تطور ونشاط حركة التجديد التي كانت على النقيض من اتجاه المحاماة والتقليد لا شك ان مفهوم الصراع الادبي لا يمكن ان يدرس في ضوئه نتائجه ومسبباته بمعزل عن حركة تطور المجتمع العربي وما صاحب ذلك التطور من صراع طبقات واحداث ادبية وفكرية مهمة • وهنا يبرز الاصل الرابع في تاريخ النظرية النقدية العربية وهو ما يمكن ان نصطلح عليه بأصل العدالة الاجتماعية القائمة على اتخاذ موقف صريح من الشعر الجيد العدالة الاجتماعية التي لا تفرق بين الشعراء على اساس من التعصب القديم ـ لانه قديم ـ وتتجاهل التجارب الشعرية الناتجة الجديدة في اشكال وصور ـ المعبرة عن روح عصرها لانها جديدة او محدثة طالما ان الجودة الفنية هي المقياس النقدي ومعيار المفاضلة بين الشعراء دونما اهتمام بأي اعتبار زمني او مكاني•

ارتبط هذا الاصل بابن قتيبة (المتوفي سنة ٢٧٦ هـ) حين وضع ابعاده في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » وهي مقدمة تصلح ان تكون بحثا نقديا ذا قيمة تاريخية نظرا لما تضمنه من قضايا مهمة كانت شائعة قبل عصر ابن قتيبة او متعاصرة معه • يرى ابن قتيبة ان التقليد في الاحكام الادبية والتعصب الاعمى القديم والتعصب غير المبرء ـ والمسبب لا يخدم قضية ولا يقوى على بناء القديم والمحدث • فيقول : ولم اسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له ، سبيل من قلد ـ او استحسن باستحسان غيره • ولا نظرت الى المتقدم

---

٤٥ ـ الطبقات ، ص ١٧٩ •

بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره. بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، واعطيت ملاحظة ووفرت عليه حقه (٤٦) قد تكون هذه الثورة على المقلدين ومن انصار القديم واعتماده على رأيه المستقل ثورة صادرة عن نظر فلسفي اكثر من صدورها عن حكم استقراره من طبيعة الشعر القديم والحديث ونسبة الجودة في كل منهما او قربهما من مثل اعلى في الشعر (٤٧).

في حين ان ابن قتيبة قد اهتم اهتماما واضحا بمبدأ الجودة الفنية حتى صار عنده ما يشبه المعيار النقدي في العدالة الاجتماعية بين الشعراء والقدامى والمحدثين من ذلك .

قوله فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه او انه رأى قائله (٤٧).

فهذه المقابلة والمطابقة « يستجيد » ويرذل « الشعر السخيف » والشعر الرصين لتقدم قائله « ورأى قائله » توضح حقا طبيعة واسس مبدأ العدالة الاجتماعية في بناء الحكم النقدي عند ابن قتيبة .

الانصاف الادبي والعدالة الاجتماعية في المفاضلة بين الشعراء قائمة على الجودة الشعرية من حيث الصياغة وحسن التأليف .. ولا احب احدا من اهل التميز والنظر ، نظر بعين العدل وترك طريق التقليد يستطيع ان يقدم احدا من المتقدمين الكثيرين على احد الا بان يرى الجيد في شعره اكثر من الجيد

---

٤٦ ـ الشعر والشعراء ، ص ١٠

٤٧ ـ د. محمد مندور ، المصدر السابق ، ص ٢٠، ٢٨ . وانظر : د. طه احمد ابراهيم، ص ١٢٤، ١٢٥ .

و د. احسان عباس ، ص ١٠٦ ، ١٠٧

ود. محمد زغلول سلام ، ص ١١١ ،١١٢ ، ١١٣ .

ود. محمد زكي العشماوي ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

٤٨ ـ الشعر والشعراء ص ١٠

في شعر غيره • ولله در القائل : اشعر الناس من انت في شعره حتى تفرغ منه (٤٩)•

يعلل ابن قتيبة انطلاقا ، من ايمانه بمبدأ العدالة والانصاف ، ظاهرة الصراع بين القديم والمحدث تعليلا علميا صائبا حين يربط مفهوم القدم والحداثة بالعصر والزمان اي ان العمل الفني حين يولد اول مرة فهو جديد عصره فاذا أثبت اصالته وجودته صار انموذجا ومثالا يحتذى ويقلد فيكتسب بذلك ديمومة البقاء ويؤثر في غيره فيصير قديما حين يولد جديد اخر ينافسه في الاصالة والجودة ليتحول هو الاخر الى كونه اثرا قديما اي ان التقليد الشعري يخلق تجديدا شعريا حسب متطلبات روح العصر والتطور الحضاري والفكري ثم يصير التجديد محاكاة • العمر في ظرف معين وحالة نفسية واجتماعية خاصة وضرورة حضارية ملحة ، تحليق الجديد ويثور على القديم وما ان يستقر الجديد بأصوله وخصائصه تبدأ ضرورة اخرى في الخروج عليه نحو جديد اخر وهكذا تنشأ الحركة في فهم تطور الحركات الشعرية حيث ترتبط بروح العصر والصراع الاجتماعي وقد وضح ابن قتيبة جانبا من هذه الظاهرة بقوله : ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا في عصره وكل شرف خارجية في اوله • فقد كان جرير والفرزدق والاخطل وامثالهم يعدون محدثين وكان ابو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا الحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته ثم صار هؤلاء قدماء عندما بعد العهد منهم ، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا والخريمي والعتابي والحسن بن هاني واشباههم فكل من أتى بحسن من قول او فعل ذكرناه له واثنينا به عليه ولم يضعه عندنا تأخر قائله او فاعله او حداثة سنه كما ان الرديء اذا ورد علينا للمتقدم او الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه (٥٠) •

٤٩ ـ الشعر والشعراء ، ص ٢٦
٥٠ ـ الشعر والشعراء ، ص ١٠ ، ١١

لا شك ان الخروج على بعض قواعد الفن الشعري ، بتبرير وتعليل ، لا يعني خروجا على الفن الشعري ذاته كما ان حرص الناقد على تقويم الجديد جودة اورداءة يجب الا يفقده على تقويم القديم ايضا تلك السمة المتميزة لاصل العدالة الاجتماعية في المفاضلة والموازنة واتخاذ المواقف الادبية بين الشعراء القدامى والمحدثين .

الموازنة القائمة على التحليل والتعليل والتزام الروية والاناة والـذوق الادبي الرفيع والموهبة الناقدة ، وتحقيق النصوص والقدرة على اتخاذ الموقف هي الاصل الخامس من اصول النظرية النقدية . فهي مصطلح نقدي جديد دخل لغة النقد الادبي العربي في القرن الرابع الهجري وكان حقا نواة النقـد التحليلي او التطبيقي في الشعر العربي وصاحب هـذه المـوازنة هو الآمدي (المتوفي سنة ٣٧٠ هـ) حين ألفها ليوازن بين شاعرين محدثين كبيرين همـا : ابو تمام والبحتري ، ليصل الى تحديد موقعها الشعري من حيث الصياغـة، الاسلوب ، اللغة ، الاداء الفني الجودة الرداءة . التعبير الشعري (الصورة) والسرقة « فالموازنة المعللة هي الطريقة التي يثبت بها المرء انه قد اصبح ناقدا فليكن الامدى ذلك الناقد .. ليثبت ان ناقدا من طرازه يقف في مستـوى العلماء القدامى ان لم يكن بقدرته على التعليل والتحليل اوضح مقاما(٥١).

تبدأ الموازنة بمقدمة يسلط الامدي الضوء فيها على حقيقة منهجه وطبيعته التعليلية والتحليلية فيقول : فاما انا فلست افصح بتفضيل احدهما على الاخر ولكنني أقارن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما اذا اتفقا في الوزن والقافية واعراب القافية وبين معنى ومعنى ثم اقول : ايهما اشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى ؟ ثم احكم انت حينئذ ان شئت على جملة ما لكل واحد منهمـا اذا أحطت علما بالجيد والرديء ثم يضيف الى هذا القول بعد ان يكرره في تمهيده لباب السرقات ، بعبارة جديدة وهي ... فان محاسنها تظهر في تضاعيف

٥١ ـ د. احسان عباس ، المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

ذلك وتكشف (٥٣) يعني ان الموازنة بالمعنى الذي حددها هي المعيار النقـدي الذي يكشف موقع الشاعرين فنيا فهو ناقد حذر ومتأن في اصدار الحكم ، فلا يريد ان يخضع نفسه لثأرية عابرة او يلزم نفسه برأي سابق قد يضطره الى اتخاذ الموقف التوفيقي او التبريري على حساب اضطهاد النص الشعري واخضاعه لرأيه السابق قبل التحليل وادامة النظر والتأمل العميق فيقـول: ولست احب أن اطلق القول بأيهما اشعر عندي لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر ولا ارى لاحد ان يفعل ذلـك فيستهدف لذم احـد الفريقين (٥٤) فتبدأ الموازنة عنده بذكر احتجاج الخصمين حيث يسجل بامانة وصدق حجج انصار كل شاعر واسباب تفضيلهم له ثم يأخـذ في دراسة السرقات عند كل من ابي تمام والبحتري ثم يعرض اخطاء وعيوب الشاعرين .

واخيرا ينتهي الى الموازنة التفصيلية بين ما قاله كل منهما في كل معنـى من معاني الشعر .

فالموازنة تكشف لنا الامدى ناقدا منهجيا ذا روح ناضجة ، حـذرة ، يقظة ، بعيدة عن التحيز . وحين يقارن بين الشاعرين ، لا يفصح بتفضيـل أحدهما على الآخر تفضيلا مطلقا كما مر بنا ذلك ، ولكنه يترك الحكم الكلي للقارىء ، وهذا بلا ريب منهج رجل يرى المذاهب المختلفة ويقبلها ويسجلها، ثم منهج ناقد دقيق يرفض كل تعميم مخل وتعصر احكامه على ما يعرض لـه من تفاصيل (٥٥) فأصل الموازنة هنا لا يعني دراسة الكتاب ، دراسة مفصلة ، او الاهتمام بالنتائج التي توصل اليها الامدي من خلال مناقشاته لكثير مـن القضايا النقدية وهو يوازن بين أبي تمام والبحتري ، بل ان المنهج النقـدي الذي اعتمد عليه الامدي في تعليله وتحليله واحتجاجه وقدرته الفائقة عـلى

---

٥٢ ـ الامدي : الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ، تحقيق السيد احمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ ، جـ١ ، ص ٧

٥٣ ـ المصدر نفسه ، ص ٥٤

٥٤ ـ الموازنة ، ص ٦

٥٥ ـ د. محمد مندور ، المصدر السابق ص ٩٤ ، ٩٥ .

استيعاب النص هو الذي يؤلف روح هذا الاصل النقدي اذ يعد صورة جديدة من صور النقد العربي ومدخلا رائدا في النقد التحليلي او التطبيقي.

يعد صاحب «الموازنة» مصطلحات نقدية في القرن الرابع الهجري ـ مصطلح « الوساطة » الذي استحدثه القاضي الجرجاني (المتوفي سنة ٣٦٦هـ او سنة ٣٩٦هـ) عنوانا لكتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه » فتكون الوساطة عندئذ جزءا من الاصل الخامس من اصول النظرية النقدية . يقوم منهج « الوساطة » على مبدأ المقايسة ، فالناقد الذي يتحرى الانصاف قبل ان يفرد عيوب شاعر او حسناته بالتميز عليه ان يقيسه على ما كان في تاريخ الشعر والشعراء ، فلا يستهجن خطأه في اللفظ لانه قلما تجد شاعرا سلم من هذا الخطأ ، ولا يستنكر خطأه في المعنى فكم عدد العلماء من صنوف هذا الخطأ في شعر الاقدمين (٥٦) والمقايسة في الوساطة تعني عند مندور «قياس الاشباه والنظائر» (٥٧) وبالاضافة الى المقايسة فقد امتازت « الوساطة » بروح التعبير والتعليل والعدالة بالحكم ، العدالة الادبية القائمة على المحبة والدليل من ذلك قول الجرجاني : ... وتجعل الاقرار بالحق عليك شاهدا لك اذا انكرت ، وتقيم الاستسلام للحجة ـ اذا قامت ـ محتجا عنك اذا خالفت، فانه لا حال اشد استعطافا للقلوب المنحرفة ، واكثر استمالة للنفوس المشمئزة، من توقفك عند الشبهة اذا عرضت ، واسترسالك للحجة اذا قهرت ، والحكم على نفسك اذا تحققت الدعوى عليها (٥٧) يحاول الجرجاني من هذا المنطلق

---

٥٦ ـ د. احسان عباس ، المصدر السابق ، ص ٢١٧.

٥٧ ـ د. محمد مندور ، المصدر السابق ، ص ٢٥١ .

وانظر ايضا : د. عبده قلقيله ، القاضي الجرجاني والنقد الادبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ص ٢٣٠ ـ ٢٥٩ .

اضاف المؤلف مصطلح « المقاصة » ويعني بها ان ناخذ من حسنات الشاعر بمقدار سيئاته عن كل سيئة حسنة ، فاذا وجدنا له من حسناته النسبة الكافية لتغطية سيئاته حكمنا له والا حكمنا عليه » ص ٢٣٩ .

٥٨ ـ القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح ، محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، ط٣ ، القاهرة (بلا تاريخ طبع) ص٢ ، ٣ .

الادبي للمتنبي الوصول الىالظاهرة الشعريةالتي احتدم النقاش والجدل في تقريظها اوالحط منها(٥٩) فيسلك فيذلك سلوك الناقد المنهجي الهادي،الموضوعي ولعل اختصاصه بالقضاء قد اكسبه دقة اختبار البينة والحجة وامتحان الدليل انصاف الحقيقة الادبية وتحقيق رأي نقدي منصف منهجي قد يكون موقفا قبل اصدار الحكم النهائي فلا يتعصب لقديم ولا يجحد جودة المحدث فهو يرى ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من اسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز،وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان• ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلي والمخضرم والاعرابي والمولد ! (٦٠) ويبدو ان الجرجاني متأثر بموقف ابن قتيبة من قضية الصراع والمفاضلة بين القديم والمحدث ، بيد ان منهجه النقدي اكثر وضوحا ودلالة من مسابقة وهذا ربما يفسر تأثير التطور الحضاري الذي شهده القرن الرابع الهجري في الفكر الادبي والفكر النقدي خاصة ، بالاضافة الى ان الشاعر ـ موضوع الوساطة ـ هو المتنبي الظاهرة وليس شاعرا من الشعراء المغمورين •

فالموازنة و «الوساطة» منهجان نقديان ليس كتابين في النقد ، هما روح النقد التحليلي الذي يمثله الاصل الخامس في النظرية النقدية •

أما الاصل السادس فينطلق من تحديد عبد القاهر الجرجاني (المتوفي سنة ٤٧١ م) لماهية اللفظ في علاقاته الجزئية والكلية بالمعنى وهو ما اصطلح عليه في الدرس النقدي « بنظرية النظم » وتعد هذه النظرية رد فعل او ثورة على اصحاب البديع او اصحاب نظرية اللفظ التي سادت ميدان النقدوالبلاغة تقريبا في القرن الرابع • ثم بلغت غايتها عند ابن سنان الخفاجي في « سر

٥٩ ـ الوساطة ص ٣ ، ٤
٦٠ ـ الوساطة ص ١٥ ، ١٦

الفصاحة » والذي اراد ان يستغل بلاغة أرسطو في تأييد اراء اصحاب البديع (٦١)٠

قضى عبد القاهر الجرجاني في نظريته هذه على الثنائية بين اللفظ والمعنى في مجال المفاضلة بينهما فقاوم تيار اللفظية اشد مقاومة وقال ان الالفاظ خدم المعاني (٦٢) واهتدى الى ان الذي يحدد قيمة الكلمة المفردة ، والذي يحكم عليها بالصلاح او الفساد ، بالجودة او الرداءة هو السياق الذي وردت فيه ، لانه المجال الوحيد الذي يمكن للفظة ان تتحرك فيه وتعمل (٦٣) وهو بذلك يجعل اللفظة ، كمظهر حي مادي تتحرك ضمن اطار المعنى ، المظهر التجريدي للتعبير ، وعندئذ تؤدي وظيفة فنية ، هي كل متكامل تخلقه لغة التعبير ٠ فاللفظ المفرد لا قيمة له ولا يكتسب معنى الا اذا أدى وظيفة في سياق ما « فالالفاظ تستمد دلالاتها من عاقاتها بالكلمات السابقة او اللاحقة بها » (٦٤) ٠

فالالفاظ المفردة لا يقع بينها تفاضل من حيث هي ألفاظ مفردة وانما تتفاضل بعد ان تتآلف في عبارة ، وتتآخى في تركيب ٠ واما قبل ذلك فلا تتفاضل الا ان يقال « هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية ، وان تكون حروف هذه أخف وامتزاجها احسن » (٦٥) وبذلك فان الصورة الشعرية

---

٦١ ـ د٠ محمد زغلول سلام ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢١٥ و د٠ احسان عباس ، المصدر السابق ص ٤٢٢

٦٢ ـ د٠ محمد مندور ، المصدر السابق ، ص٣٢٥ نقلا عن « اسرار البلاغة ، ص٥ »

٦٣ ـ د٠ محمد زكي العشماوي، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ وانظر دلائل الاعجاز ـ ص ٤١٥ ، ٤١٦ ٠

وانظر ايضا د٠ احمد احمد بدوي عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية ، اعلام العرب (٨) المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة (بلا تاريخ طبع) ص ١٠١ ، ١٠٢ ٠

ود٠ محمد مندور ، المصدر السابق ، ص ٣٢٦٠

٦٤ ـ د٠ محمد زكي العشماوي ، المصدر السابق ص ٢٠٥

ود٠ احمد احمد بدوي المصدر السابق ص ١٠٤ ، ٢٥٦ و ٢٥٧ ٠

٦٥ ـ النقد اللغوي عند العرب ، ص ١٥٢ ٠ دلائل الاعجاز ، ص٣٦٠

وانظر : د٠ محمد مندور ، المصدر السابق ص ٣٢٦ و ٣٢٧ ٠

عند عبد القاهر الجرجاني ليست مجموعة ألفاظ منفصلة او مستقلة عن غيرها ولا مجموعة معان مجردة تجريدا فلسفيا ، بل هي ــ اي الصورة ــ اتحاد فني تام بين اللفظ والمعنى ، يخلقه السياق والانسجام اذ يمنحه عندئذ القدرة على الحركة والعمل • لا قيمة للفظ بلا معنى ، من خلال السياق والعلاقات الجزئية والكلية ، ولا وجود لمعنى بلا لفظ يجسد دلالته من السياق ذاته •

فعبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم يعد من رواد النقاد المنظرين للغة الخلق الفني في الشعر وهي من الدراسات الحديثة في النقد الادبي العالمي وخاصة في البحث عن الجوانب الرمزية والانفعالية في اللغة وهي الجوانب التي تصنع الصورة في العمل الادبي• فمنهج عبد القاهر هو المنهج المعتبر اليوم في العالم الغربي ولقد جددت الانسانية ومعرفتها بتراثها الروحي منذ أن اخذت به في اوائل القرن التاسع عشر • والمنهج اللغوي ــ الفيولوجي ــ هو أكثر المناهج خصبا لا في الادب فحسب بل في كافة العلوم التاريخية(٦٦)•

ان نظرية النظم القائمة على الروابط بين الاشياء وعلاقاتها اللغوية حتى قررت ان اللغة ليست مجموعة من الالفاظ بل مجموعة من العلاقات ، كانت قد تجاوزت « اللفظية » بمعناها البديعي ، او الاهتمام بالالفاظ من حيث هي اصوات مسموعة كما يظهر ذلك بوضوح في كتاب « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجي (المتوفي سنة ٤٤٦هـ) فقد بحث ابن سنان في الاصوات عامة وفي فلسفتها وخصائصها ثم المقارنة بينها وبين الالوان (٦٧)•

فالكلمات او الالفاظ عنده اصوات مسموعة ، قائمة على مخارج الحروف وتقاربها • وكان اهتمامه منصبا على تحديد معايير الحسن والجمال باللفظ المفرد وبيان ما يمكن ان يكون فيه من تلاؤم او انسجام صوتي ••• ولم تكن

٦٦ ــ د• محمد مندور ، المصدر السابق ، ص ٣٣٦ •
وانظر : د• محمد زكي العشماوي ، المصدر السابق ص ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ •
٦٧ ــ د• محمد زغلول سلام ، المصدر السابق ج٢ ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ •

لديه القدرة على تتبع الخصائص التي تنشأ من تقابل الكلمات وتداخلها • او ما عساه ان يترتب من علاقات صوتية او نغم او ايقاع ، كما لم يبحث في علاقات الصوت بالمعنى (٦٨) اي ان ابن سنان لم يطور الدراسة الصوتية وجرس الالفاظ الى دراسة وظيفة الكلمة في الاداء الفني او التعبير الادبي فقد اهمل العلاقات الايجابية بين اصوات اللغة ومعانيها وبين الصوت والانفعال (٦٩)• ولو قدر له ان يفعل ذلك لعد رائدا في هذا الميدان النقدي الذي تزخر به الدراسات النقدية العالمية المعاصرة فهو « عالم يحكم عقله ، وليس ناقدا يحكم ذوقه وخبرته بالنصوص وتلمسه لاسرار الجمال فيها (٧٠) وان صار كتابه بعدئذ الاساس العلمي لاتجاه اصحاب البديع ، في حين تبرز عبقرية عبد القاهر الجرجاني في منحه اللغوي العميق ، المتمثل باهتمامه بالتركيب الادبي ، من خلال ربط الكلمة بغيرها ومنحها وظيفة فنية تتحرك فيها بحرية وعفوية •

تجتمع هذه الاصول الستة : الذوق الادبي الصافي ، التحليل اللغوي، تحقيق النصوص ، العدالة الاجتماعية القائمة على الجودة الفنية ، الموازنة المعللة والوساطة المقايسة واخيرا نظرية النظام ، فتخلق النظرية النقدية عند العرب وهي تراث علمي جليل الشأن لا يخلو من احساس عميق بالحداثة والمعاصرة ، يجدر بنا ان نقف عنده دراسة وتحليلا وموازنة وتقديرا • وقد أحسن الدكتور محمد مندور بهذا الخصوص ، حين قال : انه لتراث عظيم ان نمتلك في النقد الادبي المنهجي كتابين كالموازنة والوساطة وفي المنهج اللغوي كتابا كالدلائل نجد فيه أدق نقد موضوعي تطبيقي وأعمقه (٧١)•

---

٦٨ ـ د. محمد زكي العشماوي ، المصدر السابق ص ٢٩٥

٦٩ ـ د. محمد زكي العشماوي ، المصدر السابق ص ٣٠٠

٧٠ ـ د. محمد زغلول سلام ، المصدر السابق ج٢ ، ص ٢٦٣•

٧١ ـ النقد المنهجي عند العرب ، ص ٣٣١

مصادر البحث :

١ ـ البيان والتبيين ، الجاحظ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٦٠.

٢ ـ تاريخ النقد الادبي عند العرب ، طه احمد ابراهيم ، دار الحكمة، بيروت (بدون تاريخ طبع).

٣ ـ تاريخ النقد الادبي عند العرب ، د. احسان عباس ، ط١، بيروت ١٩٧١.

٤ ـ تاريخ النقد العربي ، د. محمد زغلول سلام ، ج١ ،ج٢ ، دار المعارف بمصر (بدون تاريخ طبع).

٥ ـ الحيوان، الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارو ، القاهرة ١٩٣٨ (ج٣) ط١ .

٦ ـ دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، القاهرة ١٣٣١هـ .

٧ ـ زهر الاداب ، ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط١ ، القاهرة ١٩٥٣.

٨ ـ شرح ديوان كعب بن زهير ، صنعة السكري ، القاهرة ١٩٦٥.

٩ ـ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، دارالثقاف ، بيروت ١٩٦٤.

١٠ ـ الرقمر وتجربة الشعر ، د. عبد الجبار المطلبي ، مستل من مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد، العدد السادس عشر مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٧٣ .

١١ ـ طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، شرح محمود محمد شاكر ، دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٢.

١٢ ـ عبد القادر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية ، د. احمد احمد بدوي ، الدار المصرية للتاليف والترجمة اعلام العرب ، ٨، ط٢، بسلا تاريخ طبع .

١٣ ـ في الاسلوب الادبي ، علي ابو ملحم ، بيروت ١٩٦٨

١٤ ـ في تاريخ النقد والمذاهب الادبية ، د. طه الحاجري ، الاسكندرية ١٩٥٣.

١٥ ـ القاضي الجرجاني والنقد الادبي، د. عبده قلقيلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣.

١٦ – قضايا النقد الادبي والبلاغة ، د. محمد زكي العشماوي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، الاسكندرية ١٩٦٧.

١٧ – اللغة الشاعرة ، عباس محمود العقاد ، القاهرة ١٩٦٠.

١٨ – محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء، د. علي جواد الطاهر، مسودة كتبت المقدمة في اواخر سنة ١٩٦٤ ، بغداد .

١٩ – مصطلحات نقدية ، اصولها وتطورها الى نهاية القرن السابع للهجرة (رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الاداب) ١٩٧٤ ، خير الله علي السعداني.

٢٠ – المصون في الادب ، ابو احمد الحسن بن عبد الله العسكري؛ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، الكويت ، ١٩٦٠.

٢١ – المقدمة ، ابن خلدون ، دار احياء التراث العربي ، بيروت (بلا تاريخ طبع) .

٢٢ – مناهج النقد الادبي بين النظرية والتطبيق ، ديفيد ديتشس ، ترجمة د. محمد يوسف نجم ، مراجعة د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٧

٢٣ – الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ، تحقيق السيد احمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ .

٢٤ – الموشح ، المرزباني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة١٩٦٥.

٢٥ – موقف القرآن الكريم من الشعر العربي ، د. عناد غزوان اسماعيل، مطبعة الحكومة بغداد ، ١٩٦٠.

٢٦ – نظرية الادب ، اوستن وارن ، ورينيه ويليك ، ترجمة محي الدين صبحي ، مراجعة : د. حسام الخطيب ، دمشق ١٩٧٢.

٢٧ – النقد اللغوي عند العرب ، نعمة رحيم كريم (رسالة دكتوراه كلية الاداب ، جامعة بغداد) شباط ١٩٧٧.

٢٨ – الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي علي عبد العزيز الجرجاني، تحقيق وشرح : محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، ط٣ ، القاهرة (بلا تاريخ طبع).

د. عناد غزوان اسماعيل

كلية الاداب – جامعة بغداد

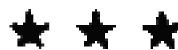
الجلاء في الشعر العربي السوري

بقلم: عيسى فتوح

« يوم أغر مشهر سيظل انشودة في فم الزمان ، وبسمة في ثغر الصباح. يوم ألهم الشعراء والخطباء بجوامع الكلم ، ونيرات القوافي ، فخلبوا الالباب، وفتنوا العقول بأهازيج النصر وترانيم الظفر ، ينشدونها تحية لسورية التي نالت الحرية والاستقلال . »

« فرحة فاضت بها الجوانح ، فانبثقت على اطراف الالسنة وجوانب الاحداق ، وتعالى صداها فغمر أجواء الفضاء ، وتغلغل في التراب ، فاهتز الابطال في مضاجعهم ، وسرت في الاضرحة واللحود رنة النبأ العظيم، فاختلج كل رفات والتمع ثراك يا سورية ، مشعا بيسمات العبقرية تطلع من خلال التراب .... » .

« مهرجان ولا كالمهرجانات ، مهرجان الحق تألقت أنواره في مدائن سورية، وانبسطت أشعته الى بلاد العرب جمعاء ، فانهزمت دونه دياجي الاتراح، وبدت سورية في ذلك اليوم منارة عالية ترسل شعاعها الجوال الى العيون والقلوب في قصي البقاع ودانيها ، فتخضل المآقي بدموع الفرح ، تتلألأ في غمرة الضياء، وتخفق الافئدة مغمورة بسنا النعيم ...» .



لو رحنا نجمع ما قيل في الجلاء من قصائد منذ عام ١٩٤٦ حتى اليوم، لألف ديوانا ضخما . ذلك لان الشعراء الذين عاصروا هذا الحادث الجلل في تاريخ سورية ، بعد ان عانوا من الاستعمار كل ألوان الاذى وصنوف القهر،

لم يستطيعوا ان يكتموا هذه الفرحة العظيمة في قلوبهم ، فعبروا عنها باشعارهم المنظومة على الطريقة التقليدية ، لان موجة التجديد لم تكن قد سرت بعد في جسم الشعر العربي •

لم تقتصر فرحة الجلاء على الشعراء المقيمين في الوطن الام ، ممن رزحوا تحت نير الاستعمار الفرنسي واكتووا بناره فحسب ، بل وصلت الى المهجر، ولا سيما المهجر الجنوبي ، الذي كان يرتبط ارتباطا وثيق الصلة بأحداث الامة العربية بعامة ، واحداث سورية بخاصة ، في طليعتهم الشاعر القروي ، والياس فرحات ، وجورج صيدح، ونمر سمعان ، وزكي قنصل • اما في الوطن فقد ساهم الشعراء مساهمة فعالة في صنع هذا اليوم الاغر في جبين سورية ، فقصائدهم قبل الجلاء كانت حربا لا هوادة فيها على المستعمر الغاشم ، من هؤلاء : بدوي الجبل ، وبدر الدين الحامد ، وسليم الزركلي ، وخليل مردم بك ، وانور العطار ، وشفيق جبري ، وعمر ابو ريشة واحمد الجندي، وغيرهم •

لقد وقف الشاعر الحماسي جنبا الى جنب مع الثوار في غوطة دمشق،وجبل العرب ، وجبل الزاوية ، وجبال اللاذقية يلهب النفوس الظامئة الى الحرية، ويحرك الهمم المتطلعة الى الاستقلال والتخلص من نير العبودية والاستغلال والقهر ••• وهكذا فلم يتوان الشعراء عن القيام بدورهم الطليعي في قيادة الجماهير التي هبت كالمارد الجبار تطالب بالجلاء عن سورية ، بعد ان جثم على صدرها اكثر من ربع قرن ، وهي تتجرع كؤوس العذاب ، دون ان تكون هناك بارقة من امل في النصر ، كما يقول شاعر حماه بدر الدين الحامد :

ست وعشرون مرت كلما فرغت   جام من اليأس صرفا أترعت جام

ولذلك لم يكد يطوي الاستعمار خيامه على عجل ، حتى دوى صوته هادرا بفرحة الجلاء :

يوم الجلاء هو الدنيا وزهوتها   لنا ابتهاج وللباغين ارغام

ولا ينسى ان يشير في قصيدته الى يوسف العظمة ، شهيد معركة ميسلون ـ وأي قصيدة في الجلاء يمكن ان تغلغل ضريح ميسلون ـ هذا البطل الـذي حمل روحه على راحته ، وألقى بها في مهاوي الردى ، خرج ليقاتل المغيريـن المدججين باسلحة استعراضية خفيفة :

يا راقـدا في روابي ميسلون افق جلت فرنسا ومـا في الـدار هضام

لقد ثأرنـا وألقينـا السـواد وان مرت على الليث أيـام وأعـوام

ثم تستبد به نشوة الظفر والانتصار ، فيثني على بطولة سورية ، التي كانت قبورا للفاتحين منذ الازل ، لم تطأطيء رأسها لغاصب ، ولم تحن هامتها لمعتـد :

هـذي الديـار قبور الفاتحين فلا يغررك مـا فتكوا فيها ومـا ضاموا

مهد الكرامة عين الله تلكؤهـا كـم في ثراهـا انطوى ناس وأقوام

ان تراب سورية يغص بجثث الشهداء الذين صـرعهم البغي على مر القرون ، ويمتليء في الوقت نفسه باشلاء الغاصبين الذين ارتد كيدهم الـى نحورهم ، ونالوا القصاص جزاء ما اقترفت ايديهم :

لو تنطق الارض قالت انني جـدث في الميـادين آسـاد الحمى نـاموا

٢

اما بدوي الجبل ، هذا الشاعر العملاق الذي حمل راية الكفاح ، وتنكر تحت اسمه المستعار ليتفادى صولة المستعمرين ويتقي شرورهم ، بعد انملأت قصائده الوطنية الرنانة صفحات الجرائد العربية ، فلم يهن ، ولم يلن ، بل كان شعره حربا على الفرنسيين طوال ربع قرن ، لا يفتأ يثير عليهم حمية الشـام ونقمتها فهي :

عربية الانساب تطرب للـوغى في جـاهليتهـا وفي اسلامهـا

فـاذا أراد زمامها ذو قـوة شمست على البـاغي بفضل زمامهـا
عطفـت عليه بالسيوف كأنهـا من حزمها صيغـت ومن اقدامهـا
السمـر حـول قبابها مركوزة والبيض لامعة بظـل خيامهـا
ولقـد أراد بهـا القوي تحكما فتنمرت ابـدا على حكامهـا

فما ان قطفت سورية ثمرة الجلاء ، بعد تعب طويل وصراع مرير ، حتى راح يصف ذلك اليـومِ المحجل في جبينها قائلا :

انتزعنـا الملـك من غـاصبـه وكتبنـا بالـدم الخصـر الجـلاء

ثم يبين ما كان للنساء السوريات من دور فعال في صنع الجلاء، فقد وقفن صفا واحدا الى جانب المقاتلين في كل مكان، يطلقن الزغاريد كلما استشهد بطل، ويثرن الحماسة في قلوب الثوار :

كلمـا جنـدل منـا بطـل زغردت في زحمـة الهول النساء
كلمـا نادينـا فتيـان الحمى كبر الفتيـان وارتـد النـداء

أما يوم الجلاء الذي صنعه الثوار بفضل صمودهم ، فجدير ان يكتبه الله على وجه الشمس دلالة على أهميته ومكانته في النفوس :

حق يـوم الشـام ان تكتبه قـدرة الله على وجـه ذكـاء

لقد صاغ البدوي ابيـاته بديباجة أين منها ديباجة البحتري ، وبلاغة مترفة رائعة ، واناقة لا تدانيها اناقة كما في قوله :

همس الفردوس هل من نبـأ عن ربا الغوطـة معسـول الرجاء
نحـن للغـوطة في الجلـى فدى ولهذا الكحل في العـين فـداء

ـ ٣ ـ

وهذا هو الشاعر سليم الزركلي صاحب ديوان « دنيا على الشام » يغني للجلاء من على منبر المدرج الكبير في الجامعة السورية ، يوم ١٧ نيسان سنة ١٩٤٦ ، حيث احتفلت سورية بأول عيد لها ، وارسلت الدول العربية الشقيقة وفودا رسمية في الاحتفال فيقول :

اليوم عيدك يـا دمشـق فهللـي وتفتحي عن عـالم محسـان
عيـد بأفراح الجـلاء وصنـوه بتنـاصر الاخـوان والاقـران
أبـت العروبة ان تنام على الاذى أو تنطـوي في اليأس والنسيان
يـا يوم يعرب في دمشق لك الفدا حييت في الازمـان والاوطـان

ثم يقف وقفة لا بد منها عند قبر من سفح دمه الزكي في ميسلون، وبذل روحه رخيصة ، فيطلب السقيا لقبره ، ويعده كعبة المخلصين والاوفياء :

يـا قبر يوسـف لا عدتك مواطر هـن الرجاء لموطـن ظمـآن
يـا قبر يوسـف لست قبرا قائما مـا انت الا كعبـة الخلصـان

ويتغنى بعد هذا بدمشق التي كانت ولم تزل معقل الاحرار ، ويصف كيف خفقت أعلامها ، وعزت بعد ذل ، وطربت بعد سنوات من الحزن العميق، وراحت تبني حياتها من جديد ، وتنهض من كبوتها قوية شامخة جبارة :

أمعاقل الاحرار طـاب لك الجنـى وحلا لـك التغريـد في الافنـان
خفقت بـك الرايات ، يا لخفوقها من بعد طول أسـى وطـول هـوان
الراية الكبـرى ترفرف ، والعـلا تبني معاهدهـا بكـل مكـان

ولا يكتفي بهذا القدر ، بل يمعن في التغني ببطولتها ، ومكانتها التاريخية وكيف قطعت قيود الذل غير عابئة بها ، وكيف تخطت الشدائد رافعة الرأس،

فكتبت أروع ملاحم البطولة بالحديد والنار ، وهذه غوطتها التي استعادت فتنتها وسحرها شاهد على ذلك :

أدمشق ما انت الغداة بثاكل ... ما أنت بالنادي الخضيب العاني
ما أنت بالبلد المضيع حقه ... ما أنت بالوطن القليل الشان
كم وثبة لك في القيود تقطعت ... اسبابها ودم تسرب قان
ولكم أفقت على الشدائد والاذى ... وسبحت في البلوى وفي الاحزان
رضت الجهاد فما استكان لغاصب ... ولقد خططت ملاحم الفرسان
اليوم تبتعث الحياة فتية ... في غوطتيك وساحر الارنان

ويحفزها اخيرا على هدم ما بلي ورث ، لتعيد صنعه من جديد ، ويشجعها على ان تثب وثبتها الجريئة غير هيابة ، لان الدهر لا يقف الى جانب الخامل والضعيف :

فتجردي من كل قيد معقد ... وتحفزي للهدم والبنيان
وثبي مع الاقدار لا تهيبي ... فالدهر ليس لخامل مذعان
وحذار ان تنسي مواكب للعلا ... لقت مع الامجاد في الاكفان

قلت ان جميع الشعراء الذين تغنوا بالجلاء جنحوا الى قصائدهم الى ذكر حادثتين اثنتين في تاريخ سورية الحديث ، ألا وهما استشهاد يوسف العظمة، وضرب دمشق بالمدافع عام ١٩٤٥ ، الا ان شاعرية سليم الزركلي الفياضة أبت عليه ان يجمع في قصيدة واحدة بين ثلاث حادثات تشكل انعطافا كبيرا في تاريخ سورية القومي ، لذلك افرد لضرب دمشق قصيدة طويلة ، تعد من عيون ما قاله في هذا المجال ، وهي بعنوان « ذكرى العدوان » قدمها بما يلي:

« في اليوم التاسع والعشرين من ايار عام ١٩٤٥ طاش سهم السلطات الفرنسية ، وانبرت تقصف دمشق بوابل من نيران مدافعها ورشاشاتها دون

وعي ، وقد شعرت ان أوان انفلات سورية من ربقة الانتداب قد حان،وراحت تضرب ذات اليمين وذات الشمال ، فوقعت ضحايا ، وهدمت مبان ، وحرقت دور ، وكان في جملة ما استهدف للنيران مبنى المجلس النيابي ومن فيه من جنود الدرك ، فكانت هذه الحماقة الدامية العمياء ، سببا كافيا ليقظة الضمير العالمي ، وتدخل هيئة الامم المتحدة ، وكان الجلاء ...» . والقصيدة في اربعة واربعين بيتا ، وعلى قافية واحدة ، كقصائده كلها ، استهلها بقوله :

كفكفي بالدمع يا بنات الهديل   وامسحي بالدماء جفن الاصيل
نشر الغدر في دمشق رواقا   يبعث الرعب ما له من مثيل
وهوى يحصد النفوس الابيات   ويزهى بالهدم والتقتيل

ان من يقرأ هذه القصيدة ، لا بد ان يذكر قصيدة ابن الرومي في خراب البصرة على أيدي الزنج ، رغم الفارق الكبير بين معالم دمشق الحضارية ومعالم البصرة ، فاسمعه يقول :

صور تترك المدامع حيرى   بين مستعبر وبين همول
والردى مشرع اسنته الحمر   مغذ في الطعن والتمثيل
يفرش الارض بالدماء ليلهو   فوق أشلاء مثخن وقتيل
حلفه البغي ان ينكل بالشا   م ويجري دماءها كالسيول

وهو اذ يذكر الضحايا في هذه النكبة النكباء ، لا يراها اجساما محطمة ، او أشلاء مبعثرة منثورة هنا وهناك ، بل اقمارا سطعت لتنير الدروب امام الاجيال المقبلة لتعرف كيف تنتقم وكيف تثأر من جلاديها :

يا ضحايا وما أجل الضحايا   في جهاد على البقاء طويل
أطلعتكم دنيا الشهادة أقمارا   تنير الدروب بعد أفول

فاستضاءت بكم عيون ليال كم اطافت على العلا بالدليل

الدم الحر لا يقيم على الضيم وكم اجج اللظى في السهول

وينتهي الى خطاب سورية بلهجة المرشد الناصح ، ان تحشد قواها ، والا تستسلم الى الضعف والتخاذل ، لان ذلك لا يقيلها من عثرتها ، ولا الى اليأس والرضى بالمطمح القريب المنال ، بل عليها ان تنسى جراحاتها الدامية ، لتتخطى تلال الشوك التي سدت عليها الطريق :

يا بلادي وما ألوتك نصحا لا تسيري مع الهوى وتميلي

حشدي فالحشود عز روابيك وجدى فما الونى بمقيل

كم خطوب وأدت بين ضلوع من لهيب ، ومهجة من نصول

وشهيد دفنت بين جفون ونجيع ما كان بالمطلول

الجراحات ما تزال تندى والكرامات ما ونت عن ذحول

الى ان يقول :

ضلة الرأي ان يراودنا اليأس ، ونرضى من العلا بالقليل

انما المجد ان يطاوعك الدهر وتزهى بعسكر وخيول

اما قصيدته « رموز قاسيون » التي قالها في احدى مناسبات الجلاء عام ١٩٤٧ ، فاكتفى منها بهذه الابيات القليلة ، مشيرا الى ان الشاعر سليم الزركلي قد اعطى دمشق وميسلون وقاسيون والجلاء اكثر مما أعطى أي شاعر آخر ، فديوانه « دنيا على الشام » زاخر بالقصائد التي استوحاها منها :

فجر نيسان ضاحك بالاضاحي منضد

صور في جفونه رائعا تجدد

ذكريات مريرة ليس تبلى تردد

ويختم قصيدته الطويلة بقولـه :

يـا ربى الخلـد طاعة قـاسيون يخـلد
للتعـالي جهـادنـا والمـواضي تحـدد
وعلى دوحـة العـلا فـالجلاء المؤبـد

وحسبي أن ألمح الى رائعته « هذا الجلاء » التي ألقاها في ١٧ نيسان عام ١٩٦٦ في رابطة الحقوقيين بدمشق ، لأقف عند هذه الابيات الجميلة :

اني لأذكر ، والذكرى مقدسـة يـومـا بافراحه الاعياد تختـال
يوم جلا فيه عن دنيا النعيـم أذى شـد الرحيل ، فما يحييه أرقال
جلا عن الدار ، والخيرات تطمعه وود لو لـم يكن بين وترحـال
جلا وكان ضني ، فاستشرت امـم ضـاقت مذاهبها ، وانجاب بلبـال

— ٤ —

وما دمنا في معرض الحديث عن سليم الزركلي ـ مد الله في عمـره ـ فلنذكر ابن عمه المرحوم خير الدين ، الذي لم يقصر هو الآخر في بث لواعجه ، ونشر اشجانه يوم ضربت دمشق بمدافع الفرنسيين ، فثارت ثائرته ، واستشاط غضبه ، وكانت قصيدته ، او قل صيحته التي تفتت الاكباد ، وتقطع القـلوب ، ومن منا لم يحفظ هذه الدرة التي بنيت عليها ، قبل سواها ، شهرة خير الدين الزركلي كشاعر وطني بلا منازع ، فاسمعه يستهلها بقوله :

الاهـل أهلي والديـار ديـاري وشعـار وادي النيربين شعـاري
مـا كان من ألـم بجلق نـازل واري الزنـاد فزنـده بي وار
ان الدم المهراق في جنبـاتها لدمـي ، وان شفـارها لشفاري

ثم يصف ألسنة اللهب المتصاعدة ، وقد راحت تلتهم الاخضر واليابس، والذعر الذي انتاب الاطفال في احضان أمهاتهم ، والشيوخ الذين استهدفهم الفرنسيون ، دون ان يرحموا شيخوختهم وضعفهم ، وهم بريئون من كل ذنب :

النار محدقة بجلق بعدما ... تركت حماة على شفير هار
تنساب في الاحياء مسرعة الخطى ... تأتي على الاطمار والاعمار
والقوم منغمسون في حمآتها ... فتكا بكل مبرأ صبار
الطفل في يد أمه غرض الاذى ... يرمى وليس بخائض لغمار
والشيخ متكئا على عكازه ... يرمى وما للشيخ من أوزار

أما الذين بقوا في دمشق ، وهي على هذه الحال ، فكيف يقر لهم قرار؟ انهم ينتظرون الموت بين لحظة واخرى ، ولا سيما ان دخان الحرائق قد جعل الليل نهارا ، فلا يستطيعون التمييز بينهما ، ناهيك عن القذائف التي تنصب عليهم كالوابل المدرار :

صبرت دمشق على النكال لياليا ... حرم الرقاد بها على الاشفار
لهفي على المتخلفين برحبها ... كيف القرار ولات حين قرار
يترقبون الموت في غدواتهم ... واذا نجوا فالموت في الاسحار
لا يعلمون أفي سواد دجنة ... هم سهد أم في بياض نهار

ويحلل سبب غضب الفرنسيين على دمشق ، فلا يجد له مبررا سوى طبيعة الاستعمار الشرسة ، ورفض دمشق الذل الذي أرادوه لها ، ولهذا دكوا معالمها الحضارية دكا ، حتى جعلوها أطلالا كتدمر او نينوى :

ما دمروك هم ولكن دمروا ... ما كان فيك لهم من استعمار

حصلوا عليك مواثبين وما لهم ثأر، وثرت وانت ربة ثار
مسا ينقمون عليك الا انهم شهدوك غير مقودة لصغار
فاذا المنازل، وهي شامخة الذرا منهار أطلال على منهار
واذا المدينة تدمر أو نينوى أنقاض عمران ورسم دمار

ويبارك اولئك الذين اشتروا ديارهم بدمارهم ، والذين رفضوا حياة الشاء في يد الجزار ، فثاروا هائجين :

المشترون ديارهم بدمارهم وهم يرون به رباح الشاري
أنفوا حياة الشاء كل عشية وضحى تعيث بها يد الجزار

ثم يسخر من الفرنسيين الذين لاذوا باذيال الفرار ، فاختبؤوا خلف الاسوار ، وستروا غرارهم بضرب الآمنين من الاطفال والمرضعات :

طارت بألباب الفرنجة صيحة في الشام فاندفعوا الى الاسوار
واستهدفوا الاطفال في حجراتها والمطفلات وهن في الاخدار
ستروا بضرب الآمنين فرارهم فاعجب لعار ستروه بعار

لا أشك في ان هذه القصيدة كانت صرخة جهاد ، وصيحة ثأر ، ودستور ثورة ، زادت النار ضراما ، واذكت لهيبها ... حتى كان الجلاء .



اما الشاعر خليل مردم بك فقد رثى يوسف العظمة في قصيدتين : الاولى « ذكرى يوسف » نظمها في نيسان عام ١٩٢٥ ، والثانية « يوم ميسلون » في تموز عام ١٩٣٠ ، ولم أعثر في وطنياته على قصيدة في الجلاء . يقول في الاولى :

اعكف على جدث في عدوة الوادي بميسلون سقاه الرائح الغادي
وطأطيء الرأس اجلالا لمرقد من قضى له الله تخليدا بأمجاد

ثم يصف خروج السوريين الى صد جيش فرنسا الكامل العدد والعدة، ويثني على اقدام شهيد ميسلون وجرأته ومغامرته بجيشه القليل :

في فتية نفروا للموت حين بدا جريدة من زرافات وآحاد
صلى الاله عليهم من مجندلة اشلاؤهم بين أغوار أنجاد
فدى العروبة بالنفس التي كرمت يا رحمة الله للمفدي والفادي
وعاش ما عاش يحميها ويحرسها ومات يدفع عن حوزاتها العادي
قد كان قائدها حيا وجامعها ميتا ، فبورك في الحالين من هاد

ولا يفوته ان يرسل حسراته واشجانه على دمشق التي احرقها الفرنسيون بهذه الابيات التي تنضح ألما وحسرة ، من قصيدة « يوم الفزع الاكبر » :

باتت دمشق على طوفان من لهب يا دين قلبي من خطب تكابده
موج من النار لا تهدأ زواخره يمده آخر ما ارتد وافده
وبل القذائف هطلا له مدد والنار والنفط والتهديم رافده

لكن لم تكد الصحف العربية تتناقل هذه القصيدة الزاخرة بالنقمة والاسى، حتى جدت السلطات الفرنسية لاعتقاله وزجه في السجن ، فنزح الى الاسكندرية ، ومنها الى اوروبا ، وظل غائبا مدة اربع سنوات ونصف .

أما قصيدة « يوم ميسلون » فتعتبر من اروع ما قاله المرحوم خليل مردم بك ، فقد صب فيها جام نقمته على الفرنسيين الدخلاء ، واظهر فيها شحنات من ألمه الدفين على مصرع بطلها ، وكل ذنبه انه خرج للدفاع عن وطنه ورد المغيرين عليه :

أيوسف والضحايا اليوم كثر ليهنك كنت أول من بداها
غضبت لامة منها معد فأرضيت العروبة والالها
فيا لك راقدا نبهت شعبا وأيقظت النواظر من كراها
ويا لك ميتا أحييت منا نفوسا لا تقر على أذاها

الى ان يقول :

مصيبة ميسلون وان أمضت اخف وقيمة مما تلاها
فما من بقعة بدمشق الا وقود النار فائرة سواها

— ٦ —

ترى هل يمكن ان نمر بقافلة الشعراء السوريين الذين هللوا للجلاء وهزجوا بمناسبته ، وننسى شاعر حلب عبد الله يوركي حلاق ، صاحب مجلة الضاد ، الذي نذر نفسه لخدمة قومه ، وعروبته منذ فجر شبابه حتى اليوم ، فلم يعرف عنه انه تهاون او فرط في حق لغته او بلاده ، وهذا ديوانه الثاني « حصاد الذكريات » يضم مجموعة من القصائد الوطنية العامرة بروح الثورة والحمية ، أسماها « اناشيد الجهاد »، منها قصيدته « ذكرى الجلاء » التي استهلها بقوله :

ذكرى الجلاء ترف في أفق المنى فتعيد ذكرى ثورة وجلاد
أيام امطرنا الرصاص بوابل يفري الحشا ، ويفت في الاعضاد
لكنه ما فت من اعضادنا الحر لا يخشى الحمام العادي
صمدت له منا الجموع وكافحت من اجل أعلام وأجل مبادي

ليس في قصيدة الشاعر عبد الله يوركي حلاق ذلك العمل الفني الذي نلمسه في قصائد عمر ابو ريشه او بدوي الجبل ، الا انها ولا شك غنية بالعاطفة

الصادقة والاحساس المرهف ، والايمان العميق بالعروبة والحق الذي لا يصل اليه الانسان الا على جسر من جثث الشهداء:

فالحق تحرزه الاباءة بالدمـا الحق لا يجنى بلا استشهاد
والمجد لا يبنيه غير أعزة بصوارم حمر وبيض أياد
تلقى الصوارم في أكف رجالنا عزا فتأبى صحبة الاغماد
لم يذعن العرب الاباة لظالم كلا ولا صبروا على استبداد

وهو اذ يقول ذلك فلمعرفته الحقيقية بطبيعة قومه العرب الاباة ، الذين لم يعتادوا على الذل ، ولم يألفوا الهوان في اي عهد من عهودهم الطويلة :

تأبى العروبة ان يسام مقامنا خفضا وتأبى رفعة الاجداد

ـ ٧ ـ

كم كنت امني النفس ، حين رحت اقلب ديوان « ظلال الايام » للشاعر المرحوم انور العطار ، الذي طبع عام ١٩٤٨ ، ان أعثر على قصيدته الرائعة في الجلاء ، لادرسها دراسة مستفيضة ، واقف عند كل جزئية من جزئياتها وقفة مستأنية مطمئنة ، فأصبت ، لسوء الحظ ، بخيبة امل ، واكتفيت بابيات منها لملمتها من هنا وهناك ، كما يلملم الشحيح دراهمه، وانا اعرف انها لا تنقع الغليل ولا تبل الصدى .

يوقظ الشاعر في ابياته الماضي العريق ، لينظر الى روعة الحاضر ، وكيف راحت سورية العربية تبني مجدها ، وتشيد صرح عزها ، بعد ان ظفرت بالاستقلال :

أشرقي يا روعة الماضي علينا واسبقي اشراقة الفجر الينا
وتعالي وانظري كيف بنينا

ثم يحدثنا عن افتتان السوريين باوطانهم ، واستماتتهم في سبيلها، وحبهم

اياها الى حد العبادة ، لانهم اباة يكرهون الضيم ويرفضون الذل :

هــذه أوطاننا نحمي حماهــا   أي قلــب لم يتيمــه هــواهــا
اي نفس حرة ليست فداها

فما ان يرحل المعتدي عن ارض الوطن ، حتى تزدان ربوعه بالزينــات ، وتعمه الافراح ، وتسود البهجة النفوس ، ولا بدع ، فالجلاء يوم أغر مشهــر على مر الزمان ، يوزع الخير والسعادة على غيره من الاعياد ، فلتفرح دمشق اذن ، وتهلل بهذا اليوم الطروب :

قد جــلا العادي عن الربع الحبيب   وتلالا السعــد في الافق الرحيــب
فابسمي فيحاء لليوم الطروب

هو يــوم في جبــين الدهر غــــره   كل عيــد يستقي منــه المســره
كل سحر في الورى يحسد سحره

ابيات على قلتها ، تنساب موسيقاها الشجية انسياب النبع الرقــراق ، فتتغلغل في حنايا النفس ، وتستقر في اعماق الوجدان .

— ٨ —

ما قلته في قصيدة انور العطار ، أقوله في قصيدة شفيق جبري ، التــي أعياني البحث عنها ، في بطون الكتب والمجلات ، وكلكم يعرف انه ليس لشفيق جبري ديوان مطبوع حتى الان ، يمكن ان يلجأ اليه الباحث ، وانه اعتزل دمشق واعتكف في بلودان ، لا يبرحها حتى في ايام البرد الشديد وتراكم الثلــوج ، وجنون العواصف ... فاعتمدت فيها على ذاكرتي ، لكنها خانتني هي الاخرى ، ولم تمدني الا ببضعة ابيات كنت قد حفظتها صغيرا في المدرسة الابتدائيــة ، وهي تصور فرحة الجلاء أبلغ واروع تصوير ، حيث استخدم المرئيــات والمسموعات ، واسلوبا آخر يسميه البلاغيون « تجاهل العارف » . هو يعرف

جيدا ان ما يراه في الشام عيد لا حلم ، بدليل هذه الاعلام المرفرفة، والاناشيد التي يملأ صداها الكون ، ومع ذلك يتساءل :

حلم على جنبـات الشام ام عيـــد لا الهم ـهم ولا التسهيد تسهيد
اتكذب العين والرايات خافقـة أم تكذب الاذن والدنيـا أغاريد

يا لها من فرحة انجلت فيها سحب الهموم ، واستسلمت العيون الى كراها، بعد سنوات من الارق والسهاد ، ثم يتساءل عما حل بالفرنسيين ، وقد صـار لا يسمع لهم حسا ، ولا يقف لهم على نبأ ، لكنه سرعان ما يجيب بانهم قـد رحلوا الى غير رجعة ،مدحورين مقهورين، يجرون اذيال الخيبة والفرار :

ويل النماريـد لا حس ولا نبـأ ألا ترى ما غـدت تلـك النماريـد؟

لم تكن فرحة الجلاء ظاهرة عابرة ، بل فرحة عميقة ، اسكرت القلوب، وأسالت دموع الفرح على الخدود • أفلا يبكي الفرح الانسان مثلما يبكـيه الحـزن ؟

كأن كـل فؤاد في جـلائهـم نشـوان قد لعبت فيه العنـاقيـد
ملء العيـون دمـوع من هناءتهـا فالدمـع در على الخديـن منضود

والعيد لا بـد ان يذكره بالمرحلة المرة التي سبقته ، فهو لم يأت عفـوا، ولم يقدم هديـة ، بل دفع السوريون ثمنه باهظا في التاسع والعشرين من أيار، يوم نكبت دمشق اسوأ نكبة وروعت بالنيران أبشع ترويع ، ولا سيمـا الاطفال الذين لم تهدأ مخاوفهم ابدا :

يا يـوم أيار والنيران ملهبـة عـلى دمشـق تلظيها جلاميـد
الطفـل في المهد لم تهدأ سريرته مروع من لهيـب النار مكدود

– ٩ –

كانت قرائح الشعراء تتفتح كلما اطل في الافق نيسان جديد تفتح اكمام الورد عندما يباكرها الطل ، وستظل تتفتح وتعطي أحلى الكلام لاروع عيد في تاريخ سورية ، رغم مضي اكثر من ثلاثين عاما على جلاء فرنسا ، وانا واثق من ان ثمة قصائد في الجلاء لم تنشر ، ولم تزل في ادراج ناظميها ، وانما ألقيت على المنابر فقط ، وظلت بعيدة عن انظار الدارسين ... والواقع انني بعدما فرغت من كتابة هذه المحاضرة فوجئت بقصيدة للشاعر انور الامام في الجلاء ، فآثرت أن اضمها لانها حجر القفل الذي يكمل مدماك البحث ، رغم أنها قيلت في السبعينات كما اعتقد ، الا انها تتسق كل الاتساق مع ما قيل في الجلاء من قصائد : افكارا ، ووزنا ، واسلوبا وطريقة نظم لم يحد الشاعر عنها ، رغم اندياح موجة التجديد في الشعر المعاصر .

يستهل أنور الامام قصيدته بمعنى ربما يكون قد سبقه اليه غيره ممن نظموا في الجلاء، وهو انه لولا الشهادة والفداء لما لاحت في الافق بارقة امل في انقشاع غيوم المستعمر عن البلاد ، وان الشعوب لا تنال حقها الا بنضالها، والمجد لا يورق ما لم تسقه الدماء ، واذا سقيت الارض بالدماء الزكية ، أنبتت أبطالا لا يهابون الموت :

مهر الجلاء شهادة وفداء لولاهما ما كان ثم جلاء
حق الشعوب تناله بنضالها والمجد يورق ما سقته دماء
والارض ان عبت نجيعا عاطرا فنباتها الابطال والكرماء

ثم يتحدث عن وقفة العز المشرفة التي وقفها شعبنا البطل قبل الجلاء ، وعن تصميمه الاكيد على دحر الدخلاء الغاصبين ، وصيحاته المجلجلة التي اهتز لها الكون ، تنادي بخروج اولئك الذين راحوا يتباهون ويختالون عجبا، كأنهم سادة ونحن عبيد :

اني لاذكر وقفة يزهو بها قومي وتفخر باسمها العلياء
الشعب في ساح النضال مصمم لا ينثني او يخرج الدخلاء
أنف اختيال الغاصبين فجلجلت صيحاته فاهتزت الارجاء

ويقف - كما وقف غيره - عند حادثة ضرب دمشق ، يوم صب الفرنسيون الرصاص عليها كالحميم ودمروها بمدافعهم وقنابلهم بلا رحمة او شفقة ، فصمدت صمود الجبل الاشم ، واستماتت في الدفاع ، حتى تحققت أمنيتها الكبرى في الجلاء ، وقطفت ثمرة النصر والحرية والاستقلال :

ركب الطغاة رؤوسهم وتحكمت في الامر منهم نقمة هوجاء
صبوا القنابل كالحميم وجلق طود عليه تحطم الانواء
صمدت بساحات النضال وصانها شعب الى غاياته مشاء
خرجوا وعيد العرب يوم جلائهم عيد عليه من الجلال رواء

ويبارك نيسان ، شهر الكرامات والخير والعطاء ، شهر الاعياد القومية ، شهر استيقاظ الطبيعة والانسان معا ، شهر انتشار العبير وتفتح الورود ، وهل هنالك ورود اشهى من الجلاء ، كما يقول الشاعر ؟:

نيسان يا منح الورود شهية أشهى الورود تفتح وجلاء
مرت بشائره معطرة الرؤى ... في ميسلون فزغرد الشهداء

ويلتفت اخيرا الى ابي الشهداء يوسف العظمة ، يدعوه الى النهوض من قبره في هذا اليوم التاريخي ، ليشارك الشعب أفراحه ، ويرى الشام وقد رحل عنها الدخلاء ، ثم يؤكد للغاصبين ان سورية اذا ما وعدت وصممت ، فلا بد ان تنجز وعدها ، وتحقق تصميمها :

وأطل يوسف والبهاء يزينه ليرى الشآم وقد جلا الدخلاء

ليقول للغازين ان عهودنـــا رغم الشدائـــد ذمـــة ووفـــاء
تطوي الليالي الكالحات وينجلي صبـــح أصيل مشرق وضـــاء

— ١٠ —

فاذا انتقلنا الى المهاجر ، وجدنا الصيحات المدوية في شعر جورج صيدح، هذا الرجل الوطني الحر ، الذي يقطن الان في باريس ، وقد انهكت الشيخوخة جسمه ، وان لم تنهك عقله وتفكيره ، فهو لم يزل مقيما على الوفاء لعروبتـــه الصافية ، منذ ان غادر مسقط رأسه دمشق قبل نصف قرن ، ولاصدقائـــــه الذين تخطفهم الموت واحدا واحدا ، فرثاهم جميعا بقلب يعمره الاســـــى ، وعبرات لا تجف ، فها هو ذا يرفع صوته من بونس آيرس ، عاصمة الارجنتين قـــــائلا :

هيئي يـــا دمشق أقواس نصـــر من عناق الاعلام والمشرفيـــــه
وانظمي موكب الجـــلاء وسيري أمـــة بالجهـــاد تبعـــث حيـــه

ثم يشير الى مواكب الشهداء ، وقوافل من صرعهم بغي المستـــــعمر ، فانظروا في ظلمة القبور ، وناموا تحت الصخور ، لو حياهم احد في هذا اليوم الاغر ، لردوا عليه التحية :

في طريق تعبدت بالمواضـــي كل بـــاغ بها ضريح ضحيه
كـــم شهيد تحت الجنادل مصغ ان وقفـــتم عليه رد التحيـــه

قصيدة رائعة ، يحار الدارس ماذا يختار منها ، وماذا يترك ، ضمهاديوانه « حكاية مغترب » وكل بيت اجمل من اخيه ، لذلك لا بد من الرجوع اليهـــــا كاملة في الديوان ، وحسبي ان اثبت منها هذه الابيات التي تنم عن تعلق صيدح بوطنه ، ونمو الحس القومي عنده ، أفلا يستحق منا لفتة تكريم قبل أن يرحل، كما رحل قبل مدة قصيرة شفيق المعلوف والياس فرحات ؟ :

يا نعيد تزف جلق فيه   آية الحق للشعوب العتيه
رحل الضيف مثقلا بالمعاصي   يركب العار في البحار مطيه
زغردي يا حرائر الشام هذا   « يوسف » المهر بالدماء الزكيه

اقسم أنني لم أقرأ اجمل من قوله : ان يوسف العظمه خطب الحرية،فقدم لها دماؤه الزكية مهرا • ألا بورك هذا المهر ، وبورك قائل هذا المعنى الرائع الذي قل أن يفطن به شاعر •

— ١١ —

اما قصيدة المرحوم نصر سمعان ، شاعر العروبة ، كما كان يلقب ، فلا تقل روعة عن قصيدة صيدح • انها درة فريدة حواها ديوانه الذي طبع بعد وفاته في البرازيل عام ١٩٧٢ ، واشرف عليه رشيد شكور ، ولا غرو ، فنصر سمعان شعلة قومية وهاجة ، سطعت في سماء المهجر الجنوبي ثم انطفأت، وخلفت حرارتها التي ما تزال تستعر فينا ، في قلب كل عربي مؤمن صادق العروبة • هذا ونصر سمعان من حمص ، او من بلدة « القصير » على وجه التحديد ، هاجر وقلبه لا يخفق بغير حب قومه ، وسعيه لرفعتهم وسيادتهم، ووحدة كلمتهم ، فلنسمعه يقول في الجلاء :

بت العز في ظلال بنوده   ومشى النصر في ركاب جنوده
وطن كم وددت في عيده الاكبر   لو كنت شاهدا من شهوده
هتف المجد باسم ابطاله الصيد   وهز الزمان ذكر عبيده
وكسا البشر ارضه وتجلت   زهوة الفتح في مواكب عيده
ثأر الحق فالاغاريد تترى   والزغاريد فوق قبر شهيده

والجلاء في ذهن كل عربي يرتبط ارتباطا وثيق الصلة بيوسف العظمة،

فلا بد ان ينال هو الاخر حصته من التمجيد واكبار بطولته الخارقة ، وشجاعته الفريدة فيقول :

شرفـــا ميسلون كل جهـــاد   شرف العرب أنت درة جيـــــده
أيقظي يوسف الشهيد فهذا   العيـد يا ميسلون عيد خلوده..

ثم يختم قصيدته بهذه الابيات التي تعبر عن صدق محبته لبردى وميسلون التي مهرت الجهاد أغلى الغوالي :

شرفا ميسلون مجـدك بـاق   أي عـات يقوى على تبديده
يومك الابلج الوضيء المحيا   زان نور الوجود نـور وجوده
بردى ينشد الاهازيج والار   ز تحييك روحه بنشيـــده
وحمى كل نـاطق عربي   يطفـح البشر من ثغور وروده
قد مهرت الجهاد أغلى الغوالي   فحبـاك الجهاد اغلى عقـوده
أنت يا ميســلون معقل شعب   خفقـات القلوب خفق بنوده

وعندما قصف الفرنسيون دمشق واحرقوها ، كان لذلك الحادث الفاجع رد فعل كبير في نفسه ، فراح يقول والاسى يعصر قلبه :

هبـت وعين الزمان ترقبها   وخاض بحر الرجاء مركبهـا
الله في امـة مجاهـــدة   سـعير حمى الآبـاء ينهبها
لا عـاديات الزمان تقهرهـا   ولا مراقي الطموح تتعبهـا

هناك شاعر آخر ، أحببت أن اجعله خاتمة المطاف ، ألا وهو زكي قنصل ، الذي يعيش الآن في الارجنتين ، ومن منا يجهل شاعر « غلواء » كما يسمي

نفسه ، وصاحب ديوان « نور ونار » وديوان « عطش وجوع » ، وهو الذي ملأت قصائده الهادرة دنيا الحرب ، يرفع صوته في كل مناسبة قومية، ليستنهض همة شعبه ، ويبعث فيه روح النخوة والحمية ، ولا ابالغ اذا قلت انه خليفة القروي وصيدح وفرحات في المهجر الجنوبي ، عقدوا له لواء الشعر الاصيل الذي ينبع من نفس محترقة ، ويتحدر من وجدان حي ، وطبع مرهف ، كما يتحدر السيل ، او كما يتفجر الينبوع من قلب الجبال .

لا أظن ان أحدا يستطيع ان ينكر على الشاعر زكي قنصل صفاء عروبته، ونبل عقيدته ، وشرف أهدافه ، فقد حمل راية القومية العربية خلف البحار، وكأنه سفير بلا سفارة ، فلا غرابة ان يؤلف عنه الاستاذ عبد اللطيف اليونس كتابا كاملا ، يدرس فيه حبه وحنينه ، ويتحدث عن تعلقه بوطنه الام ، كما يتعلق الرضيع بثدي أمه ... ولذلك لم تكد الجالية السورية في الارجنتين تعلن عن عزمها على الاحتفال بأول عيد للجلاء عام ١٩٤٦ ، حتى كان أول المتكلمين فيه ، فلنسمعه يقول :

ثورة الشعب لم تزل في البدايه ضل من يحسب الجلاء نهايه
ألف الحمد لا تمثل الا مطلع الحمد لا ختام الآيه
قد تساس الشعوب بالسوط لكن كل درب له ــ وان طال ــ غايه

ثم يخاطب الفرنسيين الذين عبثوا بالحق ، وداسوا الكرامة ، ليقول لهم ان هذا الحق لا بد أن يظهر ، مهما أمعنوا في التضليل ، ومهما خبا نور هذا الحق :

أيها العابثون بالحق مهلا ان للحق ألف جيش ورايه
حرسته عناية الله مما يتمنى له خصوم العنايه
ان خبا نوره لماما فلن يخبو دواما ولن تطول العمايه

ثم يحدثنا عن الخسارة التي مني بها المستعمر ، وكيف عاد في النهاية

مدحورا يجر اذيال الخيبة والخسران ، بعد ان عاث في الارض فسادا مـــا شاء له أن يعيث ، لان صيحات الجهاد زلزلت رواسبه وشلت يديه ، ولـــم يستفد من كل ما حشده من جيوش واسلحة وعتاد ، وجمع حوله من عمـــلاء وأذناب ، وادعاه من الغيرة على مصلحة الوطن :

عاث في موطنـــي الدخيل ولكن عـــاد بالخزي في ختـــام الروايه
زلزلت صيحة الجهاد رواسيه وشـــلت يديه مـنـــــا رمايه
لم يفد ما أعده من جيوش وادعاه من غـــيرة ووصايـــه
لم تفـــده سعايـــة من عميل شر ما يطبخ العميل سعايـــه

لقد علمته تجارب الحياة ان ينطق بالحكمة ، فهو شاعر قد حنكه الدهر، وأمده بالخبرة العميقة ، فكم من باطل ارتد على مروجيه ، وكم من وشايـــة أطاحت بمن حاكوها ! وخير الناس من تمسك بالحق وحده لانه باق ، وسواهم حثالة لا خير فيها :

يذهب البطل بالذين استغلـــوه وتجنـــي على الوشاة وشايه
صفوة النـــاس من تمسك بالحق ظهيرا ••• وما عداهم نفـــايـــه

ثم يلتفت الى اولئك الذين خاضوا غمار الموت فعلا، وتطهروا بنــيران المعركة ، ليقول لهم انكم وحدكم موئل الرجاء ومحط الامل لحماية الملايـــين التي تنظر اليكم بلهفة وشوق ، وانكم النجوم التي تضيء دروب المستقبـــل للسارين والضائعين :

يا حمـــاة الديـــار مرحى لأنتـــم خير من ترتجى لديـــه حمـــايـــه
أين من خـــاض غمرة الموت ممن خاضها في رســـالة او حكايـــة
قد زرعنا رجاءنا في ثراكـــم فاجعلوا غايـــة المطافه بدايـــه
أنتـــم نجمة الصباح لساري ن وأنتـــم للضائعين هدايـــه

وأخيرا يبعث بتحيته من وراء البحار الى كل من نجا من معركة الشـرف والبطولة ، ويطلب من الله ان يجزل ثواب من مات فيها :

أجزل الله أجر من مـات منكم ورعى السالمـين خير رعايه !

وكما ربط باقي الشعراء بين الجلاء وفاجعة ميسلون التي فجرت ثـورة الجلاء فيما بعد ، كذلك فعل شاعر غلواء ، فقد مجد شهيدها ، وبارك صموده واستبساله ، ولا سلاح معه غير ايمانه المطلق بعدالة قضيته ، وحق وطنه بالحياة العزيزة الكريمة :

يا راقـدا في ميسلـون سقى بدمـائـه حرية العـرب
لله وقفتـك التي جعلـت صغرى الهضاب أميرة الهضب
جـالدت بالايمـان تطلقـه نـارا بوجه الجحفـل اللجب
لم تلق بالا للألى زعمـوا ان العنـاد مطية العطـب

ثم يخاطب قبره الرابض في ميسلون ، فيقول انه ابشه بمحراب يلوذ به المؤمنون ، ليتبركوا منه ، اما تمثاله الشامخ بعنفوان الى السماء ، فانه يحـوم حوله بالنجوى ، ليستمد منه الوحي ، والالهام ... تنظر اليه الشمس خاشعة، وتغض السيوف طرفها خجلا من شجاعته :

مثواك محرابي أطوف بـه وأحـوم بالنجوى على النصب
ترنـو اليك الشمس خاشعة ويغض طرف الصارم الذرب

لقد جلا من صرعوا يوسف العظمة ، وغابوا في مطاوي النسيان ، الا انه سيظل خالدا على مر الاجيال وتوالي العصور ، يحكي الاجداد للاحفاد اخبار بطولته المشرفة :

ذهب الالى صرعتـك رميتهم وبقيت فوق مدارج الحقـب
يـا قاهرا بالمـوت باطلهـم آب الغزاة الى الحمى فـأب

قلت في بداية هذا الكلام ان ما قيل في الجلاء من قصائد يؤلف ديوانا ضخما ، ولا أزعم انني أحطت بها كلها ، وحسبي اكون قد سلطت الضوء على أشهر هذه القصائد ، ونوهت بها وبقائليها لكن ثمة قصائد لا تقل عنها روعة لشعراء لا ينتمون الى سورية جغرافيا ، بل ينتمون اليها قلبا وعاطفة وهوى، هزتهم فرحة الجلاء ، فسطروا الفرحة شعرا ، كالقروي وفرحات ومحمد علي الحوماني ، أرجو ان اعود اليهم في مناسبة اخرى .

دمشق عيسى فتوح

الى المشتركين في العرفان

نظرا لارتفاع تكاليف اخراج « العرفان » ارتفاعا باهظا تنوء بحمله المجلة مما اوقعها في عجز ضخم رأينا ان نتدارك ما يمكن تداركه وذلك برفع قيمة الاشتراكات في المجلة كما يلي :

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية
٥ دنانير في البلادالعربية
١٠٠ ليرة لبنانية جوا للبلاد العربية
٢٠ دولارا في اوربة واميركة وافريقية
٥٠ دولارا جوا للخارج
١٠٠ ليرة لبنانية قيمة الاشتراك للحكومات والدوائر والمؤسسات الرسمية والسفارات والبنوك والشركات بالبريد العادي
١٥٠ بالبريد الجوي
واشتراك الانصار لا حد له .

رسوم

وجوه نبيلة

بقلم : السيد علي ابراهيم

لقد ترك في الريف ذكريات حسانا كلما عاد اليها أحس باللوعة والحنين، يذكيها في نفسه ان الايام الباقية من عمره لا تسمح له باستئناف حياة جديدة في القرية التي كانت مسرحا لايام شبابه الاولى ومبعثا لاحلام صباه ، بعد ان مضى في المدينة نصيبه الاوفى ، يذكر من وجوهها النبيلة شيخا نقي الثوب والوجه عاش والقلم بيده ، يناضل ويكافح ، لم ين عزمه ، ولم تضعف همته، صقلت حده السنون فكلما تصرمت توهج وزاد مضاء ، ظل سبعين عاما امام دواته يفكر ويستهدف ، يعبد ربه فيجلس اليه بالاسحار والناس نيام ، فيرتل ويحن ويتشوق ، ثم ينصرف من ساعة النجوى مع خالقه لارفع ما خلق واسماه، فيقف امام باب المعرفة خاشعا ينفض الاتربة المتراكمة على الهيكل بريشته ويحميه بقلمه ويغسله بعرق جبينه ثم يعود لصلاته فيستغرق ويستلهم ، وهكذا يحيا بين سجادته ودواته يشع من جبينه النور وتفيض نفسه بالحنان فيردد :

كفاني تسآل الرسوم التي امحت سؤالي لاسفار العلوم كفاني

ويذكر من وجوهها النبيلة رجلا كرس حياته للخدمة العامة دون ان ينتظر من ذلك عوضا ، يهب لنجدة الداعي من اي جهة أتاه لا فرق لديه بين قريب وبعيد ، استعرت المروءة بين جوانبه فبعثته للتضحية ، فهو كاتب استدعاآت، ومنظم عرائض ، وهو واسطة خير يسعى بالصلح بين المتخاصمين وينظر في اكثر القضايا التي تعرض لابناء القرية فيصرفها بنية مخلصة واحساس واقعي ،

دخل اسمه كل بيت فشاطر سكانه آمالهم وآلامهم وكان له في كل حركة اجتماعية صادقة نصيب •

ومن الوجوه النبيلة التي يذكرها امرأة استطاعت باقتصادها وتدبيرها أن تعلم اولادها الثلاثة وتنهض بالعبء وحدها بعد وفاة ابيهم ، مع ان المورد ضئيل ، والوسائل ضعيفة ، ولكن لله عباد ، اذا أرادوا أراد ، فلم تزل دؤوبة مجتهدة تصل الليل بالنهار الى ان عبرت ببنيها العقبات الكؤد واجتازت بهم مراحل الدراسة كلها ، وأصبحوا رجالا قادرين يطمحون لكل ما هو نافع لهم وللمجتمع ، ابتسم لهم الغد بعد صبر وجلد ، وكنت أراها تنظر اليهم ودموع الفرح والشكر تترقرق في عيونها ولسان حالها ينشد مخاطبا كل واحد منهم:

حسبي من الدنيا ومن آرابها ان تبقي واسمك موضع الاكياس

يستعرض في ذهنه تلك الذكريات ويود لو تهدأ نفسه من هذا الغليان الذي حولها فان في الحياة جمالا وخيرا كثيرا •

عودة الحرية

سمع أساتذته ورفاقه يهتفون باسم الحرية ، وقرأ عنها في الكتب التي بين يديه وتشاء الصدف أن يكون حاد المزاج يصعب عليه الوقوف بين نفسه وما تهوى ، فمشى لغايته قدما لا يلوي على شيء ، اما والده وذووه فقد حكم عليهم بالجهالة قبل ان يخطو خطوته الاولى ، ولم يعد بعد ذلك مجال لاقامة حوار بينه وبينهم ، وانصافا للحقيقة يجب الاعتراف بانه كان نجما لامعا في سماء المعرفة والعمل الاجتماعي نهضت به همته لخدمة مواطنيه ولم يفصل همه عن هموم الناس،استهدف بحركاته وطنه وقضاياه معتبرا ان اهدافه الخاصة وطموحه وأحلامه لا يمكن ان تتحقق جميعها الا اذا كانت جزء من كل حلقة من السلسلة الطويلة ، ولكن ذلك لا يمنع من ان يخطيء ويصيب، وان قناعاته ليست حقا كلها بالنسبة لما يرى غيره ، وهنا محل الخلاف بينه وبين كثير من الناس ، وربما كان ذلك يرجع لاختلاف النظرة بين جيلين آذنت

شمس احدهما بالمغيب واشرقت لعين الثاني بأمرة السنا شديدة اللمعان ، وشاقني أن أعرف اذا كان ثمة قاسم مشترك نلتقي عنده ، فليس امام العلاء باب مسدود يتعذر عليهم معالجته .

قلت ، يا حسان ، لا بد من عودة للحرية التي قدسها جميعا ، ألا تعتقد معي بأن فرض الآراء التي تستدعيها حريتك على الآخرين قبل اقناعهم بها يعتبر من الظلم الذي لا يرضى عنه احد ، وأي فكر سديد يسمح له بحرية تعتدي بها على حريتي، ولست الان بصدد نقاش فلسفي معك حول هذا الموضوع ولكنني أسألك بكل بساطة ووضوح ، هل تكون سعيدا بشقائي ومرتاحا بتعبي؟ وانا شريكك في المجتمع الذي تعيش فيه نستقي معا من منهل واحد، ونزرع الارض ونقطف الثمرة وتجمعنا الآمال والآلام ، فقال : ولكننا ان عملنا بنظرتك هذه وقفنا عن تطوير الحياة بشتى الميادين ، وينبغي لك ان تسلم معي بأن اتفاق البشر على نظرة واحدة لا يكون منذ وجد الانسان على وجه الارض، وانما هي محاولات يصل بها للاصلح اذا أخلص النية واختار الوسيلة الصحيحة وفي هذا المجال لا بد من الرضوخ لرأي الاكثرية فهي صاحبة القول الفصل والحكم الاخير بهذا الموضوع ، وتلك قضية أقرتها سائر النظم الاجتماعية ووصل اليها الانسان المتحضر بعد رحلة طويلة شاقة .

علي ابراهيم

لم اكـذب

قال الحجاج يوما لبعض اصحابه ، ما يقول الناس عني ؟ فاستعفوه فلم يعفهم ، واصر ان يقولوا ، فقام احدهم وقال : يقولون انك ظلوم غشوم، قتال ، كذاب .. قال : كل ما قالوه قد صدقوا فيه الا الكذب ، فوالله ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين أهله .

عمر الانسي

بقلم : فوزي سابا

ولد في بيروت سنة ١٨٢٢ وتوفي فيها سنة ١٨٧٦ ، وقد اخذ العلم شأن علماء زمانه على الشيخين محمد الحوت وعبد الله خالد ، فبرز على اقرانه واشتهر ليقول فيه الاب شيخو في كتابه « الاداب العربية » ولما كانت مصر تفتخر بطهطاويها والعراق باخرسها كانت بيروت تأنس بأنيسها . قلدته الحكومة عدة مناصب كنظارة النفس اي دائرة النفوس ، في لبنان ، وعضوية مجلس بيروت ومديرية حيفا ونيابة صور ، فتقلب فيها كلها واظهر دراية وعفة نفس وعلو همة » .

لما اتخذت اليقظة في شرقنا كيانا تعرف به ، انتهى العلم من زمن التشرد واصبح سماة اصحاب المراتب بعدما كان سمة الموالي ، ولولا ذلك ما نهضت امة مشرقية ، ولولا هذا التحول لما استطاع لبنان اسراء مشاعله الى ابعد من حدوده .

وكان العثمانيون قد صرفوا اللغة العربية عن مدارسهم كلغة رسمية فاحتضنها لبنان في اعز امكنة عنده ، وفي الصدور حتى لا يذل لفظ منها .

والواقع ان الاوداء ذات الشعاب المصونة حمت شعب لبنان تماما كما حمت اللغة العربية ، ولما جاءت المطبعة الى دير قزحيا اصدرت الكتب العربية بالحرف السرياني وعرفت مطبوعاتها بالكرشوني ، وابتدأ عصر نشر التراث العربي من هذه المطبعة العالقة بين الشعاب والقمم .

ويكون نصيب لبنان الذي اضطلع بنشر اللغة العربية ان يعمل على الحرف

العربي للمطبعة في شرقنا ، وبذلك انتقل الكتاب من مرحلة البدائية الى مرحلة الانطلاق ، ذاهبا بعصر الانحطاط ، وبذلك انفكت العقول من عفونة التعنت والاهتراء الذهني ، فهي على رجال علم وادب وانشاء ، ويكون الشيخ عمر الانسي احد هؤلاء الرواد ، فهو على شعر رصين التعبير بريء من الركاكة بالرغم من انه جاء به مديحا مثل معاصريه متهديا بالصناعة اللفظية التي كانت عنوان عصره ، فكما قال بطرس كرامه قصيدته ــ الخال ــ قال الانسي قصيدته المكونة من خمسين بيتا كلها على قافية العين ــ جاء في مطلعها :

خذي من ودادي العين يا قرة العين　　وفي عبد عين ما ارى منك من عين
وهاك وجودي ياابنة القوم فاسمحي　　وجودي بما تحوي يداي من العين
ولا تبعديني عمد عين فتشمتي　　وشاتي وتغري في الملامة بي عيني
هواك دعا عيني تفيض عيونها　　وداعي الهوى يا هند ليس سوى العين
ويا ربة الخال التي شاب عارضي　　بها وغرامي السالف العهد كالعين

ويكون له نمط معاصريه من الشعراء في الابتهال على انه كان اكثر صوفية واسهل منهم للاخذ ، ليقرب به من المناجاة :

رب انت الرقيب دوما عليهم　　فاكفني شر أعين الرقباء
لك يا رب مرجع الامر طرا　　في البرايا يغني عن الاطراء
فسواء اطلت شكواي او قصرت　　مما به دهيت اشتكائي
رب خطب به رمتني الاعادي　　قصرت عنه ألسن الخطباء
فجلا ليله سنى فرج الله　　وخابت مقاصد الاشقياء
عالم الغيب والشهادة　　لا يغرب عنه شيء من الاشياء
قادر اوجد الخلائق من لا　　شيء فضلا وجاء بالآلاء

على ان عمر الانسي تفرد عن زملائه الشعراء بالهجاء ، ولعل الذين هجوا الشاعر الياس صالح قد حوروا قوله في هجاء قهوجي اسمه هلال :

تعس الهلال القهوجي لانـــه قد قطـع الاقـاس من انفاسـه
هـذا الهلال هو الهـلاك وانما غلطوا فلم يضعوا العصا في رأسه

فقالوا

هو طالـــح لا صـالح لكنهم غلطوا ولم يضعوا العصا في رأسه

على هذا النمط اوجد الهجاء الهازىء الذي ارجع الينا فكاهات ابـن الرومي في الاحدب ، وصاحب اللحية الطويلة ، وابعدنا عن قباحات الحطيئـة وحماد عجرد ، فنسمعه يقول في ـ ثقيل :

شكا ثقل الذنوب لنـا ثقيــل فقلت لـه استمع لبديع قبسلي
ثلاث بالتناسـب فيـك خصت فلـم توجـد بغيرك من مثـيل
ذنوبـك مثل روحك ضمن جسم ثقيـل في ثقيـل في ثقيــل

وهو الى ذلك لطيف القول ، حاضر البديهة ، حبيب الى القلوب ، حتى في هجائه ، فتراه لشدة ما فيه من مرح يعتذر الى من هجاه :

كلفتني نظم الهجـاء ، ولم يكن دأبي ولكن الاسـى لا ينتسـى
ولقد اتتك فريـدة لو شـابهـا ابليس يا ابن الارذلـين تبلسـا
قابلت طولـك يا بليـد بطولها بل ليـس موضوع هناك فيعكسا

كما اوجد نمطا للهجاء اختص به دون سواه ، اوجد ايضا في الغـزل فنا قصصيا فنسمعه يقول من قصيدة :

لثمت يد المحبوب يوما فقال لي على خجل ، حوشيت يا علم المجد

مقامك أعلى أن أراك مقبــــلا بجسمي غير الجيد والثغر والخد
وما أنت الاكعبـــة الحسن حينما لثمتك نلت الاجــر يا غاية القصد

وقد رأينا الى هجائه وغزله فلنر الى مديحه في احدى قصائده :

قلوب الورى في مطمح الفكر قلب وبرق المنى في غيهب الوهم خلب
أمانيك الاحلام والحلم يقظـــــة وآمالك الاوهـــام والنفس أكذب
ويا رب نفس بالامـــاني عللـت وصاحبها عن قابض الماء اخيـب
فلا تعـــدن النفس بالخير طامعا اذا لم يكن للنفس في الخير مذهب
وذو الود ان يذكر يدا لك عنده فان التنـــاسي منك ثمـــة انسب

على ان قصيدته التي مدح بها الامير أمين ارسلان جاءت مفردة في التركيب فاق فيها اسلافه من الشعراء البيانيين ، الذين افتنوا بالبيانين اللفظي والمعنوي او عملوا على التاريخ ، لان عمر الانسي جعل قصيدته هذه على ابحر متعددة وقوافٍ مختلفة ، فان كل سطر مؤلف من شطرين ، والشطر مقطوع الى اربعـــة اجزاء ، اذا تركبت الاجزاء الاولى تألفت منها قصيدة مستقلة او الاجزاء الثانية تألفت منها قصيدة اخرى ومن مجموع الجزئين في الشطرين تتركب قصيـــدة اخرى ، ويتركب من اسطر كل حقل قصيدة على حدة ، اما الجزآن الثالـــث والرابع من كل بيت فهي ألفاظ يصح ابدال القوافي بها ، مثال ذلك :

يا للهوى من لصب لم ينل اربـــا عطفـــا على مستهام رق وانتحبـــا
عاني المها مستهل الدمع ساكبـــه واهي القوى ما شكا بؤسا ولا وصبا

فيقرأ ،

يـــا للهـــوى عطفـــا على عانـــي المهـــا واهي القـــوى

أو

يا للهوى من لصب لم ينل اربـا عـاني المها مستهل الدمع ساكبه
بادي الضنا ذو غرام سامه شجنا يهوى الظبا وهوى الآرام غالبـه

أو

عطفـا على مستهام رق وانتحبا واهي القوى ماشكا بؤسا ولاصبا
وافي العنا مشفق من برجه وهبا طول المدى وهو لا يصغي لمن عتبا

وتقرأ هذه القصيدة على سبعة اشكال ، اما اذا اعتبرنا ابدال القـوافي فيتكرر ذلك ثلاث مرات الا الشكل الثاني فيكون مجموع القراءات ١٩ قراءة، وربما امكن استخراج قراءات اخرى .

كل هذا يدلنا على ان مجلس الانسي كان حافلا بالظرف تستهوي طرفة شاعرنا فيصفها وصفا دقيقا لطيفا مثال ذلك هذان البيتان من قصيدة بنـى عروضها على السين وقافيتها على الثاء وجعلها محاورة بينه وبين ألثغ اسمـه سـليم :

أقول له: يا بدر ما لـك عابسـا!! يقول دلالا : انني بـك عـابث
فقلت : وما للظرف اصبح ناعسـا ؟ فقال : هو الفتـان للعقل نـاعث

يقول مارون عبود في كتابه رواد النهضة الحديثة (هذا هو الرائد الانسي الذي ابتسم معه الشعر في القرن التاسع عشر كما ضحك مع الشاعر تقـولا الترك قبله) .

فوزي سـابا

الصافي ورئيف خوري

بقلم : خضر عباس الصالحي

كان الاديب اللبناني المعروف رئيف خوري صديقا حميما للشاعر العراقي الكبير أحمد الصافي النجفي ، وملازما له ، فكانا يقضيان الوقت معا في مقاهي بيروت الشهيرة كمقهى ابي عفيف ، ومقهى البحرين ، ومقهى فاروق ، ومقهى فلسطين، وكان الصافي يشنف اسماع صديقه بكل ما جد من شعره الرائع المبتكر، فيعجب لهذا الاثر الفني المتكامل المنسجم ، وما فيه من افكار جديدة لها طلاوتها وحلاوتها ، وينشد اليه حيث عذوبة الاسلوب ، وجمال العبارة ، وقوة الحجة ، وحيث الافق الرحب الذي تجول فيه المعاني الطريفة التي تفتح الاذهان على كل جديد نافع ومستساغ ، ويجد في شعره متعة متجددة مشحونة بالفكرة اللماحة المضيئة ، والذي يصور النفس الانسانية ادق تصوير !

وكان الاديب الراحل رئيف خوري الحر الفكر ، والطلق الافق قد منحه الله ذكاء ممتازا ، ونفسا قوية ، فهو دقيق الملاحظة ،عميق التفكير ، وشعاره لا تحكم على شيء الا بعد ان تعرفه ... وله اعمال فكرية تضمنت ومضات نقدية نفاذة ، وتميزت باسلوب ادبي رفيع ، واشتهرت بتداخلها مع الحياة ، وبراعتها في تصوير حلم الانسان لتحقيق الغد المنشود ، وفتح منافذ العقل على التيارات الثقافية في الحضارة العالمية المعاصرة !..

اما الاستاذ الصافي فهو شاعر موهوب يعرف الشعر حق المعرفة ، وذواثر كبير في دنيا الشعر ، عبر عن مشاعره بالاسلوب الحسي المباشر ، واعطى للفن الشعري صورا جديدة كل الجدة ، التقطها من مشاهد الحياة اليومية ، وكانت للكلمة عنده مسؤوليتها وشرفها ، وللفكر قيمته واعتباره ، ولذا جاءت

اشعاره علامة مميزة بين الشعر العربي قديمه وحديثه للمعاني الكبيرة التي تحملها ، ورسمها لخلجات القلوب ، واضاءة الوجدان العربي ، ولتعبيرهـا الصادق عن حالات الشاعر النفسية • وما زال الشعر يحتل موقعا بارزا في اهتماماته ، ذلك الشعر البعيد عن الاغراب والغموض ••• انه ينفذ الى القلب دون استئذان لخلوه من كل لفظ مستنكر ، ووحشي مستكره ، ولحسن نظمه وأسلوبه ، وبديع تأليفه ، وتصرفه في الالفاظ ذلك التصرف البارع الذي تأتي فيه المعاني طيعة ذات حكم عالية مع تناسب في البلاغة ، وتشابه في الفصاحة ، وتجاوزه لكل تباين في القضايا التي يتعرض الى ذكرها ••• وبذا عد الصافي في المشهورين من الشعراء ، وواحدا من ألمع أبناء جيلنا بعد ان أغنى حركة الشعر العربي بفيض من ابداعاته القيمة ذات النظرة الانسانية النافذة •••!

حدثني الصافي وقد ابتسم بحنو وقال :

ـ كنت أملك نسخة من القرآن الكريم جاءتني هدية من احد الاصدقاء المعجبين بشعري ، وكان قد استنسخها بيده ، ولكن خطه لم يكن من الخطوط الفنية البارزة المعروفة كخط الرقعة والكوفي والديواني والفارسي وغيرها ، وانما خطا عاديا ، فكنت كلما خلوت الى نفسي في حجرتي انشغل بتلاوته ، وانا مأخوذ بما فيه من بلاغة وفصاحة واحكام وعبادات وقصص ومواعظ وعبر مع جزالة الالفاظ ، وجمال الصياغة الادبية ، والصور الفنية ••• ان آياته قد فصلت تفصيلا ، وهو كما قال الله تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» ••• ولو لم يكن فيه غير جلال معانيه ، وجمال مبانيه لكفى بذلك ان يستولي على الافكار ، ويأخذ بمجامع القلوب وكما قلت فيه :

الله قد أنزل القـرآن معجزة ولم يزل سره العلـوي محجوبا
لا يستطيـع امرؤ تبديل لفظته كأنمـا خلق القـرآن مسكوبـا

وكما قلت ايضا :

أقرآن وحي الله أم لمع نـوره ... أم الـدر منثورا بصافي نميـره
كلام بـه الخلاق يظهر بيننـا ... وسفر رأينـا الله بـين سطوره

وكنت أقرأ الى جانب قراءتي للقرآن الكريم اشعارا لعمالقة الشعر العربي كالمتنبي والمعري وابي تمام والبحتري وابي نواس وابن الرومي ... ولكـن اسلوب القرآن كان يغطي على هذه الاشعار مهما تسامت في معانيها ، وتألقت في كلماتها ، وتأطرت بالصور الجميلة البراقة ... فانه يذهلني بما فيه من حسن اللفظ ، وروعة المعنى ، وقوة التعبير ... وقد ابحت بهذه الخواطر الى صديقي رئيف خوري وهو الاديب المطلع على الثقافات المعاصرة كالثقافة الانكليزيـة، والثقافة الفرنسية الى جانب احاطته الشاملة بالآداب العربية قديما وحديثا ... وفجأة خفق قلبه في صدره وقال بعبارته العظيمة الموجزة :

ـ انه سحر البيان ...!..

ونظر الي رئيف خوري مندهشا وقال :

ـ وثق انني لو لم آكن شيوعيا ملحدا لما اعتنقت الا عقيدة الاسـلام ، وأصبحت مسلما ...!

ولم يختصر حبي للقرآن ، واعجابي به على تلاوته فحسب ، بل انني أحفظ نصوصا كثيرة منه ، واستشهد بها في المجالات العلمية والاديـة والاجتماعية في مجالسي الخاصة بالمقاهي التي ارتادها حيث يجتمع بي لفيف من الادباء والمفكرين فأسحرهم بما اتلو عليهم من الآيات البينات ، والسـور الخالدات ...!.

وفي احد الايام التقيت بصديقي المرحوم رئيف خوري في مبنى الاذاعة اللبنانية ، وقد اعتدت ان القي منها بعض اشعاري بتكليف من المشرفين عليها،

وكان قد جاء لالقاء حديث ادبي ، وبعد ان انتهينا من مهمتنا خرجنا معا وو جهتنا بيروت ... فقلت له وانا مقبل عليه بشوق ولهفة :

ـ دعنا نمشي على ارجلنا حتى نصل مبتغانا .

فقال ووجهه يشرق بالبهجة والحبور :

ـ افعل بما تريد وترغب .

فخفق قلبي بفرح عظيم ، وصرت احدثه عن القرآن وشغفي الشديد به ، وعظم تأثيره في نفسي ، فحدق بوجهي جيدا ، وقال بالحرف الواحد :

ـ انه من العقل الفياض ، والعقل الفياض في لغة الفلاسفة والمتصوفة المسلمين ومصطلحاتهم هو الله تعالى ... وليس من صنع بشر ، وان هذا الزخم في صوت القرآن يجعلنا نشعر انه ليس كلاما منقولا ، وان الله ذاته يتكلم ...!.

ففغر الصافي فمه مندهشا وقال :

ـ ان القرآن هو الكلام المعجز المنزل على النبي محمد «ص» لفظا ومعنى ، وكان العرب أهل بلاغة وفصاحة ، ولكنهم ادركوا انهم عاجزون امام بلاغة الله حتى انهم منوا بخيبة أمل مريرة في معارضة سورة واحدة ، أي سورة ... وهذا برهان ساطع على ان القرآن الكريم كتاب الله المنزل من عنده ، وان محمدا «ص» رسوله وخاتم انبيائه ، وان الاسلام هو دين الله الحق ، ورسالته الخالدة لاهل الارض التي لا يقبل من احد سواها ، حيث قال الله تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » ...

وقد حوى القرآن كل الاحكام المتعلقة بالعقيدة والفقه ، والاحوال الشخصية ، والمعاملات المالية ، والعقوبات ، وقال الله عز وجل : « ونزلنا عليك

الكتاب تبيانا لكل شيء » وقال جل شأنه : « ما فرطنا في الكتاب من شيء» وبذا اصبح حجر الزاوية في حل المعضلات الحياتية ، وايجاد السبل الناجعة للنهوض بسائر الامم والشعوب ...!.

والضرورة تقتضي ان نذكر هنا ان مجالس الصافي في مقاهي بيروت كانت ندوات ثقافية ، ومما يزيد من أهمية هذه المجالس حيث ان المكانة الاثيرة التي يحتلها الصافي لدى الادباء كانت تدفعهم الى مجالسته ، فيتجمعون حوله كالازهار عند ضفاف السواقي ، فتجري بينهم احاديث شتى تتداولها ألسنتهم ، فينشدون اليه لروح الظرف التي يسبغها على احاديثه التي تتضمن مختلف صنوف الثقافة والمعرفة الانسانية ، وترصد العطاءات الادبية الجادة من أجل تكريسها واشاعتها ، وتسهم في تعميق حركة الادب ، وتكشف غوامضها، وتضيء جوانبها المتباينة ... وبذا يغني الصافي تجربة زواره ، ويضيف لهم معلومات جديدة ... انه يمثل اصالة الفنان الكبير الذي اعطى لشعره خصائص مميزة قائمة على التشخيص والمعالجة ، ورسمت لنا صورة ناطقة عن عالمه ، وكشفت النقاب عن السمات النفسية الاساسية له ، وألقت الاضواء على نوازعه العاطفية التي كان لها بلا شك ابعد الآثار في حياته العامة والخاصة ...!..

وحينما توفي الاستاذ رئيف خوري الرجل المنصف ، والذي كان مواظبا على قراءة القرآن ، وحافظا للكثير من اياته فقد الاستاذ الصافي بوفاته خليلا وفيا ، وخدينا مخلصا يرعى الذمام ، ويلتزم بحقوق الصداقة ، وواجبات الاخوة ، فبكاه أحر بكاء ، وذرف عندما وافاه نعيه دموعه الغوالي... وفي قلبه لوعة حرى ، وفي نفسه أسى عميق ، وقد غص بالشجى المرير يوم رثاه قائلا كحمامة تهدل بحزن :

ذكرتك حين فقدي للندامى فكنت نديم روحي والمداما

رجعـت الي في ذكراك حيـا خلعت حجـاب موتك والرجامـا
معا نتناشـد الاشعار ، أصغـي وتصغي لي ، وتعشني ابتسامـا
فلم أر منشـدا أو مصغيا لـي شبيهـك يشبه الشعر انسجامـا
ففي الاصغـاء والانشاد فن لدى من يملـك الذوق التمامـا
وتأخذ بالطرائـف في حديـث وتحضر من ذوي الادب، القدامي
نبي الشـعر أحمد ، وابن هاني حضـور ، قط ما عرفـوا الحماما
فها هي نشـوة الذكرى اعترتني فأنستني المـدامة والندامـى

خضر عباس الصالحي

افحـام

★ ★ ★

حكي ان يحيى بن خالد البرمكي كان يطوف مع هارون الرشيد فـي أسواق بغداد ، فرأى الرشيد احمالا كثيرة تنقل على دواب ، فـسأل الرشيد عنها ، فقيل له : هذه هدايا خراسان الى امير المؤمنين بعث بها علي بن علـي بن ماهان • وكان ابن ماهان هذا قد ولي خراسان بعـد الفضل بـن يحيى البرمكي • فقال الرشيد ليحيى اين كانت هذه الاحمال في ولاية ابنك الفضل، فقال يحيى : كانت في بيوت اصحابها يا امير المؤمنين • فأفحم الرشيد ولـم يحر جوابا •

ايهذا الصديق ؟ . .

في رثاء الاستاذ سعد فريحه

راحل انت والفراق مديد … لم ذا البين فجاة والصدود
كيف جد النوى بعاصف ريح … كدن من هوله الجبال تميد
وتخيرت راجعا من بعيد … لك مثوى بالقرب وهو بعيد
ايه ما ضر لو صبرت قليلا … عله بعد ذا السلام يسود
كيف ينجو ابا عصام مداع … للردى والمنون قرم عنيد
لم ينسا فله اصيد بمذراع … او يقي الهاربين حصن مشيد
فلمن بعدك الصراحة دوما … بالقضايا لواؤها المعقود
ونضال صعب المراس بهرج … ما ونى العزم منه او لان عود
اخطأ النبل فيه مع نابليه … واستوى سيد به ومسود
سيرة تلك قد طوتها الليالي … هي في سيرة النضال نشيد
قد حباها البراع مجدا طريفا … دونه بالفخار مجد تليد
قدك بالانجبين سد فراغ … لك ضخم وهو العزاء الوحيد
قم تحدث لنا ببعض حديث … عن حياض البلاد فيك تذود
وارو هل بالجدود تحظى وقرت … بك عينا اباؤنا والجدود
وكذا الموت هل يرام خلاص … منه والطب بالغ ما يريد
ثم قل لي اعالم المثل حق … أم محق مكابر وجحود
ونزاع هناك ام مستقر … ليس فيه ممالك وحدود
وضيوف على الاثاك صحب … وجموع من قبل البين نود
ام همو حيثما اقاموا قرونا … ذات خلت نزلهم قفار وبيد
عللوا النفس بالبقاء وانا … في غد سوف للقاء نعود
ابرز ناظري وجوها تخفت … وجنان بها ازاهر رود
ومذاب اللجين في نفثات … يخاطب اللب درها المنضود
يتلاقى بها الشقيقان لطف … كزهور الربى وباس شديد
ايهذا الصديق قد طال ليلي … اذ اتى البرق ناعيا والبريد

وعنانـي الاسى كاني المـعزي ... فيه لا الآل والفـؤاد الفقيـد
مـازجت ادمعي المحابر فيـه ... فاذا بالمدامـع البيض سـود
ليس يدعا بأن اوافيك حقـا ... لبـس يرعى الـودود الا الودود
كـم عدوت الالى تجـاهل قدري ... عامـد منهمو وغـير حسود
بيـد انـي باسطر ما عـاني ... عنـك اروي وانت سفر مجيـد
والعصامي قلمـا بمثيـل ... او بكفـؤ له الزمـان يجود
والمجلي بالـنود في كـل عهد ... قد مضـى والغضنفر الصنديـد
قاوم الانتـداب غـير مبـال ... بالالى ركـع لـه وسجـود
او محـاب كما تحابي النشاوي ... او مجـار كمـا تجاري العبيد
بل طوى المـوت نيقدا جاحظيا ... فر من باسـه العتي الجمـود
وهـو للوثب بعـد ستين عـام ... يتمطى كمـا تمطى الاسـود
قل أرب الصياد صادك عـاد ... وكـذا الكـل للفنـا مولـود
أم مثلت الألى اطاحوا بشعـب ... مثلمـا عاد زلزلت وثمـود
اضرمـوه لظى بمـارج نـار ... تقتفيـه عـواصف ورعـود
وتعاني البـلاء في كل يـوم ... ألـين دونـه الليـالي السـود
يتـادى الى الـوفاق فريـق ... وهمـوا عنـه غيـب او قعود
ولكـم اخلفـوا بشتـى وعـود ... فاذا كالسراب تلـك الوعـود
لهـف نفسي على زمـان تقضى ... اين عهـد الصفا وعيش رغيد
حيـث رهط من الميامين ولوا ... سـدة الحكـم والكماة الصيد
واعـالي الجبال وهي عقـاب ... آهـلات تعـج فيهـا الحشود
ليت تلك العهود لم تك دالت ... وانطوت او تؤوب تلك العهـود
وقصـارى الآمـال رجعى ارشد ... ومحـط الانظـار عهـد جديد
قـل لهم ما على الجهود صعاب ... عندمـا تحسن النوايا الجهـود
مثلما كنـت في مواقف شتـى ... لك فيها نضالـك المحمـود
ربـع قرن والليـل داج فهـلا ... طلع الفجـر واستفـاق الرقود

كامل شعيب العاملي

غبار .. غبار !..

ركضنا ، يرى الركض اقدامنا ... فليس على الدرب الا الغبار
نروح ونغدو ، نكد ونشقى ... ويدفعنا السبيل عبر القفار
ونضوي ، وتذبل آمالنا ... كما يذبل الزهر بعد ازدهار
نشيد الديار ، ويا ليتنا ... بعيد النوى تحتوينا الديار!
ونعلي الحجارة فوق الرفات ... لنبقى ، فتضحك منا الحجار!
ونركض في الليل ، عبر النهار ... نريد الفرار ، وأين الفرار ؟
لماذا اتينا ؟ وماذا جنينا ؟ ... وعما قريب يحط الستار
وتغتمض العين عن عالم ... هو الحلم ، رف جناحا ، وطار
غدا ، سوف يكثر عنا السؤال ... وبعد غد ، لا سؤال يثار
وقد تشرق الشمس من بعدنا ... ويسطع للمدلجين النهار
كأن لم نجيء ساعة للحياة ... ولم نفرغ الروض بعد اخضرار



ويا عابرا بيديك الزهور ... وحولك اوراقها في نثار
كأن دماءك في وردها ... تضوع عبيرا ، وتزهو احمرار!
تمتع صباحا بشم العرار ... فانت ، مساء ، طعام العرار



هو العقل اعطاك حكم اليقين ... بماذا تشك ؟ لماذا تحار؟
تمسكت بالعيش ، تبغي الخلود ... تطول الليالي ، وهن القصار
تمر الحياة مرور القطار ... وركابها ابدا في انتظار
قوافل يعدو عليها الفناء ... ولا شيء .. لا شيء الا الغبار

خليل الهنداوي

ذكريات جميلة

صورة من قبل عشر ين وما زالت فتيه
جسمي الناحل يفنى وهي تبقى ابديه
انها للمرء عنوان وذكرى وهويه
هي من افضل ما يز جى الى الخل هديه
انما الصورة ابدا ع وروحي العبقريه

* * *

صورة تبعث في القلب جميل الذكريات
يوم كنا والندامى وكؤوس مترعات
واحاديث لطاف بليال مقمرات
انها من نعمة العمر علينا الامسيات
ومضى العمر وما فيه سريع الخطوات

* * *

صورة تحمل اطياف شباب قد تناهى
وصبا غصن توارى في ثنايا الدهر ضاعا
ورؤى العمر غيوم ان للغيم انقشاعا
وبها الانسان لا يملك للشيب دفاعا
اصبحت الصورة للانسان زادا ومتاعا

الديوانية ـ العراق   عبد الجبار الزهيري

دمعة وداع

يا دمعة الود سيلي ... ان شئت اولا تسيلي
فلست تطفين نارا ... تاججت في غليلي
سعيرها يتلظى ... ما ان له من ذبول
لها لدي وقود ... يمدها من ذهولي
يا دمعة الود لا لن ... تشفي عذاب غليلي
ولست تجدين حتى ... لو سلت كل مسيل
ترى ايرجع ماض ... القى عصي الرحيل
وهل تعود نجوم ... لـلاقق بعد افول
ما ارخص الدمع يجري ... على فراق الخليل

* * *

أواه يا ذكريات ... عشنا جميل رؤاها
وطالما قد سكرنا ... بخمرة من صفاها
ما كان احلى لقانا ... فيها وما احلاها
فكم لنا من ليال ... رفت علينا مناها
ويا لها من طيوف ... قد اجتلينا رواها
وضمنا الف نجسم ... مكال بشذاها
يا قاتل الله دهرا ... اودى بها فطواها
مرت علينا سراعا ... كان حاد حداها
واحسرتا كيف ولت ... تجر ظل خطاها

كربلاء ـ العراق ... صالح هادي الخفاجي

ابواب العرفان

الصحة وتدبير المنزل

الليمون دواء لامراض البرد

الليمون الحامض ثمرة في مقدمة الفواكه المغذية والشافية على السواء وعلى اختلاف مذاقها وانواعها واحجامها ، ما بين الحلاوة والحموضة ، وما بين الضخامة والصغر ، والخشونة والنعومة .

الليمون هو شقيق البرتقال واحد الثمار الحمضية المرموقة . يدعى في اللغات الاجنبية Lemon أو Citron وفي لبنان يطلق اسمه على البرتقال ويميز بينهما بتسمية احدهما ليمونا حامضا والاخر ليمونا حلوا ، وفي العراق يسمى النومي.

والليمون فاكهة مغرقة في القدم ، ظهرت في اسيا وازدهرت زراعتها في حوض البحر الابيض بشكل خاص . ومنه انتقلت الى اوروبا محتفظة باسمها العربي.

ومنذ اقدم الازمان والناس يستخدمون الليمون كدواء شاف في عدد من الاوبئة والامراض كالكوليرا والتيفوئيد والروماتيزم والنقرس والالتهابات المعوية وامراض الكبد .

لقد كان لسرعة انتشار الاوبئة في الزمن السالف ، أثره في ارتفاع مكانة الليمون جيلا بعد جيل ، مع اتساع نطاق الخدمات الشفائية التي يؤديها ولعلنا

ما زلنا نذكر كيف اشتد الاقبال على الليمون عند ظهور وباء الكوليرا في بعض بلاد الشرق الاوسط ، فقد نادى الاطباء يومئذ باتقاء ذلك الوباء بواسطة الليمون ، فنصحوا الناس باضافة الليمون الى ماء الشرب بعد غليه ، لان لليمون خاصية القضاء على جراثيم الكوليرا التي تنتشر عن طريق الماء •

وقد ألف ذوو المواليد ان يقطر الاطباء والقابلات قطرة واحدة من الليمون في عيون المواليد فور ظهورهم الى الحياة ، وذلك بقصد جلاء بصر المولود حديثا ووقايته شر الالتهابات وانتقال الجراثيم الهاجمة في ثنايا جهاز والدته التناسلي •

ولعلنا نذكر كيف اقبل الناس على اتقاء الانفلونزا بواسطة الليمون كلما كانت تجتاح المنطقة وكيف اثبت مفعوله الحاسم في ايقاف جراثيم الانفلونزا عن النمو والانتشار •

ان سر الامكانات الواسعة التي يتمتع بها الليمون في مجال الوقاية والعلاج يعود الى احتوائه عددا من الفيتامينات والمعادن فهو غني بالفيتامين « آ » و « ب ٢ » و « ب ١٢ » و «ب ب » بالاضافة الى الحديد والكلس والبوتاس والفوسفور والكربوهدرائيات والبروتين والدهن •

الا ان غنى الليمون بالفيتامينات يتمثل بشكل خاص في الفيتامين «ث» الذي يكون مع حامض الليمون ، العنصر الاساسي لهذه الفاكهة • والفيتامين «ث» يفيد في حالات الاصابة بداء الحفر (الاسقربوط) بالاضافة الى ميزاته الاخرى التي سبقت الاشارة اليها •

ويقول الاخصائي العالمي الدكتور « ميلتون» ان الليمون دواء بالغ الفعالية والقدرة في امراض الفم والوقاية منها ، وخاصة الامراض التي تؤدي الى تخلخل الاسنان وسقوطها المبكر •

والليمون مقبض للاوعية الدموية كما انه مخثر للدم ، فهو اذن نافع في تضميد الجروح وعلاج القروح ، فاذا ما اصيب امرؤ بالرعاف ـ نزيف

الانف ـ فان بالامكان وقفه بدلك فوهة الانف بقطعة قماش مبللة بعصير الليمون فيكون لذلك اثر سريع وحاسم .

ونظرا لما تبين من تأثير الفيتامين «ث» في الغدة الدرقية ، فان الليمون يعتبر مهدئا للاعصاب ، وقد اوصى الاطباء كل من يشكو الجدرة (اي ضخامة الغدة الدرقية الرابضة في مقدمة العنق)، بالاكثار من تناول الليمون او زرق الفيتامين «ث»، ولما كان المصابون بضخامة الغدة الدرقية يشكون توفز الاعصاب والاضطرابات العصبية والرجفان ، فان اثر الليمون كمصدر من مصادر الفيتامين المذكور لا يحتاج الى تنويه .

وقد تبين ان الليمون يملك القدرة على ترميم الانسجة ومفعوله البانـي يمتد الى جميع انسجة الجسم لان الكلس الذي يدخل الجسم لا يتمثل او يتثبت في العضوية الا اذا دعم بالفيتامين دو او الفيتامين ث ، وقد اتخذ المؤتمر الوطني للطفولة والامومة الذي انعقد في ايطاليا قبل عدة سنوات مقررات وتوصيات تقضي باضافة الليمون والبرتقال الى غذاء الحوامل والى وجبات الاطفال الذين يتغذون بالحليب الصناعي .

ولليمون خاصة اخرى هي احتواؤه على املاح وحوامض عضوية تساعد على احتراق الفضلات والاملاح ولذا فهو يوصف في حالات الروماتزما والنقرس وارتفاع الضغط الشرياني وتصلب الشرايين والدوالي وعرق النسا والالام العصبية المختلفة .

ويستخدم الليمون في جميع حالات الحمى وبخاصة عند ارتفاع حرارة المرضى ، لانه يساعد على طرح الفضلات ويزيد في ادرار البول ويؤثر في غدتي الكظر والدرق اللتين تنظمان النبض .

ولليمون قدرة على مقاومة السموم . ويروي لنا الادب المصري القديم قصة مدهشة عن اثنين محكومين بالاعدام سيقا لتنفيذ الحكم فيهما بواسطة لدغة نوع من الثعابين السامة تدعى «آسبيك» ولكن احد باعة الليمون

دس في يد كل من المحكومين ليمونة كبيرة تناولاها في الحال ، وكم كانت دهشة المشرفين على التنفيذ شديدة عندما تبين لهم ان لدغة الثعبان لم تؤثر في المحكومين ، وبعد تحقيق دقيق اشترك فيه كهنة لهم علم في السموم ، تمكن الاهتداء الى السر • ولكي يتأكد المحققون من الامر جاءوا بمحكومين آخرين اعطي احدهما ليمونة ثم اطلق عليهما الثعبان فاذا بالذي اكل الليمونة ينجو من الموت واذا بالثاني يلاقي حتفه في الحال • وقد أيد العلم الحديث هذه النظرية واعترف بقدرة الليمون على مقاومة السموم •

ولقشر الليمون قدرة على تنشيط الكبد ، وهو صالح للاكل بعد ازالة طبقته السطحية بواسطة الحك « البرش» ، كما يفيد في طرد الديدان والغازات والتعفنات المعوية •

ولا بد اخيرا ، من التفريق بين الليمون الطبيعي وبين ما يسمى حمض الليمون ، اذ ليس هناك ادنى علاقة بين الاثنين ، فبينما الاول يعتبر فاكهة، لا يعدو الثاني ان يكون عقارا اسمه العلمي « حمض الطرطير » ذا خاصية مقبضة ولذا فلا يجوز استعماله في الطعام او السلطة •

والليمون يوصف ايضا في حالات التهاب المسالك البولية (الكلوة والبروستات والمثانة) فهو يطهر المجاري ويغسلها بقدرته على ادرار البول وطرح الفضلات •

واذا ما منع مريض ما من استعمال ملح الطعام العادي ، فان في الليمون ما يعوضه بعض الشيء عن ذلك الملح نظرا لوجود املاح البوتاسيوم في هذه الفاكهة مما يجعل طعم الالوان مقبولا •

واخيرا ، فالليمون مهضم ومشه لان حامضيته تحرض الافرازاتاللعابية والغدد المعوية ، فهو يحتوي على خميرة « الدياستاز » المهضمة ، اما اذا عصر

على الطعام المطبوخ فانه يعيد اليه مافقده من فيتامين بسبب حرارة الطبخ او الغلي ، كما ان عصير الليمـــون على الخضار التي تؤكـــل نيئـــة يعقمها ويقضي على الجراثيم الموجودة فيها .

وهكذا يتبين كم لهذه الفاكهة من فوائد طبية وغذائية وبخـاصة فيما يتعلق بامراض البرد كالرشوحات والنزلات الشعبية (البرونشيت) والزكام والروماتيزما .

شهرنا نقص يومـا

هوى رجل امرأة من قبيلة تغلب ثم تزوجها، واهدى اليهـا ثلاثين شاة وزقا من نبيذ معتق ، وبعث ذلك كله مع احد غلمانه ، فلما صار الغـلام في الطريق ، فتح زجاجة النبيذ وشرب بعضا منها ، ثم ذبح شاة وأكلها ، فقالـت المرأة للغلام ، لما اراد الانصراف : اقرىء مولاك السلام ، وقل له : انشهرنا نقص يوما ، وان سحيما راعي شياهنا اتانا مرثومـا ـ مكسورا ـ فلما اتى الغلام الى مولاه ، أخبره بما قالت له المرأة ، فضربه حتى اقر .

« عنوان مجلة العرفان »

* * *

بـيروت ـ لبنـان

ص.ب : ٣٩٧٨

مجلـة العرفان او نزار الزين

تلفـــون : ٢٥٦٥٥٠

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ

اثر العقائد الدينية في تقدم البشرية

للسيد جمال الدين الافغاني
١٢٥٤ ـــ ١٣١٤هـ (١٨٣٩ ـــ ١٨٩٧م)

أكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد ، واودع نفوسهم ثلاث خصال(١) كل منها ركن لوجود الامم ، وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية ، واساس محكم لمدنيتها ، وفي كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات الكمال والرقي الى ذرى السعادة ، ومن كل واحدة وازع قوي يباعد النفوس عن الشر ، ويزعها عن مقارفة الفساد ، ويصدها عن مقاربة ما يبيدها ويبددها •

العقيدة الاولى : التصديق بان الانسان ملك أرضي ، وهو اشرف المخلوقات •

الثانية : يقين كل ذي دين بان امته اشرف الامم ، وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل •

والثالثة : جزمه بان الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم ارفع وأوسع من هذا العالم الدنيوي ، والانتقال من دار ضيقة الساحات ، كثيرة المكروهات، جديرة ان تسمى بيت الاحزان وقرار الالام ـــ الى دار فسيحة الساحات ، خالية من المؤلمات ، لا تنقضي سعادتها ، ولا تنتهي مدتها •

(١) هذا النص مقتبس من رسالة ((الرد على الدهريين)) وقد الفه السيد باللغة الفارسية سنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٩م) حين كان في مدينة ((حيدر اباد الدكن)) وقد ترجم الرسالة الى العربية تلميذه الاستاذ الامام محمدعبده بمساعدة تابعه عارف ابي تراب الافغاني•

لا يغفل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الاثار الجليلة في الاجتماع البشري ، والمنافع الجمة في المدنية الصحيحة ، وما يعود منها بالاصلاح على روابط الامم ، وما لكل واحدة من الدخل في بقاء النوع ، والميل بافراده لان يعيش كل منهم مع الاخر بالمسالمة والموادعة ، والاخذ بهمم الامم للصعود في مراقي الكمال النفسي والعقلي .

من البين ان لكل عقيدة لوازم وخواص لا تزايلها .

فما يلزم الاعتقاد بان الانسان اشرف المخلوقات ــ ترفع المعتقد بحكم الضرورة عن الخصال البهيمية واستنكافه عن ملابسة الصفات الحيوانية ولا ريب انه كلما قوي الاعتقاد اشتد به النفور من مخالطة الحيوانات في صفاتها، وكلما اشتد هذا النفور سما بروحه الى العالم العقلي ، وكلما سما عقله اوفى على المدنية ، واخذ منها بأوفر الحظوظ، حتى كاد ينتهي به الحال الى ان يكون واحدا من اهل المدينة الفاضلة ، يحيا مع اخوانه الواصلين معه الى درجته على قواعد المحبة ، واصول العدالة ، وتلك نهاية السعادة الانسانية في الدنيا، وغاية ما يسعى اليه العقلاء والحكماء فيها .

فهذه العقيدة اعظم صارف للانسان عن مضارعة(٢) الحمر الوحشية في معيشتها والثيران البرية في حالتها ، ومضاربة(٢) البهائم السائمة ، والدواب الهاملة ، والهوام الراشحة التي لا تستطيع دفع مضرة ولا التقية من عادية، ولا تهتدي طريقا لحفظ حياتها ، وتقضي آجالها في دهشة الفزع ووحشة الانفراد .

هذه العقيدة أشد زاجر لابناء الانسان عن التقاطع المؤدي لافتراس بعضهم بعضا كما يقع بين الاسود الكاسرة ، والوحوش الضاربة، والكلاب العاقرة ، واشد مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات في خسائس الصفات .

(٢) المضارعة : المماثلة . وضريب الشيء : نظيره

وهذه العقيدة احجى حاد للفكر في حركاته ، وانجح داع للعقل في استعمال قوته ، واقوى فاعل في تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل.

ان شئت فارم بنظر العقل الى قوم لا يعتقدون هذا الاعتقاد ، بل يظنون ان الانسان حيوان كسائر الحيوانات ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنايا والرذائل ، والى اي حد تصل بهم الشرور ، وبأي منزلة من الدناءة تكون نفوسهم ، وكيف ان السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية .

ومن خواص يقين الامة بانها أشرف الامم وجميع من يخالفها على الباطل ان ينهض آحادها لمكاثرة الامم في مفاخرها ، ومساماتها في مجدها ، ومسابقتها في شرائف الامور وفضائل الصفات ، وان يتفق جميعها على الرغبة في قوت جميع الامم ، والتقدم عليها في المزايا الانسانية عقلية كانت او نفسية ، ومعاشية كانت او معادية ، وتأبى نفس كل واحد عن اعطاء الدنية ، والرضا بالضيم لنفسه ، او لاحد من بني أمته . ولا يسره ان يرى شيئا من العزة ، او مقاما من الشرف لقوم من الاقوام، حتى يطلب لامته افضله واعلاه . ذلك انه بهذا الاعتقاد يرى ابناء قومه اليق وأجدر بكل ما يعد شرفا انسانيا .

فان جارت صروف الدهر على قومه فاضرعتهم ، او ثلمت مجدهم ، او سلبتهم مزية من مزايا الفضل ـ لم تستقر له راحة ، ولم تفتأ له حمية ولم يسكن له جيشان ، فهو يمضي حياته في علاج ما آلم بقومه حتى يأسوه او يموت في أساه (٣).

فهذه العقيدة اقوى دافع للامم الى التسابق لغايات المدنية ، وامضى الاسباب بها الى طلب العلوم ، والتوسع في الفنون، والابداع في الصنائع، وانها لابلغ في سوق الامم الى منازل العلاء ومقاوم الشرف ، من غالب قاسر ومستبد قاهر عادل .

(٣) يأسوه : يطببه ويعالجه ، وأساه : علاجه .

وان أردت فالمح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ، ماذا تجد من فتور في حركات آحادهم نحو المعالي ؟ وماذا ترى من قصور في هممهم عن درك الفضائل ؟ وما ينزل بقواهم من الضعف ؟ وماذا يحل بديارهم من الفقر والمسكنة ؟ والى اي هوة يسقطون من الذلة والهوان خصوصا اذا بغى عليهم الجهل فظنوا انهم ادنى من سائر الملل •

ومن مقتضيات الجزم بان الانسان ما ورد هذا العالم الا ليتزود منه، كمالا يعرج به الى عالم ارفع ، ويرتحل به الى دار اوسع ، وجناب امرع ، ليمرع واديه ـ ان من أشربت هذه العقيدةقلبه ينبعث بحكمها ، وينساق بحاديها لاضاءة عقله بالعلوم الحقة ، والمعارف الصافية ، خشية ان يهبط به الجهل الى نقص يحول دون مطلبه ثم ينصرف همه لابراز ما اودع فيه من القوة السامية والمدارك العقلية ، والخواص الجليلة ، باستعمالها فيما خلقت له فينجلي كماله من عالم الكمون الى عالم الظهور ، ويرتقي من درجة القوةالى مكانة الفعل فهو ينفق ساعاته في تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ولا يناله التقصير في تقويم ملكاته النفسية ، وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة متنكبا عن طريق الخيانة ، ووسائل الكذب والحيلة ، معرضا عن ابواب الرشوة ، مترفعا عن الملق الكلبي ، والخداع الثعلبي ، ثم ينفق مما كسب في الوجه الذي يليق ، وعلى الوجه الذي ينبغي ، وبالقدر الذي ينبغي، لا يأتي فيه باطلا ولا يغفل حقا عاما او خاصا •

فهذه العقيدة هي أحكم مرشد واهدى قائد للانسان الى المدنية الثابتة المؤسسة على المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة ، وهذا الاعتقاد اشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التي لا عماد لها الا معرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه ، والقيام على صراط العدل المستقيم •

هذا الاعتقاد انجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الامم ، اذ لا عقد لها الا مراعاة الصدق ، والخضوع لسلطان العدل،في الوقوف،عند حدود المعاملات• هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الازلية ، تهب على القلوب ببرد الهدوء

والمسالمة ، فان المسالمة ثمرة العدل والمحبة ، والعدل والمحبة زهر الاخلاق والسجايا الحسنة ، وهي غراس تلك العقيدة التي تحيد بصاحبها عن مضارب الشرور ، وتنجيه من متائه الشقاء وتعاسة الجد ، وترفعه الى غرف المدينة الفاضلة ، وتجلسه على كرسي السعادة ..

وقد يسهل عليك ان تتخيل جيلا من الناس حرم هذه العقيدة فكم يبدو لك فيه من شقاق وكذب ونفاق وحيل وخداع ورشوة واختلاس ؟ وكم يغشى نظرك من مشاهد الحرص والشرة والغدر والاغتيال وهضم الحقوق والجدال والجلاد ؟ وكم تحس فيه من جفاء للعلم وعشوة(٤) عن نور المعرفة .

★ ★ ★

الحسن بن علي رضي الله عنه

للاستاذ توفيق ابـو علم

زوجاتـــه :

عرف الامام الحسن رضي الله عنه بحسن عشرته لازواجه فكان يمسكهن بمعروف ويسرحهن باحسان وكان الناس يرغبون في مصاهرته . وروى ابـو الفرج في الاغاني بسنده عن عوف بن خارجه قال : « والله اني لعند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته اذ أقبل رجل يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر فحياه بتحية الخلافة .

فقال له عمر : من أنت ؟ قال : انا امرؤ القيس بن عدي الكلبي . قال: فما تريد ؟ أريد الاسلام . فعرضه عليه عمر رضي الله عنه ، فقبله ثم دعا لـه برمح فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة فأدبر الشيخ واللواء يهـتز على رأسه .

---

(٤) العشا (على وزن العمى) ضعف البصر ، وصاحبه : اعشى.

قال عوف فوالله ما رأيت رجلا لم يصل لله ركعة قط امر على جماعة المسلمين قبله ونهض علي بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس ، ومعه ابناه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أدركه فأخذ بثيابه .

فقال له : « يا عم انا علي بن ابي طالب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره ، وهذان ابناي الحسن والحسين من ابنته ، وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا فقال : قد أنكحتك يا علي المحياة بنت امرىء القيس،وانكحتك يا حسن سلمى بنت امرىء القيس ، وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرىء القيس (أم السيدة سكينة)».

وقال هشام الكلبي : كانت الرباب من خيار النساء وافضلهن ، وسنرى في الفصل القادم انها خطبت بعد قتل الامام الحسين. فقالت : « ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد تزوج خولة بنت منظور الفزارية ، وجعدة بنت الاشعث ، وامكلثوم بنت الفضل بن العباس ، وأم اسحاق بنت طلحة ، وولدت منه ولدا سماه طلحة ، وام بشير بنت ابي مسعود الانصاري ولدت منه زيدا ، وهند بنت عبد الرحمن بن ابي بكر ، وحفصة ابنة عبد الرحمن بن ابي بكر ، وغيرهن ومجموع ما تزوجه لم يتجاوز خمسة عشر ، وهو رقم لا يمت الى الكثرة المزعومة بصلة، ولا يمت الى ما زعمه بعض المستشرقين من ان عدد زوجاته وصل الى المائة، ويعيب بعض قصار الادراك كثرة زواجه وطلاقه مع اني ـ كما بينت ـ أعتبر عدد مرات زواجه عاديا مثل الذي كان يحدث في زمانه ، ولست ادري من اين جاءت هذه الكثرة التي يتحدث عنها رجال التاريخ والمستشرقون كما سنرى بعد قليل وينسى هؤلاء جميعا ان الزواج في زمانهم كان يربط العصبيات ويزيد في قوة القبائل ، وكان تعداد الزواج امرا مألوفا بل مستحبا وهو في بيت النبوة اكثر استحبابا ، وليس مع الحلال تهمة ، وما احوج المجتمع لأئمة الهدى الذين يمشون بين الناس بنور الايمان الذي يروونه من عرقهم الطاهر المطهر ، وينمونه في بيئتهم النقية الصالحة .

وصدق الامام علي كرم الله وجهه حينما قال في السادة آل البيت الاطهار :

« أين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا، ان رفعنا الله ووضعهم واعطانا وحرمهم ، وأدخلنا واخرجهم ، بنا يستعطي الهدى ويستجلى العمى » •

وصدق الفرزدق حين قال :

ان عد اهل التقى كانوا أئمتهم او قيل من خير أهل الارض قيل هم

وينتهز (لامنس) هذه الفرصة ليتحدى الاسلام ليلصق به التهم ويطعن في رجاله ، وقد كتب في بحثه عن ازواج الامام : « ولما تجاوز (يعني الامام الحسن رضي الله عنه) الشباب وقد انفق خير سني شبابه في الزواج والطلاق فأحصى له حوالي المائة زوجة وألصقت به هذه الاخلاق السائبة لقب المطلاق، وأوقعت عليا في خصومات عنيفة وأثبت الحسن كذلك انه مبذر كثير السرف، وقد خصص لكل من زوجاته مسكنا ذا خدم وحشم ، وهكذا نرى كيف يبعثر المال ايام خلافة علي التي اشتد فيها الفقر •• »

وقد اعتمد لامنس في قوله : « ان لار الزواج والطلاق على اقوال المدائني وامثاله من المؤرخين الذين تابعوا السلطة الحاكمة فكتبوا لها لا للتاريخ •

وقد استقى المستشرقون الذين كادوا للاسلام في بحوثهم من منهل المؤرخين الذين ساندوا تلك الدول الجائرة التي ناهضت اهل البيت وعملت على تشويه واقعهم والحط من كرامتهم ، وقد زاد عليه لامنس فذكر من الاكاذيب ما لم يقل به احد غيره فقد قال :

١ ـ انه ألفى اباه بسبب كثرة زواجه وطلاقه في خصومات عنيفة ولم يشر أحد ممن ترجم الامام الى تلك الخصومات العنيفة التي زعمها لامنس •

٢ ـ وذكر ان الامام خصص لكل من وزجاته مسكنا ذا خدم وحشم وان جميع المؤرخين لم ينقلوا ذلك ، وهو من الكذب السافر والافتراء المحض لقد كان زواج الامام الحسن ليس الزواج الذي يختص به الرجل لمشاركة حياته ، وانما كانت حوادث استدعتها ظروف شريعة محضة ، من شأنها ان يكثر فيها الزواج والطلاق معا ، وذلك هو دليل سمتها الخاصة .

ونعود الى زوجاته ، فأما « خولة بنت منظور الفزارية » فهي من سيدات النساء في وفور عقلها وكمالها تزوج بها كما سأبين فيما بعد ، فقيل انه ليلة اقترانه بها بات معها على سطح الدار فشدت خمارها برجله وشدت الطرف الاخر بخلخالها فلما استيقظ وجد ذلك فسألها عنه فقالت له معربة عن اخلاصها وحرصها على حياته : « خشيت ان تقوم من وسن النوم فتسقط فأكون أشأم سخلة على العرب ، فلما رأى منها ذلك احبها واقام عندها سبعة ايام ، وقد بقيت عنده حولا لم تتزين ولم تكتحل حتى رزقت منه السيد (الحسن) فتزينت فدخل عليها الامام فرآها متزينة فقال لها « ما هذا ؟» فقالت له: « خفت ان اتزين وأتصنع فتقول النساء تجملت فلم تر عنده شيئا فأما وقد رزقت ولدا فلا أبالي ».

وبقيت عنده الى ان توفي فجزعت عليه جزعا شديدا ، فقال لها ابوها مسليا :

نبئت خولة امس قد جزعت   من ان تنوب نوائب الدهر
لا تجزعي يا خول واصطبري   ان الكرام بنوا على الصبر

وذكرت السيدة زينب بنت علي العاملية في ترجمة خولة ما حاصله انها لما بلغت مبالغ النساء خطبها جملة من وجهاء قريش واشرافهم ، فامتنع ابوها من اجابتهم لانهم ليسوا باكفاء لها ، ثم انه طلق امها (ملكية بنت خارجة) فتزوجها من بعده طلحة بن عبيد الله ، وتزوج ابنه محمد بخولة فولدت له

ابراهيم وداود وام القاسم ، وقتل زوجها محمد في واقعة الجمل فخطبها جماعة من الناس فجعلت امرها بيد الحسن فتزوجها •

ويروى انه لما نزح الامام الى يثرب حملها معه ، فبلغ أباها ذلك فأقبل الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيده راية فركزها في المسجد، فلم يبق قيسي الا وانضم تحتها وهو يهتف بقومه ويستنجد بهم على أخذ بنته من الامام ، فلما بلغه رضي الله عنه ذلك خلى سراحها فأخذها وخرج فجعلت خولة تتوسل به على ارجاعها وتندد بعمله وتذكر له فضل الامام ، فندم على فعله وقال لها « البثي هاهنا فان كان للرجل بك من حاجة سيلحق بك » • فلحقه الامام الحسين وعبد الله ابن عباس ، فلما انتهوا اليه قابلهم بحفاوة وأرجعها الى الامام ، وهذه القصة مشكوك في صحتها •

اما « جعدة بنت الاشعث » فقد اختلف المؤرخون في اسمها ، فقيل سكينة ، وقيل شعثاء ، وقيل عائشة ، والاصح انها جعدة حسب ما ذكره اكثر المؤرخين وكما جاء في مقاتل الطالبيين •

اما « عائشة الخثعمية » وقد تزوجها الامام الحسن في حياة والده ولما قتل علي اقبلت الى الامام الحسن فأظهرت الشماتة بوفاة ابيه •

فقالت له : « لتهنك الخلافة » •

ولما علم عليه السلام شماتتها قال لها : « أالقتل علي تظهرين الشماتة؟ اذهبي فانت طالق » فتلفعت بثيابها وقعدت حتى انقضت عدتها ، فبعث لها بقية صداقها وعشرة آلاف درهم صدقة لتستعين بها على امورها ، فلما وصلت اليها ، قالت : « متاع قليل من حبيب مفارق » ولم يذكر التاريخ ان الامام طلق زوجة سوى هذه وام كلثوم وامرأة من بني شيبان •

اما بقية زوجاته فقيل هن : ام كلثوم بنت الفضل بن عباس، وفي الاستيعاب ان الامام الحسن تزوجها ، ثم فارقها فتزوجها من بعده ابو موسى الاشعري، ثم ام اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي وقد ولدت منه ولدا اسماه

طلحة ، وأم بشير بنت ابي مسعود الانصاري وولدها زيد ، وهند بنـــت عبد الرحمن بن أبي بكر وامرأة من بنات عمرو بن اهيم المنقري ، وامرأة من ثقيف وولدها عمر ، وامرأة من بنات زاره ، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة فقيل لها انها ترى رأي الخوارج فطلقها وقال : « اني اكره أن أضـــم الى نحري جمرة من جمر جهنم» وأم عبد الله ، وهي بنت الشليل بن عبد الله اخي جريلاً البجلي ، وام القاسم •

وبذلك يكون مجموع ما تزوجه الامام الحسن هذا العدد الذي ذكرناه وهو لا يمت الى الكثرة المزعومة بصفة،ولنا انّ نسأل اين كثرة الزواج والطلاق التي طبل لها بعض المؤرخين •

واذا كان هناك تعدد لزواجه فيجب الحكم على ذلك في ظل الظـــروف التي كان يعيش فيها ، فاذا كان قد تزوج اكثر من مرة فانه يقصد بهذا التعدد الاصهار الى كثير من القبائل لان الحاكم على حد تعبير ابن خلدون يســـتند الى عصبية ، ولما كان بنو امية لم ينتصروا ويتمكنوا في الارض الا بما توافر لديهم من عصبية فقد ادرك الحسن بما قد يتعرض له ذووه وذريته من اضطهاد وتقتيل لا يحفظ منه سلالة الرسول من الاندثار والانقراض الا تعدد الزواج وكثرة النسـل •

اولاده :

اختلف المؤرخون في عدد اولاده اختلافا كثيرا ، فقد روى انهم اثنـــا عشر « ثمانية ذكور واربع اناث » وقيل ستة عشر الذكور احد عشر والاناث خمس ، وقيل غير ذلك وقد اتفق المؤرخون انه لم يعقب احد من اولاده سوى الحسن وزيد •

اما أعلام اولاده فهم :

١ ـ القاسم : وقد استشهد مع عمه سيد الشهداء في واقعة كربلاء •

٢ ـ ابو بكر : واسمه عبد الله أمه أم ولد ويقال لها رملة ، برزيوم الطف يحامي عن دين الله ويذب عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستشهد في تلك الواقعة .

٣ ـ عبد الله : استشهد مع عمه في كارثة كربلاء وله من العمر احدى عشر سنة ، نظر الى عمه الحسين وقد احاطت به جيوش الامويين ، فأقبل يشتد للدفاع عنه ، وسارع ابجر بن كعب بالسيف ليضرب الامام الحسين، فصاح به الغلام : « ويلك يا ابن الخبيثة اتضرب عمي؟» واتقى الغلام الضربة بيده ، ثم رماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه .

٤ ـ زيد : وقد كان كريم الطبع جليل القدر كثير الاحسان قصده الناس من جميع الافاق لطلب بره ومعروفه ، وكان يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما ولي سليمان بن عبدالملك عزله منها ، ولما هلك واستخلف عمر بن عبد العزيز أرجعها اليه .

وقد مدحه محمد بن بشير الخارجي بقوله :

اذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة ... نفى جدبها واخضر بالنبت عودها
وزيد ربيع الناس في كل شتوة ... اذا اخلفت انواؤها ورعودها
حمول لاشتات الديات كأنه ... سراج دجى قد فارقته سعورها

وكان يركب فيأتي سوق (الظهر) فيقف به فتزدحم الناس على النظر اليه ويعجبون من خلقه ، ويقولون يشبه جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتوفي له من العمر تسعون سنة ورثاه جماعة من الشعراء منهم قادمة بن موسى الجمحي بقوله :

فان يك زيد غالب الارض شخصيه ... فقد بات معروف هناك وجود
وان يك أمسى رهن رمس فقد ثوى ... به وهو محمود الفعال فقيد
سميع الى المضطر يعلم انه ... سيطلبه المعروف ثم يعود

وليس بقوال وقد حط رجله ... لملتمس المعروف اين يريد
اذا قصر الوعد الذي قد نمى به ... الى المجد آباء له وجدود
مناديل للمولى محاشيد للقرى ... وفي الروع عند النائبات اسود
اذا مات منهم سيد قام سيد ... كريم فيبني مجدهم ويشيد

٥ ـ الحسن : وقد حضر مع عمه الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء فقاتل معه حتى سقط جريحا ثم انقذ ورجع الى المدينة وتزوج بابنة عمه (فاطمة بنت الحسين).

وقيل توفي وعمره خمس وثلاثون سنة مسموما وقد سقاه السم الوليد بن عبد الملك .

منبر الاسلام

عهـد من الاستشراق جديد

اكثر انصافا ، واتزه غايـــة

بقلم : عفت الشرقاوي

كتاب يسهل تعليم اللغة العربية ، لغة العرب ، ينشره معهد الدراسات الاسلامية ، بجامعة ماكجل الشهيرة ، بمـدينـة منتريـال بكنـــدا .

ازداد الاقبال على تعلم اللغة العربية بين الاجانب ، خلال السنـــوات الاخيرة بصورة ملحوظة ، ويفسر هذا الاقبال بعاملين اساسيين : الاول هو النهضة العربية الجديدة التي يمر بها الوطن العربي الآن في جميع انحائـــه، والتي تستلهم فيما تستلهم تراثها الماضي لتبعثه من جديد ، وتتلمس فيه قيما ومثلا عالية تحييها لحاضرها المتطور الناهض .

لقد أثارت هذه النهضة المتوثبة انظار العالم الحديث الى واقع الامـــة العربية الحي، فتجدد الاهتمام والمتابعة لاخبارها السياسية والثقافية ، وتطلعت الاعين الى مزيد من العلم بتطورها الحضاري ، ورغب كثيرون في دراسة لغة الحضارة ليكون اتصالهم بها اوثق واشد صـــلة .

هذا هو العامل الاول .

واما العامل الثاني فهو الاتساع المطرد في دائرة الابحاث الاستشراقية والتطور الناشيء عن محاولة كثير من المستشرقين حتى نهاية الحرب العالميـــة الثانية .

اولى هاتين الصفتين هي قصر العناية بدراسة حضارة الاسلام على الجانب الكلاسيكي وحده ، وثانيتهما هي ميل كثير من المستشرقين الى هوى دينـــي او عنصري في تناولهم لحضارة الاسلام .

لقد وجد المستشرق الحديث ان تاريخ الاسلام حلقة متصلة ، وانه لا

يمكن فصل حاضره عن ماضيه ، او فهم احدهما بدون الاخر ، ووجد ثانيا انه لا سبيل الى فهم هذه الحضارة ، والرؤية الواعية لاعماقها الاصيلة ، من غير تعاطف انساني عميق مع صانعيها واصحابها ، وان الميل مع الهوى في تناول جوانبها لا يؤدي الا الى نتائج واهية ، تجافي روح البحث العلمي الحق،كما يتطلبه قارىء القرن العشرين •

تطور النشاط الاستشراقي الى حد كبير خلال العقدين الماضيين من هذا القرن ، وتحول تبشير القرن التاسع عشر الى فلسفة حضارية راقية على يد كثيرين من المستشرقين المحدثين ، وهكذا اجتذب الاستشراق مئات من الطلاب، واخرج العديد من الاساتذة الجدد ، وازداد تبعا لذلك الاقبال على اللغة العربية ، اللغة الام للحضارة الاسلامية •

ازداد الاقبال على تعلم العربية ، وازدادت بذلك المحاولات من اجل اخراج كتاب يناسب الطالب الاجنبي الجديد ، ويجذبه الى هذه اللغة ،ويسهل عليه أمر قراءتها وكتابتها • ومن احدث هذه المحاولات الكتاب الذي ألفه الاستاذان : سلمان العاني ويعقوب شماس تحت عنوان «Phonoloyy and script ob literary arabic» (صوتيات اللغة العربية وكتابتها)وقد طبعه معهد الدراسات الاسلامية بجامعة ماكجل بمونتريال ـ كندا سنة ١٩٦٧ • والكتاب مدخل مبسط الى اللغة العربية : يقدم الحروف في مجموعات متتابعة ذات خصائص صوتية معينة، يشرحها المؤلفان في دقة وبساطة وعلى اساس من علم الاصوات المقارن • يجعل الكتاب حروف الثاء والتاء والباء ، مثلا ، مجموعته الاولى التي يقدمها للطالب ، بادئا بالوصف الصوتي المقارن لكل حرف منها، متبعا ذلك بتمرينات صوتية ، يقوم بها الطلبة ، تقليدا لمدرسهم ، او متابعة لشريط التسجيل الذي أعده المؤلفان لهذا الغرض • ثم يقدم الكتاب بعد ذلك طريقة رسم هذه الحروف الثلاثة في اماكنها المختلفة من الكلمة ، مشيرا باسهم دقيقة الى حركة القلم اثناء الكتابة ، ثم يعطي اخيرا تمرينات منوعة على كتابة هذه الحروف ، تقليدا ، ثم اصالة ، في قاعة الدرس ، ثم خارجها.

ويمضي الكتاب في تقديم بقية الحروف في مجموعات متتابعة مؤجلا

الحروف ذات المخارج الغريبة او الصعبة على القارىء الغربي الى قرب نهاية الكتاب ، حيث يقدم الغين والعين في مجموعة ، ثم الخاء والحاء والجيم في مجموعته الاخيرة على نفس النمط السابق .

وفي الكتاب ـ بعد تقديم الحروف والتمرين الوافر على قراءتها في كلمات ـ ملحق بالقواعد الاساسية في القراءة ، مثل : لام التعريف، والحروف الشمسية والقمرية ، وعلامات الاعراب، والتنوين الخ..

والكتاب في رأيي مقدمة كاملة لقراءة العربية وكتابتها ، بحيث يستطيع الطالب ان يبدأ بعد ذلك قراءة الجملة البسيطة ، متدرجا فيما بعد الى دراسة نحو العربية المفصل ، وتحصيل معجمه اللغوي المناسب ، وتدريس هذا الكتاب قد يستغرق شهرين في فصل متوسط الاستعداد ، ولكن يخلص الطالب والمدرس من مشكلات قرائية وكتابية كثيرة ، قد تنشأ فيما بعد ، اذا ما قدمت الحروف العربية على نحو اخر ، لا يقوم على منهج صوتي وكتابي مقارن ولا يراعي الامكانيات اللغوية للطالب الغربي..

في رأيي ان هذا الكتاب كسب كبير في تاريخ تدريس اللغة العربية للاجانب ، ولا يعرف هذه الحقيقة الا من خبر تدريس هذه اللغة لهم وعرف طبيعة المشكلات التي تواجه كلا من الطالب والمدرس في هذا الصدد ، اوقارن بينه وبين المحاولات السابقة في هذا المجال ، حيث تبدو اللغة العربية شيئا شاقا ، على الطالب ان يجهد في سبيله ، ويتحمل كل ما فيه من عسر .

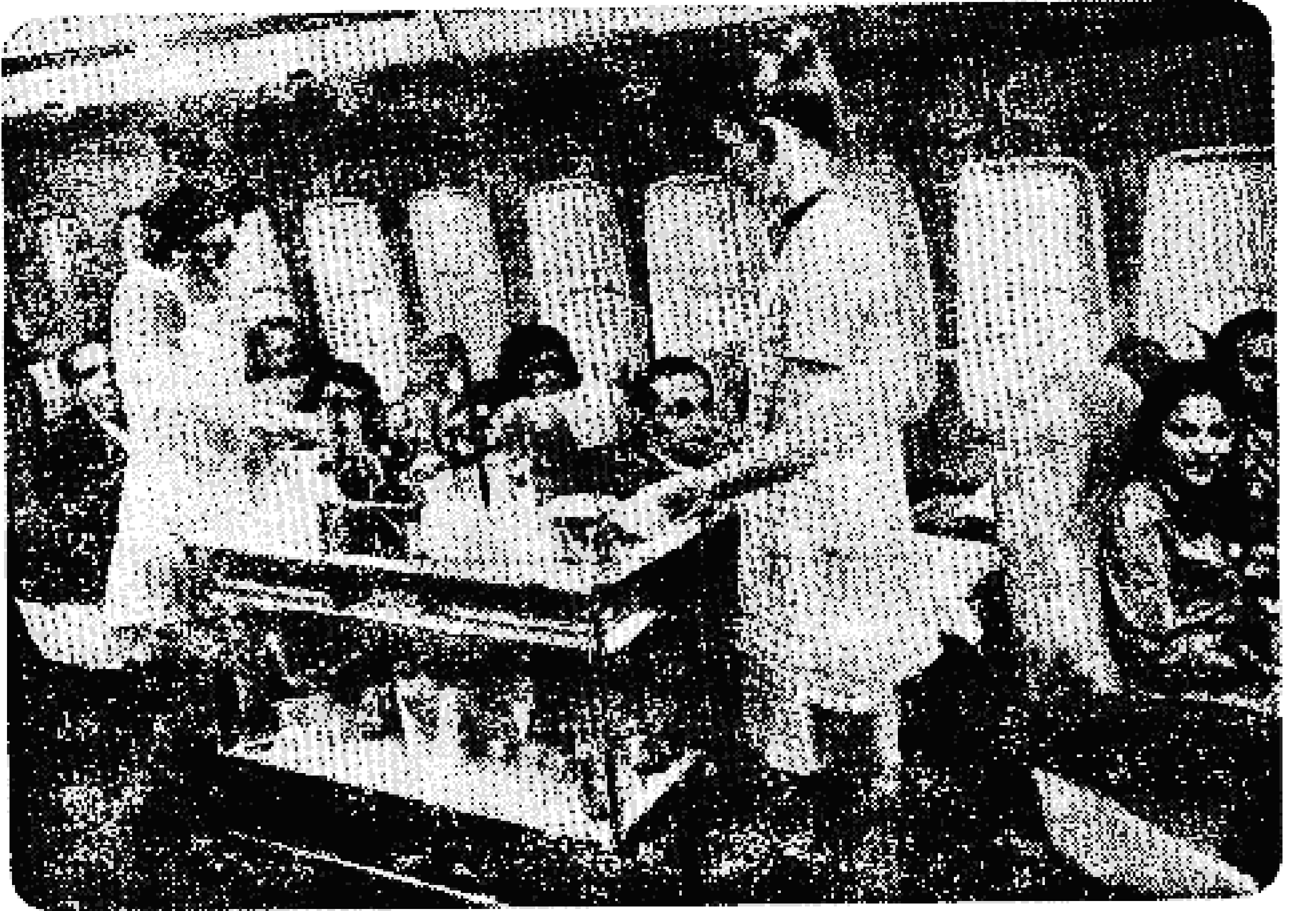
تستطيع احدى وزارات التربية والتعليم ، او الثقافة والاعلام ، في الدول العربية تبني هذا المشروع البسيط ، ثم اتباع ذلك بنشر الاجزاء التالية من السلسلة التي اعدها المؤلفان للطبع .

وتستطيع ادارة الثقافة بجامعة الدول العربية ايضا ان تقوم بذلك ، فتمد الى الطالب الغربي يد الصداقة ، عسى ان يمد اليها يوما قلب الصديق ، او عقل المنصف . وهي بلا شك قادرة على اخراج الكتاب في صورة افضل واجمل من صورته الحاضرة .

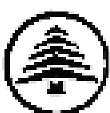
الكتاب نشر في عام ١٩٦٧ ، وثمنه ٢٫٧٥ دولار .

عفت الشرقاوي

خبرة ٣٠٠٠ عام
تدعم حسن تدريب مضيفاتنا



الضيافة اللبنانية المشهورة التي ذاعت في آفاق العالم لم تبلغ
هذا الشوط البعيد إلا بعد ٣٠٠٠ عام من المحافظة على التقاليد العريقة والتهذيب في العادات والأخلاق.
فمن أول معاني هذه الضيافة الترحيب الحار الذي يلقاه المسافر على متن
طائراتنا، ثم وجبات الطعام التي تقدم إليه ساخنة حتى في الرحلات القصيرة
المسافة. ويتجلى حسن هذه الضيافة في الأطباق الخزفية التي يقدم
فيها الطعام، وأيضاً في أنواع المشروبات التي تقدم مجاناً لركاب الدرجة الأولى. ومن معاني هذه
الضيافة تهيئة الفرصة للمسافرين لشراء الهدايا على متن الطائرة معفاة
من الرسوم (أكثر من ١٢٠ صنفاً معروضاً للبيع). على أن ضيافتنا تعني قبل كل شيء
توفير الراحة والعناية والخدمة الشخصية التي اشتهرت
شركتنا بتقديمها لركابها.
لقد قضينا ٣٠٠٠ عام في اتقان هذه الخدمة.



MEA

طيران الشرق الأوسط الخطوط الجوية اللبنانية



مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

الاعداد ٨ ، ٩ ، ١٠ مجلد ٦٦ تشرين الاول « اكتوبر » تشرين الثاني « نوفمبر » كانون الاول « دسمبر » ١٩٧٩ ـ ذو القعدة ، ذو الحجة ، محرم ١٣٩٨ ـ ١٣٩٩ .

الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر

علم ، أدب ، فكر ، سياسة

تاريخ

ابحاث اجتماعية

بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارىء :

لا أدري ماذا أكتب وقد بري القلم من كثرة الكتابة في موضوع نكبة لبنان ومأساته بعد ان حولوه من بلد المحبة والسلام الى بلد البغضاء والخصام ، ومن بلد الحضارة والاشعاع الى بلد الحقد والجهل ، ومن بلد الراحة والاستجمام الى بلد الرصاص والجهل وما شابه ذلك من المزعجات ، فكم تغنى الادباء من كتاب وشعراء نثرا ونظما بلبنان لا في امتداح مناظره وجماله ، بل في شمائل أبنائه ، و .. و .. الخ . فأين كل هذا ذهب، بل طار الى خارج الحدود ام هل صدئت الافهام على حد قول « أبو العلاء » في أبيات له تحت عنوان « صدأ الافهام » :

لقد صدئت افهام قوم فهل لها ... صقال ويحتاج الحسام الى الصقل
وكم غرت الدنيا بنيها وساءني ... مع الناس مين في الاحاديث وفي النقل
سأتبع من يدعو الى الخير جاهدا ... وارحل عنها ما أمامي سوى عقلي
اذا جهزتني غائبا غير آيب ... تركت لها ما حملتني من الثقل
مغبرة الحالات نافضة القوى ... موثقة الاغلال محكمة العقل
تواصت بها الارواح في القيظ بعدما ... تناصت بها الارماح في زمن البقل
ومن كان في الاشياء يحكم بالحجى ... تساوى لديه من يحب ومن يقلي

وكنا قد فكرنا ان الجولة الرابعة الطويلة التي بدأت في أيلول ١٩٧٥ كانت النهاية ، فاذا بتموز ١٩٧٨ يجدد المأساة ولا ندري اذا كان لها من نهاية، فعددنا الممتاز عن السيد أحمد الصافي النجفي علق بالمطبعة ولا يمكن ان يخرج الا متى هدأت الحالة واستقر الوضع في لبنان .

صبرنا طويلا وتحملنا كثيرا ولا أدري اذا كانت الايام تبقي بنا رمقا .

ذلكم هو القرآن الكريم

بقلم : الشهيد الشيخ حسن البنا

« كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الالسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الاتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته أن قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم » ـ الترمذي عن علي رضي الله عنه مرفوعا ـ .

ذلكم هو القرآن الكريم :

وقد أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليتلوه المؤمنون فتنشرح بهذه التلاوة صدورهم ، وتستنير أفئدتهم وقلوبهم ، وينالوا به مثوبة الله يوم القيامة ، وما تقرب أحد الى الله تبارك وتعالى بمثل كلامه ، ثم ليكون بعد ذلك دستور حياتهم ونظام مجتمعهم ، يرسم لهم طرائق الحياة السعيدة في هذه الدنيا ، وطرائق الفوز والنجاة في العقبى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (سورة النحل الآية ٩٧) « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » (سورة طه الآية ١٢٤) .

فليس المقصود من القرآن مجرد التلاوة أو التماس البركة وهو مبارك حقا . ولكن بركته الكبرى في تدبره وتفهم معانيه ومقاصده ؛ ثم تحقيقها في الاعمال الدينية والدنيوية على السواء ، ومن لم يفعل ذلك ، أو اكتفى بمجرد التلاوة بغير تدبر ولا عمل فانه يخشى أن يحق عليه الوعيد الذي يرويه البخاري عن حذيفة رضي الله عنه : « يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا ، وان أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا » .

ولهذا كانت الحاجة ماسة الى التفسير المفهم الذي تتضح به المعاني والمقاصد بحسب مدارك البشر وما تتسع له عقولهم ؛ ان كان القرآن في الحقيقة قد يسره الله للناس تيسيرا عجيبا « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » (سورة القمر الآية ١٧) « فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا » (سورة مريم الآية ٩٧) « فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » (سورة الدخان الآية ٥٨) ، ولكنه بعد تبلبل الالسنة وفشو اللحن ، وانتشار العامية والبعد عن الفصحى ، صار الناس في حاجة الى تفسير الالفاظ والتراكيب التي قد يغيب معناها عن أذهانهم أو يخفى مدلولها عن ادراكهم ، هذا مع أن القرآن الكريم هو دستور الدين والدنيا . وقد ضمنه الله من علومهما وما يتصل بهما من المعارف ما تتفاوت في ادراكه عقول الناس ، وما يزال الزمن والبحث يكشف عن درره وجواهره ويبين عن غرائبه وعجائبه « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » « فصلت الآية ٥٣ » .

حسن البنا



العلم في الكتب المقدسة أمانة الأجيال

بقلم: الشيخ عبد العزيز العلي المطوع

(١)

الوزن والقوة المحركة بين دافعة وجاذبة :

يقول الحق تبارك وتعالى منبئا عن بني اسرائيل : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » (الآية ٦٣ من سورة البقرة) « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ، قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » (الآية ٩٣ من سورة البقرة) كما جاء مثل ذلك في الآية ٥٤ من سورة النساء والآية ١٧١ من سورة الاعراف ، قال سبحانه : « ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » ; وقال جل شأنه : « واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » •

ان ذكر القرآن الكريم لأربع آيات في موضوع واحد بثلاث سور متفرقات ، يستدعي وقفة طويلة ويسترعي انتباها خاصا ، ويقتضي تأملا واعيا ؛ سيما بعد أن ذكر الله سبحانه في ثلاث من تلك الآيات الكريمة : « خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » •

فاقتلاع جبل من موقعه ــ على هذا التصوير القرآني ــ والارتفاع بــه الى حيث يصبح وكأنه ظلة يدعو الى الدراسة والــى التعرف على بعض أسرار الطبيعة انتفاعا بها ، والاقتلاع عادة لا يتم الا بقوة جاذبة أو دافعة ، كما تدفع كرة في الفضاء مثلا ، أو يدفع الوقود جسم الصاروخ ، أو تجذب قوة مــا ، دلوا من بئر ، أو تشد قوة المغنطيس قطــع الحديد نحوها ، أو كما تستعمل الطريقة المروحية في تسيير السفن والطائرات وغير ذلك ، أو كما يتحرك المــاء بين المد والجزر بتأثير جاذبية القمر ، وللجاذبية أنواع أخرى لا ينبغي اغفالها ــ كجاذبية تماسك الخلايا فيما بينهــا في الجسم الحي ، وتماسك الذرات في الجسم الميت ، وجاذبية الوحدات في المجموعات من جهة ثانية ، ولولا ذلــك لتفككت أجزاء المجموعات الكونية ــ مثلا ، وتناثرت وحداتها، وقد جاء ذكر ذلك في مستهل من سور التكوير والانفطــار والانشقاق وغيرها من آيــات الله ، حين تنفطر السماء وتختل موازين الجاذبية الكونية ، وتتناثر الكواكب ، اجتزيء من ذلــك قوله سبحانه في مستهل سورة الانفطــار : « اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت » وقد سبق أن قدمت في الحلقة الثانية مــن الحديث حول سورة البقرة بالعدد الثاني من المجلــد التاسع عشر من مجلــة « البعث الاسلامي » التي تصدرها ندوة العلماء في لكنؤ ــ الهنــد ــ بعض التفاصيل عن الارض وعن أهميتها وأن المجموعة كلها وكل مــا في السماوات مسخر للانسان الذي هو من هذه الارض ، مما يحملنا على أن نقول : (كان الاحرى بهذه المجموعة أن تسمى بالمجموعــة الارضيــة بدلا مــن تسميتها بالمجموعة الشمسية) .

لا سيما وأن الارض لم تخلق لفائــدة الشمس وباقي المجموعة ، بــل العكس هو الصحيح ، ولعل في الآيــة ٦٧ من سورة الزمر ما يشير الى هــذا المعنى حيث يقول سبحانه : « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة ... » ولعل في ذكر عبارة (الارض جميعا) ما يشير الى المجموعة الارضية ، وبهذه المناسبة لا يفوتنا أن نقول : ان لفــظ الارض في القــرآن

العظيم لم يأت بصيغة الجمع ، وربما كان ذلك لثقل الكلمة في صيغة جمعها ، ونتوئها عن سلاسة الاسلوب القرآني ، كذلك يلاحظ أنه لا يخطىء من يقول ــ أرض القمر مثلا أو أرض المريخ أو غير ذلك من مفردات المجموعة ولقد تركز بحثي في الحلقة الثانية المذكورة حول أربع آيات : ٩ الى ١٢ من سورة فصلت ، وظهرت لي منها أهمية الارض بالنسبة للكون كله ، ولعلها هي نواته ومنطلقه ، لا سيما وان عناصر الكون كله من عناصر هذه الارض وان الاجواء العليا كلها مربوطة بجوها .

جاذبية الايمان والحب والتعاطف :

كما أن هناك جاذبية فيما بين عناصر تكوين المخلوقات المختلفة ومجموعاتها ، هناك جاذبية حب وتعاطف بين مختلف الكائنات الحية كذلك ، كما جاء في سورة يس : « سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » وفي المثل : (ان الطيور على أشكالها تقع) .

وان أسمى هذه الجاذبيات جاذبية الفضائل التي تتمثل في وشائج الاصلاح القائمة على النفع العام وفي التكتل للجهاد في سبيل الله وصالح المجتمع بين بني الانسان ، كتصديق عملي للايمان الخالص ، وبهذا جاءت رسالات الله سبحانه ، وقد ورد في الحديث الشريف : (ليس الايمان بالتمني ولكن الايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل) كما جاء على الاثر كذلك (والذي نفس محمد بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء اذ فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) .

وجاء في الآية الثالثة من سورة الصف ، بيان ما يفرق الصفوف ويحيل الحب الى جدل ومشاحنات بين الاحبة ، والى مقت كبير عند الله ، وذلك عندما يشتد التنافس حول استغلال عواطف الدهماء بعبارات خلابة وعناء ، وصولا الى قمة زعامة جوفاء ، دون امكانية اقتران القول بالعمل ، قال سبحانه : « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » واذا كان الله سبحانه

يمقت الذين يقولون ما لا يفعلونه فانه يحب اقتران العمل بالقول في كل ما هو صالح ومفيد ؛ كما هو مفهوم الآية الرابعة من سورة الصف « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » (١) ، وقد جاء في الآيات ٥٤ ــ ٥٦ من سورة المائدة : الصفات الكاملة للمؤمنين المحبين لله الجديرين بحبه سبحانه ، الذين سوف يأتي الله بهم على أنقاض المجردين من كل هذه الصفات أو جلها ، أكتفي منها بذكر الآية ٥٤ قال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » (٢) .

التعادل والوسط او الحياد عند الانسان :

واذا كانت الجاذبية بين المخلوقات طبيعية ؛ لتكوينها الثلاثي المؤلف من (الايجاب والحياد والسلب) فانها قد تختلف عنها في الانسان كوحدة ، لان أصل تكوينه الفطري والفكري حيادي ، غير أن اتمام القاعدة الثلاثية يكون باستقبال الانسان الحيادي للتيارات الايجابية في الخير من الله سبحانه وملائكته الاكرمين وكتبه ورسله وعباده الصالحين ، وباستعداده لاستقبال تيارات الشر من الجانب السلبي ممثلا في ابليس وأعوانه من الجنة والناس ؛

(١) ويظهر من ذلك أن الله يحب أن تقوم أعمالنا العامة والخاصة على صورة منظمة اقرب ما تكون الى نظام الجندية والقيادة ، حتى يتم لها النجاح وسرعة الانجاز ، وما اجمل ما تقوم عليه صلاة الجماعة خمس مرات في اليوم ، من تبعية المامومين لامامهم ابتداء وانتهاء ، حركة وسكونا ، وما اروع ما اعطاه الشارع للماموم من حق الاعتراض على ما يمكن أن يقع الامام فيه من اخطاء ، وتنبيهه الى تلافيها ، فان تلافاها كان خيرا والا فارقته الجماعة ، واقاموا جماعة أخرى من دونه لان اعتبار الحق مقدم على كل اعتبار وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، كما قال الرسول الكريم .

(٢) وأرى لزاما على كل مؤمن أن يستعرض امام ضميره هذه الصفات ليتلافى شوائب الردة فيذبها عن نفسه ليكون جديرا بالوعد الحق .

بدليل أن ملائكة اللــه الكرام وابليس ، كانوا بالمــلا الاعلى قبل آدم عليــه السلام ، غير أن ابليس لم يتح له الجو الملائم للقيام بدوره ولم يكن له مناص من أن يتجه الى اليمين الايجابي أو يتلاشى ، ولكن حينما خلق آدم حياديــا تهيأ له فراغ الجــو السلبي المناسب لطبيعته ، فانحرف ليملأ مكانه ويقــوم بمهمته ، فتم بذلك التكوين الثلاثي تمشيا مع السنن الكونية مما هيــأ لآدم التمركز الطبيعي ، وذلــك بتعادل الايجاب والسلب ، ومعنى ذلك الحيــاد ؛ ولولا ذلك لما كان حياد ولا سلب ؛ كما أنــه لو خلق آدم في جو ملائكي دون ابليس ، لانحاز الــى اليمين الايجابي واختفى في غمــار الملائكة الكــرام ، وتعطلت الحكمة بفقد مشكلتها ، وتيتم العلم بغياب وعائه ــ ألا وهو الانــسان الحيادي ، ويتلاشى السلب والحياد كذلك ، لو لم يعــد آدم الى ربه نادمــا مستغفرا ، فيقبل سبحانه توبته ويقبل عثرته ، ولكن ارادة الله الكلية غالبة ؛ اذ لا بد لهذا الانسان المعد للعلم مــن فلك نسبي يدور فيــه ؛ وارادة نسبية يستطيع صرفها نحو الايجاب كما يستطيع صرفها نحو السلب ، وقد حملــه الله الامانة والمسؤولية لقاء مواهب ميزه الله بها على الخلق كله ••• وبتمركز آدم في موطن الحياد ــ كان تمركز ذريته في هــذا الموطن ، وكان ذلــك هي الفطرة الاولى التي فطر الله الناس عليها وجاءت بهــا رسالات اللــه المختومة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهكذا يقول سبحانه في الآية ٣٠ مــن سورة الروم : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطــر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » وفي الحديث الشريف) كل مولود يولد على الفطرة ••• (والفطرة هي الطبيعة والحياد ؛ ويحفظ عــلى الانسان فطرته ايمانه السليم ، وعمله القويم ، قال سبحانه في مستهل سورة التين : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم • ثم رددناه أسفل سافلين • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » وفي سورة العصر وغيرها في هــذا المعنى مــن كتاب الله كثير •

أي ان الانسان الطبيعي في عقله واحساسه وارادته ــ مفطور على الخير ــ فاذا ما هبت عليه رياح غفلة فأثارت فيه بعض غرائزه فانحرفت بــه ، ثــم

استفاق على الاثر فعاد الى فطرته مستغفرا تائبا الى ربه وجد الله سبحانه ـ دوما ـ كما أنه أهل للتقوى فهو أهل للمغفرة ، وهكذا جاء في ختام سورة المدثر : « هو أهل التقوى وأهل المغفرة » .

فاذا ما حاول انسان ما ، الانحياز كلية نحو اليمين أو نحو اليسار فانه يكون قد اختار وضعا منافيا لطبيعته ، خارجا عن انسانيته ، متباعدا عن المهمة التي خلقه الله من أجلها ، والامانة التي حمله اياها ، وخصه بها دون الخلق أجمعين .

على أن للانسان المتزن ثقلا يتمثل في رجاحة عقله ، ومتانة خلقه ، واستقامة سلوكه ، فالاولى بمثله ألا ينحرف نحو اليمين المعطل ، أو اليسار المجرد ، أو يستسلم لغرائزه دون ضوابط تتكفل بارساء قواعد الصوالح العامة والخاصة ، وبقدر زيادة الفراغ في الانسان بقدر ما يخف وزنه فتستهويه الزخارف والمغريات وتنحرف به عن الطريق القويم ، والصراط المستقيم .

أما المجموعات البشرية ـ على اختلاف عصورها وتغاير عقائدها ، وتضارب سلوكها ، وتفاوت أخلاقها فلا بد لها أن تنصهر في بوتقة القاعدة المثلثة ، بل وحتى بين صفوف المصطفين الاخيار ، والصحابة الابرار ، مصداقا لقوله سبحانه في الآية ٣٢ من سورة فاطر : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » .

أجل لا بد لهذه المجموعات أن تنقسم الى ثلاثة أقسام ـ وان انتسبت الى عقيدة واحدة أو حزب واحد (١) منحاز الى اليمين نحو العقيدة أو الحزب الواحد (٢) منحاز الى اليسار (٣) وسط بين اليمين واليسار فلو تم عزل اليمين على حدة ، واليسار على حدة ، والوسط كذلك ـ لانقسم كل قسم من هذه الاقسام الى ثلاثة أيضا ، وكذلك الامر كلما تكررت عملية العزل بحيث لا تقل المجموعة الواحدة عن ثلاثة .

وفي كتاب الله وسنة رسوله ــ في هذا المعنى كثير ، مما سيأتي بعد ذلك ، ولعله الى مثل هذا كان يهدف العالم الالماني هيجل ــ في قاعدته الفكرية الثالثة .

الـوزن :

ان في بحثنا لما يدور حول اقتلاع جبل بقوة مضادة تفوق وزنه ، واستعراض قواعد الوزن ونظرياته احتكاما الى العلم الذي جاء في الكتب المقدسة أنزلها الله سبحانه بعلمه ، وختمها بالقرآن الكريم ، فلقد ورد في بضع آيات من سورة الرحمن ــ ما يفيد هبوط الاثقال الى القاع ، وارتفاع الخف وزنه الى أعلى ، أذكر من ذلك قوله سبحانه في الآيات : ٧ الى ١٠ من سورة الرحمن : « والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان . والارض وضعها للانام » ويظهر من ذلك أن الانام مشدودة الى الارض بحكم أوزانها كهبوط كفة الميزان الراجحة صوب الارض وارتفاع الاخرى الى أعلى ، وذلك خلافا لقاعدة الجذب المعروفة بأن الاخف وزنا أكثر انجذابا ، وأن الوزن في مقابل الجذب أي مضاد له ، وقد كان وضع الارض للانام خاضعا لأوضاعهم وأثقالهم واحتياجاتهم تمشيا مع قاعدة الوزن بدليل قوله سبحانه في الآيات ١١ ــ ١٢ بعد الآية العاشرة من سورة الرحمن : « فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام . والحب ذو العصف والريحان . فبأي آلاء ربكما تكذبان » ولا شك أن من آلاء الله سبحانه ونعمه ، أن جعل للفواكه والمحاصيل والرياحين أوزانا تجعلهما في متناول يد الانسان ، ولعل في ذلك توضيحا وتفسيرا لقوله سبحانه قبل ذلك في الآية السادسة من نفس السورة : « والنجم والشجر يسجدان » ويرى أكثر المفسرين أن من المراد بالنجم هنا كل ما ينجم من الارض أو يكسو وجهها بالاخضرار ، كالكلا وسائر النباتات وفي هذا ما يشمل الحب ذا العصف والريحان ، ومن المراد بالشجر ــ كل ما علا وامتد ظله أو تدلى ثمره نحو الارض ، وكل من النجم والشجر يسجد نحو الارض

ويدنو منها تطبيقا لقاعدة الوزن ، ولقد عبر قيس عن هذا المعنى عندما قال لبعيره (اسجد لليلى) أي أنخ لها حتى تركب بيسر وسهولة ، فالسجود في الصلاة ، هو التصاق الجبهة والاعضاء بالارض ؛ ولعل في ذكر العصف ما يلفت النظر أولا الى أن للاجواء مقاومة تتأثر الاشياء الخفيفة بها قبل سواها كالعصف الناتج من سيقان البر والشعير ، وثانيا لعله كناية عن السائمة ، حيث ان هذا العصف لا يمكن مقاومته للعواصف الا بتجميعه وتكتيله كطعام لها ، ككل ما نجم من الارض في سجوده نحوها ، شأن الانسان حيث تقول الآية الرابعة عشرة من نفس السورة : « خلق الانسان من صلصال كالفخار » وذلك بعكس المخلوقات الخفيفة الجانة فلها طاقاتها النارية وأوزانهما الخفيفة المتفاوتة في خفتها بالنسبة لجو الارض ، كما جاء في الآية ١٥ من سورة الرحمن حيث يقول سبحانه : « وخلق الجان من مارج من نار » وسميت المخلوقات الخفيفة بالجان لانها تجن عن البصر ، وكما أن الانسان لا يرى الهواء مع احساسه بوجوده • فانه لا يرى ما هو في وزنه أو أخف منه ، على أن للمخلوقات الجنية خفة وطاقات لا ترتبط بالارض الا بحكم القاعدة المتقدمة في هذه الخفة ، وتلك الطاقات المختلفة ، بدليل ما وصف به القرآن جنود نبي الله سليمان من الجن المسخرة لخدمة مشاريعه فيما يحتاج اليه من أبنية ومصنوعات ، حيث يقول جل شأنه : « والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد » الآيتان ٣٧ ، ٣٨ من سورة (ص) وفي هاتين الآيتين ما يشير الى أنهم على ثلاثة مستويات من الخفة (أ) الذين تتواءم خفتهم مع جو الارض وهم البناؤون (ب) الذين هم أخف من جو الارض مما يضطرهم الى التحامل على أنفسهم حتى يمكن وصولهم الى مصانع سليمان غوصا في الجو الارضي كما يغوص الانسان في النطاق المائي (ج) الذين لا يستطيعون الوصول والاستقرار على سطح الارض الا بأثقال تشدهم اليها شأن كل ما خف عن مقدار حجمه من الماء ، كما يستعين من يروم الوصول سريعا الى قاع البحر بأثقال تشده اليه •

الاطباق الطائرة :

وظهر مما تقدم أن في الفضاء الخارجي مخلوقات خفيفة ذكية عاقلة مسؤولة تجن عن الابصار وتتناسب في خفتها مع ما يحيط بها من الاجواء العليا ، ولا يستبعد أن تكون الاطباق الطائرة التي زارت حديثا أنحاء الارض مرارا من قبيل هذه المخلوقات الجنية التي هي أخف المستويات الثلاثة المتقدمة وانها تستعين بثقل الاطباق لاختراق الجو الارضي ، كما جاء في قوله جل شأنه : « وآخرين مقرنين في الاصفاد » أما النوعان الآخران فيمكنهم الوصول الى الارض بدون واسطة كما جاء في كثير من آيات كتاب الله .

هذا واني أعتقد أن هناك قاعدة تمثل جميع الاوزان في جميع الاجواء وهي :

على قدر المسافات بين الجزئيات في الاحجام .

والاجواء ـ تكون معايير الوزن :

لقد نسق الخلاق العليم سبحانه جميع وحدات الكون ومجموعاته ـ مهما تناهت في الصغر أو الكبر على وتيرة واحدة لا تفاوت فيهما من ناحية الخلقة والتكوين ، مصداقا لقوله سبحانه في بضع آيات من مستهل سورة الملك ، اجتزىء منها قوله سبحانه في الآية الثالثة : « الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور » (١) ويظهر من ذلك أن الخلق كله ـ ذراته الميتة وخلاياه الحية ـ تتكون وحداته من جزئيات متماسكة في نطاق يختلف في الحجم والمسافات بين هذه الجزئيات ـ على أن لكل نوع كثافته ، فبقدر ما تتسع المسافات

---

(١) من رحمة الله سبحانه ـ حفظ ذرات الكون من ان تنفطر ، اذ لو انفطرت ذرة واحدة من ذراته لانشطرت واندفعت تستكمل نفسها مما جاورها ـ فتندفع الاخرى الى مثل ذلك ، وهلم جرا وبسبب هذه الاستكمالات ينفرط عقد الكون وتدق ساعة نهايته .

بين الجزئيات في النوع ـ بقدر ما تقل هذه الكثافة ـ والعكس بالعكس ، فاذا كان مقدار الكثافة في الكتل أو الانواع المجردة من عوامل الرفع والجذب يقل عن مقدار المثل من الجو ارتفعت نحو العلو ، أما اذا زاد مقدار الكثافة عن مقدار المثل فانها تهبط نحو القاع ؛ علما بأن قاعدة ارشميدس عن الاوزان في الماء لا تختلف عما تقدم ؛ لان القواعد في جميع الأجواء واحدة، وأن الهبوط الى القاع لكل ما زاد وزنه عن مقدار حجمه من الهواء قاعدة ثابتة تجفل الاطفال منه في أمهادها ، وتخشاه الطيور في أعشاشها ، وكذلك كل مخلوق يحمل غريزة حب البقاء ؛ وعلى هذا الاساس فان نظرية نيوتن ليست بدعا في قاعدة أرشميدس ، وليست جديدة بالنسبة اليها ، ولا تخرج عن قاعدة مقادير الكثافات النوعية في الاحجام والاجواء ، وتدلل على ذلك بأن سقوط تفاحة نيوتن على الارض انما هو نتيجة زيادة الكثافة النوعية فيها بالنسبة لمقدار حجمها من الهواء ، ولو أن سقوطها صادف حوضا أو بئرا لحال الماء بينها وبين القاع ، ولطفت فوق سطحه وذلك لان كثافتها تقل عن كثافة مقدار حجمها من الماء ، ومثل ذلك لو سقطت قطعة من الحديد في ماء لرسبت هذه القطعة في القاع بسبب زيادة كثافتها بالنسبة لمقدار حجمها من الماء ، فلو صادف سقوطها اناء من الزئبق مثلا لحال الزئبق بينها وبين القاع ؛ لان كثافتها تقل عن كثافة مقدار حجمها من الزئبق .

ان في المماثلة التامة بين التفاحة في المجال الهوائي وبين قطعة الحديد في النطاق المائي لأكبر دليل على قانونية تفاحة نيوتن ، وأن هبوط ما زاد وزنه عن مقدار وزن جوه الى القاع ـ قاعدة ثابتة غير قابلة لاعادة النظر .

ويظهر مما تقدم أن اطلاق نظرية (نيوتن) لم يكن على القانون الواضح والمسلم به . بل على التعبير عنه وتفسيره بالجاذبية ، ومعلوم أن كل نظرية قابلة لاعادة النظر على عكس القوانين الثابتة والقواعد الراسخة ، ومن هذا المنطلق فانني أرى أنه كان في امكان نيوتن أو تلاميذه من بعده أن يجعلوا من نظريته قانونا متمما لقانون أرشميدس معلنين أن القواعد في الماء

والهواء واحدة ، وأن أرشميدس لو مد قانونه المائي الى المجال الهوائي لما ترك مجالا لاستحداث مثل نظرية نيوتن ، هذا وأرجو أن أكون قد وفقت في الجمع بين أرشميدس ونيوتن في قاعدة واحدة وهي : على قدر المسافات بين الجزئيات في الاحجام والاجواء تكون معايير الوزن ... واذا كانت هذه القاعدة عامة وشاملة في جميع الاجواء ، فانني أرى أن هنالك قاعدة أخرى ربما كانت أعم شمولا للوزن في الاحجام والاجواء ، وهي القاعدة الثالثة .

القاعدة الثالثة :

واني لأرى أن قاعدة السلب والايجاب والحياد تشمل الوزن أيضا ؛ فالتصاق احدى كفتي الميزان بالارض ايجاب ، وارتفاع الاخرى سلب ، وتعادل الكفتين حياد ، وكذلك الشأن في كل تعادل وكل وسط ، وأن كل تعادل ووسط بين شيئين قد يؤدي الى شيء جديد ، وقد يكون فيه علم مفيد ، وأن الكون كله يقوم على قاعدة التعادل ، وعلى أساس هذه القاعدة فان الماء يعتبر ايجابا بالنسبة للهواء ، والهواء يعتبر سلبا بالنسبة للماء وايجابا بالنسبة للاثير بعده ، ثم لعل الهواء يكون بمثابة التعادل والحياد بين الماء والاثير وهكذا الامر في طبقات الاجواء المختلفة ، فالأثير يعتبر سلبا بالنسبة للهواء ، وايجابا بالنسبة للطبقة التي تليه ،وعلى هذا الاساس فان كل طبقة تعتبر ايجابا لما فوقها وسلبا بالنسبة لما تحتها ، وكل طبقة بين طبقتين تمثل التعادل . شأن الهواء بين الماء والاثير ، الامر الذي يحملنا على الاعتقاد بأن سلسلة هذه الطبقات مترابطة متماسكة بحكم اختلاف الوزن سلبا وتعادلا وايجابا ، ولاأدل على ذلك من أن الاشارات اللاسلكية والاذاعات المسموعة والمرئية ، تستقبل وترسل بين المحطات الارضية والطبقات العليا واننا نرى الشمس نهارا والقمر ليلا ، كما نرى الكثير من النجوم رغم أبعادها الشاسعة ، وفي ذلك كله ـ دليل على تسلسل الصلة بين الاجواء وقوة ارتباطها .

على أن التعادل والحياد بين الاجـواء المتنافرة ـ عامل مهم في هـذا التماسك والارتباط ، ولولاه لانفصلت الاجواء عـن بعضها بحكم التنافر والتسالب ، ولما بقي على سطح الارض سماء أو هـواء ، واذا انعدم الماء والهواء انعدمت جميع الاجوء المتفرعة عنهما ، وتعدمت الصلة بـين الارض والسماء ، وتداعى نظام الكون واختفت سمة الحياة لارتباطها بالماء ، مصدقا لقوله سبحانه : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

ويظهر من قوله سبحانه : « والسماء رفعها ووضع الميزان » الى قولـه سبحانه : « والارض وضعها للانام » ان الوضع للارض مقابل الرفع للسماء ، كما يظهر من ذلك أيضا ، ان الارض أقرب مفردات المجموعة نحو آخر مراحل الايجاب المعروفة ، ولقد قرأت في كتاب (النجوم في مسالكها) للورد جيمس العالم الانجليزي المعروف وتعريب أحمد عبـد السلام الكرداني بك وزيـر معارف مصر الاسبق ـ ما معناه (ان الارض والمجموعة تتخذ وضعا انعزاليا في احدى زوايا العالم) ولعل في ذلك تأييدا لما تقدم .

وكما أن هنـاك تبادلا بـين الارض والسماء فـي مجالات الارسال والاستقبال ـ فان هناك تبادلا في الاوزان مـا خف منها أو ثقل ، وان هـذا التبادل يخضع لهذه القاعدة الثلاثية الشاملة ، ويظهر من ذلـك أنه اذا كـان اتجاه الاثقال نحو الارض عموديا فانه يتجه الى جهة الايجاب مخترقا بذلـك الطبقات السلبية في الاجواء الخفيفة حتى تصل الى جـو ايجابي تمثل فيـه السلبية ، شأن قطعة الحديد في حيز من الماء ، ما لم ترطم قبل ذلـك بجسم صلب كقاع الارض أو قاع البحر أو ما شاكل ذلك ، فـي مقابل أن الاجسام الخفيفة لا تستقر في الاجواء الثقيلة ، ما لم تقترن بثقل بل تنطلق مطرودة ـ بحكم القاعدة ـ نحو العلو حتى تصل الى جهـة سلبية تمثل فيها الايجابيـة بالنسبة اليها ، شأن الابخرة المتصاعدة مـن مياه الارض فانها تتصاعد الـى أعلى حتى تستقر في مكان الايجاب بالنسبة لما فوقها ثم تعود الى الارض ماءا عذبا طهورا ، ما لم ترتطم مثل هذه الابخرة بجسم صلب ـ أثناء انطلاقها ـ

يحول بينها وبين متابعة مسيرتها الى أعلى ، وذلك كالابخرة المتصاعدة من ماء ساخن الى سقف حمام مثلا فانه يحول بينها وبين انطلاقها حتى تتساقط رذاذا، وذلك كحكم ارتطام الاجسام الثقيلة بجسم صلب كالارض ــ أو ما شاكلها •

ومن الادلة على أن الارض هي أقرب مفردات المجموعة نحو آخر مراحل الايجاب المعروفة ــ ان الهابطين بسفن الفضاء على القمر مثلا ــ لا يستطيعون الهبوط عليه من الجهة المقابلة للارض • وهذا مـا ينطبق على جميع الكواكب العليا لتعادلها وارتباطها بالارض فيما أعتقد ، وكذلك لا يمكن أن يستقر طائر أو انسان استقرارا عاديا من الناحية المقابلة للارض على بالون أو غيره ممـا يحلق في الفضاء ، كما يشاهد أن الحمائم وأمثالها حين تأوي الى أوكارها ــ فانها لا تستطيع الهبوط عليها من الناحية المواجهة للارض ، واذا كنا نـرى الخفافيش وبعض الحشرات تسير أو تستقر في سقف مثلا ، فمرجع ذلك الى أن الله سبحانه قد خلق لها من وسائل التشبث مـا يجعلها قادرة على احتماله وزنها كشأن الاشجار المستقلة والثمار المعلقة •

التعادل بين جهتي الوزن واللاوزن

أو بين الايجاب والسلب :

ويظهر مما تقدم أن الجهة العليا سلبية وأن الجهة السفلى ايجابيـة وأن الجهات الاربع الباقية بعد ذلك جهات حيادية ـ كل جرم أو حجم ، وان فـي الوصول الى نقط الالتقاء بين الايجـاب والسلب أو الوزن واللاوزن ــ مـا يفقد الاجرام أوزانها بطريقة الازورار والتعادل : وذلك كما تربط اناءا مليئا بالماء ثم يدار به في الفضاء فانه لا يفقد ما به من مـاء ، ولا يستبعد أن تكون الاجرام المنطلقة من الارض الى منطلقة ما يسمى بانعدام الوزن ــ خاضعـة لتعادل جهتي الوزن واللاوزن ــ لافتقار هذه الاجرام الى التركيز على جهـة الوزن أثناء دورانها حول الارض ، ما لم تدفعها قوة ما ، نحوها ، والا لبقيت هائمة دون ارتباط بالارض وكذلك حين ينطلق ممارس الانزلاق على الجليد

من مرتفع فانه يظل حافظا لتوازنه سابحا في الفضاء بما يحمل من زاحفات حتى يلامس الارض ، ومثله في ذلك من يمشي بين مرتفعين فوق سلك فانه يهتدي ـ لا شعوريا ـ لطريق الموازبة بواسطة عود يمسك بـه ليحفظ عليه تعادله ، وكذلك توجد في الالعاب السركية أنواع متعددة من هذا القبيل ، ويحضرني أنه بينما كنت أسير يوما في احدى العواصم العالمية اذ شدت انتباهي مجموعة من الكبسولات الدوائية تتواكب في طبق بيد بائع متجول ، وقد تبين لي أن بداخل كل كبسولة منها كرة رش صغيرة ، فبدا لي أن الكرة حين تصل الـى وضع ما ، تفقد الكبسولة وزنها ـ وتثب متحركة الـى أعلى ، وسرعان مـا تزايل الكرة مكانها في الكبسولة ، وفي أقل من ثانيـة تتكور تلـك الحركة فيحدث ذلك دهشة لدى الناظرين فقلت في نفسي سبحان الله ... لعل فـي ذلك تجسيد الفكرة فقدان الوزن عند نقطة التقـاء جهتي الوزن واللاوزن ، وقـد تبادر لذهني أنه لو استطاع الانسان أن يثبت كرة الرش عنـد نقطـة التعادل وأن يضع للكبسولة ما يشبه جنـاح الفراشة مثلا مع بعض الحركات الاولية ـ لأمكن طيرانها ، الامر الـذي يوحي بأن تعادل ـ انطلاقه ـ شكل طائر ـ طيرانا بدون طاقة ، ولعل العلم قد استفاد من التعادل ، وذلك بامكان هبوط طائرات التمرين وبعض أنواع الطائرات الاخرى ـ الى الارض سالمة حين تتوقف محركاتها لسبب ما ، وأمر التكيف والتعادل في ذلك مع التيارات الهوائية ـ معلوم كما هو الشأن في الطائرات الشراعية وما شاكلها .

وضع الجبل اثناء تحليقه في الفضاء :

مما لا شك أن الجبل أكثر كثافة من مقدار حجمه من الهواء ، فاقتلاعه يستدعي طاقة رافعة مضادة تفوق وزنه ، وبقاءه معلقا في الفضاء ـ يكـون بالتعادل بين جهتي الوزن واللاوزن بطريقة الازورار بـين الافقي والرأسي ، كشأن سائر الاجرام السابحة فـي الفضاء ومن بينها الارض ، لانها جميعـا مائلة بين الافقي والرأسي ، الامـر الذي يحمل على الاعتقاد بأن مركز الوزن يتعادل في الوسط ، وان تعادل ـ حركة ـ فقدان وزن ـ بدليل أن الاجرام

المنطلقة من الارض نحو الفضاء ، تظل مرتبطة بها رغم بعدها ، مستمرة في دورانها حولها ثم تتهابط نحوها بقدر ما تتهادى سرعتها ، الى أن ترتطم بها في نهاية المطاف ككل وزن اذا تجرد من أحد العوامل المتقدمة فانه ينصب الى جهة الايجاب احدى الجهات الست وهي جهة الارض .

لكل شيء وزن :

وتؤكد ما سبق أن لكل شيء وزنا كبر أم صغر ، فما لا وزن له في الماء له وزنه في الهواء ، وهكذا الموازن في غير ذلك من الاجواء مهما خف وزنها أو ثقل ، فذرة الهيدروجين مثلا ــ وهي أخف ذرة عرفها العلم في المحيط الارضي ــ لها وزنها ، بدليل أن العلماء جعلوا منها وحدة في أوزان الذرات الاخرى ، وقد سبق القرآن العظيم معايير العلم في ذلك فجعل من الذرة وحدة لموازين الاعمال كما جاء في ختام سورة الزلزلة « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وحتى الالكترون وهو جزء من الذرة لا بد وأن يكون له وزن في جو الذرة ، وكذلك فيما اذا كان للالكترون توابع وتوابع التوابع كحلقات مسلسلة ، على أن القرآن العظيم قد استبق العلم الى ذكر ما هو أصغر من الذرة ، حيث يقول سبحانه في الآية ٦١ من سورة يونس : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين » وكلمة مثقال مشتقة من الثقل الذي هو الوزن .

جهة الوزن ومنتهى الثقل :

اذا صح ما نشر من اكتشاف ماء في القطب الجنوبي يزيد وزنه كثيرا عن وزن الماء العادي ، فليس بعيدا ان يتدرج ثقل هذه الامواه الى ما هو أكثر ثقلا فأكثر ، كتدرج الاجواء الخفيفة الى ما هو أكثر خفة نحو جهات الرفع في حلقاتها المتتابعة .

واذا كانت الكتابة ـ في مثل هذا التدرج ـ تنتهي عادة بعبارة (الى ما لا نهاية) ـ فاننا كمسلمين نؤمن بأن عرش الرحمن محيط بكل شيء ، كما قال سبحانه في آية الكرسي من سورة البقرة : « الله لا اله الا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السماوات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السماوات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » ونؤكد ايماننا مرة أخرى ـ بأن هذا الاستمرار في تدرجه ينضوي تحت عرش الرحمن ، وأن عرش الرحمن هو منتهى السوزن لقوله صلوات الله عليه فيما معناه : (سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) وفي هذا التوجيه النبوي ما يثبت أن عرش الرحمن أثقل ما في الوجود والتسبيح بهذه الصيغة غاية الكثرة ومنتهى صيغ الاعداد والحساب ، وأن ذلك مما يوحي بأن الامواه في تدرجها نحو الثقل ينتهي أثقلها الى ما تحت عرش الرحمن كذلك ، يؤيد ذلك ما جاء في الآية السابعة من سورة هود : « وكان عرشه على الماء » وان كل ما ظهر في الوجود من وسائل الاختراع والكشف كالطائرات والاقمار وغيرها ـ لم تستطع اكتشاف ما وراء القطب الجنوبي وأن ما أرسل من صواريخ الى ما وراء هذا القطب لم يعد ولم يعرف له مصير .

ويظهر من ذلك أن السماوات والارض وما بينهما ـ خفه أو ثقل ـ في كنف عرش الرحمن ، وأنهما رغم المسافات الواسعة ، والابعاد الشاسعة ، لا تعدو عن كونها حلقة في فلاة ، كما صور الحديث الشريف ذلك ، فيما معناه : (ان الارض بالنسبة للسماء الاولى كحلقة في فلاة ، وأن كل سماء بالنسبة لما بعدها كحلقة في فلاة وأن السماوات السبع والارض وما بينهما بالنسبة للعرش كحلقة في فلاة) .

ولعل توسط الارض فيما بين خفيف الاجواء وثقيلها يجعلها في الوزن الوسط المتعادل ـ بمثابة الحياد بالنسبة للكون كله ، ولعل في تكرار اقتران

السماوات بالارض في كثير من آيات الله ـ ما يوحي بأهمية الارض ومكانتها الوسط وارتباط أجوائها بأجواء السماء على غرار القاعدة المتقدمة في تبادل الاوزان بين الارض والسماء ايجابا وسلبا وتعادلا ، ولا أدل على ذلك من قوله سبحانه في الآية الرابعة من سورة الحديد « وهو الذي خلق السماوات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها » وقال جل شأنه في الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ من سورة طه : « تنزيلا ممن خلق الارض والسماوات العلا ، الرحمن على العرش استوى ، له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى » ولعل فيما جاء بسورة الانبياء ٣٠ ـ ٣٣ ما يحسن الرجوع اليه في هذا المعنى •

تجارب علمية وملاحظات حولها :

وطالما تحدثنا عن الوزن وأقمنا عليه من الادلة ـ ما سمح به المقام ووصل اليه فهمنا مستندين فيه الى بعض ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله فلا بد لنا من استعراض ما قاله بعض العلماء ثمرة لتجاربهم في هذا الصدد ، تيسيرا على القارىء عند المقارنة بينها وبين ما يقرؤه في هذا المقال •

فقد ورد عن أرسطو أنه قال : الاجسام الساقطة تكون سرعتها متناسبة مع وزنها أي أن الجسم الثقيل يكون أسرع سقوطا الى الارض من الجسم الخفيف ، وكذلك نسب الى جاليلو أنه قال : الاجسام الهابطة ثقيلة كانت أو خفيفة ـ تسقط بسرعة واحدة لولا مقاومة الهواء التي لا يشعر بها في حالة الاجسام الثقيلة ومعنى ذلك أن الجسم الخفيف أبطأ سقوطا بسبب هذه المقاومة ، فلما اخترعت مفرغات الهواء أمكن ايجاد حالة فراغ تام ، وثبت أن الجسم الخفيف كالريشة مثلا يسقط في وقت واحد مع قطعة معدنية وهذا لا يتعارض مع ما نحن بصدده ، أولا لأن في ذلك ما يزيد ايماننا بهبوط الاشياء على اختلاف أوزانها الى الارض رغم الفراغ ، وثانيا : لان الفوارق لا تكون الا بالنسبة للاجواء ، فاذا ما انعدمت الاجواء زالت الفوارق ، بدليل

أن عامل المقاومة الهوائية لقطعة الورق ، أقوى من عامل المقاومة لقطعة حديد مثلا ، واذا كان أحد العلماء قد ذكر بأن سر المقاومة يتمثل في شكل الورقة لا في وزنها ؛ ثم كور ورقة وألقى بها مع قطعة حديد من فوق كرسيه الى الارض فوصلتا معا في وقت واحد .. صحيح أن مقاومة الهواء لقطعة الورق في حال تكويرها تقل عنها قبل التكوير ، الا أن تلاشي المقاومة غير صحيح . وربما فات هذا العالم أن فوارق المقاومة قد لا تظهر واضحة في المسافات المحدودة والاماكن الضيقة ، ولكنها تظهر جلية فيما لو ألقى مثل ذلك من مرتفعات عالية ؛ ويظهر مما تقدم أن ما قاله جاليليو لا يخالف ما روي عن أرسطو من أن الجسم الثقيل ـ أقل تأثرا في مقاومة الجو من الجسم الخفيف، لهذا يكون سقوط الجسم الثقيل الى الارض أسرع من الجسم الخفيف ؛ كما يظهر مثل ذلك بصورة أقوى في النطاق المائي ، أما ما نسب الى جاليليو من أنه ألقى من فوق بج بيزا بقطعتين معدنيتين متفاوتتين وزنا وحجما فسقطتا الى الارض في وقت واحد ـ فنسبة ذلك اليه غير صحيحة ، لان الذي قام بهذه التجربة هو تلميذه فنشكزيو فنفاني على أن هذه التجربة أيضا لا تختلف عن نظرية أرسطو اذا كان نوع القطعتين وشكلهما واحدا واذا كان الامر كذلك فان من البديهي أن يكون مسطح كل قطعة متناسبا مع وزنها ، وبهذا تكون مقاومة الهواء لكل منهما نسبية ، ومعلوم أيضا أن للهواء ضغطا كما أثبتته تجارب بورشللي ، وبهذا يكون الضغط عليها نسبيا كذلك ، وعلى هذا الاساس فان فنفاني لم يأت بجديد ، على أنه لو أمن تلاميذ أرسطو فيما قاله فنفاني وعلموا أن لكل قطعة من القطعتين وزنا يتناسب مع حجمها ومع مقاومة الهواء وضغطه عليها ـ لصححوا مفهوم نظرية فنفاني لصالحهم بدلا من اعتراضهم عليها .

وروي عن كبلر أنه وقع في حيرة من تسارع الاجرام كلما قربت نحو الارض ، وبينما كان نيوتن يفكر في حيرة كبلر اذ وقعت أمامه تفاحة خلال تفكيره فظن أن في سقوطها حلا لما أشكل على كبلر فأعلن نظريته للناس وأخذها العالم عنه كنظرية تقادم العهد بها ، ويظهر أن نيوتن قد غاب عنه أن

حيرة كبلر هي من تسارع الاجرام كلما قربت من الارض ، لا من مجرد سقوطها نحوها ، كما غاب عنه أيضا أن الحل العلمي لشارع السقوط ، هو أن أي جرم يهوى نحو الارض يحمل عمودا هوائيا بنسبة حجمه الى ما يصل علوه الى نحو أكثر من مائة كيلومتر من سطح الارض ، وان هناك مقاومة هوائية من تحته ، وبهذا يتضح أن الجرم كلما قرب من الارض كلما ازدادت قوة الضغط الهوائي عليه ، علما بأن لهواء يتزيد كثافة كلما قرب من الارض ـ كما تقل المقاومة كذلك من أسفل الجرم ، ويستمر التسارع في تزايده حتى تصل درجة الضغط الى مائة بالمائة في النهاية . وتتهابط درجة المقاومة الهوائية الى أصفر حين يلتصق الجرم بالارض ، فيصبح في الوزن الطبيعي الثابت الذي تقوم عليه المقادير العلمية والمعايير الحقوقية ، مصداقا لقوله سبحانه « والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا في الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان . والارض وضعها للانام » .

تجني اليهود على الاجيال :

وفي كل ما تقدم من ارتفاع الجبل وما يحمله من قوانين الطبيعة وأسرار العلم وحق الاجيال فيه ـ محل دراسات وعلوم مستفيضة ، أنعم الله بها على بني اسرائيل من قوم موسى ، ودعاهم الى تفهمها والانتفاع بها وحملهم مسؤوليتها ليكونوا عنصر خير للاجيال ، ولكنهم على العكس ضيعوا هذه النعم العلمية وشغلوا أنفسهم عنها بالمجادلات والتعصب العنصري ، وافساد الآخرين واشعال نار الفتنة والحروب بين الامم ، وتشكيك الناس في كل رسالة لا تأتي موافقة لهواهم ، وذلك في تداخلهم بشتى الوسائل في كل مجتمع ، كي يأمنوا تفوق كل كثرة على قلتهم ، وفي كتاب الله كثير مما يدمغهم في هذه الناحية ويقيم الحجة عليهم ؛ اذكر من ذلك الآية من سورة آل عمران حيث يقول سبحانه : « واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » وقد جاء في الآية ٦٤ من سورة المائدة : « ... كلما أوقدوا نارا

للحرب أطفأها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين » ومن أراد المزيد من معرفة ما عليه اليهود من خلاق معوج وحملوه من مسؤوليات تنحوا عنها ، فليرجعوا الى ما جاء به كتاب الله في سورة الاعراف من الآية ١٤٤ الى الآية ١٧٧ •

وليت اليهود اقتدوا بموسى ـ عليه السلام ـ وانتفعوا بما قام به من الجهد ، وتحمله من الحرمان واتصف به من أدب العبودية وتواضع طالب العلم ، والى القارىء الكريم مثلا لذلك ، ومن حسن الحظ أن يكون هذا المثل القرآني علميا منطبقا على ما نحن بصدده من التعادل والوسط فيما بين الماء والهواء بجو ثالث أمكن أن يعيش فيه الحوت والانسان •

هجرة موسى في سبيل العلم :

للعلم مكانة لا يقدرها حق قدرها الا القليل ، وهذا كليم الله موسى ـ عليه السلام ـ حين علم بوجود عالم بمكان يحتوي على ظاهرة علمية تتعلق بمجمع البحرين ـ لم يتردد في أن يرحل للبحث عنه ويكابد ويجد حتى يلقاه، فيتلقى عنه وينتهل منه فأعد عدته واصطحب فتاه وراح يضرب في الارض مؤكدا أنه لن يعود حتى يدركه ، وقال الله سبحانه في ذلك : « واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا » الآية ٦٠ من سورة الكهف ، فلما بلغ المكان المنشود لم يعرفه فجاوزه بحثا عنه وعن العالم حوله ، كما جاء في الآيتين ٦١ ، ٦٢ « فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا • فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » والذي يظهر من سياق هذه الآيات الشريفة أن الضمير في كلمة بينهما يعود الى البحرين لانه المكان المستهدف لهذه الرحلة الشاقة •

مجمع البحرين :

لقد أدرك موسى ضالته حين سمع من فتاه أن الحوت قد تسلل من

الصخرة الى البحر عجبا وذلك من المكان الذي باتا فيه الانسان والحوت معا، وأنه لا بد وأن يكون (مجمع البحرين) أي المائي والهوائي ، والذي سيجده عنده العالم الذي سيأخذ عنه ويتلقى منه فاغتبطا لذلك ـ عائدين الى الهدف المنشود يقصص هو وصاحبه الاثر ، حتى أدرك بغيته كما يحكي كتاب الله : « قال كذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا • فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما » الآيتان ٦٤ ، ٦٥ من سورة الكهف ، ولعل هذا المجمع تم بطريقة علمية توصل اليها هـذا العالم بتخفيف الماء وتكثيف الهواء الى درجة التعادل أي التساوي في الوزن حتى أمكن امتزاجهما بوزن موحد ـ فوق صخرة وجد فيهما موسى وصاحبه المأوى والراحة ، كما وجد الحوت الحياة والنشاط ، فتسرب عائدا الى الماء بأعجوبة، وهذه ظاهرة علمية ربما كان في الامكان الاستفادة منها وتجربتها في الجمع بين الهواء والاثير بطريقة التعادل في الوزن ـ ليعيش الانسان بمكان ما في الفضاء كما عاش الحوت فوق صخرة التقى عليها البحران : المائي والهوائي ، لا سيما وأن حكم السمكة في خروجها من بحرها المائي كحكم الانسان في خروجه من بحره الهوائي تماما ، وهنا عرف موسى أنه أمام العالم المنشود الذي ركب الاسفار والعناء في سبيل التعليم منه فعرض عليه صحبته كما جاء في كتاب الله « هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا • قال انك لن تستطيع معي صبرا • وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا • قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا • قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا » الآيات ٦٦ ـ ٧٠ من سورة الكهف •

ان فيما اعتزمه موسى من رحلته ، والتضحية بوقته وراحته ، وقبول التعريض بقلة صبره وقصور علمه وضعف طاقته ، ثم وعده بالصبر وتكرار وعده بالطاعة لمعلمه وأستاذه خلال رحلته ، في كل هذا دليل على قيمة العلم وفضله ومكانته ، فانطلق العالم والنبي ولعلها بمعناها العلمي ، متنقلين من سفينة في البحر خرقها العالم لانقاذها من ملك غاصب ، الى قرية البخل

والتنكر ، فأصلح العالم بها جدارا تحته كنز ليتيمين كـان أبوهما صالحـا ـ دون مقابل لشراء طعام ضنت به القرية عليهما وكان قد صادف قبل ذلك غلاما فقتله ؛ اشفاقا على والديه الصالحين أن يرهقهما طغيانا و كفرا كما جـاء بيان ذلك في الآيات من ٧٩ ـ ٨٢ من سورة الكهف .

الادب النبوي الرفيع :

نعم لم يستطع كليم اللـه موسى كرسول مشرع وانسان ، أن يسكت على ما يقوم به العبد العالم وكان رد العالم عليه ـ رغم علمه سلفا بما قيل ـ عتبا رقيقا حيث يذكر الله سبحانه قول العالم « ألم أقل لك انـك لن تستطيع معي صبرا » وكان اعتـذار موسى أول الامـر فيما رواه كتاب اللـه : « لا تؤاخذني بما نسيت » أي من وعدي لـك ، وكان رد العالم في المرة الثانيـة تذكيرا آخر لموسى بما قال له قبل بدء الرحلة، وكان رد موسى اعترافا بمخالفته لما وعد ـ معلنا معذرة العالم في عدم مصاحبته له فيما لو سأله بعد الثانيـة حيث تقول الآية الكريمة : « ان سألتك عن شيء بعدها فـلا تصاحبني قـد بلغت من لدني عذرا » الآية ٧٦ من سورة الكهف ، ولكن موسى عليه السلام لم يستطع كبح جماح تساؤله فراح يسأل للمرة الثالثة فكان رد العالم انهـاءا للرحلة المثيرة المليئة بالعجائب والاسرار ، والجامعة بين عالم ورسول ، كما جاء في الآية ٨٧ من سورة الكهف : « قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا » .

والظاهر من قوله سبحانه فانطلقا ـ أن فتى موسى لم يصحبهما ، وهنا قد يتسـاءل المرء لماذا تخلى موسى عن فتاه عندما صاحب العالم في رحلتـه ، وقد يكون الجواب : أن قوام الرحلة طاقـة علمية ورسالة سماوية ، ولعـل الفتى لم يشرف بمثل هذا التكليف ، ولم يزود بمثل هذه الطاقات ، وأن هذا العمل من أمر الله سبحانه ، كمـا أن وجود ثالث في أمور ليست محل وفـاق الصاحبين مما قد يجعل الثالث بينهما في مكان الترجيح لأحـد الطرفين ...

بينما مهمة العالم تقتضيه أن ينفذ ما آمر بــه دون منازع أو معارض بايمان لا يقبل مناقشة أو جدلا ، على أن يشرح بعد ذلــك ما غمض من خفايا الامــر ، ودق فهمه على الرسول الكريم ... وسيأتي عنــد استعراض ثلاثية العالــم الالماني هيجل وثنائية تلميــذه كــارل ماركس واتجــاه الفيلسوف الفرنسي غوستاف لبون ـ ما هو أكثر تفصيلا في هذا الباب باذن الله :

هذا ومن غير المستبعد ـ كقول بعض المفسرين ـ أن يكــون صاحب موسى وذو القرنين والــذي أحضر عرش بلقيس مــن اليمن الــى القدس ـ شخصية واحدة معمرة قامت بكل هــذه الادوار العلمية منها ما تم في هــذا المقال ؛ ومنها ما سيأتي عند عرض قصة ذي القرنين باذن الله وأنه ... ايليــا بن ملكان الخضر عليه السلام والله سبحانه ولي العلم والتوفيق .

هذا واني أحاول في كتاباتي ـ أن أتدارك ما عساه يكون قد فات غيري ممن تعرضوا لتفهم كتاب الله وعرضه ... وأن أعرض ما ظهر لي مما يشمله رحاب القرآن الكريم المنزل بعلمه سبحانه ؛ مبتعدا عــن التكلف في الفهــم والتعبير ، متذرعا باستعمال ألفــاظ تجعلني في موضع التماس الفهم لا فــي موضع الجزم به ، وذلك مثل : ربما ، ولعل ، ويظهر لي ، وغير ذلك ، راجيــا أن تكون كتابتي بمثابة مفاتيح لكل واع متفرغ يهمه الخير ويعمل له ، كمــا يهمه اعلاء كلمة الله والعمل لها ؛ فيتوسع في ذلك بما يفيء الله بــه عليه من فيض علمه وعظيم فضلــه : « واتقوا الله ويعلمكم اللــه » قرآن كريم (رب مبلغ أوعى من سامع) حديث شريف ... ولله در الشاعر .

لا تقــل قــد ذهبت أربابــه   كل من سار على الدرب وصل

واذا كان الكثير من علماء الدين يتورعون عن بعض الابحاث العلمية في معاني القرآن الكريم ـ رغم ما جاءت به آيات الله وأحاديث الرسول الكريم من الحث على الدراسة والبحث ، والاستماع الــى مجالس العلــم وأحاديث العلماء ـ فما ذلك الا غيرة منهم عــلى كتاب اللــه المنزل بعلمــه سبحانه أن

يتناول ذلك بعض المتكلفين يحاولون اخضاع معانيـه للنظريات القابلة للتغيير واعادة النظر ، على أني أعتقد ان هؤلاء العلماء ـ لا يعارضون في دراسـة الآيات العلمية ـ دراسة بعيدة عن اخضاعها لأيـة نظريـة معرضـة للتغيير والتبديل على مرور الايام وظهور الحقائق الثابتـة ـ استجابة لقـول اللـه سبحانه : « أولـم ينظروا في ملكوت السماوات والارض ومـا خلق الله من شيء » وقوله جل من قائل : « وكأي من آية في السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضـون » وقوله عز شأنه : « وفي الارض آيـات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون » « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتـى يتبين لهم أنه الحق » والآيات في مثل هـذا المعنى كثيرة ، بـل اني أرى مرة أخرى ـ أن فـي الاعراض عـن التفكير والدراسة فـي ملكوت السماوات والارض مـا يضع المعرض الكاسح عنهـا في عـداد منكري البعث وسكان الجحيم ، قال جل شأنه : « ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيـا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النـار بمـا كانوا يكسبون » .

واذا كنت قد استعرضت في هذه الكلمـة أقوال بعض العلماء العالميين وثمرة تجاربهم في باب الوزن ـ فليس ذلك بقصد المطاولة أو المزايدة ، بـل لوضعها تحت الضوء القرآني المنزل بعلم من علمه فوق كـل ذي علم ، وضعا للامور فـي نصابها الصحيح ... فـان حالفني التوفيق فالفضل يعود الـى المدرسة الكاملة ، والمعجزة الخالدة ، والمأدبـة الدائمـة ـ ألا وهي مدرسة القرآن الكريم وان جانبني التوفيق فعذري أني استخدمت مواهبي المحدودة وبذلت جهدي الضئيل ـ منصاعا لأمره سبحانه في كثير من آياته الداعية الى التفكر والتدبر والتبصر والتزود ـ من ينابيع العلم تنتهل البشرية من معينـه الصافي وتغترف من ورده النمير ـ وتحـاول الغوص في لججـه الهـادرة ، والسباحة بين أمواجه العارمة ، للانتفاع بمـا استطاعت الوصول اليه مـن مجاهيل ، والاستنارة بما أمكنها الحصول عليه من خبايا العلـم ومكنوناته ،

علما بأن فوارق العلم بين الخلق نسبية ، أما العلم الكامل المطلق فلا يكون الا لله العليم الخبير ••• على أنني أقف على قدم الرجاء ضارعا ملتمسا منه سبحانه مثوبة الجهد في الحالتين •

ان البشرية كلما ازدادت علما اكتشفت فيه جهلها قبله ، واعترفت بجهلها لما وراءه ، وفي الاثر ، (منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال) •

وهيهات لها أن تدرك من العلم نهاية الوصول ، أو غاية المأمول ، مصداقا لقوله سبحانه : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » وقوله جل شأنه : « وقل رب زدني علما » وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (اطلبوا العلم ولو بالصين) وأيضا (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد) وقوله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وكذلك يقول صلى الله عليه وسلم (لغدوة أو روحة في سبيل العلم تعدل عبادة أربعين خريفا) وأيضا (من تساوى يوماه فهو مغبون) وفي الاثر (اذا طلع علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني الى الله فلا بورك في شمس ذلك اليوم) وما أجمل الختام بقوله سبحانه : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » •

عبد العزيز العلي المطوع

★ ★ ★

عبد الحميد بن باديس

باني نهضة .. ومنقذ أمة

الثورة الكبرى خاتمة المطاف

قامت دولـة المغرب الكبرى ردا لعرب الشمال الافريقـي والاندلس ، وسواء انسجمت الجزائر بالمغرب الكبير أو حافظت على كيـان خاص فقـد سلخت هذه القرون درعا لا سيما بعد بلوغ الغزاة مدينة وهران التي أصبحت مثواهم الاخير ، وطالما استعان الاتراك بأسطولها واكتفوا بالدعـاء للسلطان على منابرها وما زالت متعاونة معهم حتى انسحب ممثلهم الداي حسين ملقيـا مهمة الدفاع عن الجزائر على عواتق أبنائها وحدهم •

لقد أمر اللـه الشعوب المقهـورة بالتأهب والاستعداد وحض عـلى استنشاق هواء الحريـة النقي وضمن لها النصر وحذرها موالاة ومصافحـة قاهريها ، وان أباح لها المجاملـة ريثمـا تكمل الاهبـة ، وتنضج طبخـة الاستعداد •

كم تسـرع حين نقول : قرنا وثلثا استغرق المـد الاستعماري للجزائر ، اذ لا احتلال للجزائر بكل أجزائها • بل منازلة ليس لهـا مثيل تقابل بقسوة ليس لها مثيل !! فتصيب بعض الاجزاء بشلل موقت ، لترتفع الراية بيـد غير مشلولـة •

نار تتأجج في جزء فتندفع منها عين الغزاة وتهلـع قلوبهم ، ولا يكادون يتخيلون اطفاءها ، حتى تتأجج في جزء آخـر • واذا علمنا ان الاستعمار لـم يكمل احتلال المناطق الجنوبية الا مطلـع القرن العشرين ، أدركنا المقاومـة

الضارية التي روعتـه وقضت مضجعه ، ثورات وثورات ، بـل ثـورة ذات حلقات يأخذ بعضها برقاب بعض ولو تخللها انفراجات في بعض المناطق دون بعض ، وان رأينا في مقام الصدارة بضع ثورات منها في القرن الماضي :

١ ـ ثورة الشيخ أبي عمامة ، وهذه وحدها امتدت ١٧ عاما ١٨٨٢ ـ ١٨٩٩ .

٢ ـ ثورة لالا فاطمة .

٣ ـ ثورة أود سيدي الشيخ .

٤ ـ ثورة محمد المكراني .

كل هـذا والثائرون لا يملكون مـالا ، ولا سلاحا ، ولا يجدون مـن جيرانهم مساعدة !!!

اما في القرن الحاضر

فقد وضعت الحرب العالمية أوزارها وفرحت الشعوب المقهورة بوصايا الرئيس ولسون الاربعة عشر المقدسة !!! فذهب الامير خالـد وبعض أعيـان الجزائر ليذكروه بمأساتهم ، لكن ما زاد على كلمة (لم آكن أقصدكم) . ثم انتهت الحرب العالمية الثانية ، ومـا ان شاطر بعض الجزائريين فرنسا فرحـة النصر عام ١٩٤٥ حتى احمرت العيون المهزومة أمام الالمان ونسفت من مدينة الجزائر حيا مأهولا بخمسة وأربعين الف نسمة . بهذا بلسغ البطش الفرنسي ذروته ، ومر الغادون والرائحون على الضحايا بنفوس تذهب حسرات ، فأخذ الفكر الكامن في النفوس المؤمنة بأن الله ينجز ما وعد ، يخرج لعالم الواقع ، كأن قوة غيبية تعهدته وملائكة تطوعت لقيادة جحافله .

ثـورة ١٩٥٤

وما هي الا عشر سنوات ١٩٥٤ حتـى انطلق أشبال الشهداء ، يثأرون

للكرامة الجريحة والعزة المكلومة مصممين على التضحية منفذين منهاجا يكفل النصر ٠

انقضوا دفاعا عن دين الله ، ورفعا لرايته ، ومحافظة على لغة وحيه ٠

انقضوا متذكرين ما رواه البخاري عن علي بن أبي طالب بهــذا النص : (كنا مع النبي يوم الخندق فجاءت فاطمة بكسـرة من خبز قائلة لرسول الله : خبزت لابني وجئتك منه فقال : بنية ، انها لأول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيــام ٠

هذه دروس نبوية لمست قلوبا مؤمنة كونت من لا تفتر لهم همــة عــن جهاد ، ولا يقعدهم وهن عن صراع ، لقــد أقسموا ليشهدن مجــد الجزائر ، وصبروا صبر المرابطين الواثقين المتحفزين ، وتذكروا كلمة ابن باديس (قليل من الدواء يطرد كثيرا من الالم ، قليل من النور يطرد كثيرا من الظلمة) كلمة حق جريئة تدك عرشا من الطغيان) ٠ خرجوا مجهزين بسلاح الايمان ، كأنهم يسمعون كلمة عمار بن ياسر (أمن الجنة تفرون) ؟؟

خاضوا معارك غير متكافئة : عدوهم مدجج بالسلاح ، لكن يحول دون انسانيته كبرياء وخيلا ٠

أما هم فقد عضهم القر وأرهقهم الجهد ، فتبادلوا قطعة السلاح وتحملوا بصبر وجلد ، وتعزوا باليوم الذي قال عنه ابن باديس (سيلد مجد الجزائر)٠

قلة عزلاء ، الا من سلاح الحق الطبيعي ، لا ترهب ولا تفر ، بل تخوض نار المعركة مرددة (الحق مشتق من الله الحق) ٠

قلة ظهرت بعد كمون ، وجهرت بعــد كبت وشعرت أن موقفها يستلزم المباغتة والسرعة والتضحية والاقدام ، والحرص على الفوز بزمام المبــادرة ، فصعدت الجبال وأخذت أماكنها ومكامنها وتجلت خبرتها ورددت مع شوقي:

ومــا نيــل المطالب بالتمني ولكن تؤخــذ الدنيا غلابــا

جانبت التواكل والصغائر والتوافه التي قدمها الغزاة ملهاة ؛ ومرت بأعوام شداد ، فانكفأ عدوها مدحورا ، وانجلى جو المعركة (تمت كلمة ربك صدقا وعدلا) (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) .

هو ذا استقلال الجزائر ــ ويبيئني بعد هذا ــ أن أرى بعض الجرائد العربية تقول بمناسبة ودون مناسبة : (فرنسا أعطت الجزائر استقلالها !!!) .

نحن لا ننكر ان في العالم منذ كان كان وحتى الآن والى الابد شيء اسمه حق طبيعي وفي رأسه حرية الشعوب . ولا ننكر ان أمما تحالفت وتساعدت وتبادلت المنافع على حساب ابتلاع أمم أخرى ، كما رأينا هذا في عدة مؤتمرات دولية كمؤتمر الجزيرة مثلا المعقود عام ١٩٠٦ والامم التي أهينت كرامتها وديست عزتها وسلب استقلالها وحريتها كثيرة لعل في رأسها الجزائر ، وقد حاولت افتداء نفسها بثورات القرن الماضي الخمسة الشهيرة التي كانت تمهيدا لثورة المليون شهيد الاخيرة !!!

اذن فرنسا لم تعط الجزائر استقلالها بل انتزعته الجزائر بدمها وفدته بأفئدتها . ورغم هذا الواقع الذي أرانا فرنسا تستغني عن كثير من مستعمراتها الافريقية لتحشد جيشها لوأد ثورة الجزائر . ورغم هذا نجد صحفا تستغفر الله حين نصفها بالعربية تود لو دفعتنا لنشكر فرنسا التي منحت الجزائر استقلالها ، ناسية انه يؤخذ وينتزع ، كأنها لم تسمع قول شوقي :

وللحرية الحمراء باب ... ... بكل يد مضرجة يدق

حينذاك ، وحينذاك فحسب ، تذكرت فرنسا كلمة الشيخ (مدافع الله أطول وأطول) وتخيلت يده الممدودة شطر الجبال حيث ينبثق مجد الجزائر ، وينكفىء غزاتها أمام تلاميذ المدارس المتواضعة القابعة في الزوايا المهجورة والاحياء المتواضعة وبطون الاودية وشعاف الجبال .

لقد أحرج الغزاة الجزائر فأخرجوها ،

رموها بالاضطهاد الديني وافتعال المجاعات التي تفقد بها الجزائر نصف مليون ، ليستغلها المبشرون ويدخلون الاحياء الخربة الا من أطفال ايتام حاملي الصليب بيد والرغيف بيد !!! فنفشوها قوانين (المسؤولية الجماعي) والحساب دون حكم ، وجلد الذي يرفض السخرة اذا طلب منه العمل في مزارع الدخلاء ، وحبس الجزائري بالشبهة ، والتجنيد الاجباري الذي أرقا مئتين وخمسين ألف جنديا يخوضون الحرب ضد ألمانيا فيموت منهم ثمانون ألفا !!!

صمموا على ابادتها ولم يقبلوا معذرتها حين دفعت عن نفسها خطر قانون الابادة . أحرجوها وحملوها على تضميد جراحها بسائل من دمها ، اذ من فاز بقبس من تاريخ ثوراتها وقف مشدوها !!!

ما كادت تنتهي حرب التحرير حتى ورث أبطالها بيتا هدمه الغزاة عمدا ليقيموا على أنقاضه وأشلائه ما ينعمون برؤيته ورثته فأخذت باليد الرحيمة تلملم الجائعين الطريدين وتحضر البدو اذ هم السواد الذي أمدها بدمه ، وتجد في البناء والاقتصاد والتعليم والتعريب والصناعة وما يستلزم الانشاء من روافد آثرنا الاقتصار منها على نواح محدودة .

لقد ألقت الجزائر سلاحها عام ١٩٦٢ وعدد سكانها ثمانية ملايين وما هي الا عشر سنوات حتى أصبحوا أربعة عشر مليونا .

زيادة مستمرة في الولادات تراجع ملموس في الوفيات !!!

لا تعجبوا فالاشجار المثمرة يتضاعف نموها على مقدار تقليمها !!!

تصور الاميين والمشردين وفاقدي عائليهم .

تصور الذين ما كادوا يضعون أسلحة المواجهة حتى أخذوا يغسلون بصمات الاستعمار ويقاتلون بأسلحة اجتماعية متعددة .

تصور الآفاق الواسعة التي يتمتع بها الذين يعلمون أن قوة الامة وامتداد لغتها متلازمان وجودا وعددا •

تصور تعريب التعليم وبرامجه ، ومصطلحاته ، واقامة دور معلمين واستقدام معلمين •

تصور الاستعمار ، وقد عبأ صحفا تدعو لعزل الجزائر بل وبترها من جسم العرب والمسلمين وربى ثلة ترى الماضي الاصيل الحي رجعية والانسلاخ من العربية والاسلام بل والشرقية حضارة ، وزعم ــ كترديد لما لا نزال نسمعه من صواريخ المناهج الرسمية الموجهة ــ المسمومين ــ ان عهد الحضارة الذي رأى من العرب لم يكن الا ثمرة من ثمار الفكر اليوناني •

محمد علي الزعبي

اعلام العراق الحديث

قاموس تراجم

١٨٦٩ ــ ١٩٦٩

تأليف : المحامي باقر أمين الورد

والمؤلف : محام قدير وأديب نشيط منتج ، وهذا الكتاب الذي سيكون موسوعة كبيرة أكبر دليل على حيويته واخلاصه للادب والتاريخ ، وهذا الجزء الاول من ا ــ ح ، قدم له الدكتور ناجي معروف قبل وفاته طبعا • وان تقديم الدكتور ناجي معروف رحمه الله للكتاب لدليل آخر على نفاسة الكتاب وقيمة المؤلف الادبية • فنرجو ان يتمكن المؤلف متابعة الاجزاء الباقية بمساعدة وزارة الثقافة والاخوان المخلصين •

العــزة والتواضــع

بقلم : الشيخ محمد الخضر حسين

العــزة ــ التواضع

سهل على الانسان أن يدرك معنى الفضيلة في صورة مجملة ، بـل سهل عليه أن يتعرف ما هي الفضائل بتفصيل ، وانما العسر في أخذ النفس بهـا ، والسير في معاملة الناس عـلى قانونها ، وعسر العمل على الفضيلة مع تصور مفهومها ، والشعور بحسن أثرها يجيء من ناحيـة الشهوات التي قـد تطغى فتطمس على البصائر ، وتكاد تحـول معرفتها للخير الى جهالـة عمياء . وقد يؤخذ الدارس للاخلاق من ناحية ضعفه في تطبيق الاعمـال على مـا تقتضيه أصول المكارم ، ذلك لان علم الاخلاق يشرح الفضيلة ، ويبين ما بينها وبـين الاخلاق الاخرى من صلة ، وينبه على ما لها من آثـار حميدة ، ولا يتعرض لظاهر الفضيلة مظهرا فمظهرا ، ولا لمواضع الاخذ بها موضعا فموضعا ، بـل يكل ذلك الى اجتهاد الشخص ونباهته .

وحدود الفضائل تقع بمقربة من أخلاق مكروهة ، وهـذه الحدود فـي نفسها واضحة جلية ــ الا أن تمييز ما يدخل فيها مما هو خارج عنها ، يحتاج الى صفاء فطرة أو تربية تسأس بها النفس شيئا فشيئا .

وكثيرا ما يتشابه على الرجل لأول النظر أمور ، فلا يدري أهي داخلـة في الفضيلة أم هي خارجة عن حدودها ، وربما سبق ظنـه الى غـير صواب ، فيخال ما هو من قبيل الفضيلة مكروها ، فيدعه أو يعيب غيره به ، أو يخال ما هو من قبيل المكروه فضيلة فيرتكبه أو يمدح غيره عليه . وهذا الشأن يجري في خلقي العزة والتواضع .

فعزة النفس تمتاز في الاذهان عن الكبرياء امتياز الصبح من الدجى ، اذ العزة ارتفاع النفس عن مواضع المهانة ، والكبرياء استنكاف النفس أن تأتي صالحا ، بتخيل أن ذلك العمل لا يليق بمنزلتها ، أو تعظمها عــن أن تجامل ذا نفس زاكية بزعم أنه غير كفء لها .

ويقابل العزة الضعة ، وهي انحدار النفس في هوة المهانــة ، ويقابــل الكبرياء التواضع ، وهــو اذعانها للحق ونظرها الى ذي النفس الزاكيــة أو المستعدة لان تكون زاكية ، نظر احترام أو عطف واشفاق .

والفرق بين حقائق هذه الاخلاق سهل المأخذ ، ولا يكاد يخفى أمره على عامة الناس فضلا عن خواصهم ، ولكن أحسوالا تعرض للرجل فيخفى فيهـا الوجه الذي يدعو الى مظهر الرفعة فيعد مستكبرا ، أو يخفي فيها الوجه الذي يدعو الى مظهر التواضع ، فيعد صاغرا .

وفي الناس من عد التواضع ذلــة وعد اعتزاز النفس من جهله كبرا

وقال رجل للحسن بن علي : ان الناس يزعمون أن فيك تيها ، فقــال : ليس بتيه ولكنه عزة ، وتلا قوله تعالى : (ولله العــزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) وقال عبــد الرحمــن الناصر الخليفــة الاموي بالاندلس لابنه المنذر : ان فيك لتيها مفرطــا ، وان العيون تمــج التيــاه ، والقلوب تنفر عنه ، فقال المنذر : « ان لهذا السلطان رونقــا يريقه التبــذل ، وعلوا يخفضه الانبساط ، ولا يصونه الا التيه والانقباض » ، ثــم ذكر أناسا يعدون تواضع الرجل صغرا ، وتخفضه خسة ، فقال له عبد الرحمن : ابق وما رأيــت .

فوزن المعاملات الخاصة والحاقها باحدى خصلتي العــزة أو التواضع ، أو طرحها الى الكبرياء أو المهانة ، يرجع الى اجتهاد الشخص نفسه ، وهــذا لا يمنع غيره الذي عرف من سر المعاملة ما عرف من علانيتها أن ينقدها ، ويصف صاحبها بأنه عزيز النفس أو متواضع ، أو يحكم عليه بأنه متكبر أو متصاغر .

في عزة النفس فوائد تعود عـلى الشخص نفسه ، منها ارتيـاح ضميره وسلامته من ألم الهوان الذي يلاقيه من لا يحتفظ بكرامته ، ثم ما يلقيه هذا الخلق على صاحبه من مهابة ووقار ، واحراز مكانة احترام في النفوس ممـا تنشرح له صدور العظماء ، وانما عيب الرجل في أن يجعل هـذه المكانة غايته المنشودة ، أو يتخذها حبالة لاصطياد مآرب لا يتعداه نفعها •

ولهذه الخصلة آثار صالحة في الاجتماع ، فان الامـة التي تشرب في نفوسها العزة يشتد فيها الحرص على أن تكون مستقلة بشؤونها ، غنية عـن أمم من غيرها ، وتبالغ في الحذر من أن تقع في يد من يطعن في نحر كرامتها ، ولا يستحي الانسانية أن تراه مهتضما لحقوقها •

ومن عناية الاسلام بأدب العزة أنه بنى كثيرا من أحكامه العملية عـلى رعايتها ، كما منع القادر على الكسب من بسط كفه للاستجداء ، اذ كـان في استجدائه اراقة لماء وجهه بين يدي من تكون يده هي العليا ، قال صلى اللـه عليه وسلم : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب عـلى ظهره خـير من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعـه » وسن الهجرة من بلـد لا يرفع فيها الاسلام لواءه الى بلد تخفق عليه رايته وتقام فيـه أحكام شريعته ، قال تعالى : (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة) وشرع الذود عن الاوطان وحمايتها من أن يكون للخصوم عليها سيطرة اذ لا نصيب لجماعة المسلمين من سيطرة غير المسلم الا العسف والارهاق •

ومن الاحكام القائمة على رعاية العـزة أن التبرعات لا تتقرر الا بقبول المتبرع له ، فلو وهب شخص لآخر مالا ، لم تنعقد الهبة الا أن يقبلها الموهوب له ، اذ قد يربأ به خلق العزة عن قبولها ، كراهة احتمال منتها ، والمنة تصدع قناة العزة ، فلا يحتملها ذوو المروءات الا في حال ضرورة ، ولا سيما منة تجيء من غير ذي طبع كريم أو قدر رفيع ، والعلماء الذين كانوا لا يقبلون عطايـا ولاة الامور ، يريدون الاحتفاظ بكامل عزتهم حتـى يكون موقفهم في وعظ أولئك الولاة اذا حادوا عن الرشد موقف الناصح الامين •

ومن هذه الاحكام شرط الكفاءة في النكاح ، ذلك لان في تزوج الرفيعة بمن هو دونها امتهانا لقدرهـا ، وغضا من كرامـة أوليائها ، فجعل للمـرأة وأوليائها الحق في الممانعة من تزوجها بمن لا يكافئها ، وانما اختلف الفقهاء في تحديد الكفاءة كما هو مقرر في كتب الاحكام •

وقد عرف الفقهاء أن الشريعة تراعي في أحكامها حـق العزة فقالوا : ان المسافر يقبل هبة الماء للوضوء ولا يتيمم ، اذ لا يمتن بمقدار ما يتوضأ به من الماء عادة ، ولم يلزموه قبول هبة ثمن الماء ، وأجازوا له التيمم ، اذ كان فـي هبة الثمن منة ، والمنة تورث شيئا من الذلة ، وعلى هـذا النحو جرى الامام الغزالي اذ جعل خشية الاهانة مسقطة لوجوب النهي عن المنكر ، وموضع هذا أن يعرف العالم أن نهيه لا يجدي نفعا ، ويزيد على عدم جدواه بأن يسومـه أولئك المبطلون أو الفاسقون خسفا ، أما اذا كان يرجو مما يقوله أو يكتبـه فائدة ، فاحتمال الاذى في سبيل العمل الصالح عزة لا تطاولها عزة •

ومدح الانسان نفسه رعونة ، فاذا مسه أحد بازدراء ، فان علم الاخلاق يسمح له بأن يذود عن عزته ، ويقول كلمة ينبه بها على مكانته ، وفـد أبـو الفضل بن شرف الى المعتصم أحد أمراء الاندلس في زي تظهر عليه البداوة ، وأنشده قصيدته التي يقول في طالعها :

مطـل الليـل بوعـد الفلق وتشكى النجـم طـول الارق

فاهتز المعتصم لسماعها طربا ، فحسد أبـا الفضل من الحاضرين ابـن أخت غانم ، وقال له : من أي البوادي أنت ؟ فقال أبو الفضل : أنا من الشرف في الدرجة العالية وان كانت البادية علي بادية ، ولا أنكـر خالي ، ولا أعرف بحالي ، فانقبض ابن أخت غانم خجلا •

وأما التواضع وهو بذل الاحترام أو العطف والمجاملة لمن يستحقه ، فهو خلق يكسب صاحبه رضا أهل الفضل من الناس ومودتهم ، وهو الطريق الذي

يدخل بالشخص في المجتمع ويكون به عضوا ملتئما مع سائر الاعضاء التي يتألف منها جسد نسميه الامة ، فالتواضع أنجح وسيلة الى الائتلاف والاتحاد اللذين هما أساس التعاون على مرافق الحياة وجلائل الاعمال ، قال الله تعالى يدعو رسوله الكريم الى هذا الخلق العظيم : (واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني أنا النذير المبين) وقال تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) .

يستكبر الاغبياء ظنا منهم أن في الاستكبار رفعة ، والحقيقة أن ابتغاء الرفعة من طريق التواضع أنجح من التوسل اليها بطريق التجبر والغطرسة ؛ فالتواضع الحكيم يورث المودة ، ومن عمر فؤاده بمودتك ، امتلأت عينه بمهابتك :

وأحسن مقرونين في عين ناظر جلالة قدر في خمول تواضع

قد يراك الرجل وأنت تقضي حق الاحترام رجلا عرفت من كماله ما لم يعرفه ؛ فيعد عملك تصاغرا ، ويرمي أمامك أو وراءك بسهم الانكار ، ولو اطلع على ما بطن من هذه المعاملة كما اطلع على ما ظهر منها ، لأقام لك بدل الانكار عذرا ، قدم أبو الفضل ابن العميد لأبي بكر بن الخياط نعله ، فعده بعض الحاضرين افراطا في التنازل ؛ فقال أبو الفضل : أؤلام على تعظيم من قرأت عليه شيئا من الطبائع للجاحظ الا عرف ديوانه ، وقرأ القصيدة من أولها الى آخرها حتى ينتهي اليه !

وكان أبو العباس المبرد عندما يرى أبا بكر الابهري مقبلا ينهض قائما حفاوة به واجلالا ، فخطر على بال بعض أصحابه أنه تجاوز حد التواضع وأن أبا بكر لا يستحق هذا القدر من الاجلال وشافه المبرد بهذا الخاطر ، فقال المبرد :

اذا ما رأيناه مقبلا حللنا الحبا وابتدرنا القياما
فلا تنكرن قيامي له فان الكريم يجل الكراما

يتواضع الرجل لأقرانه فلا يصاعر لهم خدا وان أبى الدهر اسعافهم ؛ ولا يخرج في معاملتهم عن حدود المساواة وان رزق من المال أو الجاه ما لم يرزقوا ، قال البحتري :

واذا ما الشريف لم يتواضع للأخلاء فهو عين الوضيع

ويتواضع الرجل لمن هو دونه في ظاهر هذه الحياة أو فيما يجري به عرف الناس كالاستاذ يجامل طالب العلم ، والرئيس يجامل المرؤوس ، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقوال الذين أوتوا الحكمة ، وسيرة الذين استقاموا على الفضيلة ما فيه عظة حسنة وقدوة صالحة .

أما الاستاذ لا يتعاظم على طالب العلم فمن مظاهرة الاصغاء اليه عند المناقشة ، واجابته عما سأل في رفق ، وتلقى ما يبديه من الفهم بانصاف ؛ فان أخطأ نبهه لوجه الخطأ ، وان قال صوابا تقبله منه بارتياح ، وارتياح الاستاذ لآثار نجابة الطلاب مما يزيدهم جدا في الطلب ، ويشعرهم باستعدادهم لان يكونوا في النوابغ ، وانما ينبغ الناشيء في العلم متى تألق في نفسه مثل هذا الشعور ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « تعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة ، وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه » ومن حكم الامام علي كرم الله وجهه : « وتواضعوا لمن تتعلمون منه ، ولمن تعلمونه ، ولا تكونوا جبابرة العلماء » .

وأما الرئيس لا يتعظم على المرؤوس فمن مظاهره لين القول في مخاطبته، والعناية بقضاء ما يستطيع من حاجته ، والسعي في دفع الاذى عن جانبه ، والرئيس المتواضع يتحامى أن تشهد منه أثرا يدل على أن نفسه تحدثه بأنه أفضل منك ؛ الا مظاهر يسيغها عرف أصبح مألوفا بين الناس ، روى الامام مالك : أن عمر بن الخطاب « كان في فضله وقدمه ينفخ عام الرمادة (١) النار

(١) الرمادة : الهلكة سمي به عام جد بهو قحط وقع في زمن ابن الخطاب لهلاك الناس فيه والاموال .

تحت القدور حتى يخرج الدخان من تحت لحيته » ذكر هــذا مالك لهـــارون الرشيد ، وقال له : ان الناس يرضون منكم بما دون هذا •

ونقرأ في سيرة مظفر الدين صاحب أربل أنه بنى أربعة ملاجىء للزمنى والعميان ، وقرر لهم ما يحتاجون اليه في كل يوم ، وكان يأتيهم بنفسه في عصر كل اثنين وخميس ، ويدخل الى كل واحد في نزلــه ، ويسأله عن حاجتــه ، فاحسان مظفر الدين الى هؤلاء رحمة ، ودخوله عــلى كل واحد فـــي نزله ، وسؤاله عن حاله ، تواضع •

وصفوة المقال أن العزة ترجع الى أن يقدر الانسان قيمـــة نفسه ، فـــلا يوردها الا الموارد التي تليق بهـــا ، والكبر يرجع الى أن يرى نفسه في منزلة فوق منزلتها ، فيتراءى في مظاهر يعدها العارفون بكنه حاله اغترارا واسرافا في التقدير ، والضعة ترجع الى أن يغمــط نفسه حقها ، ويضعها فـــي مواضع أدنى مما تستحق أن يضعها ، والمتواضع من يعرف قدره ، ولا يأبى أن يرسل نفسه في وجوه الخير وما يقتضيه حسن المعاشرة •

واذا كان من يحتفظ بالعزة ، ولا يصرف وجهــه عـــن التواضع ، هـــو الرجل الذي يرجى لنفع الامة ، ويستطيع أن يخوض في كـــل مجتمع ، ضافي الكرامة ، أنيس الملتقى شديد الثقة بنفسه ، كان حقـــا على من يتولى تربيـــة الناشىء أن يتفقده في كل طور ، حتى اذا رأى فيه خمولا وقلـــة احتراس من واقع المهانة ، أيقظ فيه الشعور بالعزة والطموح الى المقامات العلا ، واذا رأى فيه كبرا عاتيا وتيها مسرفا ، خفف من غلوائه ، وساسه بالحكمة حتى يتعلم أن المجد المؤثل لا يقوم الا على دعائم العزة والتواضع •

محمد الخضر حسين

مع الخالدين

غاريبالدي

إعداد : سمير شيخاني

صوت : عرف التاريخ العديد من الجنود المرتزقة الابطال . أما غاريبالدي ، وهو واحد من أبرز الابطال في كل عصر ومصر . كان من الجنود المرتزقة غير المحظوظين . وذلك بمحض اختياره . فقد كان دائما يسعى وراء القضايا القليلة المكاسب فيناصرها ويحارب في سبيلها . وكان دائما يحمل السلاح لنصرة المظلومين والمحرومين . فحيثما كانت هناك أمة تنهض الى تحرير نفسها ، سواء أكانت في العالم القديم أو في العالم الجديد، كان غاريبالدي يهب على رأس قوات التحرير . ولقاء خدماته لم يكن ليطلب أي مكافأة أو مجد . ففي سنة ١٨٤٢ ، عندما أحرز سلسلة من الانتصارات من أجل الاورغواي ، كان يعيش وزوجته في كوخ آيل الى السقوط ، ليس له باب ، ومحطم النوافذ .

هذا في الحرب ... أما في الحب ، فقد كان كذلك قليل الحظ ... فقد أحب مرارا ، وتزوج ، ولكن آخر زواج له كان كارثة عليه . فحتى آخر يوم من حياته ظل يفكر في المركيزة ذات الثمانية عشر ربيعا التي بهره جمالها ... ظل يفكر فيها بحقد ، ولكن أليس الحقد قريبا من الحب ؟

غاريبالدي : مهلا ، مهلا ، يا سيدتي ، أراك تتعمقين في حياتي الخاصة .
صوت : عفوا ، يا سيد غاريبالدي .. أنا لم أشأ الا أن أكون مؤرخة صادقة . وأعتقد أن حياتك العامة والخاصة على السواء باتت ملكا للعالم .

ومن الانصاف للواقع والتاريخ ان نلم بكل شاردة وواردة من دقائق حياتك الحافلة في هذه المقابلة .

غاريبالدي : حسنا ، ليس أحب من ذلك الى نفسي ، فسلني ما تشائين .

صوت : أنت من مواليد نيس في سنة ١٨٠٧ ، وقد كان أبوك قبطانا بحريا ، وفي دمك كان يجري منذ نعومة أظفارك حب المغامرة والحرية . وكانت تسليتك المفضلة وأنت صغير التجول فوق التلال ، والسباحة في البحر .

غاريبالدي : والواقع انني قلت مرة للروائي الفرنسي الكسندر دوماس انه يبدو أنني ولدت برمائيا (يقهقه) .

صوت : ولم يكن الخوف يعرف الى نفسك سبيلا ، ولعل أبلغ دليل على ذلك انقاذك امرأة أشرفت على الغرق ولم تكن قد جاوزت الثامنة من عمرك .

غاريبالدي : أنا لو لم أكن صغيرا عندما أنقذت تلك المرأة من الغرق لما لفت علي الانظار واستحق التأريخ .

صوت : في الخامسة عشرة غادرت المدرسة ؟

غاريبالدي : كانت الحرية والانطلاق أحب الي من الجلوس في حجرة الدرس .

صوت : وأبحرت بمفردك الى جنوى سعيا وراء المغامرات . فكان ذلك ضربة شديدة توجهها لوالدك الذي شاء أن يجعل منك كاهنا .

غاريبالدي : ولكن « تجري الرياح بما لا تشتهي السفن » . فلما أيقن والدي أنني لم أخلق لحياة الهدوء والسلام جعلني في عداد بحارة سفينته .

صوت : وكنت ، على صغر سنك ، أفضل البحارة ، وأكثر منهم معرفة ، مع أنك لم تدرس مثلهم .

غاريبالدي : الواقع أنني كنت شغوفا بالمطالعة ، فلم أقصر في قراءة كتب الفلسفة والتاريخ والشعر •• وخصوصا الشعر •

صوت : وكنت كذلك مولعا بالغناء ، تردد كثيرا أناشيد الثورة الفرنسية • وما لبثت بعد سنتين أن أصبحت قبطانا وكانت مهمة قيادة السفن في مطلع القرن الثامن عشر على جانب كبير من الخطورة • وقد أبحرت شطر المشرق حيث كان الاتراك واليونانيون مشتبكين في معركة دامية •

غاريبالدي : وقد حاربت القراصنة الذين هاجموا سفينتي بالفؤوس والمدى • وقد مخرت عباب البحار التي خلدتها قصائد الشاعر بايرون البطولية ، وكنت أعمل بوحي قوله « انه لافضل للمرء أن يموت حرا بدلا من أن يعيش عبدا رقيقا » •

صوت : وفي ذلك الوقت علمت بخبر ذلك الايطالي الذي لم يأبه بالموت في سبيل الحرية • شيرومينوتي ، الذي حاول توحيد بلاده المفككة الاوصال وتخليصها من نير النمسويين ، فوقع أسيرا بين أيديهم ، وكان مصيره الموت •

غاريبالدي : قتلوه ، ولكنهم لم يستطيعوا قتل روحه الثورية • ذلك بأن الشرارة التي أطلقها مينوتي ، ازدادت جذوتها اتقادا فباتت شعلة متأججة في الكثير من قلوب الايطاليين •

صوت : وقد قادك أحد أتباعه الى الوطني الثائر مازيني الذي كان ما يزال حيا يرزق ، ويعتبر رسولا من العناية الالهية للاخذ بالثأر • وهكذا أبحرت الى مرسيليا لمقابلة مازيني ، وكان قد نفي اليها دون أن تلين له قناة •

غاريبالدي : الواقع ، يا سيدتي ، ان كولومبوس لم يجد من السعادة والسرور لدى اكتشافه أميركا ، مثلما وجدت أنا لدى اكتشافي هذا المخلص الذي كان عليه أن يحقق لشعبنا أمانيه ومطامحه القومية •

صوت : وهكذا أثمر تعارفكما تعاونا في سبيل الحرية دام طوال حياتكما : كان مازيني صاحب الحلم الكبير ، وكنت أنت مترجم الحلم الى

أعمال أعظم وأكبر ...

غاريبالدي : في البدء كان تحرير ايطاليا يبدو عملا لا رجاء منه . فقد كانت ايطاليا نتيجة للحلف غير المقدس الذي عقد سنة ١٨١٥ ، مفككة الاوصال ، وأشبه بجثة تنزف دما ... كانت كما وصفها السياسي النمسوي الداهية الساخر مترنيخ ، وهو والد سنة ١٨١٥ غير المقدس ، « مجرد اسم جغرافي ، وليس لها شيء من مقومات الامم .. » .

صوت : ولكي تحيل الاسم الميت الى أمة حية بدأت باثارة العصيان بين بحارة الاسطول الملكي الجنوي . ولكن أحد الثائرين ارتكب جرم الخيانة ، فهربت الى مرسيليا لتجد حكومة بيدمونتي قد وضعت ثمنا لرأسك ...

غاريبالدي : عندها لم يكن بد من السفر مع نفر من الرفاق المخلصين الى أميركا الجنوبية حيث كانت تنتظرنا ثورات أخرى ، وطغيان يجب أن يزول .

صوت : وكانت مغامراتك هناك أغرب حقا من حكايات ألف ليلة وليلة. وطوال اثنتي عشرة سنة ـ أي من سنة ١٨٣٦ الى سنة ١٨٤٨ ـ قدت جنودك الذين كانوا يعرفون بالقمصان الحمر في حروب العصابات التي أدت الى تحرير الاورغواي وريوغراندي . وكما كنت محاربا ممتازا ، كنت كذلك عاشقا ممتازا .

غاريبالدي : لست أنسى الظروف التي جمعتني بتلك الفتاة الاسبانية الحسناء آنيتا ريبيرا التي أصبحت زوجتي على الرغم من ارادة والدها الذي لم يشأ أن يوافق على زواجها مني ، أنا محرر بلادها .

صوت : ومما يذكر في هذا المجال ، يا سيد غاريبالدي ، ان زوجتك كانت تشترك معك في حملاتك العسكرية . ولما أنجبت لك ولدا أسميته مينوتي .

غاريبالدي : تيمنا باسم بطل أول ثورة ايطالية .

صوت : وكنت شابا مليح الوجه ، هرقلي البنية ، تروق في عيون الجميلات . ولكنك كنت مع ذلك مخلصا لزوجتك . ولكي تخفف من غيرتها قصصت شعرك الذهبي الضارب الى اللون الكستنائي ، ذات مرة وقلت لها : « الآن ستتوقف الحسان عن مطاردتي بعض الوقت » (يقهقهان) .

غاريبالدي : لقد فعلت كما فعل شمشون من قبل .

صوت : ولكنك لم تفقد مثل شمشون قوتك على محاربة خصومك وأعدائك . فما ان انتهيت من مهمتك في أميركا الجنوبية حتى عدت الى ايطاليا لتحارب النمسويين ، ولتدافع عن روما ضد الفرنسيين وكنت اذ ذاك تحمل لقب « نمر مونتيفيديو » .

غاريبالدي : كنا ألف رجل ضد ثلاثين ألف فرنسي . ولم يكن ثمة ما ينقذ رجالي من الهلاك على يد الجيش الفرنسي الا معجزة . وقد حدثت المعجزة . وشتت قوات الجنرال أودينو ، وأعلنت روما سنة ١٨٤٩ جمهورية حرة ــ وحكومة « بلا سجون ، وبلا محاكمات ، وبلا عنف .. » .

صوت : ولكن ذلك لم يدم طويلا ، فقد لجأ الجنرال أودينو الى الخدعة ، وفتك بحامية روما ، ولكنك استطعت النجاة بعد اصابتك برصاصة في جنبك . وكانت زوجتك حاملا ، ففرت معك ...

غاريبالدي : وفر معي أيضا ما تبقى من جنودي ، بعد أن أرسلت اليهم نداء أدعوهم فيه الى الالتحاق بي اذا اذا شاؤوا لتحرير بلادهم من نير الدخلاء بمواصلة الحرب .

صوت : ولا تنس أنك وعدتهم بالجوع والعطش والاعياء والمعارك ، والموت . وطمأنتهم الى انهم لن ينالوا أي مرتبات ولا أية مؤونة (يقهقهان) .

غاريبالدي : ذلك هو الواقع . وكانت الشجاعة الفائقة التي أظهرتها وأظهرتها معي زوجتي آنيتا حافزا لهم على تلبية ندائي .

صوت : وكان انسحابكم ملحميا حقا . ولكن زوجتك المسكينة آنيتا مرضت أثناء الانسحاب من وجه النمسويين وماتت قبل أن تكتحل عيناها برؤية أحلامك الكبرى تتحقق ورحلت الى الولايات المتحدة الاميركية حيث حاولت الاقامة ، وحيث عملت في أحد مصانع الشموع .

غاريبالدي : ولكن سرعان ما هجرت العالم الجديد لاقود سفينة عائدة الى الشرق مرددا بيني وبين نفسي : « لقد كفاك مغامرات ، يا جوسيبي ، عد الى ايطاليا ، وانسحب من الحياة العملية ، واخلد الى الراحة . فأنت تتقدم في السن ... » .

صوت : وذهبت الى كابريرا ، وهي جزيرة في عرض ساحل سردينيا ، وابتعت كوخا رجوت أن تنهي فيه ما تبقى لك من أيام على الارض ، في عزلة وهدوء تامين ...

غاريبالدي : ولكن صوت المضطهدين بلغني عبر المياه ، وسرعان ما دبت الحياة مجددا في أعماقي . فقد كانت ايطاليا ، بوحي من السياسي القدير كافور ، تحاول من جديد أن تنفض عنها نير السيطرة النمسوية .

صوت : انه الحلم القديم نفسه ، ايطاليا موحدة ، وحرة .. فغادرت كابريرا ، والتحقت بقوات كافور . وهكذا عدت مرة أخرى الى الحرب ، وعدت كذلك الى الحب . ذلك بأنك التقيت فتاة في التاسعة عشرة من عمرها تدعى المركيزة راكموندي ، فتزوجتها بعد فترة غرام لاهب في كانون الثاني من العام ١٨٦٠ .

غاريبالدي : ولكني تركتها بعد بضعة أيام من الزواج لانني عرفت انها كانت ما تزال على علاقة بشاب كانت تحبه قبلي .

صوت : ولم يبق أمامك الا ميدان القتال ..

غاريبالدي : لم يكن بد من ذلك . فقد تألمت كثيرا ، وطعنت في حبي وفي كبريائي .

صوت : ولكنك تعزيت بتكريس حياتك من جديد لخدمة بلادك . فبألف متطوع منحت ايطاليا كلا من نابولي وصقلية . ثم انسحبت الى جزيرتك كابريرا . وحتى آخر يوم من حياتك ظللت تفكر في المركيزة ذات التسعة عشر ربيعاالتي بهرك جمالها ... كنت تفكر فيها بحقد ... ولكن أليس الحقد قريبا من الحب ؟

غاريبالدي : تماما ... لم يتحقق حلمي في الحب ، فتحقق في الحرية والوحدة فاذا بإيطاليا تتوحد تحت حكم ملك واحد هو فكتور عمانوئيل ، من أسرة سافوي .

صوت : وماذا كانت مكافأة الملك لك على ما قمت به من أجل توحيد ايطاليا ؟

غاريبالدي : في السادس والعشرين من تشرين الاول سنة ١٨٦٠ ، قابلني الملك فكتور عمانوئيل وكنت مع نفر من رفاقي الثوار . كان لقاء باردا في ذلك الصباح البارد الرطب . وبعد ان هز الملك يدي مصافحا ، واصل طريقه تتبعه الحاشية في موكب فخم . وكان موقفنا ، جنودي وأنا ، موقف المتفرجين العاديين الذين لم يكن لهم أي دور في تحمل ضريبة الحرب الباهظة . وكان الى جانبي صديقة دجيسي هوايت ، قلت لها : « دجيسي ، انظري ، انهم يدفعوننا الى الخلف » .

صوت : لا عليك يا سيد غاريبالدي ، فالحال هكذا دائما مع أمثالك : في الحرب تكونون في المقدمة وعندما تنتهي الحرب ، تصبحون في المؤخرة.. أليس كذلك (يقهقهان) .

غاريبالدي : لا بأس ، يا سيدتي ، لا بأس ...

سمير شيخاني

عدنان مردم شاعراً

بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

عرفت عدنان مردم منذ سنين طوال ، من دواوينه الثلاثة التـي صدرت له : نجوى (١٩٥٦ — دار المعارف بالقاهرة) — صفحة ذكرى (١٩٦١ — عن الدار نفسها) عبير من دمشق (١٩٧٠ — بيروت — عويدات) .

وقرأت له مسرحياته الشعرية بعد ذلك : غادة أفاميا (١٩٦٧ — بيروت) — العباسية (١٩٦٨) — الملكة زنوبيا (١٩٦٩) الحلاج (١٩٧١) — رابعـة العدوية (١٩٧٢) — مصرع غرناطة (١٩٧٣) — فلسطين الثائرة (١٩٧٤) — فاجعـة ميرلنغ (١٩٧٥) — ديوجين الحكيم (١٩٧٧) — وكلهـا من طبـع بيروت .

وبين يدي ديوانه الاخير « نفحات شامية » الذي صدر في بيروت عـام ١٩٧٩ ، مضمخا بعبير الحب للشام ، ولمدينته العريقـة دمشق ، ذات التاريخ الطويل الحافل .

وعدنان مردم بك مـن أسرة المردمين ذات الماضي العريق فـي التاريخ والادب واللغة والشعر وعلوم الدين . وبحسبنا والده خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق من قبـل ، وصاحب الآثـار الادبية الخالـدة المشهورة ، والذي يكتب عنه صديق لنا رسالة للدكتوراه ، وهو « خير الدين كم الماز » .

وعدنان مردم من طبقة جيل الرواد في الادب السوري الحديث من أمثال : أبو ريشة وأمجد الطرابلسي ، وأنور العطار ، وزكي المحاسني ، وسواهم . وهو شوقي النزعة ، ينتمي الى مدرسة البعث الجديد ، ويشبه عزيز أباظة في الشعر المصري المعاصر ، وفي اتماءاته الفنية والادبية ، وموسيقاه الحلوة ، وخياله التصويري البديع ، شاهدان له على رفعة محله في الشعر ، وتميزه فيه .

وسأكتفي في هذه الكلمة بالحديث عن ديوانه الاخير « نفحات شامية » الذي يمثل الكلاسيكية الجديدة خير تمثيل بكل خصائصها وسماتها الفنية والفكرية .

ـ ٢ ـ

« نفحات شامية » يمثل شاعرنا الكبير عدنان مردم بك خير تمثيل ، فهو يحمل روحه الوطنية المتأججة ، ويحمل طابعه الشعري البديع الجديد ، ويحمل موهبته التصويرية الرفيعة الاصيلة ، ويحمل منهجه في نظم القصيد وموسيقاه ، ويحمل قبل كل شيء فكره وثقافته وطابع فهمه للحياة .

وأبواب الديوان الكبرى هي : الوصف والطبيعة ـ صور فنية ـ المعذبون في الارض ـ شيء من القلب ـ تأملات ـ صور من التاريخ .

١ ـ فالوصف والطبيعة تسع قصائد جميلة مؤثرة : دمشق التاريخ ـ الليل في دمشق القديمة ـ سوق الحميدية ـ برك الماء في بيوت دمشق ـ قاسيون في الثلج ـ وصف ليالي الحسوم ـ النارجيلة ـ القرية في الليل ـ وصف الجفاف والمحل .

ولنأخذ قصيدة من هذه القصائد لنتعرف اليها والى الشاعر ، ولتكن قصيدته « الليل في دمشق القديمة » بأبياتها الثلاثين ، وبموسيقاها الحلوة التي ترجع الى بحر الخفيف ، وبقافيتها الدالية الممدودة ، وبخصائصها الفنية المتميزة .

القصيدة تدل على ملكة الشاعر الرفيعة في التصوير والوصف والخيال ، ويكاد الشاعر يمثل لنا الليل في رهبته وسطوته في دمشق القديمة أروع تمثيل . ودمشق القديمة قد تختلف عن الجديدة في هبوط الليل عليها ؛ فلا شك ان لقدمها واطلالها وحاراتها وشوارعها الضيقة ، ولاهلها المكافحين أثرا متميزا بالليل ، ومن منا لا يقف مذهولا أمام روعة الليل في حي الحسين بالقاهرة ، وهو الحي القاهري الفاطمي القديم ، الذي يأخذ بالليل زينته وجماله وبهاءه ، كأنه عروس تتزين في ليلة زفاف ، مما لا تجد شبيهه في ليل القاهرة الجديدة ، من أحياء الزمالك أو جاردن سيتي ؛ أو مصر الجديدة أو مدينة المهندسين مثلا .

والشاعر يبدأ قصيدته بوصف الظلام ، الذي يلقيه الليل على الكون رهيبا ذا سورة وسلطان :

عصف الليل في الفضاء البعيد ... بغواش ملء البسيطة سود
وترامى في شاسع كعباب ... تترامى أطباقه عن وعيد
وقتام الظلام في كل أفق ... يتراءى كبيرق معقود
نشر الرعب في النفوس فجاشت ... خوف رعب أضالع كبنود

وهو هنا يمثل رهبة الليل وسطوته ، وحلوله على الكون ، وكأنه البحر اللجي تثور أمواجه بوعيدها وتهديدها . وسواد الظلام يبدو في كل أفق ظاهرا مرفوعا ، وكأنه العلم المرفوع والراية المعقودة .

ثم يعود الشاعر الى دمشق التي لا تهرم أبدا ، ولا تعرف في الليل الرهيب غير الوداعة والسكون والمهادنة :

واستكانت دمشق تحت جناح ... لظلام على الورى ممدود
نعمت دونه دمشق بفيء ... من ظلال ، واستسلمت للهجود
من رآها في غمرة حين ألقت ... بذراع على التراب ، وجيد
خالها الورد أطبقت بجفون ... لمنام على سراب الوعود

الـى أن يقـول :

وتـراءت دمشــق خلف نقــاب … من جــلال لغابـر من جــدود
جثمت كالفتــاء مائــم ريــب … وهــي ترنــو بمقلــة لبعيــد

فدمشق تستلم للسكون في الليل ، وتنام مـلء جفونها ، كأنها الغـادة الهيفاء ، تستـسلم للنوم في سراب الوعود .

وكنت أظن ان الليل في دمشق القديمـة يبعث فيها الحيـاة والحركـة والنشاط ، كما نرى في حي الحسين ، أو حي السيدة زينب مثـلا في القاهرة ، ولكن الامر هنا بالعكس كما يصوره الشاعر الكبير .

ويستمر الشاعر في وصف الليل في دمشق القديمة ، فيصفه بالطرافـة ، ويصفها بالصمت المطبق ، حيث يقول :

تجد الليل فـي دمشق طريفا … يبهر العـين بالطريف الجديد
ويطول الصمت العميق ويحلو … بالاماني مـن طارف وتليـد
تجد الصمت ضاربـا بجران … دون ليل اطباقــه من حديـد

ثم يعود الى دمشق وتاريخها التليد الحافل وكفـاح أبنائها على طـول العصور فيقول فيما يقول :

ودمشق التاريـخ همس نشيــد … عبقري عـلى شــفاه الخلــود
ذكريات من عبــد شمس أراها … بظنوني وخاطـري ونشيـدي
ســطعت كاليقين فهـي ضيــاء … لنفوس حـيرى وطرف جحـود
وأراهــا تلــذ في كــل سـمع … كلحــون علويــــة الترديـــد
يـا بلادي ومــا ترابك عنــدي … برخيص ولــم يكــن بزهيـد
طاب عندي(كالبيت) طهرا وطابت … ذكريات عزيـزة مــن جـدود

وهنـا ننوه بأمرين : موسيقى الشاعر الرائعـة ، وملكته التصويريـة الرفيعة ، ثم بطبعه الشعري الجميل وموهبته الاصيلة في نظم القصيد ، ونجد

هنا قاموس الشاعر اللغوي ، هذا القاموس الذي ينم عن اعتداد بالتراث ورجوع اليه ، واعتزاز به ؛ وعن ثقافته اللغوية الواسعة ، وأشير هنا الى أن المقطع الاخير في هذه القصيدة ، قد صدر به الشاعر ديوانه ، تحية لدمشق ولتاريخها الطويل العريق • وقصائد هذا الباب كله تعود الى بحر الكامل ، والخفيف والرمل والمتقارب ••

٢ ــ وباب الصور الفنية يشتمل على ست قصائد هي :

راقصة آه يا زين ــ المتحلقون حول النار ــ ثور السانية أو الساقية ــ وصف هرة مدرب الحمام ــ شارب النارجيلة •

ولنخص بالحديث هنا قصيدته « شارب النارجيلة » التي تعود الى بحر الوافر ، والتي يصف فيها سحب الدخان ، التي تخرج من فم شارب النارجيلة، ويصف ما يعتريه من آلام وعذاب وادواء • ثم يصف طرحها في ركن من الدار ، ويصف رقة زجاجها وصفاءها وعزتها عند صاحبها ، ويصف القوم الذين يجلسون اليها للشراب •

يقول في مطلع هذه القصيدة :

أظال يعب من سؤر الندامى ... لظى ويمجها سما زؤاما

ثم يقول :

أعذبا عب شاربها وشهدا ... أم الاسقام يكرعها لماما
أطال عذابه بيديه لما ... عن الاصباح من عنت تعامى

ويقول فيها :

ثوت (نرجيلة) في عقر ركن ... وقرت كالاذى سكن العظاما
مطارفها الزجاج صفت وراقت ... كما صفت المدامع من يتامى
تكاد لرقة ولفرط صقل ... تسيل كقرب سارية ترامى

يريد كماء سحابة ممطرة بهطل •

ومـا ينفـك شاربهـا حفيـا   كـأن بهـا يرى بـدرا تمامـا

الى آخر هذا الوصف العميق الجميل ، ثم يسترسل الى شاربيها فيقول في وصفهم :

تـرى سمارها رقـوا وراحـوا   بحلبتهـا عـلى ضغن كرامـا
يطيلـون الحديث بـلا عتـاب   ويخفون العـداوة والخصامـا
رضوا بالـدون من عمر ذليـل   وعاشوا دهـرهم ابـدا نيامـا

واذا عدنا الى قصيدته « النارجيلة » في باب الوصف والطبيعة ، التي تعود الى مجزوء بحر الكامل ، والتي مطلعها :

تاج « لها فوق الجبين » يذكر على كر السنين ويقول فيها :

ضمت مـن البلـور ثوبـا   سـال مـن هيف وليـن
شـفت طرائـق نسجـه   كأشـمة القلـق المبيـن
بلورهـا مـن رقـة   همس الوساوس والظنـون
والمـاء فـي أحضانهـا   صخب ، وطـورا مستكيـن
يتلـو أقاصيص الهـوى   ويقصهـا للسامعيـن
تلقـاه يسهب تـارة   وتراه يوجـز مـن شجون
هـو واللظـى متجـاوران   معـا عـلى كـر السنيـن
ضمتهمـا « نرجيلـة »   ضـم المتيـم باليميـن
خرطومهـا عبـق الشـذا   للطامعيـن الحالميـن

ثم يتحدث عن شاربيها حديثا عذبا رقيقا رفافا . وقـد استوقف نظري فـي البيت :

أنفاسـها حكـت السالفـة   رقـة للظامئيـن

وأظن فيه خطأ مطبعيا ، ولعله :

أنفاسـها حكـت السلافـة   رقـة للظامئيـن

تجد هذه القصيدة أكثر عذوبة ، وأروع تصويرا ، وأحلى موسيقى ؛ وان كانت مضامين القصيدتين واحدة ..

وقصائد الباب الثاني تعود الى بحر الكامل والمتقارب والوافر ، ويشبه الباب الثاني في ـ الاعتزاز بالقاموس اللغوي ـ ويشترك معه في الطبع الشعري الاصيل ، وفي قوة ملكة الوصف والتصوير ، حتى لنكاد تحسبنا امام ابن المعتز الشاعر الخليفة العباسي (٣٤٧ ـ ٣٩٦ هـ) من جديد .

٣ ـ والمعذبون في الارض عشر قصائد هي :

بائع الصحف ـ الجزار ـ موزع البريد ـ الخباز ـ الفلاح ـ الحداد ـ الراعي ـ ضاربة الودع ـ مسحر رمضان ـ بائع الصبار .

ولنأخذ قصيدة من هذه القصائد ، ولتكن « الفلاح » ، لنتعرف عليها وعلى الشاعر من خلالها ؛ ولنرى كيف نظر شاعرنا الكبير الى هذا الرجل المسكين المعذب في الارض . الذي عني بوصفه ، عنايته بوصف أشباهه من المعذبين في الارض في هذا الديوان ، وفي ديوانه الآخر ؛ عبير من دمشق .

يقول الشاعر الكبير في مطلع هذه القصيدة التي نظمها من بحر الرمل :

صامت والحقل همس ونداء ... واجم والصبح نفح وعطاء

ثم يصف املاقه وكدحه وسقمه وكفاحه ، كما يصف بكوره وشقاءه بمحراثه وبالارض التي يزرعها فيقول فيما يقول :

هب يسعى ضاربا في شاسع ... يمين هي والصخر سواء
أيقظ المحراث من غفوته ... فانبرى المحراث يحدوه الرجاء
نخب الارض ، ولم تأل يد ... تنخب الارض له كيف يشاء
صدره في صدرها لا يأتلي ... عالقا ما كر صبح أو مساء
كمحبين التقى ثغراهما ... بعد أن برح بعد وجفاء

ثم يصف الشاعر صبر الفلاح وهمته وعفته واسماله الباليات يقول :

تجـد الفلاح لـم تغرب لـه همة مـا أشرقت يوما ذكـاء
لبس الصبر عـلى المـر ولم يعيه في العيش مـر أو بـلاء
هو كالطير عـلى السعي هوى كلمـا يخفق للفجـر لـواء
مـا على الفلاح لو رثت لـه شملة، والعرض في الطهر سماء

هذه القصيدة الرائعة التصوير لا حد لجمالها ولا لبلاغتها ولا لروعتها ، وفي آخرها يقول الشاعر :

يـده العجفاء سالت في الربى رحمة ، فالنفح منها والعطـاء
سقت الارض دما من جرحها بسخاء لا يدانيـه سخـاء
ونضت أحلامهـا الغـر التي فاح منها الطيب وانهل الضياء

وقصائد هذا الباب ترجع الى بحر الخفيف والكامل والرمل وموسيقاها حلوة ، وتتميز هي والقوافي بالرنين الجهوري الصدى ، لا الهامس اللحن .

٤ ـ وباب « شيء من القلب » يحتوي على ست قصائد هي : الشباب ـ عـلى الطريق ـ دون الرصيف ـ المغني المقفـر ـ قصص الذكـرى ـ الذكريات الاليمـة .

ولنأخذ من هذا الباب قصيدته « الشباب » لنرى ما تحتوي عليـه من قيم فنية أو فكرية ولتكون مادة لفهم الشاعر كذلك .. فمـاذا فيها ؟ وما هو المعنى الخفي بين حواشيها ؟ يقول الشاعر في مطلع قصيدته هذه ، التي نظمها من بحر الخفيف :

زيف حلـم ، وعالـم مسحور ملؤه التيه والرؤى والغرور
تجد الصعب دونه غـير صعب وسواء لديـه ليـل ونـور
ولياليـه فتنـة وعطـور وصحاريه جـدول مسجور

ثم يستمر في وصف الشباب فيقول :

الشباب الفينان فيض نعيم فاح منه الشذى، ورف العبير
يتراءى في أعين الغير حلما سرمديا ، لا ينتهي ويغور

ثم يقول في كفاح الشباب وجلاده للايام وسعيه في الارض ...

والشباب الفينان جذوة نور وانطلاق الى العلا ومسير
جعل الارض حلبة اصراع مستمر يصول فيها المغير
وأتى النجم غازيا حين ضاقت سبل الارض دونه والبحور
وتحدي الاقدار طيشا وجهلا وهو ذر في الكائنات صغير

ويتحدث عن قصر أيام الشباب ومعجزاته كذلك فيقول :

ما الشباب الفينان غير شهاب يتراءى لفترة ويغور
تتحلى به الحياة ويحلو شظف العيش والشقاء المرير
كيف أوفي الشباب حقا ومدحا وهو دنيا وعالم مسحور

والقصيدة تصويرية جميلة ، وفيها نغمة الحزن على أيام الشباب ، وفيها كذلك صورا من كفاح الشباب ومعجزاته وعبقريته ، ولكنها لا تخلو من العنصر الذاتي المثير . .والشاعر قلما يتحدث عن نفسه في شعره الا عرضا ورمزا .

وقصائد هذا الباب من الخفيف والوافر والكامل والرمل . ومن قصائده الجميلة الرائعة العميقة قصيدته (غصص الذكرى) التي يذكر فيها ماضي وصال مشرق بالحب والحنين واللوعة وهي قصيدة عالية الطبقة في الشاعرية . ويقول فيها الشاعر :

قدحت ذكراك في النفس لظاها وأعادت لوعة طال شجاها
جئت مغناك ضحى أسأله عن ليال واد البين صباها
نثرت ذكراك أياما لنا غالها ريب العوادي وطواها
ليس في الذكرى التي نشتاقها ما يسلي النفس أو يشفي صداها

٥ ــ وفي التأملات ست قصائد كذلك : الشمس ــ السمكة السجينة في قفصها البلوري ــ عالم القمر ــ وصف ليالي رمضان ــ أيتها الارض ــ النبع المتقطع ــ وتعود هذه القصائد الى بحر الكامل والرمل ••• وهي قصائد رقاقة دقيقة التصوير •

٦ ــ والباب الاخير في الديوان هو « صور من التاريخ » ، ويحتوي على ثمان قصائد هي :

وقعة عين جالوت ــ جلنار ــ وهي زوجة الملك قطز التي حاربت معه المغول في عين جالوت وقتلت دونه لترد بنفسها عنه سهم أحد المغوليين فقضت شهيدة في ساحة الحرب ــ الحرب في الجولان ــ الدمار في القنيطرة ــ ابن زيدون ــ محنة بيروت ــ بيروت بعد عام من الفتنة ــ سقوط تل الزعتر •

والقصائد من بحر الخفيف والوافر والكامل والبسيط الذي نظم منه قصيدة واحدة في الديوان هي قصيدة الحرب في الجولان •

وهذه القصائد يمتزج فيها وهج الفن بعبق الذكريات التاريخية الحافلة، ولا نستطيع الحديث عنها لطول الدراسة ، ورغبة في الانجاز •

ـ ٣ ـ

وبعد ، فماذا أقول عن شاعر بردى الكبير ، عدنان مردم بك ، هذا النغم الشجي ، الذي يعيش مع الالهام في ذرى الشام وذكرياته العبقات ، والذي يحول كل شيء في الحياة الى نغم جميل ساحر ، والذي أمسك بعصا الشاعرية ، فتحولت في يده الى معجزة من معجزات الفن ، قل ان نجد مثلها عند الكثير من الشعراء ••• ان ديوانه « نفحات شامية » وحي من السماء •

القاهرة د • محمد عبد المنعم خفاجي

نوفل نيوف ومسؤولية الترجمة

بقلم : عيسى فتوح

صدر مؤخرا العدد الثالث من مجلة « الحياة المسرحية » ـ شتاء ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ عن وزارة الثقافة ، ويرأس تحريرها الكاتب المسرحي الاستاذ سعد الله ونوس ، ويتولى التحرير الاستاذان نبيل حفار ، وسحبان سواح . وأعترف منذ البدء أن هذا العدد سجل قفزة واسعة الى الامام ، بالرغم من أن المجلة لم تحتفل بعيد ميلادها الاول ، وأنني لست هنا في صدد تقويم مواد هذا العدد ، أو دراستها ، فقد يتولى غيري هذه المهمة ، بل أحب أن أتوقف عند كتاب المستشرقة السوفياتية ت. آ. بوتينتسيفا « ألف عام وعام على المسرح العربي » الذي بذلت فيه جهودا مشكورة ، وحاولت أن تؤكد أن جذور المسرح العربي عميقة جدا ، توغلت في تربة المجتمع العربي منذ ألف عام ونيف . وقد قام الاستاذ نوفل نيوف بتلخيص الكتاب عن الاصل الروسي ، وترجمته ترجمة لم تخل من بعض الهنات ، أحببت أن أشير اليها لاستكمال الفائدة من هذا البحث القيم ، وأتمنى لو تولى هو أو غيره ترجمة هذا الكتاب الذي تفتقر اليه مكتبتنا العربية ، لانه من أوسع وأشمل المراجع عن تاريخ المسرح العربي ، الذي كنا نعتقد أنه يبدأ بمارون النقاش !

١ ـ الصفحة السابعة ـ العمود الاول ـ السطر الاول ورد اسم الكاتب المصري أحمد رشدي صلاح ، والصواب أحمد رشدي صالح ، وورد في السطر الثاني قوله : « بروفيسور جامعة بيروت محمد يوسف نجم » وكان يجب أن يوضح أي جامعة ؟ ففي بيروت أربع جامعات ، والمعروف أن الدكتور محمد يوسف نجم أستاذ في الجامعة الاميركية ،

ويعتبر كتابه « المسرحية في الادب العربي الحديث » من أهم مــا ألف فــي هــذا الموضوع •

ه ـ الصفحة السابعة ـ العمود الثالث ـ السطر الثانــي ورد قــول المترجم « كان عند العرب مترجمون عظام (الفارابي ، ابن سينا ، ابن رشد) والمعروف أن هؤلاء فلاسفة وليسوا مترجمين ، كما لا يخفى على أحد ، أما المترجمون العرب فمنهم : حنين بن اسحق ، ويوحنا بــن ماسويه ، وقسطا بن لوقــا وسواهم •

٣ ـ الصفحة الثامنة ـ العمود الثاني ـ السطر الرابع عشر يقــول : « ولكن يا لموضوع الخمر في شعر الحسن أبــي النواس » وكان يجب أن يقول : الحسن بن هاني الملقب بأبي نواس •

٤ ـ الصفحة الثامنة ـ العمود الثاني ـ السطر السابع عشر جــاء فيه « ••• المبتعدين كثيرا عن الاسلام الارثوذكــسي » • أعتقد أن القليلين هم الذين يفهمون معنى هذه العبارة ، وكان يجب أن يقــول الاسلام الحنيف ، وكلمة « أرثوذكس » معناها الرأي المستقيم •

٥ ـ الصفحة العاشرة ـ العمود الثاني ـ السطر الثالث ورد قولــه « ويذكر آدم ميتز في كتابه (النهضــة الاسلامية) » والصواب (الحضــارة الاسلامية) ، وقد نقله الى العربية عبد الهادي أبو ريده •

٦ ـ الصفحــة العاشرة ـ العمــود الثالث ـ السطر الخامس قــال « وملحنون منهم ابن المسجح » والصواب ومغنون منهــم ابن مسجح بحــاء مهملة فجيم •

٧ ـ الصفحة الحادية عشرة ـ العمود الثانــي ـ السطر الخامس عشر ورد قوله « الاينادة » والصواب « الانيادة » وهو خطــأ مطبعي ، وبعــده بسطرين ورد قوله « ضد الغزاة المنغول » والصواب « المغول » •

الصفحة الثالثة عشرة ـ العمود الثاني ـ السطر الثامن عشر ورد قوله « تاريخ الحضارة الاسلامية لجرجي زيدان » والصواب « تاريخ التمدن الاسلامي ، ويقع في خمسة أجزاء » .

٨ ـ الصفحة الثالثة عشر ـ العمود الثالث ـ السطر السابع والعشرون قال « الوقائع المصرية وكان رئيس تحريرها رفعت الطهطاوي » والصواب رفاعة رافع الطهطاوي .

٩ ـ الصفحة الرابعة عشرة ـ العمود الاول ـ السطر السابع والثلاثون ورد قوله « يعقوب صنوع لقب بموليير المصري ، بينما كان لقبه أبو نظار » والصواب أبو نظاره ، وورد الخطأ في اسم جريدته التي أسسها عام ١٨٧٧ فجعلها أبو نظار ، وهي أبو نظاره .

١٠ ـ الصفحة الخامسة عشرة ـ العمود الثالث ـ السطر الخامس ، ورد في حديثه عن أحمد شوقي قوله « الا أن كثرة المقطوعات الغنائية في كل من ليلى والمجنون وعنترة ضمنت لكلتيهما النجاح » والصواب مجنون ليلى .

١١ ـ الصفحة الخامسة عشرة ـ العمود الثالث ـ السطر التاسع ، ورد في كلامه عن عزيز أباظه قوله « قيس ولبنا ثم سقوط الاندلس » والصواب قيس ولبنى وغروب الاندلس .

١٢ ـ الصفحة السادسة عشرة ـ العمود الاول ـ السطر العشرون ورد قوله « وكانت مسرحية السد للكاتب محمود المسادي من أهم الاعمال التي دخلت تاريخ الادب المسرحي في المغرب » والصواب محمود المسعدي ، وهو كاتب تونسي معروف .

١٣ ـ قالت المؤلفة عن كتاب (دراسات في تاريخ المسرح العربي والسينما) لجاكوب لانداو ، أو (يعقوب لينداو) الاستاذ في جامعة

بنسلفانيا في أميركا الشمالية . ولكن عيب كتاب لانداو يكمن في أحادية الجانب لدى المؤلف ، وفي تحيزه لاوروبا أحيانا ، كما أنه لا يربط أشكال الفن المسرحي العربي الشعبية بتطور المسرح العربي ، فيرفض الجوهر القومي له ، فهو يؤكد على فضل وأثر الحضارة الاوروبية على الحضارة الاسلامية ... » وكان على المؤلفة ، أو المترجم أن يشيرا الى أن يعقوب لينداو كاتب يهودي متعصب ، عاش فترة في فلسطين ، ولذلك يريد أن يطمس كل فضل أو سبق للعرب ، وليس هذا بمستغرب من كاتب مشبع بروح التعصب والحقد والكراهة .

دمشق عيسى فتوح

* * *

عنوان مجلة العرفان

بيروت : لبنان

ص. ب : ٣٩٧٨

قيمة الاشتراك

٢٥ ليرة لبنانية في لبنان وسورية

عشرة دنانير في البلاد العربية

خمسون دولارا في الخارج وللحكومات والشركات .

اشتراك الانصار لا حد له .

شعراء كربلاء المعاصرون
عبد الرزاق حسن عزيز

بقلم : سلمان هادي الطعمة

يعتبر الشاعر عبد الرزاق حسن عزيز من الشعراء الذين أخلصوا في شعرهم لقضية بلادهم وأمتهم ، اذ راح يصف بـه الاحداث المثيرة التي مرت بها أمتنا العربية وذلك بتجربة صادقة وتعبير مؤثر • وكان في مثل هـذه المواقف يبدو شاعرا مؤمنا كل الايمان بقضايا أمته المصيرية ، فكان الشعر عنده يمثل الرصاصة التي تنطلق من فوهة بندقية الجندي المقاتل لتستقر في صدر العدو ، ولذا نجد في ديوانه (ظل النخيل) قصائد كثيرة قالها في الثورة الفلسطينية التي تعتبر القضية المركزية للعرب جميعا • وهو في انتاجه الشعري يتفجر عن طاقات ابداعية ضخمة ، وشعره صادر عن تجربة جادة ومعاناة صادقة ، فهو حينما ينظم يعتني بالموضوع ، فاذا انتهى الموضوع انتهت عنده القصيدة ، فلا حشو ولا تهويل ، ولـهذا جاءت قصائده قليلة الابيات ، لان العبرة بالكيف لا بالكم ، وشاعرنا يرسم لوحات جميلة رائعة في معظم قصائده ، وانه ذو عطاء ثر لا ينضب معينه • وهـذه المجموعة تضم العديد من القصائد القومية والاجتماعية والوجدانية • ففي قصيدة (فدائي في الجبهة) يصف المقاتل العربي بقوله :

دماء على أرض الخليل تسيل — وجسم يغطيه التراب هزيل
جرى دمه المطلول في القدس عاطرا — بليل وريان الهواء قتيل
سنهدي بهذا القبر في حومة الوغى — وهـذا سناه شاهد وكفيل
ولليل آيات كأن نجومه — بريق اذا جاء النهار بخيل
حملت بقلبي النهار في ظلمة الردى — وللافق لون كالرماد ثقيل
اذا التحمت ناري بنار بنادق — سمت حيث نجم الفاتحين دليل

سحائب في رحب السماء كأنها　　طريق على بعد الديار طويل
وان بعدت دون اللقاء أحبة　　فكم غائب في مهجتي نزيل

ان كل انسان يناضل من خلال ما يقدم للامة العربية من عطاء ، وشاعرنا يتحسس بنكبة القدس الحبيبة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، فهو يناجيها ويؤكد لها اننا لا ننام على ضيم ، واننا في الدرب لسائرون ، فيقول :

ألا يا نجمة الصبح انظرينا　　على سهف سنخبرك اليقينا
ولست أمهدك أرجو دلالا　　وان جئت المحبة تسألينا

ثم يخاطب الرسول الكريم بقوله :

رسول الله يا خير البرايا　　وأعذب منبع منه روينا
رسول الله هل يرضيك عذر　　اذا جئنا ببابك لاجئينا
وهل ترضى لقومك اذ رماهم　　صهاين بئس قوم حاقدينا
أبا الزهراء جئتك مستغيثا　　أرى الباغين كانوا غادرينا
أبا الزهراء يا سدا منيعا　　ويا بطلا أمام الجاهدينا
وكنا كالكواكب حين تزهو　　ونطلب عفونا في ما عصينا

وفي قصيدته (بين الاحبة والجهاد) فانه من خلال حبه لحبيبته ، أحب الجهاد لتحرير الاجزاء المغتصبة من وطننا العربي الكبير ، لانه كان يريد ان يعيش هو وحبيبته والعرب جميعا في بلاد محررة من كل قيد أجنبي كي تتنسم السعادة الكاملة في ظل الحب المقدس الطاهر فيقول :

قد ضل عقلي حائرا لا يرجع　　والشوق في سلمى أحر وأوجع
كم زرتها ليلا بطيف عابر　　حبي لها بين السطور سيطبع
ماذا أقول وأي شعر نافعي　　ان الكلام بوصفها لا ينفع
أحببتها سرا ولست بخائف　　وأحبها جهرا وعيني تدمع

الحب أغلى من عذول يعـــذل والسـهد يمضي بالفؤاد ويفزع
هذي جفوني قد أطاح بها الكرى ما ذنبها لا تستريح وتقطـــع
اللـــه يقضي مـــا يريد بحكمه اني رضيت بـــه واني طيـــع
ولبست ثوبا غـــير ثوب أحبتي فعلام جفني في الدجى لا يهجع
ولبست ثوبا غـــير ثوب أحبتي فوجدته مجدا وتاجا يلمـــع
لكنما ألمـــي ووجـــد صبابتي قد أصبحا نـــارا بها أتلـــوع

اضافة الى ذلك نجد اهتمامات الشاعر بجوانب الحيـــاة المختلفة ، فلـــه كثير من القصائد في الاغراض الاخرى كالاخوانيات والوصف والرثاء وغـــير ذلـــك .

مما تقدم يتضح ان شعره يتمتع بحس مرهف وصدق شعور وحـــرارة عاطفـــة .

والشيء الذي يؤثر في النفس أشـــد التأثير ويؤلمها أقسى الالـــم هو ان الشاعر عبد الرزاق حسن عزيز توفي وهو لا يزال في بدايـــة عطائه الشعري ، حيث استأثر به الموت وهو في أخريـــات شبابه ، وكان المجـــال أمامه واســـعا للاجادة في قرض الشعر ومحاولة الابداع فيه ، ولذا فوجيء أصدقاؤه برحيله الابدي ، فترك في نفوسهم لوعة حرى وفي عيونهم دموعـــا عبرى . وبامكاننا أن نقول ان اسمه سيخلده طويلا ، حيث ان أثره (ظل النخيل) كفيل بتخليده ما كر الجديدان .

كربلاء ــ العراق سلمان هادي آل طعمة

* * *

رسوم

شاعر نسيه الناس

بقلم : السيد هاشم ابراهيم

لم يزل ينوه وقد نسوه مع أنه من نفحات الوطن العطرة أسهم في كـل بناء ؛ في السياسة فكان من أعلامها الذين صدقوا الوعـد واستهدفوا رفعـة الوطن ومنعته بنهجهم وسلوكهم ؛ فلم يذكر أحـد عنـه أنه أساء لمواطن أو اتخذها ذريعة للكسب ، عمل جاهـدا في خدمة المصلحة العامـة وحاول أن يرتفع بالمفاهيم لمستوى القيادة المسؤولة عن التخطيط والتوجيه ، ولم يجعل ارضاء عامة الناس هدفا له دون ان يكون قانعا بالخطـة التي يرسمها لنفسه ، وفي الادب فزود التراث العربي بروائـع تضفي على الغزل والحنين والرثـاء ثوبا زاهيا مشرقا لا تبلى جدته على مرور الليالي والايـام ، وارتفع بصفات الاديب وسماته للافق البعيد حيث ينبعث النور من رسالة الموهبة والاخلاص للفن على أن يوجه الحياة لما فيه سمو النفس الانسانية وخير الانسان •

وفي الاجتماع ، فلم يترك للنبل مزية دون أن يقتنصها وتكون شعارا له ، سمير حبيب تحوطه الكؤوس المشعة والعيون المتألقة ؛ ويتحلق حوله الاخوان والندمان ، أخو ليل ونجوى لا تصرفه الكأس عن القيـام بالواجب وتحقيق الرغائب ، فاذا جد الجد لا يني عن حمل الاعباء ولا يتقاعس عن دواعي المروءة والوفاء ، كأن الشاعر العربي القديم لم يقصد غيره عندما قال :

شمر نهـارا فـي طلاب العلـى — واصبر على هجر الحبيب القريب
حتـى اذا الليـل أتـى مقبـلا — واكتحلت بالغمض عين الحبيب
فقابـل الليـل بمـا يشتهـي — فانمـا الليـل نهـار الاريب

وثق الصله بين النخبة من أبناء وطنه وبين أشقائهم في العالم العربي فكان اللسان الناطق في المحافل ورب البيت الذي يقصده الضيوف والزوار ، أما في الشعر فقد غاص بالعمق واستلهم من كنوز الحياة غرره الحسان وانتقى لخواطره الرائعة كلمات فريدة مشرقة فكان نسيجا وحده قل من أدرك شوطه من الشعراء ؛ ومع ذلك نسيه الناس وقد أقعده المرض ، وربما نال عنايتهم واهتمامهم من لا يستحق ذلك من الذين يمرون بالحياة مرورا عابرا وقصارى ما يرجو منهم الانسان الواعي المؤمن بالقيم ان لا يعكروا الماء ولا يقطعوا الرجاء ، كنت أجلس اليه فيتسلسل حديثه كما يهمي الغيث فيروي الارض العطشى واني أذكره الآن بقوله :

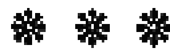
نحن في الذكرى تلاقينا على قبل الشوق وضوضاء اللقاء
وتشاكينا تباريح الهوى وتنفسنا هناك الصعداء
ملتقى من خلس السعد ومس لذة الغمض ومن نيل الرجاء

رسالة الطبيب

مارس مهنته في الحي الذي يسكنه في المدينة ورأى جيرانه ومرضاه فيه نمطا فريدا لا عهد لهم به ، فليس للمعالجة عنده رسم محدد ، ولا للمعاينة أوقات مقررة ، يراعي بالنسبة لبدل أتعابه الذي يستوفيه حالة المريض المادية فربما تبرع بثمن الدواء أو قنع بالميسور مهما كان قليلا ، وربما فرض قيمة مرتفعة عندما يعلم ان حالته تتحمل ما يستحقه من أجر ، أما وقت عمله فهو حسب الحاجة اليه ، يلبي النداء ولو في ساعة متأخرة من الليل ، ويلفت النظر فيه بنوع خاص أنه يقرأ ويبحث ويتزود من المعرفة دائما ، فليس لها عنده حدود ؛ لسان حاله الحكمة المأثورة (يبقى العالم عالما ما طلب العلم فان ظن أنه علم فقد جهل) وكثيرا ما يحجم عن القيام بأي عمل منتظرا مراجعة كتاب أو مشورة من يثق به من زملائه ، يعتمد في سلوكه وأسلوبه على التواضع ومحبة من يتعامل معهم فيعالج النفس قبل الجسم ولا يشعر من يراجعه بغير

العاطفة والحنان وكان من نتيجة ذلك أنه أصبح قريبا من القلوب والنفوس ، أحب فيه المواطنون هذه الصفات فأرادوه لمجال آخر هو بزعمهم أوسع دائرة وادعى للفائدة والمنفعة : وهذه هي حالتهم كلما استعرت فيهم جذوة المحبة والاحترام لمواطن تميز بصفاته وأعماله رشحوه للسياسة ورغبوا اليه أن يكون فارس ميدانها ، ولم يغيروا طريقتهم مع الطبيب سمير ، أرادوا منه ان يكون نائبا عنهم يمثلهم في البرلمان فأبى عليهم ما أرادوا ولم يقتنع أنهم على صواب بما يهدفون اليه ، وسمعته يحاورهم قائلا : انني لا أفهم لم يجب على من قدر له خدمة المصلحة العامة أن يكون رجل سياسة لينال رضى الجمهور ويحقق الآمال المعقودة عليه ، لم لا يكتفي منه الناس بأداء رسالته بالحقل المعد له ، أليس الانسان ميسرا لما خلق له .

ألا ترون معي ان الانحراف بالعامل المجتهد عن نهجه والوقوف بينه وبين تحقيق رغبته لا ينتج عنه سوى ضرر المجتمع ومنع القافلة عن المسير ، ان المعلم في مدرسته والمزارع في حقله والطبيب في عيادته وغير هؤلاء من العاملين لخير المجتمع ، أصحاب رسالة يتوفقون في أدائها بمقدار ايمانهم واجتهادهم وانكم تفرضون بسعيكم هذا أعمالا ومناهج على من لم يخلق لها ولا يرغب فيها ، فرفقا يا سادة بأنفسكم وبمن تحبون .



بين علي وصعصعة

❊ قيل : ان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عاد صعصعة بن صوحان في مرضه ـ وكان من شيعته الاقربين ، فقال : « يا صعصعة لا تتخذ عيادتي لك أبهة على قومك » فقال صعصعة : « بلى والله أعدها منة من الله علي وفضلا » فقال له الامام علي : « اني كنت ما علمتك لخفيف المؤنة ، حسن المعونة » فقال صعصعة : « أنت والله ـ يا أمير المؤمنين ـ على ما علمتك بالله عليما ، وبالمؤمنين رؤوفا رحيما » .

لقاء مع الأديب السوري
عيسى فتوح

أجرى اللقاء : حسين علي محمد

حياتـــي :

ولدت عام ١٩٣٥ في قرية صغيرة اسمها (بقرعونة) مـــن قرى منطقـــة (صافيتا) الجميلة ، محافظة طرطوس (سورية) • أنهيت المرحلـــة الابتدائية في مدرسة خاصة بقرية (كفرون سعادة) المجاورة ، والاعدادية في ثانويـــة ابن خلدون الخاصة في (مشتى الحلو) والثانوية في التجهيزية الارثوذكسية بدمشق عـــام ١٩٥٦ •

انتسبت الى كلية الآداب ـــ قسم اللغة العربية عام ١٩٥٦ وتخرجت منها بشهادة الليسانس عام ١٩٦٠ • ثم قضيت عاما واحدا في كليـــة التربية حيث نلت في نهاية عام ١٩٦١ شهادة الدبلوم العامـــة في التربية • وكانت دراستي الجامعية كلها على نفقة الدولـــة لانني فزت بمسابقة المعهـــد العالي للمعلمين يومئـــذ •

بدأت في تدريس اللغة العربية وآدابها وأنا في سنتي الجامعية الثالثـــة لاني حرمت من والدي صغيرا ، وبعـــد أن دخلت مـــلاك التعليم الرسمي في وزارة التربية تنقلت بين مدن : ادلب ، حلب ، بانياس ، اللاذقيـــة ، الـــى أن استقررت نهائيا في دمشق منذ عام ١٩٦٩ •

عملت سنة واحدة في مجلة « المعلم العربي » التي تصدرها وزارة التربية شهريا ثم عدت الى العمل في التدريس ، وأنـــا الآن أمين سر جمعيـــة النقـــد الادبي في اتحاد الكتاب العرب بدمشق • وأمارس الكتابة الادبية في جريدة (الثورة) بنوع خاص •

أخذت أنشر دراساتي في النقد الادبي منذ عام ١٩٥٦ في صحف ومجلات الوطن العربي ، ولا سيما « الاديب » اللبنانية ، و « الضاد » و « الكلمة » و « اليقظة » في حلب ، و « المعرفة » و « الموقف الادبي » و « الثقافة » و « جيش الشعب » و « الشرطة » في دمشق . أما الصحف التي كتبت فيها فلا تحصى ...

متزوج ولي أربع بنات هن : لينا ورنا ومايا وميرنا . أجيد اللغة الانكليزية .

مؤلفاتي :

١ ــ « عندما جاءت عصافير الدوري » ــ مجموعة شعرية مصورة للاطفال للشاعرة البلغارية ليدا ميليفا . ترجمة ، صدرت عن وزارة الثقافة ١٩٧٥ .

٢ ــ « أديب اسحق » باعث النهضة القومية ، سيرة ونقد ــ تأليف . صدر بمساعدة اتحاد الكتاب العرب بدمشق ومجلة « العرفان » ١٩٧٦ .

٣ ــ « مدرسة القلق » مجموعة قصص للاطفال مترجمة عن : بليسا تسكوفسكي ــ ايرينا زخيلزنوفا ــ الكسي تولستوي ــ سيلفي فالجال ــ الكسندر بوشكين ــ يوري افيرنكوف ــ فالنتين كاتايف . ويضم ثماني عشرة قصة . صدرت عن وزارة الثقافة ١٩٧٦ .

٤ ــ « دنيا الحكايات » مجموعة قصصية للاطفال مترجمة عن الكاتب البلغاري انجل كارا ليتشف ، ستصدر عن وزارة الثقافة وتضم عشرين قصة .

٥ ــ « الفأس الذهبية » مجموعة قصصية للاطفال . ترجمة ، ستصدر قريبا عن وزارة الثقافة .

٦ ــ « كتاب قوس قزح » مجموعة شعرية للاطفال للشاعر الروسي صموئيل مارشاك . ترجمة ، وهو قيد الطبع .

١ ـ ما رأيكم في الحياة الادبية العربية الآن وأين سورية في خريطـة الابداع العربي ؟

تمة نشاط ملحوظ في الحركة الادبية العربية الآن ، تلمس آثـاره من خلال لما يصلنا مـن صحف ومجلات الاقطـار العربيـة ، ولا سيما في مصر ولبنان (قبل الحرب الاهليـة) لكننا لا نستطيع أن نرصد هـذه الحركـة النشيطة بدقة ، لان القارىء العربي ما يزال ممنوعا مـن الاطلاع على جميع الكتب والمجلات والصحف التي تصدر في قطر آخر ، بسبب اختلاف أنظمـة الحكم ، وسوء التوزيـع ، ووضـع العراقيل والسدود فـي وجـه تسويق المطبوعات على اختلافها . هناك نشاط في التأليف يوازيه نشاط مماثل فـي الترجمة من الآداب الاجنبية . وعندنا في سورية مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب تحمل اسم (الآداب الاجنبية) ، لكنها حتى الآن تهتـم بنقل الاداب الاجنبية الى العربية وليس العكس . اننا بحاجة لان يعرف العالم أدبنا ويقف على نشاطنا الفكري والثقافي ، ومدى تقدم وتطور هـذا النشاط . والواقع أن سورية جادة في هذا السبيل لتثبت ذاتها بـين شقيقاتها العربيات ، ولعلها تأتي في الدرجة الثالثة بعد مصر ولبنان ، وعندنا أدباء مرموقون في الاتحـاد وخارجه يعكفون بجد على التأليف والترجمة ، يتبنى الاتحـاد كتبهم المؤلفة ، أما وزارة الثقافة فتتبنى كل انتاج جيد سواء أكان تأليفا أم ترجمة ، في حـين انصرف مجمع اللغة العربية الى تحقيق التراث فقط . أمـا دور النشر الخاصة فقليلة جدا ، أو قل معدومة بسبب غـلاء الورق وأجور الطباعـة ، فالاديب يعتبر طبع أي كتاب على نفقته الخاصة مغامرة .

من شعرائنا الاحياء المرموقين : بدوي الجبل ، عمرأبو ريشة ، سليمان العيسى ، أحمد سليمان الاحمد ، أحمـد الجندي ، حامـد الحسن ، سليـم الزركلي ، عدنان مردم بك ، عزيزة هارون ، نزار قباني ، ويأتي فـي الجيل الثاني : محمد عمران ، ممدوح عدوان ، علي الجندي ، فايز خضور ، عـلي كنعان ، نهاد رضا ، منذر لطفي . أما كتاب القصة والروايـة فمن أشهرهم :

عبد السلام العجيلي ، حنا مينه ، فاضل السباعي ، زكريا تامر ، اسكندر لوقا، عـادل أبو شنب ، حسيب كيالي ، صلاح ذهني ، عبد اللـه عبد ، جـورج سالم ، وليد اخلاصي ، عدنان الداعوق ، عبد العزيز هلال ، وداد سكاكيني ، الفة الادلبي ، غادة السمان ، كوليت خوري ، سلمى الحفـار الكزبري ، أم عصام (خديجة النشواتي) • ومن كتاب المسرح : عدنان مردم بـك ، عـلي عقله عرسان ، خليل هنداوي ، سعد الله ونوس ، فرحان بلبل • ومن النقاد : عدنان بن ذريل ، محيي الديـن صبحي ، عيسى فتوح ، خلـدون الشمعـة ، يوسف اليوسف •

٢ ـ كيف يصير هناك تكامل أدبي عربي ؟

لا يمكن أن يصير هناك تكامل أدبـي عربي الا بفتح الحدود وازالـة الحواجز أمام رحلة المطبوعات على اختلاف أنواعها • وهذا لا يتم الا بتوحيد أو اتفاق الانظمة السياسية في الاقطار العربية • ورغم المؤتمرات الادبية التي عقدت في كل من لبنان وسورية والعراق والكويت وتونس والجزائر دعت الى تسهيل حركة المطبوعات ، لتمهيد الافكـار ، الا ان العملية ظلت مـع ذلـك متعثرة • ثم يجب أن يبقى الادباء أحرارا في التعبير عن آرائهم وأفكارهم،وان يعقدوا الصلات الودية ، عـن طريق اللقاءات الدائمة ، وتبـادل الرسائـل والزيارات والخبرات ، واهداء الكتب ، والتعاون الوثيق المبني على المحبـة والالفة ، وعقـد المؤتمرات ، وتنظيم الرحـلات الجماعية بين أدبـاء الاقطار العربية • فكم من صداقة أدبية بقيت محصورة في مجال المراسلة فقط !

٣ ـ ما هي مشاريعكم الادبية المستقبل ؟

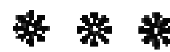
ان اطبع ما لدي من مخطوطات ، وأجمع ما نشرته في الصحف والمجلات العربية في كتب مستقلـة ، فشهرة الكاتب تقـوم بالدرجة الاولى على كتبه المطبوعة لاعلى المقالات والابحاث التـي ينشرها في الصحف والمجلات مهمـا كانت كثيرة ، فقد لا يتيسر للجميع قراءتها ، وقد تضيع في ركام الموضوعات

المتعددة التي تحويها ، بالاضافة الى أن صورة الكاتب لا تبدو متكاملة الا في الكتاب لانه جامع شامل . آمل أن أوفق للمزيد من الكتابة التي أرضي بها تطلعات الجماهير ، وأعبر فيها عن همومهم وآلامهم ، وأضيف حجرا جديدا الى البناء الادبي الشامخ الذي نسعى جميعا لاقامته . لكن الظروف الصعبة التي يعانيها الكتاب بخاصة تحول دون ذلك ، وفي طليعتها لهاثهم الموجع خلف المادة التي صارت كل شيء في حياة الانسان المعاصر .

٤ ـ ما هي الانجازات التي حققتها من خلال كتاباتك السابقة ؟

تتمحور كتابتي في مسألتين اثنتين هما : الدراسة والتقويم ، وأدب الاطفال . غايتي من الدراسات الادبية في سورية والمهجر ، وقد ركزت على أدب المرأة السورية ، لان الكثيرين من القراء في الاقطار العربية لا يعرفون شيئا عن هذا الادب ، ولذلك نشرت أكثر من خمس عشرة دراسة في مجلات ، الاديب ، والآداب والثقافة ، والمعارف ، ودنيا المرأة ، والحسناء ، والمعلم العربي ، والمرأة العربية عن : مريانا مراش ، نازك العابد ، ماري عجمي ، وداد سكاكيني ، سلمى الحفار الكزبري ، ألفة الادلبي ، غادة السمان ، كوليت خوري ، جورجيت حنوش ، عزيزة هارون ، طلعة الرفاعي ، قمر كيلاني ، هيام نويلاتي ، أم عصام (خديجة النشواتي) ، فاطمة حداد ... آمل أن أضمها في كتاب يحمل عنوان : « أديبات سوريات » . أما كتاباتي عن المهجر ، فقد أردت من خلالها أن أسلط الاضواء على من تربطني بهم بعض الصلات ، كتبت عن « أسرة العريبلي » باعتبارها أول أسرة سورية هاجرت الى أميركا الشمالية عام ١٨٧٨ ، وانشأت أول صحيفة عربية في المهجر عامة وهي (كوكب أميركا) عام ١٨٩٢ . كما كتبت فصولا عن الهجرة الى العالم الجديد بشكل عام : أسبابها ودوافعها ، أما الاشخاص الذين درستهم فهم : شكر الله الجر ، الشاعر القروي ، زكي والياس قنصل ، ميشيل مغربي ، يوسف صارمي ، جورج صيدح ، نبيه سلامة ، نمر سمعان ، أسعد رستم .

يبقى أن أشير الى أن اهتمامي بأدب الاطفال يعود الى احساسي بفراغ أدبنا العربي منه ، وندرة ما يكتب للاطفال الذين آن لنا أن نمنحهم شيئا من اهتمامنا ، فبعد حرب حزيران ١٩٦٧ طفق بعض الادباء يكتبون الاناشيد والاغاني والقصص والمسرحيات الموجهة للصغار ، ليغرسوا فيهم معاني البطولة والشجاعة والشعور بالعزة والكرامة والاباء ، والتضحية ، ثم انشئت مجلة « أسامة » للاطفال فتبنت هذا الانتاج ، وصار لها جيش كبير من القراء الصغار . نذكر من هؤلاء الكتاب : الشاعر سليمان العيسى ، عبد الله عبد ، د. اسكندر لوقا ، عادل أبو شنب ، ليلى سالم ، أيوب منصور ، عيسى فتوح، ميخائيل عيد ، زكريا تامر ، عبد اللطيف الارناؤوط ، دلال حاتم ، وكلي أمل أن ينشأ هذا الجيل الذي تشبع بقصص وأشعار ومسرحيات هؤلاء الكتاب ، مؤمنا بقوميته ، معتزا بعروبته ، متمسكا بحقه في الحياة الحرة الكريمة ، قادرا على الوقوف في وجه المد الاسرائيلي الشرس ، واثقا من الصمود في معركة المصير ، وتحدي الغزو الاستعماري والفكري .



الحسد

* قال الجاحظ عن الحسد : « الحسد ــ أبقاك الله ــ داء ينهك الجسد ، علاجه عسير ، وصاحبه ضجر وهو مسلك خفي يعسر الخروج منه ، وما ظهر منه فلا يداوى ، وما بطن منه فمداويه في عناء . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء » .

الحسد عقيد (قرين) الكفر ، وحليف الباطل ، وضد الحق ، ومنه تتولد العداوة ، وهو سبب كل قطيعة ، ومفرق كل جماعة ، وقاطع كل رحم من الاقرباء ، ومحدث للتفرق بين القرناء ، وملقح « مولد » الشر بين الحلفاء » .

شعراء من كربلاء

سلمان هادي آل طعمه

بقلم : سعيد بهاء مهدي

تعتبر أسرة السادة آل طعمة من الاسر العربية العريقة في القدم والتي تعسل جذورها بقبيلة آل فائز المعروفة في تاريخ كربلاء القديم وينحدر نسبها من السيد ابراهيم المجاب بن السيد محمد العابد بن الامام موسى الكاظم عليه السلام ، الذي سكن بجوار قبر الحسين عام ٢٤٧ هـ • وقد برزت هذه الاسرة ونالت قصب السبق في الرياسة ونقابة المدينة في القرون السحيقة ، ولقبت بآل طعمه نسبة الى جدها الاعلى طعمة (الثالث) بن علم الدين بن طعمه (الثاني) الذي تولى نقابة الاشراف في قصبة كربلاء وهـو صاحب المقاطعة المعروفة بـ (فدان السادة) التي أوقفها على ذكور أولاده سنة ١٠٢٥ هـ ؛ وهي اليوم حي العباس وتوابعه •

وتعاقب أولاده وأحفاده على استلام النقابة والرياسة ؛ وكان لهم الدور الرئيسي في الحوادث السياسية ولهم مواقف بطولية وأعمال سامية ذكرتها أهم المصادر التاريخية في بطون الكتب المطبوعة والمخطوطة •

وقد برزت هذه الاسرة على المسرح الادبي في مفتتح القرن الرابع عشر الهجري ، وأنجبت كثيرا من رجال الفكر وأرباب القلم شعراء وكتاب ومؤرخين خدموا العلم والمعرفة ، وسجل التاريخ أسماءهم بأحرف من نور ، وما قدموه من خدمات للعلم والادب والخطابة ، ولا زالت هذه الاسرة العربية تقدم عطاءها الزاخر في هذا المجال •

وسلمان هادي الطعمة واحد ممن أنجبتهم هذه السلالة الكريمة •

ولادته ونشأته

ولد الاستاذ سلمان هادي الطعمة في مدينة كربلاء عام ١٩٣٥ ، وأنهى دراسته الابتدائية عام ١٩٤٩ ــ ١٩٥٠ وتخرج من المتوسطة عام ١٩٥٦ ومن دار المعلمين الابتدائية عام ١٩٥٩ وعين معلما في عين التمر • ثم نقل الى مسقط رأسه كربلاء • وفي عام ١٩٦٧ م انخرط في سلك الدراسة الجامعية والتحق بكلية التربية بجامعة بغداد للدراسة في موضوع التربية وعلم النفس ، وتخرج فيها عام ١٩٧١ ولا يزال يعمل في حقل التربية والتعليم •

نشاطه الادبي

عشق السيد سلمان الطعمة الشعر والادب منذ كان صبيا يافعا ، اذ واصل دراسته وتتبعه الذاتي فقرأ نخبة بارزة من شعراء العصر الجاهلي وصدر الاسلام والاموي والعصر العباسي والفترة المظلمة وتأثر بشاعر الحب والغزل عمر بن أبي ربيعة وشاعر الحكمة أبي الطيب المتنبي وشاعر الوصف البحتري • ومن الشعراء المحدثين تأثر بشاعر العرب الكبير محمد مهدي الجواهري ونزار قباني • بدأ محاولاته الشعرية عام ١٩٥٣ بتشجيع من ابن عمه الشاعر المعاصر الدكتور صالح جواد الطعمة •

ذكرنا ان الاستاذ سلمان عشق الشعر والادب منذ نعومة أظفاره ، واستحوذ سلطان هذا العشق على كل أحاسيسه ومشاعره ، مما جعله ينصرف اليه بالرغم من مشاكله • وفي الحقيقة يعد شاعرنا أنشط أديب عرفته مدينة كربلاء في عصرنا الحاضر ، فبالرغم من الجمود الادبي الذي يخيم على هذه البلدة المقدسة ، تجد شاعرنا في حركة ديناميكية دائبة ومستمرة • فتراه يبحث هنا وينقب هناك ، يكتب وينشر ، ولا أنسى انني في صيف عام ١٩٧٣ كنت على موعد معه في احدى مكتبات المدارس الدينية ، فذهبت اليه فوجدته غارقا وسط مجموعة من الكتب المخطوطة ، والعرق يتصبب من جبينه في حر تلك الظهيرة الشديد ، قلت في نفسي اذا كان كل أديب يعمل مثل هذا،

ويبذل مثل هذه الجهود وان كان جهدا فرديا ، لارتفع لواء الادب في كربلاء عاليا .

لم يكن نشاط شاعرنا شيئا جديدا ؛ وانما كان نشاطه منذ فجر شبابه ؛ فقد رأيناه عام ١٩٥٧ يعمل مع نخبة من شعراء كربلاء أمثال المرحوم عباس أبو الطوس والمرحوم السيد مرتضى الوهاب وآخرين غيرهم لتأسيس (رابطة الفرات الاوسط) الادبية التي تأسست في كربلاء وساهمت بدور فعال في بث الوعي القومي والوطني بين جماهير الشعب . ثم رأيناه يقوم بتأسيس (ندوة الخميس) الادبية عام ١٩٦٧ والتي كانت تقام في داره مساء كل يوم خميس يحضرها جمع غفير من شعراء وأدباء هذه البلدة ومن غيرها ، ولا يزال دائب الحركة دون كلل أو ملل مضحيا كل وقته ومستسهلا كل صعب من أجل خدمة الادب .

وبالاضافة الى هذا النشاط الرائع ، فانك تلمس فيه صدق المشاعر وحسن المعاشرة المصحوبة بالتواضع ؛ وان ما يؤخذ على شاعرنا هو حدة مزاجه وذلك لكثرة أعماله ولكن سرعان ما تتغلب عليه طيبة قلبه فيعتذر عما بدر منه جراء حدة المزاج ، وهذا ان دل على شيء فانه يدل على وداعة نفسه وطيبة قلبه ودماثة أخلاقه وحبه ووفائه لاصدقائه .

شاعريته ونماذج من شعره

أما شاعريته فانه يكفيه فخرا ان عددا من كبار رجال الفكر والادب قد ثمنوا شاعريته ووفوا حقه . واليك قارئي العزيز نبذة مما قاله الاستاذ الكبير والاديب اللامع المرحوم توفيق الفكيكي عن شاعرية شاعرنا فقال ما نصه : (ومن أبرز خصائص شعر شاعرنا الوجداني الفصيح فصاحة الالفاظ فانها كالزلال رقة ومتميزة لا ركاكة فيها ولا ابتذال ونغمها الموسيقي كمناغات بنات الهديل يرفع له حجاب السمع فينساب الى شغاف القلوب ، ففصاحة الالفاظ

هو شعار ديوان الشاعر وانها لا تتجافى عن مضاجع الرقة ولا تتجانف عن مهيع السلاسة وهي ميسم قصائده ولها انسجام تام مع سجاحة خلق ناظمها التي هي ألين من اعطاف النسيم ...) (١) .

مقال بعنوان (فصاحة شاعر كربلاء) بقلم الاستاذ توفيق الفكيكي .

أكتفي بهذا القدر مما قيل عن شاعريته لأقدم للقارىء الكريم نماذج من شعره الذي رفعه الى مصاف الشعراء الخالدين ، فهذه قصيدة (لقاء مع الربيع) تجد فيها العواطف الدفاقة والمشاعر الصادقة والبراعة في وصف الطبيعة الساحرة ، فيقول :

هتف الشوق في ربوع الجنان ... وتغنى بأعذب الالحان
وتهادي النسيم يسكب نجواه ... رقيقا على الروابي الحسان
فاذا الشوق همسة داعبتها ... حمرة الافق بالشذى الفتان
واذا الطل منحة الفجر يبدو ... في الروابي قلادة من جمان
وشباب الربيع تحمر خداه ... فيحكي شقائق النعمان
والصباح الضحوك يغمر دنيا السحر بالبشر والمنى والاغاني
وتمد الظلال من شجر الليمون ، والبرتقال ، والرمان
حيث تلهو الحسان عند الينابيع ومجرى المياه في الوديان

وفي قصيدته (خلجات مشوق) ترى موهبته الشعرية تتدفق كالسيل ، وترى ذلك الخيال الخصب الذي يصوره لك تصويرا فنيا رائعا . اسمعه يعاتب حبيبته التي هجرته وبقي هو مخلصا لحبها يبثها لواعجه وأشجانه :

آمنت أنك رغم البعد تعنيني ... ووجهك النضو مهما لاح يسبيني
فكم أقضي الليالي ساهرا قلقا ... والهم يقلق آمالي ويشجيني
ومر طيفك فتانا يسامرني ... يحدث الروح عن شوق ويلهيني

---

(١) راجع مجلة (العدل) الصادرة في النجف ج ١٤ و ١٥ ــ السنة الثالثة .

واهتاجت القلب آمـال معطرة لا تستقر عـلى حـال وتسكين
فلذت بالطيف استوحي مفاتنـه عسى تعود لي النجوى فتجديني

أما احساس شاعرنا بمشاكل وطنه وأمته العربيـة ، فهو احساس كـل عربي مخلص ، فلقد عكس في شعره صور مجتمعه ومآسي أمته ومـا عانت على أيدي المستعمرين من ظلم وتسلط . وها هي قصيدته (صرخـة) التـي نظمها أثناء العدوان الثلاثي الغادر على بور سعيد عام ١٩٥٦ يقول فيها :

من عميق الجراح من مهجة الشعب صراخ يـدوي بغـير انفصـال
وجيوش الظلام فـي غمرة الظلم مـع النـور في أشـد قتـال
وانبعاث الشجون مـا زال يعلو مـن نفوس تعـج بالاهـوال
يا بني العرب ها هو الفجر يزهو هو فجر الكفـاح فجر النضـال
جـاء كي يقطـع القيود بنفس ملؤهـا قـوة لدحـر الضـلال

وعند قيام ثورة الجيش والشعب فـي ١٤ تموز عـام ١٩٥٨ م اهتزت مشاعر شاعرنا ، فحياها بقصيدة يقول في مطلعها :

تمـوز يومـك خالـد جبـار أبـدا تشع بنـوره الاقطـار
يوم به انتفض العراق على الاذى وعلى الطغـاة كأنه اعصـار
اذ سار بالامجـاد صفـا واحدا فهوت صروح وارتمت أسـوار
وأطـل صبح بالكرامـة مشرقا هـو للتحـرر رايـة وشـعار

وهكذا يصور سلمان آل طعمة احاسيسه ومشاعره فـي صور خالـدة تجسدت في قصائده الرائعة التي تنم عما يحمله من خيال خصب وفن أصيل وتصوير جذاب .

آثـاره

لم يبرز شاعرنا في شعره فقط ، وانمـا برز أيضا في نثره وبحوثـه ،

م ـ ٦

فنظرة واحدة لآثاره القيمة المطبوعة منها والمخطوطة تعطيك فكرة واضحة عما يمتاز به في نثره من جودة في التعبير وسلاسة في الاسلوب ، ومعظم مقالاته وبحوثه التي نشرها في الصحف والمجلات العربية يطغى عليها الطابع الادبـــي والتراثـــي ٠

أما مؤلفاته المطبوعة فهي :

١ ــ الامـــل الضائع ١٩٥٤

٢ ــ شاعرات العراق المعاصرات ١٩٥٥

٣ ــ ديوان حسين الكربلائي ١٩٦٠

٤ ــ أبـــو المحاسن ١٩٦٢

٥ ــ الاشواق الحائرة ١٩٦٢

٦ ــ تراث كربـــلاء ١٩٦٤

٧ ــ ديوان أبي الحب ١٩٦٦

٨ ــ ومضات من تاريخ كربلاء ١٩٦٧

٩ ــ شعراء كربلاء (٣ أجزاء) ١٩٦٦

١٠ ــ مخطوطات كربلاء ج ١ ١٩٧٣

١١ ــ خزائن كتب كربلاء الحاضرة ١٩٧٥

١٢ ــ دليل بأسماء أدباء كربلاء ١٩٧٧

أما آثاره المخطوطة فهي :

١ ــ رحلات ومقابلات

٢ ــ من اعلام الفكر العربي

٣ ــ هوامش على الكتب

٤ ــ خواطر في العلم والادب

٥ ــ دراسات في الشعر العراقي الحديث

٦ ــ الصافي .. كما عرفته

٧ ــ شعراء كربلاء المعاصرون

٨ ــ شعراء كربلاء (الجزء الرابع)

٩ ــ عشائر كربلاء وأسرها

١٠ ــ علماء كربلاء

١١ ــ تراث كربلاء الشعبي

١٢ ــ بذل الهمة في أحوال آل طعمة

١٣ ــ الحسين في الشعر الكربلائي

١٤ ــ تراجم وسير

١٥ ــ مخطوطات كربلاء ــ الجزء الثاني

١٦ ــ مخطوطات كربلاء ــ الجزء الثالث

١٧ ــ عواطف هائمة ــ ديوان شعر

١٨ ــ رياض الذكريات ــ ديوان شعر

١٩ ــ في ظلال العقيدة ــ ديوان شعر

٢٠ ــ مقالات أدبية

كربلاء ــ العراق
سعيد بهاء مهدي الفلاري

الرحلة النادرة

شعر : خضر عباس الصالحي

احقق احلام المنى حين ارحل
الى بلد في غيده اتغزل
وينجاب ليل الياس عن حدق المنى
ويغمرني ضوء الرجاء المؤمل
انقل طرفي في الطبيعة ذاهلا
واشرب من خمر العيون وانهل
وقلب باضلاعي يزيد خفوقه
لكل فتاة بالمحاسن ترفل
وليس عجيبا ان تراني مولها
فهل أنا الا العاشق المتبتل
ساهيم بوادي الحب صبا متيما
وليس سوى قلبي عليه أعول
ارف انجذابا للجمال وانثني
كطير بآيات الغرام ارتل
وكل فتاة بضة الجسم حلوة
لها صورة في خاطري تتمثل
وكل ملاك في الطريق اذا مشت
فقلبي باعماق الاضالع يجفل
وان لاح قربي للكواعب مجمع
فاني الى رشف اللمى اتسلل
وفيهن كم تبدو فتاة مليحة
باسهم عينيها لقلبي تقتل
على نهدها تحنو ارتعاشة خصلة
من الشعر تسبي المستهام وتذهل

وفي جانبي لون من الحسن رائع
بجسده حقل وطير وجدول
وما ارغد العيش الذي راح ينقضي
بجنب رياض حولها الماء سلسل
اذا اجتمع الوجه الجميل وروضة
وماء فقد حل النعيم المفضل
ومن ليس يجني ورد خد فانه
بليد الحجى او ساذج ومغفل

أصول بساحات الغرام مقاتلا
ولست فتى في صولتي اتطفل
وامسي بمحراب الرؤى متعبدا
وفي القلب شيطان الهوى يتململ
تعانق روحي كل خود رشيقة
ونيران شوق في الجوانح تشعل
اعود الى عهد الشباب اذا ارتمى
على الصدر يغفو شعرها المتهدل
وان كنت ميتا سوف احيا اذا اغتذت
شفاهي لورد الوجنتين تقبل
فارفع اعباء الاسى عن كواهلي
ومن معزفي ينثال شعر محجل

أرى الحسن عند الغانيات كصارم ... لكل فتى جم الشعور يجندل
وأني لأهوى أن أموت صبابة ... وروحي على حب الحبيبة تبذل
شبابي انطوى نهب الشقاء ممزقا ... وكان بأصفاد الضياع يكبل
تجرحني الآلام في حد سيفها ... وفي غور أقصى مهجتي تتوغل

اذا كان غيري بالغنى متجملا ... فاني بما شاء الهوى أتجمل
ارى الحب في دنياي كاسا شهية ... وخمرتها في اعرقي تتغلغل
وما اجمل الدنيا تمر كأنها ... طيوف بها ثغر الحياة يهلل
وما ابدع الحسناء للعين ان بدت ... مهفهفة بل فوق ما أتخيل
وما اروع الأيام تمضي بجنبها ... ولي في مغانيها خميل ومنزل

دعوني احطم كل قيد امضني ... كفاني من الحرمان ما أتحمل
ترى الهم محفورا بوجهي وطالما ... بقافيتي صوت القنوط يجلجل
وليس سوى سحر النساء يثيرني ... وان زمر الاعداء ضدي وطبلوا
وبالرغم من شيب يجلل هامتي ... اليهن مسلوب النهى أتوسل
فهل سوف أحظى بالوصال واجتني ... قطاف طموحي قبلما العمر يافل

صوفيا ـ بلغاريا

خضر عباس الصالحي

* * *

زار الشاعر خلال شهر تموز من السنة « ١٩٧٨ » الميلادية بلغاريا فأوحت له عاصمتها صوفيا ، ومبناؤها فارته هذه القصيدة :

ـ العرفان ـ

فقيد الشعر

نظم : محمد علي عباس الشكرجي

(ألقيت في حفل تأبين الشاعر المرحوم السيد مرتضى الوهاب الذي اقيم في صحن الحسين (ع) من قبل أدباء كربلاء) .

مواقيت الزمان لها اعتبار ... وعمر المرء ليس له قرار
فضوء الفجر يهتك ستر ليل ... وفي ظلماته يطوي النهار
ويعرف ذاك علم دون ريب ... ويحكمه نظام واختبار
وما اجل البرية رهن حكم ... يصوبه ممات واحتضار
ويجهل كل عبد ذاك دوما ... فاعمار طوال او قصار
ورب الخلق اعلم من سواه ... يكون لوحده فيها اقتدار
اذا حلت منيتنا لتطوي ... امانينا فما منها الفرار
فكم وارت كراما تحت ترب ... ومن أقرانهم خلت الديار ؟
ومنهم (مرتضى) الادب المعلى ... مؤرخه وشاعره الفخار
تأمل سامعي ادواح شعر ... له صنعته افكار غزار
كأنك قد شممت به عبيرا ... لزهر منه فوحه ازدهار
وجنات من الريحان تبدو ... به والطير يشدو والهزار
وانهار بماء الورد تجري ... وعطر منه يجنى والثمار
كأن الحور يسعين ابتهاجا ... لافراح وتجمعهن دار
ويعقد فوق ارؤسهن زهر ... كاكليلا ويطبقها احمرار
يتحصن وبشرهن يزيد حسنا ... على وجه فيبدو جلنسار
ويلبسن الثياب مزركشات ... وتلمتع القلائد والسوار
كأن بها عواطفها فتطغى ... باصرار فيلويها اصفرار
وهذا الشعر واقعه حياة ... فتنصدم الحياة ولا يضار

فقيد الشعر يا من كنت تسمو ... بروحك والحياة بها اختيار
فكنت وفي مسارك حيث تبدو ... نهيم بك المشاعر والوقار
على مهل تخط الدرب مشيا ... لتحمل ثقل فكر يستشار
وفي عينيك تزدحم المعاني ... فيحويها قصيد وابتكار

فقيـد الشعر في احلـى صفات   فنيـت بسرهـا وهـي الازار
مضيت بعزمـة وسـوى قصـد   ولـم يقربك فـي دنيـاك عـار
فكنت مجاهداً وعزيـز قـوم   وكنت مكرمـاً ولـك اعتبـار
ومـا احلى الجهـاد اذا تجلـى   ليكشف ظلمـه وهـو المنـار
وللشعراء دور فـي التسامـي   لسان الشعـب هم وهـم الاوار

فقيـد الشعر والدنيـا سبيل   فطـورا لا حبـا وبـه انحسار
وللشعـراء ارحبـه مجـالا   فهـم صلحاؤه وهـم المثـار
ففي اشعارهم تبنـى الامانـي   ويهدمهـا انطـواء وانحـدار
كمثـل المـاء يروي كـل زرع   ويهلكـه انقطـاع وانغمـار
فقاطـرة الحديـد تسير طوعـا   بـلا عقـل ويدفعها البخـار
ففيـه قـوى توجهـه لخـير   ومنهـا الشر عقبـاه انفجـار
وذلـك من جهـاد فيـه فعـل   وتاثـير وشـان واختبـار
فكيف بكائـن يحيـا بعقـل   وتفكـير وبطبعـه المسـار

فقيـد الشعر عفـوا ان شعري   تنـاول متنـه امـرا يثـار
وان لحفلنـا هـذا مقـال   يقـال بموضـع ولـه اطـار
نؤبـن من طـواه الترب طـرا   بحـزن فالحقيقـة تستعـار
فكيف يؤبـن الشعـراء فـذا   وحيـا بالبيـان لـه يشار
الا ان العلـم والافكـار تبقـى   ولا تبلـى ويغشاهـا الدمـار
ولكنـا علـى العـادات نسعـى   تظلهـا رواسبهـا الكثـار
وعمـر المـرء يبـدا حيث يفنـى   فيحييـه تـراث واعتبـار
ويدفـن كـل فـرد في فعـال   لـه والخير صانعـه الجـوار
رعـاك اللـه في لحـد طهـور   فطابت تربـة بـك والقـرار

كربلاء ـ العراق   محمد علي عباس الشكرجي

❋ ❋ ❋

مختارات الصحف

المؤتمر الاسلامي المسيحي في قرطبة

المؤتمر الاسلامي المسيحي في قرطبة

شهدت مجلة العربي أخطر مؤتمر ، حول أخطر موضوع . وكان المؤتمر في قرطبة في اسبانيا الكاثوليكية المتشددة . وكان الموضوع هو الحوار الاسلامي المسيحي ، وقد دار بالذات ولأول مرة حول أكثر النقاط حساسية : اعتراف المسيحية بالاسلام دينا ومحمد نبيا ..

ورغم دقة الموضوع ، الا أن العربي رأى تقديم هذا التقرير الدقيق عنه ، لانه من حق القارىء أن يعرف .

بلغة هذا الزمان ، فان ما حدث في قرطبة كان بمثابة اعلان لفض الاشتباك بين المسيحية والاسلام ، وتوقيع لاهوتي بالاحرف الاولى على نبوة محمد يحدث لاول مرة منذ قرون ، ويفتح الباب لمرحلة وفاق من نوع آخر بين الديانتين الاعظم .

جرى هذا كله على مدى أسبوع حافل بالمفاجآت والمعاناة والاثارة ، تحولت خلاله قاعة بلدية قرطبة الى كرسي اعتراف كبير ، جلس الجميع فوقه وقالوا شهاداتهم ، ثم انفض المؤتمر الاسلامي المسيحي العالمي الثاني ، ليعود الى جولة جديدة بعد عامين .

خلال ذلك الاسبوع الاخير من شهر ابريل ، التقى في عاصمة الاندلس، فريق من رجال اللاهوت والمثقفين المسيحيين مع فريق آخر من المفكرين والعلماء المسلمين ، ليشاركوا في محاولة فريدة من نوعها تستهدف تقييم النبيين محمد وعيسى من وجهة نظر كل فريق .

وهذا الموضوع الذي وصفه مطران مدريد ورئيس أساقفة انبانيا الكاردينال انريكي ترانكون بأنه خطير وعسير • واعتبره الدكتور سلفادور نوجالس رئيس جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية « محاولة لتغيير موقف المسيحية من محمد (ص) » و •• « تحريك للضمير المسيحي لكي يتبنى موقف التقدير الايجابي لنبي المسلمين ، يختلف عن الموقف الحالي » • واعتبره مقرر المؤتمر الدكتور ميخائيل ايبالسا الاستاذ بكلية الفلسفة واللاهوت بجامعة مدريد « ضرورة الانتقال من المهاترات المذهبية للقرون السالفة ، ومن الصمت الحذر أو الجاهل لعدد كبير من مسيحيي اليوم ، الى المعرفة الواسعة والتقدير الايجابي لمحمد نبي الاسلام » •

ازالة الركام اولا

لماذا اختاروا هذا الموضوع بالذات ؟

يرد الدكتور ايبالسا : لان شخصية النبي محمد (ص) مقدمة الى العالم المسيحي بصورة مشوهة الى حد كبير ، حولها نسجت العديد من الافتراءات والاكاذيب والخرافات ، التي نشأت كلها من الفكر المتعصب الذي ساد الغرب منذ بدأ الاسلام يدخل أوروبا ، وكانت مثل هذه الافتراءات احدى وسائل تعبئة الجماهير ضد المد الاسلامي •

« كان لا بد من أن نزيح هذا الركام اذا أردنا أن نفتح الطريق لتعاون اسلامي مسيحي »، هكذا قال الدكتور ايبالسا ، الذي أعد رسالته للدكتوراه عن راهب اسباني من جزيرة مايوركا أعلن اسلامه في القرن السادس عشر ، وعاش في تونس حتى صار رئيسا لديوان الخليفة • كان اسمه انسلم تورميدا وأصبح عبد الله الترجمان • أضاف ايبالسا : لقد كان موضوع مؤتمرنا الاول الذي عقد في سنة ٧٤ ، وكانت قرطبة مقرا له أيضا ، هو : الضمير الاسلامي والمسيحي أمام مشاكل التطور • وكان هدفنا أن يقدم ممثلو كل دين رؤيتهم الفكرية للقضايا المعاصرة وذهبت مناقشات المؤتمر الى ما هو

أبعد ، اذ تعرضت الى رؤية كل دين للآخر . الاسلام من وجهة نظر المسيحية، والمسيحية من وجهة نظر اسلامية .

كان التقدير والفهم والتفاهم هو السمة الاساسية للمناقشات التي جرت في المؤتمر الاول ، وهو ما أطلق عليه مطران الجزائر الكاردينال دوبال « روح قرطبـة » .

« بعد النجاح الذي حققناه ، قررنا أن نخطو خطوة أخرى ، وأن نقترب من نقطة اللبس الحقيقية عند العالم المسيحي وهـي : شخصية النبـي محمد (ص) ولكي تكتمل الصورة في الاذهان فتحنا البـاب أيضـا لتقييم شخصية المسيح ، هناك لبسا من نوع آخـر يحيط بهـذه الشخصية عنـد جماهير المسلمين » .

قال الدكتور ايبالسا أيضا : ان هذا الكلام الذي قيل في المؤتمر الثاني يعد نقطة تحول كبيرة في الفكر المسيحي والنظرة المسيحية الى النبي محمد . يكفي أن يقف رجال اللاهوت بكل ما يمثلونه من وزن ديني وفكري ليعترفوا بنبوة محمد ، وبدوره الهائل في تاريخ الانسان .

ثم أضاف مقرر المؤتمر القـادم ـ الثالث ـ سيطرح للمناقشة موضوع العلاقة بين الديـن والتوسع السياسي . الفتوحـات الاسلامية من ناحيـة ، والاستعمار والتبشير من ناحية أخرى ، وستكون احدى نقـاط البحث هي : كيف تقدم الفتوحات الاسلامية الـى الفكر الغربـي ؟ وكيف تفسر الحروب الصليبية أمام الفكر الاسلامي ؟

« اننا نريد أن نطوي صفحة الماضي ، ونزيل معها كـل بذور الكراهية والرفض ، لنفتح الطريق لمرحلة التعاون والثقة في المستقبل » .. هكذا يقول الدكتور ايبالسا . « لقد اتفقت فرنسا والمانيا بعد الحرب العالمية الثانية عـلى منهج يعالج جراح الحرب والكراهيـة التي ترسبت في الاعماق نتيجة لهـا ،

بحيث يقدم ما جرى للاجيال الجديدة ، بصورة تزيل هذه الكراهية ولا تسمح لها بالاستمرار في المستقبل ، ونحن نريد أن تفعل الشيء نفسه بالنسبة للمسلمين والمسيحيين » •

يقول الرجل أيضا : لهذا السبب كلفنا فريقا من الباحثين بدراسة ٢٥٠ كتاب يتداوله التلاميذ في مختلف مراحل التعليم باسبانيا ، وطلبنا منهم حصر العبارات والوقائع التي تقدم الاسلام ونبيه بصورة مشوهة الى التلاميذ ، تمهيدا لتصحيح تلك الوقائع ، واستبعاد كل ما هو مختلق ومكذوب منها •

غاب الازهر والفاتيكان

هل تمضي المسألة بهذه البساطة التي تروى بها القصة ؟

بالتأكيد لا • ونظرة الى وجوه المشتركين في المؤتمر تقودنا الى حقيقة تثير الانتباه هي : لقد غاب عن المؤتمر كل من الازهر والفاتيكان !

وتردد أن الازهر غير مقتنع بجدوى الحوار ؛ وانه أرسل تعميما برأيه الدول العربية والاسلامية • وهو ما فسر غيبة دول المشرق العربي باستثناء سوريا ومنظمة تحرير فلسطين ، بينما شاركت في المؤتمر دول المغرب العربي ، وبعض الشخصيات التي تمثل النشاطات الاسلامية غير الرسمية في اندونيسيا وماليزيا والهند ، الى عدد آخر من المفكرين المسلمين الذين دعوا بصفاتهم الشخصية •

قيل أيضا ان الفاتيكان يرحب بالحوار ويدعو اليه • لكنه لم يعترف رسميا حتى الآن بنبوة محمد ، فكيف يشترك في مؤتمر يطرح هذه القضية موضوعا للمناقشة • ولهذا السبب فقد أوفد الفاتيكان مندوبا عنه لحضور مؤتمر قرطبة الاول ، لكنه التزم الصمت حيال هذا المؤتمر الثاني •

اعترف الفاتيكان بالاسلام فقط ، بعد دورة مجمع الفاتيكان الثانية التي استمرت ثلاث سنوات ، من ٦١ الى ٦٤ (مناقشات المجمع الاول استمرت

٣٠ سنة في القرن السابع عشر) • وفي أعقاب هـذه الدورة الثانية جـاء في قرارات مجمع الفاتيكان : « ان الكنيسـة تنظر أيضا بتقدير الى المسلمين الذين يعبدون الله الحي القيوم الرحيم ، القـادر على كـل شيء ، خالـق السماء والارض ، الذي كلم الناس والذي يخضعون لاوامره الغيبية بقلوب راضية ، كما خضع له ابراهيم الذي يحتل مكانة خاصة في العقيدة الاسلامية • انهـم يعظمون المسيح كنبي ، وان كانوا لا يعترفون به كاله • يحترمون أمه البتول مريم ، وأحيانا يذكرونها بكل تقوى • ثم انهم يرتجون اليوم الآخـر ، يـوم يجزي الله جميع الناس بعد البعث • وهم ، بالتالي ، يقدرون الحياة الاخلاقية ويعبدون الله ، خاصة بالصلاة والزكاة والصيام •

« واذا نشأت عبر القرون خلافات وعداوات غـير قليلة بـين المسلمين والمسيحيين ، فان المجمع الفاتيكاني المقدس يدعو الجميع الى نسيان الماضـي ومحاولة التفاهم المتبادل الصادق ، والعمل المشترك ، لنصرة وتأكيد العدالـة الاجتماعية والقيم الاخلاقية والسلم والحرية لجميع الناس » •

هذا هو نص رأى مجمع الفاتيكان ، الذي لم يشر من قريب أو بعيـد الى النبي محمد (ص) الا انه دعا صراحة الـى احترام العقيـدة الاسلامية ، لاول مرة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية • وهي خطوة غير كافية من وجهـة نظرنا ، لكنها ايجابية بغير شك ، كانت هي البدايـة الحقيقية لمـا أطلقنا عليه وصف « مرحلة الوفاق بين الديانتين الاعظم » •

وهذا المعنى أكدته احدى أمانات الفاتيكان ، التي أصدرت في عـام ٧١ كتابا من ١٠٠ صفحة يتضمن بعض التوجيهات للحوار الاسمي المسيحي • لا يعترف بوضع محمد (ص) كنبي بالنسبة للمسيحيين ، ولكنها تطلب منهـم أن ينظروا « لمؤسس الاسم » بالاحترام •

وعندما أرسلت جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية الى الفاتيكان تدعوه للاشتراك في المؤتمره ، وقوبلت الدعوة بالصمت الـذي فهم انـه مقاطعـة

لمناقشاته ، كتب الدكتور سلفادور نوجالس رئيس الجمعية (رسالته للدكتوراه عن ابن رشد) خطاب احتجاج الى سكرتارية الفاتيكان قال فيه ان موقفهم من المؤتمر يتعارض مع قرارات المجمع الثاني الذي يدعو الى احترام عقيدة المسلمين ، « الامر الذي لا يمكن أن ينفصل بأي حال عن احترام نبي المسلمين » .

لكن الفاتيكان ظل على موقف الصمت ، والقطيعة .

قصة استرداد المسجد

وقال وثيقو الصلة بدوائر الفاتيكان ممن حضروا المؤتمر أن هناك تيارات محافظة تضغط بشدة لكي لا يذهب الفاتيكان الى أبعد من الاعتراف بالاسلام ، وان البابا لا يريد أن يخوض في هذا الموضوع ، الذي قد يفجر قضايا كثيرة يطول حولها الجدل ، خصوصا وأنه بلغ مرحلة متأخرة من العمر .

وفي البحث الذي قدمه الى المؤتمر الاب جي مارتيه حول « مواقف معاصرة من نبوة محمد » سجل تفسيرا طريفا لعدم الاعتراف بنبوة محمد ، منسوبا الى راهب آخر هو الاب جاك جومبيه يقول فيه : انه لا يمكن اعتبار محمد نبيا لان ذلك يعني بالنسبة للمسيحيين الاعتراف بانجيل جديد يحل محل انجيل المسيح . وان الاعتراف بمحمد نبيا يعني الاعتراف بكل ما يتضمنه القرآن ، وبالتالي بأن محمدا خاتم المرسلين وخاتم الاديان . وهذا لا يعتبر سوى الغاء لانجيل المسيح !

ولم تكن هذه هي المشكلة الوحيدة التي صادفت الاعداد للمؤتمر . لان أطرافا عديدين كان من مصلحتهم أن يتوقف الحوار بأي وسيلة (في اسبانيا جمعية صداقة يهودية مسيحية نشطة انشئت عام ٦٣) .

وكان من بين محاولات « التشويش » التي حدثت أن صحيفة أ. ب. ث اليومية الاسبانية نشرت قبــل خمسة شهور من عقــد المؤتمــر ان المسلمين يريدون غزو اسبانيا من جديــد ، وأنهم سيطالبون فــي المؤتمــر الاسلامي المسيحي بمسجد قرطبة الشهير !

أحدث المقال ردود أفعال مختلفة ، حتى أن قاضي قرطبة انزعج وكاد أن يصدق الرواية ، واستدعى المسؤولين عن جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية التي تنظم المؤتمر (انشئت سنة ٦٦ وتضم ١٥ من المثقفين المهتمين بالقضايــا العربية والاسلامية في مدريد) وسألهم عن مدى صحة هذه المعلومات .

ولم يطمئن قاضي قرطبة الا بعد تأكيدات قاطعة من جانب ممثلي جمعية الصداقة ، بأن المقــال مختلق مــن أساسه ، وان المسلمين لا ينوون المطالبــة بمسجد قرطبــة !

اذن فقد تراوحت المواقف من المؤتمر بين رفض المبدأ (الازهر) ورفض الموضوع (الفاتيكان) ، وتسميم الجو بأي وسيلة (عناصر محلية) .

ومع ذلك فقد انعقد المؤتمر وقيل خلال جلساته كــلام كثير يستحق أن يسمع ويسجل .

كلهـم مسلمون

وخلال المناقشات التي استمرت أسبوعا ، وألقي خلاله ١٦ بحثا ، كانت هناك « ايضاحات » حرص كل طرف على أن يسجلها أمام المؤتمر .

* في بحث الدكتور عبد العزيز كامــل ، مستشار ولي عهــد الكويت ونائب رئيس وزراء مصر السابق ، قال :

ان الاسلام جــاء مصدقا لكل نبي ورسول ، وقــد دعــا النبي والذين يؤمنون معه الى ذلك : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كــل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » .

والقرآن الكريم يطلق تعبير « المسلم » على جميع الانبيـــاء والمرسلين ، فكلهم مسلمون له • فعن ابراهيم يقول : « اذ قال له ربه أسلم ، قال أسلمت لرب العالمين » ــ وكذلك أبناء ابراهيم ويعقوب كانت الوصية لهم « يا بنـي ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتـم مسلمون » • وكان قـول الحواريين عندما سألهم عيسى « من أنصاري الى الله ؟ قال الحواريون نحـن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » •

والناس جميعا في الاسلام أبناء أسرة كبيرة واحـدة ، أبوهم واحـد : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون بـه والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » •

هذا الموقف الرحب ، حرص الدكتور عبد العزيز كامـل على أن يسجله في بداية بحثه حول « محمد الرجل السياسي ، مؤسس لمجتمع سياسي ونظام اجتماعي عادل وانساني » •

وفي بحث الدكتور أحمد هيكل مديـر معهـد الدراسات الاسلاميـة بمدريد حول « محمد شخصية تاريخية » ايضاح آخر يتعلق بمنهج التقييم قال فيه : لكل أصحاب الكتب والمقالات والاحكام التي لا تقر محمدا حق قـدره أقول : ان التحقيق العلمي الذي يضع محمدا في مكانه من التاريخ ويعرفنـا به كشخصية تاريخية ، يقتضي أولا الرجوع الـى المصادر الاصليـة المتصلة بعصر محمد وحياتـه ، وعـدم الاعتماد على الخرافات والاوهـام وأقـوال المغرضين أو الجاهلين بسيرة حياته • كمـا يقتضي التحقيق العلمي ، ثانيـا ، الاتصال ببيئته وتمثل روح عصره ، وتعرف أهم عادات تلك البيئة وتقاليدها ، في اطار الزمان والمكان ، مع التنزه عن كل تلفيق وتخمين • وأخـيرا يقتضي المنهج العلمي وضع ما كان عليه أمر الحيـاة قبل محمد وبـدء دعوته ــ في مقارنة منصفة ــ أما ما آل اليه أمر تلك الحياة بعد محمد وتمـام رسالته • فهنا يكون التحقيق ويكون المنهج ، ويكون قول الحق •

* ايضاح ثالث : سجله الكاردينال انريكي ترانكون رئيس اساقفة اسبانيا ، الذي بدأ كلمته بذكر اسم الله الرحمن الرحيم واسم سيدنا المسيح. قال الرجل وهو يدعو الى فتح صفحة جديدة « يجب أن نعترف بأن العقيدة المسيحية ترى في المسيح أكثر مما يراه المسلمون . واننا على أي حال نحسه بطريقة مختلفة . ذلك ما نريد ان نبديه لكم ، دون أن نثير من جديد جدلا لاهوتيا تقليديا بيننا . والحق انه من الصعب عرض العقيدة المسيحية التي تنسج لغتها داخل الجماعة المؤمنة كي تفهم هذه العقيدة أمة غير مسيحية . ان ذلك يستلزم عمليا تغيير اللغة ، ويستلزم على الخصوص الثقة في أن ينير الله القلوب لمعرفة الحق .

ان شهادة عيسى المسيحية تنطلق من الايمان بوحدة الله . « آمنـا بالله وحده » . هذا ما نعلنه بكل قوة مـع اخواننا المسلمين . وكأتباع المسيح ، نؤمن بالله الاحد ، المنزه ، خالق السماء والارض ، المثيب ، الرحيم ، الغفار ، الخ . وفي استطاعتنا أن نتبنى كل أسماء الله الحسنى التـي يطلقها المسلمون على الله الواحد ، اله ابراهيم واسحاق ويعقوب وعيسى ومحمد والمسلمين . ان عقيدتنا في التثليث لا تنقص شيئا من ذلك الايمان الذي ينبغي لاخواننا المسلمين أن يعترفوا لنا به . فنحن كذلك نرفض الشرك مثلهم ولا نرضى ان نتهم بأننا نشرك مع الله آلهة أخرى .

ثم قال الكاردينال ترانكون : بجانب ذلك ، نؤمن بأن لعيسى صبغة الهية . وهذا سر مسيحي عميق جدا يشغل بحق بال المسلمين . لكن يجب أن نعترف لاخواننا المسلمين بأن صبغة المسيح الالهية ، تلك العلاقة الخاصة والحميمة بين الله وهذا الانسان ، هي بالنسبة لنا أيضا سر لا يدرك . واستنادا الى نصوصنا وتقليدنا العقيدي ، نعبر عن الوحدة الالهية بالتثليث ، غير اننا لا نستطيع ادراكه . وكذلك تظل غامضة في نصوص القرآن الكريم

تلك الصلة بين الله وروحه القدس الذي أوحى بــه الى مريم وعيسى ، كلمة الله التي ولدت منها • فالعلاقة بين الله وروحــه وكلمته تطرح لكــم مشــكلا أيضا ، اذ يقول القــرآن نفسه « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمــر ربي وما أوتيم من العلم الا قليلا » •

جــذور المشكلــة

بعد ذلك اقتربت الابحاث من جوهر المشكلة • شيئا فشيئا •

أحد هذه الابحاث كان عنوانه « الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التي كونتها المسيحية عن النبي (ص) » ، وقد قدمه الى المؤتمر أحــد كبار رجال اللاهوت الاسبان ، هو الدكتور ميجيل كروث ايرناندث •

في السطور الاولى من بحثه قال : ربما لا يوجد صاحب دعــوة تعرض للتجريح والاهانة ظلما على مدى التاريخ مثل محمد (ص) • كذلك لا نكاد نجد اتهامه أساسه السياسة ــ لا الدين ــ مثل تلك الاتهامات التــي وجهت للاســـلام •

ثم طرح تصوره لبدايات الصدام بين المسيحيين والاسلام على الوجــه التالي : ان المسار الطبيعي لانتشار الاسلام من الجزيرة العربية كان يمر قسرا عبر أثمن الاماكن المسيحية ، وهي الارض التي ولد وعاش ومــات فيها عيسى الناصري الذي هو بالنسبة للمسيحيين ابن الالــه الحي • ذلــك ان الاسلام انتشر أولا في آسيا الصغرى وشمال افريقيا ، وقــد كانت مهــد الكنائس الاولية والكبرى للمسيحية مثل القدس والاسكندرية •

لهذا السبب ــ يقول الدكتور ايرناندث ــ سرعان مــا ألصقت اتهامات بغير حصر بالنبي محمد (ص) تشــهر به وتطعن في نبوته • حتى وصف عنــد المسيحيين بأنه « أمير الظلام » ؛ خاصــة بعدما كــاد الاسلام يقضي عــلى المسيحية في اسبانيا ، بعدما فتح كل الجزيرة الايبيرية •

وفي مرحلة تالية ـ يضيف الدكتور ايرناندث ـ عندما حلت الدولتان الفاطمية والسلجوقية محل الامراء العباسيين بدأت تظهر بوادر عدم التسامح الذي عرف به الاسلام تجاه المسيحيين ، وتولت الاساطير المبالغة في هذه البوادر ألف مرة ، حتى أدت الى حركة الحملات الصليبية التي استهدفت طرد الاسلام من الأراضي المقدسة •

وقد استمرت الخرافات وحملات التجريح تحيط بالاسلام والمسلمين ونبيهم حتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي • وفي مطلع القرن الثالث عشر بدأت تتقلص الخرافات ، دون أن تتغير صورة النبي محمد (ص) في أذهان المسيحيين الذي ظل يوصف بأنه مزيف وكاذب •

وفي القرن التاسع عشر اختفت تماما صورة الكاذب عن محمد (ص) ، عندما درست شخصيته دراسة علمية • ولكن صورته « نبيا مزيفا » ما تزال سائدة حتى أيامنا هذه •

وبنفسه تصدى الدكتور ايرناندث للرد على هذه المزاعم ، قال :

* ان نصوص التوراة والاناجيل لا تشير الى ان طريق النبوة قد أغلق بنبوة يعقوب ولا بنوة عيسى •

* ان بعض العبرانيين كانوا يرفضون عمليا احتمالات مجيء أنبياء جدد بعد يعقوب • « وليذكر الجميع ان عيسى الناصري اتهم وحوكم باعتبار انه كافر ، وليس باعتباره نبيا » •

* ان كل الدلائل التاريخية والاجتماعية ، بل وحتى من وجهة النظر الدينية المسيحية ، فان محمدا (ص) يعد نبيا حقيقيا (أشار الدكتور ايرناندث الى انه نشر دراسة في سنة ١٩٦٨ تؤكد هذه الحقيقة)

وبعد هذه الشهادة ملأ الدكتور ايرناندث ٦ صفحات في فضائل النبي محمد الاجتماعية والسياسية (القدرة على تحليل بناء مجتمع شبه الجزيرة العربية ـ الحكمة السياسية « رجل الدولة » ـ المقدرة غير العادية على

تحريك الجماهي) ــ ثم فضائل النبي الشخصية (الجاهد ــ الاعتدال ــ الحكمة ــ العدالة) ــ ثم فضائله اللاهوتية ، بالتعبير المسيحي الشائع ، العقيدة والامل والمحبة .

شهادة ورد

شهادة أخرى سجلها الدكتور ميخائيل ايبالسا تكمل الصورة :

قال أمام الجميع : لقد جئنا بالضغينة منذ آماد بعيدة . لقد نشر في اسبانيا منذ قرن تماما كتاب يحمل اسم « القرآن » وقدم على انه ترجمة أمينة للاسبانية . مفسر ومفند تبعا للعقيدة والتعاليم الكاملة للدين الكاثوليكي المقدس ، الرسولي الروماني والحقيقة الوحيدة ... و ... الموجز التاريخي لحياة وأفعال النبي الكاذب محمد ... القوانين المضللة والجاهلة والمتناقضة التي نشرها هذا القائد الخبيث بين أبناء قومه من العرب » .

وأضاف ايبالسا : وتستمر ٩٩٢ صفحة على هذه الوتيرة :

ثم قال : وقبل ذلك بقرن أصدر رجل دين فاضل كتابا آخر أكثر اعتدالا عنوانه « حقيقة أخلاق محمد ودينه : فكرة عادلة عن هذا النبي المزيف ، بدون الثناء عليه بافراط ودون الحط منه بحقد .. ضد ميل الفلاسفة الذين يدافعون عن المحمديين » .

وتساءل الرجل : أي قدر من الضغينة تجاه نبي الاسلام غرسناه في أعماق أجيالنا ؟

وبعد أن استعرض صفات النبي وخصاله قال : ان مجرد السؤال عن صحة اخلاص النبي محمد (ص) في مهمته النبوية ورسالته القرآنية ، كما فعل اليسوعي المطران لامانيس في مطلع هذا القرن ، هذا السؤال يعد طعنا خطيرا للمسلمين ، بل هو عين الاستفزاز الجدلي .

ومحمد (ص) ـ يضيف البحث ـ عرف في مجتمعه التصعيد الروحي دون ان يفقد مادية حياته ومحيطه . استطاع ان يبلغ مرتبة الرمز الانساني والالهي للمجتمع المؤمن دون ان تكون له الصفة الالهية المباشرة التي تنسبها المسيحية ليسوع .

انه بالنسبة للمسيحية يتجسد الوحي الالهي في شخص انسان هو المسيح ، بينما هو بالنسبة للاسلام يتمثل في كتاب هو القرآن .

وعندما تكلم الدكتور جون تايلور ممثل مجلس الكنائس العالمي ، مضى في نفس الاتجاه ، فقال انه اذا كان المسيحيون قد أظهروا مشاعر الرفض أو عدم الاكتراث « عندما يتعلق الامر بالاعتراف بالقرآن الكريم والصفات الرائعة للنبي محمد (ص) فقد كانوا أكثر تباطؤا في تقدير المفاهيم والانجازات التي قامت بها الجماعة الاسلامية في التاريخ وفي المجتمع المعاصر » .

ثم أضاف قائلا : انني ألح على ضرورة الدراسة التاريخية من الجانبين . المسيحيون الذين ينبغي أن يعترفوا بنفوس تائبة بما ارتكب في حق النبي محمد من أخطاء لوثت التاريخ الروحي والثقافي المسيحي . والمسلمون الذين قليلون منهم فقط درسوا بروح متفتحة تاريخ ورمزية الكتابات المسيحية وعقائد وتراث الكنيسة .

في استعراض المواقف

من نقطة التقييم انتقلت الابحاث الى نقطة استعراض مواقف المفكرين المسيحيين من محمد عليه السلام ...

وقد تولى عرض هذه المواقف بالدرجة الاولى الاب جي هارتيه ، الذي قدم أبرز آراء علماء اللاهوت في هذه القضية ابتداء من منتصف القرن العشرين . فمنهم من يؤكد نبوة محمد (ص) الحقيقية مثل لويس ماسينيون

الذي قال « ان نبوة محمد ايجابية من حيث أنها أحدثت ثورة في القيم ودعت البشرية الى الايمان باله واحد • وقال « يعتبر محمد (ص) في المقام الاول نبي الرفض ، اذ قال « لا » باسم ربه قالها للوثنيين الذين يعبدون الاصنام • وقالها لليهود الذين حولوا وعد ابراهيم الى تمييز عنصري ، وقالها للمسيحيين الذين حرفوا رسالة يسوع واعتبروه ابن الرب ، في حين يرى محمد (ص) ان عيسى لم يدع ذلك على الاطلاق •

ومن علماء اللاهوت من يعتبر محمدا (ص) « نبيا ارشاديا » مثل شارل لودي أي ان نبوته ليست مرتبطة بتعاليم دينية محددة (يقول الاب هارتيه ان هذه النظرية تؤدي الى أخطاء جسيمة) •

وثمة آراء أخرى لعلماء اللاهوت لا تعترف بنبوة محمد (ص) أو بالقرآن الكريم •

الاب توماس بو مثلا يقول انه ليس نبيا « لانه لا ينتمي الى أي وجه من أوجه الخلاص » • ويستند في ذلك الى مجموعة الوقائع التاريخية التي نقلت الى الغرب بصورة مشوهة ثم تداولها الجميع كحقائق ومسلمات ، مثل قضية زوجات النبي (ص) وقصة زواجه من السيدة زينب بنت جحش التي طلقها زيد بن حارثة ، والظروف التي أحاطت بالفتوحات الاسلامية •

والبروفسور روجيه ارنلويز انتقد القرآن في كتاب له ، « لانه يتضمن خروجا عما تعارف عليه المسيحيون ، فيما يتعلق بالمسيح مثلا • » و •• « لانه لا وحي بعد وفاة آخر الحواريين » •• وهكذا ••

وفي نهاية بحثه قال الاب هارتيه ان تباين هذه المواقف واختلافها يؤكد الحاجة الى ضرورة تعميق الفكر اللاهوتي المسيحي في هذا المجال •

وفي نطاق الاستعراض أيضا ، قدم الاب جيوليو باسيتي ساني ، من جماعة الرهبان العاملين بحثا آخر موضوعه : محمد نبيا •

وقد حدد الاب جيوليو موقفه بصراحة فـي قوله : انني أرى التاريـخ الانساني برمته ، وبصفة خاصـة تاريخ الانسانية الديني ؛ وقـد اتخذ مـن المسيح محورا • ثم استعرض الادلة التي تؤكد صدق نبوة محمد (ص) في التوراة وفي التاريخ ، وانتهى الى انه يعد « نبيا حقيقيا في اطار تاريخ السلام الذي يتخذ من يسوع المسيح محورا » •

وحول الموضوع ذاته قدم الدكتور جريجوريو رويث الاستاذ بجامعـة كومباس (مدريد) بحثا يجيب على السؤال : بأي معنى يمكن اعتبار محمد (ص) نبيا من قبل المسيحيين ؟

وكانت خلاصة الاجابة انه طبقا لمقاييس التوراة وأنبياء العهد القديـم ، فان محمدا (ص) يعتبر نبيا من وجهة النظر المسيحية ★ •

وفي نهاية هذه الرحلة ؛ دعا الدكتور سلفادور نوجالس الى تقييم جديد للنبي ، في بحث عنوانه « محمد : رؤيـة تاريخية جديدة » • ومن أبرز مـا سنجله في هذا البحث :

ـ ان التعصب العام للمسيحيين في تاريخ الخلاص قد تم الغاؤه الى حد ما عن طريق النصوص الصادرة عن المجمع الفاتيكاني الثاني •

ـ انه يمكن عن طريق تلك المبادىء (قرارات المجمـع الفاتيكاني) ان تكون هناك نظرة جديدة الى الرؤية التي كانت لدى المسيحيين عـن شخصية محمـد •

★ اثار هذا البحث ضجة شديدة في جلسة المؤتمر ، اذ اعترض بعض ممثلي الدول الاسلامية على بعض ما ورد فيه • وكـان رد الدكتور رويث انه اجتهـد مستندا الى ما توفر لديه من معلومات وانه مستعد للتخلي عن وجهـة نظره اذا وجد معلومات اخرى مغايرة ومقنعة •

ـ الكنيسة المسيحية تقوم بدور الشاهد ودلالة الخلاص في الحياة الاخرى ، ولكن لا يمكن ان تصبح بأي حال المكان الوحيد للخلاص .

ــ من وجهة النظر المسيحية ليست هناك عقبات كبيرة في وصف محمد (ص) بالنبوة . « ولا بد من اعترافنا بأنه الى جانب معطيات النبوة التي توفرت له ، فهناك أيضا الكمال الشخصي والقدرة الفائقة على التبشير بالرسالة » .

دفاعا عن العقيدة الجامعة

لماذا الحوار أساسا ؟

البعض عندنا يرفض طرح هذا السؤال ، قائلين انه بغير جدوى ، لان المسلمين سيظلون مسلمين ، والمسيحيين سيظلون على دينهم . اللقاء اذن مستحيل « الا ان يتنازل التوحيد عن شيء من عقيدته ليلتقي مع التثليث في منتصف الطريق . وهذا أمر يرفضه الاسلام » .. على حد تعليق أحد الكتاب في مقال نشر عقب المؤتمر .

ان هذا الطرح يفترض ان كل طرف يستهدف من الحوار أن يحول الآخر عن عقيدته ، وهو أمر لم يقل به أحد على الاطلاق .

ان هدف الحوار هو تعميق الفهم ، وتبديد المخاوف ، واقتلاع جذور الحساسية والرفض ، لتمتد جسور المودة والتعاون بين بني الانسان مهما اختلفت مواقعهم المذهبية والعقيدية .

ثم اننا في عصر الحوار .

فهناك حوار مستمر بين المذاهب المسيحية ذاتها . وحوار بين المسيحية واليهودية ، وبين المسيحية والبوذية ، وبين المسيحية والماركسية * .

---

* راجع في استعراض اتجاهات الحوار المعاصر ومستوياته ومحاولات اسرائيل استغلال حوار المسيحية واليهودية لصالحها في كتاب « الحوار بين الاديان » ــ للدكتور وليم سليمان .

منافذ الحوار مفتوحة في كل اتجاه ، فلماذا نصم آذاننا نحن ونغلق عن العالم ، بينما لدينا الكثير مما هو مشرف ، نقوله ونقدمه الى من حولنا •

وهناك واقع آخر يفرض ضرورة الحوار بين الاسلام والمسيحية ، طرحه أمام المؤتمر الدكتور خ• اجنانيوا نايت استاذ تاريخ الثقافة بجامعة مدريد ، مصحوبا بخريطة احصائية دقيقة •

قال الدكتور نايت : ان الاسلام هو أكبر قوة حية اليوم ، وهو الذي يدعم تيارات العالم الثالث ، اذ انه ينتشر أساسا في ٤٢ دولـة ، من خلال ٧٢ مذهبا تتفرع عنـه (يذكر صاحب البحث ان المسيحية يتفرع عنهـا ٢٦٠ مذهب) •

يقول الرجل أيضا ان سكان العالم الآن ينتمون الـى ٦ ديانات : ثلاث منها محلية (اليهودية التي تخص اليهود فقط والهندوكية للهنـود والمجوسية للمجوس) ، بينما الديانات الاوسع انتشارا في رأيه هي : الاسلام والمسيحية والبوذيـة •

ويضيف الدكتور نايت : ان ربـع سكان الكرة الارضيـة الآن (ألف مليون) ينتمون الى الاسلام ، والربع الآخر يعتنق المسيحية • والربع الثالث موزع بين الهندوكية والبوذية واليهودية والمجوسية ، وبقايا ديانات أخرى • الربع الاخير يعتنق الشيوعية • أي ان الشيوعية انتقلت خلال ١٠٠ سنة مـن لا شيء الى السيطرة على ربع الكرة الارضية •

وينتهي من هـذا العرض الى ان الشيوعية تتقـدم فقـط في الـدول المسيحية والبوذية • ولما كانت اليهودية والهندوكية والمجوسية ديانات محلية لم تتأثر كثيرا بالمد الماركسي ، فان الاسلام يصبح الدين الوحيد الذي يتقدم ولا يتراجع •• خصوصا وان هذا الدين ــ الاسلام ــ قـادر على مواجهـة الشيوعية والرأسمالية في آن واحد •

ويسجل الدكتور ثابت أيضا انه في أفريقيا « نجد الآن ان هناك شخصا واحدا يعتنق المسيحية مقابل شخصين يعتنقان الاسلام » .

ثم يصل الى هدفه عندما يقول ان هنـالك خطرا ماثلا يهـدد العقيـدة الجامعة (يعني الايمان باللـه) وهو واقـع يجب أن يتنبه اليـه الجميـع ، ويتكاتفوا من أجل صده ، بالحوار والتعاون الدائمين .

دور السياسة والاقتصاد

على أن المسألة ليست دينا خالصا .

ذلك ان الدعوة الى الحوار الاسلامي المسيحي نشطت بشكل بارز فـي السبعينات ، بعدما تصاعد الدور العربي في الساحة العالميـة ، خصوصا فـي أعقاب حرب اكتوبر . ونظرة على تتابع مراحل الحوار تؤكد هذه الحقية : في سنة ٧٠ عقد مؤتمر للحـوار في عجلتون بلبنان اشترك فيه ممثلون للاسلام والمسيحية والهندوكية والبوذية ـ في سنة ٧٢ أقيم حوار اسلامي مسيحي في برمانا بلبنان ـ في سنة ٧٤ عقد المؤتمر الاول الاسلامي المسيحي في قرطبة ـ سنة ٧٥ عقد مؤتمر آخر للحوار في تونس ـ سنة ٧٦ عقد مؤتمر للحوار فـي طرابلس بليبيا ـ سنة ٧٧ مؤتمر قرطبة الثاني الذي نتحدث عنه .

وقد أقرني الدكتور ايبالسا على هذا الرأي ، ان هنـاك مناخا سياسيا واقتصاديا هو الذي حرك الدعوة الى الحوار . لكنه أضاف ان هناك التزاما أخلاقيا أيضا من جانب فريق المثقفين الاسبان ، ذلك انهم على قناعة حقيقيـة بأن الاسلام لعب دورا عظيما في التاريخ الاسباني . وان هـذا الدين ونبيه العظيم قد ظلما ولقيا من الجحود والتجريح مما يدعو أي منصف الى محاولة تصحيح هذه الصورة ، مستثمرا المناخ الراهن .

وعندما قلت ان الحـوار في جوهره هـو حوار بـين الغرب والشرق ، وليس بين المسيحية والاسلام فقـط ، لان الضغائن وبذور الكراهيـة التي

يتحدث عنها موجودة في الغرب بالدرجة الاولى ، والتعايش قائــم منذ قرون في الشرق بين المسيحية والاسلام •

أيد الدكتور ايبانسا هذا الرأي أيضا قائلا ان هذا الحوار الديني يعتبر تلك أحد عناصر لقاء الغرب والشرق في العصر الحديث •

وهذ المعنى أكده من زاويــة أخرى الاب ميشيل ليلون مقرر الامانــة الكاثوليكية للعلاقات مع الاسلام (انشئت في باريس سنة ٧٤) ، الــذي قال في بحث قدمه الى المؤتمر عن تطور نظرة الرأي العــام الفرنسي تجاه نبــي الاسلام : « ان التطور الذي حدث في فرنسا وأوروبا بوجه عام تجاه الاسلام والعالم الاسلامي قد جــاء نتيجة لحصول كافــة الدول الاسلامية عــلى استقلالها ، وللدور السياسي والاقتصادي الذي تقوم به الدول العربيــة في الساحة الدوليــة » •

وقد سجل الاب ميشيل ليلون معالم هذا التطور في نتيجة استفتاء من ثلاثة أسئلة وزع على مجموعة من الاشخاص سنة ٧٠ ثم طرحت الاسئلة ذاتها على هؤلاء الاشخاص أنفسهم في عام ٧٦ ، وكانت النتيجة كما يلي :

❊ السؤال الاول : هل قرأت القرآن ؟

في سنة ٧٠ كانت الاجابة هي : واحد قرأه كلــه ، و ١٩ قرءوه بصفــة جزئية ، و ٨٠ لم يقرءوه •

وفي سنة ٧٦ كانت الاجابــة هي : ٧ قرءوا القرآن كلــه ، و ٣٥ قرءوه بصفة جزئية ، و ٥٨ لم يقرءوه •

❊ السؤال الثاني : ما هو رأيك في نبي الاسلام ؟

في سنة ٧٠ كانت الاجابة : ٢ جيد جدا ، ٨ جيــد ، ٥٠ سيء ، ٤٠ سيء جــــدا •

في سنة ٧٦ أصبحت الاجابــة : ٣ جيد جــدا ، ٤٠ جيــد ، ٣٧ سيء ، ١٠ سيء جدا ٠

✻ والسؤال الثالث : هل تعرف حياة محمد (ص) نبي الاسلام ؟

في سنة ٧٠ كانت الاجابة : واحد جيد جدا ، ٨ جيــد ، ١٦ قليلا ، ٧٥ لا شيء ٠

في سنة ٧٦ أصبحت الاجابة : ٤ جيد جــدا ، ١٨ جيد ، ٤٣ قليلا ، ٣٥ لا شيء ٠

ويعلق الاب ميشيل ليلون على هذه النتائج بقوله ان هنــاك تطــورا ايجابيا في معرفة الفرنسيين بالقرآن والاسلام في السنوات الاخيرة ، رغم ان النتائج تشير في الوقت ذاتــه الى مــدى انتشار جهــل الفرنسيين بالاسلام وتعصبهم تجاهــه !

ماذا حقق الحوار في قرطبة ؟

لقد كشف حــوار قرطبة عن نقاط ضعف فينا لا يمكن تجاهلها ٠ فــي استعدادنا لسماع الرأي المخالف في مستوى ما نقدمه من جهد علمي يخاطب عقول الناس ولا يستثير انفعالاتهم ، في منهج العمل الذي يعتمد على الجهــد الفردي ولا يؤمن بروح الفريق ٠

ولا بد أن نقرر ان أكثر ما قاله المفكرون المسيحيون كان مفاجأة للجميع ٠ لكننا لا نستطيع ان نقول ان طرفا كسب وطرفــا خسر ، والا قورن الحــوار بمباريات كرة القدم التي تحتسب نتيجتها بعدد الاهداف ٠

فقط شق الحوار طريقا جديدا في علاقــة المسيحية بالاسلام ، أصبــح مفتوحا لكي يتقدم فوق من يشاء ويعمقه من يشاء ٠

واذا ترجم الاتجاه الرئيسي للكلام الــذي قيل من فوق منصة الحوار

الى واقع ترده المجامع الرسمية ، ويتلقاه التلاميذ فــي مدارس الغرب ، فقــد تحقق بذلك انجاز عظيم •

واذا بقي كما هــو ، آراء ومواقف مسجلة فــي المذكرات والابحاث ، فسيظل نقطة مضيئة ومشرقة •

وفي كل الحالات فان المنتصر الحقيقي هــو كل مسلم ومسيحي متحضر ومستنير •

المنتصر الحقيقي هو انسان هذا العصر •

العريسي



وصية من الحسن العسكري عليه السلام

جاء في الدمعــة الساكبة ان الامــام الحادي عشر عليــه السلام أوصى شيعته بما يلي « أوصيكم بتقوى الله والورع فــي دينكم والاجتهاد للــه وصدق الحديث واداء الامانة الى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجواب وبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآلــه : صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم فان الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الامانة وحسن خلقه مع الناس قيــل هــذا شيعتي فيسرني ذلك ، اتقوا وكونوا زينا ولا تكونوا شينا ، جروا الينا مودة وادفعوا عنا كل قبح فانه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله وما قيل فينا مــن قبيح فما نحن كذلك ، لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله فلا يدعيه أحــد غيرنا الا كذاب ، أكثروا ذكر اللــه وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي فان الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآلــه بعشر حسنات احفظوا ما وصيتكم به واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام •

حاجة العلماء الى الايمان

بقلم : احمد محمد جمال

نشرت بعض صحفنا اليومية خبرا تحت عنوان (تحدث الاطبـاء ... بغريزة الامومة) عن أم تعاني مرضا خطيرا فـي كليتيها ، وهي في الرابعـة والعشرين من عمرها .. وقد قرر الاطباء أن تخضع هـذه الام المريضة لعلاج مستمر من غسل دمها ، ومراقبـة كليتيها ، وعندمـا أخبرتهم بأنهـا حملت ، أجمعوا عـلى ضرورة اجهاضها .. فرفضت ، وأنجبت أخيرا طفلـة بصحة جيدة .. الامر الذي أذهل الاطباء .

قلت : لو كان الامر ، كما وصفت الجريـدة : تحديا مـن الام المريضة للاطباء بغريزة الامومة .. لكان مـن الجائز والمحتمل أن تـسقط حملها بعـد بضعة شهور ، أو ان تموت هي بسبب الحمل الـذي رآه الاطبـاء مستحيلا بالنسبة لمرضها الخطير ..

ولكن الحقية هي أن ما حدث لهذه الام من حمل وانجاب على الرغم من اجماع الاطباء المختصين على استحالة سلامة الام مـع بقائها حاملا ــ يؤكـد (أولا) أن مشيئة الله عز وجل هي المتحدي الغالب للعلم البشري والتقديـر الانـساني ــ كما يؤكد ذلك (ثانيا) حاجة الانسان مهما أوتي من علم وخبرة وتقدير وتدبير .. الى التسليم بأن هناك ربا : هو أعلم وأخبر وأقدر وأحكم تدبيرا ، والى الاستعانة في الوقت نفسه بهذا الرب العليم الحكيم الرحيم ..

ان هذه الام المريضة ، لم تتحد الاطباء بغريزة الامومة ، وانما تحدتهـم

بمشيئة الله الذي خلقها ، وابتلاها بهذا المرض الخطير ، ثم أراد لها أن تحمل وتنجب على رغم أنوف الاطباء •• ذوي العلم القليل ، والايمان الهزيل !

(انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) •

(انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) •

ولذلك نجد زكريا أحد أنبياء بني اسرائيل ، عليــه السلام •• عندمــا بشر بأنه سينجب ولدا : (قال رب أنى يكون لي غلام ، وكانت امرأتي عاقرا، وقد بلغت من الكبر عتيا) ؟

ان زكريا عليه السلام هنا يتعجب كيف سيكون له ولد وقد وهن عظمه، واشتعل رأسه شيبا كما أن امرأته عقيم لم تلد منـــذ تزوجها •• وهي حالــة بالنسبة للزوجين معا تجعل الحمل والانجاب مستحيلين •

ولكن مشيئة الله القدير الخبير فوق المستحيلات البشرية ، فكان الــرد الالهي على زكريا : (قال كذلك قال ربك •• هو علي هين ، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) •

وبعد قصة زكريا تأتي قصة مريم بنت عمران ، عليها السلام ، في سورة واحدة وسياق واحد ، يأتي اليها الملك •• وهي معتزلة أهلهــا شرقي المسجد الاقصى للعبادة ، متمثلا في صورة بشر سوي • فتتعوذ بالرحمن منــه خوفا على نفسها وعرضها ، ويسارع جبريل عليه السلام لطمأنتها وازالة مخاوفها ، فيقول لها انه رسول من الله عز وجل ليهب لها غلاما زكيا •

واذا كان زكريا تعجب أن يكون له غلام •• مع ان له زوجة ، وكل مــا ظنه مانعا من الولد هو شيخوخته وعقم زوجته ــ فمن حق مريــم أن يكون عجبها أشد لانها امرأة لا زوج لها •

ولذلك قالت لجبريل : (أنى يكون لي غلام ، ولم يمسسني بشر ، ولم أك بغيا) ؟ فأجابها جبريل : (قال كذلك •• قال ربك : هو علي هين ، ولنجعله

آية للناس ، ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا) •

ان العلماء ـ على اختلاف اختصاصاتهم نظرية وعملية ـ يجب أن يقترن علمهم وخبرتهم بالايمان الثابت ، واليقين الراسخ ، بأن الله عز وجل الذي علمهم ما لم يعلموا ، وفتح أمامهم أبواب المعرفة ، ونوافذ التجربة : أعلم منهم وأقدر وأخبر وأحكم ـ وصدق الله العظيم :

ـ (وفوق كل ذي علم عليم) •

ـ (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) •

وبين أيدينا قصة بل حادثة من الوادي نفسه ، وادي الاطباء والمرضى ـ يقول الاستاذ « موريس قطريب » في مجلته (نداء الصحة) : طالعت مؤخرا اختبار سيدة علمتني درسا في الايمان والثقة وعدم القلق على مـا قد يخبئه الغد من أحداث •

قالت السيدة : ذهبت يوما مع زوجي الى أحد كبار الاطباء ، ولم أكـن حينذاك جاوزت الثلاثين من عمري ، فانتحى بي الطبيب جانبا ، وصرح لي بأن حالة زوجي خطيرة ، وبأن الامل في شفائه ليس كبيرا ، فاسودت الدنيا فـي عيني ، وكدت أقع مغشيا عـلي • فأجلسني الطبيب ، وراح يعزيني بكلمات رقيقة ، ثم تابع حديثه قائلا : أذكر أنني كنت يوما في الريف ، فرأيت فلاحـا متقدما في السن يحرث حقلا ، فاقتربت منه ، وقلت لـه مداعبا : هبك علمت أنك ستموت بعد ساعتين •• فماذا تفعل ؟

فنظر الرجل الي نظرة ساخرة وقـال : أستمر في عملي ـ فأثرت فـي نفسي هذه الكلمات أعمق تأثير ، وعلمتني أن أواصل عملي غير عابيء بما قد يصوره لي عقلي العاجز من متاعب أو مخاوف قد تصادفني في الغد •

ونصح الطبيب العاقل المعترف بعجزه البشري ـ نصح الزوجة الشابـة الخائفة على زوجهـا المريض أن يموت بسبب مرضه الخطير ـ أن تعتصـم

بالايمان ، وتستمر في أداء رسالتها الزوجية نحو زوجها وأولادها وبيتها !

يقول الاستاذ قطريب : وخرجت الزوجــة من عيــادة الطبيب معتصمة بالايمان ومرت الازمة بسلام ، واستعاد زوجها صحته ، ومرت سنوات عــلى هذه الحادثة وهما يعيشان سعيدين » .

قلت : هكــذا ينبغي أن يكون ايمــان الاطباء عندما يتعاملون مــع مرضاهم .. فهم عاجزون مهما أوتوا من علــم وخبرة ، وهــم جاهلون أيضا بالغيب ، وما يأتي به من قدر الله اللطيف الخبير .

ويذكرني موقف الفلاح الذي رد على الطبيب : بأنه سوف يستمر فــي حرثه وزرعه حتى لو علم بأنه سيموت بعد ساعتين ــ يذكرني بالتوجيه النبوي الشريف الذي يعلمنا فيــــه الرسول صلى اللــه عليه وسلم : ان نقف مثــل هذا الموقف المؤمن الشجاع حين قال ما معناه : انه لو كان بيد أحدكم فسيلة وعلم بقيام الساعة فليغرسها .

المجلــة العربيــة



أعــداء المــروءة

❋ قال رؤبة بن العجاج أتيت النسابة الكبرى فقال لي : « من أنت ؟ » فقلت : « أنا ابن العجاج » قال : « قصرت وعرفت ، لعلك من قوم ان سكت عنهم لم يسألوني ، وان تكلمت لم يعوا عني » قلت : « أرجــو الا أكــون كذلك » قال : ما أعداء المروءة ؟ « قلت : « تخبرني » قال : « بنو عم السوء اذا رأوا حســنا ستروه ، وان رأوا سيئا أذاعوه » . ثم قال : « ان للعلم آفــة وهجنة ونكدا ، فآفته نسيانه ، ونكده الكذب فيه ، وهجنته نشره عنــد غير أهلــه » .

اللغة العربية

وحاجات العصر

بقلم : عبد الرزاق البصير

أكثر من شعار اقترح لهذا العام فبعضهم يطلق عليه « عـام الطفولة » وبعضهم يطلق عليه « عام الحسم » أو « عام القضية » ، بالنسبة الى فلسطين، وبعضهم يطلق عليه « عام اللغة » • ولا بأس من أن يطلق أكثر من شعار على عام واحد ، فان ذلك يعني تنافسا شريفا في أعمال جادة ، تعزز أوجه الخير في عدة جوانب من الحياة الانسانية ، اذ ان كـل شعار يعني دفـع المتخصصين للسعي الحثيث في الوجه الذي يهتمون به •

ولما كنت من المتجهين نحو اللغة ، فانه يطيب لي أن أتوقف حول ما يعنيه هذا الشعار الاخير الذي اقترح لهذا العام • وأول ما أرجوه ان تأخذ به جميع أقطار أمتنا العربية • فمن المعروف ان اللغة هي أوثق رباط يربط بين أفـراد هذه الامة ، بالاضافة الى أنها هي الاداة التي يعبر بها كل فرد عما يجول فـي نفسه من أفكار وعواطف وآمال •• فلو أنك أخذت أثرا فكريا أو أدبيا صدر باللغة العربية الفصيحة ، فانه يصعب عليك ان تعرف ما اذا كان صاحب هـذا الامر من مشرق الوطن العربي أو مغربه •• حتى ولو كان ذلـك الاثر يعالج واقعة محلية •• لان الجزائري أو السوري أو العراقي كثيرا ما يعيش أحداث قطر غير قطره •• أو كثيرا ما يدرس في بلد غير بلده الذي نشأ فيه ، واذا به يتأثر بتلك الاحداث فيصوغ ذلك التأثر شعرا أو قصة أو مقالة تتناول قضية اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو عاطفية أو علمية ، مما يجعل قارئها غـير

قادر على معرفة البلد الذي ينتمي اليه ذلك الاديب أو المفكر الذي أصدر ذلك الاثر ، وقد انتهى الباحثون من القول بأن اللغة هي الميـدان الخصب الـذي يستطيع شتى الباحثين أن ينطلقوا منه لدراسة الامة التي تتحدث بها •• فمنها يستطيع الباحث الاقتصادي معرفة حالتها الاقتصادية ، وقل مثل ذلك في بقية نواحي الحياة من سياسة واجتمـاع وعلوم •• اذ ان مفردات تلـك اللغـة توضح لك مستويات أهلها ، فكلما ارتقت الامـة فـي حياتها ارتقت لغتهـا ونشأت فيها مفردات تخص ما تمارسه الامـة من نشاط في أي ميدان مـن ميادين الحضارة ••• لان الذهن لا يستطيع أن يفكر بدون لغـة • فقد ذهب العصر الذي يقبل من الكاتب بأن تكون مفرداته أكثر من معانيه •

ولعلنا من أشد الامم حاجة الى أن نضع شعار « عـام اللغـة » موضع العمل الجاد فما يزال في هذه الامة من يعتقد بأن لغتها غير صالحة لاستيعاب ما يجد في حضارة هذا العصر ، وأسطع برهان على ذلك هو ان معظم جامعاتنا تدرس العلوم التطبيقية بلغات أجنبية ، في حين أن بعض أقطار البلاد العربية جعلت اللغة العربية هي لغة الدراسة في جميع فصول جامعاتها •• فكان لهـا ما أرادت من حيث قدرة لغة هذه الامة على تقبل كل العلوم التطبيقية ، ممـا يجعل القول بأن قواعد لغتنا تستعصي على الاجابة لمـا يراد منها قولا غـير صحيح •

اللغـة والوحـدة

واللغة ككل الكائنات تضعف حـين تترك للاهمال ، وتقوى كلما كثـر العمل بها • ولسنا في حاجة الى القول بأن العلماء والمفكرين والادباء يقربون أمتهم من الوحدة حـين تتضافر جهودهم في تنميـة لغتهـم وتقويتها ، اذ ان تضافر الجهود يعني اغناء اللغة بمختلف الاثار الادبية والفكرية واللغويـة ، مما يجعل أبناء هذه الامة يقبلون على تلك الاثار قراءة وتأملا ، الامر الـذي يكون عندهم وحدة في تفكيرهم مما يجعل الوحدة قادرة على الثبات لكل ما

تتعرض له من أخطار ومحن . اذ أن الافراد يكون ارتباطهم بلغتهم أشــد مما كان عليه من قبل ، لانها تعتمد على الفكر بالاضافة الــى المشاعر والمصالح . فكل عامل من هذه العوامل له تأثيره ومكانته في تقوية الوحدة .

ونحن اذا ما تأملنا في تاريخ تنمية لغتنا وتقويتها ، وجدناها ترتكز على أمور كثيرة يمكن أن نجمعها في أمريــن اثنين : أحدهما تمكن حبهــا مــن النفوس والقلوب ، بحيث دفعهم هــذا الحب العظيم الــى تحمــل المصاعب والمشاق في سبيل جمعها وترتيبها وتهذيبها . فقد أقام أبو عمرو بن العــلاء ، والكســائي ، والاصمعي والخليل بــن أحمد وغيرهم من علماء اللغــة أعواما كثيرة في البوادي يتنقلون بــين قبائل العرب ليستمعوا منهم الــى المفردات العربية على طبيعتها ويدونوها .. حتى لقد قيل ان الكسائي أنفذ خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه . وأما أبو عمرو بن العــلاء ، فقد رووا أن كتبه عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من الســقف.

وأخبار علماء اللغة كثيرة معروفة في هــذا المجــال ، وكان كثير مــن الاعراب يفدون على مدن العراق ، فيأخذ العلماء عنهم اللغــة ، ولم يكونــوا يقبلون كل ما يسمعونه من الاعراب من مفردات ، شعرا كانت أو نثرا ، وانما كانوا يمعنون النظر فيها فيقبلون منها ما يلائم الطبــع السليم ، ويصفون مــا يخالف ذلك بالحوشي الذي يستحب تركه . وقد تفرع عن هــذا الحب تألمهم مما كانت تلحن به العامة .

ومن الواضح أن اللحن قد شاع بين الناس بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الامم ، فوضع العلماء للغــة قواعد وطرقا تصون الالسنة عن الخطأ فــي القول سواء كان ذلك في الشعر أو النثر . وقد سميت هــذه القواعد بعلــم النحو ، وقد اختلف الباحثون فقال الكثير منهم ان هــذا العلم عربي خالص ، وقال بعضهم انه مقتبس من اليونان أو السريان ، وان أبا الاسود ــ واضــع هذا العلم ــ كان يعرف السريانية ، وقــد اقتبس قواعد علم النحو من قواعد النحو السرياني وهذا الرأي أحدث جدلا طويلا بين مؤيد له وشاك فيه .

ومهما يكن من أمر ، فان النحو علم واسع له قواعده ، وما زال المهتمون باللغة العربية يتحدثون عنه ويؤلفون فيه . وسيستمر هذا النشاط في هــذا العلم الى ما شاء الله .

النحو عربي خالص

على أني أود أن أشير الى الرأي القائل بأن علم النحو علم عربي خالص ؛ وأنا أعتمد في ذلك على القرآن الكريم وعلى الشعر الذي قيل قبل الاسلام ؛ فانك تجد قواعد علم النحو مستمدة من هذين المصدرين . فلو لم تكن هذه القواعد موجودة عند العرب منذ أقدم العصور لما روعيت تلك القواعد مثــل هذه المراعاة الدقيقة ، كذلك استدل بقصــة الاقواء التي تروى عــن النابغة الذبياني ، فقد روى المرزباني أن محمد بن سلام قال في كتابه طبقات فحــول الشعراء : لم يقو أحد من الطبقة الاولى ولا من أشباههم الا النابغــة في بيتين وهمــا قولــه :

من آل ميــة رائح أو مغتدى عجــلان ذا زاد وغير مــزود
زعم البوارح ان رحلتنــا غدا وبذاك خبرنا الغراب الاسود

حتى نبهته اليه احدى المغنيات ، فغير البيت مراعيا فيه القواعد النحوية قائــلا :

زعم البوارح ان رحلتنــا غدا وبذاك تنعاب الغراب الاسود

أليس معنى هــذا الذي رويناه ان الذين يستمعون الشعر وينظمونه يعرفون بأن هناك قواعد علمية لا بــد من مراعاتها ، فان الشعر يصبح غــير مستقيم ، والاقواء هو مخالفة تلك القواعد ، بــل انهم يعرفون قواعد جمــع القلة وجمع الكثرة . فقد انتقد النابغة الذبياني حسان بن ثابت في قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وبذاك تنعاب الغراب الاسود

لانه استعمل اسيافا وهذا جمع القلة وكان عليه أن يستعمل السيوف كما كان عليه أن يستعمل « الجفان » بدلا من الجفنات • وليس من المعقول أن تكون كل هذه الملاحظات الدقيقة صادرة عن الذوق وحده ، وانما هناك ــ فيما أعتقد ــ قواعد معروفة لديهم في علم قائم بذاته ؛ لكنه ضاع في جملة ما ضاع من ذخائر وكنوز •

على ان حب العلماء للغة العربية قد دفعهم الى أن يرتبوا مفردات اللغة في معاجم كان أولها معجم العين الذي ينسب الى الخليل بن أحمد أو غيره من العلماء ، ثم أخذت تلك المعاجم في التطور حتى وصلت الى ما وصلت اليه في عصرنا الحاضر ، ويطول بنا الحديث لو أردنا ان نفصل في كيفية تأليف المعاجم وتطورها ، لانها كثيرة متشعبة ، فمنها ما هو مخصص للغة من حيث مفرداتها، ومنها ما يخص الجغرافيا الطبيعية كالمعاجم التي ألفت في أسماء الجبال والانهار ، والكتب التي ألفت في أسماء الابل والخيل ، والمعاجم التي ألفت في دلالات الالفاظ وكيفية استعمالها ؛ كما نراه في المخصص لابن سيده • فهو يحدثك مثلا عما تقول المفردات في : المبتذل من الثياب وفي عيوب الثياب وفي تمزيق الثياب وما تقوله المفردات في ظلمة الليل حين يشتد أو حين يكون فيه غمام ، وفي طول الليل وقصره وفي كيفية غلق مجاري الماء وفتحها وتصريفها ••• الى غير ذلك من جوانب الحضارة •

عندما صارت لغة دولية

ولا بد لنا ، هنا ، ان ننتبه الى أن العلماء كانوا لا يقبلون من المعجمين الا الموثوق المتيقن بصحته ، مما انشأ جانبا هاما ممتعا من النقد اللغوي ، وهذا يدلك على العناية الشديدة من العلماء بهذه اللغة العظيمة • وهناك معاجم أخرى خصصها مؤلفوها في خلق الانسان ، فهم يحدثونك عما خصصته اللغة من مفردات في نشأة الانسان ، منذ كان نطفة في رحم أمه حتى مفارقته لهذه الحياة ؛ بعد ان تكون رحلته في هذه الحياة طويلة •• يكون فيها

عاجزا الا من حركة خفيفة لا تترك اللغة العربية حالة من حالاته في حياتـه ، ولا عرقا أو عصبا أو عظما في جسـده الا وتخصص لها كلمة تدل على ذلك ٠

وليس من ذلك ان في هذه المعاجم ما يدل على عظمة هذه اللغة وقوتها ، فليس من الغريب اذا ما رأيناها قد أضحت لغة دوليـة يوم ان كانت الامـة العربية تشارك في صنع الحضارة الانسانية بصورة عظيمـة ٠ فكل من يريد ان يكون لاثره انتشار واسع بين الناس يصطنعها لغة لذلك الاثر ، الى جانب ما تتصف به هذه اللغة العظيمة من مرونة بحيث يكون اشتقاقها سهلا ميسورا كما ترى في لفظة « ضرب » فان أصل هذه الكلمة ايقـاع شيء على شيء ، لكن مدلولها يتسع حسب موقعه ، فاذا قلنا : « ضرب مثلا » يكون بمعنـى أورد مثلا ، اذا قلنا « ضرب في الارض » ، كان المعنى ذهب فـي الارض ٠٠ واذا قلنا « ضربنا على آذانهم » كان معناه التغطية على الفهم ٠

و « جاهد » : أصل هذه اللفظة يعني بذل الانسان وسعه في المدافعـة والمغالبـة ٠ غير أن القرآن الكريم نقلها الـى بذل الطاقـة في نشر الدعوة الاسلامية والدفاع عنها ٠ وجهاد الشيطان دفـع وسوسته واغوائه ، وجهـاد النفس مغالبتها ودفعها عن شهواتها ٠

و « عقد » ، أصل هذه اللفظة الجمـع بين أطراف الشيء ، لكنهـا اذا أضيفت الى الايمان أصبحت وثيقـة مؤكدة ، واذا قلنـا « اوفوا بالعقود » بمعنى اوفوا بالعهود ، وهو أوكدها ، والفرق بين العقد والعهد أن العهد فيه معنى الاستيثاق والشد ، ولا يكون الا بين متعاقدين ؛ والعهد قد ينفرد بـه الواحد فكل عهد يعد عقدا ولا يكون كل عقد عهـدا ٠٠٠ الى غير ذلـك من الافعال التي تعطيك مصادرها وأسماؤها معاني لا تحصى ٠

دور القرآن الكريم

لقد اتسع هـذا الباب ؛ بفضل القرآن الكريم كما أشرنا الى ذلك قبـل قليل اتساعا عظيما ، لان القرآن قد أسس علوما اسلامية كانت في الاصل غير

موجودة كعلم التفسير وعلم الفقه ، ثم تفرعت الى شعب لا تحصى كعلم الكلام ، وعلم النحو ، والبيان ، والبديع ، وعلم العروض • وفي كل علم من هذه العلوم مصطلحات كثيرة لا تعد ، كالطهارة ، والصوم ، والزكاة ، والصلاة ، والوضوء ، والتيمم •• الى ما هنالك من المصطلحات الفقهية • أما في علم النحو وعلوم البلاغة فانها جاءت بمصطلحات كثيرة أثرت اللغة العربيه على شاكلة المبتدأ والخبر ، والحال ، والتمييز ، والبدل ، والافعال الناسخة ، وحروف الجر ، والجزم ، والنصب ، والاستعارة ، والكناية ، والمجاز ، والطباق ، والجناس على اختلاف فروعه ، والتورية ، والالتفات ، الى غير ذلك من المصطلحات الفقهية • أما في علم النحو وعلوم هذا في علم العروض فقد جدت مصطلحات كثيرة ، كالطويل ، والبسيط ، والكامل ، والوافر ، والخفيف •• وما شئت من مصطلحات في علم الموسيقى وعلم الكلام وعلم الفلسفة •• فان هذه المفردات كانت معروفة قبل أن تنشأ هذه العلوم ، لكن مدلولاتها اختلفت عن المعاني التي نقلتها اليها تلك العلوم •

وليس من شك ان هذه المصطلحات كانت عنصرا من عناصر نمو اللغة العربية • ونلاحظ ان المحافظين الذين كانوا لا يجيزون استعمال أي مدلول « للفظة » الا اذا كانت واردة عن الشعراء الجاهليين لم يقفوا أمام انتشار المصطلحات التي جاءت في شتى العلوم ذلك لانهم أدركوا بأن كل علم لا بد وأن يأتي بمصطلحات جديدة • فليس من الممكن أن يعترض عليها أحد بحجة أنها غير معروفة عند العرب قبل الاسلام ، وانما كانوا يعترضون على ما يأتي به الشعراء الامويون والعباسيون ، لكن كثيرا من الشعراء مضوا يجددون في معاني كثير من الالفاظ غير مبالين باعتراض المعترضين ، فثبتت في نفوس الناس حتى أخذوا يستعملونها كما يستعملون غيرها من المفردات •

والانصاف يفرض علينا ان ننوه بأن العلماء الذين كانوا يتشددون في قبول المفردات التي تأتي في شعر الشعراء الامويين ، معذورون الى حد كبير ، فقد شاعت اللكنة الاعجمية بين الناس بصورة مخيفة حتى أن بعضهم كان

يتكلم دون أن يفهم أحد عنه شيئا ، الا من اعتاد سماع مثل ذلك الاسلوب في الكلام ، مما أفسد كثيرا من المفردات العربية .

ولقد عرض لنا الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » صورا مما كان يجري على بعض الالسنة من هذه اللكنات ، حتى لتفسد العبارة العربية افسادا ، فمن ذلك ان الحجاج سأل نخاسا : أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان ؟ فأجابه : « شر يكاتنا في هوازها وشر يكاتنا في مداينها ، وكما تجيء تكون » . ولم يفهم الحجاج ما يقول ، فقال له : « ويلك ، ما تعني ؟ » فقال بعض من اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك ، يقول : « شركاؤنا بالاهواز وبالمدائن يبعثون الينا بهذه الدواب ، فنحن نبيعها على وجوهها » .

التشدد تجاوز الحدود

ويقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه « تاريخ الادب العربي » ، الجزء الثاني ، صفحة ١٧٢ : ان آثار هذه اللكنات كانت تجري على ألسنة فصحاء الموالي ممن صعدت بهم ملكاتهم الى أفق الشعر العربي ، حتى أصبحوا لا يقلون فيه فصاحة وبلاغة عن شعراء العرب الخلص ، كزياد الاعجم وأبي عطاء السندي وغيرهم من الشعراء ، وأخبارهم في ذلك معروفة لو أردنا ذكرها لخرجنا عن القصد ، على أن تشدد بعض علماء اللغة ربما تجاوز الحدود المعقولة ؛ فليس كل الشعراء المولدين يجرون على مثل هذا النحو من اللكنة ، ثم ان من المعروف لدى الجميع ان تطور اللغة يعتمد على الشعراء والادباء في جملة ما يعتمد عليه ، كما تشهد ذلك في بعض ما نظمه أبو نواس من استعمال لفظة التولد والفلسفة ، وفي مثل قوله :

رقت عن الماء حتى ما يلائمها لطافة وجفا عن شكلها الماء

وهذا التعبير مأخوذ من كلام النظام وغيره من المتكلمين الذين كانوا يتحاورون في كثافة الاجسام ولطافتها ، وفيما بينها من ملاءمة ومباينة . وقد

فصل في ذلك المرحوم الدكتور طـه حسين ، وأوضح ان الشعر لم يكن قبل أبي نواس يصطنع مثل هـذه الالفاظ ، لان علـم الكلام لـم يكن منتشرا كانتشاره أيام هذا الشاعر ، وسنجد مثل هـذه المصطلحات الفلسفية عنـد الشعراء الذين كانوا في زمانه والذين جاءوا من بعده ، ذلك ان الفلسفة وعلم الكلام وكثيرا غيرهما من العلوم أصبحت معروفة لدى المثقفين ، الامـر الذي أشارع معاني جديدة لكثير من المفردات ؛ ثم ان علينا ان نتعرف على الطريقة التي سلكها الذين ترجموا الكتب التي تمس الرياضيات على اختلاف فروعها، والذين ترجموا عن الهندية والفارسية ، ما يمس ديانات تلك الامـم وعاداتها وتقاليدها وفلسفاتها ، فان في التعرف على طريقة أولئك العلماء ما ينفعنا فـي تنمية اللغة العربية • فنحن نواجـه سيلا من المفردات التي تزداد بهـا اللغات الحية مما يفرض علينا ملاحقة هذا النمو بالنسبة للغة العربيـة ، والا فسنبقى غير قادرين على التعبير عما نحتاج اليه في حياتنا اليومية •

والحق ، ان مجامع اللغة العربية قد قطعت شوطا واسعا في هذا المضمار باضافتها الى اللغة مصطلحات في مختلف العلوم بلغت أكثـر من مئـة ألف ، على وجه التقريب ، ولكن يلاحظ ان بعض المفردات الاجنبية تترجم بألفـاظ مختلفة ؛ مما دفع المخلصين الذين يدركون ما تعنيه التسميات المختلفة لمصطلح واحد من تفرقة للتعبير العربي ، لذلك تجدهم يلحون في دعوتهم الى توحيد المصطلحات العلمية وغير العلمية لكـي لا نتفرق في تعبيرنا ، وليفهـم بعضنا بعضا حينما يجتمع كل فريق لغرض مـن الاغراض • فلنفترض ، مثـلا ، ان عسكريين من مختلف البلاد العربية اجتمعوا لـرد مغتصب مـن المغتصبين • فلنتصور كيف حالهم حين تكون مصطلحاتهم غير موحدة ، فليس مـن شك انهم سيرتكبون عندما تصدر الاوامر من القيادات •• أو حينما يتحدثون في شأن من شئون الحرب • وقل مثل ذلك في علماء الكيمياء أو الفيزياء حـين يجتمعون في مؤتمر من المؤتمرات ، أو حين يذهب معلم من الجزائر الى سوريا ليدرس أبناء ذلك البلد ، أو لالقاء المحاضرات ؛ فانها ستكون مفارقات محزنة مضحكة بلا شك •

الطريق لاثــراء اللغــة

أما كيفية اغناء لغتنا بالمصطلحات ، فان علماءنا قد وضعوا لذلك قواعد منها : الاشتقاق ، والنحت ، والتركيب •• ولهم في ذلــك أحاديث مفصلة لا يتسع لها هذا المجال ، ويكفي ان نعرف انها بدأت منذ أيام الخليل بن أحمــد وسيبويه ، وابن فارس ، وابن جني وغيرهم مــن العلماء ، ومــا يزال العلماء المتخصصون في اللغة العربية يبحثون في ذلك حتى هذه الايام • وقد ظفرت اللغة العربية من هذه البحوث المتصلة بفوائد جليلة لا تحصى ، اذ ان علماءنا الاجلاء لا يبدون رأيا أو يقدمون اقتراحا الا بعد أن يبذلوا كل ما في وسعهم من طاقة في البحث والتمحيص لتكون مقترحاتهم وآراؤهم رافدا من روافــد اغناء اللغة العربية واثرائها ، ولا سيما علماؤنا المعاصرون الذين يجيدون لغــة أجنبية أو أكثر ، فانهم يتعمقون في كيفيــة اتساع اللغــات الاجنبية ، وفيما يتخذه العلماء من وسائل لترقية لغتهم وانمائها • فنحن نعلم جميعا ان مشاركة تلك الامم في صنع الحضارة أقوى بكثير من مشاركتنا ، مما يجعــل حاجتهم الى وضع المصطلحات الجديدة أشد من حاجتنا ، وان تمسكهم بلغتهم لا يقل عن تمسكنا بلغتنا ، وهذا كله يجعل النظر في الوسائل التي يتخذونها لتنميــة لغاتهم يفيدنا في تنمية لغتنا ، ولا يعني هذا اني أدعو الــى اتباعهم بصــورة كاملة ، وانما الذي أعنيه بأن ننتفع بما يمكن الانتفاع به منها •

وكل ما أريد قوله ، هنا ، هو ان ننظر الى هذه البحوث نظرة جدية ولا سيما تلك التي تدعو الى توحيــد المصطلحات العربيــة وتتخذ كل الوسائل ونسلك كل السبل في تعميمها ونشرها لتكون شائعة بين الناس •

العربي ــ عبد الرزاق البصير

رسائل الأدباء

بين الوهاب والطعمة

أرسل الشاعر السيد مرتضى الوهاب هذه الابيات ضمن مجلة (الثقافة الاسلامية) الى صديقه الشاعر السيد سلمان هادي الطعمة ، الذي كان يزاول التعليم في عين التمر :

يـا راحلا نحـو (عين التمـر) يغرسها
ثقافـة مـن عيـون الديـن يسقيهـا
رسـالة الدين (أهـل البيت) مصدرها
وعنهـم في السورى (سلمان) يلقيهـا
هذي (الثقافـة) خذها مـن أخي وطن
لـك المـودة فـي الاعمـاق يبقيهـا

١٩٥٩/١١/٢٩

فأجابه السيد سلمان الطعمة على نفس الروي :

وافـت هديتـك الغـراء طافحـة
بالفكـر تنبـي عـن الحسنى وتبقيهـا
مـن فيضهـا يغرف القـراء معرفـة
فيهـا تروي الـورى علمـا وتسقيهـا
أبـا (عطـاء) كفـاك الشعر مفخـرة
مَـن مُنشد الغـرر الغـرا وملقيهـا ؟

١٩٥٩/١٢/٥

المراسلة والمناظرة
بين المحمصاني والعاملي

خطاب العاملي :

أذاع الراديو حديثا للقاضي والمحامي السيد صبحي المحمصاني الذي يعد من المجلين بين القضاة والمحامين ، أجاب فيه سائلا « عمن هو أفضل الصحابة وأعدلهم » فقال : عمر بن الخطاب •

ولو كانت منزلة المحمصاني من نفسي منزلة غيره ممن لا يتدبرون ما يقع تحت أنظارهم أو يقتصرون على التعبير عن أهوائهم وأفكارهم دون الرجوع الى التحقيق والتوغل بزيادة التدقيق لمررت بقوله مرا عابرا ولكنه وله منزلته في القضاء ، لا يجوز أن أسدل على قوله الستار •

ويظهر ان الاستاذ المحمصاني كان عثر على المشادة الكلامية التي جرت بين الخليفتين الامام علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان في عهده ، وكان أكثر تأثرا بقول عثمان في شأن من هو أفضل الصحابة بعد الرسول من الصحابة العدول ، وذلك ان عثمان عندما قام طلحة والزبير ومحمد ابن ابي بكر تشد أزرهم عائشة لجعل مال الامة وقفا على بني أمية ، بعث عثمان الى الامام بأبيات يستنجده فيها مطلعها :

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلي   والا فادركني ولما أمزق

وكان الامام علي ابان ذاك الحدث يقول : « لقد دفعت عن عثمان حتى خشيت ان أكون آثما وبلغ عثمان ذلك ولما التقاه قال للتنفيس عن غيظه : « ان أبا بكر وعمر كانا أفضل منك » ، وكان جواب الامام له : « أنا أفضل منهما ومنك ما سجدت لصنم ولا زلت بي بالقضاء قدم » •

وجواب الامام في الفقرة الاولى يجيب عن نفسه في الفقرة الثانيـة ان أعطى الرسول الراية في وقعة خيبر لابي بكر ثم لعمر وانكسرا بهـا ، فالتفت الى الصحابة ، وقال : لأعطين الراية غدا كرارا غير فرار يحب اللـه ورسوله ويحبه اللـه ورسوله » . فاشرأبت الاعناق لتعلم من هو الذي عنـاه بقوله ، فاذا هو الامام علي الذي يقول فيه المعري أحمد بن سليمان التنوخي :

الإمـام الـذي الالـه بـراه ... قبل خلق المريـخ والميـزان
وعلى الافق من دماء الشهيدين ... عـلي ونجلـه شاهـدان
فهما في أواخـر الليل فجران ... وفـي أوليائـه خفقـان

ويقول أحمد ابن الحسين المتنبي مخاطبا سيف الدولة علي بن حمدان :

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له ... خير الخلائق والانـام سمي

ويقول ابن ابي الحديد المدائني وهو صاحب شرح « نهـج البلاغـة » حين خلعه باب قلعة خيبر :

لـولا الحدوث لقلـت أنـك ... باعث بالارواح بالاجساد والمستنزع
يا خالع البـاب الذي عن خلعه ... عجـزت أكف أربعـون وأربـع

وهنا يجب ان نحتكم في شأن الحوار الذي دار بين علي وعثمان الـى كتب السيرة حيث يقول ابن ابي الحديد عند الكلام على سيرة الامام وفضله ان « شيوخنا وعلماء الكلام في الاسلام . يقولون بتفضيله » .

وكان عمر يقول اذا استعصت عليه قضية فقهية : « مسألة ولا ابو حسن لها » . ويقول : « لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن » . وجيء بزانية لـه وهي حامل ، فهم عمر بتطبيق الحد الشرعي عليها فقال له الامام : « ويحك يا عمر ، ما تصنع ولئن كان لك سلطان عليها فما سلطانك على الذي في بطنها ». فقال : « ما أصنع » . فأجابه بقوله : « تدع المرأة حتى تلـد ويكبر الولـد ويدب الى رزقه فان تابت فأمرها الى اللـه ، وان لم تتب فأمرها اليـك » . فقال عمر : « لولا علي لهلك عمر » .

هذا فقهه ، وأما علمه فروى لي العلامة الفقيد الشيخ أحمد المحمصاني وكان رفيقا لي في التدريس في الثانوية ودار المعلمين عام ١٩٢٣ و ١٩٢٤ انه رافق أستاذه الامام الشيخ محمد عبده للتنزه على شاطيء بحر بيروت وكان الامام منفيا اليها في حوادث الثورة العرابية ، منتدبا لتدريس التوحيد في المكتب السلطاني . فسأله العلامة المحمصاني عن كثرة ذكره لفضل الامام علي والافغاني : « ما نسبة علمك الى علمهما ؟ » ، فقال انه أخذ حفنة من الرمل ، وقال له : « يا أحمد نسبة علمي الى علم الافغاني كنسبة حبة من هذه الحفنة اليها ، ونسبة علم الافغاني الى علم الامام كنسبة هذه الحفنة الى هذا الرمل الوافر ؛ والموجة من هذه الامواج الى هذا البحر الزاخر » . وكذلك حسبنا الاستشهاد بقول الامام محمد ابن ادريس الشافعي بالامام :

وله كمال ليس فوق كماله ... الا كمال الله عز كماله
وله جلال ليس فوق جلاله ... الا جلال الله جل جلاله

وقول مار توما الاكويني كما ذكر فرح انطون صاحب « الجامعة » انه لدى استشهاد ابن رشد بقول الامام في شرحه لارسطو : « ان مار توما يقول هذا كلام لا اعتراض عليه لانه كلام الانسان الكامل » . وقام عمر من على منبره يوما وقال : « لئن بلغني ان أحدكم أخذ صداق ابنته أكثر من صداق بنت رسول الله لاستردت الفضلة منه . فقامت بقالة من بين القوم وقالت له : ليس لك هذا يا ابن الخطاب . والآية تقول : ان آتيتم احداهن منه قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا . فالتفت الى الجمع ، وقال : « ألا تعجبون من خليفة أخطأ وامرأة أصابت ؟ » . ويكفي انه كان واضع قانون التقاعد ، عندما رأى رجلا أعمى تقوده ابنة له ليسأل الصدقة بكفه . فقال لأصحابه : « ويحكم أليس هذا فلان النصراني الذي كان كاتبا لبيت المال ؟ قالوا : بلى . قال : أتستعملونه قويا وتستضعفونه أعمى ؟ يسأل الناس بكفه : أليس في بيت مال المسلمين ما يسد عوز هذا الرجل وفاقته ؟ وأخذ بيده الى عثمان وفرض له مرتبا مدة حياته فكان أول تقاعد نشأ في العالم .

وكان الامام أبو حنيفة وفيلسوف الشرق السيد جمـال الدين الافغاني اذا ذكر الامام علي في مجلسهما يقومان ثم يقعدان اجلالا له وتعظيما •

وفي عدله قول النبي وهو حديث متفق عليه : أقضاكم علي • وقول عمر نفسه : « لو ولي الخلافة الاجلح (يعني الامام) لحملها عـلى الحق الواضح والمحجة السمحاء » • والآية من صورة ياسين تقول : « وكـل شيء أحصيناه في امام مبين » • وأجمع أكثر المفسرين على ان هذه الآية نزلت في حق الامام• والحديث الشريف يقول : « يا علي أنا وأنت أبوا هـذه الامـة » • ويقول : « علي مني بمنزلة رأسي من بدني » •

وخاتمة القول قصة فيلسوف الفريكة أمين الريحاني ، كتب الي يومـا كتابا جاء فيه : « يا أخي يا شيخ كامل يطلب مني الانكليز والاميركان بالحاح كتابا عن الامام علي ، ففتحت نهج البلاغة واذا بي أمام هـذا القول : « يقوله عمه العباس عند وفاة النبي للامام علي مد يدك ابايعك • فيقول الناس : عـم رسول الله بايع ابن رسول الله فلا يختلف عليك اثنان • فأجابه بقوله « انـا أعلم بأنها لا تنال الا بشرا لا ينفع معه الخير وشر لا ينفع معه الخير • ولعمري انها تشتمل على أربعة مواضيع تستغرق كتابا فلسفيا وحدها على حدة فكيف بجميع أقواله • تعال الـى الفريكة وأنقذني من الغرق في لجج هـذا البحـر الخضـم » •

والحديث النبوي يقول : « ما اختلفت دعويان الا كانت احداهما له • فمن نصدق اذن قول عثمان بتفضيل عمر عليه وقال عمر له عندما طعنه ابـو لؤلؤة في بطنه : « كأني بك وقـد قلدتك قريش أمرها فذبحت ذبـح الكبش لحملك بني ابي معيط (أي بني أمية) على رقاب الناس » ، أم قول الامـام بأنه الافضل من أبي بكر وعمر ، وقد أطبق المسلمون والمسيحيون على عصمة الخلف بعد السلف على حد قول القائل :

وهبني قلت ان الصبح ليـل　　　متى احتاج النهـار الى دليـل

كامل شعيب العاملي

جـواب المحمصاني :

قرأت في « نهار » أمس تعليقا للاخ الاستاذ كامل شعيب العاملي عـلى حديث لي في الاذاعة اللبنانيـة ضمن برنامج « راديوراما » ، اعتبر فيه اني قلت ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل الصحابة وأعدلهم . ثـم عقب على هذا القول بما مآله ان عمر ليس بأفضل من الامام علي كرم الله وجهه .

والحقيقة ان التعليق مبني على سوء رواية لمـا قلته . والواقع اني كنت قد سئلت عن عظيم كان له تأثير في حياتي . فذكرت عمر الفاروق . ولم يكن البحث في ذلك الحديث عن أية مفاضلة بين الصحابة ولا بين الخلفاء ولا بـين غيرهم مـن العظماء . واني وان كنت أعتبـر سيرة الفاروق مـن المثاليات ، وأتذكر عدله ونزاهته وعبارته « من أين لك هذا » ، وأتذكر تطبيقه الاحكام الشرعيـة حسب روح العدالـة ووفق متطلبات تقلب الحاجـات والعـادات والمصلحة العامة ، وأتذكر خاصة حزمه الذي نحن في أمس الحاجة الى مثلـه في هذه الايام ، الا ان كل ذلك لا يعني اني أفضله على غـيره من الصحابة أو الخلفاء ، ولا اني أفضله من وجه خاص على الامـام علي كرم الله وجهـه . والكل يعلم مـا للامام علي من فضـل وعلم وفقـه وعـدل وتقوى وبلاغـة وشجاعة . وهو الذي قال عنه النبي (ص) « أقضاكم علي » . وهو أكـرم كرام أهل البيت الذين عنتهم الآيـة الكريمة « انما يريد اللـه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

فأرجو ان يكون في هذا التصويب ما يرضي الضمير . وكنت أود لـو ان الاستاذ العاملي انتبه الى حديثي على صوابه فكفى نفسه مؤونـة التعليق والتعقيب . ولكن على كل حال ذلك مناسبة طيبة لهـذا التوضيح . « فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

صبحي رجب المحمصاني

مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

العدد الاول مجلد ٦٧ ــ كانون الثاني « يناير » ١٩٧٩ م صفر ١٣٩٩ هـ



بيني وبين القارئ

عزيزي القارئ

بقلم نزار الزين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله ونشكره ان تمكنا بأن نصل الى هـــذه المرحلة من حيــاة العرفان التي قاربت يوبيله « الالماسي » أي مرور ثلاثة أرباع القــرن أو ٧٥ عاما على حياته ، رغم كثرة الصعاب والعقبات وقلة الناصر ، كما ان المجلات الثقافية في جميع البلاد العربية تصدرها الحكومات ، الا في لبـنان ، فــان الحكومة لا يهمها شيء من أمر الثقافة ، بل الذي يهمها قعقعة السياسة !!



ولست بحاجة الى البيان هنا بأن العرفان تقف وحدها في أمور كثيرة مـــن مناهـــج واضحة ، ومبادىء قويمة وعقائـــد توجيهيـــة اصلاحيـــة ترشد القارىء الى الايمان والمحبـــة ومكـــارم الاخلاق ، تلك هـــي تعاليم القرآن وتوجيهات محمد « ص » وآل بيته « ع » .

والعرفان مجلة أخذت على نفسها أن تحيـــا حياة الزهد ، بعدا عـــن الشبهات وتنزها عـــن الريب وأخذا بالعزائم .

فاذا كان الناس يصدرون الصحف والمجلات للاسترزاق أو للاثــراء أو للشهرة أو الجاه أو للتملق والنفاق ، فان العرفان أصدرتها حاجـــة الوقت اليها ، ورفعها ايمان القائمين بها عن مثاثر الريب ، تكتبها الاقــلام المؤمنــة برسالتها خالصة لوجه الله في غير مقابل •

والعرفان يهمها ان تقوم برسالتها التوجيهية وتؤدي واجبهـا بأسلوب بياني سهل غير مقعد ليفهمه ويستتير به كل قارىء ، فما بنا حاجة الى أسلوب الانشاء والتمويه والترف الكلامي الذي يلجأ اليه كثير من الكتاب والشعراء حتى لتتألق الصحيفة أمامك بألوان الكلمات كأنها « قوس قزح » ، ثم تذهب تحاسب نفسك عما كسبت منها ، فاذا هو ضياع الوقت ليس الا ، ولا يــراد منه الا التآمر على اللغة العربية الفصحى لانها لغة القرآن •

ولو ان الله يسر لنا من المال الحلال ما يكفينا لجددنا وبوبنا وجملنـا ونسقنا ونهضنا بالعرفان الى ما هو أهله ، وكنا نستعد لهذه الوثبة الى مقتضى عصر الذرة من التركيز والسرعة وحشد أكثر الفوائد في أقل الالفاظ ، فـاذا بالمصائب والكوارث تتساقط علينا من اعتداء الى حوادث لبنان التي اقتلعت منا الاخضر واليابس الى عمليات جراحية الخ •

اللهم انك تعلم ان العرفان عمل خالص لوجهك الكريم فاحفظه وباركه ووفقنا لتقدمه والنهوض به •

قارئي الكريم

الوحدة بين سورية والعراق هي الوحدة الصحيحة من جميــع الجهات تاريخيا جغرافيا ، حدوديا الخ ، وهي الطريق المستقيم الى الوحدة العربيــة الكاملة التي ينادي بها العرفان من أول تأسيسه للآن ، سنكتب عنها كثيرا في الاعداد القادمة ، شكرا لسورية لان الرئيس الاسد أتــى بالمبادرة والشكر الاوفى للعراق لانه هو الذي يضحي في قبول الوحدة فهي والحق يقال لمصلحة سوريا أكثر منها لمصلحة العراق :

ليس بين العراق والشام حـد هدم الله مـا بنوا من حدود

قارئي العزيز :

هؤلاء الحكام الذين يريدون ان يقلدوا أتاتورك في محاربة الدين ومنهم شاه ايران لم ينجحوا ولن ينجحوا فالاسلام بالمرصاد والدين لا يقف حجر عثرة في طريقهم، بل هو يخدمهم اذ جوهر الدين هو بث الفضائل ومحاربة الرذائل، وهذا لصالح الحكام اذا كانوا عادلين ، فقورش قـد ذهب بعجره وبجـره ، والآن كان من الواجب ان يسير هؤلاء الحكام على طريق محمد ؛ وقد قلنـا لكبار المسؤولين في ايران منذ سنة ١٩٦١ م بأن الاعتراف باسرائيل والتعامل معها ، وتعزيز البهائية ، ومحاربة الدين كل ذلـك أمور تضر بهـم ونصحناهم بالكف عن ذلك فما قبلوا النصيحة ، وما جرى بيننا وبينهم نفصله في مناسبـة ثانية ، وهكذا تصدق الحكمة التي تقول : « العناد كفر » ، وقى الله ايـران كل سوء • ولم يطلع ولا والده من قبله على قول شوقي في أتاتورك :

هذا الذي كان الحسين مكانـة في المسلمين قـد استحال يزيـدا

أما هما الشاه ووالده فكانا شرا من يزيد وغير يزيد ؛ لانهما تبرعا بعـد ان اغتصبا السلطة لمحاربة دين محمد ظلما وعدوانا ، والله يمهل ولا يمهل •

* * *

قارئي الكريـم :

عذرا على تأخر هذا العدد قليلا عن موعده وهـو منتصف الشهـر لان الحالة الامنية وخصوصا القنص ، والاستغلال في هكذا مناسبات بدلا مـن الرحمة والاعتدال تلجأ المرء الى ما ليس بالحسبان •

محمد جميل بيهم

حياته جهاد، ولم يوفَّ حقه حياً وميتاً

بقلم : نزار الزين

محمد جميل بيهم : بسمة من بسمات الدهر ، نجمة وقادة هبطت في سماء بيروت فزادتها نورا وتألقا وضياء ؛ زهرة فواحة ؛ فاح أريجها في لبنان والعالم العربي كله .

تعلم وتثقف وسافر فاستفاد وأفاد ، ولا خير فيمن يستفيد ولا يفيد . عالم ، بحاثة ، مؤرخ كتب التاريخ بالوقائع والحقائق لا بالعواطف والأغراض طبعت له « العرفان » سنة ١٩٣١ م مؤلفه « الانتدابان في العراق وسورية » ، كان رئيسا للجنة التي تألفت سنة ١٩٥١ للاحتفال بيوبيل العرفان الذهبي ، وقد ألقى كلمة اللجنة في « المهرجان » كما ألقى كلمة بيروت الدكتور عمر



فروخ ، من عائلة عريقة نبيلة أخرجت قادة من علماء وزعماء اتصفوا بالمحبة والاخلاص ويكفي ان نذكر منهم المرحومين : الزعيم العالم الحاج حسين بيهم ، والزعيم الجريء أحمد مختار بيهم ؛ وقد حدثنا الوالد المؤسس عليه الرحمة

انه حينما أحيل الى المجلس العرفي ببيروت سنة ١٩٢١ م وهو غير المجلس العرفي بعاليه الذي أحيل اليه فيما بعد سنة ١٩١٥ م لم يتجرأ أحد على زيارته في سجنه غير « أحمد مختار بيهم » خوفا من السلطة الغاشمة ، ومنهم « عبد الله بيهم وعمر بيهم وصلاح الدين عثمان بيهم » ولا ننسى « أمين بك بيهم » حفظ الله مهجته رئيس المجلس البلدي في بيروت ومن أصحاب الفضل على دار الايتام الاسلامية ببيروت وغيرها من المشاريع الخيرية والانسانية •

وفي قضايا السياسة حيث يكون محك الرجال في اخلاصهم أو عدمه في تهالكهم على المنصب أو عزوفهم عنه وانصرافهم لخدمة وطنهم ، عرفنا المرحوم محمد جميل بيهم عن كثب ، فلم يعقد مؤتمر عربي أو اسلامي في بيروت أو غيرها الا وكان في المقدمة يتعاون مع المخلصين الذين يعملون للمصلحة العامة من جميع أنحاء لبنان ، بينما غيره من أصحاب الوجاهة والمناصب كانوا يظهرون غير ما يبطنون ويخربون على الذين يبنون •

ولو أردنا أن نسرد مجمل علاقتنا معه واجتماعاتنا به لا مفصلة من أربعين سنة الى ما قبل وفاته بقليل لاحتجنا الى عدد خاص من العرفان لا الى مقال ، هذا الرجل الفذ المؤمن المخلص المجاهد لم يوف حقه حيا ، فان حفلة لتكريمه كانت على وشك ان تقام له واذا بأحداث لبنان تهب فجأة فتقف في طريقها ، ولم يعط حقه ميتا ، وقد عبر عن شعورنا جميعا الصديق البحاثة العالم الاديب الكبير الاستاذ أكرم زعيتر حين قدم لمحاضرة العالم الاديب الكبير الدكتور عمر فروخ عن« محمد جميل بيهم » في المركز الثقافي الاسلامي حيث لم يشيع جنازة « بيهم » أكثر من خمسين شخصا • ولكن نأمل عند استقامة الاحوال في لبنان ان يهب أصدقاء الفقيد الراحل ومحبوه وقادروه لاقامة حفلة كبرى تذكارية تليق بفضله وجهاده واخلاصه •

هذا غيض من فيض عمن فقدنا فيه الاخوة الصادقة والصداقة المتينة ؛ ونترك المجال لغيرنا ليقول كلمته فيه • وذلك من الصفحة ٢٤ الى ٥٢ •

ثورة ولا كالثورات

اخافت الظالمين وانعشت المخلصين

لا يزال حديث الامام آية الله الخميني في جريدة « لوموند » الفرنسية بتاريخ ٦ ايار ١٩٧٨ هو المحور الرئيسي لتحليلات المراقبين المولين عن ثورة الشعب الايراني والحكم القادم في ايران ، ذلك ان آية الله الخميني حدد في هذا الحديث الاسس التي سيقوم عليها حكم ما بعد الشاه .

ولعل من المفيد جدا اعادة نشر هذا الحديث الذي ادلى به الخميني لمراسل جريدة « لوموند » الاستاذ لوسيان جورج في مقره في النجف الاشرف .

وقائع المقابلة :

سؤال : يتهمكم الشاه بأنكم تخالفون التمدن والعصرية وكذلك بالرجعية فما هو ردكم ؟

جواب : ان الشاه هو الذي يعارض التمدن ويخالفه ويتشبث بالقديم. منذ خمسة عشر عاما وأنا اطالب بالحاح في بياناتي الموجهة الى الشعب الايراني بالتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي . ولكن الشاه ينفذ سياسة الامبرياليين . ويحاول ان يبقي ايران في وضع متخلف ورجعي .

ان نظام الشاه نظام دكتاتوري سلب كافة الحريات الفردية والديموقراطية وصادر دور الانتخابات الواقعية والمطبوعات والاحزاب . وان الشاه ـ خلافا للدستور ـ وهو الذي يفرض ويختار النواب في البرلمان. وهو الذي يمنع انعقاد اية تجمعات سياسية ودينية .

اما الاستقلال القضائي والحرية الثقافية فلا وجود لهما اصلا . وبذلك

عطل الشاه دور السلطات الثلاث • وأوجد الحزب الواحد • والانكى من ذلك انه جعل الانتماء الى هذا الحزب اجباريا • حيث يعاقب المتخلف عنه •

اما زراعتنا التي كانت تفيض محاصيلها عن حاجاتنا الداخلية حيث كنا نصدر الفائض الى الخارج • قد انتهت حاليا وحسب الارقام التي اعلنها رئيس وزراء الشاه قبل عامين • فان ايران تستورد ٩٣٪ من مواردها الغذائية من الخارج • هذه هي ثمرة ما يسمى بالاصلاح الزراعي « الشاهي »•

أما جامعاتنا فتبقى مقفلة اكثر من نصف العام الدراسي (من كل سنة)•



وان طلبة العلوم الاسلامية وطلابنا الجامعيين يتعرضون كل عام الى الضرب والاعتقال والتعذيب عدة مرات •

ان الشاه حطم اقتصادنا • وهو يبذر ارباح البترول ـ التي تعتبر ثروة الشعب المستقبلية ـ في شراء الاسلحة التي لها صفة الكماليات وباسعار خيالية • وان هذا الامر يعرض استقلال ايران للخطر •

وأنا انما أعارض الشاه لان سياسته المرتبطة بالدول الاجنبية تعرقل تقدم شعبي وتطوره وتعرضه لخطر التدهور والتخلف •

وحين يزعم الشاه بأنه يسير بايران نحو بوابة الحضارة العظمى • انما هو يكذب ليجعل من زعمه هذا مبررا لتماديه في اقتلاع جذور الاستقلال وفي سفك دماء الشعب •

ان العمال والطلاب الجامعيين والفلاحين والمهنيين • نساءا ورجالا يناضلون ضد تسلط الشاه الرجعي والمتخلف •

بسبب هذه الحقائق الواقعية التي لا غبار عليها يلجأ الشاه الى محاولة قلب الصورة وتزويرها فيصف موقفنا المعارض لنظامه كالرجعية والتخلف • وعندما نقلب نظامه سوف يحاكم على ممارسته المعرقلة لتقدم وتطور الشعب اقتصاديا وثقافيا وحينئذ سيطلع العالم على كل جرائمه •

الاصلاح الزراعي والتصنيع والمرأة

سؤال : الشاه يتهمكم بمعارضة التحضر • وانتم تردون التهمة اليه • لكن هذا غير مقنع بالطبع • فالرجاء توضيح موقفكم من ثلاثة أمور رئيسية في ايران وهي : الاصلاح الزراعي والمرأة والتصنيع •

جواب : ان الهدف من الاصلاح الزراعي لنظام الشاه ليس الا ايجاد سوق للدول الاجنبية ولامريكا بالذات • اما الاصلاح الزراعي الذي ننشده نحن فهو الذي يجعل الانتاج للمزارعين • ويحاسب الملاك الذين خالفوا الشريعة الاسلامية في ممارساتهم ويقضي على النظام الاقطاعي •

سؤال : هل ترجعون الاراضي « المستملكة » الى ملاكها السابقين ؟؟

جواب : كلا •• اذ ان هؤلاء الملاكين هم الذين كدسوا ارباح ومحاصيل الاراضي لسنوات طويلة دون ان يلتزموا بالانظمة الاسلامية في شأن توزيعها • لهذا فهم احتكروا ثروة من حق المجتمع وينبغي ان تعود الى المجتمع •

انهم آثروا نتيجة عدم تطبيق الانظمة الاسلامية • من هنا فحينما نصل الى الحكم سنصادر كل الثروات التي جمعها هؤلاء الملاك بدون حق وعدل • ونعيد توزيعها على المحتاجين بالحق والانصاف •

وبخصوص تصنيع البلاد فذاك هو مطلبنا ولكن شرط ان يكون وطنيا ومستقلا ويتماشى مع الزراعة ويتممها من اجل مصلحة اقتصاد البلد الذي يخدم مصالح أبناء الشعب • وليس تصنيعا طفيليا (مونتاج ـ اعادة تركيب وتجميع) مرتبطا بالاجنبي كالذي هو حاصل اليوم في ايران •

ان سياسة الشاه الصناعية والزراعية جعلت من البلاد مجتمعا وسوقا استهلاكيا لمصلحة القوى الاستعمارية •

أما بالنسبة للمرأة فالاسلام لم يكن يوما معارضا لحرية المرأة بل على العكس من ذلك فانه عارض تحويل المرأة الى سلعة رخيصة وأعاد اليها كرامتها وشرفها •

ان المرأة حرة فالرجل • حرة في تقرير مصيرها وفي اختيار نشاطاتها • ونظام الشاه يسعى لاغراق المرأة الايرانية في الامور اللاأخلاقية ليمنع من تحررها الحقيقي • والاسلام يعارض هذا الامر بشدة •

ان نظام الشاه سحق حرية المرأة تماما كما فعل بحرية الرجل • فالنساء كالرجال يملأن سجون ايران • وهنا بالذات تتعرض حرية المرأة للخطر • ونحن نريد تحرير المرأة من الفساد الذي يهددها بالانهيار والضياع •

العلاقة مع الماركسيين

سؤال : ما رأيكم بالنسبة لكلمة « الماركسيين الاسلاميين » التي يستخدمها الشاه باستمرار • وهل لكم أية علاقات تنظيمية مع اليسار المتطرف ؟؟

جواب : الشاه هو الذي استخدم هذا المصطلح وردده حاشيته من بعده وان هذا المصطلح يعبر عن مفهومين متناقضين تماما • ويستخدمه الشاه عامدا من اجل تشويه نضالاتنا الشعبية الاسلامية المعادية لنظامه العفن •

ان المفهوم الاسلامي القائم على وحدانية الله مناقض للمادية (ماترياليسم) وأن مصطلح « الماركسية الاسلامية » مصطلح يخالف الواقع •

وبكلمة أخرى ان الشاه وأجهزته الاعلاميــة يحاولان مــن خــلال استخدام مصطلح « التحالف بين الرجعيــة السودا والارهــا بالاحمر » ان يحقــق الهدف السالف الذكر بمعنى انــه يريــد تخويف الشعب المسلم وبث الشك والريبة في أوساطه لكي يقضي على معارضة نضالاته المتجذرة •

ولم يكن في يوم من الايام أي نوع مــن التحالف بين الشعب المسلــم الذي يناضل ضد الشاه وبين العناصر الماركسية المتطرفة وغير المتطرفة وقــد أكدت دائما ـ من خلال بياناتي ـ على أنــه يجب عــلى المسلمين ان يبقوا متجانسين اثناء نضالاتهم ويحذروا التعاون التنظيمي مع العناصر الماركسية •

من هنا فان التحالف يشمل كافة القوى الاسلامية المجاهدة ضد الشاه •

ومن هنا أيضا يسعى الشاه الى قلب صورة نضالنا في ابواق دعائية •

سؤال : اذا لم توجد علاقات تنظيمية • هــل تفكرون في تحالف مرحلي مع الماركسيين • من أجل اسقاط الشاه ونظامه • وكيف سيكــون سلوككم وطريقة تعاملكم معهم بعد الانتصار العتيد ؟؟•

جواب : كلا •• فحتى من أجل قلب نظــام حكم الشاه لا نتعاون مــع الماركسيين • وقد حذرت اتباعي دائما من الاقدام على هذه الخطوة • ونحن نخالفهم حتى في طريقة تفكيرهم • ونحن لا ننسى انهم يطعنوننا مــن الخلف دائما واذا وصلوا الى السلطة في يوم مــن الايــام فانهم سيقيمــون نظامــا دكتاتوريا وهذا مناقض لروح الاسلام • أما في المجتمع الذي نفكر في اقامته فسيكون الماركسيون احرارا في شرح مطاليبهم • لاننــا نعتقــد بأن الاسلام قادر على تلبية حاجات الناس ومتطلبات حياتهــم • وان ايماننــا ومعتقداتنا قادران على مواجهة ايديولوجيتهم • وفي الفلسفة الاسلامية سبــق ان طرحت قضية الملحدين ومنكري وجود الله منــذ البداية واننــا لا نسلبهم حريتهم • فكل واحد حر في الاعلان عن معتقده ولكنه ليس حرا في التآمر •

لماذا الانتفاضات الاخيرة

سؤال : ما هو في نظركم سبب اشتعــال لهيب الانتفاضات في ايـران • ولماذا هذه الحركات الجماهيرية في الوقت بالذات ؟؟

جواب : ان القمع والارهاب اللذين مارسهما كـل مـن الشاه وأبيه • والشقاء الذي ابتلي به شعبنا • والحرمان مـن الحرية والاستقلال والتقـدم ورفاهية الحياة والوعود الكاذبة التي ملأت ذهن الشعب طـوال السنوات ال (١٥) الاخيرة • ان كل هذه الامور تراكمت واصبحت السبب الفعال لتفجير الانتفاضات والتظاهرات الشاملـة الاخـيرة • وان الانهيـار الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وتوسع عمليات القهر والقمع وصلت الى درجة لا تحتمل وان الانتفاضات الاخيرة هي مقدمة لانفجار عظيم •

وان الهدف من المظاهرات المصطنعة والمضادة التي يقوم بهسا البوليس بمشاركة بعض المأجورين • هو محاولة منع نظام الشاه من السقوط •

سؤال : هل تعتقدون بأن ولدكم (السيد مصطفى) اغتيل ؟؟ واذا لـم يكن كذلـك • فلماذا كانت وفاتـه سببـا في تفجـير هـذه الانتفاضـات والتظاهرات ؟؟

جواب : أنا لا أستطيع أن أجزم بهذا الموضوع • ولكنني أعلم انـه كان سليما ومعافى ليلة وفاته • وبناءا على الانباء التي وصلتني فان هناك أشخاصا مشبوهين ذهبوا الى منزله ليلا وتوفي هو في اليوم التالي مباشرة •

أما كيف تمت العملية فلا أستطيع ان أعطي رأيا بذلك • الا ان الشعب عبر عن سخطه في هذه المناسبة حيث انه (أي الشعب) يحب الذيـن يخدمون قضاياه وهو يعتبرني وابني من خدام مصالحه •

وبعد هذه الحادثة • فكلما كان نظام الشاه يقوم بمذبحة جديدة • كان الشعب ينتفض من جديد خلال كل ذكرى اربعين لشهـداء المجزرة السابقة • واستشهاد ولدي ليس هو العامل الوحيد ان العامل الاساسي هو الاحساس بضرورة الثورة والتمرد في وجه الجلادين والظالمين الذين يقمعون الشعب •

نحو دولة اسلامية

سؤال : ما هو برنامجكم السياسي ؟ انتـم تريـدون اسقاط النظـام الشاهنشاهي القائم • فما هو النظام البديل في حالة اسقاط النظام الحالي ؟

جواب : انشاء جمهورية اسلامية حرة •

حديث الشهر

ماذا في أفق السياسة؟ في عالم الأدب؟ الخ .

بقلم : المحرر

قال له صاحبه وهو يحاوره :

ـ ترى هل بلغ مسامع الحكام ابعاد الصرخة الداوية التي اطلقها آية الله الخميني ، فهزت اركان عرش ملك الملوك ، وهزت معه كل الادمغة الفاسدة ، والقوى الفاسدة ... فقال :

سيان ان بلغت الاسماع ، او لم تبلغ ... المهم انها هزت اعمق اعماق (المسلم) في هذا الشرق ، وافهمته بلغة القرآن انه قد آن الاوان لتأخذ كلمة (المسلم) معناها السياسي النضالي الكامل ، بحيث لا تبقى ستة احرف فارغة من المحتوى ، بل يجب ان تأخذ ابعادها الشاملة ...



يكفي ان صرخة الخميني كانت بمثابة ادانة ، « محكمة ادانة » تمثل فيها اصحاب الفكر الحر من كل جيل وميل ، وبدأوا في صياغة الاسئلة التي تفضح ... والتي تعري كل هؤلاء الذين استعاروا الحبال من الغرب والشرق لينسجوا حول رقبة (المسلم) ذلك الطوق التحكمي الذي انما يحكم أسياره ، ويشد اوتاره في الاعناق رغبة العملاقين معا في ان يكون الشرق ، كل الشرق ، تحت اقصى درجات التحكم والتطويق ... أرأيت رعاة المناطق المرعية كيف يغرسون وينقلون الاوتاد

لابقار الحليب ، فلا ترعى الا في مدى الدائرة التي يحددها الحبل في العنق ؟

واطرق الصاحب برأسه طويلا ، ثم رفعه ليسأل :

ـ وماذا بعد ؟ فجاءه الجواب :

هل هناك من ينكر بأن الشرق باوسطه وادناه كان قبل ان يصرخ الخميني الله اكبر ، قد انتزع من أهله ؟

ان المنطقة التي طردت الاستعمار ما بين ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ ، ورفضت البيان الثلاثي عام ١٩٥٠ ، هي نفسها الآن التي طلبت بلسان بعض الحكام القبول بالاستسلام الذليل مع الرضوخ لوساطة الذئب الاميركي ، وبفضل هذا (الامر الواقع) الذي فرض بعد اقصاء الشعوب ، كل الشعوب ، دخل الشرق مرحلة انعدام الوزن، حتى اضحت قبضة ارهابية تتزعم ملايين الاشتات الثلاثة تجلس لترسم الخرائط للحدود ..! اما السادة حكام الشرق فعلى الارائك متكئون مع شهرزاد و (الايركونديشن) الرخي ... يرقصون حول مقررات (اسطبل داوود) رقصة السلام .. اضحت مقررات (الاسطبل) هي القضية ، اما القضية نفسها فقد دفنت في العتمة مع الفدائي الذي ذبحوه ، او ذبح نفسه لا فرق .!

وسط هذا الخضم اليائس حتى النخاع الشوكي جاءت صرخة الخميني :

الله اكبر ... لا للتعذيب وسدنته ... لا لاسرائيل ومن تمثل ..!

وانطلق الفلاسفة يفسرون هذه الصرخة كما يحلو لكل منهم ... لقد ادركوا قيمة هذه الصرخة بعد ان سمعوا التلبية فهرعوا الى عباءة المؤمن يختفون تحتها ، ويحتمون بظلها والرجل يصلي ، وكل بما لديهم فرحون .!

والان يا صاحبي لن اضع نفسي في سدة (الفهم) ، واين انا وامثالي من ذلك الموقف الرهيب لانصب الميزان واضع اقوال الرجل في الميزان ، لكنني وأنا المفجوع بامتي والرجال لا أتعدى الواحد من هذه المجموعات البشرية التي تتنفس هذا القدر القاسي والظالم وتعيشه ، احاول ان اصوغ بعض

الخواطر العاجلة ، فوانيس على الطريق ••• انها قد تكون الميزان ، وقد تعين على عمق الرؤية وسعة الساحة وتحديد الامل ••• ومن يدري لعلها من خلال الجواب الذاتي عليها ــ واني لارجو ان يضع القارىء بينه وبين نفسه ، كما اضع انا بيني وبين نفسي الجواب ــ لعلها ان تكون بداية الطريق •• في الفهم البريء !

الافتراض الذي انطلق منه هو انه لا بد ان الخميني كمسلم حقيقي انما اراد ان يفهم الجميع حكاما ومحكومين ، ظالمين ومظلومين ان الاسلام انما جاء من جوف الصحراء العربية باسمى عقيدة في الاله الواحد الاحد ، صححت فكرة الفلسفة النظرية كما صححت فكرة العقائد الدينية ، فكان تصحيحه لكل من هاتين الفكرتين ، اعظم المعجزات التي اثبتت له في حكم العقل المنصف والبديهة الصادقة انه وحي من عند الله ••

ان الاسلام يوحي الى المسلم عقيدة في الذات الالهية ، وعقيدة في الهداية النبوية ، وعقيدة في الانسان لا تعلوها عقيدة في الديانات ولا في الحكمة النظرية او الحكمة العلمية ••• وان احكام الاسلام لا تعوق المسلم من غاية تفتحها امامه اشواط العلم والحضارة •••

ان في الاسلام زادا للامم الانسانية في طريق المستقبل الطويل يواثبها بما فيه غنى لها حيث نضبت الازواد من وطاب العقائد الروحية او تكاد ••

ان الخميني يذكرنا ••• يذكرنا فقط وهو يصرخ بأعلى صوته :

لا للتعذيب • • • لا لاسرائيل عدوة الانسانية • • • ان معركتنا الكبرى مع اعدائنا ، والطغاة ، ومعهم اسرائيل من اولى الاعداء • • • معركتنا ليست سلاحا كلها ، وليست سياسة ودبلوماسية كلها ، بل هي الى ذلك ، وفوق ذلك كله ثقافة اسلامية ، انها ثقافة من : (ان يعدوا ما استطاعو من قوة) • انها ثقافة من سلمهم غنى لانفسهم وحربهم اذى على اعدائهم ، ورسائلهم ان يبلغوا بقوتهم مبلغ الرجال ، وما اكثر الرجال في الاسلام • ويحدد لنا الخميني عبر تصريحاته واقواله شكل ثقافة المعركة ومضمونها بما معناه :

ان المسلم في مواجهته حربا فرضت عليه من قوى الغرب والشرق ، وخوضه عدة معارك في عدة جبهات ، وفي كل ما يبلى به ويبتلي ، انما تدخل كتل المسلمين الكبرى في مدار التاريخ ، حيث تتلاطم التيارات البشرية في نطاق حركة ذات قوتين ، يطلق عليها فيلسوف التاريخ الراحل (ارنولد توينبي) ، كلمة (التحدي) ، والمسلمون في ساحة التحدي التي خرجوا اليها ، بطوعهم ، لا بقسرهم ، لا يقابلون عدوا واحدا مسمى موصوفا ، ولو كان ذلك لهان الامر ، بل يقابلون حالة عداء غامرة محيطة ، تسد عليهم الآفاق ، وترميهم باشد الدواهي ، وتمزقهم ميمنة وميسرة وتشد وثاقهم من قبل ان يمدوا اكفهم الى اقرب سلاح ، وفي حالة العداء الغامرة هذه ، كل غريب عنهم عدو ، وكل موقف عكسي او طردي حالة عداء ...

وبتواضع المؤمن يذكر الخميني سدنة الماركسية وكهنة الرأسمالية بخروج الاسلام الى العالم خروجا صحيحا جريئا ، مكتملا العدة .. فيطفي يرسل (التحدي) بدلا من ان يقصر نفسه على التشنج وردود الفعل .. ولا ينسى الخميني ان يذكر وهو يبتسم ابتسامة المؤمن بان خروج الاسلام انما كان خروجا (تقدميا) ، فالاسلام لم يكن مغلقا بخروجه على مثل هياكل بوذا ، وكونفوشيوس ، وزرادشت ، يطوف عليها ، وينتهي العالم عند مطافها بل كان منذ يومه الاول عندما بدأ الفتح يعطي الشعوب اكثر مما يكون في طاقة الانسان ان يعطي ، وتأخذ منه الشعوب ، اكثر مما تستحق ان تأخذ ، ولقد اعطى الاسلام من نفسه حتى اتهم بانه هدر نفسه ..

وجهر الخميني بما جهر به الاسلام في انطلاقته الاولى انه (لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى) فكانت بالرسالة والنشر ... وكان حسب المسلم انه خرج من موقع التكور القنفذي تقرعه وتوهنه قوى خارجية ، الى موقع الخلية الحية ، المتفرعة في أبعادها الطبيعية ، تواجه حركة التاريخ فتتعقد تبعاتها وتتضاعف أعباؤها ، وتتنوع ثقافتها سعة وعمقا .. بما يأخذه المسلم ، وبما يطرحه في لقاء الثقافات .

ان ثقافة المسلم ليست ثقافة دفاع فحسب فيها الخوف وفيها الحماس العاطفي ، وليست ثقافة هجوم فحسب ، فيها الاعتداد بالنفس والمغامرة بها •• بل هي ثقافة حركة دينمائية ذات ناموس ذكي موازية لنقل حركة التاريخ وضغطها، يجب ان يكون فيها من الصلابة بقدر ما فيها من المرونة، ومن الضبط بقدر المغامرة ••• ومن تلازم المد والجزر وتوازيهما مثل سرعة الوصول الى القمر ، وبطء الهبوط على سطحه •••

انها ثقافة الفروسية الاصيلة ، توقع حركتها توقيعا موزونا ، وما من وصف في الادب العربي والعالمي استطاع أن يصورها : بأحسن مما فعل شطر البيت المشهور لامرىء القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر (حطه السيل من عل)

وعلينا ان لا ننسى ان الخميني قد دخل المعركة الكبرى من الباب المشرع ، وهو باب (الوحدة الاسلامية) وفي رأسه تتدافع مواكب التاريخ الاسلامي التي انطلقت بلا اله الا الله محمد رسول الله ••

فحين يسأل الخميني عن الفرق الاسلامية وخلافاتها يصفع السائلين بقوله بأن الاسلام هو الذي صنع أكبر وحدات التاريخ ••• فكان الاسلام معلم التوحيد والوحدة عندما كانت الامبراطوريات تسحق الشعوب ، والرعايا لا يعرفون هوياتهم •••

وهنا يذكرنا الخميني ••• يذكرنا فقط ••• (عل الذكرى تنفع) ان اسرائيل لطمتنا بقبضة واحدة •

ثم أليس في أجل هذه الوحدة ، وفي سبيلها طرد المثقف المسلم من بلاده ليعيش مع الذل غريبا في القفار ؟ ألم يختفي دعاة التنزيق الاسلامي ، وراء موجات التشتيت التي سبقتها تعليق أحرار المسلمين على المشانق فتشردت الثقافة الاسلامية طويلا قبل أن تعانق أهدافها ؟

ترى هل فهمنا معنى اقتران تحريم التعذيب بالعداء السافر لاسرائيل ؟

رفع صاحبه رأسه وهو يمسح دموعه وقال :

لنذهب يا صاحبي الآن ونقطف بعض الزهور لنضعها على قبر السيد محسن الامين في مقام السيدة زينب التي تبكي الآن فرحا في قبرها حين سمعت روحها نداء الخميني ، ثم نذهب الى ايران ونضع الكثير من الزهور على قبر السيد أحمد عارف الزين الذي ارتاحت عظامه في قبره بايران وهي ترى دعوة الخميني للوحدة الاسلامية تبرز من جديد وتشق طريقها من التراب الايراني الذي حاولوا ان (يقورشوه) ليدنسوه •!

الصدق منجاة

* كان للمأمون جماعة من المغنين وفيهم مغن يسمى سوسنا ، عليه وسم جمال • فبينما هو عنده يغني اذ تطلعت جارية من جواريه فنظرت اليه وعشقته فكانت اذا حضر سوسن تسوي عودها وتغني :

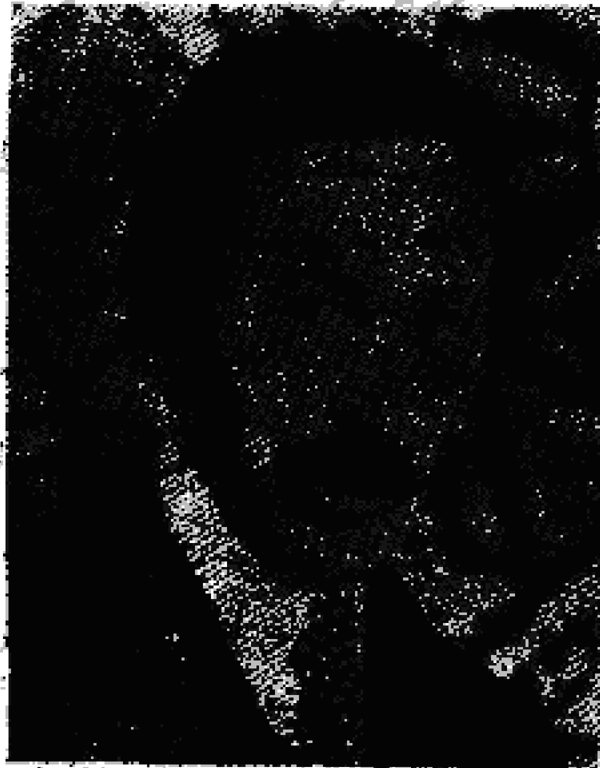
ما مررنا بالسوسن الغض الا   كان دمعي لمقلتي نديما
حبذا أنت والمسمى بـه أنت   وان كنت منه أزكى نسيما

فاذا غاب سوسن أمسكت عن هذا الصوت وأخذت في غيره • فلم تزل تفعل ذلك حتى فطن المأمون ، فدعا بها ودعا بالسيف والنطع ثم قال : أصدقيني أمرك • قالت : يا أمير المؤمنين ، ينفعني عندك الصدق • قال لها : ان شاء الله • قالت : يا أمير المؤمنين ، اطلعت من وراء الستارة فرأيته فعشقته • فأمسك المأمون عن عقوبتها وأرسل لها المغني فوهبها له •

مات قائد الثورة
ولكن الثورة لا تموت

أيها الشعب الجزائري :

انها اللحظة تعجز فيها الكلمات عن التعبير ويقف الانسان أمامها خاشعا لارادة الله وقضائه . وقد كان قضاء اللـه المحتوم الذي لا مرد له .. لقد مات الرئيس المناضل وقائدنا العظيم هواري بومدين .. مات وهو كما كان العهد به دائما جنديا في الميدان يواصل المعركة ويواجه التحديات ويحقق النصر لتحيا أيها الشعب حرا سيدا ... مات هواري بومدين ابن الشعب



وقائد الثورة وهو يبني ويشيد مجتمع العدالة والرخاء والتوازن ويرسم معالم المستقبل بثورة تستمد عناصر ايديولوجيتها من مقومات شعبنا وحضارته وتاريخه العريق وتضحياته التي كانت أغلى ثمن قدمه شعب وأقدس

أمانة يحملها هذا الشعب لمناضل من أبنائه وكان أهلا للامانة على ثقلها .

لئن مات الرئيس هواري بومدين واصطفاه العلي القدير الـى جواره فانه لم يمت من وجداننا ولم يختف من حياتنا فهو موجود فوق كل شبر من هذه الارض الطيبة التي كان يحمل روحه من أجل تحريرها . ويقدم دمه من أجل تطهيرها . وهو حاضر في كل مكان تنبت فيه سنبلة سقاها الفلاح بعرقه ومصنع تتحرك دواليبه بانتاج يدعم اقتصادنا الوطني وهو موجود في كـل كلمة حق تقال لنصرة شعب ورصاصة تطلق لاسترداد الحريات المسلوبة .

أيها الشعب الجزائري ..

لقد شاء القدر ان ينتزع منا رجلا عظيما رجلا أفنى عمره فـي مقاومـة قوى الشر والطغيان وبعث انسان جزائري جديد ونصرة كل القضايا العادلة في العالم رجلا ظل يحترق طول حياته حتى يرى غيره النور .

لقد مات الرئيس بومدين يا شعبنا العظيم بعد ان حقق حلمه في بنـاء أسس دولة اشتراكية ، دولة المؤسسات الشعبية ، دولـة لا تزول بـزوال الرجـال .

مات بعد ان جعل جماهير العمال والفلاحين ترتبط مصيريا ومصلحيا بكل ما حققته الثورة من منجزات ومكاسب اشتراكية تصنع بنفسها القـرار السياسي والاقتصادي .

مات وهو مطمئن على ان الثورة بقيادة حزب جبهـة التحريـر الوطني ستواصل مسيرتها في نفس المنهج الذي رسمه لها وان كل القوى الحية فـي بلادنا مجندة ومعبأة أكثـر من أي وقت مضى من أجـل استمرار الثورة في ميادينها الزراعية والصناعية والثقافية ومن أجل التصدي لكل الطامعين وذوي النفوس الضعيفة .

أيها الشعب الجزائري ..

لقد حققت ثورتنا المجيدة بقيـادة الفقيـد العظيـم مكاسب وانجازات ضخمة في مرحلة حافلة بالتحديات والانتصارات .

ففي هذه المرحلة القصيرة من عمر الشعوب استطاعت بفضل حنكة وحكمة الرئيس الراحل أن تخوض معركة التأميمات وتسترجع الثروات الوطنية وتقضي على كل مراكز النفوذ والتحكم الاقتصادي الاجنبي •

ولم يكن التأميم واسترجاع الثروات الوطنية هدفا في حد ذاته بالنسبة للرئيس بومدين بل كان مجرد وسيلة استراتيجية سياسية اقتصادية متكاملة وبعيدة المدى رسمها هذا الرجل العظيم بكل دقة وتبصر وأراد بها بعث واقع جديد يقوم على علاقات جديدة جسدتها الثورة الصناعية والثورة الزراعية والثورة الثقافية التي خلصت جماهير العمال والفلاحين من ركام حرمان السنين وأعطتها أقوى الاسلحة لاثبات وجودها وفرض ارادتها ومكنت ملايين الشبان من تكافؤ الفرص في العلم والعمل •

ولم تقف الثورة بقيادة المناضل هواري بومدين الرشيدة عند حدود الجزائر فقط بل تجاوزتها لكي تساند بقوة الكلمة وبقوة السلاح وبالدعم المادي والمعنوي كل أحرار العالم في افريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية ايمانا منه بأن نضال الجزائر من أجل الغد الافضل والمجتمع السعيد جزء لا يتجزأ من نضال الشعب الذي أنجب هذا الرجل •

وسيسجل التاريخ ان الرئيس بومدين قد حمل لواء ثورتنا في كل المحافل الدولية وكان الناطق الامين باسم كل المعذبين والداعي الى عالم يسوده العدل •

وما كان لثورة ان تنتصر في المعارك التي خاضتها وتواجه في كل مواقع العمل السياسي الدولي تحدي الامبريالية وذيولها الرجعية لو لم تكن بحق ثورة سليمة المنهج والاسلوب تدعمها استراتيجية تقوم على اختيارات وطنية صلبة وأصيلة •

يا شعبنا العظيم ••

لقد قطعنا مع الرئيس الراحل أشواطا بعيدة على طريق البناء والتقدم وآلينا على أنفسنا ان تكون عيوننا ساهرة على مكاسب ومنجزات الثورة الاشتراكية ، وكلنا ثقة بأن الجماهير في مختلف مواقع العمل الثوري على

درجة الوعي والرشد بحيث لا تنال من عزيمتها الاحداث مهما كانت ضخامتها وفية للعهد سائرة على الدرب لا تزيدها المحن والتجارب الا نضجا في الادراك وتبصرا في الرؤيا وتمرسا في النضال .

ان أفضل ما نحفظ به ذكرى قائدنا العظيم هو ان نواصل نهجه في دعم بناء المجتمع الديمقراطي الاشتراكي تماشيا مع روح الميثاق الوطني .

أيها الشعب الجزائري ..

لقد رحل عنا قائدنا ورفيقنا على درب النضال لكنه رحل وترك منجزات ستظل على مر الاجيال عنوانا للتلاحم الكامل بين الشعب والقيادة ورمزا للوفاء بالعهد .

ولن يزيدنا فقدان قائدنا العظيم الا اصرارا على اتمام المسيرة بنفس الحماس والروح الوطنية واليقظة الثورية التي كانت وما تزال تميز شعبنا العظيم عبر كفاحه الطويل .

ان ساعة الالم هذه التي تعتصر قلب كل مواطن في أرجاء وطننا الكبير والتي يشاركنا فيها اخواننا في ديار الغربة هي الساعة التاريخية التي تدعونا الى ان نكون أشد لحمة وتمسكا أكثر من أي وقت مضى وذلك أبلغ تعبير عن الوفاء لطموحات قائدنا الراحل التي كان يستلهمها من طموحات الشعب وآماله .

نعم أيها الشعب العظيم ... هكذا كان الهواري بومدين القائد الذي لا يؤمن بالمستحيل وسنظل على دربه سائرين بعزم وايمان ووحدة لا تلين .

ان التاريخ اذا وقف اليوم ليسجل مآثر رجل من أفذاذ رجالات عصرنا فانه ليسجل بافتخار نضال الشعب الذي أنجب هذا الرجل .

❋ ❋ ❋

العرفان : مع ان الفقيد الراحل لم يقصر في حق وطنه ، كنا نتمنى لو انه أبقى على رفيقه وزميله في الجهاد « أحمد بن بيلا » وتعاون معه في خدمة بلاده .

محمد جميل بيهم من إعلام الفكر والتاريخ

بقلم : وداد سكاكيني

في طليعة المفكرين الدائبين في القضايا العربيـة والباحثين في تاريخنـا الحديث تبرز شخصية الاستاذ محمد جميل بيهـم بكل ما أوتي من زاد علمي وخلقي زادته الايام والتجارب عدة ضخمة من ثقافته العربية والغربية ، ومـن خصال الثقات في التمحيص والاستقصاء للحقيقة والتاريخ .

لقد وهب هذا المفكر الكبير عمره وقلمه للعالـم العربي عامـة وللشعب الذي انبثق منه ويعيش فيه خاصة متمرسا بهمومه وأحداثه منذ الربع الاول من هذا العصر ، مشاركا أنداده في بلاده من رواد الفكرة العربية والحركات التحريرية في جهاده الطويل ، لكن على طريقته العلميـة في مكافحـة الظلم والظلمات والقاء النور بالحجة والمعرفة على كل ناحية فيهـا ، ومنها خفايـا الاستعمار على اختلاف أسمائه وأشكاله ، ومن أجل هـذا الطريق الشائك الذي اختاره الاستاذ بيهم للكفاح أخذ يتجول في الشرق والغرب ويتغلغل في المجتمعات العربية والاجنبية ليرى من قريب ومن بعيد أثر الوباء الاستعماري الذي تسلل من حضارة المطامع الطاغية الـى آفـاق المستضعفين والمتخلفين بشتى الوسائل والاسباب حتى سيطر باسم الانتداب على سورية ولبنان فمزق وفرق وباعد وقرب ، وكان نفوذه وتأثيره أدهى وأمر في لبـنان حيث توارث أحد جناحيه من تقاليده القديمة المرة أوهاما ومحاذيـر ، لـم تستطع ثقافتـه وحضارته على ترادف السنين والاجيال وتطور الفكر والحيـاة ، أن تنتزعها

● هذا المقال نشر في العدد الثاني من العرفان مجلد ٦٥ سنة ١٩٧٧ قبل وفاة المرحوم ونعيد نشره هنا لفائدته وشموله ، ولانه اعجب به كثيرا .

من النفوس أو تغيرها وتحررها ليجاري غيره من البلاد العربية في بناء حياته وقوميته على وعي سليم وقواعد راسخة في التربية القومية التي تجمع العقول على طوايا صافية وأهداف واحدة، وكان الاستاذ بيهم عالق الفكر والقلم فيما أصاب لبنان من بلبلة ومغالطة على يـــد (الانتداب) فأخــذ ينشر مقالات للتوعية الفكرية والوحدة الوطنية ويدفع بالتي هي أحسن مـــا يزحزح الوهم والمكابرة عن الحقيقة الجاثمة ولم يكن في أسلوب بيهم أي عنف أو جــدل ، بل كان دأبه اللباقة في أي حوار أو اقناع ، وقد تجرد لهذه الوسيلة ميسرا لما خلق له مطمئن القلب والبال ولم يعرف القلق في المعيشة شأن أمثاله في بيروت من الميسورين الذين آثروا الاعمال الحرة الخيرة ، اذ كان أبناؤهم يتخرجون من المعاهد والجامعات ثم ينضمون اليهم فلا يلتمسون المناصب الا اذا كانت علمية أو لخير الانسانية ، وكانت دراسة بيهم تمكنه مــن المشاركة في تنمية الروح القومية والوطنية ولا تصرفه عن متابعة هذه الدراسة حتى أعدّ نفسه لما بعدها ، وكتب بحثا (١) عن (الانتداب) مقارنا في موضوعه بين استعمارين وفي منطقتين ، وكان المشرف عليــه الاستاذ المشهور (ديمونبين) بجامعـــة السوربون وقـــد حسب الباحث الطموح أن البيئات العلميـــة بعيـــدة عن السياسة معتصمة بحرية الرأي ففاته أن أساتذة الجامعات والمستشرقين منهم كانوا أقرب الناس الى السياسة وأحبهم الى زعمائها ، وطالمـــا مهـــدوا لهـــا بوسائلهم وأيدوها في مستعمراتهم ، ولم يكن رفض البحث الذي تقدم بـــه الطالب البيروتي محمد جميل بيهم ليقنعه بتجربة في غيره لعلـــــه لا يحـــرم (الدكتوراه) لكن نزعته الحرة أبت عليه مطاوعة الآراء التـــي تعزز بحثـــه وتضمن قبوله ، فارتد الى وطنه عازما على الرجوع الى تاريخه القديم فعكف على المطالعات والمراجعات وقام بشتى الرحلات ليقدم مؤلفا بعد مؤلف فـــي القضايا العربية ، وفي تاريخ لبنان الذي تنازعته الاهواء والاحداث ، فكانت مؤلفاته تلقي الاضواء على حقائق مجهولة وملابسات متشابكة رفـــع الستار

---

١ ـ نشرت هذا البحث مسلسلا مجلة (الايجبسيان) الفرنسية في القاهرة عام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٩ ثم طبعته العرفان سنة ١٩٣١ .

عما خفي منها ليكون جهده العلمي حافزا للمناضلين عن حق بلادهم في الحرية والسيادة القومية فاكتسب بوطنيته الصادقة ثقة الذين عرفوه في شخصيته المحببة وفي مؤلفاته القيمة لكن (الانتداب) الذي ضاق بالاحرار وان وقر العلماء منهم وقدرهم فانه أقصاهم عن مناصب النيابة والقيادة لينصرفوا الى ما هو أجدى على الوطن من السياسة التي قيدها الانتداب بمراميه ، فازداد الاستاذ محمد جميل بيهم همة في المجالات الفكرية والثقافية ونشر من مؤلفاته التاريخية هذه الكتب :

١ ــ الانتدابان في سورية والعراق
٢ ــ قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور في جزئين
٣ ــ الحلقة المفقودة في تاريخ العرب
٤ ــ العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب
٥ ــ العهد المخضرم في سورية ولبنان من ١٩١٨ ــ ١٩٢٤
٦ ــ العروبة والشعوبيات الحديثة
٧ ــ عالم حر جديد في آسيا وأفريقية والوطن العربي
٨ ــ عروبة لبنان
٩ ــ لبنان بين مشرق ومغرب
١٠ ــ الوحدة العربية بين المد والجزر ١٩٦٨ ــ ١٩٧٢
١١ ــ دراسة وتحليل للعهد العربي الاصيل ١٩٧٤

هذه بعض المؤلفات التاريخية التي قدمها الاستاذ بيهم في جهاده الوطني الطويل وعلى طريقته العلمية التي عرفت بالتجرد للحقيقة واستجلاء التطور في الاتجاهات الفكرية والسياسية في الواقع اللبناني الذي كانت تتنازعه الحيرة والمرارة منذ أعوام الانتداب حتى بعد الاستقلال ، وكأن هذا المؤرخ الثقة كان يسبق الزمن في دراسته المبنية على الحقيقة في الواقع والحجة في كل رأي أو بحث ؛ فقد دعا للوحدة الوطنية واقامتها على قواعد قومية صريحة لا

تزعزعها الاعاصير ، فان رياح العروبة كانت تمر بحياة لبنان فيصدها المتوجسون خيفة من عواصفها ويحاول المرجفون أن يتبرأوا منها وينتموا الى ما يقصيهم عنها ، فبادر الاستاذ بيهم الى دراسة نقدية حولها زاد في قيمتها العلمية أنه عاصر حوادثها وشارك فيما يتعلق بها زهاء خمسين عاما ، فكانت دعوة صادقة لعروبة أصيلة في لبنان وحقيقة جاثمة بآرائها وأخبارها وقد حمل فيها الاستاذ بيهم على الكتب المدرسية في التاريخ قبل الاستقلال وبعده لما اندس بين سطورها من تحريف ، مؤكدا كل التأكيد على أن مصلحة لبنان في عروبته ، ومصلحة العرب في طابعه الخاص ...

ومن المآثر الوطنية للمؤرخ الاديب محمد جميل بيهم مساعيه القديمة لقيام مجمع علمي في لبنان أسوة بمجامع دمشق والقاهرة وبغداد اذ كان يرى مع علماء اللغة في وطنه من أمثال البستاني عبد الله ـ والمحمصاني أحمد عمر ووديع عقل وعبد الرحمن سلام وغيرهم أن العناية بالضاد وتراثها الذي صانه ونماه أعلام اللغة في لبنان ، قديمه وحديثه ، هي من رسالته وأصالته ، لكن أيدي المتخوفين على أحلامهم وأوهامهم من خطر العربية قد امتدت الى اهمال المجمع ، وقد فاتهم أن أعلام اللغة في ثقافتها وبيانها لا تزال رفافة شامخة في أقلام الشعراء والادباء الذين أنبتهم لبنان في جنوبه وشماله ، وقد ضمت مجامع البلاد العربية فئة من هؤلاء الى أعضائها ، كان بينهم الاستاذ محمد جميل بيهم كما انتخبته المجامع العلمية في الغرب عضوا عاملا ومراسلا .

لقد تعددت الجوانب والخصائص في الجهاد الوطني الذي تفرغ له هذا المؤرخ الاديب كان منها جانب بارز في النهضة النسائية بلبنان والعالم العربي منذ الربع الاول من هذا القرن ولطالما اعتزت الحركات التحررية بنصير المرأة محمد جميل بيهم الذي تفقد المتعلمة والواعية فيها ودعا للاخذ بأسباب النهضة عن طريق المدرسة والكتاب والتلاقي في ندوات التوعية والثقافة لترد للمرأة الثقة بنفسها ، وشخصيتها وتفرض تقديرها على الذين ضاقوا بوعيها وظهورها بما يليق بأمومتها وكرامتها فكان الاستاذ بيهم يشجع صحافتها

ويؤيد منشئاتها وتجاربها ؛ ويشارك في المؤتمرات النسائية التي أقيمت في لبنان والعواصم العربية بقلمه ومحاضراته ويكرم من قريب ومن بعيد أقلاما ناشئة في الادب ومرجوة للصحافة والتأليف وكان يستطلع بوادر الموهوبات في التعبير وهن على مقاعد الدراسة ، فيهدي اليهن الكتب النافعة والمجلات النسائية وكنت من هؤلاء اللاتي شجعهن الاستاذ بيهم في نشر التجارب الادبية قبل الاوان ، فكلفهن تبعا في اتقان الكلمة المكتوبة لتبقى أقلامهن الجديدة دليلا على المواهب الصادقة اذا أتيحت لها أسباب التفوق والظهور ؛ ولكم فتح نصير المرأة في بيروت صدره وداره لتكريم الرائدات المجاهدات في النهضة النسائية والمساعي الانسانية ومن هذا التكريم تأييد المرأة الحديثة في تطورها لحياة البيت والمجتمع فألف من أجلها الكتب الآتية :

١ ـ المرأة في التاريخ والشرائع سنة ١٩٢١
٢ ـ المرأة في التمدن الحديث سنة ١٩٢٧
٣ ـ فتاة الشرق في حضارة الغرب سنة ١٩٥٢
٤ ـ المرأة في حضارة العرب

والعرب في تاريخ المرأة سنة ١٩٦٢

ولا بد للقاريء المتتبع لمواقف الاستاذ بيهم في قضايا العروبة والتحرر يتساءل عن جهده في سبيل فلسطين ، عقدة العقد التي أعدها الاستعمار لتحول دون انطلاق العرب في بناء حياتهم ووحدتهم بعد مدحرة للطغاة من ممثليه ، فكانت فلسطين مدار الخواطر العربية التي توقعت خطرا مبيتا على فلسطين من الصهيونية الباغية حذرت منها أقلام عربية سبقت الى البحث في موضوعها منها قلم المفكر المبكر محمد جميل بيهم الذي كان يتتبع في بواكير مطالعته مطامع الصهيونية وتأييد الاستعمار فنشر في جريدة (الرأي العام) في بيروت عام ١٩١٤ مقالا عنوانه : (الخطر على فلسطين : أماني الصهيونية كيف نكافحها ؟) .

وقد بقي الاستاذ محمد جميل بيهم موزع التفكير في هذه النكبة الاستعمارية التي دهمت العالم العربي وهو يتأهب لحياة جديدة فأخذ يكتب المقال تلو المقال حول هذه النكبة ، وفي خلال الثورة العربية على الصهيونية الطاغية عهد اليه زعماء فلسطين بالانطلاق مع المجاهد الاستاذ الغوري الى الامريكتين وذلك عام ١٩٣٨ لشرح القضية الفلسطينية في مقابلات ومحاضرات كانت أجدى على القضية من جهود غيره ولولا بوادر الحرب العالمية الثانية ١٩٤٣ ــ ١٩٤٤ لطال تجوال الموفدين المجاهدين أكثر من تسعة أشهر ، على ان الاستاذ بيهم وضع بعد وقوفه على خفايا الامور كتابا في موضوع فلسطين المهددة جعل عنوانه (فلسطين أندلس الشرق) وقد تنبأ فيه المؤلف بما وقع لها بعد قليل ، فكانت الحكومة اللبنانية تعهد اليه بتمثيلها في كل لجنة أو مؤتمر يعقد من أجل فلسطين حتى وقعت الواقعة غدرا وقهرا ولجأ المشردون الى لبنان فسارع الاستاذ بيهم وزوجته الرائدة الدمشقية نازك العابد الى انشاء مؤسسات تعليمية وانسانية بمعونة الحكومة لتأمين العمل للاجئين وتعليم المهن النسائية لمن اخترنها وآثرنها على المدرسة لضمان المعيشة على أن المتتبع للمؤلفات الاخيرة لعلامة بيروت محمد جميل بيهم يحس الحوافز الوطنية وراء دراساته للفكرة القائمة في الوجود اللبناني منذ دهمه الانتداب حتى بعد الاستقلال اذ كان يدور حولها تمحيص المؤلف للواقع بحرارة ولهفة وهذا ما يتبينه القارىء في كتاب : « لبنان بين مشرق ومغرب » فقد آسفت المؤلف هذه الحيرة في أهله على الرغم من ايمانهم بأصالتهم العربية وحقيقتهم اللبنانية فان التقاليد القديمة التي غدت من الذكريات المرة في جيل بعد جيل كانت تعاود المتخوفين مما تقتضي العروبة في الحياة الجديدة التي أقبلوا عليها متحفظين ، ولم يعملوا لما يتطلب التطور والتحرر من منازع متضاربة يأباها لبنان في تجاوبه مع اخوته العرب في قضايا التحرير والمصير ولهذا تصدى الاستاذ بيهم لتحليل الاسباب في هذا الموضوع الشائك جاء في كتابه : « لبنان بين مشرق ومغرب » وقد كشف فيه الستار عن صور لبنان

في عهد الانتداب وبعد الاستقلال ، وهي صور لا يراها الذين هم فيها ، فناشد المؤلف المسؤولين والاهلين بأن يتعاونوا على مسحها لتبقى السمعة العالمية لوطنهم هي الصورة الوحيدة لرسالته وحقيقته •

هذه لمحة (١) متحفظة من مسيرة طويلة حافلة لخبير كبير في قضايا الفكرة العربية والدعوة التحررية هو الاستاذ محمد جميل بيهم الذي عرفه لبنان والعالم العربي في كفاحه العلمي الثبت ، وعرفه قراؤه من جيلين في مؤلفاته وآثاره ، وقد جئت بهذه اللمحة ولبنان في معاناة فادحة أنذر بأسبابها الاستاذ بيهم ودل عليها في بحوثه ومقالاته ، ولعله يخرج من الفتنتين اللتين عصفتا بلبنان مؤلفين بعد حين يودع كلا منهما حقائق ووثائق مطوية بين أوراقه ليقدمها أمانة لتاريخنا الحديث •

دمشق وداد سكاكيني

---

١ ـ لكاتبة المقال مؤلف عن الاستاذ بيهم تعده في دراسة لعصره وآثاره .

مات محمد جميل بيهم

.. وأغلقت آخر دارة مفتوحة في بيروت!

بقلم: زهير ماريني

في الناس من يحدثك فاذا (ثاني أكسيد الكربون) الخارج من أفكاره يكاد يخنقك ... وفي الناس من يحدثك فاذا حديثه نافذة مفتوحة على البحر في يوم ربيعي منعش ، واذ بك بعد ان تجلس اليه تزداد قدرة على الحب وتزداد غنى بالتجربة ...

كان الفقيد الكبير محمد جميل بيهم من النوع الثاني ... كان كالنسمة الرقيقة كانسان ، ولكنه كان مؤرخا اسلاميا صعبا تنبع صعوبته من سهولته؛ ومؤلفاته العربية والاسلامية أصدق نموذج لما يسمونه السهل الممتنع ... ومثلما كانت حياته العريضة سهلة هينة ، جاء موته كذلك .

من النادر جدا ما تحزن في أعماقك لوفاة انسان ، لا لأنه كان صديقا عزيزا فقط ، ولا كفوا فقط . وانما لانه فوق هذا كله قد تجمعت فيه وتركزت خصال هي في النهاية التي تجعل من الانسان انسانا ، ومن العنصر البشري عنصرا ساميا ...

كل من تعرف على الفقيد الكبير أكد أنه ذلك الانسان النادر والمؤرخ الصادق ... كان نسمة انسان وسط جحيم القيظ البشري الذي نعيش فيه .

آخر مرة رأيته في منزله كان قبل وفاته بأيام قليلة ... ولم أرهقه بالحديث ... فقد كان متعبا وكان يشكو من أمراض الشيخوخة التي تمنعه ان يكتب ويقرأ ...

لقاء لا أنساه ... لما تضمنه من حديث حار ، وذكريات حلوة ومرة ،

ووصف دقيق لهذا الوضع الذي نعيشه في دنيا العرب والاسلام ...

ما أكثر الناس الذين تلقاهم ، ولكن مـــا أقل الذيـــن تشعر بتأثيرهم الروحي والخلقي والسلوكي في تمسك هذه الايام ... وأشهد أنني مـــا رأيته مرة الا واستفدت منه دينا وخلقا وسلوكا ...

كان يحدثني في اللقاء الاخـــير عـــن شيخوخته بصبـــر ، وتماسك ، وشجاعة ... كان يعرف بأنه يسير بخطى بطيئة الى الموت ، ولكنه برجولـــة العربي الاصيل وعزة المسلم الصادق ، استقبل الموت رجلا عزيزا . لقد بذل حياته في خدمة الاسلام والمسلمين ... كان كالغيث لا يعرف التوقف . وطالما تساءلت بيني وبين نفسي :

كيف يمكن لعربي ، ولد في مدينة بيروت الصاخبة ، وعاش في تياراتها المتصارعة ، وعمل في الحقل العام ، وفي القضايا العربية ، وأنشأ الصداقات مع جميع القادة العرب بدون استثناء ، وطاف أرجاء العالم للدفاع عن قضية فلسطين ، والف (٢٥) كتابا سجل على صفحاتها مـــا رأى ومـــا سمع ومـــا اعتقد ... كيف يمكن أن يفعل كل هذا وتظل سمعته فوق الشبهات ، واسمه نظيفا من غير سوء ؟

وكنت أعزو هذا النجاح الى ظروف خاصة بنشأة الرجـــل ، ولاوضاع أسرته العريقة في الجاه ، والثراء ، ولكنني أيقنت بعد أن أخذت صلاتي تتوثق به بأنني ظلمته ، لانه كان على كفاية ممتازة ، وعلى خلق ممتاز ...

وأصحاب الكفاية نوعان ...

كفاية جموحة لا يحدها شيء ، ولا تهاب الاخطار ...

وكفاية منظمة دقيقة تعمل بحساب ولعملها هدف ، ولهدفها غايـــة ...
ومن هذا النوع كفاية محمد جميل بيهم الذي استطاع ان يثبت بالفعل أنـــه

جدير بما وصل اليه من احترام ...

لقد آمن وهو شاب بالقدر ... فآمن به القدر .

لهذا ظل اعتزازه بكرامته أبرز صفاته ، فلم يغامر بسمعته في سبيل منصب عارض ، لانه يرى نفسه فوق كل المناصب ... وكما كان الشاب القدوة ، كان الشيخ القدومة .

في عام ١٩٧٣ منح رئيس الجمهورية اللبنانية للمؤرخ والعالم محمد جميل بيهم وسام الاستحقاق من رتبة (كوماندور) اعترافاً بمكانته وفضله.. وتألفت لجنة للتكريم ضمت ما يقرب من ثلاثين شخصية لبنانية وعربية . ولكن القدر سرعان ما تدخل ، فتأجل موعد الحفلة ، لان اليوم المقرر لقيامها كان يوما حزينا في لبنان ... ففي هذا اليوم شهر الاخوة السلاح بعضهم على بعض ، لانهم لم يقرأوا ما خطه جميل بيهم عن القضية الفلسطينية ..

وتجدد موعد الحفلة ، وتجدد الصدام ... هكذا شاء قدر الرجل .

ولست أعتب على أحد لهذا الاهمال في تكريم الرجل وهو حي ، فأنا أعلم ان الاسلاميين أقل الناس التزاما لاصحابهم ، في وقت يلتزم المنحرفون من أصحابهم في حياتهم وبعد موتهم ...

أستطيع بعد ان سعدت بلقاء الرجل الاخير ، أن أجزم بأن هذا العربي البيروتي آمن بالعروبة البكر قبل ان يلامس هذه العروبة ما لامسها من تخرصات وحواش لا تمت اليها بصلة أو نسب ... كما آمن بالاسلام كما جاء به الرسول الكريم .

انه يرى بضميره النقي ، وقلبه الابيض ، ان في هذه الامة خميرة الحضارات العربية ... وأن الامة العربية لا تعرف قيمتها الحقيقية ... فهي تتكلم دائما عن ضعفها مع أنها أقوى من غيرها ... وتبكي تخاذلها وهي لا يمكن ان تستعبد ...

ان كل ما نشره وحاوره يدل على ان العرب نسوا تاريخهم ، ولو عرفوه جيدا لعرفوا انهم كما قال نبيهم الكريم : خير أمـــة أخرجت للناس ، تأمـر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقول ربي الله .

ولكن أضعف نقطة في هذه الامة ان قادتها أضعف مـن الشعب نفسه ، لذلك يحدث الاحتكاك باستمرار ويحدث الاضطراب ...

انه يقول في كتبه :

(ان الروح العربية أقوى من المادة الغربية ، وان مدنياتهم تقوم وتزول ولكن روحنا تبقى خالدة ... وان في هذا الجانب مـن العالم ظهـر عيسى ومحمد ، ولم يظهر عندهم نبي واحد ، وان كـل أقطارهم وحضاراتهم تزول ويبقى عيسى ومحمد أعظم قادة البشر) ..

كنا ونحن نتجول في الحديث الاخـير نستعرض الاوضاع التي يعيشها الوطن العربي ، ويعيشها لبنـان ... لم يكن مسرورا لمـا يجـري في العالم العربي ، وكان حزينا أعمق الحزن للحالة التي وصل اليها لبنان ، لان الاماني التي تخيلها في شبابه لبلده لم تتحقق رغم توالي العهـــود ... وهو رغـم انجذابه للماضي الذي كان أكثر صفاء وأكثر حيوية و ... أكثر محبة ، لـم يغفل حديثه عن الحاضر .

وقطعت على الرجل الكبير حديثه لأسأله :

لو قابلت رئيس الجمهورية اللبنانية وسألك عن رأيك في هـذا الذي يجري في لبنان فماذا ستقول له ؟ لم يفاجئه السؤال ، ولعله كان ينتظر شبيها به ، وهو الذي يقرأ معظم الصحف والمجلات يوميا ، فـرعان مـا قال وبنبرة جـادة :

(... يا فخامة الرئيس أعرف تاريخك الناصـع ومواقفك الوطنيـة ،

وأعرف عزيمتك ، فلماذا لا تعيد العمل بقانون الاعدام ؛ لتعيد الى الحكم هيبته ••• ان لبنان بحاجة اليوم الى رجل يتحمل المسؤولية بشجاعة فأقدم وكل الناس معك ؛ وأنا من الناس ؛ لا تدع الصغار يتحكمون على هواهم ، فاحزم وتوكل ••• اذ كيف يجوز ان يقوم بلد على دعائم حكومات داخلية لديها سلاح ؟) •

لا أعرف بالضبط ماذا أوصى والد محمد جميل بيهم ولده قبل أن يفارق الحياة ••• ولكن جواب الرجل على سؤالي الذي اختصرته بعبارات قليلة ذكرني بوصية (كبلينغ) لولده التي يقول فيها :

(اذا استطعت يا ولدي ان تحتفظ برأسك في الوقت الذي يفقد فيه من هم حولك رؤوسهم ••!

واذا وثقت في نفسك ، واستطعت ان تنتظر ولا تمل الانتظار •••

واذا تظاهرت بأنك لست أحسن الناس ولا أحكم الناس •••

واذا استطعت ان تفكر ولا تجعل التفكير هو كل أهدافك •••

واذا استطعت ان تشهد المعول يهدم كل ما كرست من أجله حياتك ، وتنحني لتبني من جديد ما تهدم •••

واذا صبرت في وقت لا تملك فيه سوى ارادتك تصرخ فيك وتهيب بك ان تتماسك •••

واذا استطعت ان تتحدث الى الشعب بغير أن تفقد فضائلك ، وان تصاحب الملوك بغير أن تفقد اتصالك بالشعب •••

واذا استطعت ان تملأ فراغ كل دقيقة من حياتك بالعمل والقراءة •••

واذا كانت كل ثانية في حياتك تمضي في جهد مفيد •••

اذا استطعت ان تفعل ذلك كله ملكت الارض وما عليها •••

وأصبحت أكثر من ذلك ••• أصبحت رجلا يا ولدي !

عندما استعدت من الذاكرة هـذه القصيدة وجدت فيهـا خلاصة حياة الرجل كلها ، ومفتاح شخصيته كلها ، ولـو ان (كبلينغ) عاشر الرجـل ووصفه ، لما قال أكثر من وصيته لولده عن الرجل الـذي يجب ان يكونه • وهذه القصيدة التي تمثل حيـاة محمد جميل بيهم نراها مجسدة في الصور التي يحتفظ بها الرجل ••• مع الزعماء وقـادة العرب ••• مـع الشعراء والكتاب والباحثين •••

صور مهداة بتواقيع أصحابها •••

كما نراها في مجموعة الرسائل الثمينة التي يحتفظ بها الرجل في خزانته الخشبية المقفلة على الاسرار ••• لا يمكن أن أسجل في حديث خاطف مـع صاحب المئة عام ، وربما أقل ، كل ما أعرف وما قرأت وما سمعت عن سيرته •

ان أكثر ما يؤلم هذا الشيخ رؤيته لأبناء وطنه وهم مـا يزالون فـي جهالتهم ينقسمون الى مشرق ومغرب • وهو مع ذلك متفائل لانه يرى بحكم خبرته وتجارب السنين ان أبناء بلده لبنان متفقون على احتـرام الوحـدة الوطنية ••• ومن المفارقات في حياته أنه منذ طفولته حتى شيخوخته ما يزال ينتظر (البطل) الذي سوف يحقق أمنيته بارساء الوحدة الوطنية على قواعد ثابتة لا تزعزها الاعاصير ••• قواعد لا تقوم عـلى أسـس تفاهم مؤقت يبنى على الرمال ، وانما تقوم على تربية وطنية صحيحة تتعهدها المدارس والامهات ••• قواعد شعارها المحبة ، ودثارها الايمان بأن كل لبناني هو مسؤول عـن وطنه على قدر ما هو مسؤول عن بيته ••!

ولأنه يؤمن على هذا النحو عاش عمره معارضا من فوق ••!

عارض الاتراك وقاومهم لانهـم نكثوا عهودهم وظلمـوا وقتلـوا واضطهدوا •••

وعارض الانتداب لانه حاول أن يجعل من لبنان وطنان ولا وطن واحد •

وعارض عهود الاستقلال لانها غرقت في المغانم ولم تلتفت الى الشعب فتنقذه من أمراضه •••

وظل طيلة حياته يفتش عن (البطل) لانقاذ الاوضاع من التردي •••

وهو حين يدافع عن معارضته لكل العهود يفند ذلك بأسلوب المؤرخ العالم كيف ان هذه العهود جميعها ظلت تعمل لخلق كيان للبنان لا يمت بصلة للدول العربية ، ولا للعروبة لا من قبل ولا من بعد •

ويحدثنا محمد جميل بيهم عن محاولات أعداء العروبة المتوالية لفصل لبنان عن العروبة في كثير من الالم والحرقة ، ومن هذه المحاولات تشجيعهم اللغة العامية على أمل أن تصبح لغة الادب بدلا من الفصحى • وفي كثير من الاستحياء المحبب يروي كيف فاوضوه عام ١٩٢٥ ليصبح وزيرا للمعارف (ناظر المعارف) ، وكيف رد عليهم بتصريح في جريدة (الاحرار) قال فيه :

(ان لي من مشاغلي الخاصة ما لا يسمح لي بقبول أية وظيفة ، ومن الافضل أن تعلم الدولة المنتدبة أنه من الخطأ التسامح في وضع برامج تتنافى مع المصلحة الوطنية ، وتقضي على لغة البلاد) •

لقد عاش الرجل لحظات سعادة كثيرة في حياته ، ومن هذه اللحظات يوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ ، وحين يتذكر هذه اللحظة يصفها بقوله :

(•• ان الميثاق الوطني الميمون أربى الاستقرار في وطننا العزيز ، ما أحلى الوحدة الوطنية ، وما أجدى منافعها ، ومع ان هذا الاتفاق كان ثنائيا بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح (أن يكون لبنان ذا وجه عربي ، وان لا يكون للاستعمار ممرا ولا مستقرا) مسايرة للوضع اللبناني وقتئذ •• ومع ذلك فقد عرضت في ذلك الحين مناسبة جعلتني اؤمن بأن الرئيسين كانا على رأي ايجابي في قضية عروبة لبنان ••• فقد أقام يومها الشيخ بشارة

الخوري وليمة في داره كنت مدعواً اليها ؛ فاذا برياض يناديني ونحن على المائدة ، ويوجه الي الكلام بصوت جهوري ، وذلك بمناسبة قرار مجلس قرار مجلس الوزراء ١٩٤٤ باعادة المجمع العلمي اللبناني ؛ ويقول على مسمع من رئيس الجمهورية والمدعوين من الهيئات الرسمية :

(.. آمل ان يؤدي المجمع العتيد واجبه في الاتجاه القومي والعروبة الصحيحة) ..

ولكن هذه اللحظات السعيدة سرعان ما واكبها لحظات حزينة ، يذكرها الرجل وهو يود ان لا تعود ... معارضة الرجل أيام الحكم التركي وأيام الانتداب يذكرها جميع الوطنيين الذين أسسوا الجمعيات السرية العربية ... وقادوا النضال القومي ، وهي مدونة في كتب التاريخ ابتداء من الثورة العربية الكبرى وانتهاء بالجلاء ... قاسم محمد جميل بيهم في هذه الثورات ، ونضاله من أجل العروبة عامة ، وعروبة لبنان خاصة ، هو الاسم النظيف الذي لم يتأثر باغراء أو تهديد ..

قدم الى المحاكمة أيام الانتداب لانه حضر المؤتمر السوري الاول .

كما ظل طيلة عهد الانتداب من المعارضين لكل من والى الانتداب أو أيده . أو انتسب اليه ...

أما أسمه في عهد الاستقلال فقد ظل الاسم الابيض الذي لم يشوهه اي سواد ..

ولعل اسمه في مسيرة القضية الفلسطينية كان الاسم الاشرف والاسلم . ويشهد على ذلك جميع الذين واكبوا هذه القضية في أزماتها المتلاحقة ..

حدثني الرجل عن ذكرياته فقال :

ذهبت الى القاهرة عام ١٩٤٦ لامثل لبنان مع سفيرنا سامي الخوري

أمام لجنة موريسون الاميركية ــ الانكليزية ، التي جاءت للتحقيق في قضية فلسطين ، واختارت ان يكون اجتماعها بممثلي الدول العربية في القاهرة .

في ذلك الحين ، وفي اليوم الاول من جلساتها في فندق ميناهاوس ذهبت الى مكان الاجتماع حاملا مذكرة حكومة لبنان لاقدمها الى اللجنة ، فسألني أحدهم :

ــ وما تلك بيمينك يا جميل ؟ ولما أجبته قال مداعبا :

ــ أرجو أن لا يكون فيها عرب وعروبة ... فقلت له في سياق الدعابة:

(.. اتنتظر ان يكون فيها فينيقيون ومردة وهي في صدر الدفاع عن قضية فلسطين العربية) ؟

في عام ١٩٣٨ انتدبته الهيئة العربية العليا لفلسطين ليرأس الوفد العربي الفلسطيني الذي عهد اليه الدفاع في الامريكتين عن وجهة النظر العربية في هذه القضية ، في الاوساط الشعبية والحكومية . وجمع التبرعات للمجاهدين العرب . وقد لاقى الرجل في هذه الرحلة الكثير من المصاعب ، ولكنه استطاع بفضل شخصيته أن يوفق بين الفئات المتناحرة ، وحين يذكر الرجل هذه الرحلة لا ينسى ان يروي كيف استطاع أن يحاور الاستاذ نعوم مكرزل صاحب جريدة الهدى ، ويجعله يدافع عن الحق العربي في جريدته بعد ان كان من أشد أعوان الانتداب الفرنسي في حينه .

ومن أجمل ما يروى عن زياراته للعواصم الكبرى للدفاع عن القضية الفلسطينية ، انه كان يصرف من جيبه الخاص على تنقلاته ، فقد كان يرفض أن يتناول أي مبلغ ... وحين كانت الحكومات الكبرى تستضيفه يرفض أن تدفع عنه المصاريف خوفا من ان يتأثر ضميره ..

حين عاد من زيارته للاتحاد السوفييتي ألف كتابا انتقد فيه جهل الروس

والامريكان لحقائق القضية الفلسطينية ، وحين طلبت السفارة الأمريكية أن تشتري الكتاب بالرغم من انتقاده لسياسة حكومتها تجاه فلسطين أجاب محمد جميل بيهم السفير الامريكي في بيروت :

(... لقد أصدرت الكتاب ليطلع عليه أبناء قومي ولا يهمني رأي الآخرين) ...

وتتدافع الذكريات من فم الرجل وكلها جدير بأن يروى لأبناء هذا الجيل الذين يجهلون تاريخهم القومي ، من هذه الذكريات روايته حين فكر جمال باشا في اجلاء المسيحيين عن لبنان وكيف هب المسلمون في وجهه ليقولوا له :

(... ان عملا كهذا يسيء الى المسلمين في بيروت ، ويحملهم على التنكر للسلطنة والاصغاء الى دعايات أعدائها) ..

لهذا يذكر الرجل الكبير بمرارة أحداث ١٩٥٨ وما جرى فيها من محاولات لتقسيم الشعب الواحد .. ففي هذه الفترة جرت محاولات لجعل الرجل يقترب من السلطة ، وقد وسط الرئيس كميل شمعون الاستاذ هنري الطرابلسي ليجري اتصالات مع محمد جميل بيهم لزيارة القصر الجمهوري فرفض ، كما قاطع مائدة الافطار التي دعا اليها الرئيس لمناسبة شهر رمضان ... وقال للوسيط :

(اذا كانت الغاية من الزيارة التعاون فلا بد من الاتفاق سلفا على الاسس ، وأهمها تأمين الوحدة الوطنية التي لن تتحقق الا بشعور الطوائف كلها بأن لبنان وطن للجميع على السواء) .

هذا بعض ما أذكره عن حديث الرجل الاخير ...

ان محمد جميل بيهم يمثل لابناء جيلي وعاء الحكمة العربية ،

انه الشخصية البيروتية الفذة التي استطاعت أن تفرض احترامها علــى الجميــع ...

مئة عام أو أقل أو أكثر تكومت داخل جسم نحيل وثياب أنيقة نظيفة ..

لقد عاش أيامه الاخيرة في بيته الذي كانت تزينه زوجـــة تشيع فيــه البهجة والسعادة ... انها (زهـــراء العابد) الضابطـــة في الجيش العربــي والحاملة لوسام معركة ميسلون ... لباسها العسكري ، والوسام معروضان في خزانة خاصة تضم الى جانبها الذكريات الحلــوة والثمينــة ... وحــين يتحدث الرجل عن زوجته زهراء ابنة مصطفى باشا العابد يخالط ألفاظه الكثير من الحنان ... كانت شريكته في حياته ، وفي نضاله . فهــذا البيت البيروتي يفتح لكل طارق ، وكانت الزوجة زينة هذا البيت ، وقد خفتت الاضواء بعد رحيلها عن هذا العالم ... ومع ذلك ظل البيت مفتوحا لكل الناس ، لكــل العلماء ، لكل الادباء ، لكل المناضلين ... لكل القاصدين ..!

وتحس وانت في هــذا البيت العريق أن روح زهراء العابــد مــا تزال تجوب أركانه ... وتحس انه ما يزال يحن الى أيام حياة زوجته ... ومــع ذلك لا تشعر بأن شيئا قد نقص في هذا المنزل المفتوح ..

والآن وبعد ذهاب صاحب البيت أغلقت آخر دارة مفتوحة في بيروت .

بيروت زهير ماوردين

وفاة محمد جميل بيهم

مات الكاتب والعالم البحاثة محمد جميل بيهـم ، عن احـدى وتسعين سنة ، بيهمي آخر ، من الاسرة البيروتية القديمة . وكان لبعض أفراد الاسرة الاثر الطيب في خدمة لبنان وسوريا والقضية العربية ، في النواحي السياسية والاجتماعية والادبية . ومن مشاهيرها في القرنين التاسع عشر والعشرين عمر ابن حسين بيهم وولداه الحاج حسين والحاج محيي الدين ، ومحمد بن عبد الله ، وحسن عبد القادر . ومختار بن حسين وعبد لله بن عثمان وعمر بـن محيي الدين وصلاح الدين عثمان ، وآخر ما توفي من ادبائها نـور الديـن عثمان بيهـم .

ومحمد جميل بيهم هو ابن محمد بن مصطفى بن حسين بيهم بـن ناصر العيتاني ، لان أسرة بيهم في بيروت فرع من عائلة العيتاني المعروفة في لبنان ، يرجع أصلها على الارجح الى المغرب . ولد في بيروت عـام ١٨٨٧ وتلقـى علومه في المدرسة العثمانية في مدرسة الشيخ أحمد عباس ، ثم أستكملها في مدرسة اوليفيا الفرنسية التي كانت نواة للبعثة العلمانية .

وفي ١٢ تشرين الاول ١٩٢٨ قبل معهد الآداب في جامعة باريس ان يقدم بيهم أطروحة عنوانها « الانتدابان » للحصول عـلى الدكتوراه ، وكـان المستشرق دوموبين من أساتذة الجامعة مشرفا على الاطروحة .

عرف بسياحاته الكثيرة في أقطار العالم ، وقال : « انـه مديون لهـذه السياحات المتوالية ، منذ نشأته بكل معلوماته واختباراته . هـذه الاسفار

الدراسية كانت مدرسته الحقيقية منها علومه الخاصة ومعارفه العامة . ودعوته الى تحرير المرأة منذ مطلع القرن مع صديقه جرجي نقولا باز : تلك الدعوة التي ثابر عليها والف أربعة كتب في موضوعها وسمي من أجلها نصير المرأة ، انما الفضل فيها لزياراته الاولى لاوروبا دارسا في ١٩١١ ـ ١٩١٣ » .

ومثل ذلك دعوته حينئذ الى انشاء كلية اسلامية على غرار الكليات الاخرى التي أنشأتها الطوائف اللبنانية ؛ ودعوته الى انشاء مكتبة عامة في بيروت عام ١٩١٤ ، وقال « انها كلها من ثمرات الاسفار والمقارنة » . واستجاب الرأي العام وقتئذ لهذه النداءات الاصلاحية واضافة الى ما قرره الزمن من التطورات في شؤون المرأة ومساواتها فان المدرسة العثمانية التي درس صاحب السيرة علومه الابتدائية فيها لم تلبث بعد دعوته ان تحولت الى كلية اسلامية . وهنا الفضل لمساعي عمدتها ؛ وعلى رأسهم المرحومان السيدان أحمد مختار بيهم وسليم علي سلام ، والحكومة بناء على مراجعاته وعلى جهود صديقه المرحوم الفيكونت فيليب دو طرازي انشأت دار الكتب الوطنية ما نشده الجميع في بيروت .

وعرف صاحب الترجمة بموقفه الجريء في معارضة الانتداب الفرنسي والمطالبة بالاستقلال ، كما عرف بنضاله في سبيل فلسطين قبل عام ١٩٤٨ وبعده ، اضافة الى مواقفه الصريحة من أجل تحقيق الوحدة الوطنية في لبنان على أساس العروبة والمساواة بين المواطنين .

وكان يجيد اللغة الفرنسية ؛ ويلم بالانكليزية والتركية . وهوايته طلب العلم والتأليف والدعوة الى التطور . وفي كل مراحل حياته ملك النشاط والجرأة والعزوف عن المناصب الحكومية ؛ ومنذ مطلع القرن العشرين وبعده عن داعي اصلاح بعيدا عن التعصب والتزمت ، يساهم في كل نشاط عربي ولبناني ، حتى لم تتألف جمعية في بيروت في مطلع النهضة الا كان رئيسا لها . وفي عهد الانتداب كانت له المعارضة الشديدة . ثم راح في عهد الاستقلال

يعارض أيضا كل سياسة ترمي الى اضفاء لون خاص على لبنان وتحيد به عن العدالة الاجتماعية بين طوائفه •

بلغ الشيخوخة وهو في رحاب العلم والعمل وأصبح محمد جميل بيهم مرجعا لطلاب الجامعات في لبنان يقصده الكثيرون منهم ، ولا سيما أوان اطروحاتهم ، فضلا عن سواهم من الباحثين •

وهو رئيس المجمع العلمي اللبناني في ١٩٢٩ ورئيس جمعية اخوان الثقافة منذ ١٩٤٢ وعضو المجمع العلمي العراقي منذ ١٩٥٢ وعضو في الاكاديمية للتاريخ العالمي في باريس في ١٩٢٧ وعضو المجمع الاميركي للعلوم السياسية والاجتماعية منذ ١٩٥٤ وعضو اللجنة التنفيذية لمجلس ارموكان العلمي في الكلية الشرقية لجامعة لاهور منذ ١٩٥٣ ، وعضو في المكتب العالمي لالغاء الاتجار بالانسان في لندن ، وعضو مجمع اللغة العربية في دمشق منذ ١٩٥٦ •

والكتب التي صدرت له في اللغة العربية :

المرأة في التاريخ والشرائع ، فلسفة التاريخ العثماني الكتاب الاول ، المرأة في التمدن الحديث ، أوليات سلاطين تركيات ، الانتدابان في العراق وسوريا ، فلسطين اندلس الشرق ، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور الجزء الاول ، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب ، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور الجزء الثاني ، فتاة الشرق في حضارة الغرب ، واشنطن تعبد الطرق لموسكو في بلاد العرب والمسلمين ، فلسفة التاريخ العثماني الجزء الثاني ، العروبة والشعوبيات الحديثة ، العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب ، أسرار ما وراء الستار • الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية كما أراهما ، فلسفة تاريخ محمد ، المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة ، عالم حر جديد في آسيا وأفريقيا والوطن العربي ، العهد المخضرم في سوريا ولبنان ، عروبة لبنان ، لبنان بين مشرق ومغرب ، الوحدة العربية بين المد والجزر ، دراسة وتحليل للعهد العربي الاصيل •

النهـار

محمد جميل بيهم

تركة طيبة يستنير بها اللبنانيون والعرب دفاعاً عن لبنان وعروبته

بقلم : الدكتور زكي النقاش

في الامس القريب ، غيبت يد القدر المحتوم وجها من أنبل الوجوه ، التي عرفتها بيروت ، وفاخر بها لبنان ، وطابت بعرفها (بالفتحة على العين) نفس العروبة ، خلال مئة عام أو يزيد ، فكان ان اقتطع الردى غصنا من شجرة وارفة الظلال ، أصلها ثابت وفرعها في السماء .

أجل ، اني لأعني بهما : فقيد البلاد ، المغفور له محمد جميل بيهم ، وعترته (بالكسرة على العين) ، ذات الارومة الطيبة ، والعريقة في الفضل العظيم والجاه العريض ، حتى ليصح أن توصف ، على لغة القوى « بالارستقراطية » . غير أنها أبت الا أن تتحلى بالتواضع الجم ، والتنائي عن الشموخ بالانف ، وتصعير الخد للناس ، وآثرت أن ترافق الشعب في تطلعاته ، وتقاسمه العمل لتحقيق طموحاته ، فكانت الحانية عليه ، الجابرة لعثراته ، المثقفة لعقول أبنائه قائلة : انما نفعل ما نفعل لوجه الله ، لا نريد جزاء ولا شكورا .

وكأني بالفقيد الكبير قد تجمعت فيه تلك الخصال الحميدة ، والسجايا الاصيلة ، حتى جاء خير انموذج لآل بيهم الكرام ، وأصبح للناس فيه أسوة حسنة وقدوة فذة .

ومن أفضل ما اتسم به فقيدنا الغالي ، تلك الرؤية الشاملة للحياة وما فيها ، لقد كان ، رحمه الله ، لا يرضى الاكتفاء بالعيش الرغيد ، دون العمل الدؤوب في مشاركة معاصريه ، من مواطنين لبنانيين ، واخوة عرب قوميين ،

وآخرين أجانب انسانيين ، في مشاركتهم بكل ما يعود على الناس بالخير ، والتقدم ، والرقي •

بلى ، لقد تنقل في أكثر ميادين العمل في الحياة : فعمل بالتجارة ، وكان فيها من المجلين ، وفي البحث العلمي ، الذي لم ين يوماً ، عن الاخذ به ، طوال حياته المديدة ، الى ترؤس الجمعيات ، واللجان السياسية والثقافية ، فضلا عن حضور بعض المؤتمرات العلمية العالمية •

وقد كان في أكثر ذلك العامل الناجح ، والعالم المدقق : والوطني الجريء ، والقومي الاصيل ، والانسان المؤثر للحق على الباطل ، والمتفاني في خدمة ، يقدمها لبني جلدته (بالكسرة على الجيم) ممن لبنانيين وعرب ومسلمين •

ففي محيطة الادنى ، لبنان ، الذي كان حبه له كأعمق ما يكون حب انسان لوطنه ، ظل ، طوال فترة الانتداب الفرنسي ، يعمل ، مع اخوان كرام ، على كشف مرامي المستعمرين وهتك نواياهم المبيتة ، والبعيدة عن خدمة لبنان خدمة خالصة ، فراح يؤلف مع مواطنين له الجمعيات ويترأس اللجان ، ويعقد المؤتمرات ، ويندفع ، بكل ما أوتي من ثبات في العقيدة ، وعقل نير ، وفكر خلاق ، ليضيء الطريق أمام مواطنيه ، حتى لا ينخدعوا بألاعيب الاستعمار ، ولا يؤخذوا بمناورات العملاء والحاقدين •

هذا ، ولم يكن ذلك كله ، ليشغله عن العروبة ، والدفاع عنها ، والذود عن حضارتها ، ولغتها ، ومقوماتها •

أما في عهد الاستقلال فقد نأى بجانبه عن الكرسي وتمسك ، في صددها بكلمة شاعرنا الشعبي ، المرحوم عمر الزعني ، المتمثلة في قوله : « تفو على الكرسي » ، الغرار لاصحاب النفوس الصغيرة ، والمشتهى لدى أرباب الرغبات الرخيصة ، فلا وظيفة في الدوائر طلب ، ولا مركزا في الدولة ، تاقت

اليه نفسه الكبيرة ، رغم كل المغريات ، بل استمر يحافظ على كرامته ، وعزة نفسه ؛ ممسكا بالقلم ، ليرسل منه كلمة الحق ، مدوية في سبيل لبنان العربي، الوطن ، الذي ورثناه عن خالد بن الوليد ، وابي عبيدة عامر بن الجراح ، ثم أعاده الينا ، بعد محنته بالفرنجة ، صلاح الدين لنحتفظ به وطنا عربيا كريما ، حتى كان المعنيون الاشاوس ، وفي مقدمتهم ، الامير فخر الدين الثاني العظيم ، فخط له معالم الدولة اللبنانية العربية الاولى ، ليعيش على أرضه اللبنانيون ، جميع اللبنانيين أعزاء كراما وعلى وفاق تام .

وليس أدل على مكانة فقيدنا المجاهد ، محمد جميل بيهم ، من أسفار له عديدة ، جاءت في مواضيع شتى فأغنى بها المكتبة العربية ، مخلفا بها تركة طيبة ليستنير بها اللبنانيون وغيرهم من العرب الآخرين ، على طريق الكفاح ، والدفاع عن لبنان ، وعروبته وديمومته .

والآن لعل خير ما ندلل على حبنا لمحمد جميل بيهم ، وتقديرنا لكل ما عمله ، وجاهد من أهله ، ان نعي بعض أعماله ، ونسجل نبذة عن انجازاته القيمة ، فنضع أمام القارىء ثبتا بمؤلفاته ، التي زادت على العشرين عدا ، ودونك ذلك :

الكتاب	موضوعه	صدوره سنة
١ ـ المرأة في التاريخ		١٩٢١
٢ ـ فلسفة التاريخ العثماني الجزء الاول		١٩٢٥
٣ ـ المرأة في التمدن الحديث		١٩٢٧
٤ ـ اوليات سلاطين تركيا		١٩٣١
٥ ـ الانتدابان في العراق وسوريا		١٩٣١

٦ ـ فلسطين ، اندلس الشرق	١٩٤٦
٧ ـ قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور الجزء الاول	١٩٤٨
٨ ـ « « الجزء الثاني	١٩٤٩
٩ ـ الحلقة المفقودة في تاريخ العرب	١٩٥٠
١٠ ـ فتاة الشرق في حضارة الغرب	١٩٥٢
١١ ـ واشنطن تعبد الطرق لموسكو في بلاد العرب والمسلمين	١٩٥٤
١٢ ـ فلسفة التاريخ العثماني الجزء الثاني	١٩٥٤
١٣ ـ العروبة والشعوبيات الحديثة	١٩٥٧
١٤ ـ العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب	١٩٥٧
١٥ ـ أسرار ما وراء الستار	١٩٥٨
١٦ ـ فلسفة تاريخ محمد	١٩٦١
١٧ ـ المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة	١٩٦٢
١٨ ـ عالم حر حديث في آسيا وافريقيا والعالم العربي	١٩٦٤
١٩ ـ العهد المخضرم في سوريا ولبنان	١٩٦٨
٢٠ ـ عروبة لبنان : تطورها في القديم والحديث	١٩٦٩
٢١ ـ لبنان بين مشرق ومغرب	١٩٦٩
٢٢ ـ دراسة وتحليل للعهد العربي الاصيل	١٩٧٤
٢٣ ـ النزعات السياسية في لبنان	١٩٧٧

ومن هذا تتبين كم أعار فقيدنا المرأة من تفكيره بها وتقديره لها ، وتمنيات أن يراها العضو العامل والمحترم في مجتمعنا : فحق له على المرأة ، اذن ، ان تذكر له ذلك فتعمل على ايفائه بعض حقه عليها .

وأما نحن ، الذين خطينا بصحبتك مدة طويلة وتعرفنا على الكثير من جوانب نفسك الخيرة ، وتغذينا بالعديد من أفكارك النيرة وتطلعاتك الى المستقبل ، فاننا نعاهدك ،ونحن نتمنى لك المقام المحمود عند ربك ، أن نقتدي بك ما وسعنا ذلك ، وان نترسم خطاك على دروب الجهاد والكفاح .. قائلين لك ، يا محمد جميل بيهم ، نم قرير العين مع « ... الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وحسن اولئك رفيقا »

السفير الدكتور زكي النقاش

الباحث الرصين : محمد جميل بيهم
١٨٨٧ - ١٩٧٧

بقلم : الدكتور عمر فروخ

كان محمد جميل بيهم باحثا رصينا في القضايا الاجتماعية والقضايا القومية خاصة من خلال دراسة التاريخ • ولقد كان لمحمد جميل بيهم ميزة لم تكن لكثيرين غيره : كان من أسرة وجيهة غنية ولم يكن محتاجا الى الكد في سبيل الحياة فوقف وقته وجهده وماله على البحث والتأليف • وقل ان نجد في الكتاب من كان في مثل حاله الا الفرد بعد الفرد في الزمن المتطاول •

ولد محمد جميل بيهم في بيروت ، عام ١٨٨٧ ودرس في عدد من المدارس منها المدرسة العثمانية وحصل اللغات الثلاث : العربية والتركية والفرنسية ، وفنونا أخرى من العلم • ولكن معظم تحصيله كان على نفسه مما يذكرنا بأولئك النابهين الكبار في تاريخ الثقافة عند العرب وعند غير العرب •

ويلوح لي ان مدرسته الكبرى كانت تلك الاسفار المترامية في آسية واوروبة وأميركا والتي زودته بذخائر من الاخبار لم يكن من السهل ان يتزود بمثلها من غير اسفاره • ويحسن ان نعلم ان أسفاره كانت مستقرة — أي انه كان يقضي مددا طوالا في معظم البلاد التي كان يسافر اليها •

ولم يشتغل محمد جميل بيهم في السياسة ، اذا كنا نعني ان السياسة هي

---

(١) الكلمة القيمة التي خص بها الصديق العزيز الدكتور عمر فروخ « مجلة الميثاق » شاكرين له هذه المعلومات وقد حذفنا من هذه الكلمة اسماء الكتب التي جاء ذكرها في مقال الدكتور زكي النقاش . مكررين شكرنا لعلامتينا النقاش وفروخ ، راجين للراحل الرحمة والخلود .

الوصول الى النيابة والتعلق بالوزارات ونصب العداوات واستغلال المواقف. أما اذا عنينا « تهيئة الاجيال والاحوال » لوضع زمام أمور الناس في الايدي الامينة الصالحة ، فيكون محمد جميل بيهم في طليعة « رجـال السياسة » . لقد اختار ان يكون عمله السياسي العاقـل مـن خـلال الجمعيات الادبيـة والثقافية ، ولا شك في انه أدى خدمة الى الناشئين وأدى رسالة في المجتمع . ولعل أبرز الجمعيات التي انشأها أثرا في المجتمع الاسلامي في لبنان الكتلـة الاسلامية ثم اخوان الثقافة .

أما اذا أتينا الى المؤتمرات التي حضرها محمد جميـل بيهم والـى الجمعيات التي كان فيها عضوا أو رئيسا والى الاوسمة التـي نالها فاننا نأتي الى سلسلة لا تتناهى . وليس من المستغرب ان يكون رجل على هذا المستوى من الثقافة والوجاهة والنشاط ثم لا يكون عضوا عامـلا فـي الجمعيات والمؤتمرات .

ولمحمد جميل بيهم عدد من الكتب كانت في أيامها معلما في حياتنا ، ثم كانت له مؤلفات ستبقى مرجعا للحياة السياسية والقومية في لبنان وفي البلاد العربية أيضا .

لكتب محمد جميل بيهم ميزات منها انها شواهد على العصر الحديث في الاكثر : اعتمد مؤلفها الوثائق الاصلية وضم اليها اختباره الشخصي ، انهـا ليست تأليف جمع ومقارنة ، بل تأليف كشف ومشاهدة .

وكان لمحمد جميل بيهم في تآليفه رسالة « الدعوة الى الوفاق » . انـه كان يلين عددا من المواقف الشاذة لنفر من الناس حبـا بأن يكون هـذا « التليين » وسيلة الى جمـع الشمل ورأب الصدع وضم الجهـود في سبيل الوطن العربي الكبير والوطن الاسلامي الاكبـر وكـل وطـن صغير للعرب وللمسلمين أينما كانوا من بلاد الله . انـه كان حريصا في معظم كتبه القومية

على ان يستخرج أدق الاشارات القومية في حياة كل رجل سياسي في لبنان خاصة اعتقادا منه بأن فعله هذا ربما أدى الى حسن المودة بين أبناء لبنان الذين يجمعهم الوطن ولكن تفرقهم عوامل مختلفة ٠

ان الانسان ليستطيع أن يقول ان محمد جميل بيهم كان معلما من معالم هذا العصر في هذا الوطن ، وكان له من الجرأة ما جعله يجهر بأشياء لا يجهر بمثلها ، في العادة ، كثيرون ٠ ولا ريب في ان نشر آرائه سيؤدي الى معرفة كثير من الحقائق والى المساعدة على كثير من وجوه الاصلاح ٠

الميثاق　　　　　　　　عمر فروخ

الانسان الكامل في نظر محمد اقبال

ملخص محاضرة للعلامة ابو الحسن الندوي

بحث عن انسان :

قال مولانا جلال الدين الرومي في بعض مقطوعاته « رأيت البارحة شيخا يدور حول المدينة وقد حمل مشعلا كأنه يبحث عن شيء قلت له : يا سيدي تبحث عن ماذا ؟ قال : قد مللت معاشرة السباع والدواب وضقت بها ذرعا ، وخرجت أبحث عن انسان في هذا العالم ، لقد ضاق صدري من هؤلاء الكسالى والاقزام الذين أجدهم حولي ، فخرجت أبحث عن عملاق من الرجال وبطل من الابطال يملأ عيني برجولته وشخصيته ويروح نفسي ، قلت له : لقد غرتك نفسك يا هذا فخرجت تقتنص العنقاء ، بالله لا تتعب نفسك وارجع أدراجك فقد أجهدت نفسي وأنضيت ركابي ونقبت في البلاد فلم أر لهذا الكائن عينا ولا أثرا ، قال الشيخ اليك عني أيها الرجل فأحب شيء الى نفسي أعزه وجودا وأبعده منالا ...

بهذه المقطوعة الشعرية افتتح الدكتور محمد اقبال كتابه الخالد « رسالة الشرق » ردا على تحية الشاعر الالماني « جيته » التي أرسلها باسم الغرب الى الشرق ، ولا أظن أن محمد اقبال اختار هذه المقطوعة وحلى بها صدر كتابه الا لأنها تصور نفسيته وتعبر عن شعوره ، فقد كان بحكم دراسته الفلسفية من كبار الرواد ؛ الباحثين عن « الانسان الكامل » فهل وجد محمد اقبال ضالته يا ترى وظفر بمطلوبه أم قطع منه الرجاء ؟

واذا كان الجواب : نعم ، لقد وجد محمد اقبال ضالته من الناس وظفر ،

يوطوه من الرجال انه فتح أعظم من فتح « كلمبس » واكتشاف أجل خطرا وأعظم قدرا من اكتشاف العالم الجديد لانه اكتشاف الانسان المفقود وعثور على الانسانية الضائعة ولا خير في العالم ـ قديمه وجديده ـ اذا فقد الانسان وضاعت الانسانية ، وحاجة العالم الى انسان أشد اليوم من حاجته الى القارات الجديدة والبحار المجهولة .

المسلم هو الانسان الكامل :

ان محمد اقبال يحدثنا في شعره بأنه وجد هذا الانسان المنشود وعرفه واتصل به وتراه قد هام به هياما وتغنى في شعره بانسانيته وشخصيته ، فأين وجد محمد اقبال ، وكيف السبيل الى هذا الانسان الرفيع ؟

ان الانسان الكامل الذي وجده محمد اقبال فوجد فيه ما كان ينشده من معاني لانسانية والقوة والحياة والجمال والكمال هو (المسلم) لا أقل ولا أكثر .

ان هذا الجواب مفاجأة حقا للذين يحملون للمسلم صورة قاتمة هزيلة لا تتفق أبدا مع هذا التصوير الرائع الذي قدمه الشاعر للانسان الكامل ، ولكن محمد اقبال بالعكس من ذلك يرى في المسلم « الضالة المنشودة » والصورة الكاملة للانسانية .

المسلم المثالي :

ولكنه يعني ذلك المسلم المثالي الذي يمتاز بين أهل الشك والظن بايمانه ويقينه ، وبين أهل الجبن والخوف بشجاعته وقوته الروحية ، وبين عباد الرجال والاموال والاصنام والملوك بتوحيده الخالص ، وبين عباد الاوطان والالوان والشعوب بآفاقيته وانسانيته ؛ وبين عباد الشهوات والاهواء والمنافع بتجرده من الشهوات وتمرده على موازين المجتمع الزائفة وقيم الاشياء الحقيرة ، وبين أهل الاثرة والانانية : بزهده وايثاره وكبر نفسه ،

ويعيش برسالته ولرسالته ، ذلك المسلم الحق الذي مهما اختلفت الاوضاع وتطورت الحياة •• لا يزال الحقيقة الثابتة التي لا تتغير ولا تتحول وأما ما عداه فزبد يذهب جفاء ، ذلك المسلم هو كالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، أما ما عداه فشجرة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ، يقول في بيت « انك أيها المسلم حق في العالم وحدك وما عداك سراب خادع ودرهم زائف ، ويقول في بيت آخر : « ان ايمان المسلم هو نقطة دائرة الحق وكل ما عداه في هذا العالم المادي وهم وطلسم ومجاز » •

المسلم لـه وجودان :

ان المسلم له وجودان ، الوجود الانساني ، والوجود الايماني ، أما الوجود الانساني فهو الوجود الذي يشاركه فيه كل انسان يولد ، كعامة الناس وينشأ ويكبر كعامة الناس ويجوع ويظمأ ويشعر بالبرد والحر ويأكل ويشرب ويصح ويمرض •• ويموت ويحيا ويفقر ويغنى ويزرع ويتجر ويعول العيال ويربي الاطفال ويقتني الاموال ويحكم البلاد والرجال ، فهو في هذا الوجود خاضع للسنن الطبيعية تجري عليه كما تجري على غيره وتنفذ فيه كما تنفذ في أي انسان آخر ، وتقسو عليه كما تقسو على غيره ولا تتسامح معه لأنه يحمل اسما خاصا وينتمي الى جنس خاص ويلبس لباسا خاصا ، وهو ذرة حقيرة في صحراء الوجود المترامية وموجة عادية تأتي وتذهب في بحر الكون الزاخر من غير أن يشعر بها أحد ، فاذا اقتصر المسلم على هذا الوجود البشري العام وعاش كانسان لا أقل ولا أكثر كان كائنا ضعيفا فانيا ليست له قيمة كبيرة في نظر صيرفي الوجود واذا مات في وقته ما بكت عليه السماء والارض وما خسر فيه العالم شيئا كبيرا •

أما الوجود الايماني فهو أنه يحمل رسالة خاصة رسالة الانبياء والمرسلين ويؤمن بمبادىء خاصة ويعتقد اعتقادا خاصا ويعيش لغاية خاصة ، فهو من هذه الناحية سر من أسرار الحق ودعامة من دعائم العالم وحاجة من حاجات البشرية يستحق أن يعيش ويستحق ان ينتصر ويستحق أن يزدهر ،

بل يجب أن يعيش ويجب أن ينتصر ويجب أن يزدهر ، ويدوم مع البشرية ومع هذا الكون ، فحاجة البشرية وحاجة الكون اليه ليست أقل من حاجتها الى الماء والهواء والنور والحرارة ، فاذا كانت أشكال الحياة مرتبطة بالماء والهواء والنور والحرارة كانت معاني الحياة وحقائقها مرتبطة بالغايات والارواح والايمان والاخلاق التي تتكفل رسالات الانبياء بشرحها وبيانها ويتكفل المسلم باعلانها والقيام بها والجهاد في سبيلها والا لضاعت هذه الغايات والرسالات وأصبحت سرا مكتوما، اذن فمركزه في العالم وبقاؤه كبقاء الشمس والكواكب النيرة تنقرض الاجيال والامم وتحول الانهار مجراها وتخرب عمائر وتعمر خرائب وتقوم حكومات وتتقلص حكومات وتأتي مدنيات ، وتذهب مدنيات ، وهو قائم لا يزول ولا يحول .

المسلم حي خالد

يعتقد محمد اقبال أن المسلم حي خالد لأنه يحمل رسالة خالدة ويحتضن أمانة خالدة ويعيش لغاية خالدة ، يقول في بيت « لا يمكن أن ينقرض المسلم من العالم لأن وجوده رمز لرسالات الانبياء وان أذانه اعلان للحقيقة التي جاء بها ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم » ويقول في بيت آخر « المسلم رسالة الله الاخيرة فلا يعتريه النسخ والتبديل » ولا يعني محمد اقبال أن كل فرد من أفراد الامة الاسلامية حي خالد يفلت من الموت ويتمرد على القانون الطبيعي ، كيف وقد قال الله تعالى « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » وقال « أفان مت فهم الخالدون » ولكن محمد اقبال يرى أن المسلم موج من أمواج بحر الاسلام الخضم يأتي موج ويذهب موج وتترامى هذه الامواج في أحضان البحر وتتلاشى في وجوده والبحر لا يتغير فالبحر امتداد دائم وتسلسل قائم ـ لاجزاء متغيرة ، كبحر الحياة وبحر الوجود ، تتبدل أمواجه ـ وهي أفراد البشر ـ ولا يتبدل كيانه .

خالــق العالم للمسلم :

ويتقدم محمد اقبال خطوة أخرى فيعتقد أن المسلم هو غاية هذا الكون خلق العالم له وخلق هو لله ؛ لقد كان العلمـاء يتباحثون في صحـة حديث « لولاك لما خلقت الافلاك » ولكن محمد اقبال لا تهمه صحة هـذا الحديث لفظا ورواية ، انه يفهم من القرآن ومن دراسة الاسلام وطبيعة المسلم ورسالته السامية ويفهم من دراسة التاريخ الانساني الواسعة العميقة والاطلاع الواسع على أوضاع وطبائع الاشياء ، أن المسلم الذي هو جارحة لرسول اللـه صلى الله عليه وسلم وخادمه هو مصداق معنى الحديث فضلا عن الرسول عليـه الصلاة والسلام ، فهو خليفة الله في أرضه خلق لأجله العالم وعلمـه الاسماء وحكمه في الارض وأورثه خيراتها وخزائنها وألقى اليه بمقاليدها فيجب عليه أن يعتقد ويقتنع بأن العالم خلق له ويجاهد ويجتهد لتطبيق هـذه العقيـدة وتحقيق هذه الفكرة ، يقول في بيت « ان العالم تراث للمؤمن المجاهـد ، لا يشاركه فيه أحد ، ولا أعد مؤمنا كاملا من لا يعتقد أن العالم خلق له » .

مقام المسلم مقام الامامة والتوجيه :

ويعتقد محمد اقبال أن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ويساير الركب البشري حيث اتجه وسار ، بل خلق ليوجه العالم والمجتمـع والمدينة ويفرض على البشرية اتجاهه ويملي عليها ارادته لأنه صاحب الرسالة وصاحب العلـم اليقين ولأنه المسئول عن هذا العالم وسيره واتجاهاته ؛ فليس مقامه مقـام التقليد والاتباع ؛ ان مقامه مقام الامامة والقيـادة ومقام الارشاد والتوجيه ومقام الامر والنهي ، واذا تنكر له الزمان وعصاه المجتمع وانحرف عن الجادة لم يكن له أن يستسلم ويخضع ويضع أوزاره ويسالم الدهر ؛ بل عليـه أن يثور عليه وينازله ويظل في صراع وعراك حتى يقضي الله في أمره ، يقول في بيت « يقول من لا خلاق له « در مع الدهر حيث دار » واذا لم يسالمك الزمان فسالمه ، وأنا أقول اذا لم يسالمك الزمان فصارعه وحاربه حتى يفيء الـى أمر الله » . ويرى أن المؤمن غير مأذون بمجاراة الاوضاع بل هو مكلف بمصادمة

الاوضاع الفاسدة يرد الامر الى نصابه ، ويقيم العوج ويصلح الفاسد ، وان كلفه ذلك عملية الهدم والنقض والعملية الجراحية فان كل ذلك في سبيل البناء والعمارة والاصلاح ، يقول في بيت « على المسلم أن يربي في نفسه الروح وينشيء في هيكله الحياة ثم يحارب هذا العالم الفاسد بحرارة ايمانه ووهج حياته وينشيء عالما جديدا » « ويقول متمثلا سألني ربي هل ناسبك هذا العصر وانسجم مع عقدتك ورسالتك ؟ قلت لا يا ربي ، فقال فحطمه ولا تبال » •

ويرى محمد اقبال أن الخضوع والاستكانة للاحوال القاسرة والاوضاع القاهرة والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والاقزام ، يقول في بيت « المسلم الضعيف يعتذر دائما بالقضاء والقدر، أما المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يرد ويقول « اذا أحسن المؤمن تربية شخصيته وعرف قيمة نفسه لم يقع في العالم الا ما يرضاه ويحبه » •

المسلم رائد الانقلاب ورسول الحياة :

ويرى محمد اقبال أن المسلم هو مصدر الانقلاب الصالح في التاريخ ومطلع فجر السعادة في العالم ، وأنه لم يزل ولا يزال رائد الانقلاب ورسول الحياة ومؤذن الفجر في الليل البهيج ، وأن أذانه لا يزال صيحة تدوي في هدوء الليل وسكون الموت فيعيد الى هذا العالم النائم الناعس المتعب حياته ونشاطه ويؤذن بطلوع الصبح الصادق وانصرام الليل الغاسق ، وعلى هذا الاذان الصارخ والنداء العالي الذي ارتفع من جبل أبي قبيس قبل ثلاثة عشر قرنا استيقظ هذا الكون بعد السبات العميق الذي غط فيه خمسة قرون وأكثر وكان نفخة صور للانسانية الميتة والعالم المحتضر وهو الكفيل الآن بايقاظ الانسانية واحياء الضمير البشري ، يقول في بيت « ان المؤمن اذا نادى الافاق بأذانه أشرق العالم واستيقظ الكون » ويقول في قصيدة « لست أعلم بالتأكيد مصدر هذا الصبح الذي يطلع على هذا العالم كل يوم ولست

أعلم سره ، ولكنني أعلم أن السحر الذي يهتز له هذا العالم المظلم ، ويولي به أيل الانسانية الحالك انما ينشأ بأذان المؤمن الصادق » .

قوة المؤمن مستمدة من رسالته :

ويعتقد محمد اقبال بحق أن قوة المؤمن الخارقة للعـــادة ، المحيرة للعقول ، المعجزة للبشر ، مستمدة من رسالته وايمانه وباندماجه واضمحلاله في ارادة الله ، هنالك يتحول جارحة للقدرة الالهية وقوة قاهـــرة لا تصدها الجبال ولا تقف في سبيلها البحار ، يقول في قصيدة أنشأها في قرطبة « ان يد المؤمن جارحة القدرة الالهية ، فهي غلابة حلالة للعقد والمشاكل فتاحة للأبواب المقفلة ، لبقة صناع حاذقة ، ان المؤمن : جسمه من تراب وفطرته مـــن نور ، عبد متخلق بأخلاق مولاه ، قلبه غني عن العالمين » ويقول على لسان القائـــد الاسلامي الكبير طارق بن زياد فاتح الاندلس وهـــو يدعو لأصحابه العرب بالنصر ويناجي ربه « ان هؤلاء الغزاة المجاهدين عبيدك الغامضون الذين لا يعرفهم غيرك وقد أصبحوا اليوم يطمحون الـــى فتح العالـــم واخضاعه ، اذا ركلوا برجلهم الصحراء انشقت ، واذا ركلوا برجلهم البحر انفلق ، انكمشت الجبال وتقبضت بمهابتهم ، انهم عرفوك وأحبوك فزهدوا في العالم واستغنوا عن الدنيا ، لا يطلبون الا الشهادة في سبيلك ولا يهدفون بجهادهم الى الفتح والغنائم ، لقد أفردت رعاة الابل بنعمتك وميزتهم بين أقرانهم في الخبر والنظر وأذان السحر ، لم يزل العالم يعوزه لوعة القلب والتوجع للانسانية المظلومة وفي قلوب هؤلاء الجريحة وفي أكبادهم المتقدمة وجد العالم مأربه » « بـــل ان الشاعر يتقدم خطوة ويقول « ما ظنك بقوة ساعد المؤمن وهو بنظرته يقلب الاوضاع وبدعوته يرد القضاء ، والمطلع على التاريخ ما قاله محمد اقبال فقد هزأ المسلمون المؤمنون في عصرهم الاول من الجبال والبحار وشقوا طريقهم غير محفلين بما تعترضهم من أشواك وعقبات ، وقصص سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني وعقبة بن عامر ومحمد بن قاسم الثقفي وموسى بن نصير وطارق بن زياد شاهدة على صدق مـــا قاله محمـــد اقبـــال .

المسلم لا ينحصر في الاوطان والشعوب :

ويرى محمد اقبال أن المسلم حقيقة عالمية لا تنحصر بين حدود الجنسية والوطنية الضيقة ، بل تتخطى حدود المكان والزمان وتفيض كالطبيعة البشرية وكالانسانية العامة في مساحة زمانية شاسعة كمساحة التاريخ الاسلامي وفي مساحة مكانية واسعة كمساحة العالم الاسلامي ، يقول في قصيدة قرطبة « ان المسلم لا تعرف أرضه الحدود ولا يعرف أفقه الثغور ، ليست دجلة والنيل ودانوب الا أمواجا صغيرة في بحره المتلاطم ، عصوره عجيبة وأخباره غريبة ، نسخ العهد العتيق وغير مجرى التاريخ ، هو في كل عصر ساقي أهل الذوق وفي كل مكان فارس ميدان الشوق ، شرابه رحيق دائما وسيفه ماض في كل معركة ويعتقد محمد اقبال أن العالم كله وطن للمسلم ، يقول في بيت « المسلم الرباني ليس بشرقي ولا غربي ليست وطني دهلي ولا أصفهان ولا سمرقند ، انما وطني العالم كله ، ويعتقد محمد اقبال أن المسلم يعتبر كل ملك الله وطنا له يقول « لما نزل طارق بالجزيرة الخضراء أمر بالسفن فأحرقت ، فجاءه رجال من الجيش ولاموه على فعله وقالوا له : لقد قطعت بنا الحبال فكيف نرجع الى بلادنا ؟ فوضع طارق يده على السيف وقال أنا لا أفكر في الرجوع وسنبقى هنا ونتخذه وطنا ، فان كل ما كان لله من أرض وبلاد وطن لنا ، لا فرق في ذلك بين العجم والعرب والشرق والغرب » .

المسلم متخلق باخلاق الله :

ويعتقد محمد اقبال أن المسلم يجمع بين المتناقضات من الاخلاق والصفات وما هي بمتناقضات ولكنها ظلال صفات الله ومظاهر أخلاق الله ، فهو في تسامحه ورحابة صدره وكثرة صفحه قد تخلق بخلق « الغفار » ، وفي شدته في الدين وغضبه للحق وثورته على الباطل قد تخلق بخلق « القهار » وهو في نزاهته وعفته وطهارة ضميره قد تخلق بخلق « القدوس » وفي صلابته اذا تصلب وشدة شكيمته اذا أبى وشدة بطشه اذا حارب تخلق بخلق « الجبار » ولا يكون المسلم المثل الكامل لدينه وصورة صادقة للاسلام حتى يجمع بين هذه الاخلاق المتنوعة فيجمع بين الشدة واللين ، والغضب –

والرحمة والصلابة والمروءة والعفة والنزاهة ويكون في ذلك آية من آيات الله ومعجزة من معجزات الرسول ، ثم يقول الشاعر ان المؤمن هو الميزان العادل والقسطاس المستقيم به يعلم رضا الله وسخطه وبه يعرف الحسن من القبيح ، فما راق في نظره فهو حسن وما استقبحه فهو قبيح وما ثقل في ميزانه فهو ثقيل وما خف فهو طائش ، وفي عزائمه تتجلى ارادات الله وهو القرآن الناطق ، وهو الدين يسعى على قدميه ، ثم ان حياته متوافقة متشابهة كالطبيعة فالصبح يطلع كل يوم والليل يتبع النهار لا تخلف فيه ولا تناقض وهو صاحب معان كثيرة ونغمة واحدة فهو كسورة الرحمن في القرآن تتجدد معانيه وتتكرر فيه آية « فبأي آلاء ربكما تكذبان » وقد صدق الشاعر فالمسلم لم يزل يتحف كل عصر بعلومه وتوجيهاته وينير ظلمات كل عصر بنوره وضيائه ويضرب على وتر واحد ويكرر رسالة الانبياء ويقول لكل جيل « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » فهو كالصبح جديد وقديم فهو في جدته ليس شيء أجد منه وهو في قدمه ليس شيء أقدم منه ، هو قديم لكنه يتجدد به العالم وتتجدد فيه الكائنات وتنتعش به القوى وتستيقظ به الاجسام والقلوب والعقول ، ثم انه جديد بنفسه تتجدد قواه ويتجدد نشاطه وتتفتح قريحته مع العصور علمه سيار وعقله مبتكر ونفسه طموح وهمته وثابة وهو كالمطر كل قطرة غير الاولى ولكنها قطرات مطر وكلها تحيي الارض وكلها تسقي المزارع والاشجار وكلها تفتح الازهار وكلها تكون الانهار وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أمتي كالمطر لا يدرى أأوله خير أم آخره » .

المسلم كالشمس لا تغرب مطلقا :

ويقول محمد اقبال ان المسلم كالشمس اذا غربت في جهة طلعت في جهة أخرى فلا تزال طالعة ، وقد صدق فان الاسلام لم ينكب في ناحية من نواحي العالم ولم يخسر الا وفتح فتحا جديدا في ناحية أخرى ولم يخسر في جانب دولة الا وقامت له في جانب آخر ، لم تسقط له راية الا وخفقت له راية أخرى ولم يغب له نجم الا وطلع له نجم آخر لقد كانت خسارة الاندلس الاسلامية كارثة كبيرة ومصابا عظيما ولكن عوض الاسلام بها بدولة فتية من أعظم دول

العالم هي دولة آل عثمان في تركيا قامت في نفس القارة الاوربية وجثمت على صدر الدول والامم المسيحية التي انتزعت الاندلس الاسلامية وأجلت المسلمين من وطنهم العربي الاسلامي ، وكان سقوط غرناطة وأوج الدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني حادثين في عصر واحد ؛ ونكب العالم الاسلامي ونكبت بغداد بغاوة التتار وانطمست معالم الحضارة الاسلامية وزلزل المسلمون شديدا ولكن في نفس هذه الفترة كانت الدولة المسلمة في الهند تتسع وتزدهر ؛ وأصيب العالم الاسلامي بهزات عنيفة وقواصم مؤلمة في فجر هذا القرن المسيحي على أيدي الاوربيين ، فقد اقتسمت الدول الاوربية تراث الدولة العثمانية كمال سائب واغتصب ممتلكاتها في افريقية وتقاسم الحلفاء سورية وفلسطين والعراق، ولكن تبع هذا كله اليقظة الاسلامية الهائلة والوعي السياسي القوي والطموح الى الاستقلال والحرية والحركات الاسلامية المختلفة التي كان يجيش بها العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه ونكب المسلمون في العهد الاخير نكبات عظيمة في الشرق الاقصى والاوسط ، وخسرت الدول العربية فلسطين العربية الاسلامية ولكن في نفس هذه الفترة قامت للمسلمين دولتان فتيتان في الشرق احداهما دولة باكستان والاخرى أندونوسيا ، وهكذا لم يزل التاريخ الاسلامي متأرجحا بين الاسفل والاعلى فما تسفل منه جانب الا وترفع جانب آخر كالارجوحة تماما ، ولم تتوار شمسه في أفق الا وبزغت في أفق آخر . وذلك لأن الاسلام رسالة الله الاخيرة التي لا رسالة بعدها والمسلمون هم الامة الاخيرة التي لا أمة بعدهم؛ فاذا ضاعوا فقد ضاعت الرسالة ــ واذا هلكوا فقد غرقت السفينة التي تحمل الذخيرة .

المسلم هو المنافس الوحيد والخطر الدائم على الباطل :

لذلك لم يزل الباطل يعتبر المسلم المنافس الوحيد والمصارع الشديد لنظامه ووكلائه يحسبون له كل حساب ويتربصون به الدوائر ولا يعدلون به خطرا من الاخطار ولا يهدأ لهم خاطر ولا يقر لهم قرار ، وهم ينادون بلسان الحال ، « لا نجونا ان نجا الاسلام ولا عشنا ان عاش المسلمون وقد

وصف محمد اقبال في قصيدته البديعة «برلمان ابليس» في ديوانه الاخير أرمغان حجاز يعني « هدية الحجاز » وذكر خطورة الاسلام في ابليس وجنوده وأنا أنقل هنا ترجمته من كتابي « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » •

« ان الشياطين وزملاء ابليس وأعوانه ـ اجتمعوا في مجلس شورى وتباحثوا في سير العالم وأخطار الغد وفتنه وما يتوجسون من خيفة على نظامهم الابليسي ومهمتهم الشيطانية ، فتذاكروا في فتن وأخطار قد أحدقت بهم وهددت نظامهم وحللوا خطبها وتناذروا شرها فذكر أحدهم الجمهورية وحسب لها حسابا كبيرا فقال الثاني : لا يهولنك أمرها فانها ليست الا غطاء للملوكية ونحن الذين كسونا الملوكية اللباس الجمهوري اذ رأينا الانسان بدأ يتنبه ويفيق ويشعر بكرامته وخفنا ثورة على نظامنا قد لا تحمد عاقبتها فألهيناه بلعبة الجمهورية وليس الشأن في الامير والملك ، ان الملوكية لا تنحصر في وجود شخص ترتكز فيها الملوكية وفرد يستبد بالسلطان ، انما الملوكية أن يعيش الانسان عيالا على غيره مستشرفا الى متاع غيره سواء في ذلك الشعب والفرد ، أما رأيت نظام الغرب ـ الجمهوري وجهه مشرق وضاح وباطنه أظلم من باطن جنكيزخان •

فقال الآخر : لا بأس اذا بقيت روح الملوكية ، ولكن ماذا يقول النائب المحترم في هذه الفتنة الدهماء التي أثارها هذا اليهودي الذي يدعى « كارل ماركس » ذلك الباقعة الذي ليس نبيا ولكنه يحمل عند أتباعه كتابا مقدسا هل عندك نبأ أنه أقام العالم وأقعده وأثار العبيد على السادة ، حتى تزعزعت مباني الاوارة والسيادة ؟

فقال الآخر مخاطبا رئيس المجلس : يا صاحب الفخامة ان سحرة أوروبا وان كانوا مريديك المخلصين ولكني لم أعد أثق بفراستهم ، ها هو السامري اليهودي الذي هو نسخة من « مزدك » (الزعيم الفارسي الاشتراكي) قد كاد يأتي على العالم بقواعده فاستنسر البغاث وأصبح الصعاليك يزاحمون الملوك بالمناكب ويدفعونهم بالراح (أعلام أرض جعلت بطائحا) انا قد استهنا

بخطب هذه الحركة الاشتراكية وها هي قد استفحلت وتفاقم شرها وها هي الارض ترجف بهول فتنة الغد ، يا سيدي ان العالم الذي كنت تحكمه سينقض عليك وينقلب نظام العالم ظهرا لبطن .

فتكلم رئيس المجلس « ابليس » وقال : اني أملك زمام العالم وأتصرف به كيف أشاء وسيرى العالم عجبا اذا حرشت بين الامم فتهارشت تهارش الكلاب وافترس بعضها بعضا فعل الذئاب واذا همست في آذان القادة السياسيين وأساقفة الكنائس الروحانيين فقدوا رشدهم وجن جنونهم .

أما ما ذكرتم عن الاشتراكية فكونوا على ثقة أن الخرق الذي أحدثته الفطرة بين الانسان والانسان لا يرفأه المنطق المزدكي (يعني الفلسفة الاشتراكية) لا يخوفني هؤلاء الاشتراكيون الطرداء والصعاليك السفهاء .

ان كنت خائفا فاني أخاف أمة لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنة في رمادها ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وتسيل دموعهم على خدودهم سحرا ، لا يخفى على الخبير المتفرس أن الاسلام هو فتنة الغد وداهية المستقبل ليست الاشتراكية .

أنا لا أجهل أن هذه الامة قد اتخذت القرآن مهجورا وأنها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وادخاره كغيرها من الامم ، أنا خبير بأن ليل الشرق داج مكفهر وأن ـ علماء الاسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التي تشرق لها الظلمات ويضيء لها العالم ، ولكنني أخاف أن قوارع هذا العصر وهزاته ستقض مضجعها وتوقظ هذه الامة وتوجهها الى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، اني أحذركم وأنذركم من دين محمد صلى الله عليه وسلم ، حامي الذمار حارس الذمم والاعراض ، دين الكرامة والشرف دين الامانة والعفاف دين المروءة والبطولة ، دين الكفاح والجهاد ، يلغي كل نوع من أنواع الرق ويمحو كل أثر من آثار استعباد الانسان ، لا يفرق بين مالك ومملوك ولا يؤثر سلطانا على صعلوك ، يزكي المال من كل دنس ورجس ويجعله نقيا صافيا ، ويجعل أصحاب الثروة والملاك مستخلفين في أموالهم ،

أمناء لله وكلاء على الاموال ، وأي ثورة أعظم وأي انقلاب أشد خطرا ممـا أحدثه هذا الدين في عالم الفكر والعمل يوم صرخ أن الارض لله لا للملوك والسلاطين .

فابذلوا جهدكم أن يظل هذا الدين متواريا عن أعين الناس ولينهكم أن المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه قليل الايمان بدينه فخير لنـا أن يظـل مشتغلا بمسائل علم الكلام والالهيات وتأويل كتاب الله والآيات اضربوا على آذان المسلم فانـه يستطيع أن يكسر طلاسم العالم ويبطـل سحرنا بأذانـه وتكبيره ، واجتهدوا أن يطول ليله ويبطيء سحره اشغلوه يا اخواني عن الجد والعمل حتى يخسر الرهان في العالم ، خير لنـا أن يبقى المسلم عبـدا لغيره ويهجر هذا العالم ويعتزله ويتنازل عنه لغيره ، زهدا فيه واستخفافا لخطـره ، يا ويلتنا ويا شقوتنا لو انتبهت هذه الامة التي يعـزم عليها دينهـا أن تراقب العالم وتمسه » .

مؤامرة انصار الباطل ضد المسلم :

وفعلا نجح شياطين الانس والجن في مهمتهم وكانت مؤامرة مبيتـة ضد الاسلام وخطة منظمة ضد أجياله القادمة فأكبر ما اهتموا به هو اطفاء الجمرة الايمانية التي لا تزال كامنة في الرمـاد وتجريد المسلمين في بـلاد العرب والعجم من الحمية الدينية والعاطفية الاسلامية التي تحمل أصحابها على التضحية والجهاد وتحمل الشدائد والمكاره في سبيل الله والثورة عـلى الباطل وقد أوصى بذلك ابليس أشياعه وجنده ، يقـول محمد اقبال فـي قصيدة عنوانها « وصية ابليس الى تلاميذه السياسيين » « ان هذا المجاهد الذي يصبر على الجوع ولا يحسب للموت حسابا ، أخرجوا روح محمد صلى الله عليه وسلم من جسمه ، فيصبح قليل الصبر ، جزوعا من الفقـر شديد الخوف من الموت ، وأشغلوا العرب بالافكار الغربية وانتزعوا مـن أهل الحرم تراثهم الديني تتمكنون بذلك من اجلاء الاسلام مـن الحجاز واليمن ، ان في الافغان غيرة دينية وعلاجها أن تنفـوا العالم الدينـي مـن جبالها وسهولها .

وكان من أقرب الطرق للوصول الى هذا الهدف هو التعليم الذي يجرد الشباب ـ المسلم من الروح الديني والعواطف الاسلامية والعقلية الاسلامية وينشيء فيه طبيعة النفعية والابيقورية وطبيعة التهام الحياة وانتهاب المسرات وتقديس المادة ورجالها وعدم الاستقامة الخلقية والتماسك وضعف الثقة بالنفس والشك في الدين ، لذلك يرى شاعر هندي آخر اسمه أكبر الاله آبادي أن فرعون مصر أخطأ الرمية وجانبه التوفيق في تحقيق فكرة القضاء على بني اسرائيل فقد التجأ في قتلهم وابادتهم الى طرق سافرة ألصقت به العار وأثارت عليه اللعنات ، فكان يقتل أبناءهم ويستحي نساءهم ، ليأمن ثورة بني اسرائيل وغائلتهم في المستقبل ولو انه رزق شيئا من الابتكار وبعد النظر ودقة التفكير لاكتفى بتأسيس كلية لبني اسرائيل ينشيء الجيل الاسرائيلي الجديد كما يشاء ويسبك العقول والطبائع سبكا جديدا لا يدع امكانا لنشوء شاب مثقف يشعر الشعور الديني ويحمل العاطفة الدينية والغيرة القومية ويهتم بشيء آخر غير الوظائف والمناصب والمرتبات والدرجات ، لو أن فرعون وفق لهذا المشروع لتفادى من هذه المتاعب وسوء الاحدوثة ووصل الى غايته في سهولة ويسر وهدوء وسلام وزيادة على ذلك اشتهر في الناس بلقب « حامي العلم » و « مربي الجيل » وناشر الثقافة والتعليم في الشعب .

نجاح انصار الباطل في اضعاف الروح الديني :

ويرى محمد اقبال أن أنصار الباطل قد نجحوا نجاحا كبيرا في فكرتهم وجهودهم فضعف الشعور الديني في بلاد الاسلام وخمدت جذوة الايمان وفقدت البطولة الاسلامية وروح الجهاد وفشت النفعية وجمحت المادية ، يقول الشاعر وقد ساح في كثير من البلاد الاسلامية والعربية « لقد تجولت في بلاد العرب والعجم فرأيت خلفاء أبي لهب كثيرين تفيض بهم البلاد ، والمتشبعين بروح محمد صلى الله عليه وسلم نادرا كالكبريت الاحمر والعنقاء والمغرب ، ويقول في قصيدة قالها في فلسطين « لا أرى في

بلاد العرب تلك اللوعة القلبية التي كان يمتاز بها العرب ولا في بلاد العجم ذلك السمو الفكري الذي كان يمتاز به العجم ، ولا تزال دجلة والفرات متعطشين الى بطل من أبطال الاسلام ولكني لا أرى في قافلة الحجاز أحدا يقوم مقام الحسين » .

يشعر محمد اقبال بهذا التدهور الذي وقع في حياة المسلمين ويتألم لذلك أشد الالم ويبكي دما وشعره يفيض بهذه الانات والدموع . يقول في أبيات « يا وارث التوحيد الاسلامي لقد فقدت الكلام الجذاب الساحر والعمل المسخر القاهر ، لقد كنت يوما من الايام اذا نظرت الى أحد ارتعد فرقا منك وطار قلبه شعاعا وقد أصبحت اليوم كسائر الناس لا تحمل روحا ولا تجذب نفوسا ، ويقول في موضع آخر « ان السجدة التي كانت تهتز لها روح الارض لقد طال عهد المحراب بها واشتاق اليها المسجد كما تشتاق الارض الجديبة الخاشعة الى المطر ، لم أسمع في مصر ولا في فلسطين ذلك الاذان الذي ارتعشت له الجبال بالامس ، ويقول في بيت « لقد فقد المسلم لوعة القلب وانطفأت نار الحياة فيه فأصبح ركاما من تراب » ، ويقول « لم أر في محيطك أيها المسلم لؤلؤة الحياة وقد بحثت عنها موجة موجة وتفقدتها صدفة صدفة » ، ويرى محمد اقبال ان مصدر هذا التدهور هو القلب الذي خوى من الايمان وشعلة الحياة يقول « لقد فقد المسلمون سورة الحب الصادق ونزفهم دم الحياة ، فأصبحوا هيكلا من عظام لا روح فيه ولا دم . الصفوف زائغة والقلوب مضطربة والسجدة لا لذة فيها . ذلك لان القلب خال من الحنان » .

اليقظة الاسلامية :

هذا ولكن محمد اقبال يعتقد أن الصدمات السياسية التي أصيب بها العالم الاسلامي أقضت مضجع المسلمين وأيقظتهم ودب فيهم دبيب الحياة ، يقول في قصيدته البليغة « طلوع الاسلام » اذا رأيت النجوم شاحبة منكدرة تخفق فاعلم أن الفجر قريب ، ها هي الشمس قد ذر قرنها

من الافق وولى الليل على أدباره ، ان عاصفة الغرب قد أعادت المسلم الى الاسلام فانما تتكون اللآلي في البحر المتلاطم الهائج ، لقد دب دبيب الحياة في الشرق وجرى الدم الفائر من عروقه الميتة وذلك سر لا يفهمه ابن سينا والفارابي . ان المسلم سيمنح من الله الابهة التركية والذكاء الهندي والنطق العربي ويقول في بيت « ان اقبال ليس يائسا من تربته الحقيرة فانها اذا سقيت أتت بحاصل كبير » .

المسلم هو باني العالم الجديد :

ويرى محمد اقبال أن الحضارة الغربية قد مثلت دورها وتثرت كنانتها وقد شاخت وهرمت وأينعت كالفاكهة وحان قطافها ، وأن العالم القديم الذي حوله مقامرو الغرب الى حانة الفساد والمقامرة منهار قريبا والانسانية تتمخض بعالم جديد ويعتقد محمد اقبال أن هذا العالم الجديد لا يحسن تصميمه الا من بنى للانسانية البيت الحرام وورث ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام في قيادة العالم وارشاده فيهيب محمد اقبال بهذا المسلم النائم وينشده بالله أن يقوم ويمسح النوم من عينيه فقد ظهر الفساد في البر والبحر وعاث الاوربيون في الارض وأفسدوا فيها بعد اصلاحها وخربوا العالم وملئوه ظلما وظلمات ، وشرورا وويلات وليست هذه الارض الا بيتا من بيوت الله جعلها مسجدا وطهورا وآن أن ترفع ويذكر فيها اسمه ولكن الاوربيين قد حولوها الى خمارة ، وبيت الفسق والدعارة ومكان النهب والغارة ، وقد آن لباني البيت الحرام وحامل رسالة الاسلام أن يقوم ويصلح ما أفسده الاوربيون ويعيد هذا البيت الى قواعد ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم ويبنى العالم من جديد ...

الهند ابو الحسن الندوي

الإيمان بكتب الله ورسله

محاضرة : للسيد موسى الصدر

من العقائد والاصول القرآنية ، الايمان بكتب الله وبرسله ، فالقرآن الكريم كثيرا ما يحاول أن يقف عند الانبياء السابقين ويؤكد أن الايمان بمحمد (ص) وحده لا يكفي ، فالمسلم يجب ان يؤمن أيضا بكل الانبياء السابقين « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » . في آيات أخرى أيضا النص وارد « لا نفرق بين أحد من رسله » وفي أخرى أيضا أن كل نبي يصدق بمن قبله ويبشر بمن بعده (الانبياء) ومحصل الامر ومحاولة خلق جبهة من الانبياء وجبهة من المؤمنين تبدأ من بداية الخلق وتصل الى الابد .

محاولة الترابط بين نضالنا اليوم وبين نضال الانسان في سابق الزمن ومحاولة الترابط بين دعوة الانبياء منذ سابق الزمن وحتى خاتم الرسل .

هذا الاسلوب يستعمله الاسلام في كل الشعوب حتى عندما نصل الى الامام الحسين (ع) وجهاده واستشهاده نقف في زيارته عند كلمات « السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله ، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله ... » وهكذا ابراهيم واسماعيل وموسى وعيسى ومحمد تعتبر الحسين وارث كل هذا الخط النير الذي بدأ من الاساس ، ونحن نعرف أن رسالة الله كانت من الاساس هذه المحاولة ضمن الانبياء أو ضمن الكتب أو ضمن الاوصياء قائمة بشطر واحد والمقصود من هذه المحاولة جعل الانسان ضمن خط مستمر حتى لا يشعر بالغربة حتى يشعر بالمواكبة

الكونية وحتى يتأكد من سلامة الخط الذي هو يسير فيه ، سببه الحقيقي أن الرسالات واحدة في الواقع ، الله واحد : الانسان واحد ، والعلاقات بين الانسان وبين الموجودات ؛ بين الانسان وبين نفسه ، بين الانسان وبين بني الانسان ؛ بينه وبين الخالق ، كلها في تنظيم الهي واحد سمي بالاسلام •

والتفاوت بالمراحل هو بسبب التدرج وارتفاع مستوى الوعي الانساني عبر التاريخ •

اذن ، جميع الانبياء رسل رب واحد ، الى انسان واحد ؛ في دعوة الى رسالة واحدة ، هي رسالة الله ؛ رسالة التسليم الى الله عقلا وقلبا وجسدا • بهذا المفهوم ننظر الى اسلامنا • المؤمنون يمثلون الجانب الانساني من الرسالة مقابل الجانب الالهي منها • وبينما يكمن الجانب الالهي في الدعوات الواحدة ، فان الجانب الانساني هو في التحركات الواحدة من الازل الى الابد وفي جميع أقطار الارض ، هذا المفهوم هو أحد الاسس المعتمدة في الاسلام ، ونتيجة هذا الامر وجب الانفتاح على الاديان الاخرى ، احترام الاديان الاخرى ، عدم التعقيد والتناقض والفصل النهائي مع الاديان الاخرى ، وهذا الامر مفيد وواضح في القرآن الكريم ومن نتائجه الاعتماد على المبادىء المكرسة سابقا ، فالقرآن الكريم في أكثر من مكان يذكر أحكاما وردت في كتب سماوية سابقة فيؤكدها « وكتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادنا الصالحون » في آيات أخرى وردت المجازاة كانت واردة في التوراة •

اذن هي سلسلة واحدة من الامة ؛ أمة الله ، أمة التسليم الى الله ؛ ولها جميع أنبياء الله ؛ خطهم خط واحد فما تقرر في الامة السابقة فقائم في هذه الامة الا اذا نسخ ، اي تحول ، بشكل أو بآخر •

وأحد الاصول الاساسية في الاسلام هو اذن الايمان بكتب الله ورسله : وحدة الدين ؛ تطوره ، صدق الانبياء ، تبشير الانبياء بعضهم

ببعض ، وقد بشر انبياؤنا السابقون ـ كما يصرح القرآن ـ بمحمد بن عبد الله (ص) في كتبهم والآن أيضا في ما تبقى من الانجيل والتوراة المتوفر بأيدينا نجد بشارات بمجيء الرسول محمد بن عبد الله (ص) . من جملة ما ورد في الانجيل كلمة (باراكليت) وما ترجم به روح القدس ، ولكن في النسخة الاصلية الكلمة هي « بيركيليت » ومعناها : أحمد . ويذكر الانجيل أوصافا تنطبق على رسول الله (ص) تماما يقول بأنه اذا كان لاحد بستان فأعطاه لاناس استأجروه وضمنوه ثم امتنعوا عن دفع الثمن ؛ فبعث مندوبا لاستلام الايجار فأهانوه ؛ بعث الثاني فضربوه ، أرسل ابنه فقتلوه ، ماذا يفعل معهم ؟ فيجيب المعترضون بأنه يجب أن يأخذ البستان منهم ويؤدبهم ويعطيه لغيرهم ، فيقول : رسالة الله سلمت لكم فكفرتم ، وخرجتم ، وعذبتم وقتلتم أنبياء الله فسوف يأخذ الله هذه الرسالة منكم ليعطيها لأمة أخرى ثم يشرح من هي الامة التي ستستلم رسالة الله وملكوته ، فيقول المسيح (ع) هل سمعتم المثل المعروف ان التجارة التي يطرحها البناؤون يتملها أناس آخرون أحجارا لزاوية أو أساس . وهكذا يفهمهم المسيح (ع) « بأن أمتكم ـ يا أمة اسرائيل ـ التي نزلت عليها رسالة الله لفترة طويلة من الزمن فكفرت سيأخذ ربنا ملكوت السماء ورسالة الانبياء منكم ويعطيها لامة ، محتقرة أهملها الناس ... » طبعا في هذه المنطقة كان العرب تنطبق عليهم هذه الصفة، وهكذا يبشر الانجيل باعطاء الرسالة للعرب وكذلك هناك ،أوصاف أخرى يجدها الباحث في كتب اهتمت بما ورد في الكتب المقدسة : الانجيل والتوراة ... من بشارات بمجيء رسول الاسلام (ص) .

والنبي هو الذي يحمل رسالة من الله ، لا ينطق عن الهوى ، لا يقول شيئا للناس من نفسه ومن مدركاته ؛ هو ينقل ما يوحى اليه ، وهناك بحوث منتهى الدقة حول الفرق بين الانبياء وبين القادة المصلحين الذين ظهروا للانسانية منذ كانت .

النبي عليه أن ينقل ما يوحى اليه بحرفيته دون أي تحريف أو انحراف

والا يتعرض للانتقام الالهي ، والقرآن الكريم ينقل هذا المبدأ في الآية : « ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ولقطعنا منه الوتين » •

النبي اذن يقول ما أوحي اليه من ربه ، بينما المصلح ينطق بما يدركه هو بنفسه •

محمد (ص) كان أميا وأوحي اليه بأمور لم يكن يعرفها هو أو قومه من قبل وهذا يستتبع نتائج هامة تبين انا بحاجة الى دين الله •

فالقوانين التي توضع ، والمعروف ان القانون يسن من قبل الحاكم ، هي من انتاج الانسان وبالتالي فهي تخضع للمصلحة ، وفي كثير من المجتمعات تخضع لمصلحة الاقلية ، عندنا في لبنان مثلا القوانين كالثياب تفصل من أجل أشخاص معينين « ليلبسوها » •

وسواء كان القانون من الاكثرية ضد الاقلية أو لمصلحة الاقلية ضد الاكثرية فلا يمكن الا أن ترتبط بالمصلحة وبالتالي تكون ناقصة لا تملك حق التعميم اذا ملكت حق الحياة المؤقتة • وأي قانون وضعي في العالم يتأثر بتاريخ أو بجغرافية ولا يمكن ان نعتبره مجردا عن الانتماءات والخلفيات والانطباعات والتأثرات الارضية •

عدا قانون السماء ، فهذا لا يخضع لمصلحة أو لتأثيرات أرضية ، وهذا هو السبب للدعوة ، لذلك فالانسان بحاجة الى قانون السماء ليكون حكما بين البشر بعضهم مع بعض والا كيف يمكن للانسان أن يتفق مع أخيه وكل ينظر من زاويته الخاصة •

أي صلة بين الانسان والانسان الآخر اذا لم تعتمد على أمر نسميه « القيم » لا يمكن أن تصلح كعلامة سليمة والا فكل الوحدات في العالم تتحول الى شركات تقرر مصيرها المصالح الخاصة التي لا يلجمها شيء • والامر هذا فالانسانية لا يمكن لها أن تستغني عن قوانين السماء أي « المطلقات » ، القيم في الاخلاق ، والمطلقات في القانون حتى يتمكن المجتمع

البشري أن يعيش حياة التعاون •

والقانون بالشكل السماوي بـدون التفاصيل لا يمكن أن يطبق ، اذن كانت هناك الحاجة الى الاجتهاد وبالتالي يصبح نوعا مـن التدخل الذاتي ، تدخل الذات بقانون السماء • ولكن الارضية سماوية ، أسـاس القانون ، عموده ، ركنه سماوي وهنا حاجة الانسان الى الانبياء بالاضافة الى المرحلـة الاساسية ، لو لم يأت قانـون السماء فالانسان ، خـلال آلاف السنوات ، سيحتاج الى أن يتخبط في الظلام يفتش عن التجارب حتى يصل الـى قانون مع ما سيكتنف هذا القانون من ضعف ونقص نظرا لارتباطه بظروف وأفراد معينين •••

اسدة بني اسد

* ذكر معبد بن خالد الجدلي قال : خطبت امرأة من بني أسد في زمن زياد ، وكانت النساء يجلسن لخطابهن • قال : فجئت لانظر اليها ، وكان بيني وبينها رواق ، فدعت بجفنة عظيمة من الثريد مكللا باللحم ، فأتت على آخره ، وألقت العظام نقية ، ثم دعت بشن عظيم مملوء لبنان ، فشربته حتى أكفأتـه على وجهها • وقالت : يا جارية ارفعي السجف ، فاذا هـي جالسة على جلـد أسد واذا امرأة شابة جميلة ، فقالت : يا عبد الله أنا أسدة مـن بني أسـد ، أجلس على جلد أسد ، وهذا طعامي وشرابي فعلام تـرى ؟ فـان أحببت أن تتقدم فتقدم ، وان أحببت ان تتأخر فتأخر • فقلت أستخير اللـه في أمـري وأنظر • ثم خرجت ولم أعد •

حضارة قدماء العرب في الإسلام

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

مهمات الرسل وموقفهم من الحضارات :

شخص واحد جاء بأزمنة مختلفة ، يحمل منهاجا واحدا ، روي أن سيدنا محمدا يقول : (الانبياء أبناء علات) أي أبوهم واحد وأمهاتهم متعددة ، والمقصود هنا مصدر وحيهم واحد ، وظروف أزمنتهم وأمكنتهم متعددة ، والذين جاؤوا به واحد ، وهو التوحيد السليم ، والينبوع الذي استقوا منه واحد ، وان أشرقت أنوار المصابيح في أزمنة متعددة .

اختارهم الله وأعدهم ، وعصمهم ، ليرسموا الخطوط المفضية للتحرر من التظالم .

جاؤوا بأدوية لم ولن يستغني عنها عصر من العصور .

أفلت شمسهم أشخاصا ولا تزال تشرق مبادىء ومصابيح ، وارشادا للسارين والرواد من اعلام الحكماء والمصلحين والمجددين .

العودة لمناهجهم تنير ديارا معطلة من الفكر ، وتولدها ولادة جديدة .

هم أشد الناس تعرضا للاذى والطرد والشائعات والمؤامرات ، وهم قدوة الناس في الصبر والعفو .

هم طبيب مخلص متقن ، مكلف بانتزاع مرض مزمن ، يفتك بشخص أحمق لا يرى في العالم أكمل من أبيه ، ولا يأنس الا بموروثاته ، ولا ينظر الا من نافذة بيئته .

طال عليه الامد فاستحكم داؤه ، وظن انحرافه عافية وورمه شحما ، فصفق لقادة دلعوا على الرسل لسانا حادا ، وأقام نفسه بوقا يخاطب الرسول قائلا : (وأنت ساحر ، مسحور ، مجنون ، فقير ، مفتر ، زاعم رسالة ، طالب زعامة ، لاهث وراء المال ، يتكلم بك ويساعدك على الخوارق شيطان ، يعلمك فلان ، أتباعك فقراء ، أنت شخص مثلنا ، لماذا لا يختار الله من ملائكته رسلا ؟ ما المرجع الذي جعلك رسولا دون سواك ؟

لن نصدقك ، لن نؤمن لك ولو جئت بعجائب ان كنت صادقا أنزل علينا عذابا يسحقنا •

هذه نغمة لازمة ، تتردد على ألسنة الملأ الذي تولى كبره ، وقاد جيش عرقلة مجرى الرسالات •

أما الرسل ، فقد التقوا بالجوهريات ، بل وفي طريقة العرض وأسلوب المعالجة مثلا : كلهم قالوا : نحن بشر ، ننصحكم مجانا لا نريد مالا ، كلهم وجدوا مكابرين وساخرين وحاسدين ومتحدين ••• وكلهم أعلن أن خيط القرابة ينقطع اذا انحرف القريب عن الصراط الذي جاء به الوحي •

وكلهم دعوا لكفكفة المستكبرين الذين أمرضهم البطر ، فأخذوا أموالهم وقصورهم سلما ليهشموا ما يتمتع به المستضعفون من بقايا الانفة •

أما مهمتهم الكبرى ، فهي الايمان بالله واليوم الآخر ، ومحبة الناس وقد ضموا لهذه الحلقات اصلاحا عاما، فمهمة صالح وهود مثلا نصائح بالعدل الاجتماعي ، حرصا على الحضارة التي بلغتها بلداهما ومهمة شعيب التحذير من تطفيف الكيل والميزان •

سطعت شمس الرسالات ، فمدت أشعتها حتى للكهوف والاودية ، لكن الذين فقدوا أسماعهم وأبصارهم ، تآمروا على طبيبهم ، وخسروا الفرصة الممنوحة لهم كاليهود مثلا •

مهمة الرسل خالدة ، امانحراف الناس فخطيئة ، كفرت البشرية عنها

وستكفر بدمها وأمنها •

ولكن حجبت هذه المهمة قوانين مستوردة اتخمت شعوبها بجوع شعوب ، فان البشرية ستأخذ ، أو المفروض بها ان تأخذ ، من تلك الخطيئة درسا ، يدفعها للعودة لقيم النبوات ومثل الرسالات ، قال الله تعالى : (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ، ان الله لقوي عزيز) •

فقد حدثنا القرآن عن المستكبرين والمستضعفين طويلا ، ورأى تبعة الكوارث متساقطة على رؤوس المستضعفين أولا، لأن تعاونهم درع يدرأ عنهم اهانة الاستعباد ، وقد أعرضوا عنه بارادتهم ومشيئتهم ، ورضوا الحياة عزلا •

للرسالات طريق سليم لو سلكه الناس لتوحدت عقائدهم ، ولو في الجوهر وقبلوا معذرة بعضهم بعضا ، في ما ليس بجوهر وهدموا الحواجز التي أقامها النظام الطبقي وفاز العقل الاجتماعي بالانتصار بعد هذا الكبت الطويل •

موقفهم من الحضارات :

بارك الرسل منافع الحضارة وخيرها ، ونهوا عن الغلو والتطرف خشية السير في طريق تفضي لهدمها • لم ينهوا عن البناء ، بل عن العبث به ، اي نهوا عن التباهي والغرور والتكاثر والتسابق الجنوني واتخاذ المال سبيلا للغطرسة في الاشر والبطر والاسترسال بالاهواء وحظوظ النفس الامارة وأعلنوا ان أنفاقه في غير محله يفضي للتحاسد والتناحر والانتفاضات، كفكف الرسل من التجاوز ، وأمروا بوضع النعمة في مكانها فقالوا بلسان الوحي : (اذكروا آلاء الله) • أي نعمة الله الكثيرة ، وعليكم بشكرها العملي ، اذ عدم الشكر نذير بزوالها • انكروا أوشاب الحضارة ، ووجهوا النقطة الفضيلة المتوسطة بين تطرفين ، قال الله تعالى بلسان حال صالح : (اتقوا الله الذي أمدكم بما تعلمون ••• أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون) • كان

صالحا يقول لقومه : ان نعمة الزراعة والنخيل والاموال والبنين والانعام والقصور التي أنشأتموها في السهول ونحتموها في الجبال ، لن تدفع الخطر الراصد ما زلتم تتجاهلون وضع تلك النعمة في مكانها .

واعلن صالح أن التجاوز لا سيما من القادة كفيل بازالة نعمة الامن والطمأنينة الجماعية .

ها هو يستفهم من قومه استفهاما انكاريا قائلا : (أتتركون في ما ها هنا آمنين ..) أي يستحيل أن تنالوا نعمة الامن اذ هو والتجاوز لا يجتمعان ، ذلك التمتع بالحدائق والانهار والزروع والبنيان ، يستحيل أن يدوم مع اطاعة أمر المسرفين (المتجاوزين الحدود الاجتماعية) الذين يفسدون في الارض : يحضون على تشجيرها ولا يبذلون جهدا في اصلاحها . أعني ان صالحا حض على الانتفاع من وجه الارض وطبقاتها ووعد العاملين بالاطمئنان واكمال النعمة فقال بلسان الوحي : (ويزدكم قوة الى قوتكم) .

لم يأخذ عليهم البناء واستخدام الطبيعة والمصانع ونحت الجبال بل أخذ المعالجة الداخلية المشفوعة بالقسوة (واذا بطشتم بطشتم جبارين) اذ هذه تستلزم الاحن والاحقاد والانشقاق وتغري شيطان الفتنة بالوثوب .

وأخذ الاسراف في المال أو الشهوات أو العداوات ، وأعلن ان هذه سوس يأتي على قائم الحضارة ، ويحيل خضراءها صحاري .

لقد حذر من وسائل التدمير وحذر من الزوال المتوقع الكامن بهذا النص : « فان تولوا فقل : بلغتكم ما أرسلت به ويستخلف ربي قوما غيركم » . لكن وضعوا أصابعهم في آذانهم وجنوا على الحضارة العالمية بمواراة تراثهم .

آجال المرضيين :

الفرد الذي انصرف للشهوات ، فأنفق طاقاته وخسر حصاناته ، وتبع

طريقا يفضي للاجل ، كتب بيده صك المرض والبؤس وخسر سبل النجاة ، وأشرف على الاختناق البطيء •

حياة الافراد قصيرة ، ولا يستطيعون ــ في النهاية ــ افتداء أنفسهم أما حياة الاجيال ، فتكتبها الاجيال نفسها ، لكن اما بقلم اليقظة والسهر على الحضارة وتدارك شبابها ، أو بقلم الغفلة على صفحات التفريط المفضي لمواراتها •

اذن للامم آجال تشترك بكتابتها ، وان تفاوت نصيب أفرادها من الاسطر وتقدمها للنواميس والسنن الخالدة وتنازع البقاء لتنفذها بسيف العدل المصلت على رقاب الكاتبين •

يكتبها أفراد الامة ــ مع التفاوت ــ ويسيرون شطر نهاية أجلها ، فيوردونها مورد التهلكة ، ويردونها من شاهق جبل المجد السحيق أودية الانحطاط !!!

حينذاك يقترب أجلها ، وتبرز الحقيقة العميقة الكامنة في هذا النص الكريم : (لكل أمة أجل ، اذا جاء أجلهم ، فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) الساعة هنا لا تعني القائل بل وقتا بعينه ، طال أم قصر ، فاذا أعرضت الامة ، لا سيما قادتها ، عن خدمتها باخلاص واتقان وقتل أنانيات ، أزفت ساعتها واقتربت نهايتها •

اذن للامة ساعة ، قائمة على حساب النواميس ومراقبة السنن ، تستعجلها أفعال أبنائها المنحرفة ، ويؤجلها استقامتهم !!! اذ هم قادرون على اطالة عمرها الحضاري ، وقادرون على الحاقها بالاخبار !!!

طبعا الامة كائن حي تصيبها الامراض كثمار للتفريط ، فان استغفرت وعادت الى رشدها ، فذاك والا جنى بعضها على بعض !!!

الامم التي فارقت خط الحضارة الاجتماعي فاتها ان لها آجالا تكتبها بيدها وان قوانين العدل الاجتماعي ، تمنح الامم مهلة للتفكير والاعتبار

والاستغفار • لكن يستحيل ان تهمل المنحرفين وتخشى الظالمين • فاتهـم أن الله لا يغدق النعم على الامم ليمكر بها أو يستدرجها ، بل ليمنحها السعادتين: فان شكرت أو جبرت الوهن بالاستغفار الاجتماعي ، نما أجلها ، والا طمع بها اليقظون واقتسمها الطامعون وماتت بسيف الجـــدل ودفنت بأحـداث الكسل ! وأذاقها الله لباس الجوع والخوف • وسمح لها بالاستمرار ، لكن على فتات فكر الامم وصناعاتهم •

فاتهم ان الامة التي تستعذب الجهل ، وتصفق للظلمة ، يحوم حولهـا غراب الاندثار وتكتب صك موتها بيدها ، وتقطف ثمار ما زرعت •

يستحيل ان يسلب الله قوما حضارتهم دون تعليل وانذار وفسحة أمل ، أو يحكم أفرادا أو أقواما دون أن يعرضهم للمحاكمة ويعطيهم فرصة التمييز •

ان سنن الله في خلقه، ترنا للحضارات أسباباندثار أو استمرار، فقد يبدأ الاستمرار بيد عاقل تؤيده قلة مبدعة واعية حية تسوق الناس لحيـاة كريمة كما يساق المريض الاحمق لساحة الطبيب • تمتد الحضارة بعدهم عشرات أو مئات الاعوام ، فاذا هزلت الاجيال أو قلت الهمم وأصبح الغافلون الملغومون ربابنة وانصرفوا الى ملاذهم واسرافهم قضوا على ما شاده أسلافهم وتدهوروا في ما يدعوه علماء الاجتماع (شيخوخة الاجيال) •

أعني أن الناس يضعون حجر زاوية الحضارات والناس يقتلعونه لكـن المقتلعين يعيدون أسباب الانهيار لكـل واد ، الا لوادي كسلهم وتفريطهـم وغفلتهم •

وقد يعللون الانهيار بعدم تعاون البطانة أو جهـل السواد أو التنافس العالمي • وقد لا تخجلون من وضع تبعة الانحدار على عاتق السماء والاحتماء بخندق ما يدعونه قضاءا وقدرا •

اذن فانهيار الحضارات بذرة علقم تغرس بيد داخليـة ، فتثمر أشواك الانحلال وحسك الانتحار • اذا غرست يد من الداخل هذه البذرة ، اضطرب

من الامة وذبلت أرضها واقفرت مصانعها وغارت مناهلها وقامت قيامتها •

تتجرع الامة عصير هذه البذرة علقما : يتجسد طغيانا وعتوا وتماديا ومكابرة وجهلا ؟!!! تجهل أن للحضارات أعمارا تطول على مقدار ما يرافقها من شكر ، (وهو وضع النعمة في مكانها) وتنهزم على مقدار ما يرافقها من كفر (وهو وضع النعمة في غير مكانها) تجهل ان اللـه لا يواري حضارة الا اذا ظلم أهلها أنفسهم ، وغفلوا عن ترميم هيكل مجتمعهم •

تجهل ان الحضارات خلقت للاستمرار ، اذ هي كائن حي ، اما عمره فبيد أهله ، اذ ان الامة التي هدرت طاقاتها وبذرت مخزونها نفذت ارادة أفراد أقاموا أنفسهم محرصين محللين وزحفت شطر قيامتها الصغرى مسرعة ، كما نرى في قيامها عاد وثمود • و (أصحاب الايكة) والتابعة •

من معاني الاستغفار :

كلمة القرى في القرآن تشمل المجتمعات ، فاذا وجهها القرآن الكريم شطر الايمان والتقوى ووعدها ببركات السماء ، فانما يدعوها لما ينمي حضارتها •

ذلك لان الايمان يستلزم الامانة ومنها أن يصبح كل ذي أرض أمينا على أشجاره وزراعته • فاذا تلونا قوله تعالى : (ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) •

ادركنا التلازم بين المطر والشجر ، اذ هي مثلا زمان احياء أو استمرارا أعني الشجر يستلزم المطر •

أما المجتمعات التي فاتها هذا التوجيه الذي سبق العزم ، فعليها أن تستغفر عمليا وتسارع بالتوبة وتأخذ بتدارك ما فاتها ، وقد تكررت الدعوة لهذا الاستغفار العملي على لسان الرسل وهم حريصون ـ قطعا ـ على تنمية الحضارة اذ أمروا به وعددوا فوائده فقالوا بلسان الوحي :

١ ــ في سورة نوح : (قلت استغفروا ربكم انــه كان غفــارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنــات ويجعل لكم أنهارا) •

طبعا والاستغفار هنا لا يعني ترويدا قوليا ، اذ الذيــن لا يتقنون سواه لا يزول فقرهم ولا يتضاعف مطرهم ولا ينتعش اقتصادهم ولا يستيقظون من غفلتهم ولا تتكاثر ذراريهم وتقل وفياتهم وتطول أعمارهم وتختفي أوباؤهم •

بل يعني الاستغفار من خطيئة الغفلة الاجتماعية ، والاعتذار من الارض التي جعلها الله ذلولا وشحنها بالقدرة على تربية الحبوب والنجــم والشجر ، اذ بهذا وحده يتضاعف المطر ، وهذا يفضي لانتعاش الاقتصاد وصحة العقول والاجسام ، وبهذا تتطور المعلومات المتعلقة بتربية الاطفال تطورا يثمر وقايتهم من الامراض السارية والاوباء التي كثيرا ما تصول وتردي بسهــام الجــدري والحصبة والكوليرا ، وسواها من السهام المردية •

هذا الاستغفار الذي يستلزم الاعتناء بالارض تشجيرا وزرعــا وغرسا ، يثمر هطول الامطار بغزارة ، وبذلك تتضاعف الثروة القومية ويتكاثر النسل ويرتفع مستوى العناية الصحية وتنمش الحدائق ويتضاعف هديــر الانهــار الآية السادسة من سورة الانعام عرضت قوما منحهم الارض الخيرة والسعــة في الاموال والبسطة في الاجسام ، وأرسل السماء عليهــم مدرارا بأمطــار متتابعة فعاشوا في سعة ، لكنهم حين أخذوا يكفرون أي يضعون الامور في غير نصابها ، أهلكهم الله بذنوبهم ، وهي تشمل ذنوب التفريط وعدم العناية بأرضهم وزراعتهم وصناعتهم وقوة جيشهم • أهلكهم وأنشأ بعدهــم جيــلا آخر ، وسلم الارض لمن يستطيع الاستفادة من كنوزها •

اذن فالذنوب هنا لا تعني التفريط بعبادات والاستغفار لا يعني الترديد على حبات المسبحة •

والآية الاخيرة من سورة نوح تعلن ان قومه أغرقوا بسبب أخطائهــم

اذ العناية بالحضارة تدفع زوالها وهذه ليست الاصرار على عبادة الاصنام اذ عبادتها مع الاعتناء بالحضارة لا تزيل الحضارة ؛ بل عبادة الله بما لم يأمر به تفضي لاختلاف الكلمة وهذه مقدمة لعدم الاعتناء بالحضارة ومفضية لزوالها •

وسواء كان نوح مرسلا للعراق الشمالي أو الجنوبي أو منطقة الكوفة بالذات ، فهو على كل حال يحمل انذارا لقوم فرطوا في حق أنفسهم فأخذت شمس حضارتهم تسير في طريق الافول •

نلاحظ الانذار من الآية الاولى من سورة نوح ، وهو تحذير من عاقبة الغفلة وتخويف من مغبتها ، أما قومه وقد استعذبوا الانحراف وانسوا به فلم يزدهم الانذار والتخويف الا فرارا أي تباعدا وزيغا •

لقد جعلوا أصابعهم في آذانهم ، أي سدوا مسامعهم كيلا يستمعوا الانذار ، وبالغوا بالاعراض والسلبية •

ولعل نوح أول رسول أشار الى الاخطاء الاجتماعية وتحدث عن المعنى الاجتماعي للاستغفار • وأول رسول حول نظر الناس الى الاستدلال بنظام الطبيعة على قدرة منظمها كما نرى في آيات ١٥ ـ ٢٠ من سورة نوح •

ثانيا في سورة هود ، رسول الله هود يوجه قومه لهذا الاستغفار نفسه ويراه مقدمة لتوبة تضاعف قوتهم والمقدرة على الدفاع والاستمرار •

يقول الله على لسان هود :

(ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ، يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم) (يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله) أي يعطي كل ذي جهد نتيجة جهده •

وهذا قطعا لا يعني الاستغفار القولي اذ ليس له صلة بهطول الامطار وزيادة قوة الجيش والمتاع الحسن الذي يستلزم الامن والرفاهية ودراسة الطب وفن التربية •

مع الخالدين

مقابلة مع الموسيقي تشايكوفسكي

بقلم: سمير شيخاني

صوت : كان رجلا جذابا ، لطيف المعشر ، لا يبالـي بالشهرة . وقـد اعتاد أن يسافر متنكرا ليتجنب المعجبين به وبفنه . وكـان وسيمـا ، لا يسع النساء الا الوقوع في حبه لدى التعرف اليه . رعته احـدى سيدات المجتمع الروسي الثريات طوال ثلاث عشرة سنة ، فـلا بـد والحالة هـذه ان يكون انسانا نموذجيا لكي ينعم بعطف وتقدير احدى اكثـر نساء موسكو ثـراء . كان يتحدث بطلاقة ، ويشرب بكثرة ، ولكن لم يره احـد قط يشرب . كان بكلمة اخرى ، مثال الرجل « الجنتلمان » . واذا كان هناك انسان يستحق ان يحسد من الآخرين ــ على حـد قول اصدقائـه ــ فتشايكوفسكي ، بيوتر تشايكوفسكي ــ كان ذلك الانسان .

تشايكوفسكي : شكرا ، يا سيدي على كل هذا الاطراء .. واسمح لي ان اقول انني مع ذلك كله لم اكن سعيدا .

صوت نسائي : عجيب امـرك .. فلقـد كانت الدوقـات الروسيات ، والحسان الاميركيات من الفنانات ، يتنافسن في تكريمك وغمرك بحبهن ، بل بعبادتهن ..

تشايكوفسكي : ولكن ثق بأنه لم يخامرني قط اي شعور بالغرور ، ولم تدخل نفسي اي نفحة عاطفية .

صوت نسائي : لقد جعلت الحانك الجميع يرقصون ...

تشايكوفسكي : صحيح ، ولكنها لم ترقصني انا شخصيا ...

صوت : اسمح لي ، يا سيد تشايكوفسكي ، ان اصارحك بما كان يردده الناس في هذا الصدد ، من انك كنت تخاف من الحب ، والصداقة ، وتخشى كل اتصال بشري . ويروى انك كنت في حفلاتك الموسيقية تنزوي في المقصورة العليا فلا يستطيع احد ان يتعرف اليك .

تشايكوفسكي : وهل تعجب ، يا سيدي ، ان يتذمر امرؤ احرز الشهرة من القدر ؟ حسنا ، اعلم اذن ان الشهرة لا يمكن البتة ان تعوض الالم ...

صوت : لقد كنت وحيدا الى درجة كبيرة لانك كنت عظيما جدا . كنت كالتمثال المثبت فوق قاعدة عالية ، يمكنك ان تنظر من فوق رؤوس الجماهير، ولكن لا يسعك ا ن تمد يدك لتلمس حرارة يد بشرية . التمثال يمكن ان يوحي بالتعبد ، ولكنه لا يستدعي الحب . ومع ذلك كانت لك علاقة حميمة مع سيدة واحدة هي ناديجدا فون ملك .

تشايكوفسكي : ولكنها كانت علاقة بالرسائل . فنحن لم نلتق مطلقا ، مع انه اتفق احيانا كثيرة ان كنا نقيم غير بعيد الواحد منا عن الآخر ..

صوت : كانت ناديجدا فون ملك ارملة غنية ، لها اولاد ، محافظة ، ولها ولع شديد بالموسيقى . سمعت ذات مرة توزيعا على البيانو لافتتاحيتك « العاصفة » فصاحت مرددة :

« يا للموسيقى النبيلة ! » وصحيح ان تلك المعزوفة كانت كئيبة الا انها كانت تلائم مزاجها الكئيب . فرجتك ان تواصل التأليف . ولم تكن تعرف اي شيء عن حياتك باستثناء ما كنت تخبرها به في رسائلك .

تشايكوفسكي : ذلك هو الواقع .. فقد اخبرتها انني كنت ابن مهندس ، ودرست الحقوق وعملت فترة قصيرة في وزارة العدل قبل ان

اعتزل عملي الحكومي لالتحق بالمعهد الموسيقي في بطرسبرج ، علـى يـد الموسيقي انطون روبنشتاين الذي لم يقدر مطلقـا مواهبي الفنية . ولكـن القدر يشاء ان يكتشف مواهبي نيقولا روبنشتاين ، شقيق انطون ، فعز عليه ان يراني في معهد موسيقى لا يقدرني ، وهكذا انتقلت الـى معهـد موسكو الموسيقي الجديـد ، حيث تعلمت ودرست الموسيقى ، وكنت لـدى تعرفـي بناديجدا فون مك في السادسة والثلاثين من عمري اتيـه على صفحة بحـر الموسيقى دون ان يكون أمامي أي ميناء أمين .

صوت : وقد تولت صديقتك الارملة الغنية مـدك بالمساعدات الماليـة المستمرة لتؤمن وصولك الى ميناء السلامة . وكنت في هذه الاثناء قد شرعت في وضع الالحان والسنفونيات الرائعة التي بوأتك المقـام المرموق بين كبـار الموسيقيين واكسبتك الشهرة الذائعة دون ان تقترن هـذه الشهـرة بالسعادة المفروض ان تقترن بها . فمن الناحية الصحيـة كنت تشكو مـن تقلصات في القلب ، ومن صداع اليم ، ومن عسر هضم دائم ، بحيث انـك كنت تحمـل دائما في جيبك كمية من الكربونات لتساعدك على الهضم .

تشايكوفسكي : اذكر في هذا المجال انه لما وصف لي تناول الكربونات للمرة الاولى اخطأت في قراءة التعليمات ، فوضعت نصف ملعقة من الكربونات في كوب من الماء ! ولكنني لم اخطيء بعد ذلك بسبب النتائج المؤلمـة التـي تسبب بها ذلك الخطأ .

صوت : اما من الناحية العائلية ، فقد عملت بنصيحة اخيـك وتزوجت انطونينا ميلوكوفا ، وكانت جذابة ولكن عصبية المـزاج وعدوانية السلوك . وكنت قد قابلتها في المعهد الموسيقي ، ولكنك لم تكترث لها .

تشايكوفسكي : الواقع انني كنت احاول العثور عـلى الزوجة المناسبة لما وجدتني هي . وعلى نقيض قـول يوليوس قيصـر المأثـور : « جئت ، ورأيت .. ولكن هي التي احتلت » .. وستدهش اذا قلت لك انها هددتني

بالانتحار اذا لم اتزوجها ، فاستسلمت اليها عن ضعف ، ولكنني صارحتها بأنني لا احبها ، فضلا عن انني فقير ، وصعب المراس ، وصعب المعاشرة اغار ... ولكن ذلك كله لم يثنها عن عزمها ، وتزوجنا ، وشعرت لفترة قصيرة من الزمن انني في حياتي الجديدة على ما يرام . ولكن ذلك لم يدم طويلا ، فقد افترقت عنها بعد بضعة شهور ، وهجرت المنزل ، وذهبت للاستشفاء على ضفاف بحيرة جينيف في سويسرا .

صوت : وعرفت صديقتك المعجبة الارملة الغنية بما حدث فأمدتك بمبلغ من المال تستعين به على تدبر شؤونك وكتبت اليك تقول : « بعون الله يا بيوتر ، ستشفى مما انت فيه ، وستعود الموسيقى تملأ عليك حياتك ، وتجذبك اليها لتبدع فيها كالسابق ، وستستأنف عملك في سنفونيتك الجديدة سنفونيتنا نحن الاثنين !.. » وعلى سبيل الشكران والاعتراف بالجميل كنت قد اخبرت ناديجدا انك تهديها تلك السنفونية الجديدة .

تشايكوفسكي : اجل ، وكانت تلك السمفونية الرابعة التي تعمدت بالحزن ، وقد كتبت اليها اقول : « لعلي مخطيء ، ايتها العزيزة ناديجدا ، ولكنني اعتقد ان هذه السمفونية شيء غير عادي ، ولعلها افضل ما وضعت من موسيقى حتى الآن .. » وقد ارسلت الي مبلغا من المال لتسديد نفقات طبع الموسيقى ، وابدت استعدادها للسفر الى خارج روسيا لكي تنشر شهرتها في طول اوروبا وعرضها . وقد كان ، وقدمت السنفونية الرابعة في موسكو للمرة الاولى وانا بعيد في فلورنسا . ولو لم تكتب ناديجدا وتزف الي بشرى نجاح السنفونية الرابعة لبقيت مضطربا ، وفي حيرة من مصيرها .

صوت : واستمرت الصداقة العجيبة بينك وبين المرأة التي لم تكن قد رأت وجهك وشكلك الخارجي الا بالصور التي ارسلتها اليها ، ومع ذلك كانت تعرف جيدا خبيئة نفسك وافكارك الحميمة . وبلباقتها الفائقة ولطفها النسائي كسبت ناديجدا ثقتك التامة . فهي لم تحاول قط ان تعرف عنك اكثر مما كنت مستعدا لمنحها . وقد حاولت دائما ان تبعد الذئب عن بابك

ـ كما يقولون ـ ويقيني انه لم يكن بوسع اي امـرأة ان تنجـح في مـدك بالمال ، انت الرجل الفخور الشديـد الحساسية . ولانـك كنت كريمـا في معاملاتك المالية مع الآخرين تقبلت دون حرج مساعدة ناديجدا لك .

تشايكوفسكي : الحقيقة يا سيدي ، ان ذلك هو الواقع ، فضلا عن ان ناديجدا كانت تكلفني كتابة الموسيقى لها ، وكانت ـ عـلى حـد تعبيرها ـ تدفع بدل هذا التكليف . ولذا لم اكن لأبالي بغرابـة علاقتنا .. لقـد كانت علاقة الام بأبنها ، والصلة التي كانت تشد احدنا الى الآخر كانت الموسيقى . ولكن كان علينا الا نلتقي البتة ، والا حلت محل الصداقـة الموسيقية علاقـة مادية بحت ، مادية بحيث تقضي على استمرار تلك الصداقة .

صوت : ولذا ، عندما غادرت ناديجدا منزلها للقيام برحلة في اوروبا ، طلبت اليك ان تزور المنزل في اثناء غيابها ، وتقلب صفحات الكتب التي لديها وتتأمل اللوحات الزيتية التي تزين الجدران ، بحيث انها لدى عودتها، تستطيع ان تحس بالجو الذي خلفته شخصيتك في منزلها .. ويروى كذلك انها فـي شتاء سنة ١٨٧٨ قدمت اليك من فلورنسا حيث كانت تقضي عطلتها طلبا اكثر غرابة من الطلب الاول . دعتك الى فلورنسا والاقامة في مسكن صغير تجهزه لك على بضعة كيلومترات من مسكنها . وهكـذا كـان ، ورحتما تتبادلان الرسائل باستمرار عبر السهل الصغير الفاصل بينكما .

تشايكوفسكي : واليك ما هو اغرب من ذلك كله . كنت مرة ضيفها في املاكها في اوكرانيا ، وكنت اصدر الاوامر الى خدمها ، وأستقل العربة التـي خصصتها لي ، وفي كل يوم كنت اسير الى القرية لاضع رسائلـي بالبريـد ، فأمر من امام منزلها واسمع صوت اولادها ، ومـع ذلـك لم نلتـق قط !.. والواقع انها لم تشأ ان تحاول التدخل في حياتي الخاصة ، كما لـم اشأ انا ان انقض ذلك الاتفاق الغريب الذي قامت عليه اغرب علاقة بين رجل وامرأة على الاطلاق ...

صوت : حقا ما تقول : الا انه حدث ذات يوم ما لم يكن بد من حدوثه.

فعلى الرغم من تنظيم مواعيدكما بحيث لا يتفق مطلقا ان تلتقيا ، حصل خطأ في الحسابات ، فاذا بكما خارج منزليكما في الوقت نفسه • واقتربت عربتكما، الواحدة من الاخرى في الشارع ، وتلاقت نظراتكما لبضع ثوان ، فأحنيت لها رأسك ، وبادلتك هي التحية الرسمية ، وابتعدت العربتان بكما • فلما عدت الى المنزل ارسلت اليها بطاقة تقول فيها : « اغفري لي اهمالي الاحمق ؛ يا ناديجدا فيلاريتوفنا • » وكان ردها وهي التي سرتها تلك المقابلة : « لقد اقنعني ذلك اللقاء بحقيقة وجودك قريبا جدا من منزلي • » وهكذا كان ذلك اللقاء الخاطف اللقاء الشخصي الحميم طوال علاقتكما التي دامت ثلاث عشرة سنة • ونعود الى حياتك الموسيقية وعملك المتواصل الذي حقق لك الشهرة العريضة ، فكانت سنة ١٨٨٠ تمثل الذروة ولكن ملامحك المرحة كانت في سن الاربعين ، وقلبك الكئيب يبدو اكبر سنا •

تشايكوفسكي : لقد اصبحت في الواقع موسيقيا شهيرا على الرغم من خجلي وخوفي من الناس • فأنا كما تعلم تألمت طوال حياتي من العلاقات الاجتماعية • ولكن مع ذلك انتشرت سنفونياتي وافتتاحياتي في الاوساط الموسيقية الاوروبية بأسرها ، حتى انها تجاوزتها الى العالم الجديد • وكنت انتقل بين مختلف البلدان الاوروبية واقابل بترحاب شديد عندما اقود مؤلفاتي الموسيقية بنفسي • فبعد انتصاراتي الفنية في لندن ودريسدن وباريس وجنيف وبرلين وهامبورغ وبراغ ولايبزيغ دعيت للقيام بجولة موسيقية في ست من المدن الاميركية الكبرى •

صوت : ولكن المجد لم يهزك ، فكتبت الى ناديجدا تقول : « انت المخلوقة الوحيدة في العالم التي يمكنها ان تجعلني اسعد مخلوق • وارجو من اعماق نفسي ، مهما يكن مصدر عواطفك نحوي ، ان لا يتبدل هذا المصدر ، لان مثل هذه الخسارة لن أستطيع تحملها » • وعندما كنت تتأهب للسفر الى الولايات المتحدة الاميركية اصابتك صدمة مفاجئة • فقد كتبت اليك ناديجدا رسالة تخبرك فيها بأسلوب لم تستعمله من قبل ان

تزوتها على وشك ان تنضب ، ولذا فانها منذ تلك اللحظة ستنقطع عـن مدك بالمساعدات المالية ـ كما لو كان ذلك يؤثر على بيوتر تشايكوفسكي .

تشايكوفسكي : صحيح ؛ ولكن الصدمة الحقيقية كانت مصارحتها اياي بأن علاقتنا لن تنقطع منذ تلك اللحظة . وقـد جـاء في خاتمة رسالتها بعض الكلمات العادية الخالية من حرارة ، اذ قالت : « لا تنس وفكر في احيانا . » وكان ردي السريع رجائي اليها الا تقلق على حالتـي المادية بعـد ان اصبحت مواردي متعددة المصادر ، وقلت لها بالحرف الواحـد : « ولكن الكلمـات الاخيرة في رسالتك « لا تنس ، وفكر في دائما » قد اثرت فـي تأثيرا عميقا . أمن الممكن ان تفكري في انني لا استطيع ان اتذكـرك الا عندمـا استخدم مالك ؟ استطيع لحظة واحدة ان انسى كل ما فعلته من اجلي ، وكل مـا كان لصداقتك من معنى واهمية لي ولموسيقاي » .

صوت : وقبل ان تسافر الى العالم الجديـد رجوت ان يتبـدل موقف ناديجدا منك ، ورحت تنتظر رسالة منها يوما بعد يوم ، ولكن الرسالة لـم تأت . ورحلت الى اميركا حيث استقبلت اعظم استقبال واصبحت معبود العالم الجديد : اصحاب الملايين ، سيدات المجتمع الراقـي ، المربين ، الصحافيين ، سائقي العربات ... كل هؤلاء كانوا ينحنون اجلالا لك !

تشايكوفسكي : الا ان كل ذلك كان مجدا فارغا ، وكنت ارضى بكـل سرور ان استبدل به كلمة واحدة من ناديجدا ... وعـلى الرغم مـن سني الخمسين كنت ابدو رجلا هرما . وعدت الى موسكو ، وكانت قد مرت ثمانية اشهر على كتابتي اليها . فوصلتني رسالة من صديق لنا مشترك يقول فيهـا : « انها مريضة ومضطربة كثيرا ، ولن تستطيع ان تكتب اليك كما في السابق» .

صوت : وهكذا تنتهي علاقتكما . الا ان القـدر خير مكافآته العظيمة لك حتى هذه السنوات الاخيرة الكئيبة من حياتـك . فانتخبت عضوا فـي

الاكاديمية الفرنسية . وذهبت الى انكلترا وتسلمت شهادة فخرية مــن جامعة كمبردج ، وواصلت تقديم الحفلات الموسيقية الكبرى بكمـل اندفاع وقوة . وكتبت سنفونيتك السادسة التي وجدت صعوبة في تسميتها قبل ان يقتـرح عليك اخوك موديا ان تسميها « السنفونية المؤثرة » . وكانت آخــر أعمالك الموسيقية الوصية التي منحت العالم بهــا شرارة عبقريتك وجمــال حزنك . ولكن القدر الغاشم شاء ان يتفشى وباء الكوليرا في روسيا في تلك الفترة من حياتك ، فلما شربت كأسا من الماء الملوث اصبت بهــذا الوباء ، فعانيت الآلام المبرحة اربعة ايام ، ثم وجدت الراحة في اليوم الخامس . فكانت نهايــة غريبة لحياة غريبة ! بيوتر تشايكوفسكي عبقري منحه القدر هبات الله وحرمه قوة انسان !

بيروت — سمير شيخاني

آثرت اولادها

* عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : يا رسول الله ، لــو تزوجت أم هانيء بنت أبي طالب ؟ فقد جعل الله لها قرابـــة فتكون صهــرا أيضا . فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت :

لهو أحب الي من سمعي وبصري ، ولكن حقه عظيم ، ولدي أيتام . فان قمت بحقه خفت أن أضيع أيتامي ، وان قمت بأمرهم قصرت عن حقه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خير نساء ركبن الابل نساء قريش ، أحناهــا على ولد في صغره ، وأرعاها على بعل في ذات يده .

رسوم

رفعة الإيمان

للسيد : علوي ابراهيم

لم يسع خلف الثروة وقنع ببلغة يسيرة تعينه على ما يحتاج اليه ، فعاش عمره الطويل في دكانه الصغير ، يستقبل نهاره بالامل ويشيعه بالرضا ، ويمد حبل المودة بينه وبين الناس جاعلا المحبة هدفا له ، معتبرا الحرص على السادة وهما زائلا لا يستحق من العقلاء العناية والاهتمام ، ويعود ذلك لعفويته وصفاء نفسه ، واعتباره ان الرزق الحلال الطيب من التجارة ، لا يحس المشتري معه بالغبن ، ولا البائع بالغلبة والاستغلال ؛ هو تعامل صحيح بين مواطنين يقومون به خدمة لانفسهم وللمصلحة العامة فتسير بموجبه عجلة الحياة كما ينبغي لها وتتحقق بذلك العدالة الاجتماعية ، ولا أذكر انني افتقدته مرة ، فهو على كرسيه أو بين زبائنه ، يواجهني في الصباح ذاهبا لعملي وفي المساء عندما اعود ، ولا أفهم سببا لراحتي النفسية كلما لاح لي ، عرف فيه أبناء الحي الصدق والامانة فاطمأنوا اليه واحترموه ، واتصلت بينه وبينهم الاسباب .

رفعه الايمان وأنار طريقه فجعل أفئدتهم تقتبس منه الرضا والراحة وتجد عنده الجوهر الذي طالما حن اليه الانسان وسعى خلفه في مسيرته الطويلة ، ومن حصل عليه فقد نال خيرا كثيرا ؛ لم تتسع دائرة عمله ولم يتغير نهجه ، مع ان في الشارع الطويل الذي يقيم فيه تجارا أثرياء رشح عليهم الرزق ، ثم جاش غاربه فابتعد بهم عن قلوب الناس وغابوا عن العيون ، ولم يكن ذلك عن حسد وكره للنقمة وانما هي الطريقة والاسلوب وممارسة الاعمال تقرب الانسان من اخيه فيشعر بأن هنالك رباطا من الحب يشده اليه، او تنأى به كأنهما في مجهل من الارض لا يعرف احدهما صاحبه ، واذا

جمعتهما الاسباب والظروف لم تلتــق الارواح والنفوس ، قنــع ابــو مازن بالرزق الكفاف ولم يطمح ببصره لما يتهافت عليه غيره مــن المجد والجاه فعاش سعيدا ، وانت لا تستطيع ان تجمع الناس على صعيد واحــد ، فان الاهــواء والميول هي التي تجمع بينهم وتفرق فينتظم في سلكهــا الانــداد والاشباه ، قلت : هل لك ان تذكر لي سبب بقائك حيث انت مع ان القافلة تسير والركب يزحم بعضه بعضا ؟! فقال انني لا أعتبر نفسي خاسرا في الطريق الذي سلكته؛ وأرى الثروة التي تزيد عن الحاجة حلية ، يمكن للانسان ان يختــار غيرهــا ويكون راضيا عن نصيبه في الحياة ، فالمروءة ومكارم الاخلاق والتخفيف من آلام الناس ومشاركتهم في السراء والضراء والالتــزام بالصدق والاعتــداد بالقيم من وسائل التوفيق وبلوغ الغاية التي ينبغي ان يحرص عليها الانسان، ولا ادعي انني بلغت في ذلك ما أريد ، ولكنني أحاول جاهدا الاقتباس مــن وحي الدين والايمان •

يــوم مــن العمــر

تزدحم في ذهنه ذكريات الماضي ، ويخشى ان يصبــح الحاضر ذكــرى غريبة عن الايام الزاهرة التي كثيرا ما ناجاها وود لو تعود ، أيــام الصفــاء والهناء التي أحسن الاشارة اليها الشاعر العراقي الشيخ علي الشرقي بقوله :

يا سمو الخيال لبنــان أسمى ... حسبك الوصف يــا سمو الخيال
شعشع الليل أهل لبنان فانظر ... هــل ترى غير كومة مــن لئالــي
قــد نسينــا سود الليالــي فغيــر البــدر والفجر لا يمــر ببالــي
فكأن الدنيا قد احتفلت بشرا ... ولبنـــان منبــر الاحتفــال

يكتفي الآن بيوم من العمر تألق فيه الدنيا مثلما كانت تأتلــق ، فــي أسمار الصيف ، وسهرات الجبل ، يوم كان الزجل والشعــر سلاح القــوم الوحيد الذي يتراشقون به فيجيدون الرماية ، ويــوم كان المثقفون ينتظرون صدور المعرض ، والمكشوف ، والرسالة ، والبرق ، والجمهــور وغيرها مــن

المجلات للاطلاع على أخبار المعارك الادبية والمناظرات اللغوية ؛ وليس من عمل للقوم جميعا غير الكفاح في سبيل الرزق والتواصل فيما بينهم كأنهم أسرة واحدة ، لا تعرف الخوف والشك والقلق، شعارها احترام الحقوق والواجبات والسباق في طريق المروءة ، تعيش بالثقة وتقدس الكرامة ، ولا تجد فاصلا بين الحياة والموت غير تنكب الطريق الواضحة لصاحب الضمير الحي والرأي السديد .

ثم ماذا بعد ذلك كله ؟ ان الصور تتراءى لعينه فيحار ايها يختار ، ولكن صورة أبي حميد وبنيه تلح عليه وتأبى ان تصمت وتختفي ، فقد كان موضع احترام الناس وثقتهم ، توضع عنده الامانات فيدونها في دفتر لا يطلع عليه سواه مع شؤونه الخاصة التي يهتم بها ، فاذا أداها لاصحابها اشار لذلك ، ثم مات فجأة رحمه الله ، فراجع بنوه دفتره وسلموا الامانات لاصحابها وبقيت لديهم كمية من المال أوشكوا ان يقتسموها بينهم ؛ وجاءهم من يدعي انها له، فلم يستدع ذلك شهودا ومحاكمات ومجالس تحكيم ، عادوا لضمائرهم ، وسألوا الرجل عن الاسباب التي جعلت أباهم يهمل تدوينها في دفتره ، فذكرها لهم بعفوية وبساطة يعرفونها فيه ، فاقتنعوا بصحة ادعائه وسلموه المبلغ ، وبقيت عن هذه الحادثة في ذهني ذكريات ؛ اذا رجعت اليها أحس بانتعاش نفسي عجيب ، ذلك لانه لم يعترض أحد من الورثة على تصرف حميد الاخ الاكبر ولم يبدو عليهم جميعا ان ما عملوه يستحق التقدير حتى ان صاحب المال أخذه دون شكر اعتبارا بأن هذا التعامل هو الواجب المفروض على الناس جميعا يومذاك ، لم أنس حميدا واخوانه حتى يومي هذا فانْ من ذهب منهم ومن بقي صورة فريدة عن الراحل العزيز .

بيروت — علي ابراهيم

داود بركات
١٨٦٠ - ١٩٣٣

بقلم فوزي سابا

ما مر اسمه ، وكم يمر على خاطري الا واتمثل معه قول الشاعر :

انــت كالكرمة ظــل وجنــى فــاذا ولــت فكأس ونجــى

في يحشوش سنديانة جبارة لها انجذاب الى العباقرة ، لكأنما ظلهــا ينفخ في أبنائها العبقرية وكفاهم منهم آل بركات وآل الجر ، عــلى ان داود بركات كان الامضى ، ليخيل انه في غيابه أبقى مما كان عليه في حضوره ، وكم كان حضوره مؤثرا في مجتمع .

ولد داود بركات في يحشوش سنــة ١٨٦٠ ، ودرس أولا في مدرسة المحبة في عرمون كسروان ، ثم في مدرسة غزير وأخيرا في مدرسة الحكمة في بيروت فأتقن اللغات : العربية والفرنسية والسريانية ، ومــا كاد ينهي دروسه هذه حتى هاجر الى مصر ، فاستخدم في مصلحة المساحــة في طنطــا بعض الوقت ، ثم تولى التدريس مدة في مدرسة الاميركان في زفتي وبعد ذلك في مدرسة الآباء اليسوعيين في القاهرة ، حيث اتصل بالشيخ ابراهيم اليازجــي فاتقن عليه فن الانشاء وأصول اللغة العربية وخوافيها .

على أنه لم يكن مطبوعا لا على التجارة ولا على التعليم ، بــل عــلى الصحافة التي مال اليها منذ الصبا ، وهكذا ترك مهنة المعلم ، وتولى رئاسة تحرير جريدة المحروسة الاسبوعية لصاحبها عزيز الزند ومــن بعدهــا أنشأ جريدة الاخبار اليومية مع الشيخ يوسف الخازن ، وبقي كذلك حتى سنــة ١٨٩٩ عندما انتقلت جريدة الاهرام من الاسكندرية الى القاهرة فعمل فيهــا

وتخرج بها في جميع فنون الكتابة السياسية والادبية والتجارية ثم تولى رئاسة تحريرها وتعهدها بما عرف عنه من ولاء واخلاص فنهض بها الى الطليعة ، وكانت عندما تولاها تصدر بأربع صفحات فأصبحت حين وفاته سنة ١٩٣٣ تصدر بأربع عشرة صفحة ، فلا عجب ان يلقب بشيخ الصحافة وان يعمل على تأسيس نقابة الصحافة المصرية .

كان داود بركات ربعة القامة واسع الحدقتين حاد البصر نافذه ، في حياء ، وكان سريع الجواب حاضر الخاطر ، يسير مطرق الرأس بادي التفكير مهمل الشعر واللباس ، في يده عصا لا تحمله بل يحملها هو ، ملقاة على عضده ويده الاخرى لا تخرج من جيبه الا لتمر على جبينه أو لتلقي بغطاء رأسه الى الوراء ، تلك صورة داود بركات وهو ذاهب من منزله الى جريدة الاهرام كما رسمها صديقه بولس غانم .

حتى اذا وصل دار الاهرام تلطف مع زائريه وأكرمهم ، لينصرف بعد ذلك كليا الى العمل مبتدئا بأكداس الرسائل التي لا ينقطع سيلها عن مكتبه ، وقد يعن له أمر فيبادر الى كتابته دون ان يقطع حديثه مع زائريه ، لكأنما خلق مميزا عن سواه ، فان طاقته كانت قادرة على العمل في مجالات شتى في آن واحد . فكانت تظهر مقالاته كما لو انها كتبت في خلوة ، وليس في هذا الجو الصاخب .

ويبقى داود بركات في مكتبه حتى منتصف الليل فيخرج منه موهنا الى مقهى وقد يكون السلنديار ملتقى الادباء النخبة فيجلس اليهم يسامرهم على طعام أو شراب حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فيعود الى مكتبه متفقدا اللمسات الاخيرة للاهرام ولا ينتهي من ذلك الا والساعة قد شارفت على الثانية صباحا موعد الابتداء بطبع الجريدة فيذهب الى المطبعة ليلقي النظرة الاخيرة على العدد الذي سيتلقفه مئات الالوف في الصباح .

ولا يظن ان أعماله المرهقة كانت تنسيه لبنان ؛ بل ظل أمينا على ولائه

مخلصا له في حبه غاضبا لغضبه عاملا على اعلاء شأنه ، وهو الذي كانت لـه اليد الطولى في تأسيس جمعية الاتحاد اللبناني ، التي أسدت أجل الخدمات للبنان . وأصدق دليل لحبه هذا ما جاء في مقالته ـ اني أخاف على السنديانة ان تقطع .

هذا هو داود بركات الانسان ، أما داود بركات الصحفي فنترك القول لصديقه الحميم شاعر القطرين خليل مطران :

... لما احترف الصحافة لم يضن عليها بكل جهده وكل وقته ولم يأذن لامر غير عالق بها ان يشغله عنها ، فعني بالكثير والقليل مـن شؤونها ورقب الصحف الغربية الكبرى في أطوار تكاملها وتنبه للدقيق والجليل مـن عوامل رقيها واستفاد خير ما يستفاد لتهذيب وتدريب المؤتمرين أمره . فأما تهذيب ملكته ، وهو الاهم ، فقد بلغ به نهاية ما يطلب في الصحفي المتفوق . ذلـك انه لم يكتف بملاحظة الحوادث والرجال واستبطان ما خفي من كنه كل فئـة من الفئات وكل فرد من الافراد في المحيط الذي عاش به وله ، ولم يكتف بما كانت تذخره له ذاكرته العجيبة من مختلف المسموعات والمشهودات بل أمعن في استيفاء ذلك التهذيب امعانا لم يخطر لمحرر شرقي قبله انه بحاجة له . فلم يدع كتابا الا طالعه ولا وثيقة الا وقف عليها من كل مـا له صلـة بالمسائل الشرقية التي كان همه منصرفا اليها . ومع احاطته بذلك البحر الزاخر مـن المعلومات ، وما رزقه من سلامـة الحكم في جواهرها وأعراضها ومن صحـة التبين لأسبابها ومسبباتها ، ومن المقدرة على التصرف فيها بالمقارنة والتخريج، أو على استحضار كل مجهول أو منسي منها للتدليل والاقناع . ومع ما اوتيه من السجية النقية في الادب وأفضى به اليه المران والارتياض مـن سهولـة التركيب وفصاحة الاسلوب وبلاغة التعبير عن الغرض وطلاقـة القريحة فـي مقامات الاسهاب ولطف تقيدها بما قل ودل في مقامات الايجاز سما الى تلك المكانة التي أكسبته ذلك الولاء والاعجاب اللذين أظهرتها له الامم بمـا لـم يسبق له مثيل من الاجماع على اختلاف الآراء والمذاهب .

لم يقتصر داود بركات على الصحافة ، بل برز في غيرها من الحقول ، فهو المؤرخ وافر الاطلاع كتب في نهضة مصر الحديثة فأصدر كتابه المرجع « البطل الفاتح ابراهيم باشا وفتحه الشام » مسلسلا الدوافع والاسباب التي قادت الى هذه الحملة مدققا الاحداث مثبتا الحقائق التي تنجت عن هذه الحملة ، شارحا علاقتها بالاوضاع العالمية والعلاقات المتوترة بين دول أوربا الكبرى ، فجاء عمله هذا نهجا تاريخيا علميا ، لم يألفه شرقنا من قبل •

كذلك بحث العلاقات بين مصر وانكلترا في كتاب بعنوان « تعالوا الى كلمة سواء » شارحا فيه الاسباب التي قادت الى حوادث سنة ١٥٨٢ ونتائج هذه الاحداث ، بطريقة علمية واقعية ، واضعا فيها النقاط على الحروف ، غير ملتفت الا للحقائق ، فقدم الى العالم لا سيما المشتغلين بقضية الشرق أفضل المستندات التي بدونها تبقى هذه المسألة غامضة •

وكأنما وضع نصب عينيه جلاء الاوضاع السياسية في الشرق العربي فأصدر كتابه الثالث بعنوان ــ السودان ومطامع السياسة البريطانية ــ فجاء كتابه هذا متمما للابحاث التي تناولها في كتابيه السابقين مؤلفا معهما دراسات متصلة عن هذا الجزء من العالم الذي كان ميدانا للصراع بين دول أوربا الكبرى •

عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ورئيس تحرير جريدة الاهرام لاربع وثلاثين سنة ومؤسس نقابة الصحافة المصرية وجمعية الاتحاد اللبناني ؛ كل هذه المميزات لم تؤثر في داود بركات ابن يحشوش البار بل بقي ذلك الوفي لاصدقائه وأهله ، وفي الدرجة الاولى لوطنه لبنان ، يعمل ككل مهاجر ليلا نهارا ونصب عينه وطنه ، ولكم أخذ منه العياء ولكم أخذ جفنيه الكرى فكان يتغلب عليه بالهدف الامثل الذي وضعه نصب عينيه ؛ اعلاء شأن وطنه، والعمل على اسعاده •

وبعد فالذي يريد أن يتعرف الى داود بركات عليه ان يتعرف الى جريدة

الاهرام خلال تلك السنوات الاربع والثلاثين التي عاشت على قلمه ودمه ، فاسأل فيها حياته وبذلك نضرت وزهت وكبرت ، ولقد حاول أحد كبار الادباء النظر الى أعمال داود بركات وتقييمها ، فذهب الى مصر ، وعاش شهورا بين صفحات الاهرام دارسا منقبا مفتشا محللا أعمال رئيس التحرير حتى طلع بدراسة استغرقت قراءتها ثلاث ساعات ، وبقي كأنما يدق أبواب داود بركات دون الولوج الى أبراجه الادبية والعلمية .

وحسبنا أيضا من داود بركات أنه قبل وفاته بعام واحد أي في سنة ١٩٣٢ رأى بواسطة الاهرام ان ينعقد مؤتمر الصحافة اللاتينية في مصر فتم له ما أراد واجتمع ستون صحفيا يمثلون الدول اللاتينية وكان المؤتمر آخر حدث في حياة هذا الانسان الكبير الذي له كثير من صلابة سنديانة يحشوش على سجايا لطيفة تحسها مع الصبا الهائم مع نهر أدونيس .

فوزي سابا

اجـاد فشهد لـه

* غنى رجل في المسجد الحرام ، وهو مستلق على قفاه ، صوتا ، ورجل من قريش يصلي بجواره . فسمعه خدام المسجد فقالوا : يا عدو الله ، أتغني في المسجد الحرام ! ورفعوه الى صاحب الشرطة ، فتجوز الجار القرشي في صلاته ، ثم سلم واتبعه ، فقال لصاحب الشرطة : كذبوا عليك أصلحك الله، انما كان يقرأ فقال : يا فساق ، أتأتون برجل قرأ القرآن ، تزعمون أنه غنى ! خلوا سبيله .

فلما خلوه ، قال له القرشي : والله لولا أنك أحسنت وأجدت ما شهدت لك . اذهب راشدا .

قصة الحياة ،ملايين الحكايا

٣ ـ الزواحف

في التحدي الكبير الذي واجه به موسى الملك فرعون سأل فرعون موسى عن برهان لنبوته « فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين » (الشعراء ٣٢)• عندها اتهم موسى بالسحر والشعوذة • أما لماذا انقلبت العصا الى ثعبان ولم تنقلب الى فيل أو أسد ، فلربما كان السبب ان شكل العصا شبيه بشكل الثعبان ، ولكن يبدو ان الاهم من هذا هو أن للثعبان مكانة خاصة عند الفراعنة وغيرهم من الشعوب • ولعل هذا الحيوان يجمع في حركته وشكله بين الوقار والرهبة الشديدين • وغني عن الذكر ما يمكن ان يفعله وجود أفعى في منزل من المنازل ، فسواء أكانت هذه الافعى سامة أم لا فالذعر الذي يواكب وجودها هو شيء طبيعي • والواقع أن للثعبان مكانة خاصة لا زالت الى عصرنا هذا تظهر في شعارات الاطباء والصيادلة • وبغض النظر عن هذه الامور التاريخية البحتة ، فليست الثعابين الا حيوانات كغيرها منها المؤذي ومنها المسالم •

والثعابين تنتمي الى مجموعة الحيوانات الزاحفة ويشاركها في الانتماء الى هذه المجموعة كل من السحالي والتماسيح والسلاحف والخطراسيات • وكل هذه الحيوانات فقارية أي ان لها هيكل عظمي تماما مثل الثدييات والطيور •

أما السحالي والثعابين فتجتمع في مرتبة الحرشفيات ،
والتماسيح على أنواعها تشكل مرتبة خاصة ،
والسلاحف تضم البرية منها والمائية ،

أما الخطراسيات ففيها حاليا نوع واحد من الحيوانات وهـو مـا تبقى من هذه المرتبة التي ازدهرت في العصر الجيولوجي الوسيط ثم انقرضت كل أنواعها عدا هذا النوع الواحد .

مئتا مليون سنة

منذ حوالي المئتي مليون سنـة كانت الارض تمـر بفتـرة الحقـب الجيولوجي الوسيط (الاحقاب الجيولوجية هي الازمنة التي تطورت خلالها الارض وتغير مناخها وتضاريسها عبر ملايين السنين) وفي تلك الفترة لم يكن الاسد موجودا ليكون سيد الغابة ، بل ان ملك الغابات في عصور مـا قبل التاريخ تلك كان أحد الديناصورات البالغة الضخامة والكبر . والديناصورات ما هي الا زواحف بلغت عصرها الذهبي في تلك الفترة . ولـم تكن كـل الزواحف آنذاك بهذه الضخامة . فبعض تلك الزواحف الطائرة لـم يتجاوز حجمه حجم خفاش صغير وبعضها الآخر وصل طول جناحيه الى تسعة أمتار . وتلك الاخيرة كانت أكبر الحيوانات الطائرة عبر التاريخ . وفي نهايـة العصر الوسيط هذا انقرض أكثر أنواع تلك الزواحف لسبب غير معروف تمامـا ، وقد يكون هذا السبب ارتفاع درجـة حرارة الكرة الارضية مما لـم تستطع تحمله الزواحف . ومما يعزز هذه النظرية هو أن الزواحف الكبيرة هي التي انقرضت بصورة رئيسية بينما بقيت بعض الزواحف الصغيرة . وذلك أنـه كلما ازداد حجم الحيوان ازداد تعرض سطح جسمه للحرارة وهكذا يكـون الحيوان الاكبر أكثر تأثرا من هذه الناحية . والخطراسيات التي عاشت فـي العصر الوسيط بقي منها فقط حيوان واحد هو « تواتارا » .

و « تواتارا » حيوان شبيه بالسحلية ويستوطن بعض الجـزر الصغيرة المنتشرة على شاطىء نيوزيلانده . وحينما اكتشف هذا الحيوان لاول مـرة كان يظن أنه أحد السحالي . ولكنه حينمـا قورن ببعض الزواحف مـن المستحاثات (المستحاثات هي ما تبقى من آثار حيوانات ما قبل التاريخ عـلى شكل هياكل عظمية أو ما شابه محفوظا في الارض الى يومنا هـذا) تبين

الشبه الكبير بينه وبينها ، ولذلك تم الاستنتاج بأن هذا الحيوان هو الشاهد الحي الوحيد على الخطراسيات ، ولذلك فله شرف تشكيل مرتبــة تصنيفية خاصة به . والواقع أنه يختلف عن السحالي بأمــور أساسية أهمها مثــلا أن ذكر السحالي يملك القضيب كوسيلة للالقاح بينما يتم الالقاح بين ذكر هذا الحيوان واناثه بالتصاق فوهاتها التناسلية (شبيه مــا يحدث في الطيور) . يصل طول التواتارا الى حوالي ٧٥ سنتيمترا وله لون بني مخضر مــع بقــع صفراء على حراشفه ، وتتواجد على ظهــره وذيلــه بعض الاشواك ، وهــو حيوان بطيء الحركة جدا وحرارة جسمه منخفضة .

السحــالــي

قد تضم السحالي أربعة أطراف في جسمها وتنتهي بذيل طويل . وبعضها لا أطراف له تماما مثل الثعابين (ونذكر هنا أن الثعابين والسحالي تقــع فــي مرتبة تصنيفية واحدة) .

ومن السحالي « الاغوانه » وهي تستوطن الاماكن الاستوائية فــــي أميركا وتتألف من أنواع كثيرة منهــا البري والشجري وحتــى البحــري . ويتراوح حجمها كثيرا بين صغير وكبير ومعدل هذا الحجم يتمثل في حيــوان طوله حوالي الثلاثين سنتمترا .

والاغوانه البحرية تتغذى على الاعشاب البحرية وتتجمع على جماعــات كثيفة على الصخور . والاغوانة الارضية تحفر في الارض أنفاقا صغيرة . وفي بعض الانواع الشجرية يستطيع الحيوان اخراج حلقه الوردي اللون عــلى شكل البالون الى خارج الفم . وفي فترة التزاوج تتحارب الذكور حربــا قاسية يقوم كل فرد باستعراض « هيبته » فيها وذلك بنفخ حلقــه وانتصاب جلد رقبته حتى ينصاع أحد المتحاربين الى الآخر ، والا فان الحرب تتخــذ شكلا أكثر جدية فيبدأ الهز والعض حتى يسقط أحد المتقاتلين أو كلاهما من على الشجرة . وفي بعض الاحيان يصعد الى الشجرة من جديد ليبدأ جولــة أخرى . وبصورة عامة فان للاغوانه عادة خاصــة في التودد الــــى الانثى .

فالذكر ينفخ نفسه حتى تتجاوب معه الانثى • فان لم تفعل فانه يقنع بذلك الحظ ولا يلحق بها الى مسافة طويلة • وانثى بعض الانواع تقوم بتقويس ظهرها كعلامة عن عدم الرضا • أما في حال الرضى والقبول فتهز الانثى رأسها يمنة ويسرى محرضة الذكر على الاقتراب • فيقترب ويعض على رقبتها بفمه ثم يشبك أعلى أرجلها الخلفية بين أصابع قدميه وينسل بذيله الى تحت ذيلها وبعد ذلك يدخل أحد قسمي قضيبه (القضيب في هذه الحيوانات يتفرع الى قسمين) حيث يستمر التزاوج الى مدة قد تزيد عن الدقائق الخمس •

ومن السحالي التي تستوطن منطقة الشرق الاوسط وشمالي أفريقيا « الحبينة » وأشهر أنواعها له لون أسود غامق مائل الى البني • ويصل طولها الى ثلاثين سنتمترا • وهي تحرك برأسها الى أعلى وأسفل وكأنها رياضي يقوم بتمرين الضغط على الارض •

تتغذى هذه السحالي على الحشرات وتنوع غذاءها بتناول الفاكهة والاوراق وبعض الانواع تتغذى على النباتات فقط •

ومجموعة الابو بريص تتميز بحراشف صغيرة وبأجسام مسطحة ، وجلد البعض رقيق جدا لدرجة أنها تبدو وكأنها نصف شفافة • وكل الانواع صغيرة الحجم برغم وجود عدد كبير من الانواع في هذه المجموعة • تقطن في الارض والصحاري ولقد آلفت الحياة في المنازل في المناطق الحارة والمعتدلة • وأكثرها يتغذى في الليل على الحشرات • وتتميز عملية التزاوج بهز في الذيل واحداث بعض الاصوات •

والسقنقور وأضرابه تتصف بأجسام طويلة وذيول قصيرة ولا يتجاوز طول الواحد منها ٦٠ سنتمترا ، ويبلغ عدد أنواعها أكثر من ستمئة نوع • تتغذى على الحشرات والديدان وكثير منها يحفر جحورا في الارض • وتتصف مواسم الزواج بصراع وقتال حاد بين الذكور التي تعض بعضها البعض بصورة وحشية •

والورل يتميز برأس طويل ورقبة طويلة وجسم طويل ومخالب طويلـة وذيل طويل • وعيناه كبيرتان ولامعتان • وهذا الحيوان هـو من أقـــدم الزواحف ويعيش في الصحاري والغابات وبعضها يملك ذيلا مسطحا يساعده على السباحة • ويعتبر ورل النيل من أكبر حيوانات هـذه المجموعة وهـو حيوان قاري وشجري ومائي • وهذه المجموعة لاحمـة تتغذى على الاسماك والزواحف الاخرى والطيور والثدييات والبيوض •

ومن السحالي السامة الهيلية وهي أميركية الموطن ذات لـون أسود أو بني غامق مع بقع وردية أحيانا • تعيش في الصحاري ولا تمانع أن تبقى فـي الماء في حال توافره •

أما الحرباء أو « الكامليون » فهو من السحالي البطيئة مع أنـه ينتمي الى مجموعة كل أفرادها سريعة الحركة • وللكامليون صفات تميزه عن غيره بسهولة • فعيناه تدور في جميع الاتجاهات ، ولسانه يستطيع القفـز الـى مسافة خارج فمه فيلتقط الحشرات التي تعلق على مـادة لاصقـة يفرزها • وتترتب أصابع أطرافه بحيث أن اثنان منها يلتصقان مع بعض وثلاثة منها مع بعض وهكذا تشكل كفه « كماشه » جيدة يستعملها في القبض على الاغصان أثناء تسلقه • كما أنه يغير لونه بسرعة أكثر من غيره من السحالي • وفـي بعض الانواع يوجد قرن يكون في الذكر أكبر منه في الانثى • ولا يبدو أن لهذه القرون أي استعمال خاص ولا حتى في نزاع هذه الحيوانات أثنـاء طقوس التزاوج •

تعيش هذه الحيوانات في الاشجار ولها بعض الحياة الاجتماعية • ولا شك ان صغارنا يدهشون مع كبارنا لرؤية هذا الحيوان العجيب وهو يتسلق الاشجار والاغصان بسهولة وأحيانا يقبع في مكانه دون حـراك لمـدة طويلة متخذا لونا موافقا للون البيئة المحيطة به •

الافـاعـي

وفيها ثلاثة آلاف نوعا تقع في عشر فصائل رئيسية • وفصيلـة الثعابين

وحدها تؤلف ألفين من الانواع • وأكثر أنواع الثعابين غير سام ويتراوح طولها بين ستين سنتمترا وأربعة أمتار • ولها رئة واحدة فقط • وبعض الثعابين متسلق ، وبعضها يعيش في الارض ، وبعضها في الماء • تتغذى على القواضم والسحالي والبزاق والبيض •

وهناك فصيلة من الافاعي التي تدفن نفسها في الارض ولا يتجاوز طول الواحدة ستين سنتمترا وأسنانها توجد على الفك العلوي فقط ، وعيناها بدائيتان غير مكتملتين •

أما الافاعي الخيطية فأسنانها توجد على الفك السفلي فقط وهي أنحف بقليل من السابقة •

والبواء فصيلة تحتوي على أكبر الافاعي في العالم وعلى أصغرها أيضا •

حيل ومقالب

بعض الافاعي يقوم بفرد العظام خلف الرأس مما يعطيه شكلا شبيها بشكل ثعبان الكوبرى حين يقترب منه العدو ، ثم هو ينفخ بقية جسمه حتى يظهر في أكبر ما يمكن له أن يظهر عليه من حجم • وأثناء ذلك تصدر عنه أصواتا فاذا ما اقترب العدو منه أكثر ، دفع برأسه الى الامام ولكنه نادرا ما يعض • أما اذا فشلت هذه الحيلة بابعاد الدخيل ، فانه يبدأ باستعمال حيل أكثر سلبية • فقد يتظاهر بالموت مخرجا لسانه من فمه مستلقيا على ظهره دون حراك •

وهناك أفعى أخرى تصدر عنها ضجة تسمع لمسافة بعيدة فهي حين تتنفس يهتز غشاء رقيق في مؤخرة فمها مصدرا ذلك الصوت • وهدف الصوت ترهيب المتدخلين بشؤون حياتها • أما حين لا تنفع هذه الوسيلة فهي تلتف على نفسها وتهز ذيلها وكأنها الحية ذات الاجراس • ولا تعض هذه

الحية الا اذا استنفذت الطرق المذكورة آنفا ٠ وهي وان عضت فعضتها غـير سامــة ٠

والحية ذات الاجراس تسمى كذلك لان ذيلها ينتهي بحراشف رقيقـة متداخلة مع بعضها بطريقة تحدث صوتا أثناء تحريك ذيلها ٠ وهي حية سامة٠

وبصورة عامـة

تغير الافاعي جلدها مرة كل سنة على الاقل ٠ والجلد القديم يقشر عند موضع الشفتين فتخرج الحية منه ٠

تتغذى الافاعي على وجبة متنوعة حسب نوع الحية وحسب حجمهـا وعمرها وبيئتها ٠ فتتراوح التغذية بين الديدان والحشرات والخنافس والبزاق والضفادع والاسماك والبيوض وبعض الثدييـات والزواحف الاخـرى ٠ ومعظم الحيايا لا تأكل كل يوم بل تكفيها الوجبة الواحدة عدة أيام ٠

ومن الحيايا ما يستقر في الشتاء في جحور تحفرها ولا تخرج منها الا في الربيع حيث تبحث عن قرائنها ٠ وفي الصيف تبيض الواحدة عددا من البيوض قد يصل الى العشرين حيث تفقس بعـد شهرين وتنمو الصغار خـلال أربـع سنوات الى حيايا كاملة النضوج ٠

ومنها ما يحمل عشرين أو أكثر من الحيايا التـي تكون عنـد الولادة شبيهة بالديدان وتكون عرضة لاذى الطيور والحيوانات الاخـرى ٠ وكثير من الحيايا يعيش لمدة ١٥ سنة ٠

السلاحف

وفيها مئتان وأربعون نوعا على قيد الحياة ٠ وكل أفرادها تعيش محمية داخل ترس قاس ؛ ولها فكوك خالية من الاسنان وبل ضامر ٠ ومع ان هذه الصفات عامة ، يوجد تنوع كبير في الحجم والبيئة ٠ فمـن السلاحف مـــا

يعيش على البر ، ومنها ما يعيش في البحر ، وتلك التي تعيش في البحر تصل الى أحجام ضخمة ، أما بعض أنواع السلاحف التي تعيش في المياه العذبة فلا يتجاوز حجمه حجم كف اليد .

يتألف الترس (أو الدرع) من طبقتين ، الخارجية تتألف من صفائح حرشفية غضروفية ، والداخلية طبقة عظمية . ويلتحم عظم الظهر مع الترس . أما الرقبة فتتميز بقدرتها الكبيرة على الحركة بعكس بقية الجسم .

والترس لا يتشكل الا بعد فقس البيض . وطبعا فان عنصر الكالسيوم الذي يؤلف الترس هو عنصر هام في غذاء الصغار . ويختلف تركيب الترس من نوع لآخر ، ففي الانواع البرية يكون الترس رقيقا حتى لا تنوء السلحفاة بوزن كبير . أما في البحر فتقل مشكلة الوزن لان الماء يساعد على حمل السلحفاة ولهذا يكون الترس أكثر قساوة .

وفي الوقت الذي يجعل الترس السلحفاة مستحيلة على الحيوانات الاخرى ، الا أن بيوضها تكون للكثير من الاذى .

وجبة السلاحف متنوعة فالكثير من البرية تتغذى فقط على النباتات أما البحرية فتأكل كل أنواع الاغذية المتوافرة في البحر من الحبارات الى الحيايا البحرية . وبعضها يأكل النبات والحيوان .

والسلاحف المائية أسرع من البرية . وبعضها يؤكل من قبل الانسان الذي يستغل فرصة قدومها الى الشاطىء لتضع بيوضها فيصطادها بالمئات .

وأكبر السلاحف في العالم هي جلدية الظهر التي قد يصل طولها أكثر من مترين ووزنها الى الطن . وتقضي معظم حياتها في المناطق المائية حول خط الاستواء . ويكسو ترسها غشاء من الجلد . وذكر هذه السلحفاة لا يغادر الماء بينما ترتاد اناثه الشواطىء حيث تضع بيوضها في الليالي المقمرة . ولهذه السلحفاة أطراف تساعدها على السباحة وعلى جر جسمها على الشاطىء . تحفر الانثى في أرض الشاطىء حفرة قد يصل عمقها الى المتر بواسطة

أطرافها الخلفية . وتضع فيها حوالي سبعين بيضة ثم تغطي العش بالرمل بصورة لا يمكن تمييز مكانه . تفقس البيوض خلال ست أسابيع وتكون الصغار بطول أقل من عشرة سنتمترات ؛ ومع هذا تستطيع الخوض في الماء واصطياد بعض الحيوانات البحرية .

وبعض السلاحف يعيش في البحيرات الراكدة ، أو المستنقعات ، أو الجداول الطيئة ، وهذه الانواع تدخل في فترة سبات شتوي حتى اذا ما جاء الصيف تضع حوالي العشرة بيوض تفقس خلال ست أسابيع وأحيانا تبقى الصغار في الارض حتى قدوم الربيع فتخرج من فترة السبات . تتغذى على الحشرات والخنافس وبعض الضفادع الصغيرة والاسماك .

والسلحفاة « النهاشة » تسمى كذلك لانها تعض بقوة عناي الفريسة وتستطيع بفكيها كسر العظام أو قطع أصابع اليد . وهذه السلحفاة تبدو وكأنها جزء من الصخر لان الترس يتألف من صفائح ذات أطراف حادة تنبت عليها أحيانا بعض النباتات المائية . وهذه السلحفاة لا تهاجم داخل الماء وانما تحاول حماية نفسها من الخطر . أما على اليابسة فهي تبعد عنها أذى جميع الحيوانات مهما كانت (عدا الانسان) تدخل في الشتاء فترة سبات حيث تنام تحت طبقة من الانقاض المائية . تصطاد الطيور من تحت الماء بالقبض على أرجلها وسحبها . وتتغذى أيضا على الضفادع والحلزون وبعض النباتات المائية . تضع من عشرين الى ثمانين بيضة تفقس خلال ثلاثة أشهر . وأحيانا تبقى داخل البيضة في فترة سبات فلا تفقس الا في الربيع . وقد تعيش حوالي خمس وعشرين سنة .

التماسيح

ست وعشرون نوعا تقع في ثلاث فصائل تتمثل في القاطور والتمساح الهندي والتمساح . والفرق بين هذه الفصائل الثلاثة ضئيل جدا .

تعيش التماسيح على ضفاف الانهار والبحيرات والمستنقعات . ولا

آلت لها علاقة وثيقة مع البيئة المائية • وكل التماسيح تبيض ، وكلهـا مصفح بصفائح على الجسم •

للتمساح غشاء يستطيع به سد حلقه سدا محكما حتى لو كان فمه مفتوحا وقابضا على فريسته • وهو بذلك يستطيع السباحة وجسمه تحت الماء بينما أنفه فوق الماء يتنفس الهواء الذي ينتقل مباشرة الى الانبوب الهوائي خلف سدة الحلق •

يتم التزاوج بين الذكر والانثى تحت الماء بعد مغازلة فيهما هدير من الذكر تجيبه عليه الانثى بالمثل • وقد يستغرق التزاوج ربع ساعة من الوقت• وخلال موسم التزاوج تصبح الذكور غاية في التوحش حتى أنها تتحارب حتى الموت في بعض الحالات •

القاطور تمساح مياه عذبة له خطم عريض ومستدير بينما خطم التمساح أطول وأكثر تدببا ويعيش بعض أنواعه في المياه المزه وأحيانا في المياه المالحة • أما التمساح الهندي (أو الغريال) فله خطم طويل ورفيع جدا يتلاءم مع اصطياد الأسماك •

تهاجم التماسيح الانسان في حالة شعورها بالخطر على أعشاشها أو رغبة منها في التحدي حين تعتقد أن الانسان يخترق حدودها الاقليمية •

تتغذى التماسيح عامة على القشريات والحشرات والعناكب والاسماك والحيايا والسلاحف والطيور وبعض الثدييات •

الزواحف والتطور

في حكايانا السابقة عن الثدييات والطيور كنا بصدد أعلى مراتب التطور في عملية الخلق ، والثدييات والطيور كما ذكرنا تطورت عن الزواحف • والزواحف بذاتها هي احدى عمليتين عامت بهما الطبيعة للارتقاء من البيئة المائية الى البيئة القارية • أما العملية الاخرى فهي الحيوانات البرمائية التي

ستكون موضوع حكايتنا في عدد قادم • والزواحف تفرعت عن البرمائيات لتعوض عن فشل البرمائيات من التوصل الى حياة منعزلة تماما عــن البيئــة المائية • ومع أن الزواحف قد تلاءمت مع العيش على اليابسة فــلا زال بعض أفرادها يمضي وقتا طويلا في الماء كما رأينا • وكما رأينا أيضــا فــان العصر الذهبي لهذه الكائنات قد ولى ولم يبق من هذه المجموعات الزاحفــة سوى تلك المراتب الاربعة التي مررنا عليها سريعا •

كيف استغنت الزواحف عن الماء

اكتسبت الزواحف رئة متطورة تسمح لها بتنفس الاكسجين ما الهــواء، عوضا عن أخذه من الماء كما هي الحال في الاسماك مثلا • والعضلات حــول القفص الصدري تطورت بحيث تسمح بتنظيم عملية التنفس بواسطة تقليص وتمديد هذا القفص وبالتالي الرئة التي تستطيع بذلك أخــذ الهــواء النقي وطرح الهواء الفاسد • وهكذا فقد استغنت الزواحف عن كون جلدها جهازا يساعد في عملية التنفس كما هي الحال في البرمائيات مثل الضفادع • ففــي البرمائيات يقوم الجلد بعملية تنفس بالاضافة للرئة • أما الجلد في الزواحف فقد تطور ليقوم بحفظ الماء داخل الجسم وهــذه احــدى المحاولات لتمكين الحيوان من عدم الاعتماد على الوسط المائي بل نقل هذا الوسط معه داخل جسمه ، ومن الممتع أن نلاحظ أن الجلد في الزواحف قد احتفظ بالحراشف ، والحراشف توجد على جسم الاسماك بينما لا توجد على جسم البرمائيات • وهكذا تكون هذه الصفة مكتسبة من سلف السلف وليس من الســلف المباشر في التسلسل التطوري (البرمائيات تطورت عن الاسماك) • والحراشف فــي الزواحف مكونة من مادة مانعة لنفوذ الماء •

والزواحف مثل أسلافها تتميز بحرارة متغيرة عــلى عكس الثدييــات والطيور صاحبة الحرارة المنتظمة • وهذه الحرارة تتغير وفق البيئة المحيطــة بالحيوان طبقا دون صور معينة لا يتجاوزها •

فالعين صارت تتلاءم مع العيش على اليابسة • فبينما نجد أن القرنيــة

مثلا في عين السمكة ما هي الا غشاء شفاف لا عمل له بالنسبة لتركيز الصورة ، نجد أن الزواحف قد امتلكت قرنية محدبة لها علاقة بتركيز الصور في الوسط الهوائي الذي يختلف بخواصه الفيزيائية عن الوسط المائي بالنسبة للرؤية وانكسار وانعكاس الضوء •

وعيون الزواحف ذات لون أحمر فاقع أو أصفر • وأكثر الزواحف تميز بين الالوان عدا التماسيح •

امـا السمع

فلقد تألفت الاذن من غشاء الطبل الذي يتلقى الامواج الصوتية والذي يكون في كثير من الزواحف ظاهرا على جانب الرأس • ومن أذن داخلية تنقل الاهتزازات الواصلة من غشاء الطبل الى الدماغ بصورة اشارات يمكن فهمها وتحليلها •

والدمـاغ

أصبح أكبر حجما من دماغ الاسماك أو البرمائيات • ولكنه لا زال صغيرا جدا بالنسبة لدماغ الثدييات • ولا يزيد وزن الدماغ في الزواحف عن الواحد بالمئة من كامل وزن الجسم • ويقال أنه حتى في الديناصورات الضخمة التي وصل وزنها الى عشرين طنا لم يتجاوز الدماغ فيها المئة غرام فقط •

والبيـوض

تطورت البيوض بحيث تخلصت الزواحف من التكاثر في الماء • فالبيضة تحتوي على قشرة تمنع تفسخها وتساعد على الاحتفاظ بمحتوياتها • والبيضة تحتوي على كمية كافية من الغذاء والماء حتى يتطور الجنين الى مرحلة النمو الكاملة حيث يفقس البيض خارج الجسم أوأنه يفقس داخل الجسم ويخرج الحيوان كاملا في كلا الحالتين • واحتوت البيضة أيضا على

طريقة للتخلص من فضلات الجنين الاطراحية فـلا يحصل التسمم • وهـذه الخواص تشكل أول نموذج رائع في عملية التكاثر بمعزل عن الوسط المائي• ولقد اتبعت الطيور وبعض الثدييات نفس الطريقة • أما البرمائيات فلا زالت تتكاثر في الوسط المائي ولم تتطور بيوضها على هذا الشكل •



الذكر فوق الانثى •• وسنة الكون والبقاء عند السلحفاة كما عند المخلوقات

واخـــيرا

فلقد رأينا كيف أن بعض الزواحف له أطراف وبعضها ليس له أطراف • وفي بعضها تطورت الاطراف اما للتسلق واما للزحف واما للسباحة ، أو لاكثر من سبب واحد في نفس الوقت • وحتى تلك التي بدون أطراف فلها حركـة تساعدها على الزحف أو السباحة أو التسلق •

ولست أدري اذا كانت السلحفاة قد استهجنت كثيرا هـذه البيئـة الجديدة فغالت غلوا كبيرا في حماية نفسها فوضعت نفسها داخل ذلك الترس المنيع • ومع هذا ـ وبنفس الذكاء ـ لا زالت تستطيع ممارسة كافة حقوقها في الحياة ، والشكل (١) يعكس هذه الحقيقة •

انكلتـرة — رغيد النحاس

قصة أم

مترجمة

كانت أم جالسة تسهر على طفلها الصغير ، وكانت حزينة جد الحزن ، خائفة كل الخوف من أن يموت ، لأن الطفل كان شاحب اللون جدا ، مغمض العينين ، وكان تنفسه واهنا ، وكان من حين الى حين يصعد زفرة عميقة ، والام يزداد وجهها اكتئابا كلما تبينت لها حال المخلوق الصغير الضئيل •

وطرق الباب طارق ، ودخل شيخ مسكين متزمل بكسوة حصان كبيرة ، وكان بحاجة الى كساء دفيء ، لان الليلة كانت من ليالي الشتاء الباردة ، والارض خارج البيت مغطاة بالجليد والثلج ، والريح تهب لاذعة قارسة في وجه السائر •

ولما رأت الام هذا الشيخ يرتعد من البرد ، ولاح لها أن الطفل الصغير كان نائما في تلك اللحظة ، نهضت وأحضرت قليلا من الجعة في ابريق صغير ، ووضعته على الموقد ليدفأ للضيف • وجلس الشيخ يهز مهد الطفل ، وجلست الام بجانبه على كرسي لا تكف عن التحديق في طفلها العليل ، تنصت في قلق الى تنفسه العسير ، وتمسك بيده الضئيلة •

وقالت للشيخ : « سيبقى لي ، أو لا تظن ذلك ؟ ان الله رحيم وهو لن يأخذ مني حبيبي » •

وأومأ الشيخ برأسه ايماءة غريبة ، لم تدر أبالايجاب كانت أم بالنفي ، فقد كان هذا الشيخ هو الموت بنفسه ، وأرخت الأم عينيها ، وهطل الدمع مدرارا على خديها ، وأحس رأسها يثقل ، لانها لم تغمض جفنيها ثلاثة أيام وثلاث ليال سويا ، وغفت عيناها ، ولكن هنيهة ، ثم قامت مذعورة على الاثر ترتعد من البرد •

وصاحت وهي تتطلع فيما حولها : « مـا هذا ؟ » فقـد مضى الشيخ ، ومضى طفلها الصغير ، أخذه الشيخ معه • وهناك في الركن كانت الساعة تدق وتمضي في الدق ، ورقاصها المثقل يترنح هابطا على الدوام ، حتى سقط على الارض ، فوقفت حركة الساعة هي الاخرى •

بيد أن الام المسكينة الثكلى انطلقت الى خارج البيت تصيح طالبـة ولدهـا •

وكانت في خارج الدار امرأة تجلس وسط الثلـج ، وترتـدي ملابس طويلة سوداء ، فقالت : « لقد كان الموت في غرفتك ، وقد رأيته يهرع منهـا بطفلك الصغير، انه يمضي بخطى واسعة تسبق الريح ، ولا يرد أبدا ما أخذ» •

وتوسلت اليها الام قائلـة : « خبريني أي طريـق سلك ! دليني عـلى الطريق وأنا كفيلة بوجوده » •

فأجابت المرأة ذات الثياب السوداء : « أنـا أعرف الطريق ، ولكني لا أدلك عليه حتى تغني كل الاغاني التي كنت تغنينها ابنك ، فأنا الليل ، وأحب هذه الاغاني • ولقد سمعتك تغنيها مرارا ، وأحصيت الدموع التـي ذرفتهـا حين كنت تغنيها » •

فقالت الام : « سأغنيها جميعا ولا أغفل واحـدة • لكـن لا تستبقيني الآن ، ودعيني أتعقب الموت ، وأسترد طفلي ! » •

لكن المرأة لم ترد ، بل ظلت جالسة صامتة لا تلين ، فشرعت الام تغني باكية وتعتصر يديها في خلال ذلك • وكانت الاغاني التي غنت كثيرة ، لكـن الدموع التي ذرفتها كانت أكثر • وأخيرا قالت المرأة : « عرجي الى اليمين ، وادخلي حرج التوت ، لان الموت سلك هذه الطريق ومعه طفلك » •

وفي قلب الحرج تشعبت الطرق ، وحارت المرأة المسكينة ، فلم تدر أية وجهة تقصد ، ووقفت عند شجرة شوك ، لا ورق فيها ولا زهر ، لان الاوان شتاء ، وقطع الجليد عالقة بفروع الشجيرة الجرداء •

فسألت الام الشجرة : « خبريني ! ألم يمر بك الموت يحمل معـه طفلي الصغير ؟ » .

فردت الشجرة الشائكة : « أجل رأيته ، لكني لن أنبئك أي نريق سلك حتى تضميني الى صدرك لأدفأ ، لان الصقيع يقتلني في هذا المكان ويحولني الى جليد » .

وضمت الام شجرة الشوك الى صدرها ، وضغطت عليها حتـى أذابت قطع الجليد ؛ ووخز الشوك لحمها ، وطفر منه الدم قطرات كبيرة ، بيـد أن شجرة الشوك أنبتت أوراقا نضرة ، وتوجتها الازهار في نفس هـذه الليلـة الباردة القارسة من ليالي الشتاء . ألا ما أحـر قلب الام الحزينة ! ودلتهـا شجيرة الشوك على الطريق الذي يجب أن تسلكه .

وأدى الطريق بها الى ضفاف بحيرة كبيرة ليس فيهـا سفينة أو زورق ، ولم تكن البحيرة من التجمد بحيث تقوى على احتمال جسمها ، أو ضحضاحة تستطيع أن تخوض هي في مائها ، فكان لا بد لها من عبورها ، اذا أرادت أن تسترد طفلها ، فانبطحت على الارض تظن أنهـا تستطيع أن تجفف البحـيرة شربا ، وهو أمر لا يقدر عليه أبدا شخص بمفرده ، لكن الام المسكينة التعسة كانت تتصور أنها قد تستطيع ذلك بمعجزة .

وقالت البحيرة : « لن يكون أبدا ! وخير لك أن نرى هـل يمكننا أن نصل الى اتفاق معا . اني أحب جمع اللآلىء ، ولم أر في حياتي أكثر تألقا من عينيك ، فاذا ذرفتهما على صدري حملتك الى بيت النبـات الفسيح الـذي يسكنه الموت ويرعى فيه أشجاره وزهوره ـ وكل منها حياة آدمية » .

وصاحب الام : « وهل أبخل بشيء في سبيل الحصول على ولدي » .

وجعلت تبكي حتى سقطت عيناهـــا في البحيرة وحالتـا لؤلؤتين لامعتين . وتلقتهما البحيرة ، وأخذ صدرها يعلو ويهبط . وحمل التيار الام سالمة الـى الضفة الاخرى حيث قام بيت عجيب يمتد أميالا عدة . وكان عسيرا أن تقطع فيه برأي ، أهو بيت حقيقي شيدته أيد ، أو هو جبل ذو غابات ومغاور فـي

جوانبه ؟ بيد ان الام المسكينة لم تستطع أن تميز هذا فقد ذرفت عينيها بكاء •

وسألت الام : « أين أجد الموت لأسأله أن يرد الي طفلي الصغير ؟ » فأجابت عجوز شمطاء كانت تروح وتغدو في بيت النبات الذي وكل اليها الموت حراسته في غيبته : « انه لم يعد بعد ، ولكن كيف اهتديت الى طريقك الينا ؟ ومن هداك اليه ؟ » •

فأجابت : « هداني اليه الله ، فهو أرحم الراحمين ، وأنت كذلك ستكونين رحيمة ، فأين أجد طفلي الصغير !؟ »

قالت العجوز : « لا أدري وأنت فيما أرى لا تبصرين • وقد ذوت زهور وأشجار كثيرة هذه الليلة ، وسيعود الموت قريبا جدا لينقلها • ويجب أن تعرفي أن لكل انسان شجرة حياته أو زهرتها التي عينت له • وهي تبدو على غرار النباتات العادية ، لكن قلوبها تنبض ، فاطمئني فقد تستطيعين أن تميزي نبض طفلك • ولكن ماذا تعطينني اذا أخبرتك بما يجب عليك عمله بعد ذلك ؟ » •

فقالت الام الحزينة : « ليس عندي ما أقدمه لك ، لكنني سأذهب الى آخر الدنيا اذا طلبت مني ذلك ؟ » •

فأجابت العجوز : « أنا لا أبغي شيئا من آخر الدنيا ، لكنك تستطيعين أن تعطيني شعرك الاسود الطويل ، ويجب أن تعلمي أنه جميل جدا ؛ وهو يروقني كثيرا ، وفي استطاعتك أن تأخذي بدلا منه شعري الاشيب ، فهو خير من لا شيء » •

فردت الام : « ألا ترومين شيئا غير هذا ؟ سأعطيك اياه عن طيب نفس » • ونزلت عن شعرها الجميل ، وأخذت في مقابلته خصل العجوز الخفيفة الناصعة البياض •

ودخلتا عندئذ بيت نبات الموت الفسيح ، حيث تنمو الازهار والاشجار

في نظام وتنوع عجيبين . وكان هناك الرائحة القوية . وكانت هناك نباتات مائية بعضها نضر وبعضها ذابل ، وكانت ثعابين الماء ملتفة حولها ، والسرطانات متشبثة بسوقها . وهنا نخيل وبلوط وموز عظيم ، وهناك البقدونس الذليل والصعتر الفواح .

وما من شجرة أو زهرة هناك الا لها اسمها ؛ وكل واحد منها اسم لآدمي . وقد عاش الاشخاص الذين تحمل أسماءهم في كافة بقاع الارض وأممها ، فواحد في الصين وآخر في جرينلنده وهام جرا .

وكانت هناك بضع شجيرات كبيرة في آنية صغيرة انقبضت من صغرها جذورها ، وكادت الاشجار أن تحطم الآنية . وكان في ناحية أخرى أعشاب ضعيفة ضئيلة موضوعة في عفن كثير يعلو جذورها الطحلب ، وقد بذلت في حفظها أعظم عناية .

وأكبت الام الحزينة على النباتات الضئيلة جميعا تستمع في كل منها الى نبض الحياة الآدمية ، وميزت من بين آلاف آلافها خفقان قلب طفلها فصاحت: « ها هو ذا ! » ثم بسطت يدها فوق زهرة زعفران صغيرة زرقاء كانت مائلة ذابلة ضعيفة .

وقالت العجوز : « لا تمسي الزهر بل اقعدي هنا . فاذا جاء الموت ، وقدومه منتظر في كل لحظة ، فامنعيه أن يقتلع النبتة . وهدديه بأن تفعلي ببعض الزهور الاخرى مثل فعله ؛ فهذا يرعبه ، لان الله سوف يناقشه عليها الحساب ؛ اذ لا يجوز أن يقتلع نبات قبل أن يأذن الله القدير » . واكتسح القاعة بغتة هواء جليدي بارد ، فأحست المرأة الضريرة دنو الموت .

وسألها : « كيف بلغت هذا المكان ؟ وكيف وصلت اليه أسرع مني ؟ » .

فأجابت : « اني أم » .

ومد الموت يده الطويلة نحو زهرة الزعفران الضئيلة العليلة ، لكنها أحاطتها بيديها ، وحرصت كل الحرص على أن لا تمس ورقة منها . فزفر

الموت فوق يديها فأحست بزفرته تشيع فيها من الرعدة مـا لا تشيعه أبـرد ريح شتوية قارسة ، فارتخت يدها عديمة الحس والحركة •

وقال الموت : « أنت أمامي لا حول لك ولا قوة » •

فأجابت : « ولكن لله الحول والقوة ، وهو الرحمن الرحيم » •

فقال الموت : « انما أنفذ مشيئته ، وأنا بستانيه • فأنا أنتزع كل نباتـه وشجره واحدة بعد أخرى ، وأغرسها ثانية في جنة الفردوس المجيدة ، فـي الارض المجهولة • ولا أجرؤ أن أقول لك أين هذه الارض ، أو كيف ينمـو النبات فيها » •

فصاحت الام : « أعد الي ولـدي ! » ، وولولت وتوسلت ، وأمسكت دفعة واحدة بزهرتين جميلتين ، كل واحدة منهما في يد وصاحت :

« أقتلع زهورك جميعا ! اني يائسة ! » •

فقال لها الموت : « لا تمسيها ! انك تقولين انك تعسة جـدا ، فهـل تريدين أن تشقى أم أخرى ! كما تشقين ؟ » •

ورددت المرأة المسكينة قوله : « أم أخـرى ! » ، وأرخت في الحـال قبضتيها عن الزهرتين •

وقال الموت : « ها هما تان عيناك ! فقد اصطدتهما من البحيرة ، اذ كانتا تبرقان بريقا شديدا ، ولم أك أعلم أنهما لـك ، فهاكهما ! وهما الآن أكثـر بريقا مما كانتا ، والآن انظري الى هـذه البئر العميقـة ، فسأخبرك باسمي الزهرتين اللتين أوشكت أن تقتطفيهما ، وسترين مستقبلهما كله منعكسا على صفحة البئر ، وسيرة حياتهما الآدمية بأكملها • سترين كل مـا تقت الـسـى تدميره » •

وحدقت في البئر ، وكان متعة للعين أن تـرى كيف أن احـدى هاتين الروحين قد أصبحت نعمة على العالم بأسره ، تشع حولها الغبطة والسعادة ،

وتأملت سيرة الحياة الاخرى فرأت الخطيئة والهم والشقاء والبؤس التام .

قال الموت : « كلتاهما مشيئة الله » .

واستفسرت : « أي الزهرتين زهرة الشقاوة ، وأيهما الزهرة المباركة التي تشع البركة ؟ » .

فأجابها الموت : « لا أستطيع الاجابة ، لكن شيئا ستعلمينه مني ، وهو أن احدى هاتين الزهرتين كانت زهرة طفلك ، وقد رأيت ما قدر لطفلك وعرفت مستقبله » .

وصرخت الام فزعا وقالت : « أي الزهرتين طفلي ؟ تكلم ! أنقذ الطفل البريء ، خلصه من كل هذا الشقاء ! أولى له أن يرحل من هذا المكان ، وأن تحمله الى مملكة الله . انس دموعي وانس توسلاتي وانس كل ما فعلت ! »

فقال الموت : « لست أفهمك ! أتريدين أن تسترجعي طفلك ، أم تحبين أن أحمله الى المكان الذي تجهلين ؟ » .

واعتصرت الام كفيها ، وخرت راكعة على ركبتيها ، ودعت الله أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين قائلة : « لا تستمع الي حين أسألك ما ليس من مشيئتك ، فمشيئتك دائما هي الخير . لا تستمع لي يا رب ، لا تستمع الي ! » . وتدلى رأسها فوق صدرها .

وانصرف الموت بطفلها الى المكان المجهول ...؟

إلى حامد حسن
الشاعر السوري الملهم

شعر: خضر عباس الصالحي

أ «حامد» ان الشوق انوى فؤاديا

ولله ساعات بقربك قد مضت ... وذكرني تلك العهود الخواليا
وانت الذي بالفضل آنست غربتي ... أعادت الي العمر أبلج زاهيا
تحسست في افعالك الحب صادقا ... لي الويل ان أضحى لفضلك ناسيا
توسمت فيك الروح ، روح شهامة ... طواني الردى ان كنت للحب طاويا
بزغت كبدر في دياجر وحشتي ... ومنك استقيت اللطف حلوا وصافيا
وما حبك الجياش اذ سال في دمي ... فمزقت بالنور البهي الدياجيا
وذكرك في ثغري نشيد مخلد ... سوى منهل عذب تدفق جاريا
اذا ما شكا قلبي مثالب دهره ... اهز به جيلي العقوق المعاديا
وان جرعت نفسي كؤوسا من الاسى ... اراك على قلبي المعذب حانيا
وان هتفت روحي بذكرك عندما ... فللنفس قد كنت الحبيب المواسيا
سحابة يأس ان تراءت بعالمي ... بها الداء يسري كنت للداء شافيا
وفاء واخلاص ونبل وجراة ... سللتك سيفا يذبح اليأس داميا
وهذي السجايا الرائعات فانها ... خصالك فيها الدهر امسى مباهيا
فلا عجب ان رحت في الروض صادحا ... بكل اديب تستثير القوافيا
وبت بما لاقيت منك من الاخا ... فقلبي المعنى صار يجني الامانيا
احلق في دنيا الولاء مفردا ... اباهي ذوي القربى واسبي الاعاديا
... تعانق أحلامي الذرى والروابيا

★★★

فيا شاعرا ان قلت شعرا فانما ... من الادب العالي تصوغ المعانيا
ويا حارس الفصحى من الزيف انها ... رأت فيك جنديا يصب التفاديا
ويا سيد الحرف المحفز للوغى ... طلائع تجتاح الردى والمآسيا
طلائع شعب يعربي مصمم ... على البذل لا يخشى الخطوب الدواهيا
يواصل في درب الشهادة زحفه ... ولا يبتغي الا العلى والمعاليا
يحرر من رجس العمالة أرضه ... ويسحق خصما للعروبة غازيا
لقد حرفوا اهداف واوغلوا ... بدرب الخطايا واستطابوا المعاصيا

★★★

وجدتك كنزا للفنون ومصدرا … لاحلى أحاديث وللشعر راويا
وانك لا أغلو اذا قلت جازما … اديب وحيد لا ارى لك ثانيا
اذا ما شدوت الشعر كنت مجليا … وما سمعت أذناي مثلك شاديا
وشعرك غنى للجمال وللهوى … وهدهد بالهمس الشفيق الغوانيا
وصور ما لاقى المحبون في النوى … وقد كابدوا صدا وعانوا تجافيا
وهمت باكناف الطبيعة عاشقا … تصب الشذا منها وتهوى السواقيا
بفكرك تستجلي حقائق كوننا … وفنك قد اضحى بذوقك راقيا
اذا الشعر ما راحت تعيث بشكله … عصابة سوء كنت للشعر حاميا
وما الشعر بين الناس الا رسالة … وصاحبها يسمي الى الخير هاديا
وما شعرك الخلاق الا خرائد … وكم فيه هيجت الحمى والنواديا

★★★

رايتك للخلق المهذب قدوة … وللحق نبراسا وللخير داعيا
تحملت من غدر الطغاة مكائدا … بعهد به قد كان خصمك قاسيا
وهددك الحساد بالنفي والردى … فقارعت بالحزم الردى والمنافيا
شمخت شموخ النجم غير مطاطىء … بهامك للباغي وان كان عاتيا
اذا عد اصحاب المآثر والندى … واهل المزايا الغر كنت المثاليا
احب بك الايثار ، اهوى بك الوفا … وما كنت في حبي الطهور مداجيا
واكبر فيك التضحيات بذلتها … لوطنك الغالي واطري المساعيا
اثمن فيك الجهد ، جهد مناضل … شجاع يلبي في الجهاد المناديا
ويضرم في اشعاره الغر ثورة … فتحرق دساسا وتمحق طاغيا
على العرب ان غامت حقيقة واقع … اراك لاسرار الحقيقة واعيا
وقد شرد الاحرار من شعب يعرب … عن البلد الدامي فجابوا الفيافيا
وسرت بركب الثائرين وفوقهم … رفعت لواء النصر يخفق عاليا
وسجلت في سفر الكفاح صحائفا … قد امتلأت بذلا وفاضت تفانيا
وانت بما أبدعت من غرر الحجى … اقمت لنا مجدا اثيلا وساميا
فمنها اذا ما شئت كانت صواعقا … ومنها اذا ما شئت كانت اغانيا

★★★

حنانيك هذا الشعر يعكس لهفتي … لايامنا النشوى ولست ماليا
ترقرق كالينبوع من غور خافق … يصور صبا عايش الهم عانيا
تغلغل في الاحشاء حبك لم اكن … ليشهد الله يوما في هواك مرائيا

وفجر في الاعماق فيضا من الهوى فانسبيت كالمخمور أقضي اللياليا
احس باضلاعي فؤادا ملوعا اليك هفا شوقا يروم التلاقيا
برى الحزن جسمي حين شط بنا الحمى واصبحت زهرا في الخميلة ذاويا
وحطمت غب البعد كاس صبابتي وارخصت دمعا في الشدائد غاليا
واخرست عند الناي لحن قيثاري وبت اطوف الليل سهران شاكيا
اذا خيم الليل البهيم على الدنى اناجيك فارحم بالوصال المناجيا
ومهما يبدد الايام عائث بشملنا سابقى وفيا للاخوة راعيا
وما كنت في صوغ القريض سوى فتى أترجم عن حبي وتست محابيا
وما انا الا ذلك الشاعر الذي يهيم مع الذكرى ويغشى المغانيا
ازف اليك الشعر ، شعر محبة ستغني البرايا وهو يشمخ باقيا

بغداد ـ العراق

خضر عباس الصالحي



بيروت ، مات الأسد حتف أنوفهم ... لم يشهروا سيفا ولم يحموك ..
كل يصيد الليث وهو مقيد ... ويعز صيد الضيغم المفكوك !
بيروت ، يا راح النزيل وأنسه ... يمضي الزمان علي لا أسلوك
الحسن لفظ في المدائن كلها ... ووجدته لفظا ومعنى فيك
نادمت يوما في ظلالك فتية ... وسموا آلائك في جلال ملوك
ينسون « حسانا » عصابة جلق ... حتى يكاد بجلق يفديك !
تالله ما احدثت شرا او أذى ... حتى تراعي ، او يراع بنوك !
أنت التي يحمي ويمنع عرضها ... سيف الشريف وخنجر الصعلوك
ان يجهلوك فان امك سوريا ... والابلق الفرد الاشم ابوك (١) !
والسابقين الى المفاخر والعلا ... بله المكارم والندى أهلوك
سالت دماء فيك حول مساجد ... وكنائس ومدارس وبنوك
كنا نؤمل ان يمد بقاؤها ... حتى تبل صدى القنا المشبوك
لك في ربى النيل المبارك جيرة ... لو يقدرون بدمعهم غسلوك !

(١) يعني بالابلق الفرد : جبل لبنان .

للشاعر احمد شوقي

اختفاء الصدر :
لغز يطرح نفسه على العام الجديد

في ١١ أيلول أعلن في بيروت عن اختفاء الامـام موسى الصـدر رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى •

كان الحدث ـ الصدمة ، وتحول الى الحدث ـ اللغز ، وصار مع قدوم العام الجديد الحدث المتواصل في ذهن الناس ، يتناقلونه مـن دون حاجـة لذكره في الصحف والاذاعات ، هما في بيوت الالوف وأرقا طال أمده وقـد يطول أكثر عند المسؤلين كما عند المحرومين •



وكان الامام الصدر قد توجه الى الجماهيرية العربية الليبية في ٢٥ آب

١٩٧٨ لحضور احتفالات « الفاتح من سبتمبر » ، يرافقه الشيخ محمد يعقوب والصحافي عباس بدر الدين وكان من المقرر أن يتوجه الأمام الصدر مع مرافقيه بعد زيارته لليبيا الى العاصمة الايطالية لكن السلطات الايطالية استبعدت وصوله أو وجوده على أراضيها . بينما أكدت السلطات الليبية أن الامام غادر الاراضي الليبية في ٣١ آب ١٩٧٨ على متن طائرة تابعة لشركة أليطاليا متوجها الى روما .

وبعد ١١ يوما أبلغ المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى الدولة اللبنانية بشكل رسمي عن انقطاع الاتصال مع الامام الصدر ومرافقيه ، وأثار الموضوع موجة كبيرة من القلق في الاوساط الرسمية ، الدينية والشعبية ، فدعي المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى الى جلسة طارئة في ١٢ أيلول . وجرى الاجتماع برئاسة الشيخ محمد مهدي شمس الدين نائب رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى ، في مدرسة الزهراء في خلدة حيث توافد مواطنون من أبناء الطائفة الشيعية من جميع المناطق للتجمع في ساحة المدرسة للاستفسار عن مصير الصدر .

وتم تشكيل لجنة من المجتمعين تألفت من الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، المفتي الجعفري الممتاز الشيخ عبد الامير قبلان ، الشيخ محمود فرحات والنواب حسين الحسيني ، عبد اللطيف الزين ، عبد المولى أمهز ، محمد يوسف بيضون ، ومحمود عمار .

انتقلت الى قصر منصور حيث اجتمعت بالرئيس كامل الاسعد الذي اتصل بالرئيس سركيس والرئيس الحص . ثم انتقلت اللجنة الى قصر بعبدا فقابلت الرئيس سركيس الذي أبدى اهتمامه للموضوع فأجرى اتصالات عديدة شملت عدة مسؤولين في كل من ليبيا وايطاليا وفرنسا للوقوف على مصير الامام الصدر ومرافقيه .

فاتصل بالعقيد معمر القذافي كما اتصل الرئيس الحص بالرائد الركن

عبد السلام جلود عضو الامانة العامة لمؤتمر الشعب العام في طرابلس ثم تلقى خبرا رسميا من القائم بأعمال السفارة الليبية في بيروت محمود بن كورة؛ مفاده ا ن الامام الصدر غادر ليبيا في ٣١ آب متوجها الى روما ٠

وانتشر خبر اختفاء الامام الصدر ... فكان موضوع اهتمام الجميع ٠ فأعلنت منظمة التحرير الفلسطينية والمجلس السياسي المركزي للحركة الوطنية اللبنانية استنكارها لهذه القضية .. وتابعت الموضوع فأوفد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير ، ممثلين عنه للتحقيق في القضية وأجرى اتصالات عدة مع مراكز المنظمة في طرابلس وباريس وروما ، وبون والجزائر للوقوف على وجود الصدر ٠

وانطلقت قضية الصدر الى النطاق الشعبي عبر الاضراب العام الذي دعا اليه المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى في ١٥ أيلول ٧٨ والذي شاركت فيه جميع المناطق اللبنانية ٠ ووصف الاضراب السلمي بأنه اضراب من أجل اعلان الحقيقة فأقفلت المتاجر والمطاعم ودور السينما والمؤسسات الخاصة والعامة في كل أحياء بيروت الغربية والضاحية الجنوبية ٠

وجرت تحركات أخرى منها الاعتصام في مساجد لبنان في ١٨ أيلول ؛ ونظم المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى في ٢١ أيلول ٧٨ مسيرة سلمية سيارة توجهت من المناطق والعاصمة الى الحدود اللبنانية السورية موجهة ندائها الى مؤتمر الصمود والتصدي المنعقد في دمشق آنذاك ٠

وشارك في المسيرة ما يزيد عن الـ ٤٠ ألف مواطن اتجهوا الى جديدة يابوس على الحدود السورية بواسطة سيارات وأتوبيسات وشاحنات تحمل صور الصدر ومكبرات الصوت تطلب المساعدة في تحديد مصير الصدر ٠ وتمكنت حوالي ٣ آلاف سيارة من دخول الحدود السورية والوصول الى العاصمة دمشق والتوقف أمام فندق « شيراتون » حيث يعقد مؤتمر الصمود والتصدي وسلم وفد من المسيرة مذكرة للمؤتمرين حول اختفاء الصدر ٠

واستمرت التحركات الرسمية والدينية في لبنان فقام وفد من الهيئة الاسلامية لمتابعة قضية الصدر بزيارة لسفراء أميركا والصين وباكستان والهند والسودان لمطالبتهم بالتحرك من أجل فك الغموض وذلك في ٣ ت أول ١٩٧٨ .

وحتى الآن لا يزال السؤال يراوح مكانه : أين اختفى الامام ورفيقيه ؟ وهل تحمل السنة الجديدة بشائر حل اللغز ؟

العرفان : هذا ما نشرته زميلتنا السفير السنوية ونحن بدورنا تتساءل : أليس اختفاء الصدر جريمة بشعة ، ونسأل خصومه قبل أصدقائه ومقدريه ومحبيه ؟ أليس هذا الامر يعد استهتارا بمئة مليون شيعي يعيشون على وجه البسيطة ؟

ميزان يوزن به الكلام

※ كان عبد الله بن عمر يحب عبد الله بن جعفر حبا شديدا ، فدخل عليه يوما وبين يديه جارية في حجرها عود . فقال : ما هذا يا أبا جعفر ؟ قال : وما تظن به يا أبا عبد الرحمن ؟ فان أصاب ظنك فلك الجارية . قال : ما أراني الا قد أخذتها ، هذا ميزان رومي فضحك ابن جعفر . وقال : صدقت هذا ميزان يوزن به الكلام ، والجارية لك . ثم قال هات فغنت :

أيا شوقا الى البلد الامين   وحي بين زمزم والحجون

ثم قال : هل ترى بأسا ؟ قال : هل غير هذا ؟ قال : لا . قال : فما أرى بهذا بأسا .

ثورة مضادة
للنظام اليساري في افغانستان

نشرت مجلة « باري ماتش » الفرنسية الصور الاولى للمقاومة الافغانية التي يقوم به رجال الجرد باسم الدين الاسلامي لقلب النظام الشيوعي الـــذي أطاح بالملكية .

وقد جاء بهذه الصور مراسل المجلة الخاص ريمون ديباردون الـــذي عاش مع المقاومة الدينية في الجبال الافغانية في الهماليا ..

ويفيد مراسل « باري ماتش » انه على اثر قرار النظـــام الجديد الموالي للسوفيات باعتقال وسجن الزعماء الدينيين ، ثارت قبيلة « باشتون » دفاعا عن آيات الله .. وأعلنت حرب التحرير ضد النظام الاحمر الذي يرئسه محمـــد طراقي .

وكان هذا الاخير قد قـــام بعمليته الانقلابية في السابع والعشرين مـــن شهر ابريل ـــ نيسان الماضي وعمد الـــى قتل الرئيس السابق داوود وجميـــع أعضاء عائلته . ثم أعلن ان ٩٩٫٥ بالمئة من الشعب يناضلون الى جانبه ضـــد الاقطاعية من أجل بناء الاشتراكية ...

وقد رافق مراسل « باري ماتش » رجال المقاومة الجردية ثمانية أيام . وجاء بالصور وبالقصة الكاملة .. أحرب جهاد دينية جديدة انطلقت من علو أربعة آلاف متر في الجرد الافغاني وتضم الآلاف من المحاربين الاقوياء الذين استطاعوا بالماضي الصمود أمام القوات البريطانية الحاكمة ...

ويقول ريمون ديباردون بأن آيات الله يباركون بنادق المقاتلين ووسائل

الاتصالات اللاسلكية ؛ واستطاع المقاتلون بفضل صمودهم ان يجعلوا من وادي « كمدش » أرضا معزولة من السلاح لا يجرؤ على تخطيها رجال الحكم الموالي لموسكو وعمدوا الى نسف الجسور وقطع جميع الطرقات . كما توصلوا بعد حصار دام ثلاثة أيام الى احتلال حصن « أورمور » في تلك المنطقة حيث استسلم لهم ٢١٩ جندا وسبعة ضباط من حامية الحصن ومنذ ذلك اليوم وقطاع بلاد « الباشتون » المحررة محرمة على القوات الموالية لنظام كابول .

... وفي الليل القاتم ... ينقض رجال المقاومة الدينية من بين الاشجار والاعشاب فيقتلون كل من يحاول خرق قطاع حريتهم !...

الحب عن ابن حزم

* المعروف عن ابن حزم انه فقيه وسياسي اندلسي عاش في النصف الاول من القرن الخامس الهجري . ومن أطرف تعريفاته للحب ما ذكره هو في كتابه « طوق الحمامة » اذ قال : « ان الحب أوله هزل وآخره جد ، وهو لا يوصف ، بل لا بد لك من معاناته حتى تعرفه ؛ والدين لا ينكره ، والشريعة لا تمنعه ، اذ القلوب بيد الله عز وجل ، وقد أحب من الخلفاء المهديين والائمة الراشدين كثير .

والمحبة أنواع : أفضلها محبة المتحابين في الله ، وأنواعها الاخرى محبة القرابة ؛ ومحبة الالفة ، ومحبة التصاحب والمعرفة ، ومحبة البر يضعه المرء عند أخيه ؛ ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحابين لسر يجتمعان يلزمهما ستره ، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق التي علة لها الا اتصال النفوس المشوقة ، وكل هذه الانواع تتغير أسبابها الا محبة العشق الصحيح فهي التي لا فناء لها الا بالموت » .



مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
ورئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

العدد الثاني مجلد ٦٧ شباط «فبراير» ١٩٧٩ الموافق ربيع الاول ١٣٩٩

تاريخ



شعر

أبواب العرفان

كلمة رئيس التحرير

قطوف وطيوف من هنا وهناك

جبل عامل او الجنوب لم يكن فقيرا بالعلماء والادباء والشعراء في القرنين الاخيرين ، ولكن كيف يسمع صوته ، ويبلغ اعلامه ويثقف لا أهل قريته وجوارها فحسب ، بل الآخرين . الى أن هيأ الله لجبل عامل رجلا آتاه الله بصيرة في الحياة ونورآ يمشي به في الناس ، فعرف الطريق الصحيح ، وكان من نفسه وتجرده واخلاصه وتضحيته موسوعة اخلاقية انسانية وطنية ، وما ان أعلن الدستور العثماني اواخر سنة ١٩٠٨ ، حتى اسس في اول سنة ١٩٠٩ مجلة العرفان وبالتحديد في مثل هذا الشهر أي في ٥ شباط « فبراير » لسبعين سنة ميلادية ، الموافق ١ محرم ١٣٢٧ ل ٧٢ عاما هجريا ، ذلك هو الشيخ احمد عارف الزين ، مؤسس العرفان ، وكانت مدرسة سيارة ومنبرا هدارا ، وكان عمله هذا في تلك الايام تعجز عنه جماعة او حكومة .. وكانت الامهات تسمي كل كتاب او دفتر « عرفان ».

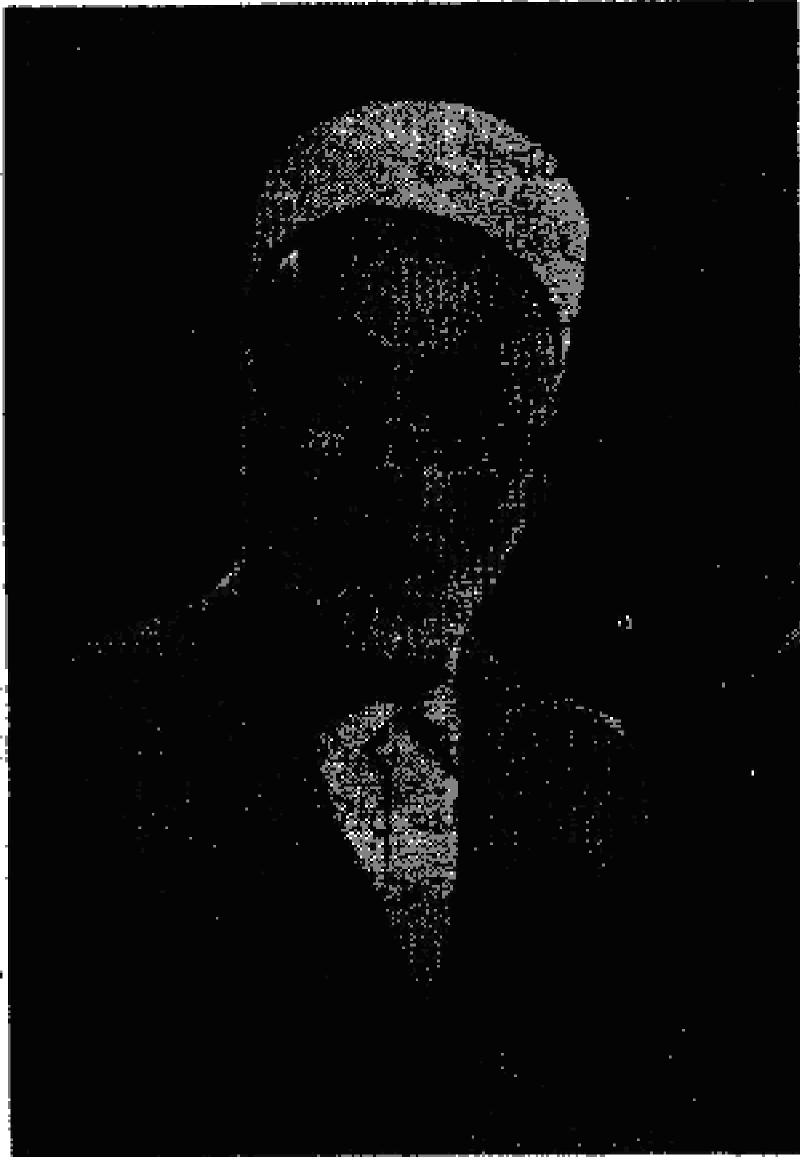
والى الذين لم يزالوا يسألون طالبين معلومات عن جهاد « الشيخ » نقول لهم باختصار :

من هو الشيخ احمد عارف الزين ؟ ما كان يمثل ؟ حياته باختصار :

ولد الشيخ عارف الزين في قرية شحور في قضاء صور ــ عام ١٨٨٣ وتلقى علومه الابتدائية في قريته على العلامة السيد يوسف شرف الدين ثم انتقل الى النبطية حيث دخل مدرسة العلامة السيد حسن يوسف .

اصدر مجلة العرفان عام ١٩٠٩ ولا تزال تصدر حتى اليوم واحتفل بيوبيلها الذهبي عام ١٩٥١ برعاية المغفور له فخامة الشيخ بشارة الخوري .

واسس مطبعة العرفان عام ١٩١٠ ، واسس جريدة « جبل عامل » عام ١٩١١ ولكنها لم تعمر طويلا بسبب مقالاتها الوطنية الجريئة الى ان اعاد امتيازها نزار الزين منذ عشر سنوات .



ونشر من الكتب النافعة المفيدة ما يملأ مكتبة عامرة .

واسس في صيدا « الجمعية الخيرية العاملية » و « جمعية التهذيب الاجتماعي » .

اضطهد في عهد الانتداب الفرنسي مثلما أضطهد في عهد الاحتلال العثماني ، وحكم عليه بالسجن مرات ومرات ، زمن الاتراك احيل الى المجلس العرفي في بيروت والى المجلس العرفي بعاليه ، زمن الفرنسيين احيل للمحاكم العادية والمختلطة والعسكرية ، وعطلت مجلته اكثر من مرة كل سنة ولكنه ظل مناضلا وطنيا صامدا غير عابىء بالاضطهاد مستنكرا محاولات الاغراء وقد اشترك في جميع المؤتمرات الوطنية التي كانت تعقد في بغداد ودمشق والقدس وغيرها ...

وافته المنية في ١٥ تشرين الاول ١٩٦٠ حيث كان في ايران بضيافة حكومتها لزيارة الامام علي بن موسى الرضا ، فدفن بجانب ضريح الامام في احتفال مهيب لم تشهد له خراسان مثيلا .

احتفل يوم الخميس ٩ ـ ١١ ـ ١٩٦٧ في دار الكتب الوطنية برفع صورته الى جانب صور الادباء واعلام الفكر والصحافة في القاعة الكبرى..

هذا التعريف المبسط لا يعني للذين يعرفونه الا اشارة ذكرى .. أما الذين يجهلونه ـ من النشء الجديد (وكل من ناهز الخمسين يحفظه عن ظهر قلب) فان الشيخ عارف الزين يبقى رجلا مسلما يدافع عن الاسلام وينشر مبادئه وتعاليمه في الدنيا كلها ناضل طويلا حتى كون مجلته « الاولى » بين المجلات ونجح ..

لكن هذا « الشيخ » كان أكثر من اديب وصحفي ناجح .. كان مناضلا وطنيا من الدرجة الاولى وعلى كل الجبهات : جبهة الاعداء المستعمرين ، وجبهة الاعداء في الداخل ، وجبهة الجهل ، وجبهة الطائفية والشعوذات الدينية ، وجبهة الاقليمية ، وجبهة العرب والعروبة !.

اسمعه يحدد مبادىء مجلته يوم صدورها في ٥ شباط ١٩٠٩ :

« نحن عرب قبل أن نكون مسلمين ، فرقي العرب ووحدة العرب واستقلال العرب وحرية العرب دأبنا وديدنا » .

هذه هي المبادىء التي ناضل الشيخ عارف الزين لاجلها، من خلال مجلة « العرفان » وجريدة جبل عامل والمشاركة بالجبهات والاحزاب السرية الاستقلالية الوطنية .

« وتاريخ الشيخ وكفاحه في عهد الانتداب طويل وقد بعث له الفرنسيون بالمستشرق الشهير « لويس ماسينيون » يعرض عليه المطابع الحديثة لمجلته بالاضافة الى مناصب رفيعة اذا هو هادن الانتداب وايده . ولكن الشيخ هزيء منه ومن هذا الامر وتابع عمله بصلابة أقوى .. وعام ١٩٢٥ اعتقل الفرنسيون الشيخ عارف بتهمة « مناصرة الثورة السورية » ثم أعادوا اعتقاله عام ١٩٣٦ حيث نظم في السجن بيتين من الشعر عرفا انتشارا واسعاً في لبنان :

كرهت بني طوران في عهد حكمهم وحببني ذا العهد في كل طوران
ففي ذمة الله عهد قد قطعته وفي ذمة الحكام يا سجن شهران

وتابع نضاله الصحفي والوطني دون هوادة، وتعرض لبعض المضايقات على عهد حكومة رفيق نضاله رياض الصلح الذي أضاء له الشيخ عارف شمعات الهداية والرعاية ، فأرسل له كتابا مفتوحا فيه من التحذير الشيء الكثير مما حمل المرحوم صلاح بيهم على التدخل في الامر لاصلاح الحال بينهما .

« لقد ظل معارضا طوال عهد الاستقلال رغم أن رفاق الأمس هم حكام اليوم لان المحافظة على الاستقلال بنظره هي أهم من الاستقلال .

« أما عروبته فقد ملكت عليه حواسه واخذت بمجامع قلبه وكانت عروسة شعره في خلواته وخطبه ومجتمعاته . واضحت له وهي النسب الاعلى فوق كل نسب ودونها كل سبب وما أكثر ما تغني وانشد :

ان تسل عني فهذا نسبي عربي عربي عربي

« ونحن ولدنا وتشأنا وعشنا باسم العرب نحيا . وباسم العرب نموت،

ولئن خان او غدر او خاتل بعض العرب عـلى قومهم فنحن مـا برحنا مقيمين على العهد ، لا نخفر ذماما ولا نخشى في عقيدتنا جاسوسا او نماما .. » .

هذا هو الشيخ احمد عارف الزين : مواطنا من الدرجة الاولى، ومثقفا نشر لواء العلم والثقافة في الوقت الذي كان فيه الكتاب مشبوها والثقافة تهمة يؤخذ بصاحبها الى السجون ...



الخميني يصلي ويدعو الله ان ينصره عـلى القوم الكافرين ..
العرفان : اللهم انصره وانتصر به .

وهو خطيب كـان لا يترك مناسبة الا ويحث الناس علـى الجهـاد والتمسك بنهج محمد « ص » وآل بيته الذين ثاروا على الطغيان وكانـوا المثل الاعلى في مكارم الاخلاق •



الرئيسان الاسد والبكر

وقد بذل ماله وحياته في سبيل الدفاع عـن الدين والوطن والامـة الاسلامية والعربية اسمعه يقول :

اقيقي ، افيقي ، أمة العرب وانهضي ففارسك المغوار آن لـه السبق
اذا كنت تستسقي لارضك ديمـة فلا تبتئس ان زمجر الرعد والبرق
وان الـذي يسعى لتحريـر أمـة يهون عليه السجن والنفي والشنق

ولهذا في لآلاء نعيمك اجد روحك جذلة مسرورة بأمريـن هامين طرآ على بلادنا الاسلامية والعربية وهما :

ثورة الخميني الاسلامية : اسلام ومسلمون لا سنـة ولا شيعة ، لا اميركا ولا روسيا ، محاربة كل من يحارب الدين لا فرق بـين شاهنشاه او



الرئيسان الاسد وصدام حسين

غيره وميثاق العمل القومي المشترك بين العراق وسوريـة ، ثم الوحـدة بين سورية والعراق وقد قلنا سابقا انها الطريق الصحيح الـى الوحدة العربيـة الكبرى التي نادت بها العرفان منذ نشأتها وقبل أن يولد مؤسسو الاحزاب.

أما روحك بينما نراها منشرحة لنجاح آية الله الخميني في ثورته فانها تنادي اياكم والاستهتار بالجنوب وتركه لقمة سائغة لاسرائيل .

وما قيل فيه وعنه يتسع لمجلدات ومنه :

عرفانك السبب الادنى يحفزنا ... الى العلى بين موهوب ومكتسب
فتش « ذرى » عامل هل قام قائمها ... الا تناهى الى يمناك بالعجب
وهذه العلب من أعلامه صدرت ... ملء العمائم عن كفيك والجبب
وفي العراقين خصب منك منتشر ... يكاد يمطر وجه الافق بالسحب
وبنت صيدون لولا ما يدبجه ... عرفانك الحي لم تنهض ولم تثب

الحوماني

انه لفخر لارضنا ان تنبت قدوة في الرجولة كالشيخ عارف :

واية قدوة أعلى في حساب القيمة من قوة رجل تقهر المشاق ، وتـذل الطغيان وتستأنس بالوحدة في دروب الحق والضمير وتتنمر في دفع الاذى ورد العدوان ؟ من يعرف الشيخ عارف ولا يعرف انه ظل واجدا في أصعب امتحانات الاحرار ؟ لقد امتحن بالحرمان وامتحن بالجحود ، وامتحن بالسجون وامتحن بالتشهير الكافر الجلف ولكن شيئا من هذا كله لم يسلس شيئا من قياده ، ولم يلن شيئا من صعوبته ، ومضى عزيزا شريفا نقيا .

صدر الدين شرف الدين

ماتت الاحقاد ومات اللؤم وبقيت الحقيقة .



ولا بد لنا هنا ان نشير الى ان الجزائر قد انتخبت الشاذلي بن جديد رئيسا للجمهورية الجزائرية الذي اقسم ان يسير على خطة « الرئيس بومدين » .

والعرفان تتمنى ان يعيد الرئيس الجديد « احمد بن بيلا » الى حريته ان كان لم يزل في عالم الاحياء .

محمد جميل بيهم

محاضرة : الدكتور عمر فروخ
في المركز الثقافي الاسلامي

في عالم الطبيعة ، على وجه هـذه الارض ، معالم بارزة كالجبال والانهار والبحار والغابات والصحارى يعرف الناس منها مكانهم على الارض ويهتدون بها في انتقالهم بين أطراف هذا العالم المعمور .

وفي عالم الحضارة والثقافة أيضا معالم يعرف الناس بهـا مراتبهم فـي موكب الحياة . هذه المعالم في عالم الحضارة والثقافة هم المفكرون في الامم : كونفوشيوس ثم أرسطو ثم أقليدس ثم الخوارزمي واضع علم الجبر ثم ابن الهيثم واضع علم البصريات ثم ابن حزم الكبير واضع أسس الفلسفة العقلية والمذهب الظاهري ثم ابن رشد الذي حـل المعضلة التـي كانت بين العقـل والشرع ثم ابن تيمية ثم ابن خلدون ثم اسحاق نيوتن ثم الشيخ محمد عبده ثم محمود شكري الالوسي ثم أحمـد شوقي ثم عبـد الحميد بـن باديس وغيرهم في هذه السلسلة الطويلة .

وفي تاريخنا القديم والوسيط والحديث علماء معالم من طبقات متفاوتة، بالاضافة الى الاعلام الذيـن عددناهم ، قامـوا بقسطهم في تاريخ حياتنـا الحضارية وفي موكب ثقافتنا . منهم من نال حظه من الانصاف ومنهم من لم ينل حظا من ذلك . ومن أولئك الذين لم ينالوا بعد حظا وافيا من الانصاف ومن العرفان بالجميل محمد جميل بيهم .

وقبل أن آتي بكلمة على حياة محمد جميل بيهم وعـلى آرائه أريد أن نراه في بيئتيه اللتين عرفتاه وعرفهما ، اذ كل فرد مـن الناس ابن بيئته : ابن بيئته الكبرى أي الهيأة الاجتماعية وابن بيئته الصغرى أي أسرته .



شهد محمد جميل بيهم انتقال العرب من القرن التاسع عشر الى القرن العشرين • كان العرب من المسلمين ومن النصارى في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين يقولون عن أنفسهم انهم عثمانيون • ومع ان الشعور القومي كان قد بدأ ينتشر في شبه جزيرة البلقان منذ الثلث الثالث من القرن التاسع عشر، اذ كانت تحرك ذلك الشعور دول أوروبة الكبرى وتدفع به البلغار واليونان والصقالبة للانفصال عن الامبراطورية العثمانية ، فان العرب لم يأخذوا موقفا عدائيا من الدولة العثمانية الا عشية الحرب العالمية الاولى : في مؤتمر باريس عام ١٩١٣ ثم بعد ثورة الحسين بن علي في الحجاز • فان الحسين بن علي أطلق الرصاصة الاولى ايذانا بالثورة العربية واملا بنشأة الدولة العربية الواحدة في تاسع شعبان ١٣٣٤ (بعد مؤتمر باريس بثلاثة أعوام) •

وبانتهاء الحرب العالمية الاولى وتقسيم العالم العربي بين الامبراطوريات الانكليزية والفرنسية والايطالية قويت الدعوة العربية كرها بالاستعمار • ثم افترق العرب في لبنان بين الدعوة الى الجامعة العربية والدعوة الى الحماية الاجنبية بأثر من الانتداب الفرنسي الذي جمع يومذاك بين سورية ولبنان في نظام خارجي واحد بعد أن كان قد فرق بينهما في حكمين محليين مختلفين•

وكذلك شهد مطلع القرن العشرين اندفاعا الى طلب العلم والى تحرك أوسع مدى في النشاط الاجتماعي والاقتصادي تبدى في نشأة الجمعيات المختلفة الانواع والاهداف • وكانت الصحف ــ التي كثرت بعد الحرب العالمية الاولى ــ أداة نشيطة للتعبير عن كل تلك الآمال •

تلك كانت البيئة الكبرى • أما البيئة الصغرى لمحمد جميل بيهم فكانت

أسرته . انه كان من أسرة ذات تاريخ في هــذا البلــد في الميدانين السياسي والثقافي ، وفي الميدان الاجتماعي بطبيعة الحال ، لان السياسة نفسها جانب من الحياة الاجتماعية . وأسرة محمد جميل بيهم ، مثل كثير مــن الاسر التي تعمر اليوم هذا الشاطىء الشرقي من البحر الابيض المتوسط ، طارئــة عليــه بعيد الحروب الصليبية ومع الفتح العثماني . ان الشعوب التي سكنت هذا الشاطىء الذي سمي « جسرا بين القارات الثلاث » قــد مر عليــه الفاتحون والغزاة منذ أقدم الازمنة التاريخية ، وكان الحكام أحيانا يشحنونه بجماعات جديدة أو يشجعون الجماعات المختلفة على السكنى فيه .

والاسر البيروتية خاصة تجمع على أنها جاءت ــ في معظمها ــ من طريق المغرب . من بلاد الفرس أصلا أو من الاندلس . ولا ريب في أن عددا مــن أسماء هذه الاسر يدل على الاصل المغربي . ومن هذه الاسر التي جاءت من الاندلس عن طريق المغرب أسرة العيتاني الكثيرة العدد والتــي انقسمت بعد استقرارها في بيروت ــ كما اتفق لغيرها مــن الاسر أيضا ــ ثــلاث شعب : العيتاني وبيهم والحص . وكانت العادة المألوفة الى زمن قريب أن يقال مثــلا عبد الله بيهم العيتاني .

وانصرف آل بيهم منذ زمنهم الاول الى السياسة بأوسع معانيها والــى التجارة . والسياسة والتجارة أخوان شقيقان منذ أقــدم الازمنة حتــى أن العالم الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون قــد نبه علــى الضرر البالغ الذي ينزل بالرعايا اذا عمل الملوك في التجارة .

ولقد برز آل بيهم العيتاني في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فان امير الماء أو الاميرال ابراهيم ، ويقال لــه في التركيــة « قبودان باشا » ــ وهو من آل العيتاني المعروفين قــد ولاه السلطان سليمان القانوني ــ في القرن السادس عشر ــ قيادة قسم مــن الاسطول العثماني . وابراهيم باشا هذا أشهر الذين تولوا الصدارة العظمــى (أي رئاسة الوزارة في السلطنــة

العثمانية) تولاها في ١٣ شعبان من سنة ٩٢٩ هـ (١٥٢٣ م) •

وهنالك الحاج نجيب بيهم العيتاني الذي استقبله البابا لاون في اجتماع خاص • ولا ريب في أن ذلك دليل على مكانتــه • وكذلك كــان عمر بيهم العيتاني رئيسا لمجلس الشورى الذي شكله ابراهيم باشا المصري في أثنــاء الحملة المصرية على بر الشام •

ان التاريخ اللامع لاسرة من الاسر يفرض على أبنائها أن يقوموا لامتهم ببعض ما لها من الحق عليهم • ففي التاريخ الــذي لا نزال نحن نذكره كان الشاعر الوجيه حسين بيهم • وفي أوائل هذا القرن كان أحمد مختار بيهم من رجال السياسة القومية الذين يشار اليهم • وكان عبد الله بيهم رئيسا لدولة لبنان في أوائل عشر الثلاثين من هــذا القرن • وكان مــن العاملين في حقــل السياسة صلاح الدين عثمان بيهم • وكان مــن الادباء الباحثين نــور الدين بيهم •

من كل هذا نصل الى أن البيئة التي أحاطت بنشأة محمــد جميل بيهم كانت بيئة غنية قوية ووجيهة نافذة ومثقفة نشيطة • وتلك عوامل تساعد بلا ريب على النتاج الثقافي الغني •

ولد محمد جميل بيهم ، في بيروت عام ١٨٨٧م وتلقى علومه الاولى فــي الكلية العثمانية التي أصبح اسمهــا بعــد « الكليــة الاسلامية » للشيــخ أحمد عباس الأزهري ، تلك المدرسة التي تخرج فيها نخبــة الشبان الذيــن حملوا عبء الحركة الوطنية في هذا البلد • ثم انه انتقل الــى مدرسة أوليفيا الفرنسية والتي أصبحت أيضا فيما بعد نواة للكلية العلمانية • وبهذا يكون محمد جميل بيهم قد وجد طريقه الــى ثلاث لغات معــا : العربيــة والتركية والفرنسيــة • وهذه وحدها كانت ضمانا للحصول عــلى ثقافــة غنية جــدا بالاضافة الى تلك الايام والى هذه الايام أيضا • ثم استطاع أن يتقدم فــي

خريف عام ١٩٢٨م الى معهد الآداب بجامعة باريس برسالة عنوانها « الانتدابان في العراق وسورية » • وكان المشرف على هذه الرسالة المستشرق غودفروا ديمونبين • ومع أن محمد جميل بيهم لم يحاول أن يتكسب بالعلم الذي حصله ، فانه ظل الى يوم وفاته ، في الثامن من نوار (مايو) من عام ١٩٧٨ ـــ في مدى واحد وتسعين عاما كوامل ـــ حريصا على اكتساب العلم وعلى نشر العلم من خلال مؤلفاته الكثيرة •

ومحمد جميل بيهم في الاصل تاجر ، والتجارة تتطلب أسفارا • غير أنه هو لم يكن محتاجا الى التجارة مرتزقا ولا كان همه الاول من أسفاره توسيع نطاق تجارته • لقد كانت أسفاره التجارية في أساسها مناسبات نافعة لزيادة ثقافته باتساع الافق أمامه • وكثيرا ما كان يضيف الى الجانب الثقافي من أسفاره التجارية جوانب قومية ووطنية يقوم من خلالها بخدمات لوطنه الصغير ولوطنه الكبير • ولقد كانت أسفاره تلك تدوم مدذا طوالا لا تحتملها حسابات الارباح والخسائر في التجارة كالرحلة التي قضى فيها تسعة أشهر يتجول فيها في القارة الشمالية من أميركة •

وكذلك اتسعت أسفاره في المشرق والمغرب معا ، من اليابان شرقا الى الولايات المتحدة غربا • وكان للاتحاد السوفياتي من أسفاره نصيب لم يبدل شيئا في رأيه الأول نحو الاتحاد السوفياتي • ولقد امتدت تلك الاسفار في الزمن ستين عاما ، من عام ١٩١١ الى عام ١٩٧٠ • ولا أراه مبالغا أبدا في قوله انه مدين لهذه الاسفار المتوالية والمتطاولة بالجانب الاكبر من معارفه العامة ووجوه اختباره الخاصة ، وأن هذه الاسفار نفسها كانت مدرسته الحقيقية في الحياة العملية •

وسلك محمد جميل بيهم الى خدمته الاجتماعية العامة طريق انشاء الجمعيات الثقافية • ولقد ساعده على ذلك أمران مهمان جدا في هذا الميدان: أول ذينك الامرين أ فسحة من وقت ، فما كل انسان قادر على أن يهب

وقته كله للخدمة العامة ؛ لأن وقت الناس مملوء عادة بالواجبات التي تقيدهم بالاعمال التي يكسبون منها رزقهم • ومحمد جميل بيهم لم يكن محتاجاً الى الكد في سبيل تحصيل رزقه •

وثاني ذينك الامرين : ثروة بعضها قديم وبعضها جديد مكنته من أن ينفق على الوجوه المختلفة التي يقتضيها العمل في ميادين الخدمة العامة • والذين عانوا منا العمل في الجمعيات الاجتماعية يدركون مدى حاجة القائمين عليها الى المال لتسيير مشاريع تلك الجمعيات تسييراً نافعاً •

بذلك استطاع محمد جميل بيهم أن يعمل في عدد كبير من الجمعيات ذات الاهداف الاجتماعية المحض أو ذات الاهداف المزدوجة اجتماعا وسياسة • وقد عمل في هذه الجمعيات رئيسا أو عضوا • وكان في هذه الجمعيات عدد أسسه هو بنفسه كاخوان الثقافة والكتلة الاسلامية ، كما كان فيها عدد من الجمعيات التي كان هو قد دعا الى تأسيسها كالمجمع العلمي اللبناني واتحاد الشبيبة الاسلامية • أما الجمعيات التي دعي الى الانتماء اليها فكثيرة جدا في الشرق وفي الغرب : المجمع العلمي العراقي ــ المجمع العلمي العربي في دمشق ــ والمجمع العلمي اللبناني الذي تولى هو رئاسته زمنا ــ الاكاديمية للتاريخ العالمي في باريس وغيرها كثير •

غير أن مكانة محمد جميل بيهم في عالم الثقافة والاصلاح يجب أن تطلب في مؤلفاته الكثيرة • والموضوعات التي طرقها محمد جميل بيهم في كتبه المختلفة في مدى ستين عاماً أو تقل قليلا (١٩٢١ ــ ١٩٧٨ م) ــ في نحو جيلين من الدهر ــ كثيرة جداً ومتنوعة •

كان أول كتب محمد جميل بيهم ذو الطابع الحضاري العام « فلسفة التاريخ العثماني » (١٩٢٥ م) • منذ ذلك الحين كان محمد جميل بيهم واعيا عمل التاريخ في الامم ، فقد قال (ص ٦) : « ولم تقتصر أبحاث مؤلفي هذا على فلسفة التاريخ العثماني الذي أسميته به ، بل شملت (تلك الفلسفة)

معظم تواريخ الامم التي سبقت السلطنة العثمانية والتي عاصرتها في عهدي رقيها وانحطاطها . (ذلك) لان فلسفة التاريخ ــ كما تستدعي ربط الاسباب بالمسببات (الاسباب بالنتائج) ــ تورد العوامل الداخلية والخارجية التي تؤثر في تطور الامم . ولا يخفى ما بين شعوب العالم من الارتباط العام . فهو اي (الارتباط العام بين شعوب العالم) اذن يكاد يكون تاريخا سياسيا عاما . نحن في مسيس الحاجة اليه » .

ان هذه الفكرة البارعة في النظر الى سير التاريخ تحتاج مني الى شيء من الايجاز ومن الايضاح . هو يقول :

ان قواعد الحياة التي انطبقت على تاريخ الدولة العثمانية يمكن أن تنطبق على تاريخ كل أمة أخرى ، ذلك لان التاريخ في الحقيقة هو تاريخ الامم مجموعة . وليس في المنطق (اليوم مثلا) ان نعالج تاريخ العرب مفصولا عن تاريخ الولايات المتحدة او عن تاريخ الاتحاد السوفياتي أو عنهما كليهما .

وفي كتاب « فلسفة التاريخ العثماني » رأي آخر واضح هو (ص ١٠٦ وما بعد) :

والذي ساعد العثمانيين على الفلاح والتوسع في آسية وأوروبة عوامل داخلية منها أن الاتراك العثمانيين كانوا في ذلك الحين ــ في طور بداوتهم ــ أمة فتية ، وكان الروح الديني (الاسلامي) فيهم قويا ، كما تعاقب في دولتهم نفر من السلاطين الاقوياء من أمثال مراد الاول ومحمد الفاتح وسليم وسليمان القانوني . وكان في هؤلاء العثمانيين (أيضا) شجاعة ، وكان لهم عدد كثير ومعاناة (خبرة) في الحرب . ثم كانت هنالك الاسباب السلبية : فالروم (البيزنطيون) خاصة كانوا في طور الشيخوخة ودور الفساد بالترف . وزاد في ضعفهم عن مقاومة التوسع التركي (ذلك) النزاع الذي نشب بين الكنيسة الشرقية (الارثوذكسية) والكنيسة الغربية (الكاثوليكية) . ثم

ازداد هذا الضعف ببروز حركة الاصلاح الديني (البروتستانتي) • ثم كان (هناك) أيضا النزاع بين الاباطرة الجرمان والباباوات في رومية • كما أن انهزام الصابيين في الشرق وخيبتهم في تحقيق شيء من أهدافهم كان عاملا فعالا في بث القوة في العثمانيين وبث الضعف في نصارى أوروبة عامة •

كل واحد منا يعرف أن هذه الفكرة وأن الفكرة التي سبقتها أيضا انما هما من مقدمة ابن خلدون • ولكن فضل محمد جميل بيهم فيهما أنه طبق القواعد التي كان ابن خلدون قد وضعها لفلسفة التاريخ عامة على أحداث معينة من تاريخ الدولة العثمانية والدولة البيزنطية • ولقد أصاب محمد جميل بيهم في تطبيق القاعدة على المثل • ثم هو قد نظر في هذه القاعدة الثانية الى شيء من أثر القاعدة الاولى حينما طبق قاعدة واحدة على تاريخ أمتين : الامة التركية والامة الرومية • فقد صح ، اذن ، أن التاريخ لا يجري مجاري منفصلة : تاريخا للعرب ثم تاريخا للترك ثم تاريخا للروم ثم تاريخا للهند • ان أحداث التاريخ الكبرى هي تلك الاحداث التي تربط بين الامم في موكب الحضارة • واذا اتفق أن كانت أحداث تاريخ أمة جارية في مجرى مستقل عن سائر مجاري التاريخ ـ كتاريخ الهنود الحمر مثلا ـ فنحن لا نقرأ حينئذ ذلك التاريخ لانه ليس ذا أثر في سير الحضارة الانسانية • ان الاوروبيين والاميركيين لا يقرأون تاريخ عنترة بن شداد ، ولا نحن نقرأ قصص أبطالهم الخرافيين الا على سبيل التسلية •

وفي عام ١٩٥٠م نشر محمد جميل بيهم كتابه « قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور » مما يصح أن يكون ، من حيث الشمول ، تاريخ أمة (٢ : ٣) فقد جمع فيه بين تواريخ الشعوب العربية في ماضيها وحاضرها وفي مشرقها ومغربها • وهو يقول : ومنذ القرن الثامن عشر بدأ العرب يتطلعون الى الاستقلال عن الدولة العثمانية « لا في الاستقلال نفسه من المغريات ••• فضلا عن أن عددا من تلك الثورات ضد العثمانيين كان من عمل الدول الاجنبية » (٢ : ٥) • وقبل ذلك ، في القرن السابع عشر ، جعل الامير

فخر الدين الثاني يعد العدة للانفصال عن الامبراطورية العثمانية اداريا بتنظيم البلاد التي استطاع بسط نفوذه عليها . وقد سكتت عنه الدولة العثمانية يومذاك لان ذلك التنظيم الاداري المحلي لم يكن ضارا بها ولا بالبلاد . ولكن لما عقد فخر الدين مع آل مديتشي الايطاليين معاهدة دفاعية هجومية « كبر على الباب العالي هذا التحدي » فاعتقله السلطان مراد ثم قتله عام ١٦٣٥ (٢ : ٧ ــ ٨) .

هنا يقف محمد جميل بيهم من الاحداث موقف المؤرخ العالم ويحكم على أعمال فخر الدين بفلسفة عصر فخر الدين : ماذا كان يفعل كارلوس الخامس أو شارلكان (كما تسميه المصادر الفرنسية) لو أنه سمع ــ وهو في عاصمته في مدريد ــ أن أحد رعاياه في هولندة أو في النمسا قام بثورة للانفصال بقطره عن الامبراطورية ؟ ماذا فعلت الحكومة اللبنانية نفسها ، منذ ثلاثين عاما ، حينما علمت أن رئيس حزب في لبنان كان من بنود دستوره الحزبي أن لبنان جزء من سورية الطبيعية ؟ وبعد ثلاثين سنة جاءت حكومة لبنان الشرعية تطلب من الحكومة السورية أن تأتي بجيشها الى لبنان . هكذا تجري السياسة في التاريخ .

أيها المحفل الكريم : أن محمد جميل بيهم كان في نظره الى فخر الدين مؤرخا ولم يكن محترفا للسياسة . ان للمؤرخ قواعد معينة ثابتة يحكم بها على الاحداث . أما السياسي المحترف فله في كل عام ، بل في كل يوم ، بل في كل ساعة ، قواعد متحركة . فتراه في كل حين يشوه الاحداث حتى توافق قواعده المتحركة أو مصالحه المتبدلة ، بدلا من أن يحاول تطبيق القواعد على تلك الاحداث .

ولا ينكر محمد جميل بيهم سوء الادارة العثمانية في أيام تقهقر الدولة، ولا هو أنكر أن عبد الحميد الثاني كان يحاول أن يبذر الشقاق بين الطوائف في امبراطوريته التي كانت تضم الشرق الاوسط ، أو الشرق الادنى من

شمالي مقدونية الى أقاصي الشرق والجنوب من شبه جزيرة العرب • ولكنه ذكر أيضا أن عبد الحميد كان يتألف العرب بالمال وبالمناصب ، وكان يتقرب اليهم بالعاطفة ، اذ كان يريد أن يجمع جميع رعاياه الترك والعرب واليونان والارمن من النصارى ومن المسلمين في اطار من الوطنية العثمانية • وما الغرابة في ذلك حتى نجده نحن اليوم غريبا ؟ ألسنا نحن اليوم في لبنان ندعو الى الوحدة الوطنية ؟ ألا نريد أن يجتمع أحفاد العرب وأحفاد الفينيقيين وأحفاد الصليبيين في اطار الوطنية اللبنانية ؟

ويذكر محمد جميل بيهم أن عبد الحميد كان ذا ميل الى الوحدة الاسلامية لا الى المناداة بالقوميات التي كان بامكانها أن تشقق رعاياه في آسية وافريقية وأوروبة • ثم ان الدعوة الى العروبة في أول الامر لم تكن خالصة لوجه العروبة ولا كان يراد بها خير العرب ؛ بل كان النداء بها قبل الحرية العثمانية ، أي قبل عام ١٩٠٨م ؛ يصعد من أفواه موتورين او وصوليين (٢ : ١٩) أصدروا عددا من الصحف بأموال انكليزية او فرنسية (والكلام هذا ليس لي ولكن لمحمد جميل بيهم) •

ومحمد جميل بيهم المؤرخ الثاقب الرأي رأى أن الحال بعد عام ١٩٠٨ قد تبدلت تبدلا كبيرا • لقد أخذ العرب كلهم يطالبون بالمساواة وباللامركزية : بأن تدير كل منطقة قومية أو طائفية نفسها ، ولكن ضمن اطار الامبراطورية العثمانية • أوليست اللامركزية اليوم مطلبا من المطالب ينادي بها جانب من اللبنانيين ؟

ونشأت الجمعيات السرية ، وخصوصا لما اشتد اصرار أعضاء جمعية الاتحاد والترقي على السياسة الطورانية : صبغ جميع العثمانيين بالصبغة التركية الخالصة • والذي يبدو أن معظم الاتحاديين كانوا من الدونما (من اليهود المتظاهرين بالاسلام) • ولقد كانت نقمة الاتحاديين الشديدة على العرب وحدهم (٢ : ٢٣) • لا أريد أن أقول ان محمد جميل بيهم كان يرى

كثيرا من الحاضر في الماضي ، ولكني أريد أن أقول ان محمد جميل بيهم كان يرى ـ مع ابن خلدون ـ أن الماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء .

ثم نشبت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٧ م) وظهر ضعف الدولة العثمانية وبدأ تجزآها وأدرك العرب أنهم في المستقبل القريب أمام دخول بلادهم في حظيرة الاستعمار تحت نفوذ دولة قوية من دول الحلفاء الذين انتصروا في الحزب العالمية الاولى : فرنسة أو انكلترة أو ايطالية أو الولايات المتحدة . فنشط العرب من جديد على وجه الجد في طلب الاستقلال والوحدة في دولة عربية واحدة ...

لا أرى أن أستمر في عرض آراء محمد جميل بيهم في هذا الجانب من التاريخ القومي لاسباب ثلاثة :

أول هذه الاسباب أن لهذا العرض من التاريخ القومي الحاحا على النفس لما فيه من المآسي ولما فيه من خيبة الآمال التي عاناها العرب في تلك الحقبة الطويلة .

وثانيها أن أكثرنا يعرف هذه الاحداث القريبة منا ففي ذكرها الآن تكرار لعله قليل الفائدة ، وخصوصا اذا نحن علمنا أنه لا معدى لنا حينئذ عن الاقتراب من موضوع لبنان ، من اعلان لبنان الكبير الى مطالبة فريق من اللبنانيين بضم لبنان الى فرنسة من طريق معاهدة أبدية الى المطالبة بانشاء لبنان المسيحي الى توزيع المغانم والمغارم في لبنان الجمهورية الى العوامل التي جعلت لبنان مسرحا للمنازعات وللاقتتال . أضف الى هذا كله أنه ليس من الخير لاحد اليوم ان تعالج هذه الامور كلها بالصراحة التي عالجها بها محمد جميل بيهم . ان وضع اليد على الجرح يؤلم المجروح ، وخصوصا اذا كان جرحه لا يزال جديدا .

أما ثالث تلك الاسباب فهو أني أريد أن آتي الى موضوعات أخرى

كان لمحمد جميل بيهم باع طويلة في معالجتها • ولعلنا اذا انتقلنا الى حديث المرأة كان الحديث أخف على النفوس من أحاديث الخلافات السياسية والنزاعات القومية والمنافسات الوطنية •

بدأ محمد جميل بيهم حياته في التأليف بتأليف الكتب في المرأة فقد ظهر أول كتبه في عام ١٩٢١ وكان عنوانه « المرأة في التاريخ والشرائع » • وكان ثالث كتبه من حيث تاريخ صدورها « المرأة في التمدن الحديث » (عام ١٩٢٧ م) • وبعد خمسة وعشرين عاما أصدر كتابه « فتاة الشرق في حضارة الغرب » (١٩٥٢ م) • وبعد عشر سنوات تالية ، أعلن عام ١٩٦٢ عاما دوليا للمرأة فأصدر لهذه المناسبة كتابه « المرأة في حضارة العرب والعرب في حضارة المرأة » •

بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة كثر الكلام في حرية المرأة وعم البلاد العربية كلها • وكان هذا الكلام يدور حول موضوعين :

ــ رفع الحجاب •

ــ طلب المساواة بالرجل •

وكان الكلام في رفع الحجاب أشد عنفا لاسباب مختلفة لا مجال لذكرها الآن ، كما كان رد الفعل على هذا الكلام قاسيا من الناحية العملية على الاخص •

لا يزال أبناء جيلنا يذكرون كيف كان المتشددون في التمسك بالحجاب يلقون بماء التوتياء على النسوة اللواتي كن يخففن من حجابهن الاجتماعي فيشوهون أجسامهن أو وجوههن •

كان الخلاف يومذاك ــ ولا يزال الى اليوم ــ حول الحجاب الاجتماعي والحجاب الشرعي • ان الحذاء الضيق الذي كان في الصين والقوال الذي كان على وجه المرأة الفرنسية والملاءة في معظم بلاد العرب ، عند المسلمات

والمسيحيات ، والبردة في الهند (والبردة اليوم أسم لمجلة ألمانية للازيـاء) ، كلها أنواع من الحجاب الاجتماعي الذي هو زي من أزياء النساء لا صلة له بالحجاب الشرعي ، أي بالحجاب الاسلامي . ان الحجاب الشرعي في الاسلام هو « منع اختلاط الرجال بالنساء في مكان يوجب الشبهة » ، ولا صلة لـه بغطاء الوجه . أما الثياب الوقورة فهي الثياب الصالحة ـ فيما يتعلق بالرجل وبالمرأة ـ من الناحية الاجتماعية ومن الناحية الدينية معا .

ومن الغريب أن الدعوة الى رفع الحجاب الشرعي لاقت رواجـا واسعا ورغبة شديدة ، وخصوصا بعد أن كان الانتداب يشجعها لاسباب لا صلة لها بالاصلاح الاجتماعي . وبعد بضع سنوات أخذ جميل بيهم نفسه يدعو الـى الحد من تلك الحرية التي أبحرت عليها المرأة فيما يتعلق بالكشف عن أقسام الجسد وبالاختلاط في كل اتجاه . ولقد عوتب محمد جميل بيهم في ذلـك : كيف يدعو انسان الى شيء ثم يعود فيدعو الى ضده . وقد رد محمد جميل بيهم على هذا الاستغراب المحق بما يلي . قال :

لقد ناصرت المرأة ودعوت الى حريتها حينما كانت المرأة غارقة في تقاليد تسيء اليها والى كرامة مجتمعها . ولكن حينما أصبح الجيل الذي طلبت لـه الحرية يتبع تقاليد طائشة بلا وعي وبلا توقف عند حد تحولت الـى مجابهة المرأة في ذلك حبا بالمرأة نفسها .

أما الوجه الآخر الذي أراد محمد جميل بيهم أن يناصر فيه المرأة فهـو الدعوة الى مساواتها بالرجل في جميع الحقوق وفي جميع الحقول .

ولم يكن محمد جميل بيهم الرجل الوحيد الذي هاله أن تقذف الدعوة الى انصاف المرأة بالمرأة مقذفا لم يفسر هو به . لقـد عم الخوف نفرا كثيرين من أن تؤدي الدعوة الى نصرة المرأة بالمرأة الى ما لم يرد أحد لها . وسأشير الى شيء واحد من ذلك . نشرت مجلة « المعرض » لصاحبها ميشال زكـور رسما انتقاديا ١٩٢٣ فيه الى الجانب الايمن راقصة شرقيـة والـى الجانب

الايسر راقصان على الطريقة الفرنجية : رجل وامرأة بطبيعة الحال • ثم كتبت تحت الرسمين جملة تحمل في طياتها تهكما مرا : « الرقص الشرقي خلاعة ـ والرقص الافرنجي تمدن » • هذا ولا بد من الاشارة هنا الى أن المواطنين النصارى كانوا وما يزالون ، عموما ، أقرب الى الاخذ بالعادات الغربية وأكثر دفاعا عنها • ومع ذلك فان مجلة « المعرض » لميشال زكور كانت قد صدمت صدمة عنيفة بإنتشار الرقص الافرنجي في البيئة النصرانية يومذاك • ثم ان هذا الرقص الافرنجي انتقل الى البيئة الاسلامية ، مع الاسف ، عبر البيئة النصرانية ، وقد كانت له في البيئتين معا آثار ليس هذا المكان مكانا لتفصيل أخبارها •

أما الوجه الآخر الذي أراد محمد جميل بيهم أن يناصر فيه المرأة فهو الدعوة الى مساواتها بالرجل ، فقد عقد في كتابه « فتاة الشرق في حضارة الغرب » (بيروت ١٩٣٥ ولكن هذه الطبعة ترجع بمادتها الى عام ١٩١٩ ، كما ذكر هو على غلافها) فصلا طويلا (ص ٣٩ ـ ٨٢) جعل عنوانه « رأي المؤلف في المساواة العامة بين الجنسين » وطلب في ذلك الفصل الاعتراف بمساواة المرأة للرجل في الفطرة الانسانية وفي الحرية الذاتية • ثم طلب أن تتمتع المرأة بمساواة الرجل في جميع الحقوق : في طلب العلم وفي العمل والكسب في الزراعة والصناعة والتجارة وفي الرئاسة والوظائف وفي المهن الحرة والفنون •

غير أن محمد جميل بيهم نفسه كان في أثناء ذلك يثير الاعتراض على مساوىء هذه المساواة اذا لم تكن تلك المساواة في محلها أو اذا جازت الحد المعقول لها • وكان مثار الاعتراض على مساواة الرجل بالمرأة مساواة مطلقة أصلين واضحين : أصلا هو مبدأ وقانون ثم أصلا هو واقع وهوى • أما الاصل والقانون فمن باب الدين أخذه محمد جميل بيهم من الاسلام ومن النصرانية معا • وقد عرض (فتاة الشرق ، ص ٤٠) لتفسير الآية الكريمة (٤ : ٣٤ ، سورة النساء) : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به

بعضهم على بعض » • ثم أنه أكسب تفسير هذه الآية تعبيرا حديثا لما قال : « والحقيقة أن (هذه) الآية القرآنية الكريمة لا تنص على التفاضل بين الجنسين في أصل الخلقة ، وانما هي تشير الى واقع قائم قررته الاجيال وشروط الحياة البشرية في الازمنة المتوالية ، وهذا الواقع جعل لبعض الرجال رجاحة وسلطة على بعض النساء » •

ان تعليل محمد جميل بيهم للمدرك الذي أشار اليه القرآن الكريم صحيح • فما كل رجل أفضل من كل امرأة ، ولا كل امرأة أفضل من كل رجل • ولكن للرجل عموما فوق المرأة مقاما ذا وجهين انتهى العلم الآن من الجدال فيهما • هنالك في أصل الخلقة فارق هو وظيفة المرأة الطبيعية في الولادة ، وهي وظيفة تشغل المرأة مدة معينة من الزمن وقدرا معينا من بذل الجهد • غير أن هذه الوظيفة عند العقلاء لا تجعل المرأة أدنى مقاما من الرجل ، بل لعلها تجعل المرأة فوقه • وهنا أريد أن أستشهد بجملة للفارس الشاعر الاديب الناقد اسامة بن منقذ ـ وقد كان يحيا في أثناء الحروب الصليبية ـ من غير أن أشير الى أصل تلك الجملة وسببها لضيق الوقت • قال أسامة بن منقذ : « ألا انهن أمهات الرجال » •

أما الوجه الذي انتهى العلم أيضا من البحث فيه ، فهو أن المرأة نفسها ـ وقد ذكر ذلك محمد جميل بيهم ثم استشهد عليه من الحياة العملية في الغرب خاصة ـ قد تخلت عن كثير مما كانت التشريعات قد منحتها للمرأة في الحياة السياسية مثلا • هنالك بلاد تفسح المجال أمام المرأة لتولي الوزارات• ولكن المرأة نفسها لم تقبل على ذلك المنصب كما كان يتخيل الرجال • وأظن ان المرأة نفسها قد أدركت معنى جملة أسامة بن منقذ من الناحية العملية على الاقل • وأحب هنا أن أورد قصة قصيرة أوردها محمد جميل بيهم ، وهي قصة يمكن أن تفسر جملة أسامة بن منقذ الآنفة الذكر • (فتاة الشرق ٤٥)•

كان أحمد عزة باشا العابد يشغل منصب المستشار الثاني في ديوان السلطان عبد الحميد ••• وكان هذا الرجل الفذ سباقا بين العرب الى التجدد

والى الاخذ بالمدنية الحديثة . وكان ولـده الشاب يومذاك ـ محمد علي بك ـ والذي صار فيما بعد رئيسا للجمهورية السورية قـد رأى من عناية والده بتعليم احدى بناته من العناية الزائدة ما عده اسرافا لا لزوم له . فقال لابيه يوما : حسبها ، يا أبي ، ما حصلت عليه حتى الآن مـن علوم ، أفأنت ، يا سيدي ، تعدها لتكون وزيـرا للداخلية ؟ فابتسم عـزة باشا وقال : لا ، يا ولدي . انني أعدها ليكون ابنها رئيسا للوزارة .

ولقد كان الخوف يومذاك من أن ينحرف طلب مساواة الرجـل بالمرأة الى ما لا يقصد من تلك المساواة . وفي هذا المجال من الخوف أورد محمـد جميل بيهم (فتاة الشرق ، ص ٤٣) القصة التالية :

حينما وقفت السيدة سوزان أنتوني الاميركية في شيكاغو ، عام ١٨٥٤، للمطالبة بحقوق المرأة قاطعها أحد المستمعين بقوله : وهـل تريدين بذلك أن تلبس النساء السراويل ؟

ثم يعلق محمد جميل بيهم على هذه القصة بقوله :

« ونحن اذ نطالب بمساواة الجنسين في الحرية الذاتية لا نبتغي من وراء ذلك أن تصبح المرأة رجلا ولا أن تلبس المرأة السـراويل » .

ولكن الذي تم أن المرأة كانت ـ قبل أن يتوفى محمد جميـل بيهم ـ قد لبست السراويل ولكن لـم تصل عندنـا الـى الوزارة ولا الـى مجلس النواب .

ويحسن أن أختم هذا المقال بالكلام عـلى كتاب صغير لمحمـد جميل بيهم ، هو « واشنطون تعبد الطرق لموسكو في بـلاد العـرب والمسلمين » (١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م) . في هذا الكتاب الصغير (ست وثمانون صفحـة بالقطع الصغير) يذكر محمد جميل بيهم «شيوع الكره للاميركان في أوروبة» (ص ٨) ونفرة العرب من الولايات المتحدة (ص ٩) بعوامل مختلفة . فمن أهم العوامل التي صرفت قلوب العرب عن الاميركان التبشير (ص ٩ ـ ١٠)

ومساعدة اليهود بالعمل على تنفيذ الوعد البريطاني بانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين (أي باعطاء فلسطين لليهود ، كما اتضح أخيراً من الناحية العملية) . ثم كان هنالك اخلاف الحلفاء (الولايات المتحدة وبريطانية خاصة) بالوعود التي قطعت للعرب قبل الحرب العالمية الاولى ثم قبل الحرب العالمية الثانية . ذلك كان في أيام الرئيس فرانكلين روزفلت (١٩٣٣ ـ ١٩٤٥ م) . أما في أيام خلفه ترومان (١٩٤٥ ـ ١٩٥٣ م) فقد انتقلت الولايات المتحدة الى معاداة العرب جهارا . وفي أيام ترومان انشئت الدولة اليهودية (اسرائيل) في فلسطين .

وكان محمد جميل بيهم ثاقب النظر في هذه القضية ، فقد كانت بلاد اسلامية وجماعات اسلامية تنتقل من السياسة الاميركية الى السياسة الشيوعية ، عملا بالمبدأ القديم المعروف : لا حبا بعلي ولكن كرها بمعاوية . ويبدو ان جماعات كثيرة انتقلت الى الفلك الشيوعي كرها بالولايات المتحدة ـ كما أن عددا من الجماعات لا يزال يتنقل مرة الى هنا ومرة الى هناك . ان سياسة الولايات المتحدة اليوم سياسة من يريد العافية . ومعنى هذا التعبير العربي أن يدفع الانسان خصومه الى الاقتتال حتى يوفر هو على نفسه شيئا من عبء القتال . وهذه السياسة تقتضي أن يكون في كل بلد جماعتان متباعدان في الثروة أو ـ كما جرى التعبير عن ذلك مرة ـ أن يكون في كل بلد جبال من الثروة وأودية من الفقر . ليست سياسة الفلك الشرقي مختلفة من ذلك كثير ، ولكن الناس عادة يرون « أن أشد الآلام انما هي الآلام الحاضرة » . من أجل ذلك رأينا بعض الاقطار العربية قد انتقل مرارا بين السياستين .

ذلك جانب كبير من مادة الكتب التي تركها محمد جميل بيهم للجيل الحاضر . وهي كتب « تنشر المعرفة أكثر مما ترمي الى الاصلاح » ، لان الاصلاح يتطلب ايجازا في العرض وأسلوبا عمليا في الخطاب . ولكن اذا كانت كتب محمد جميل بيهم لا تباشر حركة الاصلاح فانها تقدم مادة وافرة

للذين يريدون الاصلاح • فبهذا يكون محمد جميل بيهم قد وفر على مريدي الاصلاح بذل جهد كبير في جمع المعارف • وفي الكتاب الصغير « واشنطن تعبد الطريق لموسكو الى بلاد العرب والمسلمين » مثل صالح للسياسيين الذين يعالجون شؤون بلادهم في سياق السياسة العالمية • ان لهم في هذا الكتاب الصغير لفتة بارعة الى السياسة في العالم كله • ولكن لقد كان بامكان محمد جميل بيهم أن يزيد في كتابه هذا ، والى آرائه الصائبة فيه ، رأيا آخر : ان واشنطن لم تعبد الطريق لموسكو الى بلاد العرب والمسلمين ، بل انها عبدت الطريق لموسكو الى الولايات المتحدة نفسها • غير أن هذا الرأي يخرج بنا عما نحن بسبيله في عرض آراء محمد جميل بيهم ، ولا سبيل الى تفصيله تفصيلا مفيدا في مثل هذه المناسبة •

وفيما يلي عدد من الملاحظات تتعلق بكتب محمد جميل بيهم عموما :

١ ـ ان كتبه قيمة للمؤرخ ، لما فيها من الوثائق ومن الاحداث المشاهدة ومن الملاحظات الشخصية لرجل عاش في أيام الاحداث التي يؤرخها •

٢ ـ ان موضوعات هذه الكتب متشابكة ، فقد تجد أشياء كثارا مكررة في عدد من كتب المؤلف •

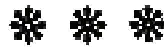
٣ ـ في كثير من الاحيان يحاول المؤلف ان يلتمس مظاهر للعروبة في أفعال أناس لا يؤمنون بالعروبة ولا آمنوا بها يوما • ان غايته من ذلك أن يدل على أن فكرة العروبة قديمة في اللبنانيين كلهم ، ولكن حدثت أحداث طارئة غيرت شيئا من مواقف هؤلاء • ولا شك عندي في أن محمد جميل بيهم كان يدرك كل ذلك ، ولكنه كان يحاول أن يتألف هؤلاء وان يربحهم للعروبة •

٤ ـ ان كثيرا مما ذكره محمد جميل بيهم في كتبه كان واضحا وصريحا، كما كان مؤلما للخصوم على جانبي معركة المبادىء • ولكنه هو كان لبقا جدا

في ذكر تلك الامور فلم يستطع أحد أن يناله بسوء لا لفظا ولا معنى . وهـذا دليل على مكانته الادبية والاجتماعية .

ونحن نستطيع أن نختم الكلام كله بقولنا : ان محمد جميل بيهم باحث اجتماعي ، ولكنه وسع بحوثه الاجتماعيـة حتـى ضمت السياسة والوطنية والقومية وحال المرأة قديما وحديثا حتى استحال عليه أن يقوم ، من الناحية العملية ، بحركة اصلاح في أحد هذه الميادين . ولكنه ، على كل حال ، قـد جمع في كتبه المختلفة مادة ضرورية للذين يريدون القيام بوجـه مـن وجوه الاصلاح في المجتمع الذي نعيش نحن فيه . وهذه المادة الغنية ليست قواعد نظرية فقط ولكن معها أمثلة عملية أيضا عرفها محمد جميـل بيهم في أثنـاء حياته الطويلة التي جازت تسعين عاما . فعسى أن ينهض بعده من يستطيع أن يضع جانبا من هذه القواعد وجانبا من هذه الامثلة موضع الانتفاع بهـا في جانب من جوانب مجتمعنا الذي هو في حاجة ماسة الى الاصلاح في كثير من ميادين الحياة .

بيروت — عمر فروخ



تركة محمد جميل بيهم الثقافية للمقاصد



الرئيس صائب سلام زاره في المصيطبة وفـد مثل آل بيهم مـن السادة عادل وعفيف ونهاد بيهم والدكتور صبحي محمصاني والسيـد شريف سوبرة والدكتور هشام نشابه • وعرض الوفد نص وصية المرحوم محمد جميل بيهم وبه يمنح المؤرخ الراحل المكتبة والمتحف والتحف التي لـه لمكتبة جمعيـة المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت بشخص رئيسهـا مساهمـة في تعزيـز المكتبة المقاصدية العامة التـي اعلن الرئيس سلام انشاءهـا لحفظ التـراث الاسلامي والبيروتي •

واوضح الدكتور صبحي محمصاني باسم اللجنة « الغايـة التي جعلتها تقرر منح هذا التراث للمقاصد الاسلاميـة في بيروت ايمانـا منهـا بضمان حفظه » • وتقبل الرئيس سلام هذا الاختيار شاكـرا باسم المقاصد واعـدا « بحفظ التراث القيم والاستفادة منه على الصعيد الثقافي والتاريخي » •

العرفان : نأمل ان يملأ اخوان الفقيـد الراحل مركـزه الاجتماعي والسياسي •

الثورة الأسلامية

من « الافغاني » الى « الخميني » !

ثورة اسلامية على ابواب القرن الواحد والعشرين

« حركتنا اسلامية بمعنى الاسلام الحقيقي ، لا الاسلام الذي يشوهه خصومه باكاذيبهم واتهاماتهم ! ان الاسلام يؤمن بان لا اله الا الله . ومعنى ذلك انه يرفض ان يكون الحاكم الها يسجد له الناس ويركعون !

يرفض حكم الاصنام والالهة الصغار الذين يتجبرون في الناس ويبيعون فيهم ويشترون . والاسلام هو دين الشورى .. وهو اول دين في الدنيا حرر العبيد ، ولهذا نرفض ان يتحول المواطنون في ايران الى عبيد ، سواء كانوا عبيد الحزب الشيوعي ، او عبيد الروس او عبيد الامريكان !

لن نرغم الايرانيات على وضع الحجاب على وجوههن ، ونترك الحرية لكل ايرانية أن تغطي وجهها او تكشفه ولن نرغم احدا على تادية الصلاة ، فحساب ذلك عند الله وليس عند الحاكم ، ولكننا سوف نرغم كل حاكم على احترام الدين ، ولن نسمح اطلاقا بالتعذيب ، ولن نسمح بالاعتقال بغير حكم ، ولن نسمح بتلفيق التهم على الابرياء ، ولن نسمح لايراني ان يسجد لغير الله

من الممكن ان يتفق الايرانيون على مبادئ اساسها الديمقراطية والحرية والعدالة والمحافظة على استقلال ايران . وشعارنا الصهيونية عدوة الاسلام ، والتعاون مع سفنتها كفر ، ومساعدة اسرائيل كفر واجرام ومن يمد يده الى اسرائيل يجب قطعها لانها تسرق مبادىء الاسلام » .

« الخميني »

في القضية الوطنية ، تعود الناس منا ان لا نصانع ، على ان المصانعة لا تلين للمشرفين عليها ولو ارادوا ، لهذا فنحن نرسل القول على عواهنه ، دون ان نبالي الا بانه اصاب غمسة من معين الحق ، وينبوع قلب الله ، علنا نكون مقبولين في محرابه ..

والوطن ــ تقدس اسمه ــ والذي كان اخر ما نطق به مؤسس (العرفان) وهو يلفظ انفاسه الاخيرة في ايران ، هذا الوطن يطالبنا وصوت الشعب في ايران يدوي : (الله اكبر) ان نقول القول لوجهه وحده ، اي ان نصدق ، على ان هذا اضعف الايمان ..

و (العرفان) يشقيها شقاء الناس ، ويهزها نداؤهم ... لهذا تستجيب للحق ، وليس لها ان تختار دون ان تحفل ابدا أأرضى ذلك القول ام اغضب:

اجهر بصوتك لا يأخذك ترويع لا ينفع الصوت الا وهو مسموع

وتزداد مسؤولية القول اليوم ثقلا ، والحس بالامانة الوطنية تأكدا ووجوبا ، كلما هبط العمل الرسمي في الساحة المسلمة الى درك الانجار السياسي . هذا الانجار الذي وجد له ــ مع الاسف ــ من يموهه فيباركه ، ووجد له من يزينه للناس فيقدمه اليهم تقديم الناقم ، والغاية الاساسية تطويق (الثورة الاسلامية) تمهيدا لابتلاعها كما جرى لاخوات لها من قبل .!

نقول (الثورة الاسلامية) ونحن على يقين بان هذه العبارة ، وان اوجعت البعض ، ستطلق اليقظات الشعبية المارده في الشرقين الادنى والاوسط من عقالها أشاء ام لم يشأ السادة العبيد .

ان عبارة (الله اكبر) تدوي في سماء العالم وقد فجرت في اعماق المسلم القوى الكامنة في ضلوعه وخلاياه ، فاذا به يتحسس وجوده ويتحفز ..

لقد ظل هذا اليوم النضالي المفعم بكبرياء الشعب وارادته وعناده ، حلم عيد في قلوب المؤمنين ، وطالما تلفتوا اليه كآمل منتظر ، وتلمسوا طلته في الدروب والمفارق .. ثم اطل الخميني على العالم وهو يصلي في محرابه ،

فكانت هذه الاطلالة شيئا كبيرا ..

كانت اطلالة كبيرة لانها في تحقيقها وعيا ، وفي تجسدها ارادة فاعلة قد اختصرت النضال كله في كلمات بسيطة ، ما ان رددها الناس بالجهر حتى تجاوبت معها الملايين ... لهذا جاءت كبيرة لانها سجلت او تكاد بان النصر للشعوب في كل الميادين ..

نقول هذا ونتذكر كيف استطاعت السياسة الدهمائية وأد الثورات الاسلامية ، الواحدة تلو الاخرى بفعل تطويق واحكام السلاسل حول اعناق القائمين عليها تحت أسماء ومسميات يعلم الله والناس من هم وراءها ..

وكيف ننسى يوم طوقت هذه السياسة الفاجرة الحركة المسلمة التي ظهرت في الوطن العربي اثر الهزيمة الاولى في فلسطين عام ١٩٤٨ ، فاذا بكهنة السحق ، وسدنة التعذيب وعشاق رؤية الرجال يتأرجحون على اعواد المشانق في كل بقعة من بقاع هذا الوطن ، يتحالفون ويتكاتفون لانهاء هذه الثورة التي انتهت بمصرع مقصود اخذ به قادة هذه الحركة ، لا لشيء ، الا لان السياسة الاجنبية ضاقت بالوجود المسلم المتحرك لمعرفتها ان حركة هؤلاء القادة انما هي نواة صلبة تهدد اسرائيلهم .

واليوم ، ونحن نتطلع بكل العيون ، وكل القلوب ، الى اقوال الخميني وهو يحدد للعالم اعداء الثورة المسلمة ، لا نستغرب ان تطلق اسرائيل ، وقد عرفت موقعها من الحركة اللاهبة ، مدافعها وصواريخها على الجنوب اللبناني وهي بهذا العمل انما تفضح حلفاءها المستترين واصدقاءها العلنيين ..

ان اكثر ما يحرج اسرائيل ويخرجها ظهور حركة تصهر الشعوب وتحركها من اجل فلسطين تحت شعور وطني ليس هو ابدا شعور الجوار ، وانما شعور بالقضية الواحدة المشتركة .. والخميني اول من يعلم ان فلسطين قبل تدخل اولياء الامور ، ناضلت بدعا حكته الدهور للدهور ، وثبتت ثباتا كله الكبرياء روته العصور للعصور ، ثم قيل لابناء فلسطين ، (وعن قصد وتآمر) افسحوا الطريق لندفع عنكم بالمناكب والصدور ، وهناك تحققت النكبة ،

فالنكسة ، فالهزيمة وتفتحت اشداق القبور ..

والان ، والثورة المسلمة تنطلق لا بد لي ان اتوقف قليلا عند عبارة تتعمد الدعاية الصهيونية زجها اثناء الحديث عنها وهذه العبارة هي : (الثورة الشيعية) .

ان الصهاينة والمتصهينين يريدون من ورائها زرع الفرقة لاستغلالها كما كانوا وما يزالون يفعلون ، وكما كانت انامله‌م تصنع جريمة التفرقة في الماضي ، فانها تتحرك اليوم لتكون في السبيل الى اقتراف جريمة اخرى ... فالى هؤلاء نقول :

ان ثورة الخميني ليست ثورة شيعية ، فقد سبقتها ثورة اسلامية بقيادة السيد جمال الدين الافغاني ، فهي لذلك ثورة اسلامية حقيقية ، وقبل التعرض الى الثورة الام ، ثورة الافغاني اذكر ما سبق ان سمعته باذني من الفقيد الكبير المجتهد الاكبر السيد محسن الامين حول تعريف الشيعي ، يقول فقيد الامة الاسلامية قاطبة :

(خرجنا يوما من مصر قاصدين السويس في القطار الحديدي ، وبعد ركوبنا جاء شاب مصري موظف في ادارة السكة الحديدية فرأى قبالتنا مكانا خاليا فلم يشأ الركوب فيه حتى سأل هل هنا احد مما دل على ادبه فقلت له :

ـ لا ..

فجلس وسألني قائلا :

ـ هل سيادتك من أهل سورية ؟ فقلت :

ـ نعم ، فقال :

ـ كم في سورية من المذاهب الاسلامية ؟ قلت له :

يوجد سنيون وشيعة . قال :

ـ وما هم الشيعة ؟ قلت :

ـ فرقة من المسلمين يشهدون لله بالوحدانية ولنبيه (ص) بالرسالة

وان جميع ما جاء به من الله حق ويقيمون جميع فرائض الاسلام من الصلاة والصيام والحج والزكاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها ويحرمون جميع ما حرمه دين الاسلام ، وانما يفترقون عن أهل السنة بانهم يقولون ان اهل البيت عليهم السلام افضل الخلق بعد رسول الله (ص) ، ويأخذون احكام دينهم غالبا عن امام اهل البيت جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام وقد يأخذونها عن غيره من ائمة اهل البيت كما يأخذ اهل السنة احكام دينهم عن الائمة الاربعة وشذ ان يخالف المذهب الجعفري جميع المذاهب الاربعة بل ان خالف واحدا وافق الاخر غالبا ٠٠)

ويستطرد المجتهد الاكبر قائلا :

(بعد ان سمع مني الشاب ما سمع شكرني على هذا البيان وزاد في تعظيمي واكرامي) ٠٠

هذه القصة نسوقها لهؤلاء الذين يتخيلون ان الثورة الاسلامية في ايران لن تستطيع استقطاب جميع المسلمين ، ونضيف عليها قصة الثورة الام التي سبق ان قادها جمال الدين الافغاني ، وهو من هو في ميدان الاصلاح ٠٠ تبدأ قصة الثورة الام عندما نفي جمال الدين الافغاني من مصر بعد ان امضى بها سبع سنوات ، ينشر آراءه الثورية في التنديد بالنظم والاوضاع القائمة في العالم الاسلامي ، ويدعو الى احياء نظام الحكم الاسلامي القائم اساسا على الشورى ، لقد قرر الخديوي توفيق نفي الافغاني عن مصر ، واقلته سفينة انكليزية الى الهند حيث اقام منفيا ، وبعدها سافر الى فرنسا حيث اقام ثلاث سنوات ، ثم الى ايران ٠٠

كان الشاه ناصر الدين رجلا مستنيرا يريد ان تأخذ بلاده باساليب الحضارة ، ولكن المحيطين بالشاه اشفقوا على انفسهم ومناصبهم ومنافعهم من آراء الافغاني وتأثيرها على الشاه فاوقعوا بين الرجلين ، واحس الافغاني ان الشاه قد بدأ يعرض عنه ويتنكر له ٠٠٠ فاستأذن بالرحيل ، وسافر الى

روسيا ، وسأله قيصر روسيا عما حدث بينه وبين شاه فارس ، فقال جمال الدين ان سبب الخلاف هو انني ادعو الى حكم الشورى ، لان هــذه هــي حكومة الاسلام ، ولكن الشاه الذي يعتنق الاسلام ، والـذي يحكم شعبا مسلما ، لا يقبل بهذا المبدأ الاساسي في شريعة الاسلام •

فقال القيصر : الحق مع الشاه •! اذ كيف يرضى اي ملك بهــذا الحكم الذي يجعل الفلاحين يتحكمون في مملكته ؟

قال الافغاني : يا جلالة القيصر ، انـه خير للملك ان يكــون رعايـاه اصدقاء له ، يحبونه ويؤيدونه ، من ان يكونوا اعداء له يكرهونه ويتربصون به الفرص ••

فلم يعجب هذا الكلام قيصر روسيا •• وكــان ان استغـل الافغانـي الفرصة واستأذن القيصر بالسفر الى اوربا ••

سافر الافغاني الى باريس ، وفي الطريق نزل بمدينة ميونيخ (منشن) في المانيا ، وكان الشاه ناصر الدين يزورها ، فتقابــل الشاه والافغاني مــرة ثانية •• واعتذر الشاه عما حدث ، ودعاه الى العودة الى فارس ، ووعـده بان يمهد له الطريق الى الاصلاح الذي ينشده •• وهنا تتكرر القصة مــرة اخرى ، فقد دبت الغيرة في قلب الصدر الاعظم ، خاصة وقد بــدأ الافغاني ومن التف حوله من المثقفين والمخلصين ورجال الدين الاحرار يعملون عـلى وضع مشروعات جديدة في اصلاح الادارة ، وفي سن القوانين ، واخطر مــن هذا ان الافغاني وأخوانه راحوا يدعون الى اقامة الحكم النيابي في البــلاد ، وأخذت هذه الدعوة الجديدة تشتد وتمتد والشاه يظهــر استعداده للمضي في حكم الشورى •• مما دفع بالحاشية الى التحرك عن طريق والــدة الشاه هذه المرة ، والعمل على احباط خطة الافغاني •

بدأ الشاه يتخوف ، فأخذ يتجهم للافغاني ، ويتنكر لارائه ، وبــدا ان هناك خطرا قادما على حركة الافغاني ، وربما على حياته ايضا ••

خرج الافغاني الى مقام (عبد العظيم) احد اولياء الله ، واتخذ منه مقاما دائما ، وهذا المقام يبعد عن طهران حوالي عشرين كيلو مترا .

في هذا المقام تكون رأي عام قوي يطالب بالاصلاح على اساس من المبادىء القويمة لشريعة الاسلام ، وأخذ مريدوه يحجون اليه في هذا المكان، ولم يكن هؤلاء المريدون من الشباب المتطلع الى الاصلاح فحسب بل كان بينهم وزراء ورجال دين وضباط في الجيش ايضا ... كانوا يستمعون الى خطب الافغاني واحاديثه ، فتمتلىء قلوبهم وعقولهم بارائه الثورية العنيفة ، ويعودون الى اماكنهم مصممين على تحقيق هذه الاراء بالحسنى .. او بالثورة ..

واقام الافغاني على هذا اشهرا تزداد فيها ايران غليانا ... ويزداد فيها مركز الشاه وحاشيته خطرا ، بينما المنشورات تذاع في المساجد وفي الندوات وبين جنود الجيش ، وهي تخير الشاه بين اقامة حكم الشورى والعدالة ، وبين عزله وتولية من يصلح الامور ..

ولم يستطع الشاه وحاشيته ان يصبروا طويلا على هذا ، فأرسلت الحكومة خمسمائة جندي مسلحين ، وهجموا على المقام غير حافلين بحرم الشيخ الامام ، ولا بمرض الافغاني مرضا شديدا .. ويصف الافغاني هذه الواقعة كما نقلها الامير شكيب ارسلان فيقول :

(.. سحبوني على الثلج الى دار الحكومة بهوان وصغار وفضيحة لا يمكن ان يتصور دونها في الشناعة . ثم حملني زبانية الشاه ، أي الجنود، وانا مريض على دابة مسلسلا ، في فصل الشتاء وتراكم الثلوج والرياح والزمهرير وساقتني جحفلة من الفرسان والقوني قريبا من حدود العراق ..)

سافر الافغاني الى البصرة يعاني الم المرض ، وخطر الحمى التي انتابته، ويمتلىء قلبه الما من الشاه وبطانته ، وبدأ الافغاني يعمل وهو مريض ..

اخذ يكتب الرسائل الى الزعماء الدينيين ويهربها اليهم من مقره في

البصرة قريبا من الحدود •• وأخذ يثير عواطفهم الدينية ضد الشاه ؛ وبدأت بوادر الثورة تنتشر في ارجاء ايران ••

قرر الافغاني ان يصدر جريدة ، ولم يستطع اصدارها في العراق ، فسافر الى لندن وأصدر جريدة باللغة العربية واللغة الانكليزية وملأها بمقالات كان يوقعها باسم (السيد الحسيني) وكلها تفضح اعمال الشاه وبطانته ، ارسل الشاه سفيره في لندن الى الافغاني يعرض عليه المال الوفير فابى الافغاني ، وقال لن اكف عن حملتي حتى ينتهي الشاه ••

ووسط الشاه صديقه السلطان عبد الحميد ، فارسل اليه يدعوه لزيارته ، فابى ، ولكن رسل السلطان توالت، والحت واقسمت له بانه سيكون مطلق الحرية هناك ، يقول ما يشاء ، ويترك اسطنبول متى اراد ، وانخدع الافغاني وترك لندن وذهب الى اسطنبول ، وما ان وصل اليها حتى وجد نفسه في (قفص من ذهب) ••

استقبله السلطان عبد الحميد استقبالا حسنا ورتب له مرتبا كبيرا ، وانزله في بيت قريب من قصر يلدز ، وطلب منه السلطان عبد الحميد ان يكف عن مهاجمة الشاه •• وبعد نقاش وحوار قال الافغاني :

ـ من اجلك •• ساعفو عن الشاه اذا اعلن انه سيتمسك بحكم الشورى ••

كلمة كبيرة جدا على مسمع السلطان ••

رجل مهما تكن مكانته وشهرته فهو واحد من الرعايا المحكومين ، فكيف يقول في حضرة السلطان ، سأصدر عفوا عن الشاه اذا •• !

ويرتاع السلطان عبد الحميد مما يسمع ، وينظر متعجبا الى هذا الرجل الذي يلعب امامه بحبات المسبحة •• انه لم يكن يفعل هذا متعمدا ، ولكن عندما انصرف قال له رئيس المابين انه يخشى ان يكون السلطان قد استاء من احد يلعب بمسبحته طوال الجلسة ••

نظر اليه الافغاني وقال :

ان السلطان يلعب بمستقبل الملايين من الامة الاسلامية ، افلا يحق لجمال الدين الافغاني ان يلعب بسبحته ؟

ظل الافغاني يردد عبارات الشورى امام السلطان عبد الحميد ، والسلطان يصغي اليه •• عرض عليه المناصب فابى ••

وظلت ايران تغلي ، فالبذرة التي بذرها الافغاني قد انبتت شبابا ، وشيوخا على استعداد للتضحية في سبيل اعلاء كلمة الله ••

وفي السادس من أيار ١٨٩٦ انقض احد الشباب على الشاه ناصر الدين وطعنه بالسكين عدة طعنات وهو يصيح :

ــ خذها من يد جمال الدين الافغاني ••

وقضى الشاه الذي حكم ايران خمسين سنة ، وكان من اقوى رجال الاسرة المالكة حينذاك ••

لقد زلزل الافغاني قواعد الحكم الملكي ••• مثلما زلزل الخميني عرش شاهنشاه ••

اذن لم تكن الثورة الاسلامية جديدة على ايران ، ولكن الجديد هو اقدام الخميني على رفع الراية التي شرعها الافغاني •••

فهل هناك من يقول بعد هذا ثورة سنية بقيادة الافغاني ، وثورة شيعية بقيادة الخميني ؟

انها ثورة الاسلام يفتتح بها الخميني القرن الواحد والعشرين ••

بيروت　　　　زهير مارديني

الإسلام وكرامة الإنسان

من محاضرة : للسيد موسى الصدر

في مقدمة دراستنا حول كرامة الانسان في الاسلام، وهو موضوع يشكل زاوية مهمة في رأي الاسلام ونظرته الى الانسان ، لا بد أن نعرض عرضا موجزا نتائج هذا المبدأ وتأثيره البالغ في تحقيق الهدف من الرسالة • فالخطوة الاولى في طريق تربية الانسان ورفع مستواه في جميع حقول التكامل ، هي في جعله يشعر بكرامته ويهتم بشؤون نفسه والا فسوف لا يولي لنفسه أي اهتمام ، ولا يبذل لاصلاح وضعه أي نشاط ، مهملا حاضره ومستقبله وحتى ماضيه • فتفقد في هذه الحالة امكانية اقناعه بالسعي والعمل ، وامكانية التأثير عليه في دعوته لتحسين أموره وأوضاعه ، والتحرك نحو الافضل • ويبقى خاملا جامدا لا مباليا ، مفضلا استمراره في وضعه على تحمل عناء الحركة وأعباء السعي والنشاط •

نحن لا ننكر أن حب الانسان لنفسه غريزة ثابتة فيه تفرض عليه الدفاع عنها والسعي لجلب الخير لها • ولكن نقول أن هذه الغريزة تبقى نشيطة حسب مستوى الوعي البشري ، فتعمل للخير الذي تجده متناسبا معها وتصد ما تعتبره منافيا لها •

فحب النفس هو القوة الدافعة للانسان ، ولكن الشعور بالكرامة فقط يحدد مقام الانسان ويرسم الخطوط العريضة لسيره وتعيين أهدافه السامية ، ويميز الخصوم وطريقة الدفاع •

ولا ننكر أيضا امكان رفع مستوى الحيــاة الانسانية بطريقــة الضغط وبفرض السعي والعمل ولكننا نعتقد أن هــذه الطريقة ليست هــــي المفضلة لتكامل الانسان ، بل فيها من النتائج السلبية والعقد النفسية والنقص فــــي النتائج وبقاء المسؤوليات على عاتق الافــراد دون الجماعات ، مــــا يفرض الاعراض عن هذا الاسلوب • فلنترك هــذا البحث الــذي هو من اختصاص علماء النفس التربويين ، ولندخل في دراستنا عن : الاسلام وكرامة الانسان •

الانسان خليفة الله على الارض

ان الانسان في رأي الاسلام خليفة اللــه على الارض ، عالــم بالاسماء كلها ، مسجود له من جميع ملائكة الله • « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » • « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون • وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم • قال يــا آدم انبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون • واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا » • (الآيــات من ٢٨ الى ٢٣ من سورة البقرة) •

ومفهوم الخليفة يوضح تمامــا الوضوح استقلال البشر وحريته فــــي التصرف على الارض • أما السبل المرسومة له والخطوط المكتوبة عليه فهــي النصائح التي قررها الله لخليفته الانسان •

وتعليم الاسماء لآدم ، الاسماء التي يعود اليها ضمير « هــم » المختص بذوي العقول ، وتأكيد الله لملائكته بصـــدد اعترافهم بالعجز انه يعلــم غيب السماوات والارض • التعليم هذا والتأكيــد يعكسان في الذهــن امكانيات الانسان الهائلة وتمكنه من معرفة جميع الموجودات والقوى المتفاعلة في دائرة خلافته والتي جعلت تحت تصرفه في حياته الرسالية •

وسجود الملائكة وهم نخبة الموجودات تأكيد صريح لخضوع كافة الموجودات للانسان واطاعتها له ، وهذا المعنى سيبدو بوضوح أكثر فيما بعد.
فالاستقلال بالتصرف والامكانات الكبيرة وخضوع عامة الموجودات صفات ثلاث نفهمها من الآيات المذكورة في عبارات هي أقصى حدود التكريم .

الانسان وحرية التصرف

وأعتقد أن شعور الملائكة باستقلال البشر في التصرف على الارض ؛ ومعرفتهم أن هذا الاستقلال لا يتم الا اذا كان البشر يملكون الاحساس بالشرور ويتمكن منهم ، هذا الشعور هو الذي يجعل الملائكة يقولون أن الانسان سوف يفسد في الارض ويسفك الدماء . ومع ذلك نرى أن هذا لا يقلل من مقام الانسان وكرامته بل يبرزه كشرط أساسي لاستقلال الانسان وحريته في التصرف .

وابليس في رأي القرآن هو الوحيد الذي أبى السجود لآدم واستكبر عليه فكان نصيبه الطرد من مقام ملكوت الله وجزاؤه العذاب يوم البعث : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي . استكبرت أم كنت من العالين. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم. وان عليك لعنتي الى يوم الدين . قال رب فانظرني الى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم . قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين . قال فالحق والحق أقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين » (الآيات من ٧٣ الى ٨٥ من سورة ص) .

وابليس هذا الذي أصبح شيطانا رجيما بعد امتناعه السجود لآدم يقود جنود الشر في حياة الانسان ويجعل الصراع محتدما في العالم كله وفي نفس الانسان . والمنتصرون في المعركة ، المخلصون من عباد الله هم ثمار الكون الذي من أجلهم خلق وأصبح ميدانا لخلافتهم .

والانسان صنع على يد الله وفيه روح اللـه « واذ قال ربك انـي خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ... قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي » (الآيات : ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٥ من سورة ص) .

فخلق الانسان من جنس الارض على يد الله والنفخ فيه من روح اللـه صورة واضحة عن الجوانب الوجودية الشاملة في الانسان والتي تمتـد مـن الأرض الى السماء ، وهذا تعبير قوي أيضا للكرامة التي يتمتع بها الانسان .

وقد اعتبر الله الانسان ذروة في الخلق وقمـة في الصنع « لقـد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسـفل سافلين الا الذين آمنـوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » (الآيات ٤ ـ ٥ ـ ٦ سورة التين) .

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامـا . فكسـونـا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » . (الآيـات ١٢ الى ١٤ من سورة : المؤمنون) .

الاسلام ودعوة الانسان الى المعرفة

جعل الله الانسان بين الموجودات كلهـا ميزة كبيرة تمكنـه أن يتخلق بأخلاق الله ، وهذا خلقه حرا يتمكن من العلم والمعرفة . ويحاول الاسلام في مواضيع عديدة في الكتاب والسنة والتنبيه على هذه النقاط ، ليرفع معنويات الانسان ويشعره بمقامه المكرم وبتفضيله على الكثير من الخلق (سبق وذكر في رقم ٢ بعض الآيات) . « تخلقوا بأخلاق الله » (حديث شريف) . « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحـر ورزقناهم من الطيبـات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (الآية ٧٢ من سورة الاسراء) .

ثم يعلق القرآن الكريم بأن ما في الارض ومـا حولها خلـق للانسان ومسخر له : « خلق لكم ما في الارض جميعا » و « سخر لكم الليل والنهـار

والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يذكرون » (الآية ٢١ من سورة النحل) .

التعاليم الاسلامية تؤكد أن الله قريب جدا للانسان ، وهو أقرب اليه من أي شيء ، فعلى الانسان أن يشعر بهذا القرب ويقبل على الله لكي يجسد قوته واعتزازه . « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس بـه نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » (١٥ سورة ق) . « واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » (١٨٣ سورة البقرة) . « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون » (٢٤ سورة الانفال) . (قلب المؤمن عرش الرحمن) حديث شريف .

والتأكيد على قرب الله من الانسان يرفع كثيرا من معنوياته ويسمو به عن الخوف والقلق والحزن . ويبعد عنه الكثير من الرذائل الخلقية التي تنتج عن الضعف والخوف والطمع كالكذب والنفاق والحرص . ثم ان القرب لله يسهل الاكتساب منه والتخلق بأخلاقه .

وقد جعل الانسان في الآيات القرآنية عدل الكون بأجمعه في الدلالة على خالق العالم وعظمته ومعرفته فاعتبر وحده عديل الافاق . والحديث الشريف يجعل منه العالم الأكبر . « سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » (الآية ٥٣ من سورة فصلت) .

أتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الاكبر
وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر

والامانة التي عجز الكون كله عن حملها تمكن الانسان منها « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها

وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا • ليعذب اللـــه المنافقين والمنافقــات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان اللــه غفورا رحيما » (٧٢ ـ ٧٣ سورة الاحزاب) •

ومهما كان تفسير الامانة ، دينا أو معرفة أو ولايــة أو شرف مسؤولية ، مهما كان ذلك ، فاختصاص حملها بالانسان تكريم له واشادة بمقامه العظيم •

مقـام النبـوة ••

وأخيرا فمقام النبوة مقام الرسالة الالهية ، مقام الخلة ، مقام التكلم مع الله ، مقام الاصطفاء ، مقام المحبة مع الله • مقام كلمة الله ، مقامات خصصت بالعنصر البشري وهي أشرف ما يصل اليه مخلوق على الاطلاق • « لقد مــن الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم » (٣ سورة آل عمران) • « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليه ما يلبسون » (سورة الانعام) • وكثير غيرها من الآيات القرآنية الدالة على اصطفاء الله لرسله وعلى ما ذكرنا من الوصف •

هذه نبذة موجزة عن تعريف الانسان المشرف وتفسيره التكريمي عنــد الاسلام ، فلندخل الآن في بعض التفاصيل والتعاليم الموضوعة لصيانة كرامــة الانسان في بعض جوانب وجوده أو جميعها •

ثم يدخل الاسلام في تفاصيل وجود الانسان ويعتمد في تشريع أحكامــه وسن قوانينه على قاعدة تكريم الانسان ويعتبر هذا المبدأ هدفا رئيسيا مــن أهداف الدين ومن غايات الرسالة • وهذه نبذة من تلك التعاليم :

أ ــ الدين بصورة موجزة فطرة الله التي فطر الناس عليهــا • والدين تعبير صحيح عن هذه الفطرة وابراز لهــا ابرازا غير متأثــر بالعوامل المختلفة الخارجة عن طبيعة الانسان • « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيـــم ولكن أكثــر الناس لا

يعلمون » • (٢٩ سورة الروم) • والحديث الشريف الوارد في تفسير الآية الكريمة : (ان كل مولود يولد على الفطرة) •

فالدين بموجب هذه التعاليم هو فطرة الانسان ولكن الانسان نفسه لا يتمكن أن يعبر عنها لانه يتأثر بالعوامل التي تحيط به وينفعل بها ، فشعوره بنفسه وتعبيره عن فطرته يكسب لونا خاصا • فالصحيح أن يعبر عن هذه الفطرة الانسانية مقام آخر لا يتأثر بالعوامل الخارجة عن الانسان ، مقام هو فوق كل عامل وخالق كل مؤثر ، مقام الله الذي شرع الدين واعتبر الفطرة الانسانية المخلوقة شريعته ورسالته •

ب ـ احترم الاسلام حياة الانسان واعتبر من أحياها كأنه أحيى الناس جميعا ومن قتلها متعمدا كأنه قتل الناس جميعا وجزاؤه جهنم • « من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا من غير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » (٣٥ سورة المائدة) ويشمل قتل النفس حسب التعاليم الاسلامية ، قتل الجنين •

ولم يسمح الاسلام بأن يتصرف الانسان بنفسه بالانتحار اعتبارا منه بأن حياته ملك له وحرم هذا تحريما قاطعا « ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما » (قرآن كريم) وجعل في قتل الخطأ دية لولي الدم • وقد أصبح اليوم قانونا عاما ، مع العلم انه من التشريعات الاسلامية •

حفظ النفس والآخرين

ويبالغ الاسلام في وجوب حفظ نفس الآخرين ويهدد الذين يهملون شؤون فقرائهم وأيتامهم بحيث يودي الى موت أحدهم فقرا وعجزا • « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (قرآن كريم) « وما تنفقوا من خير فهو لكم وأنتم لا تظلمون » (قرآن كريم) « فليخش الذين لو تركوا من بعدهم ذرية ضعافا خافوا عليهم وليتقوا الله وليقولوا

قولا سديدا » • (قرآن كريم) • (لان أعول أهل بيت من المسلمين فاكسي عريهم وأشبع جياعهم ، أحب عند الله من حجة وحجة الى سبعين حجة) • الامام الصادق (ع) •

ج ـ ونزه الاسلام مقام الانسان فحرم عليه عبادة الاصنام وعبادة البشر وعبادة كل شخص أو شيء ، واعتبر الانسان أرفع من أن يعبد غير الله ويخضع أمام محدود مثله • وفي كثير من التعاليم نجد تحذيرا ومنعا من طلب الحاجة من غير الله •

د ـ ووردت تعاليم كثيرة تعتمد على تكريم ما يتلفظ به الانسان باعتباره جزءا منه ، ولذا أوجب صيانة القول وجعل تسديده مفتاحا لجلب كل خير ولدفع كل شر • « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم (قرآن كريم) • وقد فسر : تسديد القول في مواضع شتى من التعاليم انها منع عن : الكذب والاغتياب والتهمة والنميمة والبذاءة والفحش واللهو وحتى اللغو في القول •

أما الشهادة فقد أعطيت عناية خاصة في الاسلام فقد وجب تحملها أو اداءها ، وبها تثبت الدعاوى وتستقر الحقوق وتتحقق العقوبات ، ولكنها لا تقبل الا من الانسان العدل • واعتبرت شهادة الزور من المعاصي الكبيرة ويستحق مؤديها عقوبة كبرى في بعض الامور الجزائية •

والعهد وهو الالتزام اللفظي ، محترم في الاسلام « ان العهد كان عنه مسؤولا » • والالتزامات اللفظية المتبادلة التي يعبر عنها بالعقود ، أوجب الوفاء بها ونهى عن التخلف عنها • « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود (قرآن كريم) « كيف تأخذونه منهن وقد أخذن منكم ميثاقا غليظا » (قرآن كريم) •

وحتى الوعد اللفظي يعتبر محترما وقد عبر عنه الحديث الشريف (عدة

المؤمن دينه) • والالتزامات اللفظية التي تدخل ضمن العقود تصبح واجبة الوفاء ويعبر عنها بالشروط • (المسلمون عند شروطهم الا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما) • حديث شريف • والشروط هذه تعتبر وسيلة كافية لجعل العقود والمعاملات تنطبق على الحاجات المختلفة وتؤدي المتطلبات المتزايدة من الالتزامات •

واللفظ يحترم في الاسلام الى حد جعل سبيلا للدخول في الدين فتكفي الادلاء بالشهادة لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة ليتحقق الانتماء الى الاسلام، وقد نهى عن التنكر لمثل هذا الاعتراف (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مسلما تبتغون عرض الحياة الدنيا) • (قرآن كريم) •

وقد جعل للكتابة ما للفظ في أكثر الاحيان ؛ واعتقد أن التأكيد الشديد الصادر عن الاسلام حول محاسبة الانسان عن كل كلمة يتلفظ بها وان الله يسجلها بواسطة كرام كاتبين • هذا التأكيد أيضا نوع من الصيانة والتكريم فالالفاظ الصادرة عن المكرمين هي التي يعتني بها دون سواها • فالاهتمام بتسجيل كلمات الانسان معناه الاهتمام بأمره والاعتراف بتكريمه • « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » • (قرآن كريم) ، « وان عليكم لحافظين • كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » • (قرآن كريم آية ١٠ ـ ١١ سورة التكوير) •

هـ ـ اما عمل الانسان فقد أعطي له في تعاليم الاسلام بصورة صريحة جوانب بالغة من الاهتمام والتكريم •

السعادة والعمل

ففي حقل السعادة والشقاء الحقيقيين الشخصيين يتنكر الاسلام لكل عامل خارجي ويجعل السبيل الوحيد اليهما العمل فقط • « ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها قد أفلح من زكيها وقد خاب من دسيها » (قرآن كريم) « كل نفس بما كسبت رهينة » (قرآن كريم) • وقد صرح القرآن الكريم بأن الفكرة التي كانت موجودة عند بعض الامم بأنهم أبناء

الله واحباؤه وكانت السبب الرئيسي في تقسيم المجتمعات صرح بخطأ هـذه الفكرة وانها تتنافى مع التوحيد الحقيقي ولا تغني عـن عمل الانسان (قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء الله مـن دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين) (٦ ـ ٧ سورة الجمعة) .

وقد أبلغ النبي محمد جدية المبدأ هـذا نهايتـه حينما قال مخاطبا بنته فاطمة (يا فاطمة أعملي لنفسك فاني لا اغني عنك من الله شيئا) .

وفي حقل تكوين المجتمعات وصورها وتنظيماتها ومستوياتها ومشاكلها ، يحمل الاسلام جميع هذه المسؤوليات على عاتق الانسان فقط . فهـو الذي يخلق المجتمعات ، وعمله هو الذي يرسم الخطط ويحدد المسؤوليات ويسبب المشاكل والصعوبات (ان الله لا يغير مـا بقوم حتـى يغيروا مـا بأنفسهم) قرآن كريم . (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايـدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) قرآن كريم (كيفما تكونوا يولى عليكم) حديث شريف .

فعمل الانسان هو القوة الوحيدة لتكوين التاريـخ ولتحريكه وتطويره دون سواه ، فلا دخل للعوامل الخارجة عن سعي الانسان في تكوين المجتمعات وتحديد معالمها كائنا ما كان ، بل الانسان بعمله عن معرفة او عن جهل أو عن اهمال يختار طريقا ويفصل خطا ويكون الامر كما اختار هو لمجتمعه .

وتطور التاريخ أيضا ، او بالاصطلاح جبر التاريخ ، ليس الا تفاعل بين الانسان والكون ، فالانسان يحاول حسب رغبته وحاجته أن يطلع على العالم الذي يعيش فيه فيقرأ منه سطرا فتؤثر هذه القراءة علـى حياته وترفع وعيـه وتطور معيشته وتغير معالم بيئته . ثم يقرأ سطرا ثانيا وهكذا ..

فالبطل الوحيد على مسرح التاريخ هو الانسان يكونه ويطوره ويحركه، فيتطور هو ويتحرك ويتفاعل هكذا باستمرار فعمل الانسان هـو صانع هذه الاحداث كلها ليس الا ، فهل تجدون فوق هذا المقام تكريما ؟.

حضارة قدماء العرب في الإسلام

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

— ٢ —

٣ ـ شعيب :

يقول الله على لسان شعيب مخاطبا قومه :

استغفروا ربكم ثم توبوا اليه •

بعض قوم شعيب كما نعلم ، مرض بالتطفيف ، وبعضهم عديم الاهتمام بالارض وبعضهم يقطع الطرق ويخيف السابلة •

وقد دعاهم للاستغفار والتوبة وهما يشملان هـذا الانحراف لا سيما وشعيب تحدث عنه بمواضع كثيرة •

اذن فالاستغفار والتوبة هنا يعنيان عدم الافساد بالارض والحرص على اصلاحها بالتشجير والزراعة ••• وايصال الماء حتى للمواضع البعيدة عـن الانهـر •

٤ ـ صالح :

قال الله على لسان صالح :

(يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبـل الحسنة ؛ لولا تستغفرون اللـه لعلكم ترحمون) ومعلوم ان الاستغفار من خطيئة ما يبدأ بعـد الكف عـن ممارسته واستغفارهم العملي هذا يفضي لاستمطار الرحمة من الله ، ويقول بلسان الوحي (ولا تعثوا في الارض مفسدين) •

خشي صالح على قومه عاقبة كعاقبة عاد الاولى وأخبرهم ان كلمة الفساد في الارض تعني عدم الامن أو فقده يحول دون التشجير ذلك لان الناس اذا خشوا شر مستبدي النهار ولصوص الليل احجموا عن الانتفاع من وجه أرضهم فبارت وماتت ولو موتا موقتا وبذلك يتناقص المطر وتعود الديار صحراء وخياما .

خشي هذه العاقبة وعلم ان قوتهم العسكرية موقوفة على قوتهم الاقتصادية ورأى علاقة الارض وجها وطبقا ـ في ترجيح الميزان الاقتصادي فأخذ يمحضهم النصح ويبلغهم هذا النص الكريم : (استغفروا ربكم ...) استغفروه من البطر والعبث والتفاخر ، وبذلك تسود الثقة بينكم ويصبح مجتمعكم مثاليا (ثم توبوا اليه) من التفريط بحق أرضكم وعدم العناية بتشجيرها ، وحينذاك يرسل السماء عليكم مدرارا ، اذ الارض المكللة بالشجر والغابات تستلزم مضاعفة هطول الامطار !!!

بهذا يزدكم قوة الى قوتكم ويخيم عليكم لواء الاطمئنان اذ الاقوياء اقتصاديا وعسكريا لا يجرأ أحد على التحرش بهم . اذ الاستعداد للحرب يمنع الحرب .

هذا الاستغفار الاجتماعي العملي يدفع لولادة جديدة اذ البلد الذي لا يكاد يدركه الفتور حتى يغسل فتوره استغفار النشاط واليقظة (يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا) .

وأي خبث أقبح من الجهل الذي يدفع الناس لحياة الحرمان والبؤس والمشقة فوق أرض يحتفظ وجهها بحيويات وقلبها بكنوز .

على ان الآيات تعرض علينا من نعرف من الرسل ومن لا نعرف يتفقون بتكليف الشعوب المنحرفة بالاستغفار ، ويعلنون انه يفسح في آجال الامم ويدفع عنها اخطارا تكاد تحدق بها او تأخذ بتلابيبها .

لقد كرم الله بني آدم وسخر له ما في الارض فقال :

(ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون) •

والمعايش طبعا تعني ما تنبت الارض بدون جهد كالاحراش وما نستفيده منها بافكارنا ، كادخال تحسين على انواع الفواكه والحيوان والانسان ، وما نستفيده مما تحمل في بطنها من معادن وسوائل اذ كل هذا مسخر لنا •

(له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى) •

كرمه كجنس وانواع ولئن فات مجموعه معرفة مركـزه وعظمـة الدور المنوط به فلا ينبغي ان يفوتنا نحن الذين شرفنا الله بالايمان الكامل •

ان لله كواكب كثيرة ونحن قادرون على اعمار هذا الكوكب وان اللـه استعمرنا فيه اي اباح بل فرض اعماره والوقوع على اسراره وانظمته وقوانين طبيعته اذ نحن مكلفون بحمل امانة التكليف التي ابت حملها جميع المخلوقات واشفقت منها •

نحن خلفاء الله في الارض سخر لنا طاقاتها وارزاقها ومدخراتها وما علينا الا ان نعرف انفسنا ومن عرف نفسه عرف ربه •

تستوقفني طويلا كلمة الفساد في الارض اذ اراها تعني عدم الامن وعدم الاتفاع والذين ابطرهم نعيمها فاندفعوا شطر الترف •

ويزعجني ان نضع تبعة مواراة الحضارات على عاتـق الاقدار اذ ارى الآية ١١٦ من سورة هود تحض عقلاء فترات الانحدار عـلى النصح الـذي يحول دون الكارثة او يرجيء زمن وقوعها •

تحضهم وتلقبهم بـ (اولو بقية) اي من عقل او فضل يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وهذا الحض يرينا اللـه يحب للشعب ان يتدارك نفسه ويحذره من الهبوط اذا هو كفر بالنعمة •

لكن اذا اراد الناس الهبوط لانفسهم بلغـوه عمـلا بقانون الاختيـار والمشيئة والارادة الذي خص الله به الانسان دون سواه من المخلوقات •

ولئن اختاروا لانفسهم هذا الطريق الشائك فقد ظلموها وتحملوا التبعة كراع قادر على الدفاع عن غنمه شاطر الذئاب صولتها او مسافـر في البحـر شاهد الملاح جائرا فاثنى على العبث •

لقد خلق الله الكون كله لمصلحة الانسان (هو الذي خلق لكم مـا في الارض جميعا) لكن القرآن وحده انفرد الحض عـلى الاستخدام والانتفاع ـ البقرة ٢٩ ـ •

الاستغفار تمهيدا للتوبة ، لكن لا يعني النطق المجرد ، بـل النجاة مـن مستنقع الخطأ • التوبة تعني غسل الصفحة التي سودناها قرونا، والخروج من دائرة الظلم الاجتماعي •

التوبة هي ان تغسل بماء الاصلاح صفحة سودناها بمحلول ظلم انفسنا قرونا ، اذ القرآن يعرض علينا المشركين انفسهم اذا اعتنقـوا الاسلام لا تتم توبتهم من الشرك حتى يقيمون الدليل العملي على صدق التوبـة كما نرى في هذا النص (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) •

معنـى العـذاب :

الالفاظ مشمولة بقانون المد والجزر ، فقد تقصر كلمة عبادة على ركوع وسجود وتطلق كلمة متقي على الناسك وكلمة عذاب على مـا بعـد الموت ، ناسين ان عبادة الله ليست مقتصرة على ترديد اسمه واعلان وحدانيته ، ليس هذا مدخل للعبادة • ردهة العبادة هـي الوقوف عنـد حدوده وقوفـا يثمر استمرار حضارة الامة •

ذلك لان الانحراف الفردي قد تغسله الدموع اما الانحراف الجماعي ، ومنه عدم سماع صوت الارض التي نعيش عليها ، فـلا يغسلـه الا خسارتها والطرد منها •

ان تفريط الامم بتراثها يحيلها لقمة يسهل عـلى الطامعين ازدرادها ، اذ

هين على الشخص ان يلقي نفسه في البحر لكن ليس هينا ان ينجو من فم الحوت . فاذا ما ترددت كلمة (العذاب) في سياق المناقشة بين الرسل والملأ المترف، فانها لا تعني عذابا ينال المقصرين بطقوس العبادة فحسب او ما يصيبهم بعد ان تحرر ارواحهم من هياكلها ، بل يعني اولا عذابا معجلا ينتظر ذوي النظر الاجتماعي القاصر . والذنوب التي يحذر الرسل من عواقبها ، كثيرا ما تكون انحرافا فرديا او اجتماعيا ، يقطف الفرد او المجتمع ثمارها المريرة دون تسويف .

فالنائم دون غطاء مذنب وجزاؤه مراجعة الطبيب بعد ساعات، والسكران مذنب وجزاؤه ان يقول ما لا يليق ويثير تبسم او قهقهة السامعين . والمفرطون بخدمة ارضهم وعدم تشجيرها والانتفاع من المياه الجوفية التي تتخللها ، جزاؤهم خسارتها .

واني لاعجب من الذين يحرصون على الفوز برحمة الله (ومنها دفع الخطر عن حرية ديارهم) دون ان يقدموا ثمنها . والثمن هنا لا يعني الا البعد عما يدفع ديارهم لهاوية ، الاحتلال او (على الاقل) لتأييد الاحتلال .

تكلم القرآن الكريم عن اشعة الوحي السابقة وضمنها بقوله : (وهذا كتاب انزلناه اليك مبارك) (الخطاب لرسول الله) ثم وجه لنا بقية الآية (فاتبعوه لعلكم ترحمون) الانعام ١٥٥ .

والاعجب من هذا اولئك المرضى الذين ينالون من اطراف وطنهم بعدم الحفاظ عليه او بعدم الحكمة في العلاج ، ويزعمون ـ او تزعم لهم البطانة المأجورة ـ ان الله سيعفو عنهم وان شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ستتداركهم ؛ ناسين ان الشفاعة تشبه (لحد ما) العفو الذي تصدره الدولة عن المحكومين وهذا ـ غالبا ـ لا يشمل الا الاخطاء الفردية ، اما الاجتماعية فحق المجتمع ولا يتمتع الحاكم ـ بصفته فرد ولو مثل دولة ـ ان تجاوز حدوده ويعفو عن يد اساءت لمجموع ، مع الملاحظة ، ان قبل النفس مثلا ، اعتداء على مجموع والعائل على وطنه ، والمفرط بالدفاع عنه ، قتلوا انفسا ،

فعرض نفسه للوم الدنيا ولو بعد ذهاب دولته ــ وعذاب الاخرة يوم لا ينفع (بيع) اي لا يستطيع المخطيء ابتياع نفسه بحاسى (ولا خلة) ولا تنفعه صداقة فلان وفلان (ولا شفاعة) يتقارض الناس الشفاعة او الخدمات في الدنيا او كما تعفو الدولة عمن ليس جديرا بالعفو كالقاتل عمدا مثلا • او تضطهد من كف يده عن ضرر الناس ، بحجة التعرض لسياستها الخاصة ؛ وبذلك تصبح قدوة للعهود التي تأتي بعدها (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين ظلموا) البقرة ٢٧٩ ــ •

معنى الكفر :

هذا التركيز ــ اذا نظرناه من نافذة اللغة على الاقل ــ ادركنا ان عدم الاعتناء بما تضمه ارضنا من كنوز ، كفر بها ، اذ كلمة كفر لغة تأتي بمعنى غطى ، انكر ، كابر وقد تكررت بالقرآن ، فاطلقت على الدهريين ومنكري الآخرة ومنكري حلقة من سلسلة الرسالات وعابدي الله عبادة مخلوطة بشرك ، وعلى الذين اعترفوا ان القرآن وحي ولم يقفوا عند حدوده ، وعلى الذين مروا بالعبر غير معتبرين ؛ اي لم يأخذوا من الدهر درسا ومن الحوادث عبرة ولم يدرسوا تاريخ الغافلين الذين سلبهم الله حتى لذة الاطمئنان واحاطت بهم المصائب وزحفت ظهرهم جهنم الدنيا متجسدة خسارة حقاراتهم •

ان سورة (البلد) من القرآن الكريم ، تصرح ان الايمان يدفع لاجتياز العقبات ويساعد على تحمل المسؤوليات اذ يستعذب المؤمن الجهد في سبيل المكارم ، اما الذين اعرضوا عن منزلة اصحاب الميمنة ، وعاشوا بالتشاؤم والقلق النفسي ، وباتت قلوبهم (تشتكي من غير علة) فهم اصحاب المشأمة •

اعني ان النعم الفردية والاجتماعية ، تحتاج شكرا ، وليس الشكر الا المحافظة لا تستلزمها نواميس الحياة اما عدم شكرها ، أي عدم الاخذ بالاسباب التي تساعد على استمرار الحياة الفردية والاجتماعية كريمة مشرفة ، فكفر يستلزم انتزاع النعمة والحرمان منها والحسرة عليها ، واذهاب النفس زفرات لفقدها •

قال الله تعالى : (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) •

دياركم جسم كبير ، لا يستطيع الحياة الا بسلامة اعضائه وعدم الدفاع عن كل من اجزائه كفر به بل كفر بالخالق العظيم، اذ عدم اطاعته تمرد وانكار، وكلاهما كفر •

لئن شكرتم نعمة الوطن لازيدنكم اطمئنانا ولئن كفرتم ـ بعدم السماع الا سماع الكفر فان عذابي شديد •

لقد قص الله اخبار الماضين كي نأخذ العبرة فلا يصيبنا مـا اصابهم والا فما المقصود من قصص الاقدمين التي أخذت مـن القرآن حقـولاً واسعة وصفحات متعددة ؟ وما الذي يجب ان نستفيده حين مرورنا بايات (فاعتبروا يا اولي الالباب) (فاعتبروا يا اولي الابصار) لقـد كان في قصصهم (عبـرة لاولي الابصار) •

يذكرنا بهذا ويأمرنا بهكيلا نكون كالذين يجتازون النهر دون «عبارة أي» دون استعداد، فتدهوروا وترددوا اذ من لم يأخذ من الدهر عبرة ومن الحوادث حكمة ليس جديرا بمتابعة الحياة ان لم نقـل لا يستحق الا الابادة والسحق والزوال ورحم الله ابن وريد حيث قال : (من لم تعده عبـرا أيامه) (كـان العمى اولى به من الهدى) ولا حاجـة في هـذا الموقف القصير ان تتعرض لاحداث الامم القديمة فنعكر عليها صفو النـوم وحلاوة الرقـاد ونغوص مفتشين عليها غابر القرون ـ حسبنا ان نقصر النظر على الامم التي كانت ولا تزال تنافسنا الحياة وتقف تجاهنا لا سيما حول هذه البلاد كفرسي رهان •

هذه الامم التي لا يزال سوق الصراع قائما بيننـا وبينها سجالا وقـد تضاعف الآن سفورها عن وجهها •

هذه الامم التي حذرنا الله مما يكمن في نفسياتها وأمرنا ان نأخذ لهـا العدة وتطيل خشية صولات لصوصها أمد السهر واليقظة •

كلمة التوحيد ، توحيد للكلمة :

عقيدة الوحدانية ، تضع حجر زاويـــة الحضارات وتضمن استمرارها ووسيلة انقاذها . أما الشرك ـ وهو جنس تحته أنواع ـ فيجتث جذورها لتدميرها .

ذلك لان تعدد المعبودات ـ ومنها صنم الانانيــــة ـ يفضي للتشعب ويخلق النزاع ويريق عليه سائلا محرقا .

خط التجارة العامر بين حضرموت والشام :

يرى الذي يجتاز هذه الديار قصورا تقوم على العمـــد التـــي يقطتمها البناؤون من الجبال ويشيدون فوقها المساكن والقصور والحصون بالسهول والجبال وينحتون من الجبال بيوتا فارهين ـ ناعمين رافلين في حلل الحضارة متمتعين بأقصى ما عرفه انسان ذلك الزمان من الكماليات .

قرى عامرة أشار لها الله في سورة الشعراء بمناسبة عاد بقوله : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون ؟ وتتخذون مصانع لعلكـــم تخلـــــدون ؟ واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) .

اتبنون بكل مكان مرتفع قصرا فخما يزيده ارتفاعا وترونه آيــــة أي معجزة فنية وتتخذون مصانع . وليس هذا العتاب لمجرد البناء بــل لانهـم اتخذوه وسيلة للتفاخر والتسلط عـــلى الفقراء الذيــن استخدموهم ببطش وشدة وعنف . أمدهم الله بما يعلمون مـــــن الاسماع والابصار والانعـام والبنين والعافية والحدائق والانهار لكنهم اتخذوا هذه النعم شباكا لاقتناص الملذات الحرام فلم تغن عنهم أسماعهم ولا أبصارهم بل تمادوا بالتمرد وظنو انهم مانعتهم حصونهم وقالوا من أشد منـــا قوة ؟ في عامـــرة يكـــاد يلمسها المارون بين منطقة معان التجارية ويتخيلها من عرف ابعـــاد كلمـــة ارم ذات العمــــاد .

الحيرة اليمانية ـ وسواء أكانت ارم اسم المنطقة المحلقة في الارتفاع الحضاري أو كانت علما على جبل ارم (٢٥ ميلا شرقي العقبة أو كانت اسما لقبيلة ذات مجد وارتفاع فهي لم تخرج عن شمال الحجاز التي أشار لها رسول الله (ص) حين خرج من المدينة متوجها لتبوك ووجه انصار أصحابه الى العبرة وان كانت هذه الكلمة تطلق على مناطق أخرى أخذت اسمها من المرتفعات .

وقرى عامرة تقيم مصانع ـ معامل لانتاج الاقمشة على الاقل لا سيما واليمن عريقة في ما لا نزال ندعوه الحيرة اليمنية بل ان اسم صنعاء مشتق من الصناعة .

قرى جابت الصخر بالواد قطعت الصخور من الجبال وبنت فيها السهول قرى سيعلمها رسلها عبادة الله جمعا لكلمتها واجتناب الطاغوت وهو كل ما أفضى لطغيانه وتجاوز حدود وتظالم اجتماعي . فأبى قادتها والملأ المتحالف معهم الا البطر والاشر والانانية ولم يجدوا من المظلومين من يقوم اعوجاجهم عبرة بعد ان كانت رجاء .

قرى ظاهرة استقبلت التجار الذين يتجاوزون ما بين سبأ فمكة فمعان فالعقبة فالقدس فغزة أو العقبة فبصرى فدمشق مرورا بنوى منطقة أيوب وذكرتنا بختام حلقات التجارة التي أشار لها القرآن برحلتي الشتاء والصيف (رأيناها قائمة حتى عصر الصحابة) .

تلك القرى التي أعادتها يد التفريط والغفلة صحارى تنادينا ـ لم يطرأ على ما ينزع قابليتي للحياة ولم يسترد الله ما يني من حيويات ولا أزال محتفظة بما أصبح في مجالس الغافلين حديثا وخبرا .

لقد تمتعوا بالمياه الجوفية وأصحاب الرس ـ البئر المطوية وهي هنا اسم جنس يشمل اهواعا كثيرة وتمتعوا بالزرع والنخيل .

وأخالهم سبقوا كثيرا من أمم العالم القديم لتنسيق المدن وهندسة المنازل ذات الطوابق والغرف المتعددة والردهات وتمتعوا بالنظافة والصحة العامة والاجسام البضة . كائن حي ولا يزال يضم للحضارة المادية ، ولو الراكدة ، حضارة فكرية يتيمة حاملة رايته .

الاسلام دين الجماعة للرئيس أحمد سيكوتوري

عرض وتقديم : الدكتور عبد الودود شلبي

في أواخر الخمسينيات من هذا القرن ظهرت زعامات جديدة لشعوب ودول لم نكن نسمع عنها من قبل ... لقد انتصرت حركات التحرير في افريقيا وآسيا ، وانحسرت أمواج الاستعمار الكئيب من كل أرجاء الدنيا ...

كانت بريطانيا تمثل ـ في نظر الغالبية العظمى من الشعب ـ الرمز الكريه لهذا الاستعمار ... لم يكن يخطر ببال الكثيرين أن بريطانيا ليست الا واحدة من عدة دول في هذا المجال ... فاذا كان لها (أي لبريطانيا) امبراطورية لا تغيب عنها الشمس .. فقد كان كذلك لفرنسا مثل هذه الامبراطورية ـ وكان للبرتغال مثل هذه الامبراطورية كما كان لهولندا .. وبلجيكا امبراطوريتان على امتداد قارتي آسيا وافريقيا .

وربما يرجع سبب هذا التصور لعداء بريطانيا وكراهيتها أنها كانت الدولة التي احتلت مصر بالقوة ، واجتاحت معظم بلاد العالم الاسلامي بالغدر والخديعة فكانت ... تمثل في نظرنا ـ العدو الاول لمصر ... والمحتل الغاصب لديار الاسلام والعروبة .

حتى افريقيا التي تقع بلادنا على بابها الشمالي من جهة الشرق ، وتقف حاجزا في وجه كل تيار يحاول اجتياحها من جهة البحر .. افريقيا هذه لم تكن في تصور الكثيرين تتجاوز أسوار « جوبا » « نيمولي » ، على حدود السودان المشتركة مع اثيوبيا ، وفي أحسن الفروض لم تكن تبعد كثيرا عن

« زيلع » و « مصوع » على شاطىء البحر الاحمر .

من كان يسمع عن موريتانيا وهي بلد اسلامي مائة في المائة ؟...

من كان يسمع عن السنغال والمسلمون فيها أكثر من خمس وتسعين في المائة ؟ ومالي ... وسيراليون وغينيا بل من كان يسمع عن امبراطورية غانا الاسلامية والحركة الاصلاحية الكبرى التي قادها الزعيم المصلح « عثمان دنفديو » في نيجيريا ؟

لقد كانت هناك صلات وثيقة بين هذه الاقطار وغيرها من بلاد العالم الاسلامي منذ مئات السنين ... وفي عهود الاستعمار المظلمة أسدل ستار كثيف على هذه العلاقات ، حتى يسهل على الغزاة ابتلاعها . والقضاء المبرم على عقائدها وشعوبها .

وقد حدث ابان ثورة الجزائر أن الجنود الذين عينوا لحراسة المعتقلين من رجال الثورة كانوا من السنغاليين لم يكن يعرف هؤلاء الحراس شيئا عن الجزائر ... أكثر من أنها احدى الولايات الفرنسية ... وأن شعبها من الفرنسيين المتمردين على السلطة ... وأنهم بالتالي كانوا يدينون للبابا بالولاء والقداسة ، وكانت المفاجأة التي جعلت السلطات الفرنسية تغير سياستها ... بسرعة ...

لقد دخل أحد هؤلاء الحراس زنزانة أحد المسجونين فوجده يقرأ القرآن ويقف بين يدي الله خاشعا في الصلاة ...

لقد ألقى الجندي بلاحه ... وخرج صائحا في وجه أصحابه ... الجزائريون مسلمون ... مسلمون ... مسلمون ...

* * *

ولقد كان من أبرز زعماء افريقيا بعد انحسار موج الاستعمار ومده عن هذه القارة : الرئيس أحمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا ... وقد ذاع

صيت هذا الزعيم المسلم بعد رفضه شروط الجنرال ديجول الذي حاول احتواء المستعمرات الفرنسية بعد ــ الاستقلال في اطــار مــا يسمى بـ « المجموعــة الفرنسية » أو رابطة المتكلمين بهذه اللغة نظير مساعدات مالية وثقافية وعلمية تقدمها فرنسا لهذه المستعمرات بعد استقلالها • لقد رأى الزعيم سيكوتوري أن هذه محاولة لدخول فرنسا الى المستعمرات من النافذة بعد أن طردت مــن الباب بعد فترة جهاد طويلة •• فرفض كل هذه الاغراءات بقوة وآثــر لنفسه وشعبه الحرمان والجوع على التساهل قيد أنملة في الكرامة الوطنيــة وقــال كلمته المشهورة :

« اننا نفضل الفقر مع الحرية على الغنى مع الذل والعبودية ••• » •

وكان هذا الموقف الابي من الزعيم المسلم صفعــة لفرنسا ••• فبــدأت تشن حملاتها الدعائية ضده وتلصق بحركته ودعوته أشنع تهمة ، فكان اتهامه بالشيوعية جزءا لا يتجزأ من حملة العداء والكراهية •••

وبعد عامين أو أقل من نشوب ، هذه الحملة الاعلامية قام الرئيس أحمد سيكوتوري بزيارة للولايات المتحدة وكان ذلك ــ على مــا أذكر ــ في عهــد رئيسها الراحل « دوايت أيزنهاور » •

ففوجئت بزيــارة الرئيس الغيني للمركــز الاسلامي الثقافي ، ومسجده الكبير في واشنطن ، وكان مما أثار دهشة الصحفيين حين خلع حذاءه استعدادا لدخول المسجد ، ظهر جوربه ممزقا من خلف قدمــه ، والتقــط الصحفيون صورة هذا الجورب الممزق ثــم أذاعوها على العالــم بشتى وسائل الاعــلام الملفــق •

لقد أحسست منذ هذه اللحظة أن الرجل كان صادقا مع نفسه ••• وأن موقفه من فرنسا تجسد في صورة هذا الجورب الممزق من خلف ، قدمه •

❋ ❋ ❋

وقد فوجئت منذ أشهر بالاخ الصديق « علي رشوان » المستشار الفني

لمطابع دار المعارف يبعث الي كتابا دهشت من موضوعه ، ومن مؤلفه . كان اسم الكتاب « الاسلام دين الجماعة » . واسم المؤلف : أحمد سيكوتوري وقد ظننت لأول وهلة أن هذا المؤلف غير « سيكوتوري » رئيس الجمهورية فهذه الاسماء المتشابهة نجدها كثيرا في افريقيا وبخاصة بين الجماعات الاسلامية التي تتفاءل بأسماء أوليائها وشيوخها الا أن الصفحة الاخيرة من الغلاف نفت أي احتمال لوجود هذه المشابهة وأكدت بالرسم والكلمة أن المؤلف هو نفسه الرئيس أحمد سيكوتوري رئيس الجمهورية .

وكانت المفاجأة الثانية ـ بالنسبة لي شخصيا ـ أن مترجم الكتاب اسمه : محمد البخاري ... محمد البخاري انني أذكر صديقا قديما يحمل هذا الاسم ... لقد كان طالبا معي في معهد القاهرة في أوائل الاربعينيات ولا زلت أذكر « الخال » الذي يميز وجهه ... والشارع الذي تعود المشي فيه.. كنت ألتقي به دائما في شارع الغورية قادما من الازهر أو ذاهبا الى شارع المغربلين ... و « الخيامية » حيث يقيم هناك في منزل والده العضو الشهير في الجمعية الشرعية .

لقد اختفى محمد البخاري منذ سنوات طويلة لم أعد أراه في القاهرة .. أو ألتقي به في أية مناسبة ... وقد قيل لي منذ سنوات قليلة ... انه سافر الى فرنسا للدراسة . وانه أصبح عضوا بارزا في « الحركة اليسارية الفرنسية » .

لقد أحزنني ذلك كثيرا .. فليس من المعقول أن يكون « البخاري » يساريا وليس مقبولا أن ينفصل بتقاليده عن والده العضو النشيط العامل في الجمعية الشرعية .

وسواء أكان هو « البخاري » الذي عرفته أم « بخاري » آخر يحمل نفس الاسم والصفة . فان ترجمته لهذا الكتاب تعتبر توبة وعودة أكيدة الى رحاب « الخيامية » وقيم الجمعية الشرعية ...



وقد سلكت في عرض هذا الكتاب مسلكا جديدا يختلف عن أساليب العرض الاخرى ... فلم أهتم بالشكل والتقسيم ولم أتتبع فصوله وأبوابه كما يفعل الكثيرون .. فالمضمون هو الاهم . من وجهة نظري .. والافكار التي أضاء بها ذهن المؤلف هي الغاية دون تقيد بفصول الكتاب وأبوابه ...

لقد أردت أن تكون الصورة واضحة في ذهن القارىء بكل ألوانها وتفاصيلها فأخذت من هنا وهناك ما يساعد على تليه هذه الصورة من كل جوانبها . وهكذا : تدور أفكار سيكوتوري ـ كما يقول مترجم الكتاب حول نقطة واحدة أو محور واحد هو « جماعية الاسلام » فليس المسلم فرداً، بل عضوا في جماعة .

وتأخذ فكرة الجماعة هذه مكانها كالركيزة في فكر سيكوتوري فهو يراها في فاتحة القرآن الكريم اعلانا من المسلم بانضمامه لجماعة المسلمين حين يتلو قوله تعالى « اياك نعبد واياك نستعين » فذلك اعلان جماعي يلغي كل احساس بالذات في اطار المجموع ويجدها في كل عبادات الاسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج ، ففي جميعها يقترب المسلم من أخيه بجسده وفكره بعواطفه وحسه ، وهكذا يرى سيكوتوري المسلم من خلال الصورة الرائعة التي رسمها نبي الاسلام في حديثه الكريم « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » وهو ما يجعله يقف هذه الوقفة الصريحة الى جانب « الجماعة » وان كان لا يستخدم كلمة الجماعة كثيرا ويفضل استخدام لفظ « الشعب » فالشعب في نظره أكثر تحديداً ووضوحا وشيوعا من كلمة « الجماعة » أو « المجتمع » وان كانت كل منها تؤدي معنى الاخرى ، لكن المؤلف حريص على الوضوح الحاسم أو الحسم الواضح الذي لا يترك لأدنى غموض أن يتخايل أمام الذهن فهو لا يرى في الاسلام « فردية » تبيح لفرد تميزا على آخر ، بل جماعية يظفر فيها كل فرد بنفس الحقوق ويلتزم بنفس الواجبات فهي جماعية كل فرد ، وليست « فردية » بعض الافراد .

يقول المؤلف :

منذ تأسيس المجلس الاسلامي الوطني وتصديه لحمل رسالته الطموحة لدعم مكانة الاسلام ونشر فكره وترسيخ قواعده في أرجاء غينيا ، وفي أنحاء افريقيا والعالم كله ، وأنا أتأمل العلاقة الوثيقة بين فهم الاسلام والدفاع عنه ، ذلك أن المرء لا يملك أن يدافع حقا الا عن الشيء الذي يحبه ، وما يحب المرء الا ما يعرفه ، ومايعرف الا ما أتقن تعلمه ، ولهذا لا يستطيع أحد أن يحب الاسلام حبا صادقا دون أن يعرفه ولا أن يعرفه دون أن يعرف ذاته •

ولكن كيف يستطيع الانسان أن يعرف ذاته ؟؟

انني أتصور أن عليه أن يوجه لنفسه عددا من الاسئلة التي تضيء أمامه الطريق •

عليه أن يتساءل عما اذا كان يعرف أسرته والمحيط الاجتماعي الذي يحيا وسطه وطبيعة المنطقة التي يعيش على أرضها والقوانين التي تحكم بلاده والتقاليد التي تشكل ملامحه الخاصة وعناصر الطبيعة الجغرافية من حوله •

ـ فبالاجابة على هذه الاسئلة يهتدي الانسان الى معرفة ذاته التي تتطلب تحديد مكانه في المجتمع وتعيين موقعه الجغرافي ، أي معرفته من خلال معرفة المحيطين به ومعرفة بلاده ، بل وأحيانا معرفة سلالته العرقية وعقيدته الدينية ، كما تتطلب معرفة سلوكه النفسي وأوجه نشاطه المختلفة ، فليس في الكون من يتفرد بالوحدانية سوى الله الذي يعرفه الناس فردا أحدا لا شريك له • بينما لا يمكن معرفة الانسان وحيدا منبت الصلة عما عداه • ومن هنا تبدأ معرفة الاسلام •

تتطلب معرفة الاسلام (في ايجاز) الاعتراف بوحدانية الله الفرد الاحد والتسليم بأن الانسان كائن مركب من عناصر متغايرة تجعل وجوده على الارض رحلة قصيرة المدى ، فالانسان متعدد العناصر المتنوعة بين معلومة ومجهولة • في حين أن الله تعالى أحد باق منزه عن كل شبه بالمخلوقات •

ويعني هذا أن الله منزه عن المتناقضات وهو أحد باق لا يوصف بأن له عمرا أو حجما أو وزنا . بينما يجتمع في الانسان كل ما يمكن أن يتطرق له الخيال . ففيه من الثرى والماء والشجر ، وفيه تكمن ينابيع الخير والحق والنقاء ، ولكن الشيطان يسكنه أيضا ؛ أي أنه يطوي بين حناياه الشر والزيف والدنس فالانسان يضم المتناقضات ، ولما كان المجتمع يتشكل من مجموع الافراد الذين يطوي كل منهم صدره على تناقضه الذاتي فمن المحتوم أن يتضمن المجتمع كل تناقضات أفراده .

وهكذا يبدأ الانسان معرفة الاسلام بمعرفته بذاته وبشعبه وبالطبيعة المادية حوله وبالتسليم لله بالقدرة على خلق كل ما عرفه، فيجب لمعرفة الاسلام معرفة الله عبر مظاهر قدرته وخلقه .

ـ ثم ان معرفة الله تتجسد في وجدان الانسان ما خلال كل ما يراه من أدق الاشياء صغرا الى أكبرها حجما ؛ ومن خلال كل ما يسمعه ، وكل ما يحس به ، وكل ما يحيط به ومن خلال كل ما يتخيله ، ولما كانت كل هذه الاشياء من ابداع الله فان على الانسان لكي يسمع صوت الله أن ينظر الى أعماقه الدفينة ، وأن يستمع الى صوته الداخلي ، وأن يتأمل خلق الله ومخلوقاته ويصغي اليها ، فبهذا يدرك الانسان الله ويستمع اليه ويستشعر وجوده داخل وعيه ، حذرا مع ذلك من أن يجعل لله حجما أو شكلا أو لونا محددا لأن الله تعالى مع تجليه لنا يسمو عنا اذ ليس كمثله شيء ...

والمعرفة بالله معرفة مطلقة ، في حين أن المعرفة بالانسان معرفة نسبية ؛ فحين ترون الانسان تعرفونه معرفة جزئية في حين أن هناك جزئيات لا تملكون معرفتها اذ تستند المعرفة بالانسان الى خمسة مصادر ، غير أنها جميعا في تغير متصل ، وذلك هو السر في استحالة معرفة الانسان بطريقة مطلقة وبشكل نهائي .

١ ـ ترتبط المصادر الثلاثة الاولى بالزمن . وهي اللحظات الثلاث التي

تحدد الفترات الزمنية الامس واليوم والغد .

من الممكن أن يكون اليوم غير الامس ، ويمكن أن يختلف الغد عن اليوم ومع ذلك فان هذه الدعائم الثلاث : أمس واليوم والغد ، تشكل حقيقة واحدة هي اتصال الزمن ، ولكن فبينما يمثل الزمن للانسان ثلاث مراحل ، فانه بالنسبة لله وحدة لا تتجزأ فليس هناك ما يعد بالنسبة له أمس ولا اليوم ولا الغد ، لأن الله خالد وأبدي .

٢ ـ ويتمثل المصدر الرابع في الشعب ، ذلك أن انسانا ما يستطيع أن يقول : « انني فرنسي أو انجليزي أو أمريكي ، أو انني عربي » . كما يستطيع مواطن في غينيا أن يقول حسب اقليمه « أنا سوسي أو مالنكي أو بلهي » وهذا يعني : أن الناس أيضا يعرفون من خلال المجتمعات التي ينشأون فيها ، بل انكم بعد معرفتكم بسورة « قل هو الله أحد » لا تكادون ترون شجرة أو انسانا أو حيوانا أو حجرا حتى تقتنعوا بأن لكل موجود أما وأبا وأصلا ينحدر منه ... سوى الله ، فانه واحد أحد لقد نبت الانسان من الشعب ، لكن الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ..

٣ ـ ويتمثل المصدر الخامس ، لمعرفة الانسان في الحيز المكاني ، اذ يشغل الانسان دائما جزءا من الكون لكنه لا يشغل الكون كله أبدا ، واذا كان الانسان لا يشغل الا جزءا من الارض ، لا جزءا من الكون ، فان الله يضم وحده الكون كله ويشغله كله ، وبينما لا يشغل الانسان غير مكان بالغ الضآلة ، يوجد الله في كل مكان . ويحيط بكل شيء علما .

ـ على أن المعرفة الحقة بالاسلام تكشف عن دوره الهائل في توحيد الجماعة وتثقيفها وهدايتها ، فقد جاء الاسلام ليتيح للانسان أداء جميع واجباته على الارض تجاه الله ، وتجاه مجتمعه .

ـ ويستطيع المرء بسهولة أن يدرك أنه لا يوجد دين للشجر ولا للحيوان ، وأن الدين لم يخلق الا لأفراد الجنس البشري ... وليست حياة

النباتات ، والحيوانات الا جزءا من حياة الطبيعة خاضعا لها ، في حين أن حياة البشر ، وان كانت تعتمد هي الاخرى على حياة الطبيعة ، الا أنها تتجاوزها مع ذلك ، فقد غرس الله في الانسان ذلك الوجدان الذي يتيح له ـ رغم احتوائه داخل الكون الطبيعي ـ أن ينفذ خارج اطاره هذا حتى يرى ذلك الكون الذي يحتويه ، بل ليحتوي بفكره هذا الكون الذي يحتوي جسده .

لقد انفرد الجنس البشري اذن بوجود دين له . لان البشر هم الذين كرمهم الله وفضلهم على جميع المخلوقات لأنهم وحدهم الذين يمتلكون « الوجدان » الوعي . وها نحن هنا حبيسون داخل هذا البيت ، غير أنه لا شيء حبيس هنا حقيقة الا أجسادنا أي كل ما أخذناه من التراب والماء ، من الكون الطبيعي ، أما ما خصنا الله به مما هو أعظم من كل هذا وهو الوعي ، وهو الوجدان ، فهذا ما لا يمكن سجنه .

ولو أننا طلبنا الآن الى أئمة غينيا أن يتصور كل منهم مسجده كما كان عليه يوم الجمعة الماضي ، أو الجمعة السابقة عليه ، لحظة كان يؤم المسلمين لتراءى لكل منهم على الفور مسجده وهو قائم في مكانه في صدر اخوانه المصطفين وراءه يؤدون الصلاة ومع هذا فبينما يحلق بكم فكركم وينقلكم خارج هذه القاعة تظل أجسادكم هنا بين جدرانها . فمن الممكن أن يسجن ، الجسد الذي هو امتداد للارض بينما لا يمكن أن تسجن الروح التي هي امتداد لله ، ان الروح تسمو على الزمان والمكان ، أما الجسد فرهينهما معا ، والروح موصولة بالله فهي مثله أبدية وموجودة في كل الوجود .

ـ ونحن نرى بعيوننا كل الاشياء الممكنة الرؤية ، فنحن نرى أنفسنا ونرى الاشياء المحيطة بنا ، وبآذاننا نسمع كل ضجيج ، وبأنوفنا نشم كل رائحة وبأيدينا نستطيع أن نلمس كل ما هو حسي ، وهكذا لا تتصل الاعين والانوف والايدي الا بالطبيعة كما هي في الواقع المادي المحسوس . بينما نعجز عن أن نرى الله بعيوننا أو نسمعه بآذاننا أو نشمه بأنوفنا أو نحسه

بأيدينا . ذلك أن اتصالنا بالله انما يتم عبر وجداننا وفكرنا .

واذا كانت حواسنا الخمس : البصر والسمع والشم والذوق واللمس، لا تتيح لنا أن تتصل الا بما خلقه الله فانها لا تتيح لنا اتصالا مباشرا بالله نفسه وتبقى هذه هي الرسالة المهمة ، التي يتحملها الوجدان وحده ، لانه هو الذي يمثل في نفس الوقت العيون المبصرة والآذان المستمعة والفم المتحدث واللسان المتذوق والايدي الملامسة ، ان الوجدان هو الذي يصل الانسان بالله ويربطه بخالقه .

* * *

وعندما يقول امرؤ : « انني أناصر الدين ، وأعادي السياسة » فانه يشبه من يقول : « انني أشهر سيفا ، وسأقتل أبي وعدوي » فهو يحمل سيفا ولا يعرف ما يفعل به .

في حين أن السياسة تقول لك : « حارب بالسيف الاستعمار والامبريالية واقتل به عدو شعبك ، ودافع به عن الحرية ، واحرس خيرات بلادك ، واحسم والبدك » .

واذا كنت مثلا اماما في أحد الاقاليم ولا حظت في مدينتك أن محالا مفتوحة في عدة أماكن ، لا تبيع السلع والكتب والادوية والملابس والانسجة التي يحتاجها الشعب بل تقدم لروادها المشروبات الكحولية ، أو لاحظت دورا يلتقي بها او الرجال والنساء لممارسة أمور تحط من قدر الانسان ، فانك لن تكون في هذه الظروف مسلما ما لم تفضح هذه ، الاوضاع التي تتعارض مع تقدم الانسان الاجتماعي ومع الخط الاسلامي ولن تستطيع أن تخطو للمسجد وتقول : « الله أكبر » وتؤم المصلين المؤمنين بينما ترتكب أمام عينيك أعمال يدينها الاسلام دون أن تعلن عليها حربا علنية صريحة .

ان فضح مثل هذه الآثام والعمل على استئصالها هو الذي يحيلك الى مسلم حقيقي وذلك الكفاح هو كفاح سياسي . وهو كفاح يتطلبه احترام

الاسلام وازدهاره الدائم . يجب اذن العمل بالسياسة الخيرة، تلك التي تحمي استقلال الوطن ـ وتحرس العدالة والمساواة والاخلاق والتآزر . وبدون ذلك لا نمكن ضمان عظمة الامة وليست هذه السياسة الا تطبيقا للعقيدة الاسلامية التي تجعل من الفرد جنديا في مجتمعه لكي يحمي القيم الانسانية الايجابية .

ونستطيع أن نوجز ذلك قائلين :

ان الايمان القلبي يتجلى في عداء الشيطان وعداء كل ما يمثله ، وفي بقاء الانسان على النهج الذي حدده رسول الله ، وهو النهج الذي يصل بالانسان الى الفردوس وهكذا يجب أن يجد الايمان القلبي ، في كل لحظة ، ترجمته في سلوك الانسان الايجابي .

فاذا كان سلوك المرء يعادي كل ما يتناقض مع مبادىء الاسلام فهو اذن على الطريق المستقيم .

يعارض المسلم القوي الايمان بحسم كل ما هو اثم وشيطاني ، ويناصر في حسم كل ما يتفق مع الاسلام ، أي كل ما هو حق وعدل وخير للشعب .

وفي ركن الاسلام الثاني . وهو الصلاة مكافحة للشيطان . فالصلاة يسبقها الوضوء . فأي سر يختفي وراء هذا الوضوء ؟

ـ اغسل قدميك اللتين قادتاك الى أماكن محرمة مطيعة بذلك الشيطان اغسلهما لتفصل عنهما الشيطان .

ـ ويداك ؟ لقد مسست بهما أشياء محرمة عليك ، نقلت بهما سلعا مهربة وكتبت بهما أكاذيب ، وضربت بهما بائسا وضعيفا وصغيرا ، اغسلهما اذن لتطرد عنهما الشيطان .

ـ وأنفك ؟ لقد تشممت به ما حرم عليك شمه .

ـ وفمك ؟ كذبت به وقصصت حكايات منافية للحقيقة .

ـ وأذنيك ؟ لقد استمعت بهما همس الشيطان ...

اغسل اذن عينيك وأنفك وفمك وأذنيك ويديك وقدميك لتمحو عنها أثر الشيطان ذلك هو معنى الوضوء . وكل ذلك من أجل اقصاء الشيطان ..

وفي الزكاة أيضا مكافحة للشيطان وقد يهمس لك : « ليس صحيحا أن هناك دارا آخرة . فحين تنتهي حياتنا ينتهي كل شيء » وقد يوسوس لك أيضا : « لا تعط أحدا شيئا ، كل وخذ كل شيء لك » غير أنك حين تؤدي الزكاة تقصي الشيطان ، لأنك تحتجز لك مكانا في الدار الآخرة ألاو ، ثم لأن ما تدفعه للغير واجب عليك أداؤه ، انه دين الفقراء عليك ، لقد فرض الاسلام الزكاة صفعة على وجه الشيطان .

وفي الصوم كذلك معاداة للشيطان فالشيطان يعلي قدر الجسد المادي ، ويخنق فكر الرجل بالكحوليات ـ والمخدرات والاكاذيب ، حتى يتحكم الجسد في الانسان ، وهكذا فحين تصوم تصوم رمضان يرقى الوجدان ، وتعلو الارادة والفكر فوق الجسد ، لقد فرض الاسلام الصوم لالحاق بالشيطان .

وفي الحج كذلك لطمة للشيطان الذي يتمم لك : « أنك المسلم الوحيد ، فقد انهار الاسلام ولم يعد هناك مسلمون » وحين تسافر الى مكة تلحظ أن كل بلاد العالم قد أرسلت وفودا منها . على عكس ما أكده لك الشيطان ، وتفهم ساعتها أن الشيطان قد كذب عليك ، انك ترى في مكة ملايين الافراد جاءوا من كل بلاد العالم لأداء فريضة الحج وهو ما يعطيك فكرة عن المدى الفسيح الذي بلغه الدين داخل المجتمع الانساني وسيريحك هذا ويحفزك ، ثم تتبادل مع غيرك المعارف والمعلومات فيزيد كل هذا من صلابة عزمك على محاربة الشيطان .

على أن كل هذا يتجسد في هذه الحصي الذي يقذف به كل حاج ، الشيطان في « منى » رمز رفض وادانة ، وهكذا فرض الحج عداء للشيطان

أيضـــا •

ان لقواعد الاسلام الخمس نصيبها في مكافحـــة الشيطان ، ولـــو نسي المرء نصيب قاعدة في مكافحة الشيطان لما كان مسلما مكتمل الاسلام •

فلتتذكروا أن الشيطان قد خطر على كل ملليمتر مربع من سطح الكـــرة الارضية وأنه يعرف العالم أفضل منا ، لقـــد شهد خلق آدم وتبعـــه وأدرك مستوى من المعرفة لا يملك أحد منا أن يبلغه •

ان اسلام المرء يتطلب أن يبحث في كـــل مكان ليتعرف عـــلى ملامح الشيطان ليفلت منه وليعاديه في كل زمان ومكان •

الاغـــلاط المطبعيـــة

مهما حاولنا عدم وجود الاغلاط المطبعية فانا نراها تســـود ، هنـــاك اغلاط تعرف بالبديهة ولكن هناك اغلاط تغير المعنى مثلمـــا ورد في العـــدد الماضي الاول :

الصفحة	خطـــأ	صـــواب
٥	والله يهمل ولا يمهل	والله يمهل ولا يهمل
٧٣	اسدة مني اسد	أسـد من بني أسـد الخ

فمعذرة من القراء •

خليل مردم وكتابه
"الشعراء الشاميون"

بقلم: ترهيد ماردينى

الشعر الشامي اعطى العالم
تجويد الشعر في الاسلام

حين أمسكت بقلبي ويدي كتابه (الشعراء الشاميون) الـذي حققـه وأصدره قبل أيام نجله عدنان مردم بك ، تحـرك في وجداني ذلـك الصمت الذي يخيم على أبناء جيلي ممن عرفوا (خليل مردم بـك) صاحب هـذا الكتاب ..

فمنذ أن غادرنا في عام ١٩٥٩ ، والادب العربـي عامـة ، و (الشامي) خاصة ، يبدو مثل مخلوق عجيب احدى أذنيه من طين والثانية من عجين ..
لقد (صمت) النثر الاصيـل في مجتمعنا ، وكذلـك (صمت) الشعر الحقيقي .

كان هذا (الصمت) ظاهرة غريبة أشد الغرابة ، فـان الاصل في الادب ان يعكس روح الامة، وان يقوم بتربيةوجدانها، وان يستشف قناعه عن الآلام والاحلام ، وان يكون في نهاية الامر شهادة حقيقية على عصره ...

ترى ألا يستحق هذا العصر (الصامت) الذي نعيشه شيئا مذكورا !

ان الاصل في الادب أن يقوم بتربية وجـدان الامـة وضميرها ، لان الوجدان لا يتربى في البيت والمدرسة وحدهما ، فاذا كان الادب قد (صمت) فان الامر يحتاج الى وقفة طويلة !

وقفة نسأل فيها لماذا هذا (الصمت) الـذي عم دنيانا العربية منـذ أن زالت تلك العصبة من الادباء المجلين التي كانت تربي وجداننا القومي ، ومنها الشاعر خليل مردم !

ان الامر أخطر من أن نمـر عليه مرور الكـرام ••• ان دور الشاعر العربي في عصرنا الحاضر سوف يتعرض لحكم بالغ القسوة من أجيال الادباء القادمة •• وما زال هناك وقت لتمزيق الاقنعة عن وجه الحقيقة ، ومن هنـا ، من هذا المنطلق بالذات لا بد من أن تقول شيئا عن هـذه العصبة التي أعطت الادب والحياة الكثير ، في محاولة لشق هذا (الصمت) ••• فهو ثقيل الوطء مثل صمت القيام ، أو صمت الموتى !

قبل أن أتطرق الى كتاب (الشعراء الشاميون) أريد أن أروي ما أعرفه عن المؤلف رفيق محمد البزم وشفيق جبري وكل الرعيل الادبي القديم الذي كانت الفضائل طبيعة ثابتة فيه ، وكان عطاء الفن طبيعته الاولى !

ولد خليل مردم بك بن أحمد مختار مردم بك في دمشق عام ١٨٩٦ م • درس في المدارس التركية التي كانت معروفة في تلك الايام من (رشدية) الى (اعدادية) وغيرهما ، ومنذ ان شب أصبح اسمه يقتـرن بشاعر الشام ، وهو لقب لو تعلمون عظيم • ان أرفع لقب كان يمكن ان يطلق على الموهوبين وكبار القوم هو هذا اللقب ••• لهذا كان يتنافس عليه اقران خليل مردم من الادباء ، وعلى التحديد محمد البزم وشفيق جبري ••

لم يكن خليل مردم انسانا عاديا ••

لم يكن يعطي احساسا بأنه يمكن أن يموت••• ان كونا شاعريا وأخلاقيا يعيش داخله ويستعصي على الفناء ••

كان الرجل مدرسة عظيمة تنبعث منها مئات الانغام الشعرية الهادئـة ، ويتعلم فيها الآلاف عديدا من القواعد والقيم ••• ومـن الصعب أن ينهـار البناء الشامخ في لحظة عندما يسكت القلب ••

ومن المدهش ان خليل مردم الذي ولد وفي فمه ملعقة من ذهب ، وعاش بين ورود الشام ورياحينها كان صوفيا في تفكيره ، وصوفيا في أسلوبه ، وصوفيا في علاقته مع الناس ، لهذا مر العهد التركي دون أن يتعرض لشيء من الاذى ، وما كاد يجتاز العشرين من عمره حتى ظهرت مواهبه ، وعرف بين أقرانه بشاعريته المميزة ... فما ان انطفأ العهد التركي في الشام وأطل العهد العربي حتى احتاج الحكم الى من يتقنون اللغة العربية ليضعوا أسس المراسلات باللغة الام ، اللغة التي حاربها الترك وحاولوا اقتلاعها من جذورها ليقتلعوا معها كل تفكير عربي ، فكان ان وقع الاختيار على الرجل ليكون أمينا لرئاسة الوزراء .

ومن اللغة العربية التي اتقنها الخليل بفنونها تعلم الصراحة والجد ، وطوال حياته الحافلة بالعطاء الادبي ، ظل حارسا أمينا على اللغة العربية وقواعدها وروحها !

ولقد اخرج الخليل سلسلة من المؤلفات الادبية درس فيها شخصيات فنية معروفة من مثل ابن المقفع وابن العميد والجاحظ والصاحب ، فكانت هذه المؤلفات مصدرا من مصادر الدراسة عند طلاب (البكالوريا) في أول عهدها ، أي يوم كان طلاب (البكالوريا) يصفون اللبنات الاولى في قواعد الادب العربي ودراساته .. هذه الدراسات التي لم تكن معروفة في تلك الايام .

كانت الدنيا العربية في مطلع شباب الخليل تتحفز لتقفز وكانت الحركة الادبية عند أدباء العربية في نيويورك في أوجها ، فآثار (الرابطة القلمية) بدأت تصل الى الشام التي فتحت آذانها على أصداء النغمات الحلوة ، وتلقفت الاذان والافهام شعر ايليا ابي ماضي، وأدب جبران ونعيمة والريحاني، ونسيب عريضة وندره الحداد ، والشاعر القروي .. فاذا بالاصداء تنعكس في الشام فتتشكل الرابطة الادبية برئاسة خليل مردم يعاونه في ذلك المطران ايفانيوس (وكان شماسا آنئذ) ، كما عاونه عدد غير قليل من الادباء ،

وأصدروا مجلة باسم هذه الرابطة خدمت الادب العربي خدمات جلى ، كما خدمت بشكل خاص الصاعدين على سلم الادب •

وبدأ الخليل يرتقي سلم المجد العربي ركضا ••
ـ عام ١٩٢٤ أصبح عضوا بارزا في المجمع العلمي العربي •
ـ عام ١٩٤٨ أمسى عضوا في المجمع اللغوي بالقاهرة •
ـ عام ١٩٥١ انتخب عضوا في معهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن •

وبعدها أخذ يتولى المناصب الوزارية ، كما تولى السفارة السورية في العراق •

كان يقترب من المناصب الوزارية كلما أحس باقتراب المنصب من الادب ، ويبتعد عنه كلما ابتعدت المناصب عن احترامها للادب العربي •

كان استاذا ••

معلما كما يقولون في الاوساط الاكاديمية •

رجل صارم اذا تعلق الامر باللغة العربية وآدابها وفنونها ••

عذب أعظم العذوبة اذا تعلق الامر بالكياسة الشامية ، ومنه سمعت ذات مرة تعريفا للفظة (تدمشق) ، لقد سأله أحد أدباء الفارسية :
ـ ماذا تعني كلمة (تدمشق) ، فأجاب بصرامة وجدية :
ـ انها تعني (تحضر) !

قاس كل القسوة اذا تعلق الامر بالماضي الادبي العريق •

كان يحرس مع القلائل من اخوانه من أمثال محمد البزم وشفيق جبري هذا الصرح العظيم المسمى (بالشعر العربي الشامي) •• وكان هذا الشعر قد تعرض لكل ما تتعرض له الاصالة حين تجور عليها الايدي المختلسة ، ووسط دنيا لم تعد القيمة فيها للشعر الاصيل ••• وسط جو صار فيه تملق غرائز المستمع والقارىء أسهل من تربية روحه وتغذيتها ••• وسط هذا

الجو ، وقف الخليل ينبش مع اقرانه أعضاء المجمع العلمي العربي الارث الشامي ، والتراث الشامي •

كان الخليل متعصبا لثلاثة أشياء :

الاسلام
الشام
اللغة العربية •

ولم يكن تعصبه للشام خاصة ينبيء على احساس فاتر أو دعوى عاطفية ••• انما كان يؤمن ان دنيا الشعر الشامي أغنى آلاف المرات من دنيا غيره ••

يكفي ان تذكر أمامه اسما شاميا ، أو مكانا شاميا ، أو حادثة شامية ، ليحكي للتوه قصة مدهشة ، حتى لو كان أصل الاسم أو المكان أو الحادث محزنا ، فقد كان قلبه يستطيع أن يعثر على اللب والمزح وراء أعظم الاستار قتاما وحزنا •

في هذا الاطار كان في حياته شيء مدهش •
وكان يرى تلاميذه يتقدمون فيفرح لهم •
في كل ما كتب وألف ترى الشام في الشرح والمتن ، في البداية والنهاية •• ما أن يخرج من قصة حب للشام حتى يدخل في أخرى •

ونحن نعرف ان للحب قوانينه الحاكمة التي لا يفلت منها انسان ، سواء كبر أو صغر •

والحب طاغية يحكم رعاياه بالهوى فيتحكم فيهم ••• ويلعب بهم ، ويرفعهم يوما لقمم الهناء ، ويختصهم أياما لقيعان البلاء ••• وحده شذ عن هذه القاعدة لان حبه كان صوفيا •

لقد كان يرى في حب الشام وآدابها غاية غامضة للوجود ، وعطرا كونيا تنتشيء به الروح ••• ولعل هذا كان من حظ الشام :

ادال اللـه جلـق من عداهـا وأحسن عـن أضاحيها عزاها
فكم حملت عن العرب الرزايا كذلك الام تدفع عن حماهـا

ثم يلتفت الى الشهيد يوسف العظمة :

أيوسف والضحايا اليـوم كثر ليهنك كنت أول من بداهـا
فديتك قائـدا حيـا وميتـا رفعت لكل مكرمة صواهـا
فيا لـك راقـدا نبهت شعبا وأيقظت النواظر من كراهـا
ويا لك عاثـرا انهضت منـا عزائم بعدمـا وهنت عراهـا

ويختتم القصيدة بقوله :

سأقصر القوافي اليـوم جمـر أخاف على المسامع من لظاهـا

... وبينما ينظم للشام نشيدها الوطني (حماة الديار عليكم سلام) نجـده ينتقل في حبه الى الغوطة ، غوطة الشام ، فيخاطبها :

كم في أزاهـير الرياض لناظر من مقلة وسنى وخـد ناضر
ماست أماليد الغصون بوشيها معطـارة وازينت بجواهـر
لله ما صنعت ومـا جاءت به في الغوطتين يد الربيع الباكر
بسطت وثير قطيفة فوق الثرى خضراء فيها كـل لون زاهـر
من أحمر قان ، وأصفر فاقـع أو أزرق زاه ، وأبيض ساحر
وكسيت وحلت سمحة اثارهـا فجلت عرائسها بوشي فاخـر
معقودة الأكاليل ، زهراء الحلى خفاقة الاقراط ، ذات أساور
ارخت من الظل الظليل غصونها طررا وأذيـالا وفضل مآزر

من هذه الحمى التي يسموتها الحب صاغ الخليل كتابـه (الشعـراء الشاميون) ... ولعلي لا أبتعد كثيرا عن الحقيقة حين أقول انني طالما سمعت من استاذ الادب العربي خليل مردم بك الكثير مـن الافكار التـي تضمنها الكتاب ، فالتقطتها الذاكرة واستقرت فيها ..

أذكر ذلك ولا أنساه ..

أذكر يوم دخل المربي الكبير المرحوم الدكتور منيف العائــدي مؤسس أول معهد تربوي في دمشق (الكلية العلمية الوطنية) ، دخل صف البكالوريا وكنت ما أزال تلميذا بالبنطلون القصير ليزف الينا البشرى بقبول خليل مردم بك اعطاءنا دروس في الادب ..

وصفقنا نحن التلاميذ طويلا لهذه البشرى ، واغرورقت العيون بدموع الفرح ، ومنها عيون الدكتور منيف العائدي وخليل مردم ..

لم تكن مادة الادب في أيامنا متوفرة، كنا نسمع من الاساتذة وندون على الورق ، ومن الورق تنتقل هذه الافكار الى الذاكرة ... لتستقر .

وطالما ردد الخليل أمامنا خلاصة مطالعاته عن الشام ، وأدب الشام ... وكان يقول :

أبنائي احفظوا جيدا ما أقوله لكم وسجلوه ...

الشام ، شامنا وشامكم لم تسترح قط الى الضيم، ولم تطمئن قط الى ما لا يطمئن اليه كرام الرجال . فالشعر العربي في الشام ؛ وما تميز به وحده من خصائص فريدة ، كانت خصائص قلما نجدها في شعر العرب الذيــن استقروا في العراق ، وغير العراق من الاوطان العربية المختلفة .

الشعر الشامي لا يحب المجون في الادب قط ، وانما يتجه دائما للجد ، حريص أشد الحرص على الصراحة . لا يحب اللهو ، ولا يحــب العبث ، ولا يحب أن يتخذ الادب وسيلة الى لهو أو عبث ، وهو يمتاز بهذا من بين الاقطار العربية كلها ، امتيازا قويا، ظاهرا ، ومع ذلك فقد حاول المجون الادبي أن يلم به ، وان يستقر فيه وقتا ، ولكنه لم يستطع أن يطيل المقام فطرد منــه أعنف الطرد وأشنعه ..

ان الشاميين عندما أرادوا أن يعشقوا ، وان يتغزلوا ، وان يظهروا عشقهم وغزلهم ، لم يحتاجوا الى ان يكتموا ، ولا ان يستخفوا ، وانما جهروا بذلك..

ويقـول :

مرتان حاول فيهما الشعر والغزل والغنـاء والعبث أن يستقر في الشام فلم يستطع .

كانت الاولى في أيام يزيد بن معاوية ، والمرة الثانية في أيام يزيد بن عبد الملك .

وفي أيام الوليد حين كان وليا للعهد ، ولكن غزل الوليد ومجونه كانـا يتنقلان معه ، لان الوليد كره أن يجاور فنأى عـن العاصمة الشام ، وجعـل يتنقل في بادية الشام ، ومن حوله أصحابه وأترابـه الذين كانـوا يعابثونه ، ويناون معه ، فكانت الكارثة التي انتهى اليها أمر الوليد بن يزيـد بعـد ان آلت اليه الخلافة ، وبعد أن أراد أن يسير سيرة أبيه يزيد ، وان يقـر الغـزل والمجون في قصر بني أمية في الشام ، قتل في تلك الفتنة المنكرة ...

ويقـول :

ان هذا ان دل على شيء ، فانه يدل على ان الشام قد حرصت عـلى تقاليدها العربية المحافظة المتشددة في محافظتها ..

وحين كان الخليل يأتي في محاضراته على عدي بن الرقاع أحد الشعراء الشاميين الذي ضمهم الكتاب كان يردد أمامنا :

لم يكن في جنوب الشام شعر قبل الاسلام ، ولـم يكن في جنوب الشام شعر ملحوظ أيام بني أمية ، ولا نكاد نعرف من شعراء الشام في الجنوب أيام بني أمية الا شاعرا واحدا هو عدي بن الرقاع الذي كان منقطعا للوليد بـن عبد الملك ، أما شمال الشام فقد كان حظه من الشعر عظيما حقا ، ويكفي ان نعرف أنه موطن الاخطل ، وانه موطن القطامي ، موطن جماعة من القيسية التي استقرت في الشام أيام يزيد بن معاوية ، وجعلت تقول الشعر ، ومـن هؤلاء ذكر ابن حارثة الكلابي الذي يقول لبني أمية :

أفي الحق اما بحدل وابن بحدل فيبقى واما ابن الزبير فيقتل
كذبتم وبيت الله لا تقتلونه ولما يكن يوم أغر محجل
ولم يكن للمترفيه فيكم شعاع وضوء الشمس حين ترحل

ان أول ما تمتاز به الشام في الشعر هو الصناعة ، والعناية الفنية التي نجدها واضحة ، تستطيع لمسها بالايدي في هذا البيت من شعر عدي بن الرقاع :

تزجى اغن كأن ابرة روقه قلم اصاب من الدواة مدادها

لقد ذهب شعراء الشام بعيدا في التجويد ، والعناية بالمعاني والالفاظ ، وامتحان الشعر قبل اظهاره لسامعيه ... والتجديد الهام الذي غير اتجاه الشعر العربي ، انما نشأ في الشام ، وكان منشؤه هو ابو تمام ... لقد كان له الفن الخاص الذي لم يأخذه عن أحد وانما صنعه لنفسه صنعة ، وابتكره لنفسه ابتكارا ، ولهذا حقد اللغويون جميعا من أهل العراق على شعر ابي تمام، وأجمع نقاد العراق على ان ابا تمام قد خالف عمود الشعر وكانوا يعيرون ابا تمام بكثير من الشعر الذي نعجب به أشد الاعجاب ، كأن ابا تمام قد سبق العصر الذي كان ينبغي أن يعيش فيه ، ولو عاش أبو تمام في عصرنا هذا لكان من حقه ، وفي غير تردد وفي غير اضطراب ان نوازن بينه وأن نقيسه الى أكبر الشعراء الممتازين في العالم الغربي ... من حيث انه عني بشيئين خطيرين أولهما انه لم يعتمد في الشعر على قلبه وذوقه وعاطفته وحدها ، ولكنه أشرك عقله في الشعر ، أشرك عقله في صناعة الشعر ، ويرى فيه هذا من انه كان عميق الثقافة مشاركا في الثقافة الفلسفية التي كانت شيقة في تلك الايام ، فهو اذن لم يكن يقول الشعر بقلبه وطبعه وحدهما ، وانما كان يقول الشعر بقلبه وعقله أيضا ، فكان يصحح معانيه ويحققها ، وكان في شعره أشبه شيء بالفيلسوف الذي لا يحب أن يطلق الكلام دون أن يتحقق من أنه صحيح ، وكان يعمد الى صور لم يألفها الشعر العربي ..

اذن فالمذهب الشامي القديم في الشعر كان مذهب العناية بتجويد الشعر ومتمتعا بما أتيح له من علم وثقافة ودراية بالعلوم التي كان المسلمون يعرفونها في تلك الاوقات ..

والصناعة في الشعر هي التي أتاحت لابي تمام أن يتكو لاول مرة فنا جديدا في الشعر لم يكن يحتفظ به الشعراء الذين جاءوا بعد أبي تمام وحاولوا ان يقلدوه ..

تعطي الزجاجة لونها فكأنها في الكف قائمة بغير اناء

ومع أن البحتري الذي عاصر أبا تمام وأخذ منه قد حاول تقليده ، فالبحتري على كل حال ظل من الشعراء الذين حافظوا على طريقة الشعر ، وعلى عمود الشعر ، ولكنه على كل حال شاعر من مشاعر الشام كان يصنع شعره كما كان الشوام يصنعون شعرهم دائما ..

والشعر الشامي أضاف بعد أبي تمام الى الادب العربي ثروة لم يضفها شعر آخر ، بل أضاف الى الشعر العربي ثروة لم تستطع الآداب العربية الموروثة كلها أن تضيفها ... مثل فنون المعري والمتنبي ..

ان الشام هي التي أعطت العالم العربي تجويد الشعر في الاسلام . أعطت العالم أعظم شاعر فيلسوف ، وأعظم فيلسوف شاعر ، لهذا فالعالم العربي الاسلامي مدين للشام بأجود ما عنده من شعر . على هذا النحو كان استاذنا الخليل يشرح لنا فنون الادب ، وفنون أدب الشام ، لهذا استطاع طلابه ان يشقوا لهم طريقا في أدب الحياة ما يزال معبدا حتى الآن ، قبل أن يصاب الادب بالصمت !

ولكن أترانا ابتعدنا كثيرا عن كتاب (الشعراء الشاميون) ؟ لا أعتقد . قدم الخليل كما يشرح لنا نجله عدنان في المقدمة دراسة موجزة عن شعراء الشام في القرن الثالث للهجرة ... دراسة على سبعة شعراء شاميين لم يحفظ دواوينهم بالطبع حتى سنة ١٩٤٤ ولا أشعارهم بعناية الباحثين والمدققين ، ومنهم من لم يعثر له على ديوان مخطوط كعدي بن الرقاع ..

كان هؤلاء من فحول الشعراء ؛ ولكن المؤسف انهم كانوا سيئي الحظ لندرة دواوينهم المنسوخة بسبب عوامل متعددة ، فسلخ الخليل الاشهر الطويلة في التنقيب والبحث وراح يجمع البيت والبيتين من كتب مختلفة ، منها ما هو أدبي ، ومنها ما هو لغوي ورد بها على سبيل الاستشهاد حتى استطاع ان يطلع على الناس بدراسة وافية عن :

(عدي بن الرقاع ؛ الوليد بن يزيد ؛ الطرماح بن عدي ، ابن حيوس ، ابن الخياط ، ابن عنين ، عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي) •

لقد اعتمد المؤلف في دراسته عن هؤلاء ، على النص وحده ؛ اي على ديوان الشاعر المخطوط ، وقام باستقرائه ؛ واستطاع من قراءة النص النفاذ الى البواطن الخفية للشاعر ؛ الى ثقافته العامة ••• خياله الشعري ••• لغته والى العصر الذي عاش به ، وأعطى المؤلف لكل شاعر كتب عنه الصورة الكاملة لمجتمعه السياسي والفكري والاقتصادي ، وذكر ما لهذه العوامل من اثر فعال في حياة الشاعر ، كما ان المؤلف لم يهمل العامل النفسي والفطري وبيان ما لهذا العامل من اثر فعال ••

وأعتقد بعد قراءتي للكتاب أن الخليل بذل جهدا كبيرا في الحديث عن (ابن عنين) ، وقد يعود هذا الى تشابه بينه وبين الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس •

فقد كان ابن عنين غنيا مترفا ، كما كان الخليل ، وكان ابن عنين شاعرا فحلا كما كان الخليل •

كان ابن عنين لا يرى الدنيا الا في الشام ، وكذلك كان الخليل •

لقد شهد ابن عنين قيام الدولة الصلاحية في دمشق ، فلم يحاول التقرب من السلطان ولا من رجال دولته أو المقربين اليه ، بل يقف موقف الناقد المشنع ، يغمز الدولة والقائمين بها من وزراء وقواد وقضاة • ولقد بلغت به الجرأة

مبلغا بعيدا حتى تمرس بصلاح الدين الايوبي وتعرض له :

سلطاننا أعرج وكاتبه ذو عمش والوزير منحدب

ونفاه السلطان فخرج ابن عنين رافعا صوته :

فعلام أبعدتم أخا ثقة ما خانكم يوما ولا سرقا
انفوا المؤذن من بلادكم ان كان ينفي كل من صدقا

وشهد المؤلف ولادة الدولة العربية ، ولكنه لم يقاتل أحداً ، بل اكتفى بالحب الصوفي للشام وكل ما في الشام من حب وجمال وارث وتراث ..

بيروت زهير مارديني

قتيل بقرون

* يروى ان احد المغفلين خرج يوما من منزله فعثر في طريقه على قتيل فجره حتى أوصله الى منزله ، وهناك القاه في بئر كان مهجورا ، فعلم أبوه بذلك فخاف على ابنه ، فغيبه ثم أخذ كبشا وخنقه والقاه في البئر واهال عليه التراب .. ثم أن أهل القتيل طافوا في الشوارع والازقة يبحثون عنه فلقيهم المغفل المذكور وقال : في دارنا رجل مقتول فانظروا أهو صاحبكم ؟ فدخلوا الى المنزل وانزلوه في البئر ، فلما رأى الكبش ناداهم قائلا : يا هؤلاء هل كان لصاحبكم قرون ؟ فضحكوا منه وتركوه بعد أن رأوا الكبش وقرونه .

قسطنطين زريق :

فيليب حتي نفحة انسانية ومرجع في الدراسات والتاريخ

نعت انباء الولايات المتحدة علما من اعلام لبنان والعالم العربي والولايات المتحدة ، هو المغفور له الدكتور فيليب حتي ، الباحث والمؤلف في التاريخ العربي ، ومربي اجيال من الباحثين في هذا الحقل ، والعامل على نشر مآثر الثقافة العربية والدفاع عن حقوق العرب في المحيط الاميركي .

لقد قضى الدكتور حتي عمرا مديدا بلغ اثنين وتسعين عاما في الجهد التعليمي والبحثي ، فما كل ولا مل حتى بعد أن تقاعد عن عمله إستاذا في جامعة برنستون رغم ما اصابه في السنوات الاخيرة من اتعاب الشيخوخة واسقام الجسد .



ولد في ٢٤ حزيران ١٨٨٦ في قرية شملان. تلك القرية التي احبها وظل الى غربته يحن اليها ويتغنى بجمالها . وتلقى علومه الابتدائية فيها ، وعلومه الثانوية في مدرسة سوق الغرب القريبة منها . وبعد ان علم في المدرسة ثلاث سنوات ، انتقل الى الجامعة الاميركية في بيروت وتخرج فيها بدرجة بكالوريوس في الآداب عام ١٩٠٨ ودرس في الجامعة ، ثم سافر الى الولايات المتحدة لاكمال تحصيله فنال درجة دكتوراه في الفلسفة من جامعة كولومبيا عام ١٩١٦ . وانتدبته تلك الجامعة التدريس فيها فقضى في منصبه هناك اربعة اعوام عاد بعدها ليتولى استاذية التاريخ الشرقي في الجامعة الاميركية في بيروت .

وكان في الاعوام الستة (١٩٢٠ ـ ١٩٢٦) التـي عمل فيهـا في هـذه الجامعة من ابرز الاساتذة العرب والاميركيين . وقد تلقى على يديه نفر مـن طلاب الجامعة دروس التاريخ العربي ، وما زالوا يذكرون له فضله في تدريبهم على الاسلوب العلمي في التفكير والبحث ، وفي اطلاعهم عـلى معالم التاريخ العربي وذخائر الثقافة العربية ، وفي توسيع آفاقهم واغناء عقولهم ونفوسهم .

وفي عام ١٩٦٦ دعته جامعة برنستون الشهيرة ليتولى تدريس الساميات فيها ، فالتحق بها ، وظل في منصبه هذا الى ان تقاعد في منتصف الخمسينات . وبعد تقاعده بقي محتفظا بـ « خليته » في مكتبتها الكبـرى يطالـع ويبحث ويؤلف وينتقل من جامعة الى اخرى استاذا زائرا ومحاضرا تتسابق الى دعوته الدوائر العلمية والندوات الادبية المعنية بشؤون هذه المنطقة .

عندما تسلم فيليب حتي منصبه في جامعة برنستون لم يكـن للجامعات الاميركية عناية تذكر بالتاريخ العربي والحضارة العربية . وانما كانت هـذه الموضوعات مدموجة في دوائر « شرقية » او « سامية » يطغى عليها الاهتمام بتاريخ الشرق الادنى القديم او باللغات السامية وفي مقدمتها العبرية لصلتها بالعهد القديم . فعزم هـو عـلى ان ينشيء في برنستون مركزا ينصب عـلى العربية وما يتصل بها من تاريخ وآداب وعلوم . واقبل عليه الطلاب الراغبون في الاختصاص بهذا الحقل وبالدراسات الاسلامية . وتخرج على يديه بدرجة الدكتوراه عدد من الباحثين البارزين الذين يحتلون اليوم مراكز مرموقة فـي الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الاميركية . يضاف الى ذلك انـه ارسى بجهده الدائب مكتبة عربية اسلامية في جامعـة برنستون تعتبر اليـوم بمخطوطاتها ومطبوعاتها ووثائقها من اغنى المكتبات الاميركية ومـن اشدها جذبا للاساتذة والباحثين في هذه الموضوعات .

واتماما لتوكيده تقوية الدراسات العربيـة في جامعـة برنستـون وفي المحيط الجامعي الاميركي عامة ، عكف الدكتور حتي عـلى وضع مؤلفـه الشهير : « تاريخ العرب » الـذي ظهـر بالانكليزية عـام ١٩٣٧ ، ثم توالت

طبعاته حتى نيفت على العشر ، كما انه ترجم الى عدة لغات ، منها طبعا الترجمة العربية التي شارك فيها واشرف عليهـا الدكتور جبرائيـل جبـور وصدرت بعنوان «تاريخ العرب المطول». ذلك ان الدكتور حتي كان وضع بالانكليزية ملخصا لهذا التاريخ لقي رواجا لدى القراء الاميركيين شبيها بالرواج الـذي لقيه الكتاب الاصلي في الدوائر الجامعية ، اذ أصبح هذا في مقدمة المراجـع المعتمدة في دروس التاريخ العربي الجامعية .

و « تاريخ العرب » تلاه « تاريخ سورية ولبنان وفلسطين » ، ثـم « لبنان في التاريخ » ثم « الشرق الادنى في التاريخ » و « الاسلام والغرب » و « الاسلام منهج حياة » و « صانعو التاريخ العربي » (نقلت هذه كلها الى العربية) و « عواصم الاسلام العربي » وغيرها . وكان في أواخر حياته منكبا على وضع كتاب حول نساء العرب الشهيرات . عـدا المقالات العديدة التـي صدرت في المجلات العلمية الغربية والعربيـة ، وفي الموسوعات وسواها مـن المنشورات .

اضافة الى هذا ، حقق الدكتور حتي ونشر « مختصر كتاب الفرق بـين الفرق » للرسعني ، و « نظم العقيان في أعيان الاعيان » للسيوطي و « كتاب الاعتبار » لاسامة بن منقذ ونقل هذا الى الانكليزية ، كما نقل الى هذه اللغة أيضا الجزء الاول من « فتوح البلدان » للبلاذري .

وتميز الدكتور حتي بوضوح التفكير وبسلامة التعبير ، فكانت لـه المحاضرات والخطب في المحافل العلمية والادبية ، انصب أكثرها عـلى مآثر الحضارة العربية ، حتى انه عندما كرمته الاكاديمية الوسيطية في أميركا نـوه المتحدث باسمها بفضله هذا قائلا : « انه ـ أكثر من أي شخص آخر ـ عرف المؤرخين الاميركيين « الوسيطيين » بعمق الاثر العربـي في أوروبا وسعـة مـداه » .

وقبل ان يبدأ الاعلام العربي في أميركا ، كان الدكتور حتي في الثلاثينات

والاربعينات في مقدمة المدافعين عن القضايا العربية ، وعن الحق العربي في فلسطين . وكثيرا ما صارع الاساتذة الصهيونيين ونقض دعاوتهم بالحجج التاريخية ، وتحمل من اذاهم ما لا يعرفه الا المقربون اليه . وصوب الصهيونيون هجماتهم على المركز الذي انشأه في برنستون للدراسات العربية، ولكنهم لم يستطيعوا ان ينالوا منه مأخذا خلال ولايته ، ثم نجحوا ـ مع الاسف ـ في التسرب اليه بعد أن تخلى عنه .

ولم يتخل فيليب حتي في سكناه في الولايات المتحدة عن اهتمامه لشؤون وطنه الاول ، فكان بيته في برنستون محط كبار الزوار من اللبنانيين واخوانهم العرب يستفتون الاستاذ الجليل في قضاياهم ، ويكتسبون من خبرته ومن اطلاعه الواسع على الشؤون العربية والاميركية وكذلك ظلت له ارتباطات وثيقة عائلية وتربوية ووطنية بلبنان ، لعل من أهمها مساهمته ربع قرن في عضوية مجلس أمناء الجامعة الاميركية في بيروت ، وسهره على شؤون هذه الجامعة وعلى تعزيز مكانتها واثراء خدمتها للبنان وللعالم العربي . ولكم كان يسعد عندما يجتمع مجلس الامناء في بيروت في مطلع الصيف ، فيتيح ذلك له الاتصال بطلبته وزملائه القدماء وبأصدقائه الكثر وبقادري فضله من رجال الحكم والمسؤولية ، ثم قضاء الصيف ، كله أو بعضه في قريته الحبيبة شملان ، حيث الجذور التي تشده الى الارض وحيث الرؤى التي تسمو به الى أرفع الاجواء .

لشخصية الدكتور فيليب حتي عدة نواح بارزة أهمها : الباحث ـ المؤلف ، والمعلم ، والانسان . اما الاولى فتشهد بها مؤلفاته التي تكون ـ كما قلت ـ مرجعا لا يستغنى عنه في الدراسات التاريخية العربية ، وفي تاريخ لبنان وسورية والشرق الادنى . وكان يعترف له بحق انه عميد هذه الدراسات في الولايات المتحدة الاميركية ومن أبرز قادتها في العالم كله ، ويحق للبنان الذي نبت فيليب حتي من صخوره ، وتنسم هواءه ، وشب على حبه ، ان يفخر بهذا النابغة العلم ، ان يعتز بما أحيا من مآثر تاريخه وتاريخ محيطه

العربي ، وعندما يشاد بالخدمات التي أسداها لبنان واللبنانيون الى الثقافة العربية . فلا شك انه يجب أن يسجل لفيليب حتي اسهامه الرفيع فيها ، وتميز عطائه في مضمارها .

أما فيليب حتي المعلم : فذكراه حية في نفوس الذين تتلمذوا عليه . واني لأعتز بأن أكون واحدا منهم ، وان أعرب عما لمست لديهم جميعا من صادق العرفان وجميل الولاء لاستاذهم الكبير الذي كان يعطي بسخاء ومحبة ، وبصدق واخلاص والذي رفع مهمة « المعلم » الى أرقى المراتب وأعزها .

اما فيليب حتي الانسان : فلا أطهر ولا أنبل . عرفته طالبا من طلابه واتصلت به صديقا سنوات طويلة : فلم الحظ منه شائبة لا قولا ولا فكرا ولا عملا ، ولم أخبر فيه الا ما يصون الحق ويبعث الخير ويشرف الانسان . وفي هذه الازمنة التي انحطت فيها القيم الانسانية وانقلبت رأسا على عقب . يحق علينا ان نحمد الله تعالى على هذه النفحة الانسانية الكريمة التي تمثلها حياة فيليب حتي وأعماله .

أكرم بها ذخيرة البنان ، اذ يطمح الى ان يكون موطن الانسان .

النهسار **قسطنطين زريق**

القنص ، القنص

متى ينتهي القنص لا تدري ، وهل لا تتمكن قوات الردع من حصره لا تدري ؟! وبسببه لم يرد اعداد من العرفان من السنة الماضية في المطابع . فمتى يصل لبنان الى شاطيء الامان ؟

بطــرس ديــب
صورة فيليب حتي

قليل الكلام عميقه . يتحاشى طبيعيا ، بعفوية لا تكلف فيها تافه الكلام. لا يسبح في سطح موضوعه ، بل يغوص في الاعمــاق . ولا يكتفي بسبرها ، بل يتوخى ما بينها والسطح من أسباب .

منتظم الحديث ، ما ان يبدأه حتى تشعر كأنك أمــام مخطط موضوع باتقان يسير بموجبه فكر نير ، وقد يقول لمحدثــه : أمامنــا نقطتان نبحثهما ، نخصص للاولى منهما كذا من الوقت اليوم ، على ان نستأنف البحث في النقطة الثانية غدا ، كأنه يروز ويقوم عدد الصفحات التي سيستغرقها الحديث عــن كل نقطــة .

دمث الخلق والمعشر . يقول الحقيقة كاملة ساطعــة دون ان يجــرح أو يثقل . لو كان واياك على طرفي نقيض ، لا تسمع منه كلمة : « هذا خطأ » . بل ربما بادرك بجملة أصبحت عنده كاللازمة يفرضها عليــه تهذيبه الفكــري والضميري : « قد تكون على حق ... لكن ... » . وبعد « لكن » تبــدأ المسيرة المضادة حتى يصل بك الى آخر مطافه ، فهو ان جارى في الاسلوب فلا يساوم في الجوهر .

أمين للمبادىء الاخلاقية التي ربا عليها . كان يبدي استغرابه واستياءه كلما شاهد ابتعادا عنها وكأن الذين يدينون بها عنها متغاضون .

أمين لعاطفة صادقة سامية تجاه مسقط رأسه لبنان ، نشأ وترعرع فــي بيت لبناني أصيل ، فظل قلبه الكبير ينبض بها حتى لفظ النفس الاخير في نحو الثالثة والتسعين . هذه العاطفة ، كنت تحس كأن جميع مشاعره تنضح بهــا ، حين تنهمر أسئلته حول قريته شملان ، وحول جوارها الى ان تشمل منطقــة

الغرب فلبنان . كان ذلك سواء لقيته في ربوع هذا الوطن ، أم بعيدا عنه المسافات الشاسعة . ولم يكن ذلك محصورا في حالات يلتقي فيها لبنانيا فتعود معها ذكريات الماضي ، اذ يتنسم رائحة لبنان ، على حد التعبير المألوف ، بل كان لبنان ظاهرة فريدة ترافقه حيثما وجد .

ميزات متأصلة فيه ؛ اذا سمعته خلت انك تقرأه ، واذا قرأته وكنت تعرفه تراءت صورته أمام عينيك وخلت انك تسمع صوته . كان يعيش علمه ومبادئه ، حتى غدت جزءا لا من صلب تفكيره وحسب ، بل من شخصه بالذات . من هنا ذلك المستوى في المعشر والحديث وفي حياة وقفها للعلم ، مستزيدا أبدا من مناهل المعرفة ، كلما غرف منها ازداد تعطشا ، شأن كل عالم ، كلما ارتفع في سلمه اتسعت أمامه آفاق جهله ، لان حدود المعرفة هي أخيرا اللانهاية . فلا غرو ان يسأل العلم لدى كل معين ، وحتى في مناقشته تلاميذه ليفيدهم ويستفيد ، حتى كان مربي الاجيال تلميذ تلاميذه ، يحفزه طموح في العلم لا يوازيه الا تواضع العالم . ولا غرو أيضا ان يتعلق به تلاميذه تعلق المعجب والمحب . وكانت تسانده في نشاطاته الفكرية ذاكرة حادة زاد في امانتها ما عودها اياه من التزام بالدقة ومن تحرك شبه مستمر .

قد تؤيد نظرياته وتشاطره آراءه وقد لا . لكنك في الحالين معجب به ، مقدر واسع اطلاعه وموضوعية تفكيره . هاجسه الحقيقة يبرزها بأسلوبه الواضح الشائق لا يبخل عليك بالاوصاف وقد يخيل اليك ان الفكرة التي يشرح تجسدت لوحة حسية .

كان له من واسع اطلاعه معين يمده بما يلزمه من مادة للمقارنات ، وقصده منها اثنان : زيادة في الايضاح ، واستنباط للاسباب والقواعد . فالتاريخ في نظره ليس مجرد قصة تروى ، بل هو ، كما في نظر كل عالم ، علم يدرس منطق الاحداث وتسلسلها وفقا لاصول وقواعد هي فلسفة التاريخ .

من شرفة هذه الفلسفة ألقى على واقع الشرق العربي نظرات ثاقبة تسبر الحاضر وتنبىء بالمستقبل • تبوأ مكانة علمية ومعنوية بـارزة فوظفها لفرض المزيد من الاهتمام بالدراسات التاريخية الشرقية تاريخ الشرق عامة وتاريخ لبنان خاصة مؤلفاته لها من الشهرة والانتشار ما يغني عن التفصيل • تلاميذه حيثما كانوا به لاهجون • وهو في خضم نشاطه ومن خلاله كان يتطلع دومـا الى لبنان كان واحدا من تلك الكوكبة التي رفعت عاليا اسم لبنان في عوالـم الاغتراب ولا سيما في حقل برز فيه لبنان بروزا خاصا : حقل الفكر والانسان •

بطرس ديب

انصـار العرفـان

السـادة :

١ ـ الدكتور علي الصافي	العـراق
٢ ـ عبد الرسول الزيره	البحرين
٣ ـ الحاج حسن الشواف	الكويت
٤ ـ مصطفى كـرم	الكويت

٥ ـ الدكتور اسماعيل عباس « بنت جبيل » لبنان
٦ ـ عبد اللطيف فخري « الزرارية » لبنان
٧ ـ احمد الحاج علي الزين « شقرا » لبنان
٨ ـ محمد علي اسماعيل « شحور » لبنان

مصطفى صادق الرافعي
١٨٨٠ ـ ١٩٣٧

بقلم: فوزي سابا

ولد في طنطا سنة ١٨٨٠ من أسرة لبنانية طرابلسية ، وأخذ عن أبيه حب اللغة العربية والعمل على خدمتها والنهوض بها ، فتضلع منها دون سواها من اللغات سوى القليل من اللغة الفرنسية .

علم من أعلام الادب العربي الحديث وامام من أئمة اللغات والبيان الرفيع في النهضة الحديثة ، ذو أداء محكم وبيان رفيع ورمزية شفافة .

وجداني النزعة ، روحاني ، جوال في أغوار الضمير الانساني يحلل ويؤلف ليصل الى « العرس الالهي في الكيان الانساني » ، وقد أطال التأمل في غوامض القلب الانساني محاولا الكشف عن مكنوناته ، لذلك فانه يضعك وانت تقرأه أمام مشاكل الحياة .

كما أقام في كثير من مقالاته المثبتة في مجموعته « وحي القلم » قوانين الادب الصحيح ، والشعر الصحيح ، وسن القواعد التي رأى أن على الاديب أن يتخلق بها .

وهو الى ذلك ناقد ترك للمكتبة العربية غير مؤلف في الشعر والنثر والنقد وتاريخ الادب ، ولا سيما كتابه « تاريخ الادب العربي » الذي يقع في ثلاثة أجزاء . وقد نحا في كتابه « حديث القمر » الرمزية المطلقة عندما تناول الحب والزواج والالحاد والطبيعة ، مما جعله في مصاف الرمزيين الكبار .

موسوعة شاملة في فنون الادب والتاريخ والنقد ، فلا غرو اذا أطلق

النقاد على نهجه هذا « مذهب الرافعية » .

في أدبه اصلات نهدت بالقديم ، فأطلعته من زوايا النسيان ، وعلى نهج متفرد أشاع الرافعي هذا النهج عن جسده ، يحار الآخذ أين الجذور وأين الفروع .

تقرأه في الاجتماع فمدرسة اخلاق وشمائل مثل ، لا متعنتا هو ولا بالفوضوي ، يضع الميازين لامره ، فالرجحان هو السائد ، ولا احتمال لقال ولا لقيل ، وانما ما تقرأه عبقرية صالحة تأذن للنفوس بالانطلاق حتى الشفافية البريئة ، نسمعه يقول في العادات :

« ... والعادات هي الماضي الذي يعيش في الحاضر ، وهي وحدة تاريخية في الشعب ، تجمعه كما يجمعه الاصل الواحد .

واجلال الماضي في شعب تاريخي هو الوسيلة الروحية التي يستوحي بها الشعب أبطاله ، وفلاسفته وعلماءه وادباءه وأهل الفن منه ، فيوحون اليه وحي عظائهم التي لم يغلبها الموت ، وبهذا تكون صورهم العظيمة حية في آماله وأعصابه .

والعادات هي وحدها التي تجعل الوطن شيئا نفسيا حقيقيا ، حتى ليشعر الانسان ان لأرضه أمومة الأم التي ولدته ، ولقومه أبوة الأب الذي جاء به الى الحياة ليس يعرف هذا الا من اغترب عن وطنه ، وخالط غير قومه ، واستوحش من غير عاداته ، فهناك هناك يثبت الوطن نفسه بعظمة وجبروت وكأنه وحده هو الدنيا » .

هذه الشفافية لا تستطيع أن تكون بريئة اذا لم تنسجم الروح مع خالقها ، على مراد عقدته الصوفية ، وسهله عقلاء السماح المنطلق الذين تميزوا بالعقلانية المولدة ، فعلموا أن الطبيعة هي السبيل واليها المرجع ، فرجعوا اليها ، ينقونها من الادران ، وانه السبب الذي ساوى بين أعمال الرافعي الاجتماعية

وأعماله الرومنطقية . لنسمعه يقول في الربيع :

« ... وفي الربيع لا يضيء النور في الاعين وحدهـا ولكن في القلوب أيضا

ولا ينفذ الهواء الى الصدور فقط ، ولكن الى عواطفها كذلك

ويكون للشمس حرارتان احداهما في الدم

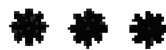
ويطغى فيضان الجمال كأنما يراد في الربيع تجربة منظر من مناظر الجنـة في الارض .

والحيوان الاعجم نفسه تكون له لفتات عقلية فيها ادراك فلسفة السرور والمـرح .



وكانت الشمس في الشتاء كأنها صورة معلقة في السحاب
وكان النهار كأنه يضيء بالقمر لا بالشمس
وكان الهواء مع المطر كأنه مطر غير سائل
وكانت الحياة تضع في أشياء كثيرة معنى عبوس الجو

فلما جاء الربيع كان فرح جميع الاحياء بالشمس كفرح الاطفال رجعت أمهم من السفر .



وينظر الشباب فتظهر له الارض شابة

ويشعر انه موجود في معاني الذات أكثر مما هـو موجود في معانـي العالم

وتمتليء له الدنيا بالازهار ومعاني الازهار ووحي الازهار
وتخرج له أشعة الشمس ربيعا وأشعة قلبه ربيعا آخر

ولا تنسى الحياة عجائزها ؛ فريعمهم ضوء الشمس » .

لادبه مياسم حققت له نهجا خاصا عرف بالنهج الرافعي ، استمده من سجاياه الثقافة . فلئن قلت بالقديم فهو عليه ، ولئن قلت بالحديث وجدته المتين المركز ، وبذلك حفظ للادب العربي أصالة تشتهي وتستطاب ، لتجده يقول في اللغة :

« وأما اللغة فهي صورة وجود الامة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه ، فهي قومية الفكر ، تتحد بها الامة في صور التفكير وأساليب أخذ المعنى من المادة . والدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات في أهلها ، وعمقها هو عمق الروح ، ودليل الحس على ميل الامة الى التفكير والبحث في الاسباب والعلل ، وكثرة مشتقاتها برهان على نزعة الحرية وطماحها ، فان روح الاستعباد ضيق لا يتسع ودأبه لزوم الكلمة والكلمات القليلة .

واذا كانت اللغة بهذه المنزلة ، وكانت أمتها حريصة عليها ، ناهضة بها ، متسعة فيها ، مكبرة شأنها ، فما يأتي ذلك الا من روح التسلط في شعبها والمطابقة بين طبيعته وعمل طبيعته ، وكونه سيد أمره ، ومحقق وجوده ، ومستعمل قوته والآخذ بحقه ، فاما اذا كان منه التراخي والاهمال وترك اللغة الطبيعية السوقية ، واصغار أمرها ، وتهوين خطرها ، وايثار غيرها بالحب والاكبار ، فهذا شعب خادم لا مخدوم ، تابع لا متبوع ، ضعيف عن تكاليف السيادة ، لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه ، مجتزىء ببعض حقه ، مكتف بضرورات العيش يوضع محكمة القانون الذي أكثره للحرمان وأقله للفائدة التي هي كالحرمان » .

والواقع ان الرافعي صاحب مدرسة أدبية عربية خالصة لا نستطيع أن نجد لها شبها في عالمنا العربي الذي أصبح أدبه مزيجا من المناهج الادبية الغربية والشرقية والعربية لذلك وجب على النهضة الحديثة الدخول الى

أسلوب هذه المدرسة لانها البرهان على مرونة ــ الكلمة ــ العربية وطواعيتها للاداء ، ونهوضها بالتعبير عن أدق الخوالج وأعمق الافكار ، وأحدث المعاني. فهو يقول من فصل عقده للتعريف بالبيان :

« ... ولهذا ستبقى كل حقيقة مـــن الحقائق الكبرى ، كالايمـان : والجمال والحب والخير ، والحق ، ستبقى محتاجـة في كل عصر الى كتابـة جديدة من أذهان جديدة ... » .

ثم يقول في الفصل نفسه :

« ... وربما عابوا السمو الادبي بأنه قليل ، ولكن الخير كذلك ، وبأنه مخالف ولكن الحق كذلك ، وبأنه محير ، ولكن الحسن كذلك ، وبأنـه كثير التكاليف ولكن الحرية كذلك ... » .

ولئن كان الرافعي قليل الاطلاع على الثقافات الحديثة فانه عوض عـن هذا النقص بمرونة لغته وتضلعه فيهـا ، وفي التـراث العربـي ، وبسجاياه وحواسه المرهفة التي تمحته بدقة الملاحظة ، وعمق التأمل واجتـلاء الاسرار حتى لتخال وأنت تقرأ نثره لكأنك على الشعر ، يقول في « الجمال البائس »:

« ... لعمري ما رأيت الجمال مرة الا كان عندي هو الالم في أجمـل صوره وأبدعها ، أتراني مخلوقا بجرح القلب ؟

ولا تكون المرأة جميلة في عيني ، الا اذا أحسست حين أنظر اليها ان في نفسي شيئا قد عرفها ، وان في عينها لحظات موجهة الي ، وان لم تنظر هـي الـي .

فاثبات الجمال نفسه لعيني ، ان يثبت لروحي باللمحة التي تدل وتتكلم، تدل نفسي ، وتتكلم في قلبي » .

كذلك نجده في خواطره ، يتأنق في البيان كما هو على سبر اغوار المعاني يقـول :

« لطف الجمال صورة أخرى من عظمة الجمال ، عرفت ذلـك حينما أبصرت قطرة من الماء تلمع في غصن ، فخيل الي ان لها عظمة البحر لو صغـر فعلق على ورقة .

في لحظة من لحظات الجسد الروحانية حين يفور شعر الجمال في الدم ، أطلت النظر الى وردة في غصنها ، زاهية عطرة متأنقة ، متأنثة ، فكدت أقـول لها : انت أيتها المرأة ، أنت يا فلانة .

ما أصدق ما قالوه : ان المرئي في الرائـي ، مرضت مـدة في الصيف فانقلبت الطبيعة العروس التي كانت تتزين كل يوم الـى طبيعة عجوز تذهب كل يوم الى الطبيب » .

مع هذا الاديب الكبير ، المجدد على أصالة القديم ، لا أنصاف حلول . انه أبدا على صعود حتى ينتهي الى غايته ، لذلك لم يتغير أسلوبه الشعري ، حتى في المرسل منه ، الذي فيه من كيمياء الحرف ما يعوض عن فقدان الوزن والقافية ، لنجده يقول في الطفولة :

« ... لا يفرح أطفال الدار كفرحهم بطفل يولد ، فهم يستقبلونه كأنـه محتاج الى عقولهم الصغيرة .

ويملؤهم الشعور بالفرح الحقيقي الكامن في سر الخلق ، لقربهم من هذا السر .

وكذلك تحمل السنة ثم تلد للاطفال يوم العيد ، فيستقبلونه كأنه محتاج الى لهوهم الطبيعي .

ويملؤهم الشعور بالفرح الحقيقي الكامن في سر العالم ، لقربهم من هذا السر ...

أيتها الرياض المنورة بأزهارها

أيتها الطيور المغردة بألحانها

أيتها الاشجار المصفقة بأغصانها

أيتها النجوم المتلالئة بالنور الدائم

انت شتى ولكنك جميعا في هؤلاء الاطفال يوم العيد ... »

والحق ان مدرسة الرافعي ذات طاقة في التعبير عـن الكثير بالقليل المحدد المضغوط ، لا نعرف أدل منها على حيوية اللغة العربية وعظيم امكاناتها الادائية !

بيروت فوزي سابـا

عنتـرة العبسـي

* قيل لعنترة العبسي : انت اشجع العرب واشدها ؟ قال : لا : ولكن كنت اقدم اذا رأيت الاحجام حزما ، ولا ادخل موضعا حتى أرى منه مخرجا، وكنت اقصد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لهـا قلب الشجاع فانثني عليه فاقتله .

وكان سبب موت عنترة انه كان في حـرب فانهزمت عبس فوقع عـن فرسه ولم يستطع ان يعود ليركب لكبر سنه ، فدخل احـد الكهوف فأبصره (ربيئة طي) فنزل اليه وهاب ان يأخذه اسيرا فرماه فقتله .

مع الخالدين

مقابلة مع المحرر سيمون بوليفار

بقلم : سمير شيخاني

صوت : في ذلك الزمان أكانت الثورة على الحكم الاسباني في اميركا الجنوبية أمرا خطرا . ففي سنة ١٧٨١ ، عندما حاول توباك ــ آمارو تحرير البيرو ، قطع الحاكم الاسباني لسانه ، ثم أكرهه على حضور مشهد تعذيب زوجته وابنه . وفي نهاية ذلك المشهد المؤلم الفظيع قتل على أبشع صورة .

ان قصة هذه الفظائع كانت ما تزال على كل شفة ولسان عندما أبصر بوليفار النور في الرابع والعشرين من تموز سنة ١٧٨٣ في أسرة نبيلة المحتد . وقد شاء والده ان يسميه سانتياغو ، ولكن الكاهن الذي عمده أعطاه اسم سيمون على أمل ان يصبح في يوم من الايام محرر العالم الجديد . ولقد كان منذ طفولته وافر النشاط ، يائرا ...

توفي والده وهو بعد في الثالثة ، فوضع في عهدة المشترع اللامع في كاراكاس ، ميغيل خوسيه سانز الذي طالما أورد له هذه الملاحظة : « يا صغيري ، أنت صندوق بارود ... » فكان يجيبه بكل برودة : « على ذلك يستحسن أن تبقى بعيدا عني .. » .

أما أنا فلا أخشى الاقتراب منه ، وها اني أبدأ معه مقابلة لا أشك لحظة في أنها ستكون ممتعة . فقد كانت حياة هذا المحرر حافلة حقا ...

بوليفار : أهلا وسهلا بك ، يا سيدتي ، ولا تخشي شيئا ، فلم يبق من البارود الذي تحدثت عنه الا الرماد .

صوت : لكم أنت متواضع •• وعلى أي حال نحن يهمنـا أن نستعرض دقائق حياتك منذ كانت جمرا متقدا حتى اليوم الذي أطبقت فيه عينيك بعد ان تحقق حلمك الكبير بتحرير أميركا الجنوبية من نير السيطرة الاسبانية •• ففي صغرك كنت تحيا حياة الامراء • فلما توفيت والدتك ، وانت في التاسعة، ورثت ثروة طائلة • كانت من نصيبك ، ونصيب شقيقك وشقيقتك •

بوليفار : ولكنني لم أكن أبالي بتلك الثروة • كل ما كان يهمني ويملك علي تفكيري حياة المغامرات •

صوت : وقد جمعت حولك نفرا من الشبان المتمردين الذين أثاروا حفيظة رجال القانون ، والتجار في كاراكاس • وقد كان لـك اذ ذاك معلم متشرد ، بل فيلسوف يدعى رودريغز ، تدور في رأسه مختلف المذاهب الاجتماعية والسياسية • وكانت عقيدته تقوم على هذين الواقعين : « قدسية الجسم البشري ، وسخافة العقل البشري » •

بوليفار : وعلى ذلك كان كثيرا ما يظهر في المجتمع عاريا من كل لباس ــ ربي كما خلقتني (يقهقهان) تدليلا على صحة مذهبه •

صوت : ولعله كان من رواد مذهب العربي •

بوليفار : الا ان مبادىء رودريغز الجنونية كان لهـا جوانبها الجدية الرصينة ، كما كان لها جوانبها الخفيفة الطائشة •

صوت : ان « سقراط أميركا الجنوبية » هذا كان شديد التقدير لك من ناحية القوة البدنية ، وكان يعول على بنيتك الحديدية في المعارك الكبرى المرتقبة في سبيل تحرير فنزويلا • وكانت تلك الفترة من حياتك فترة ثورات وعصيان واضطرابات متكررة في أميركا الجنوبية • حتى ان استاذك رودريغز نفسه اشترك مرة في أحد الاضطرابات في كاراكاس ، ولم ينج من عقاب الموت الا بفضل نفوذ أسرتك •

بوليفار : ولكنه بقي خارج البلاد ، وبقيت أنا بلا استاذ أو مرشد .

صوت : واذا كنت قد فقدت استاذك فانك سرعان ما عرفت حلاوة الحب بالقرب من اثنتين من نسيباتك كانتا على وفرة من الجمال والفتنة . الا ان غرامياتك هذه لم تشكل سوى مرحلة من مراحل حياتك الصاخبة . فقد انخرطت في الميليشيا ، فبرهنت على أنك جندي ممتاز ، كما كنت عاشقا ممتازا ، وبعد سنتين اثنتين أصبحت في رتبة ملازم ثان ، فوجهت مغامراتك نحو العالم القديم . ففي كانون الثاني من سنة ١٧٩٩ ، رحلت الى مدريد حيث كان عمك استيبان بلاتشيو يحتل مقاما مرموقا يحسد عليه في البلاط الملكي ...

بوليفار : (مقاطعا) ــ وكانت الشائعات تدور حول مقامه المرموق في مخدع الملكة (يقهقهان) .

صوت : لقد هبطت مدريد بتوصية للملك كارلوس والملكة ماريا لويزا على أنك من الرعايا المخلصين . سوى انه لم ينقض بضعة أشهر على وصولك حتى صدر الامر باعتقالك بتهمة التآمر على العاهلين الاسبانيين بالاشتراك مع عمك استيبان .

بوليفار : ولكني نجحت في الفرار الى فرنسا حيث أبديت ولاءك لنابليون « مخلص الثورة الفرنسية » ...

صوت : وحيث أبديت حبك لنسيبة لك من الاسرة نفسها التي عرفت مغامراتك العاطفية الاولى في كاراكاس قبل دخولك الجيش . وفي غمرة حبك هذا بلغك ان الملك كارلوس قد أسقط عنك كل التهم ، فعدت الى مدريد من فورك ، وتزوجت فتاة اسبانية ، وكنت اذ ذاك في التاسعة عشرة من عمرك .

بوليفار : وعدنا الى كاراكاس حيث نعمنا بشهر عسل لا أشهى ولا أروع . ولكن حياتنا الزوجية السعيدة لم تعمر طويلا اذ توفيت زوجتي بعد ثمانية أشهر نتيجة حمى خبيثة . فكانت تلك المأساة نقطة تحول في حياتي :

وضعت حدا لفترة اللهو ، وآذنت بفترة العمل الجدي الذي نذرت لـه منـذ تلك الساعة كل قوتي ونشاطي ووقتي ...

صوت : ولكي تنسى حزنك عدت الى مدريد حيث التقيت جماعة مـن المثقفين من أبناء أميركا الجنوبية ، كانوا يحلمون ، مثلك أحـلام الحريـة فانتظموا في جمعية سرية ، وجعلوك واحدا من قادتهم وزعمائهم .

بوليفار : وأثار ذلك ، مجددا حفيظة البـلاط الملكي الاسباني ، فصدر أمر ملكي بطردي من مدريد .

صوت : وكما فعلت في السابق ، ذهبت الى باريس حيث أصبحت نجـم الصالونات الراقية ، ونعمت بتقدير الشخصيات الفرنسية ، رجالا ونساء على السواء من أمثال : تاليران ، والجنرال دوروك ، والمارشال اودينـو ، وابـن زوجة نابليون ، والممثل الفرنسي الشهير فرنسوا تالما ومدام ريكامييه ، ومدام دوستال .

ولا تنسي ، يا سيدتي العالم الطبيعي الالماني الذي كان يعيش في ذلـك الزمن في باريس الكسندر فون هومبولت . وكان قد قضى فترة من الوقت في رحلة علمية قام بها الى أميركا الجنوبية .

صوت : صحيح .. وقد سألته يوما : « أتعتقـد ان أميركا الجنوبيـة مستعدة للاستقلال ؟ » فكان جوابه بالايجاب : « أجل ، أعتقد انها لكذلك . وكل ما تحتاج اليه بلادك هو قائد عظيم .. » .

بوليفار : وثقي ان قلبي كاد يطير من شدة الفرح لـدى سماعي قولـه ذاك ، وتوسمت في نفسي ذلك القائد المنتظر .

صوت : وكان استاذك القديم قد انتقل الى الاقامة في باريس ، متأبطـا كتـاب « اميل » لجـان جاك روسو ، وحامـلا أحلامـه الكبيرة البعيـدة التحقيق . وكان واثقا من أنك ستكون القائد شرط أن تنهي دراستك . وعلى

ذلك زودك بتلك الكتب التي دقت من قبل نفير الحريـة : كتب أفلاطـون ، وفولتير ، وروسو ، وسبينوزا ، ومونتسكيو ، وهوبز ، وهيوم •

بوليفار : وبعد تقوية فكري ، جاء دور تقوية جسدي ، فوضعت حـدا للحياة المرفهة المريحة التي كنت أحياها وأقمت في منزل متواضع ، أنـام على فراش ، وآكل بنظام محدد • وتعلمت المبارزة بالسيف حتـى أتقنتها بيـدي الاثنتين •

صوت : عند ذاك قمت برفقة رودريغز بجولـة في أرجـاء أوروبـا الجنوبية • وفي روما أقسمت قسمك الشهير •

بوليفار : قلت لرودريغز : « رودريغز ، أقسم بالله أجدادي ، ان يـدي لن تعرفا الراحة حتى أخلص بلادي من نير اسبانيا •• » وعدت الـى بلادي لأقود الكفاح الثوري الذي أدى الى ما يعرف اليوم بفنزويلا ، وكولومبيا ، والاكوادور ، وبناما ، والبيرو ، وبوليفيا والشيلي •••

صوت : لن يتسع المجال ، يـا سيد بوليفـار ، للتبسط في العمليـات الحربية ، على أهميتها • وسنكتفي بايجازها •

بوليفار : لا بأس في ذلك • ففي ٥ تموز من سنة ١٨١١ أعلـن استقلال فنزويلا محرر ومحارب فنزويلي غريب يدعى ميراندا ، وكان برتبـة جنرال • وكنت أنا أدرب الجنود ، وبرتبة كولونيل •

صوت : ولكن سرعان ما انقلب هذا النصر المبدئي الـى فشل ، ففررت الى غرناطة الجديدة حيث قدت جيوش كل من البلدين عـلى حـدة ، فكنت تلقى الهزيمة والنصر ، وفي سنة ١٨٠٩ قدت جيشا من فنزويلا عبـر سلسلة جبال الأندلس لنجدة القوات الثائرة في غرناطـة الجديدة • وصـل جيشك المنهوك القوى بسبب الاهمال التي لقيهـا في مسيرة لنجـدة أسبانية آتيـة لملاقاتكم •

بوليفار : ولكن ما هي الا ثلاثة أيام حتى تأهبت للقتال ، وتـم لـي الانتصار على العدو . وبعد بضعة أشهر عدت فعبرت جبال الاندلس الى فنزويلا حيث استطاعت قواتي خلال سنة من الحرب والعلـمنخ ، ان تشتت القوات الملكية الاسبانية .

صوت : وعندما أضيف ما يعرف اليوم بالاكوادور الى حكومة غرناطة الجديدة المتحدة المستقلة وفنزويلا ، مشيت الى البيرو ، فحالفك النصر . وفي ٩ كانون الاول سنة ١٨٢٤ تغلبت عـلى كل مقاومـة ، وانهيـت السيطرة الاسبانية في العالم الجديد الى الابد . وتكريما لك اتشئت على جزء كبير من البيرو جمهورية مستقلة أطلق عليها اسم « جمهورية بوليفار » وهي بوليفيـا اليوم ...

بوليفار : في الرابع من أيلول من سنة ١٨٢٦ أنهيت كفاحي التحريري . ولكن مأساتي بدأت اذ ذاك ، واستمرت طوال السنين القليلة التي بقيت مـن حياتي . ففضلا عن الصحة السيئة التي أورثتني اياهـا اهـوال الحروب ، واجهتني مشكلة دائمة هي مشكلة التمرد والعصيان بين مختلف عناصر تلـك البلدان التي تم تحريرها على يدي .

صوت : الواقع أنك كافحت من أجل حرية شعوب لم تكن تعرف كيف تفيد من التحرر والاستقلال . فقـد كتب الاميركيون الجنوبيون حربهـم ، ولكنهم خسروا سلامهم وراحتهم . وأنت القائل في هذا الصدد : « ان اولئك الين خدموا منا قضية الثورة أشبه بمن حرثوا البحر .. » .

بوليفار : تعب كثير ، وكسب ضئيل .. ولما فشلت محاولاتي المتكـررة لاعادة الوحدة بين شعبي رحلت على ظهر سفينة كانت في طريقها الى جزيـرة جامايكا حيث رجوت أن أقضي البقية الباقية من أيامي في هدوء تام . الا أن القبطان حول وجهة سير السفينة الـى الشاطيء الكولومبي بعـد أن ساءت حالتي الصحية ..

صوت : وقد حملوك الى سانتا ماركا على نقالة .. حملوا عليها الحطام الذي تبقى من محرر أميركا الجنوبية .. حملوك مريضا ، فقيرا ، معدما ، تنتظر انطفاء سراج حياتك .

بوليفار : وكانت أمنيتي الاخيرة قبل أن أغمض عيني الى الابد أن أرى مواطني موحدين متحدين ..

صوت : دعني أذكر لك في هذا المجال ، لتقر عينا وتنعم بالا ، ان بعد وفاتك باثنتي عشرة سنة تحققت أمنيتك جزئيا . ففي الرابع من كانون الاول من سنة ١٨٤٢ ، رافق أسطول متحد مكون من مختلف الامم التي حررتها ، جثمانك في طريق العودة الى مسقط رأسك . وفي تلك الساعة فحسب ، وأخيرا ، عرفوا قدرك حق المعرفة ؛ كما عرفوا أي رجل عظيم كنت ..

بوليفار : شكرا لهم على أي حال ، وشكرا لك ، يا سيدتي ، على هذا الخبر الذي يثلج الصدر حقا .

صوت : لا شكر على واجب أيها المحرر ...

بيروت — سمير شيخاني

جبر ضومط

١٨٥٩ - ١٩٣٠

بقلم: عيسى فتوح

ولد في بلدة صافيتا بسورية عام ١٨٥٩ ، ولما بلغ الحادية عشرة من عمره ، عين معلما صغيرا في مدرستها ، لكنه لم يلبث أن غادرها الى مدرسة عبيه العالية في لبنان ، وبعد أن أمضى فيها سنتين ، انتقل الى الكلية السورية الانجيلية في بيروت (الجامعة الاميركية اليوم) فأقام فيها أربع سنوات ، نال في نهايتها سنة ١٨٧٦ الشهادة العلمية ، ثم توجه الى طرابلس عاقدا النية على أن يتخذ التعليم مهنة له .

تطوع سنة ١٨٨٥ في الحملة البريطانية التي ذهبت الى السودان مترجما ، فخبر بنفسه أهوال الحروب الاستعمارية ، ولما عاد من السودان أقام في بيروت يدرس اللغات السامية كالسريانية والعبرانية والكلدانية التي كان يتقنها كالعربية ، ثم وضع كتابه المشهور (الخواطر في اللغة) .

غادر لبنان الى انكلترا ليدرس اللغات السامية ، لكنه لم يلبث أن عاد اليه ، اذ رأى أن وطنه أولى بخدمته من سواه ، فتولى تدريس الصفوف العلمية في مدرسة كفتين الارثوذكسية عدة سنوات ، الى أن دعي عام ١٨٨٩ الى الكلية السورية الانجيلية ليحل محل أستاذه وزميله الدكتور يعقوب صروف في التدريس ، بعد أن نقل مجلته « المقتطف » من لبنان الى مصر ، ثم أصبح مديرا للدروس العربية فيها .

نشر ، بالاضافة الى كتابه المذكور ، كتابا في البيان سماه (الخواطر

الحسان في المعاني والبيان) ، وآخر في النحو سماه (الخواطر العراب في النحو والاعراب) و (خطاب في اللغة) ، و (فك التقليد في علم الصرف) بالاشتراك مع بولس الخولي ، و (فلسفة البلاغة) وأخيرا كتاب (فلسفة اللغة العربية وتطورها) الذي يعتبر أهم كتبه على الاطلاق •

أما المقالات التي نشرها والخطب التي ألقاها فلا تحصى ، وقد امتاز بأسلوبه الجديد في تدريس العربية ، وعدم اتباعه لمن تقدمه من علمائها ، فقد كان يعترض على الكثير من أحكامها ، وينتقدها ، ويعيب بعضها ، مستندا الى البراهين الفلسفية واللغوية ، فأحدث ذلك ضجة كبيرة في المحافل اللغوية العربية ، وتصدى له المحافظون بالنقد والرد والتعليق •

قضى العلامة جبر ضومط خمسين سنة في تدريس اللغة العربية وآدابها في الجامعة الاميركية وغيرها ، فكان حجة في اللغة ، واماما في البيان ، والمستشار الذي يرجع اليه في المعضلات • درس عليه آلاف الطلبة ، فألف لهم كتبا جديدة عصرية في المعاني والبيان والنحو والبلاغة امتازت بأسلوبها العلمي المنطقي ، وكانت هذه العلوم تدرس من قبل في كتب صفراء قديمة ومعقدة • أما أسلوبه في التدريس فكان يقوم على الاكثار من الامثال ، والابتداء ببحث الجزئيات قبل التفصيلات التي اذا قرأها الطالب استنتج منها القاعدة •

لم يقصر جبر ضومط جهوده على اللغة العربية وأشعارها ومفرداتها وقواعدها ، بل ضرب بسهم وافر في سائر العلوم ، ولا سيما في تاريخ العرب والاسلام ، تشهد له في ذلك الرسائل والمقالات العديدة التي نشرها في المجلات العلمية في موضوعات تاريخية شتى ، وكلها بأسلوب مبتكر لا يعتمد على النقل أو التقليد ، ولم يطرق موضوعا تاريخيا استوفى غيره بحثه ، بل كان يعمد الى المسائل الغامضة في التاريخ ، فيمحصها ويعمل نظره الثاقب فيها •

تفوق في الحجة والاقناع : ودأب على تحكيم العقل في كل مـا يكتب ، فيخرج من الجزئيات الى الكليات بأسلوبه المنطقي السليم •

أحب اللغة العربية ، وهام بها الى حد بعيـد ، وكان يتفجر غيرة عليها ، وعلى كل ما هو وطني أو عربي أو شرقي • وكان يعتقد أن اللغـة كائن حـي يجب أن تنمو بنمو أبنائها ، وأن معاجمها تتسع ، وأساليب التعبير تتعدد كلما اتسع أفق ادراكهم ، وتعددت وجهات نظرهم في الحياة ، فتخرج اللغـة حينئذ عن كونها أحد المتحجرات التي تصلح لأن تحفظ في المتاحف ، وتستخدم في قضاء حاجات النفس ، والافصاح عن معاني الحياة •

وكان لا يرى بأسا في التساهل ببعض الحركات الصرفيـة والاعرابية ، وفتح أبواب لاشتقاق والقياس عـلى مصراعيه ، وتطبيق قاعـدة النحت المعبارات المركبة ، فاللغة يجب أن تتكيف مع متطلبات العصر •

ومما يدعو للاسف انه لم يؤلف عن هذا العلامة حتـى الآن أي كتـاب يدرسه دراسة علمية وافية ، ويقف عند بحوثه اللغوية المتطورة التي سبق فيها علماء زمانه ، ولا يسعني الا ان أذكر طـلاب الدراسات العليـا في الجامعات العربية ــ ولا سيما المهتمين بقضايا اللغـة وفلسفتها ومقارنتها بأخواتهـا السامية ــ بهذا الرجل الفذ الذي أنجبته صافيتا ، وكان رائد علمائها ، وأول مثقفيها الذين تعتز بهم ، وتفاخر بأمثالهم •

دمشق — عيسى فتوح

رسوم
عقوق الحرية

بقلم : السيد علي ابراهيم

عاش مع الامل زمن الفتون والشباب مركزا أمله على ولده زاهر الصبي الوحيد بين شقيقاته الثلاث ، ولم يخرج بذلك عن العرف السائد بين أكثر الناس يومذاك الذين يهيئون الفتى للقيام بواجب الاسرة والمحافظة على كرامة البيت ، أما الفتاة فهي بزعمهم نسمة عاطرة ينبغي ان تنعش الحياة ومن فيها واذا مسها لفح الهجير لجأت للرجل معتمدة فيه على ركن متين ، وكان زاهر عند حسن الظن به يتوثب للذرى مجتازا مراحل التعليم لا يقبل بغير الامتياز في شهاداته كلها ، جمع الموهبة والاجتهاد فنال بواسطتهما ما يطمح اليه ، وكبر الامل عند أبيه فاستعرض في خياله صور المستقبل السعيد ، فاذا بها وضاءة السنى باهرة اللمعان ، ظن انه سيعيش حياته في ولده من جديد محاطا ببره وحنانه ، تصرف قوة شبابه عنه سورة الاحداث وتنير طلعته أمامه الطريق اذا غشي بصره الظلام ولكن النتيجة لم تكن وفق ما يرغب ويشتهي ، فكلما تقدمت بزاهر الخطى أصبح نجما في الافق البعيد لا يستطيع أبوه الدنو منه ، فصبر أول الامر معتقدا ان فورة الشباب ستهدأ وان المحبة ستنتصر في نهاية المطاف الى ان نفذ صبره وحل الالم في نفسه محل الامل .

نشب بينهما الخلاف في الرأي واستعصى حله على الاصدقاء ، ولم تلطف الحكمة جو البحث والحوار فصار غلابا لا فائدة منه ، ودفعني حق الجوار لمناقشة الموضوع معهما فاذا الوالد متشبث بحقه يذكر ما بذله من سهر وعرق وجهد ، زاعما انه لم يجد عند زاهر غير الرفض لكل ما يحب ، سعى للتفاهم معه فأخفق ، حتى أنه لا يعامله كما يعامل صحبه ومعارفه ، وكثيرا ما ردد على مسامعه :

وليتك اذ لم ترع حق مودتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

أما الولد فيلوذ بالحرية وحق اثبات الشخصية وتقريـــر المصير في جواب أبيه زاعما انه لا لقاء بين الجديد والقديم لاختلاف الميول وتبايــــن النظـــرة للاشياء ، قلت يا زاهر : أحب أن أعرف منك مفهوم هذه الحرية الغربية التي تسعى اليها جادا في السير ، هل تمنعك من البر والتواضع وسعة الصدر ؟ لم لا تأخذ الامور بالحسنى فتلج القلب الذي طالما أحبك وسهر عـلى راحتك ، انني لا أرى ما يستوجب القطيعة والجفاء طالما أنه قانـــع منك باللطف وحسن السلوك ، وأخشى ان تكون الحرية التي تدعو اليها لفظا بلا معنى تستعمله في غير موضعه ، انك حر يا عزيزي على ان لا تتنكر لمكارم الاخلاق ، ولا تنسى القيم التي حصل عليها الانسان في مسيرته الطويلة عبر الازمنة والعصور ، ثم انني لا أفهم اثبات الشخصية الذي يعارض ما يطلبه أبوك منك ، أمـــا تقرير المصير ، فهل لك ان تذكر لي متى تدخل في شؤون حياتك ووقف بينك وبـــين ميولك ورغائبك ؟! فقال وأنت ، ألـست من جيل أبي الـــذي مضى ، وقديمـــا قيــــل :

اذا ما مضى الجيل الذي أنت منهم فتصبح في الجيل الجديد غريبـــا

فاتـــه القطـــار

وقف وهو في الخمسين من عمره أمام الماضي وود لو يعود ليمحو مـــن كتابه صفحات ويدون غيرها ، فقد آلمته الوحدة وهو في آخـــر الطريق ، تطلع حوله لمعارفه وجيرانه فوجدهم في بهجة التعاطف وروعة اللقاء ، تمتد بينهـــم الاسباب ويحنو الآباء على الابناء فيبادلهم هؤلاء حبا بحب واخلاصا باخلاص فتطيب النجوى ويحسون بنوع من العلاقة الحميمة تصبح الحياة بدونه مقفرة لا أثر فيها للسعادة والهناء ، لونا بلا عطر ، وشـكلا بلا روح وصحراء قاحلـــة بأمس الحاجة للغيث الهاطل الذي تضحك الارض فيه من بكاء السماء ؛ تزوج اخوته واخواته وبقي وحيدا في منزلهم القديم ، أراد ان يكون زواجه متكاملا من سائر النواحي ، تجمع الزوجة فيه بين الثروة والجمال والثقافة ، وتمحضه المودة ساعية اليه فخورة بسيد الرجال ، فلم يتيسر له ذلك وأثر في نفسه دعاة السلبية مع الكون ومن فيه اولئك الذين حسبوا التفرد والغرابة من الابداع

والتجديد فزعموا ن الانسان السعيد الهانيء هو البعيد عن المسؤولية الذي لا ينجب ولا يرتبط بأسرة متناسين أنه بحاجة للعاطفة والتعاون والمحبة والحنان قبل كل شيء وان الحياة سائرة في طريقها لا تعوج على الخائف المتردد .

وكلما استعرض مازن في ذهنه أيامه ولياليه التي مرت رأى نفسه زارعا لم يحصد ، وعابرا في الطريق سيمضي وينساه الناس عما قريب وتنقطع بينه وبينهم الصلة لانه خالف سنة الحياة واشتد حرصه فظن الزواج تجارة رابحة وهو تعامل روحي يضيف حلقة جديدة للسلسلة التي لا نهاية لها يحس المتخلف عن الركب الذي لم يشاطر المجموعة حبها وحنانها انه في عزلة يضنيه الفراغ ويفتش عن رفيق فيرى من حوله في شغل شاغل عنه بشؤونهم وواجباتهم الاجتماعية .

وأراد أن يعوض عما فات فيتزوج في هذه السن المتأخرة ، ولكن هل يفيد الشجرة الذابلة العراة من الورق في الخريف مرور الماء عليها وقد ذهب زمن الري والعطاء وكانت فيه ملتاعة من الشح والحرمان تنادي ولا ترى لصوتها سامعا ، قلت يا مازن : لقد فاتك القطار فلا تخطيء مرتين يا عزيزي ولا تذهب نفسك على الماضي حسرات فالعاقل من هادن الاحداث ورضي بحكم القدر ، وانك في زواجك بين أن تختار شابة صغيرة السن فتنطبق عليك الحكمة القائلة (اذا التقت زهرة الشباب الناضرة بزهرة الشيب الذابلة فلن يكون بينهما اتفاق) أو قول الشاعر القروي مجيبا صبية شكت اليه الهوى :

طويت مع الامس سفر الغرام فماذا ترجين من بائس
وكيف يطيب لغصن النقا معانقة الحطب اليابس

أو تختار شيخة في سنك ومستواك وماذا أبقى لكما الزمن غير الخلود للراحة والجنوح للدعة والسلامة ، فذلك بالحكمة أولى ، ولكما قول القائل :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

بيروت — علي ابراهيم

أتذكر ؟

« قصة مترجمة »
للكاتبة البولندية اليزا اورسيكوفا

كان موضع التبجيل والاجلال ، وكان يعد نفسه مجدودا • أشرف على الخمسين ، ومع ذلك لم يزل أسود الشعر كثيفه ، ولم تزل بشرته ناعمة وحركاته لبقة مرسلة ، ثلاثون عاما قضاها في كفاح ونضال ، شقي في أثنائها ولقي من صنوف العناء وألوان المشقة ما برح به وأرهقه ، ولكنه بفضل ذلك الكفاح والنضال ، وبفضل الخطة التي رسمها والهدف الذي وضعه نصب عينيه بلغ مرتبة رفيعة ، ونال كل ما كان يتطلع اليه ويبتغيه •

حدث نفسه غير مرة قائلا : « ها أنذا وصلت الى ما كنت أريد ! لم تهزني أمي وأنا طفل في مهد من ذهب ، ولم يدفعني الى الامام حسب أبي وثراء أمي ، أمي وأبي ! يا لهما من معدمين بائسين ! كان حصولهما على القوت أمرا ليس بالسهل اليسير ، وكان عيشهما شظفا وقلقا وعناء ••• من هذه الوهدة السحيقة أرتفع الى ما أنا عليه الآن ••• أليس ذلك فنا ومهارة ومقدرة !؟ ولكنني شقيت كثيرا وعانيت الامرين الى أن وفقت وكللت جهودي بالنجاح » •

حدث نفسه قائلا : « وفقت هذا التوفيق العظيم ، فما الذي ينقصني اذا ؟ » •

ولكنه في السنتين الاخيرتين لم يكن راضي النفس منشرح الصدر ، كان يشكو من شيء ، وان لم يكن يدري تماما ما هو ، ما الذي به ؟ انه ليس يدري • استعان بالطب فلم يغنه ، لجأ الى المصحات والى موارد المياه المعدنية، والى المعاهد الرياضية ، كل ذلك دون جدوى • ما الذي به ؟ انه يشكو من شيء حتما ، لم يشعر بألم أو ضعف ، ولكن شيئا كان به ، ولقد لحظ رفاقه

ذلك ، وبانت التجاعيد على جبينه الناعم ، وكانت في أول أمرها كخيط حريري دقيق ، ثم أخذت تعمق وتبدو للعيان بمضي الزمن •

تساءل أصدقاؤه قائلين : « ما الذي ألم به ؟ » •
وسأل هو نفسه : « ما الذي ألم بي ؟ » •

ولكنه أجاب نفسه وأصدقاءه قائلا : « أنى لي أن أعرف ؟ اما ان العالم قد تغير ، واما أنني أصبحت غبيا ، فأنا نفسي لا أعلم ما بي ! » •

ذهب الى المسرح تلك الليلة كالمعتاد ، ورأى أصدقاءه ورأوه ، ولكنه شعر في ذلك اليوم باحساس بالغ من الضجر والضيق • فترك المسرح وقفز في عربته والتف في فراء معطفه ، وصاح بالسائق : « الى البيت ! » •

سارت العربة واخترقت قلب المدينة المحتفلة بالعيد الى أن وقفت بباب البيت •

دخل البيت يتثاءب ، فأمر الخادم أن يعد له فنجانا من الشاي ، وارتمى على أريكة وتنهد • كان الاثاث من حوله فاخرا أنيقا ـ المرايا وضاءه والسجاد ثمين ، والمقاعد مريحة فائقة ، ولكنه في ذلك البيت الكبير كان يعيش وحده ، كان أعزب •

حدق في الغرفة الانيقة التي تتلألأ فيها الانوار بعين من جليد • ثم قضم طرف شاربه بين أسنانه وانفجر صائحا : « فليذهب الشيطان بهذه العيشة !•• فليذهب الشيطان بهذه الحياة ! » • لقد كان برما بعيشه ، بعد ذلك النضال وذاك الكفاح ، وفي تلك المرتبة الرفيعة محاطا بمظاهر الاجلال والتعظيم والتشريف والثراء ••• مع كل ذلك برم بالعيش ؟!! ان ذلك لأمر عجيب !

نهض ضجرا وخطا نحو مكتبه ، فرأى عليه رسالة لم تفتح ، فتناولها بيده الناعمة البيضاء ، وسرعان ما أشرقت عيناه ببريق عجيب وعلت شفته بسمة خافتة •

« رسالة من أنولكا ـ من أنولكا ! لم تكتب الي منذ مدة طويلة ؛ حتى لقد خيل الي أنها نسيتني ، ولكن ها هي ذي تكتب ـ ما أسعدني ! » .

كانت أنولكا شقيقته ، وكانت تعيش في القرية الصغيرة منعزلة . رآها لآخر مرة منذ عشرين عاما ، ولم تكتب اليه الا مرات قلائل ، وكانت ردوده عليها مقتضبة أو معدومة . ومضت الشهور ، ومضت السنون ، ولم تخطر له على بال ، الى أن عرف خطها على الغلاف بين يديه ، غمره فرح شديد ، وأضاء الابتسام وجهه ، واختفت التجاعيد من جبهته وهو يفض الرسالة .

ومر سريعا ببصره على النصف الاول من الرسالة ، ولكنه تمهل عند نصفها الثاني وأخذ يقرأ :

« أتذكر ؟ » ـ كتبت مالكة الضيعة الصغيرة لأخيها تقول :

« أتذكر ؟ أتذكر عندما كان يخرج أبونا في المساء للنزهة مع المستأجر ، ونحن اذ ذاك أطفال صغار ، فننزوي ونرقب ظل لحيته الطويلة وهو يتحرك ، ثم نغرق في الضحك والسرور ؟ كانت هذه الاشياء التافهة تكفينا في تلك السن لنسعد ! أتذكر ؟ أتذكر يوم أخذنا أبونا لأول مرة لكوخ الصائد في أعماق الغابة ؟ كثيرا ما أذهب هناك الآن . كل شيء كما هو لم يتغير ! أشجار الصنوبر ما تزال كما كانت في الايام الخوالي مستقيمة مرتفعة تمس قبة السماء، حتى الحشائش ما تزال تنمو وترتفع ، كما كانت يوم ضللنا فيها وأخذ والدانا يبحثان عنا طويلا الى أن عثرا علينا في النهاية ، ثم بدلا من أن يغضبا منا غمرانا بتدليلهما وملاطفتهما ، وحملانا الى كوخ الصائد . أتذكر ذلك يا فلاديا ؟ لعمري لست أدري ان كنت ما تزال تذكر حفيف الغابة وأشجارها الذي كنا ننصت اليه ساعات بطولها ، ونحن نسير في الغابة ؟ وأتذكر الشجرات الثلاث الضخمة الملتفة الاغصان التي كنا نتناول تحتها غداءنا ؟ والعسل ؟ أتذكر كم كنت تحبه مع الخبز ؟ وكنت أستبدل منه نصيبي بالجوز الذي كنت تجمعه من الشجر . أتذكر ؟ لقد هرمت تلك الشجرات الثلاث ، وكثف التفاف أغصانها ، ولكنها ما تزال قائمة كما كانت ، وما يزال العسل

هناك ، وما يزال الجوز ينمو على الشجر ، كل شيء باق كما كان ؛ كل شيء الا أنت يا فلاديا ، أنت فقط لست هنا ولن تكون ... أبدا ... » .

وقف فلاديا عند هذه الكلمات وتاه فكره في عالم الماضي ، وكانت تلمح في وجهه من حين لحين ابتسامة لا تلبث ان تخفت ، وعاد الى الحاضر ثانيــة ، وقرأ بقية ما خطته تلك الروح الرقيقة :

« وهل أنت تذكر غرفتنا ونحن أطفال ؟ كانت صغيرة بيضاء الجــدران تشرف نافذتها على الحديقة التي كانت أمنا تزرع فيهــا أعشابها الطيبــة ذات الاريج الفياح ؟ أتذكر كيف كانت أمنا تقص على جاراتها متاعبها وأشجانها ، وكيف كانت تطبب الاطفال بأدوية البيت ؟ في نفس هــذه الغرفة نشأ أولادي ستاش وجولكا ، وهي الآن غرفة نوم جولي . ومــا تزال جدرانها بيضاء ، ونافذتها تشرف على الحديقة التي أزرع فيها الاعشاب العاطرة . أتعرف ؟ لقد عثرت على جوادك الخشبي الذي كان قد أهدي اليك في عيد من الاعيــاد ، عثرت عليه ووضعته في ركن من أركان الغرفة . انه تذكار لك ــ فلربما كنت لا تعيش من أجلنا ... » .

تراخت يداه وسقطتا ، وحدق في الفضاء وهز رأسه ثم قــرأ : « وهــل تذكر مربيتنا العجوز كاشنكا هولوبوفا ؟ هــل تذكر أمثالهــــا وفوازيرها وحكمها ؟ كان قلبها من ذهب ، وكانت تفني نفسها في حبنا ورعايتنا . ولداي ستاش وجولكا نشآ هما الآخران على يديها ، وعاشت معنا كل أيامها في نفس الغرفة ــ أتذكرها ؟ الغرفة التي كنا نخزن فيها التفاح لفصل الشتاء . ولكنك بالتأكيد لا تعلم أنها الآن في عالم الارواح . ماتت منذ عام ، وتكلمت عنــك كثيرا قبل موتها ، وذكرتك قبل أن تلفظ النفس الاخير قائلة : « لــــم يكتب فلاديا ؟ أنه نسينا ! فليبارك له الله » . وأودعناها الثرى بــين موتانا تحــت أشجار الشربين ، ولكنك لن ترى قبر مربيتنا الامينة هولوبوفا !... » .

ومرة أخرى تراخت يداه وسقطتا ، وغرق في لجج من التأمل . وارتمى

رأسه فوق صدره وزاغ بصره وازدحم جبينه بالتجعدات ـ لقد بدا هرمـا ، هرمـا ...

وجد القلم نفسه بين أصابعه ، انه جلس يكتب :

« كنت قد نسيت كل شيء يا أنولكا ، ولكنني أذكر كل شيء مرة ثانية. الانسان مخلوق عجيب الشأن ، لا يعرف ذاته . ولكن يخيل الي الآن أنني أفهم نفسي . عندما كنت أكافح وأناضل ، كنت أقول لنفسي هذه فقط وهذه ثم أكتفي ـ ولكنني عندما بلغت مآربي وحققت مطمحي ـ يا لها من ألعوبة قاسية ! هذه الحياة التي نعيش فيها . فالرجل يكدح ويكد ويضني نفسه ويتسابق كالمجنون ، حتى اذا ما حصل على ما كان يبتغي نظر فوجد بين يديه .. لا شيء ، لو أن أحدا كان معي لربما وجدت في هذا اللاشيء شيئا ، أما والامر كما هو فقدتلاشى كل شيء ، وليس هناك غير الفراغ .

« ما أجمل أن تناديني باسم فلاديا ! فلاديا الذي ترهل وهرم ودهمه الكبر ! ولكنه ما يزال فلاديا . عشرون سنة لم أتكلم فيها لسان أمي وأبي ، عشرون سنة واليوم مرة واحدة ! يا له من أمر عجيب ! عندما كنت صغيرا كان كل شيء يهمني ، أما الآن وقد هدأ الدم في عروقي فان شيئا جديدا قد حدث ! أتدرين ما هو ؟ أنك أسعد مني حالا يا أنولكا ! فلديك الكثير ، لديك ستاش وجولكا ، وضيعة صغيرة وأخبار حسنة ، ثم شئونك وشئون أسرتك ، انك تحبين الاعشاب ، وتحبين الاشجار الملتفة الاغصان ، وتحبين الجدران البيضاء والجوز والغابة والريفيات وأطفالهن . انك على حق ، فحفيف الغابة كان جميلا ، وشذى أعشاب أمنا كان لذيذا ، ولست أعلم ان كنت ما تزالين تلتهمين كثيرا من الجوز كما كنت تفعلين في الماضي ؟ وما الذي حدث لكلبنا بيرك ؟ انحني لي انحناءة كبيرة أمام الغاب والشجر وأمام حصاني الخشبي ، وعند قبر هولوفا . والا ...

« سأسافر لأراك . لا أستطيع السفر الآن ، فعملي لا يسمح لي بذلك ،

ولكنني سآتي في الصيف اذا سمحت مشيئة الرحمن ، وان لم أستطع فليذهب الشيطان بكل شيء . سأصفي أموري ، وعام أو عامان ، ثم أودع كل شيء ، وأعود اليك والى عشيرتي ... » .

سقطت دمعة كبيرة على الكلمة التاليـــة وانتشر المـداد بحيث تعذرت القـــراءة .

القاهرة محمد فتحي

اجعل السر مكتومــا

* خرج الحجاج متصيدا ، فوقف عـلى اعرابي يرعى ابلا لــه وقــد انقطع عن اصحابه ، فقال : يا اعرابــي كيف سيرة اميركم الحجــاج ؟ فقال الاعرابي : غشوم ظلوم لا حياه الله ولا بياه ، قال الحجاج : فلو شكوتموه الى امير المؤمنين الخليفة ؟ فقال الاعرابي هــو اظلم منه واغشم ، عليــه لعنة الله . وبينما هو كذلك اذ احاطت به جنوده ، فأومــأ الحجاج الــى جنوده بأن يأخذوا الاعرابي معهم ، فلما صار الاعرابي معهم قال للجنود : من هذا ؟ قالوا : الامير الحجاج . فعلم انه قد احيط بــه ، فحرك دابتــه حتــى صار بالقرب منه وناداه قائلا : ايها الامير ؟ قال : ما تشاء يا اعرابي ؟ قال : احب ان يكون السر الذي بيني وبينك مكتوما ، فضحك الحجاج وخلى سبيله .

عالم الابدية

ايه يا روحي .. ألم يأن ـ وقد أرهقنا الكدح معا ـ أن تستريحي
قد بلغنا غاية الشوط ، وها نحن مطلون على الافق الفسيح
فلنقف عند تخوم الغد نعط الامس أدنى حقه قبل النزوح
ودعينا نتنشق من شذى الخلد البواكير التي تشفي جروحي
شأن سواح براه الضرب في الارض وقد أوفى على المهد المريح
فجثا يحلم باللقيا وقد هاج به الشوق الى الوجه الصبيح
موقنا أن الذي مر من الايام لما يك الا قبض ريح

قل للذي عشق الحقيـ ـقة فهو فيها الدهر هائم
في عالم الاسلام مبـ ـتدا الحقائق والخواتم
تلك الاعاجيب الكبا ر من الخوارق والعظائم

لم يعرف التاريخ قط نظيرها قبل ابن هاشم
بالنزر من عمر الزما ن وبالجليل من العزائم
قد شيدت ما لم يطف من قبلها بخيال نائم

لا بدع فهي ثمار ديـ ـن (محمد) فخر العوالم
فجر من الحق المبيـ ـن بدا وليل الكفر قاتم
هدم الضلال واهله وبنى الفضائل والمكارم

واضاء درب الخلق نحو الحق فانجلت المعالم
هيهات ما وطىء الثرى كمحمد بان وهادم
لا تقرنن به عظيـ ـما .. ان فعلت فانت ظالم

أين الغبار من اللآلىء والبغاث من الضراغم
هو حجة الله التي لم يعش عنها غير آثم
هو قمة العليا وانف الجاحد المغرور راغم !

محمد المجذوب

المجلة العربية

بيروت الثكلى

شعر: خضر عباس الصالحي

بيروت يا أنشودة العلياء … بفم الزمان ومعزف الشعراء
بعبيرك الهامي استحمت غنوتي … وبطلك المغرورق الاشذاء
يا مهبط النغم المجنح بالهوى … اغرقتني بمهارج الافياء
واليوم مزقني العذاب فهدني … طيفا طوته صواعق الارزاء
والجرح نغار بقلبي انني … احيا بروح للهوى ظمياء
وبرى فؤادي القيد وانهلت دما … عيني وشب الحزن في احشائي
مهما حييت فليس اسمى في المنى … عندي من الحرية الحمراء

★ ★★

بيروت باتت للفظائع مسرحا … وضحية للنزوة الحمقاء
وغدت لاهوال المجازر مغنما … وفريسة لسياسة خرقاء
وتحولت فيها القصور خرائبا … لم تحو غير جماجم الشهداء
وربوعها الثكلى اذا ابصرتها … لم تبق غير الدمع والاشلاء
وهياكل الاطلال تشخص بينها … للناظري كالصورة المجفاء

★★★

لما غدت هدفا لابشع هجمة … مصحوبة بجرائم نكراء
راحت تنوف بخمرتي سم الاسى … وتلزني أفعى من البرحاء
ومشاعري الثكلى اذا ترجمتها … شعرا تلظى الشجو في ايحائي
فلذ القلوب تئن تحت حطامها … وتضج من أوضاعها الشوهاء
اولئك الاطفال ماذا قد جنوا … فغدوا ضحايا فعلة شنعاء
وهناك كم من صبية تستامها … خسفا فلول الطغمة الغوغاء
سفرت لنا قمرا طغى لالاؤه … وازاح كل غمامة سوداء
لم تقترف ذنبا ولكن روحها … قد ازهقت بقذائف هوجاء
واليوم قد حل السلام بارضها … وتحررت من زمرة رعناء
وعلى ذرى ازهارها اخضل الشذا … ولشمسها قامت ظلال صفاء ؟!

بغداد ـ العراق

خضر عباس الصالحي

القرآن الكريم
مدرسة الادب العالمي

اصطفى الله جل شأنه بلاد العرب ، ومكة منها بالذات ، لتكون مهد رسالته والمهبط الاول لوحيه الكريم •• واصطفى سبحانه وتعالى سيد أبناء العرب •• بل سيد البشر أجمعين •• محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم•• ليكون خاتم أنبيائه ورسله ، ومبلغ دعوته الى الناس كافـة •• في كل زمـان ومكان •• وأنزل الله جل شأنه بيانه وحيا على رسوله الكريم صلوات اللـه وسلامه عليه في القرآن المجيد الذي جاء في لسان عربي مبين ، فكـان أعظـم تحول تاريخي في اللغة العربية وآدابها ، بالاضافة الى كونه معجزتها الكبرى ، في كل باب من أبواب البلاغة والاعجاز الادبـي •• والعلمـي الموضوعي •• على السواء •

واذا نظرنا الى طبيعة اللغة العربية وأدبهـا في العصر الذي نـزل فيـه الوحي الكريم وظهر الاسلام ، وقمنا بمقارنة بسيطة لما كانت عليه هـذه اللغة وأدبها قبل الاسلام ، وما أصبحت فيه بعد ظهور الاسلام ، لوجدنا أن تحولا تاريخيا بالغ الاهمية والخطورة قد حدث في هذه اللغـة وأدبها ، وان أهـم علامات هذا التحول التاريخي قد برزت في ثلاثة جوانب رئيسية ، وهي :

أ ـ الجانب اللغوي البحت : فقد قضى الاسلام بنزول القـرآن الكريم على كل مظاهر الفرقة والشتات التي كانت سائدة في اللغة العربية ، كاختلاف اللهجات ، وتضاد المعاني في كثير من المفردات ، وغير ذلـك من فروق ذابت ، لتصبح للعرب جميعا لغة واحدة تجمعهم كما تجمع معهم كل المسلمين •• وهي لغة القرآن الكريم •

ب ـ الجانب الفني والموضوعي : فقد سما الاسلام بالادب كمـا سما

بكل جوانب الحياة العامة الاخــرى ، حيث ارتفــع بالانسان فوق الاسفاف وأبعده عن المجون وألزمه بالتمسك بالقيم الرفيعة والمثل العليا •• وقد ظهــر أثر ذلك في الادب العربي شكلا ومضمونا •• حيث اختفت مظاهــر الفحش والفساد في الموضوع ، والمغالاة والاطلاق والتعميم في أسلوب العرض والاداء الفني في العمل لادبي •

ج ـ جانب الانتشار والتأثير : فقد كان نزول القرآن الكريم في اللغــة العربية بداية الانطلاقة الكبرى لهذه اللغة وأدبها من اطار المحليــة والاقليمية الى العالمية والانتشار الواسع ، لان الاسلام جاء للناس كافة ، فانتشر القرآن بين مختلف شعوب الدنيا التي وصلها المد الاسلامي ، فكان انتشار القــرآن الكريم بلغة العرب مفتاح العالمية لهذه اللغة ولادبها الذي اتصل بجميع آداب اللغات الحية وتفاعل معها تأثرا ، وتأثيرا ، مسهما بذلك في عملية اثراء المعرفــة الانسانية ، دون أن يفقد الادب العربي أثناء ذلك لتفاعل ، المؤثر والمتأثــر ، طابعه المميز وسماته الخاصة •

ومنذ أن خرج المجاهدون المسلمون الاوائل من جزيرة العرب ، منتشرين في آفاق الارض القريبة والبعيدة ، ناشرين دين الله تعالى بين الناس ، وداعيهم الى توحيد الله عز وجل وافراده بالعبادة •• وأعــين الناس ، والعقلاء منهــم بصفة خاصة ، تتفتح شيئا فشيئا على حقائق الاسلام ، وأنها الحق وحده مــن عند الله جل شأنه • ومع الاقبال العظيم على اعتناق الاسلام ، كان المفكرون، في لغات الامم المختلفة ، يقبلون باهتمام متزايد عــلى دراسة هــــذا الكتاب الخالد ، الذي يخاطب الانسان حيثما كان ، مكرما فيه عقلــه وعاطفته في آن واحد ، وفي موازنة دقيقة جدا بينهما •

وكلما زاد اهتمام المفكرين بالقرآن الكريم ازداد خوف رجــال الاديان الاخرى على مراكزهم، التي كانت تهتز تحت ضوء الحقيقة التي جلاها القرآن الكريــم •

وفي أوروبا الصليبية ، وفي جوار أعظم دولة اسلامية حضاريــة أسسها

المسلمون في الاندلس ، بجنوب غرب أوروبا ، قام أول مركز صليبي لمواجهة المد الاسلامي في القرن الميلادي الثاني عشر •

وكان أهم عمل تمذ في ذلك المركز هو أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم الى لغة أوربية ، هي اللاتينية ، وقـد تمت باشارة مـن بطرس فينارا بيليس ، رئيس دير كلوكين وباشراف كل مـن الراهب الانجليزي روبـرت الراتيني والراهب الالماني هرمان وقد تم انجاز تلك لترجمة لاولى لمعاني لقرآن لكريم في سنة ١١٤٣ م •

وبعد أن تم انجاز الترجمة الاولى أحست الدوائر الدينية المسيحية فـي أوروبا بأن ذلك يسهل أمر انتشار الاسلام ، ولا يحقق بسهولة الهدف الذي سعت تلك الدوائر الى الوصول اليه ، وهو محاربة الاسلام بعد فهم كتابه •• فصدرت أوامر كبار رجال الكنيسة بوقف انتشار تلك الترجمة لمعاني القرآن الكريم فورا •

وتوقف الاشتغال الرسمي بالقرآن الكريم في أواسط رجـال الديـن المسيحي حتى منتصف القـرن السادس عشر الميـلادي ، حيث قـام تيودور بيليباندر ، بعد ظهور الطباعة في أوروبا ، بطبع تلـك الترجمة اللاتينية الاولى لمعاني القرآن الكريم في مدينة بازل ، بسويسرا في سنة ١٥٤٣ م • ثـم نقلت الترجمة بعد طبعها الـى لغـات أوربية أخرى ، هـي الايطالية ، والالمانية، والهولندية ، وفي سنة ١٦٤٧ م قام أنـدري دو رايـر ، قنصل فرنسا في مصر آنذاك ، بترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغة الفرنسية لأول مرة •

ثم توالت بعد ذلك ترجمات معاني القرآن الكريم في الصدور في جميع اللغات الاوربية •

ولم يمنع تشدد رجال الحكم في تلك الديار وصول أثر القرآن الكريـم

الى أعمال أكبر أدباء أوروبا ومفكريها من ذوي الوزن العالمي .. أمثال شكسبير وجوته وفولتير ودانتي .

اول أوروبي حاول محاكاة اسلوب القرآن

وأول تجربة أدبية صرفة لمحاكاة أسلوب القرآن في معانيه المترجمة جاءت من الشاعر الانجليزي ريتشارد برتن ، الذي نظم في سنة ١٨٦٦ م شعرا انجليزيا جيدا حاول فيه محاكاة بعض معاني الآيات القرآنية التي اطلع عليها مترجمة آنذاك .

ثم أعقبه في عمل مشابه ، وأكثر جودة من الناحية الفنية ، الشاعر والمستشرق الالماني فريدريش روكرت الذي ترجم شعرا مقامات الحريري بالاضافة الى محاولته محاكاة معاني الآيات القرآنية في شعر ألماني ممتاز .

وقبل برتن وروكرت اعترف أشهر شعراء اللغة الالمانية جوته بتأثره بالقرآن الكريم الذي أشاد بعظمته كأحسن كتاب اطلع عليه (١) .

متحف اوروبي خاص بالقرآن الكريم

وقد بلغ من اهتمام الاوربيين بالقرآن الكريم أن أقاموا له في النصف الاول من هذا القرن الميلادي العشرين متحفا خاصا، هو الوحيد من نوعه حتى الآن ، وهو الذي أقامه المستشرقون الالمان قبل الحرب العالمية الثانية في مدينة ميونيخ بجنوب ألمانيا ، باشراف المستشرق الشهير برج شترسر . وقد جمع المستشرقون في ذلك المتحف :

١ ـ صورا لكل المخطوطات الخاصة بالقرآن الكريم وترجماته ، والدراسات حوله .

(١) لم تقف لغوتي على مثل هذا القول ، ولعل الكاتب الفاضل يرشدنا الى موضعه . (المجلة) .

٢ ــ صورا لكل المخطوطات الفنية الجميلة التي أمكن العثور عليها للقرآن الكريم ٠

٣ ــ أجمل النسخ المطبوعة من القرآن الكريم ٠

وكانت جامعة ميونيخ هي المشرف الاداري على ذلك المتحف ، الذي قضت عليه للاسف نيران الحرب العالمية الثانية ٠

ولنا في همة معالي وزير التعليم العالي الشيخ الجليل حسن بن عبد الله آل الشيخ ، كبير الامل في أن يوجه جامعاتنا الى اقامة متحف ، أو معرض مماثل للقرآن الكريم يكون متنقلا ، لتعم فائدته ان شاء الله ٠

اثنـــان

عم الفساد ولا ارى مــن مصلح ... وطغى الفسوق ولا ارى من يستحي
الكل في ذي الحال اضحى ضالعـا ... ذو لحية فيهـا ومــن لا يلتحي
اثنان ما صلحا فيا فسدت لنا ... حال ولا حــق ببطـل يمحــي
رجـل فقيــه عالـم يهدي بــه ... واخو السياسة والنفوذ الاريحـي

بيت الاطفال « حنان »

بقلم : ليلى حداد

على هضبة من الهضاب الصنوبرية التي ترتفع فوق بلـدة سوق الغرب انتصبت أربعة طبقات من بناء حديث وجميل عانقت حجارته البيضاء النقيـة شجر الصنوبر الفضي الذي اكتنفها من كل صوب فأصبحت جزءا منه .

هذا البناء الحديث لم يكن واحدا من مساكن الاغنياء الصيفية كمـا يخاله الناظر اليه ، بل كان بيتا للاطفال أطلق عليه اسم « بيت الاطفال حنان » وكان هذا البيت الاساسي لمشروع ضخم بدأ وتأسس في لبنان وينتشر فـي القريب العاجل بين الدول العربية التي هي بحاجة الى مثله ، فيصبح مشروعا موحدا يعطي لكل بلد ادارة مستقلة به مع اتصال دائم ورجوع عند الحاجـة الى المركز الاساسي له الذي هو في بيروت .

وأجمل ما في هذا المشروع انه انساني صرف .. اي لا ينتمي الـى أي طائفة معينة .. أو أي اتجاه سياسي معين .. هو يقبل اولادا مـن جميـع الطوائف فيجعل منهم أخوة لا فرق بين مذهب وآخر بغير غض النظر عن تلقين الدين وتعريفه لكل ولد منهم على أساس مذهبه ـ فالمسيحي يتعلم الانجيل كما يتعلم المسلم القرآن ...

لقد قام بهذا المشروع أحدهم ويدعى الدكتور « صلاح هرماس » الذي استطاع بعد جهد وعناء ان يخرج فكرته الانسانية هـذه الى حيـز الوجود ويحقق ما أراد تحقيقه بمساعدة الاصدقاء وأنصار الخير من مختلف الـدول العربية الشقيقة ولبنان .

تحت سقف هذا البناء استطاع الدكتور ان يجمع أطفالا قست عليهـم الايام وشردتهم يد الحرب القذرة فأصبحوا بلا معين .. منهم من فقد أهله .. ومنهم من أصبح بلا مأوى أو رعاية أو حنان فاتخذ الشارع منزلا والارصفة مأوى وما قد تتفاعل عن ذلك مدرسة وثقافة .

اثنان وعشرون طفلا تضمهم هذه المؤسسة حتى الآن على أمل أن يصبحوا قريبا اثنين وأربعين في المستقبل سيتسع هذا المشروع ليضم المئات منهم في قرية صغيرة تتألف من ٢٢ بيتا مع ملاعب وبيت للخالات وغيرها مما يلزم لبناء هذه الضيعة . وستبنى هذه القرية على هضبة واسعة فوق قرية بيصور القريبة من سوق الغرب .

عندما تدخل هذا البناء أول ما يلفت انتباهك النظافة .. نظافة المكان من الداخل والخارج ، وتشعر بارتياح لما يقع تحت نظرك من تنظيم وترتيب زائد يشمل كل ما يحتويه هذا البناء من أثاث مريح وخفيف وحديث .



ويطالعك أطفال الدور الاول الذين يؤلفون عائلتين ، لكل عائلة سبعة أطفال مع أم خاصة بهم .

وفي وسط قاعة الطعام الواسعة التي صفت على جنباتها المقاعد المستطيلة وصنعت طاولتان مستديرتان مع طاقم من الكراسي يوازي عدده عدد أفراد

العائلتين وعلى كل منهما وضعت الصحون والاواني اللازمة لوجبة طعام الغذاء التي كانت تتألف من ثلاثة أصناف •

وطلب الدكتور صلاح من الاطفال أن يدخلوا فدخل منهم حوالي الاثنا عشر طفلا يصافحون الحاضرين بحرارة ورقة ودخلت معهم احدى الامهات اللواتي يهتممن بشتى أمور تربيتهم وخدمتهم والعناية بهم •

وبعد ان طلب الدكتور اليهم مغادرة المكان تكلم عنهم وعن مشاكل بعضهم المتوترة وعن المشروع ككل •

ومما قاله ان هؤلاء الاطفال التقطتهم أيدي هذا المشروع وأنقذتهم من التشرد والخوف والاجرام وقذارة الشارع بعد أن فعلت يد الحرب ما فعلت بهم تاركة اياهم بلا معين • فبفضل هذا المشروع والمشرفين عليه والذين يدعمونه أصبح لهؤلاء الاطفال بيوت وعائلات خاصة بهم تسهر على تربيتهم تربية صحيحة موفرة لهم الجو العائلي الذي يترعرع فيه أي طفل آخر في أي عائلة أخرى متوسطة الدخل • فهذه الام التي نذرت نفسها للقيام بهذا العمل توفر لاطفالها ما فقدوه من حنان ومحبة ورعاية وتثقيف عدا عن خدمتهم البيتية ، تماما كما تفعل الام الحقيقية لاولادها ، فينشأ الولد نشأة طبيعية خالية من اي تعقيد خاصة وأنه يرسل أيضا الى مدارس المنطقة المجاورة فيختلط مع تلامذتها بحيث يصبح واحدا منهم فلا يتكون عنده شعور بأي نقص أو ذل •

والشيء الهام بالنسبة لهؤلاء الاطفال هو ان هذا المشروع يوفر لهم عدا الحنان والرعاية ، الشعور باستقلالية ما لكل منهم عن الآخر • فالعائلة تمنح كلا منهم اهتماما خاصا به كما تقيم لكل ولد عيد ميلاده فتحتفل بذلك مقدمة الهدايا وداعية العائلة المجاورة ، كما أنها توفر له مصروفا خاصا به يتصرف به كما يشاء ، وفي غرف النوم مثلا ترى أن الغرفة احتوت على ثلاثة أسرة فقط ، فثلاث أطفال فقط يشغلونها ويضع كل منهم ثيابه وحاجاته في خزانة خاصة به تماما كما يحصل في العائلة المتوسطة •

يدرس هؤلاء الاطفال الى درجة البكالوريوس وبعدهـــا يرسل الــــى الجامعة من وجد أهلا لذلك ، والباقون فيرسلون الى تعلم المهن على اختلاف أنواعها وما الى ذلك مما يؤمن لهم مستقبلهم •

أما بما يختص بالامهات ـ هنالك أيضا الخالات اللواتي يحللن مكان الامهات أيام عطل هؤلاء ـ فهنالك فترة مـن التدريب تتراوح بـين الستة والسبعة أشهر حيث ان القسم الاكبر من هؤلاء الفتيات اللواتي تطوعن لهذه الغاية يأتين جاهلات تماما لكل متطلبات هــذا العمل وقواعده ومستلزماته ، فهن خلال فترة التدريب هذه يخضعن لتعلم أصول التربية والامومة ، كيفية تهذيب الاولاد والتحدث معهـم وتثقيفهم ، أعمـــال البيت والنظافــة •• الاسعافات الاولية •• وغيرها من الامور المتعلقة بالتربية الصالحة •

هؤلاء الاطفال بحاجة الى مساعدتكم ، « وقــرى الاطفال حنــــان » ستعطي البلاد جيلا خيرا وصالحا رائده المحبة والتعاون والعطاء •

ساعدوا هذا المشروع الانساني اما بالتبني أو بأي طريقة أخرى ••

سوق الغرب ليلى حداد

★★★



مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

العدد الثالث مجلد ٦٧ آذار « مارس » ١٩٧٩ ربيـــع الثانـــي ١٣٩٩



أبحاث تربوية

مع الكتب

قصص ومسرحيات

شعر

ابواب العرفان

بيني وبين القارئ

بقلم نزار الزين

عزيزي القارئ

رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه

هذه حالنا في لبنان منذ اربع سنوات للان وقد بدأت الخامسة :

« لا معلق ، ولا مطلق ، وبين معلق ومطلق » والاخير شر من الاولين. تسعة أشهر قد مضت على الهزة الاخيرة التي يمكن ان نسميها هزة القنص ، والناس لا يمكنهم أن يصلوا الى اماكن كثيرة يعملون بها ؛ لان القناص يطاردهم ، اعدادنا في المطبعة منذ ذلك الحين اشرفت على النهاية واذا بها تتعثر وتبقى للان ؛ ونحن ننتظر وننتظر والقراء ينتظرون ويسألون عن عدد احمد الصافي النجفي وغيره ؟

تجار الاسلحة والطائفية لا يريدون للبنان الخير والهدوء والبناء وكأنه لا يكفيه ما مني به من خسارة وخراب ، قناصون هنا وهناك عجزت عنهم قوادت الردع والجيش ؟! بينما يجب استئصالهم ، فهل الجميع متفقون على ضرب لبنان وخرابه ؟؟

الى م الخلف بينكم الام وهذي الضجة الكبرى علام

فاتقوا الله او الشيطان في أنفسكم وفي غيركم ؛ لان الضرر يعم الجميع، ولم يعد لنا او لغيرنا جنب يتكيء عليه .

قارئي الكريم :

ثورة ايران معجزة ايمانية اسلامية عبر عنها آية الله الخميني حيث قال:



آية الله الخميني ورئيس الوزراء « بازركـان »

« ان ثورتنا كانت معجزة لم يتسن لها ان تتحقق الا بقوة ايماننا ، وهذا الايمان هو الذي استطاع هزيمة نظام يرجع الى ٢٥ قرنـا ؛ تؤيده اميركـا وروسيا وبريطانيا الخ ولذلك يجب علينـا استئصال اميركـا وروسيا مـن ايران » •

وعلى هذا الاساس فان العرفان تؤيد هذه الثورة تأييـدا تامـا ، كما تؤيدها الاكثرية الساحقة في دنيا العروبة والاسلام •

قارئي العزيز :

الوحدة السورية العراقية عبر عنهـا السيـد صدام حسين نائب رئيس قيادة الثورة العراقية حيث قال :

« الاستعمار فوجيء بقمة بغداد واتفاق سوريا والعراق وقيـام الثورة الايرانية » •

بقي ان يتناسى العرب جميعا والمسلمون معهم كل عداوة ويعودوا الى المحبة والاخاء وحينئذ يحار بيغن ماذا يتكلم •

الجمهورية الإسلامية نجمة الفجر

بقلم : نصير ماردينى

قلت لشاعر عربي كبير له جولاته المحكمة على منابر النضال لماذا لا تقول الشعر وانت تعيش احداث ايران ، وما جرى ويجري في ايران ؟ اجاب :

وقف الشعر في لهاتي متهيبا كانه يعرف سلفا ضالة القول ، اي قــول ، امام ضخامة العمل ، وفقر الحديث امام تدفق الحدث ...

فاذا كان الشاعر المسلم ، لا شاعر السوقة والحكام ، مــا يــزال تهيب الموقف ، فكيف بالكاتب ؟

منذ ان انطلق هدير الموج الشعبي في ايران يبتلع في طريقه مــا اعترضه من نار وطغيان ...

ومنذ ان بدا الصوت الاسلامي يرتفع عاليا مــــن وراء مذياع الجمهورية الاسلامية وانا ذاهل ، اصغي الى هدير الموج في موكب القيادة المسلمة ، والــى صوت فرحة الشعب بانتصاره المذهل ...

موجة اثر موجة من طهران الى تبريز ومن الشمال الى الجنوب ، فذكرت كلمة صديقي الشاعر ثم ما لبثت ان طرحت القلم جانبا وانــــا اراقب طاطــاة كبريائه ، وخفض ادعائه ، وعندما تلمست صفحات الورق امامي ، كانت تندى تحت كف محمومة ، وانفاس مهتاجة ، واذا بالحبر يداخله الماء ، فهــو مــاء ، واذ بالكلمات والتعابير هباء ، واذا بالسطــــور ورسومها بقــــع حبر جامــدة خرساء ..

ولقد حاول رجال القلم وارباب الصحافة ، والمراسلون من كـــل فج ان يصفوا حماس المسلمين وهم يحتفلون بطلائــع النصر ، ويحتفون بالسيـــد ، وما لبثوا ان اغمدوا اقلامهم بعد ان حاولــوا بعض المحــاولات واعترفــوا

مجمعين بان هذا الشيء الذي يصفونه ••• لا يوصف •! وهذا الشيء الذي نرى اليه لا يمكن ان تحيط به اي رؤية •!

ان هذا (الكورال) العظيم الذي ينشد بستة ملايين حنجرة في الشوارع دفعة واحدة ، الله اكبر ، القرآن دستورنا ، ويكرر في هزج هادر رتيب تحس به انه قد بلغ ذرى السماء واعماق الارض ••• اقول ان هـذا (الكورال) العجيب ، الذي تآلف هكذا ••• وبمجرد ان لامست اقدام السيـد وصحبه ارض الوطن ••• بثوان معدودات خلجات اسرع من الكهرباء ، نبضت بهـا القلوب ، وتداولتها المشاعر الى الحناجر ، ثم تدفقت في سمفونية مدويـة ، فيها الف لون ، والف لحن ، والف الف صورة ورمز وتعبير ••• وفيها ايضا وايضا ملامح من طلائع المسلمين الاول الذيـن تقدمـوا المعارك الكبـرى ، وحرصوا على ان يظفروا باحدى الحسنيين : الظفر بالعدو ، وما اعد الله لهم من الاجر يوم القيامة ••

او الظفر بالشهادة وما ضمن الله لهم مـن حيـاة الشهـداء في جنتـه ورضوانه ، لان الله يقول :

(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا) •

••• اقول ان هذا الكورال العجيب لا يمكن ان تبلـغ بلاغته صناعة الفن ، وهذه السمفونية لا يمكن ان يخرجها عباقرة الاخراج ، لو تجمعوا لها اعواما ••• بل ان العبقريات والفنون التي ابدعها الانسان ابدع آثار حضارة الروح والفكر ، لتقف مشدوهة امام هذا المسرح البشري ، كما يقف انسان عادي ، في دوار التدفق ، صاغرا مغلوبا •••

تلكم هي الطبيعة الاسلامية بكل جمالها وجلالها ، انها تحفز على الجري وراءها ولكنها لا تجاري ••• وتزين وجه المحاكاة ، ولكنهـا لا تحاكي ••• وتحث على التقليد ، ولا يمكن تقليدها ••• هذه الطبيعة الاسلامية العظمى

لا تسلم ذاتها ، وانها لتتجلى للناس بأن توحي لهم ••• لفئة منهم ••• وهؤلاء الذين اوحت لهم ، مهما تقربوا منها وصدحوا في الشعاب الـى قمتها ، فانهم يبقون في سفوحها متأملين وحسبهم في طموحهم الكبير ان يعترفـوا بعجزهم الكبير ••

ما معنى هذا كله ؟ وماذا هناك في حياة المسلمين ؟ واي جواب يمكن ان يدنو من حدود السؤال ؟!

ان الامة الاسلاميـة ، بكـل تعبير بسيط ، تحب دينهـا الاسلامـي الحنيف ••

ولقد طالما احتفل المسلمون بذكريات امجادهم واعياد تاريخهم ••• وهم يتصورون بخيالهم امجاد الذكريات ••• وصور الابطال ••• ولقـد اجهد المسلم خياله لفرط ما تخيل واجهدته امانيه لفرط ما تمنى ، وانها المرة الاولى في تاريخه الحديث ، التي يحتفل بذكرياته ويراها ، ويقرع صدره امام صورة السيد ، فاذا بالصورة امامه وجه للبطولة الاسلامية الحية ••

هذا هو الواقع بكل جماله وجلاله ••• وفوارقه !

اننا نتحدث عن بطولة صحابة الرسول صلى الله عليه وعلى اله وسلم ، ونحن في مقامهم خاشعون ، وفي جوامعهم نصلـي ••• واذا هم بيننـا ، واذ بهم يصلون معنا ••• فماذا نحن فاعلون ؟

واننا لنهتف من اعماقنا : يا صلاح الدين •! ونحن حول ضريحه تتلو الفاتحة ، ونترحم ، ونناشده ان تظل روحه على القدس لترى مـا فعل بهـا مهرجو السياسة واقزام الحكم ••• واذ برجل مثلنا معنا ، يضع يـده عـلى كتف احدنا ، ويحدث الاخـر ، ويقسم لـه ان الشعب الايرانـي والجيش الايراني والبترول الايراني سينتقلون جميعا الى فلسطين لتطهيرها من عبـاد النار ••• ونعرفه انه صلاح الدين بشباب شيخ هذه المرة !

ماذا تحسبون هذا الشعب فاعلا ، عندما يطيل النظر الـى الصور التي

غطت ارض ايران ، فاذا بصاحب الصورة ينزل بين القوم بشرا سويا ٠!

ولقد طالما تغنى هذا الشعب المسلم ببطولاته وامجاده ، حتى كاد مستمعوه ان يوهموا بان الغناء ليس سوى مرثية يندب بها حظه ، وتعزية يصحح بها تعسه ويأسه ٠!

فهل تاريخنا قد صنعه التزوير وهل بطولاتنا من وهم الخرافات والاساطير ؟ ام ان الذي حدث لا يمكن ان يعود حدوثه ، وان الخوارق لا تكرر ذاتها !

ولم يكن هذا الشعب المسلم العظيم ليبأس عندما كانت كفه تقرع ابواب السماء ٠٠! ولقد ابتلاه الله واطال ابتلاؤه ، ولطالما خشع بروحه امام صوت الله :

(ولنبلونكم حتى نعلم الصابرين منكم)

حتى اذن الله وظهرت حركة الجمهورية الاسلامية وعاد السيد الى وطنه ٠٠

في تلك الليلة ، وعندما كان الظلام يتهالك تحت اقدام اذان الفجر كبر السيد وخرجت الصورة من اطار التاريخ وطلع الواقع من اجمل صور الاحلام ٠٠٠ فيا لفرحة الصباح الجميل ، ويا لمجد اللقاء الكبير ٠٠

بهذا احتفل الشعب بمولد جمهوريته المسلمة ، فلا تعجبوا لحماس الشعب وهياجه ، انه يعبر بهما عن فرحته الغامرة ويريد ان يبشر الكون باعلى صوته ٠٠

لم يكن ثمة شكوك في لقاء السيد بالشعب المسلم ، فكانا على اجمل موعد مع اجمل قدر ، ولكنه اليقين يثبت باستمرار اليقين ، والحقائق الخالدة لا تسفر عن كامل عظمتها منذ اللمحات الاولى ، وما تنفك تتكشف للعيان تأملا بعد تأمل حتى تبث فيما حولها اذكى تجاربها ٠٠٠ ولن تنتهي !

وحقيقتنا الخالدة وضوح التجلي في مظاهر شعاعها ٠٠٠

حقيقتنا ، حقيقة النور ، ان كلما توضحت ، وانفطر لها الظلام تهافتت عليها اجنحة الخفافيش وراحت بها لطما ، وان هذه الاجنحة الضعيفة لا تقارع ولا تصارع ، ولا قدرة لها ولا قوة ، ولكنها تتخبط في الفراغ ، وتتخبط في وهج النور حتى تتهالك في عاصفة الطيش والضلال ، او تجرها الهزيمة الى مغاور الكهوف ...

حقيقتنا حقيقة الاسلام الذي جاء للعالم بالسلام ، وهذه الحقيقة لا بد ان توغر الصدور وتؤلب علينا قوى الشر ، وتحشد كل عدو قريب وبعيد ، وكل منتفع من امتصاص دم الملايين ، واستعمار شعوب الشرق ... فلنتأمل من خلال هبوب الرياح ، كم هي عظيمة رسالتنا الاسلامية ، وكم هي خطيرة ظهور قيادة اسلامية تحكم بايات القرآن وبهدى الاسلام ...

ولكن حقيقتنا كالسيف مشهورة في ايدي فرسانها ، اجمل منها مغمدة في بطن قرابها ..

ولعل انفع ما ينفع هذه الحقيقة هو العداء لها والتربص بها لان حقيقتنا الاسلامية ، هي حركة استلال وشهر ومضاء ... ولا عاشت اغمدة الجبناء ، وسيوف الزينة المزركشة ...

حقيقتنا في تفجر الاهداف الاسلامية الخيرة كحركة ثورية ذات قيادة لا تستحي باسلامها ، وهي بطبيعتها مجابهة مباشرة لشتى جبهات العداء في صراع المصير . وفي هذا الصراع يبدو لنا في نهاية الطريق شرف الغاية بكل وضوح : النصر للمسلمين .

حقيقتنا ، تجلت للتاريخ ، ابعد من حدود ايران ، ومن حدود الامة الاسلامية الى اطراف الارض ، وعندما يتم تسجيل الاحداث في كتاب اواخر القرن العشرين ، وطلائع القرن الواحد والعشرين ، من كل ما من شأنه تبديل مجرى التاريخ ، سيكون بين اعظم الاحداث في هذا الشرق قيام الجمهورية الاسلامية في طهران ..

ويسألون وهم يتجرعون الخمر في المقاهي ويمزمزن :

وماذا ستفعلون في جمهوريتكم المسلمة بالسارق والزاني والذي يعذب الناس ، والذي يسرق الحكم بغفلة ، واجير الاجنبي الذي ولاه شؤون المسلمين ، والحاكم الذي يرفع شعار الاسلام ويأمر بالمنكر وينهي عن المعروف ، والذي ... والذي ...؟

الى هؤلاء نقول سنفعل بهم ما فعلته الحكومة الاسلامية الاولى التي حكمت المسلمين منذ أسست الدولة حين هاجر النبي واصحابه الى المدينة..

ان النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم هو الذي أسس هذه الدولة بأمر من الله عز وجل ... فالله أمره ان يهاجر الى المدينة ، والله دعا المسلمين من اهل مكة الى ان يهاجروا معه ، والله أوحى الى النبي بمجملات ومفصلات من الحكم ، والله قال في سورة النجم : (ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى) . والله أمر المسلمين ان يطيعوا الله ورسوله ، وبين لهم انهم لن يؤمنوا حتى يحكموا النبي فيما شجر بينهم ... فالاسلام كان وما زال دينا قبل كل شيء وبعد كل شيء ، وجه الناس الى مصالحهم في الدنيا وفي الآخرة بما بين لهم من الحدود والاحكام التي تتصل بالتوحيد اولا ، وبتصديق النبي ثانيا ، وبتوخي الخير في السيرة بعد ذلك ، ولكنه لم يسلبهم حريتهم ولم يملك عليهم امرهم كله ، وانما ترك لهم حريتهم في الحدود التي رسمها لهم ، ولم يحص عليهم كل ما ينبغي ان يفعلوا ، وكل ما ينبغي ان يتركوا ، وانما ترك لهم عقولا تستبصر ، وقلوبا تستذكر ، واذن لهم في ان يتوخوا الخير والصواب والمصلحة العامة والمصالح الخاصة ما وجدوا الى ذلك سبيلا ..

وقد أمر الله نبيه ان يشاور المسلمين في الامر ، ولو قد كان الحكم متنزلا من السماء لامضى النبي كل شيء بأمر ربه لم يشاور فيه احدا ولم يؤمر فيه وليا من اوليائه ، فكيف والله يقول له :

(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) ..

ومن قبل هذه الآية التي نزلت فيما نزل من القرآن بعد محنة أحد ، قبل النبي مشورة اصحابه في غزوة بدر حين نزل بهم منزلا فسأله بعضهم :

أعن امر من الله نزل بهم هذا المنزل ، ام هو الرأي والمكيدة ؟ فقال : بل هو الرأي والمكيدة . فاشير عليه حينئذ ان يمضي بالمسلمين عن هذا المنزل الذي لم يكن يلائم خطط الحرب حتى ينزل بهم في المنزل الملائم قريبا من الماء . ثم قبل رأي اصحابه بعد وقعة بدر فيما كان من أمر الاسرى ؛ وتعرض في ذلك لما اصابه من اللوم الذي نزل به القرآن في قول الله عز وجل :

(ما كان لنبي ان يكون له اسرى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) .

ففي هذه المواطن كلها وفي مواطن اخرى شاور النبي اصحابه وقبل رأيهم عن رضا او نزل عند رأيهم ايثارا لرضاهم .

وهذا دليل على ان الحكم في ايام الحكومة الاسلامية الاولى لم يكن يتنزل من السماء في جملته وتفصيله وانما الوحي كان يوجه النبي واصحابه الى مصالحهم العامة والخاصة دون ان يحول بينهم وبين هذه الحرية التي تتيح لهم ان يدربوا امرهم على ما يحبون في حدود الحق والخير والعدل .. والقرآن لم ينظم امور السياسة تنظيما مجملا او مفصلا ... وانما امر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، ورسم لهم حدودا عامة ، ثم ترك لهم تدبير امورهم كما يحبون على الا يتعدوا هذه الحدود .

ولم يكن نظام الحكم في حكومة الاسلام الاولى نظاما سماويا ، وانما كان نظاما انسانيا متأثرا بالدين الى حد بعيد جداء لم يكن الخليفة يصدر عن

وحي او شيء يشبه الوحي في كل ما يأتي وما يدع ، ولكنه على ذلك كان مقيدا بما امر الله به من اقامة الحق واقرار العدل وايثار المعروف واجتناب المنكر والصدود عن البغي •

وهذا الوحي الذي اتصل ثلاثة وعشرين عاما يصابح المسلمين ويماسيهم؛ ينزل قرآنا مرة ، وينطق به النبي حديثا مرة اخرى ، ويجربه النبي بسيرته العملية متبعة مرة ثالثة • وقد ايقظ في نفوس المسلمين من خاصة النبي ضميرا دينيا قويا دقيقا حيا الى ابعد غايات القوة والدقة والحياة ، فلم يكن من الممكن ان يتخلص منه المسلم في قول او عمل او تفكير ، بل لم يكن من الممكن ان يخلص منه في يقظة او نوم ، فصلته بالرعية ان كان حاكما ، وبالحاكم ان كان رعية ، وبنظرائه في حياته اليومية ، متأثرة دائما بهذا الضمير ، يدور مع مقدار ما يكون لضمير الحاكم ورعيته من التأثر بالدين ••

اما العنصر الثاني من العناصر التي ائتلف منها هذا النظام الاسلامي ، فهو عنصر النخبة التي لا تعتمد على المولد ولا على الثروة ولا على ارتفاع المكانة الاجتماعية بمعناها الشائع العام ، وانما تعتمد على شيء اخر اهم من هذا كله وهو الاتصال بالنبي ايام حياته والاذعان لما يأمر به وينهى عنه في غير تردد ولا شيء يشبه التردد ، والايلاء بعد ذلك في سبيل الله في اوقات السلم والحرب جميعا ••

هذه الخصال انشأت منذ ظهور الاسلام طبقة ممتازة من الناس ، لم تستأثر من دونهم بحق من حقوق الدنيا ، ولم تجن لنفسها منفعة عاجلة او آجلة ، وانما اثرها النبي بحبه واعلن اليها والى الناس ان الله قد اثرها بحبه ايضا ، فالذين سبقوا الى الاسلام ، والذين عذبوا في الله ، والذين هاجروا بدينهم الى بلاد الحبشة ثم الى المدينة ، والذين آووا ونصروا ، والذين جاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ، والذين لزموا النبي يسمعون له ويكتبون عنه ، كل اولئك كونوا هذه النخبة التي احبها الله ورسوله واكبرتها عامة المسلمين •

وهذه النخبة لم تكن ترى نفسها احق بالامتياز ولا اجدر بالاستعلاء . وانما كانت ترى نفسها كغيرها من الناس ، وكان تواضعها نفسه يزيدها حبا عند رسول الله ، ويرفعها درجات عند الله ...

لهذا فالعنصر الاول من عنصري نظام الحكم في الحكومة الاسلامية الاولى ، هو الضمير الديني اليقظ الحي . وهناك ملاحظة يجدر بنا ان نتوقف عندها ، وهي ان امور الحكم انما تستقيم حين يكون التعاون والتضامن بين الحاكمين والمحكومين في الاصول التي يقوم عليها النظام ، فليس يكفي ان يكون الحاكم يقظ الضمير مؤثرا للعدل مصطنعا للمعروف حريصا على رضى الله كافيا بعد ذلك لمشكلات السياسة خراجا منها اذا ادلهمت ، وانما يجب ان يكون لرعيته حظ من هذا الضمير الديني الحي المتيقظ ، ومن حب العدل وايثار المعروف والحرص على رضا الله ..

ويروى ان الامام عليا حين عرض عليه عبد الرحمن بن عوف ان يبايعه على ان يلزم الكتاب والسنة وسيرة الشيخين لا يحيد عن شيء من ذلك ، ابى ان يعطي ما طلب اليه من العهد وقال :

(اللهم لا ، ولكن اجهد في ذلك رأيي ما استطعت) يريد انه لا يستطيع ان يلتزم ما لا سبيل الى التزامه . فالقرآن مكتوب محفوظ في الصدور ، ولكنه لم يعرض لسياسة الحكم في تفصيلها ووقائعها اليومية ..

فللامام علي كرم الله وجهه كل الحق في ان يخالف عن سيرة الشيخين ان تغير الزمن او رأى في المخالفة عن هذه السيرة منفعة للرعية ونصحا للمسلمين ، فلما عرض عبد الرحمن هذا العهد على عثمان قبله ..

هذه ملامح خاطفة من أسس النظام الذي حكمت به الحكومة الاسلامية الاولى ، أفليس من حقنا ان نفرح بولادة الجمهورية الاسلامية التي اعلنت على الملا انها متمسكة بالاسس للحكم الاسلامي الواضح الصريح .. ويتهافت الاجانب على السؤال متذهلين :

كيف استطاع السيد ان يحقق كل هذا النصر في ايام معدودات ؟

واي معجزة من وراء نصر المسلمين ؟

اين جيش الشاه ؟ اين امريكا ؟ اين اسرائيل ؟ اين الغرب والشرق ؟ اين اجهزة المخابرات الشرقية والغربية ؟ اين كانت ؟

اجاب على هذا السؤال السيد يوم اعلن ان الاسلام واحد ، والعقيدة واحدة ، وليس العجيب ان يعلن هذا والاسلام يلاقي ما يلاقيه من فرقة وانقسام ، بل العجب كل العجب ان نبقى على فرقتنا ، كما فرضها اعداء الاسلام !

كلام ليس يفهمه الاجنبي الذي يأبى عليه غروره ، ان يلقي نظرة صادقة الى حقائق الاسلام وفي رأسي هذه الحقائق انها وحدة ، وحدة الاسلام والمسلمين ، وان كلمة الله الى رسوله كانت توحيدا ووحدة .. ولقد تمت المعجزة مرة واحدة ، عندما تخلصت هذه الامة من كل اعدائها دفعة واحدة ، وانتفضت بوجه الشمس قارة واحدة لم يكن في أساس نشوئها سوى رسالة حق وسيف جهاد وحفنة قليلة من البداة الحفاة المؤمنين الذين نشرهم سيف الحق في ارجاء الارض قادة وحكاما ، ورسل مدنية كرم بها وجه الانسان . ويقول جهال التاريخ ، مزوروا التاريخ أي معجزة وراء قيام الجمهورية الاسلامية التي هي رجعة الى ما انقضى ؟ فهل اعظم من هذا التاريخ الذي تقوم به الجمهورية الاسلامية ، وابلغ درسا ؟

وحسبنا اننا ونحن نتطلع الى طهران وحكومة طهران وسيد طهران ، ان هذه الجمهورية ولدت كما تولد نجمة الصباح ، على حدود الليل والنهار ، فان قلتم انفطر الظلام ، فما انتم براهمين وان قلتم اذن الفجر ، فما انتم براجمين الغيب ، ولا ساعين في خطوط الرمل .! واركن النائمون في كهوف الجزع والايمان المحجور ، الى لحفهم يسترون بها عيونهم حتى الجباه ، ويستدعون وزير دفاع امريكا ليعطيهم القوة وهم المسلمون ... فلا ينهضون ، ولا يرون ولا يسمعون ... حتى تعالى نباح الحي ، فايقنوا انه الفجر ... وسواء بعد آكان النجم دليل من ابصر ، والنباح صناجة من انكر ، فانه الفجر ، فانظروا الى دليله واصيخوا الى ترجيعه وهديله ... وقولوا ولدت الجمهورية الاسلامية ...

بيروت زهير ماريني

الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها

محاضرة للدكتور عمر فرّوخ

— ١ —

يقيم المركز الثقافي الاسلامي في بيروت كل اسبوع محاضرة لاحد العلماء او الادباء المعروفين ومن اهم عناصر هذا المركز الاديب الخطيب البحاثة المؤرخ الاستاذ اكرم زعيتر ، وهذا يكفي لان يكون محاضروه من النخبة وفي الـــذروة وننشر هنا محاضرة العالم الاديب الكبير الدكتور عمر فروخ لاهميتها ، على ان ننشر غيرها من المحاضرات حين ورودها الينا هذا مع الاشارة الى ان جميـــع المحاضرات التي سمعناها قيمة .

في تاريخ الحضارة مدارك كثيرة خاطئة أشهرها مدرك الشرق والغرب . اننا نحن نسمي بلادنا بلاد الشرق ، ثم نقول عنها أحيانا « غربي آسيا » . ان بلادنا شرق بالإضافة الى بلاد اليونان والى ايطاليا وفرنسا وانكلترا ، ولكنها غرب بالاضافة الى العراق وايران والهند واليابان . وكل نقطة على سطح هذه الكرة التي نعيش عليها هي شرق وغرب في وقت واحد . ففي اللحظـــة التـــي تبدأ الشمس فيها بالغروب عن بلدة هونولولو في جـــزر هاواي مـــن أواسط المحيط الهادي تبدأ الشمس ، في تلك اللحظة نفسها ــ وعلى تلـــك النقطـــة نفسها ــ بالشروق على أفق مدينة بيروت . فهل هذه النقطة التـــي وصفناها شرق أو غرب ؟

ولقد علمنا الله ذلـــك في القرآن الكريم فقـــال (٢ : ١١٥ ، البقرة) : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله» وقال (١٧٧:٢) : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمـــن

بالله واليوم الآخر » (الى آخر الآية) • ولقد علمنا أيضا ان الارض كثيرة المشارق والمغارب ، فجاء في القرآن الكريم (٣٧ : ٥ ، الصافات) : « رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق » •• وكذلك قوله تعالى (٧٠ : ٤٠ ، المعارج) : « فلا أقسم برب المشارق والمغارب ، انا لقادرون » •

ومن المدارك الخاطئة في تاريخ الحضارة ما يزعمه نفر من الناس من أن فلانا أول من صنع كذا ، وأن فلانا آخر أول من اخترع الشيء الفلاني ؛ وأن الامة الفلانية هي صانعة الزراعة أو التجارة أو ما يشبه ذلك • ان الحضارات والثقافات تطور وليست ابتداعا يقع عليه فلان أو فلان • كل مفكر يقتدي بمفكر آخر سابق على زمنه ، وكل مخترع هو في الحقيقة شخص يزيد في آلة شيئا جديدا • فالطائرة النفاثة تطورت من الطائرة ذات المراوح ، وهذه تطورت بدورها من السيارة ، والسيارة من الناقلة ذات العجلات • والفضل في هذه كلها يرجع الى ذلك الانسان الذي خطر له في ساعة من ظلمات التاريخ ، وفي بلاد ما بين النهرين ، أن يقطع من جذع شجرة شبه دولاب يدحرج عليه أحمالا احتاج الى نقلها من مكان الى آخر • ان كل حضارة في التاريخ تؤلف موكبا طويلا سارت فيه كل أمة شوطا من أشواط تاريخها الحضاري • وان فضل كل أمة انما هو في القسط الذي تقوم به في بناء هذه الحضارة الانسانية •

ان التاريخ ، اذن ، هو وصف الادوار التي قامت الامم في أثنائها برفع بناء الحضارات ؛ وليس سردا لأخبار الملوك أو لتفاصيل المعارك أو للاحداث المتشابهة التي تقع في قرية من القرى أو في مدينة من المدن • هنالك شعوب كثيرة تعيش على هذه الارض لا ندرس تاريخها ، لان قصة حياتها طعام ونوم وولادات ونزاع ، وليس لها قسط في بناء هذه الحضارة التي تنعم بها اليوم • ثم ان الامم العظمى لا تستمر في سمع التاريخ وبصره ، بل تبرز حينما تقوم بقسط معين في اغناء الثقافة الانسانية أو نشر الحضارة الانسانية • خذ الامة العربية مثلا واقرأ كتب التاريخ القديم فلا تكاد تجد لها في تلك الكتب ذكرا •

وتقع أحيانا في تلك الكتب على ذكر لليمن لان اليمن في عهودها القديمة قد عرفت حضارة لم تعرفها بلاد نجد والحجاز . ولكن انحدر في التاريخ الى الازمنة الوسيطة ، بدءا بالقرن السابع للميلاد ، تجد أن كتب التاريخ قد امتلأت بأحداث العرب لان الاسلام ـ في تلك الحقبة ـ قد حمل العرب رسالة أخرجت العالم من الظلمات الى النور ومن الاستعباد الى الحرية ومن الجهل الى العلم ومن الجاهلية الى الحضارة . ثم مر من تاريخ الفلسفة في العالم أربعة قرون كاملة سادها تفكير رجل مسلم واحد ، هو ابن رشد . لقد قضت أوروبة قرنين تغترف فيهما من فلسفة ابن رشد ، ثم قضت قرنين آخرين تحاول فيهما البابوية ان تخلص أتباعها من تأثير ابن رشد . هذه القرون الاربعة في التاريخ الوسيط للفلسفة عرفت حركة فكرية سميت الرشدية . وليس في كتاب الفلسفة كتاب على شيء من الجد يعرض للفلسفة في العصور الوسطى ثم لا تجد هذه الحركة الرشدية في أبرز مكان فيه . ومثل هذا يمكن أن يقال على نفر من رجالنا أغنوا الحضارة الانسانية بثمار جهودهم : خذ مثلا الخوارزمي والرازي وابن الهيثم وابن خلدون وصلاح الدين فستجد كل واحد منهم قد شغل في الكتب التي تعالج الوجوه المختلفة في الثقافة والحضارة صفحات كثيرة وفصولا .

بعدئذ انحدر أيضا الى العصر الحديث ، فأين تجد اسما من أسماء رجالنا المعاصرين في كتاب ؟ قد تجد اسم جمال الدين الافغاني ومحمد عبده في كتاب ألف في نشاطهما . وقد تجد لهما ولغيرهما أيضا ذكرا في كتب أجنبية تعالج قضايا عربية . أما الذي يدرس تاريخ ايطاليا وفرنسا وانكلترا في العصر الحديث فلا يشعر أنه يحتاج الى ذكر جمال الدين ومحمد عبده وعبد الحميد ابن باديس . ولكن لو أراد مؤلف ايطالي أو انكليزي أو فرنسي أو اميركي أو روسي أن يؤرخ اليوم للثقافة والحضارة ما بين القرن الميلادي السابع والقرن الخامس عشر لوجب عليه أن يفسح صدرا واسعا في كتابه للخوارزمي وللرازي ولابن الهيثم ولابن سينا ولابن رشد ولصلاح الدين ولابن خلدون ولغيرهم أيضا .

بعد هذه المقدمة التي طالت قليلا أحب أن أنتقل الى أمثلة من القسط العظيم الذي قام به العرب في بناء الحضارة الانسانية . وأنا أستعمل هنا كلمة « عرب » على التوسع : ان جابر بن حيان وابن الهيثم وابن خلدون كانوا عربا ، وأما الفارابي وابن سينا فتركيان ، والخوارزمي والغزالي فارسيان ، وابن البناء العددي بربري في الاغلب ، وابن باجه فرنجي على القطع . ولكنهم كلهم كتبوا باللغة العربية لان اللغة العربية كانت لغة الثقافة في العصور الوسطى . ان موسى بن ميمون اليهودي كتب باللغة العربية ، وحنين بن اسحاق الآرامي كتب باللغة العربية ، وثابت بن قرة الصابئي الكلداني كتب باللغة العربية ، وكتاب القانون في الطب لابن سينا ـ وهو باللغة العربية ـ طبع في مدينة روما باللغة العربية وكان يدرس باللغة العربية في جامعة سالرنو الايطالية .

فالنعت « عربي » هنا مدرك لغوي ثقافي ، وليس مدركا قوميا جغرافيا . أما اذا أحببنا أن نحكم على كل حضارة وعلى كل ثقافة بالغاية منهما ، فمن الاصح أن نقول : الحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية . ومثل ذلك قولنا: الفلسفة اليونانية والهندسة اليونانية ، فليس معنى ذلك أنهما يونانيتان خالصتان ، ولكن معناه أنهما كتبتا باللغة اليونانية .

واذا كانت الحضارات والثقافات تطورا ، فأين يقف العرب في هذا الموكب الطويل الذي يمتد من فجر التاريخ الى يومنا هذا ؟
أول ما يبدو أمامنا من ذلك تأثير اللغة العربية من حيث الالفاظ والتعابير والمدارك والخصائص الادبية في اللغات الاجنبية .

لنبدأ بالكلمات . حينما يستعير شعب من شعب أداة أو فكرة أو مدركا فلسفيا فانه يستعير مع الاداة اسمها أيضا . نحن العرب لما أخذنا الاداة المسماة بالفرنجية تليفون أخذنا اسمها الاجنبي معها . ولقد سمينا هذه الآلة ، فيما بعد ، الهاتف . ولكن كلمة تلفون لا تزال غالبة . وبعد الحرب

العالمية الاولى جاءت السيارة الى بلادنا فكان كل انسان يقول : « اتوموبيل» ثم اختفت كلمة أوتومبيل وسادت كلمة « السيارة » • وكذلك فعل الاوروبيون لما أخذوا المدارك العلمية والادوات المختلفة من العرب فانهم نقلوها بأسمائها العربية • أخذوا من العرب مثلا قيادة السفن ، وكان قائد العمارة البحرية يسمى « أمير الماء » فاختصر الاوروبيون ذلك قليلا فقال الفرنسيون : « أميرال » ، وقال الانكليز : « أدميرال » • ولم يعرفوا الغول أو الكحول (جمع كحل) فقال الانكليز : « ألقوهول » ، وقال الفرنسيون : « ألقوول » • ولم يعرفوا المشمش وهو يسمى في مصر البرقوق فأخذوه مع اسمه فقال الانكليز القدماء : أبرقوق (بباء فارسية) ثم خففوها فقالوا أبرقت (بضم القاف) وقال الافرنسيون أبرقو • وقالوا كابل وكاندي وكاليبر وكافي أو كوفي وغازل وجيراف وقوطون وجار وليلاك أو ليلا وصوفا (من صفة) وسيروب (من شراب) تاريف (من تعريف أو تعرفة) • أما كلمة سكر فلها مسلك عجيب • السكر أخذه العرب من الفرس واسمه الفارسي « شكر » • ولكن الاوروبيين لم يأخذوا السكر من الفرس بل من العرب فكان اسمه في الفرنسية سوكر وفي الانكليزية شوكر وفي الالمانية تسوكر ، وفي الاسبانية آثوكر وفي البرتغالية أسوكر وفي الروسية ساخر وفي البولونية سوكيار وفي الدنمركية سوكر وفي الهولندية سويكر ••• الخ • وفي اللغة الانكليزية وحدها أربعمائة كلمة في الاستعمال الجاري من أصل عربي بعضها لا يزال واضح الدلالة وبعضها قد تشوه لفظه قليلا أو كثيرا • ولا أريد أن أشغلكم الآن بالالفاظ العربية التي دخلت اللغة العلمية من مثل كلمة جبر وكيمياء وسمت وذنب وفرقد ••• الخ • وحينما تنتهي لعبة الشطرنج يقول الرابح لخصمه بعد النقلة الاخيرة ، اذا كان انكليزيا « تشكمايت » واذا كان فرنسيا « آشك آ مات » ، وهي جملة عربية : الشاه مات •

ويقول نفر من الناس ان عددا من هذه الكلمات لم يكن في الاصل عربيا ككلمة سكر فان أصلها فارسي ، وكلمة فردوس فانها يونانية ، وكلمة قصر

فانها من اللاتينية • ولكن الاوروبيين أخذوا هذه الكلمات من العرب لما قالوا سوكر ـ بارادي أو بارادايس أو قالوا الكازار • ثم ان هذا ما يزال قائما دليلا واضحا على أن الحضارة الانسانية قائمة على هذا الدين والوفاء : أخذ بعض الامم من بعض ويعطي بعضها بعضا • وفي قانون الحضارة يجب أن يكون العطاء أكثر من الاخذ حتى يستمر ارتقاء الحضارة •

وما دمنا في حديث اللغة فلنعطف قليلا على الادب فانه وثيق الصلة باللغة • كان لليونان وللرومان شعر له أوزان أشهرها السداسي ، وهو يتألف من مزدوجات كل مزدوج شطران بقافية واحدة ، ولعله أشبه بما يسمى عند العرب ببحر الرجز • ولا شك في أنه وزن متواتر يدخل منه على النفس شيء من الملل ، وخصوصا اذا لم يكن الشعر من طبقة رفيعة • واحتك الافرنج بالعرب في الاندلس ، ثم في المشرق في أثناء الحروب الصليبية ، فعرضوا الموشح والزجل فنقلوا أوزانهما الى آدابهم • فالشعراء التروبادور في جنوبي فرنسا نقلوا من الموشحات الاندلسية ومن الازجال المشرقية والمغربية • وبذلك خرج الشعر الاوروبي عن وتيرته الاولى وأصبح شاعرهم ينظم مقطعات مختلفة الابحر متعددة القوافي سمي بعضها سونت أو سونه • ودخل كثير من أغراض الشعر العربي ومعانيه وألفاظه في الشعر الاجنبي • وعندنا اليوم كتب برمتها تعالج هذا الموضوع في الادب الفرنسي والادب الايطالي والادب الالماني • ولا حاجة بنا الى الاشارة الى الادبين الاسباني والبرتغالي فان أثر اللغة العربية والادب العربي فيهما واسع جدا • والذين درسوا هذا الموضوع من المستشرقين قدموا لنا أمثلة من الشعر العربي مقارنة بأمثالها من الطلائع الاولى في الشعر الاوروبي • أشهر هذه الامثلة الموشحة المشهورة :

ما لذ لي شرب راح
على بساط الاقاح •••

ان الشاعر التروبادوري التزم عدد أشطر الموشحة العربية وترتيب

أشطرها المختلفة وترتيب قوافيها ، وربما عطف على المعنى بعد المعنى من معانيها • وقد قلدوا الزجل الذي سمعه بعض شعرائهم في القدس في أثناء الحروب الصليبية :

شفتها على المطوح شعرها الاسود بيلوح
بدي سافر بدي روح روح مع السلامة

وفي مسرحية « مكبث » لشكسبير عقدة بارعة في قول الساحرة لمكبث انه لن ينهزم حتى تسير غابة بيرنام نحو دونسيناين • واطمئن مكبث الى هذا القول • وفي أحد الايام يدخل حارس على مكبث ويخبره بأنه شاهد غابة بيرنام تتحرك مسرعة في اتجاه دونسيناين • وتحل العقدة بأن جنود خصومه أرادوا خديعته فحملوا أغصان أشجار وساروا بها •

هذه الخدعة وردت في الروايات الجاهلية عن زرقاء اليمامة وكانت امرأة صحيحة البصر تبصر ــ فيما زعموا ــ من مسيرة ثلاثة أيام • وقد أنذرت قومها ذات يوم بأن غابة تسير في اتجاههم فلم يصدقوها • وبعد ثلاثة أيام فاجأهم أعداؤهم بجيش كثيف وانتصروا عليهم •

وللروائي الفرنسي موليير عقدة مشهورة في مسرحية « البخيل » : هي أن ابن هارباغون كان يحصي تركة أبيه فوصل الى غرفة الطعام فوجد فيها قطعة جبن مقروضة من أطرافها • فوقف مستغربا ، فقيل له : ماذا تستغرب من ذلك ؟ قال : كان أبي مسرفا يقرض الجبنة قرضا • فسئل : وما كان عليه أن يفعل ؟ فأجاب : كان يجب أن يمسح على قطعة الجبن بقطعة من الخبز •
ان لهذه العقدة نفسها رواية أجمل في كتاب « البخلاء » للجاحظ الذي عاش قبل موليير بثمانية قرون وبضعة قرن :

كان ابن البخيل يحصي ما تركه له أبوه فوقف عند قطعة من الجبن يتأمل في طرف عميق فيها• فقيل له: ما وجه الإستغراب؟ قال: كان أبي مسرفا يمسح

الجبن بخبزته • فقيل له : وما كان عليه أن يفعل ؟ فقال لهم : كان يجب أن يقف بعيدا ثم يشير بلقمة الخبز الى قطعة الجبن •

لا أريد أن أدعي أن شكسبير الانكليزي أخذ قصة زرقاء اليمامة من العرب ، ولا أن موليير الفرنسي قد أغار على حكاية ابن البخيل وقطعة الجبن في كتاب البخلاء للجاحظ العباسي • ولكني أريد أن أقول ان العقول و الالسن تتلاقى في ميادين الحضارة والثقافة • فاذا لم يكن الانكليزي والفرنسي قد أخذا من العربية والعربي ، فان للعربيين فضل السبق في ذلك • ولا أحيل أن يكون الجاحظ وزرقاء اليمامة قد عرفا ما قالاه من الفرس أو من الروم مثلا ، ولكنهما يكونان قد استدانا شيئا من رجل قديم ثم وفيا أحفاد ذلك الرجل القديم ما كانا قد استداناه من قبل •

والامانة في القرض الحسن فضيلة في الآخذ وفي المعطي ، ولن يضيع لأحد منهما في ذلك أجر • لنرجع قليلا الى العلم •

ان جميع الامم القديمة لم تكن عندها رموز مستقلة للارقام تدون بها الاعداد • وكان تدوين الاعداد عند جميع الامم معقدا كثير الشذوذ • كان الحاسب يجمع أ الى ط الى ي الى ك الى ن فيكون مجموعها ق أي مائة • ثم يضرب جـ في د في هـ فيكون الحاصل س • ـ كان يجمع خمسة أعداد فيرمز اليها بعدد واحد ، ويضرب ثلاثة أعداد بعضها في بعض فيحصل من ذلك الضرب الطويل حرف واحد هو س (أي ستون) •

وجد الخوارزمي عند الهنود رموزا مستقلة للارقام ، ولكن الهنود لم يكونوا يستخدمونها في وجوهها الصحيحة • فاستعار الخوارزمي هذه الرموز من الهنود وسماها « الارقام الهندية » • ثم رأى الاوروبيون هذه الارقام فاستحسنوا الحسبان بها فأخذوها منا وسموها « الارقام العربية » • لقد كنا نحن أوفياء للذين أخذنا منهم • وكذلك كان الاوروبيون أوفياء لنا فيما أخذوه عنا • وما دمنا في حديث الخوارزمي فيحسن أن تذكر فضله على

علم الجبر . كان الجبر منذ أيام المصريين القدماء فنا يعرفه البارعون في الحسبان والاذكياء بالسليقة . وكذلك كان عند اليونان . أخذ الخوارزمي هذا الفن من اليونان ومن الهنود أيضا ثم وضع له المصطلحات والقواعد وجعله علما قائما بنفسه مستقلا عن الحساب والهندسة وجعله قابلا للتعليم . ثم سماه علم الجبر والمقابلة . وأخذ الاوروبيون هذا العلم عن الخوارزمي فتركوا اسمه « ألجبرا ، ألجبرا » الخ ، كما كان الخوارزمي قد سماه . ثم سموا الحسبان كله « ألغورزموس » اعترافا بفضل الخوارزمي .

ومثل الجبر ، في تاريخ الثقافة ، علم الكيمياء . أن العرب قد نقلوا كتب الكيمياء عن اليونان ، ولم يكن اهتمام اليونان بالكيمياء الا فيما يتعلق بمحاولتهم قلب المعادن الخسيسة (أي الرخيصة كالرصاص والنحاس) معادن شريفة (أي غالية كالفضة والذهب) .

وعمل العرب في هذا الاتجاه الخرافي زمنا . وتبدى لجابر بن حيان أن يدون ـ وهو يقوم بهذه المحاولة العقيمة ـ ما يراه من تأثير بعض المواد في بعض . فوضع جابر بن حيان بذلك أساس علم الكيمياء ، وهو علم قائم على معرفة خواص المواد أو العناصر وعلى التفاعل بينها . ثم جاء الرازي وصنف تلك المواد ثلاثة أصناف : برائية أو ترابية (ونحن نقول اليوم غير عضوية) ثم نباتية وحيوانية (ونحن اليوم نجعل هذين الصنفين صنفا واحدا فنقول : (عناصر عضوية) . ثم ان الرازي وصف الآلات والادوات والمواد التي تدخل في التجارب في المختبر ونصح باعادة التجربة الواحدة مرة بعد مرة . فاستتم له بذلك وضع علم الكيمياء ـ أقصد الاسس الضرورية لعلم الكيمياء . وأخذ الاوروبيون هذا العلم عن العرب وسموه في لغاتهم : ألكمي ، وكمستري ، وشيمي ، كلمات مشوهة من اللغة العربية .

وربما قال لي بعضكم : ولكن علم الكيمياء كان معروفا راقيا عند المصريين مثلا وعند البابليين والكنعانيين المعروفين عند اليونانيين بالفينيقيين ،

مما نراه عند المصريين في صناعة التحنيط مثلا وفي صناعة الزجاج والشبه (النحاس الاصفر) وغير ذلك • ان هذا السؤال وجيه في العلم • ولكن الجواب عليه سهل ومهم • ان جميع الامم القديمة كانت تكتم علومها وتعد العلم من عمل الكهنة في الهياكل • من أجل ذلك وصلت نتائج الكيمياء التي كانت عند المصريين وغيرهم ، ولكن لم تصل الينا طرق استخدام الكيمياء • فالاوروبيون أخذوا الكيمياء عن العرب ولم يأخذوها عن المصريين • ولم يكن فضل العرب على الكيمياء أنهم جعلوها علما ـ كما كانوا من قبل قد جعلوا الجبر علما ـ فقط ، بل لانهم أيضا قد قدموها الى من جاء بعدهم هدية منهم الى الحضارة الانسانية • ان العلم ليس تجارة لكسب المال ، ولكنه رسالة لاغناء الثقافة وخدمة الحضارة •

وفي باب العلم أيضا يحسن أن نذكر أبا علي بن الهيثم الذي صنع في علم المناظر أو البصريات ما صنعه الخوارزمي في الجبر وصنعه الرازي في الكيمياء • ان جميع القواعد الاولى في علم البصريات قد وضعها ابن الهيثم : قواعد انعكاس الضوء وانعطاف الضوء (أو انكسار الضوء ، كما يقال اليوم) وحسبان زوايا السقوط وزوايا الانعكاس وحسبان الانعطاف • وابن الهيثم كان يقول ان النور جسم مادي يسير بسرعة عظيمة جدا ، ومع ذلك فانه يحتاج الى زمن لقطع المسافات • وهو القائل بأن للشعاعة الواحدة من النور طولا وعرضا • وهو الذي نبه على انتكاس الخيال اذا مر في الغرفة المظلمة ذات الثقب • وذلك أساس آلة التصوير • ودرس ابن الهيثم العين وأشار الى طبقاتها الضرورية فيما يتعلق بالبصر ثم قال انه لن يذكر من ذلك الا ما يحتاج اليه هو في علم البصر ولن يتوسع في ذلك كما يفعل في الطب • ويدهشنا قول ابن الهيثم : ان العين طريق للرؤية تنقل أشباح الاشياء الى الدماغ ، والدماغ هو الذي يرى : أي يفسر تلك الاخيلة التي هي أشباح الاشياء المنظورة •

وجاء الاوروبيون فأخذوا ذلك كله عن ابن الهيثم ، وليس في ذلك

فضل كبير لابن الهيثم ولا عار على الاوروبيين ، ذلـــك لان العلم تــراث الانسانية وليس ملكا لفلان أو لقوم فلان . وما زالت الامم العاقلة تتعاون في سبيل الخير . والعلم سبيل من سبل الخير .

والى ابن الهيثم يرجع الفضل في تنظيم البحث العلمي : يأخذ بالطريقـة الاستقرائية كثيرا (أي بصوغ قاعدة من مراقبـة مفردات الامـور) ثــم بالاستنباط قليلا (أي باستخراج مفردات العلم من قاعدة عامة مفروضة) ثم يلجأ الى الملاحظة الشخصية والتجربة ليكون واثقـا من النتائج التـي يصل اليها . تلك هي شرائط الاسلوب العلمي الذي نعده اليوم أساسا لكل عمـل من أعمالنـا .

بيروت عمر فروخ

رايتنــي والامر لــك

* دخل يزيد بن ابي مسلم صاحب شرطة الحجاج عـلى سليمان بـن عبد الملك بعد موت الحجاج ، فقال له سليمان : قبح الله رجلا أجرك رسنه ، وأولاك امانته . فقال : يا أمير المؤمنين رأيتني والامر لك ، وهو عني مدبر ، فلو رأيتني وهو علي مقبل لاستكبرت مني ما استصغرت ، واستعظمت مني ما استحقرت . فقال سليمان : اترى الحجاج استقر في جهنم ، فقال : يا امير المؤمنين لا تقل ذلك ، فان الحجاج وطألكم المنابر ، وأذل لكم الجبابر ، وهو يجيء يوم القيامة عن يمين ابيك وشمال اخيك ، فحيثما كانـا كان . فسكت سليمان بن عبد الملك .

العرب هم روّاد دراسة عالم الأفلاك .

محاضرة : للدكتور نقولا شاهين

– ١ –

● **وهذه المحاضرة القيمة القاها الدكتور نقولا شاهين استاذ علم الفلك بل كبير علماء الفلك بلبنان في المركز الثقافي الاسلامي .**
والدكتور نقولا عصامي كان ينزل من بشمزين على الدابة مع المكاري الى الجامعة الاميركية في بيروت لطلب العلم ، كان يخدم ويتعلم ، ثم يعلم ويتعلم ، وكان رفيقا وصديقا للمرحوم حسن كامل الصباح في الجامعة ، اهلا بالدكتور شاهين على صفحات العرفان .

عندما نلقي نظرة على ما يجري حولنا في هذه الايام ، من تطورات في حياة مجتمعنا ، لا نتمكن من التعامي عن النقص الذي يحصل في حياتنا الثقافية ، بينما تكثر المنشورات من كتب وصحف ومجلات ، بدون ان يكون هناك ما هو جدير بالذكر في حقل تراثنا العلمي . ذلك التراث الذي كان ولا يزال معجزة للعالم فيما مضى ، ولا يزال علماء الغرب ينقبون في المخطوطات التي تركها العرب والتي كانت اساسا لما نراه اليوم في حقول العلم المختلفة . اما ان العرب هم رواد عالم الافلاك فهو امر اثبته تاريخ العلم .

فمن البداوة الى السيطرة على الشرق والغرب كان شأن العرب من منتصف القرن الثاني للهجرة (القرن الثامن الميلادي) ، وذلك في احياء العلوم على اختلاف انواعها ومنها الرياضية والفلكية ، وامتد ذلك الى القرن السادس عشر الميلادي . وتم بذلك نهوض أقطار اوروبا من غباوتها وعبوديتها للاوهام ، وتولد من ذلك ثورة علمية نشهد آثارها في الفتوحات العلمية الحديثة .

لقد اعترف الغرب بفضل العرب هذا ، وقدروا الدراسات العربية واركانها ، فوضعوا على خريطة حديثة للقمر عام ١٩٧١ اسماء كبار العلماء

الفلكيين والرياضيين العرب : نصير الدين الطوسي ، وابو الحسين السوقي : وابن عزرا ، وجابر ، وارزاخل ، والمأمون ، وابو الفداء والتياني والفرغاني : والخازن ، واولوغ بيك (لاعتماده على الفلكيين العرب في ازياجه الشهيرة) •

ولا بد لنا من الرجوع الى اليافع الكبير نحو هـذا التفوق والاندفاع في سبيل العلم ؛ الا وهو القرآن الكريم • ومن الثابت ان القرآن الكريم هو كتاب عقائد وعبادات واخلاق ومعاملات ، وتفقيه وتشريع ؛ وهو بجوار ذلك كتاب علم ومعرفة على أساس انه كتاب يدعو الى العلوم فيقول : « وقل ربي زدني علما » ، « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » ، « وانما يخشى اللـه من عباده العلماء » والمراد هنا بالعلماء انما هم العلماء المؤمنون الناظرون في ملكوت السموات والارض ، الذين يستنبطون ويتعرفون الى اسرار الطبيعة وحقائق الاشياء وسنة الكون التي تتحدث عن قدرة الله وابداعه في خلق الانسان والحيوان والنبات وكل ما دب على الارض • « ويرفع اللـه الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » اي ان الله جل جلاله يسبغ نعم التكريم على هؤلاء العلماء الخاشعين المؤمنين • وهناك آيات كثيرة تشير الى اهمية طلب العلم والسعي وراء المزيد منه • ولا بد هنا من الاشارة الى ما توصل اليه العلماء في علم الذرة ؛ واكدوا ان الشمس تمدنا بالطاقة منذ ٥٠٠٠ مليون سنة ، وذلك بفضل كونها مرجل نووي ؛ يتحول فيه ٤٫٧٠٠٫٠٠٠ طن من المادة الى طاقة كل ثانية •

كذلك تجدر الاشارة الى ان العالم حسن كامل الصباح من النبطية هو اول من حقق تحويل الطاقة الشمسية الى كهربائية عن طريق خلايا من مواد معينة ؛ وقد اصبح هذا امرا معمول به في المركبات الفضائية •

الخلفاء يقومون باحياء العلوم

على ضوء ما تقدم نرى انه في القرن الثاني للهجرة الموافق الثامن الميلادي ، شرع عبد الله بن محمد علي بن عبد اللـه العباسي ابو جعفر المنصور الخليفة الثاني العباسي باحياء العلوم الرياضية والفلكية ، باستخدام علماء مترجمين ترجموا كتبا يونانية وسريانية وهندية الى العربية واقتدى به

خلفاؤه لا سيما هرون الرشيد وابنه المأمون ، ومــن ثم اخــذ علم الهيئة اي الفلك يتقدم بين العرب وسائر الطوائف الشرقية .

وفي عام ٨٢٣ ميلادي انتصر الخليفة المأمــون (٨١٣ ــ ٨٣٣) عــلى الامبراطور البيزنطي ميخائيــل الثانــي ، فوضع في شروط معاهــدة السلام ما يأتي : على الامبراطور البيزنطي ان يجهز المأمــون بالمخطوطات اليونانية او ان يسمح له ان يعمل نسخا عنها . فقام عدد من العلماء السوريين بترجمة هذه المخطوطات اولا الى السريانية ومن ثم الــى العربية . ويقال ان المأمون شارك في بعض هذه الترجمات وقد ترجم المجسطي لبطليموس الى العربية في عام ٨٢٩ ميلادي ، وتوجد هــذه المخطوطة اليوم في مكتبة جامعة لايدن في لنــدن .

وقد فاق المأمون الجميع بغيرته على العلوم واهلها (بين ٢٠٠ و ٢١٨ هـ) (٨١٢ و ٨٣٣ م) ، ومن جملة اعماله انه امر بني موسى بن شاكر وهم ثلاثة اخوة ، ان يقوموا بقياس دور كرة الارض التــي كان الاقدمون قــد اقدموا على قياسها فوجدوا انها ٢٤ الف ميل . فعمل الثلاثة الاخوة عــلى الطريقة الذي ذكرها الاقدمون للتأكد من ذلك ، وخرجوا الى صحراء سنجار وكانت في غاية الاستواء ، واجروا التجربة (لا مجال لذكرها) ، فوجدوا ان ذلــك كان موافقا لما جاء في الكتب القديمة . وطلب المأمون التحقيق مــن ذلك في موضع آخر فسيرهم الى ارض الكوفة وفعلوا كما فعلوا في سنجــار فتوافق الحسابان . وفي ايامهم قيس ميل دائرة البروج عــلى دائــرة خط الاستواء فكان ٢٣ ، ٣٥ ، وهذا قريب جدا انما هو معروف اليوم ، اي ٢٣ ، ٢٧ .

اما ميل دائرة البروج فهو المسؤول عــن الفصول المختلفة عــلى مدار السنة ، والذي يجعل الاقسام المختلفة مــن الارض تتعرض لحرارة الشمس بصور متفاوتة من يوم الى آخر ، ومن هنا كان اختلاف الليل والنهار عــلى طول السنة ، فيكون اقصر نهــار في ٢٢ كانــون الاول واطول نهــار في ٢٢ حزيران كما هو معروف ويتساوى الليل والنهار في ٢١ اذار و ٢٣ ايلول .

الفلكيون العرب يقتحمون عالم النجوم

ولما كان الناس على دين ملوكهم ، نجد انه في ذلك العصر عاش التباني الحاسب المنجم المشهور ، وهو صاحب الزيج الصابي وله الارصاد ، المتقنة ، فاثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة ٢٩٩ هجرية • ومن اعماله البارزة الزيج الذي تقدم ذكره ، وكتاب معرفة مطالع البروج ، واصلح قيمة مبادرة الاعتدالين ، وقيمة ميل دائرة البروج على دائرة خط الاستواء • وهو اول من استخدم الجيوب والاوتار في قياس المثلثات والزوايا • علاوة على هذا توصل الى معرفة انتقال نقطة الرأس ونقطة الذنب ، وهذه الحقيقة يعبر عنها بان الخط الموصل بين نقطة الرأس والذنب له حركة سنوية من الغرب الى الشرق ويدور دورانا كاملا في ١٤٩ر١١١ سنة •

اما مبادرة الاعتدالين فانها ناتجة عن دوران قطب خط الاستواء حول قطب دائرة البروج في نحو ٢٥٨١٧ سنة • لذلك لم يكن نجم القطب في قديم الزمان في نفس المركز الذي هو فيه اليوم ، اذ انه ينتقل من الشرق نحو الغرب دورة كاملة كل ٢٥٨١٧ سنة • لذلك فان اسماء البروج اليوم لا توافق الصور المسماة بتلك الاسماء بل ، انتقلت الى غربي صورها بمعدل نحو ٥٠ ثانية وعشرين الثانية في السنة وهذا يثبت لنا عدم صحة معرفة الخط بالتنجيم الشيء الذي يؤمن به كثيرون وعلى الاخص من يجمع ثروة من وراء ذلك « كذب المنجمون ولو صدقوا » •

ومن مشاهير علم الفلك في ذلك العصر ايضا ابو الوفا اليوزجاني ، ويقال انه اكتشف احدى المعادلات الضرورية لتقويم مواقع القمر ، كما انه صنع زيجا سماه الزيج الشامل • ولم يظهر فضل هذا الفلكي العظيم الا في القرن الماضي ، حينما عثر المستشرق الافرنسي « سيديو » على مخطوطات اثبتت ان بعض الاكتشافات الفلكية التي نسبها المؤرخون الى علماء القرن السادس عشر قد سبق واكتشفها البوزجاني قبلهم بستة قرون • وقال غوستاف ليون ان آلات الرصد التي اعتمد عليها البوزجاني ، كانت على جانب عظيم من الدقة ، فانه رصد الميول بربع دائرة نصف قطرها ٢١ قدما ،

وذلك ما لا يسهل على الفلكيين في يومنا هذا .

ويعتقد العلامة المستشرق « نلينو » ان اعظم المبتكرين الضالعين في علم الفلك بين علماء العرب ، هو ابو الريحان البيروني ، وله كتاب نفيس جامع شامل ودقيق المباحث . وقد ذهب الى القول انه يمكن ايضاح وتوليد حركة الاجرام السماوية الظاهرة اذا فرضنا ان الارض تدور على محورها دورة كاملة من الغرب الى الشرق كل نحو ٢٤ ساعة ، اي عكس حركة النجوم الظاهرة من الشرق الى الغرب ، وهو من مواليد احدى ضواحي عاصمة الدولة الخوارزمية وتعرف باسمها الجديد « البيروني » تخليدا لذكراه .

ومن المشاهير ايضا ابو الحسن علي ابن ابي سعيد بن يونس الذي عاصر « الحاكم » سادس الخلفاء الفاطميين ، وهو صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس . وقد الفه في المرصد الذي شيده الخلفاء الفاطميون في جبل المقطم ، وهو الذي اخترع الربع ذا الثقب وبندول الساعة الدقاقة ورصد كسوف الشمس وخسوف القمر واثبت منهما تزايد حركة القمر ، وحسب ميل دائرة البروج ، فان حسابه اقرب ما عرف الى ان اكتشفت آلات الرصد الحديثة .

وفي الاندلس بدأت النهضة العلمية الفلكية في منتصف القرن العاشر للميلاد ، وانتشرت من دور العلم والجامعات العربية انوار العلوم على اختلافها . ومن اشهر الذين اشتغلوا بعلم الفلك والطبيعيات في الاندلس ، ابو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازن الاندلسي ، وقد عاش في اواخر القرن الحادي عشر واوائل الثاني عشر ، والف مؤلفات شهيرة في قواعد النور وآلات الرصد .

وقد اثبت المدققون ان الخازن هذا هو مكتشف قانون انكسار اشعة الضوء عند انتقالها من وسط الى آخر ، وهذا الامر يبدو عندما نضع عصاة في الماء فتظهر ملتوية ، وكان قد نسب ذلك الى عالم اوروبي قبل معرفة الحقيقة . وقد قال الخازن ان الضوء يتألف من حبيبات اي انه ذري التركيب، وقد اثبت نيوتن ذلك بعد نحو ٥ قرون . وقد ورد في موسوعة اميركية ان

الخازن هو مكتشف آلة التصوير ذات الشفرة وكان يستعملها لمشاهدة كسوف الشمس •

وقد عاش الفيلسوف المشهور ابن رشد في القرن الثالث عشر ، وكانت له مكانة عالية في الفلسفة والعلوم الرياضية والفلكية ، وهو اول من شاهد كلف الشمس وكتب عنها • تمكن ايضا بواسطة الحساب الفلكي ان يعين وقت عبور الكوكب عطارد على قرص الشمس ، فرصده وشاهد بقعة سوداء على قرصها في الوقت المعين ، الامر الذي لا يتصدى له في وقتنا الحاضر سوى الراسخين في الرياضيات الفلكية •

في القرن الثاني عشر بني في مدينة اشبيلية في الاندلس ، برج جميل البناء شامخ لرصد الاجرام السماوية تحت اشراف جابر الرياضي • ولما ترك العرب تلك البلاد ، حول الباباويون ذلك البرج قبة للاجراس ، وهو باق الى يومنا هذا ، يشهد بفضل بانيه وبمقدرته الفلكية •

وفي عام ١٢٥٨ ميلادية سقطت بغداد في ايدي هولاكوخان ، حفيد الفاتح جنكيز خان • كان هولاكو قبل هذا قد قرب اليه كمستشار سياسي ، الفلكي محمد بن حسن الطوسي الملقب بنصير الدين ، فبنى مرصدا في المراغة بالقسم الشمالي الغربي من بلاد فارس ، وعهد بادارته الى محمد المذكور • وانشأ في ذلك المرصد خزانة كبيرة فسيحة الارجاء ، ملأها بالكتب التي نهبت من الشام وبغداد والجزيرة ، فتجمع فيها اكثر من اربعمئة الف مجلد • كان يعمل في ذلك المرصد عدد كبير من فلكيي العرب ، يستعينون بآلات تفوق باتقانها وحجمها ما كان معروفا في اوروبا في ايام كوبرنيكس • والف الطوسي كتبا هامة في الرياضيات والفلك ، اشهرها كتاب الاصول لاقليدس والزيج الخاني • ولم يكن هذا الزيج سوى نسخة منقحة لجداول فلكية ، قوامها الجداول التي نظمها ابن يونس وقد عرفت بالزيج الحاكمي • وللطوسي مؤلف في الكرة والاسطرلاب ، وتسطيح الكرة والمطالع ، ومؤلفات اخرى •

بعد ذلك بنحو قرنين ، اي في عام ١٤٢٠ ، بنى السلطان اولغ بيك حفيد تيمورلنك ، مرصدا فخما في سمرقند (من اعمال تركستان السوفياتية حاليا) دعا اليه اشهر علماء الفلك وترأس الرصد نفسه سنين طويلة . عكف على تنقيح جداول الذين سبقوه ، واصلحها على ضوء نتائج الارصاد الدقيقة التي اجراها بالتعاون مع غيره من الفلكيين . وقد طبعت هذه الجداول في مدينة اكسفورد عام ١٦٦٥ وهي باقية الى يومنا هذا .

كان على فلكيي العرب ان يصنعوا آلات جديدة دقيقة ، تساعدهم في ارصادهم ، نذكر منها الساعة الرملية واللبنة والحلقة والاعتدالية وذات الحلق اللينة وذات الشعبتين وذات الجيب وربع الدائرة والاسطرلاب . وقد عرف الاسطرلاب عند الاقدمين ، لكن العرب توسعوا في صنعه واتقنوه فكان بمثابة جهاز لرصد الشمس والقمر والنجوم والكواكب السيارة ، كما هي الحال في المرقب اليوم . ولا تزال صناعة الاسطرلاب قائمة في ايران ، حيث يوجد لا اقل من عشرة اشخاص يعملون في حفر هذا الجهاز على صفائح من النحاس . وقد بيع في اوائل اذار ١٩٦٢ بالمزاد العلني ، اسطرلاب اشترته ادارة متحف العلوم في جامعة اكسفورد في انكلترا ، بقيمة ٣٦٠٠ جنيه استرليني ، وهو من مخلفات الحضارة العربية القديمة ، كما يشير الى مهارة وحذق العمال في صنع الادوات العلمية في تلك العهود . وتحوي المتاحف العالمية عددا من كرات سموية تحمل اسماء عربية للنجوم والابراج ، منها كرة في متحف درسدن في المانيا حروفها كوفية .

نستخلص من الدراسات التي قام بها المستشرقون وغيرهم ، ان للعرب فضلا كبيرا في نقل ما كتب في علم الفلك لدى الشعوب القديمة ، وتنقيحها وتوحيدها وجعلها علما واحدا تاما قائما بنفسه ، وطبعه بطابع الثقافة العربية ، كما انهم زادوا وابتكروا امورا كثيرة هامة . فهم اول من اكتشف حركة الشمس في الاوج ، وعينوا مبادرة الاعتدالين بدقة فائقة ، واكتشفوا النقص المتواصل في انحراف سمت الشمس ، والاضطرابات التي تحدث للقمر وهو في عرضه الاقصى . علاوة على هذا بينوا اضطرابات السيارات في افلاكها ،

وساروا شوطا طويلا في حساب الاختلاف الثالث في حركة القمر ، وشاهدوا الكلف على سطح الشمس ، وحسبوا بالضبط عبــور عطارد عــلى سطحها واصلحوا قيمة مبادرة الاعتدالين ومقدار ميل دائــرة البروج على دائرة خط الاستواء ، وما يحدث فيها من نقص تدريجي بطــيء . ومــن أرصاد دقيقة عينوا طول السنة الاعتيادية والسنة النجمية ، وقاسوا مباشرة طول درجة من خط الهاجرة بطريقة علمية، وانشأوا عدة مراصد على غاية الاتقان ، وصححوا جداول حركات القمر ، وعرفــوا استــدارة الارض وقــال بعضهم بدوران الارض على محورها ، وامتازوا على من سبقهم فجعلوا علم الفلك استقرائيا عمليا ، وحسنوا آلات الرصد القديمــة وزادوا عليهــا ، وعرفــوا الساعات الدقاقة ذات الرقاص .

وفي اوائل القرن الثالث عشر تأسست عــدة جامعات في اوروبا ، حيث عكف المترجمون على نقل الكتب العربية الى اللغات الاوروبية ، منها جامعة نابولي في ايام فريدريك الثاني (عام ١٢٢٤) ، وجامعــة طليطلة وغيرهما . ترجموا الازياج العربية في علم الفلك وبنوا عليها ازياجا جديدة ، وفي عــام ١٢٥٢ نشر وطبع الزيج الذي اشرف عليه الفونس العاشر وكان ذلــك يــوم تسلمه الحكم . لم يأتوا بجديد في علم الفلك ، بل جربوا ان يعمموا ما وصل اليهم من معلومات ، وبقي علم الفلك كما تركــه العرب ، الــى ان اكتشف غليليو المرقب عام ١٦١٠ ، فبدأ عهد جديد .

ولا تزال اسماء النجوم التي ترجع الــى اصل عربــي ، كذلك بعض العبارات الفلكية ، برهانا ساطعا على الطابع العربي في علم الفلك ، مثل النسر الواقع ، النسر الطائر ، الشعري ، الغــول ، نظــير ، سمت وغيرها وتعــد بالمئات . ولا بد من الاشارة الى ان علماء الغرب عامة ، قد اهتموا بالتفتيش عن تراث العرب في علم الفلك وغيره من العلوم ، وارجعوا الــى فلكي العرب قسطا كبيرا مما كان قد نسب الى غيرهم . بقي علينــا نحن العرب ان نفتش عن ذلك التراث ونحميه من الضياع في زوايا الركود والاهمال .

منازل الشمس في حركتها الظاهرية

تقطع دائرة البروج خط الاستواء السماوي في نقطتين ، هما نقطة الاعتدال الربيعي ونقطة الاعتدال الخريفي ، بينهما ١٨٠ درجة . اما نقطة الاعتدال الربيعي فهي مركز الشمس في ٢١ اذار ، وتكون الشمس في مركز الاعتدال الخريفي يوم ٢٣ ايلول . وقد قسم الفلكيون دائرة مدار البروج الى ١٢ قسما ، كل قسم يرمز الى ٣٠ درجة على تلك الدائرة ، واعطوا كل قسم اسما يتفق مع وضعه بين البروج . لذلك نراهم يطلقون على القسم الاول الذي يبتدىء عند الاعتدال الربيعي برج الحمل حيث يتساوى الليل والنهار . وفي هذا البرج تنزل الشمس من ٢١ اذار الى ٢٠ نيسان ، ثم تنتقل الى برج الثور وتبقى هناك من ٢١ نيسان الى ٢١ ايار ، وبعدها تنتقل الى برج الجوزاء وتحل فيه من ٢١ ايار الى ٢١ حزيران حيث يحصل اطول يوم في السنة ، وتعرف هذه البروج الثلاثة بمنازل الربيع .

اما منازل الصيف فهي السرطان اولا ، وتمتد من ٢٢ حزيران الى ٢٢ تموز ، ثم الاسد وهنا تبقى الشمس من ٢٣ تموز الى ٢٣ آب ، وبعدها تنتقل الشمس الى برج العذراء وتبقى فيه من ٢٤ آب الى ٢٣ ايلول عندما يحدث الاعتدال الخريفي ويتساوى الليل والنهار .

وتنزل الشمس في الخريف في برج الميزان من ٢٤ ايلول الى ٢٣ تشرين الاول ، وفي برج العقرب من ٢٤ تشرين الاول الى ٢٢ تشرين الثاني ، وفي برج القوس من ٢٣ تشرين الثاني الى ٢١ كانون الاول عندما يحصل اقصر نهار في السنة .

ومنازل الشتاء ثلاثة ، اولها الجدي من ٢٢ كانون الاول الى ٢١ كانون الثاني ، ويليها الدلو من ٢١ كانون الثاني الى ١٨ شباط ، ثم الحوت من ١٩ شباط الى ٢١ اذار ، حيث يتساوى الليل والنهار ، فتكون الشمس قد اكملت دورتها السنوية وعادت الى نقطة الانطلاق .

صلات عريقة بين العرب والفرس

د. أحمد الحوفي
أستاذ
بكلية دار العلوم
وعضو مجمع اللغة العربية

من الحقائق التي لا ريب فيها أن العرب والفرس اتصل بعضهم ببعض اتصالا وثيقا بوسائل شتى منذ زمن قديم جدا وجعل هذا الاتصال ينمو ويتزايد وتتجدد وسائله على مر التاريخ وكانت له آثار عظيمة في كل من الشعبين ؛ تناولت اللغة والادب والعادات والعقائد والنظم وكثيرا من شؤون الحكم والحياة .

ولا يستطيع باحث أن يجاوز شيئا من هذه الآثار المتبادلة الا اذا ألم ببعض وسائل الاتصال وهذه لمحات الى شيء منها .

— ١ —

اتصلت الامتان قبل أن تؤسس امارة الحيرة بعدة قرون ، فان التاريخ يحدثنا أن العرب أدوا الجزية للملك قورش بخورا ولبانا في كل عام (٥٥٠ ق. م) حينما استولى الفرس على أكثر الهلال الخصيب ، واتصلوا بالعرب واحتكوا بهم احتكاكا مباشرا .

ثم استعان قمبيز بالعرب حينما غزا مصر (٥٢٥ ق. م) فمدوه بالابل وزودوا جيشه بالماء وساعدوه مساعدة كبيرة لولاها ما استطاع أن يصل الى مصر .

ويعد ذلك بثلث قرن ساعدوا الفرس في حملتهم على اليونان (٤٩٢ ق٠ م) ٠

ويسترعي الانتباه أن الكاتب اليوناني كينوفند (٤٠١ ق٠ م) ذكر أن كوره شرق الفرات كانت تسمى العربية ٠ كذلك كانت البلاد التي في شرق الفرات أسفل مصب نهر الخابور تسمى بلاد العرب منذ عهد قرطاجنة (٤٠١) ٠

وفي أوائل القرن الثالث بعد الميلاد تنازعت قبيلتا اياد ومضر بعد انتصارهما على جرهم واجلائها عن مكة ، فهزمت اياد وهاجرت الى العراق وكان أكبر موطن لها عين أباغ ، واستوطنت أجزاء أخرى متفرقة من جنوب الحيرة منها سنداد ــ نهر فيما بين الحيرة الى الابلة ــ وقد أغاروا على حدود الفرس مرتين ٠

وكان على شاطىء نهر الفرات حصن عظيم كالمدينة اسمه الحضر هو الذي ذكره عدي بن زيد في أبيات منها قوله :

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أم أين قبله سابور ؟
وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ لة تجبى اليه والخابور

وذكره أبو داود الايادي في قوله :

وأرى الموت قد تدلى من الحضر على رب أهله الساطرون

والساطرون هذا هو مالك الحصن أو المدينة وارض الجزيرة ، والعرب يسمونه الضيزن ٠

وقد أغار الضيزن هذا على بعض سواد العراق في عهد سابور الاول بن اردشير (٢٤١ ــ ٢٧٢ م) وافتخر عمرو بن آلـه القضاعي بهذه الاغارة في أبيات منها :

« الفناء للاعاجم من بعيد بجمع الجزيرة كالسعير »

ولكن خابور مضى الى الحصن فحاصره عامين ، والى هذا أشار الاعشى بقوله :

ألم تر للحضر اذ أهله وبنعمى وهل خالد من نعم

أقام به شاهور الجنود حولين يضرب فيه القدم •

ثم فتح الحصن وقتل الضيزن ونكل بأعوانه فرثاهم الشاعر عمر بن أله ، وكان فيمن شاهدوا المعركة •

وهنا فتح القصاص المجال لخيالهم كالعادة ، فزعموا ان بنت الضيزن أحبت سابور وأحبها ، وانها هي التي أرشدته الى حيلة لتقويض الحصن ، ثم غدر بها • فلما كان عهد سابور الثاني (٣٠٩ ـ ٣٧٩ م) انتهز العرب صغر سنه ، وأغاروا على أطراف مملكته وبقوا هنالك مدة لا يجليهم أحد ، فلما كبر سابور انتخب ألف فارس من صناديد جنده وسار بهم فأوقع بهؤلاء العرب ، وقتلهم تقتيلا ، وأسرهم أسرا عنيفا ، ولم ينج منهم الا من هربوا •

ويقال انه لم يكتف بذلك ، بل ورد الخط والبحرين وهجر وبلاد عبد القيس واليمامة وبلاد بكر وتغلب وعاش نهما الى قتل العرب ، ونزع أكتاف رؤسائهم ولهذا سماه العرب ذا الاكتاف •

ولكن العرب ثأروا منه بعد ذلك اذ انضموا الى خصمه يوليان ملك الروم في الحرب التي نشبت بين الفرس والروم (٣٦١ ـ ٣٦٣ م) حتى قيل أن العرب كانوا في جيش يوليان نحو سبعين ألفا ومئة •

ومن هذا يتضح أن الفرص تعددت لان يحتك العرب بالفرس من زمن قديم ، وان يخالطوهم ويساكنوهم ويحاربوهم قبل ان تؤسس امارة الحيرة•

ـ ٢ ـ

ثم اسست امارة الحيرة ، لان الفرس رأوا أن الوسيلة المثلى للاطمئنان على الامن في هذا الجانب من ممتلكاتهم أن يساعدوا القبائل العربية النازلة على مقربة من حدودهم على تأسيس امارة تقيهم غزوات العرب وتحجز بين حدود الفرس وحدود الروم •

والحيرة مدينة قديمة على بحيرة النجف وعن كثب من البادية ، كانت على ثلاثة أميال من الكوفة • ويبدو أن كلمة الحيرة سريانية (حرتا) ومعناها المعسكر وقد ذكرت باسم (ارثا) على أنها مدينة فارسية في كتاب غلاوكوس وفي كتاب ستفانوس البيزنطي •

وكانت المدينة من قصور محصنة ، ولم يكن حولها سور يحميها أو حصن يقيها ، لهذا لما سار اليها خالد بن الوليد (٦٣٣ م) ليفتحها تحصن أهلوها بقصورهم ، فساق خالد قطعانهم وأغنامهم الى زرعهم الذي لم يكونوا حصدوه ، فطلبوا المفاوضة على التسليم •

وكان أهل الحيرة منذ القرن الثالث الميلادي ثلاثة أصناف هم تنوخ وهم البدو النازلون غرب الفرات ، والعباد وهم السكان الاصليون الذين سكنوا المدينة وبنوا فيها ، والاحلاف وهم النازلون بالحيرة من غير هؤلاء وهؤلاء وسموا بذلك لتحالفهم مع العباد ، وهؤلاء السكان كلهم من العرب •

متى بدأ تاسيس الحيرة ؟

يظهر أنها بدأت في عهد أردشير (٢٢٦ ـ ٢٤١) اذ تأمر عليها مالك بن فهم الازدي • ثم خلفه ابنه جذيمة الابرش ، ثم تولى بعده ابن أخته عمرو بن عدي (٢٦٨ ـ ٢٨٨ م) وهو أول أمراء بني لخم آل نصر ، وأول من يعده أهل الحيرة من ملوك العرب بالعراق ، ثم تولى بعده الامراء من اللخميين ، واستمرت اماراتهم نحو أربعة قرون الى أن افتتحها خالد بن الوليد سنة ٦٣٣ م •

كان امراء الحيرة أو ملوكها يخضعون للفرس خضوعا اسميا ، وكان الفرس يعفونهم من الاتاوة ، لقاء حمايتهم للحدود ممن يغير عليها ، ومكافأة لهم على مساعدتهم للفرس في حروبهم للروم •

على أنهم بلغوا من القوة أحيانا الى حد المساواة بينهم وبين الفرس

والروم ، فحاربوا الفرس حينا ، وحاربوا الروم أحيانا مناصرين للفرس وموالين لهم .

ومن أعظم ملوكهم النعمان بن امرىء القيس المعروف بالنعمان الاعور (حوالي ٤٠٣ ـ ٤٣١ م) كانت عنده كتيبتان يقال لاحداهما دوسر وهي عربية ، ويقال للاخر الشهباء وهي فارسية ، فكان يغزو بهما ..

كذلك عظمت مكانة الحيرة في عهد المنذر الثالث الملقب بابن ماء السماء (حوالي ٥١٤ ـ ٥٥٤ م) وهو الذي رفض أن يعتنق المزدكية كما اعتنقها ملك الفرس قباذ ، فعزله قباذ ، فلما مات قباذ وخلفه ابنه كسرى أنو شروان نكل بالمزدكية وأتباعها ، وأعاد المنذر الى امارة الحيرة ..

ولقد زاد من مكانة المنذر أنه حارب الروم وانتصر عليهم مرات ، لهذا لما عقد الصلح بين الفرس والروم في عهد الامبراطور جستنيان عام ٥٢٢م كان من شروطه أن يدفع الروم لملك الفرس وللمنذر مقدارا متساويا من المال .
على أن الحيرة لم تكن حلقة اتصال بين العرب والفرس فحسب بل كانت هي وما جاورها مجمعا لاديان شتى في الجاهلية ، يدلنا على ذلك أن المسلمين فتحوها وعلى شواطىء دجلة والفرات فرس يعتنقون الزرادشتيه ، ونصارى يدينون بالمسيحية ، وأناس يتبعون المانوية ، أتباع لديانات قديمة وثنية بقيت منهم آخر طائفة هم الصابئة بحران حتى القرون الوسطى .

ـ ٣ ـ

كذلك اتصل الفرس والعرب عن طريق اليمن ، فانه لما احتل الحبش بلاد اليمن سنة ٥٢٢م لجأ سيف بن ذي يزن الى كسرى انوشروان (٥٣ ـ ٥٧٨م) فأنجده بجيش خلص اليمن من حكم الحبش ، وأخضعها لحماية الفرس .

ولقد ابتهج العرب بخلاص اليمن من الحبش ، فوفدت على سيف ابن

ذي يزن وفودهم تهنئه وحسبنا هنا الاشارة الى تهنئة أبي الصلت والـد أمية الشاعر المشهور وتهنئة عدي بن زيد العبادي .

جاء في تهنئة أبي الصلت قوله :

ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشره ... مـن السنين يهين النفس والمالا
حتى أتـى ببني الاحرار يقدمهم ... تخالهم فوق متن الارض أجبالا
من مثل كسرى شهنشاه الملوك له ... ومثل وهرز يوم الجيش اذ صالا

ثم قتل سيف بن ذي يزن ، ووثب الى الحكم رجل من الحبشة ، فأرسل كسرى انو شروان جيشا يقوده وهرز ، وأمره أن يقتل كـل مـن باليمن من الحبش ففعل ، وتولى الحكم ، وخلفه رجال من الفرس الى ان كان باذان على اليمن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

ـ ٤ ـ

ولا يصح ان ننسى في هذا المقام طريقا آخر مـن طرق الاتصال ، هـو التجارة ، وفي هذا المجال نذكر ان بني عبد مناف عاهدوا الامم المجاورة عـلى ان يترددوا عليها تجارا وكانت احدى هذه المعاهدات مع ملك الفرس ، وهـي التي عقدها نوفل .

والذي يتبع طرق القوافل ومسالك البحار يجد بينها مسالك الى الحيرة وحدود فارس .

كذلك كان الفرس يبعثون متاجرهم الـى أسواق العرب مثـل عكاظ والمشقة ، وكانوا يبعثونها الى اليمن ، وكانوا يستعينون بعرب الحيرة وغيرهم على حماية قوافلهم التجارية ، لقاء جعـل يقدمونـه لاشراف القبائل الذيـن يحمون القوافل ، وكثيرا ما كان حما القوافل يردون الجعل ان اعتدى أحـد على القافلة وعجزوا عن حمايتها .

ـ ٥ ـ

وثمة وسائل أخرى للاتصال ، منها ان الفرس استخدمـوا بعض العرب

في دواوينهم فقد كتب لقيط بن يعمر الايادي لكسرى وترجم له ، وكان عدي بن زيد العبادي من تراجمة كسرى ابرويز (٥٩٠ ـ ٦٢٨ م) ثم خلفه ابنه زيد في وظيفته وكان زيد والد عدي يقرأ العربية والفارسية .

ومنها ان بعض العرب رحلوا الى فارس ليتعلموا مثل الحارث بن كلده الثقفي ، رحل من الطائف الى جند نيسابور وغيرها من فارس ، فتعلم الطب والعزف على العود ويقال انه قابل كسرى أنو شروان ، ودار بينهما حديث طويل وحوار في الطب ومنها أن النضر بن الحارث هذا رحل الى الحيرة والى فارس ، فأجاد الفارسية واقتنى بعض كتبها ، وكان يعاند الدعوة الاسلامية بها فاذا تحلق الناس حول النبي عليه الصلاة والسلام ليسمعوا منه ، خلفه في مجلسه اذا قام وقال أنا يا معشر قريش أحسن حديثا من محمد ، تعالوا الي فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يقص عليهم قصصا عن ملوك الفرس ورستم واسفنديار .

كذلك رحل الاعشى الكبير الى فارس ، وعرف كلمات فارسية كثيرة استخدم بعضها في شعره ، وقد سجل رحلاته في قوله :

قد سرت ما بين بانقيا الى عدن
وطال في العجم ترددي وتسياري

وحسبنا من شعره الحافل بكلمات فارسية قوله في وصف مجلس شراب :

لنا جلسان عندها وبنفسج ... وسيسنبر والمرزجوش منمنما
وآس وخيري ومرو وسوسن ... اذا كان هنزمن ورحت مخشما

فها هنا أسماء لانواع من الورد بالفارسية ، والهنزمن عيد من أعياد النصارى ، ومخشم أي سكران شديد السكر .

هكذا كان الاتصال القديم ، وكانت آثاره متعددة ثم جاء الاتصال بعد الاسلام أعمق وأقوى فكانت آثاره أعظم وأبقى وأوسع .

المنتدى

الإسلام وكرامة الإنسان

من محاضرة : للسيد موسى الصدر

في حقل الاقتصاد يعتبر الاسلام لاول مرة في التاريخ ان عمل الانسان هو امر اساسي ذو قيمة يحرم اغتصابه . ويضمن المعتدي للمعتدى عليه مثل المغتصب للاموال . ويعتبر المانع للاجير اجرته من المرتكبين لاكبر المعاصي . وانه لا يشم رائحة الجنة .

ثم اذا لاحظنا مجموعة التعاليم الاسلامية في ابواب المعاملات في الفقه نصل الى نتائج مهمة تثبت ان العمل هو العنصر الاول بين عناصر الانتاج الثلاثة (العمل والآلة ورأس المال) وهذه النتائج قد تبدو غريبة الا انها حقيقة . ونحاول في هذه المحاضرة ان نعرض هذه التعاليم وتلك النتائج عرضا موجزا :

١ ـ حرم الربا في الاسلام تحريما قاطعا . والربا هو وضع ربح ثابت لرأس المال مصون من خطر الخسائر المحتملة .

٢ ـ اذا استعمل المال بواسطة غير مالكه في عقد يسمى في الفقه بالمضاربة . فالارباح تنقسم بالنسبة المحدودة بين العامل ورأس المال والعمل . أي سعي العامل المضارب . مصون من الخسائر . وتقتصر الخسائر على رأس المال .

٣ ـ لا يجوز اعتبار حصة من الارباح للالة . كما هو صريح عبارات الفقهاء في باب المزارعة والمكافأة ؛ بل يمكن احتساب اجرة للالة فقط .

٤ ـ تقويم العمل قد يكون بصورة اجرة عامل وقد يتحقق باشراك العامل في الارباح مثل المضاربة .

من هذه الاحكام نستخرج ان عنصر العمل له في الفقه الاسلامي ثلاثة امتيازات : الاجر الثابت والمشاركة في الارباح والصيانة عن الخسائر .

اما عنصر رأس المال وعنصر الالة فلكل منهما امتياز واحد . فرأس المال يشترك بالارباح دون الصيانة ودون الاجر الثابت . والالة لها الاجر الثابت دون المشاركة في الارباح . واعتقد ان هذا الموجز من العرض يقنع القارىء الكريم بوجهة نظر الاسلام الى عمل الانسان وبمقدار تكريمه له منذ البدء وقبل التطورات الحديثة .

الاسلام والعمل

والاسلام في حقل آثار العمل ونتائجه المتنوعة يعتبر ان العمل هو صيانة للعقيدة بعد ان كان من آثار العقيدة وبهذا يؤكد اهتمامه البالغ بالعمل انه كان عاقبة الدس اساءوا السوآى ان كذبوا بآيات الله وكانوا عنها معرضين) قرآن كريم .

وأخيرا فالمسؤولية عن العمل صغيرة وكبيرة تؤكد مقام الانسان العظيم في عمله . وتثبت تأثير اعماله . حتى الصغيرة منها . في العالم يشعر بهذه التأثيرات ام لم يشعر . (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قرآن كريم . (او ما تكون في شأن وما تتاو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تقتضون فقيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكثر الا في كتاب مبين) قرآن كريم .

وهذه المسؤولية هي ضمانة كبرى لصيانة عمل الانسان والمحافظة عليه وعدم هدره في الباطل وعدم انحرافه عن الخط الايجابي المفيد .

ويوحي الى هذه الصيانة التعبير بالطيبات والخبائث عن الحلال والحرام ويؤكد ان هذه المحاولة انما هي لاجل تكريم الانسان وتطهيره من الدنس والانحطاط • وفي الآيات القرآنية والسيرة المطهرة نجد التعبير عن المحرمات بصورة توضح هذا التفسير (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) قرآن كريم •

والافضل ان نؤكد بهذه المناسبة ان الاعتماد على مبدأ الحلال والحرام الذي يتبعه الدين انما هو لاجل المحافظة على عدم ذوبان الانسان وضياعه في العالم المادي المحيط به • فضلا عن المصالح الثابتة في الواجبات والمحللات والمفاسد التي توجد في المحرمات •

فالانسان اذا حاول ان يلبي حاجات جسده او ينجرف مع عواطفه دون تردد • فسوف يكون متأثرا بالعالم لا مؤثرا فيه • ولا يتمكن ان يكون قائدا للكون • ولا خليفة لله في الارض • اذ يصبح منقادا ذائبا فيها •

اما رعاية الحلال والحرام فتحتفظ باستقلال الانسان وتجعله مترفعا عن الذوبان مصونا من الضياع • حيث لا يكفي لتلبية الحاجة مجرد الحاجة• بل كونها حلالا أيضا •

وهذا المبدأ لا يتجاهل واقع الانسان وحاجاته • ولا يعتبر مجرد التخلف عن تلبية الرغبات كمالا • ولا يرى في محاربة النفس واضعاف الجسد تقوية للروح ورياضة روحية • ولا يجد تناقضا بين الجسم والروح • تلك المبادىء التي تعتمدها فرق التصوف وبعض المبادىء الاخرى •

ونضيف هنا الى اهتمام الاسلام بأمر النظافة وجعلها من الايمان • وهنالك مئات الاحاديث واردة في هذا الشأن ومستقاة من التعاليم الاسلامية• والنظافة ركن من كرامة الانسان •

الـراي والعقيـدة

أ ـ اما الرأي والعقيدة فهما ثمـرة تفكير الانسان ، ونتيجـة الجانب الاشرف من وجوده ، فقد اكرمها الاسلام وحاول ان يحافظ عـلى حريتها ، فترك امر التفكير والاجتهاد لمعرفة العقيدة الصحيحة ، تركـه للانسان واعلن ان العقيدة التي لا ترتكز على مبادىء التفكر لا اعتبار لها ولا يعذر الانسان الا اذا لم يتمكن من الوصول الـــى العقيدة الصحيحة بالرغم مـن التفكير والسعي ، (لا اكراه في الدين) قرآن كريم ،

ب ـ والنية الحسنة اعتبرت روح العبادة (وان لكل امرىء ما نوى) حديث شريف ، ولكن الانسان لا يؤآخذ بالنيات والافكار مهما كانت ما لم يتبعها عمل او قول ، ففي الحديث النبوي الشريف (ان اللـه رفع عن امته تسعة اشياء منها الوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما لم ينطق الانسان بشفتيه) ،

ج ـ ومن اجمل مـا يثيره الاسلام ويحافظ عليـه تكريما لـلانسان ونشاطاته المتنوعة هو دراسة الجهد الضائع فما اكثـر الطاقات التـي يبذلها الانسان في سبيل الخير ، فيجاهد باذلا ماله ووقته وخدماته ونفسه ، ولكنه لا يتوصل الى النتائج المطلوبة لعوارض بدت او موانـع حالت دون وصوله فيسقط في الطريق فينساه التاريخ لسبب ليس هو مسؤولا عنه ،

وما اكثر الطاقات التي تصرف وتحول الاخطاء دون انتاجها ونجاحها ، هذه الجهود الضائعة وغيرها من الاحساسات الداخلية التـي تصرف لاجـل اداء الرسالة المقدسة دون ان تظهر ، كل هذه الجهود مدروسة في الاسلام ، محفوظة حسب رأيه غير مهدورة ولا متنكر لهـا ، (ومـن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقـد وقع أجـره على الله) قرآن كريم ، (للمصيب اجران وللمخطيء أجر واحد) ، قاعدة فقهية معروفة ،

يتابع الاسلام مساعيـه لتكريـم الانسان وصيانتـه امـام الانحطاط

والانحراف • فيقترح ايجاد مجتمع انساني يتناسب مع واقع الانسان ويعترف بجميع جوانب وجوده ويهيء الجو الملائم لنمو مواهبه وتربية كفاءاته •

هذه الملاحظة تبدو ضرورية اذا لاحظنا تأثر الانسان بمجتمعه وانفعالاته الواضحة في اعماله واخلاقه وايمانه بالبيئة التي يعيش فيها •

وحيث ان الهدف من تكون هذا المجتمع هو الانسان والعنصر الاساس لايجاده هو الانسان ايضا • فلهذا يجب النظر الى واقع الانسان والتخطيط على ضوء هذا الواقع •

ان هذا المجتمع لا يكون شخصانيا « انديفيدوياليست » حيث ان هذا النوع من المجتمعات يتنكر لجانب اساسي من وجود الانسان وهو الجانب الاجتماعي من حياته • ولهذا سرعان ما ينمو الجانب السلبي النابع من النزعات الشريرة المعبر عنه في الاصطلاح بالانانية والتي يعبر عنها القرآن الكريم بالنفس الامارة بالسوء • ينمو هذا الجانب في الافراد حيث لا صيانة ولا تنسيق فتصطدم الانانيات وتضطرب الحياة الاجتماعية ويتغلب القوي ويستغل الضعيف • ثم يتحول الضعيف الى آلة فيفقد المجتمع البشري قسما من طاقاته • وبعد ذلك يتحول القوي ايضا الى آلة لمصالحه الانانية • والقوانين التي توضع في هذه الحالة تعكس الحالة القائمة ولا تخدم الحقيقة التي يجب رعايتها صونا للانسان • فيأخذ المجتمع الذي يتكون في هذا الوقت طابع الصراع الظالم وسيطرة القوي على الضعيف وسيطرة المصالح الخاصة على الجميع •

وهذا المجتمع لا يمكن أيضا ان يكون اجتماعيا « سوسياليست » اذ ان المجتمع الذي يتكون على هذا الاساس يتجاهل الجانب الآخر من وجود الانسان • أي الحرية والاستقلال ، ويعتبر الفرد جزءا للمجموعة نظير الاجزاء الطبيعية ، وفي مثل هذه الحالة يقتصر الامر على رعاية مصالح المجموعة ويخطط لها فقط •

والطابع الذي يأخذه المجتمع في هـذا التنظيم ينعكس عـلى الافـراد بصورة عفوية فيفقد الانسان صورته الاصليـة ولا تنمـو مواهبه الطبيعية المتنوعة فيحرم المجتمع من كثير مـن طاقاتـه وكفاءات افراده • ثم تنعكس صورة الافراد على المجتمع ايضا طبقا لقانون تفاعل الافراد مع المجتمع مـن كلا الطرفين ، فيحصل تناقض دائم في سير المجتمع وتقلب مستمر غير ايجابي في حياة الانسان •

الانسان وتكوين المجتمع

والحقيقة ان المجتمع الذي يقترحه الاسلام هـو المجتمع الذي يعترف بوجود الفرد بجميع جوانبه الشخصية والاجتماعية •

ولتوضيح هذا البحث نلفت نظر القارىء الكريم الى مـا ورد في اوائل هذه المحاضرة من وجود فطرة الخير في الانسان ونزعة الشر فيـه والصراع النفسي الذي يشكل الحرية والاستقلال في الانسان • ثم نقول ان ما يصدر عن الانسان من الاعمال الايجابية الخيرة هي التـي لا تتعارض مـع حقوق الآخرين وتنسجم مع مصالح المجتمع والمعبر عنها في الاسلام بأوامـر القلب السليم او النفس المطمئنة • اما الاعمال التـي تتعارض مـع حقوق الآخرين فهي رغبات النفس الامارة بالسوء ، حسب التعبير الديني •

ولا شك ان تحديد هذين النوعين من الاعمال يحتاج الى تحديد مفهوم الحق ، والحق جزء من التفهيم العام المقترح للمجتمع ، واثر ثابت ينبع مـن الاحكام العامة اللازمة مراعاتها من صلات الافراد بعضها مع بعض •

وبهذا التفسير الموجز نتمكن من تصور حرية الفرد في خط مواز لحرية الآخرين ومن تصور مصالح الافراد منسجمة مع المصالح الاجتماعية •

ومن ناحية ثانية نتمكن من الاحتفاظ بجميع طاقات الفرد الايجابية دون طغيان او تعد او حتى صراع بين الافراد والطبقات بل ان الامر يتحول الـى سباق بين افراد المجتمع مع قدسية حقوق الآخرين (وسارعوا الـى مغفرة من

ربكم) قرآن كريم • (واستبقوا الخيرات) قرآن كريم • والنشاطات المتنوعة الصادرة عن الافراد تلتقي بايجابية فيحصل التعاون والتكافل على مختلف الالوان والاشكال •

ومن التعاليم الاسلامية المعتمدة على مبدأ تكريم الانسان • اصل قداسة حاجات الانسان كلها• فالاسلام يعترف بجميع هذه الحاجات ويعتبرها نعم الله ويضع احكاما لتوجيه هذه الرغبات • ويعترف ان السعي لتلبية هذه الرغبات بالصورة المشروعة عبادة ، فالتجارة والزراعة والبناء عبادات والكد في طلب الرزق الحلال جهاد والاتقان في العمل عبادة والزواج عبادة ومن رغب عنه اعتبره نبي الاسلام انه ليس منه وقد جعل النبي في وصاياه لابي ذر الغفاري قاعدة تدل على ان المسلم يتمكن من ان يكون في عبادة دائمة حتى في حال النوم والاكل ولا يرحب الاسلام بترك تلبية الحاجات وبتجاهلها• وفي الحديث الشريف اعتبر الذين يتفرغون للصلاة ويتركون السعي لطلب الرزق ممن لا يستجاب دعاؤهم ، وفضل عليهم الذين ينفقون عليهم •

الاسلام والمجتمع

وفي عداد هذه التعاليم نجد محاولات واسعة للمحافظة على تنسيق جميع جوانب وجود الانسان ، وعدم طغيان ناحية على سائر النواحي •

وابرز انواع هذه التعاليم ما ورد في الاسلام بشأن المرأة من السعي لعدم طغيان جانب الانوثة على سائر جوانب وجودها ، ولهذه الغاية منعها من العمل للاثارة والاغراء ، لكي لا تذوب انسانية المرأة في انوثتها وعليه يجب الا ينظر اليها ولا تنظر هي لنفسها من هذا الجانب فقط ، حتى لا ينخفض مستواها وتفقد جوانب اساسية من وجودها •

ومن الحلقات البارزة في سلسلة التعاليم هذه الدعوة الى تكريم الآخرين ، فالواجب على كل مسلم احترام الآخرين في اشخاصهم واموالهم واعراضهم ويحرم عليه التعدي العملي والقولي بالنسبة اليهم •

ويبدأ الاسلام بمحاولة صيانة الانسان قبل ولادته فيأمر الراغب في الزواج باختيار الام الصالحة لاولاده (اختاروا لنطفكم) حديث شريف ، ثم يتابع هذه الرعاية طوال مدة الحمل وحالة الوضع والرضاعة وايام الصغر وادوار التربية ، ونجد مئات من الاحكام في هذه الحقول معتمدة على مبدأ تكريم الانسان •

ويبدو للبعض ان الاسلام في قرآنه وحديثه في بعض الاحيان يحاول التخفيف من قيمة الانسان فنجد في القرآن مثلا آيات كثيرة تؤكد ان اصل الانسان من تراب او طين أو ماء مهين أو من نطفة أو من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، ونقرأ في الحديث ان مبدأ الانسان امر حقير ونهاية الانسان وما بعد موته لا يشرفه وامثال ذلك من التعابير •

ولكن الحقيقة ان الاسلام يحاول ان يصون الانسان من الغرور والانحراف ، وخاصة في حالات الانتصار • (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) قرآن كريم ، يفتتن كثيرا بامواله واولاده ومجده فيقع في خطر نفساني مهلك •

ولعلاج هذا المرض يحاول الاسلام اعطاءه نصائح بألفاظ وتعابير مختلفة يبين له فيها ان تكريم الله للانسان وجعله موجودا سويا فاضلا ليس الا من ارادة الله ، في خلق هذا الموجود من اشياء لا تختلف عن بقية الخلق ؛ فالكرامة امانة من الله واعارة منه للانسان ، فلا يحق له أن يغتر بها • فجميع ما يملكه الانسان هو امانة الله بيده وعليه ان يؤدي الامانة بصدق واخلاص • (وانفقوا مما جعلكم الله مستخلفين فيه) قرآن كريم •

الاخوان غريم :
وأساطيرهما عن الجن
بقلم : سمير شيخاني

عرفت البلدان الغربية أهمية المطالعة في حياة الاولاد والاطفال فأوجدت مكتبة خاصة بهم زودها الادباء المربون بالكثير من المجموعات القصصية ، وكتب المعلومات والتواريخ التي تلائم اطوار حياتهم ، وتتفق واصول التربية الحديثة التي تقوم على أسس من علم النفس واكتشافاته •

والغاية من الكتب التي نخص بها الاولاد ليست ، كما يتبادر الى الاذهان ، حشد المعلومات في اذهانهم فحسب ، بل تنمية ملكة الاطلاع لديهم ، وتعويدهم على الاعتماد على أنفسهم في معرفة الحقائق وتحمل التبعات ، وتوسيع آفاقهم •

ونحن في البلدان العربية أخذنا نعنى في الآونة الاخيرة بمكتبة الطفل العربي ، وعسى ان تزداد هذه العناية مع الايام بهذا اللون الجديد من الادب • فأدبنا العربي القديم ينبوع لا ينضب معينه من القصص والأساطير والبطولات التي يمكن ان تزود ادباءنا بذخيرة كافية لتغذية أكبادنا التي تمشي على الارض ، وهم عماد مستقبلنا المشرق •

ففي الغرب خص كثيرون من الادباء الاطفال بأدبهم ، امثال لويس كارول ، وهانس كريستيان أندرسون ، ودانيال ديفو ، والكونتيس دوسيغور ، والاخوين غريم اللذين سنتحدث عنهما في هذه العجالة ، وعن كيفية جمعهم الاساطير الالمانية عن الجن التي ترجمت الى مختلف اللغات الحية في العالم ، واعتبرت ذخيرة من ذخائر أدب الاطفال •••

ولد يعقوب غريم سنة ١٧٨٥ ، وفي السنة التالية ولد أخوه فيلهلم ، في قرية هيسن الوادعة ؛ في مقاطعة هاناو الالمانيـة • غير انهما لـم يفطنا الـى ضرورة جمع الاساطير المحلية وقصص الجن المختلفة ، وحفظها للاجيال المقبلة، الا حين هبطا مدينة كاسل ، عاصمة وسفاليا سنة ١٨٠٥ واستوطناها •

كان يعقوب غريم ، وقتئذ ، أمين دار كتب الملك جيروم بونابرت ، مالك وسفاليا ، وشقيق نابوليون الاول • وكان الاخوان غريم يعرفان جيـدا ان مسقط رأسهما هيسن ؛ بجباله الشامخة وغاباته الكثيفـة الفسيحة ، يزخـر بالاساطير الرائعة • لم يكونا بحاجة الى تجشم مشاق الاسفار ليصبحا وسط دنيا الاساطير ، بل كانت أبواب هذه الدنيـا مفتوحـة لهما عـلى مصراعيها خارج كاسل نفسها وفي ضواحيها •

في ذلك الوقت سنة ١٨٠٦ كانت تعيش في قرية نيدرتسفهرن ، الواقعة في ضواحي كاسل ، فلاحة تدعى دوروتي فيمان • وقيل للاخوين غريم انهـا تروي عددا كبيرا من قصص الجن • وهي من عائلة ألزاسية نزحت عـن متز ونزلت في هيسن حيث اتخذت لها مقرا في نزل متواضع في قرية رنغرهاوسن• وفي اثناء اضطلاع والدي دوروتي بادارة هذا النزل الحقير ، كانت الابنـة ما تزال طفلة ؛ تجلس كـل مساء تصغي الـى القصص والاساطير يرويهـا المسافرون الذين يعرجون على نزل والديهـا ليقضوا لياليهم ويستريحوا من عناء السفر •

وهكذا عقد الاخوان غريم النية على زيارة دوروتي فيمان ، وكانت قد اشرفت على الخمسين • وصفها يعقوب غريم ، قـال : « كان مظهرها ينم عن الكثير من القوة والفهم ؛ والدعـة ••• كانت عيناها الواسعتان تنمان عـن ذكاء وصفاء في الذهـن والتفكير •• وكانت ، الـى هـذا كله ، ذات نظـر ثاقب » •

وكان الاخوان غريم يترددان على دوروتي بانتظام بعد زيارتهما الاولى لها • يجلسان اليها كل يوم في المطبخ ، فتسـرد عليهما القصص والاساطير التي

وصلت اليها بعد أن ترددت على ألسنة الكثيرين من الرواة خلال العصور الطويلة .

كان سرور الاخوين عظيما بهذه القصص والخرافات تسردها عليهما دوروتي . وقد كتبا لمناسبة اصدارهما مجموعتهما القصصية المشهورة يقولان : « انما توخينا ، في جمعنا هذه الاساطير ، الدقة والصدق ، فلم نزد شيئا من عندنا على ما نقلته الينا رواتها ، ولم نلجأ الى التمويه أو تزويق الحوادث ، بل احتفظنا بالمادة كما وصلت الينا كاملة غير منقوصة دون ان ينالها أي تحوير ... »

ووجد الاخوان غريم أن ثمة قصصا مختلفة تكمل احداها الاخرى وفي الوسع ضم بعضها الى بعض لتأليف قصة واحدة . ولاحظا انهما في عملهما هذا الممتع في جمع أقدم قصص الجن الالماني انما وقعا على مفتاح ميثولوجيا الشعب التوتوني القديم . فكان عملهما هذا حافزا لسائر الادباء في العالم بأسره كي يتنبهوا الى أهمية أساطير بلدانهم وقصصها الشعبي ، وضرورة تداركها قبل أن تندثر .

وفي العام ١٨٥٠ كتب الاخ الاصغر فيلهلم غريم يقول : « لما ظهرت مجموعتنا القصصية كانت فريدة في نوعها ، ولكن ما لبث هذا الحقل القصصي أن أخصب وأعطى ثمارا طيبة ... كانت نظرة الجميع الينا والى عملنا ، أول الامر ، نظرة استخفاف ورثاء . أما اليوم فقليلون جدا أولئك الذين يستخفون بعملنا ... »

كانت دوروتي فيمان من رأي الاخوين غريم بوجوب تقديم هذه القصص الى القراء تقديما صحيحا لا يشوبه أي تحوير أو زخرف . وكانت تعتقد اعتقادا راسخا بهذه الخرافات التي شبت بينها وعاشت فيها . وكثيرا ما كانت تذهب بنفسها لزيارة الاخوين غريم في منزلهما بكاسل (وقد أصبح هذا المنزل في المدة الاخيرة حانوتا لبيع التبغ) فتعود من عندهما حاملة الهدايا على اختلافها في مقابل القصص التي كانت ترويها لهما . وكان

جيرانها يحسدونها لحظوتها عند هذين الاخوين •

لم يتبدل تبدلا كبيرا هذا القسم من المانيا حيث عاش الاخوان غريم • فهو اليوم كما كان منذ طرد هانسل وغريتل من البيت وهاما على وجهيهما في الغابة ، او منذ كانت راعية الاوز تسوق قطيعها امامها في المروج الخضراء الفسيحة ••• ففي هيسن نفسها يشعر المرء انه في المهد الحقيقي لاساطير الجن • ولا يستبعد ان يقف الفلاحون الالمان اليوم امام نوافذهم ، والثلج يتساقط في الخارج فيكسو الغابات والرواسي الشامخة حلة بيضاء ، وان يتساءلوا عن هذه او تلك من الجنيات ، ويتشوقوا الى رؤيتها •

ففي قرية هيسن وغيرها من القرى المجاورة لها حيث تنتشر الاكواخ المتواضعة بقرميدها الاحمر الابرش ، يمكننا ان نلتقي كل يوم صبيا يرتدي سروالا قطنيا ، ويضع على رأسه قبعة يغرز فيها ريشة من ريش الاوز ، وهو يسير بين قطيعه • اتبعه تجد نفسك وسط اكواخ من الجص ، انيقة المظهر ، سوداء وبيضاء ، تقوم على حافتي شارع القرية الرئيسي • حدق الى هذه الاكواخ تر جدرانها مكسوة بالزخارف والنقوش ، ورسوم سلال ملأى بمختلف انواع الرياحين • وفوق عتبة الباب تطالعك آية من الآيات الحكيمة مع تاريخ بناء الكوخ او ترميمه واصلاحه • وبجانب كل كوخ منها تقوم كوم الزبل ، اثمن ممتلكات الفلاح ، تمرح بينها الخنازير والفراخ وتمرح وتتنازع السيطرة • وفي جانب من جوانب رقعة الارض التي تحيط بكل كوخ يكدس الفلاح حطبه بدقة وعناية ليدفيء ايامه ولياليه الباردة •••

ان منظر هذه الاكواخ ليوحي الى الناظر باساطير الجن فيتوقع ظهور احدى العجائز القبيحات من خلال هذه النافذة او تلك الكوة •••

اما في الغابة فان المرء يقترب اكثر فاكثر من اساطير الجن ••• فهنا وسط اشجار التنوب والسندر تسهل معرفة الطريقة التي نشأت بها الاساطير عن الجن في مخيلة الفلاحين ، واصبحت حديثهم اليومي يتناقلونه خلال الاجيال كأنه حقيقة واقعة •

بيروت — سمير شيخاني

شعراء كربلاء المعاصرون

علي محمد الحائري

بقلم: سلمان هادي الطعمة

هو الشاعر علي بن الشيخ محمد بن الشيخ زين العابدين الحائري .
ولد في كربلاء سنة ١٩٣٣ م ، وانهى دراسته الابتدائية والمتوسطة والاعدادية فيها ، وتخرج في الدورة التربوية عام ١٩٥٥ م وعين معلما في مدارسها ، ورغب في اكمال تحصيله العالي ، فانخرط في سلك الدراسة الجامعية ، ودخل كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية ـ بجامعة المستنصرية ببغداد ، وتخرج فيها سنة ١٩٧٣م ، وهو اليوم يمارس مهنة التعليم في كربلاء .

ولع بقرض الشعر في اوائل الخمسينات ، وبدأ محاولاته الشعرية عموديا ملتزما اوزان الخليل . ومن هواياته المفضلة مطالعة الآداب العالمية عامة والتربوية خاصة بأنواعها المختلفة ، فهو لا يفتر عن مطالعة الآداب الفارسية والانكليزية ، عرف بعمق التفكير والنظر الصائب الى الحياة ، ولم تشغله متاعب التدريس عن قرض الشعر والمطالعة ، فقد اظهر نشاطا ملموسا في المناسبات الدينية التي تعقد في كربلاء ، فضلا عن مساهمته في نشر القصائد بأمهات المجلات العربية .

يتصف شعره بالرصانة والمحافظة وحسن السبك واشراقة الديباجة وانتقاء الكلمة المؤثرة ، وتغلب عليه مسحة الكآبة والتشاؤم ، وينزع في نظمه الى اتباع الطريقة التقليدية التي تتصف بعدم الخروج عن الاوزان والقوافي

المعروفة في التراث الشعري •

شاعرنا مكثر ، يكتب بدماء قلبه ووجدانه وعواطفه • وله ديوان مخطوط باسم » الركب الضائع « توجد نسخته في خزانتي الخاصة • وفي الديوان قصائد وطنية رائعة ، وقصائد في وصف الطبيعة وقصائد غنية • ويطغى شعر الالم على عدد غير قليل من المقطعات والقصائد التي يحفل بها ديوانه • وفي شعره الوطني يعكس أحداث الامة العربية من حوله ويدعو قومه الى الوحدة وجمع الصفوف •

وهذه صورة مستمدة ترسم الواقع الذي آلت اليه فلسطين السليبة ، حيث اصبحت تئن تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي ، وقد قال :

أغيري خيول النصر والصارم الذربا   وهبي كهول الزعزع الغمر اذهبا
ودكي على العلج المغير خصوبة   وسوميه ذل العيش والموت والجدبا
لقد آن أن نستأصل الشر أمة   من العرب ما كلت سواعدهم رهبا
من القوم خواضي دماء عداتهم   بلتهم رحى الهيجا فكانوا لها قطبا

ومنها قوله :

ذكرتك (أولى القبلتين) وجانحي   يؤج بنار الثأر محتدما جنبا
واقسى دوي الصافنات يقودها   لنصرتك (الفاروق) قد ملأ الرحبا
و (حيفا) و (يافا) جنتان قطوفها   دوان ولكن هالني قطفها غصبا
أيرتع فيها الوحش جذلان آمنا   ويدرأ عنها الطير زجرا ولا تعبا
وتلك لعمر الحق اكبر سبة   تصب علينا الويل ان لم نثر غبا

وللشاعر صور حية تعبر عن وثبات النفس ورسم العواطف الوطنية الحية ، ففي قصيدة (الجزائر ارض البطولات) ينقلنا الشاعر الى أيام احتدام المقاومة الجزائرية لعصابات الاحتلال الفرنسي ، فينشدنا قائلا :

حي البطولات دالت دونها الدول | لم يفلل البغي الا السيف والاسل
حي المنايا على أرض الفداء ومن | في الخافقين سرت من عزمهم مثل
حي الضحايا على اشلائهم رفعت | هام البلاد وشيد النصر والامل
ازاهر عبقت في ارض ملحمة | تقاعس النكس عنها وافتدى البطل
طلاب حق شداد في طلابهم | لكالقساور اما زعزع الجبل
ومن تآزر بالايمان مأربه | فليس تبعد عن اقدامه القلل

والشاعر يدعو لوطنه بالحرية والاستقلال وبالحكم الوطني الصحيح المعبر عن ارادة الشعب وآماله في الحياة الحرة الكريمة . ففي قصيدة (الى تموز) ينبري الشاعر ليكشف عن احاسيسه الوطنية الرفيعة ، أليس هو القائل :

ايه تموز سلاما نفحة | ارج الطيب ووفقا من هوانا
زفه النهران مذ صنتهما | من هوان واذاباه حجانا
انت أنبت على شطيهما | كرمة العز فعصرنا الدنانا
وثبت السحر هنا وهنا | واجتثثت الشر مرعوبا مهانا
وعلى سيماك اعراس المنى | قد اقامت من حبور مهرجانا
نشوة الظافر لن تعدله | سعة الدنيا زهوا وافتتانا
فجر تموز أذان هزنا | والى التحرير احرارا دعانا
صرخة دوت فما من مسمع | غشيته ثم لم يطرب كيانا
ونشيد هلل الكون له | ودعاء جل من لبى دعانا
صاح يا شعب انتفض من رقدة | وافصم القيد ولا تعشو جبانا
امة لم ترض بالضيم فلم | تستبح عرضا ولا سيمت هوانا

وللشاعر صور وجدانية رقيقة غنية بروحها الفني ؛ وفيها تصوير رائع للجمال ، وحسبنا دليلا على ذلك قصيدة (هيفاء) اذ يقول :

هيفاء يا نسمة رخاء | تهب من عبقر الطيوب

يا سؤر أيامنا الخوالي أبقت لنا أكؤس الخطوب
فضي لنا من لماك زقا وأشعلي الروح باللهيب
وسلسلي الشهد من رضاب بثغرك المفلج الشنيب
صهباء في الخلد قد أعدت فما لها الدهر من ضريب
(رضوان) قد عصرت يداه هناك من كرمها الرطيب
نهداك قد أوهنا اصطباري واضرما النار في جنوبي
أتفرغ الكأس من حميا أيسكت القلب من وجيب ؟
أيحرم الطفل من حنان ايطرد الظبي عن كثيب ؟

وفي قصيدة (ليالي الشوق) تمكن الحائري من ابراز مشاعره وتجربته الفنية بأداء رائع ، ففيها ظهر كمصور حاذق ، اذ يقول :

في سكون الدجى وفي سبحات النفس تغزو رؤاك قلبي الشجيا
آلقات تحدو بهن الاماني موكبا زانه الجمال بهيا
يتزاحمن والطيوف بجفني فيطير الرقاد عن ناظريا
يا لها من دنا الهوى ذكريات حملتها الصبا وخفت اليا
بورك الحسن فوق عرش دلال اين منه السها واين الثريا ؟
لك مني محراب قلبي يا من تخذت فيه معبدا أبديا
يا ملاكا تأبى السماء ربوعا كيف تهواه عالما أرضيا
ما لقلبي يزيد فيك هياما كلما اردف الصباح العشيا
كلما ضاءت السماء نجوم وسرت نسمة ودارت حميا
يا ليالي الشوق برحه الشوق وحاقت به الشجون غويا
سهدته الذكرى فذاب فؤادا واكتوى لوعة ومات أسيا

وشاعرنا الحائري شغف بالطبيعة وهام بها ، ففي قصيدة (لبنان) تراه قد بلغ الغاية من توقد الذهن وكمال الذوق ورهافة الحس ، حيث يقول :

ضمني لبنان في رابية من روابيك وفي حضن أجم

انا من ناغاك في بعد النوى ودعي طيفك في الطرف الكلم
قسما بالاعين النجل وما يختلسن اللب منا والذمم
وبما ماس قوام أهيف ربما غنى حمام ونغم
وبما حلق نسر شامخا فوق اجبالك فذا محتشم
وبما رقرق من أعيننا دمعة اللوعة ايان ألم
أنا لا أسلاك ما زال الهوى جانح الصب وما طرف حلم

وللشاعر مراث تكشف عن روح حماسة وعواطف ثائرة ، وهنا يخاطب ابا الاحرار الامام الحسين بن علي شهيد الحق والعدل فيقول :

أبا الثوار يا ألقا منيرا ويا افقا تعداه الدجون
ويا بطلا اذا الابطال جفلت اياديها واذ غشيت عيون
نفرت الى مقارعة المنايا ومثلك لا تطاوله الظنون
ومثلك لا يرى الدنيا غلابا على سقط مغالبه المهين
لانك من معين ليس أصفى ومن نفر تفقدها القرون
شهيد الحق ما برحت دهور كما خلفتها بالامس جون
رواء بالمظالم وهي عطشى حسان بالمظاهر وهي دون
وما برحت يد تسدي انعتاقا تغللها يد طبعت قيون

وفي رثائه لصديقه الشاعر الاستاذ السيد مرتضى الوهاب استطاع ان يكشف عن لوعته وأساه بعبارات تتفجر حزنا وألما ، فيقول :

ما بال قلبك ملتاع به الجلد كأن فوق حناياه ثوى أحد
أهبت بالامل المكلوم خاطره اكل يوم مضيف عنده نكد
وبالمدامع عبرى تستهل دما أيان يرقأ جفن مثخن كمد
فقد الاحبة لاسقيت علقمه نار تكاد به الاكباد تتقد
اقول للطائر المدمي مخلبه لقيت شر مصير ما لقى أحد
لقيت هيض أضاليع وأجنحة لقاء ما اقترفت في الخلق منك يد

ويـا مطارح آمـال يظللهـا حلم ويأسر مـن جناتها رغد
لا بد ان يتولى الموت ساحتها ويستحيل طلـولا تلكم العمد
هذا المطاف الى شر المآل وذي الشم الفساح يغطي سوحها لحـد

وهنالك قصائد أخر في التهاني والموشحات والحماسيات والاخوانيات تنبيء عن موهبة شعرية جديرة بالفخر والاعتزاز •

ان شاعرنا الحائري يجنح الى التجديد في كثير مـن قصائده ، فيبلـغ منزلة عالية من الاجادة والابداع •

واخيرا فالشاعر علي محمد الحائري خفيف الـروح ؛ لطيف المحضر ، فكه الحديث ، لا تكاد تمل مجالسته لسلامة منطقه وعذوبـة بيانـه ، وكم تمنى لو أتيح للشاعر نشر ديوانه هذا ليطلع عليـه القراء ، فان شعره حري بالعناية والدرس ؛ لما فيه من مواضيع ذات اهمية بالغـة بالنسبـة للجيـل المعاصر ، حيث يفتح امامه أبوابا واسعة من التوعية والتوجيه •

كربلاء ـ العراق **سلمان هادي آل طعمة**

عضو رابطة الادب الحديث في القاهرة

النـاس ثـلاثـة

* قال الحسن بن علي : الناس ثلاثة ؛ فرجل رجل ، ورجل نصف رجل ، ورجل لا رجل • فأما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة ، واما نصف الرجل فالذي له الرأي ولا يشاور ، وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي لا رأي لـه ولا يشاور •

السعادة عند الشعراء

بقلم : خضر عباس الصالحي

السعادة ضد الشقاوة ، وكل انسان في هذه الحياة يتطلع دوما للوصول الى السعادة ، ويتوق بلهفة حارة الى قطف ثمارها ، ويرغب رغبة عارمة الى تذوق حلاوتها ..!

ومن أغرب ما نشاهده في واقعنا المحسوس ان جميع الناس يشكون هموم الدنيا وآلامها ، ويضيقون ذرعا بالمشاكل التي يصادفونها ، والمشاغل التي يلاقونها ، ويضجون بالشكوى المريرة ، ويجهرون بالتذمر والضجر والسأم حتى ان أحد الشعراء العرب وصف هذه الحالات النفسية السائدة في المجتمع فقال :

كل من تلقاه يشكو دهره   ليت شعري هذه الدنيا لمن

ومن خلال تجاربي الحياتية وجدت السعادة شيئا نسبيا فالمريض سعادته في الشفاء ، والغريب في عودته الى أرض الوطن ، والفقير في نيله المال ، والطالب في احرازه النجاح ، والعاشق في لقاء حبيبته ... وهلم جرا ...

والمتنبي الشاعر الحكيم ، والجبار المعجز المولود بالكوفة في السنة « ٣٠٣ » الهجرية ، والمقتول بالقرب من النعمانية في السنة « ٣٥٤ » الهجرية فانه يجد العبقري الواعي على الرغم مما يملكه من مواهب علمية أو أدبية ، وما يتحلى به من ثقافة واسعة ، وانها بلا شك هي السعادة عينها ، ولكنه يراه يعيش في شقاء دائم ، ويأس قاتم ، تستولي عليه روح التشاؤم والقنوط ، وذلك لرهافة احساسه بما يناله في مجتمعه من اضطهاد واجحاد ، وشعوره بفقدان المثل العليا ، وانعدام العدل الاجتماعي ...

في حين يرى الجاهل سعيدا بحياته ، عريض الآمال ، وردي الاحلام ، مقبلا على الدنيا بكل حماسة واندفاع ... مع ان الجهالة هي الشقاوة نفسها ، وذلك لبلادة احساسه ، وعدم مبالاته بما يجري في مجتمعه من مظالم نكراء ، واستلاب للحريات ، واجهاز على المفكرين الشرفاء فيقول :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

اما الشاعر التونسي المعروف ابو القاسم الشابي المولود في قرية الشابية بتونس في السنة « ١٩٠٩ » الميلادية ، والمتوفي في السنة « ١٩٣٤ » الميلادية فيرى ان السعادة هي أخذ الحياة على علاتها سواء أكانت ملأى بالمنغصات ، أو حافلة بالمسرات ، فما على الانسان الا ان يبتسم ، ولا يدع الابتسامة المشرقة تغادر شفتيه ؛ وليرقص ان كان واقفا على الورد أو على الاشواك ، ولتهتز نفسه طربا وانشراحا ان غنت له الطير ، أو لامست أذنيه اللعنات والشتائم ، أو تساقطت عليه النيازك والشهب من السماء ... ومن يصبو الى حياة الدعة والطمأنينة التي لا يرنق صفوها الحزن والندم ، فلينصرف عن معاشرة الناس ، وليترك دنياهم العابثة ، وضجيجهم الصاخب ، وما وضعوا لنظام عيشهم من تقارير ، وما رسموا له من تصاميم فقد قال :

خذ الحياة كما جاءتك مبتسما في كفها الغار أو في كفها العدم
وأرقص على الورد والاشواك متئدا غنت لك الطير أو غنت لك الرجم
هذي سعادة دنيانا فكن رجلا ان شئتها ـ أبد الآباد ـ تبتسم
وان أردت قضاء العيش في دعة شعرية لا يغشي صفوها ندم
فأترك الى الناس دنياهم وضجتهم وما بنوا لنظام العيش أو رسموا

ولا شك ان أبيات الشابي هذه هي صدى لروح أبي الطيب المتنبي مالىء الدنيا ، وشاغل الناس حين قال في اعتداد وثقة عالية بالنفس :

لا تلق دهرك الا غير مكترث ما دام يصحب فيه روحك البدن
فلا يدوم سرور ما سررت به ولا يرد عليك الفائت الحزن

وأما الشاعر ايليا أبو ماضي المولود في قريـة المحيدثة بلبنان في السنة « ١٨٩٠ » الميلادية ، والمتوفي بنيويورك في السنة « ١٩٥٧ » الميلادية فقـد اشتهر بأنه حامل لواء التفاؤل والابتهاج والغبطة فهـو يرى السعادة كالملكة المحفوفة بالحرس المدجج بالسلاح فلا وصول لعرشها مطلقا اذ دونها خـرق القتاد ، اللهم الا بأجنحة من الاوهام والخيالات البراقـة ، ويشبهها بصورة زيتية قد أبدعتها ريشة رسام بارع ، حيث نـرى الشط الـذي ترسو فيـه المراكب ، وتعوم في مجراه السفائن ، ونكاد نسمع رعشة حبال المراسي ... ولكننا عندما نقترب من هذه الصورة الجميلة ، ونلمسها بأيدينا لم نلـق غير الصبغ والقرطاس ... انها مجرد أخيلة كاذبة تراود النفوس الحائرة والموغلة في المتاهات السحيقة ، ومحض برق خلاب يخطف الابصار ، ولا يترك أثـرا ملموسا فيقول :

وأرى السعادة لا وصول لعرشها ... الا بأجنحـة مـن الوسواس
فكأنمـا هـي صورة زيتيـة ... للشط فيـه مراكب ومـراسي
تبـدو لعينيك السفائن عومـا ... وتكـاد تسمع رعشة الامراس
لكـن اذا أدنيتهـا ولمستهـا ... لم تلـق غير الصبـغ والقرطاس

وفلسفة أبي ماضي يدور اغلبها حول دعوة الناس الـى خلـق الاجواء المفرحة من اللاشيء ، واظهار عدم المبـالاة بالقضايا الحياتيـة ، والانطـلاق بأفكارهم في دنيا الخيال المترامي الابعاد ، ومن اشعاره بهذا المعنى قوله :

اذا أنـا لم أجـد حقلا مريعـا ... خلقت الحقل في روحي وذهنـي
فكادت تمـلأ الاثمـار كفـي ... ويعبق بالشذا الفـواح ردنـي

ولكن غطى على كل ما قلنا رأي جديد في السعادة ارتآه الشاعر أحمد الصافي النجفي المولود في النجف الاشرف في السنة « ١٨٩١ » الميلادية حينما قسم السعادة الى قسمين سعادة الدنيا ، وهي التـي يتحدث عنهـا الناس ، وسعادة عليا غير ما نعرف ، وقد عبر عنها لنا بهذه الابيات حين قال :

لا أشتكي الحرمان مـن دنيائي لأن عنـدي لـذة العطـاء
ليس عطـاء البذل مـن ثرائـي جريـا عـلى سـيرة الاغنيـاء
يغرق ليـل الجهـل بالضيـاء جريـا عـلى سـيرة انبيائـي
أسعد أهـل الارض والسمـاء برغم مـا عانـوه مـن بـلاء

ان الاستاذ الصافي في أبياته الاربعة الرائعة يوضح لنا بغير لبس ، ولا ابهام ان السعادة الحقيقية ليست بالحصول عـلى الاموال الطائلة ، وأمتلاك القصور الباذخة ، وتبوىء المناصب الرفيعة ، وانما هـي تكمن في اقدام المرء على العطاء والبذل والتضحية لاصلاح الاوضاع الفاسدة ، وترسيخ قواعـد المجتمع الانساني المرفه ، ونشر القيم الاخلاقية الفاضلة ... انهـا الايثـار والسخاء ونكران الذات في مجال خدمة الجماهير ، والانفتاح عـلى الحيـاة المتطورة ، والاندفاع للقيام بالممارسة الفعلية لعمل كل مـا يعود على الناس بالخير والنفع ... اننا حين نهدف الـى السعادة يجب ان نتجاوز نفوسنـا وأشخاصنا وانانياتنا الى ما هو أعلى منها جميعا ، الى خير الانسانية ..!..

وزبدة الكلام ان السعادة هي تحقيق الحياة الفضلـى ، وتوفير العيش الارغد لكل انسان يدب على الارض ، ولا تتأتى مثل هذه الحياة ، ولا ذلك العيش الا بالعمل الجاد المثمـر ، والسعـي المتواصل المخلص ... فلنشـق طريقنا السوي بالعرق المتصبب من الجبين الشامخ شموخ الشمس ، وبكـد اليمين الذي لا يعرف الكلل والملل حتـى نبلـغ طموحاتنا المثلـى ، وننتزع أهدافنا الكبرى من أيدي سالبيها ..! ..

بغداد ـ العراق خضر عباس الصالحي



رسالة

مواطن إبداع

للسيد علي ابراهيم

لم يكن شاعرا ولا كاتبا ، عناه من الكلمة التعبير الصادق عما يختلج في ذهنه ، أما الاداء الجميل والاهتمام بالصور الادبية الرائعة فليست من اهداف ابي جميل ، المزارع الذي نشأ مع الارض وحبس عليها حبه وحنانه فلم تتيسر له أسباب الثقافة والاطلاع على الكتب الادبية ، وان كان شغوفا بالزجل اللبناني ومن هواته ، الذين يقصدون مجالسه ولا تفوتهم منه سانحة، وربما عمد لانشاء مقاطع عندما تدعوه لذلك مناسبة ، له مع الحياة قصة طويلة ابتدأت منذ ثمانين عاما ولا يعلم غير الله متى تنتهي .

يذكر عنه المواطنون انه احب ولم يكره ووصل ولم يقطع ، أزهرت من عنايته الشجرة فطاب له منها الجنى ، وابتسمت مروجه الخضر فكان مثلا صالحا للعامل المجد الذي لا ينثني امام عقبة كؤود ، واذا دعاه للمروءة داع لم تتعثر خطاه في الطريق ، صدق مع الناس وكان قريبا من عقولهم وقلوبهم فوثقوا به ولم يرد طلبه قادر على اجابته ، وان ابتدأه جاره بالحسن طمح ببصره للمستوى الرفيع من الكرم والاريحية فلم يقف بمبادلته عند حدود الوفاء .

قلت لنفسي : أليست هذه السمات مواطن ابداع ؟ لم لا نعتني بامثالها عند عامة الناس ونعكف على الكنوز المخبوءة فنجلوها للعيون ؟ لقد طال وقوفنا بين الاطلال والدمى ونسينا خصب الحياة في الاحياء ، وأولئك الذين

يملكون من قوة العطاء ما يدفع المسيرة وينير السبيل امام القافلة ثم أبتعدت عن أبي جميل وتركت القرية دون ان تغيب عن العين والقلب ذكرياتها ، وكلما لقيتها من جديد شعرت بأنني مشدود لايام طفولتي وملاعب صباي بهوى وحنين لا تقوى عليهما الليالي والايام ، وكيف أنسى الالق والبهجة ، والنسمة المنعشة والنغم الحنون ؟ كيف انسى دنيا الهناء والصفاء ، والاماني والاحلام ، يوم لم يكن عندنا من هموم الحياة غير الغدو مع الطير لمنابع المياه وظلال الشجر ، حيث نجني الثمار ونمرح في السعادة والنعيم ، وقيل لي ان أبا جميل مريض قعدته منذ أيام سائلا عن حاله وعما فعلت به السنون ، فاذا به كالشجرة العارية من الورق أيام الخريف ، يجيل في نظرته الحالمة ويقول : ان دنيانا الزاهرة التي تعرف آخذة بالانحدار ، ليست كعهدنا بها يوم عشقنا الجمال في كل شيء وتبعنا آثاره ، لقد ذهب جيلي الذي عشت معه وبقيت ، أصبحت غريبا لا أرى حولي من أصدقائي ولداتي أحدا فأسأل الله ان يختارني للقائه ، وكنت استمع اليه ويتردد في خاطري بيت من الشعر القديم :

اذا ما مضى الجيل الذي انت منهم　　فتصبح في الجيل الجديد غريبا

وأعود للايمان بالحياة والوطن فاستمد منه أملا جديدا ينير نفسي اذا خيم عليها الظلام .

آفاق الفكر والقلب

لم تقتصر عناية سليم على الوظيفة وحدها وان احتاجت لكثير من الجهد والكفاءة نظرا لاهميتها وعلاقتها الوثيقة بالناس ، فقد نالت الزراعة نصيبها من وقته واهتمامه ، وكان له بين الكتب الادبية ساعات تأمل وعطاء ، هو في الوظيفة ملتزم يطبق النصوص الواضحة التي بين يديه فلا مجال عنده لتأويل بعيد عن المعنى المقصود ، عرف المواطنون نهجه فأحبوه ولم يجد عندهم ما يكره طالما أنه يخدمهم باخلاص ولا يفرق بينهم ، يضاف الى ذلك

وداعة وصفاء تشعر صاحب الحاجة انه يأخذ حقه فليس لاحد عليه منة ، أحب عمله ورضي عنه ووهبه الله نعمة التواضع ، وأدب نفسه فلم يلتفت لمن ساعده الحظ فأحرز المراتب العالية ، ولم ينتقص حق موظف قعدت به المهنة عن المسيرة او زققت الاسباب والظروف حائلا بينه وبين المركز الذي يليق به.

وهو مع عاشق يغنيه الهوى ، يؤمن بأنها الجوهر الذي ينبغي الحرص عليه وتعهده بالعناية والرعاية ، فهي مصدر الخير والبركة ، ويرد اليها فضل العطاء ، يتفقد قطع الارض الصغيرة التي يملكها في القرية ، فيشذب فرعا ، أو يروي أصلا ، او يقتلع نبتا متطفلا على الحقل يوشك ان يفسد الجوار ويضر الصالح المفيد ، ويهتف بالعامل الذي يساعده مشجعا له قائلا : تقدم يا أخي ، فلنا مع القطاف والجني بالغد القريب حديث شيق ، يسرك ويملا قلبك وعينك بهجة وسرورا ، ولم تنته عند سليم بعد آفاق الفكر والقلب ، فله بين الكتب ساعات يأوي اليها ، علما منه بان الانسان لا يقوى على ادراك الحقيقة ومعرفة السلوك الصحيح ان لم ينهل من معين الكتاب ويسعى بواسطته لبلوغ الافضل ، ينسى نفسه في ساعات القراءة ، ساعات التأمل والنجوى ، ويحس بأنها نصيبه الاوفى من نعم الحياة فلا يمل من البحث والتنقيب ، جاءني ذات يوم سائلا عن المقصود من قول المتنبي :

لحا الله ذي الدنيا مناخا لراكب فكل بعيد الهم فيها معذب

ويقول : أصحيح يا ترى ؟ ان بعيد الهمة ذو النفس الابية هو المعذب وحده في الحياة ، وان السعادة للمغفلين البسطاء ، فقلت يا صديقي : من يستطيع ان يحكم على السعادة ويحدها وهي تختلف باختلاف الاذواق والميول ، ولا أرى قول المتنبي غير خاطرة شاعر أوحى له بها الخيال ، وليست قاعدة اجتماعية ولا أصلا من اصول الحياة ، على ان عزاء المفكر المعذب في دنياه ، هو شموخه وارتفاعه فوق الآلام فهو يرى الثروة التي عنده لا يعادلها شيء في الوجود ، كما أشار لذلك الشاعر اللبناني رشيد أيوب بقوله :

يـا طالـب الدنيـا

من أين شانك مثـل شاني | انـا لست عبـدا للزمان
يـا طالب الدنيـا، ومـا | اذركت في الدنيـا المعاني
فكفيت نفسـك بالغنـى | وانـا غنى نفسي كفانـي
اضحك اذا ما شئت مـن | تشييـد قصـرك بالاماني
لكـن مغانيـك التـي | شيدتهـا ليسـت أغانـي

بيروت

علي ابراهيم

أيهـا الناس : ليس بكـاف

أنتـا المسلمون بالاسماء ! ؟

انما المسلمون بالعمل الصالح ،

لا بالمظاهـر الجوفـاء ! ؟

نحن ان لم نحكم بما أنزل الله ،

فدعوى الاسلام محض ادعاء !؟

صورة عن التعليم في مشتى الحلو سورية قبل مئة عام

بقلم: عيسى فتوح

تعود بدايات التعليم في مشتى الحلو الى عام ١٨٧٩ ، وأول معلم مارس هذه المهنة هو المرحوم اسبر عبدوش ، وقد كان معلما صارما قاسيا ، ربما لانه كان مصابا في رجله ، ويعرج اذا مشى .

يعتبر بيت أسبر عبدوش أول مدرسة في المشتى وضواحيها ، ولم يكن المعلم متفرغا لشؤون التعليم ، بل كان يمارس اعمالا أخرى ، بالاضافة الى كونه معلما ، وكانت الصناعة الشعبية المعروفة في المشتى هي حياكة العباءات . ولم يكن المعلم يملك ساعة لتحديد الوقت ، فكان التلاميذ يبكرون في الحضور الى المدرسة ، ومن تأخر عن الوصول في الوقت المعين ، نال عقابا صارما يتناسب مع مدة التأخر . يظل التلاميذ في المدرسة من الصباح حتى المساء ، وعند الظهر يذهبون الى بيوتهم لتناول طعام الغداء ، وكان كل تلميذ يحمل الى معلمه رغيفا من الخبز ، وقطعة من الحطب لاشعال النار في الشتاء ، ومن حمل معه شيئا آخر كالفاكهة وغيرها ، نال حظوة كبيرة في عيني المعلم .

لم تكن تتخلل الدروس أية فرص أو استراحات ، واذا احتاج التلميذ الى قضاء حاجة ، ذهب الى المعلم وبسط أمامه راحة كفه قائلا : « دستور يا معلمي » فيضربه المعلم حينئذ برفق او بشدة بقضيب من الرمان لم يكن يفارق يده أبدا ، وسمح له بالخروج او اعتذر عن تلبية حاجته .

كانت القراءة تتلى بصوت عال ، فاذا انخفضت الاصوات ، نهض المعلم وأخذ يلهب ظهور التلاميذ بقضيب الرمان المذكور ، فترتفع أصواتهم من جديد ، حتى تكاد تصم الآذان • وكان « الفلق » ـ وهو الضرب بالعصا على قفا الرجلين ـ أشد أنواع العقوبات التي تنزل بهم ، وبالاجمال كانت العقوبات شديدة لا رحمة فيها ولا شفقة •

وحينما كان التلميذ ينهي كتاب « المزامير » للنبي داود ، يربط رفاقه يديه بزناره الى الوراء ، ويذهب به المعلم وجميع التلاميذ الى بيت أهله ، وقد أمسك أحد التلاميذ بطرف الزنار السائب • وعند وصولهم يستقبلهم الاهل بالترحيب ، فيقدمون للمعلم هدية خاصة ، ويضعون للباقين طبقا من الزبيب والتين المجفف وغيرهما ، أما أجرة المعلم فكانت نصف ريال مجيدي على كل « سحر » من أقسام المزامير (١) •

كان التلاميذ يكتبون في بداية تعلمهم بالقلم الغزار والحبر على صفيحة معدنية لامعة من صفائح البترول توفيرا للورق ، فاذا امتلأت محاها التلميذ بغسلها في الماء وتنشيفها لاستعمالها مرة أخرى • وكان الخط نوعين : « الكنسي » وهو خط واضح يستعمل لنسخ الكتب ، والثاني « المعلق » ويستعمل في المراسلات والدواوين •

المدرسة الانجيلية في المشتى :

كان التنافس على افتتاح المدارس بين اليسوعيين والمرسلين الاميركيين ، على أشده في كل مكان من سورية ولبنان ، وقد تجلت صورته واضحة في مشتى الحلو ، فكلما افتتح اليسوعيون مدرسة سارع المرسلون الاميركيون لافتتاح مدرسة أخرى مماثلة ، واستدرجوا الطلاب اليها بمختلف الوسائل

(١) يقسم كتاب المزامير الى سبعة اقسام يسمى كل قسم منها « سحرا » يتلى منه كل صباح سحر ذلك اليوم •

والسبل ، ولذلك فعندما افتتح اليسوعيون مدرسة في حارة الموارنة (بيت سركيس) ، واستخدموا للتعليم فيها المعلم ميخائيل ابن الخوري يوسف صاحب النفوذ القوي في القرية ، والمعلم جرجس القراء المعروف جيدا في المشتى ، أسرع القس أوسكار هاردن ، والدكتور صموئيل جسب ، والدكتور الطبيب وليم كلهون من طرابلس الى المشتى وطلبوا من وجهائها أن يأذنوا لهم بافتتاح مدرسة يديرونها حسب نظام المدارس الاميركية ، فوافق الاهالي على طلبهم ، وأرسل لهم المعلم قاسم أبو غانم من كفر نبرخ في لبنان ، وزوجته المعلمة شمس ابنة واعظ كنيسة صافيتا الانجيلية ، ففتح المعلم قاسم مدرسة للصبيان ، والمعلمة شمس مدرسة للبنات في الغرفتين الخارجيتين من دار سليمان الحلو عام ١٨٨٠ ، وقد استعملت فيهما الحركات والقراءة المشكلة ، والحساب المركب ، والكسور ، وغير ذلك من مبادىء العلوم الحديثة .

لكن هذه المدرسة لم تعش طويلا لان معلمها الاخير ديب الكفوري لم يكن مستقرا في أفكاره وآرائه ومبادئه ، وغير مطمئن لعلاقته مع المرسلين الاميركيين ، لذلك تحول عنها الى مدرسة اليسوعيين في (بيت سركيس) ، وانحلت المدرسة الانجيلية .

ولما تخرج المعلم نسيم متري الحلو من مدرسة صيدا الاميركية ، ورأى ما آلت اليه مدرسة قريته المشتى ، اتفق مع المرسلين الاميركيين : القس مارش ، والدكتور نلصن ، أثناء زيارتهما المشتى ، على اعادة افتتاح المدرسة الانجيلية فيها ، فوافقا على ذلك بشرط أن يتولى هو التعليم فيها ، وقد رضي لئلا تفوت الفرصة ، وتبقى المشتى بلا مدرسة انجيلية ، فترك حمص بعد ان علم في مدرستها الانجيلية سنتين (١٨٨٩ ـ ١٨٩٠) ، الا أنه لم يتقدم أحد في القرية لمناصرته وشد أزره ، بسبب نفوذ اليسوعيين ، وميل سكان المشتى الارثوذكس اليهم .

لقي المعلم نسيم الحلو صعوبات جمة في اعادة افتتاح المدرسة الانجيلية

في البدء لاسباب منها أن كبير عائلة الحلو كان يمالئ اليسوعيين ، لكن ذلك لم يوهن عزيمته ، ولم يضعف من ارادته ، بل زاده اصرارا وتصميما ، وفعلا فتح المدرسة بعدد قليل من التلاميذ الذين كان أهلهم غير واثقين من تعليم اليسوعيين ، فأخذت تنمو شيئا فشيئا ، ويزداد عدد طلابها بالانتقال من مدرسة اليسوعيين ، الامر الذي أدى الى تقليص عدد معلميها من ثلاثة الى اثنين • والغريب أن أخاه أنيس الحلو كان أحد معلمي مدرسة اليسوعيين الرئيسيين ، وكان الاب اليسوعي يدعى الى الضيافة في بيت الاخوين نسيم وأنيس المشترك ، ليس الى الطعام فحسب ، بل الى النوم أيضا ، فلا يظهر أحد الجفاء أو العتاب للآخر •

يروي المعلم نسيم الحلو في مذكراته (٢) هذه الحادثة الطريفة التي تبين مدى التنافس الشديد بين المدرستين : الانجيلية واليسوعية ، وانقسام عائلة الحلو الكبيرة الى فريقين يناصر كل واحد منهما ارسالية ومدرسة فيقول :

« حدث ذات يوم ، وأنا أعلم في المدرسة ، أن دخل علي عمي كبير عائلة الحلو ، ومقدم البلدة ، وهو يتوكأ على عصاه ، فوقف في وسط الغرفة ، وقال بلهجة الآمر : « باذن من فتحت هذه المدرسة ؟ » ، فأجبته فورا ودون لجلجة « باذنك ! » فبغت لهذا الجواب ، ثم عاد فقال : « اصرف التلاميذ ولا تقبل أحدا عندك » فأجبته : « أنا مأمور بأن أفتح المدرسة لكل طالب ، وسأستمر في فتحها ، أما أنتم فيمكنكم أن تمنعوا التلاميذ من المجيء الى مدرستي ، وبهذا القدر من الحوار تمت المقابلة ، وقفل راجعا ، وبقيت المدرسة سائرة على سابق عهدها من الحرية ، واقتنع المقاومون بعدم جدوى هذه المناورات » •

استمرت المدرسة الانجيلية تتقدم بخطا حثيثة ، وتستقطب أبناء المشتى حتى عام ١٨٩٤ ، حيث غادرها المعلم نسيم ليلتحق بمدرسة اللاهوت في سوق

(٢) نشرتها مكتبة « المشعل » في بيروت عام ١٩٥٠ .

الغرب ، وبعدها الى صيدا ليتولى ادارة مدرسة الفنون الاميركية فيها ، فأخذت مدرسة المشتى تتعثر وتضطرب ، لانه لم يحل محله معلم كفوء ، يسهر على مصلحة أبناء قريته ويرعاهم كرعايته ، حتى توقفت نهائيا في مطلع الاربعينات من هذا القرن •

أما اليسوعيون فقد ابتنوا ديرا ومدرسة للراهبات في قرية (كفرون بشور) القريبة من مشتى الحلو ، ولمسوا من أهل القرية المارونيين كل عون وتشجيع على الاستمرار في أداء رسالتهم التبشيرية والتعليمية ، ثم توسع نشاطهم شيئا فشيئا حتى شمل جميع القرى المحيطة ، بغض النظر عن مذاهب أهلها ، وانتماءاتهم الدينية • وما تزال هذه المدرسة قائمة حتى اليوم ، تواصل مهامها التربوية والتعليمية والتثقيفية ، ولكن حتى نهاية المرحلة الابتدائية فقط •

ذكرت طائفتين من البعثات التبشيرية التي اتخذت من المشتى وضواحيها مركزا للتنافس ، وفاتني أن أشير الى بعثة روسية ثالثة وصلت الى تلك المنطقة ، وابتنت مدرستين ابتدائيتين الاولى في قرية (كفرون بدره) والثانية في قرية (مشتى الحلو) ذاتها ، وكانتا تعلمان اللغة الروسية الى جانب اللغة العربية ، وما يزال عدد من المسنين في كفرون بدره يجيدون هذه اللغة ويتحدثون بها حتى اليوم ، لكنها ستنقرض بموتهم حتما ، وقد تحولت المدرستان الروسيتان الى مدرستين رسميتين ، ولم يبق أي أثر لتعليم الارساليات التي لعبت دورا كبيرا في التبشير والتعليم •

في مشتى الحلو اليوم ثانوية رسمية واحدة ، ومدرستان ابتدائيتان رسميتان للذكور والاناث ، ولا داعي لان أذكر أن القرى المحيطة قد غطيت بشبكة من المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية ، لكنها مع ذلك تقصر عن استيعاب الطلاب الذين يزدادون كثافة عاما بعد عام ، بسبب اقبال الناس الشديد على العلم ، نتيجة للوعي المبكر الذي انتشر في المنطقة ، ومبعثه تنافس الارساليات الثلاث المذكورة على فتح المدارس ونشر العلم ، فجنى الشعب من ذلك أفضل الثمار •

الاسلام دين الجماعة للرئيس أحمد سيكوتوري

عرض وتقديم : الدكتور عبدالودود شلبي

وكم قلنا وأعدنا القول بأنه « لا اله الا الله وحده لا شريك له » وهو وحده الذي تفرد بصفاته على جميع مخلوقاته ، فهـو وحده الذي لا يمكن وصفه بأنه أبيض أو أسود بأنه قصير أو طويل ، بأنه شاب أو شيخ ؛ وهـذا يتيح لكم أن تعرفوا أن بين مخلوقات الله مـن تستطيعون رؤيته بعيونكم ، وكذلك من لا تستطيعون رؤيته بها ، وهذا يعنـي أيضا أن جميع المخلوقات تولد وتنمو وتموت والله وحده هو الباقي وهذا يعني كذلك أن هذا المخلوق الذي ولد منذ قليل ، وما يزال صغيرا ، يمكن أن يكبر ويشيخ ويندثر . أي أن هناك تغيرات وتقلبات في حياة كل موجود سوى الله .

لنفكر في الانسان جنينا في الرحم . انه ينبثق مـن جزيء لا تستطيـع العين رؤيته حتى لو وضعتم ألفا منه معا لما استطاعت العين المجردة أن تلمحها لشدة ضآلتها ان هذا الجزيء الدقيق هو أصل الانسان ، ففـي اللحظة التي يبدأ فيها هذا الجزيء الحياة بعد سبعة أسابيع يكـون نطفـة « خنثى » أي تجمع خصائص الذكورة والانوثة معا ، فاذا كان اليوم الخمسين مـن نمـو الجنين أخذ أحد الجنسين يتغلب على الآخر في النطفة ؛ وقد تستطيع خصائص الذكورة التغلب على خصائص الانوثـة وعندئـذ يكـون المولود صبيا . ونستطيع أن نتصور الوضع العسكي وعندئذ يكون المولـود فتاة ، ولهذا

فحينما ترون رجلا فهناك المرأة داخله • وحينما ترون امـرأة فهناك الرجل في أعماقها • وهكذا خلق الله الانسان مسكنا للمتناقضات •

نحن أولا نأكل لحوم الحيوانات ونشرب ألبانهـا ؟ ونتناول الاعشاب والثمار والجذور ؟ ومع ذلك فان الحيوانات تأكلنا ، تأكل لحومنا كما تأكل الثمار والجذور وأوراق الشجر ، وحينمـا نموت ونوارى التـراب تأكلنـا الاشجار ، أما الشيء الذي لا يستطيع الحيوان ولا النبـات أن يأكله منا • فهو روح الانسان وفكره •



الرئيس احمد سيكوتوري

وهذا يعني أن بيننا وبين الحيوان والشجر قرابة جزئيـة • والانسان الحقيقي أي المختلف عن الحيوان والنبات ، هـو الذي يطـور فكره ويثقف

نفسه ويربي وجدانه فذلك هو ما يميزه عن كل مـا عداه مـن المخلوقات ، ويسمو به عنها جميعا •

ولما كانت النطفة التي يبدأ منها خلق الانسان دقيقة الى حد لا تستطيع معه العين رؤيتها فان فكر الانسان هو الذي يتيح لـه السيطرة على الطبيعة ونسف الجبال وعبور البحار والصعود في الآفاق والوصول الى القمر ، وفكر الانسان هو أساس تفوقه وكـل سمو يبديـه عـلى الجمادات والنباتـات والحيوانات •

ولهذا يفرض الاسلام على كـل مسلم تحصيل العلم وتعميق المعرفـة والتربية ، الصالحة ونشر التعليم على نطاق المجتمع كله •

يظل الانسان دائما تلميذا في مجال البحث عن المعارف ، فهو تلميذ أبيه وأستاذه وجميع الذين يكبرونه سنا ، بـل انـه كذلك تلميذ ابنـه وحفيده وجميع الذين يصغرونه سنا ، ممن هم أكثر شبابا منه •

لنفترض :ن (قلما) ما يجسد الحقيقة ، فلو أننـا سحقناه الـى ملايين الجزئيات ثم نثرنا هذه الجزئيات كالغبار المتساقط في كـل مكان ، فلسوف يكتشف كل واحد أحد جزئياته ، قد يعثر ابنك على جزء وخادمك على ثان ، بل لقد يجد عدوك أيضا جزيئا كما قد يجد والدك وتجد أنت أيضا ، ففي كل مكان حيث توجد الحقيقة فلتتعلمها حتى لو كان ابنك هـو حاملها ، وقدره كأستاذك من أجل معرفة الحقيقة • ولـو كان خصمك أو عدوك الذي تريد قتله هو المحق فسلم بأنه على صواب ، فانك لا تقدره هو حينئذ ، بـل تقدر الله من خلال الحق •

ان الانسان لا يخترع الحقيقـة ولا العلم ، بـل يكتشفها ، فالقوانين العلمية قائمة منتشرة ، كما بذرت الحقيقة على سطح الكرة الارضية • وعلى كل رجل وامرأة وعلى كل شعب أن يبحث عـن الحقيقة وأن يكتشف العلم ، فاذا اكتشفتم العلم فسيطروا عليه لتحققوا بواسطته سعادة البشر ، ذلك أن

الحقيقة هي الله قاسمه الحق ، والحقيقة لا تخص انسانا واحـدا حتى قائلها أو مكتشفها •

وطالما أن العلم والحقيقة منتشران عبر العالم كلـه فان مـن واجبنا أن نبحث عنهما دائبين ، وأن نكتشفهما وتملكهما ونستزيد منهما ، انه ليستحيل على انسان فرد أن يشغل الارض كلها ، وأن يـرى جميع البذور المغروسة في كل مكان غير أنه يوجد أناس في كل مكان • فيجب اذن أن يتبادل البشر عبر حدود الاوطان والقارات المعارف بمجرد اكتشافهم لهـا ، والديموقراطية هي هذا التواصل وهذه ـ المسؤولية التي يتحملها البشر ، الذين يشغلون حيزا مكانيا واحدا ، سواء كان ذلك حيا أو قرية أو اقليما أو وطنا ، فعلى الرجال أن يقيموا فيما بينهم وسائل اتصال ليتبادلـوا المعارف ، وليتدارسوا معـا المشاكل التي يواجهونها ، من أجل الوصول الى اتفاق على أفضل الحلول •

لنفترض أن لدى رجل من الثمار والاطعمة ما يزيد على حاجته للغذاء ، وأن حوله بعض الجوعى فـان رفض اعطاءهم بعض الاطعمـة لكانت تلـك جريمة ، غير أن هذه الجريمة أقل خطرا من تلك التـي يرتكبها انسان متعلم يعرف الحقيقة ويرفض نقلها للآخرين ويضن بمعارفه عليهم • ان رفض نقـل الحقيقة ، والضن بالعلم على الآخرين بشكل جريمة أكبـر مـن رفض مـد الجوعى بالغذاء ، ان من يملك الامكانات ويرفض أن يغيث فقيرا فانما يحرم نفسه هو ، لان الغوث الذي سيقدمه للفقير هـو الذي كان الله سيرده اليه غدا وهكذا لم يقف الانسان الذي رفض تقديم العون الى المحتاج عنـد حد حرمان هذا الفقير به تعداه الى حرمان نفسه لانـه لم يعن باعداد مستقبله في الدار الآخرة ان اثمه كبير لكنه أقل جرما من ذلك الذي يغتصب أرث اليتامى ويحرمهم بذلك من حقوقهم المشروعة في أموالهم الخاصة • ان تجريد اليتامى من ارثهم جريمة تعادل جريمة الذي يعرف الحقيقة ويرفض ايصالها للآخرين ، أو ذلك الانسان الذي تلقى العلم ويضن به على غيره ، ذلك أن الحقيقة لـم تخلق لهذا الفرد ، ثم انه ليس هو الذي خالـق العلوم والمعارف وانمـا نقلت

اليه ، والاولى أن تكون ملكا للبشرية جمعاء فهي الميراث المشترك بين جميع البشر، وليس رفض نقل المعرفة والحقيقة للغير الا مصادرة ميراث أسرة وترك أفرادها اليتامى بين أيدي الفاقة والبؤس .

لو أنك تملك خزانة مليئة بالفضة أو الذهب أو صندوقا مليئا بالاقمشة أو صومعة مفعمة بالغلال ثم أخذت تغترف منها وتعطي ، فهي تتناقص وزنا كلما أخذت منها قدرا كما تقل قيمتها بقدر الكم المنقوص ، في حين أنك كلما نقلت الحقيقة الى الغير كلما ازددت ثراء وكلما أثريت ذلك الذي تلقاها : وكلما نشرت العلم كلما ازددت ثراء وكلما أثريت الذي ، تلقي العلم . ذلك هو السر في أن رفض نقل العلم والمعرفة هو عمل موجه ضد الذات أولا ثم ضد البشرية بعد ذلك ، فهو اذن جريمة مزدوجة ، يستطيع المرء أن يقول : « لست أرغب في اعطاء نقودي للغير فقد أحتاجها غدا ، ولو أنني اقتطعت من مالي جزءا لقل رصيدي منه » بينما لا يستطيع المرء أن يقول ذلك عن العلم والمعرفة ، من أجل ذلك فنحن نكرر أن نقلهما للغير اثراء للنفس وللغير والانانية في مجال العلم جريمة مزدوجة .

والاسلام دين يحث بشكل جوهري على العدل بين أفراد الاسرة الواحدة ، وبين مواطني بلد واحد وبين شعوب العالم .

والاسلام كذلك هو الدين الذي ينادي بالمساواة بين جميع أفراد البشر دون تمييز بسبب اللون أو القومية أو السن أو النوع، انه يعلن هذه المساواة ويفرض تطبيقها الفعلي واحترامها الدائم .

فلا الثراء اذن ولا الميلاد ولا اللون ولا الجنس ولا قدر الثقافة يمكن أن تكون مصدر تفضيل لبعض الاشخاص على بعض . ثم انه يجب تسخير الثروة والعلم من أجل الارتقاء الدائم بمستوى الشعب .

وقد عبر النبي محمد عن هذه ، الحقيقة القرآنية قائلا : « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا

بالتقوى » أي ان الفارق الذي يمكن أن يقوم بين الافراد لا ينبع من ألوان جلودهم أو من أصولهم العرقية بل من قوة ايمانهم التـي تتجلى في مسلكهم وفي نفعهم الاجتماعي •

يشبه النبي محمد المساواة القائمة بين الناس بالمساواة القائمة بين أسنان المشط ونحن نعلم أنه توجد أسنان أكثر ضخامة وأخرى أكثر دقة وقد يطول بعضها ويقصر البعض الآخر ، لكنها جميعا متساويـة بسبب مهمتها المشتركة التي لا ترى ، ونحن نعلم أن هناك أناسا أكثـر اكتنازا وآخرين أكثر نحافة ، وأن بعضهم رؤساء وبعضهم وزراء ومنهم أئمة ومنهم مزارعون ، وهنالـك مساكين يستجدون العطاء على أبواب المساجد ، غير أن هؤلاء متساوون أمام الله ، لا شيء يفرق أحدهم عن الآخر الا مقدار تطابق سلوكه طـوال عمره مع وصايا القرآن الكريم •

من أجل هذا يلتزم النظام الثوري بمحاربة سيادة المال في كـل مكان ، ومكافحة القبلية والظلم لفرض احترام الروح الاسلامي •

ومن أجل هذا ينبغي التزام المسلمين أيضا بمحاربة سيادة المـال والظلم والكسل والسرقة والقبلية •

لقد دخل رسول الله في سبيل ذلك معركة ضارية مـع قبيلة « قريش » التي ينتسـب اليها حين أدان الوثنية والظلم والتجـارة غير المشروعة والقبلية وقد كانت قريش تدعى لنفسها التفوق على قبائل مكة الاخرى •

والنهج الاسلامي هو نهج حقيقة ومساواة اجتماعية وعدالـة اقتصادية واجتماعية هو نهج يؤازر التقدم الاجتماعي •

ان العدالة فضيلة عسيرة الممارسة ، لان الناس غالبا ما يتخاذلون أمام مطالبها وأحيانا يخشى المرء أن يقول الحقيقة أمـام أبيه أو زوجته التي يحبها أو صهره أو أمام رئيسه في العمل او أمام رجل مـن الاثريـاء • بينما يطالب

الاسلام المرء بأن يقول الحقيقة دون رهبة وفي كل مكان يلتقي فيه الانسان بأخيه الانسان .

يحدث كثيرا في بلاد مختلفة أن يلقى عديد من الابرياء في السجون ، بينما يظل المجرمون الحقيقيون مطلقي السراح ، بل انهم يظفرون بحماية أولئك الذين يقيمون « العدالة » المزعومة ولو أن رجلا أشعل النار ظلما في كوخ رجل آخر لارتكب بذلك جريمة . أما لو عرفت هذه الحقيقة وكنت بريئا وأطلقت سراح المذنب لكان ذلك عدوانا منك أولا على أوامر الله لانك بذلك تكون قد عصيته ، كما تكون قد اعتديت على هذا البريء مرتكبا بذلك جريمتين .. احداهما لا تغتفر .

لقد تحدث النبي محمد الى أحد صحابته الذي جاء يشفع عنده لمن سرق قائلا : « أتشفع في حد من حدود الله ؟ والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

يطالب الاسلام الانسان بأن يتخذ عملا ايجابيا وأن يسلك سلوكا أمينا وأن يحافظ على كرامته ، وقد كان النبي يقول لابنته فاطمة ولعمه العباس انهما يستطيعان أن يأخذا من ماله ما يشاءان ، لكنه لا يملك لهما من الله شيئا ان ارتكبا اثما .. فعلى كل انسان أن يؤدي واجباته تجاه مجتمعه وتجاه ربه ، واذا كان النبي لن يدافع عن ابنته ولا عن عمه يوم القيامة ، فان أحدا منا لا يملك أن يدافع عن غيره ولا غيرنا يملك أن يدافع عنا ، يجب أن يحمل كل فرد مسؤوليته بوصفه انسانا واعيا ومؤمنا مخلصا وهو يعمل، وأن يقدس القواعد الاسلامية التي تفرض على المسلم أن يعيش حياة كدح وأمانة وورع ونفع للجماعة . ـ

علينا أن نعترف بفضل هؤلاء الرواد الكبار في الاسلام الذين أحيوا موات أرض افريقيا وغينيا ، ووضعوا شعبنا على طريق الدين الاسلامي ، ومن واجبنا أن نحتفظ بذكراهم دائما وأن نظل معترفين لهم بالفضل ، وأن نواصل

نفس المعركة التي قادوها ، لتحرير ذواتنا ، وتسخير الطبيعة لنا حتى ننجح في كبح جماح الشيطان الذي يمثل النقيض لكل ما جاء به النبي •

وهكذا يجب أن نعرف أننا نواصل العمل الكبير الذي بدأه أسلافنا العظماء من أمثال الحاج عمر طال • والامام ساموري توري ، وأنسافاديجا، ولا نسيني دومبويا ، وأبو بكر بير وباري ، ومحمد ساميا موميبا ، وأبو بهاء تديان ، وموري كابا ، وسيكوفاتنا مادي شريف وشريف ساجال ، وأبو بكر كوريلاندي ، وديابي ، والفامو الكلابي ، وقاسم ديااللو •

واذا كنا قد استبحنا لانفسنا الحق في تقديم صورة عامة موجزة للامح الاسلام فاننا نعلن أن من رأى في بحثنا خطأ أو خلطا أو كذبا • فان من واجبه أن يصحح الخطأ والخلط ، وأن يفضح الكذب ويندد به ، لانه بذلك يحترم تعاليم الله ، ويدافع عن الاسلام ، ويقدم لنا ، في نفس الوقت خدمة ، كبرى ، لان الاسلام هو دين الحق ••

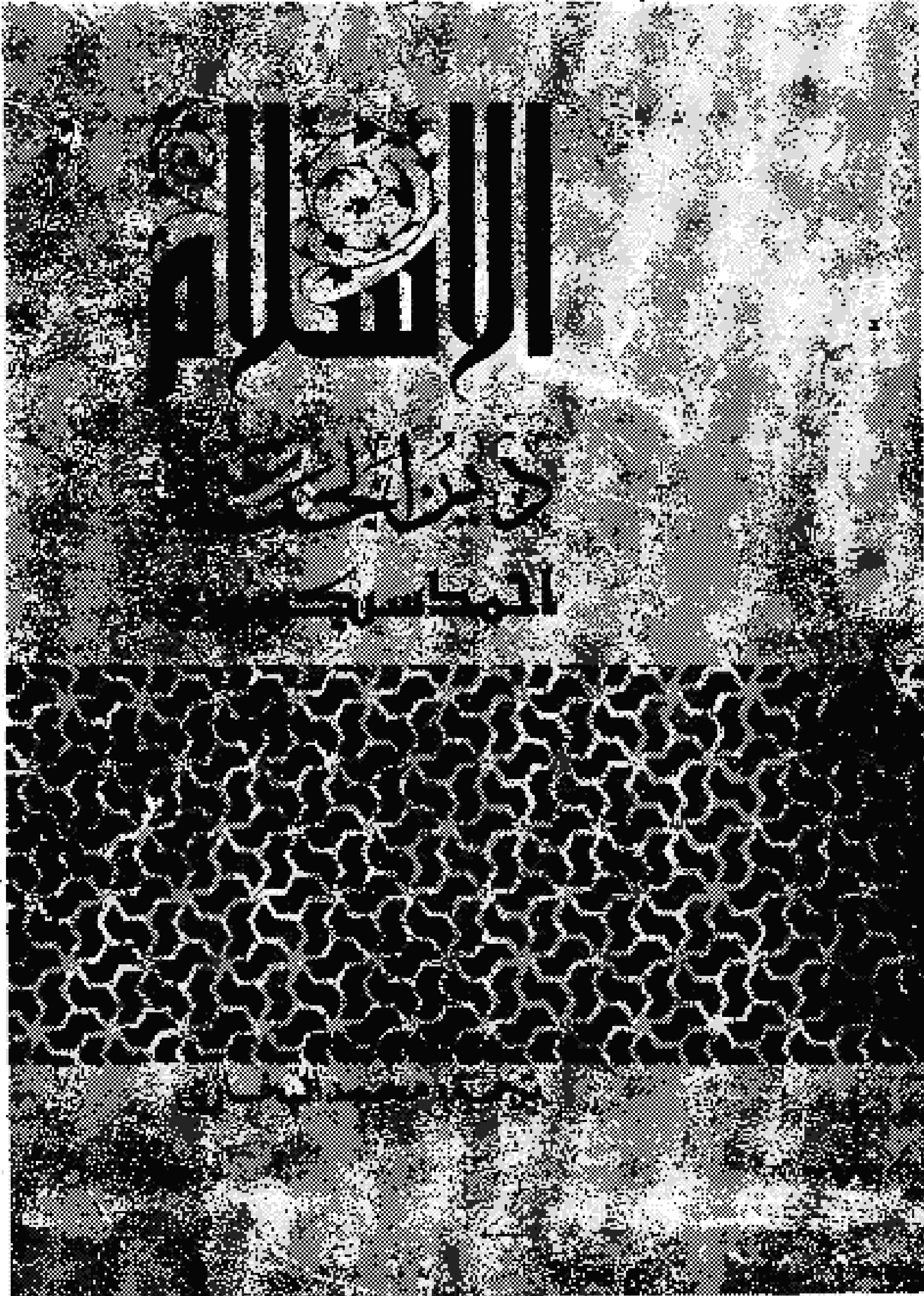
❋ ❋ ❋

ونحن نعرف أن حياة الانسان تمر بمراحل ثلاث ترمز اليها مراحل الزمن الامس واليوم والغد •

ـ يتميز الطور الاول من حياة الانسان بعجزه التام ، فهو أولا لا يختار قريته ولا وطنه ، وهو لا يستطيع يوم مولده أن يوفر لنفسه الغذاء ولا الكساء ولا المسكن فهو في حاجة ماسة الى عون الآخرين وتلك هي مرحلة عجز الانسان وجهله •

ـ يتميز الطور الثاني من حياة الانسان بقدرته التي اكتسبها بفضل المجتمع طوال الفترة السابقة حين حظي برعاية المجتمع وحمايته له وبتربيته وتعليمه ، ومن هنا كان عليه في هذه الفترة أن يرد للمجتمع ما استدانه منه وما ظفر به من فضل ، ويتمثل هذا في العمل الذي يجعله عادلا ونافعا لنفسه ولغيره •

يبدأ شعار دولة غينيا بكلمة « العمل » لان العمل هو الذي يتيح للانسان أن يفي بديونه ، كما أن العمل هو الذي يقيم العدالة الاجتماعية . ثم ان الانسان يعرف جيدا أنه انما يشبع حاجاته الخاصة ويسدد ديونه



الاجتماعية من نتاج عمله وأنه بدون العمل لا يستطيع ممارسة العدالة الاجتماعية التي تتطلب بدورها ممارسة التضامن الاجتماعي . ذلك أن على

الانسان بالاضافة الى أداء ديونه للاخرين ـ أن يعطي المحتاجين ما يمثل تضامنه معهم حتى يكون نافعا لمجتمعه عن طريق مساهمته بنصيب في الممتلكات الجماعية •

يدين كل فرد للمجتمع بالكثير في حين أنه لا يقدم للمجتمع الا القليل والانسان في حاجة الى من هو آكبر منه كثيرا ، كما أنه في حاجة لمن هو أصغر منه كثيرا ، فليس هناك انسان كامل تماما، ولذلك فليس هناك انسان يستطيع أن يعيش بمفرده خارج اطار المجتمع وفي غنى تام عنه •

ان العمل وحده هو الذي يجسد العدالة التي تصطحب التضامن في العلاقات الاجتماعية ، ولا يمكن لفرد لا يمارس العمل والعدالة أن يكون متضامنا مع غيره من الافراد ويشاركهم أفراحهم وآلامهم •

واذا كان الامس واليوم هما طورا الزمن الاول والثاني ، والغد هو طوره الثالث ، فان الاعداد للغد انما يتم اليوم ولهذا فيجب ألا يقتصر هدف العمل على أداء ديون الامس ، بل أن يمتد لضمان رفاهية الانسان في الغد ، وارساء مستقبل سعيد للشعب بأسره ؛ وأن العمل الواعي الذي نقوم به اليوم هو مساهمتنا في القيام بواجباتنا الاجتماعية وعن طريقه نجسد تضامننا مع أجيال الغد •

من اليسير اذن أن نتبين أن اختيار شعار الامة : « العمل والعدالة والتضامن « هو اختيار » للوفاء بالديون عن طريق عمل كل فرد في اطار الامة » ولهذا يجب أن نتعلم احترام الشعب في كل لحظة ، والحياة في اطاره مع بذل كل طاقات النفع الاجتماعي ، التي يمثل تزايدها المتصل مطلبا من مطالب الوجدان الحي ، وممارسة للحقيقة ـ التاريخية والمنطق الاجتماعي •

ان عظمة الانسان لا تنبع من فخامة الدار التي يسكنها ولا من جمال الثياب التي يرتديها أو كثرة عددها ، ولا من مستوى قيافته ، ولا من جماله

الجسدي انما تقاس عظمة الانسان بمدى ما يقدمه للمجتمع من نفع وفعالية وتأثير .

العمل اذن هو الذي يرسي أساس عظمة الانسان سواء كان عملا فكريا أو حسيا او عضليا ، ما دام عملا يستهدف سعادة المجتمع ، في حين أننا كثيرا ما يتميز أحدنا عن الآخر بصفات جسدية ، فنقول أحيانا انه جميل الوجه أو أنيق الثياب أو غزير المعرفة أو واسع الثراء ، والواقع أنه لا معنى لكل هذا اذا لم يكن المرء يقدم للمجتمع عملا ايجابيا ، فاللص الثري والكذاب الذكي وقاطع الطريق المثقف الخبير بالوسائل التكنيكية المتقدمة يمكنهم الاضرار بالمجتمع أكثر مما يستطيعه اللصوص والكذابون وقطاع الطرق الجسورون الذين لا يتمتعون بالمعارف الفنية والتكنيكية والدراسات المتخصصة .

من أجل ذلك يدعونا الفكر الى أن نحكم على الافراد لا من اقوالهم بل من أفعالهم ، دون أن نغفل الاهمية الكبرى للتكوين العقائدي للانسان ولسيطرة فكره على سلوكه الاجتماعي ، طالما أن كيفية تفسير الافراد للحياة الانسانية هي التي تقسمهم الى فئات اجتماعية مختلفة .

ومن أجل هذا فان من واجبنا أن نقدم الرعاية المادية والمعنوية للمعدمين والمعوقين ، والعجزة البائسين ، بل أن ندرس ظروف حياة هؤلاء المساكين في كل قرية وكل حي ، وأن نضع الحلول لمشاكل وجودهم حتى نجسد تضامننا في عمل ايجابي على نحو ما يريده فكر الثورة .

ان علينا أن نفعل كل شيء من أجل أن يعرف الاخوة البؤساء السعادة ان أحدا لا يعرف الشكل الذي يمكن أن تختتم به حياته ، ومن يرد نهاية سعيدة لحياته ، ليقدم عونه لمن تعصف بهم المآسي . على أننا من جانبنا نفضل صداقة المساكين على صداقة الاثرياء ، كما أننا نقدم للشباب صداقتنا ونضع فيهم ثقتنا بأكثر مما نفعل مع آبائهم وأجدادهم .

حين يختار الانسان المجتمع ، فانه يختار أولا الشباب والمساكين . واذا

أراد المرء اسعاد مجتمعه فعليه أن يغيث من بين أفراده من كانوا يعانون البؤس والحرمان •

يجب أن تقيم كل قرية أو كل سلطة محلية « مدينة تضامن » لايواء عجزتها وأن تخصص « مزرعة تضامن » يتطوع للعمل فيها كل مواطن يوما واحدا وذلك كفيل باثراء محاصيلها •

ويجب أن تكون في كل اقليم مؤسسة يتلقى فيها جميع اليتامى والاطفال المشردين عون المجتمع ، ويحصلون على قدر من التعليم الجاد والعلاج الملائم • وتلك مطالب « التضامن » •

يجب ألا تتخلى عن اخوتنا البائسين وتتركهم يمدون أيديهم يستجدون الناس على أبواب المساجد ودور السينما ، ففي استطاعتنا أن نهيء ظروف حياة كريمة لهؤلاء الاخوة المحرومين من وسائل العيش ، ومن أجلهم يجب اقامة « مدينة التضامن » التي يعالج فيها مرضاهم ، فاذا استردوا صحتهم أعيدوا الى مزاولة أنشطة الحياة اليومية التي تلائمهم • ولهذا يجب أن تشمل « مدينة التضامن » عيادة طبية قادرة على علاج المرضى ••• ومسجدا تقام فيه الشعائر الدينية ، ومدرسة لتعليم النشء ، ومراكز تأهيل مهني للقادرين على بذل مجهود عضلي تمثل « مدينة التضامن » امتدادا للمجتمع ، ويجب أن يقدم كل مواطن ـ مساهمته في بنائها ، ثم يتناسى صنيعه الكريم ، فلا يأتي يوم يزهو فيه ويقول مفاخرا : « انني أنا الذي قدمت هذه النقود ، أو هذا الفراش أو فراء الصلاة أو أنا الذي شيدت هذا الجدار » •• « ان كل عطاء لاخوتنا البائسين ، وكل اسهام لمؤازرة المعدمين ، يجب أن ينصهر في العمل الانساني الشامل فلا ينتظر مقدمه ثوابا من أحد ، فهو أقرب ما يكون الى تسوية حساب قديم يجب أن ينساه المرء تماما ، أما هؤلاء الذين يقدمون مساهمة مالية لبناء مسجد ، ثم يفاخرون بعد ذلك بعملهم قائلين : « ذلك مسجدنا أو مسجد أسرتنا » فليسوا مسلمين مخلصين حقا ، بل ليسوا مؤمنين

صادقين ، كما أنهم ليسوا أنصار قضية نبيلة ، انهم يزهون بحمل لقب « المسلمين » دون أن يصبحوا بعد مسلمين حقيقيين .

حين يفكر المرء في عالم الغد ويريد أن يبني لنفسه فيه بيتا ، ثم يقدم خيرا للمجتمع الذي سيبني له هذا البيت في عالم الغد الذي لم يأت بعد فيجب أن ينسى ذلك تماما ، كما يفعل حين يقدم مالا لله تعالى فيتقبله الله ، اذ ليس من الممكن أن يقول بعد ذلك : ان هذا المال ماله ، لانه لن يراه بعد ذلك ، يجب اذن أن ينسى من قدم اسهاما في بناء مسجد ما فعل تماما ، لانه لو قبل بعد ذلك حمل لقب « صاحب المسجد » لما كان قدم أية تضحية ما دام الذي دفعه ما يزال منتسبا اليه .

اننا مدينون بالعرفان لله لاننا ولدنا في بلد مسلم آوى الامبراطوريات الاولى التي أظلت غرب افريقيا كله . وذلك هو السر في ان جميع بلاد افريقيا ــ عدا غينيا ــ قد سقطت سريعا في يد الاستعمار . بينما لم ينجح الاستعمار في بسط نفوذه على كل أجزاء غينيا كما تستطيع أن تقول : ان أبطالنا الوطنيين أمثال الحاج عمر طال والامام ساموري توري ، والامام أبو بكر باري لم يكونوا يدافعون الا من أجل وجود الاسلام في افريقيا . لقد طلبنا الى كل قرية أن تهدم ما بها من أوثان ، وتحطم ما بها من تمائم وتعاويذ ، وأن تقيم مسجدا ، وأن تربي النشء حسب القواعد القرآنية وحددنا نهاية العمل يوم الجمعة قبل الصلاة حتى يتمكن المسلمون من الذهاب الى المسجد لصلاة الجمعة .. لقد قضينا على الوثنية والشعوذة ، ولم يعد أحد في بلادنا يقدس الاحجار أو الاشجار أو التمائم وهو ما تعلمه افريقيا كلها .. ونحن نحرم الخمور والفجور .. وندعم في كل يوم اجراءات العقاب ضد هذه الاوبئة الاجتماعية .

وقد أعدنا تنظيم القضاء على أساس الفكر القرآني ، وقررنا مجانية التعليم في جميع مراحله ، وأعطينا الدولة مسؤولية تنظيم رحلات الحج كل

عام . وألغينا جميع أنواع التفرقة التـي كانت قائمـة علـى أساس الجنس لصالح وحدة المسلمين . وان كان العـدو يتطاول في تشويه صورتنا حتـى ليظن البعض أن غينيا بلد شيوعي .

ونحن لا نعير اهتماما لحملات الدعاية الكاذبة التي تشنها علينا الصحافة الغربية فليس لنا نفس النبي (١) ... بل قد لا تكون نحـن وهم تعبد نفس الاله .. « لان الاله في الاسلام واحد وفي المسيحية ثلاثـة » : ولكننا نقول لاخواننا المسلمين .. ان غينيا لم ولن تكون أبدا بلدا شيوعيا ..

❋ ❋ ❋

وأخيرا ... لقد قلت في مقدمة عرضي لهذا الكتاب أنني لم أتبع فـي تقديمه وعرضه الطريقة المألوفة لدى القراء ... لـم أهتم بالشكل والتقسيم ولم أتتبع فصوله وأبوابه كما يفعل الكثيرون .

لقد أردت أن تكون الصورة واضحـة في ذهن القارىء بكل ألوانهـا وتفاصيلها فأخذت من هنا وهناك ما يساعد على تجلية هذه الصورة وعرضها في هيئة متكاملة لتكون اطارا لافكار هـذا الزعيم الذي ثار لجـده الامام ساموري توري . بعد ستين عاما مضت على اعتقاله في حركة جهاد شاملة ضد الاستعمار الفرنسي ...

مجلة الازهر — دكتور عبد الودود شلبي

---

(١) لعله يقصد بهذه العبارة ان دعوة المسيح كانت خاصة ببنـي اسرائيل دون غيرهم من الامم . اما دعوة « محمد » فقد كانت عامة لبني البشر جميعا .

يوسف أسعد داغر :
يقدم :

أول قاموس علمي عن الصحافة اللبنانية

بقلم : نصير ماريني

كنت ، ولعلي لا ازال ، من المولعين بالكتب العلمية ، رائحة الرقم فيها تبعث في نوعا من النشوة ، المدمنون على قراءة هذه الكتب وحدهم يعرفونها .

هل قرأت او تقرأ شيئا من هذه الكتب القليلة التي لا تظهر عادة في المكتبات العربية ...؟ اذن فهل وقفت مرة عند الكلمات الخاضعة لاوقيانوس العلم ..

ان العالم يئد عند هذه الكتب كل غروره ويقول بعد كل الذي قال : لا يزال هنالك افق اخر ما عرفته ... درب ما زرعته عيناي ، نجم ما قطفته ولعله .!!

كنت افكر بهذا ، او بمثل هذا وأنا اسحب من مكتبة مجلة العرفان كتاب (قاموس الصحافة اللبنانية) ـ ١٨٥٨ ـ ١٩٧٤ لمؤلفه الاستاذ البحاثة (يوسف اسعد داغر) الذي عرف لنا كتابه بانه معجم يعرف ويؤرخ للصحف والدوريات التي اصدرها اللبنانيون في لبنان والخارج ..

وتوقفت طويلا عند وصف المؤلف بانه (الاختصاصي بعلم المكتبات والببليوغرافيا والتوثيق العلمي) ، ذلك ان مثل هذه الكتب تكاد تكون مجهولة في مجتمعنا مع انها المادة الاساسية لارشاد العقل ... وانارة الطريق امام الحياة .

ان طريق الحياة سعي الى الكمال ، توق ، كتوق الفراش لشرب النـور فيه كل القلق المبدع ، اليست لذة الحياة كلها في انها توق دائم الـى المعرفة ، الى الجدية في البحث ..

والكتاب يصدر عام ١٩٧٨ يطوي شراعـه ، ففي هـذا العـام دخلت الصحافة اللبنانية معركتها الكبرى مع الاشباح ، وعشاق التجهيل ، وممتهني وأد الكلمة التي ما تزال تسأل بأي ذنب تقتل ؟

لا شك ان الكتاب ينصف الصحافة اللبنانية ، انـه يعرف القراء العرب والاجانب بهذه المهنة التي هي توق الى المجد .. ان رجال الصحافة كانـوا وسيظلون متعلقين بالنجم وما وراء النجم ... لقد اتهموا بشتى الاتهامات ، ومع ذلك فإن اعداءهم من كل جنس ولون يعترفون ان اعمق دافع فيهم الى العمل هو الرغبة في ان يكون لبنان شيئا ...

لقد ألف الناس ان يفتنهم صراخ باعـة الصحف ، اعتادوا ان يأخذهم ضجيج القادة وابواق المواكب الرسمية وبريق اللحظة ، وكـل ذنب الصحافة اللبنانية انها حاولت ان تكشف الزيف وتفضح العهـر فحقت عليهـا لعنـة الاقوياء ... وجاء (قاموس الصحافة اللبنانية) ليقول لجزاري الكلمة ، ان الصحافة اللبنانية كانت وستظل منارة هذا الشرق ...

ذكروا ان ما يزيد عن مليون كتاب صدرت عـن نابليـون ، وجدران الآثار الملكية المصرية لا تتحدث عـن غير الملـوك ... ونحن لا نعرف مـن شخصيات العالم الكبرى الا هذه الاسماء التي تصنـع المؤتمرات ويكـذب بعضها على بعض كل يوم ... ولكن الصحافة الحـرة في العالم اعترفت ان نابليون عند كشف الستار ليس اكثر مـن جزار كبير مرعب ... والفاتحون الذين تخطوا الارض على ظهر الكلمة ماذا فتحوا ؟ اشبار من التراب اخذها من بعدهم اخرون ... واخرون وهؤلاء الذيـن يقفزون في عناوين الصحف الرسميـة هنا وهناك وهنالك سينطفئون غدا غدا مع الفجر ... امـا الحياة

حياة الناس ، فعلى غير هذه الرمال تبنى ... هكذا قال لنا الكتاب وهو يعدد لنا انتشار الصحافة اللبنانية في العالم ..

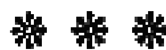
يقول لنا المؤلف في مدخل البحث :

(تمثل الصحافة اللبنانية ، سواء ما قام منها في لبنان او في الخارج ، وجها مشرقا من التراث اللبناني والعطاء الحضاري في لبنان ، لا يقل سناء واشراقا بشيء عن الجوانب الاخرى لهذا التراث الفكري العظيم الذي يشكل العطاء الصحفي فيه هرما شامخا من البذل الروحي والفكري والعطاء الفني والادبي يتحدى الزمن ويبقى على الدهر حديث الخلف عن السلف) ..

حديث الخلف عن السلف هو ما نحتاج اليه اليوم ، او على الاصح هو ما يحتاج اليه هؤلاء الذين يحملون بان يطفئوا نور الله بايديهم وسيوفهم وخناجرهم وقنابلهم ورصاصهم ويأبى الله الا ان يتم نوره ..

ان المؤلف وهو يفتح امامنا قاموس الصحافة اللبنانية لا يتركنا في منتصف الطريق ، بل يسير معنا خطوة خطوة ويذكر لنا اسماء الصحف واسماء اصحابها وتاريخ صدورها بحيث لا يمكن لاي باحث يريد تأليف شيء عن الصحافة اللبنانية دون الرجوع الى هذا القاموس ، الذي هو بحق اول قاموس علمي عن هذه الصحافة ..

بيروت زهير مارديني



التهـمة !...

قصة مترجمة عن الكاتب الفرنسي جي دي موباسان

أخذت الطرقات المحيطة ببلدة جودوفيل تتدفق بالقادمين اليهـا ، فان اليوم يوم السوق ... كان القرويون يسيرون بخطوات هادئة ، وأجسادهم القوية تندفع بانتظام الى الامام مع سيقانهم الطويلة المفتولة ، الصلبـة مـن العمل الشاق . وان الناظر اليهـم ليرى ان اكتافهم اليسرى قـد علت عـلى اكتافهم اليمنى من انحنائهم لحصاد القمح ، وأن المسافـة بين ركبهم منفسحة من مجاهدتهم لجعل خط المحراث الذي يضغطون عليه بكل ثقلهم ، مستقيما ثابتا ... انهم يسيرون قدما ، وقمصانهم الزرقاء منشاة لامعة ، حليت ياقاتها وأكمامها برسوم صغيرة من وشي الخيط الابيض ، والهواء قـد نفـخ حول أفخاذهم سراويلهم الضيقة ، فبدوا وقد استترت كـل أجسادهم الا رؤوسهم وأيديهم واقدامهم ، وكأنهم مناطيد توشك ان تطير !...

وانك لترى بعضهم ممسكين بأطراف حبال عقدت أطرافها الاخرى حول رقاب الابقار أو العجـول ، والنساء مـن ورائهم يحثثن الحيـوان بأغصان خضراء نزعت من أشجارها وجردت مـن أوراقها ، وعـلى أذرعهن سلالهن الكبيرة تطل منها رؤوس البط والدجاج ، انهن يمشين بخطوات أقصر وأرشق من خطوات الرجال ، وأعوادهن الصلبـة مستقيمـة ، وشيلانهن الصغـيرة مضمومة باحكام حول صدورهن العريضة ، وشعرهن ممشوط تحت المناديل البيضاء الكبيرة ...

وها هي عربة من عربات الحمل تمـر مسرعـة فتخض بقسوة الرجلين المتساندين اللذين يقودانها ، أما المرأة القابعة في قاعهـا ، فانها مستمسكـة بالحافة ، متشبثة بها ، اشفاقا من الهزات العنيفة ...

كان الزحام على أشده في السوق القائم في ساحة جودرفيل ، انه خليط صاخب من الناس والبهم ، متدفق كالموج ، تطفو على سطحه قرون الثيران ، والقبعات العالية على رؤوس أثرياء القرويين ، ومناديل النساء ... والجلبة مستمرة دائبة ، والنقاش حاد ثائر ، وصيحة الفلاح التي تنبعث من صدره الخلي وقد استخفه الطرب لا يعدلها في قوتها الا الخوار الطويل لبقرة ملت مربطها الى جوار جدار أحد المنازل ...

أما الرائحة النفاذة التي تصحب سكان الحقول ، وتنشأ من اختلاط الانسان بالحيوان ، وتصدر عن اللبن والدخان والعلف والعرق ، فقد كانت تملأ الجو وتزكم الانوف ...

كان المعلم هو شكورن من بين الوافدين من برونيه الى جودرفيل ، وفي طريقه الى ساحة السوق رأى على الارض فتلة خيط ، ولما كان المعلم هوشكورن رجلا حريصا ، فانه لم ير بأسا في أن يلتقط هذه الفتلة ، لعله يحتاج اليها في أمر من الامور . وانحنى الى الارض ليأخذها ، وعانى من ذلك ألما غير قليل ، فقد كان يشكو من الروماتيزم ، وبينا هو يطوي الفتلة بعناية ، فطن الى أن المعلم مالاندين المنجد قد رآه ...

وكانت بين الرجلين خصومة قديمة وعداوة مستحكمة ، وأحس المعلم هوشكورن بشيء من الضعة ، لان غريمه قد رآه يخلص الخيط من تراب الطريق ... لذلك أخفى في سرعة الفتلة في جيبه ، وهو يتظاهر بأنه ما زال يبحث في الارض عن شيء ضائع ... ثم لم يلبث أن مضى في طريقه وهو يصطنع اليأس والاسف .

وسرعان ما اختفى في الزحمة الصاخبة ، واندس في الجماعات المنصرفة الى البيع والشراء ، وعقد ونقض الصفقات . ان الفلاحين يمتحنون الابقار ، ويقدرون قيمتها ، ثم يذهبون ... ثم يعودون وقد استبدت بهم الحيرة ، وعذبهم الاحجام والاقدام ... أيشترون أم لا يشترون ؟. انهم لا يكادون

يستقرون على رأي • فيصرفون همهم الى التحديق في عيني البائع ، لعلهم يقرأون فيهما أفكاره ، ويعلمون أهو خادع أم مخدوع ••

أما النساء فقد وضعن عند أقدامهن سلالهن الكبيرة ، وأخرجن منها طيورهن ، وطرحنها على الارض موثقة الارجل زائغة الاعين قرمزية الاعراف• وانهن ليصغين لمن يساومهن عابسات ملولات ••• وقد يقبلن فجأة ـ وقد نال منهن الضجر وأرهقهن الانتظار ـ الثمن الزهيد المعروض ، فيصحن بالمشتري الذي يبعد متلكئا : « تعال! مسيو أتين• الله يبارك لك »•

❋ ❋ ❋

ودقت ساعة الكنيسة الثانية عشرة • وبدأ السوق ينفض ، وقصد القادمون من الجهات البعيدة مطاعم البلدة وفنادقها •••

وفي خان جوردان كانت الصالة الكبيرة مزدحمة بالطاعمين الذين ازدحمت مركباتهم في الفناء •

وكانت النار تذكو في المدفأة ، وترسل في المكان حرارة حلوة •• وأخذت السفافيد المحملة بشواء الحمام والدجاج والضأن تطوف بالآكلين•• وأقبلت من ناحية المطبخ رائحة اللحم والمرق •• كان كل الجو يثير الشهية ، ويسيل اللعاب ••

انه أرقم مطعم في البلدة • ان المعلم جوردان طاه مشهور ، كما هو كذاب كبير !•••

أخذت الصحاف تأتي ملآنة وتعود فارغة ، حظها في ذلك حظ قناني النبيذ ••• وكان كل واحد يتحدث عن شؤونه ، وعما باع واشترى ، وعن أسعار المحاصيل ، وصلاحية الطقس للخضراوات ، وتأثير الرطوبة على زراعة القمح •••

وفجأة دقت أمام الخان طبلة المنادي • ونهض الزبائن سراعا ، الا القليل

منهم ، جرى بعضهم الى الباب ، وبعضهم الى النوافذ ، وأفواههم مـا تزال محشوة بالطعام ، ومناشفهم في أيديهم .. وبعد أن فرغ « المنادي العمومي » من قرع طبله ، أعلن بصوت جهوري وفي روي موزون وبعبارات مفصلـة ، ما يلي :

« فليكن معلوماً لاهل جودرفيـل خاصة ، وللناس عامـة ـ للحاضر والغائب ، ممن جاءوا الى السوق ، انه قـد فقدت هـذا الصباح ، في طريق بيزفيل ، بين الساعة التاسعة والعاشرة ، حافظة نقود من الجلد الاسود ، بهـا خمسمائة فرنك ، وبعض الاوراق الخاصة . وعلى مـن وجدهـا أن يتفضل باحضارها في الحال الـى دار العمدة ، أو الـى بيت صاحبها المعلم فورتنييه هولبريك ، بمانفيل ... والذي يعثر بها سيمنح مكافـأة قدرهـا عشرون فرنكـا » ..

وانصرف المنادي .. وسمعت مرة أخرة ، من بعيد ، دقات طبله الاصم ، وصدى صوته الباهت ..

وأخذ الجميع يتحدثون عـن الحافظة الضائعـة ، ويتساءلون : هـل سيساعد الحظ المعلم هولبريك ويجدها ، أم أنه سيفقدها الى الابد ؟..

كانوا قد فرغوا من تناول الطعام ، واحتساء القهوة عندما ظهـر رئيس الشرطة على العتبة .

سأل : هل المعلم هوشكورن ، من أهالي بروتيه ، هنا ؟...

أجاب المعلم هوشكورن ، وكان جالسا عند الطرف الآخر مـن المائدة : « نعم ، أنا هو .. »

قال رئيس الشرطة : « يا مسيو هوشكورن . هل تسمح بأن ترافقني الى دار العمدة ، فانه يريد أن يتحدث اليك ؟... » .

احتسى الشيخ ، الذي نالت منه الدهشة ، كأسه جرعة واحدة ، ونهض ،

وكان يبدو عليه أنه أكثر انحناء منه في الصباح ، فان الخطوات الاولى بعد الجلوس الطويل المريح ، تكون في العادة مؤلمة للمريض بالروماتيزم ...
وتبع رئيس الشرطة وهو يكرر في قلق : « أنا هو ... أنا هو .. » !...

وكان العمدة ينتظره وهو جالس في كرسيه الكبير ، وكان رجلا ضخم الجثة ، متجهم الوجه ، خشن الصوت .

قال : « يا مسيو هوشكورن ، لقد شوهدت هذا الصباح ، في طريق بيزفيل ، وأنت تلتقط الحافظة الضائعة » ...

ذهل الفلاح الشيخ ، وأخذ ينظر الى العمدة في عجب وقد أخجلته التهمة المنسوبة اليه .

وأجاب في اضطراب : « أنا ؟... أنا وجدت تلك الحافظة ؟! ... »

ــ نعم ، أنت نفسك .
ــ أقسم لك بشرفي ، أني لا أعلم عن هذا الامر شيئا .
ــ هناك شخص رآك رأي العين .
ــ رآني أنا ! رأي العين ؟!... من هو ؟...
ــ المعلم مالاندين ، المنجد ...

فطن الشيخ الى سبب الشبهة . انه المعلم مالاندين ، غريمه ، قد وجدها فرصة سانحة ليوقع به ... أجاب وقد احتقن وجهه من الغضب والغيظ : « أوه ... ان الذي رآني اذا ذلك الدنيء . انما هو رآني وأنا ألتقط هذا الخيط من الارض .. فتلة خيط .. ها هي .. يا سيدي العمدة » ...

وخرجت يده التي دسها في جيبه ، بالخيط الذي عثر به في الصباح ...

هز العمدة رأسه ، وقال بصوت يقطر ريبة وشكا : « ان المعلم مالاندين رجل صادق قويم الخلق ، عبثا تحاول أن تقنعني أنه ظن هذا الخيط حافظة

نقــود » .

أشاح القروي الغاضب بوجهه ، وبصق في اشمئزاز ليدلل على براءته ، ثم قال : « لقد أفضيت بالحقيقة كاملة يا سيدي العمدة . أقسم بشرفي » .

قاطعه العمدة : « لقد أخذت تنظر طويلا الى الارض بعــد أن التقطت الحافظة . كنت تخشى أن تكون هناك قطعــة نقود سقطت منهــا . لم تكن تحب أن تعفو عن شيء » ...

كاد الشيخ المسكين يختنق حنقا وخزيا وهــو يصيح : « أهناك مــن يجرؤ ... أهناك من يجرؤ أن يرجف بمثل هذه الاكاذيب للنيل مــن رجــل بريء ... أهناك ... من يجرؤ ؟ »

احتج بحرارة ، لكن لم يصدقه أحد ! ...

ورأى العمدة أن يواجه المتهم بالشاهــد ، فأصر مالاندين المنجد عــلى اتهامه ... ومضى الشيخ المسكين يكذبه ويجادلــه ... ومــر الوقت وهما يتناقشان ، ويتسابان ، ويجرح كل منهما الآخر ... وطلب المعلم هوشكورن أن يفتش لتتضح براءته ، فأجيب الى طلبه ، ولم يعثر معه على شيء ...

وفي النهاية أخلى العمدة سبيله ، ولكنه أخطــر النيابــة لتتصرف في التحقيق ...

كان الخبر قد ذاع ، فاجتمع الناس حول الفلاح الشيخ عند خروجه من دار العمدة ، ومضوا يسألونه في فضول كبير ومكر عن جلية الخبر . وانطلق يحكي لهم حكاية فتلة الخيط التي عثر بها . ولم يصدقه أحد ! ...

أخذ يوقف كل معارفه ، ويقص عليهم قصته ، ويدلل بفتلة الخيط على براءته ، ويقلب جيوبه ليثبت لهم أنه لا يخفي شيئا . لكن ، لم يصدقه أحد ! .

وصاح به أحدهم : « أيها الشيخ الكاذب ، كفى هذرا » ...

وغضب ، ونال منه الحنق ، وشعــر بدبيب الحمى تسري في جسده .

لقد عز عليه أن لا يجد رجلا يصدقه • واعتراه مـا يشبه الذهول والخبال • ومضى يكرر لكل من يلقاه ـ غير وعي قصة الخيط •••

أقبل المساء • وآن أن يعود الـى قريته • وجمعـه الطريق بثلاثة مـن جيرانه ، فدلهم على المكان الذي وجد فيه الفتلة الملعونة ، ثم طفـق يتحدث عن مصيبته ، حديثا متصلا لا يكف حتى وصلوا •

ولما وصلوا مضى يطوف بأزقة بروتيه ، ليحـدث الجميع بالحقيقـة ، وينفي عن نفسه التهمة ، لكن لم يصدقه أحد من أهل قريته !••

وأمضى ليلته يتقلب على جنبيه وقد استبد بـه السهاد • وأحس أنـه مريض • مريض •••

❋ ❋ ❋

في اليوم التالي ، حوالي الساعة الواحدة بعـد الظهر ، أعـاد ماريوس بوميل الخادم بضيعة المعلم بريتون أحد مزارعي أيموفيل ، الحافظة المفقودة ومحتوياتها ، لصاحبها هولبريك •••

وزعم الرجل أنه وجد الحافظة في الطريق ، ولـما كان جاهـلا بالقراءة والكتابة ، فقد جاء بها الى البيت ، وسلمها لسيده •••

ذاع النبأ في الانحاء المجاورة • وأخطر بـه المعلم هوشكورن ، فانطلق في الحال يطوف بالقرية ويروي لاهلها من جديد القصة برمتها ، مستنكـرا التهمة • لقد انتصر ••

قال : « ذلك اللئيم الذي تحداني ، وأصر على أنـه رآني وأنا أرتكب جريمتي قد ثبت كذبه •• أيضايقكم ذلك ؟• أيضايقكم أن ربتكم قد قضى عليها؟ لقد كنتم جميعا ضدي •• لم أجد من يصدقني •• يا للجحود ••! »

انطلق يتحدث كل النهار بغير انقطاع عـن براءته • كان يحكي القصة برمتها عند خروجهم من الكنيسة يوم الاحد •• حتـى الذين لا يعرفهم كان يستوقفهم ويفضي اليهم بالحقيقة •••

ان شيئا من الهدوء قد عاوده ، لكنه كان يحس بين الفينة والفينة أن قلقا كبيرا يباغته .. ان على وجوه الناس وهو يتحدث اليهم معنى لا يفهمه ولا يحبه . ليخيل له أن السخرية تطفو على وجوههم وهم ينصتون له ، لماذا ؟!... ألم يقتنعوا بعد !.. أيتهمونه في غيبته يا ترى ؟!..

وبدا عليه الهزال ..

وجعل الخبثاء يستدرجونه ليروي لهم قصة فتلة الخيط التي التقطها من تراب الطريق ، كما صاروا يتندرون بحكاية عركاه مع الشرطي الذي رافقه الى دار العمدة ..

وأحس المسكين بهوان كبير . وساءت صحته ..

وفي أواخر ديسمبر لزم الفراش .. ومات في أوائل يناير ، وفي سكرات الموت كان يؤكد براءته مكررا :

« ... انها فتلة خيط ... انها فتلة خيط ، ها هي ، يا سيدي العمدة » .

يوسف جوهر
المحامي

المال والعلم والشرف

* قيل ان العلم والمال والشرف اجتمعوا مرة ، وحين ارادوا ان يفترقوا قال المال : انني ذاهب يا اخواني فاذا أردتم ان تجدوني فابحثوا عني في ذلك القصر العظيم .

وقال العلم : اما انا فابحثوا عني في تلك الجامعة الكبرى .

وظل الشرف ساكتا فسأله زميلاه لماذا لا تجيب ؟ فقال : أما أنا فانني اذا ذهبت فلن أعود قط .

بين النور والظلام

شعر: أحمد مظهر العظمة

صد عزمي مواكب الاغراء ... منذ سار الصبا مسير الضياء
ودعا اللهو جنده من شرور ... فاذا النور قاهر الاغواء
واذا حاول الفساد سبيلا ... من خداع يبوء باستخذاء
فغدا القلب للفضائل مهوى ... وهو مأوى الهداة والفضلاء
تتقيه كتائب السوء طرا ... ويرجيه منبر العلياء
عجب العصر من ثباتي عمري ... بين لهو مهاجم وشقاء
في ديار للغرب تاهت وضلت ... وبلاد التقليد كالببغاء
زعم العصر للتطور حكما ... لا يماذى ، رغم الهدى والعلاء
قلت : يا صاح للتطور حد ... دون مسخ الاخلاق والعقلاء
وجمعت الظلام والنور يوما ... في حوار مبين .. بناء
قال : اني حرية « وانطلاق » ... لا شجون الاديان والآراء
واجاب الضياء : انك عبد ... لفسوق وضلة وغباء
وانا حامل اللواء لهدي ... دائم دائب مدى الآناء
وسبيلي سبيل كل منير ... من هداة السماء والفداء
حجتي الحق دامغا منطقيا ... لا ظنون مزعومة كالهباء
شهد الدهر دولتي وعلائي ... ورجائي وحكمتي ومضائي
وتولى الظلام يهرف جهلا ... ولجاجا تلقاء آي وضاء
بت غاو خالي الوفاض عمي ... آثر التيه في مهاوي الشقاء

تقاسيم على أنغام الحبوبي

الأصل : للسيد محمد سعيد الحبوبي

تخميس : هادي الشربتي

صاغتك ابداعة فنان معجزة في شكل انسان
ومذ تخطيت بريعان طرز خديك العذاران
تطرزة الورد بريحان

سبحان من طرز من سندس لام العذارين على اطلس
واخرج الكوكب من حندس خداك من ورد ومن نرجس
عيناك والقامة من بان

شقائق النعمان فتقتها ومن دم الاكبد اغرقتها
ومذ سيوف الهدب جردتها مرائر العشاق شققتها
فاخضر منك الاحمر القاني

مزجت سحر الجفن بالقرقف اسكر لب العاشق المدنف
قلب زليخا مال عن يوسف لو كنت في دار كمصر وفي
حي مدان حي كنعان

في كل مصر سر حبي فشا فليقل العاذل مهما يشا
ان كنت يعقوبا سقيم الحشا ما كنت الا يوسفا يا رشا
او فقته يا يوسف الثاني

لؤلؤة في الثغر اسماطه عـز على العاشق قيراطه
في وجنتيه الورد انماطه اغيد كالدمية اقراطه
قد علقت تعليق اوثان

يا قوتة جاد بعذب اللما كاسا دهاقا يسكر المبسما
ناشدت اذ مر اهيل الحما يا من راى في الارض بدر السما
اشرق في صورة انسان

يخفق قلبي من لهاث كما يخفق ردف اثقل المحزما
ان اخسر الخطو وان قدما جال فؤادي ان مشى مثلما
في خصره جال الوشاحان

خلفت قلبي عنده والحجى اسال من راح عليه وجا
حتى اذا ما خاب مني الرجا وافى وقد شع صباح الدجى
فقلت قد شع صباحان

طالت لنا من وصله ليلة حمراء لم تغمض بها مقلة
هب متى ما أبتدات جولة والراح في راحته شعلة
تؤجج الليل بنيران

واقرع الاقداح خمرا فما ابقت بقلب غلة او ظما
مذ مزج الخمر بعذب اللما خفف طبعي شربها مثلما
دبيبها ثقل اجفاني

لم ينشغف قلبي الا به وليس مثواه سوى لبه
لن تصرفاني قط عن دربه يا لائمي اليوم في حبه
مهلا فما شانكما شاني

راموا انشغالي عنك لكنهم ردوا وخيبت لهم ظنهم
حلفت لو اشرقت ما بينهم هاموا هيامي فيك لكنهم
قد عرفوا معناك عرفاني

في طور سينالك تبينتهم اذا رنا قالوا تجافيتهم
كفرا اتوا حين تحاشيتهم لكن تجليت فاعشيتهم
بفرط انوار ونيران

حلفت بالحب يمينا علي حبك لا اجفو ولن ابدلا
يا صنو روحي وهوى اولا والله لا اسلوك يوما ولا
املك لو حاولت سلواني

في مهجة اللوعة متوجة وفي عروق القلب منسوجة
واسمك في ثغري اهزوجة روحي في روحك ممزوجة
وربما تمزج روحان

حبك لا يفتر عن حدة اهواك في يسر وفي شدة
وفي سهاد وكرى رقدة حتى كاني منك في وحدة
لو صح ان يتحد اثنان

لاحت سويدائي من حرقة وهل خلا العاشق من لوعة
انـي وان كنت اخا لوعة اصبحت من حبك في جنة
تبهج في حور وولدان

دخلتها حتى وان عاقني رضوان في بابك او سافني
رواء جناتك قد شاقني ومن حصى صهبائها راقني
ما زاق من در ومرجان

في مقلتيه السحر قد راقني بالرغم مني للهوى ساقني
يا مدنفا بالحب قد فاقني هل شاقك الحي الذي شاقني
حلوا باعلى رمل نعمان

وردي في التسبيح نجواهم واستعذبت روحي بلاياهم
فقل لمن حرم لقياهم اهواهم لم اهو الا هم
هوى تلاشى فيه جثماني

اذبت روحي في هواهم فما خشيت عذالا ولا لوما
غدوت صبا بهم مغرما افرح ان يدنوا اهيل الحما
وان نأ كابدت احزاني

لا عهد لي بالربع من بعدما نأوا ولا للغير قلبي انتمى
فلست بالحي نزيلا كما لا الدار داري بنقيق الحمى
كلا ولا الجيران جيراني

كربلاء ـ العراق هادي محمد الشربتي



التقريظ والانتقاد

دنيـا الاطفـال

مجموعة قصصية للاطفال ــ تأليف الكاتب البلغاري أنجل كارليتشف ــ ترجمة عيسى فتوح ــ ١٢٨ صفحة من القطع الوسط ــ مطبوعـات وزارة الثقافة في سورية ــ ١٩٧٨ •

يقدم لنا الاديب البلغاري الراحل « أنجـل كاراليتشف » في مجموعته القصصية الخاصة بالاطفال (دنيا الحكايات) قصصا نابعة مـن حس مصور مرهف كما يحب الطفل ، تجمع بين الخيـال والحقيقة ، بين السرد والعبـرة الاخلاقية ، بين المغامرة والتفاؤل بنتيجتها ، بين البساطة في العبارة ، والمفاجأة السارة •

حين يحاول كاراليتشف ان يدخل الى عالم الاطفال بقصصه ، فانه يمتع النفوس ، ويأسر الالباب ، ذلك أنـه مـن صميم الشعب البلغـاري ، وابن الريف الاصيل ، قضى حياته مع الكادحين من أبناء بلده الذين كرس لهم كل طاقاته الابداعية ، وكل جهوده وحبه •

يقول المترجم الاستاذ عيسى فتوح في المقدمة التـي وضعها للكتاب ان أعماله الادبية « عكست مطامح الشعب البلغاري وتطلعاتـه ، وكانت صورة صادقة لمعاناة هذا الشعب الذي كافح بايمان ضد الفاشية • ويتميز أسلوبـه بطابع خاص ، وتنعكس في قصصه أعقد قضايا الحياة بشفافية مذهلة ، حيث يمزج بروعة فائقة قضايا النضال بحكايات الشعب ، وبروح الشعب العظيم ، حتى لتحس بنبضات قلبه المفتون بحب الجمال والعدالة ، في كل كلمة خطها قلمـه » •

ان فضل كاراليتشف على تطوير أدب الاطفال في بلغاريا لا يقدر بثمن ••

وتعتبر كتبه من بين أكثر الكتب انتشارا في الثقافة المعاصرة ، اذ ربى في قصصه وحكاياته عشرات الاجيال على حب الوطن والخير والحقيقة والطيبة .

لقد استطاع الاستاذ عيسى فتوح ــ بصفته مدرسا للادب العربي في اعداديات وثانويات دمشق ، وبحكم اطلاعه على أدب القصة عند مختلف الشعوب في العالم ــ أن يختار هذه المجموعة القصصية ، وينقلها من الانكليزية الى العربية بصدق وبراعة وأمانة ، فجاءت قريبة من واقع الطفل والانسان في كل مكان ، مما جعل وزارة الثقافة والارشاد القومي في سورية تتبنى هذه الترجمة ، وتصدرها في سلسلة مطبوعاتها للاطفال ، والجدير بالذكر أن المترجم قد نقل الى العربية ثلاثة كتب هي « عندما جاءت عصافير الدوري » للشاعرة البلغارية ليدا ميليفا ، و « مدرسة اللقلق » لعدد من أشهر كتاب قصص الاطفال في روسيا ، و « الفأس الذهبية » لكتاب من روسيا والصين ورومانيا وبلغاريا وبنغلادش ... كما أصدر عام ١٩٧٦ دراسة واسعة عن أديب اسحق ، ويعد عيسى فتوح من أنشط الكتاب السوريين في ميدان الدراسات والنقد والادب الاجتماعي ، فهو ينشر باستمرار في صحف ومجلات سورية وعربية .

وعيسى فتوح من صميم الشعب العربي في سورية ، نشأ في بيئة ريفية في منطقة صافيتا ، واستطاع ان يتابع دراسته العالية في كلية الآداب بجامعة دمشق ، فتخرج عام ١٩٦٠ وانخرط في سلك التدريس ، وعمل في الكتابة والتأليف منذ أن كان طالبا على مقاعد الدراسة .

ستصدر للاستاذ عيسى مجموعة شعرية مترجمة للاطفال عن دار التقدم في موسكو بعنوان « قوس قزح » كتبها شاعر الاطفال المعروف « صموئيل مارشاك » وهو عاكف الآن على ترجمة مجموعة من القصص الهندية ستصدر في العام المقبل ، ولا يسعني الا أن أهنئه على هذا النشاط الجم الذي سجل فيه صفحة ناصعة في مجال الكتابة والترجمة التي صار رائدا من روادها .

دمشق ــ الجسر الابيض ــ حسان الكاتب

الانفلونزا وطرق الوقاية منها

طرق العدوى :

تكاد فيروسات الانفلونزا تسكن أجسام معظم النـاس . ولكن البعض لا يمرضون الا عندما تضعف مقاومتهم لهـذه الفيروسات ، ويحدث ذلـك عندما تكون الظروف الصحية مؤاتيـة ، مثل وجود حالات مرضيـة متعلقة بذات الرئة أو بروماتيزم القلب . بشكل خاص .

والانفلونزا سريعة الانتقال من المريض الى المحيطين به عن طريق الرذاذ، الذي يتناثر منطلقاً عند السعال أو العطاس ، والذي ينتشر عبر ذرات الهواء فينتقل الى الاصحاء ، وتنتقل فيروسات الانفلونزا أيضـا أثنـاء الضحك أو الكلام بصوت مرتفع . ولعل أقوى عدد مـا يخرج في العطسة الواحـدة ١٠٠,٠٠٠ رذة (مفرد رذاذ) تحمل كل منها مئات من الفيروسات ، وهـذا يجعل هواء الغرفة ملوثا . لذلك فان زيارة المريض ولو لبضع دقائق ؛ فـي حجرة سيئة التهوية ، تكفي لاحداث العدوى . كما أن المنديل المبلل بذرات العطاس والسعال يلصق به البلايين من الفيروسات ، وكلما أمسكه المريض ، أو أي شخص آخر ، علقت بيده ملايين الفيروسات التـي تنتقل بالمصافحة . كما تنتقل العدوى باستعمال أدوات المصاب الملوثة ، أو بتقبيله .

ولسبب ما ، فان ذوي المقاومة الصحية الضعيفـة هم أكثـر الاشخاص تعرضا للاصابة بهذا المرض ، وربما كان ذلك بسبب اطالـة السهر او الاكثار من شرب الخمر ، والاجهاد البدني او العقلـي ؛ او بسبب الاقامـة في اماكن سيئة التهوية ، او الاصابة بالزكام البسيط ، فهذه كلها عوامل مـن شأنها ان تساعد في احتمال الاصابة بالمرض في حال انتشاره .

وكثيرا ما يصاب شخص بانفلونزا خفيفة لا يشعر معها بأنه في حاجة الى الراحة في السرير ، وفي هذه الحالة يكون هذا الشخص اكثر خطرا من غيره ،

وتصل الانفلونزا الى عنفوانها في مدة اسبوعين او ثلاثة اسابيع . واما المعاناة من المرض فتدوم من يوم الى خمسة أيام ، وتدوم في الغالب مدة ثلاثة ايام . أما أعراض الأنفلونزا المتعلقة بالانف والحنجرة ، فانها تسوء في خلال ٢٤ ساعة ، ولكن يعقب ذلك تحسن عام .

ومن أهم مضاعفات الانفلونزا الالتهاب الرئـوي الشعبـي ، فالمعروف لدى الأطباء ان فيروس الانفلونزا يسبب الوفاة لانه يخلق في الجسم حساسية وقابلية للاصابات البكتيرية ، فهو يساعد على تسرب الميكروبات الـى الرئتين او الى الجهاز العصبي واغشيته . ويمكن معرفة حدوث ذلـك عند ارتفـاع درجة الحرارة ، او عند عودة الحرارة وخاصة اذا بقيت مرتفعة الى اكثر مـن خمسة أيام ، اذ يدل ذلك على مضاعفات خطيرة مثل البرونشايت او الالتهاب الرئوي او امراض صدرية اخـرى ، او مرض في الاذن الوسطى ، او عنـد عودة الحرارة الى الارتفاع بعد الشم وصعوبة في التنفس وفي ابتلاع الطعام . وخزي في الصدر ، وحدوث نهشان او ازرقاق في الشفاه او تيبس في عضلات الرقبة . ففي مثل هذه الحالات ينبغي مراجعة الطبيب فورا .

ففي كل حالات الانفلونزا يشعر المريض بانحطاط عام وضعف شديدين ، وقد لا يسترد المريض قواه الا بعد دور نقاهة طويل . وينبغي علـى المريض ان لا يتعجل تركه للسرير عقب زوال الحمى مباشرة ، بل عليه التريث . ويمكن للمريض ان يحكم على استعداده للعودة الى عمله بنفسه ، لان فتـرة النقاهة تكون مصحوبة بشعور الانحطاط والكآبة لعدة اسابيع . وامـا معدل مـدة الشعور بالانحطاط العام التي تسببها الانفلونزا ، بدون مضاعفات فهي تتراوح ما بين الاسبوع والعشرة أيام .

كيف نميز اعراض الانفلونزا ؟

ربما كان الشخص يعاني من الرشح العادي فحسب ..

لنفترض انه كان يعاني من سيلان في الانف ، ولكنه شعر في اليوم التالي انه على غاية ما يرام . فهل يمكن التمييز بين اعراض الرشح العادي واعراض

اذ يترك لنفسه حرية التنقل من مكان الى اخـر • والاشخاص الذين يحملون فيروس الانفلونزا في حلوقهم ، هم اشد خطرا من المرض نفسه بالنسبة الـى نقل العدوى ، اذ ينقلونها بواسطة الكـلام او الضحك ، فيتسببون بانتشار الانفلونزا على صورة وباء •

واعراض الانفلونزا ليست مميزة تماما ؛ كما هـو الحال بالنسبة لبعض الامراض الفيروسية الاخرى كالدفتيريا والدوسنتاريا والتيفوس ، بـل هـي اعراض عامة تكاد تتفق مع اعراض الرشح العادي ؛ او تشبه الاعراض الاولية لمطلع كثير من الحميات •

والانفلونزا تظهر فجأة ، وتنتشر بسرعة • واعراضها لا تظهـر الا بعـد ١٢ ـ ٧٢ ساعة من دخول الفيروسات الـى خلايا الجسم • وهـذه الاعراض تبدأ بارتفاع درجة حرارة الجسم ، التـي ربما وصلت الـى حدهـا الاقصى (٣٨ ـ ٤٠ دء م) في اليوم الاول ، وارتفاع الحرارة يستمر عادة مـن يومين الى ثلاثة ايام ، وربما استمرت خمسة ايام او اكثر ، مع العلم بأن درجة حرارة المصاب قد لا ترتفع اطلاقا في بعض الحالات البسيطة • ويصحب ذلك شعور بصداع حاد وبألم في الحلق الجاف ، المصحوب بسعلة جافة ايضا • وتتكـرر هذه السعلة على فترات قصيرة وتشتد نوباتها ليلا ؛ فتسبب الارق للمريض• ويشعر المصاب كذلك بالبـرد والقشعريرة ، ويحـدث سيـلان مـن الانف وانسياب الدموع من العينين مع عدم قدرتهما على مواجهة الاضواء • وغالبا ما يحتقن الوجه ؛ فتعلوه حمرة ظاهرة ، مـع ازدياد سرعة النبض والتنفس • ويشعر المريض ايضا بآلام شديـدة في جسمه عامـة ، وفي الظهـر والرجلين والعضلات والمفاصل بشكل خاص ، فيفقد المريض مـع حالة الضعف العـام هذه ، أي رغبة في العمل او اللهو ، بل يخيم عليه شعور الكآبة والتعاسة •

وان ازدياد التعرق والشعور بالدوخة هـي ايضا مـن ضمن اعـراض الانفلونزا • وهناك اعراض خاصة بالنسبة للاطفال مثل النزيف الانفي والالام البطنية المصحوبة بالقيء والاسهال ، بالاضافة الى الاعراض السابقة •

الانفلونزا ؟

ان التمييز بين اعراض الاثنين أمر يحتاج الى اختصاصي ، حتى ان الاطباء يجابهون مصاعب في دقة التشخيص . وربما كان من المفيد لنا بادئ ذي بدء ان نتذكر بأن الانفلونزا غالبا ما تعم الوسط او البلد ، اي انها تتميز باصابتها لعدد كبير من افراد المجتمع في وقت واحد ، بينما اصابة الرشح قد تنحصر في شخص معين الى وقت طويل . فيمكن ان يصاب الشخص بالرشح العادي بصورة افرادية في أي وقت ، ولكن اصابات الانفلونزا تأتي بأوقات اكثر انتظاما . ومع ان كلا المرضين يتسببان باحداث السيولة الانفية ، وان كليهما يتعلقان بجهاز التنفس بصورة رئيسية ، وغير ذلك من الاعراض المشتركة مثل الشعور بالكآبة والضعف والصداع والسعال احيانا والقشعريرة وألم في الحلق مع الجفاف ، الا ان الاصابة بالانفلونزا تنطوي على مضاعفات اشد خطورة . وربما كانت السيولة الانفية بالنسبة للرشح هي مصدر المضايقة الرئيسي للمريض . فان فيروسات الرشح تفد سطح خلايا الانف او الحلق ، او القنوات التنفسية ، فتتسبب باحداث سيلان في الانف ، الذي يكون سائلا كالماء في بادئ الامر ، فلا يلبث ان يصبح لزجا . وهذا هو سبب انسداد فتحتي الانف ، وسبب العطاس . كما وان احتقان الانف في حالة الرشح هو نتيجة لتراكم المادة المخاطية التي يرافقها التهاب اغشية الانف المخاطية . فهذه الاغشية تمتلىء بالدم في الوقت الذي يصارع فيه الجسم الفيروس . واما بالنسبة لحرارة الجسم ، فانها تكاد تكون عادية في حالة الرشح في معظم الحالات ، وان كانت ترتفع قليلا بالنسبة للاطفال بصورة خاصة . ويصاحب الاصابة بالرشح فقدان حاسة الهبوط ، ويصحب ذلك شعور المريض بألم وأما ألم الحلق واصابته بالجفاف ، وخاصة عند الاستيقاظ ، فسببه ان النائم تنفس عن طريق الفم طوال الليل ، لصعوبة انفتاح المجاري الانفية .

ومهما يكن الامر ، فينبغي ، بالنسبة للاطفال ، الاتصال بالطبيب في كل وقت تظهر فيه اعراض السيلان الانفي او « الرعيان » الحلقي . وسبب

وجوب هذا الحرص ، هو ان هذه الاعراض ربما دلت على وجود امراض خطيرة ، أي انها ليست مجرد اعراض رشح عادي ، ومن هذه الامراض الخطيرة : الحصبة الالمانية ، الحصبة العادية ، السعال الديكي ، الانفلونزا ، الحساسية ..

واما بالنسبة للكبار ، فيجب عليهم المكوث بالبيت في حالات الرشح القوي ، والغاء الالتزامات الاجتماعية ، او غيرها . واما اذا كان الرشح خفيفا فلا حاجة لذلك . فالمهم ان يكون المصاب حذرا للغاية عندما يسعل او يعطس ، وعليه ان يتأكد من حصر الجراثيم في مناديل خاصة ، ومن وضعها بعيدا عن متناول انفاس الاخرين .

والمعروف عن الرشح انه لا بد من ان يأخذ حده ، كما يقولون . فالحقيقة انه لا يوجد في الوقت الحاضر دواء بامكانه القضاء على فيروسات الرشح ، كما هو الحال بالنسبة لفيروسات الانفلونزا . ولعل القاعدة الذهبية للمعالجة هي « كلما كان العلاج ابسط ، كلما كان ذلك افضل » . فالادوية المستعملة لمعالجة الرشح ، مثل الاسبرو والاسبرين وادوية السعال ، والمستنشقات ونقوط الانف ، والادوية المضادة للحساسية ، والغرغرات ، ربما افادت في هذا المجال ، الا انها في الحقيقة لا تعالج الرشح ولا تكون سببا لزواله ، حتى ان بعضها قد يكون ضارا ، وخاصة اذا استعمل بكثرة ولفترات طويلة . وحسب هذه الادوية ان توفر للمصاب الشعور بالتحسن ، في الوقت الذي تكون فيه حالته آخذة بالتحسن على اي حال .

علاج الانفلونزا :

لم يتمكن العلماء من معرفة فيروسات الانفلونزا (أ ، أ١ ، أ٢) التي كانت قد ظهرت ، الا في القرن العشرين ، حيث اصيبوا بخيبة أمل عندما اكتشفوا الصفات الحربائية للفيروس .

فالعلم الحديث لم يتوصل حتى الان الى تحضير لقاح ضد فيروسات

الانفلونزا ، بسبب تنوع سلالاتها ، فضلا عما يحدث لها من تغير ما بين وبـاء وآخر ، بحيث يحتاج الانسان الى تكرار الحقن بنفس اللقاح ، وهــذا اجراء من الصعب جدا تنفيذه على نطاق واسع ، بحيث يشمل كل المعرضين للعدوى وهم أفراد الشعب كله •

ولقد حاول الاطباء وصف بعض العقاقير المضادة للجراثيم، مثل البنسلين ومشتقاته ، بقصد الحؤول دون حدوث المضاعفات القاتلة ، أي منـع اتحـاد فيروسات الانفلونزا مع جراثيم ذات الرئة ، او الجراثيم المكورية او المكورية المنقودية • ويصف لاطباء احيانا عقاقير السلفا لنفس هذه الغاية •

ولهذا ، والى ان يتوفق العلماء في اكتشاف لقاح يستطيع القضاء عـلى فيروسات الانفلونزا بجميع انواعها ، يصف الاطباء ، الذين ما انفكوا منكبين على هذه الدراسة ، ثلاث نصائح تعتمد اعتمادا كليـا علـى المريض نفسه ، وهذه النصائح هي :

ــ الراحــة

ــ شرب السوائل

ــ عدم التعرض للبرد

الراحة : يجب أن تكون في السرير ، فان هــذا يساعد الجسم عـلى التغلب على المرض من جهة ، ويحفظ للقلب قوته من جهة أخرى • فاذا أصيب المريض باحدى المضاعفات ، يكون باستطاعة القلب ان يصمد دون ان ينتابـه ضعف • وقد قيل « ان أسوأ طريقة لمجابهــة الانفلونزا هــي ان تحاربها وانت واقف على قدميك ! »

السوائل : والسوائل المقصودة هنا هي الميـاه وغيرها مـن المشروبات العادية وخاصة عصير الليمون الحامض والبرتقال، وعصير الفواكه والمشروبات الغازية ، اه ان هذه الانواع من السوائل ميالة الى القلويات • والهدف مـن تناولها بكثرة ، هو ترطيب الجسم بغية خفض درجـة الحرارة مـن جهـة ، وتخليصه من السموم ، التي تخرج مع البول ، من جهة اخرى •

عدم التعرض للبرد : ليس معنى ذلك ان يغلق المريض النوافذ والابواب، وان يتدثر بأغطية سميكة بقصد ان يعرق ويشفى بسرعة ، كما يظن البعض ؛ فان الانفلونزا لا بد وان تأخذ حدها ، فضلا عن ان ذلك يعرض المريض للالتهاب الرئوي نتيجة لابتلال ملابسه بالعرق . فالمقصود بعدم التعرض للبرد ان يتجنب المريض التيارات الهوائية .

واذا كان السعال شديدا ، فيجب ان يرطب جو الغرفة ، وذلك بتبخير المياه بواسطة وابور السبيرتو في الصيف ، وبواسطة المدفأة في الشتاء . ويجب ان يعطي المريض مسكنا للسعال لمنع التعب . وأفضل المسكنات في هذه الحالة هي مستحضرات « الكودين » ، وتوجد على شكل حبوب او شراب ، ومن مشتقاتها حبوب الكوداين او التوكلاز او البراكودين ، وللاخير مذاق يستسيغه الاطفال .

ولكي يسكن الصداع وتخفف الالام وتلطف الحرارة لا بأس من اعطاء المريض الاسبيرين اما لوحده ، او مع عقار اخر ، مع عدم الاسراف بتناوله . ويستحسن ان يذاب في كوب من الماء حتى لا تتأثر المعدة به . وقد يعطى مع الاسبيرين عقار اخر مثل الفيناستين ، الذي يسكن الالم ويقوي مفعول الاسبيرين ، وكذا الكافيين الذي ينبه لقلب ويدر البول . وهذه العقاقير توجد في اقراص « اسكين » ويكفي ٤ اقراص للكبار وقرص ونصف للاطفال . كذلك يعطى المريض فيتامين « ج » ، اذ يعتبر دواء فعالا ضد الالتهابات بشكل عام .

هذا ويجب العناية بنظافة الفم والاسنان والحلق بالمياه الدافئة المضاف اليها قليل من ملح الطعام .

اما الغذاء فمن المستحسن ان يكون خفيفا سهل الهضم مثل شوربة الخضار او اللحم او البطاطا المسلوقة أو الحليب او اللبن أو اللبن مع الرز . ومن الافضل ان يتجنب المريض الدهنيات والكبيس (المخللات) والبهارات ، وان يقسم الغذاء اليومي الى خمس او ست وجبات حتى لا ترهق

لغتنا وتحديات العصر

بقلم الدكتور محمد خير الحلواني
عميد كلية الآداب بجامعة تشرين باللاذقية

مشكلة العربية فكرية قبل ان تكون لغوية
انها تتجدد بتجدد الفكر وتنحط بانحطاطه

هل نحن أمام مشكلة لغوية ؟ وهل بنا حاجة الى بناء لغوي جديد ؟ هذان السؤالان هما واجهة المشكلة الفكرية التي نشطت في هذه الايام، فامتلأت بها الصحف والمجلات ، وتناولتها الاقلام متجهة بها نحو اليسار تارة ، ونحو اليمين تارة أخرى ، وبقيت المشكلة هي هي ، في رتوبها وفي مصاعبها ، وفي حاجتها الملحة الى البحث والدرس ، وما أظن أننا منتهون الى حل حاسم ، لأن قصارى ما تفعله البحوث الجادة هو أن تهيىء الحافز للحل الحاسم •

المشكلة فكرية

وأعتقد في كثير من الجزم والثقة ، ان مشكلتنا اليوم ليست لغوية ، بل هي فكرية ، لاننا لا يمكن ان تتصور لغة راقية في جو فكري متخلف ، صحيح أن اللغة أحيانا تكون وسيلة لتوحيد الفكر وترقيته ، ولكن هذا لا يصدق اليوم في واقعنا الثقافي •

وقد يبدو هذا غريبا جدا في عصر وعى العرب فيه قيمة لغتهم القومية ، وتنادوا الى جعلها أهم مقومات حياتهم ، وأولوها العناية السياسية في النشرات والاذاعات ، ولكن هذا كله لم يستطع أن يحول بينها وبين التدهور ، ولم يزدها على الايام الا هوانا وهزالا •

وانما يكمن الخطر المحدق في أن خصوم العربية الاجانب قد تواروا خلف خصوم ألداء من أبنائها ، كما يكمن في المآل الذي نجد عليه اللغة : وفي جهل متكلميها بها وسوء استخدامهم لها ، فقد باتت على ألسنة كثير من المثقفين عجفاء عوراء ، مشوهة الخلق ، ممسوخة الشكل ، بعد أن سحرت الناس ببيانها ، وبلاغة تراكيبها، وبعد أن حملت لاوروبا كنوز الثقافة العالمية.

تحديات تواجه اللغة العربية

وقبل أن أوغل في الحديث عن دعوات هؤلاء الخصوم واكشف عن مسالكهم ومساربهم . أوثر أن اتحدث عن مواجهة لغتنا العربية لتحديات ثلاثة ، هي : التحدي الثقافي ، والتحدي القومي ، والتحدي الاجتماعي ، ليكون هذا الحديث تمهيدا للحديث عن تحدي الدعوات المشبوهة وتفنيد مزاعمها ، وكشف منازعها .

١ ـ التحدي الثقافي

فما طبيعة التحدي الثقافي أو الفكري الذي نعانيه اليوم ؟ وما موقف اللغة العربية منها ؟

ان ثقافتنا اليوم نوعان : نوع يستوحي التراث ، ويبدع من وحيه ، ونوع نستورده من الخارج ، ولا شك أننا في حاجة الى النوعين كليهما .

أما الاول فيشمل العلوم النظرية ، من لغوية وتاريخية وجغرافية وفلسفية ، وأما الثاني فتشغل العلوم التجريبية أكبر ساحاته ، ولكنه لا يخلو من دراسات فكرية نظرية ، فيها الفلسفة والقانون والاقتصاد والمنطق الرياضي .

واللغة العربية هي الوسيلة الاولى لنقل هذه العلوم الى الفكر العربي ، فهل هي قادرة على ذلك ؟

أما العلوم النظرية المستوحاة من التراث فهي ولا شك جزء منها ، لانها

الوعاء اللغوي للفكر العربي القديم ، وثقافاته المتنوعة المتعددة •

أما العلوم النظرية الغربية كنظريات المنطق والادب والاقتصاد والفلسفة، فقد أظهرت في نقلها العربية قدرتها على الاستيعاب ، وطواعيتها لادق النظريات ، ولكن المشكلة انما تكمن في نقل العلوم التجريبية كالطبيعية والفيزيائية والالكترونية ، او قل : انها تكمن في تعريب هذه العلوم •

لا تحاسبوا اللغة .. بل حاسبوا الفكر

غير أن الامر في اعتقادي لا يدعونا الى بحث المسألة من جانبها اللغوي، بل يلح علينا ان نتناولها من جانبها الفكري ، اذ لا يمكن أن نحاسب اللغة على تخلفها ، وندع الفكر غارقا في جهله الى أذنيه ، فهذه العلوم ـ كما قلنا قبل قليل ـ مما نستورده لا مما نبدعه ، فهي تأتينا بقوالب لغوية تمثل فكر المخترع ، وتعبر عن مناهجه وانماطه وتفوقه الحضاري ، فاذا أردنا تعريبها وجب على فكرنا ان يعاني مخاضا أو أن يجدد نفسه ، وحينئذ تصير هذه العلوم جزءا منه ، حتى اذا بلغ هذه المرحلة جاء دور اللغة ، لانها تتجدد بتجدده ، وسيجد بين يديه لغة ثرية المعجم ، غنية الظواهر ، لانها ميراث الفكر العربي وسيجد فيها من القدرة على استيعاب العلوم الجديدة ، والتعبير عن جزئياتها ما يغنيه عن المصطلحات الاجنبية ، وعن اللغة التي حملتها اليه •

ولكن الذي يحصل غير هذا ، فنحن اليوم نعيش في عصر يذهلنا تطوره السريع ، ولا سيما تطور العلوم التي تعتمدها التكنولوجيا الحديثة ، وهذا وحده يجعل الفكر العربي في مطاردة دائبة للفكر الغربي ، فما ان تمثل العلوم الوافدة ، ويحس في نفسه القدرة على تعريبها ، حتى تكون قد تطورت وتقدمت ، ويبيت ما يعرفه عنها قديما ، كالشجرة الخالية من الثمر ، فاذا أقبل عليها وجد لغة جديدة ، ومصطلحات جديدة ، وحينئذ لا يجد بدا من مرحلة زمنية أخرى لاستيعاب الجديد وتمثله •

وهكذا يجد نفسه في النهاية أمام مطاردة لا تنتهي لتجدد الفكر العالمي، وتجدد لغته ، وهذه المطاردة الفكرية لا تعانيها الامم الراقية ، لانها تشارك في

عملية الابداع ، ولا يقتصر موقفها الفكري على الاخذ فقط .

ان المشكلة في اساسها اذن مشكلة الفكر لا مشكلة اللغة ، وأية لغة يمكن ان تنقل الى فكر أصحابها ما لا وجود له في محيطه ؟.

ولكن أما لهذا الليل من آخر ؟

الفقر فكري .. لا لغوي

الحق ، ان المحاولات الفردية تبقى أسيرة الضمور ، ولا بد من مجابهة جماعية لهذه المشكلة ، وهي ــ لعمري ــ ذات جذور متشعبة تمتد في حياتنا وحياة أطفالنا ، وتعشش في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا ، فالتلميذ في مدارسنا الابتدائية مثلا لا يأخذ نصيبه السليم من الزاد الفكري المطلوب ، فمن احصاء قام به مكتب التعريب في المغرب يتبين لنا أن مستوى ادراك الطفل العربي يقل عن مستوى زميله الاجنبي بمقدار النصف ، لان مجموع مدركاته لا يتجاوز ثماني مئة مدرك ، على حين يتوفر للطالب الاجنبي خمس مئة وألف مدرك .

واذا تجاوزنا المدارس الى محيطنا العام ، بدا لنا ما نعانيه من فقر فكري هو المسؤول الاول عن تراجع اللغة العربية ، فنحن اليوم نترجم العلوم حقا ، وننقلها الى لغتنا ، ولكن حركة الترجمة عندنا بطيئة جدا اذا هي قيست الى التطور السريع الذي يحيط بالعلوم والفنون ، ومن أجل ذلك يبقى الفكر في مطاردته الدائبة ، وتبقى اللغة في افتقار الى المصطلحات العلمية ، ويكفي أن نعرف « ان الحضارة العلمية تقذف في كل يوم بما يتراوح بين خمسين ومئة مصطلح جديد الى ساحة التداول العلمي » .

فقراء .. ما دمنا مستوردين

واذن ، فان اللغة العربية ستظل قاصرة قصور الفكر العربي ، ولكنها ستتحول معه أن تحول من مرحلة استيراد هذه العلوم الى مرحلة الاكتشاف والاختراع ، وانها اليوم واصلة الى الحدود الفكرية التي وصل اليها الفكر

العربي ، فقد استطاعت ان تحيط بالفلسفات النظرية الاوروبية ترجمة وتعبيرا، كما استطاعت ان تكون اللغة الادبية التي استوعبت شوامخ الآثار الاوروبية، أما أنها مقصرة في المجال العلمي الصرف ، فهذا راجع حتما الى تقصير الفكر العربي في هذا المجال •

ولا أريد أن أتهم متكلميها العلماء بالتقصير ، فهم منذ نيف وستين عاما يدأبون على تعريب بعض العلـــوم ، ووضع المصطلحـــات الطبيـــة والنباتية والفيزياء ، حتى باتت المعاجم اللغوية لكل علم من هذه العلوم منتشرة فـــي الباحثين وفي الاوساط العلمية •

وليس هذا فحسب ، بل ان العلماء الغربيين الذيـــن استدعوا لالقـــاء محاضرات في بعض الجامعات العربية كانوا يلقونها بلغاتهم الاصلية ، ولكنها كانت تترجم للطلاب فورا في قاعة الدرس « ولم يفكر أعضاء البعثات العلمية الاولى من العرب الذين أوفدوا الـــى فرنسا لدراسة العلـــوم الحديثة عنـــد عودتهم الى بلادهم في أن يلقوا دروسهم على طلاب المعاهـــد العربية بلغـــة أجنبية، بل قدموا الى مكتبتنا العربية رصيدا ذا بال في معرباتهم ومؤلفاتهم» •

وعلى الرغم من هذا لا نزال مقصرين ، ولا تزال لغتنا تنتظر فكرا يزرع فيها نسغا جديدا حتى يثمر ويؤتي أكله ، ولكن هل هي قادرة على تحمل هذا النسغ ؟ وهل فيها من الطواعية والاستجابة ما يؤهلها للنمو والحياة الجديدة؟

العربية ولود .. ولكن اين الرجال ؟

أعتقد أن الجواب عن هذا يحتاج الى معيار سليم للغة الحية ، فما هو ؟ أهو معيار ينظر في طبيعة اللغة وجوهرها ، أم تراه يهتم بغنى اللغة الخارجي دون النظر الى قدرتها الداخلية على التفاعل مع نمو الفكر ، وتطور الحياة ؟

الحق ، ان حياة اللغة هو مقدار ما تملكه مـــن عناصر الحياة ، أعني أن يكون لها من مميزاتها وطبيعتها ما يضمن لها البقاء والاستمرار ، كأن تكون اللغة متصرفة ، ذات وسائل تعبيرية طيعة ، ولها مـــن تاريخها تجارب أمدتهـــا بغنى المفردات ، وثراء التعابير •

وحين نحكم على لغتنا العربية بهذا المعيار نجدها لغة حية قادرة على البقاء وعلى استيعاب (المعاصرة) استيعابا صحيحا ، فهي ــ كما يعرف الناس ــ لغة متصرفة في بناء مفرداتها وفي بناء تراكيبها ، وهي أكثر لغات العالم طواعية للاشتقاق ، كما أن وسائلها التعبيرية لا ترتكز على ظاهرتي اللصق والتركيب ، كما هي الحال في اللغتين : الفرنسية والانكليزية ، بل تجمع الى هاتين الظاهرتين وسائل أخرى ، فهي تعبر عن المعاني بالصيغ ، وبالتركيب ، وباللصق ، وبالاعراب ، ولجملتها من المرونة ما يجعلها قادرة على نقل أدق المعاني ، والاشارة اللطيفة الى ما استسر من دقيق الافكار الجزئية .

ولا تقتصر حيوية العربية على ميزة التصرف والاشتقاق ، بل هناك غنى من نوع آخر ، هو ما تتميز به من العبارات المجازية المصورة التي جسدت خيال العربي وخلدته .

وهذه الخصائص الداخلية تحتاج الى فكر جديد يجدد في صيغها ، وفي وسائلها التعبيرية ، وتحتاج الى محيط ثقافي قادر على اثارة النفس والفكر ، ليبحثا عن ابجدية جديدة في لغة العرب من شأنها ان تكون تعبيرا جديدا يضاف الى التراث ، ويكون وسيلة اثارة من جديد ، فيهيىء للابداع فالتعبير .

لندع اذن الى تجديد الفكر ، لا الى تجديد اللغة ، لان اللغة لا يمكن أن تتجدد ، والفكر مهترىء من القدم ، ولكنها تشبه التابع الذي يتحدث عنه علماء الرياضيات ، لانها في الواقع تابع للفكر تتجدد بتجدده ، وتثرى بثرائه ، وكذلك تنحدر بانحداره .

والى جانب هذا يستطيع العرب ــ اذا أرادوا خدمة الفكر واللغة ــ ان يفيدوا من طبيعة لغتهم ، فعن طريق الاشتقاق ، والنحت ، وبناء الصيغ يستطيعون أن يخلقوا آلاف الكلمات والمصطلحات ، ولا بد لهم في عملهم هذا من التعريب بمعناه اللغوي ، وأعني به أن يقتبسوا من اللغات الاخرى ما لا يمكن نبشه أو اشتقاقه أو نحته من لغتهم القومية ، ولهم بالقدماء أسوة .

ولقد مثلت العربية في تلك الازمنة ما تمثله اليوم اللغتان : الانكليزية والفرنسية ، من سيطرة على الفكر العالمي ، فقد ظلت مصدر الغربيين في المصطلحات العلمية ، اذ أخذوا منها الكحول والجبر ، ومعظم أسماء الرياحين والازهار ، ومعظم المصطلحات الطبيعية كالياسمين والقطن ، ومعظم مصطلحات الري وأسماء الحلي ، وقد استمدت « اسبانيا وبواسطتها أمريكا اللاتينية من اللغة العربية الشيء الكثير من مقوماتها اللغوية ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا » .

وليس هذا فحسب بل انها أمدت الفكر الاوروبي بالمنهاج العلمي ، يقول الاستاذ ماسينيون : « ان المنهاج العلمي قد انطلق أول ما انطلق باللغة العربية ، ومن خلال العربية في الحضارة الاوروبية » ويقول : « ان العربية استطاعت بقيمتها الجدلية والنفسية والصوفية ان تضفي سربال الفتوة على التفكير الغربي » .

ومن هنا كانت سيطرتها على الفكر الاوروبي مدعومة بالثقافة وجمال العبارة وراجعة في أصولها الاولى الى ضعف أوروبا يومئذ ، فالنقص الفكري في أمة من الامم يؤدي الى الاعجاب بفكر أمة أخرى احتكت بها ، أو غلبتها على أمرها ، وهذا يؤدي الى أن يكون نظرتها الى لغة هذه الامة نظرة اكبار واعجاب، ويقودها هذا الى الموازنة بين لغتها القومية ولغة الامة الغنية الفكر .

لقد حدث هذا في الماضي في اسبانيا ، ويحدث اليوم مثله في الوطن العربي ، فقد أخذ المثقفون الاندلسيون وأرباب الفطنة منهم يحتقرون اللغة اللاتينية ، ويكتبون باللغة العربية دون غيرها ، بعد أن سحرهم رنين أدبها الحي ، وأخذوا يحتقرون تراث قومهم، ولا يجدون فيه شيئا جديرا بالاهتمام، قال بعض الغيورين آنذاك : « يا للاسى ، ان المسيحيين قد نسوا لغتهم ، فلن تجد فيهم اليوم واحدا في كل ألف يكتب بها خطابا الى صديق ، أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب » .

وما أكثر الكتب العربية التي غزت أوروبا ، وعلمتها ، ودربتها على

البحث والتجربة ، ففي الطب عرفت أوروبا كتاب القانون لابن سينا ، وكتاب الحارث لابي بكر الرازي ، ومفردات ابن البيطار في الادوية . وفي الكيمياء عرفت أوروبا رسائل جابر بن حيان، وفي الرياضيات عرفت كتاب الخوارزمي: « حساب الجبر والمقابلة » ، وفي الجغرافيا عرفت كتاب « نزهة المشتاق لاختراق الآفاق » ، للشريف الادريسي .

٢ ـ التحدي القومي

من هذا كله يتبين أن الوسيلة لنهضة لغوية في تعريب العلوم متيسرة ، بل انها اليوم قائمة ولكنها بطيئة ، ولعلها لم تبلغ آذان الشباب الذين يتربعون ـ أو يتربع بعضهم ـ على منابر الصحف والمجلات ويدعون في اللغة وتجديدها دعوات هي الى النزق والطيش أقرب منها الى الاصلاح والتقدم.

واذا تركنا التحدي الثقافي واجهنا تحديا من نوع آخر ، هو التحدي القومي ، فالاقطار العربية منذ بزوغ عصر النهضة حتى يومنا هذا تعاني وضعين متناقضين : وضعا يشدها الى الوحدة والتجمع ، ووضعا يحاول تشتيتها وتمزيق ما بقي لها من وشائج الاتصال والقربى ، وانا لنحمد الله على ان هيأ النصر لاول الوضعين ، وأبعد شبح الفرقة وطيف التفرق .

ولعل أول مشكلة لغوية تصادفنا في التحدي القومي هي اتصال الاقطار العربية المتباينة بلغات اجنبية شتى ، فالثقافة الانكليزية تغزو منذ مطلع عصر النهضة مصر والعراق وفلسطين ، على حين تستقر الثقافة الفرنسية في سورية ولبنان والجزائر ، بل اشباح اللغة التركية لم تفن بعد ، ولا في التخوم المجاورة لحدودها ، فضلا عن غزوات طفيفة للغتين : الالمانية والايطالية .

واذا كانت جيوش الاستعمار قد خرجت من هذه الاقطار فان رواسب لغته وثقافته لم تخرج بعد ، لقد كان لها في حياتنا الفكرية وجهان ، يختلفان في التأثير ، أما الوجه الاول فقد أيقظ فينا النظر في تراثنا ومواجهته بفكر جديد ، وموضوعية ناقدة ، أما الوجه الثاني فقد كان مشككا في قيمنا ، وفي تراثنا وفي ابداعنا بل في لغتنا نفسها .

فمن البديهي ، أن يدرك الاستعمار أثر اللغة العربية في لم شتات هذه الجماهير المتناثرة في بقعة واسعة من الارض ، تمتد من الخليج الى المحيط ، ومن البديهي أيضا أن يدرك ما تفعله اللغة في توحيد الفكر والوعي والنفس، ولا بد له ــ وهو الطامع فينا ــ أن يكون له مناهجه المخططة في وأد هذه اللغة الموحدة ، وزرع الافيون في تربة النفوس الشابة ، حتى اذا بلغت سن النضج كان للمخدر الفكري من الاثر ما للخنجر المسموم •

مغزى الدعوة الى العامية

وعلى هدي هذه المعرفة الواعية حمل الاستعمار معه عدة التخريب اللغوي مثلما حمل معه عدة التخريب المادي ، فاذا باللورد كرومر في مصر يضع خطة تعليمية تستهدف ابعاد العربية عن ميدان التعليم ، ويستبدل بها لغة قومه ، لكنه لم يقف عند هذا الحد بل هيأ المجال لرجال آخرين ليحملوا معاول الهدم ، فكانت هناك الدعوة الى اللغة العامية ، واستبدالها باللغة الفصيحة ، وكانت أيضا هجمات ظاهرة الهدف تصور العربية لغة البداوة العاجزة عن استيعاب الحضارة والتقدم ، وكانت •• وكانت •• وكلها تدل على محاولة جادة وهدف بعيد •

ونحن •• اضعفنا التعليم

كان هذا في مطلع عصر النهضة، ولكن ما ان سار الزمن في قرنه العشرين بضع خطوات حتى أخذ التعليم يتحدر في الوطن العربي كله ، وكان نصيب العربية من هذا الانحدار وافرا ، فاذا المتعلمون في المرحلة الثانوية اعاجم ، أو عجماوات ، واذا المتخرجون من الجامعات صم بكم ، يعد فيهم عالما من يعرف قواعد كتابة الهمزة ، أو مواقع الفاعل والمفعول •

والامر الغريب أن القطر الجزائري يعمل ليل نهار على اعادة اللغة العربية الى نفوس أبنائه ، ويحشد الطاقات لاحياء ما أماته الاستعمار من حياة لغته، ونحن في المشرق نرى العربية مثخنة بالجراح فلا نزيدها الا آلاما وجراحا ، لان عقولنا تعي أثر اللغة في وحدتنا الفكرية والنفسية ولكن أيدينا تحمل

المدى وتطعن في جسدها المدمى .

وأعتقد اعتقادا جازما أننا قادرون على نهضة لغوية لو كنا نريد ، ولو حاولنا أن نحس بالخطر ، وأن نشعر بالتبعة والمسؤولية ، فلماذا لا نعنى العناية الكافية بتعليم هذه اللغة تعليما سليما في المرحلة الابتدائية ؟ ولماذا لا نعد معلم هذه المرحلة اعدادا لغويا صحيحا ؟ ولماذا لا نقيم له الدورات التدريبية في العطل ؟ ولماذا لا نخلق عنده وعيا لغويا بحيث يصبح عمله رسالة قومية ؟

.. وكذلك اجهزة الاعلام

ثم ما بالنا لا نبث البرامج اللغوية في أجهزة الاعلام ؟ ولماذا لا نزود المذيعين بثقافة عالية ، وحينئذ يصبحون قادرين على نشر اللغة الصحيحة النظيفة ، بدلا من أن ينشروا الاغلاط وينثروها في آذان الناس وعقولهم ، ولماذا لا نختار محرري الصحف ممن أتقنوا لغتهم اتقانا كاملا ، ألم تكن الصحافة في بداية عصر النهضة وسيلة لتطوير الاساليب النثرية في الوطن العربي ؟ فما بالها اليوم تطور هذه الاساليب تطويرا رجعيا الى عصر الاتراك والمماليك ؟

اصحيح ان العربية صعبة ؟

قد يقولون : ان اللغة العربية بالغة الصعوبة .

ونقول : انها لكذلك ، ولكن متى كانت صعوبة اللغة القومية تحول بينها وبين أبنائها ؟

ولو كانت صعوبة اللغة مما يقعد بأبنائها عن تعلمها واتقانها لوجب أن يترك الالمان والصين واليابان لغاتهم لانها صعبة أيضا ؟!

ولا مانع عندي من أن نحتج بصنيع عدونا ، فاليهود أحيوا اللغة العبرية بعد أن كادت تموت ، وجعلوها لغتهم الرسمية ، وهي في صعوبتها لا تختلف عن العربية ، فما بالنا نميت لغتنا القومية وهي التي قاومت الموت على مدى خمسة عشر قرنا ؟

ثم هل صحيح ان لغتنا صعبة ؟

ان معظم الذين بحثوا عن صعوبات اللغـــة يضعــون نصب أعينهم وفي أدلتهم ألفية ابن مالك وشروحها النحوية ، وهم لعمري لا يفرقون بين ميـــاه البحر ورمال الشاطىء ، فأين نحن الآن من هــذه المتون الصعبة ؟ وهــل في الوطن العربي كله مدرسة واحدة تعلم النحو على طريقة الالفية ؟ أمــا فــي الجامعات فيختلف الامر لان تعليم المختصين غير تعليم المبتدئين ، فــلا بــد لهؤلاء من أن يؤخذوا بتاريخ المادة والا فكيف يتبغ النابغون في العلوم ؟

ونحن بعد هذا كله مطالبون قوميا بنشر اللغــة العربيــة ، والنهضة بها وجعلها لغة هذا الجيل الذي سيتسلم زمام القيادة الفكرية وان لم نفعل ذلك فان قادة الفكر في المستقبل القريب سيكونون كافرين بأعظم عامل من عوامل الربط والوحدة الفكرية ، وهو اللغة .

٣ ـ التحدي الاجتماعي

والى جانب هذين الضربين من التحدي يصادفنا تحد مــن نوع آخر ، هو التحدي الاجتماعي ، فالمجتمع العربي اليوم يعاني ألوانــا مــن التباين والتغاير في المستوى الثقافي وفي تعدد اللهجات واختلافها ، وهــذا يعنــي أن هناك تباينا فكريا يؤدي الى مشكلة لغوية .

ان الثقافة في الاقطار العربية الافريقية ــ ما عدا مصر ــ تختلف اختلافا واضحا عن الثقافة التي عليها الناس في سوريــة والاردن والعراق ، وقل مثل ذلك في ثقافة الاقطار العربية الاخرى ، كالسعودية وقطر والكويت واليمن .

وليس هذا فحسب ، بل هناك تباين ثقافي في القطر الواحد ، فعلى حين ترى طبقة مثقفة تجد بجانبها طبقة أخرى لا حظ لها من الثقافة ، أضف الــى ذلك أن المثقفين أنفسهم يختلفون في مصادرهم الثقافية بين انكليزية وفرنسية ، وهذا قائم في جميع الاقطار العربية تقريبا .

ولا شك أن اللغة ــ أية لغة ــ تتأثر بهذا الوضع المضطرب ، لانها كما

قلنا من قبل ترتبط بالفكر ارتباطا عضويا ، ومن غير المعقول أن تكون هناك رؤية لغوية متجانسة اذا خلت الساحة من رؤية فكرية متجانسة .

ومع هذا كله نجد بعض المثقفين يتهمون اللغة العربية وينالون من قدرتها وحيويتها ، وواضح مما قدمت أن اللغة فينا نحن لا في اللغة نفسها ؛ والمشكلة الاساسية في الموضوع أن جانبا كبيرا من الفكر العربي تغذيه لغة أخرى ذات أنماط تعبيرية مختلفة .

ما العلاج ؟؟

تلك هي التحديات ، فما العلاج ؟

ان الاحساس بهذه المشكلة يرجع الى زمن غير قصير ، ومن أجل ذلك توالت الدعوات الى الاصلاح والتغيير ، ولكنها انطلقت جميعا ـ كما بدا لي ـ من اتهام اللغة لا من اتهام الوضع الفكري والاجتماعي .

ومما يلفت النظر في أمر هذه الدعوات أنها بدأت في مصر ولبنان خاصة؛ وتفسير ذلك أن هذين القطرين كانا أقرب أقطار العرب الى الغزو الفكري ، بل كانا أكثرها انغماسا فيه ، وتأثرا به .

وقد سارت هذه الدعوات في مسالك متعددة ؛ فهي حينا دعوة الى هجر اللغة الفصيحة ؛ لانها لغة البدو والنوق والصحراء . وحينا آخر دعوة الى جعل اللغة العامية لغة رسمية ؛ أو لغة العلم والادب ، وهي طورا دعوة الى لغة أجنبية تستعمل في مرافق الحياة العلمية، وحصر العربية في الزوايا والتكايا والكتاتيب ، وفي بعض الاحيان نراها دعوة الى طرح الرسم العربي للكلمات واتخاذ الرسم اللاتيني بديلا عنه ، كما صنعت تركيا .

وداح هؤلاء ـ أو بعضهم ـ يقرنون العربية الى اللغات القديمة المنقرضة كاللاتينية ، واليونانية ، والقبطية ، ويرون موت لغتنا القومية محتما لا مفر منه ، ولا سبيل الى وقف أسبابه ودواعيه .

عود الى مناقشة الدعوة الى العامية

أما الدعوة الى العامية فتلتقي بصرخات الاستعمار الغربي وأهدافه البعيدة ، ولكن اذا تجاوزنا هذه الثغرة ونظرنا الى الموضوع نظرة علمية فما الذي يطالعنا في مناقشة هؤلاء الدعاة ؟

أول مشكلة تصادفنا هي بأي لهجة من لهجات الاقطار العربية نأخذ ؟ أبلهجة مصر أم بلهجة الرعاق ، أم بلهجات المغرب ؟

هبنا اتفقنا على احداهن ، فهل تلائم طبيعة الاقطار الاخرى ؟ وهل تكون الى نفوسنا أقرب من اللغة الفصيحة ؟ ثم هل اللهجة أكثر طواعية للتعبير عن الاغراض الفكرية من الفصيحة ؟

الواقع ان اللهجة المحلية تنشأ من ثلاثة مكونات :

الاول : اللغة الام ، كالعربية واللاتينية ، ويكون هذا المصدر الارضية العامة للهجة •

والثاني : الذهنية المحلية ، وأعني بها نمط التفكير في منطقة ما ، وتأثره بالخيال الذي تهيئه البيئة الجغرافية ، والاجتماعية •

والثالث : اللغات المجاورة للهجة أو الغازية لها •

واذن ، فان تباين اللهجات في لغة ما يرجع الى عوامل متباينة ، بعضها نفسي ، وبعضها طبيعي ، وبعضها اجتماعي ، وذلك يؤدي ضرورة الى توالد التباين اللغوي واستمراره •

فاذا أردنا تعميم لهجة ما كالمصرية ، وتجاهلنا اللهجات الاخرى نكون متناسين تناسيا غير سليم الملابسات التي كونت اللهجة ، وسنحمل الى المناطق الاخرى قوالب تعبيرية جاهزة نائية عن رؤاها الخيالية مجازا ، وعن جغرافيتها تكوينا ، وعن عاداتها وتقاليدها الاجتماعية ، وليس هناك من هو أكثر رداءة من هذه اللغة •

أما العربية الفصحى التي تضم المناطق العربية المختلفة فانها تحمل الى

العرب كافة ، قوالب ذات صلة بنفوسهم ، لانهم درسوها أطفالا ، وألموا بها شبابا ، وتحملها اليهم وسائل الاعلام المتنوعة صباح مساء ، وهذه الصلة المستمرة تؤدي الى أن يكون للالفاظ الفصيحة فرادى ومركبة ايحاء ذهني شعوري لارتباطها بمعان خاصة ، أو نزعات خاصة .

ثم ان اللهجة العامية لا استقرار لها ولا أصالة ، ولا تصلح أن تكون لغة قومية لانها خالية من التراث الفكري ، والتجربة العلمية ، وقصاراها أن تعبر عن الافكار والمشاعر اليومية ، وهي أعجز من أن تحمل أي تفكير علمي، اذا لم تعجز عن حمل بعض المشاعر الحية .

ولقد تذرع أوائل الداعين بالهوة القائمة بين الفصحى والعامية ، ثم تبعهم التابعون وهم كالببغاوات التي لا تعي ما تقول ، فالاطفال في بداية عصر النهضة كانوا يعيشون في بيئة أمية متخلفة ، لا يعرف فيها الاب والام الا لغة التخاطب الممتزجة بلغات أجنبية غازية ، كالتركية والفرنسية والانكليزية ، ولم تكن هذه البيئة تعرف المذياع ولا وسائل الاعلام الاخرى التي تبث اللغة الفصيحة في الآذان ، فكان الانتقال من هذا الجو اللغوي المتخلف الى اللغة الفصيحة في المدرسة اجتيازا لهوة بالغة العمق ، لان الطفل سيرى نفسه أمام لغة جديدة في مفرداتها وتراكيبها وأصواتها ، ومن أجل ذلك تمسك أوائل الداعين بها ، وطالبوا بجعل لغة العامة هي اللغة المستعملة في التعليم والتربية، ولكن الامر اختلف ، وخيب ظنونهم ، فقد انتشر التعليم بين الرجال والنساء، وعرف البيت وسائل الاعلام الصوتية وملأت اللغة الفصيحة آذان الاطفال وفهموا كثيرا من تراكيبها ، وأصابوا حظا منها عن طريق الام المثقفة والاب المثقف ، بل ان اللغة اليوم في تقدم مطرد نحو اللغة الفصيحة ، ومع ذلك كله نرى بعض الباحثين لا يزال يردد كلام أوائل الداعين والمتذرعين ، فيدعي أن هناك هوة قائمة بين العامية والفصحى ، فالى أي حد يصير الانسان كالببغاء ؟

الدعوة الى الحروف اللاتينية

أما موازنة بعض هؤلاء بين العربية واللاتينية ، فلا تخلو من سطحية النظرة ، وتجاهل الفروق البعيدة بين ملابسات اللغتين ، وهذا الموقف واحد

من مواقف كثيرة لم تكن الدعوة فيهـا صادرة عن دراسة واعية ، بـل عـن مجرد التقليد الذي يهيىء له ، ويحفز عليه الشعور بالنقص دون غيره •

والحق ان اللغة اللاتينية في العصور الوسطى كانت تعيش « في أحضان الكنيسة وتحت حمايتها ، بل كانت ساحا للكنيسة في تدعيم سلطتها الزمنية ، وكانت صعوبة الاتصال وعدم تقدم وسائل النشر يساعدان على تقوقع هـذه اللغة ، فلم يكن شاذا أن تتداعى تحت ضربات أعداء الكنيسة الذين كانـوا يقفون مع التاريخ •• لقد كان سهلا أن تختنق اللاتينية وهي مختبئة في زاوية من زوايا الكنيسـة ، ان الجماهير هي الاكسجين للغات ، وحتما ستختنق اللغة اذا لم تتنفس بين جماهيرها » •

ذلكم هو تخاذل الدعوات المشبوهة ، ولكني مع ذلك لا أريد أن أنكر أن في دراسة العربية بعض الصعوبات التي يمكن التغلب عليها ، ولكن نحن المقصرون ، فلا زلنا ندرس اللغة على الطريقـة القديمة المتخلفة ، ولا زلنـا نضيع أنفسنا في الطريقة التعليلية القياسية •

كيف ندرس لغتنا ؟

ان دراسة اللغة اليوم لم تعد دراسة نظرية فحسب تحفظ فيهـا المتون ، وتستظهر القواعد ، بل صارت علما تجريبيا داخل المخابـر ، تستخدم فيهـا الآلات الحديثة ، وتدرس فيها الاصوات دراسة ميكانيكية دقيقـة ، ونحن حتى الآن لا تعرف أقطارنا العربية معهدا يدرس العربية على هـذه الصورة الحضارية الا معهد اللسانيات الذي أقيم في الجزائر •

وليس هذا فحسب ، بل هناك شيء آخر هو أن دراسة العربية عندنـا مقصورة على اللغويين وحدهم ، على حين صارت في البلاد الراقية مشاعا بين علماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء اللغة ، كـل فريق مـن هؤلاء يقـوم بدراسات ذات صلة باختصاصه ، وهذا يؤدي الى فهم طبيعة اللغة فهما أكثر شمولا ، فلا يبقى الامر عند حدود معرفة قوانينهـا وملاحظة قواعدها ، بـل يتعداه الى دراسة الوظيفة الاجتماعية للغة وتأثيرها لها ، ويتعداه أيضا الـى

دراسة المعالم النفسية عند المتعلم ، وهذا يؤدي الى معرفة أنجح الوسائل لخدمتها ويرائق تعليمها .

والمشكلة التي نعانيها نحن في هذه الايام هي أن علم النفس وعلم الاجتماع مما نستورده من علوم لا مما تصنعه بيئتنا العربية ، ومن أجل ذلك يأتي المختصون عندنا لا ليبدعوا ، بل ليستظهروا ما تعلموه فأنى لهم أن يشاركوا في دراسة العربية ، بل أنى لهم أن يحيطوا بها وبقوانينها ، وأن يلموا بخصائصها .

والى تقصير العلماء في خدمة العربية نجد تقصيرا آخر نسأل عنه جميعا، هو أن الجيل الناشيء لا يعيش في محيط لغوي سليم ، وهذا يؤدي الى أن يكون تربيته اللغوية غير سليمة ، وحين نوازن بين جيلنا نحن وهذا الجيل الناشيء نجد بونا بعيدا ، وفرقا شاسعا .

كان جيلنا يعيش في وسط لغوي جيد ؛ فمنذ أن تفتحت براعم تفكيره وجدريه في لغة القرآن الكريم المعجزة ، وفي لغة الحديث النبوي البليغة، واذا قرأ لكتاب عصره فانما يقرأ للرافعي والزيات والعقاد وطه حسين والمنفلوطي، وكلهم متقن للعربية لفظا وتركيبا ، أما هذا الجيل فقد بعد عن لغة القرآن الا ما تلم به الكتب المدرسية ، وزوده بعض الشعراء وكتاب القصة بلغةالصحافة المزدحمة بالخطأ ، وسوء التركيب ، وامتلاء فكره وفكر مدرسيه بدعوات الاصلاح الفجة ، فهانت عنده العربية ، وصارت عليه عبئا ينوء به حمله .

وكانت مقطعات الشعر التي حفظها في المدارس الابتدائية تعب من البلاغة اللغوية عبا ، ويصطفيها المؤلفون من عيون القصائد وغرر الاشعار ، ولكنك اليوم تنظر في الكتب المدرسية فلا تجد فيها الا شعرا هو الى الركة والضعف أقرب منه الى الشعر والبيان ، فعلى حين كان جيلنا يترنم بشعر المتنبي والبحتري وجرير والفرزدق ، واذا تهاون ترنم بشعر شوقي وحافظ والبارودي ، صار الجيل الجديد لا يترنم الا بالشعر المهلهل الذي تحتويه كتبه المدرسية ، وعلى حين كنا نستظهر قطعا نثرية من خطب علي بن أبي

طالب ، أو من نثر الجاحظ وابن المقفع ، صار الجيل الجديد لا يجد غير لغة الصحافة منقولة الى كتبه في المدرسة ، وعلى حين كنا نسمع أفصح الخطباء تهتز تحتهم المنابر صار الجيل الجديد لا يسمع الا لغة أجهزة الاعلام من مذيعين وصحفيين وسياسيين ، وهي لغة تفاخر ويفاخر أصحابها بسوء التركيب ، وفداحة الخطأ ، وسخيف القول •

ويأتي من يأتي بعد هذا ليقول : أصلحوا اللغة •

كأن اللغة هي المعطلة ، وهي التي تحتاج الى اصلاح •

لقد اشرت في مطلع هذا البحث الى أن اللغة والفكر سواء ، وهذا يعني أن اللغة لا تنمو ولا تزهر الا اذا نما الفكر وازهر ، ويعني أيضا أن الدعوة الى تجديد اللغة دون تجديد الفكر كالدعوة الى اصلاح بناء أثري من الحجر، تعمل فيه الايدي دون الفكر •

ان اللغة تؤثر في البناء الفكري ، وتكون سببا لنموه وريه ، هذا صحيح •• ولكن تفعل هذا بعد أن تصاحب ولادة الفكر نفسه •

ان الانسان يحس ويعاني ، فيحتاج الى لغة تنقل الى الناس حسه ومعاناته ، فاذا تمت عملية النقل صار المنقول شائعا في المجتمع ، وملكا للجميع ، وحينئذ يصير مصدر الهام للمبدعين ، فيتجدد الفكر ، ويبحث من جديد عن صيغة لغوية تعبر عن معاناته الحديثة ، وهكذا تظهر اللغة بثوب جديد ، ويعود الفكر الى معاناته ، وتعود اللغة الى قدرتها التعبيرية •

انهما اذن على علاقة متنامية ، تجدد الفكر يؤدي الى تجدد اللغة ، وتجدد اللغة يؤدي الى تجدد الفكر ، وهكذا ، ولكن الشباب اليوم يريدون أن يجددوا اللغة ، والفكر عندهم في عجز ، فمثلهم مثل من يزرع القمح على أمواج البحر •

واذن ، علينا أن ندعو الى نمو الفكر واحيائه ، علينا ان نزرع في أدمغة الجيل أفكارا حية ، وفي نفوسهم حب العمل وكراهية الكسل ، وحينئذ تنمو اللغة وتنتعش وتثمر ، وتتغير أشكالها العتيقة •



مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

العدد الرابع مجلد : ٦٧ نيسان « ابريل » ١٩٧٩م جمادى الاولى ١٣٧٩هـ

أبحاث علمية



شعر

قصص ومسرحيات

أبواب العرفان

حديث الشهر

توفي والدنا المؤسس عليه الرحمة في مشهد الامام علي بن موسى الرضا « ع » سنة ١٩٦٠ م • ودعيت لزيارة ايران سنة ١٩٦١ م • فكانت مناسبة طيبة للتعرف على ايران التي لم أكن أعرفها يومذاك ، ولزيارة الامام الثامن « ع » ولاقامة حفلة تذكارية للمرحوم الوالد • وكانت رحلة ناجحة شعبيا وعلى مستوى رجال العلم والفكر ، وان كانت نقداتي للحكومة الايرانية يومذاك لم تعجب المسؤولين ، وخصوصا مرافقي السافاكي الذي وضع تقريرا ضدي •

وقد اوردنا شيئا مما جرى معنا في عددنا الخاص الذي وضعناه عن « مشهد » سنة ١٩٦١ ونال استحسانا كبيرا • ولا بأس ان نعيد تفصيله في عدد قادم •

بعد خطاب « بيغن » في الكنيست الذي فضح فيه السادات وتهريجه ، ووضع فيه النقاط على الحروف من جهة معاهدة الذل والخيانة ، لو كان عند السادات ذرة من احساس وشعور لعاد الى صوابه وثاب الى رشده ولكن مع الاسف : « انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء بغير حساب » ولعل لله حكمة بان يتفق العرب والمسلمون جميعا ليجابهوا عدوهم الصهيوني وأمه اميركا التي تدعي حب السلام ، واذا بها تحفر للسلام وللعدل قبرا تدفنهما فيه الى الابد • ولو ان دول النفط منذ البداية لم تكن آلة بيد اميركا لـ[illegible] سلحت جيش مصر وجيش سوريا لما وصلنا الى ما وصلنا اليه • على ان هذا وغيره لا يشفع للسادات بان ينفرد عن الصف العربي وان يوقع هكذا معاهدة كلها لمصلحة اسرائيل •

قضية اختفاء السيد الصدر

كتبت زميلتنا الوطن العربي في عددها الاخير مقالا عن هذه القضية لـم يتسع المجال لنشره وهو يضع النقاط علـى الحروف ، الا قضيـــة الخمسين مليون دولار فانها مختلقة لتبرير الجريمة البشعة .

الوحدة بين العراق وسوريا

وحول الوحدة بين العراق وسوريا قال السيد صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي في حديث له امام الندوة العلمية لنقابتي اطبـــاء العراق وسوريا نقتطف منه ما يلي :

كعرب جميعا نريد الوحدة حتى نحفظ كرامتنا معا ، حتى نحفظ كرامة العرب ايضا وحتى نكون نواة مشجعة لدخول العرب الاخرين في الوحدة . الوحدة عندما تقوم ، الاخ الذي سألنا عن وضع الاردن يا مئة مرحبا اذا كان الاخوان في الاردن يريدون الوحدة معنا . في ذلك الوقت ليس صعبا علينا ان نبحث في الصيغة التي تتلاءم مع خصوصيات الاردن . ونطمئن الاردن شعبا وحكاما الى ان صيغة الوحدة ليست من اجل اللعب عليها سياسيا وانما صيغة من اجل المواجهة القومية المشتركة وبمسؤولية واحدة . لكن هـــذه متروكة للظروف ومتروكة لما يقرره الاخوان في الاردن شعبا وحكومة .

انقلوا الى كل العرب تحياتنا . ابلغوهم قلبنا مع كل عربي يقود مسيرته حاكم وطني وقومي وقلبنا مع كل عربي يبتلى بحاكم غير وطني وغير قومي بل جهدنا مع الاثنين مع خصوصية الموقعين حسب الظروف . سلموا لنـــا عليهم وقولوا لهم اخوانكم في العراق يكونون لكم دوما من اجل الخير وليس مـــن اجل الشر . يكونون لكم في امكاناتهم البشريـــة والاقتصاديـــة والسياسية والعسكرية .

بارك الله فيكم والسلام عليكم .

العرفان : الحقيقة ان العراق هو قلب العروبة النابض ، فلا غيرا ، وكل عربي يبقى في العراق على الرحب والسعة ، حتـــى بامكانـــه طلب الجنسية العراقية .

العروبة في مصر
بين الاشراقات والتحديات

بقلم : اكرم زعيتر

* اول جماعة عربية في مصر تكونت سنة ١٩١١
* حكاية صفر زائد صفر يساوي صفرا
* ماذا قال سعد زغلول عن سوريا وعن فلسطين

اتني في مقالاتي هذه متحدث عن اشراقات عربية قومية في مصر منذ انبثقت الفكرة العربية حتى مطلع الثورة المصرية في تموز (يوليو) ١٩٥٢ .. واحسب ان ما توافر لدي من اسانيد وما دونت من مذكرات وما اسهمت فيه من جهد متواضع يجعلني اطلع الجيل العربي الحاضر على بعض المجهول من امر العروبة في مصر ، ولعلي أبدد بذلك اوهاما شائعة بين الناس حول مواقف لكبار من قادة السياسة والفكر في مصر ، وهي مواقف ـ في ضوء الشائع عنها لدى الجمهرة ـ ادنى الى الزهد في العروبة او الى الصدوف عنها او مناوأتها منها الى الارتياح اليها والرضاء عنها بله الايمان بها والدعوة اليها .

ولا بد لي قبل الحديث عن « الاشراقات » وعما يمكن ان ندعوها « تحديات » من تمهيد اقرر فيه ان مصر قد انفصلت عن الامبراطورية العثمانية قبل انفصال العراق وبلاد الشام بزمن طويل ، وانه بينما كان تيار الحركة الوطنية المصرية يندفع نحو مقاومة الاحتلال البريطاني ، ... والاستعانة عليه بالدولة « العلية » العثمانية وترنو ابصار المصريين نحو دار الخلافة ، كانت الحركة العربية الوطنية في بلاد الشام والرافدين تسير في تيار عكسي ، هو تيار الخصومة اللداء لسياسة التتريك وللحركة الطورانية

العنصرية في الدولة العثمانية والاستعانة ـ بعد يأس من الاصلاح او التقويم ـ بالانكليز وحلفائهم على التحرر منها • وبينما كان ابن دمشق او بيروت او بغداد يرى في من يمتشق الحسام ويثور على الدولة العثمانية ويهتف لاستقلال العرب امام المشنقة ، بطلا قوميا او منقذا او شهيدا يعربيا كان ابن النيل يلصق به تهمة الخروج على الدولة العلية او التآمر عليها مع اعدائها الذين هم اعداء مصر الانكليز الغاصبون •••

ويهمني ان اقرر ، كذلك ، ان سياسة الدولة العثمانية التقليدية تقضي بانه لا تتجه البلاد العثمانية نحو مصر والا توليها زعامتها ، وترى في ذلك خطرا يحيق بها ، كما ان الدول الاوروبية الاستعمارية كانت بدورها حريصة على الا تمكن لمصر زعامة في البلاد العربية وتبذل فوق الجهد للحيلولة دون قيام دولة عربية كبرى تشمل مصر وسائر الاقطار العربية الآسيوية مما يهدد مصالحها ومستعمراتها ويوهن طموحاتها او مطامعها ، وما أمر الحملة المصرية التي قادها ابراهيم باشا « واستنفراس » التحالف العثماني الاوروبي في صدها ببعيد •

واني لازعم ، كذلك ، في يقين ان من اخطر اهداف الصهيونية •• هو قيام دولة يهودية تفصل بين آسيا العربية وافريقية العربية وتكون سدا منيعا دون تحقيق الوحدة العربية الكبرى او وتدا مدقوقا في وسط البلاد العربية مسيطرة على باب الجزيرة قابضة على مفتاحها •• !!

على ان العقدة ، عقدة الخلافة ومحالفة اعدائها وهي السر الاول في تضاد الحركتين الوطنيتين في مصر والبلاد العربية قد حلت بعد ذلك لسببين :

اولهما : ان البلاد العربية (الآسيوية) ما لبثت بعد ان خانها حلفاؤها وقضوا بتمزيقها وراحوا يهودون فلسطينها حتى هبت لمقارعتهم في كفاح بطولي تجلى في ثورات عنيفة ضخمة نشبت في سورية والعراق وفلسطين وتراصفت مع ثورة مصر ١٩١٩ م •

التتمة على الصفحة ٥٠٢

وثانيهما : ان تركيا نفسها الغت الخلافة وجحدت النصرة الاسلامية العارمة لها في نضالها ، واوغل أتاتورك باسم العلمانية في مكافحة كل نزعة اسلامية في السلطة او المجتمع .. وعلى ان هذه العقدة قد حلت فان مفهوم العروبة في مصر ظل مختلفا عنه في الاقطار العربية الاخرى لرسوبات خلفتها تلك العقدة وبسبب فارق الزمن وتباين الظروف . وظل تعريفها غير متبلور ، يختلط احيانا وكليا بالاسلامية واخرى بالشرقية ، ويعرف حينا بمحض التضاد للفرعونية حتى نشأت « حساسيات » عدائية بين لفظتي الفرعونية والعروبة مما سأتحدث عنه فيما بعد .

وبعد فقد أسس شبان العرب في الاستانة سنة ١٩٠٩ م أي بعد اعلان الدستور العثماني بسنة « المنتدى الادبي » فكان مقرا للحركة العربية الناشئة ومثابة لرواد الاصلاح ومنبرا للدعوة الى احياء المجد العربي ، وقد ترأس هذا النادي الشاب العصامي عبد الكريم الخليل (من جبل عامل) وكان قد عرض برنامجه على خليل حماده باشا وهو مصري كان يتولى وزارة الاوقاف فشجعه على المضي في المشروع وعدل بعض بنوده .

وقبل مواصلة الحديث عن المنتدى اقول ان عبد الكريم الخليل كان في شهداء القافلة الاولى من احرار العرب الذين شنقهم جمال باشا السفاح في ٢١ آب سنة ١٩١٥ م فكانت أول كوكبة من فرسان التضحية في سبيل ايقاظ العرب بعد ذاك الرقاد الطويل .

وضع المنتدى الادبي مشروعا لتوحيد التعليم في المدارس الابتدائية الاهلية وعرضه الرئيس على نواب العرب وكبار رجالهم في اجتماع عقد في حزيران (يونيو من سنة ١٩١١ م) بعد ان خطب في وسائل اصلاح المدارس الاهلية وتوحيد مناهجها ، وناقشه نواب من سورية وبنغازي وطرابلس الغرب وفلسطين ثم أقروه ؛ وهو في مجمله يرمي الى توثيق عرى الاخاء بين العرب على اختلاف اديانهم وطوائفهم حتى لا يذكر الواحد منهم في السياسة

والوطنية غير عربيته الشريفة ويرمي الى توحيد طرق التعليم في البلاد العربية حتى تتربى النفوس تربية واحدة فيستريح جميع العرب في طريق واحد والى غرض واحد .

وأوفد المنتدى فتاتا عبد الكريم الخليل الى الاقطار العربيـة العثمانية للدعوة الى المشروع فبدأ جولته بزيارة القاهرة حيث عقـد اجتماعات مـع جمهرة من افاضل المصريين وذوي الغيرة العربية .. وقـد تألفت لجنـة للقيام في مصر بهذا المشروع من :

محمد باشا الشريعي واحمد تيمور باشا وعبـد الخالق بـك مدكـور وحسن باشا عبد الرازق والشيخ طنطاوي جوهري وعبد الستار بك الباسل ومحمود بك سالم المحامي وعبد الحميد حمدي ورفيق بـك العظم والشيخ محمد المهدي والمحامي محمد علي كامـل والدكتور شبلـي الشميل وعارف المارديني وسامي الجريديني المحامي ونقـولا شحاده وقررت ان تضم اليهـا احمد زكي باشا ومحمد بك يوسف والمطـران يوسف دريـان ، واجتمعت اللجنة في ١٤ آب (اغسطس) سنة ١٩١١ م فاقرت قانونها واختارت محمـد باشا الشريعي رئيسا لها ورفيق العظم رئيسا ثابتا وحسن عبد الرزاق امينـا للصندوق ومحمود سالم كاتبا (سكرتيرا) وافتتح الشريعي باشا الاكتتـاب بمئة جنيه على ان يدفع مئة جنيه سنويا .. وطبيعي ان يؤدي تطور الظروف السريع ونشوب الحرب العالمية الاولى واغلاق المنتدى دون الاستمرار .

***

وحدث ان تعالت في مجلس النواب العثماني (المبعوثان) موجة الدفاع عن حقوق العرب وهم كثرة المملكة وكـان نائب دمشق شكـري العسلي ، (الذي شنقه جمال باشا السفاح في القافلة الثانية في ٦ ايـار سنـة ١٩١٦ م بدمشق) الصوت الصارخ في هـذا الشأن ، كما كانت لـه وللنواب رضا الصلح وروحي الخالدي والامير امين رسلان ، صيحات تحذير مـن الخطـر الصهيوني ، ولما أثار العسلي موضوع الحيف الهائل الذي يلحق بالعرب من

جراء حرمانهم من الوظائف والمراكز الحكومية وهم كثرة الدولة وضرب امثلة لها منها ان وزارة المالية والتي تضم ١١١ تركيا ليس فيها عربي واحد ومنها ما لقيه الوزير خليل حماده (المصري) من عنت لمحاولته الاصلاح في وزارة الاوقاف ، هبت البلاد العربية تنصره واخوانه ونشرت جريدة المؤيد المصرية وهي كبرى الجرائد العربية خطاب شكري العسلي ووقفت موقف الظهير النصير .. ولكن هال شباب العرب ان ينبري يومئذ احمد لطفي السيد للحركة بالعداوة فيكتب في جريدة الجريدة مقالا عنوانه : « المسألة العربية» ومع انه قد اعترف فيه « بأن العرب اكثرية في بلاد الدولة العلية لا يكاثرها عنصر آخر من العناصر العثمانية ولو بعد زمان طويل » فقد قال : « ومهما كان عددهم في المجلس غير متفق مع نسبتهم لعدد السكان فان تلك حالة وقتية زائلة حتما اليوم او غدا! لذلك لا نستطيع ان نفهم وجود مسألة عربية تستأهل النظر في حلها .. » وقال : اذا كان للمسألة العربية محل من الوجود فان وجودها الآن سابق لاوانه جدا ، وخير للذين يسعون في تأليف حزب لبث شكايات العرب ونشرها ان يرشدوا « الاعراب » (١) الى معنى الدستور فانهم ان علموه أحبوه .. ثم يستدرك الامر فيقول : « ولكننا لا نغفل عن ان نطالب رجال الفضل والسداد من جمعية الاتحاد والترقي ان ينزلوا في العمل عن التمييز بين العنصر التركي والعنصر العربي كما نزلوا عنه بالقانون يوم اعلنوا دستورهم » .. ثم يقول : « ولئن كان للمسألة العربية ظل من الوجود ، فحلها بين العثمانيين من غير مضارة احد ، وعلى ذلك نحن لا نستطيع ان نحكم بأن جهاد النائب المحترم شكري أفندي العسلي مفيد

(١) يلاحظ انه استبدل هنا كلمة الاعراب بالعرب ، متعمدا ومن قبيل الصدف أن اعثر على كتاب للامير شكيب ارسلان ارسله من جنيف سنة ١٩٢٦ يقول فيه : « تلاقيت مع الشاب الأديب سيد بك نجل العلامة احمد لطفي السيد وهو من انجب الطلبة المصريين في سويسرة واشدهم حمية ونزعة عربية .. اتمنى للعرب ان يكون فيهم عدة شبان مثله » .

للعثمانيين او مفيد للعرب ، بل الافيد منه الا تجر الجزئيات العملية الى ميدان النظريات حيث يتعقد حلها » .

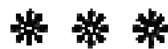
ان الذين صدمهم احمد لطفي السيد بمقاله قد عزاهم ان تكون المؤيد أشهر صحيفة عربية منبرا للدفاع عن اهدافهم الاصلاحية وان يكون الشيخ علي يوسف في جانبهم وان يرحب بما يكتبه شباب العرب امثال محب الدين الخطيب والدكتور عزة الجندي دفاعا عن حريتهم .

ولم يكد مقال احمد لطفي السيد ينتشر حتى بادر احد اركان الحركة العربية في بيروت ولعله أنبغ كتابها ، صاحب المفيد عبد الغني العريسي الى الرد عليه في ١١ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩١١ م ومما قال : « على ان الامر الذي قبلنا ويجعلنا ان نطالب الحكومة بمراعاة العنصر العربي في الوظائف العالية اعتقاد كثيرين من اولى العقل ان البلاد العربية لا تنال حظها من الاصلاح الا اذا كان لها بين رجال الحكومة غير واحد من ابنائها ... وقد ظهر لنا خلال هذه السنين الثلاث (أي منذ ظهور الدستور) أن رجال اليوم انما يعملون لاجناسهم فاذا لم يكن بين العاملين من يعمل لجنسنا فلا سبيل الى ترقي العرب » وضرب العريسي أمثلة عن الحيف النازل بالعرب انتهى الى « ان استمرار التجاوز عن مبدأ المساواة في عهد المساواة يجر الدولة الى التهلكة » وختم مقاله : « فنصائح أحمد لطفي السيد جديرة بأن توجه الى القابضين على زمام الاحكام ، وان كان ثمة ظل للمسألة العربية وغيرها من المسائل التي تتعلق بالعناصر فحلها بين الاكثرية .. » .

وأني أراني استطرد الى القول ان يد السفاح أمتدت الى العريسي كما امتدت الى العسلي والخليل فشنقهم ونخبة من اقطاب الحركة العربية في بلاد الشام فروت دماؤهم شجرة القومية العربية وجعلت من ثراها مهد الحركة العربية .

واستكمالا للصورة أشير الى ان صحف مصر ولا سيما المؤيد والمقطم والاهرام كانت منابر للدفاع عن الحقوق العربية والمطالب الاصلاحية ولكن

الكثيرين من المصريين ظلت تتنازعهم عاطفتان : الولاء للعثمانية وخلافتها واسلاميتها وكونها امتدادا للسد دون الغارات الصليبية او عاطفة الانتصار للحق العربي ، فاذا كتب أحد شباب الحركة العربية الدكتور عزة الجندي يؤلب الرأي العام المصري على السياسة العثمانية ، انبرى له الكاتب الشهير ولي الدين يكن يقول له : أنا تركي وأبغض عباد الله الى تركي يعتدي •• أحب العناصر •• ثم أحب العرب حبا خالط الروح وجرى مجرى الدم من العروق وأنا عربي الادب والقلم عربي النزعة ، ومن أبغض العرب فانا مبغضه، أولئك اخواني الذين اغنيهم فيطربون واحدثهم فيقبلون علي بالسمع ، غير اني لا اكذبهم ، اني كذلك لا احب من يسب الترك ولا من يكون لهم عدواء واذا جرى بين العرب والترك شر أكون يومئذ بمعزل عن كليهما داعيا عليهما بالفشل » •



ولاسباب ليس هنا مجال تفصيلها كانت تثور في مصر أحيانا حملة على « الشوام » وهي كلمة تشمل السوريين واللبنانيين •• ولو اقتصرت الحملة على التنفيس النفساني عن مآخذ على البعض لهان الخطب ، ولكنها كانت تمتد الى الآصرة العربية فيبادر الكتاب الغير الى ردها ، ويتنادى حملة الفكرة العربية الى تدارك عواقبها ، وما اكثر ما يساعفهم الشعر ويكون حافظ ابراهيم سباقا وهو هو الذي شدا قبل ثلاث سنوات قصيدته :

لمصر أم لربوع الشام تنتسب هنا العلا وهناك المجد والحسب

وفيها :

أم اللغات غداة الفخر أمهما وان سألت عن الآباء فالعرب

وختامها الرائع :

هذي يدي عن بني مصر تصافحكم فصافحوها تصافح نفسها العرب

وها هو ذا حافظ يهتف اليوم :

ماذا جنيت وما جناه بنوك أظلمتهم يا مصر أم ظلموك

وسمعت للغـرب العبوس وأهله ومنحتهم فوق الـذي منحـوك
وعبست في وجـه الشآم وانما قطر الشآم وان عبست أخـوك

والغريب الا تدرج هذه القصيدة في الديوان على حين نشرها المفيد في بيروت والمفيد لسان الحركة العربية ومعظم الذين كانـوا يحررونها غـدوا شهداء كالعريسي والمحمصاني والشهابـي والزهراوي والجنـدي والخطيب والعسلي .

اما مصطفى صادق الرافعي فقد هتف :

يا مصر يـا سوريا المجـد دائرة وانتما في محيط المجـد قطران
كلاكما مشبه في الحسن صاحبه أأنتما واحـد أم أنتما اثنـان ؟
أرى الممالـك أخوانـا محللـة لكنمـا مصر والشام الشقيقان
لـو تسأل الارض : أين ابناك ؟ لالتفتت
اليهما ثم قالت : ها هما ذان

ويجتمع السوريون على اختلاف طوائفهم في الكنيسة الانجيليـة بطنطا يوم عيد الفصح ليستمعوا الى المحامي المصري محمد نجيب افنـدي الغرابلي (وقد أصبح فيما بعد أحد أقطاب الوفد ووزرائه) يشدو :

هـل مصر والشام الا توأمان اذا كانـا رشيدين فليجمعهم الرحم
سل (حافظا) حين اعطى العهد مغتبطا هل كان عهدا على الايام ينفصم

ثم يهتف :

فلا وربك مـا في مصر غير هوى بالشام فهـي لدينا الراح والنغم
نحب حـب أخـت لا نضيعهـا مهما تزاحمت الاطمـاع والحلم

ثم يهتف :

فجددوا العهد هـا انـي أجدده عن آل مصر فقولوا كلكم : نعم

فدوت « نعم » مجلجلة في أرجاء الكنيسة .



وقاد الزعيم الاعظم سعد زغلول الحركة الوطنية المصرية واتجهت اليه افئدة العرب في جميع اقطارهم ، تتبعوا خطواته وتأثروا بأسلوبه في النضال والمقال واني ازعم ان سعد زغلول هو اعظم من أثر في مسيرتي الوطنية اسلوبا وحجة وبيانا •• والواقع ان سعدا قد اثر في ذلك الجيل العربي حتى ان مراسل الدايلي هيرالد كتب في موسم الحج سنة ١٩٢١ م يقول : ان الحجاج العرب وقفوا على جبل عرفات وصلوا من اجل نجاح القضية المصرية ودعوا لسعد زغلول بالتوفيق •

وقد روي على لسان سعد زغلول قول تلقفه فريقان من الكتاب : اراد أولهما البرهنة على ان مصر ليست من العروبة في قليل او كثير وها هو ذا زعيمها الاعظم ينكرها وضخم هذا المفهوم حتى اضطر استاذنا ساطع الحصري الى الرد على القول وتبديد ما قد يحدث من تأثير شعوبي وأراد ثانيهما القول : ان العروبة لم تعرف مصر الا بعد ثورة يونيو ١٩٥٢ م ، وفي هذا اعتساف وهدر لجميع الجهود التي بذلت في خدمة العروبة في مصر ونكران وتنكر وجحود للرعيل الاول من حملة الفكرة العربية فيها •

واجيء الى ما روي على لسان سعد أي قوله لفتى العروبة وداعيتها ، عبد الرحمن عزام وكان وفديا ومن جنود سعد المقربين اليه والمحببين لديه : « ان كل قطر عربي يوازي صفرا وان الجمع بين صفر وصفر يكون صفرا » وهذا ينم على الاستخفاف بالبلاد العربية •

وقد سألت صديقي عبد الرحمن عزام في زيارتي اياه في بيروت قبل وفاته عن هذا فأجاب بحضور ولده بما خلاصته : ان سعدا كان يلحظ انهماك عزام في الشؤون العربية وبقضايا التحرير في المشرق والمغرب ، وحدث ذات أمسية أن أقبل عزام على مجلس سعد فسأله سعد مازحا : ومـا هي أخبار أصحابك العرب يا أبا عوف ؟ » وكان سعد يطلق على عبد الرحمن عزام هذه الكنية تيمنا بالصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف ؛ فحدثه عزام عن سوء الاحوال في البلاد العربية فسأله سعد : « صفر وصفر يبقوا كم ؟ » فأجابه

عزام « واحد وواحد وواحد يبقوا كم يـا باشا ؟ » فأجاب سعـد مبتسما : « ثلاثة والمهم ان يكون العرب واحدا وواحدا وواحـدا ، لا صفـرا وصفرا وصفرا ، ويوم يكون هذا تراني معك .. » وقد جرى هذا في حديث عفوي لا يصح ان يجعل منه قاعدة للتنديد وحكما قاطعا عـلى الفكـرة العربية ؛ ويقول عزام رحمه الله وهو ينزه سعدا عما أريـد استخلاصه مـن كلمته : « وذات يوم من نوفمبر سنة ١٩٢٥ م استدعاني سعـد زغلول مـن حلوان مستعجلا ، فهرعت اليه وقد استقبلني هاشا منطلق الوجه وبادرني : « خـذ اقرأ .. هل يعجبك هذا البيان يا أبا عوف .. واذا بي اقرأ بيانا عظيما بالـغ الروعة يدعو فيه الشعب المصري الى مظاهرة الثورة السورية » وقـد افتتح سعد نداءه باسم الوفد المصري مكتتبا بمئة جنيه وعقبه أعضاء الوفد ابتـداء من فتح الله بركات باشا كل واحد بخمسين جنيها (ولعل ذلك كان تأدبا مـن الاعضاء أمام زعيمهم الاكبر) وما لبثت أم المصريين صفيـة هانم زغلـول ان افتتحت اكتتابا للثورة ، مما يعد بادرة عملية لا تجعل لتلـك العبارة العارضة مدلولا ينم على الاستخفاف بالامة العربية .

ولا أزال كلما تلوت ذلك البيان ارتج حماسة : ومطلعـه : « سورية التي تربطنا بها روابط وثيقة من تاريخ ولغة ودين وعادة وجوار ، نزلت بهـا هذه الايام حوادث هائلة تقشعر من هولها الابدان ونوازل جائحة تنخلع مـن بشاعتها القلوب وشرور من أفظع ما يرتكبه انسان ضد انسان » .

وختامه : « واننا معاشر المصريين لنشعـر في قلوبنا بكـل عطف عـلى أخواننا المصابين نرثي لمصابهم رثاء الاخوان للاخوان ونحس بأن علينا واجب مساعدتهم بكل ما في الامكان » .

ولم يكد يصدر ذلك البيان الابلغ حتى يممت الوفود العربية بيت الامة ذاكرة ، شاكرة ، هاتفة لسعد ، وأبرق الثائرون من مرابضهم يحيـون الزعيم الثائر ، وأما نحن في فلسطين ، فقد أبرق رئيس لجنتنا التنفيذية موسى كاظم باشا يقول : « وفلسطين تؤكد ان بيانكم هذا وهو بيان الزعيم الاكبر بمصر ، رأس الاقطار العربية ، كان له التأثير البليغ مما يقوي السوريين على احتمال

المصائب التي يصبها عليهم المستعمرون في سبيل استقلالهم ، كما ابرق باسمنا ، معشر الشباب الاستقلاليين ؛ الاستاذ حمدي الحسيني يقول عن نداء سعد وتبرعه : « انما يخلدان لدولته أجمل الذكر في ربط اواصر الجامعة العربية ربطا يبشر العرب بالحرية المطلقة والاستقلال التام » •

وأرسل الشاعر محمد الشريقي وهو من رجال الحركة العربية قصيدة بليغة وجهها الى رجل الامة العربية سعد زغلول ، انهاها شاديا :

يا رافعا علم الاخلاص منتظرا الا وصلت بحبل العرب ما فصموا
ان العروبة يا زغلول قائدنا فأجهر كما جهر الاتراك والعجم
وامدد يديك وصافح كل من نطقوا بالضاد يقبل عليك القوم كلهم

وانهاها مشيرا الى الجنرال الفرنسي ساراي الذي امر بتدمير دمشق :

ان كان «ساراي» اجرى دمع شقوتها فاليوم سعدك يوسيها فتبتسم

ويقول المرحوم عوني عبد الهادي انه سمع الملك فيصل الاول ملك العراق يقول : « كم أرغب ان يوسع هذا الرجل العظيم المبدأ الذي يعمل له فيشمل الشرق العربي كله ، وحسب سعد ان يتقدم خطوة جريئة في هذا الميدان ليصبح الزعيم الوطني للعالم العربي كله » •

واتجه تيار مصري هائل نحو تمجيد الثورة السورية وتأييدها ، وكان مما عبر عن هذا التيار شعراء مصر : حافظ ابراهيم وزكي ابو شادي ومحمود رمزي نظيم وحبيب عوض الفيومي وعلي منصور ، وكانت رائعة الروائع قصيدة شوقي العبقرية :

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

وما أحسب ان سوريا في ميادين الثورة او على مقاعد الدرس او عربيا ثائرا لم يردد مع شوقي :

وللاوطان في دم كل حر يد سلفت ودين مستحق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

وقد يقول مجادل ماحل : ان العاطفة الانسانية دون الصارخة العربية هي حافزة سعد ، ومع ان نص البيان يخالف هذا فاننا نجيبه :
في قاموس (الاعلام) لخير الدين الزركلي في ترجمة سعد زغلول يقول:
وهو أول سياسي مصري أسمع الغرب صوت الجامعة العربية فقال وهو ــ في لندن ــ يهدد الانجليز : « ان مصر تملك زرا كهربائيا ، اذا ضغطت عليه لبتها بلاد العروبة جميعا » .

وقد يمم في اذار (مارس) ١٩٢٦ م كاتب فرنسي مشهور أسمه موريس ديكوبرا لزيارة سعد خاصة ؛ ونشرت تفاصيل المقابلة وقد باده سعد ضيفه الكاتب قائلا : « لا يسعني ان افكر في الاعمال التي تقترف في سورية من دون ان اغضب .. انها تسيء الى اسم فرنسا » فأجابه الموسيو ديكوبرا : « ليست فرنسا هي التي ارتكبت تلك الاعمال ولكنه الجنرال ساراي .!! »
فقال سعد : « ولكن ساراي ممثل للجمهورية الفرنسية» فقال ديكوبرا: « لعلكم تعارضون مبدأ الانتداب ؟ » فأجاب سعد : « ان الذي أفهمه من الانتداب انه وضع لمنفعة المنتدب له لا لمحاربته كما هي الحال الآن في سورية .. فهل الانتداب قفاز ظاهره مخمل وباطنه شوك ؟ فما لكم ولتلك البلاد ؟ ولم لا تتركونها حتى تتمتع بحريتها ؟ » فحاوره ديكوبرا : « يا باشا هب ان الذين عملوا تلك الاعمال في سورية ليسوا فرنسيين بل شرقيين ، فهل يكون هذا شعوركم ؟ » فقال سعد على الفور : « لو عمل أخي الاعمال لمقت أخي وغضبت عليه غضبا شديدا » .

ونهض سعد ليودع ديكوبرا ويقول له . « ارجو منك يا موسيو ديكوبرا عندما تعود الى بلادك ان تقول لمواطنيك : ان زغلولا غاضب مما حدث في سورية واذا تكلم زغلول فانما يتكلم بلسان الشعب المصري كله .
وسئل ديكوبرا رأيه في سعد فقال : انه رجل قوي وشديد الصراحة في حديثه وان كل ما قاله لي صحيح » .

وفي تموز (يوليو) ١٩٢٧ م زلزلت فلسطين زلزالها الشديد ، وكانت

نابلس اكثر مدن فلسطين تأثرا بذلك الزلزال •• وبينا كنا معشر الكشافين ، نزيل الانقاض ونتشل الجثث أقبل ساعي البرقيات يحمل برقية من مصر وتناولتها فاذا هي بتوقيع سعد زغلول ، ومن بني وصيف ، ولست أذكر الان نصها ولكنها كانت مواساة أب كبير لابنائه وفيها يتبرع بمئة جنيه لمنكوبي نابلس ، وقد فعلت البرقية والتبرع فعل السحر في تشديد عزائمنا وتنشيط هممنا ••• ولكن ما هي الا أيام حتى نعي سعد فلبست بلادنا ثوب الحداد ، ورحنا في أربعينه نؤبنه في كل بلد وتندبه في كل محفل •• لم يتوان شاعر في رثائه أو كاتب في بكائه وقلنا : صدق شاعر النيل حافظ ابراهيم :

قل لمن بات في فلسطين يبكي ... ان زلزالنا أجل مصابا
قد دهيتم في دوركم ودهينا ... في نفوس ابين الا احتسابا

ولم يخل بيت من اسطوانة أم كلثوم في ندب سعد مما نظمه رامي :

ان يغب عن مصر سعد ... فهو في الذكرى مقيم

واني لاذكر هنا اني في زيارة لمصر سنة (١٩٤٩) وكنت مستشارا للوفد السوري لدى مجلس جامعة الدول العربية قد دعيت من فتى عربي النزعة هو المرحوم محمود حسنين مخلوف نجل مفتي الديار المصرية الاسبق الى سهرة كان في طليعة حضورها المرحوم الزعيم رياض الصلح وابن عمه تقي الدين ـ طال عمره ـ وكان في استقبالنا الاستاذ مكرم عبيد وكان صاحب الدعوة من انصاره في الكتلة الوفدية ، وفي اثناء السمر راح مكرم يحدثنا بطلاقة عن النزعة العربية لدى سعد زغلول ، وقال لنا انه يعد رسالة حول سعد والفكرة العربية وليدة اتصالاته بالزعيم وفيها أسرار بالغة الاهمية •• واني أكتب الان هذه السطور وكلي أسى ألا ينجز مكرم وعده قبل وفاته ومما سمعته تلك الليلة ان سعدا قد رشح لمجلس الشيوخ ثلاثة من السوريين المتمصرين •

والى حديث آخر في مقال تال استكمل القول فيه ان شاء الله •

العربي ... اكرم زعيتر

الجمهوريه الاسلاميه
في ايامها الاولى

بقلم : زهير مارديني

مضى على قيام الجمهورية الاسلامية في ايران اسابيع قليلة ، ومع ذلك اصبح للجمهورية تاريخ نقلب صفحاته ونتصفح اياته ، وان يكن هذا التاريخ قصير المدى ، فان سطوره القليلة ملأى باحداث الزمان ..

فعلى المستوى العقلي البحت ، ولدت ثورة الجمهورية الاسلامية كما يولد البركان من جوف الارض ، نتيجة صراع بين ضغط الارض ، وغليان المعادن المنصهرة ، لا شيء يولد قبل وقته ولا بعد وقته ، انما يجيء كل شيء بأوانه ، فعلى امتداد سنوات طويلة تحركت الثورة الاسلامية واستولت على العقول والقلوب ، واحتلت الفراغ الروحي والوجداني الذي فشلت اجهزة القمع الشرسة في ان تملأه بشيء له قيمته ، واسرعت اجراءات القمع التي لجأت اليها الحكومات الايرانية السابقة في ايغار الصدور ، حتى جاء الوقت الذي نضج فيه البركان فانفجر تفوهته واندفعت منه الحمم ، وبدأ الصراع السافر بين شعب يقوده الاسلام ، وجيش تقوده اجهزة القمع الوحشية ، وهو صراع وصفته لجنة تقصي الحقائق الاميركية ، التي زارت ايران منذ شهور (بانه يشبه الثورة الفرنسية ، فان شعبا مسلما باكمله يتجه نحو هدف واحد ، رغم اختلاف افكاره وصوره ..) .

ورفعت الثورة علم الاسلام منذ اليوم الاول ، وكان هذا اشارة بحياة الثورة وعدم انتمائها للغرب او للشرق . وبدأ الناس هنا وهناك ينتظرون من قادة الثورة المعجزات ، وكان هذا هو الخطأ الاول الذي وقع

فيه الكتاب المفروض فيهم الاطلاع على الارث والتراث الاسلامي •

ان التاريخ الاسلامي لم يعرف اي معجزات مادية لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فالنبي العربي لم يشق البحر كالنبي موسى ، ولم يحي الموتى كالنبي عيسى ، وانما اكتفى بان (قرأ) باسم ربه الذي خلق ، الذي علم بالقلم ••• قرأ على الناس ما تنزل به الروح الامين جبريل من رب العالمين •• وحين انتقل الرسول الى الرفيق الاعلى بكى ابو بكر لانقطاع وحي السماء واستقر في ضمير الامة الاسلامية لون جديد من الوان المعجزات هو الايمان بكتاب الله ، وهذا لون لا يختص به عصر ، ولا يختص به انسان دون انسان ، يكفي ان يؤمن المرء بكتاب الله ويطيعه ليثبت له ما يثبت للمؤمنين من وعد الله ••• وقد وعد الله تعالى المؤمنين بالعزة ، كما وعدهم بالنصر ، واي حال للمؤمن خير ، اذا مات في معارك الشرف دخل الجنة ؛ واذا عاش منحه الله تعالى العزة ؛ والعزة أصلا لله ولرسوله وللمؤمنين ، وليست ثورة الشعب المسلم في ايران غير دليل عملي لقدرة الشعوب حين تؤمن بالله•

من هذا المنطق غدا التاريخ القصير وراء الثورة الاسلامية شبكة من الجذور عشقت العقول والقلوب ؛ فاستوت الغرسة المؤمنة قوية تحت الشمس ، وطفقت تنمو نموا روحيا ووجدانيا وماديا صحيحا ، شأنها شأن كل كيان طبيعي ، وكل حياة توافرت لها عناصر البقاء والنماء ، فلا ينظر الناظر في ايام الثورة الاولى الى الخلافات التي ظهرت ، والمظاهرات المضادة التي قامت ؛ ولا الى ثمار الثورة وزهورها ، بل الى ترابها وجذورها •• وليس المهم ان نرى على اغصان الثورة الثمار ، لان ثمار ما قبل الاوان ثمار مبشرة ••• بل المعول عليه كل التعويل ، ان نرى هؤلاء الذين يغرسون هناك في النفوس ، عافية الفتوة ، وبريق الجمال ؛ ووعد المستقبل •

ويقول بعض المتسائلين من اقارب واباعد :

ــ ماذا حققت هذه الثورة للاسلام ؟

ويريدون كجواب ، ان نعدد لهم العجائب ، ونسرد المعجزات ، حتى اذا اكد لهم السيد وصحبه ان ليس في حسابهم ولا في حساب الثورة عملية سحر، ولا صناعة شعوذة ، وليس في ارتقاب مستقبلها فوارق وبهلوانيات ، راحوا يكررون السؤال ، وعلى افواههم الشك والمكر والاشفاق الكاذب :

ـ بل ماذا يا ابناء الامة الاسلامية تنتظرون من هذه الثورة التي بدأت تتعثـــر ؟

وحسبنا ، جوابا قويا جازما ان الثورة في ايامها الاولى قد رفعت لــواء الاسلام عاليا خفاقا ، وكان هذا اللواء الى شهور قليلة قبل الثــورة يسـون في العالم الاسلامي ويتصدع ، وكان هذا اللواء في ايران يتمــزق وكأنــه لا يزال يعيش في السديم (القورشي) ، فوضى وابخرة وقصور وترف مجنسون وعبيد يساقون الى الذبح .! ليفهم المتشككون والمشفقون الكذابون هذا ، قبل ان يمعنوا ، السؤال والاحراج وليعلموا ان الجمهوريــة الاسلامية قــد حققت وركزت في ايامها الاولى نقطة الانطلاق الاسلامي ، وكانت الاجيــال الاسلامية منذ مئات الاعوام تفتش في مهب المستقبل المجهول عن هدف واحد لها عظيم بين الاهداف الاولى وهو نقطة الانطلاق ...!

ان الانطلاقة القوية الى العلاء ، انما تحتاج الى ارض ثابتة ، يضرب بها المنطلقون اقدامهم ، ليرتفعوا ، والجمهورية الاسلامية في ايامها الاولــى ، قد برهنت للاقارب والاباعد انهــا المطار الاسلامي الوحيد الذي اصبح جاهــزا لارسال اجنحة النسور في اجواء المستقبل ، ألم يكن سلاح الطيران الايراني اول من هب الى نزع شارات الامبراطور من على اكتاف ضباطــه ، ورمــي اوسمته على الارض وداسها ووضع بدل كل هــذا شعــارات الجمهوريــة الاسلامية ... والامة الاسلامية ان اعوزها في ماضيها جناح النسر ، او قدم العملاق ، فقد كانت تنشد بكل جوارحها وقواها ، نقطة انطلاق قوية ثابتة ، ارضا حرة ، تعدها لجنــاح النسر ، وقــدم العمــلاق ... وعبثــا يتساءل

المتسائلون ، والمتفرجون ، والمراقبون ، والسائحون المتطفلون ، والمهرجون عن مكان السماء الحرة والارض الحرة في الديار الاسلامية ... انها هناك في نقطة الانطلاق الاسلامية ، على ارض الجمهورية الاسلامية ...

من اجل هذا اوغرت الجمهورية الاسلامية صدور الاعداء ، ومن اجل هذا ، ولوا عن مطار طهران مدبرين، كان اسياخا من نار قد سفعت اقفيتهم .. ومن اجل هذا تكاكأوا في الخفاء على دسيسة ما ، وعلى مكيدة ما ، وعلى مظاهرة ما ، ليعززوا نطاقهم المضروب حول رقعة الارض الحرة ، ولكن الزمن القريب سيثبت ان هذه الارض الاسلامية ستتسع وتزداد سعة وقوة وثباتا ، ومن اجل هذا راحوا ينفخون في جلود بعض صنائعهم ليصبحوا معارضين للثورة ، وركزوا اضواءهم على منابر التهريج ليغدو المهرجون قادة ورجالا ، من اجل هذا طفقوا يزورون للناس مشاهد الاتفاقات المشبوهة التي سارعوا الى عقدها ليحجبوا عن الابصار حقائق الثورة الاسلامية البيضاء من غير سوء ... ومثلما كثر المتنبؤون وادعياء النبوة ، ومزوروها في عهد النبوة المحمدية التي رفعت منار الاسلام ، وجمعت امة العرب مع غيرها من الامم ، كذلك اليوم ، اذ تلوح للملأ العالمي سمات البطولة الاسلامية المنقذة بكل اشراقها وجلالها ، يكثر ادعياء البطولات الصغيرة ، ويتهافت على الساحات طبول ومطبلون ، يدفعهم دافعوهم ، ويصنعهم صانعوهم ، وليس من غرض وراء اشباحهم الهزيلة ، وطبولهم الفارغة ، سوى تشويه صورة البطولة الاسلامية التي ظهرت حقا ، ولن تحجبها الزيوف التافهة ، والمنابر الصحفية العالمية المرتفعة على بهارج الباطل ..

كل ما حول الثورة الاسلامية في ايامها الاولى ، يدل على انها نجحت ، وبلغت هدفها الاول من نقطة الانطلاق بترسيخ الايمان في قلوب الملايين من ابناء الامة الاسلامية ... كل ما حول الجمهورية الاسلامية شاهد بنجاح الثورة الاسلامية في العصر الحديث رغم كل ما اقامه ويقيمه اصحاب الملايين واجراء الاجانب واعداء الاسلام من عقبات ومصاعب في طريق اول ثورة

اسلامية قامت للتحدي ..

كل ما حول الثورة الاسلامية في ايامها الاولى ، يشيع الثقة ، ويبعث الطمأنينة ، ويوحي بالاعتماد على النفس ، ويعزز الايمان بان يوم الشعوب في انتزاع حقوقها قريب ... قريب !

حسب الثورة الاسلامية ان شدت ساعد ابناء فلسطين ليضربوا ضربات ساحقة عدو الاسلام الاساسي القابع في قلب الامة العربية ... ففي هذه الايام الاولى ، تلقت اسرائيل صفعات مدوية ، فطردت بعثتها من الارض الاسلامية مع الاف الخبراء الذين كانوا يعلمون شرطة ايران كيف يطبق التعذيب الحديث على الشعب الاعزل ... وقطع البترول الايراني عن دولة البغي والعدوان وهذا شيء لو تعلمون كبير ...

لقد وصف موشي دايان الثورة الاسلامية بالزلزال ، وهي بالفعل زلزال حقيقي سيجرف في طريقه كل الاعداء . لهذا قامت ابواق الصهيونية وابواق صنائعها تنعق بالدسائس والاكاذيب ، وراح بيغن وقبيله الرجيم ينعق ويشق ثيابه ويأتي بسنده وعضده الرئيس كارتر الى القدس لينثرا معا التهويل والتهديد والترغيب ..

وكان ذلك دليلا جيدا على ان الهلع قد دب في ضمير العدو ، وان اسم الثورة الاسلامية غدا الشبح المخيف الذي يقض مضاجع الصهيونية وحلفائها واصدقائها الجدد من العرب المستعربة والمتظاهرين بالاسلام ، وان الخطر الاول الذي يخشاه الصهيونيون والمستعمرون معا هو قيام اول جمهورية تنادي بالاسلام .. وحسب الجمهورية الاسلامية نجاحا ومضاء ، في ايامها الاولى انها قد ملات عيون الاعداء ، كل الاعداء ، وزرعت في قلوبهم الخوف والرعب ، فمالوا عن سياسة عداء الثورة الاسلامية العلني الى سياسة التقرب والزلفى ، والاعتراف بها ، وكانت الجمهورية تفاوض وهي منتصرة ، وتناجز السياسة الدولية مناجزة القادر الكفء ، فترتفع بذلك مستوى التفكير

الاسلامي والتعامل الاسلامي الدولي ..

ثم ، اهناك من ينكر بان الارض العربية الاسلامية بعد نكبة فلسطين بدأت تتفاعل في اعماقها شتى التيارات والعناصر ، وكان كل شيء بعد النكسات والهزائم والثورات المفتعلة ، والقيادات المصنوعة ، ينبيء باقتراب التفجرات تحت اقدام من ظنوا ان هذه الارض قد فقدت في بطنها عناصر الغليان ، وان الامة الاسلامية لكثرة ما عانت اخلدت الى ذل الهزيمة الى الابد ...

وبدأوا يصنعون الاستسلام على طريقتهم الفاجرة ، واصبحت الضفة الغربية المحتلة تسمى يهودا والسامرا ، وبينما هم في طغيانهم يعمهون دوت فجأة طلقة الثورة الاسلامية ، وشوهد الشاه حليف اسرائيل، وحليف امريكا، يهرب كميتة متفسخة ، ماتت تحت قباب القصور ، وفي ضمير الشعب منذ اعوام واعوام ...

وكان قادة الثورة الايرانية من جند الله الذين يعملون بصمت ، ويخططون بصمت ، وكانت سياسة الشاه بفصولها التمثيلية قد قضت على كل امل للمصلحين بالاصلاح ، وحسب تلك السياسة ذلا ان استسلمت لسياسة اسرائيل استسلاما كاملا ... فاذا بالثورة تقوم وتدوس باقدامها هذا الذل لترفع بدلا عنها سياسة الرأس المرفوع والعزة الاسلامية ..

ويسألونك من جديد عن السياسة الاسلامية المرفوعة الان في سماء طهران ما هي ، وكيف ستعمل ، وما هي معالمها ... ؟

ان اقرب الجواب على هذا السؤال هو في العودة قليلا الى الوراء ، فمنذ وفاة النبي الكريم والامة الاسلامية امام طريقين :

طريقان كلتاهما مستقيمة واضحة الاعلام ليس فيها عوج ولا التواء ..

ـ احداهما هي الطريق التي سلكتها الامم من قبلهم ، وهي طريق الملك

الذي يقيم امره على الحزم والعزم وعلى القوة والبأس ، ويحل مشكلات الدنيا بوسائل الدنيا ، فيرقى ويقوى ويزدهر ، ثم يصيبه الضعف والانحلال والذواء لينتقل من طور الى طور ، ومن دولة الى دولة ، ومن شعب الى شعب ..

– والاخرى هي الطريق الجديدة التي مهدها النبي ورفع اعلامها صحابة رسول الله ، وهي التي لا تقيم السلطان على القوة وانما تقيمه على المحبة والعدل ، وتجعل القوة اداة من ادواته ووسيلة من وسائله ، ولا تعرف اثرة ولا تحكما ولا جبرية ، ولا تحل مشكلات الدنيا بوسائل الدنيا ، وانما تحلها بوسائل الدين هذه التي تقوم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وعلى الرغبة في الخير والنفور من الشر وعلى الايثار على النفس والتبرؤ من الاثرة ، وتعتمد قبل كل شيء على صفاء النفوس ونقاء الضمائر وطهارة القلوب ، وتتخذ الدنيا كلها ، لا اقول وسيلة الى الاخرة ليس غير ، ولكن اقول وسيلة الى الاخرة من جهة ، ووسيلة الى دنيا جديدة تزداد رقيا ونقاء وصفاء وطهرا كلما تقدمت بها الايام من جهة اخرى ...

نظر المسلمون بعد غياب صحابة رسول الله فاذا هم على رأس هاتين الطريقتين ، فاما اكثرهم فسلكوا الطريق الاولى ، وامتحنوا فيها وما يزالون يمتحنون بما امتحنت به الامم والشعوب ، واما اقلهم فحاولوا ان يسلكوا الطريق الثانية ، ولكنهم كانوا ناسا من الناس فلم يكادوا يتقدمون في طريقهم تلك حتى امتحنوا في انفسهم ودمائهم ، وحتى غلبهم الاكثرون عددا على امرهم ..

واليوم ، والثورة الاسلامية في ايامها الاولى ، ينظر المسلمون الان فاذا الطريق الاولى ما زالت مزدحمة بهم جميعا يتهافتون فيها كما يتهافت الفراش في النار ... واذا الثورة الاسلامية تفتح لهم الطريق الثانية ، هذه الطريق التي لا يقدر على سلوكها الا اولو العزم من الناس ... وكلنا امل ان

يكون قادة هذه الثورة من اولي العزم من الناس ..!

ولن نخاف على هذه الثورة طالما ظلت رافعة راية الاسلام ، فالانسانية لم تستطع الى الان ، على ما جربت من تجارب وبلغت من رقي ، وعلى ما بلغت من فنون الحكم وصور الحكومات ، ان تنشيء نظاما سياسيا يتحقق فيه العدل السياسي والاجتماعي بين الناس على النحو الذي كان خلفاء النبي يريدون تحقيقه ..

لقد ذهبت الانسانية في الحكم مذاهبها المختلفة ، فكان فيها حكم الملوك الذين يرون انفسهم الهة ، وكان فيها حكم الملوك الذين كانوا يرون انفسهم ظلالا للالهة ، ثم كان فيها حكم الملوك الذين كانوا يرون انفسهم ظلالا لاله واحد ... وهؤلاء الملوك جميعا كانوا يرون مخلصين او غير مخلصين ان سلطانهم لا يأتيهم من الناس ، وانما يأتيهم من ابائهم الالهة ان رأوا انفسهم الهة ، ويأتيهم من الاله او من الالهة الذين اتخذوهم لانفسهم ظلالا واستخلفوهم على عبادهم من الناس ، فكان هؤلاء الملوك يصدرون فيما يأمرون وما ينهون وفيما يأتون وما يدعون عن انفسهم ، لا يعنيهم ان يرضى الناس او يسخطوا ، فليس للناس ان يرضوا او يسخطوا ، وانما عليهم ان يذعنوا ، وليس من شأن رضاهم او سخطهم ان يغير من سيرة ملوكهم شيئا ، فانت تستطيع ان ترضى عن الشمس حين تضيء ، وتسخط عليها حين تحتجب، فلن يغريها رضاك بالاشراق ، ولن يمنعها سخطك عن الاحتجاب .. عرفت الانسانية حكم هؤلاء الملوك فشقيت به كثيرا ، وحاولت ان تغيره فاتيح لها هذا التغيير في بعض الظروف ، فعرفت حكم القلة الارستقراطية التي تستأثر بالعدل فيما بينها من دون الناس ، وعرفت حكم الطغاة الذين اقبلوا لينقذوا الشعب من ظلم هذه القلة واستئثارها ، وليشيعوا العدل بين الناس جميعا لا يفرقون بين الاقوياء والضعفاء ، ولا بين الاغنياء والفقراء ، ولا بين القادرين والعاجزين ، فلم يتح لهم الا ان يشيعوا الظلم بين الناس جميعا ، وان يذلوا القلة مع الكثرة ويردوها من الضعة والهوان الى مثل ما حاولت ان تخرج منه

او الى شر مما حاولت ان تخرج منه ..

ثم عرفت الانسانية بعد ذلك نظاما من نظم الحكم ظنت انه من خير النظم وارقاها واقومها وامثلها واجدرها ان يحقق العدل السياسي والاجتماعي بين الناس ، وهو هذا النظام الذي يرد الى الشعب امور الشعب يصرفها كما يشاء ويدبرها كما يحب ، ولكن الانسانية جربت هذا النظام فنالت به قسطا من العدل ، ولم تنل به العدل كله ، بل لم تنل من العدل الا ايسره واهونه شأنا ، فلم يتح للناس الى الان ان يتفقوا على رأي ولا ان يجمعوا على هوى ، سلكت الانسانية في سبيل الحكم الصالح كل هذه الطرق وغيرها ، وجربت كل هذه النظم وغيرها ، فلم تنته الى غاية ، وما زالت تشكو الظلم والجور ، وتضيق بالاستذلال والاستغلال ، وتبحث عن النظام القويم يضمن للناس الحرية والعدل جميعا ... وهذا النظام القويم هو الذي حاولت الخلافة الاسلامية ان تنشئه ، فمات ابو بكر رحمه الله ولم يكد يبدأ التجربة، وقتل عمر رحمه الله وقد خطا بالتجربة خطوات واسعة ، ولكنه لم يرض عنها اولا ، فقد روي عنه انه كان يقول في اخر خلافته :

(لو استقبلت من امري ما استدبرت ، لاخذت من الاغنياء فضول اموالهم فرددتها على الفقراء) فقد رأى عمر اذن انه لم يبلغ من تحقيق العدل الاجتماعي ما كان يريد ... وبعد الفتنة جاء الامام علي بن ابي طالب ليستأنف سيرة الحكومة الاسلامية الاولى فعاش مصمما على خطته الواضحة لا يرضى الدنية من الامر ولا يدهن في دينه ، ولا يتحول عن سياسته الصريحة قليلا او كثيرا ، والمحن تتابع عليه ويقفو بعضها اثر بعض ، وهو ماض في طريقه لا ينحرف عنه الى يمين او شمال ، يبلغ منه الغيظ اقصاه ، فلا يزيد على ان يجمجم دون ان يلفته شيء من ذلك عما صمم عليه ...

اننا نراهم اليوم يتبجحون بالديمقراطية التي تحمي القاتل من التعذيب وننسى ان الامام علي كان اول من وضع قوانين حماية المسجونين من التعذيب ، فحين طعن آمر من حوله ان يحسنوا طعام الطاعن ابن ملجم

ويكرموا مثواه ، فان بريء من ضربته نظر ، فاما عفا واما اقتص ، وامرهم ان مات ان يلحقوه به ولا يعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ...

كل هذا يدل على ان هؤلاء الصحابة قد تركوا للحكام المثل العليا الكثيرة التي دعا اليها الاسلام ، وحين تخلى الحكام عن مثل هذه المثل سفكت الدماء وازهقت الارواح وانتهكت المحارم ، وفسدت على الناس امور دينهم ودنياهم ، وهذه المثل العليا تتلخص بالعدل الذي يملأ الارض وينشر فيهما السلام والعافية والذي تقطعت من دونها اعناق المسلمين قرونا متصلة دون ان يبلغوا منها شيئا ... والله بالغ امره ، قد جعل لكل شيء قدرا ، ونحن نكتب انما نبتغي وجه الحق مرددين الاية الكريمة التي كانت آخر ما نطق به الامام علي :

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ..

زهير مارديني

الاغلاط المطبعية

لا احد مثلنا يهمه ان تزول الاغلاط المطبعية من العرفان ، ولكن ما العمل فانها تبقى رغم العناية بالتصليح ، فنرجو ان تتمكن في النهاية من القضاء عليها ، او على اكثرها على الاقل ومما جاء في العدد الماضي من الاغلاط :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٢٣٩	والايير	والاخير
	قوادت	قوات
٢٦١	تهيب	يتهيب
٣١٩	جريا على سيرة الاغنياء	لكن عطاء النور للظلماء

وغيرها وغيرها نرجو في المرات القادمة ان نجد التجاوب للقضاء عليها ، فمعذرة من القراء .

الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها

محاضرة للدكتور عمر فرّوخ

— ٢ —

في هذا الاستعراض السريع لا يجوز أن ننسى الطب والصيدلة والمستشفيات • لم تكن الامراض بين عرب الجاهلية مفقودة ، ولكنها كانت قليلة ويسيرة لان الهواء في البادية نقي والطعام قليل ولان البدوي كان محتاجا الى كثرة الحركة في الانتقال والحرب ولاضطراره الى القيام بجميع اعماله بنفسه • ومع ذلك فان التطبيب في الجاهلية كان تطبيب وقاية للحيلولة دون نزول المرض بالاجسام • والقول القديم المأثور مشهور وهو : المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء •

فلما خرج العرب بالاسلام الى العالم ونزلوا في حواضر [illegible] تعرضوا لفساد الهواء في المدن وتعودوا المآكل [illegible] وآثروا النعيم فقلت حركتهم وتعرضوا لامراض لم تكن [illegible] ـهم من قبل فاحتاجوا الى أدوية جديدة لمعالجة الامراض الجديدة • من أجل ذلك نقلوا كتب الطب عن اليونان [illegible] نود •

وكان لليونان طب علمي طبيعي مزاجي ؛ أما الهنود فكان لهم طب شخصي روحاني نفسي • وكان اليونان يأنفون من الاخذ بأسلوب الهنود عند التطبيب ، كما كان الهنود لا يحفلون بطب اليونان • ولكن العرب أخذوا الصحيح الصالح من طب هؤلاء والصحيح الصالح من طب أولئك ثم أضافوا

اليهما ما عرفوه هم بالتجربة وما كانوا أيضا قد عرفوه من جيرانهم الكلدانيين والبابليين وغيرهم ، فكان الاطباء العرب ـ من أجل ذلك ـ أبرع من سائر الاطباء الذين سبقوهم في تاريخ الحضارة •

وكان للمسلمين في التطبيب براعة لم تكن لسواهم : عرفوا المراقبة السريرية ـ مراقبة سير المرض يوما بعد يوم ـ وعرفوا انتقال المرض بالعدوى منذ الجاهلية ثم عرفوا طرق انتقال العدوى • وعرف الرازي أربعة أشياء في ذروة العبقرية الطبية : فرق بين الجدري والحصبة وعرف انتقالهما بالعدوى وأشار الى الطرق التي تحول دون التشوهات بهما • ثم نصح بأن يكون للانسان طبيب واحد يعالجه ، لان الوقوع في خطأ طبيب واحد أفضل من الوقوع في خطأ عدد من الاطباء ـ ما دام كل طبيب يراك للمرة الاولى يلجأ الى التجربة فيك • وترك الرازي العظيم خياطة الجروح بخيوط من القنب أو القطن أو الكتان واستخدم خيوطا من مصارين الحيوان ، لان هذه الخيوط يمتصها الجسم فلا يحتاج الطبيب الى أن ينزعها بعد التئام الجروح فيحدث للمريض ألما وتشويها في جسمه ويعرض أماكن الجروح لالتهاب جديد • وعرف الرازي ـ وهو العالم الكيماوي العظيم ـ أن الدواء لا يتفاعل في القنينة ولكن يتفاعل في معدة المريض ، فنصح الاطباء بأن يدرسوا أجسام مرضاهم قبل أن يصفوا لهم الادوية •

[illegible] الاطباء المسلمين ألوف ، ولكن لا بد من ذكر [illegible] ابن العباس المجوسي صاحب الكتاب الملكي ، [illegible] بصناعة التوليد فذكر أن الجنين يخرج من تلقاء نفسه لان تقلص الرحم ـ أي الطلق ـ [illegible] الذي يدفع الجنين الى الخروج ، ولا يجوز التدخل في اخراجه ، الا في الاحوال [illegible] • وعرف العرب التغذية الصناعية من طريق شق في البلعوم وبالحقن أيضا ، كما [illegible] ابن النفيس الدمشقي الدورة الدموية الجزئيـة أو الصغرى بين القلب والرئتين •

وأما الشمس المشرقة في الطب فكان ابن سينا ، فقد عرف خصائص

العدوى في السل وفي الامراض التناسلية وعلل الميول الشاذة في الانسان ودرس أحوال العقم وعرف العقم العارض من تنافر الاحوال الطبيعية والنفسية بين الزوجين كما عرف الاسباب الثابتة التي لا دواء لها ولا علاج • وعرف ابن سينا أن في الخنثى أحيانا عضوين ، وأن أحدهما يكون ضعيفا فنصح بقطع العضو الضعيف الخفي • ولقد مررت في أثناء مطالعاتي بحوادث انقلبت فيها خنثى انسانا سويا وأن القاضي وضع في ذلك سجلا أخذ عليه تواقيع نفر من الناس •

وذكر ابن سينا الورم الخبيث ووصف شكله ولونه وتكلم على أعراضه وعلى علاجه بالمسكنات ثم قال : ان شفاءه المأمول يكون بالجراحة في أدوار المرض الاولى ، على شرط أن يكون الاستئصال واسعا وكبيرا وعلى أن يعقم الموضع جيدا ، ومع ذلك فأن الشفاء غير أكيد •

وعرف المسلمون المستشفيات معرفة صحيحة ، وكان الخلفاء والوزراء والاغنياء منهم يتنافسون في بناء المستشفيات وتجهيزها بالآلات والادوات • وكان لكل مرض بعيد بناء خاص به ، كما أن المستشفى الواحد كان يضم أجنحة خاصة بالرجال وأجنحة خاصة بالنساء واجنحة خاصة بالاطفال •

وكانت المستشفيات تدفأ في الشتاء وتبرد في الصيف • وكذلك كان المرضى ـ وخصوصا في أدوار النقاهة ـ يوضعون في قاعات تعزف فيها الموسيقى وتعرض فيها التمثيليات الفكاهية أو تقرأ لهم فيها القصص المفرحة• وكان المريض اذا غادر المستشفى أعطته الدولة مبلغا يكفيه شهرين كيلا يعمل في أثناء ذينك الشهرين عملا مجهدا ينكسه في المرض من جديد •

ووضع المسلمون البيمارستان المحمول أو المستشفى النقال الذي يحمل الادوية والاغذية والاطباء البارعين الى أطراف الدولة الاسلامية ، فمن عادة كبار الاطباء ألا يقيموا في القرى الصغيرة وفي بلدان الحدود ، وان كثيرين من المرضى لا يستطيعون المجيء الى العاصمة • ثم لان كثيرين من المرضى

ليسوا فريسة أمراض بل ضحايا سوء التغذية •

والبحث في العلوم الرياضية والطبيعية كالهندسة وعلم الانساب أو المثلثات والفلك وعلم النبات وعلم الحيوان والكيمياء والفيزياء يبدو أحيانا ثقيلا على النفوس فلننتقل الى شيء من العلوم الاجتماعية فان النفوس اليها أميل • والناس يحبون التاريخ ، فلنمر بالتاريخ مرا خفيفا •

ان التاريخ العربي كله كان أخذا وعطاء • ان أبا جعفر الطبري سيد المؤرخين قد جمع كتابه كل الروايات التي وصلت اليه بأسانيدها ـ كما يفعل أهل الحديث ـ ثم قال للذين سيجيئون بعده : خذوا هذه المادة الخام وأجيلوا فيها عقولكم ثم احكموا على الاحداث وعلى الذين تجري هذه الاحداث على أيديهم •

ثم جاء عملاق التاريخ ابن خلدون فوجد أن الكثرة من المؤرخين ما زالت تولي قصة التاريخ اهتماما كبيرا • كانت تلك الكثرة من المؤرخين تهتم بأخبار الملوك وبتفاصيل المعارك لم تصبح في مفردات من الاحداث تتكرر في كل يوم وفي كل زمن ، ولكن لا توجب حكما ولا تصوغ قاعدة • فقال لنا ان التاريخ علم من علوم الفلسفة عمله وصف تطور البيئة الاجتماعية بكل ما فيها من سياسة وحرب وعلم وفن وأحوال معاش يشترك فيها الاغنياء على قدرهم والفقراء على قدرهم والبدو على شاكلتهم والحضر على زيهم • ان التاريخ هو وصف لتطور الحضارة الانسانية • والتاريخ عند ابن خلدون ليس فورات متقطعة هنا وهناك • انه مجرى كبير واسع تخوضه الامم على مراتبها في الرقي الحضاري • والتاريخ لا يعد من حياة كل أمة الا الفترة التي تقوم كل أمة فيها بعمل حضاري نافع للانسانية جمعاء • أما ما يجري في عواصم الامم وفي قرى الاقاليم فلا قيمة له الا بمقدار ما يكون له من التأثير على التقدم الانساني •

وفي القصص البحت ـ وهو أيضا جانب من التاريخ ـ قام العرب

بتبادل ثقافي رائع • الأدب العربي لم يعرف القصص الطوال ولا القصائد الطوال ــ كما عرف القدماء من الهنود واليونان والفرس ذلك • ان أطول القصائد العربية قصيدة عمرو ابن كلثوم زعموا أنها كانت ألفا ومائة بيت ، وليس لدينا منها اليوم سوى مائة بيت أو تزيد قليلا • ثم جاء ابن الرومي فأطال القصائد ولعله بلغ ببعض قصائده الى ثلاثمائة بيت • ولا عبرة بالالفيات التي نظمت أراجيز في النحو والطب وما أشبه • ومع ذلك فان هذه ــ وعدة احداها ألف بيت ــ لا تقاس بالالياذة لهوميروس اليوناني ولا بالشاهنامة للفردوسي • وبلاد العرب بلاد دافئة جدا لا تطول فيها الليالي ولا تدوم الثلوج فيحبس الناس أنفسهم في بيوتهم ليستمعوا الى القصص التي تطول أياما كثيرة وأشهرا •

وأخذ العرب القصص الطوال ــ أو المجموع الطويل من القصص ــ عن الفرس وهذبوها وزادوا فيها ثم وهبوا ما صنعوا الى الغرب كله • فليس في العالم الغربي كله ــ بجميع أقطاره ولغاته ــ طفل لا يعرف قصة من قصص ألف ليلة وليلة • والقصاصون الاوروبيون كلهم قلدوا القصص العربي وغرفوا منه • فمسرحية شكسبير « أوثلو العربي » ويسميها بعضهم « عطيل » مشهورة • وأشهر منها قصة كارل ماي الالماني « اجتياز الصحراء » •

ونعطف قليلا على الشعر • قال أبو تمام :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ،
ما الحب الا للحبيب الاول •
كم منزل في الارض يألفه الفتى ؟
وحنينه أبدا لاول منزل !

ثم جاء بعده الشاعر الفرنسي لامارتين ، بعده بعشرة قرون وربع قرن ؛ فقال :

المرء منا أبـــدا راجع الى هوى مـــن حبه الاول

L'homme revient tujours
A ses premieres amours.

ويقول أبو العلاء المعري :

والله ، اذ خلـــق المعـــادن ، عالم
أن الحـــداد البيض منهـــا تصنـــع

ثم جاء هذا المعنى بظلاله عند الشاعر الالماني فون أرنت لما قال :

والـــذي أنبت الحديد من الار ض أبى أن يكون في الارض عبد

Der Gott der Eisen wachsen liess
Der wollte keine Knechte .

ولم أستطع أنا أن أدخل لفظ الجلالـــة « الله » في البيت الالماني الذي صغته من ألفاظ عربية .

أنا لا أقول ان لامرتين الفرنسي قرأ شعر أبي تمام ، ولا أقول ان فون أرنت الالماني درس شعر المعري . ولكني أقول ان العقول والالسن تتلاقـــي وان الحضارات تتجاور وتتحاور ، ولكن الفضل للمتقدم عـــلى كـــل حال ، والمتقدم هو الذي يعطي المتأخر ، ونحن أعطينا ولا فضل لنـــا في العطاء لاننا

كنا قد أخذنا أيضا . غير ان الرغبة في العطاء أعظم قيمة مـــن العطاء نفسه : فان الغني لا يعطي اذا لم يكن عنده رغبة في العطاء .

ومن أجمل ما أعطيناه في الشعر ــ وهو مما أعطيناه نحن بـــلا ريب ــ قول غوته سيد شعراء ألمانيا ، حينما قرأ على أستاذه روكرت شيئا من الآداب الاسلامية :

من الحمق ان يلتفت كل انسان فيما يخصه
الى مدح آراء نفسه .

اذا كان الاسلام هو الخضوع لله ،

فكلنا نحيا في الاسلام ونموت :

Narrisch, does jeder in seinem Fall,
Seine eigne Meinun Preisst.
Wenn Islam Gott Ergeben heisst ,
In Islam leben und sterben wir alle !

– ٣ –

واذ ذكرنا الاسلام فيحسن أن نجعل آثاره موضع بحث وجيز . من المدهش في نطاق التاريخ تلك السرعة التي انتشر بها الاسلام . فقبل أن يمر قرن واحد على الهجرة كان الاسلام قد عم العالم القديم المعروف في آسيا وافريقية وبعض أوروبة دينا ولغة ودولة وحضارة . ان الامبراطورية الرومانية قد نشأت في مدى عشرة قرون ثم سقطت في أثناء عدد قليل من السنين . ثم نسيت لغتها وانقرض دينها وضاعت حضارتها . أما الاسلام فقد ذهبت دولته السياسية ، ولكن الاسلام بقي دينا ولغة وحضارة الى اليوم برغم كل مقاومة قامت في وجهه . وكان العالم الغربي ، اذا ذكر الاسلام والطلاق ، يحمل على الاسلام من أجل الطلاق حملات منكرة . ولكن نظام الطلاق في الاسلام نظام عاقل صالح – مع أنه أكره الحلال الى الله – ولقد ساد نظام الطلاق في العالم الغربي حتى وصل الى ايطالية ، الى روما التي هي كرسي البابوية وصاحبة الرأي الذي لا يلين في تحريم الطلاق .

هذه الجولة السريعة في عالم الحضارة بين الشرق والغرب وبين العربية وغيرها ليست كافية للكشف عن الصلات الوثيقة بين أمم العالم الذي نحيا فيه ، ولكنها كافية في لفت الانظار الى تلك الحقيقة الكبرى في الحياة ، وهي أن الرقي في الحياة انما هو الرقي الروحي لا الرقي المادي . ان الامم تستطيع أن تستعير الاسباب المادية ، فنحن نركب سيارات أفخم من تلك التي يركبها

الناس في البلاد التي اخترعت السيارة والتي تصنع السيارات • وان نساءنا ليلبسن ثيابا آنق من الثياب التي تلبسها نساء أوروبة ، مع أننا نفتخر باستيراد تلك الثياب من أوروبة • ونحن نستعرض في أعيادنا أسلحة نشتريها بأموالنا الكثيرة • غير أننا لا ننتصر بتلك الاسلحة المادية التي جعلناها ملكنا بأموالنا لاننا لا نملك السلاح الروحي الذي يمكننا من أن نستخدم السلاح المادي استخداما سليما مفيدا • والعرب اليوم متأخرون لا لان الحضارة المادية مفقودة عندنا ، فنحن نملك من الفنادق الفخمة والسيارات الغالية والمباني الفاخرة والملابس النفيسة ما لا يملك مثله أولئك الذين بنوا لنا تلك الفنادق وباعونا تلك السيارات وشادوا لنا تلك المباني ونسجوا لنا تلك الثياب وخاطوها أيضا • ولكن العرب اليوم متأخرون لانهم تركوا حضارتهم الروحية • ان الامم لا تنقرض ، أي لا يختفي أفرادها ولا يزولون عن وجه الارض ؛ ولكن الامم تنقرض اذا فقدت حضارتها وذابت في غيرها • ثم ان الامم تنقرض بمعنى آخر حينما تنحط في سلم الحياة وتتخلى عن خصائصها وتفقد حضارتها الروحية فتصبح كتلا بشرية لا حظ لها من الحياة الانسانية الا أنها تقلد البشر الذين هم أقوى منها • ولو أن طفلا جاهلا فقيرا من أمة قوية لبس ثياب رعاة البقر للبس مثل تلك الثياب سادة الامم الضعيفة وكبراؤها • وكلما انحط البشر في سلم الحضارة أصبحوا أقدر على التقليد حتى يضعفوا ضعفا شديدا ويصبحوا غير قادرين الا على تقليد الآخرين • ويعجز هؤلاء المقلدون عادة عن تقليد الاقوياء المفلحين في الاعمال القيمة النافعة فيقلدونهم في الاعمال الظاهرة التافهة • نحن لا نقلد الغرب الحاضر في اطلاق مركبات الفضاء وتصنيع البترول وعمل الآلات الحاسبة وفي الزراعة والصناعة ؛ بل نقلد الغرب الحاضر في التافه والمضر من عاداته : في الطعام واللباس والتدخين والسهر في الليالي وما يتبع ذلك كله •

ايها السادة والسيدات ، كان في حديثي شيء قليل من الماضي وشيء كثير من الحاضر • فما شأن المستقبل ؟ لا تظنوا أني سيء الظن بالمستقبل ، فالمستقبل أمامنا نستطيع أن نراه كأننا نقرأ في كتاب مفتوح • ان للتاريخ

منطقا لم يختلف على الزمن ، ان الامم تعلو وتهبط ، وتمرض وتشفى وتموت وتحيا أيضا • انها كائن حي مثل كل فرد من أفرادها • وما يصدق في حياة الفرد الخاصة يتفق مثله او قريب منه في الحياة العامة للامة •

وكأني بأحدهم يسألني : لقد فهمت منك ما قلته من أن الامم تعلو وتهبط وأنها تمرض وتشفى ، ولكني لم أتيقن معنى قولك : ان الامم تموت وتحيا • ان موت الامم ، يا صاحبي ، هو موت كبار السن من أفراد الامة ، وأما حياتها ففي ولادة الاجيال الجديدة منها •

وأين العرب اليوم من هذا المستقبل ؟

يكاد العرب يكونون اليوم في أدنى درك من الحياة الحضارية ـ او لعلهم بعد لم يصلوا الى الدرك الاسفل • وأنا أعني بالعرب هؤلاء الذين يعيشون في حضارة أسلافهم العربية لا الذين استأجرتهم الحضارة الغربية • اذا كنت أنا أشعر أنني متأخر في موكب الحياة الصحيحة ـ من القوة والعلم والرقي والاستقلال بأمور نفسي وبأداء رسالة نبيلة الى الانسانية ـ ثم وجدت الذي يسكن الى قربي بيت يرقص رقصة أوروبية على أنغام موسيقى زنجية تخرجها آلة يابانية ، فليس معنى هذا أن جاري أكثر تقدما مني • ان الامر على عكس ما يعتقد ذلك الذي يسكن قربي : أنا أرقى منه ، ذلك لاني أدرك ما يخبئه المستقبل وربما احتطت لما سيأتي ونفعت بذلك نفسي وبعض قومي ، ولكنه هو غافل عن مثل ذلك كله •

في الامم اليوم شعوب مرشحة للزوال عن مسرح الحياة السياسية ، وأنت تستطيع ان تعرف تلك الشعوب بالمعيار الذي وضعه ابن خلدون ولم يبطل صدقه منذ فجر التاريخ الى اليوم •

ان الامم تخالف الافراد في أشياء منها أن الامم لا تموت فجأة ، ولكن علامات الموت قد تظهر عليها في عنفوان شبابها • لقد بدأ ضعف العرب في

أيام هارون الرشيد يوم وقف هارون الرشيد يخاطب غمامة مارة في سماء بغداد من غير أن تمطر : « أيتها الغمامة ، اذهبي وأمطري حيث شئت فان خراجك سيأتي الي » . وكذلك بدأ انحدار فرنسة نحو المغيب في أيام لويس الرابع عشر الذي كان لقبه « الملك الشمس » . وما كان بناء قصر فرساي ــ أو مدينة فرساي ــ الا دليلا من دلائل ذلك الانحدار الى المغيب . وجاء لويس الخامس عشر ولم يكن غبيا لما قال « وبعدي الطوفان » . لعله كان يدرك ما كان ابن خلدون قد وضعه من قواعد زوال الاسر الحاكمة . يقول ابن خلدون اذا بدأ انقراض الدولة فان الحاكم القدير قد يستطيع تأخير سقوط تلك الدولة ولكنه لا يستطيع أن يمنعه . ثم جاء لويس السادس عشر فكان الطوفان في فرنسة عارما ، ثم نشأ نظام آخر من الحكم . وقانون ابن خلدون هو قانون من قوانين الاسلام ، فقد قال الله تعالى (٣ : ١٤٠ ، آل عمران) : « وتلك الايام نداولها بين الناس » .

وما أسباب سقوط الدول عند ابن خلدون ؟

أسبابها البارزة أربعة : الترف ثم التحلل من الاخلاق الكريمة ثم العصبية ــ اي تنازع الجماعات في الدولة الواحدة ــ ثم الظلم عاما وخاصا : أي ظلم الحاكم للمحكومين وظلم بعض اهل الدولة بعضا . واذا كان هناك عدو خارجي يغتنم الفرصة فان سقوط الدولة يسرع ولكن لا يكون مفاجئا .

والذي أعتقده أن هذه الاسباب الاربعة واضحة الدلالات ولا مجال لشرحها لان شرحها يطول .

ان العرب كانوا قادة موكب الحضارة يوم كانوا يأخذون بأسباب الحضارة ويعطون الامم الاخرى من أسباب الحضارة . أما اليوم فانهم يأخذون ولا يعطون . ثم انهم لا يعرفون كيف يأخذون ولا كيف يعطون : انهم يأخذون التافه التافه مما عند الغرب بالثمن الباهظ بعد أن يبيعوا

الثمين الثمين بالثمن البخس • رأيت بعيني عربيا يشتري لعبا كثيرة ويضعها في صندوق كبير ليرسلها فيه الى بلده • كانت تلك اللعب الكثيرة في الصندوق الكبير لا تزن أحد عشر كيلوغراما ـ أكثرها بالطبع من خيوط اللدينة (البلاستيك) ومن نسيج اللدينة ومن صفائح اللدينة ، وكل اللدائن تصنع من بقايا البترول ـ وكان ثمن هذه اللعب نحو ألفي ليرة أو ما يعادل ثمن ستة وستين طنا من البترول الخام (باعتبار ثمن الطن الواحد أربعة عشر دولارا) •

ان الامة العربية اليوم محتاجة الى رجال يفكرون ـ أقصد رجالا في الصفوف الاولى من المجالس السياسية ـ والى رجال ، في الصفوف الاولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة ، يعرفون الحساب • وأنا لا أقصد حساب الجبر والمقابلة ولا حساب التفاضل والتكامل ولا حساب التردد في حركة الذرات في العناصر المشعة ، ولكن أقصد حساب المسائل الاربع مع حفظ جدول الضرب • نحن نشتري أحد عشر كيلو من الاشياء التافهة بثمن خمسة وسبعين ألف لتر من البترول الثمين الذي تنشب الحروب من أجله في بلاد الناس وفي بلادنا نحن •

بقي هنالك كلمات لا أختار اليوم أن تكون واضحات الدلالة ـ لان توضيحها يحتاج الى صفحات كثيرة • من أجل ذلك اخترت أن أقولها في نحو عشرين بيتا :

أيها العرب ، أين أين المسير ؟
ضل فينا الهادي وساء المصير •
قد ورثنا البلاد وهي جنان
فرآها أبناؤنا وهي بور •

ـ ١ ـ

اسمعوا قصة العروبة والقو

م فاني أحدث الاخبار •
قد عركت السنين أو عركتني
وفهمت الاحـداث والاسرارا ،
وعرفت الاجيال وهي توالى ،
وشهدت الشخوص وهي توارى •
ورأيت العروش تعلو وتنها
ر ، وليلا يلفها ونهارا ،
والطواغيت ينصبون عذابا
للبرايا ، والمصلحين الكبارا •
كلهم مر في الحياة وخلى
لذوي اللب والحجى آثارا •
وتلفت ، والليالـي تسير ،
والمقادير بالبرايا تدور ،
وعلينـا من الحياة دخان
وجميع البلاد في الارض نور •

ــ ٢ ــ

قال قوم : مجد العروبة فينا
خالد شاده لنـا عدنان •
فانتضى آخرون سيفا وصاحوا :
مجدنا نحن شاده قحطان •
وأتى آخرون ، بعد ، فقالوا :
نحن تاريخ مجدنـا غسان •
وطن كـان للعروبة فردا
فهو اليوم للاسى أوطان •
وهوى كان في الجميع جميعا

فتولى تشتيته الخــذلان •
لا تسلني : ما حال قومي ؟ فهذي
حالهم • أن نجمهم حيران •
واستوى في السماء نجم منير
مستقيم في سيره لا يحور •
أترى يبصر الهدى عميان ؟
أم ترى يدرك المعالي صغير ؟

ـ ٣ ـ

كل يوم حزب جديد ينادي
بشعار ، والقول غير مبين •
وفعال الاحــزاب مختلفات •
وعداء مستحكم كل حين •
مرة تبصر الزعيم على الغر
ب مطلا ، ومره في الصين •
والرعايا تساق مثل الرعايا
من مروج الكلام للسكين •
ليس فينا مفكر يبتغي الخير
ر ولا مشفق على مسكين •
ان قوما قد خربوا كل دنيا
لن ترى فيهمو صلاح الدين •
أيها العرب ، أين أين المسير ؟
ضل فينا الهادي وساء المصير •
قد ورثنا البلاد وهي جنان
فرآها أبناؤنا وهي بور •

ومن المفيد هنا ان نأتي بعد المحاضرة على ذكـــر مؤلفات الدكتور عمر فلعل بعض القراء يهمهم الانتفاع بها .

كتب ودراسات للمحاضر :

تاريخ العلوم عند العرب .
تاريخ الفكر العربي .
تاريخ الادب العربي (صدر منه ثلاثة أجزاء)
عبقرية العرب في العلم والفلسفة .
التبشير والاستعمار في البلاد العربية .
الاسرة في الشرع الاسلامي .
تاريــخ الجاهليــة .
شاعران معاصران (الشابي وابراهيم طوقان) .
الشابي شاعر الحب والحياة .
القومية الفصحى .
ـثبــة المغــرب .
العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر الابيض المتوسط .
العرب والاسلام في الحوض الغربي ... الخ .
العرب في حضارتهم وثقافتهم .
تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية .
باكستان دولة ستعيش .
العرب والفلسفة اليونانية .
صفحات من حياة الكندي .
الفارابيان (الفارابي وابن سينا) .
ابن باجه والفلسفة المغربية .
ابن طفيل وقصة حي بن يقظان
كلمة في ابن خلدون ومقدمته .

أثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية •
التصوف في الاسلام •
أبـــو تمام •
أبـــو فراس •
خمسة شعراء جاهليون •
كلمة في نهج البلاغة •
الحجاج بن يوسف •
عمر بن أبي ربيعة •
شعراء البلاط الاموي •
عبد الله بن المقفع •
بشار بن برد •
أبـــو نواس •
ابن الرومي •
حكيم المعرة •
كلمة في أحمد شوقي •
نحو التعاون العربي •
تاريخ سورية ولبنان المصور •
دفاعا عن العلم •
دفاعا عن الوطن •
الأناشيد المصورة •
سفينة الحيوانات •
الاسئلة الثلاثة •

كتب منقولة عن الانكليزية :

الاسلام على مفترق الطرق •
الثقافة الغربية في رعاية الشرق الاوسط •

الطريق الى النجوم •

أصدقاء لا سادة (ترجمة ذاتية لمحمد أيوب خان رئيس دولة باكستان)•

الاسلام منهج حياة •

كتب في غير اللغة العربية :

Das Bild des Fruhislam in der arabischen Dichtung .

Ibn Taymiyyah on Public and Private law .

Qur,anic Arabic (Arabic for non — Arabs)

L,arabe coranique (cours d,arabe pour les — arabes) .

« ولا يدخل في هذه القائمة سلاسل التدريس في المرحلة الابتدائية وفي المرحلة الثانوية » •

بيروت — **عمر فروخ**

عودة الدكتور عبد المجيد الرافعي

عاد من وطنه ولوطنه الدكتور عبد المجيد الرافعي بعد غياب سنتين في العراق ، وقد جرى له استقبال حافل في بيروت وطرابلس • والدكتور الرافعي مناضل وطني مخلص ، وطبيب عالم نافع ، وهو يستحق كل تقدير وتكريم ، فاهلا به وعلى الرحب والسعة •

المُدَارَاة والمُدَاهَنة

بقلم : المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين

خلق الناس للاجتماع لا للعزلة ، وللتعارف لا للتناكـر ، وللتعاون لا ليتفرد كل واحد بمرافق حياته .

وللانسان عوارض نفسيـة كالحب والبغـض ، والرضـا والغضب . والاستحسان والاستهجان ، فلو سار على أن يكاشف الناس بكل ما يعرض له من هذه الشؤون في كل وقت وعلى أي حال ، لاختـل الاجتماع ، ولـم يخلص التعارف ، وانقبضت الايدي عن التعاون ، فكان مـن حكمة الله في خلقه أن هيأ الانسان لادب يتحامى به ما يحدث تقاطعا أو يدعو الى تخاذل ، ذلك الادب هو المداراة .

فالمداراة ترجع الى حسن اللقاء ولين الكلام وتجنب ما يشعر ببغض أو غضب أو استنكار الا في أحوال يكون الاشعار به خيرا مـن كتمانـه ، فمن المداراة أن يجمعك بالرجل يضمر لك العداوة مجلس ، فتقابلـه بوجه طلق ، وتقضيه حق التحية ، وترفق به في الخطاب ، قـال سحنون في وصيته لابنـه محمد : « وسلم على عدوك وداره فان رأس الايمان بالله مـداراة الناس » وقال أحد الحكماء من بني أسد :

وأمنحه مالي وودي ونصرتي وان كان مخني الضلوع على بغضي

ونقرأ في سيرة الاستاذ محمد بن يوسف السنوسي صاحب المؤلفـات المعروفة في علم الكلام وغيره أنه « كان يفاتح من تكلم في عرضه بكلام طيب

واعظام ، حتى يعتقد أنه صديقه » ونقرأ في سيرة القاضي يحيي بن أكثم أنه « كان يداعب خصمه وعدوه » .

قد تبلغ المداراة الى اطفاء العداوة وقلبها الى صداقة ، قال محمد بن أبي الفضل الهاشمي : قلت لابي : لم تجلس الى فلان وقد عرفت عداوته ؟ قال : أخبي نارا ، وأقدح ودا . وقد يقصد المداري الى علاج جرح العداوة ومنعه من أن يتسع ، قال عقال ابن شبة : كنت رديف أبي ، فلقيه جرير على بغل ، فحياه أبي وألطفه ، فلما مضى قلت : أبعد ما قال لنا ما قال ! قال : يابني أفأوسع جرحي ؟

ومن المداراة أن يلاقيك ذو لسان أو قلم عرف بنهش الاعراض ولمز الابرياء ؛ فتطلق له جبينك وتحييه في حفاوة ، لعلك تحمي جانبك من قذفه ؛ أو تجعل لدغاته خفيفة الوقع على عرضك .

نقرأ في الصحيح عن عروة بن الزبير « أنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : (ائذنوا له فبئس ابن العشيرة) او (بئس أخو العشيرة) فلما دخل ألان له الكلام » وفي رواية « فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط اليه ، فقالوا يا رسول الله قلت ما قلت ، ثم ألنت له القول ! فقال : « ان شر الناس منزلة عند الله من تركه » أو « ودعه الناس اتقاء فحشه (١) » .

فلقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل المعروف بالبذاء ، من قبيل المداراة ، لانه لم يزد على أن لاقاه بوجه طلق أو رفق به في الخطاب ، وقد يسبق الى الذهن أن الذي بلغ أن يقال فيه (بئس ابن العشيرة) لا يستحق هذا اللقاء ويجب أن يكون نصيبه قسوة الخطاب وعبوسة الجبين ؛ ولكن نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد مدى ، وأناته أطول أمدا ،

(١) صحيح الامام البخاري .

فهو يريد تعليم الناس كيف يملكون ما في أنفسهم فلا يظهر أثــره الا في مكان أو زمان يليق فيه اظهاره ، ويريد تعليمهم أدبا من آداب الاجتماع هــو رفق الانسان بمن يقصد الى زيارته في منزله ولو كان شره في الناس فاشيا ، عــلى أن اطلاق جبينك لمثل هذا الزائر لا يمنعك من أن تشعره بطريق سائغ أنــك غير راض عما يشيعه في الناس من أذى ، ولا يعوقك عــن أن تعالجه بالموعظة الحسنة الا أن يكون شيطانا ماردا .

ومن المداراة أن تلقى ذا يد تبطش فتمنحه جبينــا طلقــا وتتجنب فــي حديثك ما لا يكون له أثر في نفسه الا أنه يثير فيها القصد الى أذيتك ، وهذا محمل قول أبي الدرداء رضي الله عنه : « انا لنكشر في وجــوه أقوام ، وان قلوبنا لتلعنهم » وفي روايــة « لتقليهم » (١) والكشر : التبسم ، وفي هــذا الاثر شاهد على أن التبسم في وجه الظالم اتقاء بأسه ضرب من المداراة ، ولا يتعداها الى أن يكون مداهنة .

ومن المداراة أن يكون الرجل على حال تقتضي صرفه عن بغية أو عمل ، وتعرف أن في الاعتذار له بهذا الحال ما يثير في نفسه ألما ، فتعرض عــن ذكر ما يؤلم ، وتذكر له وجها غيره مما هو واقع ، حتى لا تجمع لــه بين الحرمان من بغيته ، وايلامه بما لا يحب أن يعتذر لــه بــه ، أصاب الكسائــي وضح (برص) وهو مؤدب أبناء هرون الرشيد ، فكــره الرشيد ملازمته لاولاده ، فقال له : كبرت في السن ، ولسنا نقطع راتبك ، وأمره أن يختــار لهم مــن ينوب عنه ممن يرضاه ، فاختار لهم علي بــن الحسن المعروف بالاحمر ، ولا ريب أن اعتذار هرون الرشيد للكسائي بكبر السن أخف علــى نفسه من أن يقول له : أصبت بوضح ، ولسنا نقطع راتبك .

(١)

في الائتلاف كجسد واحد ، وشأن الاعضاء السليمة أن تكون ملتئمة متماسكة على قدر ما فيها من حياة ، ولا تنكر عضوا ركب معها في جسد الا أن يصاب بعلة يعجز الاطباء أن يصفو له بعد دواء .

فالمداراة يبتغي بها رضا الناس وتأليفهم في حدود ما ينبغي أن يكون ، فلا يبعدك عنها قضاء بالقسط ، أو القاء النصيحة في رفق ، فلم يخرج عن المداراة أبو حازم حين دخل على سليمان بن عبد الملك وقال له : « انما أنت سوق فما نفق عندك حمل اليك من خير أو شر ، فاختر أيهما شئت » .

ترجع المداراة الى ذكاء الشخص نفسه ، فهو الذي يراعي في مقدارها وطريقتها ما ينبغي أن يكون ، ولاسباب العداوة مدخل في تفاوت مقادير المداراة واختلاف طرقها ، فاذا ساغ لك أن تبالغ في مداراة من ينحرف عنك لخطأ في ظن يظنه بك ، أو لعدم ارتياحه لنعمة يسوقها الله اليك ، فلمداراة من يحارب الحق والفضيلة ان صادفك واقتضى الحال مداراته ، حد قريب ومسحة من التلطف خفيفة ، وينبغي أن تكون مداراتك لمن ترجو منه العود الى الرشد ، وتأنس في فطرته شيئا من الطيب ، فوق مداراتك لمن شاب على عوج العقل ولؤم الخلق حتى انقطع أملك من أن يصير ذا عقل سليم أو خلق كريم ، ولك مع من فيه بقية من العقل ضرب من المداراة لا تسلكه مع من يعد مداراتك له أثر الخوف من سلاطة لسانه ، فيزداد فحشا ، ليزداد الناس رهبة ، فيزيدوه خضوعا .

المداراة خصلة كريمة ، يحكمها الاذكياء ، ولا يتعدى حدودها الفضلاء ، أما المداهنة فهي اظهار الرضا بما يصدر من الظالم أو الفاسق من قول باطل أو عمل مكروه ، وأصلها الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه .

تضم المداهنة تحت جناحيها الكذب ، واخلاف الوعد ، أما الكذب فلأن المداهن يصف الرجل بغير ما يعرفه منه ، ومن دخل الكذب من باب سهل عليه أن يأتيه من أبواب متفرقة ، وأما اخلاف الوعد فلأن المداهن يقصد الى

ارضاء صاحبه في الحال فلا يبالي أن يعده بشيء وهو عازم على أن لا يصدق في وعده ، وليس من الصعب على المداهن وقد مرد على الكذب أن يخلف الوعد ويختلق لاخلافه عذرا ، وهذا الاختلاق لا يرتكبه الراسخ في كرم الاخلاق وان كلفه الوفاء بالوعد أمرا جللا ، فالمداهن لا يتريث في أن يعد لانه لا يتألم من أن يخلف ، ولا يصعب عليه ان يصور من غير الواقع عذرا ، والراسخ في الفضل لا يعد الا عند العزم على أن يصدق فيما وعد ، فان وقف أمامه عائق كشف لك عن وجهه الحق ، فاذا لم يساعده الحال على انجاز الوعد لم يفته الصدق فيما يلقيه اليك من عذر .

ومن المداهنة أن تثني على الرجل في وجهه فاذا انصرفت عنه أطلقت لسانك في ذمه ، قيل لابن عمر رضي الله عنه « انا ندخل على أمرائنا فنقول القول ، فاذا خرجنا قلنا غيره » فقال : « كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد قرر أهل العلم أن الرجل ان كان مستغنيا عن الدخول على من يضطره الحال الى الثناء عليه ، فدخل وأثنى بغير ما يعلم كان نفاقا ، أما ان اضطر الى الدخول على ذي قوة لا يخلص من بأسه الا أن يسمعه شيئا من الاطراء فهو في سعة من أن يطريه بمقدار ما يخلص من بأسه ، ولا تلحقه هذه الحالة الشاذة بزمرة المداهنين ، انهزم جيش السلطان فرج بن برقوق أمام جيش الطاغية تيمورلنك ، ووقع طائفة من العلماء في أسر الطاغية ، ومن هذه الطائفة الفيلسوف ابن خلدون ، فكان من هذا الفيلسوف أن تقدم الى تيمورلنك وقال له فيما حادثه به : « اني ألفت كتابا في تاريخ العالم ، وحليته بذكرك ، وما أسفي الا على هذا الكتاب الذي أنفقت فيه عمري ، وقد تركته بمصر وان عمري الماضي ذهب ضياعا حيث لم يكن في خدمتك ، وتحت ظل دولتك ، والآن أذهب فآتي بهذا الكتاب وأرجع سريعا حتى أموت في خدمتك ، فأطلق سبيله فقدم مصر ولم يعد اليه » .

ومن أسوأ ما يفعل المداهن أن يلاقي الرجلين بينهما عداوة فيظهر لكل واحد منهما الرضا عن معاداته لصاحبه ، ويوافقه على دعوى أنه المحق وصاحبه هو المبطل ، وفي مثل هذا ورد قوله صلى الله عليه وسلم : « تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (١) » وقال حكيم من بني أسد :

ولست بذي وجهين فيمن عرفته ... ولا البخل فاعلم من سمائي ولا أرضي

يتخذ الرجل وجهين متى كان يطمح الى ما في أيدي الناس من متاع ، او كان يطمع في ارضاء طوائف على تباعد ما بينهم من نزعات ، وعلى شدة ما بينهم من اختلاف ، والعبور الى النفع على جسر من المداهنة يحرم من أعز متاع هو الصدق ، بعد أن يحرم من أطيب لذة هي ارتياح الضمير ، ومن كان حريصا على أن يكون صديق الطوائف المتباينة ، فان الطيب منهم يأبى أن يلوث صدره بصداقة من يتملق الخبيث .

المداهنون يجعلون ألسنتهم طوع بغية الوجيه ، ويعجلون الى قول ما يشتهي أن يقولوا ، فيمدحون ما يراه حسنا ، ويذمون ما يعده سيئا ، أما الذين يعرفون ما في المداهنة من شر ، ويحزنهم أن يظهر الشر على يد من في استطاعته الخير ، فيربئون بألسنتهم أن تساير في غير حق ، ويؤثرون نصح الوجيه على أن يزينوا له ما ليس بزين ، ابتنى الخليفة عبد الرحمن الناصر « القبيبة » بقصر الزهراء ، واتخذ لسطحها قراميد من ذهب وفضة ، وجلس فيها اثر اتمامها ، وقال لمن حضر مفتخرا : « هل رأيتم أو سمعتم من فعل هذا من قبلي » ؟ فقالوا : انك لاوحد في شأنك كله ، ولكن القاضي منذر بن سعيد وعظه وعظا بليغا ، وتلا عليه قوله تعالى : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون) فأطرق الناصر مليا ، ثم أقبل على منذر ، وقال له : جازاك الله

---

(١) صحيح الامام البخاري .

يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا ، وعن الدين والمسلمين أجل جزائه ، فالذي قلت هو الحق ، وقام من مجلسه ونقض سقف « القبيبة » وأعاد قرمدها ترابا .

والوجيه الحازم يكره المداهنة ، ويملأ عينه باحترام من يوقظه اوجه الخير اذا كان في غفلة منه ، ولوجه الشر اذا اشتبه عليه ، قال طاهر بن الحسين في الكتاب الذي بعث به لابنه عبد الله بن طاهر : « وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيبا لم تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك في ستر ، واعلامك بما فيه من النقص ، فان أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك لك » .

وقع الوزير هاشم بن عبد العزيز في يد العدو أسيرا ، وذكره الامير محمد بن عبد الرحمن الاموي في جماعة من رجال دولته مستقصرا له ناسبا له الى الطيش والعجلة والاستبداد برأيه ، فلم ينطق أحد ممن كان في المجلس بالاعتذار عنه ما عدا الوزير الوليد عبد الرحمن بن غانم فانه اعتذر عن الوزير هاشم ورد على السلطان في مسلك سائغ ، ومما قال في الاعتذار عن هاشم : « قد استعمل جهده ، واستفرغ نصحه ، وقضى حق الاقدام ولم يك ملاك النصر بيده ، فخذله من وثق به ، ونكل عنه من كان معه » ثم قال : « فانه لا طريق للملام عليه ، وليس عليه ما جنته الحرب الغشوم ، وأيضا فانه ما قصد أن يجود بنفسه الا رضا الامير ، واجتنابا لسخطه ، فاذا كان ما اعتمد فيه الرضا جالبا التقصير ، فذلك معدود في سوء الحظ » فأعجب الامير بكلامه ، وأقصر بعد عن تفنيد هاشم ، وسعى في تخليصه من الاسر .

ومن عظماء الرجال من يبغض المداهنة ، ولا يقبل من جليس مبالغة في مدح أو مسايرة ، ومن المثل الكاملة لهؤلاء العظماء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فانا نقرأ في سيرته أنه قال لجرير حين دخل عليه بقصيدة يهنئه فيها بالخلافة : « اتق الله يا جرير ولا تقل الا حقا » وقال له رجل مرة : « طاعتكم مفروضة » فقال له : « كذبت لا طاعة لنا عليكم الا في طاعة الله » .

والاجلاء من علماء الدين الذين كانوا يداخلون رجال السياسة فينعقد بينهما التئام أو صداقة ، كانوا يأخذون بسنة المداراة ، ولم يكونوا فيما نقرأ من سيرتهم يتلطخون برجس المداهنة ، فهذا أبو الوليد الباجي كان يصاحب رجال السياسة ، ويختارونه للسفارة بينهم ، وهو الذي قال لمن ذكره بمداخلة السلطان : لولا السلطان لنقلني الذر من الظل الى الشمس ، وتاريخه يشهد بأن قوة ايمانه كانت تحرسه من أن يقع في حمأ المداهنة . كان مرة في انتظار أحمد بن هود صاحب سرقسطه بالاندلس ، فجالسه ابنه الملقب بالمؤتمن ، وأخذ المؤتمن يجاذب الباجي الحديث في كتب الفلسفة حتى قال له : « هل قرأت أدب النفس لافلاطون ؟ » فقال له الباجي : « قرأت أدب النفس لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم » يعني شريعته من قرآن وسنة. والباجي هو الذي رجع من الشرق الى الاندلس فوجد أمراءها في تقاطع ، والعدو يتحفز لوضع يده على رقابهم ، فقام يتردد على مجالسهم ، ويطرق بالنصيحة آذانهم ، ويسعى لجمع كلمتهم ، فكانوا يجلونه في الظاهر ويستبردون نزعته في الباطن ، و أقل ما يجتنيه الداعي الى الاصلاح براءة ذمته ، وأمنه عند الوقوف بين يدي ربه .

فالنفوس التي تنحط في المداهنة انحطاط الماء من صبب ، نفوس لم تشب في مهد الادب السني ، ولم تهدها المدرسة الى الصراط السوي ، وما شاعت المداهنة في جماعة الا تقلصت الكرامة من ديارهم ، وكانت الاستكانة شعارهم ، ومن ضاعت كرامتهم ، وداخلت الاستكانة نفوسهم : جالت أيدي البغاة في حقوقهم ، وكان الموت أقرب اليهم من حبال أوردتهم .

فمن واجب أساتذة التربية ودعاة الاصلاح أن يعنوا بجهاد هذا الخلق المشئوم حتى ينفوه من أرضنا ، وتكون أوطاننا ومدارسنا منابت نشء يميزون المداهنة من المداراة ، فيخاطبون الناس في رقة أدب وشجاعة ، ويحترمون من لا يلوث أسماعهم : بالملق ، ولا يكتمهم الحقائق متى اتسع المقام لان يحدثهم في صراحة ؟

محمد الخضر حسين

حضارة قدماء العرب في الإسلام

بقلم : الدكتور محمد علي الزعبي

مدن الجوف نقطة التقاء بين شمال الجزيرة وجنوبها

كلمة الجوف تعني الارض المنخفضة ، وتطلق على اماكن كثيرة من المملكة العربية السعودية ، لكن اذا جاءت بالف ولام التعريف اريد بها المنطقة التي كانوا قديما يدعونها بجوف آل عمرو (١) وهي التي تضم الان مدن دومة الجندل وسكاكها وقارة •

الجوف ملتقى تجارة

هذه الزاوية تقوم بدور همزة الوصل بين الشام والعراق ومصر واليمن • تلتقي قوافل التجارة الاتية من الشمال والشرق والجنوب فتلتقي البضائع الفارسية التي مرت في العراق والبضائع الرومية ــ البيزنطية المارة في الشام ، وبضائع الهند التي اجتازت اليمن وتسلقت نجدا وبضائع مصر التي عبرت البحر الاحمر واجتازت منطقة الانباط •

اتصور هذا فأرى الارض (او الاجزاء المتحضرة منها) اتخذت من الجوف سوقا عالمية يقام شهر ربيع الاول ، وتنتظر المنطقة كلها عودته وتتخذه عيدا •

ومركز صناعة

تصور هذه القوافل ، تصور الذين ضربوا ــ كما يقول العرب ــ آباط

الابل واقبلوا شطر الجوف من كل فج ، فباعوا وابتاعوا وربحوا •

تصور الحركة الصناعية التي يستلزمها هذا الموقف ، ان الجو يدفع فلانا لصنع السروج واللجم والغبط (جمع غبيط) والحلى والعبي ••• وما الى ذلك مما يتطلبه هذا الموقف الكبير المرتب المنظم •

الجو يدفع من مدن الجوف للصناعة ، لا سيما صناعة الحلى التي تكاد نراها مقصورة عليهم دون سواهم من سكان شبه الجزيرة !!!

تخيل عراقة الجوف وقيامها بدور الوساطة بين شمال شبه الجزيرة ، بل عد بالخيال ثلاثين قرنا لترى شبه الجزيرة تمد الناس بالتوابل والذهب واللؤلؤ والعاج والحرير والسمك والاحجار الكريمة • لقد اشتهرت ظفار وحضرموت بالبخور ، واخذ صانعوا العقاقير يضمنونه الادوية • وقد اخذ شبه الجزيرة ، يسد حاجات حفلات الصلاة والمآتم والافراح فيمد مصر وبابل وفارس بمئات من الوزنات (على رأي القدماء) (او الاطنان) (على رأي المعاصرين) تتصاعد رائحته ويسر بها قلب الرب (على رأي العهد القديم) وتفوح في معابد امون وقصور داريوس • ولا ريب ان لدومة دورا كبيرا في استقبال القوافل ووداعها ، اذا تقوم بدور الوساطة بين شمال الجزيرة وجنوبها وتتلقى من موانيء حقل والجار (٢) وترسل لبابل وفارس ! وبعد دومة كقاعدة تجارية في الحجاز الشمالي تأتي بصرى •

على ان دومة تأتي الواحة الثالثة بعد واحتي خيبر ووادي القرى ، اما سواها فليس للتجارة والربح فحسب ، بل يقوم بعمل انساني محض اذ يرصد بعض ريعه لفكاك الاسرى ودفع الديات والاصلاح بين الناس •

دوما تحتفظ ببعض النقوش ومنها ما هو محفوظ بمتحف جامعة الرياض اما الحية التي نراها في اثار (اثرة) فالتقاء نبطي ـ مصري ـ يهودي بقداسة الحية (٣) •

تجارة وصناعة وارض معطاء

حتى القبائل النائية عن الجوف تتاخمها من العراق او الشام او سواحل البحر الاحمر او الجنوب •

وسوق ادب

حتى هذه اذا مستها يد الجدب وجدت من الجوف ارضا خصبة فاقبلت عليها طلبا للمراعي ، وهذا ما يؤجج الحركة الاقتصادية ، اذ يقيم الرعاة اشهرا يبتاعون من اسواقها ويبيعون بها منتوجاتهم !

تجاوز موقف الجوف بيع السلع وابتياعها ومس طرفا من الادب المنظوم والمنثور ، هذا الطرف يذكرنا بعكاظ وسواه من اسواق العرب الكثيرة ، كسوق المجاز قرب عرفة والرابية في حضرموت ••• ولئن بخل علينا الرواة ببعض ما قيل في سوق الجوف ، فان له اسوة بسواه من الاسواق التي لم تتحفنا الزمن ببعض ما جادت به قرائح اقطابها •

سوق تعاوني وانساني

واكثر من هذا ، ان في سوق الجوف جديدا لم نره في سواها ؟ هناك بعض الرابحين او المثرين ، يرصدون من اموالهم جزءا لافتداء الاسرى دون نظر لقبائلهم ، او الهدف الذي خاضوا غمار الحرب سعيا وراءه !!!

الرحالة الفلندي

وقد وصفهم بقوله (هل دومة اصلح ابدانا وارق اخلاقا) تصور هذا كله ، وتصور مدن الجوف كأنها موحدة تساوي ، مع كثير من القرى التي تراها الان نائية ، تساوي مدينة واحدة ، لم يحلم بترانها واطمئنانها منافسوها الف سنة • نواب بيزنطية في ادارة حوران ودمشق وغوطتيها !

وهذا يدفعنا الى التفكير بمدى التحضر الذي كانوا يعيشونه ويفسر

لنا العقلية الانسانية السائدة هناك في تاريخ ما قبل الاسلام ••• وهــو ايضا يعطينا الدليل على مكارم الخلق العربي الذي جــاء الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ليتممه فقال (جئت لاتمم مكارم الاخلاق) •

غنــاهــا الزراعــي

اما قابلية ارضها للنجم والشجر ، واما وفرة مياهها وعذوبتها ، فحسبك امتيازها بأنواع الرطب وصلاحها لتربية شجر الزيتون بآن واحــد ، كأنهــا جمعت خصائص الارض الحارة والمتوسطة والباردة بآن واحــد ، فكأنــك بالجوف تقيم بيتا وبستانا حيث تريد ، ببذل قليل هو جهــد حفر بضع امتار وراء الماء الموفور •

واما عراقتها الفكرية ، فقد قيل : ان الكتابة انتشرت مــن دومــة ، او على الاقل من شمال الحجاز (٢) بل نجد كثيرين من اهل مكة تعلموا الكتابة من دومة •

غنــاهــا فــي المعــادن

لئن اشتهرت ارض قبيلة بالحارث (اليمن الجنوبيــة) بمناجم الملــح المعروفة بعبادين حيث يكسرون الصخور الملحيــة وينقلونها للتصدير ، فقــد قابلتها دوما بتصدير الملح وان تغاير الاسلوب حيث مــاء هؤلاء ينقلب ملحا ، وصخور اولئك تتفتت ملحا • (٣)

معنــى القريــة او القريــات

منذ اخذت اولي وجهي شطر الحجاز ، اخذت اسمع كلمــة القريات او قريات الملح ، وفهمت انهم يقصدون قريتي كاف واثرة ، وهما مــن المنطقــة المربوطة ببلدة النبك •

لكن صاحب «معجم البلدان يطلق كلمة القرى على مدن الجوف الثلاثة

(دومة وسكاكة وقارة) واذا علمنا ان النبك حديثة التأسيس (ويظهر ان اسمها انتقل من ساحل البحر الاحمر) وان كاف واثرة مجهولتان في العهد الذي عاش به صاحب معجم البلدان ، ادركنا ان اطلاق كلمة القريات على كاف واثرة اطلاق لا يتجاوز عصور الانحطاط •

لقد مررنا بحضارة الجوف مسرعين ناسين ان كلمة قرية وقرى انما تعني مدنا وممالك ، او مدينة واحدة تكاد تتصل بعضها ـ كاتصال قارة بسكاكة ـ فتصبح مدينة واحدة ، او يصبحان مع دومة حضارة موحدة (ذلك لان الله في القرآن الكريم اطلق كلمة قرية على مدينة او مملكة) وعلى هذا فدومة وسكاكة وقارة ـ هي القرى المحلقة في حضاراتها ، كما اشار لهذا صاحب معجم البلدان •

ها هو ذا الواقع التاريخي ، لكن هذه القرى ـ المدن الثلاثة اخذت تنتزع ثوب مجدها الحضاري منذ اصبحت بعصور الانحطاط بيد قوم يستعذبون الهدم ، بل اخذوا ينفسون عليها تمتعها باسم قرى او مملكة ، كما اراد صاحب المعجم وينطقونها مصغرة ـ قريات ـ •

حصون الجوف

دومة من المدن المسورة ، التي تحتفظ بحصن ذي انفاق تتخللها قنوات المياه تفضي للبيوت البعيدة والمزارع •

ولعل حصن دومة ، امنع من سواه ، اذ يدعونه (مارد) وقد حاولت زينب ملكة تدمر النبطية احتلال دوما فعادت فاشلة وطارت كلمة (تمرد مارد) مثلا •

حضارة الجوف

تصور المنطقة المحاطة بالفكر العراقي ـ الفارسي ـ الشامي ـ

البيزنطي ـ اليماني ـ الهندي •

تصور حضارة الديار التي تتاخم الجوف ، من قريب او بعيد كالحضارة الثمودية وحضارة سواحل البحر الاحمر (منطقة مدين) •

تصور الاتصال النبطي الذي يعرض حضارة الجوف امتدادا للحضارة النبطية ، بل يريك كثيرين من سكان الجوف يعودون لجذور نبطية ، كما نرى امهات بعض الصحابة نبطيات من دومة •

تصور الايدي التي اقامت الحصون وربطتها بأنفاق وقنوات ونقشت صنم ود (٤) •

تصور الاتصال بين مدينتي سكاكة وقارة ، وتخيل اثارا لا سيما جوار قارة لا يفصلك عن مشاهدتها الا كثبان !!!

مصدر اسم دومة

ليت الناس وفي مقدمتهم نحن العرب ، يعلمون ان كثيرا من حوادث التاريخ لا تبدو شائعات اطلقها فلان فسمعها فلان وفلان ، وتناقلتها الاجيال، وما لبثت ان اصبحت متواترة فبلغت اسماع المؤرخ فلان فصادفت هوى في نفسه فكتبها وما لبثت ان مستها يد المطابع ، فتمسك بها الذين يخالون المطبوع موصوما وينظرون المؤرخ بالعين التي تعرضها شهرته ، لا بالعين التي يفرضها واقعه •

لقد لمسنا كثيرين من المؤرخين يكتبون بمداد الاشاعة معرضين عن تسجيلها بمداد عقلهم وقلم تفكيرهم •

ومن هذه الشائعات الهزيلة قول بعضهم :

ان مدينة كذا بناها فلان بن فلان بن نوح عليه السلام ، ومن هذا

الباب قول بعضهم بتاريخ دومة : بناها فلان بن فلان بن دومة بن اسماعيل بن ابراهيم •

لقد فات عباد الشائعات ان لا ولد لنوح الا الذي مات بحياة والده ؛ اما قصة حام وكنعان فتخطيط اخذنا نعرفه من التعمق بدراسة النفسية اليهودية (٥) •

تعاليق مقال الجوف

١ ــ الجار ميناء المدينة المنورة ، كان معروفا حتى العصر العباسي الثاني ، يحيط به الماء من ثلاث جهات ؛ بينه وبين المدينة يوم وليلة ؛ وبينه وبين كل من جدة والعقبة عشر مراحل • انظر : حمد الجاسر : شمال غرب الجزيرة •

٢ ــ للحية حقول كثيرة لا سيما في الجمعيات السرية كالماسونية وبناتها، وقد اتينا على طرف منها في كتبنا الماسونية •

٣ ــ الجاسر : شمال غرب الجزيرة ص ٤٠٦ •

٤ ــ وندل فيلبيس : كنوز مدينة بلقيس ترجمة عمر ديراوي ص ٩٨ •

٥ ــ حقيقة الماسونية ص ٧٥ •

بيروت **محمد علي الزعبي**



العرب هم روّاد دراسة عالم الأفلاك

محاضرة : للدكتور نقولا شاهين

- ٢ -

منازل الشمس على مدار السنة

ان ما نشاهده اليوم من ارتباط وثيق بين الارض والشمس والقمر ، هو قديم العهد وقد مر عليه نحو خمسة آلاف مليون سنة ، بدون ان يطرأ تغيير جوهري على العوامل التي يقوم عليها هذا الارتباط . فالارض تدور حول الشمس بمعدل ثلاثين كيلومترا في الثانية ، او ١٠٨٠٠٠ كيلو متر في الساعة ، وهذا يساوي الف ضعف اسرع السيارات وعدة اضعاف سرعة احدث الطائرات ، ونحن سكان الارض نرافقها في هذه الرحلة السنوية حول الشمس ، تشدنا الى الارض قوة الجاذبية فلا نفلت عن سطحها . وقد تمكن الفلكيون من تعيين الزمن لهذه الدورة بصورة دقيقة للغاية ، وهي ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ٩ دقائق و ٩ ثوان .

علاوة على هذا تدور الارض على نفسها كل ٢٤ ساعة ، حاملة معها سكان الارض ومنازلهم وكل ما على سطح الارض من كائنات حية وغيرها ، وذلك بسرعة تختلف باختلاف بعد المنطقة عن خط الاستواء ، حيث تبلغ نحو ١٦٠٠٠ كيلو متر في الساعة . اما عند القطبين الشمالي والجنوبي ، فان سرعة الدوران بسبب دورة الارض على نفسها فهي صفر ، وتأخذ بالازدياد كلما اقتربنا من خط الاستواء ، اما النتيجة البارزة لهذه الدورة فهي الليل والنهار كما هو معروف ، وقد تبين من حسابات دقيقة ان اليوم قد ازداد

بمقدار جزء من الف من الثانية في المئة وعشرين عاما الاخيرة التي مضت . فيما عدا هذا نعتبر طول اليوم ثابتا لا يتغير .


الدكتور نقولا شاهين

ويدور القمر حول الارض دورة كاملة ، ويعود الى المركز الذي كان فيه اولا ، بالنسبة للنجوم ، في مدة ٢٧ يوما وثلث اليوم تقريبا ، ويقال لهذه المدة الشهر النجمي ، فهو اذا يدور حول الارض في المدة هذه وبذات الوقت يصحبها في دورتها حول الشمس . في هذه المدة يدور القمر على نفسه دورة كاملة فلا نتمكن من رؤية نصفه الخلفي، ويبقى ذلك النصف في الظلام ، لان الشمس لا تنير من سطحته سوى نصفه المتجه الينا . وقد تمكن علماء من تصوير نصف القمر الخلفي في عصرنا هذا بواسطة مركبات فضائية تدور حوله . اما وجوه القمر فانها تتوقف على المقدار الذي نتمكن ان نراه من نصفه المنير ، اثناء مشاهدتنا اياه من الارض .

ولما كان سير القمر بين النجوم اسرع من سير الشمس ، فهو يدركها ويجتازها في ازمنة تكاد تكون قانونية ومتساوية . وبما ان اوجهه تتوقف على مركزه الظاهر بالنسبة الى الشمس ، فالمدة بين وقت الهلال الفلكي والذي يليه هو الشهر القانوني ومعدله نحو ٢٩ يوما و١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٣ ثوان ، ومقدار اختلافه نحو ١٣ ساعة ، وذلك بالنسبة الى مباينة فلك القمر . لذلك لا يوجد شهران قمريان قانونيان من طول واحد .

ومن يراقب الشمس على مدار السنة ، يجد انها تحتل مراكز مختلفة في القبة الزرقاء من وقت الى آخر ، يرافق ذلك تطورات على سطح الارض

تعرف بالفصول . اما القمر فانه يبدو لنا في اوضاعه المختلفة بشكل جلي كل شهر ، فيصل الى ابعد الحدود جنوبا ، ثم الى ابعد الحدود شمالا ، ويرتد بعدها الى حيث ابتدأ تقريبا . وقد توصل الاقدمون الى تعيين مراكز الشمس والقمر في الاوقات المختلفة ، بالنسبة الى تجمعات النجوم المعروفة بالابراج او البروج . فجدير بنا ان نكون مطلعين على هذه المنازل ، فالشمس والقمر هما رفيقان ملازمان لنا ، والواجب يقضي بان يكون الرفيق عارفا بأمور رفيقه ، خصوصا عندما يكون احد الرفيقين سبب حياة وانس للاخر ، كما هي الحال بين الشمس والقمر والارض .

دائرة البروج

الشمس هي مركز دوران الكواكب السيارة حولها ، وليست حركة الشمس الظاهرة حول الارض مرة واحدة كل سنة ، الا نتيجة دورة الارض الحقيقية حول الشمس في تلك المدة . ولما لم يكن بامكاننا ان نشعر بحركة الارض حول الشمس ، اصبح لا بد من اللجوء الى حركة الشمس الظاهرة او اي نجم اخر . فعندما تكون الارض في برج الميزان ، تظهر الشمس في برج الحمل . وعندما تنتقل الارض الى برج العقرب ، تغير الشمس مركزها فتصبح في برج الثور ، كما يتبين من رسم يجمع مدار البروج والارض والشمس . ولما تكون الارض في الميزان ، نرى الميزان طالعا عند الغياب والحمل آفلا . وعند وصول الارض الى الحمل ، نرى الحمل طالعا عند الغياب والميزان آفلا . لذلك تظهر نجوم احيانا في الشرق ، وغيرها على خط نصف النهار ، واخرى في الغرب عند غروب الشمس ، فيبدو كأن للنجوم حركة من الشرق الى الغرب مثل الشمس ، اما الحقيقة فهي ان هذا حاصل عن حركة الارض من الغرب الى الشرق في دورتها حول الشمس . ويمكننا فهم هذه الظاهرة وتبسيطها ، اذا تصورنا عمودا في وسط بركة ماء ، وقد وضع في اعلاه مصدرا للضوء . فاذا دار انسان حول البركة وجرب ان يعين مركز الضوء بالنسبة للاجسام وراءه ، يجد ان الضوء يقع في مراكز مختلفة .

فالانسان هنا يمثل الارض بدورتها حول الشمس الثابتة ، والدائــرة التــي تجمع مراكز الضوء المختلفة ، ترمز الى دورة الشمس الظاهرية .

اما دائرة البروج التي تنزل فيها للشمس على مدار السنة : فهي منطقة في القبة الزرقاء ، عرضها ١٦ درجة ، يتوسطها ممر الشمس الظاهري ، وهو يحتوي على اثني عشر برجا تحمل اسماء حيوانات ما عدا برج الميزان . وفي دائرة البروج هذه تقع الكواكب السيارة الرئيسية وكذلك القمر على مدار السنة ، وهي متوسطة بين صدر النصف الشمالي والنصف الجنوبــي فــي السماء . ودائرة البروج هذه تميل على خط الاستواء السماوي بمقدار ٢٣ درجة و ٢٧ دقيقة و ٨ ثوان (حسب مقاييس عام ١٩٠٠) وينقص هذا الميــل بمعدل ٠,٥٠ ثانية كل سنة تقريبا ، الى ان يصل الى حــد ادنــى ، ثم يعود فيزداد وتتكرر العملية الى الابد ، وتتم الدورة في مدة ٢٥٨١٧ سنة تقريبا . فدائرة البروج اذا تساعدنا على معرفة موقع الشمس لكل يوم بالنسبة الــى خط الاستواء ، فيكون الميل الاعظم ٢٣ درجة و ٢٧ جنوبــا في ٢٢ كانــون الاول ، ثم ينقص شيئا فشيئا حتى يتلاشى في ٢١ آذار ، ثم يــزداد تدريجيا شمالا الى ٢٢ حزيران ، فيبلغ ما بلغه جنوبــا ، ثــم ينقص ويتلاشى في ٢٢ ايلول . جميع هذه الامور تبين لنا مقدار الجهود التــي صرفهــا الاقدمون للوصول الى هذه الدقة الفائقة في تعيين ازمنة الاحداث الفلكية .

لقد عرف الكثير من التقاء الادب والعلم في الشعر العربــي ، فهنــاك مناسبات عديدة ذكر فيها الشعراء العرب بعض النجــوم والبروج والكواكب السيارة ، فالبسوا الاجرام السماوية حلة قشيبة زادت عــلى نورها وعــلى جمالها جمالا . علاوة على هذا توفق ادباء العرب في نظم قواعد اللغة والشعر والبيان وتقاليد العرب شعرا ، فسهل بذلك حفظ الوقائع ، لما في ابيات الشعر من ارتياح واتزان . ولم يقصر العالم الشيــخ ناصيف اليازجــي في هــذا المضمار ، فكتابة مجمع البحرين غني بهذه الامور ، ومنها بعض ابيات عــن منازل الشمس حسب ترتيبها على مدار السنة ، وهذه هي الابيات :

من البروج في السماء الحمل تنزل فيه الشمس اذ تعتدل
والثور والجوزاء نعم المنزلة وسرطان اسد وسنبله
كذلك الميزان ثم العقرب قوس وجدي دلو حوت يشرب

وبرج السنبلة هو المعروف ببرج العذراء أيضا •

عربيان يكتشفان نجمين جديدين

تدل الاحصاءات في مرصد هارفرد بأميركا ان عشرة نجوم جديدة تظهر كل سنة ، مقدارها من القدر التاسع • اما نور نجم جديد عادي فانه يساوي ٥٠٠٠٠ ضعف نور الشمس ؛ ونور نجم جديد جبار يساوي ٢٠٠ مليون ضعف نور الشمس •

ومن اغرب ما جاء في اكتشاف نجوم جديدة ان شابا عربيا وهو علي بن رضوان اكتشف نجما جديدا في عام ١٠٠٦ ميلادي ، عندما كان يدرس في الفسطاط احد مراكز القاهرة • كثيرون شاهدوا هذا النجم اللامع قرب الافق ، لكن عليا هذا كان الوحيد الذي عين مركزه بدقة بالنسبة الى النجوم الاخرى وحدد موقعه في برج العقرب بالتفصيل •

ظلت هذه المعلومات محفوظة في مكتبة احد الاديار قرب مدريد في اسبانيا ، حتى قام بترجمتها الى الانكليزية من العربية برنهارد غولدشتين احد اساتذة التاريخ في جامعة يال في الولايات المتحدة الاميركية • اكب هذا الاستاذ على درس هذه الوثيقة العلمية فوجد ان النجم الذي شاهده علي كان من النوع الجبار بالقرب من برج العقرب ، واوصلته التفاصيل التي اعطاها علي الى ان هذا النجم ظهر في ليلة ٣٠ نيسان عام ١٠٠٦ ميلادية ، اي ٥٥ عاما قبل وفاة علي • تابع غولدشتين دراسته فوجد سجلات في بلدان اخرى تشير الى هذا النجم الجديد ، لكنها لم تكن مضبوطة كما جاء في شرح بن رضوان • فقد ورد ذكر هذا النجم من قبل الصينيين في كوريا ، وفي

اوروبا كان ملاصقا الافق ، كما ان راهبا في سويسرا وصفه كنجم من قدر فوق المعتاد ، ظهر في الجنوب القاصي كأنه يتقلص ويتمدد وذلك لمدة ثلاثة اشهر • وبموجب تعليمات غولدشتين تمكن القائمون على اعماد مرصد يال في اميركا الجنوبية ، من الحصول على صورة في ربيع ١٩٦٥ ظهر فيها قرص من مقدار ٢٥ ثانية من قوسي ، هو نتيجة الانفجار الذي حصل منذ عشرة قرون • وبفضل اجهزة حديثة دقيقة صار التثبت من حدث هام قديم له اهمية كبرى في فهم نشوء الكون •

وفي عام ١٠٥٤ وفي الرابع من تموز ، انفجر نجم في الفضاء فجأة فتولد من ذلك نجم جبار ، شاهده الفلكيون الصينيون ووضعوا تفاصيل دقيقة لذلك الحدث ، وهكذا فعل المعاصرون اليابانيون • وبالرغم من ان هذا النجم الجبار ظل مرئيا لمدة ٢٣ يوما في النهار ولمدة ٦ اشهر في الليل ، ظل المؤرخون الفلكيون محتارين لعدم وجود ذكر لهذا من قبل فلكيي اوروبا والشرق الاوسط •

وفي ٢٢ من شهر تموز عام ١٩٧٨ وجدت مخطوطة عربية تشير الى نجم شديد اللمعان ظهر عام ١٠٥٤ ، وقد أكد استاذ في معهد مساتشوستس ان هذه الظاهرة هي نجم جديد جبار •

وقد سجل هذا الحدث ابن بطلان وهو احد علماء بغداد في الفيزياء وكان يسكن في القسطنطينية ، عندما حدث ذلك • لم يكن هذا فلكيا محترفا كما يتبين من المخطوطة ، لكنه كان يخصص قسما كبيرا من اهتمامه في درس النجوم ، لاعتقاده بان هناك علاقة بين الظواهر الفلكية والصحة العامة •

لوحات شعرية للنجوم

كان للشعراء ولع خاص بالنجوم ، وساعدتهم لغتهم العربية على رسم

لوحات شعرية خلدت مع تقلبات العصور ، وها ان ابا العلاء المعري قد تأثر بما كان يسمعه عن النجوم المتغيرة ، وظهورها بألوان مختلفة واشراقات ترفعها من قدر الى قدر ، فاعطانا صورة شعرية جميلة لا تقل رونقا عما نشاهده فعلا بالعين المجردة ، وذلك عندما قال :

رب ليل كأنه الصبح في الحسن وان كان اسود الطيلسان
قد ركضنا فيه الى اللهو لما وقف النجم وقفة الحيران
ليلتي هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جمان
هرب النوم عن جفوني فيها هرب الامن عن فؤاد الجبان
وكأن الهلال يهوى الثريا فهما للوداع معتنقان
وسهيل كوجنة الحب في اللون وقلب المحب في الخفقان
يسرع اللمح في احمرار كما تسرع في اللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الاعادي فبكت رحمة له الشعريان
ثم شاب الدجى وخف من الهجر فغطى المشيب بالزعفران

« اما الشعريان فهما الشعري اليمانية او الشعري العبور والشعري الشامية او الغميصاء . والشعري اليمانية هي المع نجم في صورة الكلب الاكبر ، والشعري الشامية هي المع نجم في الكلب الاصغر . وقد قيل ان سهيلا تزوج بالجوزاء وكسر ظهرها فهرب نحو الجنوب خوفا من ان يطالب بكسر الجوزاء . والشعريان هما اختاه . فعبرت شعري العبور المجرة الى سهيل وبقيت الشامية او الغميصاء في الشمال فبكت على سهيل واغمضت عيناها » .

وله في الكواكب السيارة :

زحل اشرف الكواكب دارا من لقاه الردى على ميعاد
ولنار المريخ من حدثان الدهر مطفٍ وان زهت باتقاد
والثريا رهينة بافتراق الشمل حتى تعد بالآحاد

وامرؤ القيس يقول في معلقته :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل
كأن الثريا علقت في نصابها بأمراس كتان الى صم جندل

ويقول ابن المعتز :

كأن الثريا هودج فوق ناقة يحث بها حاد الى الغرب مزعج
وقد لمعت حتى كأن بريقها قوارير فيها زئبق يترجرج

كتــــاب

صور الكواكب الثمانية والاربعين

تــاليــف

الفلكي الشهير ابي الحسن عبد الرحمن بن عمر الرازي
المعــروف بالصوفــي
المتوفي سنة ٣٧٦ هـ ــ ٩٨٦ م

على اثر اتلاف عدد كبير من المخطوطات العربية في غرناطة عـام ١٤٩٩ ميلادي ، اصبح عدد المخطوطات في العالم الغربي العربي قليلا ، بالنسبة ـلما هو موجود في تركيا والعجم والهند ، وهذا الكتاب هو نسخة لاحدى هـذه المخطوطات ، وقد طبع هذا الكتاب حديثـا عـام ١٩٥٤ ميـلادي بمطبعـة حيدر اباد ــ الدكن (الهند) .

كان ذلك من اربعة عكوس عن نسخ قديمة من كتاب صور الكواكب ، الاول من مكتبة توبقابو سراي استانبول ، والثاني مـن مكتبة الفاتيكان ، والثالث نسخة برلين ، والرابع نسخة الغ بيك في المكتبة الاهلية في باريس ، والخامس نسخة بحيدر اباد الدكن ــ الهند .

وكانت نسخة الغ بيك قد تمت بمناسبة المؤتمر الفلكي في سمرقند في

عام ١٤٣٥ تقريبا ، وكانت بالوان زاهية غاية في الجمال . كانت الصور بالزي المونغولي السائد في ذلك العصر . وترمز كل صورة الى احد البروج مع المراكز الرئيسية التي ترى منها البروج .

وفي آخر الكتاب ارجوزة لابن الصوفي ، وفيها ذكر لالف وعشرين كوكبا ، منها ثلاثماية وستة واربعون كوكبا على منطقة الفلك في طريق الشمس .

وهنا وصف الدب الاصغر في هذه الارجوزة .

الدب الاصغر

اقربهن فاعلمن للقطب
هن اذا احصيتهن سبعة ؟
في جملة الصورة كوكبان :
سمتهما العرب بفرقدين
كويكب اخفى من الرسم امحى
نعم ونجم تعرف القبلة به
يعرف بالجدي عند العرب
مداره مقارب للقطب
تعرف أيضاً بنات نعش
كواكب هن على صورة دب
رسمن والقطب معا في بقعة
مقدار ما بينهن شبران
ترى دوين انور الاثنين
تدعوه اعراب الفلا فأس الرحى
هو من الدب فويق ذنبه
من كان بالبعد ومن بالقرب

وهذه الانجم عند العرب
يوجدها الفرد القديم المنشي

فعيني ان تتبنى احدى الدول العربية طبع هـذا الكتاب وتعميمه في الاوساط الخاصة والعامة ، لانه فخر للامة العربية لا يزول مع زوال الثروات المادية كالزيت ، والدليل على ذلك ان هذا الكتاب ظل خالدا بفضل العرب الذي عرف قيمته .

لقد قيل ان انكلترا ربما تستغني عن احدى مستعمراتها ، لكنها لا تتخلى عن الشاعر شكسبير . وانا واثق من ان الدول العربية تتخلى عن احد آبار الزيت ولا تتخلى عن الصوفي وابنه .

بيروت　　　　　　نقولا شاهين

اغبط النـاس

* قال زياد بن أبيه لجلسائه : من اغبط الناس عيشا ؟ قالـوا : الامير وجلساؤه . فقال : ما صنعتم شيئا . ان لاعواد المنابر هيبة ، وان لقرع لجام البريد لفزعة . ولكن اغبط الناس عندي ، رجل لـه دار لا يجري عليه كراؤها ، وله زوجة صالحة قد رضيته ورضيها فهما راضيان بعيشهما لا يعرفنا ولا نعرفه . فان عرفنا وعرفناه اتعبنا ليله ونهاره وافسدنا دينه ودنياه .

نجيب العازوري واليقظة العربية

بقلم : عيسى فتوح

في مستهل الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، أخذت البلاد العربية التابعة للادارة العثمانية تطالب بالاستقلال والانفصال ، ولا سيما بعد أن أطلع نفر من مفكري لبنان وسورية على الحركات التحررية التي اجتاحت اوروبا الغربية ، وتدعو الى الاصلاح الدستوري على الاقل .

انطلق الصوت الاول من جريدة « لسان الحال » لخليل سركيس ، التي نشرت خلال سنة ١٨٧٨ عدة مقالات تطالب فيها بتحقيق الاصلاح ، فسارع السلطان عبد الحميد الى تعيين مدحت باشا واليا على سورية ليحقق هذه المطالب ، الا انه لم يكد يبدأ بتنفيذ برنامجه الاصلاحي حتى طوح به السلطان عبد الحميد ، فأبعده الى ازمير ثم قضى عليه ، فعاد الضغط من جديد على الاقليات ، لذلك فر نفر الى مصر ، وآخر الى أوروبا ، حيث استأنفوا نشاطهم بتأليف الجمعيات وانشاء الصحف ، والقاء الخطب ، وكتابة المقالات التي تستنكر الظلم والاستبداد ، وتطالب بالاصلاح السريع في البلاد .

لقد تركز النشاط السري داخل البلاد خلال حكم مدحت باشا (١٨٧٨ ــ ١٨٨٠) الذي غض الطرف عن هذه الحركات التحررية ، حتى اتهم بتشجيعها ، فبادر السلطان عبد الحميد الى خلعه ، خوفا من أن ينتزع منه الاقطار العربية، ويستقل بها كما استقل محمد علي باشا في مصر، ووضع البلاد تحت الرقابة الشديدة ، فاتجه الى مصر عدد من أعلام الحرية آنذاك كالشيخ ابراهيم اليازجي، والدكتور فارس نمر ، والدكتور يعقوب صروف، والدكتور خليل سعاده ، وشاهين مكاريوس ، وغيرهم .

كانت باريس من أهم مراكز النشاط العربي خارج الدولة العثمانية ، حيث يقيم عدد من الطلاب العرب ، يواصلون دراستهم العليا ، ويراقبون بقلق شديد ما تكابده بلدانهم تحت النير العثماني ، ومن هؤلاء شاب لبناني يدعى نجيب العازوري الذي أنشأ سنة ١٩٠٤ جمعية في باريس سماها « رابطة الوطن العربي » غايتها تحرير بلاد الشام والعراق من الحكم العثماني، وقد وجهت عددا من النداءات الملتهبة تحث فيها العرب على النهوض والاستيقاظ ، واشعال شرارة الثورة .

ثم أصدر في السنة التالية ١٩٠٥ كتابا باللغة الفرنسية سماه « يقظة الامة العربية » وبعد مضي سنتين تعاون مع بعض الكتاب الفرنسيين البارزين على اصدار مجلة بالفرنسية سماها « الاستقلال العربي » ، ظهر العدد الاول منها في نيسان سنة ١٩٠٧ وكان هدفها نشر المعلومات عن البلاد العربية ، واثارة الاهتمام بتحريرها ، الا أنها توقفت على أثر اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وقد بلغ مجموع أعدادها خمسة عشر عددا (من نيسان ١٩٠٧ الى حزيران سنة ١٩٠٨) .

الا أن هذه الحركة وان كانت ضعيفة الاثر في تحريك الهمم واثارة الشعوب العربية ، لبعدها عن ساحة التوتر ، فانها كانت البادرة الاولى التي تجسدت فيها آمال العرب وأمانيهم بشكل واضح خارج البلاد العربية ، ونقلت القضية العربية الى عالم الغرب .

لقد أوضح نجيب العازوري في بياناته العديدة ان الغاية من هذه الحركة العربية التي تمتد من الفرات الى السويس ، ومن شواطيء البحر المتوسط الى ساحل عمان ، هي تأسيس دولة عربية مستقلة ذات نظام ملكي دستوري مقيد ، على أن تؤلف الحجاز خلافة مستقلة بالمسلمين ، فيتم بذلك فصل الدين عن الدولة .

ويرى بعض المفكرين ان فكرة الدولة العربية العلمانية هذه هي أول

شرارة انطلقت في اتجاه قيام القومية العربية ؛ غير ان هـذا الحلم كان ، فيما يبدو ، بعيد المنال ، صعب التحقيق •

أما الاستاذ جلال فاروق الشريف (١) فيعد نجيب العازوري الذي توفي عام ١٩١٦ أول من دعا الى أمة عربية واحـدة ، ودولـة عربية واحدة عـلى أساس قومي علماني ، فسبق بذلك جميع المثقفين العـرب الاوائـل (٢) في نظرتهم الى المسألة القومية •

ويذهب الى أبعد من ذلك ، حين يرى انه أول مـن تنبأ بخطـر المطامع الاستعمارية في البلاد العربية ، ولا سيما خطـر الحركة الصهيونية ، فصحت نبوءته قبل أقل من نصف قرن ، يوم سلخت فلسطين عام ١٩٤٨ •

يقول نجيب العازوري في كتابه « يقظة الامة العربية » :

« تبرز في الآونة الاخيرة في تركيـا الآسيويـة ظاهرتـان خطيرتـان متناقضتان ، على الرغم من وحدة طبيعتهما ، هما يقظة الامة العربية ، وسعي اليهود لاعادة ملك اسرائيل القديم على نطاق واسع » •

« انه مكتوب لهاتين الحركتـين أن تتصارعـا باستمرار حتـى تتغلب الواحدة على الاخرى ، وعلى نتيجة هذا الصراع النهائيـة ، يتوقف مصـير العالم أجمع » •

ومهما يكن من أمر فان نجيب العازوري يبقـى علما بارزا من اعـلام اليقظة العربية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، أوتي فهما

---

(١) بعض قضايا الفكر العربي المعاصر ـ منشورات اتحـاد الكتاب العرب بدمشق ١٩٧٤ •

(٢) نذكر منهم في سورية : فرنسـيس مراش ، جبرائيـل الـدلال ، عبد الرحمن الكواكبي ، أديب اسحق ، رفيق العظم ، عبد القادر المغربـي ، جمال الدين القاسمي ، الشيخ طاهر الجزائري ، عبد الحميد الزهراوي •

سياسيا واعيا ، وفكرا قوميا بعيد النظر ، واذا لم يتسح لحركته الانتشار في الوطن العربي ، فانها مهدت الطريق امام حركات عربية أخرى كجمعية « العربية الفتاة » التي أسسها ثلاثة من الطلاب العرب في باريس هم : الدكتور أحمد قدري ، وعوني عبد الهادي ، ورستم حيدر ، وكان من أعضائها البارزين : توفيق الناطور ، ورفيق التميمي ، ومحمد المحمصاني ، وعبد الغني العريسي ، وجميل مردم بك . وقد عرفت في أول الامر باسم « جمعية الناطقين بالضاد » وكانت غايتها اقامة دولة عربية في ظل السلطة العثمانية ، والنهوض بالامة العربية الى مستوى الامم الراقية ، وتحقيق الاستقلال للعرب . ثم انتقل نشاط الجمعية الى بيروت فدمشق حيث انضم اليها عدد من الوطنيين كعارف الشهابي ، ورفيق رزق سلوم ومحمد الشريقي، وسيف الدين الخطيب ، وصالح حيدر ، والشيخ كامل القصاب ، ثم لحق بهم فيصل بن الحسين ، وعلي رضا الركابي ، وياسين الهاشمي وغيرهم .

مصادر البحث

(١) رواد النهضة الادبية في لبنان الحديث ـ الدكتور كمال اليازجي ـ مكتبة راس بيروت ١٩٦٢ .
(٢) يقظة العرب ـ جورج انطونيوس ترجمة علي حيدر الركابي ـ مطبعة الترقي بدمشق ١٩٤٦ .
(٣) بعض قضايا الفكر العربي المعاصر ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١٩٧٤ .

دمشق عيسى فتوح

معي الخالدين

مدام توسو
١٧٦١ - ١٨٥٠

بقلم : سمير شيخاني

صوت : المرأة ، وهي نصف الجنس البشري ، وكثيرون يدعونها النصف الافضل كانت لآلاف السنين مستعبدة . نقرأ في الشريعة المانوية ان « النساء ينبغي ان يبقين ، ليل نهار ، عبدات رقيقات، تحت سيطرة رجالهن وسلطانهم» وفي فرنسا القرن الثامن عشر ، كان المفكر الكبير جان جاك روسو ينظر بارتياح الى محرر النصف المذكر من البشرية ، لا النصف المؤنث . وهو القائل : النساء خلقن لارضاء الرجال ... ولما كن عاجزات عن اتخاذ المقررات والاحكام بأنفسهن وجب عليهن اطاعة احكام ومقررات آبائهن وازواجهن وهكذا ، حتى الجيل الحاضر .

كانت المرأة التي اعتبرت « الزوجة نصف الرجل » تعيش وسط عوائق . الا انها على الرغم من هذه العوائق ، فقد قدمت من المنجزات ما لا يقل روعة عما قدمه نصفها الجائر الباغي ... ومما لا شك فيه ان مدام توسو تعتبر اشهر امرأة في زمانها فحين كانت النسوة في عصرها لا شأن لهن ، استطاعت هي بفنها ومهارتها ان تتخطى كل العراقيل وان تصنع لنفسها اسما ما لبث ان اصبح على كل شفة ولسان في مختلف ارجاء العالم . وعندما يذكر اسم مدام توسو يذكر معه « متحف الشمع » وهذه قصة الاسمين معا ...

مدام توسو : اهلا وسهلا بك يا سيدي ...

صوت : انت ، يا سيدتي ، امرأة فذة ... عاصرت في حياتك اشهر

الأحداث الأوروبية .

مدام توسو : اجل ، فلقد شهدت وانا فتاة سقوط الملكية في فرنسا وولادة الجمهورية وسط حكم الارهاب .

صوت : واستطعت بحنكتك وروحك التجارية ان تفيدي من الثروات التي احدثتها الثورة الصناعية في انكلترا فأنشأت لنفسك مقرا دائما في لندن حيث اسست في شارع ماريلبون متحفك الشهير ، متحف الشمع الذي وهبت له حياتك . ولنبدأ قصة حياتك من الالف فانت من مواليد استراسبورغ سنة ١٧٦١ .

مدام توسو : اسمي الاصلي هو ماري آن غروشولتز ، وانا فرنسية المولد لان استراسبوغ كانت وقتئذ فرنسية . وكان والدي جنديا محترفا هجر الجيش بعد ان اصيب بتشويه فظيع في معارك السنوات السبع .

صوت : آه ان ذلك لم يمنعه من الزواج من ارملة لها سبعة ابناء تدعى ماري ولتر كانت من اسرة عريقة ، غير ان هذا الزواج لم يعمر طويلا اذ توفي والدك جوزف غروشولز بعد شهرين من ولادتك انت التي كتب لك ان تصبحين من شهيرات النساء في التاريخ .

مدام توسو : وحملتني امي وانا صغيرة الى مدينة برن في سويسرا حيث كانت تقيم اسرتها وشقيقها اي خالي الدكتور فيليب ناتان كرتيوس .

صوت : ولكن شهرة خالك هذا كفنان طغت على شهرته كطبيب لانه كان في اوقات فراغه يصنع بالشمع تماثيل صغيرة لبعض المشاهير المحليين .

مدام توسو : وقد اقام بتشجيع من اصدقائه والمعجبين به اول معرض لتماثيله الشمعية تلك في ربيع سنة ١٧٥٧ في احدى غرف منزله .

صوت : وفي سنة ١٧٦١ حدث ان زار سويسرا زيارة غير رسمية الامير دي كونتي ابن عم الملك لويس الخامس عشر . فزار متحف كرتيوس الشمعي واعجب به الى درجة انه دعا الدكتور كريتوس الى باريس لينشىء

فيها محترفا يتكفل هو بكل نفقاته •

مدام توسو : وقد كان ، وانتقل خالي الى العاصمة الفرنسية حيث اقام محترفه الذي اخذ يتردد عليه كبار الشخصيات السياسية والادبية والفنية •

صوت : وبعد سنة من الزمن افتتح متحف الشمع الذي ضم تماثيل بحجم الاشخاص الممثلين فيه • وفي سنة ١٧٦٦ استدعاكما الدكتور كريتوس والدتك وانت لتؤنسا وحدته ، وكنت اذ ذاك طفلة جميلة في الخامسة من عمرك •

مدام توسو : وكنت اقضي الساعات الطوال مراقبة خالي في محترفه وهو منهمك في صنع تماثيله باهتمام شديد •

صوت : ولاحظ اهتمامك الشديد بعمله الفني الشيق ، وآنس منك رغبة فيه ، فصقلت مواهبك حتى بت مساعدته الاولى •

مدام توسو : وازدهرت صناعته هذه ، فتبناني ولا ابالغ اذا قلت انني كنت قد اصبحت اكثر منه مهارة في تماثيل الشمع •

صوت : وعندما كلفت صنع تمثال للمفكر الفرنسي والاديب الساخر فولتير كان لك من العمر سبع عشرة سنة •

مدام توسو : وكان ذلك قبل وفاة فولتير بثلاثة اشهر •

صوت : يسرني ها هنا ان اعلمك ان تمثال فولتير ما يزال يحتل مقام الشرف في متحفك الحالي الذي زودته منذ سنة ١٧٧٨ بمئات التماثيل لشخصيات التاريخ البارزة •

مدام توسو : في سنة ١٧٧٤ اعتلى عرش فرنسا الملك لويس السادس عشر وماري انطوانيو وكانا من مشجعي الفنون ورعاتها ، فرغبا في زيارة متحف الشمع الذي عرف بمتحف كريتوس وماري • وقد ربطت الصداقة بيني وبين مدام اليزابيت اخت الملك التي دعتني الى الاقامة معها في قصر فرساي على ان القنها اصول هذا الفن ، واكون في الوقت نفسه امينة سرها

ورفيقتها .

صوت : وفي اوقات فراغك وبعدك عن اميرتك رحت تصنعين التماثيل لافراد الأسرة المالكة وسواهم من الشخصيات .

مدام توسو : ولعل من ابرز الشخصيات التي جلست امامي في تلك الفترة اي في سنة ١٧٨٣ بنيامين فرانكلين الذي عرف بلقب سفير الانسانية ، وكان وقتئذ اول سفير اميركي في البلاط الفرنسي .

صوت : وفي سنة ١٧٨٩ ، وهي سنة الثورة الفرنسية طلب اليك خالك كارتيوس ان تغادري فرساي ، فلبيت طلبه على كره منك وكان مقتل الملك لويس السادس عشر ، وزوجته ماري انطوانيت ورفيقتك مدام اليزابيت على المقصلة . والقت جيوش الثورة القبض عليك وزجتك في السجن ، وحلق شعر رأسك ، ثم طلب اليك دافيد الفنان الرسمي لمجلس الثورة ان تصنعي تماثيل للرؤوس الثلاثة المقطوعة تحت طائلة تهديدك بالموت على المقصلة بدورك .

مدام توسو : وصنعت مكرهة اختك لا بطلة رؤوس هؤلاء الثلاثة الذين احببتهم وعايشتهم ردحا من الزمن في قصر فرساي .

صوت : وقد افرج عنك سنة ١٧٩٤ وحملوك في الحال الى مقبرة المادلين حيث وجدت رأس روبسبيير ينزف دما .

مدام توسو : وبسقوط روبسبيير انتهى عهد الارهاب وعادت الي حريتي .

صوت : وفي هذه الاثناء مات خالك ودمر متحفه ونهب فعكفت على اصلاحه واضافة تماثيل الشخصيات التي كانت تصنع الاحداث في فرنسا في ذلك الحين . ووجدت نفسه وحيدة لا رفيق لك ولا انيس فتزوجت أحد معارفك القدامى : فرنسوى توسو .

مدام توسو : ومن هنا عرفت باسم مدام توسو ، وعرف متحفي باسم

متحف مدام توسو . فقد رزقت ابنان سميتهما جوزف وفرنسيس .

صوت : وعمت البطالة فرنسا سنة ١٨٠٢ وكسدت الاعمال فاغتنمت الفرصة التي اتاحتها معادة اميان للسفر الى انكلترا حاملة معك سنة وثلاثين من اشهر تماثيلك .

مدام توسو : ومنذ ذلك التاريخ بقيت في انكلترا حتى نهاية حياتي . وكنت انتقل من مكان الى آخر في الجزر البريطانية حاملة تحفي لعرضها على الجماهير وكسب معيشتي . وما اكثر الاحوال التي تعرض لها متحف الشمع المتنقل هذا فكانت اكثر التماثيل تتحطم وتتلف .

صوت : انت لم تقرري البقاء في انكلترا نهائيا واسمحي لي ان اشير الى ذلك الا بعد ان وصلتك سنة ١٨٠٨ الانباء بأن متحفك قد حجز تسديدا للديون التي تراكمت على زوجك فرنسوى .

مدام توسو : ومذ ذاك قطعت كل صلته لي به ، الا انني رجوت ولدي ان يبرا بوالدهما بحيث يقضي بقية ايامه في راحة ..

صوت : وفي سنة ١٨٤٢ قررت اعتزال العمل ، وكان آخر ما صنعته تمثالا لنفسك وانت في الحادية والثمانين من عمرك .

مدام توسو : وابتعت منزلا مقابل متحفي كنت ارقب منه بهدوء واطمئنان سيل الناس المتدفق على متحف الشمع لرؤية هذه الاعجوبة الفنية الفريدة من نوعها .

صوت : انها حقا اعجوبة فنية فريدة في نوعها . وقد كانت وفاتك سنة ١٨٥٠ اثر مرض لم يمهلك طويلا وبقي المتحف في عهدة ابنك فرنسيس الذي سلمه بدوره الى ابنائه الذين اكملوا هذه الرسالة الفنية الرائعة .

مدام توسو : شكرا على هذا التقدير الخالص ، وعلى هذه المعلومات المطمئنة عن متحف الشمع ..

بيروت — سمير شيخاني

الرَّصَافي .. شاعر النهضة الوطنية

بقلم : سلمان هادي الطعمة

حفلت حياة الشاعر الحر معروف عبد الغني الرصافي (١٨٧٥ــ ١٩٤٥) بمواقف بطولية مشرقة ، بوأته مكانة سامية في القلوب ، واحلته منزلة عالية في الافئدة • فهو من اوائل رجال الفكر الاحرار وحملة المشاعل في طريق التجديد والحرية • أوقف أدبه وحياته دفاعا عن حياض الامة العربية وكرامتها ، وتغنى بماضيها ، واستنهض حاضرها ، واثار سبيلها ، ونهض بها في مجالات الحياة ومدارج الرقي • وكان صوته مدويا من اصوات الحرية في العراق ، مجلجلا بالدعوة الى الاستقلال والكرامة والعيش بحرية وسلام وعزة •

الرصافي شاعر جريء ، قوض بصيحاته معالم الاستبداد ، وأقض مضاجع الاستعمار ، وقد كان انساني النزعة ، عربي العقيدة ، فصور آلام الشعب وآماله • ولم يقصر في دعوة أمته الى اليقظة والحذر والعزيمة والاباء بطرح رداء الكسل والخمول ، مما اثر اثرا بليغا في النفوس • وتتسم حياته بكثير من الوان الكفاح الوطني ومقارعة الحاكمين والاستعمار في عز سطوتهم وجبروتهم واستهانتهم بمقدرات البلد وأموره ••

والرصافي شاعر كبير له في دنيا العروبة شأن مرموق امتاز به من عقل راجح وفكر نير ورأي صائب ، شأنه شأن الشعراء الموهوبين الذين صفت روحهم وتجردت عن المادة ، فقد ضحى بحياته تجاه وطنه العزيز ، واخلص له ، وتحدى الاستعمار الغاشم بجرأة متناهية ، فما أصدق قوله :

أشربت حب بلاد ما نشأت بها   الا لادفع عنها كل عدوان

اخلصت حبي لها حتى نسيت به نفسي واهلي واحبابي وخلاني
يا موطنا لست منه في موادعة عش بعد موتي عيش الوادع الهاني
ما ضرني ان كل الناس تحقرني ان كنت انت جليل القدر والشان
وليس ينفعني عز ولا شرف ان لم تكن انت ذا عز وسلطان

كان الرصافي شاعر السياسة والاجتماع ، بل شاعر النهضة الوطنية ، وترجمانها الصادق عند بزوغ حركة التحرر الوطني في العشرينات .

ان تاريخ الرصافي هو تاريخ الحركة السياسية في العراق الحديث ، اذ أثر شعره في تفتح الرأي العربي العام والهاب الشعور الوطني والقومي ، فقد كانت قصائده وكلماته نارا حامية تنصب على المستعمرين ، وقد ناضل في سبيل أن يحظى هذا الوطن بالحرية والسيادة ، ويبلغ الغاية المتوخاة بعز الامة ورغدها ، وتغنى بمآثره ، وبجمال رافديه ، وبداعة طبيعته ، وتطرق الى تصوير حقائقه ووقائعه بلا موارية ولا رياء ، وتحمس للذود عن حياضه ، والنهوض به في مجالات الحياة ومدارج الرقي دون كلل أو ملل ، وتحدى الاستعمار الغشوم بجرأة تضمن له الخلود . كيف لا وهو الذي دافع بعقيدة ومبدأ راسخين في سبيل هذا الوطن الذي أفنى عمره بحبه وتعلق به هائما منذ الصبابة :

ولي وطن افنيت عمري بحبه وشتت شملي في هواه تبددا
ولم أر لي شيئا عليه وانما علي له في الحب ان اتشددا
تعلقته منذ الصبابة مغرما تعلق ليلى العامرية مغمدا

ويصف اعمال السلطان الذي استبد بالحكم ، وسقى الناس الصاب والعذاب في سبيل سعادته وشقاء أمته :

مثل الحكومة تستبد بحكمها مثل البناء على نقا متهيل
يا أمة رقدت فطال رقادها هبي وفي امر الملوك تأملي

أيكون ظـل الله تارك حكمه الـ منصوص في آي الكتاب المنزل
أم هل يكون خليفـة لرسولـه من حاد عـن هدي النبي المرسل
كم جاء مـن ملك دهاك بجوره ولواك عن قصد السبيل الافضل
يقضي هواه بما يسومك في الورى خسفا وينقم منـك ان لم تقبلي

بقي الرصافي يواصل السير دون ان يثنيه عن ذلـك ما اعترض سبيله أشواك وعقبات ، فقد صب جام غضبه على السلطان عبـد الحميـد العثماني بقصائد مدوية تلتهب ثورة على الظلم والاستبداد، ورحب بالدستور العثماني عندما أعلن أملا منه ان يتنفس الشعب الصعداء ويستظل بظله ، بعد أن رزح تحت كابوس الاستبداد والجور زمنا طويلا . اسمعه يقول :

هوى عبـد الحميد بـه هويـا الـى درك الملـوك الظالمينـا
وانزل عـن سرير الملك خلعـا وافـرد لا نديـم ولا قرينـا
فسيق الـى سلانيـك احتباسا لـه كـي يستريـح بها مصونا
ولكـن كيف راحـة مستبـد غـدا بديـار احرار سجينـا
يراهم حـول مسكنـه سياجـا ويعجـز ان يبيـم لـه عيونـا
ومـوت المـرء خير مـن مقـام لـه بين الذين سقـوه هونـا
لقـد نقض اليمين وخان فيهـا فذاق جزاء مـن نقض اليمينـا
وقد كانت بـه البلدان تشقى شقـاء مـن تجبـره مهينـا
فكـم اذكـى بهـا نيران ظلـم وكم مـن أهلها قتـل المئينـا
وكان يديـر مـن سفـه رحاها بجمجمة ولـم يرهـا طحينـا

وللرصافي قصيدة قالها بعد سقوط بغداد أثناء الحرب العالمية الاولـى بعنوان (نواح دجلة) وهي من روائع شعره ، منها :

قـد رمتني يـد الزمان بخطب جلـل مـا الليـ ه اصبـاح
أين اهـل الحفاظ هـل تركوني نهبة في يـد العدو وراحـوا ؟

برحـوا وادي السلام عجـالا أفجـد براحهـم أم مـزاح ؟
لو رأوني سبيا بأيـدي الاعادي لبكوا مثلمـا بكيت وناحـوا
لا مسائـي بعـد البعـاد مساء يوم بانـوا ولا الصباح صباح

لم يكتف الرصافي بقصيدة للدفاع عن الشعب وعن حقوقه ، انما كان مثلا حيا يحتذى به ، وقد ندد الاستعمار واذنابه بقصائد متعددة ؛ مما جرت عليه مواقفه تلك صنوفا من الاذى والعذاب ، ففـي قصيدة (ذكرى فتـى السعدون) يقول :

فيا بطـلا بالنفس ضحى وانمـا بذلـك لاستقلالنا سنـة سنـا
فعلمتـنـا ان التفادي واجـب على كل قوم حاولوا شرف المعنى
سنسعى الى ما قد سقيت من العلى بصادق عزم ينكر الضعف والوهنا
وانـا لقـوم مستقلون فطـرة اذا انكر استقلالنـا منكر ثرنـا

فلو جعلت تبـرا سبيكا بيوتنـا ولسنا بحكام أبينا بهـا السكنى
يهـون علينـا في السياسة اننـا نصلب في الاعواد أو ندخل السجنا

ولم تنطل على الرصافي حقيقة الحكم الـذي تألف في العراق سنـة ١٩٢١م ، فوقف موقف المعارض الذي يشعر بمسؤولياته كشاعر لـه رسالة.

وبهذه الابيات التالية لخص رأيه في الحكومة العراقية وهي ثمرة البغاء السياسي الانكليزي ؛ ابوها الانكليز وأمها الثورة العراقية ، ويصفها وصفا دقيقا في قصيدته (حكومة الانتداب) فيقول :

هذي حكومتنا وكـل شموخها كـذب وكـل صنيعها متكلف
علـم ودستـور ومجلس أمـة كل عـن المعنى الصحيح محرف
اسماء ليس لنـا سوى ألفاظهـا امـا معانيهـا فليست تعرف
مـن يقـرأ الدستور يعلم انـه وفقـا لصك الانتـداب مصنف

وعندما سقطت وزارة ياسين الهاشمي في ٣٠ تشرين الاول سنـة ١٩٣٦

انصب على الوزراء سيل من التهكم المرير ، وما كان من الرصافي الثائر الا أن يلذعهم بقاسي الكلم كقوله :

لا تأمنن دنياك في حالة ... مهما تكن زاهية زاهره
وانظر لعقبى وزراء مضوا ... كيف عليهم دارت الدائره
باتوا على النعماء في ليلة ... شبت لهم في صحبها زائره
اذ قذفتهم عن كراسيها ... وزارة كانت بهم وازره

وعندما اعلنت ثورة مايس ١٩٤١ بقيادة رئيس الوزارة الزعيم الوطني رشيد عالي الكيلاني ، كان الرصافي يومذاك معتكفا في الفلوجة ، وقد أنشد قصيدته هذه وأولها :

اليوم قوي يا مواطن أعيننا ... وتطربي بالحمد منك الالسنا
فلقد وفاك الجيش حقك سابغا ... اذ قام فيك على البلاد مهيمنا
وسعى يحوطك بالصوارم طائعا ... لزعيمه العالي الرشيد ومذعنا
متوشحا عز الشهامة جاعلا ... كزعيمه حب المواطن ديدنا

تلك هي صور صادقة وحقائق جلية تصور واقع العراق السياسي والاجتماعي خير تصوير ، وتنطق بحيوية الشعب وجلده على الكفاح ومثابرته على النضال ، على لسان الشاعر الذي جرى في عرقه دم الوطن ، وأخلص بكلمته وهدفه ، فكان امثولة الانسان الحر الذي كان أمينا على رسالته في الحياة •• فقد أداها بروح عالية طيبة من الصدق والوفاء ، فاحتضنه التاريخ بصفحات من نور ، مخلداً عزيزاً في مصاف الخالدين من ابناء هذا الوطن •

كربلاء ـ العراق ... سلمان هادي آل طعمة

مع الاستاذ ابراهيم العريض في كتابه « نظرات جديدة في الفن الشعري »

بقلم : السيد علي ابراهيم

تعود علاقتي بالشعر وولعي فيه ، وتأثيره علي بهـذا الشكل الذي أراه قويا آسرا ، لايام النشأة الاولى وأنا بعد في دور التفتح علـى الدنيا وما فيها من جمال الحس والادراك ومن نعم الله العلي القدير ، التي أغدقها على سائر مخلوقاته ، عندما كنت في مطلع الحياة ؛ أتصيـد الكلم الطيب مـن أفواه النابهين ، وأسير وراء النفحة الملونة منقبا في كتاب ، او باحثا مستقصيا في مضان البحث ؛ وسائر مجالات العطاء والانتاج ؛ وأحسب يومذاك وأنـا في بواكير النشأة مسير بدافع الحس المفعم بالعاطفة الملتهبة ، والخيال المشبوب ، والشعور الحار المتدفق ، أن الشعر كل شيء في الوجود ؛ خلقه اللـه للدلالة على ذاته ، والاتصال بواسطته بعظمته ، وللتعبير عـن الخير والجمال ؛ والتحدث عن المعاني الفريدة ، والمزايا الغوالي ، ومواقف المروءة والشهامة والحب والحنان ، والعاطفة والاخلاص ؛ وعن كل جوهر متألق السنا باهـر اللمعان ، وليكون للروح قائدا ودليلا ، يحفزها للانطلاق والتقـدم بسائـر الميادين ويبعثها للازدهار والتوهج ؛ لتخلد وتبقى بعد فناء الاجسام وانحلالها ؛ وليأتي بعد ذلك الباحثون ، فيقرأونها في كتاب نفحة عاطرة تستعصي عـلى الزمن وتقف شامخة بوجه الايام . وكثيرا ما كنت أقف أمام الصورة الشعرية فأغيب عن الوجود ومن فيه ، وتتلاشى أمـام ناظري مظاهـر الالم والشقاء ، وأنسى هموم الحياة وتصاريفها ، وأشعر بأني دخلت عالمـا مسحورا ، فيـه روائع الرؤيا تلوح للعين ويتملى منها الفكر والقلب ، فينغمس الانسان فـي جو من البهجة وخضم واسع من المعاني النبيلة الكبيرة .

ما وجدت منذ سرت في هذا الطريق فارقا بين قديم الشعر وحديثه يستوويني الجمال في أي مشهد من المشاهد التي يصورها فنان مبدع كشف الله عن بصره وبصيرته ، فاجتاز الآماد وقطع الابعاد ، ولم يعترف بالزمن حدا فاصلا بين فكر وفكر وقلب وقلب ؛ وقف تصهره حرارة الشمس وعاني من ألق النبوة الساطع ، رشح جبينه عرقا ، وأخذته هزة الوحي ؛ قبل ان يقول كلمته ويفيض بالنفائس الغوالي •

وكنت أقرأ للاستاذ ابراهيم العريض وتستهويني أفكاره ومطارحاته من أمد بعيد ، وأجده قريبا من فكري وقلبي ، وقد أطلعني الاخ الاستاذ نزار الزين حديثا على كتابه القيم (نظرات جديدة في الفن الشعري) فأكبرت هذا الجهد الذي بذله في سبيل اللغة العربية وآدابها ، ووجدت فيه من الدقة والشمول والطرافة والعمق ، ما لم أجده بأي سفر نفيس قرأته ، فهو عالم زاخر بالاطايب لم يترك فيه ناحية حرية بالبحث دون ان يقف عندها بوضوح وعمق •

وحسبي من الحديث عنه وعن كتابه نقل كلمة وجيزة له بموضوع (الالفاظ رموز) •

في بعض دراسات لي حول الفن وبعض مذاهبه في الشعر العربي مضيت أقرر أن الشعر قائم على عنصرين أساسيين هما اللفظ والمعنى ، ثم ذهبت في شرح ذلك مذهبا قد لا أرتضيه الآن • على ان هذا التقسيم وان كان صحيحا في أساسه وتسلم ببداهته بعض المدارس النقدية في التحليل ــ قديما وحديثا ــ لا يخلو من اشكال • فهو مثلا لا يعطي صورة صادقة للاسلوب الناجم عن ائتلاف الالفاظ على نحو خاص • ولا يعلل السحر في الشعر تعليلا صحيحا • كما أنه لا يستطيع أن يميز بدقة بين مختلف مذاهب التعبير • وكيف يمكن الفصل بين هذين العنصرين بفرض وجودهما مستقلين وهما ليسا كذلك ، أو اقامة الحاجز بين اللفظ والمعنى باعتبار أن كلا منهما عنصر قائم بذاته على انفراد مع أنهما في الحقيقة شيء واحد •

هذا ما كان يعنيني التفكير فيه مدة من الزمان حتى تبين لي أخيرا أن الالفاظ ليست سوى رموز ـ رموز من عدة نواح لا ناحية واحدة ـ نستطيع ان نستجلي من ورائها صور هذه المعاني التي تتخيلها ـ وكل حسب ذوقه ـ كلما رتلنا ما يتحفنا به الشعراء من آيات • فالصلة القائمة بين اللفظ والمعنى هي في الواقع صلة الروح بالجسد الحي ان صح هذا التعبير • فلو عدم اللفظ أية صلة بالمعنى القائم في الذهن لاصبح لغوا فارغا • ولو عدم المعنى ما يمثل صورته في الأذهان من الالفاظ لكان (لا شيء) والواقع أن الذين يفرقون بين اللفظ والمعنى لا يفعلون ذلك لمجرد أنهم يعتبرون ان كلا من هذين العنصرين قائم بذاته على انفراد • وانما تمهيدا لدراسة هذه الصلة القائمة بينهما دراسة فنية دقيقة ، ولولا أن هذه الدراسة تقف ببعضهم عند حد الخلاف ، وتقصر بالآخرين عن تجاوزها الى نواح أخرى لا تقل أهمية في معرض التحليل •

وقد رأيت ـ على ضوء مطالعاتي الادبية كل هذه السنوات • وما أكسبني اياه اضطلاعي ببعض الآداب الاجنبية من تجارب وثمرات وقرت في النفس وآتت أكلها في ثقافة لا شرقية ولا غربية كان لها أكبر الاثر في تهذيب هذا الذوق وتصقيله ـ رأيت ••• أن أعكف على درس الشعر دراسة فنية دقيقة • وتحليله الى عناصره تحليلا يكشف عن حقيقة جوهره ••• درسا وتحليلا قد يؤديان بي الى السر الذي أشكل علي وعلى غيري طويلا تفهمه والسير أمما الى الغاية التي دائما تنكب عنها النقاد في الطريق •

واذا كانت هذه الدراسة قد وضعت في الاصل (مقدمة) لما وقع اختياري عليه من الشعر العربي الحديث ومرقاة لتذوقه • لم يكن بند أن أسوق الشواهد والامثلة من لغة الضاد وحدها ، وان كانت النظريات التي تعززها هذه الشواهد أو تفسرها ، والقواعد التي تقوم عليها أو تدعمها لا تقتصر على لغتنا • بل تشمل عالم الشعر في كافة اللغات ، لانها نجاءت على

ضوء ما علق بالنفس من روائع الآثار الادبية التـــي عالجتها النفس منــذ الطفولة ــ حفظا ورواية ــ من مختلف الآداب •

وبغيتي من هذا البحث ــ الاول من نوعه على مـا أعهد في لغتنا ــ أن أعلل تعليلا صحيحا ــ ولنفسي قبل كل أحد ــ ما هو السر الكامن فيما ينجم من أساليب متباينة عن ائتلاف الالفاظ على نحو خاص • وأنـى يظفر الشعر بروعته وسحره ، وكيف يمكن أبدا التمييز بدقة بين مختلف مذاهب التعبير ، وان كان من العسير ــ كما اعتقد ــ القول الفصل في الموضوع •

واذا كان البحث متشعبا مترامي الاطراف لا أرى بـدا لتبسيطه عـلى الوجه المقبول من الابتداء حيث يبـدأ النقاد أنفسهم ••• الالفاظ ومعانيها ، فلنبدأ دراستنا اذن بـ (اللفظ) على اعتبار أنه جزء مستقل بذاته عن معناه ــ كما يفهمه الآخرون ••• بغية التحليل) •

بيروت علـي ابراهيم

اشتـري القتــل لنفســه

❊ قيل ان بلال بن ابي بردة كان في حبس الحجاج ، وكان كـل مـن مات في الحبس رفع خبره الى الحجاج فيأمر باخراجه وتسليمه الى اهلــه • فقال بلال للسجان : خذ مني عشرة آلاف درهم ، واخرج اسمي الى الحجاج فأخذ السجان المال ورفع اسمه الى الحجاج فقال الحجاج : مثل هذا لا يجوز أن يخرج الى اهله حتى اراه ، هاته • فعاد السجان الـى بلال فقـال : اوص بوصيتك • قال : ما الخبر ؟ قال ان الحجـاج قال كيت وكيت ، فـان لـم احضرك اليه ميتا ، قتلني • وعلم اني اردت الحيلة ، فلا بـد ان اقتلك خنقا• فتوسل اليه الا يفعل ، ولكن لم يكن الى ذلك طريق • فأخذه السجان وخنقه واخرجه الى الحجاج ، فلما رآه ميتا سلمه الى اهله فأخذوه • وقد قيـل ان بلالا اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم ورجعت الحيلة عليه •

وفاة

شعر: صدر الدين الحكيم الشهرستاني

أمـــاه تاهت في القريض قريحتـــي
ماذا اقــــول وانت رمــــز مصيبتي

امـــاه كـــم اثرتنـــي بمـــودة
وشقيت نفسك كـي تصان سعادتي

امـــاه لـن انســى حنـوك لحظـة
طول الحيـاة وذكـره فـي مهجتي

امـاه كم أسهرت عينـك في الدجى
وحملت صعب النائبـات لراحتـــي

وهززت مهدي فـي حنـان والورى
في راحـة النـوم اللذيـذ وغفـوة

امـاه ان ناديتـك فـــي حـــادث
اسرعت مسرعـة الخطـى لاغاثتـي

ولكم مرضت وما رايت سواك فـــي
الـــم تفديـنـــي بجنـب وسادتي

طفـلا فقـدت ابـي وكنت مكانـــه
فـــي منصبين همـا اساس كرامتي

ان صحت يـا امـاه كنت بجانبـــي
فـي كـل نائبـة وكـل رزيـــة

رحمـاك مـــن ام حنـون حرمـت
كـل اللذائـذ فـي سبيل ملذتـــي

هـــل استطيـع اداء حقـك لا ولا
مشار ذاك ايـا مشـــار محجتـي

ربيت بـــل انجبت يـا بنـة سادة
رفعـوا لـواء العلم فـوق مدينتـي

ما كنت احسب قرب يوم فراقنـــا
يـا ليت يومـك كان بعـد منيتي

ناديت يـــا امـاه لـــم اسمع سوى
صيحات اخواتي ونعـي رضيعتي

ناديت والاحشاء مـــن لهب الاسى
تذكـو ونـار القلب تسبل عبرتـي

قري فقبـرك بقعـة مـــن روضة
سمقت علاء يـا لهـا من روضة

ضمت حسينا سيد الشهداء بـــل
رمـز الفـــداء ومشعلا لعقيدتـي

رحماك يـــا امـاه انـــت ثريلـة
بحمى الحسين وذاك امنـع بقعـــة

وجزاك رب العرش اكـــرم منحـة
تهفو القلـــوب لها باعظم جنـــة

كربلاء ــ العراق

صدر الدين الحكيم الشهرستاني

الشعر والجيل

شعر: عدنان مردم

ثر الرؤى عبق الشذا متارج ... موار معطاء السنا متوهج
صداح مرنان الصدى ذو مرة ... نشوان من خمر الصبا يتغنج
ريان يقطر رقة وغضارة ... طلق المحيا للندامى ابهج
غض الاهاب منمنم سمح المحيا ... خضل مندى بالزهور متوج
زاهي الربيع يروح من ريحانه ... بين المروج على الشقائق يدرج
هبت نسائمه العباق فما انتشت ... الا بها الارواح وهي تموج
فتخال ان نواره الق السنا ... متوهجات وقدها يتاجج
سيان عندي وجهه راد الضحى ... او عند معتكر الدجى هو ابلج
وترى على الوجنات من علق الدما ... زردا تروح به الخدود تضرج
هذي دماء متيمين تناثرت ... وتحمر الخدين منها ينتج

★ ★ ★

لم لا تمحص ان حقلا في الربى ... فيه الجنى الزاهي وفيه العرفج
وكذا بكل فصيلة متفاوت ... منها يشافي علة او يفلج
فالشعر مشكاة الطريق تنيره ... وضياه - ما بعد المدى - يتوهج
من روحه هو يستمد زيوته ... ومن ائتقاد عيونه هو يسرج
لا تنتهي اقباسه فوميضه ... متلالا من خافقيه يخرج
يسري بليلته فان حل الضحى ... حمد السرى مما اراه الهودج
ويعزم الاسباب كي لا تنقضي ... اياسه عبثا وفيها منهج
حتى اذا بلغ السفار اشده ... بلغ السما ومن السماء سيعرج

★ ★ ★

رهج السنين اما تجلى فسطل ... من نقعك الكث الصفيق فنولج
فوراء فسطلك الهدى وعليه معتمد ... النهى النضامي ومنك المخرج
فهناك فردوس الرؤى متقلب ... يا ليته موفور الظلال مفلج

تسري عـلى آفاقه لغة المنى ... وتجوب ابهـاء الندى فتؤرج
والموب في طـل الحيا فتحيله ... خصب الثرى من جانبيه (منبج)
فابـو عبادة للخميـل مطرز ... وابـو فراس مسمط ومسبج
و (حبيبهم) يسلو بما قد نمنوا ... فتكاد من فرط الفراهة يربج
وابـو محمد جاءهم متبخترا ... فتخاله فوق الربـى يتدحرج
وابـو نواس لا تـزال كؤوسه ... متالقـات بالسنـا تتوهج
وسعى سليل الروم يسند جسمه ... بعصا فتحسب انما هـو اعرج
ان هش موسى للقطيـع فانما ... هنا على التسمين فيها احوج
واتـى ابن بـرد بالمسامع عاشقا ... فالاذن مثـل العين منها المولج
والقول حقـا قالـه فيقلبـه ... حر الصبابـة ماثـر لا سمهج
ويعج مجتمع القريض فما تـرى ... الا لـه البرد القشيبة تنسج
وعلى الطريق مشى الذين تتابعوا ... متوسمين خطـا عليها دبجوا
فالعود صانعه امرؤ القيس الذي ... ظلت به الالحان دومـا تلهج
بين الدخول ففا بهـا نبك دمـا ... وقفا بحومل ساعة ثـم ادرجوا
وبدار جلجل اذ عنيـزة اسلبت ... منها الثياب وبالعرار لا تخـرج
لمت المناحي لها سوى ان ترعوى ... لطلابـه والقصد ذا الترجرج
حتى اذا رضخت لامـر صريعهـا ... اخذت ملابسها وراحت تـمرج
ومع العذارى اذ طلبـن مطيـة ... كانت به تطوي الفـلا وتعرج
فاتى لها فـرط الصبابـة عاقرا ... ولنيحها مـا بان فيـه تحرج
وذرا العذارى يرتمين بلحمهـا ... والشحم من هدب الدمقس ابهج
والوتر فـي اسد يقتل آواره ... عذل وتشبيب العزيمة منهج
وبكاه صاحبه ولـم ينفع بـه ... الخافق الندب الحمـي يؤجج
هذا الذي صاغ القوافـي برزة ... بقـريحـة وقـادة لا ترتـج

★ ★ ★

واذا اللواء عـلى رؤوس فوارس ... خفاق ان هبت صبـا او خزرج
في قصر (هارون) تجود قرائح ... فيمدها الكرخ السخي و (طسوج)
وبسامرا نغـم يناغي جعفـرا ... فتميده حلب الكـرام ومنبج
وعلى ضفاف الشاطئين محافـل ... وجحافـل للفاسقـين تهزج
شربت طلاها فاستبيح وقارهـا ... فاذا بها اللفظ الصحيح تلجلج
وهناك اندية بفـوح اريجها ... وتظل ــ ما استيف الزكي ــ تؤرج
منثورها الق تـلالا فـي الدجى ... وقريضها ــ فرط العذوبة فيهج
تثوي الغصون معالسنين وغصنها ... نضر وريـق كـل حين ينضـج

وتظل قافلـــة القريض عريضة / كل عـــلى منوال عبقر ينسج
فورثت زاخـــرة الرؤى معطاءة / وسبيلها جـــدد مبـــين دهمج
فاظفر بهــــا وحذار ان ضيعتها / لم تدر هـــذا مدخل ام مخـرج

★ ★ ★

يا قادة الحرف النقـــي مـرارة / في الحلق مـن الم المنايا تخـرج
فالى متـــى يشكـــو اليكم شاعـر / تتناشه غصص بهـــن يحشـرج
فارت عــلى افكارنا فكـر العدى / فاذا التراث الضخم معها بـردج
وتكبل الجيـــل المضاع بقيدهـا / فالقـــاد فـــي احبولتيهــا يـدرج
حتـى اذا وثقت مـــن استعباده / راحت لفكرتـه بسـم تمـزج
فيما ومـن افكاره هـو حائـر / (متامرك) في زيـــه (متفرنج)
رث الخيال رؤاه مثـــل سماله / متحيرات فـــي المسامع تسمـج
متعثر والدرب سهـــل مهيـــع / ولسانـــه مـــن عقـدة يتلجلج
ويظل من فرط العمى متلهفـــا / صديان والينبوع ازخـــر امـوج
سيان مشربـــه فـرات سلسل / او مالح رنـــق الطبيعة آجــج
تسيـان مـرآها غصـــون غضـة / متاودات فـــي الربـى او عوسج
تتقاسم الاسم السمين فيكتفـي / بالغث من زاد العلوم ويخــرج
ويظل يصطنع الحضارة خدعــة / من فرط عجز عاث فيه البهـرج

كربلاء – العراق — عدنان حمدان

✻ ✻ ✻

مكـارم الاخـلاق

✻ خطب ثلاثة اخوة من العرب الى عمهم ثلاث بنات لـــه ، فقال مرحبا بكم ، لا أذم عهدكم ، ولا استطيع ردكم . خبروني عـــن مكارم الاخلاق . فقال الاكبر : الصون للعرض ، والجزاء بالقرض . وقال الاوسط : النهوض بالثقل ، والاخذ بالفضل . وقال الاصغر : الوفاء بالعهد ، والانجاز للوعـد قال : أحسنتم في الجواب ووفقتم الى الصواب .

القصة

ويا نجمة الفجر ....

كان يفر من المدينة شهرا في العام ، يقضيه في الريف ، في ضيعة أبيه ، بعيدا عن كتبه ودراساته وهمومه .

وكان يجد راحة أعصابه في الهدوء الشامل الذي يمد رواقه على الحقول الحالمة ، يخفق فيها الزرع الاخضر النضير فيتضوع شذاه ، ويعطر الحياة ، ويملأ الوجود من حوله بذلك السر الذي يرقص الطير على أفنان الشجر ، ويسقي أجنحة الفراش ألوانها الفاتنة ، ويشيع البهجة والابتسام في مياه الغدير ...

وعرف « بهجت » في المكان أشياء كثيرة صاحبها وأحبها ، وخيل له أنها صاحبته وأحبته .

عرف أشجار النخيل النحيلة المشوقة ، التي تتمايل أعوادها الهيفاء في دلال ورشاقة ، ساخرة من السنين ، حاملة ثمرها الحلو على مفرقها ، كأنه يواقيت تزين شعرها الذهبي المحلول ...

وعرف الساقية العاملة في صدر الحقل عمل الرئة في صدر الانسان ، أما يحيا الحقل بها ؟.. انها دائمة الشهيق والزفير ، انها تدور دائما ... تغني حينا ، وتئن وتشكو حينا ، وتبكي وتتوجع أحيانا ، في صرير ترويها كل خشبها العابس المتآكل قد شبع من الحياة ، وذاق حلوها ومرها ... لقد دارت في موهن الليل والفجر يجرر اذياله الوردية ، ودارت في حر النهار الالحان التي تروي قصة الحياة . انها امرأة مجربة تعرف كل شيء ... ان متلظية تحت شمس الصيف ، ودارت بينما دموع الامطار تغسلها من همومها ، وقبلتها أحيانا أشعة القمر ...

يا لجمال وروعة الاقاصيص التي تحكيها الساقية ! انها تفطن ـ وهي تدور ـ الى كل ما يدور في رأس مالك الحقل ، انهـا تعرف خواطره ، وهمومه ، وهواجسه ، ونياته ... انها قد خبرته كما قد خبرت أباه وجده وأسلافه ...! كم شهدت من أحقاد ، وأفراح ، ودماء ... كان القاتل أحيانا يأتمنها على سره ، ويلقي في بئرها جثة ضحيته ...! وكان المحزون والعاشق يتخذ من صريرها قيثارة يوقع عليها مواويله وأغانيه ونجواه ..!

وعرف « بهجت » أيضا أحجار « الموردة » القائمة منذ بعيد على حافة النهر السعيد لتستقر عليها أقدام القرويات حين يملأن الجرار ... كم صارت هذه الاحجار ملساء ناعمة ...! ان حياتها حب واحتمال ... انها تتلقى قبلات الموج التي لا عدد لها وتعيش في أحضانه . وانهـا تحتمل القرويات وتحملهن من صباهن الى شيخوختهن : تحتمل الجميلات والدميمات ، والباسمات والدامعات ، وتصغي الى شكايتهن من أزواجهن ، والى نميمتهن وغيبتهن للصويحبات ، كما تصغي الى همس الخلخال في سيقان الصبايا بأقاصيص العشق الرخيص والعشق العفيف ...

وعرف أيضا الاحجار الاسطوانية العتيقة المدفونة الى الاعناق في ثرى أطراف الحقول ، لتبين حدودها الاربعة ، وتكون معالم الملكية ... ان كل حجر من هذه الاحجار يرمز الى حب الانسان للارض وتعلقه بالثرى الذي نبت منه . كثيرا ما كتب الدم على هذه الاحجار أقاصيص النزاع الطويل ، والقضايا الخاسرة والبغضاء ... ثم الاغتيال في جوف الليل ، وربما في وضح النهار ... واستحكام العداء بين الاهل الاقربين . وعودة العرائس اللائي لم تبهت الحناء على أكفهن الى بيوت آبائهن !..

نعم ... لقد عرف كل هذه الاشياء ، وأحبها وأحبته وفهمها وفهمته ، وباح لها بذات ضميره ، وباحت له بمكنون سرها ...

وعرف أيضا ... سميحة .

الريفية الصغيرة ، المليحة ، السمراء ...

اول ما رآها منذ أربعة أعوام ... كانت تخطو الى ربيعها الثاني عشر ... ثم زار القرية في السنين الثلاث التالية ثلاث مرات ، وكان كل مرة، وهو في طريقه الى الضيعة ، يجد في قلبه الشوق لاشجار النخيل ، وللساقية ، ولاحجار الموردة ، ولمعالم الحدود ... ولسميحة .

كان في العشرين من عمره لما كانت في الثانية عشرة . وأحب طفولتها العذبة ، وتبناها قلبه ... منذ ذلك الصباح الباكر الذي شاهدها في طراوته في الحقل الذي يستأجره أبوها ، وهي تحكم ربط العصابة على أعين زوج البقر الذي يجر الساقية في رفق وحنان ...

كانت تغني بصوتها الرقيق الرائق موالا مطلعه : « يا نجمة الفجر طلي ، وارجعي روحي ... وسلمي لي على اللي ، عندهم روحي .. »

وكان صوتها يقطر حلاوة وبراءة . كانت توسوس بنغمها في آذان البقر ، كأنها تواسيه ، وكان البقر يسلس القياد ، ويدور في رضا حول الساقية ، وكأنه هفا الى الاغنية ونسي المشقات التي تنتظره في نهاره ...

ورأته سميحة ، وابتسمت له تلك الابتسامة الواسعة السخية ، التي تنبع من قلب الطفولة الغرير ، الذي تفيض السعادة دائما على شطآنه ، مغرقة في جذلها الصادق العميق كل الوجود الذي يحيط بها ..

ورأى « بهجت » في لمحات عينيها ذلك الذكاء الفطري الذي قدر له ان يحيا ويموت في الحقل دون ان يشعله ويذكيه التهذيب والصقل ، كالزهرة التي قسم لها أن تعيش في الاصيص ، ثم تذبل حين ترتطم جذورها بجدران الفخار الذي تعيش في اساره .

كانت ترتدي ثوبا ساذجا ملونا ، وتضع في يديها « غوايش » زجاجية ملونة ، ويضحك في ساقيها خلخال فضي ... كانت في مجموعها تشبه ابتسامة

في وجه الشمس الضاحكة ...

من ذلك الوقت أحبها ، وأخلى لها مكانا عزيزا في نفسه ، وألف ــ كلما قصد الى الريف ــ أن يجلس في ظل شجرات النخيل القريبة من الساقية يتحدث الى سميحة ، ويعرف منها أخبار القرية ، ويصغي اليها وهي تغنيه مواويلها الساذجة ، بصوتها الحنون الصافي ..

وكبرت سميحة .. وأخذ سر الانوثة الثاوي في طبيعتها يكبر معها ، وتفتحت أكمام الوردة ، وصار لها شذى وعبير .

وبدأت أحلام الشباب تلون ألحانها وأغانيها .. لم يعد صوت الطفلة هو الذي يترنم ، بل صوت العذراء التي يداعب روحها الظامئة الحنين الى المجهول ...



وفي ذلك العام ، لما وصل في المساء الى القرية ، لم يكد يستريح حتى أسرع الى شجرات النخيل .. ورأى ــ كما كان يتوقع ــ سميحة عند الساقية ، فتسلل حتى دنا منها دون أن تشعر ، فاذا بها ملقية خدها على كفها، تخط على التراب بيدها الاخرى ، وهي تغني في سهوم موالها المحبوب :

« يا نجمة الفجر طلي ، وارجعي روحي ... وسلمي لي على اللي ، عندهم روحي ... قلمي رموشي ، وقلبي باعمله لوحي ... حبري دموعي وأنا ، الكاتبة على روحي ... يا نجمة الفجر ... »

لقد عمقت ألوان الالحان في صوتها !.. وألفت مع نواح الساقية وظلال المساء ، ذلك الخفاء الحالم الحزين ، الذي تتنفس به الحقول ... الحقول التي مرت بها الاحقاب ، وعاصرت الماضي السحيق ، وعبرت عليها ظلال آلاف الرجال الذين سقوها من دموعهم ، وعرقهم ، وآمالهم ، ثم مضوا !...

في صوت سميحة الآن هم دفين !... انه مشوب بقلق مبهم ! انه

واجف ! انه يلهث ! كأنه آن عدوا مـن المجاهـل السحيقة في روحها ، حيث ترقد الاسرار البعيدة الدفينة التي يكتمها الانسان ، حتى عن نفسه ...

وناداها باسمها فالتفتت مذعورة . وأخذت تتسالك نفسها كأن خواطرها كانت مبعثرة مع الرياح الاربع . ورأى الخجل يصبغ وجههـا !.. لم تكـن تخجل من قبل من أغانيها ! فما لها الآن تذكر كأنه هتـك الاستار ، وكشف الاسرار ؟..

طاف بها بصره وهو يمد اليها يده ، فرأى مـا صنع عام كامل بالوردة النائمة في أكمامها .

ان الانوثة الآن قد أعلنت سرها وسحرها ، وقـد تمت آيـة الحسن ، وصارت الصبية التي كانت تشبه ابتسامة في وجـــه الشمس ، عروسا مـن عرائس النور الباهر النادر .

أحيانا تحب الطبيعة أن تتأنـق وتفتن ، فتجري جـدولا ، رقراقا بين الادغال ، تضحك أمواجه مقبلة العشب الاخضر أو تنبت زهـرة يذكر جمالها بالفردوس ، أو تصادف طائرا فتلون ريشه بألوانها المعجبة ، وتنفث في صوته من موسيقاها السماوية المدخرة .

وأحيانا تحب الطبيعة نبتا من نباتاتها الناميات في كنفها العائشات فـي حضنها ، فتسرق له جمال الجدول ، وفتنة الزهرة ، وروح الطائر ــ وتمنحه كل ذلك بركة من الله فاطر الحسن وباريء آياته ...

والطبيعة لا تعرف المحاباة ولا الملق ، فلما فكـرت في أن تحقق حلمهـا المتأنق المفتن لم تسبغ نعمتها على ابنة العمدة ولا عـلى شقيقـة مـلاحظ النقطة .. بل على سميحة الفقيرة ، التي يستأجر أبوها أربعة أفدنة من أرض الضيعة يحصل من ريعها على القوت والكساء ..

وسألها أن تغنيه موالهـا المفضل : « يا نجمـة الصبـح » فاستحيـت وتمنعت ، ثم لانت ...

هيه !... ان صوتها لم يعد صوتها .. ان فيــه غنة جديــدة .. انها تغيرت !..

ووصلت في غنائها الى مقطع الموال : « وسلمي لــي علــى اللي عندهم روحي .. » وجفلت فجأة ، وأخفت وجهها في ذراعها ، وفرت !..

وعجب من ذلك !...

ومضت الايام ..

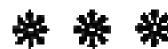
وكان يلقاها ، ويتحدث اليها ، ويسمع الــى صوتها الجديد .. وازداد يقينا أن في حياتها شيئا جديدا ، وأن الطبيعة التي أجزلت لهــا كــل هذا الجمال ، قد سرقت قلبها ...

لكنه لم يعرف أين فرت الطبيعة بالقلب المسروق . وأين خبأته !..

ان كان لكل قلب قصة ، فلا شك أن قلبها قد بدأ قصته ...

يا للعذارى !.. كلهن سواء ! كلهن يبحثن عــن الهناء في مستهــل شبابهن ، وينشدنه في قلب رجل تعتمد عليه حياتهن . ويحلمن أن يعشن لــه وحده ، طيعات ، مضحيات !... كل فتاة تتمنى أن تكــون عروسا ... ان سميحة غير ملومة ان كانت قد انتخبت رجلهــا . ان كانت قد ربطت قلبهــا بعيني فتى وسيم من فتيان القرية ، يعود بزوج البقر الى الدار ، ويعين أباها في زراعة الحقل ، ويمنحها طفلا يرضي غريزة الامومة الثاويــة في طبيعة كــل امرأة ، ويغني لها المواويل ...

لكن : من الفتى السعيد الذي سيحصد الاحــلام النائمة في عينيهــا ؟ الذي يضنيها هواه فتحكي للساقية الباكية قصتها معــه : « قلمي رموشي ، حبري دموعي .. وأنا الكاتبة على روحي ... » !..



صار بهجت يفاجئها دائما ساهمة مطرقة تخط في التــراب ، أو تعــرك

بأناملها زهر البرسيم ، أو تقشر الثوب الاخضر عن غصن من أغصان الشجر ... وكانت تفزع لقدومه ، وتفيق كأنما كانت في حلم عميق ، وتضطرب في عينيها حلاوة آسرة ، وتعبر على صفحة وجهها الصبوح ظلال وردية من نسج الحياء ... وكانت لا تلبث بعد الحاحه أن تغنيه ، وهي جالسة عند قدميه ، تلك الاغاني التي تؤلفها وتلحنها روحها البسيطة الصافية، المرسلة على سجيتها ...

وكان خلال ذلك يلمح فرحا غامضا يلمع في وجنتيها ، ويروي صوتها ، ويتسلل الى أعطافها ، فيهزها اهتزاز الوتر في قيثارته ...

وكثيرا ما كان يرى فرحها ذاك ينطفيء فجأة ، وتنطفيء معه رنة صوتها ونضرة وجنتيها ، حتى ليخيل له أن ينبوعا من الحزن ينفجر في نفسها فجأة ، وتعلو أمواجه السوداء حتى تغرق قلبها ..

في فرحها وحزنها كان يسألها عن ذلك الفتى الذي بدل من أطوارها ، الذي لا شك أنه دخل حياتها ، فكانت الظلال الوردية تتداول على وجهها ، وتخفيه بين ذراعيها ، وتفر هاربة .

* * *

وجاء ميعاد الرحيل ..

وأنبأها ذات مساء أنه سيبارح القرية في الفجر ليأخذ قطار الصباح الى العاصمة من البلدة المجاورة .. ومد لها يده مودعا.. وتناولت يده وقبلتها.. انها دائما تقبل يده أول قدومه وعند رحيله .. هذه هي تقاليد القرية ... في المدينة القبلة على اليد تحية الرجل للمرأة .. وفي القرية هي تبجيل المرأة للرجل ..

وانفعل الفتى . يا للبنية الامينة ! لقد أبقت شفتيها على يده برهة طويلة . ليخيل اليه أن تلك القبلة حارة أكثر مما ينبغي ... وأنها رفعت وجهها عن أنامله بعناء !...

وأبقى يدها في يده ، وتشبث بها ، وهم أن يدنيها من شفتيه ، وأن يجر الحسناء الى صدره حتى مهب أنفاسه ... لكنه ذكـــر أبراجه العالية . وأن هذه الزهرة في بطن السهل . وأن عبيرها ليس له . بـل لذلك القروي الذي لا بد أنها ربطت قلبها بساعديه ، وعينيه القويتين ، وفأسه ، وحقله ...

وترك يدها ، وانطلق عائدا الى القرية ...

ولم ير الدموع التي ملأت عينيها ...

وطفقت الفتاة تنظر بهذه الدموع في الناحية التـــــي ذهب منهـــا . ثم جلست على الارض متهالكة . ووضعت رأسهـــا بين ركبتيهـــا ، وانفجـــرت باكيـــة ...

انه ذهب ...

ولم تقو أن تصارحه بما كانت تبطن ... لقد بـــدد كل شجاعتها ... لقد كانت معتزمة أن تلتمس منه أن يأخذها معه الى المدينة ، ويجعلها خادمة في بيته ، تجلس عند قدميه كالقطة الاليفة ، وتغنيه الاغاني التي يحب، وتبتسم الابتسامات التي ترى صداها على وجهه ... فانه وحـــده زارع هذا التاق الذي راود قلبها ، والعاطفة التي عبثت بروحها ، والشوق الذي شمل شبابها وكيانها ... انها لم تربط قلبها بقلب فتى في القريـــة كما يتوهم . ان عينيـــه هما اللتان ألقتا بذرة الهيام في أعماقها ، في التربـــة الخصبـــة اللينة ، وقـــد استيقظت من أحلامها ، فوجدت البذرة قـــــد شقت التربة ، وخرجت الـــى النور ... ومن عينيه وابتساماته رويت ، واغتذت ، وترعرعت ... انها لـــم تناج غيره في أغانيها . ان شبابها لم يصب الى سواه ... ولم تخط في التراب وتستسلم الى الوجوم الا وهو يملأ نفسها ويلتهم تمنيها اياه كل خواطرها .. كان قدومه الى القرية هو فصل الربيع لقلبها وشبابها ، فكانت تحاول أن تحيا فيه كل حياتها ... قبـــل أن يذهب ، ويأتـــي فصل الصقيع ... فلما عنف شبابها وترعرع الزهر في نفسها ، وصارت في حاجة قاسية للري والشبع ، لـــم

تعد تستطيع بعاده ••• وقد كانت معتزمة أن تسقط عند قدميه ملتمسة منه أن يأخذها معه ، خادمة طيعة •••

نعم خادمة •• انها لا تطمع في أكثر من ذلك •• انه ابن السيد الذي يملك كل هذه الارض •• انه لن يعطي حياته للقروية الخاملة الفقيرة •••

وفي ذلك المساء جلست سميحة طويلا حيث هي ، ورأسها بين ركبتيها، وتقدم الليل ، واستسلمت لحلم مضطرب انساب اثناءه ، من بين جفنيها ، خيط دقيق من الدموع •••

❋ ❋ ❋

وفي الفجر •• كان الفتى يغادر القرية على فرسه ••• ووراءه الخدم يحملون حقائبه •••

ومر بحقل الاذرة الذي يزرعه والد سميحة ، وأطاف بشجرات النخيل التي ألف أن يراها تحتها نظرة يائسة • كان الصباح باكرا جدا • ولم تكن هناك •••

ليته نظر الى يساره •• انه لو فعل لرأى عينين مفعمتين بالدموع تنظران اليه من خلال أعواد الاذرة ••• لقد كانت سميحة متخفية في قلب الحقل ، تنتظر مروره ، وجسدها ينتفض ••• من الصقيع !! ••

❋ ❋ ❋

وايقظها من ذهولها صوت بعيد هو صوت صفير القطار ، فمدت بصرها الى الافق ، نحو خط طويل أسود من الدخان أخذ يتبدد في السماء ••

ورفعت وجهها ، متعقبة الدخان الضائع في الهواء ، وناحت بصوت يقطر كآبة : « يا نجمة الصبح ••• طلي ، وارجعي ، روحي •• وسلمي لي على اللي ، عندهم روحي !•• »

(طنطا) يوسف جوهر
المحامي

اهم مائة رجل في التاريخ الانساني .

هذا الكتاب الغريب ، ربما كان فيه من الطرافة اكثر مما فيه من الدقة العلمية .. ولكنه مع ذلك محاولة فذة جريئة ، تثير التفكير وتبعث على النشاط العقلي ، وهي في رأيي صفات كافية احيانا لان تجعل كتابا ما يستحق القراءة ...

الكتاب الذي ظهر اخيرا في الولايات المتحدة اسمه « المائة ! » ويقع في ٥٧٢ صفحة من الحجم الكبير ... وموضوعه : اهم مائة رجل في التاريخ الانساني كله !

والكتب التي تتحدث بطريقة موسوعية عن مائة او اكثر او اقل من الرجال المهمين كثيرة . ولكن مؤلف هذا الكتاب اخذ على عاتقه مهمة مستحيلة لسببين :

الاول : انه يحدد من يعتقد انهم اهم « مائة » في التاريخ الانساني كله ، شاملا كل المجالات .. من سياسة وحرب وعلم وادب وفن وفكر !

والثاني : انه اخذ على عاتقه ايضا ان يرتب « المائة » بترتيب اهميتهم : الاول فلان والثاني فلان والثالث فلان ... وهكذا ....

من يجرؤ على عمل هذا الترتيب في كل المجالات ؟ من يزعم انه تعمق في كل التاريخ الانساني والعلوم الانسانية من دين الى فكر الى علم الى سياسة حتى يقدم على هذه المحاولة ؟...

انها محاولة لا يقدم عليها الا احد « الهواة » . ففي تقديري ان اي

مفكر دارس محترف ، كلما تعمق في الدراسة فزع مـن المحاولة ! لانهـا في الواقع مستحيلة !

ولعل هذه هي طرافة الكتاب • فالمؤلف الامريكي فعـلا مـن الهواة بهذا المعنى • ولكنه هاو من نوع خاص • ذلك انه رجل علم من المتخصصين في علوم الفضاء ومن العاملين البارزين في علوم الاقمار الاصطناعية والصواريخ في امريكا • ولكننا نلاحظ من دراسته انه مـن ذوي الاهتمامات المتعددة • فلديه شهادة في الرياضيات من جامعة كورنيل (١٩٥٢) وشهادة في القانـون من جامعة نيويورك (١٩٥٨) وشهادة في الفيزياء من جامعة أديلفي (١٩٦٩) ودكتوراه في الفلك من جامعة برنستون (١٩٧٢) • اما حياته العملية فقـد عمل في مركز ابحاث الفضاء العسكرية في ميريلاند، والمركز القومي لدراسات طبقات الجو في كولورادو • وفي اكبر مرصد للافـلاك في كاليفورنيا وهـو الآن مسؤول علمي عن التطبيقات العلمية لعلوم الفضاء في ميريلاند •

ويقول المؤلف ـ دكتور مايكل هارث ـ انـــه تأثـر بكلمة شهيرة للفيلسوف الانجليزي فرانسيس بيكون التي يقول فيهـا « القراءة تصنـع الانسان الكامل » فانطلق يقرأ في كل مجال اتيح له •

ونعرف من بعض ما نشر عنه وعـن الكتاب في الصحف الاميركية انـه اقدم على اعطاء عصارة حياته الى الآن لهذا الكتاب عقب مناقشة حول عشاء، تحدى فيها آخرين انه يمكن عمل مثـل هذه المحاولة : اختيار أهم مائـة في التاريخ كله ، وترتيبهم بدرجة الاهمية !

ونعرف بعد ذلك من قراءة الكتاب امرين لا شك فيهما مهما كان فـي الكتاب ـ بالطبيعة ـ من نواقص :

الامر الاول ـ ان المؤلف قد بذل جهدا جبارا خارقـا في قراءة تاريـخ العالم وحضارته بكل وجوهها • لان مـن اصعب الامور علـى اي كاتب او

فرد ان يتجاوز طغيان التاريخ الحديث عليه لكي يكتشف اهمية شخص مات من ألوف السنين مثلا ، وان يتجاوز انتماءه الى حضارة الغرب مثلا ليكتشف اهمية رجال في حضارات اخرى بعيدة غريبة عنه ، كحضارة الصين ، او مصر القديمة ، او الحضارة العربية .

والامر الثاني ـ ان ـ المؤلف مهما كانت النتيجة التي وصل اليها فقد كان على درجة عالية من التجرد وعدم التحيز ، او انه حاول اقصى ما يمكن ان يحاوله انسان ...

والدليل على ذلك انه اختار « الاول » في الاهمية في التاريخ الانساني كله : نبي الاسلام محمد ، عليه الصلاة والسلام .

وانه وضع نبي المسيحية عيسى عليه السلام في الرقم الثالث ، واضعا قبله العالم اسحق نيوتن . وانه وضع نبي اليهودية موسى في الرقم السادس عشر ، بعد بوذا واينشتين وماركس ولينين وارسطو وباستور وجاليليو وغيرهم !

ومن الملفت للنظر ان المؤلف اختار من ابطال الحضارة الاسلامية رجلا وضعه بين المائة الاوائل ، واعطاه رقم الحادي والخمسين هو : عمر بن الخطاب . ولا ننتظر طبعا ان ينظر المؤلف المسيحي الامريكي مهما بذل من جهد الى التاريخ نظرتنا اليه . ولكن اختياره عمر بن الخطاب بالذات من التاريخ الاسلامي ، يدل على جهد عظيم ... فلا اظن ان مؤرخا اسلاميا يمكن يختار في العظمة وعمق التأثير ـ بعد محمد عليه السلام ـ الا عمر بن الخطاب ...

وقد حدد المؤلف معيارا يختار على أساسه المائة الاوائل : ...

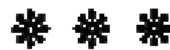
فهو لم يرشح « الاعظم » ولكن « الاهم » ...

ووضع « للاهمية » ، خيرا او شرا ، معيارا هو : درجة تأثير الفرد

المرشح على حياة البشرية ، كما وكيفا ، وطولا وعرضا وعمقا ، بصرف النظر عن « نوع » التأثير ...

فهو يضع « هتلر » مثلا ، كما يضع « جنكيز خان » و « ستالين » بين هؤلاء المائة .. رغم انه يرى ان تأثيرهم كان سلبيا ، ولكن المعيار الذي رشحهم هو معيار « مدى تأثيرهم » في حياة الانسانية ، او في حياة قطاع كبير من الانسانية ... سلبا او ايجابا .

والكتاب بكل اوصافه السابقة ، يستعصي على التلخيص ، ولكنه رياضة ذهنية بديعة ، خصوصا في سرده لاسباب وحيثيات الاختيار ، وكل الممكن هنا ، في هذه الصفحات هو القيام بجولة سريعة بين أحراشه .. ذلك ان مناقشة كل « حكم » تحتاج الى كتاب كامل ، فضلا عن انها تحتاج الى خبير متخصص في كل موضوع !



والفصل الاول ، عن الرجل في التاريخ كله كما ذكرت ، عن محمد (٥٧٠ ـ ٦٢٣ ميلادية) . وقد سرد قصة حياته في ايجاز ، لا اظن ان القارىء العربي في حاجة الى معرفته . ولكنه برر اختيار « الاول » بقوله :

« ان اختياري محمدا ، ليكون الاول في قائمة اهم رجال التاريخ قد يدهش القراء . ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح اعلى نجاح على المستويين : الديني والدنيوي .

فهناك رسل وانبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ، ولكنهم ماتوا دون اتمامها ، كالمسيح في المسيحية .. او شاركهم فيها غيرهم او سبقهم اليهم سواهم ، كموسى في اليهودية ، ولكن محمدا هو الوحيد الذي اتم رسالته الدينية كاملة وتحددت كل احكامها وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته . ولانه اقام الى جانب الدين دولة جديدة ، فانه في هذا المجال الدنيوي ايضا وحد القبائل في شعب ، والشعوب في أمة ، ووضع لها كل اسس حياتها ورسم

امور دنياها ووضعها في موضع الانطلاق الى العالم •• ايضا في حياته •• فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية •• وأتمها •

ويضيف الى ذلك : ان معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب احد المراكز الحضارية في العالم •• في بيئة متقدمة تبرر ظهور العظماء فيها •• ولكن محمدا هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم • ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقاس ، وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكون الغزو عسكريا • ولكن في حالة الرسالة المحمدية فان معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماما وتغيرت لغة ودينا وقومية •• من العراق وسوريا الى آخر الشاطىء الافريقي غربا الى السودان جنوبا ، وبقيت امة واحدة تتكلم لسانا واحدا الى الان • فهناك اليوم وبعد ١٤٠٠ سنة خمسمائة مليون مسلم ولكن هناك بينهم حوالي مائة وخمسين مليون عربي • وهو معيار في قياس أثر الرسالة ، أي استمرارها الزمني وثباتها ، ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم •••

كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد وبقي بحروفه كاملا دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرآن ، الذي نقله محمد • الامر الذي لا ينطبق على التوراة مثلا او الانجيل •

« هكذا نجد ان فتوحات العرب التي بدأت في القرن السابع الميلادي قد بقيت تلعب دورا هاما في التاريخ الانساني حتى يومنا هذا ومن اجل هذا النفوذ الديني والدنيوي ، فانني ، وجدت ان محمدا هو صاحب الحق الوحيد في ان اعتبره صاحب اعظم تأثير على الاطلاق في التاريخ الانساني » •

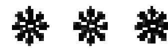


وبعد محمد ــ صلوات الله عليه ــ يقفز المؤلف قفزة هائلة ليضع في

الرقم الثاني له مباشرة اسحق نيوتن (١٦٤٢ ـ ١٢٧٧) الذي يرى انه اعظم عالم على الاطلاق .

يقول انه ولد يتيما مثل محمد ! ولكنه في سن الثامنة عشرة دخل جامعة كامبريدج، وبسرعة هائلة استوعب كل ما هو معروف من العلوم والرياضيات وبدأ ابحاثه المستقلة . وبين سن الحادية والعشرين والسابعة والعشرين ، كان قد وضع اسس كل النظريات العلمية التي خلقت الثورة العلمية والصناعية التي عرفها العالم ...

واذا كنت هنا لست بصدد سرد اكتشافات نيوتن العلمية ، كما أنني لا أنوي طبعا ان اسرد المائة الذين اختارهم ، الا انني اتوقف عند ذكره ووضع المؤلف له في الرقم التالي لمحمد والسابق للمسيح ، لمجرد الاشارة الى نوع تفكير المؤلف واتجاهه في ترتيب الرجال . فضلا عن ان شرح ما قاله عن نيوتن يحتاج الى علماء في الطبيعة والكيمياء وعدد كبير من العلوم .



وكان طبيعيا ان يشرح المؤلف المسيحي ، للقارىء الامريكي المسيحي ، لماذا وضع المسيح في المرتبة الثالثة ..

انه يقول ان تأثير المسيح والمسيحية معروفان . وان المسيحية كدين تضم الآن اكبر عدد من الاتباع في العالم . ولذلك فالسؤال هو لماذا لم يضعه في المرتبة الاولى ...

يقول ان اول سبب هو ان المسيحية ، بعكس الاسلام ، لم تقم بجهد رجل واحد مثل محمد . بل قام بالجهد اثنان : عيسى ، وبولس الرسول . فالمسيح في رأيه هو الذي وضع القيم الاخلاقية الاساسية للمسيحية وافكارها الاساسية عن السلوك الانساني . ولكن الفقه الفقه المسيحي صاغه وفصله بولس الرسول . كما ان بولس الرسول اضاف الى ذلك فكرة قدسية المسيح التي لم يقل بها احد قبله . كذلك فان بولس الرسول هو الذي كتب

جزءا كبيرا من « العهد الجديد » وهو الذي كان أقوى معبر ومبشر بالمسيحية في القرن الميلادي الاول •

لقد مات المسيح في سن صغيرة نسبيا ـ ستة وثلاثون عاما ـ ولم يترك بعده سوى عصبة قليلة من الاتباع والتلاميذ • مات المسيح واتباعه ليسوا اكثر من فرقة صغيرة من فرق اليهودية • ولكن بولس هو الذي ناضل في الدعوة • وجمع الانصار ، وتوجه بها الى اليهود وغير اليهود ، أي الى كل البشر ، وبهذا نمت واصبحت احدى الديانات الكبرى في العالم • وبولس هو الذي اسس « الكنيسة » بالمعنى الذي عرف بعد ذلك • ولكنه يقول انه لم يضع بولس قبل المسيح لانه بدون ظهور المسيح ما ظهر بولس •

ويقول المؤلف : كما انه لا يمكن ان ينسب الى المسيح مسؤولية كل اعمال المسيحيين خصوصا حروبهم المذهبية الرهيبة واضطهادهم لليهود ، فانه ليس صحيحا بالمثل القول بأن النهضة العلمية الحديثة اثر من آثار المسيحية ، لمجرد ان النهضة العلمية هذه ظهرت في اوروبا المسيحية • بل على العكس • فقد اقترن تحول اوروبا الى المسيحية بهبوط ذريع في حرية العلم والتفكير العلمي •

« اما قيام الثورة العلمية في اوروبا فهو دليل على ان شيئا ما في تراث اوروبا الثقافي هو الذي ساعد على ذلك • هذا الشيء لا يرجع الى تعاليم المسيح ، ولكنه يرجع الى العقلانية الاغريقية التي جسدها ارسطو واتباعه • فالثورة العلمية والفكرية جاءت مع عصر النهضة « الرينسانس » وليس مع انتشار المسيحية » •

وبعد المسيح يضع المؤلف : بوذا (٥٦٣ ـ ٤٨٣ قبل الميلاد) ، لانه مؤسس احد الاديان الهامة هي البوذية •

ان بوذا اسمه الاصلي الامير سيد هارتا ، ابن احد ملوك منطقة في شمال الهند تجاور نيبال • وفي سن السادسة عشرة تزوج ابنة عم له من نفس

عمره وكان يعيش في جو من الثراء والرفاهية ، ولكنه لم يكن راضيا بكل ما تقدمه له القصور الملكية من رفاهية ، لقد استولى عليه ما رآه من ان معظم الناس فقراء تعساء يشكون الفاقة ، وان القلة الاغنياء ايضا تعساء ، حياتهم فارغة او ان الكل في النهاية يمرضون ويموتون ، وبدأ يعتقد ان الحياة لا بد وان لها معنى اكثر من متع الوجود العابرة ، والتي تنتهي بالالم والموت .

وعندما بلغ التاسعة والعشرين ، ومجرد ان انجب ابنه الاول قرر ان يهجر الحياة التي كان يعيشها وان يهب نفسه للبحث عن الحقيقة ، فترك قصوره ، وزوجته ، وطفله ، وكل املاكه وتحول الى مفلس متجول .

ولفترة تعلم على ايدي بعض اهل العلم في عصره ، ووجد ان تعاليمهم لا ترضي ضميره ، فعكف على تطهير نفسه ، بتعذيب الجسد وحرمانه .. وامضى سبع سنوات في صيام عنيف وحرمان هائل حتى وجد ان الجوع المتوالي يؤثر على قواه الذهنية ، فعدل عن هذا السبيل الذي كان شائعا .

وفي ذات ليلة ، وبينما هو جالس تحت شجرة تين ضخمة ، صفا ذهنه ، واحس وكأن كل الاسئلة التي كان يبحث عنها قد وجدت اجوبتها ، وقضى الليل كله ساهرا مفكرا متأملا ، حتى اذا اشرق الصبح وجد انه اصبح « بوذا » وترجمتها « المستنير » .

كان عمره وقتها خمسة وثلاثين سنة ، وبعدها عاش خمسة واربعين عاما اخرى ، قضاها متجولا في شمال الهند داعيا الى فلسفته الجديدة ، متحدثا الى كل من يمكن أن يستمع له ، فلما مات ، كان قد ترك وراءه آلافا من الاتباع والتلاميذ ، الذين تابعوا دعوته ، وتناقلوا تعاليمه شفاها جيلا بعد جيل ، حتى تم تدوين بعضها .

ويلخص المؤلف تعاليم بوذا في ما يسمى « الحقائق النبيلة الاربع » .

اولا : ان الحياة الانسانية بطبيعتها غير سعيدة .

ثانيا : ان السبب في عدم السعادة هو الانانية والشهوات الانسانية .

ثالثا : ان انانية الفرد وشهواته يمكن وضع حد لها ــ والقضاء عليها يصل بالفرد الى حالة « النيرفانا » وترجمتها الحرفية (الاستئصال) .

رابعا : ان وسيلة التخلص من الانانية والشهوة هو سلوك « الطريق ذي الصفات الثمانية » : الرأي الصحيح ، الفكر الصحيح ، الكلام الصحيح، العمل الصحيح ، المسلك الصحيح ، الجهد الصحيح ، الحساب الصحيح ، التأمل الصحيح .

والبوذية ــ بعكس الهندوكية ــ موجهة لكل البشر ، ولا تعترف بفوارق بين البشر .

وقد اخذت البوذية تنتشر بعد وفاة بوذا ببطء ، حتى جاء القرن الثالث بعد الميلاد ، واعتنقها « اشوكا » اعظم اباطرة الهند . وبواسطته انتشرت بسرعة في الهند ثم امتدت الى ما حولها .. إلى الصين واليابان وكوريا شمالا وسيلان وجنوب شرق آسيا جنوبا مثل بورما والملايو وتايلاند .. الخ .

والغريب ان البوذية تضاءلت في الهند حتى انقرضت تقريبا في القرن الثاني عشر الميلادي ، بينما بقيت في اماكن اخرى خارج الهند .

ويقدر المؤلف عدد البوذيين حاليا بحوالي مائتي مليون نسمة . ولكنه يرى ان بوذا كان المصدر لتعاليم وفلسفات كثيرة ، وخصوصا في ناحية السلوك السلمي .

ــ وهو يرى ان بوذا الهندي وكونفوشيوس الصيني يتشابهان، كما انهما كانا معاصرين احدهما للاخر . ولكنه وضع بوذا قبل كونفوشيوس لان بوذا وجه تعاليمه للجميع ، بينما كانت تعاليم كونفوشيوس خاصة بأهل الصين وحدهم ، لذلك لم يعتنق الكنفوشية احد خارج الصين ، ولذلك فقد اعطى بوذا المكانة الرابعة وكونفوشيوس المكانة الخامسة .

وقد كان فضل كونفوشيوس انه اول من مزج الافكار والقيم الاساسية لدى الصينيين ونسج منها فلسفة متكاملة ، تقوم على الاخلاقية الفردية وعلى فكرة ان الحكومة وجدت لتخدم الناس لا لكي يخدمها الناس ، وانها تحكم باعطاء المثل الصالح • وقد ساد مذهب كونفوشيوس في الصين اكثر من الفي سنة واثر في نسبة كبيرة من سكان العالم من نواح كثيرة •

وبعض الناس ينسبون الى كونفوشيوس انه مؤسس ديانة • والواقع كما يقول المؤلف انه لم يتعرض لاي شيء ديني ، لا للحياة بعد الموت ولا لاي شيء غيبي • انما كان واقعيا عمليا يهتم بحياة الانسان على الارض فقط وأمثل الطرق لتنظيمها واعلائها •

وقد كان فكره محافظا • فقد تبنى عادة الصينيين القديمة في عبادة الآباء والاجداد والانتماء لهم دون الوطن ، وعادتهم في خضوع المرأة تماما للرجل وفي طاعة الشعب للحاكم • وان كان قد قاوم الطغيان • وبنفس الفكر المحافظ كان كونفوشيوس ـ منذ ٢٤٠٠ سنة ! ـ يرى ان الماضي هو العصر الذهبي! وكان يدعو الحكام والشعب للعودة الى الماضي ! وهذا الاتجاه المحافظ هو ما حاول ماوتسي تونج بعد ٢٤٠٠ أن يحطمه في الصين ، خلال الثورة الثقافية ، حين اعلن الصينيون الحرب على الكونفوشية •• واحرقوا كتبه وهاجموا تعاليمه وحطموا تماثيله في كل مكان •

والغريب ان مذهب كونفوشيوس تعرض لهذا القدر مرتين المرة الاولى بعد وفاته بحوالي مائتي سنة ، حين حكم الصين اول اباطرة سلالة « الشي ـ ين » فاعلن الحرب على تعاليمه وحرق كتبه وصوره وحرم مذهبه• والمرة الثانية بعد وفاته بحوالي ٢٤٠٠ سنة على يد ماوتسي تونج !

وفي المرة الاولى ، عادت تعاليم كونفوشيوس مع استيلاء سلالة «الهان» على السلطة • فقد جعل أباطرتها تعاليم كونفوشيوس الدين الرسمي للصين لاول مرة ! ••

ولذلك يرى المؤلف انه يجب الانتظار مائة سنة بعد وفاة ماوتسي تونج ، لنحكم اذا كان قد نجح في تحطيم كونفوشيوس نهائيا ام لا . ذلك ان قوة كونفوشيوس ترجع الى انه لم يبتدع الكثير ، ولكنه صاغ القيم الصينية الموروثة في نسيج متين !

وبالمناسبة فان المؤلف يضع ماوتسي تونج بين « المائة » ويعطيه الرقم « عشرون » في ترتيب اهم رجال التاريخ .

* * *

وبعد كونفوشيوس يأتي في المرتبة السادسة « بولس الرسول » وقد تحدثنا عنه في الحديث عن المسيح . ثم يأتي مخترعان : الاول صيني وهو « تساي لون » مخترع الورق ، ثم الالماني « جوتنبرج » مخترع الطباعة الحديثة .

ويهتم المؤلف اهتماما كبيرا بذلك الصيني « تساي ـ لون » الذي اخترع الورق منذ ألفي سنة . ويسجل دهشته لان معظم المؤلفات والانسيكلوبيديات الغربية لا تذكر اسمه . وان اسمه ليس معروفا الا في الصين . في حين ان اختراع الورق كان اساسيا في تكوين العالم كما نعرفه اليوم .

لقد كان « تساي ـ لون » من الخصيان والكتبة في بلاط الامبراطور « هو ـ تي » وفي حوالي سنة ١٠٥ قبل الميلاد قدم هذا الموظف اول عينة من الورق الذي اهتدى الى تصنيعه بنفس الطريقة التي يصنع بها الورق الآن من حيث الجوهر .

وقد وهبه الامبراطور مالا كثيرا مقابل هذا الاختراع الفذ . واعطاه لقبا ارستقراطيا . ولكن الطموح طغى عليه فقضت عليه مؤامرات القصر . وحين فقد كل شيء .. اخذ حماما ساخنا ، وتعطر ، ولبس افخر ثيابه ، وشرب كأسا من السم !

وظلت الصين وحدها دون العالم كله تستخدم الورق عدة قرون وتحتفظ بسر صناعته . كان المصريون القدماء قد اكتشفوا ورق البردى وكانت اوروبا تستخدم انواعا من الجلود خصوصا « البارشمنت » . ولكن ندرة هذه المواد وارتفاع ثمنها كان مستحيلا من ان يحل شيء محل الورق الذي احدث ثورة هائلة بجعل القراءة والكتابة سهلة وميسرة والتعليم ضرورة .. الى آخره .

وفي القرن السابع الميلادي ـ يقول المؤلف ـ قبض العرب على بعض الصينيين المتخصصين في صناعة الورق . وعرفوا منهم سر الصناعة . وبدأ صنع الورق لاول مرة خارج الصين في سمرقند وبغداد . ثم انتشر فن صناعة الورق في العالم العربي كله . وفي القرن الثاني عشر ، أي بعد العرب بخمسة قرون ، أخذت اوروبا فن صناعة الورق عن العرب ، ثم جاء جوتنبرج واخترع المطبعة الآلية فكان ما نعرفه الان من شأن الورق والطباعة في تغيير وجه العالم .

ويستعرض المؤلف فترات تأخر الصين عن اوروبا ثم الفترة التي قفزت فيها الصين وسبقت حضارة اوروبا وصارت اكثر غنى وتقدما بما لا يقاس حتى القرن الثالث عشر عندما زارها الرحالة « ماركوبولو » وسجل هذا التقدم . ويرجع المؤلف السبب في ذلك الى ان الصين كانت قد عرفت الورق وبدلا من كتب الحجر والبامبو ظهرت كتب الورق . واكتشفت الصين بعدها جمع الحروف يدويا واخترعت البارود وغير ذلك . فلما عرفت اوروبا الورق، ثم ظهرت المطبعة على يد جوتنبرج وفي بيئة مهيئة للتقدم قفزت اوروبا الى الامام بسرعة هائلة ..

ولعله بعد ذلك لا مفر من الاكتفاء بنشر قائمة اسماء المائة الاهم في تاريخ الانسانية ، في كشف ملحق بهذا المقال .

ويبقى أن نعيد بعض ملاحظات المؤلف :

ذكرت منها انه اختار معيارا للاهمية : مدى تأثير الفرد على حياة اكبر عدد من الناس لاطول مدة . أي الاكثر تأثيرا ، خيرا او شرا .. فهو يختار هتلر مشعل اكبر حرب دامية في التاريخ . ويختار وليم مورتون الذي ادخل التخدير في الجراحة ، فأزال آلاما رهيبة من حياة ملايين البشر عبر قرون لا نهاية لها .

ومنها ما نلاحظه من كشف الاسماء ، فهو بعد مؤسسي الاديان ، يعطي الاهمية الاولى للمخترعين والمكتشفين والعلماء ، قبل الكتاب والادباء مثلا .. لان هؤلاء نتائج عملهم عالمية وواضحة في تطوير العالم ، بعكس اولئك . ولكنها فيما اظن ليست قضية مطلقة ..

يأتي بعدهم مؤسسو الدول والغزاة والفاتحون ..

وفي العلوم الانسانية يهتم بالمفكرين والفلاسفة الذين ادت افكارهم الى تغيير عقل الانسان واعادة تكوينه او في ايجاد حركات اجتماعية اثرت في احداث التاريخ .

ومن معاييره في اختيار الافراد : ان هناك من قام بعمل كان لا بد ان يقوم به احد ، ولو كان غير صاحبه بحكم الظروف ، ولكن هناك من قام بحدث ما كان ليقوم به احد سواه ..

ثم هو يضع لنفسه خطة رجعة : فهو يضع تحفظا على كل الاسماء التي اختارها من رجال القرن العشرين . اذ لم يمض وقت كاف لاصدار حكم نهائي عن حجم تأثيرهم كما حدث بالنسبة للاقدمين . فنحن نعرف مدى تأثير كونفوشيوس بعد ٢٠٠٠ سنة اكثر مما نعرف تأثير ماوتسي تونج ، ولم تمض على وفاته خمس سنوات . وقد تحددت نظريات فرويد قبل نهاية القرن العشرين ، وقد يبقى أثرها قائما .

المائـــة بالترتيب

١ ـــ محمد صلى الله عليه وسلم
٢ ـــ اسحق نيوتن (مخترع)
٣ ـــ المسيح (مؤسس المسيحية)
٤ ـــ بوذا (مؤسس البوذية في الهند)
٥ ـــ كونفورشيوس (مؤسس الديانة الكونفوشية في الصين)
٦ ـــ بولس الرسول (ناشر المسيحية الاول)
٧ ـــ تساوي ـ لون (مخترع الورق)
٨ ـــ جوتنبرج (مخترع المطبعة)
٩ ـــ كولومبوس (مكتشف امريكا)
١٠ ـــ اينشتين (نظرية النسبية)
١١ ـــ كارل ماركس (اقتصادي ومفكر سياسي)
١٢ ـــ لويس باستور (اهـــم اسم في الطـــب ومكتشف الميكروبـــات ووسائل مقاومتها)
١٣ ـــ جاليليو (مخترع في العلوم والرياضيات ومختـــرع التلسكوب وعالم فلك احرقه رجال الكنيســة لتجاربه العلمية)
١٤ ـــ أرسطو (فيلسوف اغريقي)
١٥ ـــ لينين (قائد الثورة الشيوعية)
١٦ ـــ موسى (نبي اليهودية)
١٧ ـــ داروين (مخترع وصاحب نظرية النشوء والارتقاء)
١٨ ـــ شي هوانج تي (اول من وحد الصين)
١٩ ـــ اوغسطس قيصر (امبراطور روما)
٢٠ ـــ ماوتسي تونج (زعيم الثورة الصينية)

٢١ ـ جنكيز خان (الفاتح المغولي الذي وصل الى قلب اوروبا)
٢٢ ـ اقليدس (فيلسوف وعالم عاش في مصر والاسكندرية ٣٠٠ ق•م)
٢٣ ـ مارتن لوثر (مصلح ديني وثائر)
٢٤ ـ كوبر تيكوس (مخترع وعالم فلك)
٢٥ ـ جيمس وات (مخترع آلة البخار)
٢٦ ـ قسطنطين الاكبر (أول حاكم لامبراطورية بيزنطية)
٢٧ ـ جورج واشنطون (قائد ثورة استقلال الولايات المتحدة)
٢٨ ـ ميشيل فارادي (مخترع الكهرباء)
٢٩ ـ جيمس ماكسويل (مخترع الكهرباء)
٣٠ ـ الاخوان رايت (مخترعا الطائرة)
٣١ ـ لافوازييه (اهم اسم في علم الكيمياء)
٣٢ ـ فرويد (مؤسس علم النفس)
٣٣ ـ الاسكندر الاكبر (الفاتح الاغريقي)
٣٤ ـ نابليون بونابرت
٣٥ ـ هتلـــر
٣٦ ـ وليم شكسبير
٣٧ ـ آدم سميث (مؤسس علم الاقتصاد)
٣٨ ـ اديسون (مخترع الكهرباء)
٣٩ ـ انطوني فان ليونهوك (هولندي ، مكتشف الميكروبات)
٤٠ ـ أفلاطون (فيلسوف اغريقي)
٤١ ـ ماركوني (مخترع اللاسلكي)
٤٢ ـ بيتهوفن (موسيقار)
٤٣ ـ ورنر هايسنبرج (عالم فيزياء)
٤٤ ـ جراهام بل (مخترع التليفون)
٤٥ ـ الكسندر فلمنج (مكتشف البنسلين)
٤٦ ـ سيمون بوليفار (محرر امريكا الجنوبية)

٤٧ ـ كرومويل (قائد الثورة الدستورية في انجلترا)
٤٨ ـ جون لوك (فيلسوف انجليزي)
٤٩ ـ مايكل انجلو (رسام ومثال)
٥٠ ـ البابا يوربان الثاني (الذي بدأ الحروب الصليبية)
٥١ ـ عمر بن الخطاب (الخليفة الثاني للرسول)
٥٢ ـ آشوكا (اول امبراطور وحد الهند)
٥٣ ـ سان اوجستين (مفكر ديني مسيحي)
٥٤ ـ ماكس بلانك (عالم فيزياء الماني)
٥٥ ـ كالفن (مصلح ديني)
٥٦ ـ وليم مورتون (ادخل التخدير في الطب)
٥٦ ـ وليم هارفي (مكتشف الدورة الدموية)
٥٨ ـ هنري بيكريل (عالم طبيعة ومكتشف الـ Radioactivity)
٥٩ ـ جريجور مندل (أهم مكتشف في علوم الوراثة)
٦٠ ـ جوزيف ليستر (اول جراح استخدم الـ Anticeptic في الجراحة)
٦١ ـ نيكولاوس اوجست اوتو (مخترع محرك السيارات وغيرها)
٦٢ ـ لويس داجير (مخترع آلة التصوير)
٦٣ ـ ستالين (حاكم روسيا بعد لينين)
٦٤ ـ ديكارت (فيلسوف فرنسي)
٦٥ ـ يوليوس قيصر (قيصر روما واعظم فاتحيها)
٦٦ ـ بيسارو (اسباني من فاتحي امريكا الجنوبية وبيرو بالذات)
٦٧ ـ هيرناندو كورتيز (فاتح المكسيك)
٦٨ ـ الملكة ايزابيلا الاولى (ملكة اسبانيا التي مولت رحلة كولومبوس)
٦٩ ـ محمد الفاتح (الامبراطور العثماني فاتح القسطنطينية)

٧٠ ــ توماس جفرسون (كاتب اعلان حقوق الانسان الاول في الثورة الامريكية)
٧١ ــ جان جاك روسو (احد فلاسفة الثورة الفرنسية)
٧٢ ــ ادوارد جينر (أهم مـــن طور عمليـــة التطعيم ضد الامراض والاوبئـــة)
٧٣ ــ ولهلم رونتجن (مكتشف اشعة اكس)
٧٤ ــ جوهان سباستيان باخ (مؤلف موسيقي)
٧٥ ــ لاو ــ تسو (مفكر عسكري)
٧٦ ــ انريو فيرمي (صانع اول مفاعل ذري)
٧٧ ــ مالتوس (مفكر اقتصادي)
٧٨ ــ فرانسيس بيكون (فيلسوف)
٧٩ ــ فولتير (كاتب ومفكر)
٨٠ ــ جون كنيدي (بوصفه صاحب مشروع وضع اول انسان عـــلى القمر)
٨١ ــ جريجوري بينكس (أهم اسم في اختراع حبوب منع الحمل)
٨٢ ــ سوي ــ وينارتي (اعاد توحيد الصين في القرن الخامس)
٨٣ ــ ماني (مؤسس الديانة المانوية)
٨٤ ــ فاسكو داجاما (مكتشف طريق رأس الرجاء الصالح)
٨٥ ــ شارلمان (ملك فرنسا وموحد اوروبا)
٨٦ ــ قورش (امبراطور فارس)
٨٧ ــ ليونارد يولر (سويسري من اهم علماء الفيزياء والهندسة)
٨٨ ــ مكيافيلي (المفكر ومؤلف كتاب الامير)
٨٩ ــ زرادشت (مؤسس الديانة الزرادشتية في فارس)
٩٠ ــ مينا (موحد شمال مصر وجنوبها)
٩١ ــ بطرس الاكبر (اهم قيصر روسي)

٩٢ ـ مينسيوس (اهم فيلسوف صيني من مدرسة كونفوشيوس)
٩٣ ـ جون والتون (مكتشف وجود الذرة)
٩٤ ـ هوميروس (شاعر اغريقي ومؤلف الالياذة)
٩٥ ـ الملكة اليزابيت (ملكة انجلترا التي هزمت الارمادا)
٩٦ ـ جوستنيان الاول (ابو القانون الروماني)
٩٧ ـ جوهان كبلر (عالم فلك ومكتشف قوانين حركة الاجرام السماوية)
٩٨ ـ بيكاسو (رسام)
٩٩ ـ ماهافير تياجي (مؤسس احد اهم الديانات الهندية بعد بوذا)
١٠٠ ـ نيلز بوهلر (عالم ذري دانمركي)

* * *

مرشحون لم يدخلوا في المائة الاوائل

١ ـ توماس الاكويني (مفكر ديني)
٢ ـ ارشميدس (مكتشف قانون الجاذبية)
٣ ـ شارلز باباج (اول من فكر في الكومبيوتر ووضع مبادئه قبل قرن من انتاجه)
٤ ـ خوفو (باني الهرم الاكبر)
٥ ـ ماري كوري (ساهمت في اكتشاف الراديوم)
٦ ـ بنيامين فرانكلين (مفكر وكاتب ومخترع)
٧ ـ غاندي (الزعيم الهندي المعروف)
٨ ـ ابراهام لنكولن (محرر العبيد في امريكا)
٩ ـ ماجلان (مكتشف مضيق ماجلان)
١٠ ـ ليوناردو دافنشي (رسام ومخترع ايطالي في عصر النهضة)

انتصارات في عالم الطب ستتحقق خلال الخمسين سنة القادمة

على انه لا يوجد هناك بعد ما يمكنه التكهن بمثـل هــذه الخطــوات المتقدمة ، بكل تفاصيلها سوى أحمق ، او نبي • ومع ذلك فان خبرتنا خلال السنوات الخمسين الماضية ، من الاكتشافات والاختراعات العلمية المذهلة ، تسمح لنا باستكشاف الاتجاهات القوية التـي تبـين احتمـالات المسارات الجديدة • ذلك ان تاريخ الطب المعاصر ، الذي يسجل قـدرا مذهـلا مـن التقدم ، الى جانب الحصافة التي يتمتع بها هذا العدد الذي لم يعرف التاريخ مثله من الباحثين ، وكذلك تكريس هذا القدر الهائل من الامكانات العالميـة لمعالجة مشكلات مستعصية ، مثل السرطان وامراض القلب ••• كل اولئـك يجعلني واثقا من ان المستقبل يحمل في طياته المزيد من التطورات الحاسمـة، مما عاصرته في السنوات الاثنين والخمسين من حياتي المهنية كطبيب وجراح•

ان فهمنا المتزايد والسريع لبيولوجيا النواة ، مثلا ، سيؤدي ، بلا ريب، الى اكتشاف وسائل جديدة للقضاء على الامراض على مستوى الخلية ، ومن جذورها ، كما ان التقدم في مجال الاليكترونيات الطبية ، وغيره من مجالات التكنولوجيا ، كفيل بتوفير ادوات طبية جديدة ، افضل مما بين ايدينا اليوم، للقيام بالتشخيص والعمليات الجراحية • كما اننا نكاد نجـزم بأن ازديـاد معرفتنا لجميع عمليات الحياة سيؤدي بنا الى اشكـال افضل مـن اساليب العلاج التي تكفل اختصار فترات الامراض والعلل •

وكما قال ونستون تشرشل ذات يوم : « في الماضي كنا نمتلـك ضوءا ينير لنا الطريق ، واليوم نتمتع بنور متأجج باللهيب اما في المستقبـل فاننـا سنتمتع بنور يضيء فوق كل البحار والارض » • وايماني الراسخ بمستقبل

تقدم الطب يحفزني على القول بأن نوره سيشع ، كما لم يعرف الاشعاع من قبل : فلن يكون لبعد بلد المرء ، او اسلوبه في الحيـاة ، اي تأثير في توفـر العناية الطبية وسرعتها ، وصدق جوهرها الانساني ، وشدة ما فيها من المهارة، ومدى فعاليتها .

ان هذا النور سيلقي اكثر من بضعة ظلال . ذلـك ان بعض التطورات في عالم الطب ستطرح عددا من القضايا القانونية والاخلاقية العسيرة ، مثـل تلك التي طرحتها عمليات زرع القلب والجراحـة النفسيـة والعقاقير التـي تستخدم في تغيير المزاج النفسي للسيطرة على سلوك الانسان وتكييفه . واذا شئنا طرح مثال اقل مدعاة للمناقشة المطولة ، قدمنـا حالة التنبؤ بامكانيـة اختيار الزوجين جنس الجنين ، مما قيل انه قابل للتحقيق ، علميا ، خلال العقد او العقدين القادمين . ولا ريب في ان القارىء قادر عـلى استيعاب ما يمكن لمثل هذا الخيار ان يطرحه من المعضلات المعقدة التي ليس اقلها اختلال توازن نوعية السكان اختلالا كبيرا خلال عقدين من الزمان .

وغني عن القول ان المشكلات التي سيحملها التقدم معـه الينا ، لـن تكون مشكلات سهلة بأية حال . لكني احمل من الايمان بالانسان ما يجعلني اؤمن بأن هذه المشكلات لن تقوى على اذهالنا ، بأكثـر مما اصبنا به مـن الذهول في مواجهتنا تعقيدات الماضي . فهـذه الامكانات الطبية ستكون ، على المدى البعيد ، مدعاة لفائدتنا .

ولكن اين سيتم تحقيق هذا التقدم ، وكيف ؟

ان اعظم هذا التقدم ، ويا للدهشة ، سيتحقق سريعا ، وفي مجـال علم المناعة . فقد تؤدي الاكتشافات الجديدة الى السيطرة على السرطان ، وربما اتاحت ايضا امكانية نجاح عمليات زرع الرئتين والكبد والاعضاء المعقـدة الاخرى ، كما وفرت امكانية توفير المناعة ، على نطاق واسع ، ضد العديـد من الامراض الخطيرة الاخرى .

وانا اتوقع ظهور التطور الرئيسي ـ السيطرة على كافة اشكال السرطان ـ في غضون عشر سنوات ، واذا خيل للقاريء ان هذه نظرة متفائلة ، حتى رغم المبالغ الهائلة من الاموال المرصودة ، والجهود الكبيرة المكرسة للبحوث ، فأني اسارع الى القول بأنني لن ادهش اذا ما تحقق مثل هذا النصر السريع ، اذ اعتقد ان الانتظار ٥٠ عاما لتحقيق مثل هذا الانجاز هو زمن اطول مما ينبغي ، وبخاصة بعد الذي توفر لدينا الان ، من معلومات عن السرطان .

ولقد تركز معظم الاهتمام في ابحاث السرطان مؤخرا على ما اعتقد انه اشد المجالات مدعاة للتفاؤل ، واقصد به عمليات المناعة الذاتية في جسم الانسان . فلقد كان من المعروف ، منذ زمن طويل ، ان الجسم يخلق دفاعاته بذاته ، في شكل اجسام مضادة ، لمكافحة الغزاة الاجانب مثل الفيروس والبكتريا . وهذه العملية ذاتها تفسر مكافحة الجسم للاعضاء المزروعة ، بالاضافة الى تكاثر خلايا السرطانات الوافدة .

التصدي للاجسام الغازية

ان الناس جميعا يتمتعون بهذه المقدرة على التصدي للعدوان الاجنبي . ولكن هذه الحالات تختلف باختلاف الاشخاص ، بل وتختلف من زمن لآخر بالنسبة للشخص نفسه كذلك . وعندما تكون هذه المقدرة المضادة في الجسم بطيئة ، او محدودة ، فان الاجسام الغازية ، سواء كانت بكتريا في جرح او خلايا منتشرة في سرطان خبيث ، تتقدم دون رقيب كجيش يهدف الى تدمير كل ما يقع تحت قبضته . اما اذا كانت استجابة الجسم المضاد سريعة وفعالة ، فان القضاء المبرم يكون نصيب الغزاة ، وبذلك تضمن للجسم صحته .

وبديهي ان عمليات المناعة معقدة الى حد كبير ، بل انها لم تكن مفهومة ، الا قليلا ، حتى وقت غير بعيد . ومع ذلك فانها اخذت في الاستسلام بسرعة امام الابحاث الجارية بشأنها ، حتى لاعتقد ان مسألة التحكم فيها باتت

مسألة وقت فحسب . فلن يمضي الا بعض الوقت ، كما اعتقد ، حتى نكون قد ملكنا المعرفة للسيطرة عليها . فاذا بلغنا هـذا الهدف ، وربما بواسطـة عقاقير صيدلانية جديدة من شأنها التحريض على استجابات معينة لاحـداث المناعة ، فان لواء النصر سيعقد لنا في الحرب ضد السرطان .

وسيكون بوسعنا كبح « مناعة » الجسم للانسجة الغريبة ، مما يجعلـه يرفض الانواع المزروعة . وسيكون ذلـك بواسطـة الادوات نفسها التـي ستمكننا من تحقيق الهدف السابق . اذن فلن يكـون ثمة مبرر طبـي يحول دون نجاح زرع الرئتين والكبد وغـدة البنكرياس ، بمثيلاتها مـن الاعضاء الحيـة .

وعلى هذا سيكون مـن الممكن توفير مجال واسع مـن المناعات التي تعتمد على الدفاعات القوية في الجسم ، وضد الامراض كافة .

ولا ريب في ان هذه الانجازات ، اذا تحققت ، ستكون كفيلـة بانقـاذ حياة الملايين من الناس في العالم . ومع ذلك لن تقلل هـذه الانجازات مـن عدد حوادث الوفيات التي يسببها قاتل الانسان الحضاري ... ونعني بـه مرض القلب .

فلست اعتقد ان في وسعنا ان نأمل في وقوع ايـة علاجات « سحرية » للسبب الرئيسي ، وهو تصلب الشرايين الناجم عن تراكم اثار الشحوم التـي من شأنها سد الشرايين والاوردة الدمويـة تدريجيـا ، مما يسبب النوبـات القلبية والجلطة ، وعدم مرور الدورة الدموية بالاجزاء الحيوية في الجسم .

ولذلك فان الاهتمام الذي نصبه اليـوم للتصدي لمشكلات الامراض القلبية سوف يستمر في احتلال المكانة الاولى من جهودنا حتى ما بعد الافق المنظور .

لقد كان التقدم المحقق في العقدين الماضيين تقدما عظيما ، وكان ذلـك

يعتمد ، الى حد بعيد ، على التطور الذي تحقق في تلك الآلة التي تتيح امكانية اجراء العمليات الجراحية في القلب . اذ لم يكن بوسع الاطباء اجراء عمليات القلب الدقيقة ايام كنت في مطلع عهدي بمهنة الجراحة . اما اليوم فان هذه العمليات اصبحت من العمليات المألوفة في معظم المستشفيات الكبرى في العالم . كما اصبح بالامكان تغيير الشريان العليل بأنبوب من البلاستيك المتين . واصبحت التراكمات الشحميية تستأصل من الشرايين والاوردة لاستئناف الدورة الدموية الى الدماغ المهدد بالانسداد . واخذ الاطباء يستبدلون صمامات القلب العليلة بصمامات اصطناعية ... وغير هذا وذاك كثير ..

ان الاساليب والمواد التي يستخدمها اليوم اطباء القلب ، لاستئصال اخطار مرض تصلب الشرايين ، هي اساليب فعالة ومواد مأمونة . ولعلها ستكون افضل حالا في المستقبل كذلك . لكنني لا اتنبأ بتطور تقني بارز واحد فحسب ، له علاقة بمرض القلب .

فاعتقد ان القلب الاصطناعي سيبلغ ذروة عليا من الكمال ، خلال السنوات العشر القادمة ، وربما بعدها بقليل . اما خلال السنوات الخمسين القادمة فاعتقد ان القلوب الاصطناعية ستكون شائعة في خدمة الجميع .

ولعلكم تتساءلون : ماذا عن زرع القلب الحي ؟ افلا يستخدم هذا القلب كذلك ، اذا امكن التغلب على ظاهرة رفض الجسم لهذا القلب ؟ اما من وجهة نظري الخاصة ، فاعتقد ان خيار الناس سينصب على القلب الاصطناعي ، وبشكل منقطع النظير . ذلك ان القلب ، بعد كل امر ، اسهل الاعضاء الحيوية من حيث التنشيط الاصطناعي ، فهو ليس الا مضخة ذات اسطوانتين . فاذا ارتقى القلب الاصطناعي الى درجة اعلى من الكمال ، فستكون المضخات الاصطناعية اشد بساطة واوفر أمنا من القلب الحي المزروع . ومن المؤكد انها ستكون اوفر من الاعضاء الحية .

وعلى الرغم من روعة هذا الحدث ، فان القلب الاصطناعي لـن يكون سوى الملجأ الاخير ، وبالتأكيد لـن يكون « علاجـا » لتصلب الشرايين . واضيف الى ذلك ، انني اشك في ان السنوات الخمسين القادمة ستأتي لنـا بأية مادة صيدلانية يمكن ان تؤدي الى القضاء على هذا المرض . ومع ذلـك اؤمن بأننا سنتمكن في السنوات القادمة من الحيلولة دون اصابة الملايين مـن البشر بمرض القلب ... هؤلاء الملايين الذين كانوا سيلاقون حتفهم مبكـرا بسبب هذا المرض .

ان الكلمة ـ المفتاح هي « الوقاية » . ذلك ان السيطرة عـلى هـذا المرض ليست في متناول الطب كليا ، وانما بين ايدي ضحاياه المرضى انفسهم.

ففي حين ان ثمة عوامل اخرى تلعب دورها في هذا المرض ، فان الادلة تشير بشكل حاسم الى وجود اربعة عوامل تجعل المرء عرضة للاصابة بمرض القلب الخطير ، احدها عامل الوراثة الذي لا نملك عليه سيطرة ، اما العوامل الاخرى فهي الغذاء والتدخين والبلادة البدنية ويمكن التغلب عليها بسهولـة نسبيا ، اذا شاء المرء ذلك .

ولحسن الحظ ، اعتقد ان الناس بدأوا يدركـون ان البدانة والبـلادة البدنية والتدخين هي المسؤولة عن حرمانهم من سنوات من الصحة الحسنة . وانا على ايمان وثقة بأن الغالبية العظمى مـن الناس ، الذين كـان مصيرهم الموت بسبب مرض القلب ، سيقلعون عن التدخين ، وسيلتزمون بالحكمة في غذائهم ، ويتبعون التمارين الرياضية بانتظام ، حرصا منهم على الوقاية مـن الاصابة بمرض القلب ، والوفاة بسببه ، وحرصا على التمتع بحياة اطول .

ولعل مما يساعد الناس على اتباع اسلوب في الحيـاة اشد حكمة مـن اسلوبهم الحالي ، هو ذلك التطور الطبي الذي سيطالعنا به المستقبل ، وهو ابتكار وسائل جديدة اشد بساطـة في تشخيص مرض القلب قبـل استفحاله ليصبح مرضا قاتلا . فلعلهم سيصغون الى النذير ، حينما يعلمون مـا يجري

داخل اوعيتهم الدموية ، قبل فوات الاوان .

ان من الصعوبة بمكان تصور ما سيحمله تقدم الاليكترونيات والتصوير بالاشعة والكيمياء ، من ابتكارات في مجال الفحوص والادوات في التشخيص وكل ما له علاقة بعلم الطب ، فهذا كله يسير بخطى حثيثة تجعلني على اعتقاد راسخ بأننا سنمتلك الادوات اللازمة لتخيل ما يجري داخل البدن ، سواء بالرؤية المباشرة او التحليل الكيميائي ، خلال العقدين او العقود الثلاثة التاليـة .

على ان هذه التطورات لن تتيح لنا امكانية معالجة امراض الناس عموما فحسب ، بل ستوفر لنا ايضا وسائل معالجة امراض الاجنة في ارحام امهاتهم . ولعل الشيء الذي سيكون اشد ما في التقدم العلمي مدعاة للاهتمام ، وربما الاثارة كذلك ، ما سيوفره لنا هذا التقدم من امكانية سبر اغوار العديد من الاوضاع المقلقة في الاجنة حتى قبل الحمل بهم . وقد بدأ اول الشواهد على هذا التطور في الظهور ، ولي ملء الثقة بأن الكثير من اسباب التقدم ستلحق بها . ذلك ان علم الاجنة ماض في قطع الاشواط سريعا ، حتى ليمكن توقع القيام بما يبدو كالمعجزات مثل تقويم تشوهات الاجنـة .

فحص الاجنة قبل الولادة

ان هذه الانواع من التقدم في اساليب التشخيص ستوفر الامكانات لفحص الاجنة قبل اسابيع من الولادة ، مما سيتيح امكانية تطوير اساليب الراحة الدقيقة لتقويم العاهات والتشوهات في الجنين الحي وهو ما زال في الرحم ، بحيث لا يكون ثمة ما يدعو الى اختصار مدة الحمل الطبيعية . ولنا ملء الثقة ايضا بامكانية اجراء مثل هذه العمليات الجراحية الطارئة قبل الوضع خلال السنوات العشر القادمة ولا اعتقد ان التنبؤ بهذه التطورات في الطب والجراحة ، هو ضرب من الخيال ، نظرا لان الاساس العملي الذي

ستقوم عليه قد وضع بالفعل ؛ لذلك لا اعتقد بأن ثمة ما يحول دون النجاح في استمرارها • بل اني لعلى ثقة وطيدة بأن الافق يحمل الينـا العديد مـن الانجازات العظيمة ايضا ، ولكن ليس ثمة مـن يستطيع التنبؤ ، بدقـة ، بما ستكون عليه هذه التطورات او متى ستتحقق ، كما كانت الحال مع اكتشاف البنيسلين على يد السير الكسندر فليمينغ •

فلا ريب في ان من الاجحاف ، مثلا ، ان نتوقع اكتشاف عناصر كيميائية جديدة تفوق في فعاليتها العقاقير الطبية المعروفة اليـوم • ومـع ذلـك فمن يستطيع التنبؤ بما سيأتي به الغد من الابتكارات والاكتشافات ، طالما توفرت بين ايدينا هذه البلايين العديدة من التراكيب الكيميائية المعقدة ؟!

كما يبدو واضحا لي انه سيتم اختراع اداة تكنولوجية للقيام بالكثير من الوظائف التي لا بد من ادائها بالايدي القابلة للخطأ ، اداة تستطيع القيام بهذه الوظائف في سرعة ودقة • واذا كنت اتوقع ظهور مثل هذه الاداة فلأن الطريق اصبح ممهدا امامها •

ومع ذلك فان الانسان العادي لـن يستطيع الافادة كثيرا مـن هذه الانجازات ، ما لم يكن في وسعه الاتصال باطباء لـه فيهم مطلق الثقة ؛ كمـا يتمتع بالمعرفة اللازمة للانتفاع بتلك الانجازات •

ولعلنا سنجد هنا ، كما اعتقد ، اعظم التقدم العلمي في مجـال الطب • وقد يكون من قبيل المبالغة وصف هذا التقدم التدريجي « بالثورة » ، ولكن ربما كان اثره العام أشد بروزا ، وبخاصة في مجال الصحة النفسية والعقلية ، في السنوات الخمسين القادمة • ولعل هذا الانجاز سيفوق في روعته ما وصل اليه القلب الاصطناعي من الكمال •

ومن ثم سنمضي ، وربما بقدر من البطء ، نحو بلوغ الجمع بين ارفـع السمات العلمية واسمى المناقب الانسانية التـي كان الطب القديم يوفرهـا

بدون جدال • ولست اعتقد ان الرعاية الطبية ستكون بمنأى عن الكثيرين او الاستفادة من هذا الجمع •

لقد كان اساتذتي ، ايام كنت طالبا خلال الحرب العالمية الاولى ، يميزون في حديثهم بين علم الطب وفن الطب • ولكن الاتجاه تركز ، منذ ذلك الحين ، على الانصراف عن الفن لصالح العلم ، واتجهت الجهود الى معالجة الامراض والاعضاء بدلا من معالجة الناس ككل • وهكذا توجه معظمنا نحو الاختصاص الدقيق ، مما ادى الى انقراض الجيل القديم من اطباء الاسرة •

لكنني اعتقد ان طبيب الاسرة سيعاود الظهور ، وان كانت بعض كليات الطب تدفع نحو الاتجاه المعاكس • ولا ريب في ان الناس يوافقون على الرأي القائل ان بوسع طالب الطب حصر اختصاصه في اضيق نقطة ممكنة ، بحيث لا يكون ملما الا بمجال ضيق من العلم ، بينما يظل جاهلا بكل ما له علاقة بالمريض ككائن انساني •

لكن هذا التركيز على العلم ندين له بالكثير من الانجازات التي حققناها خلال نصف القرن الماضي ، كما انه سيقودنا الى المزيد من الانجازات في نصف القرن القادم • وواضح ان هذا الاتجاه سيمضي ، كما يجب عليه وينبغي له ، ولكن دون ان يكون هذا الاستمرار على حساب اثمن ادوات الشفاء التي يمتلكها الطب ، ونقصد بها التفهم والتعاطف والعناية ، مما يمكن ان يحمله الطبيب الى مريضه •

ومع ذلك فان هناك لحسن الحظ بشائر امل تشير الى تبدل في النظرة، اذ اخذت اعداد متزايدة من الاطباء الشباب وطلاب الطب تتجه نحو التخصص في معالجة الاسر ، هذا الاتجاه الذي اصبح اختصاصا في حد ذاته ومعترفا به ، والذي يجمع بين محاسن طبيب العائلة القديم ، وبين افضل ما في الطب علما وفنا •

ولدي كل الشواهد التي تجعلني اتنبأ بتوفـر طبيب الاسرة ، خـلال الخمسين سنة القادمـة ، باعتباره اخصائيا في المجتمـع ، ليكـون المستشار والطبيب لمعظم الذين يحتاجون الى رعايته الطبية • ويغلب لدي الاعتقاد بأن اسلوبه في المعالجة سيكون نفسيا بقدر مـا سيستهدف ترابطا لا يمكـن فصمه • واني لعلى اقتناع بأن احد الاسباب الرئيسية في الاثقال على الطب العقلي والنفسي ، كما نرى اليوم ، يرجع الـى افتقار الناس لمجـال اخر في مواجهة الازمات اليومية في حياتهم • لذلك تجدهم يحتاجون الـى مستشار يدرك ما يعتمل في انفسهم ، ويهتم بأمرهم الى حـد الاصغاء اليهم ، ثـم يستخدم مهاراته في الطب وعلم النفس ، ومواهبه الانسانية ، في تقديم يـد العون اليهم •

ان طبيب الاسرة سيكون خط الدفـاع الاول في طب الامراض العقلية والنفسية • واعتقد ان مجرد وجود مثل هذا الشخص لمحادثته كفيل بالقضاء على معظم الاضطرابات العاطفية التي لا تبلغ حـد المرض العقلي ، لـدى الكثيرين ممن يعانون منها دون مبرر • بل ان مجرد قيام طبيب الاسرة بـدور المستشار بالنسبة لمرضاه سيكون بمثابـة ممارسة الطب النفسي والعقلـي الوقائي ، وبذلك يقضي على مبررات المعالجة بالعقاقير الباهظـة التكاليف ، والمعالجة النفسية الفردية ، مما يبدو ان هنـاك حاجـة كبرى اليـه بالنسبة للكثيرين •

اما كيف يمكننا حث الاطباء على العمل في المناطق النائية ، حيث الفرص والتحديات محدودة ، فسيظل ذلك مشكلة معلقـة لبضع سنوات اخـرى • لكنني اعتقد ان المشكلة ستجد حلا لها قبل نهاية القرن الحالي •

واذا شئتم دراسة اقتراحي الخاص لحل هذه المشكلة ، فأني ابادر الى وضعه امامكم ، ويلخص في اتباع خطى بعض البلدان الاخرى ، التي يفرض فيها على كل طبيب متدرب العمل سنة على الاقل في منطقة نائية ، كما يعرف

باسم « خدمة الريف » ، قبل السماح له بالعمل في المدن والمستشفيات • فمثل هذا الحل المباشر كفيل بتحقيق هدفين بضربة واحـــدة ، وهما القضاء علـى مشكلة سوء توزيع العناية الطبية ، والاخــــرى اكساب الاطبـاء الشباب الخصال الانسانية •

حقا اننا بحاجة الى هـــذه الثورة الطبية في المستقبل بقدر مــا نحن في حاجة الى التقدم العلمي ، اذا شئنا للنور ان يشع فوقنا جميعا ، عـــلى حـد تعبير تشرشل •



حتى على الموت لا اخلو من الحسد

يقولون ان الحكومة تهتم بالجنوب ، فلماذا لا تهتم بنا وبما حدث من خراب عندنا ، مسكين الجنوب يهاجر ابناؤه من بيروت الى الجنوب ، ومـن الجنوب الى بيروت وهكذا دواليك ، وهــذه التعويضات التـــي توزع على الجنوبيين لا تكاد تذكر ، وحينما احتلت اسرائيل الجنوب تهجــر العامليون وتشتتوا في بيروت والبقاع وكل مكان واصابهم الموت والخراب، فتحت بناية بالعباسية سقطت ذهب عشرات القتلى •

كما علمنا ان الآنسة فاطمة السيد علي الموسوي من النبي شيت وهي في ريعان الصبا حينما هاجر قسم من ابناء الجنوب الى البقاع ، الى النبي شيت وغيرها • قد اهتمت بهم وساعدتهم رغم اصابتها بمرض القلب ، لان مروءتها لم تسمح لها بأن تقف مكتوفة الايدي ، فتوفيت رحمها الله في تموز سنـــة ١٩٧٨ • عزاؤنا لوالدها المفجوع السيد علي الموسوي • وهكـــذا نـرى ان الجنوب ، وبصورة عامة الشيعة في لبنان رغم انهـــم اكبـــر طائفة مهضومون ومحرومون • فهل يدرك ذلك المنكرون ؟! نحن عــــلى استعداد للبرهـــان على ذلـــك •

وثانيهما : ان تركيا نفسها ألغت الخلافة وجحدت النصرة الاسلامية العارمة لها في نضالها ، واوغل أتاتورك باسم العلمانية في مكافحة كل نزعة اسلامية في السلطة او المجتمع •• وعلى ان هذه العقدة قد حلت فان مفهوم العروبة في مصر ظل مختلفا عنه في الاقطار العربية الاخرى لرسوبات خلفتها تلك العقدة وبسبب فارق الزمن وتباين الظروف • وظل تعريفها غير متبلور ، يختلط احيانا وكليا بالاسلامية واخرى بالشرقية ، ويعرف حينا بمحض التضاد للفرعونية حتى نشأت « حساسيات » عدائية بين لفظتي الفرعونية والعروبة مما سأتحدث عنه فيما بعد •

وبعد فقد أسس شبان العرب في الاستانة سنة ١٩٠٩ م أي بعد اعلان الدستور العثماني بسنة « المنتدى الادبي » فكان مقرا للحركة العربية الناشئة ومثابة لرواد الاصلاح ومنبرا للدعوة الى احياء المجد العربي ، وقد ترأس هذا النادي الشاب العصامي عبد الكريم الخليل (من جبل عامل) وكان قد عرض برنامجه على خليل حماده باشا وهو مصري كان يتولى وزارة الاوقاف فشجعه على المضي في المشروع وعدل بعض بنوده •

وقبل مواصلة الحديث عن المنتدى اقول ان عبد الكريم الخليل كان في شهداء القافلة الاولى من احرار العرب الذين شنقهم جمال باشا السفاح في ٢١ آب سنة ١٩١٥ م فكانت أول كوكبة من فرسان التضحية في سبيل ايقاظ العرب بعد ذاك الرقاد الطويل •

وضع المنتدى الادبي مشروعا لتوحيد التعليم في المدارس الابتدائية الاهلية وعرضه الرئيس على نواب العرب وكبار رجالهم في اجتماع عقد في حزيران (يونيو من سنة ١٩١١ م) بعد ان خطب في وسائل اصلاح المدارس الاهلية وتوحيد مناهجها ، وناقشه نواب من سورية وبنغازي وطرابلس الغرب وفلسطين ثم أقروه ؛ وهو في مجمله يرمي الى توثيق عرى الاخاء بين العرب على اختلاف اديانهم وطوائفهم حتى لا يذكر الواحد منهم في السياسة

والوطنية غير عربيته الشريفة ويرمي الى توحيد طرق التعليم في البلاد العربية حتى تتربى النفوس تربية واحدة فيستريح جميع العرب في طريق واحد والى غرض واحد .

وأوفد المنتدى فتانا عبد الكريم الخليل الى الاقطار العربية العثمانية للدعوة الى المشروع فبدأ جولته بزيارة القاهرة حيث عقد اجتماعات مع جمهرة من افاضل المصريين وذوي الغيرة العربية .. وقد تألفت لجنة للقيام في مصر بهذا المشروع من :

محمد باشا الشريعي واحمد تيمور باشا وعبد الخالق بك مدكور وحسن باشا عبد الرازق والشيخ طنطاوي جوهري وعبد الستار بك الباسل ومحمود بك سالم المحامي وعبد الحميد حمدي ورفيق بك العظم والشيخ محمد المهدي والمحامي محمد علي كامل والدكتور شبلي الشميل وعارف المارديني وسامي الجريديني المحامي ونقولا شحاده وقررت ان تضم اليها احمد زكي باشا ومحمد بك يوسف والمطران يوسف دريان ، واجتمعت اللجنة في ١٤ آب (اغسطس) سنة ١٩١١ م فاقرت قانونها واختارت محمد باشا الشريعي رئيسا لها ورفيق العظم رئيسا ثابتا وحسن عبد الرزاق امينا للصندوق ومحمود سالم كاتبا (سكرتيرا) وافتتح الشريعي باشا الاكتتاب بمئة جنيه على ان يدفع مئة جنيه سنويا .. وطبيعي ان يؤدي تطور الظروف السريع ونشوب الحرب العالمية الاولى واغلاق المنتدى دون الاستمرار .

❋ ❋ ❋

وحدث ان تعالت في مجلس النواب العثماني (المبعوثان) موجة الدفاع عن حقوق العرب وهم كثرة المملكة وكان نائب دمشق شكري العسلي ، (الذي شنقه جمال باشا السفاح في القافلة الثانية في ٦ ايار سنة ١٩١٦ م بدمشق) الصوت الصارخ في هذا الشأن ، كما كانت له وللنواب رضا الصلح وروحي الخالدي والامير امين رسلان ، صيحات تحذير من الخطر الصهيوني ، ولما أثار العسلي موضوع الحيف الهائل الذي يلحق بالعرب من

جراء حرمانهم من الوظائف والمراكز الحكومية وهم كثرة الدولة وضرب امثلة لها منها ان وزارة المالية والتي تضم ١١١ تركيا ليس فيها عربي واحد ومنها ما لقيه الوزير خليل حماده (المصري) من عنت لمحاولته الاصلاح في وزارة الاوقاف ، هبت البلاد العربية تنصره واخوانه ونشرت جريدة المؤيد المصرية وهي كبرى الجرائد العربية خطاب شكري العسلي ووقفت موقف الظهير النصير .. ولكن هال شباب العرب ان ينبري يومئذ احمد لطفي السيد للحركة بالعداوة فيكتب في جريدة الجريدة مقالا عنوانه : « المسألة العربية» ومع انه قد اعترف فيه « بأن العرب اكثرية في بلاد الدولة العلية لا يكاثرها عنصر آخر من العناصر العثمانية ولو بعد زمان طويل » فقد قال : « ومهما كان عددهم في المجلس غير متفق مع نسبتهم لعدد السكان فان تلك حالة وقتية زائلة حتما اليوم او غدا! لذلك لا نستطيع ان نفهم وجود مسألة عربية تستأهل النظر في حلها .. » وقال : اذا كان للمسألة العربية محل من الوجود فان وجودها الآن سابق لاوانه جدا ، وخير للذين يسعون في تأليف حزب لبث شكايات العرب ونشرها ان يرشدوا « الاعراب » (١) الى معنى الدستور فانهم ان علموه أحبوه .. ثم يستدرك الامر فيقول : « ولكننا لا نغفل عن ان نطالب رجال الفضل والسداد من جمعية الاتحاد والترقي ان ينزلوا في العمل عن التمييز بين العنصر التركي والعنصر العربي كما نزلوا عنه بالقانون يوم اعلنوا دستورهم » .. ثم يقول : « ولئن كان للمسألة العربية ظل من الوجود ، فحلها بين العثمانيين من غير مضارة احد ، وعلى ذلك نحن لا نستطيع ان نحكم بأن جهاد النائب المحترم شكري أفندي العسلي مفيد

(١) يلاحظ انه استبدل هنا كلمة الاعراب بالعرب ، متعمدا ومن قبيل الصدف أن اعثر على كتاب للامير شكيب ارسلان ارسله من جنيف سنة ١٩٢٦ يقول فيه : « تلاقيت مع الشاب الأديب سيد بك نجل العلامة احمد لطفي السيد وهو من انجب الطلبة المصريين في سويسرة واشدهم حمية ونزعة عربية .. اتمنى للعرب ان يكون فيهم عدة شبان مثله » .

للعثمانيين او مفيد للعرب ، بل الافيد منه الا تجر الجزئيات العملية الى ميدان النظريات حيث يتعقد حلها » .

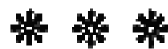
ان الذين صدمهم احمد لطفي السيد بمقاله قد عزاهم ان تكون المؤيد أشهر صحيفة عربية منبرا للدفاع عن اهدافهم الاصلاحية وان يكون الشيخ علي يوسف في جانبهم وان يرحب بما يكتبه شباب العرب امثال محب الدين الخطيب والدكتور عزة الجندي دفاعا عن حريتهم .

ولم يكد مقال احمد لطفي السيد ينتشر حتى بادر احد اركان الحركة العربية في بيروت ولعله أنبغ كتابها ، صاحب المفيد عبد الغني العريسي الى الرد عليه في ١١ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩١١ م ومما قال : « على ان الامر الذي قبلنا ويجعلنا ان نطالب الحكومة بمراعاة العنصر العربي في الوظائف العالية اعتقاد كثيرين من اولى العقل ان البلاد العربية لا تنال حظها من الاصلاح الا اذا كان لها بين رجال الحكومة غير واحد من ابنائها ... وقد ظهر لنا خلال هذه السنين الثلاث (أي منذ ظهور الدستور) أن رجال اليوم انما يعملون لاجناسهم فاذا لم يكن بين العاملين من يعمل لجنسنا فلا سبيل الى ترقي العرب » وضرب العريسي أمثلة عن الحيف النازل بالعرب انتهى الى « ان استمرار التجاوز عن مبدأ المساواة في عهد المساواة يجر الدولة الى التهلكة » وختم مقاله : « فنصائح أحمد لطفي السيد جديرة بأن توجه الى القابضين على زمام الاحكام ، وان كان ثمة ظل للمسألة العربية وغيرها من المسائل التي تتعلق بالعناصر فحلها بين الاكثرية .. » .

وأني أراني استطرد الى القول ان يد السفاح أمتدت الى العريسي كما امتدت الى العسلي والخليل فشنقهم ونخبة من اقطاب الحركة العربية في بلاد الشام فروت دماؤهم شجرة القومية العربية وجعلت من ثراها مهد الحركة العربية .

واستكمالا للصورة أشير الى ان صحف مصر ولا سيما المؤيد والمقطم والاهرام كانت منابر للدفاع عن الحقوق العربية والمطالب الاصلاحية ولكن

الكثيرين من المصريين ظلت تتنازعهم عاطفتان : الولاء للعثمانية وخلافتها واسلاميتها وكونها امتدادا للسد دون الغارات الصليبية او عاطفة الانتصار للحق العربي ، فاذا كتب أحد شباب الحركة العربية الدكتور عزة الجندي يؤلب الرأي العام المصري على السياسة العثمانية ، انبرى له الكاتب الشهير ولي الدين يكن يقول له : أنا تركي وأبغض عباد الله الى تركي يعتدي •• أحب العناصر •• ثم أحب العرب حبا خالط الروح وجرى مجرى الدم من العروق وأنا عربي الادب والقلم عربي النزعة ، ومن أبغض العرب فانا مبغضه، أولئك اخواني الذين اغنيهم فيطربون واحدثهم فيقبلون علي بالسمع ، غير اني لا أكذبهم ، اني كذلك لا احب من يسب الترك ولا من يكون لهم عدواً، واذا جرى بين العرب والترك شر أكون يومئذ بمعزل عن كليهما داعيا عليهما بالفشل » •



ولاسباب ليس هنا مجال تفصيلها كانت تثور في مصر أحيانا حملة على « الشوام » وهي كلمة تشمل السوريين واللبنانيين •• ولو اقتصرت الحملة على التنفيس النفساني عن مآخذ على البعض لهان الخطب ، ولكنها كانت تمتد الى الآصرة العربية فيبادر الكتاب الغير الى ردها ، ويتنادى حملة الفكرة العربية الى تدارك عواقبها ، وما اكثر ما يساعفهم الشعر ويكون حافظ ابراهيم سباقا وهو هو الذي شدا قبل ثلاث سنوات قصيدته :

لمصر أم لربوع الشام تنتسب هنا العلا وهناك المجد والحسب

وفيها :

أم اللغات غداة الفخر أمهما وان سألت عن الآباء فالعرب

وختامها الرائع :

هذي يدي عن بني مصر تصافحكم فصافحوها تصافح نفسها العرب

وها هو ذا حافظ يهتف اليوم :

ماذا جنيت وما جناه بنوك أظلمتهم يا مصر أم ظلموك

وسمعت للغـــرب العبوس وأهله ومنحتهم فوق الـــذي منحـــوك
وعبـــست في وجـــه الشآم وانما قطر الشآم وان عبست أخـــوك

والغريب الا تدرج هذه القصيدة في الديوان على حين نشرها المفيد في بيروت والمفيد لسان الحركة العربية ومعظم الذين كانـــوا يحررونها غـــدوا شهداء كالعريسي والمحمصاني والشهابـــي والزهراوي والجنـــدي والخطيب والعسلي •

اما مصطفى صادق الرافعي فقد هتف :

يا مصر يـــا سوريا المجـــد دائرة وانتما في محيط المجـــد قطران
كلاكما مشبه في الحسن صاحبه أأنتما واحـــد أم أنتما اثنـــان ؟
أرى الممالـــك أخوانـــا محللـــة لكنمـــا مصر والشام الشقيقان
لـــو تسأل الارض : أين ابناك ؟ لالتفتت
اليهما ثم قالت : ها هما ذان

ويجتمع السوريون على اختلاف طوائفهم في الكنيسة الانجيليـــة بطنطا يوم عيد الفصح ليستمعوا الى المحامي المصري محمد نجيب افنـــدي الغرابلي (وقد أصبح فيما بعد أحد أقطاب الوفد ووزرائه) يشدو :

هـــل مصر والشام الا توأمان اذا كانـــا رشيدين فليجمعهم الرحم
سل (حافظا) حين اعطى العهد مغتبطا هل كان عهدا على الايام ينفصم

ثم يهتف :

فلا وربك مـــا في مصر غير هوى بالشام فهـــي لدينا الراح والنغم
نحب حـــب أخـــت لا نضيعهـــا مهما تزاحمت الاطمـــاع والحلم

ثم يهتف :

فجددوا العهد هـــا انـــي أجدده عن آل مصر فقولوا كلكم : نعم

فدوت « نعم » مجلجلة في أرجاء الكنيسة •



وقاد الزعيم الاعظم سعد زغلول الحركة الوطنية المصرية واتجهت اليه افئدة العرب في جميع اقطارهم ، تتبعوا خطواته وتأثروا بأسلوبه في النضال والمقال واني ازعم ان سعد زغلول هو اعظم من أثر في مسيرتي الوطنية اسلوبا وحجة وبيانا •• والواقع ان سعدا قد اثر في ذلك الجيل العربي حتى ان مراسل الدايلي هيرالد كتب في موسم الحج سنة ١٩٢١ م يقول : ان الحجاج العرب وقفوا على جبل عرفات وصلوا من اجل نجاح القضية المصرية ودعوا لسعد زغلول بالتوفيق •

وقد روي على لسان سعد زغلول قول تلقفه فريقان من الكتاب : اراد أولهما البرهنة على ان مصر ليست من العروبة في قليل او كثير وها هو ذا زعيمها الاعظم يتنكرها وضخم هذا المفهوم حتى اضطر استاذنا ساطع الحصري الى الرد على القول وتبديد ما قد يحدث من تأثير شعوبي وأراد ثانيهما القول : ان العروبة لم تعرف مصر الا بعد ثورة يونيو ١٩٥٢ م ، وفي هذا اعتساف وهدر لجميع الجهود التي بذلت في خدمة العروبة في مصر ونكران وتنكر وجحود للرعيل الاول من حملة الفكرة العربية فيها •

واجيء الى ما روي على لسان سعد أي قوله لفتى العروبة وداعيتها ، عبد الرحمن عزام وكان وفديا ومن جنود سعد المقربين اليه والمحببين لديه : « ان كل قطر عربي يوازي صفرا وان الجمع بين صفر وصفر يكون صفرا » وهذا ينم على الاستخفاف بالبلاد العربية •

وقد سألت صديقي عبد الرحمن عزام في زيارتي اياه في بيروت قبل وفاته عن هذا فأجاب بحضور ولده بما خلاصته : ان سعدا كان يلحظ انهماك عزام في الشؤون العربية وبقضايا التحرير في المشرق والمغرب ، وحدث ذات أمسية أن أقبل عزام على مجلس سعد فسأله سعد مازحا : ومـا هي أخبار أصحابك العرب يا أبا عوف ؟ » وكان سعد يطلق على عبد الرحمن عزام هذه الكنية تيمنا بالصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف ؛ فحدثه عزام عن سوء الاحوال في البلاد العربية فسأله سعد : « صفر وصفر يبقوا كم ؟ » فأجابه

عزام « واحد وواحد وواحد يبقوا كم يا باشا ؟ » فأجاب سعد مبتسما : « ثلاثة والمهم ان يكون العرب واحدا وواحدا وواحدا ، لا صفرا وصفرا وصفرا ، ويوم يكون هذا تراني معك .. » وقد جرى هذا في حديث عفوي لا يصح ان يجعل منه قاعدة للتنديد وحكما قاطعا على الفكرة العربية ؛ ويقول عزام رحمه الله وهو ينزه سعدا عما أريد استخلاصه من كلمته : « وذات يوم من نوفمبر سنة ١٩٢٥ م استدعاني سعد زغلول من حلوان مستعجلا ، فهرعت اليه وقد استقبلني هاشا منطلق الوجه وبادرني : « خذ اقرأ .. هل يعجبك هذا البيان يا أبا عوف .. واذا بي اقرأ بيانا عظيما بالغ الروعة يدعو فيه الشعب المصري الى مظاهرة الثورة السورية » وقد افتتح سعد نداءه باسم الوفد المصري مكتتبا بمئة جنيه وعقبه أعضاء الوفد ابتداء من فتح الله بركات باشا كل واحد بتسعين جنيها (ولعل ذلك كان تأدبا من الاعضاء أمام زعيمهم الاكبر) وما لبثت أم المصريين صفية هانم زغلول ان افتتحت اكتتابا للثورة ، مما يعد بادرة عملية لا تجعل لتلك العبارة العارضة مدلولا ينم على الاستخفاف بالامة العربية .

ولا أزال كلما تلوت ذلك البيان ارتنح حماسة : ومطلعه : « سورية التي تربطنا بها روابط وثيقة من تاريخ ولغة ودين وعادة وجوار ، نزلت بها هذه الايام حوادث هائلة تقشعر من هولها الابدان ونوازل جائحة تنخلع من بشاعتها القلوب وشرور من أفظع ما يرتكبه انسان ضد انسان » .

وختامه : « واننا معاشر المصريين لنشعر في قلوبنا بكل عطف على أخواننا المصابين نرثي لمصابهم رثاء الاخوان للاخوان ونحس بأن علينا واجب مساعدتهم بكل ما في الامكان » .

ولم يكد يصدر ذلك البيان الابلغ حتى يممت الوفود العربية بيت الامة ذاكرة ، شاكرة ، هاتفة لسعد ، وأبرق الثائرون من مرابضهم يحيون الزعيم الثائر ، وأما نحن في فلسطين ، فقد أبرق رئيس لجنتنا التنفيذية موسى كاظم باشا يقول : « وفلسطين تؤكد ان بيانكم هذا وهو بيان الزعيم الاكبر بمصر، رأس الاقطار العربية ، كان له التأثير البليغ مما يقوي السوريين على احتمال

المصائب التي يصبها عليهم المستعمرون في سبيل استقلالهم ، كما ابرق باسمنا ، معشر الشباب الاستقلاليين ؛ الاستاذ حمدي الحسيني يقول عن نداء سعد وتبرعه : « انما يخلدان لدولته أجمل الذكر في ربط اواصر الجامعة العربية ربطا يبشر العرب بالحرية المطلقة والاستقلال التام » .

وأرسل الشاعر محمد الشريقي وهو من رجال الحركة العربية قصيدة بليغة وجهها الى رجل الامة العربية سعد زغلول ، انهاها شاديا :

يا رافعا علم الاخلاص منتظرا الا وصلت بحبل العرب ما فصموا
ان العروبة يا زغلول قائدنا فأجهر كما جهر الاتراك والعجم
وامدد يديك وصافح كل من نطقوا بالضاد يقبل عليك القوم كلهم

وانهاها مشيرا الى الجنرال الفرنسي ساراي الذي امر بتدمير دمشق :

ان كان «ساراي» اجرى دمع شقوتها فاليوم سعدك يوسيها فتبتسم

ويقول المرحوم عوني عبد الهادي انه سمع الملك فيصل الاول ملك العراق يقول : « كم أرغب ان يوسع هذا الرجل العظيم المبدأ الذي يعمل له فيشمل الشرق العربي كله ، وحسب سعد ان يتقدم خطوة جريئة في هذا الميدان ليصبح الزعيم الوطني للعالم العربي كله » .

واتجه تيار مصري هائل نحو تمجيد الثورة السورية وتأييدها ، وكان مما عبر عن هذا التيار شعراء مصر : حافظ ابراهيم وزكي ابو شادي ومحمود رمزي نظيم وحبيب عوض الفيومي وعلي منصور ، وكانت رائعة الروائع قصيدة شوقي العبقرية :

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

وما أحسب ان سوريا في ميادين الثورة او على مقاعد الدرس او عربيا ثائرا لم يردد مع شوقي :

وللاوطان في دم كل حر يد سلفت ودين مستحق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

وقد يقول مجادل ماحل : ان العاطفة الانسانية دون الصارخة العربية هي حافزة سعد ، ومع ان نص البيان يخالف هذا فاننا نجيبه :

في قاموس (الاعلام) لخير الدين الزركلي في ترجمة سعد زغلول يقول:

وهو أول سياسي مصري أسمع الغرب صوت الجامعة العربية فقال وهو ــ في لندن ــ يهدد الانجليز : « ان مصر تملك زرا كهربائيا ، اذا ضغطت عليه لبتها بلاد العروبة جميعا » .

وقد يمم في اذار (مارس) ١٩٢٦ م كاتب فرنسي مشهور اسمه موريس ديكوبرا لزيارة سعد خاصة ؛ ونشرت تفاصيل المقابلة وقد باده سعد ضيفه الكاتب قائلا : « لا يسعني ان افكر في الاعمال التي تقترف في سورية من دون ان اغضب .. انها تسيء الى اسم فرنسا » فأجابه الموسيو ديكوبرا : « ليست فرنسا هي التي ارتكبت تلك الاعمال ولكنه الجنرال ساراي .!! »

فقال سعد : « ولكن ساراي ممثل للجمهورية الفرنسية» فقال ديكوبرا: « لعلكم تعارضون مبدأ الانتداب ؟ » فأجاب سعد : « ان الذي أفهمه من الانتداب انه وضع لمنفعة المنتدب له لا لمحاربته كما هي الحال الآن في سورية .. فهل الانتداب قفاز ظاهره مخمل وباطنه شوك ؟ فما لكم ولتلك البلاد ؟ ولم لا تتركونها حتى تتمتع بحريتها ؟ » فحاوره ديكوبرا : « يا باشا هب ان الذين عملوا تلك الاعمال في سورية ليسوا فرنسيين بل شرقيين ، فهل يكون هذا شعوركم ؟ » فقال سعد على الفور : « لو عمل أخي الاعمال لمقت أخي وغضبت عليه غضبا شديدا » .

ونهض سعد ليودع ديكوبرا ويقول له . « ارجو منك يا موسيو ديكوبرا عندما تعود الى بلادك ان تقول لمواطنيك : ان زغلولا غاضب مما حدث في سورية واذا تكلم زغلول فانما يتكلم بلسان الشعب المصري كله . وسئل ديكوبرا رأيه في سعد فقال : انه رجل قوي وشديد الصراحة في حديثه وان كل ما قاله لي صحيح » .

وفي تموز (يوليو) ١٩٢٧ م زلزلت فلسطين زلزالها الشديد ، وكانت

نابلس اكثر مدن فلسطين تأثرا بذلك الزلزال .. وبينا كنا معشر الكشافين ، نزيل الانقاض ونتشل الجثث أقبل ساعـي البرقيات يحمل برقية مـن مصر وتناولتها فاذا هي بتوقيع سعد زغلول ، ومن بني وصيفه ، ولست أذكر الان نصها ولكنها كانت مواساة أب كبير لابنائه وفيها يتبرع بمئـة جنيه لمنكوبي نابلس ، وقد فعلت البرقية والتبرع فعل السحر في تشديـد عزائمنا وتنشيط هممنا ... ولكن ما هي الا أيام حتى نعي سعد فلبست بلادنا ثوب الحداد ، ورحنا في أربعينه نؤبنه في كل بلد وننذبه في كـل محفل .. لم يتوان شاعر في رثائه أو كاتب في بكائه وقلنا : صدق شاعر النيل حافظ ابراهيم :

قل لمن بات في فلسطين يبكي ... ان زلزالنـا أجـل مصابـا
قد دهيتم في دوركم ودهينـا ... في نفـوس ابين الا احتسابا

ولم يخل بيت من اسطوانة أم كلثوم في ندب سعد مما نظمه رامي :

ان يغب عـن مصر سعـد ... فهـو في الذكـرى مقيم

وانني لاذكر هنا اني في زيارة لمصـر سنـة (١٩٤٩) وكنت مستشارا للوفد السوري لدى مجلس جامعة الدول العربية قد دعيت مـن فتى عربـي النزعة هو المرحوم محمود حسنين مخلوف نجل مفتي الديار المصرية الاسبق الى سهرة كان في طليعة حضورها المرحـوم الزعيم رياض الصلح وابـن عمه تقي الدين ـ طال عمره ـ وكان في استقبالنا الاستاذ مكـرم عبيـد وكـان صاحب الدعوة من انصاره في الكتلة الوفدية ؛ وفي اثناء السمر راح مكـرم يحدثنا بطلاقة عن النزعة العربية لدى سعد زغلول ، وقال لنا انـه يعد رسالة حول سعد والفكرة العربية وليدة اتصالاته بالزعيم وفيهـا أسرار بالغـة الاهمية .. واني أكتب الان هذه السطور وكلي أسى ألا ينجـز مكرم وعده قبل وفاته ومما سمعته تلك الليلة ان سعدا قد رشح لمجلس الشيوخ ثلاثـة من السوريين المتمصرين .

والى حديث آخر في مقال تال استكمل القول فيه ان شاء الله .

العربي ... اكرم زعيتر



مؤسسها
أحمد عارف الزين

العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نـزار الزين

العدد الخامس ـ مجلد ٦٧ ـ أيار « مايو » ١٩٧٩م ـ جمادى الثانية ١٣٩٩ هـ

الصفحة	الموضوع	الكاتب

علم، أدب، فكر، سياسة

تاريخ

أبحاث اجتماعية



ابواب العرفان

حديث الشهر :

حرب السلام بدأت من لبنان

بقلم : الدكتور محمد صادق

صار جدا ما هزلت بـه رب جـد جـره اللعـب

هذا البيت من الشعر يردده الان باستمرار سياسي لبناني من الذين تربطهم بالرئيس الياس سركيس صلات من الود والصداقة ، والارتباط العضوي السياسي ، فهو يعلم بالضبط كيف يفكر الرئيس اللبناني وكيف يخطط وكيف يعمل ... وقبل هذا وذاك وذياك يعلم ماذا في اوراق الرئيس الخاصة من معلومات واسرار لو عرفت ونشرت لادركنا ماذا يدور في الجمعية الصهيونية من حسابات علمية ومؤامرات وشبكة استغلال بعيد ... بعيد . ليس آخرها انتقال الرئيس محمد انور السادات من الضفة المواجهة للعدو الى الضفة المساندة له ... وليس ايضا وايضا اقدام الرائد سعد حداد على اعلان دولته الاسرائيلية ـ اللبنانية في نطاق الشريط الحدودي . وحين يصغي السياسي اللبناني الى صديقه الرئيس يسمع منه ، ولاول مرة : العبارات الموجعة الحزينة التي تربط خطوة السادات بخطوة حداد .

(... اذا تعودنا ان نجتر يوميا الحديث عن الصهيونية واسرائيل ، والركض وراء الخط الممتد بين (هرتزل) و (بلفور) الى (وايزمن) و (بن غوريون) ثم الى ميناحيم بيغن الاخير ، اذا تعودنا ان نتحدث عن المؤتمرات الصهيونية التي قاربت حتى اليوم التاسعة والعشرين مؤتمرا وعن الجباية اليهودية ، وعن صناديق المال :

(كيرن كاييمث) و (كيرن هائيود) ، وعن المستوطنات القديمة

والجديدة ، والفتك الارهابي في داخل فلسطين وفي داخل لبنان عامة وجنوبه خاصة ، والتبرعات تصب بالوف الملايين من الدولارات ... قانما تتحدث عما كان ... اما الحديث عما قد يكون ، عما تريد اسرائيل عن الخفي من الخطط ، فانما له خطوط اخرى جديدة ، واسماء وجماعات بدأت تبرز في الساحة اللبنانية العلنية في محاولة تحفز وتجمع تمهيدا لانتقالها الى امكنة اخرى في الوطن العربي .

ما كان فانما هو القليل الذي برز للشمس من الجمدية المتربصة بالمبحرين ...

اعماق هذا الموت الابيض تحتياته التي ترسم له خط السير انما تضرب في ظلمات المحيط ... هي خط اخر تحتي يتسرب كالافعوان في الجذور ... هذا الخطر الاخر لم يعد سرا ، ولم يعد اسماء اصحابه مدفوقة في اضبارات (الموساد) ، بل انتقلوا جهارا من السر الى العلن يرضعون بالسم والمخططات والشعارات ليس اجيال اليهود فحسب بل اجيال العرب ، ومن هنا ، من هذا الواقع علينا ان نفتش عما تريد اسرائيل بعد الصلح المصري الاسرائيلي ؟)

ويمضي الرئيس اللبناني في بثه شكواه الى صديقه فيقول :

(انطلاقا من هذا الواقع كان لا بد من الدعوة الملحة الى لقاء مع الرئيس الاسد تمهيدا الى لقاء اوسع مع الرؤساء العرب المعنيين لنطرح معا هذا السؤال الكبير :

ـ ماذا اصطنعت وما تزال تصنع اسرائيل من الوسائل لتمتد وتتوسع بعد ان استقرت ؟ وماذا حققت وتعتزم ان تحقق من خلال مخططاتها وخطة السير ؟

اين تريد ؟

وهل يدرك الرؤساء العرب اليوم معنى شعار (حيروت) ـ جماعة

ميناحيم بيغن ـ القائم على بندقية تخترق جنوب سورية من العقبة حتى سهل البقاع ؟)

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو :

لماذا يقول الرئيس اللبناني ما يقوله الان ، وفي كثير من المرارة ، وعشية اقدام مجلس الأمن على اصدار بيانه الانشائي اثر ما جرى ويجري في الجنوب بعد اعلان حداد دولته ؟

الجواب على هذا السؤال يأتي من صديقه وليس منه ، الذي سبق له ان شغل مناصب قيادية مرموقة في الدولة اللبنانية ، وعاصر مراحل قضية فلسطين منذ البداية فكان عضوا في الوفود اللبنانية على مدى نصف قرن • وكان سفيرا في العواصم العربية الرئيسية • يقول هذا السياسي المخضرم :

(لعلي من القلائل الذين لم يخدعوا بمقررات « اسطبل داود » وفي اقوال بيغن وقبيله عن السلم ، ذلك لانني عايشت السياسة الصهيونية القائمة دوما على اللاتراجع • كل المرونات اللفظية تعطى ، كل العقود والعهود التي لا مناص منها تبرم ، توقع ، يعلن قبولها ••• على الا يعني ذلك عند التطبيق أي خطوة الى الوراء ••• كل المكاسب الاقليمية والسياسية والحربية التي كسبتها اسرائيل احتفظت بها حتى اليوم •• لقد شاهدت بأم عيني ابا ايبان ، المرشح ليكون سفيرا لاسرائيل في القاهرة ، شاهدته يفضح في ساعة سكر في اروقة الامم المتحدة عشية احتفاله بالنصر الحزيراني نوايا اسرائيل الحقيقية قائلا :

(حتى لو صوتت الجمعية العامة باكثرية ١٢١ صوتا ضد واحد لاخلاء الاراضي المحتلة ، لما نفذت ذلك اسرائيل) •• وايبان هذا كما عرفته عن قرب من ابرع من عرفت الدبلوماسية في ابتكار اساليب التملص والصيغ البديلة واللف حول الكلمات ومن ورائها ••• قرارات الامم المتحدة التي لم تنفذها

اسرائيل اكوام يأكلها الغبار ، تعلكها نحـن والفئران • فـاذا اصطدم موقف اللاتراجع مع أي اتفاق او قرار دولي فان الاتفاقات تقبل وترفض او تفسر او تنقص او يتنصل منها او تطبق التطبيق الحرفي او بالنوايا بل تزيف ايضا في المعنى وفي المضمون ، وقد تختلق ايضا وايضا في خدمـة المطمع الاسرائيلـي دون اي إعتبار اخر ••• وعلى الدبلوماسية الاسرائيلية ان توجـد الصيـغ البديلة والحجج اللازمة للتغطية وقنابل الدخـان ، ولعـل الرئيس السادات لا يجهل هذا وقد سبق ان اخبرني بذلك بنفسه بعـد قبول القاهرة مشروع روجرز) •

قد يكون ما قاله الرئيس سركيس وما قاله السياسي اللبناني انما هـو من وحي الاحداث التي عاشها لبنان في الفترة الاخيرة ، وقـد يكـون ايضا تمهيدا للقمة العربية التي يحضر لهـا الرئيس سركيس بالتعاون مـع رئيس الوزراء (هذه المرة) سليم الحص ، ولكن كل هذا يدفعنا اكثر فاكثر الـى معرفة ما جرى في الجنوب في العشر الاخير من شهر نيسان الحزين • فهنـاك شبه تأكيد على ان لبنان هو المرشح الان ليكون المؤودة التي لم تسأل : لاي ذنب قتلت ؟

فالحرب غير المعلنة التي شنتها اسرائيل خلال هذه الايام لم تكن مجرد رد فعل على عملية (نهاريا) ، ولا مجرد رد فعل على مجموع العمليات التـي نفذتها المقاومة الفلسطينية خلال شهر نيسان داخل الاراضي المحتلـة ، لقـد جاءت هذه الحرب وفق قناعـة الاكثرية الكاثرة مـن السياسيين الحياديين استكمالا للمخطط الاسرائيلي الجديد الذي وضعـه بيغن موضع التنفيـذ كسبا للوقت ، لقد قامت اسرائيل بشن هجومها في اللحظات الاولـى لتبادل الوثائق مما يدل على انها ملتزمة التزاما تامـا باستمرارية (حـرب السلام) القائمة على اساس تخويف الجبهة الشرقية تحت عنوان (العصاة والجزرة)•• فالمعلومات التي وصلت الى الرئيس سليم الحص من اوساط عربية تقول ان البلدان العربية الرافضة ومعها منظمة التحرير ستواجـه الان حرب تصفيـة

سواء شنت المقاومة هجومها ام لم تشن ، وسواء تحركت الانظمة الرافضة ام لم تتحرك لان المطلوب الان (فرض السلام) •• وليس من قبيل المصادفة ان تشن اسرائيل اوسع عدوان لها منذ الاجتياح الاخير في اذار الماضي ضد الجنوب اللبناني والمخيمات الفلسطينية مستخدمة اسلحتها المختلفة ، من الطيران والبحرية والمدفعية الارضية البعيدة المدى الى جانب القنابل العنقودية وصواريخ (سمارت) والطوربيدات الالكترونية (كوبرا) •

فبحجة الرد على عملية نهاريا يعيش الجنوب والمناطق اللبنانية الاخرى اجواء حرب حقيقية امتدت من صيدا حتى صور وشملت ايضا القطاعات الثلاثة (الشرقي والاوسط والغربي) وتركز القصف المدفعي على قضاء النبطية وخصوصا (ارنون) وشمل كذلك في القطاع الشرقي ابل السقي وبرغز • اذ قامت الطائرات الاسرائيلية بعدد من الطلعات فوق القطاعات الثلاثة وظهرت في سماء الغربي ٦ طائرات حلقت على علو منخفض واخترقت جدار الصوت •• وبعدها بساعة فقط قصفت الزوارق الاسرائيلية ولمدة ١٥ دقيقة منطقة جبل البحر على بعد ٣ كلم من صور ••

ويوم الثلاثاء ١٩٧٩/٤/٢٤ استخدمت اسرائيل اقوى واحدث ما تملكه من اسلحة تدمير في ترسانتها العسكرية ، اذ قامت تشكيلات عديدة من طائرات الفانتوم بقصف قرى ومدن الجنوب مستخدمة القنابل الانشطارية ضد الامنين، والزوارق الحربية تقصف الساحل بالمدفعية الثقيلة وبالطوربيدات الالكترونية (كوبرا) حيث تركز هذا القصف على الصرفند وانصارية والبابلية وعدلون وصور وكذلك شمل منطقة النبطية بكاملها مع تركيز على موقع (ارنون) •

وكانت ثلاثة زوارق اسرائيلية قد قامت صباحا بقصف المناطق السكنية في تلك المنطقة وصبت قذائفها على طول الطريق بين عدلون ومفرق انصارية واستمر القصف مدة ٣٥ دقيقة •

وتعرضت بلدة عدلون ايضا لقصف مدفعي كثيف مصدره مواقع سعد حداد في محور اسكندرون ــ الرجمين وانصبت القذائف مــن عيــار ١٧٥ و ١٥٥ ملم على بساتين (الفران) ومفرق انصارية •

وقامت ٤ طائرات اسرائيلية بعد الظهر بقصف عدلــون وابــو الاسود وساري وكفريدة وانصارية والصرقند ومرتفعات البابلية واستمرت الغــارة ٢٥ دقيقة ، وفي نفس الوقت قصفت ٣ زوارق اسرائيليــة منطقــة عدلــون مجددا • اما في القطاع الشرقي فقــد استأنفت المدفعية الاسرائيلية قصفهــا العنيف للقطاع ، وبينما كانت الطائرات والمدفعية تصب نيرانها الكثيفة عــلى هذه المواقع كانت مخيمــات البص والرشيديــة والبرج الشمالــي في صور تتعرض لقصف مدفعي عنيف من البر والبحر ••

ولليوم الرابع على التوالي استأنفت اسرائيل عدوانها عــلى المناطــق المدنية في الجنوب ؛ وخصت مدينة صور بمجزرة حصدت المدنيين العزل •

ففي هذا اليوم قامت المدفعية الاسرائيلية بقصف مدينة صور واحيائهــا بحوالي ٣٥٠ قذيفة صاروخية وقنابل ثقيلة في زهاء ثلاث ساعات سقط عــلى اثرها ما يقرب من مئتين بين قتيل وجريح •

هذه بعض ملامح (حرب السلام) التي توقفت موقتا مــن جراء هدنة موقتة اشرفت على ابرامها القوات الدولية •

ترى هل ستستأنف قبل انعقاد القمة التي يعمل مــن اجــل انعقادهــا سركيس والحص ، ام اثناءها ام بعدها ؟

* * *

نجمة الفجر

لهذا قام المذهب الشيعي

يقلم : نصير مارديني

منذ ان بدأت طلائع الراية الاسلامية ترفرف في سماء طهران ، والحديث عن المذهب الشيعي يحتل مكان الصدارة في الصحف والمجلات العالميــة ... ولا غرابة في ذلك الاهتمام ، فالاغلبية الكبرى من اهل ايران مــن الشيعة ، ولكن الغرابة كل الغرابة في هــذا الخلط المتعمد بين المذهب الشيعــي وبين العقائد الوافدة التي تظاهرت بالتشيع لضرب الدين الاسلامي وما يحوي هذا الدين من مثل عليا استطاعت الصمود على مر الازمان والعصور رغم ضراوة الاعداء وشراستهم .

ان هذه الاغلبية الكبرى التي تمثل (٩٢٪) من اهــل ايران الذيــن يبلغون (٣٥) مليون نسمة ظلت على ولائها لاول مذهب في الاسلام الــذي قام قبل ان تقوم المذاهب الاربعة المعروفة . ومن هذه النافذة ، نافذة المذهب الشيعي تسلل اعداء الاسلام للاساءة الى سمعة الثورة الاسلامية ، وكان اول ما تنبه الى هذا التسلل قائد الثورة وراح يعيد السهام الــى مطلقيها بجــرأة وحزم وتصميم .

وحين سألت جريدة (لوموند) الباريسية السيد عــن اسباب نداءاتــه المتكررة للتعاون الصميمي بين الشيعة والسنة ، وربطه بين اهمية هذا التعاون وبين استقلال ارادة الدول الاسلامية اجاب :

(انني اعتقد تماما ان الخلافات بين الشيعة والسنة كانت خلافات حول

الفاظ وكلمات . ان هذه الخلافات ضخمها الاجانب ليمزقوا وحدة الدول الاسلامية ، ويستخدموا في تحقيق هذا الهدف بعض الحكومات العميلة للقوى الخارجية ؛ ونسي الجميع ان وحدة الاسلام امر بها الله وعمل من اجلها نبينا الكريم ، واننا نعتبر الشاه هو احد من ساهموا في خلق هذه الخلافات ، وعندما تتحقق الوحدة بين الدول الاسلامية فستكون احدى القوى الكبرى في العالم .

وفي الماضي عندما وجدت القوى الكبرى ان الدولة العثمانية ـ التي لم تكن تجمع كل الدول الاسلامية ـ كانت قادرة احيانا على مقاومة القوى الكبرى وهزمت روسيا القيصرية ، بادرت القوى الكبرى بتجزئة الامبراطورية العثمانية ـ بعد انتصار الحلفاء ـ الى اجزاء متعددة وتحولت الى دول تحكمها نفس القوى الكبرى . لقد دعونا دائما الى وحدة المسلمين وان تطالب الشعوب الاسلامية نبذ الخلافات) ..

هذا ما قاله قائد الثورة الاسلامية قبل ان ينتقل من باريس الى طهران بساعات قليلة ؛ فهل بالامكان الاقتراب من الحقائق التي اطلقها السيد والتحدث عنها بلغة العصر ؟ وما هي قصة المذهب الشيعي ؟

سؤال كبير ولا شك ، وسؤال شائك ومعقد ، ومحاولة الاجابة عليه تحتاج الى مشقة واخلاص ؛ ونحن سنحاول الاقتراب منه تاركين للقراء المجال الفسيح للرد بما يتناسب مع الحقائق العلمية المجردة .

فمنذ ان شبت نار الفتنة في المدينة المنورة سنة خمس وثلاثين هجرية بقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ؛ واثارت من الخطوب الجسام ، وسفك فيها ما سفك من الدماء ، وازهق ما ازهق من النفوس ، وانتهكت فيها ما انتهك من الحرمات ؛ منذ ذلك التاريخ والعالم الاسلامي يواجه المحن ، لقد قضي على سنة الخلافة الراشدة باستشهاد الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، وأسس في هذا العالم الاسلامي ملك عنيف لا يقوم على الدين وانما يقوم على السياسة والمنفعة ، وكان يظن حين استقام امر هذا الملك لمؤسسه

عشرين عاما ، انه سيمضي في طريقه وادعا مطمئنا في بني ابي سفيان دهرا على اقل تقدير ، ولكنه لم يستقر فيهم الا ريثما تحول عنهم ..

ثم لم يتحول عنهم في يسر ولين ، لان الفتنة لم تنقض بموت يزيد بن معاوية ، وانما قطعت مرحلة من مراحلها ، ثم استأنفت عنفها وشدتها بعد موت يزيد ، فعرضت المسلمين ودولتهم لخطوب ليست اقل جسامة ولا نكرا من الخطوب التي رافقت الفتنة الكبرى في عهد عثمان .

وقد اصبح للمسلمين مثل بعينه من هذا المثل العليا الكثيرة التي دعا اليها الاسلام ، وجعلت الفتنة تدور حول هذا المثل الاعلى لتبلغه فلا تظفر بشيء مما تريد ، وانما تسفك الدماء وتزهق النفوس وتنتهك المحارم وتفسد على الناس امور دينهم ودنياهم ، وهذا المثل الاعلى هو العدل الذي يملأ الارض وينشر فيها السلام والعافية ، والذي تقطعت دونه اعناق المسلمين قرونا متصلة دون ان يبلغوا منه شيئا ، حتى استيأس من قربه قادة المذهب الشيعي ولم يستيئسوا من وقوعه ، فاعتقدوا ان اماما من ائمتهم سيأتي في يوم من الايام فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ...

ولله حكمة اجرى عليها امور الناس ، والله بالغ امره ، وقد جعل لكل شيء قدرا ، وها هو الامل يطل على العالم الاسلامي بقيام الثورة الاسلامية في ايران ... ويبقى السؤال قائما :

كيف نشأ المذهب الشيعي ولماذا ؟

الشيء الذي ليس فيه شك كما يقول الفقهاء والاعلام هو ان الشيعة ، بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة عند المتكلمين ومؤرخي الفرق ، لم توجد في حياة الامام علي ، وانما وجدت بعد استشهاده بزمن غير طويل .

وانما كان معنى كلمة الشيعة ايام الامام علي هو نفس معناها اللغوي القديم الذي جاء في القرآن في قول الله عز وجل من سورة القصص :

(ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه . فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه

فوكزه موسى فقضى عليه) الآية .

وفي قول الله عز وجل من سورة الصافات :

(وان من شيعته لابراهيم) .

فالشيعة في هاتين الآيتين وغيرهما من الآيات معناها الفرقة من الاتباع والانصار الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما ، والرجل الذي كان من شيعة موسى كان رجلا من بني اسرائيل ، والرجل الذي كان من عدو موسى كان رجلا من المصريين .

بذلك قال المفسرون القدماء الذين تلقوا التفسير عن الفقهاء من اصحاب النبي . وابراهيم كان من شيعة نوح ، اي على سنته ومنهاجه . يرى رأيه ويدين بدينه ، كما قال المفسرون ايضا . فشيعة علي اثناء خلافته هم اصحابه الذين بايعوه واتبعوا رأيه ، سواء منهم من قاتل معه ومن لم يقاتل . ولم يكن لفظ الشيعة ايام علي مقصورا على اصحابه وحدهم ، وانما كان لمعاوية شيعته ايضا . وهم الذين اتبعوه من اهل الشام وغيرهم وليس ادل على ذلك من نص الصحيفة التي كتبت للتحكيم بعد رفع المصاحف في صفين . فقد جاء في هذه الصحيفة :

(هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان . قاضى علي على اهل العراق ومن كان من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين . وقاضى معاوية على اهل الشام ومن كان من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين) .

فلفظ الشيعة هنا لا يضاف الى علي ومعاوية كما رأينا ، وانما يضاف الى اهل العراق واهل الشام . يريد كاتب الصحيفة ان يذكر من يناصر عليا واهل العراق من المؤمنين والمسلمين في البلاد الاسلامية كلها ؛ ومن يناصر معاوية واهل الشام ، ومعنى ذلك ان الصحيفة تلزم الفريقين المختصمين بما فيها ، ولا تلزم هذه الفئة القليلة من المعتزلة الذين ابوا ان يشاركوا في ما جرى من قريب او بعيد .

لم يكن للشيعة اذا معناها المعروف عند الفقهاء والمتكلمين منذ ايام علي، وانما كان لفظا كغيره من الالفاظ يدل على معناه اللغوي القريب ، ويستعمل في هذا المعنى بالقياس الى الخصمين جميعا ، فلم يكن لعلي قبل وقوع الفتنة شيعة ظاهرون ممتازون من غيرهم من الامة .

والرواة يحدثوننا بان العباس اراد عليا على ان يبسط يده ليبايعه ، فابى على ان يحدث فرقة بين المسلمين .

والرواة يحدثوننا ايضا ويحدثنا علي نفسه في بعض كتبه الى معاوية بان ابا سفيان اراد عليا على ان ينصب نفسه للخلافة حتى لا يخرج الامر من بني عبد مناف ، فابى علي ذلك كما اباه على عمه العباس .

ولكن احدا لم يقل ان العباس كان شيعة لعلي ، ولا ان ابا سفيان كان شيعة لعلي ايضا ، وانما عرض لهما هذا الرأي فلما لم يستجب لهما علي بايعا ابا بكر ودخلا فيما دخل فيه الناس ، كما فعل علي نفسه مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه .

ويحدثنا الرواة كذلك ان المقداد بن الاسود وعمار بن ياسر ، وربما ذكر سلمان الفارسي ، اظهروا الدعوة لعلي اثناء الشورى حتى خاف بعض اهل الشورى تفرق الناس ، فطلب الى عبد الرحمن بن عوف ان يتعجل القضاء في الامر . فلما بايع عبد الرحمن بن عوف عثمان دخل المقداد وعمار فيما دخل فيه الناس ، كما فعل علي نفسه . ولم يقل احد في ذلك الوقت ان المقداد او عمار كان شيعة علي ، وانما رأيا رأيا ثم انصرفا عنه ليونا مع جماعة المسلمين .

ومعنى هذا بلغة العصر ان عليا لم تكن له شيعة ممتازة من الامة قبل الفتنة ، ولم تكن له شيعة بالمعنى الذي يعرفه الفقهاء والمتكلمون اثناء خلافته ، وانما كانت كثرة المسلمين الكاثرة كلها له انصارا واتباعا .

وقد استشهد علي وليس له حزب منظم ولا شيعة مميزة ، بل لم ينظم الحزب العلوي ولم توجد الشيعة المميزة الا بعد ان تم اجتماع الامر لمعاوية.

هذا ما يرويه التاريخ، وجاء حديث القصاص واصحاب السير والاساطير فخلطوا بالتاريخ خلطا عجيبا حتى اصبح من اعسر العسر ان يخلص المؤرخ الى الحق الواضح الصريح في ايسر الامور من كل ما يتصل بشأن من شؤون الشيعة ، فلم يكتبوا حديث الشيعة متجردين من شهوات القلوب ونزوات النفوس ، ولا متبرئين من الهوى الذي يفسد الرأي ، ولا من عبث الخيال الذي يخفي حقائق التاريخ .

ان حقائق التاريخ تشهد بان مذهب الشيعة انما قام في حياة معاوية الذي استحدث في المسلمين بدعا جديدة انكرتها النخبة الممتازة مما بقي من صحابة الرسول ، وهي توريث الملك ، وكانت عاقبة هذه البدعة وبالا على المسلمين اي وبال ، فما اكثر ما استحل الملوك من المحارم ، وما اكثر ما سفكوا من الدماء ، واهدروا من الحقوق ، وضحوا بمصالح المسلمين ، وما اكثر ما كاد بعض الامراء من ابناء الملوك لبعض في سبيل هذا التراث الذي اكثر ما كاد بعض الامراء من ابناء الملوك لبعض في سبيل هذا التراث الذي لم يبحه كتاب ولا سنة ، ولا عرف مألوف من صالحي المسلمين .

وقد تحدث البلاذري عن رواته ان سعدا بن ابي وقاص الصحابي الجليل دخل على معاوية فقال :

(السلام عليك ايها الملك ، فضحك معاوية وقال : ما كان عليك يا ابا اسحاق رحمك الله لو قلت : يا امير المؤمنين . فقال : اتقولها جذلان ضاحكا؟ والله ما احب اني وليتها بما وليتها به) .

اذن فالنخبة الممتازة من اصحاب النبي قد بدأت تنكر على معاوية اشياء كثيرة ، ومن هذه النخبة انطلقت الدعوة الرافضة لكل ما يشذ عن القواعد الاسلامية .

ففي عهد معاوية بدأ الصراع الجدي بين النخبة وبين الحاكم الجديد الذي لم يلتزم بما التزم به الخلفاء الراشدون .

كان الاسلام في عهد الشيخين وفي عهد الامام يريد ان يحمل الناس على

طريق العدل والقسط والحرية ، لا يشقى فيها احد لفقر او ضعف او خمول، ولا يسعد فيها احد لقوة او ثراء او نباهة شان ، وانما يعيش الناس فيها كراما قد وفرت عليهم حقوقهم بالمعروف ، ليس فيها تفوق او امتيــاز الا بالذيــن والتقوى وحسن البلاء •

وكان الاسلام يريد ان يكون الخلفاء والولاة امناء للناس على حقوقهم واموالهم ومرافقهم ، يديرونها على ملأ منهم وعن مشاورة ، ويمضونها في غير تجبر ولا تكبر ولا اثرة ولا استعلاء ، ويديرونها كذلك لا عــلى انهم سادة يمتازون من الناس باي لون من الوان الامتياز ، بل على انهم قادة يثق الناس بهم ويطمئنون اليهم ويرونهم كفاة للقيام على امورهم ، فيعهدون اليهم بهذه الامور عن رضى واختيار ، لا عن قهر او استكراه ، ثـم يراجعهم في هـذه الامور من شاء منهم ان يراجعهم فيهــا • فان استبان لهم انهم اخطئوا كــان الحق عليهم ان يعودوا الى الصواب ، وان استبان لهم انهم انحرفوا كان من الحق ان يستقيموا على الطريقة •

وعلى هذا النحو الذي كان الاسلام يريده من انحاء الحكم ومن انحاء الصلة بين الحاكمين والمحكومين مضى النبي صلى الله عليه وعلى الــه وسلم، حتى اختاره الله لجواره مضى خلفاءه على سنته لم ينحرفوا عنها الا قليلا من امر عثمان ، حين غلبه بنو امية على رأيه ، وما اكثر ما راجعه الناس في ذلــك فصار الى ما احبوا واعطى النصفة من نفسه ومــن عمالــه غير مرة • واعلن التوبة او استغفر بمشهد من المسلمين ، وعلى منبر رسول اللــه ، وعلى رغم ذلك ثارت عليه طائفة من المسلمين وطلبت اليه ان يخلع نفسه ، بعد ان ظهــر انه لا يحسن مقاومة الطغاة من خاصته وعماله ، فلما ابى ان يخلع نفسه قتلوه•

وبويع علي فتشدد على نفسه ، وكان له مال قبل ان يلي الخلافة يغــل عليه دخلا حسنا ، فخرج منه وجعله صدقة وفارق الدنيا ولم يتــرك فيها الا مئات من دراهم ، اقتصدها من عطائه ليشتري بها خادما •

وجاء معاوية وقال ذات يوم بمحضر صعصعة ابن صولجان :

(الارض لله ، وانا خليفة الله . فما اخذت فلـي ومـا تركتـه للناس فبالفضل مني) وقبله كان عثمان يقف على منبر الرسول صلى الله عليه وعلى اله وسلم ويقول : سأخذ من بيت المال حتى يرضى وان رغمت انوف . فقال له عمار بن ياسر : اشهد ان انفي اول راغم ، وقال له علـي : اذن تمنع مـن ذلك . وقد رد صعصعة بن صولجان على معاوية بما يشبه كلام علي فقـال : ما انت واقصى الامة في ذلك الا سـواء ، ولـكن مـن ملـك استأثر . فغضب معاوية وقال : لهممت . قال صعصعة . ما كل من هم فعل ، قال : ومن يحول بيني وبين ذلك .

قال صعصعة : الذي يحول بين المرء وقلبه ، وخرج ينشد قول الشاعر :

اريغونـي اراغتكم فانـي وحذفة كالشجا تحت الوريد

على هذه السياسة سخطت الشيعة ، وعارضت في كثير من الجدية حتى قتل منها حجر بن عدي واصحابه ، وعـلى هـذه السياسة سخطت الشيعـة وعارضوا بسيوفهم والسنتهم فقتلوا وقتلوا ، وعـلى هـذه السياسة سخط الصالحون من اصحاب رسول الله والتابعون لهم باحسان ، ولكنهم كانـوا ينكرون في انفسهم ، وربما جمجموا ببعض النكير . وكان عامـة المسلمين ، الذين يرون هؤلاء الصحابة والتابعـين ويسمعون منهـم ، ينكرون مثلهـم ويجمجمون ، ومعاوية نفسه وقد ظهرت شيعة الحق في عهده كان ينكر كثيرا من امره حين يثوب اليه فضل من حلمه وعقله فيذكر سيرة رسول الله وخلفائه ويوازن بينها وبين سيرته . ويحدثنا المؤرخون بـان معاوية لم يتلـق الموت مطمئنا اليه حين الم به ، وانما كان يتوجع ويظهر الجزع ويكثر من ذكر حجر بن عدي ، ومن ذكر اسرافه في اموال المسلمين ، وزعم الرواة ان قتل حجر عدي كان له صدى حتى في اعماق دار معاوية ، فقـد حدثنـا البلاذري : ان معاوية صلى يوما فاطال الصلاة وامرأته تنظر اليه . فلما فـرغ مـن صلاته قالت له امرأته : ما احسن صلاتك لولا انك قتلت حجر واصحابه .

فقد كان قتل حجر ظلما حدثا من الاحداث الكبار . لـم يشك احد من الاخيار الذين عاصروا معاوية في انه كان صدعا في الاسلام ، بـل لـم يشك

معاوية نفسه في انه كذلك ، فهو لم ينسه قط منذ كان الى ان انقضت ايامه ، ثم هو لم يذكره قط كما ذكره في مرضه الذي مات فيه ، فقد كان يقول اثناء مرضه : ويلي منك يا حجر ! ان لي مع ابن عدي ليوما طويلا ..

لهذا انطلقت الدعوة الشيعية صارخة ضد التصرفات التي اقدم عليها معاوية ، والتي تخالف الاسس الاسلامية ، فالشيء المحقق هو ان معاوية قد استكره نفر من الصحابة على بيعة ابنه يزيد ، وفي عهده استقر في الاسلام لاول مرة الملك الذي يقوم على البأس والبطش والخوف، والذي يرثه الابناء عن الآباء ، واصبحت الامة كأنها ملك لصاحب السلطان بنقله الى من احب من ابنائه ، كما ينقل اليه ما يملك من وسائل المال وجامده .

وقد تم ذلك سنة ست وخمسين للهجرة ، اي قبل ان ينتصف القرن على وفاة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وروى الطبري ان الحسن البصري قال :

(اربع خصال كن في معاوية ، لو لم يكن فيه منهن الا واحدة لكانت موبقة :

انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها امرها بغير مشورة منهم ، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابر ، وادعاؤه زيادا ، وقد قال رسول الله :

الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حجر بن عدي ، ويل له من حجر واصحاب حجر ، ويل له من حجر واصحاب حجر ..)

ولم يلبث هذا النكر الذي استحدثه معاوية ان تكاثر ، ولم تكن عاقبة هذا كله على آل ابي سفيان الا خروج الملك منهم وانتقاله الى غيرهم ، فقد مات يزيد الذي احدث في الاسلام شروخا ونكبات ما تزال آثارها بادية حتى الان ولما يملك يزيد الا اربع سنين ، قتلته لذته اشنع قتلة ، فقد كان ، فيما زعم الرواة ، يسابق قردا فسقط عن فرسه سقطة كان فيها الموت ..

بيروت زهير ماوديني

الشاعر محمد البزم :

استاذ عقد التلاميذ

منذ ما يقرب من عشرين سنة سمعت من يتغنى بمحمـــد البزم ، ويضعه في مصاف الشعراء الافذاذ ، ومنذ ذلك التاريخ لم اعثر على كتاب فيه انصاف لهذا الشاعر ، او مجرد تنويه بفضله على اللغة العربية التي كان مـــن فرسانها المجلين ..

كان ذلك في مجلس عباس محمود العقاد ، وفي حضور الشاعر كامـــل الشناوي ، والرسام محمد عبد المنعم رخـــا ، والصحفـــي الاديب محمـــود العزب موسى ، والاديب الظريف محمد مصطفى حمام ، وقـــد توفاهم اللـــه جميعا باستثناء رخا .

وتكلم الحضور عن الشعر والشعراء في دنيانا العربية والعقاد صامت.. كان يريد ان يفرغ الجميع من الكـــلام ليتكلم ، وحين يتكلم العقـــاد يصمت التلاميذ في حضرة الاستاذ ..

كان حديث العقاد في تلك الامسية الحالمة اشبه مـــا يكـــون بملحمـــة ساخرة ، فيه النقد اللاذع لمعظم من عاصروا اديب العربية من الشعراء ، وفيه ايضا الكثير الكثير من النقد المر لكل شاعر ارتزق ..

الوحيد الذي افلت من لسان العقاد اللاذع وسوطه الحاد هـــو محمد البزم ... ودهش الجميع .!

اكثرنا ينمو ، وبعضنا يتراكم فيه العمـــر وتحتشد في تجاعيـــد وجهـــه روزنامات السنين ... وخلال هذه السنوات التـــــي انقضت عـــلى سماعي لحديث العقاد تدهورت عن قواعدها اصنام شعريـــة كثيرة ، وتقلصت اظلـــة

طويلة لاقزام ••• قليل ، قليل ثبت على هذه الحقبة من الدهر ، واقل منـه ما كنا نحسبه قيمة ، ثقل وزنه واستطال ظله ، ومن هذا القليل الذي ثبت محمد البزم الذي وصفه العقاد يومها بقوله :

(حرام ان يغيب ذكر هذا الشاعر الفحل ، ومن الجريمة الادبية ان يعقه تلاميذه الذين ادبهم فاحسن تأديبهم ••• فكل ما سكبه محمد البزم من شعر ، يحس مستمعه او قارئه انه نبع من عقل الشاعر ليستقر في عقول الناس ••• وتلك هي اشعة الالهام التي يهبها الله لمن يشاء من عباده الموهوبين ••

اننا لنحس في شعر محمد البزم قسوة الانسان المترفع عن الدنايا الحريص على كرامته الا تهان او تمس ••• وليس عجبا ان يكون البزم مدافعا عن عمود الشعر واصالة اللغة ، فان رسالة الفنان هي الذود عن كرامة لغة القرآن ، فاذا فقد الشاعر هذه الاصول فقد اضاع رسالته ••• لقد فقدت الفصحى بفقده علما من اعلام الشعر والبيان وظاهرة لا تتكرر على مر الاجيال ••)

واليوم وبعد الجحود المر الذي لقيه الشاعر احس ان في نفسي روعة من الاحترام نحو الرجل الذي سمعت مديحه من اساتذتي في ايام الفتوة والتلمذة ، فقد كان اساتذة جيلي من تلاميذ البزم ، وقد قومت عصاه لغتهم • فمن اي شرفة اطل اليوم على الشاعر ، ومن اي زاوية اتطلع اليه لاعرف القراء به وبأدبه وشعره ؟•

ان محمدا اغترب عن وطنه ومارس حياته وخسر ، هو شاعر اسيء فهمه ، وتفجرت بين قدميه التهم فادار ظهره للناس ، لانه لم يقبل بتسوية ولا انحراف ولا اغراء •••

اذكر مرة ان استاذنا للادب العربي الدكتور اديب التقي قد جاءنا يوما

بهدية لا انساها ••• وكانت تلك الهدية الثمينة عبارة عـن وثيقة عثر عليهـا كتبت بخط الشاعر محمد بن محمود البـزم وتتعلـق بنشأته ، وطلب منـا تسجيلها ، يقول محمد بخطه :

(•• انحدرت الى هذا العالم (المنحوس) سنة ١٨٨٧م ، في دمشق ، اما اصلي فقد هبط احد اجدادنا جلق منذ مئتي سنة او اكثـر جاليـا عـن العراق لاسباب غم علي وجه التحقيق فيها • وان صح ان للانسان نزوعا الى وطنه لغير السبب الذي ذكره باقعة الشعراء ابو الحسين علي بن الرومي فـي قولـه :

وحبب اوطان الرجال اليهم   مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم   عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

فان ما اجده من الصبوة والحنين الى العراق غير بدع ولا مـن الغرابة في شيء ، والى هذا اشرت بقولي من قصيدة :

جلـق منبت جسمي وعلـى   دجلة محتد قومـي الغابرين
والى بغداد مهوى النفس لي   انـة تنتابني حينـا فحين

وكان والدي محمود بن محمد بن سليم البزم يحترف التجارة من نوع (مانيفاتورة) وعليها شببت انا ، وقد هجرتها منذ عشر سنوات الى الان لـم اشتغل بعمل ما •••

قاربت سني العشرين وانا لا اعلم من القراءة الا بعض سور قصار مـن القرآن ونزرا من الاي التي يكثر جريها على الالسنة مما لقنته عند (الخوجة) معلمة الاطفال ، ومن افواه الناس ، وقد كتب لـي مرة ان اصحب عمي فـي بعض اسفاره الى بيروت وعند اوبتنا هبطنا بلدة الزبدانـي احدى امهـات القرى في غربي دمشق فرأى عمي في يد احد سائحي الدراويش المجلد الثاني من كتاب المستطرف ، للابشيهي ، فشراه بثمن بخس على غير عادة منه باقتناء

الكتب فكان اول كتاب عرفته غير اقاصيص وسير كنا نسمر بها ليالي الشتاء، بل كان باكورة عدتي الادبية لانكبابي والحاحي عليه بالمطالعة والتكرار، وان لم اكن افقه مما اقرأ الا قليلا .

وبقي هذا شأني لا اطيق من الكتابة الا طائفة من اسماء الاعلام ، اقلد برسمها خط القرآن والكتب المطبوعة حتى اتيح لي ان دخلت مرة مع صديق لي المكتبة الظاهرية ، فأخذت انظر في شتى الكتب من ادب واجتماع وتاريخ وفنون فانتبهت اذ ذاك لضرورة درس العربية وفنونها . وطفقت انا والصديق خير الدين الزركلي نتناب حلقات شيوخ الفيحاء وعلمائها . وكلما انسنا قلة الفائدة عند واحد صرفنا همنا الى غيره حتى قذفتنا الهداية الى العلامة المتفنن الشاعر الاستاذ السيد عبد القادر بدران (امام الشام في عصره) فقرأنا عليه في عدة شهور شيئا من ديوان المتنبي ، ونحوا من مغني اللبيب لابن هشام ، وصدرا من دلائل الاعجاز لفحل البلاغة عبد القادر الجرجاني وكتبا في الاصول ، ثم لم نلبث ان اتصلنا بنابغة علماء دمشق واحد افذاذها المشهورين الاستاذ المحقق والاديب الرقيق السيد جمال الدين القاسمي ، فقرأنا عليه كتبا في العربية والبلاغة والمنطق ، وكان قد نزل في غضون ذلك دمشق احد علماء تونس المفوه اللسن السيد صالح التونسي ، فقرأنا عليه كتبا في علمي الكلام والمنطق ، واخرى في العربية والاصول . ثم انصرفت الى المطالعة بنفسي حتى كان عام ١٩١٣ ، فانتدبني الاستاذ كامل القصاب مدرسا لفنون البلاغة والانشاء في مدرسة العثمانية ساعات في الاسبوع ، فلم ازل كذلك حتى دهم الناس بنشوب الحرب) ..

الى هنا نقف عن نقل مذكرات الشاعر في الحديث عن ولادته ونشأته ، لنضيف اليها ما سمعته من اساتذتي الذين عرفوه وغرفوا من بحر علمه واطلاعه ...

كل ما بقي عالقا في ذاكرة هؤلاء ان الشاعر قطن منذ القديم في حي (السمانة) ، ـ احد فروع سوق ساروجة ـ وفي هذا الحي الشعبي ترعرع،

وفيه تعلم على امرأة (خوجة) كما كان الحال لذلك الزمان ، فأخذ يتعلم القرآن وحفظ بعض آيه ، وتقليد رسمه وخطه ؛ فقد كان العدة والالة والسبيل الى تمام العربية تفقهها ؛ وكان هذا الرسم الضئيل والقراءة الضعيفة هي كل زاده قبل ان يبلغ العشرين ... وبعدها وقع على شيوخ البلد في المعرفة والعلم ؛ فأخذ علوم البلاغة والمنطق والكلام بعد العشرين من سنيه ، واتصل بنوابغ عصره ؛ فاستقر في ذهنه ما تلقنه من علوم النحو والبلاغة في هذا السن ، الى ان اصبح علما فيها وحجة في فهمها .

ولا شك في ان الشاب النابه لم يكن ينصرف الى التدريس فحسب ، وانما كان يتلفت الى القريض ، فقد طالما سمعنا من شيوخ الادباء الذين عاصروه انه علق بشعر المتنبي وانه درس شعره زمنا ، فأخذ منه المتانة والقوة والجزالة . وقلده كما قلد غيره من فحول الشعراء ؛ فهو في ذلك كاقرانه من شعراء دمشق عادوا الى الينابيع الماضية والاساليب القديمة يعبون منها كما يستطيعون ..

وانطلق الشاعر ينشر في الصحف قصائد ومقطوعات قومية فيها حض للعرب على النهوض من اغفاءتهم والمطالبة بحقوقهم المغصوبة بيد الترك . وهو الوتر القومي الذي ظل محمد يضرب عليه خلال حياته ...

ويقول زميله الشاعر الكبير شفيق جبري في مقال له نشر عن محمد البزم بعد وفاته :

(... بعد اعلان الحرب العالمية الاولى اصيب محمد بكآبة ملحوظة وحين كنا نجتمع كنت اسمع منه قوله : لقد شهر الترك النفير العام ؛ فكمت الافواه ، واشتدت الرقابة ؛ واصلتت السيوف فوق اعناق الاحرار من العرب ومشت الخشية في النفوس ، ودب الذعر في اشد القلوب واقوى الافئدة ، ولم يعد احد يجرؤ على القول في جهر ولا سر لكثرة ما بث من العيون ، وانتشر الجواسيس ؛ فكيف تريد مني يا شفيق ان ابتهج علينا ان نعمل ولو تعرضنا للتهلكة ...

ولقد نظم محمد البزم الكثير من الشعر في ذلك الوقت وطلب من والدته ان تحفظه ، وعندما جلا الترك طلب من والدته شعره فلم تعثر عليه ، فاضيف الى حسرة الشاعر بتنكيل الترك للعرب حسرة جديدة بفقده ما قرضه في سنين ثلاث في ثانية واحدة) ..

ويضيف جبري على ذلك :

(.. وهكذا اضاع الرجل شعره الاول ، في مطلع الشباب مما سبب له الكآبة المزمنة وكان يردد امامي :

لقيت منذ الصغر من الحاح المصائب وولع بنات الدهر بي ما ولد في نفسي كرها للحياة ونفرة من ابنائها ، فلم تبد لي الا شمطاء متنكرة ، جهمة الطلعة ، عبوس الوجه ، مكروهة للشم والتقبيل :

فمن لي بارض رحبة لا يحلها سواي تضاهي دارة المتقارب

وينقل الينا شفيق جبري الكثير من اخبار البزم التي نجهل فيقول :

حين قامت الحرب الاولى جرفه السيل ، وانتظم في سلك الجندية كاتبا في احد المصحات ، وسكت لسانه خلالها عن وصف تلك الحرب الضروس ، فلما انتهت الحرب وهبت النسائم العربية ، ثارت حماسة الشاب واتقد حمية وانطلق يقول :

جزى الله كل الخير خيلا تتابعت ترامى الى ارض الشام صدورها

ولكن الشاعر ما كاد يفرح بالخيول العربية التي زارت الشام حتى انقلبت الامور ، واتهم بجرم سياسي واودع السجن فقال :

لا السجن يردعه ولا اغلاله عن غاية تسمو لها آماله
مقتسوه اذ تقمصوا عليه جلاله فسعوا به كي لا يبين جلاله

ومن شعره الذي كنا نحفظه غيبا قوله :

يا ايها الوطن الذي عبثت به ابناؤه فترأست جهاله

وتناوبتـه الحادثـات فـاسـه   في النازلات المميـات رذالـه
وتفرقت شيعـا بـه ابنـاؤه   وتخاذلـوا فتقطعـت اوصالـه

وجاء الى وزارة المعارف شاكر الحنبلـي فعينه استاذا في التجهيـز ، وسلخ من عمره ما يقرب سبع عشرة سنة يعلم ويؤدب ويقوم لغـة الطلاب ، وكانت هذه المدرسة في عهده تضم صفوة الاساتذة الجهابزة ، وكانت فـي العربية كأنها كلية الاداب لتلك الايام ، فيهـا اعضاء المجمع العلمي العربـي يدرسون العربية ، ويعنون برعايتها والحفاظ عليها . والتحـدث في ادبائهـا ومؤلفيها ... فتخرج على ايدي هذه اثانوية كبار الادباء والمدرسين وتخرج على ايدي محمد البزم جيل كامل من المثقفين لم يحفظوا لـه يـده في شرح قواعد النحو ومعرفة اسرار الاعراب ، وادراك غور اللغة والمفردات وتملـك ناصية الفصاحة والبيان ... فكان في نظر اعلام عصره حجة قوية ، ومصدرا كريما وينبوعا فياضا ...

ومن تتاح له الفرص فيزور مكتبة الاستاذ انـور العطار سيجد فيهـا الفيض عن فضائل محمد البزم فقد كان وفق وصف العطار شخصية نادرة في عالم الفن ، بل هو اندر الشخصيات في هذا الجيل الذي قاد تطور الادب اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى وجلاء الترك ، وكـان صاحب موهبة فـذة في الاعراب عارفا باسباب حركة الكلمة والموازنة بين ما قاله القدماء والمحدثون في هذا الباب ، حتى لقد كان موضع احترام اهل التقدم من النحاة واصحاب اللغة من مثل العقاد والجارم والزيات والجندي والمبارك وغيرهم ، وكانـوا يتحدثون عنه في مقالاتهم ويرون له مقامه فيهم واحتلاله المحل الذي يليق بـه في هذا المضمار ...

وقد اجمع هؤلاء على انه كان مخطئا بحق نفسه حين اهمـل تسجيـل دراساته الخاصة في النحو ، وطالما نصحـه اخوانـه (شفيق جبري ، انـور العطار ، خير الدين الزركلي ، سامي الدهان) ان يكتب شيئا في ذلك فاهمل ، ثم قضى دون ان يحقق شيئا من هذا ..

واذا كان الشؤم قد لاحقه في حياته ، فان هذا الشؤم قد لاحقه ايضا بعد وفاته ، فمهما فتشنا فلن نعثر على الكتب القليلة التي خلفها ومنها كتاب في اللحن الذي سرى في كلام العرب ودرس اسبابه وانواعه ، وكتاب (النحو الواقع) حرره نتيجة تجاربه على منابر التدريس وقراءاته في كتب العربية ، وكتاب عنوانه (الجواب المسكت) وهو مجموعة كبيرة لكل جواب مسكت قالته العرب ، وكتاب اخر هو (الجحيم) وفيه اقام الدليل على ان اللغة العربية سهلة جميلة في عامة فنونها ، وهي قادرة على السير مع الحياة انى سارت ، وفيه حملة على الشعوبيين من اللغويين والنحاة الذين عقدوا قواعدها ، ليختصوا بعملها ويجعلوه وسيلة الى كسبهم ، وامتطاء اعناق الناس ، سوقة وملوكا ، وفيه الدليل المشرق على ان ما احكمته الطبيعة من جمال العربية وفتنتها لم يكن خاصا بقواعدها بل هو شامل لكل فنونها ..

وبالرغم من قسوة النقاد عليه ، وقسوته ضدهم ، فان هناك جانبا مشرقا من حياة البزم ما يزال مجهولا، وهو النزعة الادبية التي كان يفرغها في جريدة (الميزان) ..

وجريدة الميزان حدث ادبي في تاريخ سورية ، وكان صاحبها (احمد شاكر الكرمي) على ذكاء واسع وقوة خارقة في ادب النقد ، فاتفق الرجلان في هذا السبيل . وغدت مقالات (الميزان) موضع الحديث في الاسمار والمجالس ، وفي المدارس .. ولقد وجد البزم في هذه الجريدة متنفسا لادبه ومجالا لشعره ، وكان رفاق محمد في التجهيز ومنهم سليم الجندي شيخ الادب العربي لجيله ، وعبد القادر مبارك شيخ اللغة في أيامه يشكلون الثلاثي الادبي ، وكانت مجالسهم من اروع ما حفلت به مجالس تلك الايام الحلوة فيها الاراء الادبية والنكات النحوية والمشاكل الاعرابية ، وربما احتدم الجدل او ربما بلغ حد التفاخر والتهاجي بحيث ينتهي ذلك كله الى التقاطع والتباعد الى ان يقيض لهذا الثالوث ما يجمع شمله ويرأب صدعه ..

تحدث البزم مرة عن احد الادباء فقال انه معدن الغلاظة ــ بفتح الغين ــ فأجابه المبارك بأن صواب هذه اللفظة بكسر الغين (غلاظة) ، ولم

يطق البزم ان يرد عليه احد في هذا الباب ، ولجأوا الى القاموس ، فثبت خطأ البزم فما كان منه الا ان قال على البديهة :

(الحمد لله على انه غلبني بغلاظته) .

وكان البزم يقول ان (اذما) الشرطية حرف لا اسم ، وكان احد الادباء يقول بانها اسم ، وسئل الجندي فقال :

(نحن هذه الايام بازمة (اذما) ،) ، وروى ان احدهم اعترض على حرفية (اذما) ونقل الاعتراض للبزم فقال :

(ان هذا القائل يجب ان يصفع على قفاه مدة ستة اشهر متوالية) ، وعلق الجندي على ذلك فقال :

(نحن حائرون الان من المظلوم ؟ المصفوع ام الصافع ؟ الذي سيستمر على العمل المضني هذه المدة الطويلة) .

كان البزم حاضرا في مهرجان تكريم شوقي في دمشق عام ١٩٢٤ ، وقام الشاعر خليل مردم يقول :

برزت بزينتها اليك الشام وافتر بشرا ثغرها البسام

ثم قام شفيق جبري فانشد :

حنت الى بردى فحي رجالها الله مكن في العيون مثالها

فعلق البزم على القصيدتين :

(كلاهما في طاعة الله) ، ويقصد ، كما لا يخفي ، ان كليهما مصل ومقصر ..

لقد خاطب البزم المعري في قصيدته التي القاها بمهرجانه :

واسهرت من جفني عشرين حجة بهم ولهم احيي الدجى واحاضره
واظفرتني منهم بما لا تسرني به متع الابريز تزجى غرائره
فذللت مني كل اصيد شامس ودمثته حتى تآلف نافره

وعلقته بعـد الجنـون كانـي ــ ولم ابتدع فيه الرجاجة ــ فاطره

لقد (ذال شامس) النحو و (دمثه حتى تآلف نافره) ثم (عقله بعـد الجنون) ، وهذه الابيات تكشف ثقافة البزم العربية ، فلغته تذكرنا بالشعراء من صدر الدولة الاموية ، ودل بما له من عبقرية في النحو ، ولقـد اشترك البزم في ذكرى المتنبي ، فوصف بانه شاعر غلبت عليه اللغة .

لقد ظل البزم يعالج التدريس طوال ايامه ، حتى اذا خلا الى نفسه نظم الشعر واجاد فيه . فاذا خلا الى اخوانه عبث وتندر ، وناقش ، واجاب ، فاذا تعب جسمه وجاوز الستين ركبته العلل والامراض ، واحيل الـى التقاعـد ، وضاق بالعيش ، فاسلم الى المستشفى العسكري بمعونة احد طلابه الدكتور عزة الطباع وكان ضابطا في الصحة بالجيش ، وهناك فقد البزم البصر ، وفقد بعده الحياة ، فاسلم الروح الى بارئها في كانون الثاني من عام ١٩٥٥ .

واهمل ذكر هذا الشاعر الذي عاش حياتـه يقاوم الاحتـلال التركي ، والانتداب الفرنسي ، ونسيه الاصدقاء على كثرتهم ، وعقه تلاميذه على وفرة عددهم ، ولكن الذي بقي من هذه الحياة هو ادبه ومن اجمل ما يزين ادبـه شعره الذي طرق فيه باب الفخر ، والوطنية ، والنقد الاجتماعي ، والهجاء ..

ولعل البزم كان ادرى باخلاق الناس حين خاطبهم :

وادع عـداك فـان عتوا   فاري العدى بلظى ضرابك
واذا غدوت بهـم غريبـا   فالكياسـة باغترابـك

فهو يرى ان يهادن حتى تصح الهدنة ، وان يحارب حين تضطر الحـرب الى الهجوم ، والا فليعش غريبا عنهم ... وهكذا فعـل محمد البزم ، قضى وحيدا لم تتحدث عن وفاته صحيفة او مجلة ، وقد كان قبل ذلك يملأ الصحف باقواله ومقالبه الادبية وقصائده بالمناسبات الضخمة وفي المهرجانات العامة ، ومعظم الادباء والكتاب الذين يحتلون الساحـة الادبية والشعريـة بالامس واليوم من طلابه وتلاميذه ...

ما أشبه صيف لبنان ١٩٧٩ بصيف مصر ١٩٥١

حين بدأ الاستاذ (محمد زكي عبد القادر) شيخ الصحافة في مصر ينشر مذكراته ، تدافعت امام شاشة الذهن صور من الذكريات النابضة بالحياة التي لا يمكن ان تنسى ... فقد كنت منذ ان وعيت على الدنيا وانا اسمع بهذا الاسم واتوق الى رؤيته والاصغاء الى احاديثه .. وقد قادني اليه في باكورة زياراتي للقاهرة الاستاذ ابو الخير نجيب صاحب جريدة (الجمهور المصري) ، وهناك في مكتبه حيث يعقد جلسة الثلاثاء بحضور نخبة من الادباء والمفكرين الشباب رحت امتع النظر بهذا الصحفي الذي يتحدث بتواضع عن دور الشباب في تغيير المجتمعات ... وكان احمد بهاء الدين المحرر في مجلة روز اليوسف يومها من اوائل مريديه ..

وتتابعت زياراتي للاستاذ محمد زكي عبد القادر قبل واثناء (حركة ٢٣ يوليو) ، وقد خرجت من هذه الزيارات بزاد ثمين ، ومعرفة حية ، وخبرة في شؤون الصحافة والصحفيين ...

واليوم ، وانا اتابع مذكراته الشيقة اجدني اتوقف عند الكثير من اقواله التي تعلم اهل القلم كيف يمسكون بالقلم ويكتبون للناس ... للتاريخ ... للجيل ..!

ما اشبه ليل لبنان الحالي بليل القاهرة يوم بدأ النظام الملكي ينهار على رؤوس اهله .. لقد وصف لنا الاستاذ عبد القادر هذا الليل الطويل الذي انجلى عن حركة الضباط الاحرار بقوله :

(... كانت هناك مقدمات ومقومات ... ان جو الكآبة والتوجس والخوف من العواقب اخذ يخيم على الوطن بعد حملة فلسطين وما بدا من

تعثرها ... ولم يكن هذا الجو مفاجئا ، فقد كانت لـه مقدمات ومقومـات سابقة ... اساسا فيما اعتقد ان الشعب نحي عن تولـي سلطاته وان القصر كان مسيطرا او يكاد ، وان الدستور انتهك انتهاكا خطيرا حتى بدا ممزقا او كالخرقة مجرد شعار لحكم اوتوقراطي ... هذه واحدة . والثانية انه نشأت تيارات جديدة شابة من الشعب استقطبت جانبا كبيرا من الشباب ، واتخذت صورة التشكيلات العسكريـة في القمصان الخضر لمصر الفتـاة والقمصان الزرق التي انشأها الوفد ، ثم التشكيلات شبـه العسكرية التـي انشأهـا الاخوان المسلمون ..

وبدا ان الجو السياسي في مصر يتجه نحـو اتخـاذ وسائـل للاصلاح وفرض الاراء التي تختلف اختلافـا جذريـا عـن الوسائـل والاساليب الدستورية .. وقامت الحركات الجديدة على شعارات غامضة وغير محددة ، ليس فيها الا البريق الذي يستهوي الشباب كالقول باعادة مجد مصر وجعلها دولة قوية واحياء الاسلام وسلطانـه ومقاومـة الفساد والتمسك بالطهـر الاخلاقي وما الى ذلك من تهويمات واغراض ، اقرب ان تكون امنيات منهـا ان تكون برامج سياسية للعمل ، ثم ما وقع مـن جمود الاحزاب القائمة دون ان تطور في المفاهيم والمطالب بما يتفق مع ما تطور اليه العالم بعـد الحرب اقتصاديا واجتماعيا .. اما احزاب الاقلية فكانت تكـأة يضرب بهـا القصر حزب الاغلبية ، ويتمكن عن طريقها من الاعتداء على الدستور ومحاولة تفتيت الكتلة الشعبية ..

.. اما الوفد فقد تطرق اليه الضعف ... كـل هـذا مهـد للحركات الجديدة وكفل لها التأييد الحماسي بين الشباب ، وتزعزع الايمان بالوسائل الدستورية ، وكان هذا وذاك طريقا الى المنهج الجديد الـذي يستند الـى التفكير النازي والفاشي ، وما يستتبعه من استخدام العنف مـع الخصوم ، وجذب الانصار بالاندماج في التشكيلات العسكرية وشبـه العسكرية ... وهكذا تهيأ الجو الى مرحلة من الارهاب والجرائم السياسية ..

كان اسبقها قتل المرحوم احمد ماهر في فبراير سنة ١٩٤٥ ، وقتل المرحوم امين عثمان في يناير سنة ١٩٤٦ .. وتعددت حوادث القاء القنابل في فترات متفرقة في سنة ١٩٤٦ وفي سنة ١٩٤٧ ، وضعت قنبلة شديدة الفتك في دار سينما مترو ذهب ضحيتها عدد من النظارة الابرياء ... ولم يكن يخلو من مغزى ان اختار من القوا القنابل يوم عيد الجلوس الملكي موعدا لارتكاب جريمتهم ..

وفي اوائل سنة ١٩٤٨ قتل المرحوم احمد الخازندار وكيل محكمة الاستئناف بينما كان يغادر داره في الصباح ، وبعد ذلك باسابيع شرع البعض في نسف دار النحاس باشا بتفجير سيارة من الديناميت ، وفي يوليو من السنة نفسها شرع مجهولون في نسف دار وكالة حكومة السودان .. وبعد ايام القي طوربيد من الديناميت على محل شيكوريل واوريكو ، ثم على محل بنزايون ومحل جاتينو ... ووقع في شهر سبتمبر انفجار شديد في حارة اليهود .. وفي شهر نوفمبر وقع اعتداء على شركة الاعلانات الشرقية ، كما وقع فيه اعتداء على النحاس باشا اثناء عودته من النادي السعدي ..

وفي ٤ ديسمبر قتل اللواء سليم زكي حكمدار العاصمة والقيت قنبلة على المدرسة الخديوية ..

وعاشت مصر في هذه الفترة حياة عصيبة اختلطت فيها القيم الوطنية والقومية بالدم والجريمة والتهديد ، وبدا ان البلاد تتناوبها تيارات مختلفة متعارضة متضاربة ... لا تعرف ايها تدين وايها تبرىء ...

كان السير في الشوارع محفوفا بالخطر والمخاوف .. وكانت الخواطر مبلبلة مضطربة والحياة السياسية شوهاء عجفاء بتراء ... سيطر عليها الارهاب والخوف وازداد الحكم ضعفا .!

زارني ذات يوم المرحوم عبد المجيد بدر باشا ، وكان حينئذ مديرا للسكة الحديد .. وكان الوقت ليلا .. والشوارع مظلمة كئيبة ونفوسنا

اشد ظلامة وكآبة .. نسمع فرقعة من وقت الى اخر او يأتي نبأ بان قنبلة القيت ثم يأتي نبأ اخر .. كلا انها ليست قنبلة ولكنه انفجار سيارة او موتوسيكل ... كانت الاذهان مشتتة والخواطر مستعدة ان تصدق اي خبر او تتوقع اي كارثة ... قيل ان مخزنا للذخائر في جبل المقطم شب فيه حريق وقيل غير ذلك ... وصدقنا ما قيل اولا ، وصدقنا ما قيل ثانيا وتطلع لي عبد المجيد بدر باشا وقال وفي وجهه حسرة وحيرة :

هي البلد ده مالهاش صاحب ؟

وكان تعبيرا موجزا ولكنه تعبير صائب ...

حقا كان الشعور هو هذا ..

كنا نسأل الرقيب (رقيب الصحف) احيانا ، فلا يعرف كيف يجيب ، وكان يسألني احيانا فلا اعرف كيف احسب لم نكن نعرف ولم تكن الحكومة تعرف ..

لم يكن احد يعرف ..

كان الجو مشحونا لا يعرف احد من اين يأتي الخبر المثير ... الكارثة ... المصيبة !

كل انسان كان يتوقع شيئا من هذا بين لحظة واخرى .. اما من اين يأتي فلا احد يعرف ..

هل من الحكومة او من القصر ... او من ميدان القتال او من وزراء الحربية او الداخلية ، او من الشارع .. او من الريف .. من اقصى الصعيد او من الاسكندرية ..

كان كل مكان في مصر يمكن ان يأتي منه خبر مروع .. ام من جبل المقطم فلم اكن اعرف حتى هذا الوقت ان في الجبل ذخائر ..

هل هي الحكومة ام للتيارات الخفية التي بدا انها تحرك الحوادث اكثر

مما تحركه القوى الظاهرة على السطح ؟

اكنا ندور مع الايام ، ام ان الايام تدور بنا ، ام كنا ندع امورنا للايام تدور بنا وتعود ؟

وشهر مستهل بعد شهر وحول بعده حول جديـــد ..

آكان الخوف يردعنا مـــن ان نفقـــد شيئـــا او اشيـــاء .. شخصا او اشخاصا ..

هل كان الخوف وحده قوتنا وزادنـــا ... ام كـــان في ظلمات الخوف مشرق امل نرجوه ولا نعرف الطريق اليه ..

كانت في الجو سحابة ثقيلة منذرة .. كان هنـــاك احساس ان الامـــور بلغت منتهاها ..

الحرب والارهاب يظلل سماءنا وواحد منهما يفتك ويربـــك ويحير فما البال بالاثنين معاً .!

ترى هل بلغت الامور ذروتها ، وبلغ الليل اشد حلكا ..
ترى ماذا بعد ؟

هذا بعض ما ورد في ذكريات الاستاذ محمد زكي عبد القادر .. اتـــراه يتحدث عن لبنان ١٩٧٩ ، ام عن مصر عام ١٩٥٠ ؟

ما اشبه صيف مصر عام ١٩٥٠ بصيف لبنان عام ١٩٧٩ .!

المحـــرر

المؤامرات في عهد سليمان باشا

بقلم: علي الزين

اضطراب الاخبار بعد وفاة الجزار

يقول الامير حيدر احمد شهاب : وفي ابتداء هذه السنة (سنة ١٢١٩ هـ) في شهر محرم الحرام الموافق تسعة وعشرين من شهر نيسان ، كانت وفاة احمد باشا الجزار في مدينة عكا ليلة الثلاثة وحين اراح الله البشر من ظلم الجزار ونقله الى العذاب ارسل الشيخ طه الذي ذكرنا انه كان في مقام كأخيه عند الجزار ، اخرج اسماعيل باشا من الحبس ، وكان قصده بذلك ليعينه على ضبط الدايرة والاموال خوفا من العساكر لانه خاف لتقوم عليه دولة الجزار ويقتلوه ، ثم عرفه بموت الجزار ، واخذوه خفية الى السرايا والبسوه ثياب الجزار ونادوا باسمه ، وان الجزار قد قام واوصى له في التسليم من بعده ، ثم امر باخراج حايين اليهودي من السجن ورجعوه الى الخزنة كما كان ، وتسلم اسماعيل باشا تركة الجزار وكانت اموال وذخائر ودايرة لا تقاس ولا تحد ولا (تحصاها) الاقلام ولا ذوي الافهام ، وفي الحال فرق اسماعيل باشا المنضا المكسورة الى العساكر ، وكانت تبلغ سبعة آلاف كيس ، وارسل اعلام الى جميع المقاطعات والمتسلمين طيبان خاطر وان كل منهم يكون متعاطي اشغاله ، فكان سرور عظيم عند العالم في

● فصل من كتاب « تاريخنا في لبنان » المعد للطبع .

زوال الجزار ، ورجعوا الهاربين من المدن ومن الشام الى مواطنهم (١) •

* * *

الحوادث المهمة

•• ويقول الامير حيدر احمد : وفي هذه الايام لما تحقق عند المشايخ المتاولة موت الجزار حضروا من بلاد عكار الى عند الامير بشير وطلبوا منه الاسعاف لكي يتملكوا بلادهم واستنجدوا في الشيخ بشير جنبلاط ودفعوا له نصف حكم اقليم الشومر الذي في جباع الحلاوة فمشى معهم اهل الشوف ورجال بيت ابو نكد ، وكتب الامير بشير الى امارة حاصبيا وراشيا ان يتوجهوا معهم برجالهم فتوجهوا الامارة باهالي وادي التيم مع المتاولة واجتمعوا الجميع في مرج عيون ولما بلغ عسكر الدولة الذي في بلاد المتاولة قدومهم هربوا الى صور فنقلوا الامارة والمتاولة من مرج عيون (يعني الى قلعة هونين) فارسل لهم الامير بشير علم بان يرجعوا وقبل وصول العلم كبسهم محمد علي ابن الوند الذي كان متسلم في حوران ، ثم بعد موت الجزار حضر الى عكا وكان دالي باش بنحو مايتين خيال ومعه خمسماية نفر ارناوط ، ولما وصلت الدولة انكسروا المتاولة والدروز وخرجوا من القلعة (قلعة هونين) وراح منهم ما ينوف عن الثلاثماية قتيل واكثرهم عند خروجهم من بوابة القلعة داست الخيل الزلم ومنهم ماتوا على الطريق وقبضت الدولة على اربع وستين نفر • ومن الجملة امير من وادي التيم وقال له الامير حسن، وكان اكثر القتل من اهل وادي التيم وغنم عسكر الدولة في المكسب والسلاح • ثم من بعد ذلك جدد الشيخ بشير جنبلاط الصوت وتوجه الى جباع الحلاوة ، فحضر كتابات من الشيخ طه الى الامير بشير عن يد شريف آغا ان الذي توقع من الكاينات ليس هو بعلم اسماعيل باشا • وانه يوجه التقادم ليوجه له الخلع والتزام البلاد ويطلق له الامير سليم والامير قاسم (٢)•

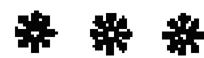
---

(١) لاحظ ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين •

(٢) لاحظ ص ٤١٢ ـ ٤١٣ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين •

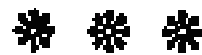
ما يلاحظه الباحثون

مما لا شك فيه ان الشيخ طه هذا اصبح بعد وفاة الجزار اضعف من ان يحرك ساكنا بدون علم قادة العساكر في عكـا وموافقتهم ، واذن فكيف تجرأ على ان ينفرد بتعيين خلف للجزار كاسماعيل باشا وهو موضع الشك من قبل رؤساء العساكر واغواتهم ؟؟



وما يدر بنا بان نكون نسبة تعيين اسماعيل باشا في مكـان الجزار الى الشيخ طه اليزيدي ثم اتهامه وتجريحه بانـه كان خائنا ومحبوسا مـع حاييم اليهودي كل ذلك كان لتنفير الناس من اسماعيل باشا وتقريبهم مـن سليمان باشا ورهطه من المتآمرين ؟

ولو ان الشيخ طه هـو الذي عـين اسماعيل باشا ـ بـدون علم قادة العساكر ــ لما قتل بعد ذلك بأمر من اسماعيل باشا على مـا يرويـه الشهابي ص ٤١٥ من لبنان في عهد الامراء .



ثم اذا لاحظنا ان جميع الناس ــ عـلى قول المؤرخ ــ قـد فرحـوا وترقبوا الفرج بموت الجزار فكيف نصدق ان مشايـخ المتاولة الذين لاقوا الامرين من عنف الجزار ــ لم يفرحوا ولـم يترقبوا الفـرج بعـد موته ؟؟ ليثوروا على الدولة بعد وفاة الجزار قبل ان تستقر الامـور ويعرفوا موقف رجل الدولة الجديد منهم ؟؟

ثم ان مشايخ المتاولة لم يكونوا في بلاد عكار يوم علموا بوفاة الجزار وانما كانوا داخل بلادهم قسمان ، قسم مع الطواح وقسم موالـي للدولـة كمرعي الصعبي مثلا .

ثم لماذا لم يسمي المؤرخ مشايخ المتاولة الذيـن استنجدوا بالامير بشير والشيخ بشير جنبلاط باسمائهم ، كما قد سمى امير حاصبيا الشهابي باسمه؟؟

ام ان الامير بشير والضالع في المؤامرة مع سليمان باشا لم يجرء على ان يعلن الثورة على اسماعيل باشا باسمه خوفا على ابنائه المرهونين في عكـا ـ فموه الثورة باسم المتاولة استخفافا بشعورهم وبمصالحهم السياسية او اعتقادا بانه ليس فيهم من يجرأ على مخالفة رغائبه ولو كانت جائرة مهينة .

ثم اذا كان مشايخ المتاولة هم سبب المعركـة وابطالهـا فلماذا اعتذر الشيخ طه للامير بشير عن هذه المعركة وانهـا كانت بغير علم اسماعيل باشا ؟ بل كان على الامير ان يعتذر لدولة اسماعيل باشا .

* * *

ثم ان مشايخ المتاولة يومئذ لم يكن بيدهم شيء مـن اقاليم الشومر او غيره من اقاليم بلادهم الثمانية قبل ان يتعين سليمـان باشا بمنصب الجزار ، ويصطلح مع المشايخ ويعطيهم اقليم الشومر معاشات موزعا عـلى كـل فرد منهم ؛ فكيف يصح القول بانهم اعطوا نصف حكم اقليم الشومر الذي فـي جباع ؟ للشيخ بشير جنبلاط مع انهم كانوا لا يملكون ولا يحكمون ؟ ثم ان اقليم الشومر لا علاقة له بجباع الحلاوة ولا جباع الحلاوة لهـا علاقة باقليم الشومر جغرافيا واداريا ؟؟

كل هذا مما يدل على جهل ملفقي هـذه الرواية وعـلى حماقتهم فـي اصطناع الحوادث ، وذلك مما يدعو للشك بكل مـا نسب لمشايخ المتاولـة بهذه الرواية وبهذه المعركة .

* * *

المساعـي المشبوهـة

من المتفق عليه لدى جل المؤرخين ، انه لما توفي الجزار سنـة ١٢١٩ هـ اجتمع مجلس شورى ولاية عكا المؤلف من قادة العساكر واختاروا اسماعيل باشا القدسي لتولي منصب الجزار وكتبوا للباب العالي في اسطنبول يخبرونه بوفاة الجزار يلتمسون منه تعيين اسماعيل باشا مكان الجزار ، وكل مـا قيل

لتزييف هذه الحقائق لا يثبت للنقد الصحيح •

ولكن الدولة العثمانية ـ لامر ما ـ عندما علمت بوفاة الجزار ، او عندما علمت بمرضه الشديد على ما يذهب اليه الامير حيدر ، عينت ابراهيم باشا والي حلب مكانه ثم ارسلت راغب افندي امين الخزنة مع (الدونما الهمايوني) لضبط مخلفات الجزار (١) •

❋ ❋ ❋

ـ ماذا صنع راغب افندي ـ

يقول الامير حيدر : وحضر راغب افندي قبجي الذي من قبل الدولة العلية لضبط مال الجزار حضر من حلب الى الشام الى دير القمر وقام الامير بشير بكرامته وخدمته (اي بتقديم الرشوة الكبيرة له) لانه في الرتبة اكبر من ابراهيم باشا بما انه وكيل الدولة العلية ثم توجه من دير القمر الى مدينة بيروت وسافر في البحر (٢) •

❋ ❋ ❋

ويقول المعلم ابراهيم العورة وهو من كتبة سليمان باشا المعاصرين للحوادث : « ونزل راغب افندي من الدونما (الاسطول) في حيفا الى عند ابراهيم باشا وسليمان باشا فقابلهما ورجع الى الدونما ، وبعد يومين حضر ليلا بالسر عند سليمان باشا واختلى معه وصار الاتفاق بينهم ان يقدموا معرضوات الاستدعاء للباب العالي بطلب المنصب لسليمان باشا وقبل الالتماس وصدرت الاوامر السلطانية بتوجيه الايالة الى سليمان باشا وعزل ابراهيم باشا » (٣) •

❋ ❋ ❋

ويقول الامير حيدر احمد : « واما راغب افندي الذي حضر لاجل ضبط مال الجزار ، حين تحقق خون قبطان باشي مع اسماعيل باشا وانه ارسل يعرض الى الباب العالي في امره ويطلب له المنصب وتحقق ان عكا عسرة التسليم فرجع الى اسلام بول في ثلاث مراكب باليك الذي وسقوا ما

تسلمه القبطان من اموال الجزار » • (٤)

* * *

ثم يقول الامير حيدر : « وفي هذه السنة رجع راغب افندي من (اسطمبول) الى صيدا وعن يده امر شريف بان تكون ايالة صيدا على سليمان باشا وايضا اوامر شريفة الى الامير بشير من الصدر الاعظم » • (٥)

* * *

ما يلاحظه الباحثون

١ ـ لاحظ ص ٤١٢ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين : حيث يقول الامير حيدر « وحضر مصطفى اغا الحلبي وعن يده مراسيم تطمين خاطر من ابراهيم باشا والي حلب وتعريفه الى الامير بشير واولاد الامير يوسف ، ان الدولة العلية قبل وفاة الجزار بسنة وثلاثين يوما قد انعمت عليه في التملك على ايالات الجزار ، الشام ، وصيدا ، وعكا ، وطرابلس •

وكان السبب (في هذا) ان حين اعتذر الجزار الى الدولة العلية عن التوجه الى الحج الشريف وارسل عوضه سليمان باشا متسلم صيدا ، فحضر اناس من قبل الدولة سرا ليحققوا هل هو اعتذار الجزار حقيقي ام لا ؟؟ فرجعوا بالحقيقة ان الجزار في مرض ثقيل ، فانعمت الدولة على ابراهيم باشا في منصبية الشام وطرابلس وصيدا واوامر انه متى توفي الجزار يكون حالا ضابط الاموال والايالات فصادف توفي الجزار قبل خروجه من حلب » •

لاحظ هذا النص ثم ابحث عما كان يمنع الدولة من ان تعزل الجزار وهو في تمام الصحة او ان تعزله اثناء المرض ؟ ثم ما الداعي لان تبحث سرا عن مرضه ؟ وان تعين مكانه في المنصب سرا ؟ وان يبقى خبر هذا التعيين مكتوما الى ان رشح مجلس شورى ولاية عكا اسماعيل باشا والتمسوا من الدولة ان تقره في منصب الولاية جريا مع التقاليد المتبعة في احترام الدولة لارادة مجالس الشورى في كل الولايات •

او ابحث عما اذا كان جميع النخبة الصالحين قد ماتوا يوم مات الجزار لتولي الدولة ابراهيم باشا والي حلب على جميع الايالات كأن لم يكن غيره يطمح او يصلح لحكم اي ولاية من هذه الولايات بمفرده ؟؟

أليس في هذا كله ما يدعو الى الشك بان هناك دسائس ومؤامرات متصلة الحلقات من عكا الى اسطنبول الى حلب والشام وطرابلس وصيدا ؟

❋ ❋ ❋

٢ ـ لاحظ ص ٤٢١ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، ثم لاحظ ان راغب افندي جاء ليضبط اموال الجزار في عكا فما الداعي لان يذهب الى دير القمر قبل عكا ؟؟

❋ ❋ ❋

٣ ـ لاحظ ص ٩ ـ ١٠ من تاريخ ولاية سليمان باشا ، ثم لاحظ كيف عزلت الدولة ابراهيم باشا الذي حضر بأمر الدولة والسلطان ليكون واليا على الشام وصيدا وعكا وطرابلس ويكون سليمان باشا بمعيته في مأمورية عكا ؟؟

فاذا صح ان الدولة قد ارتابت من تعيين اسماعيل باشا وممن عينوه وايدوه فما علاقة ابراهيم باشا بذلك لتعزله وتعين سليمان باشا مكانه ؟

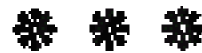
ام ان خبر تعيين ابراهيم باشا والمراسيم السلطانية التي نصت عليه واليا لعكا ، كان خبرا مفتعلا وعنصرا من عناصر المؤامرة ؟ والا فان من واجب الوالي الذي عينته الدولة سرا قبل وفاة الجزار ليحضر حالا عند وفاة الجزار ويضبط مخلفاته وامواله ، فان من واجب هذا الوالي ان يكون في عكا عند وفاة الجزار ، لا ان يبقى عدة اشهر حتى يصل الى عكا ؟ لو صح خبر تعيينه في مكان الجزار وصدق الراوي ؟؟

❋ ❋ ❋

٤ ـ لاحظ ص ٤٢٤ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين ، كما ينبغي

ان نلاحظ ان القبطان باشي هذا لم يجتمع بالامير بشير قبل ان يذهب الى عكا كما اجتمع به راغب افندي في دير القمر وتلقى منه الاكرام (الرشوة) قبل ان يصل الى عكا وحيفا ؛ ولا اجتمع القبطان سرا مع سليمان باشا وقرر ما قرره معه ضد رغبة الدولة وضد رغبة مجلس شورى ولاية عكا الذي جرت عادة الدولة ان تأخذ برأيه وملاحظاته في مثل هذه الحالات ؟

ولعل القبطان قد شعر بخيوط المؤامرة التي كانت تحاك لاغراض مشبوهة واقتنع بملاحظات مجلس شورى عكا وقادة عساكرها ، فرجع الى اسطنبول ليتدارك الامور حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة العامة ؛ لا ليتعصب لاسماعيل باشا وغيره ؟؟



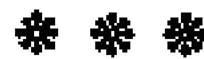
٥ ـ لاحظ ص ٤٢٤ من لبنان في عهد الامراء ، ثم لاحظ ان بعد تنصيب سليمان باشا واليا في عكا ، اصبحنا نرى كل امر سلطاني يأتي للباشا من اسطنبول يأتي معه امر اخر للامير بشير ، وكل مشكل هام في البلاد يندر حله من قبل الدولة الا بواسطة الامير بشير حتى اصبح للامير يد كبرى في عزل الحكام والمتسلمين او نقلهم وتعيينهم ، وحتى اصبح الامير في عهد سليمان باشا يعامل ويستقبل كما يستقبل الصدور العظام من وزراء الدولة.
وفي النصين التاليين ـ اذا صدق الرواة ـ ما يؤكد هذا الزعم : يقول المؤرخ الشهابي : « وفي شهر ربيع الثاني من هذه السنة (سنة ١٢٣٠ هـ) توفي علي باشا الخزندار نائب سليمان باشا والي صيدا وكان له مقام عنده بمنزلة أب له ، فارسل الامير بشير يستأذنه بالسير اليه ليفتقد خاطره ويعزيه ، فاذن له ، وركب الامير بشير من دير القمر في ثالث جمادى الاول ؛ وكان سليمان باشا لما علم بقدوم الامير بشير اليه كتب الى جميع المتسلمين والولاة المجاورين للطريق ان يلاقوه ويقدموا له الذخاير والاكرام » .

فلما وصل الى جسر صيدا التقاه القاضي والمفتي وسائر اكابر المدينة ودخلوا قدامه الى صيدا باحتفال عظيم وقدموا له كل ما امكنهم من الاكرام،

وبات تلك الليلة عندهم وعند الصباح خرجوا معه يشيعونه الى عين القنطرة، وترجلوا معه هناك ثم ودعوه ورجعوا .

وسار الامير طالبا عكا حتى وصل الى جسر القاسمية ، فالتقاه ابراهيم آغا متسلم قلعة هونين ، وبلاد المتاولة ومعه مشايخ تلك البلاد ، وقدموا له الذخاير وضربوا له الخيام ، وتقدموا الى ملاقاته مشاة الى ما وراء الجسر ، ومشوا قدامه الى الخيام ، وقدم له ابراهيم اغا فرسين من جياد الخيل ، وسار معه الى اطراف تلك البلاد ثم ودعه ورجع .

واخذ الامير بشير في سيره حتى اقبل على مدينة صور فالتقاه المتسلم واكابر البلاد ودخلوا قدامه باحتفال عظيم وقدموا له كل اكرام وبات تلك الليلة عندهم وعند الصباح خرج المتسلم معه الى خارج المدينة وقدم له جوادا وودعه وقفل راجعا . وسار الامير فالتقى به اولاد الشيخ ناصيف النصار ودعوه الى منازلهم وقدموا له الذخائر وبالغوا في اكرامه وقدموا له جوادين . وبات تلك الليلة في الناقورة .



ويقول المؤرخ ابراهيم العورة وبعد ان ارسل سليمان باشا الاذن للامير بالمجيء الى عكا امر باتقان عمل باب السراي وحدده من جديد بحديد متين وزين السراي بوضع المدافع والجنازير ، وامر بتغيير فرش ديوان اقامته وانعمل له طاقم جديد ، ثم امر باخراج الصيوان الكبير المفتخر الذي هو من مخلفات الجزار الذي كان نادر الوجود عند غير وزراء ونصبه في خان الكمرك قبال القصر المعمر هناك فوق البحر ، وكان معدودا لاجل النزهة ، وامر بفرش القصر المذكور بطواقم مفتخرة مع الاوض التابعة له ؛ لاجل اقامة الامير واتباعه . ونقلت اليها طواقم المنام النظيفة ، والحصل تحضر لاقامته كل ما يلزم .

وبحضور الامير ووصوله لقبال عكا ، قابله سليمان باشا على عزمه

بالتقرب للحب والاركانية بان امر عبد الله باشا ان يخرج بذاته لمقابلته بساير دايرته بكل دبدبة ، وخرج عبد الله باشا بكل دايرة الوزير ودايرته والمايـة قواص المرتبة في بابه مع الجاريشية والخيول المزينـة بالكسمايات المفضضة يعلوها دروعة مفضضة ومن خلفهم النوبة السلطانية جميعها واغوات الدايرة امروا ان يتزينوا بملبوساتهم وبالاسلحة التامة ؛ وهكذا خرج وصحبته ايضا ديوان افنديسي سليمان باشا ولاقوه الى ارض المزرعة .

***

لاحظ النص الاول ص ٩٢٧ من نزهة الزمان في تاريـخ لبنـان ج٢ ثم لاحظ النص الثاني ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ من تاريخ ولاية سليمان باشا ، وابحث بعد ذلك بدقة واسأل عن بواعث هذا الاحتفاء والتقديـر مـن سليمان باشا للامير بشير ؟

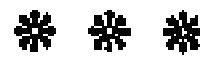
الان الامير كان اخلص الحكام للدولة العثمانية مع ان حياته السياسية كانت كلها دسائس ومؤامرات ضد الدولة ، فقد تآمر عليها مع عملاء فرنسا يوم غزا نابليون مصر وعكا . كما تآمر عليها معهم ومع حكام مصر يوم غزا ابراهيم باشا سوريا ولبنان .

ام لان الامير كان اكثر الحكام حرصا عـلى مصالح الشعب اللبنانـي وامنه ؟ مع ان التاريخ يشهد بان الامير قد ارهق اللبنانيين ظلمـا وعدوانـا بالحروب الاهلية التي شنها ضد معارضيه بالحكم وبما اوقعه في ابناء عمومته وغيرهم من قتل واغتيال وسمل للعيـون ، كما ارهقهم وافقـرهم بالضرائب والمصادرات الانتقامية وبالمزايدات الجنونية على غيره مـن الحكام في ضمان المقاطعات اللبنانية والتزامها حتى بلغ ضمان مقاطعات لبنان في عهـده اضعافا مضاعفة عما كان عليه قبل مجيئه للحكم ؟!

ام لان الامير كان ضالعا مع الباشا في الاستجابة لوحي الذين عزلـوا اسماعيل باشا ؛ ثم ازاحوا ابراهيم باشا ايضا ، وحكمـوا سليمان باشا نفسه

رغما عن قرارات اسطنبول وعن اصرار قادة عكا على تحكيم اسماعيل باشا بعد الجزار ؟

ام ان هذا التقدير البالغ من الباشا للامير .. لان هناك وراء الاكمة ما وراءها من اهداف ومخططات مشبوهة كانت بانتظار التحقيق والممارسة ؟؟



تمثيلية الصلح بين الباشا ومشايخ المتاولة

تامين مشايخ المتاولة

ويقول المعلم ابراهيم العورة :

« وفي هذه السنة اخذ يتعاطى باستجلاب مشايخ المتاولة وتأمينهم وهم فارس الناصيف واخوته وسائر مشايخ بيت علي الصغير الذي قتل الجزار والدهم ناصيف ومشايخ المناكرة والصعبية واخذ منهم حكم البلاد بالسيف وطردهم منها ووضع متسلمين من قبله . فالمشايخ المذكورون بسبب ما جرى على والدهم وبلادهم واملاكهم هربوا واختفوا بعضهم في بلاد بعلبك وبعضهم في جبل عكار واستقاموا مدة طويلة بحالة الاختفاء . ثم تجمعوا وحضروا الى ديرتهم واستعملوا الطياحة وصار اسمهم طياح اي قطاع طرق فدخلوا بلادهم واختبأوا وصاروا يطلبون من البلاد مال ميري وذخائر . والقرية التي تقدم لهم مطلوبهم بالسهولة والكتمان بدون ان يعرف احد بذلك تسلم من شرهم والتي تتردد عن اجابة مطلوبهم او يعرف احدهم عن محل وجودهم ومكمنهم ففي تلك الليلة يحضروا اليها وينهبوها ويقتلوا مشايخها ويتوجهوا لمحل كمينهم . ولبثوا هكذا كل مدة حكومة الجزار الذي عين عساكر كثيرة كان يسميها السردلة وارسلهم ضدهم الى بلاد المتاولة . ثم عين عساكر من المتاولة انفسهم وما صار منهم نفع لان العساكر كانت تحضر للتفتيش عليهم فيكون المشايخ في آخر الوعرة او طرفها والعساكر في اولها فيدخلوا ويخرجوا ولا يعرفوا بهم ويظنون انهم ليسوا فيها فيذهبوا يفتشوا عليهم في غير مكان وما يستفيدوا شيئا .

وبقيت هكذا بلاد المتاولة كل مدة حكومة الجزار اي كانوا يدفعون مال ميري وذخائر للجزار وتكاليف للمتسلمين والعساكر السردلة الذين يدعون انهم يحافظون عليهم • ويدفعون مال ميري وذخائر للمشايخ المذكورين ومن يتبعهم الذين يدعون ان البلاد بلادهم وان اهاليها عبيد لهم•

مظالم الجزار للمتاولة

وعدا ذلك كان الجزار مجردا عليهم سيف الظلم ويأخذ رجالهم الى ورشة عكا بالسخرة ويعاملهم مثل معاملة فرعون الظالم لبني اسرائيل بالقساوة الشديدة • وكم وكم من المئات منهم قتلوا في الطريق بالناقورة لما كان يحشرهم السائقين لهم بسرعة الجري • فمن شدة الضرب كان يحشر بعضهم بعضا وبسبب ضيق الطريق هناك كانوا يسقطون في البحر بالخمسين والستين وما يسأل ولا يرحم احد • وبوصولهم الى ورشة عكا كانوا يستعملون منهم شدة القساوة وكم وكم ماتوا من شدة القساوة • ومن ذلك انه في احد الايام كان الوقافة على الورشة بأمر الجزار واضعين فلاحين من بلاد بشارة بمحل بين السوريين يشتغلون فيه بعضهم يحفرون الاساس وهم نحو مئتين وثلاثين نفرا والبقية يسحبون التراب بالحبال والقفف من الاساس • فاتفق ان انقلع القسم الاعلى من الارض وصار الذين فوق يصيحون على الذين في الاساس ليسرعوا بالخروج قبل ان ينطبق عليهم التراب • وكذلك صارت الصيحة من الوقافين ومن الفلاحين اقاربهم الذين كانوا في عكا • واذ سمع الجزار الصيحة وعرف سبب ذلك اذ كان هناك انتهر الجميع ان يسكتوا قائلا لهم دعوهم اذا كان الله قتلهم مالكم ولهم ومنعهم ان يخرجوا احدا منهم • وسقط حائط الاساس وانطبق على الجميع وقبرهم كلهم احياء • وما خرج احد منهم • وهكذا كانت معاملته الوحشية لهم •

فاذ لاحظ سليمان باشا هذه الحال والمظلمة العظيمة الواقعين فيها

بالتزامهم ان يدفعوا المال الميري والذخائر مضاعفة للحكومة وللمشايخ ولاحظ ضعف حال البلاد ولاحظ بالخصوص ان المشايخ ليس لهم حيلة او مهنة يعتاشون منها ولا لهم ملك يقوم بمعاشهم يكتفوا به ولا هم مثل بقية الناس وليس لهم صنائع يشتغلوا بها ولا تعودوا على المتاجرة ولا عندهم مال يتاجروا به ولا احد يركن لهم ويسلمهم ماله ولا يمكن ان يتسولوا بل بالحري يهون عليهم الموت بكل سهولة ولا التسول • حيث انهم من آبائهم واجدادهم تعودوا على الحكم والكرامة والجاه ورفاهية المعيشة • فلاجل هذه الاسباب كلها لاحظ حسنا انهم اذا لم يتداركوا امرهم ويعمل لهم طريقة حسنة لا يمكن ان يرجعوا عن هذا واذا داوموا على اعمالهم تخرب البلاد ولا يستفيد شيئا مما باشر بعمله لتأمين البلاد والعباد واستجلاب النازحين وعمار الديرة • وشرهم وضررهم لا يقع على بلاد بشارة بل يشمل ايضا بلاد صفد • وبالاختصار كان عندهم قتل الانسان اهون من ان يكسروا رغيف خبز •

فلاجل ذلك ومن كونه لاحظ بالصواب انه اذا حرر لهم اوامر تأمين وتطمين فلا يمكن ان يركنوا له ولا يقبلوا نظرا لمعرفتهم جيدا ان افعالهم لا تقبل العفو بالهين لانهم فعلوا اشياء كثيرة بحق البلاد والعباد • ومن وجه آخر يخشوا من نفس اهالي البلاد ان تغدر بهم وتسلمهم لاجل ما قاسوا منهم فهذه الملاحظات جميعها صيرت سليمان باشا مع ميله القلبي لعمار البلاد وراحة العباد ان يستعمل واسطة حسنة لبلوغ الغاية المطلوبة وهي انه وضع في بلاد بشارة ضابط ارناؤوط من عمدة الضباط الذين كانوا محافظين عكاء فأمر سرا ان يراسلهم ويتعاطى معهم وجوه تأمينهم وان نفسه كان يريد ان يجعل نفسه واسطة لنيل الامان الذي يرغبونه • واذا تعاطى معهم ذلك فهم انهم لا يمكن ان يقبلوا بالاطاعة عن يده وحده لخوفهم من الغدر بحقهم بما انه ضابط عسكر مستخدم بالباب وقابل ان ينقطع خرجه بادنى سبب ويتوجه بحال سبيله • فالمذاكرة معه تم الرأي انه من تلقاء نفسه يحرر للامير بشير

الشهابي حاكم جبل لبنان بهذا الخصوص لكي يحرر لهم الامير المومى اليه ويتعاطى معهم وجوه تأمينهم وتطمينهم •

وقد صودف هذا الرأي بمحله لكون المشايخ المذكورين لما نظروا وسمعوا عن الامان الذي انتشر في البلاد وان غالب النزاح عمال تحضر الى محلاتها ويقيموا بها ويعمروها وتأكدوا الراحة الحاصلين عليها و نظروا لما قاسوه بهذه المدة من المخاوف والمشقات والتشتيت وتضعضع الاحوال والاحتياج الكلي لكي يعيشوا من سلب اموال العباد والخوف المستديم نهارا وليلا ليس من الحكم فقط بل من كائن من كان سبب لهم الضجر والملل من حال معيشتهم وفي ذلك الوقت صاروا كأنهم على آخر نفس وبغاية الشوق لعمل طريقة ينالون بها الامان والراحة بوجه يركنون اليه ويرتاح فكرهم من الخوف الملم بهم لما توجه بكر آغا الضابط المذكور من عكا بهذا الامر من سليمان باشا • فحرر للامير وعرفه انه حرر للمشايخ المذكورين شفقة منه عليهم لاجل راحتهم مما هم فيه وراحة البلاد والعباد من الاضامات والبلايا الحاصلة لهم منهم وانهم ما اركنوا لقوله وظنوا ان تحريره لهم مخادعة لاجل الغدر بهم ولذلك ما قبلوا نصائحه •

ومن كون غايته الراحة العمومية فقط وبما ان الامير رأس سائر العشائر وعلى كل حال المشايخ المذكورين من العشائر التي هو رأسها رأى صوابا ان يحرر له بهذا الخصوص لكي يحرك غيرته لمعاطاة هذه القضية بحسب حكمته• وانه يكون معه يدا واحدة بالتوسط لدى سليمان باشا بمعاطاة الوجوه اللازمة لتأمينهم وراحتهم • وقد اتفق هذا بعد ان حرر بكر آغا للمشايخ وجاوبوه الجواب الناشف لكن ندموا على هذا الجواب الناشف وتأسفوا على تركهم طرف الحبل يفلت من يدهم اذ ما عللوا جوابهم بوجوه يقدروا بها فيما بعد يملكوا غايتهم لكونهم صاروا بحالة تلف من الملل والضجر مما هم فيه من تعب الحياة وبالاكثر من الخوف الذي استولى عليهم مع الامان العمومي الذي انتشر في البلاد وملاحظتهم الفرق العظيم ما بين حكومة الجزار

وحكومة سليمان باشا والرح العام بولايته ليس من اهالي ايالة صيدا فقط بل من سائر الاطراف والانحاء سواء كان بولاية الشام او ايالة غزة ويافا والقدس ونابلس وجنين او بايالة طرابلس واللاذقية ، فمن جراء ذلك التزموا بل اضطروا لان يعملوا طريقة لحالهم لينالوا بها راحتهم قبل فوات الفرصة وتأسفوا جدا على ضياع الفرصة مع بكر آغا ، ولذلك استحسنوا بان يحرروا الى الامير بشير ويعرفوه بان بكر آغا حرر لهم كذا وبما انه ضابط عسكر فما اركنوا لقوله ومواعيده ، وربما ان تحريره لهم يكون حيلة عليهم لكي يصطادهم وينال الخير الخصوصي له من اجل هذا كما جملة من ضباط الدولة الذين كان يرسلهم الجزار كانوا يتحايلون عليهم بهذه وانهم لا يمكن ان يركنوا لاحد سواه بما انه رأس العشائر وله الغيرة التامة على ابناء العشائر ، فان رأى حسنا ان يضع يده بهذا الامر ويتعاطى المداخلة والتحرير الى سليمان باشا بخصوصهم فهم يسلموا زمام امرهم له ، واوضحوا بتحريرهم هذا انهم يريدوا ان يفهموا هل يربط يتعاطى امورهم حسب مرغوبهم ام لا .

واتفق وصول هذا الاعراض الى الامير بشير مع وصول تحرير بكر آغا المنوه عنه ، فاذا اطلع الامير على التحريرين وجد ذلك فرصة اتخذها مع توفيقات الباري تعالى واستعملها لبلوغ الغاية باستجلاب حب وميل سليمان باشا له ، ولاحظ بالصواب ان معاطاة قضية مهمة نضير هذه توجب زيادة الفوز والاعتبار وتمكين حب وميل سليمان باشا له ، وانه باول حكومته سبق وخدمه خدمة هكذا نصوحة بها عمار البلاد وراحة العباد ، ثانيا انه ينال بها دوام التقدم على سائر عشائر الديرة وطاعتها الدائمة ، ثالثا انه ينال الاشاعة الحسنة ان سائر العشائر بطاعته وبكل وقت يقدر ان يطوعها ويعصيها ، والحاصل انه لاحظ بالصواب جملة فوائد حسنة تنتج له بالوقت الحاضر والمستقبل من مقارشة هذه المصلحة ومعاطاتها ، فلذلك بادر بكل سرعة لارسال الشيخ جريس باز (الذي كان كتخداه) الى عكا جاعلا في فمه الكلام اللازم اعراضه وتقريره بهذا الخصوص ، واصحبه بعرض حال منه

بحسب رسومه وعادته .

(انه متوجه من طرفنا عبدكم الشيخ جرجس باز يعرض لمراحمكم ما يقتضي . فنتوسل لعواطف دولتكم انعطاف الخاطر الشريف لسماح وقبول ما يعرضه) .

واذ حضر الشيخ المذكور الى عكا وقبله سليمان باشا بكل كرامة واظهر له كل الميل ثم قرر له ما تحمل لمحافظته وبعد مذاكرات كلية انحظ سليمان باشا بالباطن من مداخلة الامير بهذه القضية وبالظاهر استعمل شامة الحكم والرصانة وعدم الخفة . وبنوع ما اظهر الصعوبة بقبول التماسات الامير بشير العديدة بخصوص المشايخ ، وتنازل لان يقبل بعضها . والاثنين استعملوا المحارفة على بعضهم بهذا الخصوص لان الامير بشير التمس مطاليب صعبة معلومة انها لا تقتبل وهو لا يعرفها جيدا هكذا وانما قصد بذلك توسيع المقال فاذا قبلت كلها او قبل بعضها يمنن المشايخ بانهم لاجل التجاءهم اليه فعل معهم هذه الخدمة العظيمة التي ما كانوا يأملون ان ينالوا بعضها لولا التجائهم اليه ووضع يده بأمورهم وبذلك يجعلهم كأنهم صاروا من رعيته . واذا بعد الجهد ما قبلت فيمنن سليمان باشا بانه لاجل خاطره ارغمهم بقبول اوامره حسبما شاء وانه لولا مداخلته بأمورهم وانقيادهم له لا يمكن ان يقبلوا ولا يدموا الطاعة . وبذلك ينال زيادة الفوز والشرف . ومن التماساته (١) بخصوصهم ان يعطي لهم الامان التام وان ترجع لهم املاكهم وحكومة البلاد كما كانت اولا اي ان يتصرفوا بها كما يشاؤون ويدفعوا عنها مال مقطوع فقط وان لا تقبل عليهم شكاية عما مضى ولا في المستقبل وان يكونوا احرارا في بلادهم واعمالهم بدون تسلط عليهم من طرف احد . فهذه الالتماسات ما قبلت من سليمان باشا غير انه ما قطع معه الامل بعدم قبول اعطاء راحتهم .

(١) لاحظ هنا ان حكم جبل عامل كان كحكم الشوف مستقلا عن تسلط اي حاكم عليهم سوى والي الايالة .

علي الزين

حسان الكاتب

بقلم: عجاج نويهض

اعتقد ان هناك ، من جهتي ، قضيتين : قصة الاستاذ حسان بدر الدين الكاتب ، من حيث ما رزقه الله من موهبة وقدرة واستعداد غزير بالفطرة ليكون ، قياسا على منهاجه المحكم الموفق منذ سنة ١٩٧٠ ، من أهل التأليف الموسوعي في النصف الثاني من القرن العشرين وما باق منه الا ٢٣ سنة ، ثم يطرد ان شاء الله عمله بعد ذلك الى ما يشاء الله ، واعني بالتأليف الموسوعي سعة آفاقه في المعارف وكثرة مؤلفاته . وهذا لا يقع الا لآحاد من الناس .



حسان الكاتب

والقصة الاخرى تتعلق بمؤلفه المعروف وهو « الموسوعة الموجزة » ولعل كثيرين من القراء الكرام استطاعوا ان يعرفوا معرفة مختلفة وافية او محدودة ، من الاثنين ، اكثر مما استطعت ان اعرفه ، وذلك كله عن طريق

مجلة « الاديب » التي ندعو لها أبدا ان تكون وارية الزناد ، مثبتة الاوتاد ، لخدمة أهل الضاد والضاد .

فأول ما استفدته بشأن « الموسوعة الموجزة » هو ما نشره شاعرنا الامامي « جورج صيدح » بشأنها مقرظا تقريظا ممتازا ، في عدد سابق من « الاديب » ورغب الى الاستاذ حسان مؤلف الموسوعة ان ينشر ترجمته في الموسوعة نفسها ليطلع الناس على ذلك ، وزيادة المعرفة توسع الرواق والآفاق . فازددت شوقا الى ان استزيد من الاستقاء من هذا المعين .

في ١٩٧٨/١/٢٥ تلقيت في البريد هدية من الاستاذ حسان وهي جزء (خ) وجزء (د) من هذه الموسوعة التي طالما صرت اسمع بها كثيرا والالتفات اليها من هنا وهناك . فقضيت ليلة كاملة في هدأة الليل البهيم ، وأنا أتصفحها ويجتذبني بعض موادها . فلما أحطت بها قدر الامكان ، واكبرت محاسنها ، وأول ذلك انها مشروع فردي ينهض به الاستاذ حسان وحده ، ولم يسبق وقوع تعارف بيننا من قبل . فكان علي ان اشكره على هديته شكرين مزدوجين : شكر الاهداء وشكر السبق بالفضل المتقدم . فكتبت اليه . ولكن اغتنمت الفرصة لاسأله كيف جاء اسم أسرته الكريمة المنتهي « بالكاتب » واعترف انه كان جال في فكري ان لعل الاستاذ حسان شاء لطموح ادبي في نفسه ان يتخذ اسما جديدا فاختار « الكاتب » تيمنا بعبد الحميد الكاتب ، كاتب مروان آخر بني امية في دمشق ، وعندي ان الاسم كله من حسان وعبد الحميد والكاتب ، لاح لي كأنه يوحي بذلك ، وفيه الملاحة واللطافة .

ومرتين في مدى الاربعين سنة الاخيرة وجدت نفسي مغلق الذهن امام غموض في الاسماء العلمية (بفتح العين واللام) وما استطعت فك الغامض الا بعد ان يسر الله المفتاح . المرة الاولى لما صرت اسمع بكاتب معبقر القلم والذهن اسمه « وديع فلسطين » ، فبقيت مدة طويلة وظني ان هذا « الوديع الفلسطيني » ما دعاه الى الانتساب الى فلسطين (وهذا وقت الانتداب)

سوى تعلقه بقضيتها . ولما شاء الله ان يذهب بالغشاوة عن ذهني ويرتفع الغطاء ، فاذا به هو ذلك « العلامة وديع فلسطين » الموهوب الالمعية وكنوز الادب العالي الطراز والرتبة في عالم العروبة ، ثم كتب لي من نحو من عشر سنوات ان يرزقني الله صداقته ، ومذ ذاك ، نحن روحان حللنا بدنا . والمرة الثانية هذه هي الآن مع الاستاذ حسان الكاتب . ولا ادري متى تكون الثالثة .

نحن من المكبرين لعزائم الاستاذ حسان ، وعزائمه هذه قد اتت بالعظائم في التأليف الموسوعي ، وهو في ١٩٧٨/٤/٢٩ يدخل في الرابعة والاربعين من عمره (١) الموشح بالخيرات والبركات ، زاده الله توفيقا . ونشكره على نشره ترجمته في جزء حرف (الخاء) . فلما وردني جوابه ، ومن الاطلاع على جزئي (خ) و (د) بان كل شيء .

أما بشأن مأتى اسم « الكاتب » في رأس العائلة فقد قال :

« وأما اصل التسمية ، فهي كما رواها لي والدي عن جدي المرحوم المقدم (٢) احمد جودة الكاتب ، ان جدي ابراهيم قدم من مصر مع ابراهيم باشا عام ١٨٣٢ حين قدم الى سورية ، وكان جدي رئيس ديوانه ، وحين عاد ابراهيم باشا (الى مصر) بقي جدي ابراهيم في سورية . فان والدي الاستاذ بدر الدين (٣) بن أحمد جودة بن حسين بن ابراهيم الكاتب ، ذكر لي ذلك نقلا عن جدي كما ذكرت ، وكان جدي حسين « كاتب لواء » في الجيش

---

(١) ولد في دمشق يوم الاثنين في ١٩٣٥/٤/٢٩ في الساعة الثامنة صباحا كما روت له والدته المرحومة درية بنت عبدو العشا الدمشقية الأصل أيضا .

(٢) المقدم : رتبة عسكرية في التركية « ميمباشي » .

(٣) بدا حياته كاتبا في العدلية ثم حصل على شهادة الحقوق ودخل سلك القضاء وتدرج في مراتبه حتى وصل الى مستشار اول في محكمة النقض (التمييز العليا سابقا) ثم اصبح مديرا عاما للاصلاح الزراعي ثم مديرا عاما للمصالح العقارية وقد احيل على المعاش في ١٩٦٣/٧/١ وهو من مواليد ١٩٠٥ مد الله في حياته .

العثماني ، ومن هنا جاء نسبة « الكاتب » بينما شقيق جدي حسين كان يدعى « عزة افندي » وهو « قواص » (٤) عند الملك ، نسمي الشق الآخر من الاسرة (آل القواص) ، وهكذا فان اسرة آل القواص هي اسرة عم والدي » انتهى ما أفادنيه الاستاذ حسان عن اصل تسمية « الكاتب » و « القواص » ؛ وله الشكر .

الموسوعة الموجزة بحجم (٢٤ × ١٧) سم حسنة الاخراج مستعمل في طباعتها نوعان من الحروف ، العادي ، والاسود ، وهي مصورة ، والصفحة مؤلفة من عمودين ، وظاهر عليها الاتقان والعناية في الترتيب وسرد المعلومات وكل حرف من الحروف الهجائية الثمانية والعشرين له جزء ، وعدد صفحات كل جزء يختلف عن الجزء الآخر ، لان ذلك تابع لمقدار المادة التي يحتويها . فجزء (خاء) مثلا صفحاته نحو ـ ٨٤ ـ وعدد مواده نحو ـ ٢٢٨ ـ مادة. وجزء (دال) يحتوي على ـ ١٦٠ ـ صفحة ونحو ـ ٢٨٠ ـ مادة . ورقم الصفحات متسلسل من اول المجلد الى آخره وهو يضم ـ ٤ ـ اجزاء بحيث ستضم الموسوعة ـ ٧ ـ مجلدات (٥) .

---

(٤) اي مدير مرسم حاليا .

(٥) صدر المجلد الثالث من هذه الموسوعة في ١٩٧٨/١٢/١ وهو يضم حروف (ذ ـ ر ـ ز ـ س) ويقع في ـ ٣٢٠ ـ صفحة من القطع المذكور آنفا والذي تتميز به هذه الموسوعة انها تضم تراجم المؤلفين والفنانين الذين على قيد الحياة وترحب بكل ترجمة ترد الى مؤلفها لضمه الى الموسوعة مع صورته وعنوانه (دمشق ـ وزارة التربية) .

ولدى استعراض هذا المجلد تبين انه يضم تراجم المؤلفين والفنانين التالية اسماؤهم (طبعا من العرب المعاصرين) الى جانب تراجم كبار الاعلام والمفكرين في العالم :

● **في سورية :**

خيري الذهبي ـ ذوقان قرقوط ـ راشد الامعري ـ رائق النقري ـ

رجائي الصفدي ـ رشاد قصيباتي ـ رشاد أبو شاور فلسطيني مقيم في سوريه ـ رشيد شما ـ رضا حسحس ـ سمعان الله ويردي ـ سليم موسى المشي (الدكتور داهش) ـ رفعت الشيخ ـ رفيق الفاخوري ـ روبير ملكي ـ سامي الكيالي ـ رولان خوري ـ رياض بيروتي ـ رياض عصمت ـ رياض معلوف ـ رياض نصور ـ الدكتور سامي الدهان ـ زكريا تامر ـ زكريا نيا ـ بشير زهدي ـ زكي قنصل شاعر مهجري سوري الاصل ـ الدكتور سامي الدروبي ـ زهير مارديني كاتب سوري الاصل مقيم في لبنان حاليا ـ زهير مشارقة ـ الدكتور زكي الدهبي ـ سلوى اطلس ـ زين العابدين بركات ـ رشاد علي اديب ـ رشدي الشمعة ـ سحبان سواح ـ سعد صائب ـ سعد الله ونوس ـ سعيد ابو الحسن ـ سعيد تحسين ـ سعيد رمضان البوطي ـ سعيد القضماني ـ سعيد قندقجي ـ سلامة عبيد ـ سلطان الاطرش ـ احمد راتب سلطاني ـ سلمى الحفار الكزبري ـ سليم الزركلي ـ الدكتور سليمان الاحمد ـ سليمان عواد ـ سليمان العيسى ـ الدكتور سموحي فوق العادة ـ سهام ترجمان ـ سهيل إحدب ـ زكي الارسوزي ـ ساطع الحصري ـ زكي المحاسني ـ انطون رحمة ـ جبرائيل سعادة ـ سعيد العرفي ـ سليم الجندي .

● في لبنان :

رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) ـ رشيد كرامي ـ رياض الصلح ـ رياض معلوف ـ اكرم زعيتر ـ الشيخ احمد عارف الزين ـ الرئيس الياس سركيس ـ الدكتور سهيل ادريس ـ سعيد عقل ـ سليم البستاني ـ سليم تقلا ـ سليمان البستاني ـ الرئيس السابق سليمان فرنجية .

● في الاردن :

روكس العزيزي ـ سعد جمعة ـ تيسير سبول ـ سليمان المشيني ـ سمير الرفاعي ـ سليمان موسى ـ سليمان النابلسي ـ سميرة عزام .

● في فلسطين :

راغب النشاشيبي ـ زهدي جار الله ـ سعيد الكرمي .

● في العراق :

رشيد عالي الكيلاني ـ رضا آل صادق ـ رفائيل بطي ـ الدكتور زاهد

فلنأخذ ، مثلا ، مادة « دائرة المعارف » ، واول من استعمل هذا في العربية ترجمة لكلمة Encyclopedie باللغات الاوروبية المعلم بطرس البستاني في الربع الاخير من القرن الماضي ، وأول جزء ظهر من « دائرة المعارف » للمعلم بطرس ١٨٧٦ أي قبل قرن وبعض السنين . فنرى « الموسوعة الموجزة » اوردت تحت مادة « دائرة المعارف ، او الموسوعة ، او المعلمة ، او الوسيعة » وكلها بمعنى ، وجاء تعدد هذه الاسماء انه بعد الحرب العالمية الاولى ، وابتداء العالم العربي في نهضته العلمية ، صار يرى بعضهم ان اختيار كلمة واحدة أخف على الالسنة من اسم مؤلف من كلمتين « لدائرة المعارف » ، ومع هذا فالغالب راح يستعمل اسم الموسوعة ، بينما اسم « دائرة المعارف » بقي وله مستعملوه ايضا .

ثم تكلمت « الموسوعة الموجزة » عن هذا الباب تاريخيا كلاما عاما ذاكرة ظهور الموسوعات عند الاثم الغربية المختلفة ، ثم انتقلت الى الموسوعة العربية بادئة « بدائرة المعارف » للبستاني المعلم بطرس وأتت على ذكر ما ظهر من موسوعات عربية حتى اليوم . وشغل هذا نحو ٣ صفحات لا اكثر .

احمد العربي ـ الدكتور زكي عبد الحسين الصراف ـ زهير غازي زاهد ـ زين الدين جعفر هدى ـ سلمان هادي الطعمة .

● في مصر :

رشيد رضا (لبناني المولد مصري الاقامة) ـ روحية القليني ـ الدكتور زكي علي ـ سلامة موسى ـ سلامة حجازي ـ سليمان الحلبي (سوري أتم حياته في مصر) ـ سليمان الفرنساوي .

● في السعودية :

سعود بن عبد العزيز ـ سعود بن فيصل ـ راشد ابن علي .

وهكذا فان الموسوعة اوردت تراجم معاصرة عربية واجنبية اضافة الى المعارف الانسانية المختلفة .

رزق الاستاذ حسان بدر الدين الكاتب هذه المواهب المؤهلة له للقيام برسالة ثقافية موسوعية في النصف الثاني من القرن العشرين . وهو ، امده الله بالمزيد ، له قدرة على الاستيعاب والاحاطة والنخل والتقصي . فلما امتلأ حوضه وأزهر روضه ، شرع في الانتاج ، منوع الموضوعات المفضية الى الافق الموسوعي . وبدأ في التأليف والكتابة منذ عام ١٩٥٤ الا انه لم ينشر الا في عام ١٩٧٠ .

وعلمنا من ترجمته ان اول جزء من « الموسوعة الموجزة » صدر بدمشق في ١١/٣/١٩٧١ وله الى الآن (٣٠) مؤلفا واكثر من ــ ١٥٠ ــ مقالا وبحثا ودراسة في المجلات العربية . (٦)

مؤلفاته قسمان : المطبوع ويشتمل على الموسوعة الموجزة ستصل الى ٢٨ جزءا وتشغل نحو ــ ٤٠٠٠ ــ صفحة وانهى منها ١٩٧٦ حرف «الخاء» (٧) « دراسات ثقافية » ١٩٧٥ « والعبادات في الاسلام » ١٩٧٦ وهي تضم ابحاثه المنشورة في مجلة التمدن الاسلامي (١٩٧٢ ــ ١٩٧٩) والمجلات العربية .

أما المخطوط : فهو المؤلفات المحفوظة في « دار الكتب الوطنية » بدمشق وجملة ذلك (٢١) مؤلفا ، وهذا جواب الاستاذ حسان بشأنها :

« ان مؤلفاتي المخطوطة وضعتها في « المكتبة الظاهرية ــ دار الكتب الوطنية بدمشق » لضخامتها ، ولارتفاع كلفة طباعتها فعدد صفحاتها يتراوح بين ٣٠٠ و ١٠٠٠ صفحة لكل مؤلف ؛ وليس من جهة ممولة لهذه الطباعة و « دائرة معارف المكتب » هي الموسوعة التي يحتاج اليها في المكاتب لتفسير

---

(٦) اصبحت حتى نشر هذا المقال اكثر من ــ ٢٥٠ ــ مقالا وبحثا ودراسة .

(٧) صدر منها حتى ١/١٢/١٩٧٨ ــ ١٢ ــ جزءا في ثلاث مجلدات .

ما يستغلق علينا وهي ـ ٤ ـ مجلدات وتعتبر نواة « الموسوعة الموجزة » .

سجلت الحضارة العربية الاسلامية على اختلاف العصور ، بروز علماء بين كل عصر وآخر ، اختصتهم العناية العليا بمواهب ومزايا فائقة ، جاوزت الافق المعتاد ، فألفوا الكتب لا بالعشرات بل بالمئة والمئتين ، وذكر « ياقوت » كثيرا منهم ، ولعل جلال الدين السيوطي (١٤٤٥ ـ ١٥٠٥) كان اوسع العلماء تأليفا بعد عصر « ياقوت » اذ قالوا ان مؤلفاته زادت على خمس مئة مؤلف .

ويسرنا ان نقول ان الاستاذ حسان بدر الدين « الكاتب » هو في طريق كبار الموسوعيين في العرب وفقه الله ويسر أمره . ولا ننسى ان نذكر بهذه المناسبة ان صديقنا العلامة الدكتور صلاح المنجد الموسوعي فاقت كتبه المئة منذ عدة سنين . فنهنيء الموسوعيين « المنجد » و « الكاتب » والعد للعرب .

راس المتن ـ لبنان عجاج نويهض

منافسة الحلاقين

تنافس على اكتساب الزبائن ثلاثة حلاقين في شارع واحد في احدى المدن الصغيرة .

فكتب الاول على باب محله : هنا اعظم حلاق في هذه المدينة .

وكتب الثاني بعد ان رأى كتابة الاول : هنا ، احسن حلاق في العالم .

وعندما رأى الحلاق الثالث كتابة زميليه كتب على باب محله :

هنا احسن حلاق في هذا الشارع !

الإسلام يحث على العمل

بقلم : محمد فريد وجدي

يخيل لبعض السطحيين ان التقرب الى الله تعالى ينحصر في الانقطاع عن اعمال الدنيا والتفرغ للعبادات كالصلاة والصوم وما الى ذلك ، وما دروا أن الله تعالى يتقرب اليه بكل عمل مباح قصد به اسداء الخير لجهة خاصة او للناس كافة ، متى تمحضت فيه النية خالصة للخير ، وأريد به وجهه تعالى ، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « ان المسلم ليؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها الى فم امرأته » . وهذه ميزة للاسلام جعلت منه دينا مدنيا يصلح لكل زمان ومكان ، ولكل أمة ، في أي عهد من العهود الانسانية .

لقد فتح المسلمون الاولون الارض بعمل دائم مستمر ، وحفظوها تحت سلطانهم بجهد عظيم متواصل ، فلو كانوا اكتفوا بما يجبونه من خراجها ، وجزية أهلها لوقعوا في شر حالات البطر ، كما حدث للرومانيين حينما أمنوا أعداءهم ، وأثروا من اموال مقهوريهم ، ولكن المسلمين عفوا عن اموال الناس ، وأكبوا على الاعمال فنالوا من ورائها ثروة لم تكن لامة غيرهم ، فمنهم من اشتغل بالتجارة فكانوا أبرع أهلها في سائر أقطار العالم ، ومنهم من زاول الصناعة فبلغوا منها شأوا لا يزال مضرب الامثال الى اليوم ، وعملوا في الزراعة فأوجدوا فيها الاساليب التي يجري عليها الاوربيون الى هذا العهد ، كما اعترف بذلك العالم الاجتماعي (درابر) وغيره .

ونظروا أيضا في العلوم والفلسفات وترجموها الى لغتهم ، وتوفروا على

الاشتغال بها فشرحوها وزادوا مادتها ، واكتشفوا علوما جديدة ، ولم يهملوا الفنون والصناعات فوصلوا منها الى حدود بعيدة لم تكن معروفة من قبلهم، ولم يهملوا حتى الكماليات من الامور ، فاقتبسوا ضروب الاعمال الزخرفية، واتهوا منها الى نهايات لا تزال تعتبر من الابداعات الفنية .

ولم يهملوا حتى الرحلات القصية ، فبلغوا الى أقصى ما بلغه من سبقهم من الفنيقيين واليونانيين والرومانيين ، وعادوا بمعلومات ثمينة عن الامم والممالك ، دونوها في كتب لا يزال يستهدي بها الاوروبيون في تدوين معارفهم الارضية والجغرافية .

ولم يقصروا حتى في البحث عن المعادن ، فحفروا المناجم واستخرجوا منها ما استكن في بطن الارض من الذهب والفضة والحديد والرصاص والنحاس ، وأنشأوا لها المسابك فنقوها مما علقت به مما ليس منها ، وصنعوا منها ما احتاجوا اليه من الاواني والآلات .

وتفرغ رجال منهم للغة فجمعوها ونقدوها وألفوا فيها المعاجم ، ووضعوا لها نحوا وصرفا ، ودرسوا نثرها وشعرها فصاغوا علوما خاصة بها، تبحث في درجات دلالاتها وفي محسنات ألفاظها ، وفي جزالة معانيها ، وفي أوزان قريضها .

ومما يدهش أنهم لم يهملوا حتى العلوم السحرية والطلسمية والسيميائية وغيرها مما كان يشتغل به الاقدمون على غير هدى ، فدونوها وبينوا رموزها ، وكشفوا مساتيرها .

هذا عجيب من أمة قامت بالدين ، واضطلعت بنشر دعوته بين العالمين ، ولكن متى أدرك الباحث ان الاسلام نفسه يعد من الخير والتقرب الى الله تعالى كل بحث ونظر واستقصاء في كل شيء ، متى أخلص الانسان له في الاشتغال به ، وقصد به النفع العام أو الخاص. اذا أدرك الباحث هذا الاصل

الاسلامي بطل تعجبه ، وأمكنه أن يعلل تسارع المسلمين الى اقتباس كل ما عثروا به ، والى بذل الوسع في حذقه وترقيته الى أقصى ما يصل اليه الامكان .

ومما يثبت هذا من الآيات القرآنية قوله تعالى : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » وقال عن المؤمنين العاملين : « وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله » اعتبر عملهم هذا قربة منهم . وزاد الله على هذا فأمر بالانسياح في الارض وطلب الخير بذلك ، فقال تعالى : « فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » .

فسن الله بهذه الآيات للمؤمنين سنة الانتشار في الارض ، والتماس فضل الله ، وفضل الله ليس قاصرا على التجارة ، ولكنه يشمل الزراعة والصناعة والعلوم والفنون ، وكل ما يصدق عليه أنه فضل الهي ، فندب الله الناس بذلك الى الاخذ عن الامم . وقد جرى النبي صلى الله عليه وسلم على هذه السنة بالعمل في وقعة الاحزاب ، وذلك أنه لما بلغه أن قريشا قد جمعت الجموع لحربه ، واتفقت مع قبائل مجاورة لها ومع اليهود النازلين قريبا منهم، وتقصدته بجيش عرمرم ، أخذ رسول الله يستعد للقائهم ، فقال له سلمان الفارسي : يا رسول الله اننا اعتدنا في بلادنا في مثل هذه الاحوال أن ننشيء الخنادق حول مدننا ، نعطل بها حركات العدو . فبادر النبي صلى الله عليه وسلم الى الاخذ بهذه الوسيلة الدفاعية ، وكان العرب يجهلونها ، وندب أصحابه لحفر الخندق ، واشترك بنفسه معهم ، وكان يحمل التراب على عاتقه . فكان أخذه بما صلح من وسائل الحرب وفنونها عن قوم كانوا يعبدون النار لا شك يعتبر سنة عملية سنها لقومه ليأخذوا بما يصلح من فنون الامم وصنائعها مع عدم الاعتداد بعقائدها .

وقد أعد الله نفوس المسلمين الاولين لاساغة هذا الاقتباس بما كشفه لهم من الحقائق الاجتماعية ، فقال لهم في محكم كتابه : « هل يستوي الذين

يعلمون والذين لا يعلمون » فبين لهم بهــذا ان الاستواء بين الفريقين محال ، وعدم الاستواء يفضي الى تفضيل أحدهما على الآخر في ثواب الآخرة وثواب الدنيا أيضا • وكشف لهم بقوله تعالى : « وما أوتيتم مــن العلم الا قليلا » وبقوله : « وقل رب زدني علما » ، انهم في حاجة الى العلم وأنهم مطالبــون بالتزود منه لدينهم ودنياهم • وأرشدهم النبي صلى الله عليه وسلم الـى ان العلم يتصيد من كل مظنة ولو من المشركين ، فقال : « الحكمة ضالــة المؤمن يأخذها أنى وجدها » وفي حديث آخر : « خــذ الحكمة ولا يضرك مــن أي وعاء خرجت » • فهذا الاعداد لنفوس المسلمين للاخذ عن الغير دفع بهم الى تناول كل ما وجدوه من العلم والفلسفة ، ولم يكتفــوا بما كان شائعا منه ، فعمدوا الى مكتبات الامم فترجمــوا أمهات الكتب ونشروهــا في بلادهم ، وزادوا مادتها بفضل جهودهم •

ومن العوامــل المنهضة سنــة التخصص في العلــوم والفنــون ، لان المتخصص في بعضها يستوعب من مسائلها ما لا يستطيعه الآخذ من كل منها بطرف ، فيستطيع أن يفتح لها مجالات جديدة ، وأن يزيد مادتها بما يفتــح عليه من كشف مساتيرها ، فقال تعالــى : « فاسألوا أهــل الذكــر ان كنتم لا تعلمون » •

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا عمليا كان نبراسا لكــل من أتى بعده ، وعاملا قويا في انهاض الهمم ، وذلك أنه مر على قوم يأبرون نخلا، أي يضعون من الطلع المستخرج من ذكوره على الاعضاء المولدة للثمر مــن اناثه ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : لو تركتموه لاثمر ، فتركــوه • فلما جاء وقت الاثمار لم يثمر فأخبروا رسول الله بذلك ، فقــال لهم : أنتم أعلم بأمر دنياكم •

هذا الادب النبوي العالي سن للناس سنة الرجوع الى الخبراء والعمل بارشاداتهم •

وهذه المجموعة من الآيات والاحاديث ، كانت عوامل رئيسية للنهضة العلمية والفنية البعيدة المدى التي دخل فيها المسلمون الاولون في سنين معدودة ، وكانت سببا لمصير ثروة العالم اليهم . وان دينا يعتبر كل عمل يقصد به الخير ووجه الله قربة يتقرب بها اليه تعالى سواء أكان علميا أو فنيا، هذا الدين جدير بأن يندفع أهله في كل مجال من مجالات النشاط العقلي والعملي ، وان يبلغوا منه اقصى ما يقدر للقائمين من الكفاية والتبريز . وهذا هو الذي حدث للمسلمين ، فقد أخذوا كل علم وفن عن الامم التي اختلطوا وبرزوا فيها جميعا ، فكان علماؤهم اوسع علماء الارض علما ، وأطباؤهم أعلى أطباء الارض كعبا ، والمشتغلون منهم بسائر الفروع العلمية أئمة يرجع اليهم في حل معضلاتها ، وفك معمياتها ، وكان صناعهم وفنانوهم أرفع ذوقا وأصنع يدا من جميع نظرائهم في الارض .

يلغو بعض الباحثين العصريين في تعليل هذه النهضة الاسلامية العجيبة، وهذا التفوق الباهر الذي ناله المسلمون في العلوم والفنون في سنين معدودة، ويعزونهما الى العناصر الاجنبية التي اعتنقت الاسلام كالفرس والروم والديلم الخ ، ويتغابون عن ان هذه الامم كلها كانت عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في دور تدهور مستمر عقب دور من النهوض كانت فيه منذ قرون طويلة ، فكيف يعقل أنهم بعد اضاعة استقلالهم ، وزوال دولتهم يكسبون حياة جديدة ليست من الاسلام ترفعهم من تدهورهم وتوجد لهم نهضة قوية خلافا للسنن المعروفة بين البشر في مثل هذه الاحوال ؟

لا شك في أن هذا البعث الجديد لهم ولجميع العناصر المكونة للامة الاسلامية كان ببركة الاسلام ، وحكمة تعاليمه ، فهو الذي وحد بين هذه الامم كلها بعد ان خلعها من جنسياتها ، وجردها من جميع الفوارق التي كانت سببا في نزاعاتها ، وصاغ منها أمة عالمية حلاها بروح منه يبلغها أقصى مراتب الكمال الادبي والاجتماعي والعمراني .

ولو كان الامر غير ما ذكرناه للفظت بنية الاسلام هذه النهضة ، وحالت

بين الآخذين به وبينها ، ولوجد بين هؤلاء المجددين وبين المحافظين نزاع يفضي الى قتل الاولين واخماد حركتهم كما حدث في كل أمة قبل الاسلام ، ولكن المقرر تاريخيا أن الامة الاسلامية اندفعت في هذه النهضة موحدة الاجزاء ، متكافلة الاعضاء ، وان خلفاء المسلمين ووزراءهم وعلية علمائهم وقادتهم في كل بلد اسلامي كانوا ينشطون هذه الحركة المدنية بأنفسهم وأموالهم ، وليس يعقل ان يندفع الكافة في تيار يحرمه عليهم دينهم الذي كان في أرفع درجات سلطانه .

وها نحن اليوم وجميع عناصر العالم الاسلامي في دور نهضة قوية ، فلم لا يحرمها علينا المحافظون ورجال الدين ، أستغفر الله ! بل هم قد أصبحوا في مقدمة الداعين لها كما كان عليه أوائلهم من قبل . فلا شك ان شبهة أعداء الاسلام داحضة ، وتعليلاتهم لنهضة المسلمين الاولى ساقطة ، وله الحمد في الاولى والآخرة .

من عاداتهن

وقف محامي المتهم بالنشل امام اعضاء المحكمة يقول :

ـ ارجوكم يا سادتي القضاة ان لا تصدقوا هذه المرأة التي تزعم ان موكلي نشل منها خمسة الاف فرنك وهي خارجة من المخزن الذي اجرى تصفية عامة لبضائعه ...

فقال له الرئيس :

ـ ولماذا ترفض هذا الادعاء يا استاذ؟

اجاب المحامي :

ـ ان المرأة التي تخرج من محل يجري تصفية عامة ويبقى في جيبها خمسة الاف فرنك لم تخلق بعد !!

بادن باول : رائد الكشفية

بقلم : سمير سيخاني

بقلم سمير سيخاني

مؤثرات ــ (الساعة تدق الرابعة بعد الظهر) •

الصحفي ــ يا الله •• الساعة الآن الرابعة بعد الظهر ، ولم أهتد بعد الى فندقي وسط هذا الضباب الكثيف •• صحيح اذن ما سمعته عن ضباب لندن •• ان المرء ليضل سبيله في شوارع هذه المدينة الكبرى عندما يكتنفها الضباب ! أين الآن الطريق الى الفندق ؟

الفتى ــ سيدي •• يبدو من لهجتك أنك غريب •• أنت ولا ريب ••

الصحفي ــ (مقاطعا) ــ اميركي ••• أجل ، صحفي اميركي •• اسمي بويس • وقد هبطت لندن منذ بضعة أيام للقيام بتحقيق صحفي • ولكن الضباب اليوم من الكثافة بحيث افقدني طريقي الى الفندق الذي أنزل فيه •

الفتى ــ ما اسم الفندق ، وما عنوانه؟•• باستطاعتي أن أرشدك اليه•• سأرافقك الى حيث تقيم ، يا سيدي ، بكل سرور ••

الصحفي ــ شكرا لك ، ايها الفتى الطيب •• انه فندق « الورود الاربع » في شارع الوصي •

الفتى ــ حسنا •• هيا بنا •• فهو ليس بعيدا كثيرا من هذا المكان !

مؤثرات ــ (انتقال موسيقي قصير) •

الفتى ــ ها نحن أمام فندقك ، يا سيد بويس ••

الصحفي ــ لا يسعني ان اشكرك ، ايها الفتى ، الشكر الكافي ••

فاسمح لي بأن أمنحك هذه المكافأة ...

الفتى ـ المعذرة ، يا سيدي ، فالكشاف لا يقبل أي مكافأة على أعماله!

الصحفي ـ (بدهشة) ـ ماذا ؟ ماذا قلت ؟ لم أفهمك ! ...

الفتى ـ أنا كشاف ، يا سيد بويس .. ألم تسمع قط بالكشفية ؟ ألا تدري ما هي الحركة الكشفية ؟

الصحفي ـ لا .. مع الاسف .. نحن في أميركا ليس عندنا شيء من ذلك ، ولم يسمع بها أحد منا .. بربك ، يا صغيري ، حدثني عن هذه الحركة ..

الفتى ـ انه لسرور عظيم لي ان اروي لك قصتها ..

الصحفي ـ هلا قبلت دعوتي الى الشاي .. فأنا في شغف لسماع كل شيء عن حركتكم هذه . لندخل ..

الفتى ـ شكرا ، يا سيدي .. ولكن ألم تسمع هذه العبارة !

صوت بادن ـ باول ـ « حاولوا ان تغادروا هذه الدنيا بعد ان تجعلوها أفضل مما وجدتموها ! »

الصحفي ـ لا .. ومن صاحب هذه العبارة ؟

الفتى ـ هذه العبارة أطلقها مؤسس الحركة الكشفية روبرت بادن ـ باول في اخر رسالة له الى الكشافين الذين يبذلون جهدهم ليكونوا مخلصين للعهد الذي ارتبطوا به ، وليعيشوا المبادىء الكشفية السامية في مختلف اقطارهم وامصارهم .

الصحفي ـ وما هي مبادىء الكشفية ، وما دستورها ؟

الفتى ـ اليك القسم الذي يلخص هذه المبادىء :

صوت ـ ١ ـ ان تكون خاشعا لله .

صوت ــ ٢ ــ ان تكون مخلصا لولي الامر ، والوطن ٠

صوت ــ ٣ ــ ان تساعد الناس وباقي المخلوقات في كل حين ٠

صوت ــ ٤ ــ أن تحفظ نفسك قويا في جسدك ، نيرا في عقلك ، كريما في خلقك ٠

صوت ــ ٥ ــ ان تطيع شريعة الكشاف ٠

الصحفي ــ حسنا ٠٠ حسنا ٠٠ ارو لي قصة الكشفية ٠٠ وكيف نشأت هذه الحركة المباركة ٠

الفتى ــ اليك القصة ، يا سيدي ٠٠ قصة حضور الذهــن ، والاعتماد على النفس ، وكتمان السر ، وقوة الملاحظة ، واقتفاء الاثر ٠٠

مؤثرات ــ (انتقال موسيقي) ٠

(يعقبه اطلاق النار ٠٠)

الملازم ــ سيدي الجنرال روبرت ٠٠ لقد أحاط بنا « البوير » من كل جانب ، واصبحنا محاصرينه تماما في « ميفكنغ » ٠٠ فما العمل وعدد جنودنا ضئيل ؟

بادن باول ــ صحيح ما تقول ، أيها الملازم ٠٠ ولكن لدي فكرة لفــك هذا الحصار ، وقلبه الى انتصار ٠٠

الملازم ــ ارجو ذلك ٠٠ فكل المعارك التي خضتها ، يا سيدي ، حتــى اليوم ، تكللت بالنجاح والفوز ٠٠ ولكن الامر يختلف ها هنــا ٠ فما هــي خطتك ؟٠٠

بادن باول ــ أتذكر ، ايها الملازم ، كتابي « ارشادات كشفية » الــذي وضعته في الهند للكتيبة الخامسة من جنود الفرسان ؟

الملازم ــ وكيف لا أذكره ؟ الا انني لا أرى الفائدة منه في مثل هــذه

التي نحن فيها .

بادن باول ــ بالعكس .. أفضل الظروف الآن افضل ما تكون لتطبيق المبادىء والاساليب التي يتضمنها هذا الكتاب الصغير . أو لم تلحظ الاهتمام الذي استقبله به كل من في الجيش ؟..

الملازم ــ طبعا .. لقد أحدث ضجة كبرى .. وفي رأيي انه سيكون عونا لجيش السلام في المستقبل ، كما كان عونا للجيوش زمن الحرب .

بادن باول ــ صدقت ، يا هذا .. واليك خطتي المتوخاة من اختباراتي في الهند .. سنستخدم في هذا الحصار فتيات ميفكنغ واولادها الصغار سعاة للبريد ، وحراسا ، وروادا ، ويقيني انهم سيقومون بمهمتهم وواجبهم خير قيام ، ويؤدون للجيش الذي يدافع عن مدينتهم المحاصرة خدمات جلى .

الملازم ــ نعم الخطة ، يا سيدي الجنرال .. انك بذلك توقظ روح البطولة التي تعم صدور هؤلاء الصغار ، وتشحذ قواهم ..

بادن باول ــ وعندما تضع حرب البوير أوزارها باذن الله ، سأنظم رجال الشحنة في افريقيا الجنوبية الذين سيقومون ، بدل الجند ، بالمحافظة على الامن ..

الملازم ــ ولكن ذلك يقتضي تدريبا دقيقا ..

بادن باول ــ طبعا .. سندربهم احسن تدريب ، ونحبب اليهم الطاعة ، والنظام ، والاعتماد على النفس ، والتضحية ، ونحن نعاملهم معاملة الند للند ، ونحترمهم فيحترموا انفسهم .

الملازم ــ وكيف سيكون تنظيمهم ؟

بادن باول ــ سننظمهم طلائع .. كل طليعة مؤلفة من ستة رجال على رأسها عريف . وسيكون لباسهم خاصا من قماش الكاكي الاصفر ، وقبعاتهم عريضة ..

الملازم ــ حقق الله الآمال ..

بادن باول ــ وغدا عندما نعود الــى انكلترا ، سأدرس مــع رجــال المؤسسات والمعاهد التي تعنى بتنشئــة الاولاد وتربيتهم هــذه الاختبارات الآيلة الى تربيتهم تربية استقلالية تكسبهم الرجولة ، وتزرع في نفوسهم حب الوطن ، وخدمة المجموع .

مؤثرات ــ (انتقال موسيقي) .

ولد ــ هه ، أيها الرفاق .. اصغوا الى هذه الرسالة .. لقد كتبها الي الجنرال روبرت بادن باول الموجود في لندن .

اولاد ــ (بدهشة) ــ ماذا تقول ؟ هل رد بنفسه على رسالتك تلك ؟

ولد ــ اجل .. اسمعوا ماذا يقول لي ولجميع من هم في مثل سني .

صوت بادن باول ــ « تقنعوا بمحاربة العادات السيئة ، ولكن كونــوا ايجابيين ، واعملوا الخير .. وأقصد بذلك أن تكونــوا نافعين ، وتخدمــوا الآخرين من أصدقاء وغرباء . ولعل أفضل وسيلة لبلوغ هذا الهدف هــي ان تقوموا يوميا بعمل طيب مهما يكن متواضعا ! »

الاولاد ــ ليحيا بادن باول .. ليحيا بادن باول .

احدهم يقول ــ من الغد سننضم الى هذه الحركة الكشفية الجديــدة التي يبدو أنها تكتسب انصارا يوما بعد يوم .

الاولاد ــ طبعا ... من الغد ..

احدهم ــ هيا بنا الان لشراء كتابه « الكشفية للاولاد » !

مؤثرات ــ (انتقال موسيقي بعد هرج الاولاد ومرجهم) .

بادن باول ــ الحمد لله .. لقد أثبتت هذه الحركة فائدتها نظريا ، فبات لزاما علينا ان نختبرها عمليا ..

صوت ١ ــ نعم الرأي ، يا روبرت .. ما رأيك بتطبيق نظرياتك هــذا الصيف في جزيرة براونسي ، فنقيم مخيما كبيرا يضم جماعة من الاولاد ...

بادن باول ــ (مقاطعا) ــ هذا ما كنت انوي عمله ... سيكون هؤلاء الفتيان ممثلين لمختلف طبقات المجتمع .. وسيقسمون طلائع أربعا . وبالقرب من بول هاربر سيقضون اسبوعا في المخيمات تحت اشرافنا ، فنلقنهم مبادىء الكشفية ، وندربهم على أساليبها .

صوت ١ ــ وعلى ضوء اختباراتنا في هـذه المخيمات يمكنك ان تعكف على تعديل مناهج التربية ..

بادن باول ــ صحيح وهناك آخبار فرسان المائدة المستديرة التي تزرع في نفوس الاولاد الرجولة والانفة ، وحب المغامـرة ، سأطالعهـا واستخلص منها ما يتيح لي ادخال مبادىء التعديل عـلى المناهج المتبعـة في معاهدنا التربوية .

صوت ١ ــ اذن لنبدأ باختيار الاولاد الذين سيصحبوننا الى براونسي . مؤثرات (انتقال موسيقي) .

الفتى ــ ونجح مخيم براونسي الذي أقيم صيف سنة ١٩٠٧ النجـاح المنتظر ــ واتسعت الحركة الكشفية اتساعا حمل الجنرال روبرت بادن باول على الاستقالة من الجيش ، بناء على رغبة ملك انكلترا ، للتفرغ بشؤون هذه الحركة التي أصبحت شغله الشاغل . وقد أنعم عليه بلقب لورد تقديرا لـه على الخدمات العميمة التي أداها لوطنه بتأسيسه الحركة الكشفية التي تدعو الى الخير ، والحق والسلام !

الصحفي ــ انها قصة رائعة هذه التي رويتها لـي ، أيها الكشاف ... وثق انني لدى عودتي الى وطني اميركا سأبذل كل جهودي لتأسيس حركـة مماثلة لما فيها من تربية صالحة للنشء ، وتنمية لقواهم العقلية والروحية ..

الفتى ــ أرجو لك يا سيدي كل توفيق .. وثق ان اميركا لـن تكون اول من نسخ على منوال انكلترا في الكشفية .. فهنـاك كشافون في المانيا ، وفرنسا ، واسوج ، ونروج ، والمجر ، والمكسيك ، والتشيلي ، والارجنتين ، والهنـد ..

الصحفي ـ ويمكنك ، منذ الان ، أن تضيف اسم اميركا الى هذه القائمة الطويلة .. فأنا أعدك بذلك !

الفتى ـ ولكن سيرة اللورد بادن باول تبقى غير كاملة فيما لو أهملت رواية أشهر مغامرة قام بها رئيسنا الاعلى في اقتفاء الاثر ، وهو من المبادىء الكشفية الهامة ... وهو يكاد يكون علما قائما بذاته !..

الصحفي ـ هات ما عندك ، يا صغيري ..

الفتى ـ كان اللورد بادن باول يستخلص لنفسه ، اخلاق وسلوك الناس من مشيتهم ، ووقع خطاهم على الارض . من ذلك أنه استنتج بعد طول مراقبة ان أغلبية النساء مغامرات باحدى قدميهما ، ومترددات بالقدم الاخرى ، وبالتالي معرضات للتصرف تصرفا مختلفا لدى كل اثارة او اغراء. وذات يوم لمح فتاة تسير في احد شوارع لندن فاذا بها تنقض نظريته هذه ، وتنزل من نفسه موقع التقدير .. وظلت صورتها ماثلة امامه طوال سنتين ، حتى لمحها فجأة على ظهر سفينة وجهتها جزر الانتيل وبجانبها والدها ، فاقترب منها قائلا :

بادن باول ـ المعذرة ، أيتها الانسة .. هل أنت من سكان لندن ؟

الانسة ـ لا .. أنا من مقاطعة دورستشاير .

بادن باول ـ آه ، ولكنك كنت من سنتين في لندن ، على بضع خطوات من ثكنة جسر الفرسان ، وكنت تقودين كلبا بني اللون يشوبه قليل من البياض .

الانسة ـ منذ سنتين ؟! يا لذاكرتك الجبارة ! أجل ، الواقع أنني كنت هناك في ذلك الحين .. ولكن كيف تذكر كل ذلك ؟

بادن باول ـ أذكر ذلك ولا أنساه . وقد أرسلتك العناية الالهية الان لنلتقي على ظهر هذه السفينة . فهلا رضيت بي زوجا لك ؟ أنا روبرت بادن باول ..

الانسة ـ يسرني أن أكون شريكة حياتك ...

بيروت

سمير شيخاني

طيـــور وشـعراء

بقلم: محمد شرارة

من الرؤى الحالمة تنبع اغاني الفرح ، ومن متاعب الحياة الكثيرة تتردد اغاني اليأس وتستمد انغامها . وقـد تتساوي في الالهام مرجـة خضراء ، او حديقة غنية بالجداول والازهار ، او « صحراء تبكي حين تغني » كما يقـول الشاعر الاسباني لويس ثيرنودا ، أو طلل بال موحش لا تتحـرك فيـه سوى رياح الموت .

واذا استلهم الشاعر نشيدا من اكثر الكائنات فقد استلهم مـن الطيور اكثر من نشيد واكثر من قصيدة ، وقد رأى فيها اكثر من رمز الى ما يعانيه ، بل واكثر من شريك في ساعات اليأس والحزن واكثر مـن صديق يستحـق العتاب .

حمامة ابي فراس لم تكن بحاجة الى النياح ، ولكنهـا كانت تنـوح ، ونياحها يثير عجبا ودهشة واستغرابا يتحول في شفتي الشاعر الـى استنكار قائم على خلفية من الموازنة بـين حـر واسير ، ومحـزون ومسرور ، وباك وضاحك ، ثم تنتهي الى اولوية واضحة لو كانت المقاييس عادلة .

و « حمامات اللوى » كن أصواتا حلوة ناعمة تحـرك الاوتار التـي يهزها الحنين اليها ، كما تهزها الاماني الى عودة الحمائم التي تحول الاشواق الى فرح وابتهاج . وقد يصير الجمال في العيون حمامـة كما يراها نشيـد الانشاد : « جميلة انت يا حبيبتي . عيناك حمامتان تحت نقابك » .!

اما حمامة الشاعر الاسباني انخيل غوتثاليث فمن نوع آخر : « رآهـا بعضهم تعبر ضواحي باريس ، وبعد ذلك بقليل ظهرت آثار طيرانها في روما • وقد طارت ذات يوم فوق بحر الكريبي محلقة تعانق ظلالها شعوبـا بأسرها ، وتداعب جبالا وانهارا تتخطى الامواج ، وتنتقل الى قارات اخرى • » وهي في هذه الرؤيا تختلف عن حمامة الشاعر الحمداني ، وعن « حمامات اللوى » وغيرها • انها رمز ، وقد تكون رمزا الى « الحرية » التي لا تزال غريبة فـي كثير من انحاء العالم •

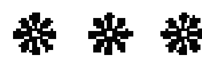
وكما كانت الحمامة مصدرا مـن مصادر الالهـام الفنـي في الادب والسياسة ، فقد كانت القبرة مصدرا ايضا ، وكمـا أوحـت الحمائم أبياتـا وقصائد لابي فراس وغيره ، فقد أوحت القبرة قصيدة لوردسورث ، وقصيدة اخرى لشللي • وكان عنوان القصيدتين واحدا :

هكذا تبدأ قصيدة وردسورث :

لان اغنيتك قوية

فسيري معي الى الغمائم
معي الى الاعالي •• نغني ونغني
معي الى الغيوم •
نغني معها •• مع السماء في نبرة الاجراس
ارفعيني •• خذي بيدي حتى أجد المكان
الذي يتراءى في روحك أجراسا
لقد سرت في البراري الموحشة
وقلبي مرهق في هذا اليوم
ولو كانت لي اجنحة الملائكة لطرت معك في الاعالي •
ففي الاغنية التي تغنينها جنون وآلهة مرحة
ارفعيني •• خذي بيدي عاليا عاليا الى مائدتك في السماء

انت ممتعة كالصباح
وأنت فن يضحك ويسخر ، ويمتلك اعشاش الحب والهناء
وبالرغم من اتعابك الصغيرة أيتها القبرة النشوى
فستسافرين مثلي سعيدة سعيدة
بروح قوية كانهار الجبال التي تسكب الثناء على الواهب الاعظم
وستكون معنا المتعة والسرور
واجسرتاه ..! رحلتي كالحة متقطعة
في المستنقعات الشائكة أو في الطرق الرملية التي محتها الرياح



هذه قبرة وردسورث .. رفيق في الصعود الى الغمائم ؛ واغنية قوية ، وفن يتراوح بين الضحك والسخرية ، ومؤنس في الدروب التي محتها الرياح .

أما قبرة شللي فعالم اكبر من ذلك بكثير ، ودنيا ارحب واوسع :

تحية لك أيها الروح السعيد
لم تكن طائرا في السماء او بالقرب منها
تسكب قلبك كله في لحن متتابع غزير من الفن الطبيعي العفوي .
وأغانيك كانت وما زالت تحلق أعلى وأعلى من أرض خرجت منها
غمامة من نار

الزرقة العميقة تجنحك
وأغانيك تحلق وتحوم لحنا أبديا
في الضوء الذهبي الذي تبعثه الشمس الغريقة في البحر ، اللامعة
فوق الغيوم

أنت تعومين فوق الماء وتسيرين متعة روحية في حلبة السباق
حتى الارجوان الشاحب يذوب في طيرانك فوق الارض .

كنجم السماء الذي يختفي في ضوء النهار الكبير
انت فن غير مرئي ولكني اسمع مع ذلك فرحك الكبير
ينطلق كالسهام في ذلك الكوكب الفضي الذي تذبل ذبالته في ضوء الفجر الابيض
حتى يكاد يختفي عن العيون والاحاسيس .
الارض كلها والجو كله في صوتك المتعالي
وعندما يتعرى الليل من الغمامة الوحيدة الباقية
يسكب القمر شعاعه ويغمر السماء
ما أنت ؟ لا نعرف ..
وماذا يشبهك من قوس السحاب .؟
انت شاعر يختفي في ضياء الفكر
ويغني أغنياته العفوية
حتى يتوشى العالم بالعاطفة والآمال ولا يبالي بالمخاوف
كفتاة عذراء مولودة في ابراج القصور العليا
تداعب حبها الذي يحمل الروح في ساعة خافية
او ذائبة بعذوبة الموسيقى الشبيهة بالحب الذي يغمر الاكواخ
كضوء الحباحب الذهبي
في أودية الندى
يبعثر لونه في جهاز هوائي بعيد عن العيون
بين الازهار والحشائش التي تحميه وتصونه من الرؤيا
كوردة تطرز اوراقها الخضر
وتزهر في الرياح الدافئة
أنت دائما صوت القطرات
في لألأة الاعشاب والازهار التي يوقظها المطر
موسيقاك تتخطى المتعة والضوء والنضارة
فعلمينا أيتها الروح.. أيها الطائر كيف تتكون فيك الافكار الحلوة

أنا ما سمعت ابتهالا في الحب او الخمر
التي تلهث فيضانا صاعدا في نشوة اله كهذا
أي شيء هي الينابيع في لحنك السعيد
وما هي الحقول والامواج والجبال وما صورة السماء والسهول•!
بأفراحك القوية المضيئة لا يمكن ان يكون ضعف ، وظلال الاذى
والقلق لن تقترب منك

أنت الحب ، ولكنه الحب الذي لا يعرف كثافة الاحزان
في اليقظة والنوم
انك لا تفكرين بالموت ، والاشياء عندك أكثر عمقا مما نحلم بـه
نحن البشر ولولا ذلك لما استطاعت أنغامك ان تسيل في هـذا الجدول
البلوري •

أجمل من جميع المقاييس
في الاصوات المبهجة
وأحسن من جميع الكنوز المبثوثة في الكتب
عبقريتك في ان تكوني شاعرة
علميني شيئا من الفرح الذي تعلمينه
حتى يسيل الجنون الهرموني من شفتي وعندئذ يصغي الي العالم
كما أصغي اليك الآن •

والشاعران ينتميان الى مدرسة واحدة وعصر واحد، فكلاهما رومانسي الاتجاه ، وكلاهما من مواليد القرن الثامن عشر ، فقد ولد وردسورث في سنة ١٧٧٠ وولد شللي في سنة ١٧٩٢ ومات الاول في عام ١٨٥٠ والثاني في عام ١٨٢٤ وقد ترك شللي ، على قلة السنوات التي عاشها ، تراثا شعريا في منتهى الرقة والحلاوة ، ولم يكن شاعرا فقط ، بل ثائـرا ايضا بالرغم من ولادته في أسرة ارستقراطية تنتمي الى الطبقة العليـا في السلم الاجتماعي • وقد درس في اتون ، وبعدها في اكسفورد التـي فصل منهـا بسبب آرائـه

الدينية •

قصيدة ورد سورث محدودة الخيـال : محدودة الآفـاق ، والفكـرة الاساسية فيها لا تتعدى الاستغاثة من الحياة ، والهروب من المستنقعات الى الاعالي حيث تتجلى الآلهة والمرح والجنون ، او ما يسميه الناس جنونا فـي غناء القبرة •

أما قصيدة شللي فأعمق خيالا وأكثر تنوعا وان تلاقى الشاعران في عدد قليل من الرؤى وفي الكلمة الواحدة احيانا فالقبرة « غناء » و « فـن يضحك ويسخر » في رؤيا ورد سورث ، وهي « فن عفوي طبيعي » في رؤيـا شللي ، ولكن المكان الذي جعل فكرها أو نفسها اجراسا هو مكان سماوي في الاولى بينما كان ارضا في الرؤيا الثانية ، ولكنها الارض التـي استطاعت ان تحولها الى « غمامة من نار » •!

قبرة شللي تمده بخيال واسع ، وكل ما فيها مـن ألوان وأجنحة نابـع منها • ولو كانت قادرة على المشاركة في الرؤيا لوجدت نفسها شيئا جديدا ، ووجدت أنها بحاجة لان تعيد حياتها اعادة تتناسب مع خيال الشاعر وتصويره بحيث يكون الابداع في الفن ابداعا في الخلق أيضا •

في أدبنا العربي على جميع مستوياته ، غنائيـا فولكلوريا كـان او غير غنائي تأخذ الطيور دورها وتجد لها مسرحا كبيرا فيه ، « فنائح الطلح » في الاندلسية الشوقية يشبه حمامة أبـي فراس في النياح ، ولكنـه لا يأخـذ القصيدة كلها • وشوقي لا ينكر على الطائر نياحه كما ينكر الشاعر الحمداني على حمامته ، بل يرى « العوادي » التي فرضت عليـه النـوح مشتركة بين الاثنين • ومن الوضع الروحي المشترك بينهما كان الاسى مشتركا أيضا :

نائح الطلح أشباه عوادينا ـــ نأسى لواديك أم نشجا لوادينا
ماذا تقص علينا غير ان يدا ـــ قصت جناحك جالت في حواشينا

واذا كان الطلح واديا باشبيليا ــ كما جاء في الشوقيات ، وكان ابن عباد يحبه الى حد الولع ــ فمعناه ان الطائر أخذته الذكرى ، وانها عادت به الى اشبيليا في أيامها الاولى ، ولما رأى الفرق الكبير بين ما كان وما هو كائن لم يجد تعبيرا عن أحاسيسه سوى النحيب :

واذا الحزين بكى ولم يك شاعرا فالشعر ما نطقت به عبراته

وهذه الرؤية هي التي فرضت الموقف من نائح الطلح ، وهو مختلف عن موقف أبي فراس من الحمامة فالشاعر الحمداني لم يكن في أرضه ، بل في أرض غريبة ، وحمامته لم تأت من حلب او غيرها ، بل كانت من الارض التي تنوح بها ، ولذلك كان الاستغراب طبيعيا . أما « نائح الطلح » فقد تقاسم الغربة مع الشاعر كما تشارك كلاهما في الذكرى ، فقد كان الطلح لهما في الماضي ، وهو الآن لغيرهما ، ولم يعد لها فيه شجرة أو غصن أو ورقة .. هي الغربة ــ اذن ــ ولكنها غربة المطرود من بيته ومن أرضه ومن عشه الذي بناه بكل ما في روحه من عزم وتصميم وارادة . واذا كانت الغربة الاعتيادية مرة وقاسية فكيف تكون اذا اقترنت بالطرد من البيت الذي بني بدم القلوب:

آها لنا نازحي أيك باندلس وان حللنا رفيفا من روابينا

فكلاهما بعيدان عن الديار الحبيبة ، ولكنهما ــ وان كانا بعيدين ــ في رواب غنية تلد سلسلة متتابعة من الذكرى التي تنتقل من الحاضر الى الماضي وتتغلغل في احشائه ، ثم تتجلى في شريط مثير تتلاقى فيه الاضداد وتتحرك الصور المختلفة :

رسم وقفنا على رسم الوفاء له نجيش بالدمع والاجلال يثنينا
لفتية لا تنال الارض ادمعهم ولا مفارقهم الا مصلينا

والرسوم في الحياة العربية العاطفية مصادر مزودة دائما بالاثارة والتحريك ، واذا كانت في « نجد » و « شهامة » و « رامة » وأمثالها من

الاماكن تعيد لحظات الدفء والحنان التي انقضت بجانب الحبيبات فانها في الاندلس تعيد لحظات اخرى .. تعيد لحظات المجد والضياع في ذكرى واحدة .. لحظات النصر والهزائم في صورة مطلة على التاريخ بكل ما فيه من ابتسام ودموع وأمل وخيبة وبناء وهدم ، ولذلك كانت هذه الوقفة الجائشة بالدمع والاجلال الذي يرد الدموع ويعيدها الى القرارة البعيدة في النفوس الحزينة .

واذا كانت « الرسوم » في الاصل ما تبقى من آثار الديار فانها هنا ما تبقى من آثار الحضارة التي زعزعها صراع الامراء والملوك فيما بينهم ، ثم محاها الصراع الآخر بينهم وبين امراء النصارى في الغرب . والرسم الثاني يمكن ان يكون بمعنى الاول ـ أي بقايا الوفاء ـ ويمكن ان يكون بمعنى « التذكر » اذا استطاع « الرسم » ان يحمل شيئا من معاني « الترسم » . ولكن المصادر اللغوية لا تمنحه هذا المعنى ، وتكاد تبقيه ، ان لم تبقه كليا هنا ، في حدود المعنى الاول .

هذا الطائر النازح لا يخرج من دائرة الحزن ، ولا يتحرك الا فيها . والغربة التي نشأت عنها الاحزان هي التي ربطت بينه وبين الشاعر هذا الربط المحكم القوي ، فكلاهما نازلا أيك ، وكلاهما غريبان في الاندلس . واذا كانت غربة الشاعر واضحة فغربة الطائر لم تكن بمثل هذا الوضوح ، فمطلع القصيدة وكلمة « الطلح » الواردة فيه توحي او تومىء الى ان الطائر اندلسي الوطن والهوى والعاطفة ، وان نياحه لم يكن على الارض ، بل على الذين كانوا فيها ، وكانوا زينة لها في الماضي البعيد : فالطلح ذاته لم يتغير ، فما زال واديا جميلا ، وما زالت أشجاره تثير الولع كما كانت تثيره في أيام ابن عباد ، ولكنه ، على جماله ، لم يعد سوى طلل موحش في نظرة الطائر الحزين بعد ما خلا من أهله . وهذا النائح لم يكن اكثر من شاعر عاشق وقف على الديار الخالية التي لم ير فيها احدا من أحبابه . و « الروابي الرفافة » تساند هذا الايحاء وتمنح الطائر روحا وطنية كما تمنحه روحا قومية تشده

الى الذين كانوا في الطلح • و « الوادي » في المطلع نفسه واضافتها الى كاف الخطاب تمنح المساندة قوة ، وتكاد تثبت ان الطائر لم يكن غريبا ، وان نياحه لم يكن وليد الغربة • واذا كان الامر بينا فكيف يقال له :

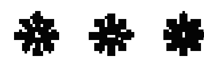
رمى بنا البين أيكا غير سامرنا — أخا الغريب وظلا غيرنا دينا
كل رمته النوى ريش الفراق لنا — سهما وسل عليك البين سكينا

والبيتان يؤكدان ان الاثنين : الشاعر والطائر كانا هدفا ، وان الرامي أصاب هدفه بالسهم تارة ، وبالسكين تارة ، وان كان الظل واحدا •!

واذا كان الانتقال من أيك الى أيك ، ومن ظل الى ظل لا الى موماة او مفازة فمعناه ـ كما قد يقال ـ ان الغريبين لم يفقدا او يخسرا مما يستحق البكاء او النوح • وما دام الامر كذلك فماذا يدعو للنياح •! يجيب الشاعر على السؤال الخفي بأن العبرة في « السامر » لا في الظلال ، وقد فقد كلاهما السامر • والسمر روح الايك • واذا صار غريبا تهاوى الايك والظل وكل ما يبدو جميلا ومنعشا • ثم يستمر ، فيما بعد ، بما يؤكد الاصرار على غربة الطائر :

لم تأل ماءك تحنانا ولا ظمأ — ولا ادكارا ولا شجوا أفانينا
تجر من فنن ساقا الى فنن — وتسحب الذيل ترتاد المؤاسينا

وبين الايماء الذي اشرنا اليه والتأكيد تضطرب الصورة ، ويأخذها ما يشبه الفوضى • ان الشعر ، وان لم يكن خاضعا للصرامة العلمية ، يطلب الانسجام في الالوان كما يطلب دقة التصوير • فاذا فقد الانسجام أو الوحدة دخله الخلل •



بعد الطائر تتناول القصيدة « فتية » الاندلس الماضين تناولا خاطفا ، ثم تنتقل الى مصر ، وتستمر في تنقلها من « رفيف التمائم حول حافاتها » الى

« ملاعبها » التي تشعل الحنين والاشواق ، الى حضارتها المذهلة .. الى .. الـى .

الشعر الذي ولد في عصر النهضة ولادة جديدة عرف وحـدة الموضوع وانبثاق الحلقات من بعضها في تكوين السلسلة الفنية التي سميت ، فيما بعد، بالوحدة العضوية ، وكان ذلك نوعا من الفن في شعر العصر وقصته ، ولكن شوقي ، على ثقافته الاوروبية ، ظل أسير المنهج العربي القديم ، وظلت الوحدة عنده قليلة الاهمية ، ولذلك تبدو الصور مختلطة ، كما تبـدو الوحـدة في اجازة . وقصيدته هذه لا تختلف في تنوعها عن معلقـة امريء القيس ، وكما تحدث الشاعر الجاهلي عن الحب ، والجواد ، والمطر ، والمغامرات الغرامية ، فقد تحدث شوقي مثله ، وان اختلف التنوع ، وقد أخـذ الاعتزاز بالحضارة المصرية القديمة صورة تقترب من بعض الصور الجاهلية :

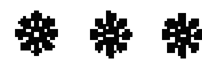
لم تنزل الشمس ميزانا ولا صعدت ... في ملكها الضخم عرشا مثل وادينا
ألم تؤلـه عـلى حافاتـه ورأت ... عليـه أبناءهـا الغـر الميامينـا

وعلى ذكر « التأليه » للشمس في مصر القديمة يأخـذه التاريخ أخـذا مذهلا فيدور فيه ، ويحاول ان يديرك معه في دولاب تحس في دورانه أنـك تعود الى العصر التغلبي ، والى شاعره المعجب بنفسه وقبيلته اعجابا لا يقـل عن اعجاب الآلهة بالخلق والابداع :

وهذه الارض من سهل ومن جبل ... قبـل القياصر دناهـا فراعينـا
ولم يضع حجرا بان علـى حجر ... في الارض الا عـلى آثار بانينا

بل ان شاعر تغلب يبدو متواضعا في قصيدته التـي فرضتهـا ظروف خاصة حاول فيها ملك الحيرة ان يذل الشاعر وأمـه ، اذا قيست بقصيـدة شوقي ، ولم يصل في تعاليه الى تعالي امير الشعراء في القـرن العشرين . ولا يهمنا الحديث عن الحضارة بقدر ما يهمنا ارتباطها بالوحدة .

ان التنقل من فكرة الى فكرة بـدون ان تكـون بين الفكرتين وشيجة الولادة او القرابة الحميمة توضح ، كما اشرنا ، بأن الشاعر كان بعيـدا عـن روح العصر الذي يعيش فيه ، ولذلك كانت هذه الفوضى ، او هذه الاشتات من الافكار التي لا تربط بينها خيوط واضحة او خفية في قصيدة واحـدة . وبالعودة الى قصيدتي ورد سورث وشللي اللذين سبقا شوقي في الوجـود يتضح الفرق بينهما وبينه في الحركة الفكرية ودورانها في روح الموضوع ، أو في غربتها عنه . ولو كانت ثقافة شوقي باقية في اطارها العربي البحت لكـان له عذر . ولكن الذي درس في باريس يختلف ، او ينبغي ان يكون مختلفـا عن الذي درس في البادية .



أما بلبل الشرقي الشاعر العراقي المعروف فروح مسرحية عجيبة لها فـي كل دور حركة تتناسب مع الهدف المسرحي وغايته . وكما تلاقى شوقي ونائح الطلح في غناء حزين فان الشرقي وبلبله يتلاقيان في وحـدة الحـال الحزينة ايضا وان اختلفت دوافع الحزن :

أيها البلبل المعلق فـي السجن ... سلام لعـل حالـك حالـي
فجناحاك مثـل قلبـي يا بلبل ... قـد رفرفـا لضيق المجـال
لعب التافه الرخيص من الناس ... مـع الدهـر بالنفيس الغالي
واذا الـورد فـي الحوانيت ... والطير وراء الابواب والاقفال

فالابيات صورة عن حالة اجتماعية رهيبة يقف الطير والشاعـر كلاهما فيها وراء الابواب المقفلة في زنزانة ضيقة . ورفرفة القلب محاولة للخروج من الضيق الى أرض أوسع من الزنزانة . ولكن هيهات .! انهـا الرفرفـة التي لا تختلف كثيرا عن رقصة الذبيح ، واذا انتهت هذه بالموت فتلك تنتهي على الاقل باضطراب الدماء أو تكسير الجناح .

شوقي كان منفيا في اسبانيا ، ولكن القصيدة ، عـلى طولها ، لا تشير

بكلمة واحدة الى تفاته ؛ ولكن الشرقي وبلبله لم يكونا سجينين بالمعنى الحرفي للكلمة ، بل كان بينهما وبين الحرية ستار من حديد . والمشكلة لم تكن مشكلة الستار ذاته ؛ بل مشكلة « التافهين » الذين يقيمون الستائر ، ويحولون بين البلابل والتغريد ، او بين الشعر والانطلاق ، وهذه هي النقطة الملتهبة في نظرة الشعر العراقي عامة ؛ وشعر الشرقي خاصة . ان هذا الشعر وان تحدث عن المأساة ، وعن البلاء النازل على الشاعر والافكار لا تمر المأساة فيه بدون ان ترفع اصبع الاتهام المشيرة الى « التافهين » الذين يحاولون ان يجعلوا من « التفاهة » والابتذال والرخص وصاية على البلابل والشعراء ، كما يحاولون ان يجعلوا منها قوانين .

بلبل الشرقي من البلابل المناضلة ، ومن وراء النضال كانا رفيقين في السجن .. انه يختلف عن قبرتي ورد سورث وشللي اللتين كانتا حرتين . ولذلك كان شاعرا « القبرة » يطلبان الانقاذ والتخلص من « المستنقعات الشائكة » على يد الطائر السائر في الجو « غمامة من نار » . ويختلف ايضا عن نائح الطلح الذي يكتفي بالنياح وبالتلاقي الذي تشده فيه الى الشاعر المنفي « وحدة المصائب » ولم تخطر ببال الشاعر المصري خاطرة واحدة عن الذين نفوه ، في الوقت الذي كان الشاعر العراقي يصور هؤلاء ويخرجهم الاخراج اللائق بالتفاهة والابتذال الذي « يتفق مع السفاحين » ويضع في « زنزانات الرطوبة والخزي أجساد الذين هم أجدر بالحياة » كما يقول الشاعر الاسباني رفائيل البرتي المتفق مع الشرقي على بعد الديار واختلاف اللغة .

وبلبل الشرقي ، بالرغم من أبوابه المقفلة ، يفلت احيانا وينتقل فوق الغصون تنقل الوتر على الوتر ، ثم يغني أغانيه المملوءة بالفرح والابتهاج :

ترنم البلبل فوق الغصون مبتهجا والورد في البرعم
في كل عام موسم للفنون وبلبلي قد جاء في الموسم

وهو الموسم الذي تتبرج فيه الطبيعة ، وتكشف أسرارها وكنوزها الغنية ، وتزيح الستار عن الجمال الذي يزداد كلما ازداد التأمل فيه ، ثم ينساب في الحياة انسياب النشوة في رؤوس السكارى ، ويظل فيما بعد نغما هاتنا في اغاني الطيور وقصائد الشعراء .

والشرقي يرى البلبل في هذا العالم الغني أقدر منه على اشاعة الارتياح واذاعة الهناء . وقد تكون التلقائية العفوية التي اشار اليها شللي في قصيدته السابقة هي التي جعلت الشرقي يحول الوردة الى ندوة البلبل ما دامت تطلب الزيادة في اللطف :

لو كان لي لطف نسيم الصباح فتحت اكمامك يا وردتي
فالتمسي البهجة والارتياح من ندوة البلبل لا ندوتي

فاللطف الذي تطلبه الوردة موجود ، وتستطيع ان تعثر عليه ، ولكن في ندوة البلبل لا في ندوة الشاعر . والوردة نفسها لم تكن سوى «قبلة اللطف» التي طبعها البلبل على وجه الثرى . وفي أواخر القصيدة تتساوى أغرودته وأغرودة الطائر ، وكلتا الاغرودتين تتحولان الى رمز من رموز الخلود :

احتفل الروض باشجاره صبحا ولم يحفل بزيتونتي
يا حقلي الزاهي بأثماره كم عصرة تعصر ليمونتي
ترمز للخلد وأسحاره اغرودة الطير وأغرودتي

لقد ارتفعت ندوة الشاعر الى مستوى ندوة البلبل ، وكلتا الاغرودتين صارتا رمزين من رموز الخلود ، ولكنها ، على خلودها ، لا تجد من يسمعها او يصغي اليها أحيانا . ان الخلود ، وان كان في ذاته قيمة هائلة ، يزداد وهجا اذا وجد الآذان ، كما تزداد الآذان قيمة اذا عرفته ، ولا تضعف قيمته أو تخف ان فقد الاصغاء ، بل تخف قيمة الذين لا يقدرون الخلود :

حمامات اغصان العراق تهامسي فأهلك يؤذيها رنين السواجع

انها « المحنة » التي تتحول فيها السواجع الى « هوامس » وقد يكون الهمس .. حتى الهمس ، على خلوده ، محرما .! لقد كان الشاعر واحدا من جيل الطليعة التي حملت الراية فيما سمي بـ « عصر النهضة » وكانت مهمته ومهمة جيله شاقة ، فلم تكن الطريق امامهم معبدة . ومن المتاعب الكثيرة التي ناء بها الجيل الصاعد كانت هذه الشكوى من سوء الفهم وسوء التقدير القائم في حياة « الاهل » . ولكن ، بالرغم من ذلك ، ظلت الحمائم تسجع ، كما خرجت الطيور الاخرى الى التحدي ولم تكتف بالسجع ، وقد لقيت من وراء التحدي انواع السجون التي لم تعرفها بلابل الشرقي . واذا كانت أغرودة الشاعر وأغاريد رفاقه لم تجد الآذان فان أغاريد الطيور الجديدة التي جاءت بعده ، او واكبته لقيت المجابهة ، ولقيت الاقفاص الضيقة . ولكن السرب بقي في طيرانه ، وبقيت أغانيه تملأ الاودية والفضاء . وسيبقى الشعر الخالد رفيقا لاغاني الطيور التي تحاول ان تملأ الدنيا بهجة والحياة سعادة .

بغداد — محمد شرارة

سبب الطلاق

ذهب احد الهنود الحمر في امريكا الى القاضي يطلب منه الطلاق من زوجته فسأله القاضي عن السبب فقال الهندي :

عندما ازرع الحنطة ، فانني احصد الحنطة ، وعندما ازرع الذرة الصفراء فانني احصد الذرة الصفراء لا شك في ذلك ابدا .

ولكن عندما ازرع هنودا حمرا واحصد زنوجا فانني حينئذ ملزم بطلب الطلاق .

السادس من أيار في الشعر العربي المعاصر

بقلم : عيسى فتوح

لا بد لنا من الرجوع الى التاريخ لمعرفة الاسباب التي دفعت جمال باشا السفاح الى ارتكاب أبشع جريمة في السادس من أيار عام ١٩١٦ ، الا وهي اعدام نخبة من رجال الفكر والادب في كل من دمشق وبيروت ، بعد ان عقد لهم محكمة صورية في عاليه ، أثبتت انتماءهم الى جمعيات عربية سرية ، هدفها القضاء على نظام الحكم العثماني الفاسد .

والواقع ان العثمانيين لم يكونوا يجهلون أمر هذه الجمعيات السرية والحركات القومية ، لذلك أخذوا يبثون العيون وينشرون الجواسيس في كل مكان ، ليتسقطوا اخبار هؤلاء الاحرار ، ويرصدوا تحركاتهم ونشاطاتهم .

ولم يكونوا في بادىء الامر يظهرون القسوة والشدة ، كما يبدو من المفاوضات التي عقدوها في باريس مع زعماء هذه الحركات برئاسة عبد الحميد الزهراوي ، الا أنهم راحوا يتحينون الفرصة للايقاع بهم ، والقضاء عليهم .

فلما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى ، ووقفت تركيا ضد الحلفاء ، عمدت الى الغاء الامتيازات الاجنبية ، وتفتيش القنصليات المعادية لها ، فعثرت كما تزعم على بعض الوثائق السرية التي تفضح أمر تلك الجمعيات العربية ، ودعوتها الصريحة الى الحرية والاستقلال ، فقبضت على نفر من اقطاب هذه الجمعيات ، وفر الآخرون الى أوروبا ومصر .

عندما أحيلت تلك الوثائق على الديوان العرفي في عاليه ، حكم على نخبة من أعيان الوطنيين بالموت شنقا ، ونفذ حكم الاعدام في السادس من

أيار عام ١٩١٦ في كل من دمشق وبيروت ، وحكم غيابيا علـى أكثر من ستين من الوجهاء ، بالاضافة الى من عوقبوا بالنفي والسجن •

لقد كان لتلك الحادثة الاليمة رد فعل كبير في نفوس العرب من مقيمين ومهاجرين ، اذ وحدت مشاعرهم ، وقاربت بين طوائفهم ، وألفت بين قلوبهم ، وجعلتهم يحسـون بالظلم الفادح والاسى المرير ، وباعدت بالمقابل شقة الخلاف بين العرب والاتراك ، فكان أن فجرت ثـورة الشريف حسين في حزيران مـن العام نفسه ، وقد أشار الزهاوي الى هذا الخلاف بقوله :

بني يعرب لا تأمنوا الترك بعدها بنـي يعرب ان الذئـاب تصول
لعمرك ليس الامر ذنبـا أصابه قصاص ، ولكن يعـرب ومغول

لم يكن في وسع الشعراء المقيمين في الوطن خلال تلـك الايام العصيبة ان ينتصروا بشعرهم علنا لهؤلاء الشهداء الذين كانوا القافلـة الاولى مـن الضحايا تقدمها بلادهم في سبيل الامة العربية ، كما يقـول الدكتور أمجـد الطرابلسي (١) ، فقد كان سيف الطغيان مصلتا على الاعناق ، وكان الانسان يؤخذ بالشبهة بله القرار ، فانطوى هؤلاء الشعراء عـلى أنفسهم ، وقلوبهم تقطر دما ينتظرون اليوم الذي يستطيعون فيـه ان ينفسوا عـن آلامهم ، وينشروا ما نظموه في بكاء شهدائهم ، بعكس شعراء المهجر الذيـن استجابوا لتلك الحادثة الاليمة في حينها ، وعبروا عن مشاعرهم أصدق تعبير ، كالقروي ، والياس فرحات ، وأبي الفضل الوليـد ، وجورج صوايـا والاخوين عقـل وشكر الله الجر ، ويوسف عساف ، وجورج أطلس وغيرهم •

ومهما يكن من أمر فان الشعراء العرب الذين عانوا مـن هـول هـذه الجريمة النكراء ، عمدوا الى اخفاء قصائدهم ، وتناقلها بشكل سري ، شفاها او كتابة ، وان لم يعمدوا الى نشرها في الصحف والمجلات ، من هؤلاء :

---

(١) شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام ص ٥٥

— ١ —

محمد الشريقي في قصيدته « هل تذكرين » التي نظمها حين كان سجينا في قلعة دمشق عام ١٩١٦ ورثى فيها شهداء السادس من أيار الذين علقهم جمال باشا على الجذوع ، فتقدموا الى الموت بلا خوف او رهبة ، والبشر يطفح من وجوههم :

لله شبان البلاد وشيبها باسم البلاد على الجذوع تعلق
يتقدمون الى الردى بتبسم لا يرهبون الموت وهو محقق

ثم يتحدى الاتراك ، ويتمرد على كيدهم وظلمهم ، ويتظاهر بالتفاؤل ، لان هذا الظلم لا بد ان يمحق يوما ما وهو قريب :

ليكل لنا الاوغاد ما شاؤوا أذى لا بد أن الظلم يوما يمحق
جاروا على العرب الكرام وهيمنوا وتنطعوا في حكمهم وتزندقوا

ويسترسل في وصف مظالم الاتراك، وسرد مساوىء حكمهم، وتضييقهم الخناق على العرب ، لاذلالهم وكسر شوكتهم فيقول :

حتى اذا قلب الزمان مجنه حكموا علينا بالشقاء وأغرقوا
حفروا لنا حفر المنون تشفيا وبغوا علينا بغيهم لم يتقوا

ولم يجد مبررا لنقمة الاتراك على العرب الا حبهم لوطنهم ، هذا الحب الذي أقره الله في جميع الديانات السماوية ، ومتى كان الانسان يعاقب على الحب ؟ :

نقموا علينا ان نحب بلادنا والحب في شرع الاله مصدق

وتبلغ منه النقمة مبلغها ، فيقذفهم بحمم من بركان غضبه ، حتى ليجعلهم سفلة ولئاما ، قد تجردوا من الاخلاق ، ونبذوا الشريعة والدين ، واستحلوا كيد الرعية ، وقضوا بكل ما يقلقها ويدب الرعب في نفوسها :

ما كنت أحسب أن يسود معاشر سفل بغير اللؤم لم يتخلقوا
نبذوا الشريعة واستحلوا كيدها وقضوا بما منه الرعية تفرق

وينتهي الى اتهام جمال باشا بالتسلط والدكتاتورية ، والاستبداد بالرأي ، والتحكم بالافراد ، فهو لا يعمل الا بوحي من وجدانه المريض ، وهذا في رأيه منتهى الخرق والطيش :

فرد له ما شاء في أحكامه وتحكم الافراد شرع أخرق

ـ ٢ ـ

كذلك يتحدى الشاعر حليم دموس الاتراك الذين أودعوه السجن وحيدا ، مهملا ، لو سار جمال باشا في ظلمته لما استطاع ان يراه ، لكنه يستبشر خيرا بالغد ، فلا بد ان يشرق فجر الحرية ، ويطوي ظلام السجن المخيم الذي نشره المستبدون :

أنا في سجني وحيدا أحتسي خمرة الاتراح لا خمر الدنان
مهمل في غرفة مظلمة لو مشى السفاح فيها لا يراني
ليس لي ذنب سوى حرية سببت سجني وقهري وهواني
يا أيها الظلام جوروا واحكموا وازرعوا الويلات في كل مكان
فغدا ينشق جلباب الدجى ونرى في مطلع الفجر الاماني

ـ ٣ ـ

اما الشاعر خير الدين الزركلي فقد نعى شهداء السادس من أيار بقصيدة وطنية مؤثرة ، تهيج النفوس ، وتوقظ فيها الشعور بالعزة والكرامة ، اذ عرف كيف يستثير العواطف ، ويحرك المشاعر ويبعث فيها الاسى :

نعى نادب العرب شبانها فجدد بالنعي أحزانها
بكى كل ذي عزة تربه فهاج نزارا وعدنانها

فمن للمدامع ألا تفيض وترسل كالسيل هتانها
فجائع من حديث القلوب وهيهات تسطيع سلوانها

ثم يشير الى أن شهداء السادس من أيار كانوا في طليعة مثقفي الامة العربية ممن أتقنوا الشعر والادب واللغة والبيان ، وعملوا لرفعتها وعزها ، ولذلك كانت الخسارة فيهم كبيرة ، لا يمكن أن تعوض :

نعت لغة العرب من أحكموا لسان قريش وتبيانها
وناحت على من بنوا عزها وأعلوا بما أثلوا شانها

وينتقل بعد ذلك الى ما كان لهؤلاء الشهداء من فضل في التعجيل باعلان الثورة العربية الكبرى التي اندلعت في حزيران عام ١٩١٦ ، أي بعد أقل من شهر واحد من اعدام الشهداء :

أبى السيف الا انتقاما لها وخاف على الضيم خسرانها
أثار بني هاشم في الحجاز وأنطق في الترب حسانها
كتائب هبت تلبي الدعاء وتطوي القفار وكثبانها
برمح يرن ، وعضب يئن ينبه في الترك وسنانها

ـ ٤ ـ

وهذا الشاعر خليل مردم بك ينظم قصيدة رائعة في ذكرى مرور ثماني سنوات على اعدام شهداء السادس من أيار ، يبدؤها بالبكاء عليهم بكاء مراً ويعبر فيها عن الالم العميق الذي سيظل يحس به أهل الشام على مر السنين:

لا هم دمعي من طول البكا نفدا فهب لعيني ما أبكي بـه الشهدا
وما الدموع وان جادت بمنجدة فاجعل لها من دمي أو مهجتي مددا
لؤم بمن لا يريق الدمع تكرمة لمن أريقت دماهم للبلاد فدا
في مثل ذا اليوم في هذا المكان على هذي الجذوع علت أرواحهم صعدا

ثم يتحدث عن أثر هذه الذكرى الاليمة في النفوس ، فهي تجدد الحزن

والجوى ، وتقرح القلب والعينين ، ولذلك ترى ظل الكآبة ممدودا في كل مكان :

هل تذكرون ؟ وما بالعهد من قدم يوما أراكم ضحاه طالعا أبدا
فلو تراهم على الاعواد ماثلة أجسامهم لفقدت الصبر والجلدا
تواجه الشمس منهم أوجها نضرت كالماس في الشمس لألاء اذا اتقدا
كأن اطراقهم في طول صمتهم كمن يراجع معنى رائعا شردا

لا شك في ان الشاعر خليل مردم بك كان صاحب مدرسة فريدة في النظم ، تقوم على الوصف ، وتعتمد حاسة البصر بالدرجة الاولى ، يمدها خيال وثاب ، حتى لتغدو الصورة لوحة حية ، ترتاب فيها العين ، فتتقراها اليدان باللمس .

ان شعره حافل بمثل هذه الصور البديعة ، رغم الاطار القاتم الذي يحيط بها ، وهل هنالك أبدع من تصويره اغضاء الشهداء باغضاء الكريم عن الاساءة ، وتشبيهه أعناقهم المائلة بقطيع أنهكه العطش فورد الماء ليشرب ؟ :

كأن اغضاءهم اغضاء ذي كرم عن الاساءة خلقا طاهرا وهدى
ومشرئبين بالاعناق تحسبهم وردا من الهيم نحو الماء قد وردا
تهفو رقابهم نحو السماء كمن له بها حاجة ادراكها بعدا

ثم يؤكد لنا ان الشهيد آجل في النفس من ملك فوق سريره ، وما الصحيفة التي تعلق على صدره ، الا وسام فخر يشهد له بالمجد والرفعة :

أقسمت بالله للمصلوب في شرف أمسى على الجذع مثل الشلو منفردا
أجل في النفس من ملك تحف به جلالة الملك ان فوق السرير بدا
صحيفة الحكم في صدر الشهيد غدت وسام فخر له بالمجد قد شهدا

ــ ٥ ــ

اما الشاعر عدنان مردم بك ، فقد تأثر خطوات والده في الشعر ، وزاد

عليه بأن أصدر ثلاثة دواوين هي : « نجوى » و « صفحة ذكرى » و « عبير من دمشق » بالاضافة الى تسع مسرحيات شعرية ؛ نهج فيهما منهج شوقي وعزيز أباظة ، ولا يعنينا الآن من شعره الا قصيدته « ذكرى يوم الشهداء » التي نظمها عام ١٩٤٤ ، وألقاها في مهرجان شهداء القومية العربية الذين شنقهم جمال باشا •

تحدث في مستهل القصيدة عن بذل الشهداء السخي ، وعطائهم اللامتناهي ، وهل هنالك بذل أثمن من ان يضحي الانسان بروحه ، ويقدم دمه رخيصا في سبيل وطنه ؟ :

يا فتية مهروا المعالي عن رضا بدمائهم واسترخصوا المبذولا
هل بعد بذلكم الحياة لمن بغى سبل المكارم ما يعد جليلا
قدرتم قيم المكارم حقها لما طرقتم بابها المقفولا

ثم يبارك تلك الدماء المسفوحة على التراب ، تسقي أرض الوطن العطشى ، وتلك الاجساد الذاوية النحيلة التي انتثرت هنا وهناك كأنها شقائق النعمان :

فتباركت تلك الدماء على الثرى مسفوحة تسقي ربى وطلولا
وتقدست أجسادكم منثورة نثر الشقائق رقة ونحولا.

لقد تتلمذ عدنان مردم بك على والده ـ رحمه الله ـ فتأثر به ؛ وسار على نهجه في الوصف والعناية بالتصوير ، فلا غرو ان يستعير أحيانا بعض صوره وأخيلته ، وقد مر بنا كيف شبه الشهداء المعلقين ، وقد التوت أعناقهم، بقطيع عطشان ورد الماء ليشرب :

ومشرئبين بالاعناق تحسبهم وردا من الهيم نحو الماء قد وردا

فاستخدم عدنان الصورة بقالب آخر قائلا :

وأتيتم ورد المنيــة ظلعــا   تتزاحمون مناكبا وتليــلا
وكأنكم هيم عطاش تبتغي   وردا لتطفيء حرقة وغليلا

والفرق بينهما أن الأب أوجز فجمع الصورة في بيت واحــد ، واسهب الابن فجعلها في بيتين ، ولا شك في أن التوفيق قد حالف كــلا منهما صياغة ، وألفاظا ، وحسن سبك .

ويتساءل الشاعر بدهشة كيف يتسابق الشهداء الى شرب كأس المنية ، بلا مبالاة ، ويقسم ان تلك الشجاعة قد جاوزت حدود المعقول :

شهداء جلق مــا أجــل نضالكم   حــين انبريتم فتيــة وكهــولا
عجبا آفــي ورد المنــون تزاحم   هــذا لعمرك جاوز المعقــولا

ويعلل السبب الذي دفع الشهداء الى مناوأة الاتــراك والثورة عليهم ، فيجده في رفضهم حياة الذل والعبودية والاستسلام ، وضيقهم بالقهر والعيش المرذول ، ولذلك ثاروا تلك الثورة الجامحة العمياء ، التي خفقت لهــا قلوب الطغاة خوفا وهلعا :

أنفت نفوسكم الركون على الاذى   واستنكرت عيشــا لكــم مرذولا
فبعثتموهــا صيحــة خفقت لهــا   كبد الطغاة مــن الوجيب طويــلا

ألا ما كان أكرمهم قادة عبدوا طــرق الشهادة حين فرشوهــا بجثثهم ، وتقبلوا الموت بطيبة خاطر :

أكرم بكم يوم الكريهة قائدا   ورد المنية طائعــا وبسيلا

ويختم قصيدته بحكمة خالدة ، هي ان على كــل من أراد ان يحيا حياة حرة كريمة ، ان يعد لها السيف ، فالمسافة بين الكرامة والذل خطوة واحدة ، من اجتازها عاش عزيز النفس ، قوي الجانب ، سيدا :

قل للذي يبغي حياة حــرة   هلا جلوت الصارم المصقولا

بين الكرامة والمذلة خطوة ان تخطها تعش الحياة نبيلا

– ٦ –

غير ان الشاعر سليم الزركلي ، الذي لم يترك حادثة من حوادث الوطن الا نظم فيها ، فقد خص الشهداء بقصيدة طويلة عنوانها « شهداء ايار » ، ألقيت في حفلة النادي الاهلي بدمشق ، عام ١٩٤٦ ـ وكانت سورية مغمورة بفرحة جلاء الفرنسيين عن أراضيها ـ فلنسمعه يحييهم ويثني على وفائهم الخالص للاوطان ، وأمجاد العروبة الخالدة :

أقوافل الشهداء ماذا في سمائك من جديد
كنت المنائر في الوفاء الـ محض للمجد التليد
تيهي علا فالدهر غير الدهر في شر العهود
قد كنت تبكين العلا أسفا على وطن شهيد
وتناشدين المجد يحـ طم كل جبار عنيد

وبعد ان يسهب في التغني ببطولات صلاح الدين في حطين ، ويقف وقفة طويلة عند فلسطين الجريحة ، يعود ليخاطب الشهداء ويبين أنهم عيون المجد في الايام الحالكة المظلمة ، وأنهم صدى الماضي العريق ، ورفة الامل الوضاء للشعوب العربية المطعونة ... فليناموا اذن فرحين سعيدين في عليا الجنان ، بعد ان جنت البلاد ثمار تضحياتهم ، وسارت بالمشاعل التي اوقدوها :

شهداء يعرب يا عيون المجـ ـد في الحلك الشديد
أنتم صدى الماضي البعيـ ـد ورفة الامل العتيد
قروا بما جنت العلا عينا وفي خلد مديد

– ٧ –

الا أن وصف بشارة الخوري (الاخطل الصغير) ، وكان في جملة من حكم عليهم بالموت فنجا ، لا يكاد يعادله وصف ، اذ تستحيل الصورة عنده

لوحة ناطقة ، يعجز عن رسمها أي فنان ماهر مبدع . فالشهيد منهم شعاع من نبي ، وكتلة من لهب، ولواء من هدى ، تسقي دماؤها الارض حتى الارتواء :

كتلــة مــن لهب   فـي سماء العرب
ولواء مــن هدى   وشعاع مــن نبي
يـا شهيدا دمـه   قال يا أرض اشربي
أنت ان لم ترتوي   من دم الحر الابي
ذل فيـك العربي   واستبد الاجنبي

ـ ٨ ـ

لم يستطع الشعر العربي ان يبكي الشهداء كما كان يريد ، فلما وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها ، وخرجت سوريـة والعراق والحجـاز مـن المنطقة العثمانية ، عاد الشعراء الـى ذكريات شهدائهم ، وصاروا يعـددون مآثرهم ، وقد رفعهم الشعر الى مصاف الابطـال فافتن في تمجيدهم وتقديس أهدافهم ، كما فعل الشاعر العراقـي جميل صدقـي الزهاوي في قصيدتـه « النائحة » التي جاءت في مئة وستين بيتا تقريبا ، حتى أطلق عليها الاستـاذ أنيس الخوري المقدسي (١) اسم « معلقـة الشهداء » ، وهـو يصف فيهـا المشانق ، وقبور القتلى في كل من بيروت ودمشق ، ويعـدد أسماء الشهداء ، باكيا شبابهم الغض ، طالبا الثأر لهم :

على كـل عود صاحب وخليل   وفي كل بيت رنـة وعويـل
وفي كـل عين عبـرة مهراقة   وفي كل صدر أنـة وغليـل

أما شجاعتهم ، وهم يقبلون على الموت بجرأة واندفاع ، متخذين مـن حميتهم سلما يرقون به الى حبال المشانق ، فأمر لا بـد ان يقف عنـده المرء وقفة دهشة واكبار واجلال :

---

(١) الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ج١ ص ١٠٩

علاها وما غير الحميـة سلم « شباب تسامى للعلا وكهول »
لقد ركبوا كور المطايا يحثهم الى الموت من وادي الحياة رحيل

والشهداء في طليعة رجال الامة : خلقا ، وفضلا، وعلما ، وذكاء ، ونبلاء أناس متحمسون ، مخلصون لقوميتهم وقضيتهم ، سعوا الى انقاذ امتهم وتحريرها من قبضة المستبدين :

رجال عليهم من سنا الفضل رونق وللمجد فيهم غرة وحجول
مشوا في سبيل المجد يحدوهم الردى وللحق بين الصالحين سبيل

وما هي الا ثوان ، حتى قضي الامر ، وفاضت أرواح الشهداء الى بارئها راضية مرضية ، فاستقبلتها ملائكة الجنة بالترحيب ، وسطعت نجوم السماء لتهديها سواء السبيل :

قبور ببيروت وأخرى بجلق تجر عليها للرياح ذيول
سرت روحهم تطوي السماء لربها وما غير ضوء الفرقدين دليل

ثم ينتفض غضبا ، ويعلن سخطه على الاتحاديين المتعصبين الجناة ، ويهددهم بأن العرب سيردون الصاع صاعين ، وسينتقمون شر انتقام لهذه الدماء الزكية التي سفكت ظلما وغدرا :

ولن تسكت الايام عن عصبة جنوا ولكن بما كانوا لهم سنكيل
وقد سلبوا حرية الناس مذ عتوا وتلك مراد للحياة وسول
وصبوا دماء من شعوب بريئة فاخضل وهدات بها وتلول

لقد كان الزهاوي صريحا جدا ، جريئا الى أبعد حدود الجرأة في مرثيته، حتى انه لم يتورع عن قذف جمال باشا بأبشع النعوت ، وأحط الصفات ، فهو قد سمي جمالا خطأ ، ولو أنصفوه لسموه قبيحا ، ويدعوه الى أن يكبح جماح غروره ، ويضع حدا لصلفه وتيهه ، فالدهر قلب ، والايام دول ، ومجد

العرب باق مهما حاول أن يحط منه :

جمال لأنت القبح سموك ضده ... وثوبك اذ أرفلت فيه ذليل
تريد لمجد العرب فيما أتيته ... زوالا ومجد العرب ليس يزول
وتضربه بالسيف تطلب قطعه ... فيرتد عنه السيف وهو كليل
رويدك لا تغتر بالدهر ان صفا ... ولا تأمن الايام فهي تدول

وأية جرأة أبلغ من اتهامه اياه بالقبح والدنس ، وولادته من أم قد توارثت العمى أبا عن جد ، وتسفيه العمل الذميم الذي أقدم عليه ، فلبسه العار الذي لن يفارقه مدى الدهر ، وستظل أدرانه عالقة به مهما غسلت :

فعالك لا يأتيه من كان عنده ... حصاة وفي تلك الحصاة صمول
لقد جئت أمرا يا جمال مذمما ... وأنفذت رأيا لا يزال يفيل
فما قبح ذاك القتل عنك بزائل ... ولا دنس الاحلاء منك غسيل
ولا تتعرض يا ابن موروثة العمى ... لمجد بني عدنان فهو أثيل

ويحذره من صولة العرب ، فهم كالجبال الشم ، والصخور الصلبة التي لا تؤثر فيها معاوله مهما كانت حادة ، فالعرب لن يكونوا غير العرب ، والجبال العالية لن تكون سهولا أبدا :

وراءك لا تقرب رواسي يعرب ... فقرب رواسيها عليك وبيل
تأن ولا تعجل فما العرب غيرهم ... ولا الشم من وعر الجبال سهول

ـ ٩ ـ

ومن العراق أيضا يرتفع صوت الشاعر محمد رضا الشبيبي منبها الى سوء ادارة الاتراك ، وفساد حكمهم ، وانتشار المظالم والتعديات ، واعتقال الكثيرين من أبناء البلاد ، وزجهم في السجون والمعتقلات ، ثم توجوا هذه المقابح كلها بتعليق أحرار البلاد على اعواد المشانق :

أيــن الرهين بأموال لنــا ذهبت ومن يقيــد باخوان لنــا قتلوا
اما شهيد فيعلــى فوق شاهقــة أو موثق بحبــال الاسر معتقــل

ـ ١٠ ـ

واذا جاز لنا ان نلحق الشعر المنثور بالشعر الموزون ، فلا بــد لنــا ان نعتبر الآنسة ماري عجمي ـ صاحبة مجلة العروس التــي تأسست في دمشق عام ١٩١٠ ـ في طليعة من وقفوا الى جانب شهداء السادس من أيار ، فزارت السجون والمعتقلات وصفتها وصفا دقيقا ، وهاجمت جمال باشا في أكثر من مقال ، بعد ان رفض شفاعتها في العفو عن الشهيد بيترو باولي الــذي كانت تربطها به عاطفة حب صادق ، وعلاقة هوى صحيح ملك عليها كل جوارحها . فما أن وقعت الواقعة ، ووريت تلك الاجسام الغضة بعيدة عن اعواد المشانق، حتى ثارت شجونها ، وفاضت دموعها ، فراحت تخاطبهم بهذا الكلام المؤثر :

أما تبرحون غارقين في سباتكم أيها النائمون ؟
أما تعبت أجنابكم ، وملت من اللصوق بالرمال ؟
قوموا ، فقد نمتم نوماً طويلا !
ان نفحات الربيع تملأ الفضاء
والاطيار تتسابق على الافنان
والجداول تناديكم : « أن هيا عودوا الينا »
لقد كفى القلوب وجدا وأنينا
لا نستطيع ان نرحب بالربيع وأنتم بعيدون عنا !
ولا يطيب لنا فوح الاهارز ، وفي الادواح نفحات دمائكم البريئة.
عودوا ، فقد عادت الورود الحمراء الى مآقينا .

ـ ١١ ـ

فاذا انتقلنا الى المهجر ، لمسنا الاحساس بهول الفاجعة عنــد القروي ،

والياس فرحات ، وأبـي الفضل الوليـد ، ويوسف عساف وسواهم ممـن استطاعوا ان يعبروا عن مشاعرهم بصدق وصراحة لانهم كانـوا بعيدين عن مسرح الاحداث ، ينعمون بقسط وافر من الحريـة والامن ، ولا يخشون ان تمتد اليهم يد آثمة ، او سلطة جائـرة ، فتقتص منهم شـر اقتصاص يقـول القروي مستهلا قصيدته :

خير المطالع تسليم عـلى الشهدا — أزكى الصلاة على أرواحهم أبدا
فلتنحن الهام اجـلالا وتكرمـة — لكل حر عن الاوطان مات فـدا

ثم يخاطب الشهداء الذين علقتهم يد جمال باشا الملطخة بدماء الجريمة ؛ ويبين أن أعواد المشانق وحبالها قـد اكتسبت منهم القداسة والطهر ، حتـى صار كل شهيد يسجد شكرا لله على هذه الميتة الشريفة :

قد علقتكم يـد الجاني ملطخـة — فقدست بكم الاعـواد والمسدا
حتى غدا كل حر لو نصبت لـه — حبل المنون عـلى هدابه سجدا

ويؤكد ان اعدام الشهداء قد لم شمل العرب ؛ ووحـد كلمتهم ، وألف بينهم ؛ حتى غدا حبل المشنقة رباطا يشد قلوبهم بعضها الـى بعض ، وعقدته عروة توحد معتقداتهم . وهو لم ينظر الى الشهداء نظرته الى أجساد تتدلى متراخية ، بل الى أوسمة علقت بصدر الافق ؛ فراحت نجوم السماء تغار منها وتحسدها على طلعتها البهية ، واشراقتها الوضاءة :

بل علقوكم بصدر الافق أوسمة — منها الثريا تلظى صدرها حسدا
أكرم بحبل غـدا للعرب رابطـة — وعقدة وحدت للعرب معتقـدا

ويلتفت شباب الامة العربية ، أمل الغـد ، وبسمة المستقبل ، وسندها القوي ، فيستحلفهم بدماء الشهداء البريئة أن يثأروا مـن الاتـراك الذيـن ارتكبوا هذه الحماقة الدامية :

وأنتم يا شباب العرب يـا سندا — لامة لا ترى فـي غيركم سنـدا

ناشدتكم بدماء الأبرياء الا لا تهدرن دماء الابرياء سدى

ويسترسل متغنيا بهمة الشبان العرب، وشجاعتهم في الحرب، وكيف أنهم لا يستكثرون عدد الاعداء ولا عددهم في الوغى، فما أروعهم وهم يتقدون حماسة واندفاعا، ويخوضون غمار الموت مبتردين في نار حياضه:

تلك الجبابرة الابطال ما ولدت للحرب أمثالهم أم ولن تلدا
ان صاحبوا السيف لم يستكثروا عددا يوم النزال ولم يستعظموا عددا
لله أروعهم كالنار متقدا يبغي حياض الردى بالنار مبتردا

وأية شجاعة كشجاعتهم النادرة؛ يقبل الواحد منهم جرحه معتزا فخورا، ولولا طمعه بأن يجرح مرة ثانية، لما تمنى تضميده:

يقبل الجرح لو لم يغره طمع بغيره ما تمنى أنه ضمدا

وينتهي الى رسم هذه اللوحة الرائعة البديعة، اذ يشبه الجرح بفم المجد مبتسما، ونصل السيف بلسان راح يلهج بآيات الشكر والثناء على شجاعة أولئك الشبان الابطال فيقول:

كأنما الجرح ثغر المجد مبتسما والنصل فيه لسان بالثناء شدا

ـ ١٢ ـ

اما الشاعر الياس طعمة، او (ابو الفضل الوليد) كما كان يسمي نفسه، فقد ثارت ثائرته لهذه الجريمة النكراء وراح يصرخ بملء صوته من وراء البحار مقرعا، منددا، منذرا، متوعدا، يغلي كالمرجل قائلا:

بلاد الشام غادرك الكرام فعيش الحر فيك اذن حرام
لقد كثرت من العرب الضحايا ولم يهتز في الغمد الحسام

ولا يفوته أن يشير بصراحة الى أولئك السفاكين الذين لا ذمة لهم ولا

عهد ، بل يستحقون الذم • ويحض العرب على الثورة ضد الاتراك العلوج ، الذين يعتبرون محبة الاوطان جرما أي جرم :

وحتام المخافة من علوج | لهم ذم وليس لهم ذمام
يرون محبة الاوطان جرما | به تهوى من الاحرار هام
لقد قتلوا العواطف والمزايا | ففي أحشائنا منها سهام
أنبقى ساكتين بلا حراك | وللثورات حولينا ضرام

الى ان يخاطب الشهداء واصفا شجاعتهم الخارقة ، واقدامهم الرائع ، وكيف هجموا على الموت بخطى ثابتة ، وقلوب مطمئنة ، وثغور باسمة ، يهتفون بحياة العرب ونصرهم ، حتى حيرت بسالتهم العقول ، وأدهشت الالباب :

أيا صحبي الكرام ألا فداكم | لئام بعدما قل الكرام
مشيتم باسلين الى المنايا | وكان لكم على النطع ابتسام
ليحيي العرب قد صحتم ومتم | فصيحتكم لخطتكم دوام
فنحن لدى بسالتكم حيارى | وأنتم فوق ذلتنا عظام

والشهداء عند أبي الفضل الوليد منارات تهدي الناس سواء السبيل ؛ وعند القروي نجوم زهر تضيء الدروب أمام الشعب الضليل ، فالمعنى واحد تقريبا ، ولا غرو أن تتكرر المعاني ما دام الموضوع المعالج واحدا :

يقول القروي :

يا أنجم الوطن الزهر التي سطعت | في جو لبنان للشعب الضليل هدى

ويقول أبو الفضل الوليد :

على أعواد مرقية رفعتم | منارات بها يهدي الانام
وكنتم قدوة للشعب مثلي | فهل يرجى له يوما قيام

ويختم قصيدته بهذه الحكمة ، وهي أن حياة الشعوب لا تكون الا

بالضحايا التي تحررها من ربقة الذل والعبودية ، وهو نفس المعنى الذي أتى به أحمد شوقي في قصيدته « نكبة دمشق » :

ورب ضحية أحيت شعوبا فكان لهـا انعتاق واقتحام

ويقول أحمد شوقي :

ففي القتلى لاجيال حيـاة وفي الاسرى فدى لهم وعتق

هذا ، ولابي الفضل الوليد قصائد أخرى على هذا النسق، كقصيدته « صدى الاجيال » ؛ و « الصرخة الكبرى » ، و « الدولـة العربية » ضمها جميعا ديوانه (انفاس ملتهبة) .

— ١٣ —

وهذا هو الشاعر المهجري يوسف عساف ، يذكر قومـه العرب بمظالم الاتراك ، وبالمشانق التي نصبوها هنا وهناك ، حتى وهت أمراسها مـن كثرة الضحايا ، وبالسجون التي اشتكت جدرانها مـن كثرة مـا عـذب الاحرار داخلها وأزهقت أرواحهم ، وبذلك العـدد الكبير ممن صرعوا ، أو أبعدوا ؛ او شردوا ، أو جوعوا حتى الموت :

للتـرك فيكم كـل يـوم وثبـة يردي الذكور بها ويسبي المرهـق
كم جندلوا من قومكم كـم أبعدوا من أهلكم ، كم جوعوا ، كم أرهقوا
تلـك المشانق قـد وهت أمراسها مما يناط بهـا ، ومما يشنـق
تلك السجون قد اشتكت جدرانها ممـا يساط بهـا ومما يزهـق

— ١٤ —

كما أشار الشاعر الحمصي نسيب عريضة الى شهداء السادس مـن أيار في قصيدته « الشعب الذي لا يفيق » بقوله :

هتك عرض

نهب أرض
شنق بعض
لم تحرك غضبه
فلماذا نذرف الدمع جزافاً ؟
ليس تحيـا الحطبة .

ـ ١٥ ـ

ونقف وقفة أخيرة عند الشاعر جورج أطلس الذي رثى مواطنه الشهيد عبد الحميد الزهراوي ، فأشار الى دعوته الى الوحدة الوطنية ، ونبذ التفرقة، وراح يستغرب كيف لم يهب دعاة الوحدة العثمانية لنصرة شيخ مسلم جليل، ولم يعمدوا الى قطع ذلك الحبل الذي أوثقوا به عنقه :

عبد الحميد أخي ، مـا كنت منتظراً ... أن السماء بهـذا الجـور تبلوتـا
تبكيك حمص وما تحويه من نـزه ... يبكيك ميماسنا ، يبكيك عاصينـا
يبكيك من سمعوا صوتاً جهرت به ... ضد التفـرق فانبث الاخـا فينـا
أين الالـى طالمـا باهـوا بشدتهم ... وطالما احتقروا مـن خالف الدينـا
لم لم يذودوا ولم لم يقطعوا قرنـا ... شد الطغـاة اليـه زيـن وادينـا

دمشق ... عيسى فتوح

* * *

رسوم
زمن الشباب

بقلم السيا علي ابراهيم

احترف القراءة ولم تكن له هواية فأمعن في ما يقرأ ولم يكتف بالنظرة الخاطفة ، أطال الوقوف أمام البوح الشعري اذا كان صادقا في التعبير عن احساس صاحبه ، وربما مرت عليه أيام وهو يردد أبياتا جميلة يشعر بأنها تقربه من الشاعر وتشده اليه ، ولكم أحب شعراء لبنان وردد صلواتهم خاشعا ، وذلك لانهم اقتبسوا خيالهم من روعة مناظر لبنان فكانوا في طليعة الشعراء ، كأن سحر الوجود بث في اتاجهم ألوانه فجاء شعرهم متدفقا بالصور غنيا بسحر البيان ، تحلو فيهم هذه الروح الطيبة المنفتحة على الدنيا التي لا تعرف غير المحبة والسلام ولا تحمل حقدا او ضغينة لاحد :

(من كل عالي القدر من أعلامه   تتهلل الفصحى اذا سميته
حامي الحقيقة لا القديم يؤده   حفظا ولا طلب الجديد يفوته)

ولكم ثنى عزيمة الشباب وحاورها التمشي في الطريق السوي وأبت غير التوثب والاندفاع لا تني امام الصعاب ولا تحسب للعواقب حسابا مطمئنة لحاضرها تاركة الغد لقدره الذي يأتي حريصة على الفرصة السانحة تعلم ان:

آلة العيش صحة وشباب   ان هما وليا عن المرء ولى

يذكر كيف كانت الدنيا حوله زاهية مشرقة يضيئها الامل وتحلو بالعمل المخلص الدائب الذي لا يعرف الفراغ والملل ، ويذكر مجالس الادب مع الاخطل الصغير وغيره في جريدة البرق التي كانت ملجأ لحملة الاقلام وأرباب البيان وأثارت اهتمام القراء وعنايتهم فتابعوا بحوثها بلذة وشوق ولم تشغلهم المادة عن تغذية أرواحهم ونفوسهم بروعاتها وفرائدها ، وقد أحسن وصفها

الشاعر الشيخ امين تقي الدين بقوله :

(وما رأيت كادارة البرق في ما رأيت الى اليوم ، من ادارات الجرائد ، فلا هي ادارة جريدة ولا هي ناد ادبي ، ولا هي قهوة للمنادمة ، ولا هي خان للمسافرين ••• أتيتها عند الظهر فاذا بمائدتها الكبرى المغطاة أبدا بالجرائد والمجلات لتفكهة الزائرين وتسليتهم قد تحولت الى مائـدة للاكل ، وصارت المجلات صحافا للحم ، والجرائد مناشف للصحون ••• وزرتها في العصر فاذا بأخوان الادب قد التفوا فيها كأنهم على موعد وكأنما هي مزار يتبرك بـه ، فهناك الاديب التاجر ، والاديب العامل ، والاديب المحامي ، وحملة الاقلام من كل صنف وطراز) •

كان ذلك فيما مضى ، أما اليوم فقصاري ما يرجو ان تنحسر عنه موجة الشك والقلق ويهدأ في ظل وطن مطمئن سعيد يشق طريقه للمستقبل الزاهر ، ويحمد الله على انه لم يزل قادرا علـى قراءة الشعر ومرافقة الملهمين فـي أجوائهم ، وعندما يتذكر زمن الشباب يردد قول الشاعـر اللبنانـي ميشال ابـي شهلا :

كان ظنـي ان الشباب ربيـع دائم زهـوه فأخطـأ ظنـي
كم سهرت الدجى عليـه فلما نام طرفي أشاح بالوجه عنـي
ليتـه ينثني لعـود جديـد ويـرد الـذي تسلم منـي

الحارس الامين

رأيته اول مرة في المتجر الذي أتعامل معه فظننت أنـه صاحب المحل او شريكه ، فهو الذي يتعاطى مع الزبائن ويبت بالامور دون مناقشة واعتراض ، ثم علمت بعد كثرة ترددي انه عامل يتمتع بثقة رب العمل واحترامـه لامانته واخلاصه ، ولا عهد لي بهذا النوع مـن ممارسة العمل بكثير مـن المحلات التجارية التي أرتادها للحصول على ما ابتغي ، فالمألوف فيها ان ينفذ العامـل المطلوب منه ولا يعطي حرية التصرف ، وكثيرا ما تشب النزاع بسبب ذلـك والتبس وجه الصواب على الجميع ، وقد لفت نظري ما رأيت ودفعني لمعرفـة

الحالة بصورة واضحة ، لان مشاهد الامانة والثقة تبعث في النفس العزاء بين ما نرى من اضطراب القيم وخلاف على الحسن والقبيح ، كأن الرؤيا الصحيحة تغيرت او حجبتها الغيوم عن العيون الى ان تستيقظ النفس ويصحو الوجدان من غفلته ، وتحتل قوى الخير مراكزها في الصدارة حيث كانت .

وقلت لصاحب المحل ذات يوم : أراك مطمئنا لهشام لا تعارضه ولا تحذر مما يفعل فما سبب هذه الظاهرة عندك ؟ فقال ان ذلك يعود لصفاته الطيبة واخلاصه في عمله ، هو الحارس الامين الذي رافقني منذ نشأت ولم أر منه غير المحبة والتعاون ، وتستغرب اذا علمت انني سأجعله شريكا لي سواء رضي أم أبى ، لانني لا أصادف من بني غير الالحاح في طلب المال وتأمين حاجاتهم دون اهتمام باحساسي وشعوري ومعرفة شيء عن تقلبي بين اليأس والرجاء ومعاناتي لتلبية ما يريدون ، أما هشام فيحس بالمسؤولية مثلي ويمنحني ما يبخل علي به اولادي .

وعدت لهشام أسأله فوجدته لا يفصل مصلحته وآماله عن صاحبه الذي عاش معه هذه السنين الطويلة ولا يطمح لغير ما هو فيه من عمل مريح وانصاف في البر والعناية ، ولم تزل في خاطري أقاصيص وحكايات قرأتها في تراثنا عن الصدق والامانة تزين الحياة لمن فهم حقيقتها وسعى لادراكها وتستمد جميعها من معين الايمان والعقيدة وترجع لتعاليم الدين الذي يعتني بالحياة الداخلية ويستهدف تهذيب نفس الانسان ولا يأبه بالمظاهر التي يشتغل من أجلها الكثيرون كما تشير لذلك هذه النادرة .

نهى عمر بن الخطاب في خلافته عن مذق اللبن بالماء فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة ، فاذا بامرأة تقول لابنة لها : الا تمذقين لبنك فقد أصبحت ؟ فقالت الجارية : كيف أمذق وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق ؟ فقالت : قد مذق الناس فامذقي فما يدري أمير المؤمنين . فقالت : ان كان عمر لا يعلم فاله عمر يعلم ، ما كنت أفعله وقد نهى عنه .

بيروت ـ لبنان علي ابراهيم

ظل حمار

قصة مترجمة

لروبرت راينيك

جاءني ابن عمي ثانية أمس ، وكان قد عاد أخيرا من رحلة له في ايطاليا . وابن عمي هذا ، حين يزورني ، يقص علي الكثير ، وينفض على سمعي كل مشاهداته ، وبعض ما يقصه يلذ للناس سماعه ، كحكاية ظل الحمار .

قال الراوي : أردت الانتقال مرة من روما الى تيفولي ، وهذه مدينة صغيرة بين الجبال ، تتدفق شلالاتها البديعة الكثيرة من خلل نوافذ محطمة في قصر خرب ، وتنحدر مياهها بعيدا الى واد جميل ، والشقة الى تلك المدينة غير دانية ، فهي حوالي أربعة أميال ، ومن ثم استأجرت حمار ركوب كما يفعل الناس في تلك الجهات ، وجاء الحمار الى داري في موعد مضروب ومعه صاحبه المكاري أنطونيو . وكلكم لا شك تعلمون أي نوع من الدواب ذلك الاغبر الكسول ، فانك لتمتطيه فلا يستجيب لك كالفرس النبيل من مجرد كلمة أو جذبة للزمام أو ضغطة على عجزه . كلا ، فلا بد في الغالب من رجل أو غلام يعدو في أثره وينهال عليه بعصاه ، ثم هو الى ذلك يقف في كل لحظة يبغي النوم أو القوت . ولا مشاحة في أن لمثل هذا الحمار جلدا سميكا ، فانه ليلقي الحسكة في الطريق وقد اشتهاها فلا تكاد تنفع عشر ضربات قاسية ، تزاد عليها اثنتان من عصا موجعة ، في صرفه عنها .

واعتليت دابتي ، وانطلقت بها ، وأنطونيو من ورائي يعدو مرحا ،

---

(١) شاعر الماني يجيد التصوير . عاش في القرن التاسع عشر ، وشابهت نفسه نفوس الاطفال صفاء ونقاء .

ويصيح دواما : حا ! يا بليد حا ! وسرنا في البداية سيرا حسنا لا مزيد عليه •

واتفق ان كان اليوم قائظا كما هي الحال غالبا في ايطاليا ، والطريق الى تيفولي تخترق ناحية مجدبة مقفرة ؛ فلا دور فيها ولا شجـر ولا شجيرات في اغلب الاحيان •

وتنصف النهار ، وحمي رأسي من وهج الشمس ، وقـد نفذت أشعتها المحرقة من قبعتي القش ، وحرت كيف أتقي هذا القيظ ، وقد أضنى الحمار متابعة السير ، وأضنى المكاري ملاحقته بالضرب ، ولم أعد أنـا أقوى عـلى الركوب فوق ما ركبت •

وغالبني النعاس واسترخت له أجفاني ؛ لكن أنى لي الظل الذي أتفيأه، وأقيل فيه وليس اليه في هذه الجهة سبيل ! وخطر لـي بغتـة خاطـر أريب فصحت : هش ! فوقف الحمار ، وكأنه سمر في مكانه ؛ فان نـداء « هش » يدركه الحمار كل الادراك ، أما « حا » فيعي فهمها مثل حماري مدى الحياة•

وكان بالطريق عود صبر كبير جاف ، فقلت أربط به حماري ، وأستلقي في ظله على الحشيش الملفوح • وقبل ان آخذ في تنفيذ هذه الفكرة السديدة مسحت العرق عن جبيني ، ونترت ساقي ، ومطيتهما ؛ وكانتا قد تخشبتا مـن طول الركوب ، وأشبهتا عودي ثقاب • ثم التفت الى الجبال الزرقاء الجميلة كرة أخرى ، وكانت في الجانب الاخر على مرمى الطرف •

واذ أستدير على الاثر لاستلقي ألفيت من تفيأ ظل الحمار دوني متمددا عليه ، خالي البال ، يغط في نومه غطيطا عاليا • ومن غير أنطونيو ! لقـد كان أخبث مني ، فما أردته باديء بدء ها هو ذا قد نفذه •

فأما أن الرجل يستلقي هناك ؛ وينام نوما هنيئا ، فأمر حسن لا اعتراض عليه • بيد أني كنت في المكان صاحب الشأن الاول ، وهو انما يرافقني مـن

أجل الدابة ، وهو الى هذا أقدر على احتمال حرارة القيظ ، اذ هو أكثر اعتيادا لها مني •

وأهبت به : أنطونيو ! انهض • وهززته ، ففتح عينيه ، وحدق في دهشا ثم عاد فأغمضهما ، واتكفأ على جنبه الآخر •

فعدت أهزه بأعنف مما فعلت أول مرة ، وصرخت فيه : انطيونيو ! انهض ! فالظل الذي تستلقي فيه لي لا لك • بيد ان أنطونيو لم يعن هذه المرة بأن يفتح عينيه ، ولم ينبس كذلك ببنت شفة • بل حرك سبابة يده اليمنى حركة تعني عند الايطاليين : « كلا يا سيدي ! » وصرخت كرة أخرى في أذنيه : انطونيو كن رشيدا ! فقد استأجرت منك الحمار ، واستأجرت ظله معه تبعا له ! فالظل على ذلك ظلي !

هنا صاح أنطونيو : سيدي ! أثبت لي أولا أنك انت الحمار فأنزل على رأيك • أما والظل ملك لحمار ، والحمار حماري ، فلن أنهض ، بل سأمضي في نومي في ملك ملكي !

وأراد استئناف الراحة ، لكنه كان قد استثارني اذ كانت الحقيقة في أقواله مما لا يماري فيه • وأمسكت بخناقه ونحيته عن المكان المستلقي فيه، فغضب بدوره وهب واقفا على قدميه • فتماسكنا ، وحاول كل منا ان يدفع الآخر عن المكان المشتهي •

ونشأ صراع حام اذ لم يشأ كلانا تساهلا • وعثرنا آخر الامر بحجر فسقطنا معا على الارض ، ولبثنا تتدحرج في حمارة القيظ حتى بلغنا منحدرا بسيطا يبلغ غوره بضع أقدام الى قراره اللين • وارتمينا على رمله المستعر كدجاجتين مشويتين في مقلاة • ومع ذلك فقد بقينا متشابكين كاثنين يتصارعان مستبسلين •

وقال أنطونيو : سيدي ! أرى أننا ندان قوة وبراعة ، ففيم الاعنات

والمعاندة ؟ عندي اقتراح • أعطني باولا (قطعة نقود رومانية) أبعك ظل الحمار !

قلت : اذا لم يكن غير هذا أيها المغفل فسأعطيكه • ولو طلبته من البداية لما تغاضبنا في غير ما داع • وترك أحدنا الآخر ، ونهضنا على أقدامنا ، وتلقى أنطونيو قطعة النقود ، وصعدنا المنحدر الذي كنا قد هوينا الى قراره من قليل •

على أنه ماذا رأينا ؟ تصور ذعرنا ! فقد ذهب ظل الحمار الذي ابتعته ولما آكد بباول روماني لامع ، وارتحل مع الظل الحمار • كان أنطونيو أخبث مني ، فاذا حمار أنطونيو أخبث من أنطونيو بكثير • لقد اقتلعت الدابة عود الصبر المربوطة به في غير عناء ، ومضت في سبيلها لا تلوي على شيء • وقد لمحتها في الافق بعيدا جدا تسير مطمئنة في الطريق الى روما •

واذ يفتقد انطونيو حماره يظن الحيوان انه هجره الى غير رجعة ، فيتولاه على نمط ايطالي صميم يأس قاتل ، فقد عض أناملـه ، ونتف شعره ، وقذف الارض بقلنسوته وداسها بقدميه ، وسلك في الجملة مسلك الصبية ، وقد أعماها الغضب •

كان يصيح دوما : آه يا حماري ! آه يا حماري العزيز ! لم يكن لـك عيب سوى هذا الظل الملعون ، فليته لم يكن لـك ! اذا لبقيت معي ولما ارتحلت !

وصحت به : لا تكن طفلا ! فحمارك ماض هناك رخي البال ! وأشرت بيدي الى حيث يسير الحمار •

فما ان رآه أنطونيو حتى حال غير الذي كان فهلل عاليا ، وألقى بالقبعة فوق شعره الاشعث المنفوش ، وطوى سترته السوداء فوق كتفه اليسرى ، وأمسك بعصا في يمناه ، ومضى يسابق الريح في طلب الحمار • وأقسم لم اجد في حياتي بشرا يجري كما كان يجري أنطونيو !

كيف يصبح ادبنا العربي ادبا عالميا

عرف الغربيون ادبنا من خلال «الف ليلة وليلة» و«سيرة عنترة»

كيف يصبح أدبنا العربي .. أدبا عالميا ؟

هذا سؤال « يتردد » في الصحف وفي المجالس كثيرا . وتختلف الاجوبة عليه اختلافا كبيرا .

لقد برز في عصرنا هذا شعراء كبار وأدباء كبار . في مصر ولبنان والشام وفي غيرها من الاقطار العربية . وظهرت لبعضهم ترجمات في لغات أجنبية . ولكن احدا منهم لم يظفر بشهرة عريضة .

وكم احب بعضهم ان تمنح جائزة « نوبل » أديبا او عالما عربيا .. ولكن آمالهم خابت . وقد عدوا اقامة تمثال لاحمد شوقي في احدى حدائق روما ، اعترافا من الغربيين بفضله وبفضل العرب من ورائه ، وهذا التفكير يدل على « سذاجة » مفرطة !

فهل يصبح أدبنا عالميا ، وكيف ؟ ومتى يكون ذلك ؟

ان ادبنا الجديد سيفرض نفسه عالميا ان شاء الله ، واما ادبنا القديم فيجب علينا ان نحسن اختيار ما ننقله منه الى اللغات الاجنبية ، بحيث ترضي مختاراتنا أذواق الغربيين وتوافق ميولهم لا ان نعطيهم من الشعر ما لا يعدونه شعرا ، ومن النثر ما يجدونه غثا باردا .

لقد عني بعض المستشرقين والعلماء الغربيين بآثار ابن خلدون والجاحظ وطائفة من فقهائنا ومتصوفتنا ، ولكن ذلك بقي « محصورا » في دوائر ضيقة ، ومن المؤسف حقا ان شعرنا العربي لم يظفر بعناية اديب شاعر يصنع

له مثل صنيع « فيتزجرالد » الذي ترجم « رباعيات الخيام » ، ترجمة تعدل الاصل بل تفوقه أحيانا ، وبذلك ضمن لشعر عمر بن الخيام في الغرب مكانة رفيعة جدا وشهرة واسعة جدا ، لم يبلغهما الا قليل من الشعراء الغربيين انفسهم !

ان الغربيين لا يكترثون لشعر المديح والهجاء ، وليس كل كلام منظوم عندهم شعرا ، وشعر الحكمة والامثال قد يستمعون اليه في المسرحيات ولكنهم لا يقبلونه ، ولا يقبلون عليه ، في الدواوين الشعرية !

وهكذا يستوجب الامر منا ان نشرك في اختيار ما نحب نقله الى اللغات الغربية أدباء غربيين ، الى جانب أدباء عرب يعرفون المذاهب الادبية الغربية والذوق الغربي !

فهل تفكر في هذا العمل الجليل جماعة .. أو جامعة .. أو حكومة ؟

ان ادبنا العربي ، في العصر الوسيط وما بعده ، نقل الى أوروبا بلغات كثيرة ، كاللاتينية والاسبانية ، والافرنسية وغيرها ، وتأثر بـه بعض عباقرة الادب الغربي ، واقتبسوا منه ، وان لم يشيروا الى ذلك ، وسأضرب أمثلة لما اقتبسه عنا أولئك العباقرة في رواياتهم أو أشعارهم ، في هذا العدد وفي الاعداد التي تليه ، ولكن الامر المجمع عليه هو آن الغرب عرف تراثنا وأقبل عليه وتأثر به من خلال قصتين شعبيتين مشهورتين ، هما : (الف ليلة وليلة) و (سيرة عنترة) .

أما سيرة عنترة ، فأمرها آخذ في التقلص والانحسار .

وأما ألف ليلة وليلة ، فهي في ازدياد .

وسأتحدث عن هاتين السيرتين حديثا لا أزعم ان احدا لم يسبقني اليه، ولكنني قد أدعي ان فيه جديدا .. لانني اطلعت ، خلال رحلاتي الى الغرب، على مخطوطات وكتب نادرة لم أجد في المؤلفات العربية اشارة اليها ، ولولا ذلك لم أكلف نفسي عناء الكتابة .. في اشياء سبقني اليها السابقون ! ..

وأتمنى على اخواننا من الادباء والناشرين ــ وأنا مقبل على الكلام في حظ ألف ليلة وليلة وسيرة عنترة من عناية الغربيين ــ أن يحققوا الامرين الآتيين :

اولا ــ اعادة النظر في قصص « ألف ليلة وليلة » و « عنترة » وغيرهما من القصص الشعبية ، وتهذيبها ، وتحريرها من الالفاظ البذيئة ، واعادة صياغتها عند الضرورة ، ثم طبعها طباعة جيدة ، مزينة بالصور الفنية الجميلة، ولا بأس بالاستعانة بما صنعه الغربيون ، في هذا المجال ، فقد قام فنانوهم ومخرجوهم بأعمال باهرة حقا ، فصدرت طبعات بالغة الاناقة لقصص مختارة من « ألف ليلة وليلة » ، يتهاداها الناس في اعيادهم وأفراحهم ، ويقبل عليها الكبار قبل الاطفال ، ويتبارى في اقتنائها النساء والرجال .

وعندنا .. صدرت طبعات جديدة ، مهذبة وجميلة لالف ليلة وليلة ، ولكنها ليست في مستوى الطبعات الغربية ، وهي قليلة جدا من حيث العدد ، والى ذلك لم تفرد القصص المشهورة بطبعات مخصوصة مستقلة ، تكتب بأساليب شتى ، تختلف باختلاف قرائها فما يكتب للخواص ، غير ما يكتب للعوام ، وما يكتب للكبار غير ما يكتب للاطفال ! ..

ثانيا ــ الاقتباس في كتبنا المدرسية ، من قصصنا الشعبي او نقل قطع مختارة كاملة منه ، فهو جزء من تراثنا الحضاري ، وقد أصبح أدبا عالميا : ومن العار ان يعرفه الغربيون ويجهله اصحابه ، وان يكبره الغريب ويحقره القريب النسيب !

العرب سبقوا عباقرة الادب العربي الى معان ابكار في الشعر والقصة

١ ــ البخيل

تعد رواية البخيل من احسن مسرحيات الكاتب الفرنسي الكبير موليير،

ومن مواقفها الساحرة ، الباهرة ، التي ينسبونها الـى عبقرية موليير ، موقف يبرز خفايا شخصية البخيل ، من خلال حركات عفوية تعبـر بقوة عما يسميه علماء النفس خلفيات أو مكنونات « ما وراء الضمير » ، او « اللاوعي » !

وهذا هو المشهد او الموقف :

(هارباغون ــ البخيل ــ في حجرة نومه ، ينهض مذعـورا ، ويصيـح بصوت متهدج :

« الى اللص ! الى اللص ! الى القاتل ! الخ من هذا ؟ قف ! »

ثم يصيح ، وهو يقبض بيده اليمنى على يده اليسرى ، مخاطبا ــ فـي توهمه ــ اللص :

« أعد الي مالي أيها الوغد ! »

ثم يدرك خطأه وسوء فعلته ، فيقول ، متحسرا :

« آه ! أواه ! هذا ٠٠ أنا ! » ٠) ٠

وأكبر ظني أن موليير قرأ مجموعات من الادب العربـي في الاندلس ، وأنه اقتبس هذا المشهد منها ، فقد قرأت في كتاب الجهشياري ما يأتي :

يروى عن أبي عبد الله بن الجصاص أن يده خرجت من الفراش في ليلة باردة ٠ فأعادها الى جسده بثقل النوم فأيقظته ، فقبض عليها بيده الاخرى ، وصاح :

ادركوني لئلا يكون في يـده حديـدة يضربني بهـا ! » فجـاءوا بالسراج ، « اللصوص ! اللصوص ! هذا اللص جاء ينازعني ، وقد قبضت عليه ،

فوجدوه قد قبض بيده على يده ! (١)

ألا يوحي الينا هذا « التطابق » و « التماثل » في المبنى والمعنى ان هناك تقليدا ـ ان لم نقل سرقة أدبية ـ لا مجرد توارد خواطر ، ووقوع الحافر على الحافر !؟ ..

٢ ـ الحية والحسناء

من التشبيهات التي يزعمون ان الشاعر الفرنسي بودلير كان أول من استعملها تشبيهه مشي فتاة بالثعبان ؛ وذلك حيث يقول مخاطبا فتاة أحبها :

(من رآك تمشين في ايقاع ،
جميلة في تبذل ..
قال ثعبان يرقص
على طرف عصا ..)

هذا التشبيه .. وجدوه أول الامر قبيحا سمجا ، ثم استجادوه وغالوا في الثناء على صاحبه ومبدعه !

ومثل هذا التشبيه ورد في الشعر العربي القديم ، وقد أنسيت بيتا يشبه فيه قائله تثني حبيبته بحية تمشي على كثيب من رمل ، ولكنني أذكر أبياتا لمطيع بن اياس استعمل فيها مثل هذا التشبيه ، قال :

(اكليلها ألوان
ووجهها فتان

---

(١) كان المعتضد اذا رأى الجصاص يقول : هذا الاحمق المرزوق !
كان اوسع الناس دنيا ، له من المال ما لا ينتهي الى عده ، ولا يوقف على حده ، وبلغ من جده انه قال : تمنيت ان اخسر .. فقيل لي : اشتر التمر من الكوفة وبعه بالبصرة ! ففعلت ذلك ، فاتفق ان نخل البصرة لم يحمل في ذلك العام فربحت ربحا واسعا .

وخالها فريد
ليس له جيران
اذا مشت تثنت
كأنها ثعبان !)

هنا .. ترجح توارد الخواطر !..

ومهما يكن الامر ، فليست غايتنا ان نثبت أمرا لا ينفعنا : هو ان الغربيين سرقوا منا أو أخذوا عنا ، ولكننا نريد ان نثبت لهم ، ولشبابنا ، ان عبقريتنا العربية حلقت في كل الآفاق ، وغاصت في كل الاعماق ، وأنها تلونت وتشكلت بكل ألوان الابداع وأشكاله ، وكانت رائدة في كل مجال ، ولو امتد الامر .. بحضارتنا ولم يتآمر عليها برابرة من الغرب والشرق ، لبلغت ، قبل مئات الاعوام ، أكثر مما بلغه الغرب اليوم في آدابه وعلومه !

٢ ـ شكسبير

اظهر النقاد المنصفون من الغربيين أن الاديب الايطالي المشهور «دانتي» أخذ الكثير ، في جنته وجحيمه ، عن معراج النبي « ص » ، وعن المعري ، ومن كتابات المتصوفة المسلمين، ولكن أحدا لم يعكف ـ في حدود معرفتي ـ على مسرحيات شكسبير ، أعظم كاتب مسرحي في العالم ، ليكشف عن آثار العبقرية العربية فيها . كان استاذنا المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي يقول ـ او ينسب اليه انه قال .. ـ ان شكسبير عربي الأصل ، واسمه الحقيقي « الشيخ صابر » فحرفوه !..

كلام يصعب تصديقه ـ وان كان النقاد لم يتفقوا حتى اليوم على نسب شكسبير ـ ولكننا نستطيع الجزم بأن شكسبير وقف على كثير من روائع الادب العربي من خلال ترجمات ونقول وصلت اليه ، بطريقة ما ، ففي رواية « أوثيلو » ـ التي عربها خليل مطران واختار لها اسم « عطيل » وهذا في نظرنا خطأ فاحش ، لان الاسم العربي الصحيح هو « عطاء الله » ـ وفي

رواية ماكبث ، وفي رواية « روميو وجولييت » نجد مواقف كثيرة ، ونقرأ جملا كثيرة ، لها أشباه ونظائر في أدبنا العربي القديم ، فقصة الجنيات في شكسبير تذكر بقصة العجائز الاربع التي رويت في « امالي القالي » عن القيني الذي فقد راحلته ، وقصة « روميو وجولييت » تذكر بقصة « وضاح اليمن » ، وقصيدته المشهورة التي يقول فيها مخاطبا حبيبته في برجها المنيع :

يا روض جيرانكم الباكر ... فالقلب لا لاه ولا صابر
قالت : ألا لا تلجن دارنا .. ان أبانا رجل غائر !
قالت : فاني طالب غرة ... منه ، وسيفي صارم باتر !
قالت : فان القصر من دوننا ..
قلت : فاني فوقه ظاهر !
قالت : فان البحر من دوننا ..
قلت : فاني سابح ماهر !
قالت : فحولي اخوة سبعة ..
قلت : فاني غالب قاهر !
قالت : فليث رابض بيننا ..
قلت : فاني أسد عاقر !
قالت : فان الله من فوقنا ..
قلت : فربي راحم غافر !
قالت : لقد أعييتنا حجة ، ... فأت اذا ما هجع السامر !
فاسقط علينا كسقوط الندى ... ليلة لا ناه ولا زاجر !

كان شكسبير يعرف كثيرا من أخبار العرب وأشعارهم وحكاياتهم وأساطيرهم .. ما في ذلك عندي شك ، وهذا لا ينقص من قدره شيئا ، ولكن أخذه عن العرب يؤكد فضلنا على مسرح شكسبير العالمي ، هذا الفضل الذي لم يشر أحد اليه ..

وسنعود الى مزيد من المقارنات في عدد قادم ان شاء الله .

عنتــرة في الادب الفرنسي

لامارتين ألف عنه كتابا في مجموعة ((الرجال العظام))

والرهبان لخصوا قصتــه ليتعلم منهــا التلاميــذ الشجاعــة والحميــة !

توطئـة

تشكك كثير في صحة الشعر المنسوب الى عنتر ، وفي صحة « الوقائع » التي يروونها عنه في السيرة المعروفــة بسيرة عنتــرة ، ونحــن مــع هؤلاء المتشككين ، نعرف ان شعرا كثيرا نحلوه عنترة لم يقله ، ولا يعقل أن يقوله، لاسباب يعرفها الناقد الحاذق ، ونحن ، مثلهم ، نعرف ان عنتــرة مات قبــل ظهور الاسلام ، فلا يعقل ان يحضر الحروب الصليبية مثــلا ويصاهر ملــوك الافرنج الخ .. الخ .. ولكننا لا نقرأ في سيرة عنترة تاريخــا ، وانما نقــرأ قصصا ، اشتركت في صياغتها أجيال وأقاليم ، فعبرت عن آدابهــا وأحوالها وأشواقها وأخيلتها .

لم يصنعها الاصمعي

ان سيرة عنترة لم يصنعها الاصمعي ، وانما صنعها رواة كثــر تعاقبوا عليها في أزمان وأمكنة متباعدة ، كل واحد يضيفه اليهــا ، ويحذف منهــا ، ويبدل فيها ، ومن هناك كثرتها واختلافها .

عنتر : العنتر : الشجاع وعنتر وعنترة اسمان منه . لسان العرب

اخبار عنترة من فرنسا

لقد تتبعت أخبار عنتــرة في الادب الافرنسي ، واشتريت أو نسخت او صورت أكثر ما نشر عنه في الكتب والمجلات والصحف ، وعندي من ذلــك

الآن مجموعة نادرة ، أرجو ان يتسع لي الوقت لتلخيصها في كتاب ، وحسبي الآن ان آلم ببعض ما قرأته المامة قصيرة .

اعظم الملاحم العالمية

تقول دائرة المعارف الاسلامية : (ان سيرة عنترة عرفت في الغرب سنة ١٧٧٧ م . ولكنها لم تنتشر انتشارا واسعا الا في منتصف القرن التاسع عشر .

وكان الكاتب النقادة « تين » يضع عنترة في صف اكابر الابطال الذين صنعوا اعظم الملاحم الروائية ، كأوليس ورولان وسيغفريد ورستم .)

اعجاب لامارتين بعنترة

وكان الشاعر « لامارتين » من أوائل العباقرة الغربيين الذين أعجبوا بعنتر اعجابا شديدا فألف في سلسلة « عظماء الانسانية » كتابا لخص فيه سيرة عنترة تلخيصا حسنا ، ولم يكتف بذلك .. فنراه يتحدث عن عنترة وفروسيته وشاعريته . غير مرة في كتابيه : «رحلة الى الشرق » ، « والتأملات الشعرية الاولى »

لامارتين يصف جمال البداوة

وقد قدم لامارتين بين يدي كتابه عن عنترة مقدمة جميلة تحدث فيها عن البداوة والحضارة ، فقال :

يتعشق البدو الحرية والتنقل ، ولذلك لا يستقرون في مكان واحد ، ويكرهون الدور المبنية ، ويعيشون تحت الخيام أو تحت السماء .. لان كل دار في نظرهم سجن ، والمقام في المدن يعني ، عندهم ، التخلي عن الحرية والسيادة !

انهم يكرهون حياة المدن ، لان سكان المدن يملكون دورا ومزارع لا يستطيعون اصطحابها معهم أذا ما أرادوا التنقل بين البلدان والنزوح عن

الاوطان ، وأما البدو فانهم يأخذون معهم كل ثرواتهم ــ وهي خيامهم وابلهم واغنامهم ــ ولذلك لا يشعرون بالغربة قط ! ..

الدار رمز الحضري ، والخيمة رمز البدوي !

وحيث تكون الدور تجد الامن والنظام ، ولكننا نجد أحيانا الظلم والخضوع ، فاذا قال الحاكم المستبد لرعيته : اما ان تخضعوا لامري واما ان أسلبكم دوركم وأموالكم ! اختاروا الخضوع !

وأما البدو ، فلا يستطيع المستبد الظالم أو الفاتح الغازي أن يسيطر عليهم، لأن البدوي لا تحبسه عن الفرار بحريته الى حيث يشاء دور او مزارع، وقد يلجأ الى عشيرة اخرى فرارا من الظلم !

في بلاد هؤلاء البدو ، الذين عرج عليهم الرومان والفرس والفراعنة والصليبيون ، فما استطاعوا استعبادهم ولا دمجهم في حضاراتهم نشأ عنترة ، وهناك نشأ ايضا النبي (محمد) ، الذي دعا الى الايمان بالله الواحد ونشر ديانته في ربع الكرة الارضية ! ــ)

عناية الافرنسيين بسيرة عنترة

لم يكتف الافرنسيون بترجمة سيرة عنترة الى لغتهم ترجمات كاملة أو ملخصة ، وانما تجاوزوا ذلك الى دراستها و « تحليلها » واستقصاء أخبار عنترة ، وكتبوا في ذلك مقالات وبحوثا كثيرة جدا ، ظهر اكثرها في « الجريدة الآسيوية » ، وألف بعضهم قصصا مستوحاة من سيرة عنترة .

الرهبان جعلوها كتابا مدرسيا

وقد قامت طائفة من الرهبان بكتابة سيرة عنترة ، ملخصة تلخيصا حسنا ، ونشروها في كتاب مطالعة ، كان يدرس في المدارس الافرنسية ، وطبع مرارا ، وهو يحمل اسم : عنتر !

جاء في مقدمة الكتاب ما « ترجمته : «عنتر » عنوان ملحمة عربية ، اشتهرت في الشرق كله ، وهي تروي لنا حياة فارس شجاع ، وشاعر عبقري ، وانسان نبيل كريم ، استطاع ان يتغلب على كل المؤمرات والاحقاد ، برباطة جأشه ، وفروسيته ، وكرمه ولذلك أخذنا على أنفسنا تلخيصها في هذا الكتاب ، لتتمتع بها ناشئتنا وتستمتع بأخبارها البطولية الرائعة •

كان عنترة ، منذ طفولته الاولى ، يدهش من يقتربون منه !

ذلك أنه كان طفلا عجيبا خارقا •• كان أسود كالليل ، أفطس الانف ، شعره « مفلفل » كأنه صوف الغنم ، وشفتاه غليظتان ، وعيناه نجلاوان ، تقدحان شررا ••

وكان ، فوق كل ذلك كله ، قويا جبارا ، فسماه أبوه : عنترة ـ أي القوي الشديد !

وكان يستحق هذا الاسم حقا • فاقرأوا قصته الممتعة ! ـ)

مسرحية تمثل في الاوديون ومؤلفها لبناني

وفي أوائل هذا القرن قام الكاتب اللبناني الاصل شكري غانم (الذي عاش في باريس وكان يكتب باللغة الافرنسية) ، بوضع مسرحية شعرية باسم « عنترة » ، مثلت مرارا على مسرح « الاوديون » ، ولقيت من الجمهور اقبالا حسنا ، ثم أدخل على طبعتها الاولى تعديلات يسيرة ، ووضعت لها ألحان موسيقية جميلة •

وقد أحسنت وزارة الثقافة في دمشق بطبع ترجمة أمينة لهذه المسرحية قام بها الاستاذ الياس غالي ، بمراجعة الدكتور صالح الاشتر •

كرزاكوف يصنع لسيرة عنترة : تحفا موسيقيا

ويستوحي منها مشهدا مسرحيا سماه : حلم عنترة

وأعجب الموسيقي الكبير ، الروسي الاصل ، ريمسكي كرزاكوف ،

المقيم في باريس ، بسيرة عنترة ، فوضع لها ألحانا ـ نوطات ـ وأضاف الى السيرة قطعة او « مشهدا » من صنعه ، هو ، سماه : حلم عنترة ، ووضع له لحنا أيضا ، وهذا تعريبه :

حلم عنترة في قصة ملكة تدمر

في يوم جميل من أيام الربيع ، كان عنترة في خيمته ، فمرت امامه غزالة رائعة الحسن ، مذعورة ، تعدو .. فأحبها عنترة ولحق بها ليمسكها ، ولكن دويا هائلا خرق الاسماع ، وظلا كثيفا حجب نور الشمس .. واذا نسر عملاق يطارد الغزالة الجميلة ، يريد الفتك بها ، فتناول عنترة قوسه ورمى الطائر بسهم لم يخطئه ، فسقط على الارض ينتفض ويتخبط بدمه ، حتى هلك ، وأما الغزالة الجميلة فغابت عن الانظار .

.. عاد عنترة الى خيمته ساهما ، سادرا ، موزع الفكر ، منهكا من التعب ، لكثرة عدوه وراء الغزالة المفقودة .. ثم رحمه الله ، قبيل الفجر ، فأغفى ونام !..

.. وفي الحلم ، رأى عنترة نفسه في قصر منيف ، تتسابق فيه العبيد والاماء الى خدمته ، وتهدهده الاغاني الحلوة تنشدها بين يديه أجمل الحرائر والجواري .

انه الآن في قصر ملكة تدمر : الجنية « غول ـ ظر » ، تلك التي انقذها من براثن « شيطان الظلمات » ، حين كانت « تتقمص » جسم غزالة ، وكان الشيطان في صورة نسر جبار !

قالت الجنية ـ ملكة تدمر ـ لعنترة ، انها اعترافا بفضله ووفاء منها لحسن صنيعه ، ستهيء له الاستمتاع بأجمل لذات الحياة !

.. كانت لذة « الانتقام » أو الثأر ، المتعة الاولى التي أعطتها الجنية عنترة ، فتنعم بها ، ما شاء ، حتى ملها ..

ثم أعطته لذة « السلطة » ، فكان له من السلطان ما أراد ، حتى مل وسئم ...

وانقضى حلم اللذتين !.

عظيم مشهد الصحراء الشامية ، وعظيمة اطلال تدمر !

كره عنترة معاشرة الناس ، لانهم قابلوا احسانه بالاساءة . فهجر مجالسهم ، وابتعد عنهم ، ثم اعتزل .. في صحراء الشام ، بين أطلال تدمر !

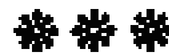
.. وفي خرائب تدمر ، تذوق عنترة ، أخيرا ، لذة ثالثة ، كانت وعدته بها الجنية : لذة الحب .

.. ولكنه ، هناك ، لفظ ، مع آخر قبلة ، آخر أنفاسه !

الرسامون فتنهم عنترة

وكما صنع الموسيقيون ألحانا استوحاها من سيرة عنترة ، فقد استوحى بعض الرسامين صورهم من هذه السيرة ، وفي مقدمتهم الرسام العظيم دينه ، وقد استطعنا رؤية بعض رسومه في أحد المتاحف ، فكلفنا مصورا بأن يصورها لنا ، ففعل .

المجلة العربية



مشكلة النسيان

وكيف نواجهها

كلما تقدم بنا العمر ، كلما بدا اننا صرنا ننسى اكثـر • ولا شك بـأن العمر يلعب دورا في هذه المشكلة ، الا انه لا ينبغي علينا القول بأن العمر هو العامل الوحيد الذي يساهم في عمليـة النسيان • او ليس النسيان مشكلـة يعاني منها بعض صغار السن ايضا !؟

لذلك علينا البحث عن اسباب اخرى غير التقدم في السن لتفسير عـادة النسيان هذه • وانا في هذا المقال ، سأتفحص بعض هـذه الاسباب واحاول الاجابة على السؤال التالي : ما الذي يمكننا عمله لتجنب هذه المسببات ؟••

المشكلة هذه تبلغ حدتها احيانا خـلال احداث حياتنا العاديـة اليومية عندما ننسى اين وضعنا بعض الاشياء • ثم نصرف وقتا ثمينا بعـد ذلك ونحن نبحث عنها ـ والوقت هذا كثيرا ما يذهب هدرا لاننا نفشل في العثور عـلى ما نبحث عنه •

قال رجل على سبيل المثال : « مشكلتي المعينة بخصوص الذاكرة ، هي انني لا استطيع ان استرجع الحقائق او حتى الاعمال التـي مارستها ، بحيث تجدني عادة وقد نسيت اين وضعت بعض الاشياء ••• واعترف لك ان هـذا مزعج ومحرج للغاية ••• ومع ذلك تجدني اتذكر ارقام الهاتف بكل سهولة ••• وهكذا كانت الحال مع ذاكرتـي وانـا صغير السن لا ازال ضعيفـة باستمرار ••• وهذا هو ما دفعني الى دراسة المواضيع الرياضية التي تحتاج الى ذاكرة جيدة •

« فأنا لا يمكنني ابدا ان اتذكر قطعة من الشعر او اي شيء من هـذا القبيل رغم حبي للشعر وتمتعي به ••• وافسر الامـر بأنـه مجرد ذاكـرة كسولة الى حد ما ، وانا لا استطيع استعادة نفس القدر من المعلومات التـي اقع عليها بالمشاهدة او السمع مثلما يسترجع الاخرون » •

الحصول على ترابط عقلي

عندما تضع شيئا في مكان ما ، اعمل على احاطته بصورة عقلية تربطـه بالمكان الذي وضعته فيه • فاذا وضعت نظاراتك في درج خزانة الاولاد مثلا، تصور هذه الخزانة بوجه انساني يضع تلك النظارات • وبعد ذلـك عندمـا تحتاج الى نظاراتك وتفكر بها ، ستستعيد تلـك الصورة العقليـة للخزانة حيث وضعت النظارات •

اعرف امرأة تعاني من مشكلة النسيان وترى ان القلق والاضطراب كانا من العوامل التي تساهم في مشكلتها هذه • وبامكاننا ان نوافق معها هنـا ، قالت : « مشكلتي مع نسيان الاماكن التي وضعت فيها الاشياء المعينة تتعلق فقط بتلك الاشياء التي ارغب بأن اوفر لها عناية خاصة مميزة ••• انها اشياء تعمدت ان اضعها في مكان امين ، كدفتـر الاختزال الـذي يحتوي علـى ملاحظات بخصوص لقاءاتنا العامة •

« ويحدث احيانا انني اشعر بقلق شديد من رؤية الشيء عندما اجـده بالفعل ••• فأنا اعمل في ظروف صعبة واتعرض في عملـي الـى مقاطعـات لا حدود لها ولا نهاية ••• ولكن المشكلة هذه تواجهني في المنزل كذلـك • وقد استنتجت بأن القلق ربما يلعب دورا في مشكلتي هـذه مما دفعني الان الى تجنب وضع اي شيء في مكان جديـد مهما بـدا المكان القديم مجافيـا للمنطق •• واذا فقدت الان اي شيء ، فلم اعد اكلف نفسي عناء البحث عنه، بل اكتفي بالامل انه سيظهر من تلقاء نفسه فيما بعد » •

التركيز

قلنا اعلاه ان تعمل على احاطة ما تسعى لان تتذكره بصورة عقلية تربطه بالمكان الذي وضعته فيه . ولكنك اذا كنت قلقا ، فانتباهك سيتجزأ فيما بين القلق وبين الصورة العقلية . اذ تتطلب عملية التذكر تركيزا كاملا على الموضوع الذي تنظر فيه .

وقد ينشأ قلقك ذاته في امر لا علاقة له بتذكر الاشياء . اي انك ربما ربطت القلق مع مشكلة نسيانك في غياب نظرتك العميقة الى السبب الحقيقي ــ او ربما لتجنب نفسك مرارة التعرف على السبب الحقيقي . فاذا كنت قادرا على اقناع نفسك بالنظر الى اعماقك ، لتحاول ان تكتشف الاسباب التي تؤدي بك الى القلق ، ثم تقوم بما تستطيعه لازالة هذه الاسباب ، قد تجد فعلا ان هذا بالذات هو كل ما تحتاجه لتحسين ذاكرتك .

والسيدة التي اتينا على ذكر حالتها اعلاه ، توصلت في الحقيقة الى بعض المعلومات عن عوامل القلق المحتملة . قالت : « بدأت بي هذه المشكلة منذ ثلاث سنوات على وجه التقريب .. وقد حاولت ان احللها عقليا عن طريق ربطها بما عانيته طوال السنة من توتر عقلي او ربما عاطفي شديد نتج عن المرض وفقدان عزيز . فقد عملت في تلك الفترة كعاملة اجتماعية تقضي معظم وقتها في الوظيفة تقريبا ، وتتنقل بين مكانين .. من هنا فقد ربطت قضية نسياني للاماكن التي اضع فيها الاشياء مع عدم الاستقرار في مكان واحد لمدة طويلة . ثم كان ذلك الخوف البسيط من ان اتقدم في طريق الشيخوخة مبكرة ، لان مهنتي تضطرني لرؤية الكثيرين من العجزة الذين بلغوا في الحياة مرحلة لا ينبغي لهم معها ان يضعوا اي شيء في مكان غير معتاد ... وانا بالمناسبة في الثانية والخمسين من العمر » .

على هذه السيدة الان بعدما تعمقت في النظر الى داخلها وتوصلت الى تلك الملاحظات ، ان تستعين بها لتعمل قدر المستطاع على تحسين اوضاعها وتقوية مقدرتها على عدم النسيان .

نقــل الذكريــات

وفي المثل الاول الذي اتينا على ذكره كذلك ، ظهر لنا مـع مزيد مـن الاستقصاءات سببا ممكنا لمشكلة النسيان عند ذلك الرجل فقـد ظهر انـه اضطر الى اجراء عملية جراحية جرى خلالها استئصال ذراعه الايمن • والتعقيد الاضافي في هذا اعطى سببا لنشوء مشكلـة نفسيـة مثيرة للغايـة وصفها كما يلي :

« اضطرتني عملية الاستئصال تلك الى ان انتقل للكتابة باليد اليسرى بعدما كنت اكتب باليمنى عادة ولم تعد هذه موجودة ••• وهذه عقبة حقيقية لانه على الافكار والذكريات عند الكتابة ان تنتقل الى الاصابع ، وقد اصبح علي ان اعكس العملية العقلية هذه لاتمكن من التعبير بالكتابة •• وجـدت صعوبة في نقل الذكريات الى يدي اليسرى » •

على الرغم من تعرفي على عدد ممن تعرضوا لعمليات استئصال من قبل، كانت هذه هي المرة الاولى خلال ثلاثين سنة قضيتها في اعطائي النصائح الى الناس ، اعرف ان الاستئصال يؤدي الى نشوء هذه المشكلة النفسية المثيرة• ومن الواضح مع ذلك اننا هنا نجد مصدرا للقلق يساهم في مشكلة النسيان التي يعاني منها هذا الرجل • فاهتمامـه سيتوزع مـا بين الصورة العقليـة للاماكن التي وضع فيها الاشياء ، وبين قلقه بشأن نقل ذكرياته مـن اليمين الى اليسار •

تأثير انقسام الاهتمام هكذا على الذاكرة عبر عنه البير كامـو بشكـل مقنع • ففي قصته « السقطة » كتب يقول : « بينما انـا واقف عـلى جانب الطريق منهمك في مناقشة مثيرة مع بعض الاصدقاء ، فاتني مجرى التطـور الذي بلغته تلك المناقشة بسبب امرأة شديدة الجمال كانت تجتاز الشارع »•

المواظبـة

وهذا يقودنا الى نقطة اخرى بشأن النسيان ينبغي ان ننظر بأمرها •

وهي ان التجربة يأتي تأثيرها علينا ضعيفا الا اذا واظبنا عليها بعناية .. وحتى نضمن التأثير القوي ، من الضرورة ان نركز على ما نرغب بأن نتذكره .

والمثل على ذلك ان الشخص الضعيف في مجال القراءة ، يحتمل ان نجده يقرأ بدون انتظام . هذا لان اهتمامه مبعثر بالافكار التائهة التي تمر في ذهنه . اذ انه منقاد نحو استكشاف امور عقلية اخرى جانبية ومغرية تحوله عن التركيز على ما هو بين يديه . فبينما هو جالس والكتاب معه ، قد يسقط في خضم تأملات ينهمك فيها كليا فينسى ما كان فيه كليا . اما نحن اليوم بينما نقرأ اشياء تمثل المتطلبات التي لا حصر لها لهذا العصر ، لا يمكننا ان نضيع الوقت في احلام يقظة خاملة . بل علينا ان نحسن في انفسنا طبيعة التركيز .

الممارسة المنتظمة

والتركيز ، مثل كافة الطباع الانسانية الاخرى ، يمكن تطويره بالممارسة المنتظمة والناشئة عن رغبة شديدة بهذا التركيز . فكلما تاه فكرك نحو امور اخرى ، عد به الى حيث كان . تصور ما يمكنك ان تربحه اذا سيطرت على طبيعة التركيز فيك ــ او ما يمكن ان تخسره بالنسيان . وحتى تمارس تمرينا من هذا النوع ، ستضطر الى الاستعانة بالجهود العقلية التي تحتاجها للتركيز .

هناك تجربة لها علاقة بهذا الموضوع قام بهما وينيك وليبرز جديرة بالملاحظة . فقد عمدا الى دراسة تأثيرات العديد من اشكال الشرود على الذاكرة والتركيز .

جاء هذان بأربع مجموعات من الطلاب حفظوا لائحة بأسماء فتيات تحت ظروف مختلفة . فقد عمل الفريق الاول على الحفظ دون اية مقاطعة في هذه الاثناء على الاطلاق . وبينما الفريق الثاني يعمل على الحفظ ، كان يسمع اسماء فتيات غير تلك الموجودة في اللائحة . وكان الفريق الثالث عاملا

على الحفظ بينما يستمع في نفس الوقت الى تسجيلين موسيقيين يلعبان معاً. اما الفريق الرابع فقد راح يحفظ بينما جهاز الراديو مفتوحاً .

وجد القائمان على هذه التجربة ان كافة انواع المقاطعات تقلل مقدرة التلاميذ على التذكر والتركيز بنفس المقدار . ولكن ظهر ان عمليات التعلم الطارئة هي اقل عرضة للتأثر بالمقاطعات من التعلم المقصود . اي ان مقدرة التلاميذ على تذكر الاسماء المعينة تأثرت بالمقاطعات اكثر مما تأثرت بها مقدرتهم على تذكر الالوان التي كانت تحيط بالاسماء تلك في المكان المطبوعة عليه ــ وهي نقطة لم ينبههم اليها احد عند بدء التجربة .

والتجربة هذه تظهر اهمية بذل الجهود الفعلية اذا اردنا النجاح في تجنب النسيان الذي ينتج عن شرود انتباهنا لهذا السبب او لذاك .

اهمية الاهتمام

كذلك فنحن نميل الى النسيان عندما لا نكون مهتمين بالامر . والعكس صحيح ، اي ان اهتمامنا بالامر يساعدنا ان نتذكره . وسنوضح هذا بالمثل مرة اخرى .

قال ضابط بوليس : « تألمت كثيرا في السنوات الخمس الاخيرة من فشلي المستمر في امتحانات الترفيع ، حتى نما بي عائق نفسي راح يمنعني من ان ادرس لهذا الامتحان . وهذا لان الكثير من المواد التي يشملها الامتحان لا تمت بصلة الى ما احتاج لمعرفته في مجال عملي الا من ناحية اكاديمية ... ومحاولة حفظ صفحات كثيرة من المواد ، تصبح عملية مستحيلة طالما انني غير مهتم بما تحتوي عليه هذه الصفحات .. اما المواد التي لها علاقة مباشرة بتجاربي في الوظيفة ، فيمكنني ان احفظها واتذكرها بسهولة اكبر للغاية » .

اما انت ، فاذا كان الاهتمام بما تحتاج الى تذكره هو مشكلتك بدورك ، اليك هذه الاقتراحات الثلاثة التي يمكن ان تحاول تجربتها :

١ ــ حاول ان تجد معنى ما فيما تحتاج لان تتذكره • ويمكنك تحقيق هذا بربط الامر مع امور اخرى تهمك بالفعل او مــع احداث رئيسية او مــع حياتك اليومية ــ او بمناقشة هذا الامر مع شخص ما يعرف عنه اكثر ممــا تعرفه •

٢ ــ استعن بمخيلتك طالما ان الاهتمام ، كالتركيز ، يمكــن تنميتــه وتطويره عن طريق تخيل ما يمكنك ان تربحه من انجازك لذلك الامر ، ومــا يمكنك ان تفقده اذا لم تفعل •

٣ ــ استعن بالاقتراحات الآلية لتقوية اهتمامك • اذ يمكنــك ان تردد لنفسك تأكيدا بسيطا كالتالي : « هذا الامر يزداد اهتمامي به اكثر فأكثر » او « انني اتعلم ان يزداد اعجابي بهذا الامر يوما بعد يوم » •

الاستعانة بمخيلتك بفعالية ، واعتماد التحليل الذاتي لكشف الغطاء عن الاسباب التي تعرضك للقلق ، وبذل مزيد من الاهتمام فيمــا انت بصدده ــ هذه هي المفاتيح الحيوية الثلاثة للسيطرة على النسيان والتغلب عليه •



سبب حزنــه

مات اضخم فيل في حديقة الحيوانات في باريس • وكان هــذا الفيــل محبوبا من جميع زوار الحديقة لانه انيس لطيف يــداعب الاطفال ويتحمــل ازعاجهم بدون غضب •

وجلس حارس الفيل حزينا كئيبا الى جانب زريبة الفيل • فمر به احــد المتفرجين فعزاه بوفاة فيله العزيز ولما وجده على جانب عظيم من الحزن قال له: مهما كانت عاطفتك تجاه الفيل الاليف ، فان موته لا يستوجب كل هذا الحزن • انه حيوان •••! وموت الحيوان لا يستدعي هذا الحزن •

فأجاب الحارس :

ــ انك لم تعلم سبب حزني يا سيدي • انني بحكم وظيفتي مكلف بحفر الجورة التي يدفن فيها هذا الفيل •••!



العرفان

مجلة علمية أدبية سياسية

مؤسسها
أحمد عارف الزين

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نزار الزين

العددان ٦ و ٧ مجلد ٦٧ حزيران ((يونيو)) وتموز ((يوليو)) ١٩٧٩ م
رجب وشعبان ١٣٩٩ هـ

هذا الكتاب

(عشرة من الناس)

يقوم مقام العددين السادس والسابع من العرفان لسنة ١٩٧٩ م ١٣٩٩ هـ . وقد قمنا باصدار الجزء الثاني من كتاب عشرة من الناس ، أي هذا العدد المزدوج الممتاز عن شهرين لما لاقاه الجزء الاول من « عشرة من الناس » من القبول والرواج عند قرائنا الكرام . فالى اللقاء في العدد الثامن من العرفان ، أي تشرين الاول القادم . حيث يطالع القارىء المقالات العلمية والادبية والتاريخية لمشاهير كتاب العالم العربي مع تدارك ما لم ينشر للآن عن انصار العرفان والوفيات وغيرهما .

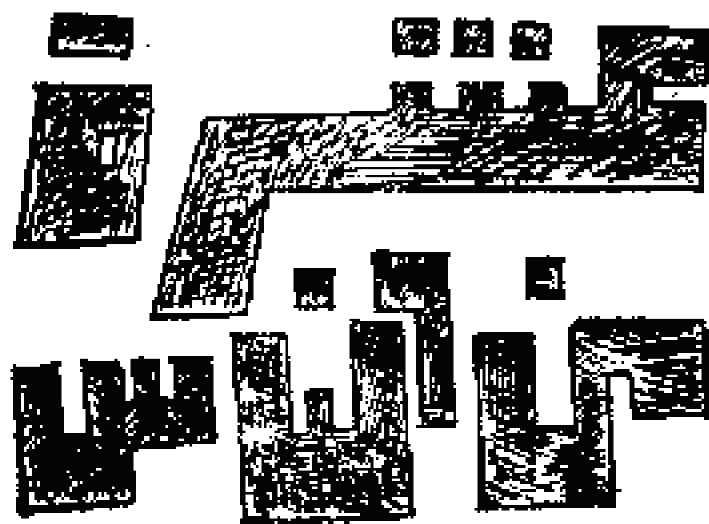
هذا الكتاب

قدم له

طابت انفاسك	:	اكرم زعيتر
بارك الله لك بثلاث اغلى من كنوز الارض جميعا	:	يوسف ابراهيم يزبك
يا منصف الموتى من جور الاحياء	:	وديع فلسطين
زهير مارديني وكتابه (عشرة من الناس) : لو كنت من ملوك الزيت لسلخت هذا الماريني من الصحافة وسلحته بجهاز وآف وقلت له : تمم هذه التراجم	:	عجاج نويهض
عشرة من (غير) الناس		عبد الله القصيمي
في كتاب (عشرة من الناس) تأليف (زهير مارديني) : ادب وتاريخ وفن ووفاء	:	بشير العوف
عشرة من الناس	:	اسمى طوبي

العرفـان

الفهرست



زهير مارديني

بعض اقوال كبار المفكريـــن والكتـــاب والصحفيين العرب في الجزء الاول مـــن كتاب عشرة مـــن الناس الـــذي صدر عام ١٩٧٥ ، وقد نشرت مع غيرهـــا في الصحف والمجلات على امتداد الساحة العربيـــة .

طابت انفاسك

بقلم : اكرم زعيتر

اخي الاستاذ زهير مارديني

... واخذت كتابك (عشرة من الناس) وشرعت اقرؤه حين اويت الى سريري في المساء ، ورايتني انجزه حين اكتهل الليل واوشك ان يميل ميزان النهار . !

وما كان لكتابك ان ينفي الكرى عن مقاعد اجفاني ، لولا ان الفصل فيه يغري بالذي يليه .! انها الرشاقة في الاسلوب تشد القارىء الى الكاتب ! انها الطرافة في السرد مع الحرارة في العرض ، وكأني بك تتحدى من يأتلف معك او يختلف ان يعرض عن قراءتك اذا استطاع او ان يزهد في مطالعتك اذا قدر ! ورايتني قبل ان انام اعدد هؤلاء العشرة من الناس فاجدهم احد عشر ! وسرتني هذه الاغلوطة المتعمدة في العد ، لانها تجيء في مصلحة القارىء ، وهي نفحة مروة ..

ولعل العدد يغدو في الطبعة الثانية عشرين فيجيء فصلك مضاعفا ، وتتم الشهامة منك في الآتي بالمانع من الحديث عن الناس ... الناس . !

واجيء الى فصول الكتاب ..

فالحديث عن الشيخ عبد المحسن الاسطواني حديث ثر شائق ...

وفصل فارس الخوري جذاب واف لذ ...

وفي فصل الشيشكلي ـ وهو فصل حالفه التوفيق ـ ذكرت ان صحفيا جريئا قال له : كيت وكيت، انتصارا للحق وتحديا للقوة ، ولست ادري ما يحملك على اغفال اسمه ليكون محل التقدير وهدف الثناء ... (1)

وفصلك عن الامينة الاولى جاء الغاية في الجودة واللباقة وصدق الاداء ..

اما فصلك عن زكي الارسوزي ، فاشهد انك كنت امينا في نقل ارائه ، ذلك انني عرفت الارسوزي جيدا ، وكنت آخذ عليه الغموض في أسلوبه ، والابهام في عرض افكاره ، فجاءت اقواله اليك وافرة الغموض ، مستوفية شرائط الابهام ! ولا سيما تعريفه القومية العربية !

واجدت في الحديث عن عصام المطار الاجادة كلها ...

وجعلتنا في فصلك عن مضياف دمشق فخري البارودي نعايشه سويعة حنون ...

وفصلك عن محمد مصطفى حمام - آية في الطرافة - اجدر به ان يكون عنوانه (مصطفى حمام والشاعر عبد الحميد الديب) لان نصيب الشاعر البائس منه كان اوفى وافسح من نصيب حمام . !

وفصلك عن احمد عارف الزين ، احمده واشكره لك ، وهذا الرائد الوطني المقدام جدير بالتمجيد ، وما اعرف من يكتب أبلغ من قولك :

(فعندما كان الجراد العثماني قبل الحرب العالمية الاولى يعرق ما تبقى من رمق الوطن ودمائه ، اخضر فيابسا ... وكان العربي يلهث اعياء وهوانا في آخر صعدة الجلجلة وقد حمل القهر بعد الظلام على كتفيه وبينما الباب العالي تصطك عمده الشامخة والهول يجري في سدف الظلام دما احمر ، فما تدري الفجر هو ام حشر ، كان شباب الشيخ يتعلق بالحياة في الضباب المستطير ، ملء شراعه الطموح ... وملء بصره صورة امته ومستقبلها) .. الخ ..

اعود فاحييك ، واستزيدك من مثل هذه الكتابة ففيها ادب وتاريخ ، وفيها انس ووفاء ، وفيها مروءة وولاء .. طابت انفاسك .

---

(١) الصحفي الذي اشار اليه الكاتب هو المرحوم محمود العزب موسى ، وكان رئيسا لقسم الشؤون المحلية في جريدة (الاهرام) .

بارك الله لك بثلاث اغلى من كنوز الارض جميعا
بقلم : يوسف ابراهيم يزبك

اخي وصديقي الاستاذ زهير

وحسبي من مناداتك بالاخ والصديق لتعلمك مناداتي اية منزلة لك من نفسي ، على تباين احكامنا السياسية . ولعل واقعنا هذا يصلح لان يدرس دراسة جامعية (اطروحة دكتوراة) تتناول الصداقة بين كاتبين تفرق بينهما السياسة فتضع اولهما على الصفة الاولى وتنقل الاخر الى الضفة المواجهة ، ولكن الاثنين يظلان اخوين متحابين .

ان الصائر عندنا ، ولا سيما عندنا ، ان كاتبين مفترقين اتجاها يستحيل عليهما ان يلتقيا بسبب خصامهما المحتم . والخصام عندنا ـ عند العرب ـ صار يؤدي الى العداء !

ويا عجبا لخصامي رايك فقد عجز عن ان يبعدك عن قلبي ، كما عجز خصامك رايي عن ابعادي عن قلبك ! فما هذه الحكاية ؟

لعل وضعنا المتآخي منشاه سبب خلقي : فاني ارى فيك مثلا ساطعا للوفاء العربي ـ وهنا الح على هذا النعت (العربي) للوفاء ، تحديدا وتوكيدا ، لان العرب وحدهم كثر الوفاء عندهم ... والوفاء فيك ينبع من معين عميق في نفسك النقية ، في حين انه نضب عند الاكثرين من رجال القلم في (عرب ؟!) هذه الايام السود . وليست السياسة ولا الفلسفة هي التي تستطيع الوصول الى هذا المعين ...

في السنوات الاخيرة المشؤومة التي مرت علينا قرات لك كثيرا من كلمات الحق والنبل والوفاء ، وقد كتبتها في ساعات سادها البطل والخساسة والغدر ، فتراءت لي كلماتك تسابيح علوية تنزل الندى ليروي البنفسج العطشان في الهجير ، وقراتك المنصف في عهود الظلم والمعقة فرايتك الحليم الذي يبسط المحاسن غير حاقد ـ وكاد الحليم ان يكون نبيا ـ ورايتك يا اخي وصديقي طوال هذه السنين انسانا يكتب قلمه خيرا في وجه الشر ، فكنت اساله تعالى ان يرحم والدين ربياك .

فهذا الوفاء فيك كيف لا احبه وهو امنيتي ؟

وكيف تقصيني عنك عقيدتي وانا ما اعتنقتها الا لانها في رايي شعار الخير ؟

وكيف يجوز لي ان اراك الا اخي وصديقي ؟

اكتب اليك شاكرا وقد شرفتني بهديتك الغالية : (عشرة من الناس)، ورايتك فيها رائع التعبير عبقري التصوير ، وظريف الاشارة سمح التذكر، تدعو البلاغة فتجيبك ، ويطيعك التجويد والايقاع ، فينساب سحر قلمك في السطور ، وفيا ، وفيا ، وفيا : تذكر محاسن الموتى ، وتغني بماضي

معتوقين ومقمورين ، وقد هالك آن تهملهم الناس غباوة وجهلا ، فجاء قلمك الحلو ، النبيل ، الماسي ، يذكر لكل فاضل فضله بعد ان طويت الصفحات ، ويعترف لكل عزيز بعزه اذ تبدلت الايام ، وبهذا تلالا كتابك بالانسانية المثلى تلالا ... واي فضل لاديب ، مهما عظمت انسانيته ، لا يكون (انسانيا) ؟

وقرات كتابك وصفقته على رفه فشعرت باني قلبي وجع : فالرف قد سلخ عني كنزا ، اسطورة ، سرابا ، اسمه الوفاء . ومكتبتي التي تضم مجلدات تستطيع ان تلصق الواحد منها بالثاني فالثالث فالرابع من بيروت الى دمشق تنقصها الكتب التي فيها وفاؤك .

ان بين (العشرة) الذين بعثت بذكرياتهم اساتذة لنا قهرهم العتاة ، من مستعمرين اجانب وطغاة بلديين ، فجاء مؤلفك القيم يذكر قومهم بفضلهم في سبيل تحرير العرب ، حتى لا يتناساهم العرب ، احسن الله اليك !

وقد اديت هذا الوفاء اليوم بعد ان اديته ملتزما وملحا طوال سنين عديدة في سورية ومصر ولبنان ، فلماذا لا نسميك وفاء ، او : اخا الوفاء ، ابا الوفاء ، رجل الوفاء ؟

نسميك ؟

والى من يرجع ضمير المتكلم في (نسميك) ؟

وهل بقي في العرب منصفون يبرون بالعرب ؟

نعم ...

وباسم هؤلاء المنصفين ، السافرين ، الذين سيقفز منهم ومن انصافهم وطننا الكبير المسرع الى (حضارة !) النفط ، اسمح لي ان اقبل الانامل التي كتبت كثيرا من صفحات سفرك يا ابا الوفاء ! و : (تسلملي ، هات بوسه !) .

وارجع الى شؤوني فاراك قصيا عني في سياستك الصحافية والضحك ...

اضحك من الالم : ما اضعفنا نهمل دوافع المروءات الانسانية في ضمائرنا وقلوبنا ونعنى بذوي السياسة ؟

وبعد ، ابا محمد : فتقبل شكري وتقديري ومحبتي .

وبارك الله لك بثلاث اغلى من كنوز الارض جميعا :

تربية امك

ومروءتك العربية

وصدق الاسلام الصحيح في يقينك

يا اخي وصديقي ...

يا منصف الموتى من جور الاحياء

بقلم : وديع فلسطين

اخي الكاتب الكبير الاستاذ زهير مارديني
دام مع من يحب في حفظ الله ورعايتــه

منذ ما عرفت من صديق سوري انك اصدرت كتاب (عشرة من الناس) وانا انهيا لاستجداء نسخة منك محـاذرا ان تردنـي منتهـرا ، وتصرفنـي فارغا . ولكنك بكريم خصالك قد جنبتني ذل الاستجداء وفاجأتني بهديتك على غير انتظار ، فاستحققت مني شكران القادر والعاجز .

كذلك كنت انهيا لتقديم نفسي اليك متشفعا بهذا وذاك من اصدقائك بيد انك وفرت علي هذا المجهد بتلك العبارة السخية التـي طرزت بهـا اهداءك ، فاذا انت تعرفني من خلال المناظير المكبرة للطاهر (المرحوم محمد علي الطاهر) والعجاج (عجاج نويهض) وسامي الحكيم ، وبـا لهم مـن عباقرة في التضخيم والتكبير والمبالغات والشطحات !

اما وقد قطعت الي تسعة اعشار الطريق ، فاسمـح لـي بان اقطـع نحوك العشر الباقي ، وهات بعد ذلك من القبلات والمعانقات ، وهـات يـا مارديني معتقات اخوتك فتثملنا اثمال مارتيني !

كتابك ليس غريبا علي ، فانني في حياتي المخضرمة قـد عرفت عـن شخوصـه (محمد علي الطاهـر ، ومحمـد مصطفـى حمـام وصاروخـان) وقابلت (الشيشكلي) ، وكان اولاد الحلال يحملـون الـي تحيـات فارس الخوري . فلا غرو ان يستهويني موضوع الكتـاب ، لاسيمـا وان مؤلفـه المارديني لم يصطنع لنفسه اسلوبا (زهيروفسكيا) عريق التخنفس ، بـل توسل الينا باسلوب ترشي قحطاني مضري صريح النسب في دنيا العرب .
اما الفكرة المحورية التي استأثرت بعناية المارديـنـي في معالجاتـه لهـذه الشخصيات ، فهي فكرة (الشرف) الذي لا يتثلم ، و (الوطنية) التـي لا تباع ولا تشترى ولا تمنح ولا تمنع ولا يعين اصحابها بفرمانات ومرتبـات مقطوعة ودرجات مرصودة في سلم البيروقراطية . وهناك فكـرة (الحريـة) التي شغلت المارديني وعذبته ، وهل ثمة منقبة اسمى من الحرية يجريهـا الحاكم عدلا وبركة وينشدها المحكـوم قيمـة وقدسا . وليست تغيب عـن المارديني شملة (الانسانية) ورديفتها (الكرامة) وهما مربـط الفـرس ، ومناط كل رجاء .

ان العشرة الذين اخترتهم من الناس قد دخلوا التاريخ لا من باب البطش بل من باب الحق ، وناموا لا (بالسحل) بل بالعريسات ، وذادوا عن الاوطان لا بالسخرة والتكليف بل بالاستشعار الذاتي الصادق والرغبة التلقائية الناجحة في الصدور ، وكانت وطنيتهم لا تجارة ارتزاق ، ولا امجادا منتحلة ، بل وطنية بذل وتضحيات . وكانوا اهل علم وعرفان ، لا شيوخ جهل وائمة امية ! وكانوا دعاة اتحاد لا انصار تفرقة وتشتت وسب وقذف !

واني لاتصور ان لكتابك هذا جزءا ثانيا يضم صفحات وضاءة لرجال ماجدين اخرين ، مثل الدكتور منير العجلاني ، والدكتور محمد صلاح الدين والحاج امين الحسيني والدكتور عبد الرحمن البزاز واكرم زعيتر وعجاج نويهض .. فمتى يا صاحبي يكون موعدنا مع هذا الكتاب ، تنصف فيه الاحياء من الاحياء ، والموتى من جور الاحياء .. ؟

فلقد اصبحت امتنا العربية في ربع القرن الاخير بما شمل كيانها (وشندل لفظة صعيدية معناها قلب) وبدل قيمتها ومسخ تاريخها وزيف حقائقها و (ولخمط) وجهها ، ناهيك بالهزائم التي دحرجتنا الى قعر الدنيا وحضيض حضيضها ... وانت وامثالك موكولون بان تعيدوا كتابة التاريخ الذي افسدته البربريات والعنتريات والدكتاتوريات والعقائد المستوردة من كل (سوق كنتو) ـ وسوق الكنتو عبارة تطلق على الاسواق التي تباع فيها سواقط المتاع وكل ما بلي وتخرق وتهرا من الاشياء .

واكثر ما نحتاج اليه في يومنا الحاضر ، هو ان نعيد للقيم مكانها في حياتنا ، ونطرد من دنيانا كل ما عرفته من زيوف وبهلوانيات ومجاوز للاخلاق والقيم . وواجبنا ان نعيد للوطنية وضعها الاصلي الصحيح ، كنزعة فطرية يولد بها المرء ويعيش لها وفيها ومعها ويموت في نعماتها . فالوطنية ليست استئثارا او احتكارا ، وليست وظيفة يعين شاغلوها بفرمان ويعزلون بقرار ، وليست مرتبات وامتيازات ومخصصات ، ولكنها سليقة في المرء منذ ولادته وصفها الشاعر ابراهيم ناجي بقوله :

الطفل منهم قبل أمي وابي   شمقناه اول ما تقول بلادي ..

سلم قلمك ، وسلمت انامك ، ودمت علما من اعلام الحرية والكرامة في دنيا الضاد العظيمة .

القاهرة في الثامن عشر من حزيران ١٩٧٥

المخلص

وديع فلسطين

زهير مارديني، وكتابه (عشرة من الناس) :

لو كنت من ملوك الزيت لسلخت هذا الماريني من الصحافة وسلحته بجهاز واف، وقلت له : تمم هذه التراجم !

بقلم : عجاج نويهض

ارجو من القارىء الكريم قبل ان يرميني بعاطفة الغلو ، ان يقرأ الكتاب . واحسب نفسي اني من اشد الناس صلابة في وجه الموازين العاطفية الشخصية . وهنا في بيان انطباعاتي عن هذا الكتاب انما اعرب عن شعوري ، وفي الوقت نفسه ان بيني وبين المؤلف الاستاذ زهير صداقة هي حديثة العهد بحساب السنين ، ولكنها في الوثاقة حبل متين ، نشأت وترعرعت في السنوات الاخيرة في ندوة الطيب الثرى الباقي الاثر والذكر الاستاذ محمد علي الطاهر في بيروت . غير اني في انطباعاتي هذه عن كتاب (عشرة من الناس) ، لست مازجا بين مواثيق قلوب وعهود ، ومزايا كتاب هو في نظري عنوان فتح جديد .

ولعلي ادلي بانطباعاتي واحدا بعد آخر :

اولا : اني مولع بكتاب ما يسميه الافرنج (بيوغرافي) و (اتوبيوغرافي)، وهذا الفن الدقيق تراه في ازدهاره عند الفرنج ، ولكنه مع الاسف لا يزال يحبو حبوا عند العرب ، ولا تراه الا في واحات وحدائق خاصة .

فجاء الاستاذ زهير مارديني بكتابه هذا ، سنة ١٩٧٥ يبرهن لمحبي هذا الفن ان الله تعالى قد جعل في الاستاذ الماردينـي المارد الجبار ، رسالة مقدسة للارتفاع بهذا الفن من مستواه الحالي في لغة الضاد ، التي ما يضاهي به المستوى عند الفرنج دفعة واحدة .

ثانيا : مرحى .. مرحى !! يا استاذ زهير ، ولك التهنئة الخالصة .

ثالثا : صفة الكتاب : يدخل في باب التراجم (لعشرة من الناس) هكذا شاء الماردينى ان يعبر عنهم وهم :

(الشيخ عبد المحسن الاسطواني ، فارس الخوري ، اديب الشيشكلي ، الامينة الاولى ، زكي الارسوزي ، عصام العطار ، محمد علي الطاهر ، فخري البارودي ، احمد عارف الزين ، محمد مصطفى حمام ، صاروخان) .

رابعا : ولكن لماذا العدد هو عشرة لا اكثر ولا اقل ، لا ادري . ولكني اعتقد ، واقول قبل ان اسأل الاستاذ الماردينى ، انه استقر على هذا العدد كبداية له في اجتلاء هذا الفن وجلائه وعرضه على الجمهور (العربي) الصفقة اجنحته بين المحيط والخليج ، واعتقد ايضا ان هذه هي العشرة الاولى من القافلة ، سيتلوها عشرة ثم عشرة ثم اكثر . والعشرة هذه تذكرني بان فريقا من رجالات (العربية الفتاة) قبل ١٩١٤ في بيروت ، وعلى رأسهم العالم العامل الموظف مسجل القضية ، محمد الشريقي رحمه الله (من اللاذقية) كانوا قد اصطلحوا على اسلوب (العشرة) . بحيث ان هذا العضو (السري طبعا) عليه ان يهيء بعد الدراسة والتمحيص الدقيق (عشرة) جددا ، ثم ان كل واحد من العشرة عليه ان يقوم بالدور نفسه . ومعلوم ، وهذا مفخرة للارث والتراث ، ان هذه الاسرار لم تتكشف للسفاح احمد جمال مدة وجوده في سوريا . وعلق الشهداء بالاراجيح ولم يبح واحد منهم بسر العمل .

خامسا : من هؤلاء العشرة ، ثلاثة تربطني بهم رابطة صداقة وهم : (فارس الخوري ، ومحمد علي الطاهر ، وفخري البارودي) ، والثلاثة انما اعرف عنهم معرفة ، وهذه المعرفة تقرر هنا وتشح هناك ، ولكني لم التقهم لقاء ويا للاسف ، وهم : (اديب الشيشكلي ، وزكي الارسوزي ، والشيخ احمد عارف الزين منشيء مجلة (العرفان) ، والباقون الاربعة معرفتي منهم بالمطالعة الصحفية وفي الكتب لا اكثر .

سادسا : اعجوبة الاستاذ الماردينى : تكلم عن كل شخص من هؤلاء العشرة كلام وصف ومعرفة دقيقة ، وجملة ظروف واحوال تتعلق بالخلق والنفس والبيئة ، والمرض ، والموقف الاخير بين الدنيا والاخرة . وجاءت الاعجوبة من عدة عناصر جعلها الاستاذ الماردينـي تمشي بين يديه طائلة

واحدة ، فاولا روعته في اختيار احوال الشخص الكاوية او المعربة عن روحه بدلا من نطقه باللسان البيان الجنان في ساعات البرزخ يعلو على كل جارحة . وثانيا براعته في سلوك طريقين كلاهما آية : فتارة ، يرخي العنان للشخص يدعه يتكلم كما يشاء ، حلوا ومرا ، ولا يقول له (قف)، وطورا يلملم حواشي الكلام هو بنفسه باسلوب فيه هدوء وسلاسة ووثوب وكشف وتقرير ، وبين كلام الشخص وكلام الاستاذ زهير يشعر القارىء بانه امام (قطع) مختارة من (افلام) لم يسبقها مثيل .

سابعا : وجميع ما تقراه عن هذا الشخص او ذاك ، لا يزيد على كونه (لوحات) فنية لو بعث ميشال انجلو حيا اليوم ورآها من حيث الروح المصورة ، لرفع لها قبعته كما يقولون . لو كانت هذه التراجم للعشرة تامة كاملة على هذا الغرار لكانت اية التراجم في الامة العربية ، ولا جدال .

ثامنا : لو كنت استطيع التصرف بمصير الاستاذ زهير ، او لو كنت من ملوك الزيت ، لسلخته من الصحافة ، وسلحته بجهاز وافد وقلت له: (تمم هذه التراجم) !!

تاسعا : الاستاذ زهير عليه ان يوقن ان مواهبه التي غرسها الله فيه في هذا الباب ، هي منحة العناية العليا ، ومن تهيئة العناية لرسالة ، فلك من اجل خير الامة التي يعد الموهوب الممنوح من ابنائها .
من يقرأ عبارتي هذه من النقاد واهل الفضل فرجائي منهم ان يعودوا بالملاحظة الى الفقرة الاولى من هذا الكلام حول هذا الكتاب .

عاشرا : قلت اني أهوى كتب التراجم ، قديمها وحديثها ، ووصل الي كتاب (عشرة من الناس) عصر ١٩٧٥/٥/١٨ وانا في بيروت بعد حفلة احياء ذكرى (علي ناصر الدين) رحمه الله ، في قاعة اليونسكو ، ورجعت الى بلدي راس المتن مساء ، ومن عادتي انني اجعل مطالعاتي في الليل الهادىء ، وبيتي ولله الحمد مقابل بحمدون وصوفر وبعلشميه ، فوق هذا الوادي العميق الفسيح . فلما شرعت اتصفح الكتاب ، لالم بمحتوياته الماما ، هالني ما كان يقع عليه نظري من فقرات هنا وهناك ، ثم شرعت اطالعه ، فلما انبثق الفجر كنت على وشك الانتهاء منه ، ولكني كنت اشعر باني ساصاب بالخيبة والحرمان بعد الانتهاء منه ضحى النهار ..

فيته لم ينته ! والكتاب كله في نحو (٢٣٠) صفحة ..

هؤلاء (العشرة) اكنت في حلم معهم !!

راس المتن　　　　عجاج نويهض

عشرة من (غير) الناس

بقلم : عبد الله القصيمي

.. الى الفنان الساكن بين الناس الساكنين في ذات الصديق الاستاذ زهير مارديني ..

.. الى هذا الفنان الغريب المعاصر المختنق بين الساكنين المناقضين المالئين لكل طوابق الذات وغرفها ..

لقد قرأته في ساعات .. لا .. لم تكن هناك ساعات او زمان حين قرأتـــه ..

لقد قرأته خارج الزمن .. ان الزمن ليس الا حالة انسانية . انه لا زمن بدون الانسان او خارج الانسان . لهذا قرأته بلا زمن . لقد هاب الزمن ان يكون موجودا ..

وهل قرأته ؟ اليست القراءة حالة من حالات الرؤية والتفسير والمحاكمة والمحاسبة والتدبر والوعي ؟ وهل كنت في شيء من هذا حينما بموت كاتي المرؤه ؟

لقد كنت في غيبوبة صوفية .. في تحويم ، تحليق .. في ضياع سعيد رهيب ، في استغراق كامل لا يستطاع وصفه . لقد كانت لحظات غرق تخطيت فيها الذات والزمان والمكان والتاريخ والحياة وخرجت فيها من قانونية الاشياء ...

ومع هذا لا بد ان اقول : لقد قرأته في ساعات . لا بد من اللغة مهما كانت اللغة لا تعني اي شيء .

لقد فزعت وصدمت حينما وجدت اني قرأته كله .. اريد ان اظل القرؤه والمقرؤه واظل المقرؤه دون ان اجد اني قرأته كله لكي اظل المقرؤه...

ولكن كلا .. هل قبلت او صدقت الاقتناع باني قد قرأته كله ، ولاني لم اصدق او اقبل ذلك ذهبت اقلب الصفحات واعيد قراءة العناوين لاجد فصولا وصفحات كثيرة ، كثيرة لم اقراها لكي اقراها .. لعلي اجد ذلك ، لعلي ...

ايتها الصفحات والفصول التي لم اقراها اين ، اين انت ، انت . اريد ان اجدك ، ان اقرأك .. ان اظل اقرؤك .. حذار ان تنفدي ايتها الصفحات والفصول التي لم اقراها يا اخوات الصفحات والفصول التي قراتهـــا ...

كن أيها الكتاب شهما ورحيما فاطل صفحاتك وفصولك .. اطلها ، اطلها لأظل اقرؤها ، أقرؤها ، . لا أريد أن افرغ من قراءتك .. لا أريد ، لا أريد ..

... اواه أيها الكتاب هل سرقت أجهزة البريد الكثير من صفحاتك وفصولك أنما أنت قد جئت هكذا شحيحا بالقصد والتدبير قسوة وتعذيبا؟

أجل ، لقد قرأته . لقد قرأت الكاتب وقلمه لا المكتوب عنه وفيه وله .. قرأت الواصف ووصفه لا الموصوف ولا أوصافه .

قرأت الفن ولم أقرأ الموضوع أو القضية .. قرأت الوحي ولم أقرأ من خوطب بالوحي أو من انزل فيه واليه .

... قرأت القصيدة ولم اقرأ الخليفة أو السلطان أو الأمير أو الرئيس الذي قيلت له وفيه القصيدة .

... قرأت النصوص والشرائع والتعاليم والاناشيد ولم اقرأ التفاسير أو التلاؤم أو التوافق أو التنفيذ .

... قرأت العيون والوجوه والذوات ولم أقرأ القلوب أو الضمائر أو الافكار أو النيات .

... قرأت الحب والمحب ولم اقرأ المحبوب ..

... قرأت التاج والعرش ولم اقرأ لابس التاج أو الجالسين على العرش .. قرأت العقد ولم أقرأ الجيد الذي يحمله أو الذي قلده ..

... قرأت الرايات والاعلام وما كتب عليها ولم أقرأ من رفعت له أو باسمه ولا من هي هتاف لمجده ..

... قرأت الصورة وعبقرية اليد التي رسمتها ولكنني لم أقرأ الذات المرسومة أو المشار اليها بها أو الملهمة لعبقرية مبدعها ...

وكم هو جيد أن نتعلم قراءة المبدع والفنان والشاعر والمعلم والشيء مفصولا عن قضيته وموضوعه ومنطقه وتفسيره وواقعه ..

... لقد خشيت على من قد يقرؤونه كما قرأته ان كان احد قد يقرؤه كما قرأته !

لقد خشيت عليهم ان يتمنوا الموت أو انهم قد ماتوا أو ان يحاولوا ان يموتوا لكي يصنعهم قلمك كما صنع هؤلاء الذين صنعهم اي ان كانوا قد عرفوا أو ظنوا أن قلمك لا يصنع بكل هذا المجد والجمال والفخامة الا من ماتوا ..

كما خشيت عليك وعليهم اي ان كانوا قد يقرؤواه هذه القراءة التي قرأته بها أن يرهقوك ويرهقوا انفسهم باعطائك كل ما يستطيعون وما لا يستطيعون من حبهم وصداقاتهم وتقريبهم وولائهم مؤملين انهم بذلك قد ينالون خطرة او نبضة او نظرة او ومضة او بسمة من قلمك الذي يصوغ الرجال هذه الصياغات التي قرأت اول واصغر نماذجها .. الن الا تخشون من الاخطار والالام في ان يوجد من قد يقرؤونه كما قرأته ؟

... ولكن لماذا هذه الخشية ؟

ان الانسان العربي محمي باصالته وعراقته من القراءة . وهو محمي اكثر من القراءة بمعانيها وتفاسيرها وحوافزها ونتائجها المحتومة والمفترضة والمطلوبة في كل قراءة حضارية انسانية .. ان الانسان العربي يقرأ اذا قرأ او لو قرأ بلا قراءة بل وضد القراءة .. وهنا فانه لا فرق بين الكتاب الجيد والكتاب الرديء في قراءة الانسان العربي لهما لانه لا يقرأ حين يقرأ . بل ان قراءته الكتاب الجيد لو قراه لا بد ان تكون نتائجها اسوأ لان مثل هذا الكتاب سوف يكون مناقضا ومضادا له اكثر ..

وحينئذ لا بد ان يذهب يعاقبه ويثبت مخالفته ورفضه له بالمزيد من المناقضة والمضادة له اي الكتاب الجيد ...

... انه لمحتوم أن تتحول قراءة الانسان العربي للكتاب الجيد الى عكس ما يراد منها ومنه بقدر ما هو محتوم أن يتحول التعليم العالي لغير الموهوبين الى تشويه وافساد وتعقيد وتوريط وتعويق ونذالة نفسية وفكرية واخلاقية ولغوية . اجل ، هل يفسد انسان مثلما يفسد غير الموهوب حين يعلم تعليما عاليا ؟

ولكن من المحتوم الان انك سوف تقاسي وتقاسي اشفاقا على ورثاء لي لانك لا بد ان ترى اني سوف احاول الموت سريعا ، سريعا باية وسيلة جيدة او رديئة ، ذكية او بليدة لكي اتوقع وانتظر ان تلمسني بقلمك كما لمست هؤلاء العشرة من (غير) الناس ، ولانك ايضا لا بد ان ترى ان كل نضالي وآمالي واهتماماتي سوف تتحول الى رقى وتعاويذ السحرك وقهرك لكي اصبح واحدا من عشرة آخرين قادمين من (غير) الناس لا بد ان يخلقهم قلمك خلقا لا تستطيع الطبيعة بكل فنونها ومواهبها وتجاربها وضخامتها وشاعريتها ان تفعل مثله ..

... اينها الطبيعة . ما اقسى احزانك وتقدك لذاتك ان كنت قد ادركت الفرق بين قدرة موهبتك الابداعية وقدرة موهبة قلمه الفنية التصويرية ... ان كنت قد قرأت قراءة غير عربية كتاب : (عشرة من الناس)

القاهرة ١٩٧٥/٤/٢

عبد الله القصيمي

في كتاب (عشرة من الناس)
تأليف (زهير مارديني) :
ادب وتاريخ وفن ووفاء
بقلم : بشير العوف

كتاب : « عشرة من الناس » الذي اصدره ، الزميل الصديق الاستاذ زهير ماردينـي ، كتاب عجيب غريب ، لا يدري معه القارىء ، ان كان يقرأ كتاب ادب ، ام كتاب تاريخ ، ام كتاب سياسة ، ام كتاب مذكرات .. ذلك لانه كان مشتملا على هذا كله ، ببراعة واحاطة ودقة ، وجمال اسلوب، لا يتوفر مثله ، الا للقلة النادرة من الكتاب والمؤلفين .

ولعلي لا اخطىء التقدير اذا اعتبرت هذا الكتاب ، نوعا جديدا من انواع كتب التراجم والاعلام ، وحتى الموسوعات ، لانه على صغر حجمه ، ورغم اقتصاره الحديث على (عشرة من الناس) كان من هذا النوع الذي تحفل بـه المكتبات العربية وغير العربية ، الا انه امتاز بحسن التخلص من جفاف كتب التراجم والاعلام . ومن جمود كتب التاريخ ، فجعل كتابه لذيذا شيقا ، يشد قارئه شدا رقيقا ، لمتابعة قراءته صفحة بعد صفحة ، فصلا بعد فصل ، فلا يلقيه من يده الا بعد اتمام القراءة ، من الغلاف الى الغلاف !

وهناك ميزة اخرى ، امتاز بها كتاب الكاتب الاديب الموفق الاستاذ الماردينـي . واظن انه لا يعرف هذه الميزة ، او لا يحس بها الا الذين عاصروا هؤلاء العشرة من الناس ، او عرفوهم وخالطوهم . فانا حين كنت اقرا القسم المختص بالزعيم السوري الراحل فخري البارودي ، لم يخطر لي ابدا ، انني اقرأ فكر او مقال او انشاء الاستاذ الماردينـي ، وانما كنت اشعر بان البارودي نفسه هو الذي يتكلم ، وهو الذي يناقش ، وهو الذي يحاور ، اراه امامي من خلال صفحات الكتاب ، وكانه واقف بشحمه ولحمه ، بيحته ولهجته ، بتحريك يديه ومط شفتيه ، وكذلك كان حالي حين قرات فارس الخوري ، وعصام العطار ، ومحمد علي الطاهر، وعبد المحسن الاسطواني واديب الشيشكلي وبقية العشرة.. حيث ظننت ــ وبعض الظن اثم ــ ان الاستاذ الماردينـي كان

يتقمص روح ، او يستوحي شخص ، كل من يكتب له او يترجم عنه . وهذا ــ لعمر الحق ــ شيء فوق طاقة اليراعة، واكبر من قدرة اليراعة ، اذ ليس سهلا ان يكون للكاتب او المؤلف ، عشرة اساليب بيانية ، يستعمل كل واحد منها على حدة ، اي عند المناسبة ، او حين الطلب !!

واما فكرة الكتاب ، من ناحية اختيار عشرة رجال (هم في الكتاب ١١ وليسوا عشرة !!) للكتابة عنهم ، وللتاريخ شيء من حياتهم ، التي خاضوا بها غمار العمل الوطني او القومي او العقيدي ، بالرغم من اختلاف اعمالهم ، وتباين معتقداتهم ... فانها على التحقيق (فكرة وفاء) قد اضطلع بها الاستاذ الماردينى ، ليضع ــ اولا ــ بين يدي الاجيال الحاضرة ، نبذا عن رجال كبار ، كان لهم ــ ولا يزال لبعضهم ــ مقام ومقال في الوطن العربي الكبير ، وليمد المكتبة التاريخية ــ ثانيا ــ بحقائق ووقائع ، لا يجوز لها ان تندثر او تنطوي ، وهي التي شغلت حيزاً كبيراً من تاريخ النهضة العربية الحديثة .

واني اذا كنت ارجو شيئا ، فانما ارجو من الاستاذ الماردينى ، ان لا يتوقف في التاليف ، عند هؤلاء العشرة من الناس ، لان هنالك عشرات ، بل مئات آخرين ــ حتى لا اقول الوفا ــ يستحقون ان يكتب عنهم ، وان تترجم بعض اعمالهم ، مع ما رافقها من خطا او صواب ، ومن خير او شر، ومن اساءة او احسان ، تماما كما قدم لنا هؤلاء العشرة على حقيقتهم ، بدون تفرض او تحيز ، غرضه من دون شك ان يبقى وجه الحق ناصعا ، وجوهر الانصاف مشرقا ، اذ هكذا يجب ان يكتب تاريخ الرجال ، لامة تفخر بانها صانعة رجال.

واملي ان يتسلسل تاليف الاستاذ الماردينى، في اصدار اجزاء متلاحقة من هذا النمط ، بحيث يصبح لدينا موسوعة كاملة تتضمن الترجمة الامينة لمختلف رجالات الوطن العربي، شرط المحافظة على نفس الطريق الذي ، خلا من الايجاز المخل ، او الاطالة المملة ، مع العناية بدقة الطبع والتنضيد ، كي يخلو الكتاب من الاخطاء المطبعية النحوية .

ومرة اخرى ، شكرا والف شكر ، للاستاذ الماردينى ، على ما انتج وانجز ، وجزاه الله عن العرب ، وعن المكتبة العربية ، افضل الخيرات

عشرة من الناس

بقلم : اسمى طوبي

عنوان كتاب للاديب المفكر زهير مارديني تكلم فيه عن «عشرة من الناس» من خيرة رجالنا امثال فارس الخوري .. اديب الشيشكلي .. عصام العطار .. وفخري البارودي وغيرهم وغيرهم.. عشرة من الناس ذهبوا وما زالت اسماؤهم ترن في دنيانا العربية متسائلة .. لماذا ذهبوا .. وهل يمن الدهر علينا بامثالهم ؟ الى غير ذلك من التساؤلات المليئة بالالم المكتوم .

ومن بين هؤلاء الافذاذ العشرة عرفت فلسطين مع من عرفت اديب الشيشكلي رحمه الله .. فقد جاء على راس فرق من المناضلين الذين ودوا ان يشتروا فلسطين بدمائهم .. جاء الى فلسطين للهدف السامي نفسه .

واذكر مع ما اذكر اعتزازنا بهم .. وفرحتنا باخواننا السوريين الذين جاؤوا الى جبالنا ليشتركوا بمعارك تحرير فلسطين ..

وهزتنا الفرحة الكبرى .. واجتمعت برفيقات لي من العضوات في الاتحاد النسائي وقد كنت اراسه يومئذ .. اجتمعنا وقررنا اعداد كمية من الكنزات الصوفية التي تلزم الشتاء .. نقدمها ذكرى طيبة لهؤلاء الاخوان الذين تركوا سورية الغالية وجاؤوا الى جبالنا ليناضلوا معنا في معارك تحرير فلسطين كما قلت .

وقررنا في الاتحاد النسائي « العكسي » ان نحمل ما صنعناه بايدينا الى الجبال .. وفعلنا ..

واذكر اننا كنا قد صنعنا لكل كنزة جيبا في صدرها يضع فيه المناضل ما يحب من صورة ام مثلا.. او بيت شعر الى غير ذلك .. واذكر ان الشابات رفيقاتي رحن يتسابقن

في وضع ما يعجبهن .. فهذه مثلا وضعت في الجيب بيتين من الشعر هما :

سيروا على وضح النهار
فالحق من نور ونار
تأبى البطولة ان ترى
أبناءها خلف الستار

وتلك وضعت آية من القرآن الكريم او الانجيل وهكذا .. ثم حملنا الكنزات أكواما وصعدنا الى الجبال .

كيف استقبلنا .. هذا ما لا استطيع وصفه .. ؟

كيف راح كل مناضل يأخذ كنزته ويخرج من جيبها الآية او الشعر فيقرأه وكأنه يبحث عن حظه الى غير ذلك مما كان يسيل دموعنا .

واقبل الزعيم اديب الشيشكلي رحمة الله عليه .. وسأل واستفهم ثم تنحى الي جانبا وتحدثنا .. ثم غاب دقائق وعاد يحمل رسالة فيها بضعة اسطر منها « الامة التي فيها امثالكن لن تضيع » .

والقيت كلمتي وودعنا .. وعدنا الى عكاء التي لم تكن تبعد عن الجبال اكثر من نصف ساعة .

وطلع نور الغد فاذا بالصحف وفي مقدمتها جريدة الدفاع الغراء لصاحبها الاستاذ ابراهيم الشنطي تطلع علينا بهذه المقدمات :

« القرآن والانجيل يتعانقان في صدور المجاهدين »

ثم القصة الكاملة عن الاجتماع بالشيشكلي والمناضلين معه .. الى غير ذلك ..

ايه يا ايام النضال كم دفعنا .. وايه يا فلسطين يا غالية هل نعود اليك ..؟ ومتى؟ وانتم يا حملة الاقلام تعودون بنا الى الامس وتوقظون امثال قلم الاديب زهير مارديني عشتم تغرسون الامل في النفوس .

والى غد مشرق ان شاء الله .

الرئيس
الياس
سركيس

مدرسة تبحث عن تلاميذ



كتبت صفحات كثيرة حول لبنان وما جرى ويجري فيه من احداث دامية ، وابدى كثيرون اسفهم لذلك الدمار المرعب الذي حل فيه ، وكاد يقوضه ، ومع ذلك ، فان الواجهات السياسية والعقائدية التي تحكم الوطن العربي ما تزال بعيدة كل البعد عن فهم الحقائق المجردة التي ادت الى ما ادت اليه من تخريب فاضح واستهتار معيب لجميع الفضائل الانسانية . لهذا ، وبسبب هذا الجهل او التجاهل طالت الازمة وتشعبت حتى يئس من حلها الاصدقاء والاعداء على حد سواء فتركوها للاقدار تتقاذفها مع الرياح الهوج .

وسط هذه الظروف الدامية ، وفي خضم النزاعات اللبنانية التي لا تنتهي وتستمر ابدا في كل تجمع شعبي ، وفي كل شارع ، وفي كل قرية ، وفي صدر اكثر اللبنانيين ـ ان لم نقل كل اللبنانيين ـ بحيث لا يعرف هذا النزاع هدنة حتى في ساعة الخطر المميت ... وفي خضم هذا الاوقيانوس الملون والمضطرب، والمجنون ، دعي الياس سركيس الى دفة الحكم في اسوا المراحل التي عاشها لبنان ..

كان كثيرون من ساسة لبنان قد فقدوا الثقة والاعتبار ، وفشلت خططهم جميعها، وانكشفت حقائقهم للناس ، كل الناس، وانتشرت الميليشيات المسلحة تغطي الساحة ، وامسكت بخناق بيروت الجريحة مؤامرات عميقة ملتوية ، ونزفت دماء لبنانية وسورية وفلسطينية ، والاميركيون يمسكون بجميع الخيوط ويلعبون بها ، وشمخ العدو بوقاحة ، وخيل الى الحياديين ان الياس هو بالفعل الحدى الراحتين ... وفي تلك اللحظة ، وبعد ان جرب كل لبيب وفشل ، انتخب الياس سركيس للرئاسة من المجلس النيابي الذي كان بدوره يلفظ انفاسه ...

جاء الى الحكم يشك فيه الكثيرون ، ويخطط ضده الجميع ، لكنه قضاء لا بد منه .

كان الرجل مزودا بخبرة ربع قرن ، ومثقلا بعداوات ـ لا علاقة له بها ـ ربع قرن .

كيف جاء ... ولماذا جاء ... وماذا بامكانه ان يفعل ... وما هي حظوظه في النجاح ؟

هذه الاسئلة وغيرها ظلت تحتل الساحة اللبنانية والعربية والدولية على مدى ثلاث سنوات ونيف دون ان تحظى باجابات شافية ... لماذا ؟

يصعب على غير اللبناني لا يستشعر الجو الغريب الا بطريقة غير مباشرة ، ان يحكم على المواقف السياسية المحلية ، خاصة اذا كان الياس سركيس (بالذات) هو الرئيس الذي اخذ على عاتقه اضخم مهمة يمكن ان يقبل بها رجل عام . فهو لم يلعب كغيره لعبة الحكم ، كما انه لم يات الى الرئاسة وفق (التطبيقات) المحلية والعربية والدولية التي تختار عادة الرؤساء بعيدا عن الاضواء ، وقبل ان يعرف اصحاب الاصابع التي تصوت ... يضاف الى هذا وذاك وذياك ان الرجل جاء من وسط الشعب ليحكم بدون مؤسسات فاعلة .

جاء الى الرئاسة وكل من حوله ودوا لو فعلوا كل شيء ليحولوا بينه وبينها ، ولكنهم اجبروا على الانتظار ما داموا قد اعطوه اصواتهم ، ولم يكن هناك موضع للكلام والاقناع، واختلطت جميع الاوراق السياسية دفعة واحدة، واطل الواقع المرير بكل هوله ..

غرائز بدائية جمدها الالم ... اخطار مريعة قريبة تزداد كل يوم اقترابا ... اعياء مخيف ... تشاؤم عميق ... كل ذلك لم يضبط الجمهور المسلح .

الياس سركيس كان الورقة الوحيدة ، والاخيرة ، التي يجب ان تلعب .

المواطن العادي هو وحده الذي وقف الى جانب الرئيس ، ولكن ماذا يستطيع الخائف ان يفعل ؟

كان المواطن العادي الاعزل خائفا من كل شيء ، ومن اي شيء ... يخرج من بيته ولا يعلم هل يعود ام تصطاده رصاصة طائشة او متعمدة لا فرق .
على هذا الشكل بدا الرجل عهده مفتتحا معركة اعادة بناء لبنان ، في الوقت الذي ظل الرصاص يرفع معركة الموت ..

كان مقدرا لهذه المعركة المزدوجة ان تستمر سنة من ولاية الرئيس ، ولكن السنة مضت ومعها اخواتها ولم تتوقف . !

طعون قاسية واذى لحق بلبنانيين بارزين ، وتقنيص الابرياء في الشوارع والساحات لم يكن الا رمزا لارهاب كامن قد يرسل عند الاقتضاء اناسا لم يكن لهم ذنب غير مرورهم عرضا امام الحواجز الطيارة ... اناسا من النخبة هربوا من موت الاقبية الى موت الشوارع .

مجرد الدين او العقيدة او الصلة باصدقاء كانت كافية لان تعرض العديد من الابرياء الى التصفية الجسدية ..

وظل الخوف منتشرا في كل الجبهات المفتوحة او المعرضة للفتح ، لكن احدا لم يشعر بشدة وطاته اكثر من الابرياء ، اما من تسلح فلمنه مرتبط بسلاحه صغر ام كبر .

قرى مطوقة ، ومدن محاصرة ، وابنية مدمرة ، واسواق مهجورة ، وعرف لبنان (تشريدة) العصر .. وحين شوهدت في اعالي الجبال ومضات المدفعية البعيدة المدى على الافق بدأ الناس يتنقلون بين السهل والجبل اكثر من مرة في الشهر الواحد .

في كتابه (نبذة عن روح العصر) صور الفيلسوف السياسي (هارولد لاسكي) ـ كما في صدفة ـ الاوضاع التي سادت لبنان خلال اعوام المأساة ، وكان يتناول الاوضاع في اوربا عام ١٩٤٥ .

يقول :

(... وعندما يتسلط الخوف على الجميع ، يبدو ان العقل نفسه اصبح عدو القادة ، اما اولئك الذين يحكمون بان سياستهم مخطئة يصبحون فورا اعداء للناس ، وكلما كان الخوف اعمق زاد ما يتولد عنه من وحشية . لهذا يندفع القادة الذين سلموا السلاح الى انصارهم تحت تاثير منطق مجنون الى القيام باعمال تزداد قسوة لكي يكتبوا ذكريات اخطائهم الاولى . وهم لا يستطيعون التمهل ليفكروا ، لانهم لو فعلوا ذلك ، فكانهم يشكون في ما يعتقدون . وتعمى ابصارهم عما في طريقهم من صعاب ، وتصم اذانهم عن اي تحذير اهم بشانها ، بل ياتي وقت لا يستطيعون فيه تحمل اي مسلح يحمل اخبارا لا ترضيهم فينقضوا عليه ويكون مصيره القتل .. وهكذا يصبحون فريسة لامراض نفسية تساعدهم على بناء عالم اشباح لا تعرف الحقيقة سبيلها اليه، ويبدو لهم وهم في اسرتهم يعاقرون افكارهم . انه ليس هناك شيء

ممكن سوى الانتصار الكامل او الهزيمة الماحقة ، فهم بعدما طرحوا العقل جانبا فقدوا دليلهم الى الطريق الوسط ، لانهم يدركون ان اسوأ ما في الامر قد يقع، ومن ثم يتخذون احتياطهم ضده ، وتصبح السياسة مؤامرة بشعة لا يامن فيها على نفسه الا من يضرب اولا ، وعندئذ تخضع الحياة لوساطة المسلحين، ويصير هؤلاء في نهاية الامر هم الذين يحددون اتجاهات السياسة ، ويؤخذ التسامح اما على انه دليل ضعف واما دليل سوء نية ، ولا يصيب نجاحا الا اولئك الذين يسمع قادة المسلحين في اقوالهم صدى اوهامهم . والتصرف الذي يتم بدافع من نزعة الخوف لا يعرف بين الخطأ والصواب ،ففي ظل الاوضاع التي يسودها الخوف ، تصبح المبادىء عديمة الجدوى ، حيث ان الانتصار بالاسلاح هو معيار الخير الوحيد ، وتؤدي الحاجة الى ان يخفي المرء ما يدور في خلده ، خشية التصفية الجسدية اذا صرح به، وتصبح المهارة في النفاق بضاعة رائجة، ولا يعود للمواطنين العاديين شخصية عامة ، فهم يساقون الى الاختفاء، ويتولى المتعصبون و ((البلطجية)) زمام الامور ، ويستعملون المنافقين والوصوليين ادوات لهم ، وتثير تصرفاتهم عداء بطبيعة الحال ، ولما كان لا بد للارهاب من ان يولد الحقد كما اكتشف كل من روبسبيير وستالين ، فان تغييره يصبح اكثر صعوبة من الوقف ... ولقد مر ٢٥ قرنا تقريبا منذ ان لاحظ ارسطو بدقته المعهودة سمات هذا الوضع بالتفصيل .!)

كنت ما ازال اواصل قراءتي الكتاب عندما بدأت اطالع في الصحف تصريحات المطالبين الرئيس سركيس باستعمال القوة لضرب المسلحين ، كل المسلحين ، فهمست بيني وبين نفسي :

– ترى لماذا يتريث الرئيس الياس سركيس باستعمال القوة المتوفرة بين يديه ؟

من المؤكد ان الذين يطالبون الرئيس سركيس باستعمال القوة قد وصلوا الى درجة اليأس من استعمال العقل ، اليس اليأس قرار المجانين كما يقول ديزرائيللي ؟

ان كل ما جرى ويجري في لبنان لم يدفع الرئيس الى اليأس ... وذلك واضح في جميع تصرفاته منذ قبوله ان يكون المسؤول عن تحقيق المهمة المستحيلة ..

اقول المهمة المستحيلة ، لان الرئيس سركيس ، يصر علـى مـا يظهـر ، بالابقاء على الديمقراطية البرلمانية في الوقت الذي يحكم فيـه العالـم العربـي بدونها ... لقد شجع الحكم الفردي في مصر بقية رؤساء العرب ، في محاولـة تقليد الاسـس ... والاساليب ... والطرق ... والمعانـي التـي سار عليهـا ذلك الحكم ابتداء من الحرص على (قيمة) الاذاعات الى عدسات المصورين... الى مخاطبة الاهواء والعواطف ... الى تجـاوز الحـدود الدبلوماسيـة فـي المعاملات الدولية ... الى استعمال الشتائم والالفاظ في الخطب العامة ... الى الاعتماد الكلي على اجهزة المخابرات والمباحث العامة في سائـر التصرفـات وفي مختلف الاحكام والظروف ... الى الاستهانـة باي صوت معارض والعمل على الفتك به بلا رحمة... كل ذلك كان مشجعا لغير عبد الناصر من المسؤولين العرب على تقليد عبد الناصر ما دام الاخير قد استطاع بكـل ذلـك ان يضمـن لنفسه الاسم، والسمعة، والصيت، والنفوذ، والقوة، والوفاة الاسطورية ..؟

كان الحكم في مصر حافزا لدى الحكام العرب للمضي في الاستهانة بقيمـة شعوبهم ، والاستخفاف باصوات معارضيهم ، والكذب على الله والحق والعباد والتاريـخ ؟

وبالرغم من كل الثورات والانتفاضات والانقلابات ، فان هذا الحكم فـي الوطن العربي ما يزال يعتمد على القوة ، والقوة وحدها ، فكيف يستطيع حاكم واحد ان يحكم ديمقراطيا وسط هذا الاتون اللاهب ؟

ترى هل نحن بحاجة الى تفسير لمثل هذا الكلام (الديمقراطي) ؟

ان المواطن العادي الذي ايد رئيسه عن قناعة يتساءل وكله حرقة والم :

- الى متى يظل يدفع الثمن من امنه وارضه وعرضه وحياتـه ، بينمـا الاشقاء في اموالهم يسبحون . وهذا الدم المسفوح على ارض الجنـوب وارض بيروت هل سيظل متدفقا ؟ وهـذه الاغتيالات التـي تجري علـى ارض لبنـان لمصلحة من ؟ هل فكروا مرة باغتيال زعيم الهاغانا ، او رئيس شتيرن أو قائـد الارغون زفاي ليومي الذي قبله ذاك الرئيس العربي دون الالتفات الى ملاييـن العرب والمسلمين وشعوب عدم الانحياز ؟

تلال حطين لوثت ! عين كارم وملعب الجدلية هناك ، كلها ضاعت .!

مسجد عكا اصبح مزارا لمن يدفع اجرة الدخول ..!

جيل اربعا عنوان ثورة (ابن مريم) في وجه اغراء الشيطان تحول الى قلعة حربية ..!

المسجد الاقصى احتفلوا باحراقه حين راحوا ينقبون في اساساته عن مخلفاتهم .!

ومع ذلك يزهو اللهو والطرب في اذاعات القاهرة ويتنافس الفنانون في وصف سلام رئيسهم على انغام هز البطن ، ويظل شعب لبنان يدفع الثمن لماذا؟

كم تمنيت ان اروي للناس قصة الثورة الفلسطينية في لبنان ، ولكن هل بالامكان الكتابة عنها بصدق ؟

قد يجهل الكثيرون من الذين يدعون الاطلاع على الاسرار ان قادة الثورة الفلسطينية كانوا يعلمون مسبقا اسم المرشح لرئاسة جمهورية لبنان من دون معظم الحكام العرب ، وكل السياسيين اللبنانيين .

ففي ليلة من تلك الليالي السوداء التي يذكرها اللبنانيون جيدا، ويذكرون معها انين الاطفال وبكاء الثكالى ، ونحيب الشيوخ ، واصوات القنابل الصاروخية تدوي رن جرس الهاتف في منزلي ، وكانت الساعة الخامسة صباحا ، واذا بصوت (ابو ...) يدوي : اريد ان اراك الامر هام هل بامكانك الحضور الى صبرا الان ؟

وجمدت الكلمات في حلقي ، فكيف بامكان امثالي تلبية نداء قائد من قواد الثوار في مثل تلك الساعة المجنونة ؟

وبعد حديث قصير اقتنعت باهمية الذهاب حتى لو كلفني الثمن حياتي ... فلو لم يكن الامر خطيرا لما طلبني هذا القيادي ؟

في غرفة مضاءة بالشموع ، بسبب انقطاع التيار الكهربائي ، جلسنا نتحدث بقلوب مفتوحة ، وابصار مطرقة ، وضمائر راحت تنبض فجأة .

ـ هل تعرف الياس سركيس ؟

قال محدثي هذه العبارة وراح يتفحص اثر سؤاله على وجهي .

ـ اعرفه بالاسم فقط ، ولكني سمعت عنه الكثير .. ثم ، لماذا هذا السؤال في وقت تتفاوضون مع بعض العواصم العربية لتجديد انتخاب الرئيس سليمان فرنجية مرة ثانية ...

ـ لا .. هذا خبر قديم ، لقد طلب منا اليوم معرفة رأينا النهائي بانتخاب الياس سركيس رئيسا للجمهورية ، وهذا الاسم مرتبط باذهاننا بقضايا ضده وليست لصالحه ، ثم هناك اكثر من عاصمة نفطية صديقة تعارض هذا الاختيار ، وعلينا ان نقنع هذه العواصم بقبوله اذا اعتقدنا بحياده على الاقل..

ـ هل علي ان اجيب بصراحة ، او بلغة تحمل المعنيين ؟

ـ لا ... بصراحة تامة واستحلفك بمقدساتك ان يظل هذا الامر محصورا بيننا ، فالقضية اهم مما تتصور . (وبعدين) ساشرح لك لماذا هذه السرية .

في حدود ما اعلم ، فان اسم الياس سركيس هو الاسم الذي لم يتلوث في لبنان . فهو الابن الشرعي للشهابية ، ولعلك تذكر جيدا ما سمعناه معا من الرئيس جمال عبد الناصر في منزله بمنشية البكري يوم بدا يسالنا عن لبنان ، ورجالات لبنان ... لقد كان عبد الناصر معجبا باللواء شهاب هذه الشخصية الفذة ، وقد كال له المديح كيلا وكانه يتحدث عن رئيس مجلس للثورة ، وليس عن رئيس يصر على تطوير الديمقراطية دون المساس بالحرية . في ذلك اليوم قلت للرئيس عبد الناصر بحضورك :

(... يا سيادة الرئيس كنت مراسلا لمجلة بيروتية الى جانب مراسلتي لجريدة الجمهورية القاهرية ، وقد طلب مني البكباشي محمد انور السادات الحصول على حديث من الرئيس فؤاد شهاب (كان يومها مشرفا على جريدة الجمهورية) ، وبعد ان اطلع الرئيس شهاب على البرقية استقبلني وقال لي بالحرف :

(اذا حدث وحرفت اقوالي فلن اكون مسرورا ، لا انا ولا الجريدة التي تكتب فيها ، اريد منك ان تذكر ما ارويه لك بكامله ، فليس من عادتي الافضاء بتصريحات صحفية ، ولكن القاهرة عزيزة على لبنان ، والرئيس عبد الناصر عزيز علي ، ولا اريد ان اعرضه للانتقادات في الصحافة اللبنانية الحرة بسببي ، نحن في لبنان لن ننفصل عن الاجماع العربي مهما حدث ، فما يهم العرب عامة وسورية خاصة يهم لبنان ، فحين جاء الينا الاميركان اكثر من مرة يسالوننا عن موقفنا من اسرائيل كنت اجيبهم بصراحة :

لبنان مع العرب ، ومع قضاياهم ، فاذا غضبت اسرائيل من مواقفنا فهذا موضوع يهمها ويهمكم ايضا ، اذا دخل العرب الحرب فسيدخل لبنان فعلا كما جرى عام ١٩٤٨ ، هذا موقف مبدئي فليطمئن الرئيس عبد الناصر من هذه

الناحية ، لقد سبق ان جاءني مورفي ممثلا للحكومة الامريكية وسالني قبل ان اتولى رئاسة الجمهورية : اذا وقعت الحرب مع اسرائيل فهل سيشترك جيش لبنان الصغير فيها ، واذا دخل الحرب الا تعتقدون ان الامر سينتهي باحتلال اجزاء من اراضيكم ، انني انصحكم بالبقاء على الحياد حفاظا على سلامة لبنان .. فقلت له :

ـ انا افضل الف مرة ان يشتبك جيشي مع اليهود على الحدود ، من ان يشتبك شعب لبنان بعضه مع بعض في ساحة البرج ، اما عن الاحتلال فانني لا اعتقد بقدرة احد على ان يعتدي ويحتل ان لم تسنده دولة كبرى كدولتكم ، فهل انتم تؤيدون نوايا غيركم في احتلال اجزاء من بلدي ؟

وانتفض المبعوث الامريكي مؤكدا :

ـ طبعا لا .. لا !

عندها قلت له :

ـ اذن نبقى على موقفنا ولا نشذ عن الصف العربي)

كنت اتكلم والثائر يدون على الورق ما سمعه مني عن شهاب والشهابية بكل سلبياتها وايجابياتها، كان يريد ان يعرف حقيقة موقف الياس سركيس من الثورة الفلسطينية في حال انتخابه رئيسا ، وكان يفاضل بينه وبين العميد ريمون اده ... وكان يقطع حديثي احيانا ليدافع بحرارة عن العميد ... كان معجبا بشخصية العميد ومواقفه الجريئة ، وكان يريد ان يعرف كل شيء عن الياس سركيس ..

وسألته :

اريد ان اعرف حظ كل من المرشحين للرئاسة وفق تقديراتكم ؟ قال :

ـ ان ثلاثة ارباع العواصم العربية ضد سركيس ومع العميد ، اما الشعب في لبنان فاكثريته مع العميد باستثناء الجبهة اللبنانية التي لا اعلم بالضبط حقيقة موقفها ، وفي رايي مجرد معارضة معظم العواصم العربية لسركيس فمعناه ان الرجل سيلتزم بقضايا لبنان اكثر من التزامه بالقضايا المتصارعة على ارضه ..

وعلينا ان نؤيد الرجل الذي يؤيد قضايا بلده .. وانت ما هو رايك ؟
قلت له :

اذا كنتم تريدون الاستفادة من وجود رجل له مثل ماضي الياس سركيس ونظافته ، فعليكم ان تعيدوا الثورة الفلسطينية الى منطلقاتها الاولى ، الى طابعها الثوري الاصيل ، وعلى الثورة ان تنفض يدها من كل ما هو عكس ذلك ... الثورة كتمان ، والثورة غموض ، والثورة زهد في الاسماء والمظاهر والاعلان والدعاية ، والثورة تنظيم وربط واتصالات بين من في الداخل ومن في الخارج . الثورة لا تتفاءل ولا تتشاءم ولا تتسامح ولا تغرق في الضحك ، واخيراً الثورة لا تنافق . . ولا تجامل ، ولا تخاف لانها تكفر بالدجل الدبلوماسي والمهادنة ...

وافترقنا على وعد باللقاء اثر عودته من زيارته للعاصمة النفطية الرافضة لانتخاب الياس سركيس ...

طار الى العاصمة النفطية ثم الى الجزائر ... ثم عاد الى بيروت واخبرني هاتفيا بانه قال في العاصمة الرافضة لسركيس :

(ان الفلسطيني الثائر يرفض اخذ دروس في الوطنية من احد ... لقد آن الاوان لكي تعرف الثورة ما تريد) وسالته :

- قمحة ام شعيرة ؟ فقال :

قمحة ...

وعرفت ان الثورة الفلسطينية لا تعارض انتخاب الرئيس سركيس ، ولكن هل ظلت وفية لمبادىء الثورة الاصيلة ؟

ان الجواب على هذا السؤال لا بد ان ياتي من الرئيس اللبناني الذي عاش المأساة الفلسطينية اللبنانية وما يزال . .

كل من شابت اقداره امتهان الصحافة تعرف كما تعرفت على معظم الرجال الذين حكموا هذا الشرق ولعبوا بمقدراته ... بعضهم سقط قتيلا ثم نسيه الناس ، وبعضهم انتهى قبل ان يسقط . . ومضوا كلهم ، او معظمهم، الحاكم مع الديكتاتور ، ومع ذلك فان القليل من هؤلاء يستحق صفحات مطولة من التاريخ المعاصر . . واعتقد ان الرئيس الياس سركيس لا بد ان يذكره التاريخ لسبب واحد هو انه رفض ان يحكم لبنان بالقوة التي كانت مهياة له . .

ان عروس التاريخ ليست صعبة الارضاء ، يكفي ان يتمسك الرئيس بالحرية لتعترف به ، الهنات السجلة والقيل والقال قد تهدم - ويجب ان

تهدم ـ صغار الرجال ، ولكنها لا تؤثر فيمن شغلوا بشرف ، المراكز الاولى في اشد العواصف ...

سنة .. سنتان ... عشر بدون شك ، سيعطي هـذا الرجـل قيمتـه الحقيقيـة ..

ان الياس سركيس الذي استلـم الدولة وهـي في القنـاع ، وراح يلملـم مؤسساتها من ارصفة الشوارع ، كان واحدا من محبي الحرية ، والحقيقة ان الياس سركيس جسد لبنان وعبر عنه ... وبقدر ما يستطيـع اي فـرد مـن الناس ان يكون شعبا ، كان سركيس ابنان .. وكل انسان سيلتقـي بمعركتـه كمعركة واترلو .. ذات يوم سيلتقي بمصيره ... والتمنيات كما يقول فولتير ، احلى انواع السعادة ، لقد تمنى الياس سركيس ان ينقذ لبنـان وحـده فهـل سينتصر ؟

انني اطرح هذا السؤال على نفسي اولا ، واطلق للخيالي العنان ..

فكل ما اراه ظلام في ظلام .!

واجلس لاقرا الصحف ، او اسمع الاذاعات ، او اشاهد التلفزيون ، فـلا تقع عيني الا على كل صوت عدائي ، وكل حوار مشبوه ، وكل كلام مغلوط... ولا يدافع عن لبنان الحر ، لبنان الديمقراطي، الا تلامذة هواة يتكلمون بينادقهم فيخسرون الحوار لحساب عدو ماكر خبيـر ، وابحث عـن الاصوات العربيـة القادرة على مساعدة لبنان فلا اجد لها اثرا ... واسال عن الجامعة العربيـة التي نقلوها بقرار من القاهرة الى تونس فاجدها ما تزال في القاهرة كان شيئـا لم يكن ... واستفسر عن القادة العرب الذين كانوا ياتون الى لبنان ويمـلاون الصحف بمدحه شعرا ونثرا فاذا بهم يختفون ، كلهم يخاف علـى راسه وسط هياج الرصاص ... كلهم كالقرود لا يريد ان يتكلم ، ولا يريد ان يسمـع ، ولا يريد ان يرى ... والساحة كلها متروكة للعدو الذي يزور ارض لبنان وسماء لبنان يسرح ويمرح وكانه ابو مسلم الخراساني يردد على مسامعنا من جديـد قولـه :

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت	عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا
ما زلت اسعى بجهدي في دمارهـم	والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهـم بالسيف فانتبهـوا	من نومة لـم ينمهـا قبلهم احد
ومن رعى غنمـا في ارض مسبعـة	ونام عنهـا تولـى رعيهـا الاسد

يقول هوراس :

(لا يستطيع المرء ان يعرف كل شيء ، لكن بالنسبة الـي ، كلمـا زادت معرفتي زادت احزاني)

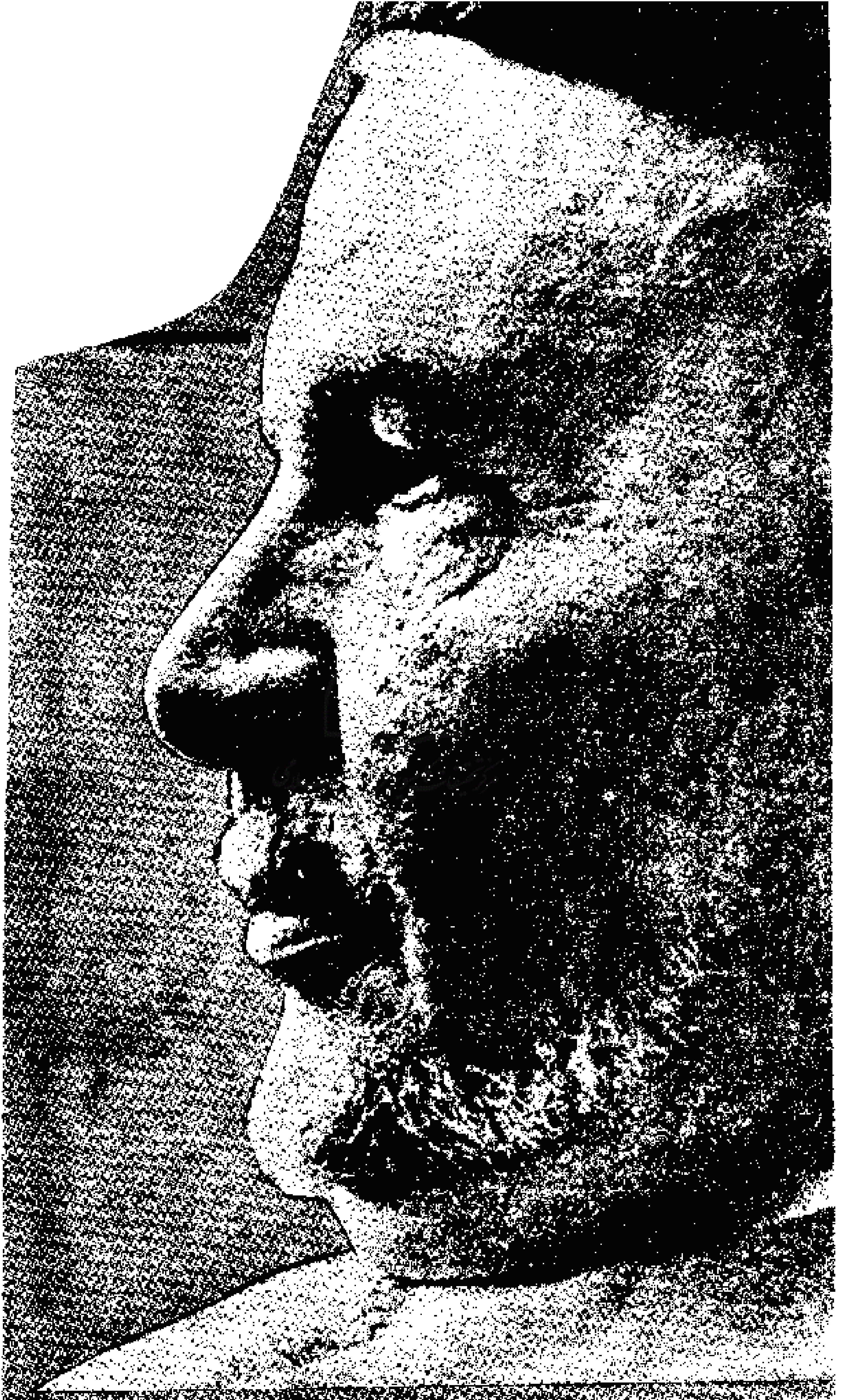
هذه العبارات الموجعة تنطبق على كل من يريد الاقتراب من لبنان ومـا يجري فيه ، ولعل اكثر المتألمين هو الرئيس اللبناني وقد سمعت هنا من احد المقربين منه الذي يلازمه وينقل عنه اقواله ، هل اذكر هنا كم مرة استقال ثم سرعان ما سحب استقالته ؟

هل اذكر ماذا يسمع من الشخصيات التي يستقبلها في بعبدا ، ثم يقرأ تصريحاتهم فيحزن .!

صحيح أن العواصم العربية والدولية التي كانت تعارض وصوله الـى الرئاسة قد انقلبت الى مؤيدة لـه ... وصحيـح ايضا ان اصدقـاءه بالامس قد اصبحوا ضده ... وخصومه بالامس تحولوا الى حياديين ، ولكن الصحيح ايضا ان كل ما يسمعه من هؤلاء واولئك لا يتعدى الكلام ، وحـين يأتـي دور الفعل تصبح اذانهم مغلقة .. ومع ذلك فان الرجل ما يزال واقفا على رجليه في يده اليمين الدستور ، وفي شماله الحرية ... لقد تحول الرئيس اللبناني الى ظاهرة ، او على الاصح مدرسة ما تزال تبحث عن تلاميذ ..

علال الفاسي

العرب ١٢٠ مليون خائف



من اراد ان يتعرف على معدن الرجال الحقيقيين لا بـد له مـن التعرف على تلك الشخصية الفذة في دنيا العرب . ابتسامة حلوة ... وتواضع رفيع ... وشموخ وطني ... ونبرات صدق تختلط في الحديث ، واناقة ، وترفع ، وعلم ... يا لعلمه الزاخر

انه علال الفاسي ، الشخصية العربية الاسلامية التـي تنبـع الحنكـة والحكمة من اعماقها . انه زعيم حزب الاستقلال المغربي الـذي فرض نفسه على احزاب المشرق العربي ، يوم كان في هذا المشرق احزاب تناضل للنضال ، وتجاهد للجهاد ، وتفتح صدرها للموت .

انه القائد السياسي الذي استطاع ان يجعل المبدأ اغلـى مـن المنصب مهمـا عـلا ...

انه المؤمن الذي عاش باختياره سنوات من القهر السياسي فيمـا بلاده تنعم بالاستقلال الذي جاهد من اجله ...

انه المناضل الذي عرف لحمه الهجرة السياسية وقسوتها عندمـا كـان وطنه تحت الاحتلال ...

انه الاسم الكبير الذي رافق معارك العروبة والاسلام منـذ نصف قرن ونيف ، فكان من مؤسسي رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمـة ، ومـن فطاحل المحاضرين في الفكر الاسلامي ، والحضارة الاسلامية في جامعة فاس ، وفي بعض جامعات العالم ...

انه المعارض الذي يملك القدرة على ان يقول لا ... بينما بعض مـن

حوله يقولون نعم !

انه المجاهد الذي اعترف بصدق جهاده كل من واكب مسيرة حياته •

هذا الزعيم ••• هذا القائد ••• هذا المناضل المؤمن ••• هذا المجاهد الصـــادق •••

هذا الابن البار للعروبة والاسلام ، فاجأته الازمة القلبية في (بوخارست) خلال زيارة كان يقوم بها للرئيس الروماني (نيقـولاي تشاوشيسكـو) ؛ وفي الطريق سكت القلب الكبير الذي ظل يخفـق بحب العروبـة والاسلام والمثل العربية طوال (٦٤) عاما ؛ هي كل ما جاد عليه القدر من سني الحياة •

وقضى علال الفاسي من الارهاق ، ومن النضال الطويل المر الذي لـم يعرف خلالـه الراحـة •

و (الارهاق) عقوبة يفرضها القدر على كل انسان ابتلـي بالطمـوح العريض ، ولهـذا سلـم عمـر الانسان العـادي ، والكسول ؛ والمنافـق ، والانتهازي ، وبائع الضمير في سوق نخاسة الفكر والسياسة ••

(الارهاق) هو المرض الذي يصيب كل انسان مثالي ، وكل من لديـه ضمير حي ؛ ولهذا استراح المتخاذلون ، والمؤلفة قلوبهم ؛ والعاملون لحساب غـيرهم • !

ولو خير علال الفاسي صاحب المبدأ ، بين الراحـة والتعب ، لاختـار الثانية حيث يجد لديها امنه وطمأنينته •• !

لم تقم ازمة القلب بزيارته في بوخارست للمرة الاولى ، فقد سبق لهـا ان زارته مثنى وثلاث ورباع ، وكان في كل مرة يسخر منها ، فهو يؤمـن في قرارة نفسه بان الساعة محتومة ، ولا رد لقضاء الله ؛ ففـي عـام (١٩٧٣) العام الذي سبق الوفاة كانت زيارتها ما قبل الاخيرة ؛ وذهب عـلال الفاسي الى باريس حيث امضى بضعة اسابيع في المستشفى ، ثم غادره واثـار التعب

بادية على وجهه ، ومع ذلك لم يوقف نشاطه من اجل وطنه ، ومن اجل امتـــه الاسلاميـــة .

عاد علال الفاسي الى وطنه وقد اصبح الارهاق يعيش في جسده ، وظهر اثار التعب على وجهه وبدأت ملامحه تتغير ، ولكن شيئا واحدا في وجهه لـــم يتغير هو نظرته الثاقبة الى مشاكل هذا الوطن العربي الكبير المعذب .

حين كانت اسلاك البرق تنعي الرجل صادف ان كان في مكتبـــي بعض طلاب الصف النهائي في كلية الصحافة (الجامعة اللبنانية) ، وسألتهم عنه :

اجابني تسعة منهم :

ــ لم نسمـــع بهـــذا الاسم ؟

اما العاشر فربما ردد وهو يستنجد بذاكرته :

ــ علال الفاسي ... آه علال الفاسي سياسي مغربي ... وسكت !

ترى من هو المسؤول عن هذا الجحود في الساحة العربية ؟

الا تستحق هذه الشخصية المجيدة ان تقدم للاجيال باطـــار مـــن اللياقـــة التاريخيـــة ؟

من المدهش ان تصغي الى علال الفاسي في عام ١٩٧٤ ــ عام وفاتـــه ــ وكأنك تصغي الى شاب يفضي اليك باراء لـــم يهزمهـــا العصر ، لانهـــا مـــع الحقيقة ، ومـــع التاريخ .

لقد امضى عمره يعطي حركته التاريخية (حزب الاستقلال) كـــل سني حياته الحافلة بالتجارب ، فلم يستسلم ، ولم يهادن لانه يؤمن في اعماق اعماقه بأنه لا يمكن انقاذ الوطن العربي الكبير الا بمنحه الحرية السياسية والحريـــة الاجتماعية ، وقد صهر هذا الهدف النبيل في اطر حزبيـــة واضحـــة المعالـــم والاهـــداف .

لقد نظر الى امراض العرب ، كل العرب ، نظرة رجل الدولة ، والعالم ،

والسياسي ، وبتعبير اوضح لقد نظر الى امراض العرب نظرة (المعلم) ، لهذا اصبح منذ عام ١٩٣٠ حامل جرس الانذار المبكر ... فمنذ ذلك التاريخ وهناك في المغرب العربي مؤسستان ، مؤسسة الحكم ، ومؤسسة مراقبة الحكم ، احدهما يعمل ، والاخر يلاحق الاخطاء ، وكان جرس الانذار يرن باستمرار دون توقف .

هناك الحكم بمسؤولياته المكثفة يتجسد في الحكام، وهنا ضمير الشعب اليقظ الذي يراقب ، وينذر و ... يتحدى !

ولان هذ الحقيقة غابت عن معظم حكام الوطن العربي ، كانت الازمات السياسية والاجتماعية تتوالى فتأخذ بخناق الشعب وتدفعه دفعا الى حافة الهاوية .. فحين ينكر الحاكم ضمير الشعب ، يتصرف بوحي من نزواته فتأتي الكارثة ..

كثيرون يتذكرون معي تلك الواقعة التي حدثت هنا في لبنان ، وكانت موضع تقدير واعجاب كل من شاهدها ، او سمع بها .

لقد حدث ان قام علال الفاسي بزيارة بيروت في عام ١٩٧٠ ، وكان في استقباله في المطار السيد احمد بن سوده سفير المملكة المغربية في لبنان، وكان الفاسي يقود في حينه معارضة قاسية ضد الحكم في بلاده ، ويهز بضراوة جرس انذاره ...

وحين كان الفاسي يغادر سلم الطائرة كان السفير اول من وصل اليه وعانقه ووضع نفسه تحت تصرفه ، وشده المستقبلون وكثر الهمس بينهم .

فلم يسبق لاي معارض علني ان استقبل كما يستقبل الحكام الكبار... كيف حدث هذا ؟

وصل الهمس الى مسامع السفير الاديب فأخذ يضحك قائلا للمستغربين:

نحن في المغرب لا نفرق بين الحكام والمعارضين ..! والحقيقة انهم في المغرب لا يفرقون بين الحكام وعلال الفاسي فقط ..!

وحل علال الفاسي الذي ملأت تصريحاته المعارضة لحكام المغرب معظم الصحف العالمية ، حل في دار سفير المملكة المغربية .

كان علال الفاسي يحمل معه ، اينما حل ، وكيفما ارتحل وطنه الكبير بكل همومه ومعاناته ، ثلاث كلمات لا يسمح الفاسي لاحد ان يذكرها بدون أن يسبقها بالتقديس : (الله ، الوطن ، الحرية) . فحيثما جلس ، وكيفما توجه يرقب ما يجري بوطنه بقلب ينبض بالحب ...

دوره ايام الكفاح من أجل الاستقلال ، وايام المحافظة على الاستقلال ، لم يتغير ... انه دائما يمثل ضمير الشعب .

سألته مرة عقب اصابته بالنوبة القلبية الثانية عن صحته فعرف المغزى من سؤالي واردف :

لا تقلقوا .. المغرب بخير ... هناك اخطاء بالفعل ، وهناك من يعمل على تصحيحها ، تخلصنا والحمد لله من اوفقير ، وبقي ان نتخلص من اثاره ، وهي اثار تحتاج الى وقت طويل لاستئصالها . وسألته :

ـ هل انت راض عن اوضاعكم العامة ؟ اجاب :

ـ الاوضاع العامة تحتاج الى جهود المؤمنين بالحرية الذين لديهم الجرأة بانتقاد أنفسهم باستمرار ، فالحديث الشريف يقول :

(حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوا اعمالكم قبل ان توزن عليكم) .

لم يكن علال الفاسي في هذا اللقاء متألما فقط من التجاوزات التي كانت تجري في وطنه الذي يحبه كأعمق ما يكون الحب ويتفانى في خدمته كأروع ما يكون التفاني ، بل كان متألما اكثر من ضياع الحرية في البقاع العربية في وطنه الكبير ..

انني اذكر اليوم ـ بعد ان قضى الفاسي من (الارهاق) اقواله بحق

اعداء الحرية فلا أملك الا ان أصرخ :

ــ يا الهي هل كان الرجل يتنبأ بالمصير الذي زحف اليــه الوطن علــى ايدي جزاري الحرية ! لقد كان يردد وبألم ظاهر :

ان اعداء الحرية في الوطن العربي سيذبحون الوطن ، فليت قادة العرب يدركون ان عداءهم للحرية انما هو عداء لامتهم ..

ويرمي الرجل بسبحته جانبا ، ويتهدج صوته ويرتفع رويدا رويــدا ، ويحدق في وجهي ويقول :

(... انا اعرفك جيدا ، واعرف جرأتك التي تبلــغ حــدود الجنــون احيانا ، لهذا اقول لك اكتب على لساني انه في سنة ١٩٦٧ كــان في المعركــة فقط (٢٢٠) الف انسان من مئة مليون ، أي اقل من ربع في المئة من مجموع العرب ، حتى الدول المحيطة بالبقعة الموبوءة وهي تعد خمسي الامة العربيــة لم تجند سوى (٤ر٠) بالمئة من امكانها البشري ، وما مــن امــة تحارب اليوم بأقل من عشرة بالمئة ، وانما حاربنا اليهود ــ بالعــار ــ ، عــدا كــل التكنولوجيا الامريكية وراءهم ، بـ ١٧ بالمئة مــن اعدادهــم ...) ويمضي الرجل الكبير قائــلا :

(... وهكذا حارب العرب ، رسميا ، ولكنهم لم يكونوا موجوديــن بالفعل في المعركة ، ولم تأخذ كلمة عربي لا في المعركة ولا قبلها ولا بعدهــا ، معناها السياسي النضالي الكامل . بقيت اربعة حروف فارغة من المحتــوى ، وبدلا من ان تأخذ ابعادها الشاملة منذ ذلك اليوم الاسود، فتحتوي الاقليمية الضيقة اذا بهذه الاقليمية تحتويها وتستخدمها ... برز المصري ، والمغربي ، والاردني ، والسوري ، والعراقي ، وعادت اللعبة القديمة ضمــن الحــدود القديمة ايضا وفي اطارات التجزئة التي اوجدها الاجنبي فاذا بنا تتمسك بهــا نحن ونغطيها باسم الواقعية كامل فلسفتها وقوامها المــادي ... هــل نسي الناس يا ترى ان عــار ١٩٦٧ لــم يلبس الســوري او المغربــي او المصري او العراقي ولكنه لبس العرب ، كافة العرب ؟

ثم اين العنصر البشري في المعركة : اعدادا وتنظيما وفعالية ، العنصر البشري ليس (صف عسكر) في خط مستقيم ، ولا تعداد غنم مما يعدون.. انه تحويل للشعب كافة من مجتمع سلام الى مجتمع حرب ... لهذا عندما جاءت المعركة كانت الانظمة وحدها هناك ! أما المواطن العربي فكان غريبا عنها غربة كاملة لانه كان مبعدا عنها الابعاد الكامل ، بدلا من الاسلحة الفاسدة سنة ١٩٤٨ كانت هناك الادمغة الفاسدة ... اما الشعوب فلم تكن بحاجة الى تلك الازمة السوداء سنة ١٩٦٧ لتعرف ما بينها وبين الانظمة من انقطاع وغربة ، كانت قد انقطعت عنها منذ زمن طويل ... طويل !) .

ويتوقف الرجل قليلا عن الكلام ، ثم سرعان ما يستأنفه بنبرات اقوى فيقول :

(... لا تكذبوا على الناس وانتم تكتبون ، لقد زرت جميع ملوك ورؤساء العرب وحدثتهم عن المصير العربي فوجدتهم ، نعم وجدتهم جميعا غير متفقين على شيء ، لا على حرب شاملة ولا سلم شامل ولا نصف حرب او نصف سلم ، ولا فداء ولا تسوية ... اما الوضع العربي الفكري فلا ابأس ولا أشقى ! ان الـ (١٢٠) مليون عربي الذي نزهو بهم هم الان عبء لا قوة ، انهم ١٢٠ مليون فم يأكل ، يستهلك ، لا (٢٤٠) مليون يد تعمل ، وبينما تقرض الجيوش كالمقراض ٥٠ ، ٦٠ ، ٧٠ بالمئة من الموازنات ، يقرض الجهل والمرض ، والفتوة الديمقراطية ، وسوء استغلال الثروة ما يتبقى . ومع ان الجامعات تدفع الى السوق بمئات الالوف من الجامعيين ، فان نوعا من القدر الاوديبي الشرس يلقي بهذه الجموع في البحر ... كالخراف تلقيها، بكل عصا طردها او تدمر ... انها العشب الشيطاني الذي اذا استشرى أكل حتى قمم الاشجار ، والقمم ، مع الفروع المصفقة دون ثمر ولا كفاية يجب ان تدافع عن نفسها ، أليست لها قوة الدفاع عن المكاسب والمصالح؟

ومن المؤسف بالمقابل ان هذه الطلائع الاختصاصية التي لا نضعها في

مواضعها ، ولا نحسن الاستفادة منها كثروة بشرية لم تتمتع هي نفسها بعد بالموقف المستقبلي ، شعورها بالغد ضامر حتى الذهول ، الركض اليومي وراء الخبز او وراء الخبز الاحسن الهاها حتى الان عن الطموح ، عن حمل الهموم، عن المعاناة ، وانما تنفجر النهضات في تلك اللحظات الملهمة الوهاجة من تاريخ الامم التي تكون فيها مسؤولية المستقبل اكبر وزنا بكثير من الحاح الواقع واغراء العنادل فيه ، تنفجر حين تصبح الطلائع استشراقا كلها وتوقا عنيفا الى الغد !

ثم انظروا معي الى الوضع الشعبي العربي الممتد جوعا كقطع الليل ، انه الوضع المخجل ، ان كان ثمة من انسان ذي بعد واحد او بدون ابعاد ابداً فهو هذا الانسان العربي ، مأساته انه الضحية التي لا تعرف انها ضحية ... عقدته الكبرى هي الخوف ... انه غذاؤه اليومي ، لا الفصام ولا أي داء من ادواء السيكوباتية المعقدة هي مشكلته ... انها بكل بساطة (الفوبيا) .. (البان فوبيا) ان شئتم ... انه خائف ، الخوف عنده رفيق العمر ، يلتصق به وهو طفل (بعبعا) و (غولا) يسكن الظلام . ثم يلحقه عصا بيد المعلم في المدرسة او عصا من (العيب) والتقاليد في المجتمع ، فان شب تكفلت (المباحث) او (المخابرات) بان تلهث وراءه طول عمره الباقي ... نحن ببساطة ١٢٠ مليون خائف على المال ، وعلى الصحة ، وعلى الولد ، وعلى المستقبل ، على الوظيفة ... كلنا خائفون ...

وبعد حزيران الاسود ، كان الفشل الاكبر الذي سجل هو ان ذلك الخوف لم يتحول الى شعور كارث بالخطر ... ظل خوفا من توافه الخوف على المصالح الانانية ، وفي اطار الموجة القصيرة من المصالح ... لم يصبح شعورا جماعيا بالكارثة ، يفترس الجموع ويلصقها بعضها ببعض كالصخر . لم يصبح من تلك الاخطار المصيرية التي تهز الشعوب حتى النخاع الشوكي.. ظل في حدود الذات الفردية ولم يتسع حتى يشمل الامة كلها ، لا اجتمع في قناة واحدة ولا اخذ حده الاقصى من التوتر الايجابي ، ولا اتجه نحو العدو

الواضح ••• حتى الان ؛ وبسبب فقدان الحرية ، لم تستطع القيادات السياسية ، ولا الفكرية ان تكشف خطر العدو في حجمه الحقيقي ••• لم تفهم كيف نجعل الخطر في منزلة فقدان الخبز ••• من المسؤول عن كل هذا ؟

انهم هؤلاء الذين وأدوا الحرية للبقاء في مناصبهم) ••

وسألته : لقد وصفت الداء فماذا عندك من دواء ؟

رد بقوله :

(••• لا دواء اذا لم يؤمن الحكام بالحرية ، ولا بد من وصل ما انقطع من تاريخ الامة ، لقد جاءت الثورات والانقلابات بتاريخ مزيف ، وعلينا الان دفن الزيف والعودة الى اصالة تاريخنا لنستأنف المسيرة) •

الحديث الشريف الذي ذكره علال الفاسي في حديثه وهو يستعرض هموم الوطن سبق له ان شرحه في كتاب يقع في (٤٣٢) صفحة • اصدره عام ١٩٢٥ تحت عنوان (النقد الذاتي) وضمنه خلاصة تجاربه الفكرية والسياسية والاجتماعية •

في هذا الكتاب اوضح باسهاب ان الحركة الاستقلالية لا تتم رسالتها الا اذا جعلت من مهامها الاساسية تكوين الاستقلال الشخصي الذي يجعل من الفردية المتطرفة انانية متوجهة نحو مصالح الامة ومنافع المجتمع ؛ وبهذا نستطيع ان نبعث في النفوس تلك الروحية التي كونت من اسلامنا اولياء ممتازين ، وابطال متفوقين لا يغارون الا على حقوق الله والوطن ، ولا يتنافسون الا في السبق لخدمة الكل ومساعدته على التحرر والانطلاق في جو يسوده الحرية الكاملة ، ولا يعملون لغاية ، الا غاية السمو الروحي الذي يلتمس جزاءه في الذكر الطيب، والحديث الحسن، والثواب الالهي الموعود••

وطالما ردد في كتابه :

(تلك هي رسالة المغرب التي يجب ان يضطلع بها المفكرون من اخواننا،

وتلك هي الغاية التي يجب ان تتبارى في خدمتها النخبة من حملة الاقلام الذين يريدون ان يسهموا بقسط وافر من تطور ذهنية امتهم ، وتجديد روحانيتها ، حتى تستعد لتحمل المسؤولية الكبرى التي نعمل جميعا لادراكها) .

كان علال الفاسي من المعجبين بابن خلدون ، وكان يقول : ان هذا العالم الاجتماعي هو اول من ابتكر علم الاجتماع ، ولو ان المسلمين استفادوا من ابتكاره وواصلوا العمل في الاتجاه الذي وضعه ، او اصلحوه لكان حالهم اليوم حال شعب راق متعلم ، ولكنهم يا للاسف اغفلوا اراءه ، ولم ينسجوا على منواله ، فاصبحوا من الخمود والجمود بما اوقعهم في هذه الهوة السحيقة من الجهل والانحطاط .

الذين عرفوا علال الفاسي قبل ٣٠ عاما مناضلا يسكن شقة متواضعة في احدى دور الاوقاف (شارع عبد الخالق ثروت) بالقاهرة حيث مكاتب الحركات الوطنية لدول شمال افريقيا (لم تكن حركات النضال قد تعرفت على الدور الفخمة والقصور) ، ثم اجتمعوا به في ايامه الاخيرة اثر عودته من زيارة خاطفة للعراق والسعودية وسورية والاردن والخليج ، سمعوا منه ذات العبارات التي يصر باستمرار على ترديدها ومنها :

(لا حل لامراض البلدان العربية الا بالحرية والديمقراطية) ، وهذا الحل بنظره يمكن ان يكون صالحا للقضية الفلسطينية ..

ان الحل كما يعرضه الرجل يتلخص بتأسيس دولة لا دينية فلسطينية في المنطقة التي تسمى الان باسرائيل ، واعطاؤها اسم (الجمهورية الديمقراطية الفلسطينية) .. يوضع لها دستور بواسطة مؤتمر تأسيسي على اساس الوفاق بين الديانات والطوائف ؛ وعلى هذا الاساس توزع السلطة ، وتكون اللغتان العربية والعبرية رسميتين للدولة . مع ضمان حرية جميع الطوائف في ممارسة شعائرها الدينية ، ويمكن لهذه الدولة ان تقبل كعضو في الجامعة

العربية اذا رغبت في ذلـك ...

ترى هل كان يتحدث بمشروعه هذا مع الرئيس الروماني تشاوشيسكو حين سكت قلبه .

ويرفض علال الفاسي قرار مجلس الامن ٢٤٢ لانه يلغي القضية الفلسطينية من اساسها .

ولان الديمقراطية بنظره هي الحل الامثل لقضايا البلدان العربية ، ظل يدافع عنها في وطنه ضمن نطاق الملكية التي اختارها الشعب عن طيبة خاطر .. ويعتبر علال الفاسي العرش المغربي جزءا من التراث ومكونات المغرب ، فهو عرش ليس بالدخيل ، بل وريث حضارة عربية اندلسية ، وهو رمز للوحدة الوطنية ، وكان يصر دائما وابدا على ان تكون الانتخابات في المغرب حرة وهذه الانتخابات الحرة بامكانها وحدها ان تأتي بحكومة قادرة على الحكم الصحيح ...

وحين تسأله لماذا يصر دائما على بقاء العرش في المغرب يجيبك بما معناه:

(... ان العائلة العلوية الحاضرة تولت العرش سنة ١٦٦٤ بعد التي سبقتها ، وهي عائلات الادارسة والمرابطين والموحدين والمرنيين والسعديين.. ويرجع العلويون الى منطقة (تافيلالت) بالجنوب ، وما يزال قبر مؤسس العائلة يزار هناك ... واعظم ملوك العلويين هو مولاي اسماعيل (١٦٧٢ ــ ١٧١٧) وكانت له شخصية لا تقهر استطاع بها ان يحكم البلاد مدة خمسين عاما ظلت خلالها موحدة قوية ، وقد فتح التجارة مع لندن ، ودخل في علاقات دبلوماسية مع تشارلز الثاني . في عام ١٩٠٤ وقعت انكلترا وفرنسا ميثاقا سريا احتفظت بمقتضاه بان تكون مطلقة اليد في مصر مقابل الموافقة على ان لفرنسا حقوق مماثلة فيما يتعلق بمراكش ... وبعد ذلك بقليل عقدت فرنسا اتفاقا مماثلا مع اسبانيا للمحافظة على الحقوق الاسبانية في مراكش ، وفي عام ١٩٠٦ عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء الذي ضمن بعض الحقوق المراكشية ولكنه جعل

فرض الحماية الاجنبية على مراكش امرا لا مفر منه . فقد اعلن العقد سيادة السلطان واستقلاله وسلامة امبراطوريته والحرية الاقتصادية بالنسبة للموقعين عليه ، وانتهت مبادىء السيادة الاجنبية على يد السلطان سيدي محمد الخامس ، وقد شهدت الاعوام العشرة التي سبقتها نضال علال الفاسي واخوانه من اعضاء حزب الاستقلال .

اذا كان علال الفاسي قد اختار ركوب المخاطر ايام النضال المرير لانتزاع حقوق وطنه من ايدي الفرنسيين ، فانه ظل وفيا لعهوده التي قطعها لابناء وطنه حين اختار المعارضة العاقلة ايام الاستقلال ، لقد ظلت المعارضة سنوات عديدة متمركزة حول اسمه ، لقد اختار اشواك طريقها على نعومة طريق الحكم الذي فتح له ذراعيه ..

وفور اقدام الملك على اعلان الدستور عام ١٩٧٠ ظهرت الكتلة الوطنية التي تضم الحزب الاول (الاستقلال) مع (الاتحاد الوطني للقوى الشعبية) المنشق اصلا عن الحزب الام (الاستقلال) . وهذا الاسم (الكتلة الوطنية) كان موجودا في مرحلة الحماية الفرنسية على شكل حزب يسمى (الحزب الوطني) ، ثم اسس قادته حزب الاستقلال بزعامة علال الفاسي ، وبذلك حافظت الحياة السياسية في المغرب العربي على تقاليدها العريقة .

شهد علال الفاسي حادث الصخيرات حيث كان احد المدعوين الذين كتبت لهم النجاة ، يومها قال الرجل :

(ان القدرة الالهية هي التي انقذت المغرب من الانفلات الذي عاشته بلدان الانقلابات في الوطن العربي) .. وبهذه العبارة حسم علال الفاسي كل شك يمكن ان يثار حول ولاء المعارضة للعرش ، وكانت شروطه للمساهمة في الانقاذ :

ـ برنامج للتعريب ... وتصفية القواعد الاجنبية ... واقرار مبدأ الديمقراطية الفعلي .

في منزلي ببيروت حيث كانت تعقد ندوة الاثنين في كل اسبوع ، تحلق حول الرجل السادة : (عارف النكدي ، كاظم الصلح ، جواد بولس ، يوسف يزبك ، مصطفى مرعي) وسألوه عن حادث الصخيرات ، اجاب :

(.. ما جرى في الصخيرات نبه الجميع الى ضرورة الاخذ بالحيطة والحذر ، ووضع الثقة في موضعها ، وبعد حادث الصخيرات يجب ان يكون الشعب وحده هو الذي توضع فيه الثقة ليقرر مصيره بنفسه وبحرية تامة ، فالشعب المغربي بحكم تاريخه الطويل غير مهيأ للدكتاتورية مطلقا ، ولن يتخلى عن حريته وديمقراطيته ... ان تشرشل يقول ان الحكم النيابي غير صالح ، ولكنه اقل سوءا من جميع الانظمة التي عرفها العالم .) .

لا اعتقد ان الشعب في المشرق العربي يعرف الكثير عن نضال المغرب العربي ... لهذا كنت الح باستمرار على الواحل الكبير ان يسجل مذكراته ويطبعها في حياته ليتعرف المشرق على نضال المغرب من خلال الحقائق ، لا من خلال الاكاذيب الرسمية المنمقة التي نهبت الفاظ القاموس نهبا وحشرتها في الكتب حشرا زيفا ونفاقا ، وكان يردد امامي :

(... اسمع يا ابني ، لقد دونت كل شيء بتجرد ، فالتاريخ ليس ملكا للافراد الذين عاشوا الاحداث بل هو ملك للامة ، ومن واجبنا ان نذكر الحقائق للجيل ليهتدي طريقه) .

وما اذكره الان من حديث الراحل انه حين اشتدت الازمة بين السلطان سيدي محمد الخامس والجنرال جوان ، زار طنجة وفد من الصحفيين المصريين بعد ان رفضت السلطات الفرنسية منحهم تأشيرات الدخول الى المنطقة المراكشية ، ويومها اجتمع اقطاب الاحزاب السياسية الاربعة : (الاستقلال ، الشورى ، الاصلاح ، الوحدة والاستقلال) ووقعوا باشراف محمود ابو الفتح عضو مجلس الشيوخ المصري وصاحب جريدة (المصري) الناطقة باسم (حزب الوفد) ميثاقا التزموا فيه بان يكافحوا متحدين في

سبيل الاستقلال واستعادة حقوق السلطان الكاملة ، كما رفضوا فيه كل تعاون مع الشيوعيين ، والزموا انفسهم بالعمل على تحقيق الوحدة العربية ، وشكلت الاحزاب الاربعة مشتركة جبهة واحدة ، وبذلك انضم الطريسي والناصري والوزاني الى جانب علال الفاسي •

وحين اتخذ الجنرال جوان اجراءاته ضد السلطان ونقله الى المعتقل في فرنسا ، انطلقت الصرخة في العالمين العربي والاسلامي ، وكان صوت علال الفاسي يدوي بالدفاع عن استقلال المغرب الى ان تراجعت فرنسا واعادت السلطان الى بلاده وتحررت المغرب ••

بعد ٢٣ عاما من الاستقلال توقف القلب عن الحركة ••• تاركا للتاريخ سيرة سيذكرها الاجيال على مر العصور ، هي سيرة علال الفاسي فقيد العروبة والاسلام •

ولد السيد علال الفاسي في مدينة (فاس) عام ١٩٠٩ وتخرج من جامعة القرويين الاسلامية •

بدأ نشاطه السياسي عام ١٩٣٤ حين قدم بصفته عضوا في (لجنة العمل المراكشية) مشروعا للاصلاح على سلطات المحمية •

اسس (الحزب الوطني) الذي تحول عام ١٩٤٣ الى (حزب الاستقلال) عندما اصدر بيانا طالب فيه باستقلال مراكش •

ابعده الفرنسيون عام ١٩٢٧ الى غابون ، وعاش في المنفى حتى عام ١٩٤٧ •

بعد الافراج عنه نزح الى مصر وقاد من هناك النضال في سبيل استقلال بلاده الذي تحقق بعودة الراحل محمد الخامس من المنفى ••

له مواقف مشرفة في الدفاع عن القضايا العربية والاسلامية لم تسجل حتى الان رغم ان الذين عاصروها قد اصبحوا حكاما في المشرق والمغرب على السواء •

الدكتور
منير
العجلاني

أدب يقود الى السعادة
وسياسة تقود الى العذاب



الدكتور منير العجلاني وزير المعارف ورئيس الجامعة السورية بريشة الفنان الالماني ((ريتس)) .

مالك الا ان ترمي عينك عليه لتعرف ان الدكتور منير العجلاني من الصفوة الممتازة المنتقاة ، اديب اصيل ، وعالم متواضع (يتمثل ، ويخطط ، فيبدع) ، وفي (بادرة حب خجول ، وترفع خفي ، وانفة حبيبة) يحول الكلم من صنيع ادبي الى ركض حياة ...

حين تقع عينك عليه ـ سيان شخصه او ادبه ـ ترتاح ، وتخاف ...

ترتاح الى هذا الانسان الذي يدافع بحرارة في قلمه عن قضية هي غالبا لا ترضي جمهرة العوام . وتخاف عليه وليس منه !!

تريد أن تنطبع عنه صورة في ذهنك ، تمثله وتحدده ، تستجمع ملامحه الرئيسية ، فاذا به يأسرك بلطفه ، ويغرقك بخجله فيبدأ خوفك عليه .

فهذا الذي تعرفه الصحافة والسياسة وميادين العلم ... وتعرفه المجتمعات الادبية في طول الوطن العربي وعرضه ، انما يعيش مغلقا على نفسه ، لا يرى الناس سوى بسمته ، وسوى حياء ناعم يستحلفك ان لا توغل نظراتك متقصيا ما في الروح !

لا يعرف الناس عنه سوى القانوني ... او الاديب... او السياسي... او الكاتب .

عرفوا الكريم الذي يعطي الخصم والصديق على حد سواء ... والذي يستحي حين يعطي .

وعرفوا المغامر الذي يخوض المعارك السياسية من اجل أناس لا يوثق فيهم عادة !

عرفوا الوفي للصداقات التي تستغل خجله فتوغل في الايذاء ...

وعرفوا كل المظاهر ... لكنها مظاهر تحجب الدكتور منير العجلاني .

اذا لم يبح الانسان عن ذاته بذاته ، فعبثا تتعرف اليه من خلال سيرته .

سيرة الدكتور منير العجلاني يعرفها ابناء دمشق خاصة وسورية عامة ..

يعرفون انه ولد عام ١٩٠٥ بدمشق ، ودرس في الكلية العلمية الوطنية حيث كان يدرس ابناء الاغنياء ، ثم انتقل الى معهد الحقوق العربي ثم جامعة باريس حيث نال دكتوراه الدولة في الحقوق عدا دراسته للصحافة والادب ..

يعرفون قصة مساهمته في العمل الصحفي بجرائد (الجزيرة ، القبس ، النضال ، الف باء) ..

يعرفون حكاية دخوله المعترك السياسي المبكر وانتخابه نائبا في المجلس النيابي عام ١٩٣٦ ، ثم حكاية وصوله السريع الى وزارة الدعاية ثم وزارة

الشؤون الاجتماعية ١٩٤٢ ــ ١٩٤٣ ، ثم صار نائبا سنة ١٩٤٧ ثم وزيرا للمعارف ١٩٤٨ ...

يعرفون كيف انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي ١٩٤٨ ، ثم كان نائبا بين ١٩٤٩ ــ ١٩٥٢ ثم وزيرا للمعارف ١٩٥٤ ، ثم وزيرا للعدل ، وكان خلال ذلك كله استاذا في كلية الحقوق بالجامعة يعمل بجهد للابقاء على قدسية هذه الجامعة وحرمة العلم فيها ... ثم رئيسا لهذه الجامعة التي انشأ الرجل معظم كلياتها !

ويعرفون ايضا وايضا حكايته مع اصدقائه التي انتهت بخروجه من دمشق الى دنيا الاغتراب الواسعة ...

يمكن ان اعدد هنا تفاصيل معاركه السياسية العريضة ، مع من وضد من ولماذا ، وكيف خسر الجولة السياسية الاخيرة فقط .. ومن يجهل منا علمه وادبه ... معظمنا جالسناه وسمعنا اخباره ، وعايشناه :

فوالله كل هذه ، مهما جمعت وفصلت ونسقت لا تروي نفسية الدكتور منير العجلاني ، ولا تصل الى الصميم .

ان شخصيته غنية الجوانب ، حتى ليخيل احيانا ان العالم غير الاديب، والكاتب غير السياسي ، والسياسي غير الصحافي ، والصحافي غير ذاك الخجول الرقيق ، والمثالي غير المغامر ، ونعرف ان المغامر هو غير الشخصية العميقة .. ومع ذلك ، وفوق كل ذلك ، فان العجلاني انيق في ادبه وفي عواطفه وفي افكاره، وهو يجد دائما متسعا من الوقت لان يجود الانشاء ويجود العواطف والافكار ، وهو لا يفعل هذا الا لانه اصيل في العلم والادب لا حديث النعمة ، هو خلاصة ثلاثة اجيال من الادباء ، حتى ان اسمه يوحي انه اديب ، فالغرابة ان لا يكونه . لا هو ولا سواه يستغرب هذه الدعوة فيه ، ففي الادب ، كما في المال ، حداثة نعمة ... بل انها في الادب لشر مما هي في المال ، وهو يموه احيانا بتواضعه وحيائه ، فيطوي اشياءه ، يخبئها ولا يخشى ان تتهمه بالفقر والفراغ .. لذلك جاء ادبه مبادلة بين العقل والقلب في فعل معا ، لانه ليس يواري كنوزه بخلا او حياء او استكبارا . بل تادبا وتلملما ثم احتراما للقيم التي آمن بها في بيته والمدرسة ، ثم درسها ودرسها بعد ان تخرج من كلية الحياة ... فمن انت لتدخل حرم الانسان في الاديب ؟!

هنا يقوم الصراع الصامت بين الذي يتنطع للكتابة عن الاديب ، والكاتب، اكاد اقول بين الاخذ والعاطي . الكاتب يريد ان ينفذ الى اعماق الكاتب ، يطمح

ان يصل عبر كتابته الى الانسان ، الى غيهب شخصيته ... فيتصدى له الاديب !

كثيرون كتبوا عن الدكتور العجلاني السياسي ، والنائب والوزير ... وكانوا في معظمهم متجنين ، او عاملين لحساب غيرهم ، او جاهلين للحقائق المجردة ، ولكن احدا لم يقتحم عليه عالمه الادبي الزاخر بالكنوز ، ليكتب عن ادبه بتجرد علمي ..

ساحاول ! فهل تراني اوفق ؟

منير العجلاني لمع نجمه الادبي بقوة وسرعة ما بين عام ١٩٣٣ ــ ١٩٣٩ .

عرفه الناس منذ كان طالبا في كلية الحقوق يصدر مجلة (الحياة الادبية) عام ١٩٢٧ ــ ١٩٢٨ ، فلما عاد من الدراسة في باريس دخل الجو الادبي دخول الفاتحين يعاونه في ذلك اسلوب ادبي حلو ، وثقافة لا اعمق ولا اصفى ، ويرفده بالقوة ما لعائلته من السمعة والغنى والمكانة المرموقة .

ويتدخل القدر هنا فيختصر هذه الفترة الفنية من حياته التي لم تطل أكثر من سنوات قليلة ، هي بالتأكيد أحلى سنوات العجلاني وأكثرها عطاء . وشاب في مثل مؤهلاته جدير بان تجتذبه الاضواء ، وخاصة اضواء السياسة فما لبث ان انغمس فيها وفي معاركها المحلية تاركا معارك الادب للجيل الذي اشرف على تنشئته ...

واشهد وكنت بعيدا عنه كل البعد انه كان يتألم لفراق الجو الادبي ، انما كنا نحن البعيدين عنه الذين اوجعنا طلاقه للادب وزواجه من السياسة نراه يمزج الادب بالسياسة والسياسة بالادب فنتألم منه اعمق ما يكون الالم فنلاحقه بالنقد المر ، خاصة بعد ان باع ــ على طريق فاوست ــ نفسه نهائيا (لميفستو) السياسة .

وبقي قلمه الابي ... ذكرى في جيبه يشهره في المناسبات ثم يغمده لماذا ؟

لقد كانت دمشق التي احبته كاعمق ما يكون الحب ، واحبها بدوره حبا ملك عليه حياته كلها حتى اوصله هذا الحب الى حدود الانتحار ... كانت دمشق تريده اديبا فلماذا تركها للسياسة ..

ان دمشق لم تضن عليه بما يطمح من المجد والمكانة ...

اعطته النيابة يوم كان الوصول اليها يحتاج الى جهد ونضال ... واعطته الوزارة يوم كانت الوزارة لا تعطي الا للمجلين ، واعطته عضوية المجمع العلمي

يوم كانت هذه العضوية مقتصرة على البارزين من ابناء العربية ... كما اعطته ايضا وايضا استلاذية الحقوق ورئاسة الجامعة السورية ... وكـانت تنتظـر منه ان يوظف علمه ومواهبه وثقافته وذكاءه في ميدان الادب الحقيقي ، لا الادب المزيف ... فكان ان تخلى عن هذا الميدان الرحب المحبب ، وارتمى في ميـدان السياسة المليء بالغدر والتنكر للفضائل ... فدفع الثمن !

قليل القول ان مقالاته الصحفية، وافتتاحياته التي كان يتوج بها الصحف التي كان يكتب فيها ، قد رفعت من قدر العمل الصحفي وردت الى الصحافـة العربية في سورية الكثير الكثير من قوتهـا النيرة ..

قليل هذا القول ، لان العجلاني كان يكتب مقالاته العربية بدم قلبه ، ثـم اختطفته الوزارة فاخذ يتلمس قلمه في نوع من الحنين ، فجمـع اخوانـه مـن الشباب مقالاته القديمة في كتاب سماه (اوراق) قال في مقدمتـه :

(... سالني فريق من الاصدقاء ــ وانا وزير ــ ان اكتب وانشر حتـى لا تنقطع الاسباب بيني وبين الادب ... وكانهم يئسوا مني فراحوا يجمعـون مقالات قديمة ... ويؤلفوا من هذه المقالات كتيبا ...

يا اصدقائي ! فاطبعوا الكتيب وسمـوه (اوراق) اذا شئتـم او اوراق الخريف انعرى منها كما يتعرى الشجر وازعم في كبريائي انني اهب الحيـاة في العام القادم اوراقا احلى واغلى .

خذوا هذه الاوراق ، صنع الطفولة والعبها ، ودعوا لي الاوراق التـي لم تولد بعد وقولوا لمن يعيب هذا الولد :

الولد لا يصلح ولا تعاد خلقته ولا يقتل ولكن الرجاء في اخيه ...

... في اخيه الذي يولد بعده !

اوراق .

استودعك امـك الارض) .

على ان الاوراق الاحلى والاغلى ولدت غريبة متاخرة ، لان ربيع العجلاني الاول في الادب لم يكن له ربيع سريع يتلوه ، وهذه (الاوراق) التي استودعهـا امها الارض ... اودع معها كل حبه للادب ..!

بين هذه (الاوراق) ثلاث قصص وضعت العجلاني عن جـدارة في الصف الاول فكان احد ابطال المعركة الادبية الانقلابية ، لانه بقلمه واسلوبـه المميـز ، وثقافته الشاملة وضعته مع المجددين .

القصة الاولى : الينبوع

في (عرنة) احدى قرى جبل الشيخ جنوب غرب دمشق تبدا القصة بقطعة ادبية حلوة ، حول عيون الماء ، ياتي رجل فيسلم على كاتب القصة ثم يجلس صامتا ويبكي ، ويساله الكاتب ماذا يبكيه ، فيروي له انه كان في امريكا يسعى للمال واحب هناك فتاة سورية كان صديقا لابيها ، ولكن الفتاة كانت على عهد وخطيبة لابن عمها ..!

ثم مضى زمن مات فيه الاب واضحت الفتاة عاملة فتقدم العاشق يعرض عليها ان تعمل عنده فاشترطت ان يعمل معها ايضا خطيبها ثم ما لبث العاشق ان ازاح الخطيب الذي هجر نيويورك الى مكان مجهول ... وغاب العاشق في بعض اشغاله عن المدينة فتزوجت الفتاة من شاب فاسد وسرعان ما هجرته الى يد اخرى ثم الى يد ثالثة ... ثم الى الرقص في الحانات ... فلما عاد الرجل فجع ، وهرب الى سورية ليتسى ، ثم وصله كتاب يقول انها قتلت احد عشاقها وحاولت قتل نفسها ففشلت وانتهت الى ... الجنون !

لقد وشح المجلاني الحكاية بالشعر وانهاها بالمغزى الاخلاقي لتاتي صورة مشذبة عن الواقع السوري الذي يثور للشرف والكرامة ..

القصة الثانية : زواج يقود الى السعادة وزواج يقود الى السجن .

خلاصة القصة ان الدكتور جميل بن محمد باشا عاد من باريز كما ذهب اليها طاهرا لم يزد سوى الشهادة ، وحاول والده تزويجه من (جميلة) الحسيبة النسيبة ، فرفض . انه لم يرها ويثور الاب ويقرا له ما رواه الاصمعي عن عصام التي وجهها الحارث الكندي لتخطب له ابنة عوف فوصفت ووصفت .. الخ . ويستمر الجدل طويلا بين الجيلين . ولم يكن الدكتور جميل ليمانع طويلا لولا ان قلبه علق منذ الطفولة (بايفون) ابنة مديرة المدرسة التي درس فيها جميل فمانعت ، انها لمسيحية ، وانها لمن عائلة عادية ، واما هو ... ولكنه ما زال بها حتى رضيت به .

وياتي القسم الرابع من القصة فاذا هو مملوء بالحوادث :

هاجر جميل مع زوجته الى بيروت ليعيش . ويتلقى ذات يوم زيارة اخيه خالدفاذا به يراه فيمأساة من زواجهالذي ارتضته لهامه. لقد اختارت لهزوجا، بل (الغول) ... وما يدري ما يفعل . ثم يتلقى جميل رسالة من ابيه يذكر فيه رضاه عنه بعد ان تحقق من خطاه ... ولكن في فاجعتين : فان جميلة اوصلت ذلك الذي تزوجها الى السجن بعد ان اصابها بجرح بليغ ، واما خالد فهرب من زوجته الى المهجر ... (فتعال يا ولدي) .

ان العجلاني في هذه القصة يبشر (بتغيير فكـرة المجتمـع) وبالتسامـح الديني ، وبالحرية الفردية ، وهي الشعارات التي بدا يتفتح حولهـا الشبـاب في المجتمـع الجديـد ...

القصة الثالثة : الكلمات القاتلة . كتبها العجلاني بالفرنسية ثـم نشرهـا ملخصة بالعربية ، وقد استطاع العجلاني في هذه القصة ان يطور المفهوم العام للقصة في سورية يومها ، فهنا هنا فتى يحب ليلى ، ومن كان يدعي ان الكلمـة لا تغير قدر الناس فهذا الفتى غيرت مصيره كلمة . كانت ليلاه شعلـة حياتـه وحلمه وسمع مرة همسة ، امراة تقول لزوجها :

ـ ما ارى ساقي ليلى خارقتين !!

ومنذ تلك الهمسة وهو يحاول ان يقنع نفسه تارة بان الساقين لا تؤثران في الجمال وتارة بان ليلى ذات ساقين رائعتين دون شك وتارة بان ... وكـان يرقص معها مرة فاستبدت به فكرة الساقين استبدادا دفعه لان ينحني فجـاة ويكشف عنهما ليستريح !

وكانت فضيحة . وهجم بعض اقربائها عليه فقابلـه بطعنـة مديـة ... وذهب الى السجن ! وكان قدره كله في كلمة .

بقي ان نقول ان كاتب القصة شهـد صاحبها لا سجينـا ، ولكن مجنونا ينتظر ان يهبط عليه (فيوم) الجواد الطائر ليحمله الـى حيث لا حـدود ... او الى الموت ! ولهذا كان عنوانها الفرنسي (حديث عاقل مجنون) .

لقد عرف العجلاني كيف يسوق التركيز في القصة ، ويجعلها ذات حبكـة فنية قوية . ولم تكن كتابة القصة الفنية متداولة في سورية في حينه (١٩٢٤) .

ولم يتابع العجلاني كتابة القصة بعد هذا التاريخ ..

العجلاني الاديب ، يختلف عن العجلاني كاتب القصة ... فهـو في ادبـه سريع التنقل ، ما ان يستقر في صحيفة حتى يغادرها الى غيرها ، ولعل السبب في هذا التنقل السريع بين افتتاحيات الصحف التي كانت تزدهر حـين يكتـب فيها العجلاني كون جيله ولد ما بين الحربين الاولى والثانية وبعدهمـا ، ولـد ودخان المعارك يبعث في الصدور مثل سعال الموت السريع ، فلمـا شب جيـل العجلاني بدا يجوس خلال الحياة سرعة التقلبات ، فورث الجيل بفضل العصر المضطرب شعورا بعدم الاستقرار ، هو الى الاستهتار اقرب منه الى السامـة الروماطيقية ، وتجمعت فيه خلاصة الحالات المعقدة ، فلحقت العدوى باديب المرحلـة ...

ان اية العجلاني ابن جيل ما بين الحربين ، انه مؤمن ..

مؤمن بالله ، وبالانسان ، وبالعقل .

بالعقل في خدمة الانسان ، وبالعلم في خدمة الانسان ..

ايمان بسيط ، فطري ، صادق ، مخلص ، ايمان مع الحب ..

من ساعات الشرود تلك التي يتميز بها تنقل العجلاني من منبر الى اخر، يكاد يكون الوحيد من بين الكتاب الذي يبرهن على انه مؤمن في اعماقه ، وحتى حساده الكثر من مختلف الاعمار والثقافات يعترفون بان العجلاني الكاتب والاديب لا يدانيه في ميدانه مثيل ... كلما قرات مقالا لـه احسست بغليان حروفه على الورق ، والتنوع الذي يمطرك به كقطيع نجوم ، والغنى والاناقة التي يقدم بها افكاره ، والزركشات الشعرية التي يضعها في طريقك كالهدايا يقع عليها الاطفال ... كل هذا يذكر القارىء بلوحات الباليه وبحديث الارجل وهي تلمس خشب المسرح لمسا حنونا يشبه طيران الفراش الليلي ، وحديث الرسغ والمفاصل ، وحوار الاظافر وهي تمسك نجمة وتفلت نجمة ...

ان العجلاني لا يرمي حروفه رميا على خشبة المسرح ، كل فكرة لديه تعرف موضعها ، وكل نقطة ، كل فاصلة تعي دورها وتاخذ مكانها المرسوم لها ... واذا اعدت قراءة مقاله احسست ان اصغر زهرة تمد راسها الابيض على سور حديقة منزله القديم في دمشق ، لتذكر القارىء بان دمشق تعيش ورقا اخضر في ظنه ونارا مؤججة في عيونه ، فما اظلم الذين يسالون العجلاني بالحاح ان تكون الكلمة في حلقه (ملتزمة) ..

ومهما قيل حول ادب العجلاني الجديد وليس القديم ، فان هناك حقيقة يجب ان نذكرها دائما ، وهي ان الاسماء الكبرى التي احتفظ بها الناس في التاريخ ليست ابدا اسماء من مشى مع القطيع البشري ولكنها اسماء من ند عنه .. والعجلاني كان سريع الانتقال خفيف الخطى في تنقله لانه يخشى ان يسير مع القطيع ..

وكل الذي ننتظره منه ان ينقل الينا قصته مع السياسة وقصته مع الادب وقصته مع الناس لنتعرف على سريرته وليس عن سيرته ... ومثل هذا العمل يستحق ان يذبح له العجلاني قلبه شريانا شريانا ...

ترى هل سيفعل ؟

شفيق
جبري

صراف الرجال



الكاتب في ذهن قارئه اسطورة يحيط بها الغموض .
والقمة التي يتربع عليها تجعله ملاكا من بعيد .
لا تتسلل اليه اصوات البشر ولا مشاكلهم .
ولكن الكاتب في حقيقته مجرد انسان . له حياته اليومية .
ومشاكله ، واخطاؤه ، وضعفه .
وصورته الحقيقية التي تخفيها عن الناس سطوره ، وافكاره ،
هذا هو الموضوع الذي ساحاول اقتحامه ...

لن اتحدث عن ادبه ، بل سأروي بعض ما عرفت عن انسان هو الآن قطعة من الماضي .

الماضي بصفائه ، بواقعه ، بمآسيه

الماضي ، تلك الشخصية الفذة التي طغت على الخيال وتبلور ظلها ، واشتد ضغط قوتها ، فاختنقت الكلمات في افواه ابطالها فسرعان ما تغلب عليهم السكوت ، ففضلوا الصمت وواجهوا مصيرهم بقلوب حزينة ، وعيون عاتبة ..!

لقد تقلصت فجأة تحت ضغط الاحداث الدامية قامات بعض الجبابرة من رواد الحركة الادبية الاول ، فوضعوا سبحاتهم في ايديهم ، واختفوا عن الانظار .. كيف ولماذا ؟

لعل السبب في موقفهم هذا انما يعود عن رغبة بالابتعاد عن الهازئين بكل شيء ، المقيمين من انفسهم وزانين حين أعياهم انتاج ما يستحق الوزن.. بحيث صار من الصعب على من سلم قلمه ان يجد لفظة صادقة يخطها فيما يريد ان يقول ..

تعرفت عليه في دمشق منذ ان بدأت اتعرف على الادب ، وكان همي في كل مرة اجتمعت به ان القي عليه نظرة ثابتة كمحاولة للدخول الى اغوار نفسه علني افهم بعض اسراره ..

وخلال هذه المقابلات استقر في ذهني شيء واحد ، وهو ان هذه القطعة المتحركة من الماضي تحاول بمناعة هرة برية ان تظل في شموخها رافضة الاستسلام !

كان لقائي الاول معه في قهوة متواضعة جدا في مصيف بلودان ، فلقيته بين جمع صغير من قروي البلدة لا شأن لهم بالادب ، ولا علاقة لهم بالشعر .. واختلطت (بالشلة) فلم اسمع من الجمع القول الفخم والشتائم والتعالي . والتبجح ... عندها ادركت لماذا اختار ان يجالسهم ، فهم بكل بساطة سذج ... طيبون ... لا يعرفون ان يغتابوا احدا ... ولا ان ينالوا من كرامة انسان ... بل لقد بلغ من خمول ذكرهم انهم يجهلون اختراع الاكاذيب لاطلاقها ضد كل من طفت موهبته ...

ومع الزمن بدأت آلف هذا الجمع كما الفه الاديب ...

ما هم بقادة رأي ليسفهوا من سبقهم ...

ولا هم بقادة فكر يتعالون على الكلمة ...

بل هم الناس من الناس ، يعملون في نهارهم في الحقل والارض ويأتون في الليل للجلوس بالقرب من الاديب يحدثهم في مشاكل الحياة بروح خبرة... وكلام موجز واضح ... ويتدخل في مشاكلهم بقدر ما يظل احترامه سائدا ... فهو يعلم ان للفقراء قلوب يضنيها التعب مثل قلوب الاغنياء ، فهو لا يصنف البشر فئتين خادم ومخدوم، بل ان البشر بنظره فئة واحدة سواسية.

هكذا تعلم ... وهكذا علم . واللقب الوحيد الذي فرض عليه هو لقب (بك) ، ورثه عن عائلته الدمشقية الاصل ، وتخلى عنه منذ زمان بعيد ... ولكن اين له من يفهم هؤلاء بزهده عن الالقاب .!

كل من يقصد مصيف بلودان ويزور صباحا منتزه (ابو زاد) يرى في طريقه رجلا طويل القامة منتصبها ، عريض المنكبين ... ابيض الشعر ... احمر الوجه ... يضع على رأسه قبعة من (الفلين) وعلى عينيه نظارتين

سوداوين ••• يسير بهدوء ، وما ان يدقق النظر بذلك الصاعد حتى يفتح عينيه حتى آماقهما ••• فهو معروف من الجميع ••• واشهر ما فيه هامته •

فهذا الصاعد بهمة الرجال يحمل على كتفيه ثمانين عاما ونيف ، كان خلالها شيئا يذكر في الوطنية والادب • ويجلس الرجل وحده في زاوية نائية ويعيش مع ذكرياته الطافحة بكل ما هو مثير ، وحين يأتي اليه الزائر لا يسمع منه أي شيء عن الشعر والادب ، ولا يكر امام سامعه بمسبحة اسماء عظام حادثهم وباحثهم فهو اصلا لا يدعي ، وكل ما انتجه عشرة مؤلفات هي :

(الجاحظ ، المتنبي ، العناصر النفسية في سياسة العرب ، بين البحر والصحراء ، دراسة الاغاني ، ابو الفرج الاصفهاني ، محمد كرد علي ، انا والشعر ، انا والنثر ، ارض السحر) ومئات المقالات الادبية والسياسية والوطنية موزعة على مجموعات الجرائد المنسية ••

ويحتفظ بديوان شعره مخطوطا بانتظار نشره ، كما يحتفظ ايضا بدراسة عن احمد فارس الشدياق يأمل ان ينشرها في حياته ••• ويجهل الكثيرون كل شيء عن نشأته وحياته •

ولد الرجل ــ كما خط بقلمه ــ في عام ١٨٩٨ ، فأرسله ابوه وهو من تجار دمشق الى كتاب الحي ، على عادة زمانه يتعلم القراءة والكتابة ، فدرس القرآن الكريم ، وتمرس في الخط والحساب حتى بلغ السادسة من عمره ، فأرسله ابوه الى (مدرسة العازاريين) بدمشق ودخلها صغيرا ، مع لداته ، وظل فيها تسع سنوات حصل في ختامها على الثانوية •••

ويرى الرجل ان احسن مادة كان يتقنها معلمون الرهبان انما كانت مادة النحو ، افاد منها افادة نفعته حتى ما زاد عليها توسيعا واضافة •

والذي دفعه الى حب الادب والتعلق به ، زميل له في الدراسة صرفه الى مكتبة صغيرة عامة ، اقبل اليها الفتى ينهل من كتبها مرة او مرتين في كل اسبوع فينسخ شعر المتنبي في شرح اليازجي ، او يعلق بمجلة الضياء

لليازجي نفسه فيحفظ من هذا ويردده ، ويتقن تقليده حتى وقع في غرام الادب ، وتعشقه مدى حياته ..

وتخرج الفتى من المدرسة عام ١٩١٣ ، وهو في الخامسة عشرة من عمره غض العود ، رقيق العاطفة ، فتحمل مع ابيه الى (يافا) بفلسطين وابوه في تجارته ... ثم سافر الشاب الى الاسكندرية ، متنقلا مع ابيه من ثغر الى ثغر ، وفي هذه المدينة وقع على (ديوان المتنبي) بشرح اليازجي ، فاشتراه وروى غلة احس بها في صباه ، فكان المتنبي اول الشعراء الذين خالطهم ومازجهم — كما يقول — .

في مطلع شبابه قرأ كتابا غريبا ، فأنشأ يستعير من شعره المخزون ، ليكسو به ما ينظمه من معان مبتكرة فقال :

يمشي الزمان فلا يرى متلفتا   في مشيه عن يمنة وشمال
متحفز في سيره فكأنه   سيل تدفق من مكان عال
يمضي فلا تلويه عن منهاجه   في الخافقين قوارع الاهوال

وفي هذه السن التي كان ينظم فيها هذا الشعر ، دخل وظائف الدولة فأصبح رئيسا لديوان المعارف اواخر الحرب العامة الأولى سنة ١٩١٨ ، وبانتهاء الحرب خرج الاتراك من هذا البلد وامتدت ايام الحكومة العربية سنتين قاست البلاد بعدهما الامرين من قلق بالغ وحيرة قاتمة؛ فقد كان العرب يؤمنون بالعهود والمواثيق التي عقدوها مع الحلفاء ويرون في تحقيقها شرطا من شروط الاستقرار والحرية ، فلما رأوا نكث الحلفاء وتنكرهم للعهود وتجهم السماء بالوعود السوداء ، هبوا يوقظون الشعور العربي من جديد الى استئناف النضال ضد الحلفاء ، وحمل شفيق جبري اللواء على تقلبه في مناصب الادب ، فقد اختير عضوا للمجمع العربي بدمشق يملأ مجلته الرفيعة بمقالاته ، وكان عميدا لكلية الاداب ، ثم مقررا في لجنة النثر بالمجلس الاعلى للاداب والفنون بالقاهرة ، وطاف في الدنيا القديمة والدنيا الجديدة ...

من شعره الوطني القومـــي :

لـلـــه ثـــورات تبـــارك اهلهـــــا اثنى عليها الواحد القهار
في (النيل) منها ضجـــة ميمونـــة حسنت بها من ربعة الاثار
ومشى الضجيج الى الشآم فرددت اصداءه الانجاد والاغوار
اكرم بـــوادي النيـــل ان رجالــه كرهوا الخضوع فلم يعبهم عار

وهكذا جمع في شعره ثورة الشام الى ثورة مصر ، ورأى ان العرب في القطرين ينهضون للفخار ودفع الذل ورفض القيود ؛ في ثورة عارمة ملتهبة...

ويعرض للعراق كما عرض لمصر :

ايثـــور اهـــل النيل دون لهـــاذم وعلـــى الفرات لهاذم وصفائـــح
الدهر في ظـــل (المقطم) مطمـــح ولاهله في الذود عنـــه مطامـــح
جاشت بربات الحجـــال نـــوائبه ضاقت بهـــن ترائب وجوانـــح
بكت العذارى من ضياع خدورها ومن الدموع قلائـــد ووشائح

اراد ان يرسم حال وطنه قبيل دخول الفرنسيين فوصف الاسى والجزع وقـــال :

جـــرت عليـــه وبالـــه احزابــــه لولا التحزب ما استبان وآله
انـــي افقت رأيت فرقـــة آلـــه فجموعه متقاطعـــون وآلـــه
كم يستعين على الردى برجالــــه خارت قواه ولم يعفه رجاله
مـــا في مرابعـــه سوى متلهف ذهبت امانيـــه فرقت حالـــه

ودخل الفرنسيون بلاد الشام شهـــر تمـــوز ١٩٢٠ ، وحلت الكارثـــة بالبلاد ، وضاع الحلم اللذيذ الذي حلمت به عيون السوريـــين ... وافـــاق الناس على برابر السنغال يحكمون احرار الرجال ، وهم انفسهم مستعبدون يجرون وراءهم خزي السنين ، والمستعمر يضرب المقيـــد بالمقيـــد ؛ ليسكـــر بصوت القيود والسلاسل ؛ وينعم بمنظر هؤلاء المقعدين عن بلوغ الحرية كما ينعم الجزار بالطير الذبيـــح والحيـــوان الجريـــح ... والتفت الشاب الـــى

قضية بلاده يبكي حالها ، ويندد بالتفرق والذل ؛ ويلتفت صوب لبنان فيتمنى الوحدة :

تعالـوا نجمـع الشمـل بيننـا   عسى ربعنا يعلو على الدهر سافله..

ويقول :

فمـروج الشام تشكو ضيمهـا   اين من يكشف عنها المحنا ؟

ويقول :

اخفض الصوت ولا تجهـر بـه   رب صوت هاج فينا الظننا
عقـدوا الالسن حتـى صمتت   ما ترى للقوم فينا السنـا

ويقول :

اتبكـي العنـادل اوطانهـا   ولا ينـدب المـرء اوطانـه

وقال في رثاء الاستاذ (احمد كرد علي) وكان من رجـالات الصحافـة ابياتا نفث فيها لهاثه :

لكن جلق في ازدحام خطوبهـا   جبارة بكهولهـا وشبابهـا
لم تستنم لاذى فـان هاجت بها   دهم الخطوب اوت الى اقطابها
عركت عروبتها السنين فاقلقت   عبث السنين بحدها ونابهـا
ظل العروبـة وارف في جلـق   متمكن في أرضها وسحابهـا

وقضى فوزي الغزي فقامت البلاد لتشييعه ، واستنكار اليد الاثيمة في تدبير قتله ، فقال الشاعـر :

بدمي وروحي الناهضين على الحمى   الطالعين علـى العرين اسودا
الزاحفين الـى القيـود وملؤهـم   عزم يحـل سلاسلا وقيـودا

وقف بجامعة دمشق يبكي ابراهيم هنانو ؛ ويبكي الامة الجريحة ويحث علـى التضحيـة :

امــة تنشد الحيــاة ومــاض ملأ الارض من دوي وثابـه
سحب المجد كالخضم على الار ض فضاقت فجاجها بانسحابه
حاولوا صدع شملها واستثاروا كل جنس لصدعــه وانشعابه
حجب الله كيدهم عـن مغانيــ ها فعاشت منيعة في حجابـه
خلــق اللــه للعمــارة قومــا واصطفاهم لهدمه وخرابـه

وبكى الرجل (سعد زغلول) فقال عام ١٩٣٠ ، وقد تجاوز الثلاثين من عمــره :

لا خـير في شعب يســا ق الى الاذى سوق الضئين
مــن هــان في طاب الحقــوق قضــى بغصات المهــين
عــاشت لنــا مصــر وعــاش رجــال مصر الاكرمــين
الناهضون علــى شبــا ب الدهر بالكنز الثمـين
بالــوارفــات ظــلالـه للــواردين الصادريـن
وطــن بنــاه كــل تــر ب للمحامــد او خدين

ويروي بدمعة اسى في ذكرى حافظ ابراهيم :

وقفت انشد في الافنــاء ارسمهم لا الملك ملكي ولا السلطان سلطاني
لم يبق من عبد شمس غير خاطرة اروي مغارسها من مــاء اجفانـــي
اشقى وانعم فــي اعطاف هبتهــا فيها الردى ، وبها روحي وريحاني
تكاد تومض في جنبــي خيــالتهم ما كان ابعدهــم عنــي وادنانــي
يبلى الجديدان ما تبلى مناقبهــم في (النيرين) اذا كر الجديــدان

ويسافر الى بغداد ١٩٢٧ ليشارك في الذكرى الاولى لوفــاة (جميــل الزهاوي) فتلفت قلبه الى دمشق فقال :

قد تبعد الارض الا عن جوانحنا فليس دون اهتزاز القلب مبتعــد
مهلا دمشق فان ازحف الى بلد يزحف الي بنو العباس والبلــد
اطوي السنــين فتلقاني خيالتهم كأنني بينهــم دان وقــد بعدوا

اكـاد المس في جنبـي خلافتهـم　　كأنما الليـل مـن لألأتها يقـد
وتوشك العين ان تلقى قصورهم　　يموج فيها الهوى والعيشة الرغد

ويرثي الشاعر صديقه (علي محمود طه) فيقول :

(... اننا معشر اهل الشام ، تفضل الشعر الذي نرى عليه اثار القومية، واثار الوطنية . لاننا في غلاب ونضال . اننا نستخدم الشعر حتى يقوى فينـا هذا الغلاب وهذا النضال .)

ويصرخ الشاعر من اعماقه فيقول :

فأيـن رسول اللـه يشهـد امـة　　تئن انـين الطـير من كل ذابـح
تعالت فطاحت فاستكانت فاصبحت　　لاذلالها يلهو بهـا كـل مـازح
على مثلها في الارض مشتبك العرى　　ولا عيشها في الخاق عيش الصائح
علـى مثلها مـن ذلـة بعـد عزة　　تفيض جفون بالدموع السوافح
تهذي (فلسطين) تنوح من الاذى　　فما نضحت عنها عيون النوائـح
فهل صيحة في العرب تبعث ملكهـم　　الا ربما هبوا بصيحـة صائـح

من خلال شعره نرى فلسطين شغله الشاغل :

ايعيث اليهـود في حرم القـد　　س فسادا والنوم يأخذ منـا
لفظتهم جـوانب الارض شذا　　ذا فتاهوا القرون قرنـا قرنا
ضجـرت منهـم الشياطـين والانس فأنـى تحنـو عليهم أنـى
احصدوهم حصد السنابل حتى　　تتداعى (صهيون) ركنا ركنا

هذه الباقة من ورود شعر الرجل لا تكفي للتعريف به وبشاعريتـه ... لهذا سأحاول ان ألم ببعض سيرته . قد لا تكون في هذه الرواية حكايتـه ، ولعلها حكاية النفس التي ارتضت التصوف عن قناعة ، واطلقت للعقل الملحاح عنانه للمعرفة والاختبار ... ولكنها تظل حكاية اديب من الماضي الذي كدنا ان ننساه يسمى شاعر دمشق واديبها الكبير ... وان لم تكـن فيهـا سيرة

الرجل : ففيها سريرة الشاعر ، فهذا الـذي كانت تعرفـه منابـر الصحافـة والسياسة والوطنية وتعرفه حلقات الظرف الرفيع اختفى فجـأة وراح يعيش حزنه الصامت ..

لقد عرفته شاعرا يرهب الحكام ، وكاتبا حاد القلم ... لقد عرف الناس عنه مظاهره ، ولكنها مظاهر تحجـب حقيقتـه ، فـوراء المظاهـر اسبابهـا ودوافعهـا ...

لم يطلق عليه لقب شاعر دمشق واديبها اعتباطا ، فهو اولا ابـن الشام ، تربى في دورها الكبير الاثرية بين (احواض الشمشير والليلـك) ؛ وانـواع الورود الشامية ؛ وشرب من البحرة الوسطى عروس الدار التي لا تريـد ان تنزع عنها ثوب عرسها ، وقطف من الياسمين الزاحف على اكتاف المخـادع ؛ وعبث في الفوارة طفلة البيت المدللة التي لا تنشف لها حنجرة ، واتكأ علـى (خصاص) النوافذ الخشبية الذي يحجب الجمـال الدمشقـي عـن اعـين الجياع .. واحب دمشق كأطهر ما يكون الحب ، وظل وفيا لهذا الحب طيلـة حياته التي عاشها منعزلا عن الناس ، يقضي صيفه وشتاءه في بلودان ...

ووراء مظاهر العزلة اسبابها ودوافعها ..

المهم عن اي سبب تصدر ، وبأية خبرة تعود ..

لماذا يعتزل الناس ويعيش في مصيف ناء لا يعرف الحيـاة سوى اشهـر الصيف القصيرة العمر ؟

ألأنه سئم حياة لا يستطيع أن يحيا فيها حقيقته ؟

قد يكون في حكاية هذا الاديب ما يجيبنا على هـذا السؤال ، ولكـن هذا الجواب لا يروي ظمأ احد ... اذ ما قيمة السيرة ان لم تـوصل الـى السريـرة ؟

لقد كان فيه قنوط الذي يخشى ان لا يفهم فيعتصم في ابـاء ، ويخفـي شممه وراء المزاج الخاص .

ابنى في الخواطر ، كل الخواطر اقتناعا لا يتزعزع بان حياته رتيبة ، وكذلك شخصيته ..

حدث مرة ان انتدبه المجمع العلمي العربي في دمشق للترحيب بأحمد شوقي الذي زار الفيحاء عام ١٩٣٠ ، وذهب الرجل الى الفندق ليتعرف على امير الشعراء ، وانتظره حتى اقبل ، فسرعان ما توقف شاعر العربية في منتصف الطريق وحدق في الرجل قائلا :

ـ هذا شاعر !

كل دمشقي يلفظ اسمه باحترام .

في عهد الانتداب القاسي جاءه شخص الى ديوان وزارة المعارف وقدم اليه ورقة صغيرة موقعة من ابراهيم هنانو ، وكان الزعيم الكبير وقتها ملاحقا من السلطات الفرنسية ...

كانت هذه الورقة عبارة عن توصية من هنانو بتعيين حاملها استاذا في مدينة حماة ، ودار بين الاثنين الحوار التالي :

ـ اين تريد ان أعينك ؟

في حماه يا سيدي ..

ـ اذهب من الآن واستلم وظيفتك ، وسأرسل الى مدير المعارف في حماه برقية ليسلمك منصبك ..

ـ بهذه السرعة ؟

ـ نعم ، بهذه السرعة ، فالتوصية التي يخطها ابراهيم هانو هي بمثابة مرسوم علينا تنفيذه ، فاذهب واستلم عملك ؟

وذهب الشاب الى حماه بالفعل وتسلم وظيفته ..

وعلم المستشار الفرنسي بالقصة ، فثار وهدد وتوعد ... اذ كيف تنفذ الحكومة بطاقة توصية من رجل تلاحقه السلطة ؟

استدعى المستشار رئيس ديوان المعارف ؛ فاقبل عليه الشاعر الحر وهو يعلم ماذا ينتظره ، وجلس على المقعد بدون استئذان ..

اذهلت المفاجأة المستشار فقال للشاعر :

ـ هل اصبح ابراهيم هنانو رئيسا للحكومة ؟

اذا كنتم تعتبرون ابراهيم هنانو متمردا ، فنحن نعتبره زعيما وطنيا ، واذا كنتم تطالبون بسجنه فنحن نطالب بان يكون على رأس الدولة ، وهو لم يطلب منا مخالفة القانون ، كل ما طلبه تنفيذ القانون ، فالشاب الذي بعثه الينا يحمل شهادة الاختصاص ، ونحن بحاجة الى معلمين ..

قال الشاعر عباراته هذه وخرج من غرفة المستشار الفرنسي دون استئذان .

طلب المستشار تسريح رئيس الديوان المتمرد على السلطة المنتدبة ، وعرض وزير المعارف مرسوم الاقصاء على مجلس الوزراء ، ولكن رئيس الحكومة آنذاك طوى المرسوم وقال لوزير المعارف :

(هل تريد ان يخرج من الوظيفة ليشن علينا حملة شعواء في الصحف ، ان الذي يتجرأ على تسريحه هو غيري يا صاحب المعالي ..) .

في النضال الطويل المر لم يطالب شاعر دمشق واديبها الكبير ان يكون اكثر من كاتب مجاني في صحيفة ، فصرخ من اعماقه (حكم قراقوش) ، وحفظ الناس هذا المقال عن ظهر قلب .

يقول عنه خصومه انه ممسك يده ، والذين يعرفونه عن قرب يردون :

ان هذا الاديب القليل القول ، البعيد عن الناس ، كان بامكانه ان يربح الكثير لو هادن ، وقبل ان يساوم ، وقصة الكرم تعنيه وحده ولا تعني وطنه الذي اعطاه ولم يأخذ منه ...

اما انه تعثر في حبائل السياسة ، فنعم .

تعثر لانه أراد ان يمشي على جناحين بين قوم يمشون عـلى قدمـين ، وكان يستطيع بنفوذه وماله ان يظفر بالمرأة ، وكاد ان يظفر بها ثم تلكأ ، لقد عاش عمره يطمح من المرأة ان تعطيه غير جسدها : عبر قلبهـا ، عبر روحهـا وحدث مرة ان تعرف في باريس على فتاة جميلة ، وكان بينهما لقاءات انتهت بأن قالت لـه :

ـ يا استاذ انت كبير السن فلا استطيع ان احبك .. فأجابها :

ـ اذن دعيني احبك .

والشاعر لا يتأفف من الرهبنة الاختيارية .

رأى مرة طفلا ذكيا فتأسف على انه لم يتزوج وقال :

(... كلما رأيت طفلا بهذا الذكاء تألمت لانني لم اتزوج ، ولكنني كلما شاهدت رئيس الحكومة احمد الله لانني لم اتزوج فيولد لي ولد شبيهه ..)

ما زرت عاصمة عربية الا سئلت عن اخباره ... وما زرت عاصمة اجنبية الا وجدت بعض كتبه في المكتبات الرسمية . في القاهرة لا يعترفون بشاعـر او اديب اذا لم يشهد له الرجل بالاصالة . اما في دمشق فـان معظم الادبـاء الشبان يجهلون انه يعيش بين ظهرانيهم ، ولا يعرفون عنه اكثر مـن عبارات موجـزة .

كانت تجارة والده محصورة في مصنوعات دمشق وما جاورها ، محدودة في (القنابيز) على اختلاف اجناسها وفي (العباءات) ، وفي ملابس اهل القرى وسلاحهم يدخل فيها ما يسمى (بالكوفية والعقال) ، و (الخناجر) . كـان تجار دمشق في اوائل عام ١٩٠٠ قسمين ، قسما يبيع آهـل البـدو ، وقسما يرسل بضاعته الى فلسطين وعمان والكرك ، وكان ارباحهم معتدلة جدا .

كان الطفل الصغير يدور في اسواق دمشق (مدحت باشا ، السنانيـة) وحي (الميدان) ، ويرى الطرائف العجيبة . كان يرى اهل البدو قادمين مـن البادية يشترون بما يكسبونه من المخازن البستهم ، ومعظمهـم مـن قبائـل

(الوولا) ، وكان يرى حي الميدان حافلا بالدروز واهل حوران ، وتجار نجد ••• الدروز واهل حوران يبيعو ن حنطتهم ، واهل نجد يبيعون ابلهم ••• ولم تكن هناك مشاكل بين العامل وصاحب العمل ، بل كانت الصلة بينهما حسنة ، كل واحد يرضي الاخر ••

وكان المجتمع الدمشقي بسيطا في كل شيء ، في تفكيره واكله وشربه ولبسه •••

كانت الحياة التي عاشها الطفل بين ذويه محدودة ، فلا سياسة تشغل الناس ، ولا مذاهب تقلق بالهم ، ولا ثقافة سطحية تدخل الغرور على عقولهم، وكانت الاحاديث التي يسمعها الطفل من الضيوف تتعلق بتجارتهم وبمآكلهم وملابسهم ••• وبلهوهم في السهرات ••• كانت البساطة على كل وجه ، وكانت الطمأنينة في كل قلب ••• لذلك لم ينشأ الطفل معقدا ، بل نشأ بسيطا في كل شيء ••• في ارائه بالحياة ، وارائه بالادب وارائه بالواقع •

كان وهو عميد كلية الاداب يركب (البوسطة) من دمشق الى بلودان يوميا ، وحين تقاعد صار يركب سيارة خاصة ، هكذا تعلم من ذويه ••• تعلم ان يلبس لكل حال لبوسها ، فهو كما هو في المنصب الكبير ، وفي البعد عنه •

لم يبدل القهوة التي يرتادها منذ خمسين سنة، كما أن القهوة لم تتبدل•

نشأ الاديب في الكتاب ••• هكذا كانت نشأة الناس في ايامه •

كانت الكتاتيب في الحارات ، وفي الاسواق عبارة عن غرف مظلمة لا يتجدد هواؤها ولا تدخلها الشمس الا قليلا ••

وكانت مواد الدراسة عبارة عن قراءة القرآن وتعليم الولد حسن الخط والحساب الهندي • هذا هو برنامج اكثر الكتاتيب ، ما خلا كتابا او كتابين كانا يعلمان شيئا من التفسير والفقه •

كان استاذ الكتاب شيخا من الشيوخ العاديين الذين لبسوا العمامة للتكسب ، في يده (مسطيجة) يهزها من (طراحته) فيؤدب بها الصغار ،

و (المسطيجة) عبارة عن قصبة طولها ثلاثة او اربعة امتـار •• وكـان هـم الشيخ ان يأتي يوم الخميس ليأخذ (الخميسية) من اهل الولد ، وكان هـم الولد ان يفلت في المساء من الكتاب ليلعب مع اهل حارته في الحي وكل هـم الوالدين ان يتخلصوا من تعب ولدهم بينهم في النهار ••

هكذا كانت الدراسة في سن طفولة الشاعر ، ولكنه في هذا العمر دخـل مدرسة (العازريين) في دمشق ، وفي هذه المدرسة التـي كان يدرس فيهـا أبناء العائلات الدمشقية الميسورة ، تعرف بأبناء الطبقـة الوسطى ، وأبنـاء الطبقة العالية ، وكانت عائلته بين الوسطى والعليا ، فاستطاع أن يتعرف على حقيقة المجتمع الذي كان سائدا ، في (الكتاب) تعرف على الطبقـة الفقيرة ، وبهذا استطاع أن يكون خبرة عن مجتمعه الذي عاش بين ظهرانيـه دون أن يتعثر • تعلم الطفل اللغة العربية على أيدي الرهبان ، وكان التعليم بالفرنسية، وكانت العلوم تدرس بهذه اللغة أيضا ، واذا كان لتلك المدرسة خاصة مـن الخصائص ، فخاصتها ان التعصب فيها كان مفقودا ، لان طبيعـة الدمشقيين أصلا ترفض التعصب •• الا ان مدرسة (العازريين) لـم تولـد في نفوس الطلاب الرجولة والاستقلال ، على خلاف الجامعات التي كانت منتشرة فـي بيروت ، وكان من أهم المدارس الاميرية مكتب (عنبـر) حيث كان الطلاب يتمون تحصيلهم بعده في (استنبول) ••

انصرف بعد تخرجه الى مطالعة كتب البلغاء مثل ابن المقفع ، وابن عبد ربه ، والثعالبي ، ثم عكف على دراسة الجاحظ ، وقرأ بامعان دواوين شعراء الجاهلية فاستحكم فيه الميل الى الادب • وفي خـلال سني الحرب العالميـة الاولى شعر الشاب بأهمية تخصصه في هـذا الميدان ، على ان أهله وقـد نشأوا تجارا ، كانوا يرغبون بأن يكون تاجرا ، ولكنه أحس بنفسه عزوفـا عن التجارة •

لا يدعي الرجل انه صاحب مدرسة أدبيـة ، ولا يبشر بمدرسة أدبيـة

معينة ، فمدرسته الادبية هي مدرسة كبار شعراء العربية ، فكل شاعر أو كاتب ينحرف عن روح اللغة يبتعد عن ملكوت الرجل .

وعاش عمره كله معتدلاً في كل شيء ، معتدلا في اللهو ، وفي الحب ، وفي الصداقات . اذا أقبل على أمر لا يخجل منه ، واذا أدبر عن أمر لا يحسب حسابا لاحد ... وعاش مترهبا في جميع مراحل حياته ، واذا اضطر الى المخالطة والاجتماع فان مزاجه يتغلب عليه ... وطالما سمعت منه بأنه لم يندم في حياته على هذا المزاج الرهباني ، لانه رأى فيه سر شخصيته ، وسر حريته ، وهو حين يردد هذا أمامك تلمس صدقه من لهجته .

بعد انتهاء دراسته مارس الوظائف الرسمية ، قضى أربع عشرة سنة في الوظيفة أيام الانتداب الفرنسي ، وبرم به وبتصرفات المحتلون فأخرجوه منها حيث بقي أربع عشرة سنة خارج الوظائف ..

بعد جلاء المستعمر عاد الى الوظيفة الى أن بلغ سن التقاعد ، وظل عميدا لكلية الآداب احدى عشرة سنة .. لم يمارس في حياته السياسة الفعلية ... لم يتنسب الى أي حزب ، ولم يمل الى أي حزب ، فكل حزب كان يشعر باخلاصه يدافع عنه ، فما ان ينحرف هذا الحزب عن الخط العام الذي رسمه حتى يصب عليه جام غضبه ..

فالشاعر يعتقد ان السياسة الملتزمة نوع من العبودية ، فالسياسي الملتزم بنظره عبد غيره، فهو أولا عبد الذين سينتخبونه، وعبد حزبه اذا كان في حزب من الاحزاب ، وعبد الوزارة اذا كان وزيرا . فالسياسي — في رأيه — لا يشعر بحريته فهو مضطر الى التقلب ، حين يكون نائبا يدعو الى أشياء معينة، ثم سرعان ما يتجاهلها حين يصبح وزيرا .

كل من اقترب من الرجل وصادقه ، يشعر انه أسير ماضيه ، فهو يرى في الماضي حياة الحاضر ، فلولا ماضي اللغة العربية — على حد قوله — لما كان لهذه اللغة ولهذا الادب تأثير في الحاضر ، ولولا الماضي لما كان لنهضتنا في الحاضر أي أثر... انه يؤكد باستمرار أن عظمة التاريخ العربي ولدت فينا ميلا

الى روح العظمة في حياتنا • ولو لم يكن لنا في الماضي هذا السلطان الطويل العريض لما استطعنا أن نرفع أصواتنا في الحاضر ، فرأسمالنا من الماضي هو الذي يقوي عزائمنا في الحاضر ؛ والامم التي لا ماضي لها تجهد في أن تخلق لها ما تتغنى بـه •

ويقول الشاعر :

(•• في الولايات المتحدة الامريكية مدينة صغيرة اسمها (وليمسبرغ) ـ ولاية فرجينيا ـ حافظ سكانها على اثار الحياة أيام الاحتلال الانكليزي ؛ وحين زرتها رأيت السياح الامريكان يقصدونها في مواسم معينة ليتغنوا ببعض ماضي البلاد وهو ماضي تافه جدا بالنسبة الى ماضي الامم العريقة) ، ويمضي الرجل في حديثه قائلا :

(•• أنا نحاول أن نهدم كل مظهر من مظاهر ماضينا القريب أو البعيد حتى لا يبقى له أثر ، والسبب في ذلك كله على ما أعتقد أن الذين ينزعون هذه النزعة انما هم طبقة لا أثر لها في جهاد الماضي ، فهي تريد أن تتخلص من كل شيء قديم ، من كل وجه من وجود الحياة حتى لا يذكر الحاضر الا أسماءها ، ولا يرى الا أشخاصها ، ولا يسمع الا أخبارها ، نريد أن تتطور وهذا حق ، ولكن ليس معنى التطور هدم الماضي ، وانما معناه انتقال هذا الماضي من حال الى حال بحسب مقتضيات جديدة اقتضتها البيئة والمجتمع • ان ماضي جهادنا البعيد هو الذي دفعنا الى جهادنا القريب • ان الحياة تطور ، فماذا يكون موقفنا اذا جاءنا مستقبل قريب أو بعيد ونسف كل ما نبنيه اليوم لانه غير صالح لذلك المستقبل ، أفلا نشعر حينئذ بشيء من نكران الجميل ؟) •

سألته مرة عن رغبتي في كتابة قصة (فلان) وكان شخصية علمية مرموقة •• فأجابني :

(لا أنصحك بالاقدام على هذا العمل الا في حالتين ، اما أن تكون تحب الرجل حبا جما ، أو تكرهه كرها جما) وها أنا أكتب عنه الآن ، فأي الحالتين تنطبق علي ؟

ان جميع من عرفوا الرجل عن قرب وخالطوه يطلقون عليه لقب (صراف الرجال) لفراسته وتحليله لنفسيات الناس •• لهذا جعلت عنوان مقالتي عنه هذا اللقب ••

اذا صعدت يوما الى منتزه (أبو زاد) في مصيف بلودان ورأيت رجلا يسير بهمة الشباب وقد تجاوز الثمانين فاعلم أنك أمام (شفيق جبري) شاعر دمشق وأديبها الكبير ••

آخر قصيدة نظمها شفيق جبري ولم ينشرها كانت اثر وفاة الاستاذ صبري العسلي الامين العام للحزب الوطني ••• وأعتقد انه في هذه القصيدة انما كان يرثي نفسه ••

أغريب في ربعه ما باله ... كلما جال ضاق عنه مجاله
فتراه يحدث النفس في السر ... ومنه جوابه وسؤاله
لا تلمه اذا استبد به اليأ ... س ولم تبتسم له آماله
احرام على الجفون هدوء الـ ... جفن حل بما يمض اكتحاله

★★★

أين ربعي وأين منه رجال ... ذهب الربع واستطيرت رجاله
أتناجي أبا شجاع وقد غاب فهذي العيون كيف تناله
هاج في أعماق القلوب دفين الحزن فالقلب هائج بلباله
ذكرتنا ايامه زمنا ولى ... تولت قصاره وطواله
قم وحدث وأنت عذب الاحادي ... ث ما أمسنا ومن أبطاله
أفما كنت من بقايا نضال ... ملأت تاريخ الحمى اعماله
ذكر الشام ما بنت ثورة الشا ... م ، فاين البناء أم أين آله
انسينا زلزالها في الليالي ... كيف ينسى من الردى زلزاله
حقبة من زماننا نال منا الضيم دهرا وطال فينا مناله
ليس فيها للناس أمر ولا نهـ ... ـي فما أمرنا وما مثقاله

فاستوى المـوت والحياة فنعم الـ   موت ان حـل بالفتـى اذلالـه
ما رقيف الريحان في وضح الصبح   اذا أخفـت طيبـه آصالـه
مـا جـلال التاريـخ ان عقـه الشعـب وآلـوى بسحـره أطفالـه
واذا الشعـب زال ذكر المواضي   مـن معاليـه آن منـه زوالـه

★ ★ ★

عجبـا كيـف يهـدأ الشام والشام استبيحـت فـي عقـره أجبالـه
أيبيـت العـدو فـوق جبـال   تتراخـى علـى الجبال ظلالـه
أيسـر العيـون غمـض الليـالـي أفما أرق العيـون احتـلالـه
كيف لم نحن رأسنا في احتمال الـ   عار في الشام طـال منا احتمالـه
مـل منـا الصبر الجميـل ألـم يعـل علـى الارض والسماء ملالـه
اين من يـدفع الهوان عن الشام   وايـن اهتـزازه ونـزالـه
اخفض الصوت وادفن الحزن حتى   يأتـي النصر او يهـل هـلالـه
باطـل طـال جـوله فـاسأل الايـام عنـه متـى يـرى اضمحلاله

★ ★ ★

قربـوا ، قربـوا الـوصول الـى المريـخ ليت المريخ سهل وصالـه
أتـرى الحـر في ذراه طليقـا   لـم تقيـد يمينـه وشمـالـه
اتـراه اذا تصـدى لقـول   جلجلـت دون فزعـة أقوالـه
واذا صال في ميادينـه الفيـح   تـزى صليلـه وصيـالـه
أنسينـا الليالي السود هـل ينـ   ـسى زمان ملء الحمـى أهوالـه
ليس يـدري الفتـى أيسلـم مـن أغلالـه أم تلـوى بـه أغلالـه
ليت هـذا الشبـاب يعلم ما كلـ   ـف أشيـاخ ربعـه استقـلالـه
من هشيم علـى الجبـال تردى   وحصيـد على الرمـال اغتيالـه
لو تغني الرمال لحـن المـآسي   لتغنـت فـوق البطـاح رمالـه
او تبـين الاطـلال مـا كابدته   لابـانت شجـونهـا أطـلالـه
رب فعـل أتـى بغـير مقـال   ومقـال لـم تستبـن أفعـالـه

★ ★ ★

سائل الليــل والكواكب والافلا   ك أين التاريــخ ؟ أين نضالــه
لا تسل عن تاريخك الطلق هل يشـ   ـفي جريحا مــن جرحه تسآلــه
أيــن مــاض اذا القتال تلظــى   زحــم الليــل والظــلام قتالــه
وترامــى على الخطــوب كأن الـ   ـخطب فجر تشوقه أذياله .....
فاحبس الدمع لا تبل بــه الخد   فما يغنــي بالدمــوع ابتــلاله
رب ذكــرى كأنهــا لهب القلب   ومنهــا اعتــلاجــه واشتعالــه

★ ★ ★

أيعفــي العقــوق مــا غادرتــه   أعصر فيهــا عــزنا واختيــالــه
كيف تحيا الربوع من دون ماض   يتهادى علــى الربــوع جــلاله
نهدم اليوم ما بناه لنــا الامس   فيطــوى بنــاؤه وكمــالــه
مــا حيــاة الاحــرار الا بيــان   يملأ الكــون سحــره وحلالــه
انما النقــد للخصــال كمــرآ   ة تجلــت للمــرء فيهــا خصالــه
ليس يخشــى المــرآة الا قبيــح   ند عن وجهــه القبيــح جمالــه
وأرى الوجــه ان ادل بحســن   مــلأ الارض ضجــة ادلالــه
مــا سلاح المضل غــير قيــود   يتواري خلف القيــود ضلالــه
خــذ متــاع الحيــاة منــي وخــل القلــم الحــر دافقــا سلسالــه
كيف حال الورد النضير اذا مــا   حجبوا الشمس دونه كيف حالــه

★ ★ ★

خطــرات أردهــن ويــرجعــ   ن فما بــال طيفهــا مــا بالــه
جمــح الشعــر مــا أردت جمــاح الشعــر لكــن طغــى عليه خياله
واذا الشعــر اشعلتــه المــآسي   زلزل الليل والضحــى اشعالــه

أحمد
النعمان

بسمة نحرت الرصاصة



تقول الحكاية الشعبية التي يرويها الاباء للابناء في العاصمة الايطالية :

(... يقولون ان نبيلا من النبلاء ، التهب قلبه بالحب يوما وفشل ... حتى فكر بالانتحار ..

ولكنهم نصحوه ان يترهب ... وهناك في عزلة الدير عرف العزاء في الحب ... اما اليأس فبقي يمزق كبده .

وذات مساء رف في محرابه (ملك) قال :

لا تيأس ، تستطيع ان تجد الفرح على الارض ... عندي طلسم له ، عدني فقط ان تتبع تعاليمي ستة اشهر صغيرة .

واخرج (الملك) من اجنحته مرآة قال :

ــ هذه المرآة السحرية تصب البلاء على من ينظر فيها متجهما ... ولكنها تمنح الفرح للمبتسم. الق عليها ابتسامة فقط كل صباح ..

وفي الصباح التالي سمع الرهبان في محاريبهم غناء صاحب المرآة يجرح سكون الدير ... وركض رئيس الدير ينصحه ... على انهم سمعوه يغني ايضا في اليوم التالي ، وفي الايام التي تليها ... وقلده الاخرون ، ولم يمض شهر حتى شع الدير بالفرح .. واضطرب الاساقفة الكبار ، وقرروا ارساله الى دير الظلام ، الدير الشهير بتجهمه الاسود ... وجاءه (الملك) وقال :

لا بأس عليك ، ولا تحمل المرآة معك فهي ليست اكثر من مرآة عادية ، وانت قد تعلمت سر الفرح ..!

وتكررت عدوى الفرح في دير الظلام بحيث اعتبر الراهب الضاحك كافرا بالقداسة وحكم عليه بالاحراق حيا ... فذهب الى المحرقة مملوء الصدر بالفرح ايضا مما دفع احد عشر راهبا لمحاولة انقاذه من اللهب ولكنهم هلكوا معه ...

والتقت ارواح الجميع في السماء ، وسيقوا بخطاياهم الى الجحيم ولكن غناءهم كان يغطي على صوتها وهي تئور.. هي التي لم تسمع الا الصراخ الممزق وعويل الدموع ... وعلى الرغم من كل الحقد الذي يصرخ في الجحيم فقد حقد الزبانية على القادمين الجدد ، وغناء الهالكين القدامى معهم ... واضمحلت صيحات العذاب من النار شيئاً فشيئاً ... وتناهى الغناء الى سدرة المنتهى فقال الله جل وعلا :

(دعوهم ... لاتحطموا انهم المرآة فقد استحقوا السعادة) ..

وتقول الجدة في (روما) بعد ان تروي القصة لاحفادها :

(اترون ؟ ان الابتسام ينتصر حتى على الجحيم) ؟

شفتا انسان ، هما اللتان أطلقتا ــ فيما أحسب ــ تلك الحكاية الشعبية ... لكان هاتين الشفتين قد عرفتا أي جحيم سيعيشه الانسان ، فاختارتا له هذه (الاقصوصة) ليتسلى بها وهو يتابع بنظراته تلك المآسي التي تمثل على الارض ... ولعل الارض العربية هي المؤهلة للمآسي أكثر من غيرها ! ان ترابنا العربي خلق يمور ... اعتاد أن ينزف نباته الآدمي ، وان يبعث مع الرياح الاربع ، بقيم منه ، وروح من عنده ... لقد انتثر فكراً وجسداً بشراً في فجاج وأمواه ... لا بساط الريح مر بهما ولا خطرت للسندباد ببال ...

المأساة العربية ، برغم كل التزويق الشعري ، ظلت تزحف دون ونى .. على روابينا ووهادنا ... على جبالنا وسهولنا ... من دمشق الى بغداد ... ومن القاهرة الى صنعاء ... ضحايا تتراكم ... ونداء الثكالى يصم الآذان.. من ذا الذي يستطيع أن يصم الآذان عن نداء الثكالى ؟ على الشاطىء السوري والعراقي واليمني والمصري كنا دوما مع المأساة في مد وجزر وتفاعل عطاء .. في شواطئنا نحن صيغت المأساة القديمة التي كانت تقدم كل سنة فتاة ، كأكمل ما يكون الخلق ، للنيل ... أو لتنين الحاكم المطلق ...

مقتل الخلفاء الراشدين الثلاثة كان تخطيط قدر ••• بعدها بطويل مــن العهد كان الاحرار ، أحرار الامــة العربيــة يقبلون علــى التضحية بقلوب جريحة ••• يقبلون الموت على أمل أن ينقذ استشهادهم هذه الامــة مــن أمراضها •••

بعض حكايتنا الطويلة مع المأساة هي حكاية الوجود العربي في الدنيا•• منذ أن بدأت الدنيا تحس بخطر هذه الامة على الطغاة •••

بعد الخليفة عمر العظيم ، وعثمان الصائم الصابر ، وعلي الامام ••• ثمة شهداء رووا من دمائهم الارض •• ومع ذلك وجد من بين هــذه الامة مــن يستعذب الشهادة على أمل أن ينقذ دمه طغاة أمته ••

بلى ! بعد اقدام خوارج الامة على قتل خلفائهم الراشدين كان هناك من يرتكب الجريمة ويظل بدون عقاب •• أفبهذا الحديث تمترون ؟

انها لقديمة في الصحف الاولى أخبار المأساة العربية ••• وانها لنثيرة في الكتب ، وعند أهل الذكر •• من بني أمية ، الــى بنــي العباس ••• الــى المماليك ••• الى من حاولوا أخيرا أن يسحقوا الشرعيــة ••! وهؤلاء نطلق عليهم تجاوزا ، وفي لغة العصر :

(قادة الانقلابات العسكرية) ••!

المأساة العربية ••• ذلك البحر من الظلمات ••• فهل آتيكم من ذلــك بنبــأ ؟

أمسك أحمد محمد النعمان بطرف الغطاء الابيض الذي كان يغطي جسد ابنه المسجى محمد ، ورفعه برفق ، وراح يحدق في الوجه المستسلم للرقــاد الطويل ••• الطويل ••• وما هي الا لحظات حتى التفت الى صديقه الــذي كان يقف الى جانبه ويغالب دموعه ، وقال له :

(... انظر ... انظر الى محمد وهو نائم ... لم أره في حياتي بمثل هذه الرقة والوداعة والانس ... فمه مغلق على كلمات لن نسمعها منه بعد اليوم ...

عيناه غافيتان كأروع ما تكون الاغفاءة ...

وجهه يشع بالحيوية ... انه نائم ولن يستفيق ... لقد هرب من هذه الحياة الفانية الى حيث السعادة الابدية .. أما نحن المساكين ، فما نزال عالقين ...

لقد تحرر محمد ... والى الابد فهنيئا له !

لفظ الرجل عباراته هذه بحزم وقوة وكبرياء و ... ايمان لا يعرف سره الا المؤمنون الحقيقيون ، ثم أعاد الغطاء الابيض على الوجه الصامت كما كان وغادر مستشفى الجامعة الامريكية الى منزله في (الرمل الظريف) ، وراح يتقبل التعازي بفقد ولده ، وسنده ، وظهره ، وصديقه ، ورفيق نضاله محمد ..!

كان الجميع في حزن ظاهر ، يغالبون الدموع وتغالبهم ... أما الوالد المفجوع الحقيقي ، فكان يعيش حزنه الذي يعصر الفؤاد ولا يصل الى العيون ..!

وسأله الصحفيون عن تعليقه على هذه الجريمة التي أدت الى اغتيال ولده في رابعة النهار ، وعلى مرأى ومسمع من الحكام المساكين ... فأجابهم :

(... ان هذه الحوادث وجرائم الاغتيال التي يشهدها عالمنا العربي أصبحت وكأنها وباء الا أن ما يحز في النفس ويثير الدهشة والاستغراب أن ثلاثة من أبناء اليمن اغتيلوا في عام واحد في العاصمة اللبنانية ، وما زلنا في حيرة من التركيز على اغتيال أبناء اليمن والموقف السلبي من التحقيق وتتبع المجرمين والكشف عنهم وعمن وراءهم ... ولقد تقبلت أنا هذه المصيبة بقلب مؤمن بالله الذي كتب الموت على كل نفس) ...

هكذا فكر الرجل بمحنة أمته ، قبل أن يفكر بمحنته في ولده ...

ترى هل كان أحمد محمد النعمان يتنبأ ...؟

هل كان يقرأ الغيب وهو يحذر لبنان من خطر التغاضي عن الكشف عن المجرمين الحقيقيين ...؟

لو سمع حكام لبنان كلماته ... لما واجهوا بعد شهور قليلة من هذا الاغتيال البشع ، الاغتيالات بالجملة ، وفي رابعة النهار ... ولكن ألم أقل أن المأساة قدر هذه الامة ؟

في حياة كل شهيد عربي سر ... وأكثر هذه الاسرار ، اذا لم نقل جميعها ، تذهب مع حفاظها الى القبر .. وسأشذ الآن عن هذه القاعدة كاشفا لاول مرة عن سر كنت أبقيته في صدري ليوم الحشر ...

قبل أن يسافر أحمد النعمان من بيروت الى جهة مجهولة، وذلك في الساعة الحادية عشرة من ليل الاثنين ١٥ تموز ١٩٧٤ عرفت بتفاصيل صغيرة تتعلق بمصرع محمد ... عرفتها من أفواه المطلعين على الحقائق !!

كان الاستاذ أحمد النعمان قد شيع ولده محمد في صنعاء وعاد الى العاصمة اللبنانية ليصطحب معه زوجة الشهيد وأولاده الى المكان الذي قرر الاقامة فيه بعد أن تحولت بيروت الى غابة يسرح فيها المجرمون على اختلاف مللهم ونحلهم ...

وطلب الرجل مقابلة الرئيس سليمان فرنجية حيث دار بينهما حوار قد يكشف حقيقة المأساة التي عاشها لبنان بعد فترة وجيزة ...

رافق النعمان الاب في هذه الزيارة أولاد الشهيد محمد والسفير اليمني في لبنان أحمد الباشا ... قدم الرئيس فرنجية عزاءه للنعمان بفقد ولده ... وطلب منه أن يساعد التحقيق للكشف عن هوية القتلة .. فقال أحمد النعمان:

(... ان العزاء يا فخامة الرئيس يجب أن يقدم الى لبنان حكومة وشعبا لانني اذا كنت قد فقدت ولدي فان لبنان قد فقد أمنه واستقراره ، وما

جئت اليكم يا فخامة الرئيس لكي أستعيد ولدي ، بل جئت راجيا منكم استعادة أمن لبنان ••• وأنا حريص على أمن لبنان واستقراره وطمأنينته ، فقلوب العرب جميعا تهفو الى لبنان العرب ، فهو مركز الاشعاع الفكري لامة العرب ، والواحة التي يستظل بها المحرومون من الحرية في أوطانهم ••• ان ما يصيب لبنان يا فخامة الرئيس ، وما يتعرض له من أخطار تتأثر به الاقطار العربية ، لقد كان رد الفعل على اغتيال محمد شديد الوقع على نفوسنا وقلوبنا ، خاصة وقد سبقه مصرع الشهيد محمد علي الشعيبي ، وسبقه مصرع الشهيد عبد العزيز الحروي منذ تسعة شهور ••• وقد يتبادر الى الاذهان أن المجرمين الذي اغتالوا محمد لن يجدوا أي عقاب ••• كما أن السلطات اللبنانية لم تبذل أي جهد لاكتشافهم ، واكتشاف دوافعهم ، وان دماء الثالث ستهدر كدماء الاول والثاني ••) •

قال الرئيس فرنجية :

(••• ان الفقيد كان غاليا علينا جميعا ، وقد عرفته عن قرب وأحببته ، ولمست تعلقه بلبنان ••• ثق انه لم يفقده اليمن فحسب ••• بل فقدته الامة العربية ••• وحين بلغني النبأ حزنت أعمق الحزن وتمنيت انني لم أتعرف عليه •• ولكن ماذا يستطيع لبنان أن يفعل اذا كان البعض من المسؤولين العرب قد جعلوا من ساحته أرضا لتصفية خلافاتهم السياسية ••• ثم ان التحقيق لدينا قد توصل الى طرف رفيع يمكن أن يساعدنا في الكشف عن الجريمة ••• لقد عثر على المسدس كاتم الصوت الذي استعمل في اغتيال الفقيد ، وقد طلب التحقيق معرفة نوع الرصاصة التي أصيب بها الفقيد محمد ، ولكن التحقيق لم يجب الى طلبه) ؟

والتفت الاستاذ النعمان الى السفير اليمني في بيروت متسائلا عن هذه القصة ، فقال السفير :

(••• بالفعل لقد طلبت سلطات التحقيق اللبنانية استخراج الرصاصة

من قلب الفقيد ، وقد أبرقت الى صنعاء لاخراج الجثــة والبحث عن هـــذه الرصاصة ••• وقــد سبق لهذه السلطات أن طلبت مثل هــذا الطلب أثنــاء وجود الفقيد في مستشفى الجامعــة الامريكية ؛ ولكن والــده رفض تشريح الجثة لاخراج الرصاصة) ••

ما ان سمع أحمد النعمان كلام السفير اليمني حتى تهدج صوته وأجاب بانفعــال :

(هذا غير صحيح يا فخامة الرئيس ••• ان ما سمعتموه الآن لا أساس له من الصحة ، وأقسم أنه لم يقابلني أي مسؤول عن الامن اللبناني ، أو مــن المحققين اللبنانيين ، ولم يوجــه الــي أي سؤال لا عــن الاغتيال ولا عــن الرصاصة ••• لقــد ذهبت فور وقوع الحــادث الــى مستشفى الجامعــة الامريكية ، وبقيت واقفا في غرفة العمليات على أمل أن يكون ولدي جريحا ، بينما الاطباء يقومون باجراء الجراحة في القلب ••• وبعد ساعتين استدعيت لغرفة العمليات فوجدت ولدي قد أغمض عينيه وابتسامته التــي عهدتها لــم تفارق وجهه ••• أمــا موضوع الرصاصة فانني أسمع بــه لاول مــــرة من فخامتكم ••• ثم لماذا الاصرار على الرصاصة التي اخترقت القلب ••• فهناك أكثر من رصاصة أصابت محمد ، وأصابت سائق سيارته ، وقد أخرجت هذه الرصاصات وموجودة لدى رجال التحقيق) •••

كان الرئيس سليمان فرنجية ما يزال ينقل نظراته بــين النعمان والسفير عندما سمع النعمان يقول :

(••• أرجوك يا فخامة الرئيس الاهتمام في هذا الموضوع لا من أجــل ولدي الذي لن يعود الى الحياة بل من أجل أولادكم ••• فاذا لمس المجرمون أي تهاون فلن يتهاونوا على توسيع دائرة اجرامهم ••• اني أحس في أعماقي بأن لبنان قادم على أحداث رهيبة ••• فأعداء الحرية سيعملون على استئصال الرئة الوحيدة التي يتنفس منها العرب ••• كل العرب) •••

ترى هل كان الاستاذ أحمد النعمان يستطلع الغيب وهو يحدث رئيس الجمهورية اللبنانية عن مصابه بولده وخوفه أن يصاب لبنان كله بالفجيعة ؟

ويبقى السؤال : من اغتال محمد أحمد النعمان ؟

ولاننا لم نعرف حتى الآن أسماء الذين أطلقوا الرصاص على محمد ... فاننا لم نتعرف أيضا على الذين اغتالوا لبنان فيما بعد ؟!

لم يكن الشهيد محمد شخصا عاديا ... بل كان (كما وصفته جريدة لوموند الفرنسية) أحد الشخصيات الرئيسية للنظام في اليمن الشمالية الذي حصل فيه انقلاب في ١٣ يونيه ١٩٧٤ ... لقد وصفت هذه الجريدة حادث الاغتيال بقولها :

« .. أصيب محمد (وزير خارجية سابق ، ومستشار للقاضي عبد الرحمن الارياني) بجروح قاتلة ليلة الجمعة الموافق ٢٨ يونيه في بيروت تعديا وبطريقة تآمرية ، عندما ترك منزله حوالي الساعة ٢١ قرب حي الحمراء وسط بيروت ... تم الاعتداء عليه برصاص أطلقه مجهولون كانوا يجوبون الحي في سيارة ، وقد أصيب بجروح خطيرة ونقل الى مستشفى الجامعة الامريكية في بيروت في الحال ولكنه لقي حتفه في وقت لاحق ، ونجح المعتدون في الفرار ...

أولئك الذين كانوا يقابلونه للوهلة الاولى كانوا مندهشين ، فقد كان مرحا ،ذا أحاسيس حادة ، مثقفا يستطيع أن يعيش الاخطار ...

لقد كان بدون شك أحد رجال الساسة اليمنيين الشماليين ، فقد كان منفتحا كلية على الافكار ...

ولد عام ١٩٣٣ في (الحجرية) جنوب تعز من عائلة بارزة شافعية ، معاديا للنظام الملكي المطلق الامامي . كان عمره خمسة عشر عاما حين انضم الى الحركة الثورية الى جانب أبيه أحمد محمد النعمان الذي يعتبر من الزعماء

المبجلين في حركة التحرر اليمنية ... وضع تحت الحراسة عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٥٦ ، ثم ذهب الى عدن فالقاهرة حيث استمر في مناهضة الامامة ، في ظل النظام الجمهوري الذي أسس عام ١٩٦٢ . قائما بأعمال في القارة ... سفيرا لليمن في بون ١٩٦٣ ... ممثلا لدى الجامعة العربية عام ١٩٦٤ .. سفيرا في باريس عام ١٩٧٢ ..

لقد أهلته موهبته السياسية والمامه باللغة الانكليزية للاضطلاع بمهام دقيقة كلف بها مرات في الخارج .. كان نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا الخارجية من عام ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ .

ضاعف مبادراته لتقوية العلاقات بين بلده والدول الاجنبية ... ثم أصبح المستشار السياسي لرئيس الدولة القاضي عبد الرحمن الارياني ... »
يقول القاضي الارياني في برقية التعزية التي أرسلها من دمشق حيث يقيم ، الى الوالد المفجوع :

(... أخي وعزيزي الاستاذ أحمد محمد النعمان حفظه الله ووقاه كل مكروه وأفرغ عليه من لدنه صبرا ورضى وعزاء .. لقد صعقت حينما سمعت نبأ استشهاد ولدنا وعزيزنا الاستاذ محمد رحمه الله ورضي عنه ولم أملك عيني فقد انهمرت دموعي غزيرة وقد شحت عيناي فلم تنهمر دموعها يوم استشهاد الزبيري ولا يوم استشهد القاضي عبد الله الارياني لقد تصورت هول الحادث وشدةوقعه عليكم وعلىاولاده وقد كان بالنسبة الي ولدا بارا..

أخي العزيز والله لا أدري كيف أعزيك وأنا أحوج منك الى العزاء وقد ألجمت المصيبة لساني وأعقمت فكري ولم يجر القلم في يدي واستعصى علي البيان فيا لهول المصاب أرجو الله أن يعظم أجر الجميع وأن يحسن خلافته على أولاده وذويه وينزله في رحاب رحمته الواسعة مع الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ... يحمل هذا اليكم الولد الاستاذ مطهر ليقدم تعازي الجميع وكم كان بودي أن أصل لتعزيتكم لولا أن بيروت قد أصبحت غابة وحوش آدميين ، فانا لله وانا اليه راجعون ...

وقد ضربت أخماسا في أسداس في استكناه ومعرفة من وراء الجريمة الشنعاء قاتله الله ولعنه وقد كانت كفاءة الولد الشهيد رضي الله عنه وصراحته سببا في كثرة حساده ولقد اختار الله له ما عنده والحياة طالت أو قصرت مآلها الى الموت ••• الموت الذي لا يفوته أحد ، نسأل الله لكم الصبر الجميل والعزاء والثبات وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ••

تفضل نقل الجثمان الى اليمن وانتقالكم من الغابة المسماة بيروت •••)

كنت ••• وسأظل من المولعين بتتبع سيرة رجال أمتي الحقيقيين الذين يواجهون الحزن والفرح بقدرة التغلب عليهما ••• وبقدرة الابقاء على البسمة تزين وجوههم •••

هل شاهدتم رجلا يفقد قطعة من كبده ، وولدا في مثل ذكاء محمد وثقافته وحيويته ، ولا يسمح للتجهم أن يزحف الى وجهه ؟

هل رأيتم رجلا يسمع من الهاتف أن ولده صرع برصاص الغدر ، فيخرج من الدار بهدوء الى المستشفى ويرفع الغطاء عن وجه أعز انسان لديه ، ثم يتلفظ بعبارات فيها خلاصة الحكمة ••• وخلاصة التجربة ••• ثم يعود الى داره ليطلب من المعزين الصبر على هذه الفاجعة ••• فجيعته هو •• قبل ان تكون فجيعتهم ؟

أنا رأيت هذا الرجل في تلك اللحظات ، وسبق لي أن عرفته عن كثب •• وسمعت منه من الاسرار ما لو نشرت لخجل الكثيرون ممن يفلسفون الهرب من سيرة حياتهم ••• وغاب عن الاسماع من لا يزال ملء الاسماع ؟

في كل مرة كنت ألقاه ، وما أكثر ما لقيته ، وسمعت حديثه ، أشعر أنه لا يزال هناك سر آخر في حياة هذا الرجل ما عرفته ••• درب من دروب حياته ما ذرعتها عيناي ، نجم من نجومه ما قطفته ••!

روى مرة أمام جمع من قادة هذه الامة ومفكريها قصة سجنه في القاهرة (٣٨٧) يوما ••• رواها نثرا وشعرا •• فكان نثره أحلى من شعره ••• فاذا بأحد الذين سمعوا القصة يخرج عن وقاره ويقول : بمثل هـذا الرجل تبنى الامم ••• وان أمة فيها أمثال أحمد محمد النعمان لا تموت ولو تكاثرت عليها طغاة الدنيا •••

ترى هل يأذن لي الرجل في روايتها كما طبعت في الذاكرة •••؟

في يوم ١٦ (سبيتمبر) سنة ١٩٦٦ دعـي عدد من زعمـاء ثورة اليمن وفيهم أحمد محمد النعمان « رئيس الوزراء في حينه » لمقابلـة المشير عبـد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، ونائب القائد الاعلـى للقوات المسلحة •••

وجاءت الى مطار القاهرة سيارات فخمـة ضخمة تحمل زعمـاء اليمن وكبار وزرائه الى المقابلة الهامة •••

وانطلقت السيارات الى صحراء مدينـة نصر ••• ووجد زعمـاء ثورة اليمن أنفسهم في (زنازين) السجن الحربي •••

في (الزنزانة) رقم واحد أحمد محمد النعمان عضو المجلس الجمهوري ورئيس وزراء اليمن •••

في (الزنزانة) رقم ٢ الفريق حسن العمري القائد العام للقوات المسلحة وعضو المجلس الجمهوري ••

في (الزنزانة) رقم ٣ حسن مكي نائب رئيس الوزراء •

في (الزنزانة) رقم ٤ العقيـد حسن المسوري سفير اليمن في القاهـرة ورئيس هيئة أركان الحرب •

في (الزنزانة) رقم ٥ العقيد ابراهيم الحمدي نائب القائد العـام وقتـئـذ ، ورئيس مجلس القيادة فيما بعد ••• (اغتيل) •

في (الزنزانة) رقم ٦ أحمد عبده سعيد ...

في (الزنزانة) رقم ٧ محمد الحججي ...

في (الزنزانة) رقم ٨ محسن آلسري ...

في (الزنزانة) رقم ٩ يحيى المتوكل ...

في (الزنزانة) رقم ١٠ درهم أبو لحوم ...

في (الزنزانة) رقم ١١ محمد أبو لحوم .

في (الزنزانة) رقم ١٢ أمين عبد الواسع نعمان ...

أما القاضي عبد الرحمن الارياني فقد وضع تحت الحراسة في منزل قريب من السجن ..

مجلس وزراء بكامله مع رئيسه في (زنازين) السجن الحربي بالقاهرة. وهؤلاء زعماء ثورة اليمن التي مات ألوف من الشباب على أرض اليمن من أجلها ...

استمر هؤلاء الزعماء مسجونين من يوم ١٦ سبتمبر ١٩٦٦ الى يوم ٦ اكتوبر ١٩٦٧ أي عاما كاملا وشهرين اثنين . أي ٣٨٧ يوما ...

وكانت معاملة زعماء ثورة اليمن ووزرائها كمعاملة المسجونين في السجن الحربي سواء بسواء ..!

كانت (الزنزانة) تغلق عليهم طوال ٢٤ ساعة ولا تفتح الا ليذهبوا الى دورة المياه ... كانوا يدقون على أبواب (الزنازين) ليذهبوا الى دورة المياه ، فيتشامخ الحارس في وجوه القادة ويقول لهم :

(ان هذا لا يتم الا بعد الحصول على أمر الفريق حمزة البسيوني مدير السجن الحربي !) .

وكان رئيس الوزراء أحمد محمد محمد النعمان يصرخ من وراء الباب وهو في حالة ضيق .. وحارس السجن يتواقح ويقول له (لسه) !

كان الرئيس النعمان يصرخ بدوره ويقول :

(في عهد الامـام كنا نطالب بحرية (القـول) ، والآن نطالب بحريـة (البـول) ...

ومكث الرؤساء ستة أشهر لا يرون أولادهـم أو زوجاتهم ... ولـم يسمح لهم بقراءة الكتب ، ولا حتى بكتاب القرآن الكريم ..

وحفر الرئيس أحمد محمد النعمان على جدران السجن الحربي قصيدة من أبياتهـا :

في ظلام السجون أحيـا وحيدا — بين أحـلام يقظـة ومنـام
بـين جدران غرفـة ذات باب — محكم الغلق أيمـا احكـام
لا ترى العين وجـه حـر كريم — أو صديـق أو عابـر للسلام
لا أرى الشمس أو أحس بدفء — من اظاها يـدب في الاجسام
لا أرى الجـو ، أو أشم هـواه — غير جـو المرحاض والحمـام

وتناقل المسجونون السياسيون هذه الابيـات ، ولحنوها ، وكانوا يغنونها في السجون كالنشيد ... وجاءت الهزيمة الحزيرانية عـام ١٩٦٧ ، وألفـت الجامعة العربية لجنة لانقاذ أحرار اليمن ... فخرجوا مـن السجن الحربي ، وعادوا الى اليمن ليقودوا المعركة من جديد ... ولكن !

لم يكن السجن الحربي في القاهرة هـو السجن الوحيد الـذي دخله احمد محمد النعمان ... فقبله عرف سجون الامام لانه ثار ضده ...

كان يعتقد انه لن يستطيع ان يخلف لابنه من بعده سوى السجون ... ولكن ولده محمد خلف له الشهادة لكي تكتمل المأساة العربية فصولا ..!

ان حياة احمد محمد النعمان ... الثائر المزمن ... خريج الازهر ... الزعيم ... الرئيس ... الديمقراطي حتى نخاعـه الشوكـي ... المؤمـن بالارث والتراث ... المواجه للحياة بالبسمة الساخرة ابدا.. والذي استطاع ان يصرع الاحداث دون ان يمكنها من التأثير فيه ... الرجل الـذي كـان

يستدعى لرئاسة الوزارة في الملمات فيأتي الى الحكم لكـــي يمســـح ببسمته الجراح الاليمة ••• هذا المكافح ، المنافح لكل انواع الطغيان ••• اماميـا كان ام جمهوريا ••• مدنيا كان ام عسكريا ••• هذا الحكيــم ••• يتجسد فيه الكمال الحي ••• همسة الكمال التي توسوس في صدره تدفعه دوما لان يترفع عن النقص ••• والعقم ! ومنذ ان تعرفت عليه وعلـى سيرته وانا احس بان الفرح لديه كالحزن ••• كلاهما يستقر في قلبه ••• يعــرف كيف يفــرح بصمت ••• ويحزن بصمت ••• ويواجه كل هذا بالبسمة الساخرة العميقة•• وبالثقة في الفوز بالجولة المقبلة •••

ان روح النضال في جسمه انما تكمن في ابتسامته ••• وطالمـا أرهبت هذه الابتسامة الطغاة ••!

لم تكن نظرته لحظة رؤية ولده محمد وهو نائم نومته الاخيرة ، أكثـر من محاولة جادة لانقاذ أمة العرب من الجحيم الذي تعيش فيه ••• منـذ ان استعاض بعض أبناء هذه الامة بالرصاص بدلا من الكلام لحل خلافاتهم •••

ان هذه الابتسامة المرتاحة أبدا على وجه الرجل ، انمـا يريد من ورائها أن يقنع الآخرين بأن الجريمة تولد الجريمة ، والرصاص يستولد الرصاص •• والاغتيال يجر الاغتيال ••• والبسمة تنتزع البسمة ••!

لهذا كان صلبا صلدا وهو يرى ولده محمد يقدم نفسه قربانا على هذا المذبح ••• مذبح الدم المراق ظلما وعدوانا وهمجية ••!

ان الوالد يدرك جيدا أن ولده محمد قد قبله اللــه في وجهه حين اختار له هذه النهاية ، ويعرف أيضا أن محمدا ما كان ليقتل على هذا النحو لو التحق بالمعسكر المضاد الشرعية ••

الشرعية ؟

نعـم ••!

هذه الشرعية التي تتمثل بثلاثة حكماء غادروا اليمن عشية الانقلاب لكي لا تشرب الارض اليمنية من دماء أبنائها ••• فقد شبعت هـذه الارض مـن الاشلاء لكثرة ما شربت من الدماء على مدى نصف قرن ! والثلاثة هم أعضاء المجلس الجمهوري :

(القاضي عبد الرحمن الارياني ••• أحمد محمد النعمـان ••• الشيخ عبد الله الحجري) •

لقد حمل هؤلاء الشرعية معهم في الطائرة التي أقلتهم من (تعـز) ••• وتركوا في صنعاء السلطة لمن يسعى اليها ••• فرغم استقالة الارياني والنعمان والحجري ، فانهم ما يزالون يمثلون الشرعية الشعبيـة ، وليس الشرعيـة الرسمية التي قامت بقيام الانقلاب •••

لقد اعترف العالم بالانقلاب ، على غرار ما اعترف باخ لـه من قبل ••• ولكن يظل هذا الاعتراف ناقصا •• ان اقامة الارياني في دمشق ، والنعمان في القاهرة ، والحجري في لندن تزيد الامور تعقيدا في اليمن ••• وتشاء الاقدار الظالمة أن يغتال الحجري في لندن لتستكمل المأساة ••

لا أريد أن أروي سيرة أحمد محمد النعمان هنا ••• ولكنني أريـد أن أروي سر ابتسامته فقط ••• ان هذه الابتسامة تروي وحدها كما في صدقة قصة السيرة والسريرة ••• وحدها ابتسامـة النعمان تمردت عـلى السجون والسجانين ••• وما تزال تعيش معه في جده •• والقاهـرة ، وستظل تطـل علينا من جديد لتغسل جراحنا ••• أما جراحه فـلا تكفي ابتسامات الدنيـا لغسلها ، لانها جراح أمة ، وليست جراح شخص ••

فؤاد
سراج
الدين

هذا الفارس لن يترجل



ـ ازيك يا باشا ؟

ـ الحمد لله صحتي كويسة !..

ـ متى وصلت الى بيروت من القاهرة ؟

ـ مبارح بس ... وحشتني بيروت والمصايف والحبايب ... وحشوني الاصدقاء ..!

ـ أراك ما تزال تدخن السيكار وتبتسم رغم ما مر عليك من محن وما واجهت من صعاب ... أما تزال تحب الناس ؟

ـ ايوه ... أنا لم أنقطع عن تدخين السيكار الا أثناء وجودي في السجن ... أما الابتسامة فقد كانت رفيقتي منذ أن تعرفت على الحياة ، فهي لم تفارقني في أشق اللحظات الحرجة التي واجهتها ... يبقى حب الناس ، دي حاجة متأصلة في نفسي ... أنا ما اقدرش اكره حد ... تصور انني لم أستطع أن أكره حتى الذين ظلموا بلادي ... حب الناس عادة متأصلة في روحي ورثتها عن أبي الله يرحمه الذي كان يحب الناس ، والناس برضه بتحبه !

قال فؤاد سراج الدين باشا عباراته هذه ورمى نظراته على البحر وأطلق لذكرياته العنان ..! ولكن من هو هذا الرجل الذي ملأ الدنيا وشغل الناس وما يزال ؟

قد يكون الجيل الجديد في الساحة العربية لم يسمع بهذا الاسم الا مؤخرا ، ولكن الجيل الماضي ، جيل النضال من اجل الاستقلال والحرية لا يمكن أن يغيب عن سمعه ، فهو الاسم المنقوش على صفحات التاريخ العربي المعاصر ... التاريخ الوطني والسياسي بكل ما فيه من تناقضات وصخب وكفاح و ... انسانية !..

انه باختصار (الوطني) الذي ينسى شخصه فلا يرجو ، ولا يخشى ، ولا يغضب ولا يرضى ، وانما يرجع كل شيء الخير العام .

فقد يتحلى انسان بالمظهر الخارجي للوطنية دون أن تكون لــه صفاتها الجوهرية الاصلية ، كالنقود المزيفة لها التماع وينقصها الوزن ••• أما الرجل فقد ظل دائما وأبدا ، محب للناس ، رغم التهم الظالمة التــي واجهها على مدى نصف قرن بصدر مفتوح ، فكانت النصال تتكسر عــلى النصال دون أن تنال منــه •••

رأيته في مطلع صيف ١٩٧٤ ، وبعد عشرين سنة من لقائي الاخير معــه ، رأيته وكأنني فارقته بالامس ! القسمات النبيلة الحانيــة والباسمة والمشوبة بالنضارة ما تزال على حالها ••• وتأكد لي أن النفوس الرضية لا يمكــن أن يقتحم حنانها شحوب الزمن ، أو تجاعيد الحياة • ولو أن الذي مر على الرجل مر على أحدنا لتحول الى شبح ••• ولكن (ابن النضال) يعرف كيف يواجه الصعاب ويتحداها ويبتسم ••

حين دخلنا أحد مطاعم (الروشة) بدأت الاصابع تشير اليه من بعيد ••

انه الباشا بشحمه ولحمه ••• بمشيته الرصينة وابتسامته المرتاحــة على وجهه ••• وبرأسه المرفوع عاليا ••

البعض سلم باستحياء ظاهر ، والبعض لم يتمكن مـــن التغلب عــلى شعوره فأقبل يسلم بيديه ، كانت الابتسامات تستقبله قبل الايدي •

وبالقرب من الشرفة المطلــة على البحــر جلسنا نتحدث عـــن الماضي والحاضر ، ولم يسعفنا الزمن للحديث عن المستقبل الــــذي كان في تلــك اللحظات يحتاج الى رمل المنجمين ••

ولانني أعرف البحر ، وأعرف الباشا رحت أنقل نظراتي بينهما ••

هذا البحر كم عرفته ثائرا يتمرد كعقل فيلسوف ، مياهــه تهــدر وتزأر وتنطح الشاطىء ، ويمد البحر لسانه الى الرمــال يلعقها ويحمل عــلى كتفيه العاريين ، يحمل كل الرمال الزائدة فيعلو بها فوق الموج ، أو يهبط بها تحــت الموج والبحر يبتسم ••• الماء في البحر لا يركد ، ولا ينقص ، ولا يتحرك في

غموض ... انه في حركته الصاعدة الهابطة أشبه بسطور مكتوبة فوق شاشة السينما ... كلما حاولت أن تقرأ سطرا اختفى وظهر سطر آخر يختفي قبل أن تقرأه .

رنوت الى البحر بحنان والى السراج بعيون مبهورة هي عيون ذكرياتي .

البحر الساحر العبقري فنان ... اذا لم يجد حوافز خارجية تشحذ صخبه عكف على تأملاته وهدأ واسترخى ... كان حال البحر في تلك اللحظات التي رحنا نحدق في مياهه ، كحال السراج ، والفرق بينهما أن البحر كان في حالة هدوء واستكانة ... لقد مد ذراعيه وساقيه واستلقى على ظهره وتدثر بغلالة زرقاء كلون السماء التي بدت من بعيد وكأنها قبة جدرانها العريضة في أعماق البحر ، وملأ سقفها رقعة الفضاء ... أما فؤاد سراج الدين فقد نفض عنه الحديث غبار حب قديم ، فتهيأ بكل قلبه الابيض الى حب جديد .

ان أي مهتم بالتاريخ المعاصر في الربع الثاني من القرن العشرين ، لا بد أن يتوقف طويلا أمام رجل (حزب الوفد) القوي . والمفروض أن التاريخ يبدأ بتجمعات الناس العريضة ويتبع حركاتها ، وسراج الدين واحد من أبرز رجال (حزب الوفد) من هنا كان اهتمام التاريخ المعاصر بسيرته ..

من الامثال السائرة ان الذي يخفي حقيقته قد يعرف باكتشاف رفقائه ، فاذا حاول (الوطني) أن ينشر الآراء الصحيحة بين الطبقات العليا ويضبط بتأثيرها أمر الطبقات الدنيا ، واذا اشترك مع الحكماء والمعتدلين والفضلاء ، فان حبه للشعب يسجل حسنة له ، أما اذا كان التفاته الاول الى المعسرين المستعدين دائما للانفجار ، والى الضعفاء ، وهم بطبيعة الحال كثيرو الشك والارتياب ، والى الجهلاء الذين يسهل تضليلهم ، والى المتهتكين الذين لا أمل لهم الا في ظروف السوء والفوضى ، فان حبه للشعب لا يشرفه كثيرا ...

سراج الدين كان من هذا الطراز الرفيع من الرجال ، فهو لا يسرف في بذل الوعود ، ولا يتعهد بالغاء القوانين أو تغيير الانظمة ، لانه يعلم أن المستقبل ليس خاضعا لسلطانه وان ليس كل الازمنة ملائمة على السواء التبديل والتغيير ..

من أجل مكانة (حزب الوفد) وقوته وشعبيته كان ظاهرة غير مرغوب فيها وفي بقائها ، لا في أيام الملك فؤاد ، ولا في أيام الملك فاروق ... فمجرد وجود بناء تسكنه كتل كبيرة من الناس ، ويقوم بوظيفة الجامع لها ، وان يوجد رباط يحيل الافراد الى مجموع لهو في حد ذاته تهديد لسلطة أي قوة تمادي أكثرية الشعب ... و (الوفد) هو نوع من الحشود تخشاها القوة الطاغية ، ولن يزول الخطر عليها بموقف الهدوء وحده ، لن يزول الا بأن ينفرط العقد ويتحول الجميع الى أفراد مشتتين متناثرين ... فقد تتحول المجموعات المحتشدة داخل الوفد الى قوة ضد النظام برمته ، وليس شرطا أن يبدأ هذا التحول من قيادة الوفد ، بل قد يحدث — على الرغم منها — من قواعد الحزب التي تعلمت (الحرية) من قادتها ..

لهذا أعدت أحزاب الاقلية في عهدي فؤاد وفاروق ، وفي عهدي عبد الناصر والسادات ، كل أسلحتها لتصفية الوفد ، وتصفية رئيسه وقادته ، وبدأت بتجميع القوى المعادية له ، وكانت هذه السياسة المعادية لاهداف الاكثرية الكاثرة سببا في بقاء حزب الوفد في ميدان التحدي الكبير . نشأ حزب الوفد في ظروف تاريخية ، دولية ومحلية فرضت عليه فرضا أن يقود الكفاح الشعبي ، كان حزب التجمعات العريضة وقائدها في كفاحها من أجل الحرية والجلاء ، وقد تحدد جهاده الديمقراطي في اطار دستور (١٩٢٣) ، وتحدد جهاده الوطني في استثمار كافة الامكانيات والضغوط المحلية والدولية وصولا الى جلاء المحتل بشتى الطرق ، ومنها طريق المفاوضة باعتبارها أحد الاساليب المتوفرة في ذلك الوقت ، واحتفظ (الوفد) بشعبيته باعتبارها السند الاقوى ، وخاض حزب الوفد المعارك ضد الاحتلال بنجاح ، وبذلك

كان الحزب الذي حمل ثورة ١٩١٩ على كتفيه ، وكانت معاهدة ١٩٣٦ ، هذه المعاهدة التي بقيت موضع أخذ ورد .

في تلك المرحلة دخل الى (حزب الوفد) من البـاب العريض ، الشاب الثري ، ابن العائلة الكبيرة والوجيهة ، فؤاد سراج الدين . وتزايد نفوذه على قيادة الحزب خلال الاربعينيات فأصبح أمين الحزب ، وبدأ نجمه يسطع ..

الاعداء قبـل الاصدقاء اعترفوا بأن الشاب الـذي قفز من أسفل سلم حزب الاكثرية الشعبية الى القمة طموح .. ولو لم يكن الطموح من صفاتـه لما رفض التعاون مع رجال حركة ٢٣ تموز (يوليو) وبسبب موقف الرفض هذا دخل السجن مثنى وثلاث ورباع ، ولم يستسلم ..

أذكر ذلك ولا أنساه ..

أذكر يوم كنت مراسلا لجريدة الجمهورية القاهرية في الشرق الاوسط، وبهذه الصفة استطعت حضور جلسات محاكمة فؤاد سراج الدين ..

كانت حركة الضباط الاحرار قـد تمت وزعيم الامـة مصطفى النحاس رئيس الحزب ، وأمينه فؤاد سراج الدين في اجازة صيف بسويسرا ، وصلوا الى جنيف يوم ٢٤ يوليو (تموز) بعد قيام الثورة بيوم واحد ، وبعد رحلـة بالباخرة ، وفور وصولهما اتصل بهما بعض أعضاء الوفد طالبين منهما العودة. وعاد النحاس وفؤاد بالطائرة، وكانت هذه أول مرة يركب فيها النحاس طائرة في حياته . تحركت الطائرة من جنيف عصر ٢٦ تموز (يوليو) قبـل أن يعلموا بعزل الملك ، وقد عرفوا ذلك من الطيار الذي أبلغهم بـه فور سماعه مـن الاذاعـة ..

وصلت الطائرة الى القاهرة بعد منتصف ليل ٢٦/٢٧ يوليو ... وفـي المطار طلب منهم الاستاذ أحمد أبو الفتـح رئيس تحرير جريـدة (المصري) ــ جريدة الوفد ــ زيارة رجال القيادة ، وهم بانتظارهم . كانت الساعة قـد

تجاوزت الثانية صباحا حين وصل النحاس وفؤاد الى مبنى القيادة العامة للثورة ، حيث كان بانتظارهما اللواء محمد نجيب وبقية أعضاء مجلس الثورة.

رحب نجيب ورفاقه بالقادمين ..

احتضن نجيب النحاس ، وكان هذا اللقاء الاول والاخير بين مصطفى النحاس وأعضاء مجلس الثورة ، بينما تعددت اللقاءات مع سراج الدين .

كان النحاس مقبلا بقلبه على الحركة ، سعيدا بعزل الملك الذي طالما اعتدى على الدستور وأقال الوزارات الشعبية ، وكان النحاس وأمينه يعتقدان للوهلة الاولى أن الحركة قد تمت في اطار الدستور وانها لن تلبث أن تعيد البرلمان الذي حله فاروق .

لمس النحاس ترحيبا خاصا من جمال عبد الناصر وخالد محي الدين ويوسف صديق ، ولكن هذاالترحيب كان يخفي في طياته الادراك بأن الوفد يمثل الخطر الحقيقي على سلطتهم الوليدة .

طلب سراج الدين تحديد موعد من اللواء محمد نجيب ، ولكن أحد أقربائه (اليوزباشي عيسى سراج الدين ــ السفير فيما بعد ــ) دعاه الى منزله في الزيتون للقاء جمال عبد الناصر ، وقد امتد هذا اللقاء التاريخي من الخامسة مساء حتى الثانية صباحا ..

لم يكن هذا اللقاء مرتجلا ، فقد كان لا بد منه بعد استيلاء الضباط الاحرار على السلطة . في الساعة السادسة من مساء ٢٠ (أغسطس) ــ آب ــ ١٩٥٢ تم اللقاء الاول بين الطرفين ، وكان الحاضرون :

(من جانب الضباط : جمال عبد الناصر ، عبد الحكيم عامر ، صلاح سالم ، أحمد شوقي) .

(من جانب الوفد : فؤاد سراج الدين ، أحمد أبو الفتح ، ابراهيم طلعت) .

أما صاحب البيت عيسى سراج الدين فلم يحضره رغم أنه من الضباط الاحرار .

لقد كتب الكثير عن هذا اللقاء ، وقد رجعت الى بعض من حضروه واستقيت معلوماتي منهم . بعد حوار قصير بين الحضور ، وبطلب من سراج الدين ترأس الاجتماع جمال عبد الناصر ، فقال : (.. الاخ صلاح سالم أثار موضوعين ، الاول موقف الوفد من مشروع قانون تحديد الملكية الزراعية والثاني مقدار ما يمتلك سراج الدين باشا ، ونطلب من الباشا أن يتكرم أولا بالكلام عن الموضوع الثاني علشان نخلص منه ، بعدما روت الشائعات أن الباشا يمتلك عشرين ألف فدان ببلدته (كفر الجرايدة) ..

قال فؤاد سراج الدين :

(... الصحيح أنني أمتلك مع أسرتي حوالي (٣٠٠) فدان ، جزء منها أمتلكها بالميراث والجزء الآخر من الاراضي البور سبق أن استصلحتها ، وأنا على استعداد لان أتنازل للدولة عن أي قدر من الاراضي تزيد على ذلك ، وتستطيعون التأكد من واقع المكلفات الزراعية عن هذا) .

جمال عبد الناصر : أنا متأكد من ذلك ، ونعتبر هذا الموضوع منتهيا ..

بعد ذلك بدأ الحديث عن قانون تحديد الملكية الزراعية فقال سراج الدين :

(.. نحن في حزب الوفد نوافق من حيث المبدأ على هذا القانون) ..

وأنصت الجميع لحديث الرجل وهو يتناول الموضوع باسهاب ، ويبدي ملاحظاته على ضوء تجاربه فقال :

(... أريد أن أنبهكم الى أمر ، وهو انني مع ٩٠ بالمئة من أعضاء الوفد لا تتضرر من هذا القانون) .

بعد ذلك انطلق جمال عبد الناصر يتحدث فقال :

(•• ان بعض الاشخاص من الاعضاء البارزين فـي الاحزاب السياسية لم يكونوا في الماضي على مستوى المسؤولية من النزاهة والسلوك الوطني ، وانه على الاحزاب أن تتخلص من هؤلاء وخصوصا الوفد ، لان المفروض بأن الوفد هو الذي سيتولى الحكم بعد اجراء الانتخابات فيجب أن يكون قادته فوق كل الشبهات) •

وهنا تدخل عبد الحكيم عامر في الحديث فقال :

(••• أحب أن أقول لاخواننا المدنيين انه احنا جادين في تسليم البلـد لاصحابها ، وليس لنـا أي مطمع في الحكـم ، فنحـن عسكريون ولا نعرف أساليب السياسة ، وليست لنا أية خبرة تؤهلنا لتولي الحكم ، وقد طلب منـا كثيرون ان تتولى الحكم بواسطة وكلاء الوزارات ، ووافق بعض زملائنا في مجلس القيادة ، ولكننا كما قلت جادون في اعادة الحياة الدستورية ، والعودة الى ثكناتنا للتفرغ لانهاء الاحتلال البريطاني بعد خروج الملك) ••

شكر سراج الدين لقـادة الثـورة حسن نواياهـم بالنسبة للحيـاة الدستورية ، وغيرتهم على مستقبل البلاد ، وأضاف بأنه من الطبيعي أن تفرض الظروف بعض الشخصيات على الاحزاب ، خصوصا اذا كانت تتولى الحكم••

وثار نقاش حاد حول أعضاء الوفـد وضرورة التخلص مـن البعض ، واعتذر سراج الدين عن عدم استطاعته وعد الحضور بشيء في هذا الامر الا بعد الرجوع للنحاس باشا ، ومناقشة هذا الموضوع معه ، ولكنه أكد بالحاح على أهمية الحاق الشباب المشهود لهم بالوطنية والكفـاءة بعضوية الوفـد (عضوية الوفد تضم أبرز الوفديين الذين يشكلون القيادة الفعلية للحزب) •

حول هذا الموضوع (تنظيف الحزب) طال الحوار وتشعب ، وبدأ عبد الناصر يفسر مطلبه بتنظيف الوفد من خلال تحليل سياسي طويل أنصت اليـه فؤاد بامعان واهتمام لانه كان يرسم صورة تفصيلية لتفكيره وقتها ، وللوضع السياسي كما يراه رجل الثورة القوي ••

وكان يشاركه في رسم الصورة عبد الحكيم عامر ..

قال جمال عبد الناصر :

(.. ان علي ماهر (كان يومها رئيسا لوزارة الثورة) يحاول الانفراد بالسلطة ، كما كان يحاول تأجيل عودة الحياة الدستورية للبلاد ، وكان يعتقد أنه السياسي الوحيد الذي يستطيع أن يقود السفينة في العهد الجديد بدليل أن الاختيار قد وقع عليه لتأليف الحكومة عند قيام الحركة ، مع اننا اخترناه علشان يغطي الحركة ، لانه طول عمره كان رجل السراي الاول ، استحوذ على الملك وهو طفل وأسرع باعطائه سلطاته الدستورية وانهاء سلطة الوصاية عليه ، وبذلك أصبح الملك مدينا له ، ومنحه ثقته الكاملة ، وكانت هذه فرصة علي ماهر لتحقيق مطامحه ؛ فاعتقد أنه أصبح ملك البلاد ، وبدأ يتصرف على هذا الاساس ، ولولا حزب الوفد وتمسكه بالدستور ، وخوف الملك وماهر من الشعب لكان ماهر طغى أكثر ، والحقيقة يا اخوانا ان دي فضيلة الوفد التي لا يمكن لاحد أن ينكرها ... الدستور وحكم الشعب.. وعلشان كده احنا النهار ده بنتكلم بقلب مفتوح مع فؤاد باشا باعتباره ممثل حزب الوفد ، وبالعربي احنا عاوزين نتعاون معه باخلاص ، لان تعاوننا مع الوفد يحل مشاكل كثيرة) ..

ومضى عبد الناصر يتحدث باسهاب عن الاوضاع السائدة في مصر ، وأهمية الاستقرار للحركة وقال :

(.. ان الطريقة الوحيدة للاستقرار هي أن تتعاون الثورة مع الوفد ، لان الوفد أكبر تنظيم جماهيري ديمقراطي ؛ فيه المسلم والمسيحي ، والعامل والفلاح ، والغني والفقير ، يعني يضم فئات الشعب المختلفة ، وطبعا احنا علشان نسلم الامانة للوفد ، لازم نكون مطمئنين الى أن قيادته فوق مستوى الشبهات ... صحيح ان أكثر زعماء الوفد مشهود لهم بالنزاهة والوطنية ، لكن برضه فيه قلائل يعرفهم فؤاد باشا جيدا ، واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر

الاشاعات حواليهم كثيرة ... وأنا طبعا مش عاوز أذكر أسماء لانكم تعرفوهم أكثر منا ... وده السر يا باشا في اننا بنقول ان الاحزاب لازم تطهر نفسها عاشان الشعب يطمئن الى السياسيين اللي في الحكم) ..

وأنهى جمال تحليله العام بقوله :

(.. أحب كمان أن أقول ان فيه ناس كثير من الملتفين حولنا الآن بيقولوا لنا انتم لو عملتم انتخابات الوفد حينجح مئة بالمئة ، طيب وماله لما ينجح الوفد ؟ لكن باه يهمهم الحكم الديكتاتوري ، ودول خصوم الوفد اللي الباشا عارفهم كويس ... وأحب أقول كمان ان خصوم الوفد دول بيشيعوا في البلد اشاعات كثيرة خصوصا بعدما نجحوا في انهم يحملوا مجلس الدولة على الافتاء بعدم دعوة البرلمان للموافقة على ما حدث ، واحنا مالناش دعوه بالحكاية دي ، لان أعلى سلطة في القضاء هي التي قالت كده ، وخصوم الوفد انتهزوا فرصة نجاحهم في الحكاية دي وبيشيعوا عننا اننا ضد الوفد ، واحنا لا ضد الوفد ولا حاجة .. والا ماكناش عملنا الاجتماع ده ، وأحب أن أؤكد للباشا اننا جميعا في مجلس القيادة بنحب النحاس باشا ونعتبره زعيم كبير ووالد الجميع ... وكمان أحب ان أقول ــ مش لانه فؤاد باشا موجود ــ ان نزاهة الباشا ووطنيته فوق كل شبهة ، وان لــه فضل كبير على حركة الكفاح المسلح ضد الانكليز بعد الغاء المعاهدة، واعتقد أني أنا قلت كل حاجة بصراحة ونحب تسمع فؤاد باشا رأيه ايه في الكلام ده ؟) .

رد سراج الدين شاكرا لعبد الناصر واخوانه ثقتهم في النحاس وفي شخصه ، وأردف بأن ما قاله جمال عبد الناصر هو كلام ممتاز وتحليل دقيق للامور ، وقال انه يرجو ان يكون الوفد عند حسن ظن الشعب به ، وانه يرجو أيضا في ظل هذه الثقة ان يؤدي الوفد واجبه الوطني نحو قضايا البلاد مؤكدا أن الوفد يوافق على مشروع قانون تحديد الملكية الزراعية ، ويرحب بصدور مثل هذا القانون . وانه يعلن من الآن موافقته على المبدأ ، وسوف يتقدم بما عسى أن يكون هناك من اقتراحات موضوعية لا تمس جوهر القانون حتى لا

تنشأ صعوبات في التطبيق ، وانه سيتحدث مع النحاس باشا في اقصاء بعض أعضاء الوفد والهيئة الوفدية ، لان النحاس باشا بما له من سلطة أبوية على الجميع ، هو القادر على اقناعهم بأن يقصوا أنفسهم بالاستقالة أو أن يأمر باقصائهم ، وتم الاتفاق على التعاون بين الوفد ورجال القيادة ، على أن يكون رائد الطرفين الصالح العام والصراحة الكاملة ، وأن الوفد على استعداد لحضور أي اجتماع مع رجال القيادة لمناقشة أي أمر بناء على طلب أعضاء مجلس القيادة .

وانتقل الحديث بعد ذلك الى تسمية من سيتولى رئاسة الحكومة المحايدة لاجراء الانتخابات بعد خروج علي ماهر ، فقال جمال عبد الناصر :

(ان مجلس القيادة يرشح واحد من اثنين : الدكتور عبد الرزاق السنهوري أو الدكتور وحيد رأفت) .

أجاب سراج الدين انه يفضل الدكتور وحيد رأفت ، بالرغم من ثقته في السنهوري أيضا .

وانفض الاجتماع ، وبدأت الاحداث تتسارع مما أوصل الامور الى الوقيعة بين الوفد ورجال قيادة الثورة . تحدد يوم آخر لاجتماع قيادة مجلس الثورة بفؤاد سراج الدين ، وفي صبيحة ذلك اليوم ، وكان سراج الدين في طريقه من الاسكندرية القاهرة لحضوره ، قرأ خبرا نشره الصحفي مصطفى أمين في ملحق (آخر لحظة) التابع لمجلة (آخر ساعة) وفيه يقول ان فؤاد سراج الدين قد صرح بأنه (وضع ضباط القيادة في جيبه) ، وتوقع سراج الدين بعد قراءته لهذا الخبر المختلق من أساسه الغاء الاجتماع ، وقد كان .

كان مصطفى أمين المعروف بعدائه للوفد ورجاله قد دس هذا الخبر ليبعد حزب الوفد عن الثورة ، وأدرك سراج الدين الغاية من هذا الاختلاق فسرعان ما أدلى بتصريح لجريدة المصري يوم السادس من سبتمبر ١٩٥٢ قبل تولي محمد نجيب الوزارة بيومين ، وقبل اعتقاله بأيام قليلة قال فيه :

(•• ان الوفد وافق على مبدأ تحديد الملكية الزراعية من حيث المبدأ وله ملاحظات وتعديلات على المشروع الذي نشر ، وقد سبق أن أبلغنا تلك الملاحظات الى الجهات المسؤولة في أسرع وقت ••• اننا وافقنا على المبدأ الذي هو من صميم المشروع اما ملاحظاتنا فهي مقتصرة على التفاصيل فقط دون الجوهر ••) •

بعد ذلك بأيام معدودة اعتقل سراج الدين ، وهو في السجن صدر قانون تنظيم الاحزاب فقد كانت المعركة الرئيسية مع الوفد وحوله ، ذلك أن الاحزاب الاخرى لم تكن تشكل القوة الضاغطة • فجميع الاحزاب التي كانت قائمة قد تساهلت في موضوع الدستور ، ما عدا حزب الوفد وأمينه العام سراج الدين الذي أرسل من سجنه استقالته من الوفد ومن مجلس الشيوخ قائلا في استقالته التي وجهها الى زعيم الامة النحاس باشا (انني استقيل اخلاصا للوفد ولشخصكم) •

وتنفيذا لقانون الاحزاب أصدر الوفد برنامجه يوم ٢١ سبتمبر ١٩٥٢ باعتباره (هيئة سياسية ديمقراطية اشتراكية لتحقيق الاستقلال والوحدة ورفض جميع صور الدفاع المشترك) •

ومن المفارقات العجيبة ان الصحف المصرية المعروفة بميولها الامريكية (صحف أخبار اليوم) قد بدأت تشن هجوما لا أخلاقيا على حزب الوفد ورجاله •

تجمع أعداء الوفد حول الثورة ، ورغم البيان الذي أصدره النحاس بالقبول بأن يكون زعيما شرفيا للوفد ، فان أعضاء الوفد اجتمعوا وأصدروا يوم ٢٧ سبتمبر ــ أيلول ــ البيان التالي :

(•• نظرا لما صح في يقين الوفد المصري من أن المقصود هو محاربة الوفد ومحاولة هدمه والتخلص منه قرر الوفد المصري باجماع الآراء الا يقدم الى وزير الداخلية اخطارا باعادة تكوينه) •

لقد شعر النحاس منـــذ اعتقال أمينه فؤاد بـأن الثورة تناصب الوفـــد العداء لتمسكه بالدستور، فسرعان ما ضم الى هيئـــة الوفد محمـــد صلاح الدين ، وابراهيم فرج الذي عين أمينا مؤقتا للوفد لحين خروج سراج الدين من السجن ، كما رفضت استقالة سراج الدين •

وكتبت جريدة المصري مقالا افتتاحيا صباح ذلك اليوم جاء فيه :

(الشعب الذي يحبك يقول عاش النحاس زعيم الشعب ، ولا وفـــد الا برئاسة مصطفى النحاس) •

كان مجلس الدولة حتى هذه اللحظة يعتبر سندا للحريات والديمقراطية، لهذا قدم ٢٥ معتقلا سياسيا قضية أمام مجلس الدولـــة لبطلان قرار الاعتقال ، وكان الرد حبسهم انفراديا •

وتشكلت محكمة الثورة برئاسة قائد الجناح عبـــد اللطيف البغدادي ، وحددت اقامة النحاس وحرمه في منزلهما • كانت هذه المحكمة موجهة أساسا لمحاكمة الوفد ، ورجاله ، وكانت محاكمـــة سراج الدين أطـــول المحاكمات اذ استمرت ٤٥ جلسة •

ولكن لماذا قدم جمال عبد الناصر أمين الوفد للمحاكمة ؟

كنت بحكم عملي الصحفي أتردد كثيرا على القاهـــرة ، وكانت علاقتي بالعديد من قادتها جد وثيقة ، ولم يكن من السهل عـــلى أي صحفي معرفـــة الاسرار ، ففي تلك الفترة الخطرة من حياة مصر ، كان كـــل شيء يجـــري في السر ، وبعيدا عن الاسماع والانظار والافهام •

الناس صامتون ، واذا تحدثوا كان حديثهم همسا أو أقرب الى الهمس، لا يجرؤ أحدا أن يجهر بالقول الا اذا كان مدحا بالثورة ورجالها •

في البداية حددت اقامة النحاس في منزله ، وكذلك سراج الدين ، وكان منزله قريبا من منزل النحاس • كما حددت اقامة العديد من أقطاب الوفد •

يومها انطوى الناس على أنفسهم بعد أن تمكنت الثورة مـن تخويفهم والقاء الرعب في قلوبهم ، ومع ذلك ، وفوق كل ذلك ، فان الثورة لم تكن قد اطمأنت تماما الى استمرارها ؛ فقد كان جمال عبد الناصر يعلم جيدا أنه ما لم يتخلص من جماهير حزب الوفد عن طريق تشويه سمعته وسمعة قادته خاصة، فان الامور لن تستتب له ، ذلك ان زعامة هـذا الحزب كانت مقدسة بنظـر الناس العاديين وكان عبد الناصر يردد أمام رفاقه :

(ان النحاس باشا راجل طيب ؛ واللي ييجي عليه مايكسبش) •

لهذا لم تستطع الثورة بكل ثقلها العسكري تقديـم النحاس للمحاكمة أو توجيه أي ادعاء ضده ، حتى ان أمر اعتقال النحاس في منزله لم ينشر فـي الصحف ، ذلك ان الثورة لو أساءت الى هذا الزعيم الشامخ ما كانت لتطمئن الى عاقبة الامور ، فقد كانت الثورة تخشى أن تتحين جماهير الوفد العريضة أية فرصة للظهور ، وربما للانقضاض عليها اذا جد من الامور مـا يتيح لهـا ذلـك •

في هذه الايام الحالكة السواد في تاريخ مصر بـدا في أفـق السياسة المصرية ان أحداثا خطيرة سوف تتمخض عنها الايام القريبة القادمة ، أهمهـا ان الثورة بدأت تستعد لمفاوضة الانكليز من جديد بخصوص الجلاء ، وذلك بعد أن توسطت الولايات المتحدة الامريكيـة لعـودة المفاوضات بـين مصر وبريطانيا بعد اعلان توقفها بضعة شهور ••

وهذا هو الذي دفع النحاس الى الخروج من عزلتـه القسرية ومهاجمته للثورة ؛ سواء في الخطاب الوطني الذي ألقاه على ضريح سعد زغلول في يوم ذكراه ، أو عندما أدى صلاة الجمعة في مسجد أبـي العباس بالاسكندرية ، وقد ظهر جليا لجمال عبد الناصر بالذات (وفق روايـة صلاح سالـم) ان الجماهير العريضة لا تزال على ولائها لزعيمها •

وبما ان الثورة مقبلة على أمور لهـا خطورتها كعودة المفاوضة مـع الانكليز وابرام معاهدة بخصوص الجـلاء ، فمن مصلحتها الا يرتفـع صوت بالنقد أو المعارضة ، وبدلا من أن تترك الفرصة للنـاس لمهاجمتها لمفاوضتها الانكليز ، بادرت هي لاشغالهم بتقديم قوافـل السياسيين للمحاكمة ، وكان من أخطر هؤلاء بنظر الثورة فؤاد سراج الدين •

لم تكن خطورة الرجل تتمثل في انه كان أمينا عاما لحزب الوفـد ، أو وزيرا رئيسيا في عهود حكوماته ، ولكن لانه أهم شخصية في هـذا التجمـع الوطنـي •

انه الرجل الثاني في الوفد •• ولا أتجنى على الحقيقة حين أؤكد هنا ان جمال عبد الناصر ظل طوال حياته يرقبه بحذر ، فاذا كان جمال قد استمد قوته في بداية الثورة من القوات المسلحة بعد أن عصف بالدستور الذي كان يجـد فيه الناس ملاذهم وأمنهم ورجاءهم ، فان فؤاد سراج الدين كان الرجل الثاني لثورة قديمة قادها الشعب سنة ١٩١٩ وظلت تسير بقـوة الاندفـاع الذاتي ، رغم ما اعترضها من انتكاسات ، مستندة الى ضمير الشعب ووجدانه ، حتى جددت شبابها سنة ١٩٥١ باعلان الكفاح المسلح ضد الاحتلال بعـد الغـاء المعاهدة ، وجمال يعلم حقيقة العلم ان فؤاد حمل العبء الاكبر في هذا المضمار عندما ارتفعت به الاحداث الى مكان الزعامة الثانية للحزب •

وأجدني هنا مسوقا لكي أكشف النقاب عن واقعة سمعتها من العديـد من ضباط الثورة ، وآمل أن أقـرأ تفاصيلها في مذكرات سراج الديـن ، وليعذرني الرجل في الكشف عن سر يصر على الاحتفاظ به في صدره • حدث أثناء العدوان الثلاثي على مصر اذ عقدت الثورة بكامل هيئتهـا اجتماعا فـي منزل عبد الناصر جرى فيه البحث حول أهداف العـدوان وضرورة التصدي له ، وفي هذا الاجتماع جرى صدام مباشر بين عبد الناصر وصلاح سالم وذلك حين اقترح صلاح على عبـد الناصر تسليم نفسه للانكليز والاستقالـة مـن

مناصبه ، وقد تم الاتفاق على تقسيم أعضاء مجلس الثورة الى ثلاثة أقسام ، القسم الاول يترك مصر ويسافر الى السودان لقيادة الثورة من هناك ، والقسم الثاني يذهب الى الارياف للاشراف على مسيرة النضال ، والقسم الثالث يبقى في القاهرة لادارة الحركة ، وحين سأل البكباشي أحمد أنور مدير البوليس الحربي عن المكان الذي سيلجأ اليه قسم البقاء في القاهرة أجاب عبد الناصر :

(المكان هو منزل فؤاد سراج الدين ، فهذا الرجل على رغم ما بيننا وبينه ، فانه المؤهل وطنيا وتاريخيا لكي يتصدى للاحتلال البريطاني الجديد فأنا أعرفه جيدا وأعرف قدرته على ادارة الكفاح المسلح ضد المحتل) •

وذهب أحمد أنور الى منزل سراج الدين واجتمع بـه وأطلعه على قرار مجلس الثورة فرحب به وأعلن أنه سيقود مرحلة الكفاح مجندا رجال الوفد للتضحية •

ومن المفارقات أن عبد الناصر اعتقل سراج الدين بعد فشل العدوان •

كان جمال عبد الناصر يظل ساهرا الى أن تأتيه التفاصيل من حسين الشافعي عن محاكمة سراج الدين ، فهو يعلم أكثر من غيره انه لم يكن في سلوك الرجل كانسان أو كحاكم ثغرات يمكن النفاذ اليه من خلالها ، كما ان جمال كان يتحاشى ان تنتهي المحاكمة الى نتيجة عكسية قد تكون سببا في ان تزداد شعبية سراج الدين أمام الرأي العام ، فيثبت من خلال أقواله أمام المحكمة سلامة الديمقراطية في عهد حكومات الوفد ، وسلامة موقفها من الانكليز والملك ، كما أن جمال كان يخشى من نتائج المحاكمة خصوصا مع رجل مثل فؤاد لا يزال يملك رصيدا كبيرا من الشعبية ، وهو فوق ذلك ثالث ثلاثة حملوا على أكتافهم عبء الغاء المعاهدة ، واعلان الكفاح الشعبي المسلح ضد قوات الاحتلال والثلاثة هم : (النحاس ، محمد صلاح الدين ، سراج الدين) •

ومن أجل هذا عارض بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة في البداية مجرد التفكير في محاكمة سراج الدين ومن هؤلاء المعارضين جمال عبد الناصر ، والسبب في معارضة جمال يعود الى انه يعلم دور سراج الدين في حماية العديد من ضباط الجيش المنتسبين للثورة سرا ، ومع أن الفضل الاول لاعادة السادات الى الجيش انما يعود لسراج الدين ، فان السادات كان في طليعة المتحمسين لتقديم سراج الدين للمحاكمة .

ولم يكن غريبا أن يرهب معظم أعضاء مجلس الثورة تقديم سراج الدين للمحاكمة ، فقد كان أصغر أعضاء الوفد سنا ، وأكثرهم نشاطا وحيوية ، وكان أقربهم الى قلب النحاس ، وفوق كل هذا فانه يتمتع بذكاء خارق ، وذاكرة صافية ، وأعصاب هادئة في المواقف الحرجة ، وشعبية كاسحة .

انه يعرف جميع عائلات مصر بتكوينها الطبقي والاجتماعي ، ويعرف رؤساء هذه العائلات وميولهم السياسية والاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم ، وما يرضيهم وينفرهم ..

يعرفهم من أقاصي الصعيد الى الاسكندرية وبور سعيد .

كان يملك المال والنفوذ ، وقد لمع فجأة حينما اختاره مصطفى النحاس وزيرا للشؤون الاجتماعية ١٩٤٢ لاول مرة ، لم يكن معروفا قبل ذلك من جمهرة الناس الا انه أحد أبناء الذوات ، لقد ترك منصبه القضائي المرموق لكي يشرف على زراعة الاراضي التي كانت تملكها الاسرة ، وذهل الناس حينما حقق هذا الوزير الشاب الذي تخطى شيوخ الوفد نجاحا أسطوريا في وزارة الشؤون التي أنشأها وأرسى قواعدها ، لم يكن أحد يتوقع هذا النجاح من شاب يتولى الوزارة لاول مرة ، فقد كان العهد الا يتولاها الا رجال قد اشتعلت رؤوسهم شيبا ، ويوالي سراج الدين انتصاراته بجهده وذكائه واستقامته ، لقد أصبح هذا الفلاح الشاب من ألمع نجوم الوفد الحاكم .

تولى وزارة الداخلية فأدارها بكفاءة نادرة ، واستحوذ على ثقـة جميع أجهزتها المعقدة ، ثم عهد اليه النحاس بتولي منصب الحاكم العسكري العـام في أخطر السنوات التي مرت بمصر أثناء الحرب العالمية الثانية ، ونجح في ذلك نجاحا انتزع اعجاب الخصوم قبل الاصدقاء ..

كان أصغر أعضاء الوفد سنا ، وكانت السابقة الاولى في تاريـخ هـذا الحزب ، وفجأة يترك مكرم عبيد الحزب وأمانته ، فتولى فؤاد هـذا المنصب الخطير .

لقد كانت أمانة الوفد أخطر منصب سياسي شعبي في مصر كلها ، وقـد تولاها برضى وموافقة شيوخ الوفد ورجاله الافذاذ .

لم ينجح الرجل في ادارة الوزارات الحساسة التي وليها فقـط ، ولكنه نجح أيضا كأمين لاكبر هيئة سياسية في مصر ، وذلـك حين فتح أبواب هـذا الحزب للشباب ، وكان من المسلم به ان سراج الدين هـو الخليفـة المنتظر للنحاس ، ولكن الثورة هي الثورة ، فلما اتسعت الهوة بين الوفـد والثورة بدأت الثورة في دك قلاع هذا الحزب ، وكانت القلعـة الكبرى التـي يجب هدمها شخصية سراج الدين .

عرف سراج الدين وهو في الاقامـة الجبرية في منزلـه انـه سيقدم للمحاكمة ، وذلك من خلال الهجوم الذي شنته صحف أخبار اليوم عليه ..

وصدرت الصحف صباح الاثنين السابع من (ديسمبر) ـ كانون الاول ـ ١٩٥٣ والخبر الرئيسي بها تقديم فؤاد سراج الدين لمحكمة الثورة .

وقرر الرجل أن يتولى الدفاع عن نفسه ، وراح وهو في سجنه يتفحص التهم الموجهة ضده فاذا بها جميعا لا تمسه .

وبدأت محاكمة الرجل في التاسع من (ديسمبر) ، وانتهت فـي ٣٠ (يناير) ـ كانون الثاني ـ ١٩٥٣ حيث استغرقت المحاكمـة حوالي شهرين كانت تعقد خلالها الجلسات كل يوم تقريبا .

صمد الرجل أمام المحكمة صمودا أذهل حكامه ، ودافع عن نفسه كأقوى ما يكون الدفاع : لقد أرادت الثورة أن تدين الوفد بشخصه ، كان المقصود أن يغتال سراج الدين اغتيالا سياسيا ، وعلى يد الشهود الذين كانوا من ألد أعداء الوفد ، وأثبت الرجل لحكامه انـــه كان عـــلى مستوى المسؤولية السياسية كأمين لاكبر هيئة سياسية في البلاد ... كما ثبت من المحاكمة أنـه كان من أكثر الوزراء اقتدارا على تسيير الامــور في الوزارات التـي تولى مسؤولياتها .

واتضح الناس أن اختيار النحاس له في المناصب الكبرى لم يكن وليـد الاستلطاف أو الصدفة ، ولكن كان ذلك بسبب قدرته ومواهبه وطاقاته .

لقد تحولت ساحة المحاكمة الى حلبـة صراع بين الرجل وبـين خصوم الوفد ، واستطاع أن يصرعهم جميعا ، وفرض احترامه على أعضاء المحكمة يوم وجه رئيس المحكمة اليه قوله :

ـ المحكمة تريد أن تخرج من هنا وأنت طاهر الذيل ، وقد أثبت بالفعل نزاهتك .

وعندما حاول سراج الدين التحدث في موضوع مالي اثـاره الادعاء ، طلب منه رئيس المحكمة التجـاوز في حديثه عن هـذا الموضوع لان نزاهته ليست موضع شك ، وان المحكمة لن تحكم عليه بأي تعويضات ماليـة ، واذا رفعت الجلسة للاستراحة يهرع الصحفيون اليـه يصافحونه ويقبلونه ولسان حالهم : (فليسعد النطق ان لم يسعد الحال) .. حتى الصحفيين الذين كانوا يمثلون صحفا عرف عنها الخصومة للرجل وحزبه لـم يستطيعوا كتم اعجابهم برجولته .

لقد استطاع أمين الوفد أن يقدم كشف حساب عن جميع أعماله خـلال السنوات العشر السابقة للثورة والتي تربع فيها على قمة العمل السياسي فـي مصر . سواء كان في الحكم أو المعارضة ، وصحت نبوءة عبد الناصر حـين

قـال :

(•• فؤاد كسب كثيرا من المحاكمة) ،

صحيح ان المحكمة أصدرت في النهاية حكما بسجنه ١٥ سنـة ، الا أن هذا الحكم كان سياسيا ، وكان يخالف حكم الناس ، كل الناس • فبعـد أن كان بعض الناس يشكك في قدرة الرجل ، أثبتت المحاكمة من خلال الحـوار أنه أهل للثقة التي أولاها اياه حزب أوسع الجماهير •

لقد كشفت المحاكمة أن سراج الديـن كان يقرض الحكومة من مالـه الخاص عشرات الالوف من الجنيهات لعمل مشروع حيوي لا يحتمل التأجيل لحين صدور الميزانية واقرارها ، ومن ثم يستردها بعـد ذلك ، ويتضح انـه اقترض المبلغ من المصرف بضمان مركزه المالي الوطيد •

قبل أن تصدر المحكمة حكمها على الرجـل فوجيء بدخـول الصحفي (مصطفى أمين) الى غرفته بالسجن حاملا رسالة من أعضـاء مجلس قيـادة الثورة بأنهم على استعداد للافراج عنه اذا تنازل عن قضيته أمام مجلس الدولة بأن اعتقاله لم يكن قانونيا •• ولكن فؤاد رفض فكرة التنازل قائلا :

(اذا أفرجوا عني سقطت القضية وأنا لا أساوم على حريتي) •

وذهب بعض أصدقاء سراج الدين من الضباط الاحرار الى جمال عبـد الناصر وذكروه بمواقف الرجل منهم يوم كان في الحكم فأجاب عبد الناصر :

(•• لا بد من الحكم عليه ، وهو كرجل سياسي يعرف لماذا حكم عليه ومتى سيخرج) ••

وبالفعل فقد كان سراج الدين يعلم جيدا لماذا سجن وحكم عليه ، ويعلم بالتالي متى - سيفرج عنه ، ومن أسباب سجنه المباشر احتمال قيادته للحزب ، فالنحاس قد كبر ولم يعد بامكانه قيادة النضال السياسي من جديد ، وسراج الدين هو الوريث الطبيعي للزعامة ، وهناك أيضا أحد الاسباب غـير المباشرة

(سمعت التفاصيل من جمال سالم) فقد كانت الاحزاب في سورية قد توقف نشاطها أربعة أعوام اثر انقلاب حسني الزعيم ، ولكنها عادت للنشاط فورا بعد القضاء على حكم الشيشكلي ، وهو الامر الذي كان يؤرق رجال الثورة بصفة عامة ، وجمال عبد الناصر بصفة خاصة ، لانهم كانوا يدركون أن مجرد وجود الاحزاب السورية قائمة ، فان هذا الوجود يشكل خطرا على سلطتهم في لحظة زمنية معينة تحت ظروف مواتية •• وهكذا بعد أن كانت تجربة سورية تبعث الحذر من تكرار الانقلابات العسكرية ، أصبحت تبعث الحذر أيضا من عودة الاحزاب الى نشاطها •

أفرج عن سراج الدين بعد ذلك ، ولكنه سرعان ما عاد الى السجن بتهمة جديدة لا علاقة لها بسوء الاستعمال للسلطة (كما جاء في قرار المحكمة) بل بسوء الاستعمال لشيء آخر •

لقد قبض على الرجل بتهمة الضحك في محل عام وهو يدخن السيجار !!

جميع الذين أرخوا هذه الفترة من حياة الشرق العربي تعرضوا باسهاب الى شرح دوافع صحف أخبار اليوم من وراء الهجوم على النحاس وأمينه ؛ لقد ظلت هذه الصحف على موقفها من عداء الوفد أيام الملك فاروق الذي كان له الفضل الاول باصدارها لتهاجم الوفد ورجاله ، وأيام الثورة ، ولكن القدر الذي يسخر عادة من المتجنين على الرجال الاحرار سرعان ما يتدخل لينصف المظلوم من ظالميه ••

كان مصطفى أمين في السجن حين بلغه وفاة مصطفى النحاس ، فاذا به يكتب هذه الكلمات :

(••• سجن القبة ••• نوفمبر سنة ١٩٦٥

•• عرفت وأنا في سجن المخابرات أن مصطفى النحاس قد توفي الى رحمة الله ، وحزنت كثيرا عليه ، وآسفت أنني لا أستطيع أن أكتب رثاء له ، لقد أحببت هذا الرجل وحاربته ، وسجنت من أجله ، وفصلت من المدارس

من أجله ، واختلفت معه في الرأي وهاجمته وهو رئيس حكومة ، فلم يفكر أن يضعني في السجن • ولو كتبت اليوم عن سكرتير أحد الوزراء ما كتبت عن رئيس الحكومة مصطفى النحاس ، لشنقوني أو أعدموني رميا بالرصاص •••

ولقد قبض علي في عهد النحاس ١٩٥١ ستا وعشرين مرة ، ولكني كنت أدفع الكفالة ، وأخرج من السجن ، ولم يفكر النحاس أن يدبر لي تهمة ، أو يحاكمني على جريمة أنا بريء منها •

ومن حق النحاس علي أن أشهد به وأنا مسجون ، وان أذكره كرجل قاد كفاح هذه الامة ، وضحى في سبيلها ، وتقي من أجلها ، وحمل الزعامة بعد سعد زغلول ، وكانت نهايته هي نهاية الديمقراطية ، ولقد أسعدني أن الملايين خرجت لتشييع جنازته ، وحزنت أن الصحف لم تخصص الصفحات للحديث عن تاريخ هذا الرجل وأمجاده ، التي هي تاريخ شعب مصر وأمجاد شعب مصر ••

وشعرت أن الزبانية هنا فزعوا من خروج الشعب كله لتحية الزعيم الكبير الراحل ، واعتبروا هذه الجنازة الشعبية الهائلة ثورة على النظام ، وانقضاضا على الحكم ، وقد قال لي أحدهم أن الامر صدر بالقبض على كل من سار في المظاهرة •• قلت له ساخرا :

هل ستقبضون على ثلاثة ملايين ! ان السجون والمعتقلات مزدحمة ولا يوجد فيها أماكن خالية ! قال لي : هل كنت ستشترك في تشييع الجنازة ، قلت : لولا أنني مسجون لسرت في الجنازة ! قال ضاحكا: وكنا قبضنا عليك•

ثم ذكر لي الزبانية أشياء أذهلتني ! قالوا ان الاوامر صدرت بالقبض على مئات من الوفديين المعروفين بتهمة أنهم مشوا في الجنازة •• ولم أكن أعلم ان الوفاء جريمة في هذا البلد •

أثناء وجود فؤاد سراج الدين في لبنان تعددت لقاءاتي به ، وكنت في كل مرة ألقاه أحرص على معرفة المزيد من الاسرار التي يضيق بها صدر الرجل... ان رجلا بنفوذ سراج الدين ومنصبه لم يخل من خصوم وأعداء ، كما أنه لم يخل من أخطاء أضرت به وبحزبه ، ولست هنا في معرض سرد تاريخ محدد للرجل وأخطائه ، ولكني أمام وقائع أحاول أن أعرضها على الطبيعة .

لقد اجمع الذين عرفوا الرجل عن قرب، انه كان ذكيا، فحين بدأت الثورة تتصل به ليترك حزبه وينضم اليها ، اختار الرجل الحزب ، ووقع الصدام الذي بدأ خفيفا في أول الامر ، ثم أخذ يتسع ، فقد كانت هناك صلات وثيقة بين بعض رجال الثورة وفؤاد سراج الدين ، ولا أحب هنا ان اقتحم غابة الاسرار لاكثر من سبب ، ومنها أسرار حريق القاهرة ، هذا الحريق الذي أدى الى اقالة حكومة الوفد ، ثم تسارعت الاحداث فأودت بالنظام وأهله ، ولعل من الاسباب أيضا أن جروح الرجل لم تلتئم بعد ، وأقصد بالجروح ، الجروح النفسية العميقة ..

لم يكن الرجل ذكيا فحسب، بل كان قديرا، وانسانا، ولو لم تكن اللباقة من صفاته لكان وفديا يحبه الوفديون وحدهم ، ولكننا نجد أن الكثيرين من خصوم الوفد يحبونه بدورهم ، لانه كان في حياته السياسية معقولا ، معقولا في تفكيره ، وفي نظرته للامور ، وكان يتعاطى الحزبية بمقدار .

كان أحد قلائل خرجوا عن ألف باء الحزبية ، ولم يفهموا الحزبية على أنها مهاترة وتطاول وقلب للحقائق ، وقد تمثل هذا في تصرفاته يوم كان عضوا في مجلس الشيوخ فلقد كان دائما على استعداد لان يفهم وأن يقتنع وأن يشكر الحكومة — أية حكومة — اذا لمس في تصرفاتها ما يستوجب الشكر . ولعل هذه السياسة المرنة قد أكثرت من خصومه ومحبيه على السواء ، كان المتهم الاول في كل مرة يهادن فيها الوفد الملك ، ولان الزعيم اصطفاه ناله من التجريح ما لم ينله أحد من أقطاب الوفد ، ولكن هل جميع هذه القصص التي رويت ضد الرجل — وما أكثرها — صحيحة ؟

حادثة واحدة أسوقها هنا بعد أن سمعتها من بطلها ، وهذا (البطل) هو الاستاذ أحمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة ، خصم الرجل وخصم حزبه •

صادف وجود أحمد حسين في (سوق الغرب) أثناء وجود سراج الدين في (برمانا) ، وقد حملني أحمد حسين تحية خاصة لسراج الدين قائلا :

(ليتني أستطيع أن أزور فؤاد باشا حيث يقيم في فندق (بريتانيا) لاعتذر اليه ، لقد أحسن الرجل الي كثيرا ، وكنت أسيء فيه الظن ، الى أن تكشفت الاسرار فأدركت كم ظلمته ••) •

سارعت بنقل ما سمعته من أحمد حسين الى فؤاد سراج الدين ، فاذا به يجيب وابتسامته تشارك حديثه :

(•• من حق أحمد حسين ان نسعى اليه ، فهذا الرجل قدم الكثير لوطنه العربي ، وكان من أبر رجال مصر ، بمصر) •

لماذا يطلب أحمد حسين الاعتذار للرجل بعد أكثر من عشرين عاما ، وبعد أن ملأ الدنيا هجوما ضده وضد حزب الوفد ؟ من أحمد حسين عرفت التفاصيل •

في عام ١٩٤٢ عاد الوفد الى الحكم ، وعاد فؤاد سراج الدين وزيرا للداخلية ، وبدأ الحكم الوطني يواجه مداخلات الانكليز ، وروميل يطرق أبواب الاسكندرية • وكان هناك العديد من القادة العرب اما في السجون أو المعتقلات ، واما مطاردين من سلطات الاحتلال ••• من بين هؤلاء أحمد حسين •

كان أحمد حسين مسجونا ، وقد استطاع الهرب من سجنه والاختفاء عن الانظار ، وانطلقت مخابرات الانكليز تبحث عنه دون جدوى ، وحين تألفت حكومة النحاس ذهب أحمد حسين الى منزل فؤاد سراج الدين وزير الداخلية ونائب الحاكم العسكري ، واحتمى بحرمه ، رغم ما بين الرجلين من عداء سياسي مستحكم • وهناك جرى الحوار التالي بين الوزير والهارب :

ـ جئت أحتمي في منزلك يا باشا ..

ـ أهلا بك في بيتك ..

ـ أنت شفيعي أمام النحاس باشا ..

ـ أنت لست بحاجة الى شفيع ، ان حكومة تقبل بمطاردتك ليست حكومة وطنية ..

أبقى سراج ضيفه في منزله ، وذهب الى النحاس في مكتبه ، وهناك جرى الحوار التالي :

ـ يا باشا أحمد حسين في منزلي ، وأنت تعرف انني فلاح ، والضيف عند الفلاح محترم ، ولا يمكن بشكل من الاشكال أن يخرج ضيف الفلاح الى السجن مهما كانت الاسباب ..

ـ ولكن يا فؤاد الانكليز عاملين دوشه عشان ضيفك ، وانت عارف .. شوف لنا حل غير حماية الضيف ؟

ـ لا يا باشا ما فيش حل ثاني ، فيه حل واحد هو أن يذهب أحمد حسين الى منزله ، أو يبقى في منزلي .

ـ اللي تشوفه يا فؤاد !

وخرج أحمد حسين من منزل الرجل الى منزل استأجرته الدولة على نفقتها ، بعد أن أجرت له راتبا شهريا ..

هكذا عاش فؤاد سراج الدين حياته السياسية . يعمل بصمت ، ويخطط بصمت ، وينفذ بصمت ...

حكايته مع الملك حكاية تطول ، وحكايته مع الثورة حكاية تروى ؛ أما حكايته مع الرئيس السادات فهي الآن تملأ الدنيا وتشغل الناس ... خاصة وأن الرئيس السادات يخصه بالهجوم منذ أن بدأ اسمه يطفو على السطح ..

في مطلع عام ١٩٧٧ نشرت مجلة (روز اليوسف) خبرا يروي في الذي يرويه أن فؤاد سراج الدين يقوم بتشكيل حزب الوفد من جديد ..

وهبت أقلام النظام تهاجم الرجل بشراسة في حين أسرع العديد من قادة الرأي الى الالتقاء به والشد على يديه متمنين له التوفيق .

وانطلق الرجل بكل قوته في العمل لاعادة الوفد الى واجهة العمل السياسي .

وكانت مفاجأة للجميع ، حين وقف سراج الدين خطيبا على مدى ثلاث ساعات ونصف في احتفال نقابة المحامين بذكرى الزعيمين (سعد زغلول ومصطفى النحاس) مساء ٢٣ اغسطس ١٩٧٧ وقال فيه كل ما يمكن قوله بالنسبة الى الماضي والحاضر ...

تحدث عن سعد العظيم ، والنحاس الزعيم ، وحزب الوفد الشامخ ؛ وتناول أخطاء الماضي بجرأة أذهلت الاصدقاء قبل الاعداء ؛ وحرك بخطابه مياه النظام والشاربين منه ..

قال : ان ما سمي بثورة ٥٢ ليست بثورة من الناحية العلمية الصحيحة ، الثورة تبدأ من القاعدة لا من القمة ، هي في الواقع انقلاب عسكري .. أما ثورة ١٩١٩ فكانت شيئا آخر ، ثورة ١٩ خلقت الانسان المصري ، أيقظته من سبات عظيم ، وثورة ١٩٥٢ قتلت الانسان المصري وأهدرت كرامته ... ثورة ١٩ أيقظت الشعور الوطني في النفوس ، وثورة ٥٢ أشاعت في النفوس الهزيمة والاستسلام ... ثورة ١٩ قامت لتحقيق جلاء الانكليز ، وثورة ٥٢ أدت الى احتلال اسرائيل لمصر مرتين .. ثورة ١٩ لقي أبطالها وقادتها ألوانا من صنوف التعذيب والتنكيل ، والنفي والتشريد ؛ وثورة ٥٢ عاش رجالها وأبطالها عيشة الملوك والقياصرة ... ثورة ١٩ كان أبطالها ــ وعلى رأسهم سعد زغلول ــ يقضون جانبا كبيرا من حياتهم في المنفى ، يلقون من أصناف التعذيب والتشريد والبعد عن الوطن ما يلقون ، وأبطال ثورة ٥٢ عاشوا في

القصور •• وأية قصور ! قصور اغتصبوها من أصحابها ، أو قصور شيدوها بمال غير معروف مصدره ، ثورة ١٩ لم يعرف عن أحد أبطالها أنه استغل موقعه ، أو أنه بنى قصرا أو كون شركة ، أو أقام مصنعا ، وثورة ٥٢ بنى أبطالها الفيلات والقصور فوق الربى والتلال ، ثورة ١٩ كانت السيدات يسرن في الطرقات ، يلقين الجند البريطاني وصدورهن معرضة للرصاص ، وثورة ٥٢ كانت السيدات تهتك أعراضهن في السجون •• وكان الرجال يعاملون معاملة النساء ويؤمرون بتانيث النداء اذا ما نودوا بأسماء النساء ! كما هو ثابت في قضايا التعذيب قضية كمشيش ، هذه فوارق بين ثورة ٥٢ وثورة ١٩ • ثورة ١٩ وقف نائب في مجلس النواب الوفدي يصرخ بأعلى صوته : (اننا نحطم أكبر رأس في البلد اذا اعتدى على الدستور) وفي ثورة ٥٢ وقف نائب آخر في مجلس الامة يرقص طربا على اشلاء آلاف القتلى في سيناء لان رئيسه ومولاه تنازل وتفضل وعدل عن التخلي عن الحكم •• هذا نائب ونائب ، وهذا عهد وعهد ، وهذا مجلس ومجلس ، وهذا وفد وهذا اتحاد اشتراكي •• ثورة ١٩ كانت مبعث النهضة الاقتصادية ، وثورة ٥٢ خربت اقتصادنا وأوصلته الى تحت الصفر ، وبعد ذلك يقارنون بين ثورة ١٩ بثورة ٥٢ ؟ يتبجحون ويعلمون الجيل الجديد ، أخطاء ، بل يدخل في باب الخطايا التي لا تغتفر ، وليس بعد قتل النفس ، وليس بعد هتك العرض ، وليس بعد اهدار الكرامة ، وليس بعد كبت الحرية ، وليس بعد هذا كله من جريمة يمكن أن يقارن بها شيء من هذا •

وقال :

يقولون حرية صحافة وميثاق شرف صحفي ••• أي شرف صحفي هذا؟ وأية حرية تلك ؟ مصطفى النحاس لم يؤد لوطنه شيئا ما •• قولوا حسناته ، واذكروا سلبياته، واتركوا الشعب يحكم، ومصطفى النحاس لا ينتقص من قدره تجاهل الحاقدين ، فهو حي في كل قلب كائن في كل وجدان •

لقد قررنا تكوين حزب جديد ولعله من حسن الطالع وفأل الخير أن يعلن هذا القرار في هذه الليلة بالذات ، ليلة نحيي فيها ذكرى سعد والنحاس ، ان هذا القرار خير ما يهدي لروحيهما في مثويهما الاخير ، ولقد أوشكنا أن ننتهي من استيفاء جميع الاجراءات القانونية والشكلية التي يتطلبها قانون الاحزاب ، وأبادر فأطمئنكم ، وان هذا سيزعج غيركم ، أطمئنكم الى ان العائق الاكبر الذي توهموا انه سيكون معوقا لنا وهو نصاب ال ٢٠ عضوا برلمانيا من مجالسهم ، هذا العائق ، هذا النص لم ولن يكون مشكلة بالنسبة لنا ...

ما قاله فؤاد سراج الدين في هذا الخطاب يعتبر من أشد ما قيل في ثورة ٥٢ ورجالها ، وضع النقاط على الحروف تاركا للتاريخ أن يقول كلمته ، وتاركا للحكام أن يقولوا كلمتهم أيضا ...

لقد سجل التاريخ ما سجله ، أما الحكام فقد جاءت كلمتهم لا لفؤاد سراج الدين لا لحزب الوفد ، وسرعان ما سحب أمين الوفد البساط من تحت أقدام الحكام وأعلن حل الحزب قبل ان يعلنه الحكام ، أشاعوا أن فؤاد سراج الدين استأذن قبل تأليف الحزب ، وأنه قابل السادات سرا ، وسألته فأجاب : كلا ... هذا غير صحيح !

كانت المفاجأة التي أذهلت الحكام خاصة اجتماع العديد من الطبقات الشعبية تحت لواء الوفد الجديد ، انضم الوفدي القديم ، واليساري ، والمحافظ ... الناصري الذي تكشفت أمامه الحقائق ، وعدو الناصرية ، ضم أحد الضباط الاحرار ، ورئيس تشريفات جمال عبد الناصر (صلاح الشاهد) ضم شقيق المشير عبد الحكيم عامر ، والذين قدموا الى محكمة الدجوى من قضاة ومستشارين ومحامين ، وكان هذا طبيعيا ، فالوفد في تكوينه الأساسي كان يضم المستقلين وبعض أعضاء حزب الامة وبعض أعضاء الحزب الوطني ومعظم الذين اشتركوا في ثورة عرابي ... أما الآن فماذا يمنع اشتراك أصحاب الاتجاهات السياسية والعقائدية في بيت واحد يعملون تحت سقف

واحد ؟ والسبب في هذا يعود الى دهاء فؤاد سراج الدين وقدرته على تجميع الشخصيات المتباينة الآراء ، وجلده في استقبال الشباب والاستماع اليهم .. وحين باشر الرجل في تأليف الحزب هوجم بعنف ، وكان هذا الهجوم من قبل رجال السلطان أكبر دليل على قوة الرجل لا ضعفه ، وكان من نتيجة هذا الهجوم في بداية قيامه أن تحمس بعض خصومه القدماء للانضمام اليه ..

كانت خطوات سراج الدين هادئة ومتزنة ، ليس فيها انفعال ، فهو يدرك بحكم خبرته وممارسته للعمل السياسي ان الحاكم لن يسمح بعودة حزب الوفد ، لهذا لم يتصرف بالثلاثة ملايين جنيه التي جمعت من الاعضاء الجدد لاصدار صحيفة يومية تنطق باسم حزب الوفد ...

لقد تبرع كل عضو من الملايين الثلاثة الذين انضموا للحزب بجنيه واحد فقط ، وكان من المنتظر ان يتضاعف المبلغ لولا ذلك القانون الذي اصدره رئيس الدولة بتحريم العمل السياسي على أقطابه ، فاذا بقاعدة الحزب ترفض هذا القانون وترضخ لحل الحزب ..

وبعد ماذا عن المستقبل ؟

ان الذين يعرفون فؤاد سراج الدين يؤكدون بأنه لن يترك الساحة بالسهولة التي يتصورها خصومه ، انه يراقب بصمت ، ويخطط بصمت ، وينفذ بصمت ... فالذي قال لا لعبد الناصر لن يقول نعم للسادات ، وكما انتظر في عهد عبد الناصر ، كذلك ينتظر في عهد السادات فهذا الفارس لن يترجل .

محمد صلاح الدين

محاسد الناس



.. اذا استطعت ان تحفظ راسك في الـوقت الـذي يفقد فيه من هم حولك رؤوسهم ، وينحون عليك باللائمــة ! اذا وثقت بنفسك حين يشك فيك الجميــع ، ومــع ذلـــك سامحتهم لانهم شكوا فيك !

.. اذا استطعت ان تنتظــر ولا تمــل الانتظــار ، ولا تقابل اكاذيب الناس بالاكاذيب .. واذا كرهك الحكام فلــم تكرههم ، واذا تظاهرت بانك لست احسن ولا احكم الناس !

.. واذا استطعت ان تحكــم دون ان تسيطــر عليــك احلامك ، وان تفكر ولا تجعل التفكير هو كل اهدافك !

.. اذا استطعت أن تجعل من كل انتصاراتــك نصرا بسواء ، واذا استطعت ان تتحمل نتيجة اعمالــك ... وان تشهد المعول يهدم كل ما كرست من اجله حياتك ، وتنحني لتبني من جديد ما تهــدم .!

.. اذا اســطعت ان تجعل من كل انتصاراتــك نصرا واحدا ، ثم تقامر به وتفقده ثم تعود فتبدا من جديــد بغــير ان تتحسر على ما فقدت وما تعبت !

.. اذا صبرت في وقت لا تملك فيــه سوى ارادتــك ، تصرخ فيك وتهيب بك أن تتماسك ..

.. اذا استطعت ان تتحدث الى الشعب بغير ان تفقد فضائلك ، وان تصاحب الملوك بغير أن تفقد اتصالك بالشعب!

.. اذا استطعت ان تفعل ذلك كله ملكت الارض ومــا عليها .. واصبحت اكثر من ذلك !

.. اصبحت رجلا يــا ولــدي !

(مــن وصيــة كبلينغ لولــده)

اليوم مثل الانسان .. كلاهما لا يعلم لماذا يلتقي بالآخر ؟ وكلاهما لا يدري لماذا يرتبط بالآخر !

الايام التي أشعر فيها بالطمأنينة ، والتجاوب مع انسانيتي هي الايام الي ألتقي فيها برجل من هؤلاء الرجال الذين وصفهم (كيلينغ) لولده وهو يوصيه .

في مثل هذا اليوم ، تصفو روحي ، وأتحرر مؤقتا من الخوف ... وأحس بسعادة حقيقية عندما أجد رجلا ... رجلا واحدا كاملا بين مئات ، وألوف الرجال الذين فقدوا رجولتهم ... رجلا واحدا مكسوا بين ألوف العراة ، وأشباه العراة .. عملاقا بين الاقزام !

في شارع الحمراء ببيروت صادفته يحدق في واجهات المكاتب ، ويتفرس عناوين الكتب وابتسامته الحلوة تحتل وجهه الصبوح .. انه هو .. بشحمه ولحمه .. بتواضعه المهذب ... المهذب ، وحيائه الذي اشتهر عنه والذي ما يزال مضرب الامثال .

رقيق ، عالم ، يشتعل ذكاء .. يؤمن بالله ، والقيم ، ويؤمن بالانسان..

ومع ان اسمه يحتل مكان الصدارة في قائمة أحرار العرب .. فان زوار شارع الحمراء في تلك الظهيرة من تموز ١٩٧١ لم يحسوا بخطاه بينهم .. أما أنا فقد استيقظت أسراري في صدري فجأة .. وهممت أكثر من مرة أن أجري خلفه لالقاه ... ولكنني - سرعان ما توقفت خجلا منه ..

لقد علمتني تجارب الحياة أن أحتفظ لنفسي بأسرارها ، فلا أبوح لاحد ... ولكن هذه الاسرار بدأت تضيق بالسجن الذي وضعتها فيه .. وأخذت تتحفز للخروج من الضلوع وما وراء الضلوع !

الباسم الدائم ، الذي شاهدته في شارع الحمراء لم يكن سوى محمد صلاح الدين (باشا) وزير الخارجية في حكومة حزب الوفد المصري ، حزب

الاكثرية ، أكثرية الناس ••• ووزير الخارجية في الحكومـة التـي ألغت معاهدة ١٩٣٦ ، والتي كان يرأسها الفقيد الكبير مصطفى النحاس (باشا) ، زعيم الامة كما كان جيلنا يسميه !

توقفت خجلا وحياء منه ••• لماذا ؟

في أوائل عام ١٩٥٠ ، كنا مجموعة من الصغار تتجمع حول واحـة مـن الخيالات الطفولية التي كنا نسميها (وطنية) ••

كان بعضنا يدرس في الجامعة الامريكية ويستعد للخروج منها لمواجهة جامعة الحياة •• وكان البعض الآخر قد تخرج بالفعل مـن جامعات ومدارس أخرى •• وكنا نطلق على المجموعة اسم (حركة الثأر) ، وبعد ذلـك بفترة انقلب اسم (الثأر) الى اسم (حركة القوميين العرب) •

كان أكبرنا سنا لا يتجاوز العشرين ربيعا •• وكنا نفخر بأن هذه الحركة تضم من يمثل جميع الاقطار العربية من الشام لتطوان •••

وقبل أن ننطلق في عملنا ، وضعنا قائمـة بأسماء أشراف العرب الذيـن استطاعوا البقاء فوق الشبهات لنتعاون معهـم ، ونناصرهم ، وندرس سيرة حياتهم لنقتفي اثارها ، فقد كان العمل الوطني في ذلك الزمـان لم يتحرر بعد من الآداب العربية الاصيلة ••

واذا لم تخني الذاكرة ، فان اسم محمد صلاح الدين كان ثالث الاسماء في (قائمة الشرف) •

ولم نضع اسمه في هذه القائمة لمجرد انه كان اسما لامعا في دنيا الوطنية، بل وضعناه بعداجراء تدقيق في سيرته النضالية •••

كان رجلا صريحا ، وسياسيا صادقا ، في وقت أعتقـد فيـه الناس أن السياسة هي الكذب الفني •

كان مستقيما في وسط كثر فيه النفاق ••

وكان عربيا صادق العروبة في بلد كثر فيه أنصار الفرعونية ..

وكان أديبا طليعيا ... ومن شباب ثورة ١٩١٩ ... الثورة التي اعتبرناها ثورتنا الام ..

وكان قبل هذا وذاك وذياك وزير الخارجية في الوزارة التي وقف رئيسها مصطفى النحاس في اجتماع مشترك لمجلسي الشيوخ والنواب يوم الثامن من (اكتوبر) تشرين الاول ١٩٥١ وقال :

(... من أجل مصر وقعت معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بالغائها) ..

وكنا نعلم أن من بين الذين وضعوا صيغة الغاء المعاهدة هو محمد صلاح الدين ..

في ذلك اليوم الابيض من أيام العروبة تجمعنا نحن الصغار في غرفة (الحكيم) القريبة من مبنى الجامعة الامريكية ببيروت والبسيطة الأثاث ... وتحلقنا حول المذياع لنصغي الى خطاب زعيم الامة ... وحين وصل الزعيم الى هذه العبارة :

(... وما دام السعي المتواصل لتحقيق مطالب البلاد عن طريق الاتفاق قد ثبت فشله فقد آن الاوان لان تفي حكومتكم بالوعد الذي قطعته على نفسها في خطاب العرش الاخير فتتخذ على الفور الاجراءات اللازمة لالغاء معاهدة ٢٧ اغسطس ١٩٣٦ واتفاقيتي ١٩ يناير و ١٠ يوليو ١٨٩٩ بشأن ادارة السودان) حين وصل النحاس الى هذه العبارات انطلقنا نتصافح بالايدي والعيون ونبكي فرحا ... ولعلها المرة الاولى التي عرفنا فيها طعم دموع الفرح ... لقد انستنا الهزيمة عام ١٩٤٨ في فلسطين هذه الدموع ..

كانت حكومة الوفد أول حكومة في الشرق العربي تتجرأ على بريطانيا التي كانت عظمى في حينه ، وتلغي المعاهدة من طرف واحد ... وكان مثل هذا التصرف يرضي تطلعاتنا القومية .

وأقيلت حكومة النحاس أثر حريق القاهرة ، ولكن محمد صلاح الدين لم ينتزع من قلوبنا ••• فقد ظل في نظرنا الرجل القدوة •••

لا أعتقد أن محمد صلاح الدين كان قد سمع بنا ، وبشعاراتنا القومية ، حين استقبلنا في مكتبه في القاهرة ، بقلبه الكبير ، وابتسامته التي لا يمكن لمن رآها أن ينسى صاحبها •• وسألنا الرجل بكل ما وهبه الله من قدرة على زرع المحبة في صدور سامعيه :

ـ عايزين ايه ؟

فأجابه كبيرنا (الحكيم) نريد منك ان تأتي الى قاعة المحاضرات في الجامعة الامريكية في بيروت وتلقي محاضرة عن (عروبة مصر) ••• لترد بنفسك على الاصوات التي بدأت ترفع شعارات الاقليمية في لبنان ، متأثرة بشعارات الفرعونية في مصر ••

(••• حاضر يافندم ••• دا واجب لا أستطيع التخلي عنه •• وأنا أشكركم على قدومكم الي وتكليفي بهذه المهمة المقدسة ••• وأكون سعيدا لو قبلتم دعوتي على الغداء في « غروبي » ••• بس امهلوني لو سمحتم يومين ثلاثة ريثما أرتب أمور سفري) •

لم نصدق ونحن نسمع الجواب ، بأن محمد صلاح الدين سيحقق رغبة أربعة شباب لا يعرف عنهم أي شيء ••• ولعله توسم في وجوهنا الصدق ، فودعناه وخرجنا ونحن نكاد نطير من الفرح •

وجاء محمد صلاح الدين الى بيروت ، وألقى محاضرته العلمية عن (عروبة مصر) التي هزت يومها دعاة الشعوبية ، وجمهرة (الملاحدة) التي بدأت تتكون !

كان الحديث عن (عروبة مصر) في تلك الايام ، يشبه الحديث عن (القومية العربية) في هذه الايام ••• كان الدفاع عنها بمثل هذه الموضوعية والحرارة غريبا من رجل كصلاح الدين لا يستطيع أحد أن يشك بعلمه وسعة اطلاعه ، وصدق وطنيته •••

وقد اكتشفنا بعد فوات الاوان أن الرجل قـد دفع من جيبه تكاليف الحفلة التي أقمناها على شرفه في أحد مطاعم (الروشة) المتواضع جدا •••

ولم يتمالك كبيرنا (الحكيم) من أن يقول لنا بعد أن ودعنا الرجل :

(•• محاضرة محمد صلاح الدين توازي ألف مظاهرة نقوم بهـا فـي بيروت) •

بعد هذا بفترة وجيزة اشتركت حركـة القوميين العرب بحادث اطـلاق النار على أديب الشيشكلي بالقرب مـن مدخـل دمشق (الشادروان) ••• ونجا الشيشـكلي من خطـة الاغتال التي دبرتها له الحركـة ، واعتقل بعض أفرادها •••

طلبنا من محمد صلاح الدين عن طريق أحـد أصدقائه في القاهـرة أن يتوكل عن المعتقلين ويدافع عنهم ، وجاءنا الجواب بقبوله الدفاع رغم قناعته بعدم صواب مثل هذه الاعمال ، واشترط أن لا يقبل أجرا على دفاعه • ولكن الظروف السياسة التي كانت سائدة يومها بـين دمشق والقاهـرة حالت دون وصول الرجل الى دمشق •

انتهت المحاكمة بادانـة بعض المشتركين بمحاولة اغتيـال الشيشـكلي ، وبرىء البعض ••• وظلت مجموعة القوميين العرب تدين بالشكر لهذا الرجل الكبير ، مما زاد في مكانته في نفوسنا •

حادث اغتيال الشيشكلي أثر في الحركة ، ولكنه لم يضرب تنظيماتها في الوطن العربي ••• وكانت الحركة تصدر جريدة في (عمان) اسمها (الرأي)، وكنت أسافر كل أسبوع من دمشق الى عمـان لاشرف بنفسي عـلى تبويبها واصدارها •••

وقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، والتحق بها من التحق ، وتصدى لها من تصدى ، وظل محمد صلاح الدين على مكانته في قلوبنا ، رغم أنـه اصطدم بالثورة منذ بدايتها •••

ومع أننا تصدينا في حينه لكل من انتقد الثورة ، فاننا لـم نقترب مـن محمد صلاح الدين حياء منه ، فقد كان الحيـاء ، والتعلق بالمثل ميزة هـذه الحركـة التي شاءت أقدارهـا فيما بعـد أن تدفعها الـى التمزق ، فتصبح ثلاث جبهات ، (الجبهـة الشعبية لتحريـر فلسطين ، الجبهـة الشعبيـة الديمقراطية ، الجبهة الشعبية القيادة العامة) ، هذا مـا عدا الانقسامات التي تعرضت لها في الاقطار العربية ، حيث خرج منها من آمـن بأهدافها الاولى ، ومنها مقاومة الشيوعية والتمسك بالقومية ••• وبقـي الماركسيون الذيـن تسللوا الى صفوفها لضربها ••• وقد نجحوا !

لم تنتقد محمد صلاح كما هاجمنا غيره لانـه تصدى للثورة ، لقناعتنا بأن الرجل لا يمكن أن يؤيد حركة تتنافى ومعتقداته ••• والتي تتلخص :

ـ الدستور أولا •• والدستور ثانيا •• وسيادة القانون ثالثا ••

وما عدا ذلك كله تفاصيل صغيرة •

وقع الخلاف بين محمد نجيب وجمال عبـد الناصر •• وكـان موقف الحركة الى جانب جمال عبد الناصر ضد محمد نجيب •••

يومها ألقى محمد صلاح الد... ... في نقابة المحامين ـ على ما أذكر ـ طالب فيه باعادة ال... ...ور ليستقيم الحكم وينجو من الكوارث ••

وأخذ الرجل يتعرض لسهام أعداء الدستور داخل مصر وخارجها •

اجتمع قادة حركة القوميين العرب في منزل (الحكيم) ببيروت لتحديـد موقفهم من هذا الانقسام ، فقرروا الوقوف الى جانب جمـال عبـد الناصر والدفاع عن ثورته ••• ثم جاءوا بقائمة الشرف التـي يحتـل محمد صلاح الدين منها مكان الصدارة ، وبدءوا بحذف أسماء كل من بدأ ينتقدها ، وحين وصلوا الى اسم محمد صلاح الدين توقفوا عنده قرابة خمس ساعات ولكن المجموعة القيادية للحركة وعددها ١٣ شابا انقسمت حول اسمه الى قسمين••

قسم يرى ضرورة نزع الاسم من قائمة الشرف لانه انتقد الثورة وطالب بالدستور ، والقسم الآخر يرى عدم الاقتراب منه ••• وعرض الموضوع على التصويت فتعادلت الاصوات ، ستة أصوات اقترحت حذف الاسم ، وستة أصوات اعترضت ، ولان الثالث عشر هو الرئيس أي (الحكيم) عاد النقاش من جديد •••

يومها سألت (الحكيم) :

(هل ننسى يا حكيم عروبة الرجل ، ودفاعه عنها ، يوم تنكر الماركسيون لهذه العروبة ؟ وهل يسمح لنا شرفنا أن نهاجم الرجل الذي دافع عنا يوم عز الدفاع ؟! ان هجومنا عليه الآن وهو لا يملك حق الدفاع عن نفسه يؤذي سمعتنا بين أنصارنا خاصة)

أجاب الحكيم :

(•• الثائر لا يهادن •• وعلينا منذ الآن ان نعلن الثورة على أعداء الثورة) !

ـ ولكن يا حكيم لا تنس ان حركتنا ملتزمة بالقومية العربية وأهدافها، ومن بين هذه الاهداف المحافظة على الدستور ، وسيادة القانون ، واحترام الحريات) ••

أجاب الحكيم :

(•• اخوي من أجل الثورة ومستقبلها يجب أن نضحي ببعض الشعارات ومنها الحرية والدستور وسيادة القانون) •

في ذلك المساء الذي تقرر فيه التنكر لمحمد صلاح الدين وأمثاله جرى أول انقسام في حركة القوميين العرب ، وخرج منها الأعضاء الستة الذين اعترضوا على حذف اسمه !

ربع قرن مضت على هذه الواقعة ، حين رأيتــه في شارع الحمــراء ولم أقترب منه لكي لا يتذكر قصة القوميين العرب معــه فتختفي ابتسامته التــي أريدها في مكانها •• فبقيت ألاحقه من بعيد وأنا أتملى من النظر اليــه حتــى وصل الى الشقة المفروشة التي استأجرها لاقامته •• وحين غاب عن عيني لم يغب عن خاطري وخيالي •• وحين عدت الى منزلي ندمت على تصرفي ، وتمنيت لو لقيته وصافحته ••• فمصافحة الرجال في زماننا أضحت أمنيــة •• لكثرة ما نلاقي من مسوخ الرجال ، ومن تلونهم ••

محمد صلاح الدين هو من الرجال القلائل في هــــذه الامــة الجاحدة لرجالها ••! وهو يشكل مع اخوانه في الاقطــار العربية فعاليــة لا يمكن أن ينكرها التاريخ •••

وتسأل عن سبب بقاء ذكرى هذه المجموعة ناصعة ، فتسمع الشتيت من الردود •• ولن تنتهي التفاسير اذا نحن طاردناها مــا دامت مشكلتهم قائمــة على تحدي ومواجهة ما يألفه البشر من رضوخ واستسلام ••

اذا أمعنت النظر في وجوه هذه القلــة رأيت أن حياتهم تختصر تاريــخ الانسانية كله ، لانها ليست أكثر من نضال حقيقي لتحقيق حياة أسمى وأكثر كمــالا •••

ان أسماءهم التي يحتفظ بها ناسهم ، ليست أبدا أسماء من مشى مــع القطيع البشري ، ولكنها أسماء من ند عنــه •• والاطياف الكبرى التي تهز ذاكرة البشرية ليست أبدا أطياف التافهين والمقلدين والمتستسلمين ؛ ولكنهــا أسماء المبدعين الذين عرفوا كيف يقولون لمن حولهم باصرار وحزم :

لا •••!

لا للزيف ، ولا للتهريج ، ولا للاضطهاد والتعذيب !

وكل ما تنعم به من تراث انساني ، ونعيم حقيقي ، وقيم فكرية خالدة ، ومثل حية لا تبلى ، انما هي هبة تقدمها للناس قبضة من (المتمردين) دفعوا ثمنها من دمهم وأعصابهم و ... من حياتهم أيضا

ولو أن شيطانا رجيما حذف من تاريخنا أسماء الذين تعرضوا للاذى لانهم صمدوا في وجه الظالمين ، ودافعوا عن القيم خوفا من سحقها ، فماذا يتبقى من تاريخنا المعاصر زيادة عما في تاريخ قطيع من الذئاب أو سرب من الغربان !

ولو أن ذلك الرعيل من المبدعين الاحرار ما عرف نور الارض ولا ترابها فماذا يكون حالنا اليوم ونحن نستعرض ربع قرن مضى من المآسي ، فلا نجد اسما يمكن أن نذكره باعتزاز وفخر ؟

وماذا سيقول الجيل الجديد وهو يفتح تاريخه فيقرأ ما كتبه مسوخ الفكر ، لا أصحاب الفكر ، وتفاهات المثقفين المستأجرين الذين باعوا وجدانهم رخيصا لكل من مد عصاه وضرب ..؟

من حظ هذه الامة ، على قلة حظوظها ، انه لا يزال يقوم من بين أفرادها من يملك الجرأة على التحدي ويدخل السجن ... ويواجه الطغاة بأسمائهم الصريحة دون خوف وبتشرد !

قد تتصور أن الاحرار يستطيعون الحياة ما دامت عجلة الانسانية تأخذ عصيها من أضلاعهم .. بل لقد نبلغ في التفاؤل حد القناعة بأن الحرية حق من الحقوق الطبيعية للبشر .. ومع هذا فليس من السهل أبدا الدفاع عن هذا الحق الطبيعي الخصب في دنيانا العربية الجاحدة لرجالها ... ليس من السهل، لانه لا عداء أشرس من عداء الحاكم المطلق لاهل الفكر الحر ... وقد عرف تاريخنا المعاصر ألوانا وأشكالا من هؤلاء الحكام ، الذين احتلوا كراسي الحكم بالقوة وقالوا :

لنا الحكم دون العالمين أو القبر ..!

ومع ذلك فقد استطاعت قلة من الرجال أن تقاوم ، لتثبت للجيل الجديد بأن أعداء الفكر الحر هم الخاسرون في النتيجة .. وكم من رجل حر دخل الى (محاكم المسخرة) محاكم المهداوي ، وجمال سالم ، وعفيف البزري و... و ... والدجوي ، ثم خرج منها طاهرا بنظر الاحرار ... ولا تسل أعداء الفكر الحر بعد ذلك هل مات ذلك الفكر الذي اسكتوه أو خنقوه ...؟ انهم لا يدركون الا متأخرين ، ان النبتة القوية لا تموت ، وان دفقة الحياة المتسامية لا يمكن أن توقف وان الذين اسكتوا الفكر الحر ما أسكتوا غير الشفاه ، وبقي الفكر الحر لا يمكن أن يسكت !

ان الخنجر كما قال أمير بروتستانتي أيام الحرب الدينية (الخنجر لا يجدي شيئا ضد الروح) ...

ومحمد صلاح الدين باعتراف الاصدقاء والخصوم من القلة التي صمدت ، والقلة التي ظلت وفية للمثل العليا . انني أتساءل اليوم بعد أن قتل المهداوي بأيدي جنوده ، ومات جمال سالم ميتة اختارها له الله جل وعلا .. وقتل الدجوي بحادث دل على قدرة الله الذي يمهل ولا يهمل .. اتساءل ماذا استطاع هؤلاء واضرابهم بمحمد صلاح الدين واخوانه الذين مروا من المذبحة ، وسلمت سيرتهم ؟

ها هو محمد صلاح الدين يعود الى وطنه ليزرع البسمة على الوجوه ، كما اعتاد أن يفعل يوم كان أحد شباب ثورة ١٩١٩ ويوم كان عضوا في حزب الوفد ، حزب الامة ، ومن ثم وزيرا للخارجية يدافع عن قضايا العروبة ويستدعي سفير فرنسا في القاهرة ويقول له :

(.. اذا لم يفرج عن الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية الشرعي ، ورئيس الوزراء الزعيم العربي رياض الصلح ورفاقهما خلال ٤٨ ساعة، فان حكومة مصطفى النحاس ستصادر أملاك الافرنسيين في مصر وتعامل فرنسا معاملة الدولة العدوة) ...

وقبل أن تنتهي مدة الانذار يفرج عن الرئيس بشارة الخوري وصحبه ؛ ويعودون لاستئناف معركة الاستقلال .

ها هو فارس الوطنية محمد صلاح الدين يعود الى وطنه كدلالة على أن الكبار وحدهم يظلون رافعي الرؤوس ، أما الصغار فتكنسهم (مقشة) التاريخ .

فهذا المثقف ، هذا المهذب ، هذا الانسان ، الذي اصطفاه زعيم الامة مصطفى النحاس ، وكان يناديه يا ولدي ، هذا المناضل كم له من أياد بيضاء على العروبة وقضاياها ! يكفيه أنه وضع أسس ميثاق الجامعة العربية ، وكان محاميا عن المناضلين ... وانني أستغرب لماذا يسكت أحرار العرب الذين عرفوا الرجل وعرفوا خدماته ؛ لماذا لا يكتبون للتاريخ عن دوره في المعارك القاسية والمريرة التي خاضوها يوم كانت القاهرة منارة العرب وملجأهم !

لنقترب قليلا من سيرة هذا الباسم الثغر الذي تلمع في أسارير وجهه كل ضروب النبل والطهارة والاخلاص ... الاخلاص لمصر وللامة العربية ، والاخلاص لقضايا العرب ... فعندما كانت الجامعة العربية أملا يداعب النفوس ، عقد قادة العرب اجتماعاتهم الاولى في القاهرة ، وكان محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرية نجم هذه الاجتماعات ... يفيض حيوية ، ويشع ذكاء داخل الاجتماعات التمهيدية ...

واقترح محمد صلاح الدين أن يسمى التجمع العربي بالجامعة العربية.. وذلك في اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي بالاسكندرية ٣٠سبتمبر ١٩٤٤ ، وتبنى هذا الاسم مصطفى النحاس رئيس وفد مصر في الاجتماع الذي عقد بتاريخ ٢ اكتوبر ــ تشرين أول ــ ١٩٤٤ .

وكان من رأي أرشد العمري ممثل العراق ونجيب الارمنازي ممثل سورية ، أن يطلق على الجامعة اسم الحلف أو الاتحاد ، فرد عليهما الدكتور صلاح الدين قائلا :

(كلمة الجامعة هي أقرب الكلمات الى الروح التي سادت المناقشات لا سيما ان العبارات الاخرى مدلولات نحن بعيدون عنها ، وحتى يكون الاسم دليلا على المسمى .. واننا اذا استعملنا كلمة (حلف) فسرها كل واحد حسب رأيه أو حسب ميله ، فمنهم من يفسرها (بفيدراسيون) ، ومنهم من يفسرها (بكونفيدراسيون) ، مما يؤدي بنا الى الارتباك والحيرة ..) .

وأيد هذا القول رياض الصلح وأضاف قائلا :

(.. ان كلمة الجامعة تعبر عن شيء قائم ، أما الحلف فيعبر عن شيء مكتسب ومتفق عليه ... فحلف الدول العربية قد يفيد انها لم يكن بينها وبين بعضها روابط فتحالفت وتعاقدت على شيء جديد ، ولكن هذا لا يعبر عن الواقع ، فالروابط قديمة متأصلة في نفوسنا ، وعبارة (الجامعة العربية) أقرب العبارات الى التعبير عنها) .. وهكذا سرى الاسم الجديد في العالم أجمع ، دون أن يذكر صاحبه ...

ومن المفارقات أن ما يطوف الآن في العالم العربي ، والعالم أجمع حول دولة (فلسطينية) وما يدور بشأنها ، حسمه الدكتور محمد صلاح الدين عندما اجتمع مجلس الجامعة العربية في مارس ١٩٥٠ ، حيث كان التعاون وثيقا بين وفد لبنان برئاسة رياض الصلح وبين وفدمصر برئاسة مصطفى النحاس ، فقد أثير في هذا الاجتماع موضوع انتخاب ممثل عرب فلسطين لحضور اجتماعات مجلس الجامعة العربية ..

وانتهى الرأي بعد مناقشة مستفيضة بالموافقة على اقتراح الدكتور محمد صلاح الدين بأن يقع الاختيار على (أحمد حلمي باشا) رئيس حكومة عموم فلسطين ليمثل عرب فلسطين ، على أساس أن مجرد وجود حكومة معناه قيام الدولة الفلسطينية ... وأيد النحاس باشا هذا الرأي عندما قال :

(... لدي تعليق على هذا الموضوع ، وهو أنه لا يصح أن توجه

الدعوة الى أحمد حلمي باشا بصفته الشخصية ، بل يجب أن ترسل اليه الدعوة بصفته رئيسا لحكومة عموم فلسطين ، وأن يطلب منه باسم الجامعة العربية أن ينيب عن الحكومة مندوبا أو أكثر لحضور جلسات المجلس) ..

وعقب محمد صلاح الدين على هذا الرأي بقوله :

(.. هذا ما قصدته بالفعل ، فقد قلت ان الدعوة توجه الى حلمي باشا رئيس حكومة عموم فلسطين لانه هو الذي كان يمثل فلسطين في الاجتماعات السابقة) ..

ووافق رياض الصلح على هذا الاقتراح ، ومن ثم أصدر المجلس قراره بتمثيل حكومة فلسطين على النحو الذي اقترحه الدكتور محمد صلاح الدين ..

ترى لو ظلت حكومة عموم فلسطين قائمة حتى اليوم كما أرادها قادة العرب يومذاك هل احتاج الحكام العرب الى كل هذا الجهد الطارىء في سبيل اقامة حكومة فلسطينية في المنفى ؟

وهنا نتساءل : هل من مصلحة الذين قضوا على هذه الحكومة في عهد الموجة العسكرية التي طغت على العالم العربي أن تنشر هذه الصفحات عن محمد صلاح الدين بعد أن وصموه بكل نقيصة ووضعوه في السجن بتهم يعلمون هم قبل غيرهم عدم صحتها أصلا ..؟

لنقترب قليلا من المواقف التي وقفها أحرار العرب ومنهم محمد صلاح الدين للابقاء على عروبة فلسطين .. ففي الاجتماع الذي عقدته الجامعة العربية في مارس ١٩٥٠ ، ناقش مجلس الجامعة ما تناثر في الجو العربي من مفاوضات جرت مع اليهود لتحقيق تسوية للقضية الفلسطينية ، فاجتمعت اللجنة السياسية على الفور ، وكان من بين الذين حضروا الاجتماع الامير فيصل (الملك فيصل) ، ومحمد صلاح الدين ، ورياض الصلح ، وخالد العظم ، وعبد الرحمن عزام ، وأحمد حلمي ، وحسن بن ابراهيم وانتهى

الرأي الى اتخاذ القرار الذي صاغه محمد صلاح الدين وعـزام ونصه كمـا يلـي :

(بالنظر الى ما للقضية الفلسطينية من الاهميـة الحيويـة لجميع دول الجامعة ، ولماكانت هذه الدول قد عملت مجتمعة في تطورات هذه القضيـة ، ونظرا للخطر المشترك الذي تتعرض له دول الجامعة دفاعا عن فلسطين وعـن نفسها قرر مجلس الجامعة باجماع الآراء :

أولا ــ انه لا يجوز لاية دولة من دول الجامعـة أن تتفاوض في عقـد صلح منفرد أو أي اتفاق سياسي أو عسكري أو اقتصادي مـع اسرائيل ، أو أن تعقد فعلا مثل هذا الصلح أو الاتفاق ، وان الدولـة التي تعتزم على ذلك تعتبر على الفور منفصلة (عن الجامعة العربية) طبقا للمادة الثامنة عشرة مـن ميثاقها .

ثانيا ــ تكليف اللجنة السياسية بوضع التدابير التـي يجب أن تتخـذ بشأن الدولة التي ترتكب هذه المخالفة) .

ان هذه المواقف المشرفة توضح لنا ما كان يفعله أحرار هـذه الامـة بصدد المستقبل العربي ... لقد عاصرت القضايا العربية عن كثب ، وأريد أن أنوه هنا بموضوع هام طالما أثير النقاش حوله ومـا يزال وهـو موضوع (الضفة الغربية من الاردن) ..

لقد بحث هذا الموضوع من قبل أحرار العرب وأشبع درسا ، ومـن المفارقات أن جميع الذين بحثوا هذا الموضوع من ناحيته القومية رموا فيمـا بعد بكل ما يحز النفس ويجرح الفؤاد ...

لقد انتهت اللجنة السياسية في اجتماعها يوم ١٢ تمـوز ــ يوليـو ــ ١٩٥٠ بعد أن أعلن ضم الضفة الغربية الى شرق الاردن ، الى وضع صيغتين :

الاولى وضعها صالح جبر ممثل العراق ، والثانية وضعها رياض الصلح ممثل لبنان ، بعد أن قاما بدور الوسيط مع الاردن ..

وكانت الصيغة العراقية هي :

(ان ما قامت به حكومة الاردن من توحيد ضفتي الاردن كان لضرورة الدفاع عن المنطقة بأجمعها لاسباب اقتصادية وسياسية وقومية تتصل بـه مباشرة ، ومع ذلك فالحكومة الاردنية تعلن ان هـذا التوحيد سوف لا يؤثر بوجه من الوجوه في التسوية النهائية لقضية فلسطين) ..

أما الصيغة اللبنانية فهي كما يلي :

(لما كانت الدول العربيـة قـد أعلنت استمساكها بوحـدة فلسطين واستقلالها وسلامة اقاليمها تحقيقا لرغبات سكانها الشرعيين ، ورفضت كـل حل يقوم على أساس تجزئتها ، فانها تعتبر ان الجزء الذي ضم الى المملكـة الاردنية الهاشمية ما زال تابعا للتسوية النهائية ينتظر في مصيره مع مصير الجزء الآخر من فلسطين عند تحريره ، وبذلك تكون قـد تحققت الاهداف التـي سعت اليها الدول العربية من مقرراتها السابقة الرامية الى حفظ كيان فلسطين في حدودها قبل العدوان) ..

ووافقت الحكومة الاردنية على هاتين الصيغتين ..

ولكن مصر ، أعدت صيغة أخـرى اشترك في وضعها مصطفى النحاس ومحمد صلاح الدين وفؤاد سراج الدين ونصها كما يلي :

(.. لما كانت الدول العربية قـد أعلنت استمساكها بعروبـة فلسطين واستقلالها وسلامة اقليمها تحقيقا لرغبات سكانها الشرعيين ورفض كل حـل يقوم على أساس تجزئتها ، فان المملكة الاردنية تعلن أن ضم الجزء الفلسطيني اليها انما هو اجراء اقتضته الضرورات العملية ، وانها تحتفظ بهـذا الجـزء وديعة تحت يدها على ان يكون تابعا للتسوية النهائية لقضية فلسطـين عنـد تحرير أجزائها الاخرى بكياناتها الذي كانت عليه قبل العدوان ، وعلى أن تقبل بشأنه ما تقرره بالاجماع دول الجامعة الاخـرى وبذلك تكون قـد تحققت الاهداف التي سعت اليها الدولة العربية في قراراتها السابقة الى حفظ كيـان فلسطين قبل العدوان) .

ورحب رياض الصلح بهذه الصيغة وفسرها على النحو التالي :

(•• لقد قصد من وراء هذا النص المحافظة على كيان فلسطين قبل العدوان ، أي لا تعترف الجامعة العربية بمبدأ التجزئة ، أما متى يتم تحرير فلسطين واعادتها الى ما كانت عليه قبل حدوث العدوان فهذا أمر لا يمكن للانسان ان يتكهن به الآن ، وهذا ما لا نستطيع معرفته لانه مرهون بالمستقبل •• والواقع أن وظيفتنا في الجامعة العربية ليست أن نمنع شرق الاردن من ادارة هذه المنطقة وانما وظيفتنا ألا نعترف بتقسيم فلسطين ، وهذا ما نرمي اليه دائما ••) •

وأضاف رياض الصلح قائلا :

(•• وعلاوة على ذلك فاننا قد أضفنا الى هذه الوظيفة العمل على ايجاد تعهد من شرق الاردن يطمئننا الى انه عندما يحصل هذا التحرير ، والمقصود هو تحرير فلسطين كلها لان هناك قرارا بالتقسيم صدر من الامم المتحدة في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ أقول اذا أمكن تحرير فلسطين واعادتها الى ما كانت عليه قبل العدوان ، تسلم هذه الاراضي الى أهالي فلسطين لادارتها ؛ ولو فرض اننا تمكنا من الحصول على هذا التقسيم فهل في هذه الحالة يعتبر الجزء العربي وحده هو فلسطين ؟

انني أقول لا ••• لانني أعتقد أن المقصود هو تحرير فلسطين كلها) ••

ودارت مناقشة حول هذا الموضوع انتهت بالموافقة على الصيغة التي اقترحتها مصر ، وعندئذ قال الدكتور محمد صلاح الدين :

(•• ان هذا الموقف ليس سياسة جديدة ، بل هي السياسة القديمة الوحيدة التي فكرت فيها الدول العربية حتى الآن فيما يتعلق بفلسطين ، لان أساس هذه السياسة كلها اننا لا نعترف الا بفلسطين عربية موحدة غير مجزأة ، مرجع أمرها الى أهلها والى جامعة الدول العربية لا الى أحد غيرهما) ••

هكذا كانت مواقف محمـد صلاح الديـن في الخمسينيات ، ومواقف اخوانه من أحرار العرب •• مواقف لا يمكن أن يختل ميزانها ، لانهـا قامت على الايمان الراسخ ••• ومهما حاولوا النيل من هـذه المواقف القوميـة أو تحويرها ••• فستبقى الى الابد حية نابضة ، يتقاطر منها الاخلاص والـولاء لقضية العرب الاولى ••

لقد رفضت حكومة النحاس باشا على لسان وزير الخارجية محمدصلاح الدين حل القضية الوطنية وجلاء القوات البريطانية المرابطة فوق أراضي مصر لقاء عقد صلح مع اليهود •••

فقد أثير هذا الموضوع خلال اجتماع تـم يوم الخميس الثالث مـن أغسطس (آب) ١٩٥٠ بـين السفير البريطاني فـي مصر السير (رالف ستيفنسون) والدكتور (محمـد صلاح الدين) وزيـر الخارجيـة ، وشهد الاجتماع الاستاذ ابراهيم فرج وزير الدولة حينذاك •

وجرى بحث شامل حول تنظيم الدفاع عن الشرق الاوسط بعد جـلاء القوات البريطانية عن مصر والاماكن التي سترابط فيهـا في فلسطين ، فقـال السفير البريطاني :

(•• فيما يتعلق أولا بالاهمية الاستراتيجية للبلاد والاراضي الموجودة تحت يد اسرائيل ، أقول ان الدفاع عن الشرق الاوسط يكون مستحيلا تقريبا بدون اسرائيل ، واذا نظرتم الى الخريطـة ستجدون مبلـغ أهميتها •• أمـا مسألة التدبير المتفق عليه بين أمريكا وبيننا ، فهي مسألة دقيقـة ، على أنـي أعرف على وجه العموم أن الامريكيين سيتركون هـذا الجـزء من العالـم لبريطانيا وحلفائها •••) •

فرد الدكتور محمد صلاح الدين بقوله :

(•• اذا كان المتفق عليـه بوجه عام ترك الدفاع عن هـــذه المنطقـة لبريطانيا ، فهل فكرتم أو فكرت الولايات المتحدة في أن تنشىء قواعد فـي

اسرائيل لهذا الغرض مع ما ذكرتموه من أهميتها الاستراتيجية الكبيرة ؟) •

أجاب السفير البريطاني :

(•• ان علاقة بريطانيا باسرائيل لا تسمح بالنظر في مثل هذا الاقتراح)•

وانتهت الجلسة بأن حدد الدكتور محمد صلاح الدين موقف مصر من الصلح مع اسرائيل فقال :

(•• بقيت نقطة أخيرة أود أن أعلق عليها وهي ما أشرتم اليه من وجوب عقد صلح مع اسرائيل اذا أريد نقل القوات البريطانية الضاربة الى غزة ، هذه هي أول مرة تدخل فيها مشاكل اسرائيل الى محادثاتنا ، واني أريد ان أقول بأننا عقدنا هدنة مع اسرائيل ، وفي نطاق هذه الهدنة يمكن نقل القوات البريطانية الى (شقة) غزة دون الحاجة الى تعقيد الامور بمسألة أخرى يصعب على الرأي العام قبولها أو تصورها وهي عقد صلح مع اسرائيل) ••

ورد السفير البريطاني على هذا الرأي بقوله :

(•• يؤسفني جدا أن تكون هذه نظرتكم الى المسألة ، فالصلح مع اسرائيل يؤدي الى اقرار السلام العام في الشرق الاوسط ، واذا اتضح فيما بعد أن تسوية مصاعبنا تتوقف على هذه النقطة ، فاني أرجو الا يشارككم زملاؤكم في الوزارة وجهة النظر هذه ••) •

ولكن مصر كلها كانت تؤيد ما قاله محمد صلاح الدين ، وفشلت المباحثات وأعلنت مصر الغاء المعاهدة البريطانية •

هذه صفحات مطوية مسطرة في سجل أحرار العرب ••• ترى هل يعرف تفاصيلها هؤلاء الشباب الذين وجدوا أنفسهم فجأة في القيادات ، يوزعون الاتهامات يمينا ويسارا ، أو على الاصح يسارا فقط ؟

لقد جهد محمد صلاح الدين طيلة حياته السياسية أن يعمل في اطار الفكر الحر ، وكان في طليعة من حمل لواء سيادة القانون ، وقدسية

الدستور ••• وله في هذا الميدان جولات مدونة في تاريخ مصر الحديث •••

غادر مصر مقهورا ليعمل مستشارا قانونيا في الكويت ، فوضع القوانين والانظمة لوزارة الخارجية الكويتية ، وحين لم يستطع جو الكويت الحار الائتلاف مع صحة الرجل انتقل الى تونس ليعمل أستاذا للقانون في جامعتها•• وفي ١٥ حزيران ١٩٧٤ استقال من عمله وعاد الى القاهرة ••

لعله خلال غربته القسرية كان يعيش مع الاسطورة التي تقول :

كان جوبيتير رب الارباب يتنزه ذات يوم مع أحد الفلاحين وكانا يتناقشان بملء الحرية في شؤون الارض والسماء ، وكان الفلاح يصغي باهتمام ورضى بينما يبذل جوبيتير جهدا مضنيا ليفرض عليه رأيه ، ولما رأى عنده بعض الحق تلفت حوله بخفة مهددا بأن يسلط عليه الرعد •• فصاح الفلاح :

ــ ها قد علمت الآن انك مخطىء يا جوبيتير ؟ اني أعرف على الدوام حين تلجأ الى رعدك •• انك مخطىء ، وانك تريد أن تفرض رأيك بأسلوب قسري !

لم يؤمن الرجل طيلة حياته بالعنف ، بل يؤمن بتقديس حرية الفكر ، وخصب حرية الفكر ••• ولقد تستطيع القوة المادية أن تقف على رأس سيف، ولكنها لا تستطيع أن تبقى الى الابد هناك •••

ظل لويس الرابع عشر يقول :

ــ الدولة أنا سبعين عاما ، ومع ذلك عجز عن أن يلملم من الطرقات تلك الاغاني العنيفة التي قامت ضده ••

وتهامس الناس برغمه بصلاة أخرى غير معروفة (أبانا الذي في السموات تمجد اسمك •• أعطنا خبزنا كفافنا) لقد كانت الصلاة الاخرى تقول :

(أبانا الذي في فرساي ان اسمك لم يعد ممجدا ومملكتك لم تعد على ما كانت عليه من العظم ، وارادتك لم تعد مفروضة علـى الارض ولا علـى الماء ... أعطنا اليوم خبزنا الذي يعوزنا من كافة النواحي) ..

والفكر الحر الذي آمن به محمد صلاح الدين ، بكل ما يحتوي مـن مواد دستورية ، وقداسة قضاء ، لا يعدم وسيلة للتمرد على القيد ..

والغريب ان الفكر الحر لا يأبه للضحايا .. لا يأبه لانه يصبح في لحظة من لحظات التوتر النفسي ، هوى جامحا يستهلك الشخصية كلها .. واذ ذاك تضحى قيمة المرء كلها في كلمة بين شفتيه ! واذ ذاك يتميز المرء عن الملايين عن أمثاله بموقف بطولة ...

وقد وقف محمد صلاح الدين هذا الموقف أكثر من مرة ، وظل رافـع الرأس ...

عاد الرجل الى وطنه ليثبت أن نقيق الضفادع ، ضفادع المستنقع ، حول الاحرار ، والايدي المتشنجة التي تحمل حجارة الرجم ، والمخالب التي تأكـل من الصدر السمحة ... ليست أكثر من الاطار الذي لا بد منه للتدليل على أن الحياة الشريفة هي الباقية ..

ما روجوه ضد محمد صلاح الديـن في صحفهم ، ومـا أذاعوه مـــن اذاعاتهم ، ليس جديداً على الحياة السياسية كما توهموا ... وما من حر الا وقد قيل عنه مثل الذي كتبه (ارستو فانيز) في مسرحيـة (السحاب) عـن سقراط :

لقد صوره مقيدا الى وتد ووصفوه بأنه أكبر مفكر ملحد هدام ..

وما من حر من الاحرار الا وقد واجه الموت كسقراط عينـا لعين وقال معه امام المحكمة التي حكمت عليه بالموت في أثينا :

(اذا شئتم أن تبرئوني على أن أهجر بحثي في سبيل الحق فاني سأقول لكم : اني شاكر لكم أيها الاثينيون .. ولكني أفضل طاعة الله الذي ألقى على عاتقي هذا العبء على طاعتكم .. انني لا أعرف أيها السادة طعم الموت ولعله شيء جميل ، ولكني واثق ان تركي رسالتي قبيح وأنا أفضل ما يحتمل أن يكون جميلا على ما أنا واثق من أنه قبيح) .

ومحمد صلاح الدين قدم الى المحاكمة ، ولم يحكم على أعماله ، بل حوكم على أقواله ...

لقد بحثوا له عن تهمة لكي يقدموه الى المحاكمة ، فوجدوها ...

أثناء العدوان الثلاثي على القناة ١٩٥٦ تنادي فريق من الوطنيين الذين سبق لهم ان خاضوا المعترك السياسي وتحملوا اضخم المسؤوليات في فترات حرجة من تاريخ مصر المعاصر .. تنادى هؤلاء الى اجتماع وكان من بينهم السادة :

(محمد صلاح لدين ، فؤاد سراج الدين ، عبد الفتاح حسن) ، وفي هذا الاجتماع وضعوا مذكرة رفعوها الى رئيس الجمهورية ، وقالوا فيها انهم يضعون أنفسهم وخبرتهم وتجاربهم تحت تصرفه ، مؤكدين أن هذه الفترة من حياة مصر تتطلب تناسي الخلافات والحزازات لمواجهة العدوان الغادر .. مؤكدين انهم لا يريدون من وراء مطلبهم هـذا سوى أن يكونوا مجـرد مواطنين مجندين في هذه المعركة) ..

وانتهى العدوان ، وأحست (الاجهزة) و (مراكز القوى) بأن هـذا الموقف النبيل سيكون له ما بعده ، لهذا لفقوا تهمة سرعان ما انهارت أمـام المحكمة الخاصة التي تشكلت لمحاكمتهم ..

وقد حكم على الثلاثة ، لا لانهم قاموا بأعمال ضد الدولة ، بـل لانهم وقفوا في المحاكمة وقالوا بصراحة ووضوح :

(••• لا بد للدولة من مؤسسات دستورية ، ولا بد من اعادة الدستور وسيادة القانون) •

ودخل محمد صلاح الدين السجن بعد أن حكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة ••• ثم خرج منه بعد أن أمضى فترة طويلة ••• وظل الحكم مسلطا فوق رأسه •••

وغادر محمد صلاح الدين القاهرة الى الكويت ، ثم الى تونس ، وفي صباح ١٩٧٤/٥/٢٨ ، صدرت جريدة الاخبار القاهرية التي كانت من أشد خصوم حزب الوفد ، وهي تحمل في صدر صفحتها الاولى صورة محمد صلاح الدين ، وكتبت تحت الصورة تقول :

(• يعود الى مصر بعد غيبة طويلة الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية الاسبق في ١٥ يونيو القادم ••• وكان محمد صلاح الدين من شباب ثورة ١٩١٩ البارزين وحكم عليه عام ١٩٥٧ بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وسجن في ليمان طره ، ثم غادر مصر وعين مستشارا قانونيا في وزارة الخارجية بالكويت ، ثم عين استاذا في جامعة تونس ، وتوفيت زوجته ودفنت هناك) •

عاد محمد صلاح الى وطنه ليزرع الحب والوفاء ، عاد الوطني الذي لم يهادن ، والمفكر الذي لم يعرض فكره في سوق نخاسة الفكر ، عاد ليقول في ذكرى مصطفى النحاس كلمة الوفاء فقال :

« مصطفى النحاس سيد الناس » هكذا لقبه زعيم الثورة سعد زغلول •

كان اذ ذاك امين الوفد العام ، وكان في وطنيته وامانته مضرب الامثال حتى كاد الثائرون على طغيان الانجليز والسراي يدعونه الامين ، لولا خشية الله وتنزيه نبي المسلمين •

وقضى سعد نحبه كريما عظيما فخلفه النحاس على رياسة الوفد دون مراء ، حتى لكأنما قال فيه ابو العتاهية :

اتته الرياسة منقـادة   اليه تجـرر اذيالهـا
فلم تك تصلح الا لـه   ولم يك يصلح الا لهـا

ومضى في رياسة الوفد بعد زعيمه سعد زغلول حتـى قضى النحب بدوره في الثالث والعشرين من شهـر اغسطس سنة ١٩٦٥ ، ويا لها من حكمة الاهية ارادها الناس لمصطفى النحاس ، ان يموت في نفس اليوم الذي مـات فيـه سلفـه العظيـم .

ويضيق المقام في هذا التابين العابر عـن سرد امجـاد الرجل وافضال الرجل على هذا الوطن الحبيب ، فلا مناص اذن من التلخيص الاقل المخل ، وفيه الغناء مع ذلـك عـن التطويل وعـن كـل مزيـد .

كان له الفضل الاكبر في عقد معاهدة سنة ١٩٣٦ مـع الانجليز ، وهي المعاهدة التي لم تكن مصر دون عقدها لتخطو خطوة واحدة الى الامام في سبيل سيادتها الحقة واستقلالهـا التـام .

ثم كان له الفضل الاكبر في عقد معاهدة مونتريه التـي الغت الامتيازات الاجنبيـة ، وهـو الالغـاء الذي لولاه لمـا استطاعت مصر ان تخطو خطوة واحدة في سبيل نموها مـع التامين وكرامتها بين الكرماء المتحضرين المتقدمين .

ثم كان له الفضل الاكبر في الحاق مصر بالمجتمع الدولي الحديث فقد انضمت على يديه الى عصبة الامم ، كما انضمت فيما بعد على ايدي غيره من ساستها العاملـين الـى الامـم المتحدة (دون اي انحـاد) .

وكان النحاس بين العرب اول عربي خطا خطوات جدية في سبيل وحدتهم المبتغاة حتى قامت جامعة الدول العربيـة في سنة ١٩٤٥ ، وهو حديث ارجو ان يفتش فيـه الباحثون عـن اربعـة امـور :

كيف بدأ الحوار الجدي في ذلك السبيل ؟

وكيـف تطور حتى عقد البروتوكـول الدولـي العربـي المعروف ببروتوكول الاسكندرية ، صيف ١٩٤٤ ؟

وكيف قلب النحاس المائدة على الانجليز وسحب البساط من تحتهم فيما كانوا يبيتونه من قيام الجامعة على أساس مسخ ناقص ، وتابع لسياستهم لا يحيد ؟

ولماذا اقال الملك الخليع فاروق وزارة النحاس في اليوم التالي لعقد بروتوكول الاسكندرية ؟ كما اعتاد ان يقيله كالما حارب طغيانه وأبى مع ذلك ان يستقيل لان وكلاء الامة المحقين لا يستقيلون من خدمتها في بلاد جاهد شعبها للحصول على الدستور حتى فاز بالدستور .

وعلى ذكر الدستور ـ والشيء بالشيء يذكر ـ ارجو ان يفتش من يجهلون تاريخ الرجل من الشبان او الرجال او الكهول او الحساد الجاحدين عما كابده الرجل من بلاء وعناء لاسترداد حقوق الشعب الدستورية كلما عبث بها العابثون، وعلى وجه الخصوص لاعادة دستور سنة ١٩٢٣ بعد ان قتلوه بدستور مسخ في سنة ١٩٣٠ .

ولعل الجهال بهذا البحث يعلمون .

ولعل الحساد ينتهون .

واخيرا ـ وليس اخرا ـ كما يقولون فقد القى صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا معاهدته مع الانجليز وقال يومها في البرلمان المصري قوله السديد المجيد ((من اجل مصر وقعت معاهدة سنة ١٩٣٦ ومن اجل مصر اطالبكم اليوم بالغائها)) .

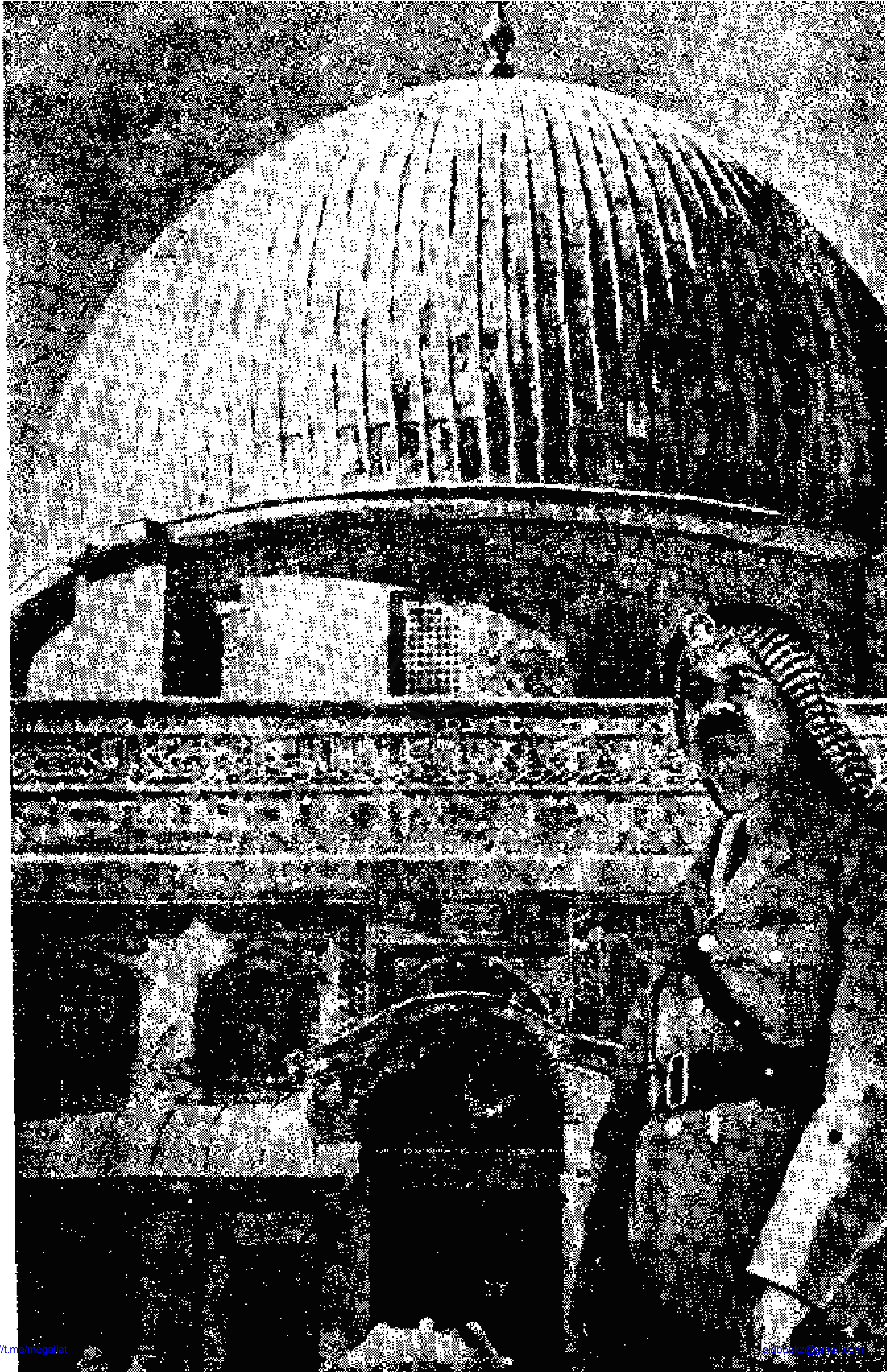
وهو موقف فخم ضخم الأجل الأول فيه حتى يتسع له المجال وحتى يطاق .

اما بعد ، فقد كان مصطفى النحاس ابي واستاذي ورئيسي وزعيمي ، واخشى ما اخشاه ان يحسب السامعون او القارئون اني بالغت فيما قلت ، ولكن حسبي وحسبه الله ، والله على ما قلت أو اقول شهيد .

محمد صلاح الدين

عبدالله التل
قائد معركة
القدس

ياويلنا يوم نصالح اسرائيل



كما في السماء كذلك على الارض ...

وكما يحرق الجو الارضي آلاف الشهب كل يوم : تلتمع حتى الاشتعال وهي تخترق ظلماته ثم تتحول لهبا رمادا ، ثم تذهب هباء لا أضيع ولا أتفه . كذلك على الارض ؛ تعبر آلاف الشهب الانسانية جو الارض سنين ، تلتمع ... تلتمع تشتعل لهبا ثم تذهب هباء لا عين رأت ولا قلوب أبهت ..! الذين يحاولون التقاطها وحدهم الذين يكتوون بنارها لا ينالهم منها الا الحروق .. الحروق في الاصابع والصدور و ... القلوب !

احدى هذه الشهب العابرة المحترقة هو هذا القائد العربي الذي دفنوه في مقبرة اربد دون أن يدري به أحد ، ودون أن يحس به أحد ...

دفن الى جانب أموات (اربد) وفي المقبرة المقفرة التي تتساوى فيها الاعمار ، والقيم ... الشاب والشيخ ، والذكي والغبي ، ومن كان يؤمن بالمثل العليا ، ومن كان بلا مثل ولا اهداف ، هكذا مات القائد عبد الله التل الذي دافع عن القدس عام ١٩٤٨ ، وسمي بقائد معركة القدس .. وكان اول ضابط اردني يخطط للقيام بانقلاب عسكري في الاردن ثم يتراجع بعد ان حدد بنفسه ساعة الصفر ..!

مات القائد العربي « على السكت » كما مات رفاقه من الرعيل القديم الذي كانت الفضائل طبيعة ثابتة فيه ، وكانت الوطنية طبيعته الاولى ...

مات دون ان يرثيه أحدكما جرى للعقيد محمود الهندي ، والقائد طه الهاشمي ، والقائد اسماعيل صفوت وكل الذين صدقوا ان الجيوش العربية انما تعد لانقاذ فلسطين وليس للقفز الى السرايات بعد احتلال الاذاعات ..!

مات عبد الله التل طفلا في ليلة من ليالي آب اللهاب عام ١٩٧٣ ، او على الاصح احترق لكي لا يرى ما رأيناه نحن التعساء من احداث تدمي الافئدة ، وتسحق الضمائر .!

والذين يحبهم الله يموتون اطفالا مهما بلغوا من العمر ٠٠

لم يكن عبد الله التل ضابطا عربيا عاديا ٠٠٠ استقال من الخدمة العامة ليتفرغ للتخطيط للانقلابات ، وحين هيأ كل شيء واصبح في طريقه لاستلام السلطة ادرك خطورة اللعبة فانقلب ضدها ٠ لم يكن يعطي احساسا بأنه يمكن ان يموت بهذا العمر ٠٠٠ فقد كانت المكتبة العربية بحاجة الى مؤلفاته العسكرية والاسلامية ، وبحاجة ايضا وايضا الى معرفة الاسرار التي تغلي في صدره عن الثورات والانقلابات والواجهات السياسية العريضة التي حكمت الامة العربية باسم فلسطين ، فأضاعت فلسطين مع غيرها مما اضاعته من اجزاء واسعة من الارض العربية ٠٠٠

والذين عرفوا عبد الله التل كما عرفته يعلمون ذلك الكون الوطني الذي يعيش في داخله ، والايمان المستقر في اعماقه ٠٠٠

كان عبد الله واحدا من اطفال العرب الذين شبوا وبراءة الطفولة لم تفارقهم ، ومن الصعب ان ينهار البناء النضالي في لحظة عندما يسكت القلب٠

ومن المدهش ان القائد العربي الطفل كان يحس بأنه سيموت ، وقد قال لي قبل ثلاثة أشهر من غيابه :

(٠٠٠ أخاف أن أموت قبل ان أتمم مؤلفاتي التي أعدها للطبع ، وخاصة مؤلف هجرتي الى مصر !) اعتقدت يومها أن احساسه هذا مرده الى مشاعر الطفولة التي عاشت معه ولا تريد أن تفارقه ، فقد كانت هجرته من الاردن الى مصر قاسية على نفسه ، وعلى طموحه ، وما رآه في مصر أثناء غربته القاسية دفعه دفعا للارتماء في أحضان الارث الاسلامي ، والتراث الاسلامي ، ولم يكن هناك غرابة في هذا العشق لكل ما هو اسلامي ، فقد كان يرى أن مجد العسكرية الاسلامية هو في الاخلاص الى الواجب ٠٠٠ وكان التل وفيا لمن أحبهم واحترمهم ، وخصما عنيدا لمن يتطاول عليهم وعلى جهادهم ، وكان وفاؤه واعترافه بجميل الملك الذي عفا يثير الحنق عند بعض أصدقائه الذين

رافقوا مسيرة نضاله ، وكان يردد أمام هؤلاء بأن من أخـلاق العرب العرفان بالجميل ...

ولا ينكر الرجل أنه سبق له أن أخطأ بخروجه من الاردن ، وانه توهم أن القاهرة صادقة في دعوتها لانقاذ فلسطين . ولا يجد غضاضة في أن يسجل هذا الاعتراف بالخطأ في مقال ينشره في جريدة (الحياة) البيروتية ، مديـرا ظهره للاثمين ، والمصرين على أخطائهم ..

وكان في حياته صريحا ، يقرر ، ثم ينفـذ ثم يراجـع نفسه فيما أقـدم عليه ... وكانت حجته التي يدافع بها عن نفسه انه جاء الى هذا العالم ليكون انسانا يخطيء ويصيب ، فلماذا لا يعترف حين يخطيء ؟

كان يرى رفاقه الضباط يتقدمون عليه فيفرح لهم ... وحـين يحـاول أحدهم أن ينتقص من هذا المسؤول العربـي وذاك القيادي بحضوره ينتفض بعصبية ، لانه لم يكن يخلط بين الحقائق والاوهام .

كان يرى الضباط أثناء اغترابه يتحاشونه فيعذرهم ، وحين صدر الامر الملكي بتعيينه سفيرا في وزارة الخارجية الاردنية ، ومن ثم عينا استقبل هذه الخطوة بما تستحق من الوفاء . فلم ينقم لانه لم يعاد الى الجيش الذي أحبه وأخلص له وقاتل تحت لوائه كأروع ما يكون القتال ، فقـد كان رجلا فـي خصومته ، ورجلا في صداقته ، وطفلا في علاقاته العامة والخاصة .

رأى في حياته التفاهة تتصدر المقاعد ، ورأى فيها الاصالة لا تجد مقعدا تجلس فوقه ، وكان حزنه شبيها بالحزن العام ، حزن الشرفاء ... غير أنه لـم يهزم أبدا من الداخل ، رغم الاخطاء المتعددة التي ارتكبها في حياتـه ومنهـا اللجوء الى القاهرة . ومنها أيضا اقدامه على تقديـم استقالته مـن الجيش الاردني احتجاجا على نقله كملحق عسكري في السفارة الاردنية في لندن .

كان ذلك في شهر حزيران عام ١٩٤٩ ، وفي الخامس منه .

وغادر القدس الى بلدته (اربد) بعد أن أذاع على أهل فلسطين البيان التالـــي :

(وداع وعهد :

أيها الاخوان من عرب فلسطين ويا أهل القدس الكرام .

لقد استقلت من خدمة الحكومة . واني بهذه المناسبة أتقدم مودعا كل فرد منكم آسفا لاني لا أستطيع مصافحتكم جميعا ، راجيا أن تتقبلوا شكري الاخوي على المساعدة التي قدمتوها لي ولاخواني الجنود في الايـام السود التي قضيناها معا في فلسطين والتي ثبتم بها معنا ، فسطرتم صفحة بيضاء في تاريخ القضية المظلمة . واني أعاهدكم ، وأقسم بالوطن الذبيح انـني سأقف حياتي من أجل فلسطين سواء كنت بينكم أو بعيدا عنكم .. والسلام عليكم (عبد الله التل) .

بعد أن استقال قائد منطقة القدس ارتدى الثياب المدنية ، وارتدى معها النوايا الانقلابية ، كانت موجة الانقلابات قد بدأت تكتسح أرجـاء الوطـن العربي ، ولم يكن القائد المتقاعد ، يدرك ــ ومن أين لـه أن يدرك ــ بـأن أعداء أمته قد رسموا لهـذا الوطن مصيرا أسودا ، وأقامـوا لهـذا المصير الاوضاع المناسبة له داخليا وخارجيا .

كان عبد الله التل على اتصال مباشر مع الزعيم حسني الزعيم ، وقـد سبق له أن جاء الى دمشق بمهمة عسكرية رسميـة واجتمع بقائـد الانقلاب السوري الذي راح يحدثه عن دور الضباط في حكم البلدان العربية ، وكنـا نحن أصدقاء الاردنيين الاحرار في دمشق نعلم بأن عبد الله التل يعد انقلابا عسكريا في الاردن مع بعض رفاقه من الضباط ومنهم :

(العقيد محمود موسى الذي كان برتبة وكيل قائد ، واللواء علي أبـو نوار الذي كان برتبة رئيس) ، وكنا ننتظر نجاح الانقلاب في الاردن ، فـاذا بنا نفاجأ بنجاح الانقلاب على حسني الزعيم .

لم يكن مضى على انقلاب سامي الحناوي سوى بضعة أسابيع حين فوجئت بزيارة أحد أركانه العقيد (م٠ ر) في منزلي ، وكانت الساعة تدق الرابعة صباحا ٠

حدث ذلك في أوائل شهر تشرين الاول ١٩٤٩٠

قال لي العقيد (م٠ ر) وكأنه يصدر أمرا عسكريا الى أحد جنوده :

ـ سيارتك حاضرة ؟

ـ نعم ٠٠٠ لماذا !

ـ اركبها والحقني لعند الدكتور صبحي أبو غنيمة ٠

ـ هل أخبر والدتي بشيء ؟

ـ اياك أن تفعل ٠٠٠ سأقول لها بأنك ستسافر معي الى حلب ٠

وذهبت مع العقيد الانقلابي السوري الى منزل الدكتور صبحي أبو غنيمة في حي (ابي رمانة) ـ أبو غنيمة أحد أحرار العرب الذين رافقوا الحركة الوطنية منذ بدايتها وشغل في آخر حياته منصب سفير الاردن في دمشق توفي عام ١٩٧٢ ـ ٠

استقبلنا الدكتور بالبيجاما ، والطاقية البيضاء على رأسه وراح يحدثنا عن قلقه وهو ينتظرنا على أحر من الجمر ٠٠٠ وقال للعقيد :

هل أخبرت (الزهر) بالمهمة التي سيقوم بها ؟

أجاب العقيد :

كلا ٠٠٠ لقد تركت الامر اليك يا دكتور بعدما اكتشفت أنه يحبك أكثر مما يحبني ٠

وضحكنا معا هذه المرة ، ورحت أصغي الى أقوال الدكتور ٠٠٠

(.. اسمع يا زهر ستذهب الآن مثل السبع الى درعا ، وهناك اترك سيارتك أمام مخفر الامن العام ، وستجد بانتظارك من يرشدك الى ما تفعل ، المهم أن تصل الى اربد سالما (ابو غنيمة من اربد) وعند وصولك اذهب رأسا الى منزل أخي ، وهناك سيسلمك أمانة عد بها الينا) .

اعتقدت في باديء الامر أن الامانة لا تتعدى أوراقا سرية ، ولم يخطر في بالي أن الامانة ستكون (زلمة) .

في (اربد) ، وفي المنزل الذي ولد فيه الدكتور صبحي أبو غنيمة وجدت نفسي وجها لوجه أمام عبد الله التل ، وتذكرت وأنا أصافحه أنه سبق لي أن رأيت هذا الوجه وهو خارج من مقابلته لحسني الزعيم ، ولم يستغرب التل قدومي اليه لاصطحابه لقد سبق له أن أعلم بكل التفاصيل . وعدت بالامانة (الزلمة) الى دمشق ، والى منزل الدكتور .

لا أريد هنا أن أروي ما حدث لنا في طريق الذهاب والاياب ، فليس هنا مكانه ، بل أكتفي بأن أذكر حرص عبد الله التل على (صرة) كان يتأبطها وكأنها ولده ، وحين تعرضنا الى مفاجأة لم نكن لنتوقعها أمسك القائد (بالصرة) ورماها بعيدا حيث وقعت في حفرة . وحين اجتزنا الخطر عاد اليها وتناولها ومسح عنها الطين بطرف قنبازه ، وكم كان سعيدا حين وجدها سالمة من التلف ، ولم أكن أعلم ان هذه الاوراق ستحدث هزة في ضمير الجيل العربي عند نشرها .

في صباح الاثنين العاشر من تشرين الثاني ١٩٤٩ سافر عبد الله التل بجواز سفر سوري الى القاهرة يحمل اسم (ياسر الحوراني) ، وقد ودعناه في المطار على أمل أن نلقاه قريبا ، ولكن هذا اللقاء لم يتم الا في عام ١٩٥٩ ، وفي مدينة القاهرة .

حين التقيته في القاهرة بمقهى (غروبي) كدت لا أتعرف عليه ... كان حزينا رغم ان اسمه كان يتصدر معظم الصحف العربية .

كان قد أصدر كتابه (مذكرات عبد الله التل قائد معركة القدس) هذا الكتاب الذي أهداه الى المجاهدين العرب (من لقي منهم ربه ، ومن لا يزال ينتظر) •

أحدث هذا الكتاب عند صدوره دويا في أرجاء الوطن العربي ، وكانت الاوراق الخاصة التي اصطحبها التل معه من الاردن مادته الاساسية •

وسألته عن الكتاب فتجاهل السؤال وأخذ يتحدث عن الاصدقاء وأحوالهم ؛ وأحسست أن الرجل يريد أن يبتعد عن موضوع الكتاب (الضجة) • لقد أصدره ليعترف ، فاذا به يتحول الى اتهام لا يريده ••• ترى هل أخطأ التل باصداره هذا الكتاب ؟

العنصر المركب منه الانسان هو الخطيئة ، وما الخطيئة في الاصل سوى النزوع الى المعرفة ، شوق المعرفة بالاختبار ، لاختبار ما نعرف بنتيجته ، ولا تعصمنا المعرفة عن الاخبار ، معرفة ما يجب أن لا نعرف •

ولكن لماذا يجب أن لا نعرف ؟

ولماذا هذا النزوع الغريزي الاصل الى المعرفة ••• ان كان يجب أن لا نعرف كما يريد الحكام ، وخاصة حكام الهزيمة !

عندما نحذف الخطيئة (بجميع معانيها) من الانسان يتغير تاريخ العالم، ولا تكون لنا حاجة الى الفداء ••• الانسان لا يضيع نفسه وراء المعرفة ، لهذا لم يضيع عبد الله التل نفسه حين أخطأ وكان هدفه الوصول الى الحقيقة ، لقد أطل من كتابه على الهاوية التي انتظرتنا في الخامس من حزيران ١٩٦٧ ••• كان الخوف من الكارثة يعيش في أعماق التل الطفل ، لهذا أصدر كتابه ••• لقد كتبه وهو في شرود طفولته ، ولولا الحب الذي يغلي في وجدانه ، ولولا الايمان الساذج الذي يتملكه بفداء وطنه ما كان كتاب (الضجة) •

كثيرون تحدثوا عن معركة القدس ومنهم (كلوب) القائد الانكليزي•• وكثيرون (من العرب خاصة) شوهوا هذه المعركة ليمجدوا الاكاذيب ، ولكن

عبد الله التل اكتفى بذكر الحقائق المجردة ، مع انه كان في ذروة حنقه .

يقول عبد الله التل :

(... كان آخر الوفود التي وصلت الى عمان ١٧/٥/١٩٤٨ وفدا برئاسة الدكتور عزت طنوس ، وقد مر بقيادتي في أريحا ، ومكث عندي حتى الساعة الثانية من صباح ١٨/٥/١٩٤٨، وكان الدكتور منفعلا أشد الانفعال فقلت له : لقد خالف الملك عبد الله تعليمات كلوب وأصدر موافقته الهاتفية لي ظهر يوم الاثنين ١٧/٥/١٩٤٨ بارسال سرية واحدة للقدس فأرسلتها فورا ، ثم وافق جلالته على حركتي مع بقية سرايا الكتيبة الى القدس ، ولم تمض ليلة ١٧/١٨ حتى كانت الكتيبة السادسة قد أخلت مراكزها في الخان الاحمر وجسر النبي وأريحا وانتقلت الى القدس بدليل ان الامر جاءني من الملك مباشرة ، ولم يأتني أي أمر أو تعليمات من كلوب أو ممن هم دونه ... ووصلت الى القدس مع ثلاث سرايا مشاة وتركت الرابعة في داميا .

وبما أن أمر الملك الهاتفي لي كان بأن أحمي القدس القديمة وما بها من مقدسات ، فقد قدرت الموقف الحربي بمجرد وصولي الى (رأس العمود) الذي يشرف على المدينة القديمة وأغلب أحياء القدس الجديدة من الجناح الايسر ، وحسبت لكل شيء حسابه آخذا بعين الاعتبار الحال الذي صار اليها المناضلون من الجهاد المقدس ومن جيش الانقاذ ، والخطورة التامة على الابواب الرئيسية ، ووضع الحي اليهودي داخل القدس القديمة وكونه خنجرا في قلب المدينة ، رغم انه كان محاصرا من قبل المجاهدين العرب ، ثم وزعت السرايا الثلاث على المواقع الهامة . واتصل جلالة الملك هاتفيا وقال :

(.. انت قائد القوات العربية في القدس ولا أعرف غير أنت) ،

ويتحدث التل باسهاب عن معركة انقاذ القدس وكيف انتصر على اليهود وأنقذ القدس وكيف تمت عملية التسليم من قبل اليهود ... ويروي بأمانة المؤرخ كيف أن هذه المعركة كانت أهم معركة خاضتها القوات العربية في حرب

فلسطين ، وكانت السبب في بقاء القدس القديمة وما جاورها من الاحياء في يد العرب ، وكيف قتل فيها ما يزيد على ٣٠٠ يهودي من المتعصبين بينهم ١٢٦ من عصابة الارغون زفاي ليومي ، وجرح أيضا ٨٠ من هذه العصابة وجدوا في المستشفى ، كما تم أسر ٣٤٠ يهوديا من الهاغانا وشترن والارغون .

سألته في لقائي الاخير معه في بيروت بينما كان خارجا من مستشفى الجامعة الامريكية بعدأن فحص قلبه المرهق :

ـ ألا تعتقد أنك أخطأت مرتين ، مرة حين نشرت الوثائق التي اؤتمنت عليها ، ومرة حين قبلت وظيفة مدنية ؟ أجاب :

ـ هل تقسم أمامي بالاخوة انك لن تنشر ما تسمعه من أقوالي الا بعد مماتي ؟

فأقسمت ، قال :

أثناء اقامتي في القاهرة بعد تركي الاردن اطلعت على أمور في غاية الاهمية ، لقد اتصل بي أكثر من عميل من عملاء المخابرات الاجنبية ، كما اتصل بي بعض السياسيين العرب الذين امتهنوا السياسة الناصرية ، وحاولوا جري الى جهنم الانقلابات ، عن طريق اغراء بعض الضباط الاردنيين ودفعهم للقيام بانقلاب يضع الاردن في مصاف البلدان التي تحكم على الاسلوب الانقلابي الذي تعرف ، وكنت أستغرب أن يكون من بين الضباط المغرر بهم أعداء للماركسية واخواتها ، يضاف الى هذا أن هؤلاء الضباط كانوا من أنصار الانكليز المعروفين .

لم أرفض في بادىء الامر ، لقناعتي بأن ضباط الجيش الاردني لا يمكن أن يفرطوا بتراب فلسطين ، وعقدنا سلسلة اجتماعات للتحضير لعملية انقلابية ناجحة ، وكان ذلك في عهد الوحدة المصرية السورية التي تسميها (وحدة الانفصال) .

وتشاء الاقدار ان اجتمع ، بطريق الصدفة ، بموظف أمريكي يعمل في السفارة الامريكية بالقاهرة ، وكان ذلك في منزل الدكتور (ف. د) بمصر الجديدة ، وحدثني هذا الامريكي عن المشروع الذي نعده بتفاصيله وأسراره، كان يتصور أن موافقتي على الانقلاب كافية لان أقبله موجها ونصيرا .

تركته يتكلم ورحت أصغي الى أقواله بامعان ، وأشعرته بأنني موافق على عملية الانقلاب رغبة مني في سماع المزيد من التفاصيل .

لقد ذكر لي هذا الامريكي ، واسمه (هيلسكي) – كما أذكر – التفاصيل الكاملة عن علاقتي بحسني الزعيم ، وصلتي به ، وأسماء الضباط الذين كانوا يتعاونون معنا في حينه ، ثم أسماء المدنيين العرب الضالعين بالخطة ، ثم انتقل في حديثه الى المرحلة الجديدة وأهمية نجاح الانقلاب الجديد . وكان يريد اشعاري بأنه أحد مخططي الانقلابات في الوطن العربي ، وأن وظيفته أكبر من مجرد مستشار في السفارة الامريكية في القاهرة ، وان الاوامر تأتيه من واشنطن مباشرة ، وانه قادر على أن يمدنا بالمساعدات العسكرية والسياسية ، وبالفرق المجهزة من بعض البلدان العربية ، وحين قلت له أن هذه الفرق موجودة في بلدان تعمل مع الاتحاد السوفييتي وتحارب أمريكا ، ضحك حتى كاد أن يستلقي على قفاه ، وقال :

ان الذين يرددون مثل هذا القول يجهلون كيف تعمل المخابرات الامريكية .

سألت الامريكي بعد أن انتهى من ضحكه :

– اذا كنا نريد القيام بانقلاب عسكري في الاردن لتطويره فما هي مصلحتكم بمساندته ، وأنتم أصدقاء الحكم القائم فيه تقدمون اليه المساعدات المالية والعسكرية وتدعمون بقاءه ، فأجاب وقد وضع ابتسامته (المخابراتية) على وجهه :

ـ اسمع يا جنرال ـ رفعني الى رتبة جنرال بدون مرسوم ـ : ان الظروف والاحوال في بلدانكم العربية قد تبدلت ، وبعد سنوات قليلة ستصبح اسرائيل أمرا واقعا ، وليس من مصلحتكم الاستمرار في معاداتها ، بل على العكس يجب أن تعترفوا بأمرها الواقع وتتعايشون معها بعد أن تصالحوها أما راضين أو مرغمين ، ونحن نعلم ان هذا لن يتم بسهولة ، والمخططات المدروسة والمؤقتة التي تنفذها على مراحل كافية للوصول الى هذا الهدف الذي يخدم أمريكا ويخدم العرب ويخدم اسرائيل حارسة الديمقراطية في هذا الشرق العربي ... ان فكرة الوحدة العربية كانت مقبولة بعد الحرب العالمية مباشرة، قبل ظهور النفط بهذه الكثرة ، وهذه الفكرة أضحت تصطدم بمصالحنا في بلدانكم ، وأستطيع أن أؤكد لك منذ الآن انه لن يأتي عام ١٩٨٠ الا وجميع البلدان العربية قد تصالحت مع اسرائيل ، فاذا تمت الامور بسهولة أمكننا تجنب الكوارث والدماء ، والا فانكم ستواجهون عملية تقسيم جذرية في كل بلد من بلدانكم .

ويمضي عبد الله التل في حديثه عن لقائه بهذا الامريكي قائلا :
حين ودعته قلت له :

أشكرك على حديثك لقد شرحت لي باسهاب الخطوط الكبرى للبيان (رقم واحد) الذي سنذيعه بعد نجاحنا في الانقلاب ... ولا شك انكم ستسرون جدا حين تسمعون بأن عبد الله التل أصبح رئيسا لجمهورية الاردن . أجاب :

بالتأكيد فنحن كنا ننتظر هذه الفرصة في حزيران ١٩٤٩ وليس في حزيران ١٩٦٠ .

ويمضي التل في نبش ذكرياته التي تؤرقه فيقول :

عدت الى منزلي ودعوت ثلاثة ضباط أردنيين كانوا مثلي قد لجأوا الى القاهرة ، وذكر لي أسماءهم ـ لن أبوح بها لانهم الآن في الجيش الاردني ـ

ورويت لهم قصة المقابلة بتفاصيلها ، واتفقنا على خطة احباط الانقلاب ، وقد استطعنا في ظرف ثلاثة أيام أن نبلغ اخواننا في الاردن بأن الانقلاب هو لصالح اسرائيل والمخططات الامريكية المعادية للاماني العربية .

وروى لي عبد الله كيف صمم منذ تلك اللحظة على العودة الى الاردن مجرد مواطن عادي ولا أستطيع الآن البوح بكل ما سمعت منه ، فاذا كنت قد ذكرت الجوانب التي لا تسيء الى ذكرى الرجل فليس معنى هذا انني رويت كل ما سمعت ، فما سمعته شيء لا يصدق ...

اذكر انني سألته :

ــ أعرف جيدا صلتك الوثقى بجمال عبد الناصر ، وأذكر حوارك المستمر معه حول القضية الفلسطينية ، هل يئست بالفعل من الرجل وأسلوبه في انتزاع الحق العربي ؟

حاول القائد التل أن يتهرب من الجواب ، ولكنه أمام الحاحي ووعدي بعدم نشر أي شيء من أقواله أجابني بقوله :

(... أذكر لك موقفا واحدا فقط من مواقفي مع الرجل ، فبعد أن نقلت اليه مخابراته ما كنا نردده من أحاديث ضد سياسة القاهرة تجاه قضية فلسطين استدعاني الى داره بمنشية البكري في الساعة الثالثة صباحا ، وقال لي :

اسمع يا عبد الله ، منذ حلولك ضيفا عزيزا لدينا وأنا لا أسمع منك الا لفظة فلسطين واختها القدس ، هي فلسطين حتعود الى أهلها كده بالعافية ، انها بحاجة الى استراتيجية جديدة للعمل الوطني الطويل المدى .. انها بحاجة الى دراسة عسكرية وسياسية واقتصادية وفكرية ، لقد قررت أن تضع بنفسك الاستراتيجية العسكرية والدكتور كمال رفعت يضع الاستراتيجية الفكرية والسياسية وأمين الهويدي يضع الاستراتيجية الاقتصادية ، وبعدها تجتمعون وتضعون اللمسات الاخيرة على التقرير المجمل الذي سأناقشه معكم ، اذهب

الآن واجتمع بالهويدي وستجد هنــاك الدكتور رفعت ، انت حاضر لهــذا العمل ؟ قلت له حاضر ونص يا ريس ••• لقد تأخرنا كثيرا عن وضع مثل هذا التقرير ، أما وقد جاءت القناعة فعلينا أن نسرع ••

وذهبت بالفعل الى منزل الهويدي وهناك وجدت الدكتور رفعت واتفقنا على عقد اجتماع بعد يوم واحــد للمباشرة بالعمــل وفق توجيهات الريس • ولكن هذا الاجتماع لم يتم لان الدكتور رفعت كلف بعد يوم واحد من لقائنا بمهمة في لندن ، أما الهويدي فقد صدرت اليه الاوامر بالتوجه الى سويسرا لقضاء اجازة طويلة) •

ويطرق عبد الله بنظراته الى الارض ، ثم ينفث من أعماقه بآهة حبيسة ويقول :

(ماذا تريدني أن أقول عن القاهرة وسياسة القاهرة ومــا رأيته فــي القاهرة •••؟ أليس من الافضل ان ننسى القاهرة موقتا وننصرف الى مواجهة أوضاعنا بجدية ؛ لقد قضى عبد الناصر (١٨) سنة من عمر حكمه وهو يلعن حكام العرب الذين حاربوا معركة فلسطين في عام ١٩٤٨ ، واستطاعوا الابقاء على نصف فلسطين ، ونصف القدس ، وكــل الاراضي العربيــة ، وعندمــا حارب عبد الناصر في عام ١٩٦٧ أضاع بقية فلسطين وبعض الاراضي العربية ••• ايه رحم الله الرجل الذي أضعناه ، فأضاعنا ، لقد أصيب بسبب الانفصال بجرح عميق ظل ينزف ، لهذا صمم على نفض يده من العروبــة والعرب ••• وراح يتكىء على مؤتمرات القمة ، ومد يده الى أعدائــه القدامى واستقبل واحتضن من كان الى الامس القريب يلقبهم بالخونــة ويدعــو الشعب الــى اسقاطهم ، لقد حدث مرة أن شكلنا وفدا مــن الضباط العرب اللاجئين فــي القاهرة وذهبنا اليه لنشكوه سياسته هذه ، وتكلم أحدنا بكلام لا يصح أن يقال أمام رئيس عربي كجمال عبد الناصر ، فلم يثر بوجه هذا الضابط الــذي كان من أكبر أعوانه ، بل على العكس أجابنا بأنه يعمل من أجل مصلحة مصر التي دفعت الكثير من أجل العروبة العاقة ، والحكام الغدراين ••• وأحسسنا

ونحن نصغي اليه أن سياسته الجديدة بعد الانفصال كانت بمثابـة محاولات ينفس بها عن ضيقة ، ويفرج بها عن كربه ؛ لقد تحول الثائر المهاجم الى مدافع صامت مستكين ، وعندما كانت تضطره الظروف الى ان يخطب في المناسبات، وأن يقول شيئا عن فلسطين التي من أجلها ثار ، وبسببها اشتهر ، وعلى اسمها أصبح أسطورة العرب ؛ كان يردد على الدوام عبارته التي تلقفها خليفته مـن بعده (عودة حقوق شعب فلسطين) ؛ دون أن يشرح معنى هـذه العـودة ؛ ومعنى حقوق شعب فلسطين ، ولكن لماذا يا أخي لا نقولها اليوم وبصراحة : ان مصر لن تمضي طويلا معنا في قضية فلسطين ؛ ومن المؤسف أن أحدا مـن الكتاب العرب لم يتصد للرد على هذه المزاعم التـي تجترها اذاعـة القاهرة صباح مساء عن الجهود المصريـة التي بذلت من أجـل العروبـة والعرب ؛ والاموال المصرية التي دفعت من أجـل العرب والعروبة ... هـذا تضايل وافتراء ... أن مصر فعلت ما فعلته من أجـل مصر وموقعها ؛ ان ملايـين الجنيهات التي دفعت لاحداث الاضطراب في العالـم العربي وتسليط رجـل الشارع على المثقف ورجل السياسة لم تكن لصالح العروبـة والعرب ، بـل لاقامة حكم يدين للقاهرة بالولاء الكامل ...

لقد كانت مصر فاروق أول دولة عربية تقبل هدنة ١٩٤٨ .

وكانت مصر عبد الناصر أول دولة عربية تقبل اقتراحات وليم روجـرز في عام ١٩٧٠ !

التاريخ هو التاريخ وأسأل الله أن يأخذني اليـه لكي لا أرى الفرقـة الموسيقية المصرية تعزف النشيد اليهودي في القاهرة بعد قيام الصلح بينهـا وبين تل أبيب ... صدقني ان هذا سيحصل وأقرب مما يتصوره العرب ؛ لقد كنا نرى ونحن في القاهرة التمهيد لهذا الصلح يجري أمام أعيننا ولا يستطيع أحد أن يتكلم أو يهمس) ..

ويسكت عبد الله التل فجأة ، ويسحب من جيبه منديله الابيض ويمسح دمعة انسابت على خده بدون ارادته ويستطرد :

(تريدني أن أروي الاسرار ، لماذا ، لكي نكشف لاعدائنا المزيد من الاقوال لكي يستغلوها ضدنا ... هذه ليست أسرارا ، انها العار الذي يلبسنا ، ويا ويلنا يوم نصالح اسرائيل) .

هذا بعض حديث القائد الذي قاد معركة القدس وتشرد عن وطنه ١٥ عاما ، ثم عاد اليه ليكون سفيرا في وزارة الخارجية ، ثم عينا ، ثم أحد مؤسسي حركة (فتح) الفدائية .

هذا بعض ما أعرفه عن القائد العربي الذي رحمه الله حين أخذه الى رحابه لكي لا يسمع بأذنيه النشيد اليهودي تعزفه الفرقة الموسيقية العسكرية المصرية تحية لرئيس حكومة العدو وبحضور رئيس الجمهورية المصرية ..

مات عبد الله قبل أن يرى الفاجعة بأم عينيه ... وهو الذي طالما ردد أمامي وبحضور العديد من القادة العرب ، سواء في القاهرة أو في بيروت بأن الصهيونية خلقت حتى الآن ، الدولة النواة رأس الجسر ، البرنامج العتيق ، برنامج بال انتهى ... والبرنامج الثاني يستكمل لمساته الاخيرة بالاستقرار ، الجيش في الداخل على الانسياح الاقليمي المتمادي ويعمل جيش السياسة على تغطية المواقف ، تبريرها ، خنقها دوليا ، وبهذا تكون الصهيونية قد عملت على أمور ثلاثة :

— رفع الكثافة الديمغرافية والطاقة البشرية لاسرائيل الى أعلى حد ممكن بدفع أكبر عدد من المهاجرين اليها تبريرا للتوسع وسندا للانسياح الاقصى ...

— خلق دولة كبرى في المنطقة تكون وقد اتسعت اقليميا بما فيه الكفاية هي الاقوى عسكريا واقتصاديا وعلميا .

— استخدام امكان تلك الدولة وطاقاتها الانتاجية والفنية والعلمية في استغلال المجال الحيوي كله في الشرق الاوسط وما وراء الشرق الاوسط ..
أما العرب ...

فليبلعوا رمل الصحراء ..

صبري العسلي

"أبو شجاع" ظالماً ومظلوماً



قال لي وهو يسوق سيارته بسرعة مذهلة ونحن نقطع طريق الدامـور لكي لا يرى اثار الدمار على بقايا هذه البلدة نتيجة لاحداث لبنان الدامية عام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ :

(لقد روت الصحف الصادرة هـذا الصباح نبأ وفـاة رجل من دمشق اسمه صبري العسلي وتعمدت ان تذكر لقبه (أبو شجاع) ، فمن هو هـذا الرجل ؟) ..

وعجبت من جهل صديقي القيادي الفلسطيني الذي تعلم فـي الكليـة الحربية بحمص وتخرج ملازما ، ثم التحق بالعمل الفدائي وأصبح من قادته المرموقين ، وعاش في دمشق فترة طويلة يـوم كان (أبو شجاع) عـلى رأس الحكم في أدق فترات النضال العربي في سورية ... وسألته :

ـ كيف لا تعرفه ... ألا تعرف أيضا ابراهيم هنانو وسعد الله الجابري وهاشم الاتاسي واخوانهم من قـادة النضال الذيـن أوصلوا سورية الـى الاستقلال ؟

قال القائد الفدائي وكأنه جوبه بسؤالي :

(أعرف أن هؤلاء من الرجعيين الذين أقصتهم القـوى التقدمية عـن الحكم ، فهل (أبو شجاع) من هذه الزمرة ؟) قلت :

ـ ليس الذنب ذنبك ، وانما هو ذنب المنافقين مـن مؤرخي هذه الفترة الذين توهموا انهم يشترون رضا الحكام اذا هم حذفوا من تاريخ النضال كل رجاله ... تزلفا لحكام الصدفة ..

وأمضينا الطريق الى صيدا في الحديث عـن الماضي والحاضر دون أن نتطرق الى المستقبل الذي ما يزال في ضمير عرافه ... واذكر انني قلت له :

ـ لا الومك لانك لا تعرف الحقيقة ... ولكنني ألوم الذين أخفوا عنك كل الحقيقة ...

لا شك أن صبري العسلي كان محظوظا حين وجد من يذكره بعد وفاته ولو بكلمات لا تتعدى أسطرها أصابع اليد الواحدة ، وهو الذي كان يحتل واجهات الصحف العربية منذ استقلال سورية حتى عـــام ١٩٦٣ يوم اختـــار لنفسه العزلة القسرية بعد عمر قضاه بين روابي الثـــورة السورية ، ومقاعـــد الحكم ، وتنقل خلاله في مختلف السجون والمعتقلات ..

اذكر الآن لقائي الاخير معه في منزله الريفي الذي أشرف على اقامتـــه بالقرب من مصيف الزبداني ، ثـــم اضطر فيما بعد الى بيعه بعـــد أن داهمته الحاجة الملحة ...

كان ذلك في أواخر شهر حزيران من عام ١٩٦٧ ... عام هزيمة العرب ، وعار العرب ...

يومها هتف الي في مصيف بلودان شاعر الشام وأديبهـــا الاستاذ شفيق جبري ... وقال :

(استعد لاننا مدعوون لتناول طعام الغداء على مائدة (ابي شجاع) .. وقد اشترط علينا لقبول دعوته الا نتكلم في السياسة ... فهل تقبل هـــذا الشرط ..؟) أجبت :

ـ ان الشرط قاس ، والذي يعوضنا هو الظفر بهذه الدعوة الـــذي لا يمكن لمن عرف موائد (أبي شجاع) أن يرفضها ..!

ودخل علينا (ابو شجاع) وقد التف بعباءة من صوف الجمل ، ممسكا بمسبحة صفراء في يده ، وعلى رأسه طاقيـــة صوف ، وجلس بتواضع محبب بعد أن صافحنا وراح يردد :

(أهلا بشاعرنا الكبير شاعر شامنا ... أهلا بأديب العربية الذي رفـــع رؤوسنا ... أهلا بشفيق جبري الذي ظلت هامته مرفوعة يوم انقصف عمـــر الهامات العزيزة ...) .

ثم التفت الي وقال :

(أهلا باشمطنا ••• المدلل الذي يبادلنا كرها بحب) ••!

وبدأ (أبو شجاع) حديثه عن الادب أيام زمـان ، أيـــام الثورات ، ومقارعة الاجنبي ، والصراع مـع الاقوياء •• وجـــه جميل مشرق ينبض بالحيوية ، ورجل صريح ••• لا يخفي غضبـــه ، ولا يداري سروره ••• اذا ضحك فمن أعماق قلبه ، واذا أحب فبكل نقطة من دمه ••• واذا كره أخفى عواطفه ، واذا اعتزم أمـــرا يتوقف عنـــد منتصف الطريق !! لا يكون رأيـــا سريعا ، ويمنح قلبه اندفاعا ••• يوهمك أنه يريد أن يقتنع ولكنه في الحقيقة يعمل وفق اجتهاده الذي قلما يجانبه الصواب •••

كان العسلي يتكلم وانا اتطلع الى اثاث الغرفـــة الدمشقي ••• الاثاث البسيط والجميل الذي شهد الازمات المختلفة ••• ان كل كرسي مـــن هـــذه الكراسي المنقولة من بيت العسلي في المهاجرين القريب مـــن القصر الجمهوري بدمشق ، يستطيع ان يروي قصة ما تزال مجهولة ،ويحكي ازمة صورت للناس على غير حقيقتها •••

وكانت وزارات (ابي شجاع) كلها أزمـــات ••• ولا أذكـــر أن رئيس وزارة في سورية واجه ما واجهه العسلي من أزمات وزارية ، وخلافات حزبية••

صحيح انه اشترط علينا ألا نتكلم في السياسة ، ولكن الصحيح أيضـــا أن الحديث كان كله سياسة ، ولم ينس العسلي أن (يحلفني بالطلاق) بعدم نشر أي شيء عما أسمعه ••• وحلفت مشترطا بـــدوري أن أبقي الاسرار في صدري الى أن يأذن هو بنشرها !!

في هذه المرة التي رحت أصغي فيها الى حديث العسلي بكل خلجة مـــن خلجات قلبي عرفت أنه ولد في دمشق عام ١٩٠٣ ، ذلك أن عمره من الاسرار الذي لا يسمح لاحد بمعرفتها ، فحيوية الرجل تدل على أن حياته كلها شباب متجدد ••• وأنه تلقى علومه الابتدائية في (قونية) ــ بتركيا ــ حيث كـــان والده منفيا فيها أثناء الحكم التركي وطغيان جمال باشا طيلة الحرب الكونية

الاولى ••• ولما عاد الى دمشق درس الحقوق ونال الاجازة بالمحاماة عام ١٩٢٤ ••• ولما اندلعت نيران الثورة السورية عام ١٩٢٥ ضد الحكم الفرنسي في البلاد ، انضم الاستاذ صبري العسلي مع أبناء عمه الى الثورة ، وحمل السلاح ، ونال أوسمة المجد والفخار بجروح عدة ••• وافتقد في هذه الثورة أعز الناس عليه من أبناء عمه ••

ولما انتهت الثورة السورية على الشكل المعلوم ، اتجه الشاب اليافع الى الميادين السياسية ليناوىء الحكم الفرنسي مع اخوانه أعضاء الكتلة الوطنية فيما بعد ، وكان أسس مع المرحوم عبد الرزاق الدندشي عصبة العمل القومي التي ضمت أحرار العرب من الوطن ، فكانت أول حركة رسمية منبثقة عن النضال العربي وداعية الى الوحدة العربية ••• وحين طلبت الكتلة الوطنية من أعضاء العصبة الانضمام اليها لتوحيد العمل السياسي كان صبري العسلي أول من لبى ، وانفرط عقد العصبة وانصهر أعضاؤها في اطار الجبهة الواحدة ، وكان هذا التصرف من قبل (ابي شجاع) مثار جدل ونقاش بين اخوانه ، فمنهم من لامه ، ومنهم من أيده ، وبعدها أصبح للرجل مواقف فيها الاصدقاء وفيها الخصوم العنيفون !

انتخب نائبا عن دمشق في أكثر المجالس النيابية ، وتقلد الوزارة في العهد الوطني الاول في الاربعينيات أكثر من مرة ، واعتقله الفرنسيون في جميع المعتقلات المعروفة ••• وفي عهد الشيشكلي اعتقل مع قادة البلاد وبعد زوال حكم الشيشكلي ألف وزارة دستورية ••• في أول آذار ١٩٥٤ •••

اقترح الشاعر شفيق جبري أن نؤجل حديثنا الى ما بعد الانتهاء من تناول طعام الغذاء لامر أسره في نفسه ، ذلك اننا كنا نعيش في تلك الايام في حزن مظلم ، كل شيء قاتم وكئيب ••• كل شيء يبعث على القلق والضيق ••

ومع ان طعام (ابي شجاع) كان شهيا كالعادة ، بفضل معرفة شقيقته بحب الرجل للطعام الدمشقي الدسم ، فاننا لم نتناول منه الا لقيمات •••

كان كل ما حولنا يبعث على القلق والضيق ..

شعور جارف بالتمزق ..

احساس قاتل بالبرودة والظلام ...

النفس البشرية مليئة بالمجاهل والاسرار ... الضحكات من القلب التي اعتدناها في مجالس (أبـي شجاع) ، تختفي ولا يبقى الا ابتسامات باهتـة تظهر على الاقنعة فوق الوجوه .. لقد استطاعت الهزيمة المرة طمس النبضات الحية المرحة من القلب ، فلم يعـد هناك سوى الآلـة في الصدر تضخ الـدم والتعاسة مثل ماكينة مشروخة تعوي ...

اشراقة الحياة وشرارتها المشتعلة التي عرفناها في أيام الاستقلال الاولى اختفت أيضا فلم يعد هناك سوى انتظار ممل كئيب .. للاشيء ..!

لم تعد هناك رغبة في شيء .. أي شيء .. الدنيا على اتساعها تضيق.. وتضيق .. حتى الاختناق ..! كل شيء بدا لنا ونحن على مائدة الطعام تافها سخيفا .. حتى الحياة نفسها ...

شفيق جبري وصف حالة (الاكتئاب) العامة التي كنـا نعيشها بأنهـا تبدو أعمق بكثير من (حالـة الاكتئاب) التي تصيب الشعراء ... الاكتئاب النفسي لا يعرف غالبا سببه الدفين في أعمـاق النفس المجروحة ... والشاعر يرى الخيوط تشده نحو هاويـة سحيقة ولا يستطيع أن يمزقها ... ويحس بالعجز العارم كأنه كابوس ، الصراخ لا يخرج مـن الحلق ... الهسم المطبق يشل كل شيء ...

وقال صبري العسلي وهو يرد على كلام شفيق جبري :

(الحياة لا تمضي كما نريد ... وهي بالطبـع لا يمكن أن تسير كمـا نشاء ... انها تتصادم وتتشابك وتتعقد .. مع الظروف الطارئـة ... مـع رغبات من وصلوا الى الحكم ليمهدوا الى هذه الهزيمة ...) .

كان حديث الشاعر والسياسي يوحي بأن الآمال المتواضعة في الحياة بدأت تخبو ••• بما يفوق طاقة الانسان ••• هنا تحدث المحنة القاسية ••• هنا يجد الانسان نفسه وهو يواجه محنة فوق تصوره رفيقا مخلصا للقلق والعذاب ••• وحيدا في قاع مليء بالظلام ••• عاجزا عن الصراع ••• يائسا لا يدري ماذا يفعل ••• حتى ولو كان شاعرا كبيرا كجبري وسياسيا تبوأ أرفع المناصب كالعسلي ••• تطبق عليه الهموم بضراوة ••• تلفه الوحدة القاتلة ••• مهما كان محاطا بالآخرين ••• انه يشعر فقط ببقايا آمال تحطمت ••• أماني تكسرت وتناثرت ••• تحولت الى أشلاء ممزقة ••• وفي الصدر وجع ••• وفي الرأس صراع عنيف ، يدور في الظلام ••• مرهق ••• قاتل ولا يبدو في الافق ضوء ضئيل من أمل •••

وتزداد النفس وحشة واكتئابا ••• وتوغل في الظلام •••

هكذا كنا نمر نحن الثلاثة في المحنة القاسية •• ومع ذلك كنت أحس في أعماقي بأن المحنة ستمر ، وعلينا أن نعبرها بشكل ما ••• ذلك أن الحياة تسير ••• المشكلة أنها تسير ••!

كانت هذه آخر مرة ألتقي فيها بأبي شجاع ••• وفي طريق عودتنا من الزبداني الى بلودان رحنا نتحدث ••• ـ الشاعر وأنا ـ عن الرجل وما نعرفه عنه من مواقف تختلط بها السلبية بالايجابية ••• ورويت للشاعر حكاية المرة الاولى التي التقيت بها بصبري العسلي ••• كان يومها وزيرا الداخلية ••• واستدعاني الى (نادي الصفا) حيث كان يمضي أكثر أوقاته في المساء غير عابىء بما يقال عنه ويردد في الاندية السياسية حول عبثه ••• وقال لي :

(ان الوطن خسارة في أمثالكم ، لانكم تركتم الوطنية والتحقتم بالسياسيين ••• فكيف تسمح لنفسك أن تهاجم الرعيل الاول في جريدة حاقدة ، وانت ابن البيت الذي عرفناه ؟ هذه المرة سامحتك ولكن اذا عدت الى مثلها سأعرف شغلي معك ؟) ••

كان السبب في ثورة العسلي على الشاب الذي لا يتجاوز عمره ١٧ عاما تتعلق بالمرسوم خمسين الذي اقترحه صبري العسلي وزير الداخلية للحد من الحريات ••• ومع ان هذا المرسوم قد سقط في المجلس النيابي فان الشباب ظلوا يهاجمون الرجل الذي كان بنظرهم من أنصع الوجوه الوطنية •••

لقد أخذت صورة الرجل تتطور مع الايام في نظري ••• أصبحت أراه معتديا على الدستور ••• وكان جيلنا يعتبر الاقتراب من الدستور من الخطايا التي لا تغتفر ••• يا لغباء جيلنا !!

وما زلت أذكر اجتماعا حضرته وقد وقف أحد قادة الاحزاب العقائدية المعارضة يخطب ويهاجم صبري العسلي ••• ويقول :

ـ تصوروا هذا الرجل يريد أن يحطم الدستور ويسحق الحريات ••• واذا بالجمع يهتف ، وأنا معهم بسقوط صبري العسلي الديكتاتور الذي يريد اقرار المرسوم (٥٠) ••! والغريب أن أحدا منا لم يكن قد قرأ بعد المرسوم خمسين ••!

وخرجنا يومها من الاجتماع لنلتقي بعدد من الشبان المتحمسين الذين راحوا يصورون لنا صبري العسلي بصورة الطاغية الذي باع سورية للانكليز وأعوانهم في العراق ••• ورسموه لنا في هيئة السفاك الظالم الذي لا يرتوي الا من دماء الوطنيين الاحرار •••

وقف شاب ، شغل فيما بعد منصبا كبيرا في الدولة بعد أن قتل الدستور ، وسحقت الحريات ، وقال :

ـ لا بد من حمل السلاح لازال صبري العسلي والطغمة التي تسانده عن الحكم •••

ومضت الايام بعد ذلك ••• وفي رأسي لصبري العسلي صورة الوطني الثائر الذي انقلب داعيا لبيع استقلال سورية لاعوان الانكليز ••• ورجل الشعب الذي أصبح عدوا للشعب ••!

وحاربت صبري العسلي في كل صحيفة كتبت فيها ••• وقاومت حكمه في حدود مجهودي الضئيل ، وعقلي الفتي •••

وتشاء الاقدار أن أعمل في الجريدة التي تسانده ، وكان يحلو له أن يمازحني فيسألني لماذا لا أهاجمه فأقول له :

حين أحاول أن أمسك القلم لاهاجمك لا أستطيع ، كان القلم يمتنع في يدي ويضرب عن العمل ، وقلت له : لن أقابلك بعد اليوم ؛ فقد اكتشفت انني كلما أراك أحبك فلا أستطيع أن أنتقدك وهكذا لا يمكنني أن أؤدي واجبي••

وضحك (ابو شجاع) وقال :

(مد الله في عمر من سماك بالاشمط ••• فأنت لست شيطانا فقط بل تتشيطن على الشيطان ــ هذه معنى الاشمط ــ) •

واستدعانا يوما الى مكتبه في سراي الحكومة مع مجموعة من المراسلين ، وكنت يومها أراسل صحيفة قاهرية كبرى ، وكان رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية اثر مصرع العقيد عدنان المالكي ، وراح يهدد ويتوعد الصحفيين الذين يهاجمون تصرفات السلطات العسكرية ، وكنت من بين هؤلاء ••• وعرفت أنه يقصدني بالذات ••• وحين حاولت أن أرد عليه زاد من حدته ؛ وأشار الي بيده وهو يهزها بعنف قائلا :

« ان الوطن في خطر وسأسحق كل من يعرض الوطن للخطر ••! » •

كان يتكلم وقد وقف خلفه العقيد عبد الحميد السراج آمر (الشعبة الثانية) ••• ولم أفهم سر ثورته الا بعد ثلاث سنوات ، حين روى لي بنفسه أن السراج كان يريد اعتقالي لطول لساني ؛ فكان أن تصدى لي على هذا النحو ••• ولو كنت أعلم ذلك لما قلت لوزير الخارجية في حينه الذي سألني وأنا أخرج من مكتب صبري بك عن أسباب الزيارة ، فقلت :

(استدعانا ليربا ليهددنا) ••!

لم يكن الرجل رديئا كما يظن بعض الناس ، وليس طاغية كمـا صورته المعارضة يوما ... فقد كانت له أخطاء كثيرة ، وهو معذور لانه لا ذنب لـه في كثير منها ، ولكن لا عذر له في سكوته عليها ... لقـد حكم فـي فترات حاسمة من تاريخ سورية المعاصر ، ولكنه كان محكوما أكثر منـه حاكما ..! وظن أنه أذكى من أن يغدروا به ، ولكنه وجد نفسه ذات يوم أول ضحيـة للغادرين ..! يدفع ثمن أخطاء لـم يرتكبها ! ويلام عـلى سياسة ليس هـو صاحبها ، ولكنه يظن أن الصمت يفيده ، والسكوت يعيده الى الحكم ، وأن الايام ستدور ... وينسى أن أيام السياسة اذا لـم يدرها الرجـال دارت بالرجال ...

وكان عزاء الرجل في عزلته القسرية التي دامت ١٣ عاما ، ان كل الذين حاربوه لاسقاطه ، كانوا من الضحايا بعده ... وانه بيـع بالثمن ... وكان الثمن كبيرا لان الصفقة كانت كبيرة ..!

لقد أتاحت لي حياتي الصحفية وصلاتي بمعظم حكـام سورية فرصـة ثمينة ... عرفت عن قرب عمالقه وأقزاما ، شهدت أقزاما يكبرون ويصبحون عمالقة ، ورأيت عمالقة يتضاءلون ويتحولون الى أقزام ...

ان مهنة الصحفي في الوطن العربي مهنة (ملعونة) انهـا تمنح المشتغل بها (ميكرسكوبا) ، يرى بـه الناس عـلى حقيقتهم ، فنحن نلمس بأيدينـا عيوبهم ... وحين نتحدث عنهم نخفي كل هذا ! ونذكر الايجابيات فقط !

وأشهد أن صبري العسلي كان يمتـاز عـن غيره مـن الوطنيين بأشياء كثيرة ، أبرزها طيبة القلب ، فلم يعرف قلبه الحقد ، كما ان لسانه يبتعد عـن سلق أصدقائه بالحق والباطل ... فلم أسمعه يوما يأكل لحم اخوانه نيئا ...

هو رجل ذو قلب طيب ، خفيف الروح ، سريع الانفعال ، ولكنه يتغير بتغير الاحوال ... ذنبه أنه لا يفهم الوطنية كما يفهمها الجيل الجديد ، يرى الممكن فينقض عليه ويفترسه ، والصعب فيحاول تذليله ، لقد عاش حياته كما

يريد هو لا كما يريد الناس ... لذلك كان يسهر حتى الصباح ، ويسخر من الذين يعيبون عليه ذلك ...

شيء واحد لم يفعله صبري العسلي وهو استزلامه للعسكريين الذين حكموا سورية بشكل مباشر على نحو مذل ، وان كان قد قبل الحكم في ظل سطوتهم ، ولكن بصورة شبه دستورية ، أو ما بقي من هذه الصورة ...

لقد سمعت من الكثيرين ان حسني الزعيم كان يعده ليؤلف وزارة ... وانه قبل أن يتعاون مع (الديكتاتور) لولا أن سقط حسني الزعيم صريع رصاص جنوده .. وحين سألت صبري العسلي عن حقيقة هذه الرواية ضحك حتى كاد أن يستلقي على قفاه وأقسم بالطلاق على عدم صحة هذه الكذبة (أبو شجاع غير متزوج) .

هكذا عاش حياته الصاخبة على امتداد ربع قرن ... كانت حياته السياسية بنظره (برتية بوكر) لا تهم الخسارة فيها والربح، وانما يهم أن يظل الرجل يلعب بمهارة ... وقد لعب صبري العسلي في السياسة والحزبية بمهارة لاعبي (البوكر) ... كان (يشكل) اللعبة ويدعو الآخرين الى اللعب ، وقلما كان يخسر ، المرة الوحيدة التي خسر فيها كانت في الثامن من آذار ١٩٦٣ ... لم يعد يستطع (تشكيل) اللعبة ، فجميع اللاعبين أصبحوا في السجون والمعتقلات ... بما فيهم صاحب (اللعبة) .

وبعد :

اذا كان في رجل السياسة نزعة المثل ، فان صبري العسلي مثل ! واذا كانت مصائر البلدان مرهونة الى حد كبير بأعمال رجال الحكم والسياسة فيها فان صبري العسلي قد صنع الى حد ما مصير (الحزب الوطني) الذي ورث (الكتلة الوطنية) وكان من المأمول أن يلعب دورا أساسيا لولا أفول نجمه يوم قبل أن يجلس مع الآخرين على مائدة الحكم ويأكل مع الآكلين ..!

وكنت حين ألتقي بالرجل في (نادي الصفا) ، ومن ثم في (نادي الشرق) ، أو في فندق بلودان الكبير أو في السراي أتعمد أن أذكر أمامه أبيات أعتقد انها للرصافي التي يخاطب بها قادة العرب :

كلوا يا أيها السادة ... كما قد جرت العادة
كلوا لا ترهبوا الدهر ... فـام الدهر قواده !

ومع قسوة هذه الابيات (الرصافية) فان العسلي كان يستذوقها ، لقد كان في أعماقه شيء من الرغبة الملحة للبقاء في صفوف المحكومين ، ولكنه حبه (للعب) كان أشد من هذه الرغبة ..

ان الكتابة عن صبري العسلي ليست من السهولة التي يتصورها أصدقاؤه الذين طالما أمضوا سهراتهم الطويلة بالحديث عن أخطائه الكثيرة الحزبية والسياسية ، وفضائله الكثيرة بدورها ... وقد تعمدت الدخول من هذا الباب الضيق بتفسير الجوانب المهمة من شخصيته لكي ألقي الضوء على الجانب الخطير في تصرفاته ، وأردت ان يعرف الجيل الجديد الذي يجهل حقيقة الرجال .. أن يعرف معنى تصرفات صبري العسلي لكي يفهم حقيقة أخطر فترة مرت في تاريخ الامة العربية ... وهي فترة « وحدة الانفصال ».

قد ينسى التاريخ المعاصر قصة الشاب الثائر صبري العسلي ، وقصة نائب دمشق ووزير الداخلية في فترة الاستقلال الاولى ، ومن ثم قصص وحكايات وزاراته التي ألفها بعد زوال حكم الشيشكلي حتى قيام الوحدة السورية المصرية ، ولكن هذا التاريخ لا يمكن أن يغفل وجود رئيس وزراء سورية صبري العسلي في مطلع شهر شباط (فبراير) ١٩٥٨ في الموكب الكبير المتوجه الى قصر (شويكار) بالقاهرة مع عبد الناصر والقوتلي ، حيث تم في هذا القصر التوقيع على محضر اعلان الوحدة، وبعد حفلة التوقيع توجه القادة الى شرفة القصر حيث خطب عبد الناصر والقوتلي ... ثم أمسك عبد الناصر

بيد العسلي بالقرب من الميكرفون ورفعهـا وسلمه محضر الاجتماع بالمنـاداة بقيام (الجمهورية العربية المتحدة) وطلب منه اعلان المحضر على الجماهير ، فقال العسلي :

(انه لشرف عظيم يا سيادة الرئيس ان تخصني بهذه الخطوة التاريخية)

فأجابه عبد الناصر :

(انه تقدير لخدماتك الجلى) …

وبعدها بدأ العسلي وسط الهتاف يعلن قيام دولة الوحدة …

وحين تألفت حكومة الوحدة الجديـدة كان العسلي أحـد نواب رئيس الجمهورية الاربعة (البغدادي ، عامر ، الحوراني ، العسلي) ..

ولكن (شهر العسل) بين عبـد الناصر والعسلي كان كعمـر الورود فسرعان ما نحي العسلي عن الحكم بثلاثة أسطر نشرت في جريدة الاهرام تحت عنوان (العسلي يقدم استقالته) ، وقرأ العسلي الخبر كغيره من أبناء القطرين السوري والمصري ، ذلك انه لم يقدم استقالته ، وان خصومه في سورية هم الذين ألفوا هذه المسرحية بعد استسلام الرجل الكامل للوحدة ، ومهرها عبـد الناصر بتوقيعه وهو يبتسم من سذاجة (الرجـال) الذيـن سلموه مفتاح سورية … (مكرهين) !

كنت على بعد خطوات من (أبي شجاع) وهـو يخطب من شرفـة قصر (شويكار) … وفي تلك الليلة استطعت أن أختلي بـه في منزل (أم كلثوم) يومها قلت له :

(هل تعلم أن عبد الناصر يتهمك بأنك قبضت أموالا من حلف بغـداد ، وأن صلاح سالم أعلن ذلك في مناسبات عديدة وان … وان … الى آخـر ما كنت أعلمه عن رأي الضباط الاحرار غير الحسن بالعسلي .. وهـو رأي لا يسر العسلي مطلقا …) فقال لي الرجل :

(هذا الموضوع سبق أن طرقته مع عبد الناصر أكثر من مـــرة ، وأبلغته صراحة بأننا قبضنا أموالا من نوري السعيد لاسقاط الشيشكلي ، وان هـــذه الأموال سلمت الى لجنة رسمية صرفتها بمعرفتها ... وقد أجابني عبد الناصر بأنه على اطلاع بتفاصيل هذه الواقعة ، وبالامس وحين كنا نتداول في موضوع اجراءات قيام الوحدة انتحيت به جانبا وأعدت على مسامعه قصة الاموال التي قبضناها من نوري السعيد وقلت له :

ـ يا سيادة الرئيس ان الله لا يحب كل خوان كفور ـ . فأجاب :

(انك بنظرنا يا أبا شجاع فوق الشبهات) ... فقلت :

(يا سيادة الرئيس لقد سبق لي أن أخبرتك بأن معظـــم ويلات سوريـــة انما جاءت على أيـــدي العنعنات الحزبيـــة والخصومات والصراعات ، وانـــي أستحلفك بشرفك بعدم السماح لبعض الاحزاب العقائدية الماركسية بالتسلط على الســوريين المتدينين ... فاذا أردت للوحدة الاستمرار فمـــا عليك الا أن تحرص جهدك على تنمية المبادىء القومية ...) فأجابني عبد الناصر :

ـ سنكون عند حسن ظن السوريين ...

هكذا كان رأي عبد الناصر بأبي شجاع عنـــد اعلان الوحـــدة ، فكيف سقط هذا الرأي بعد أسابيع قليلة وأصبح الرجل (تحت الشبهات) ؟

هنا لا بد من العودة قليلا الى الوراء للجواب على هذا السؤال الكبير..

فمنذ ان انتهت الحرب العالمية الثانية ...

وقامت اسرائيل ...

وانطلقت الانقلابات في سورية ، والثورات في مصر ... والعراق ...

واختفت الملكية في مصر والعراق ...

وانتهت الاحزاب في سورية ...

منذ عام ١٩٤٦ الى ١٩٥٨ عام الوحدة •••

كان الشرق العربي يشكو من حيرة الحياة السياسية في بلدانه •••

ولعلي لا أبتعد كثيرا عن الصواب حين أروي هنا بأن ثلاثة أرباع المصائب التي ألمت بسورية التي كان يطاق عليها قلب العروبة النابض انما كانت بسبب خلاف (رشدي كيخيا) رئيس حزب الشعب ، و (ميخائيل اليان) قطب (الحزب الوطني) ومحركه وموجهه •••

رجلان من مدينة حلب اختلفا رغم أن رأيهما السياسي كان متقاربا ، وتصارعا رغم تقارب وجهتيهما الاجتماعية ••• وتقاتلا بضراوة رغم أنهما أقرب القادة الى الاتفاق ••• فكان التمزق الذي أدى الى الانهيار !!

وكان (صبري العسلي) يمسك العصا من منتصفها بين هذا الخلاف الذي جلب لسورية النكبات ••• كل حزب من الاحزاب السياسية التي عرفتها سورية كان قويا بذاته ، ولكنه ضعيف في تعاونه مع الآخرين •••

كل سياسي مارد جبار لا يلبث ان يتقزم عندما يوشك أن ينطوي في أي عمل تعاوني مع الآخرين ، والعكس في هذا المعنى صحيح ••!

الساسة الكبار من أمثال :

رشدي كيخيا وناظم القدسي (حزب الشعب) ،

ميخائيل اليان وصبري العسلي (الحزب الوطني) •••

هؤلاء يرفضون الاشتراك في الحكم الا بشروط ، فهم يملكون مفاتيح الوزارات ولكنهم مختلفون مع أنهم من أصل واحد ••• ومنبت واحد ••• وتستمر الحلقة المفرغة في دورانها •••

وأصبحت دمشق بفضل هذا الدوران موطنا للشرور ، بعد أن كانت موطنا لكل الخير ••

ولا يوجد الاستقرار حيث يوجد الشر ... لهذا لم تعرف سورية الاستقرار منذ بداية الخلاف بين الحزبين الكبيرين ، حتى وقوعهما في الخطيئة ...

ومنذ اعلان الاستقلال السوري حتى اعلان الوحدة بين القاهرة ودمشق ، كان سر بلبلة الحياة السياسية يتحصر في خلاف الحزبين (الوطني) و (الشعب) ... ولولا هذا الخلاف لما ولدت الاحزاب المناوئة وتوسعت ، ولما كان بامكان (العسكر) أن يتحكموا بمصير سورية السياسي والاجتماعي و ... القومي .

كان الكيخيا والقدسي واليان العسلي من قادة الكتلة الوطنية الى جانب قادتها التاريخيين (ابراهيم هنانو ، هاشم الاتاسي ، شكري القوتلي ، سعد الله الجابري ، جميل مردم) وكان من الممكن أن يعملوا معا ، ولكن الخلاف دب بين الرجال منذ الانتقال من ساحة الصراع ضد الاجنبي الى ساحة الحكم ، لقد تأسس الحزب الوطني رسميا عام ١٩٤٧ ... ولكن الخلاف بين قادته لم يتوقف منذ بروغ نجم الحزب حتى أفوله في عام ١٩٦٣ ..

ولعل من أخطاء هذا الحزب الكبير حيرته بين الوحدة مع العراق والاردن ، أو الابقاء على سورية جمهورية .

وبسبب هذه (الخطيئة) لم ينل الحزب في الانتخابات التي جرت ١٩٥٤ من المقاعد النيابية سوى ١٣ مقعدا ، ولم يخوله هذا العدد القليل المطالبة بمكان الصدارة ، فاكتفى بالاشتراك في وزارة فارس الخوري ، بعد أن رفض الدخول في الوزارة القومية التي جرى تأليفها ...

وليس سرا على أحد أن الاحداث الصاخبة التي عاشتها سورية في ظل الانقلابات العسكرية قد مزقت التكتلات السياسية في سورية ، وقد نال الحزب الوطني نصيبه من هذا التمزق ، فقد ظل ميخائيل اليان وفيا لرأيه

بضرورة الاتحاد مع العراق ، في حين أن العسلي لجأ الى المناورة ••• فتارة يتجه الى مصر ، وأخرى يحتمي بالاستقلال القطري !

ولعلي لا أحنث بيميني الذي أقسمته للعسلي بعدم الاشارة الى قصة هذا الخلاف ••• خاصة بعد أن غاب الرجل عن الدنيا ونسيه الناس •••

في خريف ١٩٥٦ وكان الشرق العربي يغلي بالتفجيرات اقترح ميخائيل اليان قيام ميثاق يدعى بميثاق التجمع القومي ، يلتقي عنده أصحاب الاتجاهات المتصارعة ، وتم وضع الميثاق باشتراك حزب البعث الاشتراكي ، والحزب الوطني وخالد العظم وبعض النواب المستقلين ••• ولكن ثمار هذا الميثاق قد قطفت فيما بعد حيث تألفت وزارة العسلي الاخيرة التي أعلنت الوحدة •

كانت علاقات صبري العسلي قد بدأت تتوثق مع بعض قادة حزب البعث منذ تأليفه وزارته الاولى بعد زوال حكم الشيشكلي ، على الرغم من عدم اشتراك حزب البعث بهذه الوزارة •• لهذا لم يجد العسلي كبير صعوبة في التعاون مع قادة هذا الحزب في حكومته التي شهدت العدوان الثلاثي •••

في هذه الوزارة ظهرت التيارات الوحدوية ، بين مصر وسورية ••• وكان العسلي يردد أمام أصدقائه بأن رجالات الاحزاب ، وهو في مقدمتهم ، أساءوا التصرف بحزبياتهم ، وأن ما تعانيه البلاد وما سوف تعانيه ليس الا نتيجة لهذه التصرفات •••

وكانت هذه الآراء محل استغراب ميخائيل اليان وغضبه ••• ومع ذلك فقد كان يسرها في نفسه لعلمه أن صبري العسلي كثيرا ما تراجع عن آرائه بحكم الظروف أو الاحداث ••

وجاء العدوان الثلاثي على مصر ليفتح ثغرة في صفوف حكومة العسلي أولا ، ومن ثم في صفوف الاصدقاء القدماء الذين عملوا معا في الميدان النضالي على امتداد ربع قرن •••

كان اليوم الاول الذي بدأ فيه العدوان موعـد سفر رئيس الجمهورية القوتلي الى موسكو ... وقد شهدت الليلة التي سبقته أخطـر الاجتماعات التي عقدت بين رئيس الجمهورية وقادة الاحزاب ..

ففي تلك الليلة تنادى رجال الاحزاب الى زيـارة القوتلي فـي القصر الجمهوري ، فمنهم من طالبـه بتأجيل الزيارة وعلى رأسهم ميخائيل اليـان ، ومنهم من ألح عليه بتلبيتها ومنهم قادة حزب البعث وخالـد العظم ، في تلك الليلة كنت قريبا من مجرى الاحداث ، وقد شاهدت العسلي واليـان فـي فندق (أمية الجديد) يجتمعان على مدى ساعات متوالية ، وسمعت صراخهما الذي خرق جدران غرفة الاجتماع المغلق ، وسمعت بأذني اليان يقول للعسلي وهو يودعه :

ــ اذا ذهب شكري القوتلي الى موسكو فلن أجتمع به ، واذا وافقت أنت على هذه الزيارة فان هذا سيكون فراقا بيني وبينك ... لان ذلك معناه أن سورية قد تخلت عـن حيادها الايجابي وأصبحت طرفـا متحالفا مـع السوفييت ، وعندها سيسقط الاستقلال السوري ، وتتحـول سوريـة الى دولة تابعة بعد أن كانت متبوعة ، ان السوفييت لن يقدموا شيئا لعبد الناصر، انهم يخدعونه لاحكام قبضتهم السياسية والعسكرية على مصر ، فاذا تم لهم ذلك ستسقط سورية بين أيدي السوفييت تلقائيا .. وتذهب دمـاء الشهداء التي أريقت على مذبح الاستقلال هدرا ...

وذهب العسلي واليان الى القصر الجمهوري ، وهناك جرى الصـدام السافر بين القوتلي واليان حين أصر القوتلي على السفر ، وأصر اليـان على عدم السفر لانه لا يجوز لرئيس الدولة أن يغادر مركز عملـه في مثل هـذه الازمة التي يواجهها الشرق العربي ...

وبعد خروج العسلي واليان مـن القصر الجمهوري ، كان وقت السفر قد حان ، فأسرع القوتلي الى ركوب سيارته وتوجه الى المطار ...

هنا لا بد لي أن أترك الكلام لرئيس الجمهورية القوتلي الذي استدعاني بعد عودته من موسكو مباشرة وطلب مني ارسال برقية عاجلة الى الجريدة القاهرية التي كنت أراسلها عن هذه الرحلة ...

وأمسكت بالقلم وبدأت أكتب ما كان يمليه علي القوتلي ...

ما أرويه هنا منتزع من الذاكرة ، ولا علاقة له بالبرقية الصحفية ... ذلك أن القوتلي قد روى لي الكثير من الاسرار وطلب مني الاحتفاظ بها في صدري ... قال الرئيس :

(... بعد وصولي الى موسكو مباشرة وقبل أن أبدل ثيابي التي رافقتني في السفر تلقيت من الرئيس عبد الناصر ثلاث برقيات متوالية ، بين الواحدة والاخرى قرابة النصف ساعة ، وهذه البرقيات الثلاث تركز على ثلاث نقاط :

ـ ضرورة الحصول على تأييد الحكومة السوفييتية لمصر على جميع المستويات ...

ـ اقناع السوفييت بارسال متطوعين مع معداتهم العسكرية للمباشرة في بدء حرب التحرير الشعبية ،

ـ الاسراع بارسال الاسلحة التي سبق أن طلبناها قبيل العدوان بثلاثة أشهر ، وفق المواصفات التي أصر عليها عبد الحكيم عامر ..

رفض السوفييت بشكل قاطع قضية ارسال المتطوعين ، وسكتوا عن موضوع الاسلحة ، ووعدوا بدراسة موضوع التأييد السياسي ..

وبينما كان الرئيس القوتلي يتحدث عن زيارته لموسكو بنفس حزينة دخل علينا صبري العسلي ، فسرعان ما أمسك القوتلي بيده أرنبة أنفه كعادته حين يريد تبديل حديثه ، وراح يتحدث بحماس عن نتائج رحلته والوعود التي قطعها السوفييت لمساعدة مصر في مواجهة العدوان ... وشعرت بأن القوتلي يريد عدم اطلاع العسلي على الحقيقة بكاملها ...

وعرف العسلي أن الموضوع الــذي كان يتحدث فيــه القوتلي يتناول زيارته لموسكو ، وذلك من خلال الكلمات القليلة التــي كنت أخطها عــلى الورق ••• فقال العسـلي :

(يا فخامة الرئيس طالما أنكم حققتم مثل هــذه النتائج الايجابية فــي رحلتكم فلماذا لا ندخل مع السوفييت في مفاوضات مباشرة في سبيل الحصول على مساعدات مالية وعسكرية أكثر والاتفاق مع موسكو على اقامة نوع من الحلف الامني ؟) •

فانتفض الرئيس القوتلي كمن مسه شريط كهربائي وصرخ بصوت عال :
(يظهر انك يا صبري بك قد نسيت اننا من جملة الدول الغير المنحازة ، ان مثل هذه الخطوة من شأنها أن تظهرنا بمظهر المنحازين ••• وهذا لن يتم ولا يمكن لسورية تحت جميع الظروف أن تعقد أي اتفاق مــع الاتحــاد السوفييتي لاننا ملزمون بسياسة حيادية ، يكفينا بلاوي من الغرب) ••

بعد أن انصرف صبري العسلي قــال القوتلي معقبــا على أقــوال أبي شجاع :

(صاحبنا متأثر على ما يظهر بخالد بك ــ خالد العظم ــ وشلة البعث الله يعينا عليه) !

وهكذا ، فاذا كانت زيارة القوتلي لم تحقق أي كسب سياسي لسورية فانها قد حققت بالفعل كسبا موقتا للسوفييت لم يــدم طويلا ••• ذلــك أن الزيارة قد فجرت العلاقات بين رجال الحزب الوطني ، وأبعدت حزب الشعب عن الحزب الوطني ••• كما أنها قربت بين السياسيين المتعاطفين مع موسكو ومكنتهم من تحقيق نصر على خصومهم ••• وبحكم هذا التوازن الجديد بين الفئات الحزبيــة والسياسية أصبح شكري القوتلي منعزلا عــن أصدقائه الحقيقيين ، وقواعــده السياسية ••• فالذين ساندوه للوصول الــى رئاسة الجمهورية للمرة الثانية انتقلوا الى صف المعارضة والعداء ، والذين ناصبوه

العداء في الماضي أصبحوا يمثلون القوة السياسية الضاغطة ... أما صبري العسلي فقد سارع الى تشكيل لعبته السياسية من غير اللاعبين القدماء ... مستفيدا من الظروف المستجدة وحاجة خصوم حزبه اليه بصورة خاصة ..

في هذه الفترة واجهت سورية وضعا معقدا للغاية ، حيث بدأت القوة العسكرية الحاكمة تمارس الضغط المكشوف لاقصاء السياسيين عن طريق تقديمهم الى المحاكمات بتهمة العمل لتقويض النظام ... وتشاء الاقدار أن تشهد المحاكم العسكرية محاكمات أصدقاء صبري العسلي وأعضاء حزبه ومناصريه ، وبدت سورية عديمة الوفاء للرجال الذين قادوا معركة الاستقلال ، وكان هؤلاء الرجال يعيشون وسط دوامة من الاتهامات الصاخبة ... فلا هم بمستطيعين ردها ، ولا هم بقادرين على مواجهتها بعد أن أصبح معظمهم خارج الحدود ...

ولعلي لا أظلم الحقيقة حين أقول أن هؤلاء الرجال لم يحاولوا أن يفهموا أنفسهم حتى يسهلوا على الغير أن يفهمهم ... وكان صبري العسلي أحد هؤلاء .. صحيح انه يمتاز بطلاقة لسانه ومرونة مبادئه ... ولكني أرى أن صفة الحب والتسامح في صبري العسلي أقوى من سائر صفاته الاخرى ... انه لا يعرف الحقد ولا التطرف ... انه يمسك العصا من الوسط . لهذا لم يخلص كثيرا لمعظم الذين تعاون معهم ، باستثناء اثنين أو ثلاثة تركهم للملمات ... وهؤلاء بدورهم لم يدافعوا عن الرجل في أزماته ، وانما دافعوا عنه في الحلقات الضيقة ... وناصروه يوم كان على رأس السلطة .. وحين بدأت الاتهامات تنصب فوق رأس الرجل لم يجد أحدا يدافع عنه ...

توج الانتصار السوفييتي عقب زيارة القوتلي لموسكو باستقالة وزارة العسلي وتكليفه باعادة تشكيلها بعد مناورات عديدة لعبت فيها القاهرة الدور البارز بشكل سافر ، أما موسكو فكان دورها مستترا وفاعلا ... وبدأ

خالد العظم يبرز أكثر فأكثر على الساحة ، فاذا به يعقــد الاجتماعات لتأليف جبهة قومية ••• ومع أن هذه الفكرة هي في الاصل لمخائيل اليان ، فان خالد العظم تلقفها وسار بها أشواطا حين تم وضع ميثاق قومي تم الاتفاق عليه من العناصر التي تخاصم الحزبين الكبيرين ، الوطني والشعب ••• وسرعان مـا طالبت هذه العناصر القوتلــي بتأليف وزارة من بينهــا ، وانتهت المداولات والمناورات ، والتطبيقات بتأليف آخــر الحكومات النيابيــة برئاسة صبري العسلي الذي شغل بالاضافة الى رئاسة الحكومة منصب وزيــر الداخلية ، ودخلها خالد العظم بصفة وزير للدولة ووكيلا لوزارة الدفــاع ••• وبذلك حملت الحكومة شؤمها معها ••• ذلك ان العظم كان وزيرا للدفاع حين قــام حسني الزعيم بانقلابه عام ١٩٤٩ ، وها هو اليوم يعــود وزيرا للدفاع فــي حكومة أنهت حياة الجمهورية السورية الدستورية ••

لم يكن صبري العسلي في هذه الوزارة أكثر من منفذ لسياسة يرسمها غيره ••• وفي ظل هذه الحكومة عاشت سورية أحداثــا صاخبة كادت تودي بحياة العديد من رفــاق العسلي دون ان يستطيع حراكا مع انــه كان رئيسا للوزراء ••• ووزيرا للداخلية وهناك ثلاثــة وزراء مــن حزبه تركوه فــي منتصف الطريق وسلكوا أقصر الطرق للبقاء في السلطة ، وهو طريق القاهرة ــ موسكو •••

ولعل أبرز الاحداث التي شهدتها حكومة العسلي انما هي وقوع تمرد في الجيش أدى الى تعطيل سلطة الدولة ••• وانتهى هــذا التمــرد بسيطرة العناصر الماركسية على بعض الجيش ، ثم ذهاب هذه العناصر الى القاهرة من فوق ظهر الحكومة وعقد صفقة الوحدة مع الرئيس جمال عبد الناصر •••

كانت سورية في تلك الفترة تعيش مرحلة التفكك الكامل في جميــع المؤســسات الدستورية •••

أحزاب كثيرة متضاربة تعرف كيف تتفق على المعارضة ، وكيف تحمــل معاول الهدم ، ولا تعرف كيف تتفق على الحكم وحمل المسؤوليات •••

والقطب السياسي الذي يرضي الحزب الفلاني لا يرضي الحزب الآخر ••• والرئيس الذي يسنده نواب العشائر ، يقاومه نواب حزب البعث وحلفاؤه من الاشتراكيين ••• والذي يفوز بثقة الوطنيين يفوز معها بنقمة البعثيين ••• ثم « حدث ولا حرج » عن حيرة هذا الفريق ، ودسائس ذلك الفريق ، ولعب هذا الفريق وذاك الفريق •••

وصل التفكك الى حزب البعث بعد أن مر على الوطنيين والشعبيين والمستقلين ••• ثم حط في مؤسسة الجيش ••• فكان الانهيار الكامل للجمهورية السورية الدستورية ••• وكانت الوحدة التي لم تعمر أكثر من ثلاث سنوات ، ثم جاء الانفصال عن مصر ليعيد الى السياسيين السوريين سيرتهم الاولى •••

بدأت المشاورات لتأليف أول حكومة في عهد الانفصال مع بداية تشرين الاول ١٩٦١ ، لقد وقع الانفصال في ٢٨ أيلول وكان بمثابة مفاجأة لجميع السياسيين ومنهم صبري العسلي •••

وقد تصرف هؤلاء حيال عهد الانفصال عن مصر ، كتصرفهم يوم كانوا يحتلون مقاعد المجلس النيابي والوزارات ، لم يستفيدوا من التجارب المريرة التي عاشوها ••• ولم يتعظوا من الاذلال الذي لحق بهم ، وحين عقد رؤساء الاحزاب السورية اجتماعهم في منزل المرحوم أحمد الشرباتي طلب من صبري العسلي أن يدلي برأيه ، فطلب العسلي أولا أن يسمع آراء غيره ثم لخص هذه الآراء على النحو الذي لمسه ، قال العسلي :

(هناك اجماع على اعادة الكيان السوري ، ودعم حركة الجيش : والمناداة بانهاء الوحدة لخروجها عن أهدافها ولسوء الاساليب المطبقة ••• ولكن ليس معنى هذا اننا يمكن أن نخرج من هنا بوحدة في الرأي : ان الاشتراكيين لا يوافقون على تأييد حكومة لا تكون لهم فيها حصة الاسد ، كما اننا لا يمكن لنا ان نوافق على حكومة تخضع لسيطرة الاشتراكيين ••• المهم الآن تأليف حكومة بسرعة وبعدها نقرر) •••

قد يكون أن من بين الاسباب التي جعلته يقول ما قاله اختيار العسكريين يومها للدكتور مأمون الكزبري رئيسا للدولة من دونه ـ وفق رواية خالد العظم ـ ان فكرة الوصول الى رئاسة الجمهورية كانت من الافكار التي تدغدغ أحلام (ابي شجاع) ؛ وقد كاد أن يحتل هذا المقعد يوم عاد القوتلي ، ولكن وقوف ميخائيل اليان بوجهه وتصميمه على انتخاب شكري القوتلي قد حال دون الرجل والمنصب الكبير الذي أضحى صغيرا تحت سيطرة العسكريين ...

أعلنت حكومة الكزبري في اليوم الاول من شهر كانون الاول ١٩٦١ موعدا للانتخابات التشريعية وللاستفتاء على دستور مؤقت مؤلف من عشر مواد .. وكان القصد ترسيخ الجمهورية العربية السورية المنفصلة عن مصر ، باعتبار أن الوحدة معها تمت باستفتاء شعبي فيجب ان يتم الانفصال عنها باستفتاء شعبي آخر ، أي باجراء مماثل ... ونجح صبري العسلي في هذه الانتخابات كنائب عن دمشق ، ولكنه لم ينل من الاصوات ما يرشحه ليلعب الدور الاول ، وحتى لو نال مثل هذه الاصوات فانه لن يستطيع الوصول الى رئاسة الوزارة ، لقد جاء الانفصال برجاله وأعوانه ؛ وبرزت من خلال الانتخابات جميع التناقضات السورية ...

وبدأ اسم صبري العسلي يتقلص ، خاصة بعد أن وضعته القاهرة كهدف وراحت ترسل من خلال اذاعاتها وصحفها السهام المباشرة لطعن الرجل في سمعته القومية ... ولم تنس أجهزة الاعلام المصرية ان تذكر العسلي في كل تعليق ضده بعبارته التي قالها لعبد الناصر قبل أن يعلن ميثاق الوحدة وهي : (ان الله لا يحب كل خوان كفور) ...

فهل كان العسلي خوانا أو كفورا ؟

ان سيرة الرجل ، وكذلك سريرته تشهد أنه لم يكن في حياته خوانا أو كفورا ... وانما كان مجرد سياسي جاء الى الحكم عن طريق الوطنية فضاع بين الخطين المنفصلين ... الوطنية والسياسية !!

وعاش العسلي في عصر طغت فيه الشعارات على الحقائق ••• ومنـذ الانفصال ٢٨ أيلول ١٩٦١ حتى الثامن من آذار ١٩٦٣ والعسلي يعيش عـلى هامش الاحداث وليس في داخلها •••

كان يستطيع أن يلعب دورا بارزا لو استطاع التحرر مـن عقليتـه (الوسطية) ، واذا كان رفاقه من السياسيين قد حصلوا على غنم الانفصال ، فانه قد نال منه غرمه •••

وكان عهد الانفصال من العهود الظالمة والمظلومة التي شهدتها دمشق •• ففي هذا العهد فتحت أبواب سجن المزة لجميع الفرقاء الذين ناصروا الانفصال والذين عارضوه •••

ففي مساء ٢٤ آذار ١٩٦٢ دعيت حكومة الدكتـور معروف الدواليبي الى القصر الجمهوري على عجل ، وقد فوجيء الوزراء بوجود صبري العسلي وخالد العظم وبعض النواب ، وكلهم متجهم الوجـه مقطب الحاجبين وأعلن الدكتور الدواليبي في هذه الجلسة استقالته لانه لا يستطيع أن يحكم تحت سيطرة الجيش •••

ولست هنا في معرض الحديث عن الاسباب التي أدت الى الاصطدام بين قادة الجيش والسياسيين ، ذلك ان جميع المسؤولين في تلـك الفترة كانـوا يتصرفون وفق أهوائهم وأغراضهم الخاصة ، فلم ترد مصلحة سورية فـي حساب معظمهم •••

في تلك الليلة عاد العسلي الى منزله في المهاجرين والالم يكاد يمزقه •• لقد أدرك من النقاش الذي جرى في القصر الجمهوري بحضور الرئيس ناظم القدسي والدكتور معروف الدواليبي وأكرم الحوراني أن الامور في الجيش تسير على غير ما يرام وان الانقلاب الثاني الذي كان أعد لـه العقيد عبـد الكريم النحلاوي بديء بتنفيذه بمنتهى الدقة •••

وبينما كان صبري العسلي مستلقيا على سريره دخلت عليه شقيقته لتقول له أن بالباب ضابط وثلاثة جنود يطلبونك ... فنهض العسلي وهو يضحك وقال :

(جاء دورنا لزيارة سجن المزة ...) .

ولم يخدع العسلي بأقوال الضابط بأن هناك اجتماعا في رئاسة الاركان ، وانه مدعو لحضور هذا الاجتماع ، فقال للضابط :

(من سوء حظي انني اخترت المحاماة ولم أختر سلك الجيش ... فأي اجتماع يعقد في الساعة الثالثة صباحا في الاركان ويطلب من سياسي حضوره ... يظهر انكم عملتوها وتريد منا أن نقبل ضيافتكم في سجن المزة) ..

طلب العسلي ركوب سيارته ، ولكن الضابط اعتذر مؤكدا له أن الانتقال سيكون في سيارة الجيش ... وصعد العسلي الى سيارة الجيش التي كانت عبارة عن سيارة نقل ، وطلب منه الركوب في الداخل ، فاذا به يجد فيها لطفي الحفار وبعض الرفاق القدماء ...

سارت السيارة باتجاه الشرطة العسكرية ، ثم توجهت الى المزة ، وهناك اكتمل الشمل مع بقية السياسيين بما فيهم رئيس الحكومة ومعظم الوزراء .. أما رئيس الجمهورية الدكتور ناظم القدسي فقد نقل الى المستشفى العسكري ...

بعد خروج العسلي من سجن المزة راح يروي لاخوانه كيف عوملوا في السجن كسجناء عاديين ، وكيف كان يروح عن السجناء بملحه ...

ومهما كان رأي خصوم العسلي بالرجل فانه كان واحدا من الذين لعبوا الادوار الرئيسية في وطنه ، ان مجموع أصدقاء الرجل وخصومه يشكل التاريخ المعاصر لسورية بعد الاستقلال ... احداثهم هي التي خلقت احداث سورية ... وقصصهم هي التي خلقت قصصها ، وعندما يكتب التاريخ العربي

على حقيقته ، سيقال ان سائر الازمات والثورات والانفجارات التي استبدت بحياة سورية العربية خلال الربـع قرن ، كانت مـن وحي النزوات الشخصية الخاصة والطباع الذاتية المحصورة عند حفنة من الاقطاب والمسؤولين •••

لقد عاشت سورية منذ عام ١٩٤٩ حتى الانفصال وسط الدم ، والنار ، والسجون ، والمعتقلات ، والاخبـار المتتالية المتزاحمة ••• وكـان الساسة الذين واجهوا كل هذا يدورون في الحلقة المفرغة ••• بعضهم ظالم ومعظمهم مظلومون ••• وصبري العسلي من البعض المظلوم ؛ لهذا وجدت نفسي وأنا أتحدث عنه أقرب الى التمسك بصفة الانسان ••• ومن صفـة الانسان أن يرحم أحيانا ••• ويتجاهل أحيانا ••• ويترحم على رجل لقي العقوق من بني قومه ؛ ومن أصدقائه ••• لا لانه كان عقوقا بدوره ، بل لاننا اعتدنا في هذا الشرق العربي أن نغفل سير الرجال حتى لو كانوا من الظالمين •••

وبعـد ••••

ان صبري العسلي هو ابن الثورة السورية ، والفتى العربي الشجاع ، الكريم اليد ، والفصيح اللسان ، ساهم في بناء صرح (عصبة العمل القومي) فكانت تلك الحركة الجبارة التي وقفت في وجه الانتداب ودعاة تجزئة الوطن العربي وقفة حميدة مشكورة ••• وكان (أبو شجاع) خطيبـا من الطـراز الاول ، يرتجل خطبته ويستمر فيها ساعة وساعتين في أسلوب مبين ، ولغـة صحيحة ، وصوت يهز المنابر ويسحر السامعين ••

وقد حدث أن رسمه الفنان الكاريكاتوري عبد اللطيف الطاشوالي وطلب مني أن أصفه في بيت من الشعر ليسجله في أسفل الرسم فقلت له على الفور:

اني لمـن معشر أفنى أوائلهم   قول الكماة ألا أين المحامونا

عبد الحميد السراج



ولد في الظلام وحكم في الظلام وهرب في الظلام



في الساعة الثانية والثلث من ظهر الاثنين ٦ أيار ١٩٦٢، وبينما كان مذيع راديو دمشق يواصل اذاعة نشرة الاخبار ، توقف فجأة وأعلن أن عبد الحميد السراج قد هرب من مستشفى سجن المـزة العسكري بالتواطؤ مـع رئيس الحرس ، الرقيب (منصور رواشده) وان هناك جائـزة قدرها ٢٠ ألف ليرة سورية لمن يرشد اليه ...

وانتشر الخبر المثير ، في جميع أنحاء سورية ، والعالم العربي . وتلقفته الاذاعات والصحف العالمية ، وأصبح حديث المراقبين في أنديتهم كمـا أصبح موضع تعليقاتهم ...

وعلى الرغم من أن الناس في سورية قد اعتادوا سماع الانبـاء المثـيرة طيلة الشهور الستة التي أعقبت الانفصال عن مصر ، الا ان هذا النبأ قد أطلق في الافق السياسي اشارات استفهام كبيرة تنتظر التفسير ؟ ذلك أن الهـارب من سجن المزة ليس سجينا عاديا .. بل كان نائبا لرئيس الجمهورية العربيـة المتحدة ، وكان يمثل بين عام ١٩٥٦ ــ ١٩٥٨ دورا رئيسيا في أحداث سورية السياسية الصاخبة .. فهذا الضابط الذي ولد في مدينة حماه عام ١٩٢٦ قـد ترقى بسرعة مدهشة ، فحصل على المناصب السياسية العليا في الدولـة ... وقفز من أسفل السلم الى رأسه بدون عوائق !!

كان رئيسا للمكتب الثاني للجيش السوري بين عام ١٩٥٦ ــ ١٩٥٨ .. وكان يتمتع بثقة رئيس الجمهورية العربية المتحدة ... كما انـه شغل منصب وزير الداخلية في أيام الوحدة الاولى ، ثـم منصب رئيس المجلس التنفيذي ، وأمين سر الاتحاد القومي عام ١٩٦٠ ، وفي شهر آب ١٩٦١ عين نائبـا لرئيس الجمهورية ... وفي ٢٥ أيلول ، وقبل الانفصال بثلاثة أيـام نشرت جريدة الاهرام في صدر صفحتها الاولى خبرا لا يتعدى ثلاثة أسطر يروي في الذي يرويه أن عبد الحميد السراج قد قدم استقالته الى رئيس الجمهورية فقبلها..

في ٢٦ أيلول عاد من القاهرة الى دمشق ، وفي ٢٨ أيلول وقع الانفصال ... وقد ترك حرا في بادىء الامر ، الا انه اعتقل بعد ذلك وزج فـي سجن المزة العسكري ... السجن الذي شهد ألوف المعتقلين الذين أوصلهم السراج اليـه ...

وبينما كان المذيع يمضي في اذاعة النبأ ، كنت فـي طريقي الـى رئيس الوزراء في حينه الدكتور بشير العظمة ، وسألته عن القصة فأجاب وقد شعر بالحرج :

(... لقد أبلغت بالنبـأ ومفاده ان الرقيـب منصور رواشده رئيس الحرس هو الذي ساعده على الهرب بعدما أخلى لـه الساحة مـن الحراس ، وزوده بكلمة السر . وكان عبد الحميد السراج يرتدي الزي العسكري عندما أعطي كلمة السر في الظلام ... والحقيقة أن الحراسة لم تكن شديدة عليـه للاعتقاد السائد بأن رجلا يتحمل مسؤولية ١٣٠ دعوى جنائية يفضل ان يظل في السجن مدى الحياة وأكثر من هذا ، لم يكن هنـاك أي شعور يستوجب اتخاذ الحيطة لانه أصبح أعزل من كل سلاح ..) .

وانطلقت الاسئلة في الاندية السياسية المحلية والعربية :

ـ هل هرب السراج من تلقاء نفسه ، أم ان هناك تواطؤا في تهريبه ؟

ـ لماذا اختار السراج هذه الظروف بالذات للهرب ؟

ـ هل سيذهب الى القاهرة أم لجأ الى مكان آخر ؟

ودارت الاقوال داخل صفوف الجيش ، وفي أوساط الحكومة ، ولفت على رجال السياسة مارة بجميع أعداء عبد الحميـد السراج ومـا أكثرهم ، وأصدقائه وما أقلهم ... ثم عادت الى السجن لتغوص في أعماقه ...

لقد استقر في الاذهان في بادىء الامـر أن السراج لم يهرب ، بـل ان هناك (قوة) أخرجته من السجن لاسباب مجهولة ، وقد ساعدهم على هـذا

الاعتقاد صدور جريدة (الوحدة) شبه الرسمية صباح الاثنين ، وفي صدر صفحتها الاولى أنباء هرب السراج والمواقف (الوطنية) التي وقفها بوجه التآمر الاجنبي (على حد قول جريدة الدولة) ••• وطافت ابتسامات الشك على الوجوه ••• كأنما توحي بأن السراج لم يكن مجرد سجين هارب من تلقاء نفسه •••

غير أن نهار الاثنين لم يكد ينقضي حتى بدأ يستقر في الاذهان احتمال آخر هو ان السراج قد هرب من تلقاء نفسه بخطة محكمة التدبير ، ساعد في اخراجها وتنفيذها بعض كبار المسؤولين عن الامن ، وان أية خطة لم توضع في دمشق الرسمية لاطلاق سراحه تحت ستار فراره من سجن المزة العسكري الرهيب •••

ان هرب السراج على هذا النحو دفع بعشرات من الصحفيين الاجانب للقدوم الى دمشق لتغطية الحدث ، ان هروب السراج تحول الى (اسطورة)، وعلى الرغم من أن الاساطير تكون عادة ممتلئة بالاحداث والتفاصيل والوقائع ، فان هرب (الكولونيل الاحمر) كما كانت تطلق عليه جريدة (لوموند) الباريسية ، ظل لغزا تروى تفاصيله الاشاعات والتخمينات •••

والآن وبعد مرور أكثر من ١٥ عاما على هذا اللغز ، هل من الممكن (حله) ؟

اعترف الآن ، أن الاستاذ (اريك رولو) كبير محرري جريدة (لوموند) عرض علي مبلغ خمسة آلاف ليرة سورية ، مقابل كتابة خمسة مقالات عن عبد الحميد السراج تحت عنوان (الكولونيل الاحمر) ، وترك لي حرية التصرف في اختيار الجوانب التي تتحدث عن السراج منذ ولادته حتى هربه ••• ولكنني اعتذرت لسبب بسيط ، وهو ان الحقائق في وطننا العربي مرفوضة ، ومكروهة • فأنت حين تريد أن تكتب عن شخصية أو مسؤول اما أن تكون جريرا ، أو فرزدقا •••

واذا غامرت بسمعتك واقتربت من الحقائق ، فأنت ستخرج ملعونا من جميع الأطراف ... هـذا اذا كان الحديث يتعلق بشخصية عاديـة ، فكيف والحديث يتعلق بمسؤول كعبد الحميد السراج يتمنى بعض سكان سورية أن يسمعوا بسرور نبأ مصرعه ..؟ ويصر بعض العرب ان لا يذكر اسمه أمامهم مطلقـا !!

ولكن هل من الممكن اسقاط السراج من سجل التاريخ العربي ، وهـو الذي ظل يقبض على عنق سورية قرابة سبعة أعوام ، ولم يتركها الا بعد أن كاد أن يخمد أنفاسها ؟

وهذه القصص التي تروى عن أعماله على امتداد الساحة العربية مـن المحيط الى الخليج ، وليس بينها عمل واحد يمكن أن يذكر للرجل بخير ... هذه القصص ما هي حقيقتها ؟ وما هو دور الرجل فيها ؟

من الصعب جدا في بعض الظروف ان يكتب الانسان من وحي العقـل وحده ... ومن الصعب جدا أن يحاول الكاتب ، أي كاتب ، أن يمنع نفسه من أن يكون عاطفيا ، سلبا أو ايجابا ...

فمنذ ذلك اليوم الرمادي الحزين من مطلع عام ١٩٥٥ ، العام الذي شهد ظهور السراج على مسرح الاحداث في دمشق ، والنخبة المثقفة الوطنية مـن أبناء سورية تشعر أن عقلها معطل تماما ... في بعض اللحظات كان الضعف يصل بالبعض الى أقصاه ، فيبدأ الاستسلام !

كان الذي نشهده في سورية منذ أواخر عام ١٩٥٤ ، حتى عـام ١٩٦٢ أقرب الى أن يكون حلما مفزعا ثقيلا .. وبالنسبة لـي شخصيا فانني عشت لحظات كتلك اللحظة التي يمر بها الانسان بين النوم واليقظـة .. لا يعرف فيها بالضبط هل هذا الذي يملأ خاطره حقيقة أم أنه كان كابوسا غريبا ...

ولعل من واجب الكاتب أن يبدو دائما صلبا جامدا واثقـا لا تزعزعه الحوادث ولا تبلبل عقله الاحداث ، حتى ولو كانت أقسى الرعود تقصف في باطنه وفي ضميره وفؤاده ...

ولكنني أجد أداء هذا الدور الآن صعبا في هذه اللحظة التي أكتب فيها عن عبد الحميد السراج ... ما أشعر به في هـذه اللحظة بالذات هـو أن الحزن والقلق والاشفاق أقوى في نفسي من أي احساس آخر ...

ربما كان مرجع ذلك الى ان عبد الحميد السراج قد أدخلني سجن المزة أكثر من مرة ، وكان بامكانه أن يفعل أكثر من ادخالي المزة لايام معدودات ، كان يخرجني فيها من سجنه بعد أن تكون ظنونه قد تبخرت ... ومع ذلـك لزمت الصمت منذ هربه حتى الآن ، في حين أن رفاقـه وأعوانه ، وعيونـه العمياء راحت تمزقه اربا اربا ... وتجني الثروات !

ولا أنكر ان هذا الموقف قد أثر في نفس السراج وجعله يردد أكثر من مرة وأمام العديد من الصحفيين العرب الذين يزورونه في القاهرة :

(... صحفي سوري واحد فقط أذكره بالخير ، وهو فلان ... فهـو الوحيد الذي كان يعلم الكثير عن أسرار الوحدة ، ومع ذلك لزم الصمت .. لـماذا ؟) .

لا أريد أن أتعرض لجواب السراج على هذه (اللماذا) ..!

قد أكون أحد مرضى (الحرية) في هـذا الوطن العربي ، ومـع ان الكثيرين ممن أعرف قد شفي من هذا المرض (ودبر أموره) فانني مـا أزال مريضا بهذه (الحرية) ، انها بالنسبة الي أكثر من هـذا الايمان العقلـي المحسوب ، وأكثر من الولاء الطبيعي للمبدأ الذي أؤمن بـه ... ان حبـي (للحرية) تلقيته على أيدي رواد الحركة العربية الاصيلين ... وأصبح هذا الحب عاطفة شخصية حادة متطرفة ، كالحب الذي يتطرف أحيانا فيطغى تأثيره على حواس المرء طغيانا شديدا ...

وانني لا تصور الآن ان هذا الذهول الذي كان يحل بـي من تصرفات السراج أثناء حكمه ، قد حل بالكثيرين جدا في أنحاء سورية ... وهم يرون قوافل الابرياء تساق الى سجن المزة بالمئات ، ثم تخرج ، اذا خرجت ، بعاهات ترافقها حتى الممات ...

كنت أتصور ان هذا الذهـول سوف يـزول ، وسوف يسترد النـاس شجاعة قلوبهم ووضوح عقلهم بسرعة ، فيبادروا الى الوقوف في وجهه بشكل أو بآخر ••• ولكن ويا للاسف لم يتحقق حلمي الكبير ••• فقـد استطاع السراج أن يقضي بتصرفاته ، وشذوذه ، على جيل كامل ••• وعـلى شبابي ايضا ! وحين أدور على قدمي ساعات بعد ساعات في غرف بيتي ، أشعر بـأن « غيم » السراج هو الذي جلب « مطر الدماء » عـلى سورية ، أشعر بأنـه المسؤول عن شباب جيل كامل ضاع هدرا على طريق أقبيته وسجونه •••

واذا كنت ما أزال أعيش القلق والفكر والمناقشة والغربـة والتجربـة والتأمل ، والذي يتحول أحيانا الى مقالات وتحقيقات أكتبها (للناس) منـذ سنوات وسنوات ••• فكيف اذن يكون ألم الذين سجنوا ، والذين ضحوا ؟

كيف اذن يكون ألم الذين ركبوا الاخطار في سبيل الوطن والاستقلال، ونسجوا الثورات العربية خيطا خيطا ••• واحتملوا أكبر المسؤوليات العالمية والمحلية ••• ثم تشردوا تحت كل أفق ، فمنهم من قضى نحبـه ومنهم مـن ينتظر ••؟

كيف اذن يكون ألم الرعيل الاول ••• هـذا الرعيل الصابـر المحتمل الذي ما يزال يطالبنا نحن الذين عرفناه بأن ننسى جراح السراج ومآسيه ••!

ولكن كل هذا لا يمحو قيام مسؤول اسمه عبد الحميد السراج ، حكم، وسجن ، وكانت له مواقف ، وكانت له سمعة تخطت حـدود الوطن وساحته الى حدود الاوطان الأخرى •••

ان التاريخ الحديث لا يعلم أي شيء عنه ••• اللهم الا تلك اللعنات التي توزعت على الصدور ، وما تزال !

فمن أين نبدأ الحديث عن السراج ؟

لنبدأ من قصة فراره ••• وبعدها نعود الى سيرته ••!

على هضبة في غربي دمشق يقع سجن المزة الشهير ••• وليست شهرة هذا السجن ناشئة فقط عن انه رافق تاريخ سورية السياسي منذ أكثر من ربع قرن ، وشهدت زنزاته وأقبيته أجيالا متلاحقة من الذين عملوا في الحقل السياسي والوطني ، وأفواجا من الابرياء •• وانما لانه أيضا من أمنع سجون سورية وأكثرها رهبة ••• ومن هذا السجن بالذات استطاع السراج أن يهرب وأن يفلح في الهرب ، وأن يصبح خارج حدود سورية ••

شهر آيار (مايو) من عام ١٩٦٢ في دمشق لم يكن يشبه غيره من شهور السنين الماضية ، انه بدلا من أن يكون كالعادة شهرا مطلا على الصيف، فقد كان شهرا هاربا من الشتاء ، فالزمهرير ظل يلف دمشق طيلة هذا الشهر ، واتصلت الرياح والامطار حتى خيل للناس ان الشتاء قد عاد ، وفي احدى هذه الليالي الباردة العاصفة ، وعلى وجه التحديد قبل أن تدق الساعة منتصف ليل ٦ أيار ، كان السراج خارج السجن في طريقه الى الزبداني ، فسرغايا حيث كانت تنتظره هناك سيارة لبنانية تحمل رقما رسميا لا يخضع عادة للتفتيش ، أو الوقوف عند حواجز الحدود ••• « سيارة المرحوم صبري حمادة » •

ان الذين عرفوا سجن المزة يستطيعون وحدهم أن يقدروا ما معنى ليلة باردة في هذا السجن الرهيب التي تلفه باستمرار رياح هوج تزأر في جنباته••

في تلك الليلة وعلى الضبط في الساعة الحادية عشر ليلا قال الرقيب منصور الرواشدة رئيس الحرس الخارجي لسجن المزة ، والذي كان يقع مستشفى السجن ضمن منطقته واشرافه قال لمعاونه العريف في شرطة الجيش:

(••• اذهب الى المطبخ وحضر لنا ابريقا من الشاي ، فالبرد شديد هذه الليلة والليل لا يزال من أوله !)

كانت هذه العبارة بداية الخطة لهرب السراج •••

فقد أبعد منصور الرواشدة بهذه الحجة معاونه الـذي يحرس البـاب الشمالي للسجن ، والذي كان يؤدي الى المستشفى ، وبذلك أصبح الطريق ، طريق الخروج خاليا الا من منصور الرواشدة نفسه •••

وعندما كان العريف يهيـــىء الشاي في مطبخ السجن ، كـان السراج يرتدي في غرفته بمستشفى السجن ، والقريب من الدرج المؤدي للباب ، بزة رقيب في شرطة الجيش هيأها له منصور الرواشدة •

خرج السراج ومنصور الرواشدة من الباب الشمالي والثانوي في سجن المزة ، وهبطا هضبة السجن من الناحية البعيدة عن بوابتـه الرئيسية التـي تحرسها ثلاث مصفحات والتي ينطلق منها الطريق المعبد الوحيد المؤدي الـى السجن ••

ومن أسفل الهضبة سلكا دربا غير معبد ينتهي بعد عدة مئات من الامتار قرب مستشفى المزة العسكري ، وهو المستشفى القريب من السجن والمخصص لرجال الجيش فقط ••• وهذا الطريق لا يسلكه عـادة الا الجنـود باعتباره طريقا مختصرا يؤدي الى البلدة مباشرة ، وهناك كانت سيارة جيب عسكرية تنتظر الهارب والمهرب وفي داخلها ثلاثة مدنيين وعسكري واحد برتبة مقدم••

الثلاثة المدنيون هم : (هـ ــ ا) و (ج ــ ح) و (ي ــ ع) • أمـا المقدم فلا يمكن أن يذكر اسمه لانه ظل يشغل منصبا عسكريا كبـيرا فترات متقطعة ، ثم أودت به الاحداث فيما بعد الى السلك الخارجي •••!

وبينما كانت سيارة الجيب تقطع طريق الربـــوة باتجـــاه ميسلون ، وتنعطف الى اليمين باتجـاه الزبداني فسرغايا حيث كانـت سيارة المسؤول اللبناني الكبير تنتظر السراج ورفيقه في آخر طريق سرغايا ، كـان العريف يعود بعد أن أعد الشاي فلم يجد آمره المباشر الرقيب منصور الرواشدة ••• وقد ظل ينتظر قرابة ربع ساعة حتى برد الشاي فعلا ، و « شبع بردا » ••• وكان قد انقضى على ذلك ساعتان بالضبط ، عندما ساورت العريف الشكوك،

فأخذ يتفقد رئيسه المباشر منصور في غرف الحرس ، ومن ثـــم في مطبـــخ السجن ... وحين لم يجده ذهب الى مدير السجن وأخبره بغياب الرواشدة.

والسؤال الذي يبرز الى الاذهان هنا هو لماذا ساورت العريف الشكوك من غياب آمره منصور ؟

لقد جرت العادة أن يظل الرقيب منصور فــي الحراسة حتـــى الساعة الثانية عشرة ليـــلا ، يسلم بعدها الى معاونه العريف الـــذي يحل محله فـــي التفتيش المتواصل حتى الصباح حيث يعود الرقيب الى عمله ويذهب معاونه للنوم ... وحين عاد العريف بالشاي ووجد البـــاب بدون حراسة اعتقـــد أن آمره الرقيب قد ذهب لعمل ما فجلس ينتظر ، وحلت الساعة الثانية عشر ليلا ، موعد استلام الحراسة فلم يحضر منصور .. فانتظر العريف حتى الواحـــدة فلما لم يحضر قام بابلاغ مدير السجن ..

كانت الساعة قد بلغت الواحدة والنصف من بعد منتصف الليل عندمـــا فتح مدير السجن باب غرفة عبد الحميد السراج في مستشفى السجن ليجـــد بدلا من السراج كومة من الثياب فقط كانت هي التي يرتديهـــا السراج فـــي ذلك اليوم ...

وبدأت الروايات تتحدث عن كيفية الهرب وكلها مخالفة للواقع ..

ان المسافة بين أسفل الهضبة ومدخل بلدة المـــزة من ناحيـــة المستشفى العسكري لا تستغرق أكثر من (١٦) دقيقة من السير العادي على الاقـــدام، وهذه الدقائق كانت كافية للسراج ورفيقه لتخطي كـــل الاحتمالات للفرار ؛ وحتى هذه الاحتمالات كانت غير واردة لان هـــذا الدرب غير المعبـــد وغير المحروس أصلا ، اذ لا حاجة لحراسته ، فضلا عن أن منصور الرواشدة كان المسؤول عن الحراسة الخارجية ؛ وتحت امرته تسعة عشر جنديا من شرطـــة الجيش ؛ وهو يعرف كلمة السر في حالة ظهور أية مفاجأة غير متوقعة .

وبينما كان الشاي الذي جلبه العريف لآمره الرقيب قد برد ، كان السراج مع منصور في أحد المنازل القريبة من الحدود اللبنانية ـ السورية ، والتي يقيم فيها أحد النواب اللبنانيين في حينه ، يتناول الشاي الساخن ، ويضحك …

ان قصة الهرب تصلح ان تكون قصة مغامرة عجيبة وطريفة ، من بين قصص المغامرات الشهيرة ..

ان نسأل لماذا فر سجين من السجن ، ذلك يبدو سؤالا سخيفا حقا . أو لا معنى له ، وخاصة اذا كان السؤال عن سجن المزة …

ان كثيرين من الذين أتيح لهم ان يلتقوا بالسراج في سجنه ، أو من الذين أتيح لهم ان يجتمعوا بأصدقائه الذين يتصلون به عن طريق الرسائل المهربة ، يجمعون على ان السراج في سجنه لم يكن يعاني ضيقا أو عنتا ، وكل ما في الامر انه كان يشكو بعض الاحيان مرضا يؤرقه وأوجاعا في أذنه اليسرى … لم يستطع الطب أن يكتشف أسبابها .

ويؤكد الكثيرون من الذين يعرفون بواطن الامور ، أو من القلة القليلة التي بقيت على ولائها له ، أن بقاء السراج في سجن المزة كان نوعا من الضمانة لا لسلامته فحسب ، بل ابعادا له عن الاغتيال …

ويقول هؤلاء أن السراج في سجنه لم يكن بأي وجه من الوجوه سجينا حقيقيا … فقد كانت غرفته لا تشبه بأي حال غرف بقية المساجين … كان يدخن ولديه راديو ، وبراد صغير … وكتب ومجلات .

فهل كانت ثمة حاجة حقيقية كي يهرب السراج ؟

ان قصصا كثيرة رويت عن أن السراج كان يصر على أن يقدم الى المحاكمة ، واذا كانت ثمة خشية ان يتهم السراج بما هو بريء منه ، وان يحكم عليه بأن يظل في السجن ، او بأن ينزل به ما هو أشد من ذلك ، فان هذا كان يمكن ان يرد قبل (حدث ٢٨ آذار) … فقد شهد السراج من نافذة غرفته

دخول جميع اولئك الذين دخل السجن في عهدهم وعلى أيديهم ، أولئك اللذين كان السراج يعرفهم حق المعرفة ويعرفونه حق المعرفة عبر الاحداث التي جعلت العلاقة بينهم وبينه متوترة باستمرار ... فما الذي جد اذن بعد الثامن والعشرين من آذار ١٩٦٢ حتى يسر للسراج الهرب وهيأ له أسبابه ؟ هل ذلك لانه شاهد أو علم بأن الذين أدخلوه السجن قد بدأوا يخرجون منه ، وان الذين كان يثق بتجردهم في نظر قضيته لم يعودوا أصحاب السلطة ..!

قد يكون هذا السؤال قد ورد حقا في ذهن السراج ، وثمة قصة أخرى أريد أن أكشف النقاب عنها هنا ، وهي ان أحد الذين خططوا لتهريبه ، وهو شقيق لضابط كان في قمة السلطة في حينه ، زار السراج في سجنه قبل هربه بيوم واحد ، وسأله عن موضوع احتمال محاكمته ، فأجابه السراج :

(... لست أخشى ان يحاكموني وانما أخشى أن يبيعوني) !

هذه العبارة التي قالها السراج لمحدثه ، كانت المنطلق الاول لاعداد خطة تهريبه .. والتي اشتركت فيها جهات عربية نافذة كان يفترض فيها انها غير راضية عن السراج ..! « القاهرة » !

من المؤكد ان خطة الهرب لم توضع الا بعد أن تردد في أوساط حكومة الدكتور بشير العظمة ان السراج سيقدم للمحاكمة ، وذلك خلافا لما كان سائدا في مختلف الاوساط من ان لجنة التحقيق لم تستطع أن توجه اليه اتهامات جدية جديرة بأن تنظر أمام محكمة عليا ...

ولان فكرة تقديمه الى المحاكمة أضحت جديدة صمم على الهرب ، معرضا نفسه لكل مخاطر هذه المغامرة التي اذا لم تود به ستعطي المبرر لاعدائه للتخلص منه نهائيا ..!

وهنا يبرز حديث رئيس الوزراء الدكتور بشير العظمة لي تعليقا على فرار السراج ليؤكد هذا عندما أصر على القول ان هناك ١٣٠ قضية جنائية مرفوعة ضد السراج ...

ولكن من هو الذي يريد أن يبيع السراج ومن هو الراغب في الشراء ؟

اذا كان السراج قد فر من سجنه خوفا من أن يباع ••• فمن المؤكد أن القاهرة هي وحدها التي خططت لهربه ، والتي نفذت هذا الهرب •••

ذلك ان السراج لو قدم الى المحاكمة لما استطاع أن يخفي عنها الاسرار المذهلة التي يحملها على كتفيه ، والتي تشكل الى حد بعيد أسرار عشر سنوات من تاريخ سورية السياسي الخفي ، ومنها أسرار الوحدة ، وأسرار الانفصال• بل انه الرجل الذي يعرف من أسرار الحكم خلال السنوات السبع الذي كان يقبض فيها على عنق سورية ما لا يعرفه الا القلة القليلة من قادتها البارزين •• ان السراج منجم مفعم بالمعلومات التي لا تريد القاهرة خاصة أن يعرفها أحد ••• وهنا تكمن خطورته ، ومن هنا أيضا ارتدى هربه طابعا أعمق من مجرد هرب سجين ••!

واذا كان الذين قاموا بحركة (٢٨ أيلول) ـ حركة الانفصال عن مصر ١٩٦١ لم يقدموا السراج الى المحاكمة لاسباب تتعلق بعلاقة بعض القائمين عليها مع السراج ، ورغبتهم في ضمه الى صفوفهم ؛ فما هي حجة الذين قاموا بحركتهم في ٢٨ آذار ١٩٦٢ ووضعوا قادة حركة ٢٨ أيلول في سجن المزة الى جانب السراج ؟

ولو ان حكومة بشير العظمة قدمت السراج الى المحاكمة ، وكانت ستقدمه بالفعل ؛ لجنبت سورية الكثير من الهزات التي وقعت فيما بعد •••

اذ يكفي أن يقف السراج في المحكمة ، وأمام الرأي العام العربي والعالمي ، ويتحدث عن قصة الوحدة وأسرارها ؛ ودوره فيها ، فيقطع الطريق على القاهرة التي كانت في ذلك الوقت تشن أعنف هجوم على جميع السياسيين الذين ساروا في ركب الانفصال ••

ولكن قدر سورية الظالم هو الذي كان يرسم لهـا الاحداث ، ويرسم بالتالي أدوار الابطال ••• نقول القدر ولا نغفل دور القوى الاجنبية الضخمة التي كانت تعتبرها موطن الدفع الجاد لجميع حركات التحرر الوطني في الساحة العربية ••! فوضعت خطة تركيعها !!

بعد هرب السراج بثلاثة أيام ، وبعد أن علمت دمشق بتفاصيل هربـه واقامته في القاهرة ، أعلنت حكومة العظمة ان محكمة خاصـة قـد شكلت لمحاكمة السراج غيابيا •••

وقد رد السراج من القاهرة التـي استقبلته (بالاحضان) انـه على استعداد للمثول أمامها اذا توفرت له ضمانات عربية حيادية ؛ وعـلى التحديد (جزائرية) •••

بعد ذلك طويت قضية المحاكمة ، بفضل الضغوط التي مارستها القاهرة على بعض الأطراف العربية الصديقة لدمشق ••• وطويت الاسرار التي يحملها السراج في صدره ••• الى حين !

بعد زوال عهد الشيشكلي زرت القاهـرة ••• وكنت يومهـا مراسلا للجمهورية القاهرية ••• فذهبت لمقابلـة السيد محمد أنور السادات فـي مكتبه ، وكان من جملة اختصاصاته الاشراف عـلى جريـدة الجمهورية ••• وبينما كان عضو مجلس قيادة الثورة يحدثني عن سورية وأحداثها، رن جرس التلفون في مكتبه ، والتقط السماعة ليجيب محدثـه ••• فاستأذنت منـه للخروج من الغرفة تأدبا ، فأجاب :

(••• خليك الموضوع يخصك) ••

وفعلا كان الحديث يخصني ، ذلـك أن أديب الشيشكلي الذي غـادر سورية الى بيروت بعد قيام الانقلاب ضده ، قد انتقل الـى المملكة العربيـة السعودية وأقام فيها فترة قصيرة ، ثم قرر الذهاب الى أوربـا ، فمر مـن القاهرة وتوقف في مطارها لساعات •••

هذا هو النبأ الذي تبلغه السيد السادات عضو مجلس قيادة الثورة ..
فقال لي :

(خــذ سيارتي وروح شوف صاحبك الشيشكلي في المطــار ، وأنــا بانتظارك لاقرأ حديثك معه قبل ارساله للطبع) ..

وذهبت في سيارة السادات الى المطار وهنــاك التقيت بالمرحــوم أديب الشيشكلي ، وكان منهكا ، ومتضايقا من أسئلة الصحفيين المصريين .. وطلب النزول الى القاهرة لشراء بعض الحاجيات ...

في الطريق من المطار الى القاهرة رحنا نتبادل الحديث حــول الماضــي القريب ، وغدر الاصدقاء فقال أديب الشيشكلي :

(... بعد أن أموت اذكر على لساني انني غادرت سورية وفي قلبــي حرقة لا يمكن أن تزول من تصرفات ثلاثــــة هم : فــلان (صحفي سوري مشهور) ... وفلان (العقيد) وعبد الحميــد السراج ... فهــذا الشاب اصطفيته وقربته وجعلته يتخطى كبار الضباط ومع ذلك طعنني في ظهري).. وقال الشيشكلي كلاما كثيرا عن السراج يدل على عمق ألمه منــه ... فهل كان السراج بمثل هذا السوء ؟

حكاية السراج مع سورية ، وحكاية سورية مع السراج تحتاج الى أكثر من مؤرخ .. وقد تكون أعنف وأشرس مرحلة في تاريخ سورية السياسي..

حكايته تبدأ من قبل الهرب ، ومن قبل الوحدة والانفصال بكثير ...

الضوء في صورة عبد الحميد السراج لمع قبل الوحدة بكثير ... ولمسات الظل في صورة عبد الحميد السراج لفها الغموض من قبل الوحدة ...

كان عبد الحميد في الفترة الحرجة من ١٩٥٤ ــ ١٩٥٨ أيــام ظهــور مخططات المخابرات الامريكية والسوفيتية لتركيع سورية ، وأيــام محاولــة الحزب الشيوعي السيطرة على سورية ، كان واحــدا مــن مجموعة الضباط الشباب في الجيش السوري الذين افرزتهم الانقلابات العسكرية ...

وكان عبد الحميد السراج المسؤول الوحيد الذي استطاع أن يدخل الى تحصينات الحزب الشيوعي السوري ويكتشف خلاياه عن طريق شراء معظم أقطابه ... ومنهم من كان في اللجنة المركزية للحزب (رفيق رضا) الشخص الثاني بعد خالد بكداش ...

وقد لا يعلم أحد أن (المكتب الثاني) في عهد السراج ، كان يتقاضى مساعدات من الحكومة الامريكية لضرب النشاط الشيوعي في سورية ، في الوقت الذي كان فيه هذا المكتب متلاحما مع الشيوعيين ومع أهدافهم ...

وكان السراج في اليوم الاول من شهر (تشرين الثاني) ــ نوفمبر ــ ١٩٥٦ هو الذي أخذ على عاتقه عملية نسف أنابيب البترول القادمة من العراق عبر سورية الى البحر بعد اغلاق قناة السويس ...

وكان يحب القوة الى أبعد الحدود ، وحب القوة يحمل في طياته الرغبة في الانفراد بها ، فالذي يحب القوة يعتقد أن توزيعها على الايدي الكثيرة ينقص من احساسه بها في يده ...

ويقتضينا الانصاف أن نذكر هنا ، بأن السراج ما كان بقدرته امتلاك القوة ، لو أن الحكام في سورية أيامه كانوا في المستوى لفهم طبيعة القوى السياسية المحلية والاجنبية التي تتحكم في مسيرة الاحداث ...

حادثة واحدة أسوقها هنا للدلالة على ان القيادات السياسية في عهد السراج قد بدأت تتخاذل وتنحدر الى أسفل بسرعة ...

حين عاد الرئيس شكري القوتلي الى رئاسة الجمهورية ، وبعد فترة وجيزة من تشكيل حكومة صبري العسلي التي ضمت الكتل النيابية المتصارعة ، عقدت الوزارة اجتماعا اثر تنحية الزعيم شوكت شقير ، وتعيين الزعيم توفيق نظام الدين بدلا عنه في رئاسة الاركان ، وتعيين العقيد عزيز عبد الكريم معاونا له .

وبعد انتهاء الاجتماع استدعى رئيس الجمهورية شكري القوتلي رئيس الاركان ومعاونه الى القصر الجمهوري وقال لهما بعد خروج الوزراء :

(... الآن وقد استلمتم الجيش أطاب منكم وبسرعة وضع تشكيلات للمكاتب العسكرية يقضي بموجبها عبد الحميد السراج عن رئاسة الشعبة الثانية ... على أن يكون ذلك بسرية تامة ... وبدون اطلاع أحد لا من الوزراء ولا من الضباط) ..

أجاب الزعيم توفيق نظام الدين :

(يا فخامة الرئيس أنت تعلم ولاءات الضباط وانتماءاتهم الى الاتجاهات السياسية المتصارعة ، ومن الافضل أن ندرس الامور بروية وحكمة ، ونجري التنقلات بهدوء وبعيدا عن مداخلات هذا الزعيم أو ذاك ... نطلب من فخامتك فرصة قصيرة لاجراء هذه المناقلات) ..

ـ شكري القوتلي :

(بارك الله ..! بارك الله ..! وكل الذي أطلبه منكم عدم اطلاع أحد على نقل السراج) ...

عاد توفيق وعزيز الى رئاسة الاركان لاتمام عملية الاستلام والتسليم .. وما ان دخل توفيق نظام الدين مكتبه ، حتى فوجيء بالسراج رئيس الشعبة الثانية يدخل عليه ويقول :

(... ماذا فعلت يا سيدي لكي أنقل أنا من رئاسة الشعبة الثانية الى وظيفة ملحق عسكري في الارجنتين ، هل لانني وطني أقاوم المؤامرات الاجنبية ، وأتصدى للعملاء ، أم أن هناك خطة معينة تتطلب اقصائي) ؟

أجاب الزعيم توفيق نظام الدين :

(... من أين جئت بهذه الخبرية ... لم يمض على تعييننا سوى

ساعات قلائل فكيف نفكر بنقلك أو نقل غيرك ... اذهب الى شغلك الآن ولا تشغل بالك بمثل هذه الامور ...) .

ولم يذهب السراج الى (شغله) ، وانما ذهب فورا الى مكتب معاون رئيس الاركان وقال له ما قاله الى رئيس الاركان ... وجاء جواب العقيد عزيز عبد الكريم مطابقا لجواب الزعيم توفيق .

كان السراج قد عاد الى مكتبه في رئاسة الاركان حين دخل العقيد عزيز على الزعيم توفيق وقال له :

(اسمع يا توفيق ... هناك ثلاثة أشخاص فقط يعلمون سر حديث نقل السراج .. أنت وأنا وشكري بك فمن أخبره بذلك ؟ من المؤكد انك لا يمكن أن تخبره ، وكذلك أنا فهل ... وسكت العقيد) .

هذه واحدة ... أما الثانية التي تقفز الى الذاكرة فلا يعلم بها سوى القلة القليلة من الاحياء ، لقد حدث ان اقتحم أعوان السراج مكتب رئيس الجمهورية في القصر الجمهوري ؛ وكسروا الاقفال وصادروا من درج طاولة رئيس الجمهورية قانونا أقره المجلس النيابي بتحديد صلاحيات رئيس الاركان وأرسل الى رئيس الجمهورية للتوقيع عليه ...

ومع ان هذه العملية تعتبر سرقة ؛ فان الرئيس شكري القوتلي أنب أمين عام القصر الجمهوري المرحوم عارف حمزه لانه اتصل برئيس الاركان وطلب منه اجراء التحقيق ...

مثل هذه التصرفات من قبل المسؤولين السوريين ضخمت من حجم السراج ... ومع ذلك فان القوة التي وصلت اليه ظلت في طريق مسدود .. لقد جمع في يده السلطات بحيث لم يسبق ان اجتمع مثلها في أي يد فرد واحد ... في درج مكتبه كل المفاتيح ؛ وأصابعه على كل الازرار ، وكان نصف الوزراء يبعثون اليه بتقاريرهم ، ونصف المدراء يتقربون منه ويستعطفونه ... كل هذا من أجل مزيد من السلطة ...

كان السراج يؤمن بالاساليب البوليسية البدائية ، ونتيجة لهذا كان جهازه المربوط به مباشرة قد توغل واستشرى ، وأصبح هذا الجهاز فوق الشعب وفوق القانون ...

وفي عهد الوحدة كبر السراج ، ولم يعد رئيسا للمكتب الثاني ، وانما وصل حتى أصبح نائبا لرئيس الجمهورية ... وبذلك لم يعد خطرا على المواطن العادي الاعزل ، بل أصبح خطرا على جميع رجال السياسة بحكم ما يعرفه عنهم ، وما يعرفه شيء كثير ... ومذهل ...

صنع رئيس الجمهورية العربية المتحدة مع السراج ما لم يصنعه مع غيره ... فاذا كان السراج كان أول من أنشأ الجسر الذي أخذ يتنقل عليه رجال المخابرات المصرية الى دمشق قبل الوحدة ، فان رئيس الجمهورية العربية المتحدة قد أعطى السراج من السلطات والصلاحيات ما لم يحلم بها أي مسؤول في القاهرة ...

وكان آخر لقاء بين رئيس الجمهورية العربية المتحدة ونائبه في دمشق عبد الحميد السراج جرى في القاهرة اثر الخلاف الذي نشب بين السراج وعبد الحكيم عامر ... وكان لقاء عاصفا سنأتي على ذكره بعد قليل ... رب سائل لا يعرف طبيعة الاحداث في سورية تجول في خاطره فكرة طارئة هي :

هل يستحق عبد الحميد السراج كل هذا الاهتمام ، وهل كان له هذا التأثير الفعلي في مجرى الاحداث الصاخبة التي عصفت بسورية ؟

ان الجواب على هذا التساؤل يحتاج الى مجلدات ... فالسراج لم يكن مجرد رئيس للشعبة الثانية يتصرف وفق ما يحلو له ... لقد أمسك بيديه عنق سورية وراح يضغط ... ويضغط .. وامتد نفوذه الى لبنان ، وغير لبنان ...

لقد سقط ما يقرب من ٣٠٠ ضابط سوري أكثر منه قدرة ، وأعظم منه

ذكاء وأكثر ثقافة ودهاء، وظل هو واقفا على قدميه... لم يكن لديه قوة حزبية تساندة ، أو قوة عصبية تقف الى جانبه ، أو عائلة كبيرة يستمد نفوذه منها ، بل كان مجرد ضابط من عائلة فقيرة تسكن في مدينـة حمـاه ، ولا يتجاوز تعداد أفرادها ثلاثة أشخاص ... سعيد السراج ويعمل خبـازا في حمـاه ، وشقيق آخر يصنع سروج الخيل و ... عبد الحميد ، وقد حدث أيام حكمه الاخيرة أن توفي شقيقه الخباز سعيد ، وقـام العديد من رجـالات سورية بالاشتراك في تشييع الجثمان في مدينة حماه ، وبلغت السيارات التي شاركت في موكب التشييع المئات . وحين اجتاز هؤلاء الطريق الترابية المؤدية الـى دار شقيقه المتوفى في (حارة المرابط) عند مدخل المدينة بالقرب من المقبرة ، ووصلوا الى المنزل المؤلف من باحة صغيرة وثلاث غرف ترابية ، سأل السفير اليوغوسلافي :

(هل هنا ولد صاحب الدولة) ؟

وحين جاءه الجواب بالايجاب فغر فاه وقال بصوت ينم على الدهشة :

(الآن فقط عرفت لماذا تفوق هذا الفقير على رجالات سورية ... لقد تحداهم بفقره) ..!

في هذا البيت المتواضع حملته أمه وهنا على وهن ووضعته وهنا عـلى وهن ... وضعته ضعيفا ، نحيفا ، وخاب رجاء أهله فيه ... لقد أرادوه أن يكون خبازا كأخيه ... ولكنه تمرد على هذه الارادة !

لقد درس في مدرسة الحي ونال الشهادة الابتدائية ثم البروفيه ، ولانه لم يستطع أن يكمل تحصيله بسبب فقـر عائلته ..! التحق بمدرسة رتبـاء الدرك ، وتخرج منها برتبة وكيل ضابط عام ١٩٤٦ . وفي عام ١٩٤٧ انتسب الى الكلية الحربية حيث عاش منعزلا عن رفاقه ...

جاءت الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٧ والطالب الضابط ما يزال في بداية دراسته ولم يتخرج بعد ••• وكل من التحق بجيش الانقاذ من طلاب الكلية رقع الى رتبة ملازم ثان بسبب انضمامه الـى جيش الانقـاذ ، فسرعان مـا احتضنه أديب الشيشكلي وأخذ يقربه منه ••• وهنـاك العديد من الاسباب التي جعلت أديب الشيشكلي يخصه بالرعاية من دون رفاقه ••• أهمها انه من مدينة حماه ، مدينة أديب الشيشكلي ، فقـد كان الشيشكلي يلتقـط هؤلاء الضباط (الحمويين) ويحدثهم عن الفساد في دمشق ، وضرورة القيام بانقلاب يطيح بهذه الطغمة الفاسدة •••

واحب الشيشكلي هذا الملازم الهادىء ، المنزوي ، الذي يصغي اكثـر ممـا يتكلم ••• وينفذ الاوامر بدون مراجعة••• وما ان انتهت الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ بهزيمة الجيوش العربية في فلسطين حتى كـان السراج يضع علـى كتفه ثلاث نجوم ، وكان عمره لا يتجاوز الخامسة والعشرين •••

وعندما قام الشيشكلي بانقلابه عهد الى الضابط الشاب الرئيس عبـد الحميد السراج بمنصب رئاسة الشعبة الاولى في الجيش السوري ••• وهو أول رئيس يعهد اليه بمثل هـذا المنصب المخصص لكبـار الضباط الذيـن يحملون رتبة عقيد وما فوق •••

ومن رئاسة الشعبة الاولى ، زحف بصمت الى رئاسة الشعبة الثانيـة بعد زوال عهد الشيشكلي بأيام قليلة •• لقد اختلف الضباط الكبار حـول هذا المنصب ، فحل الخلاف باسناده الى هذا الضابط الحيادي البعيد عـن الحزبية ، وكان ذلك في مطلع عام ١٩٥٥ •••

منذ وصوله الى هذا المنصب وهو يعمل على اقامة جـدار الرعب فـي سورية ، هذا الجدار الذي ظل قائما يعلو ويعلو حتى منتصف أيلول من عام ١٩٦١ ، حيث أقدم بنفسه على نسفه يوم تمرد على الوحدة • والسراج هـو الذي انشأ المباحث وبعدها المخابرات ••• كان اسمه طيلة هـذه السنوات : (الرجل الحديدي ••• والكولونيل الاحمر •••) لقد تسلم السلطة كمـا

استلمها ماريوس في روما ، يشك فيه الكثيرون ويخافه الجميع ، لكنه قضاء واقع لا بد منه •••

ودشن السراج في سورية (الحكم البوليسي) ، وانشأ لهذا الحكم جهازا يحميه •••

ففي خلال السنوات السبع التي حكم فيها السراج بشكل مطلق ، أي ما بين عام ١٩٥٥ بعد خروج الشيشكلي من سورية بأيام قليلة ، حتى ٢٥ أيلول ١٩٦١ ، ظل هذا الضابط ، المغلق ، الصامت يعمل في الاطار الذي رسمه لنفسه ••• لقد تعلم من التجربة والخطأ فن الصمت والكتمان ، فن الاخفاء والاستخفاء ، فن التفوق في ملاحظة النفوس ، ومعرفة ما تنطوي عليه الجوانح والقلوب ••• وقد استطاع خلال حكمه ان يسيطر على كل عرق نابض في جسده ، حتى في الهوى ، واذا كان أحد لم يستطع قط أن يلمح على وجهه امارة غضب ، أو ضيق ، أو تهيج ، أو تأثر •• فان أحدا لم يتهمه بأنه أثرى ••• أو سرق من خزينة الدولة أو من جيوب الناس •••

كان يتكلم بهدوء ، وبصوت لا تعبير فيه ولا نبرات معنوية ، سواء في أبسط الشؤون المسلكية، أو في أخطر الشؤون المروعة التي تحتاج الى اعتقال وتعذيب •• وأحيانا قتل ، فقد كان يعرف كيف يمشي بذات الخطى الثابتة في ممرات الاركان العامة ••• بين الحيطان المطبقة ، والاهواء المفتوحة ••• وقد أوتي مناعة داخلية من كل ما هو بذخ أو ترف ، كما أوتي موهبة اخفاء حياته الخاصة وعواطفه الشخصية •••

سألته مرة :

ــ كيف تسمح لفلان وفلان من رجالك أن يتجاوزوا القانون على نحو يجلب لك الاذى ؟

فقال :

(لقد طلبت أنا منهم ان يتجاوزوا القانون في قضايـا تمس الدولة ... فكيف تريد مني ان أحاسبهم على تجاوز القانون وفق اجتهاداتهم) ؟

والذي ساعد السراج على غض الطرف عن أفعـال أعوانه كونـه ليس متدينا ، وان كان متعصبا .... لم يكن يريد أن يتعرف على الله ... ولـو تعرف عليه لظل ضابطا عاديا من الضباط يصعد سلم المراتب ...

وكان يكره لفظة الديمقراطية ، وينزعج من لفظة الدستور ...

حين تضايق مـن المجلس النيابي ومناقشات النواب ، وضع قنبلـة موقوتة في بهو المجلس النيابي ، وبعث بمن وضعها بيده ليشرف على التحقيق، وطمست القضية ...

وحين تضايق من الصحفيين نصب لهم الفخاخ وأخذ يوقعهم واحدا بعد الآخر ...

ان قوته الحقيقية كامنة في أنه مخلوق ثلج وجمد ، لا من لحم ودم ... ان كل أهوائه لتتجمع وتنبسط وتتوزع وراء ذلـك الجبين البارد الـذي لا تعرف سره حتى قطرات عرقه اذا تجلل يوما بالعرق ، وهيهات ! وهـو يطلق لقواه العنان ، وفي الوقت نفسه يتربص بأخطاء الآخريـن ، وينتظر بصبر أن تفتر حماستهم وتخور قواهم ، ويتزعزع كيانهم ، وتتكشف فيهم نقطة ضعف، وعندئذ يضرب ضربته القاصمة للظهور ...

ومع ذلك عاش في الظلام ، وحكم في الظلام ، ونحي عـن منصبه فـي الظلام ، وأمضى في سجن المزة ٢١٧ يوما في الظلام ، وهرب في الظلام ... وهو الآن يعيش في القاهرة في الظلام ، وفي ما هو أقسى من الظلام ..

كان يترك رفاقه يتسرعون بالارتباط مع هذا الاتجاه السياسي أو ذاك.. يناضلون ويتنازعون ، ويزري بعضهم ببعض ، ويحقـر قـوم آخـرون ، ويتساقطون ... لعله قـرأ في كتب التاريخ ، وقلما كان يقـرأ غير التقارير المغلفة بالاوهام والاكاذيب ، لعله قـرأ ان الانقلابات ليست ملكا لاول مـن

يشعل نارها ، ويطلقها من عقالها ، ولكنها ملك لذلك الاخير الذي يعرف كيف يشد اليه حبالها ، ويقودها بزمامها ...

من هنا كان عشق السراج للظلام .. فهو في مكتبه يستطيع أن ينظر الى الكبار الكبار يمزق بعضهم بعضا ، الى ان تدق ساعة حظه وهو في يسر وأمان . يرى الرفاء يقتتلون تنازعا على السلطان ، فيراقب ويترقب ... فهو يعرف بحكم التجربة التي عاشها انه عندما يفنى الرجال المتحمسون ويسقطون صرعى الاهواء والتحزب ستدق ساعة الانتهازيين الذين يعرفون من أين تؤكل الكتف .. ان السراج لم يشاهد أبدا في ساحة الاقتتال ... انه ينتظر آخر المعركة ثم يجمع بنفسه لنفسه كل الغنائم والاسلاب ... قلت له مرة سأهديك كتابا وضعه « فوشيه » وزير البوليس الفرنسي المعروف « بالحرباء » فأجاب : « من هيذا فوشيه ... » فلم أكمل حديثي !

لم يكن مثقفا ، أو خطيبا ، أو مطلعا على الشؤون العسكرية ، حتى كتب الكلية العسكرية لم يقرأها بكاملها ، فقد خرج من الكلية قبل ان يمضي السنة ليلتحق بجيش الانقاذ . لهذا رأى أنه قوي أقصى ما تكون القوة حيث يجلس الى مكتبه ، مغلقا عليه غرفته ، تحت أستار الظلام ، هناك يستطيع أن يتربص ، ويتمنى ، ويجس النبض ويبلو الاشياء ، ويلاحظ ، ويجذب الخيوط التي تجذب الناس ويضرب بعضهم ببعض وهو هو حيث هو في سلام وأمان ، لا سبيل لاحد أن يصل اليه ولا سلطان لانسان عليه ...

بدأ مع الشيوعيين ثم ضربهم ، وتقرب من البعثيين ثم استفردهم ... وعندما يتنكر لحزب من الاحزاب يفعل ذلك في وضح النهار وهو يبتسم بسمته الباردة في حالة طبيعية مذهلة ، يذهب قدما الى الحزب الذي كان حتى ذلك الحين خصمه ويتخذه حزبا له ويعتنق جميع آرائه ، ويدافع بكل حججه !

أما ما سوف يظنه أصحابه فيه ، أو يقولونه عنه •• واما رأي الناس فيه من عامة وخاصة فسواء لديه •• لا يكترث له ، وكأنه لا يعنيه شيء منه•! ان شيئا واحدا يهمه ويعنيه :

ـ ان يكون دائما في جانب الغالب ، ولا يكون أبدا في جانب المغلوب! وهو في سرعة تنقله التي تفوق سرعة البرق ، وفي جرأته المذهلة بتنقله من جبهة الى جبهة ، تراه ثابتا مطمئنا كما لو كان يأتي شيئا طبيعيا لا عيب فيه ولا غبار عليه ••• اذ أربعا وعشرين ساعة ؛ بل كثيرا ما تكون ساعة واحدة ، ان لم تكن دقيقة واحدة ، تكفيه ليلقي على الارض راية عقيدته ويرفع علنا راية سواها ••• انه ليمشي منساقا بفكرة ••• لكن مع الزمن ، وكلما أسرع الزمن في دورته أسرع عبد الحميد السراج في اللحاق به والتمسك بأذياله •••

حين قامت الوحدة تصور خصوم السراج انهم قد تخلصوا منه •• ولكن ظنهم قد خاب ••• وحين أصبح رئيسا للمجلس التنفيذي في الاقليم الشمالي ذهب وفد من عائلات حماه الى القاهرة ، وقابلوا الرئيس جمال عبد الناصر ، فقال كبير الوفد :

(يا سيادة الرئيس ان قصتنا معك ومع السراج تشبه قصة خوري عين التينة ••• فقد كان في هذه القرية الواقعة في القلمون خوري يتحكم بسكان القرية المسيحيين ؛ فضاقوا ذرعا به ؛ وقرروا الذهاب الى البلدة المجاورة لتبديل دينهم تخلصا من طغيان هذا الخوري ••• وذهب جميع سكان قرية عين التينة الى بلدة ضمير وأعلنوا اسلامهم أمام المفتي •• وعادوا الى قريتهم متحررين من سلطان الخوري ••• فما كان من الخوري الا أن قام بدوره بالذهاب الى ضمير وأعلن اسلامه••• فكرمه المفتي وفضله على سكان القرية بأن أعطاه بغلته ليعود عليها الى عين التينة •••

وحين رأى سكان القرية الخوري يمتطي بغلة المفتي صرخوا بصوت واحد:

طلنا عن ديننا المتخاص من الخوري فعاد الينا الخوري راكبا على بغلـة المفتـي ...

ونحن يا سيادة الرئيس تركنا الاستقلال والتحقنا بمصر لنتخلص مـن عبد الحميد السراج فاذا به يعود الينا بنفوذك الكبير) ..!

ولم يضحك رئيس الجمهورية لهذه النكتة ، وانما تحين الفرصة لينقلها بنفسه الى السراج ...

وكان من الطبيعي أن يدفع أعضاء الوفد الثمن باهظا ... وكان من بين أعضاء هذا الوفد رجلا كريما ظل يبيع من أثاث بيته ليأكل هو وعائلته بعـد أن خسر أمواله وأملاكه نتيجة المصادرة التعسفية ... وحـين أفلس مـات قهـرا ...

في عهد السراج الاول بدأ رجال الرعيل الاول يعرفون طريق سجن المزة بالعشرات أولا ، ثم بالمئات ، ثم بدأ السجن يستقبل الالوف ... لـم يكـن هناك من يجرؤ على معارضة السراج .. فقد فقد معظمهم ، ولا أغالي اذا قلت جميعهم ، فقدوا شجاعتهم الادبية ... وأخذ الرعب من الناس كل مأخـذ اذ جرى في كل مسكن .. وبدأت التهم تنهال على كل من حاول الاعتراض على سلطان هذا الضابط القابع في الظلام ... ويا لها من تهم ... ستظل أبـدا ماثلة بسخرية في فم التاريخ ...

وجاء عهد الوحدة بكل الآمال المعلقة عليه... واعتقد الناس أن سلطان السراج قد انتهى ... ولكن ما ان سمعوا بنبـأ تأليف أول وزارة للاقليـم الشمالي وفيها السراج وزيرا للداخلية حتى هبت دمشق مذعورة كمـا لـو كانت فزعتها من فراشها طلقة مدفع ..!

أترى عهد سجن المزة سيعود ؟

وجاء الجواب بأن عهد السراج لـن يعود ولكن السراج بـاق ... وتساقطت القوى التي ساندت الوحدة قوة بعد أخـرى ... واذا بالصحافة التي كانت قبل الوحـدة تعارض باعتدال تقبـع تنتظر أنـواع التعنت ،

والارهاق ... فمن توقيف الى الغاء امتيازات ؛ ومن دمج الى صمت ... ومنذ أن تطاول حسني الزعيم على الشرعية بانقلابه العسكري ، وسورية تعيش في خضم الاحداث الصاخبة ؛ فهناك أحداث تكاد تكون مطوية في ثنايا التاريخ تمخضت عنها مع ذلك عواقب سيكولوجية ضخمة ونتائج خطيرة ، وهذه الاحداث ان دلت على شيء فانما تدل في جلاء تام على ان أي سلطة تقوم على حد السيف دون غيره ، تسقط دائما عند أول انكسار ، هكذا جرى لحسني الزعيم ، وللشيشكلي و ... و ... عبد الحميد السراج ... ذلك ان السلطة التي تنتقصها الشرعية مضطرة الى أن تخلق لنفسها سريعا نوعا من التجمع القائم على القوة ، والقوة وحدها ...

ان الحقبة التي حكم فيها السراج قبل الوحدة ، وأثناء الوحدة ، لم تسجل ــ مع الاسف ــ بتجرد وانصاف ، ويا لها من حقبة قتل فيها من رجال وما أزهق من أرواح وما تمخضت من كوارث ... كل ذلك من أجل السلطة، والسلطة بدون شرعية تصبح أشبه ما تكون برأس (ميدوز) عند الاغريق القدماء ، فان من يرى وجهها يفتتن به وينجذب اليه ولا يستطيع أن يحول نظره عنه ، وذلك الذي ذاق مرة واحدة نشوة السيادة والقيادة بدون ضوابط قانونية لا يستطيع أن يسلوها ... ولو أننا ذهبنا الى أبعد أغوار التاريخ ما وجدنا أكثر من مثل أو مثلين لنزول صاحب السلطة راضيا مختارا عنها وهو في أوجها ... وانا لا نكاد نجد عشرة ــ بين الالوف وعشرات الالوف ــ استطاعوا ان يتخلوا بهدوء عن الشهوة ــ التي تكاد تبلغ حد الدنس ــ في توليهم مصائر الملايين ... كذلك لم يستطع السراج الاستغناء عن منصبه ، ولعل براعته ، وهي التي تحسن الكتابة بالحبر كما تحسن الكتابة بالدم ؛ هي التي جعلته يقيم عهده على التقارير ، ولكنه في آخر عهد الوحدة لم يعد يفرق بين الممكن والمستحيل ... بين واقعه كموظف يعزل بشحطة قلم ؛ وتخيله بأن الوحدة ارتبطت بوجوده على رأس السلطة ...

ظلت دمشق سنين عديدة تروي بألم أنبـاء السراج واتهاماته للنـاس ، وسجونه ، وتعذيبه ، والناس يشهدون هذه المهزلة المنوعة الفصول تمثل بين يدي الحاكم الفعلي غير المنظور ، كما لو كانت قصة مـن قصص موليير ، والجميع يضحكون من الالم ، وهم يرون الواجهـات السياسية العريضـة ، والزعامات ، والقيادات ، تتحرك كالدمى بين يدي ضابط شاب كل رأسماله انه يعرف كيف يشرف من عل على التناحـر ، والتراشق ، والصراعات ، ويعرف كيف يستثمر كل هذا لمصلحته !

طلبت من السراج مـرة أن يدلي بحديث خاص لانشره في المجلـة التي أراسلها ، وأن يحدثني عن شعوره وهو يتبوأ أكبر منصب في الاقليم الشمالي بعد أن أصبح نائبا لرئيس الجمهورية العربية المتحـدة ، فأجابني الى قبـول طلبي ، وكان هذا أول حديث يفضي به منذ بزوغ نجمه ... وآخـر حديث أيضا ، فقد كان السراج يكره الصحافة ورجالها أشد مـا يكون الكـره ، ويمكنني ان أقول الآن أنني نشرت على لسانه ما لم يقله ... لان ما قاله لا ينشر ...

قال السراج وهو يرخي شفته العليا فوق السفلى كعادته حـين يستقبل أمثالـي :

(... أنت تعرف جيدا ان كل رأسمالي في عملي الوطني لا يتعدى انني وضعت القانون في الفلق ، وشددت على الدستور الحبل ... فهـذه الامـة لا تحكم الا بالسوط ، ألم تـر بعينيك أن عهـدي لا يعرف المظاهرات ولا الاضطرابات) ...

لاحظ السراج انني لم أسجل أقواله على الورق ، فأعاد شفته العليـا الى مكانها وأرخى السفلى وقال :

(لماذا لم تكتب ما قلته لك ...) .

فأجبتـه :

(هذا الكلام لا ينشر الا داخل الحدود ؛ وفي الصحف السورية ؛ واذا أرسلته الى جريدتي فسيضحكون علي •• سأكتب من عنـدي وتكلم بمـا تشاء •••) •

وتكلم السراج بما يشاء عن المؤامرات التي تحاك ضد سورية ، وعـن قدرته على سحقها كما تكلم عن وحدويته التي آمن بها منذ نعومة أظفاره، وعن نظافة سورية في عهده من المتآمرين والخونة ••• وبعد أيام صدر حديثه في المجلة التي أراسلها ، كان كلامه المنشور يختلف كليا عن الكلام الذي أفضى بـه •••

حوالي الساعة الخامسة صباحا ، كانت سيارة الجيب المعهودة تقف على باب منزلي ؛ ويستدعيني الضابط الذي يسوق الجيب لمقابلة (المعلم) ــ هكذا كان اسمه عند معاونيه ــ •

في الطريق الى وزارة الخارجية ، حيث كـان السراج يستقبل زائريه ، سألت الضابط :

ــ هل تعرف سبب الاستدعاء في هذه الساعة ؟

ــ من أين لي أن أعرف ••• الله يجيرك ••!

استقبلني السراج على غير عادته ••• فقد كان يضحك ••• أي والله كان يضحك ••! ولعلها المرة الاولى التي رأيت فيها السراج يضحك ؛ فلم يكن لديه وقت للضحك ••• قال :

(يخرب بيتك من وين جبت هالحكي) ؟

فأجبتـه :

(من الخوف) ••!

هذا الحديث الذي نشر على لسان السراج دون أن يفوه به كان بداية لظهور المعركة التي كانت قائمة بينه بين رئيس الجمهورية العربية المتحدة •••

لا يشك أحد من الذين عملوا مع السراج وأخلصوا له ، بأنـــه كـان مخلصا لولائه للقاهرة الثورة ... ولكن هل كان هذا الولاء من أجل نفسه أم من أجل الوحدة ؟

في أوائل شهر تموز من عام ١٩٦٠ ، وكنت في أوتيل بلودان ، المصيف الذي كان يصطاف فيه السراج ، سمعت صوتـا يناديني باسمي ... فأدرت وجهي باتجاهه فاذا بوجه السراج يطالعني فاقتربت منـه محييا وكان يجلس وحده على (التيراس) ويطلق لخياله العنان ...

هذا الحديث الذي جرى بيننا يصح أن يسمى بالمفاجـأة التاريخيـة ، فالتاريخ يحب المفاجآت الطريفة ، لقد عرفت من خلاله أن الوحـدة سقطت ، وانه لم يبق في سورية من يدافع عنها سوى جهاز المخابرات ، أو على الاصح جدار الرعب الذي أقامه السراج وبناه حجرا على حجر ...

قبل أن يودعني قال لي :

(اذا تلفظت بحرف مما سمعته مني قطعت لسانك) ...

وأقسم أنني لم أتلفظ بحرف مما سمعته في تلك الجلسة حتى الآن ، فقد كنت أعلم ان السراج قادر على أن يقطع أكثر من اللسان ...

لقد كان السراج يعمل في تلك الفترة على حمايـــة الوحـدة بأساليبه الخاصة ، ولكن هذه الاساليب فقدت قيمتها لكثرة ما استعملت ... ومـن هنا بدأنا نشعر بأن السراج يريد تبديل هذه الاساليب . لهذا بـدأ يستقبل الناس ، يشعرهم انه للجميع وليس للاتحاد القومي ، وبدأ الناس يتحدثون في أنديتهم عن هذا التبدل المذهل في سلوك السراج ، دون ان ينتبهوا بأن سبب هذا التبدل اتساع شقة الخلاف بين رئيس الجمهورية العربية المتحدة ونائبه في دمشق ...

كانت المخابرات المصرية تتظاهر أمام السراج بأنها لا تتدخل في شؤون الاقليم الشمالي ، في حين انها كانت تتصل سرا بالناس وتحضهم على التمرد ضد السراج ، بلغ الامر حد اقدام المخابرات المصرية على استكتاب أصدقائها في سورية تقارير تؤكد ان السراج يعمل لشخصه وليس للوحدة ..

في هذه الاثناء طلب السراج نقل موظف للاستعلامات يدعى (عدلي حشاد) .. وهذا الموظف كان يشغل وظيفة معلم في مدرسة ابتدائية قبل الوحدة ، ثم عمل سكرتيرا في المكتب الصحفي للسفارة المصرية ، ثم ملحقا صحفيا في الفترة التي سبقت الوحدة ...

وارفق السراج أسباب النقل بأن هذا الموظف يتفوه بألفاظ نابية ضد شخصيات سورية محترمة ، ويتدخل في شؤون الصحافة والدعاية والتلفزيون ، ويوزع أموالا على أشخاص معينين لا صلة لهم بالدولة ...

سحبت القاهرة (حشادها) مؤقتا ... ولكنها سرعان ما فوجئت بطلب آخر يقضي بسحب ضابط مصري كبير هو اللواء محسن أبو النور معاون قائد الجيش الاول ...

ولان التقرير الذي رفعه السراج الى القاهرة يتضمن وقائع خطيرة تتعلق بتصرفات يدينها القانون قام بها أبو النور ، ثم سحب أبو النور ...

ردت القاهرة على هذا بأن أوفدت المشير عامر الى دمشق بتاريخ ١٢ تشرين الاول ١٩٥٩ . وبتاريخ ٢١ من هذا الشهر أصدر رئيس الجمهورية العربية المتحدة عدة قرارات تنظيمية تتعلق بالاقليم السوري فوض بموجبها المشير عامر بمباشرة بعض الاختصاصات المتعلقة برسم وتنسيق شؤون الوحدة والاشراف على تنفيذ السياسة العامة في الاقليم السوري ، كما تولى المشير أيضا الاشراف على تنظيم الاتحاد القومي . وبعدها توالت الاحداث ... استقال أكرم الحوراني وصلاح البيطار ومصطفى حمدون وعبد الغني قنوت وخليل الكلاس (الجناح البعثي في الحكم) ... وسمي نور الدين كحالة

رئيسا للمجلس التنفيذي وتم تشكيل مجلس الامـــة من ٦٠٠ عضوا بينهـــم ٢٠٠ من الاقليم السوري ••

وبدت الوحدة وكأنها تتفكك من داخلها ••• فماذا فعل السراج ؟

يمكن ان يقال وفي كثير من الموضوعية ان الخلاف بين جمـــال عبـــــد الناصر وعبد الحميد السراج قد بدأ مع شعور السراج بأن الوحدة قد بدأت تفقد أنصارها ••• فقد طلب عبد الناصر من السراج تصفية جميع البعثيين من المراكز التوجيهية ، ولكن السراج تمسك بوجهة نظره القائلة بامكان التعاون مع العناصر القابلة بالتعاون •• ولكن هذا التصرف لم يعجب القاهرة فسكتت على مضض ، وبدأت أجهزة المخابرات تتصارع ••

في صباح ١٧ آب ١٩٦١ تألفت وزارة واحدة للجمهورية العربية المتحدة مؤلفة من ٧ نواب للرئيس و ٣٦ وزيرا •••

حين كانت موجات الاثير تنقل نبأ تشكيل الوزارة الواحدة ، كان جهاز السراج يتجمع باتجاه مضاد •• لقد شعر السراج ان عبد الناصر لم يعد يثق بـــه •••

وجاء المشير الى دمشق فجأة وبـــــدأ يمارس صلاحياته كمشرف عـــلى شؤون الاقليم متجاهلا السراج وهو السكرتير العام للاتحـــاد القومي ونائب الرئيس عبد الناصر للشؤون الداخلية ••

أصدر المشير عدة قرارات تتناول تشكيلات الاتحاد القومي الجديـــدة المتعلقة بالادارة المحلية ، فاستدعى السراج مدراء مكاتب الاتحـــاد القومي وطرح عليهم المشكلة بكاملها قائلا :

(أنا المسؤول عن الاتحاد القومي والمشير يريد ان يحاربني •• ثم حدثهم عن الأيام التي قضاها في القاهرة نائبا للرئيس وكيف ان حارس مكتبه رفض ان يسمح لوفد من عمال السكك الحديـــد بمقابلته ، وكيف قال لـــه عباس رضوان وزير الداخلية : انت نائب للرئيس في الشؤون الكبرى فقط) ••

ذهب بعض من حضر هذا الاجتماع مع السراج الى المشير ونقلوا اليه كلام السراج بشكل مشوه ... فاتسع الخرق .

وفي مساء السبت ١٦ أيلول قال السراج لمدراء مكاتب الاتحاد القومي :

(أنا لا أقبل بهذه التصرفات وسأبقى في الاتحاد القومي ولن أستقيل وسأظل أمارس عملي من هنا) ..

قد لا يعلم أحد حتى الآن ان السراج فكر بالاقدام على خطوة الانفصال عن القاهرة ، وأعد سلسلة اجراءات في هذا الصدد ثم تراجع عنها في آخر لحظة ...

ان ما جرى في الايام القليلة التي سبقت الانفصال عن القاهرة ما يزال لغزا حتى الآن ، ذلك ان الذين يعلمون يرفضون التحدث ، والذين لا يعلمون ينسجون الوقائع من مخيلتهم !

ان الانفصال لم يقع في ٢٨ أيلول ١٩٦١ ، ولكنه وقع بالفعل يوم ١٦ أيلول اليوم الذي وصل فيه عبد القادر حاتم الى دمشق موفدا من قبل عبد الناصر ..

في هذا اليوم بدأت الاحداث تأخذ طابع العنف بين المشير ، والسراج ..

أصدر المشير مساء اليوم نفسه أمرا باستنفار الجيش ، وقال قائد الجبهة للضباط ان هناك ثورة كردية في الجبل ، وان التحركات تستهدف قمعها .. وأعفى مدير المباحث من منصبه ، وبدأت الاعصاب تفقد اتصالها بالعقل ، وفي ليل الثلاثاء توجهت مفارز من الجيش لاحتلال المكاتب الخاصة التابعة للسراج .. وعزل السراج عن الخارج حين تمركز في مبنى الاتحاد القومي الذي لعب دورا فاشلا في انقاذ ما يمكن انقاذه .

أبرق عبد القادر حاتم الى عبد الناصر طالبا دعوة عامر والسراج الى القاهرة فجاءه الجواب بالقبول ... ولكن المشير أخفى البرقية عن السراج في بادىء الامر ، وأبرق الى القاهرة بأن السراج يرفض السفر ...

خلال هذه الساعات كانت الاقدار ترسم لدمشق مصيرا محزنا ، لولا ان تخاذل السراج عند آخر دقيقة . وجاء ليل الاربعاء ثقيلا على دمشق .. (ان ما جرى في هذه الليلة من الاسرار التي تضيق بها صدري ولا أدري هل بامكاني روايتها ؟) .

ذهب وفد من الاتحاد القومي الى المشير في الساعة الواحدة ليلا فقابلهم بلباسه العسكري ، وفي يده عصا المارشالية قال لهم :

(لماذا يرفض السراج السفر) ؟

ـ السراج لم يرفض ولكنه طلب ان يسافر معك ..

أمسك المشير بسماعة الهاتف وأمر بتجهيز طائرته الخاصة ... وفي الساعة الثالثة والنصف ، توجه موكب السراج الى المطار والتقى هناك بالمشير وتصافحا ، وحوالي الساعة الرابعة من صباح الجمعة أقلعت الطائرة لتنقل المعركة الى القاهرة ...

لم يتحدث أحد حتى الآن عن الحوار الذي دار بين عبد الناصر والسراج ...في هذه المقابلة الصاخبة ... ويمكننا ونحن بصدد الحديث عن السراج نقل هذا الحوار كما سمعناه من مصادرة في حينه .

قال عبد الناصر :

(... انني لا أفهم تصرفاتك يا عبد الحميد ، ولا تصرفات رجالك في دمشق ، لقد قابلتكم جميعا في شهر يوليو بالاسكندرية وتحدثت اليكم عن نيتي في تغيير حكومة الجمهورية ، بل يومها تحدثت اليكم بصراحة ما بعدها صراحة قلت لكم انني لا أستطيع ان أترك الاحوال في الاقليم السوري تمضي كما كانت تمضي في السابق ، لقد كانت لكل منكم في الاقليم جماعته، ومعنى هذه الجماعات أن يتمزق الوطن الواحد ، قلت لكم انكم دعاة وحدة ولكنكم سببتم لي المتاعب بما لم يسببه أعداء الوحدة نفسها ، ولا خصومها ، لقد اخترتك يا عبد الحميد نائبا لرئيس الجمهورية في سورية ولكني لم أعد

احتمل تصرفاتك وتصرفات جماعتك ، لقد أعطيتك أوسع الصلاحيات، وطلبت منك قبل سفري الى بلغراد لحضور المؤتمر في الدار البيضاء أن تتحمل مسؤوليتك الكبيرة على مستوى الجمهورية كلها ، ولكنني فوجئت بما فعلته في دمشق بعد ذلك بأيام ، ثم بالذي فعله بعض رجالك « يشير هنا الى طلب سحب عدلي حشاد وأبو النور » ، واتضح لي أن كل الذي تريده هو أن تبقى حاكما لسورية ، وأنا أريدك مسؤولا في الجمهورية العربية المتحدة كلها ، ثم من ناحية أخرى انت تعرف رأيي في كثير من الاجراءات البوليسية في دمشق ، ولقد قلت لك أنها في كثير من الاحيان تضر بسمعة الجمهورية أكثر مما تخدم أمنها وأنا أقدر حسن نيتك فيما تفعله وأفهم ان الاخلاص للجمهورية هو الذي يدفعك اليه ، ولكن الامور لا تحتاج الوصول الى هذا المدى الذي يصل اليه بعض رجالك في بعض الاحيان) ..

قال السراج وهو في الطائرة في طريق عودته الى دمشق ، الى أحد أصدقائه :

(اجتمعت بالرئيس عبد الناصر قرابة ٥٥ ساعة على مدى ثلاثة أيام ... وكان اجتماعي به يمتد حتى الصباح .. قلت له لا يمكن أن أعمل بدون ثقة ، فالمخابرات المصرية تتصرف ، ومخابراتي تتصرف ... فيحصل الصدام ... ان الطريقة التي تحكمون بها مصر لا تنطبق على سورية ... لقد طبقنا الاشتراكية في سورية بدون اشتراكيين ، فهل يمكن تطبيق اشتراكية بدون اشتراكيين ... ثق يا سيادة الرئيس انني جرس الانذار الاخير ... فاذا تخليت عن حكم سورية سقطت الوحدة ... ان الموضوع لا يتعلق بمستقبل سورية فحسب ، بل بمستقبل الوحدة ، فاذا سقطت الوحدة سقط العالم العربي .. ولكن عبد الناصر لم يفهم ما قلته ... بل صدق ما قالته له مخابراته ...) .

صباح الاربعاء ٢٧ أيلول كان عبد الحميد السراج يصل الى مطار القاهرة كأي مسافر عادي ، لقد فتشت حقائبه ، ووقف مع الناس باتظار

التأشير على جواز سفره ، ثم صعد الى الطائرة بهدوء ، وحين أقلعت الطائرة كان (الكولونيل الاحمر) يقرأ في جريدة الاهرام الصادرة صباح ذلك اليوم نبأ قبول استقالته ، فقال لاحد أصدقائه الذي رافقه في سفره وعودته :

(طبق عبد الناصر علينا ما كان يطبقه على غيرنا ... أننا لم أقدم استقالتي ..) .

في الساعة التاسعة والنصف من صباح الاربعاء كان السراج في منزله بعد أن أمضى أسبوعا في القاهرة وفي صباح الاربعاء ٢٨ أيلول أعلن مذيع راديو دمشق :

هنا اذاعة الجمهورية العربية السورية بدلا من اذاعة الجمهورية العربية المتحدة ...

بعد بضعة أيام انتقل السراج من منزله الفخم الى سجن المزة ... ولم يفرح السجناء بوجود هذا الضيف بينهم !!

وهرب السراج من السجن الى القاهرة ، حاملا معه أسراره .. فهذا الضابط الصغير الذي عرف أعلى المناصب في سورية عنيد في صمته ، وكما هو سر مغلق ، ولغز مطبق ، كذلك أسراره ...

لقد ظل في القاهرة شيئا معلقا كالشفق الذي يخفق بين النور والظلام.. أو على الاصح ظل وجها محجبا يغيب ثم يبدو ولا يماط عنه اللثام ..

ولعل هذا هو السبب في أن العالم العربي ما زال يحاول أن يستل من صدره الاسرار ... أو يحاول ان يكشف عن تلك الحياة الملتوية المنطوية في ثناياها وفي خباياها ، في مرتفعاتها وفي منخفضاتها ، في سهلها وفي وعرها ، في رملها وفي صخرها ... أو يحاول ان يعتصر خمر هذا المصير المحتوم ويستخلص منه القدر المكنون ...

ان السراج الذي رفض أن يقبل راتب لاجــىء سياسي ، وطالب بــأن يعمل ، فعين مديرا للادخار .. هو نفسه الذي عف عن الاموال السورية فلم يأخذ منها لنفسه شيئا ؛ وهو الذي كان قادرا على ان يأخذ الملايين ... ولكنه لم يفعل ...

هذا السراج الذي يعيش الالم ويعايشه ... سيظل وفيا للظلام الــذي عاش فيه ... ان هاتين الشفتين الخطيرتين المطبقتين عــلى الاسرار كلها لــن تنفتحا ... وتتكلما ...



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



العرفان

مؤسسها
أحمد عارف الزين

مجلة علمية أدبية سياسية

صاحبها
رئيس التحرير المسؤول
نـزار الزين

الاعداد ٨ و ٩ و ١٠ ، تشرين الاول « اكتوبر » تشرين الثاني « نوفمبر » كانون الاول « دسمبر » ١٩٧٩ م الموافق « ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ، ١٣٩٩ و ١٤٠٠ هـ » مجلد ٦٧ .

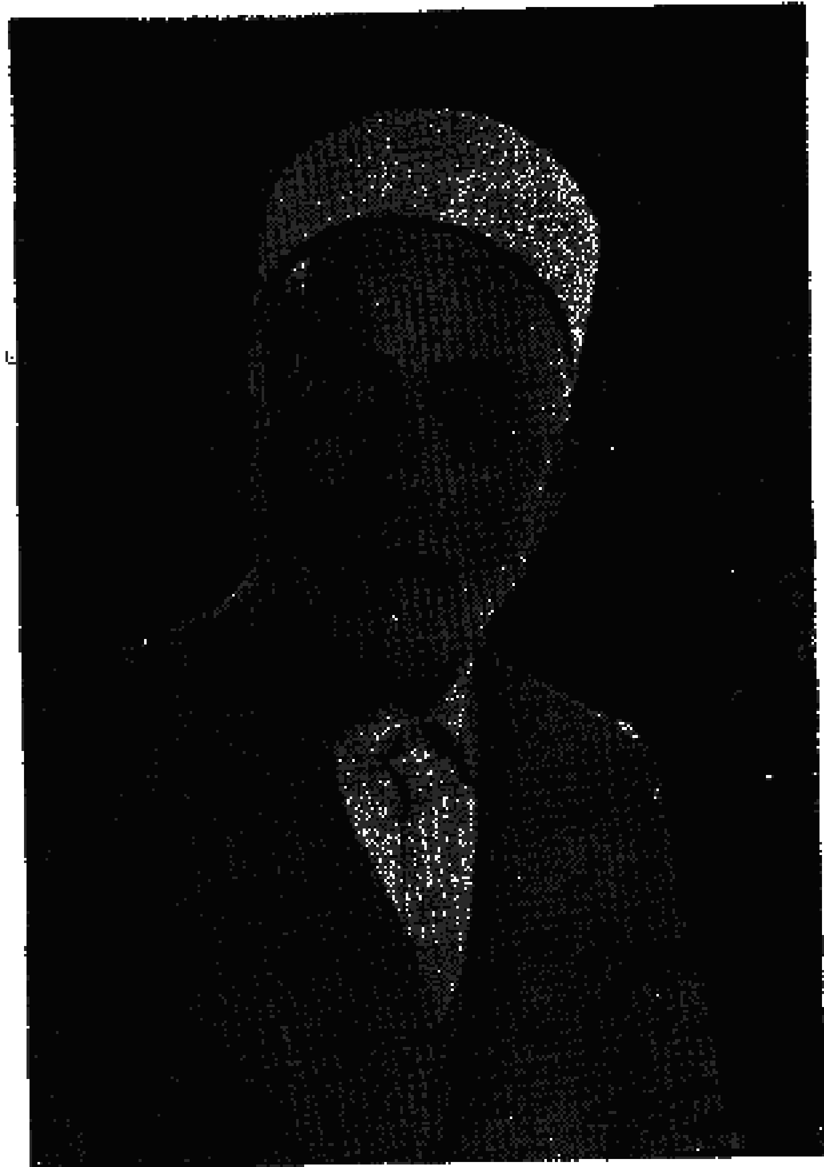
الصفحة	الموضوع	الكاتب او الشاعر

علم، أدب، فكر، سياسة

تاريخ

أبحاث علمية

العلامة المجاهد
والمناضل الشعبي الكبير
الشيخ أحمد عارف الزين



هذا المقال كتبه والدنا مؤسس العرفان عليه الرحمة سنة ١٩١٢ م ، وهكذا يرى القارىء ان نشر الثقافة والعلم والفضيلة كانت ولا تزال مهمة مجلة العرفان الاولى ودستورها .

الفضائــل والرذائــل

اتفق العقلاء والمفكرون على ان كل أمة تغلبت فضائلها على رذائلها نالت من التقدم قسطا وافرا وحازت نجاحا باهرا . وكذلك الامة التي تتغلب رذائلها على فضائلها تتدهور في هوة الانحطاط وتعرج عــن طريق الفلاح ولا نعني بالفضائل والرذائل بعض العادات المتبعة لانها قــد تكون فضيلة عنــد قوم ورذيلة عند آخرين ؛ وانك لترى الغربيين يستحسنون عدم تحجب المرأة بــل يرون الحجاب بدعة وقد يحيون ليلهم في الرقص فترقص المرأة مع من تحب من الرجال مع ان كل ذلك مستهجن عند الشرقيين فضلا عن انه محظور فــي الشريعة الاسلامية ونحن نتكلم هنا عما تسالم القوم واتفقوا على كونه فضيلة أو رذيلة فنقول :

الفضائــل

جمع الفضيلة وهي المزية ــ وخلاف النقيصة والرذيلة ــ كالمحبة والقناعة ونحوهما والدرجة الرفيعة في الفضل وقال في لسان العرب « الفضل والفضيلة معروف ضد النقص والنقيصة والجمع فضول » ويمكننا تعريف الفضيلة بأنها هي الاتصاف بالصفات الحسنة التي تسالم العقــلاء عــلى حسنها كالصدق والامانة والانصاف وعلو النفس والهمة والتواضع الى غير ذلك من الخصال المحمودة . ويجب على الانسان ان يكتسب الفضيلة فقــد جــاء في كتــاب الذريعة الى مكارم الشريعة ما نصه « حق الانسان في كل فضيلة ان يكتسبها خلقا ويجعل نفسه ذات هيئة مستعدة لذلك سواء أمكنه ان يبرز ذلك فعلا أو لم يمكنه وذلك بأن يكون على هيئة الاسخياء والشجعان والحكماء والعدول وان لم يكن ذا مال يبذله ولا عرض مقام تظهر فيه نجدته ولا معاملة بينه وبين غيره تبرز فيه عدالته ؛ فقد قيل لبعض الحكماء هل مــن موجود يعم الورى فقال نعم ان تحســن خلقك وتنوي لكل أحد خيرا وقال عليه الصلاة والسلام « لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » الخ .

اقسام الفضيلة

قسم صاحب الذريعة الفضيلة الى ثلاثة أقسام الفضيلة الجسمية والفضيلة النفسية والفضيلة التوفيقية ، أما الجسمية هي صحة الجسم وقد تكون مقدمةللفضيلة النفسية أحيانا لانه قيل العقل الصحيحفي الجسم الصحيح (ومثل البدن للنفس مثل الآلة للعامل والسفينة للربان) والفضيلة النفسية هي الاتصاف بالشجاعة والكرم والصبر والقناعة والصدق والعفة الى غير ذلك من الفضائل والفضيلة التوفيقية هي هداية الله سبحانه وتوفيقه للمرء واعانته على فعل الخير (من يهدي الله فهو المهتد) •

ممارسة الفضائل

قد ثبت لدى علماء الاخلاق انه من الممكن حمل الانسان على تغيير عادته ، والاتصاف بغير صفته ، فان المرء مجبول على محاكاة غيره ، والاستفادة من اساتذته وعشرائه ، والا لبقي كل انسان على حاله ولما كان لتثقيف العقول ، وارسال الرسول فائدة معقولة ، ونتيجة مشاهدة ، نعم قد تختلف الاشخاص باختلاف القابليات ، وتباين المشارب والعادات ، فبعضهم يجمع عنان نفسه بسهولة فيعودها على حب الفضيلة ويحول بينها وبين ما تشتهي من فعل الرذيلة وبعضهم قد لا يملك عنان نفسه لانه يكون ضعيف الارادة فيسترسل في الرذيلة ويبوء بالاثم ، بيد أن التعليم والتثقيف يفيدانه فائدة قد تبلغ به مستوى محمودا ، ومقاما مشهودا • قال صاحب الذريعة في كلامه على امكان تغيير الخلق ما نصه « اختلف الناس في الخلق فقال بعضهم هو من جنس الخلقة ولا يستطيع أحد تغيير ما جبل عليه ان خيرا وان شرا كما قال :

ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه لئيم ولا يستطيعه متكرم
وما هذه الاخلاق الا غرائز فمنهن محمود ومنهن مذمم

ويعلق أيضا بقوله عليه الصلاة والسلام من آتاه الله وجها حسنا وخلقا حسنا فليشكر الله وما روي فرغ الله من الخلق والخلق الخير فمحال ان يقدر المخلوق على تغيير فعل الخالق عز وعلا فقال بعضهم يمكن تغيير ذلك واستدل بما روي حسنوا أخلاقكم فلو لم يكن لما أمر به قال ولان الله تعالى خلق الاشياء على ضربين أحدهما بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملا كالسماء والارض والهيئة والشكل والثاني خلقه خلقا ما وجعل فيه قوة ترشح الانسان لاكماله ، وتغيير حاله ، وان لم ترشحه لتغيير ذاته كالنوى الذي جعل فيه قوة النخل وسهل للانسان سبيلا الى أن يجعله بعون الله تعالى نخلا وان يفسده افسادا قال والخلق من الانسان يجري هذا المجرى في انه لا سبيل للانسان الى تغيير القوة الى أن تصير سجية وجعل له سبيلا الى اسلاسها ولهذا قال تعالى : (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) ولو لم يكن كذلك لبطلت فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والامر والنهي ولما جوز العقل انه يقال للعبد لم فعلت ولم تركت ؟ وكيف يكون هذا في الانسان ممتنعا وقد وجدناه في بعض البهائم ممكنا فالوحشي قد ينتقل بالعادة الى الناس والجامح الى السلاسة

لكن الناس في غرائزهم مختلفون فبعضهم جبلوا جبلة سريعة القبول وبعضهم جبلوا جبلة بطيئة القبول وبعضهم في الوسط وكل لا ينفك من اثر قبول وان قل، فأرى انه من منع من تغيير الخلق فان اعتبر القوة نفسها وهذا صحيح فان النوى محال ان ينبت منه الانسان تفاحا ومن أجاز تغييره فانه اعتبر امكان ما في القوة الى الوجود وافسادهما له نحو النوى فانه يمكن ان يتعهد فيجعل نخلا وان يترك مهملا حتى يعفن ويفسد وهذا صحيح أيضا فاذا اختلافهما بحسب اختلاف نظريهما » هذا ما قاله الراغب الاصفهاني في ذريعته وهو كلام وجيه ينبيء عن بعد غوره في هذا المضمار وانا نشاهد بالعيان أغلب الناس يستعملون التدخين وكلهم أو جلهم يعتقدون او يرجحون ضرره واذا ندبتهم لتركه اعتذروا بعدم استطاعتهم وذلك لضعف ارادتهم ، وعدم مغالبتهم لشهوتهم والا فقد تجد بينهم قوي الارادة فيتركه ولا يبالي وكذلك من

المقدور للانسان ان يجتنب الرذيلة ويتصف بالفضيلة اذا كان قوي العزم غير منقاد لهواه .

أما الرذائل فهي ضد الفضائل (وبضدها تتميز الاشياء) وهذا كلام اجمالي سوف نفصله تفصيلا كافيا ان شاء الله . نسأله سبحانه ان يوفقنا وكافة القراء الكرام لتجنب الرذائل والاعتصام بحبل الفضائل وبيده سبحانه أزمة التوفيق .

***

بيان وتصحيح

ان العدد المزدوج الاخير أي السادس والسابع ، حزيران وتموز قد بدأ بصفحة « ١ » وانتهى بصفحة « ٢٦٦ » وكان يجب أن يبدأ بصفحة ٦٤١ وينتهي بصفحة ٨٠٦ وذلك لأسباب مطبعية .

وفي العدد الثاني من العرفان صفحة ٢١٨ عند ذكر « أنصار العرفان »

خطأ	الصحيح
٢ ـ عبد الرسول الزيره	عبد الرسول التاجر : البحرين

وفي نفس العدد صفحة « ٢٥٢ » أبيات تحت عنوان « اثنان » ، لم يذكر اسم ناظمها وهي للسيد أحمد الامين وغيرها من الاغلاط التي يمكن تداركها .

مقالات وقصائد وكلمات كثيرة تأخرت للعدد القادم .

***

كلمة رئيس التحرير

قطوف وطيوف

بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لوفاة مؤسس العرفان وكانت في مشهد الامام علي بن موسى الرضا « ع » سنة ١٩٦٠ يسر العرفان وأسرتها وكتابها وشعراؤها ان ترسل له تحية اجلال واكبار وتخبره أنها سائرة على خطاه : « اسلام وعروبة » لا محيد عنهما • وان عرفانه ستبلغ عما قريب عيدها الالماسي •

احداث لبنان

أحداث لبنان وما أدراك ما أحداث لبنان عجيبة غريبة ليس لها مثيل في تاريخ العالم والانسانية جمعاء منذ خلق الله البشرية ؛ وقد كتبنا عنها الشيء الكثير ، ولكن « كأنك تضرب في حديد بارد » « ولا حياة لمن تنادي » •

أما قضية الجنوب التي كتبنا عنها بالعرفان وبجريدتنا « جبل عامل » كثيرا أيضا ، وحذرنا الحكومة اللبنانية وشعب الجنوب من الاهمال والسكوت عما جرى ويجري فحالها هذا : من يزرع الاهمال يحصد الهزيمة • والآن أين صرنا في أحداث لبنان وهل يكتب لها أن تستقر وهل يوفق الجنوب أن ينفذ من أيدي الاعداء والغاصبين ولا أرى الا عدوا وغاصبا • واذا رأينا بان تمجد في وجهه ألف هادم •

ابن عمنا فضيلة العلامة الشيخ محمد حسين الزين مؤلف كتاب « الشيعة في التاريخ » عاد اليه شيطان الشعر فوصف حالة الجنوب بقصيدة نشرت في العرفان ، ثم في قصيدة نشرتها زميلتنا « السفير » وها هي ✻ •

قد نام لكن جفنه لم يطبق

قصيدة للشيخ محمد حسين الزين

أين السلام بعصرنا يا أمة … نادت به علنا ولما تصدق ؟
هل نال انسان سلاما عادلا … بندائكم في حاضر أو سابق ؟
أو نال مهضوم الحقوق حقوقه … من غير ما حرب وجهد خارق ؟
هذي الشعوب تئن من اقوالكم … وفعالكم في مغرب او مشرق

هل غيركم نصر الجناة بماله … ولسانه وسلاحه المتفوق ؟
لولاكم ما كان ((صهيون)) غزا … سيناء والاردن حتى جلق
لولاكم ما كان ((عنتسر)) عصره … برغو ويزبد كالبعير الحانق
ما كان ضدا للجميع مهددا … دول العروبة بالقتال الماحق
فكانه نسي انهزامه كلها … في حرب ((تشرين)) العظيم الصاعق
لم ينجه ((الخط)) المنيع على القنا … من بطش أبطال بعزم صادق

لولاكم ما احتل ((بيغن)) ارضنا … ((بجنوب لبنان)) بجيش دافق
وبواخر حربية من صنعكم … وطيور ((فانتوم)) رمت من حالق
وقضت على اعلى المباني فاغتدت … طبقاتها انطبـا باسفل طابق
كم من بريء مات في انقاضها … لم يدر أهلوه بما فيها لقي ؟
كم مرضع ورضيعها في حضنها … ماتا بخوف من عدو طارق ؟
كم طفلة تاهت ولم تر حولها … غير الافاعي في الظلام الغاسق ؟
حتى قضت عطشا وجوعا في الفلا … وغدت غذاء نسوره والباشق

قتل الشباب الغض لما استبسلوا … ضد الجحافل والعتاد الفائق
حرق الحقول وما حوت من غلة … والنيذ فاكهة وورد عابق
وقضى على الانعام وهي هوائم … وعلى الطيور وعشها المتناسق
حفر القبور مفتشا عن قطعة … ذهبية او شذرة الدر النقي
وابتز أثمن ما بقي في جوفها … جثمان ((حيرام)) الملك الفينيقي
يا ويله من ظالم او عابث … أو معتد في فعله او سارق

سل عنه قانا والخيام وطيبة … وبلاد ارنون الشقيف الشاهق ؟
او سل كفرشوبا وبنت جبيلنا … ومناطق العرقوب حتى الجرمق ؟

والعباسيــة أيــــن عامــر ومنار مسجدها البديـع الباسق
والنباطية ايـن بهجـة سوقهـا ايـن الجمـوع تؤمهـا بتشوق ؟
ايـن المباني الشامخات كأنهـا في حيرة النعمـان قصر خورنق
أين الرياض زهت بنبـع طاسة من كف «يوسف» قد جرى بتدفق
سل سور اين قصورها وسنينها مـاذا بقي مـن مجدها المتألـق ؟
اين الرخـام على القبور ممثـلا في نحتـه جسداً للمـلك سابـق ؟
فتخاله حيـا على وجـه الثـرى قـد نام لكـن جفنه لـم يطبـق
سل عنه اقضية الجنوب جميعها ماذا جرى في ارضها من موبـق ؟
تنبئك ان القـوم فاقـوا هتلـرا في بطشه فيهـم ولـمـا يشفـق

بين بيروت وبغداد

لغاية نيسان ١٩٧٨ مضى أكثر من سنة لم نذهب الى العراق على خلاف عادتنا من الذهاب كل سنة مرة أو أكثر فكتب لنا الاخوان والاصدقاء يطلبون حضورنا ليكمل الاجتماع الادبي . وهكذا لبينا الدعوة وذهبنا في نيسان . ومن جملة الذين كتبوا لنـا يومذاك الاخ الصديق الحبيب المرحـوم محمد شرارة طيب الله ثراه ، وهو مـن أنصار العرفان المعنويين ، ومقاله في هـذا العدد ، ومقاله في العدد الخامس من العرفان هما آخر ما كتب رحمه الله لانه كان من كتاب العرفان الاوفياء وقليلا ما هم ، نشأ فيه وبقي الى آخر حياتـه يناصره ، وسنكتب عنه في عدد قادم ان شاء الله ، فهو أديب نثرا وشعرا عـز نظيره ، وقل أمثاله ، لا في جبل عامل فحسب ، بل في البـلاد العربية جمعاء ، واننا ندعو اتحاد الكتاب اللبنانيين والمجلس الثقافي للبنان الجنوبي الى اقامة حفلة تذكارية تليق بأدبه ووطنيته وجهاده . أمـا العرفان وصاحبها فقـد نزل عليهما النبأ نزول الصاعقة لانا كنا بانتظاره في لبنان في هذا الصيف .

ومما زاد المصيبة وفاة أخيه الاستاذ حسين شرارة بعده بأسبوع تقريبا ،

★ هو المرحوم النائب يوسف الزين الذي جر مياه نبع الطاسة الـى النبطية على نفقته الخاصة .

والاستاذ حسين مرب فاضل كان ينفع حيثما حل ، وله مشاركات أدبية، سواء كان في اعداد كتب مدرسية ، أو كتابة مقالات ومسرحيات قصيرة ، كما عمل على تأسيس مكتبة عامة في بنت جبيل منذ سنة ١٩٣١ ساهمت العرفان يومها باهدائها قسما من الكتب . ولم أزل أذكر له انني ذهبت الى بنت جبيل مرة لزيارة الاخ محمد الذي كان قد سافر الى العراق فاستضافني حسين وكـان رمضان ، فاذا به على العشاء والسحور يقوم بخدمتي واقفا فتذكرت المرحوم الوالد وكرام الناس في جبل عامل بأخلاقهم وطيبتهم ومكارمهم .

ولولا ان آل شرارة مأسدة في العلم والادب والشعر ، لكان الجرح لا يندمل ، حفظ الله مهجة عبد اللطيف واخوتـه والدكتورة حيـاة واخوتها ، وطلال واخوته والشاعران ابراهيم وموسى الزين شرارة .

كما أن حوادث لبنان المفجعة التي منعت الناس من الاتصال ببعضهم ، وضربتهم ضربة قاصمة وخصتنا بالكثير من خسارة البيت والمكتب اللذين لم يبقيا منهما شيئا حتى الصور ، وكان السارقون مـن اليمين واليسار ، حيث اشترك المقاتلون في قسمة الغنيمة ، هـذه هي ثورة لبنان مـع الاسف ، عدا أربع عمليات جراحية كانت تضطرنا الى الراحـة ، فلم نأت على ذكـر مربين أفاضل ثلاثة كان لهم فضل يذكر بالجنوب وهم الاساتذة : أديب فرحـات ، عبد اللطيف فياض ، الدكتور محمد علي مكي رحمهم الله وأجـزل ثوابهم ، وسوف لا نهمل الاتيان على ذكرهم والكلام عنهم . كمـا أن الحديث عـن رحلتنا الى العراق الذي وعدنا به قد تأجل الى عدد مقبل . وهو حديث شيق عن الادب ومجتمعاته اللطيفة ومكافحة الاميـة ، واستعادة ذكريات العرفان الادبية في الناصرية وسوق الشيوخ الخ .

على انه لا يسعنا هنا الآن ان نشكر وزارة الثقافة والاعلام فـي العراق التي تستضيفنا كلما وردنا العراق وحللنا في ربوعه ، ولما يحيطنا به موظفوها كبارا وصغارا من عناية ورعاية واكرام .

كما نشكر الاخوان الاعزاء والاصدقاء الاوفياء الاستاذ صديق شنشل والدكتور علي الصافي والدكتور عبد المجيد القصاب والاستاذ ناجي جواد الذين يحيطوننا دائما بالعناية والرعاية والمحبة ؛ وأما الاستاذ سالم عبود الآلوسي فيعجز القلم عن شكره ، لان وفاءه نمط نادر بين الناس كما ان كتابه « علم تحقيق الوثائق » المعروف بعلم « الدبلوماتيك » الذي لم تتمكن من الكتابة عنه بعد نمط فريد في العربية للآن ، والاستاذ سالم أينما وجد نفع • وأما الاخوان الاستاذان خضر عباس الصالحي وسلمان هادي آل طعمه فينطبق علينا وعليهما المثل « رب أخ لك لم تلده أمك » •

عزيزي القارىء :

لما أوردناه عن خسارتنا المادية التي لم يعوضها أحد لا حكومة ولا نقابة ، ولا ، ولا • ولما أصابنا في صحتنا في هذه السنوات ، ولان بعض أعدادنا لم تزل محصورة في المطبعة منذ تموز ١٩٧٨ ، نضطر الآن أن نجعل هذا العدد مقابل الاعداد ٨ و ٩ و ١٠ بعد أن صدرت الاعداد السبعة الماضية تماما وكمالا على ورق أبيض كالمعتاد رغم غلائه نظرا لاحتكاره من قبل تجار الورق ، كما يحتكر الدواء مستوردو الادوية فتراهم يرفعون أسعاره كل مدة ، ولا من يتكلم أو يحاسب وغيرها ، وغيرها ، على أن نستأنف الصدور والاتصال بالقارىء الكريم في أول السنة الجديدة : ١٩٨٠ م و ١٤٠٠ هـ ، فعسى أن تكون الاحوال تغيرت والامور استقرت لنتمكن من العمل ومن التقدم والتطور •

ونحن لا نحب ازعاج أحد بالشكوى من الاحوال المتردية ولكننا نورد ما كتبته زميلتنا الزاهرة مجلة الاديب في موضوعنا :

صديقنا العزيز وزميلنا الكريم نزار الزين صاحب مجلة « العرفان » كان قد أصيب بأزمة قلبية فوضعت له بطارية لمساعدة القلب في عمله • والمفروض أن البطارية مضمونة لمدة خمس سنوات غير انه للاسف ، عاودته

الظواهر المرضية بعد ثلاثة أشهر فدخـل المستشفى مرة ثانيـة حيث تبين أن البطارية متوقفة عن أداء عملها • فوضعت للصديق بطارية جديدة • لو جرى هذا في الولايات المتحدة الاميركية لحق للزميل رفع دعوى قضائية ضد شركة البطاريات مطالبا بتعويض أقلـه مليون دولار • كان اللـه في عون الصديق العزيـز •

ذهب البيت وذهب بعده المكتب وكاد يتوقف عملنـا لولا أننا لا نبالي بالصعاب فلم نر تعويضا من أحد، مع أنه أعطيت من هنا وهناك تعويضات ممن لم يصبهم أي أذى ، فهـل يكون القضاء أعـدل في قضيتنا ممن نسونا فـي الازمات بينما نحن لا ننساهم في الملمات ! وهكذا أصبحت هذه الدنيا « من لم يكن ذئبا أكلته الذئاب » • والا فما عذر هؤلاء الذين يجب عليهم مناصرة

السيد المرتضى

العرفان لانها منذ أربع سنوات للآن تدفع كثيرا ولا تقبض الا القليل القليل ، نعم كان الله في عوننا ، والى اللقاء •

❋ ❋ ❋

مقـام الكريـم

ومـا مقام الكريم في بلـد ... ينفق فيـه الحيـاء والادبـا
ما لي أرى المكرمات عاطلـة ... والفضل خلو الفناء مجتنبـا
تهرق دائـم فـان عرضت ... دنيـة طـير نحوها عصبـا
هل لي في الدهر من أخي ثقة ... يحتقـر الحادثات والنوبـا

المساء بين شاعرين

بقلم: محمد شرارة

بين الانسان والطبيعة وشائج متشابكة وعلائق متبادلة ، وكلما خلعت الطبيعة ثوبا وارتدت رداء جديدا كان لعريها وارتدائها تأثيره في المشاعر والاحاسيس . ولا غرابة في ذلك ما دام الانسان أدق ما في الطبيعة وأعلى ما فيها من الاشكال الهندسية البالغة العمق والارهاف .

واذا كان الانسان أعلى ما في الطبيعة فان الشاعر خاصة والفنان عامة أروع ما في هذا الاعلى وأكثر تأملا في الدقائق واكتشاف الخفايا والاسرار الملتفة بالصمت والرهبة التي كانت فيما مضى تدعو الى الخشوع والعبادة . ولذلك كانت كلمة الشاعر مفتاحا لكثير من الابواب المغلقة ، وضوءا في كثير من الالغاز والطلاسم .

تمر الفصول بما في بطونها وقلوبها من خلجات ، ولكن اختلاجتها تبقى سرا لولا تأملات الشاعر ، وتغلغله فيما وراء الغيوب ، وتمر الايام والليالي بما فيها من معان واشارات ، ولكن اشارتها تبقى ضبابيـا لـولا الفانوس السحري الذي يحمله الشاعر .

واذا كان « العالم ــ بمعنى من المعاني شعرا » كما يرى الرصافي فان المساء جزء من هذا العالم الشعري الذي تصوغه الطبيعة صياغة فيها كثير من ورق الخريف والحان الجنائز وما تلده من تأملات .

★ هذا آخر مقال كتبه المرحوم « محمد شرارة » قبل وفاته .

اللون الذي تتركه الشمس في هذه الفترة يتغير في كل لحظة ، وينقلب من ارجوان الى ذهب ، ومن ياقوت الى فضة ، ومن ليمون الى رماد . وفي هذا التبدل المتتابع منح وهبات للخيال والفكر وتداع للانفعالات التي يخلقها الذبول ، وهز للغفوة السابحة في موجة من الخدر ، وتحريك للاوتار الهادئة. واذا تم ذلك كان الزمن مرايا تلوح فيها الاحاسيس وتتجلى كما تتجلى الاسرار التي أتعبها الخفاء وأضناها التواري .

في مساء من هذه الاماسي كانت « السحب تركض ركض الخائفين » في رؤية ايليا أبي ماضي ، و « الشمس تبدو خلفها صفراء » و « البحر ساج صامت » تحت الشمس والسحاب . وكانت « سلمى » في هذا الجو المسائي تائهة غريقة في طوفان من التأمل والتفكير ، و « عيناها باهتتان في الافق البعيد » ولولا سلمى وتأملاتها لكانت الصور فوتوغرافية وان كانت ممزوجة بالحركة الشبيهة بحركة الاغصان التي تنتظر العاصفة .

سلمى تخرج الحركة من النطاق الآلي وتمنحها معنى متوهجا يختلج بالنبضات الحية الانسانية ، ولم تكن « العينان الباهتتان » سوى نوع من المشاكة بين الوضع الطبيعي والحالة النفسية التي تهز كيان الفتاة .

اختيار المرأة الشابة لهذا الجو ووضعها فيها بالشكل الذي وضعت لفتة من لفتات الفن الذي يرصد العلائق والامواج المتناسبة ، ثم يلتقطها ويضعها في مكانها ، فروحية المرأة المفكرة في وضعها الحالي قريبة من الجو المأساوي الحزين الذي يشكل المساء لونا من ألوانه .

في قصيدة « الاشباح الثلاثة » الرامية الى تصوير الطفولة والشباب والشيخوخة يختار الشاعر للشبح الثاني زمنا يشبه المساء ، ولكن روحية الفتاة في المساء :

واذا الشبح الثاني أقبل يترنح مثل المخمور
الليل على الدنيا مسدى وعليه وشاح من نور

ماذا في الافق .. فقد وقفا ... يتأمــــل فيــه ويبتســم
هل لاح لــه وجــه عرفا ... أم هــز جوارحــه نغــم
أم أبصر آلهــة الحـــب ... تدعــوه اليهــا ايمـــاء
لا شيء في الافــق الرحب ... وكــأن هنالــك أشيــاء

انه الفتى العاشق ، وليله هو ليل العاشقين الذي يطل فيــه « أبولو » و « كيوبيد » وأمثالهما من الآلهة . وهذا الليل لم يكن جميلا فقط ، بــل كان ويكون في منتهى الجمـــال ؛ وهو الـــذي جعل الكاهن في « ضــوء القمر » (١) يتساءل تساؤلا لو مر ببال غيره لشك في ايمانه . انه فتى عــلى أي حـــال . وهذه روحية الفتيان في أكثـــر الاوقات . ورؤيــة الشاعر رؤية فنية موفقة في الحالين .

الفتى يبصر آلهة الحب في الليل الموشح بالانوار ، أمـــا الفتـــاة فترى « أحلام الطفولة تختفي خلف التخوم » وعيناها تبصر في الغيوم « أوجـــاع الكهولة » وتخشى أن « يأتي الدجى الجاني ولا تأتي النجوم » انهـــا الرؤى النسوية التي يوحيها المساء ، ويهزها الخوف الدائم من المصير . ولذلك كان « الدجى جانيا » في قصيدة « المساء » بينما كان فــي « الاشباح » ملعبــا لآلهة الحب .

تستمر الصور في خطها الـــذي ابتدأت منه ، وتتوالى الـــرؤى فــي تجانسها وفي دورانها وفي اطارها الذي لا يهتز ولا تعتريه أي شبه من التغير ، ثم تختل فجأة ويختل معها التصوير ويفقد انسجامه وتناغمه .

ان الجو الذي يضع الشاعر فتاته فيه جو فكري تأملي مأساوي تطــل وراءه الموازنة حول الحالات المتشابهة بين النفس النسوية والطبيعة . والجو

(١) قصة لموبسان بهذا العنوان ، وقد ترجمنا هذه القصة من زمن بعيد ، ونشرت في جريدة الهاتف النجفية .

الفكري التأملي المأساوي أبعد ما يكون عن « الاحلام » ، ان الزهر والجدول والشواطيء وما حولها من شجر وطير وما فيها من جمال هـي التي تحـرك الاحلام وتهزها اذا كانت غافية :

ولما جلسنا مجلسا طله الندى أنيقا وبستانا من الزهر حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه منـى فتمنينا فكنت الامانيـا

فهذه المجالس وما يرافقها من المناظر الجميلة هي التـي خلقت « المنى » وبين المنى والحلم قرابة أقوى من قرابة الاصول ، وصلة أقوى من صلة الدم والمنى في مثل هذا الجو طبيعية جدا ، بل تكاد تكون في منتهى الاصالة ، ومن الوفاء للحب والصداقـة ، أن يخلق في النفس الانسانية مثل هـذه الاماني الطيبة ، أو مثل هذه الاحلام المضيئة •

لقد كان هذا الشاعر مدهشا في احساسه السيكولوجي وشعوره بهذه الخلجات • وهذا النوع من الاجواء له مثل هذه القدرة على الخلق ، واذا لم تتحقق الاحلام ينقلب الى غصة مؤلمة ، لانه بقي خاصا وبعيدا عـن مشاركة الاحباب ، ولكنه في جوهره قادر على ايجاد الامنية • أما الجو الذي كانت فيه « سلمى » فجو قادر على خلق التفكير والتأمل ، ولا يمكن أن يكون جو أمان وأحلام• واذا كانت الرؤية أصيلة ودقيقة فـي قوله : « سلمى بمـاذا تفكرين » فانها لا تبتعد عن ذاتها فقط في قوله : « سلمى بماذا تحلمين » بل تصبح متناقضة تناقضا تاما مع الجو •

ان الاحلام لها مكان آخر ووقت آخر كما رأينا • وهذا الجو المأساوي الخريفي الذي رآه الشاعر لا يستطيع أن يلد الحلم ، ولذلـك كان اقتـران الحلم بالفكر أشبه باقتران قبلي تفرضه العشيرة عـلى أبنائها وبناتها قبل أن يفرضه الحب •

وهذه « اللاكنما » في قوله : « لكنما عيناك باهتتان » ما شأنها ؟ ومـا قيمتها في البناء الفني ؟ من شأن « لكن » أن تسحب هي وما بعدها ما كـان

معترفا به قبلها :

ووضع النـدى في موضع السيف بالعلـى
مضر كوضع السيف فـي موضع النـدى
ولكـن تفوق النـاس رأيـا وحكمـة
كمـا فقتهـم حـالا ونفسا ومحتـدا

فما قبل « لكن » نقد قائم على الاتهام بأن صاحبه لا يكـرم الذين لا يستحقون التكريم فقط ، بل يكرم الذين يستحقون ضرب الاعناق . ولمـا جاءت « لكن » لم تسحب الاتهام وحده ، بل أثبتت له نظرا بعيدا لا يمتلكه سوى المتفوقين في الرأي والحكمة . هذه هي وظيفة لكن في الاداء . ومـا دامت هذه اوظيفتها فأي وظيفة لها في قوله :

لكنما عيناك باهتتان في الافق البعيد
سلمى بماذا تفكرين
سلمى بماذا تحلمين

ان الانسجام بين ملامح الطبيعة وملامح الفتـاة في الصورة كامـل ، وليس فيـه ذرة واحدة من الخلل ، ومـا دام الانسجام تامـا فمـا معنـى الاستدراك ! لو كانت « عيناها ضاحكتين » لكـان الاستدراك في مكانه . وعندئذيكون الاداء : « لكنما عيناك ضاحكتان » وهذا ـ وان احكم بنـاء الصورة ومنح لكن وظيفة ـ لا يؤدي الى اختلال جزء من القصيدة فقـط ، بل يؤدي الى اختلالها كلها ، وتدمير الاساس الذي بنيت عليه .

هذا في المقطع الذي انتهى الى الجمع بين الفكر والحلم . أمـا المقطع الآخر فانه يبدأ بالاستفهام :

أرأيت أحـلام الطفولة تختفـي خلف التخوم
أم أبصرت عيناك أوجـاع الكهولة في الغيوم
أم خفت أن يأتي الدجى الجاني ولا تأتي النجوم

ثم ينتهي بالتقرير الايجابي :

أنا لا أرى ما تلمحين من المشاهد انما

أظلالها فـي ناظريك
تنم يـا سلمى عليك

وهو مقطع مرتبك ، والروح التي تربط بـين كلماته روح فوضوية اذا قدر للفوضى أن تكون رابطة . والصورة غريقة في ضباب عابس ان لم تكن فاشلة فشلا تاما .

العينان الباهتتان عيناها لا عينـاه ، و « البهت » ـ وهـو سكوت الحائر ـ بهتها لا بهته . ولو كانت الرؤية رؤيتها ، وكانت هي التي تقول لـه « لكنما عيناك » لكان النفي في مكانه من الدقة الفنية . ولكن الرؤية رؤيته، وهو الذي قال : « أنا لا أرى » ولو كانت هي التي قالته لكان الرد محكما في قوله : « أظلالها في ناظريك » أما ان تكون هي الباهتة ، وهي الذائبة في ذلك الجو الكئيب ، ثم يأتي النفي منه مخلط بين رؤيتين لا علاقـة لاحداهما بالاخـرى .

***

تسير القصيدة بعد ذلك في خط موضوعي وحدوي متماسك دائر حول الحيرة والكآبة التي خلقها « المساء » . ومع « التفكير والتأمل » تبدو الفتاة وكأنها سائح في القفر تائه عن الطريق يرجو صديقا في الصحراء ، أو تبـدو وكأنها فارس تحت غبار الحرب لا يطيق الهزيمة ولا يستطيع الانتصار . وكل ذلك يدخل في متابعة البناء ، واكمال الصورة التراجيدية ، فاذا تـم الجـزء الدائر حول الحيرة التي أوحاها المساء انتقل الى النقيض :

هذي الهواجس لـم تكن مرسومة فـي مقلتيك
فلقـد رأيتك في الضحى ورأيتـه في وجنتيك

لكن رأيتك في المساء وضعت رأسك في يديك
وجلست في عينيك ألغاز وفي النفس اكتئاب
مثل اكتئاب العاشقين
سلمى بماذا تفكرين

ويستمر التساؤل حول الاشياء التي تفكر بها .. بالارض ، بالمروج الخضر ، بالعصافير ، بالمساء ، ثم ينتهي ذلك الى الوعظ ، أو ما يشبهه ، والى المطالبة برؤية الجمال في الحياة والى التمتع به :

مات الصباح ابن النهار فلا تقولي كيف مات
ان التأمل في الحياة يزيد آلام الحياة
فدعي الكآبة والاسى واسترجعي مرح الفتاة
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللا
فيه البشاشة والبهاء
ليكن كذلك في المساء

ويبقى الخط سائرا ، ويلتقي في سيره ببعض الامثلة المساعدة على رؤية الجمال

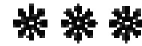
ما زال في الورق الحفيف وفي الصبا أنفاسها
والعندليب صداحه
لاظفره وجناحه

والمطالبة بفتح العيون على الجمال خط محوري في فلسفة الشاعر ، وأكثر قصائده تدور في روحها حول هذا المحور ، وتحاول أن تغسل ما في الحياة من قبح بالتركيز على رؤية الوجه الآخر ، وكأن رؤيته كافية في تحويل الحياة الى نعيم !

ان الشاعر ينطلق في تصوره من رؤية ضيقة تتضخم فيها الذات، وتحصر هموم الانسان في قضاياه الخاصة ، وهي نظرة يمكن تبريرها لو كان الانسان

قائما في الفراغ مجردا من الهموم القومية والانسانية ، ولكن الانسان لم يكن كذلك ولن يكون ..

وقبل الانتقال الى الشاعر الآخر نحب أن نلفت النظر الى رؤية الشاعر مرة أخرى .. انه يرى الجمال في « حفيف الورق » وفي الوقت نفسه يجرد « جناح العندليب » منه ! واذا كان « الحفيف » جميلا – وهو جميل بالتأكيد – فلماذا يجرد منه هذا الطائر اللطيف ويقتصر جماله على الورق ؟ والعندليب نفسه ؟ متى كان من ذوي الاظفار ؟ ان « الظفر » الذي يذكره الشاعر مقرون بالاذى . وهل يمكن أن يكون في العندليب ما يؤذي !



أما الشاعر الثاني فهو الرصافي .. لقد كان في الاعظمية وكانت الشمس تنحدر الى الغروب فراقب انحدارها ، ومرت في نفسه موجة من الانفعال ، وكانت في « الغروب » قصيدة أخرى :

نزلت تجر الى الغروب ذيولا   صفراء تشبه عاشقا متبولا
تهتز بين يد المغيب كأنها   صب تململ في الفراش عليلا

والقصيدة تكاد تكون محاكاة بدائية ، أو صورة من الواقع المبتذل ولا تضيف أي شيء من الحركة أو الانفعال أو التأثر . وهي تستمد من ابن الرومي في الموضوع ذاته تشابه وكلمات ولكنها تبقى دون القصيدة العباسية وأقل منها بكثير من ناحية الاداء والصياغة الفنية :

حتى دنت نحو المغيب ووجهها   كالورس حال بهالضياء حؤولا
وغدت بأقصى الافق مثل عرادة   عطشت فأبدت صفرة وذبولا
غربت فأبقت كالشواظ عقيبها   شفقا بحاشية السماء طويلا

وهذا « الشواظ » – وهو اللهب الذي لا دخان فيه – هو نفسه الشفق الشاحب اللون :

شفق يروع القلب شاحب لونه   كالسيف ضمخ بالدما مسلولا

ولكن الدم الذي تضمخ به السيف لم يكن دما مطلقا بل كان دم المظلوم الذي تختلط به دمعة اليتيم ، والدم الذي يمتزج بقطرات الدمـــع يقترب فـــي صورته من الشفق الذابل أو يقترب هذا الشفق منه •

لم يكن اختيار « المظلوم » للتشبيه مصادفة ، بـــل مستمدا من نظـــرة الرصافي التي تلتقط النظائر في الكون والحياة وتحاول أن تبنيها بنـــاء خاصا ؛ أو تجعل منها تركيبا جديدا يوحي المعاني الدافعـــة الى ما يستوجب ، عـــلى الاقل ، مناقشة الاوضاع القائمة على التناقض بين الظالم والمظلوم •

في هذه الناحية يختلف الرصافي عن أبـــي ماضي اختلافا كبيرا ، فايليـــا يحاول الهرب دائما من الصور الحزينـــة البائسة ، ويلوذ بما في الحيـــاة من جمـــال :

كـــن غديرا يسير فـــي الارض رقراقا فيسقي من جانبيه الحقولا
تستحم النجـــوم فيـــه ويلقى كل شخص وكـــل شيء مثيلا

ولا شك أن « الغدير الرقراق » جميل ، وأجمل منه أن « يسقي مـــن جانبيه الحقولا » • ولكن اذا كان الغدير غريبا في أرضه فماذا يصنع ؟ أيغير مجراه ؟ أم يحطم السدود ويتابع سيره ؟ أيهرب من الارض التـــي تكره هباته وصفاءه وشغوفه ؟ أم يغيض فيها ؟ هذه هي المسائل التي يعالجها أبو ماضي بالهروب !

رؤية الافق تكاد تكون متشابهة عند الشاعرين ان لم تكن واحدة • لقد كانت ملامح سلمى تشبه الافق في الكآبة ، بينما كان الافق ذاتـــه يشبه « دم المظلوم » في الرؤية الاخرى •• ان الرصافي يلقي « كلمته ويمشي » ــ كمـــا يطلب الريحاني ــ وعلى التصور الذي يخلقه الشاعر أن يجد ميدانه •

وكما وجد النقيض مساره في « السماء والكواكب » بقصيدة ايليا فقد وجد المسار نفسه في قصيدة الرصافي :

ان كان أوحشني الدجى فنجومه بعثت ــ لتؤنسني ــ الضياء رسولا

واذا كانت « للدجى أحلامه ورغائبه وسماؤه وكواكبه » هنـاك فقـد كانت له نجومه التي تذيب الوحشة هنا .

***

الخيال في القصديتين مختلف جدا ، فقد كان نسمة جديـدة في قصيدة أبي ماضي ، وكان هاربا من الاطار التاريخي الباقي من عصر الفترة المظلمة . والاسلوب لا يخلو من ابداع في الادب العربي بذلك الوقت ان لم يكن ابداعا قريبا من النموذج . أما في قصيدة الرصافي فقد كان عاديا جدا ، أو باقيـا ، الى حد ، تحت تأثير البقايا المتصلة بالزمن البارد .

واذا اهتزت بعض الكلمات في قصيدة ايليا فقد كانت أكثر اهتزازا في قصيدة الرصافي . وفي حوار مع الصديق الاستاذ جاسم الرجب ـ وهو أحد العلماء الكبار باللغة والادب في بغداد ـ حول قصيدة الغروب قال الاستاذ : « كلمة ، بين ، مطوقة دائما بطرفين ، ولا تملك هنـا سوى طرف واحـد ، فالتعبير يقتضي : بين يدي المغيب ، ولكن الوزن يختل » . فقلت : لقد كـان بامكانه أن يقول : « تحت يـد المغيب » ويستقيم الوزن وان كان البيت كله كسائر أبيات القصيدة باهتا وخاليا من كل روح شعرية .

يضاف الى هذه الغلطة غلط آخر في « عليل » . انها صفة لصب ، ومن حقها الرفع ، ولا حاجة لاعتبارها « حالا » لولا القافية والتماس الموجه الذي يخرجها من خانة الاغلاط .

أما « العرارة » فهي في الاصل بهار ناعـم أصفر طيب الرائحة . وقـد أطلق على بعض النباتات الصحراوية اطيبة الرائحة :

تمتـع من شميم عرار نجـد فمـا بعد العشية مـن عرار

واذا كانت العرارة بطبيعتها صفراء فأي حاجـة لـ « أبدت » ؟ وكيف أبدت « والابداء » بحاجة الى ارادة ؟ لقد حل الفعل المزيد محل المجرد لـو

كانت له حاجة ، ولا حاجة له لولا الوزن • والنقد في هذه الناحية يطول كثيرا اذا أردنا المضي معه • وكثير من الكلمات مفروض بالوزن أو القافية ، والا فأي حاجة ، مثلا ، ! « طويل » في قوله : « شفقا بحاشية السماء طويلا » أو « لحاشية السماء » ؟ أفلا تشبه « الاسماع » في قوله الآخر :

فنحن اليك بالاسماع نصغي   فهل لك أن تفيد فنستفيدا

وهل يكون « الاصغاء » بغير السمع حتى يتخصص الاصغاء به ؟ ان « الترهل » أو « الفضفضة » في الشعر يجرده من أدق عناصر الشاعرية ، ومن الايماء والمعاني الاخرى التي يضمها الشعر وراء الكلمات

واذا خلا الشعر من الايماءة لا يبقى شعرا • ومعظم شعر الرصافي والزهاوي وحليم دموس وأمثالهم أقرب الى التقارير منه الى الشعر •

لقد كان الرصافي معاصرا لأبي ماضي وان ولد قبله ، ولكن أبا ماضي استطاع أن يفلت من بقايا الفترة التاريخية السوداء ، وأن يكون شاعرا كبيرا ، وأن يضيف الى التراث الادبي شيئا كثيرا ذا قيمة في الوقت الذي لم تكن للرصافي ورفاقه مثل هذه الاستطاعة • لقد كان مناضلا ، وكان سوطا على الطغاة والظالمين ، وكان من أول الاصوات التي قالت للطغيان : « لا » • وقد حاول الطغيان اغراءه بمناصب عالية • وقد قبل المناصب ولكنه لم يهادن أو يساوم ، وظلت كلمة « لا » عالية في وجوه الطغاة حتى انتهى الى الفقر البائس • وقد هزت نهايته الجواهري فقال على قبره :

واني اذ أهدي اليك تحيتي   أهز بك الجيل العقوق المعاصرا
أهز بك الجيل الذي لا تهزه   نوابغه حتى تزور المقابرا

ولكن النضال وحده ، وان انتهى بالبؤس ، غير قادر على أن يجعل من بعض المناضلين شعراء •

بغداد   محمد شرارة

رجل بلا قلب وبلا مخ

وبلا طموح

بقلم : زهير مارديني

يقولون ان بعض الناس يسري اللهب في شرايينهم فهم ابدا نقمة على كل شيء وابدا ثورة ... وبعض يسيل الجليد في اعصابهم ، اتعرف صقيع الجليد ؟ وهم يقولون ايضا ان الثورة اخت الشباب ... وانتظر ، تثلم السنون حد اعصابك فاذا انت في الشيخوخة ترقب الاحداث بعين الحكيم التي لا تعبا بشيء ولا تثور لشيء ..!

ولان ابناء امتي ملوا كل هذا بعد ان تكشفت لهم حقيقة ((اللعبة)) التي تمارس باسمهم احببت ان اترك القضايا السياسية لفلاسفة الايديولوجيات ، والحواة ، ولاعبي السيرك واذهب مع القارىء في رحلة سندبادية بعيدا عن بيروت والجنوب والقاهرة والخرطوم وعمان وبغداد... الى حيث يعيش الناس في مناخ صحي لا اثر فيه لسموم الثعابين وفحيحها ... وقد اخترت رفيقا لي في هذه الرحلة (هنري ميللر) ...

روائي امريكي عجوز غريب في بلاده ... ولكنه متوج في فرنسا خاصة ، وفي اوربا بصفة عامة ... ولد في نيويورك عام ١٨٩١ ، فهو الآن (١٩٧٩) في الثامنة والثمانين من عمره . وقد تصعلك هنري ميللر في اعوامه الثمانين اكثر مما استقر !

تصعلك في ادبه ، وثابر في الصعلكة حتى استحق لقب ((امير الصعاليك) ... ولست اقصد بهذا انه كاتب فقير لا يجد ما يسد به رمقه ، رغم انه عرف اياما من التشرد والمسغبة سواء في اوربا او في امريكا ، فهو روائي ذائع الصيت مقروء في اكثر لغات الدنيا !

والحديث عن أمير الصعاليك فيه متعة وفيه فائدة ، فهو روائي تخصص في الادب الذي يستهوي الجيل الجديد (الأدب المكشوف) حتى غدا صاحب مدرسة كبيرة جعلت للجنس أدبا يتجاوز مجرد الاثارة الجنسية ، وجعل من الجنس موضوعه الادبي الاول والاخير ، بدأ حياته ككثير من الامريكيين يتنقل بين مختلف الاعمال ... فبعد أن قضى طفولته في (بروكلين) اشتغل موظفا في محل خياط ، ثم اشتغل رئيس السعاة في شركة تلغراف « وسترن يونيون » في نيويورك ، كل ذلك بين ١٩٠٩ و ١٩٢٤ ، وفي هذه الاثناء تزوج عام ١٩١٧ من فتاة اسمها (بياتريس) .. وفي ١٩٢٢ كتب أول رواية له باسم (الاجنحة المقصوصة) وهي لا تزال مخطوطا حتى الآن .. وفي ١٩٢٤ اتخذ قراره الكبير وهو أن يهجر عمله ويهجر زوجته الاولى ، وان يتفرغ للكتابة ويتزوج من زوجته الثانية (جون) .. وفي عام ١٩٢٨ تصعلك في أوربا ، فزارها بلدا بلدا ، ثم استقر نهائيا في باريس عام ١٩٣٠ ، حيث توالت روايات (الادب المكشوف) التي أحدثت دويا كبيرا في الاوساط الادبية ..

ففي باريس كتب أولا (مدار السرطان) ، ثم (الربيع الاسود) ثم (مدار الجدي) ثم (ثلاثية الصليب الوردي) المكونة من رواية (سيكوس) الجنس ورواية (بليتوس) الوشيجة ، ورواية (نيكوس) الرباط ... وهي كلها أعمال محرمة التداول في أمريكا ، وان كانت شائعة التداول بالانكليزية في طبعاتها الفرنسية ..

ولم يعد « هنري ميللر » الى أمريكا الا مع الحرب العالمية الثانية بعد سقوط فرنسا عام ١٩٤٠ ، وفي ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ أصدر كتابه (الكابوس) عن رحلة العودة هربا من الاحتلال النازي لفرنسا ..

وفي ١٩٤٤ استقر هنري ميللر في بلدة « بيغ سور » في كاليفورنيا حيث تزوج زوجته الثالثة واسمها (ليبيسكا) ، وأنجب منها ولدين ، ولكن ايبسكا لم تلبث أن تركته بولديه عام ١٩٥١ ، فتزوج هنري ميللر زوجته الرابعة (ايفا) في ١٩٥٣ . وفي ١٩٥٦ أصدر كتابه (بيغ سور) ، أو (برتقال جيروم

بوش) •وفي عام ١٩٦٠ أصدر مسرحيته (مجنونة هاري) هـذه التي قدمت باسم (ترانسيت) أي — المعبر — وعرضت في مسرح شايو •

وأخيرا رفعت أمريكا الحظر عـن روايات هنري ميللر ١٩٦١ فنشرت فيها (مدار السرطان) و (مدار الجدي) وهو منـذ ذلـك التاريخ وهنري يقضي شيخوخته في لوس انجيلوس !

ما موضوع مسرحية (مجنونة هاري) أو (ترانسيت) ؟

هي مسرحية حول موضوع الحب ، مثل مسرحية (مجنون ليلى) ، غير ان المجنون فيها هذه المرة هي المرأة وليس الرجل ، ثم انها تسير في مسارات غير مسارات الاسطورة التقليدية لان رجالها ونساءها وجـوه مختلفة فـي الاسطورة التقليدية •• كذلك فان الفرق الاساسي بين قصة الحب الامريكية هذه ومآسي الحب الشهيرة مثل (مجنون ليلى) و (روميو وجولييت) هو ان الحائل بين العشاق في قصص الحب التقليدية هو حائـل خارجي كالخوف من المجتمع أو كالعداوة بين الاسر •• أمـا في مأساة (مجنونـة هاري) ، فالحائل بـين المحبين من داخـل نفوس المحبين أنفسهم ••• سـمة الضعف الاساسي أو الميل الى السقوط أو الخوف من القيد أو سيطرة الجسد عـلى الروح ••• فكل هذا وارد ، والاسماء لا تهم لان النتيجة واحدة وهي العنف والمأساة •• ويظل السؤال ماذا في هذه المسرحية ؟!

نحن في نيويورك ، في حي شبيه بحـي برودواي ، حيث تكثر البارات والشحاذون وأخـلاط الناس ! مجتمـع أمريكي (نموذجي) مرسوم بريشة (هنري ميلر) ، حيث المهاجرون الى أمريكا أكثر من الامريكيين الاصلاء ، وحيث تسمع الالمانية والايطالية وعبرية شرق أوربـا (الييدش) من مألوف الكلام ، وحيث اللغة الانكليزية نفسها معجونة بكل هذه اللغات واللهجات التي يتميز بها مهاجرو الجيل الاول •• وكل شيء يجري في منطقة (البـار) حيث (البارمان) اسمه لويس في وهو أمريكي من أصل ايطالي فـي نحـو

الاربعين .. وفي البداية ترى (هاري) يفاوض طبيبـا أو صيدليا من أصل بولوني اسمه (خاركوفسكي) في نحـو الخمسين من عمره فـي موضوع اجهاض فتاة هي (جيني) عاشقة هاري المجنونة بحبـه ؛ وهي بين الخامسة والعشرين ، والثلاثين ، جميلة جمال الصحة لا جمـال الزينـة ... ملامحها ايرلندية وشعرها أشقر طويل ، بسيطة الطبع شديدة الثقـة بالغير .. أمـا هاري نفسه فهو رجـل في الثلاثين وسيم الطلعـة فارع الطـول ، رياضي الجسم ، راض عن نفسه يلؤه غرور الذكر !

ويحـاول الصيدلي (خاركوفسكي) أن يبالـغ في مصاعب عمليـة الاجهاض باستخدام كل ما تعلمه في لغة الطب من مفردات لاتينيةٌ معقـدة ، مجسما مجازفته في التعرض لطائلة القانون لو اكتشف أمر الاجهاض .. كل ذلك ليبتز من هاري أكبر قدر ممكن من المـال مقابل العملية ؛ وهاري ليس بالرجل الساذج فهو يفهم كل شيء ، وينتهي الامر بالاتفاق ، واجراء العملية بنجـاح ..

وهكذا في يوم عيـد الام تجهض جيني ، وفي البـار يغني (الصندوق الموسيقي) أغنية بالالمانية مطلعها : (الآن يجب أن يغرق العالم) !

وفي بار لويس تدخل (الفتاة) ، وهي فتـاة جميلة من فتيات الليـل فاحمة الشعر لاتينية الملامح جذابة للرجال عمرها نحو خمس وعشرين سنة ، وتجلس كعادتها الى البار لتلتقط الرجـال .. وفي البـار يجالسها هـاري ويغازلها فترجوه أولا ؛ لان هيئته ليست هيئـةٌ (زبون) ممن تعيش عليهم فتيات الليل بل هيئة (جيكولو) ، وسيم ممن يصادقون بنات الليل ويعيشون عليهن ...

أما هاري فقد اتخـذ قراره بهجر صاحبته جيني التي تحبـه الى حـد الجنون وتطارده بحبها ، ولا تفتأ تسأله في كل لحظة من كل ساعة من كل يوم ان يؤكد لها أنه يحبها ... لقد سئم كلامها الكثير عن الحب لانـه لا يعرف شيئا عنه ، وتحاول جيني أن تتصل به تلفونيا وهو في البار ولكنه يحاول أن

يتهرب منها ، ثم تأتي جيني بشخصها الى البـار لتقابله فيهرب منها ويجعـل البارمن (لويس) يبلغها ـ كذبا ـ بسفره الـى شيكاغو ، وهو في الحقيقة قد رتب أموره مع فتاة الليل أن يقضي الليلة في بيتها ..

لقد جاءت جيني شمثاء الشعر منهكة القـوى من فرط ما عانت فـي الاجهاض ، ومن فرط لوعتها لشعورها بأن هاري ينصرف عنها ...

وكانت بينها وبين فتاة الليل معرفة ومودة فحاولت الفتاة أن تهدىء من روعها ، وأن تغمرها بالحنان وان تحملها على نسيان هاري الجاحد لحبها .. ولكن جيني كانت قد أزمعت شيئا خطيرا بعد أن أظلمت الحياة في عينيها ... قررت الانتحار لتتخلص من آلامها ... فقد أصبحت الحيـاة عندها بعـد هجران هاري جحيما لا مهرب منه الا بالموت ؛ وقد نفذت جيني مـا أزمعته وهكذا اختفت نهائيا من حياة هاري ...

أما هاري فقد كانت العلاقة بينه وبين (الفتاة) واضحة وصريحة منـذ بدايتها ، حين سألته عن عمله أجابها في سخرية انه ليس مـن المغفلين الذين يعملون ... وحين سألها عن عملها أجابته في صراحة ان عملها هو (الرجال) ... لا بأس من ان تنفق عليه مـا دام يروق في عينيها ، فهو بلغتها (بلا قلب وبلا مخ وبلا طموح ..) ويقبل هاري المساومة هو يقوم بدور المرأة ، وهي تقوم بدور الرجل ..

وهكذا تصبح العلاقة بينهما علاقـة سافرة ، ولكن الحـال لا تلبث أن تتبدل وذلك حين سألته :

ماذا تقول يا هاري لو أني وجدت لنفسي عملا حقيقيا ؟

ويفزع هاري كأنما صعقه تيـار كهربائي ! عمل ؟ هل جننت ؟ مـاذا جرى لـك ؟

انها تفكر في أن تفتح صالونا للتجميل ، أو محلا لبيع الاثاث القديم .. وهو يثور لمجرد الفكرة .. ان هناك أشياء كثيرة يجب أن يعرفها عنها ..

انها كانت منذ سنوات تحب شابا ، وكانت تعمل مرة بائعة ، ومرة عاملة تلفون ؛ ومرة فتاة مكتبة ، وكانت تحلم بأن تصبح ممثلة كبيرة مثل غريتا غاربو ... وكان صاحبها يحلم بأن يكون كاتبا مسرحيا .. وكان فتى دؤوبا طموحا ظل يعيش عليها ويعمل حتى نجح في النهاية واشتهر وبعد أن اشتهر تخلى عنها وتزوج من النجمة الاولى في مسرحياته ... ومنذ ذلك الوقت تغير مجرى حياتها ، وقررت أن تبيع الهوى وتعيش على الرجال ..

ويثور هاري ... الحب ! ما الحب ؟ وماذا تسمي هذا الذي يعطيها اياه كل يوم ؟ ويشتد الجدل حول الفارق بين الحب والجنس ... وأخبرته انها تفهم الحب بأنه لا قيمة لشيء في الحياة الا حين تعطيه لمن تحب !

انها في الايام الاخيرة قد عرفت فتى صغير السن أخذ يتبعها في خجل شديد وكأنها أول بنت عرفها في حياته ... ثم تردد عليها مرة أخرى ، وفي المرة الثالثة جاءها حاملا باقة من الزهور ، وقصيدة حب نظمها فيها .. انه يحبها رغم انه يعرف صناعتها ، وهي حاولت ما أمكنها الا تشجعه على هذا الحب غير المتكافيء ، ولكن دون جدوى ، وهو قد لحظ عليها الاحساس بكرامة الانسان ، وهي الآن تفكر في هجر مهنتها والبحث عن عمل كريم ترتزق منه ... انه يعطي بلا مقابل ؛ دون حساب للربح والخسارة ، وهذا هو الحب ، وهو لا يحدثها عن الحب فقط كما يفعل هاري ، كأنها حيوان لم يخلق الا للفراش ... ولكن يحدثها عن شيء جديد ... يحدثها عن الله وعن الانسانية وعن المجتمع ؛ بل ويحدثها في الميتافيزيقيا ... انها عنده انسان ذو روح وعقل ونفس نبيلة وليست مجرد بهيمة ينزو عليها .

ويسمع هاري كل ذلك بين ساخر وثائر .. انه سمع بكل أصحاب هذا الفتى من أفلاطون وأرسطو الى ديكارت وسبينوزا الى كانت وهيغل ... وان كان لا يفهم بالضبط ماذا يقولون ، فقد كان يسكن مع مثقف عاطل كان دائما يصدع دماغه بحديثه عن هؤلاء الفلاسفة العاطلين وعشرات غيرهم .

وتحس الفتاة بأن الفجوة بينها وبين هاري تزداد عمقاً ••• وتنصحه أن يبحث عن صاحبته جيني التي انقطعت عنه ، ثم ان الفتـــاة تحب ان تدعو صاحبها الفتى الى بيتها وهي تستأذن من هاري أن تفعل ذلك •• انه شاب نقي يضمر لها كل احترام ••• وهنا تثور ثائرة هاري :

لو اقترب هذا العاشق الفتى (روميو الجديد) من بيتها فانــه سيحطم رأسه •• ثم هذه الخزعبلات التي تدور في رأسها عن فتح صالون التجميل ، أو غير ذلك يجب أن تنساها نهائيا ••• كل شيء يجب أن يبقى على حالــه وسوف يبقى ، واذا كانت الفتاة متعبة الاعصاب فيمكنها أن تأخذ اجــازة ، هذا كل ما هنالك !

وهنا تدرك الفتاة ان كل شيء بينها وبين هاري قد انتهى ••• لقد بدأ يستخدم لغة التهديد ••• وتنهض الفتاة في صمت وتتجه الـــى درج ملابسها لتهم بالخروج ••• لا بد أن تخرج الى صاحبها الجديد الفتى لتحذره مـــن المجيء الى بيتها خشية أن يصيبه سوء •••

ان هاري رجل ضائع وها هو ذا ينقلب الـى وحش كاسر ••• انــه يصفعها مرة ثم مرة ويطلب منها أن تخلع ملابسها ••• فترفسه في بطنه ••

وفي المشهد الاخير تكون المفاجأة الكبرى ••• يـــدق جرس البـــاب فيحسب هاري أن القـــادم هو الفتى العاشق جـــاء ليزور الفتـــاة ، ويتأهب مسرورا لتأديبه ، ولكن يفتح هاري الباب فاذا به يجـــد نفسه أمـــام جيني ، صاحبته الاولى المجنونة بحبه ••• قد جاءت من العالم الآخر ••• فنحن في آخر المسرحية لا نعرف ان كنا في عالم الاحياء ، أم في عالم الاموات ••!

وتثور ثائرة هاري ••• ماذا جاء بك الآن ؟!

ان كل شيء بيننا قد انتهى ••• هل جئت لتفسدي حياتي السعيدة ؟ ما هـــذا الكلام ؟ ألست مسرورا برؤيتي ؟ لا ••• لست مسرورا برؤيتك ••• ما معنى مجيئك الآن ••• لقد كنت أحسب أنك تنتظر قدومي ••• قلت لك

ان كل شيء بيننا انتهى ... لا شك أن الفتـاة أرسلتك لتحلي محلها ... وتتغير لهجـة جيني .. لا .. ليس بالضبط ! انمـا جئت لامنحك فرصـة أخيرة ... أنت لم تمنحني أية فرصة في الماضي .. لقد كنت تعرف اني عازمة على الانتحار ، ومع ذلك تهرب مني .. أما أنـا فجئت لامنحك فرصة ... اسمع يـا هاري :

لو عرفت أن بينك وبين الموت خمس دقائق ، خمس لا أكثـر ، هـل تستطيع أن تقول انك ما زلت تحمل لي بعضا من الحب الذي مضى ... أنـا لست هازلة فيما أقول .. أنا جئت أمنحك فرصـة أخيرة للحياة أو الموت ... جئت لاسمع منك عبارة واحدة وهي ان ما كان بيننا ليس عبثا ، وانك مـا زلت تحمل لي بعض الحب القديم !

وتخرج جيني مسدسها من حقيبتها .. لا تتحرك .. أمامك الخيـار وهذه هي فرصتك الاخيرة ... فتكلم ! ان قلت نعم ، عشت .. وان قلت لا مت .. تأكد اني لا أحب ان أقتلك ، بل كنت أحب ان أقتل نفسي .. لقـد حاولت ، أنا قادمة اليك من الجحيم يا هاري ... فلا تحاول خداعي بالكذب لاني سأعرف ان كنت صادقا أم كاذبا ! هيا تكلم ... أنـا جئت من الجحيم لاسترد حبيبي .. أليس غريبا أن يقتل المحب المحبوب بسبب الحب !

ويذعر هاري حـين يرى المسدس المشهر في وجهـه ويحاول ان يراوغ بمختلف الطرق ، ولكن ثبات المسدس وثبات اليد وثبات الصوت ، يجعلـه يرتعـد ..

وتلوح بارقة أمل لهاري حين يدق جرس البـاب مرة أخـرى ، وتفتح جيني الباب ، فاذا به الفتى العاشق وقد جاء حاملا بعض الزهور ..

وحين يرى الفتى هذا المشهد يحسب أنه أخطأ في شقة الفتـاة ويعتذر ويهم بالانصراف ، ولكن هاري يستبقيه ويتمسك ببقائه ... لا شك ان مـا يراه مشهد من تمثيلية يتدربان عليها .. ولكن المشهد طال أكثر مما ينبغي ،

وأخيرا يدرك الفتى حقيقة الموقف .. انه يشاهد محاولة اغتيال حقيقية ... ويفكر الفتى في انقاذ الموقف ... انها تأمره بالانصراف فيتراجع حتى الباب ثم ـ في خروجه يطفىء أنوار الغرفة فجأة ـ وهنا تنطلق من مسدس جيني رصاصتان .. رصاصة تصيب هاري في صدره ، ورصاصة تصيب الفتى في رأسه ...

وهكذا انتهى كل شيء !

انتهى كل شيء ؟ لا ... فحين تضيء جيني الانوار تدهش لانها تجد نفسها مرة أخرى في مواجهة هاري والفتى ..

ماذا حدث ؟ منذ لحظة رأتهما في الظلام ممددين على الارض ، قتلى .. هاري برصاصة في قلبه والفتى برصاصة في رأسه ... انهما لا يذكران شيئا غير لحظة وجيزة من الظلام الكامل ويتحسس هاري صدره ويكشف عنه فيرى الثقب نافذا والدم يلطخ الصدر ، ويتحسس الفتى رأسه فيحس الرصاصة قد ثقبت رأسه اذن قضي الامر ، وهما الآن في عالم الاموات ... ومع ذلك فثلاثتهم يتحدثون ويتفاهمون كأنما لم يحدث شيء ، وهل حدث شيء ؟ مجرد (ترانسيت) أو انتقال أو (عبور) من حياة الى أخرى ... فقط لحظة واحدة من الظلمة الكاملة ؛ يكون بعدها الانتقال من الحياة ، الى الحياة ... ان الفتى يفهم هذا ، ولكن هاري يجد صعوبة في فهمه .. لقد كان يظن .. لا .. انما تطفأ (الانوار) لحظة واحدة ، ولكن (النور) لا ينطفىء أبدا !

***

المؤامرات في عهد سليمان باشا

بقلم : علي الزين

(الخوري رسول السلام والصلح)

وبتكرور المراجعة صار استحسان سليمان باشا بارسال الخوري سابا كاتب الذي هو من رهبنة دير المخلص وكان يومئذ بعكا . فنظر الى اشتهار الخوري المذكور بالعلم والفلسفة والحكمة (وحسن التصرف بلطف حديثه) أرسل من قبل سليمان باشا لعند الامير نظرا لميل الامير للاب المذكور كأنه حضر لعنده لاجل الزيارة (من تلقاء نفسه ويستطيع) أن يستعمل الوجوه (المناسبة) للتكلم معه بهذا الخصوص ونظرا لحب المعلم حبيب للاب المذكور (يستطيع أن) يوري الامير انه يمكنه لاجل خاطره يتوسط بتدبير القضية على يد المعلم المذكور . وهكذا توجه الخوري المذكور واستعمل الحكمة وحسن التوسط وغير الامير الآراء الاولى معه وخففوا الالتماسات المطلوبة سابقا ثم حضر الخوري سابا عائدا الى عكا وقرر ما تم بينهم ثم رجع ثانيا الى عند الامير وبعد رجوعه صارت المداولة بينه وبين الامير على القرار الذي استحسنه سليمان باشا وأودعه لحفظة الخوري سابا وأنه غير ممكن ان يتم سواه بوجه من الوجوه . فان شاء الامير أن يضع يده بهذه المصلحة وأن يأخذ للمشايخ الامان التام بموجبه كان به . والا فلا يتداخل بهذه القضية وليتركهم يفعلوا ما يريدوا . بل اذا أراد أن يساعدهم أيضا فلا بأس . فكلما يقدر عليه من مساعدتهم فليفعله والمستعان بالله عليهم وعليه .

شروط الصلح

واذا كان الامير يتعهد باستجلاب دخولهم في قيد الطاعة والقياد حسب المرغوب فالامر الذي يريده بالامان والرأي الذي يركن لـه يعطي لهم حسب مرغوبهم • ويعطي لهم محلات من اقليم الشومر لاجل معاش كل منهم قدر لزوم معاشه بشرط أن يقيموا فيها ويدبروها بالفلاحة والزراعة ويأكلوها معافاة بدون أن يدفعوا عليها لطرف الميري شيئا وتكون لهم ولذريتهم من بعدهم مفروزة القلم ممنوعة القدم (١) من دون معارض ولا منازع • وأن يترأس عليهم بصفة شيخ مشايخ الشيخ فارس الناصيف ليتعاطى أمورهم ومصالحهم وفصل الدعاوى فيما بينهم • وأما اذا بدا من أحد منهم أو جرى بينهم مادة جسيمة فتعرض له (٢) وهو يتوسط فصلها مع الحكم بها • واذا أحد بدا منه نقيصه ووجب عليه القصاص الحكمي فيطلب منه أي من الشيخ المذكور • واذا فر هاربا فيطلب منه ولا يقبل له عذر • ولا يكون للشيخ فارس ولا لغيره منهم أدنى مداخلة في بلاد بشارة أي مقاطعات تبنين وجبل هونين وساحل معركه وساحل قانا ومرجعيون ومقاطعة الشقيف وبعض قرايا مقاطعة الشومر ومقاطعة اقليم التفاح ولا يتداخل بهذه المقاطعات لا بحكومة ولا بفلاحة ولا زراعة ولا بأخذ ولا عطاء بوجه من الوجوه • والذي يتداخل منهم بأحد القرايا فلا تسمع له دعوى وتسمع عليه الدعوى •

لهذه الشروط توجه بها الخوري سابا كاتب وتذاكر مع الامير بشير فيها • وبعد مداولات كثيرة قر الرأي فيما بينهما عليها • والامير أعطى التعهد للخوري سابا بها اذا حرر اعراض على يده الى سليمان باشا بالتعهد أن يبذل جهده بانفاذ أمره • وهكذا حرر الى مشايخ المتاولة وعرفهم عن زيادة الاجتهاد الذي بذله بشأنهم وجعل لهم أن الشروط التي ذكرت هنا قدم الالتماس بها

(١) لعله انما سمح لهم باقليم الشومر على هذا النحو لان اكثر قراه كانت خرابا وخصوصا ما كان منها على طريق الساحل بين صيدا وصور • ولان القرى الجبلية لا تغل الا بالتعب والعناية الشديدة •

(٢) أي للامير فرسيه متجره •

ووهم عليهم انه لولا خاطره ما كان سليمان باشا • قبل ذلــك • والمذكورين نظرا للحال التي هم فيها مالوا حالا للقبول وأجابوه بالمديح والثناء واظهــار الممنونية التامة وأوضحوا له وأكدوا أنهم تحت أمره بكل ما يريده ويرسمه •

وبحضور هذا الجواب أرسل الامير حالا معتمده الشيخ ابراهيم نعمه والتمس للمشايخ صدور مرسوم الامان (١) والرأي على دمهم ومالهم وعيالهم وأولادهم وخدمهم وأقاربهم وكل من يتعلق بهم واظهار الرضى التــام عليهم وتركينهم من سائر الوجوه • وبالحال سليمان باشــا أصدر الامــر المطلوب وتوجه به الشيخ ابراهيم نعمه (١) وبوصوله ليد الامير أرسله للشيخ فارس الناصيف واستدعاه لعنده • فحضر هو واخوته والبعض مــن كبــار المشايخ وبعد اقامتهم يومين للراحة طلبوا باقي أقاربهم المشايخ ونزلوا جميعا الى عكا بكفالة الامير بشير • وأرسل الامــير صحبتهم الشيخ جريس بــاز كنخداه • وبوصولهم لعكــا استقبلهم سليمان باشا بكل بشاشة واكرام ونهض قائمــا للشيخ فارس الناصيف وأجلسه الى جانبه وأمر لــه بالجبق والقهوة ومثلــه لكامل المشايخ ما عدا الجبق • وهكذا استقاموا ساعة زمان وقاموا حاصلين على غاية المجابرة • وأمر لهم سليمان باشا في قناق واسع ضمن عكا • ونصبوا على ظاهره جــادر كبير للشيخ فارس وأمر لهــم بترتيب سفر مأكولات ثلاث مرات في كل يوم لهم ولاتباعهم ومن معهم بزيادة مع عليق خيلهم اليومي •

عقــد الصلـح

وبعد ثلاثة أيام استحضرهم وصنع معهم ديوان حافل بحضور كنخداه علي آغا والد عبد الله باشا وحضور راغب أفندي مأمور الدولة الحاضر لاجل ضبط مخالفات الجزار وبحضور قاضي عكــا ومفتيها والمعلم حييم الصراف والمعلم حنا عوره كاتب العربي وكان الشيخ جريس باز وكيلا عن الامير بشير وحصلت المذاكرة بينهم • والوزير تكلم اللازم وأوضح لهــم رغبته بعمــار

(١) من آل نعمه الموارنة في دير القمر •

البلاد وراحة العباد وقطع دابر الفساد والمفسدين وأوضح لهم أيضا شفقته عليهم لما نالهم بالايام السالفة ورغبته القلبية اراحتهم بما انهم رعاياه . وتوضحت الشروطات المقتضى القيام بها من الطرفين وزيد عليها شرط آخر وهو حيث انهم مزمعين أن ينالوا راحتهم التامة ويحصلوا على معاشهم ، فهم ملزومين أيضا بكل وقت متى لزم الامر الى طلبهم برجال العشائر لمحاربة أحد المحلات يجب عليهم (٢) أن يحضروا بدون تردد ولا عائقة ولا طلب علائف باقي العساكر وذلك نظير الشرط الملتزم به أمير جبل لبنان . فالكل أبدوا الدعاء لحضرة السلطان وللوزير وأظهروا الممنونية وانهم خاضعون طائعين لكل أوامر سعادته ويفدوا انفاذها بدمهم ومالهم ورجالهم قابلين لكل الشروط المدرجة منه وكرما من سعادته بدون استحقاق لها . وهكذا بعد جملة أقوال لطيفة حصلت من الوزير وجماعته ومأمور الدولة لهم ومنهم للمشار اليهم انفك المجلس وتوجهوا لقوناقهم على غاية الابتهاج .

وثاني يوم استحضر سليمان باشا الشيخ حسن شيت وأمره أن يتوجه عن أمره لعند الشيخ فارس الناصيف ويفهمه أن يوزع بمعرفته وخبرته قرايا اقليم الشومر على المشايخ كل منهم قدر لزومه بالعدل والانصاف من دون ميل ولا انحراف يوجب والقال والقيل بين العشيرة. بل ان الكل يرتضوا بالقسمة والحب ما عدا ثلاث القرى الكبار وهي قرية الصرفند وقرية نصار وقرية ميس يبقوا من المقاطعة المرموقة تابعين الميري . وباقي قرايا الشومر تتوزع لهم معاشات . وان يعملوا بذلك دفتر ممضي من جميعهم يعلن منه ان التوزع حصل برضى واتفاق الجميع حتى لا يحصل فيما بعد خلل ومقالات .

فتوجه الشيخ حسن وأفهم الشيخ فارس الناصيف مضمون أمر الوزير

(٢) هذا الشرط يشعرنا بانهم كانوا ينظر اليهم كما ينظر لامير لبنن ولكن مع الفرق بانهم ليس لهم حكم على بلادهم ولا عندهم في اقليم الشومر ما يفي بالغرض من مال ورجال ؟ بل يعني رفعه ولو على خازوق !

وأخذ معه من دفاتر الخزينة أسماء قرى اقليم الشومر المقتضى توزيعها . وحالا الشيخ فارس جمع باقي المشايخ وبأسرع وقت حرروا دفتر بعلم توزيع القرى المرموقة على الجميع . وأولها قريــة الزرارية صــارت للشيخ فارس وختموا كلهم على الدفتر وقدموه عن يد الشيخ حسن شيت لسعادة الوزير وسعادته اجتمع حالا براغب أفندي مأمور الدولة العليــة وبعد المذاكرة تــم الرأي أن يقدم الاثنين الالتماس للعتبة العلية ويلتمسوا أمرا ملوكيا مؤكدا لتقرير هــذا الترتيب مثبتا له . وأوضحوا به زيادة الاتعاب الشاقة الحاصلة على الرعايــا وعدم المكنة من استنفاذها مــن شرور المذكورين بخلاف هــذا الوجــه . وأوضحوا زيادة التعب والهناء الذي احتملوه حتى اتفق معهم هذا الامر الذي به تحصل الراحة العمومية للعباد والبــلاد وسيروه حالا صحبة جفت تاتــار مخصوصين والتمسوا سرعة الجواب . وبعد مسيره سار كل يومين يتوجــه الشيخ فارس لعند الوزير ويشاهد منه غاية الميل والمسايرة والانس والملاطفة. ربما عن يوم يتزايد تلطفه له الى أن زال من قلب الكل كلما مــا كانوا يخافوه ويتزايلوا منه ويحسبوا حسابه . وبتلك الاثناء حضر الجواب من جانب الباب العالي بقبول الترتيب المذكور واستحسانه والمديــح عــلى غيرتهم وسعيهم الحميد باعطاء راحة العباد وعمار البــلاد وتأمين أبناء السبيل . فحالا أمــر الوزير بتحرير البيلوردي العمومي الــلازم باقراز الاقليم المذكور من دفتــر الميري بالايالة وايضاح توزيعه بالاسماء والقراريط وأن يكون مفروز القلــم ممنوع القدم لهم ولذريتهم بعدهم الى ما شاء الله . وأخذ منهم سندا مدرجا به الشروط المشروحة قبلا مكفولا عليها من الامير الشهابي ومشهودا فيه من مأمور الدولة العلية وقاضي ومفتي عكا وتسلم لسعادة الوزير . وهم اسلموا المرسوم المذكور . وعند ذلك أمر الوزير بالباس الشيخ فارس ناصيف خلعــة فاخرة من فرو سمور تعلن بأنــه شيخ مشاريخ واعطاءه انعــام خمسة آلاف غرش وعشرة غراير حنطة وعشرين غرارة شعير بمرسوم تحول لمتسلم بــلاد بشارة باعطاء ذلك . ثم أمر بالباس باقي المشاريخ كلا منهم فروة سمور تعلن الرضى والبس الشيخ جريس بــاز خلعة فاخــرة وألبس حسن شيت والسيد

أمين العالم مفتي بلاد بشارة وعلى هـذا المنوال توجهـوا فرحين مسرورين حاصلين عـلى غاياتهـم ومرغوباتهم مطمأنين على دمهـم ومالهم وعيالهم • وبخروجهم من عكا أرسلوا قدامهـم المبشرين لسائر البـلاد ففرحوا الجميع بذلك فرحا عظيما وحـالا حضروا لاستقبالهم وعملت الافراح فـي منازلهم واستولوا على الاقليم وكل منهم استقام في محـل معاشه سالما آمنا • وأهالي البلاد فرحوا فرحا عظيما لخلاصهم من تلك البلايا التي كانت مصادفتهم منهم •

خبر طرد بكر آغا ارناؤوط من الخدمة

الا انه حيث كما قيل ان النفس أمارة بالسوء والانسان دائما من دأبـه النكث والرداءة • فبعد مدة يسيرة بكل آغا ارناؤوط المنوه عنه بمـا انه من طبعه يحب الحركات والمقالات أراد أن يجدد صحبة ومحبة بينه وبين المشايخ فصار يكاتبهم مريا اياهم انه شريك الرأي مع سليمان باشا وانه قدير على كل شيء عنده فلاجل جر النفع لنفسه أخذ يتداخل معهم بدسائس ومقالات ويفتح لهم أبواب الفساد لان يطرحوا نفوسهم بها وبهذه الاثناء اتفق قتل جريس باز من الامير بشير ولا بد انه صار من ذلك قلق واضطراب في الجبل • فالجميع اتخذوها نعم الوسيلة فصار بكر آغا يحرر سرا للمشايخ ولعلي آغـا كتخداه سليمان باشا توهيمات ليملك بها غايته لينال من المشايخ وفور المنفعة بما أن بكر آغا المذكور كان حاصلا على الميل من طرف علي آغـا المومى اليه لانـه ساعده بمدة حصار عكا وخلصه من أذية أعدائه • وكان علي آغا يظنه عاقلا بنوع ما أكثر من غيره فكان يميل اليه ورتب اقامته في بلاد بشارة مرحمة يحتقه وأبقى عليه بيارقه أي العساكر التي تحت رايته الخاص ظانا أنه يحقق هذه الغاية ويشكر الله عليها • فالمذكور افتكر الخلاف وبدأ بنوع الاعراضات • وأخيرا بدا يحسن بأن يعطي متسلمية البلاد للمشايخ وبذلك تحصل الراحة للبـلاد ويمتنع الخلل الواقع من خوف الناس من شرهم • وحـرر للمشايخ وعرفهم بأنه ساعي لهم باتمام هذا الامر • وحركهم لان يتعصبوا لـه ويطلبوه ويلحوا بطلبه وبتحريره ومراجعاته يحصلوا عليه • والمشايخ استمالوا لاقواله وحـالا

استحضروا خليل أيوب من قرية قانا وأرسلوه لعكا بهـذه المصلحة وبوصوله تكلم اللازم وتجاوب بالكفايـة ان هذا غير ممكن وانما أعطي الجواب ليس قاسيا لان أمر تأمينهم كان من عهد قريب لان تحصل عندهم المزاولة من قساوة الجواب فخليل أيوب ما لاحظ هذه الملاحظة بل افتكر بأنه من هـذا الجواب الاول ربما اذا حصلت المراجعة يتم المراد • فغاب كـم يوم ورجع وبيـده اعراض من بكر آغا واعراض من المشايخ • وبوصوله اذ قدمهم انقلب ظنـه لانه حالا سمع الكلام القاسي وأمره بأن يرجع على عقبه ويقول لهم انهم اذا لم يكونوا شاكرين الله على النعمة التي حصلوا عليها فيتركوا ويقوموا يرجعوا لمحلاتهم • وبما انهم هم الذين نكثوا فالله سينكث بهم • وان معهم الامـان لحين يقوموا بعيالهم وأولادهم وكل من يتبعهم ويرجعوا الى الوعور محـل مكامنهم بشرط ان لا يقارشوا ولا يأخـذوا شيئا من الاقليم ومتـى كمنوا كموائدهم يفعلوا كما يريدوا وحينئـذ يعرفوا ذواتهم ان كانـوا خاسرين أو كاسبين • ثم حرروا الجواب من علي آغا يتضمن الملام الكاي عـلى مداخلته بمثل هكذا قضايا وأقسم له يمينا مغلظة اذا خربت بلاد بشارة حجر على حجر وما بقي فيها أحد فلا يمكن ان يتم هـذا الامر بوجه من الوجوه الى ما شاء الله • وبعد الآن ان راجع بهكذا خصومات فلا يلوم الا نفسه • وهكذا تحرر للامير بشير بتخبير ما امتدوا اليه من كونه كفيلا لهم ورجع خليل أيوب بغاية الغم وبعد أيام صدر الامر بقطع خرج بكر آغـا المذكور عزلـه وتصرفه من الايالة لاجل قطع دابر وتحذر من ابداء أدنى حركة فأخذ علائقه وتوجه لحـال سبيله وهكذا انتهى أمر المشايخ المذكورين وسكنوا في محلاتهم من بعد ذلك وأرسلوا معروضات التواقيع بالعفو عما بـدا منهم وبرروا أنفسهم بأن أصل هذه الحركة ما كانت (١) منهم بل من بكر آغا وانه تعهد باتمامها •

★ ★ ★

---

(١) لاحظ ص٣٤ ـ ٣٥ من تاريخ ولاية سليمان باشا طبعة أولى سنة١٩٣٦ •

« مـا يلاحظه الباحث »

يلاحظ من سياق كلام المؤرخ ابراهيم العورة : ان مشايخ المتاولة لـم يبتدأوا سليمان ويتقدموا اليه بطلب الامـان كيفما اتفق لهم ، وانمـا الباشا نفسه هو الذي حرص أولا عـلى استجلاب المشايـخ وتأمينهم بأي وسيلة يقتنعون بها ويرضون عنها ليرتاح العبـاد من شرهم وضررهم وتعمر البـلاد باتفاق الدولة معهم .

ومن تكن هذه غايته من استجلاب المشايخ وتأمينهم يستبعد منه ان يفكر بابعادهم عن حكم بلادهم أو بأن يبادرهم بمثل هذه الشروط المجحفة التـي افترضها المفرضون مـن رسل الامير بشير ، ثم لفق لهـا المؤرخون خلفياتها وعللها بحيث تصبح بنظر القارىء العادي ضرورية وطبيعية ؟!

ولو أن مشايخ المتاولـة ركنوا أولا لاقتراحات الضابط بكر آغا لمـا وصلوا لمثل هذه الحالة المذلة والنتائج الخاسرة التي فرضت عليهـم واستغلها الامير بشير للقضاء على نفوذهم وتطويقهم سياسيا واقتصاديا وعسكريا بأثقل القيود والشروط المحرجة : كما استغلها للتقرب مـن الباشا وكسب رضـاه وتقديره أو لزيادة الاعتبار والشهرة والامتياز ، اذ بها ـ على حد قول ابراهيم العورة ـ ينال التقدم على سائر عشائر الديره ويحظى بطاعتها الدائمة له بحيث يتمكن بأي وقت أن يعصيها على الدولة وان يطوعها .

وعليه فهل تظن ان التماسات الامير بشأن مشايخ المتاولة كانت خالصة من المكر والخداع ؟ وان غضب الباشا منه كـان غضبا حقيقيا ؟ أم انه فـي الواقع نوع من التصنع والتمثيل على أعين المنكوبين من مشايخ المتاولة ؟

ولو كان اولئك المشايخ على ما يجب أن يكونوا عليه من الوعي والحزم وبعد النظر لتصلبوا في مطالبهم الاصيلة ولم يستجيبوا لشرط من الشروط أو يشتركوا في حرب من الحروب مـع الباشا والامير ، الا بعـد أن تستجاب مطالبهم الاصيلة بكامل شروطها أو يضمنوا لهم تحقيقها .

ولكانت حجتهم ـ بأنهم لا يستطيعون فرض ارادتهم على المتاولة ما دامت بلادهم محكومة لغيرهم وليس لهم سلطة رسمية على أهاليها ولا عندهم ايرادات كايرادات أمير لبنان تساعدهم على القيام بنفقات بعض الشروط المفترضة كالالتزام بنفقات ألفي راجل وفارس سنويا تكون مهيئة عندهم للحرب مع الدولة متى دعوا ـ لكانت حجتهم بذلك حجة واضحة بالغة الاثر، تدحض كل ما لفقه الوسطاء من عبائر التهويل والتخويف فيما يراد تركه من المطالب والشروط ، وكل ما اصطنعوه من جمل الترغيب فيما يراد قبوله من الشروط والقيود المحرجة المرهقة ، كالارتهان بكفالة من الامير لهم كأنهم كانوا قاصرين أو مديونين بمال ؟ وكالرجوع للامير في الاحكام الجنائية الغليظة وما قاربها من المشاكل ؟؟

* * *

« مظاهر الاصطناع والتمثيل »

ولتدرك مظاهر التصنع والتمثيل في قضية الصلح هذه لاحظ ما يرويه المؤرخ ابراهيم العورة عن سليمان باشا عندما سمع من جريس باز بحكاية اقتناع مشايخ المتاولة بالصلح عن طريق الامير بشير : اذ يقول « وبعد مذاكرة جريس باز مع الباشا انحظ سليمان باشا بالباطن من مداخلة الامير بهذه القضية . وبالظاهر استعمل شامة الحكم والرصانة وعدم الخفة وبنوع ما أظهر الصعوبة بقبول التماسات الامير العديدة بخصوص المشايخ ، وتنازل لان يقبل بعضها ، والاثنين (الامير والباشا) استعملوا المحارفة مع بعضهم بهذا الخصوص ؟؟ » .

ومما يدل على تآمر الامير بشير مع الباشا على مشايخ المتاولة ، عزل الضابط بكر آغا الارناؤوط ، بعد ذلك لانه حين عرض على مشايخ المتاولة فكرة العفو والامان من قبل الباشا لم يكن يفكر بشيء من هذه الشروط المحرجة التي افترضت فيما بعد على المشايخ . وانما كان يفكر بما كان يفكر به الباشا من استجلاب المشايخ وتطمينهم بأي وسيلة يطمأنون لها ويرضون

عنها ، ولم تكن فكرة كف يد المشايخ عن حكم بلادهم واردة لا في ذهن الباشا ولا في ذهن الضابط قبل ان يتدخل الامير وحاشيته المختارة لتخطيط المؤامرة والتلبيس على المشايخ .

ولعل الفكرة الطبيعية التي تشغل بال (الضابط والباشا) هي اعادة المشايخ الى حكم بلادهم مضافا الى ذلك كل ما تقتضيه راحة العباد وعمار البلاد من شروط تشمل عمار اقليم الشومر وغيره من المقاطعات والقرى ، ذلك بأن اعادة مشايخ المتاولة الى حكم بلادهم لا تتنافى مع ما يشترط عليهم من عمار البلاد وراحة العباد ، ولا مع مصالح الدولة وسياستها المتبعة ، وانما يتنافى مع اغراض الامير واطماعه وسياسة مدبريه المشبوهة الخطط والاهداف .

واذا لاحظنا القول « بأن سليمان باشا (انحظ) وانسر لاول مقابلة قابله بها رسول الامير بشير وقدم له مطاليب الامير والتماساته الاولى بشأن مشايخ المتاولة وفي ضمنها اعادتهم الى حكم بلادهم كما كانوا فيما مضى : وانه كان بالامكان العمل بمقتضاها لو استقامت الطريق وجرت الامور بمجراها الطبيعي ولم ينقد الامير بسوء نيته نحو المشايخ الى الاشتراك في هذه التمثيلية التي تمثلت على أعين مشايخ المتاولة وقد غمرتهم أوهام الجهل والتلبيس وانحطاط الهمم . فاطمأنوا للمكر والخداع وقبلوا بكل ما فرض عليهم من شروط وقيود مرهقة مذلة تجعلهم آلة بيد الامير بشير .

★ ★ ★

« أدوار الممثلين »

ذلك بأن الباشا هو الذي ابتدء يستجلب المشايخ ويعمل على تأمينهم بأي طريقة لانه على قول ابراهيم العورة ـ لاحظ ان شر المشايخ وضررهم لا يقع على بلاد بشارة (وحدها) بل يشمل أيضا بلاد صفد ؛ ثم لاحظ انهم داموا على أعمالهم تخرب البلاد ولا يستفيد شيئا مما باشر بعمله لراحة العباد وتأمين البلاد واستجلاب النازحين وعمار الذيرة .

« دور بشير ، وباز »

ولكن الامير ـ بتداوله مع جريس باز ـ عقـد الامور وحـول معالم الاصلاح الى مؤامرة على مشايخ المتاولة كمـا يبدو من قول المؤرخ ابراهيم العورة « واذ حضر الشيخ جريس بـاز الى عكا (من قبل الامير) وقابـل سليمان باشا بكل كرامة وأظهر له كل الميل ثم قرر (أي قرر الباشا) ما تحمل لحافظته (من الامير) وبعد مذاكرات كليـة انحـظ (انسر) سليمان باشا بالباطن من مداخلة الامير بهـذه القضية ، وبالظاهر استعمل شامـة الحكم والرصانة وعدم الخفة وبنوع ما أظهر الصعوبة بقبول التماسات الامير بشير العديـدة بخصوص مشايخ المتاولـة ، وتنازل لان يقبـل بعضها ، والاثنين استعملوا المحارفة على بعضهم بهذا الخصوص ؟ لان الامـير التمس مطالب صعبة معلومة انها لا تقبل وهو يعرفها جيدا هكذا ؟ وانما قصد بذلك توسيع المقال فاذا قبلت كلها أو قبل بعضها يعلن المشايخ بأنهم لاجـل التجائهم اليـه فعل معهم هذه الخدمة العظيمة التي ما كانوا يأملون بعضها لولا التجائهم اليه ووضع يده بأمورهم وبذلك يجعلهم كأنهم صاروا من رعيته . واذا بعد الجهد قبلت (من المشايخ)فيعلن سليمان باشا بأنه لاجـل خاطره أرغمهم بقبـول أوامره حسبما شاء وانـه لولا مداخلته بأمورهم وانقيادهم لـه لا يمكن أن يقبلوا ولا يدموا الطاعة ، وبذلك ينال الفوز والتفوق ؟؟

* * *

« دور الخوري سابا » (١)

ويقول المؤرخ « ثم توجه الخوري سابا (من قبـل الباشا) واستعمل حسن التوسط (مع الامير) وغـير الامير بشير الآراء الاولى معـه وخففوا الالتماسات المطلوبة سابقا ثم رجع الخوري سابا (من دير القمر) الى عكـا

(١) ان الخوري سابا هو من رهبان دير المخلص النابهين المحنكين بسياسة عصرهم ، وحسبك ان تعلم بأنه من دير المخلص لتعرف انـه كان يعمل بوحـي الامير ووحي القنصلية الفرنسية يومئذ .

وقرر (للباشا) ما قد تم بينهم (في الدير) ثم رجع الخوري ثانيا الى عند الامير بشير ، وبعد مداولات كثيرة قر الرأي فيما بينهما على الشروط (الاخيرة) والامير أعطى التعهد بها للخوري وللباشا ، قبل أن يعرضها على مشايخ المتاولة ؟

ثم عرفهم) بعد (ان هذه الشروط قدم الالتماس بها ووهم عليهم انه لولا خاطره ما كان سليمان باشا قبل بذلك ؟ فقبل المشايخ بها ، ثم تسلسلت الحوادث والادوار السياسية على ما اقتضته هذه الشروط حتى سنة ١٢٣٧ هـ

★ ★ ★

« الدور الاخير في اللعبة »

كان سليمان باشا أحد مماليك الجزار الثلاثة الذين أهداهم له ابراهيم بك حاكم مصر ، وقد نال حضوة كبيرة فجعله حاكما في صيدا وسعى له بلقب باشا ثم وزير •ومهد له الاتصال بحكام لبنان وقناصل فرنسا وعملائها وارسالياتها التجارية والدينية ؛ ولكنه مع هذا كله تآمر على الجزار وثار عليه مع المماليك سنة ١٢٠٣ هـ وحاصر عكا ليقضي عليه ويحل محله في الحكم (١) وبعد فشل المؤامرة عاد الى الجزار فعفى عنه ـ على خلاف طبع الجزار وعادته ـ وأرجعه الى متسلمية صيدا بضغط الظروف أو الضغط السياسي والاغراء المالي من قبل الذين حفزوه للانقلاب على الجزار •• ومع ذلك ظل مع المتآمرين يترقب الفرص المواتية الى أن مات الجزار سنة ١٢١٩ هـ فعادت المؤامرات سرا وجهرا تعمل عملها الى أن عزل اسماعيل باشا الذي اختاره مجلس ولاية عكا وطلبوا من الباب العالي في الاستانة ان يقره بمنصب الجزار ، ولكن الدولة ـ لامر ما ـ عينت ابراهيم باشا والي حلب في مكانه، وبعد أشهر من الدفاع عن مركز ولايته في عكا ، عزل هوايضا وتعين في مكان سليمان باشا الذي كان تابعا له في مأمورية عكا •

---

(١) لاحظ ص ٩٣٨ ـ ٩٤٠ من العرفان م (٦٢) ج ٨ •

وبعد فهل وقفت المؤامرات عند حد معلوم أم ظلت في الخفاء والعلن تعمل بطرقها المشبوهة الشائكة حتى سنة ١٢٢٤ هـ ؟؟ حيث يقول المعلم ابراهيم العورة ما خلاصته ونصه : « وفي هذه السنة (١٢٢٤ هـ) هاجم الوهابيون بلاد الشام فاستنجد والي الشام يوسف باشا كنج بوالي عكا سليمان باشا ، فتجهز سليمان باشا للحرب وأرسل للامير بشير ان يوافيه باللبنانيين والى الشيخ فارس الناصيف أن يوافيه بالمتاولة ، وتهيء الجميع للقتال :

ثم يقول المؤرخ « وكان سليمان باشا قبل ذلك قد أرسل هدايا ثمينة للاستانة وقدم عرائض يطلب فيها مطاليب (يعني يطلب ولاية الشام) فجاءه في الوقت المناسب وعند استنجاد والي الشام به ـ رسول سري يحمل مرسوم سلطاني باسناد ولاية الشام اليه وعزل يوسف كنج عنها • فكتم الخبر الا عن الامير بشير والخزندار والصراف ، وسار بعساكره وعساكر اللبنانيين وعساكر المتاولة نحو الشام وعندما وصلوا الى المزيريب قرب طبرية كان يوسف باشا قد شعر بمقاصد سليمان باشا وأسراره ، فعاد الى الشام وجهز جيشا كبيرا وتوجه به نحو داريا والجديدة (في وادي العجم) وهناك دارت معركة دامية بين عسكر سليمان باشا وعسكر الشام فانكسر يوسف باشا وتراجع الى الشام وأخذ ما أمكنه وانهزم • فاحتل سليمان باشا مكانه في ولاية الشام ، ثم تلى المرسوم السلطاني بتعيينه على ولاية الشام •

ولما رجع الامير بشير ومشايخ الدروز ومشايخ المتاولة كل الى مكانه صار مشايخ المتاولة يحررون للامير ويطلبون منه القيام بوعده وتوسطه مع الباشا لان يعيدهم الى حكم بلادهم كما كان آباءهم ، فحرر الامير بشير ـ على ما يقوله ابراهيم العورة ـ الى سليمان باشا يلتمس منه اعادة المشايخ الى حكم بلادهم مكافأة لهم على خدماتهم وخدماته وذلك بجمع الجرود والاشتراك في خوض المعارك التي انتصر فيها سليمان باشا على عساكر الشام ، فأجاب سليمان باشا بالرفض ، ولما كرر الامير بشير عليه الطلب غضب الباشا ـ كما يقول المؤرخ ـ وأجاب بما خلاصته ونصه :

« ان الذي نعلمه بموجب سنده المحفوظ عليك في حربتنا ، ان أول شرط عليك بحكومة الجبل اللبناني انك في أي وقت كان وفي أي ساعة كانت تحضر بدون تأخير أنت وكامل رجال الجبل للحرب والقتال فتجمعها وتبقى فيها الى حين النهاية بدون ان يتكلف الوالي تقديم شيءمما يلزم لمصاريفها ؛ لا ماهيات ولا علايف ولا عليق خيل ولا مأكول ولا شيء ، ولاجل ذلك صرت مفوضا بحكومة الجبل وتتناول كل ايراداته ما عدا الجرم الغليظي ، وان يكون لك التزام جبل لبنان مؤبدا مدة حياتك بدون تعب ولا مشقة ولا تقلب ولا تقديم عبوديات شاقة في كل وقت كما كان يحصل في الايام السالفة التي بلغ مجموعها وقت وفاة سلفنا الجزار ستة عشر ألف كيس ؛ فاذن حضورك بالجرود (العساكر) ليس فضلا منك ولا منة كما ظننت بل فعلت بما يجب عليك » .

واذا ما أفاد معك جميع ما استعملناه نحوك فافعل ما تريد وأنت مأذون أن تتفق مع مشايخ المتاولة وتفعل معهم ما تريدون ؟؟ وأنا مستعد لكل أمر يأتي ومن حنث فانما يحنث على نفسه ؟؟

لاحظ ص ١٢٨ ــ ٣٩ ــ ١٤٢ من تاريخ ولاية سليمان باشا ثم لاحظ هذه الاساليب التي اشترك في تمثيلها كل من الامير والباشا .. لتعرف أن الذين اشتركوا في وضع شروط الصلح الاولى بين الباشا ومشايخ المتاولة واصطنعوا ما اصطنعوه من أساليب المكر والخداع .. لا يمكن أن يصدقوا القول معهم في المرة الثانية أو يعجزوا عن تمثيل ما قد مثلوه معهم أولا من أساليب حين احتاجوا اليهم في الحرب وحين انقضت حاجتهم اليهم فيما بعد .

★ ★ ★

« وثائق تنص على اختلاف مشايخ المتاولة »

يقول الشيخ عبد المحسن الظاهر : « بعد مقتل الشيخ ناصيف النصار ومهاجرة العشائر واسترضاء الدولة عليهم بواسطة الوزير سليمان باشا تنازع الرئاسة ولداه الشيخ محمد الناصيف وهو الاكبر وأخوه الشيخ فارس وهو الاصغر غير أن مؤهلات الشيخ فارس كانت أوثق وأكثر لذلك نرى معظم العشاير قد انضمت اليه وسترى بيان ذلك في الصك المعطى له .

بعد أن استرضى سليمان باشا الدولة على العشائر آل الصغير وآل منكد أرسل اليهم ليحضروا عنده كي يعوض عليهم بدلا عن أملاكهم وقلاعهم فأرسل الشيخ فارس يبلغ العشائر مضمون رسالة سليمان ويطلب اجتماعهم ليقرروا يوما يتوجهوا فيه لعكا حيث مقر الوزير فالشيخ محمد الناصيف نظرا لسوء التفاهم بينه وبين أخيه لم يتربص حتى تجتمع العشائر ويسيروا جميعا بل توجه فورا ومعه أخاه نصار وابن أخيه أسعد وابن عمه هادي لمقابلة سليمان باشا ولدى الاجتماع به ادعى الشيخ محمد الناصيف أنه أكبر اخوته الست وله حق بالرئاسة دونهم وقص على الباشا منازعة أخيه له فطيب الباشا خاطره ووعده بكل خير وان كان يعلم ان الشيخ فارس أجدر بالرئاسة وأكثر العشائر تميل اليه غير انه رأى بالشيخ محمد الناصيف رجلا صادقا وذكاء نادرا مما حببه اليه وقربه منه .

فكتب له الوثيقة التي أثبتها سابقا العلامة الشيخ سليمان ظاهر وهذه هي : لاحظ ص ٥١١ من العرفان «٣٩»

الوثيقة الاولى :

وهي موقعة بما هذا لفظه « الحاج سليمان والي صيدا ومتصرف لواء غزة ويافا » ومؤرخة في ٢٩ رمضان سنة ١٢٢٠ هـ وهذا نصها :

« قدوة الاماثل والاقران متسلمنا في تبنين وهونين الحاج ابراهيم زيد قــدره

بعد السلام التام المنهي اليك حضر لهذا الطرف افتخار المشايخ المكرمين الشيخ محمد الناصيف وحصل على صفو الخاطر الكامل من جهتنا والآن قد سمحنا للمذكور في قرية الطيبة يتصرف بموسمها هذا العام وفي العــام القابل يمشيها مطلقا في كيسه ويستغلها من غير ميري فلا تقارشوه بالقيمة المذكورة وقد أمرنا للمذكور بانعامه في كل شهر خمسمائة غرش تدفعوها له من طرفكم وابتداء ذلك من الشهر الداخل الــى أن يكون طلــع الموسم القادم تنقطــع الشهرية المذكورة •

وكذلك أمرنا له بعشر غراير حنطة وعشر غرايــر شعير تدفعوهم له من طرفكم وكذلك سمحنا الى أخيه الشيخ نصار الناصيف والى أسعد الخليــل والى هادي المقبل في قرية « طير فلسيه » مطلقا يتصرفوا بها بهــذا العــــام ويمشوها على كيسهم في العام المقبل وأمرنا للمذكورين بانعام شهرية الــى المذكورين تسعين غرش في كل شهر ابتدأها غــرة الشهر الداخل وحين طلوع الخير تنقطع الشهرية المذكورة فهذا المنوال مشــوا المشايخ المذكورين عليــه ولا يصير منكم تصور في مساعدتهم ومراجعاتهم وتركين أحوالهم على ذلــك والسلام » •

وعلى هامش الوثيقة ما يلي « ومزرعة عدشيت تابعة للطيبة في تصريف الشيخ محمد المذكور اعلموا ذلك » •

أما خط الوثيقة فمن نوع خطوط « الفرامانات » التي كانت متبعــة في السلطنة العثمانية •

لاحظ ص ٣٧٧ م (٣٧) من العرفان

★ ★ ★

ثم يقول الشيخ عبد المحسن :

« وبعد أيام قليلة من رجوع الشيخ محمد الناصيف توجه أخوه الشيخ فارس الناصيف ومعه أماثل العشائر الثلاث لعند سليمان باشا بعكا فاستقبلهم بأحسن ما يكون وأخبرهم ان الدولة العلية قد رضيت عنهم وتريد التعويض عليهم بدل أملاكهم التي سلبها الجزار ظلما وعدوانا وقد جرى قيد قسم منها على اسم الدولة (رأس العين والمطاحن والقلاع وقسم جرى قيده على اسمه واسم أتباعه لذلك قررت وزارتنا برخصة من الباب العالي اعطاءكم اقليم الشومر على ان تكونوا محافظين على حقوق الدولة ممتثلين أوامرها راضين بأحكامها مساعدين حكامها في كل ما يقتضيه الحال فرضيت جميع العشائر بذلك وشكروا مساعي الوزير على هذا الانعام وكتب لهم الصك الذي نحن بصدده (وهذا هو نصه بالحرف) (نسخة طبق الاصل) .

(بيان بالمحلات التي أنعمنا بها على ولدنا الشيخ فارس الناصيف) وباقي حمولة آل الصغير وعلى مشايخ حمولة الصعبية بأجمعهم وعلى مشايخ حمولة المناكرة بأجمعهم مع حسين ابن جواد منصور لاجل معاشهم ما عدا الذي مسلمين قبل تاريخه لولدنا الشيخ محمد الناصيف واخوه نصار والشيخ شبل ابراهيم والشيخ مرعي الصعبي والشيخ دندش ونصر الله وعلي الحمزة وبندر الحمزة فهؤلاء معاشهم معين من طرفنا وحررنا لهم بذلك دفترا بتاريخ ٢١ جا سنة ١٢٢٠ .

سليمان

المطرية ، مطحنة المغيرية ، الواسطة ، الوسامية التحتا ، الخرائب وتوابعها ، جمجيم ، ارزية ، مغراقة القاسمية ، سينيه ، دير تقلا ، القاقعية ، المروانية ، عدلون ، الوسامية الفوقا ، البيسارية ، خربة الدوير ، خرطوم ، عين أبو عبد الله ، شتوية العربان ، البابلية ، الداوودية ، براك الزور ، اعداد ماعز الغربية ، مزرعة القرية ، الحارثية ، مزرعة النبي ساري ، زيتون بكليك

الروانية ، تفاحتا ، الغسانية ، مغارة محيدلة ، سمتية العربان ، السكسكية ، الياهودية ، الجديدة ، زيتون بكليك الزرارية ، اللوبية ، الكوثرية ، كفربدة ، زيتون بكليك القاقعية ، زيتون بكايك الشعراني ، زيتون بكليك البابلية .

هذه القرايا التي أنعمنا بها على ولدنا المومى اليه وباقي مشايخ الحمائل المذكورين أعلاه وجواد بن حسين منصور .

٢١ جا سنة ١٢٢٠ **الامضاء**

سليمان

وعلى هامش الصك مكتوب بخط ممتاز .

طلب منا المشايخ المذكورين أعلاه بأن نجدد لهم الدفتر الذي بيدهم من المرحوم سليمان باشا طاب ثراه الذي تاريخه ٢١ جا سنة ١٢٢٠ هـ وقد جددناه لهم بتاريخه وأجرينا لهم ذلك في ١٥ د سنة ١٢٣٧ .

الامضاء

امين الحاج محمد يوسف
والي الشام وصيدا وطرابلس
الطوسية عبد المحسن القاهر

لاحظ ص ٥١١ ــ ٥١٤ من العرفان م ٣٩

* * *

ما يلاحظه الباحثون

* * *

يلاحظ من القرائن التاريخية ان الشيخ محمد الناصيف ومن جرى مجراه في الذهاب فورا الى عكا ــ كانوا أن كان جلهم من الموالين لدولة الجزار كما يبدو من تاريخ الامير حيدر شهاب حين يقول عن مرعي الصعبي انه كان في جيش الجزار (١) .

(١) لاحظ ص ٤٢٢ من لبنان في عهد الامراء الشهابيين .

وعلى هذا فلا يكون مرعي وزملاءه من الطواح والمتمردين الذين حرص سليمان باشا على تأمينهم ومصالحتهم ، وبهذا الاعتبار ينبغي ان يكون ذهابهم الى عكا متأخرا عن ذهاب الطواح مع فارس الناصيف اليها ، اذ لا خلاف بينهم وبين الدولة يوجب السرعة اللهم الا ان يكون ذهابهم لمجرد المزايدة على معارضيهم ومنافسيهم •

ولعلهم أعطوا معاشاتهم في قرى الطيبة ، وعدشيت القصير ، وطرفلسيه لانهم لم يعطوا شيئا من قرى الشومر ، ولئلا يكونوا مغبوتين بموالاتهم للدولة ومحالفتهم للمتمردين عليها من أهالي البلاد ، او لانهم بخلاف غيرهم من المشايخ أحرار غير مقيدين بالسكنى ضمن قرى الشومر ؟

ولعل هذا الخلاف بين مشايخ المتاولة هو الذي مكن الامير بشير ومديريه من ان يلعبوا لعبتهم في السعي لكف أيدي المشايخ عن حكم بلادهم وتقييدهم بتلك الشروط المحرجة ثم حصرهم ضمن قرى الشومر كما يتضح من شروط الصلح وملحقاته •

ثم ينبغي ان يؤخذ بعين الاعتبار والواقع انه لم يكن يومئذ للمشايخ الاقطاعيين (كل الاقطاعيين) من أملاك سوى العقارات المبنية من دور وخانات ومخازن ومطاحن ، واما البساتين والكروم فقد كانت قليلة نادرة عندهم لانهم قلما كانوا يميلون لغرس الاشجار بل كان جل اعتمادهم على زرع الحبوب ، اذ لم يكن للاستقرار والامان ما يضمنه في عهودهم ، ذلك بأن قطع الاشجار كان وسيلة للتنكيل ببعضهم عند الخصومة والحرب •

أما القرى والاراضي السليخ فقد كانت ملكا للدولة تعطيها للمقاطعجية بالضمان والالتزام أو تأخذها منهم حين تولي غيرهم عليها أو حين يتخلون عنها اذ لم تكن ممسوحة باسمهم ولم تكن مساحة يومئذ تلزمهم بها وتخولهم التصرف بها ، وما أعطي لهم من قرى الشومر أعطيت معاشات لهم لكي يعمروها بالحرث أو الفلح ويكفوا أيديهم عن حكم بلاد بشارة والشقيف والتفاح ويحصروهم في نطاق ضيق من قرى الساحل التي كانت جلها مهجورة

باثرة ومن القرى الجبلية التي لا تقل ولا تعطي ثمارهـا الا بالتعب الشديد والعمل الدائم لان أرضها فرسية .

***

« ما يقوله المحدثون من مؤرخي المتاولة »

***

يقول مؤلف تاريخ جبل عامل الاستاذ محمد جابر « ورأى الوالي سليمان باشا وكان ــ سلس القيادلين العريكة ــ ما أصاب جنده من الفشل وما ألم بالبلاد من بؤس وشقاء فأيقن أنها سائرة الى الخراب التام حتما ، فمال الى اللين ، واستدعى الى عكا الشيخ علي الفارس عميد آل صعب فأقامه حاكما عاما في قلعة تبنين ، ولم يكن يجسر أحد على قبول ذلك المنصب بعد ذبح الحاكم السابق كما أشرنا ، ولم يقبل الشيخ علي الفارس ــ وكان شيخا محنكا ــ ذلك المنصب الا بعد اتفاقه مع زعماء الثوار (الطواح) على أن يسعى باجلاء جيش الاتراك والارناؤوط عن البلاد وارجاع الحكم الى أهلها » .

***

لاحظ ص ١٤٠ من تاريخ جبل عامل ، ثم لاحظ ما يقوله الركوني وهو من المعاصرين للحوادث ــ من ان الشيخ علي الفارس هذا كان قد توفي سنة ١١٨٩ هـ ودفن في قرية تبنين ، قبل حكم سليمان باشا بثلاثين سنة ، راجع ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦ من العرفان م (٢٨) .

***

ويروي مؤلف كتاب جبل عامل في التاريخ ويقول ما نصه « وفي سنة ١٢١٩ هـ في محرم توفي الجزار في عكا وتولى بعده وبعد برهة يسيرة تولى مكانه سليمان باشا وأرسلت الدولة راغب أفندي ناظر الخارجية بالدونما

الهمايوني (الاسطول) ليشترك مع الوالي في اصلاح ما أفسده الجزار • فاستدعيا فارس الناصيف ابن الشيخ ناصيف النصار • وابن عمه محمد البيك ابن الشيخ محمود النصار المعروف بأبي حمد ، وأظهروا لهما الاكرام والعناية والرعاية فاطمئنا لهما وطلبا منهما اعادة البلاد الى المشايخ كما كانت في عهدها الاول لانهم توارثوها سالفا عن سالف ، ومدنوها وأوجدوا فيهما المشاريع الحيوية المتعارفة في ذلك الزمن ، كالقلاع والحصون والمرابط ؟؟ والقناطر والمعابد ؟والبنايات ، والاسواق والآبار ، والمطاحن ، والاغراس ، ومنها جفتلك رأس العين وقسم كبير من بساتين صيدا ؟؟

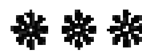
فأجابهم بعدم امكان ذلك بعد ادخاله في واردات الخزينة منذ خمسة عشر عاما ثم تم الاتفاق على اعطائهم مقاطعة اقليم الشومر برمته ؟ عوضا عن أملاكهم المغصوبة المتفرقة في سائر البلاد ، وأجريا (ترقين) أي اخراج قيد (أو قيود) هذه المقاطعة من ذخائر الخزينة ووزعت الضريبة الموضوعة عليها من أموال وذخائر على باقي المقاطعات وأعطيا بها المراسيم العالية التي من جملتها ، انها مرفوعة القدم ممنوعة القلم ، يعني ليس عليها شيء من الضرائب بالكلية ، ولا تطأها أقدام الجبان ولا يجري في حسابها قلم المحصلية ثم عينا لبيت الرياسة مائتي كيس سنويا ؟؟ تدفع للرئيس من خزانة عكا ، وتدفع له ذخائر مرجعيون في كل سنة أيضا •

ثم ان سليمان باشا سأل عن المحل المناسب للرئيس فأجيب بعد الفحص ان قرية الزرارية هي أنسب الاماكن موقعا وأحسنها هواء فأعطيت للرئيس برمتها ، ثم أمر اللبنانيين فشيدوا البنايات المناسبة للعيال والاضياف والحكم وبنيت على نفقة الدولة ؟ ثم انتقل فارس الناصيف ومحمد البيك اليها ، وجمعا آل علي الصغير ، وآل منكر • وقسمت قرى اقليم الشومر ، ومزارعه بينهم كل بحسبه • وأصاب بيت الرياسة منها سهم وافر ، والرياسة كانت بيد الكبير من البيت الذي يتولى الرياسة من آل علي الصغير • وانما يتولاها من قبل الوالي ، وكان الكبير فارس الناصيف •

١ ــ لاحظ ص ١٧٢ من جبل عامل في التاريخ ، ثم لاحظ ان المؤلف في كل ما ذكره من حوادث وأمور مجهولة لدى القــراء ، لا يرجعنا فيمــا رواه عنها الى مصدر تاريخي معروف أو الى نص واضح •

٢ ــ ثم لاحظ بعد ذلك ما كتبه مؤرخ ولاية سليمان باشا ــ وهو مــن المعاصرين للحوادث ــ عن صلح مشايخ المتاولة مع سليمان باشا ، وقارن بين الروايتين •

٣ ــ ثم لاحظ ص ٥١١ ــ ٥١٤ من مجلــة العرفــان م (٣١) لاحــظ الوثيقة التي نشرها الشيخ عبد المحسن الظاهر عن صلح المشايخ مع سليمان باشا ، لتعرف مدى التباعد بين ما يقوله العلامة الفقيه في كتاب (جبل عامــل في التاريخ) وبين ما تنص عليه الوثائق والنصوص التاريخية ، أو ليتضح لك الفرق بين الحقيقة والخيال اذا لاحظت ما يقوله الركيني عن تاريخ بنــاء بيت فارس الناصيف في قرية الزررية سنة ١٢٢٨ هـ ، أي بعد توزيع قرى اقليــم الشومر ، على المشايخ بثمانية أعوام •



الثــورة الايرانيــة

أحسن ما قرأناه من الكتب مستندا الى مصادر علميــة تاريخية عربيــة وأجنبية عن هذه الثورة هو كتاب :

« الثورة الايرانية في أبعادها الفكرية والاجتماعية »

تأليف : « الاستاذ حسن الزيــن رئيس مصلحة الانعاش الاجتماعي » ، توزعه دار النهار لتوزيع المطبوعات ، سعره معقول • فعلى من أراد أن تكون عنده معلومات تامــة ومعرفة صحيحة عن الثورة الايرانية أن يقتني هــذا الكتــاب •

قصة الحياة ـ ملايين الحكايا
البرمائيات

بقلم : سعيد نحاس

لا زلت أذكر عصر ذلك اليوم حينما كنت في السابعة من عمري بصحبة أهلي في أحد المقاهي قرب دمشق . كانت الطاولات تصطف حول بركة كبيرة ، وفي صدر المكان كانت الفرقة الموسيقية الفرنسية تعزف ألحانا شتى . وكانت مجموعة من الاطفال مثلي تقترب من العازفين بشغف وحياء .

وتوقف العزف لفترة استراحة قصيرة بين معزوفة وأخرى ، وبدأ عزف من نوع جديد : كان أحد الضفادع يحدث أصواته المعهودة وكأنه يتحدى بذلك كل أعضاء الفرقة الموسيقية . وطبعا بدأنا نحن الصغار نبحث عن مصدر الصوت ، فاذا ما ألفينا ذلك الجسم الاخضر الصغير يقفز بخفة ورشاقة ، أصابنا الهلع وابتعدنا الى مسافة حذرة . عندها تقدم عازف البوق الضخم الجثة من الضفدع الصغير وقبض عليه مبتسما ، واقترب مني ومن أترابي وهو يتمتم كلمات بالفرنسية كانت توحي بأنه كان يريد اقناعنا بأن ذلك الحيوان مسالم ولطيف ! أعاد العازف الضفدع الى ما بين أحواض الزرع ، ثم شارك فرقته الموسيقية من جديد . واختفى نقيق الضفدع بين أصوات الطبل والكمان والبيان .

في ذلك اليوم ما كنت أعلم أن الفرنسيين مولعون بأكل أرجل بعض أنواع الضفادع . وما كنت أعلم ان الضفادع هي حيوانات اختبار مهمة في تدريس ودراسة العلوم الحياتية . والاهم من ذلك كله ما كنت أعلم ان تلك

المخلوقات تنتمي الى مجموعة من الحيوانات على قدر كبير من الاهميـة في السلم التاريخي لعملية التطور الحياتي : البرمائيات •

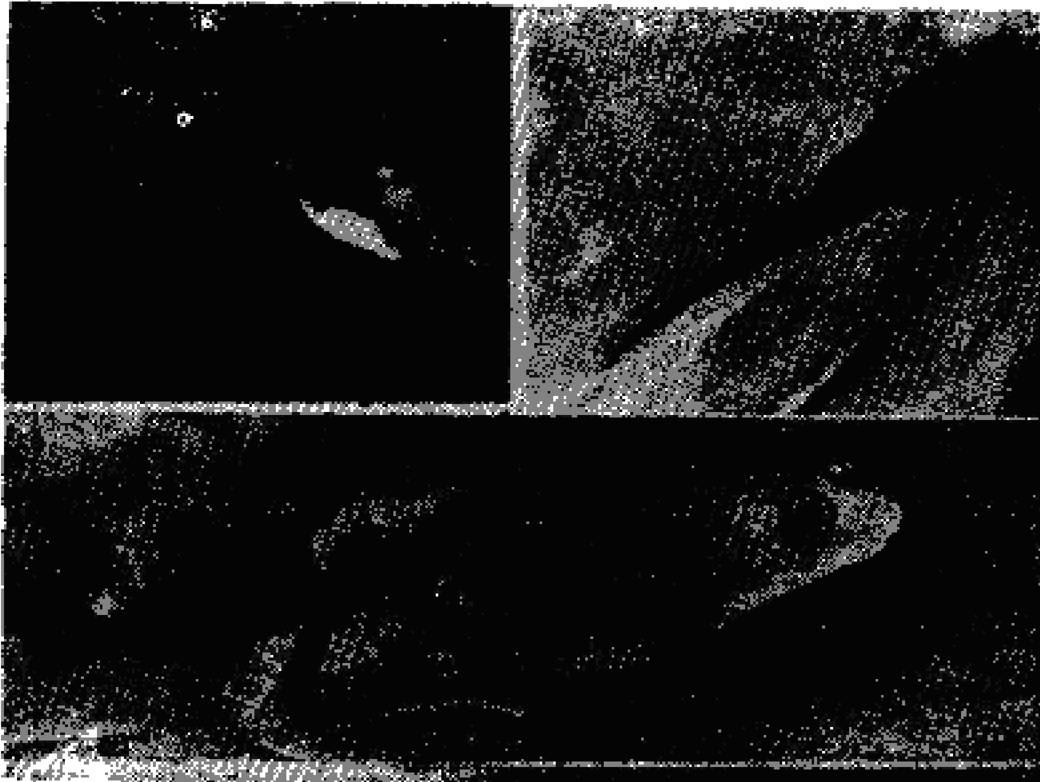
وتأتي أهمية البرمائيات من حيث أنها صلة الوصل بين الحياة في المـاء والحياة عـلى اليابسة • وبعبارة أخرى فـان البرمائيات هـي أول حيوانات فقارية (ذات هيكل عظمي) استطاعت أن تطور حياتها بحيث تخرج من الماء ـ حيث بدأت الحياة ـ الى اليابسة حيث لا زالت تستمر هذه الحيـاة • ان هذه التجربة الهامة في عمليـة التطور كانت السبب في نشوء جميع الكائنات التي تحدثنا عنها في حلقاتنا السابقة • فلولا البرمائيات لمـا كانت الزواحف ، ولا الطيور ، ولا الثدييات (بما فيهـا الانسان) • وبما أن عملية البرمائيات هذه كانت « محاولة » أو « تجربة » في الانتقال من الماء الى اليابسة ، فلذلك لم تستطع البرمائيات التخلص من المـاء تماما فهـي لا زالت تعيش حيـاة مزدوجة بين الماء واليابسة • ومن هنا كانت تسميتها • وحتى نفهم ماهية هذه التجربة ما علينا سوى أن ننظر في مراحل حياة الضفادع •

الطور الاول من الحياة

تبيض الضفادع عادة بيوضها بالآلاف • وتكون البيوض صغيرة الحجم جدا ومغلفة بمادة هلامية • تفقس البيوض وتخرج منها حيوانات صغيرة جدا يعرف أحدها باليرقـة أو بالشرغوف (انظـر في الشكل المرافق) • وفـرخ الضفدع هذا يعيش في طور حياتـه الاول هذا حيـاة شبيهة بحيـاة أسلافه الاسماك • فهو يسبح في الماء ، ويتنفس الاكسجين من الماء بواسطة أربعـة أزواج من الغلاصم • وهذا هو نفس جهاز التنفس الموجود لدى الاسماك • وكذلك فان قلبه يتألف من حجرين ، وله ذيل طويل يستعمله في السباحة •

يبدأ هذا الفرخ حياته كآكل للعشب بحيث تكون لـه أسنان قرنيـة • وأثناء تطوره يبـدأ ذيله بالاختفـاء بنفس الوقت الذي تبدأ فيـه الغلاصم بالزوال • عندها تبدأ الرئة بالتطور • وكذلك فان الاطراف تبدأ بالظهور في

منطقة الغلاصم (انظر الشكل) • تبدأ الاسنان بالتحول الى أسنان عظمية ، وتتغير بذلك طبيعة هذا الحيوان من آكل للعشب الى آكل للحم •



● الشكل يمثل طوري الحياة عند احد الضفادع

الصورة العليا الى اليمين : منظر جانبي لفرخ الضفدع وهو يعيش حياته المائية ويسبح ويتنفس مثلما تفعل الاسماك .

الصورة العليا الى اليسار : منظر علوي للفرخ والارقام الموجودة على الشكل تشير الى ما يلي :

١ ـ احد الاطراف وقد بدأ بالظهور

٢ ـ منطقة الغلاصم

٣ ـ منطقة الراس وفيها العينان وأضحتان .

الصورة السفلى : الضفدع الكامل وقد ذهب الذيل وزالت الغلاصم وتطورت الاطراف الخلفية والامامية . لاحظ الغشاء الواصل بين أصابع القدم وقد أشرنا عليه بالرقم (٤) .

البرمائيات فلا بد من الاعتماد على أكثر من صفة واحدة لمعرفة ما اذا كان حيوان معين ينتمي الى البرمائيات أم لا • خصوصا عندما نتحدث عن أنواع البرمائيات غير الضفادع • فالضفادع سهلة المعرفة لان شكلها مميز وفريد من نوعه • أما السمندليات ــ وهي بقية البرمائيات ــ فان أكثرها تشبه الديدان • وطرق التكاثر في البرمائيات مختلفة • فالالقاح قد يكون داخليا أو خارجيا • والحيوان قد يبيض بيضا أو قد يلد ولادة • والبيضة قد يضعها الحيوان على اليابسة أو في الماء • وقد يتطور الجنين الى حيوان كامل مباشرة، أو أنه يمر بطور اليرقة • وقد يكون للحيوان ذيل أو لا يكون • حتى أن كلمة « برمائيات » غير صحيحة تماما فهناك عدد من هذه الحيوانات لا يخرج الى اليابسة مطلقا وانما يكمل حياته في الماء •

من الاسماك الى البرمائيات

الاسماك هي الاجداد المباشرة للبرمائيات • وهذا لا يعني أن البرمائيات تطورت عن الاسماك الحالية طبعا • بل ان هناك أسماكا بدائية انقرضت ؛ كانت البرمائيات قد تطورت عنها • ويبدو أن أنواعا من تلك الاسماك البدائية بدأت تهجر المحيط وتعيش في أماكن المياه العذبة ثم بدأت تكتسب بالاضافة الى الغلاصم رئة بحيث تستطيع التنفس تحت الماء وعلى سطح الماء كيفما تشاء • فاذا ما حدث واستغنت هذه الاسماك عن الغلاصم واحتفظت بالرئة ، فعندها ستضطر الى التنفس من الهواء فقط • كيف تصعد من الماء الى اليابسة اذا ؟ الجواب أنه كانت قد صاحبت عملية التطور في التنفس ، عملية تطور في الزعانف الصدرية والحوضية لتلك الاسماك بحيث تحولت الى أطراف تساعد الحيوان في الانتقال على اليابسة • والواقع أن البرمائيات البدائية لم تكن قادرة على العيش الكامل على اليابسة حتى ولو كان الحيوان بالغا • وانما كانت تنتقل بصعوبة من حفرة مائية الى حفرة مائية أخرى • وعبر آلاف السنين تطورت الى شكل يمكنها من العيش على اليابسة تماما كما يفعل الضفدع البالغ الآن • وقد يكون الحدث التاريخي الاول لانتقال هذه

الطور الثاني من الحياة

حينما يصبح الفرخ ضفدعا كاملا في غضون بضعة أشهر ـ وأحيانا أسابيع ـ ويزول ذيله تماما وتتكون له رئة بدلا من الغلاصم ، وتنمو أطرافه الخلفية والامامية ، يكون قد أصبح مستعدا للانتقال الى اليابسة حيث يبدأ حياة مختلفة كليا • فالتنفس الآن أصبح عن طريق الهواء بدلا من الماء • والانتقال صار بواسطة القفز بدلا من السباحة • ووجبة الطعام صارت من الحشرات والديدان بدلا من الاعشاب • تتزاوج الضفادع الكاملة النمو ، ويبدأ طور الحياة الاول من جديد !

المعجزة

ان هذا الانتقال من الماء الى اليابسة الذي يحدث الآن على مرأى البشرية في غضون شهور أو أسابيع قليلة هو بدون شك مثال فريد في التطور الحياتي السريع • فالانتقال من حيوان يتنفس الاكسجين عن طريق الماء الى آخر يتنفس الاكسجين عن طريق الهواء مثلا ، كان قد أخذ في الاصل من عمر الكرة الارضية ملايين السنين • حتى أن البرمائيات نفسها حين بدأ تكوينها كانت قد أخذت آلاف السنين حتى استطاعت الانتقال من حياة مائية كاملة الى حياة نصفها مائي ونصفها الآخر بري • وكما رأينا في الحلقة السابقة ، كانت قد مضت مدة طويلة أيضا قبل أن استطاعت بعض البرمائيات التخلص من الماء نهائيا والتحول الى زواحف •

هل هناك صفة عامة للبرمائيات ؟

ان وظيفة هذه الحيوانات الانتقالية من بيئة الى أخرى اضطرتها لان تتصف بأشكال وبعمليات متعددة مختلفة • حتى أنه من الصعب أن نجد صفة عامة مميزة مثلما وجدنا في حالة الثدييات حيث كانت غدد افراز الحليب هي الصفة الشمولية • وفي حالة الطيور كان الريش صفة مميزة • أما في

عندما تصبح الظروف المحيطة ملائمة ، يخرج الضفدع من سباته ويبدأ موسم التزاوج • وتتكرر عملية الحياة بحيث تفقس وتدخل اليرقات في طور الحياة المائية وحين تكبر وتتطور تصبح ضفادعا وتدخل في طور الحيـاة على اليابسة •

الضفدع الذي قد يأكل فارا

من ضفادع أميركا الشمالية ما يصل طوله الى عشرين سنتمترا ويكون لون ظهره أخضر أما الحلق والبطن فهما أبيض على الرمادي • عيونه مصفرة كبيرة • وأطرافه الامامية ليس فيها غشاء بين الاصابع ، بينما الخلفية تحـوي الغشاء •

تتواجد في أماكن تجمـع الميـاه • وتتغذى عـلى الحشرات والاسماك الصغيرة حتى أنها أحيانا تهاجم صغار الفئران • وأرجل هذا الضفدع الخلفية تؤكل من قبل الانسان •

تضع الانثى بيوضا قد يصل عددها الى خمس وعشرين ألفا على سطح بركة راكدة • هذه البيوض واليرقات التي تخرج منها تكون عرضة للافتراس من قبل الاسماك ، وحيايا الماء ، والحشرات المائيـة الكبيرة ، وحتى من قبل الضفادع الاخرى •

في الشتاء تدخل اليرقات مرحلة السبات قبل التحول الى ضفادع • وفي الصيف التالي تواصل اليرقة نموها • وفي بعض الاحيان تواصل اليرقة سباتها في الشتاء التالي وبعدها تتحول الى ضفدع •

والضفدع الذي يقفز الى علو متر

ويسمونه بالاجنبية الضفدع النمر • ويكون لون الجلد بني مخضر مع وجود نقاط بنية اللون • يقضي هذا الضفدع وقته في الحقول الرطبة مطاردا الحشرات والديدان والعناكب ويقفز قفزات عالية قد تصل الى المتر •

الحيوانات من الماء الى اليابسة قد تم منذ حوالي مئتين وأربعين مليونا من السنين .

والبرمائيات الحالية قليلة الانواع والعدد نسبيا ، مما يدل على أن البرمائيات مجموعة غير ناجحة تاريخيا بالرغم من أهميتها كصلة وصل في سلم التطور . وكأني بها قد وجدت فقط لتؤدي تلك المهمة الانتقالية . وعلى هذا فكأن البرمائيات الحالية ما هي الا تطور عن البرمائيات السابقة كعملية تحصيل لا أكثر ولا أقل .

الضفادع

يوجد من الضفادع ألف وثمانمئة نوعا مختلفة الالوان والعادات. فمنها الاحمر والازرق والاخضر والاسود والاصفر أو ما يمزج بين هذه الالوان . وبعضها يسبح والآخر يحفر والثالث يتسلق . والضفادع حيوانات لا عنق لها ولا ذنب . ويتميز كل نوع من الضفادع بنداء خاص يستعمله الذكر أثناء موسم التزاوج . وللضفدع لسان لزج يساعده على التقاط الحشرات التي يتغذى عليها بحيث يطلق لسانه بلمح البصر ليلتقط الحشرة أو الدودة التي تعلق على اللسان .

في الشتاء تدخل الضفادع في مرحلة سبات عميق لا تخرج منه الا في الربيع أو الصيف . وهذه العملية مفيدة لانها تجعل الحيوان يتقي البرد والجوع . ففي الشتاء الحرارة منخفضة جدا وكذلك فان عدد الحشرات التي يعتمد الضفدع عليها في غذائه يقل للسبب نفسه . وهكذا فان السبات الشتوي يجعل الحيوان يغنى عن الطعام والشراب طيلة فترة غيبوبته . يتخذ الضفدع لنفسه أثناء ذلك حجرا في الطين مثلا وأحيانا يغلف نفسه بمفرزات خاصة عازلا نفسه عن الوسط الخارجي . والنوم المستمر يبطىء العمليات الحياتية في جسم الضفدع وهذا هو السر في أن الحيوان يحيى طيلة تلك الفترة دونما حاجة الغذاء .

حين يخرج من سباته يبدأ الذكر باحداث أصوات تجتذب الانثى وذلك باستعمال كيسين صوتيين واحـد على كـل جانب من الحلق أمـام الارجل الاماميـة •

تضع الانثى بيوضها في المياه الراكدة فتفقس في أوائل الصيف وتتحول من يرقة الى ضفدع في خـلال شهرين • في الخريف تنزل الى القـاع وتتخذ حجرا في الطين تمضي فترة السبات الشتوي • وأحيانا تجتمع أكثر من عشرة ضفادع في مكان واحـد • ويقوم الجلـد هنا بعمليـة التنفس بامتصاص الاكسجين من الوسط المحيط •

الجوقـة الموسيقية

ويسمونه الضفدع « الكورس » لان ذكوره تحدث أصواتها مجتمعـة على شكل جوقة • وبهذا فان هذا الضفدع أكثر الضفادع ضجيجا • مع العلم بأن أكبرها لا يزيد طوله عن أربعة سنتمترات فقط •

فنون اخـرى

وهناك ضفدع يفرز سائلا أبيض اذا ما دخل في فم أو عيون حيوان آخر سبب له احساس بحرقة • وتضع أنثى هـذا الضفدع بيوضها واحدة بعـد الاخرى على شكل خيوط طويلة قد يصل طول أحدها الى أكثر مـن عشرين مترا • ويحتوي على أربعة آلاف الى عشرة آلاف بيضة •

وفي أميركا الشمالية ضفدع له صوت مثل صوت البطة •

السمندليـات

يختلف السمندل (أو السمندر) عن الضفدع بأنه لا يحدث أصواتا ، وانه يعتمد على حياة غاية في التحفظ والسرية • كما أن لـه مظهرا مختلفـا تماما عن مظهر الضفدع • فله ذيل وأحيانا يكون دون أطرافه • وقـد يعيش

في الماء ، أو على اليابسة ، أو داخل الطين •

وهذه الحيوانات صغيرة الحجم عادة مثل أكثر الضفادع • كما أنها مثل الضفادع ذات جلد رطب لا يحتوي على حراشف •

ومنها ما يبقى في طور اليرقة ولا ينمو الى حيوان كامل • وبذلك يحتفظ بغلاصمه ولا يستطيع العيش خارج الماء مطلقا •

وهناك نوع من السمندل يكمل عملية التحول هذه في أغلب الاحيان ولكن قد يحدث أنه يقرر البقاء في الماء والاحتفاظ بالغلاصم لسبب غير معروف تماما • وقد يكون السبب عائدا للعوامل البيئوية • فلقد دلت بعض التجارب على أن المياه التي لا تحتوي على مادة اليود تعيق عملية التطور •

ولقد نقلت بعض الحيوانات من أماكن لا تتوفر فيها هذه المادة الى أماكن أخرى تتوفر في مياهها هذه المادة فكانت النتيجة ان الحيوان واصل نموه وتطوره وتحول الى سمندل يعيش على اليابسة !

وفي نوع ثالث ، يضع الذكر مادة هلامية تحملها الانثى الى مكان وضع البيوض على الاعشاب والاوراق • بعد بضعة أسابيع تخرج اليرقات من البيوض • وفي مدة يومين تظهر الارجل الامامية وبعد يوم واحد أو يومين آخرين تظهر الارجل الخلفية (عكس الضفادع حيث تظهر الخلفية أولا) •

وفي خلال ثلاثة أشهر يصل الحيوان الى طول ثلاثة الى تسعة سنتمترات • ويستغني عن الغلاصم ، ويذهب للعيش على اليابسة •

البرمائيات والبيئة

ان الحياة في بيئة رطبة لم تتطلب من البرمائيات أن تطور جلدها بحيث يصبح مانعا لنفوذ الماء خارج الجسم كما هي الحال في الزواحف التي أجبرتها الحياة الجافة وأحيانا الصحراوية على تطوير الجلد كما رأينا في الحلقة السابقة • ولهذا فان البرمائيات لا تستطيع العيش في الاماكن الجافة •

تتحمل البرمائيات تغيرات واسعة في درجة الحرارة ولكل نوع حرارة عظمى وصغرى لا يستطيع تخطيهمـا • ضمن هـذا النطاق الحراري تتأثـر البرمائيات بالحرارة الخارجية فتكون أكثر نشاطا عندما تزداد تلك الحرارة •

تتغذى الضفادع على الحيوانا تالاخرى الصغيرة التي تتحرك بسرعة كالحشرات • وتتعرض الضفادع نفسها للافتراس من قبل الاسماك والحيايا والطيور والثدييات والانسان • أما السمندليات التي هي أبطـأ حركة مـن الضفادع فتتغذى على حيوانات بطيئة الحركة •

وتتعرض البرمائيات لمشاكل أخرى من البيئـة • فالجلد الرطب يشكل بيئة رائعة لبعض أنواع الباكتيريات التي تهاجم البرمائيات • وبعض أنـواع الذباب يضع بيوضه حول رأس بعض أنواع الضفادع • حينما تفقس البيوض تخرج اليرقات وتدخل أنف الضفدع ومنه الى الدمـاغ حيث تتغذى عـلى دماغ الضفدع الحي حتى تقضي عليه •

أكثر البرمائيات تعيش على الضفاف ولا تدخل الى المـاء الا في موسم التزاوج • وفي أكثر الحالات تأتـي الذكور الى المـاء أولا وتنتظر الاناث • ويتقرب الذكر من الانثى بطرق متعددة حسب نوع الضفدع ولكن في كـل الحالات تلعب بعض الغدد دورا هاما في تلك العملية حيث تنتشر هذه الغـدد في الجلد والرأس والذيل والفتحة التناسلية وتفرز افرازات تساعد على اثارة الانثى • تنتقل هذه الافرازات الى الانثى بصور مختلفة • منها ما ينتقل عن طريق الالتصاق المباشر أو ان الذكر يرش الانثى بالماء فينتقل مع المـاء بعض المفرزات وغيرها • والالقاح نفسه قد يكون مباشرا أو غير مباشر • وفي كلا الحالتين يبدأ الذكر والانثى بالاجتماع عـلى شكل أزواج • ومجرد اقتراب ضفدعين يحرض الذكر عـلى القبض على الانثى • وأحيانـا يحـاول ذكران القبض على أنثى واحدة • أو أن ذكرا يحاول انتزاع أنثى من ذكر آخر وتبدأ المعركة التي لا بد أن ينتصر فيها أحدهما • وفي حالات نادرة غريبة يجتمـع عدد من الذكور حول أنثى واحـدة وفي محاولتهم هذه قـد تغرق الانثى في

المـــــاء •

ولقد طورت بعض الضفادع نفسها للعيش على الاشجار بحيث أصبحت أصابعها متلائمة مع التسلق • ففي نهاية كل اصبع قرص فيه غدة تساعد على التصاق الضفدع على الاغصان أثناء التسلق • وأحيانـا تكون الارجل كبيرة بحيث تشكل غشاء ضخما يساعد على التصاق الضفدع على الاغصان أثنـاء التسلق • وأحيانا تكون الارجـل كبيرة بحيث تشكل غشاء ضخما يساعـد الحيوان على القفز والانزلاق بين غصن وآخر •

وبعض أنواع الضفـادع الاستوائية يتجنب النزول مـن الشجر الـى الارض أثناء موسم التزاوج وذلك بأن يضع البيوض في وسط الاوراق • وكل ورقة تنطوي على نفسها وتشكل عشا • وطبعا الحياة الاستوائية فيها الكثير من الرطوبة حتى على الشجر •

وبعض أنواع الاعشاش يكون على شكل « رغـوة » فالانثى تضـع البيوض في سائل يخرج من قناتها الناقلة للبيوض ويأتي الذكر محركا أقدامه حركة سريعة تقوم « بخفق » السائل فتتشكل الرغوة كثيفة •

البرمائيات والانسان

يهتم الانسان بالضفادع لانه في بعض الحالات يأكل أرجل بعضها • وفي حالات أخرى كان يستخدم السم الموجود في جلد بعض الانواع ويستعمله في رؤوس حرابه التي كان يحارب أو يصطاد بها •

وفي المخبر ساعدت الضفادع في تشخيص الحمل عند الانسان • وفـي أبحاث أمراض السكري •

وفي المدارس والجامعات كان الضفدع وسيلة التعليم الرئيسية في علوم التشريح • ولقد بدأت قصة الضفدع هذه منذ مئـة سنة حينما قـام العالم

الانكليزي الشهير هكسلي بتقديم محاضرات في البيولوجيا واستخدم الضفدع في التشريح • وبعدها صارت كل المؤسسات تستخدم الضفدع •

وتستخدم الضفادع من قبل الانسان كغذاء للحيوانات الاليفة التي يربيها •

انكلترة

رغيد النحاس

***

كتب ننصح القراء بمطالعتها

الشيعة في التاريخ

تأليف العلامة الشيخ محمد حسن الزين

في طبعته الثانية المنقحة والمطبوعة طبعا جيدا على ورق مصقول • لا نطيل الكلام عن هذا الكتاب لانه لا غنى للقارىء عن مطالعته ولكننا لا نغالي اذا قلنا انه أحسن ما كتب في هذا الموضوع بإجماع العلماء والمفكرين • فطالعه أيها القارىء تتحقق من قولنا •

باقات من الاسلام

تأليف الاستاذ شوكت المنلا

ومن أحق من الاستاذ شوكت المؤمن حقا والمسلم صدقا من الكتابة في هذا الموضوع ، انها باقات تضوع عبيرا وتسيل رقراقة بايجاز ولكنه واف واختصار ولكنه شاف ، عالج الاسلام من جميع جوانبه في نواحيه المدنية والتشريعية • كم تمنينا لو أن هذا الكتاب يطبع طبعة شعبية ليستفيد منه أكبر عدد ممكن من الناس وخصوصا الشباب • نهنىء المؤلف على نجاحه في عرضه للاسلام ونتمنى له النجاح والتوفيق والعمر الطويل • يطلب الكتاب من جميع المكاتب وثمنه سبع ليرات لبنانية •

الحث على العمل وقوة العزيمة

بقلم : الشيخ ابراهيم الجبالي
من علماء الازهر

قال رسول الله (ص) : « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » . أخرجه مسلم .

نعم : علو الهمة من الايمان ، والكدح في العمل مع الاستعانة بالله من أيمن نعم الرحمن على الانسان . لقد نرى قوما يزعمون أن معنى التوكل على الله الجنوح الى الكسل والرضا بالقعود في الزوايا ، منصرفة قلوبهم الى الاماني ، عاجزة هممهم عن الاعمال ، ولكن أجسامهم قادرة على نقل الجبال . فهؤلاء قد سلك الشيطان من نفوسهم مسلكا جعلهم منقادين له مطيعين لأوامره ، وهو يوسوس لابن آدم من الشر بما يرى أنه ناجح معه فيه ، موافق لرغباته في الاستماع اليه ، فاذا أتى واحدا من ناحية تزيين الشهوات ، جاء آخر من قبل تحبيذ التعدي والاستطالة ، وصور له الفخر كل الفخر في الايذاء ، وجعل له ذلك مصدر العلاء . ويجيء الثالث فيصور له السعادة في التكالب على الدنيا واحرازها من أي طريق : حل أو حرم ، عدل أو ظلم . ويجيء لرابع فيزهده فيها وينفره عنها ، ويرضيه أن يكون عالة على أبنائها يعولونه وهو قادر ، ويطعمونه وهو أهل لان يطعم العشرات لو أراد وعمل . ومتى رأى ابليس اللعين انقياد الانسان اليه بأي أسلوب ، بادر الى تزيينه وتصويره له بصورة الخير ، وذلك أخطر ما يدخل به على الناس .

● الى الذي سألني من البحرين بجمعية التوعية الاسلامية عن المشركين مثل اليابان والالمان وانهم في المقدمة ونحن في المؤخرة .

لقد يقتحم ابن آدم شيئا من أعمال الشر عالما أنه شر ؛ ولكنه ينقاد في ذلك لحركة شهوية أو ثورة غضبية ، فيستغفر الله من ذنبه وقتا ويتوب الى رشده فيكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم • ولكن الويل كل الويل لمن عميت بصيرتهم ، واستحكمت شقاوتهم ، فزعموا الشر خيرا والخير شرا ، والنفع ضرا والضر نفعا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا •

نعم : قد وردت أحاديث كثيرة ، وآثار شهيرة ، ترغب في الزهد والقناعة ، وتنفر من التكالب في الدنيا ، ولكن ليس معنى ذلك أن يكف المرء عن العمل المفيد المنتج الموسع لدائرة العمران ، واستخراج ما بث الله في هذا الكون من خيرات وثمرات ، بطريق الزراعة والصناعة وما أشبههما ، وانما معناه أن يكون مقتصدا في الطلب ، فلا يضيع دينه في تحصيل دنياه ، ولا يجلب دنياه من حيث حرم الله ، ولا يكون في سعيه وكده ظالما باغيا ، ولا جبارا طاغيا ، وأن يكون في استمتاعه بما أنعم الله عليه معتدلا : فلا يكون مقترفا للحرام ، ولا مسرفا في تناول الحلال • هذا هو المذموم في أمر الدنيا • أما السعي لتحصيلها من وجوه حلها وأداء ما فرض الله على عباده الذين أنعم عليهم بنعمها ، والاستمتاع بالطيبات من رزقها ، فلم يقل بذمه ولا تحريمه أحد : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » •

ترى العاجز النكس ، الضعيف النفس ، قد ركن الى القعود والكسل ، ورضي بمسامرة الاماني وغرور الامل • امتلأ قلبه من حب الدنيا والتطلع لملاذها ، وذابت نفسه حسرات على احراز القليل والكثير من خيراتها ، ولكنه ضعفت همته وصغرت نفسه ، فجعل نفسه عالة على غيره ، يتطلع لما في الايدي، ويتردد على الابواب ، ويقعد على الاعتاب ، ويتمرغ في التراب • عمد الى التجول للتسول ، وأصبح وأمسى يذرع الارض شرقا وغربا ، يقاطع المارة فيعطلهم عن مقاصدهم ، ويزعج بصيحاته المنكرة أولئك الوادعين ليستريحوا بعد أداء أعمالهم ، لا يكل ولا يمل ، ولو صرف بعض هذا الجهد في عمل

نافع لدر عليه ما يصون ماء وجهه • ولقــد يبتكر أحدهم مــن ضروب الحيل والتغرير ما يحتاج الى فضل ذكاء لو صرفه في النافـع لأفاد واستفاد • انهـم يصرفون من الجهــد العقلي والبدني ما لو وفقوا في صرفــه لكان خيرا لهم وللأمة جميعــا • ولكنهم رضوا بهــذه الصناعة الممقوتة وانخدع لهــم ذوو القلوب السليمة ، فلا حول ولا قوة الا بالله •

ان العبادة حدودا ، لا بل ان على العباد السعي في تحصيل الرزق مــن الوجه الحلال • وقد جاء « مــن الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهمــة بطلب المعيشة » • وقد ورد عن عمر رضي الله عنه أن جماعة أثنوا في مجلسه عــلى رجل بأنه مستغرق كل أوقاته في العبــادة ، وقالوا : انه خير منــا كلنا ، فقال لهم : فمن يعوله ؟ فقالوا : كلنا نعوله ، فقال : كلكم خير منه • وروي أيضــا أنه قال : « لا يقعدن أحدكم في بيته ويقول : اللهــم ارزقني فقــد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضــة ، ولكن اعملوا » وانظر ان شئت الــى قوله تعالى : « فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » وقوله جل وعلا : « هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » وقولــه تعالى : « وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله » •

وقد ورد عنه صلى الله عليــه وسلم أحاديث ترغب في الكسب والتعفف عن مسألة الناس ــ منها قوله صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » • ومنها أحاديث يقوي بعضها بعضا ، مثل « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » حسنه الترمذي • « أحل ما أكل العبد كسب الصانع اذا نصح » حديث حسن • « من طلب الدنيا حلالا تعففا عــن المسألة وسعيا على عياله ، وتعطفا على جاره ، لقي اللــه ووجهه كالقمر ليلــة البدر » • « ان الله يحب المؤمن المحترف » • وهــذان الحديثان وان ضعف اسنادهما فان في غيرهما ما يشهد لهما ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : «لان يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلا أعطاه الله مــن فضله فيسأله أعطاه أو منعه » حديث صحيح • وقوله صلى الله عليه وسلم :

« من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر » رواه الترمذي بالمعنى وقال : حسن صحيح ٠

كل هذا وما في معناه يدلنا على أن روح الدين روح عمل لا روح كسل، وروح اعطاء للمحتاج لا روح استعطاء من القوي الكسول ٠ ولا تحسبن من هؤلاء القعدة طائفة الهداة والمرشدين الذين نصبوا أنفسهم الى ارشاد العباد لما فيه مصلحة المعاش والمعاد ، وأخذوا على عهدتهم معالجة النفوس والارواح، وتنقية القلوب من أدران الفجور والشرور ؛ فهؤلاء مهمتهم في اسعاد البشر من أشق المهمات وأحقها بعظيم التقدير ٠ ولقد رخص للعاجز الضعيف أن يأخذ مما آتاه الله من فضله حسب حاجته لا بمقدار ما يجمع ثروة ويعيش في بلهنية ، ومع هذا الترخيص ، ومع أن الضعف أمر قهري غالبا ، جاء هذا الحديث الذي معنا يبين فضل المؤمن القوي على المؤمن الضعيف مع جبر خاطره بقوله صلى الله عليه وسلم : « وفي كل خير » فلا حيلة له فيما أصابه من ضعف ٠ وكيف لا يكون فيه خير وقد تحلى بحلية الايمان الذي هو أساس كل خير ؟

وقد أرشد صلى الله عليه وسلم في بقية الحديث الى أنه ينبغي للمؤمن أن يحتال ويعمل ما في وسعه ويبذل كل جهده ، مستعينا بالله وقوته على الوصول لما يريده ، فانه ليس معنى القوى أنه قوي العضلات متين البنية فحسب ، لا بل هذا وان دخل في القوة دخولا ما فان أساس القوة قوة الرأي ، قوة العزيمة ، قوة الهمة ، قوة تصريف الامور ٠ هذه معادن القوة في الانسان ٠ أما قوة العضلات ومتانة البنية ، فهي قوة حيوانية محضة ، فالقوي هو من يعمل رأيه الصائب بفكرة صحيحة ، ثم يصمم عزيمته على انفاذ ما يريده ، ثم يحرك همته بنشاط حتى يصل الى ما يبتغي ، فاذا اعترضه ما ليس له في حساب، تصرف في أموره تصرفا حكيما حتى يزيل ما يعترضه من عقبات ٠ هذا هو الحرص الذي أرشدنا اليه صلى الله عليه وسلم بقوله : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » ٠ فكلمة « احرص » حث

على الدأب في العمل ، وحفز الهمة ، وصدق النية . وليس هذا هو الحرص المنهي عنه ، فذلك هو التكالب ونسيان النفس ما يجب عليها في سبيل الوصول الى بغيتها ، وفرق ما بين الامرين . وبعد : فهل قوة الامة تكون الا بقوة أفرادها ؟

وقوله : « واستعن بالله » هذا ارشاد الى معنى التوكل على الله ، وأنه يكون مع السعي والعمل ، لا مع التواني والكسل . روي عن عمر أنه مر على جماعة قعود فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون . قال : « بل أنتم المتأكلون ، انما المتوكل رجل ألقى حبه في بطن الارض وتوكل على ربه عز وجل » ! ولقد صدق عمر رضي الله عنه ، فان المرء أكثر ما يملك من استنبات الحب أن يحرث أرضه ويلقي حبه ويتعهد ذلك بالتنظيف والري وما أشبههما، أما أن ذلك الحب ينبت أو لا ينبت ، فأمره موكول الى الله . وهنا يجيء التوكل فيما لا يد للانسان في تحصيله ولا قدرة له على ايجاده ، بل هو من محض آثار القادر المختار ، أما قرأت قوله تعالى : « أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظللتم تفكهون . انا لمغرمون بل نحن محرومون » ؟ هذا هو السر في قوله صلى الله عليه وسلم : « واستعن بالله » بعد قوله : « احرص على ما ينفعك » .

ولا يفوتنك التنبه الى أن الحرص على النافع يتناول كلا من أعمال الدنيا وأعمال الآخرة ، وأن الاستعانة بالله متناولة كذلك لكليهما ، فليس كل عمل يؤتي ثمره ما لم يصحبه المعونة والتوفيق الالهيان ، فكم من عمل في الدنيا خانه التوفيق فأصبح وبالا على صاحبه ، وعاد عليه بخسران لم يكن في حسابه . ومن هذا جاء قولهم : أول ما يجني على المرء اجتهاده . وكم من عمل من أعمال الآخرة لحقه الخذلان فكان موجبا للخسران . وآفات النفس ومسالك الشيطان لا يكاد يسلم منهما انسان ، الا من عصمه الرحمن . وهل يشك أحد في أن الشيطان قد يجيء للمرء من تصوير الشر بصورة الخير حتى يستدرجه الى ما لم يخطر له على بال ؟

وأما قوله : « ولا تعجز » فهو النهي عما يلحق المرء أثناء عمله اذا صادفه بعض العقبات فيقف مبهوتا مكتوف اليدين خائر العزيمة ، وقد آتاه الله من قوة العمل وسعة الحيلة ما يستطيع به أن يفتق لنفسه مسلكا مما أصابه من انسداد الابواب . وقد قالوا : الكريم يحتال واللئيم عيال . وما منح الله العبد عقلا الا ليؤدي به عملا ، ولو شاء لجعل الامر سهلا ، ولكن ليبتليكم فيما آتاكم .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « وان أصابك شيء فلا تقل لو أنني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل » فانه ارشاد الى أمرين عظيمين على جانب كبير من الاهمية في شؤون الحياة : (الاول) الابعاد عن الندم على ما فات . و (الثاني) الطمأنينة لما قدر الله والرضا به مع استقبال الكثير الغزير من نعمه . فأما الندم والتلفت للماضي بالحسرة تتبعها الحسرة ، فهو مميت للهمم مخمد للعزائم ، كاسر للنفس ، مضيع لحركة العقل في جلب النافع ودفع الضار . تجد النادم المنهزم قد قعد كاسف البال خامد القوة مضعضع الحواس مغتما ، بينما ترى الراضي بالقدر متقد العزيمة مشمرا عن ساعد الجد مهتما .

وهنا لا نرى بأسا من أن نشرح ما قالوه في التفرقة بين الغم والهم : فالاول أن تنزل على النفس غمة تكبسها وتضعضعها وتفقدها الحركة وتجعلها مستكينة ضعيفة خائرة ، فهو من الغمة . وأما الثاني فهو من هم بالشيء تحركت نفسه له . فهما وان كانا كلاهما يحصل عن نازلة ومصيبة ، ولكن الغم يسكن النفس عن الحركة ويسكتها عن التفكير ويجعلها تيأس من كل فوز . أما الهم فهو محرك للهمة ، مشعل للعزيمة ، محرك للنفس . ولذلك قالوا : الغم يقتل والهم لا يقتل . وفرق بعيد بين المغتم والمهتم . فقوله عليه السلام : « وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا » نهي عن الاستكانة والتضعضع وقصر النفس على التلفت الى الوراء واليأس عن انفراج الكرب بحيلة من الحيل . وأما الطمأنينة لما قدر الله فهي في قوله عقبه : ولكن

قل قدر الله وما شاء فعل . ففي ذلك ترضية للنفس بما قدر الله ، وهو يستتبع الموازنة بين ما فقده من هذا الذي كان ينتظره ، وما هو غارق فيه من نعم الله الكثر ؛ فيرى أن ما فاته ليس بشيء بالنسبة للنعم التي يتمتع بها ، فتنشط نفسه الى استقبال نعمه عز وجل ، قائلا لنفسه :

لا تيأسن ولا تخف ودع التفكير والاسف
الله عودك الجميل فقس على ما قد سلف

وهذا مثار للنفس لتتحرك فيما ينفعها ، وتسد رتق ما فتح عليها من أبواب الشر ، وتفتق ما أغلق دونها من أبواب الخير . أما لو ولو ولو ... فهي لا تفيد الا التحسر على الماضي ، والندم على الفائت ، والنوم عن اجتناء الخير المستقبل ، فضلا عما تحويه من السخط على قضاء الله وقدره ، وما يتبعه من الاعتراض على فعله وعادل قسمه ؛ وما يصحب ذلك غالبا من الحسد لمن أنعم الله عليه بنعمه ، أو نجاه مما أصاب هذا النادم من كروبه وغمه . وكفى بالحسد مهلكة وبالحقد منمة . فهل رأيت كيف كانت لو تفتح باب الشيطان ؟ وهل وراء الحقد والحسد ، والتسخط على القضاء والقدر ، من خسران للانسان ، وكسب للشيطان ، واغارة على حمى الايمان ؟

ومما جاء في معنى قوله عليه السلام : « قدر الله وما شاء فعل » قوله عز وجل : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا » وقوله صلى الله عليه وسلم : « واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك » وقوله : « واعلم أنه لو اجتمع الانس والجن على أن ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ؛ ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك » .

نسأل المولى جلت قدرته أن يكسبنا الرضا بقضائه وقدره ؛ ويقوي نفوسنا على فتح أبواب خيره ؛ ويجعلنا مقتدين بالسنة الحسنة ، ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، انه سميع مجيب .

العرفان : وحينئذ نصبح في المقدمة كاليابانيين والالمان لا في المؤخرة كما نحن الآن • وفي العدد القادم عن اتقان العمل ، كما نشرنا في العدد الخامس مقالا بهذا الموضوع للمرحوم محمد فريد وجدي •

❋❋❋

ان من البيان لسحرا

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال :

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم ، فقال الزبرقان : يا رسول الله أنا سيد تميم ، والمطاع فيهم ، والمجاب منهم آخذ لهم بحقهم ، وأمنعهم من الظلم ؛ وهـذا يعلم ذلك ، يعني عمرو بن الاهتم ••

فقال عمرو : أجل يا رسول الله : انه مانع لحوزته ، مطاع في عشيرته ، شديد العارضة فيهم •

فقال الزبرقان : أما انه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي •

فقال عمرو : أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته الا ضيق العطن ، زمن المروءة ، أحمق الاب ، لئيم الخال ، حديث الغنى • فرأى الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله •

فقال عمرو : يا رسول الله : رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت في الاولى ، ولقد صدقت في الثانية •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من البيان لسحرا ، وان من الشعر لحكمة •

عمرو بن الاهتم هذا كان يلقب بالمكحل لجماله ، وبنو الاهتم أهل بيت بلاغة في الجاهلية والاسلام • وعبد الله ابنه هو جد خالد بن صفوان وشبيب بن شبة المشهورين بالخطابة •

٨٨٢

البيان ووصف القرآن

قال عبد الله بن المعتز من خلفاء العباسيين :

البيان ترجمان القلوب ، وصيقل العقول ، ومجلي الشبهة ، وموجب الحجة ، والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ، وهو من سلطان الرسل الذي انقاد به المستعصب ، واستقام الاصيد ، وبهت الكافر ، وسلم الممتنع ، حتى أشب الحق بأنصاره ، وخلا ربع الباطل من عماره .

وخير لبيان ما كان مصرحا عن المعنى ، ليسرع الى الفهم تلقيه ، وموجزا ، ليخف على اللفظ تعاطيه ، وفضل القرآن على سائر الكلام معروف مجهول ، وظاهر غير خفي ، يشهد بذلك عجز المتعاطين ، ووهن المتكلفين ، وتحير الكذابين . وهو المبلغ الذي لا يمل ، والجديد الذي لا يخلق ، والحق الصادع ، والنور الساطع ، والماحي لظلم الضلال ، ولسان الصدق النافي للكذب ، ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك ، وناعي الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة المخلدة ، ومفتاح الخيرة ، ودليل الجنة ، ان أوجز كان كافيا ، وان أكثر كان مذكرا ، وان أومأ كان مقنعا ، وان أطال كان مفهما ، وان أمر فناصحا ، وان حكم فعادلا ، وان أخبر فصادقا ، وان بين فشافيا ، سهل على الفهم ، صعب على المتعاطي ، قريب المآخذ ، بعيد المرام ، سراج تستضيء به القلوب ، حاو اذا تذوقته العقول ، بحر العلوم وديوان الحكم ، وجوهر الكلم ، ونزهة المتوسمين ، وروح قلوب المؤمنين ، نزل به الروح الامين ، على محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وآله الطيبين ، فخصم الباطل ، وصدع بالحق ، وتألف من النفرة ، وأنقذ من الهلكة ، فوصل الله له النصر ، وأضرع به خد الكفر .

تشرين في الشعر العربي المعاصر

بقلم : عيسى فتوح

وهي تــدري بأن سادس تشـ ـرين رمى الطوق للرجاء الغريق
راكب عصفة الاعاصير ربانا وأمعن يـا مــوج بالتصفيق

احمد سليمان الاحمد

كنت دعوت في مقال سابق لي نشر في جريدة الثورة ، الى جمع القصائد التي قيلت في الحرب الظافرة التي قادها سيادة الرئيس حافظ الاسد في السادس من تشرين الاول عام ١٩٧٣ وحطم فيها أسطورة التفوق الاسرائيلي المزعومة ، لتكون هذه القصائد المجموعة في متناول أيدي النقاد والدارسين الذين يودون تقويم شعر هذه الفترة من تاريخنا الادبي والقومي ، الا أن هذه الدعوة ظلت حبرا على ورق ، ولذلك اكتفيت بالقصائد القليلــة التي قرأتها متفرقة فــي الدواوين أو المجلات لبعض الشعراء السوريين الذين تفاعلوا وانفعلوا بهــذا الحدث الذي كان أكبر منعطف في تاريخنا العربي الحديث ، وهــذه القصائد هي التي ستكون مادة بحثي في هذه الدراسة ، وكنت فيما مضى قــد درست شعر السادس من أيار سنة ١٩١٦ ، وشعر السابع عشر مــن نيسان ١٩٤٦ ، وأرجو أن أوفق لدراسة شعر السادس من تشرين ، لانه متفاوت في جودته ، لتفاوت التفاعل بالتجربة ، وتفاوت الاستجابة النفسية لذلك الحــدث العظيم الذي حقق فيه جيشنا أكبر معجزة ، لم يكن أحد يتوقع أن تكون على هــذا المستوى من الخطورة والاهمية .

ـ ١ ـ

لعل الشاعر سليمان العيسى كان أكثر الشعراء تجاوبا مع هـذا الحادث الجلل ، فمن يطالع ديوانه « أغان بريشة البرق » الـذي نظمه أثنـاء حرب تشرين ، يعثر على عدة قصائد حماسية ، تتفجر بطولة وحماسة، وتتأجج ثورة وعاطفة ، منها « يـا ياسمين دمشق » التي كتبها على أثر الغـارة الاسرائيلية الوحشية على دمشق ، وأشاد فيها بصمود الشعب والجيش ، ووقوفهما جنبا الى جنب لرد العدوان الاسود . يقول مخاطبا هذا الياسمين الذي يكاد يكون رمزا لدمشق ، لانه قلما تخلو منه دار من الدور ، مشيرا الـى القضاء عـلى أسطورة التفوق الاسرائيلي المزعومة ، والى اباء دمشق واندحار الغزاة :

هشمتها أسـطورة ... وذروتها كل الغزاة عـلى العبير تكسروا
كل الغزاة ... وظل قنديل الهوى أبـدا على العطر المدلـل يسهر
كل الغزاة ... ولم تجف منارة يا ياسمين ... ولا تزحزح منبر

لقد خرج الناس من بيوتهم المسورة بالياسمين ، رمز الطهارة والسلام ، ليقاتلوا بما ملكت أيمانهم ، بالخناجر والمدى ، فلا يدري العدو من أين يأتيه الموت ، فكل زنبقة أورقت مقاتلا ، وكل سوسنة أنبتت خنجرا مسموما :

من كـل زنبقة أطـل مقاتل من كل سوسنة تحـدر خنجر

أما فارس تشرين الاسمر فكان يقاتل كالمارد الجبار ، يندفع كما اللهب المقدس ، فتمحي أمامه الحدود والسدود ، ليحمي داره ، ويصون سياج بيته المصنوع من المنثور والحبق :

يقاتل الاسمر المجدول مـن لهب فيا حدود عـلى أقدامه انسحقي
يقاتل النسر عـن دار وأغنيـة وعن سياج مـن المنثور والحبق

ونصل أخيرا الى رائعته « فرسان تشرين » التي بث في تضاعيفها كل ما في أعصابه من توتر وحمية ونزق ، وكل ما في قلبه من نبض وتفجر ، مبديـا

اعجابه بهؤلاء الفرسان الذين حققوا المستحيل ، وجسدوا كل معاني البطولة والنخوة والرجولة ، كيف لا وهم الكتائب المسمومة المدربة التي عجنت من تربة هذا الوطن الغالي ، ونبتت من صموده الجبار لذلك تراهم يقولون :

علـى أقدامنا سقط المحـال — وأورقت الرجولـة والرجـال
كتائب مـن ترابـك يـا بلادي — نبتنا مـن شموخك مـا نزال

ما أكثر ما يلتفت سليمان العيسى في قصائده الوطنية الى الماضي ، الى التاريخ العربي العريق يستنطقه ويستشهد به ، ويسترجع أسماء أبطاله الميامين كخالد والمثنى ... ويتذكر المعارك المنتصرة التي خاضوها في القادسية ، وفي غزوة الخندق ، وفي ذي قار ... ويرى أن خندق الجولان ما هو الا امتداد للخندق الذي حفره النبي والمؤمنون حـول المدينـة ليقطعوا الطريق عـلى المشركين :

مشينا فالصواعق فـي خطانا — وعشب القادسيـة والظـلال
ربطنا الخندقين فـلا اغتراب — بتاريخ السيوف ولا انفصـال
وكان عـلى مسيرتنا المثنـى — تقدست القرابـة والخصـال

والشاعر مؤمن كل الايمان بأن الشعب العربي الذي تفوق وانتصر على مدى تاريخه الطويل ، لا يمكن الا أن يظـل متفوقا ومنتصرا ، وان كبا بـه الدهر أحيانا فنام الى حين عن هذه المسيرة العربية . لقـد استيقظ الآن في تشرين قويا ، لاهبا ، متمردا ، فما ان دعاه تشرين حتى لباه زرافات ووحدانا ، يرمي تلال الجولان بنيرانه المحرقة التي لا تبقي ولا تذر :

ينـام الدهر عنها ثـم يصحو — على تشرين فالدهـر اشتعال
ولبينـاك يـا تشرين سلهـا — تـلال النـار تعرفنا التـلال
وتعرفنا البروق وقـد خطفنا — سناها فهـو في يدنـا نبـال

ثم يؤكد على أن جيشنا استطاع أن يحطم ويهشم أسطورة التفوق التي روجها العدو ، لتدفنها الرمال ، ساخرة منها أي سخر ، ولتدفنها سرايا البعث

التي هي أملنا المفدى :

وهشمنا أساطير التحدي لتدفنها بضحكتها الرمال
سرايا البعث والامل المفدى وأغنية الشهادة لا تقال

يا لها من صورة جميلة تلك التي جعل فيها دم الشهداء ينبت في ربانا مشاعل وهاجة ، تضيء طريق النصر أمام كل سار ، يبحث عن المجد والخلود، وزيتها النضال والكفاح ، وكيف استحال الدم العربي الحر مدادا للمبدعين ينفحهم بالصور الرائعة والاخيلة البكر :

دم الشهداء ينبت في ربانا قناديلا يضيء بها النضال
دم الشهداء يا أقلام هذا مداد المبدعين ويا خيال

واذا متنا ضحايا فلكي تعيش الاجيال العربية القادمة في عز ومجد واستقلال ، وتتذكر كم قدم الاجداد لاحفادهم ، كي تبقى رؤوسهم مرفوعة ناصعة الجبين :

نموت لتزهر الاجيال فينا ويخصب في بنادقنا الجمال

ويعد تشرين أخيرا بأننا جاهزون للحرب والقتال في كل لحظة ، فما عليه الا أن يشير من بعيد ، حتى ينتفض المؤمنون برسالتهم وقضيتهم كالشهب أو كالسهام ، ليدمروا العدو شر تدمير :

ويا تشرين•• نحن هنا•• فأومىء وتعرف كيف ينتفض الرجال

– ٢ –

ومن حمص يرتفع صوت الشاعر عبد الرحيم الحصني في قصيدته « تحية لأبطال تشرين » التي راح يتغنى فيها بأبطال تشرين ، ويمتدح شجاعتهم الخارقة ، ولا سيما الطيارين الاشاوس الذين كتبوا أروع الملاحم، وسطروا آيات المجد والفخار ، اذ حلقوا في عنان السماء ، حتى عبروا مسرى النجوم ، ومزقوا سحب الغيوم ، متخذين من غرة الشمس ريشا :

تشرين حطم جـدار الصمت وارو لنا
مـن الملاحم فصـلا يكسر الحقبـا
كيف النسور عـلى أطوادهم عبـروا
مسرى النجوم؟وكيف استصغروا السحبا
وكيف جازوا ابـاء الجـو واتخذوا
من غرة الشمس ريشا والهجير صبـا

ويبين كيف بـدد جيشنا الباسل بعنـاده الكبير أسطورة الوهـم التي نسجتها اسرائيل بأنها لن تقهر أبـدا ، وهـذه الفكرة كانت بيت القصيـد ، والقاسم المشترك الاعظم بين أكثر الشعراء الذين نظموا في تشرين ، فهو هنا يسخر من مزاعمهم وأراجيفهم ، ويتساءل أين أصبحت ادعاءاتهم الفارغة التي روجوها ، وكيف تبخرت أحلامهم السرابية ، وآمالهم الكاذبة :

انـي لأهـزأ بالطاغي تحدثـه … هواجس الوهم أن الحق قد غربا
لا لن يدوم ظلام العار يـا وطني … فخاف كـل جـدار ثائر وثبـا
أين ادعاء دعاة الغدر ؟ أين همو … وأين ما أمل الباغي ومـا ارتقبا

وتبلغ سخريته قمتها عندما يصور كيف وقع طياروهم فـي ذل الاسار ، وراحوا يتمنون لو أنهم لم يركبوا طياراتهم الغازيـة ، بعدما تحطمت وصارت أشلاؤها لعبا في أيدي أطفالنا يلهون بها ، وهي التي كانت ـ كما يزعمون ـ قدرا لا مفر منه :

ها هم أذلاء في الاصفاد أشجعهم … يـود لو كان للعدوان ما ركبـا
والقاذفات اللواتي صورت قدرا … صارت لدى كل طفل عندنا لعبـا

هذه النتائج الباهـرة وغيرها ، دفعت شاعرنا الـى أن يتغنى بتشرين ، شهر الخير والبركات ، وانتصار الحق على الباطـل ، ويتمنى أن يقبل صانعيه من جنودنا الابطال ، وينثر عـلى أقدامهم أحلى الثياب مـن مخمل وقصب ، فتشرين ضمد جراحنا النازفة ، وشفاها بعد أن يئس الاطباء من علاجها زمنا ،

وبعد أن عز الدواء :

تشرين قبل أخي الجندي وارم على أقدامه المخمل الوردي والقصبا
تشرين ضمدت جرحا داميا سئمت منه الاساة زمانا والعلاج نبا
هبت رياحك في الجولان فانتفضت رمال سيناء عزما هادرا عجبا

وعبد الرحيم الحصني بعد كل هذا شاعر منبري موفق ، يعرف كيف يختار ألفاظه بدقة الصانع الماهر ، فتقع من المسامع والضمائر أجمل موقع ، ترفد ذلك كله غنائية عذبة ، وجمالية شفافة ، وقدرة فائقة على تطويع القوافي لخدمة أغراضه ... وبالرغم من أن معظم قصائده قيلت في مناسبات مختلفة ، فقد استطاع أن يخلع عليها طابع الجدة ، لما أوتي من شاعرية خصبة ، وقريحة فياضة ، ونسج محكم، يتأثر فيه خطى كل من بدوي الجبل وعمر أبي ريشة.. فخامة في الالفاظ ، واصطياد زكي للمعاني الشرودة ... لاحظ كيف يمتزج بتشرين قلبا وروحا وعاطفة ، حتى استحال في نظره انسانا حيا يحاوره ، ويسامره ، ويشكو له :

تشرين أهديتني نفسا سهرت على لقائها زمنا لا أطبق الهدبا
واليوم جددت يا تشرين لي أملي ما نال منه الاسى واغتم واكتأبا

ـ ٣ ـ

أما الشاعر الدكتور أحمد سليمان الاحمد فيبني قصيدته « ثم أشرقت شمس ثبير » على الاسطورة الجاهلية التي تقول ان العرب كانوا ينتظرون شروق الشمس من وراء جبل ثبير لكي يغيروا ، فاذا طال عليهم الامد ، أخذوا يهتفون « أشرق ثبير لكي نغير ! » ويرى أن شمس ثبير قد أشرقت في حرب تشرين بعد طول انتظار ، فكانت الاغارة موفقة الى أبعد الحدود ، ولكن كيف أغرنا ؟ أغرنا كما الرعود غازيات على متون البروق ، في جبهتي سيناء والجولان ، تحطم الاعداء ، كما تحطم النار الهشيم ، ونجدع أنوفهم بعد صلف وتيه ، فصخبوا وضجوا كما النياق التي تركب رؤوسها :

وأغرنا ! فهل رأيت رعودا غازيات على متون البروق
واسأل الجبهتين كيف مشينا في هشيم الاعداء مثل الحريق
وقدعنا الانوف بعد جماح حيث عجوا ولا عجيج النوق

ويسترسل في وصف الحملة التشرينية الخالدة ، والذعر الذي انتاب الصهاينة في ذلك اليوم الرهيب كيوم القيامة ، اذ كانت سياط النار تكوي جباههم وجاودهم كالعبيد ؛ فيفرون من ميسمها :

وحملنا عليهم بسياط النار تكوي جباههم كالرقيق
أخذتهم حرب العروبة والتحرير أخذا ! كنفخة في بوق
ذاك يوم الحساب ياعصبة الغدر فعضي على الهوان وذوقي

كان أبطالنا ينقضون على الاعداء في ذلك اليوم كالنجوم الشهب أو كالسيول ، يرصدون طرقهم ، ويقطعون عليهم سبل الهرب والنجاة ، ليس هدفهم القتل والتدمير ، بقدر ما كانوا يريدون الدفاع عن الكرامة العربية ، وصون الحقوق المهدورة ، ونشر راية الحق والعدل والامن والسلام ، وتحرير الارض المغتصبة :

الذين انقضوا سيولا وشهبا ترصد للعدو كل طريق
يحملون السلام والارض والنصر فهل كان غيرهم بالمطيق
ما أرادوا التدمير والقتل لكن ناهدوا عن كرامة وحقوق

ويلتفت الى الشام ، الى ماضيها الباذخ العريق المضمخ بأريج البطولات والانتصارات على الغزاة والطامعين ، فيستعيد ذكرى ذي قار ، وانتصار العرب على الفرس في تلك الموقعة المشهورة فيقول :

أبدا لن يمر غازيك يا شام وإما ذكرت غص بريق
شدت الذكريات ما بين ذي قار وما بينها بحبل وثيق

ويشيد ببطولات جيشنا في معارك تشرين ، مبينا أنه لم يعرف الا الصمود على مدى تاريخه الطويل ، حتى لكأنهما صديقان حميمان ، يشد

أحدهما الآخر ، هذا الجيش الذي كان هدفه الاول اشاعة السلام والطمأنينة، ليعم الخير ، فتشرق الدنيا كلها بكل جديد وجميل :

جيشنا والصمود صنوان في الحرب شقيق شد القوى بشقيق
حين يبني السلام تزدهر النعمى وتزدان بالقشيب الأنيق

وللشاعر أحمد سليمان الاحمد ثقة كبيرة بوطنه الذي عاهد الشباب على النصر دائما وأبدا وايمان راسخ بأنه مهما طال الزمن على بقاء المحتل في أرضنا ، فانه لا بد أن يرحل مدحورا ومسحوقا :

لا نرى للعدو في أرضنا الا بقايا حطامه المسحوق

ـ ٤ ـ

لم يكن صدى حرب تشرين في المهجر بأقل منه في الوطن ، فلا يزال حتى اليوم في المهجر الجنوبي ، ولا سيما الارجنتين ، حفنة قليلة من الشعراء تلتهب حماسة ووطنية ، ويؤرقها ما ينتاب هذا الوطن من كوارث ومحن وويلات ، فتهب ثائرة غاضبة ، ومن هذه الحفنة القليلة الشاعران البيروديان الياس وزكي قنصل اللذان وقفا شعرهما على قضايا الوطن ، وقلما يخلو ديوان من دواوينهما من قصيدة أو أكثر يتغنيان فيها ببطولة الشعب العربي وصموده ووقوفه وقفة البطل الشجاع الحريص الغيور على كل شبر من أرضه ، وكل حبة رمل من صحاراه الواسعة .

يقول الشاعر الياس قنصل في قصيدته « يا حرب تشرين » المنشورة في ديوانه « ألحان الغروب » لقد شهد حتى الاعداء أنفسهم بأن العروبة قد حققت غاياتها في هذه الحرب الباسلة التي هتكت الاقنعة المزيفة عن وجه اسرائيل المستعار ، فبان الفحش والغدر والكذب ، وانهار ذلك الصنم الورقي الذي كان ينذر الارض بحديده وفولاذه ، فاذا بهما يستحيلان خشبا تحت وطأة نارها المذيبة :

يا حرب تشرين والاعداء شاهدة ان العروبة كادت تبلغ الاربا
مزقت عن وجه اسرائيل أقنعة لم تحو الا الخنا والغدر والكذبا
وانهار يبحث عن أعدائه صنم يدس في فمه من ذعره الذنبا
كم أنذر الارض بالفولاذ يشهره فكان لما التظى جدر الوغى خشبا

ويشير في هذه القصيدة الى صانع تشرين الرئيس حافظ الاسد الذي لم يكترث بثعالب السلب ، وهو الذي لم يتعود في حياته الا الصدق والشجاعة والنصر ، وكيف استطاع أن يحطم أسطورة الجيش الذي لا يقهر، فداسه بنعاله ، وراح يسخر من جنوده الرعاديد الذين لاذوا بالفرار جماعات جماعات ، وهربوا من حر النار ، لانهم لم يدربوا الا على الجبن والهزيمة :

ثعالب السلب لا يعنى بها أسد تعود الصدق والاقدام والغلبا
أسطورة الجيش لم يعثر على كفؤ تحطمت تحت نعل داسه غضبا
فعلموا جندهم أن يختفوا فرقا ودربوهم على أن يحسنوا الهربا

ثم يخاطب حرب تشرين التي أزالت الحجب عن مستقبل الشعب العربي ، فصار طريقه واضحا ، واستعاد حقيقته وهويته بعد الضياع الطويل نتيجة الاستعمار . لقد أفشلت حرب الجولان كل مخططات العدو ، فراح ينتحب ويبكي بعد الضحك المستهتر ، شأنه شأن شايلوك بطل مسرحية تاجر البندقية لشكسبير ، الذي كان انموذجا للشعب اليهودي في كل زمان ومكان:

يا حرب تشرين كم أطلعت من عبر لما أزلت عن المستقبل الحجبا
فيك استمدنا نصيبا من حقيقتنا فشاهد النبل من آلائها عجبا
وعرقلت وقعة الجولان خطتهم وناح (شيلوخ) بعد الضحك وانتحبا

ــ ٥ ــ

ومن الرباط في المغرب العربي ينطلق صوت الشاعر الدمشقي الدكتور نذير العظمة محييا جبل الشيخ الذي كان مسرح البطولات ، وشهد أعنف المعارك وأفظعها ، يوم حطت قواتنا على قمته المكللة بالثلوج ، وراحت تحارب

بالسلاح الابيض وجها لوجه ، فسقطت عشرات الضحايا التي كانت كأنها شعل تضيء طريق الشهادة أمام كل عربي :

انطق فدتك عيوني أيها الجبل هل الضحايا على شم الذرى شعل؟
يا أيها الشيخ هل للصخر أغنية ؟ قد ضرجت خدك الاكباد والمقل

ثم يطلب منه أن يطلق نسور الشام من مرابضها ، حتى تزيل ما حاكه اليهود من أساطير الوهم حول جيشنا وشعبنا ، وأننا عاجزون عن قهرهم . ويقول ان معارك جبل الشيخ المشرفة قد رفعت رأسنا عاليا ، وطارت بنا الى ذرى المجد ، بأجنحة لا تشيخ ولا تبلى :

خل النسور نسور الشام تطلعها حتى تزول سدود الوهم والحيل
يا شيخ، يا جبل الامجاد طرت بنا الى المعالي بجنح ليس يكتهل

ويؤكد أننا صعدنا ذراه ليس بالطائرات والدبابات ، بل النفوس الجبارة القوية ، والهمم العالية الشماء التي لا تعرف الوهن أو الضعف ، وقد راحت نسور هذه الذرى تقول : ما عاش من مات وفي وجدانه شلل ، يقعده عن ادراك المجد ، ويمنعه من بلوغ المعالي :

انا صعدنا الصخور الشم تحملنا الى ذراك النفوس الشم يا جبل
يا قمة النسر صوت النسر قال لنا ما عاش من مات في وجدانه شلل
يا شيخ خل لنا موتا يعانقنا دهرا فتنقش في أعمارنا الشعل

ـ ٦ ـ

ويتساءل الشاعر والكاتب المسرحي علي عقله عرسان أهذه حطين تبعث اليوم في تشرين ؟ أم ذيقار ؟ وهل الشام في عرس تضيء ساحاته منارات جبل الشيخ ؟ وهل ذلك الثوب الذي تلبسه الشام من أرجوان هو أم من نار ؟ لقد محت معارك تشرين آثار الذل الذي لحق بنا في حزيران فلا قيمة اذن للضحايا الكثيرة في سبيل أن تبقى الشام رافعة الرأس ، وضاحة الجبين ، تنعم بالعز والفخار :

أقـول حطـين هـذي يـا عـرب أم ذيقـار
أقول في الشام عرس ... جبـل الشيـخ منـار
أتلبسيـن ارجـوانـا يـا شام أم تلـك نـار
أزلـت عـارا قديمـا بالـدم يغسـل عـار
ألـف وألـف شـهيد وأنـت للعـز دار
ولا يضـام حمـاك يـا شام أنـت الفخـار

– ٧ –

لم يكتب ديوان خاص بمعركة تشرين فيما أذكـر الا ديوان الشاعـر الصيدلي محمد قلعجي الذي كان يؤدي خدمـة العلم أثناء هـذه الحرب . فاستقبل ، وهـو يقوم بواجبه في أحـد المشافي ، عشرات الجنود المصابين ، لذلك شاء أن يهديهم ديوانه الصغير « أعاصير تشرينية » الذي صدر بعد أقل من عام على انتهاء هذه الحرب التاريخية . يقول في قصيدته (اعصار) التي أهداها الى فرسان جبل الشيخ ، مشيرا الى أسطورة الجيش الذي لا يقهر ، وهي الفكرة التي ألح عليها جميع الشعراء ـ الذين تقدموا ـ في قصائدهم ، لانها كانت منتشرة على أوسع نطاق بين الناس ، الا أن هذه الاسطورة قـد انهارت وتبددت وتحطمت ، وزهق الباطل الذي كانوا يتاجرون به ، ان الباطل كان زهوقـا :

أسطورة الجيش العظيم تبددت وتمزقت عـن وجهها الاستـار
مادت عـلى ضربات جيش مارد وتحطمـت فجبينهـا منهـار

ويبارك تشرين الذي انتشرت أنباؤه بين القاصي والداني ، مشيرا الى التلاحم الوثيق بين عناصر جيوشنا ، فهذا يداوم ، وذاك يحميه مـن الخلف . هنا يسقط فارس كانت الارض تهتز تحت قدميه ، وهناك أضلع تقتحم حـر السعير ، وهنالك أصابع تتناثر على الزناد ولا تتركه ، ورؤوس مرفوعة يكللها غار النصر ، فتأبى أن تعنو أو تنحني ... ان هـذا الوصف للمعركة قلمـا

تجود به قريحة شاعر يعيش بين العقاقير ، فكان يجب أن يكون مكانه بين الشعراء ، وليس بين الصيادلة :

بوركت يا تشرين ان رجالنا ... وقفت لاجلك ، فالدنى أخبار
هذا يذود وذاك يحمي ظهره ... وهناك يسقط فارس مغوار
وهنا يد شدت ، وتلكم أضلع ... شقت طريق النار فهي أوار
وأصابع فوق الزناد تناثرت ... والهام كلله السنا والغار

لا أظن أن هذا الشاعر الشاب قد قصر عن باقي زملائه من الشعراء الكبار الذين تحدثت عنهم في هذه الدراسة ، ولذلك كان جديرا في رأيي أن يقف معهم على قدم المساواة ولو أنه لم يكتب سوى هذا الديوان الصغير ، واذا كان مقلا فعذره أنه لم يتفرغ لقول الشعر ، وهو الذي خلق ليكون شاعرا بالفطرة .

ثم يؤكد لنا أن الآمال قد عقدت على تشرين حتى لاح ضوء النصر ، وانقشع الظلام ، وليس هذا بمستغرب من شعبنا العربي الذي ما اعتاد على الذل يوما ، فراح يحطم القيود ، ويجتاح كل ما يعترض سبيله من أسوار ، بالرغم من الغصص والآهات التي تدميه وتعصره :

بوركت تشرين فالآمال قد عقدت ... على رؤاك فلاح النصر في الهدب
شعب يثور على الآهات يعصرها ... ويكسر القيد عن مستقبل العرب

***

ـ ٨ ـ

وتحت عنوان « الحرب في الجولان » نظم الشاعر عدنان مردم بك قصيدة ملحمية طويلة في الحادي عشر من شهر كانون الاول عام ١٩٧٣ ستنشر لاول مرة في ديوانه الذي هو قيد الطبع الآن ، وصف فيها الحرب وصفا دقيقا ، فالشاعر معروف بدقة الوصف ، وبراعة التصوير ، يتحو فيهما

منحى أبيه المرحوم خليل مردم بــك الذي كان صاحب مدرسة معروفة فــي الشعر • وبالرغم من أن الشاعر لم يشهد المعركة ، ولم يشترك فيهــا اشتراكا فعليا ، فقد استطاع خياله الوثاب ان ينقل لنا لوحات فنية معبرة يحس قارئها أنه أمام معركة انطاكية التي جرت بين الروم والفرس ، والتي وصفها البحتري في سينيته المشهورة ، ولا أظن أحدا يجهل هذه القصيدة الرائعة ، فلنقرأ معا ما قاله صاحب « نجوى » و « صفحة ذكرى » و « وعبير من دمشق » فــي الجولان :

توعر السهل في الجولان من قتم — والسهل ما كان يستعصي ويمتنع
جحافل الرعب في الجولان ما فتئت — تغــذ من شاسع رحب وتجتمع
بنودها قتــم الظلماء مـــا برحت — تطــوى وتنشر مرات وترتفــع

وأي صمت هذا الذي خيم على الجولان ؛ بعــد أن انجلت المعركـــة ، وخف أوارها ،وراح الاعداء يلملمون أشلاء قتلاهم تحت جنح الليل ؟ وأيــن المفر ، وقد تحول كل درب من دروبهم الــى مصيدة ، ينتظر ان يأتيهم الموت مــن جانبها ؟ :

والصمت ران على الوادي بكلكله — كأنــه الليل في الاغــوار يتسع
وكل درب تراءى كان مصيـــدة — مــا ثم شك وأقعى دونه الهلــع

وبعد أن يصف لنا المعركة وساحتها الحمراء ، ينتقل الى أبطال الجولان الذين صنعوا الحرب فيثني عــلى شجاعتهم وبسالتهم ، ويبين كيف اقتحموا الصعاب ، وخاضوا غمار الخطوب ، وصافحوا الموت بلا هيبة أو وجــل ، لا فرق عندهم بين الحياة والموت ، أو بين الدنيا والآخــرة ، فهدفهم الاول أن يموتوا ويغسلوا العار الذي لحق بنا فيحزيران المشؤوم ، ويزيلوا آثار الذل والهوان ، لا أن يتنعموا ، ويبحثوا عن الغنائم والاسلاب :

أشبال جلق في الجولان ما وهنت — يد لهم ، أو تراهم في وغى فزعوا
تسوروا كل خطب غــام مسلكه — وصافحوا الموت مرات وما هلعوا

سيان عندهم ، والموت غايتهم أعن رضى نصروا حقا أو انتزعوا
خاضوا الغمار لغسل العار عن شرف وذقع حيف ، ولم يغزوا لينتفعوا

ويعود مرة أخرى ليصف لنا مدافع جيشنا ، وكيف انتصبت فوق الهضاب الشم لتتصدى لكل طامع غدار ، وراحت تشع اللظى ، وتنشر سحب الدخان الكثيف ، حتى ليكاد الصوان أن يتفجر ويتفتت من هول شدتها وضراوتها ، وهي ترمي قذائفها المشتعلة كالسيل ، فتغص الترع به :

مدافع النار للاعداء مشرعة على الهضاب لامر رامه الطمع
سحابها ما همت كالمهل شم لظى يكاد من وقعها الصوان يقتلع
وتقذف اللهب المشبوب عارضة سيلا فتشرق من غصاته الترع

ان ما اخترته من القصيدة لا يمكن أن يعطي صورة كاملة للمعاني الرائعة الاخرى التي بثها الشاعر في تضاعيفها ، ولا بد من قراءتها كاملة في الديوان ، وحسبي أن أشير الى تأثر الشاعر بالاحداث الوطنية الكبرى ، فقد نظم في ذكرى شهداء السادس من أيار ، وفي الجلاء ، كما خص فلسطين بمسرحيتين هما « فلسطين الثائرة » و « دير ياسين » وانتهج بذلك خطا نضاليا مشرفيا ، شأنه شأن الشاعر نزار قباني ، فشاعر اليوم لم يعد يرضى أن يعيش في برجه العاجي ، وهو يرى شعبه يرسف في قيود الذل والعبودية ، ويعاني ألوانا شتى من الاضطهاد والقهر ، رغم أنه تحدر من أسرة برجوازية معروفة .

ـ ٩ ـ

ونقف أخيرا مع الشاعر سعيد أبي الحسن في ديوانه « خزة ، هاتوي ، تشرين » الذي صدر حديثا ، وضم نماذج فريدة من القصائد التي تعتمد على التفعيلة حينا ، وعلى النغم الداخلي حينا آخر ، وعلى أبحر الخليل حينا ثالثا ، وهو يؤكد في المقدمة أنه لم يبحث لهذه القصائد عن وزن حين شرع في كتابتها ، ولم يعتمد فيها قافية ما ، لانه خضع فيها للجو النفسي الذي كان

يعيشه في تلك اللحظة ، فصبها على الورق مثلما هبطت عليه ، دون تحوير أو تغيير ، اذ لم يكن بالامكان تأجيلها ، أو الهرب منها ، أو افتعالها اطلاقا علــى حـــد قوله .

يقول في قصيدة « وانهارت الاسطورة » التي كتبها عصر ذات يوم من تشرين الاول ، وعبر فيها عن مشاعره ، وهو يرى طائرات العدو تتهاوى على أرضنا بالعشرات ، كأسراب العصافير أو الذباب متمنيا لو رأتها معه جميـــع شعوب الارض قاطبة ، لتتحقق من همجية العدو الذي كان يدعي أنه لا يقهر:

وتساقطت الطائرات المعتدية بالعشرات
مثل أسراب العصافير ، أو الذباب ،
والجحافل الهمجية التي كان يقال انها لا تقهر
كنت أود لو ترونها ...

لقد استأثرت معارك جبل الشيخ باهتمام أكثر الشعراء ، وقلما تحدث شاعر عن بطولات تشرين الا خص جبـــل الشيخ بقصيدة أو أكثر ، متغنيـــا بالبطولات الجبارة التي شهدتها قمته المكللة بالثلوج ، ومـــن هؤلاء شاعرنا سعيد أبو الحسن الذي عاشت معـــارك تشرين في أعصابه وقلبـــه وحواسه ، فألهبت ضميره ، وحركت وجدانه ، فراح يقول :

حرمون ، كم شهدت من مواكب التاريخ ، منذ الازل ؟
حدث عن الابطال ، حدث وأطل واسترسل ،
عن راجل مستبسل ، وطائر مستقتل
ودارع مهاجم ، وقلبه كالمرجل
وعن مظلي كمثل النيزك المشتعل ،
نادوك في تشرين : « يا شيخ الجبال انهل »

ثم يرسل « بطاقة معايدة » الى أبطالنا الشهداء والمرابطين ، بعـــد مضي عام على حرب تشرين ليحيي صمودهم وثباتهم ، ويبين لهم أنهم قد لفتوا الينا أنظار العالم ، فاستحقوا منا كل اكبار واجلال وتقدير :

مضى عام وبعض العام ، منذ أعدتم الفرحه
الى القلب الذي عانق دهرا كاملا جرحه
وظــل يعايش الذكرى
ويقهر يأسه بالعقل والايمان والامل
فتحتم يا أحبائي ، فتحتم بالدم الغالي
فتحتم بالبطولات التي جلت عن الوصف
فتحتم مرة أخرى ، بلا نزو ولا زحف
عقول الناس والتاريخ والارض
لتسمعنا وتفهمنا ، وتنصفنا ...

ــ ١٠ ــ

أما الشاعر مصطفى بدوي فقــد حيا أبطــال تشرين بقصيدتين ضمهما ديوانه « متعب وجه المرايا » الاولى بعنوان « على ذروة المستحيل » أهداها الى نسورنا في ذرى جبــل الشيخ الذين حققوا المستحيل فعــلا ، والثانيــة بعنوان « الى روح الشهيد فايز منصور » .

يقول مخاطبا أحد هؤلاء النسور الذين اعتلوا قمة جبل الشيخ خطابــا حميما نحس معه وقع نبضات قلبه ، ودفق شرايينه ، ولهاث رئتيه :

تباركت يا صانع المعجزات
تباركت يا من مهرت بدفء الدماء
ترابك ، يا مفردا في العطاء ،
على ذروة المستحيل
تصديت للشر ، شر الدخيل

ويؤكد أن جبل الشيخ قد أخرس فحيح الصهاينة ، وأسكت غطرستهم الفاجرة ، فالتفت الشعوب في كل مكان لهــذا الحدث التاريخي الفريــد ، مكبرة البطولات ، محيية الشجاعة الاسطورية الخارقة :

وأخرست منه الفحيح
وغطرسة الفاجر المستبيح
فشدت اليك عيون الشعوب

ـ ١١ ـ

وكان الشاعر أحمد دوغان أحد شهود هـذه الحرب الظافرة ، فقـاوم وصد ليس بالكلمة فحسب ، بل بالمدفع والبندقية والرشاش ، ورأى بناظريه كيف يكون الصمود والاباء ، وكيف تكون التضحية بالروح والدماء ، حتى قطفنا ثمرة النصر يانعة في السادس من تشرين الاول :

في السادس من تشرين
نصر من عند الله توالى
رفض الحزن الماضي عبر سنين
في سيناء وفي الجولان

وعندما اقتربت ساعة الصفر ، وعلا الهتاف داعيـا الى حمـل السلاح والالتحاق بصفوف المناضلين لبـى العرب النـداء ، كبـارا وصغارا ، نساء ورجالا ، شيوخا وأطفالا ، يحاربون العدو بلا هوادة ، يقفون قلبا واحـدا ، وصفا متراصا واحدا :

وارتفعت أصوات قائلة : آمين
يا يوم الزحف دعينا
جئنـا آتـين
فوق الـدرع
وخلف المدفع منتشرين
يا جبل الشيخ تكحل باياب الاهل
عاد الاهل منتصرين •

مدينة الجزائر

بقلم : ناجي مراد

في صباح يوم الاثنين والجو صحو رائق ، والنهار مشرق رائع ، وأنـا أستمع لأزيز المحـرك يزمجر في سماء الجزائر الصافيـة ، وأراقب الطائـرة

وهي باسطة جناحيهـا تصارع الفضاء ذات اليمين وذات الشمال ، تحـاول الهبوط وكأنها نسر شجاع يهم بالنزول من الجو الى أرض البطولات .

وها أنا أتطلع من خلال زجاج النافذة لأرى أرض المليون شهيد ، التي بزغت في حدائقها الازهار كأنها رسائل الثـوار .. وانتشرت فـي حقولها الخضرة كأنها آمال المجاهدين . وهذا البحر في زرقته وديمومته ، يزهو لانه استطاع أن يصد أساطيل الغزاة .. وما زال صامدا بشاطئه الفولاذي يهـزء بالاحداث .. ويقارع الخطوب .. وبقي هو هو البحر ..

فالجزائر البطلة جعلت العالم يخشى عـلى السلام العالمي ، لاستمرارية المقاومة ، وجسامة التضحية ، وكثيرا مـا شيع المغرضون ونشر المستعمرون ، ليهبطوا عزيمة المجاهدين الابرار ، ويضعفوا صوت الوطنيين الثوار ، فقالوا بأن ليس من السهل على الشعب الجزائري أن ينقـذ نفسه مـن الاستعمار الفرنسي ، بعد أن مضى قرن وثلث على الاحتلال .

لكن الشعب الجزائري برهن بصموده الطويـل وصبره الجميل عـلى صحة ما جاء بقصيدة شاعرنا الشابي :

اذا الشعب يومــا أراد الحياة فلا بــد أن يستجيب القــدر
ولا بــد لليــل أن ينجلــي ولا بــد للقيــد أن ينكسر
اذا طمحــت الــــى غايــة ركبت المنى ونسيت الحــذر
ومــن يتهيب صعود الجبــال يعش أبد الدهر بين الحفــر
اذا طمحــت للحيــاة نفوس فلا بــد أن يستجيب القــدر

وما أن أتممت ترنيمة أبياتها الثورية ، حتى رأيت الطائرة تهبط بنا على أرض المطار ، والموسيقى الناعمة مــا زالت تهدهد أسماعنا ، وتهدىء مــن روعنا ، فأنا أشد مــا يقلقني في السفر بالطائرة ، هــو لحظات اقلاعهــا ... وهبوطها ... أما ساعات طيرانهــا طالت أم قصرت ، فأتناسى خطورتها ... واذكر دوما قول جدتي عليها الرحمة (يا غافلين الكم الله) .

وغادرنا الطائرة ، واتجهنا لقاعة الجوازات والكمارك ، لتؤشر الجواز وتسلم الحقائب ، وجاءت حقائب ، وراحت حقائب ، وعيني ما زالت تبحث عن حقائبي ، وغادرنا الركاب ، وتفرق الاصحاب كل الى غايته وطريقه ، بعد أن جمعتنا الطائرة بضع ساعات ، كنا كانا في مصير مشترك ، وهدف واحــد هو الوصول بسلامة .. ولما طال انتظاري ، ونفــذ اصطباري ، رحت أسأل موظف المطار عن مصير حقائبي ..؟! فأخبرني بأنهــا حلقت مــع الطائــرة سهوا ..! وطمنني باعادتها لي غدا .. ــ وان غدا لناظره قريب ــ ..!

ولما لاحظت زوجي شدة قلقي ، راحت بهدوءها المعهود تسكن روعي ، وتنشر الطمأنينة في قلبي بالامل المرجو ... لكنها لم تدر سر ارتباكي ومبعث حزني ، لذا قلت لها ، تعلمين يا سيدتي زهدي في حاجياتي الماديــة ، ولكنني لن أستطيع أن أفرط بمذكراتي ، وهي خلاصــة خواطري وانطباعاتي عــن رحلتي التي سجلتها منذ وصلنا القاهرة ، ونزلنا في ليبيــا وتمتعنا في تونس ، وقد أودعتها في احــدى حقائبي ، وأخشى فقدها يــا عزيزتي وأنــت تعلمين الدافع لسفرتي الطويلة هذه ، لتكون حصيلتها بضعة كتب أنشرها عن رحلتي للشمال الافريقي .

ولا يخفى عليك بأن ملابسنا وحاجياتنا اليومية ، يمكننا التعويض عنها بما يماثلها من المحلات التجارية ، لكنني كيف تجدينني أعوض عما سجلته من أحداث يومية ، وانطباعات عاطفية تعاطفت معها وذابت في حينها ... ومشاهدات لأماكن أثرية ، ومعالم حضارية ، تأثرت بها فصورها قلمي قبل (كاميرتي) لذا تجدينني قلقا على حقيبتي ، اذ لست أدري ولا المنجم يدري هل ستعود حبيبتي ... عفوا أعني حقيبتي ...

وأخذت أنحي باللائمة على نفسي ، وأناقشها الحساب في حوار داخلي ، لم وضعت ثقتي بتلك الحقيبة الجلدية .. وهي غريبة عني .. بعيدة مني .. فأودعتها أسراري ، وخلاصة أفكاري ، وأنا الذي جرب النساء .. والاصدقاء ... والاقرباء ... فأعطيتهم الصافي من حبي ... وذوبت معهم الخميس من عمري .. فلم يف منهم الا النزر القليل ..! ولم أصطف فيهم الا النادر الثمين ، اذن كيف أرجو الوفاء من حقيبة اشتريتها بدنانير معدودات ..؟!

وغادرت قاعة المطار مكسوف البال ، خائب الآمال ، بعد أن أعطيت المسؤول عنوان سفارتنا العراقية في الجزائر ، وسرعان ما زال حزني ، وتبدد قلقي ، حينما أشرق وجها الصديقين نجيب الشبيبي ، وعامر التكريتي ، وهما يرحبان بقدومي ، اذ أنني اضطررت أن أبرق لهما ، وأجشمهما المتاعب ـ مستعينا بمواد قانون ـ ضريبة الصداقة الشرقية ـ اذ عجزت الخطوط الجوية التونسية من حجز فندق لنا في الجزائر ، حيث أزمة السكن ما زالت قائمة ، بالرغم مما تبذل حكومة الثورة الوطنية من جهود جدية مجدية ، وتقر تخطيطا علميا متناميا في مختلف المجالات الحيوية ، منها حل أزمة السكن ـ الازمة العصرية المستعصية ـ والتي ورثتها الجزائر عن العهد الفرنسي بأبشع صورها ... لذا فالدولة جادة في بناء أكبر عدد ممكن من دور السكن وتشييد العمارات ، ونشر الفنادق السياحية .

علما بأن الكثير من أبناء الشعب الجزائري ، تسلم الكثير مـن البيوت والشقق ، التي غادرها الفرنسيون الى غير رجعة ، فشمر الشعب عن سواعده لاصلاحها وتقويمها وحتى طلائها ، اذ أن بعض الفرنسيين دفعهم حقدهم العنصري البغيض الى اتلافها وحتى حرقها ، تأكيدا على فشلهم السياسي وتعويضا عن هزيمتهم العسكرية .

ثم ذهبت بصحبة الاخوين نجيب وعامر الـى ضواحي المدينـة حيث وجدت الفندق المتواضع الذي حجزاه لي ، وقد شيدبطريقة علمية صناعيـة (بريفا بركيتت) لغرض اقامتـه بسرعة ؛ حيث جدرانه من ألـواح الاسمنت المضغوط ، الجاهز ، وقواطعه مـن صفائح (الازبزت) الصناعي ، تربـط أقسامه وأجزاؤه أحزمة من قيـود حديدية تشدها (البراغي) الفولاذيـة ، فالفندق شبيه بـ (كابينات) المسابح البحرية ، أو البيوت المتنقلة في السفرات الاوربية (كامينك) .

وبينما كنت مستلقيا أحاول أن أستعيد بعض نشاطي ، راحت موسيقى الجاز الراقصة تتسرب ذبذباتها الصاخبة من خلال الالواح الصناعية ، فتلـح على سمعي ورغبتـي ، وتقلق مضجعي ، فاقترحت عـلى زوجي ، أن نساير روح العصر ، ونجامل نزلاء الفندق ، لنحافظ على ظاننا الخفيف فـي المجتمع الحديث ، وننزل الى قاعة الفندق ، لنشاطرهم رقصهم ومرحهم ، وذهبنا الى القاعة ، وأخذنا مجلسنا بين النزلاء وهـذا الشباب المنطلق بهستيرية جنسية ، يرقصون رقصا جنونيا ، وينفضون أجسامهم القوية بعنف وحيوية .

ولمـا دعوت زوجتي للرقص .. رفضت بابتسامة ساخرة ساحـرة .. وعقبت .. أتريدني يا ناجي أن أرقص هذا الرقص الهستيري .. بعـد أن رقصنا (التانكو) الرومانتيكي ، و (الفالز) الكلاسيكي ..؟!

فناقشتها بروح عصرية ، أتؤمنين يا عزيزتي بهذا الرأي وأنت السيـدة التقدمية المثقفة ..؟ ألا تعتقدين معي بأنه اذا لـم يتصارع الحاضر والماضي ،

ويتفاعل القديم والحديث ، لا تتجدد ديمومة الحضارة ••

فأرضنا القديمة التي مضت عليها (بلايين السنين) •• اذا لم تتفاعل مع البذور الجديدة ، لـن تنبت على سطحها الزهور ، لـذا يجب ان نكـون واقعيين ، ونؤمن بأن هنـاك ماضيا أصيلا ، وحاضرا جديـدا ، سيتفاعلان ويولدان المستقبل المشرق •

وبعد أن أنهيت محاضرتي ، التي أثقلت بهـا على مسامع زوجتي ••! وستكون أثقل على ـــ من يبتليه الله ـــ بقـراءة صحائف رحلتي ••! عندها رشف قدح الشاي رشفة رشفة ، وانتشيت بالجو الراقص المرح ، ثم جربت أن أخطط منهجا لاقامتنا في أرض البطولات الجزائرية ••• حيـث لا أعرف عنها سوى أنها مدينة عربية مكافحة صامدة ، كما لا أعرف فيها أحدا ، فكيف اذن تقضي ليلتنا في غربتنا ، وأخذت أجرر خطاي المتثاقلة في بهـو الفندق ، جيئة وذهابا ، وأردد عن ظهر قلب بصوت خفي ، ما أنشده المعري في (ليلته الزنجية) :

عللاني فـان بيض الامانـي فنيت والظـلام ليس بفانـي
ان تناسيتمـا وداد أنـاس فاجعلاني من بعض من تذكراني
ليلتي هـذه عروس مـن الز نج عليها قلائـد من جمـان
هرب النـوم من جفوني فيها هرب الامن عن فؤاد الجبان

وعندي ان أفضل طريقة للمسافر ان يبدد بهـا سحب السأم وضبـاب الوحشة ، هي ان يلجأ الى الكلام ويبدأ بالسلام ثم السؤال •• فتوجهت الى الاستعلامات في الفندق وأخذت أناشد الشاب المسؤول ليرشدني على معالم العاصمة الجزائرية ، فدلني على شارع (ديدوش مراد) (١) وأخـذ يؤكـد باعتزاز ويقول •• انه أهم شارع في المدينـة ، حيث تقع فيـه أفخم المحلات

(١) السيد ديدوش مراد : ـ ثائر جزائري مجاهد .

التجارية بمعارضها المغرية ومعروضاتها المشوقة ، وأجمل المكتبات المنضدة ، وأنظف المطاعم بأكلاتها الشهية ، وأرشق المقاهي ، بمناضدها وكراسيها الشعبية ، وقهوتها العربية والتركية ، و (الكاتو) الايطالية ، و (الكرواسا) الفرنسية ، واسترسل الشاب متلطفا معي ، ومشوقا لي ، بالذهاب صباح غد الى مدينة (الشرشال) (١) .

وعندما عدت لزوجي ، أتدارس معها المقترحات ، وأوضح لها المغريات ، اذا بجرس التلفون يرن في غرفتنا :

ـ ألو .. ألو .. مساء الخير أبا شوقي
ـ ألو .. استاذ (نجيب) (٢) يا نجيب ...
ـ انعام ترغب بزيارتكم ..
ـ أهلا بكم
ـ نحن في طريقنا اليكم

---

(١) مدينة الشرشال : تقع على بعد ٧٥ كم من العاصمة الجزائر ، وهي تشتهر بمصيفها الجميل ، حيث تنتشر فيها الفنادق السياحية الانيقة ، والفلات البديعة ، وتحف بها مناظر طبيعية خلابة .

(٢) نجيب محمد علي الشبيبي : من أسرة آل الشبيبي العريقة بعروبتها ، المعروفة بتاريخها الحافل في دنيا الادب والكفاح السياسي الوطني ، وكان نجيب يشغل مركز مستشار في السفارة العراقية في الجزائر ، وهو حفيد الشيخ محمد جواد الفقيه الشاعر الاديب ، بني أسرته التي ترجع باصولها الى قبيلة بني أسد ، والتي تجملت بالفكر والوطنية بباقة شذية من أولاده الستة ، وعلى رأسهم ولده البكر الشيخ محمد رضا الشاعر ، والشيخ محمد باقر الشاعر الثائر والوجيه محمد جعفر ، والتاجر محمد علي ، والد المترجم له ، ثم المربي الفاضل محمد حسين ، والمحامي رشاد ، وجلهم شاركوا في ثورة العشرين التي كان لآل الشبيبي السهم الوافر فيها ، كما ساهموا في ساحات النضال العربي المشرف .

وصديقي نجيب ولد في بغداد عام ١٩٣٠ م وتخرج في كلية الحقوق عام ١٩٥٢ م .

ـ خير مقـدم .

شعرت بغيوم غربتنا تنقشع ، بقدوم أبنـاء حارتنـا .. وتوقعت أن مجلسهم المحبب ، وحديثهم البغدادي العـذب ، سيبدد وحشة غربتنـا ... وليست هذه الالتفاتة الكريمة على آل رحمة الله والشبيبي بالشيء الغريب ، ولا اللطف عنهم ببعيد .

سعيد ذلك المسافر الذي يلتقي بأبناء وطنـه في غربته وساعتها سيعيش بفرحة طفل وجدته أمه بعد أن ضيعته في زحام الطريق ، وهكذا كانت سعادتنا لحظة أنعم الـله علينا بالصديقين الكريمين انعـام ونجيب ، فركبنا سيارتهما وأخذا يطوفان بنا في أرجاء العاصمة ، التي تحدثك عماراتها وبيوتها التـي أصلحت وطليت ، ومرساها الذي ما زالت بعض مخازنه وبناياته تشكو ظلـم المحتل الفرنسي ، الـذي أحرقها وهدمها قبـل مغادرتها ، ليشفي حقـده ، متناسيا السنين الطوال التي عاشها تحنو عليـه قبابها ، وترأف بـه أروقتها ، ويعصر كروم بساتينها لينتشي بالرحيق المعتق من شرابها ..!

لكن بالرغم من تلك القساوة البربرية ، تجد الشعب الجزائري اليـوم ما زال يسعى بجد واخلاص لبناء وطنه ، وتقويم لغتـه ، وتخطيط مستقبله ، فالانسان الجزائري لم يسترح ولم يسرح نفسه كجندي منتصر أنهى واجبـه المقدس ، وعاد لبيته بعـد سنين عجاف لينعم بالراحـة ، ويغفو عـلى نشوة الانتصار ، فهـو بالرغم من متاعبه النضاليـة ، سعيد كـل السعادة لتحمله المسؤولية لبناء وطن جديد واشراقة مستقبل سعيد .

وكان الجو مكفهرا ، والليل يرخي سدوله على المدينة البطلة ، وانسابت السيارة في شوارعها مطواعة بين يدي نجيب ، وكنا نتطلع من خلال زجاجها على المحلات التجاريـة بمعارضها المضاءة ، وتصعد عيوننا الـى البنايـات المنتشرة ، ثم عرج بنا الـى شارع الكورنيش فسحرنا البحر ، وراقنا منظـر البواخر البيضاء ، بأضوائها المتلألئة كأنها طيور النورس البيضاء تسبح عـلى

سطح الماء ، وازداد الجو اكفرارا ، والليل ظلاما ، فغادرنا السيارة ، وسرنا يدغدغنا رذاذ المطر الذي راح يلامس وجوهنا بخفة ، ويداعب فروة رؤوسنا برقة ، تبعثان في النفس النشوة ، وفي الجسم الحيوية والنشاط .

فانحدرنا برشاقة الغزال الى طريق صخري ، حتى وصلنا ساحل البحر ، حيث مطاعم الاسماك الشعبية الشهية تنتظر السياح والضيوف ، فأصر الشبيبي على استضافتنا ، ثم أخذت السيدة انعام تشوقنا لأكلة السمك البحري المقلي ، والروبيان اللذيذ المشوي ، وكم رجوتهما أن يعدلا عن العشاء ، بالرغم من استحلاب فمي ، الذي كاد رضابه يفضحني ، وتوسلات معدتي ، التي كادت زقزقتها تطغى على تساقط المطر ...! فانني بالرغم من اصالتي البغدادية ، وتعلقي بالكثير من عاداتنا الشرقية ، التي تتسم بالروحانية ، ورقة المشاعر الوجدانية لكنني أجدني أتضايق عندما يتكلف الصديق والقريب ، في مثل هذه الدعوات السخية ، والموائد الشهية التي تمتاز بالبذخ لحد الاسراف ، وعندي أنه يتوجب علينا ان نعيد النظر في الكثير من تقاليدنا وعاداتنا ، وبخاصة ما يقام في مناسبات الافراح والاحزان، من بذخ واسراف يذهبان هباء ، اذ لا يقربها محتاج ، ولا يطعم بها فم جائع ، وانما هي ولائم دسمة مرهقة تقام لأجل نشر الخبر ، وكسب المظهر..!

فأعيد وأقول لكم يا أحبتي ، يجب أن يعاد في تقاليدنا ـ الغير مجدية ـ النظر .. فبالرغم من التأييد الذي لاقته محاضرتي ، لكنها ذهبت مع الريح ، فهذا الاناء الكبير الذي تكدست في جوف صحنه الاسماك ، وطرفت حواشيه بكميات الروبيان ، وصفت حوله أطباق المشهيات ، وعصير الفواكه الطازجة تملأ كؤوسنا الزجاجية الرشيقة ، كانت كلها قرائن قاطعة على فشل محاضرتي، وأن لا صدى لها في نفوس أحبتي ..!

بعدها رحت أتشاغل بالتطلع الى جوانب المطعم الانيق ، الذي عرضت على مائدته الكبيرة ذات الوجه الابيض من المرمر النقي أنواع الاسماك

بألوانها الزاهية ، وأحجامها المختلفة ، وأشكالها الغريبة ، وأكوام من المحار والاصداف والروبستار والروبيان ، كما تدلت على جدرانه النظيفة التي زانها الكاشاني بألوانه وأشكاله ، أصناف الحيوانات البحرية المقددة ، التي تبعث في النفس الانشراح والشهية ، وتغري الفم بالقضم ، وتشجع اليد على الالتقاط ثانية وثالثة ...!

بغداد المحامي
ناجي جواد

***

فيها كتب قيمة

مع الرسول الاعظم « ص » في حكمه ووصاياه

تأليف العلامة الشيخ محمد باقر الناصري

العلامة الشيخ محمد باقر الناصري نسبة الى الناصرية وهي مدينة في جنوب العراق ، من علمائنا المنتجين المخلصين ، ويكفيه فخرا كتابه هذا وكتابه مع الامام في عهده للاشتر النخعي وكتابه هذا « مع الرسول الاعظم « ص » نحبذ مطالعته صفحة صفحة ، وكم تمنينا لو يطبع طبعة شعبية أو على حساب أحد المثرين ليوزع مجانا ، فهو لا يستغني عنه مسلم ، بل وأي انسان لما فيه من دعوة الى الفضيلة والمحبة . نشرته مؤسسة الاعلمي للمطبوعات في بيروت ويطلب منها ومن مؤلفه. كما انا نشكر مؤسسة الاعلمي على نشرها مثل هذه المطبوعات النافعة .

في مواكب النور

دفورجاك : إبن القصاب

بقلم : سمير حنا خيمه

الاب : (مناديا) ـ أنطوتين أين أنت ؟

دفورجاك : (من بعيد) ـ أنا هنا يا أبتاه ، في بيت المؤنة .

الاب (غاضبا) : تعال ... تعال ساعدني في تلبية رغبات الزبائن .

دفورجاك (من بعيد) : أنا آت .. سأفرغ اللحظة من وضع النوتة الموسيقية لقطعة أعمل فيها منذ أيام .

الاب : دع ذلك الآن وتعال صر اللحم والمقانق للزبائن .. أنت هنا لتعاونني في عملي ، لا لتؤلف القطع الموسيقية .. يكفي انشغالك بذلك في البيت .

دفورجاك : قلت لك انني آت ... هه ... ها أنذا ...

الاب : ان عملنا يا بني يطعمنا خبزا فلا حاجة لهدر الوقت في الفن ، ان كل الموسيقيين يتضورون جوعا ، أو يعيشون عيشة الكفاف .

دفورجاك : ولكنني أعمل معك في هذا الحانوت ، وانصرف في أوقات الفراغ الى الموسيقى ... فأين الضرر في ذلك .

الاب : بين يديك الآن مهنة شريفة ، وعمل مستمر باذن الله ، فانصرف اليهما بكل اخلاص وقوة تضمن مستقبلك ومستقبل أسرتك وتق نفسك شر العوز والفاقة .

دفورجاك : الحقيقة ، يا أبتاه انني لم أخلق لهـذا العمل ••• ان رأسي يضج بالاغاني والالحان في غمرة صنع المقانق ؛ ووزن شرائح اللحم وصرهـا وبيعها •• سأظل أساعدك في عملك هـذا ولكن لـن يصرفني عـن التأليف الموسيقي والعزف على الكمان شيء •

الاب : أنا يا انطونين •• أنا لن أكرهك عـلى عمل شيء لا رغبة لـك فيه ••• واذا لم يكن عملي هذا في بيع اللحم يروقك فـما قولك فـي ادارة النزل الصغير الذي نكسب منه معيشتنا ، أمك وأنا واخوتك السبعة ؟

دفورجاك : أرجوك يا أبتاه دعني وشأني فأنا لن أجيد غير الموسيقى •• أتود أن تسمع معزوفة « اليوكا » التي فرغت منهـا الساعـة ؟ سترى انني أستحق أن أتلقى دروسا في الموسيقى في براغ •••

الاب : لن أسمع شيئا ••• لا « اليوكا » ولا سواها ••• يكفينا اضاعة الوقت ••• ولكن قل لي من أين ستأتي بالمـال اللازم للذهاب الـى براغ ؟ أنسيت أننا نعيش على الكفاف ؟

دفورجاك : لا ، لم أنس ••• ولن أكلفك شيئا ، عمي يثـق بموهبتي الموسيقية وقد وعدني بمبلغ يساعدني على الانتقال الى براغ والدراسة فـي معهدها الموسيقي ••• وفضلا عن ذلـك يمكنني أن أكسب بعض النقـود بالعزف على الكمان طوال الطريق الى العاصمة •

الاب : ولكنك ما تزال في السادسة عشرة ، يا انطونين ، فكيف يسمك أن تعيش وحدك في الغربة ؟

دفورجاك : لا عليك يا أبتاه •• فلا بد أن أجد زملاء لي في مثل سني يتابعون دروسهم في الكونسرفاتوار فنقيم معا ، ونقتصد هكذا في النفقات•• أرجو الا تقف في السبيل الى المستقبل الذي ينتظرني واعلم يـا أبتـاه ، ان الموسيقى هبة من الله فلا تستهين بها ••

الاب : لست أدري ما العمل •• كل ما يمهني قوله لـك ••• وفقك

انالــه ...

دفورجاك : شكرا وسأسافر من الغد الى براغ .

مؤثرات (انتقال موسيقى)

(يعقبه عزف على البيانو ...)

صوت القصاص : أحسنت يا انطونين ... ما هذه القطعة التي عزفتها ؟

انطونين : انها جزء من مقطوعة ، أو قل ملحمة وطنية دعوتها « ورثــة الجبل الابيض » ...

صوت ٢ (مستغربا) : « ورثة الجبــل الابيض » ؟ وماذا تعني بهــذه التسمية ؟

دفورجاك : بلادنا ــ بوهيميا ــ كما يخفاكم غنيــة بالالحان الشعبيــة والموسيقى العذبة التي يتناقلها السكان جيلا عن جيل . والكثير من الالحان التي يرددها الجميع مرحة يتغنون بها وهــم يقومون بأعمالهم في الحقــول ، فتساعدهم على اتقان هذه الاعمال ...

صوت ١ (مقاطعا) ولكن هذا اللحن الــذي سمعناه منك الآن يبــدو كئيبا ... أليس كذلك ؟؟

دفورجاك : أجل ... فكما في الموسيقى ألحان مرحة فرحة كذلك هناك ألحان يطبعها طابع الحزن لانها تنبع من ذكرى مؤلمة ... ألا تذكرون معركة سنة ١٦٢٠ التي خسرت فيها بوهيميا الكثير من الدماء ؟ هذه القطعة « ورثة الجبل الابيض » تصور تلك الايام الكالحة في تاريخنا القومي .

صوت ٢ : ولكن في هذه المقطوعة ، ولا ريب ، ألحان مرحة ؟

دفورجاك : طبعا ... فانتم لم تستمعوا الا الى جزء منها ... في هذه المقطوعة يتغنى البوهيميون بالامل الكبير الذي يلهبهم حماسة ... هذا الامل الجديد الذي أخذ يعصف في النفوس ، في كــل مكان من أوروبــا ، بفضــل

الحركات التحررية التي صهرته .

دفورجاك : كان ينبغي لي أن أفرغ منهـا لو كنت أملك ثمـن الورق لكتابتها .. ألا تلاحظون أنني أكتب النوتة أحيانا على أوراق قذرة مهملـة ملقاة في الشارع ؟

صوت ٣ : بلى ... ولكن ينبغي لنا أن نفعل شيئا لتوفير المـال اللازم لنا ... فكم من مرة بتنا على الطوى توفيرا لثمن الحطب الذي تتدفأ عليه ، أو لاصلاح خلل طرأ على البيانو ..

دفورجاك : وما العمل ؟ فالفن يقتضي تضحيات ... واذا كان مستقبلنا يتوقف على ما نقوم به الآن من تضحيات فحبذا التضحية بالدفء والطعام من أجل المستقبل ...

صوت ١ : نسيت ان أقول لك ان مصح الامراض العقليـة في بـراغ بحاجة الى فرقة موسيقية وسياسية لاحياء حفلة لنزلائه بعد أسبوع .. وقـد اتفقت مع الادارة ان تتولى نحن الستة الذين نقيم في هذه الحجرة المتواضعة على احياء الحفلة فما رأيكم ؟

الجميع : فكرة رائعة ..

صوت ٢ : هذا المبلغ سيوفر لنا بعض ما نحتاج اليـه في هـذا الشتاء القاسي .

دفورجاك : وهناك عروض للعمل في بعض المسارح أقترح أن تلبيها ..

مؤثرات (انتقال موسيقي)

دفورجاك : أيها الزملاء ... حمدا لله ، فقد أخذ بيدي وأوصلني الى ما أصبو اليه ... أنا تارككم عما قريب الى انكلترا بناء على دعوة من ادارة « قاعة البرت الملكية » التي نظمت لي بضع حفلات في لنـدن نفسها وسائر المدن الكبرى ...

صوت ١ : يؤسفنا أنك ستغادرنا بعد اقامتنا معا طوال هـذه المـدة ، ولكننا نرجو لك كل توفيق ••• ويكفيك فخـرا ان الجائزة الماليـة الاخيرة التي منحتها لك حكومة براغ على مقطوعتك الرائعة العديدة كانت بايعاز من الموسيقي الكبير برامز •

دفورجاك : اني أعتز بهذا التقدير كما اعتز بصداقتكم يا اخوان السراء والضراء ••• وفقنا الله جميعا •

مؤثرات (انتقال موسيقي)

الراوي : وعلى أثر النجاح الكبير الذي لقيـه انطونين دفورجاك فـي انكلترا سنة ١٨٨٤ منحته جامعة كيمبريدج درجـة الدكتوراه الفخريـة في الموسيقى ، فكتب يقول في نهاية الحفلة بعد تسلمه الدكتوراه :

دفورجاك : كنت كالصنم طوال الحفلة ، فمثل هذه المناسبات الرسمية تضايقني كثيرا ••• فالوجوه كانت جديـدة ، والجميع كانـوا يتكلمون باللاتينية ، يتكلمون بها معي وعني ، ولكم خجلت لاني لم أكن أعرف حرفـا من اللاتينية •

الراوي : وكان دفورجاك ، كلما ابتعد عن موطنـه بوهيميا ، عـاوده الحنين الشديد اليه ••• وتلك كانت حاله عندما رحل الى الولايات المتحـدة الاميركية سنة ١٨٩٢ ليتسلم ادارة الكونسرفاتوار الوطني في نيويورك ••• وأخيرا عاد الى بوهيميا بعد ان أثبت مكانتـه الموسيقية في العالمين الجديـد والقديم ، عاد ليطعم في حديقـة منزله الريفي الحمـام ، وليقف في محطـات السكك الحديدية التي كان يجد لذة فائقة في قضاء بعض الوقت فيها •••

أحدهم : غريبة حقا هذه الهواية ، يا دفورجاك •••

دفورجاك : صحيح ولكني أجد لذة في شم رائحة الدخان وسماع صوت القطارات ، ومعرفة مواعيدها وأسباب تأخرها •••

أحدهم : وقد قيل لي كذلك أنك تعرف أسماء سائقي هـذه القطارات وأرقامها ، وأسماء عمال المحطة مع أسماء زوجاتهم وأولادهم ...

دفورجاك : تماما ... وكثيرا ما تراني أوفد تلامذتي من الموسيقيين أمثال ليهار وسوك للاستفسار عن سبب تأخر هذا القطار أو ذاك ... وأسمع ماذا جرى بيني وبين سوك هذا وكان قد تقدم لخطبة ابنتي ...

مؤثرات (انتقال موسيقي)

آنا : الحمد لله على سلامتك يا سوك .. لقد غبت عنا فترة من الزمن.. متى وصلت ؟

سوك : اليوم الساعة العاشرة في قطار رقم ١٧٨٢ وقد مررنا بعشرات القرى في طريقنا الى هنا .. وتوقفنا عند قرية واحدة بسبب عطل أصاب القطار السار ... وكان اسم السائق جوزيف ..

دفورجاك (غاضبا) : أتسمعين يا آنا ؟ أهذا هو الرجل الذي تريدين الاقتران به ؟ أهذا هو ؟ ان الرقم ١٧٨٢ ليس رقم القطار يا سوك ، انه رقم الرحلة . والقطار رقمه ٣٤٠٠ والسائق لا يدعى جوزف ، بل جورج ... وبعد كل ذلك تريد الاقتران بابنتي ؟ أكاد أجن ... أنا خارج الى الحديقة لأطعم الحمام ... أرجو ألا يزعجني أحد منكما (يغلق الباب خلفه) .

هيلين : أنت الموسيقي دفورجاك ... لقد عرفتك من لحيتك الكثة ..

دفورجاك : ومن أنت أيتها الصغيرة ؟ وماذا جئت تفعلين ؟

هيلين : أنا هيلين هنشل ، وقد جئت لآخذ توقيعك على هذا الاوتوغراف ... وأعرف مواعيد نزولك الى الحديقة لاطعام الحمام ...

دفورجاك : هنشل ليس غريبا عني هذا الاسم ... هـه ألست ابنة المغنيين هنشل ؟ أجل الآن تذكرت ، لقد زرت في صباي والدتك وقدمت اليها تحياتي واحترامي .

هيلين : وأنا كذلك موسيقية ، ومغنية ، وقد جئت للحصول على توقيع موسيقنا الكبير ... هل الك أن تكتب لي نوتة موسيقية على هذا الدفتر ؟

دفورجاك : بكل سرور يا بنيتي ... ماذا تودين أن أكتب ؟ نوتة أيـة متطوعة تفضلين ؟

هيلين : أي مقطع صغير من الحركة البطيئـة في سنفونيتك « العالـم الجديد » فهي في رأيي من أجمل المقطوعات الموسيقية وأروعها على الاطلاق .

دفورجاك : حسنا ... ان لهذه السمفونية ذكريات حلوة عزيزة عـلى قلبي .

هيلين : انها ولا شك تذكرك باقامتك في العالم الجديد ...

دفورجاك : أجل ... لقد برمت بالحياة في نيويورك فهجرتها الى قريـة وادعة هي سبيلفيل حيث وضعت الجزء الاكبر من هذه السنفونية وقد ترددت طويلا قبل تسميتها باسمها الحالي لانني رغبت في بادىء الامر أن أطلق عليها اسم سنفونية سبيلفيل ، تخليدا لذكرى حقول الذرة التي عشت وسطها ابان وضعها ...

هيلين : اذن فأنا لم أخطىء في اختياري هذه السنفونية لاحتفظ بنوتـة تذكارية بخط يدك ؟

دفورجاك لا ... هات الدفتر ... (بعد فترة صمت) اليك بالنوتـة وبالتوقيع ...

هيلين (مسـرورة) ـ شكرا جزيلا يا سيدي ، أستودعك الله ...

دفورجاك : مع السلامة ، يـا صغيرتي ... أرجـو مستقبلا كمستقبل ذويك في العالم الموسيقي والغناء .

سمير شيخاني

شعراء كربلاء المعاصرون

عبد الجبار الخضر

بقلم : سلمان هادي الطعمة

من الاصوات الشعرية الشابـــة بنضجها وطموحها لمواصلــة المسيرة الشعرية . شغف بالادب وانقطع لمطالعة كتب الادب ودواوين الشعراء قديمها وحديثها ، فكان شاعرا وقاصا اعتمد على نفسه ، وظهرت قابلياته الادبية في وقت مبكر من حياته ، فتأثر بالمدرسة الحديثة للشعر .

هو عبد الجبار بن عبد الحسين بن الحاج خضر بن قنبر بن خضير ، ولد في كربلاء سنة ١٩٣٥ م . تلقى تحصيله العلمي في الابتدائية والثانوية وتخرج من دار المعلمين الابتدائية ببغداد عام ١٩٥٥ م . تنقل في عدة مدن وعــاد الى مسقط رأسه ــ كربلاء ــ ارفد الحركة الادبية في المدينــة بمعطيات وطنيــة وقومية . وكانت ندوات كربلاء وأماسيها الادبية قد جمعت الادباء ؛ وساعدت على تطور الحركة الفكرية عامة ، وترأس (جمعيــة الثقافة الوطنيــة) سنة ١٩٦٩ م . وفضلا عن مساهمته النشيطة في تلك الندوات فقــد ساهم فــي الصحافــة الكربلائية التي كانت تصدر ــ آنــذاك ــ منها جريدة (شــعلة الاهالي) ومجلة (الرائد) ومجلة (الحرف) وغيرها ، الــى جانب الصحف العراقية والعربية .

أصدر الشاعر عبد الجبار الخضر قصيدة مطولــة باسم (شهرزاد فــي خيام اللاجئين) تتخللها أفكار ذات نفس قومي ، حيث دعا فيها الــى القضاء على الصهيونية ؛ وذلك بتحرير كامــل التراب العربي من الغــزاة المعتدين .

جـاء فيهـا :

يـا شهرزاد •••
يـا شهرزاد •••
قصي علينا قصة السبي اليهودي
قصي علينا •• واسمعينا
وتنقلي ما شئت ••
فالتاريخ موفور التسلسل والتزحاق والكرامة
لا تتعبي •• قصي علينا
وضميرنـا ••
عفوا اذا ما لذت بالصمت العميق
لاننا لا نملك التفويض
بالسرد الطويل ولا القصير
قصي علينا شهرزاد
وتنقلي ما شئت من عصر لعصر
اروي لنـا
عن اورشليم سبية
تستاف من لعق النعال البابلي
وتلوذ كالمنبوذ
تبكي لعنة التاريخ
أجيالا طويلة
قصي علينا ذلة
ضربت وقد أعيت
بوطئتها الثقيلة
كل اليهود

كل الضمائر ..

والى جانب تفاعله مع أحداث الوطن العربي ، فهـو يعود بين الفينـة والاخرى الى ذاته ليحاكيها في شعر عاطفي أخاذ . ومن أدل الابيات على رقة احساسه قوله في قصيدة (لو قلت) وهي رشيقة خالية من الغموض ، خلابة الموسيقى ، فهو يقول :

لو قلت لا أهواك يا حلوتي
وجفت اللوعة في مهجتي
وماتت الايام في خطوتي
ماذا عـاني فاعلا بالهوى
بالحب ، بالاحلام ، بالصبوة
ماذا يقول الشعر لو انني
طلقت اشعاري وقيثارتي
يا طالما غنيت شعر الهوى
في ليل أحلامي وفي وحدتي
تنهل كالالحان أطيافها
وترتمي جذلى على عتبتي
ماذا يقول الناس يا حلوتي
لو قلت لا أهواك بالمرة

ونمضي مع الشاعر في عواطفه المتدفقة بألوان الالم . انها صور مشرقة، يقول فيهـا :

لم يعد ينداح ملء السمع والابصار نبع
وبعرق النخل ما عاد يمص الماء ضرع
وعلى أنغام وقع الليل لن يهتز سمع
ودروب أرهقتها وحشة الموت وروع

فانبرى الجدب يغني لم يعد يلتم جمع
لم يعد يغسل جفن الليل والظلماء دمع
وعلى جرح القوافي نزف آهات ورجع
مات أيوب غريبا وانطوى جرح وضوع
حاملا للناس مصباحا على الدنيا يشع
فأثار الدرب الموت وللمجهول وقع

وأما قصيدته (جيكور والصمت) فيها نفس جديد ، حيث يبدو ذا رقة أكثر ووصف أجمل وقلب أرق ، اسمعه يقول :

الخريف الشاحب المبهور من أهرق صبحه ؟
والنداء الوارث الاصداء من أسكت جرحه ؟
والانين النازف الالحان من أطفأ سحه ؟
لم نعد نسمع في جيكور عبر الصمت بحه
لم يعد يسفح في جيكور رب الشعر برحه
لم تعد تهزج يا غيلان في جيكور دوحه
و (بويب) لم يعد يسكب للافياء بوحه
و (الشناشيل) تغني كسر الفارس رمحه
وهوى نجم القوافي بعد أن خلف سفحه
ونداء الموت في ذروة معنى النصر صفحه

ولعل ما عرضناه من شواهد لشعر الشاعر ، تشكل بؤرا مضيئة في شعره المطبوع والمخطوط ، واذا أردنا دراسته بشكل شمولي ، نحتاج الى صفحات طوال ؛ ولكننا توخينا الاختصار ، وفي تلك الاضمامة يمكن ان تتوضح للقاريء الصورة الكاملة الى حد ما عن الشاعر عبد الجبار الخضر وعن نفثاته وأحاسيسه .

كربلاء ــ العراق سلمان هادي آل طعمة

لو قلت :

شعر : عبد الجبار عبد الحسين الخضر

لو قلت لا أهواك يا حلوتي
وجفت اللوعة في مهجتي
وماتت الايام في خطوتي
ماذا عساني فاعلا بالهوى
بالحب •• بالاحلام •• بالصبوة
لو قلت لا أهواك يا حلوتي

❋❋❋

ماذا يقول الشعر لو انني
طلقت أشعاري وقيثارتي
يا طالما غنيت شعر الهوى
في ليل أحلامي وفي وحدتي
تنهل كالالحـان أطيافها
وترتمي جذلى على عتبتي
ماذا يقول الناس يا حلوتي
لو قلت لا أهواك بالمرة

❋❋❋

لو قلت لا ارعى عهود الهوى
وحبنا ولى بنـا وانزوى
لو قلت اني طائر حائـر
نخيط للشمس ثياب السـنى
يندف للعشاق من ريشه
وسائدا ترفل فيها المنى
لو قلت اني صفحة تنطوي
وتنمحي في طيها أسطري
ترتاح في ترديدها أضلعي
ويستفيق الشوق في أبحري
وأدمعي كم صغتها أنجما
تبحر بالاحلام في خاطري

***

كم ليلة بتنا على ليله
وليس يطوينا سوى مئزري
ماذا عساني فاعلا بالهوى
بالحب .. بالاحلام .. بالصبوة
لو قلت لا أهواك يا حلوتي

كربلاء ـ العراق عبد الجبار عبد الحسين الخضر

الشاعر والفداء

شعر: عدنان حمدان

بين الاسى وتلهب الاشواق … نهب الكرى من قلتي احداقي
لا المرمضات المضنيات تعافني … يوما ، ولا لصبابتي من راق
تعدو بصدري عدو خيل سباق … بلق – لدى سوح الفلاب – عتاق
فتعاورتني هذه تتناشني … عصا وتلك تفننا بوثاقي
وتقاسمتني هذه لتبيبتي … نهبا وتلك بقية الارماق
فتخال ربع القرن زيد بمثله … لخميص كشح او ضمور صفاق
وكانني شجر عشت بوريقسه … كف الخريف عشوة الإيراق
اسيان مجروح الفؤاد وليس لي … الا اليراع يطوف في الاوراق
اشكو له بثي فيكتب لوعتي … شعرا باسلوب له منساق
ويلزني المي فيعكس اوعتي … في توريات مرة وطباق
ليظل طرسي ذكريات بحزة … خطت باخيلة لدي دقاق
والطرس ابيض مظلم اما اذا … ما اسود حبرا فاض بالاشراق

★★★

منهومة الخطرات جوبي في الدنى … وتوغلي بغياهب الافاق
وتشبثي بالريح ينهض متنها … بك مرغما او فوق متن براق
لا يثنك الارهاق الا تنفخي … روحا بكل رهينة لسياق
وتقحمي الابواب لا تتهيبي … ان كان صدك محكم الاغلاق
وخذي زمام النيرات وشهبها … ثم ارتقي اخرى بلا اشفاق
وتتبعي اثرا يرد بك منهلا … عذبا غزير النبع حلو المذاق
من حوله حفت سقاة مواهب … يسقونها للراغب المشتاق
فتمحصي فيهم تري لك مجمعا … ضم الالوف على الصعيد الراقي

وإذا أردت تمحصا تجديثهم ... من كل جواب الدنى افاق
فخذي خلاصة ما اجتنوا ثم أرجعي ... رهصا لقلبي النابض الخفاق
والقلب لا اسميه قلبا ان هفا ... بسوى الخيال المبدع الخلاق
نهم الخيال اذا تمثل فكرة ... شماء يمرق من ادق نطاق
يجري قوي الزخم يمخر ابحرا ... هوجا يصول بموجها الصفاق
لا عارم الامواج يعيي متنه ... اسوءا ولا الظلامة الاغساق
واذا يشاء فمثل انسام الصبا ... رخوا على زهر ـ نفحن ـ عباق
وعلى الشقائق والخمائل والربى ... وعلى رياض حلوة وسواق
وعلى صدور كواعب ومآقي ... وعلى الشفاه اللعس في ارفاق
واذا رأى جدبا يحوم سحائبا ... يمطرنه بانوابل الغيداق
حتى يطوقه بالوان الجنى ... مثل العروس تزان بالاطواق
فهو الفدين لو احسن استغلاله ... ويملأ الدنيا بخير خلاق
فيفيض عزا بعد مر مذلة ... ويلم شعثا بعد طول شقاق
ويعيد امجادا تبدد شملها ... فتناهبتها غارة السراق
ويمور بركانا يجلجل ثورة ... وبكل شعب ثائر مصداقي
(فالفدى) مبداه تحدر فكرة ... مخضت بهذا المارد العملاق

★★★

ركب الفداء فديت من متحدر ... قد طل من ذر وشم مراقي
مرحى لضجيرك حيث شد عيوننا ... شغفا بآمال لديك عناق
وهفت قلوب كاد يوقف خفقها ... يأس تسلمها من الاعناق
قنطت لكثرة ما جنت من قادة ... كذبا ومن برق لهم الاق
عشرون عاما والثغور سخينة ... نيرانهن رهينة الاطلاق
عشرون والحرب الكلوب مقيمة ... لكن بلا قدم لها او ساق
والقوة المسكين يشكو بؤسه ... وهزاله لقسم الارزاق
واللاجئون ضحية الاملاق ... نزلوا بكل زكية ووطاق
وسرت أحابيل تخادع تارة ... لتضيق هي أخرى الى الاشناق
واذا بهامك من وراء غياهب ... متـارم متوقد الاحداق
يعدو وملهبة اللحول جواده ... كالشنفري في عدوه السباق
وضاء تحمل الف فجر كفه ... للجنة عجزت عن الاشراق
فصعقت رهطين : دمى بقصورهم ... قبعوا ورهط قمامة الآفاق
وطفقت تحرق باسنا بملاحم ... بوركت من ملحمة حراق
ومسحت عارا ظل شعبي كله ... من حيفه متواصل الاطواق

قد كاد يستحي يجاهر باسمه ... من فرط ذل مثقل الاطباق
العار يعلق بالقليل وماله ... غير الدماء سخية من واق
لكن رؤوس الشر تخشى نفسها ... بتربص متلفع بنفاق
حتى اذا رأت العيون تطبقت ... طلعت كغول واسع الاشداق
لتعيد ما خسرت وتداب دابها ... بتلون وخديعة وشقاق
وتعد ضربة حاقد متمرس ... بالفتك مثل الذيب وسط بـراق
فتشل كفك ان تمد بعزمة ... اقوى وتفتك بالطغام الباقي
ولها بصفك الف بائع شعبه ... ومصيره بالاصفر البراق
فابحث تجدهم صاغرين وخبثهم ... يجري خلال الدم في الاعراق
لا يخدعنك ان ترى بشفاههم ... بسمات رد او وفاء رفاق
فلرب بسمة باسم هي ومضة ... لتلهب الاحقاد في الاعماق
وازحف لتبلغ ما كرعت من اجله ... مليون كاس للعذاب دهاق
وافتح فان وراء فتحك امة ... سمحاء لا تخشى من الانفاق
لا تبتئس بالتضحيات فانها ... لعروس نصرك بعض بعض صداق
والموت في ظل العقيدة خمرة ... صهباء والرشاش كاس الساقي

كربلاء ـ العراق ... عدنان حمدان

❋ ❋ ❋

وفاة الشاعر الكربلائي
مهـدي جاسم

حينما كنا بالعراق في الشهر الرابع من هـذه السنة بلغنا نعي الشاعر الكربلائي والمربي الفاضل الاستاذ مهدي جاسم ، وقد أقام لـه أدباء كربلاء وشعراؤها حفلة تذكارية تكلم فيها عدد من الادباء والشعراء ، وهو من الشعراء الذين يستحقون التكريم ويجد القارىء في العدد القادم مقالا عنه بقلم مؤرخ شعراء كربلاء الاستاذ سلمان هادي آل طعمة •

بين بيروت وطهران

بقلم : زائر

يوم السبت ٢٤ شباط ١٩٧٩ ذهب الى ايران وفد مؤلف من ٨٩ شخصا منهم مقدار ثلاثين من علماء الدين وبعض الشباب المثقف المخلصين لسماحة الامام السيد موسى الصدر من الله على الامة بسلامته برئاسة نائبه برئاسة المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى العلامة المفضال الشيخ محمد مهدي شمس الدين وبعض شباب منظمة امل برئاسة امين المنظمة النائب الحر السيد حسين الحسيني وكانت هذه الزيارة لامرين الاول تهنئة آية الله السيد الخميني والامة الايرانية المسلمة المجاهدة بالنصر والظفر على الشاه الظالم وطغمته والثاني لحث الحكومة الايرانية على الاهتمام والعناية بقضية اختفاء سماحة الامام الصدر .

ذهب الوفد على متن طائرة الشرق الاوسط ووصل الى طهران بعد ساعتين من مغادرته بيروت وانزلت الحكومة الوفد في فندق فخم وزار مقبرة شهداء الثورة وقراءة الفاتحة على تلك الارواح الطاهرة في جنة الزهراء وتبعد عن طهران ٢٠ كيلومتر وتغدى يوم الاحد على مائدة الامام الخميني وقابله ولقي من سماحته الترحيب وراى الوفد ان سماحته لا يقل عن الوفد اهتماما بقضية الامام الصدر وكذلك راى ذلك من جميع من قابلهم من العلماء الاجلاء آيات الله في طهران وقم ومشهد وزار رئيس الوزراء الوفد ورحب بهم وقال ان غياب الامام الصدر يعادل عندنا غياب آية الله الخميني لا سمح الله ويوم الثلاثاء ذهب الوفد الى مدينة قم وتبعد عن طهران ١٥٠ كيلومترا لزيارة السيدة فاطمة بنت الامام موسى الكاظم واخت الامام الرضا عليهما السلام ومقامها الشريف من افخم المقامات الشريفة ويزار من جميع الاقطار الاسلامية وتغدى الوفد على مائدة آية الله شريعتمداري وهو اجل علماء ايران ورئيس جامعة قم الدينية ولقي الوفد لديه كل تكريم واهتمام بقضية الامام الصدر وقد استقبل الوفد قسم من علماء قم في منتصف الطريق بين قم وطهران وزار الوفد عالما جليلا وهو اخو آية الله الخميني ويبلغ تسعين عاما من العمر وقد ذهب اليه في زقاق صغير وبيته بمنتهى البساطة فسبحان من اخرج من هذا البيت البسيط عظيما اطاح بعرش الشاه الظالم وعاد الوفد مساء الى طهران وصباح الاربعاء توجه الى مشهد مرقد الامام الرضا عليه السلام ثامن الايمن عند الشيعة وذهب الوفد على متن طائرة ايرانية والمسافة من طهران الى مشهد

ساعة بالطائرة ومقام الامام فخم عظيم ولا يخلو من الزائرين على مدار السنة من جميع الاقطار وقابل الوفد في طهران وقم ومشهد بعض آيات الله ورأى أن الامام الصدر منزلة عالية وحب عظيم عند الجميع وعناية بشأنه ومشهد مدينة ممتازة بشوارعها وقيل ان سكانها يقاربون مليون نفس وقال عالم ايراني لبعض رجال الوفد في قم والوفد في طريقه لزيارة الامام الشيرازي في شارع لا يزيد طوله على مائتي متر انهم جمعوا من هذا الشارع وحده مائتي جثة اكثرها من النساء والاطفال فاي انسان يلوم محكمة الثورة على اعدام المجرمين فهو مجرم .

وكان في الوفد اربعة من علماء السنة الاجلاء الكرام وهم الشيخ محمد سويد مستشار المحكمة الشرعية السنية العليا والشيخ محمد علي الجوزو مفتي جبل لبنان والشيخ احمد الزين قاضي صيدا والشيخ فيصل المولوي احد قضاة الشرع في بيروت وقد سروا كثيرا لما شاهدوه ولمسوه من الشهامة والقوة الاسلامية والفداء والتضحية ومن عظم مقامي مشهد وقم وازدحام الزائرين . ويوم الخميس عاد الوفد بعد الظهر الى بيروت بطائرة الشرق الاوسط وودع بمثل ما استقبل به من الحفاوة والتكريم وتبين أن فضيلة الشيخ محمد سويد شاعر ممتاز فقد مدح الامام الخميني بقصيدة وارتجل ابياتا أمام الامام شريعتمداري وهي :

لك بالنصر يا امام التحية	انما النصر نصرنا بالسوية
آية الله ثورة نحن منها	واليها ونحن اهل القضية
شعب لبنان فتية وشيوخا	بهداها تجاوزوا المذهبية
آية الله هل لنا بامام	هاشمي يرد عنا الاذية
فوق لبنان الف شاه وشاه	اغرقوا الارض بالدماء الزكية
لا يبالون أن اطاحوا بشعب	في سبيل المصالح الشخصية
اقرضونا بالله منكم اماما	يرشد الناس للفدا والضحية

وهذه قصيدته التي رفعها الى آية الله السيد الخميني :

آية الله لا يحب الكلاما	فبماذا يا شعر نلقى الاماما
الامام الشجاع نبعة طيب	منبت الورد عنده والخزامى
آية الله أن سميت اليه	غصن لله ثورة واعتصاما
والشم السيف فهو لله سيف	هاشمي يحطم الاصناما

غن في القدس مسجدا مستباحا ... آيـة الله عينه لـن تناما
لـن ينام الامـام حتى انتصار ... يستـرد الرايـات والاعلامـا
الخميني فـي شهور قصار ... هـد عرشا وشاد عهدا قواما
ذهـل الكون مـن سلاح عجيب ... فـي يديـه يحيـر الافهامـا
كبر الشيخ فـي ربوع فرنسا ... فمضى الفرس شاهريـن الحساما
وكـأن التكبير اطلـق سحرا ... وكـأن النشور في الارض قاما
واذا الشعب بالطواغيت يهـوي ... عاجـزات فـلا تـرد السهامـا
وقصور الفساق اضحـت ركامـا ... وعروش الطغـاة امست حطامـا
واذا الشاه بعـد ملـك عريض ... نـازح فـي جوانب الارض هامـا
يطـرد الرعب نومـه ثـم يلقيـه ... الـى الرعب في عيون الندامى
عرفـت بعضها الشياة فراحـت ... تتساقى الهمـوم جاما فجامـا
لا يداجـي العميـل الا عجـل ... يستبيـح الاخـلاق والارحامـا
دنس القـدس يـوم زار المصلـى ... واهـان الابـاء والاعمامـا
راح يرجـو السلام مـن قاتليـه ... فحبـوه الاقـوال والاوهامـا
ان للشعـب ثـورة وانتقامـا ... آن يـا شعب ان تثور انتقاما
حبسوا الشمس في عبائـه وبـر ... ثـم قـدوا مـن النعال اللجامـا
ثـم شدوا عـلى الشعوب وثاقـا ... منـع الحـب بينها والوئامـا
مـن راى ان كون طهران تغلـي ... والجماهيـر تستطيب الحمامـا
أوجسوا خيفـة فصلـوا وصامـوا ... ثـم قالـوا سنشهر الاسلامـا
أتـراه الخداع يبعـد يومـا ... نـزع الملـك منهـم والزمامـا
ايهـا الحاكمـون فينـا سعيـدا ... ثـورة الشعب لـم تعـد احلامـا
ركبـت ثـورة الامـام براقـا ... ان قدرتـم فاوقفـوا الايامـا
قـل لاهل الجنوب جـاء ابوكـم ... كفكفي الدمـع يـا عيون اليتامى
يـا خرافـا سطا الذئـاب عليها ... والنواطيـر تذبـح الاغنامـا
تلك خيل الامـام همـا قـد اطلت ... تسحق اللحم منهم والعظامـا
يـا امامـا اتيـه يحمـل شعري ... شعب لبنان حبـه والهيامـا
كـل جـرح بارضنا كـل حـزن ... يـوم نصر الامام صـار ابتساما

وكان في الوفد مستشار المحكمة الشرعية الاسلامية العليـا الجعفرية السيد محمد الحسن وبعد رجوع الوفد من ايران عزم على الذهاب الى مكة المكرمة للعمرة وذلك في ١٥ آذار فارسل قبل سفره بيوم واحد هذه الابيـات الى صديقه وزميله المستشار الشيخ محمد سويد :

قال لئام الناس فيما مضى   انا يهود الامة المسلمة
مقالة خبيثة قرفت   ما وحد الدين وما احكمه
الا نرى زورا باقوالهم   اليس فيه الكذب والهيمنة
فمن رمى المسلم زورا بما   لفقه افكا وما نمنمه
ينال سخط الله رب الورى   ويصطلي في ناره المضرمه
الم تر ايران قد كذبت   اقوال تلك العصبة المجرمه
الم تر الاسلام عالي الذرى   فيها وما خالفه حرمه
اما نرى ايمانهم بارزا   كل امرىء منهم عليه سمه
اما تراهم ركعا سجدا   لله جل الله ما أعظمه
هذا الخميني اماه الهدى   زعزع عرش الشاه بل هدمه
وكان فظا ظالما مجرما   كل أمرىء حر لديه أمه
وقال : الاسلام نور للورى   ومن يحد عنه يتله العمه
وصحبه الاخيار قد جاهدوا   الشر أسودا واسالوا دمه
خمسون الفا قد قضى منهم   ليدفعوا عن شعبه المظلمة
فاي رجس بعد ذا قائل   انا يهود الامة المسلمه

❋❋❋

يا ايها العيلم الفذ لنا   من درك المنظوم ما انظمه
شعرا رقيقا كنسيم الصبا   الله ما أحلاه ما أفخمه
نظمته في فارس ناشرا   فيه شعار الحب والرحمه
يفهمه الفرس بارماحهم   ولم يكن يحتاج للترجمه
فالخير لا يخفى على مؤمن   وبسمة الحب علت ميسمه
والحق لا يكتمه مسلم   اذا الاعادي نسم يكموا فمه
وعهدهم ولى بلا رجعة   تبا لذاك العهد ما اظلمه
واهد تحياتي الى صحبنا   فهم رياض الفضل والمكرمه
واحمد الزين جدير بان   يقال ما أوفاه ما أكرمه
يهوى الامام الصدر انعم به   وهو يروس الفضل ما أنعمه

❋❋❋

انا الى بيت الهدى ذاهب   ارجو من الرحمن أن اتممه
ثم ازور المصطفى من شفا   الامة من امراضها المؤلمه
لم نجن الا حينا لمه   كل امرىء يجز بما قدمه

اسأل ربي العفو عن عبده ما أحلم الله وما أكرمه
بمثلك الاحرار من قومنا يجمع شمل الامة المسلمه

وكان السيد محمد الحسن قدم ابياتا الى آية الله السيد الخميني سلمها لاحد اخصائه وقال الذي استلمها اذا تعسر فهم بعض معاني الابيات على آية الله فانه يترجمها له الى الفارسية خاصة هذا البيت :

بك نرجو خلاصه بعد يأس لا تلمنا ان طال منا اللسان

وهذه هي الابيات :

آية الله انت للدين حصن بك عز الاسلام والايمان
جدك الاكرم العظيم محي الشرك وخرت من بأسه الاوثان
فاعد عهده وعهد علي سيد الاوصياء بصفو الزمان
انت فخر للمسلمين وعز انت للدين والهدى عنوان
انت سيف على الطغاة صقيل عندما لاح مادن الاركان
ستلاقي من ثورة الخير خيرا مثلما اشرقت بها ايران
بك نرجو خلاص (عامل) ممن زعموا انها لهم اوطان
لا تدع شيعة الامام علي تيهود أعمتهم الاضغان
اونسي الامام موسى وقد با ت أسيرا يقيده السجان
وهو قد جاهد الاغلال كما جا هدت جهرا فخانه الطغيان
فابو الصدر وهو خل كريم لك حلت لبعده الاشجان
فبحق الاله انقذ قلوبا كل قلب لبعده ولهان
بك نرجو خلاص بعد يأس لا تلمنا ان طال منا اللسان
نسأل الله أن يعود الينا ان يعد عاد للهدى لبنان
دمت للمسلمين ركنا ركينا بك عز الاسلام والايمان

زائر لايران

❊❊❊

من جعفر الخليلي

الى زهير ماردني

بقلم : جعفر الخليلي

على كثرة الوان سوء الحظ وضروب أشكاله فانه يكاد يظهر عندي في الغالب بشكل واحد يقفني موقف المقصر في وجه الادب الذي انتسب اليه سواء بحق او بغير حق ، ومن الوان سوء الحظ هذا الذي طالما اصطبغت به ، هو اني كثيرا ما اقع تحت ظروف قاهرة تحـول بيني وبين اداء الواجب الادبي المفروض كأن اتشرف بهدية صديق من آثاره الادبية فيستحيل الرد على ذلك مني ، حتى بكلمة شكر مالوفة فاغدو على الرغم مني في زمـرة المقصرين ، والقاصرين ، ولو كنت كابن عمي محمد الخليلي ــ رحمه الله ــ وكان قصير القامة ، لكانت معذرته معذرتي حين كان يقول حين يريد ان يعتذر بانه : قاصر ، ومقصر ، وقصير ، ولكن طولي لا يشمله هذا القصر في القامة وان لم اعد في عداد الطوال من الناس ، ومن المؤسف ان اتلقى الجزء الاول من كتاب (عشرة من الناس) في العام الماضي واقراه بلـذة فتحول الظروف بيني وبين الاعراب عن شكري فضلا عن رأيي في الكتاب الذي كان يضم عددا ممن تجاوزت معرفتي بهم الى الصداقة بالاضافة الى من كنت أعرفهم في الغالب على البعد ، وكان المؤلف اعني زهير ماردينى كريم النفس واسع الصدر فلم يعتب ، ولم يؤاخذ ، وكنت انا من الجرأة ، والجسارة بحيث لم اعتذر ولم استمح العفو .

واليوم ، أتلقى هدية نفيسة أخرى هي الجـزء الثاني ، يتناول فيه المؤلف عشرة أشخاص من المشاهير في عوالمهم اتخذت منه مجلـة العرفـان الزاهرة بديلا عن العـدد السادس والسابع ، كما اتخذت الجزء الاول بديلا عن أحد أجزاء هذه المجلة العريقة في الخدمة الادبية ، والاغراض الاجتماعية والوطنية الحقة .

ومن سوء حظي أن تجئني هذه الهدية ، وأنا في ظروف لا أقول اني كنت

فيها أشغل من ذات النحيين ، لاني كنت أستطيع ان أقرأ الكتاب قراءة امعان، وانعام ، وقد قرأته من ألفه الى يائه ووقفت طويلا عند من كنت أعرف عنه شيئا لا أقول انه كان وانما كان كافيا عندي ممن عرض لهم زهير مارديني في هذا الجزء ، ولكني وانا أعد نفسي للعودة من مصيفي الى موطني لم يكن لي بأن أكتب الى زهير ماردبني بأنك قد أحسنت للتاريخ وللادب ، وللصحافة الحرة وان لم يستكثر ذلك على واحد عرف بحسن الاداء ، والانصاف ،والبراعة في تصوير الفكرة ، واخراجها من وراء الستار ، وعرضها تحت العيون .

في هذا الجزء الذي تناول زهير مارديني عشرة أشخاص آخرين تتجلى مقدرته وملكاته الصحافية والادبية في ثلاثة اتجاهات :

أولها العرض الموجز لحياة الشخص ونشأته ومواهبه وضرب بعض الامثال للدلالة على بعض جوانب حياته أو أفكاره مما ينطبق عليه قاعدة (ما قل ودل) أو مراعاة (الايجاز) في علم البلاغة والبديع ، مثل عرضه لترجمة شفيق جبري ، ولم يأتنا بالرائع من شعره في عدد من المجالات التي جود بها شفيق جبري أكثر مما جود في المجالات التي أوردها المؤلف باستثناء رثائه لصبري العسلي التي ختم بها هذا العرض الجميل ، أو مثل عرضه لنشأة الدكتور منير العجلاني ، وكم كان من الجميل لو أورد المؤلف نص الدفاع الذي دافع به العجلاني عن نفسه أو الاشارة اليه والى وقعه في النفوس .

وثانيها : التصويرة البارعة للظروف المعينة لزمن معين ، وهذا مما يحتاج الى احاطة كاملة بالعوامل الاولة الى تلك الحالة ، وقلم سيال حر لا يميل يمينا ولا يسارا ، وكل ما يهمه ان يكون مرآة صافية ، وصورة صادقة ، وقد كان زهير ماريدني ، هو ذلك المصور البارع صاحب القلم السيال الذي اتخذ منه عدسة تساعد في تجسيم النقطة البعيدة وتقريبها للعين ، وقد ظهرت هذه البراعة باجلى صورها وهو يصف الظروف التي جاءت بالياس سركيس الى رياسة الجمهورية ، وما كانت عليه لبنان في ذلك الوقت الذي سيكون ما كتبه زهير ماريدني خير مرجع لمن يريد ان يرى لبنان في وسط تلك التيارات المتضاربة رؤية صادقة واقعية .

وثالثها : البراعة في كشف بعض الخفايا التـي ظهرت في معظم عروض هؤلاء (العشرة من الناس) والمثيرة للدهشة في كثير من المواقع وعلى الاخص في عرضه لعبد الحميد السراج ؛ فقد كان زهير مارديني هنا الصحافي الـذي لا غنى عنه للتاريخ الذي أطلق عليه المرحوم حبيب جاماتي اسم (تاريخ مـا اهمله التاريخ) ولشد ما يدهش القارىء ما يختزن ذهن زهير مارديني مـن الحقائق الخفية المستورة التي لولاه لاختفت عـن الوجود الى النهايـة لانها خصت به دون غيره ، وساقته ملكاته الصحافية الممتازة الى الوقوف عليهـا وقوفا كاملا ، ضاربا بعواطفه عرض الحائط ؛ ويسرك من زهير عـدم نسيانه مزية لعبد الحميد السراج بين جميع مثالبه في مفهوم الناس ، وهي عفته وعدم امتداد يده الى أموال الناس وأموال الدولة ، ولو أراد ذلك لامتلأت يده ما دام كل شيء كان تحت تصرفه ، ثم الابـاء الذي تجلى فيه بأجلى مثال حـين رفض تسلم المبالغ التي تدفعها مصر عادة في كـل شهر للاجئين السياسيين ، وكان كل ما طلب هو أن يعهد له عمل يقوم به ليعيش منه فلا يكون كلا على أحـد .

ان تسجيل مثل هذه المزايا من لدن شخص كزهير ليس على حال حسن مع السراج ليدل على انصاف وعفـة قلم قلمـا تجدها اليوم عنـد معظم صحافيينا .

وما أسهل على القارىء أن يلمس موهبة زهير الادبية المشرقة حين يمـر على عنوان كل شخص في هذا الكتاب فهو يعنون كلمته عن فؤاد سراج الدين بقولـه :

فارس لن يترجل

ويعنون كلمته عن عبد الحميد السراج بقوله :

ولد في الظلام

وحكم في الظلام

وهرب في الظلام

وحين تقرأ مقاله عن عبد الحميد السراج تجده كذلك بدون أيــة زيادة ونقصان •

وهكذا هو في كل عنوانات رجالاته أديب بليغ يحسن وضع الكلم فـي مواضعها •

وأنا لا أعرف مبلغ معرفة زهير بالذين أريد أن يضمهم الجزء الثالث ومع ذلك فكم يسرني لو ضم الجزء القادم ، عجاج نويهض ، والياس فرحــات ، ووديع فلسطين ، والدكتور عبد السلام العجيلي ، وسامي الكيالي ، هذا اذا كان لدى زهير ما يساعد على التعرف اليهم عن كثب أو بعد • وعذرا لأبــي محمد اذا جاءت الكلمة غير وافيــة بالمقصود اذ كــان الواجب أن لا أكتفي بالعرض الموجز الشامل ، ولكن سوء الحــظ الذي ظل يرافقني هو المسؤول عن ذلك فمعذرة وعفوا •

سوق الغرب ــ لبنان **جعفر الخليلي**

***

مصاب آل النحاس

فجع آل النحاس بدمشق بوفاة المأسوف على شبابه « هاني النحاس » اثر سكتة قلبية لم تمهله ، وقد شيع الى مقـره الاخير في مقبرة السيدة زينب وأقبل الناس على شقيقه الحاج مصطفى يعزونه في هــذا المصاب ، تتمنى أن يربى أطفاله الثلاثة بكنف والدتهم ومناصرة الاقارب تربيــة صالحة تعوضهم حنو الاب ، فالى صهرنا الحاج مصطفى وآل النحاس وأرملة الفقيــد تعازينا الحــارة •

أشعر أنني في بيتي
مع طيران الشرق الأوسط

عندما أسافر على متن طيران الشرق الأوسط بدون توقف
من وإلى باريس - لندن - أثينا - القاهرة أو أي بلد آخر
أشعر دوماً أنني في بيتي.
حسن الضيافة تبقى إحدى مميزات طيران الشرق الأوسط.

